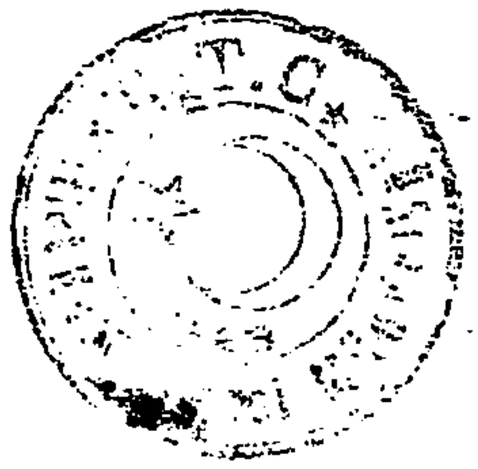




MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ
KISIM : H. Alipaşa
ESKİ KAYIT No. 32
YENİ KAYIT No.
TASNİF No.

سورة يونس عليه السلام مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس الا ثلاث آيات قوله تعالى فان كنت في شك اليك الى آخرهن وقال مقاتل الا اثنتين وهي قوله فان كنت في شك نزلت بالمدينة وقالوا الكل مكية الا قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به نزلت بالمدينة في اليهود وقالت فرقة نزل منها وهي اربعون آية بمكة وباقيها بالمدينة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

الر قال النحاس قرئ على ابي جعفر احمد بن شعيب بن علي بن الحسين بن حريث قال اخبرنا علي بن الحسين عن ابيه عن يزيد ان عكرمة حدثه عن ابن عباس ان الروم ونون الرحمن متفرقة فحدثت به الاعمش فقال عندك اشياء هذا ولا تخبرني به وعن ابن عباس ايضا قال سمعت ابا الله اعلم قال النحاس وروايته اثبات سيبويه تدعى مسئلة عن العرب وانشد * بالخير خيرات وان شرا فا * ولا اريد الشر الا ان تا * وقال الحسن وعكرمة الر قسم وقال سعيد عن قتادة اسم السورة قال ولذلك كل هجاء في القرآن وقال مجاهد هي فواتح السور وقال محمد بن يزيد هي تنبيه وكذا حروف التهجي وقرأ الكسائي من غير اماله وقرئ بالاماله لبيان تشبه ما ولام الحروف قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم ابتدا وخبر اي تلك التي جرى ذكرها آيات الكتاب الحكيم قال مجاهد وقتادة اراد التوراة والانجيل والكتب المتقدمة فان تلك اشارة الى غائب مؤنث وقيل تلك بمعنى هذه اي هذه تلك آيات الكتاب الحكيم ومنه قول الاعشى * تلك خيل وتلك ركابي * هن صفر ولادها كالزبيب * اي هذه خيلي والمراد بالكتاب القرآن وهو اولى بالصواب ان لم يجر للكتب المتقدمة ذكر ولان الحكيم نعت القرآن دليله قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته وقد تقدم هذا المعنى في اول سورة البقرة والحكيم المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام قاله ابو عبيدة وغيره وقيل الحكيم بمعنى الحاكم اي انه حاكم بالحلال والحرام وحاكم بين الناس بالحق فعيل بمعنى فاعل دليله قوله وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وحكمه بالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي لمن اطاعه وبالنار لمن عصاه فهو فعيل بمعنى المفعول قاله الحسن وغيره وقال مقاتل الحكيم بمعنى المحكم من الباطل والكذب فيه ولا اختلاف فقيل بمعنى مفعل كقول الاعشى بذكر قصيدة التي قالها قوله تعالى اكان للناس عجبا استفهام معناه التقرير والتوبيخ وعجبا خبر كان واسمها ان اوحينا وهو في موضع رفع اي كانا حيارى عجبا للناس وفي قراءة عبد الله عجب على انه اسم كان والخبر ان اوحينا الى رجل منهم وتريد رجلا باسكان الجيم وسبب النزول فيما روى عن ابن عباس ان الكفار لما قالوا لما بعث محمد ان الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا قالوا ما ارجو الله من رسله الا يتيم ابي طالب نزل هذا الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم مكة عجبا وقيل انما تعجبوا من ذكر النبي قوله تعالى ان انذر الناس في موضع نصب باسقاط الخافض اي بان انذر الناس وكذا ان لهم قدم صدق وقد تقدم معنى النذارة والبشارة وغير ذلك من الفاظ الآية واختلف في معنى قدم صدق فقال ابن عباس قدم صدق منزل صدق دليله قوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق وعنه ايضا اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وعنه ايضا قدم صدق سبق السعادة في الذكر الاول وقال مجاهد الرجاج درجة عالية قال ذو الرمة * لكم قدما بنكر الناس آباءه * مع الحسب العالي طمت على البحر * قتادة سلف صدق الربيع ثواب صدق الربيع ثواب صدق عطا فنام صدق عطا فنام صدق بيان اعمالهم صدق وقيل دعوة الملائكة وقيل ولد صالح تدعوه الى ورب ان يؤتوه صدق الطاعة صدق اجرا وقال الحسن وقتادة ايضا هو محمد صلى الله عليه وسلم فانه شفيع مطاع يتقدمهم كما قال انا فرطكم على الحوض وقد سبق صلى الله عليه وسلم فقال لهم شفاعتي تؤسلون بي الى ربكم وقال الترمذي الحكيم قدمه صلى الله عليه وسلم في المقام المحمود وعن الحسن ايضا مصيبتهم في النبي عليه السلام وقال عبد العزيز بن يحيى قدم صدق قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقال مقاتل اعمالا قدموها واختاره الطبري قال الوضاح صلى لذي العرش واتخذ قدما تنجيك يوم العثار والذلل وقيل هو تقديم الله هذه الامة في الحشر من القبور وفي ادخال الجنة كما قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلايق وحقيقته انه كان كناية عن السعي في العمل الصالح فكني عنه بالقدم كما يكنى عن النعام باليد وعن الثناء باللسان وانشد حسان لنا القدم العليا و اليك وخلفنا لاولنا طامة الله تابع يديه بيد السابقة باخلاص الطاعة والله اعلم وقال ابو عبيدة والكسائي كل سابق مرجرا وشر نفر عند العرب قدم بفتح الدال ان قدم في الاسلام وله عذر فقدم صدق وقد شر وقدم خير وهو مؤنث وقد يذكر بقال قدم حسن وقدم صالحة وقال ابن الاعرابي القدم المتقدم في الشرف قال الحجاج * قد بنوا العوام عز الحكم * وتركوا الملك لملك ذي قدم * وفي الصحاح عن النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم انه تعالى لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي وانا العاقب ربيا خر الانبيا كما قال تعالى وخاتم النبيين قوله تعالى قال الكافرون ان هذا
لساحر مبين قرا ابن كثير وابو بكر ساحر بغير الف والكوفيون عاصم وحمزة والكسائي وخلف الا حمزا لساحر تقاتلنا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا الباقون لسحر نعتنا للقرآن وقد تقدم معنى السحر في البقرة قوله
تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف تدبر الامر قال
يقضيه ويقدره وحده ابن عباس لا يشركه في تدبير خلقه احد وقيل يبعث الامر وقيل ينزل به وقيل يامر به
ويقضيه والمعنى متقارب يجبريل للوحي بميكائيل للمطر اسرافيل للصور عزرائيل للقبض وحقيقته تنزيل
الامور اسم لجنس الامور وما من شفيع في موضع رفع والمعنى ما يشفع الا من بعد اذنه وقد تقدم في البقرة
معنى الشفاعة فلا يشفع احد نبي ولا غيره الا باذنه سبحانه وهذا رد على الكفار في قولهم ما نعبدهم
الا ليقربونا الى الله هو لا شفعاؤنا عند الله فاعلمهم الله ان امرا لا يشفع احد الا باذنه فكيف بشفاعة اصنام
لا تعقل قوله تعالى ذلكم الله ربكم فاعبدوه اي ذلكم الذي فعل هذه الاشيا من خلق السموات والارض هو
ربكم لا رب لكم غيره فاعبدوه واياي فاعبدوه واخلصوا له العبادة الا تذكرون ايها المخلوقات فتستدلوا بها على
قوله تعالى اليه مرجعكم رفع بالابتدا جميعا نصب على الحال ومعنى الرجوع الى الله الرجوع الى الجزا به وعد
الله حقا مصدران اي وعدا الله ذلك وعدا وحققه حقا صدقا لا خلف فيه وقرا ابراهيم بن ابي عبلة
وعد الله حق على الاستيناف قوله تعالى انه يبدا الخلق ثم يعيده من التراب ثم يعيده اليه حيا للجزا ليجزي
الذين امنوا بتوحيده وعملوا الصالحات بطاعته بالقسط بالعدل والذين كفروا له شراب من حميم اي ماء حار قد انتهى حره واحميت مثله بنار جهنم الماحه تفور
حميم اي محرم فعيل بمعنى مفعول وكل ساخن عند العرب فهو حميم وعذاب اليم اي موجع يخلص وجعه
الى قلوبهم بما كانوا يكفرون اي بكفرهم وكان مقاتل بن بشير ينزل ان الله خاطبهم بهذا قبل
ان قدر على الابتدا قدر على الاعادة بعد الفنا وبعد تفريق الاجزا قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا
منصوبان اي مضيئة ولم يبن لانه مصدر او ذات ضيا والقمر نورا عطف اي منيرا او ذا نور والضيا ما يضي
الاشيا والنور ما يبين فيتحقق به من الغار فرا اصل واحد والضيا جمع ضوء كالسياط والحياض جمع سوط وحوض
وضوء وقرا قنبل عن ابن كثير ضيا بهمزا لليا والوجه له لان يا ه كانت واوا منقوحة وهي عين الفعل
اصلها ضوء فقلبت وجعلت كياء كاجعلت في الصيام والقيام قال المهدوي وقرا ضيا يا لهم فهو
مقلوب نقلت الهمزة التي بعد الالف فصارت قبل الالف فصار ضيا يا ثم قلبت الياء همزة لوقوعها بعد
الف زايدة وكذلك ان قدرت انه ايا جين تاخرت عينه الى الواو والياء انقلبت عنها الفا ثم تقلب همزة
ايضا فوزنه فلاع مقلوب فعال ويقال ان الشمس والقمر ينضي وجوههما لاهل السموات السبع
وظهورهما لاهل الارضين السبع قوله تعالى وقدره منازل لابد ان منازل وقدر له منازل ثم قبل
المعنى وقدر سيرها فوصل بجازا واختصارا كما قالوا زارنا فاكرمناه وانما اكرمنا زيدا وكما قالوا
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرامي مختلف وقيل انما اخبر عن القمر وحده اذ به تخصى الشهور التي
عليها العمل في المعاملات وغيرها كما تقدم في البقرة وفي سورة يس والقمر قدرناه منازل على عدد
الشهر وهو ثمانية وعشرون منزلة ويومان للنقصان والمحاق وهناك بيانه تعالى لتعلموا
عدد السنين والحساب ما الباء بمعنى اللام او بتقدير الا جزا قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا
منصوبان اي مضيئة ولم يبن لانه مصدر او ذات ضيا والقمر نورا عطف اي منيرا او ذا نور والضيا ما يضي
الاشيا والنور ما يبين فيتحقق به من الغار فرا اصل واحد والضيا جمع ضوء كالسياط والحياض جمع سوط وحوض
وضوء وقرا قنبل عن ابن كثير ضيا بهمزا لليا والوجه له لان يا ه كانت واوا منقوحة وهي عين الفعل
اصلها ضوء فقلبت وجعلت كياء كاجعلت في الصيام والقيام قال المهدوي وقرا ضيا يا لهم فهو
مقلوب نقلت الهمزة التي بعد الالف فصارت قبل الالف فصار ضيا يا ثم قلبت الياء همزة لوقوعها بعد
الف زايدة وكذلك ان قدرت انه ايا جين تاخرت عينه الى الواو والياء انقلبت عنها الفا ثم تقلب همزة
ايضا فوزنه فلاع مقلوب فعال ويقال ان الشمس والقمر ينضي وجوههما لاهل السموات السبع
وظهورهما لاهل الارضين السبع قوله تعالى وقدره منازل لابد ان منازل وقدر له منازل ثم قبل
المعنى وقدر سيرها فوصل بجازا واختصارا كما قالوا زارنا فاكرمناه وانما اكرمنا زيدا وكما قالوا
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرامي مختلف وقيل انما اخبر عن القمر وحده اذ به تخصى الشهور التي
عليها العمل في المعاملات وغيرها كما تقدم في البقرة وفي سورة يس والقمر قدرناه منازل على عدد
الشهر وهو ثمانية وعشرون منزلة ويومان للنقصان والمحاق وهناك بيانه تعالى لتعلموا
عدد السنين والحساب ما الباء بمعنى اللام او بتقدير الا جزا قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضيا

يستند لنا ليست الاية لذاية قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا يرجون بخافون ومنه قول الشاعر
* اذا لسعته النحل لم يرجوا لسعها * وخالفها في بيت نوب عواسل * وقيل يرجون يطمعون ومنه
قول الاير جوا بنو مروان سمعي وطاعتي * وقومي تميم والفلاة ورائيا قد جاء يكون بمعنى الخوف
والطمع ايهم لا يخافون عقابا ولا يرجون ثوابا وجعل لقاءا العذاب والثواب لقاءا لله تفخيما لهما
وقيل يجري اللقاء على ظاهره وهو الرؤية اي لا يطمعون في رؤيتنا وقال بعض العلماء بقع الرجاء
بمعنى الخوف المجرد كقوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا وقال بعضهم لا يقع بمعناه في كل
موضع دل عليه المعنى كقوله عز وجل ورضوا بالحياة الدنيا اي رضوا بها عوضا من الاخرة فعملوا لها
واطمانوا بها اي فرحوا بها وسكنوا اليها واصل اطمان طا من طمانينة فقدمت ميمه وذهبت نون
والله وصل ذكر العذاب والذين هم عن اياتنا اي عن اعتبار لنتنا غافلون لا يعتبرون ولا يتفكرون
اولئك ماواهم اي مثواهم ومقامهم النار بما كانوا يكسبون اي من الكفر والتكذيب قوله عز وجل ان
الذين امنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات بهديهم ربهم بايمانهم اي يرشدهم هداية كقوله والذين
اهتدوا زادهم هدى وقيل يهديهم ربهم بايمانهم الى مكان تجري من تحتهم الانهار قاله ابو روق يهديهم
ربهم بايمانهم الى الجنة وقال العطية يهديهم يثيبهم ويجزيهم وقال مجاهد يهديهم ربهم بالنور على
الصراط الى الجنة يجعل لهم نورا يمشون به ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لهذا ان قاد يتلف
المرء عمله في احسن صورة فيوحشه ويضله هذا معنى الحديث وقال ابن جريج يجعل علمهم هاديا
لهم الى حسن يقال الحمد لله قال النحاس مذهب الخليل وسيبويه ان هذه مخففة من الثقيلة والمعنى
انه الحمد لله قال محمد بن يزيد ويجوز ان الحمد لله تعلمها خفيفة عملها الثقيلة والرفع افيس قال
النحاس وحكى ابو حاتم ان بلالا قرا بالي برادة قرا واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين قلت وهي قراءة بن
محيصن حكاها المهدوي انه يحكى عنهم الثانية التسبيح والحمد والتهليل فذلك سمى دعاءهم وفي
مسلم والبخاري عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم
الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب الارض رب العرش الكريم قال
الطبري كان السلف يدعوا بهذا الدعا ويسمونه دعا الكرب وقال ابن عيينة وقد سئل عن هذا الدعا
فقال انا علمت انا هو تعالى يقول اذا شغل عبدي لنا وه عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي
السايلين والذكر يقطع النزاع وان هذا يسمى دعاء وان لم يكن فيه من معاني الدعاء شي وانما هو تعظيم
لله تعالى وثنا عليه ما رواه النسائي عن سعيد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعوت ذي النون اذ دعا بها في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فانه لم يدع
بها مسلم في شي الا استجيب له الثالثة من السنة لمن دعا بدا بالله كل ان يسمي الله عند الكرب
وشربه ويحمده عند فراغه اقتدا باهل الجنة ولي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة فيحمد الله عليها او يشرب الشربة فيحمده عليها
الرابعة يستحب للداعي ان يقول في اخر دعايه كما قال اهل الجنة واخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين وحسن ان يقرا اخر الصافات فانها جمعت تنزيه الباري تعالى على ما نسب اليهم والتسليم
على المرسلين والحكم بالحمد لله رب العالمين قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر قيل
معناه ولو يعجل الله للناس العقوبة كما يستعجلون الثواب والخير لما توا انهم خلقوا في الدنيا
خلقا ضعيفا وليسوا كذا يوم القيامة لانهم يوم القيمة يخلقون للبقا وقيل المعنى لو فعل
الله مع الناس في اجابته الى المكروه مثل ما يريدون فعله منهم في اجابته الخير لاهلكهم وشر معجل

لقضى

لقضي اليهم وقيل انه خاص بالكافر اي ولو يعجل الله للكافر العذاب على كفره كما عجل له خيرا لدنيا من المال
والولد لعجل له قضي اجله لينعجل عذاب الاخرة قاله ابن اسحق ومقاتل نحو قوله انتصر لي الحرث اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما فلو عجل لهم هذا لهلكوا وقال مجاهد نزلت في الرجل
يدعو على نفسه او ماله او ولده اذا غضب اللهم اهلكه اللهم لا تبارك له فيه والعنه او نحو هذا فلو ان
استجيب ذلك منه كما يستجاب الخير لقضي اليهم اجلهم فاية نزلت دابة لخلق دميم تصرف بعض الناس
يدعون في الخير ويريدون تعجيل الاجابة لم يعجلهم احيانا سوء الخلق على الدعا في الشر فلو عجل لهم لهلكوا
الثانية واختلف في اجابة هذا الدعا في الشر فلو عجل لهم فرويعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اني
سالت الله عز وجل ان لا يستجيب دعا حبيب على حبيبه وقال شهر بن حوشب قرات في بعض
الكتب ان الله تعالى يقول للملايكة الموكلين بالعبد لا تكتبوا على عبدي في حال ضجره شيا لطفا
من الله تعالى عليه قال بعضهم وقد يستجاب ذلك الدعا واحتج بحديث جابر الذي رواه مسلم في
صحيحه اخر الكتب قال جابر لم نر ما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بطن بواط وهو يطلب
المجدي بن عمرو الجهني وكان الناضح لعقبة منا الخمسة والستة والسبعة فدارت عقبة رجل من
الانصار على ناضح له فاناخه فركب ثم بعثه فتلون عليه بعض التلون فقال له شا لعنك الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا اللاعن بعيره قال انا يا رسول الله قال انزل الله عنه فلا يصحبنا
ملعون لا تدعوا على انفسكم ولا تدعوا على اولادكم ولا تدعوا على اموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسال
فيها عطا فيستجيب لكم بخير مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فلعن رجل ناقته فقال ايرا الراكب
لعن ناقته فقال الرجل انا هذا يا رسول الله فقال اخرها عنك فقد اجبت فيما ذكره الحليمي في
منهاجه منهاج الدين سايروك بالسين والشين وهو زجر للبعير يعني في الثالث قوله تعالى
ولو يعجل الله قال العلما التعجيل من الله والاستعجال الشر تعجيلا مثل استعجالهم بالخير ثم حذف
تعجيلا واقام صفته مقامه ثم حذف صفته واقام المضاف اليه مقامه هذا مذهب الخليل
وسيبويه وعلى قول الاخفش والفرا كاستعجالهم ثم حذف الكاف ونصب قال الفرا كما تقول ضربت زيدا
ضربك ابا لهب وتذر الذين لا يرجون لقضي اليهم اعلامهم وهي قراة حسنة لانه متصل بقوله ولو يعجل الله للناس
الشر فقوله عز وجل فنذر الذين لا يرجون لقا اي يعجل لهم الشر فنذرهم اي نتركهم ونخليهم ما هم
عليه من طغيانهم يعمهون اي يتحيرون والطغيان العلو والارتفاع وقد تقدم في البقرة وقد قيل ان المراد
بهذه الاية اهل مكة وانما نزلت حين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية على ما تقدم والله
اعلم قوله تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه قيل ان المراد بالانسان هنا الكافر قيل هو ابو
حذيفة بن المغيرة المشرك يصيبه البلاء والضر فيدعو لجنبه اي على جنب مضطجعا وقاعدا
او قايما وجميع حالاته لان الانسان لا يعدو واحدة من هذه الحالات الثلاثة قال بعضهم انما بدا بالمضجع
لانه بالضر اشد في غالب الامر فهو يشكو الكثر واجنها واشد ثم القاعد ثم القايم فلما كشفنا عنه ضره
مر اي استمر على كفره ولم يشكره ولم ينتبه فلت وهذه صفة كثير من المخلطين الموحدين اذا اصابتهم
القافية مرعلى ما كان عليه من المعاصي فالاية تعم الكافر وغيره كان لم يدعنا الى ضر مسه قال الاخفش
حذف التثقيلة حقيقة والمعنى كانه والشد ه ولكان من يكن له لشبه تكبيره ومن ينتقر يعش
على ضره كذلك زين اي كما زين لهذا الدعا عند البلاء والاعراض عند الرجا زين للمسرفين اي
للمشركين اعمالهم من الكفر والمعاصي وهذا التزيين يجوز ان يكون من الله ويجوز ان يكون من الشيطان
واضافه اليه دعاوه الى الكفر قوله تعالى ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا يعني بالقرون الامم
الماضية من قبل اهل مكة اهلكناهم لما ظلموا اي كفروا وجاتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات
الواضحات والبراهين البينات وما كانوا ليومنوا اي اهلكناهم لعلمنا انهم لا يومنون بخوف كفار قريش
عذاب الامم الماضية اي كما قدرنا على اهلاك هولا بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ولكن منهم
لعلمنا بان فيهم من يومن او يخرج من اصلابهم من يومن وهذه الاية ترد على اهل الطلا القايلين بخلاف
الحديث والاثبات وقيل معنى وما كانوا ليومنوا اي جازاهم على كفرهم بان طبع على قلوبهم وبدل
على هذا المعنى قال كذلك نجزي القوم المجرمين قوله تعالى ثم جعلناكم خلايف معشر ان وخلايف
جمع خليفة وقد تقدم في الانعام اي جعلناكم سكانا في الارض من بعدهم اي من بعد القرون المهلكة لننظر
نصب بلام كي وقد تقدم نظايره وامثاله اي ليتبين منكم ما يستحقون به الثواب والعقاب
ولم يزل بعلمه غيبا وقيل يعاملكم معاملة المختبر اظهارا للعدل وقيل النظر راجعا الى الرسل اي لننظر
رسلنا واوليانا كيف اعمالكم وكيف نصب بقوله تعملون لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيما
قبله قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات بين ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات تتلى قرا وبينات نصب على الحال اي واضحات لا لبس فيها لا اشكال قال الذين لا يرجون

لقآنا يعني لا يخافون يوم البعث والحساب لا يرجون الثواب قال قتادة يعني مشركي اهل مكة ائت بقران غير هذا او بدله والفرق بين تبديله والاتيان بغيره ان تبديله لا يجوز ان يكون معه والاتيان بغيره قد يجوز ان يكون معه وفي قولهم ذلك ثلاثة اوجه احدها انهم سالوه ان يجر لهم الوعد وعيدا والحلال حراما والحرام حلالا قال ابن جرير الطبري الثاني سالوه ان يسقط ما في القران من عيب المهتمين وتسفيه احلامهم قال ابن عيسى الثالث انهم سالوه اسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور قاله الزجاج الثانية قوله تعالى قل ما يكون لي اي قل يا محمد ما كان لي ان ابدله من تلقاء نفسي وفي عندي كما ليس ان لقاءه بالرد والتكذيب انا اتبع الا ما يوحى الي اي لا اتبع الا ما يوحى الي اي لا اتبع الا ما انزله علي من علاوة وعيد وتحريم وتحليل وامر ونهي وقد يستدل بهذا من يمنع نسخ الكتاب بالسنة لان تعالى قال قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي وهذا اليه بعد فان الاية ورت في طلب المشركين مثل القران نظما ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم قادرا على ذلك ولم يسالوه تبديل الحكم دون اللفظ وان الذي يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم اذا كان وحيا لم يكن من تلقاء نفسه بذلك كان من الله تعالى الثالثة قوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي اي ان خالفت امره بتبديله وتغييره ما وفي ترك العمل به عذاب يوم عظيم يعني يوم القيامة قوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اي لو شاء الله ما ارسلني اليكم فتلوت عليكم القران ولا اعلمكم الله ولا اخبركم به فلا دريت الشيء ولا ادراني الله به ودريته ودريت به وفي الدراية معنى الحيل ومنه دارية الخيل بخيلتها ولهذا لا يطلق المدارية في حق الله وايضا عدم فيها التوقيف وقرا ابن كثير ولا ادراكم به بغير الف بين اللام والهمزة والمعنى لو شاء الله لاعلمكم به من غير ان اتلوه عليكم فهي لام التاكيد دخلت على لفظ الفعل وقرا ابن عباس والحسن ولا ادراكم به بتحويل الف الفاعل على لغة بني عقيل قاله لورك الحشى لتضعك ما بقي منه على الارض فينبي بسوق الا ملحا ه وقال اخره ابو الدقش اهل اليمامة طيء يحرف كل ساء الا عز الشعر قال ابو حاتم سمعت الاصمعي يقول سالت ابا عمرو بن العلا افصل لغزاة اكسن ولا ادراكم وجه فقال كلاهما وقال ابو عبيد لا وجه لغزاة لو اكسن ولا ادراكم به الا الغلط قال النحاس معنى قول ابي عبيد لا وجه ان شاء الله على الغلط لانه يقال دريت ابي على لغة من قال دريت غيري وبيا دريات غيري وبيا دريات ابي دعت فبقع الغلط بين دريت ودارات قال ابو حاتم بريا كسن فيما احسب ولا ادريتكم به فابدل من الياء الفا على لغة بني الحرث بن كعب يبدلون من الياء الفا اذا انفتح ما قبلها مثل ان هذا لساحران قال المهدوي ويدل من قرا ادراكم فوجهان اصل الهمزة ياء فاصلة ادريتكم فقلبت الياء الفا وان كانت ساكنة كما قالوا ناصر في يسير وطاي في طيء ثم قلبت الالف همزة على لغة من قال في القاع وفي الخاتم قال النحاس وهذا غلط من الرواة عن الحسن اذا راتك بالهمز وابو حاتم وغيره تكلموا به بغير همز يجوز ان يكون من دارات ايد قعت ايد ولا امركم ان تكذبوا فتركبوا الكفر بالقران قوله تعالى فقد لبثت فيكم عمرا ظرف اي مقدارا من الزمان وهو اربعون سنة من قبله اي من قبل القران تعرفوني بالصدق والامانة لا تراوا كتبي جيتكم بالمعجزات فلا تقولون ان هذا لا يكون الا من عند الله لا من قبلي وقيل معنى لبثت فيكم عمرا اي لبثت فيكم مدة نشاتي اعمل الله افتريدون مني الان وقد بلغت اربعين سنة واقام ستين يرادي الانبياء وتوفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا هو استفهام بمعنى الجحد اي لا احد اظلم ممن افترى على الله الكذب وبدل الكلام واضعا شيئا اليه ما لم ينزله وكذلك لا احد اظلم منكم اذا تلوتم القران وافتريتم على الله الكذب وقلتم ليس هذا كلامه وهذا من امر به الرسول صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم وقيل هو من قول الله ابتداء وقيل المفتري المشرك والكذب بالايات اصل الكتابة لا يفلح المجرمون قوله تعالى ويعبدون من دون الله الاصنام يضرهم ولا ينفعهم يريد الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وهذه غاية الجهالة منهم جيء بالتظرون الشفاعة في المال ممن لا يوجد منهم منفعة ولا مضرة في الحال وقيل شفعاؤنا اي تشفع لنا عند الله في اصلاح معايشنا في الدنيا قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض قراءة العامة بالياء وقرا ابو السماك العدوي اتنبئون الله مخففا من انبا في وقراءة العامة من نبا سي بنبيه وهما بمعنى واحد جمعهما قوله من انباك هذا قال لنبا في العليم الخبير اي اتخبرون الله ان له شريكا في ملكه او شفيعا بغير اذنه والله يعلم لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض لانه لا شريك له فلذلك لا يعلمه نظيره قوله اتنبئونه بما لا يعلم في الارض ثم ترد نفسه سبحانه وتعالى علا وشانه وقد بينهما عن الشرك فقال جلت قدرته سبحانه عما يشركون اي هو اعظم من ان يكون له شريك وقيل المعنى اي تعبدون ما لا يشفع ولا يبصر ولا يميز ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فيكذبون وهل بلغكم ان تنبئونه بما لا يعلم سبحانه وتعالى عما يشركون وقرا حمزة والكسائي تشركون تالتا وهو اختيار ابو عبيد لما قرن بالياء قوله تعالى وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا لتقوم في البقرة معناه فلا ير

معنى للاعادة وقالا لزجاج هم العرب كانوا على الشرك وقبل كل مولود يولد على الفطرة فاختلفوا عند البلوغ
ولولا كلمة سبقت من ربك اشارة الى القضاء والقدر اي لولا ما سبق في حكمه انه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه
بالثواب والعقاب دون القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة باعمالهم والكافرين النار بكفرهم
ولكنه سبق من الله الاجل مع علمه بكيفيتهم بصليعهم فجعل موعدهم القيامة قال الحسن وقالا بن زيد لقضي بينهم
لاقام عليهم الساعة وفصل لفرغ من هلاكهم وقالا الكلبي الكلمة انا الله اخرت هذه الامة فلا اهلكهم
بالعذاب في الدنيا الى يوم القيامة قلوا هذا التاخير لقضي بينهم بنزول العذاب او باقامة
الساعة والاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في تاخير العذاب عمن كفر به قبل الكلمة السابقة انه لا ياخذ
احدا الا بحجة ولهذا ارسال الرسل كما قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقيل الكلمة قوله سبقت
رحمتي غضبي ولولا ذلك لما اخر العصاة الى التوبة وقرا عيسى لقضي بالفتح قوله تعالى ويقولون
لولا انزل عليه اية من ربه يريد اهل مكة اي هلا انزل عليه اية تعجزة غير هذه المعجزة فيجعل لنا
الجبال ذهبا وتكون له بيوت من زخرف وكي لنا من مات من ابائنا وقال الضحاك عصى كعصى موسى فقل انما
الغيب لله اي قل يا محمد انزول الاية غيب فانتظروا اني معكم من المنتظرين لنزولها
وقيل انتظروا فيقضي الله بيننا باظهار الحق على الباطل قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة من بعد
ضراء مستهم قيل اجاعة شدة وخصب بعد جدب اذا لهم مكر في اياتنا اي استهزاء و
وتكذيب وجوابا اذا اذقنا اذا لهم على قول الخليل وسيبويه قل الله اسرع انتقاما وخبر مكرا على البيان
اي اعجل عقوبة على جزاء مكرهم ان ما يأتيهم من العذاب اسرع في اهلاكهم ما اتوه من المكر ان رسلنا
يكتبون ما تمكرون بهم الرسل الحفظة وقراءة العامة تمكرون بالتاء خطابا وقراءة يعقوب في رواية رويس
وابو عمر وفي رواية لعارون العتكي يمكرون بالياء كقوله اذا لهم مكر في اياتنا قل قال ابو سفيان فحظيا بدعائك
فان سقيتنا صدقناك فسقوا باستقائه صلى الله عليه وسلم فلم يرعوا فهذا مكرهم قوله تعالى هو الذي
يسيركم اي يحملكم في البر على الدواب وفي البحر على الفلك وقال الكلبي يحفظكم في السير والاية تتضمن تقريب
النعم فيما هي كالدليل لسبيله من ركوب الناس الدواب وقد مضى الكلام في ركوب البحر في البقرة وبسيركم قراءة
ابن عامر ينشركم بالنون والشين اي يسكم وينشركم والفلك تقع على الواحد والجمع ويذكر ويونث وقد تقدم
القول فيه وقوله وجرين بهم خروج من الخطاب الى الغيبة وفي العود الى الغيبة واسمار العرب كثير قال النابغة
• ياد ارمية بالعلياء فالسند • اقوت وطال عليها سالف الامد • قال ابن الانباري وجائز في اللغة ان يرجع
من خطاب الغيبة الى لفظ المواجهة بالخطاب فقال الله تعالى وسفنهم ريح طيبة اي طاهرة ان هذا كان لكم جزاء وكان
سعيكم مشكورا فابدل الكاف من الهاء قوله تعالى بريح طيبة تقدم الكلام فيها في البقرة جاءتها ريح ذات
عاصف الضمير في جاءتها للسفينة وقيل للريح الطيبة والعاصف الشديدة يقال عصفت الريح واعصفت
فهي عاصف ومعصف ومعصفة اي شديدة قال الشاعر • حتى اذا عصفت ريح بمزعزعة • فطارو عن
صولة رجل • وقال العاصف بالتذكير لان لفظ الريح مذكر وهما لفاصف ايضا والطيبة يجري عاصفا وهما يطيبون الموج
جاءها ريح فعلوا اي ايقنوا انهم احيط بهم اي احاط بهم العدو يقال لمن وقع في بلية قد احيط به كان
البلا احاط بهم ايضا يقال لمن وقع في بلية قد احيط به كان البلا احاط به واصل هذا ان العدو اذا احاط بموضع فقد
هلك اهله دعوا الله مخلصين له الدين اي يدعوه وحده وتركوا ما كانوا يعبدون وفي هذا دليل على
ان الخلق جبلوا على الرجوع الى الله في الشدايد وان المضطر يجاب دعاؤه وان كانوا لانقطاع الاسباب
ورجوعه الى الواحد رب الارباب على ما ياتي بيانه في النحل ان شاء الله تعالى وقال بعض المفسرين انهم
قالوا في دعائهم انجنا منها اي ياحي يا قيوم وهما لغة العجم سبحانه وهذه الاية تدل على
ركوب البحر بطلتا وهي السنة حديث ابي هريرة وفيه انا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء الحديث
وحديث انس في فضل غزو البحر يدل على جواز ركوبه في الغزو وتقدم هذا المعنى في البقرة مستوفى بحمد
الله والمنة وتقدم في الاعراف حكم راكب البحر في حال ارتجاجه وتحيله هل حكمه حكم الصحيح او المريض
المحجور عليه فتامله هناك قوله تعالى لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين نعمك المعاملين بطاعتك على نجاة الخلاص قوله تعالى
فلما انجاهم اي خلصهم والفعل اذا لهم يبغون في الارض بغير الحق اي يظلمون يعملون في الارض في
الفساد وبالمعاصي والبغي الفساد والترك من بغى الجرح اذا فسد واصله الطلب يطلبون الاسفلا
بالفساد بغير الحق اي بالتكذيب ومنه بغت المراة طلبت غير زوجها قوله تعالى يا ايها الناس
انما بغيكم على انفسكم اي وباله عليكم وتم الكلام ثم ابتدا فقال متاع الحياة الدنيا اي هو متاع
الحياة الدنيا وانتصابه على اضمار فعل قال الخليل بغيكم رفع بالابتدا وخبره متاع الحياة الدنيا وعلى القسم مفعول
معنى فعل البغي ويجوز ان يكون خبره على انفسكم وخبر مبتدا اي ذلك متاع الحياة الدنيا وهو متاع الحياة
الدنيا وبين المعنيين حرف لطيف اذا رفعت متاعا على الخبر بغيكم فالمعنى انما بغي بعضكم على بعض فسلموا على

على انفسكم وكذا التقدير انما بغيكم على انفسكم والمعنى انما فسادكم راجع عليكم
مثل ذلك اساتم فلما ردي ان سفيان بن عيينة قال اراد ان البغي متاع الحياة الدنيا اي عقوبته تعجل
لصاحبه في الدنيا كما قال المبغي مصروعة وقرا ابن ابي اسحق متاع بالنصب على انه مصدر اي تتمتعون
متاع الحياة الدنيا او بنزع الخافض اي لمتاع او مصدر بمعنى المفعول على الحال اي متمتعين او هو
نصب على الظرف اي في متاع الحياة الدنيا ومتعلق الظرف والجار والحال معنى الفعل في البغي وعلى
انفسكم مفعول ذلك المعنى قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء معنى الاية
التشبيه والتمثيل اي مثل بالكاف في موضع رفع وسيأتي لهذا التشبيه مزيد بيان في الكهف
ان شاء الله تعالى فاختلط بالماء نبات الارض ثم ابتدأ به فنبات الارض اي بالماء نبات الارض
فاخرجنا لولا ان النبات فنبات على هذا ابتدا وعلى هذا لم يقف على فاختلط نوع باختلط اي
اختلط النبات بالمطر اي شرب منه فسدا وحسن واخضر والاختلاط بداخل الشيء بعضه في بعض
قوله تعالى مما يأكل الناس من الحبوب والثمار والبقول والانعام من الكلا والتبن والشعير حتى اذا
اخذت الارض زخرفها اي حسنها وزينتها والزخرف كل حسن الشيء ومنه قيل للذهب زخرف وازينت
اي بالحبوب والازهار والثمار والاصل تزينت اذ ثمنت التاء في الزاي وجيء بالفاء لوصل لان الحرف
المدغم مقام حرفين الاول منهما ساكن والساكن لا يمكن الابتداء به قرا ابن مسعود وابي ابن كعب وتزينت
على الاصل وقرا الحسن والاعرج وابو العالية وازينت اي انت بالزينة عليها اي بالغلة والزرع وجاء
بالفعل على اصله ولو على لقال وازانت وقال العوفي عن ابن عباس اعرابيا قرا اشياخنا واذا ابينت
وزنا سوادت وفي رواية المقدسي وازابنت والاصل فيه تزاينت ووزنه تداعست ثم ادغم وقرا
الشعبي وقتادة وازينت مثل افعلت وقرا ابو عثمان النهدي وازينت مثل افعلت وعنه ايضا
وازابنت مثل اختالت وروي عنه ازيانت بالهمز ثلاث قراءات قوله تعالى وظن اهلها اي
ايقن اهلها انهم قادرون عليها اي على حصادها والانتفاع اخبر عن الارض والمعنى النبات اذ
كان منها وهو منها وقيل رد الى الغلة وقيل الى الزبر اثارها امرنا اي بعذابنا او امر بهلاكها
ليلا او نهارا او ظرفان فجعلناها حصيدا مفعول ان اي محصودة مقطوعة لا شيء فيها وقيل حصيدا ولم
يونث لانه فعيل بمعنى مفعول قال ابو عبيد الحصيد المستأصل كان لم تغن بالامس اي لم تكن عامرة من غنى
اذا اقام فيه وغمره والمعاني في اللغة المنازل التي نعمرها الناس وقال قتادة كان لم نغن قال لبيد
* وغنيت شيئا قبل مجري داحس * لو كان للنفس اللجوج خلود * وقرا العامة تفصل بالتاء لتانيث
الارض وقرا قتادة يفصل بالياء يذهب به الى الزخرف يعني كما يهلك هذا الزرع هكذا كذلك الدنيا تفصل
تفصل الايات لقوم يتفكرون في ايات الله تعالى قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام لما ذكر
زهرة الدنيا وهي دار الدنيا وصف الاخرة فقال والله يدعوكم الى جمع الدنيا بل يدعوكم الى الطاعة
لتصيروا الى دار السلام الى الجنة قال قتادة والحسن السلام هو الله ودار الجنة وسميت الجنة دار
السلام لانه وحكمها سلم من الافات ومن اسمائه سبحانه السلام وتذبيانا في الكتاب الاسنى في شرح اسماء
الله الحسنى وباتي في سورة الحشر ان شاء الله تعالى وقيل المعنى والله يدعوا الى السلام والسلامة
بمعنى كالرضاع والرضاعة قاله الزجاج قال ويجيء بالتجنيز ام بكر وهل لك بعد قولك مر سلام وقيل اراد
والله يدعوا الى دار التجنيز والسلام وذلك من الملائكة قال النحاس ان السلام لا ينقطع عن اهل الجنة
وهو تحيتهم كما قال تحيتهم فيها سلام وقال يحيى بن معاذ يا ابن ادم دعاك الله الى دار السلام فالظر اين تجيبه
فان احسن من دنياك دخلتها وان اجتنبه من تبرك منعتها قال ابن عباس الجنان سبع دار الجلال ودار السلام
وجنة المأوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة الفردوس وجنة السعيم قوله تعالى ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم
بالدعوة ظاهرا والحجة وحض بالهداية استثناء عن خلقه والصراط المستقيم قيل كتاب الله تعالى رواه
علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصراط المستقيم كتاب الله تعالى وقيل
الاسلام رواه النواس بن سمعان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الجد خالد قتادة ومجاهد وقيل
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وروى جابر بن عبد الله
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايتني في المنام كان جبريل عند راسي وميكائيل عند رجلي فقال
احدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت اذنك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل امتك كمثل
ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بيتا ثم جعل فيها مادبة ثم بعث رسولا يدعوا الناس فمنهم اجابه الرسول ومنهم
من تركه فالله الملك والدار الاسلام والبيت الجنة وانت يا محمد الرسول فمن اجابك يا محمد دخل الاسلام
ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة اكل ما فيها ثم تلا قتادة ومجاهد والله يدعوا الى دار السلام
وهذه الاية بينة الحجة في الرد على القدرية لانهم قالوا هدى الله الخلق كلهم الى صراط مستقيم فردوا على
الله لصوم المقال قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة روي من حديث انس قال سئل النبي

صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وزيادة قال للذين احسنوا العمل في الدنيا الحسنى الجنة والزيادة النظر
الى وجه الكريم وهو قول ابي بكر الصديق وعلي بن ابي طالب في رواية وحذيفة وعبادة بن الصامت وكعب
ابن عجرة وابو موسى وصهيب وابن عباس في رواية وهو قول طائفة من التابعين رضوان الله عنهم وهو في
الصحيح من الباب وقد روى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة
الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من
النار قال فيكشف الحجاب فاعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى ربهم وفي رواية ثم تلا الذين احسنوا
الحسنى وزيادة وخرجه النسائي ايضا عن صهيب قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية
للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نادى منادي يا اهل
الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا الم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتجزنا من النار
قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه قال فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر اليه واقر
لاعينهم خرجه ابن المبارك في رقائقه عن ابي موسى الاشعري موقوفا وقد ذكرناه في كتاب التذكرة به
وذكرنا هناك معنى فيكشف الحجاب والحمد لله وخرج الترمذي الحكيم ابو عبد الله رحمه الله يا علي بن
حجر بالوليد بن مسلم عن زهير عن ابي اسحاق عن ابي بكر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الزيادة التي في كتاب الله قول للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر لوجه الرحمن وعن قوله وازلفنا
الى داية الف او يزيدون قال عشرون الفا وروي عن علي بن ابي طالب ان الزيادة عشر من لولوة واحدة
لها اربعة اذان وقال مجاهد الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان وقال عبد
الرحمن بن زيد الحسنى الجنة والزيادة ما اعطاهم في الدنيا من فضله ايجابهم به يوم القيامة وقال
عبد الرحمن بن سابط الحسنى البشرى الزيادة النظر الى وجه الله جل وعز قال الله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة وقال يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتمطرهم من كل الوان
الطيب ريحها وبياضها هل تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم اياه وقيل الزيادة انه
ما يمر عليهم مقدار يوم من ايام الدنيا الا حتى تخلف بمنزل لحرمهم سبعون الف ملك مع كل ملك هدايا
من عند الله ليست مع صاحبه مثلها ومثل تلك الهدايا فيكشف الواسع العليم الغني الحميد الغني
الكبير العزيز المتدبر الرحيم المدبر الحكيم اللطيف الكريم الذي لا ينتهي مقدوراته وقيل احسنوا
في معاملة الناس والحسنى شفاعتهم والزيادة اذن الله فيها وقوله تعالى قوله تعالى ولا يرهق
قيل معناه لا يلحق ومنه قيل لغلام مراهق اذا لحق بالرجال وقيل يعلوا وقيل يغشى والمعنى متقارب نزعنا
ما في قلوبهم كانوا يتحاسدون في الدنيا لا يلحقهم غبار في محشرهم الى الجنة ولا نقص ولا ذلة وانشد ابو عبيدة
للفرزدق ه منوج برد الملك ينبعه ه موج فوقها الرايات والقتراه وقترا الحسن قترا بسكان
التاء والقتر والقترة بمعنى واحد قال الخليل والواحد القتر عثيرة ومنه قوله تعالى ترهقها قترة
اي تعلوها غبرة وقيل قترة كابة وكسوف بن عباس القتر سواد الوجوه من تحرر دخان النار ومنه
قتار القدر وقال ابن ابي ليلى هو بعد نظرهم الى ربهم عز وجل قلت هذا فيه نظر فان الله عز وجل
يقول ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون الى قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر وقال
في غير اية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وهذا عام فلا يتغير بفضل الله في موطن من المواطن لا قبل النظر ولا
بعده وجد الحسنى بسوءة كاية ولا حزن ولا بعده شيء من دخان جهنم ولا غبرة واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله هم فيها خالدون قوله تعالى والذين كسبوا السيات اي عملوا المعاصي وقيل الشرك جزاء
سيئة بمثلها جزاء مرفوع بالابتداء وخبره بمثلها قال ابن كيسان التقدير لهم جزاء سيئة مثلها والمعنى جزاء سيئة مثلها وقيل الباء
مع ما بعدها الخبر وهي متعلقة بمحذوف قامت مقامه والمعنى جزاء سيئة كائن بمثلها كقولك انما انا بك
اي انما انا كائن بك ويجوز ان تتعلق بجزاء التقدير جزاء سيئة بمثلها كائن فحذف خبر المبتدا ويجوز ان يكون
جزاء مرفوعا على تقدير تبلهم جزاء سيئة ليكون مثل قوله فعدة من ايام اخر اي فعليه عدة من ايام اخر اي
فعليه عدة وشبهة والباء على هذا التقدير متعلق بمحذوف كانه قال لهم جزاء سيئة ثابت بمثلها او يكون
مؤكدة او زايدة ومعنى هذه المثلية ان ذلك الجزاء ما يعدل ما الا لذنوبهم ايهم غير مظلومين وفعل
الرب غير معلل وترهقهم ذلة اي يغشاهم هوان وخزي مالهم من الله اي من عذاب الله من عاصم اي
مانع يمنعهم منه كانما اغشيت اي البست وجوههم قطعا جمع قطعة وعلى هذا يكون من الليل حالا
من الليل اي اغشيت وجوههم قطعا على هذا النعت ويجوز ان يكون حالا من الليل والقطع اسم ما قطع
منه وقال ابن السكيت القطع طائفة من الليل وسيأتي في هود اذ شاء الله قوله تعالى ويوم
نحشرهم اي نجمعهم والحشر الجمع جميعا حال ثم نقول للذين اشركوا اي اتخذوا مع الله شريكا مكانكم
اي الزموا وانتظروا مكانكم وقفوا مواضعكم انتم وشركاؤكم وهذا وعيد فزيلنا بينهم اي فرقنا وقطعنا

ووجوده من موجده لانه نفسه وباعتبار هذا المعنى كان اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل واليه الاشارة بقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون الرابعة متى يتبين الحق بالضلال حتى يعرف لغة وشرعا قال الله تعالى فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال وقال ان ما يدعون من دونه هو الباطل والضلال حقيقته الذهاب عن الحق فكل من خالف طريقا في الطريق وهو العدول عن سننه قال ابن عرفة الضلالة عند العرب سلوك غير سبيل القصد قال وهي عدول عن الطريق واصل الكلمة اذا اضاعه وخص الشرع بالعبادة في العدول عن السواء في الاعتقاد دون الاعمال وفي غريب امره انه يعبر به عن العدم عن المعرفة بالحق سبحانه اذا قابله غفلة ولم يفترق بعده جهل او شك وجنبه حمل العلماء قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي غافلا في احد التاويلات يحققه قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وهذا بيان الخامسة روى عبد الله بن عبد الحكم واشهب عن مالك في قوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال قال اللعب بالشطرنج والنرد من الضلال وروى يونس عن ابن وهب انه سئل عن الرجل يلعب في بيته مع امرأته بأربع عشرة فقال مالكم يا يحيى وليس من شأن المؤمنين ان يعرفوا الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وروى يونس عن اشهب قال سئل يعني مالكا عن اللعب بالشطرنج فقال لا خير فيه فليس لبيب وهو من الباطل واللعب كله من الباطل وانه لينبغي لذي العقل ان ينزهه اللحية والشيب عن الباطل وقال الزهري لما سئل عن الشطرنج لهي من الباطل والاجوبة السادسة اختلف العلماء في جواز اللعب بالشطرنج وغيره اذا لم يكن على وجه القمار فتحصيل مذهب مالك وجمهور الفقهاء في الشطرنج انه من لعب بها واجب من اهله في بيته مستتر به مرة في الشهر او العام لا يطلع عليه ولا يعلم به انه معفو عنه غير محرم عليه ولا مكروه له واما ان يجلس به واشتهر فيه سقطت مروءته وردت شهادته واما الشافعي فلا تسقط في مذهب اصحابه شهادة اللاعب بالشطرنج فالنرد اذا كان عندهم في جميع اصحابه ولم يظهر منه سفه ولا ريبة ولا كبيرة الا ان لعب به قمارا فان بها قمارا وكان بذلك معروفا سقطت عدالته وسفه نفسه لاكله المال بالباطل وقال ابو حنيفة يكره اللعب بالشطرنج والنرد والاربعة عشر وكل اللهو فان لم تظهر من اللاعب بها كبيرة وكانت محاسنه اكثر من مساويه قبلت شهادته عندهم قال ابن العربي قالت الشافعية ان الشطرنج يخالف النرد لان فيه اكدادا لعقلهم واستعمالا للفرجة والنرد تحمل لعزوبها يعلم ما يخرج له فيه كالاستقسام بالازلام السابعة قال علماؤنا النرد قطع مملوة من خشب او بلقس او من عظم الفيل وكذا هو الشطرنج اذ هو اخو عذرة بلبانه والنرد لغة الذي يعرف بالطبل ويعرف بالكعاب ويعرف في الجاهلية ايضا بالمزن ويعرف ايضا بالنرد شير وفي صحيح مسلم عن سليمان بن بريدة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنرد شير فكانما غمس يده في لحم خنزير ودمه قال علماؤنا ومعنى هذا اي هو كمن غمس يده في لحم الخنزير لهسه لان يأكله وهذا اللعب في الخنزير حرام لا محالة لتبيينه قوله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله رواه مالك وغيره من حديث ابي موسى الاشعري وهو حديث صحيح وهو يجزم اللعب بالنرد جملة واحدة وكذلك الشطرنج لم يستثن وقتا من وقت ولا حالا من حال واخبر ان فاعل ذلك عاص لله ورسوله الا انه يحتمل ان يكون المراد باللعب بالنرد المنهي عنه ان يكون على وجه القمار لما روي عن اجازة اللاعب بالشطرنج عن التابعين على غير قمار وحمل ذلك على العموم قمارا وغير قمار اولى ومما جاء في الشطرنج حديث يروى فيه كما يروى في النرد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالشطرنج فقد عصى الله ورسوله وعن علي رضي الله عنه قال من لعب بالشطرنج فقد عصى الله ورسوله وعن علي رضي الله عنه انه مر على مجالس من تيم تيم يلعبون بالشطرنج فوقف عليهم فقال اما والله لغير هذا خلقتم اما والله لولا ان تكون سنة لضربت به وجوهكم وعنه رضي الله عنهم عنه انه مر بقوم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لان يمشي احدكم جمرا حتى يطأها خير له ان يمسها وسئل ابن عمر عن الشطرنج فقال هي شر من الترك وقال ابو موسى الاشعري لا يلعب بالشطرنج الا خاطئ وسئل ابو جعفر عن الشطرنج فقال دعونا من هذه المجوسية وفي حديث طويل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالشطرنج والنرد والجوز والكعاب مقته الله ومن جلس الى من يلعب بالشطرنج والنرد ينظر اليهم مجت عنه حسناته كلها وصار ممن مقته الله وهذه الآثار كلها تنزل على تحريم اللعب بها بلا قمار والله اعلم وقد ذكرنا في المائدة بيان تحريمها وانها كالخمر في التحريم لا فرق بينهما والله اعلم قال ابن العربي في نفسه وقد جوزه الشافعي وانتهى حال بعضهم الى ان يقول هو مندوب اليه حتى اتخذوه في المدرسة فاذا اعيا الطالب من القراءة لعبه في المسجد واستدوا الى قوم من الصحابة والتابعين انهم لعبوا بها وما كان ذلك قط ولا سمعت بها بدنية ويقولون انها تشحذ الذهن وتنفي الغباء وليكذبهم ما يحرفونها قط رجل له ذهن سمعت الامام ابا الفضل طاهر المقدسي يقول بالمسجد الاقصى في المناظرة اكثر العلم الحرب فقال له الطرطوشي بل تفسد تدبير الحرب لان الحرب المتصور منها

ما كان بينهم من التواصل في الدنيا بتلك الزبلة نتبرأ منه فرقته فنعترف وهو بقلب لانك تقول في حصره
تتبرأ ولو كان في قلب لقلت زبلته مزايلة المفارقة يقال زايله الله مزايلة وزيالا اذا فارقك
والتزايل التباين قال الفراء وتزايلنا بينهم يقال لا نزايل فلانا اي لا افارقه فان قلت
لا ازال قد يجيء بمعنى اخر معناه لا اخالفه قال الشركاء هم عني بالشركاء الملائكة وقيل الشياطين وقيل
الاصنام فينطقها الله فتتبرأ منهم هذه المجاورة وذلك انهم ادعوا على الشياطين الذين اطاعوهم
والاصنام التي عبدوها انهم امروهم بعبادتهم ويقولون ما عبدتمونا حتى امرتمونا فالمجاهد ينطق
الله الاوثان فتقول ما كنا نشعر بانكم ايانا تعبدون وما امرناكم بعبادتنا وان حملوا الشركاء على
الشياطين فالمعنى انهم يقولون ذلك دهشا او يقولونه كذبا اعتيادا للخلاص وقد يجري
مثل هذا هذا وان صارت المعارف ضرورية قوله تعالى فكفى بالله شهيدا شهيدا منصوب اي
كفى الله شهيدا او تمييز اي اكتف به شهيدا بيننا وبينكم ايكنا امرناكم بهذا او رضيناه منكم ان كنا
اي ما كنا عن عبادتكم لغافلين لا غافلين لا نسمع ولا نبصر ولا نعقل لانا كنا جمادا لا روح فينا تتلو تعالى
هنالك في موضع نصب على الظرف تتلوا اي تتبع ذلك الوقت تتلوا اي تتروى وقال الكلبي تعلم ما قدمت
تخبر كل نفس بما اكتسبت اي جزاء ما عملت وقدمت وقيل تسلم اي تسلم ما عليها من الخوف الى اولياء
بغير اختيارها وقرا حمزة والكسائي تتلوا اي تقرا كل نفس كتابها اي الذي كتب عليها وقيل تتلوا اي
تتبع اي تتبع كل نفس ما قدمت في الدنيا قال المسيب ومن قول الشاعر ان المريب يتبع المريبا كما رأيت
الذئب يتلوا الذئبا قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق بالحق بالخفض على البدل والصفة
ويجوز نصب الحق على ثلاثة اوجه يكون التقدير ورد وا فيما ثم حتى بالف واللام ويجوز ان يكون التقدير
مولاهم حقا ما بعد وفقد وه والوجه الثالث ان يكون مدحا اي اعني الحق ويجوز ان يرفع اي هو
الحق ويكون المعنى مولاهم الحق على ابتدا واخبر وانقطع مما قبله ما يشركون مردونه ووصف نفسه
سبحانه بالحق لانه المعدل عنه اي كل عدل وحق فمن قبله وقال ابن عباس مولاهم الحق اي الذي يجازيهم
بالخير وضل عنهم اي بطل ما كانوا يفترون في موضع رفع وهو بمعنى المصدر اي افتراؤهم فان قيل كيف
قال وردوا الى الله مولاهم الحق وقد اخبر بانه الكافرين لا مولى لهم قيل ليس بمولاهم في النصرة
والمعرفة وهو مولاهم في الرزق وادرار النعم قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الآية
المراد بهذا الكلام الرد على المشركين وتنبيههم على حجة عليهم فما اعترف منهم فالحجة ظاهرة عليه
ومن لم يعترف فيقرر عليه ان هذه السموات والارض وما بينهما من خالق ولا مدبر لهما غيره في هذا قل هذا
من سنة الله تعالى من السماء اي بالمطر والارض بالنبات امن يملك السمع والابصار اي من جعلها وخلقها
لكم ومن يخرج الحي من الميت ان الانسان من النطفة والنسمة من الجثة والطير من البيضة
والمؤمن من الكافر ومن يدبر الامر اي بقدره ويقضيه فسيقولون الله لانهم كانوا يعتقدون ان
الخالق هو الله او فسيقولون هو الله ان ذكروا ونصفوا فقيل لهم يا هؤلاء الا تتقون اي الا تخافون
عقابه ولمته في الدنيا والاخرة قوله تعالى فذلكم الله ربكم الحق فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى
فذلكم الله ربكم الحق اي هذا الذي يفعل هذه الاشياء هو ربكم الحق فما ذا بعد الحق الا ضلال
اي ما بعد عبادة الله الحق الا ترك عبادته الا الضلال وقال بعض المتقدمين ظاهر هذه الاية
تدل على ان بعد الله هو الضلال لا محالة فان قيل كم الله ربكم الحق واخرها فما ذا بعد الحق الا ضلال
فهذا في الايمان والكفر ليس في الاعمال وقال بعضهم ان الكفر تغطية الحق وكلما كان غير الحق جرى هذا
المجرى فاكرام ضلال والمباح هدى فان الله هو المبيح والمحرم والصحيح الاول ان قيل قل من يرزقكم
من السماء والارض ثم قال فذلكم الله ربكم الحق اي هذا الذي رزقكم وهذا كله فعله هو ربكم الحق اي الذي
يحق له الالوهية ويستوجب العبادة فاذا كان ذلك فتشريك غيره ضلال وغير حق الثانية
قال علماؤنا حكمة هذه الاية انه ليس بين الحق والباطل منزلة ثالثة في هذه المسئلة التي هي توحيد
الله تعالى وان ذلك هو الامر في نظايرها وهي مسايل الاصول التي الحق فيها في طرف واحد لان الكلام
فيها انما هو في تعديل وجود ذات كيف هي وذلك بخلاف مسايل الفروع التي قال الله فيها لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا وقوله عليه السلام الحلال بين والحرام بين وبينهما امور متشابهات والكلام في الفروع
انما هو في احكام طارية على وجود ذات مستقرة لا يختلف فيها واما يختلف في الاحكام المتعلقة بها و
الثالثة ثبت عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة
من جوف الليل قال اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ولك الحمد
انت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق انت ربي
فقوله انت الحق اي الواجب الوجود
واصله من حق الشيء اذا ثبت ووجب وهذا الوصف لله تعالى بالحقيقة اذ وجوده لنفسه بعدم
ويكون عليه لحاق العدم وما عداه مما يتعالى عليه هذا الاسم مسبوق بعدم ويجوز عليها لحاق العدم

والملك واغتباله ولما اشطرنج بنود شاه اياك الملك مخبر عن طريقي فاستضحك الحاضرين وتارة شدد
فيها ملك وحرمها وقد بينا في اذا بعد الحق الا الضلال وتارة استهان بالقليل منها والاهو والقول
الاول اصح والله اعلم قال قتادة وقد روى عن معمر عن الخطاب رضي الله عنه انه سيل عن الشطرنج فقال
وما الشطرنج فقيل له امرأة كان لها ابن وكان ملكا فاصيب في حرب دون اصحابه فقالت كيف
يكون هذا ارونه عيانا فعمل لها الشطرنج فلما رأته تسلت بذلك ووصفوا الشطرنج لعمر رضي
الله عنه فقال ما سرها كان مزالة الحرب قيل له هذا الحجة فيه لانه لم يقل له ما سرها الشطرنج وانما
قال له ما سرها كان مزالة الحرب ان كان كما تقولون فلا باس به وكذلك مزروى عنه مزاصحابه انه لم ينه
عنه قال ذلك محمول منه على انه ظن ان ذلك ليس بيتلقى به وانما يراد به التسبب الى تعلم القتال والمضارية
فيه اعلم ان الخبر المسند لم يبلغهم قال الخليلي واذا صح الخبر فلا حجة لاحد معه وانما الحجة معه على
الكافة الثامنة ذكر ابن وهب باسناده ان عبد الله بن عمر مر بغلمة لهم بحمامات يلعبون بالكجة
قال ابن الاعرابي هو ان يأخذ الصبي حزقة فيدورها كالنا كره ثم يتفاهزون ويجيء اذا لعب بالكجة
قوله تعالى فانى تصرفون اي كيف تصرفون عقولكم الى عبادة ما لا يرزق ولا يحيي وابين
قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي حكمه وقضاؤه وعلمه السابق على الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة
وكذبوا وكفروا انهم لا يومنون ايما بعد قوم ونحو هذا وفي دليل على القدرية وقرا نافع وابن عامر هنا
وفي اخرها ان ذلك حقت كلمة ربك وفي سورة غافر بالجمع في الثلاثة الباقون بالافراد وان في موضع نصب
اي بانهم او لانهم قال الزجاج ويجوز ان يكون في موضع رفع على البدل من كلمات قال الفراء يجوز انهم
بالكسر على الاستيناف قوله تعالى قل هل من شركائكم اي هل لمعتكم المعتكم ومعبوداتكم من
يبدو الخلق ثم يعيده اي قل لهم يا محمد ذلك على جهة التوبيخ والتقرير فان اجابوك والا فقل
الله يبدو الخلق ثم يعيده وليس غيره يفعل ذلك فانى تؤفكون اي فكيف تنقلبون وتصرفون
عن الحق الى الباطل قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق يقال هداه الى الطريق
والى الطريق بمعنى واحد وتوفقهم اي هل من شركائكم من يرشد الى دين الاسلام فاذا قالوا لا وهو بدؤه
قيل لهم الله يبدو الخلق يهدي الى الحق ثم قل لهم موبخا ومقررا افمن يهدي اي يرشد الى الحق وهو الله
سبحانه احق ان يتبع ام من لا يهدي اي لا يهدي غيره الا ان يهدى اي لكنه
لا ينتقل من مكان الا ان تنقل قال الشاعر لدفني عقيل حيث لقرب سانه قبره *
وقيل المراد الرؤساء والمضلون الذين لا يرشدون انفسهم وفي يهدي قرات ست الاولى قرا الفضل
المدينة الا ورشا يهدي بفتح الراء الباء واسكان الهاء وتشديد الدال مجموعا بين قرا انهم بين ساكنين
كما مثلوا في قوله لا تفدوا وفي قوله يخصمون قال النحاس والجمع بين ساكنين لا يقدر احد ان ينطق
به قال محمد بن يزيد لا بدلن رام مثل هذا ان يحرك حركة خفيفة اي الكسر وتسوية بسبب هذا اختلاس
الحركة الثانية قرا ابو عمرو وقالون في رواية بين الفتح والاسكان على مذهبهم في الاختفاء والاختلاس
الثالثة قرا ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال قال
النحاس هذه القراءة بينة في العربية والاصل فيها يهتدي ادغمت التاء في الدال وقيل فتحت
حركتها على الهاء الرابعة قرا حفص ويعقوب والاعشى عن ابي بكر مثل قراءة ابن كثير الا انهم كسروا
الهاء قالوا لالتقاء الجزم اذا اضطر الى حركته حرك الى الكسر قال ابو حاتم هي لغة سفلى مضر الخامسة
قرا ابو بكر عن عاصم يهدي بكسر الياء والهاء وتشديد الدال كذلك اتباع الكسر كما تقدم في البقرة
في يخطف وقيل هي لغة من لا يستطيع ان لم تمسسنا النار ونحوه وسيبويه لا يجيز يهدي ويجيز يهدي
واهدي قال لان الكسرة في الياء تثقل السادسة قرا حمزة والكسائي وخلف ويحيى بن وثاب والاعمش
يهدي بفتح الياء واسكان الهاء وتخفيف الدال من هذا يهدي قال النحاس وهذه القراءة لها وجهان
في العربية وان كانت بعيدة واحد الوجهين ان الكسائي والفراء قالا يهدي بمعنى يهتدي
قال ابو العباس لا نعرف هذا ولكن التقدير عندهم لا يهدى غيره ثم الكلام قالا ان يهدي استانف
من الاول اي لكنه يحتاج ان يهدي فهو استثنا منقطع كما تقول ما لزيد الا ان يسمع غيره الا ان يسمع اي لكنه
يحتاج ان يهدي فهو استثنا منقطع كما تقول ما لزيد الا ان يسمع غيره الا ان يسمع اي لكنه يحتاج ان يسمع
وقال ابو اسحق فما لكم كلام تام والمعنى اي شي لكم في عبادة الاوثان ثم قيل لهم كيف تحكمون ايها
لانفسكم وتقضون فهذا الباطل الصراح تعبدون الحجة لا تقتضي عن انفسها شيا الا ان يفعل بها
والله يفعل ما يشا فتتركون عبادته فموضع كيف نصب بتحكمون قوله تعالى وما يتبع اكثرهم
الا ظنا يريد الروساء منهم اي ما يتبعون الا حدسا وتخريصا في انها الهة وانها تشفع ولا حجة
معهم واما اتباعهم ليتبعوهم تقليدا وان الظن لا يجزي من الحق اي من عذاب الله فالحق هو الله
وقيل الحق هنا اليقين اي ليس الظن كاليقين وفي هذه الاية دليل على انه لا يكفي في الظن في اصول الدين

الله عليم بما يفعلون من الكفر والتكذيب خرجت مخرج التهديد قوله تعالى وما كان هذا القرآن ان يفترى
كما تقول للانسان ما يجب ان يركب ويجب الركوب قاله الكسائي وقال الفراء وما ينبغي لهذا القرآن ان يفترى
كقوله ما كان لنبي ان يغل وما كان لمؤمن ليقتل وكاتله وقيل ان بمعنى اللام تقديره وما كان هذا
القرآن ليفترى وقيل بمعنى لا اي لا يفترى وقيل المعنى ما كان يتهيأ لاحد ان يأتي مثل هذا القرآن
من عند غير الله ثم ينسبه الى الله لاعجازه وصفه ومعانيه وتأليفه ولكن تصديق الذي بين يديه
قاله الكسائي والفراء ومحمد بن سعدان التقدير ولكن كان تصديق ويجوز عندهم الرفع لمعنى ولكن
هو تصديق الذي بين يديه يعني التوراة والانجيل بغير ما من الكتب فانها قد بشرت به فجاء مصدقا
لها في تلك البشارة وفي الدعاء الى التوحيد والايمان بالقيامة وقيل المعنى ولكن تصديق
النبي الذي بين يديه يعني القرآن وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شاهدون قبل ان سمعوا منه القرآن
وتفصيل بالنصب والرفع على الوجهين المذكورين في تصديق والتفصيل التبيين اي يبين ما في كتب
الله المتقدمة والكتاب اسم جنس وقيل اراد اسم الجنس وقيل اراد بتفصيل الكتاب ما بين في القرآن
من الاحكام لا ريب فيه اي لا شك فيها اي في تنزيله ومن قبل الله تعالى قوله تعالى
ام يقولون افتراه ام ها هنا في موضع الف الاستفهام لانها اتصلت بما قبلها وقيل هي ام المنقطعة
التي تقدر بمعنى بل والهمزة كقوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون
افتراه اي بل يقولون افتراه وقاله ابو عبيدة ام بمعنى الواو مجازة ويقولون افتراه وقيل
الميم صلة والتقدير ايقولون افتراه اي اختلق محمد القرآن من قبل نفسه فهو استفهام معناه
التقريع قل فاتوا بسورة مثله ومعنى الكلام الاحتجاج فان الآية الاولى دلت على كون القرآن من
عند الله لانه مصدق الذي بين يديه من الكتب وموافق لها من غير ان يتكلم محمد عليه السلام عن احد
وهذه الآية الزام ان يأتوا بسورة مثله ان كان مفتريا وقد مضى القول في اعجاز القرآن وانه
معجز في مقدمة الكتاب والحمد لله قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي كذبوا بالقرآن
ولم يحاطوا بعلمه وتفسيره وعلمهم ان يعلموا ذلك بالسؤال فهذا يدل على انه يجب ان ينظر في
التأويل ولما يأتهم تأويله اي ولم يأتهم تأويله حقيقة عاقبة التكذيب من نزول العذاب بهم
او كذبوا بما في القرآن من ذكر البعث والجنة والنار ولم يأتهم تأويله اي حقيقة ما وعده في الكتاب
قاله الضحاك وقيل للحسين بن الفضل هل تجد في القرآن مما جهلت شيئا عاداه قال نعم في موضعين بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وقوله واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم كذلك كذب الذين من
قبلهم بريد الامم الكافرة اي كذا كانت سبيلهم والكاف في موضع نصب فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
اي اهلكتهم بالهلاك والعذاب قوله تعالى ومنهم من يؤمن به قيل المراد اهل مكة اي ومنهم من يؤمن
به في المستقبل وان طال تكذيبه لعلم الله تعالى السابق فيهم انهم من اهل السعادة ومن رفع بالابتداء
والخبر في المجرور وكذا من يؤمن والمعنى ومنهم من يصر على كفره حتى يموت كابي طالب وابي لهب وكحويما وقيل
المراد اهل الكتاب وقيل هو عام في جميع الكفار وهو الصحيح وقيل ان الضمير في به يرجع الى محمد صلى
الله عليه وسلم فاعلم الله عز وجل انه اما آخر العقوبة لان منهم من يسلم من ذريته ربك اعلم بالمفسدين اي من
يصر على الكفر وهذا تهديد لهم قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا
الى ثواب عملي في التبليغ والانذار والطاعة لله تعالى ولكم عملكم اي جزاؤه من الشرك انتم بريئون مما
اعمل وانا بريء مما تعملون منسوخة اي بواحد يذبح الآخر وهذه الآية منسوخة بآية السيف في قول
مجاهد والكلبي ومقاتل وابن زيد قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك يريد نظروا لهم له
وقلوبهم لا تعي شيئا مما يقوله من الحق ويتلوه من القرآن ولهذا قال انك لا تسمع الصم اي لا تسمع
فظاهره الاستفهام ومعناه النفي وجعلهم كالصم لختم على قلوبهم والطبع عليها اي لا تقدر
على هداية من اصمه الله عن سماع الهدى وكذا المعنى في انت تهدي العمي اخبر تعالى انه لا احد ان يؤمن
الا بتوفيقه وهذا بيانه وهذا وما كان مثله رد على القدرية قولهم كما تقدم في غير موضع قال
يستمعون على موضع معنى ومن ينظر في اللفظ والمراد نسلية النبي صلى الله عليه وسلم اي كما
لا يقدر ان يسلب السمع ولا يقدر ان يخلق العمى يصرا يهتدي به كذلك لا تقدر ان تؤتي لهم الايمان
وقدر الله عليهم ان لا يؤمنوا ومعنى ينظرون اليك اي يديمون النظر اليك كما قال ينظرون اليك تدور
اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت قيل انها نزلت في المستهزئين والله اعلم قوله تعالى ان الله لا يظلم
الناس شيئا لما ذكر اهل الشقاء ذكر انه لم يظلمهم وان التقدير السابق عليهم وسبق مع الكتاب وبصره ليس
ظلما منه لانه تصرف في ملكه بما شاء وهو في جميع افعاله عادل ولكن الناس انفسهم يظلمون بالكفر
والمعصية ومخالفة امر ربهم وقرأ حمزة والكسائي ولكن مخففا الناس رفعا قال الخاسر زعمر
جماعة من النحويين منهم الفراء اذا قالت العرب اذا قالت ولكن بالواو والف التشديد واذا حذفوا الواو وقد

اثروا التخفيف واصل في ذلك تقاربها اذا كانت بغيرها وتشابهت بل تخففوها لتكون ما بعدها
كما بعدها كما بعد بل واذا ما وا بالواو خالفت بل فشددوها ونصبوا لانها ان ليت تشبهها لام وكان
وصيرت حرفا واحدا وانشد ٭ ولكني رجيها لعبيده ٭ فجاء باللام لانها ان قوله تعالى ويوم يحشرهم
كانهم بلبثوا بمعنى كانهم لم يلبثوا في قبورهم الا ساعة من النهار اي قدر ساعة يعني انهم
استقصروا واطول مقامهم في القبور لهول ما يرون فمن قولهم لبثنا يوما او بعض
يوم وليلة انما قصرت مدة لبثهم في الدنيا من هول ما استقبلوا الا مدة كونهم في القبر عباس
راوان طول اعمارهم في مقابلة الخلود كساعة بنهار فوت بينهم في موضع نصب على الحال من الهاء
والميم في يحشرهم وكوز ان يكون منقطعا كانه قال نحشرهم يتعارفون قاد الكلبي يعرف بعضهم بعضا
كمعرفتهم في الدنيا اذا خرجوا من قبورهم هذا التعارف تعارف توبيخ وافتضاح يقول بعضهم لبعض
انتا اضللتني واغويتني وحملتني على الكفر ليس تعارف شفقة ورافة وعطف ثم تنقطع تلو
المعرفة اذا عاينوا اهوال القيامة كما قال ولا يسأل حميم حميما وقيل ينفي تعارف التوبيخ وهو
الصحيح لقوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم رجع بعضهم الى بعض القول الى
قوله وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا وقوله كلما لعنت امة لعنت اختها الاية وقوله انا اطعنا
سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا فاما قوله ولا يسأل حميم حميما وقوله فاذا نفخ في الصور فلا انساب
بينهم فمعناه سوال رحمة وشفقة والله اعلم وقيل القيامة مواطن وقيل بعني يتعارفون يتسالون
اي يتسالونكم ليتلمح كما قالوا فاقبل بعضهم على بعض يتسالون وهذا حسن وقال الضحاك ذلك تعارف
وتعاطف المؤمنين والكافرون لا انساب بينهم ولا ولاء والله اعلم قوله تعالى قد خسر الذين كذبوا
بلقاء الله اي بالوقوف على الله ثم قيل يجوز ان يكون هذا اخبارا من الله عز وجل بهما ندل على البعث والنشور
اي حسن وا ثوابا بالجنة وقيل خسروا في حال لقاء الله لان الخسران انما هو في تلك الحالة وهي الحالة التي
لا يرجى فيها اقالة ولا تنفع توبة قال الحسن ويجوز ان يكون المعنى يتعارفون بينهم يتوبون هذا وما
كانوا مهتدين بربيجيء علم الله قوله تعالى وانا نرينك شرط بعض الذي نعدهم اي في اظهارك في
حياتك وقال المفسرون كان البعض الذي وعدهم قتل من قتل واسر من اسر ببدر او ينوفيك عطف
على نرينك يا ونتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم جواب اما والمقصود ان لم ننتقم منهم عاجلا
انتقمنا منهم اجلا ثم الله شهيد اي شاهد لا يحتاج الى شاهد على ما يفعلون من مكارتك وتكاذبيك
ولو قيل ثم الله شهيد بمعنى هناك جاز قوله تعالى ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم يوم القيامة
قضي بينهم مثل تكذيب اذا جيبا من كل امة بشهيد وقال ابن عباس تذكر الكفار عند مجيء الرسل اليهم
فيقولون يا رسول نبخول فنا بلغتهم الرسالة فجيء بنبيهم فيقضي عليهم بالعذاب دليله قوله تعالى
ويكون الرسول عليكم شهيدا ويجوز ان يكون المعنى انهم لا يعذبون في الدنيا حتى يرسل اليهم فمن
امن نار وبجا ومن لم يؤمن هلك وعذب دليله قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والقسط
العدل وهم لا يظلمون ايضا يعذبون بغير ذنب ولا يواخذون بغير حجة قوله تعالى ويقولون
متى هذا الوعد يريد كفار مكة لفرط انكارهم واستعجالهم العذاب اي متى العذاب او متى القيامة
التي يجرنا بها وقيل هو عام في كل امة كذبت رسولها قوله تعالى قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا
لما استعجلوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال الله قل لهم يا محمد لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي
ليس ذلك لي ولا لغيري الا ما شاء الله ان املكه وانذر عليه فكيف اقدر ان املك ما استعجلتم فلا
تستعجلوا لكل امة اجل اي لهلاكهم وعذابهم وقت معلوم في علمه سبحانه اذا جاء اجلهم اي وقت
انقضاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يمكنهم ان يستاخروا ما قدر ساعة في الدنيا
ولا يتقدموه فيخرون قوله تعالى قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا اي ظرفان وهو جواب
لقولهم متى هذا الوعد ونسبه ارايتم في استعجالهم العذاب اي ان اتاكم العذاب فما تفعلون فيه
وما ينتفعكم الايمان حينئذ ماذا يستعجل منه المجرمون استفهام معناه التهديد والتعظيم اي
ما اعظم ما يستعجلون به كما يقال لمن ليطلب امرا يستوخم عاقبته ماذا تجني على نفسك والضمير
في منه قيل يعود على العذاب وقيل على الله تعالى قال الخاسران جعلت المهاجي منه تعود على
العذاب كان له لك في ماذا تقديران احدهما ان يكون ما في موضع رفع بالابتداء وذا بمعنى الذي وهو
خبرها والعائد محذوف والتقدير ايضا خران يكون ما وذا اسما واحدا في موضع رفع بالابتداء والخبر
في الجملة قاله الزجاج وان جعلت الهاء في منه تعود على اسم الله تعالى جعلت ما وذا شيئا واحدا
وكانت في موضع نصب يستعجل والمعنى اي شيء يستعجل منه المجرمون من الله جل وعز قوله تعالى
قوله تعالى اثم اذا ما وقع امنتم به الان في الكلام حذف والتقدير انا سئلوا ان ينزل بكم العذاب
ثم يقال لكم اذا حل منتم به قيل هو من قول الملائكة استهزاء بهم وقيل هو من قول الله تعالى ودخلت

الف

الف الاستفهام على ثم للتقرير والتوبيخ ويدل على ان معنى الجملة الثانية بعد الاولى وقيل
ان ثم ههنا بمعنى ثم بفتح الثا فيكون ظرفا والمعنى هناك وهو مذهب الطبري وحينئذ لا يكون فيه
معنى الاستفهام والاذكيذا اسم فعل مبني مثل هاذا وهاذان والالف واللام لتخويله الى الاسم الجليد بنيت
لالتقاء الساكنين واللام والاشارة الى الوقت وهو هذا الزمان الذي وقد كنتم اي بالعذاب
تستعجلون قوله تعالى ثم قيل للذين ظلموا اي نقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب الخلد
اي الذي لا ينقطع لهل تجزون الا ما كنتم تكسبون اي جزاء كفركم قوله تعالى ويستنبئونك اي
يستخبرونك يا محمد عن كون العذاب وقيام الساعة احق ابتدا هو سد مسد الخبر هذا قول سيبويه
ويجوز ان يكون هو مبتدا وحق خبره تالي اي كلمة تحقيق وايجاب وتاكيد بمعنى نعم وربي قسم انه لحق
جواب اي كاين لا شك فيه وما انتم بمعجزين اي ما ينجيكم عن عذابه ومجازاته قوله تعالى ولو ان
لكل نفس ظلمت اي اشركت وكفرت ما في الارض اي من ملك لافتدت اي من عذاب الله يعني ولا يقبل منها
كما قال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به وقد تقدم
قوله تعالى واسروا الندامة اي اخفوها بمعنى رؤسايهم اي اخفوا ندامتهم عن اتباعهم لما راوا
العذاب وهذا قبل الاحراق بالنار فاذا وقعوا في النار الهتهم النار عن التضنع بدليل قولهم ربنا
غلبت علينا شقوتنا فيما نهم لا يكتمون ما بهم وقيل اسروا اظهروا والكلمة من الاضداد ويدل عليه
ان الاخرة ليست دار تكليف وتغيير وقيل وجدوا الم الحسرة في قلوبهم فانا الندامة لا يمكن اظهارها
قال كثير فاسررت الندامة يوم ناداه بردجا لغاضرة المنادي ٥ وذكر المبرد فيه وجها ثالثا انه
بالندامة اسرة وجوههم وهي تكاسير الجبهة واحدها سارو الندامة الحسرة لوقوع شيء وفوت شيء
واصلها اللزوم ومنه الدم لانه يلازم المجالس وفلان نادم سادم والسدم اللهج بالشيء والدم والسدم
بالشيء بالكسر رجل نادم وسادم ولذمان سدمان ويقال هو اتباع وماله ملم ولا سدم الا ذلك وقيل
الندم مقلوب الدمن والدمن اللزوم ومنه فلان لدمة من الحمر والدمن ما اجتمع في الدار وتلبد من البوال
والابعار سمي به للزومه والرمة الحقد الملازم للصدر والجمع ومن وقد مننت قلوبهم بالكسر يقال
دمنت على فلان اي صغنت وقضي بينهم بالقسط اي بين الرؤساء والسفلة بالقول وهم لا يظلمون
قوله تعالى الا ان لله ما في السموات والارض الا كلمة تنبيه للسامع تزاد في اول الكلام اي انتبهوا
لما اقول لكم ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق له ذلك السموات والارض فلا مانع يمنعه
من انفاذ ما وعده ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك قوله تعالى هو يحيي ويميت واليه ترجعون بين
المعنى وقد تقدم قوله تعالى يا ايها الناس يعني قريشا قد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القرآن
فيه مواعظ وحكم وشفا لما في الصدور اي من الشك والنفاق والخلاف والشقاق وهدى اي ورشد
من الضلالة ورحمة اي نعمة للمؤمنين خصهم لانهم المنتفعون بالايمان والكل صفات القرآن والعطف
لتاكيد المدح قاله الى الملك القرم وابن الهمام ٥ وبيت الكتيبة في المزدحم قوله تعالى
قل بفضل الله وبرحمته قال ابو سعيد وابن عباس رضي الله عنهما فضل الله القرآن ورحمته الاسلام و
وعنهما ايضا فضل الله القرآن ورحمته ان جعلكم من اهله وعن الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة و
وفضل الله الايمان ورحمته القرآن على العكس من القول الاول وقيل غير هذا فبذلك فليفرحوا هو
اشارة الى الفضل والرحمة والعرب تاتي بذلك للواحد والاثنين والجميع وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قرا فبذلك فلتفرحوا بالتاء وهي قراءة يزيد بن القعقاع ويعقوب وغيرهما وفي
الحديث لتاخذوا مصافكم والفرح لذة في القلب بادراك المحبوب وقد لام الفرح في مواضع هو
كقوله لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وقوله انه لفرح فخور ولكنه مطلق فاذا قيد الفرح لم يذم
اذا لقوله قرحين بما اتاهم الله من فضله وهاهنا قال تعالى فبذلك فليفرحوا اي بما
القرآن والاسلام فليفرحوا فقيد قاله هارون في حرف اي فبذلك فليفرحوا قاله النحاس سبيل
الامر ان يكون باللام ليكون معه حرف حازم كما ان مع النهي حرفا لا انهم يحذفون من الامر لما يخاطب استثقالا
بما طبته وربما جاء به على الاصل منه فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون يعني في الدنيا وقراءة العامة
بالياء للغائبين وروي عن ابن عامر انه قرا فليفرحوا بالتاء بما تجمعون بالتاء خطاب للكافرين وروي عن
الحسن انه قرا بالتاء في الاول وبالياء على العكس وروى ابان عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرا ان الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله لا تفتقر بعد عينيه الى يوم يلقاه ثم
ثم تلا قل بفضل الله وبرحمته هو خير فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قوله تعالى قل ارايتم ما
انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالا وحراما قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون
ما انزل الله لكم من رزق ما في موضع نصب بارايتم وقال الزجاج في موضع نصب بانزل وانزل بمعنى
خلق كما قال وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد فيه باس شديد ويجوز ان يجعل الخلق

قال اذا استوفت نفس العبد المؤمن في الدنيا عند الموت وعن محمد بن كعب القرظي قال اذا جاء
ملك فقال السلام عليك ولي الله يقرؤك السلام ثم تلا هذه الاية الذين تتوفاهم الملائكة طيبين
يقولون سلام عليكم ذكره ابن المبارك وقال قتادة والضحاك هي اذ يعلم اين هو من قبل ان يموت وقال
الحسن هي ما يبشرهم الله تعالى به في كتابه من جنته وكرامته ثوابه كقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات وقوله وابشروا بالجنة وهذا قال لا تبديل
لكلمات الله اي لا خلف في مواعيده وذلك لان مواعيده كلها تامة وفي الاخرة قيل بالجنة اذا خرجوا من قبورهم وقيل اذا خرجت الروح تبشر برضوان الله وذكر ابو اسحق الثعلبي سمعت ابا بكر بن عبد الله بن
الجورقي يقول رايت ابا عبد الله الحافظ في المنام راكبا بريذونا عليه طيلسان وعمامة فسلمت عليه
وقلت له اهلا بك انا ما تراك تذكرك وتذكر محاسنك قال الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الاخرة
الثناء الحسن واشار بيده لا تبديل لكلمات الله اي لا خلف لوعده وقيل اي لا تبديل لاخباره اي
لا ينسخها شيء ولا يكون الا ما قال ذلك هو الفوز العظيم اي ما يصيبهم البهم ولباره فهو الفوز
العظيم قوله تعالى ولا يحزنك قولهم ثم الكلام اي لا يحزنك افتراؤهم وتكذيبهم لك ثم ابتدا
فقال ان العزة لله اي القوة الكاملة والعلية الشاملة والغلبة التامة لله وحده فهو ناصرك
ومعينك وما نعك جميعا نصب على الحال ولا يعارض هذا قوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فان كل عزة
بالله فهي كلها لله قال الله سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون هو السميع العليم السميع لاقوالهم
واصواتهم العليم باعمالهم وافعالهم وجميع حركاتهم قوله تعالى الا ان لله من في السموات ومن
في الارض اي يحكم فيهم بما يريد ويفعل فيهم ما يشاء سبحانه قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء النفي اي لا يتبعون شركاء على الحقيقة بل يظنون انها تشفع او تنفع وقيل ما استفهام
اي اي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقبيحا لفعلهم ثم اجاب فقال ان يتبعون الا الظن
وانهم الا يخرصون اي يكذبون ويكذبون وقد تقدم قوله تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه بين ان الواجب عبادة من يقدر على خلق الليل والنهار لا عبادة من لا يقدر على شيء لتسكنوا فيه اي تستريحوا ازواجكم وارقاءكم لينزلوا التعب والكلال بكم والسكون لهدوء عن اضطراب قوله تعالى والنهار
مبصرا اي مضيئا لتتصرفوا فيه لحوائجكم والمبصر الذي يبصر والنهار يبصر فيه وقد مبصر تجوزا وتوسعا
على عادة العرب في قولهم ليل قائم ونهار صائم وقال جرير
لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى ومنت
وما ليل المطي بنائم وقال قطرب يقال اظلم الليل اذا صار ذا ظلمة واضاء النهار وابصر اي صار ذا ضياء وبصر
ان في ذلك لايات اي علامات ودلالات لقوم يسمعون اي سماع اعتبار قوله تعالى قالوا اتخذ الله ولدا
يعني الكفار وكذا تقدم سبحانه تنزيه عن الصاحبة والولد وعن الشركاء والانداد ثم اخبر بغناه المطلق
وان له ما في السموات والارض ملكا وخلقا وعبدا ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ان
عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم حجة بهذا القول على الله لا تعلمون من اثبات الولد له والولد
يقتضي المجانسة والمشابهة والله سبحانه ليس شيء منها ولا يشبهه شيء قوله تعالى قل ان الذين يفترون
اي يختلقون على الله الكذب لا يفلحون اي لا يفوزون ولا يامنون وتم الكلام متاع الدنيا اي ذلك متاع
او هو متاع في الدنيا قاله الكسائي وقال الفراء تم متاع في الدنيا قال ابو اسحق ويجوز النصب
في غير القرآن على معنى يتمتعون متاعا ثم الينا مرجعهم اي رجوعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد اي
الغليظ بما كانوا يكفرون اي بكفرهم قوله تعالى واتل عليهم نبا نوح امره عليه السلام ان يذكرهم
اقاصيص المتقدمين وكفرهم العذاب الاليم على كفرهم وحذفت التاء من نبا لانه امر اي اقرا عليهم
خبر نوح اذ قال لقومه اذ في موضع نصب يا قوم ان كان كبر اي عظم وثقل عليكم مقامي القيام بفتح الميم
الموضع الذي يقوم فيه والمقام بالضم الاقامة ولم يقرا به فيما علمت اي انه طال عليكم لبثي فيكم وتذكيري اياكم
وتخويفي لكم بايات الله وعزمتم على قتلي وطردي فعلى الله توكلت اي اعتمدت وهذا هو جواب الشرط
ولم يزل عليه السلام متوكلا على الله في كل حال ولكن بين انه متوكل في هذا على الخصوص ليعرف قومه ان
الله يكفيه امرهم اي ان لم تنصروني اني اتوكل على من ينصرني قوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم
قراءة الائمة فاجمعوا بقطع الالف شركاءكم بالنصب وقرا عاصم بوصل الالف وفتح الميم
من جمع يجمع شركاءكم بالنصب وقرا الكسائي وابن ابي اسحق ويعقوب فاجمعوا بقطع الالف شركاءكم بالرفع
فاما القراءة الاولى فمن اجمع على الشيء اذا عزم عليه وقال الفراء اجمع الشيء اعده وقال المبرد اجمعت الامر
افصح من اجمعت عليه وانشد
يا ليت شعري والمنى لا ينفع هل اغدون يوما وامري مجمع
قال النحاس وفي نصب الشركاء على هذه القراءة ثلاثة اوجه قال الكسائي والفراء هو بمعنى وادعوا شركاءكم لنصرتكم
وهو منصوب عندهما على اضمار هذا الفعل وقال محمد بن يزيد هو معطوف على المعنى كما قاله
روحك في الرحا منقلداه سبنا ورنحا والريح لا تنقلدا اه لانه محمول كالسيف وقال ابو اسحاق الزجاج

بالامتزاد له ذا الذي في الارض من الرزق انما هو مما ينزل من السماء من المطر فجعلتم منه حراما وحلالا قل لهم
لهو ما حكموا به من تحريم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال الضحاك هو قول الله تعالى وجعلوا
لله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قل آلله اذن لكم اي في التحليل والتحريم ام على الله
ام بمعنى بل تفترون هو قولهم ان الله امرنا بها الثانية استدل بها من لم ير القياس وهذا بعد فان ابن
عباس انما قاس رد بدلا الله تعالى فيكون التحليل والتحريم من الله تعالى بحكم وجود دلالة نصبها على الله
على الحكم فان قلت في كون القياس ردا بدلا الله تعالى فهو خروج عن هذا الغرض ورجوع الى غيره قوله تعالى
وما ظن الذين كذبوا يفترون على الله الكذب يوم القيامة يوم منصوب على الظرف او بالظن نحو ما ظننت
زيدا والمعنى يحسبون ان الله اباح لهم بل اوجب عليهم ان الله لذو فضل على الناس اي في التأخير والامهال
وقيل اراد اهل مكة حيث جعلهم في حرم امن ولكن اكثرهم اي اكثر هؤلاء الكفار لا يشكرون الله على نعمه ولا في تأخير
العذاب عنهم وقيل لا يشكرون لا يوحدون قوله تعالى وما تكون في شان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني من عاداته او غيرها الا والرب مطلع عليه والشان الخطب والامر وجمعه شؤون قال الاخفش تقول
العرب ما شانت شانك اي ما عملت عملا وما تتلوا منه من قرآن قال الفراء والزجاج الهاء في منه تعود على الشان
اي تخرج شانا فيتلى من اجل القرآن فيعلم كيف حكمها وينزل فيه قرآن فيتلى وقال الطبري منه اي من كتاب
سببه الله من قرآن افاد تفخيما كقوله تعالى انا انزلناه ولا تعلمون من عمل يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم
والامة وقوله وما تكون في خطاب له والمراد هو وامته وقد يخاطب الرسول والمراد هو واتباعه وقيل
المراد كفار قريش اذ كنا عليكم شهودا اي بعلمه ونظره ما يكون من يحوز ثلاثة الا هو رابعهم اذ تفيضون
فيه اي تأخذون منه والهاء عائدة على العمل يقال اخاض فلان في الحديث والعمل اذا اندفع فيه قال
الراعي * ما فضل بعدك مظلوم من بجرة * من ذي الاباطح اذ رعين حفيلا ابن عباس تفيضون فيه تعملون
الاخفش تتكلمون ابن زيد تخوضون ابن كيسان تشرعون في القول وقال الضحاك الهاء عائدة على القرآن
المعنى اذ تعملون في القرآن الكذب وما يعزب يغيب عن ربك قال ابن عباس يغيب وقال ابو روق يبعد وقال
ابن كيسان يذهب وقرأ الكسائي يعزب بكسر الزاي حيث وقع وضم الباقون وهما لغتان فصيحتان نحو
يعرش ويعرش من شقال لذرة اي وما يعزب عن ربك مثقال ذرة اي وزن ذرة ايما كان من خير او شر وقد
تقدم في النساء وما اصغر من ذلك ولا اكبر عطف على لفظ مثقال وان شئت على ذرة فتح الباء يعقوب وحمزة
برفع الراء فيهما على موضع المثقال لان من زائدة للتأكيد قال الزجاج ويجوز الرفع على الابتداء
وخبره الا في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ مع علم الله تعالى به وقال الكرخي الا بمعنى واو النسق
اي وهو في كتاب مبين كقوله انجاني لدي المرسلون الا من ظلم اي ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس
عليكم حجة الا الذين ظلموا اي والذين ظلموا فانه بمعنى واو النسق واضمر هو بعده وقوله وقولوا
حطة اي مسئلتنا حطة وقوله ولا تقولوا ثلاثة اي هم ثلاثة ونظير ما تخرجنا وما نستطيع من ورقة الا يعلمها
ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين **قوله تعالى** الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة ولا هم يحزنون لفقد الدنيا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اي من توالاه الله
وتولى حفظه وحياطته ورضي عنه فلا يخاف يوم القيامة ولا يحزن قال الله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها اي عن جهنم مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم
خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وروى سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن اولياء
الله فقال الذين يذكر والله برؤيتهم وقال عمر بن الخطاب في هذه الاية سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهدا يغبطهم الانبياء والشهدا يوم القيامة
لمكانهم من الله تعالى قيل يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله
على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطون بها فوالله ان وجوههم لنور وانهم على منابر من نور لا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون *
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر عمش العيون من البكاء
خمص البطون من الجوع يبس الشفاه من الذكر وقيل لا خوف عليهم في ذريتهم لان الله يتولاهم
ولا هم يحزنون على دنياهم لتقويض الله اياها عنهم واخرابهم لانه وليهم ومولاهم فوله تعالى
الذين امنوا وكانوا يتقون هذه صفة اولياء الله تعالى فيكون الذين في موضع نصب على البدل
من اسم ان وهو اولياء وان شئت على اعني وقيل لهم ابتداء وخبره لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي
الاخرة فيكون منقطعا مما قبله اي يتقون الشرك والمعاصي قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا
عن ابي الدرداء قال سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال لي ما سألني عنها احد غيرك منذ
انزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له خرجه الترمذي في جامعه وقال الزهري وقتادة
وعطاء هي البشارة التي تبشرهم بها الملائكة المؤمن في الدنيا عند الموت وعند محمد بن كعب القرظي

المعنى مع شركايكم على تمام كم كايقال التقى الماء والخشبة والقراءة الثانية شذ الجمع اعتبارا بقوله تعالى فجمع كيده
ثم اتى قال ابو معاذ ويجوز ان يكون معنى جمع واجمع بمعنى واحد وشركاكم على هذه القراءة عطف على امركم
اى على معنى فاجمعوا امركم واجمعوا شركاكم وان شئت بمعنى مع قال ابو جعفر النحاس وسمعت ابا اسحق
يجيز قام زيد وعمرا والقراءة الثالثة على ان يعطف الشركاء على المضمر المرفوع في اجمعوا وحسن ذلك لان الكلام
تطاول قال النحاس وغيره وهذه القراءة يبعد انه لو كان مرفوعا لوجب ان يكتب بالواو ولم يرخ المصاحف
واو في قوله وشركاكم وايضا فان شركاء الاصنام والاصنام لا تضع شيأ ولا تفعل لها حتى يجمع قال
المهدوي ويجوز ان ترتفع الشركاء بالابتداء والخبر محذوف اى وشركاؤكم ليجمعوا امرهم ويسب ذلك الى الشركاء
وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تعبر على جهة التوبيخ لمن عبدها قوله تعالى ثم لا يكن امركم عليكم غمة اسم يكن
وخبرها وغمة وغم سواء ومعناه التغطية من قولهم غم الهلال اذا استتر اى ليكن امركم ظاهرا منكشفا
تمكنون فيه بما شئتم لكن يخفى امره فلا يقدر على ما يريد قال الطرقة * لعمرك ما امري على بغمة * نهارى
ولا ليلى على بسرمد * الزجاج غمة ذا غم والغم والغمة كالكرب والكربة وقيل اذا الغمة ضيق الامر الذى
يوجب الغم فلا يتبين صاحبه امره مصدرا يتفرج عنه ما نهم وفي الصحاح والغمة الكربة قال العجاج
* يا لو شهدت الناس اذ تكموا * بغمة لم تفرج تغموا * يقال امر غمة اى مبهم ملتبس قال تعالى ثم لا يكن
امركم عليكم غمة قال ابو عبيدة يجازها كلمة وضيق والغمة ايضا فخر النحى وغيره قال لغيره واصل هذا
كله مستور من الغمامة قوله تعالى ثم اقضوا الى افضوا الى وصل ثم قضى ليقضى قال الاخفش
والكسائى هو متصل وقضينا اليه ذلك الامر اى انهينا ما اليه وابلغناه اياه وروى عن ابن عباس ثم اقضوا الى
ولا تنظرون قال امضوا الى ولا تؤخرون قال النحاس وهذا قول صحيح في اللغة ومنه قضى المبت اى مضى
واعلمهم بهذا انهم لا يصلون اليه وهذا امر دال على النبوات وحكم الزاجر بعض القرائم اقضوا الى بالالف
وقطع الالف اى توجهوا يقال افضت الخلافة الى فلان وافضى الى لجمع وهذا اخبار من الله تعالى
عز وجل نوح عليه السلام انه كان بنصر الله واثقا وبتأييده غير خائف على ما منه بانهم والهتهم لن
لا ينفعوه ولا يضروه وتعريف لنبيه صلى الله عليه وسلم وتقوية لقلبه قوله تعالى فان توليتم اى
فان اعرضتم عما جئتم به فليس ذلك لاني سالتكم اجرا فتثقل عليكم وكان اني ان اجري الا على الله وتبليغ
رسالاته وامرت ان اكون من المسلمين اى الموحدين لله تعالى فتح اهل المدينة وابو عمرو وابن وحفص
بالاجر وقع واسكن الباقون قوله تعالى فكذبوه يعني نوحا فنجيناه ومن معه اى من المومنين في الفلك
اى السفينة وسيأتي ذكرها خلايف اى سكان الارض خلفا من غرق فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
يعني اخر امر الذين انذرهم الرسل ثم بعثنا من بعده اى من بعد نوح رسلا الى
قومهم كهود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب وغيرهم فجاءوهم بالبينات اى بالمعجزات فما كانوا ليومنوا
بما كذبوا به من قبل اى من يوم الذر فانه كان فيهم من كذب بقلبه وان قال الجميع بلى قال النحاس ومن احسن
ما قيل في هذا انه لقوم اعيانهم مثل انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون كذلك الطبع اى يختم على قلوب
المعتدين اى المتجاوزين الحد في الكفر والتكذيب فلا يومنوا وهذا يرد على القدرية قولهم كما تقدم
قوله تعالى ثم بعثنا من بعدهم اى من بعد الرسل والامم موسى وهارون الى فرعون وملايه اى اشراف
قومه باياتنا يريد الايات التسع وقد تقدم ذكرها فاستكبروا اى عن الحق وكانوا قوما مجرمين اى
مشركين قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا يعني فرعون وقومه قالوا ان هذا لسحر مبين حملوا
المعجزات على السحر قال لهم موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا قيل في الكلام حذف المعنى اتقولون
للحق هذا سحر ام تقولون انكارا وبقولهم محذوف اى هذا سحر ثم استانف انكارا اخر قبله فقال
اسحر هذا فحذف قولهم الاول اكتفاء بالثاني من قولهم منكرا على فرعون وملايه وقال الاخفش هذا
من قولهم دخلت الالف حكاية كقولهم انهم قالوا اسحر هذا فقيل لهم اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا
وروى عن الحسن ولا يفلح الساحرون اى لا يفلح من اتى به قوله تعالى قالوا اجئتنا لتلفتنا اى
لتصرفنا وقلوبنا بقال لفته يلفته لفتا اذا لواه وصرفه قال * يلفتن نحر الحي حتى ما يلتفي * وجعت
من الاصنام ليتا واجدعا * ومن هذا التفت اى هو عدل عن الجهة التي بين يديه عما وجدنا عليه اباءنا
يريد من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اى العظمة والملك والسلطان في الارض يريد ارض مصر
ويقال للملك الكبرياء لانه اعظم ما يطلب في الدنيا وما نحن لكما بمومنين وقرا ابن مسعود والحسن وغيرهما
ويكون بالياء لانه تانيث غير حقيقي وقد فصل بينهما وحكى سيبويه حسن القاضي امراتان قوله تعالى
وقال فرعون ايتوني بكل ساحر عليم انما قاله لما راى العصا واليد البيضاء واعتقد انهما سحر وقرا حمزة
والكسائي وابن ذكوان والاعمش سحار وقد تقدم في الاعراف القول فيهما قوله تعالى فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون اى اطرحوا على الارض ما معكم فرحبا لكم وعصيكم وقد تقدم في
الاعراف القول فيه هنا مستوفى في قوله تعالى فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح

بالابتداء والخبر جيئتم به والتقدير اي شيء جيئتم به على التوبيخ والتحقير لما جاءوا به من السحر وقراءة ابي عمرو والسحر
على الاستفهام على انها مبتدأ والتقدير اهذا سحر ويجوز ان يكون مبتدأ والخبر محذوف والتقدير السحر جيئتم به ولا تكون
ما على قراءة من استفهم معنى الذي اذ لا خبر لها وقراءة الباقون السحر على الخبر ودليل هذه القراءة قراءة ابن
مسعود ما جيئتم به سحر وقراءة ابي ما اتيتم به سحر فما بمعنى الذي جيئتم به الصلة وموضع ما رفع بالابتداء والسحر
خبر الابتداء والكوفيون اذا وجدتها بمعنى الذي نصبوا لان الصلة لا تعمل في الموصول واجاز الفراء نصب السحر بجيئتم
وتكون ما للشرط وجيئتم في موضع جزم بها والفا محذوفة التقدير فان الله سيبطله ويجوز ان ينصب السحر
على المصدر اي ما جيئتم به سحرا ثم دخلت الالف واللام من زايدتين كما يحتاج اليه هذا التقدير الى حذف الفا واختار
هذا القول الخاسر وقال حذف الفا في المجازاة لا يجيزه كثير من النحويين الا في ضرورة الشعر كما قال
* من يفعل الخيرات الله يشكرها * بل ربما دفع بعضهم انه لا يجوز البتة وسمع علي بن سليمان يقول حدثني محمد
ابن يزيد قال حدثني المازني قال سمعت الاصمعي يقول غير النحويون هذا البيت وانما الرواية * من يفعل
الخير فالرحمن يشكره * وسمعت علي بن سليمان يقول حذف الفا في المجازاة جايزة قال والدليل على ذلك وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فزالت الفا ات تقرر قبل ان مشهور قال
ان الله لا يصلح عمل المفسدين يعني السحر قال ابن عباس من اخذ مضجعه من الليل ثم تلى هذه الاية ما جيئتم به
السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين لم يضره كيد ساحر ولا يكتب على مسحور ولا دفع الله عنه
السحر قوله تعالى ويحق الله الحق اي يبينه ويوضحه بكلماته اي بكلامه وحججه وبراهينه وقيل بعداته بالنصر
ولو كره المجرمون من آل فرعون قوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية من قومه الهاء عايدة على موسى اي ما يومن منهم
احد وانما امن اولاد من ارسل موسى اليهم من بني اسرايل لطول الزمان هلك الاباء وبقي الابناء فامنوا وهذا اختيار
الطبري والذرية اعتبار بالانسان وقد تكثر وقيل اراد بالذرية سومنى بني اسرايل قال ابن عباس كانوا ستماية
الف وذلك ان يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين انسانا فتناسلوا بمصر حتى بلغوا ستماية الف
وقال ابن عباس ايضا يعني بقوم من قوم فرعون منهم يعني من آل فرعون وكان آل فرعون واشرافه وما سطة ابنته
خازنة وقيل هم اقوام ابائهم من القبط وامهاتهم من بني اسرايل فسموا ذرية كما سمي ابناء المهاجرين الذين نزلوا مصر
باليمن وبلاد العرب ابناء الانصار امهاتهم من غير جنسهم ايايهم قال الفراء على هذا قد كانت تجيء قومه بمعنى الى موسى الزابنة
من جملة المهاجرات والى فرعون اذا كانوا من آل القبط قوله تعالى على خوف من فرعون لانه كان مسلطا عليهم عاتيا
عليهم وملابهم ولم يقل وملايه وعنه ستة اجوبة احدها ان فرعون لما كان جبارا اضمر عنه بفعل الجميع الثاني
ان لفرعون لما ذكر علم ان معه غيره فعاد الضمير عليه وعليهم وهذا احد قولي الفراء الثالث ان تكون الجماعة
سميت بفرعون مثل ثمود الرابع ان يكون التقدير على خوف من آل فرعون فحذف المضاف مثل
واسال القرية وهذا القول الثاني للفراء وهذا الجواب على مذهب الخليل وسيبويه خطا يجوز عندهما
قمت هند وانت تريد غلامها الخامس مذهب الاخفش سعيد ان يكون الضمير يعود على الذرية او على الذرية
وهو اختيار الذرية السادس يكون الضمير يعود على قومه قال الخاسر وهذا الجواب كانه ابلغها ان يفتنهم
وهو معتمد على الاخبار عن فرعون انه يصرفهم عن دينهم بالعقوبات ويصح بوضع خضع على انه يكون
اشتمالا لو جاز ان تكون في موضع نصب ويجوز ان ينصرف فرعون لانه اسم اعجمي وهو معرفة وان فرعون لعال في
الارض اي عات متكبر وانه لمن المسرفين ابا الحجاج زيد الحد بجا لكفره لانه كان عبدا فادعى الربوبية قوله تعالى
وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين كرر الشرط تاكيدا
اويجوز ان كل الايات بتقويض الامر الى الله فقالوا على الله توكلنا ربنا اسلمنا امرنا اليه ورضينا بقضايه وقدره
والتجينا الى امره ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم اي لا تنصرهم علينا فيكون ذلك فتنة لنا على الدين او لا تمكنهم منا فيفتنونا بان
تفتنا على ايديهم وقال مجاهد لا تهلكنا بايديهم اعداءنا ولا تفتنهم بعذاب من عندك فيقولوا لو كانوا
على حق لما سلط عليهم فيفتنوا وقال ابو مجلز وابو الضحى يعني لا تظهرهم علينا فيروا انهم خير منا فيزدادوا
طغيانا قوله تعالى ونجنا اي خلصنا من الكافرين اي من فرعون وقومه لانهم كانوا يجتروئهم بالاعمال
الشاقة قوله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا اي جعلنا مساكن لهم وقوله تعالى
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوا لقومكما بمصر بيوتا يقال بوات زيدا مكانا وبوات لزيد مكانا واتبعوا المترل
الملزوم ومنه بواه الله منزلا ايا لزمه اياه واسكنه ومنه الحديث من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار
قال الراجز * نحن بنو اعدنان لبيطك نبوا المجد بنا والملك * ومصر هذه الاية هي الاسكندرية في قول
مجاهد وقال الضحاك انه البلد المسمى مصر ومصرها بين البحر الى اسوان والاسكندرية من ارض مصر الى برقة
قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة قال اكثر المفسرين كان بنو اسرايل لا يصلون الا في مساجدهم وكانوا يسرون
وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بمساجد بني اسرايل فخربت كلها ومنعوا من الصلاة فاوحى الله الى موسى
وهارون ان اتخذا لقومكما بمصر اي مساجد ولم يرد المنازل المسكونة هذا قول ابراهيم وابن
زيد والربيع وابي مالك وابن عباس وجبير وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ان المعنى واجعلوا بيوتكم تقابل

بعضها ببعض والقول الاول اصح اي اجعلوا مساجدكم ابي القبلة قبل بيت المقدس وهي قبلة اليهود الى اليوم
قاله ابن بحر وقبل الكعبة عن ابن عباس وقتادة كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه وهذا يدل على ان القبلة في
الصلاة كانت شرعا لموسى عليه السلام ولم تخل الصلاة عن شرط الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة فان
ذلك ابلغ في التكليف وابرز للعبادة وقيل المراد صلوا في بيوتكم سرا لتامنوا ذلك حينما خافهم فرعون فامروا
بالصبر واتخاذ المساجد في البيوت والاقدام على الصلاة والدعا الى ان ينجز الله وعده وهو المراد بقوله
وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا الاية وكان من دينهم انهم لا يصلون الا في البيع والكنايس فلما راموا على
امن فاذا خافوا فقد اذن لهم ان يصلوا في بيوتهم قال ابن العربي والاول اظهر القولين لان الثاني دعوى قلت
قوله بعد صحيح فان في الصحيح قوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وهذا مما خص به دون
الانبيا فنحمد الله تعالى في المساجد والبيوت حيث ادركنا الصلاة فانا فلة في المنازل افضل منها
في المساجد حتى الركوع قبل الجمعة وبعدها وقبل الصلوات المفروضات وبعدها اذ النوافل يخلص فيها
الرياء والنوافل لا يخلص فيها ذلك وكلما خلص العمل من الرياء كان اوفى واوزن عند الله تعالى وروى مسلم عن
عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تطوعه قالت كان يصلي في بيتي
قبل الظهر اربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل
فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس العشا ويدخل بيتي فيصلي ركعتين الحديث وعن ابن عمر قال صليت مع النبي
صلى الله عليه وسلم قبل الظهر سجدتين وبعدها سجدتين وبعد المغرب سجدتين في بيته والعشا
والجمعة فصليت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيته ورويا ابو داود عن كعب بن عجرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتى مسجد بني الاشهل فصلى فيه المغرب فلما قضوا صلاتهم راهم يسبحون بعدها فقال هذه صلاة في
البيوت الثالثة واختلف العلما في هذا الباب في قيام رمضان هل ايقاعه في البيت افضل او في المسجد
فذهب مالك الى ان في البيت افضل لمن قدر عليه وبه قال ابن يوسف وبعض اصحاب الشافعي وذهب ابن ابي ليلى
الحكم واحمد وبعض اصحاب الشافعي الى ان حضورها في الجماعة افضل وقالوا لو ان الناس لو قاموا في بيوتهم
ولم يقم احد في المسجد لا يشغى ان يخرجوا اليه واحتج مالك وزقال بقوله قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
زيد بن ثابت فعليكم بالصلاة في بيوتكم فان خير صلاة المرء في بيته الا المكتوبة خرجه البخاري واصح المخالف بان
النبي صلى الله عليه وسلم قد صلاها في الجماعة في المسجد ثم اخبر بالمانع الذي منعه من الدوام على ذلك وهو
خشية ان تفرض عليهم فلذلك قال لهم عليكم بالصلاة في بيوتكم ثم لذا الصحابة كانوا يصلونها في المسجد اوزاعا
متفرقين الى ان جمعهم عمر على قارئ واحد فاستقر الامر على ذلك وثبت سنة الى الغاية واذا تقرر لنا
على انه كان ابيح ان يصلوا في بيوتهم اذ خافوا على انفسهم فيستدل به على المعذور بالخوف وغيره يجوز له
ترك الجماعة والجمعة والعذر الذي يبيح له ذلك المرض الحابس او خوف زيادته او خوف جور السلطان في
ماله او بدنه دون القضا عليه يجوز والمطر الوابل مع الرجل عذرا ان لم ينقطع وهو له ولي هيم قد حضرته نو
الوفاة ولم يكن عنده من يمرضه وتفعل ذلك بزعم الخامسة قوله تعالى وبشر المومنين قبل الخطاب لمحمد صلى
الله عليه وسلم وقيل لموسى وهو اظهر اي بشر بني اسرايل بان الله سيظهرهم على عدوهم قوله تعالى وقال
موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة وامولا اتيت ابي اعطيت زينة اي مالا الدنيا وكان لهم من بسط مصر الى ارض بر
الكبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والياقوت قوله عز وجل ربنا ليضلوا عن سبيلك هو
اختلف في هذه اللام والاصح ما قيل فيها وهو قول الخليل وسيبويه انها لام العاقبة والصيرورة وفي الخبر
ان الله تعالى ملكا ينادي كل يوم لدوا للموت وابنوا للخراب اي ما كان عاقبة امرهم الى الضلال صار كانه اغراضهم
ليضلوا وقيل هي لام كي اي اعطيتهم لكي يضلوا او ينظروا ويتكبروا وقيل هي لام لاجل اي لاعطيتهم لاجل اعراضهم
عنك فلم يخافوا ان تعرض عنهم وزعم قوم ان المعنى اعطيتهم ذلك ليلا تحذفنا كما قال الجل وعز يبين الله لكم
ان تضلوا والمعنى لان لا تضلوا قال النحاس ظاهر هذا الجواب حسن الا ان الوجه لا تحذف لا الا مع ان فيه صاحب
هذا الجواب بقوله عز وجل ان تضلوا وقيل اللام للدعا اي ابتلاهم بالضلال عن سبيلك لان بعده واطمس
واشدد وقيل الفعل بمعنى المصدر اي لضلالهم كقوله عز وجل لنفرضوا عنهم وقرا الكوفيون ليضلوا بضم
الياء من الاضلال وفتح الها قوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم ابعاتهم على كفرهم بالهلاك اموالهم قال
الزجاج طمس الشي اذهابه عن صورته قال ابن عباس ومجاهد بن كعب صارت اموالهم ودراهم حجارة منقوشة كهيئتها
كهيئتها صحاحا وابلانا واضافا ولم يبق بعد ذلك الطمس عليه فلم ينتفع به احد بعد وقال قتادة بلغنا ان اموالهم
وزروعهم صارت حجارة وقال مجاهد وعطية اهلكها حتى لا تركب ولا تحمل متاعا وطمس الموضع اذا عفا ودرس
وقال ابن زيد صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شي لهم حجارة محدثة كعب وكان الرجل منهم يكون مع
اهله في فراشه وقد صار احجرين قال وسالني عمر بن عبد العزيز تذكرت ذلك دعا بخريطة اصيبت بمصر فاخرج
منها الفواكه والدراهم والدنانير وانها حجارة قال السدي وكانت احدى الايات التسع واشد على قلوبهم
قال ابن عباس اي امنعهم الايمان وقيل اقسها واطبع عليها حتى تشرح للايمان والمعنى واحد ولا يومنوا قيل هو

عطف على قوله ليضلوا اي ايتهم النعم ليضلوا ولا يؤمنوا قاله المبرد والزجاج وعلى هذا لا يكون فيه رد على
الزعاشي وقوله ربنا اطمس واشد كلام معترض وقال الفراء والكسائي وابو عبيدة هو دعاء فهو في موضع جزم
عندهم اي اللهم فلا يؤمنوا وقال امنوا ومن قوله الاعشى * فلا تبسطن مربين عليك ما انزلا * وانت تلقى الاوائل
راغم اي لا تبسط وقرئ ليضلوا دعاء اي اتبتهم بالضلال فالمعطوف عليه فلا يؤمنوا وقيل هو في موضع نصب
لانه جواب الامر بالدعاء واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا وهذا قول الاخفش والفراء ايضا وانشد الفراء يا ناقتي سيري
عنقا فسيحا الى سليمان فنستريحا * فعلى هذا حذفت النون لانه منصوب حتى يروا العذاب الاليم قال ابن
عباس هو الغرق وقد استشكل بعض الناس هذه الاية فقال كيف يدعو عليهم وحكم الرسول استدعاء ايمان قومهم وقد
فالجواب انه لا يجوز ان يدعو الا على قومه الا ان يعلم الله واعلام الله ليس فيهم من يؤمن ويخرج من اصلابهم من يؤمن
دليله قوله لنوح عليه السلام انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن وعند ذلك قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا والله اعلم قوله عز وجل قد اجيبت دعوتكما قال ابو العالية دعا موسى وامن هارون فسمي الدعاء دعاء
والتامين على الدعاء ان يقول امين فتقول اي دعا ايها رب استجب لي وقيل دعا هارون مع موسى ايضا وقال اهل
المعاني ربما خاطبت العرب بخطاب الاثنين والمراد الشاعر * فقلت لصاحبي لا تحبلانا * بنزع اصوله فاخرنيحا
وهذا على ان امين ليس بدعاء وان هارون لم يدع قال الخاسن سمعت علي بن سليمان يقول الدليل على ان الدعاء لهما
قول النبي صلى الله عليه وسلم ربنا ولم يقل رب وقرا علي والسلمي دعواتكما بالجمع وقرا ابن السميفع اجيبت دعوتكما
خبرا عن الله تعالى ونصب دعوة بعده وتفتح التوراة في امين في اخر الفاتحة مستويا وهو ما خص به نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وهارون وموسى روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
اعطى امتي ثلاثا لم يعطها احد قبلهم السلام وهي تحية اهل الجنة وصفوف الملائكة وامين الا ما كان من موسى
وهارون ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد تقدم في الفاتحة فوله تعالى وجعلنا مستقيما قال الفراء
وغيره امرا بالاستقامة على امرهما والثبات عليه من دعا فرعون وقومه الى الايمان الى ان ياتيهما ما وعدا به قال
الحسن بن علي والبراجرح حتى اتاهما ما وعدا به قال محمد بن علي وابن جريج حتى اتاهما ما وعدا به قال
ابن عباس بعد هذه الاجابة باربعين سنة ثم اهلكوا وقيل استقيما
على الدعاء والاستقامة ترك الدعاء تركا استعجالا لحصول المقصود والا بسقط الاستعجال فزال القلب
الا باستقامة المسكنة فيه والا تتبعون تلك المسكينة الا بالرضى بحسن تجميع ما يبدو من الغيب ولا تتبعان
بتشديد النون في موضع جزم على النهي والنون للتوكيد وحركت لالتقاء الساكنين واختير لها الكسر
لانها اثبتت نون الاثنين وقرا ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي وقيل كان فرعون استقيما غير متنعز والمعنى
لا تسلكا طريق من لا يعلم حقيقة وعد ووعيد قوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر تقدم القول
فيه في البقرة في قوله واذ فرقنا بكم البحر وقرا الحسن وجوزنا وما لقتاد فاتبعهم فرعون بتا للتتبع واتبع
بمعنى واحد اذا تبعته واتبع بالتشديد اذا سار خلفه وقال الاصمعي يقال اتبعه بقطع الالف اذا لحقته
وادركه واتبعه بوصل الالف اذا اتبع اثره ادركه او لم يدركه وكذلك قال ابو زيد وقرا قتادة فاتبعهم بوصل
الالف في الامر فتديب به واتبعه بقطع الالف خيلا وشرها فرط اي عدوا وقد قيل هما بمعنى واحد فخرج
موسى ببني اسرائيل وهم ست مائة الف وعشرون الفا وتبعه فرعون مصبحا في الف الف وستمائة الف
وقد تقدم بغيا نصب على الحال وعدوا معطوف عليه اي لاجل بغي وظلم بقال عدا يعدو عدوا
عدوا مثل غزا يغزو غزوا وقال المفسرون بغيا طلبا للاستعلاء بغير حق في القول وعدوا في الفعل
فهما نصب على المفعول له حتى اذا ادركه الغرق اي نالة ووصل اليه قال امنت اي صدقت انه اي بانه فلما
حذف الخافض تعدى الفعل فنصب وقرئ بالكسر اي من انه ثم استونف وزعم ابو حاتم ان القول
محذوف اي امنت فقلت الخ والا يات لا تنفع حينئذ والتوبة مقبولة قبل رويتهم البأس واما بعدها فهو
وبعد المخاطبة فلا تقبل حسبما تقدم في النساء بيانه ويقال ان فرعون لما ابدى قول البحر كان على حصان
ادهم ولم يكن في جيل فرعون فرس انثى فجاء جبريل على فرس وديق اي فحمى في صورة هارون وقال له تقدم ثم
خاض البحر فتبعها حصان فرعون وميكائيل يسوق قدمها بشدة منهم احد فلما صار اخرهم في البحر وهم اولهم
ان يخرج انطلق البحر والجم فرعون الغرق فقال امنت بالذي امنت به بنو اسرائيل فدس جبريل في فمه
حال البحر وروي الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله فرعون قال امنت انه
لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل قال جبريل يا محمد فلو رايتني واخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان
تدركه الرحمة قال ابو عيسى هذا حديث حسن حال البحر الطين الاسود الذي يكون في ارضه قال اهل اللغة
وذكر ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل جعل يدس في فرعون خشية ان يقول لا اله الا الله
فيرحمه الله او خشية ان يرحمه فاذا هذا حديث حسن غريب صحيح وقال كعب بن عبد الله بلغني ان جبريل قال
للنبي صلى الله عليه وسلم يا ولد ابليس يفغر الى من فرعون وانه لما ادركه الغرق قال امنت الا انه خشيت ان يقولها
فيرحمه فاخذت تربة وطينة فحشوتها في فيه وقيل انما فعل هذا به عقوبة له على عظم ما كان يأتي وقال
كعب الاحبار امسك الله نيل مصر عن الجري في زمانه فقالت له القبط ان كنت ربنا فاجرنا فلما فرغ وامر

ايد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره اي لست في شك ولكن غيرك في شك قال ابو محمد بن عبد
الواحد سمعت الامامين ثعلبا والمبرد يقولان معنى ان كنت في شك اي قل يا محمد فان كنت
في شك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك اي يا عابد الوثن ان كنت في شك من القرآن فاسأل من اسلم
من اليهود مثل عبد الله بن سلام واشباهه لان عبدة الاوثان كانوا يقرؤون لليهود انهم اعلم منهم من اجل
انهم اصحاب كتاب دنعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى ان يسألوا من يقرؤون بانهم اعلم منهم هل
بعث الله برسول من بعد موسى وقال الفتى هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتكذيب محمد ولا بتصديقه
صلى الله عليه وسلم بان كان في شك وقيل المراد بالخطاب النبي صلى الله عليه وسلم لا غيره والمعنى لو كنت
ممن يجيز عليك الشك فيما اخبرناك به فسألت اهل الكتاب لزال ذلك الشك وقيل الشك ضيق
الصدر اي ان ضاق صدرك بكفرهم فاصبر واسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك يخبروك بصبر
الانبياء من قبلك اي اذى قومهم وكيف عاقبة امرهم والشك في اللغة الضيق فيقال دخله شك من الثوب
فشقه بخلال حتى يصير كالرقعة وكذلك السفرة تدعلاجها حتى تنقبض فالشك يقبض الصدر
وتمامه حتى يضيق وقال الحسين بن الفضل اللام مع حروف الشرط توجب الفعل ولا تثبته والدليل
عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما نزلت لهذه الاية والله لا اشك ثم استأنف الكلام
فقال لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اي الشاكين المرتابين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات
الله فتكون من الخاسرين والخطاب في هاتين الايتين للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره قوله تعالى
ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون تقدم القول فيه في هذه السورة قال قتادة اي الذين
حق عليهم غضب الله وسخطه بمعصيتهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية انث كلا على المعنى ولو جاءتهم لو
الايات حتى يروا العذاب الاليم فحينئذ يؤمنون ولا ينفعهم قوله تعالى فلولا كانت قرية امنت
قال الاخفش والكسائي اي فهلا وفي مصحف ابي وابن مسعود فهلا واصل لولا في الكلام التخضيض او
الدلالة على منع امر لوجوب غيره ومفهوم من معنى الاية نفي ايمان اهل القرى ثم استثنى قوم يونس
وهو كسب اللفظ استثنا منقطع والمعنى كسب المعنى متصل اذ لتقدير ما امن اهل قرية الا قوم يونس
بالنصب في قرأ هذا الوجه وكذلك ادخله سيبويه في باب ما يكون الا منصوبا قال الاخفش والفراء لو كان
يونس نصب لانه استثنا ليس من الاول ابو لكن قوم يونس هذا قول الكسائي والاخفش والفراء ويجوز ان
قوم يونس بالرفع وهو احسن ما قيل في الرفع ما قاله ابو اسحق الزجاج قال يكون المعنى غير قوم يونس فلما
جاء بالاعراب الاسم الذي بعدها باعراب غير كان قال وكل اخ مفارقه اخوه لم ابك الا الفرقدان وروي
في قصة قوم يونس عن جماعة من المفسرين ان قوم يونس كانوا بنوى من ارض الموصل وكانوا يعبدون الاصنام
فارسل الله اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الاسلام وترك ما هم عليه فابوا فقيل انه اقام يدعوهم
تسع سنين فييئس من ايمانهم فقيل له اخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فقعل وقالوا امور جلا يكذب
فارقبوه فان اقام معكم وبيتا ظهركم فلا عليكم وان ارتحل عنكم فمنزول العذاب بكم فلما كان الليل
تزود يونس وخرج عنهم فاصبحوا فلم يجدوه فتابوا ودعوا الله ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات
والاولاد من الناس والبهايم وردوا المظالم في تلك الحالة قال ابن مسعود كان الجبل بالموصل قد وضع
عليه اساس بنيانه فيقلعه ويرده والعذاب منهم فيما روي عن ابن عباس على ثلثي ميل رؤوس على ميل
وعن ابن عباس انهم عشيتهم ثلثة ايام فلم تزل تدنو حتى وجدوا حرها بين اكنافهم وقال ابن
جبير غشيهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فلما صحت توبتهم رفع الله العذاب عنهم قال الطبري
خص قوم يونس من بين الامم بان بين عليهم بعد معاينة العذاب وذكر ذلك عن جماعة من المفسرين
وقال الزجاج انهم لم يتبع بهم العذاب وانما رأوا العلامة التي تدل على العذاب ولو رأوا عين العذاب
لما نفعهم الايمان قلت قول الزجاج حسن فان المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب
كقصة فرعون وهذا جار بقصة قوم يونس على اثر قصة فرعون فانه من حين رأى العذاب لم ينفعه ذلك
وقوم يونس تابوا قبل ذلك ويعضد هذا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
والغرغرة الحشرجة وذلك هو حال التلبس بالموت وما قبل ذلك فلا والله اعلم وقد روي معنى
ما قلناه عن ابن مسعود وان يونس لما وعدهم بالعذاب الى ثلاثة ايام خرج عنهم فاصبحوا فلم يجدوه
فتابوا وفرقوا بين الامهات والاولاد وهذا يدل على توبتهم قبل رؤية علامة العذاب وسبا في مسندا
مبينا في سورة يونس ان شا الله تعالى ويكون معنى كشفنا عنهم عذاب الخزي اي العذاب الذي
الذي وعدهم يونس ان ينزل بهم لانهم رأوه وامتحايلة وعلى هذا الاشكال والتعارض والخصوص
والله اعلم وبالجملة فكانوا اهل بسوك في سائر العالم من السعداء وروي عن علي رضي الله عنه انه قال
ان الحذر لا يرد القدر وان الدعا يرد القدر وذلك ان الله تعالى ينزل الا قوم يونس امنوا كشفنا عنهم
عذاب الخزي في الحياة الدنيا قال علي رضي الله عنه وذلك يوم عاشورا قوله تعالى ومتعناهم الى حين

بكنوده فارسا قابدار جعلوا يقفون على درجاتهم وقد حيطها يرونه وترك لهم زاتهم ولبس ثيابا لها خرب
وسجدوا وتضرع لله تعالى فاجر الله لهما فاتاه جبريل وهو واحد في هيئة مستغيث وقال ما يقول الامير
في رجل له عبد قد نشأ في نعمته لا يستحق له غيره فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب
فرعون يقول ابو العباس الوليد بن مصعب بن الزبان جزاؤه ان يغرق في البحر فاخذه جبريل ومر فلما
ادركه الغرق تاول لجبريل عليه السلام خطوة وقد مضى هذا في البقرة عند عبد الله بن عمرو بن العاصي
وابن عباس مسندا وكان هذا في يوم عاشوراء على ما التزم بيانه في البقرة ايضا ولا معنى للاعادة قوله عز وجل
وانا من المسلمين اي الموحدين المسلمين بالانقياد والطاعة قوله عز وجل الان وقد عصيت قبل وكنت
من المفسدين قيل هو من قول الله تعالى له وقيل هو من قول جبريل وقيل ميكائيل صلوات الله عليهما وغيرهما
من الملائكة صلوات الله عليهم وقيل هو من قول فرعون في نفسه ولم يكن تم قوله بالمسان بل رفع ذلك
في قلبه فيقال له في نفسه ما قال حيث لم تنفعه الندامة ولظهره انما ظلمكم لوجه الله انجى عليهما الرب
بما في صبرهما على ما نالوا ذلك بلفظهم والكلام الحقيقي كلام القلب قوله عز وجل فاليوم ننجيك
ببدنك اي نلفيك على نحوة من الارض وذلك ان بني اسرائيل لم يصدقوا ان فرعون غرق قالوا هو اعظم
شانا من ذلك فالقاه الله على نجوة من الارض اي مكان مرتفع من البحر حتى شاهدوه قال اوس بن
حجر يصف مطرا فمر يعتوا بمر يخوا به * والمسكن كمن يمشي بقرواح * وقرا اليزيدي ننجيك
بالحاء المنقطة وحكاها علقمة عن ابن مسعود اي تكون على ناحية من البحر قال ابن جريج فرمى به
على ساحل البحر حتى راه بنو اسرائيل وكان قصيرا احمر كانه ثور وحكى علقمة عن عبد الله انه قرا فاليوم
ننجيك ببدنك قال ابو بكر الانباري وليس بخالف لما في مصحفنا انه سيلزمه ان يكتب بها وكان لهذا الحرف
وان الالف لم تسقط من ندايك في ترتيب خط المصحف كما سقطت من الظلمة والسموات فاذا وقع بها
الحذف استوى لها بدنك ندايك على هذه القراءة مرفوعا به عنها لشذوذها وخلافها ما عليه عامة
المسلمين والقراءة سنة باخذها امر عزاها ولد ولي معناه لقنص عن تاويل قراءتنا اذ ليس فيها للدرع
ذكر الذي تنتابت الاثار بان بني اسرائيل اختلفوا الى غرق فرعون وسالوا الله تعالى ان يريهم اياه
غريقا فالقوه على نحوة من الارض ببدنه وهو درعه التي ان يريهم اياه غريقا يلبسها في الحرب قال ابن
عباس ومحمد بن كعب القرظي وكانت درعه من لؤلؤ منظوم وقيل من ذهب وكان يعرف بها وقيل من حديد
قال ابو صخر والبدن الدرع القصيرة وانشد ابو عبيدة للاعشى * وبيضا كانهن موصنة لها قوانس فوق
جيب البدن * وانشد ايضا لعمرو بن معدي كرب * ومضى بشاوهم كل مفاضة * جدلا سابغة وبالابدان *
وقال كعب بن مالك نريكها بدنا فيها مسبغات على ابطالها والبدن الحصينة اراد بالابدان الدروع البدنية كانت
تتخذ من الجلود يخرز بعضها الى بعض وهو اسم جنس الواحد بدنة قال عمرو بن كلثوم * علينا البيض واليلب
اليماني * واسيافنهن ويخنقينا * وقيل ببدنك جسدك لا روح فيه قاله مجاهد وقال الاخفش واسماء
تولد قادر على ان يفعل بشيء قال ابو بكر كانهم لما امروا ان يلقوه بها لونه مشاهدة فرعون غريقا ابرزه
لهم فاذا جسده الا روح فيه فلما راته بنو اسرائيل قالوا نعم يا موسى هذا فرعون وقد غرق فخرج الشك من
قلوبهم وانقطع الرجاء فرعون كما كان فعلى هذا ننجيك ببدنك احتمل ان يقع بها ما نلقيك على نحوة من
الارض واتيانا في نظم جسدك الذي لا روح فيه والقراءة الشاذة ببدنك يرجع معناها الى معنى قراءة الجماعة
لانا انما فسرنا تفسير من احد هم نلقيك بعياصك كلمة التوبيخ وقولك بعد ان اعلنت بها ومضى وقت قولها
امت الان وقد الهنا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين على موضع رفع والاخر فاليوم نلقيك عريانا مما
البحر ببدنك لما قلت انا ربكم الاعلى وكانت تنجيته بالبدن معاينة من رب العالمين على ما زعم من كفره الذي
منه نداوه بالذي اقترف فيه وبهت فادعى القدرة والامر الذي يعلم انه كاذب فيه وعاجز عنه وغير
مستحق له قال ابو بكر الانباري فقولنا نتضمن ما في القراءة الشاذة من الفائدة تزيد عليها قوله تعالى
لتكون لمن خلفك اية اي لبني اسرائيل ولمن بقي من قوم فرعون ممن لم يهلكه الغرق ولم يشهد اليم هذا الكلام
وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون اي معرضون عن تاويل اياتنا والتفكر فيها وقرئ لمن خلفك
بفتح اللام اي لمن يبقى بعدك يجعلك في ارضك وقرا علي بن ابي طالب لمن خلقك بالقاف اي تكون اية
تحاكمك قوله عز وجل ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق اي منزل صدق يحمد مختاره يعني مصر
وقيل الاردن وفلسطين وقال الضحاك يعني مصر والشام دون قتامها من الطيبات اي من الثمار وغيرها
وقال ابن عباس يعني قريظة والنضير واصل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من بني اسرائيل انهم كانوا
يومنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وينتظرون خروجه فلما خرج حسدوه ولهذا قال فما اختلفوا
ابي امر محمد صلى الله عليه وسلم حتى جاءهم العلم اي القران ومحمد صلى الله عليه وسلم والعلم بمعنى
المعلوم اي انهم كانوا يعلمونه قبل خروجه قال ابن جرير الطبري ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما
كانوا فيه يختلفون في الدنيا فيثيب الطايع ويعاقب العاصي فرله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا

والمرسلات وعم يتسالون واذا الشمس كورت قال هذا حديث حسن غريب وقد روي شيء من هذا مرسلا ص
واخرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوادر الاصول حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا محمد بن بشر عن
علي بن صالح عن ابي اسحق عن ابي جحيفة قال قلنا يا رسول الله نراك شبت قال شيبتني هود واخواتها
قال ابو عبد الله انما الفزع بروز الشيب وذلك ان الفزع يذهل النفس فتنشف رطوبة الجسد وتخت
كل شعرة منبع ومنه يعرق فاذا انشف الفزع رطوبته يبست المنابع فيبس الشعر وابيض وانما
يبيض شعر الشيخ لذهاب رطوبته ويبس جلده فالنفس تذهل يوم القيامة وهو الذي جاء به الخبر عن
الله قيد بل حين ينشف ماها ذلك الوعيد والخوف الذي جاء به فمنه ليشيب وقال الله تعالى يوما يجعل
الولدان شيبا فانما شاب من الفزع واما سورة هود فانما ذكر الامم وما حل بهم من عاجل بأس الله فاهل اليقين
اذا ذكروها ترأبا على قلوبهم من ذلكم وسلطانه ولحظاته البطش بأعدائه فلوما نوا من الفزع لحق لهم ولكن اسم
تبارك اسمه تلطف لهم في ملك الحاجبين حتى يثبروا كلامه واما اخواتها فما اشبهها من السور مثل الحاقة
وسأل سائل واذا الشمس كورت والقارعة فحق تلاوة هذه السور ما ينكشف لقلوب العارفين سلطانه
وبطشه فتذهل منه النفوس وتنشف منه الرؤس قلت وقد قيل ان الذي شيب النبي صلى الله عليه وسلم
من سورة هود قوله فاستقم كما امرت على ما يأتي بيانه ان شاء الله وقال يزيد بن ابان رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في منامي فقلت انه قيل عليك سورة هود فلما حققتها قال يا يزيد هذه المرأة فايز البكا قال علماونا
وقال ابو جعفر النحاس فيما ذهب هود فاعلم بغير تنوين على انه اسم للسورة لانك لو سميت امرأة بزيد لم
تصرف هذا قول الخليل وسيبويه وعيسى بن عمر يقول هذه هود بالتنوين على انه اسم للسورة وكذا ان سميت
امرأة بزيد لانه لما سكن وسطه خف فصرف فانما ردت الحرف صرفت على قول الجميع فقلت هذه هود وانت
تريد سورة هود قال سيبويه والدليل على هذا انك تقول هذه الرحمن فلولا انك تريد هذه سورة الرحمن ما قلت هذه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الر تقدم القول فيه كتاب بمعنى هذا كتاب احكمت اياته في موضع رفع بمعنى كتاب واحسن
ما قيل في معنى احكمت اياته قول قتادة ثم جعلت محكمة كلها لا خلل فيها ولا باطل ولا احكام مع القول من الفساد
اي نظمت نظما محكما لا يلحقها تناقض ولا خلل وقال ابن عباس اي لم ينسخها كتاب كخلاف التوراة والانجيل
وعلى هذا فالمعنى احكم بعضها اياته بان جعل ناسخا غير منسوخ وقد يتبع اسم الجنس على النوع فيقال اكلت
طعام زيد اي بعض طعامه وقال الحسن وابو العالية احكمت اياته بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد
والثواب والعقاب وقال قتادة احكمها الله من الباطل ثم فصلها بالحلال والحرام مجاهد احكمت جملة ثم بينت
بذكر اياته بجميع ما يحتاج اليه من الدليل على التوحيد والنبوة والبعث وغيرها وقيل جمعت في اللوح المحفوظ
ثم فصلت في التنزيل وقيل فصلت نزلت نجما نجما ليتدبر وتقرأ عكرمة فصلت مخففا اي حكمت بالحق من لدن
ابن عند حكيم اي محكم للامور خبير بكل كائن غير كائن قوله عز وجل الا تعبدوا الا الله قال الكسائي
والفراء اي بان احكمت بان لا تعبدوا الا الله وقال الزجاج ليلا اي احكمت ثم فصلت لبلا تعبدوا الا الله قيل
امر رسوله ان يقول للناس انما انا لكم منه انذير اي مخوف من عذابه وسطوته
لمن عصاه وبشير بالرضوان والجنة لمن اطاعه وقيل لهود من قول الله اولا واخرا اي لا تعبدوا الا الله انني لكم
منه نذير اي الله نذير لكم من عبادة غيره كما قال ويحذركم الله نفسه قوله عز وجل وان استغفروا
عطف على الا تعبدوا ثم توبوا اليه اي ارجعوا اليه بالطاعة والعبادة وقال الفراء ثم لهنا بمعنى الواو اي وتوبوا
اليه فان الاستغفار هو التوبة والتوبة هي الاستغفار وقيل استغفروه من سالف ذنوبكم وتوبوا
اليه من المستانف حتى وقفت قال بعض الصلحاء الاستغفار بلا اقلاع توبة الكذابين وقد تقدم هذا
المعنى في آل عمران مستوفى وفي البقرة عند قوله ولا تتخذوا اياتي هزوا وقيل انما قدم ذكر الاستغفار
لان المغفرة هي الرضى المطلوب والتوبة هي السبب اليها فالمغفرة اولى بالمطلوب واخر في السبب
ويحتمل ان يكون المعنى استغفروه من الصغاير وتوبوا اليه من الكبائر يمتعكم متاعا حسنا هذه ثمرة
الاستغفار والتوبة اي يمتعكم بالمنافع من سعة الرزق ورغد العيش ويبتاصلكم بالعذاب كما فعل بمن
اهلك قبلكم وقيل يمتعكم بعمركم واصل الامتاع الاطالة ومنه امتع الله بك ومتع وقال سهل بن عبد الله
المتاع الحسن ترك الخلق والاقبال على الحق وقيل هو القناعة بالموجود وترك الحزن على المفقود الى
اجل مسمى قيل هو الموت وقيل القيامة وقيل بحول الجنة والمتاع الحسن على هذا وقاية كل مكروه وامن
مخوف مما يكون في القبر وغيره من اهوال القيامة وكربها والاول اظهر لقوله في هذه السورة ويا قوم
استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم وهذا ينقطع بالموت وهو
الاجل المسمى والله اعلم قال مقاتل قالوا دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانبلوا بالقحط
سبع سنين حتى اكلوا العظام المحرقة والقد والجيف والكلاب ويرى كل ذي فضل فضله اي يرى كل ذي
عمل من الاعمال الصالحة جزاء عمله وقيل ويرى كل من فضلت حسناته على سيئاته فضله اي الجنة وهي فضل

قيل الى اجلهم قاله السدي وقيل ايابهم الى الجنة او النار قاله ابن عباس قوله عز وجل ولو شاء ربك لآمن من في الارض الى اضطرهم اليه كلهم توكيد لمن جميعا عند سيبويه نصب على الحال وقال الاخفش جاء بقوله جميعا بعد كل تاكيد كقوله لا تتخذوا الهين اثنين قوله عز وجل افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على ايمان جميع الناس فاخبره الله تعالى انه لا يؤمن الا من سبقت له السعادة في الذكر الاول وما يضل الا من سبقت له الشقاوة في الذكر الاول وقيل المراد بالناس ههنا ابو طالب عن ابن عباس ايضا قوله عز وجل وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ما نفى ان يأتي ما ينبغي ان تؤمن نفس الا بقضائه وقدره ومشيئته وارادته ويجعل الرجس وقرأ الحسن وابو بكر والفضل ويجعل بالنون على التعظيم والرجس العذاب بضم الراء وكسرها لغتان على الزيغ لا يعقلون امر الله عز وجل ونهيه قوله عز وجل قل انظروا ما ذا في السموات والارض امر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع والقادر على الكمال وقد تتزم المعتزلة في هذا المعنى في غير موضع منها وما نغني الايات ابو الدلالات والنذر ابو الرسل جمع نذير وهو الرسول صلى الله عليه وسلم عن قوم لا يؤمنون عن مرسيء له في علم الله انه لا يؤمن قوله عز وجل فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم الايام ههنا بمعنى الوقايع يقال فلان عالم بايام العرب اي بوقايعهم قال كعب بن مالك في قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم والعرب تسمي العذاب اياما والنعم ايادي وذكرهم بايام الله وقال ما مضى لك من خير او شر فهو ايام فانتظروا اي تربصوا وهذا تهديد ووعيد اي سلكم من المتربصين المنتظرين اي المتربصين لموعد الله في قوله عز وجل ثم ننجي رسلنا اي من سبقنا اذا انزلنا بقومهم العذاب اخرجنا من بين اظهرهم الرسل والمؤمنين وتم معناه ثم اعلموا انا ننجي رسلنا كذلك حقا علينا اي واجبا علينا لانه الخبر والخلف في خبره وقرأ يعقوب ثم ننجي مخففا وقرأ الكسائي وحفص وبفتوب ننجي المؤمنين مخففا وشددها الباقون وهما لغتان فصيحتان النجي بمعنى النجاء وحي حتى ننجيه بمعنى واحد نوسه عز وجل قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني اي في ريب من دين الاسلام الذي ادعوكم اليه فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله من الاوثان التي لا تعقل ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي يقبض ارواحكم وامرت ان اكون من المؤمنين اي المصدقين بايات ربهم قوله عز وجل وان اقم وجهك اي عطف على ان اكون اي قيل لي كن من المؤمنين واقم وجهك قال ابن عباس عملك وقيل لتعدل اليه استقم باتباعك على ما امرت به من الدين حنيفا اي قويما مائلا عن كل دين قال حمزة ابن عبد المطلب حمدت الله حين هدي فؤادي من الشرك للدين الحنيف وقد مضى تحقيق الحنيف في سورة النساء والحمد لله ولا تكونن من المشركين اي وقيل لي لا تشرك والخطاب له والمراد غيره وكذلك قوله ولا تدع اي لا تعبد من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ان عصيته فان فعلت اي عبدت غير الله فانك اذا من الظالمين الواضعين العبادة في غير موضعها قوله عز وجل وان يمسسك الله بضر اي بمرض بصبيك به خلا كاشف اي دافع له الا هو وان يردك بخير اي بصبيك فرحا ونعمة فلا راد لفضله يصيب به اي بكل ما اراد من الخير والشر من يشاء من عباده وهو الغفور لذنوب عباده وخطاياهم الرحيم بأوليائه في الآخرة قوله عز وجل قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم اي القرآن وقيل الرسول صلى الله عليه وسلم من ربكم فمن اهتدى اي صدق بهما وآمن بما جاء به فانما يهتدي لنفسه اي لخلاص نفسه ومن ضل اي ترك الرسول والقرآن واتبع الاصنام والاوثان فانما يضل عليها اي وبال ذلك على نفسه وما انا عليكم بوكيل اي حفيظ احفظ اعمالكم انما انا رسول قال ابن عباس نسختها اية السيف قوله عز وجل واتبع ما يوحى اليك واصبر قيل نسخ باية القتال وقيل ليس بمنسوخ ومعناه اصبر على الطاعة وعن المعصية وقال ابن عباس لما نزلت جمع النبي صلى الله عليه وسلم الانصار ولم يجمع معهم غيرهم فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض وعن انس نحو ذلك ثم قال انس فلم يصبروا فامرهم بالصبر كما امره الله تعالى وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان الا ابلغ معاوية بن حرب امير المؤمنين منا كلام ... بانا صابرون ومنتظر ومنظر وكم الى يوم التقابن والخصام حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين

سورة هود عليه السلام مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها وهي قوله تعالى واقم الصلاة وانشد ابو محمد الدارمي في مسنده عن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا سورة هود يوم الجمعة وروى الترمذي عن ابن عباس قال قال ابو بكر لرسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة

والرلات

الله فانكسا بيتغي قوله فضله نرجع الي الله تعالي وقال مجاهد هو ما يحبسه الانسان من كلام يقوله
بلسانه او عمل يعمله بيده او رجله او ما تطوع به من مال فهو فضل الله يوتيه ذلك اذا امن وما يتقبل منه
ان كان كافرا فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير اي يوم القيامة وهو كبير لما فيه من الاهوال وقيل
اليوم الكبير يوم بدر وغيره وتولوا يجوز ان يكون ماضيا ويكون المعنى فان تولوا فقل لهم اني اخاف
عليكم ويجوز ان يكون مستقبلا حذفت منه احدى التاءين والمعنى قل لهم ان تتولوا فاني اخاف عليكم قوله عز
وجل قوله عز وجل الي الله مرجعكم اي بعد الموت وهو على كل شئ قدير من ثواب وعقاب قوله تعالي الا انهم
يثنون صدورهم ليستخفوا منه اخبر عن معاداة المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وتظنوا ان
يخفى على الله احوالهم يثنون صدورهم اي يطوونها على عداوة المسلمين ففيه هذا الحذف قال ابن
عباس يحنون ظهورهم في صدورهم من الشحناء والعداوة ويظهرون خلافه نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا
حلو الكلام حلو المنطق يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب ويتطوى له بقلبه على ما يسوء وقال
مجاهد يثنون صدورهم شكا ومرية وقال الحسن يثنونها على ما فيها من الكفر وقيل نزلت في بعض
المنافقين كان اذا مر بالنبي صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطاطا راسه وغطى وجهه كي لا يراه
النبي صلى الله عليه وسلم فيدعوه الى الايمان حكى معناه عن عبد الله بن شداد ناقة منه تعود على النبي صلي
الله عليه وسلم وقيل قالوا المنافقون اذا خلقتنا ابواننا واستغشينا ثيابنا وبيتنا صدورنا على عداوة
محمد فمن يعلم بنا فنزلت الاية وقيل ان قوما من المسلمين كانوا يتنكبون بستورا بناتهم ولا يكشفونها تحت السما
فبين الله تعالي ان التنكب ما اشتملت قلوبهم عليه من معتقد واظهروه من قول وعمل روي ابن جريج عن
محمد بن عباد بن جعفر قال سمعت ابن عباس يقول الا انهم يثنون صدورهم يغيرون بعد الوا وجي وان
تنطوي ليستخفوا منه قال كانوا ايجامعون النسا وايا توت الغايط وهم مغطون الي السما فنزلت
هذه الاية وروى عن محمد بن عباد عن ابن عباس الا انهم يثنون صدورهم كالاول وهو بغير يا ومعنى
يثنون صدورهم والقراين الاخريين متقاربة لانها تنثوي حتى يثنوها وقيل كان بعضهم يتخلى
على بعض يساره في الطعن على المسلمين وبلغ من جهلهم ان توهموا ان ذلك يخفى على الله تعالي ليستخفوا اي
ليتواروا عنه ايحين محمد او حين الله الا حين يستغشون ثيابهم قال قتادة اخفى ما يكون العبد اذا حنى
ظهره واستغشى ثوبه واضمر في نفسه شرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ما نفي ومن زايدة
كلما جاء بها ومن رزق فمن الله وقيل على الله ابرفضلا وجودا وقيل وعدا منه حقا وقد تقدم بيان
هذا المعنى في النسا وانه سبحانه لا يجب عليه شي رزقها ورفع بالابتدا وهذا الكوفيين بالصفة
وظاهر الاية العموم وتخصيصها الخصوص من ان كثيرا من الدواب هلك قبل ان يرزق وقيل هي عامة وكل دابة
لم ترزق رزقا تقيتش به قد رزقت روحها كيف تخفى عليه احوالكم يا معشر الكفار وهو يرزقكم والدابة
والدابة كل حيوان يدب والرزق حقيقته ما ينتفع به الحي ويكون فيه بقاء روحه وغا جسده وكل
يجوز ان يكون الرزق بمعنى الملك لان البهايم ترزق ولبن يصح وصفها بانها مالكة لعلفها وهكذا
الاطفال ترزق اللبن وابها لا انا للبن الذي في الثدي ملك للطفل وقال تعالي وفي السما رزقكم
وليس لنا في السما ملك وان الرزق لو كان ملكا لكان اذا اكل الانسان من ملك غيره ان يكون قد اكل من
رزق غيره وذلك محال لان العبد لا ياكل رزق غيره نفسه وقد تقدم في البقرة هذا المعنى والحمد لله و
قيل لبعضهم من اين تاكل فقال الذي يخلق الرحا ياتيها بالطحين الذي يشدق الاشداق هو خالق
الارزاق وقيل لي اسيد من اين تاكل فقال سبحان الله وايسا كلب يرزق الكلب فلا يرزق ابا اسيد
وقيل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال من عند الله فقيل له الله ينزل لك دنانير ودراهم من السما فقال
كان ما له الا السما يا هذا الارض لله والسما لله فان لم يا تني رزقي من السما ساقه لي من الارض وانشد
وكيف اخاف الفقر والله رازقي ورازق هذا الخلق في العسر واليسر نكفل بالارزاق
للخلق كلهم وللصبية في البيدا والحوت في البحر وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول باسناده
عن زيد بن اسلم ان الاشعريين ابا موسى وابا مالك وابا عامر في نفر منهم لما هاجروا اقترموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت وقد ارملوا من الزاد فارسلوا رجلا منهم الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسئله فلما انتهى الي باب رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه يقرا هذه الاية وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فكل في كتاب مبين فقال الاشعريون هو
الذي بعث الدواب على الله ثم رجع ولم يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لاصحابه ابشروا اتاكم
الغوث ولا يظنون الا انه قد كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعده فبينما هم كذلك اذا تاهم رجلان
بحملان قصعتين بينهما عملوة خبزا ولحما فاكلوا منها ما شاء الله ثم قال بعضهم لبعض لو انا رددنا
هذا الطعام الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقضي به حاجته ففعلوا فقالوا للرجلين اذهبا بهذا الطعام

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قد قضينا منه حاجتنا ثم انهم انوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله ما رأينا طعاما اكرم من طعام ارسلت به قال وما ارسلت اليكم طعاما فاخبروه
انهم ارسلوا صاحبهم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ما صنع وما قالوا لهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيء رزقكموه الله قوله عز وجل ويعلم مستقرها ومستودعها يعني الارض حيث
تأوي بالليل ومستودعها اي الموضع الذي يموت فيه فتدفن قاله مقسم عن ابن عباس وقال الربيع بن انس ويعلم
مستقرها ايام حياتها ومستودعها حين تموت وحيث تبعث وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مستقرها
في الرحم ومستودعها في الصلب وقيل يعلم مستقرها في الجنة او النار ومستودعها في القبر يدل عليه
قوله تعالى في وصف الجنة واصحاب النار حسنت مستقرا ومقاما وساءت مستقرا ومقاما كل كتاب
كل في كتاب مبين اي في اللوح المحفوظ قوله عز وجل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
تقدم في الاعراف بيانه ولله الحمد وكان عرشه على الماء بين ان خلق العرش والماء قبل خلق الارض والسماء قال
كعب خلق ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم تعبد بخافة الله تعالى فذلك بخار تعبد الماء الى
الان وان كان ساكنا ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال سعيد بن جبير
عن ابن عباس انه سئل عن قوله عز وجل وكان عرشه على الماء قال تعالى لا بشيء كان الماء تحته على متن الريح
وروى البخاري عن عمران بن حصين قال اتيت عند النبي صلى الله عليه وسلم اتاه قوم من بني تميم فقال
اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم فقالوا قبلنا جئنا لنتفقه في الدين ونسألك عن
اول هذا الامر ما كان قال كان الله عز وجل ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض
وكتب في الذكر كل شيء ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهب فانطلقت اطلبها فاذا
السراب ينقطع دونها وايم الله لوددت انها قد ذهبت ولم اقم لبيلوكم ايكم احسن عملا ايكم اتم عقلا وقال
الحسن وسفيان الثوري ايكم ازهد في الدنيا وذكر ان عيسى عليه السلام مر برجل نايم فقال يا نايم قم فتعبد
فقال يا روح الله قد تعبدت فقال وما تعبدت قال تركت الدنيا لاهلها فانا نائم فقد فقت العابدين
الضحاك ايكم اكثر شكرا لنعمائي ايكم اعمل بطاعتي الله وروى عن ابن عمران النبي صلى الله عليه وسلم تلى ايكم
احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله تعالى يجمع لها تاويل كلها
وسيأتي في الكهف هذا ايضا ان شاء الله وقد تقدم معنى الابتلاء وليزلتكم مبعوثون من بعد الموت
اي دللت يا محمد على البعث من بعد الموت وذكرت ذلك للمشركين فقالوا هذا سحر ولئن قال انما بعد القول
مبتدأة وحكى سيبويه الفتح لبتنوين الذين كسروا فتحتا اللام لانه فعل فتحرك لالتقاء الساكنين وليهده ليبتولن
ان فيه ضمير اسحاب غرور بالحال لبطلان السحر عندهم وقرأ حمزة والكسائي ان هذا الا سحر مبين كناية عن
النبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة اللام في لئن لام
القسم والجواب ليقولن ويعني الى امة الى اجل معدود وحين معلوم نهاية هنا المدة قاله ابن عباس ومجاهد
وقتادة وجمهور المفسرين واصل الامة الجماعة فعبر عن الحين والسنين بالامة لان الامة تكون فيها وقيل
هو على حذف المضاف والمعنى الى مجيء امة ليس شيء يومئذ فيستخفون الهلاك او الى انقراض امة
فيها من يومئذ للا يبقى بعد انقراضها من يومئذ والامة اسم مشترك يقال على ثمانية او جه فالامة تكون
الجماعة كقوله تعالى وجد عليه امة من الناس والامة ايضا اتباع الانبياء عليهم السلام والامة الرجل الجامع
للخير الذي يقتدى به كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا والامة الدين والملة كقوله تعالى
انا وجدنا اباءنا على امة والامة الحين والزمان كقوله تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة
ولذلك قوله تعالى واذكر بعد امة والامة القامة والامة الرجل المنفرد بدينه وحده لا يشرك فيه احد قال
النبي صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل امة وحده والامة الام يقال هذه امة زيد يعني امام زيد
ليقولن ما يحبسه يعني العذاب وقالوا هذا اما تكذيبا للعذاب لتاخره عنهم واما استهزاء
ايها الذي يحبسه عنا الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم بل هو قتل المشركين ببدر وقيل جبريل المشهور
على ما ياتك فحاق بهم اي نزل واحاط بما كانوا به يستهزؤن والمضاف محذوف قوله عز وجل ولئن اذقنا
الانسان هنا الوليد بن المغيرة وفيه نزلت وقيل في عبد الله بن امية المخزومي رحمة اي نعمة ثم نزعناها منه
اي سلبناها اياه ليؤس اي ايس من الرحمة كفور للنعم جاحد لها قال ابن الاعرابي الخائب ليؤس بزنة بئيس
بئيس وحكى سيبويه بئيس بئيس على فعل يفعل وتخطئه يحيى بن يعمر وبئيس بئيس وبعضهم
يقول يئيس بئيس بابدال الواو في الكلام الا هذه الاربعة احرف من السالم جاءت على فعل يفعل وفي واحد
منها الخلاف وهو يئيس ويؤوس على التكثير كصبور للمبالغة قوله تعالى ولئن اذقناه نعماء اي
صحة ورخاء وسعة في الرزق بعد ضر واستة اي بعد فقر وشدة ليقولن ذهب السيئات عني اي
الحظايا التي تسوءني من الضر والفقر انه لفرح فخور بطر مرح ويفخر بما ناله من النعمة وينسى شكر
الله يقال رجل فارح وفرحان وفرح وفخور للمبالغة قال ابو عبيد الفارابي وقرأ اهل بعض المدينة الفرح

بضم الراء كما بنيا لرجل فطن وحذر وندس ويجوز في كلتا اللغتين الاسكان لثقل الضمة والكسرة قوله تعالى
الا الذين صبروا يعني المؤمنين مدحهم بالصبر على الشدايد وهو في موضع نصب قال الاخفش هو لكنه
ليس من الاول اي لكن الذين امنوا وعملوا الصالحات في حال النجاة لهم مغفرة وقال الفراء هو استثناء من ولين
اذقناه اليس الانسان يعني الناس يشمل الكافر والمؤمن فهو استثناء متصل وهو حسن وليكن
لهم مغفرة ابتدا وخبر واجر معطوف كبير صفة قوله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك الاية
اي فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والتكذيب تتوهم انهم بزيلونهم عن بعض ما امرت به وقيل
انهم قالوا لو ما انزل عليه كنزا وجاء معه ملك منا ان يدع سب الهتنا فنزلت هذه الاية فالكلام معناه استفهام
اي هل انت تارك ما اتيه سب الهتهم كما سالوك وتاكد عليه الامر في الابلاغ كقوله يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك وقيل معنى الكلام النفي مع استبعاد اي لم يكون منك ذلك بل تبلغهم كل
ما انزل اليك وذلك ان مشركي مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان يدع سب الهتهم نترك
قوله عز وجل وضايق به صدرك عطف على تارك وصدرك مرفوع به والهاء في به تعود على ما او على
بعض ما على التبليغ او التكذيب وقد ضايق به ولم يقل ضيق ليشاكل تارك كما ترك الذئب قبله وان الضايق
عارض والضيق اللازم منه ان يقولوا اي موضع نصب اي كراهية ان يقولوا كقولك بين الله لكم ان
تضلوا اي لملا تضلوا او لان يقولوا او اي هل انزل عليه كنز او جاء معه ملك يصدقه قال
عبد الله بن ابي امية بن المغيرة المخزومي فقالا والله يا محمد ما انت بنذير لنا فعليك ان تنذر رهطك بان
تاتيهم بما يقترحونه بما يقترحونه من الايات والله على كل شيء وكيل اي حافظ وشهيد قوله عز وجل
ام يقولون افتراه ام بمعنى بل وقد تقدم في يونس اي تمازحت عليهم واشكالهم في تنزيلك هذا القران
وحجتهم به ان قالوا افتريته اي اختلقته فلبثوا ثلاثة ايام متعجبين من عجزهم وادعوا ان استطعتم من دون
الله اي من الكهنة والاعوان قوله عز وجل فان لم يستجيبوا لكم اي في المعاونة ولم يتهيا لهم
ان قدروا عليكم بحجة اذ هم من اللسن البلغا واصحاب الالسن الفصحا فاعلموا انما انزل بعلم الله واعلموا
صدق محمد واعلموا ان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون استفهام معناه الامر وقد تقدم القول في
معنى هذه الاية وان القران معجز في مقدمة الكتاب والحمد لله وقد قيل فان لم يستجيبوا
لكم ولم يقبلوا فقيل هو على تحويل المخاطبة من الافراد الى الجمع تفظيعا وتفخيما وقد يخاطب الرييس بما
يخاطب به الجماعة وقيل الضمير في لكم وفي فاعلموا للجميع اي فليعلم الجميع انما انزل بعلم الله قاله
مجاهد وقيل الضمير في لكم وفي فاعلموا للمشركين والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونهم الى المعاونة
والاتيان لكم المعارضة فاعلموا انما انزل بعلم الله وقيل الضمير في لكم للنبي عليه السلام وللمؤمنين
وفي فاعلموا للمشركين قوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون فيه ثلاث مسايل الاولى في قوله نوف اليهم اجرها فان كان زايدة وهذا اجرم بالجواب حقا قال
نوف اليهم اجرهم بكمال منكم بريد والاولى اللفظ ماض والثاني مستقبل كما قال زهير ومنهل به
اسباب المنايا بيلنه واختلف العلما في تاويل هذه الاية فقيل نزلت في الكفار قاله زهير وسلها ب
واختاره الحسن بدليل الاية التي بعدها اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار اي لم اجر لهم منها
بصلة رحم او صدقة تكافا به في الدنيا بصحة الجسم وكثرة الرزق ولكن لا حسنة له في الاخرة وقد تقدم
هذا المعنى في براءة مستوفى وقيل المراد بالاية الموسوم اي من اراد بعمله ثواب الدنيا عجل له الثواب
ولم ينقص شيا في الدنيا وله في الاخرة العذاب لانه لم يرد قصده الى الدنيا وهذا كما قال صلى الله عليه وسلم
انما الاعمال بالنيات فالعبد انما يعطى على وجه قصده وحكم سيره وهذا امر متفق عليه في الامم بين كل ملة
وقيل نزلت اهل الرياء اي اخبر انه يقال لاهل الرياء صمتم وصليتم تصدقتم وجاهدتم وقرات لم
ليقال ذلك فقد قيل ذلك ثم قال فهو لاء اولئك لم تسعر لهم النار رواه ابو هريرة ثم بكا بكاء
شديدا وقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
وقرا الاية خرجه مسلم في صحيحه بمعناه والترمذي ايضا وقيل الاية عامة في كل من ينوي بعلمه غير الله
تعالى كان من اصل الايمان او لم يكن قاله مجاهد وميمون بن مهران والبه ذهب حماد بن ابي سليمان رحمه الله قال
ميمون بن مهران ليس احد يعمل حسنة الا وفي نواياها ان كان مسلما مخلصا وفي الدنيا والاخرة وان كان
كافرا وفي الدنيا وقيل من كان يريد بغزوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وفيما اليه وفي اجر الغزاة ولم ينقص
منها وهذا خصوص والصحيح العموم الثانية قال بعض العلما معنى هذه الاية قوله عليه السلام انما
الاعمال بالنيات وبه لك هذا على ان صام في رمضان لا عن رمضان لا يقع عن رمضان ويدل على ان من
نوى النفل والتطوع لا يقع فرضه عن جهة الصلاة وهكذا كل ما كان في معناه ثانية ذهب
اكثر العلما الى ان هذه الاية مطلقة وكذلك الاية التي في الشورى من كان يريد حرث الدنيا نوته منها الاية
وكذلك من يريد ثواب الدنيا نوته منها فيدخل في عمومها التي في سبحان من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء

لمن

لن نريد الى قوله محظورا فاخبر سبحانه ان العبد ينوي ويريد والله سبحانه يحكم ما يريد وروى الضحاك عن ابن
عباس في قوله من كان يريد الحياة الدنيا انما منسوخة بقوله من كان يريد العاجلة والصحيح ما ذكرناه وانه
من باب الاطلاق والتقييد ومثله قوله واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فهذا
ظاهره خبر عن اجابة كل داع دائما على كل حال وليس كذلك لقوله تعالى بل اياه تدعون فيكشف ما تدعونه اليه ان شاء والنسخ
عن الاخبار لا يجوز لاستحالة تبدل الواجب العقلية واستحالة الكذب على الله تعالى واما الاخبار عن الاحكام
الشرعية فيجوز نسخها على خلاف فيه على ما هو مذكور في الاصول وسيأتي في النحل بيانه ان شاء الله تعالى وقوله
قوله عز وجل اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار اشارة الى التخليد والمؤمن لا يخلد لقوله تعالى ان
الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء محمول على ما اذا كانت موافاة هذا المرائي على الكفر وقيل
المعنى ليس لهم الا النار في ايام معلومة ثم يخرج اما بالشفاعة واما بالقبضة والاية تقتضي الوعيد بسلب
الايمان وفي الحديث العاصي يريد الكفر وخاصة الرياء اذ هو شرك على ما تقدم بيانه في النساء وسيأتي في الكهف
وباطل ما كانوا يعملون ابتداء خبر قال ابو حاتم وحذف الفاء قاد النحاس هذا لا يحتاج الى حذف الفاء بمعنى
المصدر اي وباطل عملهم وفي حرف ابي وعبد الله وباطلا ما كانوا يعملون تكون ما زايدة اي وكانوا يعملون باطلا
قوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه هي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وسمي من الفضل بالبينة من كفيره ممن يريد
الحياة الدنيا وزينتها على ما تقدم من الحسين والحسن بن ابي الحسن وكذا قال ابن زيد ان الذي على بينة من ربه النبي صلى
الله عليه وسلم ويتلوه شاهد من الله وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بقوله افمن كان على بينة من
ربه النبي صلى الله عليه وسلم والكلام راجع الى قوله وضائق به صدرك ايب فمن كان معه بيان من الله ومعجزة هو
كالقرآن ومعه شاهد كجبريل دال على صدقه ما يأتي وتدبر بهذا الكتب السالفة يضيق صدره بالابلاغ وهو يعلم
ان الله يعصمه والهاء في به تعود عليه وقوله ويتلوه شاهد منه روي عكرمة عن ابن عباس ان جبريل وهو قول
مجاهد والنخعي والهاء في منه لله عز وجل اي ويتلوا البيان والبرهان شاهد من الله عز وجل وقال مجاهد
الشاهد لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال محمد بن علي الحنفية قلت لابي ان الشاهد فقاد ودت
ان اكون انا هو وكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو علي بن ابي طالب روي عن ابن عباس انه قال
هو علي بن ابي طالب وروي عن علي انه قال ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الاية والاياتان فقال
له رجل اي شيء نزل فيك فتلا لعلي وتتلوه شاهد منه وقيل الشاهد صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووجهه وخلقه لان من كان له فضل وعقل فنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم علم قول زيد وغيره وقيل
الشاهد القرآن فيه نظم وبلاغة والمعاني الكثيرة منه في اللفظ الواحد قاله الحسين بن الفضل قالها فيه
للقرآن وقال الفراء قال بعضهم ويتلوه شاهد منه الانجيل وان كان قبله فهو يتلوا القرآن في التصديق
والهاء في منه لله عز وجل ومن قبله اي قبل الانجيل كتاب موسى ورفع بالابتداء قال ابو اسحق الزجاج والمعنى
ويتلوه من قبله كتاب موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم موصوف في كتاب موسى يجدونه مكتوبا عندهم في
التوراة والانجيل ابو حاتم عن بعضهم اثر قرا ومن قبله كتاب موسى بالنصب وحكاها المهدوي عن الكلبي يكون
معطوفا على الهاء في يتلوه والمعنى ويتلوا كتاب موسى على موسى ويجوز على ما ذكره ابن عباس ايضا من هذا ان
تقول ان رفع كتاب على ان يكون المعنى ومن قبله كتاب موسى كذلك ايضا تلاه جبريل على موسى كما تلى القرآن
على محمد اماما نصب على الحال ورحمة معطوف اولئك يؤمنون به اشارة الى بني اسرائيل اي يؤمنون بمحمد في
التوراة من البشارة به وانا كفر به هو الماخوذون فيهم الذين موعدهم النار حكاه الطبري والهاء في
به يجوز ان تكون للقرآن ويجوز ان تكون للنبي عليه السلام من الاحزاب بمعنى الملل كلها عن قتادة وكذا قال
سعيد بن جبير الاحزاب اهل الاديان كلها انهم يتحاربون وقيل قريش وحلفاؤهم فالنار موعده اي هو من اهل
النار والشك حسان اورد تموها حيا من الموت ضاجعة نا النار موعدها والموت لاقيها وفي صحيح مسلم
من حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي
ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار ولا تكن في مرية منه اي في شك منه اي من
القرآن انه الحق من ربك اي القرآن من الله قاله مقاتل وقال الكلبي المعنى فلا تكن في مرية من ان الكافر
في النار انه الحق اي القول الحق الكائن والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد جميع المكلفين المكلفين
قوله عز وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ايها احد العالم منهم لانفسهم لانهم افتروا على
الكذب واضافوا كلامه الى غيره وزعموا ان له شريكا وولدا وقالوا للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله اولئك
يعرضون على ربهم اي يحاسبهم على اعمالهم ويقول الاشهاد يعني الملائكة الحفظة عن مجاهد وغيره
وقال ابن عباس ان سالت الاعمش عن الاشهاد فقال الملائكة الضحاك هم الانبياء والمرسلون دليله قوله تعالى
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وقيل الملائكة والانبياء والعلماء الذين بلغوا
الرسالات وقال قتادة على الخلايق اجمع وفي صحيح مسلم من حديث صفوان بن محرز عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم وفيه قال ثم الكافر والمنافق فينادي بهم على رؤوس الخلايق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا

لعنة الله على الظالمين اي نبعده وسخطه والعباده مرادة منه على الذين وضعوا العبادة في غير موضعها
قوله تعالى الذين يصدون يجوز ان يكون الذين في موضع خفض نعتا للظالمين ويجوز ان يكون في
موضع رفع اي هم الذين وقيل هو ابتداء خطاب من الله تعالى لنبيه الذين يصدون انفسهم وغيرهم عن الايمان
والطاعة ويبغونها عوجا اي يعدلون بالناس عنها الى المعاصي والشرك وهم بالاخرة هم كافرون اعاد
لفظ هم تاكيدا قوله تعالى اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي فائتين من عذاب الله وقال ابن
عباس لم يعجزوني اذا مر الارض فتخسف بهم وما كان لهم من الله من اولياء يمنعهم منه ونصرا ومن زائدة وقيل
ما بمعنى الذي تقديره اولئك لم يكونوا معجزين اصنامهم والذين كانوا لهم من اولياء من دون الله وهو قول
ابن عباس يضاعف لهم العذاب اي يعذب قدر كفرهم ومعاصيهم ما كانوا يستطيعون السمع وما
كانوا يبصرون فلم يستعملوا ذلك في استماع الحق وابصاره والعرب تقول جزيته ما فعل وبما فعل فيجعلون
الباء مرة ويثبتونها اخرى وانشد سيبويه * امرتك الخير فافعل ما امرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب * ويجوز ان تكون ما ظرفا والمعنى يضاعف لهم ابدا اي وقت استطاعتهم السمع والبصر والله
سبحانه يجعلهم في جهنم مستطيعي ذلك ابدا ويجوز ان تكون ما نافية لا موضع لها اذا الكلام تم
قبلها والوقف على العذاب كاف والمعنى ما كانوا يستطيعون في الدنيا ان يسمعوا سماع ينتفعون به
ولا ان يبصروا ابصارا يرشدون قال الفراء ما كانوا يستطيعون السمع لان الله اظلم في اللوح المحفوظ وقال
الزجاج لبغضهم النبي صلى الله عليه وسلم وعداوتهم له ما يستطيعون ان يسمعوا منه ويفقهوا عنه قال
النحاس وهذا معروف في كلام العرب قال فلان لا يستطيع ان ينظر اي فلان اذا كان ذلك ثقيلا عليه قوله
قوله تعالى اولئك الذين خسروا انفسهم ابتداء وخبر وضل عنهم ما كانوا اي ضاع عنهم افتراؤهم وتلف
قوله تعالى لا جرم للعلماء فيها لقولان قال الخليل وسيبويه لا جرم بمعنى حقا فلا وجرم عندهما كلمة
واحدة وان عندها في موضع رفع وهذا قول الفراء ومحمد بن يزيد حكاه النحاس المهدوي وعن الخليل ايضا
ان معناها البتة لا محالة وهذا قول الفراء ايضا ذكره الثعلبي وقال الزجاج ها هنا نفي وتصوير لقولهم
ان الاصنام تنفعهم ذلك وجرم بمعنى كسب اي كسب ذلك الفعل لهم الخسران وفاعل كسب مضمر وان مصدرة
بجرم كما تقول كسب جفاوك زيدا غضبه عليك وقال الشاعر * ولقد طعنت ابا عيينة طعنة * جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا * اي كسبت وقال الكسائي معنى لا جرم لا صد ولا منع عن افعالهم وقيل المعنى لا قطع
قاطع فحذف الفاعل حيز كثر استعماله والجرم القطع وقد جرم النخل واجترمه اي صرمه فهو جارم وقوم
جرم وجرام وهذا من الجرام والجرام وجرمت صوف الشاة اجزه وقد جرمت منها اذا اخذت منه
مثل جززت قال النحاس وزعم الكسائي ان فيها اربع لغات لا جرم لا عن ذا جرم ولا ان ذا جرم قال وناس من
فزارة يقولون لا جرم قال وان ذا جرم قال وناس من فزارة يقولون لا جرم انهم بغير ميم وحكى الفراء فيه
لغتين اخريين قال وقد سمعنا من العرب من يقول لا ذا جرم قال وناس من العرب يقولون لا جرم بضم
الجيم قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم عطف على الصلة قال
ابن عباس اخبتوا اتابوا مجاهد اطاعوا قتادة خشعوا وخضعوا يقال اخلصوا اكمل الاخبات
الخشوع المخافة الثابتة في القلب واصل الاخبات الاستواء من الخبت وهو الارض المستوية الواسعة
والاخبات الخشوع او الاطمئنان او الانابة الى الله عز وجل المستذلك على استواء الى ربهم وقال الفراء
الى ربهم ولربهم ولصار قد يكون المعنى وجلوا اخباتهم الى ربهم اولئك خبر ان قوله تعالى مثل
الفريقين ابتداء الخبر كالاعمى وما بعده قال الاخفش اي كمثل الاعمى للنحاس التقدير مثل فريق هو
الكافر كالاصم ومثل فريق المؤمن كالسميع والبصير وهذا قول الفراء ايضا ذكره الثعلبي وقال الزجاج ها هنا نفي وتصوير لقولهم
وبما انك ان روي معناه عن قتادة وغيره قال الضحاك الاعمى والاصم مثل الكافر والسميع والبصير
مثل المؤمن وقيل المعنى هل يستوي الاعمى والبصير وهل يستوي الاصم والسميع مثلا منصوب
على التفسير انلا تذكرون بالتاء في الوصفين وتنظرون قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
ذكر سبحانه قصص الانبياء عليهم السلام للنبي صلى الله عليه وسلم يسلي به على ما لاقوه من الصبر على
اذى الكفار الى ان يكفيهم انتقامه منهم الى اي فقال اني لكم نذير مبين ولم يقل انه انذرهم لرجوع الغيبة الى الخطاب
ونوح لقومه كما قال وكتبنا له في الالواح من كل شيء ثم قال حدها بقوة قوله تعالى الا تعبدوا
الا الله اي اتركوا الاصنام فلا تعبدوها واطيعوا الله وحده وقرأ الى لكم بالكسر جعله بقرضا
في الكلام والمعنى ارسلناه بان لا تعبدوا اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم قوله تعالى فقال
الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا قد بينا اربع مسايل
الاولى قوله تعالى فقال الملا قال ابو اسحق الزجاج الملا الروساء اي هم ملبون بما يقولون
وقد تقدم هذا في البقرة وغيرها ما نراك الا بشرا اي ادميا مثلنا نصب على الحال ومثلنا مضاف

الى معرفته وهو نكرة يقدر فيها التنوين كما قاله يارب يمنك في النشار عزيزة الثانية قوله عز وجل وما
نراك اتبعك الا الذين هم ارازلنا ارازل جمع ارذل وارذك جمع رذل مثل كلب واكلب واكالب وقيل
الارذل الكاسد وجمع الاسود من الحيات والرذل الرديء قال ابتعك احسبونا وسقطنا وسفلتنا
قال الزجاج ينسبونهم الى الحياكة ولم يعلموا ان الصناعات انما اثرها في الديانة قال الخاسر الا اراذلهم
الفقراء والذين لا حسب لهم والحشو سموا الصناعات وفي الحديث انهم كانوا حاكة وحجامين وكان هذا
جهلا منهم عابوا بذلك صلى الله عليه وسلم بما لا عيب فيه ان الانبياء صلى الله عليهم وسلم انما عليهم ان يأتوا
بالبراهين والآيات وليس عليهم تغيير الصور والهيئات وهم يرسلون الى الناس جميعا فاذا اسلم منهم
الذين لم يلحقهم من ذلك نقصان لم يجز عليهم ان يقبلوا الاسلام كل من اسلم قلت الا ارذلهم الفقراء
والضعفاء كما قال هرقل ايزيدون او ينقصون اشراف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم فقال بل ضعفاؤهم فقال
هم اتباع الرسل فاما ما كان ذلك استدلالا بالرياسة على الاشراف وصعوبة الانقياد عليهم والفقر
مزلة الانقياد للغير والتغير على تلك الموانع فموسر يجيب الى الاجابة والانقياد وهنا غالبا اهل الرأي
الدنيا الثالثة اختلف العلماء في تفسير السفلة على اقوال فذكر ابن المبارك عن سفيان ان السفلة هم
الذين يتقلسون ويأتون ابواب القضاة والسلاطين يطلبون الشهادات وقال ثعلب عن ابن الاعرابي
السفلة الذين همهم الدنيا بدينه قيل له فمن سفلة السفلة قال الذي يصلح دنيا غيره لفساد دينه وسئل
علي رضي الله عنه عن السفلة فقال الذي يسب الصحابة وروى عن ابن عباس انه رذالهم الحاكة والحجامون
يحيى بن آدم اكتم الدباغ والكناس اذا كان مرغيرا الوب الرابعة اذا قالت المرأة لزوجها يا سفلة فقال
ان كنت منهم فانت طالق فحكى انه تنازع رجلان الى الترمذي فقال ان امرأتي قالت لي يا سفلة فقلت لها ان كنت سفلة فانت طالق قال الترمذي ما صنعت قال سمعتك قال سفلة والله سفلة
والله قلت وعلى ما ذكر ابن المبارك عن سفيان لا تطلق وكذلك على قول مالك وابن الاعرابي لا بد من
شيء قوله عز وجل بادي الرأي ظاهر الرأي وباطنهم على خلاف ذلك يقال لبدا بيد وابدا اذا ظهر
كما قاله تعالى اليوم جديدونا للنظار وبقال للبرية بادية لظهورها وبدا لي ان افعل كذا اي
ظهر لي رأي غير الاول وقال الازهري معناه فيما يبدو لنا من الرأي وكون ان يكون بادي الرأي من
بدا يبدو اذا ظهر فالهمزة وحذفها ابو عمرو والهمزة فقرأ بادئ الرأي اي اول الرأي انبعوك حين
ابتدوا ينظرون ولو امعنوا النظر والفكر لم يتبعوك لا تحملت المعنى لها هنا بالهمز وترك الهمز
والنصب على حذف في كما قال دخل وعزوا اختار موسى قومه وما نرى لكم علينا من فضل اي في اتباعهم وهذا
جحد منهم للنبوة بل نظنكم كاذبين الخطاب لنوح وفي امن قوله عز وجل قال يا قوم ارأيتم ان كنت على
بينة من ربي اي على يقين قاله ابو عمران الجوني وقيل على معجزة وقد تقدم في الانعام هذا المعنى وآتاني
رحمة من عنده اي نبوة ورسالة عن ابن عباس وهي رحمة على الخلق وقيل الهداية الى الله بالبرهان
وقيل الايمان والاسلام فعميت عليكم اي الرسالة والهداية فلم تفهموها فقد عميت عن كذا وعمي على
كذا اي افهمه والمعنى فعميتا الرحمة وقراها الاعمش وحمزة والكسائي فعميت بضم العين وتشديد
الميم على ما لم يسم فاعله اي فعماها الله عليكم وكذا اي قراءة ابي فعماها ذكرها الماوردي انلزمكموها
قيل بمعنى اذ لا الزام الله وقيل الهاء ترجع الى الرحمة وقيل الى البينة اي انلزمكم قبولها واوجبها
عليكم وهو استفهام بمعنى الانكار اي لا يمكنني ان اضطركم الى المعرفة بها وانما قصد نوح عليه السلام
بهذا القول ان يرد عليهم وحكى الكسائي والفراء انلزمكموها باسكان الميم الاولى تخفيفا وقد جاء مثل
هذا سيبويه والانشد ه نا اليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل ه قال الخاسر ويجوز
على قول يونس انلزمكمها بجر الهاء المضمر كما تقول انلزمكم ذلك وانتم لها كارهون ايصح
قبولكم لها مع الكراهة عليها قال قتادة والله لو استطاع نبي الله نوح عليه السلام لالزمها قومه
ولكنه لم يملك ذلك قوله عز وجل ويا قوم لا اسالكم عليه اجرا اي على التبليغ والدعاء الى الله والايمان
به ارجوا اي ماله فيثقل عليكم ان اجري الا على الله اي ثوابي في تبليغ الرسالة وما انا بطارد الذين امنوا سالوه
ان يطرد الاراذل الذين امنوا كما سالت قريش النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرد الموالي والفقراء حسب
ما تقدم في الانعام بيانه تاحاجهم بقوله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم يحتمل ان يكون قال
هذا على وجه الاعظام لهم بلقاء الله عز وجل ويحتمل ان يكون قاله على وجه الاختصام اي لو فعلت
ذلك لخاصموني عند الله تعالى فيجازيهم على ايمانهم ويجازيني بطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون هم
استرذالكم لهم وسوالكم طردهم قوله عز وجل ويا قوم من ينصرني قال الفراء يمنعني من عذاب الله ان
طردتهم لاجل ايمانهم افلا تذكرون ادغمت التاء في الذال ويجوز حذفها فتقول تذكرون قوله تعالى
ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اخبر بتواضعه وتذلله وانه لا يعلم الغيب لان الغيب لا يعلمه الا الله
جل وعز ولا اقول اني ملك كما يقوله الجهال من قولهم ان من نزلت عند الناس منزلة الملائكة وتذكرت العلماء الغابرة

في الكلام الدلالة على ان الملايكة افضل من الانبياء لدوامهم على الطاعة وانفصال عبادتهم الى يوم القيامة
صلوات الله عليهم وقد تقدم هذا المعنى في البقرة والاخوذ للذي نزدري اي تستقل وتحتقر اعينكم
والاصل نزدريونهم حذفت الفاء الميم لطول الاسم والراء مبدلة من تاء الافتعال في تزدري ينزري
ولكنا لما نبدل هذا الزاي دالا اردنا الزاي مجهورة والتاء مهموسة فابدلنا التاء حرفا مجهورا من
مخرجها وقد ازريت عليه اذا عنفته وزريت عليه اذا احتقرته وانشد الفراء ياعذلة الصديق ونزدريه
وحليلته وبهره الصغيره لن يوتيهم الله خيرا اي لعيني لاحتقاركم لهم تبطرا جورهم او ينقص
ثوابهم الله اعلم باي انفسهم لبجازيهم عليه ويواخذهم اي اذا انا لظالمين اي ان قلت هذا الذي
نقدم ذكره وادن مفاه لانها متوسطة قوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا اي خاصمتنا فاكثرت خصومتنا وبالغت فيها والجدل في كلام العرب المبالغة في
الخصومة مشتق من الجدالة وهو شدة الفتل ويقال للصقر ايضا اجدل لشدة تدبيره الطير وقد
مضى هذا المعنى في الانعام باشبع من هذا وقرا ابن عباس فاكثرت جدالنا ذكره النحاس والجدال
في الدين محمود ولهذا جادل نوح والانبياء قومهم حتى يظهر الحق ممن قتله الحق وافلح ومن رده وغلب
وخسر واما الجدال لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق فمذموم وصاحبه في الدارين
فاتنا بما تعدنا ايمن العذاب ان كنت من الصادقين في قولك قوله تعالى انما يأتيكم به الله ان
شاء ان اراد اهلاككم وما انتم بمعجزين اي بفائتين وقيل بغالبين بكثرتكم لانهم انجوا بذلك
كانوا صلاء الارض سهلا وجبلا على ما ياتي قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي اي ابلاغي واجتهادي في ايمانكم
ان اردت ان انصح لكم اي انكم لا تقبلون نصحا وقد تقدم في براءة معنى النصح لغة ان كان الله
يريد ان يغويكم اي يضلكم وهذا مما يدل على بطلان مذهب المعتزلة والقدرية وغيرهما اذ
زعموا ان الله تعالى لا يريد ان يعصى العاصي ولا يكفر الكافر ولا يغوي الغاوي والله ليفعل ذلك
والله يريد ذلك فرد الله عليهم بقوله ان كان الله يريد ان يغويكم وقد مضى هذا المعنى في الناقة
وغيرها وقد اكذبوا شيخهم اللعين ابليس على ما بيناه في الاعراف في اغواء الله تعالى اياه حيث
قال فبما اغويتني لاقعدن لهم عن قول نوح عليه السلام ان كان الله يريد ان يغويكم ناصح اعلم
الى الله سبحانه الذهول لهما رب المضل سبحانه عما يقول الجاهلون والظالمون علوا كبيرا وقيل
ان يغويكم يهلككم لان الاضلال يفضي الى الهلاك الطبري يغويكم يهلككم بعذابه حكى عن علي اصبح
فلان غاويا اي مريضا واغوينه اهلكته ومنه ننسون بلبون غيا هو ربكم فاليه لما عوا واليه
الهداية واليه ترجعون تهديد ووعيد قوله تعالى ام يقولون افتراه يعنون النبي صلى
الله عليه وسلم افتراه افتعل اي اختلق القرآن من قبل نفسه وما اخبره عن قوم نوح وقومه
قاله مقاتل وقال ابن عباس لعل امرأة نوح لقومه وهو الظاهر انه لم يسبق قبله ولا بعده الا ذكر
نوح وقومه فالخطاب منهم ولهم قل ان افتريته ايا اختلقته واقتعلته بمعنى الوحي والرسالة
فعلي اجرامي اي عقاب اجرامي وان كنت محقا فيما اخوله فعليكم عقاب تكذيبكم والاجرام مصدر
اجرم وهو اقتراف السيئة وقيل المعنى اي جزاء اجرامي وكسبي وجرم واجرم بمعنى كما قال النحاس
وغيره قاله وهين عشيرة ورهين جرم بما جرمت يدي وخبا لسائلي ومن قرأ اجرامي بفتح
الهمزة ذهب الى انه جمع جرم ذكره النحاس ايضا وانا بريء مما تجرمون اي من الكفرة والتكذيب
قوله تعالى واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن انه في موضع رفع على انه اسم
ما لم يسم فاعله وكسرت ان ليكون في موضع نصب ويكون التقدير بانه ولا من في موضع نصب
بدل من وسقط الكلام الا بايمانهم واستدامة كفرهم تحقيقا لنزول الوعيد بهم قال الضحاك
فدعا عليهم لما اخبر بهذا فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الاية وقيل ان رجلا من
قوم نوح حمل ابنه على كتفه فلما راى الصبي نوحا قال لابيه اعطني حجرا فاعطاه حجرا ورمى به
نوحا فدماه فاوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس اي فلا تحزن بهلاكهم
حتى تكون بائسا اي حزينا والبوس الحزن ومنه قول الشاعر وكم من خليل او حميم رزيته
فلم ابتئس والرزء فيه جليد يقال ابتأس الرجل اذا بلغه شيء يكرهه والابتئاس حزن في
استكانة قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا ووحينا اي اعمل السفينة لتركبها انت ومن امن
معك باعيننا اي بمرأى منا وحيث نراك وقال الربيع بن انس بحفظنا اياك حفظ من يراك وقال
ابن عباس بحراستنا والمعنى واحد وغير عن الرؤية بالاعين لان الرؤية تكون بها ويكون جمع لو
جمع بمعنى الاعين في هذه الاية وغيرها الى معنى عين كما قال ولتصنع على عيني وذلك كله
عبارة عن الادراك والاحاطة وهو سبحانه منزه عن الحواس والتشبيه والتكييف لا رب غيره

وقيل

وقيل المعنى باعيننا اي باعين ملائكتنا الذين جعلناهم عيونا على حفظك ومعونتك فيكون الجمع
على هذا للتكثير على بابه وقيل باعيننا اي بعلمنا قاله قتادة وقال الضحاك وسفيان باعيننا
بامرنا وقيل بوحينا وقيل بمعونتنا لك على صنعها ووحينا على ما اوحينا اليك من صفتها والذين
تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تطلب امهالهم فانهم مغرقون قوله عز وجل ويصنع الفلك اي
وطفق يصنع الفلك قال زيد بن اسلم مكث نوح عليه صلى الله عليه وسلم مائة سنة يغرس الشجر
ويقطعها ويبيسها ومائة سنة يعملها وروى ابو القاسم عن ابن اثير عن ملك قال بلغني ان قوم
نوح ملؤوا الارض حتى حال السهل والجبل فما يستطيع احد ان ينزلوا الى هواء ولا هواء الا ان
يصعدوا الى هواء فلبث نوح يغرس الشجر مائة عام لعمل السفينة ثم جمعها ييبسها مائة عام وقومه
يسخرون وذلك فيما رواه يصنع من ذلك حتى كان من قضاء الله فيهم ما كان وروى عمرو بن الحرث قال
عمل نوح سفينته ببقاع دمشق وقطع خشبها من جبل لبنان وقال القاضي ابو بكر بن العربي لما
استفقد الله سبحانه من نوح الاصلاب والارحام من المؤمنين اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من
قد امن فاصنع الفلك قال يا رب ما انا بنجار وقد بلي فان ذلك بعينني فاخذ القدوم فجعله بيده
وجعلت يده لا تخطئ فجعلوا يمرون به ويقولون هذا الذي يزعم انه نبي صار نجارا فعملها اربعين
سنة وحكى الثعلبي وابو نصر القشيري عن ابن عباس قال اتخذ نوح السفينة في ستين سنة زاد الثعلبي
الثعلبي وذلك انه لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان اصنعها كجوجوة الطاير وقال
كعب بنا عاش نوح ثلاثين سنة فانه اعلم المدروي وجاء في الخبر ان الملائكة كانت تعلمه كيف يصنعه
واختلفوا في طولها وعرضها فعن ابن عباس كانت طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون ذراعا
وكانت من خشب الساج وكذا قال الكلبي وقتادة وعكرمة كان طولها ثلاثمائة
ذراع والذراع الى المنكب قاله سلمان الفارسي وقال الحسن البصري ان طول السفينة الف
ذراع ومائتا ذراع وعرضها ستمائة ذراع وحكاه الثعلبي في كتاب العرايس وروي علي بن زيد عن
يوسف بن مهران عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى عليه السلام لو بعث لنا رجلا شهد
السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال
اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا قبر سام بن نوح قال فضرب الكثيب بعصاه
وقال قم باذن الله فاذا هو قايم ينفض التراب من راسه وقال شاخ قال له عيسى اهكذا هلكت
قال لا قال قد مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال اخبرنا عن سفينة نوح قال
كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها
الدواب والوحش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير وذكر باقي الخبر على ما ياتي ذكره ان شاء الله
وقال الكلبي فيما حكاه النقاش ودخل الماء فيها الا نعشة ذراع وكان لها ثلاثة ابواب باب فيه السباع
والطير وباب فيه الوحش وباب فيه الرجال والنساء عن ابن عباس جعلها ثلاث بطون البطن الاسفل
للوحش والسباع والدواب والاوسط للطعام والشراب وركب هو في البطن الاعلى ومعه جسد
ادم عليه السلام مفترضا بين الرجال والنساء ثم دفنه بعد بيت المقدس وكان ابليس معهم في الكوثل وقيل
جان الكبنة والعقرب لدخول السفينة فقال لنوح احملهما معك احملكما الله كما سبب الضرر والبلاء
فقالا انا احملنا فنحن نضمن لك ان لا تضر احدا ذكرك فمن فراجين نجا في مصرنها سلام على نوح في العالمين لم
تضره ذكره الثعلبي وغيره وذكره الحافظ بن عساكر في تاريخه لما مر فوعا عن ابي امامة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الحين ليس صلى نوح وعلى نوح السلام لم تلزعه عقربة تلك الليلة
قوله عز وجل وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال الاخفش والكسائي يقال سخرت به ومنه
في سخريتهم منه قولان احدهما انهم كانوا يرونه يبني سفينة في البر فيسخرون ويستهزؤن ويقولون يا نوح
صرت بعد النبوة نجارا الثاني لانه لم يعلم قبلها سفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بليت قالوا يا نوح ما تصنع
قال ابني بيتا يمشي على الماء فعجبوا من قوله سخروا منه قال ابن عباس ولم يكن في الارض قبل الطوفان نهر
ولا بحر فلذلك سخروا منه ومياه الضحاك بقية الطوفان قال ان تسخروا منا اليوم فعما قليل نسخر منكم
السفينة فانا نستخف منكم عذا عند الغرق والمراد بالسخرية هنا الاستجهال ومعناه ان نستجهلوننا
فانا نستجهلكم كما تستجهلونا قوله عز وجل فسوف تعلمون هاهنا من باب التهديد اي معمول
اي فسوف تعلمون اي يا بنية العذاب ويجوز ان تكون من استفهاما اي لدينا يا بنية عذاب وقيل من موضع
رفع بالابتداء ويا بنية الخبر وخزيه صفة لعذاب وحكى الكسائي ان ناسا من اهل الحجاز ينطقون سوف
تعلمون وقال الفراء قال ستعلمون اسقطوا الواو والفا جميعا وحكى الكوفيون سوف تعلمون وابصرت
البصريون لا سوف لفعل وستفعل لغات ليست احداهن من الاخرى ويحل عليه اي يجب عليه وينزل به عذاب
مقيم اي دايم يريد عذاب الاخرة قوله عز وجل حتى اذا جاء امرنا وفار التنور اختلف في التنور اي

اقوال سبعة الاول انه وجه الارض عند العرب تسمى وجه الارض تنورا قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والزهري وابن عيينة وذلك انه قيل له اذا رايت الماء على وجه الارض فاركب انت ومن معك الثاني انه تنور الخبز الذي يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لحواء حتى صار لنوح فقيل له اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب انت واصحابك فابصر الماء من التنور فعلمت به امرأته فقالت يا نوح فارا الماء التنور فقال جاء وعد ربي حتى هذا قول الحسن وقاله مجاهد وعطية عن ابن عباس الثالث انه موضع اجتماع الماء في السفينة عن الحسن ايضا الرابع انه طلوع الفجر ونور الصبح من قولهم نور يور الفجر تنويرا قاله علي بن ابي طالب ايضا وقاله مجاهد قال مجاهد كان ناجيتي التنور بالكوفة وقال اخذ نوح السفينة بخ جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي كندة وكان فورات الماء منه علما لنوح ودليلا على هلاك قومه وقال الشاعر هو امية فار التنور فار تنورهم وجاش بماء صار فوق الجبال الحين علاها الخامس انه اعالي الخطة الارض والمواضع المرتفعة منها قاله قتادة السادس انه العين التي بالجزيرة عين الوردة رواه عكرمة وقال مقاتل كان ذلك تنورا لدم وانما كان بالشام ليعرض فيقال له عين وردة وقال ابن عباس ايضا فارا التنور ادم بالهند وقال الخازن وهذه الاقوال بمعنى فقضية ان الله جل وعز تباطر نا الماء من السما والارض قال ففتحنا ابواب السما بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فهذه الاقوال تجتمع في ان واحدا من ذلك كان علامة والفوران الغليان والتنور اسم اعجمي عربته العرب وهو على بناء فعل ان اصلي بنائه تنر ولكن في كلام العرب نون قبل راء وقيل معنى فارا التنور التهيل لحصول العذاب كقولهم حمي الوطيس اذا اشتد الحرب والوطيس التنور ويقال فارت قدر القوم اذا اشتد حربهم قال تركتم قدركم لا شيء فيها وقدر القوم حامية تفور قوله تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين بين ذكرا وانثى اصل النسل بعدا لطوفان وقرا حفص من كل زوجين اثنين بتنوين كل اي من كل شيء زوجين والفرانان ترجعان الى معنى واحد منهما اخر لا يستغني عنه ويقال للاثنين هما زوجان في كل اثنين لا يستغني احدهما عن صاحبه فان العرب تسمي كل واحد منهما زوجا يقال له زوجا نعل اذا كان له نعلان ولذلك له عنده زوجا حمام وعنده زوجا قيود قال الله تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى وبقال للمرأة هي زوجة وللرجل هو زوجها وقد يقال للاثنين هما زوج وقد يكون الزوج بمعنى الضربين والصنفين من كل ضرب يدعى زوجا قال الله تعالى وانبتت من كل زوج بهيج اي من كل لون وصنف وقال الاعشى وكل زوج من الديباج يلبسه ابو قدامة محبوبا ذاك معا اراد كل ضرب ولون ومن كل زوجين في موضع نصب باحمل اثنين تاكيدا واهلك اي واحمل اهلك الا من سبق منهم في علمي بالهلاك وهو ابنه كنعان وامرأته واعلم كانا كافرين ومن امن قال الضحاك وابن جريج اي احمل من امن بي ايمان صدق منهم في موضع نصب باحمل وما امن معه الا قليل قال ابن عباس امن من قومه ثمانون انسانا نصفهم ثلاثة من بنيه سام وحام ويافث وبلاك كان له ولما خرجوا من السفينة بنوا قرية وهي البرم تدعى قرية الثمانين بناحية الموصل وورد في خبر انه كان في السفينة ثمانية اتمس نوح وامرأته غير التي عوقبت وبنوه الثلاثة ونساؤهم وهو قول قتادة ومقاتل والحكم بن عتيبة وابن جريج ومحمد بن كعب فاصاب حام امرأته في السفينة فدعا نوح الله ان يغير نطفته ففجاء بالسودان قال عطاء ودعا نوح على حام ان يعبد وشعر ولده اذا انهم وانهم حيث ما كانوا ولده يكونون عبيدا لولد سام ويافث وقال ابن عمر كانوا سبعة نوح وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسائهم نوح وبنيه سام وحام ويافث وستة انا س ممن كان امن به واتبعهم جميعا وقليل ما هم وما يجوز نصبه على الاستثنا لان الكلام قبله لم يتم الا ان النابغة في دخوله الا وما لانك لو قلت امن معه فلان وفلان جاز ان يكون غيرهم فذا مر فاذا جيت بما وجب لما بعد الا وبعد عن غيرهم قوله تعالى وقال اركبوا فيها امر بالركوب ويحتمل ان يكون من الله تعالى ويجتمل ان يكون من نوح لقومه والركوب العلو على ظهر الشيء ويقال ركب الدين في الكلام حتى اي اركبوا المائج السفينة وقيل المعنى ادخلوها وفي للتاكيد كقوله تعالى ان كنتم للرويا تعبرون وفائدة في انهم امروا ان يكونوا في جوفها لا على ظهرها قال عكرمة ركب نوح في الفلك لعشر خلون من رجب واستوت على الجودي لعشر خلون من المحرم فذلك سنة اشهر وقال قتادة ولادوهو يوم عاشورا فقال لمن كان معه من كان صايما فليتم صومه ومن لم يكن صايما فليصمه وذكر الطبري في هذا حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من حار كب في السفينة اول يوم من رجب وصام الشهر اجمع وجرت بهم السفينة اول يوم من رجب وصام الشهر اجمع وجرت بهم السفينة الى يوم عاشورا فنبيه ارست على الجودي فصامه نوح ومن معه وذكر الطبري عن ابن اسحق ما يقتضي انه اقام على الماء نحو السنة ومرت بالبيت وطافت به سبعا وتذرفها الله عز الغرق فلم ينج منها غرق ثم مضت الى اليمن ورجعت الى الجودي فاستوت عليها قوله عز وجل بسم الله مجراها ومرساها قراة اهل الحرمين واهل البصرة بضم الميم فيهما الا ابن

شد على معنى بسم الله اجراها وارساها فمجراها في موضع رفع بالابتدا ويجوز ان يكون في موضع نصب ويكون التقدير بسم الله وقت اجرائها ثم حذف وقتا واقيم مجراها مقامه وقرا اهل مكة وعمرو وحمزة والكسائي بسم الله مجراها بفتح الميم ومرساها بضم الميم وروى يحيى بن عيسى عن الاعمش عن يحيى بن وثاب بسم الله مجراها ومرساها بفتح الميم بنيا على المصدر من جرت تجري مجرى ومجرى ورسوا ومرسى اذا ثبتت وقرا مجاهد وسليمان بن جندب وعاصم الجحدري وابو رجا العطاردي بسم الله مجريها ومرسيها بفتح الله عز وجل في موضع جر وان يكون في موضع رفع على اضمار مبتدا اي هو مجريها ومرسيها ويجوز النصب على الحال وقال الضحاك كان نوح عليه السلام اذا قال بسم الله مجراها جرت واذا قال بسم الله مرساها رست وروى مروان بن سالم عن طلحة بن عبد الله بن كريز عن الحسن بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ان لا حيي من الغرق اذا ركبوا فاركبوا انت وقالوا بسم الله الرحمن الرحيم وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وفي هذه الاية دليل على ذكر البسملة عند ابتدا كل فعل علي ما بيناه في البسملة والحمد لله ان ربي لغفور رحيم اي لاهل السفينة وروى عن ابن عباس قال لما كثر في الارض الشرك والمعاصي اوحى الله الى نوح اني مغرق بالماء كل من كان على الارض فاتخذ السفينة فاتخذ نوح السفينة وكان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وعملها ثلثمائة ذراع وكان نوح اذا غرس غرسا قطعوا رؤوسهم فيسخرون منه ويقولون صار نجارا بعد ان كان نبيا فيقول ان الله تعالى يسخر منكم كما تسخرون منا فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وينزل عليه عذاب مقيم حتى اذا فرغ من عملها وكان تنورها من حجارة فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاخبر قومك بالغرق فلما رأى الماء قد نبع من التنور اخبرهم بالغرق فقالوا له فعند ذلك اغتنم ذئب العيال فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث فقال نوح لو خرقت ذنب هذا الخنزير فتخرج كامنه فار وفارة فلما رأتهما اقبلا على السفينة وجالها فقرضها وتقرضن الحبال حتى خافوا على حبال السفينة فاوحى الله الى نوح ان امسح جبهة الاسد فمسحها فخرج منها سنور وان فاكلا الفارة ولما حمل الاسد في السفينة قال يا رب من ابن اطعمه قال سوف اشغله ما هو اضر منك يعني الدهر فحمل نوح من البهائم في الفلك الا وزوجه واخر ما حمل الحمار قال وتعلق ابليس بذنبه وبداه قد دخلت في السفينة ورجلاه خارجة فجعل الحمار يضطرب ولا يستطيع ان يدخل فصاح به نوح ادخل ويلك وان كان معك الشيطان كلما زلت على لسانه فدخل ووثب الشيطان فدخل ثم ان نوحا راى ان يتعهد في السفينة فقال له يا لعين ما ادخلك بيتي قال انت ادنيت لي حتى كرله قال فقم فاخرج قال لا بد لي ان تحملني معك وكان فيما يزعمون في ظهر الفلك وكان مع نوح عليه السلام خرزتان بمضيقتان واحدة مكان الشمس واخرى مكان القمر فبعث سراحا منهما يضيء كبياض النهار والاخرى سوداء كسواد الليل فكان يعرف بهما مواقيت الصلاة فاذا اسود اغلب سواد هذه بياض هذه واذا ابيض اصحوا غلب بياض هذه سواد هذه على قدر الساعات قوله عز وجل وهي تجري بهم في موج كالجبال الموج جمع موجة وهي ما ارتفع عن جملة الماء الكثير عند اشتداد الريح والكاف للتشبيه وهي في موضع خفض نعت للموج وهاهنا تفسير ان الماء جاوز كل شيء بخمسة عشر ذراعا ونادى نوح ابنه قيل كان كافرا واسمه كنعان وقيل يام ويكون على قول سيبويه ونادى نوح ابنه بحذف الواو من ابنه وكان قفرة للمادة وهي مروية عن علي بن ابي طالب وعروة بن الزبير وزعم ابو حاتم انها تجوز على ان يريد يا بنيها ثم حذف الالف كما تقول وانهما فتحذف الواو وقال النحاس وهذا الذي قاله ابو حاتم لا يجوز على مذهب سيبويه لان الالف خفيفة فلا يجوز حذفها والواو ثقيلة يكون حذفها وكان في معزل اي من دين ابيه وقيل عن السفينة وقيل ان نوحا لم يعلم ان ابنه كان كافرا وانه ظن انه مؤمن ولذلك قال له ولا تكن مع الكافرين دسيابي وكان هذا النداء قبل ان يستفحل الطوفان وقيل لرؤيته يا بني اركب بفتح الباء والباقون بكسرها واصل يا بني ان يكون بعد الكاف ياء الا ان ياء التصغير ولام الفعل وياء الاضافة لما ادغمت ياء التصغير في لام الفعل وكسرت لام الفعل لتدل على ياء الاضافة لوقوعها موقع التنوين او لسكونها وسكون الراء في هذا الموضع هذا اصل قراءة من كسر الباء وهو ايضا اصل قراءة من فتح لانه قلب ياء الاضافة الفا لخفة الالف لكونها عوضا من حرف محذوف او لسكونها وسكون الراء قال النحاس ما قرأه عاصم فمشكلة قال ابو حاتم يريد يا بنيا ه ثم يحذف قال النحاس وروايته على بن سليمان يذهب الى ان هذا لا يجوز لان الالف خفيفة قال ابو جعفر النحاس ما علمت ان لاحد من النحويين جوز الكلام في هذا الا ابا اسحق فانه زعم ان الفتح من اثنتين والكسر من اثنتين فالفتح على ان يبدل من الباء الفا قال الله جل وعز اخبارا يا ويلتى كما قال الشاعر * فيا عجبا من رحلها المتحمل * يريد يا بنيا ثم حذف الالف لالتقا الساكنين كما تقول حاي عبد الله في التنبيه والجهة الاخرى ان تحذف الالف لان النداء موضع حذف والكسر على ان تحذف الباء والجهة الاخرى على ان تحذفها لالتقا الساكنين قوله عز وجل قال سآوي اي ارجع الى جبل يعصمني اي يمنعني من الماء فلا اغرق قال لا عاصم اليوم من امر الله الا بما مانع قال ابو عبيدة الا من رحم في موضع نصب الكافرون الكفار وانتصب عاصم على التبرية ويجوز لا عاصم اليوم تكون لا بمعنى ليس الا من رحم في موضع نصب استثنا ليس من الاول ولا يكون من رحمه فهو يعصمه قاله الزجاج ويجوز ان يكون في موضع رفع على ان عاصما معصوم مثل دارع ودافق اي مدفوق فالاستثنا على هذا منفصل قال الشاعر * يطغى القيام رخيم الكلام * اي قيامي وقال الاخر * دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت المطعم الكاسي * اي يكثر المطعوم المكسو قال النحاس ومن احسن ما قيل فيه ان يكون في موضع رفع بمعنى لا معصوم

وقال ابن عباس ان نوحا كان يضرب ثم يلتئم فجعل لقي بينه يرون انه قد مات ثم خرج فيدعوهم حتى اذا
يئس من ايمانهم جاء رجل ومعه ابنه وهو ينوء كاعلى عصا فقال يا بني انظر هذا الشيخ لا يغرنك قال يا ابه
امكنني من العصا فاخذ العصا ثم قام فوضعه فمشى اليه فضربه فشجه شجة موضحة في راسه
وسالت الدما فقال نوح رب قد ترى ما يفعل بي عبادك خافوك لك في عبادك خيرة فاهدهم واذيك عنهم
ذلك فصبر الى ان تكلم وانت خير الحاكمين فاوحى الله اليه وايس من ايمان قومه واخبره انه لم يبق في اصلاب
الرجال ولا في ارحام النساء ممن قال نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
اي لا تحزن عليهم واصنع الفلك باعيننا ووحينا قال قتادة وابن اسحق فغرس الساج عشرين سنة
وكف عنا لدعا وكفوا عن الاستهزاء وكانوا يسخرون منه فلما ادرك النجار امره ربه فقطعها وجففها
فقال يا رب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعله على بلانه صور راسه كراس الديك وصور جؤجؤه كصور جؤجؤ الطير
وذنبه كذنب الديك واجعله مطبقة واجعل لها ابوابا في جنبها وشوها بدسر بعين مسامير الحديد وقوى
الله جبريل فعلمه صنعة السفينة وجعلت يده لا تخطئ قال ابن عباس كانت دار نوح عليه السلام دمشق وانشا
سفينته في خشب لبنان بين زمزم وبين الركن والمقام فلما كملت حمل فيها السلاح والدواب وجعل الوحش
والطير في الباب الثاني واطبق عليها وجعل الادام اربعين رجلا واربعين امراة في الباب الاعلى واطبق
عليهم وجعل الدر معهم في الباب الاعلى لضعفها ان ارياطها الدواب قال الزهري بلغنا ان الله عز وجل بعث
ريحا تحمل السفن كل زوجين اثنين من السباع والطير والوحش والبهائم وقال جعفر بن محمد بعث الله جبريل
فحشرهم فجعل يضرب بيديه على الزوجين فيقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الانثى فيدخل السفينة
وقال زيد بن ثابت استصعبت على نوح المعذرة ان تدخل السفينة فدعها في ذنبها فزلم تكن ذنبها فصار
معقوفا ويدحيها ومسحت السنجة حتى دخلت فمسح على ذنبها فتنشر حياها وقال اسحق اخبرنا رجل من اهل العلم
ان نوحا حمل اهل السفينة وحمل فيها من كل زوجين اثنين وحمل من الهدهد زوجين فمات الهدهد في
السفينة قبل ان تظهر الارض فحملها الهدهد فطاف بها الدنيا ليصيب لها مكانا فلم يجد طينا ولا ترابا
فرجعه ربه فحفر لها في قفاه قبرا فدفنها فيه فذلك الريش الذي في قفا الهدهد موضع القبر فلذلك
تنا فقيه الهدهد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حمل نوح معه في السفينة من جميع الثمر وكانت
العجوة من الجنة مع نوح في السفينة وذكر صاحب العروس وغيره ان نوحا عليه السلام لما اراد ان يبعث غرابه
يخبر الارض قال الرجاج انا فاخذه واخذ على جناحه ونادله فانا مخنوقة لكي لا تطير ابدا ينتفع به احتى نبعث
الغراب فاصابه جيفة فوقع عليها فاختلس فلعنه ولذلك يقتل في الحرم ودعا عليه بالخوف فلذلك لا يالف
البيوت وبعث الحمامة فلم تجد قرارا فوضعت على شجرة بارض بسا فحملت ورقة زيتونة ورجعت الى نوح فعلم
انه لم يستمكن من الارض بعد ذلك فطارت حتى وقعت بوادي الحرم فاذا الماء قد نضب من مواضع الكعبة
وكانت عليتها حمراء فاختضبت رجلاها ثم جاءت الى نوح فقالت ابشر اكبيه منك ان تبقى الطرق في عنقي
والخضاب في رجلي واسكن الحرم فمسح يده على عنقها وطوقها وهب لها الحمرة في رجليها ودعا لها ولذريتها
بالبركة وذكر الثعلبي انه بعث بعد الغراب الهدهد وكان رجل الرجاج وقال اياك ان تقذر بما اصاب الخضرة
والحمرة فلم يرجع ولهذا وادعه عنده رهنا الى يوم القيامة قوله عز وجل ونادى نوح ربه فقال رب ان
ابني من اهلي الى قوله من الجاهلين فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ونادى نوح ربه اي دعاه فقال رب
ابني من اهلي ايمن اهلي الذي وعدتني ان تنجيهم من الغرق ففي الكلام حذف وان وعدك الحق يعني الصدق
قال عطاء وقتادة انما سال نوح ربه ابنه لقوله واهلك وترك قوله الا من سبق عليه القول فلما كان عنده من اهله
بدل على ذلك قوله وانت اعلم الكافرين اي لانك ممن لست منه لانه كان مومنا في ظنه ولم يكن نوح
بقوله لربه ان ابني من اهلي الا وذلك عنده كذلك لا محالة ان يسالها هلاك الكفار ثم سبق في اخبارهم
وكان ابنه يسر الكفر ويظهر الايمان فاخبر الله تعالى نوحا بما هو منفرد به من علم الغيب اي علمت من حال
ابنك ما لم تعلمه انت قال الحسن كان منافقا ولذلك استحل نوح ان يناديه وعنه ايضا كان ابنا من امراته دليله
قراءة علي ونادى ابنها وانت احكم الحاكمين ابتداء وخبر اي حكمت على قوم بالنجاة وعلى قوم بالغرق الثانية
قوله عز وجل قال يا نوح انه ليس من اهلك انه الذين وعدتهم ان انجيهم قال سعيد بن جبير وقال
الجمهور ليس من اهلي دينك ولا ولاية فهو على حذف مضاف وهذا ابد ل على ان حكم الانتفاء في الدين اقرب
من النسب انه عمل غير صالح قرا ابن عباس وعمرو وعكرمة ويعقوب والكسائي انه عمل غير صالح اي من الكفر
والتكذيب واختاره ابو عبيد وقرا الباقون عمل اي ان ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف اليه قال
الزجاج وغيره قال فترفع ما ترتقه حتى اذا ذكرت فانما ما فعال وافعال اي ذات اقبال وادبار وهذا القول
والذي قبله يرجع الى معنى واحد ويجوز ان تكون الها للسوال اي ان سالك اياي ان انجيه عمل غير صالح
قال قتادة وقال الحسن معنى عمل غير صالح انه لم يكن على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغية شده وقال ايضا جاهلا
قال قتادة سالت عنه الحسن عنه فقال والله ما كان ابنه قلت ان الله اخبر عن نوح انه قال ان ابني

لا يوم الا من امر الله الا لراحم اه الله وهذا اختيار الطبري وحسن هذا لانك لم تجعل غاما بمعنى معصوم
فتخرجه من باب ولا بمعنى لكن وجاء بينهما بمعنى بين نوح وابنه فكان من المغرقين قيل انه كان راكبا
على فرس قد بطر بنفسه واعجبها فلما رأى الماء جاء قال يا ابه الحق بي ولا تكن مع الكافرين قال له ابوه يا بني اركب
معنا فلما استيأس من المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة فالتقمته هو وفرسه وحال بينه وبين نوح فغرق
وقيل انه تحذ لنفسه بيتا من زجاج يتحصن فيه من الماء فلما فار التنور دخل فيه واقفله عليه من داخل
فلم يزل يتقوط فيه ويبود حتى غرق بذلك وقيل اذا الجبل غرق بذلك وقيل ان الجبل الذي اوى اليه
طور زيتا قوله عز وجل وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي هذا مجاز لانهما موات وقيل جعل لك
فيهما ما تميز به والذي قاله ابن مجاز قال ابو اسحق كلام العرب والعجم ما ورد فيه مثل هذه الاية على حسن
نظمها وبلاغة وصفها واشتمالها لمعاني فيها وفي ان الله لا يجلي الارض من مطر يحل عام او عام بين وانه
كان لم السما ان يحفظ ملك موكل به الا ما كان من ماء الطوفان فانه خرج منه ما لم يحفظه الملك وذلك
قوله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية فجرت بهم السفينة الى ان تناهى الامر فامر الله الماء المنهمر
من السما بالامساك وامر الارض بالابلاع يقال بلع الماء يبلعه مثل منع يمنع وبلع يبلع مثل حمد يحمد
لغتان حكاهما الكسائي والفراء والبلوعة الموضع الذي يشرب الماء قال ابن الاعرابي انقطع الماء على امر
قد قدر ما كان في الارض وما نزل من السما فامر الله ما نزل من السما بالاقلاع فلم تخرج الارض منه قطرة
وامر الارض بالابلاع ما خرج منها فغاض ذلك قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي وقيل سير
الله بينا الما يذهبا كما يذهب الماء ارض امرها فبلعته وصار ماء السما بخارا قوله تعالى وغيض الماء
اي نقص يقال غاض الشيء وغضته انا كما يقال نقص ينفسه ونقصه غيره ويجوز غيض بضم الغين
وقضي الامر اي احكم وفرغ منه يعني اهلك قوم نوح على تمام واحكام وبقال ان الله تعالى عقم ارحام نسا
نسايهم قبل الغرق باربعين سنة فلم يكن بينهم هلك صغير والصحيح انه اهلك الولدان بالطوفان كما
هلكت الطير والسباع ولم يكن الغرق عقوبة للصبيان والبهايم والطير بل ما توا بما جا بهم وحكي انه لما كثر
الما في السكك حتى بلغ لم صبي عليه وكانت تحبه حبا شديدا خرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الما
خرجت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الما استوت على الجبل فلما بلغ الما رقبتها رفعت يديها بابنها حتى
ذهب بها الما فلو رحم الله منهم لهذا الرحم ام الصبي بقوله تعالى واستوت على الجودي الجودي جبل بقرب
الموصل استوت عليه في العاشر من المحرم يوم عاشورا فصامه نوح وابراهيم وامر جميع من معه من الناس
والوحش والدواب والطير وغيرها فصاموه شكرا لله تعالى وقد تقدم هذا المعنى وقيل كان ذلك
يوم الجمعة وروي ان الله تعالى اوحى الى الجبال ان السفينة ترسى على واحد منها فتطاولت وبقي الجودي
لم يتطاول تواضعا لله فاستوت السفينة عليه وبقيت عليه اعوادها وبزاحدث ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لم ينج منها شيء ادركه اوايل هذه الامة وقال مجاهد نشأ محت الجبال وتطاولت لهلا بما لها الغرق
فعلا الما فوقها خمسة عشر ذراعا وتطامن الجودي وتواضع لامر الله تعالى فلم يغرق ورست السفينة
عليه وقيل ان الجودي اسم لكل جبل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل * سحنة ثم سبحانا يعود له * وقبلنا
سبح الجودي والجمد * وبقال ان الجودي من جبال الجنة فلهذا استوت عليه وبقال اكرم الله ثلاثة جبال
بثلاثة نزل الجودي بنوح وطور سينا بموسى وحرا بمحمد صلى الله عليه وسلم مسئلة لما تواضع الجودي
وخضع عز ولما ارتفع غيره واستعلى ذل وهذه سنة الله في خلقه برفع من تخشع ويضع من ترفع و
لقد احسن القايل * واذا تذللت الرقاب تخضعا * منا اليك فوقها في ذلها * وفي صحيح البخاري
ومسلم عن انس بن مالك قال كانت ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم تسمى العضبا وكانت لا تسبق فجا الاعرابي
على قعود له فسبقها فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا سبقت العضبا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان حقا على الله ان لا يرفع شيا من الدنيا الا وضعه وخرج مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه قال صلى الله عليه
وسلم ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد خرجه البخاري مسئلة
تذكر فيها من قصة نوح مع قومه وبعض ذكر السفينة ذكر الحافظ بن عساكر في تاريخه عن ابن عباس ان نوحا اول
رسول بعثه الله الى الارض وذلك قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين
عاما وكان كثر فيهم الفواحش وكثر فيهم الجبابرة وعتوا عتوا كبيرا وكان نوح يدعوهم قبيلا وبهارا سرا وعلانية
وكانوا حبوه اذا حبوه ولم يلق احدا من الانبيا اشد مما لقي نوح وكانوا يدخلون عليه فيخنقونه حتى يترك
وقيدا ويضربونه في المجالس ويطردونه وكان لا يمنع على ما يصنع به ان يدعهم ويقول رب اغفر لقومي فانهم
لا يعلمون فكان لا يزيد بصبره لذلك الا فرارا منه حتى انه ليكلم الرجل منهم فيلف راسه بثوبه ويجعل اصبعيه
في اذنه لكي لا يسمع شيا من كلامه قد لذلك قول الله تعالى حملوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم وقال
مجاهد وعبيد بن عمير كانوا يضربونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لي لقومي فانهم لا يعلمون

وقال

من اهلي فقال لم يقل مني وهذه اشارة الى انه كان ابن امرأته من زوج اخر فقلت له ان الله حكى عنه انه قال
ان ابني ونادى نوح ربه وما يختلف اهل الكتابين انه ابنه فقال الحسن ومن رغب عن دينه عن اهل الكتاب
انهم يكذبون وقرأ فخانتاهما وقال ابن جريج ناداه وهو يحسب انه ابنه وكان ولد على فراشه وكانت
امرأته بغي قط والله كان ابنه لصلبه وكذلك قال الضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وميمون بن مهران
وغيرهم والله كان ابنه لصلبه وقيل لسعيد بن جبير يقول نوح ان ابني من اهلي اكان من اهله كان ابنه
فسبح الله طويلا ثم قال لا اله الا الله يحدث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ابن ابنه ونقول انه ابنه لغير
كان ابنه ولكن كان مخالفا في النية والعمل والدين ولهذا قال تعالى انه ليس من اهلك لبس مما ينتفى
عنه انه ابنه وقوله فخانتاهما يعني في الدين لا في الفراش وذلك ان هذه كانت تخبر الناس انه مجنون
يخبرون وذلك انها قالت له اما ينظرك ربك فقال لها نعم قالت فمتى قال اذا فار التنور فخرجت
تقول لقومها يا قوم والله ان المجنون يزعم انه ما ينصره ربه الا ان يفور هذا التنور فهذه خيانتهما و
وخيانة الاخرى انها كانت تدل على الاضياف على بابي والله اعلم وقيل الولد قد يسمى عملا كما يسمى
كسبا كما في الخبر ولد كم من كسبكم ذكره الثعلبي الثالثة في هذه الاية تسلية للخلق في فساد
ابنائهم وان كانوا صالحين وروي ان بزمانك من انس نزلوا فوق سطح حمام قد عطا فقال فعل ملك انه
تدفهم الناس فقال ملك الادب ادب الله الادب الاول والامهات والخير خير الله الاجير الاباء والامهات
وفيها ايضا دليل على ان الابن من اهل بيت الرجل وممن هو من اهله دخل في ذلك ابنه ومن تضمنه
منزله وهو في عياله وقال تعالى في ابنه اركب معنا يا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه واهله من الكرب
العظيم فسمى جميع من ضمه منزله من اهله الرابعة دلت الاية على قول الحسن ومجاهد وغيرهما ان الولد
للفراش ولذلك قال نوح ما قال لان الظاهر الفراش وقد روي سفيان بن عيينة عن عمرو
ابن دينار انه سمع عبيد بن عمير يقول قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قضى ان الولد للفراش من اجل ان نوح
عليه السلام ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الولد
للفراش وللعاهر الحجر يريد الخيبة وقيل الرجم بالحجارة وقرأ عروة بن الزبير ونادى نوح ابنها يريد
ان امرأته وهي تفسر القراءة المتقدمة عنه وعن علي رضي الله عنه وهي حجة للحسن ومجاهد انها قراءة
شاذة فلا تترك المتفق عليها لها والله اعلم الخامسة قوله تعالى اني اعظك ان تكون من الجاهلين
اي الجاهلين اياك عن هذا السؤال واحذرك ان لا تكون اوكد اهيئة ان تكون من الجاهلين الا يجتمن
منه قوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا اي يحذركم الله وينهاكم وقيل المعنى ارفعك ان تكون
من الجاهلين قال ابن العربي وهذه زيادة من الله وموعظة يرفع بها نوحا عن مقام الجاهلين ويعليه
الى مقام العلماء العارفين فقال نوح رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم الاية وهذه
ذنوب الانبياء عليهم السلام تشكروا الله تذللا وتواضعا فقال يا نوح اهبط بسلام منا قوله عز وجل
قيل يا نوح اهبط بسلام منا اي قالت له الملائكة او قال الله له اهبط من السفينة الى الارض او من الجبل
فقد ابتلعت الماء وجئت بسلام منا اي بسلامة وامن وقيل بتحية وبركات عليك اي نعم ثابتة مشتق
من بروك الجمل وهو سوبه واتانه ومنه البركة لثبوت الماء فيها وقال ابن عباس لنوح ادم الاصغر
لجميع الخلق الا من سلك ولم يكن معه في السفينة من الرجال والنساء الا من كان من ذريته على قول قتادة غيره
حسب ما تقدم وفي التنزيل وجعلنا ذريته هم الباقين فنبي وعلى امم ممن معك قيل دخل في هذا كل
مؤمن الى يوم القيامة ودخل في قوله وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم كل كافر الى يوم القيامة
وروى محمد بن كعب والتقدير على هذا وعلى ذرية امم ممن معك وذرية امم سنمتعهم وقيل من للتبعيض
وتكون لبيان الجنس وامم سنمتعهم ارتفع وامم على معنى وتكون امم قال الاخفش سعيد كما تقول
كلمت زيدا وعمرو جالس واجاز الفراء في غير القراءة وامما نذيره ونمتع امما واعيدت على مع امم لانه
معطوف على الكاف من عليك وهي ضمير المجرور ولا يعطف على ضمير المجرور الا باعادة الجار على قول
سيبويه وغيره وقد التزم في النساء ببيان هذا مستوفى في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام
بالخفض والمعنى قوله بسلام متعلقة بمحذوف لانه نعت لسلام وعليك في موضع جر متعلق بمحذوف
لانه نعت للبركات ومن في قوله ممن معك متعلق بمحذوف لانه في موضع جر نعت للامم ومعك متعلق
بفعل محذوف لانه صلة لمن اي بمن استقر معك او من معك او ركب معك قوله عز وجل تلك من انباء
الغيب اي تلك الانباء في موضع اخر اي هذا لبناء القصص من انباء ما غاب عنك نوحيها اليك اي
نقف عليها ما كنت تعلمها انت ولا قومك اي كانوا غير عارفين بامر الطوفان والمجوس الا ان ينكروه
وقيل اراد جهلهم بقصة ابن نوح وان سمعوا امر الطوفان على الجملة فاصبر اي اصبر يا محمد على ما
القيام بامر الله بتبليغ رسالته وما تلقى من اذى العرب الكفار كما صبر نوح على اذى قومه قوله عز وجل
والى عاد اخاهم هودا اي وارسلنا نوحا وقيل له اخوهم من جنسهم وكانت القبائل يجمعهم كما تقول يا اخا تميم

وقيل

و قيل انما قيل لهم اخوهم لانه من بني ادم وقد تقدم هذا في الاعراف وكانوا عبدة الاوثان وقيل لهم عاد ان عادا الاولى وعاد الاخرى فهو اسم الاول واما الاخرى فهو شداد ولقمان المذكور ان في نسله تعالى ارم ذات العماد وعاد اسم رجل ثم استمر على قوم انتسبوا اليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره بالخفض على اللفظ وغيره بالرفع على الموضع وغيره بالنصب على الاستثناء ان انتم الا مفترون اي ما انتم في اتخاذكم الها غيره الا كاذبون عليه جل وعز **قوله عز وجل** يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني تقدم معناه والفطرة ابتدا الخلق فلا تعقلون ما جرى على قوم نوح لما كذبوا الرسل **قوله عز وجل** ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه تقدم اول السورة يرسل السماء جزم لانه جواب وفيه معنى المجازاة عليكم مدرارا انتصب على الحال وفيه معنى التكثير اي يرسل السماء بالمطر متتابعا بعضه بعضا والعرب تحذف الهاء في مفعال على النسب واكثر ما ياتي مفعالا لمن افعل وتذكيرها هنا من فعل لانه تردد السحاب نزر وتذر فهي مدرار وكان قوم هود عادا الاولى بتهامة وزروع وعمارة وكانت مساكنهم الرمال التي بين الشام واليمن كما تقدم في الاعراف ويزدكم عطف على يرسل قوة الى قوتكم قال مجاهد شدة ابي شدتكم الضحاك خصبا الى خصبكم على ابن عليبي عزا الى عزكم عكرمة ولدا الى ولدكم وقيل ان الله حبس عنهم المطر ثلاث سنين واعقم الارحام ثلاث سنين فلم يولد لهم ولد فقال لهم هود ان امنتم احيا الله بلادكم ورزقكم المال والولد فتلك القوة وقال الزجاج المعنى يزدكم قوة في النعم ولا تتولوا مجرمين اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه ولا تقيموا على الكفر **قوله عز وجل** قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي حجة واضحة وما نحن لك بمؤمنين اي برادين منهم على الكفر **قوله عز وجل** ان نقول الا اعتراك اي اصابك بسوء لهتنا اي اصنامنا بسوء اي بجنون لسبك اياها عن ابن عباس وغيره يقال لعراه الامر واعتره واعتره اذا المم به ومنه واطعموا القانع والمعتر قال ابن اشهد اي على نفسي واشهدوا اي اشهدكم لانهم كانوا اهل شهادة ولكنه نهاية للتقرير اي لتقروا اني بريء من عبادة الاصنام التي تعبدونها فكيدوني جميعا اي انتم واوثانكم في عداوتي وضري لا تنظرون اي لا تؤخرون وهذا التحدي مع كثرة الاعداء دليل على كمال الثقة بنصر الله تعالى وهو من اعلام النبوة ان يكون الرسول وحده يتوعد لقومه فيؤكد ذلك جميعا وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لقومه ونادى نوح صلى الله عليه وسلم فاجمعوا امركم وشركاءكم الاية **قوله عز وجل** اني توكلت على الله اي رضيت بحكمه وثقت بنصره ما من دابة اي نفس تدب على الارض وهو في موضع رفع بالابتداء الا هو اخذ بناصيتها اي يصرفها كيف شاء ويمنعها مما شاء اي فلا تصلون الي ضره وكل ما فيه روح يقال له داب ودابة والها للمبالغة وقال الفراء مالكها والقادر عليها وقال القتبي قاهرها ان نزا اخذت بناصيته تقدم فهرته وقال الضحاك يحييها ثم يميتها والمعنى متقارب والناصية قصاص الشعر في مقدم الراس وتضع العرب الاقدام والوجوه ونصوا اذا وصفوا ناصيته قالوا بنو جرير اما خضل ناصيته لان العرب تستهل ذلك اذا وصفته بالسماحة والذلة والخضوع فيقولون ما ناصيته فلان الا بيد فلان اي انه مطيع له يصرفه كيف يشاء وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعرفوا بذلك فجزا عليهم فخاطبهم بما يعرفون في كلامهم وقال الترمذي الحكيم قوله تعالى ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها وجدنا ان الله تعالى لما قدر مقادير الاعمال العباد ثم نظر اليها ثم خلق خلقه وتد نفذ بصره في جميع ما هم فيه عاملون من قبل ان يخلقهم فلما خلقهم وضع نواصيهم فتلك النظرة في نواصيهم فتلك السور اخذ بنواصيهم يجريهم اليما قدر لهم المقدرة عليهم برهم المقادير وخلق الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة رواه عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة ولهذا فوت الرسل وصار وا تراوا لي العزم لانهم لاحظوا النواصي فايقنوا ان جميع خلقه منقادون بتلك المقادير فهم تراهم اعمالنا وفرهم خطا تراهم الملاحظة اقوامهم في العزم ولذلك ما قوى هود النبي صلى الله عليه وسلم حتى قال لقومه جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها واما سميت ناصية لانها اعمالها قد نصت وبرزت مرئية الغيب فصارت منصوصة في المقادير تنفذ بصر الخالق في جميع حركات الخلق بقدرته ثم وصفت حركات كل مدب على الارض جميعا في جبهته بين عينيه فتلك الموضع منه ناصية لانها تنص حركات العباد بما قدر لها في الناصية ما خوذه بمنصوص الحركات التي نظر الله اليها قبل ان يخلقها ووصف ناصيتها بوجهين فقال ناصيته كاذبة خاطئة فخبران المنصوص فيها كاذبة خاطئة فعلى هو سبيل ما تاولوه ليستجيز ان تكون الناصية منسوبة الى الكذب والخطا ان ركب على صراط مستقيم قال الخامس الصراط هو المحجة الواضح والمعنى ان الله جل ثناوه وان كان يقدر على كل شيء فانه لا ياخذ الا بالحق وقيل معناه لا خلل في تدبيره ولا تفاوت في خلقه سبحانه **قوله عز وجل** فان تولوا في موضع جزم فلو لكم حذفت منه التوبة والاصل تتولوا فحذفت التا لاجتماع تاءين فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم بمعنى

تربيت لكم ويستخلف ربي قوما غيركم اي يهلككم ويخلق غيركم هو اطوع لله منكم بوحدونه ويعبدونه ويستخلف
مقطوع مما قبله فلذلك ارتفع او معطوف على ما يجيء بعد الفاء من قوله فقد ابلغتكم وروى عن
حفص عن عاصم ويستخلف بالجزم حملا على موضع الفا وما بعدها من ولن تضروه في طغيانهم يعمهون
قوله تعالى وانتم سبا اي بنو ابيكم واعمراكم ان ربي على كل شيء حفيظ اي لكل شيء حافظ على
بمعنى اللام فهو يحفظني ان اتاكون بسوء قوله تعالى ولما جاء امرنا اي عذابنا بهلاك عاد هم
نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا اذا اصرنا ينجوا الا برحمة الله عز وجل وان كانت له اعمال
صالحة ولي صحيح مسلم والبخاري وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل معنى برحمة منا بان بينا لهم الهدى الذي
هو رحمة وكانوا اربعة الاف وقيل ثلاثة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ اي عذاب يوم القيامة وقيل
هو الريح العقيم كما ذكر الله في الذاريات وغيرها وسيأتي قال الشعبي ابو نصر والعذاب الذي نجوا
به النبي اذا حضر ينجي الله منه النبي والمؤمنين معه نعم لا يبعد ان يقتلي الله نبيا وقومه فينجيهم
ببلا فيكون ذلك عقوبة للكافرين وتمحيصا للمؤمنين اذا لم يكن مما توعدهم به النبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى وتلك عاد ابتدا وخبر وحكى الكسائي ان من العرب من لا يصرف عادا يجعله اسما للقبيلة
يجحدوا بالنائك ربهم اي كذبوا بالمعجزات وانكروها وعصوا رسله يعني هودا وحده لانه لم
يرسل اليهم من الرسل سواه وتظير وقوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات يعني النبي صلى الله
عليه وسلم وحده لانه لم يكن في عصره رسل سواه وانما جمع هاهنا لان من كذب رسولا واحدا فقد كفر
بجميع الرسل وقيل عصوا هودا والرسل قبله او كانوا كيف لو ارسل اليهم الف رسول يجحدوا الكل
واتبعوا امر كل جبار عنيد اي اتبع سفاطهم ورساهم واجبار المتكبر والعنيد الطاغي الذي لا يقبل
الحق ولا ينظر له قال ابو عبيدة العنيد والعنود والعاند والمعاند المعارض بالخلاف ومنه قيل
للعرق الذي ينفجر بالدم عاند قال الراجز الى كبير لا اطيق العندا قوله تعالى واتبعوا في هذه
الدنيا لعنة اي الخفوها ويوم القيامة اي واتبعوا يوم القيامة مثل ذلك فالتمام على قوله ويوم
القيامة الا ان عادا لعنوا ربهم قال المبرد اي كفروا نعمة ربهم قال وبقال كفرته وكفرت به مثل شكرته
وشكرت له الا بعدا لعاد قوم هود اذ قالوا هو معذور اذ عرف رحمة الله والبعد الهلاك والبعد يستعمل
من الخير يقال بعد يبعد بعدا اذا تاخر وتباعد وبعد يبعد بعدا اذا هلك قال الله تعالى قوم نوح
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قوله تعالى ناقة الله لكم آية فلا تبعدون ان المنية منهل وكل امرئ يوما به الحال
زايل قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا فيه حذف مضاف تقديره والى ثمود اخاهم صالحا قوله تعالى والى ثمود اي ارسلنا
الى ثمود اخاهم اي في النسب صالحا وتراجيع نسبه والى ثمود بالتنوين في كل القرآن وكذا روي عن
الحسن واختلف سائر القراء فيه وصرفوه في موضع ولم يصرفوه في موضع وزعم ابو عبيدة انه لو لا مخالفة
السواد لكان الوجه ترك الصرف اذا كان الاغلب عليه التانيث قال النحاس الذي قال ابو عبيدة رحمه الله
من ان الغالب عليه التانيث كلام مردود لان ثمودا يقال له حي ويقال له قبيلة ويجيء الغالب عليه القبيلة
بل الامر على ضد ما قال عند سيبويه والاجود عند سيبويه في ما لم يقل فيه بنو فلان الصرف كقولك قريش
وثقيف وما اشبههما وكذلك ثمود والعلة في ذلك ان ما كان اسما للتذكير الاصل وكان يقع له مذكر وله
ومؤنث كان الاصل الاخف او يجوز التانيث جيد بالغ حسن وانشد سيبويه في التانيث * غلب
المسامیح الوليد سماحة * وكفى قريش المفصلات وسادها * الثاني قوله تعالى قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره تقدم هذا في الاعراف اي ابتدا خلقكم من الارض وذلك ان ادم خلق من الارض على
ما تقدم في البقرة والانعام ومعنى منه وقيل انشاكم في الارض ويجوز ادغام القاف في الكاف هو لغة
الاعلى لغة من صرف الواو في الاوراج واستعمركم فيها اي جعلكم عمارها وسكانها قال مجاهد معنى استعمركم
اعمركم من قولهم اعمر فلان فلانا داره فهي له عمري وقال قتادة اسكنكم فيها وعلى هذين القولين يكون
استفعل بمعنى افعل مثل استجاب بمعنى اجاب وقال الضحاك اطال اعماركم وكانت اعمارهم من ثلاث
مائة الى الف ابرعما سواعاشكم فيها ويقال اسلم امركم بعمارة ما تحتاجون اليه فيها من بنا مساكنه
وغرس اشجار فعلى المعنى الهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الانهار وغيرها الثالث
قال ابن العربي قال بعض علمائنا الاستعمار طلب العمارة والطلب المطلق من الله تعالى يقتضي
الوجوب على التراخي ابو بكر تاتي كلمة استفعل في لسان العرب على معان منها استفعل بمعنى طلب
الفعل كقوله استحملته اي طلبت منه حملانا وبمعنى اعتقد كقولهم استسهلت هذا الامر اي اعتقدته
سهلا وجدته ومنه استفعلت بمعنى اصبت كقوله استجدته اي اصبته جيدا ومنها بمعنى فعل كقوله
قرب المكان واستقر قالوا وقوله يستهزؤن ويسخرون منه فقوله تعالى واستعمركم فيها خلقكم
لعمارتها على معنى استجدته واستسهلته اي اصبته جيدا وسهلا وهذا يستجيل في الكائن فيرجع الى

انه حقيقة في المعاينة وقد يعبر عن الشيء بما يدنو منه مجازا والاصح ان يقال انه حقيقة في مجموعهما فان هذا اللفظ يجوز في حقهما انه يصح ان يقال استدعى عمارتها فانه جاء بلفظ استفعل وهو استدعا الفعل بالقول ممن هو دونه اذا كان امرا او طلبا للفعل اذا كان مرادا به الاعلى فلم يذكر استفعل بمعنى افعل مثل قوله استنوق قد بمعنى اونق وقد ذكرناه وهما لغتان ويكون بناء ليدل على السكان والعمر به وقد مضى القول في البقرة في السكن والرقبى واما العمر فاختلف العلماء فيها على ثلاثة اقوال احدها انها تمليك المنافع الرقبة حياة المعمر مدة عمره فان لم يذكر عقبها فمات فالمعمر رجعت الى الذي اعطاها او ورثته هذا قول ابن القاسم ومحمد وزيد بن نسيط والليث بن سعد وهو مشهور مذهب مالك واحد اقوال الشافعي وقد تقدم في البقرة حجة هذا القول الثاني انها تمليك الرقبة ومنافعها وهي هبة مستولة وهو قول ابي حنيفة والشافعي واصحابهما والثوري والحسن بن حي واحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وعبيد قالوا اذا اعمر رجلا شيأ حياته فهو له حياته وبعد وفاته لورثته لانه قد ملك رقبتها ومرط المعطى الحياة او العمر باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمري جائزة والعمري لمن وهبت له القول الثالث ان قال عمرك ولم يذكر العقب كان كالقول الاول وان قال لعقبك كان كالقول الثاني وبه قال الزهري وابو ثور وابو سلمة بن عبد الرحمن بن ابي ذئب وقد روي عن مالك وهو ظاهر قوله في الموطا والمعروف عنه وعن اصحابه انها ترجع الى المعمر اذا انقرض عقب المعمر ان كان المعمر حيا والا فالى من كان من ورثته واولى الناس بميراثه ولا يملك المعمر بلفظ العمري عند مالك واصحابه رقبة شيء من الاشياء وانما يملك بلفظ العمري المنفعة دون الرقبة وقد قال ذلك في الحبس ايضا اذا حبس على رجل وعقبه انه راجع اليه وان حبس على رجل ابيه وكذلك العمري قياسا وهو ظاهر الموطا وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل اعمر رجلا عمري له ولعقبه فقال اعقبتكما وعقبكما بقي منهم احد فانها لمن اعطيها وعقبه وانه لا ترجع الى صاحبها من اجل انه اعطى عطا وقعت فيه المواريث وعنه قال ان العمري التي اجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول هي لك ولعقبك واما اذا قال هي لك ما عشت فانها ترجع الى صاحبها قال معمر وذلك كان الزهري يفتي قلت معنى القول ان يجري مع اهل القول الثاني لان الله تعالى قال واستعمركم بمعنى اعمركم فاعمر الرجل الصالح فيها مدة حياته بالعمل الصالح وبعد موته بالذكر الجميل والثنا الحسن وبالعكس الرجل الفاجر فالدنيا ظرف لهما حياة وموتا وتدبيقا لان الثنا الحسن يجري بحربي العقب وفي التنزيل واجعل لي لسان صدق في الاخرين اي ثنا حسنا وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقال وجعلنا ذريتهم هم الباقين وقال وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين الخامسة قوله جل وعز فاستغفروه اي تنهلوا المغفرة من عبادة الاصنام ثم توبوا اليه اي ارجعوا الى عبادته ان ربي قريب مجيب الاجابة لمن دعاه وقد مضى في البقرة عند قوله فان قريب اجيب الى الدعوة فيه قوله جل وعز قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اي كنا نرجوا ان تكون فينا سيدا قبل هذا اي قبل دعوتك النبوة وقيل كان صالحا يحب المتهم ويبنيها وكانوا يرجعون رجوعه الى دينهم فلما ادعا الى الله قالوا انقطع رجاؤنا منك انتهانا استفهام معناه الانكار ان نعبد ما كان يعبد اباؤنا ان في محل نصب باسقاط حرف الجر وانا لفي شك وفي سورة ابراهيم وانا والاصل وانني فاستثقل ثلاث نونات فاسقط الثالثة مما تدعونا الخطاب لنوح وفي سورة ابراهيم تدعوننا لان الخطاب للرسل اليهم مريب من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة فعلا توجب له بها الريبة قال الهذلي كنت اذا انونه مرعبب ليثم عطفي وبيل ثوبي كانما اربه بذئب قوله جل وعز قل يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة تقدم معناه في قول نوح ثم ينصرني من الله ان عصيته استفهام معناه النفي اي لا ينصرني منه ان عصيته اعد فما تزيدونني تخسير غير تخسير اي تضليل وابعاد من الخير قاله الفراء والتخسير لهما صلى الله عليه وسلم كانه قال تخسير لكم لا بي وقيل المعنى اي ما تزيدونني باحتجاجكم بدين ابائكم غير بصيرة تخساركم عن ابن عباس قوله جل وعز ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية نصب على الحال والعامل معنى الاشارة او التنبيه في هذه وانما قيل ناقة الله لانها اخرجها لهم من حيل على ما طلبوا على انهم يؤمنون وقيل اخرجها من صخرة صما منفردة في ناحية الحجر بنياد لها الكثيبة فلما خرجت الناقة على ما طلبوا قال لهم صالح هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله وحرفت النون فرقا بينها وبين النون التي هي من نفس الكلمة وذروا والاراها شاذا وللنحويين فيه قولان قال سيبويه استغنوا عنه بترك وقال غيره لما كانت اسوا وقبيحة وكان في الكلام حمل معناه واو قبيح السوء قال ابو اسحق الزجاج ويجوز رفع تاكل على الحال والاستيناف وان تمسوها جزم بالنهي بسوء قال الفراء يعذبكم فيما حذركم جواب النهي عذاب قريب اي قريب من عقرها قوله جل وعز فعقروها قال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى فعقروها قالوا انما عقروها بعضهم واضيف الى الكل لانه كان برضى الباقين فقد

تقدم الكلام في عقرها في الاعراف وباقي ايضا فقال تمتعوا في داركم اي قال لهم صالح تمتعوا ايها بنعم الله
عز وجل قبل العذاب في داركم اي في بلدكم ولوارادا المنزل لقال في دوركم وقيل ليتمتع كل واحد منكم
في داره ومسكنه كقوله يخرجكم طفلا اي كل واحد طفلا وعبر عن التمتع بالحياة لان الميت لا يتلذذ و
يتمتع بشيء فعقرت يوم الاربعاء فاقاموا الخميس والجمعة والسبت وانتابهم العذاب يوم الاحد وانما
اقاموا ثلاثة ايام لان الفصيل رغا ثلاثا على ما تقدم في الاعراف فاصفرت الوانهم في اليوم الاول
ثم احمرت في الثاني ثم اسودت في الثالث وهلكوا في الرابع وقد تقدم في الاعراف الثاني استدلا
علما ونا رجاء الله تعالى العذاب عن قوم صالح ثلاثة ايام على ان المسافر اذا لم يجمع على اقامة اربع لبا
قصر لان الثلاثة الايام خارجة عن حكم الاقامة وقد تقدم في النساء الكلام في هذا قوله تعالى
ذلك وعد غير مكذوب اي غير كذب وقيل غير مكذوب فيه قوله تعالى فلما جاء امرنا اي عذابنا نجينا
صالحا والذين امنوا معه برحمة منا تقدم ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ اي من فضيحة
وذلته وقيل الواو زايدة اي نجيناهم من خزي يومئذ لا يجوز زيادتها عند سيبويه واهل البصرة
وعند الكوفيين يجوز زيادتها مع لما وحتى لا غير وقرا نافع والكسائي يومئذ بالنصب الباقون
بالكسر على اضافته يوم الى اذ وقال ابو حاتم حدثنا ابو زيد عن ابي عمرو انه قرا ومن خزي يومئذ
ادخم الياء في الياء واضاف وكسر الميم في يومئذ قال النحاس الذي يروى عن النحويون مثل سيبويه وز
قاد به عن الحسن في مثل هذا الاضافة الى الاسم فلا يجوز ان يلتقي ساكنان ويجوز كسر الذال قوله تعالى
واخذ الذين ظلموا الصيحة اي في اليوم الرابع صيح بهم فماتوا وذكر ان الصيحة والصياح واحد قيل
صيحة جبريل وقيل صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم وماتوا
وتلا هنا واخذ الذين ظلموا الصيحة وقال في الاعراف فاخذتهم الرجفة وقد تقدم بيانه هناك وفي النمل
انهم لما ايقنوا بالعذاب قال بعضهم لبعض هاتوا اسلحتكم لامر بغتة قالوا فما تصنع فاخذوا بو
سيوفهم ورماحهم وعدتهم وكانوا فيما يقال اثني عشر الف قبيلة في كل قبيلة اثنا عشر الف
مقاتل فوقفوا على الطرق والمحاج زعموا فلما قوي العذاب فاوحى الله الى الملك الموكل بالشمس
ان يعذبهم بحرها فاذا هاموا برؤسهم حاشوت ايديهم وبرلت السنتهم على صدورهم من العطش وماء
كل ما كان معهم من البهائم وجعل الما يتفور من تلك العيون من عليها نه حتى يبلغ السما فلم يستطع على شيء الا ابو
اهلكه من شدة حره فلما رأوا ذلك اوحى الله تعالى الى ملك الموت الا يقبض ارواحهم بعد ساعتهم التي
ان غربت الشمس فيصيح بهم فاهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين اي ساقطين على وجوههم قد لصقوا
بالتراب كالطير اذا اجتثمت الا ان ثمود اكفروا بربهم الا بعدا لثمود تقدم معناه قوله تعالى ولقد
جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى هذه قصة لوط عليه السلام وهو ابن عم ابراهيم وكانت قرية لوط بسدوم
من الشام وابراهيم ببلاد فلسطين فلما انزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط مروا بابراهيم ونزلوا
عنده وكان كل من ينزل عنده يحسن نزاله وكانوا مروا ببشارة ابراهيم فظنهم اعيانا فاوهم جبريل
وميكائيل واسرافيل عليهم السلام قاله ابن عباس والضحاك كانوا تسعة اسد بهم اثنا عشر ملكا على صورة
الغلمان الحسان الوجوه ذوو وضاءة وجمال بارع بالبشر فقيل بالولد فقيل باهلاك قوم لوط وقيل
ببشروه بانهم رسل الله جل وعز وامرأة خوفت عليهم عليه فانوا سلاما بنصب بوقوع الفعل عليه كما تقول
قالوا خيرا وهذا اختيار الطبري واما قوله سيقولون ثلاثة فالثلاثة اسم علم قوم يقولون لو فعلنا
جميعا او نصبنا جميعا قالوا سلاما قال وسلام جائز في العربية وقيل انتصب على المصدر وقيل قالوا لو
سلاما اي نالخوه بصواب من القول كما قالوا اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي صوابا فسلاما
بمعنى قولهم لفظ قال معناه ابن العربي واختاره قال الانباري ان الله تعالى لما اراد ذكر اللفظ
قاله بعينه فقال لخبرا عن الملائكة سلام عليكم ما صبر ثم سلام عليكم طبتم وقيل دعوا له والمعنى سلمت
سلاما قال سلام في رفعه وجهان احدهما على اضمار مبتدا اي هو سلام وامري سلام والاخر بمعنى سلام
عليكم اذا جعل بمعنى التحية فاضمر الخبر وجاز سلام على التنكير لكثرة استعماله فحذف الالف واللام كما
حذفت من لاهم في قولك اللهم وقوي سلم قال الفراء السلم والسلام بمعنى مثل الحل والحرم والحلال قوله
تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فيه اربع عشرة مسالة الاولى قوله تعالى فما لبث ان
جاء ان بمعنى حتى قاله كبرا النحويين حكاه ابن العربي التقدير فما لبث عن ان جاء اي ما ابطا عن مجيئه
بعجل فلما حذف حرف الجر بقي ان في محل النصب وفي لبث ضمير اسم ابراهيم وما نافية قاله سيبويه
وقال الفراء تما لبث مجيئه اي ما ابطا مجيئه بعجل حنيذ وحنيذ مشوي وقيل هو الذي المشوي بحر الحجارة و
من غير ان تمسه النار يقال احنذ الشاة احنذا اذا شويتها وجعلت فوقها حجارة محماة لتنضجها
فهي حينئذ وحنذت الفرس احنذه حنذا وهو ان تحفره شوطا او شوطين ثم تظاهر عليه الجل في الشمس
ليعرق فهو محنوذ وحينئذ فان لم يعرق قيل كنا وحنذ موضع قريب من المدينة وقيل الحنيذ السميط بن

عباس وغيره خبيص بصاد وخبيذ بذال معجمة محنوذ واما جا بالعجلان البقرات اكثر اموالهم الثانية
في هذه الاية من ادب الضيف ان يعجل قراه بتقديم الموجود الميسر في الحال ثم يتبعه بغيره ان كان لربه
ولا يتكلف ما يضر به والصيانة من مكارم الاخلاق ومن اداب الاسلام ومن خلق النبيين والصالحين وابراهيم
اول من اضاف على ما تقدم في البقرة ولبست بواجبة عند عامة اهل العلم لقوله صلى الله عليه وسلم
الضيافة ثلاثة ايام وجايزته يوم وليلة فما كان وراء ذلك فهو صدقة والجايزة العطية والصلة
التي اصلها عن الذهب وقاله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ومن كان بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه واكرام الكبير يوجب احماعا لضيافة مثله والله اعلم وذهب الليث
الى وجوبها متمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الضيف حق الى غير ذلك من الاحاديث ولما اشرنا اليه
كفاية والله الموفق للهداية قال ابن العربي وقد قال قوم ان وجوب الضيافة كان في صدر الاسلام ثم نسخ
وهذا ضعيف فان الوجوب لم يثبت والناسخ لم يرد وذكر حديث ابي سعيد الخدري خرجه الائمة وفيه
فاستضيفناهم فابوا ان يضيفونا فلدغ سيدهم الحديث وقال هذا ظاهر في ان الضيافة لو كانت
حقا للامم التي صلى الله عليه وسلم القوم الذين ابوا وليس لهم ذلك الثالثة اختلف العلماء فيمن خاطب
بها فذهب الشافعي ومحمد بن عبد الحكم الى ان المخاطب بها اهل الحضر والبادية وقال مالك ليس على
اهل الحضر ضيافة قال سحنون انما الضيافة على اهل الفلوات واما الحضر فالصدقة تنزل بغير المسافر
واحتجوا بحديث بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة على اهل الوبر وليست على
اهل المدر وهذا حديث لا يصح وابراهيم بن ابي يحيى عند الرواة متروك الحديث منسوب الى الكذب وهذا
مما انفرد به ونسب الى وضعه قاله ابو عمر بن عبد البر قال ابن العربي الضيافة حقيقة فرض على الكفاية
ومن الناس من قال انها واجبة في القرى حيث لا طعام ولا ما يجلاف المراضع فانها مشحونة بالمياه كرامة
فان كان عربيا فهي مرتبة الرابعة قال ابن العربي قال بعض علمائنا ضيافة ابراهيم قليلة فشكرها
الحبيب وهذا حكم بالظن في موضع القطع وبالقياس في موضع النقل من اين علم انه قليل بل نقل المفسرون
ان الملايكة كانوا ثلاثة جبريل وميكايل واسرافيل صلى الله عليهم وعجل لملاكة عظيم مما هذا التقصير
لكتاب الله بالراي لهذا اماتة الله هو التفسير المذموم فاجتنبوه تقتدوا مني وقولوا كما سمعتم السنة
اذا قدم الضيف الطعام ان يبادر المقرم اليه بالاكل فان كرامة الضيف تعجيل التقديم وكرامة صاحب
المنزل المبادرة بالتقرب فلما قبضوا ايديهم تكرهم ابراهيم لانهم مرجوا عن العادة وخافوا الشر وكان
ان يكون وراءهم مكر يقصدونه وروي انهم كانوا يبكون بقداح كانت في ايديهم فجالوا لحم ولا تصل ايديهم
الى اللحم فلما راى ذلك منهم نكرهم واوجس منهم خيفة اي اضمر وقيل احس والوجوس الدخول
قال الشاعر حاء البريد بقرطاس يخب به ٭ فاوجس القلب من قرطاسه جزعا خيفة خوفا اي فزعا
وكانوا اذا اراد العبيد ان ياكل ظنوا به شرا فقالت الملايكة لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط السادسة من
ادب الطعام ان لصاحب الضيف ان ينظر في ضيفه هل ياكل طعامه او ذلك ينبغي ان يكون بتلطف ومسارقة
ولا تجد بدا النظر وبيان ذلك ان اعرابيا اكل مع سليمان بن عبد الملك فراى سليمان يجمع لقمة الاعرابي شعرة فقال
له ازدد الشعرة عن لقمتك فقال له انتظر الى نظر من ترك الشعرة في لقمتي والله ما اكلت معك قلت
وقد ذكر ان هذه الحكاية انما كانت مع هشام بن عبد الملك مع سليمان وان الاعرابي خرج من عنده وهو
يقول ٭ والموت خير من بسيارة ياكل ٭ يلاحظ المراف الاكيل على عمده السابعة قوله جل وعز فلما راى
ايديهم لا تصل اليه نكرهم يقول انكرهم تنزل نكرتك واستنكرتك اذا وجدته على غير ما عهدته قال
الشاعر ٭ وانكرتني وما كان الذي نكرت ٭ من الحوادث الا الشيب والصلعا ٭ يجمع بين اللغتين ويقال
انكرت لما تراه بعينك ونكرت لما تراه بقلبك الثامنة قوله جل وعز وامراته قايمة يحتمل ان تريد الملايكة
قيل كانت من وراء الستر وقيل كانت تخدم الملايكة وهو جالس وقال محمد بن اسحق قايمة تصلي وفي قراءة
عبد بن مسعود ٭ وامراته قايمة وهو قاعد الثانية والسبعون قوله جل وعز فضحكت قال مجاهد وعكرمة
حاضت وكانت ايسة تحقيقا للبشارة والشد على ذلك للمفعول ٭ والحالي العرس عند ظهور
٭ واصحرها يوما اذا الك صاحك ٭ وقال الاخر ٭ وضحك الاراب فوق الصفاة ٭ كمثل دم الجوف
يوم اللقا والعرب تقول ضحكت الكافورة وهي قشرة الطلعة اذا انشقت وقد انكر بعض المفسرين
ان يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا فيه فقيل هو ضحك
التعجب وقال ابو عبيدة ٭ فجا بعرج لم ير الناس مثله ٭ هو الضحك لا انه عمل النخل ٭ وقال ثعلب
ضحكت من خوف ابراهيم ودعوته من ثلاثة نفر وابراهيم في خشمه وضرمه وكان ابراهيم يقوم وحده
بماية رجل قال وليس الضحك الحيض في اللغة بمستقيم وانكر ابو عبيدة والفراء ذلك قالا لان لم اسمعه
من ثقة وانما هو كناية وروي ان الملايكة مسحت العجل فقام من موضعه فلحق بامه فضحكت سارة
عند ذلك فبشروها باسحق ويقال كان ابراهيم عليه السلام اذا اراد ان يكرم اضيافه قام سارة تخدمهم

تركك قولهم له وامراته قايمة اى قايمة فى خدمتهم وقيل قايمة لترويح ابراهيم فضحكت لقولهم لا تخف
سرورا بالامن وقال الفراء فيه تقديم وتاخير المعنى فبشرناها باسحق فضحكت اى ضحكت سرورا بالولد
وتدهمت والله اعلم اى ذلك كان قال النحاس فيه اقوال احسنها انهم لما اكلوا نكرهم وخافهم فلما
قالوا لا تخف وخبروه انهم رسل فرح بذلك فضحكت امراته سرورا بفرحه وقيل انما كانت قالت
له احسب ان هؤلاء القوم سينزل بهم عذاب فضم لوطا اليك فلما جاءت الرسل بما قالت سرت فضحكت
قال النحاس وهذا اذا صح اسناده فهو حسن والضحك الكشاف الاسنان فيجوز ان يكون الضحك اشراق
الوجه تقول رايت فلانا ضاحكا اى مسرقا واثبت على روضة تضحك اى مشرقة وفى الحديث ان الله
يبعث السحاب فيضحك احسن الضحك جعل اخلاه عن البرق ضحكا وهذا كلام مستعاك وروى رجل
من قرايكة يقال له محمد بن زياد الاعرابى فضحكت بفتح الحاء قال المهدوى وفتح الحا فضحكت غير
معروف وضحك يضحك ضحكا ومحكا وضحكا اربع لغات والضحكة المراة الواحدة ومنه قول كثير عزة
غلقت لضحكتة وقال الجاد قاله الجوهرى العاشرة لزيد مسلم عن سهل بن سعد قال دعا ابو اسيد
الساعدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عرسه فكانت امراته يوميذ خادمهم وهى العروس قال سهل
تدرون ما سقت رسول الله صلى الله عليه وسلم انقعت له تمرات من الليل فى تور فلما اكل سقتنه اياه رواه
واخرجه البخارى وترجم له باب قيام المراة على الرجال فى العرس وخدمتهم بالنفس قال العلماء وفيه جواز
خدمة العروس بنفسها واصحابها فى عرسها وفيه انه لا باس ان يعرض الرجل اهله على صالح اخوانه ويستحب
لهم ويحتمل ان يكون هذا قبل نزول الحجاب والله اعلم الثانية عشرة ذكر الطبرى ان ابراهيم عليه السلام لما قدم
العجل قالوا انا لا نكل طعاما الا بثمن فقال لهم عمنه ان تذكروا الله فى اوله وتحمدوه فى اخره فقال جبريل لاصحابه
حق اتخذ الله هذا خليلا انه لاواه اى فقيه وقيل اى رحيم وقيل اى موقن وقيل اى مؤمن وقيل اى كثير الذكر
للملائكة ان يسلكوا فى صفة الادميين حيدا وهيئة ان يتهيا لهم اكل الطعام لانه يا لفى قول
العلماء ارسلهم فى صفة الادميين ليكلف ابراهيم الضيافة الثانية عشرة ودل بعضهم على ان التسمية فى اول
الطعام والحمد فى اخره مشروع فى الامم قبلنا وقد جاء فى الاسرائيليات ان ابراهيم عليه السلام كان لا ياكل وحده
فاذا حضر طعامه ارسل يطلب من ياكل معه فلقى يوما رجلا فلما جلس معه على الطعام قال له ابراهيم بسم الله
فقال الرجل لا ادرى ما الله قال له فاخرج عن طعامى فلما خرج عنه جاء جبريل فقال له يقول لك الله انا
ارزقه على كفره منذ اربعين سنة وانت لم تحتمل عليه بلقمة فخرج ابراهيم فرحا يجر رداءه وقال ارجع فقال
لا ارجع حتى تخبرنى لم نزل لغير معنى فاخبره بالامر فقال له ارجع فرجع فاسلم وادخل وسمى الله واكل فلما
اتم الثمانين عشرة قوله فبشرناها باسحق لما ولد لابراهيم اسماعيل من هاجر تمنت سارة ان يكون لها
ابن وايست لكبر سنها والعشرون يولد يكون بنيا ويلد بنيا وكان هذا بشارة لها بان ترزق ولدا وولدها الرابع
عشر قوله تعالى ومن وراء اسحق يعقوب قرا حمزة وعبد الله بن عامر ليعقوب بالنصب ورفع الباقون
فالرفع على معنى وكدك لها من وراء اسحق يعقوب ويكون ان يرتفع بالفعل الذى يعمل فى من وراء كان المعنى
وثبت لها من وراء اسحق يعقوب ويكون ان يرتفع بالابتداء ويكون فى موضع الكلام لابى لبشرونها باسحق فتلد له
يعقوب واجاز الكسائى والاخفش وابو حاتم ان يكون يعقوب فى موضع جر على معنى وبشرناها
من وراء اسحق يعقوب قال الزجاج لا يجوز الخفض اذا عاد الخافض قال سيبويه ولو قلت مررت
بزيد وعمرا ومررت بعمرو وكان قبيحا حسنا لانك وقفت بين الجر وما يجر به وهما لواو وكما يفرق بين
الجار والمجرور قوله تعالى قالت يا ويلتا الف واناعجوز وهذا يدل على انه مستانف ان الواو فى قوله تعالى
يا ويلتا قال الزجاج اصلها يا ويلتى فابدل من الياء الف لانها اخف والكسرة ولم تترك الياء على لفظها
يا لويل ولكنها كلمة تخفف على افواه النساء اذا طرا عليهن ما يعجبن منه وعجبت من ولادتها وكونها
شيخا لخروجه عن العادة وما خرج عن العادة مستغرب ومستنكر والذى استفهم معناه هو
التعجب وانا عجوزا بيشجة ولقد عجزت تعجز عجزا وعجزت تعجيزا اى طعنت فى السن وقد
يقال عجوزة ايضا وعجزت المراة بكسر الجيم عظمت عجيزتها عجزا وعجزا بضم العين وفتحها قال
مجاهد كانت بنت تسع وتسعين وقيل هذا الثانية قوله وهذا بعلى اى زوجى شيخا نصب على الحال
والعامل فيه التنبيه او الاشارة وهذا بعل ابتداء وخبر وقال الاخفش وجماعة من نحاة ابن مسعود وابى هذا
بعلى شيخ قال النحاس كما تقول هذا زيد قايم فزيد بدل من هذا وقايم خبر الابتداء ويجوز ان يكون
هذا مبتدا وزيد قايم جملتين وحكى سيبويه هذا حلوا حامضا وقيل كان ابراهيم ابن مايه وعشرين
سنة وقيل ابن مايه فكان يزيد عليها فى قول مجاهد سنة وقيل انها عرضت بقولها وهذا بعلى شيخا
ايضا عن تركت عنيا نا لها وناره وهذا نشاة ابراهيم بنتها ان يزاحم بن شاروخ بن ارغو بن فالغ
وباك بنت عم ابراهيم ان هذا لشى عجيب اى الذى بشر نموتنى به لشى معجب قوله تعالى قالوا اتعجبين
من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى قالوا اتعجبين من امر

الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فبارك مسايلا وفي قوله تعالى قالوا اتعجبين من امر الله قالت
وانا عجوز وهذا بعلي شيخا وتعجبت انكرت الملائكة عليها تعجبها من امر الله اي من قضائه وقدره اما
تعجبين من ان يرزقكما الله الولد وانتما اسن وهذه الاية استدل كثير من العلماء على ان الذبيح اسماعيل
وان اسن من اسحق لانها بشرت بان اسحق يعيش حتى يولد له يعقوب وسيأتي الكلام في هذا وبيانه
في الصافات ان شاء الله تعالى الثانية قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم وعلى بيوت
عليكم بكسر الكاف لمجاورتها الياء وهل هو خبر او دعا وكونه اخبارا اشرف لان ذلك يقتضي حصول
الرحمة والبركة لهم المعنى وصل الله لكم رحمته وبركاته اهل البيت وكونه دعا انما يقتضي ان امر
ينرجى ولم يتحصل بعد ونصب اهل البيت على الاختصاص وهذا ذهب سيبويه ويدل على النداء
الثالثة هذه الاية تقطع ان زوجة الرجل من اهل البيت وقد دل على ان ازواج الانبياء من اهل البيت
فعائشة رضي الله عنها وغيرها من جملة اهل البيت النبي صلى الله عليه وسلم ممن قال الله فيهم
ويطهركم تطهيرا او سيأتي الدلالة وذلك الاية ايضا على ان منتهى السلام وبركاته كما اخبر الله عن
صالحي عباده ورحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت والبركة النمو والزيادة ومن تلك البركات ان
جميع الانبياء والمرسلين كانوا من ولد ابراهيم وسارة وروي مالك عن وهب بن كيسان ابي نعيم
عن محمد بن عمر بن عطاء قال كنت جالسا عند عبد الله بن عباس فدخل عليه رجل من اهل اليمن فقال السلام
عليك ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيئا مع ذلك فقال ابن عباس وهو يومئذ قد ذهب بصره من هذا فقالوا
اليماني الذي يغشاك فعرفوه اياه فقال ان السلام انتهى الى البركة وروي عن علي رضي الله عنه انه
قال دخلت المسجد فاذا انا بالنبي عليه السلام في عصبة من اصحابه فقلت السلام عليكم فقال
وعليك السلام ورحمة الله عشرون لي وعشر لك قال ودخلت الثانية فقلت السلام عليكم ورحمة
الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثلاثون لي وعشرة لك فدخلت الثالثة
فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثلاثون لي وثلاثون
لك انا وانت في السلام سواء انك حميد مجيد اي محمود ماجد وقد بينا ما في الاسماء قوله تعالى
فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي الخوف بما اذا راتاع من ركض او اذا خاف قال النابغة فاذا تاع مرصرت
كلاب فبات له طوع الطوامت من خوف وجاءته البشرى اي ابا اسحق ويعقوب وقد قدمنا من
يبشره بانهم انما اتوا لا لعذاب الى قوم لوط وانه ايجاف يجادلنا اي يجادل رسلنا واضاف الى
نفسه لانهم نزلوا بامره وهذه المجادلة لم يرد بها حميد بن هلال عن جذب عن حذيفة وذلك انهم
لما قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية قال لهم ارايتم ان كان فيها خمسون من المسلمين اتهلكونهم
قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قالوا فثلاثون قالوا لا فعشرون قالوا لا قال فان كان
فيها عشرة او خمسة نشك حميد قالوا لا وقال قتادة نحو ذلك فقال يعني ابراهيم قوم ليس
فيهم عشرة من المسلمين احرى فيهم وقيل ان ابراهيم قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها
قالوا لا فقال ابراهيم فعند ذلك كان فيها لوط قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله الا امرأته كانت من الغابرين قال عبد الرحمن بن سمرة كانوا اربع مائة الف ابن جرير وكان
في قرى قوم لوط اربعة الاف الف وذهب الاخفش والكسائي ان يجادلنا في موضع جادلنا قال
النحاس لما كان جواب لما يجب ان يكون بالماضي حمل المستقبل مكانه وليم جواب اخر ان يكون يجادلنا
في موضع المحال اي اقبل يجادلنا وهذا قول الفراء ان ابراهيم لحليم اواه منيب تقدم في براءة معنى
اواه حليم والمنيب الراجع يقال اب اذا رجع وابراهيم صلى الله عليه وسلم كان راجعا الى الله
تعالى في اموره كلها وقيل الاواه المتاوه اسفا على ما فات فان قوم لوط من الايمان قوله جل وعز
يا ابراهيم اعرض عن هذا اي دع عنك الجدال في قوم لوط انه قد جاء امر ربك اي عذابه لهم وانهم
اتيهم اي نازل بهم عذاب غير مردود اي غير مصروف عنهم ولا مدفوع قوله جل وعز ولما جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم وكانوا بين ابراهيم وقرية لوط اربعة فراسخ بعثت
بنتا لوط وهما يستقيان لها الملائكة وراتاهيئة حسنة فقالتا فان اهلها اصحاب العوا حثر انها
من يضيفنا قالتا نم هذا الشيخ واشارتا الى لوط فلما راى لوط هيئتهم خاف قومه عليهم سيء بهم
اي ساءه مجيئهم يقال ساءه يسوءه فهو ساء ومساه يسوه فهو منقد ايضا وان شئت ضممت السين لان اصله
الضم والاصل سوئ بهم من السوء قلبت حركة الواو على السين فانقلبت يا اوان خففت الهمزة
القيت حركتها على الياء فقلت سيء بهم مخففا ولغة شاذة بالتشديد وضاق بهم ذرعا اي
ضاق صدره بمجيئهم وكرههم وقيل ضاق وسعه وضاقته واصله ان يذرع البعير ببديه فمتى ما
سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل على اكثر من طوقه ضاق عن ذلك ووصفت وهو عنقه
فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع وقيل هو من ذرعه الذي اي غلبه اي ضاق عن حمله المكروه

في نفسه وانما ضاق ذرعه بهم لما رأى من جهالهم وما يعلم من نسق قومه وقال هذا يوم عصيب اي شديد
في الشر وقال الشاعر وانك ان لم ترض بكر بن وايل بكر يوما العراق عصيبه وقال اخر يوم
عصيب يعصب الابطال عصب القوي السلم الطوال ويقال عصيب وعصبصب على
التكثير اي بكروه مجتمع الشر وتعصب اي عصبه بالشر عصابة ومنه قيل عصبة وعصابة
اي يجتمعوا الكلمة اي يجتمعون في التسمم وعصبة الرجل المجتمعون معه في النسب وتعصبت لفلان
صرت كعصبه ورجل معصوب اي مجتمع الخلق قوله تعالى وجاء قومه يهرعون اليه اي يسرعون
قال الكسائي والفراء وغيرهما من اهل اللغة لا يكون الاهراع الا اسراعا مع دعوة يقال اهرع الرجل
اهراعا اي اسرع في رعدة من برد او غضب او حمى وهو يهرع قال ابن مقبل فجاؤا يهرعون اسارب
نفر وجمع على زنة الوقوف وقال الاخر بمعجلات نحوه مهارع وهذا مثل ولع فلان بالامر وارعد
زيد وزهي فلان وحمى ولا يستعمل الا على هذا الوجه وقيل اهرع اي اهرعه حرصه وعلى هذا يهرعون
اي يستحثون عليه ومن قاد بالاول قال لم يسم الا اهرع الرجل اي اسرع على لفظ ما لم يسم فاعله
قال ابن التوطية هرع الانسان هرعا واهرع اي استحث قال ابن عباس وقتادة والسدي يهرعون
يهرولون الضحاك كانهم يساقون ابن عيينة كانهم يدفعون وقال الشعبي عطية هو مشي بين الهرولة والجمز
وقال الحسن مشي بين مشيين والمعنى متقارب وكان سبب اسراعهم ما روي ان امرأة لوط الكافرة
لما رأت الاضياف وجمالهم وهيئتهم خرجت حتى اتت مجالس قومها فقالت لهم ان لوطا قد اضاف الليلة
فتية ما رؤي مثلهم جمالا وكذا وكذا فجيئذ جاؤا يهرعون اليه ويذكر ان الرسل لما وصلوا الى بلد
لوط وجدوا لوطا في حرث له وقيل وجدوا ابنته تستقي ماء في نهر سدوم فسألوها الدلالة على من
يضيفهم وان هيئتهم خافت عليهم من قوم لوط وقالت لهم مكانكم وذهبت الى ابيها فاخبرته
فخرج اليهم فقالوا نريد ان تضيفنا الليلة فقال لهم اوما سمعتم بعمل هؤلاء القوم فقالوا وما عملهم
فقال اشهد بالله انهم لشر قوم في الارض وتكلم الله عز وجل قال للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد لوط
عليهم اربع شهادات فلما قال لوط هذه المقالة قال جبريل لاصحابه هذه واحدة وتردد القول
بينهم حتى كرر لوط الشهادة اربع مرات ثم دخل بهم المدينة قوله تعالى ومن قبل اي ومن قبل مجيء الرسل
وقيل من قبل لوط كانوا يعملون السيئات ايه كانت عادتهم اتيان الرجال فلما جاؤا الى لوط وقصدوا
اضيافه قام اليهم لوط مرتفقا وقال هؤلاء بناتي انذروا وخبروا وخلف في قوله هؤلاء بناتي فقيل كان
له ثلاث بنات من صلبه وقيل بنتان دون سواه وزعموا فقيل كان لهم سيدان مطاوعان فاراد ان يزوجهما
ابنتيه وقيل لزعمهم في هذه الحالة الى النكاح وكانت سنتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة وقد كان هذا
في اول الاسلام جائزا ثم نسخ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنتا من عتبة بن ابي لهب واخرى من
ابي العاص بن الربيع قبل الوحي وكانا كافرين وقالت فرقة منهم مجاهد وسعيد بن جبير اشار بقوله هؤلاء
بناتي الى النساء جملة اذ نبي القوم ابوهم ويقوي هذا ان في قراءة ابن مسعود النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهات المؤمنين وهو اب لهم وقالت طائفة انما كان الكلام حذفة ولم يرد امضاءه
روي هذا القول عن ابي هريرة عبيدة كانها للذي يبغي بهن كما قال الفرزدق اولئك آبائي فجئني بمثلهم
عكرمة لم يعرض عليهم بناته ولا بنات امته وانما قال لهم هذا ليمتنعوا قوله تعالى هن اطهر لكم ابتدا
وخبر اي ازوجكموهن فهو اطهر مما تريدون اي احل والتطهر التنزه عما لا يحل وقال ابن عباس كان
رؤساؤهم خطبوا بناته فلم يجبهم واراد ذلك اليوم ان يفرق اضيافه ببناته وليس الف اطهر
للتفضيل حتى نبوهم ان في نكاح النساء طهارة بل هو كقولك الله اكبر واعلى واجل وان لم يكن تفضيلا
وهذا جائز شايع في كلام العرب ولم يكابر الله تعالى احد حتى يكون الله تعالى اكبر منه وقد قال
ابو سفيان بن حرب يوم احد اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوا له قولوا الله اعلى واجل
وهبل لم يكن قط عالما ولا جليلا وقراءة العامة برفع الراء وقرأ الحسن وعيسى بن عمر من اطهر بالنصب
على الحال ومن غمز ولا يجيز الخليل وسيبويه والاخفش ان يكون هن ها هنا عمادا وانما يكون
عمادا فيما لا يتم الكلام الا بما بعدها نحو كان زيد هو اخاك لندخلها على ان الاخ ليس بمنعوت قال
الزجاج ويدخلها على ان كان تحتاج الى خبر وقال غيره يدخلها على ان الخبر معرفة او ما قاربها قوله
قوله تعالى فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي اي لا تهينوني ولا تذلوني ومنه قول حسان بن
فاخزا لا ربي يا عتيب بن مالك * ولقاك قبل الموت احرب الصواعق * مدت يميني للذي نقماته
ودينه فقطعت بالبوارق ويجوز ان يكون من الخزاية وهو الحياء والخجل قال ذو الرمة خزايتي
ادركته بعد جولة من جانب الجبل مخلوطا بالغضب وقال الاخر من البيض لا يجزى اذا الرمح هفتت
مرطها او زايل الحلي جيدها وضيف يقع للاثنين والجميع على لفظ الواحد لانه في الاصل مصدر وقال
الشاعر لا تفزعي الدهر شقا الجار للضيف احق ازير * ويجوز فيه التثنية والجمع والاول اكثر

كقولك

كقولك رجل صوم وفطر وزور وحري الرجل جزاينزا بالكسر مثل دلوهان وخزي خزيا اذا
افتضح يجري بينهما جميعا ثم وخمهم بقوله اليس منكم رجل رشيد اي شديد بالمعروف ينهى عن
المنكر وقيل رشيد اي ذا رشد بمعنى راشد ومرشد اي صالح او مصلح بن عباس ومن اوما لك
ناه عن المنكر وقيل الرشيد بمعنى الرشد والمرشد والرشد والرشاد الهدي والاستقامة ويجوز
ان يكون بمعنى المرشد كالحكم بمعنى المحكم قوله جل وعز قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ردي
ان قوم لوط خطبوا بناته فردهم وكانت سنتهم اي من رد في خطبة امراة لم تحل له ابدا لذلك قوله لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق وبعد ان لا يكون هذه الخاصية فوجه انه ليس لنا الى بناتك من حق تعلق
واصر قصدنا ولكنها عادة تطلب ذلك وانك لتعلم ما نريد بما شارة الى الاضياف قوله جل وعز قال لو
ان لي بكم قوة لما راي استمرار رحم في بينهم وضعف عنهم ولم يقدر على دفعهم حتى لو وجد عونا على
ردهم فقاله على جهة التفجع والاستكانة لو ان لي بكم قوة اي انصارا واعوانا وقال ابن عباس اراد
الولد وان في موضع رفع بفعل مضمر لتقديره لو ان تقوى او ترفع وهذا يطرد في
ان التابعة للو وجواب لو محذوف اي لرددت اهل الفساد وحلت بينهم وبين ما يريدون
او اوي الي ركن شديد اي انجا واضوي وتريا واوى بالنصب عطفا على قوة كانه قال لو ان لي
بكم قوة او بوا الى ركن شديد اي وان اوي فهو منصوب باضمار ان ومراد ومراد لوط بالركن العشيرة هو
والمنعة بالكثرة وبلغ فيه قبيح فعلهم الى قوله هذا مع علمه بما عند الله تعالى فيروى ان الملايكة وحدت
عليه حيث قالوا هذه الكلمات وقالوا ان ركنك لشديد وفي البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد الحديث وقد تقدم في البقرة وخرجنا الترمذي
وزاد ما بعث الله بعده نبيا الا في ثروة من قومه قال محمد بن عمر والثروة الكثرة والمنعة حديث حسن
ويروى ان لوطا عليه السلام لما علم قومه وهموا بكسر الباب وهو بمسكة قالت له الرسل تنح عن الباب
نتنحى وافتح الباب وضربهم جبريل بجناحه فطمس اعينهم وعموا وانصرفوا على اعقابهم يقولون النجا
قال الله تعالى ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم وقال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط الباب
بابه والملايكة معه في الدار وهو يناظر قومه وينا شدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار
فلما رات الملايكة ما لقي من الجهد والكرب والنصب بسببهم قالوا يا لوط ان ركنك لشديد وانهم
انهم عذاب غير مردود انا رسل ربك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه
على ما تقدم وقيل اخذ جبريل قبضة من تراب وازراهانج وجوههم فاوصل الله الى عين من بعد وسن
ترب وجعلوا يقولون النجا النجا ان في بيت لوط قوما هم اسحر من على وجه الارض وتسوروا فاعموا ابصارنا وجعلوا يقولون يا لوط كما انت حتى فستر بما يتوعدونه قوله جل وعز قالوا يا لوط
انا رسل ربك لما رات الملايكة حزنه واصطرابه وشدة غمه عرفوه بانفسهم فلما علم انهم رسل لم يكن قومه من
الوصول تامر جبريل عليه السلام بيده على اعينهم فعموا وعلى ابوابهم فحفت لم يهتدوا اليك اي بكروه
ناسر باهلك قرئ فاسر بوصل الالف وقطعها لغتان فصيحتان قال الله تعالى والليل اذا يسر
وقال سبحان الذي اسرى وقال النابغة تجمع بين اللغتين اسرت عليه من الجوزا ساريه تزجى الشمال
عليه جامده البرده وقال اخره الا حي لصبر وربة الخدر امرته عليه ولم تكن تسري وقد قيل
فاسر بالقطع اذا سار من اول الليل وسر بالوصل اذا سار من اخره وايهما كان في النهار فالاسار وقال بيده اذ
المرء يسري ليلة ظن انه قضى عملا والمرء ما عاش عامله وقال سعيد بن جبير واصحابه عند الصباح
يحمد القوم السري وتنجلي عنهم غيابات الكرب بقطع من الليل قال ابن عباس بطائفة من الليل وهو
الضحاك ببقية من الليل قتادة بعد مضي صدر من الليل الاخفش بعد جنح من الليل وقيل بظلم
من الليل وقيل بعد هدء من الليل وكلها متقاربة وقيل ان نصف الليل ما خوذ من قطعه نصفين
ومنه قول الشاعر وناجية تنوح بقطع ليل على رجلا بقارعة الصعيد فان قيل
لا تكون الا بالليل فما معنى بقطع من الليل فالجواب انه لو لم يقل بقطع من الليل جاز ان يكون الا بالليل
جاز ان يكون اوله ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر وراه منكم احد قاله مجاهد ابن عباس لا يختلف منكم
احد على ابن عيسى لا يشتغل منكم احد بما يجلبه من مال او متاع الا امراتك وكذا في قراءة ابن مسعود
فاسر باهلك الا امراتك فانه استثنا من الاهل وعلى هذا لم يكن خرج بها معه وقد قال الله عز وجل كانه
من الغابرين اي من الباقين وقرا ابو عمرو وابن كثير الا امراتك بالرفع على البدل من احد وانكر
هذه القراة جماعة منهم ابو عبيد وقالا لا يصح ذلك الا برفع يلتفت ويكون نفيا لان المعنى يصير هو
اذا ابدل وجرت ان المراة ابيح لها الالتفات وليس المعنى لذلك قال النحاس وهذا اكمل من ابي
عبيد وغيره على مثل ابي عمرو مع جلالته ومحله من العربية لا يجب ان يكون والرفع على البدل
له معنى صحيح والتاويل له على ما حكى محمد بن الوليد عن محمد بن يزيد ان يقول الرجل لحاجته لا تخرج

فلان تلفظ النهي لفلان معناه لا يحاطب اي لا تدعه يخرج ومثله قولك لا يقم احد الا زيد يكون
معناه انهم عزا القيام الا زيد اذكر النهي للوط ولفظه لغيره كانه قال انهم ان لا يلتفت منهم
احد الا امراتك ويجوز ان يكون استثنا من النهي عزا التفات اي كلام تمام اي لا يلتفت منكم
احد الا امراتك فانها ملتفت وتهلك واذ لوط خارج لما دهى قومه ممن اسرى بهما لا يلتفت فلم
يلتفت منهم احد سوى زوجته فانها لما سمعت شدة العذاب والكناية في ان يرجع الى الامر والشان
اي فان الامر والشان والقصة مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح لما قالت الملايكة انا مهلكو
اهل هذه القرية قال لوط لان الان استعجلهم بالعذاب لغيظة على قومه فقالوا ليس الصبح و
بقريب وقرا عيسى بن عمر اليس الصبح بضم الباء وهي لغة ويحتمل ان يكون جعل الصبح ميقاتا
لهلاكهم لان التفوس فيها ودح والناس فيه اجمع وقال بعض اهل التفسير ان لوطا خرج بابليه
ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر وان الملايكة قالت له ان الله قد وكل بهذه القرية ملايكة معهم
صوت رعد وخطف برق وصواعق عظيمة وقد ذكرنا لهم ان لوطا سيخرج بهم فتودوه وامارته
ان لا يلتفت ولا يلتفت ابتناه فلا يهلكونك فانزل فخرج لوط وطوى الارض حتى وقفت حتى نجا
ووصل الى ابراهيم قوله تعالى فلما جاء امرنا اي عذابنا جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل
عليه السلام ادخل جناحه تحت قرى قوم لوط وهي خمس سدوم وهي القرية العظمى وقاموريا وزاد
وما وصعوا وقتم فرفعها من تخوم الارض حتى ادناها من السما بما فيها حتى سمع اهل السما نبيح كلابهم
وصياح ديكتهم لم تنكفئ لهم جرة ولم ينكس على وسهم وابتعهم الله بالجارعة مقاتلا هلكت
اربعة ونجت صعوا وقبل غير هذا والله اعلم قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل دليل على
ان من فعل فعلهم حكمه الرجم وقد تقدم في الاعراف وفي التفسير امطرنا في العذاب ومطرنا في الرحمة
واما كلام العرب فيقال مطرت السما وامطرت حكاه الهروي واختلف في السجيل فقال البخاري
السجيل الشديد الكثير سجل وسجين اللام والنون اختان وقال ابو عبيدة السجيل الشديد
والشده منه بالنوا من كلامه الاول سجيناه الخاسر ورد عليه هذا التول عبد الله بن مسلم وقال
هذا سجين وذلك سجيل فكيف يستشهد به قال الخاسر وهذا الرد لا يلزم لان ابا عبيدة ذهب
الى ان اللام تبدل من النون لقرب احدا هما من الاخرى وقول ابي عبيدة يرد من جهة اخرى وهي انه لو
كان على قوله لكان حجارة سجيلا انما يقال لحجارة الارحا سجيل وحكى عنه محمد بن الجهم ان سجيلا
طين يطبخ حتى يصير بمنزلة الارحا وقالت طايفة منهم ابن عباس وسعيد بن جبير وابن اسحق ان سجيلا
لفظة غير عربية عربت اصلها سنج وجيل وبنا دستك وكيل بالكاف توضع الجيم وهما بالفارسية
حجر وطين عربتهما العرب فجعلتهما اسما واحدا وقيل هو من لغة العرب وقال قتادة وعكرمة السجيل
الطين بدليل قوله لنرسل عليهم حجارة من طين وقال الحسن كان اصل الحجارة طينا فشدت
والسجيل عند العرب كل شديد صلب وقال الضحاك يعني الاجر وقال ابن زيد طين طبخ حتى
كان كالاجر وعنه ان سجيلا اسم لسما الدنيا ذكره المهدوي وحكاه الثعلبي عن ابي الطايفة وقال ابن
عطية وهذا ضعيف يرده وصفه بمنضود وعن عكرمة انه كوكب معلق في الهوا بين السما والارض
منه نزلت الحجارة وقيل هي جبال في السما وهي التي اشار الله تعالى اليها في قوله وينزل من جبال
فيها من برد وقيل هو ما سجل لهم اي كتب لهم ان يصيبهم ثم في معنى سجين قال الله تعالى وما
ادراك ما سجين كتاب مرقوم قاله الزجاج واختاره وقيل هو فعيل من اسجلته اي ارسلته فكانها
مرسلة عليهم وقيل هو من اسجلته اذا اعطيته فكانه عذاب اعطوه قال ثم يسأجلني بسأجل ماجدا
• بلا الدلو الى عقد الكرب • وقال اهل المعاني السجيل والسجين الشديد من الحجر والضرب
قال ابن مقبل • ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصى به الابطال سجينا منضودا قال ابن عباس و
متتابع وقال قتادة بعضها فوق بعض وقال الربيع نضد بعضه على بعض فهو منضود ونضيد
ونضد قال ورفعنا الى السجين فالمضد وقال ابو بكر الهذلي معد اي هو مما اعده الله لاعدايه
الظلمة مسومة اي معلمة من السما وهي العلامة اي كان عليها امثال الخواتيم وقيل مكتوب
على كل حجر اسم من رمي به وكانت لا تشاكل حجارة الارض وقال الفراء عموا انها كانت مخططة بحمرة
وسواد في بياض فذلك تسويمها وقال كعب كانت معلمة ببياض وحمرة وقال الشاعر وعلام
رماه الله بالحسن باقباله • سيما لا تشق على البصر • ومسومة من نعت حجارة ومنضود من
نعت سجيل وفي قوله عند ربك دليل على انها ليست من حجارة الارض قاله الحسن وما هي من الظالمين
ببعيد يعني قوم لوط الم نكن نخبرهم وقال مجاهد يرهب وقريشا المعنى ما الحجارة من ظالمي قومك
يا محمد ببعيد وقال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعد
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيكون في اخر امتي قوم يكفي رجالهم بالرجال والنسا

بالنساء فاذا كان ذلك فارتقبوا عذاب قوط ان يرسل الله عليهم حجارة من سجيل ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي من الظالمين ببعيد في رواية عنه عليه السلام لا يذهب الليالي والايام حتى يستحل هذه الامة ادبار النساء فتصيب طوائف من هذه الامة حجارة من ربك وقيل المعنى ما هو القرن من الظالمين ببعيد وهي بين الشام والمدينة وجاء ببعيد مذكر على معنى مكان بعيد وفي الحجارة التي امطرت قولان احدهما انها امطرت على المدن حين رفعها جبريل الثاني انها امطرت على من لم يكن في المدن من اهلها وكان خارجا عنها قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا الى مدين ومدين هم قوم شعيب وفي تسميتهم بذلك قولان احدهما انهم بنو اميدين بن ابراهيم فقيل مدين والمراد بنو امدين كما يقال مضر والمراد بنو مضر الثاني انه اسم مدينتهم فنسبوا اليها قال النحاس لا ينصرف مدين اعبدوا الله مالكم من الهة غيره تقدم في الاعراف هذا المعنى وزيادة قادبا قوم اعبدوا الله مالكم من الهة غيره تقدم ولا تنقصوا المكيال والميزان كانوا مع كفرهم اهل تجسر وتطفيف كان اذا جاءهم البايع بالطعام اخذوا بكيل ارجح واستوفوا بغاية ما يقدرون وظلموا وان جاءهم مشتر بالطعام باعوه بكيل ناقص وسحجوا له فهذا ما يقدرون فامروا بالايمان اولا عن الشرك وبالوفاء نهيا عن التطفيف الى اراكم بخير اي في سعة من الرزق وكثرة من النعم وقال الحسن كان سعرهم رخيصا واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط وصف اليوم بالاحاطة واراد وصف ذلك اليوم بالاحاطة بهم فان يوم العذاب اذا احاط بهم فقد احاط العذاب بهم وهو كقولك يوم شديد ابه شديد حره واختلف في ذلك العذاب فقيل هو عذاب النار في الاخرة وقيل عذاب الاستيصال في الدنيا وقيل غلاء السعر روي معناه عن ابن عباس وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ظهر قوم البخس في المكيال والميزان الا ابتلاهم الله بالقحط والغلا وتقدم قوله تعالى ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط امر بالايفاء بعد ان نهى عن التطفيف تاكيدا والايفاء الاتمام بالقسط اي بالعدل والحق والمقصود ان يفعل كل ذي نصيب ولا يبخس يريد ايضا الكيل والموزون لانه لم يكن لهم وزن وانما كان بالمكيال وبالميزان بل اراد لا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود وكذا الصنجات ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي لا تنقصوهم مما استحقوه شيئا ولا تعثوا في الارض مفسدين بين ان اكبابهم في المكيال والميزان مما لغة في الفساد في الارض وقد مضى في الاعراف زيادة لهذا والحمد لله قوله تعالى بقية الله خير لكم اي ما يبقيه الله بعد اسقاط المكوف بالتطفيف اكثر بركة واحمد عاقبة مما تنقونه انتم بالتطفيف قيل التطفيف بالتجر والظلم قاله معناه الطبري وغيره وقال مجاهد بقيت الله خير لكم يريد طاعته وقال الربيع وصية الله وقال الفراء مراقبة الله بن يدرجه الله قتادة والحسن حظكم من ربكم خير لكم وقال ابن عباس رزق الله خير لكم ان كنتم مؤمنين شرط هذا انهم انما يوفون صحة هذا اذا كانوا مومنين وقيل يحتمل انهم كانوا يعترفون بان الله خالقهم فخاطبهم بذلك وما انا عليكم بحفيظ اي رقيب ارقبكم عند كيلكم ووزنكم اي لا غلكني شهود كل معاملة تصدر منكم او احفظكم بانا الحق وقيل اي لا انهيا لي ان احفظكم فزال الله نعم الله عليكم بمعاصيكم قوله تعالى قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك وقرئ اصلاتك تامرك من غير جمع تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا اي في موضع نصب وقال الكسائي موصولها خفض على اضمار الباء وروي ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلاة مواظب العبادة وفرضها ونفلها وتبين الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فلما امرهم ونهاهم عبروه بما راوه يستمر عليه من كثرة الصلاة واستهزءوا به فقالوا ما اخبر الله عنهم وقيل ان الصلاة هنا بمعنى القراءة قاله سفيان عن الاعمش اي قراءتك تامرك ودل بهذا على انهم كانوا كفارا وقال الحسن لم يبعث الله نبيا الا فرض عليه الصلاة والزكاة اذا ان يفعل في اموالنا ما نشاء زعم الفراء ان التقدير اصلواتك تامرك ان نفعل في اموالنا ما نشاء وقرا السلمي والضحاك بن قيس اوان نفعل في اموالنا ما نشاء بالتاء على الفعل والمعنى ما نشاء انت يا شعيب وقال النحاس اوان على هذه القراءة معطوفة على ان الاولى وروي عن زيد بن اسلم انه قال مما نهاهم عنه حذف الدراهم وقيل معنى اوان نفعل في اموالنا ما نشاء اذا انزاضينا فيما بيننا بالبخس فلا تمنعنا منه انك لانت الحليم الرشيد يعنون عند نفسك بزعمك ومتلم في صفة اي جهلوا فانك انت العزيز الحكيم اي عند نفسك بزعمك وقيل انما قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية قاله قتادة ومنه قولهم للحبشي ابو البيضاء وللابيض ابو الجون ومنه قول خزنة جهنم لابي جهل فانك انت العزيز الكريم وقال سفيان بن عيينة العرب تصف الشيء تضده للتظرف والتقاد كما قيل للديغ سليم وللفلاة مفازة وقيل هو تمريض في الاراده وابراز السب واحسن في هذا كله وبدل ما قبله على صحته اي انت الحليم الرشيد هنا فكيف تامرنا ان نترك ما يعبد اباؤنا ويدل عليه اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا انكروا الامرا وانكثرة

صلاته وعبادته وانه حليم رشيد بان يكون يامرهم بترك ما يعبدانهم ويعده ايضا ما يدل عليه قال
يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا اي نبوة فلا انهاكم عن الضلال وهذا كله يدل
على انه قالوه على وجه الحقيقة وانه اعتقادهم فيه ويشبه هذا المعنى قول اليهود من بني قريظة للنبي
صلى الله عليه وسلم حين قال لهم يا اخوة القردة فقالوا يا محمد ما علمناك جهولا مسيلمة قال الهذلي
التنسير كان مما بينهما عنه وعذبوا اجله قطع الدنانير والدراهم كانوا يقرضون من اطراف الصحاح
لتفضل لهم القراضة وكانوا يتعاملون على الصحاح عددا وعلى المقروضة وزنا وكانوا يتجنبون
في الوزن وقال ابن وهب قال مالك كانوا يكسرون الدنانير لذلك قال جماعة من المفسرين المتقدمين
كسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وغيرهما ذنب عظيم وفي كتاب ابي داود عن علقمة بن عبد الله عن
ابيه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكسر المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس فانما اذا كانت
صحاحا قام معناها وظهرت فائدتها واذا كسرت سقطت وبطلت منها الفائدة فامر ذلك بالناس ولذلك حرم
وتقبل في تاويل قوله تقالب وكان في المدينة فتنة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون انهم كانوا
يكسرون الدراهم قاله زيد بن اسلم وقال ابو عمر بن عبد البر زعموا انه لم يكن بالمدينة اعلم بتأويل القرآن
من زيد بن اسلم بعد محمد بن كعب القرظي قاله اصبغ قال عبد الرحمن بن قاسم بن خالد بن جناده مولى بني
ابي الحرث المفتي بمصر هاهنا تقبل شهادته وان اعتذر بما له لم يجز وابو بصير هذا موضع عذر قال
ابن العربي اما قوله لم تقبل شهادته فلانه اتى كبيرة واكثر ما يتسقط العدالة دون الصغائر واما قوله
انه يقبل عذره بالجهالة في هذا فلانه امر بين لا يخفى على احد وانما يقبل العذر اذا اظهر الصدق فيه او خفي
وجه الصدق فيه وكان الله اعلم بسر العبد كما قال مالك مسيلمة اذا كان هذا معصيته وفسادا تتردد بالشهادة
فانه يعاقب من فعل ذلك ومن اجل المسيب برجل قد جلد فقال ما هذا فقال رجل يقطع الدنانير والدراهم
قال ابن المسيب هذا من الفساد في الارض وامر بنفيه وكتب عن سفيان وقال عبد الرحمن بن مهدي
كتب تاخذ عند عمر بن عبد العزيز وهو والد ذاك امير المدينة فاتي برجل يقطع الدراهم وقد شهد
عليه فضربه وحلقه فامر فضيفه وامره ان يقول هذا جزاء من يقطع الدراهم ثم امره ان يرد اليه
فقال انه لم يمنعني ان اقطع يدك الا اني لم اكن قد مت في ذلك قبل اليوم وقد تقدمت في ذلك فشار
فليقطع قال القاضي ابو بكر العربي اما ادبه بالسوط فلا كلام فيه واما حلقه فقد فعله عمر وقد كنت ايام
الحكم اضربه واحلقه اما كنت افعل ذلك بمن يسرق شعره عونا له على المعصية وطريقا الى التجمل في
الفساد وهذا هو الجواب في كل طريق للمعصية ان يقطع اذا كان غير مؤثر في البدن واما قطع يده فانما
اخذ ذلك عمر من فضل السرقة وذلك ان قرض الدراهم غير كسرها فان الكسر افساد للوصف والقرض
والقرض تنقيص للقدر فصار اخذه على جهة الاختفاء فان قيل ليس الحرز اصلا في القطع قلنا
يحتمل ان يكون عمر يرى ان تهيئها يصير للفصل بين الخلق دينارا او درهما حرزها حرز كل شيء على
قدر حاله وقد انفذ ذلك ابن الزبير وقطع يد رجل في قطع الدنانير والدراهم وقد قال علماؤنا المالكية
اذا قطع الدنانير والدراهم خوابيها اسمها لو قطع على قول اهل الثاني بدرهم كسر خاتم الله كان اهلا
لذلك او بمكسر خاتم سلطان عليه اسم ادب وخاتم الله تقضى به الحوائج فلا ينبغي ان في العقوبة
قال ابن العربي وارى ان يقطع في قرضها وكسرها وقد كنت افعل ذلك ايام تولية الحكم الا اني كنت
محفوظا بالجهال فلم اجب بسبب القتال للحسدة الضلال ثم قدر عليه يوما من اهل الحق فليفعله
احتسابا بالله تعالى قوله جل وعز قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي وقد رزقني منه رزقا
حسنا اي واسعا حلالا وكان شعيب عليه السلام كثير المال قاله ابن عباس وغيره وقيل اراد به نور
الهدى والتوفيق والعلم والمعرفة في الكلام حذف وهو ما ذكرناه اي افلا انهاكم عن الضلال وقيل
المعنى ارايتم ان كنت على بينة من ربي اتبع الضلال وقيل المعنى ان كنت على بينة من ربي انا مرسل بي
بالعصمة في الخير والتظيف وقد اعتاني الله وما اريد ان اخالفكم في موضع نصب
بما اريد الى ما انهاكم عنه اي ليس ابتاكم عن شيء وتاركيم كما انهاكم ان اريد الا الاصلاح ما
ما استطعت اي ما اريد الا فعل الصلاح اي ان نصلحوا دنياكم بالعدل واخرتكم بالعبادة وقال
ما استطعت لان الاستطاعة من شروط الفعل دون الارادة وما مصدرية اي ان اريد الا الاصلاح
جهدي واستطاعتي وما توفيقي اي رشدي والتوفيق الرشد الا بالله عليه توكلت اليه اعتمدت
واليه انيب ارجع فيما ينزل بي من جميع النوائب وقيل اليه ارجع في الاخرة وقيل الانابة الدعاء
ومعناه ولله ادعوا قوله جل وعز ويا قوم لا يجرمنكم وقرا يحيى بن وثاب يجرمنكم شقاقي في موضع
موضع رفع ان يصيبكم في موضع نصب اي لا يحملنكم معاداتي على ترك الايمان فيصيبكم ما اصاب
الكفار قبلكم قاله الحسن وقتادة وقيل لا يكسبنكم شقاقي اصابتكم العذاب كما اصاب من كان
قبلكم قاله الزجاج وقد تقدم معنى يجرمنكم في المائدة والشقاق في البقرة وهو هنا بمعنى العداوة

قاله

قاله السري ومنه قول الاخطل * انزبلغ عني رسولا مكيف وجدتم طعم الشقاق * وقال الكسائي اظاريب
وقال قتادة فرائي وياقوم لوط منكم ببعيد اي بمكان بعيد فلزلك وحدا ببعيد قال الكسائي اب
ود ورحيم في دوركم قوله تعالى ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود وتقدم
ود ودا سمان من اسمائه سبحانه وتقدبينا ما في شرح الاسماء قال الجوهري ودد ت الرجل اوده وداذا
احببته والود والمحبة والود والمودة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر شيئا
قال ذاك حظيي من الدنيا قوله تعالى قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول انهم لما لم يحملنا على
امور غايبة مرا ليمك والنشور وتعطنا بالاعهد لنا بمثله وقيل قالوا ذلك اعراضا عن سماعه واحتقارا
الكلامه بقال فقه يفقه اذا فهم فقها وفقها وحكى الكسائي فقهانا وفقه فقها اذا صار فقيها وانا
لنراك فينا ضعيفا قيل انه كان مصابا ببصره قاله سعيد بن جبير وقتادة وقيل كان ضعيف البصر
قاله الثوري وحكى عنه النحاس مثل قول سعيد بن جبير وقتادة قال النحاس وحكى اهل اللغة
ان حميرا تقول للاعمى ضعيف اي قد ضعف بذهاب بصره كما يقال له ضرير اي قد مر بذهاب بصره كما
يقال كفوف اي قد كف على النظر بذهاب بصره اكسن معناه مهين وقيل المعنى ضعيف البدن
حكاه علي بن عيسى وقال السدي وجيدا لبيرك جندا وعوانا نقدر بها على مخالفتها وقيل قلة له
المعرفة بمصالح الدنيا وسياستها هلنا وضعيفا نصب على الحال ولولا رهطك رفع بالابتداء ورهط
الرجل عشيرته الذي يستند اليهم ويتقوى بهم ومنه الراهط لحجر الذي يوضع لا ثفية القدر ونحوها
فيرولده ومعنى لرجمناك لقتلناك بالرجم وكانوا اذا قتلوا انسانا رجموه بالحجارة وكان رهطه
من اهل ملتهم وقيل معنى لرجمناك لشتمناك ومنه قول الحطيئة * ترا جمنا بالقول نصبر كانما
ترشا رهاء * والرجم ايضا اللعن ومنه الشيطان الرجيم وما انت علينا بعزيز اي ما انت علينا
بغالب ولا قاهر ولا ممتنع قوله تعالى قال يا قوم ارهطي اعز عليكم رفع بالابتداء والمعنى لو
ارهطي لحي قلتم اعز عليكم من الله واعظم واجل ولهذا لم تقتلوه وزاركم ظهريا اي اتخذتم ما جيتكم
به من امر الله ظهريا اي جعلتموه وراء ظهوركم وانتقلتم ترتتلى مخالفة قومي يقال جعلت امره بظهر
اذا تصرف فيه وقد مضى في البقرة ان ربي بما تعملون ايمن الكفر والمعصية محيط اي عليم وقيل
حفيظ قوله تعالى ويا قوم اعملوا على مكانتكم اي عامل سوف تعلمون تهديد ووعيد وقد تقدم
في الانعام مرا يتيه عذاب يخزيه اي يذله كم ومن اي موضع نصب مثل يعلم المفسد من المصلح ومن هو كاذب
عطف عليها وقيل اي وسوف تعلمون من هو كاذب منا وقيل في محل رفع لتقديره ويخزى من هو كاذب
وقيل لتقديره ومن هو كاذب فسيعلم كذبه ويذوق وبال امره وزعم الفراء انهم انما جاءوا بهو في
ومن هو كاذب لانهم لا يقولون من قايم انما يقولون من قايم ومن يقوم ومن القايم فزادوا هو ليكون
جملة لتقوم مقام فعل ويفعل قال النحاس ويدل على خلاف هذا قوله * من رسول الى التريا بابيك
* صفت ذرعا بيحرها والكتاب * وارتقبوا اني معكم رقيب اي انتظروا العذاب والسخطة
انا بي منتظرا لنصر والرحمة قوله تعالى ولما جاء امرنا قيل صاح بهم جبريل صيحة فخرجت
ارواحهم من اجسادهم فماتوا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذ الذين ظلموا الصيحة يعني صيحة
جبريل وانث الفعل على لفظ الصيحة وقال في قصة صالح واخذ الذين ظلموا الصيحة فذكر على معنى
الصياح قال ابن عباس ما اهلك الله امتين بعذاب واحد الا قوم صالح وقوم شعيب اهلكهم الله
بالصيحة غير ان قوم صالح اخذتهم الصيحة من تحتهم وقوم شعيب اخذتهم الصيحة من فوقهم ناموا
في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود تقدم معناه وحكى الكسائي ان اباعبد
الرحمن السلمي قرأها بعدت ثمود بضم العين قال النحاس المعروف في اللغة انما يقال بعد يبعد
بعدا وبعدا اذا هلك وقال المهدوي من ضم العين من بعدت حتى لغة تشتمل في الخير والشر ومصدرها
البعد ولعوت يستعمل في الشر خاصة يقال بعد يبعد بعدا فالبعد على قراءة الجماعة بمعنى
اللعنة ويجمع معنى اللغتين لتقاربهما في المعنى فيكون مما جاء مصدره على غير لفظه لتقارب
المعاني قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بيان ان تبع الذي لاقامة الحجة وازاحة كل علة
بايانا اي بالتوراة وقيل بالمعجزات وسلطان مبين اي حجة بينة بين العصا وقد مضى في آل
عمران معنى السلطان واشتقاقه فلا معنى للاعادة الى فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون اي شانه
وحاله حتى اكذبوه الكفار وخالفوا امر الله وما امر فرعون برشيد اي ليس بذي رشد بل هو في
ضلال وقيل برشيد اي بمرشد الى خير قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة يعني انه يتقدمهم الى النار
كما كان يقدمهم في الدنيا فاوردهم بئس يدهم فدما وقدما ان تقدمهم فاوردهم النار اي ادخلهم فيها
ذكر بلفظ الماضي والمعنى فيوردهم النار وما تحقق وجوده فكانه كاين فلهذا يعبر عن المستقبل
بالماضي ويعبر الوارد المورود اي بئس المدخل المدخول ولم يقل بئست لان الكلام يرجع الى الورد

وقد جاء مثله في كلام العرب لا تكلم نفس الا باذنه والمأذون فيه من الكلام انما يلجؤن الى ترك القبيح
وقيل المعنى لا تكلم بحجة ولا شفاعة الا باذنه وقبل ان لهم في الموقف وقتا يمنعون فيه من الكلام الا
باذنه وهذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقال في موضع من ذكر القيامة واقبل
بعضهم على بعض يتلاومون وقال يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال وقفوهم انهم
مسئولون وقال يوم يدع الداع الى شيء نكر وانتشار الاجداث والجواب ما ذكرناه وانهم
لا ينطقون بحجة تنجيهم وانما يتكلمون بالاقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضا وطرح بعضهم
الذنوب على بعض فاما التكلم والنطق بحجة لهم فلا وهذا كما تقول للذي يخاطبك كثيرا وخطابه
خارج ممن الحجة ما تكلمت بشيء فسمي من يتكلم بلا حجة فيه له غير متكلم وقال يوم ذلك ليوم طويل وله مواطن
ومواقف في بعضها يمنعون من الكلام وفي بعضها يطلق لهم الكلام فهذا يدل على انه لا تكلم نفس الا باذنه
فمنهم شقي وسعيد اي من لا نفس او من الناس وقد ذكرهم في قوله يوم يجموع له الناس وذلك يوم
كتب عليه الشقاوة والسعيد الذي كتب عليه السعادة قال لبيد
ومنهم سعيد احذ بنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة فانع * وروى الترمذي عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب قال لما نزلت هذه الاية
منهم شقي وسعيد سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله فعلى ما نعمل على شيء قد
فرغ منه وجرت به الاقلام يا عمر ولكن كل ميسر لما خلق له قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه
لا نعرفه الا من حديث عبد الملك بن عمير وقد تقدم في الاعراف بيان هذا المعنى فاما الذين شقوا فهم
في النار في موضع الخبر وكذا لهم فيها زفير وشهيق قال ابو العالية الزفير من الصدر والشهيق من
الحلق وعنه ايضا ضد ذلك وقال الزجاج الزفير شدة الانين والشهيق من الانين المرتفع جدا قال
وزعم اهل اللغة من البصريين والكوفيين ان الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمير في النهيق والشهيق
بمنزلة صوت الحمار في النهيق وقال ابن عباس عكسه قال الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت
الضعيف وقال الضحاك وبقاتل الزفير مثل اول نهيق الحمار والشهيق مثل آخره حين يفرغ من
صوته قال الشاعر حشرج في الجوف صهيلا واشهق * حتى يقال ذا فاق وما شهق وقيل
الزفير اخراج النفس وهو ان يملأ الجوف مما فيخرجه بالنفس والشهيق رد النفس وقيل الزفير مبدأ
ترديد النفس من شدة الحزن ما خوذ من الزفر وهو الحمل على الظهر لشدته والشهيق النفس الطويل
الممتد ما خوذ من قولهم جبل شاهق اي طويل وقال الزجاج الزفير واشهيق من اصوات الحمير وفي قوله
خالدين فيها ما دامت السموات والارض ما دامت في موضع نصب على الظرف اي دوام السموات والارض
والتقدير وقت ذلك واختلف في تاويل هذا فقالت طائفة منهم الضحاك المعنى ما دامت
سموات الجنة والنار وارضها والسماء كل ما علاك فاظلك والارض ما استقرت عليه قدمك وفي
التنزيل واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء وقيل اراد به السماء والارض المعهودتين
في الدنيا واحتجوا لذلك على عادة العرب في الاخبار عن دوام الشيء وتاديده كقولهم لا تيك ما اختلف
ليل ونهار وما سال سيل وما اختلف الليل والنهار وما ناح الحمام وما دامت السموات والارض ونحو هذا
مما يريدون به طولا من غير نهاية فاوجبهم الله تخليدا الكفرة بذلك ولان كان قد اخبر بزوال السموات
والارض وعن ابن عباس ان جميع الاشياء المخلوقة اصلها من نور العرش وان السموات والارض في الاخرة
تردان الى النور الذي جاءتا منه فهما داخلتان فيه ابدا فيكون في نور العرش قوله تعالى الا ما شاء
ربك في موضع نصب لانه استثنا ليس من الاول وقد اختلف فيه على اقوال عشرة الاول
انه استثنا من قوله ففي النار كانه قال الا ما شاء ربك من تاخير قوم عن ذلك وهذا قول
رواه ابو نضرة عن ابي سعيد الخدري وجابر رضي الله عنهما وانما قيل ان هذا المراد العدد
لان الاشخاص لا تعود له ما طابسلكم وعن ابي نضرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من شاء ان لا يدخلهم
وان شفوا بالمعصية الثاني ان الاستثنا انما هو للعصاة من المؤمنين في اخراجهم بعد مدة من النار
وعلى هذا يكون قوله واما الذين شقوا عاما في الكفرة والعصاة ويكون الاستثنا من الخالدين
قاله قتادة والضحاك وابو سنان وغيرهم وفي الصحيح من حديث انس عن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد اهل النار من جهنم حتى اذا صاروا كالحممة اخرجوا منها ودخلوا الجنة
فيقال هؤلاء الجهنميون وقد تقدم هذا المعنى في النساء وغيرها الثالث ان الاستثنا
من الزفير والشهيق اي لهم فيها زفير وشهيق الا ما شاء ربك من انواع العذاب الذي لم يذكره وكذلك
لاهل الجنة من النعيم ما ذكر وما لم يذكر حكاه ابو اسحاق الزجاج الرابع قال ابن مسعود خالدين فيها
ما دامت السموات والارض يعني في قبورهم الا ما شاء ربك يعني من سبق عليه الشقاء
وتفنيهم ثم يجدد خلقهم قلت وهذا القول ظاهر بالكافر والاستثنا في اهل الكبائر
الخامس ان الا بمعنى سوى كما تقول في الكلام ما معي رجل الا زيد ولي عليك الف درهم

وهكذا تتزود نعم المتزود ادراك ونعمت المتزود ادراك والورد الماء الذي يورد والموضع الذي يورد وهو
بمعنى المفعول قوله جل وعز واتبعوا في هذه لعنة اي في الدنيا ويوم القيامة اي ولعنة يوم
القيامة وقد تقدم هذا المعنى بيسير الرفد المرفود وحكى الكسائي وابو عبيدة رفدته ارفده رفدا اي
اي اعنته واعطيته واسم العطية الرفد اي بيسير العطاء والاعانة والرفد الرفد ايضا القدح الضخم
قاله الجوهري والتقدير بيسير الرفد رفد المرفود ذكر الماوردي انا الرفد بفتح الراء القدح والرفد
بكسرها ما في القدح من الشراب حكى ذلك عن الاصمعي فكأنه ذم بذلك ما استقوه في النار وقيل ان
الرفد الزيادة اي بئس ما يرفدون به بعد الغرق النار قاله الكلبي قوله جل وعز ذلك من انباء
القرى نقصه عليك ذلك رفع على اضمار مبتدا اي الامر ذلك وان شئت بالابتدا والمعنى ذلك النبا
المتقدم من انباء القرى نقصه عليك منها قايم وحصيد قال قتادة القايم ما كان خاويا على عروشه
والحصيد ما اثر له وقيل القايم الغامر والحصيد الخراب قاله ابن عباس وقال مجاهد قايم
خاوية على عروشها وحصيد مستاصل يعني محصودا كالزرع اذا حصد وقال الشاعر والناس
في قسم المنية بينهم كالزرع منه قايم وحصيد وحصاد مثل مرضى ومراض قال يكون فيمن يعقل
حصدي مثل قتيل وقتلى وما ظلمنا اصل الظلم في اللغة وضع الشي في غير موضعه وقد تقدم في
البقرة مستوفى ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وحكى سيبويه انه يقال ظلم اياه فما اغنت
دفعته عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شي في الكلام حذف اي التي كانوا يعبدون
لما جاء امر ربك وما زادوهم تتبيب اي غير تخسير قاله مجاهد وقتادة وقال لبيد
بلينا وكل صاحب حدثا بعده لبلى بعود وذاكم التتبيب والتباب الهلاك والخسران وقيل اصنامهم
ما زادتهم غير ما نة الاصنام بحذف المضاف اي كانت عبادتهم اياها فزادتهم تبابا في الاخرة
قوله جل وعز وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى اي كما اخذ هذه الكفرة اهلك القرى التي كانت لنوح وعاد
وثمود واخذ جميع القرى الظالمة وقرا الحجازي وطلحة بن مصرف وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى
وعن الحجازي ايضا ولذلك اخذ ربك كالجماعة اذا اخذ القرى قال المهدوي من قرا وكذلك اخذ ربك اذا
اخذ فهو اخبار عما جرت به العادة في اهلاك من تقدم من الامم والمعنى وكذلك اخذ ربك من اخذه
من الامم المهلكة اذا اخذهم وتوافق الجماعة على انه مصدر والمعنى اخذ ربك مرار اذا اهلاكه مستمر
اخذه ثان لما مضى اي حين اخذ القرى واذا للمستقبل وهي ظالمة اي واهلها ظالمون فحذف
المضاف مثل واسال القرية ان اخذه اليم شديد اي عقوبته لاهل الشرك موجعة عظيمة
وفي صحيح مسلم والترمذي من حديث ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة الاية
وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب قوله جل وعز ان في ذلك لاية اي لعبرة وموعظة
لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مبتدا وخبر مجموع من نعت له الناس لم يسم فاعله ولهذا
لم يقل مجموعون فان قدرت الفاعل الناس مبتدا والخبر مجموع له فاعلم يقل مجموعون على
هذا التقدير لان لم يقم مقام الفاعل والجمع الحشر اي يجمعون لذلك اليوم ليوم مشهود اي
يشهده البر والفاجر ويشهده اهل السما وقد ذكرنا هذا في الاسرى مع غيره مما ورد السما النبيانة في
كتابه التذكرة وبينا هما والحمد لله قوله جل وعز وما نؤخره اي ما نؤخر ذلك اليوم الا لاجل معدود
اي لاجل سبق به قضاؤنا وهو معدود عندنا يوم يات اي وقت يوم يات لان ايا تحذف اذا كان
قبلها كسرة تنقل الا ذكره النقاش قال الخليل وسيبويه وابو عمرو والكسائي
باثبات الياء في الادراج وحذفها في الوقف وروي ان ابيا وابن مسعود قرا يوم ياتي بالياء
في الوقف والوصل وقرا الاعمش وحمزة يوم ياتي بغير ياء في الوقف والوصل قال ابو جعفر
النحاس قال الاخفش انما تحذف الياء لان الكسرة تدل عليها وانما تحذف الياء والكسرة
وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب قوله جل وعز ان في ذلك لاية اي لعبرة وموعظة
لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مبتدا وخبر مجموع من نعت له الناس لم يسم فاعله ولهذا
لم يقل مجموعون فان قدرت الفاعل الناس مبتدا والخبر مجموع له فاعلم يقل مجموعون على
هذا التقدير لان لم يقم مقام الفاعل والجمع الحشر اي يجمعون لذلك اليوم ليوم مشهود اي
يشهده البر والفاجر ويشهده اهل السما وقد ذكرنا هذا في الاسرى مع غيره مما ورد السما النبيانة في
كتابه التذكرة وبينا هما والحمد لله قوله جل وعز وما نؤخره اي ما نؤخر ذلك اليوم الا لاجل معدود
اي لاجل سبق به قضاؤنا وهو معدود عندنا يوم يات اي وقت يوم يات لان ايا تحذف اذا كان
قبلها كسرة تنقل الا ذكره النقاش قال الخليل وسيبويه

الا ما شاء ربك من الخلود الذي علمك قبل ذا المعنى ما دامت السموات والارض سوى ما شاء ربك من الخلود الذي سألت
انما استثنى الاخراج وهو يريد ان يخرجهم منها كما تقول في الكلام اردت ان افعل ذلك الا ان شاء
غيره وانت مقيم على ذلك الفعل فالمعنى انه لو شاء ان يخرجهم لاخرجهم ولكنه قد اعلمهم انهم
خالدون فيها ذكر هذا بعد القول الذي للزجاج عن اهل اللغة قال واهل المعاني قولان احدهما ان
القولين خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك من مقدار موقفهم على رأس
قبورهم وللمحاسبة وقدر مكثهم في الدنيا والبرزخ والوقوف للحساب والقول الآخر
وقوع الاستثناء في الزيادة على النعيم وتقديره خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك من زيادة النعيم لاهل النعيم وزيادة العذاب لاهل الجحيم فلما استثنا
في الزيادة تم الخلود على عدة كون السما والارض المعهودتين في الدنيا واختاره الترمذي الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي ابي خالدين فيها مقدار دوام السموات والارض وذلك مدة العالم
وللسما والارض وقت يتغيران فيه وهو قول نبدل الارض غير الارض خلق الله السموات
سبحانه الهم ذهبيين وعالمهم واشتراهم انفسهم واموالهم بالجنة وعلى ذلك يا ليتهم يوم الميثاق
فمن وفى بذلك العهد نالها الجنة ومن ذهب برقبته فخلد في النار بمقدار دوام السموات والارض
فانما دمنا للمعاملة وكذلك اهل الجنة خلودهم في الجنة بمقدار ذلك ما دامت مدة المعاملة وقع
الجميع في مشيئة الله تعالى الله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقنا هما
الا باكتنى فيخلد اهل النار بمقدارهما وهو حق الربوبية بذلك المقدار من العظمة ثم
اوجب لهم الابد في كلتا الدارين الاخرية فمن لقيه موحدا احد نبيه بقي في داره ابدا ومن لقيه
مشركا باحد نبيه انها بقي في السجن ابدا فاعلم ايها العباد مقدار الخلود ثم قال الا ما شاء ربك من زيادة
المدة التي تحير القلوب عن ادراكها لانها غاية لها فنبا الاعتقاد دوام خلودهم في الدارين ابدا وقد
قيل ان الا بمعنى الواو وتأله الفراء وبعضهم اهل النظر وهو الناظر والمعنى وما شاء ربك من الزيادة
في الخلود على مدة دوام السموات والارض في الدنيا وقد قيل في قوله تعالى الا الذين ظلموا اي ولا
الذين ظلموا ان يكون الا بمعنى الواو وقد مضى في البقرة بيانه وقال الشاعر وكل اخ مفارقه
اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان اي والفرقدان وقال ابو محمد مكي وهذا قول بعيد عند البصريين
الي وقيل معناه كما شاء ربك كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف اي كما
قد سلف وهو الثامن والعاشر وهو ان قوله تعالى الا ما شاء الله اعاد ذلك على طريق الاستثنا
الذي يذهب الشرع الي استعماله في كل كلام تهنو على حد قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء
الله امنين فهو استثنا في واجب وهذا الاستثنا في حكم الشرط كذلك كانه قال ان شاء الله فليس
بوصف متصل ولا منقطع وبهذه وبنحوه قوله تعالى عطاء غير مجذوذ وذكره عن ابي عبيد
قال فقدمت عز بهذه المشيئة من الله عز وجل في خلود الفريقين في الدارين فوقع لفظ الاستثنا
والعزيمة قد تقدمت في الخلود قال وهذا مثل قوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء
الله امنين وقد علم انهم يدخلونه حتما فلم يوجب الاستثنا في الموضعين حيا اذا المشيئة تقدمت
بالعزيمة في الخلود في الدارين والدخول في المسجد الحرام وكذه عن الفراء وقول حادي عشر
وهو ان الاشقيا هم السعدا والسعدا هم الاشقيا لغيرهم والاستثنا في الموضعين راجع
اليهم وبيانه ان ما يعني من استثنى الله عز وجل من الداخلين في النار الخالدين فيها الذين
يخرجون منها من امة محمد صلى الله عليه وسلم بما معهم من الايمان واستثنى من الداخلين في
الجنة الخالدين فيها الذين يدخلون النار بذنوبهم قبل دخول الجنة ثم يخرجون منها الي الجنة
وهم الذين وقع عليهم الاستثنا الثاني كانه قال تعالى فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها
زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان لا يخلده فيها وهم الخارجون
منها من امة محمد صلى الله عليه وسلم بايمانهم وشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو يدخولهم النار
بسببهم الاشقيا ويدخولهم الجنة يسمون السعدا كما روي الضحاك عن ابن عباس انه قال
الذين سعدوا وشقوا يدخول النار قبل ثم سعدوا بالخروج منها ودخولهم الجنة وقرا الاعمش
وحمزة والكسائي واما الذين سعدوا بضم السين قال ابو عمر الدليل على انهم سعدوا
ان الاول شقوا ولم يقل اشقوا قال النحاس ورايت علي بن سليمان ينتجب من قراءة الكسائي
سعدوا مع علمه بالعربية اذ كان هذا الخطا لا يجوز لانه انما يقال سعد ثلاثي واسعده الله
واسعد مثل امرض واما احتج الكسائي بقولهم مسعود ولا حجة له فيه لانه يقال سكان مسعود فيه
ثم يحذف فيه ويبنى به قال المبرد ومن ضم السين من سعدوا فهو محمول على قولهم مسعود وهو
شاذ قليل لانه لم يقل لمسعده الله انما يقال اسعده الله وقال الثعلبي سعدوا بضم السين اي

رزقوا السعادة يقال سعد واسعد بمعنى واحد وقرا الباقون سعدوا بفتح السين قياسا على
شقوا واختاره ابو عبيد وابو حاتم وقال الجوهري والسعادة خلاف الشقاوة تقول منه سعد
الرجل فهو سعيد مثل سلم فهو سليم وسعد فهو مسعود ولا يقال مسعد كانهم استغنوا عنه
بمسعود وقال القشيري ابو نصر عبد الرحيم وقد وره سعده الله فهو مسعود واسعده الله فهو
مسعد فمن اتبعوك الكوفيين وقال سيبويه لا يقال سعد فلان كما لا يقال شقي فلان لانه مما لا يتعدى
عطاء غير محدود اي غير مقطوع من جنته كحذاء ابي قطعه قال النابغة ٭ تجذ السلوقي المضاعف
نسجه ويقرن بالصفاح نارا الحاجب قوله تعالى فلا تك جزم بالنهي وحذفت النون لكثرة
الاستعمال في مريم اي بي شك مما يعبد هؤلاء من الالهة انها باطل واحسن من هذا اي قل يا محمد
لكل من شك لا تك في مرية من ما يعبد هؤلاء ان الله عز وجل ما امرهم به وانما يعبدونها كما كان
اباؤهم يفعلون تقليدا لهم وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص فيه ثلاثة اقوال احدها
نصيبهم من الرزق قاله ابو العالية الثاني نصيبهم من العذاب قاله زيد الثالث ما وعدوا به
من خير او شر قاله ابن عباس قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة ان الله عز وجل حكم ان
يؤخرهم الى يوم القيامة لما علم في ذلك من الصلاح ولولا ذلك لقضى بينهم اهلكهم بان يثاب
المؤمن ويعاقب الكافر قيل المراد بين المختلفين في كتاب موسى فامنوا به وكفروا بعضه
بين هؤلاء المختلفين فيك يا محمد من تكذيبك بتعجيل العقاب ولكن سبق الحكم بتاخير العقاب عن هذه الامة
الى يوم القيامة وانهم لفي شك منه مريب ان حمل على قوم موسى اي لفي شك من كتاب موسى فهم
في شك من القرآن قوله تعالى وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي ان كلا من الامم الذين قد قاصهم
يوم القيامة اعمالهم فكذلك قومك يا محمد واختلف القراء في قراءة وان كلا لما فقرا اهل الحرمين
نافع وابن كثير وابو بكر عنهم وان كلا بالتخفيف على انا ان المخففة من الثقيلة وقد ذكر هذا الخليل
وسيبويه قال سيبويه حدثنا من يثق بعربيته انه سمع العرب تقول ان زيدا لمنطلق واشهد قول الشاعر
٭ كان ظبية تعطو الى وارق السلم اراد كانت ظبية فخفف ونصب ما بعدها والبصريون
يجيزون تخفيف ان السديدة مع اعمالها وانكر ذلك الكسائي وقال ما ادري على اي شيء قروا وان كلا
وزعم الفراء ان نصب كلا في قراءة من خفف بقوله ليوفينهم ابي وان ليوفينهم كلا وانكر ذلك جميع
النحويين وقالوا هذا من كبير الغلط لا يجوز عند احد زيدا لاضربنه وشدد الباقون ان ونصبوا بها
كلا على اصلها وقراءاصم وحمزة وابن عامر لما بالتشديد وخففها الباقون على معنى ان كلا ليوفينهم
جعلوا ما صلة وقيل دخلت لتفصل بين الا التي يتلقى بها القسم وكلا ما مفتوح فتفصل
بينهما وقال الزجاج لما للاستثناء ان وما زايدة موكدة تقول ان زيدا لينطلق فان يقتضي
ان يدخل على خبرها او اسمها لام كقولك ان الله لغفور رحيم وقوله ان في ذلك لوكريا واللام التي
ليوفينهم هي التي يتلقى بها القسم وترجع على الفعل ويلزمها النون المشددة او المخففة ولما اجتمعت
اللامان وصل بينهما بما وكان زايدة موكدة وقال الفراء ما بمعنى من كقوله وان منكم لمن ليبطئن اي
وان كلا لمن ليوفينهم للقسم وهذا يرجع معناه الى قول الزجاج غير ان ما عند الزجاج زايدة
وعند الفراء اسم بمعنى من وقيل ليست بزايدة بل هي اسم دخل عليها لام التوكيد وهي خبر ان وليوفينهم
جواب القسم التقدير وان كلا خلق ليوفينهم ربك اعمالهم وقيل ما بمعنى من كقوله فانكحوا
ما طاب لكم من النساء اي من وهذا كله نصر قول الفراء بعينه واما من شدد لما وقرا وان كلا لما بالتشديد
فيهما حمزة ونزوافقه فقيل انه لحن حكي عن محمد بن يزيد ان هذا لا يجوز وقالا ان زيدا لان اضربنه
ولما لاضربنه وقال الكسائي الله اعلم بهذه القراءة وما اعرف لها وجها وقال ايضا هو ابو علي
الفارسي التشديد فيهما مشكل قال النحاس وغيره والنحويون في ذلك اقوال الاول ان اصلها
لمن ما فقلبت النون ميما واجتمعت ثلاث ميمات فحذفت الوسطى فصارت لما وما على هذا القول
بمعنى من تقديره وان كلا لمن الذين كقولهم والذي لما اصدر الامر وجهه اذا هو راعيي بالسبيل
مصادرة وزيف الزجاج هذا القول وقال ثم اسم حرفين فلا يجوز حذفه الثاني ان الاصل لمن
فحذفت الميم المكسورة لاجتماع الميمات والتقدير وان كلا لمن خلق ليوفينهم وقيل لما مصدر
لم وجاءت بغير تنوين حملا للوصل على الوقف ممن على هذا كقوله وتاكلون التراث اكلا لما اي جامعا
للمال المأكول فالتقدير على هذا وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم توفية لما اي جامعة لاعمالهم
جمعا ممن كقولك قبضا ما لا خوفين وقد قرا الزهري لما بالتشديد بلا تنوين على هذا المعنى الثاني
ان لما بمعنى الا حكى اهل اللغة سالتك بالله لما فعلت بمعنى الا فعلت ومثل قوله تعالى ان كل نفس
لما عليها حافظ اي الا عليها تحمى الابنة ما كل واحد منهم الا ليوفينهم قال القشيري وزيف
الزجاج هذا القول بانه لا معنى لقوله وان كل لما حتى تقدم الا ولا يقال ذهب الناس لما زيدا ٭

كان هذا القائل يراعي جهر القراءة وحكى الماوردي ان الطرف الاول صلاة الصبح بالنفاق قلت
وهذا النفاق يبغضه القول الذي قبله ورجح الطبري ان الطرفين الصبح والمغرب وابن الظاهر قال
ابن عطية ورد عليه بان المغرب لا تدخل في لمام صلاة الليل قال ابن العربي والصحيح ان الطرف
ان طرفي النهار الصبح والمغرب وما طرفا الليل فغلب القمر دكوه وحاد وحاد عن البرجاس علوة قال
الطبري والدليل عليه اجماع الجميع على ان احد الطرفين الصبح فدل على ان الطرف الاخر المغرب ولم يجمع
معه على ذلك احد قلت هذا الحامل من ابن العربي في الرد واذ لم يجمع معه على ذلك احد وقد ذكرنا
عن مجاهد ان الطرف الاول صلاة الصبح وقد وقع النفاق الامر شديدا فان كل او جامع بعد طلوع الفجر معتقدا
ان يومه ذلك يوم قطر وعليه القضاء والكفارة وبذلك قال وما بعد طلوع الفجر من النهار فدل على صحة
ما قاله الطبري في الصبح وبقي عليه المغرب والرد عليه على ما تقدم والله اعلم الثالثة قوله تعالى
وزلفا من الليل اي في زلف من الليل والزلف الساعات القريبة بعضها من بعض ومنه سميت المزدلفة لانها
تنزل بعد عرفة بقرب مكة وقرا ابن القعقاع وابن ابي اسحق وغيرهما وزلفا بضم اللام جمع زليف لانه قد
نطق بزليف وكون ان يكون واحده زلفة كبسرة وبسر وفي لغة بضم السين وقرا ابن محيصن وزلفا من الليل
باسكان اللام والواحدة زلفة جمع جمع الاجناس التي هي اشخاص كرة ودرد ير وقرا مجاهد وابن محيصن
ابضا زلفى مثل فعلى وقربى لما تقرب وزلفى بفتح اللام كعرفة وعرف قال ابن الاعرابي الزلف الساعات
واحدها زلفة وقال قوم الزلفة اول ساعة من الليل بعد مغيب الشمس فعلى هذا يكون المراد بزلف الليل
صلاة العتمة قاله ابن عباس وقال الحسن المغرب والعشا وقيل المغرب والعشا والصبح وقد تقدم
وقال الاخفش يعني صلاة الليل ولم يعين الزالقم قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيات ذهب
جمهور المتاولين من الصحابة والتابعين الى ان الحسنات ها هنا الصلوات الخمس وقال مجاهد الحسنات
قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال ابن عطية وهذا على جهة المثال في الحسنات
والذي يظهر ان اللفظ عام في الحسنات خاص في السيات لقوله صلى الله عليه وسلم ما اجتنبت الكبائر
تلت سبب النزول بفضل قول الجمهور ونزلت في جارية من الانصار قيل هو ابو اليسر زعم وقيل اسمه عبيا
دخلا امراة فقبلها وتلذذ بها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني عالجت امراة في اقصى المدينة واني اصبت منها ما دون ان امسها وانا هذا فاقض في ما شئت
فقال له عمر لقد سترك الله لو سترت على نفسك فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فانطلق الرجل
فانبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فدعاه فتلى عليه اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان
الحسنات يذهبن السيات فقال ذلك ذكرى للذاكرين الى اخر الاية فقال رجل من القوم هذا له خاصة قال بل
للناس كافة قاله الترمذي بحديث حسن صحيح وخرج ايضا عن ابن مسعود ان رجلا اصاب من امراة قبلة حرام
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله كفارتها فنزلت اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات
يذهبن السيات فقال الرجل الي هذه يا رسول الله فقال لك ولمن عمل بها من امتي قال هذا حديث حسن
صحيح وروي عن ابي اليسر قال اتتني امراة تبتاع تمرا فقلت ان في البيت تمرا طيبا فدخلت معي في
البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب فاتيت عمر فذكرت
ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك
له فقال له لعلك تغازيت في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من
اهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اوحى الله اليه اقم الصلاة طرفي
النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقرأها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله هذا خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة قال
ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وتبسن الربيع صنعته وكيع وغيره وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اعرض عنه واقيمت صلاة العصر فلما فرغ منها نزل عليه جبريل عليه السلام عليه بالاية ودعاه فقال
له اشهدت معنا الصلاة قال نعم قال اذهب فانها كفارة لما فعلت وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما تلى عليه هذه الاية قال الله قم فصل اربع ركعات والله اعلم وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم ار شيا احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من
حسنة حديثة نزلت قديم ان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكرى للذاكرين ذكا مسئلة دلت
الاية مع هذه الاحاديث على ان القبلة الحرام واللمس الحرام يوجبان الحد وتدل بعمومه على ان الحد
واجب على الرجل والمراة وان وجد ثوب واحد وهو اختيار ابن المنذر لانه لم يذكر اختلاف العلماء في
هذه المسالة ذكر هذا الحديث مشبها الى انه اجيب عليها شيوسيا تي ما للعلما في هذا النوع ان شاء
الله تعالى السادسة ذكر الله سبحانه في كتابه الصلاة بركوعها وسجودها وقيامها وقراءتها واسمايها فقال
اقم الصلاة لدلوك الشمس الاية وقال اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون

الرابع فاذا ابو عثمان المازني الاصل وان كلا منها بتخفيف لما لم تعلن كقوله * لقد خشيت ان ارى
جدباخ عاما ذا بعد ما اخصبا * وقال ابو اسحق الزجاج هذا خطا انما يخفف المثقل ولا يثقل
المخفف الخامس قال ابو القاسم بن سلام يجوز ان يكون النفي يدل من قولهم لمن الشيء له لما
اذا جمعته ثم بني منه فعلى كاتزيب ثم ارسلنا رسلنا تترا بغير تنوين وبتنوين مالك في هذا
للتانيث وممن قال على هذا القول اصحاب المعاني قال ابو اسحق الذي لا يجوز غيره عندي ان
تكون مخففة من الثقيلة تكون معنى ما مثل ان كان نفس لما عليها حافظ فكذا ايضا تشدد
على اصلها وتكون معنى ما ولما بمعنى الا حكى ذلك الخليل وسيبويه وجميع البصريين وان لم
يستعمل بمعنى الا فلـــ هذا القول الذي ارتضاه الزجاج حكاه الزجاج له الا ان
ذلك القول صواب ان ما نافية وهنا مخففة من الثقيلة فاغتر قاصواب ما ذكره الشيخ
رحمه الله اذ يقول لا ان هذا القول اذ فيه نافية والقول المتقدم ان فيه مخففة من الثقيلة فاغتر
تناصل ذلك وبقيت قراءات قال ابو حاتم وفي حرف ابي وان كلا ليوفين وروي عن الاعمش وان
كل لما تخفف ان ورفع كل وتشديد لما قال الخاسر وهذه القراءات مخالفة للسواد وتكون فيها
على التفسير لانه لا يجوز ان يقرأ ما خالف السواد الا على هذه الجهة انه بما يعملون خبير يتهدد وعيد
قوله عز وجل فاستقم كما امرت خطاب للنبي عليه السلام ولغيره وقيل له والمراد امته قاله
السدي وقيل استقم اطلب الاقامة على الدين من الله واسأله ذلك فتكون السين سين السوال
كما تقول استغفر الله اطلب الغفران والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة من غير اخذ في جهة
اليمين والشمال اي فاستقم على امتثال امر الله وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال
قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم وروى الدارمي
ابو محمد في مسنده عن عثمان بن عاصم الاسدي قال دخلت على ابن عباس فقلت اوصني فقال نعم عليك
بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبتدع ومن تاب معك واي استقمت وهو يريد اصحاب الدين
تابوا من الشرك ومن بعده ممن انتهج منهاجه قال ابن عباس ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
آية هي اشد ولا اشق من هذه الآية عليه ولذلك قال لاصحابه حين قالوا له لقد اسرع اليك
الشيب فقال شيبتني هود واخواتها وقد تقدم في اول السورة وروي عن عبد الرحمن السلمي
قال سمعت اباعلي الشوبري يقول رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله روي عنك
انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت له ما الذي شيبك منها قصص الانبياء وهلاك الامم فقال
لا ولكن قوله فاستقم كما امرت ولا تطغوا نهى عن الطغيان والطغيان مجاوزة الحد ومنه انا لما
طغى الماء قيل اي لا تتجبروا على احد قوله جل وعز ولا تركنوا الى الذين ظلموا فيه اربع مسائل
الاولى قوله تعالى ولا تركنوا الركون حقيقته الاسناد والسكون الى الشيء والرضى به قال
قتادة معناه لا تودوهم ولا تطيعوهم ابن جريج لا تميلوا اليهم اي العالية لا ترضوا اعمالهم وكله متقارب
وقال ابن زيد الركون هنا الادهان وذلك ان لا ينكر عليهم كفرهم الثانية خرج الجمهور تركنوا بفتح
الكاف قال الفراء هي لغة وقيس وجرم قوم وكثير من مثل منع يمنع قال الشاعر فوله تعالى الى الذين ظلموا
قيل اهل الشرك وقيل هي عامة فيهم وفي العصاة على كثر قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا
الاية وقد تقدم وهذا هو الصحيح في معنى الاية والمعنى دالة على هجران اهل الكفر والمعاصي من اهل البدع
وغيرهم فان صحبتهم كفر او معصية الا لضرورة لا يكون الا عن مودة وقد قال حكيم * عن المرء لا تسال
وسل عن قرينه * وكل قرين بالمقارن يقتدي * فان كانت الصحبة عن ضرورة وتقية فقد مضى القول
فيها في آل عمران والمائدة وصحبة الظالم على التقية مستثنا من النهي كحال الاضطرار والله اعلم
الرابعة قوله تعالى فتمسكم النار اي تحرقكم بمخالطتهم ومصاحبتهم ومما لائمتهم على اعراضهم وموافقتهم
في امورهم قوله جل وعز واقم الصلاة طرفي النهار الى قوله للذاكرين اجمع المفسرون ان الحسنات يذهبن السيئات
فيه ست مسائل الاولى قوله اقم الصلاة طرفي النهار لم يختلف احد من اهل التاويل ان الصلاة في
هذه الاية يراد بها الصلوات المفروضة وخصها بالذكر لانها تابية للايمان واليها يفزع في النوائب
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا احزنه امر فزع الى الصلاة وقال سموح الصوفية انما المراد بهذه
الاية استغراق الاوقات بالعبادة فرضا ونفلا قال ابن العربي وهذا ضعيف فان الامر لهم كالبيت
بيتا ولد الاوجبا نفلا فان الاول معلومة والاوقات النوافل المرغب فيها محصورة وما سواها من
الاوقات يوسر عليها الدليل على البدل على العموم والبيع لكل في قوة بشر الثانية قوله تعالى طرفي
طرفي النهار قال مجاهد الطرف الاول صلاة الصبح والطرف الثاني صلاة الظهر والعصر واختاره
ابن عطية وقيل الطرفان الصبح والمغرب قاله ابن عباس واحسن وعن الحسن ايضا الطرف الثاني
العصر وحده وقال قتادة والضحاك وقيل الطرفان الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء والصبح

اولم يحمدوا في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وقال وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
وقالوا اركعوا واسجدوا وقال وفوضوا امري الله ان الله بصير بالعباد وقالوا اذا نزل القرآن فاستمعوا له وانصتوا على
ما تقدم وقالوا ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها اي بقرآنك وهذا كله مجمل احمله في كتابه واحال على بيانه
في بيانه فقال لحمل ذكره وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم فبين صلى الله عليه وسلم
مواقيت الصلاة وعدد الركعات والسجدات وصفة جميع الصلوات فرضها ونفلها وما تصح الا به
من القراءة وما يستحب فيها من السنن والفضايل فقال في صحيح البخاري صلوا كما رايتموني اصلي
ونقل ذلك عنه الكافة على ما هو معلوم ولم يمت صلى الله عليه وسلم حتى بين جميع ما بالناس الحاجة
اليه فكمل الدين واوضح السبيل قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت
لكم الاسلام دينا قوله عز وجل ذلك ذكري للذاكرين اي القرآن موعظة وتوكيد لما تقدم ذكره
وخص الذاكرين بالذكر لانهم المنتفعون والذكرى مصدر حالك اتانيك قوله عز وجل واصبر
اي دم على الصلاة كقوله وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها وقيل المعنى واصبر يا محمد على ما تلقى من
الاذى ان الله لا يضيع اجر المحسنين قال يعني المصلين قوله عز وجل فلولا كان اي فهلا كان من القرون
من قبلكم اي من الامم التي قبلكم واولوا بقية اي اصحاب طاعة ودين وعقل ونصر يعني ثبوت قوتهم عن الفساد في
الارض لما اعطاهم الله من العقول وارادهم من الايات وهذا توبيخ للكفار وقيل لولا هنا للنفي اي ما كان من
قبلكم كقوله فلولا كانت قرية امنت اي ما كانت الا قليلا استثنا منقطع اي لكن قليلا ممن انجينا منهم
نهوا عن الفساد في الارض قيل هم قوم يونس كقوله الا قوم يونس وقيل هم ٢ الانبيا واصل الحق
واتبع الذين ظلموا اي اشركوا وعصوا ما اترفوا فيه اي نعموا بالمال والذات وايثار ذلك
على الاخرة وكانوا مجرمين قوله عز وجل وما كان ربك ليهلك القرى اي اصل القرى بظلم اي بشرك
وكفروا هلها مصلحون اي بينهم تعاطف وتعاون لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف
اليه الفساد كاهلاك قوم شعيب بتحسر المكيال وقوم لوط باللواط ودل هذا على ان المعاصي اقرب
الى عذاب الاستيصال في الدنيا من الشرك وان كان عذاب الشرك في الاخرة اصعب وفي صحيح الترمذي
من حديث ابي بكر الصديق قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا الظالم
فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده وقد تقدم وقيل المعنى وما كان ربك ليهلك
القرى واهلها مسلمون فانه يكون ذلك ظلما لهم ونقصا من حقهم اي ما اهلك قوما الا بعد
اعذار وانذار وقال الزجاج يجوز ان يكون المعنى وما كان ربك ليهلك احدا وهو يظلم وان كان
على نهاية الصلاح لان تصرفه في ملكه دليل قوله ان الله لا يظلم الناس شيا وقيل المعنى وما كان
الله ليهلكهم بذنوبهم وهم مصلحون اي مخلصون في الايمان فالظلم المعاصي على هذا قوله تعالى
ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة قال سعيد بن جبير على ملة الاسلام وهدى وقال الضحاك اهل
دين واحد اهل صلاة او اهل هدى ولا يزالون مختلفين اي على اديان شتى قال مجاهد وقتادة
الا من رحم ربك استثنا منقطع اي لكن من رحم ربك بالايمان والهدى فانه لم يختلف وقيل مختلفين في
الرزق فهذا غني وهذا فقير الا من رحم ربك بالقناعة قاله الحسن ولذلك خلقهم قال الحسن ولذلك
خلقهم قال الحسن وقتادة وعطا وبيان الاشارة للاختلاف اي وللاختلاف خلقهم قال الحسن
وقتادة وعطا وبيان الاشارة للاختلاف وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك ولرحمته
خلقهم وانما قال ولذلك ولم يقل ولتلك والرحمة مؤنثة لانه مصدر وايضا فان تانيث الرحمة غير
حقيقي فحملت على معنى الفضل وقيل الاشارة بذلك للاختلاف والرحمة وتذكير اسم الاشارة
منقاد من لفظه تقول في المؤنث ذاك وتاك ولم يقل بين ذلك ولم يقل بين ذينك ولا تينك وقالوا الذين
الا ان تقولوا لم يميزوا وكانا بين ذلك قواما وقال ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها
وابتغ بين ذلك سبيلا ولذلك قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ان شاء الله ايهب قال ايهب سالت مالكا عن هذه الاية قال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في
السعير اي خلق اهل الاختلاف واهل الرحمة للرحمة وروي عن ابن عباس ايضا قال
خلقهم فريقين فريقا برحمته وفريقا بمعصيته قال المهدوي وفي الكلام على هذا التفسير تقديم
وتاخير المعنى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
ولذلك خلقهم وقيل هو متعلق بقوله ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود المعنى
ولشهود ذلك اليوم خلقهم وقيل هو متعلق بقوله فمنهم شقي وسعيد اي للسعادة والشقا
خلقهم قوله عز وجل وتمت كلمة ربك معنى تمت ثبت ذلك كما اخبر وقدر في ازله وتمام الكلمة
امتناعها عن قبول التغيير والتبديل لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين الجنس اي من جنس
الجنة وجنس الناس اجمعين تاكيد وكما اخبر انه يملا النار كذلك اخبر على لسان نبيه انه يملا جثم

بقوله ولكل واحدة منكما مرجعه البخاري من حديث ابي هريرة وقد تقدم قوله تعالى ولا تقصص عليك وقال
الاخفش كلا حال مقدمة كقولك كلا مررت القوم عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك من اخبارهم وصبرهم على
اذى قومهم ما نثبت به فؤادك اي على ادا الرسالة والصبر على ما ينالك فيها من الاذى وقيل لنزيدك
به تثبيتا ويقينا وقال ابن عباس ما نشد به قلبك وقال ابن جريج نصبره فلبك حتى لا يجزع وقال اهل
المعاني للطيبي والمعنى متقارب وما بد من كل المعنى نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك
وجاء في هذه الحكاية في هذه السورة عن ابن عباس وابي موسى وغيرهما وحصر هذه السورة
ان فيها اخبار الانبياء والجنة والنار وقيل خصها بالذكر تاكيدا وان كان الحق في كل القرآن وقال
قتادة والحسن المعنى في هذه الدنيا بر بها النبوة وموعظة وذكرى للمؤمنين الموعظة ما يتعظ به من
اهلاك الامم الماضية والقرون الخالية المكذبة وهذا الشريف لهذه السورة لان غيرها من السور قد
جاء فيها الحق والموعظة والذكر ولم يقل فيها كما قال في هذا على التخصيص وذكرى للمؤمنين اي به
يتذكرون ما نزل من هلاك فينتبهون وخص المؤمنين لانهم المنتفعون اذا سمعوا قصص الانبيا قوله
قوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم تهديد ووعيد انا عاملون وانتظروا انا منتظرون
تهديد اخر وتقدم معناه قوله تعالى ولله غيب السموات والارض وقال الضحاك جميع ما غاب
عن العباد فيهما وقال ابن عباس ما لا يأتون غيب السموات والارض نزول العذاب من السما وطلوع من الارض
وقال ابو علي الفارسي ولله غيب السموات والارض اي علم ما غاب فيهما اضاف الغيب وهو مضاف
الى المفعول توسعا او نصب نصب الجر تقول غبت في الارض وغبت بيلد كذا واليه يرجع
الامر كله اي ليقوم القيامة اذ لا يعلم الخلوق امر الساعة وقال نافع وحفص يرجع بضم الياء وفتح الجيم
اي يرد ما عبده وتوكل عليه ايها المخاطب اليه وثق به وما ربك بغافل عما تعملون اي يجازي الكل بعمله وقرا
اهل المدينة والشام وحفص بالتا على المخاطبة الا قنون يا على الخبر قال الاخفش سعيد يعملون
اذا المخاطب النبي صلى الله عليه وسلم معهم قال وقال بعضهم تعملون بالتا لانه خاطب النبي صلى
الله عليه وسلم اولا قل لهم وما ربك بغافل عما تعملون قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة هود
من قوله ولله غيب السموات والارض الى اخر السورة بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثقتي

سورة يوسف عليه السلام مكية كلها وقال

ابن عباس وقتادة الا اربع ايات منها وهي يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الى قوله
فنزلت السورة وسبابي وقال سعد بن ابي وقاص ما انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلا عليهم زمانا فقالوا لو حدثتنا فنزل الله نحن نقص عليك قتادة عليهم زمانا فقالوا
لو حدثتنا فنزل الله نزل احسن الحديث قال العلماء ذكر الله اقاصيص الانبياء في القرآن وكررها
في سور واحدة وجوه مختلفة بالفاظ متباينة على درجات البلاغة وتر ذكر قصة يوسف ولم يكررها فلم يات
مخالف على معارضته غير المتكرر والاجاز لن تامل قوله تعالى الر تلك ايات الكتاب المبين تقدم
الكلام فيه والتقدير هنا تلك ايات الكتاب على الابتدا والخبر وقيل الرا اسم للسورة اي هذه السورة المسماة
الر تلك ايات الكتاب المبين يعني القرآن المبين اي المبين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه وهداه و
مركنه وقيل اي هذه تلك الايات التي كنتم توعدون بها في التوراة قوله تعالى انا انزلناه يجوز ان
يكون المعنى انا انزلنا القرآن عربيا نصب قرآنا على الحال اي مجموعا وعربيا نعت لقوله قرآنا
ويجوز ان يكون توطئة للحال كما تقول مررت بزيد رجلا صالحا قرآنا ويجوز ان يكون توطئة للحال
كما تقول مررت بزيد رجلا صالحا وعربيا على الحال اي لقرا بلغتكم يا معشر العرب اعرب بين ومنه الثيب
تعرب عن نفسها لعلكم تعقلون اي لكي تعلموا معانيه ولتهموا ما فيه وبعض العرب يا تي بارتع لعل تشبيها
بعسى واللام في لعل زايدة للتوكيد كما قال الشاعر يا ابتا علك او عساكا تشبيها بعسى واللام
في لعل ونيل لعلكم تعقلون لتكونوا على رجاء تدبره فيعود معنى الشك اليهم لا الى الكتاب
والى الله عز وجل وقيل معنى انزلناه اي انزلنا خبر يوسف قال النحاس وهذا اشبه بالمعنى انه يروى
ان اليهود قالوا سلوه لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وكان هذا بمكة موافقا لما في التوراة
وفيه زيادة ليست عندهم وكان هذا للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى نحن نقص عليك
ابتدا وخبر احسن القصص بمعنى المصدر والتقدير قصصا احسن القصص واصل القصص تتبع
الشي ومنه قوله تعالى وقالت لاخته قصيه اي تتبعي اثره فالقصاص تتبع الدم فجرحا واحسن
يعود الى القصة يقال فلان احسن الاقتصاص للحديث اي حسن السياق له وقيل
القصص ليس بمصدر بل هو في معنى الاسم كما يقال الله رجاؤنا اي مرجونا فالمعنى على هذا نحن
نخبرك باحسن الاخبار بما اوحينا اليك اي برجينا فاما مع الفعل بمنزلة المصدر وهذا القرآن لعبه

القرآن على انه نعت لهذا او بدل منه او عطف بيان واجاز الاخفش على ان النكرة وهو عند البصريين على البدل مرما واجاز ابو اسحق الرفع على اضمار مبتدا كان سائلا عن الوحي فقيل له هو القرآن واذ كنت من قبله لمن الغافلين اي من الغافلين عما عرفناك مسئلة واختلف العلماء لم سميت هذه السورة احسن القصص من بين الاقاصيص فقيل لانه ليست قصة في القرآن تضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه الا ترى القصة وبيانه قوله تعالى في اخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وقيل سماها احسن القصص لحسن مجاورة يوسف اخوته وصبره على اذاهم وعفوه عنهم بعد المقابتهم عز ذكره ما تقابلوه وكرمه في العفو عنهم حتى قال لا تثريب عليكم اليوم وقيل لان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والممالك والتجار والعلماء والجهال والرجال والنساء وحيلهن ومكرهن وفيها ذكر التوحيد والفقه والسير وتعبير الرؤيا والسياسة والمعاشرة وتدبير المعاش وحمل العوام الى ما يصلح الدين والدنيا وقيل لان فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسببهما وقيل احسن هنا بمعنى اعجب وتأدب بعضنا هذا المعاني انما كانت احسن القصص لان كل من ذكر فيها كان ما له السعادة انظر الى يوسف وابيه واخوته وامرأة العزيز وقيل والملك ايضا اسلم بيوسف وحسن اسلامه وتعبير رؤيا الساقي والشاهد فيما يقال فلما كان امر الجميع الى الخير قوله تعالى اذ قال يوسف اذ في موضع نصب على الظرف اي اذكرهم حين قال يوسف وقرأ العامة بضم السين وقرأ طلحة بن مصرف بؤسف بالهمز وكسر السين وحكى ابو زيد يوسف بالهمز وفتح السين ينصرف لانه اعجمي وقيل هو عربي وميل ابو الحسن الاقطع وكان حكيما عن يوسف لابيه يا ابت بكسر التاء قراءة ابي عمرو وعاصم ونافع وحمزة والكسائي وهي عند البصريين علامة التانيث دخلت على اصل بنى الذا خاصة بطارئ الاضافة وقد تدخل علامة التانيث على المذكر بقال رجل يكمة وهزاة قال الخاسر اذا قلت يا ابت بكسر التاء فالتاء عند سيبويه بدل من ياء الاضافة ويجوز على قول الوقف الا بالهاء وله على قوله دلالتهما ان تقول يا ابه يونس عن معمر يا ابي فاما من قال يا ابه الا في المعرفة فانما قال لحاني ابه وانما يستعمل هذا الا في الذا خاصة لان التاء تبدل من الياء فلا يجمع بينهما وزعم الفراء انه قال يا ابت فكسر وقف على التاء على نية الياء للتنبيه وزعم ابو اسحق ان هذا خطا والحق ما قال كيف يكون الباقي الكثير بدلا من الكثير وليس يقال يا ابنى وقرأ ابو جعفر الاعرج وعبد الله بن عامر يا ابت بفتح التاء قال البصريون اراد يا ابتا فحذف الالف واقتصر يا ابتا فحذفت الالف وبقيت الفتحة تدل على التاء وقيل الاصل الكسر ثم ابدل من الكسر فتحة كما يبدل من التاء الف فيقال يا غلاما اقبل واجاز الفراء يا ابت اني رايتهم احد عشر كوكبا بغير بين النحويون اختلاف انه يقال لحادي احد عشر وكذلك ثلاثة عشر وتسعة عشر وما بينهما حملوا الاسمين اسما واحدا واعربوهما ما خلا الحركات قال السهيلي اسما هذه الكواكب جاء ذكرها مسندا رواه الحارث بن ابي اسامة قابحا الشأن وهو رجل من اهل الكتاب فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الاحد عشر كوكبا الذي رآها يوسف فقال الجزدان والطارق والذيال والفليق والمصبح والضروح والفرغ والضياء والنور وذو الكتفين وقابس والوثاب والعمودان رآها يوسف عليه السلام تسجد له وقال ابن عباس وقتادة الكواكب اخوته والشمس امه والقمر ابوه وقال قتادة ايضا الشمس خالته لان امه كانت ماتت وكانت خالته تحت ابيه رأيتهم توكيد وقد رأيتهم لي ساجدين فجاء ذكرهم كذكر العقلاء عند الخليل وسيبويه انه لما اخبر عنهم بما يخبر عن العقلاء من السجود والطاعة اجراهم مجراهم وقيل اخبر عنها كما يخبر عمن يعقل وقد تقدم هذا المعنى في قوله وترانهم ينظرون اليك والوجه تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل اذا نزلوه منزلته وان كان خارجا عن الاصل قوله تعالى قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيه احدى عشرة مسألة الاولى قوله تعالى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الواو في فيكيدوا لك ان تاويلها ظاهر فربما يحملهم الشيطان على قصدك بالسوء حينئذ واللام في لك تاكيد كقوله ان كنتم للرؤيا تعبرون الثانية الرؤيا حالة شريفة ومنزلة رفيعة قال صلى الله عليه وسلم لم يبق بعدي من المبشرات الا الرؤيا الصادقة يراها الرجل الصالح او ترى له قال اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا وقال صلى الله عليه وسلم يا انس جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وروى من سبعين جزءا وروى من حديث ابن عباس جزء من اربعين جزءا من النبوة ومن حديث ابن عمر جزء من تسعة واربعين جزءا ومن حديث العباس جزء من خمسين جزءا من النبوة ومن حديث من ستة وعشرين وعن عبادة بن الصامت من ثلاثة واربعين من النبوة والصحيح منها حديث الستة والاربعين وبهذا جاء في الصحاح حديث السبعين ولم يخرج مسلم في صحيحه غير هذين الحديثين واما سائرها من احاديث الشيوخ قاله ابن بطال قال ابو عبيد الله المازري والاكثر والاصح عند اهل الحديث من ستة واربعين قال الطبري والصواب ان يقال ان عامة هذه

الاحاديث واكثرها صحاح ولكل حديث منها مخرج معقول فاما قوله انها جزء من سبعين جزءا من النبوة فان ذلك مقول عام من كل رؤيا صالحة صادقة ولكل مسلم رآها في منامه على اي احواله كان واما قوله انها من اربعين او ستة واربعين فانه يريد بذلك من كان صاحبها بالحال الذي ذكر عن الصديق رضي الله عنه انه كان بها ممن كان من اهل اسباغ الوضوء في السبرات والصبر فيها على المكروهات وانتظار وقت الصلاة بعد الصلاة فرؤياه الصالحة ان شاء الله جزء من اربعين جزءا من النبوة ومن كانت حاله في ذلك بين ذلك فرؤياه الصادقة بين الجزءين ما بين الاربعين الى الستين لا تنقص عن السبعين وتزيد على الاربعين والى هذا المعنى اشار عمر بن الخطاب عبد البر فقال اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد اجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي باختلاف تضاد وتدافع والله اعلم انه يحتمل ان تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على حسب ما يكون من رصف الحديث واداء الامانة والدين المتين وحسن اليقين فعلى قدر اختلاف الناس فيها وصفنا تكون الرؤيا منهم على الاجزاء المختلفة العدد فمن صحت له نيته في عمله ويقينه وصدق حديثه كانت رؤياه الصدق والى النبوة اقرب كما ان الانبياء بيننا صلوات الله تعالى وتسليمه فضلنا بعضهم النبيين على بعض قال الشيخ المؤلف لهذا التأويل يجمع شتات الآثار وهو اولى من تشتيت بعضها وتبعيض وطرحه ذكر ابو سعيد الاسناسي فيما عن بعض اهل العلم قال معنى قوله جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال الله تعالى اوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة وعشرين عاما فيما رواه عكرمة وعمرو بن دينار عن ابن عباس قال فالستة اشهر من ثلاثة وعشرين عاما وصفا ذلك جزء من ستة واربعين عاما والى هذا القول اشار المازري في كتابه المعلم واختاره الداودي في تفسيره من رسوله يوسف عند قوله تعالى لهم البشرى وهو فاسد من وجهين احدهما ما رواه ابو سلمة عن ابن عباس ان مدة الوحي كانت عشرين سنة وان النبي صلى الله عليه وسلم بعث على رأس اربعين فاقام بمكة عشر سنين وهو قول عروة والشعبي وابن شهاب والحسن وعطاء الخراساني وسعيد بن المسيب على اختلاف عنه ويحيى بن يعمر وابي بكير وابي عالب عن ابن عمر ادا ثبت هذا الاختلاف لبطل ذلك التأويل الطابي ان سائر الاحاديث على الاجزاء المختلفة تنبئ بغير معنى المنامات

اذا كانت الرؤيا جزءا من النبوة لان فيها ما يعجز ويمتنع كالطيران وقلب الاعيان والاطلاع على شيء من الغيب كما قال عليه السلام اذا لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصادقة فجاء بالسوم الحديث وعلى الجملة فان الرؤيا الصادقة من الله وانما من النبوة قال صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فان التصديق بها حق ومنها التأويل الحسن وربما اغنى عن بعضها عن التأويل وفيها ما يدبع الله ولطفه ما يزيد المؤمن في ايمانه واخلاقه في هذا بين اهل الدين والحق من اهل الرأي وانكروا الرؤيا اهل الالحاد وكسرة من المعتزلة الرابعة اذا كانت الرؤيا الصادقة جزءا من النبوة فكيف يكون الكافر والكاذب والمخلط والمختلط اصلا لها وقد قضت من بعض الكفار وغيرهم ممن لا يرضى دينه منامات صحيحة صادقة كمنام رؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات ومنام الفتيين في السجن ورؤيا بخت نصر التي فسرها دانيال في ذهاب ملكهم ورؤيا كسرى في ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ومنام عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في امره كافرة وقد ترجم البخاري بابا رؤيا اهل السجن فالجواب ان الكافر والفاسق والكاذب وان صدقت رؤياهم في بعض الاوقات لا تكون من الوجوه من النبوة اذ ليس كل صدق في حديث عن غيب يكون تخبره ذلك نبوة وقد تقدم في الانعام ان الكاهن وغيره قد يخبر عن الحق فيصدق لكن ذلك على الندور وهو والقلة فكذلك رؤياها وقال المهلب انما ترجم البخاري بهذا الجواز ان يكون رؤيا اهل الشرك رؤيا صادقة كما كانت رؤيا الفتيين صادقة الا انه لا يجوز ان تضاف الى النبوة اضافة رؤيا المؤمن اليها اذ ليس كل ما يصح له تأويل الرؤيا حقيقة تكون جزءا من النبوة الخامسة الرؤيا الصادقة الى الله تعالى هي التي خلصت من الاضغاث والاوهام وكان تأويلها موافقا لما في اللوح المحفوظ والتي هي من جنس الاضغاث هي الحلم وهي المضافة الى الشيطان وانما سميت اضغاثا لان فيها اشياء متضادة قال معناه المهلب وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا اقساما فنفى عن قول كل قائل رؤيا عوفي بها لك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا اقساما تنفى عن قول كل قائل لا تدع منها احدا ويل الشيطان ليحزن ابن آدم ومنها ما يهم به في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة قال قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم

السادسة قوله تعالى قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية الرؤيا مصدر رايته في المنام رؤيا على وزن فعلى كالسقي والبشرى والعلم للتأنيث ولذلك لم ينصرف وقد اختلف العلماء في حقيقة الرؤيا فقال هي ادراك في اجزاء لم تخلها الله كالنوم المستغرق وغيره وهذا اكثر

ما تكون الرويا بآخر الليل لقلة غلبة النوم فيخلق الله للرائي علما ما شيا ويخلق له الادراك يراه
علما يراه ليصح الادراك فالمراد العزيز قد يرى في المنام الا ما يصح ادراكه في اليقظة ولذلك
لا يرى في المنام شخصا فانيا قاعدا ايحالة ما يرى ايحاءات الجمادات وقيل ان الله تعالى
ملكا يعرض المربيات على المحل المدرك من النايم فيمثل له صورا محسوسة فتارة تكون تلك
الصور امثلة لما يقع في الوجود وتارة تكون لمعاني معقولة غير محسوسة وفي ايحالين
تكون محتاجة بشرة منذرة قال صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره رايت سوداء كاثرة الراس
تخرج من المدينة الى مهيعة فاولتها الحمى ورايت سيفي قد انقطع صدره ويقرا انخرجا فاولتهما
رجلا من اهلي يقتل والبقر نفر من اصحابي يقتلون ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة
فاولتها المدينة ورايت في يدي سوارين فاولتهما كذابين يخرجان بعدي الحديث ذلك مما ضربت
له الامثال ومنها ما يظهر معناه اولا فاولا ومنها ما يظهر الا بعد الفكر وقد رايا النايم في زمن
يوسف عليه السلام فقيرا فاولها يوسف السنين ورايا احد عشر كوكبا والشمس والقمر
فاولها بابويه واخوته وابويه السابعة ان قيل ان يوسف عليه السلام كان صغيرا وقت رويا
والصغير لا علم له فكيف يكون له رويا لها حكم حتى يقول له ابوه لا تقصص رويا ك على اخوتك
فالجواب ان الرويا ادراك حقيقة على ما قدمناه فتكون من الصغير كما تكون من الا راك
الحقيقي في اليقظة اذا اخبر عما راى صدق فكذلك اذا اخبر عما يرى في المنام وقد اخبر الله عن
رويا ه وانما وجدت كما راى فلا اعتراض رويا ان يوسف عليه السلام كان ابنا ثنتي عشرة سنة الثامنة
هذه الاية اصل في ان لا تقصر الرويا على غير شفيق وناصح ولا على من لا يحسن التاويل فيها روى ابو
رزين العقيلي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الرويا جزء من اربعين جزاء من النبوة والرويا
معلقة برجل طاير ما لم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت فلا تحدثوا بها الا عاقلا او محبا
او ناصحا خرجه الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح وابو رزين اسمه لقيط بن عامر وقيل لملك
ايعبر الرويا كل احد فقال انا لنبوة يلعب وقال ملك لا يعبر الرويا الا من يحسنها فان رايت خيرا
اخبر به وان رايت ما يكرهها فليبتل خيرا وليصمت قيل فهل يعبرها على الخير وهي عنده على المكروه
لعمري قال انا على ما قلت عليه فقال لا ثم قال الرويا جزء من النبوة فلا يتلاعب بالنبوة
التاسعة وفي هذه الاية دليل على ان ما حق ان يحذر المسلم اخاه المسلم ممن يخاف عليه
ولا يكون ذلك داخلا في معنى الغيبة لان يعقوب قد حذر يوسف ان يقص رويا ه على اخوته فيكيدوا له
كيدا وفيها ايضا ما يدل على جواز ترك اظهار النعمة عند من يخشى غايلته حسدا وكيدا وقال النبي
صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوايجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وفيها ايضا دليل واضح
على معرفة يعقوب عليه السلام بتاويل الرويا فانه علم من تاويلها انه سيظهر عليهم ولم يبال
بذلك من نفسه فان الرجل يود ان يكون ولده خيرا منه والاخ لا يود ذلك لاخيه ونزل ايضا
على ان يعقوب كان احسن من بنيه حسدا ليوسف وبغضته فنهاه عن قصص الرويا عليهم
خوفا من ان يفعل بذلك صدورهم فيعملوا الحيلة في هلاكه ومن هنا ومن فعلهم بيوسف
يدل على انهم كانوا غير انبيا وهذا يرده القطع بعصمة الانبيا عن الحسد الذي يبوء به وعن عقوق
الابا وتعريض مومن للهلاك والتوامر في قتله وسا ر المنقات لقول من قال انهم كانوا انبيا
ولا يستحيل في العقل ذلك بني الا ان هذه الزلة ترجمت انواعا من الكبير وقد اجمع المسلمون
على عصمتهم منها وانما اختلفوا في الصغاير على ما تقدم وفي الفاشرة روى البخاري
البخاري عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة الا المبشرات
قال الرويا الصالحة وهذا الحديث بظاهره يدل على ان الرويا بشرى على الاطلاق وليس كذلك
لان الرويا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تسر لها وانما يريها الله تعالى المومن
رفقا به ورحمة ليستعد لنزول البلا قبل وقوعه فاذا ادرك تاويلها بنفسه والا سال عنها
من له اهلية ذلك وقد راى الشافعي وهو يصر ويا احمد بن حنبل قد علا محنته فكتبا به بذلك
ليستعد لذلك وقد تقدم في يوسف في تفسير قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا انها
الرويا الصالحة وهذا حديث البخاري يخرجه على الاغلب والله اعلم الحادية عشرة روى
البخاري عن سلمة قال لقد كنت ارى الرويا فتمرضني حتى سمعت ابا قتادة يقول وانا كنت
ارى الرويا فتمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرويا الحسنة من الله
فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث به الا من يحب واذا راى ما يكره فليتعوذ بالله من شرها وليتفل
ثلاثا ولا يحدث بها احدا فانها لا تضره قال علماونا نجعل الله تعالى الاستعاذة منها مما يرفع

كنت

كنت لا اعدها شيئا وزاد مسلم من حديث جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى الصلاة فليصنع كما يصنع عند امامه قال ابو بكر فليصنع عند امامه ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم فليقم فليصل قاد عمامونا وهذا كله ليس بمتعارض وانما هذا الامر بالقول والصلاة زيادة فعلى الرائي ان يصلي الجميع والقيام الى الصلاة يشمل الجميع لانه اذا صلى نفس فعله للصلاة جميع ذلك الامور لانه اذا قام الى الصلاة تحول عن جنبه واذا تمضمض نفث وبصق واذا قام الى الصلاة تعوذ ودعا وتضرع لله تعالى ان يقيم نفسها في حاديها قرب الاحوال اجابة وذلك السحر من الليل قوله عز وجل وكذلك يجتبيك ربك الكاف في موضع نصب لانها نعت لمصدر محذوف وكذا الكاف في قوله كما اتمها على ابويك وما كان وتبلو كذلك اي كما اكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك ويحسن اليك بتحقق الرؤيا مقابلا بالسحر ذلك الحسن بالنبوة والاجتباء اختيار معالي الامور للمجتبى واصله من جبيت الشيء حصلته ومنه جبيت الماء في الحوض قاله النحاس وهذا ثناء من الله تعالى على يوسف عليه السلام وتعديد فيما عدده عليه من النعم التي اتاه الله اياها التمكين في الارض وتعليم تاويل الاحاديث واجمعوا ان ذلك يجي تاويل الرؤيا قال محمد الله بن شداد بن الهاد كان تفسير رؤيا يوسف عليه السلام لبعد اربعين سنة وذلك منتهى الرؤيا وعنى بالاحاديث ما يراه الناس في المنام وهو معجزة له لانه لم يلحقه فيها خطا وكان يوسف عليه السلام اعلم بتاويلها وكان نبينا صلى الله عليه وسلم كذلك وكان الصديق من اعبر الناس لها وحصله ابن سيرين فيها التقدم العظيم والطبع والاحسان ونحوه او قريب منه كان سعيد ابن المسيب ينها ذكروا وقد قيل في تاويل قوله وتعلمك من تاويل الاحاديث انها احاديث الامم والكتب ودليل التوحيد فهو اشارة الى النبوة وهو المقصود بقوله ويتم نعمته عليك اي بالنبوة وقيل باخراج اخوتك اليك وقيل باجتباءك من كل مكروه كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم بالخلة واتخاذه من النار واسحق بالنبوة وقيل من الذبح قاله عكرمة والله اعلم تعالى بقوله وعلى ال يعقوب اي سيعطي بني يعقوب كلهم النبوة قال جماعة من المفسرين ان ربك عليم بايعطيك حكيم في فعله بك قوله عز وجل لقد كان في يوسف واخوته ايات للسايلين يعني من سال عن حديثهم وقرا اهل مكة على التوحيد واختاره ابو عبيد ايات على الجمع قاله النحاس وايته هنا قراءة حسنة اي لقد كان في الذين سالوا عن خبر يوسف اية فيما اخبروا به انهم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فقالوا اخبرنا عن رجل من الانبياء كان ابنه بالشام اخرج ابنه الى مصر فبكى عليه حتى عمي وسلم بكن بمكة احد من اهل الكتاب وكان بعض خبر الانبياء واما وجه اليهود اليهم من المدينة سالوهم عن هذا فانزل الله عز وجل سورة يوسف جملة واحدة كما في التوراة من خبرهم زيادة فكان ذلك اية للنبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة احياء عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم الميت اية موعظة وقيل عبرة ورويت انها في بعض المصاحف عبرة وقيل بصيرة وقيل عجب تقول فلان اية في العلم ولكن اي عجب فاذا التعلق في تفسيره لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه قال ابن زيد كانوا انبياء وقالوا ما يرضى ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه فنعوه بالعداوة وقد تقدم رد هذا القول قال الله تعالى لقد كان في يوسف واخوته اسماؤهم روبيل وهو اكبرهم وسمعون ولاوى ويهودا وزبالون ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهي بنت خال يعقوب وولد له من سريتيه اربعة نفر ذان ونفتالي وجاد واشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا قال السهيلي وامر يعقوب اسمها رفقا وراحيل حانت من نفاس بنيامين بن ناهر بن ازر ناهر هو حاذ ليعقوب وقيل في اسم الابن ليا وتلتا كانت احداهما لراحيل والاخرى لاختها ليا وكانت قد وهبتها لها يعقوب وكان يعقوب قد جمع بينهما ولم يجلا احد بعده لقول الله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وتقدم الرد على ما قاله ابن زيد والحمد لله قوله تعالى اذ قالوا ليوسف ليوسف رفع بالابتداء واللام للتاكيد وهي التي تبتلقاها الاسم اب والله ليوسف واخوه عطف عليه احب الى ابينا منا خبره والابن يجي ويايجي انه بمعنى الفعل وانما قالوا هذا لما خبر المقام بلغهم فتوامروا في كيده ونحن عصبة اي جماعة وكانوا عشرة والعصبة ما بين الواحد الى العشرة وقيل الى خمسة عشر وقيل ما بين الاربعين الى العشرة ولا واحد لها من لفظها كالنفر والرهط ان ابانا لفي ضلال مبين لم يريدوا ضلال الدين اذ لو ارادوه لكانوا كفارا بل ارادوا الخطا في ذهاب عن وجه النظر في ابينا رائين على عشرة في استوايهم في الانتساب اليه وقيل لفي خطا بين بايثاره يوسف واحا عليه قوله تعالى اقتلوا يوسف في الكلام حذف اي قال قايل منهم اقتلوا يوسف ليكون احسم لمادة الامر واطرحوه ارضا اي في ارض اسقط الخافض وانتصب الارض واتسع بيوبه

فيما حذف منه ، لدن يهز الكف يعسل متنه ، فيه كما عسل الطريق الثعلب ، قال النحاس الاية في
الاية حسن كثير ، ان يتعدى الى مفعولين احدهما بحرف فاذا حذف الحرف نقدر الفعل اليه
والقائل قيل هو شمعون قاله وهب بن منبه وقال كعب دان وقال مقاتل روبيل فالله اعلم
ومعنى ارضا يبعد عن ابيه فلا بد من هذا الاضمار لانه كان عند ابيه في ارض يحل حرم لانه جواب
الامر معناه يخلص ويصف لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ويكونوا من بعده اي من بعد
الذنب وقبل من بعد يوسف قوما صالحين ان تائبين اي كذلك انوبه بعد ذلك فيقبلها
الله منكم وفي هذا دليل على ان توبة القاتل مقبولة لان الله تعالى لم ينكر هذا القول منهم
وقيل صالحين اي يصلح شانكم عند ابيكم من عقوبة وما تقتضيه قوله عز وجل قال قائل منهم
لا تقتلوا يوسف والقوة في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة فيه اثنا عشرة مسئلة الاولى
قوله تعالى قال قائل منهم القائل يهودا وهو اكبر ولد يعقوب قاله ابن عباس وقيل روبيل وهو ابن
خالته وهو الذي قال فلن ابرح الارض وقيل شمعون والقوة في غيابات الجب قرا اهل مكة واهل
البصرة واصل الكونة في غيابة الجب وقرا اهل المدينة في غيابات الجب واختار ابو عبيد التوحيد
لانه على موضع واحد القوه فيه وانكر الجمع هذا قال النحاس وهذا تضييق في اللغة وغيابات
على الجمع يجوز حكى سيبويه سر عليه عشيانات واصيلانات يريد عشيته واصيلا فجعل كل وقت
منها عشيا واصيلا فكذا جعل في كل موضع مما تغيب فيه غيابة وغيابة كما قال الشاعر انا فابثنا شهرا
او نصف ثالث فاذا قد غشيتني غيابيا قاد الهروي والغيابة شبه لحف او طارق في البير
فربما يغيب الشيء عن العيون قاد ابن عرس كل شيء غيب عنك شيئا فهو غيابة قلت
ومنه قيل للقبر غيابة قاد الشاعر فان انا يوما غيبتني غيابتي ، فسيروا بسيري في العشيرة
والاهل والجب الركية التي لم تطو فان طويت فهي بير قال الاعشى لئن كنت في جب ثمانين قامة
ورقيت اسباب السماء بسلم وسميت جبا لانها قطعت في الارض قطعا وجمع الجب جبب وجباب واجباب
وجمع بين الغيابة والجب لانها راوا القوه في موضع مظلم من الجب حتى لا يخفه نظر الناظرين قيل
هو بير بيت المقدس وقيل هو بالاردن قاله وهب بن منبه مقاتل هو على ثلاث فراسخ من منزل
يعقوب الثانية قوله تعالى يلتقطه بعض السيارة جزم على جواب الامر وقرا
مجاهد وابو رجاء والحسن وقتادة تلتقطه بالتاء وهذا محمول على المعنى لانه بعض السيارة
سيارة وقال سيبويه سقطت بعض احدى بعه واشده وتشرق بالقول الذي قاد عنه
كاشرقت صدر القناة من الدم ، وقال اخر اري مر السنين احترمني ، كما اكل المرار من الهلاك
ولم يقل سرق واخذوا السيارة اجمع الذين يسيرون في الطريق السفر وانما قال هذا القائل
هذا حتى لا يحتاجوا الى جملة الى موضع بعيد ويحصل المقصود فان من التقطه من السيارة يحمله
الى موضع بعيد وكان هذا وجها في التدبير حتى لا يحتاجوا الى الحركة بانفسهم فربما الا يلتفت لهم وربما
يطلع على قصدهم الثالثة وفي هذا ما يدل على ان اخوة يوسف ما كانوا انبياء اولا وقال اخرا
ان الانبياء لا يدبرون في قتل مسلم فكانوا مسلمين فارتكبوا معصية ثم تابوا وقيل كانوا انبياء
وايسخيل في العقل ذلة في فكانت هذه زلة منهم وهذا يرده ان الانبياء معصومون من الكبائر
الصغائر على ما تزمناه وقيل ما كانوا اوحي لذلك الوقت انبيا بنا عليهم السلام وهذا اشبه والله اعلم
الرابعة قال ابن وهب قال مالك طرح يوسف في الجب وهو غلام ولكن روى ابن القاسم
عنه يعني انه كان صغيرا والدليل عليه قوله لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابات الجب يلتقطه
بعض السيارة قالوا لا يلتقط الا الصغير وقوله الى اخاف ايا كله الذيب وذلك امر يختص
بالصغار وقولهم ارسله معنا غدا نرتع ونلعب وانا له لحافظون الخامسة الالتقاط
يتناول الشيء من الطريق ومنه اللقيط واللقطة وسنذكر من احكامها ما دلت عليه الاية والسنة
وما قال في ذلك اهل العلم واللغة قال ابن عرفة الالتقاط وجود الشيء على غير طلب ومنه
قوله تعالى يلتقطه بعض السيارة اي يجده من غير ان يحتسبه وقد اختلف العلماء في اللقيط
فقيل اصله الحرية لغلبة الاحرار وروي عن الحسن بن علي انه قضى بان اللقيط حر وانه لا
يثمن لكن يستخدم ان لم يوجد معه نفقة والى هذا ذهب اشهب صاحب مالك وهو قول عمر بن الخطاب وكذلك
يروى عن علي وعائشة وقال ابراهيم النخعي ان توفي رقه فهو مملوك وان توفي الحسبة فهو
حر وقال مالك في موطيه الامر عندنا في المنبوذ انه حر وان ولاءه لجماعة المسلمين يرثونه
ويعقلون عنه وبه قال الشافعي واحتج بقوله عليه السلام انما الولاء لمن اعتق قال فتنفي الولاء
عن غير المعتق واتفق مالك والشافعي واصحابهما على ان اللقيط لا مال له احدا ولا يرثه
لهذا الولاء وقال ابو حنيفة واصحابه واكثر الكوفيين اللقيط يوالي من شاء فان والاه فهو يرثه

ويعقل عنه وعند ابي حنيفة ان ينتقل بولايه حيث شاء مالم يعقل عنه الذي والاه فان عقل عنه جنايه
لم يكن له ان ينتقل عنه بولايه ابدا وذكر ابو بكر بن ابي شيبه عن علي رضي الله عنه المنبوذ حر فان احب
ان يوالي الذي التقطه والاه وان احب ان يوالي غيره والاه وكفوه عن عطا وهو قول ابن شبرمه
وطايفه من اهل المدينه وهو حر قال ابن العربي انما كان اصل الملتقط الحريه لغلبه الاحرار على
العبيد فقضي بالغالب كما حكم بانه مسلم احتراما لغالب فان كان في قريه فيها نصارى ومسلمون قال
ابن القاسم قال يحكم بالاغلب فان وجد عليه زي اليهود فهو يهودي وان وجد عليه زي النصارى
فهو نصراني وانما هو مسلم اذا لم يكن اهل القريه على غير الاسلام وقال غيره لو لم يكن فيها الا مسلم
واحد غلب الملتقط بالاسلام تغليبا لحكم الاسلام الذي يعلو ولا يعلى عليه وهو يقتضي قول
اشهب قال اشهب هو مسلم ابدا اني اجعله مسلما على كل حال كما اجعله حرا على كل حال واختلف
الفقها في المنبوذ تشهد البينه انه عبد فقالت طايفه من اهل المدينه لا يقبل قولها في ذلك
والى هذا ذهب اشهب لقول عمر هو حر وقضى بحريته فلم يقبل البينه في ان عبد وقال ابن القاسم
تقبل البينه في ذلك وهو قول الشافعي والكوفي المتبادر منه قال مالك في الملتقط اذا اتفق
عليه الملتقط ثم اقام رجل البينه انه ابنه قال الملتقط يرجع على الاب ان كان حرا منعما ان ان
لم يكن حرا منه ولكنه فعل منه فلا شي عليه على الاب والملتقط متطوع بالنفقه وقال ابو حنيفه
اذا انفق على الملتقط فهو متطوع الا ان يامره الحاكم وقال الاوزاعي كل من انفق على من تجب
له عليه نفقه رجع بما انفق وقال الشافعي ان لم يكن للملتقط حال وجبت نفقته في بيت المال
فان لم تكن فعليه قولان احدهما يستقرض له في ذمته والثاني يسقط على المسلمين من غير عوض للطلبه
السابقه واما اللقطه والضوال فقد اختلف العلما فقالت طايفه من اهل العلم والفتوا
سوا في المعنى والحكم فيهما سوا وبهذا ذهب ابو جعفر الطحاوي وانكر قول ابي عبيد القاسم
ابن سلام ان الضاله لا تكون الا في الحيوان واللقطه في غير الحيوان وقال هذا غلط واحتج
بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث مالك للمسلمين ان احلتم قلادتها فالحق ذلك عليكم
القلاده الشامنه اجمع العلما ان اللقطه ما لم تكن تافها يسيرا او شيا ابقا لها فانها
تعرف حولا كاملا واجمعوا ان صاحبها ان جاء وهو احق بها من ملتقطها اذا اثبت له انه صاحبها واجمعوا
واجمعوا ان ملتقطها ان اكلها بعد الحول وارد صاحبه ان يضمنه فان ذلك له وان تصدق بها
فصاحبها مخير بين الضمين وبين ان يترك اجرها فان ذلك خير كان ذلك له باجماع ولا تنطلق به
ملتقطها عليها بصدقته وان تصرف قبل الحول واجمعوا على ان ضاله الغنم المخوف عليها له اكلها
انا سعت واختلف الفقها في الافضل من احرازها او تركها من ذلك ان في الحديث دليلا
على اباحه التقاط اللقطه واخذ الضاله ما لم تكن ابلا وقال في الشاه لك او لاخيك او للذيب
يحضره على احرازها ولم يقل في شي دعوه حتى يضيع او يذهب ربه ولو كان ترك اللقطه افضل لامر
به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال في ضاله الابل والله اعلم وهذا مذهب اصحاب مالك انه في سعه
ان شا احرزها وان شا تركها هذا قول اسماعيل بن اسحاق رحمه الله وقال المزني عن الشافعي احب
لاحد ترك اللقطه ان وجدها اذا كان امينا عليها قال وسوا قليل اللقطه وكثيرها الا ما كثر
روى الائمه مالك وغيره عن زيد بن خالد الجهني انه كان اعرابيا فجا رجل الى النبي صلى الله عليه
وسلم فساله عن اللقطه فقال اعرف عفاصها ووكاها ثم عرفها سنه فان جا صاحبها والا فشانك
بها قال فضاله الغنم يا رسول الله قال لك او لاخيك او للذيب قال فضاله الابل قال مالك ولها
معها سقاوها وحذوها ترد الماء وتاكل الشجر حتى يلقاها ربها وفي حديث ابي قال احفظ
عددها ووعاها ووكاها فان جا صاحبها والا فاستمتع بها وفي هذا الحديث زيادة لم يخرجها مسلم
وغيره واجمع العلما ان عفاص اللقطه ووكاها ما ظاهرهما علامتها واد لها عليه فاذا جا صاحب اللقطه
بجميع اوصافها دفعت له قال ابن القاسم يجبر على دفعها فان جا مستحق يستحقها ببينه انها كانت
له لم يستحق الملتقط شيا وهل يحلف مع بينته وصفا او لا خلاف الاول لاشهب والثاني لابن القاسم ولا تلزمه
بينه غير ما لك واصحابه واحمد بن حنبل وغيرهم وقال ابو حنيفه والشافعي لا تدفع له الا اذا اقام
بينه انها له وهو خلاف نص الحديث ولو كانت البينه شرطا في الدفع لما كان لذكر العفاص والوكاء
والعدد معنى فانه يستحقها بالبينه على كل حال ولما جا سكوت النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فانه تاخيرا لبيان عن وقت الحاجه والله اعلم الخامسه عشره نص الحديث على ان الابل والغنم
وبين حكمهما وسكت عما عداهما من الحيوان وقد اختلف علما ونا في البقر هل تلحق بالابل او بالغنم
فوجد وكذلك اختلف المتاخرون في التقاط الخيل والبغال والحمير وظاهر قول ابن القاسم انها
تلتقط وقال اشهب وابن كنانه لا تلتقط وقول ابن القاسم اصح لقوله صلى الله عليه وسلم احفظ

احفظ على اخيك المومن ضالته الثانية عشرة واختلف العلماء في النفقة على الضوال فقال
مالك فيما ذكر عنه ابن القاسم ان النفق الملتقط على الدواب والابل وغيرها فله ان يرجع على صاحبها
بالنفقة سواء انفق عليها بامر السلطان او بغير امره قال وله ان يحبس بالنفقة ما انفق عليه
ويكون احق به كالرهن وقال الشافعي اذا انفق على الضوال من احدها فهو متطوع حكاه عنه
الربيع وقال المزني عنه اذا امره الحاكم بالنفقة كانت دينا وما ادعى قبل منه اذا كان مثله قصدا
وقال ابو حنيفة اذا انفق على اللقطة والابق بغير امر القاضي فهو متطوع وان انفق بامر
القاضي فذلك دين على صاحبها اذا جاء وله ان يحتبسها اذا حضر صاحبها والنفقة عليها ثلاثة
ايام ونحوها حتى يامر القاضي ببيع الشاة وما اشبهها ويقضي النفقة اثنا عشرة ليس
في قوله صلى الله عليه وسلم في اللقطة بعد التعريف فاستمتع بها او شانك بها او هي لك او لاخيك
او استنفقها او تم كلمها او هو مال الله تؤتيه من يشاء على ما في صحيح مسلم وغيره ما يدل على
التمليك وسقوط الضمان على الملتقط اذا حازها فان في حديث زيد بن خالد الجهني عن
النبي صلى الله عليه وسلم عرفها سنة فان لم تعرف فاستنفقها فلتكن وديعة عندك فان
جاء صاحبها يوما من الدهر فادها اليه في رواية ثم كلها فان جاء صاحبها فادها اليه اخرجه
البخاري ومسلم واجمع العلماء على ان صاحبها متى جاء فهو احق بها الا ما ذهب اليه داود من ان الملتقط
يملك اللقطة بعد التعريف لتلك الظواهر ولا التفات لقوله لمخالفة الناس ولقوله عليه
السلام فادها اليه قوله تعالى قالوا يا ابانا مالك لا تامنا على يوسف قيل للحسن الحسد المومن
قال ما انساك بني يعقوب ولهذا قيل للاب حلاب والاخ سلاب فعند ذلك اجمعوا على التفريق
بينه وبين ولده بضرب من الاحتيال وقالوا ليعقوب يا ابانا مالك لا تامنا وقيل لما تقاولوا
واتفقوا على راي المتكلم الثاني عادوا الى يعقوب عليه السلام وقالوا هذا القول وفيه دليل
على انهم سالوه قبل ذلك ان يجمع معهم يوسف فابى عليهم ابابيا وقرا ابن يزيد بن القعقاع وعمرو بن
عبيد والزهري لا تامنا بالادغام بغير اشمام وهو القياس لان سبيل ما يدغم ان يكون ساكنا
وقرا طلحة بن مصرف لا تامننا بنونين ظاهرتين على الاصل وقرا يحيى بن وثاب وابو رزين وزر وعن
عاصم لا تيمنا بكسر التاء وهي لغة تميم يقولون انت تضرب وقد تقدم وقرا سابرا الناس بالادغام
والاشمام ابدل على حال الحذف قبل ادغامه وانا له لناصحون اي في حفظه وغفلته حتى نرده اليك
قال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير وذلك ان اخوة يوسف قالوا لابيهم ارسله معنا غدا نرتع الاية
مجيبين قال ابو هم اني ليحزنني ان تذهبوا به فقالوا جوابا لقوله ما لك لا تامنا على
يوسف الاية ارسله معنا غدا الى الصحراء نرتع ونلعب عن اطرف والاصل عند سيبويه عدو وقد
نطق به على الاصل قال المفضل بن سلمة ما بين الفجر وصلاة الصبح يقال غدوة وكذا بكرة نرتع
ونلعب بالنون واسكان العين قراءة اهل البصرة والمعروف من قراءة اهل مكة نرتع بالنون
وكسر العين وقراءة اهل الكوفة يرتع ويلعب بالياء واسكان العين وقراءة اهل المدينة بالياء وكسر
العين القراءة الاولى من قولك المرعى ترتع الماشية والبعير اذا اكلا كيف شاءا والمعنى نتسع في
الخصب وكل مخصب رائع قال قارعتني فزارة لا هناك المرتع احرتع ما غفلت حتى اذا
ادكرت فانماهي اقبال وادبار وقال اخره اكثر بعد ردا لمرتعني وبعد عطايك المايا الرتاعا
اي الرافقة لكثرة المرعى وزري معي عن قتادة نرتع نسعى قال النحاس اخذه من قوله انا
ذهبنا نستبق لان المعنى نستبق في العدو الى غنمنا بعينها وكلا نرتع باسكان العين الا انه ليوسف
وحده صلى الله عليه وسلم ويرتع بكسر العين من رعى الغنم اي ليبتدرب بذلك ويزجل فمرة يرتع
ومرة يلعب لصغره وقال الفتى نرتع نتحارس ونتحافظ ويرعى بعضنا بعضا من قولك رعاك الله
اي حفظك ونلعب اللعب وقيل ابا عمرو بن العلاء كيف قالوا ونلعب وهم انبيا فقال لم يكونوا يومئذ
انبيا وقيل المراد باللعب المباح من الانشاط لا اللعب المحظور الذي هو ضد الحق ولذلك لم ينكر
يعقوب قولهم ونلعب ومنه قوله عليه السلام فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وقرا مجاهد وقتادة
نرتع ونلعب على معنى نرتع مطيتنا فحذف المفعول ويلعب بالرفع على الاستيناف والمعنى ونحن نلعب
وانا له لحافظون من كل ما يخاف عليه ثم يحتمل انهم كانوا يخرجون ركبانا ويحتمل انهم كانوا رجالة
وقد نقل انهم حملوا يوسف على اكتافهم ما دام بمنظر يعقوب عليه السلام ثم لما غابوا عن عينيه طرحوه ليعدو معهم باضرارهم قوله عز وجل قال اني ليحزنني ان تذهبوا به اي في موضع رفع اي ذهابكم
به احزنني وافجعني لفضيلته واخاف ان ياكله الذيب وذلك انه رايى في منامه ان الذيب شد علي
يوسف فلذلك خافه عليه قاله الكلبي وقيل انه رايى في منامه كانه على ذروة جبل وكان يوسف
في بطن الوادي فاذا عشرة من الذيب فدا حتر سته ير يدون اكله فدا عنه فاذا هم انسقت

الارض فتوارى يوسف فيها ثلاثة ايام فكان العشرة اخوته لما نالوا على قتله والدفع عنه
اخوة الاكبر فحذا وتواريه في الارض هو مقامه الجب ثلاثة ايام وقيل انما قال ذلك لخوف
منهم عليه وانما اراد بالذئب فخوفهم انما كان من قبلهم له فكنى عنهم بالذئب مسارة لهم قال
ابن عباس فسماهم ذيابا وقيل ما خافهم عليه ولو خافهم ما الله سلمه معهم وانما خاف الذئب
لانه اغلب ما يخاف في الصحارى والذئب ما خوذ من ذئابة الريح اذا جاءت من كل وجه كذا قاله
احمد بن يحيى فالذئب مهموز لانه يجيء من كل وجه وروى ورش بغير همز اذا كانت الهمزة
ساكنة وقبلها كسرة تخففها صارت ياء وانتم عنه غافلون اي مشتغلون بالرعي قوله تعالى قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة اي جماعة نرى الذئب ثم لا نرده علينا انا اذا لخاسرون اي حفظنا اغنا
منا اي اذا كنا كذلك فنحن عاجزون لا ندفعه عن اغنامنا وقيل الخاسرون
الهالكون بحتة وقيل العاجزون قوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه اي موضع نصب
الا على ان يجعلوه اي غيابة الجب قيل في القصة ان يوسف عليه السلام لما ارسله معهم اخذ عليهم
ميثاقا غليظا لكف ظنه ويسلمه الى روبيل وقال يا روبيل انه صغير ونعلم انا بنى شفقتي
عليه فان جاع فاطعمه وان عطش فاسقه وان عريانا فاحمله ثم عجل برده الي قال فاخذوا يحملونه
على اكتافهم ابضعه واحد الا رفعه اخر ويعقوب يبلغهم ميلا ثم رجع فلما انقطع بصر ابيهم
عنهم رماه الذي كان يحمله الى الارض حتى كاد ينكسر فانحنا الى اخر فوجه عند كل واحد منهم اشد
مما عند الاخر الغيظ والحسد فاستقبل بروبيل وقال انت اكبر اخوتي والخليفة من بعد ابي
والذي علي واقرب الاخوة الي فارحمني وارحم ضعفي فلطمه لطمة شديدة وقال له اقر ابتم
بيني وبينك فادع الاحد عشر كوكبا فلتحكك منا فعلم ان حقد هم من اصل ابيهم فتعلق باخوته
يبكي وقال يا اخي ارحم ضعفي وعجزي وصراخه سيجد ارحم قلب ابيك يعقوب فقال والله لا يطلع
اليك ابدا ما دمت حيا ثم قال يا اخوتاه ان قتل النفس التي حرم الله من اعظم الخطايا وذوا هذا الصبي
الى ابيه ونعاهده ان لا يجدث والده بشر مما جرى ابدا فقال له اخوته والله ما نريد الا ان نكون لك الكائنة
عند يعقوب والله لئن ذكرته لنقتلنك معه قال فان لم تذكروا ذلك فهناك لك الجب الوحش الفقر
الى الذئب الذي يأوي اليه الحيات والهوام فالقوه فيه فان اصيب بشيء من ذلك فهو المراد وقد استرحتم
من دمه وان انقلب على يديه سيارة يذهبون له الى ارض فهو المراد فاجمع رايهم على ذلك فهو قول
الله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه اي غيابة الجب وجواب لما محذوف اي فلما ذهبوا به
واجمعوا على طرحه في الجب عظمت فتنتهم وقيل جواب لما قولهم قالوا يا ابانا انا ذاهبنا نستبق وقيل
التقدير فلما ذهبوا به من عند ابيهم واجمعوا ان يجعلوه في غيابات الجب جعلوه فيها هذا على مذهب
البصريين واما على قول الكوفيين فالجواب اوحينا والواو مقحمة والواو عندهم تزاد مع لما وحتى
قال الله تعالى حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها اي فتحت وقوله حتى اذا جاء امرنا وثار التنور وقال
ابي فار وقال امريا للبيت فلما اسرنا ساخة الحي وانتحى اي انتحى ومن قوله تعالى فلما اسلما
وتله للجبين وناديناه اي ناديناه وفي قوله واوحينا اليه اعلى يطمئنه في ذلك الوقت قال الحسن
ومجاهد والضحاك وقتادة اعطاه الله النبوة وهو في الجب على حجر مرتفع عن الماء وقال الكلبي
التي في الجب وهو ابن ثمان عشرة سنة فما كان صغيرا ومن قال كان صغيرا قال لا يبعد في العقل ان يلهما
الصغير وبوحي اليه وقيل كان وحي الهام كقوله واوحى ربك الى النحل وقيل كان منامات والاول اظهر
والله اعلم وان جبريل جاءه بالوحي قوله تعالى لتنبئنهم بامرهم هذا بيان وجهان احدهما انه اوحي
اليه انه سيلقاهم ويرجعهم على ما صنعوا فعلى هذا يكون الوحي بعد القائه في الجب تقوية لقلبه
وتيسيرا له بالسلامة الثاني انه اوحي اليه بالذي يصنعون به فعلى هذا الوحي قبل القائه في الجب
لئلا يرى له ومنهم لا يشعرون انك يوسف وذلك ان الله تعالى امره لما افضى اليه الامر ان لا يخبر اباه واخوته
بمكان وقيل بوحي الله تعالى بالنبوة وقاله ابن عباس ومجاهد وقيل الهما ليعقوب اوحى الله تعالى
اليه بما حملوه بيوسف وانه سيجمع بينهم بامره ومنهم لا يشعرون انا وحي اليه انا سا علم وما ذكر من قصته
انه التي في الجب ما ذكره السدي وغيره ان اخوته لما حملوا يذكرونه يدلونه في البير تعلق بشفة البير
فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به في هذا الجب فان كان كفني
وان عشت اواري به عورتي فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا فلتونسك وتكسك
فقال اني لم ار شيئا فدلوه في البير حتى اذا بلغ نصفها القوه ارادة ان يسقط فيموت فكان في
البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وقيل ان شمعون هو الذي قطع الحبل ارادة ان
ينفتت على الصخرة وكان جبريل تحت ساق الوشر فاوحى الله اليه ان ادرك عبدي فاد جبريل فاستعنت
وهبطت حتى عارضته بيدي الريح والوحي فاقعدته على الصخرة سالما وكان ذلك الجب ماويا للعلم

فقام على الصخرة وجعل يبكي فناداه فنظر انها رحمة عليه ادركتهم فاجابهم فاراد وا ان يرضخوه
بالصخر فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام فلما وقع عريانا نزل جبريل اليه وكان ابراهيم حين
القي في النار حين ناداه اياه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه وكان ذلك عند ابراهيم ثم
ثم ورثه اسحق ثم ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وجعله في
عنقه وكان لا يفارقه فلما القي في الجب عريانا اخرج جبريل ذلك القميص فالبسه اياه قال وذهب
فلما قام على الصخرة قال يا اخوتاه ان لكل بيت حصنا فاسمعوا وصيتي قالوا وما هي قال اذا اجتمعتم
كلكم فانس بعضكم بعضا فاذكروا وحشتي واذا اكلتم فاذكروا جوعتي واذا شربتم فاذكروا
عطشي واذا رايتم عريانا فاذكروا عريتي واذا رايتم شمايا فاذكروا شمايي فقال له جبريل
يا يوسف كف عن هذا واشتغل بالدعا فان الدعا عند البلا يكاد ان لم علمه فقال اللهم يا مونس كل
غريب ويا صاحب كل وحيد ويا ملجا كل خايف ويا كاشف كل كربة ويا عالم كل نجوى ويا منتهى
كل شكوى ويا حاضر كل ملا ويا حي يا قيوم اسالك ان تكحل بنقد رحمتك في قلبي حتى لا يكون
لهم ولا شغل غيرك وان تجعل لي من امري فرجا ومخرجا انك على كل شي قدير فقالت الملايكة
الهنا نسمع صوتا ودعا الصوت صوت صبي والدعا دعا نبي وقال الضحاك نزل جبريل عليه السلام
على يوسف وهو في الجب فقال له الا اعلمك كلمات اذا انت قلتهن جعل الله لك من همك هذا
الجب فقال نعم فقال له قل يا صانع كل مصنوع ويا جابر كل كسر ويا شاهد كل نجوى ويا حاضر
كل ملا ويا مفرج كل كربة ويا صاحب كل غريب ويا مونس كل وحيد انجني يا الفرج والرجا
واقذف رجاك في قلبي حتى لا ارجو احدا سواك ففرد ها يوسف في ليلة مرارا فاخرجه الله في
صبيحة يومه ذلك فراجب قوله تعالى وجاوا ابا هم عشا يبكون فيه مسالتان الاولى
قوله تعالى وجاوا ابا هم عشا اي ليلا وهو ان يكون في وضع الحال واما جاوا عشا ليكونوا اقدر
على الاعتذار في الظلمة وكذا قيل لا تطلب الحاجة بالليل فان الجبابي الجبايتين لا تقدر بالنهار
مذنب فتلجلج في الاعتذار فرد كان ليعقوب عليه السلام لما سمع بكاءهم قال ما بكم احرك بعض
الغنم شي قالوا لا قال فابن يوسف قالوا ذهبنا نستبق فاكله الذيب فبكى وصاح وقال يا بني صميم
على ما يا تي بيانه وقال السدي وابن جبير لما قالوا اكله الذيب خر مغشيا عليه فافاقوا
عليه الما فلم يتحول وناد وه فلم يجب قال وهب ولقد وضع يهوذا يده على مخارج نفس يعقوب
فلم يحس بنفس ولا تحرك له عرق فقال لهم يهوذا ويلنا من دياذ يوم الدين ضيعنا وقتلنا ابانا
فلم يقم يعقوب الا يسيرا كما يسمر ما فاق ورأسه في حجر رسيل فقال يا روبيل الم ايمنك على ولدي
الم اعهد اليك عهدا فقال يا ابتاه كنت عنى بكاك اخبرك فكذب يعقوب بكاه فقال يا ابتاه انا
ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب الثانية روى مالك عن نافع عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي اضمرت وكان امدها ثنية الوداع وسابق بين
الخيل التي لم تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق وان عبد الله بن عمر كان ممن سابق بها وهذا الحديث
مع صحته في هذا الباب فتضمن ثلاثة شروط فلا تجوز المسابقة بدونها وهي ان المسابقة لا بد ان تكون
معلومة الثاني ان تكون الخيل متساوية الاحوال الثالث ان لا يسبق المضمر مع غير المضمر لما روى
وغاية واحدة والخيل التي يجب ان تضمر ويسابق عليها وتقام هذه السنة فيها هي الخيل المعدة لجهاد
العدو ولاقتناد المسلمين في القرن الثالثة واما المسابقة بالفضاذ والابل فرذيلة مسلم عن عبد
الله بن عمر وقال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلنا منزلا فمنا من يصلح خباه ومنا
من ينضل وذكر الحديث وخرج النسائي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا سبق الا
في نصل او خف او حافر وذكر وتمت ذلك النضل من حديث ابن ابي ذيب عن نافع عن ابي هريرة ذكره
النسائي وبه يقول فقهاء الحجاز والعراق وروى البخاري عن انس قال كان للنبي صلى الله عليه
وسلم ناقة تسمى الفضباء تسبق فجاء اعرابي على قعود لها فسبقها فشق
ذلك على المسلمين حتى عرفه فقال حق على الله ان لا يرفع شي من الدنيا الا وضعه الزالفة
اجمع العلماء على ان السبق لا يجوز على وجه الرهان الا في الخف والحافر والنصل قال والشافعي ملحق
هذه الثلاثة والسبق فيها قمار وقد زاد ابو البختري القاضي في الخف والحافر والنصل او جناح
وهي لفظة وضعها الرشيد وترك القلم حديثه لذلك ولغيره من موضوعاته قال ابو بكر بن العلا حدثه
حماد وقد روى عن مالك انه قال لا سبق الا في الخيل والرمي لانه قوة على اهل الحرب
قال وسبق الخيل احب الينا من سبق الرمي وظاهر الحديث يشهد بين السبق على النجب والسبق
عليها وروى عن عطا المراهنة في كل شي حابز وقد نا ولد عليه ان حمله على العموم في كل شي يودي الى

احازة

اجازة القمار وهو محرم باتفاق الخامسة لا يجوز السبق في الخيل والابل الا في غاية معلومة وامد معلوم
كما ذكرنا ولذلك الرمي لا يجوز السبق فيه الا بغاية معلومة ورشق معلوم كما ذكرنا وكذلك الرمي بالحراب
السبق فيه الا بغاية معلومة ورشق معلوم ونوع من الاصابة مشترط حسنا او اصابة بغير شرط والاصابة
علانية سبق بعطيها الوالي او الرجل غير الوالي من ماله متطوعا فيجعل للسباق شيأ معلوما ممن سبق
احدهم وسبق يخرجه احد المتسابقين دون صاحبه فان سبقه لصاحبه احدهم وان سبق هو صاحبه
احدهم وحسن اذ يعطيه في الوجه الذي احرز له ولا يرجع الى ماله وهذا مما لا خلاف فيه والسبق
الثالث اختلف فيه وهو ان يخرج كل واحد منهما شيأ مثل ما يخرجه صاحبه وهذا الوجه لا يجوز حتى
يدخلا بينهما محللا لا يأمنان ان يسبقهما فان سبق المحلل احرز السبقين جميعا واحدهما وحده وان سبق
احد المتسابقين احرز سبقه واحد سبق صاحبه ولا شيء للمحلل فيه ولا شيء عليه وان سبقا الثاني منهما الثالث
كان كمن لم يسبق واحدا منهما وقال ابو علي بن خيران من اصحاب الشافعي وهو قول الفرا المحلل ان يكون مجهولا
انه يحلل السبق او له والفرق العلما على انه ان لم يكن بينهما محلل واشترط كل واحد من المتسابقين انه ان سبق
احدهما سبقه وسبق صاحبه انه قمار لا يجوز وفي سنن ابي داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا رضاع الا ما فرسا بين وسبق او هو ما يأمن ان يسبق فلمن نقامر ومن ادخله وقد امن ان يسبق فهو قمار
وفي الموطا عن سعيد بن المسيب قال ليس برهان الخيل باسا اذا دخل بينهما محلل فان سبق اخذ السبق
وان سبق لم يكن عليه شيء وبهذا قال الشافعي وجمهور اهل العلم واختلف في ذلك قول مالك فقال
مرة لا يحكم المحلل في الخيل ولا ناخذ فيه بقوله سعيد ثم قال لا يجوز الا المحلل وهو الصحيح من قوله
السادسة ولا يجعل على الخيل والابل في المسابقة الا محتلم ولو ركبها اربابها كان اولى وقد روي
عن عمر بن الخطاب انه قال لا يركب الخيل في السباق الا اربابها وقال الشافعي واقل السبق ان يسبق
بالهادي او بعضه او بالكفل او بعضه والسبق من الرماة على هذا النحو عنه وقول محمد بن الحسن
في هذا الباب كقول الشافعي السابعة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سابق ابا بكر وعمر
فسبق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ابو بكر وتلك عمر ومعنى وصلى ابو بكر بعيني ان راس فرسه
كان عند صلاة كتاف فرس رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلوان موضع العجز قوله تعالى وتركنا
يوسف عند متاعنا اي عند ثيابنا واقتسمتنا حارسا لها اكل الذيب وذلك انهم لما سمعوا ابا هم يقول
واخاف ان ياكله الذيب اخذوا ذلك مرقيه فخرموا به اذ كان اظهر المحاوف عليه وما انت بمومن لنا اي
بمصدق ولو كنا اي وان كنا قالة المهر وابن اسحق صادقين في قولنا ولم يصدقهم يعقوب لما ظهر له من قوة
التهمة وكثرة الادلة على خلاف ما قالوه على ما ياتي انفا بيانه وقيل معناه ولو كنا صادقين اي ولو كنا
عندك من افاضل الثقة والصدق ما صدقتنا والتهمتنا في هذه القضية لشدة محبتك لي يوسف
قال معناه الزجاج والطبري وغيرهما قوله تعالى وجاوا على قميصه بدم كذب فيه ثلاث
مسايل الاولى قوله تعالى بدم كذب قال مجاهد كان دم سخلة او هري ذبحوه وقال قتادة كان
دم ظبية اي جاوا على قميصه بدم مكذوب فيه فوصف الدم بالمصدر فصار تقديره بدم ذي كذب
مثل واسال القرية والعامل والمفعول قد يسميان بالمصدر فيقال هذا ضرب الامير اي مضروبه
وماسكب اي مسكوب وماغور اي غايروجل عدل اي عادل وقرا الحسن وعايشة بدم كذب بالدال
غير المعجمة اي بدم طري يقال للدم الطري الكذب وحكى عنه المنذر قاله الشعبي والكذب ايضا
البياض الذي يخرج في اظفار الصبيان ويجوز ان يكون شبه الدم في القميص بالبياض الذي يخرج في الظفر
الرابعة اختلف الثوبيون الثلاثة قال علماؤنا رحمة الله عليهم لما اراد وا ان يجعلوا الدم
علامة على صدقهم قرن الله بهذه العلامة علامة تعارضها وهي سلامة القميص من التخريق ولما تامل يعقوب عليه
السلام القميص لم يجد فيه خرقا ولا اثرا استدل بذلك على كذبهم وقال لهم متى كان هذا الذيب حليما
يا كل يوسف ويخرق القميص قال ابن عباس وغيره وروى اسرايل عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن
عباس قال كان الدم دم سخلة وروى سفيان عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نظر اليه قال
كذبتم لو اكله الذيب لخرق القميص وحكى الماوردي ان في القميص ثلاث ايات حين جاوا عليه بدم كذب
وحين قد قميصه من دبر وحين القي على وجه ابيه فارتد بصيرا قلت وهذا مردود فان
القميص الذي جاوا عليه الدم غير القميص الذي قد وغير القميص الذي اتاه البشير به وقد قيل ان
القميص الذي قدوه الذي اتي به فارتد بصيرا على ما ياتي بيانه اخر السورة ان شاء الله تعالى وروي انهم
قالوا له بل اللصوص قتلوه فاختلفت قولهم فانتهرهم فقال له يعقوب تزعمون ان الذيب اكله
ولم اكله لشق قميصه قبل ان يفصل الى جلده وما اري بالقميص من شق تزعمون ان اللصوص قتلوه
واخذوا قميصه فهلا يريد ونه لا ثياب فقالوا عند ذلك وما انت بمومن لنا ولو كنا صادقين عن الحسن

وغيره اي لو كنا من صوفيين بالصدق لما اتممنا الثالثة الفقها بهذه الاية في اعمال الامارات
في مسايل من الفقه كالقسامة وغيرها واجمعوا على ان يعقوب عليه السلام استدل على كذبهم بصحة
القميص وهكذا يجب على الناظر ان يلحظ الامارات والعلامات اذا تعارضت فما ترجح منها قضى بجانب
الترجيح وهي قوة التهمة والاحلال في الحكم بها قاله ابن العربي قوله تعالى قال بل سولت لكم
انفسكم امرا فصبر جميل فيه ثلاث مسايل الاولى روى ان يعقوب لما قالوا له فاكله الذيب قال
لهم الم يترك له الذيب عضوا فتانوني به استنانس به الم يترك لي ثوبا اشم ليه رايحته قالوا بلى
هذا قميصه ملطوخ بدمه فذلك قوله وجاءوا على قميصه بدم كذب فلما يعقوب عند ذلك وقال
لبنيه اروني قميصه فاروه فشمه فشقه وقبله ثم جعل يقلبه فلا يرى فيه شيا ولا تمزيقا فقال
والله الذي لا اله الا هو ما رايت كاليوم ذيبا احلم منه اكل ابني واختلسه من قميصه ولم يمزقه
عليه وعلم ان الامر ليس كما قالوا وان الذيب لم ياكله فاعرض عنهم كالمغضب باكيا حزينا وقال
يا معشر بني ولدي دلوني على ولدي فان كان حيا رددته وان كان ميتا كفنته ودفنته فقيل قالوا
حينيذ الم تروا الى ابينا كيف يكذبنا في مقالتنا تعالى اخرجه من الجب ونقطعه عضوا عضوا وناتي
ابانا باحر اعضايه فيصدقنا في مقالتنا ويقطع ياسه فقال يهود والله لين فعلتم لا كون تركتكم
عدوا ما بقيت لكم ولاحرمن اباكم نبوة صنيعكم قالوا انا فاذا امتنعنا من هذا فتعالى نصطلد
ذيبا ونطخوه بالدم واوتفوه بالحمار ثم جاوا بيعقوب وقالوا يا ابانا ان هذا الذيب الذي يجل
باعتنا منا ويفترسها ولعله الذي فجعنا باخينا لا نشك فيه وهذا دمه عليه فقال ليعقوب اطلقوه
فاطلقوه وتبصصر له الذيب فاقبل يدنو منه ويعقوب يتولد له ادنى ادنى حتى الصق خده
بخده فقال له يعقوب ايها الذيب لم اجتنى بولدي واورثتني حزنا طويلا ثم قال اللهم
انطقه فانطقه الله فقال والذي اصطفاك نبيا ما اكلت لحمه ولا مزقت جلده ولا سمعت شعره
من شعراته ورد الله ما لي بولدك عهد وانا ذيب غريب اقبلت من نواحي مصر فجيء طلب اخ لي فقد
فلا ادري اخي حي ام ميت فاصطادني ولدك واولقوني وان نحوي لما نبيا حرمت علينا وعلى
جميع الوحوش وتالله ما اقمت في بلد يكذب فيها او اذا الانبيا على الوحوش فاطلقه يعقوب
وقال والله لقد اتيتم باكحة على انفسكم هذا ذيب بريء خرج يطلب ذمام اخيه وانتم فرطتم في اخيكم
وقد علمت انا الذيب بريء مما جيتم به بل سولت اي زينت لكم انفسكم امرا غير ما تصفون وتذكرون
ثم قال توطينة لنفسه فصبر جميل وهي الثانية قال الزجاج اي فشاني او الذي اعتقده صبر
جميل وقال فطرب اي فصبري صبر جميل وقيل اي فصبر جميل اولى فهو مبتدا وخبر محذوف وقد يروى
ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن الصبر الجميل فقال هو الذي لا شكوى معه وسياتي له مزيد
بيان في اخر السورة ان شاء الله تعالى قال ابو حاتم قرا عيسى بن عمر فيما زعم سهل بن يوسف فصبرا جميلا
قال وكذا قرا الاشهب العقيلي قال وكذا في مصحف نافع وابي صالح قال ابو الفتح هو
اولى من النصب لان المعنى قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل بالرفع هو
صبرا جميلا قاله شكا الى الله طول السرى * صبرا جميلا كلانا مبتلى * والصبر الجميل هو الذي
لا جزع فيه ولا شكوى وقيل معناه لا اعاشركم على ابنة الوجه وعبوس الجبين بل اعاشركم على ما كنت
عليه معكم وفي هذا ما يدل على انه عفى عن مواخذتهم وعن حبيب الى ثابت ان يعقوب كان قد سقط
حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقيل له ما هذا قال لطول الزمان وكثرة الاحزان نادى الله
البه اشكوني يا يعقوب قال يا رب خطيئة احطتها فاغفرلي والله المستعان ابتدا وخبر على
ما تصفون اي على احتمال ما تصفون من الكذب الثالثة قال ابن ابي رفاعة بلغني عن اهل الراي ان
يتهموا ان ابهم عد ظن يعقوب صلى الله عليه وسلم وهو نبي قال له بنوه اذ ذهبنا نستبق
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فاصبر صبرا جميلا
ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين قال بل سولت لكم انفسكم امرا فلم يجب
قوله تعالى وجاءت سيارة اي رفقة مارة بسير وذلك ان الشام الى مصر فاخطوا الطريق وهو
ما حوا حتى نزلوا قريبا من الجب وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران انما هو للرعاء والمختار وكان ماوه
ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا واردهم فذكر على المفيض ولو قال فارسلنا واردها لكان
على اللفظ مثل وجاءت والوارد الذي يرد الماء يستقي للقوم وكان اسمه فيما ذكر المنسرون مالك
ابن ذعر من العرب العاربة فادلى دلوه اذا ارسلها ليملاها ودلاها اذا اخرجها عزاه الاصمعي وغيره
والدلو والوارد لا يدلوا دلوا اي جذب واخرج وكذلك دلي اذا ارسل انما تقول ردوه الى الماء
للمستقبل وجمع دلو في اقل العدد اذ لا دا كثر ثلث ذلك وذلي فغلبت الواو وبابها ان يجمع بالياء

التغيير ويبرف بينا الواحد والجمع ودلا ايضا تتعلق بوسف بالجد فلما خرج اذا علام كالقمر ليلة البدر
احسن ما يكون من الغلمان قال صلى الله عليه وسلم في حديث الاسراء من صحيح مسلم فاذا انا بيوسف اذا هو
قد اعطي شطر الحسن وقال كعب الاحبار كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق
ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين خميص البطن صغير السرة اذا تبسم رايت النور من
ضواحكه واذا تكلم رايت في كلامه شعاع الشمس تتيامن له لتستطيع احد وصفه وكان حسنه كضوء
النهار عند الليل وكان بيشر ادم عليه السلام يوم خلقه الله ونفخ فيه من روحه قبل ان يصيب المعصية
وقيل انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن فلما راته ملكت بن دعر
قال يا بشر اي هذا غلام هذه قراءة اهل المدينة واهل البصرة الا ابن ابي اسحق فانه قرا يا بشرى
هذا غلام فعلى الاولى هذه المبالغة كسرا قبلها فلما ادخل الف كان قبلها عوضا وقرا اهل
الكوفة يا بشرا غير مضاف وفي معناه قولان احدهما اسم الغلام والثاني يا ايها البشر هذا حمك
واوانك قال قتادة والسدي لما ادلى الدلو تعلق بها يوسف فقال يا بشرا اي هذا غلام
قال قتادة لبشرا صحابا له وهذا عبدنا قال السدي نادى رجلا اسمه بشرا قال النحاس فعلى قول قتادة
اولى لانه لم ياتي في القرآن تسميته احدا بشرا واذا اتى بالكناية فكما قال عز وجل ويوم يعض الظالم
على يديه وهو عقبة بن ابي معيط وبعده يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا وهو امية بن خلف قال
النحاس والمعنى في نداء البشرى التبشير لمن حضر وهو او كد من قولك تبشرت كما تقول ما عجبا اي
يا عجبي هذا من ايامك ومن اياتك تاحضر وهو مذهب سيبويه وكذا قال السهيلي وقيل هو كما تقول
واسرواه وان البشرى مصدر لم يستثنا وهذا اصح لانه لو كان اسما علما لم يكن مضافا الى
ضمير المتكلم وعلى هذا يكون بشراي في موضع نصب لانه مضاف ومعنى النداء ها هنا التنبيه
اي انتبهوا لمجيء وسروري وعلى قول الفرا السدي يكون في موضع رفع كما تقول زيد هذا
غلام ويجوز ان يكون في محل نصب كقولك يا رجلا وقوله يا حسرة على العباد ولكنه لم يكن لبشرى ان
لا ينصرف واسروه اضاعة لها كناية عن يوسف عليه السلام فاما الواو فكناية عن اخوته وقيل عن
التجار الذين اشتروه وقيل عن الوارد واصحابه بضاعة نصب على الحال قال مجاهد اسروه ملك بن
مضر واصحاب من التجار الذين معهم في الرفقة وقالوا انهم هو بضاعة استبضعناها بمعنى
اهل الشام واهل هذا الماء المصروا عما قالوا هذا خيفة من الشركة وقال ابن عباس اسره اخوة
يوسف بضاعة لما استخرج من الجب وذلك انهم جاوا فقالوا يا بني ما صنعتم هذا عبدنا ابق وقالوا
ليوسف بالعبرانية اما ان تقر لنا بالعبودية فنبيعك ممن هو وان لا خذك فنقتلك فقال
انا اقر لكم بالعبودية فاقر لهم فباعوه منهم وقيل ان يهودا وصى اخاه يوسف بكتمانهم ان اعترف
لاخوته بالعبودية فانى اخشى اذا لم تفعل فتلوك فلعل الله ان يجعل لك مخرجا ونجوا من القتل
فكتم يوسف شانهم مخافة ان يقتلوا اخوته فقال مالك والله ما هذه بصفة العبيد فقالوا هو
ترابي محمود ما وكلنى يا خلافنا وقد بادانا فقال ما تقول يا غلام فقال صدقوا ورمت بي جحودهم
وتخلفت باخلاقهم فقال مالك ان يعجبوه مني اشتريته منكم فباعوه منه بذلك فولى وثمنوه بثمن بخس
ودراهم معدودة اولى قوله فنادى وثمنوه بها لشريت بمعنى اشتريت وعزيته بمعنى بعت نقد قال الشاعر
وشريت بردا لى من بعد برد كنت هامه ه اي برد وقال اخر فلما شراها فاضت العين عبرة ه
وفي الصدر احزان من اللوم حامره بثمن بخس اي ناقص وهو هنا مصدر وضع موضع الاسم اي باعوه بثمن
مبخوس اي منقوص وليكن اخوته قصدا خوته ما يستفيدونه من ثمنه وانما كان قصدهم ما يستفيدونه
من حطوجه ابيهم عنه وقيل ان يهودا راى من بعيد ان يوسف اخرج من الجب نادى اخوته فجاوا وباعوه من
الوراد وقيل الى العاد وبعد ثلاث الى اليمن فتعرفوا خبره واثر استقايه فاتبعوهم وقالوا هذا
عبدنا ابق منا فباعوه منهم وقال قتادة بخس ظلم وقال الضحاك وقتادة والسدي وابن عطاء بخس
حرام قال ابن العربي لا وجه له وانما الاشارة فيه الى انه لم يستوف ثمنه بالقيمة لان اخوته ان كانوا باعوه
لذلك فقصدهم ما يستفيدونه من ثمنه وانما كان قصدهم ببيعه تغييب وجه ابيهم عنه
وان كان الذين باعوه الواردة فانهم اخفوه مقتطعا وقالوا لاصحابهم ارسل معنا بضاعة فراوا
انهم لم يعطوا عنه ثمنا وانما اخذوا فيه رخيص كلم قلت ـــــ قوله وانما الاشارة فيه الى انه لم يستوف
ثمنه بالقيمة يدل على انهم لو اخذوا بالقيمة وافية كاملة كان ذلك جايزا وليس كذلك فقد دل على صحة
ما قاله السدي وغيره انهم اوقعوا البيع على نفس لا يجوز بيعها لذلك كان لا يحل لهم بيعها منه وقال
عكرمة والشعبي قليل وقال ابن جبير وزيف وعن ابن مسعود باعوه بعشرين درهما احد كل واحد من اخوته
درهمين درهمين وكانوا عشرة وقاله قتادة والسدي وقال ابو العالية وبعاتل اثنى وعشرين درهما
وكانوا احد عشر اخذ كل واحد درهمين وقاله مجاهد وقال عكرمة اربعين درهما وما روي عن

الصحابة الاولى وتخمس من ثمن دراهم على الرد من الثمن والتقصير به ونقل الدراهم على انها جمع تكسير لها وقد يكون
اسما للجمع عند سيبويه ويكون ايضا عنده على انه مما كسرة فعالة بابا ويبعد هذا المنصور ان
هذا المنصور لا يجوز عند البصريين في شعر ولا غيره وانشدا لنحويون لسنى بداها الحصاني
كأنها جرة تفي الدراهم تنقاد الصيارفي مورونة نفت وهذا يدل على ان الاعيان كانت تجري
عندهم عددا لا وزنا بوزن وقيل هو عمان عن قلة الثمن لانها دراهم لم تبلغ ان توزن لقلتها
وذلك انهم كانوا لا يزنون ما كان دون الاوقية وهي اربعون درهما الثانية قال القاضي ان العرب
واصل التقدير بها لوزن قال صلى الله عليه وسلم لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الفضة بالفضة
الا وزنا بوزن من زاد او ازداد فقد اربى والربا لا فايدة فيها الا المقدار فاما عينها فلا منفعة
فيه ولكن جرى فيها العدد تخفيفا عن الخلق لكثرة المعاملة فيشق الوزن حتى لو ضرب مثلا
مثاقيل او دراهم لجاز بيع بعضها ببعض عددا اذا لم يكن فيها نقصان ولا رجحان فاذا نقصت
عاد الامر الى الوزن ولاجل ذلك كان كسرها او قرضها من الفساد في الارض حسب ما تقدم الثالثة
واختلف العلماء في الدراهم والدنانير هل تتعين ام لا وقد اختلفت الرواية في ذلك عن مالك فذهب
اشهب الى انها لا تتعين وهو الظاهر من قول مالك وبه قال ابو حنيفة وذهب ابن القاسم
الى انها تتعين وحكي عن الكرخي وبه قال الشافعي وفايدة الخلاف انا اذا قلنا لا تتعين فاذا قال
رجل رد هذه الدنانير بهذه الدراهم لتعلقت الدنانير بذمة صاحبها والدراهم بذمة صاحبها
ولو تعينت ثم تلفت لم يتعلق بذمتهما شيء وبطل العقد كبيع الاعيان من العروض وغيرها ما
الرابعة روي عن الحسن رضي الله عنهما انه تصابح اللقيط انه حر وقرا وشروه بثمن فحرر دراهم
بعد فحة وقد مضى القول في هذا الحامسة قوله تعالى قوله عز وجل وكانوا فيه من الزاهدين
قيل الزاد اخوته وقيل السيارة وقيل الوارثة وعلى اي تقدير فلم يكن عندهم عيب الا عند
الاخوة لان المقصد زواله عن ابيه لا خاله ولا عند السيارة كقول الاخوة ان عبدنا ابق منا والزهد
الرغبة ولا عند الواردة لانهم خافوا اشتراك اصابهم معهم وقد قالوا ان القليل من ثمنه يجر الانفراد
اليه السلامة في هذه الاية دليل واضح على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن اليسير ويكون البيع
لازما وبهذا قال مالك لو باع دارة ذات خطر عظيم بدراهم ثم قال اعلم انها دارة وحسبتها مختلبة
لزمه البيع ولا يلتفت الى قوله وقيل كانوا فيه من الزاهدين اي يجحد حسنه وان اعلى يوسف شطر
الحسن صرف عنه دواعي نفوسهن العزم اليه اكراما اليه وقيل كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا و
منزلته عند الله تعالى وحكى سيبويه والكسائي زهدت وزهدت بكسر الهاء وفتحها قوله تعالى
وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه قيل اشتراه عن لا سند لان اذا لم يكن ذلك
عقدا مثل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقيل انهم طنوه جارية ظاهر الحال اشترا الجاري
هذا اللفظ على ظاهر الظن قال الضحاك هذا الذي اشتراه ملك مصر ولقبه العزيز السمهلي
واسمه قطفير وقال ابن اسحق اطفير بن روحيب اشتراه بامر الريان بن الوليد وقيل كان اسمها زليخا وكان الله الذي محبة يوسف على قلب العزيز فاوصى به اهله اذكره التشيري
وقد ذكر الثعلبي في اسمها الشعلبة وغيره وقال ابن عباس انما اشتراه قطفير وزير ملك
مصر وهو الريان وقيل الوليد بن الريان وهو رجل من العمالقة وقيل هو فرعون موسى بقول
موسى ولقد حاكم يوسف من قبل بالبينات وانه عاش لهذه الغاية سنة وقيل فرعون موسى مراوده فرعون
يوسف على ما يأتي في غافر بيانه وكان هذا العرف الذي اشتري يوسف على خزائن الملك
واشتري يوسف من ملك بن زعر بن عشرين دينارا وزاده حلة ونعلين وقيل اشتراه من اهل
الرفقة وقيل قوايدوا في ثمنه فبلغ لاصحاب اضعاف وزنه مسكا وعنبرا وعنبرا وورقا وذهبا
ولا يعلم قيمتها الا الله فابتاعه قطفير من مالك هذا الثمن قاله وهب بن منبه وقال
وهب ايضا وغيره ولما اشتري مالك بن زعر يوسف من اخوته كتب بينهم وبينه كتابا هذا
ما اشتري مالك بن زعر من يحيى يعقوب ومن فلان وفلان مملوكا لهم بعشرين درهما وشرطوا
له انه ابق او اتى حدثا فيقتل به لا مفيدا مسلسلا واعطاهم على ذلك عهد الله وقال لهم يوسف
عند ذلك وجل يقول حفظكم الله وان ضيعتموني نصركم الله وان قتلتموني رحمكم الله
وان لم ترحموني قالوا انا لنتقت الاعنام ما في بطنها دما غبيطا لشدة هذا التوديع وحملوه على
قتب بغير غلط وارطا مقيدا مكبلا مسلسلا فمر على مقبرة الكنعانيين فراى قبر امه وقد كان
وكل به اسود يحرسه فنفض الاسود نفسه يوسف نفسه على قبر امه وجعل يتمرغ ويتمتع
القبر ويضطرب ويقول يا اماه ارضي واسكني قربك ولدك مكبلا مقيدا مسلسلا مغلولا فرقرا
بين دين والدي فارسل الله ان يجمع بينهما في مستقر رحمته ارحم الراحمين فتفقده الاسود

على التعبير فلم يره فقفا اثره فاذا هو ببياض على قبر فتامله فاذا هو اياه فركضه برجله فاذا هو رميم
صريا دجيما فقال له لم تفعل والله ما ضربت ولا التفت واما مررت لقبر امي فاصبت اذا ودعها ولما رجع
الى ما تكره هو ب فقال العبد والله انك لعبد سوء تدعوا ابا ك مرة وامك مرة واحدة فاخرجك فهلا كان هذا عند
مرا ليك فرفع يده الى السماء وقال اللهم ان كانت لي عندك حظية اخلقت بها وجهي فاسلك بحق ابي
ابراهيم واسحق ويعقوب ان تغفر لي وترحمني فضجت الملايكة بالسماء ونزل جبريل فقال له يا يوسف
عفر صوتك فخلق تكبت ملايكة السما افتريد ان اقلب الارض واجعل عاليها ساخلها فاذ تثبت
جبريل ان الله حليم لا يعجل فضرب الارض بجناحه فاظلمت وارتفع الضباب وكسفت الشمس وبقيت
القافلة لا يعرف بعضها بعضا فقال رئيس القافلة من احدث منكم حدثا فالى اساخر وكتب
وكتب ما اصابني فتطمثل هذا فقال السودان لطمت ذلك العالم الصابر الذي فرفع يده الى السما وتكلم
بكلام لا اعرفه ولا اشك انه دعا علينا فقال له ما اردت لا هلاكنا اسابه فاتاه به فقال يا غلام
لقد لطمك فلانا ما رايت فان كنت تقتص ممن شتمك وان كنت تعفو فعفوا لطف بك قال قد عفوت
رجا ان يعفوا الله عني فاخذت الغبرة وظلمت الشمس واضاءت اشارف الارض ومغاربها وجعل
التاجر يزوره بالعداة وامسى حتى وصل الى مصر فاغتسل في نيلها واذهب الله عنه كابة الصبر و
السفر ودعليه حالته ودخل البلد نهارا فسطع نوره على الجدران واوقفوه للبيع فاشتراه
قطفير وزير الملك قاله ابن عباس على ما تقدم وقيل ان هذا الملك لم يات حتى امن وابتع يوسف
على دينه ثم مات الملك ويوسف يومئذ على خزائن الارض فملك بعده قابوس وكان كافرا فدعاه
يوسف الى الاسلام فابى فتولى عز وجل اكرام مثواه اي منزله ومقامه لطيب المطعم واللباس
الحسن وهو ما حولوه ليتوى بالمكان اي اقام به وقد تقدم في العمران وغيره عسى ان ينفعنا اي
يكفينا بعض المهمات اذا بلغ او نتخذه ولدا فان ابن عباس كان عقيما لا يولد له وكذا قال ابن عباس
كان قطفير اياتي النساء لا يولد له فان قيل كيف قالا او نتخذه ولدا وهو مملوكهما والولد يرث مع العبدية له
منا تقض قيل له يعتقانه ثم يتخذانه ولدا بالتبني وكان التبني في الامم معلوما عندهم وكذلك كان
في اول الاسلام على ما ياتي بيانه في الاحزاب ان شاء الله تعالى وقال عبد الله بن مسعود احسن
الناس فراسة العزيز حين نظر الى يوسف فقال لعسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وبنت
شعيب حين قالت لابيها في موسى استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين وابو بكر حين
استخلف عمر قال ابن الجوزي عجبا للمفسرين في اتفاقهم على جلب هذا الخبر والفراسة متى علم
غيب على ما ياتي بيانه في الحجر وليس كذلك فيما نقلوه فان الصديق انما وقع له بالخبر فيما علم
والمواظبة على الصحبة وطولها على ما يشاهده من العلم والمنة ويدرك ذلك من طريق الفراسة
واما بنت شعيب فكانت العلامة بينة منها على ما ياتي بيانه في سورة القصص واما امراة
العزيز فيمكن ان يجعل فراسة انه لم يكن بعد علامة ظاهرة والله اعلم قوله عز وجل وكذلك
مكنا ليوسف في الارض الكاف في موضع نصب اي وكما قدرناه من اخوته ومن الجب فكذلك مكنا له
ليوسف في الارض اي عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى مكن من مصر والهني في البلد الذي
الملك مستولي عليه ونعلمه من تاويل الاحاديث اي فعلنا ذلك لنصدقه بالقود يعقوب ونعلمه من تاويل
الاحاديث وقيل المعنى مكناه لنوحي اليه بكلام منا ونعلمه تاويله وتفسيره وتاويل الرويا وتم الكلام والله
غالب على امره العبارة اي لتدبيره ان يقول له كن فيكون وقيل نرجع الى يوسف اي والله غالب على
امر يوسف فيما يريده ويحوطه ولا يكله الى غيره حتى لا يصل اليه غيره كما يبدو لكن اكثر الناس لا يعلمون
اي لا يطلعون على غيبه وقيل المراد بالاكثر الجميع لان اصل لا يعلم الغيب وقيل هو عائد على ظاهره اذ قد يطلع
من يريد على بعض غيبه وقيل المعنى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله غالب امره وهم المشركون ومن
لا يوزن بالقدر وقالت الحكما في هذه الاية والله غالب على امره حيث امره يعقوب ان لا يقص
رويا على اخوته فقلب امر الله حتى قصها ثم اراد اخوته قتله فقلب امر الله حتى صار ملكا له
وسجدوا بين يديه ثم اراد الاخوة ان يخلوا بهم وجه ابيهم فقلب امر الله حتى صاروا عليهم تلب
ابيهم وافتكره بعد سبعين سنة او ثمانين سنة فقال يا اسفا على يوسف ثم تذبروا ان
يكونوا من بعده قوما صالحين اي تابين فقلب امر الله حتى سولوا الريب وامروا عليه حتى
اتروا بين يدي يوسف في اخر الامر بعد سبعين سنة وقالوا لابيهم انا كنا خاطئين ثم
اراد وا ان يخدعوا اباهم بالبكا والقميص فقلب امر الله فلم يخدع وقال بل سولت لكم انفسكم
امرا ثم احتالوا ان ينزعوا محبته من قلب ابيهم فقلب امر الله فازدادت المحنة والشوق في قلبه
ثم دبرت امراة العزيز انها ان ابدرته بالكلام غلبته فقلب امر الله عليها حتى قال العزيز استغفري
لذنبك انك كنت من الخاطئين ثم دبرت ان تخلص من السجن بذكر الساقي فقلب امر الله فنسي

السافي ولبث يوسف في السجن بضع سنين قوله تعالى ولما بلغ اشده اشده عند سيبويه جمع واحده شده وقال الكسائي واحده شد كما قال الشاعر عهدي به شد النهار كلما حضب البنان ورأسه بالعظلم * وزعم ابو عبيدة لا واحد له من لفظه من لغة العرب ومعناه اسلمناك القوة ثم يكون النقصان بعد وقال مجاهد وقتادة الاشد ثلاث وثلاثون سنة وقال ربيعة وزيد بن اسلم وملك ابن انس الاشد بلوغ الحلم وترضى بالعلم فذا في النساء والانعام مستوفى في انتهاء حكما وعلما قيل حين بلغ المستوى على الحكم وكانت حكمته في سلطان الملك اي واتيناه حكما عالما بالحكم وقال مجاهد العقل والفهم والنبوة وقيل الحكم النبوة والعلم علم الدين وقيل علم الرؤيا ومن قال اوتي النبوة صبيا قال لما بلغ اشده زدناه فهما وعلما ولذلك نجزي المحسنين نعم المرضي المؤمنين وقيل الصابرين على النوائب كصبر يوسف قاله الضحاك هذا وان كان مخرجه ظاهرا على كل محسن فالمراد به محمد صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى كما فعلنا هذا بيوسف بعد ان قاسى ما قاسى ثم اعطيتموه ما اعطيتموه كذلك اجتبناك من مشركي قومك الذين يقصدونك بالقداوة وامكنا لك في الارض قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وهي امرأة العزيز طلبت منه ان يواقعها واصل المراودة المرادة والطلب برفق ولين والرود الرياد ة طلب الكلام وقيل هي من رويد يقال فلان يبشي رويدا اي يرفق فالمراودة الرفق في الطلب يقال راود الرجل امرأته عن نفسه وفي المرأة راودت عن نفسه والرود التاني يقال سار رويدا امهليني وعلقت الابواب غلق للتكثير ولا يقال غلق الباب واغلق يقع للقليل والكثير كما قال الفرزدق في ابي عمرو بن العلاء مازلت اغلق ابوابا وافتحها * حتى اتيت ابا عمرو وعمارة بيدا لها كانت سبعة ابواب غلقتها وقال هيت لك اي هلم واقبل وتعاله وامصر وله وانفرد به قال النحاس منها سبع تراان نخرج ما فيها واصحه اسنادا ما رواه الاعمش عن ابي وائل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقرا هيت لك قال فقلت ان ناسا يقرؤنها هيئت لك فقال انا اقرا كما علمت قال ابو جعفر وبعضهم يقول عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وبعضهم لا يذكر ذلك فيه وهذه التاء بفتح الهاء وانما هي التي للتانيث كالتي في الصيحة قرا ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة وبها قرا ابو عمرو بن العلاء وعاصم والاعمش وحمزة والكسائي قال عبد الله بن مسعود ما تستطعون ان تقولوا في القرآن فانا هو مثل قول احدكم هلم وتعال وقرا ابن ابي اسحاق النحوي وقالت هيت لك بفتح الهاء وكسر التاء وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وابن كثير هيت لك بفتح الهاء وضم التاء قال ابو عبيدة * لبيس فؤادي بابا بعد مزادها قال داع من العشيرة هيت * فهذه ثلاث قراءات الهاء فيهن مفتوحة وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وقالت هيت لك بكسر الهاء وفتح التاء وقرا يحيى بن وثاب وقالت هيت لك بكسر الهاء وبعدها ياء ساكنة والتاء مضمومة وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عباس ومجاهد وعكرمة وقالت هيت لك بكسر الهاء وبعدها همزة ساكنة والتاء مضمومة وقرا ابن عامر واهل الشام وقالت هيت بكسر الهاء وبالهمز وبفتح التاء وقال ابو جعفر هيت لك بفتح التاء لتقا الساكنين لانه صوت كحيه وصه يجيء الامر به والنهي خفيف لان قبل التاء مثل ايه وكيف ومن كسر التاء فانما كسرها لان الاصل الكسر لان الساكن اذا حرك حرك الى الكسر ومن ضم فلان فيه معنى الغائبة اي قالت دعائي لك فلما حذفت الاضافة بني على الضم مثل حيث وبعد وقراءة اهل المدينة فيها قولان احدهما ان يكون الفتح لالتقا الساكنين كما مر والاخر ان يكون فعلا من هايهي مثل جاء يجي فيكون المعنى هيت ايها حدثت هيئتك ويكون لك من كلام اخر كما تقول لك اعني ومن همز وضم التا فهو فعل بمعنى تهيات لك ولذلك قرا هيت لك وانكر ابو عمرو هذه القراءة قال ابو عبيد حكى معمر بن المثنى سبل ابو عمرو عن قراءة من قرا بكسر الهاء وضم التا وبالهمز فقال ابو عمرو باطل اجعلها في تهيات اذهب فاستمر ضن العرب حتى تنتهي الى اليمن هل تعرف احدا يقول هذا وقال الكسائي ايضا لم تحل هيت عن العرب قال عكرمة هيت لك اي تهيات لك وقرات وتحسنت وهي قراءة غير مرضية لانها لم تسمع في العربية قال النحاس وهي جيدة عند البصريين لانه يقال هذا الرجل يهيا ويهيئ هيأة فهايها مثل جايي وهيت مثل جيت وكسر الهاء في هيت لغة لقوم يؤثرون كسر الهاء على فتحها قال الزجاج اجود القراءة هيت بفتح الهاء والتا قال طرفة * لبيس فؤادي بالابعد زادها * ما قال داع من العشيرة هيتا * وقال الشاعر في علي بن ابي طالب رضي الله عنه * ابلغ امير المؤمنين اخا العراق اذا اتينا * ان العراق واهله سلم اليك فهيتا * قال ابن عباس واحسن هيت كلمة بالسريانية تدعوه الى نفسها وقال السدي معناها له بالقبطية هل لك قال ابو عبيد وكان الكسائي يقول هي لغة اهل حوران وقعت الى اهل الحجاز معناها تعال قال ابو عبيد فسالت شيخا عالما من حوران فذكر انها لغة وبه قال عكرمة وقال

مجاهد

هيت هدر غير معنى لغة غريبة تدعوه بها الى نفسها وبمكانه حث وانبا على الاشياء قال الجوهري يقال
هئت به وهيئت به اذا صاح به ودعاه قال فدر ابن ان الكريم اسكتا لو كان معنيا بها هيتا اى صاح فقال
اخر يجر وبها كل فتى هيبات قوله تعالى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي اعوذ بالله واستجير به مما دعوتني
اليه وهو مصدر اي اعوذ بالله معاذا فحذف المعمول ونصب المصدر بالفعل المحذوف وبضاف
المصدر الى اسم الله كما يضاف المصدر الى المفعول كما تقول مررت بزيد مرور عمرو اي مرور بعمرو ربي
يعني زوجها انه هو سيدي اكرمني فلا اخونه قال مجاهد واسحق والسدي وقالت الزجاج ايبان الله
ربي تولاني بلطفه فلا اركب ما حرمه انه لا يفلح الظالمون وقيل انما قالت له يا يوسف ما احسن
صورة وجهك قال لجمال الرحم صورني فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول شيء يبلى منى
مني فتركه قالت يا يوسف ما احسن عينيك قال بهما انظر الى ربي قالت يا يوسف ارفع بصرك
فانظر الى وجهي قال اخاف ان اعصي ربي اخرجي قالت يا يوسف اد نو امسك ونهاء عني قال اريد بذلك
القرب مني قالت يا يوسف الفيطون فادخل معي قال الفيطون لا يبرئن من ريبي قالت يا يوسف
فراش الحرير قد فرشته فهل لك في حاجتي قال اذا اذهب من الجنة نصيبي الخير ذلك من كلامها وهو
ساجها الى ان همت بها وقد ذكر بعضهم ما قال النساء لزليخا في يوسف مبلغ شهوة حتى بناه الله قالت
فالقي عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه واختلف العلماء في همته
واختلاف انها كانت المعصية وما يوسف فهم بها لولا ان راى برهان ربه ولكن لما راى البرهان
ما هم وهذا لوجوب العصمة للانبياء قال الله تعالى لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين فاذا جاء الكلام تقديم وتاخير ايلولا ان راى برهان ربه لهم بها قال ابو حاتم كنت اقرا غريب
القرآن على ابي عبيدة فلما انتهيت الى هذه الآية قال ابو عبيدة هذا على التقديم
والتاخير كانه اراد ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها وقال احمد بن يحيى اى مت زليخا بالمعصية
وكانت مضرة وهم يوسف وابو قع ما هم به بين الهمين حرف ذكره هود بن المحكم الهواري
في كتابه قال جميل فهمت بهم من بيتة لو بداه شفيت غليلات الصدر من فؤاديا اخره فهم ولم افعل
وكدت وليتني تركت على عمائك تبكي على لبابه هذا كلام حريث بن عمر وقيل لهم بها غشيها
زوجيتها وقيل هم بها اي لضربها ودفعها عن نفسه والبرهان كفه عن الضرب اذ لو ضربها وهم
ان قصدها بالحرام فامتنعت فضربها وقيل ان هم يوسف كان معصية وان جلس منها مجلس الرجل من
امرأته وابى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم فيما ذكر القتيبي ابو نصر وابن الانباري
والنحاس والماوردي وغيرهم قال ابن عباس جلس منها مجلس الخاتن وعند استلقت
على قفاها وقعد بين يديها يترع ثيابه وقال سعيد بن جبير اطلق تكة سراويله وقال مجاهد حل
السراويل حتى بلغ الالية وجلس منها مجلس الرجل من امرأته قال ابن عباس ولما قال ذلك لم اخف بالغيب
قال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال عند ذلك وما ابرئ نفسي قالوا والانكماف في
مثل هذه الحالة اوكد ذاك على الاخلاص واعظم للثواب بغلت وهذا كان سبب ثنا الله تعالى على ذي
الكفل حسب ما ياتي بيانه في حزان شاء الله تعالى وجواب لو محذوف اي لولا ان راى برهان
ربه لهم بها ومثله كقوله لو تعلمون علم اليقين وجواب لو تنا تسوا قال ابن عطية ويرد هذا
القول عن ابن عباس وجماعة من السلف وقالوا الحكمة في ذلك ان يكون مثلا للمذنبين يبين لهم ان
توبتهم ترجع الى عفو الله كما رجعت من هو خير منهم ولم يوقفه القرب من الذنب وهذا كله على ان
هم يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقة الى ان جلس بين رجلي زليخا واحتل ثيابه ونكثه ونحو
ذلك وهي تداشلقت له حكاه الطبري وقال ابو عبيد القاسم بن سلام وابن عباس ونردونه لا يختلفون
في ان هما وهم اعزبا لله ونهاويل كنا به واشد تغليظا للانبياء ان يتكلموا فيهم بغير علم وقال الحسن
ان الله عز وجل لم يذكر معاصي الانبياء ليعيرهم بها ولكنه ذكرها ليلا ييسوا من التوبة المرتوى مع ان الزلة
للانبياء حكمة ترفع الدرجة وشدة الحياء والتجلي عن عجب العمل والتلذذ بنعمة العفو بعد
الامن وكونهم ايمة رجاء العمل الزلل قال الطبري ابو نصر وقد قوم حبر من يوسف هم وكان ذلك
الهم حركة طبع من غير تصميم للعقد على الفعل وما كان من هذا القبيل لا يواخذ به العبد وقد تخطر
بقلب المرء وهو صايم شرب الماء البارد وتناول الطعام اللذيذ ناذا لم ياكل ولم يشرب ولم يصمم عزمه
على الاكل والشرب لا يواخذ بما هجس في النفس والبرهان صرفه على هذا الهم حتى لم يصر عزما مصمما
قلت هذا قول حسن وممن قال به الحسن قال ابن عطية الذي اقول به في هذه الاية ان كون
يوسف في هذه المنازلة لم يصح كونه نبيا وانظاهر ان به ريا به واذا كان ذلك فهو مومن قد ولي
حكما وعلما ويجوز عليه الهم الذي هو ارادة الشيء وتزموا فحشه وان يستصحب الخاطر الرديء
على ما في ذلك من الخطيئة وان زمناه في ذلك الوقت فلا يجوز عليه عند لا الهم الذي هو خاطر

ولا يصح عليه شئ مما ذكر من حل نكثه ونحوه لان العصمة مع النبوة وما روى انه قيل له تكون في ديوان الانبيا
وتفعل فعل السفها فانما منحناه الى بعده بالنبوة وما بعد قلـــــــ ما ذكره من التفصيل صحيح لكنه
قوله تعالى واوحينا اليه يدل على انه كان نبيا على ما ذكرنا وصرح قوم جماعة من العلما واذا كان نبيا فلم يبق
الا ان يكون الهم الذي هم به مما يخطر في النفس لتقدم ولا الصدر وهو الذي رفع الله فيه المواخذة من
عز الخلق اذ لا قدرة للمكلف على دفعه ويكون قوله وما ابرئ نفسي اذا كان من قول يوسف اي من هذا
الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف لمخالفة النفس لما ذكي به قبل ويزكي وتواخر الله تعالى
عن حال يوسف حين بلوغه فقال ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما على ما تقدم بيانه وخبر الله
تعالى صدق وقوله صحيح وكلامه حق فقد علم يوسف بما علمه الله من تحريمها الزنا ومفاسده وخيانة
السيد واخبار الاجنبي باهله فما تعرض لمراودة بل ادبر عنها وفر منها
حكمة يخصها وعملا يقتضي ما علمه الله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت الملايكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها
بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من جراي وقال عليه السلام يخبر عن ربه اذا هم عبدي
بسيئة فلم يعملها كتبت حسنة فاذا كان ما يهم العبد من السيئة يكتب له بتركها حسنة فلا ريب وفي طرق
الصحيح ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تكلم به وقد تقدم قال ابن الزبير كان عبد بني
عليه السلام امام من ائمة الصوفية واي امام يوقف بل رعطا تكلم يوما على يوسف واخباره حتى ذكر ترنيم
ما نسب اليه من مكروه فقام رجل من اخر مجلسه وهو مسحوك بالكلبقة من كل طايفة فقال يا شيخ
يا سيدنا فاذن يوسف هم وهاتم قال نعم ان العصابة من هم فانظر الى حلاوة العالم والمتعلم وانظر
الى فطنة العالم في سواله وجوابه العالم في اختصاره واستيفايه ولذلك قال علما الصوفية ان
فاتحة قوله لما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما انما اعطاه ذلك بان غلبت الشهوة لهكون له سببا
للعصمة قلـــــــ وانما تقررت عصمته وبراته بثنا الله تعالى عليه فلا يصح ما قاله مصعب بن عثمان
ان سليمان بن يسار كان من احسن الناس وجها فاشتهت امراة نسايه نفسها فامتنع عليها وذكرها فقالت
ان لم تفعلي لاشهرنك فخرج وتركها فراي في منامه يوسف ايها الصديق عليه السلام ما لسا فقال انت
يوسف فقال انا يوسف الذي هممت وانت سليمان الذي لم تهم قال هذا يقتضي ان يكون درجة
الولاية ارفع من درجة النبوة وهو محال ولقد قرنا يوسف غير نبي فدرجته الولاية فيكون محفوظا
كهو ولو علقت على سليمان الابواب وروجع في المقال والخطاب والكلام والجواب مع طول الصحبة
تخيف عليها الفتنة وعظيم المحنة والله اعلم قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه ان في موضع رفع
اي لولا رويته برهان ربه والجواب محذوف لعلم السامع اي لكان ما كان وهذا البرهان غير مذكور
في القران فروي عن علي بن ابي طالب ان زليخا قالت قامت الى صنم مكلل بالدر والياقوت في
زاوية البيت فستر ته بثوب فقلت ما تصنعين قالت استحي من الهي هذا ان يراني على هذه
الصورة فقال يوسف انا اولى ان استحي من الله تعالى وهذا احسن ما قيل فيه لان فيه اقامة الدليل
وقيل راى مكتوبا في سقف البيت ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن ابن عباس رايت
كف مكتوب عليها والله وان عليكم لحافظين فالعقوم تذكر عهد الله وميثاقه وقيل نودي يا يوسف
انت مكتوب في الانبيا وتعمل عمل السفها وقيل راى صورة يعقوب على الجدار عاضا على انملته ينوعده
فسكن وخرجت شهوته وقال مقاتل ومجاهد والحسن والضحاك وابو صالح وسعيد بن جبير
وروى الاعمش عن مجاهد قال صك في صدره فخرجت شهوته من انامله
فقال مجاهد قوله لكل واحد ولد من اولاد يعقوب اثنا عشر ذكرا يوسف لم يولد الا علانين ونقص
بتلك الشهوة ولد وقيل غير هذا والجملة ذلك البرهان اي من ايات الله تعالى اراها الله يوسف
حتى قوي ايمانه وامتنع من المعصية قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا الكاف
من كذلك يجوز ان تكون رفعا بانه خبر ابتدا محذوف التقدير البرهين كذلك او يكون نعتا لمصدر
محذوف اي ارينا ه البرهين رويته كذلك والسوء الشهوة والفحشا المباشرة وقيل السوء الزنا
العزيز وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر المخلصين بكسر اللام وتاويلها الذين اخلصوا طاعة الله وقرا
الباقون بفتح اللام وتاويلها الذين اخلصهم الله لرسالته وقد كان يوسف صلى الله عليه وسلم
بين الصفتين اذ كان مخلصا لله طاعة الله تعالى مستخلصا لطاعة الله تعالى قوله تعالى
واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وفيه مسئلتان الاولى قوله تعالى واستبقا الباب
قال العلما وهذا من اختصار القران لا يعجز الرب يجتمع فيه المعاني وذلك انه لما راى برهان

ره هرب منها فتعاد باهى لترده الى نفسها وهو يريد سعيها فاوكنه قبل ان تخرج فقدت قميصه من دبر اب من
خلفه فيضت هى لعلا قميصه فتخرق القميص عند طوقه وترك التخريق الى اسفل القميص والاستباق طلب
السبق الى الشئ ومنه السباق والقد القطع واكثر ما يستعمل فيما كان طولا قال النابغة ٭ نقد السلوقى
المضاعف نسجه وتوقد بالصفاح نار الحباحب ٭ والقط بالطا تستعمل فيما كان عرضا وقال
المفضل بن هرب قراتى مصحف فلما راى قميصه عط من دبر ايشق قال ويعقوب القط الشق فى الجلد
الصحيح والثوب الصحيح وحذفت الالف من استيقا فى القط لسكونها وسكون اللام بعدها
كما يقال جا فى عبد الله فى التثنية ومن الوجه من يقول جا فى عبد الله باثبات الالف بغير هم ويجمع بين
ساكنين اذا كان الثانى مدغما والالف حرف مد ولين ومنهم من يقول عبد الله باثبات الالف والهمز
كما تقول فى الوقف الثامن فتح الهاء ليدل على القياس والاعتبار والعمل بالوف والعادة
لما ذكر من راى القميص مقبلا ومدبرا وهذا امر تقرر به الملكية فى كتبهم وذلك ان القميص اذا جذب
من خلف تخرق من تلك الجهة واذا جذب من قدام تخرق من تلك الجهة هذا هو الاغلب قوله تعالى
والفيا سيدها لدا الباب اى وجدا العزيز عند الباب وعنى بالسيد الزوج والقط ليس الزوج سيدا يقال الفاه وصادفه ووارطه ولاطه كلها بمعنى واحد فلما راات زوجها
طلبت وجها للحيلة وكادت فقالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم
تقول يضرب ضربا وجيعا وما جزا ابتدا وخبره ان يسجن او عذاب عطف على موضع ان يسجن
كان المعنى الا السجن وجوز ان يكون عذابا اليما بمعنى ويعذب عذابا اليما قاله الكسائى قوله تعالى قال
هى راودتنى عن نفسى فيه ثلاث مسايل الاولى قال العلما برات نفسها ولم تكن صادقة فى حبه
ان من شان المحب ايثار المحبوب قالوا فى راودتنى عن نفسى نطق يوسف بالحق فى مقابلة بهتها ثم تمتها
وكذبها عليه قال الشافعى وغيره كان يوسف عليه السلام لم يبين عن كشف القضية فلما نطقت
به عصب فقال الحق الثانية وشهد شاهد من اهلها انهما لما تعارضا فى القول احتاج الملك
الى شاهد يعلم الصادق من الكاذب فشهد شاهد من اهلها ان حكم حاكم من اهلها ان حكم مثله يبرئها اذ
وقد اختلف فى الشاهد على اقوال اربعة الاول انه طفل فى المهد تكلم قال السهيلى وهو الصحيح
للحديث الوارد فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة وذكر فيهم شاهد يوسف
وقال الضحاك ابو نصر وقيل كان صبيا فى المهد فى الحال وقول ابن خالتها وروى سعيد بن جبير عن
ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال تكلم اربعة وهم صغار فذكر فيهم شاهد يوسف فهذا
قول الثانى ان الشاهد قد القميص رواه ابن ابى نجيح عن مجاهد وهو مجاز صحيح من المعنى
فان لسان الحال ابلغ من لسان المقال وقد تصنف العرب الكلام الى اجمالات وتخبر عنها بما يعلمها
من الصفات وذلك كثير فى اشعارها ومن اجمالها قول بعضهم ٭ قالت الحايط لها وتدلم تشفنى قال
سل من يدقنى ان قوله تعالى من بعد من اهلها يبطل ان يكون القميص الثالث ان خلق من
خلق الله ليس بانسى ولا جنى قاله مجاهد وايضا وهذا بارده قوله من اهلها الرابع انه رجل حليم
ذو عقل كان الوزير يستشيره فى اموره وكان من جملة اهل المراة وكان مع زوجها فقال قد
سمعنا استيذانه واجلسه من وراء الباب وشق القميص فلا يدرا كما كان قدام صاحبه فان كان
شق القميص من قدامه فانت صادقة وان كان من خلفه فهو صادق فانظروا الى القميص فهو مشقوق
من خلف هذا قول الحسن وعكرمة وقتادة والضحاك ومجاهد ايضا والسدى قال السدى
كان ابن عما لها وروى عن ابن عباس وهو الصحيح فى الباب والله اعلم وروى عن ابن عباس رواية
اسرايل عن سماك عن عكرمة قال كان رجلا ذا لحية وقال سفيان عن جابر عن ابى مليكة عن ابن
عباس قال كان من حاشية الملك وقال عكرمة لم يكن بصبى ولكن كان رجلا حليما وروى شبيق
عن منصور عن مجاهد قال كان رجلا قال ابو جعفر النحاس والاشبه بالمعنى والله اعلم ان يكون
رجلا عاقلا حليما شاوره الملك فى هذه الدلالة ولو كان طفلا لكانت شهادته للنبى صلى
الله عليه وسلم تغنى ان يات بدليل من العادة من كلام الطفل اية معجزة فكان اوضح من الاشبه
الا ستدلال بالعادة وليس هذا مخالفا للحديث تكلم اربعة وهم صغار صاحب يوسف يكون المعنى
صغيرا ليس بشيخ وفى هذا دليل اخر وهو ان ابن عباس روى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم
وقد تواترت الرواية عنه ان صاحب يوسف ليس بصبى قلت قد روى عن ابن عباس وابى
هريرة وابن جبير وهلال بن يساف والضحاك انه كان صبيا فى المهد الا انه لو كان صبيا تكلم
لكان الدليل ينتقض كلامه دون ان يحتاج الى استدلال بالقميص وكان يكون ذلك خرق عادة
ونوع معجزة والله اعلم وسياتى من تكلم فى المهد من الصبيان فى سورة البروج ان شاء الله تعالى الثالث
اذا تنزلنا على ان الشاهد طفل صغير فلا يكون فيه دلالة على العمل بالامارات كما ذكرنا واذا كان رجلا

سرها فصنع ذلك بكرا وقوله ارسلت اليهن وفي الكلام حذف اي ارسلت اليهن تدعوهن الى وليمته لتوقفهن
منها وقعت فيه فقال مجاهد عن ابن عباس ان امراة العزيز قالت لزوجها اني اريد ان اتخذ طعاما فادعو اهؤلاء
النسوة فقال لها افعلي فاتخذت طعاما ثم حدثت لهن ليبوت تجدنا يا ربيبت والتجد ما يتجد به
البيت من المتاع ايريزين واجمع بجود عن ابي عبيد والتخيد للتزيين وارسلت اليهن ان يحضرن طعاما
ولا يتخلف منكن امراة ممن سميت قال وهب بن منبه انه كن اربعين امراة فجبر على كرة منهن وقد قال
فيهن امية بن ابي الصلت ٭ حتى اذا جئنها سرا ومهدت ٭ لهن انضادا وكباثا ٭ ويروى انماطا قال وهب
فجبر واهدت لهن متكيا اي وهيات لهن مجالس يتكين عليها قال ابن جبير في كل مجلس جام
فيه عسل وانبج وسكر صاد وزاد مجاهد وسعيد بن جبير متكا مخمصا غير مهموز والمتك هو الانبج للعسل
القط ولزبد كثيره مجاهد روى سفيان عن منصور عن مجاهد قال المتكا مثقلا الطعام والمتكا مخففا
الانبج وقال الشاعر ٭ نشرب الادم بالصواع جهارا ٭ وترى المتك بيننا مستعارا ٭ وقد يقول اردشنوة
الانبجة المتكة قال الجوهري المتكا ما يتكيه الحائنة واصل المتك الرماوزد والمتكاء الرسا الوثيم تخفض
قال الزاجد تثني شبح مرتفقا اهلا لبصرة المتك مخففا الزما وزد وقال بعضهم انه الانبج حكاه الاخفش
ابن زيد انبجوا عسلا بوكل ٭ قال الشاعر ٭ فظللنا بنعمة واتكانا ٭ وسرنا الحلال من علله ٭ اي اكلنا اللحاس
قوله عز وجل اعتدت من العتاد وهو كل ما جعلته عدة لشي متكا اصح ما قيل فيه ما رواه علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس قال مجلسا وابا قول جماعة من اهل التفسير انه الطعام فيجوز على تقدير طعام متكا مثل واسال
القرية ودل على هذا الحذف وانت كل واحدة منهن سكينا لان حضور النسا معهن سكاكين انما هو لطعام يقطع
بالسكاكين كذا قال في كتاب اعراب القران له وقال في كتاب معاني القران وروى معمر عن قتادة قال المتكا
الطعام وقيل المتكا كلما اتكى عليه عند طعام او شراب او حديث وهذا هو المعروف عند اهل اللغة الا ان
الروايات قد صحت بذلك وحكى الفتبي انه يقال اتكانا عند فلان اي اكلنا والاصل في متكا موتكا ومثله
منزل ومتعد لانه من وزنت ووعدت وو كات ويقال للمتكى فتكا نحو اكل واحدة منهن سكينا مفعولات وحكى
الكسائي والفراء ان السكين يذكر ويونث وانشد الفراء فعدت في السنام بسكين موثقة النصاب ٭
الجوهري والغالب عليها التذكير وقال ابو زكريا ناصحا فيما بدا فاذا اخلى فذلك سكين على الحلق حاذق الاصمعي
لا يعرف في السكين الا التذكير قوله عز وجل وقالت اخرج عليهن بضم التا السكين ان الكسرة تثقل
اذا كان بعدها ضمة وكسرتا على الاصل قيل انما قالت لهن لا تقطعن ولا تاكلن حتى اعلمكن ثم قالت كما نعمها
اذا قلت لك ادعوا لي ليلا فادعوا ليوسف وايلا صنم كانوا يعبدونه وكان يوسف عليه السلام يحمل في الطين
وتشد يديه وجر عن ذراعيه فقالت للخادم ادعوا لي ايلا اي ادع لي الرب وايلا بالعبرانية الرب
قال فجبن قال فجبن النسوة وقلن كيف يجي فصعدت الخادم ودعت يوسف كلما اخذ سكينا قلن له اقطعن
ما معكن فلما رايته اكبرنه وقطعن ايديهن بالمدي حتى بلغت السكاكين الى العظم قاله وهب بن منبه سعيد
ابن جبير لم يخرج عليهن حتى زينته فخرج عليهن فجاءة فدهشن فيه وتحيرن بحسن وجهه وزينته وما عليه فجعلن
يقطعن الايدي واختلف في سبب اكبرنه فروي جويبر عن الضحاك عن ابن عباس اعظمنه وهبنه وعنه
ايضا امين والذين من الدهش قال الشاعر ٭ اذا ما رايت الفحل من فوق فاره ٭ صهلن واكبرن المني المدفقا
٭ وقال ابن سمعان عن عدة من اصحابه انهم قالوا امذين عشقا وهب بن منبه عشقنه حتى بان منهن عشرة
في ذلك المجلس دهشا وحيرة ووجدا بيوسف وقيل معناه حضن من الدهش قاله قتادة ومقاتل
والسدي قال الشاعر ٭ ياتي النساء على اطهار هن ٭ واتاني النسا اذا اكبرن اكبارا ٭ وانكر ذلك
ابو عبيدة وغيره وقالوا ليس ذلك في كلام العرب ولكنه يجوز ان يكن حضن من شدة اعظامهن له وقد تفرح
المراة فتسقط ولدها او تحيض قال الزجاج يقال اكبرنه واياتا حضنه فلبس الاكبار بمعنى الحيض
واجاب الازهري فقال يجوز اكبرن بمعنى حضرت لان المراة اذا حاضت في ابتدا حرجت من حد الصغر الى الكبر قال والهاء في اكبرنه يجوز ان تكون هاء الوقف لها الكناية وهذا مذهب لان هذا الوقف
تسقط في الوصل ومثل منه قول ابن الانباري ان الهاء كناية عن مصدر الفعل اي اكبرن اكبارا بمعنى حضن
حيضا وعلى قول ابن عباس الاول يعود الهاء الى يوسف اي عظمن يوسف واجللنه قوله عز وجل
وقطعن ايديهن قال مجاهد قطعها حتى القينها وقيل خدشنها وروى ابن ابي نجيح اي جرحنها بالسكين الخادم
يريد مجاهد انه ليس قطعا تبين منه الايدي انما هو خدش وجرح وذلك معروف في اللغة يقال اذا خدش
الانسان يد صاحبه قطع يده وقال عكرمة ابدينا كما هن ولم يبن بعد وقيل انا ملهن اي ما وجدن الما
في القطع والجرح ايا شغل قلوبهن بيوسف والتقطيع يشير الى الكثرة فيمكن ان ترجع الكثرة الى كل و
واحدة جرحت يدها في مواضع ويمكن ان يرجع الى عدد هن قوله عز وجل وقلن حاشا لله اي معاذ
الله وروى الاصمعي عن نافع انه قرا ابو عمرو بن العلا وقلت حاشا لله باثبات الالف وهو الاصل وانما حذفها تخفيفا
اللام في لله عوضا منها وفيها اربع لغات يقال حاشاك وحاشالك وحاشريك وحاشالك ويقال حاشا زيد

فصح ان يكون حجة بالحكم بالعلامة في اللقطة وكثير من المواضع حتى قال مالك في اللصوص اذا
وجدت معهم امتعة فجاء قوم فادعوها ولبست لهم بينة فان السلطان يتلوم لهم في ذلك فان
لم يات غيرهم دفعها اليهم قال محمد في متاع البيت اذا اختلفت فيه المراة والرجل ان ما كان للرجل
فهو للرجل وما كان للنساء فهو للمراة وما كان للرجل والمراة وكان شريح وابا سريح معاوية يجعلان
على العلامات في الحكومات واصل ذلك هذه الاية والله اعلم قوله عز وجل ان كان قميصه قد من قبل
كان في موضع جزم بالشرط وفيه من النحو ما يشكل ان حرف الشرط ترد الماضي الى المستقبل وليس هذا
كذلك فقال المبرد محمد بن يزيد هذا القول كان واحد يعبر بها عن جميع الافعال وقال الزجاج المعنى ان تمكن
اي ان يعلم والعلم لم يقع وكذا الكوفيون لا يريدون بالعلم قد من قبل تخبر عن كان بالفعل الماضي قال زهير
* وكان فوي كشحا على مستكنة * فلا هو ابداها ولم يتقدم * وقرا يحيى بن يعمر وابن ابي اسحق من قبل
بضم القاف والبا وكذا يقرا الزجاج يجعلهما غايتين كقبل وبعد كانه قال من قبل ومن دبر فلما حذف
المضاف اليه وهو مراد صار المضاف غاية نفسه لبعد ان كان المضاف اليه غاية له ويجوز من قبل ومن دبر
بفتح الدال واللام تشبيها بالا ينصرف لانه معرفة ومن الدعن ابا عبيدة وروى محبوب عن ابي عمرو من قبل ومن
دبر مخففتان مجرورتان قوله عز وجل فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم قال ذلك
العزيز عند قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا وقيل قال لها الشاهد والكبد المكر والحيلة وقد تقدم في
النساء ان كيدكن عظيم وانما قال لعظيم لعظم فتنهن واحتيالهن في التخلص من ورطتهن وقال
مقاتل عن يحيى بن كثير عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كيد النساء اعظم من كيد
الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال ان كيدكن عظيم قوله تعالى يوسف
اعرض عن هذا اي لا تذكره لاحد واكتمه ثم اقبل عليكما فقال واستغفري لذنبك يقول استغفري
زوجك لما بدا قبلك انك كنت من الخاطئين ولم يقل من الخاطيات لانه قصد الاخبار عن المذكر والمؤنث فغلب
المذكر والمعنى من الناس الخاطئين او من القوم الخاطئين مثل انها كانت من قوم كافرين وكانت من القانتين
وقيل ان القائل ليوسف اعرض عن هذا واضمر استغفري زوجها الملك وفيه قولان احدهما انه لم
يكن غيورا فلذلك كان ساكتا وعدم الغيرة في كثير من اهل مصر موجودة اما بان الله تعالى يعلمه
الغيرة وكان فيه لطفا بيوسف حتى كفى بادرته وعفى عنها قوله تعالى وقال نسوة في المدينة ويقال
لنسوة بضم النون وهي قراءة الاعمش والمفضل والسلمي وجمع الكثير نسا ويجوز نسا وقد قالت نسوة مثل قالت
الاعراب وقال الاعراب وذلك ان الفضة انتشرت في اهل مصر فتحدث النسا قيل امراة ساقي العزيز
وامراة خبازه وامراة صاحب دوابه ولمراة صاحب سجنه وقيل امراة الحاجب عن ابن عباس عبره تراود
فتاها عن نفسه الفتى في كلام العرب النسا والمراة فتاة قد شغفها حبا قيل شغفها علبها وقيل
دخل حبه في شغافها فما هن مجاهد وغيره وروى عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال دخل تحت شغافها
وقال الحسن لشغفت باطن القلب السويداء وابو عبيدة شغاف القلب علافه وهو صلبة حليمه
وقيل وسط القلب والمعنى في هذه الاقوال متقاربة والمعنى دخل حبه الى شغافها فغلب عليه
قال النابغة * وقد حالت هموم دون ذلك داخل * دخول الشغاف تبتغيه الاصابع * وروى ان الشغاف
راى واشد الاصمعي للراجز ينسبها ما دمى له شغاف * وقرا جعفر بن محمد وابن محيصن والحسن شغفها
بالعين غير معجمة قال ابن الاعرابي معناه حرق جلدت قلبها قال ويعلى الاول العمل قال الجوهري يقال شغفه
الحب احرق قلبه وقال ابو زيد شغف بكذا فهو مشغوف وقرا الحسن قد شعفها قال لبطنها
حبا قال النحاس معناه عند اكثر اهل اللغة قد ذهب بها كل مذهب لان شغاف القلب داعليها وقد
شغف بذلك شغفا باسكان العين الا ولعي به الا ان ابا عبيدة انشد بيت امرئ القيس ليقتلني والمت
شغفت فوادها * كما شغف المهنوة الرجل الطايح * قال فشبهت لوعة الحب وهواه بذلك وروي
عن الشعبي انه قال لتشغفنها بالعين غير المعجمة حب والشعف بالعين غير المعجمة جنون قال النحاس وحكى
قد شغفها بكسر العين وابو زيد في كلام العرب لا شغفها بفتح العين وكذا اشغفها اي بترکها مشغوفة
وقال سعيد بن ابي عروبة عن الحسن لشغفها فخاب القلب والشغاف سويداء القلب فلو وصل الحب
الى الشغاف لكانت وقال الحسن الا الشغاف الجلدة اللاصقة بالكبد التي لا تزيد وهي الجلدة التي
البيضاء فلصق حبه بقلبها كلزوق الجلدة بالقلب قوله تعالى انا لنراها في ضلال مبين اي في
هذا الفعل وقال قتادة وهو في زوجها ان يوسف كان عندهم يحكم بما يريد وكان يبتدا امرها
فيه وقال مقاتل عن ابي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال ان امراة العزيز استوهبت زوجها
يوسف فوهبه لها وقال ما تصنعين به قالت اتخذه ولدا قال هو لك فربته حتى ابتاع وفي نفسها منه
ما في نفسها فكانت تكشف له وتتزين وتدعوه من وجه اللطف فعصمه الله تعالى قوله تعالى
فلما سمعت بمكرهن اي بعيبتهن اياها واحتيالهن في دعوتها وقيل انما اطلعتهن واستكتمهن فافشين

وحاشى زيدا قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول النصب
اولى لانه لم تدخل بها فعل بقولهم حاشى لزيد والحرف لا يحذف منه وقد قال النابغة * ولا احاشي من الاقوام
من احد وقال بعضهم حاشى حرف واحاشى فعل ويدل على كون حاشى فعلا وقوع حرف الجر بعدها وحكى
ابو زيد عن اعرابي اللهم اغفر لي ولمن سمع حاشى للشيطان وانا الاصبغ فنصب بها وقال الحسن وقد حاشى
لله باسكان الشين وعنه ايضا حاشرا للبار مسعود والبي حاشر الله بغير الف ومنه قول الشاعر حاشر بن
مروان ان بر * صبا عن المتحاة والكشتم وقال الزجاج واصل الكلمة من المحاشية والحشا بمعنى الناحية
تقول كنت في حشا فلان اي في ناحيته فقولك حاشى لزيد اي تجانب زيدا من هذا وبيا عدمنه والاستثنا اخراج
وتبجيبه عن جملة المذكورين وقال ابو علي هو فاعل من المحاشاة اي حاشا يوسف وصار في حاشية وناحية
مما قرف به او من ان يكون بشرا وحاشى في الاستثنا حرف جر عند سيبويه وعلى ما قال المبرد وابو علي فعل
قول المعتزلة جل ما هذا بشرا قال الخليل وسيبويه ما ينزله ليس زيد قايما وما هذا البشرا وما هذا مهانا
وقال الكوفيون لما حذفت الباء نصبت وشرح هذا فيما قاله احمد بن يحيى انك اذا قلت ما زيد بمنطلق
فرضع الباء موضع نصب وهكذا سايرحروف العطف فلما حذفت الباء نصبت لتدل على محلها قال وهذا
قول الفرا قال ولم يجعل شبيا غما ترهم البصريون ان يقولوا زيد القمر لان المعنى كالقمر زاد احمد بن يحيى
باذ قال الباء دخل في حروف الخفض من الكاف لان الكاف تكون اسما قال النحاس لا يصح الا قول البصريين
وهذا القول يناقضه ان الفرا اجاز نصبا ما بمنطلق زيد واشدا ما والله ان لو كنت حرا وما الحرات
ولا العتيق ومنع نصبا النصب ولا نعلم بين النحويين اختلافا ان الجايز ما فيك براغب زيد وما اليك بن
بقاصد عمرو ثم يحذفون الباء ويرفعون وحكى البصريون والكوفيون ما زيد بمنطلق بالرفع وحكى
البصريون انها لغة تميم وانشدوا * ايتما تجعلون الي نارا * وما يتم لذكحسب نزيده الندا والنزير
والنذير المثل والنظير وحكى الفراي انها لغة تهامة وبجد وزعم ان الرفع افوى لان الرجمين قال ابو
اسحق وهذا غلط كتاب الله عز وجل ولغة رسول الله صلى الله عليه وسلم افوى واولى قلت
وفي مصحف حفصة رضي الله عنها ما هذا لبشر ذكره الفرنوي قال الفشيري ابو نصر وذكرت
النسوة ان ليوسف احسن من صورة البشر بل هو في صورة ملك قال الله تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم والجمع بين الايتين ان قولهن حاشر لله تنزيه ليوسف عما رمنه به امراة
العزيز من المراودة اي لعفته عن هذا وقولهن لله اي لخوفه اي براة لله من هذا اي قد نجا يوسف
من ذلك فليس ذلك فليس هذا من الصورة في شي والمعنى انه نزه التنزيه عن المعاصي كما لا يكون فعلى
هذا لا تناقض وقيل المراد تنزيههن عن مشابهة البشر في الصورة لفرط جماله وقوله لله تاكيدا
لهذا المعنى فعلى هذا قالت النسوة في ذلك ظنا منهن ان صورة الملك احسن وما يفهمن قوله
خلقنا الانسان في احسن تقويم لانه مركبا بنا وقد ظن بعض الضعفة ان هذا القول لو كان ظنا
باطلا منهن لوجب على الله ان يرد عليهن ويبين كذبهن وهذا باطل اذ لا وجوب على الله تعالى وليس
كل ما تخبر به الرب سبحانه من كفر الكافرين وكذب الكاذبين يجب عليه ان ينزله به الكتب بما لرد
عليه وايضا اهل الريب قد يقولون في القبيح كانه شيطان وفي الحسن كانه ملك ان لم ير مثله
لان الناس لا يرون الملايكة فهو بنا على ظن في ان صورة الملك احسن وعلى الاخبار بطهارة اخلاقه
وبعده عن التهم ان هذا الا ملك اي ما هذا الا ملك وقال الشاعر * فلست لانسي ولكن لملبك
* تنزل في جو السما يصوب * وروى عن الحسن ما هذا بشرا بكسر الباء والشين اي ما هذا عبدا مشتري
اي ما ينبغي لمثل هذا ان يباع فوضع المصدر موضع اسم المفعول كما قال اجل لكم صيد البحر اي مصيده
وشبهه كثير ويجوز ان يكون المعنى ما هذا بثمن اي مثله لا يثمن ولا يقوم فراد في الشرا على هذا الثمن
المشتري به كقولك ما هذا بالف اذا بقيت قول القايل * هذا بالف قائما على هذا متعلقة بمحذوف
هو الخبر كانه قال ما هذا معدا بشرا وقراة العامة اشبه لان لهذه ان هذا الا ملك كريم مبالغة
في تفضيله في جنس الملايكة لتقطيعها لشانه ولان مثل بشرا يكتب في المصحف بالياء قوله تعالى
* ولكن الذي لمتنني فيه لما رات اقتنانني يوسف اظهرت عذرها نفسها بقولها لمتنني فيه اي في
حبه وذلك بمعنى هذا وهو اختيار الطبري وقيل الهاء للحب وذلك على بابه والمعنى ذلكن الحب
الذي لمتنني فيه اي حب هذا هو ذلك الحب واللوم الوصف بالقبيح ثم اقرت وقالت * ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم اي امتنع وسميت العصمة عصمة لانها تمنع من ارتكاب المعصية وقيل
استعصم اي استغطى والمعنى واحد ولئن لم يفعل ما امره لنجعلنه عاودننا المراودة بالحبس
منهن وهتكت جلبابه الحيا وعدت بالسجن ان لم يفعل وانما فعلت هذا حين لم تكتم يوسف
وقد قال احلاف اهل امرها اذ كان ذلك بينهم وبينها وليكونا من الصاغرين اي الاذلا وحط هو
المصحف وليكونا بالف ونزا بنون مخففة للتاكيد ونون التاكيد تثقل وتخفف

والوقف

والوقف على قوله ليسجنن بالنون لانها مثقلة وعلى ليكونا بالالف لانها مخففة وهي تشبه نون الاعراب في قولك رايت رجلا وزيدا وعمرا ومثله قوله لنسفعا بالناصية ويكتبها الوقف عليها بالالف كقول الاعشى ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا اراد نا عبدا فلما وقف عليه كان الوقف بالالف قوله تعالى قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه ابو عبيدة هو مثل السجن فحذف المضاف قاله الزجاج والنحاس احب الي ابو اسحاق على واصون من الوقوع في المعصية لان دخول السجن مما يجب على التحقيق وحكي ان يوسف عليه السلام لما قال السجن احب الي اوحى الله اليه يا يوسف انت حبست نفسك حبك قلت السجن احب الي ولو قلت العافية احب الي لعوفيت وحكى ابو عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال السجن بفتح السين وحكى ان ذلك قراءة ابن ابي اسحق وعبد الرحمن الاعرج ويعقوب وهو مصدر سجنه سجنا والا تصرف عني كيدهن السوان وقيل كيد النسوة اللاتي رايته قال امرنه بطاوعة امراة العزيز وقلن هي مطاوعة وقد ظلمتها وقيل طلبت كل واحدة ان تخلو به للتصيحة في امراة العزيز والمقصد بذلك ان تعزله في حقها وتامره بمساعدتها فلعله يجيب فصارت كل واحدة تخلو به على حدة فتقول له يا يوسف اقترفي حاجتي ولا تخبر لك بسيدك تدعوه كل واحدة لنفسها وتراوده فقال يا رب كانت واحدة فصرن جماعة وقيل كيد امراة العزيز بما دعته اليه من الفاحشة وكنى عنها بخطاب الجمع اما لتعظيم شانها في الخطاب واما لتعذله عن التصريح الى التعريض والكيد الاحتيال والاجتهاد ولهذا سميت الحرب كيدا لاحتيال الناس فيها قال عمرو بن الحارث تراك كيدك كي تكيدك امرا بشره وكيدا بالفتح ما تكيده اصب اليهن جواب الشرط اي امل اليهن من صبا يصبو اذا مال واشتاق صبوا وصبوه قال ه الى هند صا قلبي وهند مثلها يصبا اي ان لم الطف في اجتنابي المعصية وقعت فيها واكن من الجاهلين اي ممن يرتكب الاثم ويستحق الذم او ممن يعمل عمل الجهال ودل هذا على ان احدا لا يمتنع عن معصية الله الا بعون الله ودل ايضا على قبح الجهل والذم لصاحبه قوله تعالى فاستجاب له ربه لما قال لا تصرف عني كيدهن توصل للدعا وكانه قال اللهم اصرف عني كيدهن فاستجاب له دعاه ولطفه وعصمه عن الوقوع في الزنا كيدهن قيل لانهن جمع قدرا ودنه عن نفسه وقيل يعني كيد النسا وقيل يعني كيد امراة العزيز على ما ذكر في الاية قبلها والعموم اولى قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات ليسجننه حتى حين فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ثم بدا لهم اي ظهر لامراة العزيز واهل مصر من بعد ان راوا علامات براءة يوسف من قد القميص من دبر وشهادة الشاهد وحز الايدي وقلت صبرهن على لقاء يوسف ان يسجنوه كتمانا للفضيحة الا تشيع في العامة والجملة بينهما وقيل هي البركات التي كانت تتفتح عليهم ما دام يوسف والاول اصح قال مقاتل عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ثم بدا لهم من بعد ما راوا الايات قال القميص من الايات وشهادة الشاهد من الايات وقطع الايدي من اعجب الايات واعظم النسا ايا هن من الايات وقيل احجامها الخجل من الناس من الياس الى ان رضيت بالحجاب وكان حوفا الذهاب لتشتفي اذا مسقت من نظرة قال ه وما صبابة مشتاق على ام من التاكه كمشتاق بلا امله او كاد رجا ان يذل حبسه فيبدل نفسه الثانية قوله تعالى ليسجننه في موضع الفاعل اي ظهر لهم ان يسجنوه هذا قول سيبويه قال المبرد وهذا غلط لان يكون الفاعل جملة وكثر الفاعل ما دل عليه بدا وهو المصدر اي بدا لهم فحذف لان الفعل يدل عليه كما قال الشاعر وحتى ابو موسى ابوه يوقفها الذي نصب احمالا قوله تعالى اي وحتى الحق محذوف وقيل ثم بدا لهم اي لم يكونوا ابوقوه وحذف هذا لانه في الكلام لما علم وحذف ايضا القول اي قالوا ليسجننه واللام جواب ليمين مضمرة قاله الفرا وهو مثل مذكور لما حل موتك ولو كان حل موتك لكان ليسجنانه ورد على هذا قولهم ولم يقل لهن فكانه اخبر عن النسوة واعوانهن فغلب المذكر قاله ابو علي وقال السدي كان سبب حبس يوسف ان امراة العزيز اتيه انه شهرها ونشر خبرها فالصبر على هذا اتى لهم للملك الثالثة قوله عز وجل حتى حين اي الى المدة غير معلومة قاله كثير من المفسرين وقال ابن عباس الى انقطاع ما شاع في المدينة وقال سعيد بن جبير سنة اشهر وحكى الكيا الهراسي عن ثلاثة عشر شهرا عكرمة تسع سنين الكلبي خمس سنين مقاتل وقد مضى في البقرة القول في الحين وما يرتبط به من الاحكام وقال وهب اقام في السجن اثنا عشرة سنة وحتى بمعنى الى كقوله حتى مطلع الفجر جعل الله اكبر تظهر ليوسف عذرها بالمراة وكان العزيز من همه بالمراة وكان العهد وان علم براءة يوسف اطاع المراة في سجن يوسف قال ابن عباس عذر يوسف ثلاث عثرات حين همها فسجن وحين قال للفتى اذكرني عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قالوا اخوانه انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل الرابعة كره يوسف عليه السلام عاقبة الفاحشة بالسجن واقام خمسة اعوام وما يرضى بذلك لعظيم منزلته وشريف قدره ولو اكره رجل بالسجن على الزنا ما حل له اجماعا فان اكره بالضرب فقد اختلف فيه الحكما والصحيح انه اذا كان قادرا فانه يسقط عنه اثم الزنا وحده وقد قال بعض علمائنا انه لا يسقط عنه الحد وهو ضعيف فان الله تعالى

يجمع على عمده العذابين ولا يصرفه بين بلاين فاشر اعظم الحرج في الدين وما جعل عليكم في الدين من حرج وسيأتي
بيان هذا في النحل ان شاء الله وصبر يوسف واستعاذ به من الكيد فاستجاب له على ما التزم قوله تعالى
ودخل معه السجن فتيان تثنية فتى وهو من ذوات الياء وفوهم الفتوة شاذة قال ذو هب وغيره يحمل
يوسف الى السجن مقيدا على حمار وطيف به نهارا جزاء من بعضي سيده وهو يقول هذا البيبر بن ذ
منقطعات البيران وسرابيل القطران وثرب الجيم واكل الزقوم فلما انتهى يوسف الى السجن م
وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم فجعل يقول لهم اصبروا وابشروا توجروا فقالوا
له يا فتى ما احسن حديثك لقد نزل بك لكعلنا في جوارك من انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله
يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم وقال ابن عباس لما قالت المراة لزوجها ان هذا العبد
العبراني قد فضحني وانا اريد ان يسجنه فسجنه في السجن فكان يبكي فيه الحزين ويعود فيه المريض
ويداوي فيه الجريح ويصلي الليل كله حتى يبكي معه جدران البيوت وسقفها والابواب وطهر به السجن
واستانس به اهل السجن فكانوا اذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف واخبر
صاحب السجن فوسع عليه فيه ثم قال يا يوسف لقد احببتك حبا لم احب شيا حبك فقال اعوذ بالله
من حبك قال ولم ذاك فقال اخبرني يجفعل بي اخوتي ما فعلوا واحببتني سيدتي فنزل بي ما نزل
وكان في حبسه حتى يرسل غضب الملك على خبازه وصاحب شرابه وذلك ان الملك عرفهم فملوه
فدسوا الى خبازه وصاحب شرابه ان يسماه فاحاب الخباز وابى صاحب الشراب فاطلق صاحب الشراب
فاخبر الملك بذلك فامر الملك بحبسهما فاستانس بيوسف فذلك قوله عز وجل ودخل معه السجن
فتيان وقد قيل ان الخباز وضع السم في الطعام فلما حضر الطعام قال الساقي ايها الملك لا تاكل
فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب
فلم يضره وقال للخباز كل فابى فجرب الطعام على حيوان فنفق فحبسهما سنة وبقيا في الحبس
تلك المدة مع يوسف واسم الساقي مجلث والاخر مجلث ذكره الثعلبي عن كعب وقال النقاش اسم
احدهما شرهم والاخر برهم الاول بالشين المعجمة والاخر بالباء المهملة وقال الطبري الذي رايته انه
يقصر خم هو بنو قال السهيلي وذكر اسم الاخر ولم اقيده وقال قتيبان لاسمهما كانا عبدين للوليد
بن صفي صغيرا كان او كبيرا ذكره الماوردي وقال الشعبي وقتل الذي كان اسمه للعبد يجعفر فيهم وهذا
قاله تراودنا ها عن نفسه ويحتمل ان يكون اسما للخادم وان يكون مملوكا ويمكن ان يكون حبسهما
مع حبس يوسف او بعده او في غير انهما دخلا معه البيت الذي كان فيه قال احدهما اني اراني
اعصر خمرا اي عنبا كان يوسف قال اهل السجن اي اعبر الاحلام فقال اخبر الفتيين لصاحبه
تعالى حتى نجرب هذا العبد العبراني فسالاه من غير ان يكونا رايا سببا قال ابن مسعود وحكى الطبري
انهما سالاه عن علمه فقال اني اعبر الرويا فسالاه عن رويا هما قال ابن عباس ومجاهد كانت رويا
صدق رايا هما وسالا الله عنها ولذلك صدق تاويلها وفي الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم اصدقكم رويا اصدقكم حديثا وقيل انها رويا كذب سالاه عنها تجريبا وهذا قول ابن مسعود والسري
وقيل ان المصلوب منهما كان كاذبا والاخر صادقا قال ابو مجلد ورويه الترمذي عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من تحلم كاذبا كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين قال ابو عيسى
هذا حديث صحيح وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كذب في حلمه كلف يوم القيامة عقد
شعيرة قال الحديث حسن قال ابن عباس لما رايا ما رويا ما اصبحا محزونين فقال لهما يوسف مالي
اراكما مكروبين قالا يا سيدنا انا راينا ما كرهنا قال فقصا عليه عليه فقصا عليه قال انبيئنا
بتاويل ما رايتما وهذا يدل على انهما كانت رويا منام انا نراك من المحسنين فاحسانه ما كان يعود
المرضى ويداوي ويعود الجريح قال الضحاك كان اذا مرض الرجل من اهل السجن قام به واذا اضاق
وسع له واذا احتاج جمع له وسالله وقيل من المحسنين اي العالمين الذين احسنوا العلم قالوا
وقال ابن اسحاق من المحسنين لنا ان فسرته كما نقول افعل كذا وانت محسن قال فما رايتما قالت
الخباز رايت كاني اختبزت لي ثلاثة تنانير وحملته في ثلاث سلال فوضعته على راسي فجاء الطير
فاكل منه وقال الخر رايت انا كاني اخذت ثلاث عناقيد من عنب ابيض فعصرتهن في ثلاث واني ثم
صفيته فسقيت الملك كما كنت افيما مضى قبل ذلك قوله اني اراني اعصر خمرا اي عنبا بلغة عمان
وقاله الضحاك وقرا ابن مسعود اني اراني اعصر عنبا وقال الاصمعي اخبرني المعتمر بن سليمان
انه لقي اعرابيا ومعه عنب فقال له ما معك قال خمر وقيل معنى اعصر خمرا ابيعه خمر فحذف المضاف
ويقال لخمرة وخمر ومخمور مثل تمرة وتمر ونمور قال لهما يوسف عليه السلام لا ياتيكما طعام
ترزقانه بنبي ما يحيكما عذا عذا طعام من مترلكما الا نبا تكما بتاويله نفعما اني اعلم تاويله وياكما
فقالا افعل فقال لهما يحيكما كذا وكذا وكان على ما قال وكان هذا من علم الغيب حضر به يوسف

وبين ان الله خصه بهذا العلم لانه ترك ملة قوم لا يومنون بالله يعني دين الملك ومعنى الكلام عندي
العلم بتاويل منامكما والعلم بما يأتيكما من طعامكما والعلم بدين الله فاسمعوا اوكما ما يتعلق بالدين
لتقتدوا ولهذا لم يعبر لهما حتى دعاهما الى الاسلام فقال يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون
خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون الا بيه كلها على ما يأتي بيانه وقيل علم ان احدهما مقتول فدعاهما
الى الاسلام ليسعدا به وقيل ان يوسف كره ان يعبر لهما ما سالاه لما علمه من المكروه على احدهما
فاعرض عن سوالهما واخذ في غيره فقال لا يأتيكما طعام ترزقانه في اليوم الا نبأتكما بتفسيره في
اليقظة قاله السري فقال لهذا من فعل العرافين والكهنة فقال لهما يوسف ما انا بكاهن ولا عراف
ذلكما العلم مما علمني ربي اني لا اخبركما به تكهنا وتنجيما بل هو بوحي من الله عز وجل وقال ابن جريج
كان الملك اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما معروفا فارسل به اليه فاتى يوسف صاحبي السجن لا يأتيكما طعام ترزقانه
في اليقظة فعلى هذا ترزقانه اي تجري في كما من جهة الملك او غيره ويجعل رزقكما الله قال
الحسن كان يخبرهما بما غاب عنهما وقيل ان ادعاهما ذلك الى الاسلام وجعل المعجزة
التي يبتدئ بذكرها اخبارهما بالغيوب قوله تعالى واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحق ويعقوب
انهم انبياء على الحق ما كان اي ما ينبغي لنا ان نشرك بالله من شيء من للتاكيد كقوله ما جاءني من احد وقوله
تعالى ذلك من فضل الله علينا اشارة الى عصمته من الزنا وعلى الناس اي على المومنين الذين عصمهم الله
من الشرك وقيل ذلك من فضل الله علينا اذ جعلنا انبياء وعلى الناس اذ جعلنا الرسل اليهم ولكن اكثر الناس
لا يشكرون على نعمه بالتوحيد والايمان قوله تعالى يا صاحبي السجن اي يا ساكني السجن وذكر الصحبة
دلوطن مقامهما فيه كقولك اصحاب الجنة واصحاب النار ارباب متفرقون اي في الصغر والكبر والشرف
او متفرقون في العدد خير ام الله الواحد القهار وقيل الخطاب لهما ولاهل السجن وكان بين ايديهم
اصنام يعبدونها من دون الله فقال ذلك ليراها الحجة اي الهة شتى لا يضر ولا ينفع خير ام الله الواحد
القهار الذي قهر كل شيء بقدرته خيرا ما تشركون وقيل اشارة بالتفرق الى انه لو تعدد الاله لتفرقوا في
الارادة ولعلى بعضهم على بعض وبين انها اذا تفرقت لم تكن الهة قوله تعالى ما تعبدون من دونه
الا اسما بين عجز الاصنام وضعفها فقال ما تعبدون من دونه اي من دون الله الا ذوات اسماها اي لها
سميتموها من تلقاء انفسكم وقيل عنى بالاسماء المسميات اي ما تعبدون الا اصناما ليس لها من الالهة
شيء الا الاسم لانها جمادات وقال ما تعبدون وقد ابتدا بخطاب الاثنين لانه قصد جميع من هو على مثل حالهما
الا ترى انه قال اسميتموها انتم واباوكم فحذف المفعول الثاني للدلالة والمعنى سميتموها الهة من عند انفسكم
ما انزل الله بذلك في كتاب قال سعيد بن جبير من سلطان اي من حجة ان الحكم الا لله الذي هو خالق الامر
ان تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم اي التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون قوله تعالى يا صاحبي
السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا فيبرء مما هو فيه وهو الساقي واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من راسه
تستفتيان وحكى اهل اللغة ان سقى واسقى لغتان بمعنى واحد كما قال الشاعر • سقى قومي بني مجد
واسقى نميرا والقبايل من هلال • قال النحاس الذي عليه اكثر اهل اللغة ان معنى سقانا وله فشرب
اوصب الماء في حلقه وبهما استقاه جبل له سقيا قال الله تعالى واسقيناكم ماء فراتا الثانية قال
بعضهم وانما قيل من كذب في رويا فسرها المعبر له لانه يلزمه حكمها قلنا لا يلزمه واما كان ذلك في يوسف
لانه نبي وتعبير النبي حكم وقد قال انه يكون كذا وكذا فاوحى الله تعالى ما اخبرهما قال تحقيقا للبوة
فان قيل فقد روي عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال اجار رجل الى عمر بن الخطاب فقال اني رايت
كاني اعشيت اجزبت ثم اعشيت ثم اجزبت فقال له عمر انت رجل تومن ثم تكفر ثم تومن ثم تكفر
ثم تموت كاذا فقال الرجل ما رايت شيا فقال له عمر قد قضى لك ما قضى لصاحب يوسف قلنا ليست
احد بعد عمر ان عمر كان محدثا وكان اذا اظن ظنا كان واذا تكلم به وقع على ما ورد في اخباره وهي كثيرة
منها انه دخل عليه رجل فقال له اظنك كاهنا فكان كما ظن خرجه البخاري ومنها انه سال رجلا عن اسمه
فقال له فبرة اسما النار كلها فقال له ادرك اهلك فقد احترق ابوك وكان كما قال خرجه المرطا وسيابي
لهذا مزيد بيان في سورة الحج ان شاء الله تعالى قوله تعالى وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند
ربك فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ظن ظن هنا بمعنى اليقين في قول اكثر المفسرين وفسره قتادة على
الظن الذي هو خلاف اليقين قال انا اظن يوسف كما قاله ان العابر يظن ظنا وربك يخلق ما يشاء والاول اصح
واشبه بحال الانبياء وان ما قاله للغيبتين في تعبير الرويا كان عن وحي وانما يكون ظنا في حكم الناس واما
في حق الانبياء فان حكمهم حق كيف ما وقع الثانية اذكرني عند ربك اي سيدك وذلك معروف
في اللغة ان يقال للسيد رب قال الاعشى ربي كريم لا يكدر نعمة واذا تشد بالمهارق انشدا اي اذكر

ما رايته وما انا عليه من عمارة الرويا للملك واخبره اني مظلوم محبوس بلا ذنب وفي صحيح مسلم وغيره
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم اسق ربك وضئ ربك ولكن ليقل
سيدي مولاي ولا يقل احدكم عبدي امتي وليقل فتاي فتاتي غلامي وفي الفرات اذكرني عند ربك
الجدبك ان رؤياي احسن مثوابي اي صاحبي يعني العزيز ويقال لكل من قام باصلاح شيء وانما مه تدبيره
بر به ومثوابه له قال العلماء قوله عليه السلام لا يقولن وليقل من باب الارشاد الى اطلاق اسم الاولى لا ان
اطلاق ذلك الاسم محرم لانه قد جاء عنه عليه السلام انه كره الامة وربها اي مالكها وسيدها وهذا موافق
للفرات في اطلاق ذلك اللفظ فكان محل النهي في هذا الباب ان لا يتخذ هذه الاسماء عادة فليترك الاولى
والاحسن وقد قيل ان يقولا لرجل عبدي وامتي تجمع معنيين احدهما ان العبرة بالعبودية بالحقيقة انما
هي لله تعالى فنفى قول الواحد من الناس لمملوكه عبدي وامتي تعظيم عليه واضافته له الى نفسه باضافة
الله تعالى به الى نفسه وذلك غير جايز والثاني ان المملوك يبتذله فرذلك شيء في استصغاره بتلك
التسمية فيحمله ذلك على سوء الطاعة وقال ابن شقبات في الزاهي لا يقل السيد وامتي ولا يقل المملوك
ربي وربا امتي وهذا محمول على ما ذكرناه وقيل انما قال صلى الله عليه وسلم لا يقل العبد ربي وليقل سيدي لان
الرب من اسماء الله فالفرق واضح ادا التباس ولا اشكال واذا قلنا انه من اسمايه فليس في الشهرة والاستعمال
كلفظ الرب فيحصل الفرق وقال ابن العربي يحتمل ان يكون ذلك جايزا في شرع يوسف عليه السلام الثالثة
قوله تعالى فانساه الشيطان ذكر ربه الضمير في انساه فيه قولان احدهما انه عايد الى يوسف
اي انساه الشيطان ذكر الله عز وجل وذلك انه لما قال يوسف لساقي الملك حين علم انه سينجو اذكرني
الحالة الاولى مع الملك اذكر لي عند ربك لسيدي في ذلك الوقت ان يشكوا الى الله ويستغيث به وجنح
الى الاعتصام بمخلوق معوقب بالحبس فقال بعد العزيز بن عمير لملكه دخل جبريل على يوسف النبي
عليهما السلام في السجن فوجده يوسف فقال يا اخا المتدرين ما الذي اراك بين اخاطيئ فقال جبريل
عليه السلام باطاهر الطاهرين يقريك السلام رب العالمين ويقول اما استحييت اذ استغثت
بالادميين وعزتي لا لبثتك في السجن بضع سنين فقال يا جبريل اهو عني راض قال نعم قال لا ابالي
السلعة ورد ان جبريل عليه السلام فعاتبه عز الله تعالى في ذلك وطوى سجنه وقال له يا يوسف
مزخلصك من القتل من ابدى اخوتك قال الله قال فمن اخرجك من الجب قال الله قال فمن عصمك من الفاحشة
قال الله قال فمن صرف عنك كيد النسا قال الله قال فكيف وكلتك بمخلوق وتركت ربك فلم تسأله
قال يا رب كلمة ذلت مني اسالك بالاه ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام ان ترحمني
قال له جبريل فان عقوبتك ان تلبث في السجن بضع سنين وروى ابو سلمة عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قال اذكرني عند ربك ما لبث
في السجن ما لبث فلبث في السجن بضع سنين لما قال للذي ظن انهما اذكرني عند ربك ولو ذكر يوسف
ربه لخلصه وروى اسماعيل بن ابراهيم عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لولا الكلمة كلمة يوسف يعني قوله اذكرني عند ربك ما لبث في السجن ما لبث قال ثم يبكي الحسن
ويقول لكن بدا لربنا الامر فشكوا الى الناس وقيل ان المعاتبة عودا الى الناجي فهو الناسي اي انسى
الشيطان الساقي ان يذكر يوسف لربه اي لسيده وفيه حذف اي انساه الشيطان ذكره لربه
اي لسيده وفيه حذف اي انساه الشيطان ذكره لربه وقد رجح بعض العلما هذا القول فقال لولا ان
الشيطان انسى يوسف ذكر الله لما استحق العقاب بالمكث في السجن اذ الناسي غير مواخذ واجاب
عوقب رد عليهم اصل القول الثاني بقوله تعالى وقال الذي نجا منهما واذكر بعد امة وذل على ان
الناسي الساقي هو يوسف مع قوله تعالى انه ليس لك عليهم سلطان فكيف يصح ان يضاف
نسيانه الى الشيطان وليس له على الانبياء سلطنة قيل اما النسيان فلا عصمة للانبياء عنه الا في
وجه واحد وهو الخبر عن الله تعالى فيما يبلغونه فانه ينسب الى الشيطان اطلاقا وذلك انهم
يكونون فيما اخبر الله عنهم ولا يجوز لنا خبر ذلك فيهم قال صلى الله عليه وسلم انسى ادم فنسيت
ذريته وقال انما انا بشر انسى كما تنسون وقد تقدم الرابعة قوله تعالى فلبث في السجن بضع
سنين البضع قطعة من الدهر مختلف فيها قال يعقوب عن ابن زيد فيما قال البضع وبضع بنى الباء
دكرها وابقى البضع ومايته وانما هو الى التسعين وقال الهروي العرب تستعمل البضع فيما
بين الثلاث الى التسع والبضع والبضعة واحد ومعناها والقطعة من العدد وحكى
عن ابي عبيدة انه قال البضع ما دون نصف العشير يريد ما بين الواحد الى اربعة وهذا ليس بشيء
وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق وكم البضع فقال ما بين ثلاث
الى سبع فقال اذهب فزاد في الخطر وعلى هذا اكثر المفسرين ان البضع سبع حكاه الثعلبي قال

الماء وردي الماء وردي وهو نول ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقطرب وقال مجاهد من ثلاث الى تسع وقاله
الاصمعي ابن عباس من ثلاث الى عشرة وحكى الزجاج انه ما بين الثلاث الى الخمس قال الفراء والبضع لا يذكر الا مع
العشر والعشرين الى التسعين ولا يذكر بعد المائة وفي المدة التي لبث فيها مسجونا ثلاثة اقاويل احدها
سبع سنين قاله ابن جريج وقتادة ووهب بن منبه قال وهب اقام ايوب في البلا سبع سنين واقام يوسف
في السجن سبع سنين الثاني ثنتا عشرة قاله ابن عباس الثالث اربع عشرة سنة قاله الضحاك وقال
مقاتل عن مجاهد عن ابن عباس قال مكث يوسف في السجن خمسا وبضعا واشتقاقه من بضعت الشيء
اي قطعته فهو قطعة من العدد فعاقب يوسف بان حبس سبع سنين او تسع سنين بعد الخمس التي مضت
بالبضع مدة العقوبة لا مدة الحبس كله قال وهب بن منبه حبس يوسف في السجن سبع سنين وملك
ايوب في البلا سبع سنين وعذب بخت نصر بالمسح سبع سنين وقال عبد الله بن راشد البصري عن سعيد
ابن ابي عروبة ان البضع ما بين الخمس الى الاثنى عشر ستة الخامسة في هذه الاية دليل على جواز التعلق
بالاسباب وان كان اليقين حاصلا فان الامور بيد مسببها وانه جعلها سلسلة وركب بعضها على بعض فتحريكها سنة
والتعويل على المتهى يقينا والذي يدل على جواز ذلك لسنة ما جرى من النسيان
كما جرى لموسى في قتا الخضر وهذا بين فتا ملوه قوله تعالى وقال الملك اني اري سبع بقرات سمان
الاية لما دنا فرج يوسف عليه السلام راى الملك رويا فنزل جبريل فسلم على يوسف وبشره بالفرج وقال
ان الله يخرجك من سجنك ويمكن لك في الارض يذل لك ملوكها ويطيعك جبابرتها ويعطيك الكلمة
العليا على اهوتك وذلك بسبب رويا راها الملك وهي كتبوكبت وتا ويلها كذا وكذا فما لبث
في السجن اكثر مما راى الملك الرويا حتى خرج فحمد الله الرويا اولا ليوسف بلا وسيلة وجعلها اخرا لسر
ورحمة وذلك ان الملك لما كبر رياان بن الوليد اي في نومه كما مر خرج من نهر يابس سبع بقرات سمان اي
اثر هن سبع عجاف اي مهازيل وقد اقبلن العجاف على السمان فاخذت بادانين فاكلهن الا القرن بين
ورات سبع سنبلات خضر قد اقبل عليهن سبع يابسات فاكلهن حتى اتين عليهن فلم يبق منهن شيء وهي
يابسات ولذلك لم تفركن عجافا فلم يزدد فيهن شيء من اكلهن السمان منها لتما الرويا فارسل الى الناس
واهل العلم منهم والبصر بالكهانة والنجامة والعراقة والسحر واشراف قومه فقال يا ايها الملا افتوني
في رويايي فقصها عليهم فقالوا اضغاث احلام قال ابن جريج قال لي عطا ان اضغاث الاحلام هو
الكاذبة المختلطة من الرويا وقال الحوفي عن الضحاك عن ابن عباس قال ان الرويا منها حق ومنها
اضغاث احلام يعني بها الكاذبة وقال المبرد قوله تعالى اضغاث احلام اي اخلاط احلام والضغث
في اللغة الحزمة من الشيء كالبقل والحلا وما اشبهه ايه قالوا ليست رويا بك بصحيحة والاحلام الرويا المختلطة
وقال مجاهد اضغاث الرويا اهاويلها وقال ابو عبيدة الاضغاث جمع تا ويل له من الرويا فوله تعالى
سبع بقرات سمان حذفت الهاء من سبع من اثنين المذكر والمونث سمان لما كانت للبقرات ويجوز في غير
القرآن سبع بقرات سمانا نعت للسبع وكذا خضرا قال الفراء ومثله سبع سموات طباقا وقد مضى
في سورة البقرة اشتقاق البقرة ومعناها وقال علي بن ابي طالب المعبر والبقر اذا دخلت المدينة
فان كانت سمانا فمن سنين رخاء وان كانت عجافا فانها كانت شدادا وان كانت المدينة مدينة حرب وان سفر
نزحت سفن على عددها وطالها والا كانت قحطا متزادفة كلها وجوه البقر كلها في الخير يشبه بعضها بعضا
وفي خبر الحريق الفتن كانها صياصي البقر يريد لتشابهها الا ان تكون صورا كلها فانها امراض تدخل
على الناس وان كانت مختلفة الالوان سنيفة الفرون او كان الناس يتقرون منها او كان النار
والدخان يخرج من افواهها فانه عسكر او غارة او عدو يغير عليهم ويقتل بساحتهم وقد تدل البقرة
على الزوجة والخادم والغلة والسنة لما يكون فيها من الولد والغلة والنبات يا كلهن سبع عجاف
من عجف يعجف على وزن عظم يعظم وروى عجف يعجف على وزن حمد يحمد قوله تعالى يا ايها
الملا افتوني في رويايا رويا ابيا خبروني بحكم هذه الرويا ان كنتم للرويا تعبرون ثم
هذه العبارة مشتقة من عبور النهر فمعنى عبرت النهر بلغت شاطيه فكا بر الرويا يخبر عما يوول اليه امرها
واللام في الرويا للتبيين ان كنتم تعبرون ثم بين فقال للرويا قال الزجاج قوله تعالى قالوا
اضغاث احلام فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى اضغاث احلام قال الفراء ويجوز اضغاث احلام
قال النحاس النصب بعيد لان المعنى لم تر شيا فيه تاويل انما هي اضغاث احلام اي اخلاط وواحد
الاضغاث ضغث يقال لكل مختلط من بقل او حشيش او غيرهما ضغث قال الشاعر وكضغث حلم عرسه
حالم قوله تعالى وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين قال الزجاج المعنى بتاويل الاحلام المختلطة
نفوا عن انفسهم علم ما تاويله لانهم نفوا عن انفسهم علم التاويل وقيل نفوا عن انفسهم علم التعبير
والاضغاث على هذا الجماعات من الرويا التي منها صحيحة ومنها باطلة ولهذا قال الساقي انا انبيكم
بتاويله فعلم ان القوم عجزوا عن التاويل لا انهم ادعوا ان لا تاويل لها وقيل انهم لم يقصدوا التعبير

وانما اراد واامثالها من صدر الملك حتى لا تشغل باله وعلى هذا ايضا فقد مهم علم والاحلام جمع حلم
والحلم بالضم ما يراه النايم تقول منه حلم بالفتح واحتلم وتقول حلمت بكذا وحلمته قال • فحلمتها
وتبورفيدة • دونها ابيعدن حيالها المحلوم • واصله الاناة ومنه الحلم ضد الطيش فقيل لما
يرى في النوم حلم لان النوم حالة اناة وسكوت وفي الاية دليل على بطلان قول من يقول
ان الرويا على اول ما تعبر لانه قالوا اضغاث احلام ولم ينفع كذلك فان يوسف فسرها على
سبي الحدث والحضب وفيها دليل على فساد ان الرويا على جرا طايرنا ذا عبرت وقعت قوله تعالى
وقال الذي نجا منهما بعض ما في الملك واذكر بعد امة اي بعد حين عن ابن عباس وغيره ومنه اني
امة معدودة واصله الجملة من الحين وقال ابو بكر در ستويه والامة لا يكون الحين الا على حذف
مضاف واقامة المضاف اليه مقامه كانه قال والله اعلم واذكر بعد حين نامه او بعد زمن امة وما
اشبه ذلك والامة الجماعة الكثيرة من الناس قال الاخفش هو في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل
جنس من الحيوان امة وفي الحديث لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها قوله تعالى واذكر
ابي تذكر حاجة يوسف وهو قوله اذكرني عند ربك وقرا ابن عباس فيما روى عثمان عن همام عن قتادة و
عن عكرمة عنه واذكر بعد امة الخاسر والمعروف من قراة ابن عباس وعكرمة والضحاك واذكر بعد امة
بفتح الهمزة وتخفيف الميم اي بعد نسيان قال الشاعر • امهت وكنت لا انسى حديثا • لذاك الدهر
يودي بالعقول • وعن عروة بن سبل الضبعي بعد امة بفتح الالف واسكان الميم وهي احد لغة وهو
مثل الامة ومعناهما النسيان وبقال امة يامه امها فاذا نسي فعلى هذا واذكر بعد امة
ذكره النحاس ورجل امة وامة ذاهب العقل قال الجوهري واما ما في حديث الزهري امه بمعنى اقر
واعترف فهي لغة غير مشهورة وقرا الاشهب العقيلي بعد امة اي بعد ان انعم الله عليه
بالنجاة ثم قيل نسي يوسف لقضاء الله تعالى بقايه في السجن مدة وقيل ما نسي ولكنه خاف ان
يذكر الملك الذنب الذي بسببه حبس هو والخباز فقوله واذكر اي اذكروا ثم قال النحاس الاصل
في ادكر اذتكرر والذال قريبة المخرج من التاء ولم يجز ادغامها فيها لان الذال مجهورة والتاء مهموسة
فلو ادغموا ذهب الجهر فلما بدلوا من التاء ذالا مجهورا وهو الذال وكان اولى من الطاء لان الطاء مطبقة
فصارا ادكر فادغموا الذال في الذال لقرب مخارج الذال والباء ثم قال انا انبئكم بتاويله اي انا اخبركم
وقرا الحسن انا انبيكم بتاويله وقال كيف ايهم اصلح قال النحاس ومعنى انبيكم صحيح حسن
اي انا اخبركم اذا سالت فارسلون خاطب الملك ولكن بلفظ التعظيم او خاطب الملك واهل
مجلسه يوسف نرامفرد وكنا الصديق الى الكثير الصدق انتا اي فارسلوه فجاء الى يوسف فقال
ايها الصديق وساله عن رويا الملك لعلي ارجع الى الناس اي الى الملك واصحابه لعلهم يعلمون
التعبير او لعلهم يعلمون مكانك من الفضل والعلم فتخرج ويحتمل ان يريد الناس الملك وحده
تعظيما له قوله تعالى قال تزرعون سبع سنين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى تزرعون لما
علمه بالرويا جعل يفسرها له فقال السبع من البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع سنين مخصبات
واما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين جدبات فذلك قوله تزرعون سبع سنين
دابا اي متوالية متتابعة وهو مصدر على غير المصدر لان معنى تزرعون تدأبون كعادتكم في الزراعة
سبع سنين وقيل هو حال اي دائبين وقيل صفة لسبع سنين اي دائبة وحكى ابو حاتم عن يعقوب
دابا بتحريك الهمزة وحكى كذا الذي حضر عن عاصم وهما لغتان وفيه قولان قول ابي حاتم انه مذهب
قاله النحاس ولا يوقف اهل اللغة الا ذات والقول الاخر انه حرك لان فيه حرفا من حروف الحلق قال
الزاقال وكذلك كل حرف فتح اوله وسكن ثانيه فتثقيله جايز اذا كان ثانيه همزة او هاا وعينا
او غينا او حاا وخا واصله العادة قاله كفانك من ام الحويرث قبلها وقد مضى في البقرة القول فيه
فما حصدتم فذروه في سنبله قيل ليلا يتسوس ويكون ابقى وهكذا الامر في ديار مصر الى قليلا مما تاكلون
اي استخرجوا مما تحتاجون اليه بقدر الحاجة وهذا القول منه امر والاول خبر ويحتمل ان يكون الاول
ايضا امرا والثاني خبر ويحتمل ان يكون الاول ايضا امرا وان كان الاظهر منه الخبر فيكون معنى تزرعون
اي ازرعوا الثانية هذه الاية اصل في القول بالمصالح الشرعية التي حفظ الاديان والنفوس
والعقول والانساب والاموال فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الامور فهو مصلحة وكل ما يفوت شيئا
منها فهو مفسدة ودفعه مصلحة ولا خلاف ان مقصود الشرايع ارشاد الناس الى مصالحهم الدينية
ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلين الى السعادة الاخروية ومراعاة ذلك فضل
فضل من الله عز وجل ورحمة رحم بها عباده من غير وجوب عليه ولا استحقاق هذا مذهب كافة المحققين
من اهل السنة اجمعين وبسطه في اصول الفقه قوله عز وجل ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد وهي
تبيه مسبلتان الاولى قوله تعالى سبع شداد يعني السنين المجدبات ياكلن مجاز والمعنى ياكلن اهلهن

ما قدمتم لهن اي ما ادخرتم لاجلهن وكنوه قول القائيله لصاحبك يا مغرور سهو وغفلة ٠ وبيلك
لزموا لزوم بيلك لازم ٠ والنهار لا يسهو والليل لا ينام وانما سهى في النهار وبيات في الليل وحكى ابن بزرج
عن ابيه ان يوسف كان يضع طعام اثنين فيقربه الى رجل فيأكل بعضه حتى انه كان يوما قربه فأكله
كله فقال يوسف هذا اول يوم من السبع الشداد الا قليلا نصب على الاستثناء مما تحصنون اي مما تحصنون
لتزرعوا الا شيئا قليلا مما تستفاد البذر محصنا من الخوان وقال ابو عبيدة تحرزون وقال الفراء تحصنون تدخرون
والمعنى واحد وهو يدل على جواز اخبار الطعام الى وقت الحاجة الثانية هذه الاية اصل في صحة
رؤية الكافر وانما تخرج على حسب ما رأى لا سيما اذا تعلقت بمن فكيف اذا كانت اية لنبي ومعجزة
لرسول وتصديقا لمصطفى للتبليغ وحجة للواسطة بين الله جل جلاله وعباده قوله عز وجل ثم
يأتي من بعد ذلك عام هذا اخبار من يوسف عليه السلام عما لم يكن في رؤيا الملك ولكنه من علم الغيب الذي
اتاه الله قال قتادة زاده الله علما لم يسأله عنها اظهارا لفضله واعلاما لمكانه من العلم ومعرفته
فيه يغاث الناس من الاغاثة والغوث غوث الرجل قالوا غوثاه والاسم الغوث والغواث واستغاثني
فلان فاغثته والاسم الغياث صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها والغيث المطر وقد غاث الغيث الارض اي
اصابها وغاث الله البلاد بفتحها غيثا وغيثت الارض تغاث غيثا فهي ارض مغيثة ومغوثة فمعنى
يغاث الناس يمطرون وفيه يعصرون قال ابن عباس يحلبون الاعناب والدهن التجاري وروي
حجاج عن ابن جريج قال يعصرون العنب هذا والسمسم هنا والزيتون زيتا وقيل اراد حلب
الالبان لكثرتها ويدل على ذلك كثرة النبات وقيل يعصرون اي يمطرون وهو من العصرة وهي النجاة قاله
ابو عبيدة والعصر بالتحريك الملجأ والنجاء فدلك العصرة قال ابو زيد ٠ صاكها يسقيك غير مغاث
وقد كان عصرة المنجود ٠ والمنجود الفزع واعتصرت فلانا وتعصرت اي التجأت اليه وقال ابو العوث
يعصرون يستغلون وهو من عصر المنبر واعتصرت ماله اي استخرجته عن يده وقرأ عيسى تعصرون
بضم التاء وفتح الصاد وهما متقاربان في قوله واتركنا من المعصرات ماء ثجاجا وكذلك معنى تعصرون
بضم التاء وفتح الصاد لمن قرأه كذلك قوله عز وجل قال الملك ائتوني به اي فذهب الرسول
فاخبر الملك فقال ائتوني به فلما جاءه الرسول اي فامره بالخروج قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال
النسوة اي حاله النسوة اللاتي قطعن ايديهن فاني ان يخرج الا النصح براءته للملك مما قذف به وانه
حسن بلاحرم روى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وهو بيت في السجن ما لبث ثم ان الرسول اجيبت ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال ارجع
الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن قال ورحمة الله على لوط لقد كان يأوي الى ركن شديد
ما دعا الله بعده نبيا الا في ذروة من قومه وروى البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يرحم الله لوطا كان يأوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف
لاجبت الداعي ونحن احق من ابراهيم اذ قال له اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويروى عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يرحم الله اخي يوسف لقد كان صابرا حليما ولو لبث في السجن لبثه اجبت الداعي ولم
التمس العذر ورووا نحو هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك كتابا في التفسير
من صحيح البخاري وليس بن القاسم في الديوان غيره وفي رواية الطبري يرحم الله يوسف لو كنت انا
المحبوس ثم ارسل الي لخرجت سريعا ان كان حليما ذا اناة وقال صلى الله عليه وسلم عجبت من يوسف
وصبره وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات لو كنت مكانه لما اخرتهم حتى اشترط ان يخرجوني
لقد عجبت منه حين اتاه الرسول لو لبثت مكانه لبادرتهم الباب قال ابن عطية كان هذا الفعل من يوسف
عليه السلام اناة وصبرا وطلبا لبراءة الساحة وذلك انه خشي ان يخرج ربما لو ان الملك مرتبة ويملك
عن امر دينه صفحا فيراه الناس بتلك العين يقولون هذا الذي راود امرأته فاراد يوسف عليه
السلام ان يبين براءته وتحقق منزلته من العفة والخير وحينئذ يخرج للاحظاء والمنزلة فلهذا قال
للرسول ارجع الى ربك وقل له ما بال النسوة ومقصد يوسف عليه السلام انما كان زلل له يستنقص عن
دنيي وينظر في امري هل سجنت جزاء وظلم ونكب عن امرأة العزيز حسن عشرة ورعاية لذمام
الملك العزيز له فان قيل كيف مدح النبي صلى الله عليه وسلم يوسف بالصبر والاناة وترك المبادرة
الى الخروج ثم هو يذهب بنفسه عن حالة تنصح بها غيره فالوجه في ذلك ان النبي صلى الله عليه
وسلم انما اخذ لنفسه وجها من الحزم الرأي له جهة ايضا من الجودة يقول لو كنت انا لبادرت بالخروج
بالخروج ثم حاولت بيان عذري بعد ذلك وذلك ان هذه القصص والنوازل في ممرضة لقصد
ليقتضي الناس بها الى يوم القيامة فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل الناس على الاحزم
من الامور وذلك ان ترك الحزم في مثل هذه المنازلة المارك فرصة الخروج ثم مثل ذلك السجن
ربما لم يفتح له ابدا في سجنه وانصرف نفس مخرجه عنه وان كان يوسف عليه السلام انما زل له ليعلمه

من الله فعصره من الناس لما رأى من ذلك فالحالة التي ذهب النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه اليها حالة حزم وما
فعله يوسف عليه السلام صبر عظيم وجلد **قوله عز وجل** فاسأله ما بال النسوة ذكر النسا ليدخل فيها
امرأة العزيز يدخل العموم بالتلويح حتى لا يقع عليها تعريح وذلك حسن عشرة وادب وفي الكلام محذوف
اي فاسأله ان يتعرف ما بال النسوة قال ابن عباس ما رسل الملك الي النسوة والى امرأة العزيز وكان
قد مات العزيز فدعاهن فقال ما خطبكن اي ما شأنكن اذ راودتن يوسف في حق نفسها على ما تقدم او
اراد قول كل واحدة فتظلمت امرأة العزيز فكان ذلك مراودة منهن تلك حاشى لله اي معاذ الله ما علمنا
عليه من سوء اي زنا قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق لما رأت انه ازاح عن براءة يوسف وخافت ان يشهدن
عليها ان انكرت اقرت هي ايضا وكان ذلك لطفا من الله بيوسف وحصحص الحق اي تبين وظهر واصله
حصص فقيل حصحص كما قالوا كبكبوا وكفكفت في كفف قاله الزجاج وغيره واصل الحصحصة استيصال
الشيء بقال الحصحص شعره اذا استأصله حزقا قال الهذلي تحصحصت البيضة راسي فما ارى
نوما غير تهجاع ومنه حصا المجرد الاخير فيها قال الجريري ياوي اليكم بلا من وابجده مر سافوا السنة
الحصة والبيئة كانه اراد ان يقول والضبع وهي السنة المجدبة فوضع الذيب موضعها لاجل القافية
لعني حصحص الحق اي انقطع عن الباطل بظهوره وثباته قاله الا مبلغ عني خراشا فانه كذوب
اذا ما حصحص الحق ظالم وقيل هو مشتق من الحصة فالمعنى بانت حصة الحق من حصة الباطل وقال
مجاهد وقتادة اصله ماخوذ من قولهم حصر شعره اذا استأصل قطعه ومنه الحصة من الارض اذا قطعت
منها والحصحص بالكسر التراب والحجان ذكره الجوهري انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وهذا
القول منها وان لم يكن سبق عنه اظهارا لتوبتها وكتبيقا لصدق يوسف وكرامته لان اقرار المقر على
نفسه اقوى من الشهادة عليه فجمع الله تعالى ليوسف في اظهار صدقه الشهادة والاقرار حتى يخامر
النساظن ولا يجد لطاعنهن مساغا وشددت النون في خطبكن ولما لانها بمنزلة الميم والواو في المذكر قوله
قوله عز وجل ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اختلف فيمن قاله فقيل هو من قول امرأة العزيز
وهو متصل بقولها الآن حصحص الحق اي اقررت بالصدق ليعلم ليعلم اني لم اخنه بالكذب عليه ولم
اذكره بسوء وهو غائب اي صدقت وحرت عن الخيانة ثم قالت وما ابرئ نفسي بل انا راودته وعلى هذا
هي كانت مقرة بالصانع ولهذا قالت ان ربي لغفور رحيم وقيل هو من قول يوسف ذلك اي امر الذي
فعلته من رد الرسول ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب قاله الحسن وقتادة وغيرهما ومعنى بالغيب
وهو غائب وانما قال يوسف ذلك بحضرة الملك وقال ليعلم على الغائب توقيرا للملك وقيل قاله
اذ عاد اليه الرسول وهو في السجن بعده قال ابن عباس جاء الرسول الى يوسف عليه السلام بالخبر وجبريل
معه يعلمه كدته فقال يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين اي لم
اخرسيدي بالغيب فقال جبريل عليه السلام يا يوسف ولا حين جلست الازار وجلست مجلس الرجل
من المرأة فقال يوسف وما ابرئ نفسي الآية وقال السدي انما قالت امرأة العزيز ولا حين حللت
سراويلك يا يوسف فقال يوسف وما ابرئ نفسي وقيل ذلك ليعلم من قول العزيز اي ذلك ليعلم
يوسف اني لم اخنه بالغيب واني لم اعقل عن مجازاته على امانته ان الله لا يهدي كيد الخائنين معناه
ان الله لا يهدي كيد الخائنين بكيدهم **قوله عز وجل** وما ابرئ نفسي قيل هو من قول المرأة وقال
الشبري والظاهر ان قوله ذلك ليعلم وقوله وما ابرئ نفسي من قول يوسف قلت

واذا قدرناه من قول يوسف فيكون مما خطر بقلبه على ما قدمناه من القول المختار في قوله
ومما يقضي ما قاله ابو بكر الانباري من الناس من يقول ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب الى قوله ان ربي لغفور
رحيم من كلام امرأة العزيز اتصل بقولها الآن حصحص الحق اني راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وهذا مذهب
الذين ينقلون الهم عن يوسف عليه السلام ثم بنى على قولهم قال من قوله قالت امرأة العزيز الى
قوله ان ربي لغفور رحيم كلام متصل بعضه ببعض لا يكون فيه وقف تام على حقيقته ولسنا
نختار هذا القول ولا نذهب اليه وقال الحسن لما قال يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كره ان
يزكي نفسه فقال وما ابرئ نفسي وتركية النفس مذمومة قال الله تعالى فلا تزكوا
انفسكم وتزكيناه في النسا وقيل هو من قول العزيز اي وما ابرئ نفسي من سوء الظن بيوسف
ان النفس لامارة بالسوء اي مشتهية له الا ما رحم ربي الا في موضع نفسه بالاستثنا وما بمعنى من اي الا من
رحم ربي فعصمه وما بعض من كثير قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم هو استثنا منقطع لان
استثنا المرحوم بالعصمة من النفس الامارة بالسوء وقد اخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما تقولون في صاحبكم صاحب لكم ان انتم اكرمتموه واطعتموه وكسوتموه افضى بكم الى شر غاية
وان اهنتموه واعريتموه واجعتموه افضى بكم الى خير غاية قالوا يا رسول الله فذا شر صاحب

في الارض قالوا الذي نفسي بيده انا لنعوسكم التي بين جنوبكم قوله فلما كلمه قال الملك ايتوني
به استخلصه لنفسي لما ثبت للملك براءته مما نسب اليه وتحقق في القصة حلا له قال ايتوني به استخلصه
لنفسي نا نظر الى قول الملك اولا حين تحقق علمه ايتوني به فقط فلما فعل يوسف ما فعل قال ثانيا
ايتوني به استخلصه لنفسي روي عن وهب بن منبه قال لما دعي يوسف وقف بالباب فقال لحسبي
ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره ثم دخل فلما نظر اليه الملك نزل عن سريره فخر له ساجدا
ثم اقعده الملك معه على سريره فقال انك اليوم لدينا مكين امين قال له يوسف اجعلني على
خزائن الارض اني حفيظ لها بوجوه نصرفها وقيل حافظ للحساب عليهم بالالسن وفي
الخبر يرحم الله اخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن اخر ذلك
سنة وقيل انما اخر تمليكه الى سنة لانه لم يتأت ان شاء الله وقد قيل في هذه القصة ان يوسف عليه السلام
لما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره ثم سلم على الملك
بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان
قال لسان اباي ابراهيم واسحاق ويعقوب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما تكلم يوسف
بلسان اجابه يوسف بذلك اللسان فاعجب الملك امره وكان يوسف اذ ذاك ابن ثلاثين سنة ثم
اجلسه على سريره وقال اني احب ان اسمع منك رويايا قال يوسف نعم ايها الملك رايت سبع بقرات
سمان منهبسا عجافا يكسف لك عنهن السل فطلعن عليك من شاطئ النيل اخلافهن لبنا فبينما
انت تنظر اليهن وتتعجب من حسنهن اذ نضب الجبل السل فغارماؤه وبدا بيبسه فخرج من حماه
ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون لبسهن مزوج ولا خلاف لهن اياب
واضراس واكف كالحات وحراجيم السباع فاختلطن بالسمان فافترسنهن افتراس السبع فاكلن لحومهن
ومزقن جلودهن وخطمن عظامهن ومشمشن مخهن فبينما انت تنظر وتتعجب كيف
غلبتهن وهن مهازيل ثم لم يظهر منهن سمن ولا زيادة بعد اكلهن اذا بسبع سنابل خضر طريات
ناعمات ممتلئات حبا وتمارا والحاجبهن سبع يابسات لبسهن حاوا خضرة في منبت واحد عروقهن
في التربة والماء فبينما انت تقول لجي نفسك ايبتي هذا هو لا خضر مثمرات وهو لا سود يابسات
والمنبت واحد واصولهن في الماء اذ ذهبت ريح فذرت الاوراق من اليابسات السود على الخضر المثمرات
فاشملت فيهن الناسفا حرقتهن فصرن سودا مغبرات فانتبهت مدعورا ايها الملك قال الملك
والله لشان هذه الرويا وان كانت عجيبا باعجب مما سمعت منك فما تاويل رويايا ايها الصديق فقال
يوسف اري ان تجمع العظام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة فانك لو زرعت على حجرا و
حجر لنبت واظهر الله فيه الماء والبركة ثم ترفع الزرع في سنبله وقصبه وتبني له الخزائن العظام فيكون
القصب والسنبل علفا للدواب وحبه للناس وتامر الناس فيرفعون من طعامهم الى اهرامك فيكفيك
من الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها وتاتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ويكفيهم عندك
من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال الملك ومن لي بتدبير هذه الامور ولو جمعت اهل مصر جميعا
ما اطاقوا ولم يكونوا فيه امنا فقال يوسف عند ذلك اجعلني على خزائن الارض اي على خزائن ارضك
وهي جمع خزانة وهي فعالة من الخزن والالف واللام عوض من الاضافة كقولهم الناقة والشاة ولهم شيعة لم يعطها الله غيرهم
من الجود والاحلام عبر كواذب قوله عز وجل استخلصه لنفسي جزم لانه جواب الامر وهذا يدل
على ان قوله ذلك ليعلم جرى في السجن ويحتمل انه جرى عند الملك ثم قال في مجلس اخر ايتوني به تاكيدا
استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لنفسي فوض اليه امر مملكته فذهبوا فجاوا به وذلك على ذلك فلما
كلمه اي كلم الملك يوسف وساله عن الرويا فاجاب يوسف فقال الملك انك اليوم لدينا مكين اي متمكن
فاقر القول ابين لانجاح عذرا قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فيه اربع
مسايل الاولى في قوله تعالى قال اجعلني على خزائن الارض قال سعيد بن منصور سمعت مالك بن انس يقول
مصر خزانة الارض فاسمع قوله اجعلني على خزائن الارض علي حفظها فحذف المضاف اي احفظ لها
وليت عليم بامره وفي التفسير اني حاسب كاتب وانا ولدت بالقراطيس وقيل حفيظ لتقديري الاقوات
عليم بسني المجاعات قال هو بير عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم
الله اخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمل من ساعته ولكنه اخر ذلك عنه سنة قال
ابن عباس لما انقضت السنة من يوم سال الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسبعة ووضع له سريرا
من ذهب مكللا بالدر والياقوت ووضع عليه من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه
عشرة اذرع عليه ثلاثون زاما مرفقة ثم امره ان يخرج فخرج متوجا بتاج وهو كالشمس ووجهه كالقمر يرى
الناظر وجهه في صفائه ووجهه فجلس على السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته مع نسايه
وفوض اليه امر مصر وعزله فصغر عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن زيد وكان لوعون ملك

مصر خزائن كثيرة غير الطعام فسلم سلطانه كله اليه وهلك فظفر تلك الليالي تزوج الملك يوسف
راعيل امرأة العزيز فلما دخل عليها قال لها ليس هذا خيرا مما كنت تريدين فقالت أيها الصديق لا تلمني
انك كنت امرأة حسنا ناعمة كافرة وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك الله من الحسن فهو
تقلبت نفسي فاصابها يوسف عذرا فولدت له رجلين افرائيم ابن يوسف ومنشا ابن يوسف وقال
وهب بن منبه انما كان تزوج بكرا ليحيا امرأة العزيز بعد حلتي الاخوة وذلك ان زليخا ماتت وزوجها
ويوسف في السجن وذهب مالها وعمي بصرها بكاء على يوسف فصارت تكفف الناس فمنهم من يرحمها
ومنهم من لا يرحمها وكان يوسف يركب كل اسبوع في موكب زهاء ما بة الف فرءاها قومه فقيل لها لو
تعرضت له لعله كان يستعفك لبثي ثم قيل لها ان تتعلي فربما ذكر بعض ما كان منك من المراودة والسجن
فيوسى اليك فقالت انا اعلم بحلق حبيبي منكم ثم تركته حتى ركب في موكبه قامت فنادت بأعلا صوتها
سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف ما هذه فاتوا بها
فقالت انا التي كنت احد مل على صدور قومي وارجل جمك بيدي وتربعت في بيتي واكرمت مثواك
لكن فرطت فرط رجلي وعتوي ورقت وبالا مري تذهب مالي وتصعصع ركني وطال ذلي وعمي
بصري ولقد كنت مغبوط اهل مصر بهم حتى انكفف الناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني
وهذا اخر المقدمين فبكا يوسف بكاء شديدا ثم قال لها هل بقيت تجدين مما كان بي لنفسك من حب
بي شيا فقالت والله لنظرة في وجهك احب الي من الدنيا بحذافيرها لكن انا ولغ صدر سوتك فناولها
سوتك فاخذته على صدرها فوجد للسوط في يده اضطرابا وارتعاشا فخفقان قلبها فبكا ثم مضى الى
منزله فارسل اليهما رسولا ان كنت ايا تزوجتك وان كنت ذا بعل اغنيناك فقالت للرسول اعد الي الله
من ان يستهزئ بي الملك لم يردني ايام شبابي وغناك ومالي وعزك احب ان يردك اليوم وانا عجوز
عجماء عمياء فقيرة فاعلمها الرسول فقالتها فلما ركب في الاسبوع الثاني تعرضت له فقالت لها الم يبلغك
الرسول قالت قد اخبرتك ان نظرة واحدة الى وجهك هي احب الي من الدنيا وما عليها فامر بها فاصلحت
من شانها وهيئت ثم ذهبت اليه فقام يوسف يصلي ويدعوا الله وخامت فلما ه فسالك الله تعالى
ان يعيد اليها شبابها وجمالها وبصرها فرد الله عليها شبابها وجمالها وبصرها حتى عادت
احسن ما كانت يوم راودته اكراما ليوسف عليه السلام لما عف محارم الله فاصابها فاداها بي عذرا
فسالها فقالت يا نبي الله ان زوجي كان عنينا لا يا تي النساء وكنت انت الحسن والجمال فلا يوصف
قال مقاتل عاشت حفصة وعيش بعد كل يوم يجدد الله لهما خيرا وولدت له ولدين افرائيم ومنشا وفيما
روي ان الله انثى في قلب يوسف من محبتها اضعاف ما كان بي فلما قالت لها ما شانك لا تحبيني
كما كنت بي اول مرة فقالت لما دخلت محبة الله تعالى شغلني ذلك عن كل شي الثاني
قال بعض اهل العلم في هذه الاية ما يبيح للرجل الفاضل ان يعمل للرجل الفاجر والسلطان الكافر بشرط
ان يعلم انه يقوم اليه في فصل لا يقارف فيه ما شاء واما ان كان عمله بحسب اختيار الفاجر
وشهوته ومحبوره فلا يجوز ذلك وقال قوم ان هذا كان ليوسف خاصة وهذا اليوم غير جايز
والاول اولى اذا كان على الشرط الذي ذكرنا والله اعلم قال الماوردي فان كان المولى ظالما فقد اختلف
الناس في جواز الولاية من قبله على قولين احدهما يجوز اذا عمل بالحق فيما تقلده لان يوسف ولي من
قبل فرعون ولان الاعتبار بحقه بفعله لا بفعل غيره والثاني انه لا يجوز ذلك لما فيه من تولي الظالمين
بالمعونة وتركيتهم بتنفيذ اعمالهم فاجاب من ذهب هذا المذهب عن ولاية يوسف من قبل
فرعون بجوابين احدهما ان فرعون يوسف كان صالحا وانما الطاغي فرعون موسى الثاني ان نظر يوسف
دون اعمالهم فرد المظالم المتعلقة قال الماوردي والاصح من اطلاق هذين القولين ان يفصل ما يتولاه
من جهة الظالم على ثلاثة اقسام احدها ما يجوز له عمله فعله من غير اجتهاد في تنفيذ تنفيذه كالصدقات
والزكوات فيجوز تولية من جهة الظالم ان لم يقدر على مستحقه فراغني عن الاجتهاد فيه وجواز تفرده
اربابه به فراغني عن التقليد والقسم الثاني ما لا يجوز ان ينفرد وابه ويلزم الاجتهاد في مصرفه
كاموال الفي فلا يجوز تولية من جهة الظالم لانه يتصرف بغير حق ويجتهد فيما لا يسوغ والقسم
الثالث ما يجوز ان ينوبه اهله وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والاحكام فعقد التقليد محلول
فان كان النظر تنفيذا للحكم بين متراضيين وتوسطا بين محجورين جاز وان كان الزاما اجبارا لم يجز
الثالثة ودلت الاية ايضا على جواز خطبة الانسان عما لا يكون له اهلا الا ان قيل فقد روى
عبد الرحمن بن سمرة قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال الامارة
فانك ان اعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسئلة اعنت عليها وعن ابي بردة
قال قال ابو موسى اقبلت الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعي رجلان من الاشعريين احدهما عن يميني
والاخر عن يساري فكلاهما سال العمل والنبي صلى الله عليه وسلم يستاك فقال ما تقول يا ابا موسى او يا عبد

الله بن يوسف فاذا فعلت والذي بعثك بالحق ما اطلعا نبي على ما في انفسكما وما شعرت انهما بطلبان العمل
فالوا كما بنا نظر الي سواكه تحت شفته وقد قلصت فقالوا لا ولا نستحل على عملنا مع ارادته وذكر الحديث
خرجه مسلم ايضا وغيره فالجواب ان يوسف عليه السلام انما طلب الولاية لانه علم ان احدا لا يقوم
مقامه في العدل والاصلاح وتوصيل الغفرا الى حقوقهم فرأى ان ذلك فرض متعينا عليه فانه لم يكن
هناك غيره وهكذا الحكم اليوم لو علم انسان من نفسه ان يقوم بالحق والقضا والحسبة ولم يكن هناك
من يصلح وابقوم مقامه لتعين ذلك عليه ووجب ان يتولاها ويباشر ذلك ويخبر بصفاته التي يستحق
بها من العلم والكفاية وغير ذلك كما قال يوسف عليه السلام فاما لو كان هناك من يقوم بها ويصلح
لها وعلم ذلك فالاولى ان لا يطلب لقوله عليه السلام لعبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة وايضا فان في
سؤالها والحرص عليها مع العلم بكثرة آفاتها وصعوبة التخلص منها دليل على انه يطلبها لنفسه ولا
غراضه وان كان هكذا ابوك ان تقلب عليه نفسه فيهلك وهذا معنى قوله عليه السلام وكلا اليها
ومن اباها العلم بآفاتها والخوف من التقصير في حقوقها فمن منهم ان ابتلي بها فينبغي له التخلص منها
وهو معنى قوله لما عمر عليها الثاني انه لم يقل اني حسيب كريم وان كان كذلك النبي صلى الله عليه
وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقد قال اني حفيظ
عليم اما قال اني حفيظ عليم فسألها الحفظ والعلم لا بالنسب والحال الثالث انما قال ذلك عند
من لا يعرفه فاراد تعريف نفسه وصار ذلك مستثنى من قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم الرابع انه رأى
ذلك فرضا متعينا عليه وهو الاظهر والله اعلم الرابعة دلت الاية ايضا على انه يجوز للانسان ان يصف
نفسه بما فيه من علم وفضل قال الماوردي وليس هذا على الاطلاق في عموم اوصافه ولكنه مخصوص فيما
اقترن بوصله او تعلق بظاهر من مكسب وممنوع منه فيما سواه لما فيه من تزكية ومرايا وقد نزه الفاضل
عنه لكان الذي بفضله فان يوسف دعته الضرورة اليه لما سبق من حاله ولما يرجوا من الظفر باهله
قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشاء اي ومثل ذلك الانعام الذي انعمنا
عليه ان تقريبه الى قلب الملك واتجابه من السجن مكنا له في الارض كما اي اقدرناه على ما يريد وقال الكيا
الطبري قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض دليل على اجازة الجبلة في الوصول الى المباح وما
فيه من الفطنة والصلاح واستخراج الكنوز ووصله قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث
وضرب ابي سعيد الخدري في عامل خيبر والذي اداه من الثمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما
قاله قلت وهذا دليل مردود على ما بيناه في بقا المكانة ومكنا له قاد الله تعالى مكناهم في الارض ما لم
نمكن لكم قال الطبري استخلف الملك الاكبر الملك الوليد بن الريان يوسف على عمل اطفير وعزله قال
مجاهد واسلم واسلم على يديه وقال ابن عباس بقي بعده سنة ونصف وروي مثله قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لو ان يوسف قال اجعلني على خزائن الارض ذلك لم فات اطفير فزوجه الوليد بن زوجة
اطفير ايميل فدخل بها يوسف فوجدها عذرا وولدت له ولدين افرايم ومنشا ابني يوسف وزعم انها
راجعت فاذا لم يتزوجها يوسف وانما هي امرأة نبي موكيه بكت ثم قالت الحمد لله الذي جعل الملوك عبيدا هو
بالمعصية والحمد لله الذي جعل العبيد بالطاعة ملوكا وضمها اليه وكانت تربيه حتى ماتت عنده ولم
يتزوجها ذكره الماوردي وهو خلاف ما تقدم عن وهب ذكره الثعلبي والله اعلم لما فوض الملك امر مصر
الى يوسف خلطت بالناس وجعل يدعوهم الى الاسلام حتى امنوا به واقام فيهم العدل فاحبه الرجال
والنساء قال وهب والسدي وابن عباس وغيرهم ثم دخلت السنون المخصبة فامر يوسف باصلاح الزراع
وامرهم ان يبنوا سموا في الزراعة فلما ادركت الغلة امرها فجمعت ثم بناها الامر فجمعت فيها في تلك
السنة غلة ضافت عنها المخازن لكثرتها ثم جمع غلة كل سنة لذلك حتى اذا انقضت السبع المخصبة
وجاءت السنون المجدبة نزل جبريل وقال يا اهل مصر جوعوا فان الله سلط عليكم الجوع سبع سنين
قال بعض اهل الحكمة للجوع والقحط علامتان احداهما ان القمر تكب الطعام آكل من الغلة ويسرع
اليها الجوع خلاف ما كانت عليه قبل ذلك والثانية ان يفتقد الطعام فلا
يوجد اساوبيزا في الغاية فاجتمعت هاتان العلامتان في عهد يوسف فانبئه الرجال والنساء والصبيان
ينادون الجوع الجوع ويأكلون فلا يشبعون وانبئه الملك بنادي الجوع الجوع فالتمس له يوسف
فابراه الله ذلك ثم اصبح ينادي يوسف في ارض اهل مصر كلها معاشر الناس لا تزرعوا لصنف واحد زرعا فيضع
البذر وابطل شيء وجاءت تلك السنون بهول عظيم لا يوصف قال ابن عباس لما كان ابتدا القحط بنا
الملك في حوف الليل اصابه الجوع في نصف الليل فهتف الملك يا يوسف الجوع فقال ليوسف هذا
اوان القحط فلما دخلت اول سنة من سني القحط هلك فيها كل شيء اعدوه في السنين المخصبة فجعل
اهل مصر يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم اول سنة بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا درهم
الا قبضه وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق في ايدي الناس منها شيء وباعهم في السنة

الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها اجمع وباعهم في السنة الرابعة بالاماء والعبيد حتى احتوى على الكل وباعهم في السنة الخامسة بالعقار والضياع حتى ملكها كلها وباعهم في السنة السادسة بأولادهم ونسائهم فاستولى عليهم جميعا وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد الا صار عبدا له فقال الناس والله ما رأينا ملكا اجل ولا اعظم من هذا فقال يوسف لملك مصر كيف رأيت صنع ربي فيما خولني ولا ذلك هذا لك فما ترى فيه فقال فوضت اليك الامر فاصنع ما شئت واما نحن لك تبع وما انا بالذي يمتنع عن عبادتك وطاعتك ولا انا الامر بعض رعيتك وهو امر خولك فقال يوسف فاني قد اعتقتهم من الجوع لاستعبدهم ولم اجرهم على الملل اكون عليهم بلا وانى اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر على انفسهم وقد رددت عليهم اموالهم واملاكهم وردت عليك ملكك بشرط ان تسقي بسنتي ويروى ان يوسف عليه السلام كان لا يشبع من طعام في تلك السنين مخافة ان يذكر الجوع وبيدك خزائن الارض فقال لها خفت ان شبعت ان انسى الجايع وامر يوسف طباخ الملك ان يجعل غداءه نصف النهار حتى يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجايعين ثم ثم جعل الملوك غداءهم نصف النهار قوله عز وجل نصيب برحمتنا من نشاء اي باحساننا والرحمة النعمة والاحسان ولا نضيع اجر المحسنين اي ثوابهم وقال ابن عباس ووهب ابي الصابر بن لصبره في الجب وفي الرق وفي السجن وصبره عن محارم الله المراة اليه وقال الماوردي واختلف فيما اوتيه يوسف من هذه الحال على قولين احدهما انه ثواب من الله على ما ابتلاه والثاني انه انعم عليه بذلك تفضلا منه وثوابه باق على حاله في الاخرة قوله عز وجل ولاجر الاخرة خير اي ما اعطيه في الاخرة خير واكثر مما اعطيناه في الدنيا لان اجر الاخرة دايم واجر الدنيا ينقطع وظاهر الاية العموم في كل مومن متق وانشدوا اما في رسول الله يوسف اسوة * لمثلك محبوسا على الاثم والافك * اقام جميل الصبر في الحبس برهة * فنال به الصبر الجميل الى الملك * وكتب بعضهم الى صديق له * ورأى مضيق الخوف منفسح الامن واوله مفروج به اخر الحزن * فلا تيسن فالله ملك يوسفا خزائنه * بعد الخلاص من السجن وانشد بعضهم * اذا الحادثات بلغن المنى * وكادت تذوب لهن المهج * وحل البلاء وقل العزا فعند التناهي يكون الفرج والشعر في هذا المعنى كثير قوله تعالى وجاء اخوة يوسف اي جاءوا الى مصر لما اصابهم القحط ليمتاروا وهذا من اختصار القران المعجز قال ابن عباس وغيره لما اصاب الناس القحط والشدة ونزل ذلك بارض كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده للميرة وذاع امر يوسف عليه السلام في الافاق لليمن وقربه ورحمته ورافته وعدله وسيرته وكان يوسف عليه السلام حين نزلت الشدة بالناس يكلم الناس عند البيع بنفسه فيعطيهم من الطعام على عدة رؤسهم لكل راس وسقا في اخرة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم يوسف وهم له منكرون لانهم خلفوه صبيا ولم يتوهموا انه بعد العبودية يبلغ الى ذلك الحال من الملك مع طول المدة وهي اربعون سنة وقيل انكروه لانهم اعتقدوا انه ملك وقيل لانه لبس حرير وفي عنقه طوق ذهب وعلى راسه تاج وقد تزيا بزي ملوك مصر ويوسف رآهم على ما كان عهدهم في الملابس والحلية ويختلف اللغة ورأسه فلم يعرفوه وقيل انكروه لامر خارق امتحانا امتحن الله به يعقوب قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال جهزت القوم تجهيزا اي احملت حمالتهم للسفر وجهازه العروس ما يحتاج اليه عند الاهداء الى الزوج وجوز بعض الكوفيين الجهاز بكسر الجيم والجهاز في هذه الاية الطعام الذي امتاروه من عنده قال السدي وكان مع اخوة يوسف احد عشر بعيرا وهم عشرة فقالوا ليوسف ان لنا اخا تخلف عنا وبعيره معنا فسالهم لم تخلف فقالوا المجنه ابيه اياه وذكروا له انه كان له اخ اكبر منه فخرج الى البرية فهلك فقال لهم ارايتم ان اتيتكم باخيكم هذا الذي ذكرتم لاعلم وجه صحة ابيكم اياه واعلم صدقكم وبروما انتم تركوا عنده شهودا رهينة حتى ياتوا باخيه بنيامين وقال ابن عباس قال يوسف لئن جاءوا قل لهم لفتكم مخالفة لفعلنا وبكم مخالف لنا فلعلكم جواسيس فقالوا والله ما نحن بجواسيس بل نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق قال فكم هو تكم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا الى البرية فهلك فيها قال فاين الاخر قالوا عند ابينا قال فمن يعلم صدقكم قالوا لا يعرفنا ها هنا احد فتعرفنا لك يا بنيامين فباي شي نستكن نتمسكك اليه فقال يوسف فاتوني باخ لكم من ابيكم ان كنتم صادقين فانا ارضي بذلك الا ترون اني اوفي الكيل اي انمه ولا انجسه وانا خير المنزلين ثم قال لهم انكم ان لم تاتوني به بعد هذا لا تمتارون مني ولا تقربوني ولا اضيفكم فذلك قوله تعالى الا ترون اني اوفي الكيل يحتمل وجهين احدهما يعني خير المضيفين لانه احسن ضيافتهم قاله مجاهد الثاني وهو محتمل الخبر عن قولهم تركنا عليه من الماعونين وعلى هذا التاويل لا ولد له مما خوله من النزل وهو الطعام وعلى الثاني من المنزل وهو الدار قوله عز وجل فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي اي فلا ابيعكم شيئا بعد انه تفدوا ما كيلهم في هذه الحال ولا تقربون ايلا انزل لكم عندي منزلة القريب ولم يردانهم يبعد وامنه والبعود والايه لانه على العود حتمهم قاله السدي وطلب منهم رهينة

حتى

حتى يرجعوا فارتمن شمعون عنده قال الكلبي انما اختار شمعون منهم لانه كان يوم الجب اجلهم فوادا حسنهم
رايا وتقريبنج موضع جرم بالنهي نلذلك حذفت منه النون وحذفت الياء من اسرائيل ولو كان خبرا لكان
تقتلونني بفتح النون فوله عز وجل قالوا سنراود عنه اباه اي سنطلبه منه ونسأله ان يرسله معنا
وانا لفاعلون اي لصانعون الجميل ومحتالون في ذلك مسيئة انتقل كيف استجار يوسف
اذ خاف الحزن على اخيه بطلب اخيه قيل له عز هذا اربعة اوجه احدها يجوز ان يكون الله عز وجل امره
بذلك ابتلاء يعقوب ليعظم له الثواب فاتبع امره فيما لثاني يجوز ان يكون اراد بذلك ان ينبه
يعقوب على حال يوسف يرجوع ولده عليه الثالث لتتضاعف المسرة ليعقوب برجوع ولديه عليهم
الرابع ليتقدم سروا اخيه بالاجتماع معه قبل اخوته لعلمه كان منا ليه والاول اظهر والله اعلم فوله عز وجل
وقال لفتيته هذه قراءة اهل المدينة والبحر وعاصم وجماعة غيرهم وفي قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر
الكوفيين لفتيانه وهو اختيار ابي عبيد قال وهو في مصحف عبد الله كذلك قال الثعلبي وهما لغتان جيدتان
مثل الصبيان والصبية قال النحاس لفتيانه مخالف للسواد الاعظم لانه في السواد الاعظم ولا نون وكلا
يترك السواد المجتمع عليه لهذا الاسناد المنقطع وايضا فان فتية اشهر من فتيان لان فتية عند العرب
لاقل العدد والقليل بان يجعلوا البضاعة في الرجال اشبه وكان هؤلاء الفتية يسوون هما زهم ولهذا
امكنهم جعل بضاعتهم في رحالهم ويجوز ان يكونوا احرارا وكانوا اعوانا له وبضاعتهم اثمانا اشتروه
من الطعام وقيل كانت دراهم ودنانير وقال ابن عباس المتاع والادم ومتاع المسافر ويسمى رحلا قال
ابن الانباري يقال للوعاء رحل وللبيت رحل وقال لعلهم يعرفونها لجواز ان تسلم في الطريق وقيل انما
فعلوا ذلك ليرجعوا اذا وجدوا ذلك لعلمهم انهم لا يقبلون الطعام الا بثمن وقيل ليستعينوا بذلك
على الرجوع لشراء الطعام وقيل استقبح ان يأخذ من ابيه واخوته ثمن الطعام وقيل ليروا فضله ويرغبوا
في الرجوع اليه فوله عز وجل فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع الكيل ان قال لهم ابوهم مالك
لا نكتل منك بعد اليوم فلا كيل لكم عندي واخبروه بما كان من امر ملك مصر واكرامهم اياه وان شمعون مرتهن حتى يعلم صدق قولهم
فارسل معنا اخانا نكتل قرأ ابو عمرو وابن كثير ويعقوب بالنون على الاخبار عن انفسهم وقرأ الباقون بالياء
وحذفت الالف لالتقاء الساكنين وقراءة اهل الحرمين والبحر وعاصم نكتل بالنون وقراءة الكوفيين
يكتل بالياء والاول اختيار ابي عبيد ليكونوا كلهم داخلين فيمن يكتال وزعم انه اذا كان بالياء كان للاخ وحده
قال النحاس وهذا لا يلزم لانه يجعلوا الكلام من اجد جهتين ان يكون المعنى نارسل اخانا يكتل معنا فيكون
للجميع او يكون التدبير على غير التقديم والتاخير ويكون في الكلام دليل على الجميع لقوله فان لم تأتوني
به فلا كيل لكم عندي وانا له لحافظون من ان يناله سوء فوله عز وجل قل هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل
في يوسف فكيف امنكم على اخيه فالله خير حافظا نصب على البيان وهذه قراءة اهل المدينة والبحر وعاصم
وقراءة الكوفيين خافظ على الحال وقال الزجاج على البيان وفي هذا دليل على انه اجاب
الى ارساله معهم ومعنى الاية حفظ الله له خير من حفظكم اياه قال كعب الاحبار لما قال يعقوب فالله
خير حافظا قال الله تعالى وعزتي وجلالي لاردن عليك ابنيك كليهما بعد ما توكلت على قولك فخلط
ولما فحوا متاعهم الاية ليس فيها من معنى يشكل ما نفي ما استفهام في موضع نصب والمعنى اي شيء نطلب
وكذا هذا وفي لنا الكيل ورد علينا الثمن زاد والدليل ان يطيبوا النفس ابيهم وقيل هي نافية اي لا نبغي هو
منك دراهم ولا بضاعة بل تكفينا بضاعتنا هذه التي رددنا الينا وروي عن عثمان ردت الينا بكسر
الراء الاصل ردوت فلما ادغم قلب حركة الدال على الراء قوله ونمير اهلنا اي نحفظ لهم الطعام قال
الشاعر بعثتك مايرا فكنت حوله منا يا تي غيابات الكرب مربعبث • وقرأ السلمي بضم النون اي لغيبتهم
على المرء ونزداد كيل بعير اي حمل بعير لبنيامين قوله تعالى قال لن ارسله معكم حتى تأتوني موثقا منكم
مستثنى من الاول في قوله تعالى حتى تؤتوني اي تعطوني موثقا من الله اي عهدا توثقون به قال السدي
حلفوا بالله ليردنه والام في لتأتنني لام القسم اذ ان بمعنى الا تقديره الا ان تهلكوا
وتغلبوا وقال قتادة الا ان تغلبوا عليه قال الزجاج وهو في موضع نصب فلما اتوه موثقهم قال
الله على ما نقول وكيل اي حافظ للحلف وقيل حفيظ للعهد قائم بالتدبير والعدد الثانية
هذه الاية اصل في جواز الكفالة بالعين والوثيقة بالنفس وقد اختلف العلماء في ذلك فقال مالك
وجميع اصحابه واكثر العلماء هي جائزة اذا كان المكفول به مالا وقد ضعف الشافعي الكفالة في نفس المكفول
بالوجه وله كفول مالك وقال النعمان التي اذا تكفل بنفس في قصاص او جراح فانه ان لم يجيء به لزمه
الدية وارش الجراح وكانت لمن له المال في الجراح والقصاص على الكفيل فهذه ثلاث اقوال في الكفالة بالوجه
والصواب تفرقة مالك في ذلك وانما تكون في المال لا بدون في حد او تعزير على ما يأتي بيانه
فوله تعالى لك وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة فيه سبع مسائل
لما وفوا على الخروج خشي عليهم العين فامرهم ان لا يدخلوا مصر من باب واحد وكانت مصر لها

الربعة ابواب وانما خاف عليهم العين لكونهم احد عشر رجلا لرجل واحد وكانوا اهل جمال وكمال وبسطة
قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم الثانية واذا كان كذا معنى الاية فيكون فيها
دليل على التحرز من العين والعين حق وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العين لتدخل الرجل
القبر والجمل القدر وفي نسوته عليه السلام اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن
كل عين لامة مايد لعلى ذلك روى مالك عن محمد بن ابي امامة بن سهل بن حنيف انه سمع اباه يقول
اغتسل ابي سهل بن حنيف بالخرار فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر قال وكان سهل
رجلا ابيض حسن الجلد فقال له عامر بن ربيعة مارايت كاليوم ولا جلد عذراء فوعك سهل مكانه
واشتد وعكه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر ان سهلا وعكه وانه غير رائح معك سير رسول
الله فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره سهل بالذي كان من شان عامر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم علام يقتل احدكم اخاه الا تركت ان العين حق توضا له فتوضا له عامر فراح سهل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس به باس وفي رواية اغتسل له فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه
وركبتيه واطراف رجليه وداخلة ازاره في قدح ثم صب عليه فراح سهل مع الناس ليس به باس وركب
سهل بن حنيف الى وقاص لوما فنظرت اليه امراة فقالت انا ابرك هذا يعلم انا اهضم الكشحين فرجع الى
منزله فسقط فلم يلم ما قالت المراة فارسل اليها فسئلت له فمن هذين الحديثين ان العين حق وانها
تقتل كما قال صلى الله عليه وسلم وهذا قول عامة الامة ومذهب اهل السنة وقد انكرته طوائف من المبتدعة
وهم محجوجون بالسنة واجماع علماء هذه الامة وبما يشاهد من ذلك في الوجود فكم من رجل دخله
العين القبر وكم من جمل ادخلته القدر لكن ذلك بمشيئة الله كما قال وما هم بضارين به من احد الا باذن
الله قال الاصمعي رايت رجلا يعيب ناسا مع بقرة تحلب فاعجبه شحمها فقال ايكم من هذه فقالوا الملانية
لبقرة اخرى بدروت عنها فلكنا جميعا المورك لهلوا لمروى عنها قال الاصمعي وسمعته يقول اذا رايت
الشيء يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني الثالثة واجب على كل مسلم اعجبه شيء ان يبرك عليه
اذا دعا بالبركة صرف المحذور وسلامة الانزب قوله عليه السلام لعامر الا برك تدل ان العين لا تضر ولا
تعدوا اذا برك العاين وانما انما تعدوا اذا لم يبرك والتبريك ان يقول تبارك الله احسن الخالقين
اللهم بارك فيه الرابعة العاين اذا اصاب بعينه ولم يبرك فانه يأتي يوم يموت اغتسل وجبر على ذلك
ان اباه راى الامر على الوجوب لا سيما هذا انه قد يخاف على المعين الهلاك ولا ينبغي لاحد ان يمنع اخاه
ما ينتفع به اخوه ولا يضره هو لا سيما اذا كان بسببه وكان الجاني عليه الخامسة من عرف
بالاصابة بالعين يمنع من مداخلة الناس دفعا لضرره وقد قال بعض العلماء يامره الامام بلزوم
بيته وان كان فقيرا رزقه ما ينفق به وبكفاه ذاه عن الناس وقد قيل انه ينفي وحديث مالك الذي
ذكرناه يرد هذه الاقوال فانه عليه السلام لم يامر عامرا بمنعه ولا حبس بل قد يكون الرجل الصالح عائنا
وانه لا يقدح فيه ولا ينقص به وكمن قال بحبس ويومر بلزوم فذلك احتياط ودفع ضرر والله اعلم
السادسة روى مالك عن حميد بن قيس المكي انه قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني
جعفر ابن ابي طالب فقالت حاضنتهما يا رسول الله ما لي ارى اجسامهما عين فقالت حاضنتهما يا رسول الله ان يسرع اليهما العين
ولم يمنعنا ان نسترقي لهما الا انا لا ندري ما يوافق من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استرقوا
لهما فانه لو سبق شيء القدر لسبقته العين وهذا الحديث منقطع ولكنه محفوظ لاسماء بنت عميس الخثعمية
عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة متصلة صحاح وفيه ان الرقا مما يستدفع به البلاء وان العين تؤثر
في الانسان وتمرضه او تضعفه وتنحله وذلك بقضاء الله وقدره ونبه ان العين اسرع الى الصغار منها
الى الكبار والله اعلم السابعة امر صلى الله عليه وسلم في حديث ابي امامة العاين بالاغتسال
للمعين وامر هنا بالاسترقاء قد علمنا ان ما يسترقى من العين اذا لم يعرف العاين واما اذا عرف
الذي اصابه بعينه يومر بالوضوء على حديث ابي امامة والله اعلم قوله عز وجل وما اغنى عنكم
من الله من شيء اي من شيء اراده عليكم ايما ينفع الحذر مع القدر ان الحكم اي الامر والقضاء الا لله عليه توكلت
اي اعتمدت ووثقت وعليه فليتوكل المتوكلون قوله عز وجل ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان
يغني عنهم من الله من شيء ان اراد ايقاع مكروههم الا حاجة استثنا ليس من الاول
في تفسير يعقوب قضاها اذ خاطر اخطر بقلبه وهو وصيته ان يتفرقوا قال مجاهد خشية العين
وقد تقدم القول فيه وقيل ليلا يرى الملك عددهم وقوتهم فيبطش بهم حسدا او حذرا قاله بعض
اخاه مما يخاف عليه ويرشده الى ما فيه طريق السلامة والنجاة فان الدين النصيحة والمسلم اخو المسلم و
قوله عز وجل وانه لذو علم لما علمناه اي بامر دينه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي
لا يعلمون ما يعلم يعقوب عليه السلام من امر دينه وقيل لذو علم اي عمل فان العلم اول اسباب العمل فسمي ما هو

بسببه

قوله عز وجل ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه قال تقدمة ضمه اليه وانزله معه وقيل امر ان ينزل كل اثنين في منزل فبقي اخوه منفردا فضمه اليه وقيل اشفقت عليه من الرجدة وقال له سرا من اخوته اني انا اخوك فلا تبتئس اي لا تحزن بما كانوا يعملون قوله عز وجل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه لما عرف بنيامين ان يوسف قال له لا تردي اليهم فقال قد علمت اغتمام يعقوب بنزاد غلمته فابى بنيامين الخروج فقال يوسف لا يمكن حبسك الا بمدان انسبك الي ما لا يحل بك فقال لا ابالي فدس الصاع في رحله اما بتقصد بحيث لم يطلع عليه احدا فامر بعد من خواصه بذلك والتجهيز التهيئ للسفر وتجهز الامر ومنه جهز على الجريح اذا قتله وجهازه والسقاية والصواع شيء واحد انا له راسان في وسطه مقبض كان الملك يشرب منه من الراس والكاد الاطعام بالراس للاخر قاله الفراء ابن عباس وكل شيء يشرب به فهو صواع وانشده نشرب الخمر بالصواع جهارا واختلف في جنسه فروى شقيق عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صواع الملك شيء من فضة يشبه المكيال من فضة مرصع بالجوهر على الراس وكان لعباس واحد في الجاهلية وساله نافع بن الازرق ما الصواع قال الانا قال فيه الاعشى له درمك في راسه ومشارب وشاد طباخ وصلاح وديسقوه وقال عكرمة كان من فضة وقال عبد الرحمن بن زيد كان من فضة وبه كان طعامهم مبالغة في اكرامهم وقيل انما كان يكال به لهذه الطعام والصاع يذكر ويؤنث فمن انث قال اصوع مثل ادور ومن ذكره قال اصواع مثل ابواب وقال مجاهد وابو صالح الصاع الطرجال بلغة حمير وفيه لغات صواع قراءة العامة وصوع بالنون المعجمة وهي قراءة يحيى بن يعمر وقد كان انا صبيغ من ذهب وصوع بالعين غير المعجمة قراءة ابي رجاء وصوع بضاد معجمة وواو ساكنة وعين غير معجمة قراءة ابي وصياع بسين بدل الصاد والف قراءة سعيد بن جبير وصاع بالف بين الصاد والعين وهي قراءة ابي هريرة قوله عز وجل ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون اي نادى منادي واعلم واذن للتكثير فكانه نادى مرارا ايتها العير والعير ما امر عليه من الابل والحمير والبغال قال مجاهد كان عير هم حميرا قال ابو عبيدة العير الابل المرحولة والمعنى يا اصحاب العير كقوله واسال القرية ويا خيل الله اركبي اي اصحاب خيل الله وسيأتي وهنا اعتراضان قيل كيف رضي بنيامين بالعقود طوعا وفيه عقوقه بزيادة الحزن ووافقهم على ذلك يوسف وكيف نسب يوسف السرقة الى اخوته وهم برآء وهو انا بي فالجواب عن الاول ان الحزن كان يغلب على يعقوب بحيث لا يوثر فيه فقد بنيامين كفقد اولاده لما فقده قالوا اسفا على يوسف ولم يخرج على بنيامين ولعل يوسف انما وافقهم على العقود توهى ذلك اعتراضا وامانسبة يوسف السرقة الى اخوته فالجواب ان القوم كانوا قد سرقوه من ابيه والقوم في الحي ثم باعوه فاستعقوا هذا الاسم بذلك الفعل بصرف اطلاق ذلك عليهم جواب اخر وهو انه اراد انها العير حاكم حال السرا قد والمعنى ان شيأ لعيركم صار عندكم من غير رضى الملك ولعله جواب اخر وهو ان ذلك كان حيلة لاجتماع شمله باخيه وفضله عليهم اليه وهذا انه على ان بنيامين لم يعلم بدس الصاع في رحله ولا خبرة بتنصر وقد قيل ان معنى الكلام نسبه الاستفهام اي اوانكم لسارقون كقوله وتلك نعمة تمنها علي والغرض ان لا يمزكي الى يوسف الكذب قوله عز وجل ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم نبه سبع مسايل الاولى قوله تعالى ولمن جاء به حمل بعير البعير هنا الجمل في قول اكثر المفسرين وقيل انه الحمار وهو لغة لبعض العرب قاله مجاهد واختاره وقال مجاهد الزعيم هو المؤذن الثانية قال ايتها العير والزعيم والكفيل والكفل والحميل والضمين والقبيل سواء والزعيم الرئيس قاله وابي زعيم اذا رجعت مملكا بسير تركو من الغوائل ازورا ه وقالت ليلى الاخيلية ترثي اخاها وتخرق عنه القميص تخاله يوم اللقائر الحيا سقبياه حتى اذا رفع اللواء رايته يوم الهياج على الكميت زعيماه الثالثة ان قيل كيف ضمن حمل البعير وهو مجهول وضمان المجهول لا يصح قيل لحمل البعير كان معينا معلوما عندهم كالوسق فصح ضمانه غير انه بذل بالسارق والاجل للسارق ذلك فلعله كان يصح في شرعهم او كان هذا جعالة وبذل قال لمن يفعل ويطلب الثالثة قال بعض العلماء في هذه الاية دليلان احدهما جواز الجعل وقد اجيز للضرورة فانه يجوز فيه من الجهالة ما لا يجوز في غيره فاذا قال الرجل من فعل كما فله كذا صح وشان الجعل ان يكون احد الطرفين معلوما والاخر مجهولا للضرورة اليه بخلاف الاجارة فانه يتقدر فيها العوض والمعوض من الجهتين ولمن العقود الجائزة التي يجوز لاحدهما فسخه الا ان المجعول له يجوز ان يفسخه قبل الشروع وبعده اذا رضي باسقاط حقه وليس للجاعل ان يفسخه اذا شرع المجعول له في العمل فلا يشترط في عقد الجعل حضور المتعاقدين كسائر العقود لقوله ولمن جاء به حمل بعير وهذا كله قال الشافعي الرابعة متى قال الانسان من جاء بعبدي الابق فله دينار لزمه ما جعل فيه اذا جاء به فلو جاء به من غير ضمان لزمه اذا جاء به على طلب الجاعل وقد روي انه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من جاء بما بقي فله اربعون درهما ولم يفصل بين من جاء به من عقد ضمان او غيره فقال ابن خواز منداد ولهذا قال اصحابنا ان من فعل للانسان ما يجب عليه ان يفعله

بنفسه من مصالحه لزمه ذلك وكان له اجر مثله ان كان ممن يفعل ذلك بالاجر قلت وخالفنا
في هذا كله الشافعي في الخامسة الدليل الثاني في جواز الكفالة على الرجل لانه المؤدن الضامن هو
عزيز يوسف عليه السلام قال على آوناء اذا قال الرجل تحملت او تكفلت او طمنت او انا حميل لك او زعيم
او كفيل او ضامن او قبيل او هو لك عندي او علي او لي او قبلي فذلك كله حمالة لازمة وقد اختلف
الفقهاء فيمن تكفل بالنفس او بالوجه هل يلزمه ضمان المال ام لا فقال الكوفيون من تكفل بنفس رجل
لم يلزمه الحق على المطلوب ان مات وهو احد قولي الشافعي في المشهور عنه وقال مالك والليث
والاوزاعي اذا تكفل بنفسه وعليه مال فانه ان لم يات به غرم المال ويرجع به على المطلوب فان اشترط
ضمان نفسه او وجهه وقالا اضمن المال فلا شيء عليه من المال والحجة لمن اوجب غرم المال ان الكفيل
قد علم ان المضمون وجهه او يطلب بدم وانما يطلب بمال فاذا ضمنه له ولم ياته به فكانه هو منه ذلك لزمه المال واحتج الطحاوي للكوفيين فقال اما ضمان المال فموت المكفول به فلا معنى له لانه
انما تكفل بالنفس ولم تكفل بالمال فمحال ان يلزمه ما يتكفل به السادسة واختلف العلماء اذا
تكفل رجل عن رجل بمال فهل للطالب ان ياخذ من شاء منهما فقال الثوري والكوفيون والاوزاعي لا
والشافعي واحمد واسحق ياخذ من شاء حتى يستوفي حقه وهذا كان قول مالك ثم رجع عنه فقال
لا ياخذ الكفيل الا ان يفلس الغريم او يغيب الا ان يكون الذي عليه الحق اولى الا ان يكون معدما
فانه ياخذ الحميل لانه معذور وربي احتج في هذه الحالة وهذا قول حسن والقياس ان للرجل مطالبة
ايا الرجلين شاء وقال ابن ابي ليلى اذا مات الرجل عن صاحبه لم تحول على الكفيل ويبرئ صاحب الاصل
الا ان يشترط المكفول له عليهما ان ياخذ ايهما شاء واحتج ببراءة الميت من الدين بضمان ابي قتادة
ونحوه قال ابو ثور السابعة الزعامة لا تكون الا بالمجهول التي تجوز النيابة فيهما مما يتعلق
بالذمة من الاموال وكان ثابتا مستقرا فلا تصح الكفالة بالكتابة لانها ليست بدين ثابت مستقر
لان العبد اذا عجز رق وانفسخت الكتابة واما كل حق لا يقوم به احد عن احد كالحدود فلا كفالة فيها
ويستحق المدعى عليه الحد حتى ينظر في امره وشذ ابو يوسف ومحمد فاجازوا الكفالة في الحدود والقصاص
وقالا اذا قال المقذوف او المدعى القصاص بينتي حاضرة كفله ثلاثة ايام واحتج لهم الطحاوي بما رواه
حمزة بن عمرو وابن مسعود وجرير بن عبد الله والاشعث انهم حكموا بالكفالة بالنفس في حد القذف قوله
* قوله عز وجل قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض يروى انهم كانوا ينزلون على احد
ظلما ولا يرعون زرع احد وانهم جمعوا على افواه ابلهم الا كمة لهلا تغيب بزروع الناس ثم قال
وما كنا سارقين يروى انهم ردوا البضاعة التي كانت في رحالهم اي فمن اين نسرق ما وجد فكيف يكون سارقا
قوله تعالى فما جزاؤه ان كنتم كاذبين المعنى فما جزاء السارق ان كان كذبكم فاضاف الجزاء الى اخوه يوسف
جزاء من وجد في رحله فهو جزاؤه اي يسترق فجزاؤه مبتدا ومن وجد في رحله خبره والتقدير
جزاؤه استعباد من وجد في رحله فهو كناية عن الاستعباد وفي الجملة معنى التوكيد كما تقول جزاء
من سرق القطع فهذا جزاؤه كذلك نجزي الظالمين اي كذلك نفعل بالظالمين اذا سرقوا ان يسترقوا
وكان هذا من دين يعقوب عليه السلام وحكمه وقولهم هذا قول من يسترب بنفسه انهم التزموا ان قالوا
من وجد في رحله وكان الحكم السارق عند اهل مصر ان يغرم ضعفي ما اخذ قال الحسن والسدي وغيرهما
مسئلة تقدم في سورة المائدة ان القطع في السرقة ناسخ لما تقدم من الشرايع او لما كان في شرع
يعقوب من استرقاق السارق فالله اعلم قوله عز وجل فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه الجيد انما الجد
بدا يوسف برحالهم لنفي التهمة والريبة من قولهم ان يدا بوعاء اخيه واوعية جمع قلة لبعض الوعاء وكرها
لفتاه وهو ما يحفظ فيه المتاع ويصلونه ثم استخرجها من وعاء اخيه يعني بليامين ابي استخرج
السقاية والصواع عن من يوثق وقال لمن جاء به فذكر فلما راى ذلك اخوته تكسوا وسمعهم
وظنوا الظنون كلها واقبلوا عليه وقالوا ويلك يا بليامين ما رايناك كاليوم قط ولرب اهلك راحيل
اخون لصين قال لهم اخوه والله ما سرقنا ولا علم لي بمن وضعه في متاعي ويروي وبيالا انهم قالوا
له يا بنيا بين امرنت قال لا والله قالوا لم جعل الصواع في رحلك قال الذي جعل البضاعة في
رحالكم وبهذا ان المفتش كان اذا فرغ من رجل على استغفر الله عز وجل تابيا من فعلهم ذلك وظاهر
كلام قتادة وغيره ان المستفتي كان يوسف لانه كان يفتشهم ويعلم ان الصاع حتى فرغ منهم
وانتهى الى رحل بليامين فقال ما اظن هذا الغني دعي لهذا وله اخوة شيئا فقال له اخوه والله لا يبرح
والله لا يبرح حتى تفتشه فخذ بطيب لنفسك ونفوسنا ففتش فاخرج السقاية وهذا من
التفتيش من يوسف يقتضي ان المولى سرقهم براية فيقال ان جميع ذلك كان بامر من الله تعالى
ويقوي ذلك قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف قوله عز وجل لذلك كدنا ليوسف فيه ثلاث معان يجل
الاولى قوله تعالى كدنا معناه منعنا عن ابن عباس الفتني دبرنا ابن الانباري اردنا قال الشاعر وكادت

وكدن

وكدت وتلك خير ارادي لو عاد من عهد الصبا ما انقضى ۞ وفيه جواز التوصل الى الاغراض بالحيل اذا لم تخالف
شريعة واهدرت اصلا حلافا لابي حنيفة في تجويز الحيل وان خالفت الاصول وحرمت التحليل الثانية
اجمع العلماء على ان للرجل قبل حلول الحول التصرف في ماله بالبيع والهبة اذا لم ير الفرار من الصدقة
واجمعوا على انه اذا حال الحول واظل الساعي ان لا يحل له التحليل ولا النقصان ولا ان يفرق بين مجتمع ولا
ان يجمع بين متفرق وقال مالك اذا فوت من ماله شيا يبتغي به الفرار من الزكاة قبل الحول بشهر
او نحوه لزمته الزكاة عند الحول احتراسا منه بقوله عليه السلام خشية الصدقة وقال ابو حنيفة ان نوى
بتفريقه الفرار من الزكاة قبل الحول يبوم لا يضره لان الزكاة لا تلزم الا بتمام الحول ولا يتوجه اليه معنى
قوله خشية الصدقة الا حينيذ قال ابن العربي سمعت ابا بكر محمد بن الوليد الفهري وغيره يقول كان في
شيخنا قاضي القضاة ابو عبد الله محمد بن علي الدامغاني صاحب عشرة الاف دينار من المال وكان اذا جاء
راس الحول دعا بنيه فقال لهم كبرت سني وضعفت وهذا مالي لا احتاجه فهو لكم ثم يخرجه فيحمله الرجال
على اعناقهم الى الجدود ويقيمه فاذا حاز راس الحول دعا بنيه ثم رفقا لوا يا ابانا انا اعلمنا حياتك واما المال
فاي رغبة لنا فيه ما دمت حيا انت ومالك لنا نحذه اليك ويسير الرجال به حتى يضعونه بين يديه فيرده
الى موضعه فيريد بتبدل الملك اسقاط الزكاة على راس اربي حنيفة في التفريق بين المجتمع والجمع
بين متفرق وهذا خطب عظيم وقد صنف البخاري رضي الله عنه في جامعه كتابا مقصودا فقال
كتاب الحيل قلت ـــــ وترجم فيه ابوابا منها باب الزكاة ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق
خشية الصدقة وادخل فيه حديث انس ان مالكا كتب له فريضة الصدقة وحديث طلحة بن
عبيد الله ان اعرابيا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الحديث وفي ماجره افلح ان صدق
ادخل الجنة ان صدق وقال بعضهم لناس في عشرين ومائة بعير حقتان قال اهلكنا مغرما او بو
وهبها او احتال فيها فرارا فلا شي عليه ثم اخذ يرد حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يكون كنز احدكم يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان ويقول انا كنزك الحديث قال
المهلب انما قصد البخاري في هذا الباب ان يوقفك ان كل حيلة يتحيل بها احد في اسقاط الزكاة فان الاثم
ذلك عليه لان النبي صلى الله عليه وسلم لما منع من جمع الغنم وتفرقها خشية الصدقة فهم من هذا المعنى
وفهم من قوله افلح ان صدق ان من رام ان يتقصى شيا من فرايض الله بحيلة يحتالها انه لا يفلح ولا ينجو بذلك
عذره عند الله وانما اجاز الحيلة ان تفرق صاحب المال في ماله قرب حلول الحول انما هو ما لم يرد بذلك
الهرب من الزكاة ومن تركه ذلك فالاثم عنه غير ساقط والله حسيبه وهو كمن فر عن صيام رمضان قبل
دخوله الهلال بيوم واستعمل ضربا من الاجتهاد اليه رغبة عن فرض الله الذي كتبه الله على المومنين فانوا عبد
متوجه عليه الا ترى عقوبته من منع الزكاة يوم القيامة باي وجه منعها كيف تطاوعه الابل وتميل
له ماله شجاعا اقرع هذا يدل على ان الفرار من الزكاة لا يحل وهو مطالب بذلك في الاخرة الثالثة
قال ابن العربي قال بعض علما الشافعية في قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف في الارض دليل على وجه
الحيلة الى المباح واستخراج الحقوق وهذا وهم عظيم وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض
الارض قيل فيه لما مكنا ليوسف ملك نفسه عزا مراة العزيز مكنا له في الارض مكنا له ملك الارض
عن العزيز اذ مثله لا يشبه ما ذكره قال الشفعوي ومثله قوله عز وجل وخذ بيدك ضغثا فاضرب به
ولا تحنث وهذا ليس حيلة انما هو حل لليمين على الالفاظ على المقاصد قال الشفعوي ومثل حديث
ابي سعيد الخدري في عامل خيبر انه ابى النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرج زيوف الحديث مقصود
الشافعية من هذا الحديث انه عليه السلام امره ان يبيع جمعا وبيتاع جنسا من الذي باعه منه
الجمع وقالت المالكية معناه من غير ان لا يكون جنسا يجمع والدراهم بها قال ابن عباس حرير وهو
كحريرة والدراهم بها قوله عز وجل في دين الملك اي سلطانه عن ابن عباس ابن عيسى عادته ان يظلم
بلا حجة محاهد في حكمه وهو استرقاق السراق الا ان يشا الله اي الا ان يشا الله ان يجعل السقاية
في رحل نفلة وعدا له وقال قتادة بل كان حكم الملك الضرب والغرم ضعفين ولكن شا الله ان يجري
على السنتهم حكم بني اسرايل على ما تقدم قوله عز وجل نرفع درجات من نشا اي بالعلم والايمانات
وقرى نرفع درجات من نشا بمعنى نرفع من نشا درجات وقد مضى في الانعام وقوله فوق كل ذي علم
عليم روى هاشم ابن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال ليكون ذا اعلم من ذا وذا اعلم من ذا والله فوق
كل عالم وروى سفيان عن عبد الاعلا عن سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس رحمه الله فتحدث
بحديث فتعجب منه رجل فقال سبحان الله وفوق كل ذي علم عليم فقال ابن عباس بيس ما قلت
ان العليم وهو فوق كل عالم قوله عز وجل ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل المعنى ان ابا قتادة
ما خيه ولو اقتدينا نحن اذا قالوا ذلك ليبرا من فعله انه ليس من امهم وان سرق فقد جذبه عرق
اخيه السارق لان الاشتراك في الانسان يقتضا كل في الاخلاق واختلفوا في السرقة التي نسبوا اليوسف

اي الزمها واربح مقيما فيها يقال ربح بارضها وربحها اي زال فاذا دخل النفي صار شبتا حتى ياذن
لي ابي بالرجوع فاني استحي منه او يحكم الله لي بالمرجع فيمضي معه الى ابي وقيل الحسنى او يحكم
الله لي بالسيف فاحاربه واخذ اخي او اعجز فاتعرف بعذري وذلك ان يعقوب قال اولتا تتفتوا به الا ان
يحاط بكم ومن حارب وعجز فقد احيط به قال ابن عباس وكان يهوذا اذا غضب واخذ السيف فلا يرد
وجهه مائة الف يقوم شعره في صدره مثل المسال فتنتفد ثيابه وجاء الخبر ان يهوذا قال لاخوته
وكان اشدهم غضبا اما ان تكفوني الملك ومن معه قالوا بل اكفنا الملك ومن معه تكفك اهل مصر
بنعك واحدا من اخوته فعدوا اسواق مصر فوجدوا فيها تسعة اسواق فاخذ كل واحد منهم سوقا
ثم ان يهوذا دخل على يوسف وقال ايها الملك ليدخل معنا اخانا الاصبح صبحة لا تبقي في مدينتك
كل حامل الا اسقطت ما في بطنها وكان ذلك خاصا فيهم عند الغضب فاغضبه يوسف واسمعه كلمة
فغضب يهوذا واشتد غضبه وانتفخت شعراته وكذا كان كل واحد من بني يعقوب كان اذا غضب هو
انتشر جلده وانتفخ جسده وظهرت شعرات صدره من تحت الثوب حتى تقطر من كل شعرة قطرة
دم واذا ضرب الارض برجله تزلزلت وتهدم ابنيان وانصاح صيحة لم تسمعه حامل من النساء والبهائم
والطير الا وضعت ما في بطنها تماما او غير تمام فلا بد اغضبه الا ان يسفك دما او تمسكه يد من
نسل يعقوب فلما علم يوسف ان غضب اخيه يهوذا قد تم وكمل كلم ولدا له صغيرا بالقبطية وامره
ان يضع يده بين كتفي يهوذا من حيث لا يراه فعمل فسكن غيظه والتقى السيف فالتفت يمينا وشمالا
لعله يرى احدا من اخوته فلم يره فخرج مسرعا الى اخوته وقال هل حضر بكم احد منكم قالوا لا قال فاين ذهب
شمعون قال ذهب الى الجبل فخرج فلقيه وقد احتمل صخرة عظيمة قال ما تصنع بهذه قال اذهب
الى السوق الذي وقع في نصيبي اشدخ بها رؤس كل من لقيه قال فارجع فردها او فالقها في البحر ولا
تخذلن حدثنا هو الذي اتخذ ابراهيم خليلا لقد مسني كف من نسل يعقوب ثم دخلوا على يوسف وكان
يوسف اشدهم بطشا فقال يا معشر العبرانيين انتظنون انه ليس احد اشد منكم قوة ثم عمد الى حجر
عظيم من حجارة الطاحونة فرفعه برجله فدحاه من خلف الجدار ثم مسك يهوذا باحد يديه فصرعه
لجبينه وقال لهاب الحدادين اقطع ايديهم وارجلهم واضرب اعناقهم ثم صعد على سريره وجلس على
فراشه وامر بصواعه فوضع بين يديه ثم نقره فخرج طنينه فالتفت اليهم وقال انذرون ما يقول
قالوا لا قال فانه يقول انه ليس على دين ابي هؤلاء ولا منهم ولا اكرم الا بسببهم ثم نقره نقرة ثانية وقال
انه يخبرني ان هؤلاء اخوة ابيهم صغيرا فحسدوه ونزعوه من ابيهم ثم انطلقوه فقالوا ايها العزيز استر
علينا ستر الله عليك وامنن علينا من الله عليك فنقره ثالثة وقال انه يقول ان هؤلاء طرحوا صغيرهم
في الجب ثم باعوه ببيع العبيد بثمن بخس وزعموا لابيهم ان الذيب اكله ثم نقره نقرة رابعة وقال
انه يخبرني انكم اذنبتم ذنبا منذ ثمانين سنة لم تستغفروا الله منه ثم تتوبوا اليه ثم نقره خامسة
وقال انه يقول انا هاهم الذي زعموا انه هلك لن تذهب الايام حتى يرجع فيخبر الناس بما صنعوا ثم
نقره سادسة وقال لو كنتم انبيا او بني انبيا ما كذبتم ولا عققتم والدكم لاحملنكم نكالا للعالمين اينوبي
بالحدادين اقطع ايديهم وارجلهم فتضرعوا وبكوا واعترفوا بالتوبة وقالوا لو قد اصبنا اخانا يوسف
اذ هو حي لتكونن طوع يده وترابا يطأ علينا برجله فلما رأى ذلك يوسف تراخوته بكا وقال لهم ارجوا
عني قرضيت سيلكم اكراما لابيكم ولوما هو لحملتكم دكا لقوله تعالى ارجعوا الى ابيكم فقالوا له هذا
الذي قال لنا لنظن فلن نبرح الارض فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وقرا ابن عباس والضحاك وابو زيد
ان ابنك سرق الخياس وحدثني محمد بن احمد بن عمر قال حدثنا ابن شاذان قال حدثنا احمد بن ابي شريح البغدادي
قال سمعت الكسائي يقرأ يا ابانا ان ابنك سرق بضم السين وتشديد الراء مكسورة على ما لم يسم فاعله
اي نسب الى السرقة ورمي بها مثل خونته وفسقته وفجرته اذا نسبته الى هذه الخلال قال الزجاج
سرق يحتمل معنيين احدهما علم منا السرق والاخر اتهم بالسرق قال الجوهري والسرقة والسرق بكسر الراء
فيهما مواسم الشيء المسروق والمصدر سرق يسرق سرقا بالفتح قوله تعالى وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا
للغيب حافظين يراد به مسايل الاودية في قوله تعالى وما شهدنا الا بما علمنا يريد وما شهدنا قط الا بما علمنا
وما كنا للغيب حافظين واما الان فقد شهدنا بالظاهر وما نعلم الغيب كانهم وقفت لهم تهمة من قول بنيامين
وسرهذا في رحلي مزدسر بضاعتكم في رحالكم قال معناه ابن اسحاق وقيل المعنى ما شهدنا عند يوسف بان لو
السارق يسترق الا بما علمنا من دينك قاله ابن زيد وما كنا للغيب حافظين ايلم نعلم وقت اخذنا منك
انه يسرق فلا نأخذه وقال مجاهد وقتادة ما كنا نعلم ان ابنك يسترق ويصير امرنا الى هذا وما ظننا
فيما نطيق وقال ابن عباس يعني انه سرق ليلا وهم نيام والغيب هو الليل بلغة حمير
وعنه ما كنا نعلم ما يصنع في ليله ونهاره وذهابه وايابه وقيل ما دام عرأى منا لم يزل خلل فلما غاب
عنا حالاته وقيل معناه قد اخذت السرقة من رحله وكنا خرجنا هاونتظرا ليها ولا نعلم لنا بالغيب

مروك عن مجاهد وغيره ان عمة يوسف بنت اسحق كانت اكبر من يعقوب وكانت صارت اليها منطقة اسحاق لسنها
لانهم كانوا يتوارثون بالسن وهذا ما نسخ حكمه بشرعنا وكان من سرقتها استعبد وكانت عمة يوسف حضنته
وحبته حبا شديدا فلما ترعرع وشب قالت لها يعقوب سلمي يوسف الي فلست اقدر ان يغيب عني ساعة
فولعت به واشفقت من وفاته فقالت له دعه عندي اياما انظر اليه فلما خرج من عندها يعقوب عمدت
الى منطقة اسحق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها
وان امها بكت فالتمست ثم قالت اكشفوا اهل البيت فكشفوا فوجدت مع يوسف فقالت انه والله لي سلم
اصنع فيه ما شئت ثم اتاها يعقوب فاخبرته الخبر فقال لها انت وذلك ان كان فعل ذلك فهو سلم
لك فامسكته حتى ماتت فذلك عمره اخوته في قولهم ان يوسف قد سرق اخ له من قبل ومن هاهنا
تعلم يوسف وضع السقاية في رحل اخيه كما عملت به عمته وقال سعيد بن جبير انما امرته ان يسرق
صنما كان لجده ابي امه فسرقه وكسره والقاه على الطريق وكان ذلك منهما تغييرا للمنكر فرموها بالسرقة
وعيروها بها وقاله قتادة وفي كتاب الزجاج انه كان صنم ذهب وقال عطية العوفي انه كان مع اخوته
على طعام فنظر الى خوان فتحباه فوبخوه بذلك وقيل انه كان يسرق من طعام المائدة للمساكين حكاه ابن
عيسى وقيل انهم كذبوا عليه فيما نسبوا اليه قاله الحسن فقوله تعالى فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها
لهم اي اسر في نفسه قولهم ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل قاله ابن شوذب وابن عيسى وقيل انه استوفى في نفسه
قوله انتم شر مكانا ثم جهر فقال والله اعلم بما تصفون وقاله ابن عباس اي انتم شر مكانا ممن نسبتموه الى هذه
السرقة ومعنى قوله والله اعلم بما تصفون اي الله اعلم انما قلتم كذب وان وكانت لله رضى وقد قيل
انا اخوة يوسف في ذلك الوقت ما كانوا انبيا فقوله عز وجل قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا الاية
خاطبوه باسم العزيز اذ كان في تلك اللحظة بعزله الاول او موته وقولهم ان له ابا شيخا كبيرا اي كبير السن
ولم يريدوا كبر السن لان ذلك معروف من حال الشيخ فخذ احدنا مكانه ابقيه بدله وقد قيل ان هذا
مجاز انهم يعلمون انه لا يصح اخذ حر ليسترق بدل من قد احكمت السنة رقه وانما هذا كما يقول لمن تكره
فعله اقتلني ولا تفعل كذا وانت لا تريد ان يقتلك ولكنك فيما لغ في استرقاقه ويحتمل ان يكون
قولهم فخذ احدنا مكانه حقيقة ويعضد عليهم وهم انبيا ان يروا استرقاق حر فلم يروا الا ان يريدوا بذلك
طريق الحيلة ليخذ احدنا مكانه حتى ينصرف لك صاحبك ومقصدهم بذلك ان يصل بنيامين الى ابيه
ويوقف يعقوب جلية الامر فمنع يوسف عليه السلام من ذلك اذ الحيلة في الحدود ونحوها بمعنى احضار
المضمون فقط جايزة مع التراضي غير لازمة اذ الحيلة للطالب واما الحيلة في مثل هذا على ان يلزم الجميل
ما كان يلزم المضمون من عقوبة فلا يجوز اجماعا وفي الواضحة ان الحيلة تجوز في الوجه فقط في جميع الحدود
جايزة الا في النفس وجمهور الفقها على جواز الكفالة في المنفس واختلفوا فيها عن الشافعي مرة ضعفها
ومرة اجازها قوله عز وجل انا نراك من المحسنين يحتمل ان يريد ان رايناك تحسن الينا ويحتمل ان يريد انا نراك
قال معاذ الله مصدر ان ناخذ في موضع نصب اي من ان ناخذ الا من وجدنا في موضع نصب بناخذ منا
عنده اي معاذ الله ان ناخذ البري بالمجرم وتمالك بانفسنا دونها عليه انا اذا لظالمون اي ان ناخذ غير من
قوله عز وجل فلما استياسوا منه خلصوا اي يئسوا مثل عجب واستعجب وسخر واستسخر خلصوا اي
انفردوا وليس هو معهم نجيا نصب على الحال من المضمر في خلصوا وهو واحد يودي عن جمع كما في هذه الاية
وتقع على الواحد كقوله تعالى وقربناه نجيا وجمعه انجية قال الشاعر اني اذا ما القوم كانوا انجيه
واضطرب القوم اضطراب الارشية هناك اوصى اخاه اوصى به وقرا ابن كثير استيأسوا والاول
اليق بما بعده لان لا ييأس بالف من غير همز على ما قدمنا من الهمزة واخرت الياء ثم قلبت بالهمزة الفا لانها ساكنة
قبلها فتحة والاصل قراة العامة لان المصدر ما جاء الا على تقدير ايأسا واليأس ليس بمصدر
ايس بل هو مصدر ايسه ايسا ويأسا اي اعطيته وقال قوم ايس ويئس لغتان اي فلما يئسوا من رد
اخيهم اليهم تشاوروا فيما بينهم ايجابا لظلم غيرهم من الناس بتنا جون فيما عرض لهم والنجي فعيل بمعنى
المناجي قوله عز وجل قال كبيرهم قال قتادة هو روبيل كان اكبرهم في السن مجاهد هو شمعون
كان اكبرهم في الراي وقال الكلبي يهوذا وكان اعقلهم وقال محمد بن كعب وابن اسحاق هو ربيوهو ابو
الانبيا الم يعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله اي عهدا من الله مخفظ انسورده اليه ومن قبل
ما فرطتم في يوسف ما في محل نصب عطفا على ان والمعنى الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله
وتعلموا تفريطكم في يوسف ذكره النحاس وغيره ومن في قوله ومن قبل متعلقة بتعلموا ويجوز ان
تكون ما زايدة فيتعلق الظرف الذي هو من قبل وفي يوسف بالفعل وهو فرطتم ويجوز ان تكون
ما والفعل مصدرا ومن قبل متعلقا بفعل مضمر التقدير تفريطكم في يوسف واقع من قبل فما والفعل
في موضع رفع بالابتدا والخبر هو والفعل خبر المضمر الذي يتعلق به من قبل فلن ابرح الارض اي من الارض

وابن خليلي قايما في مناجاتي ببلية فتنا الى غيرك وعزتي لا نزعن الحدقتين المتعتهما ولا فرقن بينه وبين من هو
التفتت اليه تمانين ليعلم المخلوق اذا قام بين يدي كيف عليه مراقبة نظري الثالثة هذا يدل على ان الالتفات
في الصلاة وان لم تبطل فهو معصية عليها والنقص فيها وقد روى البخاري عن عايشة قالت سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وسياتي
ما للعلما في اول سورة المومنين موعبا ان شاء الله الثالثة قال النحاس وقد اذا سال قوم عن معنى شدة
حزن يعقوب صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا فللعلما في هذا ثلاثة اجوبة منها ان يعقوب صلى الله عليه وسلم
حمى ان على دينه فاشتد حزنه لذلك وقيل انما حزن لانه سلمه اليهم صغيرا على ذلك والجواب
الثالث وهو ابينها وهو ان الحزن ليس بمحظور وانما المحظور قوله وشق الثياب والكلام بما لا ينبغي وقال النبي
صلى الله عليه وسلم تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وتدين الله عز وجل ذلك بقوله تعالى كظيم
اي مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه ومنه كظم الغيظ وهو اخفاوه فالمكظوم المصدور وعليه طريق
حزنه قال الله تعالى اذ نادى ربه وهو مكظوم اي مملوكربا ويجوز ان يكون المكظوم بمعنى الكاظم وهو المشتمل
على حزنه وعن ابن عباس كظيم مغموم قال الشاعر * نادى كاظم المغاب ساسر * بانا اليوم منطلق لساني
* وقال ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال ذهبت عيناه من الحزن فهو كظيم قال قتادة هو مكروب قال مقاتل
ابن سليمان عن عطاء عن ابن عباس في قوله فهو كظيم قال فهو كمد يقول يعلم ان يوسف حي لا يدري اين هو فهو كمد
من ذلك قال الجوهري الكمد الحزن المكتوم تقول منه كمد الرجل فهو كمد وكميد النحاس فلان كظيم وكاظم
اي محزون لا يشكو حزنه قال الشاعر * فحضضت قومي واحتسبت فتالهم * والقوم من خوف المنايا كظم *
قوله عز وجل قالوا تالله اي قال له ولده تالله لتفتو تذكر يوسف قال الكسايي قلت وتيت افعل
ذلك ايما زلت فزعم الفرا ان لا مضمرة اي لا تفتا واشده فقلت بيني الله ابرح قاعدا * ولو قطعوا راسي لديك
واوصالي ايما ابرح قال النحاس والذي قال حسن صحيح وزعم الخليل وسيبويه ان لا يضمر في القسم كان ليس
فيه استكراه ولو كان موجبا لكان باللام والنون وانما قالوا له ذلك لانهم علموا بايقين انه يراوم على ذلك يقال
ما زال يفعل كذا وما فتى وفتا فهو لغتان ولا يستعملان الا مع الجحد قال الشاعر * ما فتيت حتى كان غبارها
سرادق يوم ذي رياح تزفع اي ما برحت فتفتو تبرح وقال ابن عباس فزال حتى يكون حرضا اي فانيا وقال ابن عباس
ومجاهد دنفا من المرض وهو يدانو الموت قال الشاعر * سري همي فامرضني وقد ما زادني مرضا * كذاك
الحب قبلك يوم مما يورث الحرضا * وقال قتادة هرما الضحاك باليا دارا مجاهد نزاعا سقما فاسدا لا عقل لك القتل
الحارض الفاسد الجسم والعقل وقالوا الحرض ابن زيد الحرض الذي قد ورد الى ارذل العمر الربيع بن انس يابس الجلد على
العظم الموزج دابيا من الهم وقال الاخفش ذاهبا ابن الانباري هالكا وكلها متقاربة واصل الحرض الفساد في الجسم
او العقل من الحزن او العشق او الهموم عن ابي عبيدة وغيره وقال المرجي * اني امرؤ لجي بحب فاحرضني * حتى
بليت وحتى شفني السقم * قال النحاس يقال الحرض حرضا وحرض حرضا وحرضة اذا بلي وسقم ورجل حارض
وحرض الا ان حرضا لا يثنى ولا يجمع ومثله نمر ونمر وجرب لا يثنيان ولا يجمعان الثعلبي حرض العرب من يقول الحارض
حارض والمونثة حارضة فاذا وصف بهذا اللفظ ثنى وجمع وانث ويقال حرض يحرض حراضة فهو حريض وحرض
ويقال رجل محرض وبنشد * طلبت الخيل يوما كاملا * ولو القته لاضحى محرضا * وقال امرؤ القيس * اري
المرء ذا الاد وابصبح محرضا * كاحر من يكري الديار مريض * قال النحاس وحكى اهل اللغة احرضه الهم
اذا اسقمه ورجل حارض اي احمق وقرا الحسن حرضا بكسر الحا وسكون الرا ان مثل عود الاشنان او تكون من الهالكين
اي اللتين وهو قول الجميع وبفرضهم منع يعقوب من البكا والحزن شفقة عليه وان كانوا السبب في ذلك فوله
قوله تعالى انما اشكو بثي وحزني الى الله البث في اللغة ما يرد على الانسان من الاشيا المهلكة التي لا يتهنيا له ان هو
يخفيها وهو من بثثته اي فرقته فسمي المصيبة بثا مجازا قال ذو الرمة * وقفت على ربع لمية ناقتي * فما زلت
ابكي عنده واخاطبه * واسقيه حتى كاد مما ابثه * تكلمني احجاره وملاعبه * وقال ابن عباس بثي هو الحسن
حاجتي وقيل اشد الحزن وحقيقته ما ذكرناه * وحزني الي الله معطوف عليه اعاده بغير لفظه واعلم ان الله ما
تعلموت اي اعلم ان رويا يوسف صادقة وانها ساجدله قال ابن عباس قتادة انا اعلم من احسان الله الي هو
ما يوجب حسن ظني به وقيل قال يعقوب لملك الموت هل قبضت روح يوسف قال لا فاكر هذا ارجاه وقال
السدي اعلم ان يوسف حي وذلك انه لما اخبره ولده بسيرة الملك وعدله وخلقه وقوله احسنت نفسي يعقوب
انه ولده فطمع وقال لعله يوسف وقال لا يكون في الارض صديقان نبي وقيل اعلم اجابة المضطرين ما لا تو
يعلمون قوله عز وجل يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه هذا يدل على ان تيقن حياته اما بالرويا
واما بانطاق الله تعالى الذيب كما جاوذ القصة واما باخبار ملك الموت اياه بانه لم يقبض روحه وهو اظهر
والتحسس طلب الشي بالحواس فحواس فيعلموا من الحس اذهبوا الى هذا الذي طلب منكم اخاكم واحسا عليكم
في احذه فسالوا عنه وعن مذهبه ويروى ان ملك الموت قال له اطلب من هاهنا واشار الى ناحية مصر وقيل ان
يعقوب لله على يوسف برد البضاعة واحتباس اخيه واظهار الكرامة فلذلك وجههم الى حيهم مصر دون غيرها

بالعلم سرقوه ولم يسرق الشاهد تضمنت هذه الآية جواز الشهادة باي وجه حصل العلم بها فان الشهادة مرتبطة بالعلم عقلا وشرعا فلا تسمع الا بمن علم ولا تقبل الا منهم وهذا هو الاصل في الشهادات ولهذا قال اصحابنا شهادة الاعمى جايزة وشهادة المستمع جايزة وشهادة الاخرس اذا فهمت اشارته جايزة وكذلك الشهادة على الخط اذا تيقن انه خطه او خط فلان صحيحة وكل من حصل له العلم بشئ جاز ان شهد به وان لم يشهده المشهود عليه قال الله تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بخير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل ان يسألها وقد مضى في البقرة الثالثة اختلف قول مالك في شهادة المرور وهو ان يقول مررت بفلانة فسمعته يقول كذا فان استوعب القول شهد في احد قوليه وفي القول الاخر لا يشهد حتى يشهده والصحيح اداء الشهادة عند الاستيعاب وبه قال جماعة العلماء وهو الحق لانه بذلك حصل المطلوب وتيقن عليه اداء العلم فكانت خبر الشهادة اعلم المشهود له وشر الشهادة اذاكتها الرافعة اذا ادعى رجل بشهادة لا يحتملها عمره ردت لانه ادعى باطلا فاكذبه العيان ظاهرا قوله عز وجل واسال القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون فيه مسئلتان الاولى في قوله تعالى واسال القرية حققوا شهادتهم عنده ورفعوا التهمة عن انفسهم لبلا يتهمهم لقولهم واسال القرية اي اهلها فحذف ويريدون بالقرية مصر وقيل قرية من قراها نزلوا بها وامتاروا منها وقيل المعنى واسال القرية وان كانت جمادا فانها تسمى الشئ ينطق الجماد لذلك وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار قال سيبويه ولا يجوز كلم هندا وانت تريد كلام ان هذا لا يشكل والقول في العير كالقول في القرية سواء وانا لصادقون في قولنا الثانية في هذه الآية من الفقه ان كل من كان على حق وعلم انه قد يظن به انه على خلاف ما هو عليه حتى لا يبقى احد منكم وقد فعل هذا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله للرجلين اللذين مرا وهو قد خرج مع صفية يقلبها من المسجد على رسلكما انما هي صفية بنت حيي فقالا سبحان الله وكبر عليهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يبلغ من الانسان مبلغ الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيا رواه البخاري ومسلم قوله عز وجل بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل فيه مسئلتان قوله تعالى قال بل سولت اي زينت لكم انفسكم ان ابنى سرق وما سرق وانما ذلك امر يريده الله فصبر جميل اذ نسيا تي صبر جميل او صبر جميل اولى بي على ما تقدم اول السورة الثانية الواجب على كل مسلم اذا اصيب بمكروه في نفسه او ولده او ماله ان يتلقى ذلك بالصبر الجميل والرضى والتسليم لمجريه عليه وهو العليم الحكيم ويقتدي بيعقوب وسايرالنبيين صوات الله عليهم اجمعين وقال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن ما من جرعة يتجرعها العبد احب الى الله من جرعة مصيبة يتجرعها العبد بحسن صبر وحسن عزاء وجرعة غيظ يتجرعها العبد كظم وعفو وقال ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى فصبر جميل اي لا اشكوا ذلك الي احد وروى مقاتل ابن سليمان عن عطاء بن ابي رباح عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يصبر وقد تقدم في البقرة ان الصبر عند اول صدمة وثواب من ذكر مصيبة واسترجع وان تقادم عهدها وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال ان يعقوب اعطي ليوسف اجر مايه شهيد وكذلك من احتسب من هذه الامة في مصيبته ذلك مثل اجر يعقوب قوله عز وجل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا اي ان كان عنده ان يوسف صلى الله عليه وسلم لم يمت وانما غاب عنه خبره ان يوسف حمل وهو عند الملك لنفسه شيأ ثم اشتراه الملك فكان في داره لا يظهر للناس ثم حبس فلما تمكن احتال في ان يعلم ابوه خبره ولم يرجه برسول لانه كره من اخوته ان يعرفوا ذلك لانه دعوا الى ان رسول يصل اليه وقال لعلهم لانهم للاثنة يوسف واخوه والمتخلف من اجل الحبس وهو القابل فلما ابرح الارض انه هو العليم بحالي الحكيم فيما يقضي فوله عز وجل وتولى عنهم وقال يا اسفا على يوسف فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وتولى عنهم اي اعرض عنهم وذلك ان يعقوب لما بلغه خبر بليامين تمام حزنه وبلغ جهده وجود الله مصيبته له في يوسف فقال يا اسفا على يوسف وسمى ابنه بليامين فلم يذكره عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير لم يكن عند يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع ولو كان عنده لما قال واسفا على يوسف قال الحسن وقتادة المعنى واحزناه وقال مجاهد والضحاك يا جزعاه قال كثير فيا اسفا للقلب كيف انفرانه وللنفس لما سيلت فتسلت والاسف شدة الحزن على ما فات والتاسف على معنى تقول يا يوسف فاز اوقاتك وقال الزجاج اصل يا اسفي فابدل من الياء الف لخفة الفتحة وابيضت عيناه من الحزن على ما قالت فلم يبصر بهما ست سنين وانه عمي قاله مقاتل وقيل قد تبيض العين وبقي شئ من الروية والله اعلم كما قد يعقوب وانما ابيضت عيناه من البكاء ولكن سبب البكاء الحزن فلهذا قال من الحزن وقيل ان يعقوب كان يصلي ويوسف نايما متعرضا بين سيريه فقط في موضعه فالتفت يعقوب اليه ثم غط ثانية فالتفت اليه ثم غط فالتفت اليه سرواره وتغوطيطه فاوحى الله تعالى الى ملايكته انظروا الى صفيوه

ولا تيأسوا من روح الله اي لا تقطعوا فرج الله قاله ابن زيد يريد ان المؤمن يرجو فرج الله والكافر يقنط في الشدة وقال قتادة والضحاك من رحمة الله وقال ابن عباس من روح الله لا يقنط الا القوم الكافرون دليل على ان القنوط من الكبائر وهو اليأس وسيأتي في آل عمران ان شاء الله تعالى في قوله تعالى فلما احسوا عليه قالوا يا ايها العزيز اي المتمنع علينا واهلنا الضر هذه المرة الثالثة من رجوعهم الى مصر وفي الكلام حذف اي فرجعوا الى مصر فلما دخلوا على يوسف قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر اي الجوع والحاجة وفي هذا دليل على جواز الشكوى عند الضر اي الجوع بل واجب عليه اذا خاف على نفسه الضرر من الفقر وغيره ان يبدي حاله الى من يرجو منه النفع كما واجب عليه ان يشكو ما به من الالم الى الطبيب ليعالجه ولا يكون ذلك قدحا في التوكل وهذا ما لم يكن الشكوى على سبيل التسخط والصبر والتجلد بالثواب الجزيل والتعفف عن المسألة افضل واحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلوى وذلك قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من جميل صنعه وغريب لطفه وعايدته على عباده يا ايها الشكوى على غير مسك تمر الشفقة الا ان يكون على وجه الشكر والتشكي كما قال ابن دريد * لا تكسرن يا دهر اني صارخ * لنكبة تعرقني عرق المدي * ما رستم لهوت الا فلاك من جوانب الحق عليه ماشكى * لاكمنا نفثة مصدور اذا جاش لمام من بوائجها عمى قوله تعالى وجئنا ببضاعة مزجاة البضاعة الطائفة من المال يقصد بها تجر امن بضعت الشيء واستبضعته اي جعلته بضاعة وفي المثل كمستبضع التمر الى هجر قوله تعالى مزجاة صفة للبضاعة والازجاء السوق بدفع ومنه قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا والمعنى انها بضاعة تدفع ولا يقبلها كل احد قال الخليل البضاعة المزجاة التي فيها غير التامة واختلف في تعيينها هنا فقيل كانت قليلة او رديئة كما ذكره الواقدي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل الغرابيل والحبال روي عن ابن عباس وقيل متاع الاعراب صوف وسمن قاله عبد الله بن الحارث وقيل الحبة الخضراء والصنوبر قاله ابو صالح هو البطم حب شجر بالشام يؤكل وبمصر الزيت منه ويعمل الصابون فباعوها بدراهم لا تنفق في الطعام وتنفق فيما بين الناس فقالوا خذها منا بحساب جياد تنفق في الطعام وقيل دراهم رديئة قاله ابن عباس ايضا وقيل لم يكن عليها صورة يوسف وكانت دراهم مصر عليها صورة يوسف وقال الضحاك النعال والادم وعند كانت سويقا منخلا فالله اعلم قوله تعالى فاوف لنا الكيل وتصدق علينا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فاوف لنا الكيل تريدون كانتبيع بالدراهم الجياد لا تنقصنا كما ندر اهمنا هذا قول اكثر المفسرين يريدون الكيل الذي كان قد كاله لاخيهم وتصدق علينا اي تفضل علينا بما بين سعر الجياد والرديئة قاله سعيد بن جبير والسدي والحسن ان الصدقة تكرم على الانبياء وقيل المعنى تصدق علينا بالزيادة على حقنا قاله سفيان ابن عيينة قال مجاهد ولم تحرم الصدقة الا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج المعنى تصدق علينا برد اخينا الينا وقال ابن شجرة تصدق علينا تجوز عنا واستشهد بقول الشاعر تصدق علينا يا ابن عفان واحتسب * وامر علينا الاشعريك ليالي ان الله يجزي المتصدقين يعني في الآخرة فيقال هذا من معاريض الكلام لانه لم يكن عندهم انه على دينهم فلذلك لم يقولوا ان الله يجزيك بصدقتك فقالوا لفظا يوهمه انهم ارادوه ولم يصح لما اخرجه بالتأويل قال القشيري وفي الحديث ان من المعاريض منزوحة عن الكذب الثانية استدل مالك وغيره من العلماء على ان اجرة الكيال على البائع قاله ابن القاسم وابن نافع قال مالك قال اخوة يوسف فاوف لنا الكيل فكان يوسف هو الذي يكيل وكذلك الوزان والعداد وعن هذا قالوا ان الرجل اذا باع عدة معلومة من طعامه وجب العقد عليه وجب عليه ان يبرزها ويميز حق المشتري من حقه الا ان يبيع منه معينا صبرة او ملاحق توفيته فيه فيخلي بينه وبينه فما جرى على المبيع تلف من المبتاع وليس كذلك ما فيه حق توفية من كيل او وزن الا ترى انه لا يستحق البائع الثمن الا بعد التوفية وان تلف فهو منه قبل التوفية لقوله تعالى فاوف لنا الكيل واما اجرة النقد فعلى البائع ايضا ان المبتاع الدافع لدراهمه بفوك انما طيبة نفسك الذي تدعى الرداءة فانظر الى نفسك وايضا فان النقد لا نفع له فصار الاجر عليه وكذلك لا يجب على الذي يجب عليه القصاص لانه لا يجب عليه ان يقطع يد نفسه الا ان يكون من ذلك طايعا الا ترى ان فرضا عليه ان يهدي يده ويصالح عليها اذا طلب المقتص ذلك منه فاجر القطاع على المقتص وقال الشافعي في المشهور عنه انها على المقتص منه كالبايع الرابعة يكره للرجل ان يقول في دعايه اللهم تصدق علي او ان الصدقة انما تكون ممن يبتغي الثواب والله تعالى متفضل بالثواب بجميع النعم لا رب غيره وسمع الحسن رجلا يقول اللهم تصدق علي فقال الحسن يا هذا ان الله لا يتصدق انما يتصدق من يبتغي الثواب اما سمعت قوله تعالى ان الله يجزي المتصدقين قل اللهم اعطني وتفضل علي قوله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه استفهام بمعنى التذكير والتوبيخ وهو الذي قال الرب لنبيهم بامرهم اذا انتم جاهلون دليل على انهم كانوا صغارا في وقت اخذهم ليوسف غير انبياء لانه لا يوصف بالجهل الا من كانت هذه صفته ويدل على انه حسبت حالهم الا ان اي خفي عليهم ذلك اذ انتم صغار جهال قاله معناه ابن عباس والحسن ويكون

قولهم

قولهم وانكنا لخاطئين على هذا انهم كذبوا ولم يجروا بما فعلوا حياء وخوفا منه وقيل جاهلون ما ترول اليه
العاقبة واسلمهم قوله تعالى قالوا ابنك لانت يوسف لما دخلوا عليه فقالوا مسنا واهلنا الضر
فخضعوا له وتواضعوا وتذللوا عليهم وعرفهم بنفسه فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه فتنبهوا ام
فقالوا ابنك لانت يوسف متبسم فشبهوه بيوسف واستفهموا قال ابن عباس لما قال لهم هل علمتم
ما فعلتم بيوسف الاية ثم تبسم يوسف وكان اذا تبسم كان ثنايا ه اللولو المنظوم فشبهوه بيوسف
فقالوا له على جهة الاستفهام ابنك لانت يوسف وعن ابن عباس ايضا انه اعوتهم بريح فوه وضع اتاج وكان
في ثنيته علامة وكان ليعقوب مثلها السامة فلما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف رفع التاج
عن فوه فقالوا ابنك لانت يوسف وقال ابن عباس كتب يعقوب اليه يطلب رداءه في الكتاب من يعقوب
صفي الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما اهل بيت وبلاء ومحن ابتلا الله جدي
ابراهيم بنمرود وناره ثم ابتلا ابي اسحق بالذبح ثم ابتلاني بولدي كان احب اولادي الي هتك بصري
من البكاء وانكم اسرقتم ولم اسرق والسلام فلما قرا يوسف الكتاب ارتعدت مفاصله وانتشر جلده واخذ
عينيه بالبكاء وعلم صبره فباح بالسر وقرا ابن كثير انك على الخبر وجوز ان تكون هذه القراءة استفهاما
كقوله وتلك نعمة قال انا يوسف اي انا المظلوم المراد قتله ولم يقل انا هو تعظيما للمحنة التي من الله علينا
اي بالنجاة والملك انه من يتق ويصبر اي ينق الله ويصبر على المصايب وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر
المحسنين اي الصابرين في بلايه القائمين بطاعته وقرا ابن كثير انه من يتقي باثبات الياء والقراءة به
جايزة على ان تجعل من بمعنى على وتدخل يتقي في الصلة فتثبت الياء ويغفر وترفع ويصبر وتجوز ان يجزم
ويصبر على ان يجعل يتقي في موضع جزم ورد للشرط وتثبت الياء وتجعل علامة الجزم حذف الضمة التي
كانت تجي الياء على الاصل كما قال ثم ناري اذا دخلت ه مشتقا بايزيد بن خالد بن يزيده وقال اخره الهمزة
يا تك والانباء تنمى كما افتت لبون بنى زياد ه وقرا الجماعة ظاهرة والهاء فيه كناية عن الجزاء والجملة الخبر
قوله تعالى قالوا تالله لقد اثرك الله علينا الاصل هم تا نحققت الثانية ولا يجوز تخفيفها واسم
الفاعل مؤثر والاصل ايتار وبقال اثرت السراب اثارة فانا مثير وهو ايضا على افعل ثم اعل والاصل
اثير قلبت حركة التا على الباء فانقلبت الباء الفا التقا الساكنين واثرت الحذف على فعلت فانا
اثر والمعنى لقد فضلك الله علينا واختارك بالعلم والحلم والحكم والعقل والملك وان كنا لخاطئين اي
مذنبين من خطيئتي خطا اذا اتى الخطيئة وفي ضمن هذا سوال العفو وقيل لابن عباس كيف قالوا ان كنا
وان كنا لخاطئين وقد تنعمدوا ذلك وبالغوا حتى اعطوا الحق وكذلك كل من ابى ذنبا تخطى المنهاج
الذي عليه من الحق حتى يقع في الشبهة والمعصية قوله تعالى قال لا تثريب عليكم اليوم اي قالوا له
يوسف وكان حليما موقنا لا تثريب عليكم اليوم وتم الكلام ومعنى اليوم الوقت والتثريب والتعيير
والتوبيخ اي لا تعيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم قاله سفيان الثوري وغيره ومنه قوله عليكم
السلام اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها اي لا يعيرها وقال لبيد ه فعفوت عنهم
عفو غير مثرب ه وتركتهم لعقاب يوم سرمد ه وقال الاصمعي ثربت عليه وعربت عليه بمعنى اذا قبحت
عليه فعله وقال الزجاج اي لا افساد لما بنى وبينكم من الحرمة وحق الاخوة ولكم عندي العفو والصفح
واصل التثريب الافساد ومنه قولهم اهل الحجاز وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذ بعضادتي الباب يوم الفتح مكة وقد اذى الناس بالبيت فقال الحمد لله الذي صدق وعده ونصر
عبده وهم الاحزاب وحده ثم قال ما ذا تظنون يا معشر قريش قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد
قدرت قال وانا اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم فقال عمر رضي الله عنه فغضضت عن قائل
الجائز قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك انى كنت قلت لهم حين دخلت مكة اليوم تذكم منكم
وتقتل فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال استحييت من قولي ليغفر الله لكم فعل مستقبل
فيه معنى الدعا سال الله ان يستر عليهم ويرحمهم واجاز الاخفش الوقف على عليكم والاول هو المستعمل
فان لجا الوقف على عليكم والابتدا اليوم يغفر الله لكم جزم بالمغفرة في اليوم وذلك لا يكون الا عن وحي
وهذا بين وقاله عطا الخراساني طلب الحوائج من الشباب اسهل منه من الشيوخ الم تر الى قول
يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال يعقوب سوف استغفر لكم ربي قوله تعالى
اذهبوا بقميصي هذا ان القميص يذكر فاما فرد الشاعر ه تذعو هواز ن والقميص معاضه فوق
الدطاق تشده الازاره فتقديره درج معاضة قاله النحاس وقال ابن السري عن ابيه عن مجاهد
قال لهم يوسف اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قال كان يوسف اعلم بالله من ان
يعلم ان قميصه يرد على يعقوب بصره ولكن ذلك قميص ابراهيم الذي البسه الله في النار من حرير
الجنة وكان كساه اسحق وكان اسحق كساه يعقوب وكان يعقوب ادرج ذلك القميص في قصبة
من فضة وعلقه في عنق يوسف لما كان يخاف عليه من العين فاخبره ان ارسل قميصك فانه يجد الجنة

لا يقع على سقيم ولا مبتلى لا عوفى وقال الحسن لولا ان الله تعالى اعلم يوسف بذلك لم يعلم انه يرجع اليه بصره
وكان الذي حمل قميصه يهودا قال ليوسف انا الذي حملت اليه قميصك بدم كذب فاحزنته وانا الذي
احمله الان لاسره وليهود اليه بصره فحمله حكاه السدي قوله تعالى وائتوني باهلكم اجمعين لتتخذوا
مصر دارا قال المعروف وكانوا ثلاثة وتسعين بين رجل وامراة وقيل ان القميص الذي يحمله هو القميص
الذي تدمى دبر ليعلم يعقوب انه عصم من الزنا والقول الاول اصح وتد روى مرفوعا من حديث انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الثعلبي والله اعلم قوله تعالى ولما فصلت العير اي خرجت مطلقة
من مصر الى الشام يقال فصل فصولا وفصلته انا فصلا فصولا لازم ومتعد قال ابو مسلم اي قال لمن حضر من ولده
ممن لم يخرج الى مصر ومن ولد ولده اني لاجد ريح يوسف وقد يحتمل ان يكون خرج ببعض بنيه فقال لمن
بقي اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون قال ابن عباس هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف اليه
وبينهما مسيرة ثمانية ليالي وقال الحسن مسيرة عشر ليال وعنه ايضا مسيرة شهر وقال ملك بن انس
وجدوا سبانا اصل ريحه مزاوصل عرف يعقوب قبل ان يرتد اليه بصره فقال يا ابانا هبت
ريح يوسف فصدقت القميص فرايت رائحة الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه لقي في الدنيا
ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فعند ذلك قال ابي لاجد ابي اشم لولا ان تفندون قال ابن جبير ومجاهد لولا ان تسفهون وهو قول النابغة
* الا سليمان او قال الملك له * قم في البرية فاحددها عن الفند * اي عن السفه وقال سعيد بن جبير والضحاك لولا ان تكذبون والفند
الكذب وتزفند اذا كذب ومنه قول الشاعر * هل من افتخار لكريم من ملود * ام هل لقول الصدق
من كذب فقد * اي من كذب وقيل لولا ان تعجزون قاله ابو عمرو والتفنيد التقبيح قال الشاعر
* يا صاحبي دعا لومي وتفندي * فليس ما فات من امر بمردود * وقال ابن الاعرابي لولا ان تفندون
لولا ان تضعفون رايي وقال ابن اسحق والفند ضعف الرايي كقوله رابع تضللوني قاله ابو
عبيدة وقال الاخفش تلوموني والتفنيد اللوم وتضعيف الرايي وقال الحسن وقتادة ومجاهد
ايضا تهرمون وكلها متقاربة المعنى وهو راجع الى التجهيل وتضعيف الرايي يقال افند اذا
اعجزه كما قال اهلكني باللوم والتفنيد ويقال افند اذا تكلم بالخطا والفند الخطا من الكلام والراي كما
قال * فاحددها عن الفند * واصل الفساد في العقل * ومنه قول النابغة * فاحددها عن الفند *
اي امنعها عن الفساد * ومن ذلك قيل للوم تفنيد قال الشاعر * ياعاذلي دع اللام واقصد
اطول العوى واطلتما التفنيدا * ويقال افند فلان الدهر اذا افنده ومنه قول ابن مقبل دع
الدهر تفعل ما اراد فانه اذا كلك الاعناد بالناس افندا قوله تعالى قالوا تالله انك لفي
ضلالك القديم اي لفي ذهابك عن طريق الصواب وقال ابن عباس وابن زيد لفي خطاياك الماضي من حب
يوسف لا تنساه وقال سعيد بن جبير لفي جنونك لقد تم قال الحسن وهذا اعظم وقال قتادة وسفيان
لفي محبتك القديمة وقيل انما قالوا هذا لان يوسف عندهم كان قد مات وقيل ان الذي قاله ذلك من بقي
معه من ولده ولم يكن عندهم الخبر وقيل قاله ذلك من كان معه من اهله وقرابته وقيل بنو ابنيه وكانوا صغارا
والله اعلم قوله تعالى فلما ان جاء البشير القاه على وجهه ابو علي عبيد قد ارتد بصيرا ان زايدة والبشير
قيل هو شمعون يحمل بهودا قال انا اذهب بالقميص اليهم كما ذهبتم بملطخا بالدم قاله ابن عباس وعن
السدي انه قال لاخوته قد علمتم اني ذهبت اليه بقميص التوجه فزعوني اذهب اليه بقميص الفرحة وقال
يحيى بن سلام عن سفيان لما حاذا البشير الجب يعقوب قال له على اي دين تركت يوسف قال على اجمل سلام قال
الان تمت النعمة وقال الحسن لما ورد البشير الى يعقوب لم يجد عنده شيا يثيبه به فقال والله ما اصبنا
عندنا شيا واخبرنا شيا منذ سبع ليال ولكن هون الله عليك سكرات الملك قلت
وهذا الدعاء اعظم ما يكون من الجوايز وافضل العطايا والذخاير وولت هذه الاية على جواز البذل
والهبات عند البشاير وبجايا بحديث كعب بن مالك الطويل وفيه فلما جايني الذي سمعت صوته يبشرني
نزعت ثوبي فكسوتهما اياه ببشارته وذكر الحديث وتقدم بكماله الثالثة الذين خلفوا وكسوة
كعب ثوبيه للبشير مع كونه ليس له غيرهما دليل على جواز مثله لك اذا ارتجى حصول ما يستبشر به
وهو دليل على جواز اظهار الفرح بعد زوال الغم والترح وفي هذا الباب جواز احراق الصبيان واطعام
الطعام فيها وتد تحى عمر بن عبد العزيز سورة البقرة جوزا والله اعلم قوله تعالى قال الم اقل لكم اني
اعلم ما لا تعلمون ذكروا في قوله الم اقل لكم انما استكوا بشيء وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون قوله تعالى
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطين في الكلام حذف التقدير والمراجوا من مصر قالوا يا ابانا وهذا
يدل على ان الذي قاله لهم ابنه لصلبه العزيز بنوا بنيه او غيرهم من قرابته واهله لولده فانهم كانوا يدعونه
غيبا وكان يكون ذلك زيادة في المعروف والله اعلم وانما سالوه المغفرة لانهم ادخلوا عليه من الم الحزن ما لم يسقط
بسقط المايم عليه الا باجلاله قلت وهذا الحكم ثابت فيمن ادخل سقما في نفس اخيه او ماله او غير ذلك

ظالما له فانه يجب عليه ان يتحلل له ويخبره بالمظلمة وقدرها وهل ينفعه القليل المطلق ام لا فيه خلاف والصحيح
انه ينفع فانه لو اخبره بمظلمة لها قدر وبالدرهم تطيب نفس المظلوم فيحل التحلل منها والله اعلم وفي صحيح البخاري
وغيره عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له مظلمة لاخيه من عرضه او شيء فليتحلله
منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات
اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه قال المهلب فقوله صلى الله عليه وسلم اخذ منه بقدر مظلمته يجب ان تكون
المظلمة معلومة القدر مشارا اليها مبينة والله اعلم قوله تعالى قال سوف استغفر لكم ربي قال ابن عباس
اخر دعاه الى السحر قال المثنى بن الصباح عن طاوس قال سخر ليلة الجمعة ووافق ذلك ليلة عاشوراء وفي
دعاء الخضر من كتاب الترمذي عن ابن عباس انه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا ابي انت وامي فقلت هذا القرآن من صدري فما اجدني انزر عليه فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع بهن من علمته وثبت ما تعلمت في
صدرك قال اجل يا رسول الله فعلمني قال اذا كان ليلة الجمعة فان استطعت ان تقوم في ثلث الليل الآخر
فانها ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب وقد قال اخي يعقوب لبنيه سوف استغفر لكم ربي فقوله حتى
تاتي ليلة الجمعة وذكر الحديث وقال ابو بكر بن ابي خيثمة السختياني عن سعيد بن جبير قال سوف استغفر
لكم ربي من الليالي البيض في ثلاث عشرة والاربع عشرة والخمس عشرة فان الدعاء فيه مستجاب وعن
عامر الشعبي قال سوف استغفر لكم ربي قال اسأل يوسف انعفا عنكم استغفرت لكم وبه وذكر سند
ابن داود قال حدثنا هشيم قال حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن محارب بن دثار عن عمه قال قال لنا ابي المسجد
في السحر فامر ابن مسعود فاسمعه يقول اللهم انك امرتني فاطعتك ودعوتني فاجبت وهذا سحر فاغفر لي يو
فلقيت ابن مسعود فقلت كلمات اسمعك تقولهن في السحر فقال ان يعقوب اخر بنيه الى السحر فقال سوف
استغفر لكم قوله تعالى فلما دخلوا على يوسف اي فصاروا في داره لهذا لك ان ابي ابوه قبل ان يوسف
يبعث مع البشير حاتى راحلة وحمارا وسأل يعقوب ان يأتيه وولده جميعا فلما دخلوا عليه اي اليه ابويه
اي ضم ويعني بابويه يعني اباه وخالته وكانت امه قد ماتت في ولادة اخيه بنيامين وقيل هو انه لما
كفنها الدرويا حتى سجن له قاله الحسن وقد تقدم في البقرة بان الله تعالى احيى ابنيه عليهما السلام اباه
وابه فاعاده منابه قوله تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله امنين قال ابن جريج اي سوف استغفر لكم ربي ان
شاء الله وهذا ان تقدم الفرات وتاخيره قال النحاس وذهب ابن جريج الى انهم قد دخلوا مصر فكيف يقول
ادخلوا مصر ان شاء الله وقيل انما قال ان شاء الله تبركا وجزما امنين من القحط او من فرعون وكانوا لا يدخلون
الا بجوازه قوله تعالى ورفع ابويه على العرش قال قتادة بريد السرير وقد تقدم من محامله وتدبيره
بالرمز عن الملك نفسه ومن قوله الثابتة الدنيا ه عرش نفاثوا بعد عزه واستة وقد تقدم
قوله تعالى وخروا له سجدا ثبت ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وخروا له سجدا الحاجي خروا لها قيل انما
تعود على الله تعالى المعنى وخروا لله سجدا وروي عن الحسن قال الضمائر وهذا خطا والها راجعة
الى يوسف لقوله تعالى من اول السورة رايتهم لي ساجدين وكان تحيتهم ان يسجد الرجل للشريف
والصغير للكبير سجد يعقوب وخالته واخوته ليوسف عليه السلام فاشعر جلده وقال
هذا تاويل رويايا من قبل وكان بين رويا يوسف وبينها ثنتان وعشرون سنة وقال
سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد اربعون سنة قال عبد الله بن شداد وذلك الحين انقطع الوحي
وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال السدي وسعيد بن جبير وعكرمة ست وثلاثون سنة وقال
الحسن وحسن بن فرقد وفضيل بن عياض ثمانون سنة وقال وهب بن منبه قال ابن اسحاق ليوسف في الجب
وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن ابيه ثمانين سنة وعاش بعد ان التقى بابيه ثلثا وعشرين سنة
وولد يوسف من امراة العزيز افراثيم ومنشا ورحمة امراة ايوب وبين يوسف وموسى اربعمائة
سنة وقيل ان يعقوب بقي عند يوسف عشرين سنة ثم توفي صلى الله عليه وسلم وقيل اقام عنده ثماني
عشرة سنة وقال بعض المحدثين بضعا واربعين سنة وكان بين يعقوب ويوسف ثلثا وثلاثين سنة
حتى جمعهم الله وقال ابن اسحق ثمانية عشر فالله اعلم الثامنة قال سعيد بن جبير عن قتادة عن الحسن في
قوله وخروا له سجدا قال لم يكن سجود ركعة ولكنه سنة كان فيهم يومئون برؤوسهم ايما لذلك كانت
تحيتهم وقال الثوري والضحاك وغيرهما كان سجودا كالسجود المعهود عندنا وهو كان تحيتهم
وقيل كان انحنا كالركوع ولم يكن خرورا على الارض وهكذا كان سلامهم بالتكفي والانحنا وترك الله
ذلك كله في شرعنا وصار السلام بدلا عن الانحنا واجمع المفسرون ان ذلك السجود على اي وجه كان
فانما كان تحية واعبادة قال قتادة هذه كانت تحية الملوك عندهم واعلى الله لهذه الامة السلام تحية
اهل الجنة قلت هذا الانحنا والتكفي الذي سنح عنا تقصار عانة بالزيارة المصرية وعند العجم
ولذلك قيام بعضهم الى بعض حتى ان احدهم اذا لم يقم له وجد في نفسه انما لا يوبه به والله اعلم قوله ولذلك

اذا التقوا اكتفا بعضهم لبعض عادة مستمرة ووراثة مستقرة لا سيما عند التقاء الامراء والرؤساء
نكبوا عن السنن واعرضوا عن السنن وروى انس رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله الرجل ينحني لبعضنا اذا لقيه قال لا قلنا فنعتنق بعضنا بعضا قال لا قلنا فيصافح بعضنا بعضا قال نعم خرجه ابو عمر في
التمهيد وان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم او خيركم يعني سعد بن معاذ قلنا
ذلك مخصوص بسعد لما يقتضيه الحال المعينة وقد قيل انما كان قيامهم لينزلوه عن الحمار وايضا
فانه يجوز للرجل القليل اذا لم يوثر ذلك في نفسه ان اكرمه واعجب به ورأى لنفسه حظا لم يجز
عونه على ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم من سره ان يتمثل الناس له قياما فليتبوأ مقعده من النار
وجاء عن الصحابة رضوان الله عليهم انه لم يكن وجها اكرم عليهم من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما كانوا يقومون له اذا راوه لما يعرفون من كراهته لذلك الثالثة فان قيل ما تقول في الاشارة
بالاصبع قيل له ذلك جايز اذا بعد عنك لتغير له بوقت السلام فان كان دانيا فلا وقد قيل بالمنع في
القرب والبعد لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه بغيرنا فليس منا وقال لا تشبهوا
تسليم اليهود والنصارى فان تسليم اليهود بالاكف وتسليم النصارى بالاشارة واذا سلم فانه ينبغي
ولا ان يقبل مع السلام وان الانحناء على معنى التواضع لا ينبغي لاحد وانما تقبل اليد فانه من فعل
الاعاجم ولا يتعودن على افعالهم التي احدثوها تعظيما منهم لكبرايهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تقوموا علي كما تقوم الاعاجم عظماءها بعضها لبعض اكاسرتها فهذا مثله ولا باس بالمصافحة فقد صافح
النبي صلى الله عليه وسلم جعفر بن ابي طالب حين قدم من الحبشة واعتنقه وقبله وقال تصافحوا
يذهب الغل وروى عالب القطان عن الشعبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اذا التقوا
تصافحوا واذا قدموا من سفر تعانقوا الرابعة فان قيل فقد ذكر مالك المصافحة فكيف روي ابن وهب
عن مالك انه ذكر المصافحة والمعانقة وذهب الى هذا سحنون وغيره من اصحابنا وقد روي عن مالك خلاف
ذلك من جواز المصافحة وهو الذي يدل عليه معنى ما في الموطا وعلى جواز المصافحة جماعة العلماء من
السلف والخلف قال ابن العربي انما كره مالك المصافحة لانه لم ير بها امرا عاما في الدين ولا مسنونا
مثل السلام ولو كان مسنونا لاستوى معه قلت فقد جاء في المصافحة حديث يدل على الترغيب فيها
والندب عليها والمحافظة وهو ما رواه البراء بن عازب قال لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ
بيدي فقلت يا رسول الله ان كنت لاحسب ان المصافحة للاعاجم فقال كنا احق بالمصافحة منهم ما من
مسلمين يلتقيان فياخذ احدهما بيد صاحبه مودة بينهما ونصيحة الا التقيت ذنوبهما بينهما فتحاتي
وقد احسن بي اذا اخرجني من السجن ولم يقل من الجب استتماما لكرم ليلا يذكر واخوته صنيعهم بعد
عفوه بقوله لا تثريب عليكم قلت وهذا هو الاصل عند مشايخ الصوفية ذكر الجفاجي وقت
الصفاجعا وهو قول صحيح دل عليه الكتاب وقيل لان في دخوله السجن كان باختياره بقوله
رب السجن احب الي مما يدعونني اليه وكان في الجب بارادة الله تعالى له وقيل لانه كان في السجن مع ذوي
الذنوب والمعصية وفي الجب مع الله تعالى وايضا فان في المحنة في النجاة من السجن كانت اكبر لانه دخله
بسبب امر لهم به وايضا دخله باختياره اذ قال رب السجن احب الي فكان الكرب فيه اكثر وقال نبينا ايضا
اذكرني عند ربك فعوقب فيه وجه بكم من البدو وكان مسكن يعقوب كان بارض كنعان وكانوا اهل
مواشي وبر به وقيل كان ليعقوب تحول الى باديته وسكناها وان الله لم يبعث نبيا من اهل البادية وقيل
انه كان خرج الى بدا وهو موضع واباه عنى جبل بقوله * وانت الذي حببت شعبا الي بدا الي واوطاني
بلاد سواهما * ويعقوب بهذا الموضع مسجد تحت جبل بقال له بدا القوم بدوا اذا انوا بدا كما يقال
حاذوا غورا اي اتوا الغور والمعنى وجه بكم من البدو مكان بدا ذكره الفشيري وحكاه الماوردي عن
الضحاك عن ابن عباس من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي بافساح الحسد قال ابن عباس
وقيل افسد ما بيني وبين اخوتي اخذ دنبهم على الشيطان نكر ما منه ان ربي لطيف لما يشاء اي
ارفق بعباده وقال الخطابي اللطيف هو البر بعباده الذي يلطف لهم من حيث لا يعلمون ويسبب
لهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون كقوله الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقيل اللطيف العالم
بدقايق الامور والمراد هنا الاكرام والرفق تا لفتاذه لطف ليوسف باخراجه من السجن وجاء باهله
من البدو ونزغ عن قلبه نزغ الشيطان وبدا له ان يعقوب لما قدم باهله وولده وشارف اهل
مصر وبلغ ذلك يوسف استاذن فرعون واسمه الريان ان ياذن له في تلقي ابيه واخبره بقدومه
فاذن له واخرج وامر الملا من اصحابه بالركوب معه فخرج يوسف والملك معه في اربعة الاف
من الامراء مع كل امير خلق الله اعلم اكثرهم وركب اهل مصر معهم يلتقون يعقوب فكان يعقوب
يمشي متكيا على يد يهوذا فنظر يعقوب الى الخيل والناس والعساكر فقال يا يهوذا هذا فرعون
مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه نزهب يوسف بيده ليسلم

لقيه من ذلك وكان يعقوب احق بذلك منه وافضل فانبدا يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب
الاحزان وبكا وبكا معه يوسف فبكا يعقوب فرحا وبكا يوسف لما راى يا بيه من الحزن قال ابن عباس بكا
اربعة بكا من الخوف وبكا من الفرح وبكا من الحزن وبكا باثم قال ليعقوب الحمد لله الذي اقر عيني بعد
الهموم والاحزان ودخل مصر في اثنين وثمانين من اهل بيته فلم يخرجوا من مصر حتى بلغوا وقطعوا البحر
مع موسى عليه السلام في ستمائة الف وبضعا الف رواه عكرمة عن ابن عباس وحكى ابن مسعود انهم
دخلوا مصر وهم ثلاثة وتسعون انسانا من رجل وامراة وخرجوا مع موسى وهم ستمائة وسبعون
الفا وقال الربيع بن خيثم دخلوها وهم اثنان وسبعون الفا وخرجوا مع موسى وهم ست مائة الف
وقال وهب دخل يعقوب وولده مصر وهم تسعون انسانا ما بين رجل وامراة وصغير وخرجوا منها
مع موسى فراى فرعون وهم ستمائة الف وخمس مائة الف وبضع وسبعون رجلا مقاتلين سوى
الذرية والهرما والزمنا وكانت الذرية الفا الف ومائتا الف سوى المقاتلة قال اهل التواريخ
اقام يعقوب بمصر اربعا وعشرين سنة في اغمط حال ونعمة ومات بمصر واوصى الى ابنه يوسف
ان يحمل جسده حتى يدفنه عند ابيه اسحاق بالشام ففعل ثم انصرف الى مصر وقال سعيد بن جبير نقل
يعقوب صلى الله عليه وسلم في تابوت من ساج الى بيت المقدس ووافق ذلك يوم مات عيصو ان فدفنا في
قبر واحد ثم حمل اليهود موتاهم الى بيت المقدس من نقل ذلك منهم وولد يعقوب وعيصو في بطن واحد
ودفنا في قبر واحد وكان عمر يعقوب جميعا مائة وتسع واربعين سنة **قوله تعالى** رب قد اتيتني من الملك وعلمتني
من تاويل الاحاديث الاية قال لقتادة فلم يتمن الموت احد قبله واخبره ابو يوسف عليه السلام حين تكاملت
عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق الى لقاء ربه عز وجل وقيل ان يوسف لم يتمن الموت وانما تمنى المواتاة عليه
الاسلام اي اذا جاء اجلي توفني مسلما وهذا قول الجمهور وقال سهل بن عبد الله اشتركا في تمني الموت الا ثلاث
رجل جاهل بما بعد الموت او رجل ليس له اقدار الله تعالى عليه او مشتاق فكب للقاء الله عز وجل وثبت في
الصحيح عن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد متمنيا
فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي رواه مسلم وفيه عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت ولا يدع به من قبل ان ياتيه انه اذا مات احدكم انقطع
عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا واذا ثبت هذا فكيف يقال لانبي الله يوسف عليه السلام تمنى الموت والخروج
من الدنيا وقطع العمل هذا البعيد الا ان يقال ان ذلك كان جايزا في شرعه اما انه يجوز تمني الموت والدعاء عند
ظهور الفتن وغلبتها وجون ذهاب الدين على ما بيناه في التذكرة ومن قوله من الملك للتبعيض وكذلك
ولذلك قوله وعلمتني من تاويل الاحاديث ان ملك مصر ما كان كل الملك وعلم التعبير ما كان كل العلوم وقيل
من للجنس كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقيل للتاكيد اي اتيتني الملك وعلمتني تاويل الاحاديث
قوله تعالى فاطر السموات والارض نصب على النعت للمنادى وهو رب لانه مضاف والتقدير يا رب
ويجوز ان يكون منادى ثانيا والفاطر الخالق هو سبحانه فاطر الموجودات اي باخلقها ومبديها وتنشيها
ومخترعها على الاطلاق من غير شي ومثال وقد تقدم هذا المعنى في البقرة مستوفى عند قوله بديع
السموات والارض وزدنا بيانا في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى انت ولي في امري وتتوفاني
مسلما في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين يريد اباه واللذين من ابراهيم واسحق ويعقوب
فتوفاه الله طاهرا طيبا صلى الله عليه بمصر ودفن النيل في صندوق من رخام وذلك ان الماء ما كان تستاح
الناس عليه كل يجب ان يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته واجتمعوا على ذلك حتى هموا بالقتال فراوا ان
يدفنوه في النيل من حيث مغرق الماء فيمر عليه الماء ثم يتفرق في جميع مصر فكونوا فيه شرعا ففعلوا و
فلما خرج موسى ببني اسرايل اخرجه من النيل ونقل تابوته بعد اربعمائة سنة الى بيت المقدس فدفنوه مع
ابايه لدعوته والحقني بالصالحين وكان عمره مائة عام وسبعة اعوام وعن الحسن قال التقى يوسف
في ايجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة ثم جمع له شمله فعاش
بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة وكان له من الولد افرائيم ومنشا ورحمة زوجة ايوب فيما قول ابي
لهيعة قال الزهري وولد افرائيم بن يوسف نون بن افرائيم وولد نون يوشع فهو يوشع بن نون
وهو فتى موسى الذي كان معه صاحب امره ونباه الله في زمن موسى عليه السلام فكان بعده نبيا وهو
الذي افتتح اريحا وقتل من كان بها من الجبابرة واستوفت له الشمس حسب ما تقدم بيانه في المايدة
وولد لمنشا بن يوسف موسى منشا قبل موسى بن عمران واهل التوراة يزعمون انه هو طلب العالم ليتعلم
منه حتى ادركه والعالم هو الذي خرق السفينة وقتل الغلام وبنا الجدار وموسى بن منشا معه حتى
بلغ معه حيث بلغ وكان ابن عباس ينكر ذلك والحق الذي قاله ابن عباس وكذلك في القران ثم كان بين
يوسف وموسى امم وقرون وكان فيما بينهما شعيب صلوات الله عليهم اجمعين قوله تعالى ذلك من انبا
الغيب اي ابتداء وخبر توحيه اليك خبر ان قال الزجاج ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي وتوحيه اليك

الشئ الى غيره ليتعرف بهم والمعود الصلاة الاولى وشرفاد صلاة الاولى لمضاهاة صلاة الفريضة الاولى وانما
سميت الاولى لانها اول ما صلى حين فرضت الصلاة واول ما اظهر فلذلك قيل لها ابصاظهر والتقدير ولدار
الحال الاخرة وهذا قول البصريين والمراد بهذه الدار الجنة اى هى خير للمتقين وقرئ ولدار الاخرة
وقرا نافع وعاصم ويعقوب وغيرهم افلا تعقلون بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الخبر
قوله عز وجل حتى اذا استياس الرسل تقدم القراءة فيه ومعناه وظنوا انهم قد كذبوا وهذه الاية فيها
تنزيه الانبياء وعصمتهم عما لا يليق بهم وهذا الباب عظيم وخطره جسيم ينبغى الوقوف عليه لئلا
يولع الانسان فى سوء الحكم المعنى وما ارسلنا قبلك يا محمد الا رجالا ثم لم نعاقب امهم بالعقاب
حتى اذا استاس الرسل اى يئسوا من ايمان قومهم وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد اى ايقنوا ان قومهم
كذبوهم وقيل المعنى حسبوا ان من آمن منهم من قومهم كذبوهم ان الكل كذبوا وكذبت الانبياء ظنوا وحسبوا
انهم يكذبونهم اى خافوا ان يدخل قلوب اتباعهم شك فيكون وظنوا على بابه فى هذا التاويل وقرا
ابن عباس وابن مسعود وابو عبد الرحمن السلمى وابو جعفر بالتخفيف والحسن وقتادة وابو رجا العطاردى
وعاصم وحمزة والكسائى وحيى بن وثاب والاعمش وخلف كذبوا بالتخفيف اى ظن الرسل ان قومهم قد
كذبوهم فيما اخبروا به من العذاب ولم يصدقوا وقيل المعنى ظن الامم ان الرسل قد كذبوا فيما دعوا به من نصرهم
وفى رواية عن ابن عباس ظن الرسل ان الله اخلف ما وعدهم وقيل لم تصح هذه الرواية انه لا يظن
بالرسل هذا الظن ومن ظن هذا الظن لا يستحق النصر فكيف قال مجاهد نصرنا قال القشيرى ابو نصر
ولا يبعد ان صحت الرواية ان المراد خطر بقلوب البشر هذا من غير ان يتحققوه فى نفوسهم وفى الخبر
ان الله تعالى تجاوز لامتى عما حدثت به انفسها ما لم يتكلموا به لسانا او تعمل به ويجوز ان يقال قد يراد من
ذلك الظن كقوله بلغت المنزل اى قربت منه وذكر الثعلبى والنحاس عن ابن عباس قال كانوا بشر اهم
فضعفوا من طول البلاء ونسوا وظنوا انهم اخلفوا ما وعدتهم من النصر فلما استيأس الرسل من ايمان قومهم
وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد اى ايقنوا ان قومهم قد

خبره اي الذي من انباء الغيب نوحيه اليك بمعنى هو الذي قصصنا عليك يا محمد من امر يوسف من اخبار الغيب
نوحيه اليك اي لعلمك نوحي هذا اليك وما كنت لديهم اي مع اخوة يوسف اذ اجمعوا امرهم في القا
يوسف في الجب وهم يمكرون اي ببوسف في التغيبه في الجب وقيل يمكرهم بيعقوب حين جاءوه و
بالقميص ملطخا بالدم اي ما شاهدت تلك الاحوال ولكن الله اطلعك عليها قوله تعالى وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين ظن ان العرب لما سالت عن هذه القصة واخبرهم بها نون فلم يومنوا
فترك الاياب لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم اي لييسر لقدر على هدايتهم اردف هذا اينه بقوله لحرص تحرص
مثل ضرب يضرب به في لغة ضعيفة هم من تحرص مثل حديد وحرص طلب الشيء باجتهاد قوله تعالى وما
تسالهم عليه من اجر من صلة اي ما تسالهم جعلا ان هو اي ما هو يعني القران والوحي الا ذكرى اي عظة وتذكرة
للعالمين قوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض قال الخليل وسيبويه هي اي دخل عليها كاف
التشبيه فصار ما بمعنى كم وقد مضى في الحمد ان القول فيها مستوفى ومضى القول في اية السموات والارض
في البقرة وقيل الايات اثار عقوبات الامم السالفة ايهم غافلون معرضون عن تاملها وقرا عكرمة
وعمرو بن فايد والارض رفعا ابتداء وخبره يمرون عليها وقرا السدي والارض نصبا باضمار فعل والوقف
على هذا يتم القراءتين على السموات وقرا ابن مسعود عليها قوله تعالى وما يومن اكثرهم بالله الا وهم
مشركون نزلت في قوم اقروا بالله خالقهم ورازقهم وظنوا شيئا كلهم وهم يعبدون الاوثان قاله الحسن ومجاهد
وعامر الشعبي واكثر المفسرين وقال عكرمة هو قوله ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله ثم يصفونه بغير
صفته ويجعلون له اندادا وعن الحسن ايضا انهم اهل الكتاب منهم شرك وايمان امنوا بالله وكفروا بمحمد صلى الله
عليه وسلم فلا يصح ايمانهم معه كما لا يصح ايمان المجاري وقال ابن عباس نزلت في تلبيه مشركي العرب ليبيك لا شريك لك
الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وعنه ايضا انهم الصابئون وعنه ايضا انهم المشبهة امنوا بجملة واشركوا
مفصلا وقيل نزلت في المنافقين المعنى وما يومن اكثرهم بالله ايمانا بالسان الا وهو كافر بقلبه ذكره الماوردي
عن الحسن ايضا قال لخطاهذا في الرخاء وذلك ان الكفار ينسون ربهم في الرخاء فاذا اصابهم بلاء اخلصوا
في الدعاء بيانه وظنوا انهم احيط بهم الاية وقوله واذا مس الانسان ضر دعانا لجنبه الاية وفي اية اخرى
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقيل معناها انهم يدعون الله ينجيهم من الهلكة فاذا انجاهم قال
قايلهم لولا فلان ما نجونا ولولا الكلب لدخل علينا اللصوص ونحو هذا فيجعلون نعمة الله منسوبة الى فلان
وفاية منسوبة الى الكلب وقد دفع هذا القول والذي قبله كثير من عوام المسلمين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقيل نزلت هذه الاية في قصة الدخان وذلك ان اهل مكة لما
غشيهم الدخان في سني القحط قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مومنون فذلك ايمانهم وشركهم عودهم
الى الكفر بعد كشف العذاب بخوله انكم عايدون والعود لا يكون الا بعد البدو فيكون معنى الاية وهم مشركون
اي الاترهم عايدون والله اعلم قوله تعالى افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله قال ابن عباس نقمة
تغشاهم وقال المجاهد عذاب يغشاهم يوم بدر يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال قتادة وقيصة
تبغتهم وقال الضحاك يعني الصواعق والقوارع او تاتيهم الساعة بغتة بغتة نصب على الحال
واصله المصدر وقال المبرد جاء من الغرب حال بعد نكرة وهو قولهم وقع امر بغتة وفجاة قال
الخاسر ومعنى بغتة اصابته فجاة بحيث لم يتوقع وهم لا يشعرون هو توكيد قوله بغتة قال ابن عباس تفجاهم
الصيحة بالناس وهم في اسواقهم ومواضعهم كما قال تاخذهم وهم يخصمون على ما يانف قوله تعالى
هذه سبيلي ابتداء وخبر اي قل يا محمد هذه طريقي وسنتي ومنهاجي قاله ابن زيد وقال الربيع دعوتي
متاتل ديني والمعنى واحد اي الذي انا عليه وادعوا اليه يدعو الى الجنة على بصيرة اي على يقين
وعقد منه فلان مستبصر هذا ان توكيد ومن اتبعني عطف على المضمر وسبحان الله اي قل يا محمد
وسبحان الله وما انا من المشركين الذين يتخذون مع الله الها قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى يعني هذا رد على القايلين لولا انزل عليه ملك اي ارسلنا رجلا ليس
فيهم امراة ولا جني ولا ملك وهذا رد على القايلين ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في النسا
اربع نبيات حوا واسية ام موسى ومريم وقد تقدم شيء من هذا في العمران شيء من اهل القرى
يريد المدايين ولم يبعث الله نبيا من اهل البادية لغلبة الجفا والقسوة على البدو ولان اهل الامصار
اعقل واحلم واعلم بيعث الله نبيا من اهل البادية قط ولا من النسا ولا من الجن وقال قتادة من
اهل القرى اي من اهل الامصار لانهم اعلم واحلم وقال العلما من شرط الرسول ان يكون رجلا ادميا
حد نبيا واما قال احيانا بجوز ان قوله يعود في بعض الجن والله اعلم قوله تعالى ولدار الاخرة خير
وزعم الفرا ان الدار هي الاخرة واضيف الشيء الى نفسه لاختلاف اللفظ كقولهم الخميس وبارحة الاولى تريد
قال الشاعر ولو اقوت عليك ديار عبس عرفت الدار عرفان اليقين اي عرفانا ويقينا واصبح
الكسايي بقولهم صلاة الاولى واصبح الاخفش بسبح الجامع قال الخاسر اضافة الشيء الى نفسه كما لانه انما يضاف

هذا الحكم الكلام الرابعة قوله تعالى وجنات من اعناب قرا الحسن وجنات بكسر التا على تقدير وجعل فيها جنات فهو محمول على قوله جعل فيها رواسي ويجوز ان تكون مجرورة على الحمل على كل التقدير من كل الثمرات ومن جنات الباقون جنات بالرفع على تقدير ومنها جنات وزروع ونخيل صنوان وغير صنوان بالرفع ابن كثير وابو عمرو وحفص عطفا على اعناب اى وعلى تقدير وفى الارض زرع ونخيل وخفضها الباقون نسقا على الاعناب فيكون الزرع والنخيل من الجنات ويجوز ان يكون معطوفا على كل اعناب كما تقدم في جنات وقرا مجاهد والسلمى وغيرهما صنوان بضم الصاد الباقون بالكسر وهما لغتان وهما جمع صنو وهى النخلات اذا التفت اصولهن يجمعهن اصل واحد وتشعب منه رؤس منصبر تخيلا لنظرها فنوان واحدها فنو وروى ابو اسحق عن البراء قال الصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق النحاس وكذا هو في اللغة يقال للنخلة اذا كانت فيها نخلة اخرى بها وكثر صنوان والصنو المثل وسمع قول النبى صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه ولا فرق فيما بين التثنية والجمع والا بالاعراب فتعرب بالنون اجمع وتكسر النون التثنية قال الشاعر ه العلم والحلم خلتا كرم ه لا يمتري ذو النهى اذا امها اجتماعا صنوان لا يستتم حسنهما ه الا بجمع ذا وذاك معا ه الخامسة قوله تعالى تسقى بماء واحد كصالحى بنى ادم وخيلهم ابوهم واحد قاله البخارى وقرا عاصم وابن عامر يسقى بالياء اى يسقى ذلك كله وقرا الباقون بالتا لقوله جنات ولختاره ابو حاتم وابو عبيد قال ابو عبيد قال ابو عمرو والتانيث احسن لقوله ونفضل بعضها على بعض في الاكل ولم يقل بعضه وقرا حمزة والكسائى وغيرهما بالتا رادا على قوله يدبر ويفصل ويقضى الباقون بالنون على معنى وكذلك نفصل وروى جابر عن عبد الله قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لعلى رضى الله عنه الناس من شجر شتى وانا وانت من شجرة واحدة ثم قرا النبى صلى الله عليه وسلم وفي الارض قطع متجاورات حتى بلغ قوله يسقى بماء واحد والاكل الثمر قال ابن عباس يعنى الحلو والحامض والفارسى والدقل وروى مرفوعا من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مجمع قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الفارسى والدقل والحلو والحامض ذكره الثعلبى وقال الحسن المراد بهذه الاية المثل ضربه الله تعالى لبنى ادم اصلهم واحد وهم مختلفون في الخير والشر والايمان والكفر كاختلاف الثمار التى تسقى بماء واحد وسمع قول الشاعر ه الناس كالنبت والنبت الوان ه منها شجر الصندل والكافور والبان ه ومنها شجر تنضح طول الدهر قطران ه ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اى لعلامات لو كان لهم قلب لعلموا عز الله تعالى قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم ايذا ان تعجب يا محمد من تكذيبهم لك بعد ما كنت عندهم الصادق الامين فاعجب منه تكذيبهم بالبعث والله تعالى لا يتعجب ولا يجوز عليه التعجب لانه تغير النفس بما يجتنى اسبابه وانما ذكر ذلك لينتهى منه نبيه والمؤمنون وقيل المعنى ايذا ان تعجب يا محمد من انكارهم الاعادة مع اقرارهم بانى خالق السموات والارض والثمار المختلفة من الارض الواحدة فقولهم عجيب يعجب منه الخلق لان الاعادة في معنى الابتداء وقيل الاية في منكرى الصانع اى ان تعجب من انكارهم الصانع مع الادلة الواضحة بانه المغير لا بد له من مغير فهو محل التعجب ونظم الاية يدل على الاول والثانى لقوله ايذا كنا ترابا اى ايذا متنا واذا كنا ترابا ايبا لفى خلق جديد وقرب انا والاغلال جمع غل وهو طوق تشد به اليد الى العنق اى يقلدون يوم القيامة بدليل قوله اذ الاغلال في اعناقهم الى قوله ثم في النار يسجرون وقيل الاغلال اعمالهم السيئة التى هى لازمة لهم قوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة اى لفرط انكارهم ولتكذيبهم يطلبون العذاب قيل هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما قال قتادة طلبوا العقوبة قبل العافية وقد حكم سبحانه بتاخر العقوبة عن هذه الاية الى يوم القيامة وقيل ان الحسنة اى قبل الايمان الرب يرجى به الامان والحسنات والمثلات العقوبات الواحدة مثلة وروى عن الاعمش انه قرا المثلات بضم الميم والثا وهذا جمع مثلة روى عنه وكورا المثلات تبدل من الضمة فتحة لثقلها وقيل يا تى بالفتحة عوضا من الضما وروى عن الاعمش انه قرا المثلات بفتح الميم واسكان الثا فهذا جمع مثلة ثم حذف الضمة لثقلها ذكره جميعه النحاس رحمه الله وعلى قراءة الجماعة واحده مثلة كصدقة وصدقات وتجيء تضم الثا والميم جميعا واحدا على لغتهم مثلة بضم الميم وجزم الثا مثل غرفة وغرفات ولجمع الفعل منه ثلثت به امثل مثلا بفتح الميم وسكون الثا وان ربك لذو مغفرة اى لذو تجاوز عن المشركين اذا اسلموا وعن المذنبين اذا تابوا وقال ابن عباس راى انه ذكرنا بالله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب اذا اصروا على الكفر اذا اصروا على الكفر وروى هما بن مسلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله ورحمته وتجاوزه لما هنا احدا عيش ولا عقابه ووعيده وعذابه لاتكل كل احد قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا اى هلا انزل عليه اية من ربه لما اقترحوا الايات وطلبوها قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انما انت منذر اى معلم ولكل قوم

الملك يعني وهذا القرآن الذي انزل اليك من ربك هو الحق لا كما يقول المشركون انك تاتي به من تلقاء نفسك فاعتصم واعمل بما فيه قال قتادة نزلت حين قال المشركون ان محمدا ياتي بالقرآن من تلقاء نفسه والذي في موضع رفع عطفا على اياتنا وعلى الابتداء والحق خبره ويجوز ان يكون موضعه جرا على تقدير واياات الذي انزل اليك وارتفاع الحق على هذا على اضمار مبتدا تقديره ذلك الحق كقوله تعالى ومم يعلمون الحق يعني ذلك الحق قال الفراء وان شئت جعلت الذي خفضا نعتا للكتاب وان كانت فيه الفا كما ينقال انا نا هذا الكتاب عزابي حفص والفاروق ومنه قول الشاعر * الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم * يريد الى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة ولكن اكثر الناس لا يومنون قوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها الاية لما بين تعالى بان القرآن حق بين ان انزاله قادر على الكمال فانظروا في مصنوعاته لتعرفوا كمال قدرته وقد تقدم هذا المعنى وفي قوله بغير عمد ترونها قولان احدهما انه مرفوع عنه بغير عمد ترونها قاله قتادة وابو سليمان وغيرهما الثاني لها عمد ولكنا لا نراه قال ابن عباس لها عمد على قاف ويمكن ان يقال على هذا القول ان العمد قدرته التي يمسك بها السموات والارض وهي غير مرئية لنا ذكره الزجاج وقال ابن عباس ايضا هي توحيدا لمومن اعمدت السماء حين كادت تنفطر من كفر الكافر ذكره الفراء والعمد جمع عمود كقال الشاعر * وجبل الحق اذا ذنت لهم يثبون ترمربا الصفاح والعمد * ثم استوى على العرش تقدم الكلام فيه وسخر الشمس والقمر اي دللهما لمنافع خلقه ومصالح عباده وكل مخلوق مذلل للخالق كل يجري الى اجل مسمى الى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة اليرتدها تكور الشمس وتكشف الشمس وتكدر النجوم وتنتثر الكواكب وقال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلها التي ينتهيان اليها لا يجاوزانها وقيل معنى الاجل المسمى ان القمر يقطع فلكه في شهر والشمس في سنة يدبر الامر اي يصرفه على ما يريد يفصل الايات اي يبينها اي من قدر على هذه الاشياء يقدر على الاعادة ولهذا قال لعلكم بلقاء ربكم توقنون قوله تعالى وهو الذي مد الارض لما بين ايات السموات بين ايات الارض اي بسط الارض طولا وعرضا وجعل فيها رواسي اي جبالا واحدها راسية لان الارض ترسو بها اي تثبت والارساء التثبيت قال حميد * فصيرت عارفة لذلك حرة * ترسوا اذا نفس الجبان تطلع * وقال جميل * احما والذكارمي فواعده حما حتى اذا ظهرت اياته بطنا * وقال ابن عباس وعطاء اول جبل وضع على الارض ابو قبيس مسئلة في هذه الاية رد على من زعم ان الارض كالكرة ورد على من زعم ان الارض تهوي ابوابها على حيتان وزعم ابن الراوندي ان كل الارض حمراء صفراء كالزنج الصفارة وهي منحدرة فاعتدل الهواء والصفار لكثرة الجرم والقوة فنوا خفا وزعم الخروب ان الارض مركبة جسم احدهما منحدر والاخر مصعد فاعتدلا لذلك وقفت والذي عليه المسلمون واهل الكتاب القول بوقوف الارض وسكونها ومدها وان حركتها اما تكون في القيامة زلزلة تصيبها قوله تعالى والهارا اي ابانها جارية في الارض فيها منافع الخلق ومن كل الثمرات اي من جميع انواعها وجعل فيها زوجين اثنين بمعنى صنفين قال ابو عبيدة الزوج واحد ويكون اثنين الفرا يعني بالزوجين ها هنا الذكر والانثى وهذا اطلاق النص وقيل معنى زوجين نوعان كالحلو والحامض والرطب واليابس والابيض والاسود والصغير والكبير ان في ذلك لايات وعلامات لقوم يتفكرون قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات المقول يعقلون فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى وفي الارض قطع متجاورات في الكلام حذف المعنى وفي الارض قطع متجاورات وغير متجاورات كما قال وسرابيل تقيكم الحر والمعنى تقيكم البرد ثم حذف لعلم السامع والمتجاورات الدنو وما كان عامرا وغير متجاورات الصحارى وما كان غير عامر الثانية قوله تعالى متجاورات اي تري متجاورات منذ ابتدات نزالها واحدها وها واحد وفيها زرع وجنات ثم تتفاوت في الثمار والثمر فيكون البعض حلوا والبعض حامضا والغصن الواحد من الشجر قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والطعم وان انبسط الشمس والثمر على الجميع على نسق واحد وفي هذا ادل دليل على وحدانيته وعظم صمديته والارشاد لمن ضل عن معرفته فانه نبه سبحانه بقوله تسقى بماء واحد على ان ذلك كله لبس الا بمشيته وارادته وامره وتقديره وبتقديره وهذا ادل دليل على ابطال ان يقوله بالطبع اذ لو كان ذلك بالماء والتراب والفاعل له الطبيعة لما وقع الاختلاف وقيل وجه الاحتجاج انه اثبت التفاوت بين الثمار فمن نخلة عذبه ومن نخلة مسخة مع تجاورها وهذا ايضا من دلالات كمال قدرته جل وتعالى بما يقول الطاعنون على اكثر الامة هو ذهب الكثرة لعنهم الله الى ان كل حادث يحدث بنفسه لا من صانع وابطلوا ذلك في الثمار الخارجة من الاشجار وقد اقروا بحدثها وانكروا الاعراض وقالت فرقة بحدوث الثمار لا من صانع واثبتوا للاعراض فاعلا والدليل على ان الحادث لا بد له من محدث انه يحدث في وقت ما هو من جنسه في وقت اخر فلو كان حدوثه في وقته اختصاصا به لوجب ان يحدث في وقته كل ما هو من جنسه واذا بطل اختصاصه بوقته صح ان اختصاصه به لاجل مخصص خصه به لولا التخصيصية اياه به لم يكن حدوثه في وقته اولى من حدوثه قبل ذلك او بعده واستيفا

لها داي بني يدعوهم الي الله وقيل الهادي الله اي عبدك الانذار والله هادي كل قوم ان اراد هدايتهم
قوله تعالى الله يعلم ما تحمل كل انثى الى قوله المتعال فيه ثمانية مسايل الاولى قوله تحمل كل انثى اي من
ذكر وانثى صبيح وقبيح وصالح وطالح وقد تكلم في سورة الانعام ان الله سبحانه منفرد بعلم الغيب
وحده لا شريك له وذكرنا هناك حديث البخاري عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح
الغيب خمس الحديث وفيه لا يعلم ما تغيض الارحام الا الله واختلف العلماء في تاويل قوله وما تغيض
الارحام وما تزداد فقال قتادة المعنى ما تسقط قبل التسعة اشهر وما تزداد فوق التسعة اشهر
وكذلك قال ابن عباس وقال مجاهد اذا حاضت المراة في حملها كان ذلك نقصانا في ولدها فان
زاد في التسعة كان تماما لما نقص وعند الفيض ما تنقصه الارحام من الدم والزيادة ما تزداد منه
وقيل الغيض والزيادة يرجعان الى الولد كنقصان اصبع او غيرها وزيادة اصبع او غيرها وقيل
الغيض انقطاع دم الحيض وحايز اد بدم النفاس بعد الوضع الثانية في هذه الاية دليل على ان الحامل
تحيض وهو مذهب مالك والشافعي في احد قوليه وقال عطا والشعبي وغيرهما الحامل تحيض ولم قال
ابو حنيفة ودليله الاية قال ابن عباس في تاويلها انه حيض الحبالى ولذلك روى عن عكرمة ومجاهد وهو
قول عايشة وانها كانت تفتي لنفساء الحوامل اذا حضن ان يتركن الصلاة والصحابة اذ ذاك متوافرون
ولم ينكر منهم احد عليهما فصار كالاجماع قاله ابن القصار وذكر ان رجلين تنازعا وكنا فترافعا الى عمر
رضي الله عنه فرصه على القائف فالحقه القائف بهما فعلاه عمر بالدرة وسال سودة من قريش فقال
انظرن ما شان هذا الولد فقلت ان الاول خلا بها وحملها فحاضت على الحمل فظننت ان عنها انقضت
فدخل بها الثاني فانتقش الولد بالثاني فقال عمر الله اكبر والحقه بالاول ولم يقل ان الحامل لا تحيض ولا قال
ذلك احد من الصحابة فدل على انه اجماع والله اعلم احتج المخالف بان قال لو كان الحامل تحيض كان ما تراه من
الدم حيضا لما صح استبراء المستحيض وهو اجماع وروى عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي انه لا يبين حيض
الثالثة في هذه الاية دليل على ان الحامل قد تضع حملها لاقل من تسعة اشهر فاكثر واجمع العلماء على ان اقل
الحمل ستة اشهر وان عبد الملك بن مروان ولد لستة اشهر الرابعة وهذه الاية السنة الاشهر جي بالاهلة
كسايرا شهر الشرعية ولذلك قدر وي في المذهب عن بعض اصحاب مالك واظنه في كتاب ابن الحارث انه ان
نقص من الاشهر السنة ثلاثة ايام فان الولد يلحق لعدة نقص الشهر وزيادتها حكاه ابن عطية الخامسة
واختلف العلماء في اكثر الحمل فروى ابن جريج عن جميلة بنت سعد عن عايشة قالت لا يكون الحمل اكثر من
سنتين قدر ما يتحول ظل المغزل ذكره الدارقطني وقالت حمله بنت سعد اخت عبيد بن سعد وعن الليث
ابن سعد ان اكثره ثلاث سنين وعن الشافعي اربع سنين وروى عن مالك في العتبية والمشهور عنه
خمس سنين وروى عنه احد له ولو زاد على العشرة الاعوام وهي الرواية الثالثة عشر وعن الزهري ست
وسبع قال ابو عمر ومن الصحابة من يجعله الى سبع والشافعي مدة الغاية منها اربع سنين والكوفيون
يقولون سنتان لا غير ومحمد بن عبد الحكم يقول سنة لا اكثر وداود يقول تسعة اشهر لا يكون عنده
حمل اكثر منها قال ابو عمر وهذه مسيلة لا اصل لها الا الاجتهاد والرد الى ما عرف من امر النساء وباسباب المولين
روى الدارقطني عن الوليد بن مسلم قال قلت لمالك بن انس الحديث عن عايشة انها قالت لا يزيد المراة
في حملها على سنتين قدر ظل المغزل فقال سبحان الله من يقول هذا هذه جارتنا امراة محمد بن عجلان
امراة صدق وزوجها رجل صدق حملت ثلاثة ابطن في اثنتي عشرة سنة تحمل كل بطن اربع سنين وذكر عن
ابن المبارك عن مجاهد قال معشور عندنا كانت امراة محمد بن عجلان تحمل وتضع في اربع سنين وكانت تسمى
حاملة الفيل وروى ايضا قال بينما مالك بن دينار يوما جالس اذ جاءه رجل فقال يا ابا يحيى ادع لامراة حملت
منذ اربع سنين قد اصبحت في كرب شديد فغضب مالك والطبق المصحف ثم قال ما تريد هؤلاء القوم انا
انبياء ثم قرا عليهم دعائهم قال اللهم هذه المراة ان كان في بطنها ريح فاخرجه عنها الساعة وان كان في بطنها جارية
فابدلها غلاما فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب ثم رفع مالك يديه ورفع الناس ايديهم
وجاء الرسول الى الرجل فقال ادرك امراتك فذهب الرجل فما حط مالك يديه حتى طلع الرجل من باب المسجد
على رقبته غلام جعد قطط ابن اربع سنين قد اسنون اسنانه ما قطعت سرارة وروي ايضا ان رجلا جاء الى
عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين اني غبت عن امراتي سنتين فجئت وهي حبلى فشاور عمر الناس في رجمها
فقال له معاذ بن جبل يا امير المؤمنين ان كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل فاتركها حتى
تضع فتركها فوضعت غلاما قد خرجت ثنيتاه فنبتتا فرفع الرجل الشبه فقال اني ورب الكعبة الكعبة
فقال عمر عجزت النساء ان يلدن مثل معاذ لولا معاذ لهلك عمر وقال الضحاك وضعتني امي وقد حملت
بي في بطنها سنتين فولدتني وقد خرجت سني وذكر عن مالك انه حمل به في بطن امه سنتين وقيل ثلاث
سنين وقيل ان محمد بن عجلان حملت في بطن امه ثلاث سنين فما نتبه وهو يضطرب اضطرابا شديدا وهو
فسخ بطنها واخرج وقد نبتت اسنانه وقال حماد بن سلمة انما سمي هرم بن حيان هرما لانه بقي في بطن امه اربع سنين

وذكر المزني ان الضحاك ولد لسنتين وقد طلعت سنه فسمي ضحاكا عباد بن العوام ولغت حارثة لثلاث او لاربع سنين عللا ما سمعوه الى جنبه طير فقال كبش اسادسة قال ابن خواذ مند اقل الحمل والنفاس واكثره واقل الحمل واكثره ماخوذ من طريق الاجتهاد لا نعلم ذلك استأثر الله به فلا يجوز ان يحكم فيه منه الا بتوقيف لنا ووجدنا ظاهرا في النساء نادرا او معتادا ولما وجدنا امرأة قد حملت اربع سنين وخمس سنين وخمس سنين حكمنا بذلك والنفاس والحيض لما لم نجد فيه امرا مستقرا رجعنا فيه الى ما وجدنا نادرا من النساء قال ابن الرومي نقلت بعض الشاهدين عن المالكيين هذين عن المالكيين ان اكثر الحمل تسعة اشهر وهذا مما لم ينطق به قط الا هالكي وهم الطبا بعون الذين يزعمون ان مدبر الحمل في الرحم الكواكب السبعة فاخذه شهرا شهرا ويكون الشهر الرابع منها الشعري لذلك يتحرك ويضطرب واذا تكامل الولد ولج السبعة الاشهر من الكواكب السبعة عاد في الشهر الثامن الى زحل فيليه ببرده فيا بين ذلك تمكث مزعاظ تهم او مقابلتهم ما بالمرجع بعد تمام الدور الى زحل دون غيره الله اخبركم بهذا ام على الله تفترون واذا جاز ان يعود الى شيء منها لم يجز ان يعود التدبير الى ثلاثة او اربع او يعود الى جميعها مرتين او ثلاثا ما هذا التحكيم بالظن الباطلة على الامور الباطنة الثامنة قوله تعالى وكل شيء عنده بمقدار يعني من النقصان والزيادة ويقال بمقدار قدر خروج الولد من بطن امه وتقدير مكثه في بطنها الى خروجه وقال قتادة هي الرزق والاجل والمقادير المقدور وعموم الآية يتناول كل ذلك والله اعلم التاسعة هذه الآية تمدح الله سبحانه بها بانه عالم الغيب والشهادة اي هو عالم بما غاب عن الخلق وبما شهدوه فالغيب مصدر بمعنى الغائب والشهادة مصدر بمعنى الشاهد فنبه سبحانه على انفراده بعلم الغيب والاحاطة بالباطن الذي يخفى على الخلق فلا يجوز ان يشاركه في ذلك احد فاما اهل الطبا الذين يستدلون بالامارات والعلامات فان قطعوا بذلك فهو كفر وان قالوا هو امارة تجربة تركوا وما هم عليه ولم يقدح ذلك في الممدوح فان العادة يجوز انكسارها والعلم لا يجوز تبدله والكسر الذي كل شيء دونه المنعا لما يتناول المشركون المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره وقد ذكرنا معنى ذلك في شرح الاسماء مستوفى والحمد لله قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اسرار القول ما حدث به المرء نفسه والجهر والجهر ما حدثت به غيره والمراد بذلك ان الله سبحانه يعلم ما اسره الانسان من خير وشر كما يعلم ما جهر به من خير وشر ومنكم يحتمل ان يكون وصفا لسواء التقدير سر من اسر وجهر من جهر سواء منكم ويجوز ان يتعلق بسواء على معنى يستوي منكم كقولك مررت بزيد وبكر ان يكون على تقدير سر من اسر منكم وجهر من جهر منكم ويجوز ان يكون التقدير وا سواء سواء منكم من اسر القول ومن جهر به كما تقول عدل زيد وعمرو اي ذو او عدل وقيل سواء اي مستو فلا يحتاج الى تقدير حذف مضاف ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار يستوي في علم الله السر والجهر والظاهر في الطرقات والمستخفي في الظلمات وقال الاخفش وقطرب المستخفي بالليل الظاهر ومنه خفيت الشيء وما خفيته اي اظهرته واخفيت الشيء اي استخرجته ومنه قيل للباشر المختفي وقال امرؤ القيس خفاهن من انفاقهن كانما خفاهن ودق من عشي مجلب والساري المنواري اي الداخل سربا ومنه قولهم اسرب الوحش اذا دخل كناسه وقال ابن عباس مستخف مستتر وساب ظاهر مجاهد مستخف بالمعاصي وساب ظاهر وقيل بمعنى ساب ظاهر قال الكسائي سرب يسرب سربا وسروبا اذا ذهب قال الشاعر هل الاسرة غادروا فيد فخامهم ونحن خلفتنا فيده فهو ساب اي ذاهب وقال ابو رجا الساب الراعب على وجهه في الارض قال الشاعر اني سربت وكنت غير سروب وقال القتبي ساب بالنهار اي متصرف في حوائجه بسرعة من قولهم اسرب الماء وقال الاصمعي خل سربها اي طريقها قوله تعالى له معقبات اي ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل اعقبتها ملائكة النهار وقال معقبات والملائكة ذكران لانه جمع معقبة فقال ملك معقب ثم معقبات جمع الجمع وقرا بعضهم له معاقيب من بين يديه ومن خلفه ومعاقيب جمع معقب وقيل للملائكة معقبة على لفظ الملائكة وقيل انث لكثرة ذلك منهم كعلامة ونسابة وراوية قال الجوهري وغيره والتعقيب العود بعد البدء قال الله تعالى ولم يعقب اي لم يرجع وفي الحديث معقبات لا يخبن قائلهن اي فاعلهن فذكر التسبيح والتحميد والتكبير قال ابو الهيثم سميت معقبات لانها عادت مرة بعد مرة فعل من عمل عملا ثم عاد اليه فقد عقب والمعقبات من الابل اللواتي ينفرن عند انحياز الابل المعتركات على الحوض فاذا انصرفت ناقة دخلت مكانها اخرى وقوله من بين يديه المستخفي بالليل والساب بالنهار يحفظونه من امر الله اختلف في هذا الحفظ فقيل يحتمل ان يكون وكل الملائكة بهم يحفظهم من الوحوش والهوام والاشياء المضرة لطفا منه بهم فاذا جاء القدر خلوا بينهم وبينه قاله ابن عباس وعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه وقال مجاهد جاء رجل من مراد الى علي فقال احترس فان ناسا من مراد يريدون قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه ما لم ينفر فاذا جاء القدر خليا بينه وبين قدر الله وان الاجل حصن حصين وعلى هذا يحفظونه من امر الله اي بامر الله وباذنه فمن بمعنى الباء وحروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض وقيل من بمعنى عن اي يحفظونه عن امر الله وهذا قريب من الاول اي يحفظهم

عن امر الله لانه عند القسم وهذا قول الحسن تقول كسوته عن عرى وعن عرى ومنه قوله عز وجل اطعمهم من جوع
وقيل يحفظونه من ملائكة العذاب حتى لا يحل به عقوبة لان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا
ما بانفسهم بالاصرار على الكفر واذا ام واحان الاجل المضروب نزلت بهم النقمة عنهم الحفظة المعقبات
وقيل يحفظونه من الجن قال كعب لولا ان الله وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعورا تكم
لتخطفتكم غاذا الجن وملائكة العذاب من امر الله وخصهم بان قال من امر الله لانهم غير معاينين كما قال
قل الروح من امر ربي اي ليس مما تشاهدونه انتم وقال المبرد في الكلام تقديم وتاخير تقديره له
معقبات من امر الله من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وهو مروي عن مجاهد وابن جريج والنخعي
وعلى ان ملائكة العذاب والجن من امر الله لا تقديم فيه ولا تاخير وقال ابن جريج ان المعنى يحفظونه
عليه عمله فحذف المضاف وقادة تكتبون اقواله واعماله ويجوز اذا كانت المعقبات الملائكة
ان يكون الهاء له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني به النبي صلى الله عليه وسلم اي ان الملائكة تحفظه
من اعدائه وقد جرى ذكر الرسول في قوله لولا انزل عليه اية من ربه انما انت منذر اي رسول منكم من امر القول ومن
جهر به فانه لا يضر النبي صلى الله عليه وسلم بل له معقبات يحفظونه عليه السلام ويجوز ان يرجع هذا
الى جميع الرسل لانه تقدم ذكرهم وكل قوم هاد اي يحفظون المحاربين من بين يديه ومن خلفه وقول رابع
ان المراد بالاية السلاطين والامراء الذين بهم قوم من بين ايديهم ومن خلفهم يحفظونهم فاذا جاء
امر الله لم يغنوا عنهم من الله شيئا قاله ابن عباس وعكرمة وكذلك قال الضحاك هو السلطان المتحرس
من امر الله المشرك وقد قيل ان في الكلام على هذا التاويل نفي محذوف تقديره لا يحفظونه من امر الله
تعالى ذكره الماوردي قال المهدوي ومن جعل المعقبات الحرس فالمعنى يحفظونه من الله على ظنهم وزعمهم
وقيل سواء من اسر القول ومن جهر به فله حراس واعوان ينعاقبون عليه يحملونه على المعاصي ويحفظونه
من ان يقع فيه وعظ قال القشيري وهذا لا يمنع الرب من الاهمال الا ان تحق العذاب وهو اذا غير
هذا العاصي ما بنفسه بطول الاصرار فيصير ذلك سببا للعقوبة فكانه الذي جعل العقوبة بنفسه
كقوله يحفظونه من امر الله اي من اشتغال امر الله وقال عبد الرحمن بن زيد المعقبات ما يتعاقب من
امر الله تعالى وقضائه في عباده قال الماوردي ومن قال بهذا القول فعلى تاويل قوله يحفظونه من امر الله
وهما ان احدهما يحفظونه من الموت ما لم يات اجله قاله الضحاك الثاني يحفظونه من الجن والهوام المؤذي
ما لم يات قدره قاله ابو امامة وكعب الاحبار اذا جاء المقدور خلوا عنه والصحيح ان المعقبات الملائكة
وبه قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن جريج وروي عن ابن عباس واختاره النحاس واحتج بقول النبي
صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار الحديث رواه الائمة وروي الائمة
عن عمر وعن ابن عباس قترا معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه يحفظونه فهذا تبيين المعنى وقال
كنانة العدوي دخل عثمان على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن العبد كم معه
من ملك فقال ملك على يمينك وهو يكتب الحسنات واخر عن الشمال يكتب السيات والذي على اليمين امين على
الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين
اكتب قال لا لعله يستغفر الله او يتوب فاذا قال ثلاثا قال نعم اكتب اراحنا الله منه فبئس القرين
هو ما اقل مراقبته لله عز وجل واقل حياءه منا يقول الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر
الله وملكان على شفتيك فلا يزالان يحفظان عليك الا الصلاة على محمد وآله وملك قايم على فيك
لا يدع ان تدخل الحية في فيك وملكان على عينيك فهؤلاء عشرة املاك على كل ادمي يتداولون ملائكة الليل
على ملائكة النهار وملائكة النهار على ملائكة الليل ليسوا على ملائكة النهار فهؤلاء عشرون ملكا على كل ادمي وابليس مع ابن ادم
بالنهار وولده بالليل ذكره الثعلبي وقال الحسن المعقبات اربعة املاك يجيئون عند صلاة الفجر
واختيار الطبري ان المعقبات الكواكب بين ايدي الامراء وخلفهم والحفاظ له على ما تقدم وقال العلماء
رضوان الله عليهم ان الله سبحانه جعل امره على وجهين احدهما قضى حتمه وقدره وقوعه بصاحبه
فذلك لا يدفعه احد ولا يغيره والاخر قضى مجيئه ولم يقض طوله ووقوعه بل قضى صرفه بالتوبة والدعاء
والصدقة والحفظ فقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اخبر الله تعالى في هذه
الاية انه لا يغير ما بقوم حتى يقع منهم تغييرا ما منهم واما في الناظر لهم او من هو منهم بسبيل كما عم الله
بالمنكر من يوم احد بسبب تغيير الرماة ما بانفسهم الى غير هذا من امثلة الشريعة فليس معنى الاية
ان ينزل باحد عقوبة الا بان يتقدم منه ذنب بل قد ينزل المصاب بذنوب الغير كما قال صلى الله عليه
وسلم وقد سيل اهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث والله اعلم فقوله تعالى واذا اراد الله
بقوم سوءا اي هلاكا وعذابا فلا مرد له وقبل اذا اراد بهم بلاء فامر اخر واستقام للامر فلا يعود قبل اراد
الله بقوم سوءا اعمى حتى يجتازوا ماضيا لبلاد يعلموه فيمضون الى هلاكهم باقدامهم حتى يبحث امرهم

عن حنكه بكفه ويسمي بقدمه الحارة ثم دعه وما لصق من دونه من زوال اي ملجأ وهو معنى قول السدي وقيل
من ناصر عنهم من عذابه قال الشاعر ما في السما سوى الرحمن من احد * واحد وواحد كف وقدير *
قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال اي بالمطر والسحاب جمع ○
والواحدة سحابة وسحبة وسحاب في الجمع ايضا ويسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته ويرسل
الصواعق قد مضى في البقرة القول في الرعد والبرق والصواعق فلا معنى للاعادة والمراد الاية
بيان كمال قدرته وان تاخير العقوبة ليس عن عجز اي يريكم البرق خوفا للمسافر فانه يخاف اذاه لما
يناله من المطر والهزل والصواعق قال الله اذى من مطر وطمعا للحاضر اي يكون عقبه مطر وخصب
قال معناه قتادة ومجاهد وغيرهما وقال الحسن خرج مخرج ضرب الرعد طمعا في غيثه المزيل للقحط
وسمى السحاب الثقال قال مجاهد اي بالماء ويسبح الرعد بحمده من قال ان الرعد صوت السحاب
فيجوز ان يسبح الرعد بدليل خلق الحياة فيه ودليل صحة هذا القول قوله والملايكة من خيفته
فلو كان الرعد ملكا لدخل في جملة الملايكة وغير قال ان ملكا قال لمعنى من خيفته من خيفة الله قاله
الطبري وغيره قال ابن عباس ان الملايكة خايفون من الله ليسوا كخوف ابن ادم لا يعرف واحد منهم من على
يمينه ومن على يساره لا يشغلهم عن عبادة الله طعام ولا شراب وعنه قال الرعد ملك يسوق السحاب
وان بكاء الماء في قترة ابهامه وانه موكل بالسحاب يصرفه حيث يومر وانه يسبح الله فاذا سبح الرعد لم
يبق ملك في السما الا رفع صوته بالتسبيح فعندها ينزل المطر وعنه ايضا كان اذا سمع صوت الرعد قال
سبحان الذي سبحت له وروى عن مالك عن عامر بن عبد الله عن ابيه انه كان اذا سمع صوت الرعد
قال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته ثم يقول ان هذا لوعيد لاهل الارض شديد
وقيل انه ملك جالس على كرسي بين السما والارض وعن يمينه سبعون الف ملك وعن يساره مثل ذلك
فاذا اقبل على يمينه وسبح سبح الجميع من خوف الله واذا اقبل على يساره وسبح سبح الجميع من خوف الله
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ذكره الماوردي عن ابن عباس وعن علي عن ابي طالب ومجاهد
نزلت في يهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني من اي شي ربك امن لولو ام من ياقوت فجاءت
صاعقة فاحرقته وقيل نزلت في بعض كفار العرب قال الحسن كان رجل من طواغيت العرب بعث النبي
صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه الى الله ورسوله والاسلام فقال لهم اخبروني عن رب محمد ما هو ومم
هو ام من فضة ام من حديد فرجعوا من عنده فاستقبلتهم العرب فقالت اجيب محمدا الى ربه لا يزيده فبعث
النبي صلى الله عليه وسلم اليه مرارا وهو يقول مثل هذا فينا النفر ينادونه اذ ارتفعت سحابة
فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وابرقت ورمت بصاعقة فاحرقت اكثرهم وهم جلوس فرجعوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فاستقبلهم ببعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا احرق صاحبكم فانزل من
ابن علمتم قالوا اوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم وانزل الصواعق فيصيب بها من يشاء ذكره الثعلبي
عن الحسن والقشيري بمعناه عن انس وسيابي وقيل نزلت الاية في زيد بن ربيعة اخي لبيد بن ربيعة وفي
عامر بن الطفيل قال ابن عباس اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخو لبيد من بني ابيهما حتى دخلا
عليه وهو في المسجد جالس في نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان احمر
اعور وكان من اجمل الناس فقال رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا يا رسول الله عامر بن الطفيل
قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد ما لي ان اسلمت فقال
لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال اتجعل لي الامر من بعدك قال ليس ذاك الي انما ذلك الى
الله يجعله حيث شاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة
الخيل تغزو عليها في سبيل الله قال او ليست لي اعنة الخيل اليوم ثم مضى اكلمك فقام معه رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان عامرا وما الى اربد اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يجاصم
النبي صلى الله عليه وسلم ويراجعه فاخترط مربد من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وبيت
يده على سيفه وارسل الله عليه صاعقة فقتله يومهم صابين صاح فاحترقتم ودعا عامر لقارباوقال يا محمد ادع
ربك على اربد حتى قتله والله لاملانها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال عليه السلام يمنعك الله من
ذلك وابا قتيلة يعني الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلولية واصبح وهو يقول والله لئن
اصحو لك محمد واصحابه ما حبه يعني من يريد هلاك الموت لا نفذنها برمحي فارسل الله ملكا فلطم بخياشيم
فادراه في التراب وخرجت على ركبته غدة عظيمة في الوقت حمراء مثل بيت السلولية وهو يقول غدة
كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم ركب على فرسه فمات على ظهره ورثا لبيد بن ربيعة اخاه اربد
فقال * عيني هلا بكيت اربد اذ * مستوقام الخصوم في كبده اخشى على اربد الحتوف ولا * ارهب الرماك
والاسد * فجعني الرعد والصواعق * بالفارس يوم الكريهة والنجد * وفيه قاله ان المروية لا رزية له
مثلها * فقدان اخ كضوء الكوكب * يا اربد الخير الكريم جدوده * افردتني امشي نفرن اعصب * واتم

واسلم ليبد بورذلك رضي الله عنه مسالة روى ابان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
لا تاخذ الصاعقة ذاكر الله عز وجل وقال ابو هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمع صوت الرعد
يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته وهو على كل شئ قدير وان اصابتم صاعقة فعلى
دينه وذكر الخطيب في حديث سليمان بن علي عن عبد الله بن عباس عن ابيه عن جده قال كنا مع عمر في سفر
فاصابنا رعد وبرد فقال لنا كعب من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملايكة من
خيفته ثلثا عوفي مما يكون في ذلك الرعد فقلنا فعوفينا ثم لقيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاذا
برنة قد اصابت النعم فاثرت به فقلت يا امير المؤمنين ما هذا قال البردة لصاحب التي فقلت ان
كعبا حين سمع الرعد قال لنا من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته
ثلثا عوفي مما يكون في ذلك الرعد فقلنا فعوفينا فقال عمر انا لا قلم لنا حتى نتوضا ونرتقدم هذا
المعنى في البقرة قوله تعالى وهم يجادلون في الله يعني جدالهم حين سالوا عن الله تعالى من اي شي
هو قاله مجاهد وقال ابن جريج جدالهم به حين قتل النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون وهم
يجادلون في الله حالا ويجوز ان يكون منقطعا وروى ان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى
عظيم من المشركين يدعوه الى الله عز وجل فقال لرسوله اخبرني عن الهك هذا اهو من فضة ام من ذهب
ام من نحاس فاستفظع ذلك فرجع اليه فاعلمه فقال ارجع اليه فادعه فرجع اليه وقد اصابته صاعقة
وعاد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نزل وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال قال ابن الاعرابي
المحال المكر والمكر من الله عز وجل التدبير بالحق المحاس المكر من الله ابصال المكروه الى من يستحقه من
حيث لا يشعر وروى ابن البزيدي عن ابي زيد وهو شديد المحال اي النقمة وقال الازهري المحال اي
القوة والشدة والمحل الشدة الميم اصلية وماحلت فلانا محالا اي قاومته ايا اشد وقال ابو عبيدة
المحال العقوبة والمكروه وقال ابن عرفة المحال الجدال يقال ماحل عن امره اي جادل وقال الفتبي اي
شديد الكيد واصله من الحيلة حبل بيمه كيم المكان واصله من الكون ثم يقال تمكن وقال الازهري
غلط ابن كيسة ان الميم فيه زايدة بل هي اصلية واذا رايت الحرف على مثال فعال اذا ولد ميم مكسورة فهي اصلية
مثل مهاد وملاك ومراس وغير ذلك من الحروف ومفعل اذا كان من ذوات الثلاثة فانه يجيء باظهار الواو مثل
مراد ومحول ومحور وغير ما من الحروف وقال غيره وقرا الاعرج وهو شديد المحال بفتح الميم وجاء تفسيره
على هذه القراءة عن ابن عباس انه الحول ذكر هذا الكلام ابو عبيدة لم نروه الا ما ذكرناه او لا عن ابن الاعرابي ص
واقاويل الصحابة والتابعين بمعناها وهي متباينة الا لفظها شديد العداوة قاله ابن عباس وتاويلها شديد
الحول قاله ابن عباس ايضا وتاويلها شديد الاخذ قاله علي بن ابي طالب ورابعها شديد الكيد قاله ابن عباس
وخامسها شديد القوة قاله مجاهد وسادسها شديد الغضب قاله وهب بن منبه وسابعها شديد
الهلاك بالمحل وهو القحط قاله الحسن ايضا وثامنها شديد الحيلة قاله قتادة وقال ابو عبيدة هو
مع المحال والمحاولة المماكرة والمغالبة وانشد للاعشى * نزع بقرح يمتري في غصن المجد كثيرا الذي يعظم
المحال * وقال عبد المطلب * عزيز الدرك شديدا المحاله * وقال اخره ولبيد بين اقوام ذكل اعدله *
استقاربوا المحال * لهم ان العبده بمنع رحله فامنع حلالك * لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك *
قوله تعالى له دعوة الحق اي لله دعوة الصدق قال ابن عباس وقتادة وغيرهما الا له الا الله وقال الحسن
ان الله هو الحق فدعاوه دعوة الحق وقيل ان الاخلاص في الدعا هو دعوة الحق قاله بعض المتاخرين وقيل
دعوة الحق دعاوه عند الخوف فانه لا يدعا غيره الا اياه كما قال ضل من تدعون الا اياه قال الماوردي وهو
اشبه بسياق الاية لانه قال والذين تدعون من دونه يعني الاصنام والاوثان لا يستجيبون لهم بشي الا كباسط
كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغ فاه وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي لا يجيبون
لهم دعاءهم الا الاكباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغ فاه ضرب الله عز وجل الماء مثلا لاصنامهم من
الاجابة لدعايهم لان العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلا بالقابض الماء بيده قال * فاصبحت مما كان
بيني وبينها من الود مثل القابض الماء باليده * وفي معنى هذا المثل ثلاثة اوجه احدها ان الذي يدعوا الهتا
من دون الله كالظمان الذي يدعوا الماء الى فيه بلسانه ويشير اليه بيده فلا يناله ابدا كذلك الكافر لا يستجيب
وما الماء ببالغ اليه قال مجاهد الثاني انه كالظمان الذي يرى بسراب حسبه ماء فيمد يده الى جانبه في الماء وقد بسط كفه
فيه ليبلغ فاه وما هو ببالغه لكذب ظنه وفساد توهمه قاله ابن عيسى الثالث انه كباسط كفيه الى الماء ليقبض
عليه فلا يجعل في كفه شيا منه وزعم الفراء ان المراد بالماء هنا البير لانها معدن للماء وان المثل لمن يدعو
الى البير ليغير ركاوشاهد قول الشاعر فان الماء الي وجدي وبيرك ذو حفرت وذو طويت * قال
علي رضي الله عنه هو كالعطشان على شفة البير طالبا ليبلغ فوا البير ولا الماء ينفع اليه ومعنى الا كباسط
الا كاستجابة باسط كفيه الى الماء فالمصدر مضاف الى الباسط ثم حذف المضاف وفاعل المصدر مراد في
المعنى وهو الماء والمعنى الا كاجابة باسط كفيه الى الماء واللام في قوله ليبلغ فاه متعلقة بالبسط
وما هو ببالغه كناية عن الماء اي وما الماء ببالغ فاه ويجوز ان يكون هو كناية عن الفم اي ما الفم ببالغ الماء وما

دعا الكافرون الا في ضلال اي ليست عبادة الكافرين الا في ضلال لانها مترك وقيل الا في ضلال اي يضل عنهم ذلك
الدعا فلا يجدون منه سبيلا كما قال ايما كنتم تزعمون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقال ابن عباس اي اصوات
الكافرين محجوبة عن الله فلا يسمع دعاهم قوله تعالى وله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قال
الحسن وقتادة وغيرهما المؤمن يسجد طوعا والكافر يسجد كرها بالسيف وعن قتادة ايضا يسجد الكافر
كارها حين لا ينفعه ايمانه وقال الزجاج سجودا لكافر كرها ما يلزمه من الخضوع واثر الصغار وقال ابن زيد
طوعا من دخل في الاسلام رغبة وكرها من دخل فيه رهبة بالسيف وقيل طوعا من طالت مدة اسلامه فالف
السجود وكرها من يكره نفسه لله تعالى فالاية للمؤمنين وعلى هذا يكون معنى والارض وبعض
من في الارض قال التشريق وفي الاية مسلكان احدهما انها عامة والمراد بها التخصيص فالمؤمن يسجد طوعا
وبعض الكفار ليسجدون تاكرا لها وخوفا كالمنافقين فالاية محمولة على هذا ذكره الزاد وقيل على هذا القول
الاية في المؤمنين منهم من يسجد طوعا لا يثقل عليه السجود ومنهم من يثقل عليه لان التزام التكليف مشقة
ولكنهم يتحملون المشقة اخلاصا وايمانا الى ان يالفوا الحق ويسيروا عليه والمسلك الثاني وهو الصحيح
اجرا الاية على التعميم وعلى هذا طريقان احدهما ان المؤمن يسجد طوعا واما الكافر فمامور بالسجود لو
يواخذ به والثاني وهو الحق ان المؤمن يسجد بيده طوعا وكل مخلوق من المؤمن والكافر يسجد من حيث
انه مخلوق يسجد دلالة وحاجة الى الصانع وهذا كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده وهو تسبيح دلالة لا تسبيح
عبادة وظلالهم بالغدو والاصال اي ظلال الخلق ساجدة لله تعالى بالغدو والاصال انما تتبين
في هذين الوقتين وتميل من ناحية الى ناحية وذلك تصريف الله اياها على ما يشاء وهو كقوله تعالى ولم
يروا الى ما خلق الله من شيء تتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون قاله ابن عباس وهو
وغيره وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طايع وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وقال ابن الانباري
يجعل للظلال عقول تسجد بها وكشع بها كما جعل للحيطان افهام حتى خاطبت وذلك قال التشريق
من هذا نظر ان الجبل عن فيمكن ان يكون له عقل لشرط تقدير الحياة واما الظلال فانها اعراض لا يتصور
تقدير الحياة فيها والسجود بمعنى الميل فسجود الظلال ميلها من جانب الى جانب يقال سجدت النخلة اذا مالت والاصال جمع اصل والاصل جمع اصيل وهو ما بين العصر الى الغروب ثم اصايل جمع الجمع قال ابو ذئيب
لعمري وانت البيت اكرم اهله ... وانعد في اقنايه بالاصايل
وظلالهم يجوز ان يكون معطوفا على من ويجوز ان يكون معطوفا على من ويجوز ان يكون ارتفع بالابتدا والخبر محذوف التقدير وظلالهم سجد
بالغدو والاصال والغدو يجوز ان يكون مصدرا ويجوز ان يكون جمع غداة فتوجب كونه جمعا فقابل الجمع
الذي هو الاصال بمثله قوله تعالى قل من رب السموات والارض امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول
للمشركين قل من رب السموات والارض ثم امره ان يقول لهم هو الله الزاما للحجة ان لم يقولوا لكنهم جحدوا
من هو قل افاتخذتم من دونه اولياء هذا يدل على اعترافهم بان الله هو الخالق لم يكن للاحتجاج بقوله
قل افاتخذتم من دونه اولياء معنى وليلة قوله وليزيدانهم من خلق السموات والارض ليقولن الله اي فاذا
اعترفتم فلم تعبدون غيره وذلك ان الغير لا ينفع ولا يضر وهو الزام صحيح ثم ضرب لهم مثلا فقال هل يستوي
الاعمى والبصير فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق والمشرك الذي لا يبصر الحق وقيل الاعمى مثل لما
عبدوه من دون الله والبصير مثل الله تعالى ام هل تستوي الظلمات والنور اي الشرك والايمان وقرا ابن
كثير وابو بكر والاعمش وحمزة والكسائي بالياء لتقدم الفعل وان تانيث الظلمات ليس بحقيقي
والباقون بالتاء واختاره ابو عبيد قال لانه لم يحل بين المؤنث والفعل طايل والظلمات والنور مثل الايمان والكفر
وكرر ان تنبيها على كيفية ذلك ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم فلا يدرون خلق الله مثل
خلقها فتشابه عليهم قل الله خالق كل شيء قل لهم يا محمد الله خالق كل شيء فلزم كذلك ان يعبده كل شيء والاية رد على
المشركين والثنوية الذين زعموا انهم خلقوا كما خلق الله وهو الواحد قبل كل شيء القهار الغالب لكل شيء الذي
يغلب في مراده كما يريد قال التشريق ابو نصر وابيعدان تكون الاية وارتة فيمن لا يعترف بالصانع اكب
سلبهم عن خالق السموات والارض فانه بسهل تقرير الحجة فيه عليهم وتقرب الامر الضرورة فان عجز الجماد
وعجز كل مخلوق عن خلق السموات والارض معلوم واذا تقرر هذا وبان الصانع هو الله تعالى يجوز اعتراد
الشريك له وبين في اثنا الكلام ان لو كان للعالم صانعان لاشتبه الخلق ولم يتميز فعل هذا عن فعل ذلك
فبهم يعلم ان الفعل يميز اثنين قوله تعالى انزل من السما ما فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا
مثل لما انزل من السما من القرآن بالماء الذي ينزل من السما فاحتمل كل قلب بقدر يقينه وشكه
كما احتملت الاودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا مثلا للحق والباطل فشبه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء فانه يضمحل ويعلو كخبث الاودية وتدفعه
الرياح كذلك يذهب الكفر ويضمحل على ما بينه قال مجاهد فسالت اودية بقدرها قال بقدر صغرها وقال ابن
جريج بقدر صغرها وكبرها وقرا الاشمغ العقيلي والحسن بقدرها بسكون الدال والمعنى واحد وقيل معناه
ما تقدر لها والاودية وسمي واديا لخروجه وسيلانه قال الواحدي على هذا اسم للماء السايل وقال ابو علي فسالت
اودية تسوح اي سالماوها فحذف قال ومعنى بقدرها بقدر مياهها فان الاودية ما سالت بقدر انفسها

فاحتمل السيل زبدا رابيا اي طافيا عاليا مرتفعا فوق الماء ثم اكمل الكلام فقال مجاهد ثم قال ومما توقدون عليه
في النار وهو المثل الثاني ابتغاء حلية الذهب والفضة او متاع زبد مثله قال مجاهد بالحديد والنحاس والرصاص
وقوله زبد مثله اي يعلو هذه الاشياء زبد كما يعلو السيل وانما احتمل السيل الزبد لان الماء خالط تراب
الارض فصار ذلك زبدا كذلك ما توقدون عليه في النار من الجوهر ومن الذهب والفضة انما يتبين من الارض في
المعادن فقد خالط الطين التراب فانما يوقدون عليه ليذوب فيزايله تراب الارض وقوله فاما الزبد فيذهب
جفاء قال مجاهد جمودا وقال ابو عبيدة قال ابو عمرو بن العلا اجفأت القدر اذا غلت حتى ينضب زبدها
واذا جمد في اسفلها والجفاء ما اجفاه الوادي اي رمى به وحكى ابو عبيدة ان سمع رويته يقول اجفلت القدر اذا نزعت بزبدها واجفلت الريح السحاب اذا قطعته واما ما ينفع الناس فيمكث
في الارض قال مجاهد هو الماء الخالص الصافي وقيل الماء ما خلص من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص وهو ان المثلان ضربهما الله للحق في ثباته والباطل في اضمحلاله فالباطل وان علا في بعض الاحوال
فانه يضمحل كما يضمحل الزبد والخبث وقيل المراد مثل ضربها الله للقرآن وما يدخل منه القلوب فشبه القرآن
بالمطر لعموم خيره ونفاذ نفعه وشبه القلوب بالاودية يدخل فيها من القرآن مثل ما يدخل في الاودية بحسب
سعتها وضيقها قال ابن عباس انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها قال الاودية قلوب العباد قال
صاحب عروس القرآن صح هذا التفسير بالمعنى فبين الله سبحانه مثل القرآن بالماء ومثل القلوب بالاودية
ومثل المحكم بالصافي ومثل المتشابه بالزبد وقيل الزبد مخابيل القشر وغوابيل الشك تترفع من جيب ما فيها
تضطرب بمن ملطان تلفها كما ان ماء السيل يجري صافيا فيرفع ما يجده في الوادي نافيا واما حلية الذهب والفضة
فمثل الاخوال السنية والاخلاق الزكية التي بها حياة الرجال وقيام صالح الاعمال كما ان من الذهب والفضة
زينة النساء وبها قيمة الاشياء وقرأ حميد وابن محيصن ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي وحفص يوقدون بالياء
واختاره ابو عبيد لقوله يمثل الناس فاخبر عنهم بالغيبة مخاطبة لها هنا لما قرن بالتاء لقوله في اول الكلام
تلافا تخذتم من دونه اولياء الآية وقوله في النار متعلق بمحذوف وهو في موضع الحال والعامل فيها الذي
هي عليها لتقدير ومما توقدون عليه كائنا في النار او كائنا وفي قوله في النار ضمير مرفوع يعود الى الهاء التي
اسم ذي الحال فما يستقيم ان يتعلق في النار بيوقدون ثم جيء بما لا يستقيم وقدرت عليه في النار لان الموقد
عليه يكون في النار فيصير قوله في النار غير مفيد وقوله ابتغاء حلية مفعول له زبد مثله ابتداء وخبر اي زبد مثل
زبد السيل وقيل الخبر زبد قوله في النار الكسائي زبد ابتداء وخبره زبد مثل زبد السيل قيل ان خبر
زبد قوله في النار الكسائي زبدا ابتداء ومثله نعت له والخبر في الجملة التي قبله وهو مما توقدون كذلك يضرب
الله الامثال اي كما بين لكم هذه الامثال فكذلك يضرب لها امثالها ثم تم الكلام ثم قال للذين استجابوا لربهم اي اجابوا
استجاب بمعنى اجاب قال فلم يستجبه عند ذاك مجيب وقد تقدم ايجاب اي اجاب اي ما ادعاه الله من التوحيد والنبوة
الحسنى الناجية من النار الحسنى النصر في الدنيا والنعيم المقيم عند الله والذين لم يستجيبوا اي لم
يجيبوا الى الايمان بالله ان لهم ما في الارض اي من الاموال ومثله معه حتى لهم لافتدوا به من عذاب يوم القيامة
نظيره في آل عمران ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به حسب ما تقدم بيانه هناك اولئك لهم سوء الحساب اي
لا يقبل لهم حسنة ولا يتجاوز لهم عن سيئة وقال الزجاج سمي قاتلي ابراهيم النخعي يا فرقنا نزري ما سوء
الحساب قلت لا قال ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيئا وماواهم اي مسكنهم ومقامهم جهنم وبئس
المهاد اي المتكأ الذي يمهدونه لانفسهم فوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى هذا مثل
ضربه الله للمؤمن والكافر وروي انما نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وابي جهل لعنه الله والمراد بالاعمى
عمى القلب قوله تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق يتم مسلمان ان الاولى قوله تعالى الذين
يوفون هذا من صفة ذوي الالباب اي انما يتذكر اولوا الالباب الموفون بعهد الميثاق والعهد اسم للجنس
يجمع عهود الله كلها وامره ونواهيه التي رضي بها عبيده ويدخل في هذه الالفاظ التزام جميع الفروض
وتجنب جميع المعاصي وقوله ولا ينقضون الميثاق يجمل ان يريد به جنس المواثيق اي اذا عقدوا في طاعة
الله عهدا لم ينقضوه قال قتادة تقدم الله على عباده في نقض الميثاق ونهى عنه في بضع وعشرين اية ويحتمل
ان يشير الى ميثاق بعينه وهو الذي اخذه الله على عباده حين اخرجهم من صلب ابيهم ادم وقال المقاتل
هو ما ركب في عقولهم من دلايل التوحيد والنبوات الثاني روى ابو داود وغيره عن عوف بن مالك قال كنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك حتى قالها ثلاثا يعني قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
وتصلوا الصلوات الخمس وتسمعوا وتطيعوا واسر كلمة خفية قال ولا تسألوا الناس شيئا قال فلقد كان بعض
اولئك النفر يسقط سوطه فما يسأل احدا ان يناوله قال ابن العربي هذا اعظم المواثيق في الذكر ان لا يسأل سواه
وقد كان ابو حمزة الخراساني من كبار العباد سمع ان ناسا يهولون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا يسألوا احدا

شيا الحديث فقال ابو حمزة رب ان هؤلاء عاهدوا نبيك اذ رأوه وانا اعاهدك ان لا اسأل احدا شيا قال
تخرج حاجا من الشام يريد مكة فبينما هو يمشي في الطريق مر بالبيداء بقي عن اصحابه لعذر ثم انتبههم فبينما
هو يمشي اليهم اذ سقط في بير على حاشية الطريق فلما حاذى فمها ذهب ليقعد ثم قال لعل احدا يسمعني ثم قال
ان الذي عاهدته بربه اني وبسمعني والله لا تكلمت حرف للبشر ثم لم يلبث الا يسيرا اذ مر بذلك البير نفر فلما
راوه على حاشية الطريق قالوا ائتوا لينبغي سد هذا البير ثم قطعوا خشبا ونصبوها على فم البير وغطوها
بالتراب فلما راى ذلك ابو حمزة قال هذه مملكة ثم اراد ان يستغيث بهم ثم قال والله لا اخرج منها ابدا
ثم رجع الى نفسه فقال اليس قد عاهدت ربك فسكت وتوكل ثم استند في قعر البير مفكرا في امره فاذا هو
بالتراب يقع عليه والخشب يرفع وسمع في اثناء ذلك من يقول هاك يدك فقال فاعطيته يدي فاقلني في مرة
واحدة الى فم البير فخرجت فلم ار احدا فسمعتها تقول كيف رايت ثمرة التوكل وانشده
منك ان اكشف الهوى * فاغيبتني بالعلم منك عن الكشف * تلطفت في امري فابديت شاهدي
الى عاينتي والطف يدرك بالطف * مررت لي بالعلم حتى كانما * تخبر لي بالغيب انك فحكمي * اراني
وليس هيبتي لك وحشية * فتونسني بالطف منك وبالعطف * وكيف بالحب يحيا انت في لحب حتفه
* وذا عجبي كيف الحياة مع الحيف * قال ابن الزبي هذا رجل عاهد الله فوجد الوفا على التمام والكمال
فاقتدوا به ان شاء الله تهتدوا قال ابو الفرج الجوزي سكوت هذا الرجل في هذا المقام على التوكل مع
بزعمه اعانته على نفسه وذلك لا يحل ولو فهم معنى التوكل لعلم انه لا ينافي استعانته في ذلك كما انه
كما لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من التوكل باختفائه في الخروج من مكة واستيجاره ليلا واستكتامه
ذلك الامر واستتاره في الغار وقوله لسراقة اخف عنا فالتوكل الممدوح لا ينافي فعل محظور وسكوت
هذا الواقع في البير محظور عليه وبيان ذلك ان الله تعالى قد خلق للادمي آلة يدفع عنه بها الضرر والتي
يجتلب بها النفع فاذا عطلها مدعيا للتوكل كان ذلك جهلا بالتوكل ورد الحكمة التواضع لان التوكل
انما هو اعتماد القلب على الله تعالى وليس من ضرورته قطع الاسباب ولو ان انسانا جاع فلم يبسط حتى
مات نزل النار قال سفيان الثوري وغيره لا تزدل على طريق السلامة فاذا تقاعد عنها اعان على نفسه
قال ابو الفرج وقد التقاتا الى قول ابي حمزة فجاء اسد فاخرجني فان صح ذلك فقد يقع مثله اتفاقا وقد
يكون لطفا من الله تعالى بالعبد الجاهل وابيكر ان يكون الله تعالى لطف به انما ينكر فعل الذي هو مكسب
وهو اعانته على نفسه التي ندبه الله تعالى عنده وفوض بحفظها فوله تعالى والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل ظاهر في صلة الارحام وهو قول قتادة واكثر المفسرين وهو مع ذلك يتناول جميع
الطاعات ويخشون ربهم قيل في قطع الرحم وقيل في جميع المعاصي وسوء الحساب الاستقصاء فيه
والمناقشة ومن يوقش الحساب عذب وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومعنى يصلون ما امر الله به الايمان
بجميع الكتب والرسل كلهم الحسن وهو صلة محمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يصلوا الايمان بالعمل
بالعمل ويخشون ربهم فيما امرهم بوصله ويخافون سوء الحساب في تركه والقول الاول اثبتا ولهذه
الاقوال كلها ذكرنا وبالله توفيقنا قوله تعالى والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم قيل الذين مستهم نفس
ان صبروا اما من فلا ينعطف على يوفون وقيل هو من وصف من تقدم ويجوز الوصف تارة بلفظ الماضي
وتارة بلفظ المستقبل اذ المعنى من يعمل كذا فله كذا ولما كان الذي يتضمن الشرط الماضي في الشرط له
كالمستقبل جاز ذلك ولهذا قال الذين يوفون ثم قال والذين صبروا ثم عطف عليه فقال والذين
يدرءون بالحسنة السيئة قال ابن زيد صبروا على طاعة الله وصبروا عن معصية الله وقال عطا صبروا
على الرزايا والمصايب والحوادث والنوايب وقال ابو عمران الجوني صبروا على دينهم ابتغاء وجه الله
واقاموا الصلاة ادوها بفرضها وخشوعها في مواقيتها وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يعني الزكاة
المفروضة عن ابن عباس وقد مضى القول في هذا في البقرة وغيرها ويدرءون بالحسنة السيئة ابن زيد يدفعون
بالعمل الصالح العمل السيء وقال ابن عباس ابن زيد يدفعون الشر بالخير سعيد بن جبير يدفعون المنكر
بالمعروف الضحاك يدفعون الغضب بالحلم والسلام جويبر يدفعون الظلم بالعفو ابن شجرة يدفعون الذنب
بالتوبة الفتبي يدفعون سفه الجاهل بالحلم فلا يسفهه لسبه والحلم الحسنة وقيل الذين عموا بسيئة رجعوا
عنها واستغفروا وقيل يدفعون الشرك بشهادات ان لا اله الا الله فعلى هذه التسعة اقوال معناها كلها متقارب
والاول بينا ولها بالعموم ونظيره ان الحسنات يذهبن السيئات ومنه قوله عليه السلام لمعاذ واتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار اي عاقبة الاخرة وهي الجنة بدل
النار الدار عدادار الجنة للمطيع والنار للعاصي فلما ذكر وصف المطيعين ذكر ما لهم الجنة مآلا له وقيل
عنى بالدار دار الدنيا اي لهم جزاء ما عملوا من الطاعات في دار الدنيا قوله تعالى جنات عدن يدخلونها
اي لهم جنات عدن بدل من عقبى ويجوز ان يكون تفسير العقبى الدار اي لهم هو لجنات عدن لا تعني
الدار الحدث وجنات عدن عين والحدث انما يفسر بحدث مثله بالمصدر المحذوف مضاف الى المفعول

مجاهد شيء قليل ذاهب فمن منع النهار اذا ارتفع فلا يدل من زوال ابن عباس زاد كثر اذا الراعي وقيل
متاع الحياة الدنيا ما يستمتع بها منها وقيل ما ينزود منها الى الاخرة من التقوى والعمل الصالح ولهم
سوء الدار ثم ابتدا الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا انزل
عليه اية من ربه بين في مواضع ان اقتراح الايات على الرسل عمل الجهال ذا راوا اية اخرى واحدة تدل على
ان الصدق والقايل عبد الله بن ابي امية واصحابه حين طالبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالايات
قل ان الله يضل من يشا اي كما اضلكم بعد ما انزل من الايات وحرمكم الاستدلال بها يضلكم عند نزول
غيرها ويهدي اليه من اناب اي من رجع والها في اليه للحق وللاسلام او لله عز وجل على تقدير ويهدي
الي دينه و طاعته من رجع اليه بقلبه وقيل هي للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الذين امنوا الذين
في موضع نصب لانه مفعول اي يهدي الله الذين امنوا وقيل بدل من قوله من اناب فهو في محل نصب ايضا
وتطمين قلوبهم بذكر الله اي تسكن و تستانس بتوحيد الله فتطمين نائب عن مصدر تطمين قلوبهم على
الدوام بذكر الله بالسنتهم قاله قتادة وقاله مجاهد وقتادة وغيره بالقرآن وقال سفيان بن عيينة
بامره ابن عباس بالحلف باسمه او تطمين بذكر فضله والقائمه كما ترجل بذكر عدله وانتقامه وقضايه
وقيل بذكر الله اي بذكروا نعم الله وتبادلون ايانه فيعرفون كمال قدرته عن بصيرة الا بذكر الله تطمين
القلوب اي قلوب المؤمنين قال ابن عباس هذا في الحلف فاذا حلف خصمه بالله سكن قلبه وقيل بذكر الله
اي بطاعة الله وقيل بثواب الله وقيل بوعد الله وقال مجاهد هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم ابتدا وخبر وقيل معناه لهم طوبى فطوبى رفع بالابتدا
وجوز ان يكون موضعه نصبا على تفسير جعل لهم طوبى ويعطف عليه وحسن مآب على الرجوع من الموقوف
فترفع او تنصب وذكر عبد الرزاق اخبرنا معمر عن يحيى بن ابي كثير عن عمرو بن يزيد الكلاعي عن عتبة بن عبد
السلمي قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الجنة وذكر الحوض فقال يا نبي الله فاكهة قال
نعم شجرة ترعى طوبى قال يا رسول الله اي شجر ارضنا تشبه قال لا تشبه شيأ من شجر ارضك اتيت
الشام هناك شجرة تدعى الجوزة تنبت على ساق ويفترش اعلاها قال يا رسول الله فما اعظم اصلها
قال لو ارتحلت جذعة من ابل اهلك ما احطت باصلها حتى تتكسر ترقوتها هرما وذكر الحديث وقد
كتبناه بكماله في ابواب الجنة في كتاب التذكرة والحمد لله وذكر ابن المبارك قال اخبرنا معمر عن الاشعث
عن عبد الله بن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها
تفتقي لعبدي عما شا فتفتقت عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شا وتفتقت عن الراحلة برحلها
وزمامها وهيئتها كما شا وعن الثياب والثياب وذكر ابن وهب قال حدثني شهر بن حوشب عن ابي امامة
الباهلي قال لطوبى شجرة في الجنة ليس منها دار الا فيها غصن منها وما طير حسن الا وفيها وانرة الا
منها وقد قيل ان اصلها في قصر النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ثم تنقسم فروعها على منازل اهل الجنة
كما انتشر منه العلم والايمان على جميع اهل الدنيا وقال ابن عباس طوبى لهم فرح لهم وقرة عين وعنه
ايضا ان طوبى اسم الجنة بالحبشية وقال سعيد بن جبير الربيع بن انس هو البستان بلغة الهند قال
القشيري ان صح هذا فهو وفاق بين اللغويين وقال قتادة طوبى لهم حسنى لهم عاقبة نعمى لهم
ابراهيم النخعي خير لهم وعنه ايضا كرامة من الله لهم الضحاك غبطة لهم النحاس وهذه الاقوال متقاربة
لان طوبى فعلى من الطيب اي العيش الطيب لهم وهذه الاشيا ترجع الى الشي الطيب وقال الزجاج طوبى
فعلى من الطيب وهي الحالة المستطابة لهم والاصل طيبى فصارت ايا واو لسكونها وضم ما قبلها
كما قالوا موسر وموقن قلت والصحيح انها شجرة للحديث المرفوع الذي ذكرناه وهو صحيح على ما ذكره
السهيلي ذكره ابو عمر في التمهيد ومنه نقلناه وذكره ايضا الثعلبي في تفسيره وذكر ايضا المهدوي
والقشيري عن معاذ بن فزارة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طوبى شجرة في الجنة غرسها الله
بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة ومن اراد زيادة على
هذه الاخبار فليطالع الثعلبي وقال ابن عباس طوبى شجرة في الجنة اصلها في دار علي وفي دار كل مؤمن
منها غصن وقال ابو جعفر محمد بن علي سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله طوبى لهم وحسن مآب
قال الشجرة اصلها في داري وفروعها في الجنة ثم سئل عنها مرة اخرى فقال شجرة اصلها في دار علي وفروعها
في الجنة فقيل له يا رسول الله سئلت عنها فقلت اصلها في داري وفروعها في الجنة ثم سئلت عنها
فقلت اصلها في دار علي وفروعها في الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان داري ودار علي غدا في الجنة
ولهوة في مكان واحد وعنه صلى الله عليه وسلم هي شجرة اصلها في داري وما بين داري وما من دار من دور اهل
بدر الي فيها غصن منها وحسن مآب اي اذا رجع وقيل تقدير الكلام الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر
الله وعملوا الصالحات طوبى لهم قوله تعالى لذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو
ارسلناك كما ارسلنا الانبيا من قبلك قاله الحسن وقيل شبه الانعام على من ارسل اليه محمد عليه السلام

ويجوز ان يكون جنات عدن خبرا بعد الحذف وجنات عدن وسط الجنة وقصبتها وسقفها عرش الرحمن
قاله التشيري ابو نصر عبد الكريم وفي صحيح البخاري اذا سالتم الله فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنة
واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة فيحتمل ان يكون جنات كذلك ان صح فذلك
خبر وقال عبد الله بن عمرو ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه الف باب على كل باب
خمسة الاف حبره لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وعدن ماخوذ من عدن بالمكان اذا اقام فيه على
ما ياتي بيانه في سورة الكهف ان شاء الله ومن صلح من ابائهم يجوز ان يكون معطوفا على الواو لبيك المعنى
اولبك ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم لهم عقبى الدار ويجوز ان يكون معطوفا على الضمير
المرفوع المنصوب بينهما ويجوز ان يكون المعنى يدخلونها ويدخل من صلح من ابائهم ايمن كان صالحا
لا يدخلونها بالانساب ويجوز ان يكون في موضع نصبا على تقدير يدخلونها مع من صلح من ابائهم وان لم يعمل
مثل اعمالهم ليختنه الله بهم كرامة لهم قال ابن عباس هذا الصلاح ايمان بالله والرسول ولو كان لهم
مع الايمان طاعات اخرى لدخلوها بطاعتهم لوجب التبعية قال التشيري وفي هذا نظر لانه لا بد من
الايمان ما لقول في اشتراط العمل الصالح كالقول في اشتراط الايمان والاظهر ان هذا الصلاح في جملة
الاعمال والمعنى ان النعمة عم انتم عليهم بان جعلهم مجتمعين مع ابائهم في الجنة وان دخلها كل انسان
لعمل نفسه بل برحمة الله تعالى قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب اي بالتحف والهدايا
من الله تكرمة لهم سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم نائب عن القول اي تد سلمتم من الافات وقيل هو دعاء
بدوام السلامة وان كانوا سالمين اي سلمكم الله فهو خبر معناه الدعاء ويتضمن الاعتراف بالعبودية
بما صبرتم اي بصبركم فما مع الفعل بمعنى المصدر والباء بما متعلقة بمعنى سلام عليكم ويجوز ان تتعلق
بمحذوف اي هذه الكرامة بصبركم اي على امر الله تعالى وتاديته قاله سعيد بن جبير وقيل على الفقر في الدنيا
قاله ابو عمران الجوني وقيل على الجهاد في سبيل الله كما روي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل تدرون من يدخل الجنة قالوا الله ورسوله اعلم قال المجاهدون الذين
يهمهم الثغور وتتقى بهم المكاره فيموت احدهم وحاجته في نفسه لا يستطيع لها قضاء فتاتيهم الملائكة
فيدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال محمد بن ابراهيم كان النبي صلى
الله عليه وسلم ياتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذلك
ابو بكر وعمر وعثمان وذكر البيهقي عن ابي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ياتي الشهداء
عند راس الحول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكان ابو بكر بعد النبي صلى
الله عليه وسلم يفعله وكان عمر بعد ابي بكر يفعله وكان عثمان بعد عمر يفعله وقال الحسن البصري
رحمه الله بما صبرتم عن فضول الدنيا وقيل بما صبرتم على ملازمة الطاعة ومفارقة المعصية قال معناه
الفضيل بن عياض ان يريد بما صبرتم بما تحبونه اذا فقدتموه وتجعل سابقا بما صبرتم عن اتباع الشهوات
وعن عبد الله بن سلام وعلي بن الحسين رضي الله عنهم انه قال اذا كان يوم القيمة ينادي مناد ليقم اهل الصبر
فيقوم ناس من الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون الى اين فيقولون الى
الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم فيقولون وما انتم فيقولون نحن اهل الصبر قالوا وما كان صبركم
قالوا صبرنا انفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معاصي الله وصبرناها على ابتلاء المحن في الدنيا فقال
علي بن الحسين فتقول لهم الملائكة ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين وقال ابن سلام فتقول لهم الملائكة
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار التي كنتم فيها ما اعقبكم هذا الذي انتم فيه ما العقبى
على هذا انتم والدار الدنيا وقال ابو عمران الجوني فنعم عقبى الدار الجنة عن النار وعنه فنعم عقبى الدار
عقبى الدار الجنة عن الدنيا قوله تعالى والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه لما ذكر الموفين
بعهده والمواصلين لامره وذكر ما لهم ذكر عكسهم بنقض الميثاق ترك امره وقيل ابطال عقولهم و
فلا ينتفعون بها ليعرفوا الله تعالى ويفطنوا ما امر الله به ان يوصل اي من الارحام والايمان بجميع
الانبياء ويفسدون في الارض اي بالكفر وارتكاب المعاصي ولبئك لهم اللعنة اي البعد والطرد والابعاد
من الرحمة ولهم سوء الدار اي سوء المقلب وهو جهنم وقال سعيد بن ابي وقاص هو والله الذي لا اله الا هو
انهم الحرورية قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لما ذكر عاقبة المومن وعاقبة المشرك بين انه
الذي يبسط الرزق ويقدر من الدنيا لما شاء امتحانا فبسط الرزق على الكافر لا يدل على كرامته له
والتضييق على بعض المومنين لا يدل على اهانتهم ويقدر اي يضيق فهو من ومن قدر عليه رزقه اي ضيق
ضيق وقيل يقدر ليعطي لقدر الكفاية وفرحوا بالحياة الدنيا يعني مشركي مكة وفرحوا بالدنيا وما هم
يرفون غيرها وجهلوا ما عند الله هو معطوف على ويفسدون في الارض وفي الاية تقديم وتاخير
التقدير الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض
وفرحوا بالحياة الدنيا في الاخرة المتاع اي متاع من الامتعة كالقصعة والسكرجة في الاخرة وقال

مجاهد

بالانعام على من ارسل اليهم الانبيا قبله لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك يعني القران وهم يكفرون بالرحمن قال
مقاتل وابن جريج نزلت في صلح الحديبية حين اراد ان يكتبوا كتابا بالصلح فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي اكتب لهم بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما يعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون
مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان اهل الجاهلية يكتبون فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لعلي اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركو قريش لو كنت رسول الله ثم قتلناك ومزقناك
لقرظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم دعنا
نقاتلهم فقال لا ولكن اكتب ما يريدون فنزلت وقال ابن عباس نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي
صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنزلت تنتقل لهم يا محمد الذي انكرتم هو ربي لا اله الا
هو واليه معبود سواه هو واحد بذاته وان اختلفت اسماؤه صفاته عليه توكلت واعتمدت ووثقت واليه
متاب اي مرجعي غدا وايوم ايضا عليه توكلت ووثقت رضا بقضائه وتسليما لامره وقيل سمع ابو جهل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعو اي الله ويقول يا الله يا رحمان فما كان محمد ينهانا عن عبادة الهة ويهو
يدعو الهين فنزلت هذه الاية قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت
به الجبال هذا التفات منتقل بقوله لو لا انزل عليه اية من ربه وذلك ان نفرا من مشركي مكة فيهم ابو جهل
وعبد الله بن ابي امية المخزوميان جلسوا خلف الكعبة ثم ارسلوا الى رسول الله صلى الله صلى الله
عليه وسلم فاتاهم فقالوا له عبد الله ان سرك نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح
فانها ارض ضيقة واجعل لنا فيها عيونا وانهارا حتى نزرع فلست كما زعمت بالهون على ربك فمر داود
حين سخر له الجبال تسير معه وسخر لنا الريح فنركبها الى الشام نغتدي عليها مسيرتنا وهو ايجابها ثم نرجع من يومنا
فقد كان سليمان يزداد وداعي لنا قصي احدك او مر شيت انت مرونا نا نسأله اهو حق ما تقول انت ام باطل
فان عيسى كان يحيي الموتى ويست بالهون على الله منه فانزل الله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال الاية
قال معناه الزبير بن العوام ومجاهد وقتادة والضحاك والجواب محذوف تقديره لكان هذا القران لكن
حذف ايجازا لما في ظاهر الكلام من الدلالة عليه كما قال امرؤ القيس * فلو انها نفس تموت جميعة * ولكنها
نفس تساقط انفسا * يعني لهان علي وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا قران قبل قرانكم لسلم قرانكم
وقيل الجواب متقدم وفي الكلام تقديم وتاخير اي وهم يكفرون بالرحمن لو انزلنا القران وفعلنا بهم ما اقترحوا
القرا يجوز ان يكون الجواب لو فعل بهم هذا لكفروا بالرحمن الزجاج ولو انزلنا الى قوله الموتى لما امنوا
والجواب المضمر هنا ما اظهر في قوله ولو انزلنا اليهم الملائكة الى قوله وما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله
قيل بل لله الامر جميعا اي هو المالك لجميع الامور الفاعل لما يشا منها فليس ما تلتمسونه مما يكون بالقران
انما يكون بامر الله قوله تعالى افلم ييئس الذين امنوا قال القرا قال الكلبي ييئس بمعنى يعلم لغة النخع
وحكاه المنذر بن عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقال ابو عبيدة افلم يعلموا وييئسوا وانشد في ذلك ابو عبيدة
للمنذر بن عوف النصري * اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني * الم ييئسوا اني ابن فارس زهدم * ييسرونني
من اليسر وقد تقدم في البقرة ويروى ما يسرونني من اليسر والميسر والياسر والدارج بن عدي * الم
ييأس الاقوام اني انا بنهم * وان كنت عن ارض العشيرة نائما في كتاب الردة الى ابا بكر * وكذا ذكره
المبرد اي الم يعلم والمعنى على هذا افلم يعلم الذين امنوا ان لو يشا الله لهدانا جميعا من غير ان يشاهدوا
الايات وقيل هو من اليأس المعروف اي افلم ييئس الذين امنوا من ايمان هؤلا الكفار لتعلمهم ان الله تعالى
لو اراد لهدايتهم لهداهم لان المؤمنين يئسوا بنزول الايات طمعا في ايمان كفار وقال علي وابن عباس افلم
ييأس الذين امنوا من البيان قال القشيري فعلى لابن عباس المكتوب افلم ييئس قال اظن الكاتب كتبها وهو ناعس
اي زاد بعض الحروف حتى صار ييئس قال ابو بكر الانباري روى عكرمة عن ابن الجيحيح انه قرا افلم يتبين الذين
امنوا وبما اصح من زعم ان الصواب في التلاوة وهو باطل عن ابن عباس لان مجاهدا وسعيد بن جبير حكيا الحرف
عن ابن عباس على ما هو في المصحف بقراءة ابن عمر وقد رواه عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس
ثم ان معناه افلم ييئس فان كان مرادا لسقطت اللفظة التي حاولوا بها الاجماع فقراتنا تقع عليهما
وتاتي بنا وبلها وان اراد الله المعنى الاخر الذي اليأس فيه ييئس من طريق العلم فقد سقط مما اوردوا
واياسقوط يبطل القران ولزوم اصحاب الهيئات ان لو يشا الله ان يحققه من الثقيلة اي انه لو يشا
الله لهدى الناس جميعا وهو رد على القدرية وغيرهم قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا قارعة اي داهية تفجوهم بكثرتهم وغلوبهم ويقال قرعه امر اذا اصابه والجمع قوارع والاصل
في القرع الضرب قال * افنى بلابل وما جعت من نسب * قرع القوافي فراء الهارق * اي لا يزال
الكافر فيه تصيبهم داهية مهلكة من صاعقة كما اصاب اربدا ومن قتل واسر وجدب او غير ذلك من العذاب
والبلا كما نزل بالمستهزئين وهم رؤسا المشركين وقال عكرمة عن ابن عباس القارعة النكبة وقال ابن عباس
ايضا وعكرمة القارعة الطلايع والسرايا التي كان ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم اوتحل اي

القارعة

القارعة قريبا من دارهم فالرقتادة والحسن وقال ابن عباس او تحل انت قريبا من دارهم وقيل تزلت
الاية بالمدينة اي لا تزال تصيبهم القوارع فتنزل بساحتهم او بالقرب منهم كقوك المدينة ومكة حتى
تاتي وعد الله بفتح مكة قاله مجاهد وقتادة وقيل نزلت بمكة اي تصيبهم القوارع او تخرج عنهم و
الى المدينة يا محمد فتحل قريبا من دارهم او تحل بهم محاصرا لهم وهذه المحاصرة لاهل الطايف والتقلاع
واقلاع خيبر وياتي وعد الله بالاذن لك في قتالهم وقهرهم وقال الحسن وعد الله يوم القيامة
قوله تعالى ولقد استهزي برسل من قبلك فاملیت للذين كفروا تقدم معنى الاستهزاء في البقرة و
ومعنى الملاية في العمران اسخر بهم واذري عليهم وامهلت للكافرين مدة ليبوزن من كان في علمي انه يوزن
منهم فلما حق القضا اخذتهم بالعقوبة فكيف كان عقاب اي فكيف رايت ما صنعت بهم فكذلك اصنع
بمشركي قومك قوله تعالى افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت اي بقدرتها على الكسب ويخلقها
ويرزقها ويحفظها ويجازيها على عملها فالمعنى انه حافظها يعمل والجواب والمعنى افمن هو حافظ لا يعمل
كمن يعمل وقيل افمن هو قايم اي قايم قاله الاعمش قال الشاعر * فلولا رجال من قريش اعزة * بها ب
البيت والله قايم * اي عالم فالله عالم بكسب كل نفس وقيل المراد بذلك الملايكة الموكلون بني ادم عن
الضحاك وجعلوا لله اندادا اي قد جعلوا او عطف على استهزي اي استهزوا وجعلوا لله شريكا بمعنى
اصناما جعلوها الهة قل سموهم اي قل يا محمد سموهم اي بينوا اسماءهم على جهة التهديد اي انما يسمون
اللات والعزى ومنات ولهبل ام تنبيونه بما لا يعلم في الارض ام استفهام توبيخ اي اتسمونه وهو على
التحقيق عطف على استفهام متقدم في المعنى لان قوله سموهم معناه اتهم اسما الخا بغير ام تنبيونه
بما لا يعلم في الارض وقيل المعنى قل لهم اتسمون الله بباطل لا يعلمه ام بظاهر يعلم فان قالوا بباطل لا يعلم
احالوا وان قالوا بظاهر يعلمه فقل لهم سموهم فاذا سموهم اللات والعزى قيل الله لا يعلم لنفسه
شريكا وقيل ام تنبيونه عطف على قوله افمن هو قايم اي افمن هو قايم ام تنبئون الله بما لا يعلم اي انتم
تزعمون لله شريكا والله لا يعلم لنفسه شريكا افتنبيونه بشريك له في الارض وهو لا يعلمه وانما حسن الارض
بنفي الشريك عنها وان لم يكن له شريك في غير الارض لانهم ادعوا له شركا في الارض ومعنى ام بظاهر من القول
الذي انزل الله على انبيايه وقال قتادة معناه بباطل من القول ومنه قول الشاعر * اعيرتنا البانها
ولحومها * وذلك عارا يا ابن ريطة ظاهر * اي باطل وقال الضحاك الكذب من القول ويحتمل خامسا ان يكون
الظاهر من القول حجة يظهرونها بقولهم ويكون معنى الكلام اتخبرونه بذلك مشاهدين ام تقولون بحجة
قوله تعالى بل زين للذين كفروا مكرهم اي دع هذا بل زين لهم مكرهم قبل استدراك على هذا
الرجه اي ليس لله شريك لكن زين للذين كفروا مكرهم وقرا ابن عباس ومجاهد بل زين للذين كفروا مكرهم
مبنيا للفاعل وعلى قراءة الجماعة فالذي زين للكافرين مكرهم الله تعالى وقيل الشيطان ويجوز ان يبنى الكفر مكرا
لان مكرهم بالرسول كان كفرا وصدوا عن السبيل اي صدهم الله وهي قراءة حمزة والكسايي ويعقوب بالفتح
ابو صدوا غيرهم واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله ويصدون عن سبيل الله وقولهم الذين كفروا وصدوكم
عن المسجد الحرام وقراءة الضم ايضا حسنة يجوز ان وصد لازم معلوم ان الله فاعل ذلك في مذهب اهل السنة و
فيه اثبات القدر وهو اختيار ابي عبيد وقرا يحيى بن وثاب وعلقمة وصدوا بالكسر بكسر الصاد وكذلك هذه
بصاعتنا ردت الينا بكسر الراء وهي ايضا على ما لم يسم فاعله واصلها صدد وا وردد تعلما ادغمتا الدال الاولى
في الثانية ثقلت حركتها على ما قبلها فانكسر ومن يضلل الله بخذلانه فما له من هاد اي موفق وفي هذا اثبات
القدر اللكوفيين ومن تابعهم لقوله ومن يضلل الله كذلك لقوله وصدوا ومعظم القراء يقفون على الدال
من غير الياء لذلك والوقف لانك تقول في الرجل هذا قاض ووالدوها دفتحذف الياء للسكون ها والتقاي ساكنين
مع التنوين وقرى فما له من هاد ي والواقي بالياء وهو على لغة من يقول داعي وواليي ودانيي بالياء لان
حذف الياء حالة الوصل لالتقاي ساكنين مع التنوين وقد مناه هذا في الوقف فرد ت الياء فصار هادي ووالي وداني
وقال الخليل في قاض يا قاضي باثبات الياء اذا نون لان التنوين في نحو الداعي والمتقابي
قوله تعالى لهم عذاب في الحياة الدنيا اي للمشركين الصادين بالقتل والسبي والاسار وغير ذلك
من الاستقام والمصايب ولعذاب الاخرة اشق اي اشد من قولك شق علي كذا يشق وبالهم من الله من واق
اي مانع يمنعهم من عذابه ولا دافع ومن زايدة قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اختلف
النحاة في رفع مثل فقال سيبويه ارتفع بالابتدا والخبر محذوف وتقديره فيما يتلى عليكم مثل الجنة وقال
الخليل ارتفع بالابتدا وخبره مجرى من تحتها الانهار اي صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار
لتقولك قولي بوم زيد فتقولي مبتدا وبقوم زيد خبره والمبتدا مع الصفة موجود قال الله تعالى في
ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وقال ولله المثل الاعلى اي الصفة العليا واكثر ابو علي لم يسم
مثل بمعنى صفة انما معناه الشبه لان تراه يجري مجراه في مواضعه ومنتزعاته بقولهم مررت برجل
مثلك كما تقول مررت برجل سهل قال ويفسد ايضا من جهة المعنى لان مثلا اذا كان معناه صفة كان تقدير

الكلام صفة الجنة التي فيها انهار وذلك غير مستقيم لان الانهار في الجنة نفسها لا صفتها قال الزجاج مثل الجنة
وجل لنا ما غاب عنا بما نراه والمعنى مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وانكره ابو علي فقال لا يخلو المثل على قوله
ان يكون الصفة او الشبه وفي كلا الوجهين لا يصح ما قاله لانه اذا كان معنى الصفة لم يصح لانك اذا قلت
صفة الجنة جنة فجعلت جنة خبرا لم يستقم ذلك لان الجنة لا تكون الصفة وكذلك الصفة وكذلك ايضا
بصفة الجنة شبه الجنة جنة لم تر ان الشبه عبارة عن المماثلة التي بين المتمايلين وهو حدث والجنة غير
حدث فلا يكون الاول الثاني وقال ابو المثل مقحم للتاكيد والمعنى الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها
الانهار والعرب تفعل ذلك كثيرا بالمثل والمثل كقوله ليس كمثله شيء اي ليس هو كشيء وقيل التقدير صفة
الجنة التي وعد المتقون صفة تجري من تحتها الانهار وقيل معناه شبه الجنة التي وعد المتقون في الحسن والنعمة والخلود
كشبه النار في العذاب والشدة والخلود قال مقاتل اكلها دائم لا ينقطع وفي الخبر اذا اخرجت ثمرة عادت
مكانها اخرى وقد بيناه في الرعد وظلها كذلك فحذف اي ثمرها لا ينقطع وظلها لا يزول وهذا رد على
الجهمية في زعمهم ان نعيم الجنة يفنى تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار اي عاقبة امر المكذبين
واخرتهم النار يريد خلودها قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب اي بعض من اوتي الكتاب يفرح بالقرآن
كابن سلام وسلمان والذين جاوزا الحبشة فاللفظ عام والمراد الخصوص وقال قتادة هم اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم يفرحون بنزول القرآن وقال مجاهد وابن زيد وعن مجاهد ايضا انهم مؤمنو
اهل الكتاب وقيل هم جماعة اهل الكتاب من اليهود والنصارى يفرحون بما يرد له القرآن لتصديقه
كتبهم وقال اكثر العلماء كان ذكر الرحمن في القرآن قليلا في اول ما انزل فلما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه
سامهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فانزل الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى فقالت قريش ما بال
محمد يدعو الى اله واحد فاصبحوا اليوم يدعوا الاهين الله والرحمن والله ما نعرف الرحمن الا رحمان
اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب فنزلت وهم بذكر الرحمن هم كافرون وهم يكفرون بالرحمن ففرح
مؤمنوا اهل الكتاب بذكر الرحمن فانزل الله تعالى والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل
اليك ومن الاحزاب يعني مشركي مكة ومن لم يؤمن من اليهود والنصارى والمجوس وقيل هم اليهود المحرفون
على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل من اعداء المسلمين من ينكر بعضه ما في القرآن اذ فيهم من كان يعترف
ببعض الانبياء وهم من كان يعترف بان الله خالق السموات والارض قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك
به قراءة الجماعة بالنصب عطفا على اعبد وقرا ابو جعفر الرؤاسي بالرفع على الاستيناف اي افرده له
بالعبادة وصدقه لا شريك له وانما اعلى المشركين ومن قال المسيح ابن الله وعزير ابن الله ومن اعتقد
التشبيه كاليهود اليه ادعوا اي الى عبادته ادعوا الناس واليه مآب اي مرجعي واموري كلها
قوله تعالى وكذلك انزلناه حكما عربيا اي وكما انزلنا عليك القرآن فانكره بعض الاحزاب
كذلك انزلنا محكما عربيا واما وصفه بذلك لانه انزله على محمد صلى الله عليه وسلم وهو عربي فكذب به
الاحزاب بهذا الحكم ايضا وقيل نظم المانزل وكما انزلنا الكتب على الرسل بلغاتهم كذلك انزلنا اليك
القرآن محكما عربيا اي بلسان العرب ويريد بالحكم ما فيه من الاحكام وقيل اراد بالحكم الطريق القرآن كله لانه
يفصل بين الحق والباطل وحكم ولين اتبعت اهواءهم ايها هوا المشركين في عبادة ما دون الله وفي
التوجه الى غير الكعبة بعد ما جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير اي وما ناصر ينصرك ولا واق
يمنعك من عذابه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة قوله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من
قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية فيه مسألتان الاولى قال اليهود عابوا على النبي صلى الله عليه و
عليه وسلم الازواج وعيرته بذلك وقالوا ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا
لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله هذه الاية وذكر لهم امر داود وسليمان فقال لقد ارسلنا
رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية اي جعلناهم بشرا يفعلون ما احل الله من شهوات الدنيا
واما التخصيص في الوحي الثانية لهذه الاية تدل على الترغيب في النكاح والحض عليه وتنهى عن التبتل
التبتل وهو ترك النكاح وهذه سنة المرسلين كما دلت عليه هذه الاية والسنة واردة بمعناها قال
صلى الله عليه وسلم تزوجوا فان مكاثر بكم الامم الحديث وقد تقدم في آل عمران وقال تزوج فقد كمل
نصف الدين فليتق الله في النصف الثاني ومعنى ذلك ان النكاح يعف عن الزنا والعفاف احد
الخصلتين التي ضمن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما الجنة فقال من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة
ما بين لحييه وما بين رجليه حرجه الموطا وغيره وفي صحيح البخاري عن انس قال جاء ثلاثة نفر الى بيوت
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا كانهم تقالوها
وابن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فقال احدهم اما انا فاني
اصلي الليل ابدا وقال الاخر انا اصوم الدهر ولا افطر وقال الاخر انا اعتزل النساء فلا اتزوج فجاء رسول

الله صلى الله عليه وسلم انتم الذين قلتم كذا وكذا اما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له لكني اصوم وافطر
واصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني خرجه مسلم بمعناه وهذا لفظ صحيح مسلم
عن سعد بن ابي وقاص قال اراد عثمان ان يتبتل فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم ولو اجاز له ذلك لاختصينا
وقد تقدم في العمرات الحض على طلب الولد والرد على من جهل فضله وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه انه كان يقول اني لانزوج المرأة وما لي فيها من حاجة واطأها وما اشتهيها فيقال له وما
يحملك على ذلك يا امير المؤمنين قال لعلي ان يخرج الله مني من يكاثر به النبي صلى الله عليه وسلم النبيين
يوم القيامة واني سمعته يقول تزوجوا بالابكار فانهن اعذب افواها واسخن اخلاقا وانتق ارحاما
واني مكاثركم بكم الامم يوم القيامة يعني بقوله انتق ارحاما اقبل للولد وبقاله للمرأة الكثير الولد
ناتق اذا ترمي بالولد رميا وخرج ابو داود عن معقل بن يسار قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اني اصبت امرأة ذات حسب وجمال وانها لا تلد افاتزوجها قال لا ثم اتاه الثانية
فنهاه ثم اتاه الثالثة فقال تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم صححه ابو محمد عبد الحق
وحسبك قوله تعالى وما كان لرسول ان ياتي بآية الا باذن الله عاد الكلام الى ما افتتحوا من الآيات
ما تتضمن ذكره في هذه السورة فانزل الله ذلك فيهم وظاهر الكلام حظه ومعناه النفي اي لا يخطر
على احد ما لا يقدر عليه لكل اجل كتاب اي لكل امر قضاه الله كتاب عند الله قاله الحسن وقيل فيه
تقديم وتاخير المعنى لكل اجل قاله الفراء والضحاك اي لكل امر كتبه الله اجل موجل ووقت معلوم له
نظيره لكل نبا مستقر بيان المراد ليس على اقتراح الامم في نزول العذاب بل لكل اجل كتاب وقيل
المعنى لكل مدة كتاب مكتوب وامر مقدر لا تقف عليه الملائكة وذكر الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول عن شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال لما ارتقى موسى صلوات الله عليه وسلم طور سينا
اتى الجبار في اصبعه خاتما فقال يا موسى ما هذا وهو اعلم به قال دنا من رحلي الرحال قال فجعل عليه شيئا
من اسمائي مكتوب او كلامي قال لا قال فاكتب عليه لكل اجل كتاب قوله تعالى يمحوا الله ما يشاء
ويثبت اي يمحو من ذلك الكتاب ما يشاء ان يوقفه باهله وياتي به ويثبت ما يشاء اي يوخره الى
وقت يقاربه محوت الكتاب محوا اي اذهبت اثره ويثبت اي ويثبته كقوله والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات اولى والذاكرات الله وقرا ابن كثير والي عمرو وعاصم ويثبت بالتخفيف وشددها الباقون
وبه قرا ابن عباس واختيار ابي حاتم وابي عبيد لكثرة من قرا بها لقوله يثبت الله الذين امنوا
وقال ابن عمر سمعنا نبي صلى الله عليه وسلم يقول محوا الله ما يشاء ويثبت الا السعادة والشقاوة
والموت وقال ابن عباس يمحوا الله ما يشاء ويثبت الا ستا الخلق والخلق واجلها الرزق والسعادة
والشقاوة وعنه ايضا ان سوى ام الكتاب يمحوا الله منها ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب
الذي لا يتغير منه شيء قال التستري وقيل السعادة والشقاوة والخلق والخلق والرزق فالاية فيما
عدا هذه الاشياء وفي هذا القول نوع تحكم فلت مثل هذا لا يدرك بالراي والاجتهاد وانما يوخذ
توقيفا فان صح فالقول به ويوقف عنده والا فالكون لا يتعامة في جميع الاشياء وهو الاظهر والله اعلم
وهذا روي معناه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن مسعود وابي وائل وكعب الاحبار وغيرهم
وهو قول الكلبي وعن ابن عثمان النهدي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف بالبيت وهو يبكي
ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل الشقاوة فامحني واثبتني في اهل السعادة فانك تمحوا ما تشاء
وتثبت وانت تدعو الذي لا يشقى فامحني واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحوا ما تشاء
وتثبت وعندك ام الكتاب وقال ابن مسعود اللهم ان كنت كتبتني في السعداء فاثبتني فيهم وان كنت
كتبتني في الاشقياء فامحني من الاشقياء واكتبني في السعداء فانك تمحوا ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب
وكان ابو وائل يكثر ان يدعوا اللهم ان كنت كتبتنا اشقياء فامحنا واكتبنا سعداء وان كنت كتبتنا سعداء فاثبتنا
فانك تمحوا ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وقال كعب لعمر بن الخطاب لولا اية في كتاب الله لاخبرتك بما
هو كائن الى يوم القيامة يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب فقال مالك بن دينار في المراة التي
دعا اللهم ان كان في بطنها جارية فابدلها غلاما فانك تمحوا ما تشاء وتثبت الحديث وقد تقدم وفي الصحيحين
عن ابي هريرة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان يبسط له في رزقه وينسا له في اثره فليصل
رحمه ومثله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمراجب نذكره بلفظه سواء وفيه تاويلان
احدهما معنوي وهو ما يبقيه بعده من الثناء الجميل والذكر الحسن والاجر المذكور وكانه لم يمت والاخر يوخر
اجله المكتوب في اللوح المحفوظ والذي في علم الله ثابت لا تبديل له كما قال يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده
ام الكتاب وقيل لابن عباس ما روي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لمراجب ان يبسط
الله في عمره واجله ويبسط له رزقه فليتق الله وليصل رحمه كيف يزاد في العمر والاجل فقال قال الله عز
وجل وهو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فالاجل الاول اجل العبد من حين ولادته الى

يوم يلقاه في البرزخ لا يعلم الا الله فاذا التقى العبدان ووصل رحمه زاده الله في اجله عمره الموقوف من اجله
البرزخ ما شاء واذا عصى وقطع رحمه نقصه الله من اجله عمره في الدنيا ما شاء فينزده في اجله البرزخ ه
فاذا انتهى الاجل الذي علمه الله سابقا امتنع الزيادة او النقصان لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون متوافق الخبر والاية وهذه زيادة في نفس الخبر وذات الاجل على كل امر
اللفظ في اختيار جبر الامة والله اعلم وقال مجاهد يحكم الله امر السنة في رمضان فيمحو الله
ما يشاء ويثبت ما يشاء الا الحياة والموت والشقاوة والسعادة وقد مضى القول فيه وقال الضحاك
يمحو الله ما يشاء من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وروي
معناه ابو صالح عن ابن عباس وقال الكلبي يمحو الرزق ويزيد فيه ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم
سئل الكلبي عن هذه الاية فقال يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طرح منه كل شيء ليس فيه ثواب
ولا عقاب مثل قولك اكلت وشربت ونمت وخرجت نحوه وهو صارق ويثبت ما فيه الثواب والعقاب
وقال قتادة وابو زيد وابن سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء من الفرايض والنوافل فينسخه ويثبت
ما يشاء فلا ينسخه وعلم الناسخ والمنسوخ عنده ام الكتاب وكوه ذكره النحاس والمهدوي عن ابن
عباس قال النحاس وحدثنا بكر بن سهل قال حدثنا ابو صالح عن معاوية بن صالح عن علي عن ابي طلحة عن ابن
عباس يثبت يمحو الله ما يشاء يقال يبدل من القول ما يشاء فينسخه ويثبت ما يشاء فلا يبدله وعنده
ام الكتاب يقول جملة ذلك عنده في ام الكتاب الناسخ والمنسوخ وقال سعيد بن جبير ايضا يغفر
لمن يشاء من ذنوبه ويترك ما يشاء فلا يغفره وقال عكرمة يمحو ما يشاء من العقوبة جميع الذنوب
ويثبت بدل الذنوب حسنات الا من تاب وامن وعمل صالحا الاية وقال الحسن يمحو الله ما يشاء من
جاء اجله ويثبت من لم يات اجله وقال الحسن يمحو الماء ويثبت اللبن وعنه ايضا ينسى الحفظة من
الذنوب وما ينسى وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني الفرد ويثبت يعني الشمس بيانه قوله فمحونا
اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة وقال الربيع بن انس هذا في الارواح حالة النوم يقبضها
عند النوم ثم اذا اراد ان يوقظه امسك روحه واراد ابقاءه اثبته ورده الى صاحبه بيانه قول
الله يتوفى الانفس حين موتها الاية وقال علي بن ابي طالب يمحو الله ما يشاء من القرون كقوله
الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون ويثبت ما يشاء منها كقوله ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين
فيمحو قرنا ويثبت قرنا وقيل هو الرجل يعمل الزمن الطويل بطاعة الله ثم يعمل بمعصية الله
فيموت على ضلالة فيمحو الله الذي يمحو والذي يثبت الرجل يعمل بمعصية الله الزمان الطويل
ثم يتوب فيمحوه الله من ديوان السيات ويثبته في ديوان الحسنات ذكره الثعلبي والماوردي
عن ابن عباس وقيل يمحو الله ما يشاء يعني الدنيا ويثبت الاخرة وقال فيس بن عباد في
اليوم العاشر من رجب هو اليوم الذي يمحو الله فيه ويثبت فيه ما يشاء وقد تقدم عن مجاهد ان ذلك
يكون في رمضان وقال ابن عباس ان لله لوحا محفوظا مسيرة خمس مائة عام من درة بيضا لها
دفتان من ياقوتة حمراء ينظر في كل يوم ثلاث مائة وستون نظرة يثبت ما يشاء ويمحو ما يشاء وروى ابو الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله سبحانه ينفخ الذكر في ثلاث ساعات يبقين من الليل
فينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيثبت ما يشاء ويمحو ما يشاء والعقيدة انه لا تبديل
لقضاء الله وهذا المحو والاثبات مما سبق به القضاء وقد تقدم ان من القضاء ما يكون دائما لا محالة وهو
الثابت ومنه ما يكون معرضا باسبابه وهو المحو والله اعلم المروي وعندي ان ما في اللوح
خرج عن الغيب المحاطة ببعض الملايكة فيحتمل التبديل لان احاطة الخلق بجميع علم الله محال
وما في علمه من تقدير الاشياء لا يبدل وعنده ام الكتاب اي اصل ما كتب من الاجال وغيرها وقيل ام
الكتاب اللوح المحفوظ الذي لا يبدل ولا يغير وقد قيل انه يجري فيه التبديل قيل انما يجري في جمع
الحرايس الاجر وسيل عن ابن عباس عن ام الكتاب فقال لعلم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال
لعلمه كن كتابا ولا تبديل في علم الله وعنه ان الذكر ليلة قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر وهذا ابن جبير معناه الى الاول وهو معنى قول كعب قال كعب احبار ام الكتاب علم الله
تعالى بما خلق وبما هو خالق قوله تعالى واما نرينك بعض الذي نعدهم من الزلزلة والقتل
وان نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب لقوله لهم عذاب في الحياة الدنيا وقوله
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة اي ان اريناك بعض ما وعدناهم او نتوفينك
فليس عليك الا البلاغ اي التبليغ وعلينا الحساب اي الجزاء والعقوبة قوله تعالى اولم
يروا يعني اهل مكة انا ناتي الارض اي ننقصها من اطرافها موت علمايها وصلحايها قاله
القشيري وعلى هذا فالاطراف الاشراف وقد قال ابن الاعرابي الطرف والطرف الاجل الكريم
ولكن هذا القول بعيد اذ مقصود الاية انا اريناهم النقصان في امورهم ليعلموا ان تاخير

العقاب

النقصان في امورهم ليعلموا ان ذا حيز العقاب عنهم ليس عن مجرد ان يحمل قول ابن عباس على
موت احبارهم اليهود والنصارى وقال مجاهد ايضا وقتادة والحسن هو بان يغلب عليه المشركون مما يلي
ايدي المشركين وروى ذلك عن ابن عباس وعنه ايضا هو خراب الارض حتى يكون العمران في ناحية
منها وعن مجاهد تنقصانها خرابها وموت اهلها وذكر وكيع بن الجراح عن طلحة بن عمير عن عطاء بن
ابي رباح في قوله الله تعالى ولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها قال ذهاب فقهائها وخيارها
اهلها قال ابو عمر بن عبد البر قول عطاء في تاويل الاية حسن جدا تلقاها اهل العلم بالقبول قلت
حكاه المهدوي عن مجاهد وابن عمر وهذا نص القول الاول نفسه روى سفيان عن منصور ومجاهد
ننقصها من اطرافها قال موت الفقهاء والعلماء ومعروف في اللغة ان الطرف الكريم من كل شيء وهذا خلاف
ما ارتضاه ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم من قول ابن عباس وقال عكرمة والشعبي هو النقصان
وقبض الانفس قال احدهما ولو كانت الارض تنقص لضاق عنك حشك وقال الاخر لضاق عليك حشر
تنشر وتغير وقيل المراد به هلاك من هلك من الامم قبل قومك وهلاك ارضهم بعدهم والمعنى اولم تر قريش
هلاك من قبلهم وخراب ارضهم بعدهم انلا يخافون ان يحل بهم مثل ذلك روي ذلك ايضا عن ابن عباس
ومجاهد وابن جريج وعن ابن عباس ايضا انتقص بركات الارض وثمارها واهلها وقيل ننقصها بجور
ولاتها قلت وهذا صحيح معنى فان الجور والظلم يخرب البلاد ويقتل اهلها او انجلاؤهم عنها ويرتفع
من الارض البركة والله اعلم قوله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه اي ليس يتعقب حكمه احد بنقض
ولا تغيير وهو سريع الحساب اي الانتقام من الكافرين سريع الثواب للمؤمنين وقيل لا يحتاج في حسابه
الى روية قلب ولا عقد بنان حسب ما تقدم في البقرة بيانه قوله تعالى وقد مكر الذين من قبلهم
اي من قبل مشركي مكة مكروا بالرسل وكادوا لهم وكفروا بهم حتى اهلكهم جميعا اي هو مخلوق له مكر
الماكرين فلا يضر الا نفسه وقيل فلله خير المكر اي يجازيهم به فيعلم ما تكسب كل نفس من خير وشر فيجازي
عليه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار قراءة نافع وابن كثير وابي عمر وابا قرة الكفار على الجمع وقيل عنى به ابو جهل
لمن عقبى الدار اي دار عاقبة الدنيا ثوابا وعقابا ولمن الثواب والعقاب في الدار الاخرة وهذا تهديد
ووعيد قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قال قتادة هم مشركو العرب اي لست
نبيا ولا رسولا واما انت فتقول اي لما لم ياتهم بما اقترحوا قالوا ذلك قل كفى اي قل لهم يا محمد
كفى بالله اي كفى الله شهيدا بيني وبينكم تصديقي وكذبكم ومن عنده علم الكتاب وهذا احتجاج على مشركي
العرب لانهم كانوا يرجعون الى اهل الكتاب من امنهم في التفاسير وقيل كانت شهادتهم قاطعة
لعذر الخصوم وهم موسوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري والنجاشي
واصحابه قاله قتادة وسعيد بن جبير وروى الترمذي عن ابن اخي عبد الله بن سلام قال لما اريد عثمان
جاء عبد الله بن سلام فقال له عثمان ما جاء بك قال جئت لنصرتك قال اخرج الي الناس فاطردهم عني
فانك خارج خير لي من دخل قال فخرج عبد الله بن سلام الى الناس فقال ايها الناس ان كان اسمي في الجاهلية
فلان فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ونزلت في ايات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد
من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ونزلت في قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم ومن عنده علم الكتاب الحديث وقد كتبناه بكماله في كتاب التذكرة وقال فيه ابو عيسى هذا حديث
حسن غريب وكان اسمه في الجاهلية حصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وقال ابو بكر قلت
لسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب قال هو عبد الله بن سلام قلت وكيف يكون عبد الله
ابن سلام وهذه السورة مكية وابن سلام ما اسلم الا بالمدينة ذكره الثعلبي وقال الغزنوي وقال ابن جبير السورة
مكية وابن سلام اسلم بالمدينة بعد هذه السورة فلا يجوز ان تحمل هذه الاية على ابن سلام فمن عنده علم الكتاب
جبريل وهو قول ابن عباس وقال الحسن ومجاهد والضحاك هو الله تعالى وكانوا يقرون ومن عنده
علم الكتاب وينكرون على من يقول هو عبد الله بن سلام وسلمان لانهم يرون ان السورة مكية وهؤلاء
اسلموا بالمدينة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا ومن عنده وان كان في الرواية ضعف روى
ذلك سليمان بن ارقم عن الزهري عن سالم عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى محبوب عن اسماعيل
ابن مجالد بياني انه قرا كذلك ومن عنده بكسر الميم والعين والدال علم الكتاب بضم العين ورفع الكتاب
وقال عبد الله بن عطاء تلك اماني جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم زعموا ان الذي
عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام فقال اما ذلك علي بن ابي طالب رضي الله عنهم زعموا ان الذي عنده
علم الكتاب عبد الله بن سلام فقال اما ذلك علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذلك قال محمد بن الحنفية وقيل
جميع المؤمنين فالله اعلم قال القاضي ابو بكر بن العربي اما عمر قال الله على فمول على اصوهبين اما الله عنده
اعلم المؤمنين وليس كذلك بل ابو بكر وعمر وعثمان اعلم منه ولقول النبي صلى الله عليه وسلم انا مدينة العلم
وعلي بابها وهو حديث باطل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ابوابها فمنهم الباب المنفتح ومنهم

المتوسط على قدر سنا زهم في العلوم وامامر قال انهم جميع المؤمنين فصدق ٢ ان كل مومن يعلم الكتاب
ويدرك وصر اعجازه ويشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بصدقه قلت فالكتاب على هذا هو القران
وامامر قال هو عبد الله بن سلام فهو دليل على حديث الترمذي وليس يمتنع ان ينزل الله على عبد الله شيا وينبا ولد
جميع المؤمنين لفظا ويعضده من النظام ان قوله تعالى وينزل الذين كفروا يعني قريشا فالذين عندهم
علم الكتاب هم المومنون من اليهود والنصارى الذين هم الى معرفة النبوة والكتاب اقرب من عبدة الاوثان
قال النحاس وقول من قال هو عبد الله بن سلام وغيره يحتمل ايضا ان البراهين اذا صحت وعرفها من قرا
الكتب الذي انزلت قبل القران كان امرا موكدا والله اعلم بحقيقة ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ابراهيم عليه السلام مكية كلها في قول الحسن وعكرمة

وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اثنتين منها مدنية وقيل تلك نزلت في الذين حاربوا الله ورسوله وهي
قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى قوله فان مصيركم الى النار قوله تعالى الر كتاب
انزلناه اليك تقدم معناه لتخرج الناس اي بالكتاب وهو القران اي بدعائك اياهم من الظلمات الى النور اي من
ظلمات الكفر والضلالة والجهل الى نور الايمان والعلم وهذا على التمثيل لان الكفر بمنزلة الظلمة والاسلام
بمنزلة النور وقيل ان البدعة اي السنة ومن الشك اي اليقين والمعنى متقارب باذن ربهم اي بتوفيقه
اياهم ولطفه بهم والباء باذن ربهم متعلقة بلتخرج واضيف الفعل الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه الداعي
والمنذر الهادي الى صراط العزيز الحميد هو كقولك خرجت اني زيدا لعاقل الفاضل من غيره واولا تباشن
واحد والله هو العزيز الذي لا مثل له ولا شبيه وقيل العزيز الذي لا يغلبه غالب وقيل العزيز المتبع في ملكه
وسلطانه الحميد اي المحمود بكل لسان والمحمد في كل مكان على كل حال وروي مقسم عن ابن عباس قال لما قام قوم
امنوا بعيسى بن مريم وقوم كفروا به فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم امن الذين كفروا بعيسى وكفر الذين امنوا
بعيسى فنزلت هذه الاية ذكره الماوردي قوله تعالى الله الذي له ما في السموات وما في الارض اي ملكا
وعبدا واختراعا وقرا نافع وابن عامر وغيرهما الله بالرفع على الابتدا الذي خبره وقيل الذي صفته والخبر
مضمر اي الله الذي له ما في السموات وما في الارض قادر على كل شي الباقون بالخفض نعتا للعزيز الحميد تقدم
النعت على المنعوت كقولك مررت بالظريف زيد وقيل على البدل من الحميد ويضعف صفة لان اسم الله صار
كالعلم فلا يوصف كما لا يوصف زيد وعمرو ولا يجوز ان يوصف به من حيث المعنى لان معناه انه المفرد بالالهية
لايجاد وقال ابو عمرو والخفض على التقديم والتاخير مجازه الصراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات
وما في الارض وكان يعقوب اذا وقف على الحميد رفع واذا وصل خفض على النعت قال ابن الانباري ثم خفض
وقف عليه ما في الارض قوله تعالى وويل للكافرين من عذاب شديد تقدم معنى الويل في البقرة وقال
الزجاج هي كلمة يقال للعذاب والهلكة من عذاب شديد اي في جهنم الذين يستحبون الحياة الدنيا اي
اب بجتارون بها على الاخرة والكافرون يفعلون ذلك فالذين في موضع خفض صفة لهم وقيل في موضع رفع خبر
ابتدا مضمر اي هم الذين وقيل الذين يستحبون مبتدا وخبره اولئك وكل من اثر الدنيا وزهرتها واستحب
البقاء فيها على النعيم في الاخرة وصد عن سبيل الله اي صرف الناس عنه وهو دين الله اي جاء به الرسل
في قول ابن عباس وغيره فهو داخل في هذه الاية وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الائمة
المضلون وهو حديث صحيح وما اكثرهم في هذه الازمان وهو المستعان وقيل يستحبون اي يلتمسون
الدنيا من غير وجهها لان توفيق الله لا تلتمس الا بطاعته ودين محمد صلى الله عليه وسلم وبغونها عوجا اي يطلبون لها زيغا
وميلا لموافقة اهوائهم وقضاء حاجاتهم واغراضهم والسبيل يذكر ويونث والعوج بكسر العين في الدين
والامر والارض وفي كل ما لم يكن قائما وبفتح العين في كل ما كان قائما كالحائط والرمح ونحوه وقد تقدم في
ال عمران وغيره اولئك في ضلال بعيد اي ذهاب عن الحق بعيد عنه قوله تعالى وما ارسلنا
من رسول اي قبلك الا بلسان قومه اي بلغتهم ليبينوا لهم امر دينهم ويفهموهم وحد اللسان وان اضافه
الى القوم لان المراد اللغة فهي اسم جنس تقع على القليل والكثير والحجة للعجم وغيرهم في هذه الاية ان كل
من ترجم له ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ترجمة يفهمها لزمته الحجة وقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وقال صلى الله عليه وسلم كل نبي الى امته بلسانها وارسلني الله الى كل احمر واسود من
خلقه وقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم لا يومن
بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار خرجه مسلم وقد تقدم فيضل الله من يشا ويهدي من يشا رد على
القدرية في نفوذ المشية وهو مستانف وليس بمعطوف على ليبين لان الارسال انما وقع للتبيين لا للاضلال
ويجوز النصب في يضل لان الارسال صار سببا للاضلال لانهم كفروا لما جاءهم فصار كانه سبب
لكفرهم وهو العزيز الحكيم تقدم معناه قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بايتنا اي بحجتنا وبراهيننا

اي بالمعجزات الدالة على صدقه قال مجاهد هي التسع الايات التي اخرج قومك من الظلمات الى النور نظيره قوله
تعالى لنبينا عليه السلام اول السورة لتخرج الناس من الظلمات الى النور وقيل ان هذا بمعنى اي كقوله تعالى
وانطلق الملا منهم ان امشوا اي امشوا فقوله تعالى وذكرهم بايام الله اي قل لهم قولا يتذكرون به ايام
الله تعالى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة نبئهم الله عليهم وقاله ابي بن كعب ورواه مرفوعا اي بما انعم عليهم
من النجاة من فرعون ومن السير الحسن والنعم بالايام ومنه قولهم يوم بؤس ويوم نعيم وايام لنا غر طوال
وعن ابن عباس ايضا ومقاتل بوقايع الله في الامم السالفة بقال فلان عالم بايام العرب اي بوقايعها قال ابن
زيد يعني الايام التي انتقم فيها من الامم الخالية وكذلك روي ابن وهب عن مالك قال بلاوه وقال الطبري نعمه
وعظهم بما سلف في الايام الماضية لهم اي بما كان في ايام الله من النقمة والمحنة وقد كانوا عبيد مستذلين له
واكتفى بذكر الايام عنه لانها كانت معلومة عندهم وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن كعب قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينا موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بايام الله وايام الله بلاوه
ونعماوه وذكر حديث الخضر ودل هذا على جواز الوعظ المرقق للقلوب المرغب لليقين الحاثي على كل بدعة
والمنزه عن كل ضلالة وشبهه ان في ذلك اي في التذكير بايام الله لايات اي دلالات لكل صبار اي كثير الصبر
على طاعة الله وعن معاصيه شكور لنعم الله وقال قتادة تعهوا العبد اذا اعطى شكر واذا ابتلي صبر وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ثم تلا هذه الاية ان في ذلك
لايات لكل صبار شكور وانما خص بالايات لكل صبار شكور ونحوه عن الشعبي مرفوعا ونوادر الحسن عن الحجاج
سبع سنين فلما بلغه موته قال اللهم قد امته فامت سنته وسجد شكرا وذكر ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور وانما خص بالايات لكل صبار شكور لانه يعتبر بها ولا يغفل عنها كما قال انما انت منذر من يخشاها وان كان
منذرا للجميع قوله تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم الجملة عطف نقدم في البقرة
مستوفى والحمد لله قوله تعالى واذ تاذن ربكم قيل هو من قول موسى لقومه وقيل هو من قول الله واذكر يا محمد اذ
قال ربك كذا وتاذن واذن بمعنى اعلم مثل وعد وتوعد وروي معنى ذلك عن الحسن وغيره ومنه الاذان لانه
اعلام قال الشاعر فلم يبصروا لصبح حتى سمعنا في صماخ الاذينا ● وكان ابن مسعود يقرا واذ قال
ربكم والمعنى واحد لين شكرتم لازيدنكم اي وجدتم انعامي لازيدنكم من فضلي الحسن لين شكرتم نعمتي لازيدنكم
من طاعتي ابن عباس ابن جبير لين جبتم واطعتم لازيدنكم من الثواب والمعنى متقارب في هذه الاقوال والاية
نص في ان الشكر سبب المزيد وتقدم في البقرة ما للعلماء في معنى الشكر وسيل بعض الصلحاء عن الشكر
لله فقال الا تنفقوا بنعمه على معاصيه وحكي عن داود عليه السلام انه قال رب كيف اشكرك وشكري لك نعمة
جديدة منك علي قال يا داود الان حين شكرتني قلت بحقيقة الشكر على هذا الاعتراف بالنعمة للمنعم
وان لا يصرفها في غير طاعته وانشد الحادي وهو يا كل ● انا لك رزقر لتقوم فيه بطاعته وتشكر بعض حقه ●
● فلم تشكر لنعمته ولكن قويت على معاصيه برزقه ● فنعمز بالنعمة وحشته وقاد همز الصادق اذا
سمعت النعمة نعمة الشكر ناهب للمزيد ولين كفرتم ان عذابي لشديد كفرتم اي جحدتم حقي وقيل نعمي
وعد بالعذاب على الكفر كما وعد بالزيادة على الشكر وحذف الفا التي جواب الشرط من ان للشهرة
قوله تعالى وان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني اي لا يلحقه بذلك نقص بل هو الغني
الحميد اي المحمود قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والنبا الخبر والجمع الانبا
قال الم ياتكم والانباء تاتي ● ثم قيل هو من قول موسى وقيل من قول الله اي واذكر يا محمد اذ قال ربك كذا وقيل
هو ابتداء خطاب من الله تعالى وخبر قوم نوح وعاد وثمود مشهور قصه الله في كتابه وقوله والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله اي لا يحصى عددهم الا الله والنسابون وان نسبوا الى آدم فلا
يدعون احصاء جميع الامم وانما ينسبون البعض ويمسكون عن نسب البعض وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم لما سمع النسابون ينسبون الى معد بن عدنان ثم تادوا فما فوق كذب النسابون
ان الله يقول لا يعلمهم الا الله وقد روي عن عروة بن الزبير انه قال ما وجدنا احدا يعرف ما بين عدنان
واسماعيل وقال ابن عباس بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود يقول كذب من يقرا
لا يعلمهم الا الله كذب النسابون جاتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج والدلالات فردوا ايديهم في افواههم
اي جعلوا ولبك القوم ايدي انفسهم في افواههم ليعضوها غيظا مما جاء به الرسل اذا كانوا في نفسه يسفيه
احلامهم وشتم اصنامهم قاله ابن مسعود ومثله قال ابن عبد الرحمن بن زيد وقرا عضوا عليكم الانامل
من الغيظ وقال ابن عباس لما سمع كتاب الله عجبوا ورجعوا بايديهم الى افواههم وقال ابو صالح كانوا اذا
قال لهم نبيهم انا رسول الله اليكم اشاروا باصابعهم الى افواههم ان اسكت تكذيبا له وردا لقوله وهذه
الاقوال الثلاثة متقاربة المعنى والضمير ان للكفار والقول الاول اصحها اسنادا قال ابو عبيد حدثنا
عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن ابي اسحاق عن ابي الاحوص عن عبد الله في قوله تعالى فردوا
ايديهم في افواههم قال عضوا عليها غيظا وقال الشاعر لو ان سلمى ابصرت تخددي ودقة في عظم ساقي ويدي

وبدا هلي وجفا عودي عضت عز اليد باطراف البنان ٭ وقد مضى هذا المعنى في الحمران عجوا والحمد لله قال مجاهد وقتادة ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بافواههم بالصفير الاول للرسل وانما في الكفار وقال الحسن وغيره جعلوا ايديهم في افواه الرسل ردا للقولهم فالضمير الاول على هذا للكفار وانما في للرسل وقيل معناه اومؤا الى الرسل اذ اسكتوا وقال مقاتل اخذوا بايدي الرسل ووضعوها على افواه الرسل ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم وقيل ردوا الرسل بايدي القوم في افواههم وقيل ان الايدي ههنا النعم اي ردوا نعم الرسل بافواههم ما جاءت به الرسل وفي معنى ابانيقا لجلست في البيت وبالبيت مروف الصفا تقام بعضها مقام بعض وقال ابو عبيدة هو ضرب مثل اي لم يوسنوا ولم يجيبوا وقال حرب تقول للرجل اذا امسك عن الجواب وسكت قد رددته في فيه اذا ترك ما امر به واما المعنى عضوا على الايدي حنقا وغيظا كقول الشاعر ترد ون في فيه عشر الحسود حتى يعض على الاكف ٭ يعني انهم يفيظون الحسود حتى يعض على اصابعه وكيفية ذلك اخره قد افنى انامله اراد به فاضحى يعد على الوضيف ٭ وقالوا يعني للرسل انا كفرنا بما ارسلتم به اي بالارسال على زعمكم لانهم انكروا انهم ارسلوا وانا لفي شك اي في ريب ومرية مما تدعونا اليه ايهذا التوحيد مريب اي موجب للريبة بفساد ادلته اذا فعلت امرا اوجب ريبة وشكا اي نظن انكم تطلبون الملك والدنيا قوله تعالى قالت رسلهم افي الله شك استفهام معناه الانكار اي لا شك في الله اي في توحيده قاله قتادة وقيل في طاعته ويحتمل وجها ثالثا اي في قدرة الله شك لانهم منقسمون عليها ومختلفون فيها لان الشاهد لا يدل على غيره فوله فاطر السموات والارض اي خالقها ومخترعها ومنشيها وموجدها بعد العدم ليس على قدرته فلا يجوز العبادة الا له يدعوكم اي الى طاعته بالرسل والكتب ليغفر لكم من ذنوبكم قال ابو عبيدة من زايدة وقال سيبويه هي للتبعيض ويجوز ان يذكروا البعض والمراد منه الجميع وقيل منه للبدل وليست بزايدة ولا بمعضه اي لتكون من المغفرة بعض الذنوب ويؤخركم الى اجل مسمى يعني الموت فلا يعذبكم في الدنيا قالوا ان انتم اي ما انتم الا بشر مثلنا في الهيئة والصورة تاكلون مما نا كل وتشربون مما نشرب ولستم ملائكة فما تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباونا من الاصنام والاوثان فاتونا بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة وكان هذا محالا منه فان الرسل ما دعوا الا ومعهم المعجزات قوله تعالى قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم اي في الصورة والهيئة كما قلتم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده اي يتفضل عليه بالنبوة وقيل بالتوفيق والحكمة والمعرفة والهدايا روى سهل بن عبد الله بن علوة القرآن وفهم ما فيه قلت وهذا قول حسن وتدخل حديث الطبري من حديث ابن عمر نا لقلت لابي ذر يا عم او صني فقال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سالتني فقال ما من يوم والليلة وساعة الا ولله فيه صدقة من بها على من يشاء من عباده وما من الله تعالى على عباده عبل ان يلهمهم ذكره وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان اي بحجة وآية الا باذن الله اي بمشيئته ولبس ذلك في قدرتنا اي لا نستطيع ان نا تي بحجة كما تظلبون الا بامره وقدرته فلفظه لفظ الخبر ومعناه النفي انه لا يخطر على احد ما لا يقدر عليه وعلى الله فليتوكل المومنون تلتزم معناه قوله تعالى وما لنا ان لا نتوكل على الله ما استفهام في موضع رفع بالابتداء والنا الخبر وما بعدها في موضع الحال التقدير اي شيء لنا في ترك التوكل على الله وقد هدانا سبلنا اي الطريق الذي يوصل الى رحمته وينجي من سخطه ونقسمن ولنصبرن لام قسم مجازه والله لنصبرن على ما اذ يتمونا به اي من الاهانة والضرب والتكذيب والقتل ثقة بالله انه يكفينا ويثيبنا وعلى الله فليتوكل المتوكلون قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا اللام لام قسم اي والله لنخرجنكم او لتعودن اي حتى تعودوا او الا ان تعودوا قال الطبري وغيره قال ابن العربي وهو غير مفتقر الى هذا التقدير فان او على بابها من التخيير خير الكفار الرسل بين ان يعودوا في ملتهم او يخرجوهم من ارضهم وهذه سيرة الله تعالى في رسله وعباده الا ترى الى قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا وقد تقدم هذا المعنى في الاعراف وغيرها في ملتنا اي في ديننا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين لانفسهم بالكفر ولنسكننكم الارض من بعدهم قوله تعالى ذلك لمن خاف مقامي اي مقامه بين يدي يوم القيمة فاضيف المصدر الى الفاعل والمقام مصدر كالقيام يقال قام قياما ومقاما واضاف ذلك اليه لاختصاصه به والمقام بفتح الميم مقام الاقامة وبالضم فعل الاقامة وذلك ذلك لمن خاف مقامي اي قيامي عليه ومراقبتي له قال الله انا هو قائم على كل نفس بما كسبت وقال الحسن ذلك لمن خاف مقامي اي عذابي وخاف وعيد اي القرآن وزواجره وقيل انه العذاب والوعيد الاسم من الوعد قوله تعالى واستفتحوا اي استنصروا اي اذن للرسل في الاستفتاح على قومهم والدعاء عليهم قاله ابن عباس وغيره وقد مضى في البقرة ومن الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بصعاليك المهاجرين اي بستنصر وقال ابن زيد استفتحت الامم بالدعاء كما قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وروي عن ابن عباس وقيل قال الرسول انهم كذبوني فافتح بيني وبينهم فتحا وقالت الامم ان كان

هو لاء صادقين فعد بنا عن ابن عباس ايضا نظره انتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي بانتنا ان كنت من المرسلين وخاب كل جبار عنيد الجبار المتكبر الذي لا يريد لاحد عليه حقا هكذا هو عند اصل اللغة ذكره النحاس والعنيد المعاند للحق والمجانب له عن ابن عباس وغيره بغداد عند عن قومه اي تباعد عنهم وقيل هو من العند وهو الناحية وعاند تلاء اي احترق ناحية معرضا قال الشاعر الى تزلت فاجعلاني وسطا اي كبيرا طيوا لعندا وقال العروي قوله نقالي جبار عنيد ابو جابر عن القصد وهو العنود والعنيد والعاند وفي حديث ابن عباس وسيل عن المستحاضة فقال انما هي عرق عاند قال ابو عبيد هو الذي عند ويبغي كالانسان يعاند وهو العرق في كثرة ما يخرج منه وقال ثم العاند الذي لا يرفا وقال غيره يذكر سيرته واصل العنود قال الليث العنود من الابل الذي لا يجاز طريقها انما هو في ناحية ابدا اراد ترهم بالخلافة او عما رغبة الجماعة عطفت به اليها وقال مقاتل المعاند المتكبر وقال ابن كيسان هو الشامخ بانفه وقيل العنود والعنيد الذي يتكبر على الرسل ويذهب عن طريق الحق فلا يسلكها تقول الوب شر العرب العنود الذي يخرج عن الطريق وقيل المريد العاصي وقال غنادة العنيد الذي اي ات يقول لا اله الا الله تلت والجبار والعنيد في الاية بمعنى واحد وان كان اللفظ مختلفا وكل متباعد عن الحق جبار وعنيد اي متكبر وقيل ان المراد في الاية ابو جهل ذكره المهدوي وحكى الماوردي في كتاب ادب الدنيا والدين ان الوليد بن يزيد بن عبد الملك نوادر وما في المصحف فخرج له قوله عز وجل واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزق المصحف وانشا يقول * اتوعد كل جبار عنيد فها انا ذاك جبار عنيد * اذا ما جيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد * فلم يلبث الا اياما حتى قتل شر قتلة وصلب راسه على قصره ثم على سور بلده قوله نقالى من ورايهم جهنم اي من وراء ذلك الكافر جهنم اي من بعد هلاكه وورا بمعنى بعد قال النابغة * حلفت فلم ارك نفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب * اي بعد الله جل جلاله ولا دليل لهذه قوله نقالى ومن ورايه عذاب غليظ اي من بعده وقوله نقالى ويكفرون بما وراءه اي بما سواه قاله الفراء وقال ابو عبيد بما بعده وقيل من ورايهم اي عن امامه ومنه قول الشاعر

ومن ورايك يوم انت بالغه لا حاضر معجز عنه ولا بادي * وقال اخر * ارجوا بنو مروان لا زوالي نعمى وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورايها * وقال لبيد * اليس ورايي ان بلغت منتى لزوم العصا تحنى عليها الاصابع يريد اما بعد وفي التنزيل وكان ورايهم ملك اي امامهم والى هذا ذهب ابو عبيدة وابي عبيد وقطرب وغيرهما وقال الاخفش هو دليل هذا من ورايك اي سوف ياتيك وانشد ورايك اثلانا اي في طلبه وساعمل اليه وقال النحاس في قوله من ورايه جهنم اي من امامه وليس من الاضداد ولكنه من توارى اي استتر وقال الازهري ان وراء تكون بمعنى خلف وامام فهو من الاضداد وقاله ابو عبيدة ايضا واشتقاقهما مما توارى واستتر فجهنم توارى ولا تظهر فصارت من وراء لانها لا تزال حكاه ابن الانباري وهو حسن قوله نقالى ويسقى من ماء صديد اي من ماء مثل الصديد كما يقال للرجل الشجاع اسد اي مثل الاسد وهو تمثيل وتشبيه وقيل هو ما يسيل من اجسام اهل النار من القيح والدم وقال محمد بن كعب القرظي والربيع بن انس هو عصارة اهل النار وذلك ما يسيل من فروج الزناة * والزواني وقيل هو من ما كرا هنه تنصرعنه فيكون الصديد ما خوذ من الصدود ذكر ابن المبارك اخبرنا صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بسر عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا دنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول الله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بيس الشراب حرجه الترمذي وقال حديث غريب وعبيد الله بن بسر الذي روى عنه صفوان وحديث ابي امامة لعلهما ان يكون اخا عبد الله ابن بسر يتجرعه اي يتحساه جرعا لا مرة واحدة لمرارته وحرارته وما يكاد يسيغه اي يبتلعه يقال جرع الماء واجترعه وتجرعه بمعنى وساغ الشراب في الحلق يسوغ سوغا اذا كان سلسا سهلا واساغه الله اساغة وبكاد صلة اي ليسيغه لبعد ابطا قال الله نقالى وما كادوا يفعلون اي فعلوا بعد ابطا ولهذا قال يصهر به ما في بطونهم والجلود تهذا بدل على الاساغة وقال ابن عباس لا يجيزه ولا يمر به ويا تيه الموت من كل مكان قال ابن عباس اي يا تيه اسباب الموت من كل جهة من عنيه وشماله ومن فوقه وتحته ومن قدامه وخلفه كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال ابراهيم التيمي يا تيه من كل مكان من جسده حتى من اطراف شعره للاهوال التي في كل مكان من جسده وقال الضحاك انه ليا تيه الموت من كل ناحية ومكان حتى من ابهام رجليه وقال الاخفش يعني البلايا التي تصيب الكافر في النار ريحها موتا وهي من اعظم الموت وقيل انه ليبقى عضو من اعضايه الا وكل به نوع من العذاب لو مات سبعين مرة كان العذاب عليه من نوع منها فذلك قوله اما جيئة تنهشه او عقرب تلسعه او نار تسفعه او قيد رجليه او غل في عنقه او سلسلة يقرن بها او تابوت يكون فيه او زمهرير او حميم او غير ذلك من العذاب وقال محمد بن كعب اذا دعي الكافر في جهنم بالشراب دناه ما مات موتات فاذا اوتي منه مات موتات فاذا

عنكم شيا وما انتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتموني من قبل الحديث بطوله وقد كتبناه في كتاب التذكرة
بكماله قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر قال الحسن يقف ابليس يوم القيامة خطيبا
في جهنم وبعني لما قضي الامر اي حصل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار على ما بان في بيانه في مرتم
عليها السلام ان الله وعدكم وعد الحق بعثا للبعث والجنة والنار وثواب المطيع وعقاب العاصي
فصدقكم وعده ووعدتكم ان لا بعث ولا جنة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب فاخلفتكم ورواه
ابن المبارك من حديث عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال فيقول
عيسى ادلكم على النبي الامي فيأتوني فيأذن الله لي ان اقوم فيثور مجلس من اطيب ريح شمها احد حتى اتعجب
فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر راسي الى ظفر قدمي ثم يقود الكافر فدون وجه المؤمنون من يشفع لهم
فيشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذي اضلنا فيأتونه فيقولون قد وجدنا المؤمنون
من يشفع لهم فاشفع لنا فانك اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه انتن ريح شمها احد ثم يعظم جهنم له
ويقول عند ذلك وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم الاية وعد الحق هو
اضافة الشيء الى لفظه كقولهم مسجد الجامع اي وعدكم الوعد الحق فصدقكم فحذف المصدر له لانه الكمال
وما كان لي عليكم من سلطان اي من حجة وبيان اي ما اظهرت لكم حجة على ما وعدتكم وزينته لكم في الدنيا الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي اي اعونتكم فتابعتموني وقيل لهم افتمركم على ما دعوتكم اليه الا ان دعوتكم
وهو استثناء منقطع اي لكن دعوتكم بالوسواس فاستجبتم باختياركم فلا تلوموني ولوموا انفسكم
وقيل ما كان لعليكم من سلطان اي على قلوبكم وموضع ايمانكم لكن دعوتكم فاستجبتم لي وهذا على ان
خطب الكافر المرتد والكافر الجاحد وفيه نظر لقوله اذ قضي الامر فانه يدل على انه خطب الكفار
دون العاصين والله اعلم فلا تلوموني ولوموا انفسكم اذا جيتموني من غير حجة ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم
وما انتم بمصرخي اي بمغني والمصطرخ هو الذي يطلب النصرة والمعاونة والمصرخ هو المغيث
قال الجعدي من سلامة * كنا اذا ما اتانا صارخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنابيب * وقال
امية بن ابي الصلت * لا يحزعوا انى لكم غير مصرخ * وليس بكم عندي غنا ولا نصره * يقال صرخ
فلان اي استغاث يصرخ صراخا وصرخة واصطرخ بمعنى صرخ والصرخ نكف الصراخ والمصرخ
المغيث والمستصرخ المستغيث تقول منه استصرخته فاصرخني والصريخ صوت المستصرخ والصريخ
ايضا الصارخ وهو المغيث والمستغيث وهو من الاضداد قاله الجوهري وقراءة العامة بمصرخي بفتح
الياء وقرأ الاعمش وحمزة بمصرخي بكسر الياء والاصل فيها بمصرخيني فذهبت النون للاضافة وادغمت
ياء الجماعة في ياء الاضافة فمن نصب فلاجل التضعيف وان يا الاضافة اذا سكن ما قبلها تفتح فيهما
الفتح مثل هواي وعصاي فانكرك ما قبلها جاز الفتح والاسكان مثل غلامي وغلامني ومن كسر
فلالتقاء الساكنين حركت الى الكسر لانها ياء الاضافة والكسرة منها قراءة حمزة وهم منه وقد
مر سلم منهم عن خطا وقال الزجاج هذه قراءة رديئة ولا وجه لها الا وجه ضعيف وقال قطرب
هذه لغة بني يربوع يزيدون على ياء الاضافة ياء التشبيه والذي يعتمد عن هذا ان ما ثبت بالتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز ان يقال فيه هو خطا او قبيح او رديء بل هو في الغرابة فصيح
وفيه ما هو افصح منه فلعل هو لاء ان ادوا ان هذا الذي قرأ به حمزة افصح اي كفرت بما اشركتموني
من قبل اي كفرت بشرككم اياي مع الله تعالى في الطاعة فما بمعنى المصدر وقال ابن كرامي كفرت اليوم
بما كنتم تدعونه في الدنيا من الشرك لله تعالى قتادة الى معصيتك الله الثوري كفرت بطاعتكم اياي
في الدنيا ان الظالمين لهم عذاب اليم وفي هذه الاية رد على القدرية والمعتزلة والامامية ومن كان
على طريقهم انظر الى قول المتبوعين لو هدانا الله لهديناكم وقول الكفار ابليس ان الله وعدكم وعد
الحق كيف اعترفوا بالحق في صفات الله وهم في دركات النار كما قال في موضع اخر كلما القي فيها
فوج سالهم خزنتها الى قوله فاعترفوا بذنوبهم واعترافهم في دركات تلظى بالحق ليس بنافع وانما
ينفع الاعتراف صاحبه في الدنيا قال الله عز وجل واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا
واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وعسى من الله واجبة قوله لما قضي الامر وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات الاية في جنات ان دخلت لابتدائي كما لابتدائي تقضيه وهو خرجت ولا يقاس عليه
قاله المهروي ولما اخبر تعالى بحال اهل النار اخبر بحال اهل الجنة ايضا وقراءة الجماعة ادخل على ابه
فعل مبني للمفعول وقرأ الحسن وادخل على الاستقبال والاستئناف باذن ربهم اي بامره وقيل
بمشيئته وتيسيره وقال باذن ربهم ولم يقل باذني تعظيما وتفخيما تحيتهم فيها سلام تقدم في يونس
والحمد لله قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة فيه مسالتان الاولى قوله
تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا لما ذكر تعالى مثل اعمال الكفار وانها كرماد اشتدت به الريح ذكر مثل
اقوال المومنين وغيرها ثم ضرب ذلك المثل فقال كلمة طيبة الثمرة محذوف لدلالة الكلام عليه قال ابن عباس

فاذا شرب منه مزجا فانه يموت دون ذلك قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت قال الضحاك لا يموت فيستريح وقال ابن جريج تعلق روحه في حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكانها من جوفه فتنفعه الحياة ونظيره قوله لا يموت فيها ولا يحيى وقيل كلوا سلخ جسده الا ما كل واحد منها كاسم الموت وقيل وما هو بميت لتطاول شدايد الموت به وامتداد سكراته عليه ليكون ذلك زيادة في عذابه تلت ويظهر من هذا انه يموت وليس كذلك لقوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وبذلك وردت السنة فاحوال الكفار سكرات الموت دائما والله اعلم ومن ورائه اي من امامه عذاب غليظ اي شديد متواصل الآلام من غير فتور ومنه قوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وقوة وقال الفضيل بن عياض في قول الله تعالى ومن ورائه عذاب غليظ قال حبس الانفاس قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اختلف النحويون في رفع مثل فقال سيبويه ارتفع بالابتداء والخبر مضمر التقدير فيما يتلى عليكم او يقتص مثل الذين كفروا بربهم ثم ابتدأ فقال اعمالهم كرماد اي كمثل رماد اشتدت به الريح وقال الزجاج اي مثل الذين كفروا فيما يتلى عليكم اعمالهم كرماد وعنه ايضا انه على حذف مضاف التقدير مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد وذكر الاول عنه الماوردي والثاني الثعلبي وقال الثعلبي ويجوز ان يكون مثل اكابر اسم فمثل بمعنى صفة ويجوز في الكلام جرا عمالهم على بدل الاشتمال من الذين وافضل هذا بقوله وخاب كل جبار عنيد والمعنى اعمالهم محبطة غير مقبولة والمراد ما بقي بعد احتراق الشيء فضرب الله هذه الآية مثلا لاعمال الكفار في انها لم تحقها كما يحق الريح الشديدة الرماد في يوم عاصف والعصف شدة الريح وانما كان ذلك لانهم اشركوا فيها غير الله تعالى ونعت يوم بوصف اليوم بالعصوف ثلاثة اقاويل احدها ان العصوف وان كان للريح فان اليوم قد يوصف به لان الريح تكون فيه مجازا ان يقال يوم عاصف كما يقال يوم حار ويوم بارد والبرد والحر فيهما والثاني ان يريد بيوم عاصف الريح لانا ذكرنا في اول الكلمة كما قال الشاعر اذا جاء يوم مظلم الشمس كاسف يريد كاسف الشمس فحذف لانه قد مر ذكرهما المعروي والثالث انه من نعت الريح غير انه لما جاء بعد اليوم انتصب اعرابه كما قيل جحر ضب خرب ذكره الثعلبي والماوردي وقرأ ابن ابي اسحق وابراهيم ابن ابي بكر في يوم عاصف الريح لا يقدرون يعني الكفار على شيء مما كسبوا بريد في الآخرة اي من ثواب ما عملوا من البر في الدنيا لاحبطه بالكفر ذلك هو الضلال البعيد اي الخسران الكبير وانما جعله كبيرا بعيدا لان الثواب اقتران استدراكه بالموت قوله تعالى الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق الرؤية هنا رؤية القلب لان المعنى الم يبلغ علمك اليقيني وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات والارض وبعني بالحق ليستدل بها على قدرته ان يشأ يذهبكم ايها الناس اي هو قادر على الاتيان كما قدر على ايجاد الاشياء فلا تقصوه ثم ان عصيتموه يذهبكم ويأت بخلق جديد يفعل ويطوع منكم اذ لو كانوا مثل الاولين فلا يعوزه في الابدال وما ذلك على الله بعزيز اي منيع متعذر قوله تعالى وبرزوا لله جميعا اي برزوا من قبورهم بعث يوم القيامة والبروز الظهور والبراز المكان الواسع لظهوره ومنه امرأة برزة اي تظهر للناس فمعنى برزوا ظهروا من قبورهم وجاء بلفظ الماضي ومعناه الاستقبال وانصل هذا بقوله وخاب كل جبار عنيد اي وقاربوا اذا استفتحوا انهكوا ثم بعثوا للحساب فبرزوا لله جميعا لا يستترهم عنه شيء لانه لا جل امر الله اياهم بالبروز فقال الضعفا يعني الاتباع للذين استكبروا وهم العادة انا كنا لكم تبعا يجوز ان يكون تبعا مصدرا للتقدير وتابع ويجوز ان يكون جمع تابع مثل حارس وحرس وخادم وخدم وراصد ورصد وبانر وبنر فهل انتم مغنون اي دافعون عنا من عذاب الله من شيء اي شيئا ومن صلة يقال اغنى عنه اذا دفع عنه الاذى واغناه اذا اوصل الشيء او المنفعة قالوا لو هدانا الله لهديناكم اي لو هدانا الله الى طريق الجنة لهديناكم اليها وقيل لو نجانا الله من العذاب لنجيناكم منه سواء علينا هذا الذي نحن فيه اخبرا اخر اي سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي من مهرب وملجا ويجوز ان يكون بمعنى المصدر وبمعنى الاسم يقال حاص فلان عن كذا اي نفر وزاغ يحيص حيصا وحيوصا وحيصانا والمعنى ما لنا وجد بيتا يعدل به عن النار وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينقول اهل النار اذا اشتد بهم العذاب تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلما رأوا ان ذلك لا ينفعهم قالوا هلم فلنجزع فيجزعون ويضجون خمسمائة عام فلما رأوا ان ذلك لا ينفعهم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال كعب انزل ذكرنا ان اهل النار يتنوبهم بعضهم لبعض يا هؤلاء دعوا ان تنزل لكم البلاء والعذاب ما قد نزل بهم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر اهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر اذ صبروا فاجمعوا رأيهم على الصبر فمكثوا عمرا وطال صبرهم ثم جزعوا فقالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص اي منجا فقام ابليس عند ذلك فقال ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي يقول بمغن

عنكم

الكلمة الطيبة ٢ الا الله والشجرة الطيبة المؤمن وقال مجاهد وابن جريج الكلمة الطيبة الايمان عطية العوفي والربيع بن انس هي المؤمن نفسه وقال مجاهد ايضا وعكرمة الشجرة المحلة فيجوز ان يكون المعنى اصل الكلمة في قلب المؤمن وهو الايمان شبهه بالنخلة في المنبت وشبه ارتفاع عمله في السما بارتفاع فروع النخلة وثواب الله له بالثمر وروى مرفوعا حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مثل الايمان كمثل شجرة ثابتة الايمان عروقها والصلاة اصلها والزكاة فرعها والصيام اغصانها والتادي في الله بناتها وحسن الخلق ورقها والكف عن محارم الله ثمرتها والتادي في الله بناتها وحسن الخلق ورقها والكف عن محارم الله ثمرتها ويجوز ان يكون المعنى اصل النخلة ثابت في الارض اي عروقها تشرب من الارض وتسقيها السما من فوقها فهي زاكية نامية وخرج الترمذي مرفوعا حديث انس بن مالك قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع فيه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما تؤتي اكلها كل حين باذن ربها هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار قال مجاهد الحنظل وروى عن انس قوله وهو اصح وخرج الدارقطني عن ابن عمر اصلها ثابت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هي فوقع في نفسي انها النخلة قال السهيلي ولا يصح فيها ما روي عن علي بن ابي طالب انها جوزة الهند لما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المؤمن خبروني ما هي ثم قال هي النخلة خرجه مالك في الموطا من رواية ابن القاسم وغيره الا يحيى فانه اسقطه من روايته وخرجه اهل الصحيح وزاد فيه الحارث بن ابي اسامة زيادة تساوي رحله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهي النخلة لا يسقط لها اغلة وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة فيبين معنى الحديث والمماثلة قلت وذكر الغزنوي عنه عليه السلام مثل المؤمن كالنخلة ان صاحبته تنفعك وان جالسته تنفعك وان شاورته تنفعك كالنخلة كل شي منها ينتفع به وقالوا من عندكم بينى النخلة خلقت من فضلة طينة ادم عليه السلام ولذلك انها بر اسها تبكي وبقلبها تحيى وعرقها يمنزاج الذكر والانثى وقد قيل انها لما كانت اشبه الاشجار بالانسان شبهت به ولذلك ان كل شجرة اذا قطع راسها تشعبت من جوانبها والنخلة اذا قطع راسها يبست وذهبت اصلا ولانها تشبه الانسان وساير الحيوان في انها لا تلقح حتى تلقح قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الما لدسكلة ماورة وبهمرة ماورة والملقاح الابار وسيأتي في سورة الحجر بيانه ولانها من فضلة طينة ادم ويقال ان الله عز وجل لما صور ادم من الطين فضلت فطعة طين فصورها بيده وغرسها في جنة عدن فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم قالوا من عمتنا يا رسول الله قال النخلة تؤتي اكلها كل حين قال الربيع كل حين غدوة وعشية كذلك يصعد عمل المؤمن اول النهار واخره وقال ابن عباس وعنه في قوله تؤتي اكلها كل حين قال هو شجرة الهند لا تتعطل من ثمرة تحمل في كل شهر شبه عمل المؤمن لله عز وجل في كل وقت كالنخلة التي تؤتي اكلها في اوقات مختلفة وقال الضحاك كل ساعة من ليل او نهار شتا وصيفا يوكل في جميع الاوقات كذلك المؤمن لا يخلو من الخير في الاوقات كلها قال النحاس وهذه الاقوال متقاربة يدعى منها فضة ان الحين عند جميع اصل اللغة الامر شد منهم بمعنى الوقت تقع لقليل الزمان وكثيره والشر الاصمعي بين الناقة تنادرها الراعون من سوء سيرها تظلمه حينا وحينا تراجعه فهذا بين لك ان الحين هو بمعنى الوقت فالايمان ثابت في قلب المؤمن وعمله وقوله وتسبيحه عالم ينفع في السما ارتفاع نور فروع النخلة وما يكسب من بركة الايمان وثوابه كما يقال من ثمرة النخلة في اوقات السنة كلها من الرطب والبسر والبلح والتمر والطلع وفي رواية عن ابن عباس ان الشجرة الطيبة شجرة في الجنة تحمل في كل وقت وحلا منصوب بضرب وكلمة بدل منه والكاف في قوله كشجرة في موضع نصب على الحال من كلمة التقدير كلمة طيبة مشبهة لشجرة طيبة الثانية قوله تعالى تؤتي اكلها كل حين لما كانت الاشجار تؤتي اكلها كل سنة مرة كان في ذلك بيان حكم الحين ولهذا قلنا من حلف ان لا يكلم فلانا حينا ولا نية له كان حينا الى الحين سنة وقد ورد الحين في موضع اخر يراد به اكثر من ذلك كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر قيل في التفسير اربعون عاما وحكى عكرمة ان رجلا قال ان فعلت كذا وكذا الى حين فغلامه حر فاتى عمر بن عبد العزيز فسأله فسالني عنها فقلت ان الحين حينا لا يدرك فقوله وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين قاربي ان تمسكه ما بين صرام النخلة الى حملها فكان اكثر وهو قول ابي حنيفة في الحين انه سنة اشهر اتباعا لعكرمة وغيره وقد مضى ما للعلما في الحين في البقرة مستوفى والحمد لله ويضرب الله الامثال الاشباه للناس لعلهم يتذكرون ويعتبرون وقد تقدم قوله تعالى ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة الكلمة الخبيثة كلمة الكفر وقيل الكافر نفسه والشجرة الخبيثة شجرة الحنظل كما في حديث انس وهو قول ابن عباس ومجاهد

وغيرهما

وعنهما وعن ابن عباس ايضا انها شجرة لم تخلق على الارض وقيل هي شجرة اللوم عن ابن عباس ايضا وقيل الكماة والطحلبة وقيل الكشوث وهي شجرة لا ورق لها ولا عروق في الارض قال الشاعر ومنهم لسوت فلا اصل ولا ثمره اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار اي اقتلعت من اصلها قاله ابن عباس ومنه قولهم لقيط هو الجلا الذي يجتث اصلكم من اي مثل ذات ومن سمعاه وقال المبرد اجتثت جثتها وهي نفسها والجثة شخص الانسان قاعدا وقائما وجثة فلعة واجثه اقتلعه من فوق الارض اي ليس لها اصل راسخ يثبت بوقوفه من الارض ما لها من قرار اي ما اصل في الارض وقيل من ثبات وكذلك الكافر لا حجة له ولا ثبات ولا حيلة ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح وروى معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة في قوله تعالى وضرب الله مثلا كلمة طيبة قال لا اله الا الله كشجرة طيبة قال المؤمن اصلها ثابت لا اله الا الله ثابتة في قلب المؤمن ومثل كلمة خبيثة قال الشرك كشجرة خبيثة قال المشرك اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار اي ليس للمشرك اصل يعمل عليه وقيل يرجع المثل الى الدعاء الى الايمان والدعاء الى الشرك لان الكلمة تفهم منها القول والدعاء الى الشيء قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا قال ابن عباس هو لا اله الا الله وروى النسائي عن البراء الذي يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة قال نزلت في عذاب القبر فيقال من ربك فيقول ربي الله ودييني محمد فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة قلت وقد جاء هكذا موقوفا في بعض طرق مسلم عن البراء فقوله في الصحيح فيه الروح كذا في صحيح مسلم وكتاب النسائي وابي داود وابن ماجة وغيرهم عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر البخاري حدثنا جعفر بن عمر قال حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقعد المؤمن في قبره اتي ثم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة وقد بسطنا هذا الباب في كتاب التذكرة وبينا هناك من يقتن ويسأل من اراد الوقوف عليه تامله هناك وقال سهل بن عمار رايت يزيد بن هارون في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال اتاني في قبري ملكان ذكر غليظ فقالا ما دينك ومن ربك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضا وقلت المثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما منذ سنة فذهبا وقالا كنيت عن جرير بن عثمان قلت نعم فقالا انه كان يبغض عثمان الله فابغضه الله وقيل معنى يثبت الله يديمهم الله على القول الثابت ومنه قول عبد الله بن رواحة يثبت الله ما اتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصرا وقيل يثبتهم في الدارين جزاء لهم على القول الثابت وقال الضحاك في الحياة الدنيا اي في القبر اذا الموتى في الدنيا الى ان يبعثوا وفي الاخرة اي عند الحساب وحكاه الماوردي عن البراء قال المراد بالحياة الدنيا المسالة في القبر وفي الاخرة له المسالة في القيامة ويضل الله الظالمين اي عن حجتهم في قبورهم كما ضلوا في الدنيا بكفرهم فلا يلقنهم كلمة الحق واذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري فيقول لا دريت ولا تليت وعند ذلك يضرب بالمقامع على ما ثبت في الاحيا وقد ذكرنا ذلك في كتاب التذكرة وقيل يضلهم حتى يزدادوا ضلالا في الدنيا ويفعل الله ما يشاء من عذاب قوم واضلاله قوم وقيل ان سبب نزول هذه الاية ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف مسايل منكر ونكير وما يكون من جواب الميت قال عمر يا رسول الله اليكون معي عقلي قال نعم قال كفيت اذا فانزل الله عز وجل هذه الاية قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي جعلوا بدل نعمة الله عليهم الكفر في تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله فيهم فكفروا به والمراد مشركوا قريش وان الاية نزلت فيهم عن ابن عباس وعلي وغيرهما وقيل نزلت في المشركين الذين قاتلوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال ابو الطفيل سمعت عليا رضي الله عنه يقول لهم قريش الذين كفروا يوم بدر وقيل نزلت في الاحزاب من قريش بني مخزوم وبني امية فاما بنو امية فمتعوا حينا الى حين واما بنو مخزوم فما هلكوا يوم بدر قاله علي بن ابي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقول رابع انهم منتصرة العرب جبلة بن الاهتم واضحابه حين لم يجعل له عمر القصاص مثلها فلم يرض وانف فارتد مستصرخا لحق بالروم في جماعة من قومه عن ابن عباس عن ابن عباس وقتادة ولما صار الى بلد الروم ندم فقال * تنصرت الاشقاق من عار لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضير * تكنفني منها لجاج وسكرة * وتبعث بها العين الصحيحة بالعور * فيا ليتني ارعى المخاض ببلدة * ولم اكن القول الذي قاله عمر * وقال اكثر اهل العلم انها عامة في جميع المشركين واصلوا قومهم ايما انزلوهم وقال ابن عباس هم قادة المشركين يوم بدر قاله علي بن ابي طالب ومجاهد والبوار الهلاك اصلوا قومهم اي الذين اتبعوهم دار البوار وقيل جهنم قاله ابن يزيد وقيل يوم بدر قاله علي بن ابي طالب ومجاهد والبوار الهلاك ومنه قول الشاعر * فلم ار مثلهم ابطال حرب عادة الحرب اذا جيف البوار * جهنم يصلونها بين ان دار البوار جهنم كما قال

ابن زيد وعلى هذا الكوفة الوقف على دار البوار لان جهنم منصوبة على التفسير عن دار البوار فلو رفعها
باضمار على معنى هي جهنم او بما عاد من الضمير في يصلونها لجاز الوقف على دار البوار ويبتدئ النزار
اي المستقر قوله تعالى وجعلوا لله انداد ا اي اصناما عبدوها وقد تقدم في البقرة ليضل
عن سبيله اي عن دينه وقرا ابن كثير وابو عمر بفتح الياء وكذلك في الحج ليضل عن سبيل الله ومثله في لقمان
والزمر ومعنى الماضون على معنى ليضلوا الناس عن سبيله واما من فتح فعلى معنى انهم هم يضلون
عن سبيل الله على اللزوم اي عاقبتهم الى الضلال والاضلال فمنذه لام العاقبة قل تمتعوا وعيد
لهم وهو اشارة تقليل لعامهم فيه من ملاذ الدنيا فهو منقطع فان مصيركم النار اي مردكم ومرجعكم
الى عذاب جهنم قوله تعالى قل لعبادي الذين امنوا اي اما اهل مكة بدلوا نعمة الله بالكفر
قتل المراد من وعقق عبوديته ان يقيموا الصلاة يعني الصلوات الخمس اي قل لهم اقيموا والامر
معه شرط مقدر تقول اطلع الله اطع لله يدخلك الجنة اي ان اطعته يدخلك الجنة هذا قول
الزجاج وقال الزجاج يقيموا مجزوم بمعنى اللام اي ليقيموا فاسقطت اللام لان الامر دل على الغايب
قال قتادة ويحتمل ان يقال ليقيموا جواب امر محذوف اي قل لهم اقيموا الصلاة يقيموا الصلاة وينفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية يعني الزكاة عن ابن عباس وغيره وقال الجمهور السر ما خفي والعلانية ما ظهر
وقال القاسم بن يحيى ان السر للتطوع والعلانية للفرض وقد مضى هذا المعنى في البقرة مجودا عند
قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال تقدم في البقرة ايضا وخلال
جمع خلة كقلة وقلال قاله الفراء فلست بقلي الحلال ولا قالي قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض
اي ابدعها واخترعها على غير مثال سبق وانزل من السما اي من السحاب ماء فاخرج به من الثمرات اي من الشجر
ثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره تقدم معناه في البقرة وسخر لكم الانهار يعني الجاري
العذبة لتشربوا منها وتسقوا وتزرعوا والبحار المالحة لاختلاف المنافع من الحيوانات وسخر لكم الشمس
والقمر دايبين اي في اصلاح ما يصلحان به من النبات وغيره والدوب مرور الشيء في العمل على عادة
جارية وقد تقدم بيان في السير امتثالا لامر الله والمعنى يجريان الى يوم القيامة لا يفتران عن جريهما
معناه عن ابن عباس وسخر لكم الليل والنهار اي لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار كما
قال ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله واتاكم من كل ما سالتموه اي
اعطاكم من كل مسول سالتموه شيا فحذف عن الاخفش وقيل المعنى واتاكم من كل ما سالتموه
ومن كل ما لم تسالوه فحذف فلم تسأله شمسا ولا قمرا ولا كثيرا من نعم التي ابتدانا بها وهذا كما تاد ابن بيل
تقيم الحر على ما يا تي وقيل من زايدة اي اتاكم كل ما سالتموه وقرا ابن عباس والضحاك وغيرهما
واتاكم من كل ما التنوين من ما سالتموه وقد روي هذه القراة عن الحسن والضحاك وقتادة ومعنى
على النفي اي من كل لم تسالوه كالشمس والقمر وغيرهما وقيل من كل ما سالتموه اي الذي سالتموه
وان تعدوا نعمة الله اي نعم الله لا تحصوها ولا تطيقوا عدها ولا تقوموا بحصرها لكثرتها فاسمع
وابصر وتفهم الصور التي عدد ذلك من العافية والرزق نعم لا تحصى وهذه النعم من الله فلم يبدلون
نعمة الله بالكفر وهلا استعنتم بها على الطاعة ان الانسان لظلوم كفار الانسان لفظ جنس
واراد به الخصوص قاله ابن عباس اراد ابا جهل وقيل جميع الكفار قوله تعالى واذ قال ابراهيم
رب اجعل هذا البلد امنا يعني مكة وقد مضى في البقرة واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي اجعلني
جانبا عن عبادتها واراد بقوله بني بلبه من صلبه وكانوا ثمانية فما عبد احد منهم صنما وقيل هود عالمن
اراد الله ان يدعوا له وقرا الجحدري وعيسى وجنبني واجنبني بقطع الالف والمعنى واحد يقال
اجتنبت ذلك الامر واجتنبته وجنبته ايا ه مجانبة واجتنبه اي تركه وكان ابراهيم النخعي يقوله
في قصصه من يا من البلا بعد الخليل حين يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام كما عبدها اي قوي
وقوي قوله تعالى رب انهن اضللن كثيرا من الناس فما كانت سببا للاضلال اضاف الفعل
اليهن مجازا وان الاصنام جمادات لا تعقل ممن ينعى في التوحيد فانه مني اي من اهل ديني ومن عصاني
اي اصر على الشرك فانك غفور رحيم قيل قاله قبل ان يعلمه الله ان الله لا يغفر ان يشرك به وقيل
غفور رحيم لمن تاب من معصيته قبل الموت وقال مقاتل بن حيان ومن عصاني فيما دون الشرك
قوله تعالى ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم الى قوله تشكرون
فيه ست مسايل الاولى روى البخاري عن ابن عباس اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل
اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى
وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلا المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء
فوضعها هنالك ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقا فيه ماء ثم قفا ابراهيم منطلقا فتبعته ام
اسمعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شيء فقالت

له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت
فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهذه
الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون
وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها
وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب
جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم ترى احدا فهبطت
من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت
الوادي ثم اتت المروة فقامت عليه فنظرت هل ترى احدا فلم ترى احدا ففعلت ذلك سبع مرات
قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت
صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث
فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول
بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا
معينا قال فشربت واضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافي الضيعة فان ها هنا بيت الله يبني
هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت يومئذ مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول
فتاخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين
من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا
بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا
قال وام اسماعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء
قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس
فنزلوا حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم
حين شب فلما ادرك زوجته امراة منهم وماتت ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل
يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا ثم سالها عن عيشهم
وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة وشكت اليه فقال فاذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام
وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء اسماعيل كانه آنس شيئا فقال هل جاءكم من احد قالت نعم
اتانا كذا وكذا فسالني عنك فاخبرته وسالني كيف عيشنا فاخبرته اننا في ضيق وشدة فقال فهل
اوصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك ابي وقد امرني
ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث ابراهيم عنهم ما شاء الله ثم اتاهم بعد
فلم يجده فدخل على امراته فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم
وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله فقال ما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم
قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ
حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما عليهما عند ذلك بدعوته قال فاقرئي عليه السلام وقولي له
يثبت عتبة بابك فلما جاء اسماعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت
عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته اننا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم
هو يقرأ عليك السلام ويامرك ان تثبتي عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان افارقك
الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ما شاء الله ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على
امراته فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن
بخير وسعة واثنت على الله فقال ما طعامكم قالت اللحم وقالت ما شرابكم قالت الماء قال اللهم
بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم
دعا لهم فيه قال فهما عليهما عند ذلك بدعوته قال فاقرئي عليه السلام وقولي له يثبت عتبة بابك
فلما جاء اسماعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسالني
عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته اننا في جهد وشدة قال فاوصاك بشيء قالت نعم
هو يقرأ عليك السلام ويامرك ان تثبتي عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك
ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك فصنع كما صنع آتاهم فلم يجده فدخل على امراته
فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير
وسعة واثنت على الله فقال ما طعامكم قالت اللحم وقالت ما شرابكم قالت الماء قال اللهم
بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم
دعا لهم فيه قال فهما عليهما عند ذلك بدعوته قال فاقرئي عليه السلام وقولي له يثبت عتبة بابك
فلما جاء اسماعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسالني
عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته اننا بخير وسع

في لما قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا واراد
وا رسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وكانت ام اسماعيل
فجا ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته الحديث **قوله تعالى** ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن
اي ليس يخفى عليك شيء من اقوالنا وقال ابن عباس ومقاتل تعلم جميع ما اخفيه وما اعلنه من الوجد باسماعيل
وامه حين اسكنتا بواد غير ذي زرع وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء قيل هو من مقول
ابراهيم وقيل هو من قول الله تعالى اي ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن قال الله وما يخفى على الله من شيء احمد
لله الذي وهب لي على الكبر اي على كبر سني وسر امرأتي قال ابن عباس وله له اسماعيل وهو ابن تسع وتسعين
سنة واسحق وهو ابن مائة واثنتي عشر سنة وقال سعيد بن جبير بشر ابراهيم باسحق بعد عشرة ومائة
سنة ان ربي لسميع الدعا **قوله تعالى** رب اجعلني مقيم الصلاة اي من اساس على الاسلام والتزام
احكامه ومن ذريتي من يقيمها ربنا وتقبل دعاء اي عبادتي كما قال وقال ربكم ادعوني استجب لكم وقال
عليه السلام الدعاء مخ العبادة وقد تقدم في المغفرة ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب
ابراهيم لوالديه قيل ان يثبت عنده ان الله قال التشبري ولا يبعد ان تكون امه مسلمة فان الله
ذكر عذره في استغفاره لابيه دون امه قلت وعلى هذا نزل قراءة شعبة بن جبير رب اغفر لي ولوالدي
يعني اباه وقيل استغفر لهما طمعا في ايمانهما وقيل استغفر لهما بشرط ان يسلما وقيل اراد ادم وحوا
وقد روي ان العبد اذا قال اللهم اغفر لي ولوالدي وكان ابواه نزوجا كافرين ادخلت المغفرة
اي ادم وحوا لابويه وكل المخلوق اجمع وقيل ان اراد ولديه اسماعيل واسحق وكان ابراهيم الخضعي
يقرأ ولولدي يعني ابنيه وكذلك قرأ يحيى بن يعمر ذكره الماوردي والنحاس وللمؤمنين قال ابن عباس
من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل للمؤمنين كلهم وهو اظهر يوم يقوم الحساب اي يوم يقوم الناس
للحساب **قوله تعالى** ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم بعد ان اعجمه من افعال المشركين ومخالفتهم دين ابراهيم اي اصبر كما صبر ابراهيم واعلم
المشركين ان تاخير العذاب ليس لرضى بافعالهم بل لسنة الله امهال العصاة مدة قال ميمون بن
مهران هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم انما يوخرهم يعني مشركي مكة ليعلمهم ويوخر عذابهم
وقراءة العامة بوخرهم بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله ولا تحسبن الله وقرا الحسن والسلمي
وروي عن ابي عمرو ايضا نوخرهم بالنون لتعظيم يوم تشخص فيه الابصار اي لا تغمض من هول ما تراه
في ذلك اليوم قال الفراء يقال شخص الرجل بصره وشخص ببصره نفسه اي سما فلم يرد طرفه قال
ابن عباس شخصت ابصار الخلايق يومئذ الى الهوا لشدة الحيرة فلا يرتمضون مهطعين اي مسرعين قاله
الحسن وقتادة وسعيد بن جبير وماخوذ من اهطع يهطع اهطاعا اذا اسرع ومنه قوله تعالى مهطعين
الى الداعي اي مسرعين قال الشاعر يديله دارهم ولقد ارانهم مد خلة مهطعين الى السماع • وقيل
المهطع اي ينظر في ذل وخشوع اي ناظرين من غير ان يطرفوا قاله ابن عباس وقال مجاهد والضحاك
مهطعين اي مديمي النظر النحاس والمعروف في اللغة ان يقال اهطع اذا اسرع قال ابو عبيد وقد يكون
الوجهان جميعا يعني الاسراع مع ادامة النظر وقال ابن زيد المهطع الذي لا يرفع راسه منتهى وسهم
ابصارهم في روسهم ينظرون في ذل واقناع الراس رفعه قاله ابن عباس ومجاهد قال ابن عرفة والمقنع
وغيرهما المقنع الذي يرفع راسه ويقبل ببصره على ما بين يديه ومنه الاقناع في الصلاة واقنع صوته
اذا رفعه وقال الحسن وجوه الناس يومئذ الى السما لا ينظر احد الى احد وقيل ناكسوا روسهم قال
المبرد ويقال اقنع اذا رفع راسه واقنع اذا طاطا راسه ذلة وخضوعا والاية محتملة للوجهين
وقاله المبرد والقول الاول اعرف في اللغة قال الراجز • انفض نحوي راسه واقنعا كانما ابصر شيا
اطمعا • وقال الشماخ يصف ابلا • يباكرن العصا بمقنعات نواهدها كالحدا الوقيع • يعني رووسا مرفوعا
اليها للتناول وهن ومنه قيل مقنعة لارتفاعها ومنه قنع الرجل اذا رضي اي رفع راسه عن السوال وقنع اذا
سال اي اتى ما ينقنع منه عن النحاس ولم يقنع اي معطوفة اسنانه الى داخل ورجل مقنع بالتشديد
اي عليه بيضته قال الجوهري ابرتد اليهم طرفهم اي لا ترجع اليهم ابصارهم من شدة النظر حتى شاخصة
النظر يقال طرف الرجل يطرف طرفا اذا طبق جفنه على الاخر فسمي النظر طرفا لانه به يكون والطرف العين
قاله عنترة • واغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي ماواها • وقال جميل • واخر طرفي دون
جملكرامة لجمل والطرف الذي انا قاصره • وايد نعم هوا اي لا تغني شيا من شدة الخوف ابن عباس هو
حالة من كل خير السري خرجت قلوبهم من صدورهم فنشبت في حلوقهم وقال مجاهد ومرة وابن زيد
خاوية خربة مخترقة ليس فيها خير واصل لتوله في البيت الذي ليس فيه شي انما هو هوا قاله ابن عباس
والهوا في اللغة الخلو الخالي ومنه قول حسان • الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هوا • وقال
زهير يصف نافقة • كان الرحل منها فوق صعل من الظلمات جور خوية هوا • فارغ اي خال والى التنزيل

ابو عمر اسند هذا الحديث حبيب المعلم عن عطا بن ابي رباح عن عبد الله بن الزبير وجوده ولم يخلط في
لفظه ولا في معناه وكان ثقة قال ابن ابي خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول حبيب المعلم ثقة و ذكر عبد
الله بن احمد قال سمعت ابي يقول حبيب المعلم ثقة ما اصح حديثه وسيل ابو زرعة الرازي عن حبيب
المعلم فقال بصري ثقة قلت وقد خرج حديث حبيب المعلم هذا عن عطا بن ابي رباح عن عبد الله بن
الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم الحافظ ابو حاتم محمد بن حاتم التميمي في المسند الصحيح له فالحديث
صحيح وهو الحجة عند التنازع والاختلاف والحمد لله قال ابو عمر وقد روي عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم مثل حديث ابن الزبير رواه موسى الجهني عن نافع عن ابن عمر وموسى الجهني ثقة اثنى عليه
القطان واحمد ويحيى وجماعتهم وروى عنه شعبة والثوري ويحيى بن سعيد وروى حكيم بن سيف
حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عطا بن ابي رباح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا افضل مما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام
افضل من مائة الف فيما سواه وحكيم بن سيف هذا شيخ من اهل الرقة قد روى عنه ابو زرعة الرازي
واخذ عنه ابن وضاح وهو عندهم شيخ صدوق لا بأس به فان كان حفظ بهما حديثان والا فالقول قول
حبيب المعلم وروى محمد بن وضاح حدثنا يوسف بن عدي عن عمرو بن عبيد عن عبد الملك عن عطا عن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجد هذا افضل من الف صلاة في غيره من المساجد
الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه افضل قال ابو عمر وهذا كالنص في موضع الخلاف قاطع لعذر من الهم
رشده ولم غل به عصبيته وذكر ابن حبيب عن مطرف وعن اصبغ عن ابن وهب انهما كانا يذهبان الى ان فضل
الصلاة في المسجد الحرام على الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم على ما في هذا الباب وقد اتفق
مالك وسائر العلماء على ان صلاة العيدين بين ظهراني في كل بلد الا بمكة فانها تصلى في المسجد الحرام
وكان عمر وعلي وابن مسعود وابو الدرداء وجابر يفضلون مكة ومسجدها وهم اولى بالتقليد من غيرهم
وإلى هذا ذهب الشافعي وهو قول عطاء والمكيين والكوفيين وروي مثله عن مالك ذكر ابن وهب
في جامعه عن مالك ان ادم عليه السلام لما اهبط الى الارض قال يا رب هذه احب اليك ان يعبد فيها
قال بل مكة والمشهور عنه فضل اهل المدينة لتفضيل المدينة واختلف اهل البصرة والبغداديون
في ذلك فطائفة تقول مكة وطائفة تقول المدينة السادسة قوله تعالى واجعل افئدة
الناس تهوي اليهم الافئدة جمع فؤاد وهي القلوب وقد يعبر عن القلب بالفؤاد كما قال الشاعر وان
فؤادا قادني نصبابة اليك على طول المدى لصبور جمع وفود والاصل اوفدة او وفده فقدمت الفاء
فقلب الواو كالياء فكانه قال واجعل وفودا من الناس تهوي اليهم اي تنزع بقلوبها هوى نحوه اذا مال
وهوت الثالثة تهوي هويا ممن هاوية اذا عدت عدوا شديدا كما تقدم في هوي بئر وقوله تهوي اليهم ما حوذ
منه قال ابن عباس ومجاهد لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود
والنصارى والمجوس ولكفر قال من الناس يعني المسلمون فقوله تهوي اليهم اي تحن اليهم وتحن الى زيارة
البيت وتراتموا اليهم اي تضامهم وتحلهم وارزقهم من الطيبات لعلهم يشكرون فاستجاب الله دعاءه
واتتهم بالطائف سائر الاشجار وما يجلب اليهم من الامصار وفي صحيح البخاري عن ابن عباس الحديث
الطويل وقد ذكرنا بعضه فيما ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل بطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسال امراته
عنه فقالت تخرج معي لنايم فسالهم عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة فشكت
اليه قال فما طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان
لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يحلوا عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه وذكر الحديث وقال ابن عباس
قول ابراهيم واجعل افئدة من الناس تهوي اليهم سوى ان يجعل الناس يحجونه والسكنى بمكة فيصير
بيتا محرما وكل ذلك كان والحمد لله واول من سكنه جرهم ذكر البخاري بعد قوله وان الله لا يضيع اجر
وكان البيت مرتفعا من الغوص كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله وكانت كذلك
حتى مرت بهم رفقة من جرهم قافلين من طريق كداء فنزلوا باسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا ان
هذا الطائر ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فاخبروهم
بالماء فاقبلوا قال وام اسماعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم

واسبح خوار ام موسى فارغا اي من كل شئ الا من هم موسى وقيل الكلام اضمار اي ذات هوا واضمار
قوله تعالى واندر الناس قال ابن عباس اراد اهل مكة يوم يأتيهم العذاب وهو يوم القيامة
اي خوفهم ذلك اليوم وانما خصهم بيوم العذاب وان كان يوم الثواب لان الكلام خرج مخرج المدح
للعاصي فيقول الذين ظلموا اي في ذلك اليوم ربنا اخرنا اي امهلنا الى اجل قريب سألوا الرجوع
الى الدنيا حين ظهر الحق في الآخرة نجب دعوتك اي الى الايمان ونتبع الرسل فيجابوا اولم تكونوا
اقسمتم من قبل يعني من دار الدنيا ما لكم من زوال قال مجاهد تحلفون انكم صائرون الى ما صار
اليه من قبلكم في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ما لكم من زوال فيه تأويلان
احدهما ما لكم من انتقال عن الدنيا الى الآخرة اي لا تبعثون ولا تحشرون وهذا قول مجاهد والثاني
ما لكم من زوال اي من العذاب وذكر ابن بسام عن محمد بن كعب القرظي قال لاهل النار خمس دعوات
يجيبهم الله في اربعين فاذا كان في الخامسة لم يكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان
يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا
موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب
الخلد بما كنتم تعملون ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل
فيجيبهم الله تعالى ولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما
للظالمين من نصير ويقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله تعالى
اخسؤا فيها ولا تكلمون فلا ينطقون بعدها ابدا اخرجه ابن المبارك في رقائقه باطول من هذا وقد
كنت بينا ذلك في كتاب التذكرة وزدت في الحديث وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين
لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال قال هذه القراءة الثالثة وذكر الحديث وزاد بعد قوله احسؤا فيها ولا تكلمون فانقطع عنده
ذلك الدعاء والرجاء واقبل بعضهم على بعض يبكتهم في وجه بعض واطبقت عليهم قال
فحدثني ابو زهير انهم الزهراء ذكر له ان ذلك قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
قوله تعالى وسكنتم اي بلاد ثمود ونحوها مما لا غير ثم عما كنتم بعد ما تبين لكم ما فعلنا بهم
وبضربنا لكم الامثال في القرآن وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي عن محمد بن كعب القرظي قال لاهل النار خمس دعوات
مستقبل ومعناه الماضي ولبئسما سبق قوله كيف فعلنا بهم وقراءة الجماعة وتبين وجهي مثلها
في المعنى لان ذلك بتبيين الله اياهم وقد مكروا مكرهم اي بالشرك بالله وتكذيب
الرسل والمعاندة عن ابن عباس وغيره وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول
منه الجبال ان يعني ما اي ما كان مكرهم لتزول منه الجبال لضعفه وهنه وان بمعنى ما في القرآن
من مواضع خمسة احدها هذا الثاني فان كنت في شك مما انزلنا اليك الثالث لو اردنا ان نتخذ
لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا اي ما كنا الرابع قل ان كان للرحمن ولد الخامس ولقد مكناهم فيما
ان مكناكم فيه وقراءة الجماعة ان كان بالنون وقرأ عمرو بن علي وابن مسعود وابي وان كاد بالدال
والمعاندة على كسر اللام في لتزول على انها لام الجحود وفتح اللام الثانية نصبا وقرأ ابن محيصن وابن
جريج والكسائي لتزول بفتح اللام الاولى على انها لام الابتداء ورفع الثانية وان مخففة من الثقيلة
ومعنى هذه القراءة استعظام مكرهم اي ولقد عظم مكرهم حتى كادت الجبال تزول منه قال
الطبري والاختيار القراءة الاولى لانا لو كانت زالت لم تكن ثابتة قال ابو بكر الانباري والاحتجاج على
مصحف المسلمين في الحديث الذي حدثناه احمد بن الحسين حدثنا عثمان بن ابي شيبة حدثنا وكيع
ابن الجراح عن اسرائيل عن ابن ابي اسحق عن عبد الرحمن بن دايل قال سمعت علي بن ابي طالب رضي
الله عنه يقول ان جبار من الجبابرة قال لا انتهي حتى اعلم ما في السماوات فعمد الى فراخ نسور فاسمنها
ان تطعم اللحم حتى اشتدت وعضلت واستعلجت امر ان يتخذ تابوت يسع فيه رجلين وان يجعل
فيه عصا في رأسها كلاليب شديدة محمرة وان يستوثق من رجلي النسور بالاوتار وتشد الى قوائم التابوت
ثم جلس هو وصاحب له في التابوت وامر النسور فطارت باللحم فطلبته فجعلت ترتفع بالتابوت
حتى بلغت به ما شاء الله فقال الجبار لصاحبه افتح الباب فانظر ما نرى فقال ارى الجبال كأنها ذباب
فقال اغلق الباب ثم صعدت بالتابوت ما شاء الله ان تصعد فقال للجبار لصاحبه افتح الباب
فانظر ما نرى فقال ما ارى الا السماء وما نزداد فيها الا بعدا فقال لنكس العصا فنكسها فانقضت
النسور بالتابوت في الارض بمعنى لدهنه كادت الجبال لتزول عن مراتبها منها قال
سمعت عليا رضي الله عنه يقرأ وان كان مكرهم لتزول بفتح اللام الاولى لتزول وضم الثانية

وقد ذكر الثعلبي هذا الخبر بمعناه وان الجبار هو النمرود الذي حاج ابراهيم في ربه وقال عكرمة
كان معه في البابوت غلام امرد وقد حمل القوس والنبل فرمى بينهما فعاد اليه ملطخا بالدم وقال
كنت قتلت الهه السما فالعكرمة تلطخ بدم سكنة مز السما قد قتلت نفسها اليه مز بحر في الهوا مخلوق
وقيل طاير مز الطير اصابه السهم ثم امر غرود صاحبه ان يضرب العصا واسمه بكسر اللحم فمبطت النسور
بالبابوت فسمعت الجبال البابوت والتسور فخرعت وظنت انه قد حدث بها حدث مز السماوان
الساعة قد قامت فتلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال قال الفشيري وهذا جايز فتقدير خلق
الحياة في الجبال وذكر الماوردي عز ابن عباس ان النمرود بن كنعان بنى الصرح في ذروة الرس مز سواد
الكوفة وجعل طوله خمسة الاف ذراع وخمسمية ذراعا وعرضه ثلاثة الاف ذراع وخمسة وعشرون
ذراعا وصعد فيه مع النسور فلما علم انه لا سبيل له الى السما اتخذه حصنا وجمع فيه اهله وولده
ليتحصن فيه فاتى الله بنيانه مز القواعد فتداعى الصرح عليهم فهلكوا جميعا فهذا معنى وقد مكروا
مكرهم والجبال الذي عني زوالها مكرهم وجبال احدهما جبال الارض الثاني الاسلام والقران
لانه لثبوته ورسوخه كالجبال وقال الفشيري وعند الله مكرهم اي هو عالم بذلك فيجازيهم
او عند الله جزا مكرهم فحذف المضاف وان كان مكرهم لتزول منه الجبال بكسر اللام اي ما كان مكرهم
مكرا يكون له اثر وخطر عند الله تعالى فالجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل وان كان
مكرهم في تقديرهم لتزول منه الجبال وتوثر في ابطال الاسلام وتزيل لتزول منه الجبال بفتح اللام
الاولى وضم الثانية اي كان مكرا عظيما تزول منه الجبال ولكن الله حفظ رسوله صلى الله عليه
وسلم وهو كقوله تعالى وقد مكروا مكرا كبارا والجبال لا تزول ولكنه للمبالغة عز تعظيم الشيء هكذا
تكون قوله تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله اسم الله تعالى ومخلف مفعول تحسب
ورسله مفعول وعده وهو على الاتساع والمعنى مخلف رسله وعده قال الشاعر ترى الامور
بما مضى ثم اصل راسه وسايره باد الى السمر اجمع قال الفتبي هو مز المقدم الذي يوضع التاخر
والمؤخر الذي يرضى التقديم وسوا في قولك مخلف وعده رسله ومخلف رسله وعده ان الله
عزيز ذو انتقام اي مز اعدايه ومز اسمايه المنتقم وقد بينا ما في الكتاب الاسني في شرح اسما الله و
الحسنى قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض اي اذكر يوم تبدل الارض فتكون متعلقة بما قبلها
وقيل صفة لقوله يوم يقوم الحساب واختلف في كيفية تبديل الارض فقال كثير مز الناس ان
تبديل الارض عبارة عز تغير صفاتها ونسوية اكامها ونسف جبالها وتمهيد ارضها ودوا ابن مسعود
رضي الله عنه خرجه ابن ماجة في سننه وذكره ابن المبارك مز حديث شهر بن حوشب قال حدثني ابن
عباس قال اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وزيد في سعتها كذا وكذا وذكر الحديث
وروى مرفوعا مز حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض فيبسطها
ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم في الثانية
في مثل مواضعهم مز الاولى ظهرها وبطنها ذكره المهدوي وتبديل تكوير شمسها وقمرها وتناثر
نجومها قاله ابن عباس وقيل اختلاف اهوالها مرة كالمهل ومرة كالدهان حكاه ابن الانباري وقد
ذكرنا هذا الباب مبينا في كتاب التذكرة وذكرنا ما للعلما في ذلك وان الصحيح ازالة عين هذه
الارض حسب ما ثبت عز النبي صلى الله عليه وسلم قالت كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء حبر مز احبار اليهود فقال السلام عليك وذكر الحديث وفيه فقال اليهود فاين يكون الناس يومئذ
تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظلمة دون الجسر وذكر
الحديث وخرج عز عايشة قالت سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عز قوله يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات فاين يكون الناس يومئذ قال على الصراط خرجه ابن ماجة باسناد مسلم سوا خرجه
الترمذي عز عايشة وانها في المسالة قال هذا حديث حسن صحيح بهذه الاحاديث نص على ان نعو
السموات والارض تبدل وتزال وخلق الله ارضا اخرى يكون الناس عليها بعد كونهم على الجسر
وفي صحيح مسلم عز سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة
على ارض بيضا عفرا كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد وقال لجابر سالت ابا جعفر محمد بن علي عز قول
الله عز وجل يوم تبدل الارض غير الارض قال تبدل خبزة يا كل منها الخلق يوم القيامة ثم قرا وما
جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وقال ابن مسعود انها تبدل ارض غيرها بيضا كالفضة لم يعمل
عليها خطية وقال ابن عباس ارض مز فضة بيضا وقال علي رضي الله عنه تبدل الارض يوميذ مز فضة
والسما مز ذهب وهذا تبديل العين وحسبك وبرز والله الواحد القهار اي بز بعورهم وقد
تقدم قوله تعالى وترى المجرمين يومئذ اي يوم القيامة مقرنين اي مشدودين
في الاصفاد وهي الاغلال والقيود واحدها صفد وصفد وبها لصفدنه صفدا اي قيدنه والاسم

الصفد فاذا اردت التكثير قلت صفدته تصفيدا قال لعمرو تكلموا ◦ فاجابوا بالنهاب وبالسبايا
وابنا بالملوك مصفدينا اي مقيدينا وقال حسان ◦ من بين ماسور ليشد صفاده ◦ صعره اذا لاح
الكريهة حام ◦ اي غلوا واصفدته اصفادا اعطيته وقيل صفدته واصفدته حاربان في القيد
والعطا جميعا قال النابغة ◦ ولم اعرض ابيت اللعن بالصفد ◦ قال الصفد العطاء لانه يقيد بحمد
ويقيد قال ابو الطيب ◦ وقيدت نفسي في ذراك محبة ◦ ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا ◦ قيل
نزلت كل كافر مع شيطان في على بيانه قوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم يعني قرناءهم من الشياطين
وقيل انهم الكفار يجمعون في الاصفاد كما اجتمعوا في الدنيا على المعاصي سرابيلهم من قطران
اي تطبخهم عن ابن ازهر يريد وجمره واهرها سربالي والفعل تسربلت وسربت غيري قال لكعب
ابن مالك ◦ تلقاكم عصب حول السي لهم ◦ من لسخ داود في الصحا سرابيل ◦ من قطران يعني
قطران الابل التي تمتنا به قاله الحسن وذلك ابلغ لاشتعال النار فيهم وفي الصحيح ان النائحة
اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وروي حماد
انهم قالوا هو النحاس وقرا عيسى بن عمر قطران بفتح القاف وتسكين الطا وفيه قراءة ثالثة
كسر القاف وحرم الطا ومنه قول ابي النجم ◦ جون كان الورق الممسوحا يلبسه القطران والمسوحا
والمسوحا وقراءة رابعة من قطران روينت عن ابن عباس وابي هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير
ويعقوب والقطر النحاس والصنو الذاب ومنه قوله تعالى وبين حميم ان وتغشى وجوههم
النار فتغشاها بجزء الله كل نفس بما كسبت ان الله سريع الحساب تقدم قوله تعالى هذا بلاغ للناس
اي هذا الذي انزلناه اليك بلاغ اي بلاغ وعظة وليندروا به اي ليخوفوا عقاب الله عز وجل وقرئ
وليندروا بفتح الياء والدال يقال ندرت بالشيء انذر اذا اعلمت به واستعدت له ولم يستعملوا
منه مصدرا كلام يستعمل ان عمي وبصر وكانهم استغنوا بان والفعل كقولك سرني ان تذرت
بالشيء وليعلموا انما هو اله واحد لا ثاني وليعلموا وهذا تنبيه الله بما اقام من الحجج والبراهين وليذكر
اولوا الالباب اي وليتعظ اصحاب العقول وهذه اللام ان في وليندروا وليعلموا وليذكر متعلقة
بمحذوف التقدير وتذكيرا انزلناه وروي عبيد بن رباب ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق رضي
الله عنه وسبب بعضهم هل الكتاب الله عنوان فقال نعم قيل وابن هو قال قوله تعالى هذا بلاغ
للناس وليندروا به الى اخرها

سورة الحجر

وهي مكية بالاتفاق قوله تعالى الر تلك ايات الكتاب وقرآن مبين تقدم معناه والكتاب قيل
فيه انه اسم جنس اكتفى المتنزلة من التوراة والانجيل ثم فسرهما بالكتاب المبين وقيل الكتاب هو القرآن
جمع بين الاسمين قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين رب لا تدخل على الفعل فاذا لحقته
ما هيأه للدخول على الفعل تقول ربما قام زيد وربما يقوم زيد ويجوز ان تكون ما نكرة بمعنى شيء ويود
صفة لها اي رب شيء يود الكافر وقرأ نافع وعاصم ربما مخففا ابا الباقون مشددة وهما لغتان
قال ابو حاتم اهل الحجاز يخففون بها قال الشاعر ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال
نجلاء ◦ ونيم وقيس وربيعة يثقلونها وحكى فيها ربما وربما وربتما وربتما بتخفيفها لغة وتشديدها
ايضا واصلها ان تستعمل في التقليل وقد تستعمل في الكثير اي يود الكفار في اوقات كثيرة لو كانوا
مسلمين قال الكوبيون ومنه قول الشاعر ◦ الا ربما اهدت لك العين نظرة فصار لك منها عنك
لا تجري ◦ وقال بعضهم هي للتقليل في هذا الموضع لانهم انما ودوا ذلك في بعض المواضع لا في كلها لشغلهم
بالعذاب والله اعلم وقال ربما يود وهي ما تكون لما وقع لانه لصدق الوعد كانه عيان فذكان وخرج
الطبراني ابو القاسم من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا
من امتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون في النار ما شاء الله ان يكونوا ثم يبعثهم الله منها اصل الشرك
فيبقون ما تري ما تريني ما كنتم تحالفونني فيه من تصديقكم وايمانكم تفعلكم فلا يبقى بوحدا اخرجه
الله من النار ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الحسن
اذا راى اهل الشرك اهل التوحيد من المسلمين وقد دخلوا الجنة وما راوهم في النار تمنوا انهم كانوا مسلمين وقال
الضحاك هذا المتمنى انما هو عند المعاينة في الدنيا جبر نبين لهم الحري من الضلالة وقيل في
القيامة اذا راوا كرامة المؤمنين وذل الكافرين قوله تعالى ذرهم يا كلوا ويتمتعوا تهديد لهم
وليلههم الامل اي يشغلهم عن الطاعة يقال الهاه عن كذا اي شغله ولهى هو عنا شيء يلهى سوف
يعلمون اذا راوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذه الاية منسوخة بالسيف الثاني

في مسند البزار عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة من الشقاء جمود العين
وقساوة القلب وطول الامل والحرص على الدنيا وطول الامل داء عضال ومرض مزمن ومتى تمكن
من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم ينفع فيه دواء ولم يجيء الاطباء سبيل برء منه
الحكماء العلماء وحقيقة الامل الحرص على الدنيا والاكباب عليها والجمع لها والاعراض عن الاخرة
روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما اخاف على هذه الامة ثلاثا الهوى بالبغي والزهد ويهلك
اخرها بالبخل والامل وروى عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه نام على درج دمشق فقال
يا اهل دمشق استمعوا نباح نكم ناصح ان من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيرا ويبنون مشيدا
ويأملون بعيدا فاصبح جمعهم بورا وبنيانهم قبورا وامليهم غرورا وهذه عاد قد ملأت ما بين
العلا والملا وخيلا فمن يشتري مني اليوم تركتهم بدرهمين واشتري يا ذا الموصل اما
وان بعدت منه وبين عمرانه كحضى باقصاها هاه انا معمر زماني حبوه ربي وما اصبحت في ثفنة
من نبل ادناها قال الحسن ما طال امل عبد الا اساء العمل وصدق رضي الله عنه فان الامل
يكسل عن العمل ويورث التراخي والتواني ويجذب التشاغل والتقاعس ويجذب الى الارض
ويميل الى الهوى وهذا امر قد شوهد بالعيان فلا يحتاج الى بيان ولا يطلب صاحبه ببرهان
كما ان قصر الامل يبعث على العمل ويحمل على المبادرة ويحث على المسابقة قوله تعالى وما
اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اي اجل مؤقت كتبت لهم في اللوح المحفوظ ما تسبق
من امة اجلها وما يستاخرون من حملة كقولك ما جاءني من احد اي ما تجاوز اجلها وتزيد عليه
ولا تتقدم قبله ونظيره قوله تعالى ما تاجل من امة اجلها وما يستاخرون قوله تعالى وقالوا يا ايها
الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون قالوه كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم على جهة الاستهزاء
ثم طلبوا منه اتيانهم بالملائكة دلالة على صدقه ولو ما تحضيض على الفعل كلولا وهلا وقال
العرا الميم في لوما بدل من اللام في لولا ومثله استوى على الشيء واستوى عليه ومثله خالمته
وخالته حتى خلي وخلي اي صديقه وعلى هذا يجوز لوما بمعنى الخبر تقول لوما زيد ضرب عمرو
وقال الكسائي لولا ولوما سواء في الخبر والاستفهام قال ابن مقبل ٭ لوما الحياء ولوما الدين عبتكما
ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري ٭ يريد لولا الحياء وحكى النحاس لوما ولوا واهلا واحد وانشد اهل
اللغة على ذلك ٭ فقد وقعتا بنت افضل مجدكم بني ضوطرى لوما الكمي المقنعا ٭ اي هلا تفرون
الكمي المقنعا قوله تعالى ما ننزل الملائكة الا بالحق قرا حفص وحمزة والكسائي ما تنزل الملائكة
واختاره ابو عبيد وقرا ابو بكر والمفضل ما تنزل الملائكة انها قرئت تنزل الملائكة وتنزيرد
ما تنزل بها بين حد تناهدا ما تخفيفا وتشديدا تنا البزي واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله
تنزل الملائكة والروح ومعنى الا بالحق الا بالتنزال وقيل الا بالرسالة عن مجاهد وقال الحسن الا بالعذاب
بالعذاب الا ان لم يؤمنوا وما كانوا اذا منظرين اي لو تنزلت الملائكة باهلاكهم لما امهلوا ولا
قبلت لهم توبة وقيل المعنى لو تنزلت الملائكة تشهد لك تكذبوا بعد ذلك لم ينظروا واصل
اذا اذ اك ومعناه حينئذ فعلم ايها ان واستشقلوا الهمزة فحذفوها قوله تعالى انا
نحن نزلنا الذكر اي القرآن وانا له لحافظون من ان يزاد فيه او ينقص منه قال قتادة وثابت
البناني حفظه الله من ان تزيد فيه الشياطين باطلا او تنقص منه حقا فتولى سبحانه حفظه
فلم يزل محفوظا وقال غيره مما استحفظوا فوكل حفظه اليهم فبدلوا وغيروا ابانا الشيخ
الفقيه الامام ابو القاسم عبد الله عن ابيه الشيخ الفقيه الامام المحدث ابو الحسن علي بن خلف
ابن معزوز الكومي التلمساني قال قرئ على الشيخة العالمة فخر النساء شهدة بنت ابي بكر احمد
ابن الفرج الدينوري وذلك بمنزلها بدار السلام في اخر جمادي الاخرة سنة اربع وستين وخمسمائة
قيل لها اخبركم الشيخ الاجل العامل نقيب النقباء ابو الفوارس طراد بن محمد بن محمد الزينبي قراءة عليه
وانت تسمعين سنة تسعين واربعمائة اخبرنا علي بن عبد الله بن ابراهيم حدثنا ابو علي بن عيسى
ابن محمد بن احمد بن عمر بن عبد الملك بن عبد العزيز بن حريج المعروف بالطوماري حدثنا الحسين
ابن فهم قال سمعت يحيى بن اكثم يقول كان للمامون مجلس نظر فدخل في جملة الناس رجل يهودي
حسن الوجه طيب الرائحة قال فتكلم فاحسن الكلام والعبارة قال فلما انقوض المجلس دعاه المامون
فقال له اسرائيلي قال نعم قال له اسلم حتى اعمل بك واصنع ووعده فقال ديني ودين ابائي
واطرق قال فلما كان ٭ ٭ ٭ دعاه المامون وقال له لست صاحبنا بالامس قال له بلى
قال فما كان سبب اسلامك قال اطرقت من حضرتك فاحببت ان امتحن هذه الاديان وانت
معي نزاي حسن الخط فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها الكنيسة
فاشتريت مني وعمدت الى الانجيل فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها البيعة فاشتريت

منى وعمدنا الى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزدت فيها ونقصت واوطلبنا الورايتين فتصفحوها فلما
ان وجدوا فيها الزيادة والنقصان رموا بها فلم يلتفتوا اليها فعلمنا ان هذا كتاب محفوظ فكانت
لهذا السبب اسلامي قال يحيى بن اكثم فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر
فقال لي مصداق هذا الكلام في كتاب الله عز وجل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون قلت اين
اي موضع قال في حفظ الله تبارك وتعالى التوراة والانجيل باستحفظوا من كتاب الله فحفظ حفظ اليهم وضاع وقال عز وجل
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فحفظه الله عز وجل علينا فلم يضع وقيل وانا له لحافظون
اي لمحمد من ان ينقول علينا او ننقول عليه او وانا له لحافظون من ان يكذبوا او يقتل نظيره واسم
يعصمك من الناس وحي يحوز ان يكون موضعه رفعا بالابتداء وتزنا الخبر والجملة خبر ان ويجوز
ان يكون نحن تاكيدا لاسم ان في موضع نصب ويا تكون فاصلة لان الذي بعدها ليس بمعرفة وانا
هو جملة والجملة تكون نعوتا للنكرات فحكمها حكم النكرات قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك
في شيع الاولين المعنى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا والشيع جمع شيعة وهي الامة اي في امم هم قاله
ابن عباس وقتادة الحسن في بن قهم والشيعة الفرقة والطايفة من الناس المتالفة المتفقة
الكلمة فكان الشيع الفرق واصله ما خوذ من الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار كما تقدم
في الانعام وقال الكلبي ان الشيع هنا القريب قوله تعالى وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي كما فعل بك هولا المشركون كذلك فعل بمن قبلك من الرسل قوله
قوله تعالى كذلك نسلكه اي الضلال والكفر والاستهزا والشرك في قلوب المجرمين من قومك عن الحسن
وقتادة وغيرهما اي كما سلكناه في قلوب من تقدم في شيع الاولين كذلك نسلكه في قلوب مشركي قومك
حتى لا يوسنوا بك كما لم يوسن من قبلهم برسلهم وروى ابن جريج عن مجاهد قال نسلك التكذيب والسلك
ادخال الشي في الشي كما قال الخليل في المخيط يقال سلكه يسلكه سلكا وسلوكا واسلكه اسلاكا وسلك
الطريق سلوكا وسلكا واسلكه ادخله دخله والشي في غيره مثله والشي كذلك والريح والخيط في
الجوهر كله مثل وافعل وقال عدي بن زيد وقد سلكوك في يوم عصيب والسلك بالكسر الخيط وفي الاية
رد على القدرية والمعتزلة وقيل المعنى نسلك القرآن في قلوبهم فيكذبون به وقرا الحسن ومجاهد
وقتادة النزول الذي عليه اكثر التفسير وهو الزم حجة على المعتزلة وعن الحسن ايضا نسلك الذكر الزاما
للحجة ذكره الفراء وقد مضت سنة الاولين اي مضت سنة الله باهلاك الكفار فما اقرب
هولا من الهلاك وقيل حلت سنة الاولين بمثل ما فعل هولا من التكذيب والكفر بهم فيقدرون باوليك
قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السما فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن
قوم مسحورون يقال ظل يفعل كذا اي يفعله بالنهار والمصدر الظلول اي لو جيوا ما اجترحوا من
الايات لاصروا على الكفر ولقالوا بالحياة كما قالوا للقرآن المعجز انه سحر يوحون من عرج يوج ابعد
والمعارج المصاعد اي لو صعدوا الى السما وشاهدوا الملكوت والملايكة لاصروا على الكفر عن الحسن
وغيره وقيل الضمير في عليهم للمشركين وقد ظلوا للملايكة تنزل وتجي اي لو كشف لهم وابوا حتى يعاينوا
ابوابا في السما تصعد فيها الملايكة وتنزل لقالوا رايتنا بابصارنا ما حقيقة له عن ابن عباس
وقتادة ومعنى سكرت شدة بالسحر قاله ابن عباس والضحاك وقال الحسن سحرت الكلبي اعشيت
ابصارنا وعنه ايضا عميت قتادة لحدت وقال الموهج وسرمنا من البدر اذا اي صارت ابصارنا
سكرى جويبر حرعت وقال ابو عمرو بن العلا سكرت حبست ومنه قوله اوبس ثرجره فعرض على
بثلة ساهرة وليست مطلقة واما سكرة قلت وهذه اقوال متقاربة يجمعها قولك متعت
قال ابن عزيز سكرت ابصارنا شدت ابصارنا صورة تركك سكرت النهر اذا سددته ويقال لهو من
سكر الشراب كان العين يلحقها سريا يلحق الشارب اذا سكر وقرا ابن كثير سكرت بالتخفيف والباقون
بالتشديد وقال ابو الاعرابي سكرت سليت وسكرت ملكت قال المهدوي في التخفيف والتشديد
في سكرت ظاهر ان التشديد للتكثير والتخفيف يودي الى معناه والمعروف ان سكرت لا يتعدى
قال ابو علي يجوز ان يكون سمع متعديا اي ابصرونا فرا سكرت فانه اشبه ما عرض لابصارهم بحالة
السكران كانها حرب بجري السكران لعدم تحصيله وقد قيل انه بالتخفيف سكر الشراب وبالتشديد
اخترت ذكرهما المهدوي وقال النحاس والمعروف من قراة مجاهد والحسن سكرت بالتخفيف قال
الحسن اي سحرت وحكى ابو عبيد عن ابي عبيدة انه يقال سكرت ابصارهم اذا عشيها حتى لا يبصروا وقال الفرا من قرا سكرت اخذه من سكون الريح قال النحاس وهذه الاقوال متقاربة
والاصل فيها ما قال ابو عمرو بن العلا رحمه الله قال هو من السكر الذي هو الشراب وهذا قول الحسن اي غشيهم
ما هما غطى ابصارهم كما غشي السكران ما غطى عقله وسكون الريح سكونها وفتورها فيرجع الى
معنى التخيير قوله تعالى ولقد جعلنا في السما بروجا الى ذكر كفرهم الكافرين وعجز اصنامهم ذكر

كما قررته ليستدل بها على وحدانيته والبروج التصور والمنازل فقال ابن عباس ايجعلنا في السماء بروج الشمس والقمر اي منازلهما واسماء هذه البروج الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت والعرب تعد لوائح النجوم وابوابها منازل القلوم ويستدلون بها على الطرقات والاوقات والخصب والجدب وقالوا اكرمك الله اثنا عشر برجا لكل برج ميلان ونصف للقمر واصل البرج الظهور ومنه تبرج المرأة باظهار زينتها وتدنقتم هذا المعنى في النساء وقال الحسن وقتادة البروج النجوم وسميت بذلك لظهورها وارتفاعها وقيل الكواكب العظام قاله ابو صالح بمعنى السعة السيارة وقال لقوم بروجا اي قصورا وبيوتا بنا الحرس حفظها الله في السما فالله اعلم وزينا بها يعني السما كما قال في سورة الملك ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح للناظرين المعتبرين والمتفكرين قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم اي مرجوم والرجم الرمي بالحجارة وقيل الرجم والطعن والطرد وتقدم وقال الكسائي كل رجيم في القرآن فهو بمعنى الشتم وزعم الكلبي ان السموات كلها لم تحفظ من الشياطين الى زمن عيسى فلما بعث الله تعالى عيسى حفظ منها ثلاث سموات الى مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فحفظ جميعها لمبعثه وحرست منهم بالشهب وقاله ابن عباس رضي الله عنهم عنه قال ابن عباس وقد كانت الشياطين لا يحجبون عن السما فكانوا يدخلونها ويقتربون اخبارها على الكهنة فيزيدون عليها تسعا فيحدثون بها اهل الارض الكلمة حق والتسع باطل فاذا راوا شيئا مما قالوه صدقوهم بها جاوا به فلما ولد عيسى بن مريم عليهما السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب على ما ياتي قوله تعالى الا من استرق السمع اي ما استرق السمع اي الخطفة اليسيرة فهو استثنا منقطع وقيل هو متصل اي الا من استرق السمع اي حفظنا السما من الشياطين ان تسمع شيا من الوحي وغيره الا من استرق السمع فانا لم نحفظها منه ان تسمع الخبر فتخبر اخبار السما سوى الوحي فاما الوحي فلا تسمع منه شيا لقوله انهم عن السمع لمعزولون واذا استمع الشياطين الشي ليس بوحي فانهم يقذفونه الى الكهنة بي اسرع من طرف العين ثم تتبعهم الشهب فتقتلهم او تخبلهم ذكره الحسن وابن عباس قوله تعالى فاتبعه شهاب مبين اي تبعه اذ ركه ولحقه شهاب كوكب مضيء ولذلك شهاب ثاقب ونقول شهاب قبس يشتعل نارا في راس عود قاله ابن عزيز وقال الزجاج والرمنة كانه كوكب في اثر عفرية لمستوم في سواد الليل منقضب وسمي الكوكب شهابا لبريقه يشبه النار وقيل شهاب شعلة من نار قبس لاهل الارض فتحرقهم وانفرادا احرقت كما اذا احرقت النار لم تفد خلاف الكوكب فانه اذا احرق احرق وعاد الى مكانه قال ابن عباس يصعد الشياطين امواجا تسترق السمع فينفرد المارد منها فيعلوا فيرمى بالشهاب فيصيب جبهته او انفه او ما شا الله فيذهب فيا تي اصحابه هو فيلتهب فيقول انه كان من الامر كذا وكذا فيذهبون ويجيء الى فوانهم من الكهنة فيزيدون عليها تسعا فيحدثون بها اهل الارض للكلمة حق والتسمع باطل فاذا راوا شيا مما قالوا ان كان صدقوهم بها جاوا به فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم و وقال العلما لحن نرى انقضاض الكواكب فجورات يكون ذلك كائن يكون ثم يصير نارا اذا ادرك الشيطان ويجوز ان يقال يرمون بشعلة من نار من الهوى فيجيل ايسا انه نجم مرمي والشهاب في اللغة النار الساطعة وذكر ابو داود عن عامر الشعبي قال لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فاتوا عند ابليس يعزوا لشقي فقال ان الناس قد فزعوا وقد اعتقوا رقبتهم وسيبوا انعامهم لما راوا في النجوم فقال لهم وكان رجلا عالما لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي ترفعها عندنا الناس وان كانت لا تزول فهو من حدث فانظروا فاذا هي نجوم لا تزول فقالوا

على النسب ويجوز ان يكون معنى لاقح حامل والريح تقول للجنوب لاقح وحامل وللشمال حايل وعقيم وقال
عبيد بن عمير يرسل الله المبشرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلفه
ثم يبعث اللقوح فيلقح الشجر وقيل الريح الملاقح التي تحمل الندا فتمجه في السحاب فاذا اجتمع فيه
غبار مطرا وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح الجنوب من الجنة وهي
لريح اللواقح التي ذكرها الله في كتابه وفيها منافع للناس وروي عنه عليه السلام انه قال ما هبت جنوب
الا ابتع الله بها غيثا عدقه وقال ابو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السحاب الا بعد ان تحمل الله
الرياح الاربعة فيما فالصبا تهيجه والدبور تلحقه والجنوب تدره والشمال تفرقه الثانية
روى ابن وهب وابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم عن مالك واللفظ لاشهب قال مالك قال الله
تعالى وارسلنا الرياح لواقح فلقاح الفحل عندي ان يكبب ويسنبل ولا ادري ما يبسر في احكامه هو
ولكن يكبب حتى يكون تلويبر جنينه لم يكن فسادا لا خير فيه ولقاح الشجر كلها ان تثمر ثم يسقط
منها ما يسقط ويثبت ما يثبت وليس ذلك بان تورد قال ابن العربي انما عول مالك في هذا التفسير
على تشبيه لقاح الشجر بلقاح الحيوان اذا عقد وخلق ونفخ فيه الروح كان بمنزلة تكبيب الشجر
الثمرة وتسبيله لانه سمي باسم مشترك فيه كل عاملة وهو اللقاح وعليه جاء الحديث نهى النبي صلى
الله عليه وسلم عن بيع الحب حتى يشتد قال ابن عبد البر والابار عند اهل العلم هي النخل التلقيح وهو ان
يوخذ شيء من طلع النخل فيدخل بين ظهراني طلع الاناث وحكم ذلك في سائر الثمار طلوع الثمرة من الغبرة
وغيره حتى تكون الثمرة مريئة منظورا اليها والمعتبر عند مالك واصحابه بما يذكو من الثمار التذكير
وبما لا يذكر ان يثبت من نوارة ويسقط ما يسقط وحد ذلك في الزرع ظهوره من الارض قاله مالك وقد
روى عنه ان اباره ان يكبب ولم يختلف العلما ان الحايط اذا انشق طلع ابان ثمره وتدابر غيره من حاله
مثل حاله ان حكمه حكم ما ابر لانه تذكار عليه وقد ابار وثمرته ظاهره بعد تغييبها في الحب فان ابر بعض
الحايط كان حكم ما لم يوبر تبعا له كما ان الحايط اذا بدا صلاح بعضه كان ساير الحايط تبعا لذلك الصلاح في
جواز بيعه الثالثة روي لابن كلهم عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من ابتاع نخلا بعد ان تو بر فثمرتها للذي باعها الا ان يشترط المبتاع ومن ابتاع عبدا فماله للذي
باعه الا ان يشترط المبتاع قال علماوونا انما لم يدخل الثمر المؤبر مع الاصول في البيع الا بالشرط لانه عين
موجودة يحاط بها اذ سقوطها غالبا بخلاف التي لم تو بر اذ ليس بسقوطها ما مونا فلم يتحقق لها وجود
فلم يجز للبايع اشتراطها ولا استثناؤها كالجنين وهذا هو المشهور من مذهب مالك وقيل يجوز اشتراطها
واستثناؤها وهو قول الشافعي الرابعة لو اشترى النخل وبقي الثمر للبايع جاز للمشتري الاصل بالثمرة
قبل طيبها على مشهور قول مالك ويرى لها حكم المبتعة وان اثمرت بالعقد وعنه في رواية ابن
لا يجوز وبذلك قال الشافعي وابو حنيفة والثوري واهل الظاهر وفيها الحديث وهو الاظهر من احاديث
النهي عن بيع الثمرة قبل بدو صلاحها الخامسة ومما يتعلق بهذا الباب النهي عن بيع الملاقيح والملاقيح
الفحول من الابل الواحد ملقح والملاقيح ايضا الاناث التي في بطونها اولادها الواحدة ملقحة بفتح القاف
والملاقيح ما في بطون الامهات الواحدة ملقوحة من قولهم لقحت كالمحموم من رحم والمجنون
من جن وفي هذا جاء النهي وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن المجر وهو بيع ما في بطون من
الاناث ونهى عن المضامين والملاقيح قال ابو عبيد المضامين ما في البطون هي الاجنة والملاقيح
ما في اصلاب الفحول وهو قول سعيد بن المسيب وغيره وقيل بالعكس ان المضامين ما في ظهور
الجمال والملاقيح ما في بطون الاناث وهو قول ابن حبيب وغيره وايا ما كان وعلى المسلمين
مجموعون على ان ذلك لا يجوز وذكر المزني عن ابن هشام شاهدا بان الملاقيح ما في البطون
لبعض الاعراب • مني ينتج ما لقحا في الابطن • تنتج ما تلقح بعدا زمزه • وذكر الجوهري على ذلك
شاهدا قول الراجز انا وجدنا طرد الهوامل خيرا • من الحالات والمسايل • وعن العام وعام
قابل • ملقوحة في بطن ناب حامل قوله تعالى وانزلنا من السما اي من السحاب وكل ما علاك
فاظلك يسمى سما وقيل من جهة السما ما اي قطرا فاسقيناكموه اي جعلناه لكم المطر لسنيا كم ولشرب مواشيكم
وارضكم وقيل سقى واسقى بمعنى وقيل بالسرق وقد تقدم وما انتم له بخازنين اي ليست خزائنه عندكم
اي نحن الخازنون لهذا الماء نمنزله اذا شيئنا ونمسكه اذا شيئنا ومثله وانزلنا من السما ما ما سكنا •
في الارض وانا على ذهاب به لقادرون وقال سفيان لستم بمانعين المطر قوله تعالى وانا لنحن نحيي
ونميت ونحن الوارثون اي الارض ومن عليها وليبقى شيء سوانا نظيره انا نحن نرث الارض ومن عليها
والينا يرجعون فهلك كل شيء سواه تعالى ولكن ملك عباده املاكا فاذا ماتوا انقطعت الدعاوي لو
شاء الله من هذا الوجه وقيل الاحيا في هذه الاية احيا النطفة في الارحام فاما الميت فقد ذكره بعد
هذا في قوله وان ربك هو يحشرهم قوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتاخرين

هذا ان صح فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والارض مددناها هذا ان نعمه
ايضا ويايد لعلى كما قدرته قال ابن عباس بسطناها على وجه الماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها
اي بسطها وقال والارض فرشناها فنعم الماهدون وهو رد على من زعم انها كالكرة وقد تقدم والقينا
فيها رواسي اي جبالا ثابتة لئلا تتحرك باهلها وانبتنا فيها من كل شئ موزون اي مقدر معلوم وقاله
ابن عباس وسعيد بن جبير وانما قالوا موزون لان الوزن يعرف به مقدار الشئ قال الشاعر قد كنت
قبل لقائكم ذا مرة عندي لكل مخاصم بميزانه وقال قتادة موزون بمعنى مقسوم وقال مجاهد هو
موزون مدحوه وبهذا هذا كلام موزون اي منظوم منتشر وعلى هذا اي انبتنا في الارض ما يوزن
من الجواهر والحيوانات والمعادن وقد قال الله في الحيوان وانبتها نباتا حسنا والمقصود من
الانبات الانشاء والايجاد وقيل انبتنا فيها اي من الحيا لمن كل شئ موزون من الذهب والفضة والنحاس
والرصاص والقزدير من الزئبق والكحل كل ذلك يوزن وزنا وروي بمعناه عن الحسن وابن زيد
وقيل انبتنا في الارض الثمار مما يكال ويوزن وقيل ما يوزن فيه الاثمار الى اجل قدرا قاعم نفعا
مما لا ثمن له وجعلنا لكم فيها معايش يعني المطاعم والمشارب التي يعيشون بها واحدها معيشة
بسكون الياء ومنه قول جرير * تكلفني معيشة آل زيد ومن لي بالمرقق والصباب والاصل
معيشة على مفعلة بتحريك الياء وقد تقدم في الاعراف وقيل انها الملابس قاله اكثم وقيل انها
التصرف في اسباب الرزق هذه الجهاة قاله الماوردي وهو الظاهر ومن لستم له برازقين يريد
الدواب والانعام قاله مجاهد وعنده ايضا هم العبيد والاولاد قال الله فيهم نحن نرزقهم واياكم
ولقائل ان يجوز ان يتناول العبيد والبهايم والدواب اذا اجتمعوا لانه اذا اجتمع من يعقل وما
لا يعقل غلب من يعقل اي وجعلنا لكم فيها معايش وعبيدا واماء ودواب واولادا نرزقهم ولا
نرزقونهم ثم على هذا التاويل في موضع نصب فساله مجاهد وغيره وقيل اراد به الوحش قال
سعيد تراعليا منصورون لستم له برازقين قال الوحش ثم على هذا الكون لما لا يعقل مثل وهم
من عشي على بطنه الاية وهي في محل خفض عطفا على الكاف والميم في قوله لكم وقيح عند البصريين
انه لا يجوز عندهم عطف الظاهر على المضمر الا باعادة حرف الجر مثل مررت به وبزيد ولا يجوز مررت
به وزيد الا في الشعر كما قال * فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب وما بك والايام من عجب *
وقد هذا المعنى في البقرة وسورة النساء قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه اي وان من
شئ من ارزاق الخلق ومنافعهم الا عندنا خزائنه يعني المطر المنزل من السماء الذي به نبات كل شئ من ارزاق
الخلق ومنافعهم قال الحسن المطر خزائن كل شئ وقيل الخزائن المفاتيح اي في السماء مفاتيح الارزاق
قاله الكلبي والمعنى واحد وما ننزله الا بقدر معلوم اي ولكن لا ننزله الا على حسب مشيتنا وعلى
ما يوجبه الحكمة وروي عن ابن مسعود والحكم بن عتيبة وغيرهما انه ليس مطر عام اكثر من مطر ان عام ولكن الله يقسمه
كيف شاء فيمطر قوما ويحرم آخرين وربما كان المطر في البحار وانقفار والخزائن جمع الخزانة وهو الموضع
الذي يستر فيه الانسان ماله والخزانة ايضا مصدر خزن يخزن وما كان في خزانة الانسان كان معه وهو
كذلك لا يقدر عليه الرب فكانه عمده قاله الفشيري وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده ان قال في
الوحي ما خلق الله من البر والبحر وهونا ويل لقوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه والانزال
يعني الانشاء والايجاد كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزلنا الحديد فيه باس شديد
وقيل الانزال بمعنى الاعطاء وسماه انزالا لان احكام الله انما تنزل من السماء قوله تعالى وارسلنا
الرياح لواقح فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى وارسلنا الرياح قراءة العامة الرياح بالجمع وقرا حمزة
بالتوحيد وان معنى الريح الجمع ايضا وان كان لفظها لفظ الواحد كما يقال جاءت الريح من كل جانب
وكانت الارض سباسب وثوب اخلاق ودرهم تعامل الثوب في كل شئ تتسع واما وجه قراءة العامة
فان الله تعالى جمعها لوقوعها على انواع مختلفة بعضها لواقح وهي جمع لواقح حوامل لانها تحمل الماء والسحاب والخير
والنفع قال الازهري وحمل الرياح لواقح لانها تحمل السحاب اي تقله وتصرفه ثم تمريه
فتستدير به اي تتركه قال الله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملت وناقة لاقح وتوق
لواقح اذا حملت الاجنة في بطونها وقيل لواقح بمعنى ملقحة وهو الاصل لان الريح لا تلقح الا وهي في نفسها
لاقح كان الرياح تلقح بخير وتدر وان لقح وكذلك صح ابن منها ما يلقح الشجر كقولهم
عيشة راضية اي فيها رضى وليل نائم اي فيه نوم ومنها ما تاتي بالسحاب بقال لقحت الناقة
بالكسر لقحا ولقاحا بالفتح فهي لاقح والقحها الفحل اي التقحها له الما فحملته فالرياح كالفحل للسحاب
قال الجوهري ورياح لواقح ولا يقال ملاقح وهو من النوادر وحكى المهدوي عن ابي عبيدة لواقح بمعنى
ملاقح ذهب الى انه جمع ملقحة وملقح ثم حذفت زوايده وقيل هو جمع لاقحة ولاقح على معنى ذات اللقاح

بنيه ثلاثة مسايل الاولى في قوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين فيه ثمانية مسايل
نا وبلات الاولى في المستقدمين في الخلق الى اليوم والمستاخرين الذين لم يخلقوا بعد قاله قتادة وعكرمة
وغيرهما الثانية في المستقدمين الاموات والمستاخرين الاحياء قاله ابن عباس والضحاك الثالث
المستقدمين من تقدم امة محمد والمستاخرين امة محمد صلى الله عليه وسلم قاله مجاهد الرابع المستقدمين
في الطاعة والخير والمستاخرين في المعصية والشر قاله الحسن وقتادة ايضا الخامس المستقدمين
في صفوف الحرب والمستاخرين فيها قاله سعيد بن المسيب السادس المستقدمين اول الخلق
والمستاخرين اخر الخلق قاله الشعبي السابع المستقدمين في صفوف الصلاة والمستاخرين
فيها بسببها النساء وكل هذا معلوم لله تعالى فانه عالم بكل موجود ومعدوم وعالم بمن خلق ومن
هو خالقه الى يوم القيامة الآن القول الثامن هو سبب نزول الآية لما رواه النسائي والترمذي
عن ابي الجوزاء عن ابن عباس قال كانت امراة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حسنا
من احسن الناس فكان بعض القوم يتقدم حتى يقوم في الصف الاول لئلا يراها ويتاخر بعضهم حتى
يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطه فانزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم
ولقد علمنا المستاخرين وروى عن ابي الجوزاء ولم يذكر ابن عباس وهو اصح الثانية هذا يدل على فضل
اول الوقت في الصلاة وعلى فضل الوصف الصف الاول فان النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس
ما في النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا ان يستهموا عليه فانهما الرجل عند الزوال فتزل في الصف
الاول مجاورة الامام جاز ثلاث مراتب تتفاضل في الفضل الاول اول الوقت والصف الاول ومجاورة
الامام فان جاء عند الزوال فنزل في الصف الاخر وبينما نزله عن الصف الاول فقد جاز فضل اول
الوقت وفاته فضل الصف الاول والمجاورة فان جاء وقت الزوال وتحرك ونزل في الصف
الاول فان جاء بعد الزوال ونزل في الصف الاول فقد فاته فضيلة اول الوقت وحاز فضيلة
الصف الاول ومجاورة الامام وهكذا ومجاورة الامام لكل احد انما هي كما قال صلى الله عليه وسلم
ليلني منكم اولوا الاحلام والنهى الحديث فما يلي الامام ينبغي ان يكون لمن هذه صفته فان نزلها
غيره اخر هو وتقدم هو الى الموضع لانه خفه بامر صاحب الشرع كالمحراب هو موضع الامام تقدم
او تاخر قاله ابن العربي تلت وعليه يحمل قول عمر رضي الله عنه تاخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم
ويكبر وتدرى عن كعب ان الرجل من هذه الامة ليخر ساجدا فيغفر لمن خلفه وكان كعب يتوخى بركوعه
الصف المؤخر من المسجد ذلك وبذكر انه وجده كذلك في التوراة ذكره الترمذي الحكيم
في نوادر الاصول وسياتي في سورة والصافات زيادة بيان لهذا الباب ان شاء الله تعالى
الثالثة وكما تدل هذه الآية على فضل الصف الاول في الصلاة فكذلك تدل على فضل الصف
الاول في القتال وان القيام في كر العدو وبيع العبد نفسه من الله تعالى بوابل عمل فالتقدم
اليه افضل ولا خلاف فيه ولا حفاء به ولم يكن احد يتقدم في الحرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم لانه كان اشجع الناس قال البراء كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي
به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم انه حكيم
عليم تقدم قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان يعني ادم عليه السلام من صلصال اي من طين يابس
عن ابن عباس وغيره والصلصال الطين الخر خلط بالرمل فصار يتصلصل اذا نقر فاذا طبخ
بالنار فهو الفخار عن ابي عبيدة وهو قول اكثر المفسرين وانشد اهل اللغة
كعدو
المصلصل الجوال وقال مجاهد هو الطين المنتن ولقنه الكسائي قال وهو من قولهم الوب
صل اللحم واصل اذا انتن مطبوخا كان او نيا يصل صلولا قال الحطيئة
دا كفتى بيدل ذا نزو
لا يفسد اللحم لديه الصلول وطين صلال وصليل اي يصوت اذا نقرته كما يصوت الحديد
وكان اول تراب اي منتن الى الجزء ثم بل فصار طينا ثم ترك حتى انتن فصار حمأ مسنونا اي
منغيرا ثم يبس فصار صلصالا على قول الجمهور وقد مضى في البقرة بيان هذا والحما الطين الاسود
ولذلك الحماة بالتسكين تقول منه حمأ البير حمأ بالتسكين اذا نزعت حمأتها وحمأ البير
حمأ بالتحريك اذا كثرت حمأتها واجمعتها احما التقت فيها الحماة عزا بالسكين وقال ابو عبيدة
الحماة بسكون الميم مثل الكماة والجمع حما مثل عمرة وعمر والحما المصدر مثل الهدم والجزع ثم سمي
به والمسنون المتغير قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن فجعل صلصالا كالفخار ومثله قول
مجاهد وقتادة قالا المنتن المتغير من قولهم قد اسن الماء اذا تغير ومنه لم يتسن وما عبر اسن ومنه
قوله ابي فيس زالاسلب • سقب صدا بي رضا يا غير ذي اسن • كالسمك فت على ايا العنافيد وقال
الزجاج هو المتغير واصله من قولهم سننت الحجر على الحجر اذا مسكته به وما يخرج من الحجرين يقال له السناة
والسن ومنه المسنن قال الشاعر • ثم حاصرتها الى القنة الحمراء تمشي في مرمر مسنون • اي محكوك

مجلس حكى ان يزيد بن معاوية قال لابنه الاتزيد عبد الرحمن بن حسان بشتيب بابنك فقال معاوية ربما
قال فقال لقاد ٭ هي زهرا مثل لؤلؤة العوامر ٭ بيرت من جوهر مكنون ٭ فقال معاوية صدق
فقال يزيد ٭ واذا ما سبتها لم تجدها ٭ في متشام من المكارم دون ٭ فقال صدق فقال ابن قتيبه ٭
لم جاء بها البيت ٭ فقال معاوية كذب وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب وهو من قولهم العرب
سننت الماء وغيره على الوجه اذا صببته والسن الصب وروى عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس
قال المسنون الطيب وهو بمعنى المسنون المصبوب لانه لا يكون مصبوبا الا وهو رطب الخامس
وهذا قول الحسن لانه يقال سننت الشيء اي صببته قال ابو عمرو بن العلا ومنه الامر المروي عن عمر انه كان
يسن الماء على وجهه ولا يشبه والشين تفريق الماء بالسين المهملة صبه من غير تفريق وقال سيبويه
المسنون المصور اخذ من سنة الوجه وهو صورته قال ذو الرمة ٭ سريت ستة وجه غير منقرفة
ملسا يبرقها حاد ولا ترب ٭ وقال الاخفش المسنون المنتن يريد من قولهم وجه مسنون
اذا كان فيه طول وقد قيل ان الصلصال التراب المرقق حكاه الهروي ومن قال ان الصلصال
هو المنتن فاصله صلال فابدل من احدى اللامين الصاد ومن جعله من لفظ الصلصال كقولك
اخذت اخذت هذا من رجل من الثوب قوله تعالى والجان خلقناه من قبل اي من قبل خلق ادم قال
الحسن يعني ابليس خلقه الله تعالى قبل ادم عليه السلام وسمي جانا لتواريه عني الاعين وفي صحيح
مسلم من حديث ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله تعالى ادم عليه السلام
في الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو فلما رآه اجوف عرف انه خلق خلقا
لا يتمالك من نار السموم قال ابن مسعود نار السموم التي خلق الله منها الجان جزء من سبعين جزءا من نار
جهنم وقال ابن عباس السموم الريح الحارة التي تقتل وعنه انها نار لا دخان لها والصواعق تكون
منها وهي نار بين السما والحجاب قال قتادة الحرث الذي اخترقت الحجاب فخرت الصاعقة الى ما امرت
به الهدة التي تسمعون حرف ذلك الحجاب وقال الحسن نار السموم نار دون الحجاب والذي تسمعون
من انقطاع السحاب صوتها وعن ابن عباس ايضا قال كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال
لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة قال وخلقت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من
نار قلت هذا فيه نظر فانه يحتاج الى سند يقطع العذر اذ مثله لا يقال من جهة الرأي وقد خرج
مسلم من حديث عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق
الجان من مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم فقوله خلقت الملائكة من نور ينتفي السموم والله اعلم
وقال الجوهري مارج من نار يرسل لا دخان لها خلق منها الجان والسموم الريح الحارة تؤنث يقال منه
سمت يومنا فهو يوم مسموم والجمع سماميم قال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور
بالليل وقد يكون بالنهار التشريب وسمي الريح الحارة سموما لدخولها بلطفها في مسام البدن قوله تعالى
واذ قال ربك للملائكة تقدم في البقرة اي خالق بشرا من طين فاذا سويته اي سويت خلقه وصورته
ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح في الشيء والروح جسم لطيف اجرى الله العادة بان يخلق الله الحياة
في البدن مع ذلك الجسم وحقيقته اضافة خلق الى خالق فالروح خلق من خلقه اضافه الى نفسه
تشريفا وذكر غير ما ذكرنا قوله ارضي وسمائي وبيتي وناقة الله وشهر الله وشهر رمضان وقد تقدم في
السماميم وذكرنا في كتاب التذكرة الاحاديث الواردة التي تدل على ان الروح جسم لطيف وان لو
التقى الروح واسمان لمسمى واحد وبيانا ذلك ان شاء الله ومن قال ان الروح هو الحياة قال اراد فاذا
ركبت فيه الحياة فقعوا له ساجدين اي خروا له ساجدين وهو سجود تحية وتكريم لا سجود عبادة
ولله ان يفضل من يريد فضل الانبيا على الملائكة وقد تقدم في البقرة هذا المعنى وقال الفقال
كانوا الفضل افضل من ادم وامتحنهم بالسجود له تعريضا لهم لثواب الجزيل وهو مذهب المعتزلة
وقيل امروا بالسجود له عند ادم وكان ادم قبلة لهم فوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون
الا ابليس فيه مسئلتان الاولى لا شك ان ابليس كان ما عدا بالسجود لقوله ما منعك الا تسجد
اذ امرتك واما منعه من ذلك الاستكبار والاستعظام كما تقدم في البقرة بيانه ثم قيل كان
من الملائكة وهو استثناء من الجنس وقال قوم لم يكن من الملائكة وهو استثناء منقطع وقد مضى
في البقرة هذا كله مستوفى وقال ابن عباس الجان ابو الجن وليسوا شياطين والشياطين ولد
ابليس لا يموتون الا مع ابليس والجن يموتون ومنهم المؤمن ومنهم الكافر فادم ابو الانس والجان
ابو الجن وابليس ابو الشياطين ذكره الماوردي والذي تقدم في البقرة خلاف هذا فتامله هناك
الثانية الاستثناء من الجنس غير الجنس صحيح عند الشافعي حتى لو قال لفلان علي دينار الا ثوبا او عشرة
اثواب الا قفيز حنطة وما جانس ذلك كان مقبولا ويسقط عنه من المثلغ قيمة الثوب والحنطة
ويسوغ في ذلك المكيلات والموزونات والمقدرات وقال مالك وابو حنيفة رضي الله عنهما

استثنى المكيل من الموزون والموزون من المكيل جايز حتى لو استثنى الدراهم من الحنطة والحنطة من الدراهم
يقبل فاهما اذا استثنا الموزونات من المكيلات او الموزونات والمكيلات من المعدودات مثل ان يقول
على عشرة دنانير الا ثوبا او عشرة اثواب الا دينارا لا يصح الا استثنى ويلزم المقر جميع المبلغ وقال
محمد بن الحسن الاستثنا من غير الجنس لا يصح ويلزم المقر جملة ما اقربه والدليل لقول الشافعي ان
لفظ الاستثنا يستعمل في الجنس قال الله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما الا قيلا سلاما
فاستثنى السلام من جملة اللغو ومثله فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس وابليس من جملة
الملايكة قال الله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وقال الشاعر
البس الا البعاير والا العيس فاستثنى البعاير وهي ذكور الظبا والعيس وهي كرام الابل بعضها
من الانس ومثله قوله تعالى فقوله تعالى قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين
ايجي انا لا تكون قال لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون بين تكبره وحسده
وانه خير منه اذ هو من نار والنار تاكل الطين كما تقدم في الاعراف ببيانه قال فاخرج منها انك من السموات
او من جنة عدن او من جملة الملايكة فانك رجيم اي مرجوم بالشهب وقيل ملعون مشوم وقد تقدم
هذا كله مستوفى في البقرة والاعراف وان عليك اللعنة اي لعنتي كما في سورة ص قوله تعالى
قال رب فانظرني الى يوم يبعثون هذا السوال من ابليس لم يكن عن ثقة منه بمنزلة عند الله تعالى
وانه اهل ان يجاب له دعاوه لكن سالها تاخير عذابه زيادة في بلايه كفعل الايس من السلامة واراد به
بسواله الانظار الى يوم يبعثون ان لا يموت لان يوم البعث لا موت فيه ولا بعده قال الله تعالى فانك
من المنظرين بمعنى من الموجلين الى يوم الوقت المعلوم قال ابن عباس اراد به النفخة الاولى اي حين
يموت الخلايق وقيل الوقت المعلوم الذي استاثر الله بعلمه وبجهلة ابليس فيموت ابليس ثم يبعث
قال الله تعالى في كل من عليها فان وفي كلام الله تعالى له فوات احدهما كلمة على لسان رسوله الثاني
كلمه تغليظا في الوعيد على وجه التكرمة والتقريب قوله تعالى قال رب بما اغويتني لازينن
لهم في الارض تقدم معنى الاغوا والزينة في الاعراف وانزيننهم هنا يكون بوجهين اما بفعل المعاصي
واما بتشغلهم بزينة الدنيا عن فعل الطاعة ومعنى لاغوينهم اجمعين اي لاضلنهم عن طريق الهدى
وروي ابن لهيعة عبد الله عن دراج ابي السمح عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ابليس قال يا رب وعزتك وجلالك لا ازال اغوي بني ادم ما دامت ارواحهم
في اجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي لا ازال اغفر لهم ما استغفروني قوله تعالى الا عبادك
منهم المخلصين قرا اهل المدينة واهل الكوفة بفتح اللام اي الذين استخلصتهم واخلصتهم لعبادتي
وقرا الباقون بكسر اللام اي الذين اخلصوا لك العبادة من فسادها وريا حكى ابو عمامة ان الحواريين
سالوا عيسى عليه السلام عن المخلصين لله فقال الذي يعمل لا يحب ان يحمده الناس قوله تعالى
قال هذا صراط علي مستقيم قال عمر بن الخطاب معناه هذا صراط مستقيم بصاحبه حتى يجمع به على
الجنة الحسن على يعني الي مجاهدا والكسايي هذا على الوعيد والتهديد كقولك لمن تهدده هو
طريقك علي ومصيرك الي وكقولهان ربك لبالمرصاد فكان معنى الكلام هذا طريق مرجعه الي هو
وكقوله الي فاحازي كلا بعمله يعني طريق العبودية وقيل المعنى علي ان ادل على الصراط المستقيم
بالبيان والبرهان وقيل بالتوفيق والهداية وقرا ابن سيرين وقتادة والحسن وقيس بن عباد
وابو رجا وحميد ويعقوب هذا صراط علي مستقيم برفع علي وتنوينه ومعناه رفيع مستقيم اي
رفيع في الدين والحق وقيل رفيع ان ينال مستقيم ان يسال قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان قال العلما يعني على قلوبهم وقال ابن عيينة اي لي ان يلقيهم في ذنب يمنعهم عفوي هو
ويضيفه عليهم وهو الذين هداهم الله واجتباهم واختارهم واصطفاهم تلك
لعل قايلا يقول قد اخبر الله عن صفة ادم وحوا عليهما السلام بقوله فازلهما الشيطان وعن جملة
من اصحاب نبيه بقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فالجواب ما ذكرناه
وهو انه ليس له سلطان على قلوبهم ولا يوضع ايمانهم في ذنب يوودي الى تعذر القبول
بل تزيله التوبة ونحوه الاوبة ولم يكن خروج ادم عقوبة لما تنال على ما تقدم في البقرة ببيانه
واما اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى القول عنهم في العمران شم ان قوله سبحانه
ليس لك عليهم سلطان يحتمل ان يكون خاصا فيمن حفظه الله ويحتمل ان يكون في اكثر
الاوقات والاحوال وقد يكون في تسلطه تفريج كربه وازالة غمه كما فعل بلالا اذ اتاه ببدنية كما يهدي
الصبي حتى نام والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فلم يستيقظوا حتى طلعت الشمس وفزعوا
وقالوا ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ليس لهم
في النوم تفريط فترج عنهم الامر اتبعك من الغاوين اي الضالين المشركين اي سلطانه على هوى

دليله انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون الثانية وهذه الاية والتي قبلها دليل على جواز
الاستثناء القليل من الكثير والكثير من القليل مثل ان يقول عشرة الا درهما او تسعة عشر الا تسعة وقال
احمد بن حنبل لا يجوز ان يستثنى الا قدر النصف مما دونه واما استثناء الاكثر من الجملة فلا يصح ودليلنا الاية
فان منها استثنى الغاوين من العباد والعباد من الغاوين وذلك يدل على ان الاستثناء الاقل من الجملة
واستثناء الاكثر من الجملة جايز قوله تعالى وان جهنم لموعدهم اجمعين يعني ابليس ومن اتبعه لها سبعة
ابواب اي اطباق طبق فوق طبق لكل طبقة جزء مقسوم اي حظ معلوم ذكر ابن المبارك قال اخبرنا
ابراهيم ابو هارون العنزي قال سمعت حطان بن عبد الله الرقاشي يقول سمعت عليا رضي الله عنه
يقول هل تدرون كيف ابواب جهنم قال قلنا لي مثل ثوابنا هذه قال لا بل هكذا بعضها فوق بعض
زاد الثعلبي ووضع احدى يديه على الاخرى وان الله وضع الجنان على الارض والنيران بعضها فوق
بعض فاسفلها جهنم وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها السعير ثم الجحيم وفوقها الدركة في فوقها
السعير وفوقها الهاوية كل باب اشد حرا من الذي يليه سبعين مرة ذلك كذا وقع هذا التفسير والذي
عليه الاكثر من العلماء ان جهنم اعلى الدركات وهي مختصة بالعصاة من امة صلى الله عليه وسلم دون اهل النبي
تخلى عن اهلها فتصفق الرياح ابوابها ثم تطبق ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية الهاوية
قال العتبي في الدرك الاعلى المحمديون وفي الثاني النصارى وفي الثالث اليهود وفي الرابع الصابئون
وفي الخامس المجوس وفي السادس مشركو العرب وفي السابع المنافقون والدركات من اسفل
المايدة قال الله ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا وقال ادخلوا الدركات
اشد العذاب وقال وعزتي وجلالي لاعذبن بكم فاني لاعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين وقسم معاذ بن جبل
رضي الله عنه العلماء السوء من هذه الامة تقسيما على ذلك في ابواب ذكرنا في كتاب التذكرة وروى الترمذي
من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة ابواب باب منها للحرورية وقال
وهب بن منبه بين كل بابين مسيرة سبعون سنة كل باب اشد حرا من الذي يليه فوقه بسبعين
ضعفا وقد ذكرنا هذا كله في كتاب التذكرة وروى سلام الطويل عن ابي سفيان عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم جزء اشركوا
بالله وجزء سكوا في الله وجزء غلوا عن الله وجزء اشروا شهواتهم على الله وجزء شكوا غيظهم بغضب
الله وجزء سيروا رغبتهم بحظهم عن الله وجزء عتوا على الله ذكره الحليمي ابو عبد الله الحسين بن الحسن
في كتاب منهاج الدين له وقال كان ثابتا المشركون بالله الموبقون والشاكون هم الذين لا يدرون
ان لهم الها او لا الههم ويشكون في شريعته انها من عنده ام لا والغافلون عن الله هم الذين يجحدونه
اصلا ولا يثبتونه وهم الدهرية والمؤثرون شهواتهم على الله هم المنهمكون في المعاصي لتكذيبهم
رسول الله رسل الله وامره ونهيه والتاركون لغيظهم بغضب الله هم القاتلون انبياء الله وساير
الراغبين فيه المعذبون من ينصح لهم او يذهب غير مذاهبهم والمصرون رغبتهم بحظهم من الله هم
المنكرون البعث والحساب وهم الذين يغيرون اي يرغبون فيه لهم لهم جميع حظهم من الله تعالى والعاتون
على الله الذين لا يبالون بان ما يكون منهم فيه حقا او باطلا فلا يتفكرون فيه ولا يعتبرون ولا يستدلون
والله اعلم بما اراد رسوله صلى الله عليه وسلم ان ثبت الحديث وروي ان سلمان الفارسي رضي الله
عنه لما سمع هذه الاية وان جهنم لموعدهم اجمعين فزلت ثلثة ايام من الخوف لا يعقل فجيء به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال يا نبي الله يا رسول الله اما ترى هذه الاية وان جهنم لموعدهم اجمعين
والذي بعثك بالحق لقد قطعت قلبي ما نزل الله تعالى في ان المتقين في جنات وعيون وقال
بلال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في مسجد المدينة وحده فمرت به امرأة اعرابية فصلت
خلفه ولم يعلم بها فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء
مقسوم فخرت الاعرابية مغشيا عليها وسمع النبي صلى الله عليه وسلم وجبتها فانصرف ودعا بها فصب
على وجهها حتى افاقت وجلست فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه يا مالك فقالت اهذا شيء من كتاب
الله المنزل فقالت كل عضو من اعضائي يهذب على كل باب منها قال يا اعرابية لكل باب منهم جزء
مقسوم يعذب اهل كل باب منها على قدر اعمالهم فقالت والله اني امرأة مسكينة مالي مال ولا مالي الى
سبعة اعداء اشهدك يا رسول الله ان كل عبد منهم عن كل باب من ابواب جهنم حرر وجه الله فاتاه
جبريل فقال يا رسول الله بشر الاعرابية ان الله قد حرم عليها ابواب جهنم كلها وفتح لها ابواب الجنة كلها
قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون اي الذين اتقوا الفواحش والشرك في جنات اي بساتين
وعيون هي الانهار الاربع ماء وخمر ولبن وعسل واما العيون المذكورة في سورة الانسان الكافور والزنجبيل
والسلسبيل وفي المطففين التسنيم فيأتي ذكرها واصلها ان شاء الله ومن العين تجري عيون على الاصل
والكسر مراعاة لليا وتركيبهما ادخلوها بسلام امنين قراءة العامة ادخلوها بوصل الالف وضم

الخا من دخل يدخل على الامر لتقديره قيل ادخلوها وقرا الحسن وابو العالية وروبس عن يعقوب ادخلوها
بضم التنوين وصل الاصل وكسر الخا على الفعل المجهول من ادخل اي ادخلهم الله اياها ومذهبهم
كسر التنوين في مثل هذه ادخلوا الجنة وشبههم الا انهم ها هنا لقوا حركة الهمزة على التنوين
اذ هي الف قطع وكذلك بنيه انتقالا من كسر الخا ثم من ضم الى كسر فيثقل على اللسان بسلام اي بسلامة
من كل آفة وآية وقيل بتحية من الله لهم امنين اي من الموت والعذاب والعزل والزوال فوله تعالى
ونزعنا ما في صدورهم من غل قال ابن عباس اراد لما يدخل ما يدخل اهل الجنة نزع من قلوبهم عيبان
فيسيرون على اصدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل ثم يدخلون العين الاخرى فيغتسلون
فيها فتشرق الوانهم ويصفوا وجوههم وتجري عليهم نضرة النعيم ونحوه عن علي رضي الله عنه وقال
علي بن الحسين نزلت في ابي بكر وعمر وعلي والصحابة يعني ما كان منهم في الجاهلية من الغل والوتر الاول
اظهر يرد عليه سبق الآية وقال علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وطلحة والزبير من هؤلاء والغل
الحقد والعداوة يقال منه غل يغل ويقال من الغلول وهو السرقة من المغنم غل يغل ويقال من الخيانة
اغل يغل كما قاله حريث بن عناب الله عنا حزة بن نوفل جزا من غل بالامانة كاذب ٥ وقد مضى هذا في آل عمران
اخوانا على سرر متقابلين ابيا ينظر بعضهم الى قفا بعض تواصلا وتحابيا عن مجاهد وغيره وقيل
الاسرة تدور بهم حيثما شاؤا فلا يرى احد قفا احد وقيل متقابلين قد اقبلت عليهم الازواج واقبلوا
عليهن بالود والسرور جمع سرير مثل حديد وحدد وقيل لعلو السرور فكانه مكان رفيع ممهد للسرور والاول
اظهر قال ابن عباس على سرر مكللة بالياقوت والزبرجد والدر والسرير ما بين صنعا الى الجابية وما بين
عدن الى ايلة واخوانا نصب على الحال من المتقين او من المضمر في ادخلوها او من المضمر في امنين او يكون حالا
مقدرة من الهاء والميم في صدورهم لانهم ليسوا بهم فيها نصب اي اعياء وتعب وما هم منها بمخرجين دليل على ان
نعيم الجنة دائم لا يزول وان اهلها فيها لا يموتون اكلها دائم ان هذا لرزقنا ما له من نفاد قوله تعالى نبئ عبادي
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم لهذه الآية وزان قوله عليه السلام لو يعلم المؤمن
ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته احد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته احد
اخرجه مسلم من حديث ابي هريرة وقد تقدم في الفاتحة وهكذا ينبغي للانسان ان يذكر نفسه وغيره
فيخوف ويرجى ويكون الخوف في الصحة اغلب عليه منه في المرض وجاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم خرج على الصحابة وهم يضحكون فقال اما انكم تضحكون وبين ايديكم الجنة والنار فنزل ذلك عليهم
فنزلت الآية ذكره المهدوي والماوردي ولفظة القشيري عن ابن عمر قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم
من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة وكنا نضحك فقال ما لكم تضحكون لا اراكم تضحكون ثم ادبر حتى
اذا كان عند الحجر رجع القهقرى فقال انا ان لما خرجت جاءني جبريل فقال يا محمد لم تقنط عبادي
من رحمتي نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فالقنوط اياس والرجاء
امل لدوجيز الامور اوساطها قوله تعالى ونبئهم عن ضيف ابراهيم ضيف ابراهيم الملائكة الذين
بشروه بالولد وبهلاك قوم لوط وقد تقدم ذكرهم وكان ابراهيم عليه السلام يكنى ابا الضيفان
وكان لنضرة ابواب كيلا يفوت احدا من الضيف ضيفا اضافة اليك ونزوله عليك
وقد مضى حكم الضيف في هود ما يكفي والحمد لله اذ دخلوا عليه جمع الخبر لان الضيف اسم يصلح هو
للواحد والجمع والتثنية والمذكر والمؤنث كالمصدر رضاه وانصافه اماله ومنه الحديث حين تضيف
الشمس للغروب وضيفونه السهم والاضافة التخوينة فقالوا سلاما اي سلموا سلاما قال انا منكم
وجلون ايخرعون خائفون وانما قال هذا بعد ان قرب العجل قدامهم ما يأكلون على ما تقدم في هود
وقيل انكر السلام لانه لم يكن في بلادهم رسم السلام قالوا لا توجل اي قالت الملائكة لا تخف انا نبشرك
بغلام عليم اي حليم قاله مقاتل وقال الجمهور عالم وهو اسحاق قال ابشرتموني على ان مسني الكبر
اي مع كبر سني اي على مس الكبر اياي وزوجتي وقد تقدم في هود وابراهيم حيث يقول ابشرتموني ٥
استفهام تعجب وقيل استفهام حقيقي وقرا الحسن توجل بضم التاء والاعمش ببشر تموني بغير الف
ونافع وبسه تبشرون بكسر النون والتخفيف مثل الحاجوني وقد تقدم تعليله وقرا ابن
كثير وابن محيصن تبشرن بكسر النون مشددة تقديره تبشرونني فحذف احدى النونين
تبشرون بفتح النون بغير اضافة قوله تعالى قالوا بشرناك بالحق اي بما لا خلف فيه ٥
وقوله القانطين من القانطين ابراهيم لا يئسين من الولد وكان قد ابن من الولد لفرط الكبر
عن ابي عمرو وهو مقصور من القانطين ويجوز ان يكون من لغة يقنط مثل حذر يحذر وفتح النون
وكسرها من قنط يقنط بهما وحكي فيه يقنط بالضم ولم يات فيه قنط يقنط من فتح النون في الماضي
والمستقبل فاما جمع من اللغتين فاخذ في الماضي بلغة من قال قنط يقنط وفي المستقبل بلغة من

قال قنط يقنط ذكره الهروي **قوله تعالى** ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المكذبين الذاهبون
عن طريق الصواب يعني اذا استبعد الولد لكبر السن **قال** ابو قنط من رحمة الله تعالى **قوله تعالى** قال فما خطبكم
ايها المرسلون فيه مسئلتان **الاولى** لما علم انهم ملايكة اذا خبروه بامر خارق للعادة وهو بشارتهم بالولد
قال فما خطبكم والخطبة الامر الخطير اي فما امركم وشانكم وما الذي جيتم به **قالوا** انا ارسلنا الى قوم مجرمين
لنهلكهم الا آل لوط اتباعه واهل دينه انا لمنجوهم وقراءة والكسائي لمنجوهم بالتخفيف من انجا
الباقون بالتشديد من نجا واختاره ابو عبيد وابو حاتم والتنجية والانجا التخليص الا امرأته استثنى
من آل لوط امرأته وكانت كافرة فالتحقت بالمجرمين في الهلاك وقد تقدمت قصة قوم لوط في الاعراف
وسورة هود بما فيه كفاية فلا نعيدها هنا بل نذكر ما لم نذكره هناك فقد انتهى الى العابرين اي الباقين في العذاب والغابر
الباقي **قال** لا تكتموا انا رسل اعمار هاه انكم لا تدركون من النائح **الثانية** الاعمار نعايا اللبن وقرا ابو بكر والمفضل
قدرنا بالتخفيف هنا وفي النمل وشدد الباقون الهروي يقال قدر وقدر بمعنى **الثالثة** اختلف بين اهل
اللسان وغيرهم اذا استثنى من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاذا قال الرجل له علي عشرة دراهم الا اربعة
الا درهما ثبت الاقرار بتسعة لان الدرهم مستثنى مستثنى من الاربعة وهو مثبت لانه مستثنى من نفي
وكانت الاربعة منفية لانها مستثناة من موجب وهي العشرة فصار الدرهم الخامسة فصارت تسعة
ولو لم يكن لوقال له على خمسة دراهم الا درهما الا ثلثاه كان عليه اربعة دراهم وثلث وكذلك اذا
قال له فلان على عشرة الا ثمانية الا سبعة كان الاستثنا الثاني راجعا الى ما قبله والثالث الى الثاني
فيكون عليه درهمان لان العشرة اثبات والثمانية اثبات فيكون مجموعا ثمانية عشر والتسعة
نفي والسبعة نفي فيكون مجموعها سبعة عشر فتسقط من ثمانية عشر يبقى درهمان وهذا التقدير
الواجب بالاقرار لا غير فقوله سبحانه انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته
فاستثنى آل لوط من القوم المجرمين ثم قال الا امرأته فاستثنا هنا من آل لوط فرجعت في التاويل الى
القوم المجرمين كما بينا وهكذا الحكم في الطلاق لو قال لزوجتيه انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة
طلقت ثلثين لان الواحدة رجعت الى الباقي من المستثنى منه وهي الثلاث وهكذا كل ما جاء من هذا النمط
فتفهمه **قوله تعالى** فلما جاء آل لوط المرسلون **قال** انكم قوم منكرون اي لا اعرفكم وقيل كانوا شبابا
ولم ير مثلهم قط فخاف عليهم من فتنة قومه **قالوا** هو الانكار **قالوا** بل جيناك بما كانوا فيه يمترون اي يشكون
انا نأتيهم وهو العذاب وانيناك بالحق اي باليقين وقيل بالعذاب وانا لصادقون في اهلاكهم
فاسر باهلك بقطع من الليل تقدم في هود واتبع ادبارهم اي كن من ورائهم ليلا يتخلف منهم احد
فيناله العذاب ولا يلتفت منكم احد هنا عن الالتفات ليجد في السير وينبا عدوا عن التوبة
قيل ان مجيئهم الصبح وقيل المعنى لا يتخلف ولمعصر اجيئ لتومروت قال ابن عباس بعين الشام فقال
يعني صغر قرية من قرى لوط وقد تقدم وقيل انه مضى الى ومن الخليل ما كان يقال له البيقين وانما سمي
البيقين لان ابراهيم لما خرج الرسل شيعهم فقال لجبريل من اين تخسف بهم فمر بها هنا وصلى حدا وذهب
جبريل فلما جا لوط جلس عند ابراهيم وارتقبا ذلك العذاب فلما اهتزت الارض قال ابراهيم البيقين
يا لوط فسمي البيقين **قوله تعالى** وقضينا اليه اي اوحينا الى لوط اذ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين
نظيره فقطع دابر القوم الذين ظلموا مصبحين اي عند طلوع الصبح وقد تقدم **وجاء** اهل المدينة
اي اهل مدينة لوط مستبشرين اضيافه لوط طمعا منهم في ركوب الفاحشة قال ان هؤلاء ضيفي فلا
اي اضيافي فلا تفضحون اي تخجلون واتقوا الله ولا تخزون يجوز ان يكون من الخزي وهو الذل والهوان
ويجوز ان يكون من الخزاية وهو الحيا والخجل وقد تقدم في هود **قالوا** اولم ننهك عن العالمين اي عن ان
نضيف احدا او ان نريد منهم الفاحشة وكانوا يقصدون بفعلهم الغرباء عن الحسن وقد تقدم في الاعراف
وقيل اولم ننهك عن مخاناة احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة **قال** هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين
اي تزوجوهن وانزكوا الحرام وقد تقدم بيان هذا في هود **قوله تعالى** لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون فيه ثلاث مسايل **الاولى** **قال** ابو بكر بن العربي **قال** المفسرون باجمعهم اقسم الله تعالى بها هنا
بحياة محمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له في ان قومه من قريش في سكرتهم يعمهون وفي حيرتهم يترددون
قلت وهكذا قال القاضي عياض ان قسم اهل التفسير في هذا ان قسم من الله جل جلاله بعمره حياة محمد
صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقايك يا محمد
وقيل وحياتك وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف **قال** ابو الجوزا ما اقسم الله بحياة احد
غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه اكرم البرية عنده **قال** ابن العربي وما الذي يمتنع ان يقسم الله تعالى بحياة
لوط ويبلغ به من التشريف ما شاء وكل ما يعطيه تعالى للوط من فضل يرى ضعفيه من شرف لمحمد صلى
الله عليه وسلم لانه اكرم على الله منه ولا تترك انه سبحانه اعطى ابراهيم الخلة وموسى التكليم واعطى
ذلك لمحمد فاذا اقسم بحياة لوط فحياة محمد ارفع ولا نخرج من كلام الى كلام لم يجز لاحد ذكر لغير ضرورة قلت

ما قاله حسن فانه كان يكون تقسيمه سبحانه بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط قال
الشيخ ابو نصر عبد الرحيم ز عبدا لكريم في تفسيره ويحتمل ان يقال رجع ذلك القوم لوطا اي
كانوا في سكرتهم يعمهون ودليل لما وعظ قومه قالوا هؤلاء بناتي فقالت الملائكة يا لوط لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون وهذا يدرون ما يحل بهم صباحا فان قيل فقد اقسم تعالى بالتين والزيتون
وطور سينين مما في هذا فهل له ما من شيء اقسم به الا وذلك دال له على فضله على ما يدخل في عداده
فكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم يجب ان يكون افضل من هو في عداده والعمر والعمر بضم العين
لغتان ومعناهما واحد الا انه لا يستعمل في القسم الا بالفتح لكثرة الاستعمال وتقول لعمرك
الله اي اسأل الله تعميرك ولعمرك رفع بالابتداء وخبره محذوف المعنى لعمرك ما اقسم به اثابته
كم كثير من العلماء ان يقول الانسان لعمري لان معناه وحياتي قال ابراهيم النخعي يكره
للرجل ان يقول لعمري لانه حلف بحياة نفسه وذلك من كلام ضعفة الرجال والمومنين يقسمون
بحياتك وعمرك وليس من كلام اهل الذكر ان وان كان الله سبحانه اقسم به في هذه القصة
فذلك بيان لشرف المنزلة والرفعة لمكانه فلا يحمل عليه سواه ولا يستعمل في غيره وقال
ابن حبيب ينبغي ان يصرف لعمرك في الكلام كله الا اليمين وقال قتادة هو من كلام العربي وبه قالا قول لكرا يشرح قد قطعه في الاستعمال ورد القسم اليه قلت القسم
بلعمرك ولعمري ونحوه في اشعار العرب وفصيح كلامها كثير قال النابغة لعمري وما عمري علي
بهين لقد نطقت مطلا على الاقارع اخره لعمرك ان الموت ما اخطا الفتى لذا الطول
المرخى وثنياه باليد اخره انما المنايا الشريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان اخره اذا
رصدت على شوشير لعمرك الله اعجبني صلاها وقال بعض اهل المعاني لا يجوز هذا لانه
لا يقال لله عمر وانما هو الله تعالى ازلي ذكره الزهراوي الثالثة قد مضى الكلام فيما يحلف
به وما لا يجوز ان يحلف به في المايدة وذكرنا هناك قول احمد بن حنبل فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه
وسلم لزمته الكفارة قال ابن خواز منداد من جوز الحلف بغير الله تعالى مما يجوز تعظيمه يجوز الحلف
فليس يقول انها اعيان تتعلق بها كفارة الا ان قصد الكذب كان ملوما لانه في الباطن مستخف
بما وجب عليه تعظيمه قالوا وقوله تعالى لعمرك اي وحياتك واذا اقسم الله تعالى بحياة نبيه فانما
اراد بيان التصريح لنا ان نحلف بحياته وعلى مذهب مالك معنى قوله لعمرك والتين والزيتون
والطور وكتاب مسطور والنجم اذا هوى والشمس وضحاها انما اقسم بهذا البلد الحرام
ووالد وما ولد كل هذا معنا وقال التين والزيتون وبر بالكتاب والمسطور وبرب البلد الذي
حللت به وقال في عيشك وحياتك وحق محمد فاليمين والقسم حاصل به سبحانه لا بالمخلوق قال
ابن خواز منداد ومن جوز اليمين بغير الله تعالى تاول قوله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بابائكم
وقال انما نهى عن الحلف بها لان الكفار لا تزكي انه قال لما حلفوا بابائهم لانكم لا تجعل عند الله اكرم
من ابائكم الذين ما توا في الجاهلية وذلك حمل الحديث على ظاهره قال ابن خواز منداد ايضا من حقوق
ذلك بان ايمان المسلمين حدث منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى ان اهل المدينة الى يومنا هذا اذا
جاءكم احدهم صاحبه فاراد ان يحلف لي بحق ما جوز حواء هذا الحجر وحق ساكن هذا القبر يعني النبي صلى
الله عليه وسلم وكذلك بالحرم والمشاعر العظام والركن والمقام والمحراب وما يلي فيه قوله تعالى
فاخذتهم الصيحة مشرقين نصب على الحال اي وقت شروق الشمس يقال اشرقت الشمس اي
اضاءت وشرقت اذا طلعت وقيل هما لغتان بمعنى واشرق القوم اي دخلوا في وقت شروق الشمس
مثل اصبحوا وامسوا وهو المراد في الاية وقيل ان اشراق شروق الفجر وقيل اول العذاب كان عند الصبح
وامتد الى شروق الشمس فكان تمام الهلاك عند ذلك والله اعلم والصيحة العذاب وتقدم ذكر سجيل
قوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى للمتوسمين روى
الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال للمتوسمين وهو قول مجاهد وهو ولي تحقيق الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المرء المسلم فانه ينظر بنور الله ثم قرا ان في ذلك لايات
للمتوسمين قال هذا حديث غريب وقد مقاتل وابن زيد للمتوسمين للمتفكرين الضحاك للناظرين
قال الشاعر وكلما مررت عكاظ قبيلة يعنون الي عرفهم بتوسم وقال قتادة للمعتبرين
قال رهير وفيهن ملهى للصديق ومنظر انيق لعين الناظر المتوسم وقال ابو عبيدة للمتبصرين
والمعنى متقارب وروى الترمذي الحكيم من حديث ثابت عن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل عبادا يعرفون بالتوسم قال العلماء التوسم تتعلق من الرسم
وهي العلامة التي يستدل بها على مطلوب غيرها يقال توسمت في الخبر اذا رايت ميسم ذلك فيه

ومنه

ومن قوله عبد الله بن رواحة للنبي صلى الله عليه وسلم اني توسمت فيه الخير اعرفه والله يعلم اني ثابت
البصيرة اخبره توسمته لما رايت مهابة عليه وكنت المرز الهاشم واسم الرجل اذا جعل لنفسه
علامة يعرف بها ووسم الرجل طلب كلا الوسمي وانشد واصبحن كالدوم النواعم عدوه علي
وجهه نرظاهن متوسم وقال ثعلب الواسم الناظر اليك من قرنك الى قدمك واصل التوسم
الثبت والتفكر ما خوذ من الوسم وهو التاثير بحديدة في جلد البعير وغيره وذلك يكون لما
يجوده للتفرقة وحدة الناظر وصفا الذكر زاد غيره وتفريع القلب من حسر الدنيا وتطهيره
من ادناس المعاصي وكدورة الاخلاق وفضول الدنيا وروى سفيان عن ابن عباس للمتوسمين قال
اهل الصلاح والخير وزعمت الصوفية انها كرامة وقيل لابي اسيدة ما بالكلمات ما بياطنا هل
لكل احد منا ول نظر ومنها ما يخفا فلا يبيد والكل احد ولا يدرك بادي النظر قاله الحسن المتوسمون
هم الذين يتوسمون الامور فيعلمون ان الذنب اهلك قوم لوط قادر على ان يهلك الكفار هذا
من الدليل الظاهر ومثله قول ابن عباس ما اتاني اصدق عن شيء الا عرفت افقيه هو او غير فقيه وروي
عن الشافعي ومحمد بن الحسن انهما كانا نيفا الكعبة ورجل على باب المسجد فقال احدهما اراه نجارا
وقال الاخر بل حدادا فنباد رن حضرا الى الرجل فسالاه فقال كنت نجارا وانا اليوم حداد وروي
عن جندب بن عبد الله البجلي انه اتى على رجل يقرا القران فوقف فقال ترسم سمع الله
به ومن اياراياه به فقلنا له كانك عرضته بهذا الرجل فقال ان هذا يقرا علينا القران ويخرج
حرورياً فكان راس الحرورية واسمه مرداس وروي عن الحسن البصري انه دخل عليه عمرو بن عبيد
فقال هذا سيد فتيان البصرة ان لم يحدث فكان نزامره من التدر ما كان حتى هجره عليه اخوانه وقال
ايوب هذا سيد فتيان اهل البصرة ولم يستثن وروي عن الشعبي انه قال الداوداء ترى وهو يمازيه
انك لا تموت حتى تكون في راسك وكان كذلك وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل عليهم قوم
مذحج فيهم الاشتر فجعل يضع في النظر وضوبه وقال ايهم هذا قالوا مالك بن الحارث فقال ما له قاتله
الله انه لمخوف للمسلمين منذ يوما عصيبا فكان منه في الفتنة ما كان وروي عن عثمان بن عفان رضي
الله عنه انه انس بن مالك دخل عليه وكان قد سر بالشرق فنظر الى امراة فلما نظر الى قال
علمان يدخل احدكم علي وفي عينيه اثر الزنا فقال له انس اترجو بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال لا ولكن برهان وفراسة وصدق ومثله كثير عن الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين
الثانية قال ابو بكر بن العربي اذا ثبت ان التوسم والتفرس من مدارك المعاني فان ذلك لا يترتب
عليه حكم ولا يوجد به رسوم ولا منغرس وقد كان قاضي القضاة الشاشي المالكي بمصر ايام كوني
بالشام يحكم بالفراسة في الاحكام جريا على طريق ابي سريج من مكاوية اياد كان قاضيا وكان شيخنا
فخر الاسلام ابو بكر الشاشي صنف جزاءا في الرد عليه كتبنا فيه من خطه واعطانيه وذلك صحيح لان مدرك
الاحكام معلومة شرعا مدركة قطعا وليست الفراسة منها قوله تعالى وانها يعني ترك قوم لوط
لسبيل مقيم على اي طريق قومك يا محمد الى الشام انتهى ذلك لاية للمومنين اي لعبرة للمصدقين
وان كان اصحاب الايكة لظالمين يريد قوم شعيب كانوا اصحاب غياض ورياض وشجرة ملتفة والايكة
الغيظة وهي جماع الشجر والجمع الايك ويروى ان شجرهم كان دوما وهو المعل قال الثابغة من
يحلوا تقاد مني حانة ايكة بردا اسف نشاة بالامد وقيل الايكة اسم القرية وقيل اسم البلدة وقال
ابو عبيدة الايكة وليكة مدين بمنزلة بين مكة وتبوك بحيز شعيب وقومه وانهما لبامهبين
اي بطريق واضح لغتهم يعني مدينة قوم لوط وبقعة اصحاب الايكة يعني وبهما من يمر عليهما
قوله تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين الحجر يطلق على معان منها حجر الكعبة ومنها الحرام
قال الله تعالى وحجر محجورا اي حراما محرما واحجر العقل قال الله تعالى لذي حجر واحجر حجرا للنهي والحجر
افصل واحجر الرجل اتى وحجر ديار ثمود وهو المراد هنا اي المدينة قاله الازهري قتادة وهي ما بين مكة وتبوك
وهو الوادي الذي فيه ثمود الطبري هي ارض بين الحجاز والشام وهم قوم صالح وقال المرسلين وهو صالح
وحده ولكن من كذب نبيا فقد كذب الانبياء لانهم على دين واحد والاصول لا يجوز التفريق بينهم وقيل
كذبوا صالحا ومن تقدمه من النبيين ايضا والله اعلم روى البخاري عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من بيرها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا واستقينا فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا الماء وان يطرحوا ذلك العجين وفي الصحيح عن ابن عمر ان الناس
نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البير التي كانت ترد
الناقة وروي ايضا عن ابن عمر قال لما مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر قال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصابهم ثم زجر

ناسخ ثلث فتى هذه الاية التى بين الشارع حكمها واوضح امرها تمان مسايل استنبطها واختلف في بعضها
الفقها فاولها كراهة دخول تلك المواضع وعليها حمل بعض العلما دخول مقارا لكفار فان دخل لها نسان
شيا من تلك المواضع والمقابر فعلى الصفة التى ارشد اليها النبى صلى الله عليه وسلم من الاعتبار والخوف
والاسراع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخلوا ارض بابل فانها ملعونة مسالة
امر النبى صلى الله عليه وسلم ببرق ما استقوا من بيرنو دوالتى ما يجن وضرها على انه ما سخط فلم يكره الانتفاع
به فزار امر سخط الله وقال اعلفوه الابل قلت وهذا حكم الما النجس وما يجن به وتا يمها قال مالك ان
تلا يجوز استعمال من الطعام والشراب يجوز ان يعلفه الابل والبهايم اذ لا تكليف عليها وذلك قال في العسل
النجس اذ يعلف للنحل وقالت سما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلف ما يجن هذا الما الابل ولم
يامر بطرحه كما امر في لحوم الحمر الانسية يوم خيبر فدل على انكم الحمر اشد في التحريم وغلظ في التنجيس وقد
امر صلى الله عليه وسلم بكسب الحجام ان يعلف الناضح والرقيق ولم يكن ذلك لتحريم ولا لتنجيس قال
الشافعي ولو كان حراما لم يامره ان يطعمه رقيقه كما نعبد في نفسه ولا بها في امره صلى
الله عليه وسلم بعلف الابل العجين دليل على جواز حمل النجاسة الى كلابه ياكلوها حلالا لمن منع ذلك
من اصحابنا وقد ذكر الكلاب عليها ولا تحملها اليهم وما منعها امره صلى الله عليه وسلم ان يستنفوا من يمر
الناقة دليل على التبرك باثار الانبيا والصالحين واتقاء مناعصارهم وخفيت اثارهم كما اتى في الحول
دليلا على بعض اهل الفساد وذم ديارهم واثارهم فما وان كان التحقيق ان الحادات غير مواخذات لكن هو
المعروف بالمحبوب محبوب والمقرن بالمكروه المكروه المبغوض مبغوض كما قال كثير احبها السودان
ضا حبها سودا الكلاب وكما قال الاخر امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما لك
الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا وسادسها منع بعض العلما الصلاة بهذا الموضع وقال لا تجوز
الصلاة فيها لانها دار سخط ونقمة غضب وقال ابن العربي وصارت هذه البقعة مستثناة من قوله صلى
الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا فلا يجوز التيمم بترابها ولا الوضوء من مايها ولا الصلاة فيها
وتد روى الترمذي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلى في سبع مواطن المزبلة
والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق وفي الحمام وفي معاطن الابل وفوق بيت الله وفي الباب عن ابي هريرة
وحابر وابن عمر حديث ابن عمر اسناده ليس بذاك القوي وتد تكلم في زيد بن جبيرة من قبل حفظه وقد
زاد علما وتا الدار المغصوبة والكنيسة والبيعة والبيت الذي فيه تما ثيل والارض المغصوبة
ارموضعا تستقبل فيه نايا او وجه رجل عدا لا عليه نجاسة قال ابن العربي ومن هذه المواضع ما منع
لحق الغير وعلته ومنه ما منع لحق الله تعالى ومنه ما منع لاجل النجاسة المحققة او لغلبتها فما منع
لاجل النجاسة ان فرش فيه ثوب طاهر كالحمام والمقبرة فيها او اليها فان ذلك جايز في المزبلة
وذكر ابو مصعب عنه الكراهة وفرق علما وتا بين المقبرة الحديثة والقديمة لاجل النجاسة وبين
مقبرة المسلمين والمشركين لانها دار عذاب ونقمة سخطا كالحجر وقال مالك في المجموعة لا يصلى في اعطان
الابل وان فرش ثوبا كان راي لها عليه لما استشار بها ونفارها فيفسد على المصلي صلاته فان
كانت واحدة فلا باس كما قال النبى صلى الله عليه وسلم يفعل في الحديث الصحيح وقال مالك لا يصلى
على بساط فيه تما ثيل الا ان يضرورة وكره ابن القاسم الصلاة الى القبلة فيها تما ثيل وفي الدار المغصوبة
فان فعل اجزاه وذكر بعضهم عن مالك ان الصلاة في الدار المغصوبة لا تجزيه قال ابن العربي وذلك عندي
بخلاف الارض فان الدار لا تدخل الا باذن وان كانت ملكا فان المسجدية فيها قايمة لا يبطلها الملك
الملك قلت الصحيح ان شاء الله الذي يدل عليه النظر والخبر ان الصلاة الصلاة بكل موضع طاهر
جايزه صحيحة وما روي من قوله صلى الله عليه وسلم ان هذا واد به شيطان وتد رواه معمر عن
الزهري فتالوا خرجوا عن الموضع الذي اصابتكم فيه الغفلة دليل على نهاني رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اصلي بارض بابل فانها ملعونة وقوله عليه السلام حين مر بالحجر بثمود لا تدخلوا على هولاء
المعذبين الا ان تكونوا باكين وتهيه عن الصلاة في مواطن الابل الى غير ذلك مما في هذا الباب فانه
مردود الى الاصول المجتمع عليها والدليل الصحيح فيها تال الامام الحافظ ابو عمر المختار عندنا في هذا
الباب ان ذلك الوادي وغيره من بقاع الارض جايز ان يصلى فيها كلها ما لم تكن فيها النجاسة
متيقنة فيمنع من ذلك ولا معنى عندي لمن اعتل بان موضع النوم عن الصلاة موضع شيطان وموضع
ملعون لا يجب ان تقام فيه الصلاة وكل ما روي في هذا الباب من النهي عن الصلاة في المقبرة وبا عطن
بابل واعطان الابل وغير ذلك مما في هذا المعنى كل ذلك عندنا منسوخ ومدفوع لعموم قوله
صلى الله عليه وسلم مخبرا ان ذلك من فضايله وما خص به وفضايله عند اهل العلم لا يجوز عليها
النسخ ولا التبديل ولا النقص قال صلى الله عليه وسلم اوتيت خمسا ولم يوتهن احد قبلي فهيئت الي الاحمر والاسود ونصرت

بالرعب وجعلت امتي خير الامم واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واوتيت الشفاعة
وبعثت بجوامع الكلم وبينا انا نايم اوتيت بمفاتيح الارض فوضعت بين يدي واعطيت الكوثر وختم بي
النبيون رواها جماعة من الصحابة وبعضهم يذكر بعضا ويذكر بعضهم مالم يذكر غيره وهي صحاح
كلها وجاز على قضايا فيها الزيادة وغير جايز فيها النقصان الا تري انه كان عبدا قبل ان يكون
نبيا ثم كان نبيا قبل ان يكون رسولا وكذلك روي عنه وما ادري ما يفعل بي ولا بكم ثم نزلت
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وسمع رجلا يقول له يا خير البرية فقال ذاك ابراهيم
وقال لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن متى قال السيد يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم
السلام ثم قال بعد ذلك كله انا سيد ولد ادم ولا فخر فقضايا فيه صلى الله عليه وسلم لم تزل تتزايد الى
ان قبضه الله فمن لها هنا قلنا انه لا يجوز عليها النسخ ولا الاستثنا ولا النقصان وجايز فيها
الزيادة وبقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا اجزنا الصلاة في المقبرة
والحمام وفي كل موضع من الارض اذا كان طاهرا من النجاسة وقال صلى الله عليه وسلم لابي ذر حيث
ما ادركتك الصلاة فصل فان الارض كلها مسجد اذكره البخاري قد اخص موضعا من موضع واما من
احتج بحديث ابن وهب قال اخبرني يحيى بن ايوب عن يزيد بن حيوة عن داود بن حصين عن نافع عن ابن
عمر حديث الترمذي الذي ذكرناه فهو حديث انفرد به زيد بن حبيره وانكروه عليه وابو في هذا الحديث
مسند الا ان يحيى بن ايوب عن يزيد بن حبيرة وقد كنى الليث بن سعد الا عبد الله بن نافع لا اعلم ان
حدث بهذا عن نافع الا وقد قال عليه الباطل ذكره الحلواني عن سعيد بن ابي مريم عن الليث وليس فيه
تخصيص مقبرة المشركين من غيرها وقد روى عن علي بن ابي طالب قال نهانا حبيبي صلى الله عليه وسلم
ان اصلي في المقبرة ونهاني ان اصلي في ارض بابل فانها ملعونة واسناده ضعيف مجتمع على ضعفه
وابو صالح الذكر رواه عن علي هو سعيد بن عبد الرحمن العمادي بصري ليس بمشهور ولا يصح له سماع عن
علي ومن دونه مجهولون قال ابو عمر وفي الباب عن علي من قوله غير مرفوع حديث حسن الاسناد رواه
الفضل بن دكين قال حدثنا المغيرة بن ابي الحر الكندي قال حدثني ابو العنبس حجر بن عنبس قال
خرجنا مع علي بن ابي الحر ورنية فلما جاوزنا سورية ونحن بارض بابل فقلنا يا امير المومنين امسينا
الصلاة الصلاة فمشى حتى ان كلما لحقنا قلنا يا امير المومنين قد امسينا فقال بلى ولكن لا اصلي في ارض
خسف الله بها والمغيرة بن ابي الحر كوفي ثقة قاله يحيى بن معين وغيره وحجر بن عنبس من كبار
اصحابه على وروى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض
كلها مسجد الا المقبرة والحمام قال الترمذي رواه سفيان الثوري عن عمرو بن يحيى عن ابيه عن النبي
صلى الله عليه وسلم مرسل وكانه اثبت واصح قال ابو عمر فسقط الاحتجاج به عند من لا يرى المرسل حجة
ولو ثبت كان الرجوع الى ما ذكرنا ولسنا نقول كما قال بعض المتغلبين لمذهبه المدنيين ان المقبرة في هذا
الحديث وغيره اريد بها مقبرة المشركين خاصة فانه قال المقبرة والحمام بالالف واللام فغير جايز
ان يرد ذلك الى مقبرة دون مقبرة او حمام دون حمام بغير توقيف عليه هو قوله او دليل عليه من كتاب
او سنة او اجماع لا مدخل له في القياس ولا في المعقول ولا دل عليه مجرى الخطاب ولا خرج عليه
الخبر ولا يجلو التخصيص من خصص من مقبرة المشركين من احد وجهين اما ان يكون من اجل اختلاف الكفار
اليها باديانهم فلا معنى لخصوص المقبرة بالذكر لان كل موضع يدفن فيه باجسامهم واديانهم فهو كذلك وقد
جل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتكلم بالا معنى له او يكون من اجل انها بقعة سخط فلو كان كذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبني مسجده في مقبرة المشركين وينبشها ويسويها ويبني عليها ولو
جاز لقايل ان يخص من المقابر مقبرة للصلاة عليها لكانت مقبرة المشركين اولى بالخصوص والاستثنا
من هذا الحديث وكل من كره الصلاة في المقبرة لم يخص مقبرة من مقبرة لان الالف واللام اشارة الى الجنس
لا الى معهود ولو كان من مقبرة المسلمين والمشركين لترك لبيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يهمله
لانه بعثه مبينا ولو ساغ لجاهل ان يقول لمقبرة كذا الحاق الاخر ان يقول لحمام كذا الا ترى الحديث المقبرة
والحمام وكذلك قوله المزبلة والمجزرة غير جايز ان يقال من مزبلة كذا او مجزرة كذا وكذلك اذا التخليم
في دين الله غير جايز واجمع العلما على ان التيمم على مقبرة المشركين اذا كان الموضع طيبا طاهرا نظيفا جايز
وكذلك اجمعوا على ان من صلى في كنيسة او بيعة على موضع كذا فان صلاته ماضية جايزة وقد تقدم هذا في سورة
براءة ومعلوم ان الكنيسة اقرب الى ان تكون بقعة سخطة من المقبرة لانها بقعة يعصى الله ويكفر فيها
وليس كذلك المقبرة وقد وردت السنة باتخاذ البيع والكنايس مساجد روى النسايي عن طلق بن
علي قال هجرنا وفدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا معه واخبرناه ان بارضنا بيعة لنا
وذكر الحديث وفيه فاذا اتيتم ارضكم فاكسروا بيعتكم واتخذوها مسجدا وذكر ابو داود عن عثمان بن ابي
العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يجعل مسجد الطايف حيث كانت طواغيتهم وقد تقدم

بي براة وحسبك بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي اسس على التقوى مبنيا في مقبرة المشركين
وهو حجة على كل من كره الصلاة فيها ومن كره الصلاة في المقبرة سواء كانت لمسلمين او مشركين هو
الثوري وابو حنيفة واحد واصحابهم وعند الثوري لا بعيد وعند الشافعي
اجزاه اذا صلى في المقبرة في موضع ليس فيه نجاسة للاحاديث المعلولة في ذلك ولحديث ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا ولحديث ابي مرثد
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا اليها وهذان حديثان ثابتان
مرجحة الاسناد ولا حجة فيهما لانهما محتملان للتاويل ولا يجب ان يمتنع من الصلاة في كل موضع ظاهر
الا بدليل لا يحتمل تاويلا ولم يعرف واحد من فقهاء المسلمين بين مقبرة المسلمين والمشركين الا ما
حكيناه من خطل القول الذي لا يشتغل بمثله ولا وجه له ولا صحيح اثر وانما منها يبلى فيها
النتن والعذرة للكرم فلا يصلى فيه حتى يسقى ثلاث مرات لما رواه الدارقطني عن مجاهد عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحائط يلقى فيه العذرة والنتن قال اذا سقي ثلاثا فصل
فيه وخرجه ايضا من حديث نافع عن ابن عمر انه سئل عن هذه الحبطان التي يلقى فيها العذرة والنتن وهذا
الرجل يصلي فيها فقال اذا سقيت ثلاث مرات فصل فيها رفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم اختلف
في الاسناد والله اعلم **قوله تعالى** واتينا هما الكتاب اي بابانا تقوله اتتا عزانا اي بعد اينا والمراد
النافة وكان فيها الية جعة خروجها من الصخرة وتنوتجها فقد خروجها وعظمها حتى لم تشبهها ناقة
وكثرة لبنها حتى تكفيهم جميعا ويحتمل انه كان لصالح ايات اخر سوى الناقة كما ليس دعيره وكانوا
عنها معرضين اي لم يعتبروا **قوله تعالى** وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين النحت في كلام العرب
البري والنحر نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به وفي التنزيل القبور
ما تنحتون اي تنحرون وتصورون فكانوا ينحتون من الجبال بيوتا لا تسمع بشدة توهم امنين اي
من ان تسقط عليهم او تخرب وقيل امنين من الموت وقيل من العذاب فاخذتهم الصيحة مصبحين اي في
وقت الصبح وهو نصب على الحال وقد تقدم ذكر الصيحة في هود والاعراف فما اغنى عنهم ما كانوا
يكسبون من الاموال والحصون في الجبال وما اعطوه من القوة **قوله تعالى** وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق اي للدلالة والغنا وقيل اي لا جازي المحسن والمسي كما قال وليجزي الذين
وا بي الارض ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وان الساعة لاتية فيجزي كلا
بعمله فاصفح الصفح الجميل مثل والهجرهم هجرا جميلا اي تجاوز عنهم يا محمد واعف عفوا حسنا ثم نسخ
بالسيف فانزل فاقتلوا المشركين حيث ثقفتموهم وان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لهم لقد جينكم بالذبح وبعثت بالحصاد ولم ابعث بالزراعة قاله عكرمة ومجاهد وقيل ليس بمنسوخ
وانه امر بالصفح حتى تنسه فيما بينهم وبينهم والصفح الاعراض عن الحسن وغيره ان ربك هو الخلاق
اي المقدر والخالق والخلاق العليم بافعل الرفاق والاتقان **قوله تعالى** ولقد اتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم اختلف العلماء في السبع المثاني فقيل الفاتحة قاله علي بن ابي طالب
وابو هريرة والربيع بن انس وابو العالية والحسن وغيرهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم من
وجوه ثابتة من حديث ابي بن كعب وابي سعيد بن المعلى وقد تقدم في تفسير الفاتحة وخرج الترمذي
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله ام القرآن وام الكتاب والسبع
المثاني قال هذا حديث حسن صحيح وهذا نص وقد تقدم في الفاتحة وقال الشاعر
بمنزل القرآن ام الكتاب السبع من المثاني ● وقال ابن عباس هي السبع الطوال البقرة وآل
عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة معا لقربهما تسمية روى
النسائي بحدثنا علي بن حجر اخبرنا شريك عن ابي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله عز وجل
سبعا من المثاني قال السبع الطوال وسميت مثاني لان العبر والاحكام والحدود ثنيت فيها وانكر
قوم هذا وقالوا انزلت هذه الاية بمكة ولم ينزل من الطوال شيء واجيب بان الله تعالى انزل القرآن
الى السماء الدنيا ثم انزله منها نجوما فما انزله الى السماء الدنيا فكانما انزله على محمد صلى الله عليه وسلم
وان لم يتر تعليه بعد ومن قال انها السبع الطوال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وسعيد
ابن جبير ومجاهد وقال الجرير جزي الله الفرزدق حين يسى مصيبا المفصل والمثاني ●
وقيل المثاني القرآن كله قال الله تعالى كتابا متشابها مثاني هذا قول الضحاك وطاوس وابو
مالك وقاله ابن عباس وقيل له مثاني لان الانباء والقصص ثنيت فيه وقال صفية بنت عبد المطلب
ترثي رسول الله صلى الله عليه وسلم ● فقد كان نورا ساطعا يهتدي به يخص بتنزيل القرآن
المعظم ● اي القرآن وقيل المراد بالسبع المثاني انقسام القرآن من الامر والنهي والتفسير
والانذار وضرب الامثال والتقديد نعم وقيلوا انها فرون قاله زياد بن الجهم والصحيح الاول

١ انه نصر وقد قدمنا في الفاتحة انه ليس في تسميتها بالمثاني ما يمنع من تسمية غيرها بذلك الا اذا ورد
عن النبي صلى الله عليه وسلم ونبت عنه نص في شيء يحمل التاويل بل كان الوقوف عنده فوتر رجل
لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم فيه مسالتان الاولى في قوله تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا
اغنيتك بالقرآن عما بايدي الناس فما ازهد من لم يتغن بالقرآن اي ليس منا من راى ليس يغنى مما
عنده من القرآن حتى تطمح بصره الى زخارف الدنيا يقال ازوى اليه سبع قوافل من بصره واذ رعات لهو و
قريظة والنضير يوم وجد فيها البز والطيب والجوهر واعتقه البحر فتقاتل المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله فانزل الله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني اي خيرا
جزيلا من الغوالي السبع فلا تمدوا اعينكم اليها والى هذا ذهب ابن عيينة واورد قوله عليه السلام ليس
منا من لم يتغن بالقرآن اي من لم يستغن به وقد تقدم هذا المعنى في اول الكتاب ومعنى ازواجا منهم اي
اشباها في النوع اي الاغنياء بعضهم اشباه بعض في المعنى حتى هم ازواج الثانية هذه الاية تقتضي الزجر عن
التشوف الى متاع الدنيا على الدوام وافتيال العبد على عبادة مولاه ومثله لا تمدن عينيك الى ما متعنا
به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه الاية كذلك فانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة وكان عليه الصلاة والسلام يتشاغل
بالنساجبلة الادمية وتشوف الخلقة الانسانية ويحافظ على الطيب ولا تنزل عينه الى الصلاة لذيذ
مناجاة المولى ويرى ان مناجاته اجل من ذلك واولى ولم تكن في دين محمد الرهبانية والاقبال على الاعمال
الصالحة بالكلية كما كان في دين عيسى وانما شرع الله سبحانه حنيفية سمحة خالصة عن الحرج خفيفة
على الادمي ياخذ من الادمية بشهواتها ويرجع الى الله بقلب سليم ورايه القراء المخلصون من الفضلاء انتجافا
عن اللذات والخلوص لرب الارض والسموات اليوم اولى لما غلب على الدنيا من الحرام واضطر العبد في المعاش
الى مخالطة من لا يجوز مخالطته ومصانعة من لحرم مصانعته فكانت القراءة افضل والعزلة عن الدنيا
اصوب للعبد واعدل قال صلى الله عليه وسلم يا تي على الناس زمان خير مال المسلم اغنام يتبع بها شعف
الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قوله تعالى ولا تحزن عليهم اي ولا تحزن على المشركين ان
لم يوسنوا وقيل المعنى ولا تحزن على ما تمتعوا به من الدنيا فتلك في الاخرة افضل لهم وقيل لا تحزن عليهم ان الله
صارفها الى العذاب عنهم اصل الحزن الحاء والزاي والنون واضمم جناحك للمومنين اي الزمهم لين الجانب
واصله ان الطائر اذا ضم فرخه الى نفسه بسط جناحه عليه فجعل ذلك وصفا لتقريب الانسان
انباعه وتاليفه حافظ الجناح اذ وقوله اساكن والجناح من الانسان جانباه ومنه واضم يدك الى جناحك
وجناح الطائر يديه وقال الشاعر وحسبك قبيلة لزعيم قوم عد على اخي سقم جناحاه اي تواضعا وليانا
قوله تعالى وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين في الكلام حذف اي اني انا النذير المبين عذابا
مثل ما انزلنا على المقتسمين فحذف المفعول اذا كان الانذار يدل عليه كما قال في موضع اخر انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقيل
الكاف زايدة اي انذرتكم ما انزلنا على المقتسمين يعني العذاب وكفيناك المستهزئين فاصدع بما تومر واعرض
عن المشركين الذين قالوا انا كفيناك اولئك الرؤساء الذين كنت تلقى منهم ما تلقى واختلف في المقتسمين
على اقوال سبعة الاول قال المقاتل والكلبي هم ستة عشر رجلا بعثهم الوليد بن المغيرة ايام الموسم وافتسموا
اعقاب مكة وانقابها وفجاجها يقولون لمن سلكها لا تغتر وا بهذا الخارج فينا يدعي النبوة فانه مجنون ورما
قالوا شاعر ورما قالوا كاهن وسموا المقتسمين لانهم اقتسموا هذه الطريق فاماتهم الله شر ميتة وكانوا لو
نصبوا الوليد بن المغيرة حكما على باب المسجد فاذا سالوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصادق اولئك الثابتو
قال قتادة هم قوم من كفار قريش اقتسموا كتاب الله فجعلوا بعضه شعرا وبعضه سحرا وبعضه كهانة وبعضه
اساطير الاولين الثالث قال ابن عباس هم اهل الكتاب امنوا ببعضه وكفروا ببعضه وكذلك قال عكرمة
هم اهل الكتاب وسموا مقتسمين لانهم كانوا مستهزئين فيقول بعضهم لهذه السورة ولهذه سورة لك
وهو القول الرابع الخامس قال قتادة اقتسموا كتابهم فعزضوه وبددوه وحرفوه السادس قال مجاهد اسلم
المراد قوم صالح تقاسموا على قتله مقتسمين كما قال تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه واهله السابع قال الاخفش
هم قوم اقتسموا ايمانا حلفوا عليها وقيل انهم العاص بن وايل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة واسرحبل بن هشام
وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وامية بن خلف ومسه بن الحجاج ذكره الماوردي قوله تعالى
الذين جعلوا القرآن عضين عضه من عضيت الشيء تعضيه اي لفرقته وكل فرقة عضة وقال فرقة كانت
في الاصل عضوة فنقصت الواو ولذلك جمعت عضين كما قالوا عزين في جمع عزه والاصل عزوة وكذلك
كلمة وكلين ويرجع المعنى الى ما ذكرناه في المقتسمين قال ابن عباس امنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل وقفوا اقاويلهم
فيه فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة وشعرا عضوني اي فرقني قال الشاعر يهورونه وليس دين الله بالمعضي اي
بالمعوف ويقال لفصائل القصار اصله عضهة لان العضه والعضين في لغة قريش السحر وهم يقولون للشاعر
عاضه وللساحرة عاضهة قال الشاعر * اعوذ برب من المنافثات في عقد العاضه المعضه * وفي الحديث

لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الماشمة والمستوشمة وقرأ الساحر والمسحورة والمبين الشرط البهت
على القرآن ونوعوا الكذب فيه فقال سحر واساطير الاولين وانه مفترى الى غير ذلك ونظير عضة التقصان
شمهة والاصل شهة كما قالوا سنة فنقصوا في انها الاصلية واثبتت فيها العلامة وهي لمنابيث وهو ان يعضه
يعضه الانسان ويقول فيه ما ليس فيه يقال عضهة عضها رماه بالبهتان وقد اعضهة اي جيء بالبهتان
قال الكسائي العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون مثل عزة وعزون قال تعالى الذين جعلوا
القرآن عضين وتها لعضوه اي امنوا بها احبوا منه وكفروا بالباقي فاحبط كفرهم ايمانهم وكان الزاير هب
الى ان ماخوذ من العضاة شجر الوادي وشوك قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين اي
لنسالنهما والذين جرى ذكرهم عما علموا في الدنيا وفي البخاري وقال غيره من اهل العلم في قوله فوربك
لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون عن لا اله الا الله قلت وهذا قول رفوعا رواه الترمذي الحكيم
قال حدثنا الحارث بن مسكين قراءة عليه انا ابن القاسم عن موسى عن تريك عن ليث عن بشير بن نهيك عن
انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال
عن قول لا اله الا الله قال ابو عبد الله معناه عندنا عن صدق لا اله الا الله ووفاء بها وذلك ان الله تعالى
ذكره انما تنزيله العمل فقال عما كانوا يعملون ولم يقل عما كانوا يقولون وان كان قد يجوز ان يكون القرآن ايضا
عمل اللسان تاما المعنى به ما يعرفه اهل اللغة ان القول قول والعمل عمل فاما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قول لا اله الا الله انما عن الوفاء بها والصدق لمقالها كما قال الحسن البصري ليس الايمان بالتحلي ولا بالتمني
ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال وهذا ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا
الله دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن محارم الله رواه زيد بن ارقم وعنه ايضا
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عهد الي ان لا يدخل احد من امتي بلا اله الا الله لا يخلط بها
شيا الا وجبت له الجنة قالوا يا رسول الله وما الذي يخلط بلا اله الا الله قال الحرص على الدنيا وجمعها
ومنعها ينقول خزنة الانبياء ويعملون اعمال الجبابرة وروى انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا اله الا الله تمنع العباد من سخط الله ما لم يوثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا
اثروا صفقة دنياهم على دينهم ثم قالوا لا اله الا الله ردت عليهم وقال الله كذبتم انا نجيزها في
نوادر الاصول قلت والاثر يجمعهما تنزل على سوال الجميع وبحاسبتهم كما فرقهم وموبختهم الامن
دخل الجنة بغير حساب على ما بيناه في كتاب التذكرة فان قيل وهل يسال الكافر ويحاسب قلنا
فيه خلاف ذكرناه في التذكرة والذي يظهر سواله للاية وقوله وقفوهم انهم مسئولون وقوله
ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم فان قيل فقد قال الله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون وقال
فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقالوا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قلنا
القيامة مواطن فموطن يكون فيه سوال وكلام وموطن لا يكون ذلك فيه فالمذكور القيامة مواطن
يسال في بعضها ولا يسال في بعضها وقال ابن عباس لا يسالهم سوال استخبار واستعلام هل عملتم
كذا وكذا لان الله عالم بكل شيء ولكن يسالهم سوال توبيخ وتقريع فيقول لم عصيتم القرآن وما
حجتكم فيه واحتد فطرح هذا القول وقيل يسالهم اجمعين يعني المومنين المكلفين بيانه قوله
تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم والقول بالعموم اولى كما ذكرنا والله اعلم قوله تعالى فاصدع
بما تومر اي بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم حجة عليهم فقد امرك الله بذلك والصدع الشق
وتصدع القوم اي تفرقوا ومنه يومئذ يصدعون اي يتفرقون وصدعته فانصدع اي الشق واصل
الصدع الفرق والشق قال ابو زيد يصف الحمار وانه كاوكا بش ربابه وكانه بسر يفيض على حالج
الغداح ويصدع اي يفرق ويشق فقوله اصدع بما تومر قال الفراء اراد فاصدع بالامر اي اظهر دينك
تمام الفعل على هذا بمنزلة المصدر وقال ابو الاعرابي معنى اصدع بما تومر اي افصد وقيل فاصدع بما
تومر اي فرقهم وكلمتهم بان تدعوهم الى التوحيد فانهم يتفرقون بان يجيب البعض فيرجع الصدع
على هذا الى مصدوع جماعة الكفار قوله تعالى واعرض عن المشركين اي عن الاهتمام بالاستهزاء بهم
وعن المبالاة بقولهم فقد يراك الله عما يقولون وقال ابن عباس هو منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين
وقال عبد الله بن عبيد ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزل قوله فاصدع بما تومر واعرض
عن المشركين فخرج هو واصحابه وقال مجاهد اراد اجهر بالقرآن في الصلاة واعرض عن المشركين فلا يبالهم
بهم وقال ابن اسحاق لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين وانذر قومك منهم الا عباد الله المخلصين
الله تعالى فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين ولا تخف غير الله فان الله كافيك منهم اذا كنت
كما كفاك المستهزئين وكانوا خمسة من رؤسا اهل مكة وهم الوليد بن المغيرة وهو راسهم والعاص
ابن وايل والاسود بن المطلب بن الحارث بن زهرة والاسود بن عبد يغوث والحارث بن الطلاطلة
اهلكهم الله جميعا قبل يوم بدر في يوم واحد استهزاء بهم برسول الله صلى الله عليه وسلم

وسبب هلاكهم بما ذكر ابن اسحق ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون
بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر به الاسود بن المطلب فرمى برجمه بورقة فمر
حضرا فعمي وجعلت عينه تخبل بضرب براسه الجدار ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه
فاستسقى بطنه فمات منه حبابقا دحبن بالكسر حسا وحبن كمنعود عظم بطنه بالماء اصفر
فهو احبن والمراة حبنا قاله في الصحاح ومر به الوليد بن المغيرة فاشار الى اثر جرح باسفل
رجله وكان اصابه قبل ذلك بسبعة ايام وهو يجر سبله وذلك انه مر برجل من خزاعة يريش نبلا له فتعلق
سهم من نبله بازاره فخدش في رجله ذلك الخدش ولم يبال فانتضر به فقتله ومر به العاص بن
وايل فاشار الى اخمص رجله فخرج على حمار له بريد الطايف فربض به على شيرقه فدخلت
في اخمص رجله شوكة فقتلته وقد ذكرنا في سبب موتهم اختلاف قريب من هذا وقيل انهم المراد بقوله
تعالى فجعلهم السنف مرقومهم شبه ما اصابهم في موتهم بالسنف الواقع عليهم على ما بايت
قوله تعالى الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون هذا صفة المستهزئين وقيل هو ابتدا
وخبره فسوف يعلمون قوله تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك اي فلا تبال ان الصدر محل
القلب بما يقولون اي بما تسمعه من تكذيبك وردك قوله وقتاله واصحابك فراعدا بك
قوله تعالى فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى فسبح اي فافزع
الى الصلاة فهي غاية التسبيح ونهاية التقديس وذلك تفسير لقوله وكن من الساجدين ولا خفا
ان غاية القرب في الصلاة حال السجود كما قال عليه السلام اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
فاخلصوا الدعا ولذلك خص السجود بالذكر الثانية قال ابن العربي ظن بعض الناس ان المراد
بالسجود نفسه فرايت هذا الموضع محل سجود في القران وقد شاهدت الامام مجاب
زكريا من البيت المقدس طهره الله يسجد في هذا الموضع وسجدت معه ولم ير هو ما هير العلما قلت
قد ذكر ابو بكر النقاش ان ها هنا سجدة عند ابي حنيفة وبيان بن رباب وراى انها واجبة
قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فيه مسالة واحدة وهو ان اليقين الموت امره بعبادته
اذ قصر عباده ثم حد منه وان ذلك يجب عليه فان قيل فما فايدة قوله حتى ياتيك اليقين وكان قوله
واعبد ربك كافيا في الامر بالعبادة قيل له الفايدة في هذا انه لو قال واعبد ربك مطلقا لم يعلم عبده
مرة واحدة كان مطيعا ولذا قال حتى ياتيك اليقين كان معناه انا نعارف هذا حتى تموت فان قيل كيف
قال سبحانه واعبد ربك حتى ياتيك اليقين ولم يقل ابدا فالجواب ان اليقين ابلغ من قوله ابدا لاحتمال
اللفظ الابد للحظة واحدة وجميع الابد وقد تقدم هذا المعنى والمراد استمرار العبادة مدة حياته
كما قال العبد الصالح واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ويتركب على هذا ان الرجل اذا قال لامراته
انت طالق ابدا او قال لن ابيت يوما او شهرا كانت عليه الرجعة ولو قال طلقتها حياتها لم يراجعها والدليل
على ان اليقين الموت حديث ام العلا الانصارية وكانت من المبايعات وفيه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اما عثمان اعني عثمان بن مظعون فقد جاه اليقين واني لارجو له الخير والله ما ادري
وانا رسول الله ما يفعل بي وذكر الحديث انفردا باخراجه البخاري رحمه الله وكان عمر بن عبد العزيز
يقول ما راى ان بقينا اشبه بالشك من يقين الناس بالموت ثم لا يستعدون له يعني كانهم ساكنون
وقد قيل ان اليقين هنا الحق الذي لا ريب فيه من نصرك على اعدايك قاله ابن شجرة والاول اصح وهو قول
مجاهد وقتادة والحسن والله اعلم وقد روي جبير بن نفير عن ابي مسلم الخولاني ان سمعه ليقول
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اوحى الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح
بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين • بسم الله الرحمن الرحيم •

سورة النحل وهي مكية كلها

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وتسمى سورة النعم لسبب ما عدد الله فيها من نعمه على عباده
وقيل هي مكية غير قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الاية نزلت بالمدينة في شان التمثيل
بحمزة وقتلى احد وغير قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله وغير قوله ثم ان ربك للذين هاجروا الاية
واما قوله الذين هاجروا من بعد ما ظلموا فمكي في شان هجرة الحبشة وقال ابن عباس هي مكية الا ثلاث ايات
منها نزلت بالمدينة بعد قتل حمزة وهي قوله وان عاقبتم الى قوله ما كانوا يعملون قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه قيل اتى بمعنى ياتي فهو كقوله ان اكرمتني اكرمتك
وقد تقدم ان اخبار الله تعالى في الماضي والمستقبل سوا انه في الحالة لقوله ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار وامر الله عقابه لمن اقام على الشرك وتكذيب رسوله قاله الحسن واخرج الضحاك

عطفا على الانسان او بفعل مقدر وهو اوجه الثانية قوله تعالى دف الدف السخانة وهو ما استدل
ما استدفئ به من اصوافها واوبارها واشعارها ملابس وحف وفطف وروى عن ابن عباس رد فيها نسلها
والله اعلم قال الجوهري الصحاح الدف نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها قال الله تعالى لكم فيها
دف وفي الحديث لنا من دفهم حاسلوا بالبيات والدف ايضا السخونة تصيب الرجل دفاة مثل
كرة كراهة ولذلك دفي دفاة مثل ظمي ظماة والاسم الدف بالكسر وهو الشيء الذي يدفيك والجمع الادفا
تقول ما عليك دف بالاسم ولا تقول ما عليك دفاة لانه مصدر وتقول انعدي دف لهذا الحائط اي
كنه ورجل دفي على فعيل اذا لبس ما يدفيه ولذلك رجل دفان وامرأة دفاء وقد دفأت الثوب
وتدفأته هو بالثوب واستدفأته وادفأته وهو افتعل اذا لبسا يدفيه وتدفوت ليلتنا بوزن دفي
على فعل وليلة دفية ولذلك الثوب والبيت والمدفئة للابل الكثيرة لان بعضها يدفئ بعضا بالتاسها
وتدفئ بشد والمدفئة الابل الكثيرة والاوبار والشعوم عن الاصمعي والسدل للسماع • وكيف يصنع
صاحب مدفاة على اصاحبها من الصنيع قوله تعالى ومنافع للناس قال ابن عباس المنافع نسل
كل دابة مما هدا الركوب والحمل والالبان واللحوم والسمن ومما يأكلون لعرد منفعة الاكل بالذكر
لانها معظم المنافع وقيل المعنى من لحومها يأكلون عند الذبح الثالثة دلت الاية على لباس الصوف
وتد لبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله كموسى وغيره وفي حديث المغيرة فغسل وجهه
وعليه جبة من صوف شامية ضيقة الكمين الحديث اخرجه مسلم وغيره وقال ابن الزبير وهو شعار المتقين
ولباس الصالحين واشارة الصحابة والتابعين واختيار الزهاد والعارفين وهو بليس ليننا وخشنا
وجيدا ومقاربا ورديا وقد يلبس جماعة الناس الصوف لانه لباسهم في الغالب والله اعلم لغة
وقد انشد بعض اشياخهم بالبيت المقدم رطهره الله • تساحر الناس في الصوفي واختلفوا
فيه وطنوه مشتقا من الصوف • ولسنا نحل هذا الاسم صافي صوفي حتى سمي الصوف قوله تعالى
ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون الجمال بالحمل به ويسرن والجمال الحسن وقد جمل الرجل بالضم
جمالا فهو جميل والمرأة جميلة وجملا عن الكسائي وانشد فمي جملاكبد رطالع بدت الخلق جميعا بالجمال
وقول ابي ذويب • جمالك ايها القلب الفريح • يريد الزم تجملك وجبالا وتخرج جزعا فنيحا
قال علماؤنا والجمال يكون في الصورة وتركيب الخلقة ويكون في الاخلاق الباطنة ويكون في الافعال
الناشئة عنهما فالجمال في الخلقة فهو امر يبدو له بصر يلتبه الى القلب سلاما فتتعلق بها النفس من غير معرفة بوجه
ذلك والنسبة لاحد من البشر واما جمال الاخلاق فخصوصا على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة
وكظم الغيظ وارادة الخير لكل احد واما جمال الافعال فهو وجودها على اية لمصالح الخلق وقاضية لجلب
المنافع فيهم ودرء الشر عنهم وجمال الانعام والدواب من جمال الخلقة وهو سوي بالنسبة الى منافعها موافق للبصائر
ومن جمالها كثرتها وتقول الناس اذا اراد وها هذه نعم فلان قاله السدي وانما اذا راحت توفر حسنها وعظم
شأنها وتعلقت القلوب بها انها اذا ذاك اعظم ما تكون اسمنة وضروعا قاله قتادة ولهذا المعنى قدم
الرواح على السراح لتكامل درها وسرو النفس بها اذ ذاك والله اعلم وروي انه سئل عن مالك قال يقول
الله عز وجل ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وذلك ان المواشي حين ترد الى المرعى وتسرح عليه
والرواح رجوعها بالعشي من المرعى والسراح بالغداة تقول سرحت الابل اسرحها سرحا وسروحا اذا غدوت
بها الى المرعى فحللتها وسرحت هي المتعدي واللازم واحد قوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه الا بشق الانفس فيه ثلاث مسايل الاولى في قوله تعالى وتحمل اثقالكم اي اثقال الناس من طعام
وطعام وغيره وهو ما يثقل الانسان حمله وقيل المراد ابدانهم بدليل ذلك قوله تعالى واخرجت
الارض اثقالها والبلد مكة في قول عكرمة وقيل هو محمول على العموم في كل بلدة سلكه على الظهر
وشق الانفس مشقتها وغايته جهدها وتراه الفاشة بكسر السين قال الجوهري والشق المشقة ومنه
قوله تعالى لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وهذا قد بينه حكاه ابو عبيدة قال المبرد بكسر السين
وفتحها في شق مثقل بان وهما بمعنى المشقة وهو من الشق في العصى وغيرها لانه ينال منها كالمشقة من
الانسان وقال الثعلبي وقرا ابو جعفر بشق الانفس وهما لغتان مثل برق وبرق وحصر وحصر
ورطل ورطل وينشد قول الشاعر بكسر الشين وفتحها • وذي ابل يعني وحسنها له نفسه شقها ودفع
• وكوزان يكون بمعنى المصدر من شققت عليه اشق شقا والشق ايضا بالكسر النصف يقال اخذت
شق الشاة وشقة الشاة وقد يكون المراد من الاية هذا المعنى اي لم تكونوا بالغيه الا بنقص من القوة وذهاب
شق منها اي لم تبلغوه الا بنصف قوى انفسكم وذهاب النصف الاخر والشق ايضا الناحية ومنه حديث
ام زرع وجدني في اهل غنيمة بشق وقال ابو عبيد هو اسم موضع والشق ايضا الشقيق يقال هو اخو وشق
لنفسي وشق اسم كاهن من كهان العرب والشق ايضا الجانب ومنه قول امرئ القيس اذا ما بكى من خلفها
انحرفت له بشق وشق عندنا لم تحول فهو مشترك الثانية من الله سبحانه بالانعام ممنونا وخص الابل هنا

بالذكر في حمل الاثقال على سائر الانعام فان الغنم للسرح والذبح والبقر للحرث والابل للحمل وفي صحيح مسلم عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفتت اليه البقرة
فقالت انا لم اخلق لهذا ولكني انما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله تعجبا وفزعا لبقرة تكلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى اومن به وابو بكر وعمر وقد ذكر هذا الحديث على ان البقرة يحمل
عليها ولا تركب واعا هي للحرث واكل النسل والرسل الثالثة في هذه الاية دليل على جواز السفر
بالدواب وحمل الاثقال عليها ولكن على قدر ما تحمله من غير اسراف في الحمل مع الرفق في السير وقد امر
النبي صلى الله عليه وسلم بالرفق بها والاراحة لها ومراعاة التفقد لحالها وشانها روى مسلم
من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل
حظها من الارض واذا سافرتم في السنة فبادروا بها نقاءها قال في الموطا عن ابي عبيد عن
خالد بن مهران قوله وروى معاوية بن قرة قال كان لابي الدرداء حمل يقال له دمون كان يقول
يا دمون لا تخاصمني عند ربي فان رب عجم لا تقدر ان تحمل لنفسها ما تحتاج اليه ولا تقدر ان
تفصح بحوايجها فتضيع المكروه تعرض للخصومة بين يدي الله تعالى وروى معن بن عيسى قال
حدثنا ابو داود قال حدثنا ابن خالد قال حدثنا المسيب بن رافع قال رايت عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ضرب جملا وقال تحمل على بعيرك ما لا يطيق قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى والخيل والبغال بالنصب معطوف اي وخلق الخيل
وقرا ابن ابي عبلة والخيل والبغال والحمير بالرفع فيهما كلها وسميت الخيل خيلا لاختيالها في
المشية وواحد الخيل خايل كضاين واحد ضان وقيل لا واحد له وقد تقدم هذا في القرآن وذكرنا
الاحاديث هناك ولما افرد سبحانه الخيل والبغال والحمير بالذكر دل على انها لم تدخل تحت لفظ الانعام
وقيل دخلت ولكن افردها بالذكر لما يتعلق بها من الركوب فانه يكثر في الخيل والبغال والحمير الثانية
قال العلماء ما كان الله الانعام والدواب وذللها لنا واباح لنا تسخيرها والانتفاع بها رحمة منه تعالى
لنا وما خلقه الانسان وجاز له تسخيره من الحيوان تكرما وه لجائز باجماع اهل العلم لا اختلاف بينهم
في ذلك وحكم الرواحل والدواب مذكور في كتب الفقه المسئلة الثالثة لا خلاف بين العلماء في اكتر
الدواب هذكور والرواحل للحمل عليها والتسخر بها لقوله تعالى ونحمل اثقالكم الاية واجازوا ان يكري
الرجل الدابة او الراحلة الى مدينة بعينها وان لم يسم اين تنزل منها وكم من منهل ينزل فيه وكيف صفة
سيره وكم ينزل في طريقه واجتزوا بالتعارف بين الناس في ذلك قال علماؤنا والكرا يجري مجرى البيع
فيما يحل منه ويحرم قال ابن القاسم فيمن اكترى دابة الى موضع كذا ثوب مروي ولم يصف ذرعه ورقمه
وذرعه لم يجز لان مالكا لا يجيز هذا في البيع ولا يجيز في ثمن الكرا الا ما يجوز في ثمن البيع قلت
ولا يختلف في هذا ان شاء الله ان ذلك اجازة قال ابن المنذر واجمع كل من نحفظ عنه من اهل العلم على ان
من اكترى دابة ليحمل عليها عشرة اقفزة فحمل عليها ما اشترط فتلفت ان لا شيء عليه وهكذا ان حمل
عليها عشرة اقفزة شعير واختلفوا فيمن اكترى دابة ليحمل عليها عشرة اقفزة فحمل عليها احدى عشر
قفيزا فكان الشافعي وابو ثور يقولون هو ضامن لقيمة الدابة وعليه الكرا وقال ابن ابي ليلى عليه
قيمتها ولا اجر عليه وفيه قول ثالث وهو ان عليه الكرا وعليه جزء من احد جزء من قيمة الدابة يقدر
ما زاد من الحمل هذا قول النعمان وليعقوب ومحمد وقال ابن القاسم صاحب مالك لا ضمان عليه في قول
مالك اذا كان التفقير الزايد لا يدخل الدابة ويعلم ان مثله لا تعطب فيه الدابة ولرب الدابة اجر
ما حاوز المسافة فقد كلم نيمتق اذا هلكت في قليله وكثيره والزيادة على الحمل المشترط اجتمع
فيه اذن فقد نا اذا كانت الزيادة لا تعطب في مثلها علم ان هلاكها مما لا دك له فيه المسالة الرابعة
واختلف اهل العلم في الرجل يكري الدابة باجر معلوم الى موضع مسمى فيتعدى فيتجاوزه ذلك
المكان ثم يرجع الى المكان المأذون له في المصير اليه فقالت طايفة اذا جاز ذلك المكان ضمن وليس
عليه في التعدي كرا هما كثرا قال الثوري وقال ابو حنيفة لا اجر له فيما سمى ولا اجر له فيما لم يسم لانه خالف
فهو ضامن وبه قال يعقوب وقال الشافعي عليه الكرى الذي سمى وكرا المثل فيما جاوز ذلك ولو عطبت
لزمته قيمتها ونحوه قال الفقهاء السبعة مشيخة اهل المدينة قالوا اذا بلغ المسافة ثم زاد فعليه كرا
الزيادة ان سلمت وان هلكت ضمن وقال احمد واسحق وابو ثور عليه الكرا والضمان قال ابن المنذر
وبه نقول وقال ابن القاسم اذا بلغ المكتري الغاية التي اكترى اليها ثم زاد ميلا ونحوه او ميلا او زيادة
كثيرة فعطبت الدابة فلربها كراؤه الاول وان عطبها عليها ليس من اجل الزيادة وذلك بخلاف مجاوزة المسافة لان
يوم التعدي لربا الموازون قد روى انه ضامن ولو زاد خطوة وقال ابن القاسم عن مالك في زيادة الميل
ونحوه واما ما يعود الناس اليه في المرحلة فلا يضمن وقال ابن حبيب عن ابن الماجشون واصبغ اذا كانت

الزايدة

الزايدة يسيرة او جاوز العدد الذى ذكرناها اليه يسيرا ثم رجع بها سالمة الى موضع تكرارها اليه فانتا وماتت
في الطريق الذى تكرارها اليه فليس له الا كراء الزيادة كذا قالت مالك لان الزيادة يسيرة ولو زاد كثيرا مما به نقام
الايام الكثيرة الذى يتغير في مثلها سوقها فعوضا من كراء الزيادة الكثيرة في العدو والمسافة فان اداء
كانت زيادة يسيرة مما يعلم ذلك لم يضمن على قولها فصلاكها بعد ردها الى الموضع الذى وجب له فيه
كهلاك ما تسلف من الوديعة بعد ردها الى ربها لتوان كانت الزيادة كثيرة فتلك الزيادة فيه
اعانت على هلاكها والمشاهير الخامسة قال ابن القاسم واشهب قالا ما لك قال الله تعالى والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة فجعلها للركوب والزينة ولم يجعلها للاكل ونحوه عن النبي وكذا
قال اصحابنا لا يجوز اكل لحوم الخيل والبغال والحمير لانا نستدل لما نص على الركوب والزينة
دل على ان ما عداه بخلافه وقال ابو حنيفة ومحمد تاكلون مع ما امتن الله تعالى به من المدف والمنافع فاباح
لنا اكلها بالذكاة المشروعة فيها وبهذه الاية احتج ابن عباس والحكم بن عتيبة على ان الحكم لحوم الخيل
حرام في كتاب الله وقرا هذه الاية والتي قبلها وقال هذه للاكل وهذه للركوب وسيل ابن عباس
عن لحوم الخيل فكرهها وتلا هذه الاية فقال هذه للركوب وقرا الاية التي قبلها والانعام خلقها
لكم فيها دف ومنافع ثم قال هذه للاكل وبه يقول مالك وابو حنيفة واصحابهما والاوزاعي ومجاهد
وابو عبيد وغيرهم واحتجوا بما خرجه ابو داود والنسائي والدارقطني وغيرهم عن صالح بن يحيى
ابن المقدام بن معدي كرب عن ابيه عن جده عن خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
يوم خيبر عن اكل لحوم الخيل والبغال والحمير وكل ذي ناب من السباع او مخلب من الطير لفظ الدارقطني
وعند النسائي ايضا عن خالد بن الوليد انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل اكل لحوم الخيل
والبغال والحمير وقال بهذا جماهير من الفقهاء والمحدثين بيسير مخالفة وشذت طائفة
فقالت بالتحريم منها لحكم كما ذكرنا وروي عن ابي حنيفة حكى الملاك روايات عنه الرواية بالتحريم
المذهب على مذهب الشافعي قلت الصحيح الذى يدل عليه النظر والخبر جواز اكل لحوم الخيل
وان الاية والحديث لا حجة فيهما لان الاية فلا دليل فيها على تحريم الخيل اذ لو دلت عليه لدلت على
تحريم لحوم الحمر والبغال مكية والحاجة كانت الى تجديد تحريم لحوم الحمر عام خيبر وقد بينا في الاخبار
تحليل الخيل على ما ياتي وايضا لما ذكر تعالى الانعام ذكر انها اغلب من منافعها واهم ما فيها وهو حمل الاثقال
والاكل ولم يذكر الركوب والحرث بها وغير ذلك مصرحا به وقد تركب وتحرث بها قال الله تعالى انا
جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون وقال في الخيل لتركبوها وزينة فذكر ايضا اغلب منافعها والمقصود
منها ولم يذكر حمل الاثقال عليها وقد تحمل كما هو مشاهد فلذلك لم يذكر الاكل وقد بينه في البيان الذى جعل
اليه بيان ما انزل عليه بما يلزم من كونها خلقت للركوب والزينة لا تؤكل فهذه البغلة فانطقها
خالقها الذى انطق كل شيء فقالت انما خلقت للحرث فيلزم من علل ان الخيل لا تؤكل انما خلقت للركوب
ان لا تؤكل البقر لانها خلقت للحرث وقد اجمع المسلمون على جواز اكلها فكذلك الخيل بالسنة الصحيحة
روى مسلم من حديث جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن لحوم الحمر الاهلية واذن
في لحوم الخيل وقال النسائي عن جابر اطعمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لحوم الخيل
وبنانا عن لحوم الحمر وفي رواية عن جابر قال كنا نا كل لحوم الخيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان قيل الرواية عن جابر بانهم اكلوها في خيبر حكاية حال وقضية في عين فيحتمل ان يكونوا اضطروا لضرورة ولا
يحتج بفعلها لا احوال قلنا الرواية عن جابر واخباره بانهم كانوا يا كلون لحوم الخيل على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم يزيل ذلك لاحتمال ولان سلمناه فنعني حديث اسما قالت نحرنا فرسا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة فاكلناه رواه مسلم وكل ما ويل من غير ترجيح يقابله
النص فانما هو دعوى لا بلتفت اليه ولا يعرج عليه وقد روى الدارقطني زيادة حسنة ترفع كل تاويل
في حديث اسما قالت اسما كا ذبنا فرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اردنا ان نموت
نذبحها فاكلناها فذبحها انها كان لخوف الموت عليها لا لغير ذلك من الاصول وبالله التوفيق فان
قيل جيوان نرد وان الحوافر للايوكل كالحمار قلنا هذا قياس من المشبه وقد اختلف ارباب الاصول
في القول به ولين سلمناه فهو منتقض بالخنزير فانه ذو اظلف وقد بان ذوات الاظلاف وعلى ان
القياس اذا كان في مقابلة النص فهو فاسد الوضع لا التفات اليه قال الطبري وفي احماعهم على
جواز ركوب ما ذكر للاكل دليل على جواز اكل ما ذكر للركوب السادسة واما البغال فانها تلحق بالحمير
ان قلنا ان الخيل لا توكل فانها تكون متولدة من غير مأكول لا توكل ان وان قلنا ان الخيل توكل فانها غير
متولدة من ما كول وغير ما كول فغلب التحريم على ما يلزم في الاصول ولذلك ذبح المولود بين كافرين
احدهما من اهل الزكاة والاخر ليس من اهلها لا تكون زكاة ولا تحل به الذبيحة وقد مضى في الانعام
الكلام في تحريم الحمر بلا معنى للاعادة وقد علل تحريم اكل الحمار بانه البركي جوهرة الخبيث حيث نزى

خلقا

خلقا لا يعلمون ان الله تعالى خلق ادم قالوا يا رسول الله فابن ابليس منهم قال لا يعلمون ان الله خلق
ابليس منهم قال لا يعلمون ان الله خلق ابليس ثم تلى وخلق ما لا تعلمون ذكره لما ورد قلت
ويرشد الى المعنى ما ذكره البيهقي قال ان الله عباد امرد لا لا ادرس كما بيننا وبين الادرس ما يروون ان
الله عصاه محلوق رضراضهم الدر والياقوت وجبالهم الذهب والفضة لا يجفون ولا يزرعون
ولا يعلمون عملا لهم يجري على ايديهم لهما يرى طعامهم ويشربان ما ادراك عراضي لباسهم ذكره
في بدء الخلق من كتاب الاسماء والصفات وخرج من حديث موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله
الانصاري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لوان احدث عن ملك من الملائكة ان الله من
حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبع مائة عام قوله تعالى وعلى الله قصد
السبيل اي على الله بيان قصد السبيل بحذف المضاف وهو البيان والسبيل الاستقامة وعلى
السبيل اضافة الرسل والكتب والبراهين وقصدا لسبيل استقامة الطريق يقال هذا طريق قاصد اي يودي
الى المطلوب ومنه جائر اي ورد السبيل جائر اي عادل عن الحق فلا يتذبذب به ومنه قول امرئ القيس
ورد الطريقة جائر وهدى قصد السبيل ومنه ذو رعل وقال طريقة عدولية او من سفان بن ما من
يجورها الملاح طورا ويهتدي العدولية سفينة مسنومة العددل قربته بالجزيرة والعدولي الملاح
قاله في الصحاح وفي التنزيل ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وقد تقدم وقيل المعني
ومنهم جائر عن سبيل الحق اي عادل عنه ولا يهتدي اليه بربهم فوائد احدها انهم اصل لاهل المقالات
قاله ابن عباس الثاني يدخل فيه الكفرة اليهودية والنصرانية والمجوسية وفي مصحف عبد الله ومنكم
جائر وكذا قرأ علي ومنكم بالكاف وقيل المعنى ومنها جائر عن السبيل فمن بمعنى عن وقال ابن عباس
اي من اراد ان يدريه سبيل له طريق الايمان ومن اراد ان يضله بعد عليه الايمان وفروعه وقيل
معنى قصد السبيل سبيركم ورجوعكم والسبيل واحدة بمعنى الجمع ولذلك انث الكناية فقال
ومنها والسبيل مؤنثة لغة اهل الحجاز قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ان المشيئة
لله تعالى وهو يهدي من يشاء خلافا لما ذهب اليه ابن عباس في تاويل الاية ويرد على القدرية وقد احتجا كما تقدم
قوله تعالى هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون الشراب ما يشرب والشجر
معروف اي ينبت من امطار السحاب وعروش ونبات وينبت ترعون ابلكم يقال نبات
الشاي تسوم سوما اذا رعت فهي سائمة والسوام والسوائم والسوايم بمعنى هو المال الراعي وجمع
السايم والسائمة سوايم وسمنها انا اي اخرجتها الى المرعى فانا مسيم وهي مسامة وسائمة قال
اوفى بن مسيمة الحجاج الواصل السوم الاعداد في المرعى وقال الزجاج اخذ من الشومة وهي العلامة
ايضا تؤثر في الارض علامات يرعيها او انها تعلم للارسال في المرعى قلت والخيل المسومة تكون
المرعية وتكون المعلمة وقوله مسومين قال الاخفش تكون معلمين وتكون مرسلين من قولك سوم
فيها الخيل اي ارسلها ومنه السائمة واما جاء بايبا والثوب ان الخيل سومت وعليها ركبانها قوله تعالى
ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات قرا ابو بكر عن عاصم ننبت بالنون
على التعظيم العامة ينبت على معنى نبت الله لكم يقال نبتت الارض وانبتت بمعنى ونبت
البقل وانبته بمعنى وانشد الفراء رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا حتى اذا انبت
البقل اي نبته والبته الله فهو منبوت على غير قياس وانبت الغلام نبتت عانته ونبتت
الشجرة شه يقال نبت اجلك بين عينيك ونبت الصبي تنبيتا رتبته والمنبت موضع النبات
يقال ما احسن نابتة بني فلان اي ما ينبت عليه اموالهم واولادهم ونبتهم نابتة اذا نشا لهم
نشوء صغار وان بني فلان لنابتة شر والنوابت من الاحداث الاعمام والمنبت حمى من الجمر والبيوت
شجر كله عن الجوهري والزيتون جمع زيتونة ويقال للشجرة نفسها زيتونة وللثمرة زيتونة
وقد مضى في سورة الانعام حكم زكاة هذه الاثمار والمعنى لا معنى للاعادة ان في ذلك لاية لقوم
والاية دلالة لقوم يتفكرون قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم
كذا قال وقد ذكره جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه وتتبغوا من فضله والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره ايه دلالات لمعرفتكم الاوقات ونضج الثمار والزروع والاهتداء بالنجوم في الظلمات
وقرا ابن عامر واهل الشام والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع على الابتداء والخبر الما قون بالنصب
عطفا على ما قبله وقرا حفص عن عاصم برفع والنجوم مسخرات خبره وتقرا الشمس والقمر والنجوم
بالنصب مسخرات بالرفع وهو خبر ابتدا محذوف اي هي مسخرات وهي قراءة ابن نصيح حالة موكدة
كقوله وهو الحق مصدقا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون اي عن الله ما نبههم عليه ووفقهم له
قوله تعالى وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وما ذرا
اي وسخر ما ذرا في الارض لكم ذرا اي خلق ذرا الله الخلق يذروهم ذرا خلقهم ذرا ذرا ومنه

الذرية ومنه سمي النقلين الثقلين لان الوعب يتركك همرها والجمع الذرارى يقال اللهم ذراك وذوركك
اي ذريتك واصل الذرو والذرا التفريق ومن جمع وفي الحديث ذرو الناس اي انهم خلقوا
لها الثانية ما ذرا الله سبحانه منه مسخرا ذلك كالدواب والانعام والاشجار وغيرها ومنه
غير ذلك والدليل عليه ما رواه مالك في الموطا عن كعب الاحبار قال لولا كلمات اقولهن لجعلتني
يهوديا فقيل له وما هن فقال اعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء اعظم منه وبكلمات
الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر باسماء الله الحسنى كلها ما علمت منها وما لم اعلم من
شر ما خلق وذرا وبرا ونبه عن يحيى بن سعيد انه قال اسرك برسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار الحديث وفيه وشر ما ذرا في الارض وقد ذكرناه
وما فيه مما لا يحتاج الى غير هذا الموضع الثالثة قوله تعالى مختلفا الوانه مختلفا نصب على الحال
والوانه هيأته ومناظره يعني الدواب والشجر وغيرها ان في ذلك ايمة اختلاف الوانها
اية اي لعبرة لقوم يذكرون اي يتعظون ويعلمون ان في تسخير هذه المكونات لعلامات
على وحدانيته وانه لا يقدر على ذلك احد غيره قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه
لحما طريا الى قوله تشكرون فيه نسخ مسايل ولي في قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لتسخير
تسخير البحر هو تذليل البحر للتصرف فيه وتذليله بالركوب والارتماء وغيره ونعمة تركم
الله علينا تلوثنا سلطه علينا واغرقنا وتمام الكلام في البحر وفي صيده وسماه هنا لحما
واللحوم عند مالك ثلاثة اجناس لحم ذوات الاربع جنس ولحم ذات الريش جنس ولحم ذوات
الماء جنس فلا يجوز بيع الجنس من جنسه متفاضلا ويجوز بيع لحم البقر والوحش بلحم الطير والسمك
متفاضلا وكذلك لحم الطير بلحم البقر والوحش والسمك يجوز متفاضلا وقال ابو حنيفة اللحوم كلها
اصناف مختلفة كاصولها فلحم البقر صنف ولحم الغنم صنف ولحم الابل صنف وكذلك الوحش
مختلف وكذلك الطير ولذلك السمك وهو احد قولي الشافعي والقول الاخر ان الكل من النعم
والصيد والطير والسمك جنس واحد لا يجوز التفاضل فيه والقول الاول هو المشهور من
مذهبه عند اصحابه ودليلنا هو ان الله تعالى فرق بين اسماء الانعام في حياتها فقال عن ازواج
الضأن اثنين ومن المعز اثنين ثم قال ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين فلما ان امم
بجميع انواع اللحم قال احلت لكم بهيمة الانعام فجعلها بلحم واحد لتقارب منافعها كتقارب
لحم الضأن والمعز وقال في موضع اخر لحم طير مما يشتهون وهذا جمع طائر الذي هو الواحد
بقوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه فجمع لحم الطير كلها باسم واحد وقال هنا لحما طريا
فجمع اصناف السمك بذكر واحد فكان صفاره ذكاره في الجمع بينهما وقد روي عن ابن عمر
انه سيل عن لحم المعز بلحم البقر بكم اشتري واحد فقال اوه لا يجانف له فضار كالاجماع والله اعلم
وحجة المخالف نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الطعام الا مثلا بمثل فان الطعام في الاصل
يتناول الحنطة وغيرها من المكولات وقد ثبت ان اللحم الذي ان القابل اذا اكلت طعاما
لم يسبق الفهم منه الى اكل اللحم وايضا فانه معارض بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اختلف
الجنسان فبيعوا كيف شئتم وهذا جنسان وايضا فقد اتفقنا على جواز بيع اللحم بالحم الطير نسيئة
متفاضلا لعلة انه بيع الطعام بالكالئ فهذه بيع بالحم ليس فيه الزكاة كذلك بيع السمك
بلحم الطير متفاضلا اثنا نسيئة واما الجواد فالمشهور عندنا جواز بيع بعضه ببعض متفاضلا
وذكر عن سحنون انه منع من ذلك ولبعده مال بعض المتاخرين وراه مما يذكر للثالثة اختلف
العلماء فيمن حلف ان لا يأكل لحما فقال ابن القاسم يحنث بكل نوع من هذه الانواع الاربعة وقال
اشهب في المجموعة لا يحنث الا باكل لحوم الانعام دون الوحش وغيره مراعاة للعرف والعادة
وتقديمها على اطلاق اللفظ اللغوي وهو احسن الرابعة قوله تعالى وتستخرجون حلية
تلبسونها يعني به اللؤلؤ والمرجان لقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان واخراج الحلية
انما هي فيما عرف من الملح فقط وبقاء دليل في الزمرد بحريا وقد خط المازري في قوله في وصف
الدرة فجاءت في دنة كطمية على وجهها ما العنزان يدوم محملها من الماء الحلو انها لحلية حق
وهي محللة لله تعالى لادم وولده خلق ادم ونوح وكلثوم كليل الحمد وختم بالخاتم الذي ولاه
عنه سليمان بن داود عليهما السلام صلوات الله عليهما وكان بقاء له خاتم العز فيما روي
الخامسة ان الله سبحانه على الرجال والنساء امتنانا عاما بما يخرج من البحر فلا يحرم عليهم
شيء منه وانما حرم الله تعالى على الرجال الذهب والحرير روى الصحيح عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبسوا الحرير فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه
في الاخرة وسيأتي في سورة الحج الكلام فيه ان شاء الله وروى البخاري عن ابن عمر ان رسول

الله صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب وجعل فصه مما يلي باطن كفه ونقش فيه محمد رسول
الله فاتخذ الناس مثله فلما رآهم قد اتخذوه رمى به وقال لا البسه ابدا ثم اتخذ خاتما
من فضة فاتخذ الناس خواتيم الفضة قال ابو عمر فليس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم
لابي بكر ثم عمر ثم عثمان حتى وقع من عثمان في بير اريس قال ابو داود ولم يختلف الناس على عثمان
حتى سقط الخاتم من يده فاجتمع الناس على ان يتخذ خاتما ويوقع على اكملة للرجال قال
الخطابي وكره بعضهم اتخاذ الخاتم بالفضة لان زي الرجال ان يتختموا بالذهب صفرة
بزعفران او نحوه وهو من لباس النساء والخلف على تحريم اتخاذ الرجال خاتم الذهب
لما روى عن ابي بكر بن عبد الرحمن وخباب وبعض حلاف شيا لذوكل ذلك ما يدل على ان النهي
والنسخ والله اعلم واما ما رواه الحسن بن علي الخلال ان رأيت في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتما من ورق يوما واحدا فكان الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها فطرح رسول
الله صلى الله عليه وسلم خاتمه فطرح الناس خواتيمهم اخرجه الصحيحان واللفظ للبخاري
وهو عند العلماء ومنهم من يرى شهاب ان الذي نبذ رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو خاتم
الذهب رواه عبد العزيز بن محمد بن ثابت وثنا ذكره عن انس وفي حلاف ما روى ابن شهاب
عن انس وفي جميعا لقضايا حجة على الواحد اذا خالف سائر ما يشهد للجماعة فحديث ابن عمر انما دسته
اذا ثبت جواز التختم للرجال بخاتم الفضة والتحلي به فقد كره محمد بن سيرين وغيره من العلماء لمتشبه
وان يكون ذا كرا لله واجاز لمتشبه جماعة من العلماء اذا نقش عليه اسم الله او كلمة حكمة
او كلمات من القرآن وجعله في شماله مما يلي الحلا ويستنجي بيمناه حتفه سعيد بن
المسيب وملك وقيل لملك ان كان في خاتمه ذكر الله ويليه في الشمال ايستنجي به قال
ارجوا ان يكون خفيفا وروي عنه الكراهة وبه قال الولي وعلى المنع من ذلك اكثر اصحابه
وقد روى همام عن الزهري عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
الخلا وضع خاتمه قال ابو داود هذا حديث منكر وانما يروف من ابن جريج عن زياد بن سعد عن
الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق ثم القاه قال ابو داود ولم يحدث
بهذا الا همام السابعة روى البخاري عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لو
اتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله فلا ينقش احد على نقشه قال علماؤنا فيه دليل
على جواز نقش اسم صاحب الخاتم على خاتمه قال مالك ومن شاء اتخذ خاتما والفضة انقش بسمائهم
على خواتيمهم ونهيه عليه السلام ان ينقش احد على نقش خاتمه فلعل ان ذلك اسمه وصفته
برسالة الله له الخلق وروى الشام انه لا يجوز اتخاذ الخاتم لغير ذي سلطان وروي في
ذلك حديثا عن ابن ريحانة وهو حديث لا حجة فيه لضعفه وقوله عليه السلام لا ينقش احد
على نقشه يريد به ويدل على جواز اتخاذ الخاتم لجميع الناس انه لم ينقش على نقش خاتمه
وكان نقش خاتم الزهري محمد بسالة الله العافية وكان نقش خاتم مالك حسبي الله ونعم الوكيل
وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول نقش خاتم موسى عليه السلام لكل اجل كتاب وقد مضى
في الرعد وبلغ عمر بن عبد العزيز ان ابنه اشترى خاتما بالف درهم فكتب اليه انه بلغني انك اشتريت خاتما
بالف درهم فبعه واطعم به الجياع واشتر خاتما من حديد بدرهم واكتب عليه رحم الله امرأ
عرف قدر نفسه انتهى من حلف ان لا يلبس حليا فلبس لولوا لم يحنث وبه قال ابو حنيفة قال
ابو حنيفة ومحمد ان هذا ان كان الاسم للمؤنث بينا وله قلم يقصده باليمين والايمان تخصر بالعرف
الا ترى انه لو حلف ان لا ينام على فراش فنام على الارض لم يحنث وكذلك لا يستضيء بسراج فجلس الشمس
لا يحنث وان الله قد سمى الارض فراشا والشمس سراجا وقال الشافعي وابو يوسف ومحمد من حلف
ان لا يلبس حليا وليس اللولو فانه يحنث لقوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
والذي يخرج منه اللولو فالمرجان يحنث والمرجان التاسعة قوله تعالى وترى الفلك مواخر فيه
قد تقدم ذكر الفلك وركوب البحر في البقرة وغيرها وقوله مواخر قال ابن عباس جواري من
يكرى سعيد بن جبير معترضة الحسن مواقر قتادة والضحاك ان تذهب وتجيء بقبله ومدبرة
بريح واحدة وقيل مواخر ماخرة في البحر واصل المخر شق الماء عن يمين وشمال مخرت
السفينة تمخر مخرا ومخورا اذا جرت تشق الماء مع صوت ومنه قوله تعالى وترى الفلك
مواخر فيه بفتح جوارك قال الجوهري ومخر السابح اذا شق الماء بصدره ومخر الارض شقها للزراعة
ومخرها بالماء اذا حسر الماء عنها حتى تصير اليفة اي خليقة بجودة نبات الزرع وقال الطبري
المخر في اللغة صوت هبوب الريح ولم يفيد بكونه في بحار وقال ابن دريد اصل مولى ابي عبيدة
اذا اراد احدكم البول فليتمخر الريح اي لينظر في صوتها في الاجسام من ابن تهب فيتجنب استقبالها

ليلا تزد عليه بوله ولتتفوا من فضله بي ولتركبوه للتجارة وطلب الربح ولعلكم تشكرون تلتزم
هذا في البترة والحمد لله قوله تعالى والقى في الارض رواسي اي جبالا ثابتة رسى يرسو اذا
ثبت قال ذو الرمة حصوت لذلك عارتة حرة ترسو اذا انفس الجبان تطلع ان تهمدكم اي لبلا تهيد
عند الكوفيين لموتيين وكرا هبة ان تميد على قول البصريين والميد الاضطراب
يبينا وشمالا ما دام الشيء يميد تميد تحرك ومادت الاغصان تمايلت وما د الرجل يخترق قال
ذهب ابن عبد خلق الله الارض فجعلت تميد وتمور فقالت الملائكة ما خلقت الجبال وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما خلق الله الارض مضت ومالت وقالت اي رب اتجعل
على من يعمل بالمعاصي والخطايا ويلقى على الخبث والنتن فاوحى الله تعالى فيها من الجبال
ما ترون وذكر الترمذي في اخر كتابه التفسير حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن ابي عدي نزهاروون
اخبرنا العوام بن حوشب عن سليمان التيمي عن ابي تميلة عن ابن عباس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فقال بها عليها فاستقرت
فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالوا يا رب هل من خلقك شيء اشد من الجبال قال
نعم الحديد فقالوا يا رب هل من خلقك شيء اشد من الحديد قال نعم النار فقالوا يا رب
هل من خلقك شيء اشد من النار قال نعم الماء قالوا يا رب هل من خلقك شيء اشد من الماء
قال نعم الريح قالوا يا رب هل من خلقك شيء اشد من الريح قال نعم ابن ادم تصدق بصدقة
بيمينه يخفيها من شماله قال ابو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه
قلت وفي هذه الاية دليل على استعمال الاسباب وقد كان قادرا على سكونها
دون الجبال وقد تقدم هذا المعنى وانهارا اي وجعل فيها انهارا والتقى فيها انهارا وسبلا
اي طرقا وسبلا لعلكم تهتدون اي الى حيث تقصدون من البلاد فلا تضلون لا تتحيرون
قوله تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وعلامات
وبالنجم هم يهتدون قال ابن عباس النجم العلامات معالم الطرق بالنهار اي جعل للعارف علامات
يقع الاهتداء بها وبالنجم هم يهتدون يعني بالليل والنجم يراد به النجوم وقد انبى وثاب وبالنجم
الحسن بضم النون والجيم جميعا ومراده النجوم خفضرها قال الشاعر ان الثمانين بيننا
قاصر حكم ان يرد الماء اغباب النجم وبذلك الفول لن ترى النجم الا ان يسكن استخفافا ويجوز
ان يكون النجم جمع نجم كسقف وسقف واختلف في النجوم فقال النزال الحدر والزفلة
وقيل الثريا قال الشاعر حتى اذا ما استقل النجم في غلس وعود الفتل ملوي ومحصود
اي منه ملوي ومنه محصود وذلك عند طلوع الثريا يكون وقال الكلبي العلامات الجبال
وقال مجاهد بي النجوم ان من النجوم ما يهتدي بها ومنها ما يكون علامة لا يهتدي بها وقال قتادة
والضحاك وقيل تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدا فقال وبالنجم هم يهتدون وعلى الاول
اي وجعل لكم علامات ونجوما تهتدون بها وقيل العلامات الرياح يهتدي بها والمراد الاهتداء
قولان احدهما في الاسفار وهذا قول الجمهور والثاني في القبلة وقال ابن عباس سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وبالنجم هم يهتدون قال هو الجدي يا ابن عباس عليه
تبلتكم قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم ذكره الماوردي الثاني قال ابن العربي اما جميع
النجوم فلا يهتدي بها الا العارف بمطالعها ومقاديرها والفرق بين الجنوبي والشمالي منها
وذلك قليل في الاخرين واما الثريا فلا يهتدي بها الا من يهتدي بجميع النجوم واما الحدر لكل احد
دربا لجدي والفرقدين لانهما من النجوم المتحيرة المطالع السمت الثاني يهتدي المكان فانها تدور في القطب
الثابت دورانا محصورا فمتى ابدا هدي الخلق في البر اذا عميت الطرق وفي البحر عند تجريب السفن م
وفي القبلة اذا حصل السمت وذلك على جملة بان تجعل القطب على ظهر منكبك الايمن فما
استقبلت فهو سمت الجهة التي قال ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجم فقال
هو الجدي عليكم عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم وذلك ان اخر الجدي بنات نعش الصغرى
والقطب الذي تشوكه عليه القبلة بينها الثالثة قال علماؤنا وحكم استقبال القبلة على
وجهين احدهما ان يراها وبعاينها فيلزمه استقبالها لعينها واصابتها وقصد جهتها بجميع بدنه
والاخر ان تكون الكعبة بحيث لا يراها فيلزمه التوجه نحوها وتلقاؤها بالدلائل دي السمر والنز
والنجوم والرياح وكل ما يمكن به معرفة جهتها ومن غابت عنه وصلى مجتهدا مستدلا ثم انكشف
له بعد الفراغ من صلاته صلى الى عين القبلة اعادا ان كان في وقتها وليس ذلك بواجب عليه لانه قد
ادى فرضه على ما امر به وقد مضى هذا المعنى في البقرة والحمد لله قوله تعالى افمن يخلق هو
الله تعالى كمن لا يخلق يريد الاصنام افلا تذكرون اخر عن الاوثان التي لا تخلق ولا تضر ولا تنفع

كالخبر عن من يعقل على ما تستعمله العرب في ذلك انهم كانوا يجعلون ما ذكرت لفظ من كقوله
الهم ارحل وقيل انما قيل ذلك لان الصغير يجاء به ليكتب الوحي اليه على الراكب وحمله
فلا ادري مرة او مرتين او اكثر كما قيل في الهدهد وسليمان عنها ونحن لا نبحث عن
ولا نسأل عنه لانا انما نبحث عن الاحاديث التي ليس لها كبير علم وذلك ان صاحب
موسى عليه السلام حين قال له فمن ربكما يا موسى ولم يجب حين قال له وما رب العالمين لانه جواب
من وقع عن جوابها حين كان الجواب ما هذا وهذا ابين من ان يدل عليه على ان خلق الاشياء
المتقدمة الذكر كان بالعماد الذي لا يعلمه من لم يكن مخلوقا ليضر وليبغضه هذا قول الله سواء وفي هذا
خلق الذين من قبلكم وفي اذا خلقنا في الارض قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
تقدم في ابراهيم ان الله لغفور رحيم وانه بيلم قالوا ونحن نعلم ان ما تعلمون انا لمنطلقون وما
تظهرون وما تقدم جميع ما استوفى في قوله تعالى والذين تدعون من دون الله قراءة العامة
تدعون بالتاء على ما قبله خطاب روى ابو بكر عن عاصم والبصري عن صهيب يدعون بالياء وهي قراءة
يعقوب على ما قبله في النمل ويا تعلنون وكلهم بالتاء على الخطاب الا ما روى هبيرة عن صهيب
عن عاصم انهم بالياء لا يخلقون شيئا يعود على ما يعبد من دون الله وهم يخلقون اصناما غير احياء
اي هم اموات يعني الاصنام لا روح فيها ولا تسمع ولا تبصر اي حجارة كيف تعبدونها وانتم
افضل منها بالحياة وما يشعرون يعني الاصنام اي ان يبعثون وقرأ السلمي ايان بكسر الهمزة وهما
لغتان وموضعه نصب بيبعثون وهي في معنى الاستفهام المعنى لا يدرون متى يبعثون وعبر
عنها كما عبر عن الادميين لانهم زعموا انها تعقل عنهم وتعلم وتشفع لهم عند الله تعالى فجرى
خطابهم على ذلك وقد قيل ان الله يبعث الاصنام يوم القيامة وفيها ارواح فيتبرأ من
عبادتهم وهي الدنيا جماد لا تعلم حتى تبعث قاله ابن عباس يبعث الاصنام وتترك فيها
الروح ومعها شيطانها فيتبرؤن منهم عند تمام يوم يامر بالشياطين والمشركين الى النار وقيل
ان الاصنام تطرح في النار مع عبدتها يوم القيامة ليعلم الناس بانهم لكذبهم او كما قال
صلى الله عليه وسلم تصغر لهم احسامهم الى المحشر حتى يضرهم صغرها وتعظم لهم في النار حتى يضرهم
عظمها قوله تعالى واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم بعضها قد تقدم ذكره ممرارا آخرة
وقلوبهم منكرة ايما تقبل الوعظ ولا يجمع فيها الذكر وهذا دليل
على القدرية وهم مستكبرون اي متكبرون منتظمون عن قبول الحق وقد تقدم في البقرة معنى
لا جرم انهم لا محالة ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون اي من القول والعمل فيجازيهم قال الخليل
لا جرم كلمة تحقيق ولا تكون الا جوابا بقال فعلوا ذلك فيقال لا جرم سيندمون اي حقا ان لهم
النار وقد مضى القول في هذا وهو مستوفى انه لا يحب المستكبرين اي لا يثيبهم ولا يثني
عليهم وعن المسيء على انه مريض لا يحب قد قدموا كسرا لهم وهم يأكلون فقالوا الغداء يا عبد الله
تنزل وجلس معهم وقال انه لا يحب المستكبرين فلما فرغ قال قد اجبتكم فاجيبوني فقام وقاده
معه الى منزله فاطعمهم وسقاهم واعطاهم وانصرفوا قال العلماء وكل ذنب يمكن ان يستتر به
واخفاوه الا الكفر فانه فسق يلزمه الاعلان وهو اصل المعصيات كلها وفي الحديث الصحيح
ان المتكبرين يحشرون امثال الذر يوم القيامة يطأهم الناس باقدامهم لتكبرهم او كما قال
صلى الله عليه وسلم نصغر لهم اج

يدخلون من باب اخر فانا لله اعلم خالدين فيها اي ماكثين فيها فلبئس مثوى اي مقام المتكبرين الذين
تكبروا عن الايمان وعن عبادة الله تعالى وتدينهم بقوله الحق انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله
يستكبرون قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي قالوا انزل خيرا او
وتم الكلام وما دا على هذا اسما واحدا وكان يبرد الرجل من الوب مكة في ايام الموسم فيساءل المشركين
عن محمد عليه السلام فيقولون ساحر او شاعر او كاهن او مجنون ويسئل المومنين فيقولون
انزل عليه الخير والهدى والمراد القرآن وقيل ان هذا ايقاظ لاهل الايمان يوم القيامة قال
الثعلبي قال قبل الرفع الجواب في قوله اساطير الاولين والنصب في قوله خيرا الجواب ان
المشركين لم يومنوا بالتنزيل وكانهم قالوا الذي تقوله محمد هو اساطير الاولين والمومنون
امنوا بالتنزيل فقالوا انزل خيرا وهذا مفهوم معناه من الاعراب والحمد لله قوله تعالى للذين
احسنوا في هذه الدنيا حسنة قيل هو من كلام الله عز وجل وقيل هو من جملة كلام الذين اتقوا واكتفى
هنا الجنة لان من اطاع الله فله الجنة عدا وقيل للذين احسنوا اليوم حسنة في الدنيا من النصر
والفتح والغنيمة ولدار الاخرة خير اي مما لوني الاخرة من ثواب الجنة خير واعظم من دار الدنيا
لفنائها وبقاء الاخرة ولنعم دار المتقين فيه وجهان قال الحسن المعنى ولنعم دار المتقين الاخرة وهذا
قول الجمهور وعلى هذا يكون جنات عدن بدلا من الدار فلذلك ارتفع وقيل الرفع على تقدير هي جنات
وهي مبتدية لقوله دار المتقين او تكون مرفوعة بالابتداء التقدير جنات عدن نعم دار المتقين يدخلونها
في موضع الصفة اي مدخولة وقيل جنات رفع بالابتداء وخبره يدخلونها وعليه يخرج قول
الحسن والله اعلم تجري من تحتها الانهار تقدم معناه في البقرة لهم فيها ما يشاءون اي مما تمنون
واراده وكذلك يجزي الله المتقين اي مثل هذا الجزاء جزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة
طيبين قرا الاعمش وحمزة يتوفاهم الملائكة في الموضعين بالياء واختاره ابو عبيد لما روي عن
ابن مسعود انه قال ان قريشا زعموا ان الملائكة اناثا فذكروهم انتم الباخون بالتاء ان المراد
به الجماعة من الملائكة وطيبين فيه سبعة اقوال الاول طيبين طاهرين من الشرك الثاني صالحين
الثالث زاكية اعمالهم والقول الهم السابع طيبة انفسهم لما يلقونه من ثواب الله تعالى
الخامس طيبة نفوسهم بالرجوع الى الله السادس طيبين ان تكون وفاتهم طيبة سهلة لا صعوبة
فيها والم تخلف ما تقتضي سرور الكافر والمخلط والله اعلم يقولون سلام عليكم يحتمل وجهين
احدهما ان يكون السلام ابتداء بالوفاة الثاني ان يكون تبشيرا لهم بالجنة لان السلام امانة
وذكر ابن المبارك قال اخبرني ابو صخر عن محمد بن كعب القرظي قال اذا استثقلت
نفس العبد المومن جاءه ملك الموت فقال السلام عليك ولي الله الله يقرا عليك السلام ثم نزع بيده
الا الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت
يقبض روح المومن قال ربك يقرئك السلام وقال مجاهد ان المومن ليبشر بصالح ولده من بعده
لتقر عينه وقد بينا على هذا في كتاب التذكرة وذكرنا هناك الاخبار الواردة في هذا المعنى
والحمد لله وقوله تعالى ادخلوا الجنة يحتمل وجهين احدهما ان يكون معناه البشرى بدخول الجنة
الثاني ان يقولوا ذلك لهم في الاخرة بما كنتم تعملون بعني في الدنيا من الصالحات قوله تعالى
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة هذا راجع الى الكفار اي ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة
لقبض ارواحهم ونصب ظالمون لانفسهم وقرا الاعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي خلف تاتيهم
الملائكة بالتاء الباقون بالياء على ما تقدم او ياتي امر ربك اي بالعذاب من القتل كيوم بدر لهم
والزلزلة والخسف في الدنيا وقيل المراد يوم القيامة والقوم لم ينتظروا هذه الاشياء لانهم ما انسوا
بها ولكن امتناعهم من الايمان اوجب عليهم العذاب فاصيب ذلك اليهم اي فاصابتهم العذاب كذلك
فعل الذين من قبلهم اي اصروا على الكفر فاتاهم امر الله فهلكوا وما ظلمهم الله اي بتعذيبهم
واهلاكهم ولكن ظلموا انفسهم بالشرك قوله تعالى فاصابهم سيئات ما عملوا قيل فيه تقديم
وتاخير التقدير كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم سيئات ما عملوا وما ظلمهم الله ولكن ظلموا
انفسهم فاصابهم عقوبات كفرهم وجزاء الخبيث من اعمالهم وحاق بهم اي احاط بهم ودار ما كانوا
به يستهزءون اي عقاب استهزائهم قوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شيء اي شيئا ومن صلة قال الزجاج قالوه استهزاء ولو قالوه عن اعتقاد لكانوا مومنين
وقد مضى هذا في سورة الانعام مبينا واعرابا فالمعنى للاعادة لذلك فعل الذين من قبلهم اي
مثل هذا التكذيب والاستهزاء فعل من كان قبلهم بالرسل فاهلكوا فهل على الرسل الا البلاغ المبين
اي ليس عليهم الا التبليغ واما الهداية فمتى الى الله تعالى قوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة
رسولا ان اعبدوا الله اي بان اعبدوا الله ووحدوه واجتنبوا الطاغوت اي اتركوا كل معبود

انفسهم من غير ان ينقص من اوزارهم شيء والمداعي دعاة الهدى فما تبع فله مثل اجور هم من غير ان ينقص
من اجورهم شيء خرجه مسلم بمعناه ومن المحسوس للتبعيض دعاة الضلالة عليهم مثل اوزار الكفرة
من اتبعهم وقوله بغير علم اي يضلون الخلق جهلا منهم بما يلزمهم من اثامهم اذ لو علموا لما اضلوا احدا
سماه ما يزورونه بسبب القول الذي يحملونه ونظير هذه الاية قولهم لنحملن خطاياكم والتقامهم
وقد تقدم في اخر الانعام بيانه قوله وقد مكر الذين من قبلهم اي كما مكر قومك برسلهم بالكفر فوافوا مع الرسل المتقدمين وكانت العاقبة الجميلة للرسل فاتى الله
بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف فوقهم قال ابن عباس قد بين الله تعالى هذا وغيره ما انه
النمرود بن كنعان وقومه بنوا صروحا وصعود السماء وقالوا نقاتل اهلها فنشوا الصرح ليصعدوا منه بزعمهم
صنع بالنسور ما صنع فخر كما تقدم في اخر سورة ابراهيم ومعنى فاتى الله بنيانهم اي اتى امره البنيان
اما اتلافا او نحو تخريبا قال ابن عباس وهب كان طول الصرح في السماء خمسة الاف ذراع وعرضه
ثلاثة الاف ذراع وقال كعب وغيره كان طوله فرسخين فهبت ريح فالقت رأسه في البحر وخر
عليهم ما بقي ولما سقط الصرح تبلبلت السن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا باثنتين وسبعين
لسانا فلذلك سمي بابل وما كان لسان قبل ذلك الا السريانية وقد تقدم هذا المعنى في الهمزة وقرا
ابن هرمز وابن محيصن السقف بضم السين والقاف جميعا وضم يحيى هذه السين واسكن القاف
تخفيفا كما تقدم في والنجم في الوجهين والاشبه ان يكون جمع سقف والقواعد اصول البنا
واذا اختلت القواعد سقط البنا وقوله من فوقهم قال ابن الاعرابي وكذا ليعلمك انهم كانوا
حالين تحته والرب لغة جل علينا سقف ورفع علينا حائطه اكان بملكه وان لم يكن ورفع عليهم
بما بقوله من فوقهم ليخرج بهذا الشك الذي في كلام الوب نفيا لان فوقهم اي عليهم ورفع وكانوا اذا
تحته فهلكوا وبا اختلفوا وقيل ان المراد بالسقف السما اي بان العذاب اتاهم من السما التي هي
فوقهم قاله ابن عباس وقيل ان قوله فاتى الله بنيانهم من القواعد تمثيل والمعنى اهلكهم فكانوا
بمنزلة من سقط عليه بنيانه وقيل المعنى احبط الله اعمالهم فكانوا بمنزلة من سقط بنيانه وقيل
المعنى بطل مكرهم وتدبيرهم فهلكوا كما هلك من بنى تحت عليه السقف من فوقه وعلى هذا
اختلف في الذين خر عليهم السقف فقال السدي عن ابي عباس وابن عبيد ما تقدم وقيل انه بخت نصر واصحابه
قاله بعض المفسرين وقيل المراد المنتصبون للجبابرة ممن ذكرهم الله في سورة الحجر قاله الكلبي وعلى
هذا التاويل يخرج وصف التمثيل والله اعلم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من حيث
ظنوا انهم في امان وقال ابن عباس يعني النمرودية التي اهلك بها نمرود وقوله تعالى
ثم يوم القيامة يخزيهم اي يفضحهم بالعذاب ويذلهم به ويقول اين شركائي اي زعمكم
وفي دعواكم اي الاصنام التي عبدتم دوني وهو سوال توبيخ الذين كنتم تشاقون فيهم اي
تعادون فيهم انبياي بسببها فليذوقوا عنكم هذا العذاب وقرا ابن كثير شركائي بيا مفتوحة غير
همز والباقون بالهمز ثم في تشاقون بكسر النون على اضافة اي تعادون فيهم وفتحها الباقون
قال الذين اوتوا العلم قال ابن عباس هم الملائكة وقيل المؤمنون اي الخزي اليوم اي الهوان
والذل يوم القيامة والسوء اي العذاب على الكافرين قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة
ظالمي انفسهم هذا من صفة الكافرين وظالمي انفسهم نصب على الحال اي وهم ظالمون انفسهم
اذا اورد وها مرادهم الهلاك فالقوا السلم اي الاستسلام اي اقروا لله بالربوبية وانقادوا
عند الموت وقالوا ما كنا نعمل من سوء الشرك فقالت لهم الملائكة بلى قد كنتم تعملون السوء ان
الله عليم بما كنتم تعملون وقال عكرمة نزلت هذه الاية بالمدينة في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا
فاخرجهم قريش كرها فقتلوا بعضا فقال الذين تتوفاهم الملائكة تقبض ارواحهم
ظالمي انفسهم بمقامهم بمكة وتركهم الهجرة فالقوا السلم بمعنى في خروجهم معهم وفيه ثلاثة
اوجه احدها انه الصلح قاله الاخفش الثاني الاستسلام قاله قطرب الثالث الخضوع قاله
مقاتل ما كنا نعمل من سوء بعني من كفر يقال ان الله عليم بما كنتم تعملون بمعنى ان اعمالهم اعمال
الكفار وقيل انه لما رأى المسلمين لما رأوا قلة المؤمنين رجعوا الى المشركين فنزلت فيهم وعلى
القول الاول ملائكة الموت لا يخرج كافرا من الدنيا حتى يتقاد ويستسلم ويخضع ويذل ولا تنفعهم
حينئذ توبة ولا ايمان كما قال فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا وقد تقدم هذا المعنى وتقدم
في الانفال ان الكفار يتوفون بالضرب والهوان وذلك لسابغ الانعام وذكرناه في كتاب التذكرة
قوله تعالى فادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ذلك عند الموت وقيل هو كقوله لهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اشق ولهم في الاخرة سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
الاولى ثم الثانية ثم الثالثة هكذا وقيل لكل دركة بابه معروفة لبعض يدخلون من باب والبعض

دون الله كالشيطان والكاهن والصنم وكل من دعا الى الضلال فمنهم من هدى الله ايا ارشده الى
دينه وعبادته ومنهم من حقت عليه الضلالة اي بالقضاء السابق عليه حتى مات على كفره وهذا يرد
على القدرية لانهم زعموا ان الله هدى الناس كلهم ووفقهم للهدى والله تعالى يقول فمنهم
من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وقد تقدم هذا في غير موضع فسيروا في الارض اي
اي فسيروا ايها المكذبون في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اي كيف صار اخر امرهم الى
الخراب والعذاب والهلاك فوله تعالى ان تحرص على هداهم اي ان تطلب يا محمد بجهدك هداهم
فان الله لا يهدي من يضل اي لا يرشد من اضله اي من سبق له من الله الضلالة لم يهده وهذه قراءة ابن
مسعود واهل الكوفة فهدي فعل مستقبل وما بعده هدى ومن في موضع نصب بيهدي ويجوز ان
يكون هدي بمعنى اهتدي بمعنى يهتدي قال ابو عبيد وانما اهل هذا روى هذا عن العرا والبر عنهم
فيما يحكيه الخياس حكى لي عن محمد بن يزيد كان معنى لا يهدي من يضل من علم ذلك منه وسبق ذلك له عنده
قالوا ولا يكون يهدي بمعنى يهتدي الا ان يكون يهدي او يهدى وعلى قول العرا يهدي معنى يهتدي
فيكون في موضع رفع والعابدين الى من ذهبا المحذوفة من الصلة والعابد اي اسم ان الضمير المستكن
في يضل وقرا الباقون لا يهدى بضم الياء وفتح الدال واختاره ابو عبيد وابو حاتم على معنى من اضله
الله لم يهده هذا دليله قوله من يضل الله فلا هادي له ومن في موضع رفع على انه اسم ما لم يسم فاعله
وهي بمعنى الذي والعابد عليها من صلتها محذوف والعابد على اسم ان من قال ان الله الضمير المستكن
في يضل وما لهم من ناصرين تقدم معناه قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم هذا تعجيب من صنعهم
اذا اقسموا بالله وبالغوا في اليمين بان الله لا يبعث من يموت ووجه التعجب انهم يظهرون لقومهم
الله فيقسمون به ثم يجحدونه عن بعث الاموات وقال ابو العالية دين لرجل من المسلمين على مشرك
دين فتقاضاه وكان في بعض كلامه والذي ارجوه بعد الموت اكذا فاقسم المشرك بالله لا يبعث
الله من يموت فنزلت الاية وقال قتادة ذكر لنا ان ابن عباس قال له رجل يا ابن عباس ان ناسا يزعمون
ان عليا سيموت بعد الموت قبل الساعة وبينا ولون هذه الاية فقال ابن عباس كيف اوبئك
انما هذه الاية عامة للناس لو كان عليا سيموت قبل القيامة ما نكحنا نساءه ولا قسمنا ميراثه
بل هذا رد عليهم اي بلى ليبعثنهم وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لان قوله يبعثهم يدل على الوعد
اي وعدا ليبعثن وعدا صفة لكن اكثر الناس لا يعلمون انهم مبعوثون وفي البخاري عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد
الصمد لم ألد ولم يولد ولم يكن لي كفوا احد وقد تقدم وجه اتصال قوله تعالى ليبين لهم اي ليظهر
لهم الذي يختلفون فيه اي من امر البعث وليعلم الذين كفروا بالبعث وافتروا عليه انهم كانوا كاذبين
وقيل المعنى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ليبين لهم الذي يختلفون فيه والذي اختلف فيه
المشركون والمسلمون امور منها البعث ومنها عبادة الاصنام ومنها اقرار قوم بان محمدا حق ولم
ولكن منعهم من اتباعه التقليد كما في طاب قوله تعالى انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون اعلمهم بسهولة الخلق عليه اي اذا اردنا ان نبعث من يموت لا نعب عيينا ولا نصب
في احيائهم ولا في غير ذلك مما يجدكه الا انا انما نقول له كن فيكون قرا ابن عامر والكسائي فيكون
نصبا على جواب كن الباقون بالرفع على معنى فهو يكون وقد مضى القول فيه في البقرة مستوفى
وقال ابن الانباري اوقع لفظ الشي على المعلوم عند الله قبل الخلق لانه بمنزلة ما وجد وشوهد
وفي الاية دليل على ان القرآن غير مخلوق لانه لو كان قوله كن مخلوقا لاحتاج الى قول ثان والثاني
الى ثالث وتسلسل فكان محالا وفيها دليل على ان الله سبحانه يريد بجميع الحوادث كلها خيرها وشرها
نفعها وضرها والدليل على ذلك ان من يريد في سلطانه ما يكرهه ولا يريده فلا حد شيئين اما الكونه
جاهلا لا يدري واما لكونه مغلوبا لا يطيق وكلا ذلك يجوز في وصفه سبحانه وقد قام الدليل على انه
خالق لاكساب العباد ويستحيل ان يكون فاعلا شيء وهو غير مريد له لان اكثر افعالنا تحصل
على خلاف مقصودنا واردتنا فلو لم يرد الحق سبحانه مريد الها لكانت تلك الافعال تحصل
من غير قصد وهذا خرق الطبايع وقد اجمع الموحدون على خلافه وفساده قوله تعالى
والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا قد تقدم في النساء معنى الهجرة وحكم ترك الاوطان والاهل
في الله او في دين الله وترك السيات وقيل في معنى اللام اي لله من بعد ما ظلموا اي
عذبوا في الله نزلت في صهيب وبلال وخباب وعمار وعذبهم اهل مكة حتى قالوا لهم ما اردنا
بكلمة الكفر فهاجروا الى المدينة قاله الكلبي وقيل نزلت في ابي جندل بن سهيل وقال قتادة المراد
اصحاب محمد ظلمهم المشركون بمكة واخرجوهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم بوأهم الله تعالى

دار الهجرة وجعل لهم انصارا من المؤمنين والاية نعم الجميع لنبوتهم في الدنيا حسنة وفي الحسنة
سبعة اقوال الاول نزول المدينة قاله ابن عباس والحسن والشعبي وقتادة الثاني الرزق الحسن
قاله مجاهد الثالث النصر على عدوهم قاله الضحاك الرابع ان لسان صدق حكاه ابن جريج له
الخامس ما استدلوا عليه من فتوح البلاد وصار لهم فيها من الولايات السادس ما بقي لهم في الدنيا
من الثنا وما صار فيها لاولادهم من الشرف وكل ذلك اجتمع لهم بفضل الله والحمد لله واجر الاخرة
اكبر اي اكبر من ان يعلمه احد قبل ان يشاهده واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا لو كانوا يعلمون
اي لو كان هؤلاء الظالمون يعلمون ذلك وقيل راجع الى المؤمنين اي لو رأوا ثواب الاخرة وعاينوه
لعلموا ان اكثر من حسنة الدنيا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا دفع الى المهاجرين هو
العطاء قال هذا ما وعدكم الله في الدنيا وما ادخر لكم في الاخرة اكثر ثم تلى عليهم هذه الاية قوله
تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون قيل الذين بدل من الذين الاول وقيل من الضمير في
لنبوئنهم وقيل هم الذين صبروا على دينهم وعلى ربهم يتوكلون في كل امورهم قال بعض
اهل التحقيق خيار الخلق من اذا نابه امر صبر واذا عجز عن امر توكل قال الله تعالى الذين صبروا
وعلى ربهم يتوكلون قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم قرأه العامة بوحي على
البناء وفتح الحاء وقرأ حفص عن عاصم نوحي اليهم بنون العظمة وكسر الحاء نزلت في مشركي مكة حيث
انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعلم من ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث الينا
ملكا فرد الله عليهم بقوله وما ارسلنا من قبلك الى الامم الماضية يا محمد الا رجالا ادميين فاسألوا
اهل الذكر قال قتادة يعني اهل الكتاب ان كنتم لا تعلمون بخبرونكم ان جميع الانبياء كانوا
بشرا وقيل المعنى فاسألوا اهل الكتاب فانكم يوم سواهم مقرون بان الرسل كانوا من البشر
روى معناه عن ابن عباس ومجاهد قال ابن عباس اهل الذكر اهل القرآن وقيل اهل العلم والمعنى
متقارب بالبينات والزبر قيل بالبينات متعلق بارسلنا وفي الكلام تقديم وتأخير اي وما ارسلنا
من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا اي غير رجال بمعنى غير لقولك ما الله الا الله وهذا قول
الكلبي يوحى اليهم وقيل في الكلام حذف دل عليه ارسلنا اي ارسلناهم بالبينات والزبر ولا
تتعلق بالبينات بارسلنا الاول على هذا القول لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها وانما يتعلق هو
بارسلنا المقدرة اي ارسلناهم بالبينات وقيل يتعلمون والتقدير ايضا وانصب باسماء اعني كما
قاله الاعشى ولبئس محترا ان الحي حاضره فلا تابل الا لهوا المتنبيناه اي اعني المتقبب والبهاء
الحجج والبراهين والزبر الكتب وقد تقدم في آل عمران وانزلنا اليك الذكر بمعنى القرآن ليبين للناس
ما نزل اليهم في هذا الكتاب من الاحكام والوعد والوعيد بقولك وفعلك قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مبين عن الله عز وجل مراده من امره ونهيه في كتابه من احكام الصلاة والزكاة وغير
مما لم يفصله وقد تقدم هذا المعنى مستوفى في مقدمة الكتاب والحمد لله ولعلهم يتفكرون فيتعظون
قوله تعالى افامن الذين مكروا السيئات اي بالسيئات وهذا وعيد للمشركين الذين احتالوا في
ابطال الاسلام اذ يخسف الله بهم الارض قال ابن عباس كما خسف بقارون يقال خسف المكان
يخسف خسوفا ذهب في الارض وخسف الله به الارض خسوفا اي غار به فيها ومنه قوله
فخسفنا به وبداره الارض وخسف هو في المكان الارض وخسف به والاستفهام بمعنى الانكار
اي يجب ان لا يأمنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
كما فعل بقوم لوط وغيرهم وقيل يريد يوم بدر فانهم اهلكوا ذلك اليوم ولم يكن شيء منه في حسابهم
او يأخذهم في تقلبهم اي في اسفارهم وتصرفهم قاله قتادة فما هم بمعجزين اي سابقين الله ولا
فائتين عذابه وقيل في تقلبهم على فرشهم اي ما كانوا وقال الضحاك بالليل والنهار او يأخذهم على
تخوف قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما اي على تنقص من اموالهم ومواشيهم وزروعهم وكذا قال
ابن الاعرابي اي على تنقص من الاموال والانفس والثمرات حتى اهلكهم كلهم وقال الضحاك هو من
الخوف المعنى ان اخذ طائفة وترك طائفة فتخاف الباقية ان ينزل بها ما نزل بصاحبتها وقال
الحسن على تخوف ان يأخذ القرية فتخافه القرية الاخرى وهذا هو معنى القول الذي قبله بعينه
وهما راجعان الى معنيين اولى وان التخوف التنقص تخوفه لتنقصه وتخونه الدهر وتخوفه بالفاء
والنون بمعنى يقال تخونني فلان حتى انا تنقصك قال ذو الرمة لا بل هو الشوق من ازار تخونها
من اسحاب ومن ابارح ترب وقال لبيد تخونها نزولي وارتحالي اي تنقص لحمها وشحمها وقال
الهذلي تخوف عدي التخوف بالفاء التنقص لغة ازد شنوءة وانشد * تخوف عدوهم مالي واهدب
سلاسل في الحلوق لها صليل * وقال سعيد بن المسيب بينما عمر بن الخطاب على المنبر قال يا ايها الناس ما تقولون في قول الله عز وجل وياخذهم على تخوف فسكت الناس فقال شيخ من بني هذيل هي لغتنا

يا امير المؤمنين التخوف التنقص فخرج رجل فقال يا فلان ما فعل جملك قال تخوفته اي تنقصته
فرجع فاخبر عمر انوف العرب ذلك فى اشعارهم قال نعم قال شاعرنا ابو كبير الهذلي يصف ناقة
تنقص السير بسنامها بعد تمكه واكتنازه تخوف الرجل منها تامكا قردا كما تخوف عود الرد
لبقة السفن فقال عمر يا ايها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني
كلامكم تنك السنام يتنك تنكا اي طاد وارتفع مهونا مكك والسفن والسفن ما ينجر به
الخشب وقال الليث بن سعد على تخوف على عجل وقيل على تقريع بما فزموه من ذنوبهم وهذا
مروي عن ابن عباس ايضا وقال قتادة على تخوف اي على جانب او بتجاوز ان ربكم لرؤوف
رحيم اي لا يعاجل بل يمهل قوله تعالى اولم يروا الى ما خلق الله من شئ تتفيوا ظلاله عن اليمين
والشمايل سجدا لله وهم داخرون قرا حمزة والكسائي وخلف ويحيى والاعمش بالتاء
على ان الخطاب لجميع الناس لما قرن بالياء انكروا عن الذين يكذبون الشبهات وهو الاختيار من شئ
يعني من جسم قايم له ظل من شجرة او جبل قاله ابن عباس وان كانت الاشياء كلها سجدا
لله تعالى بتفيو ظلاله قرا ابو عمرو ويعقوب وغيرهما بالتاء لتانيث الظلال الباقون بالياء
واختاره ابو عبيد اي يميل من جانب الى جانب ويكون اول النهار على حال وينتقلص ثم يعود في
اخر النهار على حالة اخرى قد ورانا وميلانها من موضع الى موضع سجودها ومنه قيل للظل بالعشي
فيء لانه فاء من المغرب الى المشرق اي رجع والفيء الرجوع ومنه حتى تفيء الى امر الله روى معنى هذا
القول عن الضحاك وقتادة وغيرهما وقد مضى هذا المعنى في سورة الرعد وقال الزجاج
يعني سجود الجسم وسجوده انقياده وما يرى فيه من اثر الصنعة وهذا عام في كل جسم ومعنى
وهم داخرون اي صاغرون والدخور الصغار والذل يقال دخر الرجل بالفتح فهو
داخر ودخره الله وقال قد والرمة فلم ستوا ذا خزي فيحمد شوه وبالحجر في غير ارضكم دخر
كذا نسبه الماوردي لذي الرمة ونسبه الجوهري للعرزد وقال المحبش اسم سجن كان
بالعراق اي موضع التذلل وقاله اما تراني كيسا مكيسا بنيت بعد نافع مخيسا ووحد
اليمين عن اليمين في قوله وجمع الشمائل لان معنى اليمين وان كان واحدا يجمع اصابعها ومفرد الاخرى كقوله
والشمايل واليمين والشمايل واليمين والشمائل والايمان والشمائل لجاز لان المعنى للكثرة و
ايضا فمن شان العرب اذا اجتمعت علامتان في شئ واحد ان يجمع احدهما بمفرد الاخرى كقوله
تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ولقوله وتخرجهم من الظلمات الى النور وقال علي
اسماعهم الملائم الجاز ويجوز ان يكون رد اليمين على لفظها والشمايل على معناها وقيل هذا
في الكلام كثير قال الشاعر * الوارد ون وتيم في ذراسبا قد عض اعناقهم جلد الجواميس
* ولم يقل جلود وقيل وحد اليمين لان الشمس اذا طلعت وانت متوجه الى القبلة انبسط الظل
عن اليمين ثم في حال تميل الى جهة الشمال ثم حالات فسماها شمايل قوله تعالى ولله يسجد
ما في السموات وما في الارض من دابة اي كل ما يدب على الارض فالملائكة يعني الملائكة الذين
في الارض وانما افردهم بالذكر وان دخلوا فيها فاكهة ونخل ورمان وقيل لخروجهم من جملة
من يدب لما جعل الله لهم من الاجنحة فلم يدخلوا في الجملة فلذلك ذكروا وقيل اراد انه
يسجد ما في السموات من الملائكة والشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب وما في
الارض من دابة وتسجد ملائكة الارض لهم لا يستكبرون عن عبادة ربهم وهذا رد على
قريش حيث زعموا ان الملائكة بنات الله ومعنى يخافون ربهم من فوقهم اي عقاب ربهم
وعذابه لان العذاب المهلك انما ينزل من السما وقيل المعنى يخافون قدرة ربهم التي هي
فوق قدرتهم نفي الكلام حذف وقيل معنى يخافون ربهم من فوقهم يعني الملائكة يخافون
ربهم وهو من فوق ما في الارض من دابة ومع ذلك يخافون فلان يخاف من دونهم اولى بالتاييد
هذا قوله تعالى ويفعلون ما يومرون يعني الملائكة قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين قيل المعنى لا تتخذوا اثنين الهين وقيل جاء قوله اثنين توكيدا ولما كان
الاله الحق لا يتعدد وان كل ما يتعدد وان كل من يتعدد فليس بالله اقتصر على ذكر الاثنين
لانه قصد نفي التعديد انما هو اله واحد يعني ذا ثبت المقدسة وتمام الدليل العقلي والنقلي
والشرعي على وحدانيته حسب ما تقدم في البقرة بيانه وذكرناه في اسمه الواحد في
شرح الاسما والحمد لله فاياي فارهبون اي خافوني وقد تقدم في البقرة قوله تعالى
وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا الدين الطاعة والاخلاص واصبا معناه دايما قاله
الزجاج وقال الجوهري وصب الشي يصب وصوبا اي دام ووصب الرجل على الامر اذا واظب عليه
والمعنى طاعة الله واجبة ابدا وممن قال واصبا دايما الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك

ومنه قوله تعالى لهم عذاب واصب اي دايم وقال الدوني اذا انتفى الحمد القليل بقاءه يدم لكون الدهر
اجمع واصبا وقيل الوصب التعب والاعيا اى يجب طاعة الله وان تعب العبد فيها ومنه قول الشاعر
* اعمل الساق منها ان ذا وصب * ويعضد على سرسوقه اصغره وقال ابن عباس واصبا واجبا
الفراء الكلبي خالصا غير الله تتقون ايها ينبغي ان تتقوا غير الله بغير نصب بتتقون قوله
تعالى وما بكم من نعمة فمن الله قال الفراء ما بمعنى الجزاء والباء بكم متعلقة بفعل مضمر تقديره وما يكن
بكم من نعمة اى صحة جسم وسعة رزق ولده فمن الله وقيل المعنى وما بكم من نعمة فمن الله هي ثم
اذا مسكم الضر اي السقم والبلاء والقحط فاليه تجرون اى تضجون بالدعاء لعله وجار يجار
جورا والجوار مثل الخوار يقال لحمار الوحش جار اي صاح وقد ابعضهم عجلا جسدا له خوار
حكاه الاخفش وجار الرجل الى الله اي تضرع بالدعاء وقال الاعشى يصف ناقة * فطافت
ثلاثا بين يوم وليلة * وكان التكبر ان تطيف وتجارا * ثم اذا كشف الضر عنكم اي البلاء
والسقم اذا فريق منكم بربهم يشركون بعد ازالة البلاء وبعد الجوار معنى الكلام التعجب من
الاشراك بعد النجاة من الهلاك وهذا المعنى مكرر في القرآن وقد تقدم في الانعام ويونس
وبالتي في سبحان وغيرها وقال الزجاج هذا خاص بمن كفر بكفر وا بما انتابهم اى ليجحدوا
نعمة الله التي انعم بها عليهم من كشف الضر والبلاء اي اشركوا ليجحدوا واللام لام كي وقيل
لام العاقبة وقيل ليكفروا بما انتابهم اي ليجعلوا النعمة سببا للكفر وكل هذا فعل خبيث
كما قاله والكفر بمحنة لتضمن المنع * فتمتعوا امر تهديد وواعده الله فلتمتعوا فسوف
تعلمون اي عاقبة امركم قوله تعالى ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم ذكر
نوعا اخر من جهالتهم وانهم يجعلون لما لا يعلمون انه يضر وينفع وهي الاصنام شيأ من اموالهم
يتقربون به اليه قاله مجاهد وقتادة فيعلمون على هذا للمشركين وقيل هي للاوثان
وجرى بالواو والنون مجرى من يعقل فهو رد على ما ومفعول يعلم محذوف والتقدير
ويجعل بعولا الكفار للاصنام التي لا تعلم شيأ نصيبا وقد مضى في الانعام تفسير هذا المعنى
في قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ثم رجع من الخبر الى الخطاب فقال تالله
لتسئلن وهذا سؤال توبيخ عما كنتم تفترون اى تختلقونه من الكذب على الله انه امركم بهذا
قوله تعالى ويجعلون لله البنات ترك في خزاعة وكنانة منهم زعموا ان الملائكة
بنات الله فكانوا يقولون الحقوا البنات بالبنات سبحانه نزه نفسه وعظمها عما نسبوه
اليه من اتخاذ الاولاد لهم ما يشتهون اي يجعلون لانفسهم البنين وما تقول من البنات
وما رفع بالابتدا والخبر لهم وتم الكلام عند قوله سبحانه واجاز الفراء كونها نصبا على
تقدير ويجعلون لهم ما يشتهون وانكره الزجاج وقال المبرد تستعمل في مثل هذا ويجعلون
لانفسهم قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى اى اذا اخبر احدهم بولادة بنت ظل وجهه
مسودا اى متغيرا وليس يريد السواد وهو ضد البياض وانما هو كناية عن غمه بالبنت والعرب
تقول لكل من اتى مكروها قد اسود وجهه غما وحزنا قال الزجاج وحكى الفراء ان المراد
سواد اللون قال وهو قول الجمهور وهو كظيم اي ممتلئ من الغم وقال ابن عباس حزين وقال
الاخفش هو الذي يكظم غيظه فلا يظهره وقيل انه المغموم الذي يطبق فاه فلا يتكلم من الغم
ماخوذ من الكظامة وهو شد فم القربة قاله علي بن عيسى وقد تقدم هذا المعنى في سورة
يوسف قوله تعالى يتوارى من القوم اي يختفي ويتغيب من سوء ما بشر به اى من سوء
الحزن والعار والحيا الذي يلحقه بسبب البنت امسكه ذكر الكناية لان مرد ود على
ما على هون اى هوان وكذا قرا عيسى الثقفي على هوان والهون الهوان لغة قريش
قاله اليزيدي وحكاه ابو عبيد عن الكسائي وقال الفراء هو القليل لغة تميم وقال
الكسائي هو البلاء والمشقة وقالت الخنساء * بهين النفوس وهون النفوس يوم
الكريهة ابقى لها * وقال الاعشى امسكه على سوء ذكره الخاسر قال وقرا ابن محيصن ام يدسها
في التراب برده على قوله لها انثى ويلزمه ان يقرا امسكها ثم قيل يرجع الضمان الى البنت
اي امسكها وهي مهانة عنده وقيل يرجع الى المولود له اي امسكه على رغم انفه ام يدسه
في التراب وهو ما كانوا يفعلونه من وأد البنت حية قاله قتادة كان صعصعة وخزاعة يدفنون
البنات حيا واشدهم في هذا تميم زعموا خوف الفقر عليهم وطمع غير الاكفاء بهم وكان صعصعة
ابن ناجية عم الفرزدق اذا حس بشيء من ذلك وجد الى ولد البنت ابلا يستحييها بذلك فقال الفرزدق
يفتخره وعمي الذي منع الوائدات فاحيى الوئيد فلم يوئد * وقيل دسها احفاؤها عن الناس حتى
لا تعرف المدسوس في التراب احقا به اعز لها بقاء وهذا محتمل مسلة بنت في صحيح مسلم عن

عايشة رضي الله عنها قالت جاءت امراة ومعها ابنتان لها تسالني فلم تجد عندي غير تمرة فاعطيتها اياها فقسمتها بين ابنتيها ولم تاكل منها شيا ثم قامت فخرجت وابنتاها فدخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته حديثها فقال النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلي من البنات بشيء فاحسن اليهن كن له سترا من النار ففي هذا الحديث ما يدل على ان البنات بلية ثم اخبر ان في الصبر عليهن والاحسان اليهن ما يقي من النار وعن عايشة انها قالت جاءتني مسكينة تحمل ابنتين لها فاطعمتها ثلاث تمرات فاعطت كل واحدة منهما تمرة ورفعت الى فيها تمرة لتاكلها فاستطعمتها ابنتاها فشقت التمرة التي كانت تريد ان تاكلها فاعجبني شانها فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله عز وجل قد اوجب لها الجنة واعتقها بها من النار وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة انا وهو وضم اصابعه خرجه ايضا مسلم رحمه الله وخرج ابو القاسم الحافظ من حديث الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت له بنت فادبها فاحسن ادبها وعلمها فاحسن تعليمها واسبغ عليها من نعم الله التي اسبغ عليه كانت له سترا او حجابا من النار وخطب الى الحنفيل بن علقمة ابنته الجرباء فقاده وابى ان يسبق الى المهر وعدان وخرد عشرة احب اصهاري الى القبر وقال عبد الله بن طاهر لكل ابنة براعي شؤونها ثلاثة اصهار اذا احمد الصهر بعد براعيها وصد ريكفيها وقبر يواريها وخير هما القبر والاسلام يحكمون ايما اضافة البنات الى فاعلاتهم واضافة البنتين اليهم تظير اكم بنون الذكور له الا التي تلك اذا قسمته صيرى اي حائرة وسيأتي قوله تعالى للذين لا يؤمنون بالاخرة اي لصوله الواصفين لله البنات مثل السوء اي صفة السوء من الجهل والكفر وقيل هو وصفهم الله تعالى بالصاحبة والولد وقيل اي العذاب والنار ولله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى من الاخلاص والتوحيد قاله قتادة وقيل اي الصفة العليا بانه خالق رازق قادر ومجازي وقال ابن عباس مثل السوء النار والمثل الاعلى شهادة ان لا اله الا الله وقيل ليس كمثله شيء وقيل ولله المثل الاعلى كقوله الله نور السموات والارض مثل نوره فان قيل كيف اضاف المثل هنا الى نفسه وقد قال فلا تضربوا لله الامثال فالجواب ان قوله فلا تضربوا لله الامثال اي الامثال التي توجب الاشباه والانداد يعني كما تضربوا له مثلا يقتضي نقصا وتشبيها بالخلق والمثل الاعلى وصفه بلا تشبيه له ولا نظير جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وهو العزيز الحكيم تقدم معناه قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم اي بكفرهم وافترائهم وعاجلهم ما ترك عليها اي على الارض فهو كناية عن غير مذكور لكن دل عليه قوله من دابة فان الدابة لا تذب على الارض والمعنى المراد من دابة كافرة فهو خاص وقيل المعنى انه لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء وقيل المراد بالاية الحمر اي لو يواخذ الله الخلق بما كسبوا ما ترك على ظهر هذه الارض من دابة فتهلك وغيره وهذا قول الحسن وقال ابن مسعود وقد اهذه الاية لو اخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لاصاب العذاب جميع الخلق حتى الحبلان في جحرها والامسك الامطار من السماء والنبات من الارض فمات الدواب ولكن الله ياخذ بالعفو والفضل كما قال ويعفو عن كثير فاذا جاء اجلهم اي اجل موتهم ومنتهى اعمارهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقد تقدم فان قيل كيف يجمع الهلاك مع ان فيهم مومنا ليس بظالم قيل يجعل هلاك الظالم انتقاما وجزاء وهلاك المومن معوضا بثواب الاخرة وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اراد الله بقوم عذابا اصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم وعن ام سلمة وسئلت عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في ايام ابن الزبير فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بالبيت عايذ فيبعث اليه بعث فاذا كانوا ببيداء من الارض خسف بهم فقلت يا رسول الله وكيف بمن كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته وقد اتينا على هذا المعنى مجودا في كتاب التذكرة وتقدم في المايدة وامر الانعام ما فيه كفاية والحمد لله وقيل فاذا اجلهم اي فاذا جاء القيامة والله اعلم قوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون اي من البنات وتصف السنتهم اي ويقول السنتهم الكذب ان لهم الحسنى قال مجاهد هو قولهم ان لهم البنين ولله البنات الكذب منصوب نصف وان في محل نصب بدل من الكذب انه بيان له وقيل الحسنى الجزاء الحسن قاله الزجاج وقرا ابن عباس وابو العالية ومجاهد وابن يحيى نصر الكذب برفع الكاف والذال والباقون بالنصب للالسنة وكذا وانتصبوا ما نصف السنتكم الكذب هو الكذب جمع كذوب مثل رسول ورسل وصبور وصبر وشكور وشكر لا رد لقولهم ونعم الكلام اي ليس كما تزعمون حرم ان لهم النار اي حقا ان لهم النار وقد تقدم مستوفى

وانهم

وانهم مفرطون اي متروكون منسيون في النار قاله ابن الاعرابي وابو عبيدة والكسائي والفراء وهو قول
سعيد بن جبير ومجاهد وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ايضا معذبون وقتادة والحسن معجلون الى النار
مقدمون اليها والفارط الذي يتقدم الى الماء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض اي
متقدمكم وقال الفطامي * نا ستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كعجل فراط لوراده والفراط المتقدمون
في طلب الماء والوراد المتاخرون وقرانا فع بخلف عنه ورش مفرطون بكسر الراء وتخفيفها وهي قراءة عبد
الله بن مسعود وابن عباس ومعناه مفرطون في الذنوب والمعصية اي افرطوا فيها يقال افرط
فلان على فلان اذا اربى عليه وقال له اكثر مما قال قرا السري وقرا ابو جعفر مفرطون بكسر الراء والتشديد
اي مضيعون امر الله فهو من التفريط في الواجب. قوله تعالى تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك
فزين لهم الشيطان اعمالهم اي اعمالهم الخبيثة هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بان من تقدم
من الانبياء قد كذبهم قومهم فهو ولينهم اليوم اي ناصرهم في الدنيا على زعمهم ولهم عذاب اليم في
الاخرة وقيل فهو وليهم اي قرينهم في النار اليوم بمعنى يوم القيامة واطلق عليهم اسم اليوم
لشهرته وقيل يقال لهم يوم القيامة هذا وليكم فاستنصروا به ليجيركم من العذاب على جهة
التوبيخ لهم قوله تعالى وما انزلنا عليك الكتاب اي القران الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه
من الدين والاحكام فتقوم الحجة عليهم ببيانك وعطف هدى ورحمة على موضع قوله لتبين
لان محله نصب ومحل الكلام وما انزلنا عليك الكتاب الا تبيانا للناس وهدى اي رشدا ورحمة
للمؤمنين قوله تعالى والله انزل من السماء اي السحاب ماء فاحيى به الارض بعد موتها عاد الكلام الى
تمديد النعم وبيان كمال القدرة ان في ذلك لاية اي دلالة على البعث على وحدانيتنا ادعلموا ان
معبودهم لا يستطيع شيا فتكوت هذه الدلالة لتقوم ليسمعون عزالله تعالى بالقلوب لا الاذان
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة في الانعام
لعبرة تسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين فيه عشر مسايل الاولى
قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة قد تقدم القول في الانعام وهي هنا الاصناف الاربعة الابل والبقر
والضان والمعز لعبرة اي دلالة على قدرة الله وعظمته والعبرة اصلها تمثيل الشيء الذي
لم يعرف بشيء قد عرف من طريق المشاكلة ومنه فاعتبروا وقال ابو بكر الوراق العبرة في الانعام تسخيرها
لاربابها وطاعتها لهم وتمردك على ربك وملائكته في كل شيء وهذا اعظم العبرة برئ يجعل مذنبا لكن
الثانية قوله تعالى نسقيكم قراة اهل المدينة وابن عامر وحاصم في رواية ابي بفتح النون من سقى
يسقي وقرا الباقون وحفص عن عاصم بضم النون من اسقى يسقي وهي قراة الكوفيين والاصل
سقية فقيل هما لغتان وقال لبيد * سقى قومي بني مجد * واسقى نميرا والقبايل من هلال * وقيل
يقال لما كان بين يديك الى فيه سقيته فاذا جعلت له شربا او عرضته ان يشرب قلت فيه اسقيته
سقيته قاله ابن عزيز وقد تقدم وقراة فرقة تسقيكم بالتا وهي ضعيفة بمعنى الانعام وتركب
عليها الا ان يسقيكم الله عز وجل والقراءة على القراءتين المتقدمتين بفتح النون لغة قريش وضمها
لغة جيران لغة قوله تعالى مما في بطونها اختلف الناس في تعيين من قوله في بطونه على ما ذا
يعود فقيل هو عايد الى ما قبله وهو جمع المؤنث قال سيبويه العرب تخبر عن الانعام بخبر الواحد قال
ابن العربي وما اراه عول عليه الا من جهل الا بينة وهذا لا يليق بمنصبه ولا يليق بادراجه وقيل لما كان لفظ
النعم وهو اسم الجنس يذكر ويونث فيقال هو الانعام وهي الانعام حاز عود الضمير بالتذكير وقال
الزجاج وقال الكسائي معناه مما في بطون ما ذكرنا * فهو عايد على المذكور وقد قال الله تعالى ان هذه
تذكرة فمن شا ذكره وقال الشاعر * مثل الفراخ تنتف حواصله * ومثله كثير وقال الكسائي ايضا
مما في بطونها اي مما في بطون بعضها اذ المذكور بعضها وهو الذي يعود عليه ابو عبيدة وقال الفراء
الانعام والنعم واحد والنعم يذكر ولهذا تقول العرب هذا نعم وارد فترجع الضمير الى لفظ النعم الذي
هو بمعنى الانعام وقال ابن العربي انما يرجع التذكير الى معنى الجمع لا التانيث الى معنى الجماعة تذكره
هنا باعتبار لفظ الجمع وانثه في سورة المومنين باعتبار لفظ الجماعة فقال نسقيكم مما في بطونها
وهذا التاويل ينتظم المعنى انتظاما حسنا والتانيث باعتبار لفظ الجماعة والتذكير باعتبار لفظ
الجمع اكثر من ذلك بيسير وبينا فلسطين الرابعة استنبط بعض العلما الجله وهو القاضي اسماعيل
ان عود هذا الضمير ان لبن النحل يعبد التحريم وقال انما جيء بذكر الانث راجع الى ذكر النعم لان
اللبن للذكر محسوب ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم بان لبن الفحل يحرم حين انكرته عايشة
في حديث افلح اخي ابي القعيس فللمراة السقي وللرجال اللقاح فجرى الاشتراك فيه بينهما وقد
مضى القول في تحريم لبن الفحل في النسا والحمد لله الخامسة من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا تنبه
سبحانه على عظيم قدرته بخروج اللبن خالصا بين الفرث والدم والفرث الزبل الذي ينزل الى الكرش

فاذا خرج منه لم يسم فرثا بقال اذا فرث الكرش اذا اخرجت ما فيها والمعنى ان الطعام يكون منه ما في الكرش
ويكون منه الدم ثم يخلص اللبن من الدم والله اعلم سبحانه ان هذا اللبن يخرج من بين ذلك وبين الدم
بالروق وقال ابن عباس ان للدابة ناكلا لعلف فاذا استقر في كرشها طبخته فكان اسفله
فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما وكبده مسلط على هذه الاصناف فتقتسم الدم وتجريه في
العروق وتخرج اللبن الى الضرع ويبقى الفرث كما هو فهذا الكرش كالمعدة لما يلقى اليه من العلف
بعد بلوغه حد الدم وتذارة الفرث وقد جمعهما وعاء واحد وقال ابن كرخ الصاب بياضه وقال
النابغة * يخالطه الورد ان خضر المناكب * اي بياض الاكمام ونضد قدرة لا تنتهي الا للقادر
على كل شيء بالمصلحة السادسة قال القفال في هذا دليل على ان اللبن ليس بنجس وقال ايضا
غيره واحتج بان قال كما يخرج اللبن من بين الفرث والدم سائغا خالصا لذلك يجوز ان يخرج المني
على مخرج البول طاهرا قال ابن العربي ان هذا لجهل عظيم واخذ شيء اللبن حاء الخبر عنه بحق النعمة
والمنة الصادرة عن القدرة ليكون غيره فاقتضى ذلك كله وصف الخلوص واللذة وليس المني
من هذه الحالة حتى يكون ناقضا به او مقيسا عليه فلت قد يعارض هذا ان يقال لاي منة
اعظم وارفع من خروج المني الذي يكون عنه الانسان المكرم وقد قال تعالى يخرج من بين الصلب
والترائب وقال والله جعل لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل لكم من ازواجكم بنين
وحفدة وهذا غاية في الامتنان فان قيل انه يتنجس بخروجه في مجرى البول قلنا هو ما ارداه
فالنجاسة عارضة واصل طاهر وقد قيل ان مخرجه غير مخرج البول وخاصة المرأة فان مدخل
الذكر منها ومخرج الولد غير مخرج البول على ما قاله العلما وقد تقدم في البقرة فان قيل اصله
دم فهو نجس قلنا ينتقض بالمسك فان اصله دم وهو طاهر ومن قال بطهارته الشافعي واحمد
واسحق وابو ثور وغيرهم لحديث عايشة رضي الله عنها قالت كنت افركه من ثوب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يابسا بظفري قال الشافعي فان لم يبرك فلا باس به وكان سعد بن ابي وقاص
يفرك المني من ثوبه وقال ابن عباس هو كالمخاطة امطه عنك باذخره وامسحه بخرقة
فان قيل قد تقدم عن عايشة انها قالت كنت اغسل المني من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم يخرج الى الصلاة في ذلك الثوب وانا انظر الى اثر الغسل فيه قلت يحتمل ان يكون غسلته
استقذارا كالاشيا التي تنزل من الثوب لا لنجاسة ويكون هذا جمعا بين الاحاديث والله اعلم قال
مالك واصحابه والاوزاعي هو نجس قال ملك غسل الاحتلام من الثوب امر واجب مجتمع عليه
عندنا وهو قول الكوفيين وروي عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وجابر بن سمرة انهم غسلوه
من ثيابهم واختلف فيه عن ابن عمر وعايشة وعلي هادين القولين في نجاسة المني وطهارته له
الثانية عشرة في هذه الاية دليل على جواز الانتفاع بالالبان من الشرب وغيره واما
لبن الميتة فلا يجوز الانتفاع به لانه مايع طاهر حصل في وعاء نجس فاما لبن المرأة الميتة نجس
واللبن طاهر ذا حلب صار ما حوله امر وعاء نجسا ما لبن المرأة الميتة واختلف اصحابنا
فيه فمن قال ان الانسان طاهر حيا ميتا فهو طاهر ومن قال بنجسه بالموت فهو نجس وعلى
القولين جميعا بنشر الحرمة لان الصبي قد يغتذي به كما يغتذي من لحمه وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الرضاع ما انبت اللحم وانشز العظم ولم يخص وقد مضى في
النساء الثامنة قوله تعالى سائغا للشاربين اي لذيذا هنيا لا يغص من يشربه يقال
ساغ في الشراب يسوغ سوغا اي سهل مدخله في الحلق واساغه شاربه وسقته انا اسوغه
واسيغه تتعدى ولا تتعدى والاجود اسقته اساغة يقال اسغ لي غصتي اي اسهلها
ولا تعجلني وقال ابو النقاش لا يتجرعه ولا يكاد يسيغه والسواغ بكسر السين ما استقبلت به لقمة
غصتك يقال الماء سواغ الغصص ومنه قولهم الكمء كانت سواغا اذا حرت بغصة
وروي ان اللبن لم يشرب احد قط وروي مثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم الثالثة
في هذه الاية دليل على استعمال الحلاوة والاطعمة اللذيذة وتناولها والا لقال ان ذلك
بما خفن الزهد او بما بعده لكن اذا كان من وجهه ومن غير شره ولا اكثار وقد تقدم هذا
المعنى في المايدة وغيرها وفي الصحيح عن انس قال لقد سقيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قدحي هذا الشراب كله العسل والنبيذ واللبن والماء وقد كره بعض القرا الفا
الودح واللبن من الطعام واراحة عامة العلما وروي عن الحسن انه كان على مائدته ومعه
ملك يرد بها ما يتجبا لودح فامتنع عن اكله فقال له الحسن كل فان عليك في الماء البارد اكثر
من هذا الثالثة عشرة روى ابو داود وغيره عن ابن عباس قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلبن فشرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم طعاما فليقل اللهم بارك

لنا فيه واطعمنا خيرا منه واذا استقى لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا خيرا منه فانه ليس شئ يجزئ
عن الطعام والشراب الا اللبن فانه علمنا وانا كيف لا يكون ذلك وهو اول ما يغتذي به الانسان وبه يتم به
الجثة ولا بد ان فيه قوت يحل محل عن المفاسد قوام الاجسام وقد جعله الله تعالى علامة لجبريل
على هداية هذه الامة التي خير الامم امة فقال في الصحيح فجاءني جبريل بانائين لبن وانائ خمر
فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة اما انك لو اخذت الخمر غوت امتك ثم انه لما دعا
بالزيادة منه علامة الخصب وظهور الخيرات وكثرة البركات فهو مبارك كله قوله تعالى ومن
ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فيه مسائل ثلاث الاولى في قوله تعالى ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون قال الطبري التقدير ومن ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون فحذف ما ودل
على حذفه قوله منه وقيل المحذوف شئ والامر قريب وقيل معنى منه اي من المذكور فلا يكون في الكلام
حذف وهو اولى ويجوز ان يكون قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب عبرة ويجوز ان يكون عطفا على
مما اي ويسقيكم ايضا مشروبا من ثمرات الثانية قوله تعالى سكرا السكر ما يسكر هذا هو المشهور
في اللغة قال ابن عباس نزلت هذه الاية قبل تحريم الخمر واراد بالسكر الخمر وبالرزق الحسن جميع ما يؤكل
ويكرب جلا الامرين الشجرتين وقال بهذا القول ابن جبير والنخعي والشعبي وابو ثور وقد قيل
ان السكر الخل بلغة الحبشة والرزق الحسن الطعام وقيل السكر العصير الحلو الحلال وسمي سكرا
لانه قد يصير مسكرا اذا بقي فاذا بلغ الاسكار حرم قال ابن العربي اسد هذه الاقوال قول ابن عباس ويخرج
ذلك على احد معنيين اما ان يكون ذلك قبل تحريم الخمر واما ان يكون المعنى انعم الله عليكم بثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكرا ما حرم الله عليكم اغتذ منكم وما احل لكم انتفاقا وفضلا الى منفعة انفسكم
والصحيح ان ذلك كان قبل الا تحريم الخمر فتكون منسوخة فان هذه الاية مكية بالنقاد من العلماء وتحريم
الخمر مدني قال الشيخ المؤلف رحمه الله فعلى ان يكون السكر الخل والعسل الحلو لا نسخ وتكون الاية محكمة
وهو حسن قال ابن عباس الحبشة يسمون الخل السكر الا ان الجمهور على ان السكر الخمر منهم ابن مسعود
وابن عمر وابو زيد الحسن ومجاهد وابراهيم النخعي وغيرهم ممن تقدم ذكرهم كلهم قالوا
السكر ما حرمه الله من ثمرتيهما وكذا قال اهل اللغة السكر اسم للخمر وما يسكر وقد نشد واه يبس
الصحاة ويبس الشراب سكرهم اذا جربت فيهم المزة والسكرة والرزق الحسن ما احله من ثمرتيهما وقيل
ان قوله تتخذون منه سكرا خبر معناه الاستفهام بمعنى الانكار اي اتتخذون منه سكرا وتدعون
رزقا حسنا الخل والزبيب والتمر كقوله فهم الخالدون اي افهم الخالدون والله اعلم وقال ابو عبيدة
السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم والنشدة جعلت عنب الاكرمين سكرا اي حمضت به طعما
وهو اختيار الطبري ان السكر ما يطعم من الطعام وحل شربه من ثمار النخيل والاعناب وهو الرزق
الحسن فالفظ مختلف والمعنى واحد مثل انما اشكو بثي وحزني الى الله وهذا احسن ولا نسخ الا ان
الزجاج قال قوله ابي عبيدة هذا لا يعرف واهل التفسير على خلافه وحجته له في البيت الذي
انشده ان معناه عند غيره انه يصف انها تتخم بعيوب الناس وقال الخليل يقال اراد بقوله سكرا
ما لا يسكر من الشدة والدليل عليه ان الله سبحانه انعم على عباده بما خلق لهم من ذلك فلا يقع الامتنان
الا بحلال محرم فيكون ذلك دليلا على جواز شرب ما دون المسكر من النبيذ فاذا انتهى الى السكر
لم يجز وعضد ذلك من السنة ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حرم الله الخمر بعينها والسكر
من غيرها وبما رواه مالك بن انس عن نافع عن عمر قال رايت رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو عند الركن ودفع اليه القدح فرفعه الى فيه فوجده شديدا فرده الى صاحبه فقال
له رجل من القوم يا رسول الله احرام هو فقال لعلي بالرجل فاتي به فاخذ منه القدح ثم دعا بماء فصبه
فيه ثم رفعه الى فيه فمصمص ثم دعا بماء ايضا فصبه فيه ثم قال اذا اغتلمت عليكم هذه
الاوعية فاكسروا متونها بالماء وروي انه عليه السلام كان ينبذ له فيشربه ذلك اليوم فاذا كان
من اليوم الثالث او الرابع سقاه الخادم اذا تغير ولو كان حراما ما سقاه اياه قال الطحاوي
وقد روى ابو عون الثقفي عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال حرمت الخمر بعينها القليل
منها والكثير والسكر من كل شراب خرجه الدارقطني ايضا ففي هذا الحديث وما كان مثله غير الخمر
لم تحرم عينه كما حرمت الخمر بعينها قالوا والخمر شراب العنب لا خلاف فيها وفي حديثهم ايضا ما رواه
شريك عن عبد الله حدثنا ابو اسحاق الهمداني عن عمرو بن ميمون قال قال عمر بن الخطاب اما
انا كل يوم هذه الابل ليس يقطعها الا النبيذ قال شريك ورايت السوري يشرب
النبيذ في بيت خبز اهل زمانه ملك بن معرل والجواب اما قولهم ان الله سبحانه امتن علي
عباده ولا يكون امتنانه الا بما حل فصحيح بيد انه يحتمل ان يكون ذلك قبل تحريم الخمر كما بينا
فيكون منسوخا كما قدمناه قال ابن العربي ان قيل كيف ينسخ هذا وهو خبر والخبر لا يدخله النسخ

قلنا هذا الكلام مزلم يتحقق الشريعة وتدبينا ان الخبر اذا كان عن الوجود التحقيق او عن اعطا ثواب
فضلا من الله فهو الذي لا يدخله النسخ فاما اذا تضمن الخبر حكما شرعيا فان احكام تتبدل وتنسخ
حالت يخبر او امر ولا يرجع النسخ الى نفس اللفظ وانما يرجع الى ما تضمنه فاذا فهمت هذا خرجتم عن
الصنف المعنى الذي اخبر الله عز الكفار فيه بقوله واذا بدلنا اية مكان اية فالله اعلم بما ينزل
قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون المعنى انهم جهلوا ان الرب يامر عا يشا ويخلف ما يشا
ويرفع من ذلك ما يشا ويثبت ما يشا وعنده ام الكتاب قلت هذا تشنيع شنيع حيث
يخفى فيه العلما الاخبار عن قصور الفهم بالكفار والمسالة اصولية وهي ان الاخبار عن الاحكام الشرعية
هل يجوز نسخها ام لا اختلف في ذلك والصحيح جوازه لهذه الاية وما كان نسخها وان الخبر عن
مشروعية حكم ما يتضمن ذلك المشروع وذلك هو الطلب هو الحكم الشرعي الذي يستدل على
نسخه والله اعلم واما ما ذكروا من الاحاديث فالاول والثاني ضعيفان فانه عليه السلام قد
روي عنه بالنقل الثابت انه قال كل شراب اسكر فهو حرام وقال كل مسكر خمر وقال ما اسكر كثيره
فقليله حرام قال النسائي وهو اهل الثبت والعدالة المشهورون لصحة النقل وعبد تر
الملك لا يقوم مقام احد منهم ولو عاضده من اشكا له حما عنه والله التوفيق واما الثالث فان
كان صحيحا فانه ما كان يستقيه للخادم على انه مسكر وانما كان يستقيه انه متغير الرايحة وكان
صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه الرايحة فلذلك لم يشربه ولذلك تحيل عليه ازواجه في
غسل ذلك بان قيل له انا نجد منك ريح معافير يعني ريحا منكرة فلم يشربه بعد وسيا تي في التخريج
واما حديث ابن عباس فقد روي عنه خلاف ذلك من رواية عطا وطاوس ومجاهد انه قال
ما اسكر كثيره فقليله حرام ورواه عنه قيس بن دينار ولذلك فتيا ه في السكر قال الزار قطني
والحديث الاول رواه عنه عبد الله بن شداد وتركه الجماعة فسقط التعويل به مع ما ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم واما ما روي عن عمر من قوله ليس يقطعني بطلوننا الا النبيذ فانه
يريد غير المسكر بدليل ما ذكرنا وقد روى النسائي عن عبيدة بن عمرو قد قال كان النبيذ الذي شربه
عمر بن الخطاب قد خلل قال النسائي ومما يدل على صحة هذا حديث السايب قال الحارث بن مسكين
قرا ه عليه وانا اسمع عن ابن القاسم حدثني مالك عن ابن شهاب عن السايب بن يزيد انه اخبره ان عمر بن
الخطاب خرج عليهم فقال لهم قد بلغني ان فلانا يتجر شراب فزعم انه شرب الطلا وانا سائل عما يشرب
فان كان مسكرا جلدته فجلده عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحد ثمانين تاما وقد قال في خطبته على
منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الناس فانه تحرم الخمر وهي من خمسة من العنب والعسل
والتمر والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل وقد تقدم في العايدة فان قيل فقد اهدي لنبيه ابراهيم
النخعي وابو جعفر الطحاوي وكان امام اهل زمانه وكان سفيان الثوري يشربه قلنا ذكر
النسائي في كتابه ان اول من اهل المسكر من الاشربة ابراهيم النخعي وهذه ذلة من عالم وقد حذرنا
من ذلة العالم ولا حجة في قول احد مع السنة وذكر النسائي ايضا عن ابن المبارك قال ما وجدت
الرخصة في المسكر عن احد صحيحا الا عن ابراهيم قال ابو اسامة ما رايت رجلا اطلب للعلم من
عبد الله بن المبارك السامات ومصر واليمن والحجاز واما الطحاوي وسفيان لو صح ذلك عنهما
لم يخرجا بهما على مرجانهم من الايمة في تحريم المسكر مع ما ثبت من السنة على ان الطحاوي قد ذكر
في كتابه الكبير في اختلاف علمائه ذلك قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد له قال ابو
جعفر الطحاوي واتفقت الامة على ان عصير العنب اذا اشتد وغلا وقذف بالزبد
فهو خمر ومستحله كافر واختلفوا في تقيع التمر اذا اعلى واسكر قال هذا يدل على ان يحيى
ابن ابي كثير عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخمر من هاتين الشجرتين النخلة
والعنب غير معمول به عندهم انهم لو قبلوا الحديث لكرهوا مستحل تقيع التمر فثبت
انه لم يدخل في اسم الخمر منه غير عصير العنب الذي قد اشتد وبلغ ان يسكر قال ثم اجملوا من
ان يكون التحريم معلقا بها فقط غير مقيس عليها غيرها او جب القياس عليها فوجدنا هم
قد قاسوا عليها تقيع التمر اذا غلا واسكر كثيره وذلك تقيع الزبيب قال فوجب قياسا
على ذلك ان يحرم كل ما اسكر من الاشربة قال وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
كل مسكر حرام واستفتى عن سنده لتقبل الجميع له وانما الخلاف بينهم في نا ويله فقال
بعضهم اراد به جنس ما يسكر وقال بعضهم اراد به ما يقع السكر عنده كما لا يسمى قاتلا
الا مع وجود القتل قلت فهذا يدل على انه محرم عند الطحاوي لقوله فوجب قياسا
على ذلك ان يحرم كل ما اسكر من الاشربة وقد روى الدار قطني في سننه عن عايشة رضي الله عنها
انها قالت ان الله لم يحرم الخمر لاسمها وانما حرمها لعاقبتها فكل شراب يكون عاقبته كعاقبة الخمر

مهو حرام كتحريم الخمر قال ابن المنذر وحاء اهل الكوفة باخبار متعلولة واذا اختلف الناس في
الشيء وجب رد ذلك الى كتاب الله وسنة رسوله وما روى عن بعض التابعين انه شرب الشراب
الذي يسكر كثيره فلم يقوم ذنوب تستغفرون الله منها وليس يخلو ذلك من احد معنيين
اما مخطئ اخطأ في التاويل على حديث سمعه او رجل اتخذ لنفسه سنة لم يستكثر من الاستغفار منها
والنبي صلى الله عليه وسلم حجة على الاولين والاخرين من هذه الامة وقد قيل في تاويل الاية انها
انما ذكرت للاعتبار اي ممن قدر على خلق هذه الاشياء قادر على النعط وهذا الاعتبار لا يختلف
بان كانت الخمر حلالا او حراما فاتخاذ السكر يدل على التحريم وهو كما قال تعالى في قل فيهما
اثم كبير ومنافع للناس والله اعلم قوله تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال
بيوتا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى واوحى ربك الى النحل قد مضى القول في الوحي وانه
قد يكون بمعنى الالهام وهو ما يخلقه الله تعالى في القلب ابتداء من غير سبب ظاهر وهو من هو
قوله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وقد ذلك الهمايم وما يخلق الله
فيها من ادراك منافعها واجتناب مضارها وقد اخبر عز وجل بذلك في الموات
تعالى لكنه اخبارها بان ربك اوحى لها قال ابراهيم الحربي لله عز وجل في الموات قدرة لم
يدرك ما هي ولم يأتنا رسول من عند الله ولكن الله تعالى عرفها ذلك اي الهمها والفرق بين
المتاولين ان الوحي هنا بمعنى الالهام وقد ايجيء ويراد به الى النحل بفتح الحاء وسمي نحلا لان الله
وجل يخلة العسل الذي يخرج منه قاله الزجاج الجوهري والنحل والنحلة الذبر ينفع عليه
الذكر والانثى حتى يقال بعسوب والنحل يونث لغة اهل الحجاز جمع لا واحد له بينه وبين واحده
الا الهاء وروى من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الزنابير كلها في النار قد
يجعلها عذابا لاهل النار الا النحل ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وروى عن ابن عباس قال
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النملة والنحلة والهدهد والصرد خرجه ابو داود وابن ماجه
وسبأتي في النحل ان شاء الله تعالى الثانية قوله تعالى ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر
هذا الم يكن لها مالك وبما يعرشون حمد الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الانواع اما في الجبال
وكوائها واما في مخروت الاشجار واما بنيا يعرش ان يدام من الاجاح والخلايا والحيطان وغيرها
وعرش معناه هيأ واكثر ما يستعمل فيما يكون من اتقان الاعضان والخشب وتراتيب ظلالها
ومنه العريش الذي صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومن هذا اي لفظة العريش يقال
عرش يعرش ويعرش بكسر الراء وضمها وقرئ بهما قرأ ابن عامر بالضم وسائرهم بالكسر واختلف في ذلك
عن عاصم الثالثة قال ابن العربي ومن عجيب ما خلق الله في النحل ان الهمها اتخاذ بيوتها مسدسة لو
اتخذت لحدث فيها كالنطفة الواحدة وذلك ان الاشكال المسدسة ما ذا جمع كل واحد
ولم منها الى ما شاله لم ينفصل وحانت بينهما فروج لا اشكل المسدس ما ذا جمع الى ما شاله انفصل كانه
كالنطفة الواحدة قوله تعالى ثم كلي من كل الثمرات وذلك انها تاكل انوار من الاشجار فاسلكي سبل
ربك اي طرق ربك والسبل الطرق واضافها اليه لانها انما هي طرق ربك لطلب الرزق في
الجبال وخلال الشجر وذلل جمع ذلول وهو المنقاد اي مطيعة مسخرة مذللا لها لمن النحل بان تنقاد
وتذهب حيث شاء صاحبها او تتبع اصحابها حيث ذهبوا قاله ابن زيد وقيل المراد بقوله ذللا السبل
ينقل عند كل طرقها سهلة للسلوك عليها واختاره الطبري وذلك حال من السبل والعبسوب سيد
النحل اذا وقف وقفت واذا سار سارت قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء
للناس فيه تسع مسايل الاولى في قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه رجع الخطاب الى الخبر
على جهة تاكيد المنة والتنبيه على العبرة فقد يخرج من بطونها شراب يبقى العسل وجمهور الناس
على ان العسل يخرج من افواه النحل وورد عن علي بن ابي طالب انه قال في تحقيره للدنيا اشرف لباس ابن
ادم فيها لعاب دودة واشرف شرابه جميع نحلة فظاهر هذا انه غير الفم وبالجملة فانه يخرج ولا يدري
من فيها او اسفلها ولكن لا يتم صلاحه الا بحمي انفاسها وقد صنع ارسطاطاليس بيتا من زجاج لينظر الى كيفية
ما تصنع فاتت ان تعمل حتى لطخ باطن الزجاج بالطين ذكره الغزنوي وقال من بطونها لان استحالة
الاطعمة لا تكون الا في البطن الثانية قوله تعالى مختلف الوانه يريد انواعه من الاحمر والابيض
والاصفر والحامد والسايل والادم واحدة والالوان مختلفون دليل على القدرة نوعته بسبب
تنويع الغذا كما يختلف طعمه بسبب اختلاف المراعي ومن هذا المعنى قول زينب للنبي صلى الله عليه
وسلم مرست نحلة العرفط حين شربت رابحة المغافير الثالثة قوله تعالى فيه شفاء للناس
الضمير للعسل قاله الجمهور اي في العسل شفا للناس وروى عن ابن عباس والحسن ومجاهد والضحاك
والزهري ان الضمير في القرآن اي في القرآن شفاء للناس وهذا قول حسن اي فيما قصصنا عليكم

من الآيات والبراهين شفاء للناس وقيل العسل فيه شفاء وهذا القول بين ايضا وذاكر الآية ذاكر المجنونات
التي يعالج بها اصلها من العسل قال القاضي ابو بكر بن العربي قال ابن القرآن بعد ما اراه يصح عنهم
ولو صح نقلا لم يصح عقلا لان سياق الكلام كله للعسل ليس للقرآن فيه ذكر قال ابن عطية ولو
وذهب قوم من اهل العلم ان هذه الآية يراد بها اهل البيت وبنو هاشم وانهم النحل وان
الشراب القرآن والحكمة وقد ذكر هذا بعضهم في مجلس المنصور لجعفر العباسي فقال له رجل
ممن حضر جعل الله فداك ومن ايك مما يخرج من بطون بني هاشم فاضحك الحاضرين وبهت الآخر
وظهرت سخافة قوله الرابعة قوله تعالى فيه شفاء للناس هل هو على عمومه ام لا فقالت
طائفة هو على العموم في كل حال ولكل احد وروي عن ابن عمر انه كان لا يشكو اوجعة ولا شيئا
الا جعل عليه عسلا حتى الرمد اذا خرج عليه طلى عليه عسلا وحكى النحاس عن ابي وجزة انه كان
يكتحل بالعسل ويستشفي بالعسل ويتداوى بالعسل وروى ابن عوف بن مالك الاشجعي قيل له
الا نعالجك قال اسوف مال فان الله تعالى يقول وانزلنا من السماء ماء مباركا ثم قال ايتوني بعسل
فان الله تعالى يقول فيه شفاء للناس وايتوني بماء فان الله تعالى يقول في شجرة مباركة فجاءوه
بذلك كله فخلطه جميعا ثم شربه فبرأ وبهذا قال ابن علي العموم اذا خلط بالخل ويطبخ فيأتي
شرابا ينتفع به في كل حالة من كل داء وقالت طائفة ان ذلك على الخصوص ولا يقتضي العموم في كل
علة وفي كل انسان بل انه خبر على انه يشفي كما يشفي غيره من الادوية في بعض وعلى حالة دون
حال فعايدة الآية اخبار منه في انه ذو العاقبة الشافية وصار خليطا وسببا للادوية في الامراض
والمعاجين وليس هذا بأول لفظ خصص والقرآن مملوء منه ولغة العرب يأتي فيها العام كثيرا
بمعنى الخاص والخاص بمعنى العام ومما يدل على انه ليس على العموم ان شفا نكرة في سياق
الاثبات ولا عموم فيها بالاتفاق اهل اللسان ويختلفي اهل الاصول لكن من جملتهم طائفة من
اهل الصدق والعزم على العموم فكانوا يستشفون بالعسل من كل الاوجاع والامراض وكانوا
يشفون من علتهم ببركة القرآن وصحة التصديق والايقان ليس العرب من صحت نيته وغلب
على الدين عادته اخذه فهموما من قول الاطباء والكل من حكم العقل لما يشاء الخامسة ان قال
قائل قد رأينا من ينفعه العسل ومن يضره فكيف يكون شفاء للناس قيل له الماجيات كلها
وقد رأينا من تقتله الماء اذا اخذه على ما يضاده من علة في البدن وقد رأينا شفا العسل
في اكثر هذه الامراض فالمعناه الزجاج وقد اتفق الاطباء عن بكرة ابيهم على مدح عموم نفعه
منفعة السكنجبين في كل مرض واصله العلة وقد ذكمنا ير المجونات على ان النبي صلى
الله عليه وسلم قد رهم داء الاستكاد وازاح وجد الاحتمال حيز امر الذي يشتكي بطنه
بشرب العسل فاما اخبره اخوه بانه لم يزده الا استطلاقا امره بعود الشراب له فثنى
قال صدق الله وكذب بطن اخيك السادسة اعترض بعض من لا فقه له طعنا على ان العسل
يسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فالجواب ان ذلك الفعل حق في نفسه لمن حصل له الزلل
بسببه فتبسنعمله على الوجه الذي عينه وفي المحل الذي امره بتجنبه وحسن طويته
فانه يرى منفعته ويدرك بركته كما قد اتفق لصاحب هذا العسل وغيره كما تقدم واما
ما حكي من الاجماع دليل على جهل من لا تنقل حبك لم يفيد واطلق قال الامام ابو عبد الله المازري
ينبغي ان يعلم ان الاسهال يعرض من ضروب كثيرة فمنها الاسهال الحادث عن التخم والهيضات
والاطباء مجمعون في مثل هذا على ان علاجه بان ينزل الطبيعة وفعلها وان احتاجت الى
معين على الاسهال اعين بما دامت القوة ثابتة فاما جنسها فضرر فاذا وضح هذا فلنا
يمكن ان يكون ذلك الرجل اصابه الاسهال عن امتلاء وهيضة فامره النبي صلى الله عليه وسلم
بشرب العسل فزاده في ان فتنبهت المادة فوقف الاسهال لموافقته شرب العسل فاذا خرج
هذا عن صناعة الطب اذ ذلك بجهل الموصوف بتلك الصناعة قادحا فلسنا نستظهر على
قول نبينا بان يصدقه الاطباء لو كذبوه لكذبناهم وكفرناهم وصدقناه صلى الله عليه
وسلم فاذا وصدوا بالمشاهدة صحة ما قالوه فنفتقر حينئذ الى تأويل كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتخريجه على ما يصح اذ قامت الدلالة على انه لا يكذب السابعة في
قوله تعالى فيه شفاء للناس دليل على جواز التعالج بشرب الدواء وغير ذلك خلافا لمن يكره
ذلك من جملة العلماء وهو يرد على الصوفية الذين يزعمون ان التوكل لا تتم الا اذا رضي بجميع
ما نزل به من البلاء ولا يجوز له التداوي ولا معنى لمن انكر ذلك ودليل الصحيح عن جابر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برأ باذن
الله تعالى رواه ابو داود والترمذي عن اسامة بن شريك قال قالت الاعراب الا نتداوى يا رسول

الله قالوا نعم يا عبد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له دواء شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا يا رسول
الله فما هو قال الهرم لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وروي عن ابي
خزامة عن ابيه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقيها
ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله قال الحديث حسن
والد ابو خزامة غير هذا الحديث وقال صلى الله عليه وسلم ان كان في شيء مما ذكر في
شرطة محجم او شربة من عسل او لذعة بنار توافق الداء اخرجه الصحيح والاحاديث في هذا الباب
اكثر من ان تحصى وعلى اباحة التداوي والاستشفاء جمهور العلماء وروى ان ابن عمر اكتوى من اللقوة
جمهور العلماء وروى ان ابن عمر اكتوى من اللقوة ورقى من العقرب وعن ابن سيرين ان ابن عمر
كان يسقي ولده الترياق وقال مالك لا باس بذلك وقد اضج من كره ذلك رواه ابو هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت امة بغضها وقبضها الجنة كانوا لا يستنقون
ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون قالوا فالواجب على المومن ان يترك ذلك اعتصاما
بالله وتوكلا عليه وثقة به وانقطاعا اليه قال الله تعالى قد علم ايام المرض وايام الصحة فلو مرض او
حرص على التخلد ذلك او زيادته ما قدروا قال الله سبحانه ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
الا في كتاب من قبل ان نبرأها ومن ذهب الى هذا جماعة من اهل الفضل والاثر وهو قول ابن مسعود وابي
الدرداء رضوان الله عليهما دخل على عثمان بن عفان على ابن مسعود في مرضه الذي قبض فيه فقال
له عثمان ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال الا ادعو لك طبيبا قال الطبيب
امرضني وذكر الحديث وسياتي بكماله في فضل الوقف ان شاء الله وذكر وكيع قال حدثنا ابو هلال
عن معاوية بن قرة قال مرض ابو الدرداء فعاده ناس وقالوا الا ندعو لك طبيبا قال الطبيب امضى عني
هذا ذهب الربيع بن خثيم وكره سعيد بن جبير الرقا وكان الحسن يكره شرب الادوية كلها الا الثلاثة
والعسل واجاب الاولون عن الحديث الاول بانه لا حجة فيه لانه يحتمل ان يكون قصد الى نوع من الكي يكرهه
بدليل كي النبي صلى الله عليه وسلم اسعد يوم الاحزاب على اكحله لما رقى وقال الشفاء في ثلاثة كما تقدم
ويحتمل ان يكون قصد الى الرقا بما ليس فيه كتاب الله وذكر الله سبحانه وتعالى من القرآن ما هو شفاء على
كما ياتي بيانه ورد في اصحابه وامر بالرقية على ما ياتي انما منع ذهب مالك وجماعة من اصحابه الا ان الزكاة
في العسل وان كان مطعوما دواء فاختلف فيه قول الشافعي والذي قطع به في قوله الجديد
الا انه لا زكاة فيه وهو قول ابو حنيفة لا وجوب زكاة في العسل في قليله وكثيره لان النصاب
عنده فيه ليس بشرط وقال محمد بن الحسن لا شيء فيه حتى يبلغ ثمانية اوقار والوقر ستة وثلاثون
رطلا من اوطال العراق وقال ابو يوسف في كل عشرة ازقاق زق تتمسكا بما رواه الترمذي عن
ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في العسل في كل عشرة ازقاق زق قال ابو عيسى في
اسناده مقال ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كبير شيء والعمل على هذا عند
عند اهل العلم وبه يقول احمد واسحاق وقال بعض اهل العلم ليس في العسل شيء لانه سمى
قوله تعالى انه في ذلك لاية لقوم يتفكرون اي يعتبرون ومن العبرة في النحل ما يضاف الى نظر
والطافه المكرم عجيب امرها فيستدل بتبيين ما يلهمها الصنعة اللطيفة مع الهيئة
الضعيفة وحذفها باحتيالها في نقوات احوالها هو الله سبحانه كما قالوا وحي ربك الى النحل
الاية ثم انها تاكل اكل مرء والمر والمالح واكثر ما تضاف فيجعلها الله تعالى عسلا حلوا وشفاء
في هذا دليل على قدرته قوله تعالى والله خلقكم ثم يتوفاكم بين معناه ومنكم من يرد الى
ارذل العمر يعني ارداه واوضعه وقيل الذي ينتقص قوته وعقله ويصيره الى الخرف ونحوه
وقال ابن عباس يعني الى اسفل العمر يصير كالصبي الذي لا عقل له والمعنى متقارب وفي
صحيح البخاري عن انس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ يقول اللهم اني
اعوذ بك من الكسل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك من الهرم واعوذ بك من البخل وفي حديث
سعد بن ابي وقاص واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر الحديث خرجه البخاري لكي لا يعلم بعد
علم شيئا اي يرجع الى حالة الطفولية فلا يعلم ما كان يعلم قبل من الامور لسرط الكبر وقد قيل
ان هذا لا يكون لكل مومن لان المومن لا ينزع عنه علمه وقيل المعنى لكي لا يعلم بعد علم شيئا فعبر
عن العمل بالعلم لاعتقاده اياه لان تاثير الكبر في عمله ابلغ من تاثيره في علمه والمعنى المقصود
الاحتجاج على منكري البعث اي الذي رده الى هذه الحالة قادر على ان يبعثه ثم يعيده قوله تعالى
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعل منكم غنيا وفقيرا وحرا وعبدا فما الذين
فضلوا الذين رزقوا الرزق يردوا رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي لا يردوا الموالي على ما ملكت يمينه
ما رزق شيئا حتى يستوي المملوك والمالك في المال وهذا مثل ضربه الله لعبده الاصنام

ايماءكم الم يكن عبيدكم معكم سواء فكيف تجعلون عبيدي معي سواء فلما لم يشركهم عبيده م في اموالهم لم يجز لهم ان يشركوا الله تعالى في عبيده عباده غيره من الاوثان والانصاب وغيرها مما عبد كالملائكة والانبياء وهم عبيده وخلقه حكى معناه الطبري وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم وعن ابن عباس ايضا انها نزلت في نصارى نجران حين قالوا عيسى ابن الله فقال الله لهم فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم اي لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزقه حتى يكون الموالي والعبيد في المال شرعا سواء فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم فتجعلون لي ولدا من عبادي ونظيرها ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم على ما بانت ودل هذا على ان العبد لا يملك على ما بانت انتهى قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا جعل بمعنى خلق وقد تقدم من انفسكم ازواجا يعني آدم خلق منه حواء وقيل المعنى جعل من انفسكم اي من جنسكم ونوعكم وعلى خلقتكم كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من الآدميين وفي هذا رد على العرب التي كانت تعتقد انها كانت تتزوج الجن وتنتج منها صنفا حتى روى بعضهم ان عمرو بن هند تزوج منهم غولا وكان يحبوها من الترف ليلا تراه فتنفر فلما كان في بعض الليالي لحق الترف وعاينته السعلاة فقالت حمرا ونفرت فلم يرها ابدا وهذا من اكاذيبها فان كان جائزا في حكم الله وحكمته فهو رد على الفلاسفة الذين ينكرون وجود الجن ويختلون طعامهم ازواجا زوج الرجل بي تاسعة فانه فرد فاذا اضاف اليه كانا زوجين انما حصلت الاضافة اليه دونها لانه اصلها في الوجود كما تلتزم قوله تعالى وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة فيه عشر مسائل الاولى قوله تعالى وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ظاهر في تعديد النعمة في الابناء وجود الابناء يكون منهما معا ولكن لما خلق الولود فيها وانفصالة عنها اضيف اليها ولذلك تنتهي الرق والحرية وصار مثلها في المالية قال ابن العربي سمعت امام الحنابلة ببغداد شيخ السلام ابا الوفا علي بن عقيل يقول انما تبع الولد الام في المالية وصار حكمها في الرق والحرية لانها افضل على الاب لطهر نطفة لا قيمة له والمالية بنية والمنفعة وانما اكتسب ما اكتسب بها ومنها فلاجل ذلك تبعها كما لو اكل رجل ثمرا في ارض رجل وسقطت منه نواة في الارض فنبت الاكل فصار نخلة فانها ملك صاحب الارض دون الاكل باجماع من الامة لانها انفصلت عن الاكل ولا قيمة لها الثانية قوله تعالى وحفدة روى ابن القاسم عن مالك قال وسالته عن قوله تعالى بنين وحفدة قال الحفدة الخدم والاعوان في رايه وروى عن ابن عباس في قوله تعالى وحفدة قال هم الاعوان فراعاتك فقد حفدك قيل له فهل يوقع ذلك قال نعم وتلا قوله وما سعت فقول الشاعر حفد الولايد حولهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال اي اسرعن الخدمة والولايد الخدم الواحدة وليدة قال الاعشى كلفت مجهولها نوقا يمانية تؤدي الحداة على اكسائها حفدا اي اسراعا وقال ابن عرفة الحفدة عند العرب الاعوان فكل من عمل عملا اطاع فيه وسارع فيه نصوحا فقد حفدا ومنه قولهم اليك نسعى ونحفد والحفد ان السرعة قال ابو عبيد الحفد العمل والخدمة وقال الخليل بن احمد الحفدة عند العرب الخدم وقال المجاهد وقال الازهري قيل الحفدة اولاد الاولاد وروى عن ابن عباس وقيل الاختان قاله ابن مسعود وعلقمة وابو الضحى وسعيد بن جبير وابراهيم ومنه قول الشاعر فلوان نفسي طاوعتني لاصبحت لها حفدا مما يعد كثير ولكنها نفسي علي اسة عيوف لاصهار اللئام قدور وروى عن عبد الله قال الحفدة الاصهار وقاله ابراهيم والمعنى متقارب قال الاصمعي الختن من كان من قبل المراة او مثل ابيها واخيها وما اشبههما والاصهار منهما جميعا يقال اصهر بلان الى فلان وصاهر وقول عبد الله يحتمل الاختان يحتمل المعنيين جميعا يحتمل ان يكون اراد بالمراة وما اشبهه من اقربائها ويحتمل ان يكون اراد وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيكون لكم بسببهن ختنان وقال علقمة الحفدة من ينفع الرجل من ولده واصله من حفد يحفد بفتح العين من الماضي وكسرها في المستقبل اذا اسرع في سيره كما قال كثير حفد الولايد بينهن بيت وبنا الحفد نصاحة اذا احدثت ويقال حافد وحفد مثل خادم وخدم وحاذر وحذر مثل كامر وكمرة قال المهدوي ومن جعل الحفدة الخدم جعله جمعا منقطعا مما قبله بنوي بر التقدير كانه قال وجعل لكم حفدة وجعل لكم من ازواجكم بنين تلما قاله الازهري من ان الحفدة اولاد الاولاد هو ظاهر القرآن بل نصه الا ترى انه قال وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة فجعل الحفدة والبنين منهن وقال ابن العربي الاظهر عندي في قوله بنين وحفدة ان البنين اولاد الرجل لصلبه والحفدة اولاد ولده وليس في قوة اللفظ اكثر من هذا ويكون تقدير الآية على هذا وجعل لكم من ازواجكم بنين ومن البنين حفدة وقال معناه اكسن انا لله اذا قرنا على قول مجاهد وابن عباس ومالك وعلى اللغة في قولهم ان الحفدة الخدم والاعوان

قد خرجت خدمة الولد والزوجة من القرآن بهذا بيان قاله ابن العربي وروى البخاري وعبيدة بن
عن سهل بن سعد ان ابا اسيد الساعدي دعا النبي صلى الله عليه وسلم لوليمة فكانت امرأته خادمهم الحديث
وقد تقدم في سورة هود وفي الصحيح عن عائشة قالت انا فتلت ولا بد لدن النبي صلى الله
عليه وسلم بيدي الحديث ولهذا قال علماؤنا عليها ان تفرش الفراش وتطبخ القدر وتقوم الدار
بحسب حالها وعادة مثلها قال الله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها فكان جمع بينهما في
السكن والاستمتاع وضرب من الخدمة بحسب جري العادة الرائقة ويخدم الرجل امرأته وزوجته
بما خف من الخدمة ويعينها لما روته عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكون في مهنة اهله
فاذا سمع الاذان خرج وهذا قول مالك ونعمها وفي اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخصف
النعل انه كان يخصف النعل ويقيم البيت ويخيط الثوب وقيل لعائشة وتذبل لها ما كان يعمل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته قالت كان بشرا من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه
الخامسة وينفق على خادم واحدة وقيل على اكثر على قدر الثروة والمنزلة وهذا امر اير على العرف
الذي هو اصل من اصول الشريعة فان نساء الاعراب وسكان البوادي يخدم ازواجهن في استقداب
الماء وسياسة الدواب ونساء الحواضر يخدم المقل منهم زوجته فيما خف ويعينها واما اهل الثروة
فيخدم ازواجهن ويخدمن معهم اذا كان لهم منصب ذلك فان كان امرأة شرطت عليه
الزوجة ذلك فلتشهد انها قد عرفت انها ممن لا تخدم نفسها فالتزم احدامها فينفذ ذلك وتنقطع
الدعوى فيه قوله تعالى ورزقكم من الطيبات ايمن الثمار والحبوب والحيوان اقبالها على الباطل يعني
الاصنام قاله ابن عباس ويومنون قراءة الجمهور بالياء وقرأ ابو عبد الرحمن بالتاء وبتمنت الدلالة
بالاسلام هم يكفرون قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات يعني المطر
والارض يعني النبات شيئا قال الاخفش يعبدون من الرزق وقال الفراء هو منصوب بايقاع الرزق
عليه اي يعبدون ما لا يملك لهم ان يرزقهم شيئا ولا يستطيعون ايها يقدرون على شيء يعني
الاصنام فلا تضربوا لله الامثال اي لا تشبهوا به هذه الجمادات لانه واحد قادر لا مثل له وقد
تقدم قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء نبه جمهور مسايل الاولي في قوله
تعالى ضرب الله مثلا نبه تعالى على ضلالة المشركين وهو منتظم ما قبله من ذكر نعم الله عليهم
وعدم شكر ذلك من الهتهم ضرب الله مثلا الى بين سنها ثم ذكر ذلك فقال عبدا مملوكا اي كما
لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من امره على شيء ورجل حر قد رزقه رزقا حسنا فكذلك
انا وهذه الاصنام فالذي هو مثال في هذه الاية هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء
من المال ولا من امر نفسه وانما هو مسخر بارادة سيده ويلزم من الاية ان العبيد كلهم بهذه الصفة
فان النكرة في الاثبات لا تقتضي الشمول عند اهل اللسان كما تقدم وانما التي تعم احيانا اذا كانت بمعنى
امرا ونهيا او مضافة الى مصدر كانت للعموم الشرعي كقوله اعتق رجلا وانهض رجلا والمصدر كاعتاق
رقبة فاي رجل اعتق فقد خرج عن عهدة الخطاب ويصح منه الاستثناء وقد قتادة هذا المثل للمؤمن
والكافر يذهب قتادة الى ان العبد المملوك هو الكافر لانه لا ينتفع في الاخرة بشيء من عبادته والذي
ان معنى ومن رزقناه رزقا حسنا المؤمن والاول عليه الجمهور من اهل التاويل قال الاصم المراد بالعبد
المملوك الذي ربما يكون اشد من مولاه اشرا وانضر وجها وهو سيده دليلا لا يقدر الا على ما اذن له
فيه فقال الله تعالى مرة بالمثال الذي فاذا كان هذا شانكم وشان عبيدكم فكيف جعلتم لي اصناما امرانا
شركاء لله تعالى في خلقه وعبادته وملكه لا تفعلوا ولا تضربوا الثانية فهم المسلمون من هذه الاية وما قبلها
نقصان رتبة العبد عن الحر في الملك وانه لا يملك شيئا وان ملك قال اهل العراق الرق ينافي الملك
فلا يملك شيئا البتة محال وهو قول الشافعي في الجديد وبه قال الحسن وابن سيرين وبهم من قال
يملك الا انه قاصر الملك لان لسيده ان ينتزعه منه اي وقت شاء وهو قول مالك ومن اتبعه
وبه قال الشافعي في القديم وهو قول اهل الظاهر لهذا قال اصحابنا لا يجب عليه عبادة الا ولي
من زكاة وكفارات ومن عبادات الابدان ما يقطعه من خدمة سيده كالحج والجهاد وغير ذلك
وفائدة هذه المسالة ان لسيده لو ملكه جارية حاز له ان يطاها بملك اليمين ولو ملكه اربعين
من الغنم فحال عليها الحول لم تجب على السيد زكاتها لانها ملك غيره ولا على العبد لان ملكه غير
مستقر والذي ينقوله لا يجوز له بها الجارية والزكاة في النصاب واجبة على السيد كما كانت
ودليل هذه المسالة للمعربقي في كتب الخلاف وادل دليل لنا قول الله تعالى الله الذي خلقكم
ثم رزقكم فسوى بين الحر والعبد في الرزق والخلق وقال عليه السلام من اعتق عبدا وله مال
تاصاف المال اليه وكان ابن عمر يقول بر بي عبده بتسريك في ماله فلا يجيب ذلك عليه وروي
عن ابن عباس ان عبدا له طلق امرأته طلقتين فامره ان يراجعها بملك اليمين فهذا دليل على انه

يملك ما بيده ويفعل فيه ما يفعل المالك في ملكه ما لم ينتزع عد سيده والله اعلم الثالثة وذهب
بعض العلما بهذه الاية على ان طلاق العبد بيد سيده وعلى ان مع الاية طلاقها معروفا على قوله
تعالى لا يقدر على شيء فانه بظاهره يفيد انه لا يقدر على شيء اصلا لا على الملك ولا على غيره فهو على
عمومه الا ان يدل دليل على خلافه وبما ذكرنا عن ابن عمر وابن عباس لما يدل على التخصيص والله اعلم
الرابعة قال ابو منصور في عقيدته الرزق ما وقع الانتفاع به وهذه الاية ترد هذا التخصيص وكذلك
قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وانفقوا مما رزقناكم وغير ذلك من قول النبي صلى الله عليه
وسلم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقوله ارزاق امتي في سنابك خيلها واسنة رماحها والغنيمة
كلها رزق وكل ما صح به الانتفاع فهو رزق وهو مراتب اعلاها ما يهذب به وقد حصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجوه الانتفاع في قوله يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت
فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وفي معنى اللباس يدخل الركوب وغير ذلك
وفي السنة المحدثين السماع رزق يعنون سماع الحديث وهو صحيح الخامسة قوله تعالى
ومن رزقناه رزقا حسنا هو المومن يطيع الله في نفسه وعياله والكافر مالم ينفق في الطاعة صار
كالعبد الذي لا يملك شيئا هل يستوون لم يقل يستوي بان لما كان من لا يعقل اسم مبهم يصلح للواحد
والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وقيل ان عبد المملوك ومن رزقناه اريد بهما الشيوع في الجنس
والحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون اي هو المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه او لا نعمة
للاصنام عليهم من يد ولا معروف فيحمد عليه اما الحمد الكامل لله لانه المنعم الخالق بل اكثرهم اي
اكثر المشركين لا يعلمون ان الحمد لي وجميع النعمة مني وذكر الاكثر وهو يريد الجميع فهو خاص اريد
به التعميم وقيل اي بل اكثرهم الخلق لا يعلمون وذلك ان اكثرهم المشركون قوله تعالى وضرب
الله مثلا رجلين احدهما ابكم هذا مثل اخترعه الله تعالى لنفسه وللوثن قال ابكم الذي لا يقدر
على شيء هو الوثن والذي يامر بالعدل هو الله تعالى قاله قتادة وغيره وقال ابن عباس لما بكم عبد
كان لعثمان رضي الله عنه وكان يعرض عليه الاسلام فيابى ويامر بالعدل عثمان وعنه
ايضا انه مثل ابي بكر الصديق ومولى له كافر وقيل لابكم ابو جهل والذي يامر بالعدل عمار بن ياسر
العنسي وعمر بالنون حي من مذحج وكان خليفا لبني مخزوم من هط ابي جهل لو كان ابو جهل
يهتدي به على الاسلام ويهدي امامه سمعه وكانت سوداء ابي جهل وقالت لها ذات يوم اما امنت
بمحمد انك كبيسة لحمالة ثم طعنها بالرمح في قبلها فماتت فهي اول شهيد مات في الاسلام ذكر
في كتاب النقاش وغيره وسياتي هذا في اية الاكراه مبينا ان شاء الله وقال عطا ابكم
اي ابن خلف كان لا ينطق بخير وهو كل على مولاه اي ثقيل عليه لانه كان يوذيهم ويوذي عثمان
ابن مظعون وقاتل مقاتل ترك فيها شيئا من عمر وان كانت كان كافرا قليل الخير يعني النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل لا ابكم الكافر والذي يامر بالعدل المومن جملة بجملة روي ابن عباس
وهو حسن لا يوتم ولا ابكم الذي لا نطق له وقيل الذي لا يعقل وقيل الذي لا يسمع ولا يبصر وفي
التفسير ان الابكم هاهنا الوثن بين انه لا قدرة له ولا امر وان غيره ينقله ويحمله فهو كل عليه والله
الامر بالعدل الغالب على كل شيء وقيل معنى وهو كل على مولاه اي ثقل على وليه وقرابته ووبال
على صاحبه وابن عمه وقد يسم البليم كلا لثقله على من يكفله ومنه قول الشاعر اكؤل مالا
الكل قبل شبابه اذا كان عظم الكل غير شديده والكل ايضا الذي لا ولد له ولا والد والكل هو
العيال والجمع الكلول يقال منه كل الرجل يكل كلا اي عجز وكلت شفرته فلم يقطع ايما يوجه
لا يات بخير لا يرد ولا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه وقرا يحيى بن وثاب ايما يوجه على الفعل المجهول وروي
عن ابن مسعود وعن ابن مسعود ايضا يوجه على الخطاب هل يستوي هو ومن يامر بالعدل
وهو على صراط مستقيم اي هل يستوي هذا الحكم ومن يامر بالعدل على الصراط المستقيم
قوله تعالى ولله غيب السموات والارض تقدم معناه وهذا متصل بقوله ان الله بكل شيء عليم والتم
لا تعلمون اي شرع التحليل والتحريم انما يحسن ممن يحيط بالعواقب والمصالح وانتم ايها المشركون
لا تحيطون بها اي تحكمون وما امر الساعة الا كلمح البصر وتجادلون فيها باعمالكم والساعة ما بين
الوقت الذي تقوم فيها القيامة سميت ساعة لانها تاتي الناس في ساعة فيموت الخلق باصبحة
واللمح النظر بسرعة يقال لمحه لمحا ولمحانا ووجاتا ويل ان الساعة لما كانت اتية ولا بد
جعلت في القرب كلمح البصر وقال الزجاج لم يرد ان الساعة تاتي في لمح البصر وانما وصف
سرعة القدرة على الاتيان بها اي تقول للشيء كن فيكون وقيل انما مثل بلمح البصر لانه بلمح هو
اسرع ما يرى عليه من البعد من الارض وقيل هو تمثيل للقلوب كما يقول القائل ما السنة الا لحظة

وكره

ونحوه شبهه وقيل المعنى هو عندالله كذلك عند المخلوقين دليله قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا اي اقرب ليسا وللشك بل للتمثيل بأيهما اراد التمثيل وقد دخلت لشك المخاطب وقيل او بمعنى بل ان الله على كل شئ قدير تقدم قوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيأ ذكر ان من نعمه اذ اخرجكم من بطون امهاتكم اطفالا لا علم لكم بشئ وفيه دلالة لنا وقيل اصرها لا يعلمون شيأ مما اخذ عليكم من الميثاق في اصلاب ابائكم انا في لا تعلمون شيأ مما قضينا عليكم من السعادة والشقاء الثالث لا تعلمون شيأ من مصالحكم وتتم الكلام ثم ابتدأ فقال وجعل لكم السمع والابصار والافئدة التي لا تعلمون بها وتدركون ان الله جعل ذلك المهيأة قبل اخراجهم من البطون وانما اعطاهم ذلك بعدما اخرجهم اي وجعل لكم السمع لتسمعوا به الامر والنهي والابصار لتبصروا بها آثار صنعه والافئدة لتتصلوا بها الى معرفته والافئدة جمع الفؤاد كرغيف وارغفة وقد قيل في من قوله وجعل لكم السمع اثبات النطق لان من لم يسمع لم يتكلم واذا وصفت حاسة السمع وحد النطق وقد الاعمش وابن وثاب وغيره انهاتكم هنا وفي النور والزمر والنجم بكسر الهمزة والميم واما الكسائي فكسر الهمزة وفتح الميم على الاصل واصله ارفئة وقد تقدم هذا المعنى في الفاتحة لعلكم تشكرون فيرتاء وبلان احدهما تشكرون نعمة الله بأن يستعملوا الجوارح فيما خلقت له وثانيهما ان ابصارها يودي الى الشكر قوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله قرأ يحيى بن وثاب والاعمش وابن عامر وحمزة ويعقوب ترو انه بالتاء على الخطاب واختاره ابو عبيد لما قبله بالياء على الخبر عن الغائب لقراءة الله تعالى قال الكلبي وقيل مسخرات دلالات لمنافعكم في جو السماء الجو ما بين السماء والارض واضافة الجو الى السماء لارتفاعه عن الارض وفي قوله مسخرات دليل على مسخر يسخرها ومدبر يمكنها من التقريب ما يمسكهن الا الله في حال القبض والبسط والاصطفاف بغير عمد يعتبرون بها على بي وحدانيته انبئ ذلك لايات اي علامات وعبر او دلالات لقوم يؤمنون بالله وبما جاءت به رسله قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا الى قوله الى حين قيل عشر مسايل الا ولى قوله تعالى جعل بمعناه صير وكل ما اظلك فهو سقف وسما وكل ما اقلك فهو ارض وكل ما استرك من جبل او بناء او غيرها وكل ما تقيت به من حر او برد فهو جبار فاذا انتظمت واتصلت للسوبيت وهذه الاية فيها تقديم نعم الله تعالى على الناس في البيوت قد كرارها بيوت المدن وهي التي للاقامة الطويلة وقد مر سكنا اي يسكنون فيها ونمدا جوارحكم من الحركة وتدنتحرك فيه وتسكن في غيره الا ان النوع خرج على الغالب وعد هذا في جملة النعم فانه لو شاء خلق الله العبد مضطربا ابدا والافلاك لكان ذلك كما خلق واراد ولو خلقه ساكنا كالارض لكان كما خلق واراد ولكنه اوجده خلقا يتصرف للوجهين او يخلف حالة بين الحالتين وردده كيف وان واسكن مصدر يوصف به الواحد والجمع ثم ذكر تعالى بيوت الثقلة والرحلة وبيوتا ثانية فقال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها ايهز الانظاع والادم بيوتا يعني الخيام والقباب تخف عليكم حملها في الاسفار يوم ظعنكم الظعن سير البادية في الانتجاع والتحول من موضع الى موضع ومنه قرئ عنزة ظعن الذي في اقبم اتوقع وجري بينهم الغراب الابقع والظعن الهودج ايضا قاله الاخفش الا ظعن اذ باتوا واذ جادت بوشك البين غربان وتري باسكان العين وفتحها كالشعر والشعر وقيل يحتمل ان يعم بيوت الادم وبيوت الشعر وبيوت الصوف لان هذه من الجلود لكونها ثابتة فيها محتى الى ذلك ابن سلام وهو اختيار حسن ويكون قوله من اصوافها ابتداء كلام كانه قال وجعل لكم اثاثا يريد الملابس والوطا وغير ذلك قال الشاعر الا حبذا الظعائن يوم بانوا بذي الرى الجميل من الاماني ويجمل ان يريد بقوله من جلود الانعام بيوت الادم فقط كما قدمناه اولا ويكون قوله من اصوافها عطفا على قوله من جلود الانعام اي جعل بيوتا ايضا قال ابن العربي وهذا امر يفتقر في نكك الديار وعرت عنه بلادنا فلا نضرب الاخبية عندنا الا من اكتتان والصوف وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من ادم وناهيك من ادم الطايف علا واعلا في الصنعة وحسنا في البشرة ولم يهد لك صلى الله عليه وسلم توفاوه راه سرفا الا مما امتن الله سبحانه به من نعمته واذن فيه من ساعة وظهرت وجوه منفعته في الاكتنان والاستظلال الذي لا يقدر على الخروج عنه جنس الانسان ومن غريب ما جرى انى زرت بعض المتزهدين من الغافلين مع بعض المحدثين فنطنا عليه في خباكتان حفر من على صاحبي المحدث ان نحمله الى منزله ضيفا وقال ان هذا موضع يكثر فيه الحر والبيت ارفق بك واطيب لنفسي فيك فقاد هذا الخبا لنا كثير وكان في صنعتنا من الحقير فقلت ليس كما زعمت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم دهور بيس الزهاد فيه من ادم طايفي يسافر معها ويستظل بها فهمت وروايته على منزلة من العي فتركته

مع صاحبي وخرجت عنه الرابعة قوله تعالى ومن اصوافها واوبارها واشعارها اذن الله سبحانه
بالانتفاع بصوف الغنم ووبر الابل وشعر المعز كما اذن في الاعظم وهو ذبحها واكل لحومها ولم يذكر
القطن والكتان لانه لم يكن في بلاد العرب المخاطبين به وانما عدد عليهم ما انعم به عليهم وهو طبواء
بما ظهر فوائده لهم وما قام مقام هذه وناب منابها فيدخل في الاستعمال والمنفعة مدخلها وهذا كقوله
تعالى ويترل من السما من جبال فيها من برد فخاطبهم بالبرد لانهم كانوا يعرفون نزوله كثيرا عندهم دون
وملك عز ذكره الملح لانه لم يكن في بلادهم وهو مثله في الصفة والمنفعة وقد ذكر مما النبي صلى الله
عليه وسلم بعا في التطهير فقال اللهم اغسلني بماء وثلج وبرد قال ابن عباس الثلج شيء ابيض ينزل
من السما وقبل ان نترك ذكر القطن والكتان اما كان اعراضا عن الترف اذ ملبس عباد الله الصالحين
انما هو الصوف وهذا ايضا نظر فانه سبحانه يقول يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا حسب ما تقدم بيانه
في الاعراف وقال هنا وجعل لكم سرابيل والله اعلم واما قال الخليل منا عاما منضما بعضه الى بعض
من اب اذا كثر قال ونزع يزيد المتراسود فاحم اسكعتوا النخله المعسكل ابن عباس اتانا نبينا
وقد تقدم ويعضد هذه الاية جواز الانتفاع بالاصواف والاوبار على كل حال ولذلك قال احمد بالصوف
صوف الميتة وشعرها طاهر يجوز الانتفاع به على كل حال ويغسل تحقيقا ان يكون علق به وسخ ولذلك
زادت ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا باس بمسك الميتة اذا دبغ وشعرها وصوفها
اذا غسل والانسان لا يجد الموت سوا كان شعره مما يوكل لحمه او لا كشعر ابن ادم والخنزير فانه طاهر
كله وبه قال ابو حنيفة ولكنه زاد عليا الظفر والسن والعظم مثل الشعر لان هذه الاشيا كلها
لا روح فيها فلا تنجس بموت الحيوان وقال الحسن البصري والليث ابن سعد والاوزاعي ان الشعور
كلها نجسة ولكنها تطهر بالغسل وعن الشافعي ثلاث روايات الاول طاهر لا ينجس بالموت الثانية
ينجس الثالثة الفرق بين شعر ابن ادم وغيره فشعر ابن ادم طاهر وما عداه نجس ودليلنا عموم قوله
تعالى ومن اصوافها الاية من حيث ان جعل لنا الانتفاع بها ولم يجعل شعر الميتة المزكاة في عمره الا ان
يمنع منه دليل وايضا فان الاصل كونها طاهرة قبل الموت باجماع فمن زعم انتقل الى نجاسة فعليه الدليل
فان قيل حرمت عليكم الميتة وذلك عام فالجملة قلنا خصصه بما ذكرناه منصوص عليه في ذكر
الصوف وليس في اياتكم ذكره صريحا فكان دليلنا اولى والله اعلم وتعول النتج الامام ابو اسحق
امام الشافعية ببغداد على ان الشعر جزء متصل بالحيوان خلقة فهو ينمى بنمايه وينجس بموته
كساير الاجزا واجيب بان النما لا يدل على الحياة لان النبات ينمى وليس بحي وقد اجمعوا على
انها تنفصل ما على الحيوان عمولنا نحن على الاباحة التي تدل على عدم الاحسان الذي يدل على
عدم الحياة واما ما ذكره الحنفيون في العظم والسن والعرق انه مثل الشعر فالمشهور عندنا
ان ذلك نجس كاللحم وقال ابن وهب مثل قول ابي حنيفة ولنا قول ثالث هل تلحق اطراف الفرون
والاظلاف باصولها او بالشعر قولان وكذلك الشعري من الريش حكمه حكم الشعر والعظم منه حكمه
حكمه ودليلنا قوله صلى الله عليه وسلم لا تنتفعوا من الميتة باهاب وهذا عام فيها وفي كل جزء منها الا ما قام
دليله ومن الدليل القاطع على ذلك قوله تعالى قل من يحيي العظام وهي رميم قال وانظر الى
العظام كيف ننشزها وقال فكسونا العظام لحما وقال ايضا انا عظاما نخرة فالاصل في العظام
والروح والحياة فيها كالحي اللحم والجلد وفي حديث عبد الله بن عكيم لا تنتفعوا من الميتة باهاب
ولا عصب فان قيل قد ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في شاة ميمونة الا لو
انتفعتم بجلدها فقالوا يا رسول الله انها ميتة فقال انما حرم اكلها والعظم لا يوكل قلنا العظم
يوكل وعامة عظم الحمل الرضيع والجدي والطير عظم لكبير يسوى ويوكل وما ذكرناه قد يدل
على وجود الحياة فيه وما كان طاهرا بالحياة ويستباح بالزكاة ينجس بالموت والله اعلم الخامسة
قوله تعالى في جلود الانعام عام في جلد الحي والميت فيجوز الانتفاع بجلود الميتة وان لم يدبغ
وبه قال ابن شهاب الزهري والليث بن سعد قال الطحاوي لم يجد عند احد من الفقها جواز بيع جلد
الميتة قبل الدباغ الا عن الليث قال ابو عمر يعني من الفقها اية الفتوى بالامصار بعد التابعين واما
ابن شهاب فترك عنه صحيح وهو قول اباه جمهور اهل العلم وقد روي عنهما خلاف هذا القول
والاول اشهر قلت قد ذكر الدارقطني في سننه حديث يحيى بن ايوب عن يونس وعقيل عن الزهري
وحديث بقية عن الزبيدي وحديث محمد بن كثير العبدي وابي سلمة التنوري عن سليمان بن كثير
عن الزهري وقال في اخرها هذه اسانيد صحاح السادسة مسئلة اختلف العلما في جلد الميتة
اذا دبغ هل يطهر ام لا فذكر ابن عبد الحكم عن مالك ما يشبه مذهب ابن شهاب في ذلك وذكره ابن
خواز منداد في كتابه عن ابن عبد الحكم ايضا قال ابن خواز وهو قول الزهري والليث قال
والظاهر من مذهب مالك ما ذكره ابن عبد الحكم وهو قول الدباغ لا يطهر جلد الميتة ولكن يباح الانتفاع

ج في الاشياء اليابسة ولا يصلى عليه ولا يتوضأ منه وفي المدونة لابن القاسم من اغتصب جلد ميتة غير مدبوغ
فائتلفه كان عليه قيمته وحكى ان ذلك قول مالك وذكر ابو الفرج ان مالكا قال من اغتصب لرجل جلد
ميتة غير مدبوغ فلا شيء عليه قال اسماعيل الا ان يكون لمجوسي وروى ابن وهب وابن عبد الحكم عن
مالك جواز بيعه وهذا يحمل كل ميتة الا الخنزير وحده لان الزكاة لا تحل فيه فالدباغ اولى قال
ابو عمر وكل جلد ذكي فجائز استعماله للوضوء وغيره وكان مالك يكره الوضوء في اناء جلد الميتة بعد
الدباغ على اختلاف من قوله ومرة قال انه لم يكرهه الا في خاصة نفسه ويكره الصلاة عليه ربيعة
وتابعه على ذلك جماعة من اصحابه ولما اكثر المدنيين فعلى اباحة ذلك واجازته لقول رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايما اهاب دبغ فقد طهر وعلى هذا اكثر اهل الحجاز والعراق من اهل الفقه والحديث
وهو اختيار ابن وهب السابق ذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه الى انه لا يجوز الانتفاع بجلود
الميتة في شيء وان دبغت لانها كلحم الميتة والاخبار بالانتفاع بعد الدباغ ترد قوله واصح حديث
عبد الله بن عكيم رواه ابو داود قال قرئ علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بارض جهينة وانا غلام شاب لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب وفي رواية قبل موته بشهر رواه الدارقطني
ابن مجمرة عن عبد الله بن عكيم قال لحدثنا مشيخة لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليهم قال ابو داود
ابن علي سالت يحيى بن معين عن هذا الحديث فضعفه وقال ليس بشيء انما يقول لحدثني الاشياخ قال ابو
عمر ولو كان ثابتا لاحتمل ان يكون مخالفا للاحاديث المروية عن ابن عباس وعائشة وسلمة بن المحبق
وغيرهم لانه جايز ان يكون معنى حديث ابن عكيم ان لا تنتفعوا من الميتة باهابه قبل الدباغ
واذا احتمل ان لا يكون مخالفا فليس لنا ان نجعله مخالفا وعلينا ان نستعمل الخبرين ما امكن وحديث
عبد الله بن عكيم وان كان قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بشهر كما جاء الخبر فيمكن ان تكون قصة
ميمونة وسماع ابن عباس منه ايما اهاب دبغ فقد طهر قبل موته بجمعة او دونها جمعة والله اعلم
الثابتة المشهور عندنا ان جلد الخنزير اذا دبغ لم يدخل في الحديث وما يتناوله العموم وكذلك الكلب عند
الشافعي وعند الاوزاعي وابي ثور لا يطهر بالدباغ لانه جلد ما يوكل لحمه وروى معن بن عيسى عن مالك
انه سيل عن جلد الخنزير اذا دبغ فكرهه قال ابن وضاح وسمعت سحنونا يقول لا باس به ولذلك قال
محمد بن عبد الحكم وداود بن علي واصحابه لقوله عليه السلام ايما مسك دبغ فقد طهر قال ابو عمر يحتمل
ان يكون اراد بهذا القول عموم الجلود المعهودة الانتفاع بها فاما الخنزير فلم يدخل في المعنى لانه غير
معهود الانتفاع بجلده اذ لا تحل فيه الزكاة ودليل اخر وهو ما تقدم من قول المضر بن شميل ان الاهاب جلد
البقر والغنم والابل وما عداه فانما يقال له جلد لا اهاب قلت وجلد الكلب وما لا يوكل لحمه ايضا
غير معهود الانتفاع به فلا يطهر وقد قال صلى الله عليه وسلم اكل كل ذي ناب من السباع حرام فليست
الزكاة فيها ذكاة كما انها ليست في الخنزير ذكاة وروى النسائي عن المقدام بن معدي كرب قال نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الخنزير والذهب وساير الامور التي سمعت اختلف العلماء في الدباغ التي
تطهر جلود الميتة ما هو فقال اصحاب مالك وهو المشهور من مذهبه كل شيء لبغ الجلد من ملح او قرظ
او كسب او غير ذلك فتنتفع الانتفاع به وبذلك قال ابو حنيفة واصحابه وهو قول داود والشافعي
في هذه المسئلة غير ان لهم ما عدا او الاظهر انه لا يطهر الا الشب والقرظ لان الدباغ المعهود على
عهد النبي صلى الله عليه وسلم امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من رش بجرون شاة لهم
مثل حصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اخذتم اهابها قالوا انها ميتة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يطهرها الماء والقرظ العاشرة قوله تعالى انا كنا الاثاثا متاع
البيت وحمله اثاثة هذا قول ابي زيد الانصاري وقال الاموي الاثاث متاع البيت وحمله
اثة وقال غيرهما الاثاث جمع انواع المال ولا واحد له من لفظه وقال الخليل اصله من الكثرة واجتماع
بعض المتاع الى بعض حتى يكثر ومنه شعر اثيث اي كثير وانث شعره فلان يانث انا اذا كثر والتف
وقال امرؤ القيس وفرع يغني المتن اسود فاحم اثيث كقنو النخلة المتعكل وقيل الاثاث
ما يلبس ويفترش وقد تاثث اذا اتخذت اثاثا وعن ابن عباس رضي الله عنه اثاثا ما له وقد
تقدم القول فيه بما فيه كفاية وهو هنا وقتئذ غير معين بحسب كل انسان اما مونة واما بقفد ذلك
من الشيء الزهيد اثاث ومن هذه اللفظة قول لشاعره اها خلك النطعات يوم ما تراءى الركب
الجيل من الاثاث قوله تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا الى قوله مسلمون فيه ست مسايل الاولى
قوله تعالى جعل ظلالا الظلال كل ما يستظل به من البيوت والشجر وقوله مما خلق يعم جميع الاشخاص
المظلة الثانية قوله تعالى اكنانا الاكنان جمع كن وهو الحافظ من المطر والريح ويعم ذلك وبعض
هذه العبر انه تعالى جعلها الله عدة للخلق يأوون اليها ويتحصنون بها ويفترقون عن الخلق فيها
وفي الصحيح ان عليه السلام كان في اول امره يتعبد بغار حرا ويمكث فيه الليالي ذوات العدد وتحنث

صحيح البخاري قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا اظهر بامر فتومه فارا بدينهم
مع صاحبه ابي بكر حتى لحقا بغار في جبل ثور فمكث فيه ثلاث ليال لبيت عندهما فيه عبد الله بن ابي بكر
وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش كبائت فلا يسمع امرا يكادان
به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة
من غنم فيريحها عليهما حتى تنهب ساعة من العشا فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما حتى ينعق
بها عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث وذكر الحديث انفرد باخراجه
البخاري الثالثة قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر يعني القمص واحدها سربال وسرابيل تقيكم
باسكم يعني الدروع التي تتقى الناس في الحرب ومنه قول كعب بن زهير سقوا الموائن ابطال لبسهم
من نسج داود في الهيجا سرابيل الرماح قال ان قال قائل كيف قال وجعل لكم من الجبال اكنانا ولم يذكر السهل
وقد تقيكم الحر ولم يذكر البرد فالجواب ان القوم كانوا اصحاب جبال ولم يكونوا اصحاب سهل وكانوا
اهل حر ولم يكونوا اهل برد فذكر لهم نعمة التي تختص بهم كما خصهم بذكر الصوف وغيره ولم يذكر القطن
والكتان ولا الثلج كما تقدم فانه لم يكن ببلادهم قال معناه عطا الخراساني وغيره وايضا فذكر احدهما دليل
على الاخر ومنه قول الشاعر وما ادري اذا تممت ارضا اريد الخير ايهما يليني ام الخير الذي انا ابتغيه
ام الشر الذي يتقيني الخامسة قال العلماء قوله تعالى وسرابيل تقيكم باسكم دليل على اتخاذ العباد
عدة الجهاد ليستعينوا بها على قتال الاعداء وندب نبينا النبي صلى الله عليه وسلم لقاء الجراحة وان
كانت بطلب الشهادة وليس للعبد ان يطلبها بان يستسلم للجنوف والطعن بالسنان والضرب
بالسيوف ولكنه يلبس لامة حربه لتكون له قوة على قتال العدو ويقاتل لتكون كلمة الله هي العليا
ويفعل الله بعد ما يشاء السادسة قوله تعالى كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون قراءة ابن كثير
وحميد تتم تاء بن نفتح فعلا على انها التاء العاملة الماضون يتم بضم الباء على ان الله هو يتمها وتسلمون قراءة ابن ابي
عباس وعكرمة تسلمون بفتح التاء واللام اي تسلمون من الجراح واسناده صحيح وقراءة ابن العوام
عن حنظلة عن شهر عن ابن عباس الماضون بضم التاء ومعناه يستسلمون وتنقادون الى كفر نعمة الله
وطاعته شكرا على نعمه قال ابو عبيد والاختيار قراءة العامة لان ما انعم الله به علينا من الاسلام افضل مما
انعم به من السلامة من الجراح قوله تعالى فان تولوا اي اعرضوا عن النظر والاستدلال والايمان فانما
عليك البلاغ اي ليس عليك الا التبليغ واما الهداية فالينا قوله تعالى يعرفون نعمة الله قال
السدي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اي يعرفون نبوته ثم ينكرونها ويكذبون وقال مجاهد يريد
ما اعد الله عليهم في هذه السورة من النعم اي يعرفون انها من عند الله ويكذبونها بقولهم انها ورثوا
ذلك عن ابائهم وقبله قال قتادة وقال عون بن عبد الله هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا
فلان ما اصبنا كذا وهو يعرف ان النفع والضر من عند الله وقال الكلبي هو ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما عرفهم بهذه النعم كلها عرفوها ثم جحدوها كلها ثم قال الله ولكنها للشفاعة الهتنا وقيل يعرفون
نعمة الله بتقلبهم فيها وينكرونها بتركهم الشكر عليها ويحتمل سادسا يعرفونها في الشدة وينكرونها في الرخا
ويحتمل سابعا يعرفونها باحقاقهم وينكرونها باخلافهم ويحتمل ثامنا اي يعرفونها بقلوبهم ويجحدونها
بالسنتهم نظيره وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والاكثرهم الكافرون يعني جميعهم حتى شذ
ما تقدم قوله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا نظيره فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وقد تقدم ثم لا يؤذن للذين كفروا اي في الاعتذار والكلام كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وذلك
حين تطبق عليهم جهنم كما تقدم في اول الحجر وقالوا اي لا يستعتبون يعني يسترضون اي
لا يكلفون ان يرضوا ربهم لان الآخرة ليست بدار تكليف ولا يتركون ليجمعوا الدنيا فيتوبون منه
واصل الكلمة من العتب وهي الموجدة يقال عتب عليه يعتب اذا وجد عليه فاذا وضعه عاتب
عليه فيما عاتبه اذا رجع الى مسرتك فقد اعتب واسم الفاعل معتب وجمع المعتوب عليه
الى ما يرضي العاتب قاله الهروي وقال الشاعر
ذكرت مظلوما فعدت ظالما ... وان كنت داعيتي فمثلك يعتب
قوله تعالى واذا راى الذين ظلموا اي اشركوا العذاب اي عذاب جهنم
فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون اي لا يمهلون اذا نزل بهم ثم قوله تعالى واذا راى
الذين اشركوا شركاءهم اي اصنامهم واوثانهم التي عبدوها وذلك ان الله يمسخ معبوديهم
حيوانا فيتبعونهم حتى يردوهم الى النار وفي صحيح مسلم فيكون من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع
من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت
الحديث خرجه من حديث انس والترمذي من حديث ابي هريرة وفيه فيمثل لصاحب الصليب صليبه
ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون وذكر الحديث
قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك اي الذين جعلناهم لك شركاء قالوا اليهم القول

الكم

انكم لكاذبون اي الفت اليهم الالهة التي لطفت بتكذيبي من غيرها بانها لم تكن الهة ولا امرتهم
بعبادتها فيظن ابراهيم حتى تظهر عند ذلك فضيحة الكفار وقيل المراد بذلك الملائكة م
الذين عبدوهم والقوا الى الله يومئذ السلم يعني المشركين اي استسلموا للعذاب وخضعوا له
لعزه وقيل استسلم العابد والمعبود والقاد والحكمة فيهم وضل عنهم ما كانوا يفترون اي زال
عنهم ما زين لهم الشيطان وما كانوا يرجون من شفاعة الهتهم قوله تعالى الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال ابن مسعود عقاربا انيابها كالنخل الطوال وحيات
من اعناق الابل وافاعي كانها البخاتي تضربهم بتلك الزيادة وقيل المعنى تخرجون من النار الى
الزمهرير فينادون من شدة برده الى النار وقيل المعنى زدناهم العذاب فوق السلة
واحد العذابين على كفرهم والعذاب الاخر على صدهم ما كانوا يفسدون وبيان الكفر والمعصية
قوله تعالى ويوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وهم الانبياء شهدا على امهم يوم
القيامة بانهم بلغوهم الرسالة ودعوهم الى الايمان وفي كل زمان شهيد وان لم يكن نبيا
وبينهم قولان احدهما انهم ائمة الهدى الذين هم خلفاء الانبياء النائبون انهم العلماء الذين حفظ
الله بهم شرايع انبيائه قلت تعلى هذا لم تكن خيرة الا وفيها من يوحد الله كقس بن ساعدة وزيد
ابن عمرو بن نفيل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم يبعث كل امة وحده وسطيح وورقة
ابن نوفل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رايته يتفجر انهارا الجنة فهو اولى ان يكون منهم
حجة على اهل زمانهم ويشهد عليهم والله اعلم وقوله وجيئنا بك شهيدا تتمة في البقرة
والنساء قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بيانه ما فرطنا في الكتاب من
شيء فليس ظرفا لك وقال مجاهد تبيانا للحلال والحرام قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
الى قوله يذكرون فيه ست مسايل الاولى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل روى عن عثمان بن
مظعون انه قال لما نزلت هذه الاية قرانها على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فتعجب فقال
يا ابن عاهب انتبعوه فانه لم يامر بمكارم الاخلاق وفي حديث ابي
طالب لما قيل له ان ابن اخيك يزعم ان الله انزل عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية
قال اتبعوا ابن اخي فانه لم يامر الا بمحاسن الاخلاق قد قال عكرمة فكذا النبي صلى الله عليه
وسلم على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل والاحسان الى اخرها فقال يا ابن اخي اعد فاعاد
عليه فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لمورق واعلاه لمثمر وما هو
بقول البشر وذكر الفرنوي ان عثمان بن مظعون هو العارف قال عثمان ما اسلمت
ابتداء الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت هذه الاية وانا عنده فاستقر
الايمان في قلبي فقرأها علي الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد فاعدت فقال والله ان الحلاوة
وذكر تمام الخبر وقال ابن مسعود هذه اجمع اية في القرآن لخير تمثيل وشر يجتنب وحكى القشيري
قال بعضهم ذكاة العدل الاحسان وذكاة القدرة العفو وذكاة العفو المعروف وذكاة الجاه
كتم الرجل بلا خوانه الثانية اختلف العلماء في تاويل العدل والاحسان فقال ابن عباس العدل
هو لا اله الا الله والاحسان اداء الفرايض وقيل العدل الفرض والاحسان النافلة وقال
سفيان بن عيينة العدل ها هنا الخوا السريرة والاحسان ان تكون السريرة افضل من
العلانية علي بن ابي طالب العدل الانصاف والاحسان التفضل وقال ابن عطية العدل هو
كل مفروض من عقايد واداء الامانات وترك الظلم والانصاف واعطاء الحق والاحسان
هو فعل كل مندوب اليه فمن الاشياء ما هو كله مندوب اليه ومنها ما هو فرض وان حد الاجزاء منه
داخل في العدل فالتكميل الزايد على الاجزاء داخل في الاحسان واما قول ابن عباس فغيبه نظر لان
اداء الفرايض في الاسلام حسب ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث سوال جبريل عنه
وذلك هو العدل واما الاحسان التكميلات والمندوب اليه حسب ما يقتضيه تفسير النحل
النهي الذي صلى الله عليه وسلم في حديث سوال جبريل بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك فان صح هذا عن ابن عباس فانما اراد الفرايض مكملة وقال ابو العربي العدل بين العبد وبين
ربه ايثار حق الله تعالى على حظ نفسه والتسليم رضاه على هواه والاحسان للناس واجر والامساك
للاواخر واما العدل بينه وبين نفسه فمنعها ما فيه هلاكها قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى
وعزوف الاطماع عن الانباع ولزوم القناعة في كل حال ومعنى واما العدل بينه وبين الخلق فبذل
النصيحة وترك الخيانة فيما قل وكثر والانصاف من نفسك لهم بكل وجه ولا يكون منك اساءة الى احد
بقول ولا فعل لا في سر ولا في علن والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى وقال ذلك الانصاف
وترك الاذى قلت والعدل الحزم وعدل واما الاحسان فقد قال علماؤنا الاحسان مصدر احسن

احسانا وينبا دعلى معنيين احدهما متعد بنفسه كقولك احسنت كذا | اي هيئته كما لنه وهو
يتعدى بالهمزة يقال احسن الشيء وبنا بهما متعد بحرف جر كقوله احسنت الي فلان اي اوصلت اليه
ما ينتفع به قلت وهو في الاية مراد بالمعنيين معا فانه تعالى يحب من خلقه احسان بعضهم الى بعض
حتى ان الطير في سجنك والسنور في دارك لا ينبغي ان تقصر تعهده باحسانك وهو تعالى يحب
عني من احسانهم ومنه الاحسان والنعم والفضل والمن وهو في حديث جبريل بالمعنى الاول والثاني
فان المعنى الاول راجع الى اتقان العبادة ومراعاتها باداتها المصححة والمكملة ومراقبة الحق فيها
واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار وهو المراد بقوله ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وارباب القلوب في هذه المراقبة على حالين احدهما غالبة
عليه مشاهدة الحق كانه يراه وعلى النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى هذه الحالة بقوله تعالى
الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وقوله الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ص
الثالثة قوله تعالى وايتاء ذي القربى ابو الفراء يقول بعضهم كما قالوا ذات ذا القربى
حقه يعني صلته وهذا من باب عطف المندوب على الواجب وبه استدل الشافعي في ايجاب
ايتاء المكاتب على ما ياتي بيانه واما خصوص القربى ان حقوقهم اكد وصلتهم اوجب لتاكيد
حق الرحم التي اشتق الله اسمها من اسمه وجعل صلتها من صلته فقال في الصحيح اما ترضين
ان اصل من وصلك واقطع من قطعك واسيما اذا كانوا فقراء لما لهم قوله تعالى وينهى عن
الفحشاء والمنكر والبغي الفحشاء القبيح وهو كل قبيح من قول او فعل ابن عباس هو الزنا والمنكر
ما انكره الشرع بالنهي عنه وهو يعم جميع المعاصي والرذايل والزنا ات على اختلاف انواعها وقيل
هو الشرك والبغي هو الكبر والظلم والحقد والتعدي وحقيقته تجاوز الحد وهو داخل تحت
المنكر لكنه تعالى خصه بالذكر لما علمنا ما به لشدة ضرره وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من
اسرع عقوبة من بغي وقال عليه السلام الباغي مصروع وقد وعد الله من بغى عليه بالنصر وفي بعض
الكتب المنزلة لو بغى جبل على جبل لجعل الباغي منهما دكا الخامسة تزعم الامامية ان عبد الله محمد
ابن اسماعيل البخاري في صحيحه فقال باب قول الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقوله انما بغيكم على انفسكم
ومن بغى عليه لينصرنه الله وترك اثارة الشر على مسلم او كافر ثم ذكر حديث عايشة في قصة لبيد بن
الاعصم النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن بطال قال ابو ذر رضي الله عنه من هذه الاية ترك اثارة الشر
على مسلم او كافر وكاد دل عليه حديث عايشة حيث قال اما الله فقد شفاني واما انا فاكره ان اثير
على الناس شرا وحد ذلك والله اعلم انتهى وفي قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الترغيب
بالاحسان الى المسيء وترك معاقبته على اساءته فان قيل كيف يصح هذا التاويل في اية البغي قيل
وجد ذلك والله اعلم انه لما اعلم الله عباده بان ضرر البغي ينصرف على الباغي بقوله انما بغيكم على
انفسكم ومن تعالى نصرة من بغي عليه كان الاولى ان يبغى عليه شكر الله على ما يضمن من نصره ومقابلة
ذلك بالعفو عمن بغى عليه وكذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم باليهودي الذي سحره وكان له
الانتقام منه بقوله وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولكن اثر الصفح بقوله ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور السادسة تضمنت هذه الاية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد تقدم
القول فيهما وروي ان جماعة رفعت عاملها الى ابي جعفر المنصور العباسي فحاجها العامل
وغلبها بانهم لم يثبتوا عليه كثير ظلم ولا جوده في شيء فقال دفني من الغوغاء فقال يا امير المؤمنين
ان الله يامر بالعدل والاحسان وانت عدو لهم بحسن فقال نعم فجا ابو جعفر من اصحابه وعزل العامل
قوله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها فيه ثلاث
مسايل الاول قوله تعالى واوفوا بعهد الله لفظ عام لجميع ما يعقد بالنسان ويلزمه الانسان
من بيع او صلة او موافقة في امر موافق لدين او ندب وهذه الاية مضمن قول الله يامر بالعدل
والاحسان ان المعنى فيها افعلوا كذا وانتهوا عن كذا فعطف على ذلك التقدير وقد قيل انما نزلت
في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقيل نزلت في التزام الحلف الذي كان في الجاهلية
وجاء الاسلام بالوفاء به قاله قتادة ومجاهد وابن زيد والعموم يبتاد ذلك كما بيناه ورد بالصحيح
عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في
الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة يعني في نصرة الحق والقيام به والمواساة وهذا اكثر حلف
الفضول ابن حلف الفضايل والفضول هنا جمع فضل لكثرة كفلس وفلوس ردي ابن اسحق
عن ابن شهاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا
ما احب ان لي به حمر النعم ولو ادعى به في الاسلام لاجبت وقال ابن اسحاق عن ابن شهاب قال قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تهددت بني دار عبد الله بن جرعان حلفا ما احب ان لي به حمر
النعم الي يخاطب الوليد بن عتبة على حسين بن علي في حال له لسلطان الوليد فانه كان اميرا
على المدينة فقال له حسين بن علي احلف بالله لتنصفني من حقي او لآخذن سيفي ثم لاقومن
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول قال عبد الله بن الزبير
وانا احلف والله لين دعا لآخذن سيفي ثم لاقومن معه حتى ينتصف من حقه او نموت
جميعا وبلغت المسور بن مخرمة فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله التيمي
فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد انصفه قال العلماء هذا الحلف الذي كان في الجاهلية
هو الذي شده الاسلام وصيره النبي عليه افضل الصلاة والسلام من عموم قوله لا حلف
في الاسلام والحكمة في ذلك ان الشرع جاء بالانتصار من الظالم واخذ الحق منه وايصاله الى المستحق
واوجب ذلك ما بعد الشريعة اذا قاما على من قدر من المكلفين وجعل لهم السبيل على الظالمين
فقال لقمان يا بني السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب
اليم وفي الصحيح انصر اخاك ظالما او مظلوما قالوا يا رسول هذا ننصره مظلوما فكيف
ننصره ظالما قال تاخذ على يديه في رواية تمنعه من الظلم فان ذلك نصرة وقد تقدم قوله
عليه السلام ان الناس اذا رأوا الظالم ولم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب
من عنده الثامنة قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها بقول بعد تشديدها
وتغليظها بما دل توكيد وتاكيد وولد واكد وما لفظان قد جعلتم الله عليكم كفيلا يعني
شهيدا ورقيبا حافظا وقيما ضامنا واما قال بعد توكيدها فرقا بين اليمين الموكدة بالعزم
وبين لغو اليمين وقال ابن وهب وابن القاسم عن مالك التوكيد هو حلف الانسان في الشيء الواحد
مرارا يردد فيه الايمان تاكدا او آكد من ذلك كقوله والله لا يفعله من كذا والله لا يفعله من كذا
والله لا يفعله من كذا قال محمد بن عبد الحكم وذلك واحنة مثل كفارة اليمين وقال يحيى بن سعيد هي عهود و
والعهد يمين ولكن الفرق بينهما ان العهد لا يكفر قال النبي صلى الله عليه وسلم ينصب لكل غادر لواء
يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدرة فلان واما اليمين بالله فقد شرع الله
سبحانه فيها الكفارة بخصلة واحدة وحلها انفقرت عليه اليمين وقال ابن عمر التوكيد هو ان
يحلف مرتين فان حلف واحدة فلا كفارة فيه وقد تقدم في المائدة الثالثة قوله تعالى وقد
جعلتم الله عليكم كفيلا قوله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا النقض
والنكث واحد والاسم النكث والنقض والجمع الانكاث فشبهت هذه الاية بالذي يحلف ويعاهد
ويبرم عهده ثم ينقضه بالمرأة تغزل غزلها وتفتله محكما ثم تحكم نكثه ويروى ان امرأة جمعا
كانت تسمى ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة كانت تفعل ذلك فيها ونع التشبيه
قال الزجاج وحكاه عبد الله بن كثير راوي السوسي ولم يسميا المرأة وقال مجاهد ونظائر ذلك من مثل اعمال
امرأة معينة وانكاثا نصب على الحال والدخل والدخل والغش قال ابو عبيدة كل امر لم يكن
صحيحا فهو دخل ان تكون امة قال المفسرون نزلت هذه الاية في العرب التي كانت القبيلة منهم اذا حالفت
اخرى ثم جاءت احداهما قبيلة كثيرة قوية نقضت حلفها عدرة الادنى ونقضت عهدها ورهطت الى هذه
الكبرى قال مجاهد فقال الله تعالى ولا تنقضوا العهود من اجل ان طائفة اكثر من طائفة اخرى او اكثر
اموالا فتنقضون ايمانكم اذا رايتم الكثرة والسعة في الدنيا عراكم المشركين والمقصود النهي عن
العود الى الكفر بسبب كثرة الكفار وقلة امر المؤمنين وقال الفراء المعنى لا تغدروا بقوم لقلتهم وكثرتكم
او لقلتكم وكثرتهم وقد غدر قوم بالايمان اتى اليكم اكثر من ربا الشيء يربو اذا كثر والضمير في به يحتمل
ان يعود على الوفاء الذي امر الله به ويحتمل ان يعود على الربا اي ان الله انما نهى عباده بالتحاسد طلب
بعضهم الظهور على بعض واختبرهم بذلك ليرى من يجاهد فيما نهاهم عنه ويعمل بمقتضى هواها
وهو معنى قوله انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون من التمسك وغيره
قوله تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اي على ملة واحدة ولكن يضل من يشاء فجعل منهم
عدلا ضرب فيهم وبدد من يشاء بتوفيقه اياهم فضلا منه عليهم ولا يسال عما يفعل بل تسالون انتم والاية
ترد على اهل القدر كما تقدم واللام في ليبينن لكم ولتسالن دخلت النون المشددة يدلان على قسم مضمر
اي والله ليبينن لكم ولتسالن في قوله تعالى ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم كرر ذلك تاكيدا
تتزل قدم بعد ثبوتها مثالغة في النهي لعظم موقعه في الدين وتزحه في معاشرات الناس اي
لا تعتقدوا الايمان بالا نطواء على الخديعة والفساد فتزل قدم بعد ثبوتها اي عن الايمان بعد
المعرفة بالله وهذه استعارة للمستقيم الحال بنوع من شر عظيم ويسفطنه اذ القدم اذا زلت
تتلك الانسان مرحا لخيرا الى حال شر ومن هذا المعنى قول كثيرة لما توافينا ثبت وذلت الركب

تقول لكل مبتلى بمعاتبة او ساقط في ورطة زلت قدمه كقول الشاعر سيتم منك السبق
ان كنت سابقناه ويعسل ان زلت بك القدمان ه وقيل لم اخطأ في شيء زل فيه ثم توعد تعالى بعد
بعذاب في الدنيا وعذاب عظيم في الاخرة وهذا الوعيد انما هو فيمن نقض عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان من عاهده ثم نقض عهده خرج عن الايمان ولهذا قال ولا تشتروا بعهد الله
بعضكم ان تصدكم وذلك ان السور في الدنيا هو ما يجل بهم من المكروه فوله تعالى ولا تشتروا
بعهد الله ثمنا قليلا نهى عن الرشا واخذ الاموال على نقض العهد اي لا تنقضوا عهودكم لعوض
قليل من الدنيا وان كان كثيرا فانه مما يزول وهو على التحقيق قليل وهو المراد بقوله
ما عندكم ينفد وما عند الله باق فبين الفرق بين حال الدنيا وحال الاخرة بان هذه تنفد وتزول
وما عند الله من مواهب فضله ونعيم جنته ثابت لا يزول لمن وفى بالعهد وثبت على العقد ولقد
احسن من قال ه المال ينفد حله وحرامه يوما ويبقى عار اثامه ه ليس التقي من يميز ماكله
حتى يطيب طعامه وشرابه اخره هب الدنيا تساق اليك عفوا ليس مصيرك اليها ه وما
دنياك الا مثل في ظلك ثم اذن بالزوال فوله تعالى وليجزين الذين صبروا اجرهم اي على
الاسلام والطاعات وعن المعاصي اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي من الطاعات وجعلها
احسن لان ما عدا ذلك من الحسن مباح والجزاء انما يكون على الطاعة من حيث الوعد من الله وقرا
عاصم وابن كثير وليجزين بالنون على التعظيم الباقون بالياء وقيل ان هذه الاية تشتروا الى
هنا تمت في مرثد الغنوي وابن الاكوع وحصين الاشوع اختصما في ارض فاراد امرؤ القيس
ان يحلف فلما سمع هذه الاية نكل وافتدى يمينه بالله اعلم فوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او
انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة شرط وجوابه وفي الحياة الطيبة خمسة اقوال الاول
انها الرزق الحلال قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وعطا والضحاك الثاني القناعة قاله
الحسن البصري وزيد بن اسلم وذهب منه وراه الحكم عن عكرمة عن ابن عباس وهو قول علي بن ابي
طالب رضي الله عنه الثالث توفيقه الى الطاعات فانها تؤدي الى رضوان الله قاله معناه
الضحاك وقاد ايضا من عمل صالحا وهو مومن من قانعة وميسرة تحياته طيبة ومن اعرض عن ذكر
الله ولم يومن بربه ولا عمل صالحا وهو مومن لم يعيشه ضنكا لا خير فيها وقاد مجاهد وقتاده
وابن زيد هي الجنة وقاله الحسن وقاد لا تطيب الحياة لاحد الا في الجنة وقيل هي السعادة روي
عن ابن عباس ايضا وقاد ابو بكر الوراق هي حلاوة الطاعة وقاد سهل بن عبد الله التستري هي
ان ينزع عن العبد تدبيره ويرد تدبيره الى الحق قاد جعفر الصادق هي المعرفة بالله وصدق
المقام بين يدي الله وقيل الاستغناء عن الخلق والافتقار الى الحق وقيل الرضا بالقضاء وليجزينهم
اجرهم اي في الاخرة باحسن ما كانوا يعملون وقاد قد تحسين ثم قاد وليجزينهم الا من يصلح
للواحد والجمع فاعاد مرة على اللفظ ومرة على المعنى ولا تلتزم وقاد ابو صالح جلس ناس من اهل
التوراة وناس من اهل الانجيل وناس من اهل الاوثان فقال هولاء نحن افضل وقاد هولاء نحن افضل
فنزلت فوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله فيه مسالة واحدة وهي ان هذه الاية
متصلة بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فاذا اخذت في قراءته فاستعذ بالله
من ان يفترعلك الشيطان فيصدك عن تدبره والعمل بما فيه وليس يريد استعذ بعد
القراءة بل هو كقولك اذا اكلت فقل بسم الله اي اذا اردت اكلت تاكل وقد روى جبير بن مطعم
عن ابيه قاد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة قاد اللهم اني اعوذ بك
من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وروى ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة قاد الكيا الطبري ونقل عن بعض السلف التعوذ بعد
القراءة مطلقا احتجاجا بقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
ولا شك ان ظاهر ذلك يقتضي ان يكون الاستعاذة بعد القراءة كقوله تعالى فاذا قضيتم
الصلاة واذكروا الله قياما وقعودا الاان غيره محتمل مثل قوله تعالى واذا حللتم فاصطادوا
واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب وليس المراد ان بسالها ومن وراء حجاب
بعد سوال متقدم ومثله قول القايل اذا قلت صدق واذا حدثت فاغتسل بعني قبل
الاحرام والمعنى في جميع ذلك اذا اردته ذلك فكذلك الاستعاذة وقد تتقدم هذا المعنى لم
وتقدم القول في الاستعاذة مستوفى في قوله تعالى ان ليس له سلطان على الذين امنوا
اي لا تعلو والكفرا ليس لك قدرة على ان تحملهم على ذنب لا يغفر قاله سفيان وقاله
مجاهد لا حجة لهم على ما يدعوهم اليه من المعاصي وقيل انه ليس له عليهم سلطان بمعنى لا ان الله
تعالى صرف سلطانه عليهم حين قاد عدو الله ابليس لعنه الله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم

المخلصين

المخلصين قال الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين قلت قد بينا ان
هذا عام يدخله التخصيص وقد غوى آدم وحوى عليهما السلام بسلطانه وقد تسور على الخضر
الفضلا اوتا تهم بقوله من خلق ربك حسب ما تقدم في اخر الاعراف ببيانه انما سلطانه على الذين
يتولونه اي يطيعونه يقال تولية اي اطعته وتوليت عنه اعرضت عنه والذين هم مشركون
اي بالله قاله مجاهد والضحاك وقيل يرجع به الى السلطان قاله الربيع بن انس والنبي والمعنى
والذين هم من اجله مشركون بنا لكونه بهذه الكلمة اي من اجلها وصار ولاءك عالما اي من اجلك
اي والذي تولى الشيطان مشركون بالله قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية قيل المعنى بدلنا
شريعة منتقدمة بشريعة مستأنفة قاله ابن بكر مجاهد اي رفعنا اية وجعلنا موضعها غيرها
وقال الجمهور نسخنا اية باية اشد منها عليهم والنسخ والتبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه
وقد تقدم الكلام في النسخ في البقرة مستوفى قالوا بل بك كاذب مفتر اي كاذب
مختلق ذلك لما رأوا من تبديل الحكم فقال الله بل اكثرهم لا يعلمون ان الله شرع الاحكام وتبدل
البعض بالبعض وقوله قل نزله روح القدس يعني جبريل نزل بالقرآن كله ناسخه ومنسوخه وروي
باسناد صحيح عن عامر الشعبي قال وكل اسرافيل بمحمد صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين فكان يأتيه
بالكلمة والكلمة ثم نزل عليه جبريل بالقرآن وفي صحيح مسلم ايضا انه نزل عليه بسورة الحمد
ملك لم ينزل الى الارض قط كما تقدم في الفاتحة بيانه من ربك اي من كلام ربك لتثبت الذين امنوا اي بما
فيه من الحجج والايات وهدى اي وهو هدى وبشرى للمسلمين قوله تعالى ولقد نعلم انهم يقولون
انما يعلمه بشر اختلفوا في اسم هذا الذي قالوا انه يعلمه فقيل هو غلام النصراني واسمه
جبر كان نصرانيا فاسلم وكانوا اذا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما مضى وما هو آت مع انه امي لم
يقرأ قالوا انما يعلمه جبر وهو اعجمي فقال الله تعالى لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان
عربي مبين اي كيف يعلمه جبر وهو اعجمي هذا الكلام الذي لا تستطيع الانس والجن ان يأتوا بمثله
سورة واحدة مما فوقها وذكر النقاش ان مولى جبر كان يضربه ويقول انت تعلم محمدا فيقوله لا والله بل
هو يعلمني وهذا بين وقال ابن اسحق كان النبي صلى الله عليه وسلم ربما يلقى كثيرا مما يجالس عند المروة
الى غلام نصراني يقال له جبر عبد بني الحضرمي وكان يقرأ الكتب فقالت المشركون انما يعلم محمدا
ما يأتي به الاجبر النصراني وقال عكرمة اسم يعيش عبد لبني الحضرمي كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم تلقنه القرآن ذكره الماوردي وذكر الثعلبي عن عكرمة وقتادة انه غلام لبعض المغيرة
اسمه يعيش وكان يقرأ الكتب الاعجمية فقالت قريش انما يعلمه بشر فنزلت المهدوي عن عكرمة هو
غلام لبني عامر بن لؤي واسمه يعيش وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان له غلامان نصرانيان من
اهل عين التمر اسم احدهما يسار واسم الآخر جبير كذا ذكرا الماوردي والنقاش والثعلبي الا ان
الثعلبي قال يقال لاحدهما ثبيت وبكنى ابا فكيهة والآخر جبر وكانا مقلين يعملان السيوف
وكانا يقرآن كتابا لهما الثعلبي يقال ان التوراة والانجيل الماوردي والمهدوي التوراة وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمر بهما ويسمع قراءتهما وكان المشركون يقولون انما يعلم منهما ما نزل الله هذه
الاية واكذبهم وقيل عنوا سلمان الفارسي رضي الله عنه قاله الضحاك وقيل نصرانيا بمكة
اسمه بلعام وكان علامنا يقرأ التوراة قاله ابن عباس وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا انما يعلمه بلعام وقال الفتى كان بمكة
رجل نصراني يقال له ابو ميسرة يتكلم بالرومية ربما قعد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الكفار انما يتعلم محمد منه فنزلت وفي رواية ان عداسا غلام عتبة بن ربيعة وقيل عابس
غلام قريظة بن عمرو الحضرمي ويسار ابو فكيهة مولى بني الحضرمي وكانا قد اسلما فالله اعلم قلت
والكل محتمل فان النبي صلى الله عليه وسلم ربما جلس اليهم في اوقات مختلفة ليعلمهم ما علمهم الله وكان
ذلك بمكة وقال النحاس هذه الاقوال لبست بمتناقضة لانه يجوز ان يكونوا اوحوا الى هؤلاء جميعا
وزعموا انهم يعلمونه كلهم واما ما ذكره الضحاك ان سلمان فقيد بعد ان سلمان انما اتى
النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهذه الاية مكية لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد الميل
يقال لحد والحد اي مال عن القصد وقد تقدم في الاعراف وقراءة حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء اي
لسان الذي يميلون اليه ويشيرون اعجمي والعجمة الاحتباس ومنه الابهام والاعجم الذي
لا يفصح ومنه عجم الذئب استتاره والعجماء البهيمة لانها لا توضح عن نفسها واعجمت الكتاب
اي ازلت عجمته والعرب تسمي كل من لا يوثق بفهمه ولا يتكلم بكلامهم اعجميا وقال الزجاج الاعجم الذي
في لسانه عجمة وان كان من العرب والاعجمي الذي اصله من العجم وقال ابو علي الاعجمي الذي لا يفصح سواء
كان من العرب او من العجم وكذلك الاعجم والاعجمي المنسوب الى العجم وان كان فصيحا واراد بالسان هو

القرآن لان الوب تنقول للقصيدة والبيت لسان قال الشاعره لسان الشهر نمذبها ابينا •
وجئت وما حسبتك ان تخونا ه يعني باللسان القصيدة وهذا لسان عربي مبين اي افصح ما يكون
من العربية قوله ان الذين لا يومنون بايات الله ان هؤلاء المشركون الذين لا يومنون بالقرآن لا يهديهم
الله واولئك هم الكاذبون قوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يومنون بايات الله هذا جواب
وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالافتراء واولئك هم الكاذبون هذا مبالغة في وصفهم بالكذب
اي كل كذب قليل بالنسبة الى كذبهم وبهذا كذب فلان ولا يقال لمن كاذب لان الفعل قد يكون لازما
وقد لا يكون لازما فاما المنعت فيكون لازما ولهذا يقال لعصى ادم ربه فغوى ولا يقال لمن عاصر عاد
اذا قيل كذب فلان فهو كاذب كان مبالغة في الوصف بالكذب قاله التشيري قوله تعالى من كفر
بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فيه عشرون مسالة الاولى قوله تعالى من كفر
بالله هذا متصل بقوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وكان مبالغة في الوصف لان معناه
ان ترتدوا على بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم اي من كفر من بعد ايمانه وارتد فعليه غضب من الله و
قال الطبري نزلت في عبد الله بن ابي سرح ومقيس بن صبابة وعبد الله بن ابليس بن خطل وقيس بن الوليد
ابن المغيرة كفروا بعد ايمانهم ثم قال الا من اكره وقال الزجاج من كفر بالله من بعد ايمانه فاراب الكلام الى
اخر الاستثناء تام فعلقه بما قبله وقال الا حفش من ابتدا وضمره محذوف اكتفى منه بخبر الثانية
كقولك من ياتنا من يحسن نكرمه الثانية قوله تعالى الا من اكره هذه الاية نزلت في عمار بن ياسر
في قول اهل التفسير اخذ قوم بعض ما نزل به اليهم قال ابن عباس اخذ المشركون واحدا اباه وامه
سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم وربطت سمية بين بعيرين ووجي فرجها
بحربة وقيل لها انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتلين في الاسلام
واما عمار فاعطاهم ما اراد بالمسالة مكرها فشكى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجد قلبك قال مطمئن بالايمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان عادوا فعد وروى منصور بن المعتمر عن مجاهد قال اول شهيدة في الاسلام ام عمار قتلها ابو جهل
واول شهيد من الرجال مهجع مولى عمر وروى منصور ايضا عن مجاهد قال اول من اظهر اسلامه سبعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وبلال وخباب وصهيب وعمار وسمية ام عمار فاما رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمنعه ابو طالب واما ابو بكر فمنعه قومه واخذوا الاخرين فالبسوهم
ادراع الحديد ثم صهروهم في الشمس حتى بلغ منهم الجهد كل مبلغ فاما الحديد والشمس فلما كان من
العشي اتاهم ابو جهل ومعه حربة فجعل يسبهم ويوبخهم والى سمية فجعل يسبها ويرفث ثم طعنها
في فرجها حتى خرجت الحربة من قبلها فقتلها قال وقال الاخرون ما سالوا الا ملائمة فكانت عليه لنفسه
في الله تحملوا بعذيبه ويقولون له ارجع عن دينك وهو يقول احدا احدا حتى ملوه لم كتفوه وجعلوا في
عنقه صلا من لبيف ودفعوه الى صبيانهم يلعبون به بين اخشبي مكة حتى ملوه وتركوه قال فقال
عمار كلما تكلم بالذي قالوا لولا ان الله قد اركسنا غير بلادنا ما كانت عليه لنفسه في الله فهان على قومه
حتى ملوه وتركوه والصحيح ان ابا بكر اشترى بلالا فاعتقه وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد ان ناسا من
اهل مكة امنوا فكتب اليهم بعض اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة ان هاجروا اليها فانا
لا نراكم مناحتى تهاجروا الينا فخرجوا يريدون المدينة حتى ادركتهم تريش بالطريق ففتنوهم
فكفروا مكرهين فيهم نزلت هذه الاية ذكر الرواية عن مجاهد حدثنا محمد بن اسحاق مرزوق الزمزمي
عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خير عمار بين امرين الا اختار ارشدهما
هذا حديث حسن صحيح غريب وروى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة
تشتاق الى ثلاثة علي وعمار وسلمان قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من حديث الحسن صالح
الثالثة لما سمح الله سبحانه بالكفر به وهو اصل الشريعة عند الاكراه لم يواخذه حمل العلماء
عليه فروع الشريعة كلها فاذا وضع الاكراه عليها لم يواخذ به ولم يترتب عليه حكم وبه جاء الاثر المشهور
عن النبي صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه والخبر وان لم
يصح سنده فان معناه صحيح باتفاق من العلماء قاله القاضي ابو بكر بن العربي وذكر ابو محمد عبد
الحق ان اسناده صحيح قال وقد ذكر ابو بكر الاصيلي في الفوايد وابن المنذر في كتاب الاشراف الثالثة
اجمع اهل العلم على ان من اكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل انه لا اثم عليه
ان كفر وقلبه مطمئن بالايمان ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر هذا قول مالك والكوفيين
والشافعي وعن محمد بن الحسن انه قال اذا اظهر الشرك كان من ذلك الوقت ظاهر دينا بينه وبين الله على
الاسلام وتبين منه امراته ولا يصلى عليه ان مات ولا يورث ورث ابا ه ان مات مسلما وهذا قول
مردود بالكتاب والسنة قال الله تعالى الا من اكره الاية وقال الا ان تتقوا منهم تقاة وقال الذين

تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض الاية وقال المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الاية فعذر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما امر الله به والمكره لا يكون الا مستضعفا غير ممتنع من فعل ما امر به قاله البخاري الرابعة ذهبت طائفة من العلما الى ان الرخصة انما جاءت في القول واما في الفعل فلا رخصة فيه مثل ان يكره هو على السجود لغير الله او الصلاة لغير القبلة او قتل مسلم او ضربه او اكل ماله او الزنا وشرب الخمر واكل الربا وروي هذا عن الحسن البصري وهو قوله الاوزاعي وسحنون من علمائنا وقال محمد بن الحسن اذا قيل للاسير اسجد لهذا الصنم والا قتلناك فقال ان كان الصنم مقابل القبلة فلا يسجد لكون دين الله هو تعالى وان كان لغير القبلة فلا يسجد وان قتلوه والصحيح انه يسجد وان كان لغير القبلة وما اكره للسجود حينئذ فني الصحيح عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وهو متجه من مكة الى المدينة على راحلته حيث كان وجهه قال وفيه نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله في رواية ويوتر عليها غير انه لا يصلي عليها المكتوبة فاذا كان هذا مباحا في السفر في حالة الامن لتعب النزول عن الدابة للتنفل فكيف بهذا واضح من رخص الرخصة على القول بقول ابن مسعود ما من كلام يدرأ على سوطين من ذي سلطان الا كنت متكلما به فقصر الرخصة على القول ولم يذكر الفعل وهذا حجة فيه لانه يكمل ان جعل الكلام مثالا وهو يريد ان الفعل يحكمه وقالت طائفة الاكراه في الفعل والقول سوا اذا اسر الايمان روى ذلك عن ابن عمر والحكم وحماد ومالك وطائفة من اهل العراق روى ابن القاسم عن مالك انه من اكره على شرب الخمر او ترك الصلاة او الافطار في رمضان ان الاثم عنه مرفوع الخامسة اجمع العلما على ان من اكره على قتل غيره انه لا يجوز له الاقدام على قتله ولا انتهاك حرمته بحال دون غيره ويصبر على البلا الذي ترد به ولا يحل له ان يعدل نفسه بغيره ويسال الله العافية في الدنيا والاخرة واختلف في الزنا فقال مطرف واصبغ وابن عبد الحكم وابن الماجشون لا يفعل احد ذلك وان قتل بفعله فان فعله فهو اثم ويلزمه الحد وبه قال ابو ثور وابو الحسن وقال ابن العربي نه الصحيح انه يجوز الاقدام على الزنا واحد عليه حلالا لمن لزمه ذلك لان راى انها شهوة خلقية لا يتصور الاكراه عليها وعلل هذا السبب الذي باعث الشهوة وهو الالجا لمن ذلك وهو الذي اسقط حكمه وانما يجب الحد على شهوة يجد عليها سبيل اختيار ي وتيسر الشي على ضده فلم يحصل بصواب من عنده وقال ابن خواز منداد في احكامه اختلف اصحابنا مما اكره الرجل على الزنا فقال بعضهم عليه الحد لانه انما يفعل ذلك لاختياره وقال بعضهم لا حد عليه قال ابن خواز منداد وهو الصحيح وقال ابو حنيفة ان اكرهه غير السلطان حد وان اكرهه السلطان فلا حد عليه في الوجهين ولم يراعوا الانتشار وقالت طائفة ينبغي ان يتخلص من القتل بفعل الزنا جاز ان ينتشر قال ابن المنذر لا حد عليه واختلف بين السلطان في ذلك وغير السلطان السادسة اختلف العلما في طلاق المكره وعتاقه فقال الشافعي واصحابه لا يلزمه شي وذكر ابن وهب عن عمر وعلي وابن عباس وعطا وطاوس والحسن وشريح والقاسم وسالم ومالك والاوزاعي واحمد واسحق وابو ثور واجاز ذلك طائفة روى ذلك عن الشعبي والنخعي والحكم وثلاثة والزهري وقتادة وقول الكوفيين قال ابو حنيفة طلاق المكره يجوز ولم يلزم لانه لم يقدم فيه اكثر من الرضى وليس وجوده بشي في الطلاق كالهازل وهذا قياس باطل لان الهازل قاصد الى الايقاع الطلاق راض به والمكره غير راض ولا نية له في الطلاق وقد قال عليه السلام انما الاعمال بالنيات وفي البخاري وقال ابن عباس فمن يكرهه السلطان على الصوم فيطلق ليس عليه شي وبه قال ابن عمر وابن الزبير والشعبي والحسن قال الشعبي ان اكرهه اللصوص فليس بطلاق وان اكرهه السلطان فهو طلاق وذكر ابن عيينة فقال ان اللصوص يعدم على قتله والسلطان لا يقتله السابعة واما بيع المكره والمضغوط فله حالتان الاولى ان يبيع ما له فيجب عليه ذلك كما من سابع لا رجوع فيه عند الفقها لانه يلزمه اذا الحق الذي به من غير المبيع فاما لم يفعل ذلك كان بيعه اختيارا منه تلزمه واما بيع المكره ظلما او قهرا فقد قال بيع لا يجوز عليه وهو اولى بتاعه يا هذه حالان وبتبع المشتري بالثمن ذلك الظالم فان فات المبتاع رجع بثمنه او بقيمته لانه كره ذلك على الظالم اذا كان المشتري غير عالم بكامه قاله مطرف وان كان المشتري بهما حالة المكره فانه ضامن لما ابتاع من رقيقه وعروضه كالغاصب وكلما احدث المبتاع في ذلك من عتق او تدبير او تحبيس فلا يلزم المكره ولا احد من تاعه قال سحنون اجمع اصحابنا واهل العراق على ان بيع المكره على الظلم والجور لا يجوز وقال الازهري انه اجماع الناس كافة واما نكاح المكره فقال سحنون اجمع اصحابنا على ابطال نكاح المكره والمكرهة وقالوا لا يجوز المقام عليه لانه لم ينعقد وقال محمد بن سحنون واجاز اهل العراق نكاح المكره وقالوا لو اكره على ان ينكح امراة بعشرة

الف درهم وصداق مثلها الف درهم ان النكاح جايز وتلزمه الالف ويبطل الفضل قال محمد فهذا
ابطل الزايد على الالف فكذلك يلزمهم ابطال النكاح بالاكراه وقولهم خلاف السنة الثابتة
في حديث خنساء بنت خذام الانصارية فلما رد صلى الله عليه وسلم بالاستيجار ايضا عمن وقد
تقدم فلا معنى لقولهم الثامنة ان وطيها المكره على النكاح على مكره على الوطء والرضا بالنكاح
لزم النكاح عندنا على المسمى من الصداق ودرئ عنه الحد وان قال وطيتها على غير رضى مني بالنكاح
فعليه الحد والصداق المسمى لانه مدع لابطال ابطالا الصداق المسمى وتخذ المراة ان
تقدمت وهي عالمة انه مكره على النكاح واما المكرهة على النكاح وعلى الوطء فلا حد عليها ولها
الصداق وعلى الواطئ فاعلمه قاله سحنون التاسعة اذا استكرهت المراة على الزنا فلا حد عليها
لقوله الا ما اكره وقوله عليه السلام ان الله تجاوز عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه
وقوله تعالى ثم ان ربك لغفور رحيم يريد الناسين وبهذا المعنى حكم
عمر في الوليدة التي استكرهها العبد فلم يجدها فالما مستفوت على انه لا حد على امراة مستكرهة
وذا دمالك اذا وصرت حاملا وليس لها زوج فقالت استكرهت فلا يقبل ذلك منها وعليها
الحد الا ان يكون لها بينة وجاءت بولدها على انها اوتيت او ما اشبه ذلك واحتج بحديث عمر بن
الخطاب انه قال الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت
البينة او كان الحبل او الاعتراف قال ابن القاسم والبدرة بالنون والراء قول الحادية عشرة واختلفوا
في وجوب الصداق للمستكرهة فقال الشافعي والزهري لها صداق مثلها وهو قول مالك وابن ابي
وابي ثور وقال الثوري اذا اقيم الحد على الذي زنا بها بطل الصداق وروي ذلك
عن الشعبي وبه قال اصحاب الراي قال ابن المنذر القول الاول وهو صحيح الثانية عشرة اذا اكره الانسان
على اسلام العبد لم يحل اسلمها ولم يقتل نفسه دونها والاحتمال اذ يتم تخليصها والاصل في ذلك
ما خرجه البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر ابراهيم عليه
السلام بسارة ودخل بها قرية فيها ملك من الملوك او جبار من الجبابرة فارسل اليه ان ارسل بها
الي فارسل بها فقام اليها فقامت لتوضا وتصلي فقالت اللهم ان كنت امنت بك وبرسولك وحصنت
فرجي الا تسلط علي هذا الكافر فغط حتى ركض برجله وقد دل هذا الحديث ايضا على ان ساقط لما
لم يكن عليها ملامة فكذلك لا يكون على المستكرهة ملامة واخذ بها هو المشهور الحلوة والعبد
اعلم الثالثة عشرة واما يمين المكره فغير لازمة عند مالك والشافعي وابي ثور واكثر
العلماء قال ابن الماجشون وسواء حلف بما هو طاعة لله او فيما هو معصية اذا اكره على
اليمين وقال اصبغ وقال مطرف ان اكره على اليمين بما هو ليس بمعصية او ليس في فعله طاعة
ولا معصية فاليمين فيه ساقطة وان اكره على اليمين بما هو طاعة مثل ان يحلف ابوا ابي رجلا
فاسقا فيكرههما ان يحلف بالطلاق لا يشرب خمرا ولا يفسق ولا يغش في عمله او والد يحلف
ولده قاضيا لم ان اليمين تلزم وان كان المكره قد اخطا فيما تكلف من ذلك وقال به ابن
حبيب وقال ابو حنيفة ومن تبعه من الكوفيين ان حلف ان لا يفعل فعل حنث
قالوا الا ان المكره لو كان يود في يمينه كلها لم يبر ولو ذهبت نيته الى خلاف ما اكره عليه فقد
قصد الى اليمين اجيب الاولون بان قالوا اذا اكره عليها فيلزمه مخالفة لقوله لان داره لما
حلف عليه الرابعة عشرة قال ابن الموازي ومن غريب الامر ان علماءنا اختلفوا في الاكراه
على لحنث هل ينفع به ام لا وهذه مسئلة عراقية سرت لناظرهم لما كانت هذه المسئلة ولا
كانوا ابو لرق يا معشر اصحابنا بين الاكراه على اليمين في انها لا تلزم وبين الحنث في ان لا ينفع
فاتقوا الله وراعوا نصايركم ولا تفتروا بهذه الرواية فانها وهمة في الدراية الخامسة
عشرة اذا اكره الرجل على ان يحلف واخذ له مالا كاصحاب المكس وظلمة السعاة واصل الاعتداء
فقال ملك لا تنتهي يمينه بذلك واما يبر المرء يمينه عن بدنه لا ماله وقال ابن الماجشون لا يحنث
وان دل عن ماله ولم يخف على بدنه وقال ابن القاسم ينزل مطرف دون ذلك عن مالك وقاله
ابن عبد الحكم واصبغ قلت قول ابن الماجشون اصح لان المدافعة عن المال كالمدافعة
عن النفس وهو قول الحسن وقتادة وسبايي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
ان دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام وقال كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
وبه عن ابي هريرة قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان
جاء رجل يريد اخذ مالي فقال فلا تعطه مالك قال ارايت ان قاتلني قال قاتله قال
ارايت ان قتلني قال فانت شهيد قال ارايت ان قتلته قال هو في النار خرجه مسلم وقد
مضى الكلام فيه وقال مطرف وابن الماجشون وان بدر الحالف بيمينه للوالي الظالم قبل ان يبلغها

ليذب بها عن ماله فحلف فرماله وبرئ فحلف له ثانيا تلزمه وقال ابن عبد الحكم واصبغ وقال
ايضا ابن الماجشون يمين اجره ظالم فحلف له بالطلاق البتة ان عليه ان يحلفه وتركه وهو كاذب
وانما حلف خوفا ان ضربه وقتله واخذ ماله فان كان انما يتورع باليمين عن شر خوف ورجاء النجاة
من ظلمه فقد دخل في الاكراه ولا شيء عليه وان لم يحلف بي رجاء النجاة فهو حانث المسألة عشرة
قال المتفقون من العلماء اذا تلفظ المكره بالكفر فلا يجوز له ان يجريه على لسانه اذا يجري
المعاريض فان المعاريض مندوحة عن الكذب وحيث لم يكن لذلك كان كافرا فان المعاريض ليست
لاسلطان للاكراه عليها مثاله ان يقال له اكفر بالله فيقول بالله هي يريد ابيا وكذلك اذا
قيل له اكفر بالنبي فيقول هو كافر بالنبي مشددا وهو المكان المرتفع من الارض ويطلق على
ما يحمل من الحوض شبه المائدة فيقصد احدهما بقلبه ويبرأ من الكفر ويجوز ان قال اكفر بالنبي
مهموزا فيقول هو كافر بالنبي يريد بالمخبر اي مخبرا كان كطليحة ومسيلمة الكاذب او يريد
بالنبي الذي قال فيه الشاعر فاصبح رغما دقاق الحصى مكان النبي من الكاثب ٥ المسألة
عشرة اجمع العلماء على ان من اكره على الكفر فاختار القتل فانه اعظم اجرا عند الله من اختار الرخصة
واختلفوا فيمن اكره على غير القتل من فعل ما يجل له فقال اصحاب مالك الاخذ بالشدة في ذلك واختيار
القتل والضرب افضل عند الله من الاخذ بالرخصة ذكر ذلك حبيب وسحنون وذكر ابن سحنون
عن اهل العراق انه اذا اتلف بقتل او قطع او ضرب يخاف منه التلف فلا ان يفعل ما اكره عليه من شرب
خمر او اكل خنزير فان لم يفعل حتى قتل خفا ان يكون اثما لانه كالمضطر وروى خباب عن ابن وارث قال
شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر
لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء
بالمنشار فيجعل على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما
يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب صنعا الى حضرموت لا يخاف
الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون فوصف صلى الله عليه وسلم هذا على الاصم
السالمة على جهة المدح لهم والصبر على المكروه في ذات الله وانهم لم يكفوا عن الظاهر ويبطنوا
الايمان ليدفعوا العذاب عن انفسهم وهذه حجة من اثر الضرب والقتل على الرخصة والمقام بدار
الجبار وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة الاحزاب ان شاء الله تعالى وذكر ابو بكر محمد بن محمد بن
الفرج البغدادي قال حدثنا اشرس بن يونس عن اسماعيل بن ابراهيم عن يونس بن عبيد عن الحسن انه عرضت
لمسلمة اخوا رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبوا بهما الى مسيلمة فقال
لاحدهما اتشهد ان لا اله الا الله وانا محمد رسول الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال نعم فخلى عنه
وقال للاخر اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم قال وتشهد اني رسول الله قال انا اصم لا اسمع فقدمه
وضرب عنقه فجاء هذا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هلكت قال وما اهلكك فذكر الحديث
قال اما صاحبك فاخذ بالثقة واما انت فاخذت بالرخصة على ما انت عليه الساعة قال اشهد انك
رسول الله قال انت على ما انت عليه الرخصة ليس على نفسه سلطان ظالم على نفسه او على ان يدله على
رجل او مال رجل فقال الحسن اذا خاف عليه وعلى ماله فليحلف ولا يكفر بيمينه وهو فوق فتاة اذا
حلف على نفسه او ماله لنفسه وقد تقدم ما للعلماء في هذا وذكر موسى بن معاوية ان ابا سعيد بن
اشرس صاحب مالك استخلفه السلطان تونس على حرب اراد السلطان قتله انزما اواه بعلم له
موضعا فاخذ فحلف له ابن اشرس حتى ندم على الهلول بن راشد الخبر وان فاخبره بالخبر فقال له الهلول
قال لمالك انك حانث فقال ان اشرس وانا سمعنا مالكا يقول ذلك وانما اردت الرخصة او كلام هذا
معناه فقال له الهلول بن راشد قال الحسن البصري انا احنث عليك قال فرجع ابن اشرس الى
زوجته واعذ بقول الحسن وذكر عبد الملك بن حبيب قال حدثني سعيد عن المسيب بن شريك
عن ابي شيبة قال سالت انس بن مالك عن الرجل يوحد بالرجل هل يرى ان يحلف ليفتدي بيمينه فقال
نعم وان احلف سبعين يمينا واحب الي ان ادل على مسلم وقال ادريس بن يحيى كان الوليد بن
عبد الملك يامر جواسيس يتجسسون الخلق ياتونه بالاخبار وقال مجلس رجل منهم في حلقة
رجاء بن حيوة فسمع بعضهم يقع في الوليد فرفع ذلك اليه فقال يا رجاء اذكر يا سوء مجلسك
ولم تغير فقال ما كان ذلك يا امير المؤمنين فقال له الوليد قل اسمع الذي لا اله الا هو قال اسمع الذي
لا اله الا هو فامر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين سوطا فكان يلقى رجاء فيقول رجاءك يستسقى
المطر وسبعون سوطا في ظهرك فيقول رجاء سبعون سوطا في ظهرك خير لك من ان يقتل رجل
مسلم الثامنة عشرة واختلف العلماء في حد الاكراه فروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال
ليس الرجل امن على نفسه اذا اوجعته او ضربته وقال ابن مسعود ما كلام بدلك عني سوطين

الا كنت متكلما به وقال الحسن السيئة جايزة للمومن الى يوم القيامة الا ان الله تبارك وتعالى ليس يجعل في
القتل تقية وقال النخعي التقية اكراه والسجن اكراه والوعيد اكراه وهذا قول مالك الا انه قال
والوعيد الخوف اكراه وان لم يقع اذا تحقق ظلم ذلك المتوعد به وانفاده لما يتوعد به وليس عند
مالك واصحابه في الضرب والسجن توقيت ايما هو ما كان يولم من الضرب وما كان من سجن يدخل فيه
التضييق على المكره واكراه السلطان وغيره عند مالك اكراه وتناقض الكوفيون فلم يجعلوا
السجن والتقييد اكراها على شرب الخمر واكل الميتة لانه لا يخاف منهما التلف وجعلوهما اكراها في
اقراره لفلان عندي الف درهم قال ابن سحنون وفي اجماعهم على ان الالم والتوجع الشديد اكراه
شاهد لما على ان الاكراه يكون من غير تلف نفس وذهب مالك الى ان ما اكره على يمين بوعيد او سجن او
ضرب انه يحلف ولا حنث عليه وهو قول الشافعي واحد واحد واكثر العلماء انما سقط عنه
وفي هذا الباب ما يثبت ان من المعاريض لمندوحة عن الكذب وروى الاعمش عن ابراهيم النخعي انه قال
يا سراذا بلغ الرجل عنك شيا ان تقوله والله ان الله يعلم ما قلت ذلك وهو في ظاهره انتفاء من
القول كاحنث على من قال ذلك لكنه بنيته ولا كذب عليه في كلامه وقال النخعي كان لهم كلام من انفاذ
الايمان يدرؤون به عن انفسهم لا يرون ذلك من الكذب ولا يجتنبون فيه الحنث قال لبيد الملك
وكانوا يسمون ذلك المعاريض من الكلام اذا كان ذلك في غير مكروه او خديعة في حق وقال الاعمش
كان لابراهيم النخعي اذا اتاه احد يكره الخروج اليه جلس في مسجد بيته وقال لجاريته قولي له هو
في المسجد وروى معتمر عن ابراهيم انه كان يكره الرجل من البعث اذا عزموا على ابيهم ان يقول
والله ما اهتدي بليل اذا اشتد علي غيب ولا اركب الا حمدني غيب ونحو هذا من الكلام قال عبد
الملك يعني بقوله غيب الله تعالى هو مسدد وهو يحمده فلم يكونوا يرون على الرجل في هذا
حنثا في يمينه ولا كذبا في كلامه وكانوا يكرهون ان يقال له هذا حنث وظلم وجحد ان يحق
من اجيز او فعل اثم في حنثه ولم تجب عليه كفارة في يمينه الموقنة عشرين ولكن من شرح بالكفر صدرا
اي وسعه لقبوله ان يكفر ولا يقدر احد على ذلك الا الله فهو يرد على القدرية وصدرا نصب على
المفعول فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وهو عذاب جهنم ذلك اي ذلك الغضب بانهم
استحبوا الحياة الدنيا اي اختاروها على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين ثم وصفهم فقال اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اي ختم المواعظ وسمعهم عن
كلام الله وابصارهم عن النظر في الايات واولئك هم الغافلون عما يراد بهم اجرم انهم في الاخرة هم
الخاسرون تقدم قوله تعالى ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور
كله في عمار والمعنى وصبروا على الجهاد ذكره النحاس وقال النحاس نزلت في قوم خرجوا مهاجرين
الى المدينة بعد ان فتنهم المشركون وعذبوهم وقد تقدم ذكرهم في هذه السورة وقيل نزلت
في ابي جندل وكان قد ارتد ولحق بالمشركين فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله يوم فتح مكة ثم
استجار لعثمان فاجاره النبي صلى الله عليه وسلم ذكره النسايي عن عكرمة عن ابن عباس قال ابي
سورة النحل مكي بالله من بعد ايمانه الا من اكره الى قوله لهم عذاب عظيم فنسخ واستثنى من ذلك
فقال كان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور
رحيم وهو عبد الله بن ابي سرح الذي كان على مصر كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فزلة الشيطان فلحق بالكفار فامر به ان يقتل يوم الفتح فاستجار له عثمان بن عفان فاجاره
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها اي ان الله غفور
رحيم في ذلك او ذكرهم يوم تاتي كل نفس تجادل اي تخاصم وتحاج عن نفسها جاء الخبر ان كل احد
يقول يوم القيامة نفسي نفسي من شدة هول يوم القيامة سوى محمد صلى الله عليه وسلم فانه
يسال له في امته وفي حديث عمر انه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا هيجنا حدثنا بشيء فقال
كعب يا امير المومنين والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت
عليك تارات ولا يهمك الا نفسك وان لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي منتخب الا وقع
جاثيا على ركبتيه حتى ان ابراهيم الخليل ليدلي بالخلة فيقول رب انا خليلك ابراهيم لا اسالك
اليوم الا نفسي قال يا كعب ان تجد ذلك في كتاب الله قال قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل
عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال ابن عباس في هذه الاية ما تزال الخصومة
بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فيقول الروح رب الروح منك انت خلقتني لم
تكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها ولا اذن اسمع بها ولا عقل اعقل به حتى
جيت فدخلت في هذا الجسد فضعف عليه انواع العذاب وكنى فيقول الجسد رب انت خلقتني
بيدك فكنت كالخشبة ليس لي يد ابطش بها ولا قدم امشي بها ولا بصر ابصر به ولا سمع اسمع به

فجاء

فما هذا كشعاع النور يشبه منطق لساني وبه ابصرت عيني وبه مشت رجلي وبه سمعت اذني فما هذا كشعاع
النور يشبه نطق لساني وبه ابصرت عيني وبه مشت رجلي وبه سمعت اذني فتضعف عليهما نواع
العذاب وتجنى منه قال ليضرب بالسلم بهما مثلا اعمى ومقعدا دخلا بستانا فيه ثمار فاذا اعمى لا يبصر
الثمرة والمقعد لا يناله فتنادى المقعد الاعمى ابتني فاحملني اكل واطعمك فدنا منه فحمله فاصابوا
من الثمرة فعلى من يكون العذاب فالا عليهما قال فعليكما جميعا العذاب ذكره الثعلبي قوله تعالى
وضرب الله مثلا قرية هذا متصل بذكر المشركين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا على مضر بالجدب
وقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلوا بالقحط حتى اكلوا
العظام ووجه ايهم رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما فقرف فيهم كانت اية لابهاج اهلها يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان من البر والبحر وخيره يجبى اليه ثمرات كل شيء الاية فكفرت بانعم الله الانعم
جمع النعم كالاشد جمع الشدة قيل جمع نعمى مثل بوسى وابوس وهكذا الكفران تكذيب محمد عليه
السلام فاذاقها الله اياه اذاق اهلها لباس الجوع والخوف سماه لباسا لانه يظهر عليهم من الهزال
وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كالملابس بما كانوا يصنعون اي من الكفر والمعاصي وقرا جعفر
ابن عياش ونفر من عاصم وابن ابي اسحق وابو عمرو وكما ذكر عنه عبد الوارث وعبيد وعباس
والخوف نصبا بايقاع اذاقها عليه عطفا على لباس اي اذاقها الله لباس الجوع واذاقها الخوف
وهو بعث النبي صلى الله عليه وسلم سراياه التي كانت تطيف به واصل الاذاقة بالفم ثم يستعار
فيوضع موضع الابتلاء ومر بمكة مثلا لبشر هامن البلاد اي انها مع جوار بيت الله وعمارته مسجده
لما كفر اهلها اصابهم القحط فكيف بها مع من القرب وقد قيل بها المدينة امنت برسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم كفرت بانعم الله كقتل عثمان بن عفان وما حدث بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل ان مثل مضروب بأي قرية كانت على هذه الصفة من سائر القرى قوله تعالى ولقد جاءهم
رسول منهم فكذبوه هذا يدل على ان مكة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة فاخذهم العذاب
وهو الجوع الذي دعا بمكة وقيل الشدايد والجوع منها قوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله اي كلوا يا معشر
المسلمين من الغنايم وقيل الخطاب للمشركين لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم بطعام رثة عليهم
وذلك انهم لما ابتلوا بالجوع سبع سنين وقطع الوحي عنهم المبرة باسر النبي صلى الله عليه وسلم لا تواالعظام المحرقة والجيفة والكلاب الميتة والجلود والعلهز وهو الوبر يعالج بالدم ثم ان رؤساء مكة كلموا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وانالوا هذا عذاب الرجال فما بال النساء والصبيان وقال
ابو سفيان يا محمد انك جئت تامر بصلة الرحم والعفو وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فكشف عنهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واذن لنا من حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون قوله تعالى انما
حرم عليكم الميتة والدم الاية تقدم في البقرة القول فيها مستوفى قوله تعالى ولا تقولوا
لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام فيه مسألتان الاولى قوله تعالى لما تصف
ما هنا مصدرية اي لوصف وقيل اللام بمعنى من واصل اي لا تقولوا لاجل وصف الكذب بمنزع
الخافض اي لما تصف السنتكم من الكذب وقرئ الكذب بضم الكاف والذال والباقون بالفتح الاستئناف
وقد تقدم وقرا الحسن ههنا خاصة الكذب بفتح الكاف وخفض الذال والباقون بالتقديم ولا تقولوا
الوصف السنتكم الكذب وقيل على البدل من ما اي ولا تقولوا الكذب الذي تصفه السنتكم هذا
حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب الاية خطاب للكفار الذين حرموا السوائب والبحائر
واحلوا ما لم يحلل الانعام وان كانت ميتة فنفوا بهذا احلال اشارة الى ميتة بطون الانعام
وكل ما احلوه وقوله هذا حرام اشارة الى البحائر والسوائب وكل ما حرموه ان الذين يفترون على
الله الكذب لا يفلحون متاع قليل اي ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عن قريب وقال الزجاج اي متاعهم
متاع قليل وقيل لهم متاع قليل ثم يردون الى عذاب اليم الثانية اسند الداري ابو محمد في مسنده
اخبرنا هارون عن جعفر عن الاعمش قال سمعت ابراهيم قط يقول حلال ولا حرام ولكن كان يقول كانوا
يكرهون وكانوا يستحبون وقال ابو وهب قال مالك لم يكن من فتيا الناس ان يقولوا هذا حلال وهذا
حرام ولكن يقولون انا اكره هذا ولم اكن لاصنع هذا ومعنى هذا ان التحليل والتحريم انما هو لله عز
وجل وليس لاحد ان يقول او يصرح هذا في عين من الاعيان الا ان يكون الباري يخبر بذلك عنه وما
يومي اليه الاجتهاد في انه حرام يقول اني اكره وكذلك كان مالك يفعل اقتداء بمن تقدم من اهل
الفتوى فان قيل فمن قال الدليل على حرام انه حرام وتكون ثلاثا فالجواب ان مالكا لما سمع على
ابن ابي طالب يقول انه حرام اقتدى به وقد يقوم الدليل على التحريم عند المجتهد فلا باس عند ذلك
ان يقول ذلك كما يقول ان الربا حرام في جميع الاعيان الستة وكثيرا ما يطلق مالك رحمه الله فلان
حرام لا يصلح في الاموال الربوية وبهما حالف المصالح وخرج عن طريق المقاصد لقوة الادلة في ذلك

قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآية تقدم في سورة الانعام والحرف حلال لهذه الامة فاما اليهود فحرمت عليهم منها اشياء مر بيانها في سورة الانعام وما ظلمناهم بتحريمها بل حرمناها عليهم ولكن ظلموا انفسهم فحرمناها عليهم تلك الاشياء عقوبة لهم كما تقدم في النساء قوله تعالى ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعدها الآية قال ابن عباس وقد تقدم في النساء قوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا دعا عليه السلام مشركي العرب الى ملة ابراهيم اذ كان امامهم وبانيا لبيعتهم التي يزورونها ويحجونها والامة الرجل الجامع للخير وقد تقدم معناه وقال ابن وهب وابو القاسم عن مالك قال بلغني ان عبد الله بن مسعود قال يرحم الله معاذا كان امة قانتا فقيل له يا ابا عبد الرحمن انما ذكر الله عز وجل بعد ابراهيم فقال ابن مسعود ان الامة الذي يعلم الناس الخير وان القانت هو المطيع وقد تقدم الكلام على الفطرة وحنيفا في الانعام قوله شاكرا اي كان شاكرا لانعمه الانعم جمع نعمة وقد تقدم اجتباه اي اختاره وهداه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا حسنة قيل النبوة والولد الطيب وقيل الثناء الحسن وقيل الجنة وقيل الصلاة مقرونة بالصلاة على محمد في التشهد وقيل انه ليس اهل دين الا وهم يتولونه وقيل انها صيانته وزيارة قبره وكل ذلك اعطاه الله وزاده صلى الله عليه وسلم وانه في الآخرة لمن الصالحين من بعضهم مع اي بمع الصالحين لانه كان في الدنيا ايضا مع الصالحين وقد تقدم هذا في البقرة قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم قال ابن عمر باتباعه اتى مناسك الحج كما علم ابراهيم جبريل عليه السلام وقال الطبري امر باتباعه والتبرئ من الاوثان والتقرب بالاسلام وقيل امر باتباعه في جميع ملته الا ما استثنى كما تقدم وقال بعض اصحاب الشافعي على ما حكاه الماوردي والصحيح الاتباع في عقايد الشرع دون الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا مسئلة في هذه الآية دليل على جواز اتباع الافضل للمفضول لما تقدم في الاصول والعمل به والادراك على الفاضل في ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم افضل الانبياء عليهم السلام وقد امر بالاقتداء بهم فقال فبهداهم اقتده ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم قوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه ليس يكون في شرع ابراهيم ولا في دينه بل كان سبتا لا تغلظ فيه وكان السبت تغليظا على اليهود في رفض الاعمال وترك التبسط في المعائش بسبب اختلافهم فيه ثم صار عيسى عليه السلام يوم الجمعة فقالت تفرغوا للعبادة في كل سبعة ايام يوما واحدا فقالوا نريد ان يكون عيدنا بعد عيدهم فاختاروا الاحد وقد اختلف العلماء كيف ما وقع لهم من الاختلاف فقالت طايفة انه موسى عليه السلام امرهم يوم الجمعة وعين لهم واخبرهم بفضيلته على غيره فنظروا وان السبت افضل فقال الله له دعهم وما اختاروا لانفسهم وقيل ان الله تعالى لم يعينه لهم وانما امرهم بتعظيم يوم في الجمعة فاختلفت اجتهادهم في تعيينه فعينت اليهود السبت لان الله تعالى فرغ فيه من الخلق وعينت النصارى يوم الاحد لان الله تعالى بدا فيه الخلق فالزم كل منهم ما ادى اليه اجتهاده وعين الله لهذه الامة يوم الجمعة من غير ان يكلهم الى اجتهاده فضلا منه ونعمة فكانت خير الامم امة روينا الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واتيناه من بعدهم فاختلفوا فيه فهدانا الله قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى فقوله لهذا يومهم الذي اختلفوا فيه يقتضي قول من قال انه لم يعين لهم بانه يوم عينه لهم وعاندوا لما قبل اختلفوا وانما كان ينبغي ان يقال فخالفوا فيه وعاندوا ومما يقويه ايضا قوله عليه السلام اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا وهذا نص في المقصد ونزاع في بعض طرقه فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم اختلفوا فيه وهو حجة للقول الاول وقد روي ان الله كتب الجمعة على من قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع فقوله تعالى على الذين اختلفوا فيه يريد في يوم الجمعة كما بينا اختلفوا على نبيهم موسى وعيسى ووجه الاتصال بما قبله ان النبي صلى الله عليه وسلم امر باتباع الحق وحذر امته من اختلاف عليه فيشدد عليهم كما شدد على اليهود قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فيه مسالة واحدة هذه الآية نزلت بمكة في وقت لا مر فيها دنية قريش وامره ان يدعوا الى دين الله وشرعه بتلطف وبين دون مخاشنة وتعنيف وهكذا ينبغي ان يوعظ المسلمون الى يوم القيامة فهي محكمة في جهة العصاة من المرصدين ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين وقد قيل ان من امكنت منه هذه الاهوال من الكفار ورجي ايمانه بها دون قتال فهي فيه محكمة والله اعلم قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به فيه اربع مسايل الاولى اطبق جمهور اهل التفسير ان هذه الآية مدنية نزلت في شان التمثيل بحمزة في يوم احد وورد ذلك في صحيح البخاري وفي كتاب السير ولهب الخاسن الى انها مكية والمعنى متصل بما قبلها من الحكم بنصاله حسنا لانها تتدارج الرتب من الادب

ابن عباس قال لما انصرف المشركون عن قتلى احد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى منظرا ساءه فرأى حمزة قد شق بطنه واصطلم انفه وخزعت اذناه فقال لولا ان يحزن النساء او تكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير لامثلن مكانه سبعين رجلا ثم دعا ببردة وغطى بها وجهه فخرجت رجلاه فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه وجعل على رجليه من اذخر ثم قدمه فكبر عليه عشرا ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى سبعين صلاة وكان القتلى سبعين فلم دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم الى قوله واصبر وما صبرك الا بالله فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمثل باحد جرحه اسماعيل بن اسحق بن ابي حبيب ابي هريرة وحديث ابن عباس اكمل وعلى الطبري عن فرقة انها قالت انما نزلت هذه الآية فيمن اصيب بظلامة ان ابتاد من ظالمه اذا تمكن الا مثل ظلامته لا يتعداه الى غيره وحكاه الماوردي عن ابن سيرين ومجاهد الثانية واختلف اهل العلم فيمن ظلمه رجل في اختلاس ثم ابتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه فقالت فرقة ذلك منهم ابن سيرين وابراهيم النخعي وسفيان ومجاهد واحتجت بهذه الآية وعموم لفظها وقال مالك وفرقة معهم معه لا يجوز له ذلك واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ادّ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك رواه الدارقطني وقد تقدم هذا في البقرة مستوفى ووقع في مسند ابن اسحق ان هذا الحديث انما ورد في رجل زنا بامرأة ثم تكلم الآخر وجه الثاني بان تركها عنده وسائر ذلك الرجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامر فقال له ادّ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك وعلى هذا يتقوى قول مالك في امر المال لان الخيانة لاحقته في ذلك ويحمد ذيله لانفكاك عنها فينبغي ان يجتنبها لنفسه فان تمكن من انتصاف من مال يأخذه عليه فيظهر ان ذلك جائز وكان الله حكم له كالو تمكن الاخذ بالحكم من الحاكم وقد قيل ان هذه الآية منسوخة بنسخها واصبر وما صبرك الا بالله الثالثة في هذه الآية دليل على جواز التماثل في القصاص في القتل بحديد فتقتل بها ومن قتل بحجر قتل به ولا ينعدب بقدر الواجب وقد تقدم هذا المعنى في البقرة مستوفى والحمد لله الرابعة سمى الله تعالى الاذايات في هذه الآية عقوبة والعقوبة حقيقة انما هي الثانية وانما فعل ذلك ليستوفي الموطآن وتناسب دباجة القول وهذا بعكس قوله فعكروا ومكروا الله وقوله الله يستهزئ بهم فان الثاني هنا هو المجازاة والاول هو الحقيقة قاله ابن عطية قوله تعالى واصبر وما صبرك الا بالله فيه مسألة واحدة قال ابن عربي منسوخة بالقتال وجمهور الناس على انها محكمة ابيح الصبر بالعفو عن المعاقبة مثل ما عفوا من المثلة ولا تحزن عليهم اي على قتل احد فانهم صاروا الى رحمة الله ولا تكن في ضيق ضيق جمع ضيقة قاله الشاعر كشفت الضيقة عنا ونسح وقرأ الجمهور بفتح الضاد وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وروي عن نافع وهو غلط ثم رواه قاد بفتح الضاد وكسر الضاد والضيق بالفتح في الضاد للقتال في المصدر وقاد الا ضيق والضيق مصدر ضاق يضيق والمخفف يضيق صدرك فتكرهه وقاد الضيق ما ضاق عنه صدرك والضيق ما يكون في الرأي يتسع ويضيق مثل الدار والثوب وقاد ابن السكيت هما سواء يقال في صدره ضيق وضيق والمعنى ضيق مخفف ضيق ابو الكن في امر ضيق مخفف مثل هين وهين وقاد ابن عرفة يقال ضاق الرجل اذا بخل وضاق اذا افتقر وقوله مع الذين اتقوا اي بالعون والكلاءة والنصر والمعونة والفضل والبر والتأييد وتقدم معنى الاحسان وقيل لهم مع حياتهم عند موتهم وضاقا فقال اوصيكم بآيات الله وآخر سورة النحل ادع الى سبيل ربك الى آخرها

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الاسراء

هذه السورة مكية الا ثلاث آيات قوله عز وجل وان كادوا ليستفزونك نزلت حين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف وحين قالت اليهود ليست هذه بارض الانبياء وقوله عز وجل وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق وقوله تعالى ان ربك احاط بالناس الآية وقاد متتابعة وقوله عز وجل ان الذين اوتوا العلم من قبله الآية وقال ابن مسعود رضي الله عنه في بني اسرائيل انهن من العتاق الاول وهن من تلادي بريد من قديم كتبته قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الى قوله البصير فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى سبحان اسم موضوع موضع المصدر وهو غير متمكن لانه كرك موجره الاعراب فلا يدخل عليه الالف واللام ولم يجز منه فعل ولم ينصرف لان في اخره زائدتين تقول سبحت تسبيحا وسبحانا مثل كفرت تكفيرا وكفرانا ومعناه التبرية والبراءة لله عز وجل من كل نقص فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره قال الشاعر اقول لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر فانما ذكره على طريق التهاون والتردي

طلحة بن عبد الله العامري احد العشرة انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما معنى سبحان الله فقال
تنزيه الله من كل سوء والعامل فيه مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه لا من لفظه او لم تر من لفظ فعل ذلك
مثل بعدا لهم ونصبا وانما لك الصمانا لتتنزيه عنده انزه الله تنزيها فموضع سبحان الله رفع كان قولك
تنزها الثانية قوله تعالى اسرى اسرى فيه لغتان سرى واسرى كسقى واسقى كما تقدم قال
• اسرت عليه من الحوز اسارته ترجمي الشمال عليه جانب المزده وقال اخره حمي البصير وهمها
الخذره اسرت الى الدلو لكن تشرك • مجمع بين اللغتين يقال سريت
سرى وسريت اسريت اسراء قال الشاعر دلبجة فان بدا سريد ولم يلمى معرفتي من اسرا لقا
لب • وقيل اسرى سار من اول الليل وسرى سار من اخره والاول اعرف الثالثة قوله تعالى بعبده
قال الحلمي لو كان النبي صلى الله عليه وسلم اسم اشرف منه لسماه به في تلك الحالة العلية ومعناه
انشدوا ه يا قوم قلبي عندهند ما يرنه الساقع والراه لا يدعني الا ساعدها فانه اشرف اسمائها
اسماء وقد تقدم وقال التستري لما رفعه الله تعالى الى حضرته السنية واوناه فوق الكواكب
العلوية اورثه اسم العبودية فواضعها للامة الرابعة سبحان الله في جميع مصنفات الحديث
وروى عن الضحاك الصحابة في كل اقطار الاسلام تهنوا من المنوا نزل هذا الوجه وذكروا التفاش
مما رواه عشرين صحابيا وروى الصحيح عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اتيت بالبراق دهوة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا قال ثم دخلت
المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل عليه السلام باناء من خمر وباناء من لبن فنظرت
فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة قال ثم عرج بنا الى السما وذكر الحديث وما لبس
في الصحيحين ما خرجه الاحرك والسمر قندي قال الاحرك عن ابي سعيد الخدري في قوله تعالى
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله قال
ابو سعيد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة اسري به قال النبي صلى الله عليه وسلم
اتيت ببراق هو اشبه الدواب بالبغل له اذنان يخطر فان وهو البراق الذي كان الانبيا قبل مركبه
فانطلق يضع يداه عند منتهى بصره فسمعت نداء عن يميني يا محمد على رسلك حتى اسلك فمضيت
ولم اعرج عليه ثم سمعت نداء عن يساري يا محمد على رسلك فمضيت ولم اعرج عليه ثم استقبلتني
امراة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول على رسلك حتى اسلك فمضيت ولم اعرج ثم
اتيت بيت المقدس الاقصى فنزلت عن الدابة فاوسيته الحلقة التي كانت الانبيا تربط بها
ثم دخلت المسجد وصليت فيه فقال لي جبريل عليه السلام ما سمعت يا محمد فقلت
سمعت نداء عن يميني يا محمد على رسلك حتى اسلك فمضيت ولم اعرج فقال ذلك داعي اليهود
ولو وقفت لتهودت امتك قال ثم سمعت نداء عن يساري عن رسلك حتى اسلك فمضيت
ولم اعرج عليه فقال ذلك داعي النصارى انك لو وقفت لتنصرت امتك قال ثم استقبلتني
امراة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول على رسلك حتى اسلك فمضيت ولم اعرج عليها فقال ذلك
الدنيا لو وقفت لاخترت الدنيا على الاخرة قال ثم اتيت باناءين باحدهما لبن والاخر فيه خمر فقيل
ما خير فاشرب ايهما شيت فاخذت اللبن فشربته فقال لي جبريل اصبت الفطرة ولو انك اخذت
الخمر غوت امتك ثم جا بالمعراج الذي يعرج فيه ارواح بني ادم فاذا هو احسن ما رايت الى البيوت
كيف تحد بصره اليه فعرج بنا حتى انتهينا باب السما الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل
قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد ارسل اليه قال نعم ففتحوا لنا وسلموا علي واذا ملك يحرس السما
يقال له اسماعيل معه سبعون الف ملك مع كل ملك ماية الف قال وما يعلم جنود ربك الا هو
وذكر الحديث الى ان قال ثم مضينا الى السما الخامسة فاذا انا بهارون بن عمران المحبب في قومه وحوله
تبع كثير من امته فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم وقال طويل اللحية وكاد لحيته تضرب سرته ثم
مضينا الى السما السادسة فاذا انا بموسى فسلم علي ورحب بي فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم
فقال رجل كثير الشعر لو كان عليه قميصان خرج شعره منهما الحديث وروى البزار ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتي بفرس فحمل عليه كل خطوة منه اقصى بصره وذكر الحديث وقد
جا في صفة البراق من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نايم في الحجر
اذا انا بدابة تحركني برجله فانتبهت الشخص فاذا هو جبريل عليه السلام نايم على باب المسجد
معه دابة دون البغل وفوق الحمار في جبهاوجه انسان وخدها خد حافر وذنبها ذنب ثور
وعرفها عرف الفرس فلما ادناها مني جبريل عليه السلام نفرت ونفشت عرفها فمسحها جبريل
عليه السلام وقال يا براق اتفعل بمحمد فوالله ما ركبك ملك مقرب ولا نبي مرسل افضل من محمد

صلى الله عليه وسلم وهو اكرم على الله منك قال فقد علمت انه كذلك وانه صاحب الشفاعة وانى احب ان
اكون انا شفاعته فقلت انت فى شفاعتى ان شاء الله تعالى الحديث وذكر ابو سعد عبد الملك
ابن محمد النيسابورى عن ابى سعيد الخدرى قال لما مر النبى صلى الله عليه وسلم بادريس عليه السلام
فى السماء الرابعة قال مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح الذى وعدنا ان نراه فلما برز الى الليلة قال
ما ذا ينبغى لمريم بنت عمران لها سيمون قصر من لولو ولام موسى بن عمران سيمون قصر من مرجانة
حمراء مكللة باللولو ابوابها وامرها من عرق واحد فلما عرج المعراج الى السماء الخامسة وشبح
اهلها سمعان رجع بينا نسلج والنار تقاطر قطرة واحدة كان له مثل ثوابهم فاستفتح الباب
جبريل عليه السلام ففتح له فاذا هو برجل لم ير كهل قط احمل منه عظيم العينين نصر تكيته
فرسا من سرير قد كاد ان تكون سمطه وحوله قوم طوال حسن يقصر عليهم فقلت يا جبريل من هذا قال
قاله هارون المحبب فى قومه وذكر الحديث فهذه نبذة مختصرة من احاديث الاسراء خارجة عن
الصحيحين ذكرها ابو الربيع سليمان بن سبع بكمالها فى كتاب شفاء الصدور وزوال الخلاف بين
اهل العلم وجماعة اهل السير ان الصلاة انما فرضت على النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فى حين
الاسراء حين عرج به الى السماء واختلفوا فى تاريخ الاسراء وهل كان الاسراء بروحه او جسده
فهذه ثلاث مسايل تتعلق بالاية وهى مما سمعنا لوقوف عليها والبحث عنها ومما هم من سرد تلك
الاحاديث وانا اذكرها وقفة عليه فيها من اقاويل العلماء واختلاف الفقهاء بعون الله تعالى
فاما المسالة الاولى وهو هل كان اسراء بروحه او جسده اختلف فى ذلك السلف والخلف
فذهبت طايفة الى انه اسرى بالروح ولم يفارق شخصه مضجعه وانما كانت رويا راى فيها الحقايق كما
ورد الانبياء حق ذهب الى هذا معاوية وعايشة وحكى عن الحسن وابن اسحق وقالت طايفة
كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله تعالى الذى اسرى
بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى عليه اسرى قالوا ولو كان الاسراء بجسده الى زايد
على المسجد الاقصى لذكره فانه كان يقود ابلغ فى المدح وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه
كان اسراء بالجسد وفى اليقظة وانه ركب البراق بمكة ووصل الى بيت المقدس وصلى فيه ثم اسرى
بجسده وعلى هذا تدل الاخبار التى اشرنا اليها والاية وليس فى الاسراء بجسده وحال يقظة استحالة
ولا بعد عن الظاهر وتحقيقه ان التاويل انما يصار اليه عند استحالة ولو كان منام ما لما كانت فيه اية ولا يعجزه ولما قالت
له ام هانى لا تحدث الناس فيكذبونك ولا فعل ابو بكر بالتصديق ولا امكن قريش التسمع والتكذيب
وتكذيب قريش فيما اخبر به حين ارتد اقوام كانوا امنوا فلو كان ذلك بالرويا لم ينكرن وقد قال له المشركون
ان كنت صادقا فاخبرنا عنها عن عيرنا ايرد لقيتها قال بمكان كذا وكذا مررت عليها فنفر فلان فقيل له ما رايت
يا فلان قال ما رايت شيئا غير ان الابل قد نفرت قالوا فاخبرنا متى تاتينا العير قال تاتيكم كذا قالوا اليوم
له ساعة قال ما ادرى طلوع الشمس من ها هنا اسرع ام طلوع العرس ها هنا فقال رجل ذلك اليوم هذه
الشمس قد طلعت وقال رجل هذه عيركم قد طلعت واستخبروا النبى صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت
المقدس فوصفه لهم ولم يكن راه قبل ذلك روى الصحيح عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد رايتنى فى الحجر وقريش تسالنى عن مسراى فسالتنى عن اشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت
كربا ما كربت مثله قط قال فرفعه الله لى انظر اليه فما سالونى عن شى الا انبانهم به الحديث وقد اعرض
قوم عن عايشة ومعاوية انما اسرى بنفس رسول الله صلى الله عليه وسلم بانها كانت صغيرة لم تشاهد ولا
حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم واما معاوية فكان كافرا فى ذلك الوقت غير مشاهد للحال ولم يحدث
عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن اراد الزيادة على ما ذكرنا فليقف على كتاب الشفا للقاضى عياض من
يجد من ذلك الشفاء وقد احتج لعايشة بقوله تعالى وما جعلنا الرويا التى اريناك الا فتنة للناس
تسماها رويا وهذا يرده قوله تعالى سبحان الذى اسرى بعبده ليلا اتبعه باليوم اسرى وايضا فقد
يقال لرويته العين رويا على بابها فى بيانه فى هذه السورة وفى نصوص الاخبار الثابتة دالة واضحة
على ان الاسراء كان بالبدن واذا ورد الحرف محتملا فى العقل فى قدرة الله تعالى فلا طريق لنا الى انكاره لا سيما فى
زمن خرق العوايد وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم معاجز فلا يبعد ان يكون البعض بالرويا
وعليه يحمل قوله عليه السلام فى الصحيح بينا انا عند البيت بين النايم واليقظان الحديث ويحتمل ان
يكون ومن الاسراء الى يوم والله اعلم المسالة الثانية فى تاريخ الاسراء وقد اختلف العلماء فى ذلك ايضا واختلف
فى ذلك عن ابن شهاب فروى عنه موسى بن عقبة انه اسرى به الى بيت المقدس قبل خروجه الى المدينة بسنة
وروى عنه يونس عن عروة عن عايشة تاخر فيت خديجة قبل ان تفرض الصلاة قال ابن شهاب وذلك بعد
مبعث النبى صلى الله عليه وسلم لسبعة اعوام وروى عنه القاضى قال اسرى به بعد مبعثه بخمس سنين

قال ابن شهاب وفرض الصيام بالمدينة قبل بدر وفرضت الزكاة والحج بالمدينة وحرمت الخمر بعد احد وقال
ابن اسحق اسري برسول من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس وقد نشأ الاسلام بمكة في القبائل
وروى عنه يونس بن بكير قال صلت خديجة مع النبي صلى الله عليه وسلم ويسأل قال ابو عمر وهذا ابلغ
على ان الاسرا كان قبل الهجرة باعوام لان خديجة توفيت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بثلاث وقيل
باربع وقد ابن اسحق مخالف لقول ابن شهاب على ان ابن شهاب قد اختلف عنه كما تقدم وقال الحربي اسري
برسول ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقال ابو بكر محمد بن علي بن القاسم الذهبي في تاريخه
اسري برسول من مكة الى بيت المقدس وعرج به الى السما بعد مبعثه بثمانية عشر شهرا قال ابو عمر لا اعلم
احدا من اهل السير قال ما حكاه الذهبي ولم يسند قوله الى احد ممن يجاب اليهم هذا العلم منهم وارفعهم
الذين يحتج بهم عليهم المسألة الثالثة واما فرض الصلاة وهيئتها حين فرضت فلا خلاف بين اهل
العلم وجماعة اهل السير ان الصلاة انما فرضت بمكة ليلة الاسرا حين عرج به الى السما وذلك منصوص
في الصحيح وغيره وانما اختلفوا في هيئتها حين فرضت فروى عن عايشة رضي الله عنها انها فرضت
ركعتين ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر فاتمت اربعا وادت صلاة السفر على ركعتين وبذلك
قال الشعبي وميمون بن مهران ومحمد بن اسحق قال الشعبي الا المغرب قال يونس بن بكير قال ابن
اسحق ثم ان جبريل عليه السلام اتى النبي صلى الله عليه وسلم حين فرضت عليه الصلاة بمعنى
في الاسرا وهمز بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت عين ماء فتوضى جبريل ومحمد ينظر اليهما السلام
يوضا وجهه واستنشق وتمضمض ومسح برأسه واذنيه وغسل رجليه الى الكعبين ونضح فرجه
ثم قام يصلي ركعتين باربع سجدات فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فاعرض الله عنه
وطلبت نفسه وجاهه ما يجب من امر الله تعالى فاخذ بيد خديجة ثم اتى بها العين فتوضا كما
توضا جبريل ثم ركع ركعتين واربع سجدات هو وخديجة ثم كان هو وخديجة يصليان سوا
وروى عن ابن عباس انما فرضت في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وبذلك قال نافع بن جبير
والحسن بن ابي الحسن البصري وهو قول ابن جريج وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يوافق
ذلك ولم يختلفوا ان جبريل عليه السلام هبط صبيحة ليلة الاسرا عند الزوال فعلم النبي صلى
الله عليه وسلم الصلاة ومواقيتها وروى يونس بن بكير عن سالم مولى ابي المهاجر قال سمعت
ميمون بن مهران يقول كان اول الصلاة مثنى ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعا
فصارت سته وافرب الصلاة للمسافر ومي تمام قال ابو عمر وهذا اسناد لا يحتج بمثله وقوله
فصارت سته قول منكر وكذلك استثنا الشعبي المغرب وحدها ولم يذكر الصبح قول لا يعرف
له وقد اجمع المسلمون ان فرض الصلاة في الحضر اربعا الا المغرب والصبح والمتواتر عن
ذلك عملا ونقلا مستفيض ولا يعرفهم الاختلاف فيما كان اصل فرضها السابعة قد مضى الكلام
في الاذان في المايدة والحمد لله ومضى في ال عمران ان اول مسجد وضع في الارض المسجد الحرام
ثم المسجد الاقصى وان بينهما اربعين عاما من حديث ابي ذر وبنا سليمان المسجد الاقصى ودعا
ودعاوه له من حديث عبد الله بن عمرو وجه الجمع في ذلك قد تقدم هناك بما لا معنى للاعادة وبذكر
وبذكر هنا قوله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد الى المسجد الحرام
والى مسجدي هذا والى مسجد ايليا او بيت المقدس خرجه مالك من حديث ابي هريرة وفيه
ما يدل على فضل هذه المساجد الثلاثة على سايرالمساجد كلها قال العلما من نذر صلاة في مسجد
ليصلي فيه لزمه الوفا حيث كان الرباط لله طاعة لله عز وجل وقد راى ابو الخير بهذا الحديث
مسجد الجند والصحيح وهو موضوع وقد تقدم في مقدمة الكتاب ما فيه وقوله تعالى
الى المسجد الاقصى سمي الاقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام وكان ابعد مسجد عن اهل
مكة في الارض معظم الزيارة ثم قال الذي باركنا حوله قيل بالثمار ومجاري الانهار وقيل بمن قد
حوله من الانبيا والصالحين ولهذا جعل مقدسا وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يقول الله تعالى يا شام انت صفوتي من بلادي وانا سايق اليك صفوتي من عبادي
لتزيد من ايانا هذا من باب تلوين الخطاب والايات التي اراه الله من العجايب التي اخذها الناس
واسراه من مكة الى المسجد الاقصى في ليلة وهو مسيرة شهر وعروجه الى السما ومنه الى سدرة
واحدا واحدا حسب ما تبت في صحيح مسلم وغيره انه هو السميع البصير تقدم قوله تعالى وانينا
موسى الكتاب اي كرمنا محمدا صلى الله عليه وسلم بالمعراج واكرمنا موسى بالكتاب وهو التوراة
وجعلناه اي ذلك الكتاب وقيل موسى وقيل معنى الكلام سبحان الذي اسري بعبده ليلا

راي موسى الكتاب فخرج من الغيبة الى الخبار عن نفسه جل وعز وقبل ان معنى سبحان الذي اسرى
بعبده تبلا معناه اسرا دل عليه ما بعده من قوله لئلا يتخذوا وابنا موسى الكتاب على المعنى
الا يتخذوا قرا ابو عمر ان يتخذوا بالياء لما قوبت بالتا فيكون من باب تلوين الخطاب وكيلا ان يريد كلا
عن مجاهد فقيل كفيلا بامورهم حكاه الفراء وقيل ربا يتوكلون عليه في امورهم قاله الكلبي وقال
الفراء كافيا واستدل بعضهم بهذا على ان الوكيل من يوكل اليه الامر قوله تعالى
ذرية من حملنا مع نوح اي يا ذرية من حملنا على السفينة قاله مجاهد رواه عنه ابن ابي نجيح والمراد بالذرية
كل من اصبح عليه بالنسل وهم جميع من على الارض وكفرهم المذكور وقال الماوردي يعني موسى وقومه من
بني اسرائيل والمعنى يا ذرية من حملنا مع نوح لا تتركوا وذكر نوحا ليذكرهم نعمة الانجاء من الغرق على
ابائهم وروى سفيان عن حميد عن مجاهد انه قرا ذرية بفتح الراء وتشديد الواو وابا وروى
هذه القراءة عامر بن الواحد عن يزيد بن ثابت وروى عن يزيد بن ثابت ايضا ذرية بكسر الدال وشد الراء
والمعلم بين ان نوحا كان عبدا شكورا لله على نعمه ولا يرى الخير الا مرصده قال قتادة كان اذا لبس
ثوبا قال بسم الله واذا نزعه قال الحمد لله كذا روى عنه معمر عن منصور عن ابراهيم قال لسكره اذا اه
اكل قال بسم الله فاذا فرغ من اكل قال الحمد لله وقال سليمان التيمي لم يكن احد يحمد الله على طعامه
وقال عمران بن سليم انما سمي نوحا عبدا شكورا لانه كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء
لجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء لظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي يحدثني ولو
شاء لاحفاني واذا قضى حاجة قال الحمد لله الذي اخرج عني الاذى ولو شاء لحبسه في وقيل المعنى ان موسى
انكم من ذرية نوح وقد كان عبدا شكورا فانتم احق بالاقتداء به دون اباكم الجهال وقيل المعنى ان موسى
كان عبدا شكورا وجعلهم الله تعالى من ذرية نوح وقيل يجوز ان تكون ذرية منصوبا لانها لا تتخذوا هو
ويكون قوله وكيلا يراد به الجمع فيسوغ ذلك في القراءتين اعني الياء والتاء لتتخذوا ويجوز ايضا
في القراءتين جميعا ان يكون ذرية بدلا من قوله وكيلا لانه بمعنى الجمع فكانه قال لا تتخذوا ذرية من
حملنا مع نوح ويجوز نصبها باضمار اعني او امدح والوجه قد مضت على المدح واللوم ويجوز رفعها على
الهجاء لمن المضمر في تتخذوا اي قراءة من قرا بالياء والتاء يجمز ذلك لمن قرا بالياء لان المخاطب لا يبعد منه الغايب
ويكون خبرها على البعد من بني اسرائيل فيما ان يبين قوله ان لا تتخذوا فيهم على قراءة من قرا بالتاء
في موضع نصب بحرف الجار التقدير هديناهم لئلا يتخذوا ويصلح على قراءة التاء ان تكون لا زايدة هو
والقول مضمر كما تقدم ويصلح ان تكون مفسرة بمعنى ان لا موضع لها من الاعراب وتكون لا للنهي فيكون
خروجا من الخبر الى النهي قوله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب وقرا سعيد بن جبير وابو
العالية قضينا الكتب على لفظ الجمع وقدير لفظ الواحد ويكون معناه الجمع فتكون القراءتان بمعنى واحد
ومعنى قضينا اعلمنا واخبرنا قاله ابن عباس وقال قتادة حكمنا واصل القضاء الاحكام للشيء والفراغ منه
وقيل قضينا اوحينا وذلك قاله الى بني اسرائيل وعلى قول قتادة يكون الى بمعنى على اي قضينا
عليهم وحكمنا وقال ابن عباس ايضا والمعنى باكتاب اللوح المحفوظ لتفسدن وقرا ابن عباس
لتفسدن عيسى الثقفي لتفسدن والمعنى في القراءتين قريب لانهم اذا افسدوا فسدوا والمراد
بالفساد مخالفة احكام التوراة في الارض يريد ارض الشام وبين المقدس وما والاها من بيت
ولتعلن اللام في لتفسدن ولتعلن لام قسم مضمر كما تقدم علوا كبيرا اراد ليتكبروا البغي والطغيان
والاستطالة والغلبة والعلو ان قوله تعالى فاذا جاء وعد اولاهما اي اولى المرتين من
فسادهم بعثنا عليهم عبادا لنا اولي باس شديد هم اهل بابل وكان عليهم بخت نصر في المرة الاولى
حين كذبوا ارميا وحرجوه وحبسوه قاله ابن عباس وغيره وقال قتادة ارسل عليهم جالوت
فقتلهم قهرهم وغزاهم اولوا باس شديد وقال مجاهد جاءهم جند من فارس فخسفوا اخبارهم
ومعهم بخت نصر فوعى حديثهم من بين اصحابه رجعوا الى فارس ولم يكن قتالا هذا في المرة
الاولى وكان منهم حبوس جالوت الذي ذكره القشيري ابو نصر وذكر المهدوي عن مجاهد
انه جاءهم بخت نصر فهزمه بنو اسرائيل ثم جاءهم ثانية فقتلهم ودمرهم تدميرا ورواه ابن ابي نجيح
عن مجاهد ذكره النحاس وقال محمد بن اسحاق في خبر فيه طول ان المهزوم سنحاريب ملك بابل
جاء ومعه ستمائة الف راية تحت كل راية مائة الف فارس فنزل حول بيت المقدس فحصره
الله تعالى فهلك وهلك جميعهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه ولحق ملك بني اسرائيل واسمه
صديقة بسنحاريب فاخذ مع الخمسة احدهم بخت نصر وقلر في زنابهم الجوامع وطاف
بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وابليا ويرزخهم خبز نقي من شعير لكل رجل منهم ثم اطلقهم
فرجعوا الى بابل ثم مات سنحاريب بعد سبع سنين واستخلف بخت نصر وعظم الحوادث في بني
اسرائيل حتى اقتاهم وقال ابن عباس وابن مسعود اول الفساد قتل زكريا وقال ابن اسحاق فساد هم

في المرة الاولى قتل شعيبا نبيا بسبب الشجرة وذلك انه لما مات صديقه ملكهم سرح امرهم وتنا
على الملك وقتل بعضهم بعضا ولم يسمعوا من نبيهم فقال الله تعالى له تم في قومك ادع علي
لسانك فلما فرغ مما اوحى الله اليه عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فانفلقت له شجرة فدخل فيها
وادركه الشيطان فاخذ هدبة من ثوبه فاراهم اياها فرصفوا المنشار في وسطها حتى قطعوها
وقطعوه في وسطها وذكر ابن اسحق ان بعض العلماء اخبره ان زكريا مات موتا ولم يقتل وانما المقتول
شعيبا وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى جعلنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال
الديار هو سنحاريب من اهل نينوا الموصل ملك بابل وهذا خلاف ما قاله ابن اسحاق والله اعلم
وقيل انهم العمالقة وكانوا كما قاله الحسن وغيره جاسوا عاثوا وقتلوا وذلك جاسوا وهاسوا
وداسوا قاله ابن عزيز وهو قول الفتى وقال ابن عباس جاسوا بالحاء المهملة قاله ابو زيد الجوس
والجوس والعوس والهوس الطوف بالليل وقال الطبري الجوس مصدر قولك جاسوا خلال الديار
ابتخلموها فظلموا ما فيها كما يجوس الرجل الاخبار اي يطلبها ولذلك الاخبياس والجوسات بالتحريك
الطوفان بالليل وهو قول ابي عبيدة وقال الطبري طافوا بين الديار يطلبونهم ويقتلونهم
داخلين وجائين فجمع بين قولي اهل اللغة قال ابن عباس مشوا وتردد وا بين الدور والمساكن
وقال الفراء قتلوكم بين بيوتكم والشد الحسان ه ومنا الذي في بسيف محمد ه فجاسوا عن الاعدا
عرض العساكر ه وقال فتطرب ه نزلوا قال فجاسوا ديارهم عنوة ه وابنا سراتهم موثقينا وكان
وكان وعدا مفعولا اي قضاء كائنا لا خلف فيه قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم اي الدولة والرجعة
وذلك انهم واطعتم ثم قيل ذلك مقتل داود جالوت وقيل غيره على الخلاف فيمن قتلهم وامددناكم باموال
وبنين حتى عاد امركم كما كان وجعلناكم اكثر نفيرا وناصر مقاتل وقادر وجوز ان يكون النفير جمعا جمع
نفير كالكليب والمغير والعبيد قال الشاعر ه فاكرم بقحطان من والد وجمر اكرم بنوم لئيم ه والمعنى
انهم صاروا بعد هذه الوقعة الاولى اكثر انضماما واصلح حالا الى الاجل من الله تعالى لهم على عودهم الى
الطاعة قوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم ان تتبع احسانكم عائدا اليكم وان اسأتم فلها
اي فعليها على نحو سلام لك اي سلام عليك قال فخص لها لليدين وللعواي على اليدين وعلى الفم
وقال الطبري اللام بمعنى الى يعني ان اسأتم فاليها اي فالها ترجع الاساءة لقوله تعالى بان ربك
اوحى لها اي اليها فلها الجزاء والعقاب وقال الحسين بن الفضل فلها رب يغفر الاساءة ثم يحمل ان
تكون هذا خطابا لبني اسرائيل في اول الامر اي ان اسأتم فلكم القتل والسبي والتخريب ثم احسنتم
فلكم الملك والعلو وانتظام الحال ويحتمل ان خطب بهذا بنو اسرائيل في زمن محمد صلى الله
عليه وسلم اي ان عزمتم استحقاق اسلافكم العقوبة على المعصية فارتقبوا لعلة ان تكون خطابا
لمشركي قريش على هذا الوجه فاذا جاء وعد الاخرة من افسادكم وذلك انهم قتلوا في المرة الثانية
يحيى بن زكريا عليهما السلام قبله ملك من بني اسرائيل يقال له احث قاله الثعلبي وقال الطبري
اسمه هرودس ذرة لي التاريخ حمله على قتله امرأة اسمها ارسيل قال السدي كان ملك بني
اسرائيل يلزم يحيى بن زكريا ويستشيره في الامور فاستشاره الملك ان يتزوج بنت امرأة له فنهاه
عنها وقال لها لا تحل لك فحقدت امها على يحيى عليه السلام ثم البست ابنتها ثيابا رقاقا حمرا
وطيبتها وارسلتها الى الملك وهو على سريره وامرتها ان تتعرض له وان اراودها ابت حتى يعطيها
ما تسأله فاذا اجابت سألت ان يوتى برأس يحيى بن زكريا في طشت من ذهب ففعلت ذلك حتى
اتت برأس يحيى بن زكريا والرأس تتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول له لا تحل لك لا تحل لك فلما
اصبح اذ دمه يغلي ما ألقي عليه التراب فعلى فوقه فلم يزد يلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة
وهو في ذلك يغلي ذكره الثعلبي وغيره وذكر ابن عساكر الحافظ في تاريخه عن الحسين بن علي قال
كان ذلك الملك من هذه الملوك الذين ماتوا وتركوا اثرانه وابقته فورث ملكه اخوه فاراد ان يتزوج امرأة
اخيه فاستشار يحيى بن زكريا في ذلك وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بامر الانبياء فقال له لم
لا تتزوجها فانها بنت عم فلانة المرأة التي تذكرها وهي عنها فقالت له ابن هذا حتى يلقاها الرجل
يحيى فقالت لتقتلن يحيى او لتخرجن من ملكه فحدثت الى ابنتها وعلمها وقالت ارسلي الى عمك
عبد الملك انه اذا راك سيدعوك ويجلسك الى جنبه ويقول سليني ما شئت فانك لن تسأليني
شيئا الا اعطيتك فاذا قال لك ولك فقولي لا اسأل الا راس يحيى فاذا كانت الملوك اذا كلم احدهم
بشيء على رؤوس الملائكة لم يرجع ولم يمض له سرع من ملكه فعلت ذلك قال فجعل يا بنية الموت من قتله
يحيى وجعل يا بنية الموت من خرج منه من ملكه فاختار ملكه بقتله قال فساخت بهما الارض قال ابن
جدعان فحدثت هذا الحديث ابن المسيب فقال فاخبرك كيف كان يحل قتل زكريا ثلاثا قال
قتل ابنه اتطلقوها ربا منهم وانتموه حتى اتي على شجرة ذات ساق فدعت اليها فانطوت عليهم وبقيت

من نومه هدبة يكيفها الرياح فانطلقوا الى الشجرة فلم يجدوا اثره بعدها ومروا بتلك الهدبة
فدعوا بالمنشار فقطعوا الشجرة فقطعوه معها قلت رفع في التاريخ الكبير للطبري فحدث
ابو السايب قال يا ابو معاوية عن الاعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما رفع عيسى
ابن مريم كبى بن زكريا الى عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان فيما ينهونهم عنه نكاح ابنة
الاخ قال وكان لملكهم ابنة اخ تعجبه وذكر الخبر بمعناه وعن ابن عباس قال لما رفع عيسى بن مريم كبى بن زكريا الى اثني
عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما يعلمونهم ينهونهم عن نكاح بنت الاخت وكان لملكهم
بنت اخت تعجبه وكان يريد ان يتزوجها وكان لها كل يوم حاجة تقضيها فلما بلغ ذلك ام ما ابتهم بهواه
عن نكاح بنت الاخت قالت لها اذا دخلت على الملك فقال لك حاجة فقولي له حاجتي ان تذبح لي
يحيى بن زكريا فقال سليني شواهدا قالت ما املك الا هذا فلما انت عليه وما دخلت ودعا به فذبحه
فصدرت قطرة من دمه على وجه الارض فلم تزل تغلي حتى بعث الله عليهم بختنصر فالقى في نفسه ان يقتل
يقبل على ذلك الدم منهم حتى يسكن فقتل عليه منهم سبعين الفا في رواية خمسة وسبعين الفا قال
سعيد بن المسيب هي دية كل نبي وعن ابن عباس قال اوحى الله عز وجل الى محمد صلى الله عليه وسلم انك قتلت
بيحيى بن زكريا سبعين الفا اراك قاتل بابنك سبعين الفا وسبعين الفا وعن سمير بن عطية قال
قتل على الصخرة التي في بيت المقدس سبعين نبيا منهم يحيى بن زكريا وعن يزيد بن رومان قال رايت
راس يحيى بن زكريا عليه السلام حيث اراد ولبنا مسجد دمشق اخرج من تحت ركن من اركانه ان القبة
التي في المحراب مما يلي الشرق فكانت العبرة والشعر على حاله لم يتغير وعن قرة بن خالد قال
ما نبت الشعر على احد الا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي وحمزة بكاؤها وعن سفيان بن عيينة قال
اوحى الله الى يحيى بن زكريا انك تموت لثلاثة مواطن يوم ولدت فتخرج الى دار الدنيا فتجد دارها
خرابا ليس فيها احد ويوم يبعث فيشهد مشهد الم ير مثله قال الله تعالى ليحيى في هذه المواطن وسلام عليه
يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا كذا في تاريخ المذكور واختلف فيمن كان المسعود عليهم في الكرة
الاخيرة فقيل بخت نصر وقال الفشيري ابو نصر بن ذكر غيره قال السهيلي وهذا الاصح كان قتل يحيى و
كان بعد رفع عيسى وكان بخت نصر كان قبل عيسى بن مريم عليهما السلام زمان طويل وقيل الاسكندر وبين
الاسكندر وعيسى نحو من ثلثمائة سنة ولكنه اذا اريد بالمرة الاخيرة يجيء قتلوا شعيبا فقد كان بخت
نصر اعدد اكحبا فهو الذي قتلهم وخرب بيت المقدس وانتهبهم الى مصر واخرجهم منها وقال الثعلبي
وذكر رويان ان بخت نصر هو الذي سار الى بني اسرايل عن قتلهم يحيى بن زكريا فقد اجمع اهل السير والاخبار انهم
مجمعون ان بخت نصر انما غزا بني اسرايل بعد قتلهم شعيبا والى عدا رميا قالوا وبن عهد ارميا وكرسي
بخت نصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا عليهما السلام اربعمائة سنة واحدى وسبعين سنة وذلك
انهم يعدون من عهد تخريب بيت المقدس الى عمارته في عهد لوسل نتيف وسبعين سنة ثم بعد عمارته الى ظهور
الاسكندر على بيت المقدس ثمانية وثمانين سنة ثم من بعد ملك الاسكندر الى مولد يحيى ثلثمائة
وثلاث وستين سنة قلت ذكر جميع ما تقدم الطبري في التاريخ رحمه الله قال الثعلبي والصحيح
من ذلك ما ذكره محمد بن اسحق قال لما رفع الله عيسى بن مريم اظهروا يحيى وبعض الناس يقول لم
يقتلوا زكريا بعث الله اليهم ملكا من ملوك بابل يقال له هردوس فسار اليهم باهل بابل وظهر عليهم
بالشام ثم قال ربيس جنوده كنت حلفت بالهتي ليظهرني الله على بيت المقدس لاقتلنهم حتى
تسيل دماؤهم في وسط عسكري وامره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم فدخل الربيس بيت المقدس له
فوجد فيها دما يغلي فسالهم فقالوا دم قربان قربناه فلم يقبل منا منذ ثمانين سنة قال ما صدقتموني
فتذبح على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلا من رؤسائهم فلم يهدا فامر بسبعمائة الاف من سبيهم وازواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدا فقال يا بني اسرايل صدقوني من قبل ان انزل منكم بالحق ما ارى الذي لا امن
ذكر فلما رأوا الجهد قالوا ان هذا دم نبي منا كان ينهانا عن امور كثيرة ثم سخط الله فقتلنا به
فهذا دمه كان اسمه يحيى بن زكريا ما عصى الله تعالى طرفة عين ولا هم بمعصية فقال الان صدقتموني
وخر ساجدا ثم قال لملك هذا اينتقم منكم وامر بملك الابواب وقال اخرجوا من كان هاهنا من جيش
هردوس وحلفائه من بني اسرايل وقال يا ابن الله يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد اصاب قومك
من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا ابقي منهم احدا وهذا دم يحيى بن زكريا باذن الله عز وجل
او رفع عنهم القتل وقال ربه اني اصبت ما امرتم بنو اسرايل وصدقت به فاوحى الله تعالى الى راس
من رؤوس الانبيا ان هذا الربيس مومن صدوق ثم قال ان عدو الله هردوس امرني ان اقتل منكم
حتى يسيل دماكم وسط عسكره واني لا اعصبه فامرهم فحفروا اخدودا وامر بابوابهم من الابل والخيل
والبغال والحمير والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم الى العسكر وامر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل
ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ثم انصرف عنهم الى بابل وقد كاد ان يفنى بني اسرايل فلما

قد ورد في هذا الباب حديث مرفوع فيه طول مر ضربت حذيفة وقد كتبناه في كتاب التذكرة مقطعا
في ابواب في اخبار المهدي يذكر هنا هنا ما لا بد منه معنى الآية ونعتصرها حتى لا يحتاج معه الى بيان قال
حذيفة قلت يا رسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيما جسيم الخطر عظيم القدر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو من اجل البيوت اسماه الله لسليمان بن داود وعلمها السلام من ذهب
وفضة ودر وياقوت وزمرد وذلك ان سليمان بن داود لما بناه سخر له الجن فاتوه بالذهب
والفضة من المعادن واتوه بالجواهر واليواقيت والزمرد وسخر الله له الجن حتى سووا له هذه الاصناف
قال حذيفة قلت يا رسول الله وكيف اعرف هذه الاشياء من بيت المقدس فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما عصوا الله وقتلوا الانبياء سلط الله عليهم بخت نصر وهو من المجوس
وكان ملكه سبع مائة سنة وهو قوله فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد
فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والاطفال
واخذوا الاموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الاصناف فاحتملوها على سبعين الفا وثمانية آلاف
بحمله حتى ادخلوها ارض بابل فاقاموا بها يستخدمون بني اسرائيل ويستملكونهم بالخزي والعقاب والنكال
مائة عام ثم ان الله عز وجل رحمهم فاوحى الى ملك من ملوك فارس ان يسير الى المجوس في ارض بابل وان
يستنقذ من في ايديهم من بني اسرائيل فسار اليهم ذلك الملك حتى دخل ارض بابل فاستنقذ من كان في اسرائيل
من ايدي المجوس واستعاد ذلك الحلي الذي كان من البيت المقدس ورده الله اليهم كما كان اول مرة وقال
لهم يا بني اسرائيل ان عدتم الى المعاصي عدنا اليكم بالسبي والقتل وهو قوله عسى ربكم ان يرحمكم
وان عدتم عدنا فلما رجعت بنو اسرائيل الى البيت المقدس عادوا الى المعاصي فسلط الله عليهم
ملك الروم قيصر وهو قوله فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه
اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا فقراهم في البر والبحر سفنهم وقتلهم واحراقهم وسارهم
واخذ على جميع بيت المقدس واحتمله على سبعين الفا وساقه الى بحيرة حتى اودعه في كنيسة الزهرة
وهو فيها للاب حتى يأخذه المدرك فيرده الى بيت المقدس وهو سفينة وسبع مائة سفينة يرمي بها
علي يا في حتى ينتقل الى بيت المقدس وبها يجمع الله الاولين والآخرين وذكر الحديث قوله تعالى
فاذا جاء وعد الآخرة اي من المرتين وجواب اذا محذوف تقديره بعثناهم ليسوءوا الاول
ليسوءوا وجوهكم اي بالسبي والقتل فيظهر اثر الحزن في وجوهكم فليسوءوا متعلق بمحذوف اي
بعثنا عبادا ليفعلوا بكم ما يسوء وجوهكم فعلى المراد بالوجوه انسانه اي ليذلوهم وقرا الكسائي
ليسوء بنون وفتح الهمزة فعل يخبر عن نفسه معظما اعتبارا بقوله وقضينا وبعثنا وردنا
ونحوه عن علي ونصبها فراه على ليسوء بالنون وحروف التاكيد وقرا ابو بكر والاعمش وابن
وثاب وحمزة وابن عامر ليسوءا بالياء على التوحيد وفتح الهمزة ولها وجهان احدهما ليسوء الله
وجوهكم والثاني ليسوء الوعد وجوهكم وقرا الباقون ليسوءا بالالف وضم الهمزة على الجمع اي
ليسوء العباد الذين بعثهم اولوا باس شديد وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا
اي يدمروا ويهلكوا وقال قطرب يهدموا قال الشاعر ذا الناس الا عاملون خفاهل سعى الدنيا
وآخر رافع ما علوا عليه من بلادكم تتبيرا قوله تعالى عسى ربكم ان يرحمكم وهذا ما اخبرهم به من كتابهم
وعسى وعد من الله ان يكشف عنهم وعسى من الله واجبة ان يرحمكم بعد انتقامه منكم وذلك كان
فكثر عددهم وجمل منهم الملوك وان عدتم عدنا لقتادة فعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى
الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية بالصغار وروى عن ابن عباس وهذا خلاف ما تقدم في الحديث
وغيره وقال التنيري وقد فعل العقاب بني اسرائيل مرتين على ايدي الكفار ومرة على ايدي المسلمين
وهذا جزء وانفاذا لله عليهم وعلى هذا يصح قول قتادة وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي
محبسا وسجنا من الحصر وهو الحبس قال الجوهري قال الحصر بحصره حصرا ضيق عليه واحاط به والحصر
الضيق البخل والحصير الحبس قال الاصمعي هو ما بين الوتد الذي يظهر في جنب البعير
والفرس موصلا ما فوقه الى منقطع الجنب والحصير الملك لانه محجوب قال لبيد وقاهم ولم تعلم
الرقاب كانهم حر لدى باب الحصير قيام تيرد ومقام عليه الرقاب على ان يكون غلب بالامر مقامه كانه
قال وذب عنه الرقاب وروى عن ابي عبيدة لدى ظرف الحصير قيام اي عند ظرف الساط للنعمان
ابن المنذر والحصير المحبس قال الله تعالى وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا قال التنيري ويقال للذي
غرس حصيرا لحصر بعضه على بعض بالنسخ وقال الحسن اي فراشا مهادا اذهب الى الحصير الذي تفرش
لانه يلي الساط والصغير حصيرا قال الثعلبي وهو وجه حسن قوله تعالى ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم لما ذكر المعراج وذكر ما قضى الى بني اسرائيل وكان ذلك دلالة على نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم بين ان الكتاب الذي انزله الله عليه سبب الهدى ومعنى للتي هي اقوم اي للطريقة

التي

التى هى اشد واعدل واصوب قال ثعلب لموصوف محذوف اى الطريقة التى هى اقوم وقال الزجاج
للحال التى هى اقوم الحالات وهى توحيد الله تعالى والايمان برسله وقاله الكلبى والوار قوله تعالى
ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات معناه انا لهم اى بان لهم اجرا كبيرا اى الجنة وان الذين لا يومنون
بالاخرة اى ويبشر وهم بان لهم العقاب والقرآن معظمه وعد ووعيد وقرا حمزة والكسائى ويبشر
بعقفا بفتح الشين وضم السين وقد ذكر قوله تعالى ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير قال ابن عباس وغيره
هو دعاء الرجل على نفسه وولده عند الضجر بالاياب ان يستجاب له اللهم اهلكه ونحوه دعاه بالخير اى
لرغابه ربه ان يهب له العافية فلو استجاب الله دعاه على نفسه بالشر هلك لكن يفضله لا يستجيب له
فى ذلك نظره ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقد تقدم فنزلت فى النضر بن
الحارث كان يدعو او يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ائتنا
بعذاب اليم وقيل هو ان يدعو فى طلب المحظور كدعايه فى طلب المباح قال الشاعر وهو ابن جامع
• اطوف بالبيت فيمن يطوف • وارفع من سرك المسبل • واسجد بالليل حتى الصباح • واتلو من
المحكم المنزل • عسى فارج الهم عن يوسف سوالى ربه المجمل • وحذفت الواو من ويدع الانسان فى اللفظ
والخط ولم تحذف فى المعنى لان قومنها رفع فرقت لاستثقالها اللام الساكنة كقوله تعالى سندع •
الزبانية ومحى الله الباطل ويبطل الله المومنين وينادى المناد مما تفسر المذر وكان الانسان
عجولا اى طبعه العجلة فيعجل سوال الشر كما يعجل سوال الخير وقيل اشارته الى ادم عليه السلام
حين نهض قبل ان يركب فيه الروح على الكمال قال سلمان اول ما خلق الله تعالى من ادم راسه فجعل
ينظر وهو بلا جسده فلما كان عند العصر بقيت رجلاه لم ينفخ فيها الروح فقال يا رب عجل قبل
الليل فذلك قوله وكان الانسان عجولا وقال ابن عباس لما انتهت النفخة الى سرته نظر الى جسده
فذهب لينهض فلم يقدر فذلك قوله وكان الانسان عجولا وقال ابن مسعود لما دخل الروح فى عينيه
نظر الى ثمار الجنة فلما دخل فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة
فذلك حين يقول خلق الانسان من عجل ذكره البيهقى وفى صحيح مسلم عن انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لما صور الله ادم فى الجنة تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به فينظر ما هو
فلما راه اجوف عرف انه خلق خلقا لا يتمالك وقد تقدم وقيل سلم عليه السلام اسيرا الى سورة فى بيان
ان مسالته فقال اللهى لسده العمر والاسر فما رحت من مكانه حتى نبت فاخبرت النبى صلى الله عليه
وسلم فقال قطع الله يديك فلما اصبحت كانت تتوقع الرمة فقال عليه السلام انى سالت الله تعالى
ان يجعل دعاى على من لا يستحق من اهلى رحمة لا بى بسر اغضب كما يغضب البشر ونزلت الاية ذكره الثعلبى
ابو نصر رحمه الله وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وانى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مومن اذيته
او سببته او جلدته فاجعله له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفى الباب عن عايشة وجابر
وقيل معنى وكان الانسان عجولا اى يوثر العاجل وان قل على الاجل وان جل قوله تعالى وجعلنا
الليل والنهار اى بتقدير ايات علامتين على وحدانيتنا ووجودنا وكمال علمنا وقدرتنا فالاية منهما اقبال
كل واحد منهما من حيث لا يعلم وادباره الى حيث لا يعلم ونقصان احدهما بزيادة الاخر وبالعكس ايضا
وكذلك ضوء النهار وظلمة الليل ونقصان هذا محونا اية الليل ولم يقل فمحونا الليل فلما اضاف
الاية الى الليل والنهار دل على ان الاية المذكورة بينت لهما انهما ممحونا معناه طمسنا وفى الخبر ان الله
تعالى امر جبريل عليه السلام فامر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء وكان كالشمس فى النور
والسواد الذى يرى فى القمر انما هو المحو قال ابن عباس جعل الله الشمس سبعين جزا والقمر سبعين
جزا فمحا من نور القمر سبعة وستين جزا فجعله مع نور الشمس فالشمس على مائة وثلاثين جزا والقمر
على جزء وعنه ايضا خلق الله شمسين من نور وغرسه فجعل ما سبق فى علمه ان يكون شمسا مثل الدنيا
• على قدرها ما بين مشارقها ومغاربها وجعل اكثر دون الشمس وارسل جبريل عليه السلام فامر جناحه
على وجهه ثلاث مرات وهو يومئذ شمس فطمس ضوءه وبقى نوره فالسواد الذى يرى فى القمر اثر المحو
ولو ترك شمسا لم يعرف الليل من النهار ذكر عنه ابو الليثى والثعلبى واثابت المدرى وسيانى مرفوعا وقال
على رضى الله عنه وقتادة يريد بالمحو السواد الذى فى القمر ليكون ضوء القمر اقل من ضوء الشمس فيتميز به
الليل من النهار وجعلنا اية النهار مبصرة اى جعلنا شمسه مضيئة للابصار قال ابو عمرو بن العلا هو
اى يبصرها الكساك وهو من قولك الوب ابصر النهار اذا اضا وصار حاله يبصرها وقيل هو كقولهم
حسب اذا كان اصحابه حسبا ورجل مصعف اذا كانت دوابه صعافا كذلك النهار مبصرا اذا كان
اهله بصرا لتبتغوا فضلا من ربكم بريد التصرف فى المعايش ولم يذكروا لسكون فى الليل اكتفاء بما ذكر فى النهار
وتعالى فى موضع اخر وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا فيه من فضله

والحساب ايلولم يفعل ذلك لما عرف الليل من النهار ولا كان يعرف الحساب والعدد وكل شئ فصلناه
تفصيلا ايمبرا احكام التكليف وهو كقوله تبيانا لكل شئ ما فرطنا في الكتاب من شئ وعن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما امر الله خلقه فلم يبق ممن خلقه غير ادم خلق شمسا من نور عرشه
وقمرا وكانا جميعا شمسين فاما ما كان من علم الله ان يدعها شمسا فمحقها مثل الدنيا ما بين نور
سائر قمارها ومقاديرها واما ما كان في علم ان يخلقها قمرا فمحقها الله فخلقها دون الشمس في العظم ولكن
انما نرى ضوءهما من شدة ارتفاع السما وبعدها من الارض فلو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف
الليل من النهار ولا كان الاجير يدرك الشئ يعمل ولا الصايم الحي يصوم ولا المرأة كيف يعتد ولا يدرك اوقات
الصلوات والحج ولا محل الربوت ولا حين يبذرون ويزرعون ولا متى يسلمون للراحة ابدانهم
وكان الله نظر الى عباده ورحمهم من انفسهم فارسل جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث ساعات
وهو يومئذ شمس فطمس عنه الضوء وبقي نيرا لنور ذلك قوله وجعلنا الليل والنهار اية فمحونا اية
قوله تعالى وكل انسان الزمناه طايره في عنقه قال الزجاج ذكر العنق عبارة عن اللزوم كالقلادة
القلادة للعنق وقال ابن عباس طايره عمله وما قدر عليه من خير وشر وهو ملازمه ايما كان وقال
مقاتل والكلبي خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقال مجاهد عمله ورزقه وعنه ما من مولود
يولد الا وفي عنقه ورقة فيها مكتوب شقي او سعيد وقال الحسن الزمناه طايره اي سعادته
وشقاوته وبآتيت له من خير وشر وما طار له من الفقر او الغنى صار له عند القسمة في الازل وقيل ارادة
التكليف اي قدرناه الزام الشرع وهو بحيث لو اراد ان يعمل ما امر به وينزجر عما ينزجر عنه امكنه
ذلك ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا يعني كتاب طايره الذي في عنقه وقرا الحسن
وابو رجا ومجاهد طيره بغير الف ومنه ما روي في الخبر اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا رب
غيرك وقرا ابن عباس والحسن ومجاهد وابن محيصن وابو جعفر ويعقوب ونخرج بفتح النون وضم
الراء على معنى ويخرج له الطاير كتابا فكتاب منصوب على الحال ويجوز ان يكون المعنى ويخرج الطاير
فصير كتابا وقرا يحيى بن وثاب ويخرج بضم الياء وكسر الراء وروي عن مجاهد ايضا يخرج الله وقرا محمد
ابن السميفع وروى ايضا عن ابي جعفر ويخرج بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول ومعناه ويخرج
له الطاير كتابا الياء فون ونخرج بنون مضمومة وكسر الراء اي ونحن نخرج واحتج ابو عمرو على هذه القراءة
بقوله لنريه وقرا ابو جعفر والحسن وابن عامر بخلفه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف
بمعنى يوتاه اياه قوله يلقاه بفتح الياء خفيفة اي يراه منشورا وقال منشورا تجهيلا للبشري بالجنة
والتوبيخ بالنسبة وقال ابن قتيبة سوار العمل وقرن اهله اياه وكل انسان الزمناه طايره في عنقه
قال مجاهد يمن وشوم اما ما حسب ابن ادم فصحيفته المنشورة فاعمل فيها ما شيت فاذا منطوي
حين اذا بعثت سيئ اقرا كتابك قال الحسن يقرا الانسان كتابه اميا كان او غير اما كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا اي محاسبا وقال بعض الصحابي اصلحا هذا كتاب لسانك قلمه وريقك
مداده واعضاؤك قرطاسه امسكت على حفظتك يا ربي فيه ولا تفضحني منه ومتى انكرت منه
شيا يكون فيه الشاهد منك عليك قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما
يضل عليها اي انما كل احد يجاب عن نفسه لا عن غيره فمن اهتدى نال ثواب الهداية له ومن ضل فعقاب
كفره عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم في الانعام وقال ابن عباس نزلت في ابي الوليد بن المغيرة
قال لاهل مكة اتبعوني واكفروا بمحمد وعلي اوزاركم فنزلت هذه الاية ان الوليد يحمل اثامكم
واثام كل احد عليه يقال وزر يوزر وزرا ووزره اي اثم والوزر الحمل المثقل والجمع اوزار
ومنه يحملون اوزارهم على ظهورهم اي اثقال ذنوبهم وتذوزر اذا حمل ثقيلا ووزير السلطان
الذي يحمل ثقل دولته والهاجي قوله كتابه عن النصر اي لم يوجد لنصرانيته ناصر احتى ان الوالدة تو
بلقي ولدها بعرفة فيقول يا بني الم يكن بحري لك وطا الم يكن بدني لك سقا الم يكن بطني لك وعا
فيقول بلى يا امه فاني بدني عنك اليوم مشغول مسئلة روى عايشة رضي الله عنها لهذه الاية
ان الرد على ابن عمر حين قال ان الميت ليعذب ببكاء اهله قالت وانما حملها على ذلك انها لم تسمعه
وانه معارض للاية ولا وجه لانكارها فان الرواية لهذا المعنى كثير كما ابنه والمغيرة بن شعبة وقتله
بهتت محرفة وهم جازمون بالرواية فلا وجه لتخطيتهم ولا معارضة بين الاية والحديث فان الحديث
يحمل على ما اذا كان الروح بين وصية الميت وسنته كما كانت الجاهلية تفعله حتى قال طرفة اذا
مت فابعثني باناة اهله وشدي علي الحب باسه معبده قال ابن الحول انتم اسم السلام عليكما ومن
يسلم حولا كاملا فقد اعتذره والى هذا ذهب البخاري وذهب جماعة من اهل العلم منهم داود والى عتقاد
ظاهر الحديث وانه انما يعذب ببكاء اهله لتركهم عنه قبل موته وتاديبهم بذلك فيغيب بتفريطه
في ذلك وترك ما امره الله به من قوله قوا انفسكم واهليكم نارا الاية غيره والله تعالى اعلم

قوله

قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اى لم نترك الخلق سدى بل ارسلنا الرسل وفي هذا دليل على ان الاحكام لا تثبت الا بالشرع خلافا للمعتزلة القائلين بان العقل يقبح ويقبح وقد تقدم بحثه في البقرة القول والجمهور على ان هذا في حكم الدنيا اى ان الله لا يهلك امة بذنب الا بعد الرسالة اليهم والانذار وقالت فرقة هذا عام في الدنيا والاخرة لقوله تعالى بحكاية الغير فيهما نوح سالهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قاله ابن عطية والذي يعطيه النظر ان يعذب ادم عليه السلام بالتوحيد وسائر المعتقدات التي يلزمه مع نصب الادلة الدالة على الصانع مع سلامة الفطر فوجب على كل احد من العالم الايمان واتباع شريعة الله ثم كرر ذلك في زمن نوح عليه السلام ثم عرف الكفار بهذه الامة ايضا بعض احوال الماضين هذا في الدين لم تصلهم رسالة وهم اصل الفترات الذين قد قرر نجو دهم بعض اهل العلم واما ما روى من ان الله تعالى يبعث اليهم يوم القيامة والى المجانين والاطفال محدث لم يصح ولا يقتضيه ما تقتضيه الشريعة من ان الاخرة ليست دار تكليف قال المهدوي وروى عن ابي هريرة ان الله يبعث يوم القيامة رسولا الى اهل الفترة والابكم والاخرس والاصم فيعطيهم ثم كان يريد ان تظيفه في الدنيا ولا اثبته رواه معمر عن ابن طاوس عن ابيه عن ابي هريرة ذكره النحاس تلت هذا موقوف وسيأتي في اخر سورة طه ان شاء الله تعالى ولا يصح وقد استدل قوم في ان اهل الكبائر اذا ماتوا بلا اسلام واسوا فلا تكليف عليهم فيما مضى وهذا صحيح ومن لم تبلغه الدعوة فهو غير مستحق للعذاب من جهة العقل والله اعلم قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدمير فيه ثلاث مسايل الاولى اخبر تعالى في الاية انه لم يهلك القرى قبل ابعاث الرسل ثم يصح منه ذلك ان فعل ولكنه وعد منه ولا خلف في وعده فاذا اراد اهلاك قرية مع تحقيق وعده منه ولا خلف في وعده فاذا اراد اهلاك قرية مع تحقيق وعده على ما قاله تعالى امر مترفيها بالفسق والظلم فيها فحق عليها القول بالتدمير بعلمه ان من هلك فانما هلك بما ارتكبه من الكبائر التي يستحق بها العذاب وامرها الى عذابها لتحقق القول السابق من الله تعالى الثانية قوله تعالى امرنا مترفيها ابو عثمان النهدي امرنا بالمد اى كثرنا حملناهم امر الشيطان وقاله ابن عزيز ونامر عليهم لتسلط عليهم وقرا الحسن ايضا وقتادة وابو جبوة السامي ويعقوب وخارجه عن نافع وحماد بن سلمة عن ابن كثير وعمرو ابن عباس باختلاف بينهما امرنا بالمد والتخفيف اى اكثرنا اخيارها وامرائها قاله الكسائي وقال ابو عبيدة امرته بالمد وامرته لغتان بمعنى كثرته ومنه الحديث خير المال مهرة مامورة او مكرة مأثورة اى كثيرة النسل وكذلك قال ابن عزيز امرنا وامرنا بمعنى واحد اى اكثرنا وعن الحسن ايضا ويحيى بن يعمر امرنا بالقصر وكسر الميم على فعلنا وروينا عن ابن عباس قال قتادة والحسن المعنى اكثرنا وحكى نحوه ابو زيد وابو عبيد وانكره الكسائي وقال لا يقال من الكثرة الا امرنا قال واصلها وامرنا مخفف حكاه المهدوي وفي الصحاح وقال ابو الحسن امر ماله بالكسر اى كثر وامر القوم اى كثروا قال الشاعر * امرون لا يبرئون يبتهم العدد وامر الله ماله بالمد اى كثره * وبنا دليل على الكثير امر والفعل منه امر القوم يأمرون امرا اذا كثروا قال ابن مسعود كنا نقول في الجاهلية ننجي اذا كثروا امر امر بني فلان قال لبيد * كل بني حرة مصيرهم كل وان كثرت من العدد * ان يغبطوا يهبطوا وان امروا يوما لبوير والهلاك والفيد قلت وفي حديث هرقل الحديث الصحيح لقد امر امر ابن ابي كبشة انه يخافه ملك بني الاصفر اى كبر وكثر عن سعد ولذلك انكر الكسائي والله اعلم قال المهدوي ومن قرا امرنا بالتخفيف وجهه ان قدر امرانه سهم يوم مرح كانت الكثرة اقرب شيء الى العمارة بعدي كما عدى عمر ابا موسى ان امر نائحة اى امرنا هم بالطاعة اعذارا وانذارا وعيدا ففسقوا اى خرجوا عن الطاعة عاصين لنا فحق عليها القول فوجب عليها ابو عبيد عن ابن عباس وقيل امرنا جعلناهم امراء ان العرب تقول امير عبر امورا اى غير مومر وقيل معناه بعثنا مستكبريها قاله هارون وهي قراءة ابي بعثنا اكابر مجرميها ففسقوا ذكره الماوردي وحكى النحاس وقال هارون في قراءة ابي واذا اردنا ان نهلك قرية بعثنا فيها اكابر مجرميها فمكروا فيها فحق عليها القول ويجوز ان يكون امرنا بمعنى اكثرنا ومنه خير المال مهرة مامورة على المقدم وقد قدموا مامورة اتباع لمامورة كما قالوا ايا والعسايا وكقوله رجل مازور اى غير ما جور ات وعلى هذا لا يقال امرهم الله بمعنى كثرهم بل يقال امره وامره واختار ابو عبيد وابو حاتم قراءة العامة قال ابو عبيد وانما اخترنا امرنا لان المعاني الثلاثة تجمع فيها امر الامارة والامانة والمكره والمنكر فلم يسعهم ان يتبعوا لهم الثالثة قوله تعالى ودمرناها تدميرا اسند الفعل الى المهدر لها لعنة في العذاب الواقع بهم وفي الصحيحين من حديث زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا

الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث وقد تقدم الكلام في هذا الباب وان المعاصي اذا اظهرت ولم يغير كانت سببا لهلاك سببا لهلاك الجميع والله اعلم قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح اي كم من قوم كذبوا واصل بهم البوار كخوف كفار مكة وقد تقدم القول في القرن في اول سورة الانعام والحمد لله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا خبيرا عليما بهم بصيرا ببصيرا بما لهم وقد تقدم قوله تعالى من كان يريد العاجلة يعني الدنيا والمراد دار العاجلة فعبر بالبعض عن الجميع عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد اي لمن نقطبه منها الا ما نشاء بواحدة نعجله وعاقبته دخول النار مذموما مدحورا اي مطرودا واسعا من رحمة الله وهذه صفة المنافقين الفاسقين والمرائين المراءين يلبسون الاسلام والطاعة ليتالوا عاجل الدنيا من الغنائم او غيرها وما يقبل ذلك العمل منهم في الاخرة ولا هو يعطون في الدنيا الا ما قسم لهم وقد تقدم في هود وان هذه الاية عند ملك الايات المطلقة تتأمله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها اي عمل لها عملها من الطاعات وهو مؤمن فان الطاعات لا تقبل الا من مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا غير مردود وقيل مضاعفا اي يضاعف لهم الحسنات الى عشر والى سبعين والى سبع مائة ضعف والى اضعاف كثيرة كما روي عن ابي هريرة وقيل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليجزي عن الحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الفي الف حسنة قوله تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك اعلم ان ارزاق المؤمنين والكفار وما كان عطاء ربك محظورا اي محبوسا ممنوعا من خلقه بخير او شر ثم قد تعالى انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والعمل ثم بين ولاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي للمؤمنين قال قتادة وبين عليه في الدنيا مرة وقد على المؤمنين المؤمن مرة والاخرة لا تقسم الا مرة واحدة بما لهم ثم قال لا تشرك فيما لم تستدرك فيه وقوله لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وقيل الخطاب للانسان فيقعد اي فتقعد مذموما محذولا قاهرا وقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الى قوله كما ربياني صغيرا فيه ستة عشر مسالة الاولى قوله تعالى فقضى يامر والزم واوجب قال ابن عباس وقتادة وليس هذا قضاء حكم بل هو قضاء امر وفي مصحف ابن مسعود ووصى وهي قراءة اصحابه وقراءة ابن عباس ايضا وعلي وغيرهما وذلك عند ابي بن كعب قال ابن عباس انما هو ووصى ربك فالصيب احدى الواوين صوب وقضى ربك اذ لو كان على القضاء لعصى الله احد وقال الضحاك تصحفت على قوم ووصى سبعة احرف اختلطت الواو بالصاد وقد كتب المصحف ووكيع ابو حاتم عن ابن عباس مثل قول الضحاك وقال ابن ميمون ام قال ذا ان على قول ابن عباس قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به نوحا والذي اوحينا اليك ثم ايا بوحاتم ان يكون ابن عباس قال ذلك وقال لو قلنا لهذا الطعن لزاد قتادة في مصحفنا ثم قال علماؤنا المتكلمون وغيرهم القضاء يستعمل في اللغة على وجوه قال القضاء بمعنى الامر كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه امر والقضى بمعنى الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات يعني خلقهن والقضى بمعنى الحكم كقوله تعالى فاقض ما انت قاض بمعنى احكم ما انت محكم والقضاء بمعنى الفراغ كقوله لنقضى اليهم اجلهم اي لنفرغ منه ومنه قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيت الصلاة والقضى بمعنى الارادة كقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون والقضى بمعنى العهد كقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر فاذا كان هذا القضاء بجميع هذه المعاني فلا يجوز اطلاق القول بان القاضي يقضاء الله الا ان اريد به الامر فلا خلاف انه لا يجوز ذلك لان الله سبحانه لم يامر بها فانه لا يامر بالفحشاء وقال زكريا بن سلام جاء رجل الى الحسن فقال له ان طلق امرأته ثلثا فقال انك قد عصيت ربك وبانت منك فقال الرجل قضى الله ذلك علي فقال الحسن وكان فصيحا ما قضى الله ذلك انما امر به وقرا هذه الاية وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اثنا ثنية امر الله سبحانه بعبادته وتوحيده وجعل بر الوالدين مقرونا بذلك كما قرن شكرهما بشكره فقال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وقال ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وفي صحيح البخاري عن عبد الله قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي العمل احب الى الله عز وجل قال الصلاة على وقتها قال ثم اي قال بر الوالدين قال ثم اي قال الجهاد في سبيل الله فاخبر صلى الله عليه وسلم ان بر الوالدين افضل الاعمال بعد الصلاة التي هي اعظم دعائم الاسلام ورتب ذلك هكذا الذي يعطي الترتيب والمهلة الثانية من البر بهما والاحسان اليهما ان لا يتضرر بسببهما ولا بسببهما فان ذلك من الكبائر بلا خلاف وبذلك وردت السنة الصحيحة ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه الرابعة عقوق الوالدين مخالفتهما في اغراضهما الجائزة لهما كان

رهما على موافقتهما على اعراضهما وعلى هذا اذا امرا احدهما ولدها بامر وجب طاعتهما فيه اولم يكن ذ
ذلك المامور به من قبيل المباح في اصله وذلك اذا كان من قبيل المندوب وتد ذهب بعض الناس الى ان
امرهما بالمباح نصير في حق الولد مندوبا اليه وامرهما بالمندوب يريده تاكيدا في ترتيبه الخامسة
روى الترمذي عن ابن عمر قال كانت تحتي امراة احبها اي بكرهها فامرني ان اطلقها فابت فذكرت
ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله بن عمر طلق امراتك قال هذا حديث حسن صحيح السادسة
روى الصحيح عن ابي هريرة قال اتى رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من احق الناس بحسن صحابتي
قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك هذا الحديث يدل على
ان محبة الام والشفقة عليها ينبغي ان تكون ثلاثة امثال محبة الاب لذكر النبي صلى الله عليه وسلم
الام للمقرات وذكر الاب في الرابعة فقط واذا توصل هذا المعنى شهد العيان وذلك ان صعوبة
الحمل وصعوبة الوضع وصعوبة الرضاع والتربية تنفرد بها الام دون الاب فلهذه ثلاث منازل
يخلوا منها الاب وروى هريرة ان رجلا قال له ان الحج تجلد السودان فذكرت ابي ان اقدم عليه
وابي تمنعني من ذلك فقال له اطع اباك ولا تقصر امك فرد قول مالك هذا ان برهما متساو عنده
وتفضيل الليث عن هذه الحلة فانه يطاعة الام وزعم ان لها ثلثي البر وحديث ابي هريرة يرد
على ان بها ثلاثة ارباع البر وهي الحجة على من خالف وقد زعم المحاسبي في كتاب الرعاية له انه لا خلاف
بين العلماء ان للام ثلاثة ارباع البر وللاب الربع على مقتضى حديث ابي هريرة رضي الله عنه والله
اعلم السابعة لا يختص بر الوالدين بان يكونا مسلمين بل ان كانا كافرين برهما وحسن اليهما اذا
كان لهما عهد قال الله لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وفي صحيح البخاري عن اسما قالت قدمت امي وهي مشركة في عهد قريش ومدتهم اذ عاهدوا النبي صلى
الله عليه وسلم مع ابيها فاستفتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ان امي قدمت وهي راغبة
افاصلها قال نعم صلي امك وروى ايضا عن اسما قالت اتتني امي راغبة في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم فسالت النبي صلى الله عليه وسلم اصلها قال نعم فانزل الله عز وجل لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلوكم في الدين الاول منقطع واما في مسند الشافعي من الاحسان اليهما والبر بهما اذا لم يتعين الجهاد
ان لا يجاهد الا باذنهما روى الصحيحان عن عبد الله بن عمرو قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
يستاذنه في الجهاد فقال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد لفظ مسلم في غير الصحيح و
قال فلم تركهما يبكيان قال اذهب فاضحكهما كما ابكيتهما وفي خبر اخر انه قال لو ملك مع ابويك على
قرابتهما فرامنهما تضاحكك وتلاعبابك افضل لك من الجهاد معي ذكره ابن حزم وامتداد ولفظ البخاري
في كتاب بر الوالدين نا ابو نعيم ياسمنيا ان عن عطاء بن السايب عن ابيه عن عبد الله بن عمرو قال
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم يبايعه على الهجرة وترك ابويه يبكيان فقال ارجع اليهما
فاضحكهما كما ابكيتهما قال ابن المنذر في هذا الحديث اليمين عن الجروح تعمد ان الابوين ما لم يقع الضرر
فاذا وقع وجب الخروج على الجميع وذلك بين في حديث ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث جيش الامراء ذكر فيهم زيد بن حارثة وجعفرا ابي طالب وابن رواحة وان منادي رسول
الله صلى الله عليه وسلم نادى بعد ذلك ان الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه
ثم قال ايها الناس اخرجوا فامدوا اخوانكم ولا يتخلفن احد فخرج الناس مشاة وركبانا في حر شديد
مذهب قوله اخرجوا فامدوا اخوانكم ان المنذر في التخلف عن الجهاد وانما هو ما لم يقع النفير تبع قوله
عليه السلام واذا استنفرتم فانفروا قلت وفي هذه الاحاديث دليل على ان الخروج والمنع
انما اجتمعت تدم الاعم منهما وقد استوفى هذا المعنى المحاسبي في كتاب الرعاية الثامنة اختلفوا
في الوالدين المشركين هل لكم خرج بادنهما اذا كان الجهاد من فروض الكفاية فكان الثوري يقول
لا يغزو الا باذنهما وقال الشافعي له ان يغزو بغير اذنهما قال ابن المنذر والاجداد والجدات امهات
لا يغزو الرجل الا باذنهم والله اعلم دلالة توجب ذلك لغيرهم من الاخوة وسايرا القرابات وكان طاووس
يرى السعي على الاخوات افضل من الجهاد في سبيل الله عز وجل الثانية عشرة قد تقدم برهما صلة الفضل
وربما فني الصحيح عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من ابر البر صلة الرجل
اهل ود ابيه بعد ان يولى وروى ابو اسيد وكان بدريا قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
جالسا فجاءه رجل من الانصار فقال يا رسول الله هل بقي من بر والدي شيء بعد موتهما ابرهما به قال
نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي
لا رحم لك الا من قبلهما فهذا الذي بقي عليك وكان صلى الله عليه وسلم يهدي لصدايق خديجة
برا بها ووفاء لها وبي بر وحسن مكافاتك بالوالدين الحادية عشرة قوله تعالى اما يبلغن عندك الكبر
احدهما او كلاهما فحرف الكبر انها الحالة التي يكنا جان فيها الى بره فيقترن الحال عليهما بالضعف

والكبر ثم لزم بحق هذه الحالة مراعاة احوالهما اكبر مما لزمه من قبل انهما في هذه الحالة قد صارا كلا عليه فيحتاجان ان يلي منهما ما كان يحتاج في صغره ان يلي منه في كبره فلذلك خص هذه الحالة بالذكر وايضا فان طول المكث للمرء يوجب الاستئناس للمرء عادة ويحصل الملل ويكبر الضجر فيظهر غضبه على ابويه ويسمح لهما او داجه ويستطيل عليهما بدالة البنوة وقلة الديانة وادل المكروه وما يظهره من نفسه المتردد من الضجر وتذمر ان يقابلهما بالقول الموصوف بالكراهة وهو السالم عن كل عيب فقال فلا تقل لهما اف وذلك انهما ربما ولغا في الكبر بما روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما او كلاهما ثم لم يدخل الجنة وقال البخاري في كتاب بر الوالدين حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبد الرحمن بن اسحق عن سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي رغم انف رجل ادرك ابويه عند الكبر او احدهما فلم يدخلا الجنة ورغم انف رجل عليه رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له حدثنا ابو الحسن وبشر حدثني اخي عن سليمان بن بلال عن محمد بن هلال عن سعيد بن اسحق عن عجرة الشامي عن ابيه رضي الله عنه قال ان كعب بن عجرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم احضروا المنبر فاما خرج فرقى المنبر فرقى اول درجة منه قال امين ثم رقى الثانية فقال امين ثم لما رقي الثالثة قال امين فلما فرغ ونزل عن المنبر قلنا يا رسول الله سمعنا منك اليوم شيئا ما كنا نسمعه منك قال وسمعتموه قلنا نعم قال ان جبريل عليه السلام اعرض لي قال بعدا من ادرك رمضان فلم يغفر له فقلت امين فلما رقيت الثانية قال بعدا من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت امين فلما رقيت الثالثة قال بعدا من ادرك عنده ابواه الكبر او احدهما فلم يدخلاه الجنة فقلت امين حدثنا ابو نعيم حدثنا سلمة بن وردان سمعت انسا رضي الله عنه يقول ارتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فرقى درجة درجة فقال امين ثم ارتقى درجة فقال امين ثم ارتقى الدرجة الثالثة فقال امين ثم استوى وجلس فقالوا على ما امنت قال اتاني جبريل عليه السلام فقال رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت امين ورغم انف من ادرك ابويه او احدهما فلم يدخل الجنة فقلت امين الحديث فالسعيد الذي سارع اسارع فرجه بر بهما ليلا يفوته بموتهما فيندم على ذلك والسفي من عقهما او احدهما ولم يبرهما الثانية عشره قوله تعالى فلا تقل لهما اف اي لا تتضجر منهما ولا يكون منك في كلام ولا في فعل ما يدل على ضجر قال الاف الكلام السيء الردي والحسي وقال مجاهد معناه اذا رايت منهما ما كرهت مثل ما رايا منك في الصغر فلا تقل لهما وقيل الاف والتف وسخ الاظفار ويقال لكل ضجر يستثقل اف له قال الازهري والتف ايضا الشيء الحقير وترك اف مسكون محفوظ كما يخفف الامر ان وسوف تعلم وصه وبه عشر لغات اف واف واف واف واف وايك بكسر الهمزة واف بضم الهمزة وتشكن الفاء واف مخففة ايضا الفاء وفي الحديث فالتفل طرف ثوبه صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر معناه استنثر استنثارا تاما وقال بعضهم اف الاحتقار واه استثقال احد من الاتف وهو الفتيل وقال الحسن اصله محل اي سنطلق عليك من رماد او تراب وغير ذلك وان كان يريد اماطة شيء لتعرفه فعلت هذه الكلمة لكل مستعمل وقال ابو عمرو بن العلاء الاف وسخ بين الاظفار والتف قلامتها وقال الزجاج معنى الاف اف الدنس وقال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار فكثر استعماله حتى ذكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علم الله من العقوق شيئا ادنى من اف لذكره فليعمل البار ما شاء ان يعمل فلن يدخل النار وليعمل العاق ما شاء ان يعمل فلن يدخل الجنة قال عطاء وانما صارت قول اف للابوين اذا اشيء لانه رفعهما دون كفر النعمة وجحد التربية ورد الوصية التي ارضاه في التنزيل وان كلمة عوله لكل شيء من خوض ولذلك قال ابراهيم لقومه ولما تعبدون من دون الله اي دون ما يضر لكم وهذه الاصنام معكم الثالثة عشره قوله تعالى ولا تنهرهما النهر الزجر والغلظة وقل لهما قولا كريما اي لفظا لطيفا مثل يا ابتاه ويا اماه من غير ان تسميهما او تكنيهما قاله عطاء وقال ابن المراح السخي قلت لسعيد بن المسيب كلمة اي القرآن من بر الوالدين تخبرنيها الا قوله وقل لهما قولا كريما ما هذا القول الكريم قال ابن المسيب قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابعة عشره قوله تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة هذه استعارة من الشفقة والرحمة اي تذلل لهما بذلك الرعية للامير والعبد للمستأ كما اشار اليه سعيد بن المسيب وضرب خفض الجناح وتصعير الخد لا يحتاج الطائر حين ينتصب بجناحه لولده والذل هو اللين وقراءة الجمهور بضم الذال من ذل يذل ذلا وذلة وهو ذليل وقراءة سعيد بن جبير وابن عباس وعروة بن الزبير الذل بكسر الذال وروي عن عاصم من قوله دابة ذلول بينة

الذل

الذل والذل في الرواب المنقاد السهل دون الصعب ينبغي بحكم هذه الاية ان يجعل الانسان نفسه
مع ابويه في معنى الذلول لينقاد لقولهما وسكناته ونظره ولا يحد اليهما شزرة فان ذلك من نظرة الغاضب
فاعصمه - عشره الخطاب في هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته اولم يكن له عليه
السلام في ذلك الوقت ابوان ولم يذكر الذل في قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وذكره
هنا حسب عظيم الحق وتاكيده ومن في قوله من الرحمة لبيان الجنس اي ان هذا الخفض يكون من
الرحمة المستقلة في النفس لا ان يكون ذلك استعمالا ويصح ان يكون لابتداء الغاية ثم امر تعالى عباده
بالترحم على ابويهم والرعاية لهم وان يرحمهما كما ربياك وترفق بهما كما رفقا بك اذ وليا ك جاهلا
محتاجا نابذا لك على انفسهما واشهرا ليلتهما وجاعا واشبعاك وتريا وكساك فلا تجزيهما الا ان تبلغا
من الكبر الحد الذي كنت فيه من الصغر فتلي منهما ما وليا ه منك ويكون لهما جسد فضل التقدم قال
صلى الله عليه وسلم لا يجزي ولد والدا الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وسيأتي في سورة مريم الكلام
على هذا الحديث السادسة عشرة قوله تعالى كما ربياني خص الترحم بالذكر بعد ذكر العبد
نفقة الابوين وتعينهما في التربية مزيدة ذلك اشفاقا لهما وحنانا عليهما وهذا كله في الابوين
المؤمنين وقد نهى القران عن الاستغفار للمشركين الاموات ولو كانوا ولي قربى كما تقدم وذكر عن
ابن عباس وقتادة ان هذا كله منسوخ بقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الي
قوله اصحاب الجحيم فاذا كان والد المسلم ذميا استعمل معهما ما امره الله به ها هنا الا ان يرحم
لهما ويدعو لهما على الكفر لان هذا وحده لا ينسخ بالاية المذكورة وقيل ليس هذا موضع نسخ ومعنى
بالرحمة الرثوية للابوين المشركين ما داما حيين كما تقدم او عدم هذه الاية خص بتلك الاية
الاخرة لا سيما وقد قيل ان قوله وقل رب ارحمهما نزلت في سعد بن ابي وقاص لما اسلم فالف امه نفسها
في الرمضاء منجردة فذكر ذلك لسعد فقال نزلت الاية وقيل الاية عامة في الدعا للابوين المسلمين
والصواب ان ذلك عموم كما ذكرنا وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم من امسى مرضيا لوالديه
واصبح امسى واصبح وله بابان مفتوحان من الجنة وان واحدا خوا حدا ومن اخوالد والاخوان هنا جمع
اخ من غير النسب ومنه قوله تعالى انما المومنون اخوة وقوله وقوله وكان الشيطان لربه كفورا اي
احذروا منا يعتنه والتسمية به في الفساد والشيطان اسم الجنس وقرا الضحاك اخوان الشياطين
على الانفراد ولقد ثبت في كتب انس بن مالك رضي الله عنه الثالثة من انفق ماله في الشهوات زايدا
على قدر الحاجات وعرضه بذلك للعباد فهو مبذر ومن انفق درهما ماله في شهواته وحفظ الاصل والرتبة
فليس بمبذر ومن انفق درهما في حرام فهو مبذر ويحجر عليه في نفقة درهم في الحرام ولا يحجر عليه ان بذله
في الشهوات ولا يحجر عليه الا اذا خيف عليه الفساد قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك
ترجوها فيه ثلاث مسايل الاولى قوله سبحانه خص نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله واما تعرضن عنهم
ابتغاء رحمة من ربك وهو ناديب عجيب وقوله لطيف بديع اي لا تعرضن عنهم اعراض مستهين عن خلل في
والفقه فيهم وانما يجوز ان تعرض عنهم عند عجز يعرض وعائق يعوق واحب عند ذلك ترجو من الله
تعالى فتح باب الخير لتوصله الى مراعاة السايل ان تعرفك الحال فقل لهما قولا ميسورا الثانية في
سبب نزولها قال ابن زيد نزلت الاية في قوم كانوا يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ان
ان يعطيهم لانه كان يعلم حقهم نفقة المال في فساد وكان يعرض عنهم رغبة في اجر في منعهم لبلا يعينهم
على فسادهم فقاد وطا الخراساني في قوله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها قال ليس هذا
في ذكر الوالدين جا ناس من مزينة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال ما اجد ما احملكم
عليه والاعدى ما اعملكم فتولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجد الله تعالى واما تعرضن عنهم ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها والرحمة الغنى الثالثة قوله تعالى قل لهما قولا ميسورا امره بالدعا لهم اي بيسر
تقرهم عليهم بدعايك لهم وقيل ادع لهم دعا يتضمن الفتح لهم والاصلاح وقيل المعنى واما تعرضن عنهم
اي ان اعرضت يا محمد عن اعطايهم لضيق يد فقل لهم قولا ميسورا اي احسن القول وابسط العذر
وادع لهم بسعة الرزق وقل اذا وجدت فقلت واكرمت فان ذلك يقع موقع مسرة مسه عمل المواساة
وكان عليه السلام اذا سيل وليس عنده ما يعطي سكت انتظار الرزق من الله كراهة الرد فنزلت
هذه الاية وكان اذا سيل ولم يكن عنده ما يعطي دبر زقنا الله واياكم من فضله والرحمة على هذا التاويل
الرزق المبسوط وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وابن زيد عنهم عايد على من تقدم ذكره من الابوين
والقرابة والمساكين وابن السبيل وقولا ميسورا اي لينا طيبا سهلا بمعنى الدعا الناعل من لفظة
البشر كالميمون اي وعدا جميلا على ما بيناه ولقد احسن من قال انا لكن ورق يوما اهوينها للسايلين
واي زين العود لا يبدو السايلون الخير من ظل في اما نوالي واما حسن مردود قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الى قوله محسورا فيه اربع مسايل

الا وفي قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة هذا مجاز عبر به عن البخيل الذي لا يقدر من غلته على اخراج شيء من ماله فضرب له مثل الغل الذي يمنع من التصرف باليد وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت ايديهما الى ثديهما وتراقيهما فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى انامله وتعفو اثره وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت واخذت كل حلقة بمكانها قال ابو هريرة فانا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول باصبعيه هكذا في جيبه فلو رايته يوسعها ولا تتوسع الثانية قوله تعالى ولا تبسطها كل البسط ضرب بسط اليد مثلا لذهابه المال فان قبض الكف بخلا يمانعا وبسطها يذهب ما فيها وهكذا كان خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وكثيرا ما جاء في القرآن فان النبي صلى الله عليه وسلم لما كان سيدهم وواسطتهم الى ربهم عبر به عنهم على عادة العرب في ذلك وايضا فانه عليه السلام لم يكن يدخر شيئا لغد وكان يجوع حتى يشد الحجر على بطنه من الجوع وكان كثير من الصحابة ينفقون في سبيل الله جميع اموالهم فلم ينههم النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليهم لصحة نياتهم وشدة يقينهم وانما نهى الله تعالى عن الافراط في الانفاق واخراج ما حوته يده من المال فيحسر عليه الحسرة على ما خرج من يده فيا خير وثق بموعود الله وجزيل ثوابه فيما انفقه بغير مراد بالاية والله اعلم وقيل ان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه علمه فيه كيفية الانفاق وامره بالاقتصاد وقال جابر وابن مسعود جاء غلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امي تستكسيك كذا وكذا فقال ما عندنا اليوم شيء قال فيقول لك اكسني قميصك فخلع قميصه فدفعه اليه وجلس في البيت عريانا وفي رواية جابر فاذن بلال للصلاة وانتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتظلت القلوب ان يدخل بعضهم فاذا هو عار فنزلت هذه الاية وكل هذا في انفاق كثير واما انفاق الفساد فقليله وكثيره حرام كما تقدم الثالثة تضمنت هذه الاية عن استفراغ الوجد بما يطرا او لامر سوء المومنين لملامتي نفسه بما تاتي بعد ذلك لا شيء لها وليلا يضيع و المنفق عياله ونحوه ومن كلام الحكمة ما رايت قط سرفا الا ومعه حق مضيع وهذه من اياتك فقط الحاكم للابيز حكمها الا باعتبار شخص من الناس الرابعة قوله تعالى فتقعد ملوما محسورا قال ابن عرفة يقول لا تسرف ولا تتلف مالك فتبقى محسورا منقطعا عن الله والتعرف كما يكون للامر الخير وهو الذي ذهبت فونة بالاتباع به ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير اي كال منقطع وقال قتادة اي نادما على ما سلف منك فتجعله من الحسرة وقيل بعد ان الفاعل من الحسرة حسير وحسران ولا يقال للمحسور الا للمرء الذي يلام على اتلاف ماله او ليومه من لا يعطيه قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطا كبيرا مسالتان الاولى تقدم في الكلام على هذه الاية في الانعام والاسراء والاملاق الفقر وعدم الملك اطلق للرجل اي لم يبق له الا المتلفات وهي الحمامة العظام المص قال الهذلي يصف صايد ابيح لها فيدر وحسف اذا سامت على المتلفات سأما الواحدة مدقة والفيدر تصغير الافدر وهو الرجل القصير والحسيف من الثياب الخلق وسامت مرت وقال ثعلب املق اذا افتقر واملق الدهر ما بيده قال اوس واملق ما عندي وخوطب بقتل الثالثة قوله تعالى خطا خطا قراءة الجمهور بكسر الخا وسكون الطا وبالهمزة والقصر وقرا ابن عامر خطا بفتح الخا والطا والهمزة مقصورة وهي قراءة ابي جعفر يزيد بهما ان قوانان ما خوذتان من خطى اذا الخا الذنب على عهد قال ابن عرفة يقال خطى في ذنبه خطا اذا اعم فيه واخطا اذا سلك سبيل خطا عامدا او غير عامد قال ويقال خطى في معنى اخطا وقال الازهري يقال خطى يخطا خطا اذا تعمد الخطا مثل اثم ياثم اثما واخطا اذا لم يتعمد اخطا وخطا قال الشاعر • دعيني اما خطاي وصربي علي واما اهلكت مالي • والخطا الاثم يقوم مقام الاخطا وهو الصواب وفيه لغتان القصر وهو الجيد والمد وهو قليل وروى عن ابن عباس خطا بفتح الخا وسكون الطا وهمزه وقرا ابن كثير بكسر الخا وفتح الطا ومد الهمزة قال النحاس ولا اعرف لهذا القراءة وجها وكذلك جعلها ابو حاتم غلطا قال ابو علي هي مصدر من خاطا يخاطي وان كنا لا نجد خاطا ولكن وجدنا تخاطا وهو مضارع خاطا نون عليه ومنه قول الشاعر • تخاطات النبل احساءه ووحر برمى فلم اعجل • وقال الاخر في وصف بهماء • تخاطا القتاد حتى وجدنه وخرطومه في منقع الماء راسك • الجوهري يخاطاه اي خطا فقال وقرا ابن مطر المازني • الا ابلغا حلتي حاير ابان خليلك لم تعل • عطاب السل احساء ووحر برمى فلم اعجل • وقرا الحسن خطا بفتح الخا والطا من الخطاء فجعلها بمنزلة العطاء اعطيت هم اسم بمعنى المصدر وعن الحسن ايضا خطى بفتح الخا والطا مقصورا من غير هم قوله تعالى ولا تقربوا الزنا اي ان كان فاحشة وساء سبيلا فيه مسالة واحدة قال العلماء قوله تعالى لا تقربوا ابلغ من ان يقول لا ترتكبوا لان معناه لا تدنوا من الزنا والزنا بعد يقصر لغتان قال الشاعر • كانت فريضة ما يقول كما كان الزنا فريضة الرجم • وسيلا نصب على التمييز التقدير سبيله

سبيلا اى بابن يودى الى النار والزنا من الكبائر والاخلان فيه وفى فتحه لا سيما بجليلة الجار ومساهمته
استخدام ولدا لغزوا تخاذا بنا وغير ذلك من المفاسد والاسباب باختلاط المياه وفى الصحيح ان
النبى صلى الله عليه وسلم اتى باسراة نجح على باب فسطاط فقال لعله يريد ان يلم بها فقالوا لا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد هممت ان العنه لعنا يدخل معه قبره كيف يورثه وهو لا يحل له كيف
يستخدمه وهو لا يحل له قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق الاية تقدم الكلام فيه
فى الانعام قوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى
ومن قتل مظلوما اى بغير سبب يوجب القتل فقد جعلنا لوليه اى لمستحق دمه فادخلوا تمسك الولى
يجب ان يكون ذكر الاية اخرجه بالولاية بلفظ التذكير وذكر اسماعيل بن اسحق فى قوله تعالى فقد جعلنا
لوليه شاهد على خروج المراة عن مطلق لفظ الولى والاحرم ليس لهما حق فى القصاص لذلك ولا اثر
لعفوها وليس لها الا استيفاء وقال المخالف ان المراد بها هنا بالولى الوارث وقد قال تعالى والمومنون
والمومنات بعضهم اولياء بعض وقال والذين امنوا ولم يهاجروا وقال واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
فى كتاب الله فاقتضى ذلك ان العود لسايرا لورثة واما ما ذكر من ان الولى فى ظاهره على التذكير وهو
واحد كانما كان معنى الجنس يستوى فيه المذكر والمونث فيه وسميته فى كتاب الحلال سلطانا اى تسليطا
ان شاء قبل وان شاء عفا وان شاء اخذ الدية قاله ابن عباس والضحاك وابو مهب والشافعى وقال
ابن وهب قال مالك السلطان امراء ابن عباس السلطان الحجة وقيل السلطان حلم حتى يرفع
اليه قال ابن العربى هذه الاقوال متقاربة واوضحها قول مالك ان امر الله ثم ان امر الله لم يقع قضا
فاختلف العلماء فيه فقال ابن القاسم عن مالك وابو حنيفة القتل خاصة وقال ابو مهب الجبر كما ذكرنا
انفا وبه قال الشافعى وقد مضى فى سورة البقرة هذا المعنى الثانية قوله تعالى فلا تسرف فى القتل
فيه ثلاثة اقوال الاول يقتل غير قاتله قاله الحسن والضحاك ومجاهد وسعيد بن جبير الثانى لا يقتل بدل وليه
اثنين كما كانت العرب تفعله الثالث لا يمثل بالقاتل قاله طلق بن حبيب وكل من ذكر انه اسراف منهى عنه
وقد مضى فى البقرة القول فيه هذا مستوفى وقرا الجمهور فلا تسرف بالتاء يريد الولى وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى
بسرف بالياء خبرا عن الولى وهى قراءة حذيفة وروى العلاء بن عبد الكريم عن مجاهد قال هو القاتل الاول
والمعنى عندنا فلا يسرف ايها القاتل وقال الطبرى هو على معنى الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والاية من
بعده ايها لا تقتلوا غير القاتل وفى حرف ابى فلا تسرفوا فى القتل الثالثة قوله تعالى انه كان منصورا
اى سلطانا بمعنى الولى ان قتل وكم من ولى مخذول لا يصل الى حقه قلنا المعونة تكون بظهور الحجة تارة
وباستيفايها اخرى وبمجموعهما فايهما كان فهو نصر من الله سبحانه وروى ابن كثير عن مجاهد قال ان
المقتول كان منصورا النحاس ومعنى قوله ان الله ينصره بوليه وروى انه فى قوله ايه كانا لا تسرفوا فى
القتل ان ولى المقتول كان منصورا قال النحاس اذا سرف ايها ولكون للولى انه انما يقاد بالبسرف
ان كان له ان يقتل فحقا للولى وقد يجوز بالتا ويكون للولى ايضا الا انه يحتاج فيه الى تحويل المخاطبة
قال الضحاك هذا اول ما نزل من القرآن فى شان القتل وهى مكية قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى
هى احسن حتى يبلغ اشده فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن
حتى يبلغ اشده تقدم مضى فى الانعام الكلام فيه فى غير موضع قال الزجاج كلما امر الله به ونهى عنه فهو
من العهد ان العهد كان مسولا عنه محذوف كقوله ويسئلون ما يوم يوضع وقيل ان العهد يسمى تبكيتا
لنا فصة فقال لم يقصد بها سبيل المودة تبكيتا لرايها قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم فيه ايضا
مسئلتان الاولى قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم تقدم الكلام فيه ايضا فى الانعام وتقتضى هذه الاية ان الكيل
على البايع وقد مضى فى سورة يوسف ولا معنى للاعادة والقسطاس بضم القاف وكسرها الميزان بلغة
الروم قاله ابن عزيز وقال الزجاج القسطاس الميزان صغيرا كان او كبيرا وقال مجاهد القسطاس العدل
وكان يقول فى لغتهم رومية وكان الناس قيل لهم زنوا معدلة وزنكم وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع وابن
عامر وعاصم فى رواية ابى بكر القسطاس بضم القاف وحمزة والكسائى وخلف هو عاصم القسطاس
بكسر القاف وهما لغتان الثالثة قوله تعالى ذلك خير واحسن تاويلا اى ذلكم الكيل واقامة الوزن
خير عند الله واحمد واحسن تاويلا ابن عباس ذكرنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل
رجل على حرام ثم يبعه ليبيعه به الا محاقة الله تعالى الا ان يدله الله تعالى فى عاجل الدنيا قبل الاخرة ما يهلك
خبره ذلك قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم الى قوله مسئولا فيه ست مسايل الاولى فى قوله
تعالى ولا تقف اى تتبع ما لا تعلم ولا يعينك قال قتادة لا تقل رايت ولم تر وسمعت ولم تسمع
وعلمت ولم تعلم وقاله ابن عباس وقال مجاهد لازم اخوا بما يبين لك به علم وقال ابن عباس ايضا وقال
محمد بن الحنفية هى شهادة الزور وقال الثعلبى المعنى لا تسم الحرس والظنون وكلها متقاربة واصل القفو
التتبع والقذف بالباطل ومنه قوله عليه السلام نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو امنا ولا ننتمى ابانا

الذي لا يسأم ولا يكل البرك بفتح الذال والقوا الحراص بفتح الفاء بقيا لفقوته افقوه وفقته افوفة وفقيته اذا اتبعت اثره ومنه الفافه لتتبعهم الاثار وفافه كل شي اخره ومنه قافية الشعر لما يعقب البيت ومنه اسم النبي صلى الله عليه وسلم المقفى لانه جاء اخر الانبيا ومنه القايف وهو الذي يتبع اثر السنة قال القايف يقوف او افعل ذلك ويقول تفوف الاثر بتقديم الفا على القاف ابن عطية وسندوان يكون هذا من تلعب العرب في بعض الالفاظ كما قالوا زعموا لحمرى وحكى الطبري عن فرقة انها قالت قفا وقاف مثل حل وحدد والجملة فهذه الاية نهي عن قول الزور والقذف وما اشبه ذلك من الاقوال الكاذبة والردية ونزا بعض الناس فيها حكم الكساي بقف يضم القاف وسكون الفا ونزا الجراح والفؤاد بفتح الفا وهي لغة لبعض الناس وانكرها ابو حاتم وغيره الثانية قال ابن خويز منداد تضمنت هذه الاية الحكم بالفراسة لانه لما قال ولا تقف ما ليس لك به علم دل على جواز ما لنا به علم وكل ما علمه الانسان وغلب على ظنه جاز ان يحكم به وهذا احتجاج على اثبات القرعة والحرص لا ضرب من غلبة الظن وتدبير علما انتفاعا فالقايف يلحق الولد بابنه من طريق الشبه بينهما كما يلحق القسم القرع بالاصل من طريق الشبه وفي الصحيح عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علي مسرورا تبرق اساريره فقال الم تري ان مجززا نظر الى زيد بن حارثة واسامة بن زيد عليهما قطيفة قد غطيا رؤسهما وبدت اقدامهما فقال ان بعض هذه الاقدام لمن بعض وفي حديث يونس بن يزيد وكان مجززا قايفا الثالثة قال الامام ابو عبد الله المازري كانت الجاهلية تقدح في نسب اسامة لكونه اسود شديد السواد وكان زيد ابوه ابيض يضرب الى الحمرة هكذا ذكره ابو داود عن احمد بن صالح قال القاضي عياض وقال غير احمد كان زيد ازهر اللون وكان اسامة شديد الادمة وزيد بن حارثة عربي من كلب اصابه سباء فيما حسب ما بيانه في سورة الاحزاب ان شاء الله تعالى الرابعة استدل جمهور العلما على الرجوع الى القافة عند التنازع في الولد بسرور النبي صلى الله عليه وسلم بقول هذا القايف وما كان عليه السلام يقر بباطل ولا يعجبه ولم ياخذ بذلك ابو حنيفة واصحابه والثوري واصحابهم متمسكين بابقاء النبي صلى الله عليه وسلم الشبه في حديث اللعان على ما ياتي في سورة النور ان شاء الله تعالى واختلف الاحتجاج بافواله العامة هل يوجد بذلك في اوراد الحرايرة الاما او يختص باحاد الاما على قولين فالاول قول الشافعي ومالك في رواية ابن وهب عنه ومشهور مذهبه قصره على ولد الامة والصحيح ما رواه ابن وهب عنه وقال الشافعي لان الحديث الذي هو الاصل في الباب انما وقع في الحرايرة فان اسامة وابا هريرة نكيف يلتزم السبب الذي خرج عليه دليل الحكم وهو الما عدت عليه هذا ما لا يحول عند الاصوليين وكذلك اختلف هو ل هل يكتفى بقول واحد من القافة او لا بد من اثنين لانها شهادة وبالاول قال ابن القاسم وهو ظاهر الخبر بل نصه وبالثاني قال مالك والشافعي للسادسة قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسولا اي سيل كل واحد منهم على ما اكتسب فالفؤاد يسل عما انكن فيه وهو اعتقاده والسمع والبصر عما اداك من ذلك او سمع دليل المعنى ان الله تعالى يسل الانسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم كلكم وكلكم مسول عن رعيته فالانسان راع على جوارحه وكانه قال كل هذه كان الانسان عنه مسولا وهو على حذف مضاف والمعنى الاول ابلغ في الحجة قال ابن فورك تكلم به من جوارحه وذلك غاية الحرب كما قال تعالى اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله شهيد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بولك لانها حواس لها ادراك وجعلها في هذه الاية مسولة حتى حالة من يعقل لذلك عبر عنها بولك وقال سيبويه رحمه الله في قوله تعالى رايتهم لي ساجدين انما قال رايتهم في حكم لانه لما وصفها بسجود هو من فعل من يعقل عبر عنها بكنايته من يعقل وقد تقدم وحكى الزجاج ان العرب تعبر عنها بعقل وعما لا يعقل بولك والشد هو الطريق ذم المنازل بعد منزلة اللوا والعيش بعد ولك الايام وهذا امر يوقف عنده واما البيت فالرواية فيه الا قوام والله تعالى اعلم قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا الى قوله مكروها فيه خمس مسايل الاولى في قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا هذا نهي عن الخيلا والامر بالتواضع والمرح شدة الفرح وقيل التكبر في المشي وقيل هو النظر والاشر وهو فعل هو البساط وهذه الاقوال متقاربة ولكنها منقسمة فقسمان احدهما مذموم والاخر محمود فالنظر والتكبر والخيلا وتجاوز الانسان قدره مذموم والمرح والبساط محمود وقد وصف الله نفسه باحدهما ففي الحديث الصحيح لله افرح بتوبة العبد من رجل الحديث والكسل مذموم شرعا والبساط ضده وقد يكون التكبر ومابغ معناه محمودا وذلك على اعدا الله والظالمة اخرج ابو حاتم محمد ابن حبان عن ابن جابر بن عبد الله عن ابيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان من الغيرة ما يحب الله واما الغيرة التي يحب الله الغيرة في الدين والغيرة التي يبغض الغيرة في غير ريبة والخيلا التي يحب الله

احسان الرجل بنفسه عند القتال وعند الصدقة والاختيال التي يبغضها الله الخيلاء في الباطل واخرجها ابو
داود في مصنفه وغيره وانشدوا ولا تمش فوق الارض الا تواضعا ٭ فلم تحتها قوم هم منك ارفع ٭ وان
كنت في خز وحور ومنعة ٭ فكم مات من قوم هم منك امنع ٭ الثانية اختيال الانسان على العبد ونحوه
تنزهاد ولحاجة الى ذلك داخل في هذه الاية وبيد تذهب الجهات واحراز المعنى واما الرجل يترح
في اليوم الناذر والساعة من يومه كم فيها نفسه عن الترح والراحة يستعين بذلك على شغل من الكبر
البر كغزا نعلم لو وصلنا فليس بداخل في هذه الاية قوله تعالى مرحا قراءة الجمهور بفتح الراء وقراءة ورقة
بنها حكى يعقوب بكسر الراء على انه اسم الفاعل والاول ابلغ فان قولك جاء زيد ركضا ابلغ من قولك جاء
زيد راكضا لذلك قولك مرحا الثانية قوله تعالى انك لن تخرق الارض لن تتولى باطنها فتعلم ما فيها ولن تبلغ
الجبال طولا اي لن تساوي الجبال بطولك ولا بطولك ويقال خرق الثوب اي شقه وخرق الارض قطعها
والخرق الواسع من الارض اي انك تخرق بكرك وعشيك عليها ولن تبلغ الجبال طولا بعظمك اي تدر بك
لا تبلغ هذا المبلغ بل انت عند ليل مخاطبك من يحبك ومن دونك والمحاط محصور ضعيف لا يليق بك
لك التكبر والمراد تخرق الارض هنا تقطيعها بالمسافة والله تعالى اعلم وقال الازهري معناه لن
تقطعها الخاسر وهذا بين كانه ماخوذ من الخرق وهو الصخر والواسعة ويقال ثلاث اخرق من ثلاث
اي اكثر سفرا وغيره وامنه بيروى ان سبا وزح الارض باجنادة ٭ شرقا وغربا وسهلا وجبلا وقل ساده وسما
سمي سبا وذان له الخلق فلما راى ذلك لقمان عن اصحابه ثلاثة ايام ثم خرج اليهم فقال ايكم اتلت
ما لم ينزل احد راى الا هذا يشكو هذه النعم فلم ار ونع في ذلك من السجود وللشمس اذا شرقت نسجد وا
لها وكان ذلك اول عبادة الشمس وهذه عاقبة الخيلاء والتكبر والمرح نعوذ بالله من ذلك الرابعة
قوله تعالى كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها ذلك اشارة الى جملة ما تقدم ذكره عما امر به ونهى عنه
وذلك يصلح للواحد والجمع والمونث والمذكر ونزا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ومسروق سيء على
اضافة سيء الى الضمير وذلك فا لمكروها نصب على الحال والسيء هو المكروه وهو الذي امر صاحب السيء
بالاياء به وتذكر الله سبحانه في هذه الاية من قوله وقضى ربك الى قوله كان سيئة ماموراتها ومنهياتها
عنها فلا كرعن الجميع بانه سيئة فيحمل على المامور به في المنهي عنه واخبار هذه القراءة ابو عبيد وكان
في قراءة ابي كل ذلك كان سيئا وهذه لا تكون الا للاضافة ونزا ابن كثير ونافع وابو عمرو وسيئة بالتنوين
اي كل ما نهى الله عنه سيئة وعلى هذا القطع الكلام عند قوله واحسن تاويلا ثم قال وكان قتل
كل ذلك كان سيئة بالتنوين وقيل ان قوله وكان قتلوا اولادكم الى هذه الاية كان سيئة احسنة فيه فجعلوا لو
كلاما محيطا بالمنهي عنه دون غيره وقوله مكروها ليس معناه ان السيئة بل هو بدل منه والتقدير كان سيئة وكان
مكروها وقد قيل ان مكروها خبر ان لكان جعل على لفظ كل وسيئة محمول على المعنى في جميع هذه الاشياء المذكورة
قيل وقال بعضهم هو نعت لسيئة لانه لما كان يا نيها عن جمع جاز ان يوصف بذكر وضعف ابو علي الفارسي
هذا وقال ان المونث اذا ذكر فانما ينبغي ان يكون ما بعده مذكرا وانما التساهل ان يقدم الفعل المسند
الى المونث اذا ذكر فانما ينبغي ان يكون ما بعده وهو صحيح صيغة ما يسند الى المذكر الا نزر نحو قوله انشا عت
٭ كلا مرئ ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها ٭ سيقبح عندهم ولونا دفا يقل ابقل ابقالها لم يكن
قبيحا قال ابو علي وكثر يجوز في قوله مكروها ان يكون بدلا من سيئة وكوز ان يكون حالا من الضمير الذي
في عند ربك ويكون عند ربك في موضع الصفة لسيئة الخامسة اشتملت عليها هذه الاية على ذم الرقص
وتعاطيه قال الامام ابو الوفاء بن عقيل قد نص القران على النهي عن الرقص فقال ولا تمش في الارض مرحا
وذم المختال والرقص اشد المرح والبطر اولسنا الدف فسا التبيد على الخمر لا تفاقهما في الاطراب
والسكر فانا لا نقيس القصب وبلحن الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل احتمالا عاما
فما انفع نرد بلحينه وكيف اذا كان سيئة يرقص ويضيق على دفاع ٭ والعصيان وخصوصا ان كانت
اصوات تستدعوان ومرادان دخل يحسن لزين يديها الموت والسوال والحشر والصراط ثم هو الى احد الدارين
لشمر يا الرقص يسمر ابهايم ويصفق يصفعوا البشرة والله لقد راينا مشائخ في عمرك ما بان لهم سن من الضحك
فضلا عن صحك منع او ماب مخالطي بهم وقال ابو الفرج الجوزي وللزهد تثني بعض المشايخ عن الغزالي
انه قال الرقص عندنا حماقة فمن اكتفى بها يزول الا باللعب وساق لهذا الباب مزيد بيان في الكهف
وغيرها ان شاء الله تعالى قوله تعالى ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة الاشارة بذلك الى هذه الاداب
والقصص والاحكام التي تضمنها هذه الايات المتقدمة التي نزل بها جبريل اي هذه من الامثال الحكمة
التي يقتضيها حكم الله في عباده حملها لهم من محاسن الاخلاق والحكمة وقد ابين المعاني الحكمة ما افاد
الفاضلة ثم عطف قوله ولا تجعل على ما تقدم من النواهي والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
كلمن يسمع الاية من البشر والمعبود الها ان المبعد المقصى وقد تقدم لنا في الدعا اللهم اجرعنا
الشيطان اي ابعده قوله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين هذا برد على من قال من العرب الملايكة بنات

الله وكان لهم بنات ايضا مع البنين ولكنه اراد فاخلص لكم البنين دونه وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه
انكم لتقولون قولا عظيما اليم الايم عند الله عز وجل قوله تعالى ولقد ضربنا اي بينا وقيل كررنا
في هذا القرآن قيل في زايدة والتقدير ولقد ضربنا هذا القرآن مثل واصلح لي في ذريتي اي اصلح
لي ذريتي والتصريف صرف الشيء من جهة الى جهة والمراد هذا التصريف البيان والتكرير وقيل المغايرة
اي غاير بين المواعظ كيلا تزداد يعتبروا وينتفظوا وقراءة العامة صرفنا بالتشديد على التكثير حسب
وقوع وقرا الحسن بالتخفيف وقوله في هذا القرآن معنى الامثال والعبر والحكم والمواعظ والاحكام
والاعلام قال الثعلبي سمعت ابا القاسم الحسن يقول سمعت الشيخ الامام ابا الطيب لفيه تعالى ضربنا
معنيان احدهما لم يجعله نوعا واحدا بل وعدا ووعيدا ومحكما ومتشابها وناسخا ومنسوخا واخبارا وامثالا
مثل تقريب الرياح من صبا ودبور وجنوب وشمال وتضريب الافعال من الماضي والمستقبل والامر
والنهي والعمل والفاعل والمفعول وغيرها والثاني انه لم يتركه مرة واحدة بل كرره كقوله وقرآنا
فرقناه ومعناه فرقناه ومعناه اكثرنا مرة فجبريل اليك ليذكروا قراءة يحيى والاعمش وحمزة والكسائي
ليذكروا مخففا ولذلك لقي القرآن ولقد فرقناه بينهم ليذكروا الباقون بالتشديد واختاره
ابو عبيد لان معناه ليذكروا وليتعظوا قال المهدوي من شدد ليذكروا اراد التدبر وكذلك من
قرأ ليذكروا ونظير الاول ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون والثاني واذكروه اما بينه وما
يزيدهم اي التصريف والتذكير الا نفورا اي ثباعدا عن الحق وعدلا عن النظر والاعتبار وذلك انهم
اعتقدوا في القرآن انه حيلة وسحر وكهانة وشعر فقوله تعالى قل لو كان معه آلهة هذا متصل بقوله
ولا تجعل مع الله الها اخر وهو رد على عبادة الاصنام كما يقولون قرأ ابن كثير وحفص ليقولون بالياء
الباقون بالتاء على الخطاب اذا لابتغوا يعني الآلهة الى ذي العرش سبيلا قال ابن عباس لطلبوا مع
الله منازعة وقتالا كما يفعل ملوك ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقال سعيد بن جبير المعنى اذا لطلبوا
طريقا الى الوصول اليه ليزيلوا ملكه لانهم شركاؤه وقال قتادة المعنى اذا لابتغت الآلهة القربة
الى ذي العرش سبيلا والتمست الزلفة عنده لانهم ورثة والقوم اعتقدوا ان الاصنام الهتهم يجب
تقربهم الى الله زلفى فاذا اعتقدوا في الاصنام انها محتاجة الى الله تعالى فقد بطل انها الهة
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا نزه سبحانه نفسه وتقدسه وتمجده عما لا يليق به فقوله
قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن اعاد على السموات والارض ضمير من يعقل
لما اسند اليها فعل العاقل وهو التسبيح وقوله ومن فيهن يريد الملايكة والانس والجن ثم عم
بعد ذلك الاشياء كلها في قوله وان من شيء الا يسبح بحمده واختلف في هذا العموم هل هو تخصيص
ام لا فقالت فرقة ليس مخصوصا والمراد به تسبيح الدلالة وكل محدث يشهد على نفسه بان الله
خالق قادر وقالت طايفة هذا التسبيح حقيقة وكل شيء على العموم يسبح تسبيحا يسمعه البشر
ولا يفقهه ولو كان ما قاله الا ولون من ان اثر الصنعة والدلالة لكان امرا مفهوما والاية تنطق بان هذا
التسبيح لا يفقه واجيبوا بان المراد بقوله لا تفقهون والكفار الذين يوصفون عند الاعتبار فلا يفقهون
حكم الله تعالى في الاشياء وقالت فرقة قوله من شيء عموم ومعناه الخصوص في كل حي وتام وليس
ذلك في الجمادات ومن هذا قول عكرمة الشجرة تسبح والاسطوان لا يسبح وقال يزيد الرقاشي
للحسن وهما في طعام وقد قدم الحوان اتسبح هذا الحوان يا ابا سعيد فقال قد كان يسبح مرة
يريد بان الشجرة في زمن عمرها واعتدالها كانت تسبح واما الان فقد صار حوانا وهو ما قلت
ويستدل بهذا القول من السنة بما ثبت عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبرين وهما
فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الآخر فكان لا يستبرئ
من بوله قال ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال
لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا فقوله عليه السلام ما لم ييبسا اشارة الى انهما ما دام رطبين
يسبحان واذا يبسا صار جمادا والله اعلم وفي مسند ابي داود الطيالسي فوضع على احدهما
نصفا وعلى الآخر نصفا وقال انه يهون عليهما ما دام فيهما بلولتهما شيء قال علماؤنا ويستفاد
من هذا غرس الاشجار وقراءة القرآن على القبور واذا خفف عنهم بالاشجار فكيف بقراءة الرجل
المؤمن القرآن وتدبيرها هذا المعنى في كتاب التذكرة بيانا شافيا والله يصل الى الميت ثواب ما يفرأ
ويهدا له والحمد لله على ذلك وعلى انا وليا لنا في لا يحتاج الى ذلك بان كل شيء من الجماد وغيره
يسبح قلت ويستدل لهذا التاويل وهذا القول من الكتاب بقوله سبحانه واذكر عبدنا
داود ذا الايد انه اواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق وقوله وان منها لما يهبط
من خشية الله على قول مجاهد وقوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وذكر ابن المبارك في رقايقه
اخبرنا مسعود عن عبد الله بن واصل عن عوف ابن عبد الله قال قال عبد الله بن مسعود انا الخيل

لتقول

ينقول للجبل هل مر بك اليوم ذاكر لله فان قال نعم سربه ثم قرأ عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الاية
قال اذا هن يسمعن المرور علا يسمعن الخير وفيه عن ابن عباس انس بن مالك قال ما من صباح ولا رواح الا
ينادى بقاع الارض بعضها بعضا ياجارا هل مر بك اليوم عبد يصلى لله او ذكر الله تمسك به ثم قابله
نعم فاذا قالت نعم رات لصاحبه ذلك فضلا عليها وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع صوت المؤذن جني ولا
انس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شئ الا شهد له يوم القيامة رواه ابن ماجة في سننه ومالك في موطاه
من حديث ابي سعيد الخدري وخرج الحارث عن عبد الله قال لقد كان يسمع تسبيح الطعام وهو
يوكل في غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن
نسمع تسبيحه وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا عرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث ۴ قيل انه الحجر الاسود والله اعلم والاخبار في هذا المعنى كثيرة ۴ ۴
في اللمع اللؤلؤية في شرح البعشريات النبوية للحنفي الشافعي للعارف ركن الدين الجرجاني ايضا الى
هذا الباب مشهور خرجه البخاري في مواضع من كتابه اذا ثبت ذلك في جماد واحد جاز في جميع الجمادات
ولا استحالة في شئ من ذلك فكل شئ يسبح للعموم ولذا قال النخعي وغيره تعوذ عام بنباتيه روح وفيها روح
فيه حتى حرر الباب واضجوا بالاخبار التي ذكرنا وقيل تسبيح الجمادات انها تدعوا الناظر اليها الى ان يقول
سبحان الله لعدم الادراك عنها وقال الشاعر تلقى بتسبيحه من حيث ما انصرفت ويسمع حسا الراي يرعاد
او ابي يقول ما راها سبحان خالقها فالصحيح ان الكل تسبيح للاخبار الدالة على ذلك ولو كان هذا التسبيح
تسبيح دلالة ناى تخصص لاحد وانما ذلك تسبيح المقال لخلق الحياة والانطاق بالتسبيح كما ذكرنا وقد
نطقت السنة على ما دل عليه ظاهر القرآن من تسبيح كل شئ بالقول ۴ اولي والله اعلم وقرأ الحسن وابو عمرو
ويعقوب وحفص وحمزة والكسائي وخلف تفقهون بالتاء لتانيث الجماعة الباقون بالياء واختاره
ابو عبيد قال للحائل بين الفعل والتانيث انه كان حليما عن ذنوبهم عاده في الدنيا غفورا لهم ممن
في الاخرة قوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا
عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت لما نزلت سورة تبت يدا ابي لهب اقبلت العوراء ام جميل بنت
حرب ولها ولوله وفي يدها فهر وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا فهر والنبي صلى
الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر فلما راها ابو بكر قال يا رسول الله لقد اقبلت وانا اخاف
ان تراك قال فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تراني وقرأ قرآنا فاعتصم به كما قال وقرأ واذا قرأت القرآن
جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اخبرت ان صاحبك هجاني فقال لا ورب هذا البيت ما هجاك فانطلقت
وهي تقول قد علمت قريش اني ابنة سيدها وان سيد بن جبير لما نزلت تبت يدا ابي لهب وتب
جاءت امرأة ابي لهب الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر فقال ابو بكر لو تنحيت عنها لئلا
تسمعك ما يؤذيك فانها امرأة بذية فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه سيحال بيني وبينها فلم تره
فقالت لابي بكر يا ابا بكر هجانا صاحبك فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يتفوه فقالت وانك لمصدقة
وانصرفت راجعة فقال ابو بكر يا رسول الله اما رأتك قال لا ما زال ملك يسترني منها بجناحيه
ذهبت وقال الكلبي في هذه الاية كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير من المشركين يا تي اباب الاية
التي في الكهف انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا الاية والتي في النحل اولئك الذين
طبع الله على قلوبهم الاية والاية التي في السريعة افرايت من اتخذ الهه هواه الاية وكان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا قرأها من يسير من المشركين قال كعب محدث بن سيرين رجلا من اهل الشام قال في ارض الروم
هاربا فاقام بها زمانا ثم خرج هاربا فخرج حوالي طليطلة فقرأ بهن فصار واكبون معه على طريقه ولا يبصرونه
قال الكلبي وهذا الرجل يرويه عن كعب فحدث به رجلا من اهل الري فاسر بالديلم فيهم زمانا ثم خرج
هاربا فخرج حوالي طليطلة فمر بهن حتى جعلت ثيابهم تلمس ثيابه فما يبصرونه قلت ويرد الى هذا ما في
اول سورة يس الى قوله فهم لا يبصرون قال في السيرة في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ومقام علي
رضي الله عنه بعده قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من تراب في يده وجعل
الله على ابصارهم عنه غلا يبصرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هذه الايات من يس
وسورة القرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم الى قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم
سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الايات ولم يبق منهم
رجلا الا وضع على راسه ترابا ثم ارتحل الى حيث اراد ان يذهب قال الشيخ رحمه الله وقد اتفق لي
ببلادنا بالاندلس بحصن مسور من اعمال قرطبة مثل هذا وذلك الخبر بت امام العدو وانحرت الى ناحية
عنهم فلم اطبث ان خرج في طلبي فارسان وانا في فضاض الارض قاعد ليس يستتر بي عنهما شئ وانا
اقرا اول سورة يس وغير ذلك من القرآن فمر علي ثم رجعا من حيث جاءا واحدهما يقول للاخر هذا

دبيلة يعنون شيطانا وعمى ابصارهم فلم يروك والحمد لله حمدا كثيرا على ذلك وقيل الحجاب
المستور طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه ولا يدركوا ما فيه من الحكمة قاله قتادة وقال الحسن ابى
انهم لا عراضهم عن قرانك ونفاقهم عنك لن يبيك وبينه حجاب فى عدم رويتك وحتى كان
على قلوبهم اغطية وقيل نزلت فى قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا
القرآن وهم ابو جهل وابو سفيان والنضر بن الحارث وام جميل امراة ابى لهب وحويطب فحجب
الله رسوله صلى الله عليه وسلم عن ابصارهم عند قراءة القرآن وكانوا يمرون به ولا يرونه قاله
الزجاج وغيره وهو معنى القول الاول بعينه وهو الاظهر فى الاية والله اعلم وقوله مستورا فيه
قولان احدهما ان الحجاب مستور عنكم لا ترونه الثانى ان الحجاب ساتر عنكم ما وراءه ولكون مستورا
بمعنى ساتر قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة هى جمع كنان وهو ما ستر الشى وقد تقدم فى
الانعام ان يفقهوه اى لئلا يفقهوه او كراهية ان يفقهوه ايى ان يفهموا ما فيه من الامر والنواهى
والنوامى والحكم والمعانى وهذا يرد على القدرية وبى اذانهم وقرا اى صمما وثقلا وفى الكلام
اضمار اى ان يسمعوه واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده اى قلت لا اله الا الله وانت تتلوا القرآن
قال ابو الجوزا او من زعمه الله ليس بشى اطرد للشيطان من القلب من قول لا اله الا الله ثم قال
واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا وقال على بن الحسين هو قوله قوله
بسم الله الرحمن الرحيم وقد تقدم هذا فى البسملة ولوا على ادبارهم نفورا مثل نهود جمع شاهد
ونعود جمع قاعد فهو منصوب على الحال ويجوز ان يكون مصدرا على غير المصدر اذ كان قوله ولوا
بمعنى نفروا فيكون معناه نفروا نفورا قوله تعالى نحن اعلم بما يستمعون به قيل انها الاية فى
قوله تعالى وما يستمع الذين يستمعون من النبى صلى الله عليه وسلم القرآن ثم ينفرون
فيقولون هذا ساحر ومسحور مما اخبر الله تعالى به عنهم قاله قتادة وغيره واذ هم نجوى اى
متناجون فى امرك قال قتادة كانت نجواهم قولهم انه مجنون وانه ساحر وانه يأتى باساطير الاولين
وغير ذلك فيما ترتب حين دعا عقبة اشراف قريش الى طعام صنعه لهم فدخل عليهم النبى صلى الله
عليه وسلم وقرا عليهم القرآن ودعاهم الى الله فيما جوا يقولون ساحر ومجنون وقيل امر النبى صلى
الله عليه وسلم عليا ان يتخذ طعاما ويدعوا عليه اشراف قريش من المشركين ففعل ذلك على ودخل
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا عليهم ودعاهم الى التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله
يطيعكم العرب وتدين لكم العجم فابوا وكانوا مستمعون من النبى صلى الله عليه وسلم يقولون بينهم
متناجين هو ساحر وهو مسحور نزلت الاية وقال الزجاج النجوى اسم للمصدر اى واذ هم ذوو
نجوى اى سرار اى يقول الظالمون ابو جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما ان تتبعون الا رجلا
مسحورا اى مطبوبا قد جبله السحر واختلط عليه امره بما يقولون ذلك لينفروا عليه الناس
وقال مجاهد مسحورا اى مخدوعا مثل قوله فانى تسحرون اى من اين تخدعون وقال ابو عبيدة هو
مسحورا معناه انه سحر فهو يتعلل عن الطعام والشراب فهو مثلكم وليس بملك والقول
الرب لبيد بما قد انتحى سحره وكل مرا كل مرا دبى وغيره او شرب مسحور وسحور قال لبيد
هم فانتا عصابة من هذا الانام المسحره وقال امرؤ القيس
ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
اى معدون ونعلل وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها انها قالت من هذه
النبى لسا سحر تعنى ازواج النبى صلى الله عليه وسلم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى سحر
وبكر قوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال عجبه من صنعهم كيف يقولون تارة ساحر وتارة
مجنون وتارة شاعر فضلوا فلا يستطيعون سبيلا اى حيلة فى صد الناس عنك وقيل ضلوا عن
الحق فلا يجدون سبيلا اى الى الهدى وقيل مخرجا مما نفر كلامهم فى قولهم مجنون ساحر شاعر ساحر
قوله تعالى وقالوا ايذا كنا عظاما ورفاتا اى قالوا وهم يساخرون لما سمعوا القرآن وسمعوا
امر البعث لم يكن مسحورا مخدوعا كما قال هذا قال ابن عباس الرفات الغبار مجاهد التراب
والرفات ما يكسر وبلى من كل شى كالعصاب والعظام والرصاص عن ابى عبيدة والكسائى والفرا
والاخفش يقولون منه رتب الشى رتبا اى حطم ومنه رتوب ابنا لمبعوثون خلقا جديدا ابنا استفهام
والمراد به الانكار وخلقا نصب لانه مصدر لانه لفتا جديدا وكان هذا غاية الانكار منهم
قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا اى قل لهم يا محمد كونوا على جهة التعجيز حجارة او حديدا
او السدة والقوة قال الطبرى اى عجبتم من انشا الله لكم عظاما ولحما فكونوا انتم حجارة او حديدا
ان قدرتم وقال على بن عيسى معناه انكم لو كنتم حجارة او حديدا لم تفوتوا الله عز وجل اذا اراد كم لانه
انه خرج مخرج الامر لانه ابلغ فى الاكرام وقيل معناه لو كنتم حجارة او حديدا لاعادكم كما بداكم وانشاكم
ثم احياكم وقال مجاهد المعنى كونوا ما شئتم فستعادون لتحاسبوا وهذا قول حسن انهم لا يستطيعون

ان يكونوا حجارة واما المعنى انهم لذا تروا بحالتهم وانكروا البعث فقيل لهم استشعروا ان تكونوا انتم
بانفسكم فلو كنتم حجارة او حديدا لبعثتم اول مرة او خلقا مما يكبر في صدوركم قال مجاهد يعني السموات
والارض والجبال العظام في النفوس وهو معنى قول قتادة يقول كونوا ما شئتم فانا مبعثكم بعثكم
بعثكم وقال ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وابن جبير ومجاهد ايضا عكرمة وابو صالح ولو
والضحاك يعني الموت ثم ليس شيء اكبر في نفس ابن ادم منه قال امية بن ابي الصلت * وللموت خلق في
النفوس فظيع * يقول انكم لو خلقتم من حجارة او حديد او كنتم الموت تحسكم او تحسكم ٢٦ ان النشأة
التي بها انشأتكم بها تعيدكم وهو معنى قوله فسينغضون اليك رؤسهم قال الزجاج فطركم اول مرة
وفي الحديث ان يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار وقيل اراد بهذا
البعث لانه كان اكبر في صدورهم قاله الكلبي فطركم خلقكم وانشأكم فسينغضون اليك رؤسهم اي
يحركون رؤسهم استهزاء قال ابن عباس ينغض راسه ينغض نغضا ونغوضا اي يحرك والنغض والنغض راسه
اي حركه كالمتعجب من الشيء ومنه قوله تعالى فسينغضون اليك رؤسهم قال الراجز * انغض نحوك
راسه وافتعاه * ويقال ايضا نغض فلان راسه اذا حركه بتعدي ولا يتعدى حكاه الاخفش ويقال
نغضت سنه اذا تحركت وانقلعت قال الراجز ونغضت مرمرم استانها وقال اخر * لما رأتني نغضت
لي الراساه * وقال اخر * لا ماخ المواه ان لم يمعز يسدفوق المحالة النغض المحاد والمحالة البكرة
العظيمة التي تستقي بها الابل ويقولون متى هواى البعث والاعادة فذر هذا الوقت قل عسى ان يكون
قريبا اي هو قريب لانه عسى واجب نظيره وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ولعل الساعة قريب
وكل ما هو آت قريب قوله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده الدعاء الى المحشر بكلام
تسمعه الخلايق يدعوهم الله تعالى فيه بالخروج وقيل بالصيحة التي يسمعونها فتكون داعيته لهم الى الاجتماع
في ارض القيامة قال صلى الله عليه وسلم انكم تدعون يوم القيامة باسمائكم واسماء ابائكم فاحسنوا
اسماءكم فيستجيبون باسمائهم اي بالنداء والحمد لله كما قال اني بحمد الله لا نوب
فاجر لست ولا من هذه اسع وقيل حامدين لله تعالى باستكم وقال سعيد بن جبير يخرج الكفار من قبورهم
وهم يقولون سبحانك ومحمدك ولكن لا ينفعهم اعترافهم ذلك اليوم وقال ابن عباس يحمده بامره اياهم
بقولون بامره اياهم وقال قتادة بمعرفته وطاعته وقيل المعنى بقدرته وقيل بدعائه اياكم قال
عالما وهو الصحيح فان النفخ في الصور انما هو سبب لخروج اهل القبور وبالحقيقة انما خروج
الخلق بدعوة الحق قال الله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده فتظنون بقولون سبحانك
اللهم وبحمدك قال يوم القيامة يوم بيدا بالحمد وبختم به قال الله تعالى يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده وقال في اخره وقضي بينهم بالحق وقيل بحمد الله رب العالمين وتظنون ان لبثتم الا قليلا يعني
بين النفختين وذلك ان العذاب كف عن المعذبين بين النفختين وذلك اربعون عاما وما يدريك لعل
قوله تعالى من بعثنا من مرقدنا فكون خاصا للكفار وقال مجاهد للكافرين خمسة قبل يوم القيامة يجدون
فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قال من امر عورين وقال قتادة المعنى ان الدنيا كما درت في اعينهم
وقلت حين رأوا يوم القيامة الحق ويظنون ان لبثتم الا قليلا في الدنيا لطول لبثكم في الاخرة قوله تعالى
وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن نقدم اعرابه والآية نزلت في عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من الروم
شتمه وسبه عمر وهم بقتله وكانت تنزغ بينهما نزغة فانزل الله تعالى فيه وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن
ذكره الثعلبي والماوردي وابن عطية والواحدي وقيل نزلت لما قاله المسلمون ايذن لنا يا رسول
الله في قتالهم فقد طال ايذاؤهم اياما فقال لم اومر بعد بالقتال فانزل الله تعالى وقل لعبادي
يقولوا التي هي احسن قاله الكلبي وقيل المعنى قل لعبادي الذين اعترفوا بانني خالقهم ومنهم
يعبدون الاصنام يقولوا التي هي احسن من كلمة التوحيد والاقرار بالنبوة وقيل المعنى وقل لعبادي
المؤمنين اذا جادلوا الكفار في التوحيد ان يقولوا الكلمة التي هي احسن كما قال ولا تسبوا الذين
يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال الحسن هو ان يقول للكافر اذا تشطط عداك
الله يرحمك الله وهذا قبل ان امروا بالجهاد وقيل المعنى قل لهم يامروا بما امر الله به وينهوا عما نهى الله
عنه وعلى هذا يكون الآية عامة في المؤمنين والكافر اي قل للجميع والله اعلم وقالت طائفة امر الله في هذه
الآية المؤمنين فيما بينهم خاصة بحسن الادب والامر بالقول وخفض الجناح واطراح نزغات الشيطان
وتوفا صلى الله عليه وسلم وكونوا عباد الله اخوانا وهذا حسن وتكون الآية محكمة قوله تعالى ان
الشيطان ينزغ بينهم اي يلقي بينهم الفساد والعداوة وقد تقدم الاغراء وتقدم في آخر الاعراف ويوسف
يقال نزغ بمعنى افسد قاله البزيدي وقال غيره النزغ الاغراء ان الشيطان كان للانسان عدوا
مبينا اي شديد العداوة وقد تقدم في البقرة وفي الخبر ان قوما جلسوا يذكرون الله فجاء الشيطان
ليقطع مجلسهم فمنعته الملائكة فجاء الى قوم جلوس قريبا منهم لا يذكرون الله فجلس بينهم فتخاصموا وتواثبوا

فقال هؤلاء الذاكرون قوموا بنا نصلح بين اخواننا فقاموا وقطعوا مجلسهم وفرح بذلك اوان
يشأ يعذبكم هذا خطاب للمشركين والمعنى يشأ يوفقكم للاسلام فيرحمكم او يميتكم على الشرك
فيعذبكم والله اعلم بمعنى عليم كقولهم الله اكبر بمعنى كبير وقيل الخطاب للمؤمنين اي ان
يشأ يرحمكم بان يحفظكم من كفار مكة او ان يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم قاله الكلبي وما ارسلناك
عليهم وكيلا اي مسلطا وكلفناك في تسييرهم منعهم من الكفر وما جعلناك اليك ايمانهم وقيل ما جعلناك
كفيلا بارزاقهم فهو صدقهم قاله الكلبي وقال الشاعره ذكرت ابا اردى فمت كانني ارد الموارد الماضيات
وكيل اي كفيل قوله تعالى وربك اعلم بمن في السموات والارض اعاد بعد ان قال ربكم اعلم بكم ليبين
انه عالم بهم وانه جعلهم مختلفين في اخلاقهم وصورهم واحوالهم وما لهم لا يعلم من خلق وكذا
النبيين فضل بعضهم على بعض عن علم منه بمجالهم وقد مضى القول هذا في البقرة وآتينا داود
زبورا الزبور كتاب ليس فيه حلال ولا حرام ولا زواجر ولا حدود وانما هو دعاء وتحميد وتمجيد
اي كما آتينا داود الزبور فلا تنكروا انزال محمد القرآن وهو في محاجة اليهود قوله تعالى قل
ادعوا الذين زعمتم من دونه لما ابتلي قريش بالقحط وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزل الله تعالى هذه الآية اي ادعوا الذين تعبدون من دون الله وزعمتم انها آلهة وقال الحسن يعني
الملائكة وعيسى وعزيرا بن مسعود يعني الحسن فلا يملكون كشف الضر اي القحط سبع سنين
على قول مقاتل ولا تحويلا من الفقر الى الغنى ومن السقم الى الصحة قوله تعالى اولئك الذين
يدعون اولئك مبتدأ الذين صفة اولئك وضم العلة لحذف اي يدعوهم يعني اولئك المدعوون
ويبتغون خبرا ويكون عائدا والذين يدعون خبر اي يدعون الله عباده او عباده الى عبادته وقرأ ابن
ابن مسعود تدعون بالياء على الخطاب لما قبله بالتاء على الخبر والاحسن في يبتغون انه بالياء وفي
صحيح مسلم من كتاب التفسير عن عبد الله بن مسعود في قوله عز وجل اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة قال نفر من الجن اسلموا وكانوا يعبدون فبقي الذين كانوا يعبدوا
على عبادتهم وقد اسلم النفر من الجن في رواية قالت تركت بني فلان من العرب كانوا يعبدون نفرا
من الجن فاسلم الجن والذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة وعنه ايضا انهم الملائكة كانت قبائل من العرب ذكره الماوردي وقال
ابن عباس ومجاهد هم عزير وعيسى ويبتغون يطلبون من الله الزلفى والقربة ويتضرعون
الى الله تعالى في طلب الجنة ويخافون الوسيلة اعلمهم الله تعالى ان المعبودين يبتغون القربة الى ربهم
والخوف عليهم في ربهم تعود على العابدين او على المعبودين او عليهم جميعا واما يرجون فتعالى
العابدين ويعود على المعبودين انهم اقرب انبيا وكون ايكون ايهم اقرب بدلا من الضمير في يبتغون
والمعنى سعى ايهم اقرب الوسيلة الى الله ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان
محذورا اي حقيقا ان لا يامن احد منه فينبغي ان يحذر منه وكان وقال سهل بن عبد الله الرجاء والخوف
يغلبان على اللسان استويا استقامت احواله وان رجح احدهما بطل الآخر قوله تعالى وان من
قرية الا نحن مهلكوها اي نخربها قبل يوم القيامة او نعذبوها عذابا شديدا الا قد مقاتل امسا
الصالحة فبالموت واما الطالحة فبالعذاب وقال ابن مسعود اذا ظهر الزنا والربا في قرية
اذن الله في هلاكهم فقال المعنى وان من قرية ظالمة نعرى ذلك قوله وما كنا مهلكي القرى الا
واهلها ظالمون اي فليتق المشركون فانه ما من قرية كافرة الا سيجعل العذاب كان ذلك في الكتاب
اي في اللوح مسطورا اي مكتوبا والسطر الخط والكتابة وهو في الاصل مصدر والسطر بالتحريك
مثله قال الجريري من سمانا نعمة مالي وخلقهم ما تكمل النعم التي دونها سطراه الخلقة بضم الخاء
قال والسطر جمع اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير وجمع السطر اسطر وسطور
مثل فلس وفلوس والكتاب هنا يراد به اللوح المحفوظ قوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون في الكلام حذف والتقدير وما منعنا ان نرسل بالآيات التي اقترحوها الا ان
يكذبوا بها فيهلكوا كما فعل من كان قبلهم قال معناه قتادة وان خرج وغيرهما فاخر الله تعالى العذاب
عن كفار قريش لعلمه ان فيهم من يولد مؤمنا وقد تقدم في الانعام وغيرها
انهم طلبوا ان يحول الله لهم الصفا ذهبا وتنحى الجبال عنهم فنزل جبريل وقال ان شئت
كان ما سالت فومك ولكنهم ان لم يؤمنوا لم يمهلوا وان شئت استانيت بهم فقال بل استانيت بهم وان الآية
في محل رفع والباء في بالآيات زايدة ويجوز ان الكلام وما منعنا ارسال الآيات الا التكذيب الاولين والله تعالى
لا يكون ممنوعا عن شيء لمعنى المبالغة في انه لا يفعل فكانه قد منع عنهم مرة ما فعل بمن سالف
الآيات فلم يؤمن بها فقال وآتينا ثمود الناقة مبصرة اي آية تبصر بها وتنصب بمره على صفة صالح وعلى قدرة
الله تعالى وقد تقدم ذلك وظلموا بها اي ظلموا بتكذيبها وقيل جحدوا بها وكذبوا بها من عند الله

فاستاصلهم

ما ستاصلهم الله بالعذاب وما نرسل بالايات الا تخويفا وحملوا قوله الا اول العبر والمعجزات التي جعلها
الله على ايدي الرسل نرد بها الانذار تخويفا للمكذبين الثاني انها ايات الانتقام تخويفا من المعاصي وهو
الثالث انها نقلت الاحوال من ضعف الى شباب الى تكهل ثم الى مشيب كتغيير تقلب احوال الصحاف عائشة
امرك وبعض قول احمد بن حنبل رضي الله عنه الرابع القرن الخامس الموت الزريع قاله الحسن قوله تعالى
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس قال ابن عباس يعني اهل مكة واحاطتهم اهلاكه اياهم اي ان الله سيهلكهم
وذكره بلفظ الماضي ليحقق كونه وعنى بهذا الاهلاك الموعود وما جرى يوم بدر ويوم
الفتح وقيل معنى احاط بالناس اي احاطت قدرته بهم في نصره لا يقدرون على الخروج من سلطانه قاله مجاهد
وابن ابي نجيح وقال الكلبي المعنى احاط علمه وقيل المراد عصمته من الناس ان يقتلوه حتى يبلغ رسالات
ربه اي وما ارسلناك عليهم حفيظا بل عليك التبليغ فبلغ تحرك فانا نعصمك منهم ويحفظك فلا يهمهم
واعص لما امرك به من تبليغ الرسالة نقدرها يحيطه بالكل قاله حمنا وه الحسن وعروة وقتادة وغيرهم
قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس لما بين ان انزال ايات القرآن تتضمن التخويف
ضم اليه ذكر اية الاسرا وهي المذكورة في صدر السورة وهو المختار وهو الذي عن ابن عباس في قوله تعالى
وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس قال هي رؤيا عين اريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري
به الى بيت المقدس قالوا والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم قال ابو عيسى هذا حديث صحيح
ويقول ابن عباس قالت عائشة ومعاوية والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والضحاك وابن
ابي نجيح وابن زيد وكانت الفتنة ارتداد قوم كانوا اسلموا حين اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم انه اسري
به وهلم كانت رؤيا فوهم وهذه الاية تقضي نصه وذلك ان الرؤيا المنام لا فتنة فيها وما كان احد ينكرها
وعن ابن عباس قال الرؤيا التي في هذه الاية هي رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يدخل مكة في سنته
الحديبية فرد فافتتن المسلمون لذلك فنزلت الاية فلما كان العام المقبل وانزل الله تعالى لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق وفي هذا التاويل ضعف لان السورة مكية وتلك الرؤيا كانت بالمدينة وقال
في رواية قال ابراهيم عليه السلام رأى في المنام بني مروان ينزوا على منبره نزو القردة فساءه ذلك فنفيل
انما هي الدنيا اعطوها فسري عنه وما كان له بمكة منبر ولكنه كره ان يرى بمكة رؤيا المنبر بالمدينة وهذا
التاويل الثالث قاله ايضا سهل بن سعد رضي الله عنه قال سهل انما هذه الرؤيا هي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يربه بني امية ينزون على منبره نزو القردة فاغتم لذلك وما استجمع ضاحكا يومئذ
حتى مات صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية مخبرة ان ذلك غير ملكهم وصعودهم تحملها الله فتنة للناس
وامتحانا وقرا الحسن بن علي في خطبته في شان معاوية وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين
قال ابن عطية وفي هذا التاويل نظر وايدخل في هذه الرؤيا عثمان وعمر بن عبد العزيز وولد معاوية يزيد
قوله تعالى والشجرة الملعونة في القرآن هي نقديم وتاخير اي وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة
الملعونة في القرآن الا فتنة للناس ونتخفيفها انهم لما خوفوا بها قال ابو جهل استهزاء هذا محمد
يزعم انه يخوفكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم انها تنبت الشجر وانا ما نعرف الزقوم الا التمر
والزبد ثم امر ابو جهل جارية فاحضرت تمرا وزبدا وقال لاصحابه تزقموا وقد قيل ان القائل
ما نعلم الزقوم الا التمر والزبد ابن الزبعرى حيث قال كثر الله من الزقوم في دياركم فاتاكم التمر بالزبد
بلغة اليمن وجايز ان يقول كلا هما ذلك فافتتن ايضا لهذه المقالة بعض الضعفا فاخبر الله
تعالى نبيه ان ما جعل الا سرا وذكر شجرة الزقوم فتنة واختبارا ليكفر من كتب عليه الكفر ويصدق من
سبق له الايمان كما روي ان ابا بكر الصديق قيل له صبيحة الاسرا ان صاحبك يزعم انه جاء بيت
المقدس فقال ان كان قال ذلك فقد صدق فقيل له اتصدقه قبل ان تسمع منه فقال اني لاصدقه بخبر السما فكيف لا اصدقه بخبر بيت المقدس والسما اعلم منها بكثير قال الشيخ رحمه الله
ذكر هذا الخبر ابن اسحق وقصته كانت هذه قال وكان من الحديث بلغني عن مسراه صلى الله عليه
وسلم عن عبد الله بن مسعود وابي سعيد الخدري وعايشة ومعاوية بن ابي سفيان والحسن بن
ابي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من اهل العلم ولم لقاني بعض طالب ما اجتمع في
هذا الحديث كل محدث عنه ببعض ما ذكر من امره جبل اسري به صلى الله عليه وسلم وكان في مسراه وما ذكر
منه بلاد تحيض وامر من امر الله عز وجل في قدرته وسلطانه فيه عبرة لاولي الالباب وذكرى ورحمة وثبات
لمن امن وصدق وكان من امر الله تعالى علي يقين ناسري به صلى الله عليه وسلم كيف شا ير به من ايانه ما اراد
حتى عاين ما عاين من امره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد وكان عبد الله بن مسعود
فيما يذكر عنه يقول اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها
الانبيا قبله تضع حافرها في منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يريه الايات فيما بين السما والارض
حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبيا قد جمعوا له فصلى

بهم ثم اتى بثلاثة انا اناءه لبن وانا فيه خمر وانا فيه ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلا يقول لحيز عرضت على ان اخذت الماء فغوى وغرقت امتك وان اخذت الخمر فغوى وغوت امتك وان اخذت اللبن فهديت وهديت امتك قال فما اخذت الا اللبن فشربت فقال لي جبريل هديت وهديت امتك يا محمد قال محمد بن اسحق وحدثت عن الحسن انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل عليه السلام فهمزني بقدمه فجلست فلم ار شيئا ثم عدت لمضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فاخذت بعضدي فقمت معه فخرج الى باب المسجد فاذا دابة ابيض بين البغل والحمار في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره في منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا افوته قال ابن اسحق وحدثت عن قتادة انه قال حدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت منه لاركبه نفر فوضع جبريل يده على ناصيته ثم قال الا تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد الله قبل محمد اكرم عليه منه قال فاستحى ثم ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه حتى انتهى الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الانبياء فاممهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى بهم ثم اتي باناءين في احدهما خمر وفي الاخر لبن قال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فشرب منه وترك الخمر قال فقال له جبريل هديت للفطرة وهديت امتك وحرمت عليكم الخمر ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فلما اصبح غدا على قريش فاخبرهم الخبر فقال اكثر الناس هذا والله العير البين والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة شهرا ومقبلة شهرا فنذهب ذلك بحمد في ليلة واحدة ويرجع الى مكة قال فارتد كثير ممن كان اسلم وذهب الناس الى ابي بكر فقالوا هل لك يا ابا بكر في صاحبك يزعم انه اسرى به الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة قال فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه انكم تكذبون عليه قالوا بلى ها هو ذا في المسجد يحدث به الناس فقال ابو بكر والله لئن قال ذلك لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرني ان الخبر ليأتيه من السماء الى الارض في ساعة من ليل او نهار فاصدقه فهذا ابعد مما تعجبون منه ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله احدثت هؤلاء انك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم قال يا نبي الله فصف لي فاني قد جئته قال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع لي حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابي بكر ويقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيئا قال لصدقت اشهد انك رسول الله قال حتى اذا انتهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت يا ابا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق قال الحسن وانزل الله تعالى في ذلك اليوم من ارتد عن الاسلام لذلك وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن وتخويفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا هذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دخل فيه من حديث قتادة وذكر تمام الاسرى عن من تقدم في السيرة وقال ابن عباس هذه الشجرة بنو امية وان النبي صلى الله عليه وسلم نفي الحكم وهذا قول ضعيف محدث والسورة مكية فحسد لهذا التاويل الا ان تكون هذه الاية مدنية ولم يثبت ذلك وقد قالت عائشة لمروان لعن الله ابا ك وانت في صلبه فانت فوطط من لعنة الله ثم قال والشجرة الملعونة في القرآن ولم يخرج القرآن لعن هذه الشجرة ولكن الله لعن الكفار وهم اكلوها فالملعون الشجرة الملعونة في القرآن اكلوها ويمكن ان يخرج هذا القول على قول العرب لكل الطعام كرده صار ملعونا وقال ابن عباس الشجرة الملعونة هي الشجرة التي تلتوي على الشجر فتقتلها يعني الكشوث وتخويفهم اياي بالزقوم فما يزيدهم التخويف الا الكبر فقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم تقدم ذكر كيد الشيطان عدو الانسان فانجر الكلام الى ذكر ادم والمعنى اذكر عبادي هؤلاء المشركين وعتوهم على ربهم وفتنة ابليس حين عصى ربه وابى السجود قال لما قال وهو ما اخبر الله تعالى في قوله فسجدوا الا ابليس قال اأسجد لمن خلقت طينا اي من طين وهذا استفهام انكار وتقدم القول في خلق ادم في البقرة والانعام مستوفى قال ارايتك اي قال ابليس والكاف توكيد للمخاطب هذا الذي كرمت علي اي فضلته علي ورأى جوهر النهار خيرا من جوهر الطين ولم يعلم ان الجواهر متماثلة وتقدم هذا في الاعراف وهذا نصب بارايت الذي لفظه الاكرام اسم جامع لكل ما يحمد وفي الكلام حذف تقديره عن هذا الذي فضلته علي لم فضلته وقدمتني بالنار وخلقته من طين فحذف لعلم السامع وقيل لا حاجة الى تقدير الحذف اي الذي هذا الذي كرمته لا فضل به كذا وكذا ومعنى لاحتنكن في قول ابن عباس لاستولين عليهم وقال الفراء لاحتنكنهم ابن زيد لاضلنهم والمعنى متقارب اي لاستاصلن ذريته بالاغواء والاضلال والاحتناك من قولهم احتنك الجراد الزرع اذا ذهب به كله وقيل معناه لاستولين عليهم حيث شئت واقودنهم

حيث

حيث شئت اي ارمنت من قولهم حنكت الفرس واحتنكته حنكا اذا جعلت في فمه الرسن وكذلك
احنكته والقول الاول قريب من هذا لانه انما يأتي على الزرع بالحنك وقال الشاعر اشكو اليك
سنه قد اجحفت جهدا الى جهد بنا واصفقت واحتنكت اموالنا واجتلفت امو النا واجتلدت
الا قليلا يعني المعصومين وهم الذين ذكرهم الله في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وانما قال ابليس ذلك ظنا كما قال الله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه او علم من طبع البشر
تركب الشهوة فيهم او بنى على قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وقال الحسن ظن ذلك لانه وسوس
الى ادم فلم يجد له عزما فقوله تعالى قال اذهب فمن تبعك منهم هذا امر اهانة اي اجهد جهدك
فقد انظرناك فمن تبعك اي اطاعك من ذرية ادم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا اي وافرا غير مجاهد
وغيره وهو نصب على المصدر يقال وفرته اوفره ووفر المال بنفسه يفر وفورا تم وافرة ارم
وستعد قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى
واستفزز اي استزل واستخف واصله القطع ومنه تفزز الثوب اذا انقطع والمعنى استزله
بقطعك اياه عن الحق واستفزه الخوف اي استخفه وقد مستوفزا اي غير مطمئن واستفزز
امر تعجيز اي انت لا تقدر على اضلال احد ويسرك على احد سلطان فافعل ما شئت الثانية
قوله تعالى بصوتك وصوته كل داع يدعوا الى معصية الله تعالى عن ابن عباس مجاهد الغناء
والمزامير واللهو الضحاك صوت المزمار وكان ادم عليه السلام اسكن الله تعالى ايها بيل على جبل
وقد قابيل اسفله وفيهم بنات حسان فزمر الغيش فلم يتمالكوا ان انحدروا فنزلوا ذكره
القرظي وقيل بصوتك بوسوستك الثالثة قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك ورجلك
اصل الاجلاب السوق بجلبة من السائق يقال اجلب اجلابا واجلب والجلب الاصوات تقول منه
جلبوا بالتشديد وجلب الشئ يجلبه ويجلبه جلبا وجلبت الشئ الى نفسي واجتلبته بمعنى
واجلبت على العدو اجلابا اذا جمع عليهم فالمعنى اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من كايدك وقال اكثر
المفسرين يريد كل راكب وماش في معصية الله وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ان له خيلا
ورجلا من الجن والانس مما كان من راكب وماش يقاتل بها في معصية الله تعالى فخيل ابليس
ورجالته وروى سعيد بن جبير ومجاهد عن ابن عباس قال كل خيل سارت في معصية الله تعالى
وكل رجل مشت في معصية الله وكل مال اصيب من حرام وكل ولد عبث فهو للشيطان
والرجل جمع راجل مثل صحب وصاحب وتراحنصر ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان يقال رجل
ورجل بمعنى راجل وتراكمة وقتادة ورجالك على اجمع الرائعة وشاركهم في الاموال والاولاد
اي اجعل لنفسك شركة في ذلك فشركته في الاموال ما عصي الله فيها من قتل الحسن وهي
التي اصابوها من غير حلها بغير مجاهد قاله مجاهد عن ابن عباس ما كانوا يجعلونه لالهتهم والاولاد من البحيرة
والسائبة والوصيلة والحام وقاله قتادة والضحاك ما كانوا يذبحونه لالهتهم والاولاد قبل لهم اولاد
الزنا قاله مجاهد والضحاك وعبد الله بن عباس وعنه ايضا سبوا فقتلوا فرأوا منهم وانوا بهم من الجزع
وعنه ايضا هو تسميتهم عبد الحرث وعبد العزى وعبد اللات وعبد الشمس ونحوه وقيل هو صبغة
اولادهم في الكفر حتى هودوهم ونصروهم كصبيغ النصارى باولادهم ما لعمر في الماء الذي لهم
قاله قتادة وقول خامس روى عن مجاهد قال اذا اجامع الرجل ولم يسم لطوى الجان على احليله
فجامع معه ذلك تولد لم يطمئن نبلهم انس والجان وسباني وروي في حديث عايشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيتكم معذبين قلت يا رسول الله ما المعذبون قال الذي يشترك
فيها الجان رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول قال الهروي وسموا معذبين لانه دخل فيهم
عرق تؤبث وقال الترمذي الحكيم فنساءات بابن ادم في الامور والاختلاط فيهم فربتزوج فيهم
وكانت بلقيس ملكة سبا احد ابوها من الجن وسباني بيانه ان شاء الله تعالى كما مسه قوله تعالى
وعدهم ابن منهم الاماني الكاذبة والباطلة قيام وحساب وانه ان كان حساب وجنة ونار فانتم اولى
بكذبه من غيركم بقوله بعدهم وعنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا والغناء واللهو لقوله
واستفزز من استطعت منهم اي باطلا وقيل وعدهم ان عبادهم الصنم على من اوفاهم بنسوء
وهذا الامر للشيطان تهدد ووعيد له وقيل استخفاف به ومن اتبعه السادسة في الاية ما يدل
على تحريم الغناء واللهو لقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم على
قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان او فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه وروى
نافع عن ابن عمر انه سمع صوت زمارة فوضع اصبعيه في اذنيه وعدل راحلته عن الطريق وهو
يقول يا نافع اتسمع فاقول نعم فمضى حتى قلت له لا فوضع يديه واعاد راحلته الى الطريق وقال
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع زمارة راع فصنع مثلها فقال دعاما ونا اذا كذا فعلهم

الا انه لما لم يتعرض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وانزلت الكتب فمثاله تشريح الشمس ومثال العقل
العين فاذا صحت وكانت عليها رات الشمس ولو كل نقاصيل الاشياء وما يقدم من الاقوال نسبة اقوى
من بعض وترجيح البعض الحيوان حصلا بتحصيل ما ينفع الادمي ايضا وذلك كالجرى للفرس وسمع والبصاق
وقوة العمل وشجاعة الاسد وكرم الديك واما التكريم والتفضيل بالعقل كما بيناه والله اعلم الباب الثاني
قالت فرقة هذه الاية تقتضي تفضيل الملايكة على الانس من حيث انهم المسمون في قوله تعالى وكل
الملايكة المقربون وهذا غير لازم من الاية بل التفضيل فيما بين الانس والجن فان هذه الاية انما عدد الله فيها
على بني ادم ما خصهم به من سايرالحيوان والجن هو الكسر المفصول والملايكة هم الخارجون عن الكسر المفصول
الملايكة هم الخارجون عن الكسر المفصول الملايكة الخارجون عن الكثرة المفصول ولم تعرض الاية لذكرهم
بل يحتمل ان الملايكة افضل وعلى العكس ويحتمل التساوي وعلى الجملة فالكلام لا ينتهي في هذه المسئلة الى القطع
وقد تحاشى قوم من الكلام في هذا كما تحاشوا من الكلام في تفضيل بعض الانبياء على بعض اذ في الخبر لا تخايروا بين
الانبياء والتفضيل على يونس بن متى وهذا ليس بشئ كوجود النص في القرآن في التفضيل بين الانبياء وتبيانه
في البقرة ومضى فيها الكلام في تفضيل الملايكة والمؤمن الثانية قوله تعالى ورزقناهم من الطيبات
يعني لذيذ المطاعم والمشارب قال مقاتل الشمس والفل والزبد والمن والحلوى وجعل رزقهم مما لا
يخفى عليكم من السمن والطعام وغيرها وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اي على البهايم والدواب والوحش
والطير بالعقلة والاستيلا والثواب والحزا والحفظ والتمييز واصابة الفراسة الرابعة هذه الاية
ترد ما روى عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الى عكم طيب الطعام
فانما قوى الشيطان ان يحرك في العروق منها ويستدل كثير من الصوفية في ترك اكل الطيبات ولا اصل له
لان القرآن يرده والسنة الثابتة بخلافه على ما لقن وفي غير موضع وقد حكى ابو حامد الطوسي قال كان اهل
يقتنات ورق النبق واكل دقاق ورق التين ثلاث سنين وذكر ابراهيم الحربي قال صحبت ذا النون من احميم
الى الاسكندرية فلما كان وقت افطاره اخرج قرصا وملحا كان معي وقلت هلم فقال لي ملحك مدقوق
قلت نعم قال لست تفلح فنظر الى مزود وداذيه قليل سويق سمسم فقال ابو يزيد ما اكلت
شيئا ما يأكل بنو ادم اربعين سنة قال علما وفا وهذا لا يجوز حمل النفس عليه لان الله تعالى اكرم الادمي
بالحنطة وجعل قشورها لهائمهم فلا يصح مزاحمة الدواب في اكل التبن واما سويق الشعير فانه
يورث القولنج واذا اقتصر الانسان على خبز الشعير والملح الجريش فانه يخرف مزاجه لان خبز الشعير
بارد مجفف والملح يابس فربما بخر بخار الدماغ والبصر واذا مالت النفس الى ما يصلحها فمنعت فقد قومت
حكمة البارئ سبحانه برد هوائم يوثر ذلك في البدن فكان هذا الفعل مخالفا للشرع والعقل ومعلوم
ان البدن مطية الادمي ومن لم يرفق بالمطية لم تبلغ وروى عن ابراهيم بن ادهم انه اشترى بر او عملا
وخبز جوارك فقيل له هذا كلف فقال اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا قلنا صبرنا صبر الرجال
وكان السري يأكل اللحم والعسل والفيلوذج ثم يقوم الى الصلاة ومثل هذا عن السلف كثير وقد تقدم
منه ما يكفي في الهداية والاعراف وغيرها والاولى في الدين ان صح عنهم وهما بينة ادعوها ما كتبنا بها
عليهم قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم روى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم قال يدعى احدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في جسمه ستون
ذراعا ويبيض وجهه ويجعل على راسه تاج من لولو رتيلا فينطلق الى اصحابه فيرونه من بعيد فيقولون
اللهم ائتنا بهذا وبارك لنا في هذا حتى ينتهي اليهم ويقول اشتروا لكل منكم مثل هذا قال واما الكافر فيسود
وجهه ويمد في جسمه ستون ذراعا على صورة ادم ويلبس تاجا فيراه اصحابه فيقولون نعوذ بالله من
شر هذا اللهم لا تاتنا بهذا قال فبينما هم فيقولون اللهم اخبره فيقول ابعدكم الله فان لكل رجل
منكم مثل هذا قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب ونظير هذا قوله وننزي كل امة جاثية كل امة
تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون والكتاب يسمى اماما لانه يرجع اليه في تعرف اعمالهم قال ابن عباس
والحسن وقتادة والضحاك لامامهم اي بكتابهم اي بكتاب كل انسان منهم الذي فيه عمله دليله
فمن اوتي كتابه بيمينه وقال ابن زيد بالكتاب المنزل عليهم اي يدعى كل اناس بكتابهم الذي كانوا يتلونه
فيدعى اهل التوراة بالتوراة واهل القرآن بالقرآن فيقال يا اهل القرآن ماذا عملتم فهل امتثلتم
اوامره هل اجتنبتم نواهيه وهكذا وقال مجاهد بامامهم بنبيهم والامام مما يوم به فيقال لهائتوا
مسمى ابراهيم عليه السلام هلموا مبتغي موسى عليه السلام هائتوا مبتغي الشيطان هائتوا مبتغي الاصنام
فيقوم اهل الحق فياخذون كتابهم بايمانهم ويقوم اهل الباطل فياخذون كتابهم بشمائلهم وقال قتادة
وقال علي رضي الله عنه بامام عصرهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم
اناس بامام قتال كل يدعى بامام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم فيقول هلموا مبتغي ابراهيم هائتوا
مبتغي عيسى هائتوا مبتغي الشيطان هائتوا مبتغي رؤسا الضلالة امام هدى وامام ضلالة وقال الكلبي

في حق صوت لا يخرج عن الاعتدال فكيف ببعض هذا الزمان وزمورهم وسيأتي هذا بيان في سورة لقمان
ان شاء الله تعالى قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال ابن عباس يعني المؤمنين وتقدم
الكلام فيه وكفى بربك وكيلا اي حافظا للمؤمن من ابليس وحافظا من كيده وشره ومكره قوله تعالى
ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر الآية زجا السير ومنه قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا وقال
الشاعر * يا ايها الراكب الزجي مطيته * سائل بني اسدما هذه الصوت * وازجا الفلك سوقه الريح
اللينة والفلك هنا جمع وتقدم والبحر الماء الكثير عذبا كان او مالحا وتقدم هذا الاسم علي
المشهور وهذا الامر توفيق على الارادة وفضله عند عباده اي ربكم الذي الهم عليكم بكذا وكذا
فلا تشركوا به شيئا لتنتفعوا من قصد اي تجارات وقد تقدم ان كان بكم رحيما قوله تعالى واذا
مسكم الضر في البحر الضر لفظ يعم خوفة الغرق والامساك عن الجري والقول هنا انه اضطراب
وتموج صلى معناه تكف وتقف ومعنى عبارة تحقير لمن يدعو الاصنام من دون الله والمعنى في هذه
الاية ان الكفار انما يعتقدون في اصنامهم انها نافعة وان لها فضلا وكل واحد منهم بالفطرة يعلم
علما لا يقدر على دفعه ان الاصنام لا تفعل لها في الشدايد العظام فوصفهم الله من ذلك على حالة
البحر حيث ينقطع الحبل فلما نجاهم الى البر اعرضتم اي عن الاخلاص وكان الانسان كفورا الانسان
هنا الكافر وقيل طبع الانسان كفورا للنعم الا من عصمه الله والانسان لفظ الجنس قوله تعالى افامنتم
ان يخسف بكم جانب البر بين انه قادر على هلاكهم في البر وان سلموا من البحر والخسف انهيار الارض بالشيء
يقال بير خسف اذا انهدم اصلها وعين خاسف اذا غارت حروفها الراس وعين ماء خاسفة اي
غارت ماؤها وخسفت الشمس اذا غابت عن الارض وقال ابو عمرو والخسف البير اذا كانت في حجارة فلا
ينقطع ماؤها كره وجمع خسف وجانب البر ناحية الارض وسماه جانبا لانه يصير بعد الخسف جانبا
وايضا فان البحر جانب والبر جانب وقيل انهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البحر وكانوا قبيرا منين
من هول البحر فحذرهم ما امنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر او يرسل عليكم حاصبا يعني ريحا
شديدة وهي التي ترمي بالحصا وهي الحصباء الصغار قاله ابو عبيدة والفتى وقال قتادة يعني حجارة
من السما تخصهم كما فعل بقوم لوط ويقال للسحابة التي ترمي بالبرد حاصب وللريح التي تحمل التراب
والحصا حاصب وحصبه ايضا قال لبيده جرت عليها ان حوت من اهلها * ارياتها كل عصوب حصبه
* وقال الرزدق مستقبلين شمال الشام يضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور ثم لا تجدوا لكم وكيلا
اي حافظا ونصيرا يمنعكم من باس الله قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى يعني في البحر يرسل
عليكم قاصفا من الريح القاصف الريح الشديدة التي تكسر لسدة من قصف الشيء ليقصف اي
كسره لسدة والقصف الكسر يقال قصفت الريح السفينة وريح قاصف شديدة ورعد قاصف
شديد الصوت يقال قصف الرعد وغيره تقصيفا والقصف هشيم الشجر والتقصف التكسر
والقصف ايضا اللهو واللعب يقال انا موكرة فنفرقكم باكثر تم اي بكثركم ونافع وابو عمرو ويخسف
بكم او نرسل عليكم ان نعيدكم فنرسل عليكم فنغرقكم بالنون على العظمة على التعظيم ولقوله علينا الماقون
بالياء لقوله في الاية قبل اياه وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع ومجاهد فنغرقكم بالياء لقوله للريح وعن الحسن
وقتادة فنغرقكم بيا مع التشديد في الراء وقرا ابو جعفر الرياح هنا وفي كل القرآن وقيل ان القاصف
الملكة في البر والقاصف المؤتفكة في البحر حكاه الماوردي وقوله ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا قال
مجاهد نارا تحاسر وهي من النار وكذلك يقال لكل من طلب ثارا وغيره تبيع وتابع ومنه فاتباع بمعروف
اي مطالبة قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم الاية لما ذكر من التذهيب ما ذكر من السخفة ايضا كرمنا تصغيف عظم
كرم اي جعلناكم كرما اي شرفا وفضلا وهذا هو كرم نفي النقصان لا كرم المال وهذه الكرامة تدخل
فيما حلفهم على هذه الاية في امتداد القامة وحسن الصورة وجعلهم في البر والبحر بما يصح لحيوان بني
سوى بني ادم ان يكون يتحمل بارادته وقصده وتدبره وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب
والملابس وهذا لا يتسع لحيوان انتاح بني ادم لانهم يكتسبون المال خاصة دون الحيوان ويلبسون
الثياب ويأكلون المركبات من الاطعمة وعامة كل حيوان يأكل لحما حيا او طعاما غير مركب وحكى الطبري
عن جماعة ان التفضيل هو ان يأكل بيده وسائر الحيوان بالفم وروى عن ابن عباس ذكره المهدوي
والنحاس وهو قول الكلبي ومقاتل ذكره الماوردي وقال الضحاك كرمهم بالنطق والتمييز
عطاكرمهم بتعديل القامة وامتدادها بحسن الصورة محمد بن كعب بان جعل محمدا صلى الله عليه
وسلم وقيل اكرم الرجال باللحا والنسا بالذوابب وقال محمد بن جرير الطبري بتسليطهم على سائر الخلق
وتسخير سائر الخلق لهم وقيل بالكلام والخط وقيل بالنطق والتمييز والصحيح الذي يعول عليه ان
التفضيل انما كان بالعقل الذي عمدة التكليف وبه يعرف الله وفيهم كلامه ويوصل الى نعيمه وتصديق

وابو امامهم اي باعمالهم وقاله ابن عباس فيقال اين الرضوان بالمدوح اين الصابرون
عن المحذورون فيقال بهذا فهيهم فيدعون ركانوا يا تمون به في الدنيا بالحنفي يا شافعي يا مزني يا قندي
وكوه فيتبعونه فيجبرا وشرا وعلى حق او على باطل وهذا معنى قول ابي عبيدة وقد تقدم وقال
ابو هريرة يدعى اهل الصدقة من باب الصدقة واهل الجهاد من باب الجهاد الحديث بطوله ابن سهل يقال
ابن فلان المصلي والصوام وعكسه الزناف والسمام وقال كعب بن كعب بامامهم وامام جميع
امم قالت الحكما وفي ذلك ثلثة اوجه من الحكمة احدها اجل عيسى والثاني اظهار لشرف الحسن والحسين
والثالث ليلا ينتقص اولاد الزنا قلت وفي هذا القول نظر فان في الحديث الصحيح عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا جم الله الاولين والاخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء يوم
القيامة فيقال هذه غدرة فلان بن فلان خرجه مسلم والبخاري فقوله هذه غدرة فلان بن فلان
دليل على ان الناس يدعون في الاخرة باسمايهم واسما ابايهم والله اعلم قوله تعالى فمن اوتي كتابه
بيمينه هذا يقوي قول من قال بامامهم بكتابهم ويقويه ايضا قوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام
مبين فاولئك يقرون كتابهم ولا يظلمون فتيلا الفتيل الذي في شق النواة وقد مضى في النسا
قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى اي في الدنيا عن الاعتبار والصلاح فهو في الاخرة اي في امر الاخرة
اعمى وقال عكرمة جاء نفر من اهل اليمن الى ابن عباس فسالوه عن هذه الاية فقال اترون ما قبلها بكم الذي
يزجي لكم الفلك في البحر الى قضيلا قال ابن عباس من كان في هذه النعم والايات التي ترى اعمى فهو في الاخرة
التي لم يعاين اعمى واضل سبيلا وقيل المعنى من عمي عن النعم التي انعم الله بها عليه في الدنيا فهو عن نعم
الاخرة اعمى وقيل المعنى من كان في الدنيا التي امهل فيها وتسح له ووعد مقبول التوبة اعمى فهو في الاخرة
التي لا توبة فيها اعمى وقال الحسن من كان في هذه الدنيا كافرا ضالا فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا وقيل
من كان في الدنيا اعمى عن حجج الله بيعثه الله يوم القيامة اعمى كما قال ونحشره يوم القيامة اعمى الاية
وقال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ماواهم جهنم وقيل المعنى في قوله فهو في الاخرة
اعمى في جميع الاقوال استدعانا من عما القلب وما يقابله من عمى العين قال الخليل وسيبويه انه خلقة
بمنزلة البدء والرجل قلم يقل ما اعماه كما لا يقال ما ابداه الا خفش لم يقل بمثل هذا ذلك لان على ابن من ثلثة احرف نقص
واصله اعمى وقد اجاب بعض النحويين بما اعماه وما اعساه ان فعله عمي وعسي وقال الفراء احد بني تميم يقول
سمع بصري اذا سمع الوتر يعتوله ما اسود شعره قال الشاعر ماج المعاني لكم طلا وتمر وفي المحاري لكم
اشماح اشماح ما الملوك فانت اليوم الا منهم يوما وانت ابيضهم سربال طباح وامال ابو بكر وحمزة
والكسائي وخلف اكثر فسرا عمى واعمى وفتح الباقون وامال ابو عمرو الاول وفتح الثاني واصل سبيلا بمعنى
انه لا يجد طريقا الى الهداية قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك قال سعيد
ابن جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود في طوافه فمنعته قريش وقالوا لا ندعك تستلم
حتى تلم بالهتنا فحدث نفسه وقال ما علي ان الم بها بدا ان تدعوني استلم الحجر والله يعلم اني لها
كاره فانزل الله تعالى ذلك وانزل الله هذه الاية قاله مجاهد وقتادة وقال ابن عباس في رواية عطا نزلت في
وفد ثقيف اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه شططا وقالوا متعنا بالهتنا سنة حتى ناخذ بالهدي
لها فاذا اخذناها كسرناها واسلمنا وحرم وادينا كما حرمت مكة حتى نعرف العرب فضلنا عليهم فهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك فنزلت هذه الاية وقيل هو قول الاكابر قريش للنبي صلى الله عليه
وسلم اطرد عنا هولاء السقاط والمرايخ حتى نجلس معك ونسمع منك فهم بذلك حتى نهي عنه وقال
قتادة ذكرنا ان قريشا طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة الى الصبح يكلمونه ويجمونه ويسودونه ويقاربونه فقالوا انك تابي
سي ما تاتي به احذر الناس وانت سيدنا فما سبيدنا وذاك الوليد حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون ثم
عصمه الله من ذلك وانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى ليفتنونك ايزيلونك يقال فتن الرجل
عن رايه اذا ازلته عما كان عليه قاله الهروي وقيل يصرفونك والمعنى واحد عن الذي اوحينا اليك
اي حكم القران لانهم اعطايهم ما سالوه مخالفة لحكم القران ليفتروا علينا غيره اي ليختلقوا علينا
غير ما اوحينا اليك وهو قولك لثقيف وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطيرها وحشمها فان
سالتك العرب لم خصصتهم فقل الله امرني بذلك حتى يكون عذرا لك اذا لاتخذوك خليلا
اي لو فعلت ما ارادوا لاتخذوك خليلا اي والوك وصافوك ما خوذ من الخلة بالضم وهي الصداقة لما تخللها
لهم وقيل لاتخذوك خليلا اي فقيرا ماخوذ من الخلة بفتح الخاء وهي الفقر لحاجته اليهم قوله تعالى ولولا
ان ثبتناك اي على الحق وعصمناك من موافقتهم لقد كدت تركن اليهم شيا اي تميل شيا قليلا اي
ركونا قليلا فانه قتادة نزلت هذه الاية قال عليه السلام اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وقيل ظاهر

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وباطنه اخبار عن يوسف والمعنى واذ كادوا ليركنونك ايركادوا يحرفون
عنك بانك قلت الى قولهم فنسبت فعلهم اليه مجازا واتساعا كما يقول لرجل كنت تقتل نفسك اي كاد الناس
يقتلونك لست ما فعلت ذكره الهدوي وقيل ما كان منهم بالركون اليهم بل المعنى ولولا فضل الله عليك
لكان منك ميل الى موافقتهم ولكن ثم فضل الله عليك فلم تفعل ذكره الثعلبي وقال ابن عباس كاد رسول
الله صلى الله عليه وسلم معصوما ولكن هذا تخويف للامة لئلا يركن احد منهم الى المشركين فمن مزاحكام
الله تعالى وكرامه وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي لو ركنت له اذقناك مثل عذاب
الحياة في الدنيا ومثلي عذاب الممات في الاخرة قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما وهذا غاية الوعيد كل
ما كانت الرتبة كان العذاب عند المخالفة اعظم قال الله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة
يضاعف لها العذاب ضعفين وضعف الشيء مثله مرتين وقد يكون الضعف النصيب كقوله عز وجل
لكل ضعف اي نصيب وقد تقدم في الاعراف قوله تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك
منها هذه الاية نزلت بالمدينة حين ما تقدم في اول السورة قال ابن عباس حدثت اليهود مقام النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا ان الانبياء انما تعمل بالشام فان كنت نبيا فالحق بها فانك ان خرجت
اليها صدقناك واتبعناك فوقع ذلك في قلبه لما يحب من اسلامهم فرحل من المدينة على مرحلة وانزل الله
هذه الاية وقال محمد الرحمن ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم عز وجل يريد الشام فلما
سرك تركك وان كادوا ليستفزونك من الارض بعد ما خصت السورة وامر بالرجوع وقيل انها مكية قال
مجاهد وقتادة نزلت في اهل مكة باخراجه لو اخرجوه لما امهلوه ولكن الله امره بالهجرة فخرج وهذا
اصح لان السورة مكية وان ما قبلها خبر عن اهل مكة ولم يجر لليهود ذكر وقوله من الارض يريد ارض مكة
كقوله فلما برح الارض اي ارض مصر لبلة وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
يعني مكة فعناها اهلها باخراجه فلهذا اضاف اليهم وقال اخرجتك وقيل هم الكفار كلهم ان يستخفوه من
ارض الوب بمظاهرهم عليك ولو اخرجه من ارض العرب لم يمهلوا وهو معنى قوله واذا لا يلبثون
خلفك الا قليلا وقرا عطاء بن ابي رباح لا يلبثوا الفا مشددة خلفك بالرفع وابن كثير وابو بكر وابو
عمرو ومعناه ٣ وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي خلافك واختاره ابو حاتم اعتبارا بقوله
فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ومعناه ايضا بعدك قال الشاعر عقب الرباء خلافها
فكانما بسط السواطب بينهن حصيرا بمعنى بعدها وروى بقبل يشطت المزاقال الحوفي والاول
اشبه لجملة الحرف قال ابو عبيد ثم للعرب الساطة الى المنقبة وقيل خلفك بمعنى بعدك وخلافك بمعنى
ما خلفك ذكره ابن الانباري الا قليلا فيه وجهان احدهما ان المدة التي لبثوها بعده ما بين اخراجهم له
الى قتلهم يوم بدر وهذا قول من ذكر انهم قريش انما بين ذلك وقيل بنو قريظة رحلا من المدينة
وهذا قول من ذكر انهم اليهود قوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا اي يعذبون
كسنة من قد ارسلنا فمنصوب باضمار يعذبون فلما سقط الخافض عمل الفعل قاله الفراء وقيل
انتصب على معنى سننا سنة من قد ارسلنا وقيل هو منصوب على تقدير حذف الكاف التقدير
لا يلبثون خلفك الا قليلا كسنة من قد ارسلنا فلا يوقف على هذا التقدير على قوله الا قليلا ويوقف
على الاول والتاني خلفك من رسلنا فلا يوقف على هذا التقدير على قوله الا قليلا ويوقف على
الاول والتاني خلفك من رسلنا ووقف حسن ولا تجد لسنتنا تحويلا اي لا خلف في وعدها قوله تعالى
اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا فيه سبع مسائل
الاولى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس لما ذكر مكايد المشركين امر نبيه عليه السلام بالصبر
والمحافظة على الصلاة وفيها طلب النصر على الاعداء ومثله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما
يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين وتقدم القول في معنى اقامة الصلاة في اول البقرة
وهذه الاية باجماع من المفسرين اشارة الى الصلوات المفروضة واختلف العلماء في الدلوك على قولين
احدهما الزوال قال الشمس عن كبد السماء قاله عمر وابنه وابو هريرة وابن عباس وطائفة سواهم من علماء
التابعين وغيرهم الثاني ان الدلوك الغروب قاله علي وابن مسعود وابي بن كعب وروي عن ابن
عباس قال الماوردي فجعل الدلوك اسما للضدين بما دل الانسان بذلك فجعل سرا جعله فيها حالة
المغيب ومن جعله اسما للزوال لها دلالته بذلك غيبته لشدة شعاعها وقال ابو عبيدة دلوكها غروبها
ودلكت براح بمعنى الشمس اي غابت وانشد فطرب • هذا مقام قدمي رباح ذب حتى دلكت
براح • براح بفتح الباء على وزن حذام وقطام وقال غيره اسم من اسماء الشمس وروى الفراء بكسر الباء
وهو جمع راحة وهي الكف اي غابت وهو ينظر اليها وقد جعل كفه على حاجبه وسدقول الهجاج •
والشمس قد كادت تكون دنفا ادفعها بالراح كي تزحلفا • قال ابن الاعرابي الزحلوفة مكان ملحدر
ملس يتزحلقون فيه قال والزحلفة كالزحرحة والرفع بتباك زحلفته فيزحلف ويقال دلكت

الشمس اذا غابت فالذوالرمة * مصابيح ليست بالتي تعودها نجوم ولا افلات الدوالك * قال ابن عطية الدلوك هو الميل في اللغة فادلوك هنا الزوال واخره هو الغروب ومن وقتنا الزوال الى الغروب تسمى دلوكا لانها حالة ميل فذكر الله تعالى الصلوات التي تكون تلك حالة الدلوك وعنده يدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب ويصح ان تكون المغرب داخلة في غسق الليل وقد ذهب قوم الى ان صلاة الظهر تتمادى وقتها من الزوال الى الغروب لان الله سبحانه علق وجوبها على الدلوك وهذا دلوك كله قال الاوزاعي وابو حنيفة في تفضيل واشار اليه مالك والشافعي في حال الضرورة الثانية قوله تعالى الى غسق الليل روى مالك عن ابن عباس قال دلوك الشمس ميلها وغسق الليل اجتماع الليل وظلمته وقال ابو عبيدة الغسق سواد الليل قال قيس بن الرقيات * ان هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم والارقا * وقيل غسق الليل بدء الشفق وقيل اقبال ظلمته وقال زهير طلت بحرد مما وهي لاهية حتى اذا جنح الظلام والغسق بمعنى قال غسق الليل غسوقا والغسق اسم بفتح السين واصل هذه الكلمة من السيلان يقال غسقت اذا سالت بغسق وغسق الجرح غسقا اذا سال منه ما اصر واغسق المزادة اذا اخرج منها الغسق الليل وحكى الفراء غسق الليل واغسق وظلم واظلم ودجى وادجى وعسر واعسر واعسر وقال الربيع بن خثيم ليقرب لمولاه يوم غيم اعسق اغسق يقول اخر المغرب حتى يغسق الليل وهو اظلامه الثالثة اختلف العلماء اي وقت المغرب فقيل وقتها واحد لا وقت لها الا حين تجب الشمس وذلك بين اقامة جبريل له صلاها باليومين لوقت واحد وذلك غروب الشمس وهو الظاهر من مذهب مالك عند اصحابه وهو احد قولي الشافعي المشهور عنه ايضا قاله الثوري وقال مالك في الموطا اذا غاب الشفق فقد خرجت من وقت المغرب ودخل وقت العشاء وبهذا قال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن حي واحمد واسحق وابو ثور وداود وان وقت الغروب الى الشفق غسق كله لحديث ابي موسى وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالسائل المغرب في اليوم الثاني فاخرها حتى كان عند سقوط الشفق خرجه مسلم قالوا وهذا اولى لاحتمال امامة جبريل له ناسخ لما قبله وزعم ابن العربي ان هذا القول هو المشهور من مذهب مالك وقوله في موطئه الذي اختاره طول عمره واملاه في حياته والكتب في هذا ان الاحكام المعلقة بالاسماء هل تتعلق باولها او باخرها او يرتبط الحكم بجميعها والاقوى في النظر ان يرتبط الحكم بما قالها لئلا يكون ذكرها لغوا فاذا ارتبط باولها جرى بعد ذلك النظر في تعلقه بالكل الى الاخر قلت القول بالتوسعة اصح وقد خرج الامام الحافظ ابو محمد عبد الغني بن سعيد من حديث اجلح بن عبد الله العبدي عن ابي الزبير عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قريبا من غروب الشمس فلم يصل المغرب حتى اتى سرف وذلك تسعة اميال واما القول بالنسخ فلا يصار اليه وان كان التاريخ معلوما فان الجمع ممكن قال علماؤنا يحتمل اخار جبريل على الافضلية في وقت المغرب ولذلك التفتت الامة فيها على تعجيلها والمبادرة اليها حين غروب الشمس قال ابن حوازمنداد ولا يعلم احدا من المسلمين تاخر باقامة المغرب في مسجد جماعة عن وقت غروب الشمس واحاديث التوسعة بين وقت الجواز فيرتفع التعارض ويصح الجمع وهو اولى من الترجيح باتفاق الاصوليين لان فيه اعمال كل واحد من الدليلين والقول بالنسخ او الترجيح فيها يسقط احدهما والله اعلم الرابعة قوله تعالى وقرآن الفجر انتصب قرآن من وجهين احدهما ان يكون معطوفا على الصلاة المعنى واقم قرآن الفجر اي صلاة الصبح قال الفراء وقال اهل البصرة انتصب على الاغراء اي عليك بقرآن الفجر قاله الزجاج وغيرهما بالقراءة خاصة دون غيرها من الصلوات لان القرآن هو عظمها او فرائضها طويلة بجهر فيها حسب ما هو مشهور ومسطور عن الزجاج ايضا فلما استقر عمل المدينة على استحبابه اطالة القراءة في الصبح قل الا بصر من خلفه تغير ابدانها بطول الفصل وبلها في ذلك الظهر والجمعة وتخفيف القراءة في المغرب وتوسطها في العصر والعشاء وتقليل في العصر انها تخفف كالمغرب واما ما ورد في صحيح مسلم وغيره من الاطالة فما استقر فيه التقصير او من التقصير فيما استقرت فيه الاطالة كقراءة الفجر المعوذتين كما رواه النساء وكقراءات الاعراف والمرسلات والطور في المغرب فمتروك بالعمل وانكاره على معاذ التطويل حين ام قومه في العشاء فافتتح سورة البقرة خرجه الصحيح وبامره الائمة بالتخفيف فقال ايها الناس انكم منفرون فاكم ام الناس فليخفف فان فيهم الصغير والكبير والمريض والسقيم والضعيف وذا الحاجة وقال اذا صلى احدكم وحده فليطول ما شاء كله مسطور في صحيح الحديث الخامسة قوله تعالى وقرآن الفجر دليل على ان الصلاة انها صلاة القراءة لانه سمى الصلاة قرانا وقد اختلف العلماء في الفرائض في الصلاة فذهب جمهورهم الى وجوب قراءة ام القرآن للامام والمنفرد في كل ركعة وهو مشهور قول مالك وعنه ايضا انها واجبة في كل الصلاة وهو قول اسحق وعنه ايضا تجب في ركعة واحدة قاله المغيرة وسحنون وعنه ان القراءة لا تجب في شيء من الصلاة وهو اشذ الروايات عنه وحكى عن مالك انها ايضا تجب في نصف الصلاة واليه ذهب الاوزاعي وعن

الاوزاعي

الوتر اعلم ايضا وابوب انها تجب على الامام والمنفرد الماموم على كل حال وهو احد قولي الشافعي وند مضى
في الفاتحة مستوفى السادسة قوله تعالى كان مشهودا روى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهده ملائكة الليل وملائكة
النهار هذا حديث حسن صحيح وروى علي بن مسهر عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة وابي سعيد عن
النبي صلى الله عليه وسلم وروى البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وفضل صلاة الجميع على
صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وجميع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح يشهد ابو هريرة
اقرؤا ان شئتم وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ولهذا المعنى كره هذه الصلاة فلم انها فمن لم يكن
لم يشهد صلاة الا احد لمس من الملائكة ولهذا المعنى ايضا قال مالك والشافعي التغليس بالصبح افضل
وقال ابو حنيفة الافضل الجمع بين التغليس والاسفار قال فانه ذلك فالاسفار اولى من التغليس وهذا مخالف
لما كان عليه السلام يفعله من المداومة على التغليس وايضا فان فيه تعويض شهود ملائكة الليل والله اعلم
السابعة استدل بعض العلماء بقوله صلى الله عليه وسلم تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار على
ان صلاة الصبح ليست من صلاة الليل ولا من صلاة النهار قلت وعلى هذا فلا يكون صلاة الوتر ايضا
من صلاة الليل ولا من صلاة النهار فان في الصحيح عن النبي الفصيح عليه السلام فيما رواه ابو هريرة انه
يتعاقبون فيكم ملائكة بالنهار وملائكة بالليل فيجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر الحديث ومعلوم
ان صلاة العصر من النهار فكذلك تكون صلاة الفجر من الليل وليس كذلك وانما هي من النهار كالعصر بدليل
الصبيلم والايمان وهذا واضح قوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك
مقاما محمودا فيه ست مسايل الاولى في قوله تعالى ومن الليل فتهجد من التبعيض والتاء فتهجد باسقاط
على مضمرا اي فتهجد به اي بالقرآن والتهجد من الهجود وهو من الاضداد يقال هجد نام وهجد سهر على
الضد قال الشاعر الا زارات واصلها هجود ولا تحيا بها الا هجودا اخره الا طريفا والرقاد هجود
فبانت فعلات النوادر محمودة يعني يقظانا وهجد يعني مستيقظ وتهجد يعني وهجد بمعنى اي اسهر وللتهجد
اي التقطر للهجود والتهجد التيقظ بعد رقدة وصار اسما للصلاة لانه يسهر لها بالتهجد القيام
الى الصلاة ثم النوم قال معناه الاسود وعلقمة وعبد الرحمن بن الاسود وابراهيم وروى اسماعيل بن اسحق
من حديث الحجاج بن عمرو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احدكم اذا قام من الليل كله فقد تهجد
انما التهجد الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة ثم الصلاة بعد رقدة كذلك كانت صلاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل التهجود والنوم يقال هجد الرجل اذا سهر والتهجود هو النوم وهو النوم وهي
من نام الى الصلاة فتهجد اذا التهجد هو الذي يلتقي التهجود الذي هو النوم وهذا الفعل جاء مجردا
نجوت وكرح ونام وكنك وتفرد وينحسر اذا التقى ذلك عن نفسه ومثله قوله تعالى فظللتم تفكهون
معناه تندمون اي تطرحون الفكاهة عن انفسكم وبها استنباط النفوس ومرورها معا رحل وكذا الدالان
كثير السود والضحك والمغني بها الاية ومن الليل اسهر بها صلاة وقراءة الثانية قوله تعالى نافلة
لك اي كرامة لك قاله مقاتل واختلف العلماء في تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر دون امته
فقيل كانت صلاة الليل فريضة عليه بقوله نافلة لك اي وفريضة زائدة على الفرائض على الامة قلت وفي
هذا التاويل بعد لو سمينا احدهما تسمية العرض بالنفل وذلك محال لحقيقة الثاني قوله صلى الله
عليه وسلم خمس صلوات فرضهن الله على العباد وقوله تعالى هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي
وهذا ان نص تكليف يقال افرض عليه صلاة زائدة على الخمس وهذا لا يصح وان كان فرض يعني عليه
السلام ذلك على فريضة وامتي تطوع قيام الليل والوتر والسواك وقيل كانت صلاة الليل تطوعا منه
وكانت في الابتداء واجبة على الكل ثم نسخ الوجوب وصام قيام الليل تطوعا بعد فريضة كما كانت عائشة
على ما ياتي في سبحانه سورة المزمل ان شاء الله تعالى وعلى هذا يكون الامر بالتنفل على جهة الندب
ويكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انه منفور له وقيل اذا تطوع بما ليس بواجب عليه كان ذلك
زيادة في الدرجات وغيره وقيل عطية من الامة تطوعهم كفارات وتلافي كما ذكرنا في الفرض قال معناه مجاهد
وغيره وقيل عطية لان العبد لا ينال من السعادة عطا افضل من التوفيق في العمل الثالثة قوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اختلف في المقام المحمود على اربعة اقوال الاول وهو اصحها
الشفاعة للناس يوم القيامة قاله حذيفة بن اليمان وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال ان الناس يصيرون يوم
القيامة حتى كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه
وسلم فذلك يوم يبعثه المقام المحمود وفي صحيح مسلم عن انس قال حدثنا محمد صلى الله عليه وسلم قال
اذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فياتون ادم فيقولون له اشفع لذريتك
فيقول لست لها ولكن عليكم بابراهيم فانه خليل الله فياتون ابراهيم فيقول لست لها ولكن عليكم بموسى فانه
فانه كليم الله فياتون موسى فيقول لست لها ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله فياتون عيسى فيقول

لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم فاولى فاقول انا لها وذكر الحديث وروى الترمذي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا سئل عنها فقال هي الشفاعة قال هذا حديث حسن صحيح الرابعة اذا ثبت ان المقام
المحمود هو امر الشفاعة الحق الذي مد اعناق الانبياء عليهم السلام حتى ينتهي الامر الى نبينا صلى الله
عليه وسلم فتشفع هذه الشفاعة لاهل الموقف ليعجل حسابهم ويراحوا من هول موقفهم لا
وهي الخاصة به صلى الله عليه وسلم واحد قال انا سيد ولد ادم ولا فخر قال النقاش لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث شفاعات العامة وشفاعة في اسبوا الى الجنة وشفاعة في اهل الكبائر
لبني عطية والمشهور انها شفاعتان فقط العامة وشفاعة في اخراج المذنبين من النار وهذه
الشفاعة الثانية لا يدافعها الانبياء بل يشفعون ويشفع العلماء وقال القاضي ابو الفضل عياض
شفاعات نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة خمس شفاعات شفاعة العامة والثانية في
ادخال قوم الجنة دون حساب الثالثة في قوم من موحدي امته استوجبوا النار بذنوبهم ليشفع
فيهم نبينا عليه الصلاة والسلام ومن شاء الله ان يشفع ويدخلون الجنة وهي الشفاعة التي انكرتها
المبتدعة الخوارج والمعتزلة فمنعتها على اصولهم الفاسدة وهي استخراق المذنبين
على التخسين والتقبيح الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين فيخرجون بشفاعة نبينا عليه الصلاة والسلام
وغيره من الانبياء والملائكة واخوانهم الموحدين الخامسة برفع زيادة الدرجات في الجنة لاهلها
وترفيعها وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا ينكر شفاعة الحشر الاول الخامسة قال القاضي عياض من عرف
بالنقل المستفيض سواد السلف الصالح بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها وعلى هذا يلتقت
لقول من قال انكر هذه الشفاعة من شاء الله ان يرزقك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم انها لا تكون الا لمذنبين
فانا نذنب كما خذنا التخفيف الحساب وزيادة الدرجات ثم كل عاقل معترف بالتقصير يحتاج الى
العفو غير معتد بعمله مستحي ان يكون من الهالكين ويلزم لهذا القائل ان لا يدعوا بالمغفرة والرحمة
لانها لاصحاب الذنوب ايضا وهذا كله خلاف ما عرف من دعا السلف والخلف روى البخاري عن جابر بن
عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة
والصلاة القائمة آت محمدا صلى الله عليه وسلم الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته
حلت له شفاعتي يوم القيامة القول الثالث ان المقام المحمود اعطاوه لواء الحمد يوم القيامة قلت
وهذا القول لا ينافر بينه وبين الاول فانه يكون بيده لواء الحمد ويشفع وروى الترمذي عن ابي
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي
لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي الحديث القول الثالث ما حكاه المهلب
عن فرقة منهم مجاهد انها قالت المقام المحمود هو ان يجلسه الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم معه على
كرسيه وروي في ذلك حديثا وعضد الطبري جواز ذلك بشمط من القول وهو لا يخرج الا على لطف
في المعنى وتنبيه بعد ولا ينكر مع ذلك ان يروى والعلم عند الله وذكر النقاش عن ابي داود السجستاني
انه قال لم انكر هذا الحديث حتى سمعت منهم ما زال اهل العلم يحدثون بهذا فلم انكر جوازه على نا ويله
قال ابو عمر ومجاهد وان كان احد الائمة تناول القرآن فانه قولين محكورين عند اهل العلم احدهما
هذا والثاني تناول قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فالمنتظر الثواب ليس من النظر
قلت ذكر هذا في باب ابن شهاب في حديث التنزيل وروى عن مجاهد ايضا في هذه الاية قال
يجلسه على العرش وهذا تاويل غير مستحيل ان الله تعالى كان قبل خلق الانبياء العرش فاما اسراه ثم خلق
الاشياء من غير حاجة اليها بل اظهارا لقدرته وحكمته ولتعرف وجوده وتوحيده وكمال قدرته وعلمه بكل
افعاله المحكمة وخلق لتفضله عرشا استوى عليه كما شاء من غير ان صار له مماسا او كان العرش مكانا
قبل هو الان على الصفة التي كان عليها من قبل ان يخلق المكان والزمان فعلى هذا القول سراج الجواز افقد
محمد على العرش او على الارض ان استوا الله تعالى على العرش ليس بمعنى الانتقال والزوال وتحويل
الاحوال من القيام والقعود والحال التي يشغل العرش بل هو مستو على عرشه كما اخبر عن نفسه بلا كيف
وليس اقعاد محمدا على العرش موجبا له صفة الربوبية او مخرجا له عن صفة العبودية بل هو رفع
محله وتشريف له على خلقه واما قوله في الاخبار معه فهو بمنزلة قوله ان الذين عند ربك ورب
ازلي عندك بيننا في الجنة وان الله مع المحسنين ونحو ذلك كل ذلك عائد الى الرتبة والمنزلة والحظوة
والدرجة الرفيعة لا الى المكان الرابع اخراجه من النار بشفاعته من يخرج قاله جابر بن عبد الله ذكره
مسلم وقد ذكرنا في كتاب التذكرة والله الموفق السادسة اختلف العلماء في كون القيام بالليل
سببا للمقام المحمود على قولين احدهما ان الباري تعالى يجعل ما شاء من فعله شيئا لفضله من غير معرفة
بوجه الحكمة فيه او لمعرفة وجه الحكمة الثاني ان قيام الليل فيه الخلوة مع الباري والمناجاة دون الناس

فاعطى

المحمودة ومناهاته في القيامة وهو المقام المحمود ويتفاضل فيه الخلق بحسب درجاتهم فاعلمهم فيه
درجة محمد صلى الله عليه وسلم فانه يعطى ما لا يعطى احد ويشفع ولا يشفع احد وعسى من الله عز وجل واجبة
ومقاما نصب على الظرف اى في مقام او الى مقام وذكر الطبري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي فالمقام الموضع الذي يقوم فيه الانسان
للامور الجليلة كالمقامات بين يدي الملوك فقوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني
مخرج صدق قيل المعنى امتني اماتة صدق وابعثني يوم القيامة مبعث صدق ليصل بقوله عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا كانه لما وعده ذلك امره ان يدعو ليبخزله الوعد وقيل ادخلني في المامور
واخرجني من المنهي وقيل علمه ما يدعو به في صلاة وغيرها من اخراجه من بين المشركين وادخاله موضع
الامن فاخرجه من مكة وصيره الى المدينة وهذا المعنى رواه الترمذي عن ابن عباس قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة ثم امر بالهجرة فنزلت وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال هذا حديث حسن صحيح وقال الضحاك لهو من وجه من مكة
ودخوله مكة يوم الفتح امنا ابو سهل حين رجع من تبوك وتذفاد المنافقون ليخرجن الاعز منها
الاذل يعني ادخال عز واخراج نصر الى مكة وقيل المعنى المعنى ادخلني في الامر الذي اكرمتني به من
النبوة مدخل صدق واخرجني منه مخرج صدق اذا امتي قال معناه مجاهد والمدخل والمخرج بضم
الميم بمعنى الادخال كقوله انزلني منزلا مباركا اي انزالا اراك فيه ما اكره وهي قراءة العامة وقرأ
الحسن وابو العالية ومظهر عاصم مدخل ومخرج بفتح الميمين بمعنى الدخول والخروج قال ولد ربا على
وهذا تلاجئ وقال ابن عباس ادخلني القبر مدخل صدق واخرجني مخرج صدق عند الموت
وقيل ادخلني حيث ما ادخلتني بالصدق واخرجني بالصدق ان لا تخذلني من حيث وجهتني وتخرجني
بوجه قال ذا الوجهين لا يكون وجيها عندك وقيل الاية عامة في كل ما ينبغي ولم يرد امور ومحاولم يرد الاسناد
والاعمال وينتظر من نصرت المقادير في الموت والحياة معنى دعاء ومعناه رب اصلح لي دوري كل
الامور وصدري وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال الشعبي وعكرمة الحجة بينة وقال
وذهب الحسن الى انه العز والنصر واظهار دينه على الدين كله قال فوعده الله كثيرا من ذلك فارس
والروم وغيرها فجعله له قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل فيه ثلاث مسايل الاولى روى
البخاري والترمذي عن ابن عباس مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول الكعبة
ثلاث مائة وستون نصبا فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يطعنها بمخصرة في يده ويقول
جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وما يبدئ الباطل وما يعيد لفظ الترمذي وقال
هذا حديث حسن صحيح وكذا في مسلم نحوه وفي رواية مسلما قال فعلموا ونا انما كانت هذه الاصنام
كانوا يعظمون في بوم صنما وخصوص اعظمها بيوم بعينه وقوله فجعل يطعنها في يده بقال انما كانت بنية
بالرصاص وانه كلما طعن منها صنما في وجهه خر لقفاه او في قفاه خر لوجهه وكان يقول جاء الحق وزهق
الباطل الباطل كان زهوقا حكاه ابو عمر والناضي عياض وقال القشيري فانبغى منها صنم الا خر لوجهه
ثم امرها فكسرت الثانية في هذه الاية دليل على كسر نصب المشركين وجميع الاوثان اذا علت عليهم ويدخل
بالمعنى كسر آلة الباطل كلها وما لا يصلح الا لمعصية الله كالمطاهير والعيدان والمزامير التي لا معنى لها الا لهو
للهو بها عز ذكر الله تعالى قال ابن المنذر وفي معنى الاصنام الصور المتخذة من المدر والخشب وشبهها
وكل ما يتخذه الناس مما لا منفعة فيه الا اللهو المنهي عنه ولا يجوز بيع شيء من هذه الاصنام التي تكون
من الذهب والفضة والحديد والصفر اذا غيرت عما هي عليه وصارت نقرا او قطعا فيجوز بيعها والشرا
بها قال المهلب وما كسر من الاوثان الباطل وكان في جملتها بعد كسرها منتفعة فصاحبها اولى بها مكسورة
الا ان يرى الامام حرقها بالنار على معنى التشديد والعقوبة في المال وقد تقدم حرق عمر وقد هم النبي
صلى الله عليه وسلم بتحريق دور من تخلف عن صلاة الجماعة وهذا اصل في العقوبة في المال في قوله
عليه السلام في الناقة التي لعنها صاحبها دعوها فانها ملعونة فازال ملكها عنها تأديبا لصاحبها
وعقوبة لها فيما دخلت عليه بما دعت به وقد راى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبناء بناه على صاحبه
لبائنة ما ذكرنا من تفسير الاية بقي النظر الى قوله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن عيسى بن مريم حكما عادلا
فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولترك القلاص فلا يسعى عليها الحديث
خرجه الصحيحين وفي هذا الباب هتك النبي صلى الله عليه وسلم الستر الذي فيه الصور وذلك
ايضا دليل على افساد الصور وان الملائكة كما ذكرنا وهذا كله يحط المنع من اتخاذها ويوجب التغيير
على صاحبها ان اصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم احيوا ما خلقتم وحسبك
وسيأتي هذا المعنى في النحل ان شاء الله تعالى في قوله تعالى وقل جاء الحق الى الاسلام وقيل القرآن
قاله مجاهد وقيل محمد وزهق الباطل قيل الشرك وقتل الشيطان قاله مجاهد والصواب تعميم

اللفظ بالغاية الممكنة فيكون التفسير جامعا لشرح جميع ما انطوى فيه وزهق الباطل يعني بالطوبى فيه زهقا لباطل لطل الباطل ومن هذا زهوق النفس وهو بطلانها زهقت نفسه لتزهق زهوقا وازهقها ان الباطل كان زهوقا ايما بقاء له والحق الذي يثبت قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى وننزل قرأ الجمهور بالنون وزاي مجاهد وننزل بالتاء خفيفة ورواها المروزي عن حفص ومن الا ننزل الغاية ويصح ان تكون لبيان الجنس كما قاله وننزل ما فيه شفاء من القرآن وفي الخبر من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله وانكر بعض المتأولين ان يكون من للتبعيض لانه يجعل للقرآن ان يكون لبعضه شفاء فيه ابن عطية وليس يلزمه هذا بل يصح ان تكون للتبعيض كما ان القرآن ليس كله شفاء فقال وننزل من القرآن شيئا شفاء فيه فله شفاء اثنا عشر اختلف العلماء في كونه شفاء على قولين احدهما انه شفاء للقلوب بزوال الجهل عنها وازالة الريب والكشف غطاء القلب من مرض الجهل لما فيهم المعجزات والامور الدالة على الله تعالى الثاني شفاء من الامراض الظاهرة بالرقى والتعوذ ونحوه وتقدم الايمان واللفظ للدارقطني عن ابي سعيد الخدري قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فلا تمر بحي فقال فنزلنا على قوم من العرب فسألناهم ان يضيفونا فابوا فقال فلدغ سيد الحي فاتونا فقالوا فيكم احد يرقي من العقرب في رواية بن قتيبة ان الملك يموت قال قلت انا نعم ولكن لا افعل حتى تعطونا غنما فقالوا فانا نعطيكم ثلاثين شاة فقرأت عليه الحمد لله رب العالمين سبع مرات فبرئ رواية سليمان بن قتيبة عن ابي سعيد فاتاني بالشاء وبرا فبعث اليها بالسرد ولعق اليها بالشاء فاكلنا الطعام انا واصحابي وابوا ان ياكلوا ان الغنم حتى ابتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال وما يدريك انها رقية قلت يا رسول الله شيء القي في روعي فاكلوا واطعموا من الغنم هرجه في كتاب السنن وخرج في كتاب المدخل من حديث السري بن يحيى نا الحدثني المعتمر بن سليمان عن ابن سليم عن اكيمن عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ينفع باذن الله تعالى من البرص والجنون والجذام والبطن والدبيلة والحمى والنفساء يكتب بزعفران او يمسح على اللوح اعوذ بكلمات الله التامة واسمائه كلها عامة من شر السامة والهامة ومن شر العين اللامة ومن شر حاسد اذا حسد ومن شر كل دابة وما ولد لم يقل من شر ابليس وجنوده وقال ثلثة وثلاثون من الملائكة ابو ابراهيم عز وجل فقالوا ادع بماء وضبا فقال خذوا من تراب من ارضكم فامسحوا نواصيكم وقال نوصيكم وقيه محمد صلى الله عليه وسلم فلح من تركتها ابدا واخذ عليها صفوا ثم يكتب فاتحة الكتاب واربع ايات من اول البقرة والاية التي فيها تصريف الرياح وايتي الكرسي والايتين التي بعدها وخواتيم سورة البقرة من موضع لله ما في السموات وما في الارض الى آخرها وعشرا من اول آل عمران وعشرا من آخرها واول ايتين من المائدة واول ايتين من الانعام واول ايتين من الاعراف والاية التي في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض حتى تختم الاية والاية التي في يونس من موضع قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين والاية التي في طه والقى ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى وعشرا من اول الصافات وقل هو الله احد والمعوذتين يكتب في اناء نظيف ثم يغسل ثلاث مرات بماء نظيف يحسو منه الوجع ثلاث حسوات ثم يتوضأ منه كوضوء للصلاة ويتوضأ قبله وصوره للصلاة حتى يكون على طهر قبل ان يتوضأ به ثم يصب على راسه وصدره وظهره ولا يستنجي به ثم يصلي كفتين ثم يستسقي الله تعالى يفعل ذلك ثلاثة ايام تترى ما يكتب في كل يوم كتابا في رواية ومن شرا لى قترة وما ولد وقال فامسحوا نواصيكم ولم يشك وروى البخاري عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه المعوذات فلما ثقل كنت انفث عنه بهن وامسح بيد نفسه لبركتها فسالت الزهري كيف ينفث قال كان ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه وروى مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى قرأ على نفسه المعوذتين ونفث وثقل اوجعه قال ابو بكر الانباري قال اللغويون نفسير نفث نفخ بنفخ ليس معه ريق ومعنى ثقل نفخ بنفخ معه ريق قال الشاعر فان تنزلوا الثفل عليهم وان تقعدوا نحوله المقعدا وقالوا الرمة ومرحوف ماعز معا لحول قومه منى لحسن منه ناح القوم تثقل اراد نفخ بريق رسيالي قال العلماء النفاثات في العقد سورة الفلق ان شاء الله تعالى الثانية روى ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره الرقى الا بالمعوذات قال الطبري وهذا حديث لا يجوز الاحتجاج بمثله في الدين او في ثقته ثم لا يوقف ولو كان صحيحا لكان لما غلطا وانما مسوغا لقوله عليه الفاتحة فاذا دراك انها رقية واذا جاز الرقا بالمعوذتين وحاسورتا من القرآن كانت الرقية بسائر القرآن مسلما في الجواز اذ كلم قرآن وروى عنه عليه السلام انه قال شفاء امتي في ثلاث اية من كتاب الله او لعقة من عسل او شرطة من محجم وقال رجا المعوي لم يستشف بالقرآن بلا شفاء له

ـرا بعة واختلف العلماء في السره وهي ان يكتب سما من اسماء الله او من القرآن ثم يغسله بالماء ثم يسقيه
يسقى به المريض او يسقيه فاجازها سعيد بن المسيب فيل له الرجل يربط عن امرأته الحل عنه ويسره قال
لا باس به وما ينفع ثم بلغه عن مجاهد انه يكتب ايات من القرآن ثم يغسل ثم يسقاها صاحب الصرع وكانت
عايشة تنفر بالمعوذتين في اناء ثم تامر ان يصب على المريض وقال المازري ابو عبد الله البسره امر
معروف عند اهل السوس وسميت بذلك لانها تسر عن صاحبها اي تخل ومنها الحسن وابراهيم النخعي و
قال النخعي اخاف ان يصيبه بلاء وكانه ذهب الى انها تحي به القرآن فهو الى ان يعقب بلاء اقرب منه الى ان
يعقد سفا وقال الحسن سالت انسا فقال ذكروا عن النبي صلى الله عليه وسلم انها من الشيطان وقد
روى ابو داود من حديث جابر بن عبد الله قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السره فقال
هي من عمل الشيطان قال ابن عبد البر وهذه اثار يشد بعضها بعضا وجوه محتملة وقد قيل ان هذا محمول
على ما اذا كانت خارجة عن ملبي كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وعن المداواة المروية السره
من جنس الطب فهي عشالة شيله فضل فهو كوضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه
وسلم لا باس بالرقى ما لم يكن فيه شرك ومن استطاع منكم ان ينفع اخاه فليفعل قلت قد ذكرنا النهي
في السره مرفوعا وان ذلك لا يكون الا من كتاب الله فليعتمد عليه الخامسة قال مالك لا باس بتعليق
الكتب التي فيها اسماء الله عز وجل على اعناق المرضى على وجه التبرك بها اذا لم يرد معلقها بتعليقها
مداواة العين وهذا معناه قبل ان يترل به شيء من العين وعلى هذا القول جماعة اهل العلم لا يجوز عندهم
ان يتعلق على الصحيح من البهايم او بني ادم شيء من العلايق خوف ورود العين وكل ما علق بعد نزول
البلاء من اسماء الله عز وجل وكتابه ودعا به رجا الفرج والبرء من الله تعالى فهو كالرقى المباح الذي
وردت السنة باباحته من العين وغيرها وقد روى عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا فزع احدكم في نومه فليقل اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وشر عقابه ومن شر
الشياطين وان يحضرون وكان عبد الله يعلمها ولده من ادرك منهم ومن لم يدرك كتبها وعلقها عليه قال
قيل قد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من علق شيئا وكل اليه وراى ابن مسعود على ام ولده
تميمة مربوطة فجيدها جيدا شديدا فقطعها وقال ان ابن مسعود لاعمق عن الشرك ثم قال ان التمايم
والرقى والتولة من الشرك قيل يا ابا عبد الرحمن قد ما تحدث به لزوجها وروى عن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من علق تميمة فلا اتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له قلت
قال الخليل بن احمد التميمة قلادة فيها عوذ والودعة حرز وقال ابو عمر التميمة في كلام العرب القلادة
ومعناه عند اهل العلم ما علق في الاعناق من القلايد خشية العين ان ينزل او لا ينزل قبل ان يترك
فلا اتم الله عليه صحته وعافيته ومن علق ودعة وهي مثلها في المعنى فلا ودع الله له اي بارك
الله له ما هو فيه من العافية والله اعلم وهذا كله تحذير مما كان اهل الجاهلية يصنعونه
من تعليق التمايم والقلايد ويظنون انها تقيهم وتصرف البلاء عنهم وذلك لا يصرفه الا الله عز
وجل وهو المعافي والمبتلي لا شريك له فيما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ما كانوا يصنعون
من ذلك في جاهليتهم وعن عايشة قالت ما تعلق بعد نزول البلاء فليس بتمايم وتذكره بعض اهل العلم تعليق
التميمة على كل حال قبل نزول البلاء وبعده والقول الاول اصح في الاثر والنظر ان شاء الله وما روي عن
ابن مسعود يجوز ان يريد به ما كره تعليقه غير القرآن شيئا ما هو زة عن العرافين والكهان ان الاستشفاء
بالقرآن معلقا وغير معلق لا يكون شركا وقوله عليه السلام من علق شيئا وكل اليه فمن علق القرآن يلبغي
ان يتولاه الله وما يكله اليه غيره الا تعالى هو المرغوب اليه والمتوكل عليه في الاستشفاء بالقرآن وسئل
ابن المسيب عن العوذ اتعلق قال اذا كان في قصبة او رقعة فلا باس به وهذا على ان المكتوب قرآن وعن
الضحاك انه لم يكن يرى باسا ان تعلق الرجل الشيء من كتاب الله اذا وضعه عند الجماع وعند الغايط وروى عن
ابي جعفر محمد بن علي تعلق العوذ يعلق على الصبيان وكان ابن سيرين لا يرى باسا بالشيء من القرآن تعلقه
الانسان انسا دسنة قوله تعالى وترحة للمومنين تنزح الكروب وتظهر العيوب وتكفر الذنوب
مع ما تحصل به تعالى من الثواب في تلاوته كما روي انه من ذكره عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف الف
ولام حرف وميم حرف قال هذا حديث حسن صحيح غريب وقد تقدم وله بزيادة طالبين الاخسارا لتكذ
لتكذبيهم قال قتادة ما جالس هذا القرآن الا قام عنه بزيادة او نقصان ثم قرا وننزل من القرآن
ما هو شفاء الاية وتنظر هذه الاية قل هو للذين امنوا هدى وشفاء والذين لا يومنون في اذانهم وقر وهو
عليهم عمى وقيل يشفي من الفواحش والاحكام لما فيه من البيان قوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض
ونا بجانبه اي لهوى الذين يريدهم القرآن خسارا صفتهم الاعراض عن ذكر اياب الله تعالى وان لهم
وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة ومعنى ناى بجانبه اي تكبر وتباعد ونا ي مقلوب منه والمعنى بعد عن القيام

بخوف الله عز وجل يقال ناى الشئ اى بعد ونا وناى عنه بمعنى اى بعدت وانا سر فاناى اى بعدت فبعدونا وانا عد واوالمسافى الموضع البعيد قال النابغة * فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتاى عنك واسع * وقرا ابن عامر فى رواية بن ذكوان ناء مثل باع الهمزة موخرة وهو على طريقة القلب من ناى كما يقال راء ورأى وقيل هو من النوء وهو النهوض والقيام وقد يقال ايضا للوقوع والجلوس نوء وهو من الاضداد وقرئ وناى بفتح النون وكسر الهمزة والعامة ناى فى دون راى واذا مسه الشر كان يوسا اى اذا نالته شدة من فقر او سقم او بوس يبيس وقنط لانه لا يليق بفضل الله قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته قال ابن عباس فى حشته وقاله الضحاك مجاهد طبيعته وعنه ايضا بن زيد على دينه الحسن وقتادة نيته مقاتل جبلته المراعى طريقته ومذهبه الذى جبل عليه وقيل قل كل يعمل على ما هو اشكل واولى بالصواب فى اعتقاد * وقيل هو ما خوذ من الشكل يقال لست على شكلى ولا شاكلتى قال الشاعر * كل امرئ يشبهه فعله ما يفعل المرء فهو اهله * فالشكل هو الميل والنظر والضرب كقوله تعالى واخر من شكله ازواج والشكل بكسر الشين بقال حار بن جستة الشكل وهذه الاقوال كلها متقاربة والمعنى ان كل احد يعمل ما يشاكل اصله واخلاقه التى الفها وهذا ذم للكافر ومدح للمومن والاية والتى قبلها نزلتا فى الوليد بن المغيرة ذكره المهدوى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اى بالمومن والكافر وما سيحصل من كل واحد منهم وقيل اهدى سبيلا اى اسرع قبولا وقيل احسن دينا وحكى ان الصحابة رضوان الله عليهم يذاكروا القران فقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه قرات القران من اوله الى اخره فلم ار فيه اية ارجا واحسن من قوله تبارك وتعالى قل كل يعمل على شاكلته قال لم يشاكل بالعبد الا العصيان ولا يشاكل بالرب الا الغفران وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرات القران من اوله الى اخره فلم ار اية ارجى واحسن من قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير فجمع الذنوب وقبول التوبة وفى هذا اشارة للمومنين وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه قرات جميع القران من اوله الى اخره فلم ار ايه احسن وارجا من قوله تعالى نبى عبادى انى انا الغفور الرحيم وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه قرات القران من اوله الى اخره فلم ار ايه احسن وارجى من قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فمن وقرات القران من اوله الى اخره فلم ار ايه احسن وارجى من قوله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون قوله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى روى البخارى والترمذى عن عبد الله قال بينما انا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث وهو متكى على عسيب اذ مر باليهود فقال لبعضهم سلوه عن الروح فقال ما رابكم اليه وقال بعضهم يستقبلكم بشئ تكرهونه فقالوا سلوه عن الروح فاسكت النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيا فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامى فلما نزل الوحى قال ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا لفظ البخارى وسلم فاسكتنا النبى صلى الله عليه وسلم وفيه وما اوتوا من علم وقد اختلف الناس فى الروح المسول عنه اى روح هو فقيل هو جبريل قاله قتادة وكان ابن عباس يكنيه وقيل هو عيسى وقيل القران على ما بانى بيانه فى اخر السورة وقال على بن ابى طالب هو ملك من الملايكة له سبعون الف وجه فى كل وجه سبعون الف لسان فى كل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بكل اللغات يخلق الله تعالى من كل تسبيحه ملكا يطير مع الملايكة الى يوم القيامة ذكره الطبرى قال ابن عطية وما اظن القول يصح عن على رضى الله عنه قلت اسند البيهقى اخبرنا ابو زكريا بن ابى اسحق اخبرنا ابو الحسن الطرابلسى اخبرنا عثمان بن سعيد اخبرنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن ابى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح ملك وباسناده عن معاوية بن صالح حدثنى ابو مهران بكسر الميم يزيد بن سمرة عن من حدثه عن على بن ابى طالب انه قال فى قوله تعالى ويسالونك عن الروح قل هو ملك من الملايكة له سبعون الف وجه الحديث بطوله ومعناه وروى عطا عن ابن عباس قال الروح ملك له احد عشر الف جناح والف وجه يسبح الله تعالى الى يوم القيامة ذكره النحاس وعند مجندة من جنود الله لهم ايد وارجل ياكلون الطعام ذكره العروى وقال الخطابى وقال بعضهم هو ملك من الملايكة يصفه وصفوف لا من عظم الخلقة ولهب اكثر اهل الكتاب والبدايى انهم سالوه عن الروح الذى تكون به حياة الجسد وقال اهل النظر منهم انما سالوه عن كيفية الروح ومسلكه فى بدن الانسان وكيف امتزاجه الجسم وانقياده الحياة به وهذا شى لا يعلمه الا الله عز وجل وقال ابو صالح الروح خلق كخلق بنى ادم وليسوا بنى ادم لهم ايدى وارجل والصحيح الاتيان لقوله قل الروح من امر ربى دليل على خلق الروح اى هو امر عظيم وشان كبير من امر الله و

تعالى

تعالى منها له وتاركا بفضله ليعرف الانسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها
واذا كان الانسان لم يعرف نفسه فكذا كان يعجز عن ادراك حقيقة الحق ولي وحكمة ذلك تجهيز
العقل عن ادراك معرفة مخلوق مجاول له دلالة على انه عن ادراك خالقه اعجز قوله تعالى وما اوتيتم
من العلم الا قليلا اختلف فيمن خوطب بذلك فقالت فرقة السايلون فقط وقالت فرقة المراد اليهود
بجملتهم وعلى هذا هي قراءة ابن مسعود وما اوتوا وروها عن النبي صلى الله عليه وسلم وقالت
فرقة المراد العالم كله وهو الصحيح وعليه قراءة الجمهور وما اوتيتم وقد قالت اليهود للنبي صلى الله عليه
وسلم كيف لم يوت من العلم الا قليلا وقد اوتينا التوراة وهي الحكمة ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا فعارضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم الله فخلبوا وقد تظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقوله في بعض الاحاديث كلا نعني ان المراد بما اوتيتم جميع العالم وذلك ان اليهود قالت له تزعم انا قومك
فقال كلا وفي هذا المعنى نزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام حكى ذلك الطبري رحمه الله وقد قيل
ان السايلين عن الروح قريش قالت لهم اليهود سالوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن
الروح فان اخبركم عن اثنين وامسك عن واحد فهو نبي فاخبرهم بخبر اصحاب الكهف وخبر ذي القرنين
على ما ياتي قالوا فما الروح قلت الروح من امر ربي اي من الامور التي لا يعلمها الا الله ذكره المهدوي وغيره
من المفسرين عن ابن عباس قوله تعالى ولئن شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك بعني القرآن اي كما
قدرنا على انزاله نقدر على اذهابه حتى لا يبقى في الخلق ويتصل هذا بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا
اي ولو شينا ان اذهب بذلك القليل لقدرت عليه ثم لا تجد لك به علينا وكيلا اي ناصرا يرد عليك
الا رحمة من ربك بعني لكن شينا ذلك رحمة من ربك حين استبقى فيكم من العلم ولو قيل الا ان رحمك ربك فلا
تذهب به ان فضله كان عليك كبيرا اذ جعلك سيد ولد ادم واعطاك المقام المحمود وهذا الكتاب
الوثيق وقال عبد الله بن مسعود اوشك ان تفقدوه من بين ظهرانيكم اي بانته وامرا فتفقدون الصلاة وان
هذا القرآن كائن قد نزع منكم تصبحون يوما وما فيكم من شي فقال له رجل كيف يكون ذلك يا ابا عبد
الرحمن وقد بيناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا فعلمه ابناؤنا ونعلمه ابناءنا وابناؤهم الى يوم القيامة
قال فيسرى به في ليلة فيذهب ما في المصاحف وما في القلوب فيصبح الناس كالهائم ثم قرا عبد الله ولئن
شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الاية خرجه ابو بكر بن ابي شيبة بمعناه قال واخبرنا ابو الاحوص
عن عبد العزيز بن رفيع عن شداد بن معقل قال قال عبد الله يعني ابن مسعود ان هذا القرآن لكائن
بعد اطلاعكم بوشك ان ينتزع منكم قال قلت كيف ينتزع منا وقد اثبتناه في قلوبنا وبيناه في مصاحفنا قال
نسري عليه في ليلة واحدة فينتزع ما في القلوب ويذهب ما في المصاحف وتصبح الناس منه فقراء ثم قرا
ولئن شينا لنذهبن بالذي اوحينا اليك وهذا اسناد صحيح وعن ابن عمر لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن
من حيث نزل دويا كدوي النحل فيقول الله ما لك فيقول يا رب منك خرجت واليك اعود انتي فلا يعمل
بي احد ولا يعمل بي قلت قد جاء معنى مرفوعا من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وحذيفة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك
ولا صدقة ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الارض اية وتبقى طوايف من الناس الشيخ
الكبير والعجوز يقولون ادركنا اباءنا على هذه الكلمة لا اله الا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام
ولا نسك ولا صدقة فاعرض عنه حذيفة ردحا ثلاثة كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم اقبل عليه حذيفة
فقال لعلك يجيهم من الناس لما هرجه بن ماجة في السنن وقال لعبد الله بن عمر هرج النبي صلى الله
عليه وسلم وهو مغضوب الراس من وجع وضجك فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها
الناس ما هذه الكتب التي تكتبون اكتاب غير كتاب الله يوشك ان يغضب الله تعالى لكتابه
فلا يبقى ورقا ولا قلبا الا اخذ منه قالوا يا رسول الله فكيف بالمومنين والمومنات يومئذ قال
من اراد الله خيرا اتى في قلبه الا اله الا الله ذكره الثعلبي والمزلوي وغيرهما في التفسير
قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا اي عونا ونصيرا مثل ما بينا وان الشعر على بيت شعر فيقولون نزلت حين قال
الكفار لو نشا لقلنا مثل هذا ان كذبهم الله تعالى وان معجز القول في اعجاز القرآن في اول الكتاب
والحمد لله وبا لتوفيق جواب القسم في لين وقد يحرم على ان لغة الشرط قال الشاعر لئن كان ما حدثته
اليوم صادقا اقم في بها القيظ للشمس بارزا فقوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من
كل مثل اي وجهنا القول فيه بكل مثل يحتاجون اليه من الايمان والعبر والترغيب والترهيب والامر والنهي
والوعد والوعيد والجنة والنار والقيامة فابى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا لهم الحق وفتح
لهم وامهلهم حتى يتبين لهم فابوا الا الكفر وقد تبين الحق قال المهدوي والحجة للفراء في قوله
لا يقال ابى الا لمن فعل ما هو قادر عليه لان الكافر وان كان عاجزا فقد رد على الايمان فحكم الله عليه بالاعراض

عنه لطبعه على قلبه فقد كان قادرا وقت الصحة والمهلة على طلب الحق وتمييزه من الباطل فقوله تعالى
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية نزلت في رؤساء قريش مثل عتبة وشيبة ابني
ربيعة والاسود بن المطلب بن اسد والنضر بن الحارث وابي جهل وعبد الله بن ابي امية وامية بن خلف وابي البختري
والوليد بن المغيرة وغيرهم وذلك انهم لما عجزوا وعزبوا عارضة القرآن ولم يرضوا بمعجزة اجتمعوا
فيما ذكر ابن اسحق وغيره بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد
صلى الله عليه وسلم فكلموه وخاصموه حتى يعذروا فيه فحضروا اليه فقالوا يا محمد قد اثرانا قومك قد اجتمعوا لك
بكلموك فانهم فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يظن ان قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بدا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا يجب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا له يا محمد
انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد
سمعت انا وعبت الدين وشتمت الالهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقي امر قبيح الا قد جئته
فيما بينك وبيننا وبيننا وبينك او كما قالوا له فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى
تكون اكثرنا مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا نحن نسودك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك
علينا وان كان هذا الذي بك تابيك رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا فربما كان
ذلك بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه او نعذر فيك قال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله
بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم بان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني
وبينكم او كما قال صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما سألناك عرضنا عليك فانك قد علمت
انه ليس من الناس احد اضيق بلدا ولا اقل مالا ولا اشد عيشا منا فيقبل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به
فلتسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ولتبسط لنا بلادنا ولتفجر لنا فيها انهارا كانهار الشام
ولتبعث لنا من مضى من آبائنا ولتبعث فيمن بعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول احق
ام باطل فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلك من الله وانه بعثك رسولا كما تقول
فقال لهم صلوات الله عليه وسلامه ما هذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله تعالى بما بعثني به وبلغتكم ما ارسلت
به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم
قالوا فاذ لم تفعل هذا فخذ لنفسك سل ربك ان يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك
واسأله فليجعل لنا جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما تراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق
وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما انا بفاعل وما انا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت بهذا اليكم ولكن الله بعثني
بشيرا ونذيرا او كما قال فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والاخرة ان يرد وعلي صبرا لامر الله و
حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فاسقط السماء علينا كسفا كما تقول فانك تزعم ان ربك ان شاء فعل فانا لا
نؤمن لك الا ان تفعل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله عز وجل ان شاء ان يفعل بكم ذلك
فعل فقالوا يا محمد اما علم ربك انا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيقدم
اليك فعلمك بما تراجعنا به ويحك ما هو صانع في ذلك بنا فان لم نقبل منك ما جئنا به انذر بلغنا انك انما
تعلمك هذا رجل باليمامة فقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمن ابدا قد اعذرنا اليك يا محمد وانا
والله لا نتركك وما بلغت منا ما تملكك علينا وقد قالوا يا معشر بني عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم لم سألوك لا
لانفسهم امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقونك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تأخذ
لنفسك فيما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم بالوك ان تعجل لهم بعض ما تخوفهم به
من العذاب فلم تفعل او كما قال له فوالله لا ارى بك ما طلبت ابدا ولقد بلغني انه قد قيل له يا محمد انا لا نعلم رجلا
حتى يأتيها ثم يأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وايم الله لو فعلت ذلك
ما ظننت اني اصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى اهله حزينا لما فاته فيما كان يطمع به من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم اياه
كله لفظ ابن اسحق وذكر الواحدي عن عكرمة عن ابن عباس ما نزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الاية ينبع العيون عن مجاهد وهي تفعول من نبع ينبع وقرأ علي
وحمزة والكسائي تفجر لنا مخففة واختارها ابو حاتم لان الينبوع واحد ولم يختلفوا في تفجر الانهار انه

شر وقال ابو عبيد والاولى مثلها قال ابو حاتم ليست مثلها لان الاول نبعدها بفنوع وهو واحد وانما نبعدها الانهار وهو جمع والسوبد يدل على الكثير اجيب بان ينبوعا وان كان واحدا فالمراد به الجمع كما قال مجاهد الينبوع غير الماء والجمع الينابيع وقرا قتادة او يكون لكل جنة خمرا لها اي نهر وسطها او تسقط النون قراءة العامة وقرا مجاهد وتسقط السما على اسناد الفعل الى السما كسفا قطعا عن ابن عباس وغيره والكسف بفتح السين جمع كسفة وقرا ابو رفع وابن عامر وعاصم الباقون كسفا باسكان السين قال الاخفش من قرا كسفا من السما جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا قال المهدوي ومن اسكن السين جاز ان يكون جمع كسفة وجاز ان يكون مصدرا من كسفت الشيء اذا غطيته فكانهم قالوا اسقطها طبقا علينا وقال الجوهري الكسفة القطعة من الشيء يقال اعطى كسفة من ثوبك والجمع كسف وكسف ويقال الكسف والكسفة واحد قوله تعالى او تاتي بالله والملايكة قبيلا اي عيانا عن قتادة وابن جريج وقال الضحاك او ابن عباس قبيلا قال مقاتل شهيدا مجاهد هو جمع القبيلة يا صناف الملايكة قبيلة وقبل مما تضمنون لنا اسالك به او يكون لك بيت من زخرف من ذهب عن ابن عباس وغيره واصله الزينة والزخرف المزين وزخارف الماطر ايقه وقال مجاهد لست ادري ما الزخرف حتى رايته في قراءة ابن مسعود بيت من ذهب اي لحرفنا ذلك هذا القول الذي يرى او ترقى في السما اي تصعد يقال رقيت في السلم ارقى رقيا ورقيا اذا صعدت ورقيت سلمه ولن نومن لرقيك اي لصعودك وهو مصدر يعني مضيا وهو يسوى هويا لذلك هو ترقي يرقى رقيا حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه اي كتابا من الله تعالى الى كل رجل منا كما قال تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يوتى صحفا منشرة قل سبحان ربي وقرا اهل مكة والشام قال سبحان ربي يعني النبي صلى الله عليه وسلم اي قال ذلك تنزيها لله عز وجل عن ان يعجز عن شيء وعز ان يوتمر عليه في فعل وقيل هذا كله تعجب عن فرط كفرهم واقتراحاتهم الباقون قل على الامر اي قل لهم يا محمد هل كنت اي ما انا الا بشرا رسولا اتبع ما يوحى الي فزيد وينعل الله ما يشاء من هذه الاشيا التي ليست في قدرة البشر فهل سمعتم امر البشر الى هذه الايات وقال بعض الملحدين ليس هذا جوابا مقنعا وغلطوا انما اجابهم فقال انا البشر لا اقدر على شيء مما سالتموني وليس لي ان اكره على ربي ولم تكن الرسل تاتي بالوتن ايهم دون ما يريدونه بيقونه وسيلي سبيلهم وكانوا يقترحون على ما اتاهم الا من اية الدالة على صحة صورتهم فاذا اقاموا عليهم الحجة لم يجب لقومهم ان يقترحوا غيرها ولم يوجب على الله ان ياتيهم بكل ما يقترحونه من الايات لوجب عليه ان ياتيهم بمن يختارونه من الرسل ولوجب لكل انسان ان يقول لا اومن حتى اوتى باية فلان ما طلب غيري وهذا يوول الى ان يكون التدبير الى الناس وانما التدبير الى الله تعالى قوله تعالى وما منع الناس ان يومنوا اذ جاهم الهدى يعني الرسول والكتاب من عند الله بالدعا اليه الا ان قالوا جهلا منهم ابعث الله بشرا رسولا اي ابى الله اجل من ان يكون رسوله من البشر فبين الله تعالى فرط عنادهم اذ هم قالوا انت مثلنا فلا يلزمنا الانقياد وعقلوا امر المعجزة وان الاولى في محل نصب باسقاط حرف الخفض والثانية في محل رفع بمنع اي وما يمنع الناس من ان يومنوا اذ جاهم الهدى الا قولهم ابعث الله قوله تعالى قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمينين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا اعلم الله تعالى ان الملك انما يرسل الى الملايكة لانه لو ارسل ملكا الى الادميين لم يقدروا ان يروه على الهيئة التي خلقوا عليها وانما اقدر الانبيا على ذلك وخلقهم ما يقدرون به ليكون ذلك اية لهم ومعجزة وقد تقدم في الانعام نظير هذه الاية وهو قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وتقدم الكلام فيه قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم يريد ان كفار قريش قالوا حين سمعوا قوله هل كنت الا بشرا رسولا فمن يشهد لك انك رسوله فنزل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا قوله تعالى ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اي لا يهديهم احد ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما قد ذكرنا معنى هذه الالفاظ في سورة البقرة وفيه وجهان احدهما ان ذلك عبارة عن الاسراع بهم الى جهنم كما يفعل بالذي يجر على وجهه الى النار والثاني ان يحشروا يوم القيامة على وجوههم الى جهنم كما يفعل بالذي يسحب في الدنيا ثم يلقى في النار فهو اهينة وتعذيبهم وهذا هو الصحيح حديث انس ان رجلا قال يا رسول الله الذين يحشرون على وجوههم اليس الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي امشاه على الرجلين قادر ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا اخرجه البخاري ومسلم وصمهم عميا وبكما وصما قال ابن عباس والحسن ابكمهم عن ما يسرهم بكم عن التكلم بحجة لهم عما سبق منهم وقيل لهذا القول حواسهم باقية على ما كانت عليهم وقيل انهم يحشرون على الصفة التي ذكرها الله بها ليكون ذلك زيادة في عذابهم ثم يخلق ذلك لهم في النار نابصر والقوله تعالى ورايت المجرمون

النار فظنوا انهم واقعوها وتكلموا لقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا وسمعوا لقوله تعالى سمعوا لها
تغيظا وزفيرا وقال مقاتل لرسليمان اذا قيل لهم اخسوا فيها ولا تكلمون صاروا عميا لا يبصرون
صما لا يسمعون بكما لا يفقهون وقيل عموا دخلوا النار لشدة ترا ئيها والتقطع كلامهم حين قيل
لهم اخسوا فيها ولا تكلمون وذهب الزفير والشهيق سمعهم فلم يسمعوا معه شيئا ماواهم جهنم
اي مستقرهم ومثاهم كلما خبت اي سكن عن الضحاك وغيره مجاهد طفئت بقال خبت
النار تخبو اخبوا اي طفئت واخبتها انا اردنا بهم سوى النار اشتهب وسكون القابها من غير
نقصان في لهبها ولا تخفيف عنهم من عذابها بهم وقيل اذا اردت ان تكون لقوله واذا افرات القرار
قوله تعالى ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بايا تنا اي ذلك العذاب اجزاكفرهم وقالوا ايذا كنا عظاما
ورفاتا ابنا لمبعوثون خلقا جديدا انكروا البعث فاحاجهم الله تعالى فقال اولم يروا ان الله الذي
خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه قيل في الكلام تقديم وتاخير
اي اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض وجعل لهم اجلا لا ريب فيه قادر على ان يخلق مثلهم
والاجل مدة بقايهم في الدنيا ثم قومهم وذلك مما لا شك فيه او هو مشاهد وقيل هو جواب قولهم او
نسقط السما كما زعمت علينا كسفا وقيل هو يوم القيامة فابى الظالمون الا كفورا اي المشركون الا
جحودا بذلك الاجل وبايات الله وبعد ذلك الاجل هو وقت البعث ولا ينبغي ان يشك فيه قوله تعالى
قل لو كنتم انتم تملكون خزائن رحمة ربي اي خزائن الارزاق وقيل خزائن النعم وهذا اعم اذا لامسكتم
خشية الانفاق قتر البخل وهو جواب قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا حتى يوسع في المعيشة
اي لو توسعتم لبخلتم ايضا وقيل المعنى لو ملك احد المخلوقين خزائن الله لما جاد بها لوجود الله
تعالى لامرين احدهما انه لا بد ان يمسك منها لنفقته وما يعود بمنفعته الثاني انه يخاف الفقر ويخشى
العدم والله تعالى يتعالى في وجوده عن هاتين الحالتين والانفاق في هذه الاية بمعنى الفقر قاله ابن عباس
وقتادة وحكي اصل اللفظة الفقر واصرم واعدم وافقر اذا قل ماله وكان الانسان قتورا اي بخيلا
مضيقا يقال قتر على عياله يقتر ويقتر قترا وقتورا اي ضيق عليهم في النفقة وكذلك التقتير
والافتار وبلغات لغات واختلف في هذه الاية على قولين احدهما انها نزلت في المشركين خاصة
قاله الحسن الثاني انها عامة وهو قول الجمهور وذكره الماوردي قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع
ايات بينات اختلف في هذه الايات فقيل هي بمعنى ايات الكتاب كاذوب المزمذب والنساب عن صفوان
ابن عسال المراد ان يهوديين قال احدهما لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي نسأله فقال لا تقل له نبي فانه
ان سمعنا كان له اربعة اعين فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع
ايات بينات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تمشوا ببري الى سلطان ليقتله ولا تاكلوا الربا ولا تقذفوا
محصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم اليهود خاصة ان لا تعدوا في السبت فقبلا يديه
ورجليه وقالا نشهد انك نبي قال فما يمنعكما ان تسلما قالا ان داود دعا الله ان لا يزال في ذريته نبي
وانا نخاف اذا اسلمنا ان يقتلنا اليهود وقال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقد مضى في البقرة وقيل
الايات بمعنى المعجزات والدلالات قال ابن عباس والضحاك الايات التسع العصا واليد واللسان والبحر
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات قال الحسن والشعبي الخمس المذكورة في
الاعراف معجزات الطوفان وما عطف عليه واليد والعصا والسنين ونقص من الثمرات وروي نحوه
عن الحسن انه بجعل السنين ونقص من الثمرات واحدة وجعل التاسعة تلقف العصى ما يأفكون
وعن مالك نحو ذلك الا انه جعل مكان السنين ونقص من الثمرات البحر والجبل وقال محمد بن كعب هي الخمس
التي في الاعراف والبحر والعصا والحجر والطمس على اموالهم وقد تقدم بيان هذه الايات مستوفى والحمد
لله فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم اي سلهم يا محمد اذ جاءهم موسى بهذه الايات حسب ما تقدم بيانه
في يونس وهذا سؤال استفهام لتثبت اليهود صحة ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون
اني لاظنك يا موسى مسحورا اي ساحرا لفرط دهائك قال الفراء وابو عبيدة بوزن المفعول
بوزن الفاعل كما تقول هذا مشؤوم ومشيوم ويامن ويمن وقيل مخدوعا وقيل مغلوبا قال مقاتل وقيل
غير هذا وقد تقدم وعن ابن عباس وابو ميسرة انهما قالا ان اسأل يبني اسرائيل على الخبر اي سأل موسى فرعون
ان خلى بني اسرائيل يطلق سبيلهم ويرسلهم معه قوله تعالى قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض بصائر اي دلالات يستدل بها على قدرته ووحدانيته وقرأ العامة بفتح التا
خطابا لفرعون وقرأ الكسائي بضم التا وهي قراءة علي رضي الله عنه وقال والله ما علم عدو الله ولكن
موسى هو الذي علم فبلغت ابن عباس اي لقد علمت راجع بقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا ونسب فرعون الى العناد وقال ابو عبيد والمأخوذ به عندنا فتح التا وهو الاصح

للمعنى

للمعنى الذي احتج به ابن عباس وان موسى يقوله علمت انا وهو الرسول الداعي ولو كان مع هذا كله نصح به
القراءة عن علي لكانت حجة ولكن لا يلتفت عنه انما هي عن كلثوم المرادي وهو مجهول لا يعرف ولا يعلم احد قرأ
بها غير الكسائي وقيل انما اضاف موسى الى فرعون العلم بهذه المعجزات لان فرعون قد علم مقدار ما يبهر بالشجزة
فعله وان مثل ما فعل موسى لا يبهر الساحر وانه لا يقدر على فعله الا من يفعل الاجسام ومالك السموات
والارض وقد جاهد دخل موسى على فرعون يوم شأت وعليه قطيفة فرمى بها فالقى موسى عصاه فاذا هي
ثعبان فرأيت فرعون جاثيا لبيت بين يديها فتزع واخذ ينتج قوله واني لاظنك يا فرعون مثبورا الظن
هنا بمعنى اليقين والثبور الهلاك والخسران ايضا قال الكميت * وراث قضاعة في الامم ايا مثبورة ثاب
* ابو عبيدة وحاسر يعني في انسابها الى اليمن وقيل ملعونا رواه المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
وقاله ابان بن تغلب وانشد * يا قومنا لا تروموا حربنا سفها ان السفاد ان التي مثبور * اي ملعون
وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس مثبورا ناقص العقل ونظر الماتن رجلا فقالوا يا مثبور فسأل
عنه فقال قالوا لرشيد قال المنصور لرجل مثبور فسألته فقال لحدثني ميمون بن مهران وقال قتادة
هالكا وعنه ايضا والحسن ومجاهد مهلكا والسدي لا بقاء لك بالبراء الغدر وثبورا اهلكه وقيل
ممنوعا من الخير حكاه اهل اللغة ما يحول عن كذا اي ما يمنعك هته وثبره الله ثبره لغتان قال ابن
زيد * اذ اجاءك الشيطان فمن الى ومن ما لمثله مثبورا * الضحاك مثبورا مسحورا رد عليه مثل
ما قاله لاختلاف اللفظ وقال ابن زيد مثبورا مخبولا لا عقل له قوله تعالى فاراد ان يستفزهم
من الارض اي اراد فرعون ان يحمل موسى بني اسرائيل من ارض مصر بالقتل او بالاجلاء فاهلكه الله وجل وذلنا
من بعده اي من بعد اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض اي ارض الشام ومصر باذا جاء وعد الاخرة اي
القيامة جيئنا بكم لفيفا اي مرقبوركم متخلطين من كل موضع فذا اختلط المؤمن بالكافر والبر بالفاجر
يحار احدكم الى اسفل وجهه وقال ابن عباس ونادت جيئنا بكم جميعا من هاهنا شتى والمعنى واحد قال
الجوهري واللفيف ما اجتمع من الناس من قبايل شتى والمعنى واحد يقال جاء القوم تلفهم ولفيفهم اي واخلاطهم
وقوله تعالى جيئنا بكم لفيفا اي مختلفين مختلطين وطعام لفيف اذا كان مخلوطا من جنس وقضاعة ابو
وبلان لفيف فلانا اي صديقه قال الاصمعي اللفيف وليس له واحد وهو مثل الجميع والمعنى انهم مخرجون
وقت الحشر من القبور كالجراد المنتشر مختلطين بعضهم ببعض وقال الكلبي ناداه وعدا الاخرة يعني
مجيء عيسى عليه السلام من السما قوله تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل هذا متصل بما سبق من ذكر المعجزات
والقرآن والكناية ترجع الى القرآن وجه النكير في قوله وبالحق نزل يجوز ان يكون معنى الاول انا
حين انزلناه بالحق ومعنى الثاني ونزل وفيه الحق لقوله حرج سما فواى وعلمه بشابه وقيل الثاني هو
وبالحق الاول بمعنى مع اي مع الحق لقولك ركب الامير بسيفه اي مع سيفه وبالحق نزل اي محمد صلى الله عليه
وسلم نزل عليه كما تقول نزلت بزيد وقيل يجوز ان يكون المعنى وبالحق قدرنا ان ننزله وكذلك نزل
قوله تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث مذهب سيبويه ان قرآنا منصوب بفعل هو
مضمر يفسره الظاهر وقرأهم ابن عامر لتقرأه الناس فرقناه بتخفيف الراء ومعناه بيناه واوضحناه وفرقنا فيه
بين الحق والباطل قاله الحسن وقال ابن عباس فصلناه وقرأ ابن عباس وعلي وابن مسعود وابي بن
كعب وقتادة وابو رجاء والشعبي وقرناه بالتشديد اي انزلناه شيئا بعد شيء جملة واحدة الا ان
في قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة عليك واختلف في كم نزل الناس من المدة فقيل في خمس وعشرين
بينه ابن عباس في ثلاث وعشرين سنة وهذا عجيب الخلاف في سن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا خلاف انه نزل الى السما الدنيا جملة واحدة وتدمضى هذا في البقرة على مكث اي نظار في المدة
سابعد شيء وسأتي هذا القرآن على قراءة ابن مسعود اي انزلناه اية اية وسورة سورة واما على القول
الاول فيكون على مكث اي على ترتيل في الصلاة وترسلا قال مجاهد وابن عباس وابن جريج بتبعض في القارئ
للقراءة حتى يمكن ترتيلها وتحسينها وتطلبها بالصوت الحسن يا اكمل بن علي لتحسين والانظر بب المودي في
تغيير لفظ القرآن بزيادة او نقصان فان ذلك حرام على ما تقدم اول الكتاب واجمع القراء على ضم الميم
من مكث الا ابن محيصن فانه قرأ مكث بفتح الميم وبناء مكث ومكث ثلاث لغات قال ما لك على مكث
على تؤدة وترسل قوله تعالى ونزلناه تنزيلا مبالغة وتأكيدا بالمصدر والمعنى المتقدم ايا انزلناه نجما
بعد نجم ولواحد وايجمع النوابغ في وقت واحد ليتفرقوا قوله تعالى قل امنوا به او لا تؤمنوا بمعنى
القرآن وهذا من الله عز وجل على وجه التهكيت لهم والتهديد لا على وجه التخيير ان الذين اوتوا العلم من
قبله اي قبل نزول القرآن وخروج النبي صلى الله عليه وسلم وهم موسى واهل الكتاب في قول
ابن جريج وغيره قال ابن جريج معنى اذا تتلى عليهم كتابهم وقيل القرآن يخرون للاذقان سجدا وقيل هم
قوم من ولد اسماعيل تمسكوا بدينهم الى ان بعث الله تعالى النبي عليه السلام منهم زيد بن عمرو وورقة بن
نوفل وعلى هذا القول يريد او توا الكتاب بل يريد او توا علم الدين وقال الحسن الذين اوتوا العلم امة محمد صلى

الله عليه وسلم وقال مجاهد انهم ناس من اليهود وهو ظاهر لقوله من قبله اذا تتلى عليهم يعني القرآن
وقول مجاهد كانوا اذا سمعوا ما انزل الله تعالى من القرآن سجدوا وقالوا سبحان ربنا ان كان وعد
ربنا لمفعولا وقيل كانوا اذا تلوا كتابهم وما انزل عليه من القرآن خشعوا وسجدوا وسبحوا وقالوا هذا
المذكور في التوراة وهذه صفته ووعد الله به واقع لا محالة وجحوا الى الاسلام فنزلت الآية فيهم
وقالت فرقة المراد بالذين اوتوا العلم من قبل محمد صلى الله عليه وسلم والضمير في قوله قبله عائد على
القرآن حسب الضمير في به في قوله قل امنوا به وقيل الضمير لمحمد صلى الله عليه وسلم واستانف ذكر
القرآن في قوله اذا تتلى عليهم قوله تعالى ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا دليل على
جواز التسبيح في السجود وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي قوله تعالى
ويخرون للاذقان يكون هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم وحث لكل من تترسم بالعلم وحصل منه شيئا
ان يجري الى هذه المرتبة يخشع عند اسماع القرآن ويتواضع ويذل وفي مسند الدارمي ابي محمد عن
النخعي قال من اوتي من العلم ما لم يسله يخلق ان لا يكون اوتي علما لان الله تعالى نعت العلماء بهذه الآية
ذكره الطبري ايضا والاذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين وقال الحسن الاذقان عبارة عن المحاجر
يضعونها على الارض في حال السجود وهو عبارة التواضع واللام لمعنى على سقط لعينيه اي على فيه هو
وقال ابن عباس يخرون للاذقان سجدا اي للوجوه وانما خص الاذقان بالذكر لان الذقن اقرب شيء من
وجه الانسان قال ابن خواز منداد لا يجوز السجود على الذقن لان الذقن ها هنا عبارة عن الوجه ولذلك
يعبر بالشيء عن ما جاوزه وسعصه عن جميعه فيقال خر لوجهه ساجدا وان كان لم يسجد على خده وانما عينه
الاذقان الى قوله فحصر لهما الذين وللهم فانما اراد خرورهم بها على وجهه ويديه الثانية قوله تعالى ويبكون
دليل على جواز البكاء في الصلاة من خوف الله تعالى او على معصية في دين الله وان ذلك لا يقطعها وابطلها
ذكر ابن المبارك عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكاء في كتاب ابي داود حدثه ازيز
كازيز الرحا من البكاء الثانية واختلف الفقهاء في البكاء فقال مالك الا بس ان يقطع الصلاة للصوت
واكرهه للصحيح وبه قال الثوري وروي عن عبد الملك عن مالك التنحنح والانين والنفخ لا يقطع
الصلاة وقال ابن القاسم يقطع وقال الشافعي ان كان له حروف تسمع وتفهم يقطع الصلاة وقال
ابو حنيفة ان كان من خوف الله لم يقطع وان كان من وجع قطع وروي عن ابي يوسف ان صلاته في ذلك
كله تامة لا يجب عليه اعادة وسبب من بين الرابعة قوله تعالى ويزيدهم خشوعا تقدم القول في
الخشوع في البقرة وباقي قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
سبب نزول هذه الآية ان المشركين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن فقالوا
كان محمد ينهانا ان ندعو الهين وهو يدعو الها واحدا وهو يدعو الهين قاله ابن عباس وقال مكحول سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات ليلة فقال فجعل يدعو يا رحمان يا رحيم فسمعه رجل من المشركين وكان باليمامة رجل
يسمى الرحمان فقال ذلك السامع ما بال محمد يدعو الرحمان اليمامة فنزلت هذه الآية مبينة انهما
اسمان لله تعالى واحد فان يدعوه بالله فهو ذاك وان دعوه بالرحمن فهو ذاك وقيل كانوا
يكتبون في صدر الكتب باسمك اللهم فنزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم فقالت المشركون ما نعرف هذا الرحمن فنزلت
الآية وقيل انما اليهود قالت ما نسمع في القرآن اسما هو في التوراة كثير يعنون الرحمن فنزلت الآية
وتواطحة بن مطرف ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ايه التي يقتضي افضل الاوصاف واشرف
المعاني وحسن الاسماء انما ينوجه بتحسين الشرع لاطلاقها والنص عليها وانتصاب اي ذلك اعني
بمقتضى معاني حسنا شريفة وحسن بتوفيق لا يصح وضع اسم لله ينظر الا بتوفيق من القرآن او الخبر
الحديث او الاجماع حسب ما بيناه في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى قوله تعالى ولا
تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فيه مسألتان الاولى اختلف في سبب نزولها على خمسة اقوال
الاول ما روى عن ابن عباس في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى
الله عليه وسلم متوار بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمع ذلك المشركون سبوا القرآن
ومن انزله ومن جاء به فقال الله تعالى ولا تجهر بصلاتك فيسمع المشركون قراءتك ولا تخافت بها عن
اصحابك اسمعهم القرآن وتجهر ذلك الجهر وابتغ بين ذلك سبيلا قال لتقول بين الجهر والمخافتة فخفض
الصوت واسكون يقال للميت اذا برد جسمه قال الشاعر لم يقوا السرحات وسفله انشاها ما ب
الثاني ما رواه مسلم ايضا عن عائشة في قوله عز وجل ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت انزل هذا
في الدعاء المالك قال ابن بريدة كان الاعراب يجهرون بتشهدهم فنزلت الآية في ذلك وقيل

د على هذا فيكون الآية متضمنة لاخفاء التشهد وقد قال ابن مسعود من السنة ان نخفي التشهد ذكره ابن المنذر
الرابع ما روى بكير بن سبيرين ايضا ان ابا بكر رضي الله عنه كان يسر قراءته وكان عمر يجهر بها فقيل لهما في ذلك فقال
ابو بكر انما اناجي ربي وقد علم حاجتي اليه وقال عمر انا اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت هذه الآية لو
قيل لابي بكر ارفع قليلا او قيل لعمر اخفض قليلا ذكره الطبري وغيره الخامس ما روي عن ابن عباس ايضا
ان معناها ولا تجهر بصلاة النهار ولا تخافت بصلاة الليل ذكره يحيى بن سلام والزهراوي فتضمنت احكام
الجهر والاسرار بالقراءة في النوافل والفرائض فاما النوافل فالمصلي مخير في الجهر والسر في الليل والنهار وكذلك
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يفعل الامرين جميعا واما الفرائض فحكمها في القراءة معلوم ليلا
ونهارا وقول سادس قال الحسن يقول الله تعالى لا تراءي بصلاتك بحسناتها في العلانية ولا تنسها في السر قال
ابن عباس لا تصل مرائيا للناس ولا تدعها مخافة الناس ائتنا بينه عز الله تعالى بالصلاة نهانا عن القراءة كما عبر
بالقراءة عن الصلاة في قوله وقرآن الفجر لان كل واحد مرتبط بالآخر لان الصلاة تشتمل على قراءة وركوع
وسجود فمن حمله على احدها فعبر بالجزء على عادة العرب في المجاز وهو كثير ومنه الحديث الصحيح قسمت
الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فالقراءة الفاتحة على ما تقدم قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا هذه
الآية زيادة على اليهود والنصارى والعرب فانهم اقروا بالله وعيسى والملائكة لم يقروا لله سبحانه وتعالى
عن اقوالهم ولم يكن له شريك في الملك كما زعموا ولا شريك له في ملكه ولم يكن له ولي من الذل
قال مجاهد معناه لم يحالف احدا لم يكن له ناصر من الذل فيكون مدافعا وقال الكلبي لم يكن له ولي من
اليهود والنصارى لانهم اولياء الناس دون الله واحباؤه وقال الحسن من الغضب ولم يكن له
له ولي من الذل يعني لم يرد يحتاج الى وليه وناصره وكبره تكبيرا اي عظمه عظمة تامة ويقال
ابلغ لفظة للعرب في معنى التعظيم والاجلال الله اكبر اي صفه بانه اكبر من كل شيء وقال الشاعر رأيت الله
اكبر كل شيء محاولة واكرمهم جنودا ه وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل في الصلاة قال الله اكبر وقد
تقدم اول الكتاب وقال عمر بن الخطاب قول العبد الله اكبر خير من الدنيا وما فيها وهذه الآية هي خاتمة
النورية روي مطرف عن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بخاتمة سورة الانعام وختمت بخاتمة
هذه السورة وفي الخبر انها آية النور رواه معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عمر بن شعيب
عن ابيه عن جده قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح العلاء بن بنتي عبد المطلب علمه وقل الحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا فان عبد الحميد بن واصل سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ وقل الحمد لله الذي لم
كتب له من الاجر مثل الارض والجبال ان الله تعالى يقول ممن زعم ان له ولدا تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا وجاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم امر رجلا يشتكي اليه الدين بان يقرأ قل
ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى آخر السورة ثم يقول توكلت على الحي الذي لا يموت ثلاث مرات

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف مكية وهي في قول المفسرين

فروقة

روى عن فرقد ان اول السورة نزلت بالمدينة الى قوله هدا والاول اصح وروي في فضلها عن حديث انس انه من قرأ
اعطي نورا بين السماء والارض ومن قرأ عشر آيات من آخرها لم يخرج الدجال

في الدهر الاول وما كان امرهم فانه قد كان لهم حديث عجب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه وسلوه عن الروح ما هي فاذا اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي وان لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في امره ما بدا لكم فاقبل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط حتى قدموا مكة على قريش فقالوا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم قد امرنا احبار يهود ان نسله عن اشياء امرونا بها فان اخبركم عنها فهو نبي وان لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رايكم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الاول قد كانت قصتهم عجبا وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الارض ومغاربها واخبرنا عن الروح ما هي فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم بما سالتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نرى خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا ياتيه جبريل حتى ارجف اهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد اصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سالناه عنه وحتى احزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل بسورة اصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سالوه عنه من امر الفتية والرجل الطواف والروح قال ابن اسحق وذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لقد احبستني يا جبريل حتى سوءت ظني فقال لجبريل وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فافتتح السورة تبارك ونعالى بحمده وذكر نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انكروا عليه من ذلك فقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انك رسول مني اي بتحقيق ما سالوا عنه من نبوتك ولم يجعل له عوجا فيما اي مختلفا فيه ليبذر باسا شديدا من لدنه عاجل عقوبته في الدنيا وعذابا اليما في الاخرة اي من عند ربك الذي بعثك رسولا ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا اي دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم وعملوا بما امرتهم به من الاعمال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني قريشا في قولهم انا نعبد الملائكة وهي بنات الله ما لهم به من علم ولا لابائهم الذين اعطوا قراهم وعسى دينهم كبرت كلمة تخرج من افواههم اي لتولهم ان الملائكة بنات الله ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا لحزنه عليهم حين فارقه ملكان يراجعوا منهم ايبا يفعل قال ابن هشام وباخع نفسك مهلك نفسك بما جدتنا ابو عبيدة قال ذو الرمة الا ايها الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر وهي ما يفعون وبخعه وهذا البيت في قصيدة له وتقول العرب قد بخعت اليه نصحي ونفسي اي جهدت اناجعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قال ابن اسحق اي ايهم اسرع لامري واعمل بطاعتي وانا لما عليها صعيد جرزا اي الارض وان ما عليها لفان وزائل وانما المرجع الى واحد كل انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم فيما يسمع فيها قال ابن هشام الصعيد وجه الارض وجمعه صعد قال ذو الرمة يصف طيبا كانه بالضحى ترمي الصعيد به دبابه في عظام الرس خرطوم وهذا البيت في قصيدة له والصعيد ايضا الطريق قد جاء في الحديث اياكم والقعود على الصعدات يريد الطرق والجرز الارض التي لا تنبت شيئا وجمعها احراز وبقال ايضا جرز وسنون احراز وهي التي لا يكون فيها مطر ولا يكون فيها خصب وبه وبسر وسنة قال ذو الرمة يصف ابلا طويت بحر والاحراز ما في بطونها فما بقيت الا الضلوع الجراشع قال ابن اسحق ثم استقبل قصة الخبر فيما سالوه عنه من شان الفتية فقال ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من ايانا عجبا اي قد كان من ايانا ما هو اعجب من ذلك فيما وصفت على العباد من حجتي ما هو اعجب من ذلك قال ابن هشام والرقيم الكتاب الذي رقم كتبهم وجمعه رقم قال العجاج وبسمر المصحف المرقم وهذا البيت في ارجوزة له قال ابن اسحق ثم قال اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهي لنا من امرنا رشدا اظهرنا على اذاهم اياك الكهف سنين عددا ارسلهم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا عددا امدا تم قال نحن نقص عليك نبأهم بالحق اي نصدق الخبر انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اي لم يتركوا بي كما اتركتم بي ما ليس لكم به علم قال ابن هشام هو والشطط الغلو ومجاوزة الحق قال اعشى بني قيس بن ثعلبة ألم تنهوت ولا يبغي ذوي شطط كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل وهذا البيت في قصيدة له قال ابن اسحق هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين قال ابن اسحق اي بحجة بالغة فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا وذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه قال ابن هشام تزاور تميل وهو من الزور وقال ابو الرحف الكلبي يصف كراه حانت المدى عن هوانا ازور بعض المطايا هيمة العيس زوره وهذان البيتان في رجوزة له وتقرضهم ذات الشمال تخاورهم وتتركهم

اعز شما لها قال ذو الرمة • الخاطعن يقرضن افواز مشرق شمالا وعن ايمانهن الفوارس • وهذا البيت
من قصيدة له والبجوة السعة وجمعها انحى قال الشاعر السب قومك محراة ومنقصة انجوا وخلو
بجوة الدار • ذلك من آيات الله اي الحجة على من عرف ذلك بسر امورهم من اصل الكتاب ثم امر هو سلم
عليك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد
قال ابن هشام • الوصيد الباب قال العسي واسمه عبيد بن رهيب • بارض فلاة لا يسد وصيدها
على ومعرو في عير منكر • وهذا البيت في اسانده والوصيد ايضا الفناء وجمعه وصايد ووصد ووصدات
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا الى قوله الذين عثروا على امرهم اهل السلطان والملك
منهم لتتخذن عليهم مسجدا سيقولون يعني اخبار اليهود الذين امروهم بالمسالة عنهم ثلاثة رابعهم
كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي لا تقولن لشيء
سالوك عنه كائنا في هذا الذي تخبرهم عنه واستثن مشيئة الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين
ربي لاقرب من هذا رشدا لخير مما سالتموني عنه رشدا فانك لا تدري ما انا صانع في ذلك ولبثوا في كهفهم
ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا اي سيقولون ذلك ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا
اي سيقولون ذلك قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا
يشرك في حكمه احدا اي لم يخف عليه ما سالوك عنه قلت هذا ما رفع السيرة من خبر اصحاب الكهف
ذكرناه على نسقه وبقي في خبر ذي القرنين ثم نعود الى اول السورة فيقول قد تقدم معنى الحمد لله •
وزعم ابو حاتم والكسائي والفراء وابو عبيد وجماهير المتاولين ان في اول هذه السورة تقديما وتاخيرا
وان المعنى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا وقيما نصب على الحال وقال
قتادة الكلام على سياقه من غير تقديم ولا تاخير ومعناه ولم يجعل له عوجا ولكن جعلناه قيما وقول
الضحاك قيما حسن وان المعنى مستقيما لا عوج فيه مستقيم الحكمة لا خطاء فيه ولا فساد ولا تناقض وقيل قيما
على الكتب السابقة يصدقها وقيل قيما بالحجج لا عوجا معطوف بالعوج بكسر العين في الدين والراي والامر
والطريق وبفتحها في الاجرام كالحسب والجدار وقد تقدم وليس في القرآن عوج اي عيب اي ليس
متناقضا مختلفا كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل اي لم يجعله مخلوقا
كما روي عن ابن عباس في قوله تعالى قرآنا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق وقال مقاتل لم يجعله اختلافا قال
الشاعر • اراد بوري للصديق نكرما واخير عينيه كان في الرأي عوجا • لينذر باسا شديدا اي لينذر محمد
القرآن وقيل اصما راي لينذر الكافرين عقاب الله وهذا العذاب الشديد قد يكون في الدنيا وقد يكون
في الآخرة من لدنه اي من عنده وقرا ابو بكر عن عاصم من لدنه باسكان الدال واسمانها الضم وكسر النون
والهاء موصولة سا الباقون لدنه بضم الدال واسكان النون وضم الهمزة الجوهري ورجل لدن بين اللدن واللدن
لغات لدن ولدن ولد وقال من لدنه اي من محبوره والمحبور للخير قوله تعالى ويبشر المومنين
الذين يعملون الصالحات اي بان لهم اجرا حسنا وهي الجنة ماكثين فيه ابدا يعني دائمين ابدا الى غاية
وان حملت التبشير على البيان لم يحتج الى الباء في الاجر الحسن الثواب العظيم الذي يدوم في الجنة
قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح
ابن الله وقريش قالت الملائكة بنات الله فالانذار في اول السورة عام وهذا خاص ثم قال لنبيه
به من علم من صلة اسم ما لهم بذلك المقول علم لانهم مقلدون قالوا بغير دليل ولا برهان اي اسلافهم كبرت
كلمة نصب على البيان اي كبرت تلك الكلمة وقرا الحسن ومجاهد وحميد بن قيس وابن ابي اسحق
كلمة بالرفع اي عظمت كلمة تعني قولهم اتخذ الله ولدا وعلى هذه القراءة لا حاجة الى اضمار قد
كبر الشيء اذا عظم وكبر الرجل اذا اسن ثم اخرجهم في موضع الصفة ان يقولوا الا كذبا اي ما يقولون
الا كذبا قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم باخع اي مهلك قاتل وقد تقدم اثارهم جمع
اثر وبيانا لامرهم والمعنى على اثر توليهم واعراضهم عنك ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا اي الفرات
اسفا اي حزنا وغضبا على كفرهم وانتصب على التفسير قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة
لها فيه مسالتان الاولى قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها معقولة والزينة كل ما على
الارض فهو عموم لا بد من المعلى باريه وقال ابن جبير عن ابن عباس ان الزينة الخلفاء والامراء وروى ابن ابي
نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال العلماء زينة الارض
وقالت فرقة ارادة النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو ذلك هذا فيه زينة ولم يدخل فيه
احياء الصيد وكل ما لا ترى فيه كالحيات والعقارب والتول بالعموم اولى وان كل ما على الارض فيه زينة

بن جبير خلقه وصبغه والاحكامه والآية في به بسط في التسلية ايما لنبتلهم ايهم احسن عملا للدنيا واهلها فانا انما جعلنا
ذلك امتحانا واختبارا لهم فمنهم من يتدبر ومنهم من يكفر ثم يوم القيامة بين ايديهم ولا يقطن عليك لكونهم فانا
كادهم الثالثة معنى هذه الآية ينظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الدنيا حضرة حلوة من يجلكم
فيها فينظر كيف تعملون وقوله صلى الله عليه وسلم انا اخوف ما اخاف ما يخرج الله لكم من زهرة
الحياة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا قال بركات الارض خرجهما مسلم وغيره من حديث ابي سعيد
الخدري والمعنى ان الدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها كالثمر المستحلى المحبب المراد
فابتلى الله بها عباده لينظر ايهم احسن عملا اي كما ازهد فيها وارزقها واسئل للعباد الى معصيته
ما زينه الله الا تعسه على ذلك ولهذا كان فقير يقول فيما ذكرنا اللهم انا لا نستطيع الا ان
نفرح بما زينته لنا اللهم اني اسالك ان تسالك ان الفقه في حقه فدعا الله ان يعينه على
انفاقه في حقه ان ينفقه في حقه وهذا معنى قوله عليه السلام ثم احذره بطيب نفس يورك
له فيه ونراخذه باشراف نفس كان كالذي ياكل ولا يشبع وهكذا هو المكثر من الدنيا لا يسلم بما
لا يجعل له منها بد لهم جميعا وذلك لعدم الفهم عن الله عز وجل ورسوله فان الفتنة معها
حاصلة وعدم السلامة غالبة وقد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه قال ابن
عطية كان ابي رضي الله عنه يقول في قوله احسن عملا العمل احد بحق والاتقن في حق مع الايمان
واداء الفرايض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب اليه قلت هذا قول حسن وخير في
الفاظه يليق في معناه وقد جمعه النبي صلى الله عليه وسلم في لفظ واحد ونص قوله لسفيان بن
عبد الله الثقفي لما قال يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسال فيه احدا بعدك في رواية
غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم خرجه مسلم قال سفيان الثوري احسن عملا ازهدهم فيها
ولذلك ابو عاصم العسقلاني فاحسن عملا ازهد فيها وقد اختلف عبارات العلماء في الزهد فقال
قوم قصر الامل ولبس الخشن واكل الجشب قاله سفيان الثوري قال علماؤنا وصدق رضي الله
عنه فان من قصر امله لم يسابق في المطعومات ولا لبس في الملبوسات واخذ من الدنيا ما يسد
واحرامها ما يبلغ وقال قوم بعض المجتهدة وحب الساء ونص قول الاوزاعي ونرد ذهب ابيه وقال
قوم ترك الدنيا كلها لهوا الزهد احب تركها ام كره وهو فضل وعن بشر بن الحارث قال حب
حب لقاء الناس والزهد في الدنيا الزهد في لقاء الناس وعن الفضيل ايضا علامة الزهد
في الدنيا الزهد في الناس وقال قوم لا يكون الزاهد زاهدا حتى يكون ترك الدنيا احب اليه
من اخذها قاله ابراهيم بن ادهم وقال قوم الزهد ان يزهد في الدنيا بقلبك قاله ابن المبارك
وقالت فرقة الزهد حب الموت والعقل الاول يجمع هذه الاقوال بالمعنى فهو اولى قوله تعالى
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تقدم بيانه وقال ابو سهل نوابا لا نبات به كانه ذظع بياض
والجرز قال الواحدي تذجرز من السنون الاجراز والارض الجرز التي لا نبات فيها ولا شيء من عمارة
وغيرها كانه قطع وازيل معنى يوم القيامة فان الارض تكون مستوية لا يستتر فيها النباس
والجرز في اللغة الارض التي لا نبات لها قال الكسائي يقال جرزت الارض تجرز وجرزها القوم
يجرزونها اذا اكلوا كاما جا فيها من النبات والزرع فهي جرزة وجرز قوله عز وجل ام
حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من ايانتا عجبا مذهب سيبويه ان ام اذا جاءت
دون ان يتقدمها الف استفهام انها معنى بل والف الاستفهام وهي المنقطعة وقيل ام هو
عطف على معنى الاستفهام في لعلك او معنى الف الاستفهام على الانكار كما قال الطبري
هو نعت من ايتنا النبي صلى الله عليه وسلم على جهة انه ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعنى
انكار ذلك عليه اي لا تعظم ذلك بحسب ما عظم عليك السايلون من الكفرة فان سايير
ايات الله اعظم من قصتهم واشنع هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن اسحق والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين سالوه عن ثلثة فقدروا وعن ذي القرنين
وعن الروح وابطا الوحي عليه ما تقدم فلما نزل قال الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام
احسبت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من ايانتا عجبا اي ليسوا بعجب من الايات
التي اريتك ايانتا ما هو اعجب من خبرهم الكلبي خلق السموات والارض اعجب من خبرهم الضحاك
ما اطلعتك عليه من الغيب اعجب واجل انا بك الا مرا اعجب الماوردي معنى الكلام النفي
اي ما حسب لو لا اخبارنا ابو سهل تقرير فهو عار حكى النحاس عن ابن مالك انه قال
الكهف الجبل وهذا غير شهير في اللغة واختلف الناس في الرقيم فقال ابن عباس كل شيء
في القرآن اعلى لا اعلمه الا اربعة عسر ويسان واواه والرقيم وسئل مرة عن
الرقيم قال زعم كعب انها قرية خرجوا منها وقال مجاهد الرقيم واواه قال السدي الرقيم

الصخرة

الصخرة التي كانت على الكهف قال ابن زيد الرقيم كتاب حمر عجينا امره ولم يشرح لنا قصته وقالت فرقة الرقيم
كتاب محلوح من نحاس وقال ابن عباس هي لوح من رصاص كتب فيه الغزو الكفار الذين فر الفتية منهم فقتلهم
وهلوها تاريخا لهم وكم اقاموا وكم عددهم وكم كانوا وكم كانوا قال ابن اسحاق الرقيم لوح من
رصاص كتبت فيه اسماؤهم وانسابهم ودينهم وممن هربوا قال ابن عطية وتظهر هذه الروايات انهم كانوا
قوما ملوكا خيرا لحوادث وذلك ترسل الهمم وهو امر بعيد وهذه الاقوال ماخوذة من الرقم ومنه كتاب
مرقوم ومنه الارقم لتخطيطه ومنه رقمة الوادي اي مكان ذي الماء والطافه وما روي عن ابن عباس
ليس بمتنا فضلا ان تقول الا وانما سمعه مركب والقول الذي يجوز ان يكون عرف الرقيم بعده
ويروى عنه سعيد بن جبير قال ذكره ابن عباس اصحاب الكهف فقال ان الفتية فقدوا فطلبهم اهلوهم
فلم يجدوهم فرفع ذلك الى الملك فقال لنكتبن لهم بنا واحصرلوحا من رصاص وكتب فيه اسمائهم وجعله
في خزانته فذلك اللوح لعوا الرقيم وقيل ان مرسنين كانا في بيت الملك فكتبا نه ان الفتية واسمائهم وانسا
وانسابهم في لوح من رصاص ثم جعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه في الماء والله اعلم وعن ابن عباس
ايضا الرقيم كتاب مرقوم كان عندهم نبيا لشرع الذي سلكوا به من دين عيسى عليه السلام وقال النقاش
عن قتادة الرقيم دراهمهم وقال ابن زيد مالك والشعبي الرقيم كلبهم وقال عكرمة الدواة وقيل
الرقيم اصحاب الغار الذي انطبق عليهم فذكر كل واحد منهم اصلح عمله فذلت وهذا خبر مضروف
اخرجه الصحيحان واليه ذهب البخاري وقال قوم اخبر الله عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم
بشيء وقال الضحاك الرقيم بلده بالروم فيها غار فيه اربعة وعشرون نفسا كانهم نيام على هيئة اصحاب
الكهف مقفى هذا لهم فيه آخرون جرى لهم ما جرى لاصحاب الكهف والله اعلم وقيل الرقيم واد دون
فلسطين فيه الكهف ما عز ومن قمة الوادي وهي موضع الماء يقال عليك بالرقمة وضع الصفة ذكره الهروي
قال ابن عطية وبالشام على ما سمعت من ناس كثير فيه مرجب نرجم مجاورون انهم اصحاب الكهف وعليهم
مسجد وبناء سمي الرقيم ومعهم كلب زعموا وباب مدرج حجته غرباطة بقرب قرية تسمى لوشة كهف فيه
موتى ومعهم كلب رمة زعموا قد تحجر لحمه وبعضهم متماسك وقد مضت القرون السالفة ولم يخبر من
علم بشانهم امارة وتزعم ناس انهم اصحاب الكهف حلت اليهم دابتهم سنة اربعمائة اربع وخمسمائة
وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد قريب منهم بناء روي بسمي الرقيم كانه ذكر محلق قد بني ببعض جدرانه وهو
في فلاة من الارض حربة وباعلى غرباطة مما يلي القبلة اثاو وبدسر قرعة رومية بها لعدينة دبيوس
وحبابي اثار لها غرابيب في قبور ونحوها قلت ما ذكر من مرورنبه لهم بالاندلس فانما هم غيرهم
ان الله تعالى يقول في حق اصحاب الكهف لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وقال
ابن عباس لمعاوية لما اراد رؤيتهم قد منع الله من هو خير منك عز وجل وسيأتي اخر القصة وقال
مجاهد في قوله وكانوا مرايا تسعة قال هم عجبكذا روى ابن جريج عنه يذهب الى انه ليس بانكار على
النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون عنده انهم عجب وروي ابن ابي نجيح عنه قال انقول ليس بعجب
ابانتا قوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا
رشدا فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف روى انهم قوم من ابناء اشراف مدينة
دقيوس الملك الكافر وتيادقيوس ودقنوس وروي انهم كانوا مطوقين مسورين
مسورين ذوي ذواب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل عيسى والله اعلم وقال
ابن عباس ان ملكا من الملوك بقال له دقيانوس ملك على مدينة من مدائن الروم يقال لها نسوس وقيل
هي طرسوس وكان بعد رفع عيسى عليه السلام فامر بعبادة الاصنام فدعا الناس اليها فاجابته الاصنام وكانت
قبل ذلك قد اندرست فعبدوها فلما رفع خبرهم الى الملك وخافوه فهربوا ليلا وسروا براعي معه كلب
فتبعهم فاووا الى الكهف فتبعهم الملك الى فم الغار فوجد اثر دخولهم ولم يجد اثر خروجهم فنظروا
فاعمى الله ابصارهم فلم يروشيئا فقال الملك سدوا عليهم باب الغار حتى يموتوا فيه جوعا وعطشا
وروي مجاهد عن ابن عباس ايضا ان هؤلاء الفتية كانوا في دين ملك يعبد الاصنام ويذبح لها ويكفر
بالله وكانوا على ذلك اهل المدينة فوقع للفتية علم من بعض الحواريين حسب ما ذكر النقاش
او من موسى انهم قتلهم فامنوا بالله وراوا بصائرهم فنبج فعل الناس فاخذوا ينوبهم بالزام
الدين وعبادة الله فرفع امرهم الى الملك وقيل له انهم خذفا رقوا دينك واشتخفوا الهتك
وكفروا بها فاستحضرهم الملك الى مجلسه وامرهم باتباع دينه فاوبخهم فاتهم ونوعدهم عليب
فراق ذلك بالقتل فقالوا له جهارا ربنا رب السموات والارض الى قوله واذ اعتزلتموهم وما
وروي انهم قالوا لحوهذا الكلام وليس به فقال لهم الملك انكم شبان احداء لا عقول لكم وانا
لا اعجل بكم بل استناني فاذهبوا الى منازلكم وادبروا رايكم وارجعوا الى امري وضرب لهم اجلا ثم انه
سافر فلما ذهب الاجل فسار الفتية في الهروب ما دياتهم فقال لهم احدهم انا اعرف كهفا في جبل

كذا كان الى يدخل فيه عتمة فليذهب يختلى فيه حتى يفتح الله لنا فخرجوا بما رزق للعصوب بالصولجان والكره ويهم لدحرجونها الى خروطهم ليلا يشعر الناس بهم وروي انهم كانوا متفقين فخرج عبد فخرجوا اليه فركبوا ايجه جملة الناس ثم اخذوا باللعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك وروى وهب ابن منبه ان اول امرهم انما كان حواد بالعيلسي بن مريم جاء الى مدينة اصحاب الكهف يريد دخولها فاجر نفسه من صاحب الحمام وكان يعمل فيه فرأى صاحب الحمام في اعماله بركة عظيمة فانتقل اليه كل امره وعرف ذلك الرجل فسار من اهل المدينة فوفقهم الله تعالى فامنوا به واتبعوه على دينه واشتهرت خلطتهم به فاتى يوما الى ذلك الحمام ولدا الملك بامراة اراد الخلوة بها فنهاه ذلك الجوارى فانتهى ثم جاء مرة اخرى فنهاه فتسمن وامضى عزمه في دخول الحمام مع البغي فدخل فاتاه جميعا فانتقم ذلك الجوارى واصحابه بقتلهما فقروا جميعا حتى دخلوا الكهف وقيل في خروجهم غير هذا واما الكلب فروى انه كان كلب صيد لهم وروى انهم وجدوا في طريقهم راعيا له كلب فاتبعهم الراعي على دينهم وذهب الكلب معهم قاله ابن عباس واسم الكلب حمران • وقيل غير هذا واما اسما اهل الكهف فالعجيبة والسند في ذكرهما واه والذي ذكره الطبري في هذه مكسلمينا وهو اكبرهم والمكلم عنهم ومحسيميلسينا ومشليخا وهو الذي سعى بالورق الى المدينة عند بعثهم مرنوشهم ومرطوشه وكشوطوشه وبيمونس ويطونس قال وقتادة وكان الكلب لمكسلمينا وكان اسمهم وصاحب غنم الثانية هذه الاية صحيحة في القران بالدين وهجرة الاهل والبنين والقرابات والاصدقاء والاوطان والاموال خوف الفتنة وما يلقاه الانسان من المحنة وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فارا بدينه وكذلك اصحابه ودخلوا في الغار حسب ما قدمناه في سورة النحل وقد رضي الله عليهم ذلك في براءة وهجروا اوطانهم وتركوا ارضهم وديارهم واهاليهم واولادهم وقراباتهم واخواتهم رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين فسكنى الجبال ودخول الغيران والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق وهو ازار من الظالمين هي سنة الانبياء صلوات الله عليهم والاولياء وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم العزلة وفضلها جماعة من العلماء سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس وقد نص الله عليها في كتابه فقال فاووا الى الكهف فاذا العلماء اعزاء الناس يكون مرة في الجبال والشعاب ومرة في بعض السواحل والرباط ومرة في البيوت وقد جاء في الخبر اذا كانت الفتنة فاحفظ مكانك وكف لسانك ولم تخص موضعا من موضع وقد علمت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر واهله وطلبك وحدك وان كنت بين اظهرهم وقال ابن المبارك في تفسير العزلة ان يكون مع القوم فاذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم وان خاضوا في غير ذلك فامسك وروي البغوي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعوذ مع المؤمنين بيوتهم من سرابيل الحسن وغيره وقال عقبة بن عامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاة يا رسول الله فقال يا عقبة امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم يا بني على الناس زمان يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع المطر يفر بدينه من الفتن مخرجه البخاري وذكر علي بن سعد عن الحسن بن واقد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت سنة ثمانين وماية فقد حلت له منى الغربة والعزلة والتزهيد برؤس الجبال وذكر ايضا علي بن معبد عن عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن بن ابي الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا بني على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من شاهق الى شاهق ومن جبل الى جبل ومن حجر الى حجر فاذا كان ذلك لم يبق المعيشة الا بمعصية الله فاذا كان ذلك حلت العزبة قالوا يا رسول الله كيف تحل العزبة وانت تامرنا بالتزويج قال اذا كان ذلك كان هلاكه على يد زوجته ان لم يكن له زوجة كان هلاكه على يد ولده فان لم يكن له ولد كان هلاكه على يد القرابات والجيران قالوا فكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق فعند ذلك يرد نفسه الموارد التي يهلك فيها قلت احوال الناس في هذا الباب تختلف فرب رجل يكون له قوة على سكنى الكهوف والغيران في الجبال وربما رفع الاحوال الا هذه الحالة التي اختارها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في بداية امره ونص عليها في كتابه بخبر اعزلة الفتنة فقال واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف وذب رجل يكون له العزلة له في بيته واهله وقد اعتزل رجال من اهل بدر فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يجيبوا الى قتوهم وذب رجل متوسط بينهما يكون له من القوة بصبر بها على مخالطة الناس فاذا هم قهر معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن وذكر ابن المبارك اخبرنا وهيب بن الورد قال جاء رجل الى وهب بن منبه فقال ان الناس وقعوا فيما فيه وقعوا وقد حدثت نفسي ان اخالطهم فقال ما تفعل انه لا بد لك من الناس ولا بد لهم منك ولكن اليهم

حوارج ولهم اليك حوارج ولكن كن فيهم اصم سميعا اعمى بصيرا ساكنا لطوقا وقيل ان كل موضع
يبعد عن الناس تعود داخل في معنى الجبال والشعاب مثل الاعتكاف في المساجد ولزوم السواحل للرباط
والذكر ولزوم البيوت فرارا عن شرور الناس واما جاء في الاحاديث بذكر الشعاب والجبال وانباع الغنم
والله اعلم ان ذلك لغلبة ذلك في المواضع التي يقل فيها فكل موضع يبعد عن الناس تهوي داخل في معنا
كما ذكرنا والله الموفق وبه العصمة وروى عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يعجب ربك من راعي غنم في رأس سطيحة الجبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا الى عبدي
يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وادخلته الجنة خرجه النسائي اما اللغة قوله تعالى
وعى لئام ارتاروا شدا الخافوا ضر بظلمهم استغلوا بالدعاء ولجوا الى الله تعالى فقالوا ربنا اتنا من لدنك
رحمة وعى لئام ارتاروا شدا توفيقا للرشاد وقال ابن عباس مخرجا من العار الى سلامة وقيل صوابا ومن هذا
المعنى ان عليه السلام كان اذا احزنه امر فزع الى الصلاة قوله تعالى فضربنا على اذانهم الاية عبارة
عن اقتا الله تعالى النوم عليهم وهذا من فصيحات القرآن التي اثرت الرعب في نفوس من اراد ان يتناولهم قال
الزجاج اي منعناهم ان يسمعوا لان النائم اذا سمع نبه وقال ابن عباس ضربنا على اذانهم بالنوم اي
سددنا اذانهم عن ان تؤدي الاصوات اليها وقيل المعنى فضربنا على اذانهم فاستجنا دعائهم وصرفنا
عنهم بثرتومهم وامتنامهم والمعنى كله متقارب وقال قطرب هذا كقول العرب ضرب الامير على
يد الرعية اذا منعهم الفساد وضرب السيد على يد عبده المأذون له في التجارة اذا منعه من التصرف
قال الاسود بن يعفر وكانت سرا ومن الحوادث لا ابالك انني مضرب على الحبد الرضر بالاسداد واما تخصيص
الاذان بالذكر فانها الجارحة التي منها عظم فساد النوم وقيل ما ينقطع بنوم نائم الا وهذه اذنه وكانه
مسخكم بنوم الا سمع لتعطل السمع وبذكر الاذن في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذاك رجل بال الشيطان
في اذنه خرجه الصحيح اشار عليه السلام الى رجل طويل النوم وكان ينوم الليل وعددا من السنين اي
معدودة والقصد بها العبارة عن التقليل اذ القليل يحتاج الى تحديد اكثر من الكثير والعدد المصدر والعدد
والعدد اسم المعدود كالسقي والحبط وقال ابو عبيدة عددا نصب على المصدر ثم قال تعالى ثم بعثناهم
عدد تلك السنين من بعد فقال وليثوا في كهفهم ثلثمائة سنين دار دا وسعا قوله تعالى
ثم بعثناهم اي من نومتهم وقيل من موتهم ومعلوم انه كان ممنوعا من الانبعاث والتصرف
قوله تعالى ثم لنعلم اي الحزبين احصى لنعلم عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود ومشاهدته وهذا
على نحو كلام العرب اي لنعلم ذلك موجودا واذا فقد كان الله تعالى علم اي الحزبين احصى لما لبثوا عددا
الاية وقرأ الزهري ليعلم بالياء والحزبان الفريقان والظاهر من الاية ان الحزب الواحد هم الفتية او ظنوا
بهم قليلا والحزب الثاني اهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين كان عددهم التاريخ بامر
الفتية وهذا قول الجمهور من المفسرين وقالت فرقة هما حزبان من الكافرين اختلفا في مدة اصحاب
الكهف وقيل هما حزبان من المؤمنين وقيل غير ذلك مما لا يرتبط بالفاظ الاية واحصى فعل ماض وامدا
نصب على المفعول به قاله ابو علي وقال الفراء نصب على التمييز وقال الزجاج نصب على الظرف
اي اي الحزبين احصى لبثهم في الامد والامد الغاية وقال مجاهد امدا معناه عددا وهذا التفسير
بالمعنى على جهة التقريب وقال الطبري امدا منصوب بلبثوا ابن عطية وهذا غير صحة واما
من قال انه نصب على التفسير بلحقه من الاحتمال لان افعل لا يكون من فعل رباعي الا في المعاد واحد
واحصى فعل رباعي وتد يحتج له بان يقال ان افعل في الرباعي تذكر لتعرف ما اعطاه للمال
واياه للخير وقال في صفة عرضه عليه السلام ما وه ابيض من اللبن وقال عمر للخطاب فهو لما
سواها اصبع قوله تعالى نحن نقص عليك نبأهم بالحق ما اقتص قوله تعالى لنعلم اي الحزبين
احصى حلا تاما وقع فيه امر الفتية عجب بالخبر عن الله عز وجل بعلم من امرهم بالحق الذي وقع وقوله تعالى
انهم فتية اي شباب وحداث كلهم بالفتية حين اووا الى الكهف وقال اهل اللسان راس
الفتوة الايثار وقال الجنيد الفتوة بذل الندى وكف الاذى وترك الشكوى وقيل الفتوة اجتناب
المحارم واستجلاب المكارم وقيل غير هذا وهذا القول حسن جدا لانه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة
قوله تعالى وزدناهم هدى اي لبشرناهم بالعمل الصالح من الانقطاع الى الله عز وجل وبباعث الناس
والزهد في الدنيا وهذه زيادات على الايمان وقال السدي زادهم هدى وكمل لهم حين طردوه ورجموه
بخاتمه اما بلغ عليهم وسمهم فرفع الكلب يديه كالراعي ما نطقه الله فقال يا قوم لم تطردوني
لم ترجموني لم تضربوني فوالله لقد عرفت الله قبل ان تولدوه باربعين سنة فزادهم الله بذلك
هدى قوله تعالى وربطنا على قلوبهم عبارة عن شدة عزمهم وقوة صبر اعطاها الله لهم حتى
قالوا بين يدي الكفار ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا
ولما كان الغرض وصف الفتية بالتناسب الاحوال حسن ذكر النفس وقوة التصميم ان نسبة الربط

ومنه يقال ظلال رابط الجاش اذا كان لا يرتاع نفسه عند الفزع والحرب وغيرها ومنه الربط على قلب
ام موسى وقوله تعالى ولير بطعلى قلوبكم ويثبت به الاقدام وقد تقدم قوله تعالى اذ قاموا فقالوا
ربنا مسالتان الاولى قوله تعالى اذ قاموا فقالوا يحتمل ثلاثة معان احدها ان يكون هذا وصف مقامهم
بين يدي الملك الكافر كما تقدم وهو مقام يحتاج الى الربط على القلب حيث خالفوا دينه ورفضوا
لاجل ذات الله همته والمعنى والله اعلم انهم لما ايقنوا بما تلك الديانة خرجوا واجتمعوا وداخل
المدينة من غير ميعاد فقال احدهم اني احد في نفسي ان رب السموات والارض فقالوا ونحن كذلك نجد
في انفسنا فقاموا جميعا وقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا
شططا الذي ندعوه الها غيره فقد قلنا اذا جورا او عدوانا والمعنى انك بغير البيان عن
الهامهم بالهام الى القلوب الى الله تعالى وصنيعة الناس كما تقول قام فلان الى امر كذا او عزم عليه بعامة
الجد الثاني قال ابن عطية تغلغلت الصوفية في القيام والصمام والقول بقوله تعالى اذ قاموا
فقالوا ربنا رب السموات والارض قلت وهذا تعلق غير صحيح هو قاموا فذكروا الله عز وجل
على هدايته وشكروه وعلمهم على ما اولاهم من نعمه ولطفه ثم قاموا على وجوههم رجوعهم منقطعين
الى ربهم وحابين من قومهم وهذه سنة الله في الرسل وهذا بنيا والفضلاء الاولياء ان هذا امر رب
الارض والسماء ذو الجلال والاكرام وخاصة في هذه الازمان عند سماع الاصوات الحسان من المرد والنسوان
فهيهات بينهما والله ما بين الارض والسماء هذا حرام عند جماعة العلماء على ما بايي بيانه في سورة لقمان
ان شاء الله وقد تقدم في سبحان عند قوله ولا يمشي في الارض مرحا تنبيه وقال الامام ابو بكر الطرطوشي
وسئل عن مذهب الصوفية فقالوا وما عسى ان يكون مذهب قوم اجتمعوا على ترك الدنيا واخلاقها
لهم محلا جعلوا له حوارقا مواير فضوت حوالم وسواحروك من دين الكفار وعبادة العجل على ما بايي
قوله تعالى هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة ابو قال بعضهم لبعض هؤلاء قومنا ابوا الا عبادة
وبلزنا عبدوا الاصنام تقليدا من غير حجة لولا ان في هذا ان نتوب عليهم بسلطان بين اي بحجة على
عبادتهم الصنم ودليل عليهم راجع الى الالهة اي هلا اتوا عليهم بينة على الاصنام في كونها الهة فتقولهم لو
تخصيص بمعنى التعجيز واذا لم علمهم ذلك لم يجب ان يكون بالنسبة الى دعواهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم
قيل هو من قول الله لهم ابو واذ اعتزلتموهم تاوا الى الكهف وقيل هو من قول بعضهم لبعض
مليخا فيما ذكر ابن عطية وقال المرزوق رئيسهم مكسلمينا قال لهم ذلك ابو اعتزلتموهم واعتزلتم
ما يعبدون ثم يستثني وقال الا الله ابو انكم لم تتركوا عبادته وهو استثناء منقطع قال ابن عطية
وهذا هو الظهور ان الدين قد اصل الكهف منهم ابو بمرئ الله ولا علم لهم به وانما يعتقدون الاصنام
في الوهم فقط وان ارضنا انهم يرون الله كما كانت العرب تفعل لكنهم مشركون اصنامهم معه في
العبادة الا استثناء متصل اذا اعتزال وقع في كل ما بعد الكفار الا في جهة الله وفي مصحف عبد
الله بن مسعود وما يعبدون من دون الله قال فقد ذهذا التفسير هما تلك ويدل على هذا ما ذكره
ابو نعيم الحافظ عن عطا الخراساني في قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله قال كان
فتية من قوم يعبدون الله ويعبدون معه الهة فاعتزلت ما عزلت الفتية عبادة تلك الالهة ولم
تعتزل عبادة الله ابن عطية ويلي ما قالت فرقة تكون الا بمنزلة غير وهام قوله وما يعبدون الا الله
في موضع نصب عطفا على الضمير في قوله اعتزلتموهم هذه الاية ان بعضهم قال لبعض اذا فارقنا
الكفار وانزوينا بالله تعالى فليجعل الكهف ما وى ويتكل على الله فانه سيبسط لنا رحمته وينشر لنا
عليها ويهيئ لنا من امرنا مرفقا وهذا كله دعا لحب الدنيا وعلى تقية كانوا من امر الله في امرهم وقال ابو
جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه كان اصحاب الكهف صاقلة واسم الكهف حموم مرنقا قرب
بكسر الميم وفتحها وهو ما يرتفق به وكذلك مرتفق الانسان ومرفقه ومنهم من يجعل المرفق بفتح الميم
الموضع كالمسجد وبما لكسر الآلة كالمحمل والمرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وبما لكسر الآلة بعد
قوله تعالى وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ابو تزيغ انها الخاطب
الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم والمعنى انك لو رايتهم لرايتهم كذا الا ان الخاطب راجع على
التحقيق وتزاور وتحمي وتميل تزاور وازور الزور الميل والازور الاعوج العين المايل النظر الى ناحية وستعمل
في غير العين كما قال ابن ابي ربيعة وحتى حسبت النوم ازور ومن اللفظة قول عمرة ثار ورمز وقع الفتا
لبانه وفي حديث عروة موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا
عن سرير جعفر وزيد بن حارثة وتزاور اهل الحرمين وابو عمرو تزاور وزيادة عام التاي الزاي والاصل
تتزاور وتزاور وتزاوروا عاصم وحمزة والكسائي تزاور مخففة الزاي وتزاور ابن عامر تزور وميل عمرو وحكى
الوا تزوار ومثل عمار كلها بمعنى واحد اذا عربت تقرضهم قرا الجمهور بالتاء على معنى تتركهم قاله مجاهد
وقال قتادة تدعهم المحاسن وهذا معروف في اللغة حكى اليعربون ابو يقال قرضه بقرضه اذا تركه

والمعنى انهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة كرامة لهم وهو قول ابن عباس يعني ان الشمس اذا طلعت مالت عن كهفهم ذات اليمين اي عن الكهف واذا غربت تزبرهم ذات الشمال اي شمال الكهف بلا تصيبهم لا في ابتداء النهار ولا في آخره وكان كهفهم مستقبل بنات نعش في ارض الروم وكانت الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة وجارية لا تلفحهم لتوديهم حرها وتتغير ألوانهم وتبلى ثيابهم وقد قيل انه كان لكهفهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة الدبور وهم في زاويه وذهب الزجاج الى ان فعل الشمس كان اية من الله دون ان تكون باب الكهف اي جهة توجب ذلك وفرات فرقة تقرضهم بالمهملة من القرض وهو القطع اي تقطعهم عن الكهف بظله من صور الشمس وقد قيل واذا غربت تقرضهم تتيسر بينها منها ما خوذ من قراضة الذهب والقضة اي تقطيعهم الشمس اليسير من شعاعها وقالوا كان في مسها لهم بالعشي اصلاح لاجسادهم وفي الجملة فالاية تدل ذلك ان الله تعالى اراهم الما الكهف هذه صفته الى كهف اخر ما دون فيه بانبساط الشمس عليهم في معظم النهار وعلى هذا فيحتمل ان تكون صرف الشمس عنهم بانظلال عام او بسبب اخر والمقصود بيان حفظهم عن تطرق البلاء لهم بالابدان والالوان اليهم والمادي لحرارة وبرد وهم في فجوة منه اي متسع الكهف والفجوة المتسع وجمعها فجوات وتجاعيل ركوة وركاء وركوات وقال الشاعر ركب ملانا كلواد وفجوة رحالها وحلا عن بيل واعزل اي كانوا كذلك تصديقا لهذا الخواذلك من ايات الله لطفا بهم وهذا يقوي قول الزجاج وقال اهل التفسير كانت اعينهم مفتوحة وهم نايمون وكذلك كان الرائي يحسبهم ايقاظا وقيل يحسبهم ايقاظا لكثرة تقلبهم كالمستيقظ في مضجعه وايقاظا جمع يقظ ويقظان وهو المتنبه وهم رقود كقولهم هم قوم ركوع وسجود وقعود توصف الجمع بالمصدر ولتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال ابن عباس لما كل الارض لحومهم قال ابو هريرة كان لهم في كل عام تقليبتان وقيل في كل سنة مرة وقالت فرقة انما قلبوا في التسع الاواخر وانما خص التثليث فلا وظاهر كلام المفسرين ان التقليب كان من فعل الله وجوز ان يكون من ملك بامر الله فيضاف الى الله تعالى وقوله وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد تقدم اربع مسايل الاولى قوله تعالى وكلبهم قال عمر بن دينار انما احد على العرب ان لا تصر احدا ليلة واشاره صلى على نوح وان فيما الحق على الكلب ان لا يطرد من حل عليهم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد اكثر المفسرين على انه كان كلب حقيقة وكان لصيد احدهم او لزرعه او غنمه على ما قال متقاتل واختلف في كونه اختلافا كثيرا ذكره الثعلبي تحصيله اي كون ركبت اصبب حتى قيل كون الحجر وقيل كون العصا واختلف ايضا في اسمه فعن ربان بن عباس قطمير الاولى بن عبد الله بن سلام بسطه كعب صهبا وهب بسي وقيل قطمير ذكره الثعلبي وكان اسم الكلب حابرا في وقتهم كما هو عندنا اليوم حابر في شرعنا وقال ابن عباس لهربوا ليلا وكانوا سبعة رعاة فراع معه كلب فتبعهم على دينهم وقال كعب مروا بكلب فنبح لهم فطردوه فعاد فطردوه فعاد فطردوه فرأى انقام الكلب على جليسه ورفع يديه الى السماء كهيئة الداعي فنطق فقال لا تخافوا مني انا احب احبار الله الثانية روى الصحيح عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا الا كلب صيد او ماشية ينقص من اجره كل يوم قيراطان وروي الصحيح ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ كلبا الا كلب ماشية او صيدا او زرع انتقص من اجره كل يوم قيراط قال الزهري وذكر ابن عمر قول ابي هريرة فقال يرحم الله ابا هريرة كان صاحب زرع فقد دلت السنة الثانية على اقتناء الكلاب للصيد والزرع والماشية وحمل النقص من الاجر من اتخاذها على غير ذلك من المنفعة اما لترويع الكلب المسلمين ووسوسته عليهم بلباحه او لمنع دخول الملايكة البيت او لمخالفة السنة على ما يراه الشافعي اوله وبحسب النهي عن ما لا منفعة فيه والله اعلم وقال في احرى الروايتين قيراطان وفي الاخرى قيراط وذلك يحتمل ان يكون في نوعين من الكلاب احدهما اشد اذى من الاخر كالاسود البهيم امر النبي عليه السلام بقتله فلم يدخله في الاستثناء حين نهى عن قتلها كما هو منصوص في حديث جابر اخرجه الصحيح وقال عليكم بالاسود البهيم وفي البيقظتين وانه شيطان ويحتمل ان يكون ذلك لاختلاف المواضع فيكون ممسكة بالمدينة مثلا وبمكة ينقص قيراطان وبغيرها قيراط والله اعلم الثالثة وكلب الماشية المباح اتخاذه عند مالك هو الذي يسرح معها لا الذي يحفظها في الدار مثل السراق وكلب الزرع هو الذي يحفظها من الوحوش في الليل او بالنهار من السراق وقد اجاز غير مالك اتخاذها لسراق الماشية والزرع وقد تقدم في المايدة من احكام الكلاب ما فيه كفاية والحمد لله الرابعة قال ابو عطية وحدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت ابا الفضل الجوهري في جامع مصر يقول على منبر وخطه سنة تسع وتسعين واربعمايه ان من اجب اهل الجنة يوم القيامة تركتهم كلب اجب اهل مصر فضل وصحبهم تذكره الله لحكم تتنزل له سلف اذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا فحسنة وخاطبته الصلحا والاولياء حتى اجرا الله تعالى بذلك في كتابه حكاية عن الله تعالى فاطلعنا بالمومنين الموحدين المخالطين للاولياء والصالحين بل في هذا تسلية وامن للمومنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للنبي

صلى الله عليه وسلم وآله خيرا لما روى الصحيح عن انس بن مالك قال بينا انا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خارجان من المسجد فلسا رجل عند سدة المسجد فقال يا رسول الله متى الساعة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها قال فكان الرجل اسكان ثم قال يا رسول الله ما اعددت لها كبير
صلاة ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال فانت مع من احببت في رواية قال انس فما فرحنا
بعد الاسلام فرحا اشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم فانك مع من احببت قال انس فانا احب الله
ورسوله وابا بكر وعمر فارجو ان اكون معهم وان لم اعمل باعمالهم قلت وهذا الذي يمسك
به انس يسمل من المسلمين كل ذنب يسير فلذلك تفلتت اطماعنا بذلك وان كنا مقصرين نرجو ان رحمة ربنا
الرحمن وان كنا غير مستاهلين كلب احب قوما حشرنا الله معهم فكيف بنا وعندنا عقد الايمان وكلمة
الاسلام وحب النبي عليه الصلاة والسلام ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وقالت فرقة لم يكن كلبا حقيقة وانما كان احدهم
وكان قد قعد عندنا بمنزلة طبيعة لهم قاله ابن عطية ما ذكر هو صلاحها موضعه وانما تاخر عن موضعه
كاسمى النجم التابع للجوزا كلبا لانه منها كالكلب من الانسان ويقال كلب الجبار قاله ابن عطية فسمي باسم
الحيوان الملازم لذلك الموضع كاسمى النجم التابع للجوزا كلبا اما ان هذا القول بضعفه ذكر بسط
الذراعين فانها في الوف من صفة الكلب حقيقة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبسط احدكم
ذراعيه انبساط الكلب وقد حكى ابو عمر والمطرز في كتاب الموافيت انه ترب وكالبهم باسط ذراعيه
فيحمل ان يريد بالكالي هنا الرصد على ما روى اذ لبسط الذراعين والقصوص بالارض مع رفع الوجه
للتطلع انما هو الرمة المسجى بنفسه ويحمل ان يريد بالكالي الكلب وتراجمة ابن محمد الصادق
وكالبهم بمعنى صاحب الكلب قوله تعالى باسط ذراعيه اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لانه حكاية
حال ولم يقصد الاخبار عن فعل الكلب والذراع من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى ثم قيل لبسط
ذراعيه لطول المدة وقيل نام الكلب وكان ذلك من الايات وقيل نام منفوح العين والوصيد الفناء قاله
ابن عباس ومجاهد وابن جبير الى فناء الكهف وصايد ووصيد وقيل الباب وقال ابن عباس ايضا والضحاك
بارض فضاء لا بسد ووصيدها على وعمر وقتي لها خبر منكر وقد تقدم وقال عطاء عتبة الباب
والباب الوصيد هو المغلق وقد اوصدت الباب واصدته ايا اغلقته والوصيد لسان المتقاربة
الاصول فهو مشترك والله اعلم قوله تعالى لو اطلعت عليهم لولوا منهم فرارا الجمهور بكسر الواو والاعمش ويحيى
ابن وثاب بضمها لو ليت منهم لولوا ايه لو اشرفت عليهم لقربت منهم ولملئت منهم رعبا ايه خلقتهم
الله تعالى ذا الرعب واكبتهم من الهيبة وقيل لوحشة مكانهم وكانهم اوامهم الله الى هذا المكان
الوحش الظاهر ليفر الناس عنهم وقيل كان الناس يحجبون عنهم بالرعب لا يجسر احد منهم على الدنو
اليهم وقيل انوارهم لطول شعورهم واظفارهم ذكره المهدوي والنحاس والزجاج والتشبيب
وهذا يبعد انهم لما استيقظوا ظنوا انهم بعض ليلتهم يوما او بعض يوم ويدل هذا على ان
شعورهم واظفارهم كانت كحالها الا ان يقال انما قالوا ذلك قبل ان ينظروا الى اظفارهم ولا
وشعورهم قال ابن عطية والصحيح انهم ان الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها ولم يعرض
فيهم اية فلم يبل لهم ثوب ولم تغير صفة ولم ينكر انا هض الى المدينة الا معالم الارض دانيا ولو كانت
في نفسه حالة ينكرها لكانت عليه لهم وقد انا فع وابن كثير وابن عباس واهل مكة والمدينة لما لبثتم منهم
بتشديد اللام على تضعيف المبالغة اي مكثتم ثم ملبث وقرا الباقون لبثت بالتخفيف
والتخفيف اشهر في اللغة وقد جاء التثقيل في قول الجعيد السعدي ولا قد النعمان
بالناس محرما فملى مركب بزعوف سلاسله ● وقرا الجمهور رعبا باسكان العين وقرا بضمها
ابو جعفر قال ابو حاتم هما لغتان وقرا رعبت على ما لم يسم فاعله رعبا منصوبا لانه او تمييزا هو
قوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم اسمك التحريك عن سكون والمعنى كما ضربنا
على اذانهم وقدنا هم هدى وكما نومناهم ايضا ايقظناهم من نومهم على ما كانوا عليه
من هيآتهم في تباينهم واحوالهم قاله الشاعر وفتية قد بعثت سحرة فتقاموا جميعا بين
عاتب وستوان اي ايقظت واللام في قوله ليتساءلوا لام الصيرورة وهي لام العاقبة كقوله
ليكون لهم عدوا وحزنا فبعثهم لم يكن لاجل تساءلهم قوله تعالى قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم وذلك انهم دخلوا عدوة وبقيهم الله تعالى الى اخر النهار فقال قائلهم منهم كما وكم لبثتم
الله اعلم بالمدة قوله تعالى فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فليأتكم بطعام ايها ازكى
قال ابن عباس كانت ورقهم كاحداث الربع ذكره النحاس وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي
وحفص عنها بورقكم بكسر الراء وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم بورقكم بسكون الراء حذفوا
الكسرة لثقلها وهما لغتان وقرا الزجاج بورقكم بكسر الواو وسكون الراء وبروقكم انتهوا ●

جياعا

جياعا وان المعهود ملبحا كان اصعرهم فيما ذكر العزى والمدينة افسوس وتيا دمحطرسوس وكان
اسمها فجا لحا هلية افسوس فلما جاء الاسلام سموه طرسوس وقال ابن عباس كان معهم دراهم عليها
صورة الملك الذي كان في زمانهم الثانية قوله تعالى فلينظر ايها ازكى طعاما قال ابن عباس اجل
ذبيحة لان اصل طعامهم كانوا يذبحون على اسم الصنم وكان فيهم قوم يخفون ايمانهم ابن عباس كان
عامتهم مجوسا وقيل ازكى طعاما اى اكثر بركة قيل انهم امروه ان يشتري ما يظن انه طعام اثنين او
ثلاثة لبلا يطلع عليهم ثم اذا طبخ كفى جماعة ولهذا قيل ذلك الطعام الارز وقيل كان تمرا وقيل
تمرا ولبنا والله اعلم وقيل ازكى اطيب وقيل ارخص ثم بينوا انكم برزق منه اى تقوت وليتلطف ايليج دخول
المدينة ولا يشعرن بكم احدا اى لا يخبرن وقيل ان ظهر عليه فلا يرفعن اخوانه فيما وقع فيه
ان يظهروا عليكم يرجموكم قالوا لو حاجوه معناه بالمجازاة ولصاحب العمل وقيل برموكم بالسبت
والتبسيم والاول اصح لانه كان حراما على ملتهم كما نلتزم نحن تعظيمهم والرحم فيما سلف هي كانت
على ما كرقبله مخالفة دين الناس اذا مشى بحمله اصل ذلك الدين من حيث انهم ليشركون فيها
الثالثة في هذه البعثة بالورق دليل على الوكالة وصحتها وتدل على ان رب طالب اخاه عقيلا
عند عثمان رضي الله عنهما واختلاف فيهما في الجملة والوكالة معروفة في الجاهلية والاسلام الا ترى
الى عمها الرحمن بن عوف كيف وكل امية بن خلف باهله وحاسه بمكة اي يحفظهم وامية مشرك لو
والتزم عبد الرحمن امية من حفظ حاسه بالمدينة مثل ذلك مجاهرة لصيغه روى البخاري عن
عبد الرحمن بن عوف كاتب امية بن خلف كتابا بان يحفظني في عاتي بمكة واحفظه في عياله بالمدينة
فلما ذكرت الرحمن قالا ما نعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو ذكر في
الحديث قالا لا نعرفي صفة الرجل الذين يميلون اليه وبانوته وهو باطوه فرصعا يصعقوا ويصغي
اذا مال وكل مايل الى شيء وبعه فقد صغا اليه واصغى بكتابه الافعال الرابعة الوكالة عقد بيانه
ان الله سبحانه فيه للحاجة اليه وقيام المصلحة به ذلك ان للبشر كل احد عذر على تناول امواله الا بعوضة
او نحوه فتسبب من تركه وقد استدل العلماء على صحتها بايات من القرآن منها هذه وقوله تعالى
والعاملين عليها وخوله اذهبوا بقميصي هذا والامر السنة فاحاديث كثيرة منها حديث عروة البارقي
وقد تقدم في اخر الطعام وروى جابر بن عبد الله قال اردت الخروج الى خيبر فاتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت له اني اردت الخروج الى خيبر فقال ائت وكيلي فخذ منه خمسة عشر وسقا ان ابتغى منك
آية فضع يدك على ترقوته رواه ابو داود وهذا حديث في معنى هذا كثيرة وفي اجماع الامة على جوازها كفاية
الخامسة الوكالة جايزة في كل حق يكون لصاحبه فلو وكل الغاصب لم يجز وكان هو الوكيل لان كل محرم فعله
لا يكون النيابة فيه السادسة في هذه الاية نكتة بديعة وهي ان الوكالة انما كانت مع النفقة حيث
خوف ان يشعر بهم اهل ما كانوا عليه من الخوف على انفسهم وجواز توكيل ذوي العذر متفق عليه فاما من
لا عذر له بالجمهور على جوازه وقال ابو حنيفة ومحمد لا يجوز قال ابن العربي لقد كانوا بالمدينة
بالنفقة من اسرار التنزيل تحكم بها ايام وصاحبه ولعله كان فعل ذلك باهل والحر ورايضا فانهم واذا لا هم
وهو الحق فان الوكالة معونة ولا تكون لاهل الباطل قلت هذا حسن فاما اهل الدين والتغفل فلهم
ان يوكلوا وان كانوا حاضرين اصحاء والدليل على صحة جواز الوكالة للشاهد الصحيح ما خرجه
الصحيحان وغيرهما من حديث ابي هريرة قال كان لرجل على النبي صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاء يتقاضاه
فقال اعطوه فطلبوا له سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقالوا اعطوه فقال اوفيتني اوفى الله لك قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء لفظ البخاري فذكر هذا الحديث مع صحته على جواز توكيل
الحاضر الصحيح البدن قال النبي صلى الله عليه وسلم امر اصحابه ان يعطوا عنه السن التي كانت عليه
وذلك توكيل منه لهم على ذلك ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ولا مساغ لهذا لرد قول الحنيفة
وسحنون في قولهما انه لا يجوز توكيل الحاضر الصحيح البدن الا برضى خصمه وهذا الحديث خلاف
قولهما السابعة قال ابن خويز منداد تضمنت هذه الاية جواز الشركة لان الورق كان بجميعهم وتضمنت
جواز الوكالة لانهم بعثوا احدهم وكلوه بالشراء وتضمنت جواز اكل الرفقاء وخلطهم طعامهم معا وان هو
كان لبعضهم اكثر اكلا من الاخر ومثله قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم حسب ما تقدم بيانه في
البقرة وهذا قال اصحابنا في اهل الكهف يتصدق عليه فيخلط بطعام نفسه ثم ياكل معه ان كان
جايزا وقد قالوا في المضارب يخلط طعامه بطعام غيره ثم ياكل معه ان ذلك جايز ولذلك كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من اشترى له اضحية قال ابن العربي ليس في الاية دليل على ذلك
لانه يحتمل ان تكون كل واحد منهم قد اعطاه منفردا فلا يكون فيه استئذان ولا معول في هذه الا بجملة
الملة الا على حديثين احدهما ان ابن عمر مر بيوم يا كلون تمرا فقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الا قتران الا ان يستاذن الرجل اخاه الثاني حديث ابي عبيدة في سرية الخبط وهذا دون الاول

تعلية البنا الكثير على نحو ما كانت الجاهلية تفعله تفخيما وتعظيما وذلك يهدم ويزال لانه فيه
استعمال زينة الدنيا واهل منازل الاخرة وشبههم بمن كان يعظم القبور ويعبدها واعتبار هذه المعاني
وظاهر المذهب ينبغي ان يقال هو حرام والتسنيم في القبر القاعدة نذر شبرا هو نوع من سنام البعير ويرش
عليه بالماء ليلا يثير الريح وقال الشافعي لا باس ان يطين القبر وقال ابو حنيفة لا يجصص القبر ولا يطين
ولا يرفع عليه بناء ليسقط ولا باس برفع الاحجار ليكون علامة لما رواه ابو بكر الاثرم قال ما سدنا نوح
ابن دراج عن ابان بن ثعلب عن جعفر بن محمد قال كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزور
قبر حمزة بن عبد المطلب كل جمعة وعلمته دفنة ذكره ابو عمر واما الجايزة فالدفن فيما تابوت وهو جايز
لاسباع الارض الرخوة وقد كان دانيال صلوات الله عليه كان في تابوت من حجارة ويوسف
عليه السلام اوصى بان يتخذ له تابوت من زجاج ويلقى في رمله بحانة نعبد ولعل ذلك الى زمان موسى
صلوات الله عليهم اجمعين فنزلت مجهولة عليه فرفعه ووضعه في حظيرة اسحق عليه السلام وفي الصحيح
الصحيح عن سعد بن ابي وقاص انه قال في مرضه الذي هلك فيه الحدوا لي لحدا وانصبوا علي اللبن نصبا
كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم اللحد هو ان يشق في الارض ثم يحفر قبر اخر في جانب الشق من
القبلة ان كانت الارض صلبة يدخل فيه الميت ويسد عليه باللبن وهو افضل عندنا من الشق لانه الذي
اختاره الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم وبه قال ابو حنيفة قال الليث اللحد وقال الشافعي هو
الشق ويكره الاجر في اللحد وقال الشافعي لا باس به لانه نوع من الحجر وكرهه ابو حنيفة واصحابه لان الاجر
لاحكام البناء والقبر وما فيه للبلى فلا يليق به الاحكام وعلى هذا يسوي بين الحجر والاجر قالوا ويستحب اللبن
والنصب لما روى انه وضع على قبر النبي صلى الله عليه وسلم حريده طين مرطب وحكي عن الشيخ الامام ابي
بكر محمد بن الفضل الكفي رحمه الله انه جوز اتخاذ التابوت في بلادهم لرخاوة الارض وقال لو اتخذنا توابيت
من حديد لا باس به لكن ينبغي ان يفرش فيها التراب وتطين الطبقة العليا مما يلي الميت ويجعل اللبن الخفيف
على يمين الميت ويساره ليصير بمنزلة اللحد قلت ومن هذا المعنى جعل الفطيفة في قبر النبي صلى
الله عليه وسلم فان المدينة سبخة قال سعد ان انا والله طرحنا الفطيفة تحت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في القبر قال ابو عيسى الترمذي حديث سعد حديث حسن صحيح غريب قوله تعالى
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الضمير في فسيقولون يرادبه اهل السورة ومعاصري محمد صلى الله عليه
وسلم وذلك انهم اختلفوا بعد اهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص وقيل المراد به النصارى فان
فوقا منهم عصوا النبي صلى الله عليه وسلم من نجران فجرى ذكر اصحاب الكهف فقالت اليعقوبية كانوا
ثلثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم
كلبهم وقيل هو اخبار عن اليهود الذين امروا المشركين بمسئلة النبي صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الكهف والروح
في قولهم وثامنهم كلبهم طريق النحو سمعوا فعطف دخلت فاخرا خبارا عن عددهم ليعقل امرهم
ويدل على ان هذا طلبوا مما قيل ولو سقطت لصح الكلام وقالت فرقة منا لهن هالوية هي واو الثمانية
وحكى الثعلبي عن ابي بكر بن عباس ان قريشا كانت تقول في عددها ستة سبعة وثمانية فتدخل الواو
في الثمانية وحكى نحوه النقاش وقالوا ان قوما قالوا الرد ينتهي عند العرب الى سبعة فاذا اضيف الى الزيادة
عليها استونف جزاء اخر واذا دخل الواو كقوله الثايبون العابدون ثم قالوا الناهون عن المنكر ثم
والحافظون يدل على انه لما ذكر ابوابهم حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها ولما ذكر الجنة قال وفتحت
بالواو وقال اخرا منكر مسلمات ثم قالوا بكارا فاسقطت نهاية العدد عندهم كالعشرة الا ان عندنا قال
القتيبي ابو بكر وشل هذا الكلام حكم وزايد السبعة نهاية العدد عندهم ثم هو منقوض بقوله تعالى لهوا لله
الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر لم يذكر الاسم الثامن بالواو
وقال قوم ممن ضاق الى ان عدهم انما ذكروا الواو في قوله سبعة وثامنهم ليبينه على ان هذا العدد
وهو الحق والذي سمعت من اعداد الاجر التي قال فيها اهل الكتاب ولهذا قال تعالى في الجملتين المتقدمتين
بالرجما بالغيب ولم يذكره في الجملة الثالثة ولم يقدح فيها بشيء فكانه قال لنبيه هم سبعة وثامنهم
كلبهم والرجم القول بالظن يقال لكل ما يخرص رجم به ومرجوم ومرجم كما قال وما الحرب الا ما
علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم قلت فذكر الما ورديي والعربي وقال ابن جريج
ومحمد بن اسحق كانوا ثمانية وجعلا قوله تعالى وثامنهم كلبهم ابو صاحب كلبهم وهذا ما يقوي
طريق النحويين في الواو وانما كانوا قالوا وقد القتيبي لم يذكروا الواو في قوله رابعهم سادسهم ولو كان
بالعكس لكان جايزا فطلب الحكمة والعلة في مثل هذه الواو تكلف بعيد ونحو كقوله في موضع اخر
ما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفي موضع اخر الا لها منذرون ذكر بقوله تعالى قل ربي
اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل امر الله تعالى نبيه عليه السلام في هذه الاية ان يرد عليهم عدتهم اليه عز وجل ثم اخبر
انه لا يعلمه من البشر قليل وانما اراد به قوم من اهل الكتاب في قول عطا وكان ابن عباس يقول انا من ذلك

في الظهور لا يحمل ان يكون ابو عبيدة بعظيم كفارا من ذلك الفوت ولا يجمعهم عليه قلت ومما يدل
على خلاف هذا من الكتاب قول تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقوله ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا
او اشتاتا على ما يأتي بيانه ان شاء الله تعالى قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم واظهرناهم واعثر بمعنى
عثر بالهمزة واصل العثار في القدم ليعلموا ان وعد الله حق يعني امة المسلمة الذين سألوا
الكهف على عهدهم وذلك بعد ثلثمائة وتسع سنين وملك اصل ملك الدار رجل صالح
واختلفت اهل بلده في الحشر ونعت الاجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس واستبعده وقد
وقالوا انما تحشر الارواح والجسد تاكله الهوام وقال بعضهم تنبعث الروح والجسد جميعا فاذكر ذلك
على الملك ونعى صاحبه الى ربه كيف يسر امره لهم حتى لمس المسوح ويعد على الرقاد ويصرح الى
الله تعالى في حجة وبيان فاعثر الله على اهل الكهف فقال انهم لما بعثوا احدهم ليورقهم الى المدينة
ليأتيهم برزق منها استكثر سحصه واستكرت بعد العهد تحمل الى الملك وكان صالحا قد ايقن وآمن
برسله فلما نظر اليه قال لعل هذا من الفتية الذين عثروا على عهد دقيانوس الملك فقد كتب
ادعوا الله ان يبرئهم ويسأل الفتى فاخبره فسر الملك بذلك وقال لعل الله بعث اليكم آية فليسر
الى الكهف معه ركب من اهل المدينة ابهم فلما دنوا الى الكهف قال غليخا انا ادخل عليهم لئلا يرعبوا
فدخل عليهم واعلمهم الامر وان الامة امة اسلام فروى انهم سروا بذلك وخرجوا الى الملك وعظموه
وعظموا ثم رجعوا الى كهفهم واكثر الروايات على انهم ماتوا حين حدثهم غليخا مسيئة الحق على
ما يأتي ورجع من كان شك في بعث الاجساد الى اليقين وهذا معنى اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد
الله حق اي ليعلم الملك ورعيته ان القيامة حق واذ يتنازعون بينهم امرهم وانما
يستدلوا بذلك الواحد على جميعهم وهابوا الدخول عليهم فقال الملك ابنوا عليهم بنيانا قال
الذين هم على دينهم الفتية اتخذوا عليهم مسجدا وروي ان طائفة كافرة قالت نبني بيعة
ومصبعا منا نحن المسلمون وقالوا لنتخذن عليهم مسجدا وروي ان بعض القوم ذهب الى
طمس الكهف عليهم وتركهم فيه سنين وروي عن عبد الله رض ان الله تعالى اعمى على الناس جميعا
اثرهم وحجبهم عنهم بذلك دعا الى بناء البنيان ليكون سمة لهم وقيل ان الملك اراد ان يدفنهم
في صندوق من ذهب فاتاه آت منهم في المنام فقال اردتان تحملنا في صندوق من ذهب فلا تفعل
فانا من التراب خلقنا وابه نعود ندعا ونبشا هنا مسايل ممنوعة وجائزه واتخاذ المساجد
على القبور والصلاة فيها والبناء عليها الى غير ذلك مما تضمنته السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز لما
روى ابو داود والترمذي عن ابن عباس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور
والمتخذين عليها المساجد والسرج قال الترمذي وفي الباب عن ابي هريرة وعائشة حديث ابن عباس
حديث حسن روى الصحيحان عن عائشة وام حبيبة وام سلمة ذكرنا كنيسة رأيناها بالحبشة فيها
تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك اذا كان
فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله تعالى
يوم القيامة لفظ مسلم اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة لفظ مسلم قال علماؤنا وهذا اكرم على
المسلمين ان يتخذوا قبور انبيائهم وعلمائهم مساجد روى الائمة عن ابي مرثد الغنوي قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها لفظ مسلم اي لا تتخذوها
قبلة فتصلوا اليها او عليها كما فعل اليهود والنصارى فيودي الى عبادتهم فيها كما كان السبب
في عبادة الاصنام تحذير النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وسد الذرائع المؤدية الى ذلك فقال
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد وروى الصحيحان عن عائشة
وعبد الله بن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا
اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم
مساجد يحذر ما صنعوا وروى مسلم عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجصص القبر وان
يقعد عليه وان يبنى عليه وخرجه ابو داود والترمذي ايضا عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يجصص القبور وان يكتب عليها وان يبنى عليها وان يوطأ قال الترمذي هذا حديث
حسن صحيح وروينا بالاسناد الصحيح عن الحاكم ابي عبد الله الحافظ في كتابه المدخل قال قال الشيخ ابو محمد
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادع شيئا الا طمسته ولا تمثالا الا سويته في رواية ولا صورة
الا طمستها واخرجه ابو داود والترمذي قال علماؤنا طاهر منع تسنيم القبور ورفعها وان تكون لا صفة
وقد قال به بعض اهل العلم وذهب الجمهور الى ان هذا الارتفاع المأمور بازالته هو ما زاد على التسنيم
وسنى القبر ما يوف به ويكرم وذلك صفة قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه رضي الله عنهما
على ما ذكر مالك في الموطأ وقبر نبينا آدم صلى الله عليه وسلم على ما رواه الدارقطني من حديث ابن عباس وانا

القليل كانوا سبعة وثامنهم كلبهم ثم ذكر السبعة باسمائهم والكلب اسمه قطمير كلب اسمر فوق القطمير
دون الكردوس قال محمد بن سعيد بن المسيب هو كلب صيد والضحاك ابن مزاحم والكلبي بنيسابور محدث لا اكتب عن هذا الحديث امر تفرد به قال وكنيته ابو عمرو والحزن في قوله تعالى
للناس فيهم امرا ظاهرا اي لا تجادل في اصحاب الكهف الا بما اوحيناه اليك وهو رد علم عدتهم
الى الله تعالى وقيل معنى المرا الظاهر ان تقول ليس كما يقولون وكوضوا ولا تحتج على امر مقدر
في ذلك وفي هذا دليل على ان الله تعالى لم يبين لاحد عددهم فلهذا قال الا مرا ظاهرا اي ادا هما كما
قال ولذلك شكاه ظاهر عنك عارضا ولم يجز في هذه الاية ان تماري ولكن الامر استعارة ثم جيء
تمار به اهل الكتاب سمت مراجعتهم لهم مراء ثم قيد بانه ظاهر فعارف المرا الحقيقي المذموم والضمير
في قوله فيهم عايد على اهل الكهف وفي قوله منهم عايد على اهل الكتاب المعاصرين وقوله فلا
تمار فيهم يعني في عدتهم وحذفت المدة لدلالة ظاهر القول عليها قوله تعالى ولا تستفت
فيهم منهم احدا روي انه لما سال نصارى نجران عنهم فنهى عز السوال وفي هذا دليل على
منع المسلمين مزماجعة اهل الكتاب في شيء مز العلم قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا الا ان يشاء الله فيه مسالتان الاولى قال العلماء عاتب الله تعالى نبيه عليه السلام على قوله
للكفار حين سالوه عز الروح والفتية وذي القرنين غدا اخبركم بجواب اسولتكم ولم يستثن
في ذلك فاحبس الوحي عنه خمسة عشر يوما حتى شق ذلك عليه وارجف الكفار به فنزلت هذه
السورة مؤجبة وامر في هذه الاية ان لا يقول لشيء امر الامور اني افعل غدا كذا الا وان
يتصل ذلك بمشيئة الله عز وجل حتى لا يكون محققا لحكم الخبر فانه اذا قال لا فعلن ذلك ولم يفعل
كان كاذبا واذا قال ان شاء الله خرج عز ان يكون محققا للخبر عنه واللام في قوله الشيء عز لتبيين
في او كانه قال واجل شيء الثاني نفسه قال ابن عطية وذكر الناس في هذه الاية في الاستثناء في اليمين واية
ليست في الايمان وانما هي في سنة الاستثناء غير اليمين وقوله الا ان يشاء الله في الكلام حذف
يقتضيه الظاهر وحسنه الجاز تقديره الا ان يقول الا ان لشا الله او الا ان يقدر ان شاء الله
فالمعنى الا ان تذكر مشيئة الله فليس الا ان يشاء الله من القول الذي نهى عنه قلت ما اختاره ابن
عطية وارتضاه هو قول الكسائي والفراء الا حنش وقال الطبري يرجع المعنى الا بمشيئة الله فاذا قال
الانسان انا افعل هذا ان شاء الله فمعناه بمشيئة الله قال ابن عطية وقالت فرقة الا ان يشاء الله استثنا
من قوله ولا تقولن قال هذا قول ضعاه الطبري ورد عليه وهو من الفساد بحيث كان الواجب ان
لا يحكى وقد تقدم القول في الاستثناء باليمين وحكمه في المايدة قوله تعالى واذكر ربك اذا
نسيت فيه مسالة واحدة وهو الامر بالذكر بعد النسيان واختلف في الذكر الماموربه فقيل
هو قوله وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا قال مجاهد الكوفي المفسر انما هو الفاظ بها امر ان يقولها كلما نسي ولم يستثن وانما كفارة لنسيان الاستثنا وقال الجمهور هو ما امر به من هذا التخصيص وقيل
هو قوله ان شاء الله الذي كان نسيه عند يمينه حكى عز ابن عباس ان نسي الاستثناء ثم ذكر ولو بعد
سنة لم يحنث ان كان حالفا وهو قول مجاهد وحكى اسماعيل بن اسحق عن ابي العالية في قوله تعالى
واذكر ربك اذا نسيت قال يستثني اذا ذكر الحسن بن وام في مجالس الذكر ابن عباس يستثني ذكره
العربي قال ويحمل على تارك الترك لا استثنا للتخلص عز الاثم فاما الاستثنا المقيد حكما فلا يصح
الا متصلا النسق بالكلام كله صلاة نسيتها اذا ذكرها وقيل استثنى باسمه لئلا ينسى وقيل اذكره متى
نسيته نسيانا اذكره تذكرته له وقيل اذكره اذا نسيت غيره او نسيت نفسك تلك حقيقة الذكر
وهذه الاية تحاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي استفتاح كلام على الاصح وليست الاستثنا في
اليمين بشيء ومعنى بعد نوحيها اليه لانه حكم يتردد في الناس لكثرة وقوعه والله الموفق قوله تعالى
ولبثوا في كهفهم الاية هذا خبر من الله تعالى عز مدة لبثهم وفي قراءة ابن مسعود وقالوا لبثوا قال
الطبري ان بني اسرايل اختلفوا فيما مضى بينهم من المدة فبعث الاعثار عليهم الى مدة النبي صلى الله عليه
وسلم فقال بعضهم انهم لبثوا ثلثمايئة سنة وسبع سنين فاخبر الله تعالى نبيه ان هذه المدة و
ان كونهم نياما وانما بعد ذلك مجهول للبشر فامر الله تعالى ان يرد علم ذلك اليه قال ابن عطية
قول على هذا لبثوا الا دليل في لزوم الكهف ولبثوا الثاني يريد بعد الاعثار الى مدة محمد
صلى الله عليه وسلم اوالى وقت عدتهم بالفعل مجاهد الى وقت نزول القران الضحاك الى ان ماتوا
وقال بعضهم انه لما قالوا واذ دادوا تسعا لم يدر الناس اي ساعات ام ايام ام جمع ام شهور ام اعوام
واختلف بنو اسرايل بحسب ذلك فامر الله تعالى برد العلم اليه في التسع هي على هذا منها وظاهر
كلام العرب المعهود منه انها اعوام والظاهر من امرهم انهم قاموا وداظوا الكهف بعد عيسى بيسير
وقد بقي من الحواريين بقية وقيل غير هذا على ما ياتي قال النقاش لبثهم من السبع تسع لبال وتسع

ساعات لشوق ذكر السنين كانه يقول لعندي مائة درهم وخمسة والمفهوم منه خمسة دراهم وقال
ابو علي وافوه اراد ولبثوا في كهفهم ثلثمائة
قالوا سنين ام شهورا ام اياما فانزل الله تعالى جل وعز سنين وحكى النقاش ما معناه انهم لبثوا للثمانية
سنة شمسية بحساب الايام فلما كان الاخبار هنا للنبي العربي ذكر التسع اذ المفهوم عنده من تلك
السنين القمرية وهذه الزيادة هي ما بين الحسابين ونحوه ذكره الفزاري اي باختلاف شي الشمس والقمر
انه يتقارب في كل ثلاث وثلاثين سنة ستة فتكون في ثلثمائة تسع سنين وقرا الجمهور
ثلثمائة سنين بتنوين مائة ونصب سنين على التقدم والتاخير اي سنين ثلثمائة فيقدم الصفة على
الموصوف فتكون سنين على هذا بدلا وعطف بيان وقيل على التفسير والتمييز وسنين في موضع
سنة وقرا حمزة والكسائي باضافة مائة الى سنين وترك التنوين كانهم جعلوا سنين بمنزلة سنة
او المعنى بمائة واحد قال ابو علي هذه الاعداد التي تضاف في المشهور الى الاحاد نحو ثلثمائة رجل وثوب
تدبضان الى الجموع وفي مصحف عبد الله ثلثمائة سنون بالواو وقرا ابو عمرو
كلاهما تسعا بنصب التاء وقرا الجمهور بكسرها وقال الزجاج والكسائي وابو عبيدة التقدير ولبثوا في كهفهم
سنين ثلثمائة قوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا قيل لمحمد موتهم الى نزول القرآن فيهم على قول
مجاهد والحسن قالوا على قول الضحاك او الى وقت بعثهم الذي على ما تقدم وقيل بالبثوا في الكهف
وهي المدة التي ذكرها الله تعالى عن اليهود ان ذكروا زيادة ونقصانا اي لا يعلم علم ذلك الا الله او
من علمه ذلك له غيب السموات والارض قوله تعالى ابصر به واسمع اي ما ابصره واسمعه قال قتادة
اصر ابصر بالله واسمع وهذه عبارات عن الادراك وتحملات تكون المعنى ابصره اي بوجه ما
وان ما هو اك وتحكمك والحوز الامور واسمع به العالم فيكون امرا على وجه التعجب وقيل المعنى
ابصرهم واسمعهم ما قال الله فيهم ما لهم من دونه من دوني اي لم يكن اصحاب الكهف ولي يتولى حفظهم
دون الله وتحتمل ان يعود الضمير في لهم على معاصري محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار والمعنى ما
لهما ولا المختلفين في مدة لبثهم ولي دون الله يتولى تدبير امرهم فكيف يكونون اعلم منه وكيف
يتعلمون من غير اعلامه اياهم قوله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا وقرئ بالتاء ودخول الكاف على
معنى المخبر عن الله تعالى وقرا ابن عامر والحسن وابو رجاء وقتادة والجحدري ولا تشرك بالتاء من فوق
والسكان الكاف على جهة النبي صلى الله عليه وسلم ويكون قوله ولا يشرك عطفا على قوله ابصر واسمع
وقرا مجاهد ولا تشرك بالياء من تحت والجزم قال يعقوب الاعرج وجميع مسئلة اختلف في اصحاب الكهف
هل ماتوا او قتلوا ام هم نيام واجسادهم محفوظة فروي عن ابن عباس انه مر بالشام في بعض غزواته مع
ناس على موضع الكهف وجبله فسئل الناس معه اليه فوجدوا عظاما فقالوا هذه عظام اصحاب
الكهف فقال لهم ابن عباس لقد كنتم قوما فنوا وعدموا منذ مدة طويلة فسمعه راهب فقال ما كنت
احسب ان احدا من العرب يعرف هذا فقبل له هذا ابن عم نبينا صلى الله عليه وسلم ودون قرابة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تحزن عيسى بن مريم ومعه اصحاب الكهف انهم لم يحزنوا بعد ذكره ابن عطية
قلت ومكتوب في التوراة والانجيل ان عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وانه يمر بالرها حيا
او معمرا ويجمع الله له ولك فيجعل الله حواريه اصحاب الكهف والرقيم فيمرون محاجانا نهم لم
يحجوا ولم يموتوا وقد ذكرنا هذا الخبر بكماله في كتاب التذكرة فعلى هذا هم نيام ولم يموتوا الى يوم
القيامة لم يموتوا قيل الساعة قوله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته
قيل من تمام قصة اصحاب الكهف اي اتبع القرآن ولا مبدل لكلمات الله ولا خلف فيما اخبر به من
قصة اصحاب الكهف وقال الطبري لا مغير لما اوعد بكلماته اهل معاصيه والمخالفين بكتابه ولن تجد
انت من دونه ان لم تتبع القرآن وتخالفه ملتحدا اي ملجا وقيل موئلا واصله من الميل ومن لحد انما
فقد مال اليه قال الفشيري باب ملجا وقيل موئلا واصله الميل ومن لحد فقد مال اليه قال الفشيري
ابو نصر عبد الرحيم وهذا آخر قصة اصحاب الكهف وعاش معاوية عروة المصحف والروم وكان
معه ابن عباس فانتهى الى كهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فينظر
اليهم فقال ابن عباس قد منع الله من هو خير منك عز ذلك فقالوا لو اطلعت عليهم لولبت منهم فرارا
فقال انتهى حتى اعلم علمهم ونعم قوما لو ذلك فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى عليهم ريحا فاخرجتهم
ذكره الثعلبي ايضا وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم سال الله ان يريه اياهم فقال انك لن ترى احدا
في الدنيا ولكن ابعث اليهم الرقيم من خبار اصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام كيف ابعثهم فقال ابسط كسائك واجلس على طرف
منه واخبره انه ابو بكر وعلى الطرف الاخر عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع علي بن ابي طالب ثم ادع الريح الرخا
المسخرة لسليمان فان الله تعالى يامرها ان تطيعك ففعل فحملتهم الريح الى باب الكهف ففعلوا منه حجرا

اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ايها الناس من ربكم الحق ناتيها التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء فيوسر ويضل من يشاء فيكسر ليس الى من ذلك شيء فالسعيد من يشاء والحق من يشاء وان كان ضعيفا والكريم من يشاء وان كان قويا عاتيا وليست نطاق المومنين لهواكم فان شئتم فامنوا وان شئتم فاكفروا وليس هذا بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد وتهديد بان الظالمين ابى الكافرين الجاحدين نارا احاط بهم سرادقها فاذا الجوهري السرادق واحد السرادقات التي عند قبور صحن الدار وكل بيت من كرسف فهو سرادق قال رويشد * ياحكم بن المنذر الكاردوس سرادق المجد عليك ممدود * يقال بيت مسردق وقال سلامة بن جندل يذكر درعا وروى وسلة النعمان بن المنذر يحارجل الغيلة * هو المدخل النعمان بيتا سماه صدره الغيول لعدي بيت مسردق * وقال ابن الاعرابي سرادقها وعن ابن عباس حايط من نار الكلبي عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة يعني السرادق الحجرة التي يكون حول الفسطاط وقال ابن عرعرة وقيل لهود حائط يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الذي ذكره الله تعالى في سورة المرسلات حيث يقول انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقوله وظل من يحموم قال قتادة وقيل انه البحر المحيط بالدنيا وروى يعلى بن امية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البحر هو جهنم ثم تلى نارا احاط بهم سرادقها ثم قال والله لا ادخلها ابدا ما دمت حيا ولا تصيبني منها قطرة ذكره الماوردي وخرج ابن المبارك من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السرادق النار ارفع حرف كيف كل حدار مسيرة اربعين سنة وخرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حسن صحيح غريب قلت وهذا يدل على ان السرادق ما علوا الكفار من دخان او نار وحدة وما وصف قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه قال ابن عباس المهل ما غلظ مثل درديء الزيت مما هد النحاس والرصاص والحديد اسود وان جهنم لسوداء وما وها اسود وشجرها اسود وكل اهلها سود وقال ابو عبيدة هو كل ما اذيب من جواهر الارض من حديد ورصاص ونحاس وقزدير فتموج بالعذاب ذلك المهل وكوه عن ابن مسعود قال سعيد بن جبير هو الذي انتهى حره وقال المهل ضرب من القطران يقال لدهن الورد المهل ومهول وقيل هو السم والمعنى في هذه الاقوال متقارب وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قربه الى وجهه قال ابو عيسى هذا حديث انما نعرفه من حديث رشد بن سعد ورشد بن سعد قد تكلم فيه من قبل حفظه وخرج عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادنى منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم يقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا قال حديث غريب قلت وهذا يدل على صحة تلك الاخوال وانها مرادة والله اعلم وكذلك نص عليها اهل اللغة في الصحاح المهل الخاثر من الزاب ابن الاعرابي المهل المرداسي الرصاص وقال ابو عمرو المهل درديء الزيت والمهل ايضا القيح والصديد وفي حديث ابي بكر الدقلي لم تزل هاتين هاذين فاتهما المهل والتراب ومرتفقا قال مجاهد مجتمعا كانه ذهب الى معنى المرافقة ابن عباس متكئا عطاء مفترشا وقيل هما واحد وقال الفتبي والمعنى متقاربة واصل المرتفق المتكا يقال مرتفقت ابي اتكات على المرفق قال الشاعر * قالت له وارتفقت الافق سوف باتوم غير الان نصطحا * ويقال ارفق الرجل اذا نام على مرفقه لابي نبيه يوم قال ابو ذويب الهذلي * نام الخلي وتت الليل مرتفقا كان عينيها الصاب عصارة تلمح قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر احسن عملا من احسن عملا من غير المومنين فعمله محبوط وعمله ذهب على التمييز وان شئت بالنعاع احسن عليه وقيل انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام معترض والخبر قوله اولئك لهم جنات عدن وجنات عدن مرة الجنة ابو سطها وسايرها حفتها وذكر بلفظ الجمع لسعتها او لان كل بقعة منها يصلح ان تكون جنة وقيل العدن الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الابل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه ومنه جنات عدن اي جنات اقامة ومنه سمي المعدن بكسر الدال لان الناس مقيمون فيه بالصيف والشتاء ومركز كل شيء معدنه والمعادن الناقة المقيمة في المرعى وعدن بلد قاله الجوهري تجري من تحتهم الانهار تتقدم في غير موضع يجلون فيها من اساور من ذهب وهو جمع سوار قال سعيد بن جبير على كل واحد منهم ثلاثة اسورة واحد من ذهب واحد من ورق واحد من لولو قلت هذا منصوص في القرآن قال هنا من ذهب وقال في الحج وفاطر من ذهب ولولو وفي الانسان من فضة وقال ابو هريرة سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الوصور من المومن حيث يبلغ الوضوء خرجه مسلم وحلي الرجل يحلون بفتح الياء وسكون الحاء وفتح اللام خفيفة يقال حليت المراة تحلى هي حالية اذا البست الحلي دخل الشيء بعضه في بعض ذكره الجوهري والسوار سوار المراة وجمع اسورة وجمع الجمع اساورة وثوب ملوى التي عليه اساورة من ذهب وتدبكون جمع اسورة قال

محل الكلب عليهم فلما راهم حرك راسه ويصبصر بذنبه واوما اليهم براسه ان ادخلوا فدخلوا الكهف
فقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله تعالى عليهم ارواحهم فقاموا باجمعهم وقالوا عليكم
السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا معشر الفتية ان النبي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرا عليكم
السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم يا البلهتم وقبلوا دينه
واسلموا ثم قالوا اقرؤا محمدا رسول الله منا السلام واخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى اخر
الزمان عند مروج المهدي فيقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله ثم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون
حتى تقوم الساعة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان منهم ثم ردتهم الرجح فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كيف وجدتموهم فاخبروه بالخبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تفرق
بيني وبين اصحابي وانصاري واغفر لي احي واجب اهل بيتي وخاصتي واصحابي قبل اصحاب الكهف
دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر الله تعالى المسيح بكرهم ثم نعتوا به نجي البشرة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه
عليهما وسلم وقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وان موسى ذكرهم في التوراة وهذا سالت اليهود رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل دخلوا الكهف بعد المسيح فالله اعلم ان ذلك كان قوله تعالى
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي هذا متصل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي في سورة الانعام وتمر معنى الكلام فيه روى سلمان الفارسي رضي الله عنه جاء المؤلفة
قلوبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصين والاقرع بن حابس فقالوا يا رسول الله
انك لو جلست في صدر المجلس ونحينا هؤلاء وارواح جبابهم يعني سلمان واباذر وفقراء المسلمين
وكانت عليهم جباب الصوف لجلسنا اليك وحادثناك واخذنا عنك فانزل
الله تعالى واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم
سرادقها سرادق بيوتها والنار قيام النبي صلى الله عليه وسلم يلفحهم حتى اذا اصابتهم في بعض المساجد
يذكرون الله قالوا الحمد لله الذي لا عمى حتى امرنا ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم
الممات تزيد فيه وجهه اي طاعته وقرا نضر بن عاصم ومالك بن دينار وابو عبد الرحمن ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي ومجيئهم انهاية الشواذ بالواو والبكاء الوب لقوله الغروة لا تسأ
معروفة وروي عن الحسن ولا تعد عينيك عنهم اي لا تتجاوزهما الى غيرهم من ابناء الدنيا طلبا
لزينتها حكاه الترمذي وقيل لا تحتقرهم عيناك كما يفعل خلان يلهو عنه الهين مستخفا لزيد زينة
الحياة الدنيا اي بتزيين مجالسة هؤلاء الرؤساء الذين اختروا البعاد الفقراء من مجالستك ولم يرد النبي
صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك ولكن الله نهاه عز ان يفعله ولهذا ما كثر من قوله لئن اشركت
ليحبطن عملك وان كان الله اعاذه من الشرك ويريد فعل مضارع في موضع الحال اي لا تعد عيناك
مريدا مرئي القيس فقلت له لا تبك عينك انما يحاول ملكا او تموت فنعذرا وزعم بعضهم
ان هذا الكلام لا تعد عينك عنهم لا تبعد بعد بنفسه قيل له والذي وردت به التلاوة من رفع
العين تزول الى معنى النصب فيهما اذ كان لا بعد عيناك عنهم بمنزلة لا تفرق عيناك عنهم
ومعنى لا تفرق عيناك عنهم لا تفرق عينك عنهم فالفعل مسند الى العينين وهو في الحقيقة
موجه الى النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى ولا تعجبك اموالهم فاسند الاعجاب الى الاقوال
والمعنى لا تعجبك يا محمد اموالهم وتريدك وضوحا قول الزجاج ان المعنى لا يصرف بصرك عنهم الى
غيرهم بيتغي زوال الهيبة والرئاسة قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا قال ابن عباس في
حوبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا قالت نزلت في
امية بن خلف الجمحي وذلك انه دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى امر كرهه فنجر والفقر عنه وتوبيخا
صناديد اهل مكة فانزل الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني من ختمنا على قلبه عن
التوحيد واتبع هواه بعني الشرك وكان امره فرطا قال بعضهم التفريط الذي هو التقصير وتقديم
العجز تنزل الايمان وقيل من الافراط ومجاوزة الحد وكان لا يتقوم قالوا لنحن اشراف مضر ان اسلمنا اسلم
الناس وكان هذا من التكبر والافراط في القول وقيل فرطا اي قدما في الشر من قولهم فرط منه امر اي
سبق وقيل معنى اغفلنا قلبه وجدناه غافلا كما يقول لست فلانا احمده اي وجدته محمودا وقال
عمرو بن معدي كرب لهي الكرث بركعب والله لقد سالتنا كم فما احللتم وقاتلناكم فما اجبناكم وصاحبناكم
فما امحضناكم اي ما وجدناكم بخلا ولا حسودا ممحضين وقيل نزلت لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا
في عيينة بن حصن الفزاري ذكره عبد الرزاق وحكاه النحاس عن سفيان الثوري والله اعلم
قوله تعالى وقل الحق من ربكم من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر الحق رفع على جواب الابتداء مضمر
اي قل هو الحق وقيل هو رفع على الابتداء وخبره في قوله من ربكم ومعنى الاية قل يا محمد لهؤلاء الذين

اغفلنا

تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب قال الجوهري وقال ابن عزيز اساور جمع اسورة واسورة جمع سوار وسوار وسوار لغة في الذراع من ذهب فان كان من فضة فهو قلب وجمعه قلب فان كان من قرن او عاج وهي مسك وجمعه مسك قال النحاس وحكى قطرب في واحد الاساور واسوار وقطرب صاحب سيبويه قد تركه يعقوب وغيره فلم يذكره قلت قال قد جاء في الصحاح وقال ابو عمرو بن العلاء واحدها اسوار وقال المفسرون لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور والتيجان جعل الله تعالى ذلك لاهل الجنة قوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق السندس الرقيق اللحيف واحدة سندسة قال الكسائي الاستبرق ما خشن منه عن عكرمة وهو الحرير قال الشاعر * تراهن يلبسن المشاعر مرة واستبرقا دبياج طورا لبابها * والاستبرق الديباج ابريسم المنسوج بالذهب اعجمي فارسي معرب الجوهري وتصغيره اسيرق وقيل هو استفعل من البريق هو الصحيح ان رفاق بين الغلظ اذ ليس في القرآن من لغة العرب على ما تقدم والله اعلم وحصر بعد الاخضرار الموافق للبصر ان البياض من سدف الظلام والسواد بعدهم والخضرة بين البياض والسواد وذلك يجمع الشعاع والله اعلم وروى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء اعرابي فقال يا رسول الله اخبرنا عن ثياب الجنة اخلق يخلق ام نسج يشق فضحك بعض القوم فقال لهم لقد كون ان جاهل سأل عالما فجثى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن السائل عن ثياب الجنة فقال ها هو ذا يا رسول الله قال لا بل سيفنى عمن في الجنة فقال ائتا وقال ابو هريرة دار المؤمن درة مجوفة في وسطها سبعون بيتا الخلل وباحذ باصبعه او قال باصبعه سبعين حلة منظم بالدر والياقوت والمرجان ذكره يحيى بن سلام في تفسيره وابن المبارك في رقائقه وقد ذكرنا اسناده في كتابه التذكرة وفي الحديث انه يكون على كل واحد منهم الحلة لها وجهان لكل وجه لون بتكلمان بصوت يسمعه سامعه يقول احدهما لو جهين اللهم انا اكرم على وليك الله منك انا الى صدد وانت له بلى ويقول الاخر انا اكرم على وليك الله منك انا ابصر وجهه وانت لا تبصر قوله تعالى متكئين فيها على الارائك جمع اريكة وهي السرر في الحجال وقيل الفرش في الحجال قاله الزجاج ابن عباس هي الاسرة من ذهب وهي مكللة بالدر والياقوت فوق عليها الحجال لا اريكة بابين صنعا الى ايله وما بين عدن الى الجابية واصل متكئين موتكئين ولذلك اتكاء اصله ارتكاء واصل الاتكاء ركاء ومنه الوتكاء للمتحامل على الشيء فقلبت الواو ياء وادغمت وحمل اتكاء كثير الاتكاء لهم الثواب وحسنت مرتفقا وقد تقدم ولو كان نعمت لجاز لانه اسم للجنة وعلى هذا وحسنت مرتفقا وروى البراء بن عازب ان اعرابيا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فقال اني رجل متعلم فاخبرني عن هذه الاية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا لك منهم ببعيد وهم ببعيد منك ثم هو كان الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي فاعلم قومك ان هذه الاية نزلت فيهم ذكره الماوردي واسنده النحاس في كتابه معاني القرآن قال حدثنا ابو عبد الله احمد بن علي بن سهل قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا يحيى بن المغيرة عن جرير بن معاوية عن ابي اسحق عن البراء بن عازب قال قام اعرابي فذكره واسنده السهيلي في كتاب الاعلام وقد ردينا جميع ذلك بالاجازة والله اعلم قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين هذا مثل لمن سور بالدنيا وبين تمسك عن مجالسة المؤمنين وهو متصل بقوله واصبر نفسك واختلف في اسم هذين الرجلين وتعيينهما قال الكلبي نزلت في اخوين من اهل مكة مخزوميين من اعدلهما مؤمن وهذا ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم زوج ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم والاخر كافر وهو الاسود بن عبد الاسد وهما الاخوان المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين وقد ذكر كل واحد منهما اربعة الاف دينار فانفق احدهما ماله في سبيل الله وتحصن وطلب الاجر شيئا فشيئا لما قال ذكره الثعلبي والقشيري وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم واهل مكة وقيل هو مثل لجميع من امن بالله وجميع من كفر وقيل هو مثل لعيينة بن حصن واصحابه مع سلمان وصهيب واصحابه سماهم الله رجلين من بني اسرائيل اخوين احدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقتادة ومقاتل اسمه تمليخا والاخر كافر واسمه قرطوس الرومي وطرسوس وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكذا ذكر محمد بن الحسن المقرئ قال واسم الخير منهما تمليخا والاخر خوطوس وانهما كانا شريكين ثم اقتسما الملك فصار لكل واحد منهما ثلاثة الاف دينار فاشترى الكافر منهما عبدا بالف واعتقه بالالف الثانية ثيابا فكسى الرأة وبالالف الثالثة طعاما فاطعم الجوع وبنى ايضا مساجد وفعل خيرا وتزوج الاخر بماله مائة وارات واشترى دوابا وبقرا فاستنتجها فتمت له ثم موطأ واخرب باقيها فافتقر حتى ان اصل زمانه عنبا فادركت الاول الحاجة فاراد ان يستاجر نفسه يحتطب لهما فقال لو ذهبت

الشريكي وصاحبي فسألته ان يستخدمني فيضرجيا فقلت ان يكون ذلك اصلح لي فجاء فلم يكد يصل اليه من
غلظ الحجاب فلما دخل عليه وعرفه قال الم اكن اقاسمك المال نصفين فما صنعت بمالك قال اشتريت به من الله
تعالى ما هو خير منه وابقى فقال ابيك لمن المصدقين ما اظن الساعة قايمة وما اراك الا سفيها و فاخرا
رد عندي بسفاهتك الا الحرمان او ما تزيي ما صنعت انا بما لي حتى الجاءتزاه من البروه وحسن الحال ورد عليك
اني كسبت وسعيت انت اخرج عني ثم كان من قصة هذا المعنى ما ذكره الله تعالى في القرآن من احاطة
بثمره وذهابه اصلا بما ارسل عليها من السماء الحسبان و قد ذكر الثعلبي هذه القصة بلفظ اخر والمعنى
متقارب قال اعطا كافا شريكين لهما ثمانية الاف دينار وفلوا لناه من ابهما وكانا اخوين فانتسما هذا
واشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى ارضا بالف دينار واني
اشتريت منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه قاد دارا بالف دينار فقال اللهم
ان هذا فلانا ابتاع دارا بالف دينار واني اشتريت منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم
ان صاحبه بنا دارا بالف دينار فقال اللهم ان هذا فلانا بنى دارا بالف دينار واني اشتريت منك دارا لي
في الجنة بالف دينار وتصدق بالف دينار ثم تزوج امراة فانفق عليها الف دينار وقال ان فلانا
تزوج امراة بالف دينار واني خاطب اليك من نسا الجنة بالف دينار ثم اشترى خدما ومتاعا
بالف دينار واني اشتري منك خدما ومتاعا من الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار ثم اصابتهم
اصابتهم حاجة شديدة فقال لعيال صاحبي سلي من معروفه فاتاه فقال ما فعل مالك فاخبره قصته
فقال ويلك لمن المصدقين بهذا الحديث والله لاهبطنك شيبا ثم قال له انت تعبد الله السما وانا
اعبده ارضا فقال صاحبه والله لاعظنه فوعظه وذكره وخوفه فقال سربنا نصطاد السمك
فرضا ما اكثر فيهم الحق ثم قال له يا اخي ان الدنيا احقر عند الله من ان يجعلها ثوابا بحسن او عقابا بالكافر
قال فاكرهه على الخروج معه فابتلاهما الله فجعل الكافر يرمي شبكته ويسمي باسم صنمه فتطلع له
شذ في بحرها وجعل المومن يرمي شبكته ويسمي باسم الله فلا يطلع له فيها شي فقال له كيف تراني انا البر
منك في الدنيا نصيبا ومنزلة وكذا تراك الاخرة ان كان ما تقول حقا قال
فصح الملك الموكل بهما فامر الله تعالى جبريل ان يأخذه فيذهب به الى الجبال فيريه منازل المومن فيها
فلما رآها قال الهي اعد الله له قال وعزتك لا يصيره ما ناله من الدنيا بعد ما يكون صيرة الى هذا ثم ان الله
تعالى توفى المومن واهلك الكافر بعذاب من عنده فلما اسفر المومن في الجنة ورأى ما اعد الله له
اقبل لهو واصحابه يتساءلون فقال اني كان لي قرين يقول اينك لمن المصدقين ابدا متنا الا موتة
فنادي مناديا اهل الجنة هل انتم مطلعون فاطلع الى جهنم فراه في سواء الجحيم فنزل واضرب لهم مثلا
من الله حالة الاخوين في الدنيا في هذه السورة وبين حالهما في الاخرة في سورة والصافات في قوله اني
كان لي قرين يقول اينك لمن المصدقين الى قوله لمثل هذا فليعمل العاملون قال ابو عطية وذكر
ابراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجايب البلاد ان كبره بمر كلهاتين الحسين وكلتا الاخوين
ابتاع احدهما نصيبا من الاخر وانفق في طاعة الله حتى عبر الاخر وحرب منهما المجاورة فنوها الله
تعالى في ليلة واباها عني بذلك الاية وتدبر ان هذا مثل ضربه الله تعالى لهذه الامة وليس بخبر عن حال
متقدمة ليزهد في الدنيا ويرغب في الاخرة وحمله ابو حاتم ايضا ان كان ما تقول بزعمك حقا قال
فدعا

يدل على ذلك قول جرير كلا يومي اما مه يوم صيد وان لم تاتها الا لماما فاخبر عن كلا بيوم مؤذكا افرد
الخبر بقوله اب ولو كان مبهما معنى مبنى لقال انيا وبوما واختلف ايضا في الف كلتا فقال سيبويه
الف كلتا للتانيث والدليل على لام الفعل وهي واو والاصل كلوا وانما ابدلت تاء للتانيث الا ترى ان علم
التانيث والالف التي كلتا تصرفان تابع المضمر تخرج عن علم التانيث فصار في ابدال الواو تاء كبدل التاء
وقال ابو عمر الجرمي انها ملحقة والالف لام الفعل ولتفسيرها عنده قيل ولو كان الامر على ما زعم
لقالوا في تثنية ايها كلتوك فلما قالوا كلوك واسقطوا التاء دل انهم اجروها مجرى التي احب
اذا نسبت اليها قلت اجري ذكره الجوهري قال ابو جعفر النحاس واجاز النحويون في غير القرآن
الحمل على المعنى وان يقول كلتا الجنتين اتى اكلهما لان المعنى المختار كلتاهما اتى واجاز الفراء كلتا
الجنتين اتت اكلها لان المعنى كل الجنتين قال وفي قراءة عبد الله كل الجنتين اتى اكله والاكل بضم
الهمزة ثمر النخل والشجر وكل ما يوكل تهوا كل ومن قوله تعالى اكلها دايم وتقدم ولم تظلم
منه شيا اي لم ينقص قوله تعالى وفجرنا خلالهما اي اجريا وسقيا وسط الجنتين ثمر وكان له
ثمر قرا ابو جعفر وشيبة وعاصم ويعقوب وابن عامر بضمتين جمعا مثل سقف وسقف وبضم الثاء والميم
وبغير الف بعدها قرا الباقون بفتح الثاء والميم وبالف بعدها قال الجوهري الثمرة واحدة الثمر والثمرات وجمع الثمر ثمار مثل جبل وجبال قال الفراء وجمع الثمار ثمر
مثل كتاب وكتب وجمع الثمر اثمار مثل اهاب واهب وعنق واعناق والثمر ايضا المال المثمر يخفف ويثقل وقرا ابو
حيوة وكان له ثمر بضمتين اتباعا وبسكان الميم وقرا انواع المال الباقون بضمها جميعا في الحرفين قال ابن
عباس ذهب وفضة واموال وقد مضى في الانعام نحو هذا مبينا وذكر النحاس حديثا احمد بن شعيب
قال اخبرني عمران بن بكار قال نا ابراهيم بن العلاء قال نا صدقة نا شعيب قال اخبرني عمران بن بكار قال
قال حدثنا ابراهيم بن العلاء الزبيدي قال حدثنا شعيب بن اسحق قال حدثنا هارون قال حدثني ابان
عن قتادة عن الاعمش ان الحجاج قال لو سمعت احدا يقرا وكان له ثمر لقطعت لسانه فقلت للاعمش
اما خربذلك تا ذا والله نعمة عين وكان ينقرا ثمر ويأخذه من جميع الثمر قال النحاس فالتقدير على هذا
القول انه جمع ثمرة على ثمار ثم جمع ثمارا على ثمر وهو حسن في التعريب الا ان القول الاول اشبه والله
اعلم ان قوله كلتا الجنتين اتت اكلها يدل على ان له ثمرا فقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره ايب
يراجعه في الكلام ومحاورة المجاوبة والمحاورة التجاوب وتبادل الكلمة تما احارا الى جواب ايا
وما رجع الى خير ولا خير فيه ولا يحير ولا حوار اي ما رد جوابا انا اكثر منك مالا واعز نفرا النفر ما
دون العشرة واراد بها هنا الاتباع والحدم والولد حيث تا تقدم بيانه قوله تعالى ودخل جنته
قيل اعتزل اخيه المؤمن وطاف به فيها وبريه اياها وهو ظالم لنفسه اي بكفره وهو جملة في موضع
الحال ومعنى ادخل نفسه النار بكفره فهو ظالم لنفسه وما اظن ان تبيد هذه ابدا اي ان تخرب هذا البستان وما
اظن الساعة قايمة اي لا احسب البعث كاينا ولين رددت الى ربي اي وان كان البعث كما اعطاني هذه
النعم في الدنيا فيعطيني افضل منه لكرامتي عليه وهو معنى قوله لاجدن خيرا منها منقلبا وانما قال
ذلك لما دعاه اخاه الى الايمان بالحشر والنشر وفي مصاحف مكة والمدينة والشام منهما وفي
مصاحف اهل البصرة والكوفة منهما على التوحيد والتسمية اي لان الضمير اقرب للجنتين قربهما
قوله تعالى قال له صاحبه يهودا او تخمينا على الخلاف في اسمه اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من
نطفة ثم سواك رجلا وخلقه وبين له ان ما اغتر به من هذه الاشيا التي لا ينكرها احد ابدع من
الاعادة ويسوا اي خطاب معتمد الخلق والعامة صحيح الاعضا كفر لكن هو الله ربي كذا قراه ابو
عبد الرحمن السلمي وابو العالية وروي عن الكسايي لكن هو الله بمعنى لكن الامر هو الله ربي فاضمر اسمها
منها وقرا الباقون لكننا باثبات الالف قال الكسايي فيه تقديم وتاخير تقديره لكن الله هو ربي انا
فحذفت الهمزة من انا طلبا للخفة لكثرة الاستعمال وادغمت احدى النونين في الاخرى وحذفت الف
انا في الوصل واثبتت في الوقف وقال النحاس يذهب الكسايي والفراء الى ان الاصل لكن انا
فالتقت حركة الالف الهمزة على نون لكن وحذفت الهمزة وادغمت النون فالوقف عليها لكنا وهي الف
انا بيان الحركة وقال ابو عبيد الاصل لكن انا فحذفت الالف فالتقت نونان فجاز بالتشديد لذلك
وانشدنا الكسايي * لهفك من عذلية لو شفيه * على هنوات كاذبين تقولها * اراد الله انك لو شفيه
نا بسقط احدى اللامين من لله وحذف الالف من انك وقال اخر * فجا به على الاصل ورسى عني بالظرف اي
انت مذنب * وتقيلني لكن انا لا اقلي * اي لا كن انا قال ابو حاتم وروا عن عاصم لكنا هو الله ربي
وزعم ان هذا نحو اسات الالف في الادراج قال الزجاج ابيان الالف في لكنا هو الله ربي في الادراج جيد
لان قد حذفت الالف عن انا فجاز اثباتها عنها قال وفي قراة ابي لكن انا هو الله ربي وقرا ابن عامر والمسي
عن نافع وروي عن يعقوب لكنا في حال الوصل والوقف باثبات الالف قال الشاعر * انا سيف العشيرة
فاعرفوني * حميدا قد تذريت السناما * وقال الاعشى نكبت انا وانحا لي القوافي بعد المشيب كفا ذاك عارا

والخلاف في انها تاتي الوقف هو الله ربي صغر الغصة والشاة والاصح قوله فاذا هي شاخصة ابصارها الربي
كذا وقوله قل هو احد وما اشرك بربك احدا دل منهوم منه على ان الاخ كان مشركا بالله تعالى بعبد غيره ويحتمل
انه اراد انه اراد الغنى والفقر الامنه واعلم انه لو اراد ان يسلب صاحب الدنيا ما شاء قدر عليه ولهو الذي اتاني
الفقر ويحتمل انه اراد محو ذلك السعب مضافا الى ان الله تعالى لا يقدر عليه وهو تعجيز الرب سبحانه وتعالى
شبهه بخلقه فهو اشراك قوله تعالى ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله فيه
مسالتان الاولى قوله تعالى ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله اي بالقلب وهو هو
توبيخ ووصية من المومن للكافر ورد عليه اذ قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما في دفع تقديره هذه
الجنة بما شاء الله اي الامر عسى الله تعالى وقل الجواب محضرا ي ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن
لا قوة الا بالله اي ما اجتمع لك من المال فهو تقدير الله تعالى وقوته لا بقدرتك وقوتك ولو شاء لنزع
البركة عنه فلم يحمد العامة قال ابن شهيب قال مالك ينبغي لكل من دخل منزله ان يقول هذا وقال ابن
وهب بن منبه ما تاتي حضر بيت ميسرة وانت على باب وهب منه مكتوبا ما شاء الله لا قوة الا بالله
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي هريرة الا ادلك على كلمة من كنوز الجنة او قال كنز من كنوز
الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله اذا قالها العبد قال الله عز وجل اسلم عبدي
واستسلم اخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي موسى وفيه يقال يا ابا موسى او يا ابا عبد الله بن قيس الا
ادلك على كلمة من كنز الجنة فحدث بها على كنز من كنوز الجنة قلت ما هي يا رسول الله قال لا حول ولا
قوة الا بالله العلي العظيم وعند قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلك على كلمة من كنوز الجنة او قال
كنز من كنوز الجنة قلت بلى فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ورد ان من دخل منزله او خرج
منه فقال بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله سافرت عنه الشياطين من بين يديه وانزل الله تعالى
عليه البركة وقالت عايشة اذا خرج الرجل من منزله فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال
ما شاء الله قال الملك كفيت واذا قال لا قوة الا بالله قال الملك وقيت خرجه الترمذي من حديث
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يخرج من بيته بسم الله توكلت
على الله لا حول ولا قوة الا بالله يقال كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان هذا حديث غريب لا يعرفه الا من هذا الوجه
غريب لا يعرفه الا من هذا الوجه خرجه ابو داود وزاد فيه فقال هديت وكفيت ووقيت واخرجه ابن ماجة من
حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا خرج الرجل من باب بيته او من باب داره كان معه
ملكان موكلان به فاذا قال توكلت على الله قالا كفيت فتلقاه قرينا ه فيقولان ما ذا انزيدان من رجل
قد هدي وكفي ووقي وقال الحاكم ابو عبد الله في علوم الحديث سبل محمد بن اسحق بن خزيمة عن قول النبي صلى الله
عليه وسلم نجا ت الجنة والنار فقالت هذه يعني الجنة يدخلني الضعفاء من الضعفاء قال الذي يريد بقسمه
من الاكول والقوة يعني في اليوم عشرين مرة وقال انس بن مالك قال النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيئا
فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره عين ونذ قال قوم ما من احد قال ما شاء الله كان فاضيا بعد
مني وروى انه قال اربعا امن من اربع من قال هذه امن من وبز قال حسبنا الله ونعم الوكيل امن من كيد
الشيطان ومن قال واوض امري الى الله امن من مكر الناس ومن قال سبحانك لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين امن من الغم قوله تعالى ان ترن انا اقل منك مالا وولدا ان شرط نزل مجزوم
والجواب فعسى ربي وانا فاصلة هو موضع لها من الاعراب ويجوز ان يكون في موضع نصب توكيدا للنون
والالف وقرا عيسى بن عمر ان ترني انا اقل منك بالرفع تجعل انا مبتدا واقل خبره والجملة في موضع المفعول
الثاني والمفعول الاول والنون والالف الملحوقتان ان الكسرة تدل عليها واثباتها جيد بالغ وهو
الاصل لانها الاسم على الخفيفة وفعسى بمعنى لعل اي فلعل ربي ان يوتيني خيرا من جنتك اي في الاخرة
ويقال في الدنيا ويرسل عليها اي على جنتك حسبانا اي نارا تحرقها واحدها حسبانة قاله الاخفش والفتى
وابو عبيدة وقال ابن الاعرابي والحسبانة الحسابة والحسبانة الوسادة والحسبانة الصاعقة
وقال الجوهري والحسبان بالضم العذاب وقال ابو زياد الكلابي اصاب الارض حسبان اي جراد
والحسبان ايضا الحساب قال الله تعالى والشمس والقمر حسبان وقوله حسبان هنا بعدا قال الزجاج
الحسبان من الحساب اي يرسل عليها عذاب الحساب وهو حساب ما اكتسبت يداك فهو من باب
حذف المضاف والحسبانة ايضا سهام تصار سرمي بها في طلق واحد وكانت رمي الاكاسرة والرامي من
التماعز ابن يصيح صعيدا زلقا يعني ارضا بيضاء لا ينبت فيها نبات ولا ينبت عليها قدم ويجمع ارض
بعد ان كانت حسنا سع ارض زلقا ولكيلا يوصف الصعيد اي يترك عنها الاقدام فلا مستها بقي لها كالزلق
زلق بالتحريك اي دحض وهو في الاصل مصدر فقولك زلقت رجله تزلق زلقا والقها غيره والزلق
ايضا عجز الدابة تاذرونه كانها مما يلقا الزلق والمزلقة والزلق الموضع الذي لا يثبت عليه قدم
وللكراهة والزلق ايضا الحلق زلق راسه يزلقه زلقا حلقه قاله الجوهري والزلقا المخلوف

كابغض والبغض وليس المراد انها تغير لغة بل المراد انها لا سمى فيها بنات كالراس اذا اطلق لا يلقى عليه بيتى
عليه شعرا لما التشهير به او يصح ما روها غورا اى غائرا ذاهبا فيكون لعدم ارتضى لها بعد ان كان
اوحدا بعض لها والغور مصدر وضع موضع الاسم كما يقال رجل صوم وفطر وعدل ورضى وفضل
وزور وسانوح وسبوك فيه المذكر والمونث والتثنية والجمع قال عمرو بن كلثوم * بطل حسارنا نوحا
عليه مقلدة اعنها صفونا * اخره هو بنى بسر دموعها سحا ما صاع وحانى نوحا قياما ما ناحات
وقيل او يصح ما روها غورا واغورا فحذف المضاف مثل واسال القرية ذكره الجاسر وقال الكسائى
ماغور وتدعا رالماء غورا وغورا ابعد سفل فى الارض وكورا انهمز انقسام الراو وعارت
عينه تغور غورا وغورا دخلت فى الراس وغارت نعار بسر فيه وقالى * اغارت
عينه ام لم تغارا * وعارت الشمس تغور عيارا اى غربت قال ابو ذيب * هل الدهر الا ليلة ويوما
والاطلوع الشمس ثم عيارها * فلن تستطيع له طلبا * اى لن تستطيع رد الما الغابر ولا يقدر
عليه لحيلة وقيل فلن تستطيع طلب غيره بدلا منه والى هذا الحديث اشهبت مستغارة اخيه وانزل
قوله تعالى واحيط بثمره اسم ما لم يسم فاعله مضر وهو المصدر وكون ان يكون المخفوض فى موضع
رفع ومعنى احيط بثمره اى اهلك ماله كله وهذا اول ما خذ الله تعالى به انذار اخيه فاصبح يقلب
كفيه اى ناصبح الكافر يصرب احدى يديه على الاخرى لذما ما ان هذا مصدر من الندم وقيل
يقلب ملله فلا يرى ملكه فيه عوض ما انفق وهذا ان الملك قد انتزع عنه بالبيد من قولهم
فى يده مال اى فى ملكه مال وذكر هذه قوله فاصبح على ان هذا الاهلاك جرى بالليل كقوله فطاف
عليها طايف من ربك وهم نايمون فاصبحت كالصريم وبقالا نقض فى هذه الدار كذا انقضت
عليها وهى خاوية على عروشها اى حالية قد يسقط بعضها على بعض ما خوذ من خوت الجوف تخوى خيا
اكلت اذا سقطت ولم تنظر فى نوها واخوت مثله وخوت الدار خراميز وذا خوت وكذلك اذا سقطت
ومنه قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية باظلمهم وبقال السافظة كانها قالت خاوية على عروشها اى ساقطة
على سقوفها فجمع عليه بين هذا المانى والاصل وهذا من اعظم الحوايج معادله على يكفر بعضه ويقول
يا ليتنى لم اشرك بربى احدا اى يا ليتنى عرفت الله وعرفت انما كانت بقدرة الله ولم اكفر به وهذا
يدم منه حين لا ينفعه الندم قوله تعالى ولم تكن له فيه يصرونه من دون الله فيه اسم يكن وله الخبر
ينصرونه فى موضع الصفة اى فيرتا طرة ذكورا ان يكون يصرونه الخبر والوجه الاول عند سيبويه
اولى لانه قد تقدم له وابو العباس جاز الفرد يحتج بقول الله عز وجل ولم يكن له كفوا احد وقد احاز سيبويه
الاخر وينصرونه على معنى فيها ان معناها اخوام ولقد كان على اللفظ لفاله ولم يكن له فيه بصر اى قدرة
جماعة تلتجى اليهم وما كان منتصرا اى ممتنعا قاله قتادة وقيل مسروا بدلا ما ذهب منه وقد تقدم
اشتقاق الليد فى الدعاء والهاء عوض من الالف التى نقصت من وسطه اصله فى مثل قمع لانه من قاء يجمع
على فئون وفيات مثل نيات ولدات وهيات اى لم يكن له بصيره من عذاب الله وضل عنه ما افتخر
بهم من الخدم والولد قوله تعالى هنالك الولاية لله الحق اختلف فى العامل فى قوله هنالك
وهو ظرف فقيل العامل فيه ولم تكن له فيه ولا كان هنالك ما يصرونه الا الله هنالك اى لما اصابه
من العذاب وقيل تم الكلام فيه عند قوله منتصرا والعامل فى قوله هنالك الولاية وتذكيره على
التقديم والتاخير الولاية لله الحق هنالك اى فى القيامة وقرا ابو عمرو والكسائى الحق بالرفع نعتا
للولاية وقرا اهل المدينة وحمزة الحق بالخفض نعتا لله عز وجل والتقدير لله ذى الحق قال الزجاج ولم
ويجوز الحق بالنصب على المصدر والتوكيد كما يقول هذا لك حقا وقرا الاعمش وحمزة والكسائى
الولاية بكسر الواو والباقون بفتحها وهما بمعنى واحد كالرضاع والرضاع وقيل الولاية بالفتح من الموالاة لقوله الله ولى الذين امنوا ذلك بان الله مولى الذين امنوا وبالكسر بمعنى
السلطان والامرة كقوله والامر يومئذ لله اى له الملك والحكم يومئذ اى لا يرد امره الى احد
والملك فى كل وقت لله ولكن يزول الدعاوى والتوهمات يوم القيامة وقال ابو عبيدة انهما
لغتان الواو للحالق وبكسرها للمخلوق هو خير ثوابا اى لله خير ثوابا فى الدنيا والاخرة
لمن امن به وليس لغيره جامتر ولكنه اراد فى ظن الجهال اى هو خير مرجى وخير عقبا قرا عاصم
والاعمش وحمزة وتحى عقبا ساكنة القاف الباقون بضمها وهما بمعنى واحد اى هو خير عاقبة لمن
رجا امره بها لهذا اعاقبة امرفلان وعقباه وعقبه اى اخره قوله تعالى واضرب لهم مثل
الحياة الدنيا اى صف لهؤلاء المتكبرين الذين سالوك طرد الفقراء المومنين مثل الحياة الدنيا اى
شبهها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض اى بالماء نبات الارض حتى استوى وقيل المعنى ان
النبات اختلط بعضه ببعض حين نزل عليه الماء لان النبات انما يختلط ويكثر بالمطر وقد تقدم هذا
المعنى فى يونس مبينا وقال الحكماء انما شبه الله تعالى الدنيا بالماء لان الماء لا يستقر فى موضع كذلك

الدنيا لا تبقى على وجه واحد وان المال لا يستقيم على حالة واحدة لذلك الدنيا وان المال لا يبقى وقيل
لذلك الدنيا تفنى وان المال يفنى واحدان يدخله وانما يتبدل ذلك الدنيا لا تسلم احدا دخلها من فتنتها وافتتنها
وان المال اذا كان نعمة كان نافعا متينا واذا جاوز المقدار كان مالا مهلكا ولذلك الدنيا الكفاف
منها يهنئ وفضولها يضر وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل يا رسول الله اني اريد ان اكون
من الفائزين قال اذهد الدنيا وصرفها كالمال الراكد فان القليل منها يكفي والكثير منها يطغي وفي صحيح مسلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه فاصبح ايها الثبات هشيما اي منكسرا من اليبس
منقطعا يفنى بانقطاع الملتئم فحذف ذلك اكتفاء الدلالة الكلام عليه والهشيم كسر الشيء من اليابس
والهشيم من النبات اليابس المتكسر والشجرة الهالية ياخذها الحاطب كيف يشاء ومنه قولهم ما فلان
الا هشيم كرم اذا كان سمحا ورجل يتسم ضعيف البدن وهشم عليه اذا تعطف واهتشم ماخ صرع
الناقة اذا اخطبه ويقال هشم الثريد ومنه سمي هاشم بن عبد مناف واسمه عمرو وبه يقول عبد الله
ابن الزبعرى ٭ عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ٭ وكان سبب
ذلك ان قريشا اصابهم سنوات ذهبن باموالهم فخرج هاشم الى الشام فامر بحنطة فحملت الى المزابر
على الابل حتى وافى مكة وهشم ذلك الخبز بمعنى كسره وبرده وحرثه بالابل ثم امر الطهاة فطبخوا ثم كتا
القدور على الجفان فاشبع اهل مكة وكان ذلك اول الخصب بعد السنة التي اصابتهم فسمي بذلك هاشما لقدره
الرياح اي تفرقه قال ابو عبيدة نرفتيته تركبسا ويذهب به وحكى ابن عباس تذريه والمعنى متقارب
وقرا طلحة بن مصرف تذريه الرياح قال الكسائي وفي قراءة عبد الله تذروه الريح تذروه ذروا ودربا
وادربه تذريبا ذريا اذا طارت به وحكى الفراء ذربت الرجل فرسعاي قلبته وانشد سيبويه والزل فقلت
له صوت ولا يجهدنه فيدركنا اجر به الفطاه وفي قوله عز وجل وكان الله على كل شيء مقتدرا من
الاشياء والانشاء والاحياء سبحانه عز وجل قوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا ويحوز ربيتها
وهو خبر الابتداء في المعنى وان كان المال والبنون زينة الحياة الدنيا لان في المال جمالا وفي البنين
قوة وعددا فهما فصارا زينة الحياة الدنيا لان في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة ورفعا فصارا
زينة الحياة الدنيا لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين ان المعنى المال والبنون زينة هذه الحياة و
الدنيا المحتقرة فلا تتبعوها انفوسكم ونهوا على غيبة بن حصين واشباهه لما افتخروا بالغنى
والشرف فاخبر تعالى ان ما كان من زينة الحياة الدنيا فمن غرور ولم يبق كالهشيم حين ذرته الرياح
الزرع اما يبقى باكمله زاد القبر وعدد الاخرة وكانه قال لا ينفعك قلبك مع المال لانه ذاهب وادع
المساكين اليوم معك وعداع غيرك ولا تنفع السلطان ما له اليوم لك وعدا يتركك ويكفي في هذا قول
الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال تعالى انما ازواجكم واولادكم عدو لكم فاحذروهم قوله تعالى
والباقيات الصالحات اي ما بقي له سلمان وصهيب وقرا المسلمين من الطاعات خير عند ربك ثوابا اي
افضل وخيرا املا من ذي المال والبنين دون عمل صالح وليس في زينة خير ولكنه خير في التحقيق مما بطنه
الجهال انه خير في ظنهم واختلف العلماء في الباقيات الصالحات فقال ابن عباس وابن جبير وابو ميسرة
عمرو بن شرحبيل هي الصلوات الخمس وعن ابن عباس ايضا انها كل عمل صالح من قول او فعل يبقى الاخرة وقال
ابن زيد رجحه الطبري وهو الصحيح ان شاء الله ان كل ما ينفي ثوابه حاز ان يقال له هذا وقال علي رضي الله
عنه الحمد لله هن الباقيات الصالحات المال والبنون وحرث الاخرة الباقيات الصالحات وقد يجمعهما الله تعالى
لاقوام وقال الجمهور هي الكلمات المأثورة فضلها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم خرجه مالك في موطاه عن عمارة بن صياد عن سعيد بن المسيب انه سمعه يقول
في الباقيات الصالحات انها قول العبد الله اكبر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله
اسنده النسائي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات
قيل وما هي يا رسول الله قال المسألة قيل يا رسول الله وما هي قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله
ولا حول ولا قوة الا بالله صححه ابو محمد عبد الحق رحمه الله وروى قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقرأ عصا فطر حتى سقط ورقه فقال ان المسلم اذا قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
تحاتت خطاياه كما تحات لهذا عنك ايها الدرداء قبل ان تحاك بينك وبين ما تهن من كنوز الجنة وصفا
بالكلام ومن الباقيات الصالحات ذكره الثعلبي وخرجه ابن ماجة بمعناه من حديث ابي الدرداء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا تزال تحتهن يحططن الخطايا
كما تحط الشجرة ورقها واخرجه الترمذي من حديث الاعمش عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصاة فتناثر الورق فقال ان الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا هو
والله والله اكبر لتساقط من ذنوب العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة قال هذا حديث غريب ولا نعرف
للاعمش سماعا من انس الا انه قد راه ونظر اليه وخرج الترمذي ايضا عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم لقيت ابراهيم عليه السلام ليلة اسري بي فقال يا محمد اقرا امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة
طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر قال الحديث
حسن غريب اخرجه الماوردي بمعناه وتمامه فقلت وما غراس الجنة قال لا حول ولا قوة الا بالله واخرج ابن
ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يوسس غرسا فقال يا ابا هريرة ما التي توسس
قال غراسا قال الا ادلك على غراس خير لك هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يوسس
لك بكل واحدة شجرة في الجنة وقد قيل انها الباقيات الصالحات هي النبات والثمرات لان بها يقبل الاعمال
وترفع قاله الحسن وقال عبيد بن عمير هن النسمات يدل عليه اوايل الاية قال الله تعالى المال والبنون
زينة الحياة الدنيا ثم قالوا والباقيات الصالحات يعني النيا ت الصالحات هن عند الله لا ناس خير
ثوابا وخير املا في الاخرة لمن احسن اليهن يدل على ما روته عايشة رضي الله عنها قالت دخلت على امراة
مسكينة الحديث وقد ذكرناه في سورة النحل في قوله تبارك الذي نزل الفرقان من سور ما يشربه وروى عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لقد رايت رجلا من امتي امر به الى النار فتقلق به بنانه وجعلن يمر حرن ويقلن رب
انه كان يحسن الينا في الدنيا فيرحمه الله يمن وقال قتادة في قوله تعالى فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه
زكاة وانرب رحما قال ابدلهما منه انسه فتزوجها فولدت له اثني عشر غلاما كلهم انبيا قوله تعالى
ويوم نسير الجبال ونرى الارض بارزة قال بعض النحويين التقدير والباقيات الصالحات خير عند ربك
يوم نسير الجبال قال المحاسبي وهذا غلط من اهل النحو وقبل المعنى واذكر يوم نسير الجبال ايضا بين يديها
من اماكنها من على وجه الارض وسيرها كما تسير السحاب كما قال في اية اخرى وهي تمر مر السحاب بكسر
فتعود الى الارض كما قال ويبسط الجبال بسا وكانت هباء منبثا وقرا ابن كثير والحسن وابو عمرو ابن عامر يوم
ويوم نسير بالنون مضمومة ونصب الياء والجبال رفعا على الفعل المجهول وقرا ابن محيصن ومجاهد ويوم تسير الجبال
رفعا دليل قراة ابي عمرو واذا الجبال سيرت ودليل قراة ابن كثير في تسير الجبال سيرا واختار ابو عبيد
القراة الاولى تسير بالنون لقوله وحشرناهم وهي بارزة ظاهره ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر
ولا بناء اي فتراهن حسب بمارها وتلمحها وتهدم بها نا هي بارزة ظاهرة وعلى هذا القول اهل
التفسير وقيل وترى الارض بارزة اي ببرز ما فيها من الكنوز والاموات كما قال واذا القبور بعثرت
واخرجت الارض اثقالها وهذا قول عطا وحشرناهم اي الى الموقف فلم نغادر منهم احدا اي لم نترك يقال
غادرت كذا اي تركته قال عنترة فغادرته متعفرا اوصاله والقوم بين مجرح ومجدل اي تركته والغادر
الترك ومنه الغدير لانه ترك الوناقالوا وانما سمي الغدير من الماء لان الماء ذهب وتركه ومنه عذاير المراة
لانها تجعلها خلفها بقول حشرناهم بعد موتهم وفاجر يهم جمعهم واسهم قوله تعالى وعرضوا على ربك
صفا نصب على الحال قال مقاتل يعرضون صفا بعد صف كالصفوف في الصلاة كل امة وزمرة صفا
كانهم صف واحد وقيل جميعا كقوله ثم ايتوا صفا اي جميعا وقيل بيانا وخرج الحافظ ابو القاسم
عبد الرحمن بن مندة في كتابه التوحيد عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك
وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير تطيع يا عبادي انا الله لا اله الا انا احد انا ارحم الراحمين
واحكم الحاكمين واسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون احضروا حجتكم وسروا
جوابا فانكم مسولون محاسبون يا ملايكتي اقيموا عبادي صفوفا على اطراف انامل اقدامهم للحساب
تلتف هذا الحديث غاية في البيان في تفسير الاية ولم يذكره كثير من المفسرين وذكرناه
في كتاب التذكرة ومنه نقلناه والحمد لله لقد جيتمونا كما خلقناكم اول مرة اي بيانا لهم لقد جيتمونا
حفاة عراة لا مال معكم ولا ولد وقيل فرادى دليله قوله ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وقد تقدم وقال الزجاج اي بعثناكم كما خلقناكم بل زعمتم هذا خطاب لمنكري البعث اي زعمتم في الدنيا
ان لن نبعثوا وان لن نجعل لكم موعدا للبعث وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله
الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال يا عايشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض عراة
اي غير مختونين وقد تقدم في الانعام قوله تعالى ووضع الكتاب اسم جنس وفيه وجهان احدهما
انها كتب الاعمال في ايدي العباد قاله مقاتل الثاني انه وضع الحساب قاله الكلبي وعبر عن الحساب
بالكتاب لانهم يحاسبون على اعمالهم المكتوبة والقول الاول اظهر ذكره ابن المبارك قال الحكم وابو
الحكم شك نعيم عن اسماعيل بن عبد الرحمن عن رجل من بني اسد قال قال عمر لكعب ويحك يا كعب
حدثنا من حديث الاخرة قال نعم يا امير المؤمنين اذا كان يوم القيامة رفع الموحد فلم يبق احد من الخلايق الا
وهو ينظر الى عمله قال ثم يوتى بالصحف التي فيها اعمال العباد هو لا الرشد ذلك قوله تعالى ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا
احصاها قال كعب ثم يدعى المومن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه فاذا حسناته ماربات للناس وهو غير سيانه

لكي لا يقول كانت لي حسنات ولم يذكر فاجب الله ان يبرم عمله كله حتى اذا استنقص ما في الكتاب ظن وجد في
اخر ذلك كله انه مغفور وانك من اهل الجنة حينئذ تعمل الى اصحابه ثم يقول لهاؤم اقرؤا كتابيه
الى ظننت اني ملاق حسابيه ثم يدعى الكافر فيعطى كتابه بشماله ثم يلف فيجعل ظهره ويلوى عنقه
تلك قوله واما من اوتي كتابه وراء ظهره فينظر في كتابه فيساءه باديات للناس وينظر في حسناته لكي لا يقول
اذا يات على السيات وكان الفضل بن عباس اذا قرأ هذه الاية يقول يا ويلتاه صغرا الى الله تعالى من الصغاير
قبل الكباير قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكثيرة الضحك يعني ما كان من ذلك في معصية الله عز وجل
ذكره الثعلبي وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الصغيرة الضحك قلت فيحمل ان تكون صغيرة اذا لم يكن
في معصية فان الضحك من المعصية رضى بها والرضى بالمعصية معصية وعلى هذا يكون كثيرة فيكون
وجه الجمع هذا والله اعلم او يحمل الضحك فيما ذكر الماوردي على التبسم وقد قال تعالى فتبسم ضاحكا من
قولها وقال سعيد بن جبير ان الصغاير اللمم كالمسيس والقبلة والكبيرة المرأة نعم والربا وقد مضى
في النساء بيان هذا قال قتادة استثنى التوم الا حفا وما اشكى احد ظلما فاباكم ومحقرات الذنوب فانها
تجمع على صاحبها حتى تهلكه وقد مضى وسمى احصاها عددها واحاطها واصف الاحفا الى الكتاب
توسعا ووجدوا ما عملوا حاضرا اي وجدوا الاحصاء ما عملوا حاضرا وقيل وجدوا جزاء ما عملوا حاضرا
ولا يظلم ربك احدا الا لا تحزن احدا يحرم احدا ولا يأخذه بما لم يعمله قاله الضحاك وقيل ولا ينقص
طايعا من ثوابه ولا يزيد عاصيا في عقابه قوله تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم فسجدوا الا
ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه فتذم في البقرة هذا مستوفى قال ابو جعفر النحاس وفي هذه الاية
سوال ويقال ما معنى ففسق عن امر ربه ففي هذا قولان احدهما وهو مذهب الخليل وسيبويه ان المعنى
اتاه الفسق لما امر فعصى وكان سبب الفسق امر ربه كما يقال بقول اطعمته عن جوع والقول الاخر وهو مذهب
محمد بن قطرب ان المعنى ففسق عن طاعة ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس
على جهة التوبيخ بقوله افتتخذونه يا بني ادم وذريته اولياء ومم لكم عدو ابئس بدلا هم بئس للظالمين
بدلا بئس عبادة الشيطان بدلا عن عبادة الله ابليس المبلس بدلا عن الله واختلف هل لابليس ذرية من صلبه
فقال الشعبي سالني رجل فقال هل لابليس زوجة فقلت ما ذكر لي اسمه ثم ذكرت قوله افتتخذونه
وذريته اولياء فعلمت انه لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس ادخل ذكره في فم نفسه
فباض خمس بيضات هذا اصل ذريته وقيل ان الله تعالى خلق له زوجا اليتيق ذكرا في البسرة وانثى هو
يناكح هذه فتخرج له في كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا او شيطانة
هو كم وهو بطير واعظمهم عندهم منزلة اعظمهم في بني ادم فتنة وقال قوم ليس له اولاد ولا ذرية
وذريته اعوانه من الشياطين قال القشيري ابو نصر وبالجملة ان الله تعالى اخبر ان لابليس اتباعا
وذرية واتباعهم يوسوسون الى بني ادم وهم اعداؤهم وكما يبعث عبدنا كيفية في كيفية التوالد منهم دون
وصول الذرية عن ابليس فيتوقف الامر فيه على نقل صحيح قلت الذي يثبت في هذا الباب
من الصحيح ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن الامام ابي بكر البرقاني انه خرج في كتابه
مسندا عن ابي محمد عبد الغني عن سعيد الحافظ عن رواية عاصم عن ابي عثمان عن سلمان قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابليس اول من يدخل السوق والاخر من يخرج منها ان ارض الشيطان
وفرخ وهذا يدل على ان للشيطان ذرية من صلبه والله اعلم قال ابن عطية وقوله وذريته ظاهر
اللفظ يقتضي الموسوسين الذين يأتون بالمنكر ويحملون على الباطل وذكر الطبري وغيره ان مجاهدا
قال ذرية ابليس الشياطين وكان بعدهم ولعور اصحاب الاسواق يضع راياته في كل سوق بين
السماء والارض يجعل تلك الراية على حانوت احدهم فلا يفتح حانوت ولا يغلق ومن صاحب المصايب بامر
يضرب الوجوه وشق الجيوب والدعا بالويل والحرب والاعور صاحب ارباب الربا ومسوط
صاحب الاخبار يأتي بها فيلقيها في افواه الناس فلا يجدون لها اصلا وداسم الذي اذا دخل
الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر اسم الله يقول لاصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء ثم ذكرت قولها فتتخذونه
وذريته اولياء فعلمت انه لا يكون ذريته الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس ادخل ذكره في فم نفسه
الله اعلم قال الاعمش رايت ابن زياد دخل البيت فلم اذكر الله ولم اسلم فرايت مطهرة فقلت
اريقوا هذه وخاصتهم ثم اذكروا قولوا اسم اعوذ بالله منه زاد الثعلبي وغيره عن مجاهد
والابيض وهو الذي يوسوس للانبياء وصخر وهو الذي اختلس خاتم سليمان عليه السلام
والولهان وهو صاحب الطهارة يوسوس فيها والاقيس وهو صاحب الصلاة يوسوس
فيها ومرة وهو صاحب المزامير وبه يكنى والهفاك يكفر بالمعاصي يضل الناس ويتهم
الهلاك وحكى ابو مطيع مكحول بن الفضل الشعبي عن السبي في كتاب الهولوات عن مجاهد ان الهفاف
هو صاحب الشراب ولهوس هو صاحب الحريس والاعور صاحب ابواب الشيطان قال وقال
الدارقطني ان لابليس شيطانا يقال له المنقاضي يتقاضى ابن ادم فحيثما كان يعمل في الشر

منذ عشرين سنة فيجد ثمرة في الفلانية قال ابن عطية وهذا وما جانسه مما لم يات به سند صحيح
وقد طول النقاش في هذا المعنى وجلب حكايات سعد عن ادم صحة ولمن عرف فن هذا صحيح الا ما في
كتاب مسلم من ان للصلاة شيطانا يسمى خنزب وذكر الترمذي ان للوضوء شيطانا يسمى الولهان
قلت اما ما ذكر من التعيين في الاسم فصحيح واما ان له اتباعا واعوانا وجنودا فمقطوع
به وقد ذكرنا الحديث الصحيح في ان له اولادا من صلبه كما قال مجاهد وفي صحيح مسلم عن عبد
الله بن مسعود قال ان الشيطان عثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيجد فيهم الحديث من الكذب
فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا اعرف وجهه ولا ادري ما اسمه تحدث وفي مسند
البزار عن سلمان الفارسي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكونن ان استطعت اول من يدخل
السوق ولا آخر من يخرج منها فانها معركة الشيطان وما ينصب رايته وفي مسند احمد بن حنبل
قال اما عبد الله بن المبارك قال ابا سفيان عن عطاء بن السايب عن ابي عبد الرحمن السلمي عن ابي
موسى الاشعري قال اذا اصبح ابليس بث جنوده فيقول من اضل مسلما البسته التاج قال
فيقول له القابل لم ازل به حتى طلق زوجته قال فيوشك ان يتزوج ويقول آخر لم ازل
به حتى عق قال فيوشك ان يبر قال ويقول القابل لم ازل به حتى شرب قال فاذا قال
لم ازل به حتى زنا قال فانت قال ويقول لم ازل به حتى قتل قال فاذا انت انت وفي صحيح
مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه
فمنه منزلة اعظمهم فتنة يجي احدهم يقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ويجي
احدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين اهله قال فيدنيه منه او قال فيلتزمه ويقول
نعم انت وقد ثبت وسمعت شيخنا الامام ابا محمد عبد المعطي ثم الاسكندرية يقول
ان شيطانا ابتلى له البيضاوي بتمثل للمتفقرا المواصلين في الصيام فاذا استحكم منهم
الجوع وامرنا ومعهم بكشف لهم عن ضيا ونور حتى يملا عليهم البيوت فيظنون انهم
قد وصلوا وان ذلك من الله وليس كما ظنوا قوله عز وجل ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم فيل الضمير عايد على ابليس وذريته اي لم اشاورهم في خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم بل خلقتهم على ما اردت وقيل ما اشهدت ابليس وذريته خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم اي انهم مشركين فكيف اتخذوهم اولياء من دوني وقيل
الكناية في قوله ما اشهدتهم ترجع الى المشركين والى الناس باكمله فتتضمن الاية الرد على طوايف
طوايف من المنجمين واهل الطبايع والمتحكمين من الاطباء وسواهم وكل يجري في هذه الاشيا
قال ابن عطية وسمعت الحي رضي الله عنه يقول سمعت الفقيه ابا عبد الله محمد بن سعادة المهدوي
بالمهدية يقول سمعت عبد الحق الصقلي يقول هذا القول وبيانا ولهذا التاويل في هذه الاية
وانما زاده على هذه الطوايف وذلك لهذا لعصر الاصوليين قال ابن عطية واقول ان الغرض
المقصود الاول بالاية هو ابليس وذريته وهذا الوجه يتجه الرد على الطوايف المذكورة على
الكمال ذا لوجب والمعظمين للنجوم حين يقولون اعوذ بعزة هذا الواري او الجميع من هذه
الفرق متعلقين بابليس وذريته وهم اضلوا الجميع فهم المراد الاول بالمضلين وتندرج
هذه الطوايف ما منعناهم قال الثعلبي وقال بعض اهل العلم ما اشهدتهم خلق السموات
والارض رد على المنجمين ان قالوا ان الافلاك تحدث في الارض وفي بعضها في بعض وقوله
والارض رد على المنجمين اصحاب الهندسة حيث قالوا ان الارض اكرية والافلاك تحري
تحتها والناس ملصقون عليها وتحتها وقوله ولا خلق انفسهم رد على الطبايعيين في النفوس
وقرا ابو جعفر ما اشهدناهم بالنون والالف على التعظيم الا قرون بالنا قوله وما كنت
متخذ المضلين يعني الشياطين وقيل الكفار عضدا اي اعوانا يقال اعضدت فلانا
اذا استعنت به وتقويت والاصل فيه عضد الانسان يوضع موضع القوة لان اليد تقوم بها
العضد بيا لعضده ويعاضده على كذا اذا اعانه واعزه قوله ستشد عضدك باخيك
اي سنعينك باخيك ولفظ العضد على جهة الميل والله سبحانه وتعالى لا يحتاج الى
عون احد خص المضلين بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ وقرا ابو جعفر المحمدي وما كنت
بفتح التا اي وما كنتم يا محمد متخذ المضلين عضدا وقرئ عضدا ثنائية اوجه عضدا بفتح العين
وضم الضاد وهي قراءة الجمهور وهي افصحها وعضدا بفتح العين واسكان الضاد وهي لغة تميم
وعضدا بضم العين والضاد وهي قراءة الجحدري والحسن وعضدا بضم العين واسكان الضاد
وهي قراءة عكرمة وعضدا بكسر العين وفتح الضاد وهي قراءة الضحاك وعضدا بفتح العين والضاد
وهي قراءة عيسى بن عمر وحكاها هارون القاري عضدا والمعنى اتخذهم عضدا على لغة من قال كيف ويحد

قوله

قوله تعالى ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم اي اذكروا يوم يقول الله نادوا شركائي اي
ادعوا الذين اشركتموهم بجلبمنعوكم من عذابي وانما يقول ذلك لعبدة الاوثان وتراجمة ويجيء
وعيسى بزعم يقول لهؤلاء الباقون بالنار فلم يقل شركائي ولم يقل شركائي ادعوهم ايتفعلوا ذلك فلم
يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم الى نصرهم ولم يكفوا عنهم شيأ وجعلنا بينهم موبقا قال ابن عباس بن مالك
هو واد في جهنم عميق قبح ودم وقال ابن عباس اي جعلنا بين المؤمنين والكفار حاجزا وقيل بين الاوثان
وعبدتها كقوله وبئسا بينهم قال ابن الاعرابي كل شيء حاجز بين شيئين فهو موبق وذكر ابن وهب
عن مجاهد في قوله موبقا قال واد في جهنم بعيد قال وذلك قال فوق الكافي الا انه قال لجمع
بينهم وبين المؤمنين عكرمة هو نهر في جهنم سيل نار على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فاذا
ثارت اليهم لتاخذهم استقبلوها فاقتحام في النار وراء ويرد ربهم عن ابن بن مالك
ما لموبقا واد في قعر جهنم وقال عطاء والضحاك مهلكا في جهنم ومنه يقال وبق يبق وبقا
اذا قال وقال ابو عبيدة موعدا للهلاك الجوهري ويونس ووقا هلك والمرتق مثل الموعد
مفعل من وعد بعيد ومنه قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا وبينه لغة اخرى وبق يبق وبقا
وبينه لغة ثالثة وبيق بالكسر فيهما واوبقه اي اهلكه وقال زهير وبيشتري حسن البنا
بماله يصين عرضه عن كل شنعا موبق قال الزاجل نواصلهم في الدنيا ممالكا لهم يجيء
الاخرة فقوله تعالى ورايي المجرمون النار اي راى اصله قلبت الياء الفا لانفتاح ما قبلها
وانفتاح ما قبلها ولهذا زعم الكوفيون اذ راي بكتب بالالف وتابعهم على هذا القول بعض
البصريين واما البصريون الحذاق منهم كالمبرد وغيره فيكتبونها بالياء لسكونها بعد كسر
على بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول لا يجوز ان يكتب معنى ورمى وكل ما كان من
ذوات الواو في الخط كما انه لا فرق بينهما في اللفظ ولو وجب ان يكتب ذوات الياء لنا
لوجب ان يكتب ذوات الواو ومن مع هذا يقولون فيكتبون رمى بالياء ورماه بالالف
فان كانت العلة انه من ذوات الياء وجب ان يكتبوا رماه بالياء ثم يكتبون مصطفى جمع صحوة وكسوة
ويجوز ذوات الواو والياء وهذا لا يحصل ولا يثبت على اصل فظنوا انهم مواقعوها ظنوا انها تحتى
البتين والعلم كما قال فقلت لهم ظنوا الى مدحج اي اليقنوا وقد تقدم قال ابن عباس لم يقنوا
انهم مواقعوها وقيل راوها من مكان بعيد فتوهموا انهم مواقعوها وظنوا انها تاخذهم في الحال
وفي الخبر ان الكافر لترى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمواقعة ملابسة الشيء
بشدة وظنوا انهم مواقعوها اي مجتمعون فيها والمواقع الجمع ولم يجدوا عنها مصرفا اي مهربا اي حالتها
بهم وقال العتبي مصدرا ينصرفون اليه وقيل ملجا يلجون اليه والمعنى واحد وقيل لم يجدوا الاصنام منهم نا
للنار عن المشركين قوله تعالى ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن للناس من كل مثل يحتمل
وجهين احدهما ما ذكره لهم من العبر والمزدجر الحالية الثاني ما اوضحه من دلايل الربوبية وقد
تقدم في سبحان تمهو على الوجه الاول حريا وعلى الثاني بيانا وكان الانسان اكثر شيء جدلا اي خصاما
ومحاولة والمراد به النضر بن الحرث قصده الى القرآن وقيل الاية في ابي بن خلف وقال الزجاج ايي
الكافر قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتى بالرجل يوم
القيامة من الكفار فيقول الله له ما صنعت فيما ارسلنا اليك فيقول رب امنت بك وصدقت
برسلك وعملت بكتابك فيقول الله له هذه صحيفتك ليس فيها شيء من ذلك فيقول يا رب اني
لا اقبل باتي هذه الصحيفة فيقول له هذه الملايكة الحفظة يشهدون عليك فيقول لا اقبلهم يا رب
وليت اقبلهم ولا هم من عندي ولا من جهتي فيقول الله تعالى للوح المحفوظ ام الكتب قد شهد
بذلك فقال يا رب الم يكن من الظلم قال بلى قال يا رب لا اقبل الا شاهدا على من نفسي فيقول الله تعالى
الا ان يبعث عليك شاهدا من نفسك فيفتكر في الذي يشهد فيختم على فيه ثم ينطق جوارحه بالشرك
ثم تخلى بينه وبين الكلام فيدخل الفاء وان بعضه ليبلغ بعضا يقول لاعضايه لمنكر انه فلم تنكر
لست انا اصلا فتقول اعضاوه لعنك الله ان الله تعالى يكتم حديثا وذلك قوله تعالى وكان الانسان
اكثر شيء جدلا اخرجه مسلم بمعناه من حديث انس ايضا وفي صحيح مسلم عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم
طرقه وفاطمة فقال الا تصلون فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا وان
ما نصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت له ذلك ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول
وكان الانسان اكثر شيء جدلا قوله تعالى وما منع الناس ان يوسنوا اذ جاءهم الهدى اي القرآن
والاسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام الا ان تاتيهم سنة الاولين اي سنتنا في اهلاكهم اي ما منعهم
عن الايمان الا حكمي عليهم ولو حكمت عليهم بالايمان امنوا وسنة الاولين عادة الاولين في عذابهم الاستيصال
وقيل المعنى وما منع الناس ان يوسنوا الا طلب ان يأتيهم سنة الاولين مخذف وسنة الاولين معاينة

وقيل لا ابرح مكانك حتى ابلغ مجمع البحرين اي ملتقاهما فاذ فتاه هو بحر فارس والروم وقاله مجاهد قال ابن عطية وهو ذراع يخرج من البحر مزسما الجنوب في ارض فارس مزوما ادريجان قال تركن الذي لا احتمال البحرين ما يلي بر الشام هو مجمع البحرين على هذا القول وقيل بحار الارض وبحر القلزم وقيل مجمع البحرين عند طنجة قاله محمد بن كعب وروي عن ابي بن كعب انه بافريقية وقال السدي هو الكدى والرس بارمانية وقال بعض اهل العلم هو بحر الاندلس من البحر المحيط حكاه النقاش وهذا مما لا يذكر كثيرا وقالت فرقة انهما موسى والخضر وهذا قول ضعيف وحكي عن ابن عباس ولا يصح فان الامر بين من الاحاديث انه انما رسم له بحرا وسبب هذه القصة ما خرجه الصحيحان عن ابي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني اسرايل فقيل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله في مكتل حيث ما فقدت الحوت فهو ثم وذكر الحديث واللفظ للبخاري وقال ابن عباس لما ظهر موسى وقومه على ارض مصر نازل قومه مصرنا بما اسعرت بهم الدار امره الله ان يذكرهم بايام الله فخطب قومه فذكرهم ما اراهم الله من الخير والنعمة انجاهم من فرعون واهلك عدوهم واستخلفهم في الارض ثم قال وكلم الله نبيكم تكليما واعطاه لنفسه ولا نبي على مجبة منه ولياكم من كل ما سالتموه فجعلكم افضل اهل الارض ورزقكم العز بعد الذل والغنى بعد الفقر والنورانية بعد ان كنتم جهالا فقال له رجل من بني اسرايل عرضا الذي تقول هل على وجه الارض احد اعلم منك ايا نبي الله قال لا فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم اليه فبعث الله جبريل ان ايا موسى وما يدريك اين علمي بل ان لي عند المجمع البحرين اعلم منك وذكر الحديث قال علما ونا فنزله في الحديث هو اعلم منك وذكر الحديث ابي باحكام وتابع بفضله وحكم نوازل معينة لا مطلقا كدليل قول الخضر لموسى انك على علم علمكه الله لا اعلمه انا وانا على علم علمنيه لا تعلمه انت وعلى هذا فيصدق على كل واحد منهما ولا يجعله الاخر فلما سمع موسى هذا مستوفز نفسه الفاضل وهمته العالية لتحصيل علم عالم يعلم ولقاء من قيل فيه انه اعلم منه سال الدليل فكيف السبيل فامره الله تعالى على كل حال وقيل له احمل معك حوتا فانك ملاق الخضر وهو الرسل كما سياتي ونفقده مع السمك فانطلق مع فتاه لما وانا وعهده مهذا طلبا قليلا لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا بضم الحاء والقاف وهو الدهر والجمع احقاب وقد يسكن قافه فيقال حقب وهو ثمانون سنة ويقال اكثر من ذلك والجمع حقاب والحقبة بكسر الحاء واحدة الحقب وهي السنون التي تتبع هذا المعنى في الغة رصد العالم في طلب الازدياد من العلم والاستفادة على ذلك بالخادم والصاحب واغتنام لقاء الفضلا والعلما وان بعدت اقطارهم وذلك كان في اداب السلف الصالح ولسد ذلك وصل المرتحلون الى الخطا الراحج وحصلوا على السعي الناجح فرسخ لهم في العلو اقدام وصح لهم من الذكر والاخر افضل الاعمام قال البخاري ورجل جابر بن عبد الله مسيرة شهر الى عبد الله بن انيس في حديث الثالثة قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه للعلما فيه ثلاثة اقوال احدها انه كان معه يخدمه فالقى في كلام الوهب الشاب ولما كان الخدمة اكبر ما يكونون فيه سانا فضل للخادم بني على جهة حسن الادب وبرت الشريعة الى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وهذا ابرت الى التواضع وتقدم هذا في يوسف والفتى في اللغة هو الخادم وهو يوشع بن نون ابن افرايم بن يوسف عليه السلام والمعنى في اللغة هو الخادم وهو يوشع بن نون ابن اخت موسى عليه السلام وقيل انما سمي فتى موسى لانه لزمه ليتعلم منه وان كان نبيا وهذا معنى لا ولي وقيل انما سماه فتى لانه قام مقام الفتى وهو العبد قال الله تعالى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم رحالهم وقال ابراهيم ونتاها عن نفسه قال ابن العربي ظاهر القران يقتضي انه عبد وفي الحديث انه كان يوشع بن نون وفي التفسير انه ابن اخيه وهذا كله مما لا يقطع به قال ثوقبت فيه اسلم الرابعة قوله تعالى او امضي حقبا قال ابن عمر والحقب ثمانون سنة مجاهد سبعون خريفا قتادة زمان الخاسر الذي توفي فيها للغة ان الحقب والحقبة زمان من الدهر مبهم غير محدود كالابد والعمر ومنهم غير محدود وجمعه احقاب قوله تعالى فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا الضمير في قوله بينهما للبحرين قاله مجاهد والسرب الملك قاله مجاهد وقال قتادة حمد الكما فصار كالسرب وجمهور المفسرين ان الحرب لفي موضع سلوكه ما رغما ان موسى مشى عليه مسعا للحوت حتى افضى به الطريق الى جهة البحر وبها وهو الخضر وظاهر الروايات والكتاب انما وجد الخضر في صفة البحر وقوله نسيا حوتهما وانما كان النسيان من الفتى وحده وقيل المعنى نسي ان يعلم موسى بما راى من حاله فنسب النسيان اليهما للصحبة كقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح وقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس لا من الجن وفي البخاري فقال لفتاه لا اكلفك الا ان اكرك بجيء فما رقد الحوت قال ما كلفت كثيرا ذكر ذلك قوله عز وجل واذ قال موسى لفتاه ابن نون

العذاب فطلب المشركون ذلك وقال اللهم ان كان هذا هو الحق الآية فاتنا بعذاب فنزلا ينصب
على الحال ومعناه عيانا قاله ابن عباس وقال الكلبي هو السيف يوم بدر وقال مقاتل في الجاه وقرا ابن
جعفر وعاصم والاعمش وحمزة ويحيى والكسائي فيلا بضمتين اراد وابه اصناف العذاب كانه جمع فيل
كرسل وسبل الخاص ومذهب الفراء ان فيلا جمع فيل اي متفرقا يتلو بعضه بعضا ويجوز
عنده ان يكون المعنى عيانا وقال الاعرج وكانت قرأته فيلا معناه جميعا وقال ابو عمرو وكانت قرأته
فيلا ومعناه عيانا قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالجنة لمن امن ومنذرين
اي يخوفين بالعذاب ثم كفروا وقد تقدم ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل نزلت
في المقتسمين كانوا يجادلون في الرسول صلى الله عليه وسلم فيقولون ساحر ومجنون وشاعر
وكاهن كما تقدم ومعنى ليدحضوا ليزلوا ويبطلوا واصل الدحض الزلق يقال دحضت رجله
اي زلقت يدحض دحضا ودحضت الشمس عن كبد السماء زالت ودحضت حجته دحوضا بطلت
واوحضها الله والادحاض من الازلاق وفي وصف الصراط ويضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة
فيقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة اي تزلق فيه القدم قال طرفة
* انا منذرر مت الوفا فحفيته وحدث كما جاد البعير عن الدحض * واتخذوا اياتي يعني القرآن
وما انذروا من الوعيد هزوا وما بمعنى المصدر اي والانذار وقيل معنى الذي اي اتخذوا القرآن هزوا
والذي انذروا به من الوعيد هزوا اي لعبا وباطلا وقد تقدم في البقرة بيانه وقيل هو قولهم
اي جهل في الزبد والتمر هذا هو الرقوم وقيل هو قولهم في القرآن انه سحر واضغاث احلام و
واساطير الاولين وقالوا للرسول هل هذا الا بشر مثلكم وقالوا لو انزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وما اذا اراد الله بهذا مثلا قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها
اي لا احد اظلم لنفسه ممن وعظ بايات الله ربه فتهاون بها واعرض عن قبولها ونسي ما قدمت
يداه اي ترك كفره ومعاصيه فلم يتب منها والنسيان هنا بمعنى الترك وقيل المعنى نسي ما قدم لنفسه
وجعل من العذاب والمعنى منقاد على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا بسبب كفرهم
اي كراهة ان يفقهوا الايمان ان يدخل قلوبهم واسماعهم وان تدعهم الى الهدى اي الى الايمان فلن
يهتدوا اذا ابدا نزل في قوم معينين وهو يرد على القدرية قولهم وقد تقدم معنى هذه الاية في سبحان
وغيرها قوله تعالى وربك الغفور ذو الرحمة اي للذنوب وهذا يختص به اهل الايمان دون الكفر
بدليل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ذو الرحمة فيه اربع تاويلات احدها ذو العفو الثاني
ذو الثواب وهو على هذين الوجهين مختص باهل الايمان دون الكفر الثالث ذو النعمة الرابع ذو
الهدى وهو على هذين الوجهين يعم اهل الايمان والكفر لانه ينعم في الدنيا على الكافر كما ينعم على
المؤمن وقد اوضحنا هذا للكافر كما اوضحناه للمؤمن وان اختص بالمؤمن دون الكافر ومعنى قوله
بما كسبوا اي من الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب ولكنه يمهل بل لهم موعد اي اجل مقدر يؤخرون
اليه نظيره لكل نبإ مستقر لكل اجل كتاب اي اذا حل لم يتاخر عنهم اما في الدنيا واما في الاخرة لن
يجدوا من دونه موئلا اي ملجا قاله ابن عباس وابن زيد وحكاه الجوهري في الصحاح وقد قال
سلامة ووئل على فعول اي نجا ورامر على فاعل اي طلب النجاة وقال مجاهد محرزا قتادة
ولسا وابو عبيدة منجى وقيل محصنا والمعنى واحد والوبء لغة والتاء لغة اخت وسنه
قول الشاعر * لا والت تقسك خلتها للغادرين ولم تكل * وقال الاعشى * وقد جالس ربة
البيت غفلة وقد نجا ورمى حاسل * اي ما ينجو قوله تعالى وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا
موضع رفع بالابتداء القرى نعت او بدل واهلكناهم في موضع الخبر ويجوز على المعنى ان اهل
القرى ويجوز ان يكون تلك في موضع نصب على تفسير المضمر اي وتلك القرى اهلكناهم فقصتها
عليك نبأهم كقوم نوح وعاد وثمود ومدين وقوم لوط اهلكناهم لما ظلموا وكذبوا وجعلنا لمهلكهم
موعدا اي وقتا معلوما لم نعذبهم ومهلك من اهلكوا وقرأ عاصم مهلكا بفتح الميم واللام وهو مصدر هلك
واما المهلك بكسر الميم فيحتمل ان يكون مصدرا ويحتمل ان يكون اسم الزمان والتقدير لوقت مهلكهم كما بينا في الكهف التاء على مصيرها قوله تعالى واذ قال موسى
لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى واذ قال
موسى لفتاه لا ابرح الجمهور من العلماء والاخبار انه موسى بن عمران المذكور في القرآن ليس به موسى
غيره فقالت فرقة منهم يوشع النكالي انه ليس ابن عمران وانما هو موسى بن ميشا بن يوسف
ابن يعقوب وكان نبيا قبل موسى بن عمران وتدرد هذا القول ابن عباس في صحيح البخاري وغيره وانما
هو يوشع بن نون وقد مضى ذكره في المائدة واما يوسف وزاد هو ابن منسى فليس الفتى يوشع
بن نون لا ابرح اي لا ازال السير قال الشاعر * وابرح ما ادام الله قومي بحمد الله منطقا مجيدا *

لست عن سعد نا دينا هو في ظل صخرة في مكان بربان اذ ضرب الحوت وموسى نايم فقال لفتيه فتاه
فتاه لا اقظ حتى اذا استيقظ نسي ان يخبره ويضرب الحوت حتى دخل البحر فامسك الله عنه جرية
البحر حتى كان اثره في حجر فذلك لعمر وهكذا كان اثره في حجر وحلق بين ابهاميه والتي يليانهما وفي
رواية وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره م
بالحوت فانطلقا بقيه يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من م
سفرنا هذا نصبا ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امر الله به قال له فتاه ارايت اذ اوينا
الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقيل ان النسيان كان منهما لقوله
ونسيا فنسب النسيان اليهما ولكنه انما دخل الحوت كان موسى نام الذي امر به فلما مضيا كان
فتاه هو الحامل له حتى اويا الى الصخرة نزلا فلما جاوزا بهتى الحوت هنالك ونسيا ايه منزوكا فلما سال
موسى الغداء نسب الفتى النسيان الى نفسه عند المخاطبة وانما ذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع
البحرين وهو الصخرة فقد كان موسى نزلها في النسيان الناصين ذلك قوله في الدعا
انسا الله اجلك فلما مضيا من الصخرة امر صرتهما عن عمله فلم يحمل واحد منهما محاذان ينسب اليهما
انهما مضيا وتركا الحوت قوله تعالى انتا غداءنا فيه مسئلة واحدة وهو اتخاذ الزاد في الاسفار
وتصرد على الصوفية الجهلة الاغمار الذين يفتخرون المهامة والقفار زعما منهم ان ذلك هو التوكل
على الواحد القهار وهذا موسى نبي الله وكليمه من اهل الارض قد اتخذ الزاد مع معرفته بربه وتوكله على
رب العباد وفي صحيح البخاري ان ناسا من اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن
المتوكلون فاذا قدموا سالوا الناس وقد انزل الله وتزودوا وقد مضى هذا في البقرة واختلفت
في زاد موسى ما كان فقال ابن عباس كان حوتا مملوحا جاء في التنزيل وكانا بصبيان منه عجبا وعشارة
فلما انتهيا الى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل فاصاب الحوت جري البحر فتحرك الحوت في المكتل
فقلب المكتل واشرب الحوت وسي الفتى ان يذكر قصة الحوت لموسى وقيل انما كان الحوت دليلا على موضع
الخضر لقوله في الحديث احمل معك حوتا في مكتل فحيث تفقد الحوت فهو ثم وعلى هذا فيكون تزود شيئا
اخر غير الحوت وهذا ذكره شيخنا الامام ابو العباس واختاره قال ابن عطية قال ابي رضي الله عنه سمعت
ابا الفضل الجوهري يقول في وعظه مشى موسى الى المناجاة فبقي اربعين يوما لم يجع الى طعام ولما
نسي الى بشر لحفته الجوع في بعض يوم وقوله نصبا اي تعبا والنصب التعب والمشقة وقيل عنى
به هنا الجوع وفي هذا دليل على جواز الاخبار فيما يجده الانسان من الالم والامراض وان ذلك لا يقدح في
الرضى ولا في التسليم والقضا لكن اذا لم يصدر ذلك عن ضجر ولا تسخط وفي قوله وما انسانيه الا
الشيطان ان اذكره ان مع الفعل بتاويل المصدر وهو منصوب بدلا اشتمال من الضمير في انسانيه اه
وهو بدل الظاهر من المضمر وما انساني ذكره الا الشيطان وفي صحيح عبد الله وما انسانيه ان
اذكره الا الشيطان وهذا انما ذكره يوشع في معرض الاعتذار لقول موسى له اكنت ان تخبرني
بحيث بقار تك الحوت فقال ما كلفت كثيرا فاعتل بذلك القول قوله تعالى واتخذ سبيله في
البحر عجبا يحتمل ان يكون من قول يوشع لموسى اتخذ الحوت سبيله عجبا للناس ويحتمل ان يكون
قوله واتخذ سبيله في البحر تمام الخبر ثم استانف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا الامر
وموضع العجب ان يكون حوت قد مات فاكل شقه الايسر ثم حي بعد ذلك قال ابو شجاع في
كتاب الطبري رايته انبت به فاذا هو شقة حوت وعين واحدة وشق اخر ليس فيه شي قال ابن
عطية والاراه الشق الذي ليس فيه شي عليه نشرة رقيقة يبقى تحته شوكة ويحتمل ان يكون
قوله واتخذ سبيله اخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين اما ان يخبر عن موسى انه اتخذ سبيل
الحوت في البحر عجبا اي تعجب منه واما ان يخبر عن الحوت انه اتخذ سبيله عجبا للناس ومن غريب
ما روي في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية ان الحوت انما جيء به مسه ما عند هناك
تدعى عين الحياة ما مست قط شيا الا حيي وفي التفسير ان العلامة كانت ان تحيى الحوت فقيل لما
نزل موسى بعد ما احمده السفر على صخرة على حافة الحياة اصاب الحوت شي من ذلك الماء فحيي وقال
الترمذي في حديثه قال سفيان يزعم ناس ان تلك الصخرة عندها عين الحياة ولا يصيب ماؤها شيا
الا عاش قال وكان الحوت قد اكل منه فلما قطر عليه الماء عاش وذكر صاحب كتاب العروس ان موسى
عليه السلام توضى من عين الحياة فنضحت من لجينته على الحوت فحيي والله اعلم قوله تعالى
ذلك ما كنا نبغ اي قال موسى لفتاه امر الحوت وفقده هو الذي كنا نطلب فقال الرجل الذي جيء اله
ثم رجعا يقصان اثارهما ليلا يخطيا طريقهما في البحار فوجدا خضرا على ثنية في وسط كبد البحر مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت راسه فسلم عليه موسى فكشف عن
وجهه وقال هل بارضي من سلام من انت قال موسى قال موسى بني اسرايل قال نعم قال ما شانك قال

جيت لتعلمني مما علمت رشدا الحديث وقال الثعلبي ثم كتب الوا بسران موسى وفتاه وجدا الخضر وهو
نايم على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو منتشح بثوب اخضر فسلم عليه موسى فقال انا بارضنا السلام
ثم رفع راسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يا نبي بني اسرايل فقال له موسى وما ادراك
اني وما اخبرك اني نبي بني اسرايل قال الذي ادراك اني بي وذلك على ثم قال يا موسى لقد كان لك فيما
بني اسرايل شغل قال موسى اذن فما ارسلني اليك فاتبعك واعلم مما علمك علمك ثم جلسا يتحدثان
فجاءت عظاءة وحملت بمنقارها ماء فالقته في البحر فاخذ الماء وذكر الحديث على ما يأتي قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا
العبد هو الخضر عليه السلام في قول الجمهور بمقتضى الاحاديث الثابتة وخالف من لا يعتد بقوله
فقال ليس صاحب موسى بالخضر بل هو عالم اخر وحكى ايضا هذا القول التشيري قال وقال قوم هو
عبد صالح والصحيح انه كان الخضر بذلك وردا الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد سمي الخضر
لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضرا هذا حديث صحيح غريب الفروة هنا
وجه الارض قاله الخطابي وغيره والخضر نبي عند الجمهور وقيل هو عبد صالح غير نبي والاية تشهد بنبوته
بنبوته لانه لو اطلع افعاله كانت الا بوحي وايضا فان الانسان لا يتبع الا من فوقه وليس يجوز ان يكون
فوق النبي مرتبة بنبي وقيل كان ملكا امر الله موسى ان ياخذ عنه ما حمله من علم الباطن والاول الصحيح
والله اعلم قوله تعالى اتيناه رحمة من عندنا الرحمة في هذه الاية النبوة وقيل النعمة وعلمناه من لدنا علما
اي علم الغيب بعطية كان علم الخضر بمعرفة بواطن قد وجبت اليه ما يعطى ظواهر الاحكام افعاله بحسبها
وكان علم موسى علم الاحكام والفتيا بظاهر اقوال الناس وافعالهم فقوله تعالى قال له موسى هل اتبعك
على ان تعلمني مما علمت رشدا فيه سبعة اوجه الاولى قال له موسى هل ابعثك هذا سوال الملاطف
والمخاطب المستنزل المتواضع في حسن الادب المعنى هل تتفق لك وتخف عليك وهذا كما في الحديث
هل لنسنة طبع ان تربني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينوضا وعلى بعض الناويلات
في كذلك قوله تعالى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء حسب ما تقدم بيانه في المائدة
الثانية في هذه الاية دليل على ان المتعلم يتبع للعالم وان تفاوتت المراتب ولا يظن ان تعلم موسى من الخضر
ما يدل على ان الخضر كان افضل منه فقد يشذ على الفاضل ما يعلمه المفضول والفضل لمن فضله الله
فالخضر ان كان وليا كموسى افضل منه لانه نبي والنبي افضل من الولي وان كان وليا نبيا فموسى افضله
بالرسالة والله اعلم ورشدا منصوب لان بتعلمني قال له الخضر انك لن تستطيع معي صبرا اي انك
يا موسى لا تطيق ان تصبر على ما تراه من علمي لان الظواهر التي هي علمك لا تقطيه وكيف تصبر على ما تراه
خطا ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب وهو معنى قوله وكيف تصبر على ما لم تحط به
خبرا والانبياء لا يقرون على منكر ولا يجوز لهم التقرير اب لا يسعك السكوت جريا على عادتك وعلمك
وانتصب خبرا على التمييز المنقول عن الفاعل ودخل على المصدر المبالغة في المعنى لان قوله تحط
معناه لم تخبره خبرا واليه اشار ربجاهد والحبر والسبر بالامور هو العالم بخفيا يا ها وما يجر منها قوله
قوله تعالى ستجدني ان شاء الله صابرا اي ساصبر بمشيئة الله ولا اعصي لك امرا اي قد الزمت
نفسي طاعتك واختلف في الاستثناء هل يشمل قوله ولا اعصي لك امرا ام لا فقيل ليشمله كقوله والذا
كرين الله كثيرا والذاكرات وقيل استثنى في الصبر فصبر وما استثنى في قوله ولا اعصي فاعترض وقال
قال علما ونا كان ذلك منه لان الصبر امر مستقبل ولا يدري كيف يكون حاله فيه ولعل المعصية معدوم
عليه حاصل في الحال فلا استثناء فيه ينافي الوثوق عليه ويمكن ان يفرق بينهما بان الصبر ليس مكتسبا
لنا بخلاف فعل المعصية وتركها فان ذلك كله مكتسب لنا والله اعلم قوله تعالى قال ان اتبعتني
فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى اكون انا افسره لك وهذا من الخضر تاديب
وارشاد لما يقتضي دوام الصحبة فلما صبر ودام التعليم لم يات لراي العجب لكنه اكثر من الاعتراض فتقيد الزام
والاعراض قوله عز وجل فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها فيه مسئلتان الاولى في
صحيح مسلم والبخاري فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا
الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع منها لوحا فالوح السفينة
بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرقا اهلها لقد جئت
شيئا امرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري
عسرا قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر
نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر نقال
علما ونا خرق السفينة طرحها وخرق كل شيء طرفه وهو اعلاه والمعدود والعلم هنا بمعنى المعلوم كما قال

ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما علم وهذا من الخضر تمثيل لما تعلموا منه وعلموا مثله في علم الله لا اثر له بالنسبة الى ما البحر وانما مثل له ذلك بالبحر لانه اكثر ما نشاهده مما يبين ابدينا واطلاق لفظ النقص هنا تجوز فصل به التمثيل والتفهيم اذ لا نقص في علم الله ولا نهاية لمعلوماته وقد اوضح هذا المعنى له البخاري فقال والله ما علمي وعلمك في جنب علم الله الا كما اخذ هذا العصفور بمنقاره من البحر وفي التفسير عن ابي العالية لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى وكان عمداً لم يرده الا عين من اراد الله ان يريه ولو راه القوم لمنعوه من خرق السفينة وقيل خرج اهل السفينة الى جزيرة ثم تخلف الخضر فخرق السفينة وقال ابن عباس لما خرق الخضر السفينة لتحي موسى ناحيتها وقال في نفسه ما كنت اصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت احسبني اسرائيل لو اكتاب الله عليهم عدوة وعشية فيطيعوني قال له الخضر يا موسى اتريد ان اخبرك بما صدتك به نفسك قال نعم قال كذا وكذا قال صدقت ذكره الثعلبي في كتاب العرائس الثالثة في خرق السفينة دليل على ان للولي ان ينقض مال اليتيم اذا راه صلاحا مثل ان يخاف على ترعه ظالما فيخرب بعضه وقال ابو يوسف يجوز للولي ان يصانع السلطان ببعض مال اليتيم عن البعض وتراحمزة والكسائي يوقف اصلها بالرفع تاعل يوقف ما للام على قراءة الجماعة متى لتفرق لام المال مثل ليكون لهم عدوا وحزنا وعلى قراءة حمزة لام كي ولم يقل لتغرقي لان الذي غلب عليهم في الحال وطا الشفقة عليهم ومراعاة حقهم واسرا معناه عجبا قاله القتبي وقيل منكرا قاله مجاهد وقال ابو عبيدة الامر الداهية العظيمة وانشد قد لقحت حرب عوان مني مكروهة دهيا ذات امر وقال الاخفش يقال امرامره بامر اذا اشتد والاسم الامر قوله تعالى لقد جئت شيئا امرا سبق في معناه قولان احدهما يروى عن ابن عباس قال هذا من معاريض الكلام والاخر انه نسي فاعتذر فيه ما يدل على ان النسيان لا يقتضي المؤاخذة وانه لا يدخل تحت التكليف ولا يتعلق به حكم طلاق وغيره وتقدم تقدم ولو نسي في الثانية والثالثة اعتذر قوله عز وجل فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله في البخاري قال يعلى قال سعيد وجدهما يلعبون فاخذ غلاما كافرا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ابن جريج وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا لفظ البخاري وفي التفسير ان الخضر مر بغلمان يلعبون فاخذ بيد غلام لبيس فيهم اصوار منه واخذ حجرا فقعص برأسه حتى دمغه فقتله قال ابو العالية لم يره موسى ولا اصحابه الذين كانوا بينه وبين الغلام تلك الاحوال الثلاث فانه يحتمل ان يكون دمغه اولا بالحجر ثم اضجعه فذبحه ثم اقتلع راسه والله اعلم بما كان من ذلك وحسبك بما جاء في الصحيح وقرا الجمهور زاكية بالالف وقرا الكوفيون وابن عامر زكية بغير الف وتشديد الياء قيل المعنى واحد قاله الكسائي وقال ثعلب الزكية البالغ وقال ابو عمرو والزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم تابت قوله تعالى فلما اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغا ام لا فقال الكلبي كان بالغا يقطع الطريق بين قريتين وابو من عظما اهل احدى القريتين وامه من عظما القرية الاخرى فاخذه الخضر فصرعه ونزع راسه عن جسده قال الكلبي واسم الغلام شمعون وقال الضحاك حشود وقال وهب اسم ابيه سلاس واسم امه برهمي وحكى السهيلي ان اسم ابيه كان برك واسم امه سهوى وقال الجمهور لم يكن بالغا ولذلك قال موسى زاكية لم تذنب وهو الذي يقتضيه لفظ الغلام لان الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ ويقابله الجارية في النساء وكان للخضر قتله لما علم من سره وانه طبع كافرا كما في صحيح الحديث وانه لو ادرك ابويه لارهقهما كفرا وقتل الصغير غير مستحيل اذا اذن الله في ذلك فان الله تعالى يفعل ما يريد القادر على ما يشاء وفي كتاب العرائس ان موسى قال للخضر اقتلت نفسا زاكية الا بانه عضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم كتفه مكتوب كافر لا يومن بالله ابدا وقد اصح اهل القول الاول بان الغلام يسمى على الشباب اسم الكلام ومنه قول لبلى الاخيلية • شفاها من الداء العضال الذي بها غلام اذا هز القناة شفاها • وقال صفوان الحسان • تلقى ذباب السيف عني فانني غلام اذا هوجيت لست بشاعر • وفي الخبر ان الغلام كان يفسد في الارض ويقسر ابويه انه ما فعل فيقسمان على انه فسد وبجيبانه ممن يطلبه قالوا وقوله بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا دال على ان القتل نفس لم يكن به باس وهذا يدل على كبر الغلام والا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس وانما جاز قتله لانه كان بالغا عاصيا قال ابن عباس

كان شابا يقطع الطريق و ذهب ابن جبير الى انه بلغ سن التكليف لغراة ابي وابن عباس رأى الغلام و لكان كافرا وكان ابواه مؤمنين والكفر والايمان من صفات المكلفين ولا يطلق على غير مكلف الا بحكم التبعية لابويه وابو الغلام كانا مؤمنين بالنص فلا يصدق عليه اسم الكافر الا بالبلوغ فتعين ان يصار اليه والغلام مراد بالغلام وهو شدة السبق قوله عز وجل نكرا اختلف الناس ايما ابلغ امرا او قوله نكرا فقالت فرقة هذا قتل بين وهناك سرقب فنكرا ابلغ وقالت فرقة هذا قتل واحد وذلك قتل جماعة فامرا ابلغ قال ابن عطية وعندي انهما معنيين وقوله امرا افظع واهول مرجبك هو موقع عظيم ونكرا بين الفساد لان منكروهم فذ وقع وهذا بين قوله ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني شرط وهو لازم والمسلوك عند شروطهم واخذ الشروط ان يوفى بها التزمه الانبيا والتزم للانبيا وقوله قد بلغت من لدني عذرا يدل على قيام الاعذار بالمرة الواحدة مطلقا وتيام الحجة من المرة الثانية بالقطع قال ابن العربي ابن عطية ويشبه ان يكون هذه القصة ايضا اصلا للاحاد في الاحكام الدموية ثلثة وايام التكوه ثلاثة فتامله قوله عز وجل فلا تصاحبني كذا قرا الجمهور اي تتابعني وقرا الاعرج تصحبني بفتح التا والبا وتشديد النون وقرئ تصحبني اي تتبعني وقرا يعقوب تصحبني بضم التا وكسر الحا وروها سهل عن الجعفي وقال الكسائي معناه فلا تتركني اصحبك قد بلغت من لدني عذرا اي بلغت مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي وقرا الجمهور من لدني بضم الدال الا ان نافعا وعاصما خففا النون وهي لدن اذا وصلت بحاياً المتكلم التي في علامي وقرئ وكسر ما قبلها كما كسر في هذه وقرا ابو بكر عن عاصم لدني بفتح الدال وسكون الدال قال ابن مجاهد وهي غلط قال ابو علي هذا التغليط يشبه ان يكون من جهة الرواية فاما على قياس العربية فهي صحيحة وقرا الجمهور عذرا وقرا عيسى عذرا بضم الذال وحكى الداراني ان ابيا وابي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عذري بكسر الذال وبا بعدها مسئلة اسند الطبري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا احدا بدا بنفسه فقال يرحم الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لراى العجب ولكن قال فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا والذي في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله علينا وعلى موسى لو لا ان عجل لراى العجب ولكنه اخذته ذمامة من صاحبه فلو صبر لراى العجب قال وكان اذا ذكر احدا من الانبيا بدا بنفسه فقال يرحمنا الله علينا وعلى اخي كذا وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا من امرهما الذمامة بالذال المعجمة المفتوحة وهو بمعنى الحرمة بفتح الذال وكسرها وهي الرقة والمعاد من ترك الجرمة يقال اخذ بني منه مذمة ومذمة وذمامة وكانه استحى من تكرار مخالفته ومما صدر عنه من تغليظ الانكار قوله عز وجل فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية الى قوله صبرا ليه ثلاث عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى حتى اذا اتيا اهل قرية في صحيح مسلم عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم لئام فطافا في المجلس فاستطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض به يقول مايل قال الخضر بيده فاقامه قال له موسى قوم اتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددنا انه كان صبر حتى يقص علينا من اخبارهما الثانية واختلف العلما في القرية فقيل هي ايلة قاله قتادة وكذلك قال محمد بن سيرين وهي الى قرية وابعدها من السما وقيل انطاكية وقيل بجزيرة الاندلس ورويت ذلك عن ابي هريرة وغيره وبذكر انها الجزيرة الخضرا وقالت فرقة هي ابو قبيس واجيادها ارمينية وحكى السهيلي وقال وافيها رقدة الثعلبي هي قرية من قرى الروم بقال لها ناصرة وابها ينسب النصارى وهذا كله بحسب العلاف لي ابن ناحية من الارض كانت قصة موسى والله اعلم بكيفيته الثالثة كان موسى جبل سقى لبيت شعيب حوج منه الى حيث اتى القرية مع الخضر ولم يساله قوتا بل سقى ابتدا وفي القرية بسالا القوت وفي ذلك لتعلما الفضائل كثيرة منها ان موسى كان يحدث مدين منفردا وفي قصة الخضر متبعا لغيره فمن وعلى هذا المعنى يتمشى قوله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ناصابه الجوع مراعاة لصاحبه بوشع والله اعلم وقيل لما كان هذا سفر تاديب وكل الى تكلف المشقة وكان ذلك سفر هجرة توكل الى العون والنصرة والقوة الرابعة في هذه الاية دليل على سوال القوت وان الرجاع وجب عليه ان يطلب ما يرد جوعه طلانا لجهاد الصوفية والاستطام سوال الطعام والمراد به هنا سوال الضيافة بدليل قوله فابوا ان يضيفوهما وبه نا سحق اهل القرية لذلك ان يدعوا ويلتمسوا الى الكرم والبخل كما وصفهم بذلك نبينا صلى

الله صلى الله عليه وسلم قال قتادة في هذه الاية سرك العمر الذي لا تضعف ولا تعرف له سببا
حتى ويظهر من ذلك ان الضيافة كانت عليهم واجبة وانما الخضر وموسى سألا ما يجب لامثالهما
ومنصب الفضلاء الاولياء وقد تقدم القول في الضيافة في هود والحمد لله ويعفو الله عن الحر بريء
حيث تسمح في هذه الاية وانى يخطئ من القول فزل فاستدل بها على الكدية والالحاح فيها
وانه لك ليس بعيب على فاعله ولا منقصة عليه فقال ه فان رددت ما جئ الرد منقصة عليك
فقد رد موسى قبل والخضر ه وهذا لعب بالدين واسلال عن احترام النبيين وهي شنشنة
ادبية ونعوذ سخافية ويرحم الله السلف الصالح فلقد بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح
فقالوا مما كتب ه عبد الملك الى ابنه يا بني ان تلعب بدينك احب الي من ان تسأل احدا قوله تعالى جدارا الجدار
والجدر بمعنى وفي الخبر حتى يبلغ الماء الجدر وكل جدر رابية بنى هو البر جدار واصله الرفع واجدر
الشجر طلعت ومنه الجدرى السادسة قوله تعالى يريد ان ينقض اي قرب ان يسقط وهذا
مجاز وتوسع وتفسره في الحديث بقوله مايل وكان فيه دليل على وجود المجاز في القرآن وهو
مذهب الجمهور وجميع الافعال التي صفتها ان تكون للحي انما طلق متى اسندت الى جماد او بهيمة
فانما هي استعارات اي لو كان مكانها انسان لكان ممتنعا لذلك الفعل وهذا في كلام العرب واشعارها
كثير ممن ذلك قول الاعشى ه انتهون ولا ينتهى ذو ربي سفطا كاد يطعن يذهب فيه الزيت والفتل
ه فاضافا النهى الى الطعن ومنه ايضا قول الاخر ه يريد الريح صدرا لي بريا ويرغب عن دمائي
عقيل ه وقال اخر ه ان دهرا يلف شملي بسلمى لزمان يهم بالاحسان ه وقال اخر ه في بهمة لقد
خلتت به هامتنا ه وقول القوس اذا ارن نصولا ه اي تنوننا في الارض من قولهم ارن بعقل السيف
اذا اثبت في الرميذ فشبه رفع السيوف على رؤسهم بوقع العود في الارض وان الفارس ينفع
فيها ويثبت ايكاد يخرج قال حسان بن ثابت ه وان اللوم ينسب كان عبدا فيح الرجاء عوار
من ثقيف ه وقال عنترة ه فازدر من وقع القنا بلهانه وشكى الى بعبرة وتحمحم ه وقد فسر هذا هو
المعنى بقوله ه لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ه وهذا في هذا المعنى كثير جدا ه ومنه قول
الناس ه دار ينتظر الى دار فلان وفي الحديث اشتكت النار الى ربها وذهب قوم الى منع المجاز
في القرآن منهم ابو اسحاق الاسفرايني وابو بكر داود الاصبهاني وغيرهما وان كلام الله جل وعز وكلام
رسوله حمله على الحقيقة اولى بذي الدين والفضل ان ينصر الحق كما اخبر في كتابه وبما احتجوا به
ان قالوا لو خاطبنا الله بالمجاز لزم وصفه بانه متجوز ايضا فان العدول عن الحقيقة الى المجاز
يقتضي العجز عن الحقيقة وهو على الله محال قال الله تعالى يوم نشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون وقال ولتقول هل من مزيد وقال اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال لتدعوا من ادبر وتولى واشتكتنا نارا الى ربها واحتجت النار والجنة وما
كان مثل حقيقته وان خالقها انطق الذي انطق كل شئ في صحيح مسلم من حديث انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم وفيه ويختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه وعظامه ولحمه بعمله وذلك
ليعذر من نفسه وذلك المنافق الذي سخط الله عليه هذا في الاخرة واما في الدنيا ففي الترمذي
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة
حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره فخذه بما احدث اهله
من بعده وفي الباب عن ابي هريرة وهذا حديث صحيح غريب السابعة قوله عز وجل فانطلقا
قيل لهدمه ثم فعل بقيته فقاد موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه اجرا انه فعل ليستحق اجرا
وذكر ابو بكر الانباري عن ابن عباس عن ابي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قرأ وكان
بينهما جدار ابيه ان ينقض فهدمه ثم نقد بيده قال ابو بكر وهذا الحديث ان صح سنده فهو
جار من الرسول عليه السلام مجرى التفسير من القرآن وان بعض الناقلين ادخل قرآنا في موضع قضى
الا ان ذلك قرآن نقص من مصحف عثمان على ما قاله بعض المطاعنين وقال سعيد بن جبير
مسحه بيده فقام وهذا القول هو الصحيح وهو لا شبهة باعضاد الانبياء عليهم السلام
بل والاولياء وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن
وطوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر اي سواه بيده
فاستقام قاله الثعلبي في كتاب العرائس فقال موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه اجرا اي
طعاما نأكله ففي هذا دليل على كرامات الاولياء وكذلك ما وصف من اصوال الخضر في هذا الباب
كلها امور خارقة للعادة هذا اذا انتزلنا انه ولي ولا نبي وقوله وما فعلته عن امري يدل على
نبوته وانه يوحى اليه بالتكاليف والاحكام كما اوحى الى الانبياء غيره لبعض رسول والله اعلم
الثامنة واجب على الانسان ان لا يتعرض للجلوس بكنف عبر ما يخاف سقوطه بل يسرع

في المشي اذا كان مارا عليهم ان في حديث النبي صلى الله عليه وسلم اذا امر احدكم بطريل فليسرع المشي قال ابو عبيد القاسم بن سلام كان ابو عبيدة ينزل الطريل شبيها بالمنظر من مناظر العجم كهيئة الصومعة والبها المرتفع قال الجرمي الوبي بها شدة الوقوف مشدة فكانها وكينة على طريله يقال منه وكن يكن اذا جلس وفي الصحاح الطريل القطعة العالية في الجبل والصعرة العظيمة المشرفة من الجبل وطريل بوله اذا مده فوق الى فوق الثالثة كرامات الاولياء ثابتة عليها دلت عليها اخبار ثابتة والانكار المتواتر ولا ينكرها الا مبتدع جاحد او فاسق حايد فالاولياء اخبر الله عز وجل في حقهم من ظهور الخوارق الشتويدج الصيف والصيفية في الشتا على ما تقدم وما ظهر على يدها حيث ارتد النخلة وكانت يابسة فاثمرت وهي ليست بنبية على الخلاف ويدل عليها ما ظهر على يد الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار قال بعض العلما ولا يجوز ان يقال كان نبيا لان ايات النبوة لا تجوز باخبار الاحاد لا سيما وتدرؤ من طريق التواتر من غير ان يحتمل تاويلا ما جماع الامة قوله عليه السلام لا نبي بعدي وقال تعالى وخاتم النبيين والخضر وداينيال جميعا بالغين مع هذه الكرامة فوجب ان يكونا غير نبيين لانهما لو كانا نبيين لوجب ان يكون بعد نبينا عليه السلام نبيا الا قامت الدلالة لقبح حديث عيسى انه ينزل بعده قلت الجمهور ان الخضر كان نبيا على ما تقدم وليس بعد نبينا نبي ادعى النبوة بعده ابدا والله اعلم العاشرة واختلف الناس على كم يجوز ان يعلم الولي انه ولي ام لا على قولين احدهما انه لا يجوز وانه ما يظهر على يديه يجب ان لا يلاحظه بغير خوف المكر لانه لا يامن ان يكون مكرا واستدراجا له وقد حكي عن ابي يزيد انه كان يقول لو ان رجلا دخل بستانا فكلمه من راس كل شجرة طير بلسان فصيح السلام عليك يا ولي الله فلو لم يخف ان يكون ذلك مكرا لكان محكورا به ولانه لو علم انه ولي لزال عنه الخوف وحصل له الامن وشرط الولي ان يستديم الخوف الى ان تنزل عليه الملايكة كما قال جل وعز تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وان الولي من كان مختوما له بالسعادة عند الموافاة مستورا ولا يدري احد ما يختم له به ولهذا قال عليه السلام انما الاعمال بالخواتيم القول الثاني انه يجوز للولي ان يعلم انه ولي لانا نرى ان النبي صلى الله عليه وسلم يجوز ان يعلم انه ولي ولا خلاف انه يجوز لغيره ان يعرفه انه ولي الله فجايز له ان يعلم ذلك وتواتر الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر العشرة من اصحابه انهم من اهل الجنة فلم يكن في ذلك زوال الخوف منهم بل كانوا اكثر تعظيما لله عز وجل وخوفا وهيبة واذا جاز للعشرة ذلك ولم يخرجهم عن الخوف فكذلك غيرهم وكان الشبلي يقول انا امان هذا الجانب فلما مات ودفن عبر الديلم رجله ذلك اليوم واستولوا على بغداد ويقول الناس مصيبتان موت الشبلي وعبور الديلم فلا يقال انه يحتمل ان يكون ذلك استدراجا لانه لو جاز ذلك لجاز ان لا يوثق النبي انه نبي وولي الله لجواز ان يكون ذلك منه استدراجا فلما لم يجز ذلك لان نبينا ابطل الكرامات وما روي من ظهور الكرامات على يد بلعام وابن صلاحة عن الدين بعدها بقوله فانسلخ منها فليس في الاية انه كان وليا لله ثم انسلخ عنه الولاية وما نقل انه اظهر على يديه ما يجري مجرى الكرامات فهو اخبار احاد لا توجب العلم والله اعلم والفرق بين المعجزة والكرامة ان الكرامة من شرطها الاستتار والمعجزة من شرطها الاظهار وقيل الكرامة ما يظهر من غير دعوى والمعجزة ما يظهر عند دعوى الانبيا تثبيتا للثبوت بالبرهان فيظهر اثر ذلك وقد تقدم في مقدمة الكتاب شرايط المعجزة والحمد لله وحده لا شريك له واما الاحاديث التي ذكرها في اثبات الكرامات فمن ذلك ما خرجه البخاري من حديث ابي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سريعينا وامر عليهم عاصم بن ثابت الانصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم فانطلقوا حتى اذا كانوا بالهداة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا اليهم قريبا من مايتي راجل كلهم راجي فاقتصوا اثارهم فوصدوا اماكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فاقتصوا اثارهم فلما راهم عاصم واصحابه لجاوا الى فدفد واحاط بهم القوم فقالوا لهم انزلوا فاعطونا بايديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم احدا فقال عاصم بن ثابت امير السرية اما انا فوالله ما انزل اليوم في ذمة كافر اللهم اخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما في سبعة فنزل اليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الانصاري وابن دثنة ورجل اخر فلما استمكنوا منهم اطلقوا اوتار قسيهم فاوثقوهم فقال الرجل ان لك هذا لاول الغدر والله لا اصحبكم الى في هؤلا اسوة يريد القتلى وجرهم وعالجوه على ان يصحبهم فقتلوه فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر فابتاع خبيبا بنو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد

مناف وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيرا فاخبرني عبيد
الله بن عياض ان بنت الحارث اخبرته انهم حين اجمعوا استعار منها موسى يستحد بها فاعارته فاخذ
ابنا لي وانا غافلة حتى اتاه فقالت فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده قالت ففزعت فزعة
عرفها خبيب في وجهي فقال اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك قالت والله ما رايت اسيرا قط خيرا
من خبيب والله لقد وجدته يوما ياكل من قطف عنب في يده وانه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر
وكانت تقول انه لرزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب دعوني
اركع ركعتين ثم قال لولا ان تظنوا ان ما بي جزع لطولت اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا
وقال ما ابالي حين اقتل مسلما على اي شق كان لله مصرعي وذلك في ذات الاله وان يشا يبارك
على اوصال شلو ممزع فقتله بنو الحارث فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرء مسلم قتل صبرا
فاستجاب الله لعاصم يوم اصيب فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه حين مر بهم وما اصيبوا وذب
ناس من كفار قريش الى عاصم حين حدثوا له وقيل ليسوا بشيء منه يوف وكان قد قتل رجلا من
عظمائهم يوم بدر فبعث على هامه من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على ان يقطعوا
من لحمه شيئا وقال ابو اسحاق في هذه القصة وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت اراد وا
راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن الشهيد وقد كانت نذرت حين اصيب ابناها فاخبرا
لين قدرت على راسه لتشربن في قحفه الخمر فمنعهم الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى
يمسي فيذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فذهب به وقد كان عاصم اعطى الله
عهدا ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك ابدا في حياته فنفذ الله بعد وفاته ما امتنع منه حيا
حياته وعن عمرو بن امية الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عينا وحده
فقاده جبث الى خشبة خبيب فربطت يداي وانا اخوف العبرت فاطلعتم فوقع بالرصيع ثم
افترت فانتبذت قليلا ثم انطلقت فكانما انطلقته الارض وفي رواية اخرى زياد فلم يذكر
لخبيب رمة حتى لسلعة ذكروا ليهمي الحاذية عشرة ولا ينكر ان يكون للولي ما
وصيعه يصون بها وجهه وعياله وحسبك بالصحابة واموالهم مع دينهم وفضلهم
وهم الحجة على غيرهم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما
رجل بفلاة من الارض فسمع صوتا في سحابة اسقي حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب
فافرغ ما فيه في حرة فاذا احدى تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء
فاذا رجل قائم في حديقته يحول الماء فقال له يا عبد الله ما اسمك قال فلان للاسم الذي
سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسالني عن اسمي فقال اني سمعت صوتا في السحاب
الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان اسمك فما تصنع فيها اما اذا قلت هذا فاني انظر
الى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه واكل انا وعيالي ثلثا وارد فيها ثلثه في رواية واجعل ثلثه للمساكين
والسائلين وابن السبيل قلت وهذا الحديث ايا قضه قوله عليه السلام لا تتخذوا الضيعة
فتركنا الى العربا خرجه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال فيه حديث حسن فانه محمول على من
اتخذها مستكثرا ومتنعما بزهرة الدنيا واما من اتخذها تقاسا يصون بها دينه
وعياله فما اتخذها بهذه النية من افضل الاعمال وهي من افضل الاموال فالصلاح المال
وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقد اكثر الناس من كرامات الاولياء وما ذكرناه فيه كفاية
والله الموفق للهداية الثانية عشرة قوله تعالى لتخذت عليه اجرا دليل على صحة جواز
الاجارة وهي سنة الانبياء والاولياء على ما بيانا في سورة القصص ان شاء الله وقرا الجمهور
لتخذت وابو عمرو لتخذت وهي قراءة ابن مسعود واكيس وقتادة وهما لغتان بمعنى واحد
من الاخذ مثل قولك تبع واتبع وتقوا واتقى وانعم بعضهم الفرا الذي تناول بعضهما
بعضهم وفي حديث ابي بن كعب لو شئت لاتيت اجرا وهذه صورة صدرت من موسى
سهوا على جهة الوصاة اعتراض فعند ذلك قال له الخضر هذا فراق بيني وبينك تحكم
بما اشترطت على نفسي وتنكرت بيني وبينك وعدوله عن بينتنا للمعنى الناكد قاله سيبويه
كما يقال اجذب الله الكاذب بيني وبينك اي منا وقاله ابن عباس كان قول موسى في السفينة
والغلام لله وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شيء من الدنيا وكان ينبغي الفراق
وقال وهب بن منبه كان ذلك الجدار جدارا لوله في السماء ما يه ذراع اقامه عشرة
سانبيك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا تاويل الذي ماله ايها خبرك لم فعلت ما فعلت وقيل
في تفسير هذه الايات التي وقعت لموسى مع الخضر انها حجة على موسى في جهاله وذلك انه لما انكر
له خرق السفينة تودب يا موسى ان كان لذنبك هذا وانت في التابوت سطورها

ي ايهم فلما انكر امر الغلام قيل له اين انكارك هذا من ذكرك للقبطي وقضائك عليه فلما انكر اقامة
الحد او سوء ادب ايهذا الذي صنعك خضرا لبيرا بثبات شعيب دون اجر فقوله عز وجل اما السفينة
فكانت لمساكين يعملون في البحر استدل بهذا من قال ان المسكين انهم كانوا تجارا ولكن مرجبت
بهم مسارعوه على قلة في لجة بحر وحال ضعف عزم فاقة عطب عبر عنهم بمساكين اذ هم في حالة
يشفق عليهم بسببها وهذا كما تقول لرجل غني وقع في وهلة او خطب مسكين وقال كعب وغيره
كانت لعشرة اخوة من المساكين ورثوها عن ابيهم خمسة زمنا وخمسة يعملون في البحر وقيل
كانوا سبعة لكل واحد منهم زمانة ليست بالاخر وتذاكروا التقاشر اسمائهم فاما العاملة منهم فلهم
كان محمد وما والثاني اعور والثالث اعرج والرابع اذرع والخامس يحموما لا ينقطع عنه الحمى ليوم
كله وهو اصغرهم والخمسة الذين لا يعملون العملا عمى واصم واخرس ومقعد ومجنون
وكان البحر الذي يعملون فيه بين فارس والروم ذكره الثعلبي وقرات فرقة لمساكين بتشديد
السين واختلف في ذلك فقيل منعوا السفينة وذلك ان المساكين هو الذي يمسك بعد
السفينة وكل الخدمة تصلح لامساكه فسمي كجميع مساكين وقالت فرقة اراد بالمساكين ذلة
المسكنة وحالها لجلودها ولحدها مسكك والاظهر قراءة مساكين بالتخفيف جمع مسكين وان معناها
ان السفينة لقوم ضعفا ينبغي ان يشفق لهم قوله تعالى فاردت اهل اعيبها ايها عيبها اذا عيب
يقال عبت الشيء فانا اذا اصبت فيه عيبا وعابه وعوره وكان وراءهم ملك ياخذ
كل سفينة قرا ابن عباس وابن جبير صحيحة وقرا ايضا ابن عباس وعثمان بن عفان صالحة وهما اصلها بمعنى
خلف فقال بعض المفسرين ان كان خلفهم وكان رجوعهم عليه والاكثر على ان معنى وراءهنا امام يقصده
قراءة ابن عباس وابن جبير وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة صالحة غصبا قال ابن عطية واسم هو
عندي على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجيء مراعاة بهذا الزمان وذلك ان الحادث المقدم الموجود
هو الامام والذي ياتي بعده هو الوراء وهو ما خلف وذلك بخلاف ما يظهر بادي الراي وتامل هذه
الالفاظ في موضعها حيث وردت تجدها تطرد بهذه الاية ومعناها ان هؤلاء وعملهم وسعيهم
ياتي بعده بحار الزمان غصب هذا الملك ومن قرا امامهم اراد في المكان اي كانهم يسيرون الى بلده وقول
النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة امامك يريد في المكان والكون منهم في ذلك الوقت كان امام الصلاة
في الزمان وتامل هذه المقالة فانها مزلة مرشعب هذه الالفاظ ووقع لقتادة في كتاب الطبري وكان
وراءهم ملك قال قتادة امامهم الا تراه يقول من ورائهم جهنم ويجيء من ايديهم وهذا القول غير
مستقيم وهذه هي الحجة التي كان الحسن يرى الحسن يصح منها قاله الزجاج قلت وما اختاره
هذا الامام قد سبقه اليه في ذلك ابن عرفة قال الهروي قال ابن عرفة يقول القايل كيف قال
ومن ورائهم جهنم وهو امامه فزعم ابو عبيدة وابو علي قطرب ان هذا من الاضداد قالا وراء بمعنى
قدام وهذا غير محصل لان امام ضد وراء وانما يصلح هذا في الاماكن والا وقات كقول الرجل اذا وعد
وعدا في رجب لرمضان ثم قال ومن ورائك شعبان لجاز وان كان امامه لانه محلفه الى وقت
وعده واشار الى هذا القول ايضا القشيري وقال انما يقال هذا في الا وقات وانما يقال للرجل امامك
الموت وراءك قاله الفراء وجوزه غيره والقوم كانوا عالمين بجبر الملك فاخبر الله الخضر حتى عيبه
السفينة ذكره الزجاج وقال الماوردي اختلف اهل العربية في استعمال وراء موضع امام على
ثلاثة اقوال احدها يجوز استعمالها لكل حادث في كل مكان وهو من الاضداد قال الله تعالى من
ورايهم جهنم ايمن امامهم وقدامهم قال الشاعر • اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي
تميم والفلاة ورائنا • يعني ما بين والثاني ان وراء يستعمل في موضع امام في المواقيت والازمان
لان الانسان قد يجوز بها فتصير وراءه ولا يجوز في غيره والثالث انه يجوز في الاجسام التي لا وجه
لها كجوهر متقابلين كل واحد وراء الاخر ولا يجوز في غيرها وهذا قول علي بن عيسى واختلف
في اسم هذا الملك فقيل هدد بن بدد وقيل الجلندي وقيل السهيلي ذكر البخاري اسم الملك الاخذ
لكل سفينة غصبا فقال هو جيسور هكذا قيدناه في الجامع من قلاييها الى زيل المروزي وغيره
هذه الرواية صيغون وكان ياخذ كل سفينة جيدة غصبا فلذلك اعلمنا الخضر وخرقها فتفي هذا
من الفقه العمل بالمصالح اذا تحقق وجهها وجواز اصلاح كل مال لفساد بعضه وقد تقدم وفي
صحيح مسلم وجه الحكمة بخرق السفينة وهو لك قوله فانا الذي يبسها وهي لها محترفة فتخاوفت
ان اصلحوها فحسبته الحديث وجعل من هذا الحض على الصبر في الشدايد فكم في ضمن ذلك المكروه
من العوايد وهذا معنى قوله وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم قوله عز وجل واما الغلام فكان
ابواه مومنين جاء في صحيح الحديث انه طبع يوم طبع كافرا وهذا يؤيد ظاهره انه غير بالغ ويحتمل ان يكون
خبرا عنه مع كونه بالغا وقد تقدم هذا المعنى قوله تعالى فخشينا قيل هو من كلام الخضر وهو الذي

يشهد له سياق الكلام وهو قول كثير من المفسرين اي خفنا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وكان الله قد اباح له
الاجتهاد في قتل المتوسم على هذه الجهة وقيل هو من كلام الله تعالى عز وجل عند الخضر قاله الطبري ومعناه فعلمنا
وكذا قال ابن عباس اي فعلنا وهذا كما كنى عن العلم بالخوف في قوله الا ان يخافا الا ان يعلما حدوه الله وحكى ان
ابيا قرأ فعلم ربك وقيل الخشية بمعنى الكراهة يقال ورفت بينهما حشية ان يقتلا اي كراهة ذلك قاله
ابن عطية والاظهر عندي في توجيه هذا التاويل وان كان اللفظ يدافعه انما استعان به على ظن المخلوقين
والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم حشية الرهق للابوين وقرا ابن مسعود فخاف ربك وهذا بين
في الاستعارة وهذا نظير ما يقع في القرآن مرجعه الله تعالى من لعل وعسى وان جميع ما في هذا كله من ترجح
وتوقع وخوف وحشية انما هو بحسبكم ايها المخاطبون وبرهقهما يغشيهما ويكلفهما والمعنى ان
بلغهما حبه في اتباعه فبضلا ويبدبنا بدينه قوله تعالى فاردنا ان يبدلهما قرا الجمهور
بفتح الباء وشد الدال وقرا عاصم بسكون الباء وتخفيف الدال اي يرزقهما الله ولدا خيرا منه زكاة
اي دينا وصلاحا يقال ابدله مثل مهل وامهل ونزل وانزل وانزب وكيف نظم جارية وحنث
اللبن والرحم الحانون بسكونها ومنه قول رؤبة يرثي الحجاج * يا منزل الرحم على ادرياسه * ومنزل
اللعن على ابليسا * واختلف اي عمرو ورحم مضبوط على زكاة اي رحمة بها لرحم رحمة لها
ورحمى والعرب للتانيث ومذكور رحم وقيل ان الرحمى هما بمعنى الرحم قرا ابن عباس وابو صالح
رحما اي رحما وقرا ايضا ازكى منه وعن ابن جريج ابدلهما جارية قال الكلبي فتزوجها نبي فولدت
له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم قتادة ولدت اثني عشر نبيا وعن ابن جريج ايضا ان ام الغلام
قيل كانت حاملا بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وعن ابن عباس فولدت جارية ولدت نبيا
وفي رواية ابدلهما الله بجارية ولدت سبعين نبيا وقاله جعفر بن محمد عن ابيه قال علمنا ونا
وهذا بعيد ولا نعرف كثرة الانبياء الا في بني اسرائيل وهذه المراة لم تكن فيهم وليست قادمة هذه الامة
لتسوى بها المصابيب بفقد الاولاد وان كانوا قطعا مرا كما قد ورد في الحديث عافتنا عن
اليد البيضا قال قتادة لقد فرح ابوه حين ولد وحزن عليه حين قتل ولو بقي كان فيهم هلاكهما
فالواجب على كل امرئ الرضا بقضاء الله للمومن فيما يكره خيرة ثم فقنا به له فيما يحب قوله تعالى
واما الجدار فكان لغلامين هذان الغلامين صغيران بقرينة وصفهما باليتم واسمهما اصرم
وقد قال عليه السلام لا يتم بعد بلوغ هذا الظاهر وقد يحتمل ان يبقى عليهما اسم اليتم بعد البلوغ
ان كانا يتيمين علم معنى لشفقة عليهما وقد تقدم ان اليتم في الناس من قبل فقد الاب وفي غيرهم
من الحيوان من قبل فقد الام ودل قوله في المدينة على ان القرية تسمى مدينة ومنه الحديث امرت بقرية
تاكل القرى وفي حديث الهجرة لمن انت قال لرجل من اهل المدينة يعني مكة قوله تعالى وكان تحته
كنز لهما اختلف الناس في الكنز فقال ابن عباس كان مالا جسيما وهو الظاهر من اسم
الكنز اذ هو في اللغة المال المجموع وقد مضى القول فيه وقال ابن عباس كان علما في صحف
قد دفن وعنه ايضا قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن
بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب عجبت لمن امن بالموت كيف يفرح
عجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروي نحوه عن عكرمة وعن نوفلي عمرة ورواه عثمان
ابن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وكان ابوهما صالحا ظاهر اللفظ وانساق
منه والرهما دبيه وقيل هو الاب السابع قاله جعفر بن محمد وقيل الثامن فحفظا فيهما وانسمي
بذكرا بصلاح وكان بينهما كما قاله مقاتل واسم ابيهما دبيا ذكره النقاش ففيه ما يدل
على ان الله يحفظ الصالح في نفسه وفي ولده وان لعد واعنه وقد روي ان الله يحفظ الصالح
في سبعة من ذريته وعلى هذا يدل قوله تعالى ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى
الصالحين قوله تعالى وما فعلته عن امري يقتضي ان الخضر نبي وقد تقدم الخلاف في ذلك
تاويل ايه لفسير ما لم تستطع عليه صبرا قرات فرقة تستطيع وقرا الجمهور تستطع قال ابو
حاتم كذا النقل في خط المصحف وهما همز مسايلة الا ولي ان قال قايل لم يسمع لفتى موسى
يذكر في اول الاية ولا في اخرها فيقال له اختلف في ذلك فقال عكرمة لان عباس لم يسمع لفتى
موسى يذكر وقد كان معه فقال ليشرب الفتى لان الما مخلد واهله العالم فطبق عليه شفتيه
ثم ارسله في البحر وانما لتموج به فيرا في يوم القيامة وذلك لم يكن له ان يشرب منه فشرب منه قال
القشيري وهذا ان ثبت فليس الفتى يوشع بن نون قال يوشع بن نون فذكر بعد موسى وكان
خلبفته والاظهر ان موسى صرف فتاه لما التقى الخضر وقد تبجح الامام ابو العباس ويحتمل ان يكون
اكتفى بذكر المتبوع على التابع والله اعلم الثانية ان قال قايل كيف اضاف الخضر فضة استخراج

كنز

خير للعالمين لله تعالى وتارة يحرق السفينة فاردت ان اعيبها فاضاف العيب الى نفسه قبل له
انما اسند الارادة بالخدار الى الله تعالى لانه بالجبار مستانف بعد الرفق طويل عيب من العيوب فحسن ازاد
هذا الموضع بذكر الله تعالى وان كان الخضر قد اراد ذلك الذي اعلم الله ان يزيده وقبل لما كان
ذلك خيرا كله اضافه الى الله واضاف العيب الى نفسه رعاية للادب لانه بالنظر عيب فتادب
بان لم يسند الارادة فيها الا الى نفسه كما تادب ابراهيم عليه السلام في قوله واذا مرضت فهو يشفين
باسناد الفعل قبل وبعد الى الله تعالى واسند المرض الى نفسه اذ هو معنى نقص ومصيبة
فلا يضاف اليه سبحانه من الالفاظ الا ما يستحسن منها دون ما يستقبح وهذا كما قال تعالى بيده
بيدك الخير وانتصر عليه ولم ينسب الشر اليه وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر اذ هو
على كل شئ قدير وبكل شئ خبير وكما اعتذر بما حكاه عليه السلام عن ربه عز وجل انه يقول
يا ابراهيم مرضت فلم تعدني واستطعمتك فلم تطعمني واستشفيتك فلم تشفني فان ذلك
تنزل في الخطاب ولطف في العتاب مقتضاه التعريف بفضل ذي الجلال وتمقادير ثواب
هذه الاعمال وقد تقدم لهذا المعنى ونحوه تعالى ان يطلق على نفسه ما شاء وكره ان يطلق الا ما ورد
الشرع فيه من الاوصاف الجميلة والافعال الشريفة جل وتعالى عن النقايص والآفات علوا كبيرا وقال
في الغلام فاردنا وكانه اضاف القتل الى نفسه والتبديل الى الله والاشد كمال الخلق والعقل
وقد مضى الكلام فيه في الانعام والحمد لله الثالثة قال شيخنا الامام ابو العباس ذهب قوم من
زنادقة الباطنية الى سلوك طريق يلزم منه هذه الاحكام الشرعية فقالوا هذه الاحكام الشرعية
العامة انما يحكم بها على العامة واما الاولياء واهل الخصوص فلا يتعاهون تلك الصور
بل انما يراعون ما ينفع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من احوالهم قالوا فذلك لصفاء
قلوبهم عن الاكدار وخلوها عن الاغيار فتتجلى لهم العلوم الالهية والحقايق الربانية فينفتح
على اسرار الكاينات ويعلمون اسرار الجزيئات فيستغنون بما عن احكام الشرايع الكليات
كما انفق للخضر فانه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك العلوم وقد جاء
فيما ينقلون استفت قلبك وان افتاك قاد شيخنا رضي الله عنه وهذا القول زندقة وكفر
يتنزل قايله وما يستتاب لانه انكار ما علم من الشرايع قال الله تعالى اجرب سننه والنذر حكمة
بان احكامها تعلم الا بواسطة رسله السفراء بينه وبين خلقه وهم المبلغون عنه رسالته
وكلامه المبينون شرايعه واحكامه اختارهم لذلك وخصهم بما هنالك كما قال تعالى الله يو
يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وقال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقال تعالى كان
الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين الاية الى غير ذلك من الادلة الدو
وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري واجماع السلف والخلف
على ان الطريق لمعرفة احكام الله التي تجري اجراءه ونهيه وايجابه وتحريمه انما هو الرسل
ثم قاد ان هناك طريقا اخر يعرف بها امره ونهيه غير الرسل تحيك يستغني عن الرسل فهو
كافر يقتل ولا يستتاب لانه يحتاج معه الى سوال ولا جواب ثم هو قود باثبات انبيا بعد انبينا
عليه السلام الذي قد جعل الله خاتم انبيايه ورسله فلا نبي بعده ولا رسول وبيان ذلك ان
ثم قاد ياحق عن قلبه وان ما وقع فيه هو حكم الله والله يعمل بمقتضاه والله لا يحتاج مع ذلك الى
كتاب ولا سنة فقد اثبت لنفسه خاصة النبوة قاد هذا اخر ما قاله رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي الحديث الرابع ذهب الجمهور من الناس ان الخضر مات
صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة انه حي لانه شرب من عين الحياة والله باق في الارض والله يجعل
بحج البيت قال ابن عطية وهذا طنب النقاش في هذا المعنى وذكر في كتابه اشيا كثيرة عن علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه وغيره وكلها لا تقوم على ساق ولو كان الخضر حيا يحج لكان
لابد بملة الاسلام ظهورا والله العليم لتقاصيل الاشيا وبعد غيره مما ينتفي بموت الخضر
الا ان قوله صلى الله عليه وسلم ارايتكم ليلتكم هذه فانه لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض
احد نكر الى هذا ذهب البخاري واختاره القاضي ابو بكر بن العربي والصحيح
القول الثاني والله حي على ما ذكره وهذا الحديث خرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال
صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة صلاة العشا في اخر حياته فلما سلم قام
فقال ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مايه منها لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد قال عمر فوهل
فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يتحدثون من هذه الاحاديث
عن مايه سنة وانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد
يريد بذلك ان ينخرم ذلك القرن ورواه ايضا من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان تموت بشهر تسالوني عن الساعة وانما
علمها عند الله واقسم بالله على وجه الارض نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة وفي اخر قال
سالم لسالت اذ اكرنا انما هي مخلوقة يومئذ وفي اخر ما من نفس منفوسة اليوم يأتي عليها
مائة سنة وهي حية يومئذ وفسرها عبد الرحيم صاحب السقاية قال انقطع العمر وعن ابي
سعيد نحو هذا الحديث قال فعامانا وناوحاصل ما تضمنه هذا الحديث انه عليه السلام اخبر قبل موته
بشهر ان كل من كان في بقاء دم موجودا في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنة كقوله ما من نفس
منفوسة وهذا اللفظ لا يتناول الملائكة ولا الجن اذ لم يصح عنهم انهم كذلك ولا الحيوان غير
العاقل كقوله ممن هو على ظهر الارض احد وهذا انما يقال باصل وضعه على من يعقل فتعين ان
ان المراد بنو ادم وقد بين ابن عمر هذا المعنى فقال يريد بذلك انه ينخرم ذلك القرن ولا حجة لمن
استدل به على بطلان قول من يقول ان الخضر حي لعموم قوله ما من نفس منفوسة لان العموم
وان كان موكدا لاستغراق فليس فيما فيه ما هو قابل للتخصيص فكما لم يتناول عيسى عليه
السلام فانه لم يمت ولم يقتل فكذلك يخص الخضر ومعناه لا يتناول الدجال مع انه حي بدليل حديث
الجساسة فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام وليس مشاهدة الناس وممن يخالطهم حتى يخطر
ببالهم حاله مخاطبة بعضهم بعضا مثل هذا العموم لا يتناوله وقد قيل ان اصحاب الكهف احياء
ويجيئون مع عيسى عليه السلام كما تقدم وكذلك فتى موسى بل قول ابن عباس كما ذكرنا وقد ذكر
ابو اسحق الثعلبي في كتاب العرائس والخضر على جميع الاقوال التي معنا محجوب عن الابصار ورأى
محمد بن المنكدر عن ضمرة بن عبد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان
كل عام في الموسم وعن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان يجيئان الى الارض ما دام القرآن
في الارض فاذا رفع ماتا وقد ذكر شيخنا الامام ابو محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي في شرح
الرسالة للقشيري حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين والصالحات انهم رأوا الخضر وتقوم
مجموعها عليه الظن بحياته مع ما ذكره الثعلبي وغيرهما وقد جاء في صحيح مسلم ان
الدجال ينتهي الى بعض السباخ التي بالمدينة فيخرج اليه يومئذ رجل هو خير الناس او من خير
الناس الحديث وفي آخره قال ابو اسحق يقال ان هذا الرجل هو الخضر وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب
الهواتف بسنده يرفعه الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه لقن الخضر وعلمه هذا الدعاء ذكر
فيه ثوابا كثيرا عظيما ومغفرة ورحمة لمن قاله في اثر كل صلاة وهو ياس لا يشقيه سمع عن سمع و
ويا من لا تغلطه المسايل ويا من لا يتبرم من الحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك
وذكر ايضا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذا الدعاء بعينه نحوا مما ذكر عن علي بن ابي طالب في سماعه
من الخضر وذكر ايضا اجتماع الياس مع الخضر وتذاكرهما يجتمعان عند البيت في كل حول وانهما
يفترقان عند الجمرات فما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما شاء الله ما يكون من نعمة
فمن الله ما شاء الله توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل واما خبر الياس فيأتي في الفتن ان
ان شاء الله وذكر ابو عمر وابن عبد البر في كتاب التمهيد عن علي رحمه الله قال لما توفي النبي
صلى الله عليه وسلم وبينما بثوب لفتت هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذائقة الموت الاية ان في الله
خلفا من كل هالك وعوضا من كل فائت وخلفا من كل مصيبة فبالله فثقوا واياه فارجوا فان
المصاب من حرم الثواب فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام يعني اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم والله اعلم قوله الارض للعهد الجنس وهي ارض العرب بدليل تصرفهم فيها وايها
ثالبا دوبة ارض يا جوج وما جوج قاضي جزيرة الاندلس مما لا يفرع السمع اسمه ولا يعلم علمه
ولا جواب عن الدجال قال السهيلي واختلف في اسم الخضر اختلافا متباينا فعن ابن منبه انه قال
ابليا ابن ملكان بن فالغ بن شالخ بن ارفخشد بن سام ابن نوح وقيل هو ابن عاصيل بن سما قحص بن
ارپا بن خلقما بن عيصو بن اسحق وان اباه كان ملكا وان امه كانت بنت فارس واسمها الحما وانها
ولدته في مغارة وانه وجد هناك وشاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية فاخذه الرجل
فرباه فلما شب وطلب الملك اتوه كانها رجح اهل المعرفة وانباله ليكتب العهد الذي انزلت
على ابراهيم وشيث فكان فيمن اقدم عليه بالكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه وفهمه
وكشف عن جليته امره عرف انه ابنه فضمه لنفسه وولاه امر الناس ثم ان الخضر فر من الملك لاسباب
يطول ذكرها الى ان وكل عين الحياة فشرب منه فهو حي الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذي
الذي يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه الله تعالى وقيل لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وهذا لا يصح وقال البخاري وطائفة من اهل الحديث منهم شيخنا ابو بكر بن الوليد رحمه الله انما

مات

مات قبل انقضاء المائة من قوله عليه السلام الى رأس مائة عام لا يبقى على هذه الارض ممن هو عليها يعني
من كان حيا حين قال هذه المقالة قلت قد ذكرنا هذا الحديث والكلام عليه وبينا حكاية
الخضر الى الان فالله اعلم الخامسة قيل ان الخضر لما ذهب يفارق موسى قال له موسى اوصني
قال كن نساما ولا تكن ضحاكا ودع المحاجة وما تستغني عنه حاجة والثب على الخطايين خطايا غيرك
وابك على خطيئتك يا بن عمران قوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا
مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا قال ابن اسحاق وكان من ذي القرنين انه اولى لما لم يوت غيره
فملك له الاسباب حتى انتهى من البلاد الى مشارق الارض ومغاربها لم يطأ ارضا الا سلط على اهلها حتى
انتهى من المشرق والمغرب الى ما ليس وراءه شيء من الخلق قال ابن اسحق فحدثني من يروي الاحاديث
عن الاعاجم فيما تواترت عليه ان ذا القرنين كان رجلا من اهل مصر اسمه مرزبا بن مرد وبنت
اليونا فملك ولد يونا شيرا بن ذنك بن يوح قال ابن هشام واسمه الاسكندروس وهو الذي يبني الاسكندرية
فنسبت اليه قال ابن اسحق وتنصر ثم تفرنج ثم ابن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي وكان رجلا
قد ادرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال مالك مسح الارض
من تحتها بالاسباب وقال لخالد بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال
عمر اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا بالانبياء حتى تسموا بالملائكة قال ابن اسحق فالله اعلم اي ذلك
كان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن اسحق ما قال قلت وقد روى علي بن ابي طالب
رضي الله عنه مثل قول عمر سمع رجلا يدعو آخر يا ذا القرنين فقال على ما كفاكم ان تسموا بأسماء
الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعنه انه عبد ملك بكسر اللام صالح نصح الله فاتاه وقيل هو
نبي بعثه الله على رأس الف سنة وذكر الازرقي في كتاب الاخبار ان ملكا يقال له مرزنا
فيل كان ينزل على ذي القرنين وذلك الملك هو الذي يطوي الارض يوم القيامة وينتهي
فتقع اقدام الخلائق كلها بالساهرة وبها ذكر بعض اهل العلم قال السهيلي وهذا مشكل بتوكيده
بذي القرنين الارض فظن الارض مشارقها ومغاربها كان قضية خالد بن سنان في تسخير النار له
مشاكلة بحال الملك الموكل به وهو ملك صلى الله عليه وعلى جميع الملائكة اجمعين وذكر ابن ابي
خيثمة في كتابه التذكرة خالد بن سنان العبسي وذكر نبوته وكل به من الملائكة مالك خازن النار
وكان من اعلام نبوته ان ناره التي لقصاره الحديد كانت تخرج على الناس من مغارة فتأكل الناس
ولا يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعد واختلف في اسم ذي القرنين
وفي السبب الذي سمي به بذلك اختلافا كثيرا فاما اسمه فقيل هو الاسكندر الملك الرومي
وقد تشدد قافه فيقال المقدوني وقيل اسمه هرمس وبابا دهرديس وقال ابن هشام هو الصعب بن
ذي بزن الحميري قوله وائل بن حمير وقد تقدم قول ابن اسحق وقال وهب بن منبه هو رومي وذكر
الطبري حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذا القرنين شاب من الروم وهو حديث واهي السند
قال ابن عطية قال السهيلي والظاهر من علم الاخبار انهما اثنان احدهما كان على عهد ابراهيم عليه السلام
ويقال انه الذي دعا ابراهيم عليه السلام حين تحاكموا اليه في بئر السبع بالشام والآخر كان قريبا
من عهد عيسى عليه السلام وقد قيل انه افريدون الذي يقتل بيوراسف بن اندراسب الملك الطاغي
على عهد ابراهيم عليه السلام وقيل بزمان واما الاختلاف في السبب الذي سمي به فقيل انه كان
ذا صفيرتين من شعر فسمي بهما ذكره المسعودي وغيره والصفيرتان قرنان الشعر ومنه قول
الشاعر فلثمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج وقيل انه رأى في المنام ان الشمس
وكان من اعلام نبوته ان ناره التي لقصاره الحديد كانت تخرج على الناس من مغارة فتأكل الناس
ولا يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعد واختلف في اسم ذي القرنين
وفي السبب الذي سمي به بذلك اختلافا كثيرا فاما اسمه فقيل هو الاسكندر الملك الرومي
وقد تشدد قافه فيقال المقدوني وقيل اسمه هرمس وبابا دهرديس وقال ابن هشام هو الصعب بن
ذي بزن الحميري قوله وائل بن حمير وقد تقدم قول ابن اسحق وقال وهب بن منبه هو رومي وذكر
الطبري حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذا القرنين شاب من الروم وهو حديث واهي السند
قال ابن عطية قال السهيلي والظاهر من علم الاخبار انهما اثنان احدهما كان على عهد ابراهيم عليه السلام
ويقال انه الذي دعا ابراهيم عليه السلام حين تحاكموا اليه في بئر السبع بالشام والآخر كان قريبا
من عهد عيسى عليه السلام وقد قيل انه افريدون الذي يقتل بيوراسف بن اندراسب الملك الطاغي
على عهد ابراهيم عليه السلام وقيل بزمان واما الاختلاف في السبب الذي سمي به فقيل انه كان
ذا صفيرتين من شعر فسمي بهما ذكره المسعودي وغيره والصفيرتان قرنان الشعر ومنه قول
الشاعر فلثمت فاها آخذا بقرونها شرب النزيف ببرد ماء الحشرج وقيل انه رأى في المنام ان الشمس
وقابضا على قرني الشمس فقص ذلك ففسر انه سيغلب ما دبت عليه الشمس فسمي بذلك ذا
القرنين وقيل انما سمي بذلك لانه بلغ المغرب والمشرق فكانوا قد قرن الدنيا فقالت طائفة انه لما
بلغ مطلع الشمس كشف بالردية قرنا من قرونها فسمي بذلك او قرن الشيطان بها ذكره وهب بن منبه كان له
قرنان تحت عمامته وساق الكواعب ابنا رضي الله عنه عن ذي القرنين انبيا كان ام ملكا فقال لم يكن نبيا
ولا ملكا كان عبدا صالحا دعا قومه الى الله فضربوه على قرنه ثم دعاهم فضربوه على قرنه الآخر فسمي ذا
القرنين واختلفوا ايضا في وقت زمانه فقال قوم كان بعد موسى وقال قوم كان في الفترة بعد
عيسى وقيل كان نبيا وقيل ابراهيم واسماعيل وكان الخضر صاحب لوائه الاعظم وقد ذكرناه في البقرة
وبالجملة فان الله تعالى حكمه وملكه ودانت له الملوك فروي ان جميع ملوك الدنيا كلها اربعة مرزبان
وكافران فالمرزبان سليمان بن داود والاسكندر والكافران نمرود وبخت نصر وسيملكهما
من هذه الامة خاسف لقوله تعالى ليظهره على الدين كله وهو المهدي وقد قيل انما سمي ذا القرنين لانه
كان كريما الطرفين من اهل بيت شريف فرقل ابيه وامه وقيل لانه انقرض في وقته قرنان من الناس
وهو حي وقيل لانه كان اذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعا وقيل لانه اعطي علم الظاهر والباطن

وقيل انه دخل الظلمة والنور وقيل انه ملك فارس والروم قوله تعالى انا مكنا له في الارض قال
علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له في النور وكان الليل والنهار عليه
سواء وفي حديث عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجال من اهل الكتاب سألوه عن
ذي القرنين فقال ان اول امره انه كان غلاما من الروم فاعطي ملكا فسار حتى اتى ارض مصر
فابتنى بها مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ اتاه ملك فعرج به فقال انظر ما تحتك فقال
اري مدينتي وحدها او اري غيرها فقال له الملك ملك الارض كلها وهذا السواد الذي ترى
بها هو البحر وانما اراد الله ان يريك الارض وتد جعل لك سلطانا فيها فسري الارض فعلم الجاهل
وثبت العالم الحديث قوله تعالى وابتناه من كل شي سببا قال ابن عباس من كل شي علما بتسبب
به الى ما يريد وقال الحسن بلاغا الى حديث حيث اراد وقيل من كل شي يحتاج اليه الخلق وقيل
من كل شي يحتاج اليه الخلق وقيل من كل شي تستعين به الملوك من فتح المدائن وفهر الاعداء فاتبع
السبب الجبل فاستعمر اكل ما ينبو صلى به الى شي فاتبع سببا قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي فاتبع
سببا مقطوعة الالف وقرأ اهل المدينة وابو عمرو فاتبع بوصلها اي اتبع سببا من الاسباب
التي اوتيها قال ابو الهيثم تبعته واتبعته بمعنى مثل ردفته وارتدفته ومنه قوله تعالى الا من
خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ومنه الاتباع في الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح
قال النحاس واختار ابو عبيد قراءة اهل الكوفة قال ابو اسحاق من السير وحكى هو والاصمعي ايضا يقال
تبعته واتبعته اذا سار ولم يلحقه واتبعه اذا لحقه قال ابو عبيد ومثله فاتبعوهم مشرقين
قال النحاس وهذا من المقلوب وان كان الاصمعي حكاه لا يقبل الا بحجة او دليل وقوله جل وعز
فاتبعوهم ليس في الحديث انهم لحقوهم وانما في الحديث لما خرج موسى صلى الله عليه وسلم واصحابه
من البحر وحصل فرعون واصحابه انطبق عليهم البحر والحق في هذا انه تبع واتبع لغتان بمعنى
واحد وهل بمعنى السير ويجوز ان يكون معه لحاق وان لا يكون قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب
الشمس وجدها تغرب في عين حمئة قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي حامية اي حارة
اي قريبة حمئة اي كثيرة الحمأة بالطينة السوداء يقول حمأت البئر حمأ تالتسكين اذا نزعت
حمأتها وحمئت البئر حما بالتحريك كثرت حمأتها ويجوز ان يكون حامية من الحماة فخففت الهمزة
وقلبت ياء ويجمع بين القراءتين فيقال كانت حارة وذات حمأة وقال عبد الله بن عمر نظر
النبي صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غربت فقال ما رأى الله الحامية لو لم ما نرعها
من امر الله اخرقت ما على الارض وقال ابن عباس ان قرأ ها ابي كما اقرأه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في عين حمئة وقال معاوية هي حامية فقال عبد الله بن عمرو بن العاص وانا مع امير
المؤمنين فجعلوا كعبا بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف تجدها في التوراة فقال احدها تغرب
في عين سوداء فوافق ابن عباس وقال الشاعر وهو تبع اليماني قد كان ذو القرنين قبل مسيرنا
ملكا تدين له الملوك وتسجد بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب امر من حكيم مرشد فرأى مغار
الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط حرمد الخلب الطين والثاط الحمأ والحرمد الاسود
وقال القتبي قال بعض العلماء ليس المراد انتهى الى الشمس غربا ومشرقا حتى وصل
الى جرمها ومسها لانها تدور مع السماء حول الارض من غير ان تلتصق بالارض وهي اعظم من
ان تدخل في عين من عيون الارض بل هي اكبر من الارض اضعافا مضاعفة بل المراد انه انتهى
الى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها في رأي العين تغرب في عين
حمئة كما اننا نشاهدها في الارض الملساء كأنها تدخل في الارض ولهذا قال وجدها تطلع
على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ولم يرد انها تطلع عليهم بان تماسهم وتلاصقهم بل اراد
انهم اول من تطلع عليهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم الثني ويجوز ان تكون هذه العين
من البحر ويجوز ان تكون الشمس تغيب وراءها او معها او عندها فيقام حرف الصفة مقام
صاحبه والله اعلم قوله تعالى ووجد عندها قوما ابهم عند الشمس وعند نهاية العين وهم
اهل جابرس وديقاذ لها بالسريانية حريبسا بهلكهما قوم من ثمود بينهم الذين امنوا بصالح
ذكره السهيلي وقال وهب بن منبه كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس
لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله تعالى يا ذا القرنين اني
باعثك الى امم الارض وهم امم مختلف ألسنتهم وهم اهل جميع الارض وهم اصناف امتان
بينهما طول الارض كلها وامتان بينهما عرض الارض كلها واسمع وسط الارض منهم الجن
والانس ويأجوج وما جوج فاما الامتان اللتان بينهما عرض فانه لما فطر الارض الاربع تحت مهب
الجنوب يقال لقطرها ويل وامه في قطر الارض الايسر يقال لقطرها ويل واما الامتان اللتان بينهما طول

الارض فامه عند مطلع الشمس يقال لها مسك وامه عند مغرب الشمس يقال لها ناسك فقال
ذو القرنين الهي لقد نبئني امرا عظيما ما بقدر قدرته الا انت فاخبرني عن هذه الامم بايّ قوة هم
اكاثرهم وبايّ صبر اتاسيهم وبايّ لسان اناطقهم وكيف لي يا ابن افقة لغتهم وليس عندي
قوة فقال الله تعالى ساظفرك بما حملتك واشرح لك صدرا فتسمع كل شيء وابث لك فهمك
فتفقه كل شيء والبسك الهيبة فلا يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا
مرجودك بعد بك النور امامك وتحفظك الظلمة من ورائك فلما قبل له ذلك سار بمن اتبعه
وانطلق الى الامة التي عند مغرب الشمس لما كانت اقرب الامم منه وهي ناسك فوجد
جموعا لا يحصيها الا الله تعالى وقوة وباسا لا يطيقه الا الله والسنة مختلفة واهواء متشتتة
فكاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر من الظلمة قدر ما احاط بهم من كل مكان حتى
جمعهم في مكان واحد ثم دخل عليهم بالنور بعلمهم الى الله تعالى والى عباده فمنهم من امن به ومنهم
من ضل عنه فادخل على الذين تولوا الظلمة من كل مكان فدخلت في اجوافهم وانوفهم وفي عيونهم
وبيوتهم وعشيتهم من كل مكان فتحيروا وباحوا واشفقوا ان يهلكوا فعجوا الى الله بصوت
واحد انا امنا فكشفها عنهم واحدث عنوة فدخلوا في دعوته فجند من اهل المغرب امما عظيمة
فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم لبعودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور امامهم
يضوء له ويدله وهو يسير في ناحية الارض التي يريد الامة التي في قطر الارض الاين وهي ها ويل
وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فاذا النور يخاصه او كرابي سمعنا
من اللوح صفارا مثل النعال فنظرها في ساعة ثم هل فيها جميع من بعد من تلك الامم فاذا قطع الانهار
والبحار فنقلها ودفع الى كل رجل لوحا فلا يكترث بحمله فانتهى الى ها ويل وفعل بهم كفعله بناسك
فاسوا ففزع منهم واحد جيوشهم وانطلق في ناحية الارض الاخرى حتى انتهى الى مسك مطلع
الشمس فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله في الاولى ثم كر مقبلا حتى اخذ ناحية الارض اليسرى لو
يريد تاويل وهي الامة التي تقابل ها ويل بينهما عرض الارض فنفعل فيها كفعله فيما قبلها ثم
عطف الى الامم التي وسط الارض من الجوع والانس ويا جوج وماجوج فلما كان في بعض الطريق
ما يلي منقطع الترك من المشرق نالت له امة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين
الجبلين خلقا من خلق الله كثيرا ليس منهم مشابهة الا الانس ومنهم اشباه البهايم يا كلون العشب
ويفترشون الدواب والوحش كما يفترسها السباع ويا كلون دواب الارض كلها من الحيات
والعقارب والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله في الارض ويبسر به خلق نبي بنامهم في العام
الواحد ثلاث طالت المدة فيبلون الارض ويخلون منها اهلها فهل يجعل لك خرجا على ان تجعل
بيننا وبينهم سدا وذكر الحديث وسياتي مرصفة ياجوج وماجوج والترك الهم نوع منه مائية
كتابه قوله تعالى تلنا يا ذا القرنين قال الشيرك ابو نصر ان كان نبيا فهو وحي وان لم يكن
نبيا فهو الهام اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال ابراهيم بن السري يخيره بين هذين
كما خير محمدا صلى الله عليه وسلم فقال ما ان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم ونحوه وقال ابو اسحق
الزجاج المعنى ان الله تعالى خيره بين هذين الحكمين قال الخاسروردعلى بن سليمان عليه قوله
انا لا يصح ان ذا القرنين نبي لانه خاطب بهذا فكيف يقول لربه جل وعز ثم يرد الى ربه وكيف
يقول وسوف نعذبه فيخاطب بالنون قالوا والتقدير قلنا يا محمد قالوا يا ذا القرنين فيجوز ان يكون
الله عز وجل خاطبه على لسان نبي حي وقته ويجوز ان يقول قال الله له هذا كما قال لنبيه اما منا
واما فداء واما اشكال وسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فالمعنى تعذيبه ان الله عز وجل لما خيره
بين القتل في قوله اما ان تعذب وبين الاستيفاء في قوله واما ان تتخذ فيهم حسنا قال
اما وليك القوم اما من ظلم اي اقام على الكفر منكم فسوف نعذبه اي بالقتل ثم يرد الى ربه
اي يوم القيامة فيعذبه عذابا منكرا اي شديدا في جهنم واما من امن اي تاب من الكفر وعمل
صالحا قال احمد بن يحيى ان في موضع نصب في اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال
ولو رفعت كان صوابا بمعنى فاما هذا كما قال فسيروا فاما حاجة فقضيانها واما مقبل
صالح وصدق فله جزاء الحسنى قراءة اهل المدينة وابي عمر وعاصم فله جزاء بالرفع على
الابتداء او بالاستقرار الحسنى في موضع خفض بالاضافة وتحزن التنوين للاضافة اي له جزاء
الحسنى عند الله في الاخرة وهي الجنة نا صاف الجزاء الى الجملة كقوله حق اليقين ودار الاخرة
قاله الفراء ويحتمل ان يريد بالحسنى الاعمال الصالحة ويمكن ان يكون هذا الجزاء من رب القرنين اي
اي اعطية وتفضل عليه ويجوز ان يجدن التنوين لالتقاء الساكنين وتكون الحسنى في موضع
رفع على البدل عند البصريين وعلى الترجمة عند الكوفيين وعلى هذا قراءة ابي اسحق فله جزاء

مزاج والكلمتان من اصل واحد مع الاشتقاق ومن ثم يهمز فيجوز ان يكون خفف الهمزة ويجوز ان
لا يكون فاهوا مرجح وترك الصرف فيهما للتانيث والتعريف كانه اسم للقبيلة واختلف
في افسادهم فقال سعيد بن عبد العزيز افسادهم اكل بني ادم وقالت فرقة افسادهم انما كان لو
منعوا اي سيفسدون فطلبوا وجه التخويف منهم وقالت فرقة افسادهم لهو الظلم والقتل
والقتل وساير وجوه الفساد المعلوم من البشر والله اعلم وقد وردت اخبار بصفتهم وجرى
وجروجهم وانهم من ولد يافث فاروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولد لنوح
سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافث ياجوج وماجوج
والترك والصقالبة والاخير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان وقال كعب الاحبار
احتلم ادم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فاسف فخلقوا من ذلك الما فهم منتصلون بنا
من جهة الاب من جهة الام وهذا فيه لقاء ان الانبيا صلوات الله عليهم لا يحتلمون وانما هم من
ولد يافث بذلك قال المقاتل وغيره وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه الف رجل بعضهم ياجوج وماجوج وقال ابو سعيد منهم
خمس وعشرون قبيلة مزدارا ياجوج وماجوج حتى يخرج من صلبه الف رجل ذكره القشيري
وقال عبد الله بن مسعود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ياجوج وماجوج فقال يا جوج
وماجوج امتان كل امة اربع مائة الف كل امة لا يعلم عددها الا الله لا يموت الرجل منهم
حتى يولد له الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح قيل يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة
اصناف صنف منهم امثال الارز شجر بالشام طول الشجرة عشرون وماية ذراع وصنف
عرضه وطوله سوا نحوا من الذراع وصنف يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا
وحش ولا خنزير الا اكلوه وياكلون الرمات منهم مقدمهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون
انهار المشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس وقال علي رضي
الله عنه وصف منهم لي طول شبر لهم مخالب وانياب السباع وتداعى الكلام وتساقد
البهايم وعوا الذيب وشعور تقيهم الحر والبرد واذان عظام احداها وبره يتسوون فيها
والاخرى جلدة يصيفون فيها يحفرون السد حتى كادوا ينقبون فيعيده الله كما كان
حتى يقولون نقتله غدا ان شاء الله فينقبون ويخرجون ولا يمر اولهم بالحصون او
يرمون الى السما فيرد اليهم مدعلا بالدم ثم يمكنهما الله بالسعف في اقفيهم فيقتلهم
وقال عز رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خرج امة لها اربع مائة امير وكذا ياجوج لا يموت
احدهم حتى ينظر الى الف من ولده قلت وقد جاء نحو من حديث ابي هريرة
اخرجه ابن ماجة في السنن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياجوج وماجوج يحفرون
كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي رجعوا فيستحفرونه ان شاء الله فيستثنوا
فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه
ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون سهامهم الى السما فيرجع عليها الدم الذي اهقط
فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السما فيبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيقتلهم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر
من لحومهم شكرا قال الجوهري شكرت الناقة تشكر شكرا اذا سمنت شكيرة واشكر الضرع
امتلا لبنا وقال وهب في جثة رأس ذوا القرنين وطول الرجل منهم نصف الرجل المربوع
منا لهم مخاليب في مواضع الاظفار واضراس وانياب كالسباع واضناك كاضناك
الابل ومنهم هلب عليهم في الشعر ما يواريهم ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان
يلتحف احدا هما ويفترش الاخرى ولكل واحد منهم قد عرف لهله حتى يخرج من صلبه
الف رجل ان كان ذكرا ومن رحمها الفا انثى ان كانت انثى وقال السدي والضحاك
الترك سرذمة منهم يا جوج وماجوج خرجت تغير فجاوزوا الفرنين فضرب
السد فبقيت في هذه الجانب قال السدي بنى السد على احد وعشرين قبيلة و
بقيت منهم قبيلة واحدة دون السد وهم الترك وقال قتادة قال
واذا كان هذا فقد نعت النبي صلى الله عليه وسلم الترك كما نعت يا جوج وماجوج
فقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قوما
وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر ويمشون في الشعر في رواية
ينتعلون الشعر خرجه مسلم وابو داود وغيرهما وفي الصحاح صلى الله عليه وسلم عددهم
وكثير منهم وحدة شوكتهم قال صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم وقد

الحسنى اذ انك لم تحذف التنوين ولم اجد وذر اسابرا الكوفيين ولم جزا الحسنى بالنصب منونا
اي ولم الحسنى جزا قال الفراء جزا منصوبا على التمييز ويدل على المصدر وقال الزجاج هو مصدر
في موضع الحال اي مجزورا بها جزا وقرا ابن عباس وسعيد بن جبير ولم جزا الحسنى منصوبا غير منون
وهي عند ابي حاتم على حذف التنوين لالتقا الساكنين مثل ولم جزا الحسنى في احد الوجهين في
الرفع النحاس وهذا عند غيره خطا انما ليس موضع حذف تنوين لالتقا الساكنين ويكون
التقدير ولم الثواب جزا الحسنى قوله تعالى ثم اتبع سببا تقدم ان اتبع سببا واتبع بمعنى
واحد اي سلك طريقا ومنازل حتى اذا بلغ مطلع الشمس قرا المحاهد وابن محيصن مطلع بفتح اللام
يقال طلعت الشمس والكوكب طلوعا ومطلعا والمطلع والمطلع ايضا موضع طلوعها قاله
الجوهري والمعنى انه اتبع سببا حتى وصل الى موضع قوم لم يكن بينهم وبين مطلع الشمس احد من الناس والشمس
تطلع وذلك مسافة بعيدة فهذا معنى قوله وجدها تطلع على قوم وكما اختلفت فيهم فعرج
وهب فاقتدم واتهم اتوه فقال لهما مسكك وهي مقابلة ناسك وقال لم نقاتل وقال قتادة
يقال انهم الزنج وقال الكلبي هم نارس وهادبل ومسكك عراه حفاة عما عن الحق يسا قدون
مثل الكلاب وبينها رحوت تهارج الحمر وقيل هم اهل جابلق امامهم مسكك وقابل وقارس ولم
يجاورون ياجوج وماجوج واهل جابرس وجابلق اتوا النبي عليه السلام مرهم ليلة الاسرا
فدعا لهم فاجابوه ودعا الامم الاخرين فلم يجيبوه ذكره السهيلي وقال انحصرت هذه كلها من
حديث طويل رواه مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه ابو
الطفيل مسندا الى مقاتل برفعه والله اعلم قوله تعالى لم نجعل لهم من دونها سترا اي حجابا
يستترون منها عند طلوعها قال قتادة لم يكن بينهم وبين الشمس ستر كانوا حي مكان لا يستقر
عليهم بناؤهم يكونون في اسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم رجعوا الى مقايشهم ومرتعهم
يعني لا يستترون منها بكهف جبل ولا بيت يكنهم منها وقال امية وجرت رجالا بسمر قند يحدثون
الناس فقال بعضهم مرجت حتى جاوزت الصين فقيل لجالينوس فقيل لجالينوس بينهم مسيرة يوم وليلة
فاستاجرت رجلا يريهم حتى صبحتهم فوجدت اصدهم ليقرش اذنه وليتحف بالاخر يحسن كلامهم فبتنا بهم فقالوا انما جيتم تلتاجينا ننظر كيف تطلع الشمس بيننا نحن
كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فخشي علي ثم افقت وهم يسخرون بالرهن فلما طلعت
الشمس على الما اذا هي على الما كهيئة الزيت واذا طرف السما كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت
ادخلوني سربا لهم فلما ارتفع النهار وزالت الشمس عن رؤسهم خرجوا يصطادون السمك
فينظر حوته في الشمس فينضج وقال لبن جريج ما هاجيش مرة فقال لهم الفلها لا تطلع الشمس
وانتم بها فقالوا ما نرجع حتى تطلع الشمس ثم قالوا ما هذه العظام فقالوا هذه والله لهذه
العظام عظام جيش طلعت عليه الشمس هاهنا فماتوا قال فولوا هاربين حتى لم ارض
وقال الحسن كانت ارضهم لا جبل فيها ولا شجر وكانت لا تحمل البنا اذا طلعت عليهم الشمس
نهروا في الماء اذا ارتفعت خرجوا ينزاعون كانزاعها بهائم قلت وهذه
الاقوال تدل على ان الامة بينه لهناك والله اعلم وربما يكون فيهم من يدخل في النهر ومنهم من لا يدخل
في السرب ولا تنافي بين قول الحسن وقتادة قوله تعالى ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ
بين السدين وهما جبلان ترقيل ارمينية وادربيجان ردم عطا الخراساني عن ابن عباس بين
السدين الجبلين ارمينية وادربيجان وجبرون وهما قويا لا يكادون يفقهون قولا هو
وقرا حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف من افقه اذا بان لا يفقهون غيرهم
كلاما الا ما كان بفتح الياء والقاف اي يعلمون والقراءتان صحيحتان فلا يهم يفقهون
من غيرهم ولا يفقهون غيرهم قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين اي قالت له امة من الانس
صالحة ان ياجوج وماجوج يفسدون في الارض قال الاخفش من هم يا جوج يجعل الالف
من الاصل يقول ياجوج يفعل وماجوج مفعول كانه من اجيج النار قال ومن لا يهمز ويجعل
الالف زايدتين يقول ياجوج من مجج وماجوج من مجج وهما غير مصروفين قال
رؤبة * لو ان ياجوج وماجوج معه وعاد وعاد واشجا شوا نهعاه ذكره الجوهري
وقيل اعلمان لا ينصرفان اسمان اعجميان مثل طالوت وجالوت غير مشتقين علمنا هما في منع
الصرف العجمة والتعريف والتانيث وقال قرقة هو معرب من اجج واججت علمنا هما في منع الصرف
التعريف والتانيث وقال ابو علي يجوز ان يكونا عربيين من همز ياجوج تفعول من
يفعول مثل يربوع من قولك اجت النار اي صلوت ومنه الاجيج ومنه ملح اجاج ومن
لم يهمز امكن ان يكون خفف بالهمزة فقلبها الفا مثل راس واما ماجوج فهو مفعول

من

خرج منهم في هذا الوقت امم لا يحصيهم الا الله ولا يردهم عن المسلمين الا الله حتى كانهم ياجوج
وماجوج او مثلهم وروى ابو داود عن ابي بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يقول ناس من امتي يغطيط البسمونه بالبصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليهم جسر
يكثر اهلها ويكون من امصار المهاجرين قال ابو عمر ويكون من امصار المسلمين
فاذا كان في اخر الزمان حانبوا فتطور اعراض الوجوه صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر
فينفرق اهلها ثلاث فرق فرقة ياخذون اذناب البقر والبرية وهلكوا وفرقة
ياخذون لانفسهم وكفروا وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم
الشهداء الغايظ المسلمين من الارض والبصرة الحجارة الرخوة وبها سميت البصرة وبنو
قنطورا هم الترك يقال ان قنطورا اسم جارية كانت لابراهيم صلوات الله عليه ولدت
له اولادا جاء من نسلهم الترك قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا
وبينهم سدا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى فهل نجعل لك استفهام على حسن الادب
خرجا اي جعلا وقرئ خراجا والخرج اخص من الخراج يقال اذا خرج راسك وخراج مدينتك
وقال الازهري الخراج يقع على الضريبة ويقع على ما دام الغنى ويقع على الجزية وعلى
الغلة والخراج اسم لما يخرج من الغرايض في الاموال والخرج المصدر وقوله تعالى على
ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي ردما والردم ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل وثوب
مردم اي مرقع قاله الهروي يقال ردمت الثلمة اردمها بالكسر ردما اي سددتها والردم
ايضا الاسم وهو السد يقال وقيل الردم وهو ابلغ من السداد السد كل ما يسد به
والردم وضع الشيء على الشيء من حجارة او تراب او نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب
مسنم ومنه ردم ثوبه اذا رفعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض ومنه قول عنترة
هل غادر الشعراء من متردم اي من ثوب يركب بعضه على بعض وقرئ سدا بالفتح
قال سيبويه قال الخليل سيبويه الضم هو الاسم والفتح المصدر وقال الكسائي الفتح والضم
لغتان بمعنى واحد وقال عكرمة وابو عمرو بن العلا وابو عبيدة ما كان من خلقة الله لم
يشارك فيه احد يجعل فيه بالضم وما كان من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه
المقالة ان يقرؤا سدا بالفتح وقوله بين السدين بالضم وهي قراءة حمزة والكسائي وابو
حاتم عن ابن عامر وعكرمة عكس ما قال ابو عبيدة وقال ابو اسحق ما رايته عيناك فهو
سد بالضم وما لم تره فهو سد بالفتح الثانية وهذه الاية دليل على اتخاذ السجون
وحبس اهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه ولا يتركوا ايامهم عليه بل يرجعون
ضربا ويحبسون او يقتلون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه قوله تعالى قال
ما مكني فيه ربي خير فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ما مكني المعنى قالوا لهم ذو القرنين
ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم واموالكم ولكن اعينوني بقوة اي
الابدان اي برجال وعمل منكم بالايدي والالة التي الني به الردم وهو السد وهذا
مرتا بيد الله تعالى لذي القرنين في هذه المحاورة فان القوم لما جمعوا له خراجا
لم يعنه احد ولو كلوه الى البنيان ومعونته بانفسهم اعمل به واسرع في انقضاء مدة
العمل وربما ارى ما ذكروه له على الخروج وفسر بزكثير وحده ما مكني بنون وقرا
الباقون ما مكني الثانية في هذه الاية دليل على ان الملك مفترض عليه ان يقوم بحماية
الخلق في ثغورهم وسد فرجهم واصلاح ثغورهم من امواليهم التي تنمى عليهم
وحقوقهم التي يجمعها خزانتهم تحت يده ونظره حتى لو اكلتها الحقوق والنفقات
الموت لكان عليهم خير ذلك من امرالهم وعيبه حسن النظر اليهم وذلك بثلاثة شروط
الاول ان لا يستأثر عليهم الثانية ان يبدا باهل الحاجة فيجبرهم الثالث
ان يسوي في العطايا بينهم على قدر ما لهم فاذا وفيت بعد هذا وثغوره صفراء
فاصلحت الحوادث امر ابذلوا لانفسهم فلا اموالهم ما لم يفن ذلك فاموالهم لو
توجد منهم على التقدير والتصرف والتدبير فتزاد والقرنين لما عرضوا عليه المال في ان
يكف عنهم ما يحدثونه من عادته ياجوج وماجوج قال لست احتاج اليه وانما احتاج
اليكم ما عينوني بقوة اي اجمعوا بانفسكم معي قال المال عندي والرجال عندكم
ورايه ان المال لا يقني دونهم وانهم ان اخذوها اجرة نقص ذلك ما يحتاج اليه فيعود
بالامر عليهم وكان التطوع لحمل هذا البنيان الذي وصيف الامر انه لا يحمل الا جمع
لضرورة تعترض فيوجد ذلك المال جمرا لاسرا ويتفق بالعدل الاستيثار ويراجب

جماعة بالاشداد بالامر والله الموفق للصواب قوله تعالى آتوني زبر الحديد اي اعطوني
زبر الحديد وناد بينها امر مهم ينقل الاله وهذا كله انما سواستدعا العطية التي تغير معنى الهبة
وانما هو استدعا المناولة لانه انما ارتبط من قوله انه لما حز منهم الخروج لم يبق الا استدعا المناولة
واما لا بدات وزبر الحديد قطع الحديد واصل الكلمة الاجتماع ومنه زبرة الاسد لما
اجتمع من الشعر عاكاهله وزبرت الكتاب اي كتبته وجمعت حروفه وقرا ابوبكر والفضل ردما
آتوني مرا ايتان الذي هو المجي اي جيبوني بزبر الحديد فلما سقط الحافض انتصب الفعل
على نحو قول الشاعر * امرتك الخير * حذف الجار فنصب الفعل وقرا الجمهور زبر بفتح الباء وقرا
الحسن بضمها وكلاهما جمع زبرة وهي القطعة العظيمة منه قوله تعالى حتى اذا ساوى بين
يعني الهبا فحذف لقوة الكلام عليه بين الصدفين قال ابو عبيدة بما جانبا الجبل وسميا بذلك
لتصادفهما اي لتلاقيهما وقاله الزهري وابن عباس كانه يوضح عن الاخر قرا الصدوف قال الشاعر
* كلا الصدفين يبتذ سنانها تؤثر مثل مصباح الظلام * ويقال للبنا المرتفع صدف
تشبيها بجانب الجبل وفي الحديث كان اذا مر بصدف مايل اسرع المشي قال ابو عبيدة الصدف
والهدف كلاهما عظيم مرتفع ابن عطية الصدفان الجبلان المتنادحان ولا يقال للواحد
صدف وانما يقال صدفان او شقان لان احدهما يصادف الاخر وقرا نافع وحمزة والكسائي
الصدفين بفتح الصاد وشدها وفتح الدال وهي قراة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز
ونصر واختيارا ابو عبيد لانها اشهر اللغات وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والصدفين بفتح
الصاد والدال وقرا عاصم في رواية ابي بكر الصدفين بضم الصاد وسكون الدال كالحرف
والحرف وهو تخفيف وقرا ابن الماجشون بفتح الصاد وضم الدال وقرا فتادة بين الصدفين
بفتح الصاد وسكون الدال وكل ذلك بمعنى واحد وهما الجبلان المتنا وهما قوله تعالى
قال انفخوا حتى اذا جعله نارا اي على زبر الحديد بالكير وذلك انه كان يامر بوضع
طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى تحمى والحديد اذا اوقد
عليه صار كالنار فذلك قوله حتى اذا جعله نارا اي قال ايتوني بالنحاس المذاب اوبا لرصاص والحديد
يصب الهلاف في القطر فيفرغه على تلك الطاقة المتقدمة فاذا التام واشتد والصق
البعض بالبعض استانف وصف طاقة اخرى الى ان استوفى العمل فصار جبلا صلدا
قال قتادة وهو كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمرا وروى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم جاه رجل فقال يا رسول الله اني رايت سدا يا جوج وما جوج قال كيف رايته
قال رايته كالبرد المحبر طريقة صفرا وطريقة سودا وطريقة حمرا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد رايته ومعنى حتى اذا جعله نارا اي كالنار ومعنى ايتوني افرغ
عليه قطرا اي اعطوني قطرا افرغ عليه على التقديم والتاخير ومن قرا ايتوني بقطع
فالمعنى لفالوا افرغ عليه نحاسا والقطر في اكثر المفسرين النحاس المذاب واصله من
القطر يقال قطر كما يقطر الما وقالت فرقة القطر الحديد المذاب وقالت
فرقة منهم ابن الانباري القطر الصفر المذاب وهو مشتق من قطر يقطر ومنه واسلنا له عين القطر
وقوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اي ما استطاع يا جوج وما جوج ان يعلوه ويصعدوا اليه
لانه املس مستوي الجبل والجبلها لا يرام وارتفاع السد مايتا ذراع وخمسون ذراعا وروي
في طوله ما بين طرفي الجبلين مايتا فرسخ وفي عرضه خمسون فرسخا قاله وهب بن منبه وما استطاعوا
له نقبا لسعة عرضه وقوته روى الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فاذا فتح
اليوم من ردم يا جوج وما جوج مثل هذه وعقد وهيب بيده تسعين في روايته حلق باصبعه
الابهام والتي يليها وذكر يحيى بن سلام عن سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن ابي رافع عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يا جوج وما جوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا
كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا لذي عليهم ارجعوا نستخرقونه غدا فيعيده
الله كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون
شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا نستخرقونه غدا ان شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئته
حين تركوه فيخرقونه ويخرجون على الناس الحديث وتقدم قوله تعالى فما اسطاعوا
بتخفيف الطا على قراة الجمهور وقيل هي لغة بمعنى استطاعوا وقيل بل استطاعوا بعينه و
كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التا فقالوا اسطاعوا وحذف بعضهم منه الطا فقال
استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع وهي لغة مشهورة وقرا حمزة وحده فما اسطاعوا
بتشديد الطا كانه اراد استطاعوا ثم ادغم التا في الطا فشددها وهي قراة منكرة الوجه

قال ابو علي هي غير جايزة وقرا الاعمش فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا بالتاء الموضعين
قوله تعالى هذا رحمة من ربي الظاهر والمعنى والاشارة بهذا الى الردم والقوة عليه والا
نتفاع به في دفع ضرر ياجوج وماجوج وقرا ابن ابي عبلة هذه رحمة قوله تعالى فاذا جا
وعد ربي اي يوم القيامة وقيل وقت خروجهم جعله دكا اي مستويا بالارض ومنه
قوله اذا دكت الارض دكا قال ابن عرفة اي جعلت مستوية لا اكمة فيها ومنه قوله تعالى
جعله دكا قال البزيدي اي مستويا يقال ناقة دكا اذا ذهب سنامها وقال الفتى اي
جعله مدكوكا ملصقا بالارض وقال الكلبي دقطعا منكسرا ما دهل غير غار دك غارا فانهدم
وقال الازهري يقال دككته ايا دقفته ومرفقرا دكا اراد جعل الجبل رخادكا وهي الرابية
التي لا تبلغ ان تكون جبلا وجمعها دكا وانث قراعاصم وحمزة والكسائي دكاء بالمد على التشبيه
بالناقة الدكا وهي التي لا سنام لها وفي الكلام حذف تقديره جعله مثل دكا ولا بد من تقدير
هذا الحذف لان السد مذكر فلا يوصف بدكا ومن قرا دكا فهو مصدر دككت بدك اذا هدم ارض
ويحتمل ان يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال وكذلك النصب ايضا في قراة من
مد يحتمل الوجهين قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض اي تركنا الله تعالى
ايا تركنا الجن والانس يوم القيامة يموج في بعض بعضهم في بعض واستعارة الموج لهم
عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض كالموجين من همهم وخوف بعضهم بعضا وقيل
الذي يضطرب بعضه في بعض وقيل تركنا ياجوج وماجوج يوم انفتاح السد يموجون في
الدنيا مختلطين لكثرتهم قلت هذه ثلاثة اقوال اظهرها اوسطها وابعدها اخرها
وحسن الاول انه تقدم ذكر القيامة في تاويل قوله فاذا جا وعد ربي والله اعلم قوله تعالى ونفخ
في الصور تقدم في الانعام مجملا منهم جمعا يعني الانس والجن في عرصات القيامة وعرضنا جهنم
اي ابرزناها لهم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم في موضع خفض عن ذكري
في عطاء عن ذكري اي هم بمنزلة من عينه مغطاة ولا يقدر الى دليل الله جل وعز وكانوا لا يستطيعون
سمعا اي لا يطيقون ان يسمعوا كلام الله جل وعز بمنزلة من صم قوله تعالى احسب الذين كفروا اي ظن
وقرا علي وعكرمة وابن محيصن احسب باسكان السين وضم الباء اي كفاهم ان يتخذوا من دوني عيسى
والملايكة وعزيرا من دوني اولياء ولا اعاقبهم في الكلام حذف وقال الزجاج المعنى فحسبوا ان
ينفعهم ذلك انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الى قوله
وزنا فيه مسئلتان الاولى في قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الاية فيه دلالة على ان من
الناس من يعمل العمل وهو يظن انه محسن وقد حبط سعيه والذي يوجب احباط السعي اما
فساد الاعتقاد او الرياء والمراد هنا الكفر روى البخاري عن مصعب قال سالت ابي
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى اما اليهود فكذبوا
محمدا واما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية الذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين والاية معناها التوبيخ اي بل ضل الكفرة
الذين عبدوا غير الله بخيب سعيهم واما لهم عذابهم الاخسرون اعمالا وهم الذين ضل سعيهم
في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا في عبادة غير الله وقال ابن عباس يريد كفار
اهل مكة وقال علي هم الخوارج اهل حروراء وقال مرة هم الرهبان اصحاب الصوامع وروى
ابو الكنود سالد عن الاخسرين اعمالا فقال له انت واصحابك قال ابن عطية ويضعف هذا كله
قوله تعالى بعد ذلك اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقايه ولبعض هذه الطوايف من يكتفي
بلقاء الله والتمسك والتشرف بانتمائه صنف مشترك عبدة الاوثان وعلي وسعد رضي الله عنهما
ذكرا توا ما احدوا عظيم مرصد الاية واعلم انصب على التمييز وحبطت قراة الجمهور بكسر
الباء وقراة ابن عباس حبطت بفتحها الثانية قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قراة
الجمهور ونقيم بنون العظمة وقرا مجاهد فلا يقيم بالياء يقيم الله عز وجل وقرا عبيد بن
عمير ولا يقوم ويلزمه ان يقرا وزن وكذلك قرا مجاهد يقوم لهم يوم القيامة ونزن قال
عبيد بن عمير يوتى بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة
قلت هذا الايقال مثله برجحة الراي وترثبت معناه مرفوعا في صحيح البخاري وسلم
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة
لا يزن عند الله جناح بعوضة واقرءوا ان شيئم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا والمعنى انه
لا ثواب لهم واعمالهم مقابلة بالعقاب فاحسنة لهم لو وزنت مع سواها من القيامة والحسنة
له هو في النار وقال ابو سعيد الخدري يوتى باعمالهم القيامة فلا تزن شيا وقيل يجعل

ان يريد المجاز والاستعارة كانه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ والله اعلم وفي هذا الحديث
من الفقه ذم السمن لان ذلك مما يخلق المطاعم والاشتغال بها عن المكارم بل يدل
على تحريم كثرة الاكل الزايد على قدر الكفاية المبتغى به التزيد والسمن وقد قال صلى الله عليه
وسلم ان ابغض الرجال الى الله الحبر السمين ومن حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان ابغض الرجال الى الله الحبر السمين ومن حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
خيركم قرني ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان من بعدكم قوما
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وهذا
ذم وسبب ذلك ان السمن المتكسب انما هو من كثرة الاكل والشرة والدعة والراحة والامن والاشر مما
مع النفس على شهواتها فهو عبد لشهوته عبد ربه ومن كان هذا حاله وقع لا محالة في
الحرام وكل لحم نبت من سحت فالنار اولى به وقد ذم الله تعالى الكفار بكثرة الاكل حيث قال والذين
كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم فاذا كان المؤمن يتشبه بهم ويتنعم
بتنعمهم في كل احواله وازمانه فان حقيقة الايمان والقيام بوظايف الاسلام ومن اكثر اكله نوم
وغريزته كثر نهمه وحرصه وزاد بالليل كسله ونومه فكان نهاره نهما وليله نايما وقد مضى في
الاعراف هذا المعنى وتقدم فيها ذكر الميزان وان له كفتان توزن فيهما صحايف الاعمال فلا
معنى للاعادة وقال صلى الله عليه وسلم حبر ضحكوا من خمر ساق بن مسعود وهو يصعد النخلة
فتضحكون من ساق تنزن بجمل اهل الارض فدل هذا ان الاشخاص توزن ذكره الفزاري
قوله تعالى ذلك جزاؤهم ذلك اشارة الى ترك الوزن وهو في موضع رفع بالابتدا جزاؤهم
خبره وجهنم بدل من الابتدا المبتدا الذي هو ذلك وما في قوله بما كفروا مصدرية والهزا استهزاؤهم
والسخرية وتقدم قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا قال قتادة الفردوس ربوة الجنة واوسطها واعلاها وافضلها وارفعها وقال ابو امامة
الباهلي الفردوس سرة الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة اعلى من جنة الفردوس فيها الاموون
بالمعروف والناهون عن المنكر وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله
الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا ننذر الناس قال
ان في الجنة مايه درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض
فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه
تفجر انهار الجنة وقال مجاهد الفردوس البستان بالرومية الواهو عربي والفردوس
حديقة ذات اعناب وفردوس اسم روضة دون البمامة والجمع فراديس قال امية بن ابي الصلت الثقفي
كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والغوطان والبصل والفراديس موضع
بالشام وكرم معرش وسراب معرش خالدين فيها ايدا يبغون عنها حولا ايدا يطلبون تحويلا
عنها الى غيرها والحول بمعنى التحويل قاله ابو علي وقال الزجاج حالا من مكانه هو كما يقال عظم
عظما قال وجوز ان يكون من الحيلة اي لا يحتالون منزلا غيرها وقال الجوهري والتحول التنقل
من موضع والاسم الحول ومنه قوله تعالى خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قوله تعالى قل لو كان
البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي تقدم الشيء اذا فرغ منه وقد تقدم
ولو جينا بمثله مددا اي زيادة على البحر عددا ووزنا وفي مصحف ابي مددا اي زيادة على
البحر اي زيادة على البحر ولذلك قرأها مجاهد وابن محيصن وحميد واثنت مددا على التمييز
او الحال وقال ابن عباس قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم وما اوتيتم من العلم
الا قليلا قالوا وكيف وقد اوتينا التوراة ومن اوتي التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فنزلت قل لو
كان البحر مدادا الاية وقيل قالت اليهود انك اوتيت الحكمة ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا ثم زعمت انك لا اعلم لك بالروح فقال الله تعالى قل وان اوتيت القرآن واوتيتم التوراة
فهي بالنسبة الى كلمات الله قليلة قال ابن عباس كلمات ربي اي مواعظ ربي وقيل عني بالكلمات
الكلام القديم الذي لا غاية له ولا منتهى ولهذا لو كان واحدا لم يجز ان يعبر عنه بلفظ الجمع
لما فيه من زوايد الكلمات ولانه يستوي مثلها فجازت العبارة عنها بصيغة الجمع تفخيما وقال
الاعشى ووجد لغوا لدون صاف يزينه مع الجيد لثات لها ومعاصم فعبر باللثات عن
اللثة وفي التنزيل يخرج لكم او لبآكم وانا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكذلك ان ابراهيم
كان امة لانه ناب مناب امة وقيل ما نفدت العبارات والادلة التي تدل على معلومات تعالى
كلامه سبحانه وقال السري اي ان كان البحر مدادا لنفد قبل ان تنفد صفات الجنة التي يجب

دار الثواب وقال عكرمة لتفد البحر قبل ان تنفد من قال لا اله الا الله وتفسير هذه الاية ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله وقرا حمزة والكسائي من قبل ان تنفد بالياء لتقدم الفعل قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي اي لا اعلم الا ما يعلمني الله وعلم الله لا يحصى وانما امرت ان ابلغكم انه لا اله الا الله فمن كان يرجو لقاء ربه اي يرجو ثواب ربه وثوابه وجنتي فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال ابن عباس نزلت في جندب بن زهير الغامدي قال يا رسول الله اني اعمل العمل لله واريد به وجه الله فاذا اني اذا اطلع عليه سرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولا يقبل ما شورك به فنزلت وقال طاوس قال رجل يا رسول الله اني احب الجهاد في سبيل الله واحب ان يرى مكاني فنزلت وقال مجاهد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابي انصدق واصل الرحم فاصنع ذلك الله فيذكر ذلك مني فاحمد عليه ذلك واعجب به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل شيا فانزل الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا الخ والكل مراد والاية تعم ذلك وغيرها من الاعمال وقد تقدم في هود حديث ابي هريرة الصحيح في الثلاثة الذين يقضى عليهم اول الناس وتقدم في سورة النساء الكلام على الرياء وذكرنا هناك ما فيها كفاية قال الماوردي وقال جميع اهل التاويل معنى قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي بعمله احدا وروى الترمذي الحكيم رحمه الله في نوادر الاصول قال حدثنا ابي رحمه الله تعالى قال حدثنا مكي بن ابراهيم قال حدثنا عبد الواحد بن زيد عن عبادة بن لبنى قال اتيت شداد بن اوس في مصلاه وهو يبكي فقلت ما الذي ابكاك يا ابا عبد الرحمن قال لحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ رايت بوجهه امرا سائني فخفت ابي ان رسول الله ما الذي ابكاك بوجهك قال امرا اتخوفه على امتي من بعدي فقلت وما هو امر الشرك والشهوة الخفية قلت يا رسول الله وتشرك امتك من بعدك قال يا شداد انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكنهم يراؤون باعمالهم قلت يا رسول الله والرياء شرك هو قال نعم قلت فما الشهوة الخفية قال يصبح احدهم صايما فتعرض له شهوات الدنيا فيفطر قال عبد الواحد فلقيت الحسن فقلت يا ابا سعيد اخبرني عن الرياء اشرك هو قال نعم اما تقرا فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وروى اسمعيل بن اسحق قال حدثنا محمد بن ابي بكر قال حدثنا معلى المعتمر بن سليمان عن ليث عن مهر بن حوشب قال كان عبادة بن الصامت وشداد ابن اوس جالسين فقالا انا لنخوف على هذه الامة من الشرك والشهوة الخفية قال فما الشهوة الخفية من قبل النساء قالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى صلاة يرايي بها فقد اشرك ومن صام صوما يرايي به فقد اشرك ثم تلى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قلت وقد جاء تفسير الشهوة الخفية بخلاف هذا وقد ذكرناه في النساء قال سهل بن عبد الله وسئل الحسن عن الاخلاص والرياء فقال دع الاخلاص والرياء فقال ان تحب ان تكتم حسناتك وتحب ان تكتم سيئاتك فان اظهر الله عليك حسناتك لتقول هذا من فضلك واحسانك ويبر هو من فعلي ولا من صنيعي وتذكر قوله والذين يؤتون ما اتوا الآية ويروى ان اطلاعهم يخافون ان لا يقبل منهم واما الرياء فطلب حظ النفس من عمله في الدنيا فيقل له كيف يكون هذا من طلب بعمل بينه وبين الله سوى وجه الله والدار الآخرة فهو رياء وقد يفضي الرياء بصاحبه الى ان يتمنى الناس به كما ابن طاهر بن الحسين قال لابي عبد الله المروزي منذ كم صرت الى العراق يا ابا عبد الله فقال له قلت العراق منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة ثلاثين سنة صايم فقال يا ابا عبد الله سالناك عن مسيلة فاجبتنا عن مسيلتين وحكى الاصمعي ان اعرابيا صلى فاطال والى جانبه قوم فقالوا ما احسن صلاتك فقال وانا مع ذلك صايم ايضا من قول الهيثم بن قتيبة وقد صلى فخفف فقيل له انك خففت فقال انا لم نخالطها رياء فنخلص من تنقصهم لنفي الرياء عن نفسه ولتصنعهم من صلاته وقد تقدم في النساء والرياء مثل قول لقمان وانه كما ان العمل لله وروى الترمذي الحكيم اخبرنا الى رحمه الله قال انا ابو الحباب قال انا ابو نعيم عن ليث عن شيخ عن معقل بن يسار قال قال ابو بكر وشهد به على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك قال هو فيكم اخفى من دبيب النمل وسادلك على شيء اذا فعلته اذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول

اللهم

اللهم انى اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم تقولها ثلاث مرات وقال عمرو بن غير لكنه سمعت معاوية تلى هذه الاية على المنبر فمن كان يرجوا لقاء ربه قال لا بنا اخر اية نزلت من السماء وقال عمر قال النبى صلى الله عليه وسلم اوحى الى ان من قرا فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا له نورا ما بين عدن ابين الى مكة حشوها الملايكة يصلون عليه ويستغفرون له وقال معاذ بن جبل قال النبى صلى الله عليه وسلم من قرا اول سورة الكهف واخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعن ابن عباس ان رجلا قال له رجل انى اصمر ان اقوم ساعة من الليل فيغلبنى النوم فقال اذا اردت ان تقوم اية ساعة شئت من الليل فاقرا اذا احترت مضجعك قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى هو لتفد البحر الى اخرها فان الله يوقظك متى شئت من الليل ذكر هذه الفضايل الثعلبى رحمه الله وفى مسند الدارمى انا محمد بن كثير عن الاوزاعى عن عمدة عن زر بن حبيش قال من قرا اخر سورة الكهف لساعة يريد من الليل قامها فاتى عمدة فحدثناه فوجدناه كذلك قال ابن الوردى كان شيخنا الطرطوشى الاكبر يقول لا تذهب لكم الايام فى مصاولة الاقران له ومواصلة الاخوان وترضخن سبحانه البيان بقوله فمن يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة مريم عليها السلام

وهى مكية باجماع وهى ثمانون وثمان ايات ولما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد الكفار قال كفار قريش ان ناركم بارض الحبشة فاهبطوا الى النجاشى والتمسوا اليه تحليق من ذوى رايكم لعله يعطيكم من عنده من قريش فتقتلوهم بمن قتل منكم ببدر فبعثت كفار قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن ابى ربيعة وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعثهما فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمرى وكتب معه الى النجاشى فقدم على النجاشى فقرا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا جعفر ابن ابى طالب والمهاجرين الى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم امر جعفرا ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم كهيعص فبكوا واعينهم تفيض من الدمع فهم الذين انزل الله فيهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى وقرا الى الشاهدين ذكره ابو داود وفى السيرة فقال النجاشى لعمرو معك ما جاء به عيسى قال جعفر ثم قال له النجاشى اقراه على فقرا له كهيعص قال فبكى والله النجاشى حتى اخضل لحيته وبكيت اساقفتهم حتى اخضلوا لحاهم حين سمعوا ما يتلى عليهم فقال النجاشى ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة اذهبوا فوالله لا اسلمهم اليكما ابدا وذكر تمام الخبر فقوله تعالى كهيعص تقدم الكلام فى اوايل السور وقال ابن عباس فى كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق ذكره ابن عزيزة التشيرى عن ابن عباس معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم بهم صادق فى وعده وذكره الثعلبى عن الكلبى والسدى ومجاهد والضحاك وقال الكلبى ايضا الكاف من كريم وكبير وكاف والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صانع فهذا المعنى واحد وعن ابن عباس ايضا هو اسم من اسماء الله تعالى وعن على رضى الله عنه هو اسم الله عز وجل وكان يقول يا كهيعص اغفر لى ذكره العزوك السرى هو اسم الله الاعظم الذى اذا سيل به اعطى واذا دعى به اجاب قتادة هو اسم من اسماء القران ذكره عبد الرزاق عن معمر عنه وقيل هو اسم السورة وهو اختيار التشيرى فى اوايل الحروف وعلى هذا اقل تمام الكلام عند قوله كهيعص كانه اعلام باسم السورة كما نقول كتاب كذا او باب كذا ثم نشرح فى المقصود وقرا ابو جعفر هذه الحروف منفطعة ووصلها الباقون وامال ابو عمرو الهاء وفتح الياء وابن عامر وحمزة على الكسر واماله جميعا الكسائى وابو بكر وخلف وقرا بما بين اللفظين اهل المدينة نافع وغيره وفتحها الباقون وعن طاهرة ان الحسن كان يضم كاف وحكى غيره انه كان يضم الهاء وحكى اسماعيل بن اسحق ان الحسن كان يضم الياء قال ابو حاتم لا يجوز ضم الكاف والهاء والياء قال النحاس قراءة اهل المدينة من احسن ما يجوز فى هذه والامالة حسنة فى هذا وفى ما قبل الياء وقراءة الحسن فقد اشكلت على جماعة حتى قالوا لا يجوز منهم ابو حاتم والقول فيها ما بينه هارون القارى قال كان الحسن يضم الرفع فمعنى هذا انه يرمى بها حكى سيبويه ان من العرب من يقول هذا الصلاة والزكاة يرمى بها الواو ولهذا كتبتا فى المصحف بالواو واظهر

الدال دون ما نافع وابن كثير وعاصم ويعقوب وهو اختيار ابي عبيد وادغمها الباقون فوله
قوله تعالى ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله
تعالى واذكر ذكر رحمت ربك في رفع ذكر ثلاثة اقوال قال الفرا هو مرفوع بكهيعص
قال الزجاج هذا محال لان كهيعص ليس مما ابانا الله به عز وجل به عن زكريا وقد اخبر الله
تعالى عنه وعن ما بشره وبيسر كهيعص رخصة وقال الاخفش التقدير فيما يقص عليكم
ذكر رحمت ربك والقول الثالث ان المعنى هذا الذي يتلوه عليكم ذكر رحمت ربك وقيل ذكر
رحمت ربك رفع باضمار اي هذا ذكر رحمة ربك وقرا الحسن ذكر رحمت ربك اي هو المتلو من
القران ذكر رحمت ربك وترك ذكره على الامر ورحمة بالتا يكتب وبوقف عليها وكذلك
كلما كان مثلها الا اختلاف فيها بين النحويين واختلفوا في ذلك ان هذه التا لتانيث الاسما
فرقا بينها وبين الافعال الثانية قوله تعالى عبده قال الاخفش هو منصوب برحمة زكريا
لدل منه كما تقول هذا ذكر ضرب زيد عمرا فعمرا منصوب بالضرب كما ان عبده منصوب
بالرحمة وقيل هو على التقديم والتاخير معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمة فعبده منصوب
بالذكر ذكره الزجاج والفرا وقرا بعضهم عبده زكريا بالرفع وهو قرا ابي العالية
وقرا يحيى بن يعمر ذكرا بالنصب على معنى هذا القران ذكر رحمت ربك عبده زكريا
تنزهت اللغات في القراة في زكريا في العمران الثالثة قوله تعالى اذ نادى ربه نداء
خفيا مثل قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد تقدم والنداء الدعا والرغبة اي
ناجى ربه بذلك في محرابه دليله قوله فنادته الملايكة وهو قايم يصلي في المحراب فبين
انه استجاب له في صلاته كما نادى في الصلاة واختلف في اخفايه هذا النداء فقيل اخفاه
عن قومه ليلا ٣ الى مسلة الولد عند كبر السن ولانه امر دنيوي فاذا يفيته
وان لم يجب لم يعرف احد بذلك وقيل لخلصا فيه لم يطلع عليه الا الله وقيل لما كانت الاعمال
الخفية افضل وابعد من الرياء اخفاه وقيل خفيا سرا من قومه في جوف الليل والكل محتمل هو
والاول اظهر والله اعلم وقد تقدم ان المستحب من الدعا الاخفا في سورة الاعراف وهذه
الاية نص في ذلك لانه سبحانه انثنى بذلك على زكريا وروى اسماعيل قال ثنا مسدد قال
ثنا يحيى بن سعيد عن اسامة بن زيد عن محمد بن عبد الرحمن وهو ابن ابي كبشة عن سعد بن ابي
وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وهذا عام
وقال يونس بن عبيد وكان الحسن يرى ان يدعو الامام في القنوت ويومن خلفه من غير رفع
صوت وتلى يونس اذ نادى ربه نداء خفيا قال ابن العربي وقد اسر مالك القنوت وجهر به
الشافعي والجهر به افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو به جهرا قوله تعالى
قال رب اني وهن العظم مني بينه مسلمة ان الاولى قوله تعالى قال رب اني وهن العظم
مني فرى وهن بالحركات الثلاث اي ضعف يقال وهن وهن وهنا اذا ضعف فهو واهن
وقال ابو زيد يقال وهن يهن وهنا وهن يوهن وهنا وذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه
وهو اصل بنايه واذا وهن تداعى ونسانت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن
كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا
الجنس الذي هو العمود والقوام والمعتمد ما يركب منه الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع
لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها اتت فقوله تعالى
واشتعل الراس شيبا ذكر ابن السني في اليوم والليلة ثنا ابو عمرو وهذا من حسن الاستعارة في كلام
العرب والاشتعال انتشار شعاع النار شبه به انتشار الشيب في الراس يقول
اشتعل في الراس بياض كما يشتعل في الراس شعاع النار وضعفت واضعاف الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته
وهو الراس ولم يصف الراس اكتفا بعلم المخاطب انه راس زكريا عليه السلام وشيبا
في نصبه وجهان احدهما انه مصدر لان معنى اشتعل شاب وهذا قول الاخفش والزجاج
هو منصوب على التمييز المحاس قول الاخفش اولى لانه مشتق من فعل المصدر اولى به وابي
مخالطة شعر ابيض اسود التا لله قال العلما يستحب للمرء ان يذكر في دعايه نعم
الله تعالى عليه وما يليق بالخضوع لان قوله وهن العظم مني اظهار للخضوع وقوله ولم
اكن بدعايك رب شقيا اظهار لعادات تفضله في اجابته ادعيته لم اكن بدعاي اياك
شقيا اي لم يكن تخيب دعاي اذ دعوتك اي انك عودتني اجابة فيما مضى يقال شقي
بكذا اي تعب فيه ولم يحصل مقصوده وعن بعضهم انه تحتاج اسأله وقال انا الذي احسنت
الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته قوله تعالى واني خفت

الموالى مرورا الى قوله وليا يبد سمع مسايل الاولى قوله تعالى وانى خفت قرا عثمان
ابن عفان ومحمد بن على وعلى بن الحسين وكبى بن يعمر رضى الله عنهم خفت بفتح الخا وتشديد
الفا وكثر التا وسكون ايا من الموالى لانه ثم موضع رفع بخفت ومعناه التفظعت اى بالموت
وعلى الماضون خفت بالكسر وسكون الفا وضم التا ونصب ايا من الموالى لانه ثم موضع
نصب بخفت والموالى هنا الاقارب وبنوا العم والعصبة الذين يلونهم فى السبب والعرب
تسمى بنوا العم الموالى قال الشاعر * مهلا بنى عما مهلا موالينا * لا تنشروا بيننا ما كان
مدفونا * قال ابن عباس ومجاهد وقتادة خاف ان يرثوا ماله وان ترثه الكلالة فاشفق
ان يرثه غير الولد وقالت طايفة انما كان مواليه مهملين للذين يخاف موتهم ان يضيع
الدين فطلب وليا يقوم بالدين بعده حكى هذا القول الزجاج وعليه فلم يسال من يرث
ماله اذا لنبيا لا تورث وهذا هو الصحيح من القولين فى تاويل الاية وانه عليه السلام
اراد وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال لما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
انا معشر الانبيا لا نورث ذهبا ولا درهما ورثوا العلم وسياتى لهذا مزيد بيان عند
قوله يرثنى الثنا نية هذا الحديث يدخل فى التفسير المسند لقوله تعالى وورث سليمان
وعبارة عن قوله ذكريا فهب لى من لدنك وليا يرثنى وورث من ال يعقوب وتخصيص للعموم
فى ذلك وان سليمان لم يرث من داود ما خلفه داود بعده وانما ورث منه الحكمة والعلوم
وكذلك ورث يحيى من ال يعقوب هكذا قال اهل العلم بتاويل القران ماعدا الروافض فانهم
ما روى عن الحسن انه قال يرثنى ما ويرث من ال يعقوب النبوة والحكمة وكل قول
يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجور قاله ابو عمر قال ابن عطية
والاكثر من المفسرين على ان زكريا انما اراد وارثه المال وكمل قول النبى صلى الله عليه
وسلم انا معشر الانبيا لا نورث انما يريد به العموم دل على انه غالب امرهم تناوله والا ظاهر
الا يبقى بزكريا عليه السلام ان يريد وارثه العلم والدين فتكون الوراثة مستعارة انما نزى
انه لما طلب وليا ولم يخصص ولدا للبغه الله اياه على اكمل الوجوه وقال ابو صالح وغيره
وقوله من ال يعقوب يريد العلم والنبوة الثالثة قوله تعالى مرورايه نذرا ابن كثير بالمد
والهمز وفتح الياء وعند ابن فرا ايضا منصورا ممنوحا الباقون بالمد
والهمز وسكون الياء والقرا على قراة خفت ومت الا ما ذكرنا عن عاصم وهى قراة
شاذة ببعده جيا حتى زعم بعض العلما انها لا تجوز قال كيف يقول خفت الموالى من
بعدي وهو حى الناس والتاويل لها انه يعنى بقوله من ورائى من بعد موتى ولكن من ورايى
فى ذلك الوقت وهذا ايضا بعيد يحتاج الى دليل انهم خافوا وقتها خبرا الله عز وجل
بما يبدل على الكثرة حين قالوا انهم يكفل مريم ابن عطية مرورايه من التركيب فى الزمن فهو الورا
على ما تقدم فى الكهف الرابعة قوله تعالى وكانت امراتى عاقرا امراته هى اشياع بنت
ناقود بن قبيل وهى اخت حنه بنت فاقود قاله الطبرى وحنه هى ام مريم حسب ما تقدم فى
ال عمران بيانه وقال الفتنى امراة زكريا هى اشياع بنت عمران فعلى هذا القول لا يكون يحيى
ابن خالة عيسى عليهما السلام على الحقيقة وعلى القول الاخر يكون ولد خالة امه وفى حديث
الاسرا فلقيت ابنى الخالة يحيى وعيسى شاهدا للقول الاول والله اعلم والعاقر التى لا تلد
لكبر سنها وقد مضى فى ال عمران بيانه والعاقر من النسا ايضا التى لا تلد من غير كبره ومنه
قوله تعالى وجعل رزقها عقيما وكذلك العاقر من الرجال ومنه قول عامر بن الطفيل
* لبيد العنتنى ان كنت اعور عاقرا * جبانا فما عذرك لذنب كل محضر الخامسة
قوله تعالى فهب لى من لدنك وليا سوادا ودعا ولم يصرح بولد لما علم من حاله وسنه
عنه بسبب المراة قال قتادة فاجرى له هذا الامر وهو ابن بضع وسبعين سنة مقاتل
خمس وتسعون سنة وهو اشبه فقد كان غلب على ظنه انها لا يولد له ولد كبره ولذلك
قال وقد بلغت من الكبر عتيا وقالت طايفة بل طلب الولد ثم طلب ان يكون الاجابة
فيه ان يعيش حتى يرى له تحفظا من ان تقع الاجابة فى الولد لكن يجزم ولا يحصل منه
شىء الغرض السادسة قال العلما دعا زكريا صلى الله عليه وسلم بالولد انما كان له خلفا
دينه واحيا لنبوته ومحافظة الاجره لا للدنيا وكان ربما تدعوه الاستجابة ولذلك
قال ولم اكن بدعائك رب شقيا اى بدعائى اياك وهذه وسيلة حسنة ان يتشفع اليه
بنعمه ويستدر فضله بفضله يروى ان حاتم الجود لقيه رجل فساله فقال له حاتم من
انت فقال انا الذى احسنت اليه عام اول فقال مرحبا بمن يشفع الينا بنا فان قيل كيف

اقدم زكريا على مسببة ما تخرق العادة دون اذن فالجواب ان ذلك جايز في زمان الانبيا
وفي القران ما يكشف عن هذا المعنى فانه تعالى قال كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها
رزقا قال يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله فلما راى خارق العادة استحكم طمعه في
اجابة دعوته فقال تعالى هنالك دعا زكريا ربه الاية السابعة عشر قال قايل هذه الاية
تدل على جواز الدعا بالولد لان الله تعالى حذرنا من اتخاذ الاموال والاولاد وانبه على المفاسد
التي شغله من ذلك فقال انما اموالكم واولادكم فتنة وقال ان من ازواجكم واولادكم فتنة لكم
فاحذروهم فالجواب ان الدعا بالولد معلوم من الكتاب والسنة حسب ما تقدم
في ال عمران بيانهم ان زكريا عليه السلام تخرق فقال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وقال واجعله رب رضيا
والولد اذا كان بهذه الصفة نفع ابويه في الدنيا والاخرة وخرج عن حد العداوة
والفتنة الى حد المسرة والنعمة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لانس خادمه فقال
اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه فدعاله بالبركة تحرزا مما يوذي اليه اكثار المال
وهكذا فليضرع العبد الى مولاه في هداية ولده ونجابة اولاده واخراه اقتدا بالانبيا والصلحا
والفضلا والاولياء وقد تقدم في ال عمران والحمد لله قوله تعالى يرثني ويرث من ال يعقوب
فيه اربع مسايل الاولى في قوله تعالى يرثني قرا اهل المدينة والكوفة وابن عامر وحمزة يرثني ويرث
بالرفع فيهما وقرا يحيى بن يعمر وابو عمرو ويحيى بن وثاب والاعمش والكسايي بالجزم فيهما
وليس هذا جوابا لهب على مذهب سيبويه اما تقديره ان تهب يرثني ويرث والاول اصوب
في المعنى لانه طلب وارثا موصوفا اي هب لي من لدنك الولي هذه حالته وصفته ان الانبيا لم
يورثوا فقال هب لي الذي يكون وارثي قاله ابو عبيد وردّ قرا الجزم قال لان معناه ان
وهبت ورثت فكيف تخبر الله عز وجل بهذا وهو اعلم به النحاس وهذه حجة مستقيمة لان
جواب الامر عند النحويين فيه معنى الشرط والمجازاة تقول اطع الله يدخلك الجنة اي ان تطعه
يدخلك الجنة الثانية قال النحاس ما ما معنى يرثني ويرث من ال يعقوب فيها ثلاثة اوجه
قيل هذه وراثة حكمة وقيل هي وراثة مال وما خولهم وقيل هي وراثة نبوة قالوا لان النبوة ولو كانت
تورث لقال ما يقل الناس ينتسبون الى نوح عليه السلام وهو نبي مرسل وورائة العلم والحكمة
مذهب حسن وفي الحديث العلما ورثة الانبيا واما وراثة المال فلا يمتنع وان كان قوم قد انكروه
لقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة فهذا حجة فيه لان الواحد يخبر عن
نفسه باختيار الجمع وقد يقول هذا ممن لا نورث الذي تركناه صدقة لان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يخلف شيا يورث عنه وان كان الدنيا باجمعها لله عز وجل ايا محيايه يتولى تبارك
وتعالى امره واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول ان معنى لله لسبيل الله ومرسل
الله ما يكون في مصلحة الرسول صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وان قيل ففي بعض الروايات
انا معشر الانبيا ما تركنا صدقة فيه اثنا وثلاثون جيدا ان تكون ما بمعنى الذي والاخر ما يورث
فكانت هذه حالته وقال ابو عمر اختلفت العلما في تاويل قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام لا نورث
ما تركنا صدقة على قولين احدهما وهو الاكثر وعليه الجمهور ان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يورث وما تركه صدقة والاخر ان نبينا عليه الصلاة والسلام لم يورث لان الله تعالى خصه
بان جعل ماله كله صدقة زيادة في فضيلته كما خص في النكاح بما شيا اباحه له وحرمها على غيره
وهذا القول قاله بعض اهل البصرة منهم ابن علية وساير علما المسلمين على القول الاول
الثالثة قوله تعالى من ال يعقوب قيل هو يعقوب اسرايل الله وكان زكريا متزوجا باخت
مريم بنت عمران وبرجع نسبها الى يعقوب لانها من ولد سليما نتزوجها من ولد يهودا بن يعقوب
وزكريا من ولد هارون اخي موسى وهارون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب وكانت النبوة
في سبط يعقوب بن اسحاق وقيل المعنى بيعقوب ههنا يعقوب بن ماثان ابي مريم اخوان
من نسل سليمان بن داود عليهما السلام الى يعقوب وعمران انهما ماتا وكان فيهم الملك وبنوا
ماثان رؤسا بنو اسرايل قاله قتادة وغيره وقال الكلبي وكان ليعقوب اخوان هو الله وهو يعقوب
ابن ماثان وكان فيهم الملك وكان زكريا من ولد هارون بن عمران اخي موسى وروي قتادة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته ولم يبصر يعقوب لانه
اعجمي الرابعة قوله تعالى واجعله رب رضيا اي مرضيا في اخلاقه وافعاله وقيل راضيا بقضايك
وقدرك وقيل رجلا صالحا ترضى عنه وقال ابو صالح نبيا كما جعلت اباه نبيا قوله تعالى يا زكريا
في الكلام حذف اي فاستجاب الله دعاه فقال يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى فتضمنت
هذه البشرى ثلاثة اشيا احدها اجابة دعايه وهي كرامة الثاني اعطاه الله الولد وهو فوق

لك ان يزيد بتسمينه وتقدم معنى تسميته بيحيى في العمران وقال مقاتل سماه يحيى لانه حيي
بين اب شيخ وام عجوز وهذا فيه نظر لما تقدم من ان امراته كانت عقيما لا تلد والله اعلم فوله
قوله تعالى ولم نجعل له من قبل سميا اي لم نسم باسمه احدا قبل يحيى هذا الاسم قاله ابن عباس وقتادة
وابن اسلم والسدي ومن علقه تعالى بان لم يكن تسميته الى الاسوين وقال مجاهد وغيره سميا
نظيرا مثلا ونظيرا وهو مثل قوله تعالى هل تعلم له سميا وهذا كله من المساماة والسمو وهذا
فيه بعد لانه لا يفضل على ابراهيم وموسى الا ان يفضل في خاص كالسودد والحصر حسب
ما تقدم بيانه في العمران وقال ابن عباس ايضا سماه لم تلد العاقر مثله ولدا وقيل ان الله
اشترط القتل لانه اراد ان يخلق بعده افضل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه الاية
دليل وشاهد على ان الاسامي لشفع جديرة بالمؤثرة وايا ها كانت الوف تنتحي في التسمية
لكونها انبه وانزه عن المنبر حتى قال القائل يشفع الاسامي مسمى از رحمر نمس الارض بالهدب
وقال رؤبة للمسابة البكري وقد سأله عن نفسه ايا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت
قوله تعالى قال رب انى يكون لي غلام ليس على معنى الانكار لما اخبر الله به بل على سبيل التعجب
من قدرة الله ان يخرج ولدا من امراة عاقر وشيخ كبير وقيل غير هذا مما تقدم في العمران بيان
وتبلغت من الكبر عتيا بمعنى النهاية في الكبر والنحافة ومنه العسي قال الاصمعي
• عسا الشئ يعسو عسوا وعتا يعتو عتوا ممدودا اي يبس وصلب وعسى الشيخ يعسو عسيا
ولي وكبر مثل عتا يقال عتا الشيخ يعتو عتوا وعتيا كبر وولي وعتوت يا فلان تعتو
عتوا وعتيا وعتيا والاصل عتوا فاستثقلت الواو وقد لوا قبل الواو ياء انتها وهي ياضفت
منها والياء على اليا ات ومن قال عتيا كره الضمة مع الكسرة واليا قال الشاعر • انا بهذا الوليد
واليعذر من كان في الزمان عتياه وقرا ابن عباس عسيا وهي كذلك في مصحف ابي وقرا يحيى
ابن وثاب وحمزة والكسائي وحفص عتيا بكسر العين ولذلك وصليا حيث كان وضم مفضل
يكيا خاصة وكذلك الباقون في الجميع وما للفتان وقيل عتيا فسيا بها لملك عات اذا كان
قاسي القلب قوله تعالى قال كذلك قال ربك هو علي هين اي قال له الملك كذلك قال ربك
والكاف في موضع رفع لامر كذلك اي كما قيل لك هو علي هين قال الفراء اي خلقه على هين وقد
خلقتك من قبل ايمن قبل يحيى وهذه قراءة اهل المدينة والبصرة وعاصم وقراء سائر الكوفيين
وقد خلقناك بنون والف بالجمع على التعظيم والقراءة الاولى اشبه بالسواد ولم تك شيا اي
كما خلقتك خلقتك الامن العدم ولم تك شيا موجودا فهو الفادر على خلق يحيى وايجاده
قوله تعالى قال رب اجعل لي اية طلب اية على حبلها بعد بشارة الملايكة اياه وبعد قول
الله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا زيادة طمانينة اي تمم النعمة بان تجعل لي اية
وتكون تلك الاية زيادة نعمة وكرامة وقيل طلب اية نزله على ان البشري منه يحيى لا من
الشيطان لان ابليس اوهمه ذلك قاله الضحاك وهو معنى قول السدي وهذا فيه نظر
لاخبار الله تعالى بان الملايكة ناداه حسب ما تقدم في العمران قال اية لك الا تكلم الناس
ثلاث ليال سويا تقدم في العمران بيانه فلا معنى للاعادة قوله تعالى فخرج على قومه من
المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى فخرج على قومه من
المحراب اي اشرف عليهم من المصلى والمحراب ارفع المواضع واشرف المجالس وكانوا يتخذون
المحاريب بيوتا ارتفع من الارض دليله محراب داود وعلى ما ياتي واختلف الناس في انتفائه فقالت
فرقة هو باق وذم الحرب كان ملازمه يحارب الشيطان والشهوات وقالت فرقة هو باق
من الحرب لفتح الراكان ملازمه يلتقي منه حربا ونصبا والثانية هذه الاية تدل عليك
ارتفاع امامهم على المامومين كان سنة وعادتهم في صلاتهم وقد اختلف في هذه المسالة
فمنها الامصار ناجاز ذلك الامام احمد بن حنبل وغيره متمسكا بفعل المنبر ومنع ذلك مالك في
ارتفاع الكثير دون اليسير وعلل اصحابه المنع بخوف الكبر على الامام قلت وهذا فيه نظر
واحسن منه ما رواه ابو داود عن همام بن حذيفة ان الناس بالمدائن علق كان فاهدا بو مسعود بقميصه
فجبذه فلما فرغ من صلاته قال الم تعلم انهم كانوا ينهون عن هذا او نهي عن ذلك قال بلى قد ذكرت حين
مددتني وروي ايضا عن عدي بن ثابت الانصاري قال حدثني رجل انه كان مع عمار بن ياسر بالمدائن
فاقيمت الصلاة فتقدم عمار بن ياسر فقام على دكان يصلي والناس اسفل منه فتقدم حذيفة فلما فرغ
عمار من صلاته قال له حذيفة الم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ام الرجل القوم فلا يقم
في مكان ارفع من مقامهم او نحو ذلك فقال عمار لذلك اتبعتك حين اخذت على يدي فذكرت
فهذا ثلاثة من الصحابة قد اخبروا عن ذلك ولم يجئ احد منهم على صاحبه بحديث المنبر فدل على انه منسوخ

صدقته على ابويه قاله ابن قتيبة وكان تقيا اي مطيعا لله ولهذا لم يعمل خطيئة ولم يهم بها
قوله تعالى وبرا بوالديه البر بمعنى البار وهو الكثير البر وجبارا متكبرا وهذا وصف يحيى
عليه السلام بليس اكجانب وهضض الجناح قوله تعالى وسلام عليه قال الطبري وغيره معناه
امان ابن عطية والاظهر عندي انها التحية المتعارفة حتى اشرف وابشر بالاياك بان الامان متحصل
له بنهي العصيان عنه وهي اقل درجاته وانما الشرف حتى ان سلم الله عليه وحياه في المواطن
التي الانسان فيها بغاية الضعف والحاجة وذلة الحيلة والفقر الى الله وعظيم الهول قلت
هذا قول حسن وقد ذكرنا معناه عن سفيان بن عيينة في سورة سبحان عند قتل يحيى وذكر الطبري
عن الحسن ان عيسى ويحيى التقيا وهما اجنة في الحالة فقال يحيى ليعيسى ادع الله لي فانت خير مني سلم
الله عليك وانا سلمت على نفسي فانتزع لبعض العلماء من هذه الاية ترجيح التسليم فضل عيسى بان
قال الله له في التسليم على نفسه ومكانته من الله التي افتتنت ذلك حين قد رد حكمي في محكم
التنزيل اعظم في المنزلة من ان يسلم عليه قال ابن عطية ولكل وجه قوله تعالى واذكر في الكتاب
مريم الى اخرها هذه ابتدا قصة ليست من الاولى واكطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اي عرفهم هذه
قصتها ليعرفوا كاقدرتنا اذ انتبذت اي تنحت وتباعدت واتخذ الطرح والرمي قال الله
تعالى لنتخذوه وراء ظهورهم ومن اهلها من كان معها واذ بدل من مريم بدل اشتمال لان الاحيان
مشتملة على ما فيها والانتباذ والاعتزال والانفراد واختلفا لما سلم انتبذت
فقال السدي انتبذت لتطهر من حيض وقال غيره لتتعبد الله وهذا حسن وذلك ان مريم عليها
السلام كانت وقفا على سدانة المتعبد وخدمته والعبادة فيه فتنحت من الناس لذلك ودخلت
في المسجد الى جانب المحراب في شرقيه لتخلوا للعبادة فدخل عليها جبريل عليه السلام فقوله مكانا
شرقيا اي مكانا من جانب الشرق والشرقي كل الرا المهملة المكان الذي تشرق فيه الشمس والشرق
بفتح الرا الشمس وانما خص المكان بالشرق لانهم كانوا يعظمون جهة الشرق ومن جهته تطلع الانوار
وكانت المهاني الشرقية من كل شي افضل من سواها حكاه الطبري وحكى عن ابن عباس انه قال اني لا علم
الناس لم اتخذ النصارى الشرق قبلة لقول الله عز وجل واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذوا
ميلاد عيسى عليه السلام قبلة وقالوا لو كان شي من الارض خيرا من الشرق لوضعت مريم عيسى فيه واختلف
الناس في نبوة مريم فقيل كانت نبية بهذا الارسال والمحاورة للملك وقيل لم تكن نبية وانما كلمها الملك
بشرورة منه للملك كما ذكر جبريل عليه السلام في صفة دحية الكلبي حين سواله عن الايمان والاول اظهر وقد مضى الكلام في هذا المعنى موعبا في العمران والحمد لله قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا
قيل هو روح عيسى عليه السلام اذ الله تعالى خلق الارواح قبل الاجسام فركب الروح في جسد عيسى
الذي خلقه في بطنها وقيل هو جبريل واضيف الروح الى الله تخصيصا وكرامة والظاهر ان جبريل لقوله
فتمثل لها اي تمثل الملك لها بشرا تفسيرا وحالا سويا اي مستوي الخلقة اذ لم تكن لتطيق ان تنظر
جبريل في صورته ولما رات رجلا حسن الصورة في صورة البشر فزعت عليها الحجاب ظنت انه يريدها
بسوء فقالت اعوذ بك بالرحمن منك ان كنت تقيا من تتقي الله البكا لي فتكلم جبريل عليه السلام
فزعا من ذكر الرحمن تبارك وتعالى لتقي كان رجلا صالحا فتعوذت منه تنجيا وقيل تقي فعيل بمعنى
مفعول اي كنت ممن يتقى منه في المخارق وقال ابو وايل علمت مريم ان المتقي وهيب حين قالت
ان كنت تقيا وقيل تقي اسم ناجر معروف في ذلك الوقت قاله وهب بن منبه وحكاه مكي وغيره ابن عطية
وهو ضعيف ذاهب مع التخرص فقال لها جبريل عليه السلام انما انا رسول ربك لاهب لك
جبل الهبنة من قبله لما كان الاعلام بها من قبله وقرا ورش عن نافع لهب على معنى ارسلني الله
ليهب لك وقيل معنى لاهب لك بالهمز محمول على المعنى قال ارسلته لاهب لك وبجعل ليهب
بلا همز ان يكون بمعنى الهموز ثم خففت الهمزة فلما سمعت مريم ذلك من قوله استفهمت عن
طريقه فقالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر اي بنكاح ولم اك بغيا اي زانية وذكرت
هذا ان كيدا ان قومها ولم يمسسني بشر بمثل الحلال والحرام وقيل لما استبعدت من قدرة الله
شيا ولكن اراد ت كيف يكون هذا الولد من قبل روح في المستقبل ام يخلقه الله ابتداء روي ان
جبريل عليه السلام حين قال لها هذه المقالة نفخ في جيب درعها وكمها قاله ابن عباس اخذ جبريل عليه السلام ردن قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت من ساعتها بعيسى قال
الطبري وزعمت النصارى ان مريم حملت بعيسى وهي ولها ثلث عشرة سنة وان عيسى عاش الى ان
رفع اثنين وثلاثين سنة وايا ما وان مريم بقيت بعده ست سنين وكانت جميع عمرها ثلثا وخمسين
سنة وقوله ولنجعله متعلق بمحذوف اي وخلقه لنجعله اية دالة على قدرتنا عجيبة ورحمة لمن امن به
وكان امرا مقضيا في اللوح مسطورا قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا اي تنحت بالحمل الى مكان

ومما يدل على نسخهما ان ثبت عملا زايدا في الصلاة وهو النزول والصعود فنسخ كما نسخ الكلام والسلام وهذا اولى مما اعتذر به اصحابنا من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من الكبر لان كبر امر الآية يوجد اكبر عند بعضهم ومنهم من علل بان ارتفاع المنبر كان يسيرا والله اعلم الثالثة قال وحي اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا قال الكلبي والترطبي وقتادة وابن منبه اوحى اليهم اشار الفتى اوصى بجاهد كتب علي الارض عكرمة في كتاب الوحي في كلام العرب الكتابة ومنه قول ذي الرمة سوب الاربع الدهم اللوائح كانها بقية وحي في بطون الصحايف وقال غيره كوحي صحايف في عهد كسرى فاهداها الاعجم طمطمي ويكره وعشيا ظرفان وزعم الفراء ان العشي يونث ويجوز تذكيره اذا ابهمت قال وقد يكون العشي جمع عشية الرابعة قد تقدم الحكم في الاشارة في العمران واختلف علماؤنا فيمن حلف ان لا يكلم انسانا فكتب اليه كتابا او ارسل اليه رسولا فقال مالك انه يحنث الا ان ينوي منشافهته ثم رجع فقال لا ينوي في الكتاب ويحنث الا ان يرجع الكتاب قبل وصوله فقال ابن القاسم اذا قرا كتابه حنث وكذلك لو قرا الحالف كتاب المحلوف عليه وقال اشهب لا يحنث اذا قراه الحالف وهذا بين لانه لم يكلمه ولا ابتداه بكلام الا ان يريد ان الا يعلم معنى كلامه فانه يحنث وعليه تخرج قول ابن القاسم فان حلف ليكلمنه لم يبر الا بسماعه منه قاله ابن الماجشون وابن حبيب وان حلف ليعلمن علم كذا ليعلمنه او ليخبرنه فكتب اليه او ارسل اليه رسولا ثم ولو علماه جميعا لم يبر حتى يعلمه ان علمهما مختلف الخامسة واتفق مالك والشافعي والكوفيون ان الاخرس اذا كتب الطلاق بيده لزمه قال الكوفيون الا ان يكون رجل اصمت ابدا فكتب لم يجز ذلك شيء قال الطحاوي والاخرس مخالف للصمت العارض كما ان العجز عن الجماع لعارض كالمرض وكونه يوما او نحوه مخالف للعجز الذي يوسوس منه الجماع كالمجبوب في باب خيار المراة في العنة قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة في الكلام حذف المعنى فولد له وقال الله تعالى للمولود يا يحيى وهذا اختصار يدل الكلام عليه والكتاب التوراة بلا خلاف بقوة اي بجد واجتهاد قاله مجاهد وقيل العلم به والحفظ له والعمل به وهو الالتزام لامره والكف عن نواهيه قاله زيد بن اسلم وقد تقدم في البقرة قوله تعالى وايتيناه الحكم صبيا الحكم قبل الاحكام والمعرفة بها روي معمر ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقت فانزل الله تعالى وايتيناه الحكم صبيا قال قتادة كان ابن سنتين او ثلاث وقال مقاتل كان ابن ثلاث سنين وصبيانا نقيك على الحداد وقال ابن عباس من قرا القران قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكمة صبيا وروي في تفسير هذه الاية من طريق عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل بني ادم ياتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا وقال قتادة ان يحيى عليه السلام لم يهم الله قط بصغيرة ولا كبيرة ولم يهم بامراة وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان للدمع في حديثه مجاري ثابتة وقد مضى الكلام في معنى قوله وسيدا وحصورا في آل عمران قوله تعالى وحنانا من لدنا حنانا عطف على الحكم وروي عن ابن عباس انه قال والله ما ادري ما الحنان قال جمهور المفسرين الحنان الرحمة والشفقة والمحبة وهو فعل من افعال النفس الخاسرة في معنى الحنان عن ابن عباس قولان احدهما قال تعطف الله جل وعز عليه بالرحمة عليه والقول الاخر ما اعطيه من رحمة ان الله حتى يخلصهم من الكفر والشر واصله من حنين الناقة على ولدها وبها لحنانك وحنانتك قيل بمعنى واحد وقيل حنانيك تثنية الحنان قال ابو عبيد والوجه ان تقول حنانك يا رب وحنانيك يا رب بمعنى واحد يريد رحمتك قال امرؤ القيس • ويمخرها بنو شمجى سمجي بجرم حنانيك من حنانك ذا الحنان • وقال طرفة • اما مقدر فبنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض • الزمخشري حنان ما اتى بك ها هنا اذ ونسب • ام انت بالحي عارف • قال ابن الاعرابي الحنان من صفة الله عز وجل مشدد الرحيم والحنان مخفف العطف والرحمة والحنان الرزق والبركة من عطية والحنانة ايضا في كلام العرب ما عظم من الامور في ذات الله ومنه قول زيد ابن عمرو بن نفيل في حديث بلال والله لئن قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره حنانا وذكر هذا الخبر الهروي فقال وفي حديث بلال ومن عليه ورقة بن نوفل وهو يعذب فقال والله لئن قتلتموه لاتخذن قبره حنانا اي لاتمسحن به وقال الازهري معناه لانعطفن عليه ولانرحمن عليه لانه من اهل الجنة قلت فالحنان العطف ولذا قال مجاهد وحنانا اي تعطفا منا عليه او منه على الخلق قال الحطيئة • تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا • عكرشة تحنة وحنة الرجل امراته تزوجها قال الشاعر • فقالت حنانى ما اتى بك ها هنا • اذو نسب ام انت بالحي عارف قوله تعالى وزكاة الزكاة التطهير والبركة والتسمية بوجوه الخير والبر اي جعلناه مباركا للناس يهديهم وقيل المعنى زكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكى الشهود انسانا وقيل زكاة

بعيد قال ابن عباس الى اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم بينه وبين ايليا اربعة اميال وانما عدت
فرارا من تغيير قومها اياها بالولادة من غير زوج قال ابن عباس يا هو الا ان حملت فوصفت في الحال
وهذا هو الظاهر ان الله تعالى ذكر لانتباذ عقيب الحمل وقيل غير هذا على ما ياتي قوله تعالى
فاجاها المخاض الى جذع النخلة اجاها معناه اصطرها وهو تقديمه ها بالهمز يقال جاءه الى موضع
كذا اكابقال ذهب به واذهبه وتراشبل وروبت عن عاصم فاجاها من المفاجاة وفي مصحف
ابي فلما اماها المخاض وقال زهير * وجار ستار معقر اليكم اجانه المخانة والرجاء * وقرا الجمهور
المخاض بفتح الميم وابن كثير فيما روى عنه بكسرها وهو الطلق وشدة الولادة واوجاعها مخضت
المراة تمخض مخاضا ومخاضا وناقة ماخض اي دنا ولادها لجذع النخلة كانها طلبت
شيا يشتد اليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل لشدة وضع الطلق والجذع ساق النخلة ايا كان
في العود الذي لا سعف عليه ولا غصن ولهذا لم يقل الى النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا كمت
مريم عليها السلام الموت من جهة الدين لوجهين احدهما انها خافت ان يظن بها الشر في دينها
وكفرت فيفتنها ذلك اتباعي لبلا يقع قوم بسببها في البهتان والنسبة الى الزنا وذلك
مهلك وعلى هذا الحد تمنى الموت جايزا وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة يوسف
عليه السلام والحمد لله فلما سمعت ان مريم عليها السلام سمعت نداء من تحتها قرئ
بان يعبد من دون الله فحزنت لذلك وقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا النسي
في كلام العرب الشيء الحقير الذي شانه ان ينسى وابتاع النقد كالوند والحبل للمسافر وكنوه
وحكي عن العرب انهم كانوا اذا اراد الرجل عن منزل قالوا احفظوا انسائكم الانسا جمع نسي
وهو الشيء الحقير يفعل فينسى ومنه قول الكميت * انجعلتنا جسرا لكل مضاعة ولست
بنسي لمعد ولا نعل * وقال الفراء النسي ما كان تلقيه المراة من خرق اعتلالها فقول مريم نسيا
منسيا اي حيضة ملقاة وقرئ نسيا بفتح النون وهما لغتان مثل الحجر والحجر والوتر والوتر
وقرا مجاهد كعب الرظي بالهمز نسيا بكسر النون وقرا ابو السوار الغنوي نسيا بفتح النون من نسأت
الشيء اذا اخرته وحكاها ابو الفتح واذا انبئ عن محمد بن كعب وقرا بكر بن حبيب نسا بشد
السين وفتح النون دون همز وقد حكى الطبري في قصتها انها لما حملت بعيسى حملت ايضا اختها
بيحيى فجاءتها اختها زايرة فقالت يا مريم اشعرت اني حملت قالت فقالت لها مريم اشعرت
انت اني حملت قالت لها اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك وذلك انه روي انها احست بو
جنينها بخر برأسه الى ناحية بطن مريم قال السدي وذلك قوله مصدقا بكلمة من الله
وذكر ايضا في قصصها انها خرجت تاره مع رجل من بني اسرايل يقال له يوسف النجار كان
يخدم معها المسجد وطوله في ذلك قال الكلبي قيل ليوسف وكانت سميت له انها حملت
من الزنا فاراد ان يقتلها الملك فهرب بها فمر في الطريق بقتلها فاتاه جبريل وقال ان روح
القدس قال لي عطية وهذا كله ضعيف وهذه القصة تقتضي انها حملت واستتر حاله
على عرف البشر وتظاهرت الروايات ولدته لثمانية اشهر قاله عكرمة ولذلك قيل يعيش
ابن ثمانية اشهر حفظا لخاصة عيسى وقيل ذلك لسبعة وقيل لستة وما ذكرناه عن ابن عباس
اصح واظهر والله اعلم قوله تعالى فناداها من تحتها قرئ بفتح الميم وكسرها قال ابن عباس
المراد بمن جبريل وهو بعيد بل المراد عيسى حين انتبه بوبها وقاله علقمة والضحاك وقتادة فعلى
هذا اية لها وامارة ان هذا من الامور الخارقة والعادة التي يعلم بها مراد عظيم وقول لا تحزني
تفسير النداء وان مفسرة بمعنى اي والمعنى فلا تحزني بولادتك قد جعل ربك تحتك سريا يعني عيسى
والسري من الرجال العظيم الخصال السيد قال الحسن كان والله سريا من الرجال ويقال سري فلان على
فلان اي تكرم وفلان سري من قوم سراة وقال الجمهور اشار لها الى الجدول الذي كان قريب جذع
النخلة قال ابن عباس كان ذلك نهرا فانقطع ماوه فاجراه الله لمريم والنهر يسمى سريا لان الماء
يسري فيه قال الشاعر * سلم تريك الدالمنه ازدراء اذا يجيء السري هرهرا * وقال ايضا *
تتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاورا قلامها * وقيل ناداها عيسى وكان ذلك
معجزة وايه وتسكينا لقلبها والاول اظهر وقرا ابن عباس فناداها ملك من تحتها قالوا وكان
جبريل في لهذه من الارض احتضن من البقعة التي كانت هي عليها قوله تعالى وهزي اليك
بجذع النخلة فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى في امرها بهز الجذع اليابس لتري اية اخرى
في احياء الجذع والثاني قوله بجذع زايدة موكدة كما قيل لعتد الزمام واعط بيدك وقال
الله تعالى فليمدد بسبب الى السما اي فليمدد سببا وقيل المعنى وهزي اليك رطبا على جذع
النخلة وتساقطا اي تتساقط فادغم التاء في السين وقرا حمزة تساقط تخفيفا بضم التاء تخفيفا

وكسر القاف وتريب تتساقط باظهار التاءين وبسافط بابا وادغامها بابا وبتساقط وبتساقط التا
للنخلة والباء للجذع فهذه تسع قراءات ذكرها الزمخشري رحمه الله رطبا نصب بالجزاء اذا
هززت الجذع لهزت بهمزة رطبا جنيا وعلى الجملة فرطبا يختلف نصبه بحسب اختلاف القراءات
فمن بهزي استند الفعل الى الجذع ومن هزة الى النخلة وجنيا معناه قد طابت وصلحت
للاجتناء وهو من جنيت الثمر ويروى عن ابن مسعود ولا يصح انه قرأ تساقط عليك رطبا جنيا
بريا وقال لجاهد رطبا جنيا قال كانت عجوة وقال ابن عيينة لابن ابي نجيح سألت ابا عمرو بن العلاء
عن قوله رطبا جنيا فقال لم يدر قال وتفسيره لم يجف ولم ييبس ولم يبعد يدك مجتنا وهذا
هو الصحيح قال الفراء الجني والمجتنى واحد يذهب الى انها بمنزلة القتيل والمقتول والجريح
والمجروح وقال غيره الفراء الجنى المقطوع من نخلة والمأمور من كان نشاهد وانشد واه وطيب
ثمارك يا من اريضة واعضان اشجار حنها هما على قرب ٭ يريد بالجني ما يجتنى منها اي يقطع
ويوكد قال ابن عباس كان جذعا نخرا فلما هزت نظرت اليها على الجذع فاذا السعف قد طلع
ثم نظرت الى الطلع قد خرج من بين السعف احضرت قضاء بحائم امر قضاء لهوائم رطبا كل هو
ذلك فجعلت تجعل الرطب يقع بين يديها ينظر خ منه شيء الثاء ثم استدل بعض
الناس من هذه الاية على ان الرزق وان كان محتوما فان الله تعالى قد وكل ابن ادم الى سعي
ما فيه لانه امر مريم بهز الجذع لترى اية وكانت الاية تكون بان لا تهز الشاة امر بتكليف الكسب
في الرزق سنة الله في عباده وان ذلك لا يقدح في التوكل خلافا لما يقوله جهال المتزهدة وقد تقدم
هذا المعنى والخلاف فيه وقد كانت قبل ذلك بايامها ترى فضلا من غير تكسب كما قال كلما دخل عليها
زكريا المحراب وجد عندها رزقا الاية فلما ولدت امرت كالعلما وقالما كان قلبها فارغا فرغ الله له
جارحتها على النصب فلما ولدت عيسى وتعلق قلبها بحبه واستغل سرها بحديثه وامره وكلها
الى كسبها ورد ها الى العادة بالتعلق باسباب فجعادة وحكى الطبري عن زيد ان عيسى قال
لها لا تحزني فقالت وكيف لا احزن وانت معي ذات زوج ولا مملوكة ايبس على ذلك عند الناس
يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى انا اكفيك الكلام الرابعة قال
الربيع بن خثيم ما الهمنا عند بي خبر من الرطب لهذه الاية ولو علم الله شيا هو افضل من الرطب
للنساء لاطعمه مريم ولذلك قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت فكذلك التحنيك وقيل
اذا عسر ولادتها لم يكن لها خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل ذكره الزمخشري وقال ابن وهب
قال لي مالك قال الله تعالى رطبا جنيا الجنى من التمر ما طاب من غير نقش ولا فساد والنقش ان
ينقش من اسفل السفرة حتى ترطب فهذا مكروه بين ما لك ان هذا يعجل الشيء قبل وقته فلا
ينبغي لاحد ان يفعله وان فعله فاعل ما كان ذلك يجوز للبيع ولا لحكام الطبيب وقد مضى هذا في
الانعام والحمد لله وعن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعا لك في السري والرطب
فابدئين اصرامها الاكل والشرب والتابية سلوة الصدر لكونها معجزتين وهو قوله تعالى فكلي
واشربي وقري عينا قوله تعالى فكلي واشربي وقري عينا اي فكلي واشربي وطيبي
من السري وقري عينا برويه الولد وقري بفتح القاف قراءة الجمهور وحكى الطبري قراءة وقرب
بكسر القاف وهي لغة نجد يقال قر عينا بفتح وليقر بضم القاف وكسرها واقر الله عينه فقرت
وهو ما خوذ من القر ومن القرة وهما البرد وجمعه السرور بارده وحمعه الحرور حارة وضعف
فرقة هذا وقالت الدمع كله حار فمعنى اقر الله عينه اي سكن الله عينه بالنظر الذي يحبه حتى تقر
وتسكن وقيل ان قرة عين اي نفسي تسكن بقربه وقال السبياني وقري عينا معناه نامي حتى
على الاكل والشرب والنوم قال ابو عمرو واقر الله عينه اي انام عينه وانهب سهره وعينا نصب
على التمييز كقولك طبت نفسا والفعل في الحقيقة انما هو للعين فينقل ذلك الى ذي العين
ويضيف الى كان فاعلا في الحقيقة على التفسير ومثله طبت نفسا وتفقان شحما وتصببت
عرقا ومثله كثير وقوله تعالى فاما ترين من البشر احدا فقولي فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله تعالى فاما ترين الاصل فيه ترءين ترائين فحذفت الهمزة فحذفت من ترى ولقيت
فتحتها الى الراء فصار ترين ثم قلبت الياء الاولى الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع الفا
ساكنان الالف المنقلبة عن الياء والتانيث فحذفت الالف لالتقا الساكنين فصار ترين
ثم حذفت النون علامة للجزم لان ان حرف شرط وما مثله فبقي ترى ثم دخله نون التوكيد
وهي مثقلة فكسرت التانيث لالتقا الساكنين لان النون المثقلة بمنزلة نونين الاولى ساكنة
فصار ترين وهذا على النحو قوله فولا ابن ذريه اما ترى راسي حاكى لونه وقوله الا قوه اما
ترى راسي ازرى به الشيب وانما دخلت النون هنا لتوطئة ما تدخل له جوابا لقسم وترا

طلحة وابو جعفر وشيبة نزين بسكون النا وفتح النون خفيفة قال ابو الفتح وهي شاذة الثانية
قوله تعالى فقولي هذا جواب الشرط وفيه اضمار اي فسألك عن ولدك فقولي اني نذرت للرحمن
صوما صمتا قاله ابن عباس وانس بن مالك وفي قراءة ابي بن كعب اني نذرت للرحمن صوما فصمنا
وروي عن انس وعنه ايضا وصمتا بواو واختلاف اللفظين يدل على ان الحرف ذكر تفسيرا
لا قرانا فاذا دلت معه واو فيمكن ان يكون غير الصوم والذي تثابت به الاخبار عن اهل بر
الحديث وروده اهل اللغة ان الصوم هو الصمت ان الصوم امساك والصمت امساك عن
الكلام وقيل هو الصوم المعروف وكان يلزمهم الصمت يوم الصوم الا بالاشارة وعلى هذا
تخرج قراءة انس وصمتا بواو وان الصمت كان عندهم حتى الصوم ملتزما بالنذر كان
من نذر رمنا المشي الى البيت اقتضى ذلك الاحرام بالحج والعمرة ومعنى هذه الاية ان الله تعالى ارها على
لسان جبريل او ابيها على اختلاف المتقدم بان تمسك عن مخاطبة البشر وتجعل علما انها ذلك
نذر لتمنع عنها بحثها وتسكت الايدي نيابة عن ذلك وظاهر الاية انها ابيح لها ان تقول هذه الالفاظ
الالفاظ التي في الاية وهو قول الجمهور وقالت فرقة معنى قولي بالاشارة لا بالكلام الذي يخترع وبنيه
ان السكوت عن السيئة واجب وبزاد لها الناس سفيهة سفيه لم يجد مسافها الثالثة من التزم
بالنذر ان لا يكلم احدا من الادميين ويحتمل ان يقال ان نذرها فيلزم بالتعبد ويحتمل ان يقال لا يجوز
ذلك في شرعنا لما فيه من التضييق وتعذيب النفس كنذر القيام في الشمس ونحوه فعلى هذا
كان نذر الصمت في تلك الشريعة لا في شريعتنا وتدبر ابن مسعود من فعل ذلك ان يتطق بالكلام
وهذا هو الصحيح لحديث ابي اسرائيل خرجه البخاري عن ابن عباس وقال ابن زيد والسدي كانت
سنة الصيام عندهم الامساك عن الاكل والكلام قلت وفي سنتنا نحن في الصيام
الامساك عن الكلام القبيح قال صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل
فان امرؤ قاتله فليقل اني صائم وقال عليه السلام من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله
حاجة في ان يدع طعامه وشرابه قوله تعالى فاتت به قومها تحمله روي ان مريم لما اتت
بالولد من الاية وعلمت ان الله سيبرئ عذرها اتت به تحمله من المكان القصي الذي كانت
انتبذت فيه قال ابن عباس خرجت من عندهم حين نرق الشمس وهم في متعبدهم عند الظهر ومعها صبي
تحمله فكان الحمل والولادة في ثلاث ساعات من النهار وقال الكلبي ولدت حين لم يبق من النهار
وبقيت اربعين يوما النفاس ثم اتت قومها فلما رآها الصبي حزنوا وكانوا اهل
بيت صالحين فقالوا مستنكرين لقد جئت شيئا فريا اي جئت امرا عظيما كالامر الذي يفتري به
قال مجاهد فريا عظيما وقال سعيد بن مسعدة اي مختلقا منتحلا الا بقاد فريت واختريت
بمعنى ولد والولد من الزنا كالمفتري قال الله تعالى ولا يأتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن اي يولد تقصد الحاقه بالزوج وليس منه يقال فلان يفري
الفري اي يعمل العمل البالغ وقال ابو عبيدة الفري العجيب النادر وقال الاخفش قال
فريا عجيبا والفري القطع كانه مما يخرق العادة او يقطع الكون بقوله عجيبا نادرا وقال
قتادة بالفري الحديد من الاسقية اي حيث يأمر بديع حديد لم تسبق اليه وقرأ ابو حيوة شيا
فريا بسكون الراء وقال السدي ووهب لما اتت بقومها تحمله تسامع بذلك بنو اسرائيل
فاجتمع رجالهم ونساؤهم فمدت امرأة يدها اليها لتفضحها فاجف الله شطرها فجمدت
لذلك وقال ابن عباس لما نزلت فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا
فتكلمت فيه قال ابن عباس فخرجت من عندهم حين نرق الشمس وهم في متعبدهم عند الظهر ومعها صبي
تحمله فكان الحمل والولادة في ثلاث ساعات من النهار وقال الكلبي ولدت حين لم يبق من النهار
وبقيت اربعين يوما النفاس ثم اتت قومها فلما رآها الصبي حزنوا وكانوا اهل
بيت صالحين فقالوا مستنكرين لقد جئت شيئا فريا اي جئت امرا عظيما كالامر الذي يفتري به
قال مجاهد فريا عظيما وقال سعيد بن مسعدة اي مختلقا منتحلا الا بقاد فريت واختريت
بمعنى ولد والولد من الزنا كالمفتري قال الله تعالى ولا يأتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن اي يولد تقصد الحاقه بالزوج وليس منه يقال فلان يفري
الفري اي يعمل العمل البالغ وقال ابو عبيدة الفري العجيب النادر وقال الاخفش قال
فريا عجيبا والفري القطع كانه مما يخرق العادة او يقطع الكون بقوله عجيبا نادرا وقال
قتادة بالفري الحديد من الاسقية اي حيث يأمر بديع حديد لم تسبق اليه وقرأ ابو حيوة شيا
فريا بسكون الراء وقال السدي ووهب لما اتت بقومها تحمله تسامع بذلك بنو اسرائيل
فاجتمع رجالهم ونساؤهم فمدت امرأة يدها اليها لتفضحها فاجف الله شطرها فجمدت
لذلك وقال ابن عباس لما نزلت فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا
فتكلمت فيه قال ابن عباس خ

فقالت له عايشة كذبت فقال يا ام المؤمنين ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فهو
اصدق وخبروا اني اجد بينهما من المدة ست مايه سنة قال فسكتت وفي صحيح مسلم عن
المغيرة بن شعبة قال لما قدمت نجران سألوني فقالوا انكم تقرؤن يا اخت هارون وموسى قبل
عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا
يسمون بانبيايهم والصالحين قبلهم وقد جاء في بعض طرقه من غير الصحيح ان النصارى قالوا له ان
صاحبك يزعم ان مريم هي اخت هارون وبينهما المدة ست مايه سنة قال المغيرة فلم ادر ما اقول
وذكر الحديث والمعنى انه اسم وافق اسما وليستفاد من هذا جواز التسمية باسماء الانبيا والله اعلم فان قلت
فقد دل الحديث الصحيح انه كان بين عيسى وموسى وهارون زمان مديدا لمخشري كان بينهما
وبينه الف سنة او اكثر فلا يتخيل ان مريم كانت اخت موسى وهارون والا فكما قال السدي لانها
كانت من نسله وهذا كما تقول لرجل من قبيلة يا اخا فلان ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان اخا
صداء اذن ومن اذن فهو يقيم وهذا هو القول الاول ابن عطية وقالت فرقة بل كان في ذلك الزمان
رجل ماجر اسمه هارون فنسبوها اليه على جهة التعيير والتوبيخ ذكره الطبري ولم يسم قائلا
قلت وذكر الترمذي عن سعيد بن جبير انه كان فاسقا شريرا في النجور فنسبت اليه والمعنى
ما كان ابوك ولا امك اهلا لهذه الفعلة فكيف جيت انت بها وهذا هو التعريض الذي يفهم
منه التصريح وذلك يوجب حد القذف وسيأتي في سورة النور الكلام فيه ان شاء الله وهذا
القول الاخير يرده الحديث الصحيح وهو نص صحيح فلا كلام لاحد معه ولا اعتراض عليه والحمد لله وقرأ
يحيى بن وثاب التميمي ما كان ابوك امرء سوء قوله تعالى فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا
قال ابن عبد الله الاية فيها خمس مسايل الاول في قوله تعالى فاشارت اليه الاية لما ترمت مريم عليها
السلام ما امرت به من ترك الكلام ولم يبرد لها هذه الاية بالنا نطقت بالذي ندرت للرحمن صوما وانما
ورد بها اشارت فيفهم من هذا خلق من قال ان امرها بقولي انما اريد به الاشارة ويرى انهم
لما اشارت الى الطفل قالوا استخفافا بها ابنا اشد علينا من زنا هائم قالوا فما معنى جهة التقرير
كيف نكلم من كان في المهد صبيا وكان هنا ليس يراد بها المضي لان كان قد كان في المهد صبيا وانما
هي بمعنى هو قال ابو عبيدة كان هنا للغو كما قاد بعيره ان رجلا لنا كان كراما وقيل هي بمعنى
الوجود والحديث كقوله وان كان ذو عسرة وقد تقدم وقال ابن الانباري لا يجوز ان يقال ابنه
وقد نصبت صبيا ولا ان يقال كان بمعنى حدث لان لو كانت بمعنى الوقوع والحدوث لاستغنى فيه
عن الخبر تقول كان الحق وتكتفي به قال الصحيح ان من في معنى الجزا وكان بمعنى يكون والتقدير من
يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه كما تقول كيف اعطي من كان لا تقبل عطيته اي من يكن لا يقبل والماضي
قد يذكر بمعنى المستقبل في الجزا كقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات ان شاء
يجعل وتقول من كان الي منه احسان كان مني اليه مثله اي من يكن مني الي احسان يكن مني اليه مثله لو
والمهد قيل كان سريرا كالمهد وقيل المهد هاهنا حجر الام وقيل المعنى كيف نكلم من سبيله ان ينوم
في المهد لصغره فلما سمع عيسى كلامهم قال لهم من مقدرها لي عبد الله وهي الثانية فقيل
كان عيسى يرضع فلما سمع كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه وانكى على يساره واشار اليهم
بسبابته اليمنى وقال اني عبد الله وكان اول ما نطق به الاعتراف بعبودية لله وبربوبيته
ردا على من غلا من النصارى في شانه والكتاب الانجيل قيل اتاه في ذلك الحال الكتاب وفهمه وعلمه
واتاه النبوة كما علم ادم الاسما وكان يصوم ويصلي وهذا في غاية الضعف على ما بينه في المسئلة
بعد هذا وقيل ابو حكم لي بانيا الكتاب والنبوة في الازل وان لم يكن اكتساب بشر لاني الحال وهذا
اصح وجعلني مباركا اي ذا بركات ومنافع في الدين والدعا اليه وبعلمه الشريف وجعلني
امرا بالمعروف وناهيا عن المنكر وارشد الضال وانصر المظلوم واغيث الملهوف واوصاني بالصلاة
والزكاة اي لاوديهما اذا ادركني التكليف وامكنني اداوهما على القول الاخير الصحيح
ما دمت حيا ما في موضع نصب على الظرف اي دوام حياتي قوله تعالى وبرا بوالدتي قال ابن
عباس لما قال وبرا بوالدتي ولم يقل بوالدي الذي علم ان شيئا من جهنم الله ولم يجعلني جبارا اي
متعظما متكبرا يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد عليه حقا شقيا اي عاصيا
من الخير ابن عباس عاقا وقيل عاصيا لربه وقيل لم يجعلني تاركا لامره فاستعمل كما استعمل ابليس
لما ترك امره الثالثة قال مالك بن انس رضي الله عنه في هذه الاية ما اشدها على اهل
القدر اخبر عيسى عليه السلام بما قضي من امره وبما هو كائن الى ان يموت وقد روي في تفسير هذه
الاية عن زيد وغيره انهم لما سمعوا كلام عيسى ادعوا وقالوا ان هذا الامر عظيم وربي ان عيسى
عليه السلام انما تكلم في طفولينته بهذه الاية ثم عاد الى حالة الاطفال حتى مشى على عادة البشر

الى ان بلغ مبالغ الصبيان فكان نطقه اظهار براءة انه كان ممن يعقل في تلك الحالة وهو كما ينطق
الله الجوارح يوم القيامة فلم ينقل انه دام نطقه وانه كان يصلي وهو ابن يوم او شهر او كان يدوم
نطقه وتسبيحه ووعظه في صلاته في صغره من وقت الولادة فكان مثله مما لا يتكلم وهذا كله
مما يدل على فساد القول الاول ويصرح بجهالة قائله ويدل ايضا على انه تكلم في المهد كلاما لليهود
والنصارى والدليل على ذلك اجماع الفرق على انها لم تحد وانا صح براتها من الزنا بكلامه في المهد
ودلت هذه الاية على ان الصلاة والزكاة وبر الوالدين كان واجبا على الامم السالفة والقرون
الماضية فهو مما يثبت حكمه ولم ينسخ في شريعة امره وكان عيسى عليه السلام في غاية التواضع و
باكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب ويأوي حيث جنه الليل لا مسكن له صلى الله عليه وسلم
والاشارة الاشارة بمنزلة الكلام وتفهم ما يفهم القول كيف لا وقد اخبر الله تعالى عن مريم
فنذرت فاشارت اليه وفهم منها القوم مقصودها وعرضها فقالوا كيف نكلم وقد مضى هذا في آل
عمران مستوفى الخامسة قال الكوفيون لا يصح قذف الاخرس ولا لعانه وروى مثله عن الشعبي
وبه قال الاوزاعي واحمد واسحق وانما يصح القذف عندهم بصريح الزنا دون معناه وهذا لا يصح
من الاخرس ضرورة فلم يكن قاذفا ولا لتمييز الاشارة بالزنا من الوطء الحلال والشبهة قالوا واللعان
عندنا شهادات وشهادة الاخرس لا تقبل بالاجماع قال ابن القصار قولهم ان القذف لا يصح الا بالتصريح
فهو باطل بسائر الالسنة ما عدا العربية فكذلك اشارة الاخرس وما ذكره من الاجماع في شهادة الاخرس
فغلط وقد نص مالك ان شهادته مقبولة اذا فهمت اشارته وانما تقوم مقام اللفظ بالشهادة
واما مع القدرة فلا تقوم منه الا باللفظ قال ابن المنذر والمخالفون يلزمهم الاخرس الطلاق
والبيوع وسائر الاحكام فينبغي ان يكون القذف مثل ذلك قال المهلب وقد تكون الاشارة في
كثير من ابواب الفقه اقوى من الكلام مثل قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين تعرف
قربا بينهما بمقدار زيادة الوسطى على السبابة وفي اجماع العقول على ان العيان اقوى من الخبر
دليل على ان الاشارة قد تكون في بعض المواضع اقوى من الكلام والسلام على اي السلامة على من الله
قال الزجاج ذكر السلام قبل هذا بغير الف ولام محسن في الثناء ذكر الالف واللام وقوله ليوم
ولدت يعني في الدنيا وقيل من همز الشيطان كما تقدم في آل عمران ويوم اموت يعني في القبر
ويوم ابعث حيا في الاخرة لان له احوالا ثلاثا في الدنيا حيا وفي القبر ميتا وفي الاخرة مبعوثا
فسلم في احواله كلها وهو معنى قول الكلبي ثم انقطع كلامه في المهد حتى بلغ مبلغ الغلمان وقال
قتادة ذكر لنا ان عيسى عليه السلام رأى امرأة يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فيما يرى اياه
فقالت طوبى لبطن حملك وللثدي الذي ارضعتك فقال لها عيسى طوبى لمن تلى كتاب الله واتبع
ما فيه وعمل به فوله تعالى ذلك عيسى بن مريم ابعد ذلك الذي ذكرناه عيسى بن مريم وكذلك
اعتقدوه كما تقول اليهود ان لغير رشده وانه ابن يوسف النجار والا كما قالت النصارى انه
الله وابن الله قول الحق قال الكسائي قول الحق نعت لعيسى اي ذلك عيسى بن مريم وهي قول
الله كما سمي كلمة الله والحق هو الله عز وجل وقال ابو حاتم المعنى هو قول الحق وقيل التقدير هذا
الكلام قول الحق قال ابن عباس يريد هذا الكلام عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم قول الحق
ليس بباطل واضيف القول الى الحق كما قال وعد الصدق الذي كانوا يوعدون اي الوعد
الصدق وقال ولدار الاخرة اي ولدار الاخرة ونزاعاصم وعبد الله بن عباس عامر قول الحق بالنصب
على الحال اي اقول قولا والعامل معنى الاشارة في ذلك الزجاج هو مصدر اي اقول قول الحق
لان ما قبله يدل عليه وقيل مدح وقيل اغراء وقرأ عبد الله قال الحق وعن الحسن قول الحق بضم
القاف وكذلك في الانعام قوله الحق والقول والقالي والقول في معنى واحد كالرهب
والرهب الذي مر نعت عيسى عليكم فيه يمترون القول الحق وقيل يمترون يختلفون ذكر
عبد الرزاق قال انا معمر عن قتادة في قوله تعالى ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه
يمترون قال اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم اربعة نفر اقرع كل قوم عالمهم فامنوا جميعا في
عيسى حين رفع فقال اصرهم هو الله هبط الى الارض فاحيى ما احيى واماث من اماث ثم
صعد الى السماء ومنهم اليعقوبية قال فقال الملائكة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه
قال هو ابن الله ومنهم المسطورية قال فقال للاثنان كذبت ثم قال الاثنان للاخر قل فيه
قال هو ثالث ثلاثة الله الله وهو وامه الهة ومنهم الاسرائيلية ملوك النصارى كذبت
بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ومنهم المسلمون وكانت لكل رجل اتباع على ما قال فاقتتلوا
فظهر على المسلمين فذلك قول الله عز وجل وتقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال
قتادة ومنهم الذين قال الله فاختلف الاحزاب بينهم فصاروا احزابا فهذا معنى قول الذي

ينه تمترون بالتاء مجهة من فوق وهي قراءة ابي عبد الرحمن السلمي وغيره قال ابن عباس لما رجعت مريم بن عمها وامها ابنها الى مصر فكانوا بها اثنتي عشرة سنة حتى بان الملك الذي كانوا يخافونه ذكره الماوردي قلت وذكر في تاريخ مصر في حوادث وجدت في الانجيل الطاهر ان السيد المسيح لما ولد في بيت لحم كان هيرودس حي ذلك الوقت ملكا وان الله تعالى اوحى الى يوسف في الحلم وقال له قم خذ الصبي وامه واذهب الى مصر وكن هناك حتى اقول لك فان هيرودس عزم ان يطلب الصبي ليهلكه فقام من نومه واخذ ابن به واخا السيد المسيح ومريم امه وجه الى مصر وفي حال مجيئه الى مصر تنزل ببعض بلدانها التي تظاهر القاهرة وغسلت ثيابه على ذلك الحجر فالبلسان الذي ينبت الان في ذلك المكان ومنه يخرج الدهن الذي يخالط الزيت الذي يعمل به النصارى ولذلك كانت قارورة واحدة في ايام المصريين لها مقدار عظيم وتنفع في تقوير النصارى سئل ملك القسطنطينية ملك صقلية ملك الحبشة ملك النوبة ملك الاخرخية وغيرهم من الملوك عند ما يهادونهم به ملوك مصر سوقا جليلا جدا وتكون اجل من كل هدية لها قدر وفي تلك السفرة وصل السيد المسيح المدينة الاشمونين وتسمى المعونة الان بالحرفة ولذلك لتعظيمها النصارى الى الان ويحجون اليها في عيد الفصيح من كل مكان لانها نهاية ما وصل اليه ابن من مصر وانما اذا الى ابشام والله اعلم قوله تعالى ما كان لله اي ما ينبغي له ويجوز ان يتخذ من ولد من صلة الكلام اي ان يتخذ ولدا كان في موضع رفع اسم كان من صفته اتخذ اذا الولد ان ثم نزه نفسه تعالى عز بقوله تعالى فقال سبحانه ان يكون له ولد اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون لقدم ارادته ميسور قوله ان الله ربي وربكم قرا اهل المدينة وابن كثير وابو عمرو بفتح ان واهل الكوفة ان بكسروا الهمزة اي انه مستانف يدل عليه قراءة ابي فيكون ان الله بغير واو وعلى العطف على ما قاله ابي عبيد الله وفي الفتح اقوال فذهب الخليل وسيبويه بان المعنى وان الله ربي وربكم وكذا ان المساجد لله كان في موضع نصب عندهما واجاز الفراء ان يكون في موضع خفض على حذف اللام واجاز ان يكون ايضا في موضع خفض بعض واوصاني بالصلاة والزكاة وبالله ربي وربكم كما اجاز الكسائي ان يكون في موضع رفع بمعنى والامر ان الله ربي وربكم وبهما قرا حامد حكى ابو عبيد ان ابا عمرو بن العلا قاله وهو ان يكون المعنى وقضى ان الله ربي وربكم فهي معطوفة على قوله امرا من قوله اذا قضى امرا والمعنى اذا قضى امرا وقضى ان الله ويبتدا بان على هذا التقدير وعلى التقدير الثالث يجوز الابتداء بها على الوجه الثانية فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي دين قويم كما عوجاج فيه قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم من زائدة ايما اختلف الاحزاب من بينهم وقال قتادة تفرقوا في امر عيسى بينهم فاختلف الفرق من بينهم من اهل الكتاب في امر عيسى فاليهود بالقدح والسحر والنصارى قالت الشطور ثم سهم هو ابن الله والملائكة بالثلاثة والله البعقوبية قالت هو الله فافرطت النصارى وغلت وفرطت اليهود وقصرت ولذا نقدم هذا الجار الفساد وقال ابن عباس المراد بالاحزاب الذين تحزبوا على النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوه من المشركين فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من مشهد يوم القيامة والمشهد بمعنى المصدر والشهود الحضور ويجوز ان يكون الحضور لهم ويضاف الى الظرف لوقوعه فيه كما يقال ليل نائم ونهاره صائم كذا اي من حضوره ذلك اليوم وقيل المشهد بمعنى الموضع الذي يشهده الخلائق كالمحشر للموضع الذي يحشر اليه الخلق وقيل قول الذين كفروا من حضورهم المشهد العظيم الذي اجتمعوا فيه للتشاور واتفاقهم على الكفر بالله وقولهم ان الله ثالث ثلاثة قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا قال ابو العباس المبرد تقول هذا في موضع النفي تقول اسمع بزيد وابصر تريد ما اسمعه وابصره قال ثعلب انه عجب يعني انهم قالوا الكلبي لا احد اسمع منهم يوم القيامة ولا ابصر حين يقول الله لعيسى انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقيل المعنى اسمع بمعنى الطاعة اي ما اطوعهم لله لكنهم اليوم لكن الظالمون اليوم يعني في الدنيا في ضلال مبين وانما ضلال لانهم ان يعتقد المرء شخص مثله حملته الارحام واكل وشرب واحدث واحتاج انه اله ومن هذا وصفه فهو اصم اعمى ولكنه سيبصر ويسمع في الاخرة اذا راى العذاب ولكن لا ينفعه ذلك قال معناه قتادة وغيره قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر روى عن عبد الله بن مسعود انه قال ما من احد يدخل النار الا وله بيت في الجنة فيحشر عليه وقيل تقع الحسرة اذا اعطى كتابه بشماله اذا قضي الامر اي فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار جيء بالموت يوم القيامة كانه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فقال يا اهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرفون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت قال ثم ينادي يا اهل النار هل تعرفون هذا فيشرفون فيقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا اهل الجنة خلود

بلا موت فيها ويا اهل النار خلود فلا موت فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون خرجه البخاري بمعناه عن ابن عمر وابن ماجة من حديث ابي هريرة والترمذي عن ابي سعيد برفعه وقال فيه حديث حسن صحيح وقد ذكرنا ذلك في كتاب التذكرة وبينا هناك ان الكفار يخلدون بهذه الاحاديث والاي رد اعلى من قال ان صفة الغضب تنقطع وان ابليس ومن اتبعه من الكفرة كفرعون وهامان واسلافهما يدخلون الجنة فقوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها ثم الينا يرجعون يوم القيامة فيجازي كلا بعمله وقد تقدم هذا في الحجر وغيره قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا المعنى واذكر في الكتاب الذي انزل عليك وهو القرآن قصة ابراهيم وخبره وقد تقدم معنى الصديق في النساء واشتقاق الصدق في البقرة ولا معنى للاعادة ومعنى الاية اقرأ عليهم يا محمد في القرآن امر ابراهيم فقد عرفوا انهم من ولده فانه كان حنيفا مسلما وما كان يتخذ آلهة ابدا بيقين وما علم يتخذ من الاولاد وهو كما قال ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه قوله تعالى اذ قال لابيه وهو آزر وقد تقدم يا ابت لم تقدم القول فيه حتى يوسف لم تعبد ابدا يعني تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا يريد الاصنام يا ابت اني جاءني من العلم ايمن اليقين والمعرفة بالله وما يكون بعد الموت وان من عبد غير الله عذب فاتبعني الهدك اهدك صراطا سويا ارشدك الى دين مستقيم ثم انجاة يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يامرك به من الكفر ومن اطاع شيئا في معصية فقد عبده ان الشيطان كان للرحمن عصيا كان صلة زايدة وقيل بمعنى صار وقيل بمعنى الحال اي هو للرحمن وعصيا بمعنى ولعد قاله الكسائي يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن اي ان كنت على ما انت عليه وتكون اخاف بمعنى اعلم ويجوز ان يكون اخاف على بابها فيكون المعنى اني اخاف ان تموت على كفرك فيمسك العذاب فتكون للشيطان وليا اي قرينا في النار قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اي انزعب عنها الى غيرها لئن لم تنته لارجمنك بمعنى بالحجارة الضحاك بالقول اي لاشتمنك ابن عباس لاهجرنك وقيل لاطيلن لهجرك والهجر بالضم لغة قال ابن عباس اي اعتزلني سالم العرض لا بصيبنك مني مكروه واختار الطبري قول مجاهد على هذا احاد من ابراهيم وقال الحسن ومجاهد دهرا طويلا ومنه قولهم مهلهل فتصدعت الجبال لموته وبكت عليه الملائكة مليا دهرا قال الكسائي يقال هجرته مليا وملوة وملاوة فهو على هذا القول ظرف وهو بمعنى الملاوة من الزمان وهو الطويل منه قوله تعالى قال سلام عليك لم يعارضه ابراهيم عليه السلام ليسوء الرد لانه لم يؤمر بقتاله على كفره والجمهور والجمهور على ان المراد بالسلام هنا المسالمة الترهي المتاركة لا التحية قال الطبري معناه امنه مني لك وعلى هذا ابتدا الكافر بالسلام وقال النقاش حليم خاطب سفيها كما قالوا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال بعضهم هي بمعنى تسليمه تحية مفارق وجوز تحية الكافر وان بيدا بها فقبل لابن عيينة هل تجوز السلام على الكافر فقال نعم قال الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين وقال لقد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وقال ابراهيم لابيه سلام عليك قلت الاظهر من الاية ما قاله سفيان بن عيينة وفي الباب حديثان صحيحان روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروه الى ضيقه خرجه مسلم وفي الصحيحين عن اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عليه اكاف تحته قطيفة فركبه واردف وراءه اسامة بن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر حتى مر في مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفيهم عبد الله بن ابي بن سلول وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه برداية ثم قال لا تغبروا علينا فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الحديث قالوا ولا يفيد ترك السلام عليهم ابتدا ان ذلك اكرام والكافر ليس اهلا له والحديث الثاني يجوز ذلك قال الطبري ولا يعارض ما رواه اسامة حديث ابي هريرة فانه ليس في احدهما خلاف للاخر وذلك ان حديث ابي هريرة خرجه العموم وخبر اسامة يتبين ان معناه الخصوص وقال النخعي اذا كانت لك حاجة الى يهودي او نصراني فابدره بالسلام فبان بهذا ان حديث ابي هريرة لا تبدوهم بالسلام اذا كان لغير سبب يدعوكم الى ان تبدوهم من فقه تدام او حاجة تفوض لكم قبلهم او حق صحبة او جوار او سفر قال الطبري قد روي عن السلف انهم كانوا يسلمون على اهل الكتاب وفعله ابن مسعود لرهقان صحبه في طريق قال علقمة فقلت له يا ابا عبد الرحمن ليس يكره ان نبدوا بالسلام قال نعم ولكن حق الصحبة وكان ابو امامة اذا انصرف

الى يثبت له مرسل والى فقراني والى صغير وكبير الا سلم عليه فقيل له في ذلك فقال امرنا ان نفشو السلام وسئل الاوزاعي عن مسلم مر بكافر فسلم عليه فقال ان سلمت فقد سلم الصالحون وان تركت فقد ترك الصالحون قبلك وروى عن الحسن البصري انه قال اذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم عليهم قلت وتدبخ اهل المقالة الاولى بان السلام الذي معناه التحية انما خص به هذه الامة لحديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى امتي ثلاثا لم يعطها احدا قبلهم السلام وهو التحية تحية اهل الجنة ذكره الترمذي الحكيم وتدمضى في الباخعة بسنده وتدمضى الكلام في معنى قوله سا ستغفر لك ربي وارتفع السلام بالابتداء وجاز ذلك مع تنكيره لانه نكرة تخصصه تقدمت المعرفة فقوله تعالى انه كان بي حفيا الخفي اللطيف في البر والالطاف يقال لمن يبر بك حفاوة وحفوة وتد افرانه كان بي حفيا اي عالما لطيفا بجيبني اذا دعوته قوله تعالى واعتزلكم العزلة المفارقة وتدتقدم في الكهف بيانها وقوله عسى ان لا اكون بدعائي شقيا قيل اراد بهذا الدعاء ان يهب الله له اهلا وولدا يتقوى بهم حتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه ولهذا قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب اي المسئلة وحشمته يولد عن ابن عباس وغيره وقيل عسى يبدل علما ان العبد لا ينقطع تامل يبقى على العزلة ام لا بل المستقبل وتيل دعا لابيه بالهداية فعسى شك لانه كان لا يدري لعل يستجاب لابيه ام لا والاول اظهر وتوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي الثناء عليهم كما هو سنة ان جميع الملل تحسن الثناء عليهم واللسان يذكر ويونث وتدتقدم قوله قوله تعالى واذكر في الكتاب موسى اي واذكر عليهم في القرآن قصة موسى انه كان مخلصا في عبادته غير مرائي وقرا الحرميان الكوفة بفتح اللام اي اخلصناه بجعلناه مختارا وناديناه اي كلمناه ليلة الجمعة من جانب الطور الايمن اي يمين موسى وكانت الشجرة في جانب الجبل عن يمين موسى حين اقبل من مدين الى مصر قاله الطبري وغيره وناذ الجبل الايمن لهما وعن شمالهما وقربناه نجيا نصب على الحال اي كلمناه من غير وحي وقيل ادنيناه بتقريب المنزلة حتى كلمناه وذكر وكيع وقبيصة عن سفيان عن عطاء بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله عز وجل وقربناه نجيا قال ادنى حتى سمع صريف القلام ووهب له من رحمتنا اخاه هارون نبيا وذلك حين سال فقال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي قوله تعالى واذكر في الكتاب اسماعيل فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى اسماعيل اختلف فيه فقيل هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله الى قومه فساخوا جلدة راسه فخيره الله تعالى فيما شاء من عذابهم فاستعفاه وقضى بطوايه وقوض امرهم اليه في عفوه وعفويته وذا لجمهور انه اسماعيل الذبيح ابو العرب بن ابراهيم وتد قيل ان الذبيح اسحق والاول اظهر على ما تقدم ويا تي والصاقات ان شاء الله تعالى وحصر الله بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبيا لتحريفا له والاكراما كالتلقيب بالحليم والاواه والصديق وانه المشهور المتواصف من خصاله الثابتة صدق في الوعد بحمود وهو من خلق النبيين والمرسلين وضده وهو الخلف مذموم وذلك من اخلاق المنافقين على ما تقدم بيانه في براة وتد اثنى الله على نبيه اسماعيل فوصفه بصدق الوعد واختلف في ذلك فقيل انه وعد رجلا ان ينتظره في موضع فجاء اسماعيل وانتظر الرجل يوما وليلة فلما كان من الغد جاء اخرجاه فقال له ما زلت هاهنا في انتظارك منذ امس وقيل انتظره ثلثة ايام وتد فعل مثله نبينا صلى الله عليه وسلم قبل بعثه ذكره النقاش وخرج الترمذي وغيره عن عبد الله بن ابي الحمسا ابتعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان ابيعك وبقيت له بقية فوعدته ان ابيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلث فجيت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ها هنا منذ ثلاث لفظ ابي داود وقال يزيد الرقاشي انتظره اسماعيل اثنين وعشرين يوما ذكره الماوردي وفي كتاب ابن سلام انه انتظره سنة وذكره الزمخشري عن ابن عباس وانه وعدها صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة وذكر القشيري قال فلم يبرح منه مكانه حتى اتاه جبريل فقال ان الفاجر الذي سالك ان تنتظره حتى تعود هو ابليس فلا تتعده واكرامه له وهذا بعيد ايضح وتد قيل ان اسماعيل لم يعد شيا الا وفى به وهذا اقول صحيح وهو الذي يقتضيه ظاهر الامر والله اعلم الثالثة من هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم العدة دين وفي الحاشر وابي المومن واجب ابي في اخلاق المومنين وانما قلنا ان ذلك ليس بواجب فرضا اجماع العلما على ما حكاه ابو عمر ان من وعد به الى مكان ليضرب به مع العزم فكذلك قلنا ايجاب الوفا به حسن مع المروة وما يقضي به والعرب تمدح بالوفا وتذم بالخلف والغدر وكذلك سايرالامم ولتد

احسن المقابل متى ما يقل حر لصاحب حاجة تم نقضها والحر للوايد ضامن ولا خلاف ان الوفا يستحق
به صاحبه الحمد والشكر وعلى الخلف الذم وقد اثنى الله على صدق وعده ووفا بذه وكفى بهذا
مدحا وثنا عما خالفه وما الرابعة قال مالك اذا سال الرجل الرجل ان يهب له الهبة فيقول له
نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فيما ادرك يلزمه قال مالك ولو كان ذلك في قضاء بين فسأله ان
يقضيه عنه فقال نعم وثم رجال يشهدون عليه فما احراه ان يلزمه اذا اشهد عليه اثنان
وقال ابو حنيفة واصحابه والاوزاعي والشافعي وسايرا لفقها ان العده لا يلزم منها شيء
لانها منافع لم يقبضها في العاريه لانها طاريه وفي غير العاريه انها استخارة واعيات موهوبة
لم تقبض للصاحبها الرجوع فيها وقد ذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد
الوعد وقضى اسبوع بالوعد وذكر ذلك عن سمرة بن جندب قال البخاري ورايت اسحق
ابن ابراهيم يحتج بحديث اسبوع الخامسة وكان رسولا نبيا فيل ارسل اسماعيل الى جرهم
وكل الانبيا كانوا اذا وعدوا صدقوا وخص اسماعيل بالذكر تشريفا له والله اعلم
السادسة وكان يامر اهله قال الحسن يعني امته وفي حرف ابن مسعود وكان يامر
اهل جرهم وولده بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا اي رضيا زاكيا صالحا قال
الكسايي والفراء قال مرضي بناه على رضيت قالا واهل الحجاز يقولون مرضو وقال
الكسايي والفراء الوجه ان يقول رضوان وبرضوان على مرضو ورضيان على مرضى وابجيز
البصريون الا رضوان وريوان قالا ابو جعفر النحاس سمعت ابا اسحاق الزجاج يخطيون
في الخط فيكتبونه بالياء يخطيون فيما هو اشد من هذا فيقولون ريان ولا يجوز الا ريوان
ورضوان قال الله تعالى وما اوتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فوله تعالى واذكر
في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ادريس عليه السلام اول من خط بالقلم واول من خاط
الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم النجوم والحساب وسيرها وسمي ادريس لكثرة درسه
كتاب الله وانزل الله عليه ثلاثين صحيفة كما في حديث ابي ذر الا ان مخشري قيل سمي ادريس
لكثرة درسه كتاب الله تعالى وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان صحيحا لكان
من الدرس بكر فيه الا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل
العجمة وذلك ابليس اعجمي وليس من الابالسة كما يزعمون وابن يعقوب من العقب وابن اسرايل
باسرا دكما زعم ابنا لسكيت ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهفوات
وحقها ان تكون معنى ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك بحسبه الراوي مشتقا من الدرس
قال الحلبي والعزوزي وغيرهما وهو جد نوح وهو خطا وقد تقدم في العمران بيانه وكذا وقع
في السيرة ان نوحا عليه السلام ابن لامك ابن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي فيما يزعمون
والله اعلم وكان اول بني ادم اعطي النبوة وخط بالقلم ابن يزد بن مهليل بن قينن بن يانش
ابن شيث بن ادم صلى الله عليه وسلم والله اعلم ورفعناه مكانا عليا قال
انس بن مالك وابو سعيد الخدري وغيرهما يعني السما الرابعة وروى ذلك عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقاله كعب الاحبار وقاله ابن عباس والضحاك يعني السما السادسة
ذكره المهدوي قلت ووقع في البخاري من حديث شريك بن عبد الله بن ابي نمر قال
سمعت انس بن مالك يقول قال ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد
الكعبة الحديث وفيه كل سما فيها انبيا فذكر اسماءهم منهم ادريس في الثانية وهو وهم
والصحيح انه في السما الرابعة لذلك رواه ثابت البناني عن انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم ذكره مسلم في الصحيح ورويه مالك بن صعصعة قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السما الرابعة اتيت على ادريس في السما الرابعة
الحديث رجه مسلم ايضا وكان سبب رفعه على ما قاله ابن عباس وكعب وغيرهما ان ادريس
كان يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب انا مشيت يوما فكيف بمن يحملها
خمس مايه عام في يوم واحد اللهم خفف عنه ببعض الملك الموكل بتلك الشمس
يقول ادريس اللهم خفف عنه من ثقلها واحمل عنه من حرها فلما اصبح الملك وجد من
خفة الشمس وظلها ما لا يوصف فقال يا رب خلقتني لحر الشمس فما الذي تغيبت
فيه فقال الله تعالى اما ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك حملها وحرها
فاجبته فقال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى
له حتى اتى ادريس وكان ادريس يساله فقال اخبرت بانك اكرم الملايكة واعلمهم
عند مالك ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر اجلي فازداد شكرا وعبادة فقال

الملك يا بوخزا الله نفسا اذا جاء اجلها فقال للملك قد علمت ذلك ولكنه اطيب
لنفسي قال نعم ثم حمله ملك الشمس على جناحه فرفعه الى السما وضعه عند مطلع الشمس
ثم قال له الملك للملك الموت يا صديق من بني ادم تشفع بي اليك لتؤخر اجله قال ليس
ذلك الي ولكن ان احببت علمته متى يموت قال نعم ثم تطير في ديوانه فقال انك لتسألني
عن انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف قال لاجده يموت الا عند مطلع الشمس قال فاني
اتيك وتركت هناك قال انطلق فما اراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من اجله الا قدر
ما رجع الملك فوجده ميتا وقال السدي ان نائم ذات يوم فاشتد عليه حر الشمس فقام
وهو نعسان في كرب فقال اللهم خفف عن ملك الشمس واعنه فاذ بمارس نارا حامية فاصبح
ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور وعنده سبعون الف ملك عن يمينه وشماله
عن يساره يخدمونه ويقولون عملك من تحت حكمه فقال ملك الشمس يا رب من اين لي هذا
قال دعا لك رجل من بني ادم يقال له ادريس ثم ذكر حديث كعب قال فقال له ملك
الشمس اتريد حاجة قال نعم وددت لو انك رايت الجنة قال فرفعه على جناحه ثم طار
به فبينما هو في السماء الرابعة التقى ملك الموت ينحط من السما بينا وشمالا فسلم عليه
ملك الشمس وقال يا ادريس هذا ملك الموت فسلم عليه فقال ملك الموت سبحان الله
ولاي معنى رفعته ها هنا قال رفعته لاريه الجنة قال فان الله امرني ان اقبض روح
ادريس في السماء الرابعة ثلث يا رب واين ادريس من السما الرابعة ثم نزلت فاذا هو
معك فقبض روحه ورفعها الى الجنة ودفنت الملائكة جثته في السما فذلك قوله
ورفعناه مكانا عليا وقال وهب بن منبه كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع
لاهل الارض في زمانه فعجبت منه الملائكة واشتاقت اليه ملك الموت فاستاذن ربه في
زيارته فاذن له فاتاه في صورة ادمي وكان ادريس يصوم النهار فلما كان وقت
افطاره دعاه الى طعامه فابى ان ياكل فتعجب من ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال
له من انت قال انا ملك استاذنت ربي ان اصحبك فاذن لي فقال ان لي اليك حاجة
قال وما هي قال ان تقبض روحي فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبضه ورده
الله اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما اطعمك قبض روحك قال لا ذوق
كرب الموت فاكون له اشد استعدادا ثم قال له ادريس بعد حين ان لي اليك حاجة
قال وما هي قال ان ترفعني الى السما فانظر الى الجنة والنار فاذن له فمر برفعه اليك
السموات فراى النار فصعق فلما افاق قال ارني الجنة فادخله الجنة ثم قال له ملك
الموت فاخرج لتعود الى مقرك فتغلق بشجرة وقال ما اخرج منها فنعت الله بذلك حكما
بينهما فقال مالك لا تخرج فقال لان الله تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال
وان منكم الا واردها وكررتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست اخرج فقال الله
تعالى لملك الموت اذهب واخرجه من الجنة وبامر لا يخرج فهو حي هناك بذلك نزلت قوله
تعالى ورفعناه مكانا عليا قال الضحاك في قول ادريس وما هم منها بمخرجين ان يكون الله
اعلم هذا ادريس ثم نزل القرآن به قال وهب بن منبه فادريس تارة يرتفع في الجنة
وتارة يعبد الله مع الملائكة في السما اولئك الذين انعم الله عليهم
من النبيين فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين
من ذرية ادم يريد ادريس وحده ومن حملنا مع نوح يريد ابراهيم وحده
ومن ذرية ابراهيم يريد اسماعيل واسحق ويعقوب ومن ذرية اسرايل موسى وهارون
وزكريا ويحيى وعيسى وكان ادريس ونوح من ذرية آدم وابراهيم من ذرية آدم
من نوح واسماعيل واسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم ومن هدينا اي الى
الاسلام واجتبينا بالايمان اذا تلي عليهم ايات الرحمن وتراسجدا من عباد المكي تتلى بالتذكير
بالتذكير الثانية غير حنيفي مع وجود التاصل وخروا سجدا وبكيا وصفهم
بالخشوع والبكا وقد مضى سجدا بفتح الباء بكي بكا وبكا وبكا وبكيا ان الخليل قال
اذا اقترنت البكا فهو مثل الحزن اي ليس معه صوت كما قال الشاعر بكت عيني
وحق لها بكاها وما يغني البكا والعويل وسجدا نعت على الحال وبكيا
عطف عليه الثانية في هذه الاية دلالة على ان الايات الرحمن تاثير
في القلوب قال الحسن اذا تلي عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا في
الصلاة وقال الاصم المراد بايات الرحمن كتبهم المتضمنة لتوحيده وحجه وانهم كانوا يسجدون عند

تلاوتها ويكون عند ذكرها والمروي عن ابن عباس ان المراد به الملائكة خاصة وانهم كانوا يسجدون
ويكون عند تلاوته قال الكيا وفي هذا دلالة من قوله على ان القرآن هو الذي كان ينزل على جميع
الانبياء ولو كان ذلك لما كان الرسول عليه السلام مختصا بانزاله عليه الثالثة اصبغ ابو بكر الرازي
هذه الاية على وجوب سجود القرآن على المستمع والقارئ قال الكيا وهذا بعيد لان هذا الوصف
شامل لكل ايات الله تعالى وضم الى السجود البكاء وابان به عن طريقة الانبياء عليهم السلام في تعظيم الله
وايمانه وليس فيه دلالة على وجوب ذلك عند اية مخصوصة الرابعة قال العلماء ينبغي لمن قرأ سجدة
ان يدعو فيها بما يليق بها فان قرأ سورة السجدة الم تنزيل قال اللهم اجعلني من الساجدين
لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان نزا سجدة سبحان قال
اللهم اجعلني من البا كين اليك الخاشعين لك وان نزا هلوه قال اللهم اجعلني من عبيدك عبادك
المنعم عليهم المهديين الساجدين لك البا كين عند تلاوة اياتك قوله تعالى فخلف من بعدهم
خلف فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف قال ابو عبيدة نا حجاج عن ابن
جريج عن مجاهد كان ذلك عند قيام الساعة وذهاب صالحي هذه الامة امة محمد صلى الله عليه
وسلم يتتزو بعضهم على بعض في الارقة زنا وتلتزم الفواجر خلف في الاعراف الثانية قوله تعالى
اتلوا الصلاة وتراعبد الله والحسن الصلوات على الجمع وهو دم ونص في ان اضافة الصلوات
من اكبر ادلة التي توجب صاحبها واجلا فتح ذلك وندقا لعمرو عمر لما سواها اضيع واختلفوا فيمن
المراد بهذه الاية فقال مجاهد النصارى خلفوا بعد اليهود وقال محمد بن كعب الفرظي ومجاهد
ايضا وعطاء هم قوم من امة محمد صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان يكون في هذه الامة صنفتان الا اثم
المراد بهذه الاية واختلفوا ايضا في معنى اضاعتها فقال القرظي هي اضاعة كتروجد بها وقال
القاسم بن مخيمرة وعبد الله بن مسعود هي اضاعتها وخانتها وعدم القيام بحقوقها وهو الصحيح
وانما اذا صليت خلافها انفح وانجرح لقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي صلى وجاء فسلم
عليه ارجع فصل فانك لم تصل بلاك من اخرجه مسلم وقال الصديقة لرجل راه يصلي فطفف
منذ كم تصلي هذه الصلاة فقال له منذ اربعين عاما قال ما صليت فلو مت وانت تصلي هذه الصلاة لمت
على غير فطرة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الرجل لينجت الصلاة وينتقص حرصها المخارب واللفظ للنسائي
وفي الترمذي عن ابي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل
فيها صلبه في الركوع والسجود قال حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يرون ان يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود وقال الشافعي واحمد
واسحق اذا لم يقم صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة وقال صلى الله عليه وسلم تلك صلاة
المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها اربعا لا يذكر الله
فيها الا قليلا فهذا ذم لمن يفعل ذلك وقال قرة ابن خالد من سنن استبطا اصحاب الضحاك سرة ابرا
ثم صلاة العصر حتى اذا كادت الشمس تغرب فغزا الضحاك هذه الاية ثم قال والله لين ادعها احب
الي من ان اضيعها وجملة القول في هذا الباب ان من لم يحافظ على الصلوات كان من لم يحافظ على كمال
وضوئها وركوعها وسجودها فلئن يحافظ عليها فقد ضيعها ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع كما
ان من حفظ عليها حفظ دينه ومن لا صلاة له وقال الحسن عطلوا المساجد واشتغلوا بالضياع
والمواسم واتبعوا الشهوات فبئس الخلف والمخاصي الثالثة روى الترمذي وابو داود عن انس
ابن حكيم الضبي انه اتا المدينة فلقي ابا هريرة فقال له اني اريد ان اسالك حديثا لعل الله ان ينفعك به تلت بلى فقال ولد ما يحاسب به الناس يوم القيامة من اعمالهم الصلاة فيقول ربنا تبارك وتعالى
للملائكة وهو اعلم انظروا في صلاة عبدي اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان
انتقص منها شيا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع قال اكملوا لعبدي فريضته
من تطوعه ثم تؤخذ الاعمال على ذلك قال يونس واحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظا بي داود وزاد
يا موسى بن اسماعيل صدقا عاد بن داود بن ابي هند عن الحارث بن ابي اوفى عن تميم الداري عن النبي صلى الله
عليه وسلم بهذا المعنى قال ثم ان الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك واخرجه النسائي
عن همام عن الحسن عن حريث بن قبيصة عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان اول ما يحاسب به العبد الصلاة فان صلحت فقد افلح وانجح وان فسدت فقد خاب وخسر قال يتم ما
لا ادري هذا من كلام تميم قتادة او من الرواية فان انتقص من فريضته شي قال انظروا هل لعبدي من تطوع
فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك كذا قال ابو العوام فرواه عن قتادة عن الحسن
عن ابي رافع عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته
فان وجدت تامة كتبت تامة وان انتقص منها شي قال انظروا هل تجدون له من تطوع قال اكملوا لعبدي فريضته

من تطوعه ثم سائر الاعمال تجبر على حسب ذلك قال النسائي انا اسحق بن ابراهيم انا النضر بن سلمة انا حماد بن سلمة عن الازرق بن قيس عن يحيى بن هبيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول ما يحاسب به العبد صلاته فان كان اكملها والا قال الله عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع قال اكملوا به الفريضة قال ابو عمر ابن عبد البر في كتاب التمهيد اما اكمال الفريضة من التطوع انما يكون والله اعلم فيمن سهى عن فريضة فلم يات بها او لم يحسن ركوعها ولم يدر قدر ذلك واما من تركها او نسي ثم ذكرها فلم يات بها تاما واشتغل بالتطوع عن اداء فرضه وهو اكمله فلا يكمل له فريضته والله اعلم وقد روي من حديث الشاميين في هذا الباب حديث منكر رويه محمد بن حمير عن عمرو بن قيس السكوني عن عبد الله بن قرط عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده فزيد فيها من تسبيحاته حتى تتم قال ابو عمر وهذا لم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه وليس بالقوي وان كان صحيح كان معناه ان خرج من صلاته كان قد اتمها عند نفسه وليست في الحكم بتامة والله اعلم قلت فينبغي للانسان ان يحسن فرضه ونفله حتى يكون له نفل يجبر به ما نقص من فرضه كما قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي ما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث فاذا كان نفل يكمل به الفرض فكم في المعنى حكم الفرض ومن لا يحسن ان يصلي الفرض فاجدر واولى ان لا يحسن ان يتنفل لا جرم تنفل الناس في اشد ما يكون من النقصان والخلل لخفته عندهم ونهاونهم به حتى كانهم غير معتدين به ونعم والله لقد يشاهد في الوجود من يشار اليه ويظن به العلم تنفله لذلك بل فرضه اذ يبتدره تنفر الديك لعبدهم فعرفته بالحديث فكيف بالجهال الذين لا يعلمون وقد قال العلماء لا يجزي ركوع ولا سجود ولا قوم بعد الركوع ولا جلوس بين السجدتين حتى يعتدل راكعا وواقفا وساجدا وجالسا وهذا هو الصحيح في الامر وعليه جمهور العلماء واهل النظر وهذه رواية ابن وهب وابن مصعب عن مالك وقد مضى هذا في البقرة واذا كان هذا فكيف يكمل بذلك النفل ما نقص من هذا الفرض عن سبيل السهو والجهل وكل ذلك غير صحيح ولا مقبول لا موقع على غير المطلوب والله اعلم الرابعة قوله تعالى واتبعوا الشهوات وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات هو نبي الشهيد وباب المتطوع وليس المشهور الشهوات عبارة عما يوافق الانسان ويشتهيه ويلايمه ويتبقيه وفي الصحيح حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وما ذكره علي رضي الله عنه جزء من هذا فوله تعالى فسوف يلقون غيا قال زيد نهرا وصلالا وخيبة قال الحسن بئس بلغ جبرا يحمد الله امره ومن يغو بعدم على الخير ابدا وقال عبد الله بن مسعود هو واد في جهنم والتقدير عند اهل اللغة فسوف يلقون جزاء الغي كما قال جل ذكره ومن يفعل ذلك يلق اثاما والاظهر ان الغي اسم للوادي سمي به لان الغاوين يجيرون فيه وقال كعب يظهر في اخر الزمان رياح يقال لها المثيرة تهب البقر ثم قرأ الاية فسوف يلقون غيا اسم واد وقال ابن عباس وغيره غيا واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه واشد حرها فزعت منه جهنم وتعوذت منه كل يوم مائة مرة اعدها الله لكل مدمن خمر لا يتوب منها ولا يشربها في الاخرة وقال ابن عباس غي واد في جهنم وقال ابن زيد غي جهنم لتستعيذ من حره اعد الله ذلك الوادي للزناة المصرين على الزنا ولشارب الخمر المدمن عليها ولاكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور ولامرأة ادخلت على زوجها ولد ليس منه قوله تعالى الا من تاب اي من تضييع الصلاة واتباع الشهوات ورجع الى طاعة ربه وامن به وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة قرأ ابو جعفر وشيبة وابن كثير وابن محيصن وابو عمر ويعقوب وابو بكر يدخلون بفتح الياء الباقون وهم لا يظلمون شيئا اي لا ينتقص من اعمالهم شيئا الا انهم يكتب لهم بكل حسنة عشر الى سبع مائة ضعف حسنات عدن بدل من الجنة فانتصب قال ابو اسحق الزجاج ويجوز جنات عدن على الابتداء قال ابو حاتم ولو الحظ لكانت جنة عدن ان قبله يدخلون الجنة الذي وعد الرحمن عباده بالغيب اي من وعدهم وحقق عهده بالغيب وقيل اسم بالجنة لم يرها احد كان وعده ماتيا ما تيا مفعولا من الاتيان وكل ما وصل اليك فقد وصلت اليه تقول انت على سنتين سنة واتيت على سنتين سنة ووصل الي من فلان خير ووصلت منه الى خير وقال الفتى ايتا بمعنى اتى من مفعول بمعنى فاعل وماتيا مهموز من ات الي يأتي ومن خفف الهمزة جعلها الفا وقال الطبري الوعد ها هنا وهو الجنة اي بايتها اولياءه قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا اي في الجنة واللغو معناه الباطل من الكلام والفحش منه والفضول وما لا ينتفع به ومنه الحديث اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت وروي لغيت وهي لغة ابي هريرة وقال الشاعر ورب امرأ بحيح كظم عن اللغا ارفث التكلم قال ابن عباس من اللغو كلما لم يكن فيه ذكر الله تعالى اي كلامهم في الجنة حمد الله وتسبيحه اسلاما اي لكن يسمعون سلاما فهو من الاستثناء المنقطع بمعنى سلام بعضهم على بعض وسلام الملك عليهم نالهم مفاتل وغيره والسلام اسم جامع للخير والمعنى انهم لا يسمعون فيها ما يحبون قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي في قدرهما من الوقتين اذ لا بكرة ولا عشيا كقوله تعالى ولهم فيها رواحها شهرور واحها شهر اي قدر شهر قال معناه ابن عباس وابن جريج وغيرهما وقيل عرفهم عند الاحوال اهل الجنة وكان الغداة النعمة عند الغرب التمكن من المطعم والمشرب

بكرة وعشيا وقال يحيى بن ابي كثير وقتادة كانت العرب تقول في زماننا من وجد غداء وعشاء فذلك هو الناعم فنزلت وقيل ابو رزقهم فيها غير منقطع كما قال غير مقطوعة ولا ممنوعة وهو كما نقول انا اصبح وامسي في ذكرك ابدا ذكري لك دايم ويحتمل ان تكون البكرة قبل نشأ عالمهم بلذاتهم والعشي بعد فراغهم من لذاتهم لانه يخللها الفترات انتقال من حال الى حال وهذا يرجع الى القول الثاني وروى الزبير بن بكار عن اسماعيل بن ابي ادريس قال قال مالك بن انس طعام المؤمنين في الجنة بالبوم مرتين وذلك قول الله عز وجل ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ثم قال وعوض الله المؤمنين في الصيام السحور بدلا من الغدا ليقووا به على عبادة ربهم وقيل انما ذكر ذلك لان صفة الغدا وهيئته غير صفة العشا وهيئته وهذا البوفه الملوك تتلون عليهم النعم ليزداد وانتعما وغبطة وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابان عن الحسن وابي قلابة قالا قال رجل يا رسول الله هل في الجنة من ليل قال وما يهيجك على هذا قال سمعت الله يذكر في الكتاب ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فقلت الليل بين البكرة والعشي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك ليل انما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو وثانيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملايكة وهذا في غاية البيان لمعنى الاية وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقال العلما ليس في الجنة ليل ولا نهار وانما هم في نور ابدا وانما يعرفون مقدار الليل بارخا الحجب واغلاق الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب ذكره ابو الفرج الجوزي والمهدوي وغيرهما قوله تعالى تلك الجنة اي هذه الجنة التي وصفنا احوالها نورث بالتخفيف وقرا يعقوب نورث بفتح الواو وشد الراء والاختيار التخفيف لقوله ثم اورثنا الكتاب من عبادنا من كان تقيا قال ابن عباس اي من اتقاني وعمل بطاعتي وقيل هو على التقديم والتاخير لتقديره نورث من كان تقيا قال ابن عباس اي من اتقاني وعمل بطاعتي وقيل هو على التقديم والتاخير لتقديره من كان تقيا من عباده قوله تعالى وما نتنزل الا بامر ربك لدي الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما منعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا قال فنزلت هذه الاية وما نتنزل الا بامر ربك الى اخر الاية قال هذا حديث حسن غريب ورواه البخاري حدثنا ادريس بن يحيى نا عمر بن ذر سمعت ابي يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك الاية فلكان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد ابطا الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتاه فقال ما الذي ابطاك قال كيف تاتيكم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تاخذون من شواربكم ولا تنقون رواحكم ولا تنشفون قال فنزلت الاية بهذا وقال مجاهد ايضا وقتادة وعكرمة والضحاك ومقاتل والكلبي احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم حين سالته قومه عن فتية اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيبهم ورجا ان ياتيه جبريل بجواب ما سالوه عنه فقال عكرمة فاوحى الله تعالى عليه اربعين يوما وقال مجاهد اثنتي عشرة ليلة وقيل خمسة عشر وقيل بلاثة ايام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابطات علي حتى ساءظني واشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فنزلت وما نتنزل الاية والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى ذكر الثعلبي والواحدي والتشريف وغيرهم وقيل هو اخبار عن اهل الجنة انهم يتناولون عددا محصورا فما نتنزل هذه الجنان الا بامر ربك وعلى هذا تكون الاية منفصلة بما قبلها وعلى ما ذكرنا من الاقوال قبل يكون متصلة بما قبلها والقران سورة ثم السور تشتمل على جمل وقد تتفصل جملة عن جملة وما نتنزل اية قال الله قل يا جبريل وما نتنزل الا بامر ربك وهذا يحتمل وجهين احدهما انا اذا امرنا نزلنا عليك الثاني اذا امرك ربك نزلنا عليك فيكون الامر على الوجه الاول متوجها الى النزول وعلى الوجه الثاني متوجها الى التنزيل قوله تعالى له ما بين ايدينا اي علم ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك قال ابن عباس وابن جريج ما مضى امامنا من امر الدنيا وما يكون بعدها من امر الاخرة وما بين ذلك البرزخ قال قتادة ومقاتل له ما بين ايدينا من امر الاخرة وما خلفنا ما مضى من امر الدنيا وما بين ذلك ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة الاخفش ما بين ايدينا ما كان قبل ان نخلق وما خلفنا ما يكون بعد الموت وما بين ذلك ما يكون منذ خلقنا الى ان نموت وقيل ما بين ايدينا من الثواب والعقاب وامور الاخرة وما خلفنا ما مضى من اعمالنا في الدنيا وما بين ذلك اي ما يكون من هذا الوقت الى يوم القيامة ويحتمل خامسا ما بين ايدينا السما وما خلفنا الارض وما بين ذلك ما بين السما والارض وقال ابن عباس في رواية له ما بين ايدينا من امر الدنيا الى الارض وما خلفنا من امر السموات وهذا على عكس ما قبله وما بين ذلك بين امر الهوا ذكره الاول الماوردي والثاني الثعلبي الفترة تحضيرية وقيل ما مضى من اعمالنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها ولم يقل ما بين دينك لان المراد ما بين ما ذكرنا كما قال فارض ولا بكر عوان بين ذلك اي بين ما ذكرنا وما كان ربك نسيا اي ناسيا اذا شاء ان يرسل

اليك ارسل وقيل المعنى لم ينسك وان تاخر عنك الوحي وقيل المعنى انه عالم بجميع الاشيا متفقدها ومتاخرها
ولا ينسى شيا منها فقوله تعالى رب السموات والارض اي ربهما وخالقهما وخالق ما بينهما ومالكهما ومالك
ما بينهما فكانه تدبير الزمان كذلك اليه تدبير الاعيان فاعبده اي وصله لذلك وفي هذه دلالة على
ان اكتساب العبد مقولة لله تعالى كما يقول اهل الحق وهو القول الحق لان الرب في هذا الموضع
لا يكون حمله على معنى غير معانيه الا على المالك واذا ثبت انه مالك ما بين السما والارض دل على ذلك
اكتساب الخلق وجبت عبادته لما ثبت انه المالك على الاطلاق وحقيقة العبادة الطاعة مع
نهاية الخضوع ولا يستحقها احد سوى المالك المعبود واصطبر لعبادته اي لطاعته ولا تحزن
لتاخر الوحي عنك بل اشتغل بما امرت به واصله اصتبر فثقل الجمع بين التا والصاد اختلافهما
فابدل من التا طا كما تقول من الصوم اصطام فعل فعل له سميا قال ابن عباس يريد هل تعلم له ولدا
او نظيرا او شبيها يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن ولذا جاهد ما خوذ من المساماة وروى اسرايل
عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لهل تعلم احدا سمي الرحمن قال النحاس وهذا اجل اسناد علمته
روى هذا الحرف وهو قول صحيح لا يقال الرحمن الا الله قلت قد مضى هذا مبينا في البسملة
والحمد لله روى ابن ابي نجيح عن مجاهد هل تعلم له سميا قال شلا ابن المسيب عدا قتادة والكلبي
هل تعلم احدا يسمى الله غير الله او يقال له الله الا هو وهل بمعنى لم تعلم قوله تعالى ويقول
الانسان ا ذا ما مت لسوف اخرج حيا الانسان هنا ابي بن خلف وجمعظما بالية ففتها بيده
وقال زعم محمد انا نبعث بعد ما نموت قاله الكلبي ذكره الواحدي والثعلبي والقشيري وقال المهدوي
نزلت في الوليد بن المغيرة واصحابه وهو قول ابن عباس واللام ثم لسوف اخرج حيا للتاكيد كانه
قيل له اذا ما مت لسوف تبعث حيا فقال ايذا ما ت لسوف اخرج حيا قال ذكر سكران مجان اللام
في الجواب كما كانت في القول الاول ولو كان منتفيا لم تدخل اللام لانها للتاكيد والايجاب وهو
منكر للبعث وقرا ابن كوان اذا ما مت على الخبر والباقون باستفهام على اصولهم في الهمز وفسر
الحسن وابو حيوة لسوف اخرج حيا قال انتهرا بهم بصدقون بالبعث والانسان هنا الكافر
قوله تعالى اولا يذكر الانسان اي ابي بن خلف وهذه القراة على التفسير انها
مخالفة على التفسير لمخالفة لخط المصحف ومعنى يذكر يتفكر ومعنى يذكر ينتبه ويعلم قاله
النحاس قوله تعالى فوربك لنحشرنهم واقسم بنفسه تعالى اقامة الحجة بانه يحشرهم مركبورهم
الى المعاد كما يحشر المومنين والشياطين فقرنا لهم قيل يحشر مع كل كافر شيطانه
في سلسلة كما قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم الزمخشري والواو حمى والشياطين يجوز ان تكون
للعطف ومعهم بمعنى وقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنايهم من الشياطين الذين اغووهم
يقترن مع كل كافر شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا اريد بالانسان الكفرة خاصة
فان اريد الانسان على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين قلت اذا احشروا
جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقترنين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين كما
حشروا مع الكفرة فان قلت هل لا عزل السعداء عن الاشقيا في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزا
قلت لم يعزل بينهم في المحشر واحضروا جميعا حول جهنم واوردوا معهم النار ليبتلي هذا
السعدا هو الذي نجاهم الله منها وخلصهم ليزدادوا غبطة وسرورا بحسن ما ابلاهم وسوا اعدا
الله واعدايهم حسرة وغما بحسناتهم وما يغبطهم من سعادة اولياء الله وبما انتظم بهم فان
قلت ما معنى احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون
من المحشر الى شاطي جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في المرتفق حثاة على ركبهم غير مشاة على
اقدامهم وذلك ان اهل المرتفق وصفوا بالحشو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية كل على حالة
المعهودة في مواقف المقاولات والمخاصمات مرتجاثى اهلها على التركيب لما في ذلك من الاستيفاز
والقلق واطلاق الحبا خلاف الطمانينة ولما بدا لهم من شدة الامر الذي لا يطيقون معها القيام
على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يجاثون عند مواقفة شاطي
جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا في المرتفق متجاثين او من توابع المرتفق للحساب
قبل التواصل الى الثواب والعقاب وقيل ان معنى لنحضرنهم حول جهنم جثيا اي جثيا على ركبهم
عن مجاهد وقتادة اي انهم لشدة ما بهم لا يقدرون على القيام وحول جهنم يجوز ان يكون داخلها
كما تقول جلس القوم حول البيت اي داخلين محيطين به فقوله حول جهنم على هذا يجوز ان يكون

دخلها كانقول جلس الشوم حول البيت بعد الدهول ويجوز ان يكون قبل الدخول وجثيا جمع جاث
يقال جاث يجاث جلسا على ركبتيه يجثر ويجثي جثوا وجثيا على فعول فيهما واجثاه غيره وقوم جثي
ايضا مثل جلس جلوسا وقوم جلوس وجثيا ايضا بكسر الجيم لما بعدها من الكسر وقال ابن عباس
جثيا جماعات وقال مقاتل جمعا جمعا وهو على هذا التاويل جمع جثوة وجثوه ثلاث لغات
وهي الكدية المجموعة والتراب المجموع فاهل الحق على حثية واهل الزنا على حثية وهكذا قال
طرفة ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد وقال الحسن والضحاك جاثية
على الركب وهو على هذا التاويل جمع جاث على ما تقدم وذلك لضيق المكان اي لا يمكنهم ان
يجلسوا جلوسا تاما وقيل جثيا على ركبهم للمخاصم كقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم
تختصمون وقال الحسين لم تركوا مراتهم جثيا ومن دون النار مقربينا قوله تعالى ثم
لننزعن من كل شيعة ايهم اشد ننزع من كل امة واهل دين ايهم اشد على الرحمن عتيا الخاسر وهذه
اية مشكلة لان العرب كلهم يقرون ايهم بالرفع لانها وقت التارك الاعور فان سيبويه
حكى عنه ثم لننزعن من كل شيعة ايهم بالنصب اوقع على ايهم لننزعن خالدا براسحق ثم رفع
ايهم ثلاثة اقوال قال الخليل بن احمد حكاه عنه سيبويه انه مرفوع على الحكاية والمعنى ثم
لننزعن من كل شيعة الذي يقال لمن اجل عتوه ايهم اشد على الرحمن عتيا وانشد الخليل
• ولقد ابيت على الفتاة فمنزلي • فابيت لا حرج ولا محروم • اي فابيت بمنزلة الذي يقال له هو
لا حرج ولا محروم قال ابو جعفر الخاسر ورايت ابا اسحق يختار هذا القول ويستحسنه قال
لانه بمعنى قوله اهل التفسير وزعم ان معنى ثم لننزعن من كل شيعة ثم لننزعن من كل فرقة
الا ان فا اعني كانه يبتدا بالتعذيب باشدهم عتيا ثم الذي يليه وهذا نص كلام ابي اسحق
في معنى الاية وقال يونس لننزعن بمنزلة الفعال التي يلغى ورفع ايهم على الابتدا المدوب
والعمل الذي هو لننزعن عند يونس معلق عند ابي علي معتمد ذلك انه يجعل محل موضع ايهم
اشد لانه ملغى ولا يليق عند الخليل وسيبويه مثل لننزعن انا يفعل بافعال الشك وشبهها
ما لم يتحقق وقوعه وقال سيبويه ايهم مبني على الضم لانا حذفت اخوانه التي الحذف لانك لو قلت
رايت الذي افضل وانت افضل كان فيهما حتى تقول من هو افضل والحذف في ايهم جايز قال
ابو جعفر وما علمت احدا من النحويين الا وقد غلط سيبويه في هذا وسمعت ابا اسحق يقول
ما تبين لي ان سيبويه غلط بل كتابه الذي وضعه في هذا اعدهما قال وقد علمنا سيبويه انه اعرب
ايا وهي مفردة لانها نقصان فكيف ببنيها وهي مضافة ولم يذكر ابا اسحق فيما علمت الا هذه الثلاثة
الاقوال ابو علي انما وجب البنا على مذهب سيبويه لانه حذف منه ما يتعرف به وهو الضمير مع
افتقاره اليه كما حذف من اي مثل وانت بعد ما يتعرفان به مع افتقار المضاف الى المضاف اليه وتخصصه
قال ابو جعفر وفيه اربعة اقوال سوى هذه الثلاثة التي ذكرها ابو اسحق قال الكسائي لننزعن
واقعة على المعنى كما تقول لستمرن الليلة واكلت من الطعام ولم يقع لننزعن على ايهم فنصبها
زاد المدوك فانما الفعل عنده واقع على موضع من كل شيعة وقوله ايهم اشد حملة مستانفة من لفظة
لها بتدا وكابر سيبويه زيادة من في الواجب وقال الزائد المعنى ثم لننزعن بالندا وبعضي لننزعن
لتنادين يا المدوك وناداي فعل يعلق اذا كان بعده جملة ظننت فتعمل في المعنى فلا تعمل في اللفظ
قال ابو جعفر وحكى ابو بكر بن شقير ان بعض الكوفيين يقول في ايهم معنى الشرط والمجازاة
ولذلك لم يعمل فيما قبلها والمعنى ثم لننزعن من كل فرقة ان تشايعوا ولم تشايعوا كما تقول
ضربت القوم ايهم غضب والمعنى غضبوا ولم يغضبوا قال ابو جعفر فهذه ستة اقوال
وبعضهم على ترسليمان يحكي عن محمد بن يزيد قال ايهم متعلق بشيعة فهو موضوع بالابتدا والمعنى
ثم لننزعن من الذين تشايعوا ايهم اي من الذين تعاونوا فانظروا ايهم اشد على الرحمن عتيا
وهذا قول حسن وقد حكى الكسائي ان التشايع التعاون وهنيا نصب على البيان تقوله
قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي احق بدخول النار يقال صلي يصلى صليا
كرضي الشي يصلى مصليا اذا ذهب ويقال صلي يصلى صليا وقال الجوهري ويقال صليت الرجل
نارا اذا ادخلته النار وصليته بصلاها قال الاعشى فان المسمه منها الفا كانك تزيد احراق قلت اصلينه
بالالف وصليته تصلية وتزيد ويصلى سعيرا ولم يخفف ثم قولهم صلى بلاء النار بالكسر
يصلى صليا احترق قال الله تعالى هم اولى بها صليا قال العجاج وطيخ والله لولاء النار وان تصلاها
ويقال ايضا صلي بالامر اذا قاسى حره وشدته قال الطهوي وابتلى بسالتهم وابتلوا
بالحرب حينا بعد حين • واصطلت بالنار وتصليت بها قال ابو زيد وقد تصليت حر حربهم
كانه يصلى المقور بن فرسه • وفلان يصطلي بناره اذا كان شجاعا بطلا قوله تعالى وان

منكم

منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فيه خمس مسايل الاولى ان منكم هذا قسم والواو
يتضمنه ويفسره حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه
النار الا تحلة القسم قال الزهري كانه يريد هذه الاية وان منكم الا واردها ذكره ابو داود والو
الطيالسي فقوله الا تحلة القسم يخرج في التفسير المسند ان القسم المذكور في هذا الحديث
معناه عندنا اهل العلم قوله تعالى وان منكم الا واردها وقد قيل ان المراد بالقسم قوله تعالى
والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والاول اشهر والمعنى متقارب
الثانية واختلف الناس في الورود فقيل الورود الدخول روى عن جابر بن عبد الله قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على
المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اسنده
ابو عمر في كتاب التمهيد وهو قول ابن عباس وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم روى يونس عن
الحسن انه كان يقرأ وان منكم الا واردها الورود الدخول على التفسير للورود فغلط فيه
بعض الرواة فالحقه بالقرآن وفي مسند الدارمي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار ثم يصدرون منها باعمالهم فاولهم كالبرق ثم كالريح ثم
كحضر الفرس كالراكب في رحله ثم كشد الرجل في مشيه وروى عن ابن عباس انه قال في هذه الاية
المسألة لنا نفع المؤمن قالها رجيا اما انا وانت فلا بد ان نردها واما انا فيجيبني الله منها واما انت
فما اظنه يجيئك تنكد بيك وقد اشفق كثير من العلماء من تحقق الورود والجهل بالصدور قد
بينا في التذكرة وقالت فرقة الورود المر على الصراط وروى عن ابن عباس وابن مسعود
وكعب الاحبار والسدي ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحسن
الحسن ايضا قال الخبر الورود الدخول انما هو كانتوا وبدت المصرة ولم ادخلها قال فالورود
اليم واعلى الصراط قال ابو بكر الانباري وتد بنى على مذهب الحسن فوم من اهل الفقه واحتجوا
بقول الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون قالوا فلا يدخل النار
من رضي الله ان يبعده منها وكانوا يقرون ثم ينجي الله الذين اتقوا واحتج عليهم الاخرون
اهل المقالة الاولى ان معنى قوله اولئك عنها مبعدون عن العذاب فيها والاحتراق بها فمن
دخلها وصار بشعرها ولا يحس منها وجعا وهو الما فهو مبعد منها في الحقيقة وليستدلوا بقول تعالى
ثم ننجي الذين اتقوا نعم انا نعلم ان ذلك على تجاوز الدخول قلت وفي صحيح مسلم ثم يضرب الجسر
على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيها
خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف
العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس
في نار جهنم الحديث وبه احتج من قال ان الجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته هذه الاية
لا الدخول فيها وقالت فرقة بل هو ورود اشراف واطلاع وقرب وذلك انهم يحشرون موضع الحساب
وهو قريب جهنم فيرونها ويطرقون اليها في حالة الحساب وهو يقرب جهنم فيرونها وينظرون
اليها في حالة الحساب ثم ينجي الله الذين اتقوا ما نظروا اليه وبها رهم الى الجنة ونظر الظالمين
اي يومر بهم الى النار قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين اي اشرف عليه لا انه دخله وقال زهير
فلما وردنا الماء زرقا حمامة وضئن عصى الحاضر المتخيم وروى حفصة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد من اهل بدر والحديبية قالت فقلت يا رسول الله وابن قول
الله وان منكم الا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ثم ننجي الذين اتقوا اخرجه مسلم
في حديث ام بشر قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة الحديث ورجح الزجاج
هذا القول بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقال المجاهد
ورود المؤمنين هو الحمى الذي يصيب المؤمن في دار الدنيا وهو حظ المؤمن من النار فلا يرد
روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ابشر فان الله تبارك وتعالى يقول هي نار ابي اسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار
اسنده ابو عمر قال حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال ثنا قاسم بن اصبغ قال ثنا محمد بن اسماعيل الصائغ
قال ثنا ابو اسامة قال ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن اسماعيل بن عبيد الله الاشعري عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم عاد مريضا فذكره وفي الحديث الحمى حظ المؤمن من النار وقالت فرقة الورود هو
النظر اليها وفي التنزيل ينجي منها المتقين ويصلاها مرتدون عليه دخولها ثم يخرج منها بالشفاعة او بغيرها
من رحمة الله واحتجوا بحديث ابن عمر اذا مات احدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي الحديث ورد به
وكيع عن شعبة عن عبد الله بن السايب عن رجل عن ابن عباس انه قال في قول الله عز وجل وان

منكم ردا على الايات التي قبلها في الكفار وقوله نورثه لنحشرنهم وانهم اشد ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا وان منكم ولو لكف نزاعكرمة وجماعة وعليها تلاشعب في هذه القراءة وقال ابن عرفة المراد بمنكم الكثرة والمعنى قل لهم يا محمد وهذا تاويل ابعد سهل انا ولد وان كان في منكم راجعة الى الكفار في لنحشرنهم فلا يتكرر رجوع الكناية الى الكفار فقد عرف ذلك في قوله عز وجل وسقناهم وهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء سعيكم كان لهم ربحنا لكاف الى الكفار وقال الاكثر المخاطب العالم كله ولا بد من ورود الجميع وعليه نشا الخلاف في الورود وتدبينا اقوال العلماء فيه وظاهر الورود الدخول لقوله عليه السلام فتمسه النار تحلة القسم حقيقة في اللغة المماسة اما ان تكون بردا وسلاما على المؤمنين ويجوز فيها سالمين قال خالد بن معدان اذا دخل اهل الجنة الجنة قالوا الم تقل ربنا انا نرد النار فيقال لقد وردتموها فالتفتموها رمادا قلت وهذا القول يجمع شتات الاقوال فان مر وردها ولم تؤذه بحرها فقد لعدعنها ونجى منها كما ان الله منها بفضله وكرمه وعملنا مر وردها فرخلها سالما وخرج منها غانما فان قيل كيف يدخل الانبيا النار قلنا لا نطلق هذا لكن الخلق جميعا يردونها كما دل عليه حديث جابر اول الباب فالعصاة يدخلونها بجرايمهم والاولياء السعدا لشفاعتهم لا يبقى الا خولدين يوت وقال ابن الانباري يحتج لمصحف عثمان وقراة العامة جايز في اللغة ان يرجع مر مخاطب الغايب الى لفظ المواجهة بالخطاب كما قال وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا فقد تقدم هذا المعنى في اول السابعة الا ستثنا في قوله عليه السلام الا تحلة القسم يحتمل ان يكون استثنا منقطعا لكن تحلة القسم وهذا معروف في كلام العرب والمعنى ان لا تمسه النار اصلا وتم الكلام هنا ثم ابتدا الا تحلة القسم اي لكن تحلة القسم لا بد منها في قوله تعالى وان منكم الا واردها وهو الجواز على الصراط والرويا الدخول دخول سلامة فلا يكون في ذلك شي مر مسيس لقوله عليه السلام لا يموت لاحدكم ثلاثة مر الولد فيحتسبهم الا كانوا له حجنة مر النار والحجنة الوكاية والستر ومر دخل النار وستر عنها فلن تمسه اصلا ولر مسته ما كان موتي الرابعة هذا الحديث يفسر الاول ان لم يرد ذكر الحلمة ولذلك جعله مالك باثره مفسرا له ويقيد هذا الحديث ثانيا ايضا ما رواه البخاري عر ابي هريرة عر النبي صلى الله عليه وسلم مر مات له ثلاثة مر الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجابا مر النار او دخل الجنة فقوله عليه السلام لم يبلغوا الحنث وسناه عند اهل العلم لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا ان يلزمهم منك دليل على ان اطفال المسلمين في الجنة والله اعلم لان الرحمة اذا نزلت بابايهم استحال ان يرحموا مر اجل مر لا يرحوم وهذا اجماع مر العلما في ان اطفال المسلمين في الجنة ولم يخالف في ذلك الا فرقة سدت مر المجبرة فجعلتهم في المشيئة وهو قول مهجور مردود باجماع الحجة الذين لا يجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط الى ما روي عر النبي صلى الله عليه وسلم مر اخبار الاحاد الثقاة العدول وان قوله صلى الله عليه وسلم الشقي من شقي في بطن امه وان الملك يترل فيكتب اجله ورزقه الحديث مخصوص وان من مات مر اطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو ممر سعد في بطن امه ولم يشق بدليل الاحاديث والاجماع وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعايشة لما علمها ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وهم في اصلاب ابايهم وخلق النار وخلق لها اهلا وهم في اصلاب ابايهم ساقط مردود بالاجماع والاثار وطلحة بن يحيى الذي يروي عنه ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث مما انفرد به فلا يعرج عليه وقد روي شعبة عر معاوية بن قرة بن اياس المزني عر ابيه عر النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا مر الانصار بات لابن صغير فوجد عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما يسرك ان لا تاتي بابا مر ابواب الجنة الا وجدته يبتفتح لك فقالوا يا رسول الله اله خاصة ام للمسلمين عامة فقال بل للمسلمين عامة قال ابو عمر هذا حديث ثابت صحيح بمعنى ما ذكرناه مع اجماع الجمهور وهو يعارض حديث يحيى بن يزيد هذا قال ابو عمر والوجه عندي في هذا الحديث وما اشبهه مر الاثار ان نلتمس حافظ على اداء فرايضه واجتنب الكباير وصبر واحتسب في مصيبته فان الخطاب لم يتوجه في ذلك الا لمعصوم الا غلب امر دمع ما وصفنا ومع الصحابة رضي الله عنهم وان منكم الا واردها قولهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وهذا ضعيف وهذا ليس بموضع نسخ وتدبينا انه اذا لم تمسه فقد ابعد عنها وفي الخبر تنزل النار للمومنين جزاء مر ما مروا فقد طفا نورك لهبي الخامسة قوله تعالى كان على ربك حتما مقضيا الحتم ايجاب القضاء اي كان ذلك القضاء اي كان ذلك حتما مقضيا قضاه الله عليكم وقال ابن مسعود اي نسما واجبا قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي نخلصهم ونذر الظالمين فيها جثيا وهذا مما يدل على ان الورود لا هول ان لم ينل وندخل الظالمين وقد مضى هذا مستوفى والمذهب ان صاحب الكبيرة وان دخلها

ثم يعاقب بتبدد نبه ثم ينجوا وقالت المرجئة لا يدخل وقالت الوعيد يخلد وقد مضى بيان هذا
في غير موضع وقرأ عاصم الجحدري ومعاذ بتشديد ثم ننجي مخففة نرا نجي وهي قراءة حميد ويعقوب
بالكسائي وثقل الا قوت وقرا ابن ابي ليلى ثم ننجوا بنا التهناك وثم ظرف الا انه مبني غير متمكن
نبنى كاين ذا والها تجوز ان تكون لبيان الحركة فتحذف في الوصل ويجوز ان تكون لتانيث
الفعلة فتثبت في الوصل قال قوله تعالى واذا تتلى عليهم ايانا بينات اي على الكفار الذين سبق
ذكرهم في قوله ايذا ما مت لسوف اخرج حيا وقال فيهم وقرا الطالبين بنهما جثيا اي هؤلاء اذا
تتلى عليهم القران فخروا بالدنيا وقالوا فما لنا ان كنا على باطل اكثر اموالا واعز نفرا وعرضهم
ادخال الشبه على المستضعفين وايهامهم ان تركه ما له دل على انه المحق في دينه وكانهم لم يروا
في الكفار فقيرا ولا في المسلمين غنيا ولم يعلموا ان الله يملي لاوليائه مزالا غترار بالدنيا وربط الميل اليها
وبينات معناه مزتلات الالفاظ مخلصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات
قد تبعها البيان بالمحكمات اذ تبيين الرسول صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا وظاهرات الاعجازه
بحدتها فلم يقدر على معارضتها او حججا او براهين والوجه ان يكون حالا موكدة لقوله تعالى
وهو الحق مصدقا لانا يات الله لا تكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا ايريد مشركي قريش النضر
ابن الحارث واصحابه الذين سئلوا بعض فقراء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم نشانة
وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم
ويلبسون ثيابهم فقالوا للمؤمنين اي الفريقين خير مقاما قرا ابن كثير وابن محيصن وشبل
ابن عباد مقاما بضم الميم وهو موضع الاقامة ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاقامة الباقون
مقاما بالفتح اي منزلا ومسكنا وقيل المقام الموضع الذي يقام فيه بالاسود الجليلة اي اي الفريقين
الغريقين اكثر حاها وانصارا واحسن ندبا اي مجلسا عن ابن عباس وعنه ايضا المنظر وهو المجلس
في اللغة هو النادي ومنه دار الندوة لان المشركين كانوا يتشاورون فيها في امورهم وناداه جالسه
في النادي وقال النابغة يبكي الوليد وجعفرا والندب على فعيل مجلس القوم ومنتداهم ولذلك
الدوح هو النادي والمنتدى فان نفرة القوم فليس بندي قاله الجوهري قوله تعالى وكم اهلكنا
قبلهم مزقرن اي مزامة وجماعة هم احسن اثاثا اي متاعا قاله ونوع بزين المتن اسود فاحم
ابيت كمثل النخلة المنعتكل والاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد مزالمتاع والحرثي قال ليس
منها وانشد الحسن بن علي الطوسي * تقادم العهد مزام الوليد بها دهرا وصار اثاث البيت
حرثيا * وقال ابن عباس رهيئة منظرا وريا اي منظرا حسنا وفيه خمس قرا ات قرا اهل المدينة
وريا بغير همز وقرا اهل الكوفة وريا بالهمز وحكى يعقوب ان طلحة قرا وريا بياء واحدة مخففة
وروى سفيان عن الاعمش عن ابي ظبيان عن ابن عباس هم احسن اثاثا وريا بالراي فهذه اربع
قرا ات قال ابو اسحق ويجوز هم احسن اثاثا وريا بيا بعدها همزة النحاس وقرا اهل المدينة
في هذا حسنة وفيها تقدير ان احدهما ان يكون قرا ريت ثم خفف الهمزة فابدل منها يا وادغمت اليا
في ايا وكان هذا حسنا لتتفق رؤس الايات انا غير مهموزات وعلى هذا قال ابن عباس الرئي المنظر
فالمعنى هم احسن اثاثا ولباسا والوجه الثاني ان حلوهم مرنوية مزالنعمة فلا يجوز الهمز على
هذا وفي رواية ورش عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر وريا بالهمز يكون على الوجه الاول وهي
قراءة اهل الكوفة وابي عمرو مزرايت على الاصل وقراءة طلحة بن مصرف وريا بيا واحدة مخففة
احسبها غلطا وقد زعم بعض النحويين انه كان اصلها الهمز فقلبت ياء ثم حذفت احدى الياءين
الياء الهدوي ويجوز ان يكون ريا فقلبت فصارت رياء ثم نقلت حركة الهمزة على الياء وحذفت
وقد قرا بعضهم وريا على القلب وهي القراءة الخامسة وحكى سيبويه راب بمعنى راي الجوهري
مرئي حسن المنظر مزرايت وهو مما اتت العين مزحال حسنه ولسوة طاهره وانشد ابو عبيدة لمحمد
ابن بشير الخفي * اشا فتك اللحظ ين يوم سالماه بدى الراي الجميل مزالاثاث * ومزلم يهمز
انما ان يكون على تخفيف الهمزة او يكون مزرويت الوانهم وجلودهم ريا اي امتلاءت وحسنت
واما قراءة ابن عباس وابي بزكعب وسعيد بن جبير والاعمش المكي وبزيد البربري وريا بالراي
فهو مزالهيئة والحسن ويجوز ان يكون مزرويت اي جمعت فيكون اصلها زويا قلبت الواو ياء
ومنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض اي جمعت اي فلم يغن ذلك عنهم شيا مزعذاب
الله فليعش هؤلاء ما شاءوا فمصيرهم الى الموت والعذاب وان عمروا فالعذاب العاجل ياخذهم
الا به قوله تعالى قل من كان في الضلالة اي في الكفر فليمدد له الرحمن مدا اي فليدعه في طغيانه
جهله وكفره لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر اي من كان في الضلالة مده الرحمن مدا حتى يطول
اعماره فيكون ذلك اشد لعقابه بخلاف ما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله ونذرهم في طغيانهم

يجهون وشله كبرا اي تلبيعتر ما شاء وليوسع لنفسه في العمر فمصيره الى الموت والعذاب وهذا غاية في التهديد والوعيد وقيل هذا دعاء به النبي صلى الله عليه وسلم بقول لسرقن مالي فليقطع الله ايده • ويكون دعاء على السارق وهو جواب الشرط وعلى هذا فليس قوله فليمدد خبرا قوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون قادرا والا ان اللفظ مفرد يصلح للواحد والجمع واذا بمعنى المستقبل اي حتى يروا ما يوعدون والعذاب لهذا يكون اما بنصر المؤمنين عليهم فيعذبونهم بالسيف والاسر واما ان تقوم الساعة فيصيروا الى النار فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا واضعف جندا اي تنكشف حينئذ الحقايق ويعلمون ان لمن اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي ويثبت الله الذين امنوا على الهدى ويزيدهم ايمانا في البصيرة وينزل من الايات ما يكون سببا لزيادة اليقين مجازاة لهم وقيل يزيدهم هدى لتصديقهم بالناسخ لما والمنسوخ الذي كلوه ٣ قال معناه الكلبي ومقاتل ويحتمل ثالثا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى الى الطاعة هدى الى الجنة والمعنى متقارب وقد تقدم القول في معنى زيادة الايمان والهدى في آل عمران وغيرها والباقيات الصالحات تقدم في الكهف القول فيها خير عند ربك ثوابا اي خيرا وخير مردا اي في الاخرة مما افتخر به الكفار في الدنيا والمرد مصدر كالرد اي وخير مردا على عاملها الثواب يقال لهذا رد عليك اي انفع لك وقيل خير مردا اي مرجعا كل احد يرد الى عمله الذي عمله قوله تعالى افرايت الذي كفر بايتنا الذي تقدم ذكره الاية والحفظ المسلم عن خباب قال كان لي على العاص بن وايل دين فاتيته اتقاضاه فقال لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث بعد الموت لسوف اقضيك اذا رجعت الى مال وولد وقال وكيع كذا قال الاعمش نزلت هذه الاية افرايت الذي كفر بايتنا وقال لاوتين مالا وولدا المعنى وباتينا فردا في رواية قال كنت قينا في الجاهلية فعملت للعاص بن وايل عملا فاتيته اتقاضاه خرجه البخاري ايضا وقال الكلبي ومقاتل كان خباب فينا فضاع للعاص حليا ثم تقاضاه اجرته فقال العاص ما عندي اليوم ما اقضيك قال خباب لست بمفارقك حتى تقضيني فقال العاص باخباب ٣ ما كنت هكذا وانا كنت لحسن الطلب فقال خباب ذلك اني كنت على دينك فاما اليوم فانا على دين الاسلام ومفارقك بدينك قال اولست تزعمون ان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا قال خباب بلى قال فاخرني حتى اقضيك في الجنة اشهرا فوالله لئن كان ما تقول حقا اني لافضل فيها فوالله لا يكون يا خباب انت واصحابك اولي بها مني فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر بايتنا يعني العاص ابن وايل اطلع الغيب قال ابن عباس اطلع في اللوح المحفوظ وقال مجاهد اعلم الغيب حتى يعلم الهو فيما يحتذم ام اتخذ عند الرحمن عهدا قال قتادة والثوري ابيعمله صالحا وقيل هو التوحيد وقيل هو الوعد وقال الكلبي عاهد الله انه يعطيه الجنة كلا رد عليه اي لم يكن ذلك لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهدا وتم الكلام عند قوله كلا وقال الحسن ان الايات نزلت في الوليد بن المغيرة لانا اول ما نعرف في الصحاح وقرا حمزة والكسائي وولدا بضم الواو والباقون بفتحها واختلفت في الضم والفتح على وجهين احدهما انهما لغتان معناهما واحد بمعنى الولد وولد كما يقال عدم وعدم وقال الحرث بن حلزة • ولقد رايت معاشرا قد اكثروا مما لا وولداه وقال اخره ولبئت فلانا كان في بطن امه • ولبئت فلانا كان ولد حمار • الثاني ان قتيبا تجعل الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا وقال الماوردي هو في قوله تعالى لا وتين مالا وولدا وجهان احدهما انه اراد في الجنة استهزاء بما وعد الله تعالى على طاعته وجبا دته قاله الكلبي الثاني انه اراد في الدنيا وهو قول الجمهور وفيه وجهان محتملان احدهما ان اقمت على دين اباي وعبادة الهتي لاوتين مالا وولدا الثاني ولو كنت على باطل اوتيت مالا وولدا • قلت قول الكلبي اشبه بظاهر الاحاديث بل نصها يدل على ذلك قال المسروق سمعت خباب بن الارت يقول جئت العاص بن وايل السهمي اتقاضاه حقا لي عنده فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا حتى تموت ثم تبعث قال وانى لميت ثم مبعوث فقلت نعم فقال ان لي هناك مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذي كفر بايتنا وقال لاوتين مالا وولدا الاية قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح قوله تعالى اطلع الغيب الف الف استفهام لمجيء ام بعدها ومعناه التوبيخ واصله اطلع فحذفت الالف الثانية لانها الف وصل فاذا قيل فهلا اثبتوه بعد الالف قلنا لو اطلع كما قالوا الله خير الذكرين حرم قيل له كان الاصل في هذا الله الذكرين فابدلوا من الالف الثانية مدة ليفرقوا بين الاستفهام والخبر وذلك انهم لما قالوا الله خير فلا بد لنفس الاستفهام بالخبر لم يجئوا الى هذه المدة ثم قوله اطلع ان الف الاستفهام مفتوحة والف الخبر مكسورة وذلك انك تقول في الاستفهام اطلع اقرب اصطفى استغفرت

وتقول في الخبر اطلع اقترب اصطفى استغفرت لهم بالكسر فحملوا المرق بالفتح والكسر ولم يجتاجل
الى قرب اخر قوله تعالى كلا ليبس بي النصف الاول ذكر كلا واما جاذكره في النصف الثاني وهو
يكون بمعنيين احدهما بمعنى حقا والثاني بمعنى ألا فاذا كانت بمعنى حقا جاز الوقف على ما قبله
ثم تبتدي كلا اي حقا واذا كانت بمعنى ألا كان الوقف على كلا جايزا كما كان في هذه الاية لان المعنى
ليس الامر كذا ويجوز ان يقف على قوله عهدا ويبتدي كلا اي حقا سنكتب ما يقول وكذلك
قول الله تعالى لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا يجوز الوقف على كلا وعلى تركت وقوله ويسئلهم
على ذنب ما خاف ان يقتلوه قال كلا الوقف على كلا لان المعنى ليس الامر كما ظنوا فاذهبا وليس
للحق في هذا المعنى موضع وقال الفراء بمنزلة سوف لانها صلة وهي حرف زجر فكانها تزجر
قال وان جعلتها صلة لما قبلها لم تقف عليها كقولك كلا ورب الكعبة لا تقف على كلا لانها
بمنزلة اي ورب الكعبة قال الله تعالى كلا والقمر فالوقف على كذا قبيح لانها صلة للذين وكان
ابو جعفر محمد بن سعدان يقول في كلا مثل قول الفراء قال الاخفش معنى كلا الردع والزجر وقال
ابو بكر بن الانباري وسمعت ابا العباس يقول لا يوقف على كلا في جميع القرآن لانها جواب والغاية
التي تقع بها بعدها والقول الاول هو قول اهل التفسير قوله تعالى سنكتب ما يقول اي
سنحفظ عليه قوله فنجازيه في الاخرة ونمد له من العذاب مدا اي نزيده عذابا فوق عذاب ونرثه
ما يقول اي نسلبه ما اعطيناه في الدنيا فنرثه من المال والولد قال ابن عباس وغيره اي نرثه المال والولد
بعد هلاكنا اياه ونقبل كرمه ما تمنناه في الاخرة مرئيا لمولود وكحمله لغيره من المسلمين ويأتينا
فردا اي منفردا لا مال له ولا ولد ولا عشيرة تنصره قوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا
لهم عزا اي منعا كقولك من بشر وعزا معناه اعوانا ومنعة يعتزى الاذا والعز المطر الجود قال الهروي
وظاهر الكلام ان عزا راجع الى الاية التي عندها وانما دون الله ووحدانه بمعنى المصدر اي ليتخذوا
بها العزة ويمتنعوا بها من عذاب الله فقال الله تعالى كلا اي ليس الامر كما ظنوا وتوهموا ليكفرون
بعبادتهم اي سيكفرون انهم عند الاصنام او يجحدون الهية الله عيانا المشركين لها
كما قال تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وذلك ان الاصنام جمادات لا تعلم العبادة ويكونون
عليهم ضدا اي اعوانا يوم القيامة وتكذيبهم عن مجاهد والضحاك يكفرون لهم اعدا ابن عباس
يزيد يكونون عليهم بلاء فتخاصمهم وتركب لهم عقول فتنطق وتقول يا رب عذب هؤلاء
الذين عبدونا من دونك وكلاهما يحتمل ان يكون معنى حقا اي حقا سيكفرون بعبادتهم وقرا ابو
بكير كلا سيكفرون بالتنوين وروي عنه مع ذلك ضم الكاف وفتحها قال الهروي كلا ردع لهم
وزجر وتنبيه ورد الكلام متقدم وقد تم لتحقيق ما بعدها والتنبيه عليه كقوله كلا ان
الانسان ليطغى فلا يوقف عليها على هذا ويوقف عليها في المعنى الاول فاما صلح فيها المعنيان
جميعا جاز الوقف عليها والابتداء بها من قوله كلا ثم قوله سيكفرون بعبادتهم مع فتح الكاف
وضم صاد يكفر وكسر الفاء وتشديد الراء وهي كل هذا الرأي والاعتقاد كلا بمعنى التحاذهم الهة
ليكونوا لهم عزا فيوقف على هذا على عزا وعلى كلا ولذلك في قراءة الجماعة لانها تصلح للردع
لما قبلها والتحقيق لما بعدها وقرئ بضم الكاف مع التنوين وهو مصدر يقال كل يكل كلا بمعنى الحاد لهم الهة
كانه قال سيكفرون كلا سيكفرون بعبادتهم بمعنى الهة قلت فتحصل في كلامه
اربعة معان التحقيق وهي ان تكون بمعنى حقا والردع والتنبيه وصلة للقسم والوقف
منها الا على الاول وقال الكسائي لا تنفي محسب وكلا تنفي شيئا وتثبت شيئا فاذا قيل اكلت تمرا
قلت كلا اكلت عسلا لا تمر فني بهذه الكلمة نفي ما قبلها وتحقق ما بعدها والضد يكون واحدا
ويكون جمعا كالعدو والرسول وقيل وضع الضد موضع المصدر اي ويكونون عليهم عونا فلهذا
لم يجمع وهذا هي مقابلة قوله ليكونوا لهم عزا والعز مصدر ولذلك ما وقع هي مقابلته ثم
قيل الآلهة هي عبدة الاصنام واحرق الاصنام مجرب لمن يحقل حربا على قومه الكفرة
وقيل هم عبدة المسيح او الجن او الملائكة او الشياطين والله اعلم فقوله تعالى الم تر انا ارسلنا
الشياطين على الكافرين اي سلطناهم عليهم باغوائهم وذلك حين قال لابليس واستفزز من
استطعت منهم بصوتك وقيل ارسلنا اي خليا يقال ارسلت البعير اي خليته اي خلينا
الشياطين واياهم ولم نعصمهم من القبول منهم الزجاج فيضلونهم ازا قال ابن عباس
تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية وعنه تغريهم اغراء الكرامعز امعن في هذا الامر حتى
يرفعهم في النار حكى الاول الثعلبي والثاني الماوردي والمعنى واحد الضحاك تغريهم اغراء
مجاهد تسليطهم اشلاء اصله الحركة والقلبان ومنه الخبر المروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قام الى الصلاة وكبر فكان كبر الرجل ثم ابكاء وابكرت الغدر اي زرا استند عليها حتى

غيانا والازالة التنبيح والاغراق اداالله تعالى قال الله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اي تزعجهم على المعاصي والازالة الاختلاط وقد ازت الشيء ازه ازا ضممت بعضه الى بعض قاله الجوهري فوله فقالي فلا تعجل عليهم اي لتطلب العذاب لهم انما نعد لهم عدا قال الكلبي اجالهم يعني الايام والليالي والشهور والسنين الى انتهاء اجل العذاب وقال الضحاك لهم انفاس ابن عباس اي نعد انفاسهم في الدنيا كالعد سنينهم وقيل الخطوات وقيل اللحظات وقيل الساعات وقال قطرب نعد اعمالهم عدا وقيل لا نعجل عليهم فانما نؤخرهم ليزدادوا اثما وروى المامون قرا لهذه السورة فرسخه الاثير وعنده جماعة من الفقها فاشار برأسه الى ابراهيم كان يعظه فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد وقيل في هذا المعنى حياتك انفاس تعد فكلما مضى نفس منك انتقصت به جزء بجيبك ما يجيبك في كل ليلة وحدوك حاد ما يزيد به الهزايا ويقال الناس ازا دم بيذا يوم والليلة اربعة وعشرون الف نفس اثنى عشر الفا في اليوم واثنا عشر الفا في الليل والله اعلم فمتى نفد وتخصى احصاه واحصاه عده معدوم وليس لها مدد وما اسرع ما تنفد. قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي الكلام حذف اي الى جنات الرحمن ودار كرامته لقوله اني ذاهب الى ربي وكما في الخبر ومن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والوفد اسم الوافدين وقيل هو اسم الوفاد وزور وهو جمع الوافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب وهو مصدر يقال وفدوا وفودا ووفادة اذا خرج الى ملك في نجح او امر خطير الحق هري قال وفد فلان على الامير وردرسولا ومفودا ووافدا وجمع وفد مثل صاحب وصحب وجمع الوفد اوفاد ووفود والاسم الوفادة واوفدته انا الى الامير اذا ارسلته وفي التفسير وفدا اي ركبانا على نجايب لطاعتهم وهذا اذا الوافد في الغالب يكون راكبا والوفد الركبان وقيل هو مصدر في موضع الحال اي وافدين على النجايب وقال الحسن وابن قتيبة الملايكة اذا المومن اذا خرج من قبره استقبله عمله احسن صورة واطيب ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد طيب ريحك وحسن صورتك فيقول كذلك كنت في الدنيا انا عملك الصالح طالما اركبتك في الدنيا اركبك اليوم وتلقى وهم يملون اوزارهم على ظهورهم وابصح من قبل اسناده قال ابن العربي يراح المحبين المريدين وذكر هذا الخبر تفسيره ابو نضر عبد الرحيم بن عبد الكريم التميمي عن ابن عباس بلفظه وتمامه وقال ايضا عن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وقال الله على خيل لله تعالى ومن كان يحب الابل فعلى الابل ومن كان يحب الاحمر فعلى الياقوت الاحمر ومن كان يحب الاصفر فعلى الزبرجد الاخضر ومن كان يحب الابيض فعلى الدر وسرجها السندس والاستبرق ومن كان يحب ركوب السفن فعلى السفن من نور يجد ونوقا تنبعث ازمتها من اليافوت والزبرجد ومن كان يحب السمن فعلى سمن من نور يجد ويافوت قد سواه الورق واسنوا الاهوال وقال ايضا وقال علي ولما نزلت الاية قال علي رضي الله عنه يا رسول الله اني قد رايت الملوك ووفودهم فلم ار وفدا الا ركبانا فما وفد الله فقال عليه السلام اما انهم يحشرون على اقدامهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يرتوون بنوق من نور فتوق الجنة لم يبصر الخلايق الى مثلها رحالها الذهب وازمتها الزبرجد فيركبونها حتى ينزعوا باب الجنة ولفظ الثعلبي في هذا الخبر عن علي ابين وقال علي لما نزلت هذه الاية قلت يا رسول الله اني رايت الملوك ووفودهم فلم ار وفدا الا ركبانا فما وفد الله قال يا علي اذا كان المنصرف من بين يدي الله تلقت الملايكة المومنين بنوق بيض رحالها وازمتها الذهب على كل مركب حلة لا تساويها الدنيا فيلبس كل مومن حلة ثم تسير بهم مراكبهم فتهوي بهم النوق حتى تنتهي بهم الى الجنة فتتلقاهم الملايكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين فلم يسمع بمثل هذا الخبر ينص على انهم لا يركبون ولا يلبسون الا ازا الموقف واما اذا خرجوا من القبور فمشاة حفاة عراة المؤقت بدليل حديث ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة قال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا الحديث خرجه البخاري ومسلم وسياتي بكماله في سورة المومنين ان شاء الله وتقدم في العمران حديث عبد الله بن انيس بمعناه والحمد لله ولا بعد ان تحمل الحالتان للسعدا فيكون حديث ابن عباس مخصوصا والله اعلم وقال ابو هريرة وفدا على الابل ابن عباس ركبانا يوتون بنوق من الجنة عليها رحايل من الذهب وسروجها من الزبرجد فيحشرون عليها وقال علي ما يحشرون والله اعلم على ارجلهم ولكن على نوق رحالها من ذهب ونحت سروجها ياقوت احمر هواتها سارت وان نهموا بها طارت وقيل يفدون على ما يحسن من الابل وخيل او سفن على ما تقدم عن ابن عباس والله اعلم وقيل انما قال

وفدا

وذلك ان من شان الوفود عند الرب ان يتلقوا بالبشارات وينتظرون الجوائز فالمتقون ينتظرون العطا والثواب وسوق المجرمين الى جهنم ورد السوق الحث على السير وورد عطاشا قاله ابن عباس وابو هريرة والحسن والاخفش الزواب الاعرابي حفاة ومشاة وشبه افراد اوقال الازهري اي مشاة عطاشا الابل ترد الماء فيقال جاء ورد بني فلان للبشير وقوله ورد اليد دليل العطش لان الماء انما يورد في الكفة الغائب للعطش وفي التفسير شاة عطشا تتقطع اعناقهم من العطش واذا كان سوق المجرمين الى النار فحشر المتقين الى الجنة وقيل ورد للورود لقوله جيئتك اكراما لك اي لاكرمك اي لسوقهم لورود النار قلت ولا تناقض ولا تناقض بين هذه الاقوال فيساقون عطاشا حفاة مشاة افراد قال ابن عرفة الورد القوم يردون الماء سمي العطاش وردا لطلبهم ورود الماء كما لقولك قوم صوم اي صيام وقوم ركب زوار فهو اسم على لفظ المصدر واحدهم وارد والورد ايضا الجماعة التي ترد الماء زطير وابل والورد الماء الذي يرد وهذا من باب الايما بالشيء الى الشيء والورد الجزر بفلان فرات وورد بكر والورد الحمى اذا اخذت صاحبها لوقت فهو لفظ مشترك وقال الشاعر يصف قليبا * يطوا اذا الورد عليه التكا * اي الوراد الذين يردون الماء قوله تعالى لا يملكون الشفاعة اي هؤلاء الكفار لا يملكون الشفاعة لاحد الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وهم المسلمون فيملكون الشفاعة وهذا استثناء الشيء من غير جنسه اي لكن من اتخذ عهدا شفع فمن في موضع نصب على هذا وقيل هو في موضع رفع على البدل من الواو في يملكون اي لا يملك احد عندنا الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فانه يملك وعلى هذا يكون الاستثناء متصلا والمجرمين في قوله ونسوق المجرمين يعم الكثرة والعصاة ثم اخبرانهم لا يملكون الشفاعة الا العصاة المؤمنون فانهم يملكونها بان يشفع فيهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول شافع حتى اقول يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول يا محمد انها ليست لك ولكنها لي خرجه مسلم بمعناه وتقدم وتظاهرت الاخبار بان اهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون فيشفعون وعلى القول الاول ليكون الكلام متصلا بقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا فلا تقبل هذا شفاعة عبدة الاوثان لاحد ولا شفاعة الاصنام لاحد ولا يملكون شفاعة احد لهم اي لا تنفعهم شفاعة كما قال فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقيل اي يحشر المتقين والمجرمين ولا يملك احد شفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اي اذا اذن له الرب في الشفاعة كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وهذا العهد هو الذي قال ام اتخذ عند الرحمن عهدا وهو لفظ جامع للايمان وجميع الاعمال الصالحة الذي يحصل بها صاحبها في خبر من يشفع وقال ابن عباس العهد لا اله الا الله وقال مقاتل وابن عباس ايضا لا يشفع الا من قال يشهد ان لا اله الا الله ونبرا من الحول والقوة لله ولا يرجو الا الله وقال ابن مسعود سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قيل يا رسول الله وما ذاك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحياة اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تباعدني عن الخير وتقربني من الشر واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفنيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليها طابعا وضعها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادي مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيقوم فيدخل الجنة قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله وقرا يحيى والاعمش وحمزة والكسائي وخلف ولدا بضم الواو واسكان اللام في اربعة مواضع من هذه السورة قوله وبنين مالا وولدا وقد تقدم وقوله ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وفي سورة نوح ماله وولده وافقهم في نوح خاصة ابن كثير ومجاهد وحميد وابو عمرو ويعقوب الباقون في الكل بالفتح في الواو واللام وهما لغتان مثل الرب والرب والعجم والعجم قال ولقد رأيت معاشر اقد استمروا ما ولدا امره * فلبيت عباضا في بطن امه وليت عباضا كان ولد حمار * وقال النابغة * مهلا فداء لك الاقوام كلهم * وما امر مر ما ولد * فتح وتبعه يحيلون الولد بالضم جمعا والولد بالفتح ولدا قال الجوهري الولد يكون واحدا وجمعا وكذلك الولد بالضم ومثال بني اسد ولدك من دبي عقبيك وقد يكون الولد جمع الولد مثل اسد واسد والولد بالكسر لغة في الولد الخاص وفرق ابو عبيد بينهما فزعم ان الولد يكون الواحد الاهل والولد جميعا قال ابو جعفر وهذا قول مردود لا يعرفه احد من اهل اللغة ولا يكون الولد والولد الا ولدا للرجل وولده ولده الا انا نجد الكثير في كلام العرب كما قال * مهلا فداء لك الاقوام كلهم * وما امر مر ما ولد * قال ابو جعفر وسمعت محمد بن الوليد يقول يجوز ان يكون ولد جمع ولد كما يقال وثن ووثن واسد واسد ويجوز ان يكون

ولد وولد بمعنى واحد كابناء عجم وعجم وعرب وعرب كما تقدم قوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا اى
منكرا عظيما عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما قال الجوهري الادة الداهية والامر العظيم ومنه
قوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا ولذلك الادشاذ فاعل وجمع الادة اد وادت فلانا داهية تؤده
ادا بالفتح والاد ايضا القوة قال الراجز نضوت عني ثوبه وادا من بعد ما كنت صملا جلداه انتهى
كلامه وقال ابو عبد الرحمن السلمي ادا بفتح الهمزة الخاء ليقال اد يؤد ادا فهو اد والاسم للاد ادا
جاء بشيء عظيم منكر وقال الراجز لقد لقي الاقران مني نكرا داهية دهيا ادا امرا عن غير الحاس
وفيه ثلاث لغات ادا بالكسر وهي قراءة العامة واد بالفتح وهي قراءة السلمي واد مثل ماد وهي
لغة لبعض العرب روي عن ابن عباس وابي الغالية وكلها ماخوذة من الثقل ادة الحمل تؤوده اذا
اوداه الثقل فقوله تعالى تكاد السموات قراءة العامة هنا وفي الشورى بالتاء وقراءة نافع وابن كثير
والكسائي بكادهن بالياء ولتقدم الفعل ينفطرن ابو بشتفقن وقراءة نافع وابن كثير وحفص وغيرهم
تهن بعدا لياء وشدد الطاء المفطرهنا وفي الشورى ووافقهم حمزة وابن عامر في الشوري وقرا هنا
ينفطرن قراءة ابن مسعود وكذلك قراها ابو عمرو وابو بكر والمفضل في السورتين وهو اختيار ابي عبيد
لقوله تعالى اذا السما انفطرت وقوله السما منفطر به وقوله وتنشق الارض ابن تتصدع وتخر الجبال
هدا قال ابن عباس هدما ابن تسمع بصوت شديد وفي الحديث اللهم اني اعوذ بك من الهد والهدة
قال الشمر قال احمد بن عتاب المروزي الهدة الخسوف والهد الهدم وقال الليث هو الهدم الشديد
كحايط يهدم بعضه بقال دهدي الامر وهدركني اي كسرني وبلغ مني قال الهروي الجوهري هدا البناء
يهده هدا كسره وضعضعه وهدته المصيبة اي اوهنت ركنه واهد الجبل اي انكسر الاصمعي والهد
الرجل الضعيف يقول الرجل للرجل اذا وعده الخير هد اي غير ضعيف وقال ابن الاعرابي الهد
من الرجال الجواد الكريم واما الجبان الضعيف الهد بالكسر وانشد * ليسوا بهدين في الحروب *
اذا تعقد فوق الحرائك النطق * والهدة صوت وقع الحايط ونحوه تقول منه هد يهد بالكسر
هديدا والهاد صوت يسمعه اهل الساحل يايتهم من قبل الوحي له دوي في الارض ورعا كان منه الزلزلة
ودويه هديد الحايط هذا معدر ان معنى تخر تهد وقال غيره قال ابن بهدودة ان دعوا للرحمن
ولدا ان في موضع نصب عند الفراء بمعنى ان دعوا وان دعوا في موضع ان نصب بسقوط الخافض
وزعم الفراء ان الكسائي قال هي في موضع خفض بتقدير الخافض وذكر ابن المبارك انا مسعر عن
عبد الله بن واصل عن عون بن عبد الله قال قال عبد الله بن مسعود ان الجبل ليقول للجبل هل مر
بك اليوم ذاكر الله فان قال نعم سر به ثم قرا عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الاية قال اقرا هن
يسمعن الزور ولا يسمعن الخير قال وحدثني عوف عن مالك بن دينار قال حدثني رجل من اهل الشام
في مسجد مبني قال ان الله لما خلق الارض وخلق ما فيها من الشجر لم تكن في الارض شجرة باتيها بنو
ادم الا اصابوا منها منفعة وكان لهم منها منفعة فلم تزل الارض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة
بني ادم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الله ولدا فلما قالوها اقشعرت الارض وشاك الشجر
وقال ابن عباس اقشعرت الجبال وما فيها من الاشجار والبحار وما فيها من الحيتان فصار ذلك الشوك
في الحيتان وفي الاشجار الشوك وقال ابن عباس ايضا نزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق
الا الثقلين فكادت ان تزول وغضبت الملايكة واستعرت جهنم وشاك الشجر واكفهرت الارض
وهدبت حين قالوا اتخذ الله ولدا وقال مجاهد تكاد تكعب لقد كاد اعدا الله ان يفتنوا علينا الساعة
لقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال
ابن العربي وصدق لانه قول عظيم سبق به القضا والقدر ولولا ان الباري تبارك وتعالى ابطنه
كفر الكافرين ولا يرضاه ايمان المومنين لاخذ بغتة كما اخذ من قبلكم لما جرى به شي من هذا
على السنة ولكنه القدوس الحكيم العليم فلم يبال بقول من قال ذلك بما تقوله المبطلون قوله تعالى وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا
نفى عن نفسه سبحانه الولد والوالد يقتضي الجنسية والحدوث على ما بينا في البقرة اي لا يليق
به ذلك ولا يوصف به ولا يجوز في حقه ان لا يكون ولدا لان الولد يكون له والد واصل والله سبحانه
وتعالى عن ذلك وتقدس وقال مجاهد ما ينبغي له ان يتخذ ولدا وهما سهل واجل ان كل
من في السموات والارض ان ما فيه بمعنى ما اي ما كل من في السموات والارض الا وهو ياتي الله يوم
القيامة مقرا له بالعبودية خاضعا ذليلا كما قال وكل اتوه داخرين اي صاغرين اذ لا يتخلف
كلهم عبيده فكيف يكون لاحد منهم ولدا له جل وتعالى عما يقول الظالمون والملحدون علوا كبيرا
واتى باتي الخط والاصل اتيين فحذف استخفافا واضيف التاء ينة في هذه الاية دليل على
انه لا يجوز ان يكون الولد مملوكا للوالد خلافا لمن قال انه يشتريه فيملكه ولا يعتق عليه الا اذا اعتقه

وقد ابان الله تعالى المنافقة الاولاد والملك فاذا ملك الوالد ولده بنوع من التصرف فانه عتق عليه
ووجه الدليل عليه من هذه الاية ان الله تعالى جعل الولدية والعبودية في طرفي تقابل فنفى احدهما
واثبت الاخر لو اجتمعا لما كان لهذا القول فائدة فثبت الاحتجاج بها وفي الحديث الصحيح الاخر ولد
والدا الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه خرجه مسلم فاذا لم يملك الاب ابنه مع مرتبته عليه فالابن يعدم
ملك الاب اولى لقصوره عنه الثالثة ذهب اسحق بن راهويه في تاويل قوله صلى الله عليه وسلم من اعتق
شركا له في عبد ان المراد به ذكورا لعبيد دون اناثهم فلا يكمل على من اعتق شركه في انثى وهو على
خلاف ما ذهب اليه الجمهور من السلف ومن بعدهم فانهم لم يفرقوا بين الذكور والانثى ان لفظ العبد
يراد به الجنس كما قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا فانه قد تنا ولا الذكور والانثى
من العبيد قطعا ثمنك اصحوبانه قد حكى عبده في الموطن الرابعة روى البخاري عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه
اياي فقوله لن يعيدني كما بدا اني وليس اول الخلق بالهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله
اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم الد ولم يولد ولم يكن لي كفوا احد وقد تقدم في البقرة وغيرها
واعادته هي مثل هذه المواضع حسن جدا قوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا احصاهم اي
علم عددهم وعدهم عدا تاكيدا اي فلا يخفى عليه احد منهم قلت ورفع لنا في اسمايه المحصي
اعني في السنة من حديث ابي هريرة خرجه الترمذي واستشاف هذا العقل بدل عليه وقال
الاستاذ ابو اسحق الاسم ابني ومنها المحصي ويختص بانه لا تشغله الكثرة عن العلم مثل صور الدور
واشداد الريح وتحافظ الاوراق فيعلم عدد ذلك اجزا الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم ولهو الذي
خلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ورفع في تفسير ابن عباس ان معنى لقد احصاهم
وعدهم عدا يريد اقروا له بالعبودية وشهدوا له بالربوبية قوله تعالى وكلهم اتيه يوم القيامة
فردا اي واحدا لا ناصر له ولا مدفع عنه كما قال بهم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم الا ما قدم من عمل وقال كلهم اتيه على لفظ كل وعلى المعنى انوه قال الفقيه رفيه اشارة الى
انكم لا ترضون باستبعاد اولادكم والكل عبيده فكيف رضيتم له لانفسكم وقد رد عليهم بمثل هذا انهم
لا يرضون لانفسهم بالبنات ويقولون الملايكة بنات الله والاصنام بنات الله وقال فما
كان لشركايهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركايهم قوله تعالى ان الذين امنوا اي
صدقوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي حبا في قلوب عباده كما رواه الترمذي من
حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل اني قد
احببت فلانا فاحبه قال فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في الارض تلك قوله عز وجل ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واذا ابغض الله عبدا نادى جبريل اني قد
ابغضت فلانا فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الارض قال هذا حديث حسن صحيح وخرجه
البخاري ومسلم بمعناه ومالك في الموطا وفي نوادر الاصول وحدثنا ابو بكر بن سابق الاموي قال
ثنا ابو مالك الجنبي عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله اعطى المؤمن المقدة والملاحة والمحبة في صور الصالحين سيجعل لهم الرحمن ودا واختلف
فيمن نزلت فقيل في علي رضي الله عنه روى البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلي بن ابي طالب يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين مودة فنزلت
فذكره ذكره الثعلبي وقالت ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن عوف جعل الله لهم في قلوب عباده
الصالحين المودة لا يلقاه مؤمن الا وفره ولا مشرك ولا منافق الا عظمه وكان لهم من جبان يقول
ما اقبل احد بقلبه على الصلاة اقبل الله بقلوب اهل الايمان اليه حتى يرزقهم مودتهم ورحمتهم
وقيل يجعل لهم مودة في قلوب المؤمنين والملايكة يوم القيامة قلت اذا كان محبوبا
في الدنيا مقبولا لدى الاخرة فان الله لا يحب الا مؤمنا تقيا ولا يرضى الا خالصا نقيا جعلنا الله منهم
بمنه روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب
احب عبدا دعا جبريل عليه السلام فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء
فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض
عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول اني ابغض فلانا فابغضه قال فيبغضه جبريل ثم ينادي
في السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الارض قوله تعالى
فانما يسرناه بلسانك يعني القرآن اي بينا ه بلسانك العربي وسهلناه سهلا على من تدبره وتامله
وقيل انزلناه عليك بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه لتبشر به المتقين اي المؤمنين وتنذر به
قوما لدا اللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة ومنه قوله تعالى الد الخصام قال الشاعر

اتيت نجيا للهموم كانني اخاصم اقواما ادوك حبل لدّاء وقال ابو عبيدة الدالز يبة ايقبل الخنا ويدعجب
الباطل الحسن الدرا الصم وقال الربيع صم اذا لك القلوب مجاهد مجادلين في الباطل
ابن عباس شدادا في الخصومة وقيل الظالم الذي لا ينتفع والمعنى واحد وخصوا بالنذارة اذ الذي
لا عناد عنده يسهل انقياده قوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي من امة وجماعة من الناس
يخوف اهل مكة هل تحس منهم من احد في موضع نصب ايهل ترى منهم احدا او تجدا وتسمع لهم ركزا
اي صوتا عن ابن عباس وغيره اي تدمانوا وحصدوا على اعمالهم وقيل حسا قاله ابن زيد وقيل
الركز ما لا يفهم من صوت او حركة قاله الزجاج وابو عبيدة كركزا لكسر والنشد ابو عبيدة بيت
لبيد وتوجست ركز الانيس فراعها عن ظهر غيب والانيس سفارها وقيل الصوت الخفي ومنه
ركز الرمح اذا غيبه في الارض وقال الطرفة وصادفنا سمع التوجس للسري لركز خفي او لصوت
مبدد وقال ذو الرمة لصت ثوا ليسمع الصوت صايد وكلاب اذا التوجس زكزا مقفر ندس
بانسان الصوت ما في سمعه كذب اي يلج استماعه والندس الحاذق يقال ندس وندس كما يقال
حذر وحذر ويقظ ويقظ والنباة الصوت الخفي وكذلك الركز والركاز المال المدفون

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه مكية

قوله الجميع نزلت قبل اسلام عمر رضي الله عنه روى الدارقطني في سننه عن انس بن مالك قال خرج عمر متقلدا السيف فقيل له ان ختنك واختك قد صبوا فاتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب وكانوا بيرون طه فقال اعطوني الكتاب الذي عندكم فاقرؤه وكان عمر رضي الله عنه يقرأ الكتب فقالت له اخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل او توضأ فقام عمر فتوضأ ثم اخذ الكتاب فقرأ طه وذكر ابن اسحق مطولا وان عمر اخرج متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتله فلقيه نعيم بن عبد الله فقال اين تريد يا عمر قال اريد محمدا هذا الصابي الذي فرق امر قريش وسفه احلامها وعاب دينها وسب الهتها فاقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك يا عمر افترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الارض وقد قتلت محمدا اما ترجع الى اهلك فتقيم امرهم قال وايّ اهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد واختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله اسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا الى اخته وعند ختنه بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئهما اياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم او في بعض البيت واخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت قالا له ما سمعت شيئا قال بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتما محمدا على دينه ووطئ ختنه سعيد بن زيد فقامت اليه اخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له اخته وختنه نعم قد اسلمنا وامنا بالله وبرسوله فاصنع ما بدا لك ولما رأى ذلك عمر بأخته سال الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لاخته اعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤن انفا انظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له اخته انا نخشاك عليها قال لها لا تخافي وحلف لها بالهتة ليردنها اذا قرأها فلما قال ذلك طمعت في اسلامه فقالت له يا اخي انك نجس على شركك وانه لا يمسها الا المطهر فقام عمر فاغتسل فاعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما احسن هذا الكلام وآكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له يا عمر والله اني لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فاني سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام بابي الحكم بن هشام او بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك دلني يا خباب على محمد حتى ابتيه فاسلم وذكر الحديث مسندا اسند الزبير بن بكار في مسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى قرأ طه ويس قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة تنزل بتزل عليها هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا قال ابو زرعة معنى قوله ان الله تعالى قرأ طه ويس اي اظهر واسمع وافهم كلامه من اراد من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت والعرب تقول قرأت الشيء اذا تفهمته وتقول ما قرأت هذه الناقة سلا قط اي ما ضمت رحمها ولدا فتعالى الله ايكون الكلام سابقا وقراءته اسماعه وافهامه لجبارات بخلقها وكتابته كذلك وهي معنى قولنا قرآنا كلام الله ومعنى قوله قالوا ما نيس منه ومن اصحابنا من قال معنى قوله قرأ اب ايذكلمه وذلك مجاز كقولهم ذقت لهذا الامر وانا بمعنى اختبرته ومنه قوله ما ذاقها انيس ولا

الجوع والخوف اي الهلاهم الله به فسمى ذلك ذوقا والذوق لا يذاق على الحقيقة لان الذوق في الحقيقة
انما تدرك عبر من الجوارح قال ابن خزيمة وما قلناه اولا اصح في تاويل هذا الخبر لان كلام الله تعالى
ازلي قديم سابق لجملة الحوادث وانما اسمع وافهم من اراد من خلقه على ما اراد في الاوقات والازمنة لان عين
كلامه يتعلق وجوده بعدة وزمان قوله تعالى طه اختلف العلماء في معناه فقال الصديق رضي الله
عنه هو اسم من اسماء الله ذكره الفرزدق ابن عباس معناه يا رجل ذكره البيهقي وقيل انها لغة معروفة في عكل وقيل
في عك قال الكلبي لو قلت لي عكي لرجل يا رجل لم يجب حتى تقول طه والشد الطرب في ذلك
* دعوت بطه في الفتاة فلم يجب * محفت عليه ان يكون موالياً * وبروي من ايلا وقال عبد
الله بن عمرو يا حبيبي بلغة عكل ذكره الغزنوي وقال وطرب مني بلغة طي وانشد لبعضهم
* ان السماحة طه من شمايلكم * الا بارك الله في القوم الملاعين * ولذلك قال احسن معنى طه
يا رجل وقاله عكرمة وقال هو بالسريانية كذلك ذكره المهدوي وحكاه الماوردي عن ابن عباس ايضا
ومجاهد وحكى الطبري انه بالنبطية يا رجل وهذا قول السدي وسعيد بن جبير وابن عباس ايضا
قال * ان السماحة طه من خلائقكم * لا قدس الله ارواح الملاعين * وقال عكرمة ايضا هو
كقوله يا رجل بلسان الحبشة ذكره الثعلبي والصحيح انها لغة وجمعت في لغة اخرى ثانية لغة هو
العرب كما ذكرنا وانها لغة يمانية في عك وطي وعكل ايضا وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى وقسم اقسم به
وهذا ايضا مروي عن ابن عباس وقيل هو اسم للنبي صلى الله عليه وسلم سماه به الله تعالى كما سماه
محمدا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء فذكر ان منها طه ويس وقيل
هو اسم للسورة ومفتاح لها وقيل انه اختصار من كلام حضر الله تعالى رسوله بعلمه وقيل انها حروف
يدل كل حرف منها على معنى واختلف في ذلك فقيل الطاء شجرة طوبى والهاء النار والهاوية
والعرب تعبر عن الشيء كله ببعضه كانه اقسم بالجنة والنار وقال سعيد بن جبير الطاء افتتاح اسمه
طاهر وطيب والهاء افتتاح اسمه هادي وقيل طابا طامح الشملة للامة تهديها هادي الخلق الى
الملة وقيل الطاء الطائر والهاء الهداية كانه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم يا طائر الزلوب
يا هادي الخلق الى علام الغيوب وقيل الطا طلوع المراة والهاء هيبتهم في قلوب الكافرين بيانه
قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقوله وقذف في قلوبهم الرعب وقيل الطا
طرب اهل الجنة والهاء هوان اهل النار في النار وقول سادس بيان معنى طه طوبى لمن اسعدك
قاله محمد بن علي بن الحنفية وقول سابع ان معنى طه طا الارض وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يتحمل من مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورم ويحتاج الى التروح بين قدميه فقيل له
طا الارض ابعد ان تتعب حتى تحتاج الى التروح حكاه ابن الانباري وذكر القاضي عياض في الشفاء
عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل رفع الاخرى فانزل الله
تعالى طه يعني طا الارض يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تخشى وعن الحسن طه
وتفسيره امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه
فامر بان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت هرتة هاء او قلبت في من قال لا هناك لمرتع
هم بني على الامر وهو الهاء للسكت وقال مجاهد كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يربطون الحجارة في صدورهم
صدورهم في الصلاة بالليل من طول القيام ثم نسخ ذلك بالفرض فنزلت هذه الاية وقال الكلبي لما
نزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة واشتد عبادته فجعل يصلي الليل
كله زمانا حتى نزلت هذه الاية فامره الله ان يخفف عن نفسه فيصلي وينام فنسخ بهذه الاية قيام
الليل فكان بعد هذه الاية يصلي وينام وقال مقاتل والضحاك لما نزل القران على النبي صلى الله
عليه وسلم قام هو واصحابه وصلوا فقال كفار قريش ما انزل الله تعالى هذا القران على محمد الا ليشقى فانزل الله تعالى طه يقول يا رجل ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعب على ما بان وعلى
هذا القول ان طه طا الارض تكون الهاء والالف صلتين الا تقف الارض ابو طا الارض برجليك في
صلاتك وحذفت الهمزة فصارت الفا ساكنة ونزان طابة طه واصله طاءة بمعنى طا الارض
فحذفت الهمزة وادخلت هاء السكت وقال زيد بن خبيش قرا رجل على عبد الله بن مسعود طه
فقال له عبد الله طه فقال يا عبد الرحمن ليس هذا امران تطا الارض برجليه اولهذه نبيه فقال
طه لك انزلنا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ابو عمرو وابن ابي اسحق الهاء وفتح الالف
وامالهما جميعا ابو بكر وحمزة والكسائي والاعمش ونافع ابو جعفر وشيبة ونافع بين اللفظين
واختاره ابو عبيد الماتون بالتفخيم قال الثعلبي وهي كلها لغات صحيحة فصيحة الخاص
والعام وحسن الامالة عند اكثر اهل العربية للعلتين احداهما انه ليس لها شبا واو كسرة فتكون الامالة
والعلة الاخرى ان الطاء حرف المؤانع للامالة فهما كانت علتان سببان قوله تعالى

ما انزلنا عليك القرآن وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى قال الخاسر بعض النحويين يقول هذا
النفي وبعضهم يقول لام الجحود قال ابو جعفر وسمعت ابا الحسن بن كيسان يقول اللام الخفض والمعنى
ما انزلنا عليك القرآن لتشقا والشقاء يمد ويقصر وهو مذكر وذات الواو واصل الشقاء في اللغة العنا
والتعب ايما انزلناه عليك لتتعب قادوا العقل بشقى في النعيم بعقله واهل الجهالة في الشقاوة هو
بنعم فمعنى لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على ان يومنوا كقوله تعالى لعلك
تقتلك باخع نفسك اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يومنوا لانه محال لعبدان لم تفرط
في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وروي ان ابا جهل بن هشام والنضر بن الحرث قالا للنبي صلى الله عليه
وسلم انك شقي لانك تركت دين ابائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم
الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وعلى الاخوان
المتقدمة انه عليه السلام صلى الليل حتى اسمغرت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك
حقا اي ما انزلناه عليك لتهلك نفسك بالعبادة وتزيلها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية
السمحة قوله تعالى الا تذكرة لمن يخشى قال ابو اسحق الزجاج هو بدل من لتشقى اي ما انزلناه عليك
الا تذكرة للخاسر وهذا وجه بعيد وانكره ابو علي من اجل ان التذكرة ليست بشقا وانما هو منصوب على
المصدر اي انزلناه لتذكر به تذكرة اي على المفعول من اجله اي ما انزلناه عليك القرآن لتشقى به ما انزلناه
الا للتذكرة وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير مجازه ما انزلنا عليك القرآن الا تذكرة لمن يخشى
وليلا تشقى تنزيلا مصدر اي نزلناه تنزيلا وقيل بدل من قوله تذكرة وقرا ابو جعفر الشامي تنزيل
بالرفع على معنى هذا تنزيل ممن خلق الارض والسموات العلى اي العالية الرفيعة وهي جمع العليا كقوله
كبرى وصغرى وكبر وصغر اخبر عن عظمته وجبروته وجلاله ثم قال الرحمن على العرش استوى ويجوز
ويجوز النصب على المدح قال ابو اسحق ويجوز الخفض على البدل من ومن قال سعيد بن مسعدة الرفع بمعنى
هو الرحمن الخاسر يجوز الرفع بالابتداء والخبر له ما في السموات فلا يوقف على استوى وعلى البدل من
المضمر في خلق فيجوز الوقف على استوى وكذا اذا كان خبرا لمحذوف ولا يوقف على الفعل وقد
تقدم القول في معنى الاستواء في الاعراف والذي ذهب اليه الشيخ ابو الحسن وغيره انه مستو على عرشه
بغير حد ولا تكييف لا كما يقول استوى المخلوقين وقال ابن عباس بريد خلق ما كان وما هو كائن الى
يوم القيامة وبعد القيامة له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى بريد تحت
الصخرة التي لا يعلم ما تحتها الا الله وقال محمد بن كعب يعني الارضين السابعة ابن عباس الارض على
نون والنون على البحر وان طرفي النون راسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة لم
حضرا حضرنا التسمانها دمي الذي قال الله تعالى فيها فتكن في صخرة او في السموات او في الارض
والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله عز وجل وقال وهب بن
منبه على وجه الارض سبعة ابحر والارضون سبع بين كل ارضين بحر فالبحر الاسفل مطبق على
شفير جهنم ولولا عظمه وكثرة مائه وبرده لاحرقت جهنم كل ما عليها قال وجهنم على متن الزنج ومتن
الزنج على حجاب من الظلمة ولا يعلم غلظه الا الله عز وجل وذلك الحجاب على الثرى والثرى الذي
الخلايق قوله تعالى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى قال ابن عباس السر ما حدث به الانسان
غيره في خفا واخفى منه ما اضمر في نفسه مما لم يحدث به غيره وعنه ايضا السر حديث نفسك واخفى
من السر ما سيحدث به نفسك مما لم يكن وهو كائن ان تعلم ما تسر به نفسك اليوم ولا تعلم ما تسر به
غدا والله يعلم ما اسررت اليوم وما تسر غدا والمعنى الله يعلم السر واخفى من السر وقال ابن عباس ايضا
السر ما اسر ابن ادم في نفسه واخفى ما خفي على ابن ادم مما هو فاعله وهو لا يعلمه فالله يعلم ذلك كله
وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع الخلايق في علمه كنفس واحدة وقال
قتادة وغيره السر ما اسره الانسان في نفسه واخفى منه ما لم يكن ولا اسره احد وقال ابن زيد السر
سر الخلايق واخفى منه سره عز وجل وانكر ذلك الطبري وقال ان الروح هو اخفى مما ليس في سر
الانسان وسيكون في نفسه كما قال ابن عباس الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى الله رفع بالابتداء
او على اضمار مبتدا او على البدل من الضمير في يعلم وحد نفسه سبحانه وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعا المشركين الى عبادة الله وحده لا شريك له فكبر ذلك عليهم فلما سمعوا ابو جهل
يذكر الرحمن قال للوليد بن المغيرة محمد ينهانا ان ندعو مع الله تعالى الها اخر وهم يدعون الرحمن
فانزل الله تعالى الرحمن على العرش استوى وانزل قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا
فله الاسما الحسنى وهو واحد واسماؤه كثيرة ثم قال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وقد تقدم
التنبيه عليها في سورة الاعراف قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى قال اهل المعاني هو
استفهام اثبات وايجاب معناه ليس قد اتاك وقيل معناه وقد اتاك قاله ابن عباس وقال الكلبي

لم يكن اتاه خبره ثم اخبره اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بخبر او اجذوة
على النار هدى قال ابن عباس وغيره هذا حين مضى الاجل وسار باهله وهو مقبل من مدين يريد مصر
وكان قد اخطأ الطريق وكان موسى جلدا غيورا يسري الناس بالليل ويسارهم بالنهار غيرة منه ليلا
يرى امرأته او خطأ الرقعة لما سبق في علم الله وكانت ليلة مظلمة وذات صقائل وكان ليلة الجمعة
في الشتاء وتعب بزمنه استأذن موسى شعيبا في الرجوع الى والدته فاذن فخرج باهله وغنمه
فولدت له في الطريق غلاما في ليلة شاتية باردة مثلجة وقد حاد عن الطريق وتفرقت ماشيته
فقدح موسى النار فلم تور المقتدحة شيئا اذ لمح نارا من بعيد على يسار الطريق فقال لاهله
امكثوا اني انست نارا لعلي آتيكم منها بخبر او اجذوة كما سوجه نحو النار واذا النار
في شجرة عناب فوقف متعجبا من حسن ضوء ذلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا شدة
حمرة النار تغير حسن خضرة الشجرة ولا كثرة ماء الشجرة ولا نعمة الخضرة تغير حسن ضوء النار
وذكر المدوي في ارجاء النار فيما روي وهي في شجرة من العليق فقصدها فتأخرت عنه
فرجع واوجس في نفسه خيفة ثم دنت منه وكلمه الله عز وجل من الشجرة الماوردي كانت
عند موسى نارا وكانت عند الله نورا وتراءى له انه امكثوا بضم الهاء وكذا في التصحيح قال النحاس
وهذا على لغة من قال سرت يهو يا رجل فجاء به على الاصل وهو جائز الا ان حمزة خالف اصله في هذين
الموضعين خاصة وقال امكثوا ولم يقل اقيموا لان الاقامة تقتضي المكث الدوام والمكث ليس
كذلك وانست ابصرت قاله ابن الاعرابي ومنه قوله فان آنستم منهم رشدا اي علمتم وآنست
الصوت سمعته والقبس شعلة من نار وكذا المقباس يقال قبست منه نارا اقبس قبسا فاقبسني
اي اعطاني منه قبسا وكذا قبست منه نارا واقتبست منه علما ايضا اي استفدته قال اليزيدي
اقتبست الرجل علما وقبسته نارا ان كنت طلبتها له قلت اقتبسته وقال الكسائي اقتبسته
نارا وعلما سواء قال وقبسته ايضا فيهما هربي اي هاديا فقوله تعالى فلما اتاها نودي النار
نودي اي من الشجرة كما في سورة النمل فلما جاءها نودي اني انا ربك
قوله تعالى فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى فاخلع
نعليك روى النسائي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان على موسى يوم
كلمه ربه كساء صوف وجبة صوف وكمه صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت
قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حميد الاعرج مكر الحديث وحميد بن قيس الاعرج المكي
صاحب مجاهد ثقة وابو النضر الفقسوة الصغيرة وقرأ العامة اني بالكسر اي نودي فقيل له
يا موسى انه واختاره ابو عبيد وقرأ ابو عمرو وابن كثير وابن محيصن وحميد اني بفتح الالف باعمال
الباء واختلف العلماء في السبب الذي لاجله امر بخلع النعلين والخلع النزع والنعل ما جعلته وقاية
لقدميك من الارض فقيل امر بطرح النعلين لانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ مذكى قاله كعب
وعكرمة وقتادة وقيل امر بذلك ليباشر بقدميه تربة الوادي المقدس وتتبرك بمائه تربة الوادي قاله علي بن
ابي طالب والحسن وابن جريج وقيل امر بخلع النعلين والخلع النزع للخشوع والتواضع عند مناجاة
الله له عز وجل وقيل اعظاما لذلك الموضع كما ان الحرم لا يدخل بنعلين اعظاما قال سعيد بن
جبير قيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا وكذلك فعل السلف حين طافوا بالبيت
والعرف عند الملوك ان تخلع النعال ويبلغ الانسان الى غاية التواضع فكان موسى عليه السلام
امر بذلك على هذا الوجه وانتهى كانت نعلاه من مسك اذفر وقد كان مالك لا يرى لاحد
ركوب دابة بالمدينة بر انبريتها المحتوية على الاعظم النفرينة والجثة الكريمة ومن هذا المعنى
قوله صلى الله عليه وسلم لبسمر بن الخاصية وهو يمشي بين القبور بنعليه اذا آلت في مثل
هذا المكان فاخلع نعليك قال فخلعهما وقول خامس ان ذلك عبارة عن تفريغ قلبه من امر
الاهل والولد وقد يعبر عن الاهل بالنعل وكذلك هو في التعبير من رأى انه لابس نعلين فانه
يتزوج وقيل لان الله بسط له بساط النور والحمد ولا ينبغي ان يطأ على بساط رب العالمين
بنعله وقد يحتمل ان يكون موسى امر بخلع نعليه وكان ذلك اول فرض عليه كما كان اول ما نزل
لمحمد صلى الله عليه وسلم قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر والله اعلم بالمراد
من ذلك الثانية اجمع العلماء في الخبر ان موسى عليه السلام خلع نعليه والقاهما وراء الوادي وقال ابو الاحوص
زار عبد الله ابا موسى في داره فاتيمت الصلاة فقام ابو موسى لعبد الله تقدم فقال له عبد الله
تقدم انت في دارك فتقدم ونزع نعليه فقال لعبد الله اما انه الوادي المقدس انت وفي صحيح مسلم
عن سعيد بن يزيد قال قلت لانس اكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه قال نعم ورواه
النسائي عن عبد الله بن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح فوضع نعليه

عن يساره وروى ابو داود من حديث ابي سعيد الخدري قال بينما رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى ذلك القوم خلعوا نعالهم
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال ما حملكم على القائكم نعالكم قالوا رأيناك
القيت نعليك فالقينا نعالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني
ان فيهما قذرا وقال اذا جاء احدكم المسجد فلينظر فان رأى في نعليه قذرا او اذى فليمسحه
وليصل فيهما صححه ابو محمد عبد الحق وهو يجمع بين الحديثين قبله ويرفع بينهما التعارض
ولم يختلفا لهما على جواز الصلاة في النعال اذا كانت طاهرة نزكي حتى لقذر قال بعض هم
العلما ان الصلاة فيهما افضل وهو معنى قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد على
تا تقدم وقال ابراهيم النخعي الذين يخلعون نعالهم لود نساء محتاجا جا فاخذها الشاة
فان خلعتهما فاخلعهما بين رجليك فان ابا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال ابو هريرة للمغيرة اخلعهما بين رجليك وانوذ بهما
مسلما ما رواه عبد الرزاق لسابيب ان عليه السلام خلعهما عن يساره فان كان اماما فان
كنت اماما او وحدك فافعل ذلك ان احببت وان كنت مأموما في الصف فلا تؤذ بهما من
على يمينك ولا تضعهما بين قدميك فتشغلك ولكن قدام قدميك وروى عن جبير بن مطعم
انه قال وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة الرابعة فان تحقق فيها نجاسة مجمع على تنجيسها
كالدم والعذرة من بني ادم لم يطهرها الا الغسل بالماء عند مالك والشافعي وآخرا لعلما وان
كانت النجاسة مختلفا فيها كبول الدواب وارواثها الرطبة فهل يطهرها المسح بالتراب من النعل
والخف او لا قولان عندنا واطلق الاجزا بمسح ذلك بالتراب من غير تفصيل الاوزاعي وابو ثور
وقال ابو حنيفة يزيد اذا يبس الحك والدلك ولا يزيل رطبه الا الغسل ما عدا البول فلا يجزي
عنده فيه الا الغسل وقال الشافعي لا يطهر شيا من ذلك كله الا الماء والصحيح قول من قال بان
المسح يطهره من الخف والنعل لحديث ابي سعيد فاما لو كانت النعل والخف من جلد ميتة فان كان
غير مدبوغ فهو نجس بالنفاق ما عدى ما ذهب اليه المزني والليث على ما تقدم بيانه في سورة النحل
ومضى في سورة براءة القول في ازالة النجاسة والحمد لله الخامسة قوله تعالى انك بالواد
المقدس طوى المقدس المطهر والتقديس التطهير والارض المقدسة ارض المطهرة سميت بذلك لان
الله اخرج منها الكافرين وجعلها للمؤمنين وقد جعل الله تعالى لبعض الاماكن زيادة فضل على
بعض كما قد جعل لبعض الازمان زيادة فضل على بعض ولبعض الحيوان كذلك ولله ان يفضل ما شا
وعلى هذا فلا اعتبار بكونه مقدسا باخراج المشركين واسكان المؤمنين فقد شاركه في ذلك غيره
وطوى اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقال الضحاك هو واد عميق مستدير
مثل الطوي وقد اكثرت طوي الناقون طوي قال الجوهري وطوى اسم موضع بالشام تكسر
طاوه وتضم يصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة ومن لم يصرفه جعله
بلدة وبقعة وجعله معرفة وقال بعضهم طوي مثل طوي وهو الشي المثنى وقالوا في قوله المقدس
طوي طوي مرتين اي قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين وذكر المهدوي عن ابن
عباس انه قيل له طوي لان موسى طواه بالليل اذ مر به فارتفع الى اعلى الوادي فهو مصدر جعل فيه
ما ليس من لفظه وكانه قال انك بالواد المقدس الذي طوينه طوي ايضا قوله تعالى وانا اخترتك اي
اصطفيتك للرسالة ونزل اهل المدينة وابو عمرو وعاصم والكسائي وانا اخترتك وقرا حمزة وابنا
اخترناك والمعنى واحد الا ان وانا اخترتك ها هنا اولى من جهتين احداهما انها اشبه بالخطاب الثانية
انها اولى بنسق الكلام لقوله جل وعز يا موسى اني انا ربك وعلى هذا النسق جرت المخاطبة قال النحاس
قوله تعالى فاستمع لما يوحى فيه مسالة واحدة قال ابن عطية وحدثني ابي رحمه الله يقول لما قيل
لموسى صلوات الله عليه استمع لما يوحى وقف على حجر واستدا الى حجر ووضع يمينه على شماله والقى
ذقنه على صدره ووقف ليستمع وكان كلام الله صوتا تلحسن الاستماع كما يجب تمدح
الله عليه فقال الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله وذم على
خلاف هذا الوصف فقال لخزاعلم بما يستمعون به الاية فمدح المنصت لاستماع كلامه مع حضور
العقل وامر عباده بذلك ادبا لهم فقد وا اذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وقد ها هنا
فاستمع لما يوحى لان ذلك بنال النهم عن الله تعالى وروي عن وهب بن منبه انه قال من ادب
الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والاصغا بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل
وذلك هو الاستماع كما يجب لله تعالى وهو ان يكف العبد جوارحه ولا يشغلها فيشتغل قلبه

عما يسمع وينظر فيه فلا يلهو قلبه ويحفر عقله فلا يجرئ نفسه بشئ سوى ما يستمع اليه ويلزم على ان يفهم فيعمل بما يفهم وقد اسمعنا ان بر عبيننة اول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر فاذا استمع العبد الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام بنية صادقة على ما يحب الله انهمه الله ما يجب وجعل له في قلبه نورا قوله تعالى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري فيه سبع مسايل الاولى اختلفت العلما في تاويل قوله لذكري فقيل يحتمل ان يريد لتذكرني فيها او يريد لاذكرك بالمدح فيجيئن بها فالمصدر على هذا يحتمل الاضافة الى الفاعل والى المفعول وقيل المعنى اي حافظ بعد التوحيد على الصلاة وهذا تنبيه على عظيم قدر الصلاة اذ هي تضرع الى الله وقيام بين يديه وعلى هذا فالصلاة هي الذكر وقد سمى الله الصلاة ذكرا في قوله فاسعوا الى ذكر الله وقيل المراد اذا نسيت فتذكرت فصل كما في الخبر فليصلها اذا ذكرها اي لا يسقط الصلاة بالنسيان الثانية روى مالك وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها قال الله عز وجل يقول اقم الصلاة لذكري وروى ابو محمد عبد الغني بن سعيد من حديث ابي الحجاج وهو حجاج الاول الذي روى عنه يزيد بن زريع قال حدثنا قتادة عن انس بن مالك قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يريد عن الصلاة ويشغل عنها قال كفارتها ان يصليها اذا ذكرها قال ابو محمد ابراهيم بن طهمان عن حجاج وكذا يرويه همام بن يحيى عن قتادة ورواه الدارقطني عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نسي صلاة فوقتها اذا ذكرها فقوله فليصلها اذا ذكرها دليل على وجوب القضاء على الناسي والغافل كثرت الصلوات او قلت وهو مذهب عامة العلما وقد حكي ظلان شاذا لا يعتد به انه مخالف لنص الحديث عن بعض الناس بما زاد على خمس صلوات انه لا يلزمه قضاؤها لما امر الله تعالى باقامة الصلاة ونص على اوقاتها معينة فقال اقم الصلاة لدلوك الشمس الاية وغيرها من الاي ومن اقام بالليل ما امر باقامته بالنهار اذ العكس لم يكن فعله مطابقا لما امر به ولا ثواب له على جعله وهو عاص وعلى هذا الحد كان لا يجب عليه قضاء ما فات وقته ولولا قوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها لم ينتفع احد بصلاة ونفعتنا غير وقتها وهذا الاعتبار كان قضاء لا اداء ان القضاء بامر جديد وليس بالامر الاول

الثالثة ان من ترك الصلاة متعمدا فالجمهور ايضا على وجوب القضاء عليه وان كان عاصيا اذ اوجد وواقفه ابو عبد الرحمن الاشعري الشافعي حكاه عنه ايضا ابن القصار والفرق بين المتعمد والناسي والنايم حط الاثم فالمتعمد ما ثوم وجميعهم قائلون والحجة للجمهور قوله تعالى اقيموا الصلاة ولم يفرق بان يكون في وقتها او بعده وهذا امر ينتقض الوجوب وايضا فقد ثبت الامر بقضا الناسي والنايم مع انهما غير ما ثومين فالعامد اولى وايضا قوله من نام عن صلاة او نسيها والنسيان الترك قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم ونسوا الله فانساهم انفسهم سواء كان مع ذهول او لم يكن ان الله تعالى لا ينسى وانما معناه تركهم وقال ما ننسخ من اية او ننسها اي نتركها وكذلك الذكر يكون بعد نسيان وبعد غيره قال الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وهو تعالى لا ينسى فكيف ذكره بعد نسيان وانما معناه علمت فكذلك يكون معنى قوله اذا ذكرها اي علمها وايضا فان الدين انما لزم لاداء مبين اذا كانت متعلقة بوقت ثم جاز الوقت لم يسقط قضاؤها بعد وجوبها وهي مما يسقطها العذر كالحائض ان الله ان لا يصح منها العذر اولى ان لا يسقط فقد اوجبنا القضاء لو ترك يوما من رمضان متعمدا بغير عذر لوجب قضاؤه فكذلك الصلاة فان قيل فقد روي عن مالك من ترك الصلاة متعمدا لا يقضي ابدا فالجواب انه اشارة الى ان ما مضى لا يعود او يكون كلاما خرج على التغليظ كما روي عن ابن مسعود وعلى ان من افطر في رمضان عامدا لم يكفر بصيام الدهر وان صامه ومع هذا لا بد من نونية التكليف عنه باقامة القضاء مقام الاداء او اتباعه بالتوبة ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء وقد روى ابو المطوس عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من افطر يوما من رمضان متعمدا لم يجزه صيام الدهر وان صامه وهذا يحتمل ان لو صح كان معناه التغليظ وهو حديث ضعيف خرجه ابو داود وترجم عن الكفارة بما سبيله صحاح وفي بعضها فقضاء اليوم والجمد لله

الرابعة قوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها الحديث يخص عموم قوله عليه السلام رفع القلم عن ثلاثة عن النايم حتى يستيقظ والمراد بالرفع هنا رفع الماثم لا رفع المؤاخذ عنه وليس هذا من باب قوله وعن الصبي حتى يحتلم وان كان لذلك حامل اثر يواجد فتقف على هذا الاصل

الخامسة اختلف العلما من هذا المعنى فيمن ذكر صلاة فايتة وهو في اخر وقت صلاة او ذكر صلاة وهو في صلاة فجملة مذهب مالك ان من ذكر صلاة وقد حضر وقت صلاة اخرى بدا بالتي نسي الا ان كان خمس صلوات فاكثر في وان فات وقت هذه وان كان اكثر من ذلك بدا بالتي حضر وقتها وعلى نحو هذا مذهب ابي حنيفة والثوري والليث الا ان ابا حنيفة واصحابه قالوا الترتيب عندنا واجب

في اليوم والليلة اذا كان في الوقت سعة للفائتة والصلاة الوقتية فان خشي فوات الوقت
بدأ بها فان زاد على صلاة يوم وليلة لم يجب الترتيب عندهم وتدرك عن الذكر وجوب
الترتيب ولم يفرق بين القليل والكثير وهو تحصيل مذهب الشافعي قال الشافعي والاختيار ان يبدأ
بالفائتة مالم يخف فوات تفعله فان لم يفعل وبدأ بصلاة الوقت اجزاه وذكر الائمة ان الترتيب
عندهم واجب في صلاة ستين سنة واكثر وقالا لا يلزم لاحد ان يصلي صلاة وهو ذاكر لما قبلها
لانها تفسد عليه وروى الدارقطني عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا نسي احدكم صلاة وهو في صلاة مكتوبة فليبدأ بالتي هو فيها فاذا فرغ منها صلى الله التي نسي
عمر بن ابي عمر مجهول قلت وهذا الوصف كان متحتما للشافعي في البداية بصلاة الوقت واما
الصحيح ما رواه الصحيح عن جابر بن عبد الله ان عمر بن الخطاب يوم الخندق جعل يسب كفار قريش
وقال يا رسول الله والله ما كدت ان اصلي العصر حتى كادت ان تغرب الشمس فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوالله ان صليتها فنزلنا الى بطحان فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتوضأنا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب
وهذا نص في البداية بالفائتة قبل الحاضرة لا سيما والمغرب وقتها واحد مضيق ممتد في المشهور
عندنا وعند الشافعي كما تقدم وتدرك بما رواه الترمذي عن ابي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن ابيه
ان المشركين شغلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل
ما شاء الله فامر بلالا فاذن ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ثم اقام فصلى المغرب ثم اقام
فصلى العشاء وبهذا استدل العلماء على ان فائتة صلوات قضاها مرتبة كما فاتته اذا ذكرها في وقت
واحد واختلفوا اذا ذكر فائتة في صبيحة وقت حاضرة على ثلاثة اقوال يبدأ بالفائتة فان خرج
وقت الحاضرة وبه قال مالك والليث والزهري وغيرهم كما تقدم والثاني يبدأ بالحاضرة وبه قال
الحسن والشافعي وفقهاء اصحاب الحديث والمحاسبي وابو بكر من اصحابنا الثالث يتخير فيقدم
ايتهما شاء وبه قال ابن وهب وجماعة من اصحابنا واحتجوا بانه يبدأ بالحاضرة مع الكثيرة قالوا
عياض واختلفوا في مقدار اليسير فعن مالك الخمس فدون وقيل الاربع فدون لحديث جابر
ولم يختلف المذهب ان الست كثير السادسة واما من ذكر صلاة وهو في صلاة فان كان وراء الامام
فكذلك قال بوجوب الترتيب ولم يقل به يقول يتمادى مع الامام حتى تكمل صلاته والاصل في هذا
ما رواه مالك والدارقطني عن ابن عمر قال اذا نسي احدكم صلاة فلم يذكرها الا وهو مع الامام فليصل
مع الامام فاذا فرغ من صلاته فليصل التي نسي ثم ليعد صلاته التي صلى مع الامام لفظ الدارقطني قال
قال موسى وراه ابو نعيم الزهراني قال نا سعيد ورفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهم في رفعه
فان كان قد رجع عن رفعه فقد روى للصواب ثم اختلفوا فقال ابو حنيفة واحمد بن حنبل يصلي التي
ذكر ثم يصلي التي صلى مع الامام الا ان يكون بينهما اكثر من خمس صلوات على ما قدمناه كوه عن الكوفيين
وهو مذهب جماعة من اصحاب مالك المدنيين وذكر الحزمي عن احمد بن حنبل انه قال من ذكر صلاة وهو في
اخرى ان يتمها فقضى المذكورة واعاد التي كان فيها اذا كان الوقت متسعا فان خشي خروج الوقت
وهو فيها اعتقد انها بعيدها وقد اجزته ويقضي التي عليه وقال ملك من ذكر صلاة وهو في صلاة
قد صلى منها ركعتين سلم من ركعتيه فان كان اماما استخلف عليه وعلى من خلفه وبطلت بهذا الظاهر
من مذهب مالك وليس عند اهل النظر من اصحابه كذلك لان قوله فيمن ذكر صلاة تم في صلاة فرضها
فيها ركعة ان يضيف اليها اخرى ويسلم ولو ذكرها في صلاة فرضها فيها ثلاث ركعات اضاف اليها
اربعة وسلم وصارت نافلة عن فاسدة ولو احدث عليه كما ذكر وبطلت لم يومر ان يضيف
اليها اخرى كما لو احدث بعد ركعة لم يضف اليها اخرى السابعة روى مسلم عن ابي قتادة قال
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر حديث المبضاة بطوله وقال فيه ثم قال اما انكم تجيئون
غدا ان شاء الله ان لبيرجا الشوم لتفرطن انا لتفرطن على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الاخرى
فمن فعل ذلك فليصلها حين يتنبه لها فاذا كان الغد فليصلها عند وقتها واخرجه الدارقطني
هكذا بلفظ مسلم سواء وظاهره يقتضي اعادة المقضية مرتين عند ذكرها وحضور مثلها
في الوقت الآتي وبه يعضد هذا الظاهر ما اخرجه ابو داود من حديث عمران بن حصين وذكر الفضة
وقال في اخرها فمن ادرك منكم الصلاة من غد صالحا فليقض معها مثلها قلت وهذا ليس
على ظاهره والاعادة مرة واحدة لما رواه الدارقطني عن عمران بن حصين قال سرينا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في غداة او قال في سرية فلما كان السحر عرسنا فما استيقظنا حتى ايقظتنا حر الشمس
فجعل الرجل منا يثب فزعا دهشا فلما استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا فارتحلنا ثم سرينا
حتى ارتفعت الشمس فنضى القوم حوائجهم ثم امر بلالا فاذن فصلينا ركعتين ثم امرنا فاقام فصلينا

الفداء فقلت يا نبي الله الا نقضيها لوقتها من الغد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اينهاكم الله
عن الربا ويقبله منكم وقال الخطابي لا اعلم احدا قال بهذا وهو باطل يشبه ان يكون الامر به استحبابا ليحرز
فضيلة الوقت في القضاء والصحيح ترك العمل لقوله اينهاكم الله عن الربا ويأخذه منكم وان الطرق
الصحاح من حديث بن عمران بن حصين ليس فيها من تلك الزيادة شيء الا ما ذكر في حديث ابي قتادة وهو
محتمل كما بيناه قلت ذكر الكيا الطبري في احكام القرآن له ان من السلف من خالف فقوله عليه السلام
من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك فقال يجب ان يصلي مثل وقته فيصلي اذا اتى الصبح
يصلي من الغد وهذا قول بعيد جدا شاذ قوله تعالى ان الساعة آتية اكاد اخفيها التخزي الا ية اية مشكلة
قرئ عن سعيد بن جبير انه قرأ اكاد اخفيها بفتح الهمزة قال ومعناه اظهرها التخزي اي الاظهار للجزاء رواه
ابو عبيد عن الكسائي عن محمد بن سهل عن ابي اياس عن سعيد بن جبير قال النحاس وليس لهذه الرواية
طريق غير هذا قلت وهكذا رواه ابو بكر الانباري في كتاب الرد حدثني الي حدثنا محمد بن الجهم
حدثنا الفراء حدثنا الكسائي ح وحدثنا عبد الله بن ناجيه حدثنا يوسف حدثنا يحيى الحماني نا محمد بن
سهل قال النحاس واجود من هذا الاسناد رواه يحيى القطان عن الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد
ابن جبير انه قرأ اخفيها بضم الهمزة قلت فاما قراءة ابن جبير اخفيها بفتح الالف بالاسناد المذكور
فقال ابو بكر الانباري قال الفراء معناه اظهرها من خفيت الشيء اذا اظهرته اخفيه واشد الفراء الامر القبيح
فاذا نزعوا الدرع اخفته * وان تبعثوا الحرب لا تقعد * اراد لا تظهره وقد قال بعض اللغويين يجوز
ان يكون اخفيها بضم الالف معناه اظهرها انه يقال لخفيت الشيء واخفيته اذا اظهرته فاخفيته من
حروف الاضداد يقع على الستر والاظهار وقال ابو عبيدة خفيت واخفيت بمعنى واحد النحاس وهذا
حسن وقد حكاه عن ابي الخطاب وهو رئيس من رؤساء اللغة لا يشك في عدالته وقد روي عنه سيبويه
وانشد * ان تكتموا الداء لا نخفه البيت * كذا رواه ابو عبيدة عن ابي الخطاب بضم التاء * وقال
امرؤ القيس ايضا * خفاهن من انفاقهن كما خفا * من وقف من عشى مخلب * اي اظهرهن ويروى
من سحاب موكب قد لمع عشي مخلب قال ابو بكر الانباري وتفسير الآية اخرا ان الساعة آتية اكاد اقطع الكلام
على اكاد ومعناه مضمر كما ذكرت لك اخفيها التخزي كل نفس قال ابو اسحق البرجمي * همت ولم افعل
وكدت فليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله * اراد وكدت افعل فاضمر لما كرت فعلا كما تضمر في
القرآن قلت هذا الذي اختاره النحاس وذيف القول الذي قبله فقال بقال لخفي الشيء يخفيه
اذا اظهره وقد حكى انه يقال اخفاه ايضا اذا ستره ويقبس بالعروف قال وقد رأيت علي بن سليمان لما اشكل
عليه معنى اخفيها عدل الى هذا القول وقال معناه كمعنى اخفيها قال النحاس ليس المعنى على اظهرتها
ولا سيما واخفيها قراءة شاذة فكيف تزد القراءة الصحيحة السابقة الى الشاذة ومعنى المخرج الذي
ويكون التقدير ان الساعة آتية اكاد اتي بها وهي آتية على اني بها ثم قال اخفيها على الابتداء وهذا
معنى صحيح ان الله عز وجل قد اخفى الساعة التي هي القيامة والساعة التي يموت فيها الانسان ليكون
الانسان يعمل والله عز وجل مبهم والموت السريع قلت وعلى هذا القول تكون اللام في التخزي
متعلقة باخفيها وقال ابو علي هذا من باب السلب وليس من الاضداد ومعنى اخفيها ازيل عنها خفاها
وهو يستر بها كتمها الغريبة واذا ازلت عنها سترها ظهرت ومن هذا قولهم اسكينة اي ازلت شكواه
واعديته استعديته ولم اهوجه الى اعادته وحكى ابو حاتم عن الاخفش ان كاد زائدة موكدة قال
ومثله اذا اخرج يده لم يكد يراها اي الظلمات التي ذكرها الله تعالى بعضها يحول بين الناظر والمنظور
اليه وروي معناه عن ابن جبير والتقدير ان الساعة آتية اخفيها التخزي كل نفس عا تسعى وقال
الشاعر * سريع الى الهيجا شاك سلاحه * فما ان يكاد قرنه يتنفس * اراد فما يتنفس وقال اخر *
وان لا اليوم انفس فيما اصابني * وان لا اكاد بالذي نلت انجح * معناه وان انجح بالذي نلت فاكاد توكيد
للكلام وقيل المعنى اكاد اخفيها اياها فاذا ذلك ان اقلت كاد زيد يقوم جاز ان يكون قام
وان يكون لم يقم ودل على انه قد قاربها بالة غير هذه على هذا الجواب قال اللغويون كدت افعل
معناه عند العرب قاربت الفعل ولم افعل وما كدت افعل معناه فعلت بعد ابطاء وشاهده قول
الله عز وجل فذبحوها وما كادوا يفعلون معناه فعلوا بعد ابطاء لتقدم وعيد البقرة
عليهم وقد يكون ما كدت افعل بمعنى ما فعلت وما قاربت اذا اكد الكلام باكاد وقيل معنى اكاد اخفيها
اريد اخفيها قال الانباري وشاهد هذا قول الفصيح من السوا كدت وكدت وتركت جبر انه لو عاد
من لهوا لصبا بنا ما مضى معناه اراد ت وارادت وقال ابن عباس وأكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي ان
المعنى اكاد اخفيها من نفسي ولذلك هو في مصحف ابي وفي مصحف بن مسعود اكاد اخفيها من نفسي
فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراءات فكيف اظهرها لكم وهذا محمول على ما جاء على ما جرت به
عادة العرب في كلامها من ان احدهم اذا بالغ في كتمان الشيء قال كدت اخفيه من نفسي والله تعالى لا يخفى

عليه شئ فاده معناه فطرب غيره وقال الشاعر ايام نصحبني هند واخبرها * ما اكتم النفس من حاجي واسراري * فكيف يخبرها ما يكتم نفسه وفي هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه الزمخشري وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي الدليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي عزوهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها كلا فان قيل ان معنى قول من قال اكاد اخفيها من نفسي اي ان اخفاها كان من قبلي ومن عندي لا من قبل غيري فكيف وروي عن ابن عباس ايضا اكاد اخفيها في نفسي رواه طلحة بن عمرو عن عطا وروي علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال لا اظهر عليها احدا وروى عن سعيد بن جبير قال قد اخفاها وهذا على ان كاد زايدة ايضا ان الساعة اتية اخفيها والعابدة في احقايها التحويت والتمويل وقيل تتعلق لتجزى بقوله تعالى واقم الصلاة فيكون في الكلام تقديم وتاخير اقم الصلاة لذكري لتجزى كل نفس بما تسعى ابهم بسببها ان الساعة اتية اكاد اخفيها والله اعلم وقيل هي متعلقة باتية ابي ان الساعة اتية لتجزى فلا يصدنك عنها اي لا يصرفنك عن الايمان بها والتصديق بها لا يومن بها واتبع هواه فتردى اي فتهلك وهو في موضع نصب بجواب النهي قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى تال لي عصاي فيه همز مسايل الا ولى قوله تعالى وما تلك بيمينك قيل كان هذا خطاب من الله تعالى لموسى وحيا لانه قال فاستمع لما يوحى وقال بعضهم لنفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوة نفسه فاراه في العصا وفي نفسه ما اراه لذلك ويجوز ان يكون ما اراه في الشجرة اتيا كائنة لمن بعثه ثم تكون اليد والعصا زيادة توكيد وبرهانا يلقى به قومه واختلفت في قوله وما تلك وقال الزجاج والفراء اسم ناقص وصلت بيمينك ايها التي بيمينك وقال الفراء ايضا تلك بمعنى هذه ولو قال ما ذلك لجاز اي ما ذلك الشي ومقصود السوال تقرير الامر حتى يقول موسى هي عصاي لتثبت الحجة عليهم فيما اعترف واما فقد علم الله ما هي الا ان قال ابن الجوهري وفي بعض الاثار ان الله تعالى عتب على موسى اضافة العصا الى نفسه بقوله وما تلك الموطن فقيل له القها لترى منها العجب فتعلم انه لا ملك لك عليها ولا تضاف اليها اليك وقرا ابن ابي اسحق عصى على لغة هذيل ومثله ابو شريح ومجي وقد تقدم وقرا الحسن عصاي بكسر الياء التقا الساكنين وهو مثل قراءة حمزة وما انتم بمصرخي وعن ابن ابي اسحق بسكون الياء الثانية في هذه الاية دليل على جواب السوال باكثر مما سئل لانه لما قال وما تلك بيمينك يا موسى ذكر معاني ثلاثة وهي اضافة العصا اليه وكان حقه ان يقول عصى والتوكا والهش والمارب المطلقة فذكر موسى من منافع عصاه عظمها وجمهورها واجل سايرذلك وفي الحديث سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماء البحر فقال هو الطهور ماوه الحل ميتته وسالت امراة عن الصغير حين رفعته اليه فقالت الهذا حج قال نعم ولك اجر وسئل في الحديث الثالثة قوله تعالى اتوكا عليها اي اتخامل عليها في المشي والوقوف ومنه الاتكا والهش بها والهش ايضا ذكرة الخابط وهي نزاة الخبط اي اخبط بها الورق اي اضرب اغصان الشجر ليسقط ورقها فيسهل على غنمي تناوله قتاكله قال الراجز اهش بالعصا على اغنامي * ارتاعم الهراك والبشام * بقال هش عليّ عثمر يهش بضم الهاء في المستقبل وهش الى الرجل يهش بالفتح وكذلك هش له معروف يهش وهششت انا وفي حديث عمر هششت يوما فقبلت وانا صايم قال ثم اتيت فرحت واشتهيت قال ويجوز هاش بمعنى هش قال الراعي * فكر للروبا وهاش فوادة * وبطن قسا كان قبل يلومها * اي طرب والاصل في الكلمة الرخاوة يقال رجل هش وجوز هش وذراع كرمة والهش بالسين غير معجمة قيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل معناهما مختلف فالهش بالاعجام خبط الشجر والمعس بغير اعجام زجر الغنم ذكره الماوردي وكذلك ولكذلك ذكر الزمخشري وعن عكرمة والهش بالسين اي انحني عليها واجر العصا والمس زجر الغنم الرابعة قوله تعالى ولي فيها مارب اخرى اي حوايج واحدها ماربة ومارب ومارية وقال اخرى على صيغة الواحد لان مارب في معنى جماعة لكن المهيع في نوابغ جمع ما يعقل الافراد والكناية عنه بذلك فان ذلك يجري مجرى الواحدة المؤنثة كقوله وبسلامها الحسنى وكقوله باجبال اوبي معه وذر نقدم هذا في الاعراف الخامسة فعرض قوم لمنافع لغد بها العصا منهم ابن عباس قال اذا انتهيت الى راس بير فقصر الرشا وصلنه بالعصا واذا اصابني حر الشمس غرزتها في الارض والقيت عليها ما يظلني واذا خفت شيا من السوام الارض قتلتهن بها واذا مشيت القيتها على عاتقي وعلقت عليها التوس والكنانة والمحلاة واقاتل بها السباع عن الغنم وروي عنه ميمون بن مهران قال اسالك العصى سنة للانبيا وعلامة للمومنين قال الحسن البصري فيها ست خصال سنة الانبيا وذريعة الصلاح وسلاح على الاعدا وعون على الاعدا وعون الضعفا وغم المنافقين وزيادة في الطاعات ويقال اذا كان مع المومن العصا بعد منه الشيطان ويخشم منه المنافق والفاجر وتكون قبلة اذا صلى وقوة اذا اعيا ولقى الحجاج اعرابيا فقال له ابن اقبلت يا اعرابي قال من البادية قال وما في يدك قال عصاي اركزها للصلاتي واعدها لعدائي

واسون بها دابتي وقويي بها على سفري واعتمد بها في مشيي لبتسع خطوتي واتبع بها الهوى
وتوسق العتر والقي عليها لساى فتعيني الحرو بد فتنى من القرو تدني الى ما بعد مني وهو
محمد شعري وعلاقه ادا وتي اعصر بها عند الضراب واترع بها الابوال والقي بها على
عمور الطلاب وبيوت عن الرفع في الظعائن وعن العشر عند منازلها فتراث ورثتها
عن ابي واورثها بعدي ابني واهش بها على غنمي ولي فيها مارب اخرى كثيرة ليخفى قلت
منافع العصا كثيرة ولها مدخل في مواضع الشرائع منها انها تحد قلبه في الضحايا
وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنزه يركزله فيصلي وكان اذا خرج يوم العيد امر بالحربة
فيوضع بين يديه فيصلي اليها وذلك ثابت في الصحيح والحربة والعنزه والنيزك والاله
اسما لمسمى واحد وكان له مخصر وهو عصا معوجة الطرف يستعين بها في الخطبة اذا لم
تستطع ان تقتله ثابت في الصحيح ايضا وفي الموطا عن السايب بن يزيد انه قال
امرعمر بن الخطاب ابي بن كعب وتميما الداريه ان يقوما للناس باحدى عشرة ركعة
وكان القاري يقرا بالمئين حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام وما كنا ننصرف
الا في فروع الفجر وفي الصحيحين انه عليه السلام كان له مخصرة والاجماع منعقد على
ان الخطيب يخطب متوكيا على سيف او عصي والعصا ما خوذه من اصل كريم وموذن
شريف وانكرها جاهل فقد جعل الله لموسى في عصاه من البراهين العظام والايات
الجسام ما ياس به السحره المعاندون واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول
صلاته وكان ابن مسعود صاحب عصي النبي صلى الله عليه وسلم وممن يعده وكان يخطب
بالقضيب وكفى بذلك فضلا على شرف حاك العصي وعلى ذلك خلفا وكبرا الخطبا
وعادة العرب العربا الفصحا اللسن البلغا احد المخصره والعصا والاعتماد عليها عند
الكلام وفي المحافل والخطب وانكرت الشعوبيه على خطبا العرب احد المخصره والاشاره
بها الى المعاني والشعوبيه شعض العرب وتعضل العجم قال ملك كان عطا بن السايب
يمسك المخصره بستعين بها وقال مالك والرجل اذا البر لم يكن مثل الشاب يقوي بها
عند قيامه قلت وفي مشيه قال بعضهم قد كنت امشي على رجلين مستمرا فصرت
على اخرى من الحنب قال خالد وجه الله ورضي عنهم وقد كان الناس اذا لهم المطر
خرجوا بالعصي يتوكون عليها حتى لقد كان يحسون عصيهم وربما احدر سعوها
العصا من بعض من يجلس اليه حق يقوم ومن منافع العصا ضرب الرجل لساه بها
فيما يصلحهم ويصلح به حاله وحالهم بعده ومنه قوله عليه السلام واما ابوجهم فلا
يضع عصاه عن عاتقه في احدا لتاويلات وقد روي عنه عليه السلام انه قال رجل
اوصله لا ترفع عصاك عن اهلك احزنهم في الله رواه عبادة بن الصامت خرجا لشاه
ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وقد تقدم هذا
في السا ومن فوايدها التنبيه عن الانتقاد من هذه الاثار كما قيل لبعضهم الزهاد
مالك تمشي على عصا ولست بكبير ولا مريض قال اني اعلم ان مسافر واجهاد رفقه
وان العصا من الما لسفر فاخذه بعض الشعرا فقال

حملت العصي لا لضعف اوجبه ... علي ولا اني بحبتها من كبر

ولكنني الزمت نفسي حملها ... لاعلم ان المقيم على سفر

قوله تعالى قال الهي يا موسى لما اراد الله ان يدربه في علي النبوه
وتكليفه امره بالقا العصا قالها موسى تقلب الله اوصافها واعراضها وملت عصي
ذات شعبتين فصارا شعبتان لها فما وصارت حية تسعى اي بسعل ويمشي
ويلتقم الحجاره فلما راها موسى عليه السلام عجره تولى مدبرا ولم يقف فقال
الله له خذها ولا تخف وذلك انه اوحى في نفسه خيفة فوسى اي لحقه فلما لجي الشر
وروي ان موسى تناولها بكمي جبته فهي عن ذلك فاخذها بيده وصارت عصا كما كانت
اول مره وهي سنتين الاولى واما اطهر له هذه الايه ليفزع منها اذا القاها عند
فرعون وقال ان العصا بعد ذلك كانت عاشيه ويحاذيه ويعلق عليها امتعه ونهي
له شعبتان بالليل كالشمع واذا اراد الاستقا انقلبت الشعبتان كالدلو واذا
اشتهى ثمره ركزها في الارض فاثمرت تلك الثمره وقيل انها كانت من لبن الجنه وقيل
اتاه جبريل بها وقيل ذلك وقيل قال له شعيب حد عصا من ذلك البيت فوقعت
بيده تلك العصا وكانت عصي آدم هبط بها من الجنه والله اعلم

فاذا هي حية تسعى كما تسعى الحية حيث ما ادركت فاذا زيد جالس وجالسا والوقت
حية بالها والسعي المشي بسرعة وخفة وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الضخم
فالشجر فكلما راه يبتلع كل شيء خافه ونفر منه وعن بعضهم انما خافت منه لانه عرف ما في
ادم منها وقيل لما قال ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل
يده في فمها واخذ بلحيها سنعيدها سيرتها الاولى سمعت علي بن سليمان يقول التقدير
اي سيرتها مثل واختار موسى قومه قال ويجوز ان يكون مصدرا لان المعنى سنعيدها
سنسيرها قوله تعالى واضمم يدك اي جناحك يجوز في غير القرآن ضم فتح الميم
وكسرها لالتقاء الساكنين والفتح اكثر لخفته والكسر على الاصل ويجوز الضم على اتباع
ما بعدها فعل سيدل على ذلك اليد وتصغيرها يديد والجناح العضد قاله مجاهد وقال
اي معي تحت وطرب اي جناحك اي جنبك ومنه قول الراجر

اضمك المصدر والجناح

وقيل اي جنبك فعبر عن
الجنب بالجناح لانه مايل في محل الجناح وقيل اي عندك وقال مقاتل اي بمعنى مع اي مع
جناحك وتخرج بيضا من غير سوء من غير سقم نورا ساطعا يضيء ما بين الخافقين والليل والنهار كضوء الشمس
والقمر واشد ضوءا عن ابن عباس وغيره فخرجت نورا مخالفا لكونه وبيضاء نصب على الحال
ولا ينصرف لان فيها الفي التانيث لانها الف الالحاق وكان لزومها علة ثابتة فلم ينصرف في النكرة هو
وخالفنا الها لان الها تفارق الاسم ومن سن صلة البيضا كما تقول بيضت من غير سوء به
اخرى سوى العصى فاخرج يده من مدرعة له مصرية لها شعاع مثل شعاع الشمس يغشى
البصر واية منصوبة على البدل من بيضا قاله الاخفش الحاسن وهو قول حسن وقال الزجاج
المعنى اتيناك باية اخرى او نوتيك انه لما قال تخرج بيضا من غير سوء دل على انه قد اتاه
اية اخرى لنريك من اياتنا يريد الصغرى وكان حقه ان يقول الكبرى وانما قال الكبرى
لو قال روس الايه من ايياتنا وقيل فيه اضمار معناه لنريك من ايياتنا الاية الكبرى لنلهم
قول ابن عباس لما امر موسى اكبوا اياته قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى قال لما
انسه بالعصا واليد واراه ما يدل على انه رسول امره بالذهاب الى فرعون وان يدعوه وطلب
معجزاته عصا وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واطلق
عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي اخي هرون اخي طلب الاعانة لتبليغ
الرسالة وقال ان الله اعلمه بانه ربط على قلب فرعون وانه لا يؤمن فقال موسى يا رب تكلفني
يا مرني ان اتيه وقد ربطت على قلبه فاتاه ملك من جواز الريح فقال يا موسى انطلق لما
امرك الله فقال موسى عند ذلك رب اشرح لي صدري اي اشرحه ووسعه بالايمان
والنبوة ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واحلل
عقدة من لساني يعني الجمرة التي كانت فيه من جمرة النار التي القاها في فيه وهو طفل
فلطمه لطمة واخذ بلحيته فنتفها فقال فرعون لآسيه هذا عدوي فهاب الذباحين
فقال اسيه على رسلك فانه صبي لا يفرق بين الياقوت والجمر فاتاه باطستين فجعلت
في احدهما جمرا وفي الاخر جوهرا فاخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع
جمره ووضعها على لسانه فكانت تلك الرتة وردي ان يده احترقت واذ فرعون
اجتهد في علاجها فلم تبرا ولما دعاه قال الهي اي رب يدعوني قال الذي ابرى
يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرا يده ليلا يدخلها مع فرعون في قصعة
واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة ثم اختلف زالت تلك الرتة فقيل زالت بدليل
قوله قد اوتيت سولك يا موسى وقيل لم تزل كلها بدليل قوله حكاية عن فرعون
ولا يكاد يبين فانه لم يقل احللت كل لساني فدل على انه بقي في لسانه شيء من الاسمسار
وقيل زالت بالكلية بدليل قوله اوتيت سولك وانما قال فرعون ولا يكاد يبين لانه
عرف منه تلك العقدة في التربيه وما ثبت عنده الا انه زالت قلت وهذا فيه
نظر لانه لو كان ذلك لما قال فرعون ولا يكاد يبين حين كلمه موسى لسان دلق فضج
والله اعلم وقيل ان تلك العقدة حدثت للسانه عند مناجاة ربه حتى لا يكلم غيره
الا بادنه يفقهوا قولي اي يعلموا ما اقوله ويفهموه والفقه في كلام العرب الفهم قال
اعرابي لصبي ابن عمر شهدت عليك بالفقه تعول منه فقه الرجل بالكسر وفقه بالضم
لا يفقه ولا يفقه والفهم الشيء تم خص به علم الشريعة والعالم به فقيه وقد فقه بالضم

تفاهه وفقهه الله وثقفه اذا تعاطى ذلك وفاقيته اذا حذقته في العلم قال الجوهري
والوزير المؤازر كالاكيل للواكل لانه يحمل على السلطان وزره اي ثقله وفي كتاب النسائي
من القاسم بن محمد سمعت عمي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي منكم عملا
فاراد الله به خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ومن هذا المعنى
قوله عليه السلام ملئت الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا وله بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه
رواه البخاري فسأل موسى الله تعالى ان يجعل له وزيرا انه لم يجد ان يكون معصورا
على الوزارة حتى لا يكون شريكا له في النبوة ولو اذلك لجاز ان يستوزر وفتى غير مسلة
وعمن فقال هرون واسمه عطف البدل من قوله وزيرا او يكون منصوبا بما جعل علي
التقديم والتاخير والتقدير واجعل لي هرون اخي وزيرا وكان هرون اكبر من موسى
بسنة وقيل بثلاث اشدد به ازري اي ظهري والازر الظهر من موضعا لحبوي وقناه
بقوته نفسي والامر الفوة وازره قواه ومنه قوله تعالى فازره فاستغلظ قال
ابو طالب اليس الوها هاشم شدد ازره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب وقيل
الامر الموزون اي اكونه عونا يستقيم به امري قلت الشاعر
شدد ازره امري فابيت ان اجوا الفقر من ضاقت علي مذاهبه
وكان هرون اكثر لحا من موسى وافصح لسانا وبات قبل
موسى بثلاث سنين وكان في جهة هرون سلامة وعلى ان به الثغ موسى شامة وعلى
طرف لسانه سلامة ولم يكن على احد فيهما وانكون على ما جد بعده وقيل افا سبب
العقلة في لسانه فالهما اعلم واشركه في امري ايها في النبوة وتبليغ الرسالة قال
المفسرون وكان هرون وهو بمصر ان ليلقى موسى ان يلقى موسى فتلقاه الى
مرحلة واخبره عما اوحي اليه فقال لموسى ان الله امرني ان ابي فرعون فسالت
ربي ان يجعلك معي رسولا وقرا لعامة اخي اشدد به ازري على الله وليشركه بفتح
الهمزة على الدعاء اي اشدد يارب ازري واشركه معي في امري وقرا ابن عامر
ويحيى بن الحارث وابو حيوة واحسن وعبد الله بن ابي اسحق اشدد بقطع
الالف واشركه بضم الالف اي انا افعل ذلك اشدد انامه ازري واشركه انا يارب
في امري قال النحاس حملوا الفعليين في موضع جزم جوابا لقوله لجعل لي وزيرا
وهذه القراءة شاذة بعيدة لان جواب مثل هذا انما يخرج بمعنى الشرط والمجازاة
فتكون المعنى ان يجعل لي وزيرا من اهلي اشدد به ازري واشركه في امري وامره
النبوة والرسالة وليس هذا اليه صلى الله عليه وسلم فيخبر به انما سال الله عز
وجل ان يشركه معه في النبوة وفتح الياء من اخي ابن كثير وابو عمرو وكي نسبحك
كثيرا قيل معنى نسبحك نصلي لك ويحتمل ان يكون التسبيح باللسان اي تنزهك
عما لا يليق بجلالك وكسر الثاء نعت لمصدر محذوف ويجوز ان يكون نعتا لوقت والا
نعام حسن ولذا ذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال اكثر اي البصيرا لمبصر
والبصير العالم بخفيات الامور فالمعنى لي عالما بنا ومدركا لنا في صغرنا فاحسنت
الينا فاحسن الينا كذلك يارب قوله تعالى قد اوتيت سولك يا موسى
تمام سؤاله شرح الصدر وتيسير الامر لما ذكر اجاب سؤاله وركباه طبيعة صرعوبه
والسؤال الطلبة فعل بمعنى مفعول لقولك حرمني محسود كلي بمعنى ما كول وقوله
تعالى ولقد منا عليك مرة اخرى اي قبل هذه وهو حفظه سبحانه اياه من شر الاعداء في
الاسداد وذلك حين القرح والله اعلم والمن الاحسان والافضال وقوله اذ اوحينا الى
امك ما يوحى قيل اوحينا الهما وقيل اوحي اليها في النوم وقال ابن عباس اوحي اليها
كما اوحي الى النبيين ان اقذفيه في التابوت قالوا هو تابوت من جميز فاقذفيه في اليم اي الطرحيه
في البحر يعني النيل فليلقه قال الفراء اقذف فيه في اليم اسر وفيه معنى الجحاد اه اي فليقه
يلقه في اليم وامرا قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يا حذه عدو لي وعدو له يعني
فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى ووزت راسه
وحصاصه يعني شقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون
فساقه الله في ذلك النهر الى دار فرعون وروي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته

هذه من اصل
على هذا النمط

ابن

ابن عباس ان حين اتاك بالنبوة اولا حملته امه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها
ابناء بني اسرائيل فالقاه في اليم ثم منعه من الرضاع الا من ثديها ثم حرمه الجبابرة فرعون فمن
تناوله الجوهر سبيل الدرر ودرا ذلك عنه قتل فرعون ثم قتله بالقبطي وانجر وجه خائفا
يترقب ثم رعايته الغنم لسد رتبة الحق رعايته الخلق فيقال انه بدله من الغنم جبريل
واتبعه الثرا الها واتبعه ثم احدث فضله ومنحه لله صدره وقاله اليه عنى واشدد
نفسك ولم يعنف عليه قال وهب بن منبه ولد الله عنده الله كلما وقد نضى في الشعا
قوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين عشر سنين اتم الاجلين
وقال وهب لبث عند شعيب ثمانية وعشرين سنة منها عشره مهرا امراته
صفورا بنت وثمانية عشر اقاحه عند حتى ولد له عنده وقوله جئت على قدر يا
موسى قال ابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن لسان موعد موافقا للنبوة والرسالة
لان الانبياء يجتبون لها اربعين سنة وقال مجاهد وقتادة على قدر على وعد
وقال محمد بن كعب جئت على القدر الذي قدرت لك انك تجيء فيه والمعنى
واحد اي جئت في الوقت الذي اردت فارسالك فيه وقال الشاعر
قال الخلافة او كانت له قدرا كما لاي وبه موسى على قدر
قوله تعالى واصطنعتك لنفسي قال ابن عباس اي اصطفيتك لوحي
ورسالتي وقيل اصطنعتك خلقتك لمحبتي الصنعة وقيل فوتيك وعملك لتتلع
عبادي امري ونهي اذهب انت واخوك باياتي قال ابن عباس يديها لتسع ايات
التي انزلت عليهم والتنيا قال ابن عباس بصفحا اياي في امر الرسالة وقال قتادة
وقتل لفترا قال تباطئا عن ذكري
وقال وهب بن منبه ولا تنيا في ذكري عذرا لا يقبل مني وهو تعبير
والوني الضعف والفتور والكلال والاعياء وقال ليس والقيس
مسح اذا ما السابحات على الونى اثرن غبارا بالكديد المركل
فقال وبسيفها اسرعتما اي صنعت فالوان وباطم وا بتعدوا وتنيا اذا ضعفا
والجبنا وقال ابن كيسان لا يكلا ولا ضعوا بان يعني الايه وليستشهد بقول لبيد
ومن كان الموت بكفيه لا يزل اما مهم وان سوها لا تني ابدا بطيء
وعن ابن عباس ايضا لا تنطيا وفي قراءة ابن مسعود ولا تنسيا ذكري وتجتدي
قوله تعالى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا قال ابن عباس
نبه ازيح مسايل له وقوله تعالى قولا لينا اذهبا ذهبت انت واخوك باياتي
قال هنا اذهبا وقبله اسوانه تعالى موسى وهارون في هذه الاية بالتقوى لا دعوة
فرعون وخاطبهما اولا موسى وحده ثم ثنى تعالى ثم كرر للتاكيد وقيل بين عليهما ان لكل
واحد منهما ان يذهب وقيل الاول امر بالذهاب ليكون الناس والثاني بالذهاب للقرون
الباقية في قوله تعالى لعلهم يتذكرون او ليدل على جواز الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر اذا ذلك يكون بالتلين من القول لمن يعلم انه يقبل وصمت له العصمة الا ترى قال
فقولا له قولا لينا ولا تحاني انتي معكما اسمع واري فكيف بما تخشيان وحينئذ
يحرصك امرا والناهي عن نعمة لطمع طمعا ليتم يهتدوا صح الثالثة واختلف الناس
في معنى قوله لعله فقال مقاتل فرجته منهم الكلبي وعكرمة عساه كعباه وقال ابن عباس ومجاهد
والسدي ثم قال كنيته ابو العباس وقيل ابو الوليد وقيل ابو مرة فعلى هذا القول فكنية
الكافر حذرهما لفظا الكنية وجها واسرة وطمعا باعلامه وينتظر من ذلك وان لم يطمع اسلامه كان
الطمع لبس بحقيقة توجيه عالم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه
ولم يقل فاهموه فالاسلام مدعو الاكرام لدعائه بالكتاب وقد قال صلى الله عليه وسلم لصوان
اين اسيد انزل اتاوجب فكمله وقال لسعد الى شيخ عما قال ابو حنان نبي بعثنا الله
ابن هاشم وروي فلا سبيل لنا وموسى عليه السلام قام في باب فرعون يستفتح عبد رسولا
يبلغ كلامه حتى خرج فيري لعما قضى الله عليهما من ذلك وكان فرعون سلطه الله رجا
لعبده من الوعيد الذي في سمعه ليتم سبق الظالمين وبلغ العلم بالمقدور وقيل قالا ليستميلوه
لو من ما سبق منه وقيد ترجيهما لعلمهما بان ذلك سيكون الا ترى ان الله تعالى
قال لنبيه انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فعلى هذا القول
والسدي ثم قال كنيته ابو العباس وقيل ابو الوليد وقيل ابو مرة فعلى هذا القول فكنية
الكافر حذرهما لفظا الكنية وجها واسرة وطمعا باعلامه وينتظر من ذلك وان لم يطمع اسلامه كان
الطمع لبس بحقيقة توجيه عالم وقال صلى الله عليه وسلم اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه
ولم يقل فاهموه فالاسلام مدعو الاكرام لدعائه بالكتاب وقد قال صلى الله عليه وسلم لصوان
ابن امية

ان يحميه وقوله اسمع واري عليه عن ادراك الذي لا يخفى معه خافيه تبارك الله رب
العالمين قوله تعالى فاتياه فقولا انا رسولا ربك في الكلام حذف والمعنى فاتياه
فقالا له ذلك فارسل معنا بني اسرائيل اي حل عنهم ولا تعذبهم اي بالسخرة والعمل في
العمل وكانت بنو اسرائيل عند فرعون في عذاب شديد يذبح ابناءهم ويستخدم نساءهم
ويكلفهم من العمل في الطين واللبن وبنا المعابد ما لا يطيقونه قد جيناك بآية من ربك
قال ابن عباس يريد العصى واليد وقيل ان فرعون قال له وما هي فادخل يده في جيب
قميصه ثم اخرجها بيضاء لها شعاع مثل شعاع الشمس غلب نورها على نور الشمس فعجب
منها ولم ير قط احسن منها والسلام على من اتبع الهدى قال الزجاج اي من اتبع الهدى
سلم من سخط الله جل وعز ومن عذابه وقال ليس بتحيه قال والدليل على ذلك انه ليس
بعد القاء الخطاب الا قولنا السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سوانا قد اوحي
الينا ان العذاب لمن كذب بالله والخلود في النار في الدنيا والخلود في جهنم في الآخرة على من كذب
انبياء الله وتولى اعرض عن الايمان وقال ابن عباس هذه ارجى آية للموحدين لانهم لم يكذبوا
ولم يتولوا قوله تعالى قال فمن ربكما يا موسى ذكر فرعون موسى دون هارون
لروسي الاية وقيل خصه بالذكر لانه صاحب الرسالة والكلام والامر وقيل انهما جميعا
ملقا الرسالة وان كان ساكتا لانه في وقت الكلام انما يتكلم واحد فاذا انقطع ولده الآخر
وابتدأ فصار كانه في هذا الوقت قائل علم ان الاثنين اذا قالا امرا فقام به احدهما والآخر
شخصه هناك موجود مستغن عنه في وقت تلك الحال فعلم انهما اديا الامر الذي قالا
وقاما به استوجبا الثواب ان الله تعالى قال اذهبا الى فرعون وقال اذهب انت واخوك
وقال قولا له فامرهما جميعا بالذهاب وبالقول ثم اعلما في وقت الخطاب بقوله فمن
ربكما انه كان حاضرا معه موسى قال موسى ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه اي انه يعرف بصفاته
وليس له اسم علم حتى يقال فلان بل هو خالق العالم وهو الذي خص كل مخلوق بهيئته
وصورته ولو كان الخطاب معهما لقالا قال ربنا وخلقه اولى مفعولي اعطى اي اعطى خلقه
كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به او تأويله اعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق
المنفعة المنوطة به على قول الضحاك عليما بأيكم قديم قال ابن عباس وقتادة وسعيد
ابن جبير والسدي اعطى كل شيء زوجه من جنسه ثم هداه الى نكحه ومطعمه ومشربه
ومسكنه وعن ابن عباس ثم هداه الى الالفة والاجتماع والمناكحة وقال الحسن وقتادة
اعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه وقال مجاهد اعطى كل شيء صورته لم يجعل خلقا لانسان
في خلق البهائم ولا خلق البهيمة في خلق الانسان ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا وقال
الشاعر [illegible] زله في كل شيء خلقه وكذلك اياه ما شاء فعل
يعني باعطاء الصورة هو قوله عطيه ومقاتل ٥ الضحاك اعطى كل شيء خلقه من المنفعة
المنوطة به المطابقة له نحو اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر
والاذن للسمع وقيل ألهم كل شيء ما الهمه مما لا صنع لهم فيه وقال الفراء خلق الانثى للذكر
وكل ما ذكر ما يوافق من البهائم هم فيه الذكر للانثى فالتقدير على هذا اعطى كل شيء
مثل خلقه قلت وهذا معنى قول ابن عباس قال ابو بكر الانباري جميع الاقوال
المروية راجعة الى معنى ما قلنا وهو قراءة العامة اعطى كل شيء خلقه بفتح اللام وهي قراءة ابي اسحق
وبها فسر عن الكسائي وغيره اي اعطى بني آدم كل شيء خلقه مما يحتاجون اليه قال الفراء
متفقتان في المعنى قوله تعالى قال فما بال القرون الاولى قد قال علمها عند ربي
في كتاب فتمار بع مسائل احداها ان علمها عند الله تعالى اي ان هذا من علم الغيب الذي استأثر الله
الله تعالى به لا يعلمه الا هو وما قال المعتزلة ان علم الله تعالى بالاشياء انما حدث بعد ان
لم يكن عالما بها فهو جهل بالله تعالى وكفر لان الله تعالى اخبر انه علام الغيوب وعلم القرون
الاولى مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وقيل لما سأله عن القرون الاولى لم يقدروا
بذلك اي فما بالهم ذهبوا وقد عبدوا غير ربك وقيل انما سأله عن اعمال القرون الاولى
فاعلمه انها محصاة عند الله عز وجل ومحفوظة عنده في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى مكتوب به فيجازيهم
عذابه وعليه وعني بالكتاب اللوح المحفوظ وقيل هو كتاب تعرض فيه اعمال الملائكة
هذه المرة ونظيرها ما تقدم ربي يدل على تدوين العلوم وكتبها لئلا تنسى فان الحفظ قد
يغيره الاوقات عن الغلط والنسيان وقد لا يحفظ الانسان ما يسمع فتقيده لئلا يذهب
عنه وروي عن سعيد المقبري عن قتادة انه قيل له انكتب ما نسمعك قال وما يمنعك ان

ذكت وقد اخبرك اللطيف الخبير انه يكتب فقال لعلمه عندي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب
في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي واسند الخطيب ابوبكر عن
ابي هريرة قال كان رجل من الانصار يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم ليستمع منه الحديث
فيعجبه ولا يحفظه فشكى ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اسمع
منك الحديث يعجبني ولا احفظه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استعن بيمينك
واومأ الى الخط وقد رخص في جواز كتب العلم وندب اليه جمهور الصحابة والتابعين
وقد امر صلى الله عليه وسلم بكتب الخطبة التي خطب بها في الحج لابي رجل من اليمن لما
سأله كتبها اخرجه مسلم وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه
وسلم قيدوا العلم بالكتاب وقال هما وعاء من لم يكتب العلم لم يعد علمه وقد
ذهب قوم الى المنع من الكتب فروى ابو نضرة قيل لابي سعيد الا نكتب حديثكم هذا قال
لم نكن نعلمه قرانا ولكن احفظوا كما حفظنا ومن كان لا يكتب الشعبي ويونس بن عبيد
وخالد الحذا قال خالد ما كتبت سوداء في بيضاء قط لحديث واحد فلما حفظته محوته ومن عون
والزهري وقد كان بعضهم يكتب ثم احفظ عن هشيم محمد بن سيرين وعاصم بن هرم
وقال هشام بن حسان ما كتبت حديثا قط الحديث الاعمش فلما حفظته محوته قلت
وقد ذكرنا عن خالد الحذا مثل هذا وحديث الاعمش خصه مسلم في اخر الكتاب اللهم
الساعة حتى ينزل الروم بالاعماق او دابق الحديث ذكره في كتاب الفتن وكان بعضهم
يحفظ ثم يكتب ما يحفظ منهم الاعمش وعبد الله بن ادريس وهشيم وغيرهم وهذا احتياط
على الحفظ والكتب اولى على الجملة وبه وصف الابي والاحاديث شهد هو هروي عن عمر وعلي وجابر
وانس وبه يقول من كبار التابعين كالحسن وعطا وطاوس وعروة بن الزبير ومن بعدهم
من اهل العلم قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء وقال ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون قال فاكتبه لنا في هذه الدنيا حسنة
الاية وقال وكل شيء فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر قال ابو علي عندي في
كتاب لي غير هذا اتى الاخبار ايضا فان العلم يضبط الا بالكتاب ثم بالمقابلة والمدارسة
والتعهد والتحفظ ولهذا كره الشيوخ السؤال عن الشيء قبل ان يتقنه علما وانما
كره الكتاب من كره من الصحابة لقرب العهد وتقارب الاسناد وليلا يعتمد الكتاب
فيهملوا ويرغب من يحفظه والعمل به عاملوا الوقت سيتباعد والاسناد غير تتقارب
والطرق تختلف والثقة يشذ بون وافة النسيان لمن يتركه والوهم غير مامون فان
تقييد العلم بالكتاب اولى واسلم والدليل على جوازه اقوى قال احمد صح حديث ابي
سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن
فليمحه اخرجه مسلم فالجواب ان ذلك كان مستندا الى نهيه عن كتب القرآن مع امره بالكتاب واباحته
لابي شاه وغيره وانما كان ذلك ليلا يخلط بالقرآن ما ليس منه ولهذا ما روي عن
ابي سعيد ايضا حرصنا ان يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فابى ان كان
منسوخا وقبل الجواز وحين كان لا يؤمن للاشتغال به عن القرآن انتهى
قال ابو بكر الخطيب ينبغي ان يكتب الحديث بالسواد ثم باحمر خاصة دون المداد
لان السواد اصبغ للقرآن واحمر انقاها على بصر الدهور وهو الله دوي العلم وعده
لهذه المعرفة ذكر عبد الله احمد بن حنبل حدثني ابي قال رأى الشافعي واما في مجلسه
وفي يده محبرة فقال له اتحب ان تكون عالما قلت نعم قال فلا تستعمل الحبر الا في القرآن
صوت تفقه الابصار سواد في بياض وقال الجاحظ يزيد الخبر رونقا وحسنا
الحديث مثل الخلوق في ثوب العروس واخذ هذا المعنى ابو عبد الله السلوي فقال

هذا الحبر طيب الرجال وطيب النساء من لا تعرفه

فحبذا البيض ما تزيد سوادا وهو يبقى بقاء ثوب الخصاف

وذكر الماوردي ان عبد الله بن سليمان فقيه حكى رأى على بعض نيابه ان صفره فاخذ
من مداد الدواة فعظم عليه ثم قال المداد ما الحسن من الزعفران والمداد

فحبذا البيض ما تزيد سوادا وهو يبقى بقاء ثوب الخصاف

وذكر الماوردي ان عبد الله بن سليمان فقيه حكى رأى على بعض نيابه ان صفره فاخذ
من مداد الدواة فعظم عليه ثم قال المداد ما الحسن من الزعفران والمداد

يا ايها الرجل ان عمر المعصية ومداد الذنوب عمر الرجل

قوله استاثر الله بفضل ذي ولا نبي اختلفوا في معناه على اقوال احسنها ان
الله استبقاها لنفسه تعالى عن ان تبذل للصفتين وقد كان الكلام تم في قوله في كتاب

ولذا قال

ولذا قاله الزجاج وان معنى لا يضل لا يهلك من قوله ايذا ضللنا في الارض ولا ينسى شيأ نرهه عن
الهلاك والنسيان القول الثاني لا يخطئ قاله ابن عباس لا يضل لا يعيب قال ابن الاعرابي
اصل الضلال العيب يقال ضل اللبن في الماء اذا غاب عنه حتى لا يرى قاد ومعنى لا يضل ربي
ولا ينسى اي لا يعيب عنه شيء والاعيب عن شيء القول الرابع قاله الزجاج ايضا وقال
النحاس وهو اشبهها بالمعنى اخبر الله عز وجل انه لا يحتاج الى كتاب والمعنى لا يضل عنه علم
شيء من الاشياء ولا معرفته ولا ينسى ما علمه منها قلت وهذا القول راجع الى معنى قول
ابن الاعرابي وقول خامس ان لا يضل ربي ولا ينسى في موضع الصفة للكتاب ايها الكتاب
غير ضال عن الله جل وعز ولا هو عنه ذاهب ولا ينسى اي غير ناس له فهما لفتان
لكتاب وعلى هذا يكون الكلام متصلا ولا يوقف على كتاب يقول العرب ضللت الشيء اذا لم
اجده واضللته انا اذا تركته في موضع فلم تجده فيه وقرا الحسن وقتادة ومجاهد بن حميد
ابن محيصن وعاصم الجحدري وابن كثير فيما روى شبل عنه لا يضل بضم على معنى لا يضيعه
ربي ولا ينساه قال ابن عرفة الضلالة عند العرب سلوك سبيل غير القصد يقال ضل
عن الطريق واضل الشيء اذا اضاعه ومنه قرا من قرا لا يضل ربي اي لا يضيع هذا مذهب
العرب قوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا الذي في موضع رفع نعت لذي
اي لا يضل ربي الذي جعل ويجوز ان يكون خبرا مبتدا مضمرا اي هو الذي ويجوز ان
يكون منصوبا باضمار اعني وقرا الكوفيون مهدا هنا وفي الزخرف بفتح الميم واسكان
الهاء الباقون مهادا واختاره ابو عبيد وابو حاتم لاتفاقهم على قراءة الم نجعل الارض مهادا
النحاس والجمع اولى لان مهدا مصدر وليس هذا موضع مصدر الا على حذف اي ذات
مهد المهد وفي ومن قرا مهدا اجاز ان يكون مصدرا كالفرش اي مهد لكم الارض مهدا واجاز
ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ذات ومن قرا مهادا اجاز ان يكون مفردا كالفراش
واجاز ان يكون جمع مهد استعمل استعمال الاسماء فكسر ومعنى مهادا اي فراشا وقرارا
يستقرون عليها وسلك لكم فيها سبلا اي طريقا نظيره وانهارا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون
وانزلنا من السماء ماء بقدر نعشاه وهذا آخر كلام موسى ثم قال الله تعالى واخرجنا وقيل
كله من كلام موسى والمعنى فاخرجنا به اي بالكرث والمعالجة لان الماء المنزل سبب خروج
النبات وقيل معنى ازواجا صروبا واشباها اي اصنافا من النبات المختلفة الارواح
والالوان وقال الاخفش التقدير ازواجا شتى من نبات قال وقد يكون النبات
شتى وشتى يجوز ان يكون نعتا للازواج ويجوز ان يكون نعتا للنبات وشتى ماخوذ
من تشتت الشيء اي تفرق يقال امر شتى اي متفرق وشت الامر شتا وشتاتا تفرق
واشتت مثله وكذلك التشتت وشته لشتتها فرقه واشت بي قومي اي فرقوا
امري والتشتيت المتفرق قال رؤبة نصف اياة حاتم معا واطرق تشتيتا وهي تثير
الساطع السختيتا وتحريشت اي مختلف وقوم شتى واشتات وشتى ويقول جاوا اشتاتا اي
متفرقين واحدهم شت قاله الجوهري قوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم
امر اباحة وارعوا من رعيت الماشية الكلا ورعاها صاحبها رعايه اي اسامها وسرحها
الازم ومعنى الآيات في ذلك الآيات الاولى النهى اي لعقول الواحد نهية قال لهم ذلك لانهم
الذي ينتهى اليه ارايهم وقيل لانهم ينهون النفس عن القبائح وهذا كله من موسى احتجاج
على فرعون في اثبات الصانع جوابا لقوله فمن ربكما يا موسى وبين انه انما يستدل على
الصانع اليوم قوله تعالى منها خلقناكم يعني ادم عليه السلام
لانه خلق من الارض قاله ابو اسحاق الزجاج وغيره وقيل كل نطفة مخلوقة من التراب
وعلى هذا يدل ظاهر القرآن وروى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من مولود ولا وقد ذر عليه من تراب حفرته اخرجه ابو نعيم الحافظ في باب بن كيسان
وقال هذا حديث غريب من حديث عون لم يكتبه الا من حديث ابو عاصم النبيل وهو
احد الثبات الاعلام من اهل البصرة وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة الانعام عن
ابن مسعود وقد علط اعرابي اذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم
فاخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذر على النطفة فيخلق الله المنيه من النطفة
ومن التراب فذلك قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وفي
حديث البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد المومن اذا خرجت روحه صعدت به الملائكة

فلا يمرون على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان باحسن
اسمايه الذين كانوا يسمونه بها في الدنيا فيستفتحون لها فيفتح فيشيعه من كل سما مقربوها
الى السما التي تليها حتى ينتهى به الى السما السابعة فيقول عز وجل اكتبوا لعبدي كتابا
في عليين واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فتعاد
روحه في جسده وذكر الحديث وقد ذكرناه بكماله في كتاب التذكرة وروي من حديث
علي رضي الله عنه ذكره الثعلبي ومعنى وفيها نعيدكم اي بعد الموت ومنها نخرجكم اي
للبعث والحساب تارة اخرى يرجع هذا الى قوله منها خلقناكم لا الى نعيدكم وهو
كقوله استمرت ناقته وطارا وناقه اخرى فالمعنى من الارض اخرجه لكم ونخرجكم
بعد الموت من الارض تارة اخرى **قوله تعالى** ولقد اريناه آياتنا
كلها اي المعجزات الدالة على نبوة موسى وقيل على توحيده فكذب
واي اي لم يؤمن وهذا يدل على انه كفر عيانا لانهم رأوا الآيات عيانا لا اخبارا نظيره
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا **قوله تعالى** اجئتنا لتخرجنا من
ارضنا بسحرك يا موسى لما رأى الآيات اتاه يوسي قالوا انما السحر والمعنى حسب
ليوهم الناس انك جئت بآية توجب اتباعك والايمان بك حتى تغلب علينا وعلى
ارضنا فلنا يمتنك سحر مثله اي لنقارضك بمثل ما جئت به لنبين للناس ان ما
اتيت به ليس من عند الله فاجعل بيننا وبينك موعدا هو مصدر اي وعدا وقيل الموعد
اسم لمكان الوعد كما قال وان جهنم لموعدهم اجمعين فالموعد هاهنا مكان وقيل الموعد
اسم الزمان الوعد كقوله ان موعدهم الصبح فالمعنى اجعل بيننا يوما معلوما او مكانا
معروفا قال التستري والاظهر انه مصدر وبهذا قال لا يخلفه ذلك الوعد فالاخلاق
ان يعد شيئا ولا يخلفه وقال الجوهري والميعاد المواعدة والوقت والموضع وكذلك الموعد
وقرأ ابو جعفر بن القعقاع وشيبة والاعرج لا يخلفه بالجزم جوابا لقوله اجعل وكذلك
رفع نافع الموعد والتقدير موعدا غير مخلف مكانا سوى قرأ ابن عامر وعاصم
وحمزة سوى بضم السين ابا قرأن بكسرها وهما لغتان مثل عدا وعدا وطوى وطوى
فاختار ابو عبيد وابو حاتم كسر السين لانها اللغة العالية الفصيحة وقال النحاس
والكسر اعرف واشهر وكلهم يؤنث الواو وقد روي عن الحسن وابن كثير ضم السين
بغير تنوين واختلف في معناه فقيل سوى هذا المكان قاله الكلبي وقيل مكانا سويا
بيننا لنأتيه نحن ولا تأتينا انت قاله بن زيد بن عباس بصفا مجاهد منتصفا وعنه ايضا
وقتاده عدلا بيننا وبينك وقال النحاس واهل التفسير على ان معنى سوى نصف
وعدل وهو قول حسن قال سيبويه يقال سوى اي عدل يعني عدلا بيني المكانين
فيما لنصفه واصله من قولك جلس في سوا الدار بالمد اي في وسطها ووسط كل
شيء اعدله وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا
وقال زهير
اروني خطة لا ضيم فيها سوى بيننا فيها السوا
وقال ابو عبيدة والفتى وسطا بين الفريقين وانشد ابو عبيدة لموسى بن
جابر الحنفي - وان ابانا كان حل ببلده سوى بين قيس عيلان والفزر
والفزر سعد بن زيد مناة بن تميم وقال الاخفش سوى اذا كان بمعنى غير او بمعنى
العدل يكون فيه ثلاث لغات ان ضممت السين وكسرت قصرت فيهما جميعا وان
فتحت مددت تقول مكان سوى وسوى وسوا اي عدل ووسط فيما بين الفريقين قال
موسى بن جابر وحدثنا ابانا كان حل ببلده البيت وقيل مكانا سوى اي قصدا وه
وانشد صاحب هذا القول

لو نبئت حبيبتي ما عدتني او عتب ما عدوت سواها

وتقول مررت برجل سواك وسواك اي غيرك وهما في هذا الامر سواء ان شئت سوا
ان وهم سوا للجمع وهو سواء وهم سواء سيه مثل يمانيه على غير قياس وانتصب مكانا
على المفعول الثاني لجعل ولا يجيز انتصابه بالموعد على انه مفعول او ظرف لانه ان
الموعد اذا وقع بعده ظرف لم يخبره العرب بجزي المصادر مع الظروف لكنهم يتسعون
فيه كقوله تعالى اي موعدهم الصبح وموعدكم يوم الزينة واختلف في يوم الزينة فقيل
هو يوم عيد كان لهم يتزينون ويجتمعون فيه قاله قتادة والسدي وغيرهما وقال ابن
عباس وسعيد بن جبير كان يوم عاشورا وقاله سعيد بن المسيب يوم سوق كان عندهم

هون

يتزينون فيه وقاله قتادة ايضا وقال الضحاك يوم السبت وقيل يوم النيروز
ذكره الثعلبي وقيل يوم يكسر فيه الخليج وذلك انهم يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون
وعند ذلك قامت الديار المصرية من قبل النيل وقرا الكسائي والاعمش وعيسى الثقفي
والسلمي وزهير عن حفص يوم الزينه بالنصب وروي عن ابي عمرو ابي في يوم
الزينه اختار موعدنا اليا قوك بالرفع على انه خبر الا بتدا وان يحشر الناس ضحى
اي وجمع الناس فان في موضع رفع على قراءة من قرا يوم بالرفع وعطف وان يحشر الناس
قراءة الرفع لان ان لا يكون ظرفا وان كان المصدر والصريح يكون ظرفا كمقدم الحاج لان
من قال اتيك مقدم الحاج لم يقل اتيك ان يقدم الحاج الناس واولى من هذا ان
يكون في موضع خفض عطفا على الزينه والضحى مونثه تصغرها العرب بغيرها لبلا
يشبه تصغير ضحوه قاله الكسائي وقال الجوهري ضحوه النهار بعد طلوع الشمس
ثم بعده الضحى وهي حين ترتفع الشمس مقصور يونث ويذكر فمن انث ذهب
الى انها جمع ضحوه ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل مثل صرد ونغر وهو ظرف
غير متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى اذا اردت به ضحي يومك لم تونثه ثم
بعده الضحا ممدود مذكر وهو عند ارتفاع النهار الاعلا وخص الضحى بانه اول
النهار فلما استد الامر فيما بينهم كان في النهار متسع وروي عن ابن مسعود و
الحسن وغيرهما وان يحشر الناس ضحى على معنى وان يحشر الله الناس ونحوه ومن
بعض القرا وان يحشر الناس والمعنى وان يحشر اتباع الناس ومن الحسن
ايضا وان يحشر بالنون وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور
دينه وليت الكافر وهو فرعون الباطل على رؤس الاشهاد وفي الجمع الهاس لتقوب
رغبة من رغب في الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر
العلم في كل بدو وحضر وسيع في جمع اهل الوتر والمدر **قوله تعالى**
فتولى فرعون فجمع كيده اي حيله وسحره والمراد جمع السحره قال ابن عباس
كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر منهم حبال وعصي وقيل كانوا اربع
مايه وقيل كانوا اثني عشر الفا وقيل اربعة عشر الفا وقال بن المنكدر كانوا
ثمانين الفا وقيل كانوا مجتمعين على ريئيس يقال له شمعون وقيل كان اسمه
يوحنا معه اثنا عشر نقيبا مع كل نقيب عشرون عريفا مع كل عريف الف ساحر
وقيل كانوا ثلثمايه الف ساحر من القبوم وثلثمايه الف ساحر من الصعيد
وثلاث مايه الف ساحر من الريف فصاروا سبع مايه الف وكان رييسهم اعمى
ثم اتى اي المبعاد قال لهم موسى اي قال لفرعون والسحره ويلكم دعا عليهم بالويل
وقيل هو معنى المصدر وقال ابو اسحق الزجاج هو منصوب بمعنى الزموا انه
ويلا قال ويجوز ان يكون هذا كقوله يا ويلنا من بعثنا لا تفتروا على الله كذبا
اي لا تختلقوا عليه الكذب ولا تشركوا به ولا تقولوا للمعجزات انها سحر فيسحتكم
بعذاب اي يستاصلكم بالاهلاك يقال فيه سحت واسحت بمعنى واصله من
استقصا الشعر وقرا الكوفيون فيسحتكم من اسحت الباقون فيسحتكم من سحت
وهن لغة اهل الحجاز وبني تميم وانتصب على جواب النهي وقال الفراء
وبعض رهان بن مروان وان لم يدع من المال الا سحتا والخلف
الزمخشري وهذا بيت لا يزال الركب يصطك في نسويه اعرابه وقد كاد من
افترى اي خسر وهلك وخاب من الرحمة والثواب من ادعى على الله ما لم ياذن
فيه **قوله تعالى** فتنازعوا امرهم بينهم اي تشاوروا يريد السحرة
واسروا النجوى قال قتاده ان كان ما جاء به سحرا فسنغلبه وان كان من عند الله
فسيكون له امر وهذا الذي اسروه وقيل الذي اسروا قولهم ان هذا لساحران
الايات قاله السدي وتقاتل وقيل الذي اسروا قولهم ان غلبنا اتبعناه الكلهم
دليله ما ظهر من عاقبة امرهم وقيل كان سرهم ان قالوا حين قال لهم موسى ويلكم
لا تفتروا على الله كذبا ما هذا يقول ساحر والنجوى المناجاه يكون اسما ومصدرا
وقد تقدم في النسا **قوله تعالى** ان هذا لساحران وروي
عن عثمان وعايشه وغيرهما من الصحابة وكذلك قرا الحسن وسعيد بن جبير وابرهيم
النخعي وغيرهم من التابعين ومن القرا عيسى بن عمر وعاصم فيما ذكر النحاس وهذه القرا

خالفه للاعراب مخالفه للمصحف وقرا الزهري والخليل بن احمد والمفضل وابان وابن محيصن وابن
كثير وعاصم في رواية حفص عنه ان هذان بتخفيف ان الساحران وابن كثير يشدد نون
هاذان وهذه القراءة سلمت من مخالفه المصحف ومن فساد الاعراب ويكون معناها ما هاذان
الا ساحران وقرا المدنيون والكوفيون ان هاذان بتشديد ان لساحران فوافقوا المصحف
وخالفوا الاعراب قال النحاس فهذه ست قراءات قد رواها ايمتها عن الائمه وروي عن
عبد الله بن مسعود انه قرا ان هذان الا سحران بغير ام قال الفراء في حرف ابي ان ذان
الا ساحران فهذه ثلاث قراءات اخرى يحمل على التفسير لانها جايز ان يقرا بها لمخالفتها المصحف
قلت والعمل في قراءة اهل المدينه والكوفه سنة اقوال ذكرها ابن الانباري في اخر كتاب
الرد له والنحاس في اعرابه والمهدوي في تفسيره وغيرهم دخل كلام بعضهم في بعض
وقد خطا هاتين القراءتين قوم حتى قال ابو عمر والبزي اسخطني من الله ان اقرا ان هاذان وروي عروه
عن عايشه انها سئلت عن قوله تعالى لكن الراسخون في العلم ثم قال والمقيمين وفي المايده
ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون وان هاذان لساحران فقالت يا ابن اختي هذا
خطا من الكاتب وقال عثمن بن عفان رضي الله عنه المصحف لحن وستقيمهم العرب بالسنتهم
وقال ابان بن عثمن قرات هذه الايه عند ابي عثمان ابن عفان فقال لحن وخطا فقال له قايل
انغيروه فقال دعوه فانه لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما القول الاول من الاقوال الستة
انها لغة بني الحارث بن كعب وزبيد وخثعم وكنانه بن زيد يجعلون رفع الاثنين ونصبه
وخفضه بالالف تقول جاني الزيدان ورايت الزيدان ومررت بالزيدان ومنه قوله
تعالى ولا ادراكم به فعامانتدم ولا تشد القرا لرجل من بني اسد قال

وما رايت افصح منه فاطرق اهران السجاع
ولا يري ساعيا لياته السجاع لضيما

ويقولون كسرت يداه وركبت على ظهري يريد به وعليه قال شاعرهم

رود منا بين اذناه ضربه دعيه الي هابي التراب عقيم

وقال اخر

طاروا علاهن فطر علاها ... اي عليهن وعليها وقال اخر
ان اباها وابا اباها ... قد بلغا في المجد غايتاها

قال ابو جعفر النحاس وهذا القول من احسن ما حملت عليه الايه اذ كانت هذه اللغه معروفه
وقد حكاها من يرتضي علمه واحد ثنه منهم ابو زيد الانصاري وهو الذي يقول اذا قال
سيبويه حدثني من اثق به فانما يعني وابو الخطاب الاخفش وهو يقيس
من روسا اللغه والنسا والقرا كلهم قالوا هذا على لغة بني الحرث بن كعب وحكى ابو عبيد
عن ابي الخطاب ان هذه لغة بني كنانه المهدوي وحكى مكي انها لغة لخثعم قال
النحاس ومن ابين ما في هذا قول سيبويه واعلم انك تثبت الواحد ردت عليه زايدتين
الا ولي منهما حرف مد ولين وهو حرف الاعراب قال ابو جعفر فقول سيبويه وهو حرف الاعراب
يوجب ان الاصل اسعيره فيكون ان هذان جاء على اصله ليعلم ذلك وقد قال تعالى استحوذ
عليهم الشيطان ولم يقل استحاذ عليهم فجاء هذا النبذ على الاصل فكذلك ان هاذان
وانفكر في انكار من انكر هذه اللغة اذ كان الايمه قد رووها القول الثاني ان يكون
ان بمعنى نعم كما حكى الكسايي عن عالم قال العرب باتي بان بمعنى نعم وحكى سيبويه ان بان
باتي بمعنى اجل والى هذا القول كان محمد بن يزيد واسماعيل بن اسحق القاضي يذهبان
قال النحاس ورايت انا اسحق الزجاج وعلي بن سليمان يذهبان اليه الزمخشري
وقد احتج به ابو اسحق النحاس وحدثنا علي بن سليمان قال حدثنا عبد الله بن احمد بن
عبد السلام النيسابوري ثم لقيت عبد الله بن احمد فحدثني قال حدثني عمر بن المتوكل
قال حدثنا محمد بن موسى الوقلي مولى بني الحارث بن عبد المطلب قال يا عمرو بن جميع الكوفي
عن جعفر عن ابيه عن علي وهو بن الحسين عن ابيه عن علي بن ابي طالب رضوان الله
عليهم اجمعين قال لا احصي لم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره ان
الحمد لله نحمده ونستعينه ثم يقول انا افصح قريش كلها وافصحها بعدي ابان بن سعيد
بن العاص قال ابو محمد الاحقاف قال ابو عمر اعرابه عند اهل الوثيقه والنحو ان الحمد بالنصب
الا ان العرب تحتمل ان في معنى نعم كانه اراد نعم الحمد لله وذلك ان خطبا اتى اهله
كانت لفتاة في خطبها بنعم وقال الشاعر في معنى نعم

قالوا عدرتم فقلت ان ورعما مال العلي وسفي العليل العادر

وقال عبد الله بن قيس

الرقيات بكرا العواذل في الصباح بلمتي والوم منه ونقلن سبب قد علاك

وقد كنت قلت انه فعلي هذا يجب ان يكون فوت عن وجل انها ذان لساحران بمعنى نعم

ولا يصب قال النحاس انشدني داود بن الهيثم قال انشدني ثعلب

لبت شعري هل لمحب شفا من حوي حبهن ان ا للقا

قال النحاس وهذا قول حسن لا ان فيه شيا انما يقال نعم زيد جاءني ولا نكاد نقع اللام هاهنا وان كان النحويون قد يكلموا في ذلك فقالوا اللام ينوى بها التقدم كما قال

حالي لا نية ومن حوبر حاله بل العلا وتكرم الاحوالا اخر

ام الجليس لعجوز شهربة ترضى من اللحاة بعظم الرقبة

اي لحالي ولام الجليس قال الزجاج ان هذا لساحران ثم حذف المبتدا المهدي والنكرم ابو علي وابو الفتح بن جني قال ابو الفتح هما المحذوف ولم يحذف الا بعد ان عرف واذا كان معروفا فقد استغني بمعرفته عن تاكيده باللام وتفتح ان بحذف المؤكد ويترك المؤكد الثوب الثالث قال الفراء ايضا قد وجدت الالف في كناية لبث بلام الفعل فردت عليها نونا ولم اغيرها كما قلت الذي ثم رددت عليه نونا فقلت جاءني الذين عندك ورايت الذين عندك ومررت بالذين عندك القول الرابع قاله بعض الكوفيين قال الالف في هذا مشبهة بالالف في لعلان فلم يغير القول الخامس قال ابو اسحق النحويون العرب تقول لها ها هنا مصرة والمعنى له هادان لساحران قال ابن الانباري فاضمرت الهاء التي هي منصوب ان وهادان حيوان وساحران يرفعها هاء المضمر انه هادان لساحران والاثبت عند اصحاب ذا الجواب ان الها اسم ان وهادان رفع بالابتداء وما بعده خبر الابتداء القول السادس قال ابا جعفر وسالته ايا احسن مما قلت فقال ان شئت اجبتك بقول فقلت بقولك فقال سالت عليا بن سليمان عنها فقلت انا القول عندي انه لما كان يقال هذا في موضع الرفع والنصب والخفض على حاله واحدة وكانت التثنية يجب ان لا يتغير لها الواحد لجريها في التثنية مجرى الواحد فقال ما احسن هذا لو يقدم احد ما يقول به حتى يونس به قال ابن كيسان فقلت له فيقول القاضي به حتى يونس به فتبسم هو تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم سحرها ويذهبا بطريقتكم المثلى هذا من قول فرعون للسحرة ليغريهم فاقسم بعزتي لاكيدن كيدكم الذي ائتم عليه كما قال لفرعون اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد ويقال فلان حسن الطريقة اي حسن المذهب وقيل طريقة القوم افضل القوم وهو الذي يمشي ان يسلك طريقته ويقتدوا به فالمعنى ويذهبا بسيادتكم وروسائكم انما له لم او يذهبا ببني اسرايل وهم المماثل وان كانوا حوالكم لما يرجعون اليهم من النساء والابنا والاثبت عند اصحاب ذا الجواب ان الها اسم ان وهادان رفع بالابتداء وما بعده خبر الابتداء القول السابع قال ابو حاتم ان هذان لساحران وانت الطريقة على التذكير لان يراد بهما الفريقان وقال الكسائي بطريقتكم وسنتكم ومثلكم نعت كقولك تقول العرب فلان على الطريقة المثلى على الهدى المستقيم هو تعالى فاجمعوا كيدكم الا جماع الاحكام والعزم على الشي تقول اجمعت الخروج وعلى الخروج يا مرتين وشركاءكم الامصار فاجمعوا الا يا تمر وقانوتا فاجمعوا بالوصل وفتح الميم واجمع يقوله يقال جمع كيده ثم ائتوا قال النحاس وفيما حكى محمد بن يزيد انه يقال يجب على ابي عمر ان يقرا الا ان هذه وهي القراءة التي عليها اكثر الناس قال لانه اجتمع جمع قوله جل وعز فجمع كيده ثم ائتوا قد تبث فيجوز ان يكون بعده فاجمعوا ويجوز ان يكون بعده فاجمعوا اي اعزموا وحدوا لما تقدم ذلك ويجوز ان يكون من الاجماع يقال امر مجمع ومجمع عليه قال النحاس وتصحيح هذا ابو عمرو فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا اي مصطفين وقد افلح اليوم من استعلا قيل ائتوا بمعنى ايتوني وقيل ائتوا بمعنى ايتوا ومعنى ائتوا صفا جميعا قال ابو عبيد نصف جمعا فكانه يذهب بالجمع بين ما تفرق من الكلمة ومن ذي الجماعة مجمع اي مجموع وانشد انه عيي العزم والاحكام فاجمعوا

لبت شعري والمنى لا ينفع هل اغدون يوما وامري مجمع

وقال ايتوا محكم ثم ائتوا صفا قال مقاتل والكلبي جميعا وقيل صفوفا ليكون اشد لهيبتكم
وهو منصوب بفعل مضمر عليه يدل قول ابي عبيده قال يقال اتيت الصف يعني المصلى فالمعنى عنده ائتوا الموضع الذي يجتمعون فيه يوم العيد وحكي عن بعض فصحا العرب ما قدرت
ان اتي الصف ابي المصلى وقال الزجاج يجوز ان يكون المعنى ثم ايتوا والناس مستطعون
ليكون على هذا مصدرا في موضع الحال ولكن لكلام يجمع وقد يجمع ثم ايتوا بكسر الميم وياء ومن ترك
ترك الهمزة ايدل من الهمزة الفاء وقد افلح اليوم من استعلى اي من غلب وهذا كله من قول السحرة
بعضهم لبعض وقيل من قول فرعون لهم **قوله تعالى** قالوا يا موسى يريد السحره
اما ان تلقي عصاك من يدك واما ان يكون اول من القى بادروا مع موسى وكان ذلك سببا ايهامهم
بل القوا فاذا حبالهم في الكلام حذف اي فالقوا دل عليه المعنى وقرا الحسن وعصيهم بضم
العين قال هرون القاري لغة بني تميم وعصيهم وهي باخذ احسن الباقون بالكسر ايضا لغة
لكسره الصاد وهو ذكي وذكي وشيء وشيء يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقرا ابن
عباس وابو حيوه وبن ذكوان وروح عن يعقوب يخيل بالتاء ورده الى العصي واختار
ابو عبيد هو تاويله وذلك انهم لطخوا العصي بالزيبق فلما اصابهم حر الشمس اهتزت
وارتعشت فقال الكلبي خيل الى موسى ان الارض حيات وانها تسعى على بطنها وقرا يخيل بمعنى
تتخيل وطريقه طريق يخيل ومن قرا يخيل بالياء رده الى الكيد وقرا تخيل بالتاء
على ان الله هو المخيل للخشبة والحبال وقيل لفاعل انها تسعى فانث في موضع رفع اي يخيل
اليه سعيها قاله الزجاج وزعم الفراء ان موضع موضع نصب اي بانها ثم حذف الباء
والمعنى في الوجه الاول يشبه اليه من سحرهم وكيدهم حتى ظن انها تسعى وقال الزجاج
ومن قرا بالتاء جعل ان في موضع نصب اي تخيل اليه ذات سعي قال ويجوز ان تكون
في موضع رفع بدلا من الضمير في يخيل وهو على بدل الاشتمال والمبدل فيه بدل اشتمال
ويسعى معناه تمشي **قوله تعالى** فاوجس في نفسه خيفة موسى اي اضمر
وقيل وجد وقيل احس اي من احياث وذلك ما يعرض من طباع البشر على ما تقدم
وقيل كان ان يلتبس الناس قبل ان يلقي عصاه وقيل خاف حين ابطا عليه الوحي
ما لقاه العصا الذي يفترن الناس قبل ذلك فيعتبروا وقال بعض اهل المعاني انما
كان السبب ان موسى عليه السلام لما القى ما القى السحره وقال لهم ويلكم لا تفتروا على
الله كذبا فيسحتكم بعذاب القى فلما جبريل على يمينه فقاله يا موسى ترفق باولياء
الله فقال موسى لم جبريل هو لا سحر جاوا بسحر عظيم ليبطلوا المعجز ويبطروا دين
فرعون ويردوا دين الله فقوي ترفق باولياء الله فقال جبريل مني اسلمه الى صلاة
العصر عندك وهو صلاة العصر في الجنة فلما دله ذلك اوجس في نفس موسى وحذر
ان ما يريد ربي ما علم الله مني فلعلي اكون لا ان في حاله وعلم الله مني على خلافه كما كان هو
فلما علم الله ما في قلبه اوحى اليه لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب لهم في الدنيا وفي
الاخرة الجنة لهم النار وقيل لا تخف ان نبوته والاصطفاء الذي اتاك الله به واصل الخيفة خوفه فا
قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها **قوله تعالى** والق ما في يمينك تلقف ما
صنعوا ولم يقل والق عصاك حيا يزان يكون تصغيرا لها لانها كثيرا تحالهم وعصيهم
والق لتعويد الفرد الصغرا كرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يبتلعها على وحدته
وكثرتها وصغرها وعظمها وجايزان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكثيره
الكثيره فان في يمينك سيفا اعظم منها كلها وهذا على كثرتها افعل شيء واسرده عندها فانه
يبتلعها بسهولة ما هذا ساحر ولم يقل تلقف لان الكرم جواب الامر كانه قال ان تلقه يتلقف اي تاخذ
وتبتلع وقرا السحر وحفص تلقف بسكون اللام من لقف يلقف لقفا وقرا ابن ذكوان
وابو حيوه السابع ويحيى بن المبارك تلقف بحذف احدى التاءين ورفع الفاء على معنى فانها تلقف
والخطاب لموسى وقيل للعصي والتلقف الاخذ بسرعة يقال لقف الشيء بالكسر يلقفه
لقفا وتلقفه اذا تناوله بسرعة حتى يقول يقال لرجل لقف لقف اي خفيف
حاذق واللقف بالتحريك سفول الحافظ ولقف الحوص لقفا اي تقوس من انتفاخه
وانتفاخ وتلقفوه تلقم وبلعم يعني وقد مضى في الاعراف لقمت اللقمة بالكسر لغما وتلقمتها
اي ابتلعتها ولقمه بالكسر اذا ابتلعته صفوا اي الذي صفوه وكذا اعاصفوا
اي الذين صفوه كيد بالرفع سحر بكسر السين اي الذي صنعوه وسكان الحاء وهي قراءة
الكوفيين الا عاصما وفيه وجهان احدهما ان يكون الكيد مضافا اليه السحر على الاتساع من

غير حضف والثاني ان يكون في الكلام حذف اي كيد ذي سحر وقرا الباقون كيد بالنصب بوقوع التصيير عليه وعلى ما تحته ولا يضمرها ساحرا بالاضافة والكيد في الحقيقة هي هذه القراءة مضاف للساحر لا للسحر ويجوز ان يكون معنى ان ما صنعوه كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتى اي لا يفوز ولا ينجو حيث اتى من الارض وقيل حيث احل وتمضي في البقرة حكم الساحر ومعنى فتاه له هناك **قوله تعالى** فالقي السحرة سجدا للامر وامر عظيم الامر وخرق العادة في العصا فانها ابتلعت جميع ما اختالوا به من الحبال والعصي وكانت حمل ثلاث مائة بعير ثم عادت عصي لا يعلم احد اين ذهب الحبال والعصي الا الله عز وجل وقد مضي في الاعراف هذا المعني وامر العصا مستوفي قالوا امنا برب هرون وموسي قال امنتم له اي به يقال امن له وامن به ومنه قامن له لوط وفي الاعراف امنتم به قبل ان اذن لكم انكار منه عليهم اي بعد ان وقفتم ما لم امركم به انه لكبيركم الذي علمكم السحر اي ربيكم في الصنعة وانما عليكم لانه حذق به منكم وانما اراد فرعون بقوله هذا التشنيع على الناس حتي لا يتبعوهم فيومنوا كما يامنهم ولا فقد علم فرعون انهم لم يعلموا من موسي بل قد علموا السحر قبل قدوم موسي وولادته فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل اي علي جذوع النخل قال سعيد بن ابي كامل هم صلبوا العدي في جذع فلما عظمت سبيان الا ياخذها قطع وصلب حتي ماتوا رحمهم الله وقرا ابن محيصن هنا وفي الاعراف فلاقطعن ولاصلبنكم بفتح الالف والتخفيف من قطع وصلب ولتعلمن ايينا اشد عذابا وابقي يعني انا ام رب موسي **قوله تعالى** قالوا ليبني السحره لن نؤثرك اي لن نختارك علي ما جاءنا من البينات قال ابن عباس يريد من اليقين والعلم وقال عكرمة وغيره لما سجدوا اراهم الله في سجودهم منازلهم في الجنة فلهذا قالوا لن نؤثرك وكانت امراة فرعون تسال من غلب فيقال لها غلب موسي وهرون فقالت امنت برب هرون وموسي فارسل اليها فرعون فقال انظروا اعظم صخرة فان مرت علي قولها فالقوها عليها فلما اتوها رفعت بصرها الي السما فابصرت منزلها في الجنة فمضت علي قولها فما ترجم روحها والقيت الصخرة علي جسدها وليس فيها روح وقيل لهامت السحره فمن تبين به لما راي انظر الي هذه الحبة هل تحوف فتكون حيا او لم تحوف فهو من صنعة الصانع الذي لا يعرف عليه مصنوع فقال ما تحوفت فقال امنت برب هرون وموسي والذي فطرنا قيل هو معطوف علي ما جاءنا من البينات من لا نؤثرك علي ما جاءنا من البينات ولا علي الذي فطرنا اي خلقنا وقيل هو اسم اي والله لن نؤثرك فاقض ما انت قاض التقدير ما انت قاضيه ولتبت ما ها هنا التي تكون مع الفعل بمنزلة المصدر لان تلك توصل بلا تنال وهذه موصوله بابتدا وخبر قال ابن عباس فاصنع ما انت صانع وقيل فاحكم ما انت حاكم اي من القطع والصلب وحذفت الياء من قاض في الوصل لسكونها وسكون التنوين واختار سيبويه اثباتها في الوقف لانه زال علة التقا الساكنين انما تقضي هذه الحياة الدنيا اي انما ينفذ امرك فيها وهذه منصوبة علي الظرف والمعني انما تقضي في متاع هذه الحياة الدنيا او وقته هذه الحياة الدنيا فيقدر حذف المفعول ويجوز ان يكون التقدير انما تقضي امور هذه الحياة الدنيا فتنتصب انتصاب المفعول وما كافة لان واجاز الفرا الرفع علي ان يجعل ما بمعني الذي ويحذف الخبر اي تقضي ورفعت هذه الحياة الدنيا انا امنا ربنا اي صدقنا بالله وحده لا شريك له وما اكرهتنا عليه من السحر موسي ليغفر لنا خطايانا يريد الشرك الذي كانوا عليه وما اكرهتنا عليه من السحر ما في موضع نصب معطوف علي الخطايا وقيل لا موضع لها وهي نافيه اي ليغفر لنا خطايانا من السحر وما اكرهتنا عليه الخاسن والاول اولي المهدوي وفيه بعد لقولهم انزلنا بحرا اي كما كن الغالبين وليس هذا بقول مكرهين وان الاكراه ليس بذنب وان كان يجوز ان يكون الرهوا الي تعليمه صغارا قال الحسن كانوا يقولون انا سحرا فعالا ثم عملوه كفارين بعد ويجوز ان يكون ما في موضع رفع بالابتدا ويضمر الخبر والتقدير وما اكرهتنا عليه من السحر موضع عما وبني السحر علي هذا القول والقول الاول يتعلق باكرهتنا وعلي ان ما نافيه تتعلق خطايانا والله خير وابقي اي ثوابه خير وابقي فحذف المضاف قال ابن عباس وقيل الله خير لنا منك وابقي عذابا لنا من عذابك لنا وهو جواب قوله ولتعلمن ايينا اشد عذابا وابقي

وقيل خير الله لنا ان المعناوا بقي عذابا منك ان عصيناه **قوله تعالى** انه من يات ربه مجرما قيل هو من قول السحرة لما امنوا وقيل ابتدا كلام من الله عز وجل والكناية في انه يرجع الى الامر والشان ويجوز ان من تاب ومنه قول الشاعر

ان من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جاذرا وظبا

اراد انه من يدخل الامر هذا وهو ان المجرم يدخل النار والمومن يدخل الجنة والمجرم الكافر وقيل الذي يقترف المعاصي ويكتسبها والاول اشبه لقوله فان جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وهذه صفة الكافر المكذب الجاحد على ما تقدم بيانه في سورة النساء وغيرها فلا ينتفع بحياته ولا يستريح بموته قال الشاعر

الا من لبقتي لا يموت فتنقضي ولا يحيا حياة لها طعم

وقيل نفس الكافر معلقة في حنجرته كما اخبر الله تعالى فلا يموت فيستريح ولا يحيى باستقرارها ومن معنى يات ربه مجرما من بات موعدا به ومعنى من ياته موسى اي مات عليه وتوافيه مصدقا به قد عمل اي وقد عمل الصالحات اي الطاعات وما امر به ونهى عنه فاولئك لهم الدرجات العلى اي الرفيعة التي فضلت دونها الصفات ودل قوله ومن ياته موسى على ان المراد بالمجرم المشرك **قوله تعالى** جنات عدن بيان للدرجات وبدل منها والعدن الاقامة وقد تقدم بيانه مجزيا من تحتها الانهار من الخمر والعسل واللبن والماء وقد تقدم خالدين فيها اي ماكثين دائمين وذلك جزاء من تزكى اي من تطهر من الكفر والمعاصي ومن قال هذا اين قول السحرة قال لعل السحرة سمعوه من موسى او من بني اسرائيل اذ كان فيهم بمصر اقوام وكان فيهم ايضا المومن من ال فرعون فكتم وعقل ان يكون ذلك الهاما من الله لهم او نبههم بذلك لما امنوا والله اعلم

قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي تقدم الكلام في هذا مستوفى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا اي يابسا لا طين ولا ماء وقد مضى في البقرة ضرب موسى البحر وكسبه آياه وغرق فرعون فلا معنى للاعادة لا تخاف دركا اي لحاقا من فرعون وجنوده ولا تخشى قال ابن جريج قال اصحاب موسى له هذا فرعون ادركنا وهذا البحر قد غشينا فانزل الله تعالى لا تخاف دركا ولا تخشى اي لا تخاف دركا من فرعون ولا تخشى غرقا من البحر ان غشيك وقرا اصره لا تخف على انه جواب الامر التقدير ان يضربه لم يطر يقا في البحر لا تخاف ولا تخشى مستانف على تقدير ولا انت لا تخشى اذ يكون مجزوما والالف مشبعة من فتحة لقوله فاضلونا السبيلا او يكون على حد قول الشاعر

كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا

على توهم حذف الحركة كما يحذف حركة الصحيح وقال هذا مذهب الفراء وقال اخر

هجوت زيان ثم جئت معتذرا من هجو زيان لم تهجو ولم تدع

وقال اخر

الم يانيك والانباء تنمي كاكلت لبون بني زياد

قال النحاس وهذا من اقبح الغلط ان يحمل كتاب الله عز وجل على الشذوذ من الشعر وايضا فان الذي جاء به من الشعر لا يشبه من الا يتين شيئا لان الالف واللام لم تحذفا لان الاسمين يحركان والالف لا تحرك فللشاعر اذا اضطر ان يعيد هما محركتين لم تحذف الحركة للجزم وهذا محال في الالف واللام لان بعده ولا تخشى مجمع عليه بالجزم وفيه ثلاث تقديرات الاول ان يكون لا تخاف في موضع الحال من المخاطب التقدير فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا غير خائف ولا خاس الثاني ان يكون في موضع الصفة للطريق اي مضروبا على يبس الذي هو وصفه ويكون التقدير لا تخاف فيه فحذف الراجع من الصفة والثالث ان يكون منقطعا جئ به لتدارك ما توهمت لا تخاف **قوله تعالى** فاتبعهم فرعون بجنوده اي لحقهم ومعه جنوده وقرئ فاتبعهم بالتشديد فيكون الباء في جنوده عدت الفعل الى المفعول الثاني لان اتبع يتعدى الى مفعول واحد اي تبعهم لحقهم بجنوده اي جنوده معهم يقال ركب الامير بسيفه اي مع سيفه ومن قطع فاتبع يتعدى الى مفعولين فيجوز ان يكون الباء زائدة ويجوز ان يكون اقتصر على مفعول واحد يقال تبعه واتبعه ولحقه واحقه بمعنى واحد وقوله بجنوده في موضع الحال كانه قال فاتبعهم سابقا جنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اي اصابهم من البحر ما غرقهم وكرر على معنى التفخيم والمعرفة بالامر

واضل

واضل فرعون قومه وما هدا اي اضلهم عن الرشد وما هداهم الى حين دعاه انه
مذ ران موسى عليه السلام ومن معه لما هو تو بكان بين ايديهم البحر فلما ضرب موسى
البحر بعصاه انفلق منه اثنا عشر طريقا وبين الطرق الماء في سورة الشعراء فكان كل فرق
كالطود العظيم اي الجبل الكبير فاخذ كل سبط طريقا واوحى الله الى الطوائف ان تتماشى
فصارت شبكات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض فكان هذا من اعظم
المعجزات واكبر الايات فلما اقبل فرعون ورايه الطرق في البحر واما قائما اوهمهم
ان البحر فعل هذا لهيبته فدخل هو واصحابه فانطبق البحر عليهم وقيل ان قوله
وما اهديكم الا سبيل الرشاد فلكن به الله تعالى وقال بن وما هدا اي ما هدى نفسه
بل اهلك نفسه وقومه **قوله تعالى** يا بني اسرائيل قد انجيناكم
من عدوكم لما انجاهم من فرعون قال لهم هذا لتشكروا وواعدناكم جانب الطور
الايمن جانب نصب على المفعول الثاني لواعدنا ولا يحسن ان ينتصب على الظرف
لانه ظرف مكان مختص تميز منهم وانما يتعدى الفعال والمصادر الى ظروف المكان
بغير حرف جر اذا كانت مبهمة قال مكي هذا اصل الخلاف فيه وتقدير الاية
واوعدناكم ايمان جانب الطور ثم حذف المضاف قال النحاس اي امرنا موسى
ان نامركم بالخروج معه لنكلمه بحضرتكم فتسمعوا الكلام وقيل وعد موسى بعد انفراق
فرعون اذا ياتي جانب الطور الايمن فيؤتيه التوراة فالوعد كان لموسى ولكن
خوطبوا به لان الوعد كان لاجلهم وقرا ابو عمرو ووعدناكم بغير الف واختاره ابو
عبيد لان الوعد انما هو من الله تعالى لموسى خاصة والمواعدة لا يكون الا من اثنين
وقد مضى في البقرة هذا المعنى والايمن نصب لانه نعت للجانب وليس للجبل يمين
ولا شمال فاذا قيل جدعن يمين الجبل فمعناه جدعلى يمينك من الجبل وكان على
يمين موسى اذا اتاه ونزلنا عليكم المن والسلوى اي في التيه وقد تقدم القول فيه
كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من لذيذ الورق وقيل من حلاله اذ لا صنع فيه
لادمي فيدخله شبهة ولا يطغوا فيه اي لا يحملكم اسعه والعافية ان تطغوا لان
الطغيان التجاوز الى ما لا يجوز وقيل المعنى اي لا تكفروا المعنى ولا تنسوا شكر النعم
ولا شكر المنعم عليكم وقيل اي ولا تستبدلوا به شيأ اخر قال استبدلون الذي هو
ادنى بالذي هو خير وقيل لا تدخروا منه لاكثر من يوم وليلة قال ابن عباس فيكدود
عليهم ما ادخروه ولولا ذلك ما يدود طعام ابدا فيحل عليكم غضبي اي يجب وينزل
وهو منصوب بالفاء في جواب النهي من قوله ولا تطغوا ومن يحلل عليه غضبي فقد
هوى قرا الاعمش ويحيى بن وثاب والكسائي فيحل بضم الحاء ومن يحلل بضم اللام الاولى
الباقون بالكسر وهما لغتان وحكى ابو عبيد وغيره انه قال حل يحل اذا وجب وحل
يحل اذا نزل وكذا قال الفراء الضم من الحلول بمعنى الوقوع والكسر من الوجوب
والمعنيان متقاربان الا ان الكسرا ولى لانهم قد اجمعوا على قوله ويحل عليه عذاب
مقيم وغضب الله عقابه ونعمته وعذابه فقد هوى قال الزجاج فقد هلك اي صار
الى الهاوية وهي قعر النار من هوى يهوي هويا اي سقط من علو الى سفل وهوى فلان
اي مات وذكر ابن المبارك انا اسمعيل قال ثنا بعلبة بن مسلم عن ابوب
ابن بشير عن سفي الاصبحي قال ان في جهنم جبلا يدعى صعودا يطلع فيه الكافر
اربعين خريفا قبل ان يرقاه قال الله تعالى سارهقه صعودا وان في جهنم قصرا يقال
له هوى يرمى الكافر من اعلاه فيهوي اربعين خريفا قبل ان يبلغ اصله قال الله تعالى
ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وذكر الحديث وقد ذكرناه في كتاب التذكرة **قوله تعالى** واني لغفار لمن تاب من الشرك وامن وعمل صالحا
ثم اهتدى اي اقام على ايمانه حتى مات عليه قاله سفيان الثوري وقتادة وغيرهما
وقال ابن عباس اي لم يشك في ايمانه ذكره الماوردي والمهدوي وقال سهل بن
عبد الله البشتري وابن عباس ايضا اقام على السنة والجماعة ذكره الثعلبي وقال
الحسن اخذ سنة النبي صلى الله عليه وسلم ذكره المهدوي وحكاه الماوردي عن
الربيع بن انس وقتادة خامس اصناف العمل قال ابن زيد وعنه ايضا نعم العمل لمتمسك
كيف يفعل ذكر الاول المهدوي والثاني الثعلبي وقال الشعبي ومقاتل والكلبي علم

ان لذلك ثوابا وعليه عقابا وقاله العوا وقول ما من ثم اهتدى في وما بين اهل بيت النبي صلى
الله عليه وسلم قاله ما بت البناني والقول الاول احسن هذه الاقوال ان شاء الله واليه يرجع
سايرها قال وكيع عن سفيان كنا نسمع في قوله عز وجل واني لغفار لمن تاب اي بين الشرك وامن
اي بعد الشرك وعمل صالحا صلى وصام ثم اهتدى مات على ذلك **قوله تعالى**
وما اعجلك عن قومك يا موسى اي ما حملك على ان سبقتهم قيل عني بالقوم جميع بني
اسرايل فعلى هذا قيل استخلف هارون على بني اسرايل وخرج معه سبعين رجلا
للميقات فقوله هم اولاي على اثري ليس بين يديهم يسيرون خلفه متوجهين بل اراد
انهم بالقرب مني ينتظرون عودي اليهم وقيل لا بل كان امرهم ان يسيروا في بني
اسرايل اثره ويلحقوا به وقال قوم اراد بالقوم السبعين الذين اختارهم وكان
موسى لما قرب من الطور سبقهم سوقا الى سماع كلام وقيل لما وقد الى طور سينا بالموعد
اشتاق الى ربه وطابت عليه المسافة من شدة الشوق الى الله تعالى فضاق به الامر
حتى شق فتيصده ثم لم يصبر حتى خلفهم ومضى وحده فلما وقف في مقامه قال الله
تبارك وتعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى فبقي صلى الله عليه وسلم متحيرا عن اجواب
هذه الكلمة لما استقبله من صدق الشوق فاعرض عن اجواب وكني عنه بقوله هم اولاي
على اثري واغا سأله عن السبب الذي اعجله بقوله ما فاخبر عن محبتهم بالاتباع قال
وعجلت اليك رب لترضى قال شوقا وكانت عايشة رضي الله عنها اذا اوات الى فراشها
تقول هاتوا المجير فيؤتى بالمصحف فيأخذه في صدرها وينام معه فتتلى بذلك
رواه سفيان عن مسعر عن عايشة وكان عليه السلام اذا مطرت السما خلع ثيابه
ويجرد حتى يصيبه المطر وتقول انه حديث عهد بربه فهذا من الرسول صلى الله عليه
وسلم وممن بعده من قبل الشوق ولذلك قال تبارك اسمه فيما يروي عنه طال
شوق الابرار الى لقايي وانا الى لقايهم اشوق وقال ابن عباس كان الله عالما ولكن
قال وما اعجلك عن قومك رحمة لموسى والزاما له بهذا القول وتسكينا لقلبه ورقة
عليه فقال مجيبا لربه هم اولاي على اثري قال ابو حاتم قال عيسى بنو تميم يقولون
هم اولا بقصورهم مرسله واهل الحجاز يقولون اولا ممدود وحكى الفراء هم اولاي على
اثري وزعم ابو اسحق الزجاج ان هذا لا وجه له قال النحاس وهو كما قال لان هذا ليس
مما يضاف فيكون مثل هذا ولا يخلوا من احدى جهتين اما ان يكون اسما منهما
فاضافته محال واما ان يكون بمعنى الذي فلا يضاف ايضا لان ما بعده من تمامه
وهو معرفة وقرا ابن اسحق ونصر وروس عن يعقوب على اثري بكسر الهمزة واسكان
الثا وهو بمعنى اثر لغتان وعجلت اليك رب لترضى اي عجلت اتي الموضع الذي امرتني
بالمصير اليه لترضى عني يقال رجل عجل وعجل وعجول وعجلان بين العجلة والعجله حالتان
البط **قوله تعالى** فانا قد فتنا قومك من بعدك اي اخبرناهم
وامتحناهم بان يستدلوا على الله عز وجل واصلهم السامري اي دعاهم الى الضلالة
اذ هو سببه وقيل فتناهم القيناهم في الفتنة اي رديناهم عبادة العجل ولهذا قال
موسى ان هي الا فتنتك قال ابن عباس كان السامري من قوم يعبدون البقر
وقيل كان رجلا من القبط وكان جار الموسى امن به وخرج معه وقيل كان عظيما
من عظما بني اسرايل من قبيلة تعرف بالسامرة وهم بمصر وقرون بالشام قال
سعيد بن جبير كان من اهل كرمان **قوله تعالى** فرجع موسى الى
قومه غضبان اسفا حال وقد مضى في الاعراف بيانه مستوفى قال يا قوم الم
يعدكم ربكم وعدا حسنا وعدهم جل وعز الجنة اذا قاموا على طاعته ووعدهم انه
يسمعهم كلامه في التوراة على لسان موسى ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم
وقيل وعدهم النصر والظفر وقيل وعد قوله واني لغفار لمن تاب وامن الايه اوطال
عليكم العهد اي افسيتم كما قيل والشي قد ينسى لطول العهد ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم يجل اي يجب وينزل والغضب العقوبة والنقمة والمعنى ام اردتم
ان تفعلوا فعلا يكون سببا لحلول غضب الله بكم لان احدا لا يطلب غضب الرب
بل يرتكب ما يكون سببا للغضب فاخلفتم موعدي اتيانكم وعدهم ان يقيموا على طاعة
الله عز وجل الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدهم في اثره للميقات فتوقفوا
قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بفتح الميم وهي قراءة نافع وعاصم وعيسى بن عمر

قال

قال مجاهد والسدي ومعناه لطاقتنا ابن زيد لم نملك انفسنا اي كنا مضطرين وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عباس بملكنا بكسر الميم واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانها
اللغة العالية وهو مصدر ملكت الشيء املكه ملكا والمصدر مضاف إلى الفاعل
والمفعول محذوف كانه قال بملكنا الصواب بل اخطانا فنوا عراف منهم باخطا
وقراءة الكسائي بملكنا بضم الميم والمعنى سلطانا اي لم يكن لنا ملك فنخالف
موعدك ثم قيل قوله قالوا عام يراد به الخاص اي قالوا الذين ثبتوا على طاعة
الله ابي ان يرجع اليهم من الطور ما اخلفنا موعدك بملكنا وكانوا اثني عشر
الفا وكان جميع بني اسرائيل ستمائة الف ولكنا حملنا بضم الحاء وتشديد الميم
مكسورة قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وحفص ورويس الباقون بفتح الحاء
خفيفة واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانهم حملوا حلي القوم معهم وما حملوه كرها
او زارا اي اثقالا من زينة القوم اي من حليهم وكانوا استعاروه حين الخروج مع
موسى عليه السلام او هو ما انهم يجتمعون في عيد لهم او وليمة وقيل هو ما اخذوه
من آل فرعون لما قذفهم البحر الى الساحل وسميت اوزارا بسبب انها كانت اياما
اي لم يحل لكم احدها ولم يحل لهم الغنائم وايضا قالا وزارا هي الاثقال في اللغة
فقذفناها اي القينا علينا حمل ما كان معنا من الحلي فقذفناه في النار ليذوب
اي طرحناه فيها وقيل طرحناه الى السامري لترجع قربي فيم رايك ان السامري
قال لهم حين استبطا موسى القوم انما احبس عليكم من اجل ما عندكم من الحلي
فجمعوه وقذفوه الى السامري فرمى به في النار وصاغ لهم منه عجلا ثم القى عليه
قبضة من اثر فرس الرسول وهو جبريل عليه السلام وقال معمر القبضة من اثر
كان عليه جبريل هو الحيوه فلما القى القبضة عليه صار عجلا جسدا له جوار وله خوار
صوت البقر وقال ابن عباس لما امسكت الحلي في النار رجا السامري وقال لهارون
يا نبي الله القي ما في يدي وهو يظن انه كبعض ما جاء به غيره من الحلي فقذف
التراب فيه وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان كما قال للبلاء والفتنة فخار خورة
واحدة لم يبن منها ومثلها وقيل خواره وصوته كان بالريح لانه عمل فيه خروقا
فاذا دخلت الريح في جوفه خار ولم تكن فيه حياة وهذا قول مجاهد وعلى القول
الاول كان عجلا من لحم ودم وهو قول الحسن وقتادة والسدي وروي عمار عن
سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مر هرون بالسامري وهو يصنع
العجل فقال له ما هذا فقال لنفع ولا يضر فقال اللهم اعطه ما سالك على ما في نفسه
فقال اللهم اني اسالك ان يخور فكان اذا خار سجد واوكان الخوار من اجل دعوة
هرون قال ابن عباس خار كما يخور الحي من العجول وروي ان موسى قال يا رب
هذا السامري اخرج لهم عجلا جسدا له خوار من حليهم من جعل العجل وانخوار
قال الله تعالى انا قال لموسى صلى الله عليه وسلم وعزتي وجلالي وعلوي وسلطاني
ولرفاعك ما اضلهم غيرك قال صدقت يا حكيم احكما وقد تقدم هذا كله في سورة
الاعراف فقالوا هذا الهكم واله موسى اي قال السامري ومن تابعه وكانوا ممالين
الى التشبيه اذ قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة هذا الاهكم واله موسى فنسي
اي فضل موسى فذهب يطلب ربه وقيل معناه فتركه
موسى هنا وخرج لطلبه اي نترك موسى الهه هنا وروى اسرائيل عن سماك عن عكرمة
عن ابن عباس قال اي فنسي موسى ان يذكر لكم انه الهه وقيل الخطاب حينئذ للسامري
اي نزك السامري ما امره بموسى من الايمان فضل قاله ابن الاعرابي فقال الله تعالى
محتجا عليهم افلا يرون اي يعتبرون ويتفكرون في انه لا يرجع اليهم قولا اي لا يكلمهم
وقيل لا يعود الى الخوار والصوت ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكيف يكون الها والذي
يعبده موسى صلى الله عليه وسلم يضر وينفع ويعطي ويمنع وان لا يرجع بتقدير
اي لا يرجع قلبت الضمة فتحة لتنفتح الفعل فحذفت ان وحذف الضمير وهو الاختيار من الروية
والعلم والظن قال في قتيبة سئل سوق من الهند قد علموا ان هلاك كل من يخفي وستعل
وقد تحوز مع التشديد بيد قال

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكن زنجيا عظيم المشافر

اي ولكنك **قوله تعالى** ولقد قال لهم هارون من قبل اي من قبل

ان باتي موسي ويرجع اليهم ياقوم انما فتنتم به اي ابتليتم فاضللتم به اي بالعجل وان
ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني في عبادته واطيعوا امري ٢ امرا لسامري اي فا تبعوني
في مسيري الي موسي ودعوا العجل فعصوه وقالوا لن نبرح عليه عاكفين اي لن نزال
مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسي فينظر هل يغيره كما غيرنا وقولهم
ان موسي يريد العجل فاعتزلهم هرون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع
موسي وسمع الصياح واخلبه وكانوا يرقصون حول العجل كما كان السبعون سمعوا
صوت الفتنة فلما راي هرون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وقال
ياهرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا اي اخطوا الطريق وكفروا ان لا تتبعني ٢ ازايدة
اي ان تتبع امري ووصيتي وقيل ما منعك من اتباعي في الانكار عليهم وقيل معناه
هلا قاتلتهم اذ قد علمت اني لو كنت بينهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل ما منعك من اللحوق
بي لما فتنوا افعصيت امري يريد ان مقامك بينهم وقد عبدوا غير الله تعالى عصيان
منك لي قاله ابن عباس وقيل معناه هلا فارقتهم فتكون مفارقتك اياهم لغيرهم قتالهم
وزجرا ومعنى افعصيت امري قيل ان امره ما حكاه الله تعالى عنه وقال لموسى
لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما اقام معهم وكم
يبالغ في منعهم والانكار عليهم بسبب لي عصيانه ومخالفة امره مسلة وهذا كله
اصل في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره ومفارقة اهله قال المفسرون
ياسما اذا كان راضيا حكمه لحكمهم وقد مضى هذا المعنى في آل عمران والنساء والمائدة
والانعام والاعراف والانفال وسيل الامام ابو بكر الطرطوسي رحمه الله بما يفوت
سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية واعلم حرسك الله مدة انه اجتمع جماعة من
رجال فيكثر وامن ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقفون
بالقصب على شيء من الادم ويقوم بعضهم يرقص وبواحد حتى يقع مغشيا عليه هم
ويحضرون شيا ياكلونه هل يحضورهم لجايز ام لا افتونا يرحمكم الله وهذا القول
يذكرونه يا تشيخ كف عن الذنوب قبل التفوق والدلدل واعمل لنفسك صالحا مادام
ينفوك العمل اما الشباب فقد مضى وشيب راسك قد نزل وفي هذا وجوه
الجواب يرحمك الله مذهب الصوفية كماله وجماله فضلا له وما الاسلام الا
كتاب الله وسنة رسوله واما الرقص والواحد فاول من احدثه اصحاب السامري
لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حوليه ويتواجدون ويتوددون
الكفار وعباد العجل واما القصب فاول من اتخذ الزنار فقه ليشغلوا به المسلمين
عن كتاب الله تعالى ولما كان مجلس النبي صلى الله عليه وسلم يجمع اصحابه دائما على
رؤوسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور في المساجد
وغيرها ولا يحل لاحد يومن بالله واليوم الاخر ان يحضرهم ولا يعينهم على باطلهم
هذا مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم من ائمة المسلمين
وبالله التوفيق **قوله تعالى** يا بن ام لا تاخذ بلحيتي ولا برايسي بن
عباس اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بيساره لان الغيرة في الله ملكته اي لا تفعل هذا
ليتوهموا انه منك استخفاف او عجزه وقيل ان موسي عليه السلام انما فعل هذا
غير استخفاف ولا عقوبة كما ياخذ الانسان لحية نفسه وقد مضى هذا المعنى في
الاعراف مستوفى والله عز وجل اعلم بما اراد نبيه عليه السلام اني خشيت ان
تقول فرقت بين بني اسرايل اي خشيت ان اخرج واتركهم وقد امرتني ان احرج
معهم فلو خرجت لاتبعني قوم ويتخلف عني العجل قوم وربما ادي الامر الى سفك
الدما وخشيت ان رجعهم ان يقع قتال فيلومني وهذا جواب هرون لموسي عليهم
السلام افعصيت امري وفي الاعراف ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
وقد تقدم ومعنى ولم ترقب قولي لم تعمل بوصيتي في حفظهم لانك امرتني ان اكون
معهم عبدة لم يتظر عهدي وقدومي فتركه موسي ثم اقبل على السامري فقال
ما خطبك اي امرك وشانك وما الذي حملك على ما صنعت قال قتادة كان السامري
عظيما في بني اسرايل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله بانق بعد ما فطح
البحر موسي فلما مرت بنو اسرايل بالعمالقة وهم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسي
اجعل لنا الها كما لهم الهة فاغتنم السامري وعلم انهم يميلون الى عبادة العجل فقال

السامري بصرت بما لم يبصروا به يعني رأيته مالم يروا رأيت جبريل على فرس فالقي في نفسي ان اقبض من اثر قبضة فما القيته على شيء الا صار له روح ولحم ودم فلما سألوك ان تجعل لهم الها ذينت لي نفسي ذلك وقال علي رضي الله عنه لما نزل جبريل ليصعد بموسى الى السماء قال السامري من بين الناس فقبض قبضة من اثر الفرس وقيل قال السامري رأيت جبريل على الفرس وهي تلقا خطوتها مدا البصر فالقى في نفسي ان اقبض من اثرها فما القيته على شيء الا صار له روح ودم وقيل راى جبريل يوم نزل على رمكة ودنى فيقدم جبل فرعون في وري ودا البحر ويقال ان ام السامري جعلته حين وضعته في عار حوفا من ان يقتله فرعون فجاء جبريل عليه السلام فجعل كف السامري في فم السامري فوضع العسل والدين فاختلف اليه فهو فيه من حينئذ وقد تقدم هذا المعنى في الاعراف ويقال ان السامري سمع كلام موسى عليه السلام حين كلم احدهما يوم الورد الاخر فرس فالقاهما في النيل طلب فرس يوسف وكان لي تابوت من حجر في المنزل فاتى به البور على فرسه فتكلم السامري بذلك الكلام الذي سمعه من موسى والقى القبضة في جوف العجل فخار وقرا حمزة والكسائي والاعمش وخلف بما لم يبصروا بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الخبر وقرا ابي بن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة فقبضت قبضه بضاد غير معجمة وروي عن الحسن ضم القاف من قبضه والصاد غير معجمة الباقون فبضت قبضة بالصاد معجمة والفرق بينهما ان القبض بجميع الالف والقبض باطراف الاصابع ونحوها الحصم والقبصه بضم القاف القدر المقبوض ذكره المهدوي ولم يذكر الجوهري قبضة بضم القاف فالصاد غير معجمة وانما ذكر القبصه بضم القاف فالصاد المعجمة وهو ما قبضت عليه من شيء يقال اعطاه قبضه من سويق او تمر اي كفا منه وربما جاء بالفتح قال والقبض بكسر القاف والصاد غير المعجمة العدد الكثير من الناس قال الشاعر

كم مسجد الله المزوران فالحي كم قبضه من بين اثري وامزي فيها

اي طرحتها في العجل ولذلك سولت لي نفسي اي زينته قاله الاخفش وقال ابن زيد حدثني نفسي فالمعنى متقارب قال فاذهب اي قال له موسى فاذهب اي من بيننا فان لك في الحياة ان تقول لا مساس اي لا امس ولا امس طول الحياة فنفاه موسى من قومه وامر بني اسرائيل ان لا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له قال الشاعر

تميم كرهط السامري وقوله ... لا يريد السامري مساسا

قال الحسن جعل الله عقوبة السامري ان لا يماس ولا يماسوه عقوبة له وان كان منه الى يوم القيمة فكان الله عز وجل شدد عليه المحنة بانه جعله لا يماس احدا ولا يمكن من ان يمسه احد وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا ويقال ابتلي بالوسواس واصل الوسواس من ذلك الوقت وقال قتادة بقايا هم الى اليوم يقولون ذلك لا مساس فان مس واحد من غيرهم احدا منهم حم كلاهما في الوقت ويقال ان موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى له لا تقتله فانه سخي ويقال ان السامري لما قال له موسى فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس خلق هاربا فجعل يهيم في البرية مع السباع والوحش لا يجد احدا من الناس يمسه حتى صار كالطائر لا مساس ليجده عن الناس وبعد الناس عنه كما قال الشاعر

حمل راياتها فناعسا حتى يقول الا لا مساس مسلة هذه الاية اصل في نفي اهل البدع والمعاصي وهجرانهم وان لا يخالطوا وقد فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بكعب بن مالك والثلاثة الذين خلفوا ومن التجا الى الحرم قيل لا يقبل عند بعض الفقهاء ولكن لا يعامل ولا يبايع ولا يشاري وهو اراها في الخروج ومن هذا القبيل الحريب في حد الزنا وقد تقدم جميع هذا كله في موضعه فلا معنى لاعادته والحمد لله وقال هرون القاري ولغة العرب لا مساس بكسر السين وفتح الميم وقد تكلم النحويون فيه فقال سيبويه هو مبني على الكسر كما يقال امرأة حذام وقال ابو اسحق لا مساس وكسرت السين لان الكسرة من علامة التانيث تقول فعلت المراة قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول اذا اعتل الشيء من بيت جهات وجب ان يبني واذا اعتل من

من جهتين وجب ان لا ينصرف لانه ليس بعد الصرف الا البناء فمساس ودراك اعتل من ثلث
جهات منها انه معدول ومنها انه مؤنث وانه معرفة فلما وجب البناء فيه وقعت الالف
قبل السين ساكنة كسرت السين لالتقاء الساكنين كما تقول اضرب الرجل ورايت ابا
اسحق يذهب الي ان هذا القول خطا واكرم ابا العباس اذا سمى امراة بفرعون ان
يسميه وهذا لا يقوله احد وقال الجوهري في الصحاح واما قولهم العرب كاساس مثال
قطام فانما بني على الكسر لانه معدول عن المصدر وهو المس وقرا ابو حيوة لاساس
وان لك موعدا لن تخلفه يعني يوم القيمة والموعد مصدر اي ان لك وعدا لعذابك
وقرا ابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام وله معنيان احدهما بمثناتيه ولن يجد
مخلفا كما تقول احدثه اي وجدته محمودا والثاني على التهديد اي لابد لك من ان تصير
اليه الباقون بفتح اللام بمعنى ان الله لن يخلفك اياه
وانظر الى الاهك الذي ظلت عليه عاكفا اي دمت واقمت عليه عاكفا اي ملازما واصله
ظللت قال حكي ان القناق من المطايا احسن به فهن الهين سوس اي احسن ولذلك
قرا الاعمش بلامين على الاصل وفي قراءة بن مسعود ظلت بكسر الظا يقال ظللت افعل
كذا اذا فعلته نهارا وظلت وظلت ممن قال ظلت حذف اللام الاولى تخفيفا ومن قال
ظلت ابقى حركة اللام على الظا لتدل عليه قرا العامة بضم النون وشد الرا ومن حرق هو
يحرق وقرا الحسن وغيره بضم النون وسكون الحا وتخفيف الرا من احرقه يحرقه وقرا
علي وابن عباس وابو جعفر وبن محيصن واشهب العقيلي لنحرقنه بفتح النون وضم الرا
خفيفة من حرقت الشي احرقه حرقا بودته وحكيته بعضه ببعض ومنه قولهم حرق
عليه يحرقه ويحرقه اي سحقه حتى سمح له صرف فمعنى هذه القراءة لنبردنه بالمبارد وقال
المبرد المحرق والمحراق واحد وليان معناهما المحرق بالنار وقد يمكن جمع ذلك فيه قال
السدي ذبح العجل فسال منه كما يسيل من العجل اذا ذبح ثم برد عظامه بالمبرد وحرقه
وفي حرف بن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه والدم اذا جف صار رمادا فيمكن ان
يذر رميه في اليم فاما الذهب فلا يصير رمادا وقيل عرف موسى ما صار به الذهب رمادا
وذلك من ايائه ومعنى لننسفنه لنطيرنه وقرا ابو رجا لننسفنه بضم السين لغتان
والنسف بعض الشي ليذهب والريح وهو البدريه والمنسف ما ينسف به الطعام
وهو شي منصوب الصدر اعلاه مرتفع والنسابه ما سقط منه يقال اعزل النسافه
وكل لكالص يقال اناما ولان كان لحينه منسف حكاه ابو نصر احمد بن حاتم فالمنسفة
الة يقلع بها العنبا ونسفت العنبا نسفا قلعته ونسف البعير الكلا ينسفه بالكسر
اذا اقتلعه باصله وانتسفت الشي اقتلعته عن الي زيد
انما الهكم الله الذي لا اله الا هو لا الجهل وسع كل شي علما اي وسع علمه كل شي يفضل
الفضل من العلم وتصب على التمييز وقرا مجاهد وقتادة وسع كل شي علما
كذلك الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف فلذلك كما قصصنا عليك حتى موسى
كذلك يقص عليك قصصا كذلك من اخبار ما قد سبق يكون تسليه لك ودليل
على صدقك وقد اتيناك من لدنا ذكرا يعني القران وسمي القران من لدنا ذكرا اي
يسر ذكرا كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي شرف وتنويه باسمك
من اعرض عنه اي عن القران فلم يومن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا اي
اثما عظيما وحملا ثقيلا خالدين فيه اي في جزاء ذلك الوزر مقيمين فيه اي في جزايه وجزاوه جهنم
وساء لهم يوم القيمة حملا يريد بيس الحمل حملوه يوم القيمة وقرا داود بن رفيع
فانه تحمل يوم ينفخ في الصور قراءة العامة ينفخ بضم الياء على
الفعل المجهول وقرا ابو عمرو وبن ابي اسحق بنون مسمى الفاعل واستدل ابو عمرو بقوله
ونحشر بنون ومن ابي هريرة ينفخ بنا اياه ينفخ ابو اسحق ابو ميسرة في الصور الباقون
في الصور وقد تقدم هذا في اول الانعام ويسوقي في كتاب التذكرة وقرا طلحة بن مصرف ونحشر
بهم الياء المجرمون رفعا بخلاف المصحف والباقون ونحشر المجرمين اي المشركين زرقا حال
من المجرمين والزرق خلاف الكحل والعرب تتشاءم بزرقة العيون وتذمه اي تسود
حدقتهم بزرقة عيونهم وسواد وجوههم وقال الكلبي والفراء زرقا اي عميا وقال
الازهري عطاسا قد ازرقت اعينهم من شدة العطش وقاله الزجاج قال ان سوادهم
يتغير ويزرق من العطش وقيل انه الطمع الكاذب اذا خفقته اخيبته يقال انتصب

بين لطول انتظاري للدا وقول خامس ان المراد بالرزق تسخوص البصر من شدة الخوف
قال الشاعر

لقد رزقت عيناك يا بن مطير كما كل صبي من اللوم ازرق

يقال ازرق العين فالمراة ان قالوا رزقا وان قالوا رزقت عينه ازرقا وقال سعيد بن جبير قتل
لابن عباس في قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال في موضع اخر ونحشرهم يوم القيمة
على وجوههم عميا وبكما وصما قال لان يوم القيمة احوال فحاله يكونون فيهم زرقا وحاله
عميا يتخافتون بينهم اصل الخبت في اللغة السكون ثم قيل لمن خفض صوته حفته والمعنى
يتشاورون قاله مجاهد اي يقول بعضهم لبعض في الوقف سرا ان لبثتم يعني في
الدنيا وقيل في القبور الا عشرا يريد عشر ليال وقيل اراد ما بين النفختين وهو
اربعون سنة يرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار في قول ابن عباس فيستصغرون
تلك المدة او مدة مقامهم في الدنيا لشدة ما يرون من الاهوال يوم القيمة وقال
الى امثلهم اي اعدلهم قولا واعقلهم واعلمهم عند نفسه انهم ما لبثوا الا يوما واحدا
يقين لبثهم في الدنيا من فناء فالتقدير الا مثل يوم وقيل انهم من شدة المطلع
يعتقدون انهم انما لبثوا من يعم الى ضحاها راوه ليوم وقيل اراد بيوم لبثهم ما بين النفختين
او لبثهم في القبور على ما تقدم وعشرا ويوما منصوب بلبثتم
ويسئلونك عن الجبال اي عن حال الجبال يوم القيمة فقل جاهد ابعيا وكل سؤال
في القرآن هل بغير فا الا هذا الآن المعنى ان سألوك عن الجبال فقل فتضمن الكلام
معنى الشرط وقد علم الله انهم يسئلونه عنه فاجاب قبل السؤال وتلك اسؤلة
تقدمت سألوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فجا الجواب عقيب السؤال فلذلك
كان نظمها وهذا سؤال لمن يسئلوه عنه بعد فتفهمه نظيرها يسفا قال ابن
الاعرابي وغيره يعلوها فلا من اصولها ثم يصيرها رملا يسيل سيلا ثم يصيرها
كالصوف المنفوش نظيرها الرياح هكذا وهكذا قال فلا يكون الجبل كالصوف
الا المصبوغ ثم كالهبا المنثور فيذرها اي يذر مواضعها قاعا صفصفا القاع الا
بين الملسا لا نبات ولا ما قاله ابن الاعرابي وقال الزجاج هي والقاع المستوي
من الارض والجمع اقوع واقواع وقيعان صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها وقال الفرا
القاع مستنقع الما والصفصف المتعرا الكلي هو الذي لا نبات فيه وقيل المستوي
من الارض كانه على صف واحد في استوايه قاله مجاهد والمعنى واحد في القاع والصفصف
فالقاع الموضع المنكشف والصفصف المستوي الاملس وانشد سيبويه

وكم دونك بيتك من صفصف وذكرك ريا وعاقرها

وقاعا نصب على الحال والصفصف وصف في موضع الصفة فيها عوجا قال
ابن الاعرابي العوج بكسر العين في الحجاج والامت بالتحريك وقال ابو عمرو والعنان
وهي الفلال الصغار واحدتها امتة اي ارض مستوية لا انخفاض فيها ولا ارتفاع ها
تقول امتلا فما امتت وملاخ القريبة ملا لا امت فيها اي استرخا ولا امت
في اللغة المكان المرتفع وقال ابن عباس عوجا تلا ولا امتا رابية وعنه ايضا العوج والامت الارتفاع وقال
قتادة عوجا صدوعا ولا امتا اي اكمة وقال كان الامت الشقوق في الارض وقيل
الامت ان يغلظ مكان في الصلا او الجبل وتدق في مكان حكاه الصولي قلت
وهذه الاية تدخل في باب الرقاييه في الليالي وهي التي تسمى عندنا بالبرازين
واحدها برزقه تطلع في الجسد وحامله في اليد يلحق ثلاثة اعواد من بين الشعر
يكون في طرف كل عود عقده ثم يركل عقده على الليالي ويقرا الايه مرة ثم
تؤخذ الاعواد في مكان واحد ويعقد عليها الليالي فلا يبقى لها ان تحريك ذلك
في نفسي وفي غيري فوجدته نافعا باذن الله والحمد لله

يومئذ يتبعون الداعي يريد اسرافيل عليه السلام اذا نفخ في الصور لهاي لا عدول
له عنه اي عن دعايه لا يعرجون ولا يحرفون بل يسرعون اليه ولا يكتفون عنه
وعلى هذا اكثر المفسرين وقيل لا عوج له اي لدعايه وقيل يتبعونه اتباعا لا عوج له
فالمصدر مضمر والمعنى يتبعون صوت الداعي للحشر نظيره واستمع يوم ينادي
المنادي من مكان قريب الايه وخشعت الاصوات اي ذلت وسكنت عن ابن

قال لما اتى خبر النضير لواصفن سور المدينة والجبال اخشع وكل لسان سالت هناك
الهيبة للرحمن اي من اجله فلا تسمع الا همسا الهمس الصوت الخفي قاله مجاهد وعباس الحسن
الخفي الحسن وبن جرير هو صوت وقع الاقدام يضعه على بعض الى المحشر ومنه قول الراجر
وهن يمشين بنا هميسا يعني صوت اخفاف الابل في سيرها وقال
للاسد المهموس لانه يتمس في الظلمة اي يطلم وطاحفا قال رويد بصيد نفسه بالشدة
ليث يدق الاسد المهموسا والافيل الفيل والكاهوسا
وهمس الطعام اي مضغه وفوه مضغم قال الراجز
لقد رابت عجبا مذ امسا عجايزا مثل السعالى خمسا
ياكلن في رحلهن همسا لا ترك الله لهن ضرسا
وقيل الهمس تحريك الشفه واللسان وقرا ابي بن كعب تلا سطعون الا همسا والمعنى متقارب
اي لا تسمع لهم نطقا ولا كلام ولا صوت اقدام وساءم من خفا اخفا كيف ما يصرف ومنه
الحروف المهموسة وهي عشره يجمعها قولك حثه شخص فسكت وانما سمي احرف مهموسا
لانه اضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس **قوله تعالى** يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له من في موضع نصب على الاستثناء الخارج من الاول اي لا ينفع
الشفعة احدا الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضي له قولا اي رضي قوله في الشفاعة
وقيل المعنى اي انما تنفع الشفاعة لمن اذن له الرحمن في ان يشفع له وكان له قول يرضى
قاله ابن عباس يعلو قوله لا اله الا الله **قوله تعالى** يعلم ما بين ايديهم وما
خلفهم اي من امر الساعة وما خلفهم من امر الدنيا قاله قتادة وقيل يعلم ما يصير اليه من الثواب او العقاب وما خلفهم ما خلفوه وراءهم في الدنيا ثم قيل الا به عامه في
جميع الخلق وقيل المراد الذين يتبعون الداعي **قوله تعالى** ولا يحيطون به
علما الهاء في به لله تعالى اي احد لا يحيط به علما الا الاحاطه مستثره باحد وتعالي
الرب عن التحديد وقيل يعود على العلم اي احد لا يحيط علما مما يعلمه الله وقال الطبري
الضمير في ايديهم وخلفهم ويحيطون يعود على ايلائكم اعلم الله من بعدها انها لا تعلم
ما بين ايديها وما خلفها **قوله تعالى** وعنت الوجوه اي ذلت
وخضعت قاله ابن الاعرابي وغيره ومنه قيل للاسير عان وقال امية بن ابي الصلت
مليك على عرش السماوات ديان لعزته تعنو الوجوه وتسجد
وقال ايضا

ومنزله وجهي وخلقي كله في الساجدين لوجهه مسكورا

قال الجوهري عنا يعنو اذا خضع وذل واعناه غيره ومنه قوله تعالى وعنت الوجوه
للحي القيوم ويقال ايضا عنا فيهم فلان اسيرا اي اقام فيهم على اساره واحبس
وعناه غيره بعينه حبسه والعاني الاسير وقوله عناه وسوه عوان وعنت
به امور تزلت وقال ابن عباس عنت ذلت وقال مجاهد خشعت المراد ورد بي
الفرق بين الذل والخشوع وانما تقارب معناهما هو ان الذل ان يكون ذليل
النفس والخشوع ان يتذلل لذي طاعة وقال الكلبي عنت اي عملت عملها في
استسلمت وقال طلق بن حبيب لم وضع الجبهة والانف على الارض في السجود
النحاس عنت الوجوه في معناه قولان احدهما ان هذا في الاخره وروي عكرمه عن
ابن عباس وعنت الوجوه للحي القيوم قال الركوع والسجود ومعنى عنت في اللغة
القهر والغلبة ومنه فتحت البلاد عنوه اي غلبه قال الشاعر
فاجدوها عنوة عن مودة ولكن بضرب المشرفي استقالها
وقيل هو من العناء يعني التعب وكني عن الناس بالوجوه لان اثار الذل تبين
في الوجه للحي القيوم وفي القيوم ثلاث تاويلات احدها انه قايم بتدبير الخلق
الثاني انه قايم على كل بما كسبت الثالث انه الدايم الذي لا يموت ولا يزول ولا يبيده
وقد خيب في الدنيا هذا وقد خاب من حمل ظلما اي خسر من حمل شركا **قوله**
تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن لان العمل لا يقبل من غير
ايمان ومن في قوله من الصالحات للتبعيض اي شيا من الصالحات وقيل للجنس
فلا يخاف قرا ابن كثير ومجاهد وابن محيصن يخف بالجزم جوابا لقوله ومن يعمل الباقون
يخافون رفعا على الخبر فهو لا يخاف اوفاته لا يخاف ظلما اي نقصا لثواب طاعته والزيادة

عليه في سبيله وهما بالاستفاض والهضم المفتح وبالكسر مبالغة فيه ومنه ذكي من يحيى
اي خطته وبركته وهذا يهضم الطعام اي يسهل عمله ولمرة هضيم الكشح اي ضامر
البطن الماوردي والفرق بين الظلم والهضم ان الظلم بالمنع من الحق كله والهضم المنع
من بعضه والهضم ظلم ولن افترقا من وجه قال المتوكل الليثي

اي الا علموا اليوم ميسر ولا هم المهتضم المظلوم

قال الجوهري يقال رجل هضيم ومهتضم اي مظلوم فالهضم في كله واهتضمه ان الظلم و
كسر عليه حقه **قوله** وكذلك انزلناه قلبناه كما نهينا لكم في هذه السورة من الثمار
فلذلك جعلناه قرانا عربيا بلغة العرب ومن مذاهبهم بتقريب الموعد اي جعلناه في
من الملاحم والتهديد والثواب والعقاب بعلامهم يتقربون اي يحاذرون المعاصي
معاصيه ويحذرون عقابه او يحدث لهم ذكرا اي موعظة وقال قتادة محذرا او ورعا
وقيل شرفا فالذكر هاهنا بمعنى الشرف كقولهم انه لذكر لك ولقومك وقيل
اي ليتذكر والعذاب الذي يوعدوا به وقرا الحسن او يحدث لهم التوبة وروي
عنه رفع الثاء وجزمها **قوله تعالى** فتعالى الله الملك الحق
لما عرف العباد عظيم نعمه وانزال القرآن نزه نفسه عن الاولاد والاشباه فقال
فتعالى الله اي جل الله الملك الحق اي ذو الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى
اليك وحيه على نسخه كيف سلقي القرآن قال ابن عباس كان عليه السلام يبادر
جبريل فيقرأ قبل ان يفرغ جبريل من الوحي حرصا على الحفظ وشفقة على القرآن
مخافة النسيان فنهوا عن ذلك وامروا ان لا يعجلوا بالقرآن وهذا كقوله لا تحرك
به لسانك لتعجل به اخرجاه يا في وروي عن ابي نجيح عن مجاهد قال لا تسله وقيل المعنى
لا تلقه الى الناس قبل ان يأتيك بيان تأويله وقال الحسن نزلت في رجل لطم
وجه امرأته فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم تطلب القصاص فجعل النبي صلى
الله عليه وسلم لها القصاص فنزل للرجال قوامون على النساء ولهذا قال وقل رب
زدني علما اي فهما لانه عليه السلام حكم بالقصاص واي الله ذلك وقرا ابن مسعود
وغيره من قبل ان يقضي بالنون وكسر الضاد **قوله تعالى**
ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي قرا الاعمش باختلاف عنه فنسي باسكان التا
وله معنيان احدهما ترك اي ترك الامر والتعهد وهذا قول مجاهد والكلبي والضحاك
ومنه نسوا الله فنسيهم وقال ابن عباس نسي هنا من السهو والنسيان وانما احد
الانسان من انه عهد اليه فنسي قال ابن زيد نسي ما عهد اليه في ذلك ولو كان
له عزم ما اطاع عدو ابليس وعلى هذا القول يحتمل ان يكون ادم عليه السلام في ذلك
الوقت ماخوذا بالنسيان وان كان النسيان عنا اليوم مرفوعا موضوعا من قبل ان ي
من قبل ان ياكل الشجرة انهي عنها والمراد سلفه النبي صلى الله عليه وسلم اي نبي ادم
الشيطان ام قديم اي ان نقض هو العهد فان ادم ايضا عهدنا اليه فنسي حكاه
الفشيري وكذلك الطبري ابو ان تقرض بجحدها والكفرة عن اياتي ويخالفوا
رسلي ويطيعوا ابليس فقد ما فعل ذلك ابوهم ادم وقال ابن عطية وهذا التاويل
ضعيف وذلك كون ادم من الا الكفار احاجدين بالله ليست بشي وادم وانما عصى
بنا ويل في هذا اعصاه لا تعلق له بما قبله واما ان يجعل تعلقه انه لما عهد الى
محمد صلى الله عليه وسلم ان لا يعجل بالقرآن سئل له بني قبله عهدا اليه فنسي فوقف
ليكون اشد في التحذير وابلغ الى محمد صلى الله عليه وسلم وللعهد هاهنا في معنى الوصية
وسبب معناه نزل وسيان لذا هو لا يمكن لا نه يتعلق بالناسي عتاب والعزم
المعنى على المعتقد في اي شي كان وادم عليه السلام قد كان يعتقد ان لا ياكل من
الشجرة ولكن لما وسوس اليه ابليس لم يعزم على معتقده والسبب الذي عهد الى ادم
ان لا ياكل من الشجر واعلم مع ذلك ان ابليس عدو له ومعنى قوله ولم نجد له عزما
فقال ابن عباس وقتادة لم نجد له صبرا عن اكل الشجرة وهذا طعن على البتة لم الامر
قال النحاس وهو كذلك هو في اللغة يقال لفلان عزم اي صبر وثبات على التحفظ
من المعاصي حتى يسلم ومنه فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وعن ابن عباس ايضا
وعليه التعويل حفظا لما امر به اي لم يحفظ ما عهد حتى نسي وذهب عن علم ذلك
بترك الاستدلال وذلك ان ابليس قال له اذا كلتها خلدت في الجنة بعين عين ذلك

السحره فلم يطقه فدعاه الى المطعم فاكل السحره مما دخل في عموم النهي وكان يجب ان يستدل
عليه ولم يعمل بوظن ان الناسي تدخل في النهي فلذلك تاول ولا يكون ناسيا الشيء من علم انه
معصيته وقال ابن عباس ما عاقبه على اسوداده وقال الضحاك عزيمة امرين كيسان الغير ولا
اضمار العود الى الذنب قال ابو مسلم لم يكن اولي العزم من الرسل لان الله قال ولم نجد له
عزما قال المعظم كل الرسل اولوا العزم وفي الخبر ما من نبي الا وقد خطا خطيئة ما خلا
يحيى بن زكريا فلو خرج ادم بسبب خطيئته من خلا اولي العزم يخرج جميع الانبياء سوى يحيى
وقد قال ابو مسلم لو ان احدهم بخادم نخيبت منذ خلق الله ما خلق الى يوم القيمة ووقعت
في كفة ميزان ووضع جلم ادم في كفة اخرى لرجحهم ووقف قال الله تعالى ولم نجد له عزما
قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم الا بارقدم في البقرة
يسكون في سكنا بالفتح لغتان هذا لغة ولك ولزوجك فلا يخرجنكما نهي وجزاء اي فتشقيا منه
فيكون ذلك سببا لكونكما من اهل الجنة فتشقى يعني انت وزوجك لانها في اشتقاء العلة
فلحق هو لم يقل فتشقيا لان المعنى بمعرفة ولدم عليه السلام هو المخاطب وهو المقصود
وايضا لما كان الكاد عليهما والكاسب له كان الشقاء اخص فعين الاخراج واقع عليهما
والشقاء على ادم وحده وهو شقاء البدن الا ترى انه يقال له ان لك ان لا
تجوع فيها ولا تعرى فالشقاء لا يظمأ ولا تضحى فاعلم ان له في الجنة اكلة الكسوة
والطعام والشراب والسكن وانك ان صفقت الوصية واطعت العدو اخرجك من
الجنة فسقيت تعبا ونصبا اي جهدت وتعبت وطبخته واصلحته الشمس لانك تزد
الى الارض انما خرجت منها لجنبهما عما جنيه بذكر الشقاء ولم يقل فيشقيان بجعلنا ان نفقه
انزوجه على الزوج ممن يوسع حيث نفقة الضائع الازواج فلما كان نفقه حق على ادم
كذلك نفقات بناته على بني ادم نحق لمن يزوجهم واعلمنا في هذه الاية ان النفقة التي تجب
المراة على زوجها هي فضل ما تحتاج اليه من الطعام والشراب والكسوة والمسكن فاما اعيانها هذه
الاربعة فقد خرج اليمين نفقة فان تعمل بعد ذلك فهو ما جور فاما هذه الاربعة
فلابد لها منه لان بها قوام البنية قال الحسن المراد بقوله فتشقى سقاء الدنيا لا شقاء
ابن ادم الا ناصبا قال ابو العالية هو ما يكابد من كد يده وقد سعيد بن جبير اهبط ادم
بنودا احمر فكان يحرث عليه ويحصد فلما اقرق من جبينه فهو سقاء الذي قال الله
تعالى وقيل لما اهبط من الجنة كان من اول شقائه ان جبريل انزل عليه حبات من الحنطة
فقال يا ادم ازرع هذا فحرث وزرع ثم حصد ثم درس ثم ذرى ثم طحن ثم عجن ثم
خبز ثم جلس ياكل بعد التعب فقد خرج رغيفه من يده حتى صار اسفل الجبل وجره
وراءه حتى تقب وقد عرق جبينه قال يا ادم فهكذا رزقك بالتعب والشقاء
وزرق ولدك من بعدك ما كنت تحظى الدنيا قوله تعالى
ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها اي في الجنة ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها اي لا تعطش
ولا تظل العطش ولا تضحى اي تبرز للشمس فتجد حرها اذ ليس في الجنة شمس وانما
هو ظل ممدود كما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس قال ابو امامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد اشار الى ساعة المصلين صلاة الفجر قال ابو زيد ضحا الطريق بضحوا ضحوا اذا
بدا لك وظهر وضحيت بالفتح مثله والمستقبل اضحى في الفصيح حيث قال لعمر
ابن ابي ربيعة رايت رجلا اما اذا الشمس عارضت فتضحى ولا بالعشي ولكني اخرت
ان عمر راى رجلا محرما قد استظل فقال اضح لمن احرمت لاجله اي اخرج الى الضحى
بكسر الالف وفتحها من ضحيت تضحى لانه انما امره بالبروز للشمس ومنه قوله
تعالى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى واشتد
ضحيت له كي استظل بظله اذا الظل اضحى في الفيافي قالصا
وقرا ابو عمرو والكوفيون الا عاصما في رواية ابي بكر عنه وانك بفتح الهمزة عطفا
على الا تجوع وجوز ان يكون في موضع رفع عطفا على الموضع والمعنى ولك انك لا تظمؤا
فيها الباقون بالكسر على الاستيناف وعلى العطف على ان لك قوله تعالى
فوسوس اليه الشيطان تقدم في قال يعني الشيطان يا ادم هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى وهذا يدل على المستقبل وانتصر حل الجنة في حرف الجر على ما
تقدم في البقرة بيانه وتقدم هناك بعض السحر وما للعلماء فيه فلا معنى لاعادته

فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة تقدم في الاعراف
مستوفى وقال الفراء وطفقا في الجنة اولا قال وقيل جعلا يلصقان عليهما ورق
التين **قوله تعالى** **الاولى** قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى وعصى تقدم في البقرة القول في ذنوب الانبياء وقالت
بعض المتاخرين من علمائنا والذي ينبغي ان يقال ان الله تعالى وان اخبر بوقوع
ذنوب من بعضهم ونهى البهم وعاقبهم عليها واخبر بذلك عن نفوسهم وسمعوا
منه واستغفروا لتنهتا بوا وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة فمحمل النار يل حملها
وان قبل ذلك احادها فكل ذلك مما لا يزري بمناصبهم وانما تلك الامور التي وقعت
منهم على جهة الندور وعلى جهة الغلط والنسيان او تاول دعا ذلك فيها الى غير هم
حسنات وغير حقهم سيئات بالنسبة الى مناصبهم وعلو اقدارهم اذ قد يؤاخذ الوزير
بما يثاب عليه الناس فاستقصل عن ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالامن والا
مان والسلامة قال وهذا هو الحق ولقد احسن العبد حيث قال حسنات الابرار
سيئات المقربين فهم صلوات الله وسلامه عليهم وان كانوا قد شهدت النصوص
بوقوع ذنوب منهم فلم يجعل ذلك قادحا في رتبهم بل قد تلا فاهم واصلحهم
وهداهم ومجدهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه دائما
قال القاضي ابو بكر بن العربي لا يجوز لاحدنا اليوم ان يخبر بذلك عن آدم الا اذا
ذكرناه في اثناء قوله تعالى عنه او قول نبيه فاما ان يبتدئ ذلك من قبل نفسه
فليس بجائز لنا في اثناء الاذون انما نتلين لنا فكيف في ابينا الا قدم الا
عظم الاكرم النبي المعظم الذي عمده الله بالسجادة وتاب عليه وحفظه قال
فاذا كان هذا في المحلول لا يجوز فالاخبار عن صفات الله تعالى كالبد والرجل والا
صبع واجب والتاول الى غير ذلك اولى بالمنع وانه لا يجوز الا بدا ابتى من ذلك
الا في اثناء قراءة كاية او سنة نبيه له وهذا كما قال الامام مالك بن انس من وصف
شيئا من ذات الله مثل قوله يد الله مثل قوله فاشار بيده الى عنقه قطعت يده
ولذلك في السمع والبصر يقطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه الثالثة
روى الائمة واللفظ للبخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احتج
آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له
آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ويلومني على امر قدره
الله علي قبل ان يخلقني باربعين سنة فحج آدم موسى ثلثا قال الحميدي قوله
فحج آدم موسى اي عليه بالحجة قال الليث بن سعد فيما صحت الحجة في هذا القصة
هكذا حكم على موسى عليهما السلام من اجل ان الله قد غفر لآدم خطيئته وتاب عليه
فلم يكن لموسى ان يعير بخطيئة قد غفرها الله له ولذلك قال آدم انت موسى
الذي اتاك الله التوراة وفيها علم كل شيء ووجدت فيها ان الله قد قدر علي العصيه
وقدر علي التوبة مني واسقط بذلك اللوم عمن اعتذر مني انت والله لا تلومني ويمثل
هذا احتج عمر على الذي قال له ان عثمان فر يوم احد فقال اني عمر ما على عثمان ذنب
لان الله قد عفا عنه بقوله ولقد عفا الله عنهم وقد قيل ان آدم عليه السلام اب
وليس يعيب من بره ان لو كان مما تعير به غيره قال الله تعالى يقول في الايوبين
الكافرين وصاحبهما في الدنيا معروفا قال والله ان ابراهيم عليه السلام لما قال لابيه
وهو كافر لاستغفرن لك ربي انه كان بي حفيا قال سلام عليك فكيف بآب هو
نبي قد اجتباه ربه وتاب عليه وهذي **المسئلة الثانية** واما من عمل الخطايا
ولم تانه المقدره قال العلماء يجوز على الله ان يجمع بمثل عمل آدم فيقول
بلومني على ان قبلت او تبت او سرقت وقد قدر الله علي ذلك والامة مجمعة على
جواز عمل الحسن على احسانه ولوم المسيء على اساءته ولعديد ذوبه عليه الخامسة
قوله تعالى فغوى اي فسد عليه عيشه حكاه النقاش واختاره القشيري وسمعت
سيدنا الاستاذ المقرئ ابا جعفر القرطبي يقول غوى فسد عيشه يرده الى
الدنيا والى الفساد وهو تاويل حسن وهو اولى من تاويل من يقول ان غوى
معناه ضل من الغي الذي هو ضد الرشد وقيل معناه جهل موضع رشده بالجملة
ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والى الجملة ذهب بعضهم فوي فشم من كثير الاكل الزمخشري

عباس

عباس وابن سلمى وغيرهم عند لام على البؤس وهي ابين وبعدي بالبئس مشكل لان العامل
فقال الكوفيون كم القاعل الجار والمعنى خطاب الانسان ليستقيم فلا يعمل فيما
قبله وقال الزجاج المعنى اولم نعمركم الامر بالعبادة كما تقول اعطيتك وحقيقته
مذهبه يدل على العدي فالعامل هو المعنى يفسره ما بعده لهم كما قال
الزجاج كما في موضع نصب بالعدي **قوله تعالى** لعلكم تتقون
ولو كلمة سبقت من ربك بتقديم ونا خير لكانت كلمة سبقت من ربك
واجل مسمى لكان لزاما قتادة والزام الملازمة لكان العذاب لازما
لهم والضمير اسم كان عائد الزجاج واجل مسمى عطف على كلمة قتادة والمراد القيامة
وقاله الحسن وقيل بالجزم الى يوم بدر **قوله تعالى**
فاصبر على ما يقولون امره تعالى بالصبر على الحلم اي انه عالم انهم كاذبون
في عبودتك والمعنى لا تحفل بهم فان لهم اجلا وما مضروبا لا يتقدم ولا يتاخر
ثم قيل هذه منسوخة بآية القتال وقيل ليس منسوخا لم يات اصل الكلام
تهديد وآية القتال بل تفي المعظم منهم **قوله تعالى** وسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقال الزجاج المعنى وليس هذا اشارة الى الصلوات الخمس قيل طلوع
الشمس صلاة الصبح وقيل عنى به صلاة العصر ومن اناء الليل لبعضه فطاف
النهار والمغرب والفجر لان الظهر في آخر طرفي النهار الاول واول طرفي النهار الاخر
هي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب وقيل للنهار
طرفان فسر بين فصلهما الزوال ولكل قسم طرفان فعند الزوال طرفان الاخر
من القسم الاول والاول من القسم الاخر فقال لعلك من الطرفين الطرفا على نحو فقد
صفت قلوبكما واشار الى هذا المعنى الطبري في المشكل وقيل النهار للجنس
فلكل يوم طرف وهما اثنان جمع بالمعنى في كل نهار وآناء الليل ساعاته وواحد
الاناء اناء وانا وآني وقالت فرقة المراد بالليل صلاة التطوع قاله الحسن
قوله تعالى لعلك ترضى بفتح التاء اي لعلك تثاب وعلى هذه
الاعمال بما ترضى به وقرا النخعي وابو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء اي لعلك تعطى
ما يرضيك **قوله تعالى** ولا تمدن عينيك اي ما متعنا به فحذف لدلالة
معناه في الكلام وانما موقوف بيان متعناه وزهره نصب على الحال وقال
الزجاج زهره منصوب بمعنى متعنا لان معناه جعلنا لهم اتحياة على الحال
وقال الزجاج زهره منصوب بمعنى متعنا لان معناه جعلنا لهم اتحياة الدنيا
زهره او تفعل مضمرة وهو جعلنا اي جعلنا لهم زهره اتحياة الدنيا من الزجاج ايضا
وقيل هي بدل من الهاء في به على الموضع اي كما تعود مررت به اتحال واشار الفراء
الى نصبه على اتحال والعامل فيه متعنا كما تقول مررت به المسكين وقدم
متعنا هم بزهره في اتحياة الدنيا وزينه فيها وجوز ان ينصب على المصدر مثل
صنع الله ووعد الله وفيه نظر والاحسن ان ينصب على اتحال وبحذف التنوين
لسكونه وسكون اللام من اتحيلة ويكون اتحياة مخفوضة عن البدل من ما في قوله
الى ما متعنا به فيكون التقدير ولا تمدن عينيك الى اتحياة الدنيا زهرة اي في حال
زهرتها والاحسن ان يكون زهره بدلا من فاعل الموضع في قوله الى ما متعنا بهم
لفتنتهم بسعلق متعنا وزهرة اتحياة الدنيا يوبخ بها لذات والزهره
بالفتح في الرأي والظاهر للبيان والزهره بضم الزاي وفتح الهاء اتجم وبضمهما
بسكون الهاء قاله ابن عزيز وقرا عيسى بن عمر زهره بفتح الهاء مثل بشر وبشر ويقال
شراح زاهر اي له بريق وزهر الاشجار ما يروق من انوارها وفي الحديث كان النبي
النبي صلى الله عليه وسلم ازهر اللون اي زهر اللون يقال اي نير اللون يقال
بستان زاهر وزاهر واحسن الالوان لهم فتنهم فيه اي ليبتليهم وقيل ليجعل
ذلك فتنة لهم وضلالا وصف الآية بحمل يا محمد لزهرة الدنيا وزائل
باقية ولا تمدن ابلغ من لا تنظرن لان الذي يمد بصره اعا يحمله على ذلك حرص
ومقت والذي ينظر قد يكون ذلك معه **قوله تعالى** وامر اهلك بالصلاة قال ابن عباس
اي اهل بيتك وهو امر لازواجه وامر امته بما رواه ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رسل عليه الصلاة الى رجل من

اليهود قالوا فما يمنعك ان تجيء بنا صيف ولم يكف عنه كالبعض الذي يصلي فبقي
كذلك اياما ثم ان الله تعالى اوحى لبعض من تبعه فقال اخبر عني فلانا اليهودي قد رجعت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم تاخوته فقال والله اني لامين في السما وامين في الارض ولو استطعت
ان ابغي نفقا في الارض او سلما في السما فاذهب بدرجي اليه وتزلف اليه بقربه من الدنيا قال ابن عطية
وهنا اعترض ان يكون تعجيزا لان السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في اخر عمر
النبي صلى الله عليه وسلم اذ مات ودرعه مرهونة عند يهودي على طعام اهله اجيب ان ذكر
ولعل الظاهر ان الاية مستاسقة مع ما قبلها وذلك ان الله تعالى وكلهم على ترك الاعتبار
بسلامة المسالفة تم توعدهم بالعذاب الموجع ثم امر نبيه بالاحتقار لسانهم والصبر على
اقوالهم والاعراض عن اعمالهم وما في ايديهم من الدنيا ان ذلك ميقسم بينهم صاغرا
الى حين قيل سبب نزوله ان ما روي عنه عليه السلام انه موتا بل بني المطلق
وقد عكسه يا يوالهه من السمن فتتبع بنو بهم يعني الى قوله عز وجل ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الا يسيرا سلام فقال ورزق ربك خير وابقى
وقيل يعني بهذا الرزق اي ثواب الله في الاخرة وقيل المراد به ما ادى الى
يبقى ولا يفنى وقيل يعني بهذا الرزق ما يفتح الله على المؤمنين البلاد والغنائم

قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة امره تعالى
ان يامر اهله بالصلاة ويعلمهم ويصطبر عليها ويلازمها وهذا الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في عمومه جميع امته واهل بيته على التخصيص وكان
عليه السلام بعد نزول هذه الاية يذهب كل صباح الى بيت فاطمة وعلي رضوان
الله عليهما فيقول الصلاة ويروى ان عروة بن الزبير رضي الله عنه كان اذا راى
شيا من اخبار السلاطين واحوالهم بادر الى منزله فدخله وهو يقرا وتلا هذه
الاية الى قوله وابقى ثم ينادي بالصلاة يرحمكم الله ويصلي وكان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يوقظ اهل داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بالاية

قوله تعالى لا نسالك رزقا اي لا تشغل
نفسك واياهم وتشتغل عن الصلاة بسبب الرزق بل نحن نتكفل برزقك
واياهم وكان عليه السلام اذا نزل باهله ضيق امرهم بالصلاة وقد قال
صلى الله عليه وسلم ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فما يريد منهم من رزق وما اريد
ان يطعمون ان الله هو الرزاق

قوله تعالى
والعاقبة للتقوى اي الجنة لاهل التقوى يعني العاقبة المحمودة وقد تكون
العقبى التقوى عاقبته ولا تكون مذمومة هي كالمعصومة

قوله تعالى
وقالوا لولا ياتينا بآية من ربه يريدون كفار مكة ايضا ولا تاتينا يا محمد بوجب العلم
الضروري او باية ظاهرة كالناقة والعصا او هلا ياتينا بالاية التي نقترحها
نحن كالتي الانبياء من قبله قال الله تعالى اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى
يريد التوراة والانجيل والكتب المتقدمة وذلك اعظم ايمانا اخبر عما فيها
وقرئ الصحف بالتخفيف وقيل اذا اتاهم الايدال على نبوته فما وجدوه في
الكتب المتقدمة من البشارة فهو اولى اتاهم اهلكنا الامم الذين كفروا واقترحوا
الايات فما يومنهم اذا اتيتهم الايات ان يكون حالهم حال اولئك وترا ابو جعفر
وشيبة ونافع وابو عمرو ويعقوب وابن ابي اسحق وحفص اولم تاتهم بالتاء
للتانيث البينة الياتون بالياء للتقديم الفعل فان البينة هي البيان وابرهان
فروقه اي المفتي واختاره ابو عبيد وابو حاتم وحكى الكسائي اولم تاتهم بينة
ما في الصحف الاولى قال ويجوز على هذا بينة ما في المخفف الاولى قال النحاس
اذا ذوب بينة ورفعت حملت ما بدلا منها واذا نصبتها جعلتها حال والمعنى اولم
ياتهم ما في الصحف الاولى مبينا

قوله تعالى
ولو انا اهلكناهم بعذاب اي من قبله اي من قبل بعثة محمد عليه السلام ونزول
القرآن اي يوم القيمة ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وروى بذل ويخزى على ما لم يسم فاعله روى
ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهالك في الفتوة
والمولود قال يقول الهالك في الفتوة لم ياتني كتابك ولا رسولك ثم يلي هو لاء لو انا اهلكناهم

لعذاب

لعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الاية ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا اعقل به خيرا ولم تسو ويقول للمولود رب لم ادرك العمل فترفع لهم نار فيقول لهم ردوها واد خلوها قال فيردوها او يدخلهن كان في العلم سعيدا لو ادرك العمل ويمسك عمن كان في علم الله شقيا لو ادرك العمل قال فيقول الله تعالى اياي عصيتم فكيف برسلي لو اتتكم ويروي مرفوعا عن ابي سعيد قوله وفيه نظر وقد بينا ه في كتاب التذكرة وبما احتج من قال ان الاطفال وغيرهم يمتحنون في الاخرة فتنصب لهم يوم القيامة نصب الحساب فمن دخل النار قيل له انك كنت تعصي لو ادركت يوم كذا وكذا فيقول يا رب لم ادرك ذلك ولم يأتني رسول فيقال له لو ادركت رسولي لكنت تطيعه فيدخل الجنة ومن دخل النار قيل له لو ادركت رسولي لكنت تعصيه فيدخل النار وهذا كما جاء في الحديث ان الله تعالى يمتحن يوم القيامة من مات اصم او مات في الفترة او مات صغيرا او مات مجنونا او مات هرما فيبعث الله اليهم ملكا يأمرهم بدخول النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن امتنع منها قيل له اذهب الى النار فهي عليك عذاب ومن قال ان الله تعالى يعذب الاطفال بذنوب آبائهم فقد اخطأ خطأ بينا لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقوله تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا وقوله تعالى ولا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد وقوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتد

قصرا مله وطابت نفسه بالتوبة ولم يركن الى الدنيا وكان ما كان لم يكن اذ ذهب وكل ذاهب والموت لا محالة اب وموت كل انسان قيام ساعته والقيامة اضافة اليه بالاضافة الى ما مضى من الزمان فما بقي من الدنيا اقل مما مضى وقال الضحاك معنى اقترب للناس حسابهم اي عذابهم يعني اهل مكة لانهم استبطؤا ما وعدوا به من العذاب تكذيبا وكان قلبهم يوم بدر الخامس ولا يجوز في الكلام اقترب حسابهم للناس ليلا يتقدم مضمر على مظهر لا يجوز ان ينوي به التاخير وهم في غفلة معروفون وحتم ويجوز النصب في غير القرآن على الحال وجر احدهما وهم في غفلة معرضون يعني بالدنيا عن الاخرة التي عن اقترب للحساب وعما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الواو عند سيبويه بمعنى او وهي التي يسميها النحويون واو الحال كما تعالى ليغشى طائفة منكم انفسهم **قوله** تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث على النعت للذكر واجاز الكسائي والفراء محدثا ما يأتيهم نصب على الحال واجاز الفراء ايضا رفع محدث على النعت للذكر لانك لو حذفت من رفعت ذكرا اي ما يأتيهم من ذكر ربهم محدث يدبر في النزول وتلاق جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان ينزل سورة بعد سورة وآية بعد آية كما كان ينزله الله تعالى عليه في وقت بعد وقت لان القرآن محدث وقيل الذكر ما يذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم ويعظهم به وقال من زعم لان النبي صلى الله عليه وسلم وكبر هم ذكر وهو محدث قال الله تعالى فذكر انما انت مذكر ويكون في مجلس الذكر لرسول نفسه قاله الحسن بل ليفصل بدليل ما في سياق الاية هل هذا الا بشر مثلكم ولو اراد بالذكر القرآن لقالوا هذا الا اساطير الاولين ودليل هذا التاويل قوله تعالى ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقال وما ينزل الله اليكم ذكر ارسولا الا استمعوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن من النبي صلى الله عليه وسلم او من امته وهم يلعبون الواو واو الحال يدل عليه لاهية قلوبهم ومعنى يلعبون اي يلهون وقيل يشتغلون فان يجعل تاويله على اللهو احتمل ما يلهون به وجهان احدهما بلاداتهم الثاني سماع ما يتلى عليهم وان حمل تاويله على الشغل احتمل ما يشتغلون به وجهين احدهما بالدنيا لانه لعب لا يقال لقائل انما الحياة الدنيا لعب ولهو الثاني بما عملون بالفرح فيه والاعراض عليه قال الحسن كلما احدث لهم الذكر استهزوا به على الجهل وقيل يستمعون القرآن مستهزئين **قوله** تعالى لاهية قلوبهم اي ساهية قلوبهم موضع عن ذكر الله متشاغلة عن التامل والتفهم من قولهم لعب لهيت عن ذكر الشيء اذا تركته وسلوت عنه الهى لهيا ولهيانا ولاهية نعت يقام الاسم ومن حق النعت ان يتبع المنعوت في جميع الاعراب فاذا تقدم النعت الاسم انتصب لعمله خاشعا ابصارهم وداية عليهم ظلالها ولاهية قلوبهم قال الشاعر

لمزة موحشا طلل يلوح كانه خلل

اراد ظلل موحش واجاز الكسائي والفراء لاهية قلوبهم بالرفع بمعنى قلوبهم لاهية واجاز غيرهما الرفع على ان يكون خبرا بعد خبر وعلى اضمار مبتدا وقال الكسائي ويجوز ان يكون المعنى لا استمعوه لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا اي تناجوا فيما بينهم بالتكذيب ثم بين من هم فقال الذين ظلموا اي الذين اشركوا قال الذين ظلموا بدل من الواو في اسروا وهو عائد على الناس المتقدم ذكرهم ولا يوقف على هذا القول على النجوى قال المبرد هو كقولك

ان الدين في النار انطلقوا يا عبد الله

فيكون بدلا من الواو في انطلقوا وقيل هو رفع الذم اي هم الذين ظلموا وحذف القول مثل والملائكة يدخلون عليهم من باب سلام عليكم هذا القول الخاسر قال والدليل على صحة هذا الجواب ان بعده هل هذا الا بشر مثلكم وقوله رابع يكون منصوبا بمعنى اعني الذين ظلموا واختار الفراء ان يكون خفضا بمعنى اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم ولا يوقف على هذا الوجه على النجوى ويوقف على الوجوه المتقدمة الثلاثة قيل فيه اربعة اقوال واجاز الاخفش الرفع على لغة من قال اكلوني البراغيث وهو حسن قال الله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم وقال الشاعر

يك

يك بلل النصال دون المساعي فاهتدين المنايا الاعراض

وقال آخر

ولكن ديافي ابوه وامه بحوران يعصرن السليط اقاربه

وقال الكسائي تيمتقديم وتاخير مجازه والذين ظلموا اسروا النجوى ابو عبيدة اسروا هيا من الاضداد نيحتمل ان يكونوا اخفوا كلامهم ويحتمل ان يكونوا اظهروه واغلبوه

قوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم اي تناجوا بينهم وقالوا هل هذا الذكر الذي تدعوا الرسول او هل هذا الذي يدعوكم الا بشر مثلكم لا يتميز علينا بشيء يأكل الطعام ويمشي في الاسواق كما يفعلون وما علموا ان الله عز وجل بين انه لا يجوز ان يرسل اليهم الا بشرا ليمتحنهم ويعلمهم افتاتون السحر اي ان الذي جاء به محمد سحر فكيف تجيبون اليه وتتبعونه وقال الله نبيه عليه السلام على ما تناجوا به والسحر في اللغة كل مموه لا حقيقة له وواضحة وانتم تبصرون قيل معناه وانتم تبصرون انه السحر شلكم سل وانتم تعقلون لان العقل البصر بالاشياء وقيل المعنى افتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر وقيل المعنى افتعدلون الى الباطل وانتم تعرفون الحق ومعنى الكلام التوبيخ

قوله تعالى قل ربي يعلم القول في السماء والارض اي لا يخفى عليه شيء فيما يقال في السماء والارض وفي مصاحف اهل الكوفة قال ربي قال محمد ربي يعلم القول اي هو عالم بما تناجيتم به وقيل ان القراءة الاولى اولى لانهم اسروا هذا القول فاظهر الله عز وجل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وامره ان يقول لهم هذا قال النحاس والقراءتان صحيحتان وهما بمنزلة ايتين وفيهما من العاية ان النبي صلى الله عليه وسلم اسروا فقالوا كما امر

قوله تعالى بل قالوا اضغاث احلام اي قالوا اضغاث احلام قال الزجاج اي قالوا الذي يأتي به اضغاث احلام وقال غيره اي قالوا هو اخلاط كالاهاليل المختلطة اي اعاول راها في المنام قال معناه مجاهد وقتادة ومن قول الشاعر

كصعتر حل عرمته حامله وقال الهبى انها الرويه الكاذبه

ومنه قول الشاعر

احاديث طسم او سراب بعد قد يرفرق للساري واضغاث حالم

وقال البريدي الاضغاث ما لم يكن له تاويل وقد مضى هذا في يوسف فلما رأوا ان الامر ليس كما قالوا انتقلوا عن ذلك فقالوا بل افتراه ثم انتقلوا عن ذلك فقالوا بل هو شاعر اي هم مجنون لا يسمعون على شيء قالوا هو سحر وهو اضغاث وهو افتراه وهو شاعر وقيل اي قال فريق انه ساحر وفريق انه اضغاث احلام وفريق انه افتراه وفريق انه شاعر والافتراء الاختلاق وقد تقدم قبل ما تنا بآية كما ارسل الاولون اي كما ارسل موسى بالعصا وغيرها من الايات ومثل ثمود الناقة صالح وكانوا عالمين بان القرآن ليس سحرا ولا رديا ولكن قالوا ينبغي ان يأتي بآية نعرفها ولم يكن لهم الاقتراح بعد ما رأوا آية واحدة وايضا اذا لم يأته هي من جنس ما هم اعلم الناس به ولا معاند للشبهة فيها فكيف يؤمنون بآية غيرها ولو بر الاكمهوا الابرص لقالوا هذا من باب الطب وليس ذلك من صناعتنا وانما كان سوالهم تعنتا اذ كان الله اعطاهم في الايات ما فيه كفاية وبين الله جل وعز انهم كانوا لا يؤمنون لاعطائهم ما سالوه بقوله جل وعز ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون

قوله تعالى ما آمنت قبلهم من قرية قال ابن عباس يريد قوم صالح او قوم فرعون اهلكناها يريد كان في علمنا هلاكها انهم لا يؤمنون يريد بصدقوت اي فما امنوا بالايات فاستوصلوا فلو اي هؤلاء ما اقترحوا لما امنوا لما سبق من القضاء بانهم لا يؤمنون ايضا وانما باخر عقابهم تعلقا بان في اصلابهم من يؤمن ومن زايده في قوله من قرية تقوله فما منكم من احد عنه حاجزين

قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم هذا رد عليهم في قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وتانيس لتانيثه عليه السلام اي لم يرسل قبلك الا رجالا فسلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون يريد اهل التوراة والانجيل الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قاله سفيان وسماهم اهل الذكر لانهم كانوا يذكرون الانبياء مما لم يعرفه العرب وكانت كفار قريش يراجعون اهل الكتاب في امر محمد عليه السلام وقال ابن زيد اراد بالذكر القرآن اي فاسالوا المؤمنين العالمين من اهل القرآن فقال جابر

اجمعي لما نزلت هذه الاية قال علي رضي الله عنه نحن اهل الذكر وقد ثبت بالتواتر
ان الرسل كانوا من البشر فالمعنى لا سدوا بالانكار وقولكم ينبغي ان يكون الرسول
من الملايكة بل ناظروا المومنين لتعلموا جوازان يكون الرسول من البشر والملك لا يسمى
رجلا لان الرجل يقع على ماله ضد من لفظه يقول رجل وامراة ورجل صبي فقوله الا
رجالا اي من بني ادم وقرا حفص وحمزة والكسائي يوحي اليهم بنون مكسورة ثم اختلف العلما
ان العامة عليها تقليد علمائها وانهم المراد بقوله الله عز وجل فاسلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون واجمعوا على ان لا عمى لا يجوز له من تقليد غيره ممن يثق بخبره بالقبول
اذا اشكلت عليه فكذلك من لا يعلم لا يجوز له ان يصير معنى بامرين يجوز له من تقليد
عالمه وكذلك لم يختلف العالم ان العامة لا يجوز لها الفتيا لجملها بالمعاني التي منها
يجوز التحليل والتحريم **قوله تعالى** وما جعلناهم جسدا لا ياكلون
الطعام الضمير في جعلناهم للانبيا اي لم يجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر
لا يحتاجون الى طعام وشراب وما كانوا خالدين يريد لا يموتون وهذا جواب
لقولهم ما هذا الا بشر مثلكم وقوله ما لهذا الرسول ياكل الطعام وجسدا اسم
جنس ولهذا لم يقل احسادا وقيل لم يقل احسادا لانه اراد وما جعلنا كل واحد
منهم جسدا والجسد البدن يقول منه يجسد كما تقول بدن يبدن يجسم والجسد
ايضا الزعفران ونحوه من الصبغ وهو الدم ايضا قال النابغة

وما ارى على ابنصاب من جسد وقال الكلبي والجسد
هو الجسد الذي فيه الروح ياكل ويشرب فعلى هذا مقتضى هذا القول يكون
ما ياكل ولا يشرب جسما وقال مجاهد الجسد ما لا ياكل ولا يشرب فعلى مقتضى
هذا القول يكون ما ياكل ويشرب نقصانكم الماوردي **قوله تعالى**
ثم صدقناهم الوعد يعني الانبيا اي بانجائهم ونصرهم واهلاك مكذبيهم ومن
نشا اي الذين صدقوا الانبيا واهلكنا المسرفين اي المشركين **قوله**
تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا يعني القران فيه ذكركم رفع بالابتدا
والجملة في موضع نصب لانها نعت لكتاب والمراد بالذكر هنا الشرف اي فيه شرفكم
ومثل هذا ذكرتك ولعوتك ثم سهم بالاستفهام الذي معناه التوقيف فقال
جل وعز افلا تعقلون وقيل وفيه ذكركم اي ذكر امر دينكم واحكام شرعكم وما تضرفون
اليه وعقاب افلا تعقلون هذه الاشيا التي ذكرناها وقال مجاهد فيه ذكركم اي
حديثكم وقيل مكارم اخلاقكم ومحاسن اعمالكم وقال سهل بن عبد الله العمل عافيه
حياتكم قلت وهذه الاقوال ترجع الى الاول لانها اذا هي شرف لهم والكتاب
هو شرف لنبينا عليه السلام لانه معجزته وهو شرف لنا ان عملنا بما فيه دليله
قوله عليه السلام القران حجة لك او عليك **قوله تعالى**
وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة يريد مدائن كانت باليمن وقال اهل التفسير والاخبار
انه اراد اهل حصور وكانت بعث اليهم نبي اسمه شعيب ابن ذي مهرم وهو غير شعيب
هذا ابا يمن يقال له ضين كثير النحل وليس بشعيب صاحب مدين لان قصته هو
حصور قبل مدة عيسى عليه السلام وبعد سنين من اسنين من مدة سليمان
عليه السلام فاتهم قتلوا نبيهم وقيل اصحاب الرس في ذلك من التاريخ بينهم اسمه
حنظلة بن صفوان وكانت حصور بارض الجزيرة من ناحية الشام فاوحى الله
الى رميا ان ائت بخت نصر فاعلمه اني قد سلطته على ارضي واني منتقم بك منهم واوحى
الله ارميا ان احمل معدن بن عدنان على البراق الى ارض العراق كيلا تصيبه النقمة
والبلا معهم فاني مستخرج من صلبه نبيا في اخر الزمان اسمه محمد فحمل معدا وهو
ابن اثنتي عشرة سنة وكان مع بني اسرايل الى ان كبر وتزوج امراة اسمها حمانه
ثم ان بخت نصر مهد بالحبوش وكمن للعرب في مكان وهو اول من اتخذ المكامن
فيما ذكروا ثم سرى العرب على حصور فقتل وسبى وحرث العامر ولم يترك بحصور
احدا ثم انصرف راجعا الى السواد ولم يكن في موضع نصب لقصمنا والقصم الكسر
يقال قصمت ظهر فلان وانقصمت سنه اذا انكسرت والمعني به هاهنا الاهلاك
واما القصم بالفا فهو الصدع في الشي من غير ان يبين قال الشاعر

كانه ذملج من قضة نبه في ملعب من عداري الحي مقصوم

ومنه

ومنه الحديث فينقصم عنه وان جنينهم لسقط عرقا وقالوا كانتظالمه اي كافره يعني اهلها
والظلم وضع الشيء في غير موضعه ونحو وصفوا الكفر موضع الايمان والسانا اي اوجدنا
واحدثنا بعد اهلاكهم قوما اخرين فلما احسوا اي رواعذابنا بقال احسست منه
ضعفا وقال الاخفش احسوا خافوا وتوقعوا ما هم منها يركضون اي يهربون ويفرون
والركض العدو يسرع الوجه والركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك
وركضت الفرس برجلي اسحدثه لعدو ثم لتر حين قيل وركض الفرس اذا عدا وليس
بالاصل والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهو مركوض لا يركضوا اي لا تعدوا
وقيل ان الملائكة نادتهم لما انهزموا استهزاء بهم وقالت لا تركضوا ارجعوا الى
ما اترفتم فيه اي نعمكم التي كانت سبب نظركم والمعترف المنعم يقال اترف علي
فلان اي وسع عليه في معاشه وانما اترفهم الله عز وجل كما قال واترفناهم في الحياة
الدنيا لعلكم تسئلون اي لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم قاله قتادة وقيل المعنى
لكم تسئلون عما نزل بكم من العقوبة فتجيبون به وقيل المعنى لعلكم تسئلون ان
يولموا كما كنتم تسئلون ذلك قبل نزول البأس بكم وقيل لهم ذلك استهزاء وتوبيخا
وتوبيخا قالوا يا ويلنا لما قالت لهم الملائكة لا تركضوا وتابت بالشارات للانبيا
ولم يروا شخصا بكلمهم عرض لهم الحق الذي عليهم عدوهم بقتلهم للنبي الذي بعث
فيهم فحينئذ قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فاعترفوا بانهم ظلموا حين لا ينفع الاعتراف
فما زالت تلك دعواهم اي لم يزالوا يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين حتى جعلناهم
حصيدا اي بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل قاله مجاهد وقال الحسن اي باد
لا بقاء لهم خامدين اي ميتين كخمود الهمود لخمود النار اذا طفئت فشبه خمودهم
بخمود النار كما يقال لمن مات قد طفئ شبيه بارطفاء النار قوله تعالى
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين اي عبثا وباطلا بل لنشبه على ان لها خالقا
قادرا يجب امتثال امره وانه يجازي المسيء والمحسن اي ما خلقنا السموات والارض
ليظلم فيها الناس بعضا ويكفر بعضهم ويخالف بعضهم ما امرته ثم يموتوا ويجاوزوا
ولا يجازوا في الدنيا بخير ولا يتهوا لمن فتح وهذا اللعب المنفي عن احكم صنعه احكمه
قوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا لو اردنا ان نتخذ لهوا لما اعتقد قوم ان لله
ولدا قال لو اردنا ان نتخذ صاحبة لاتخذنا امراة على لغة اليمن قاله قتادة وقال عكرمة
ابن ابي حسين وحاه طاوس وعطا ومجاهد سلوبه عن قوله لو اردنا ان نتخذ
لهوا فقال اللهو المراة وقال الحسن وقتادة من عباس اللهو الولد وقاله الحسن ايضا
قال الجوهري وقد يلهى باللهو من الجماع قلت ومنه قول امرئ القيس
الا زعمت بسباسة اليوم اني كبرت وان لا يحسن اللهو امثالي عني
وانما سمي الجماع لهوا لانه يلهى عن القلب كما قال وفيهن ملهى للصديق ومنظر
الجوهري وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا قالوا اصله وقال ولدا لاتخذناه من لدنا اي من
عندنا لا من عندكم قال ابن جريج من اهل السماء لا من اهل الارض قيل اراد ان يرد على من
قال الاصنام بنات الله اي كيف يكون مملوكي ولدا لنا وقال ابن قتيبة انما رد
رد على النصارى لانا كنا فاعلين قال قتادة وقاتل وما كنا فاعلين اي ما كنا
كنا فاعلين مثل انا نحن الاذ بر اي ما انت الا تذبر وان بمعنى ما ويجوز ان يكون
قوله لاتخذناه من لدنا وقيل انه على معنى الشرط اي ان كنا فاعلين ذلك ولكن لسنا
بفاعلين لانكار ان يستحيل له ان يكون لنا ولدا ان توهموا ان ذلك لم يخلق حبه ولا ولدا
لا موتا ولا بعثا ولا حسابا وقيل لو اراد ان نتخذ ولدا لاتخذنا ولدا مما نحن
من عند انا من الملائكة وما لا يوصف ان قوم الدراية قد يتعلق بالمتنبي فاما اتخاذ الولد
فهو محال ولا اراده لا يتعلق لمستحيل ذكره القشيري قوله تعالى
بل نقذف بالحق على الباطل الاية قذف الرمي بعيد يقال على الباطل فيذهبه اي
يقهره ويهلكه واصل القذف الرمي بالحجارة ثم سمي كل رامي قاذفا ومنه القاذفة والحق
هنا القرآن والباطل الشيطان في قول مجاهد قال وكل ما في القرآن من الباطل
فهو الشيطان وقيل الباطل كذبهم ووصفهم لله عز وجل بغير صفاته من الولد وغيره
وقيل اراد بالحق الحجة وبالباطل شبههم وقيل الحق المواعظ والباطل المعاصي والمعنى
متقارب والقرآن يتضمن المواعظ والحجة فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية

قتادة ويلكم الويل اي العذاب في الاخرة بسبب وصفكم الرب بما لا يجوز وصفه وقال ابن عباس الويل واد في جهنم وقد تقدم ما يصفون اي مما تكذبون عن قتادة ومجاهد نظيره سيجزيهم وصفهم اي تكذيبهم وقيل مما يصفون الله به من الولد وهو اتخاذ الولد **قوله تعالى** وله من في السموات والارض اي ملكا وخلقا لا يمتنع ان يتبرك به ما هو عبده وخلقه ومن عنده يعني الملائكة الذين ذكرتم انهم ملك ٢ يستكبرون اي لا يأنفون عن عبادته والتذلل له ٢ يستحسرون اي يعيون قاله قتادة ماخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بلا عيا والتعب حسر البعير يحسر حسورا اعيا وكل واستحسر ويحسر مثله وحسرته انا حسرا بعد كل ٢ بعدي واحسرته ايضا فهو حسير وقال ابن زيد ٢ يملون ابن عباس ٢ يستنكفون وقال ابن زيد ٢ يكلون وقيل ٢ يغسلون ذكره ابن الاعرابي في المعنى ولحد يسبحون الليل والنهار اي يصلون ويذكرون الله ويتزهونه دائما ٢ يفترون اي ٢ يصفون ويسبحون يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس قال عبد الله بن الحارث سألت كعبا فقلت اما لهم شغل عن التسبيح اما يشغلهم عنه شيء فقال لي من هذا فقلت من بني عبد المطلب فصعد فيّ النظر وقال يا بن اخي هل يشغلك عن التنفس شيء ان التسبيح لهم بمنزلة النفس وقد استدل بهذه الاية من قال ان الملائكة افضل من بني ادم وقد تقدم **قوله تعالى** ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون قال المفضل مقصود هذا الاستفهام الجحد اي لم يتخذوا الهة تقدر على الاحياء وقيل ام بمعنى هل اي هل اتخذها المشركون الهة من الارض تحيي الموتى ولا تكون ام هنا بمعنى هل لان ذلك يوجب لهم افشاء الموتى الا ان يقدروا ام بلغ ٢ استفهام فتكون ام المنقطعة فيصح المعنى قاله المبرد وقيل ام عطف على المعنى اي اخلقنا السماء والارض لعبا ام هذا الذي اضافوه الينا من عندنا فيكون لهم موضع شبهة او هل اتخذوا من الالهة في الارض يحيي الموتى فيكون موضع شبهة وقيل لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ثم عطف عليه بالمعاتبة وعلى هذين التاويلين تكون ام متصلة وقرا الجمهور ينشرون بضم الياء وكسر الشين من انشر الله الميت فنشر اي احياه يحيي وقرا الحسن بفتح الياء اي يحيون ويموتون **قوله تعالى** لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اي لو كان في السموات والارض الهة الا الله لفسدتا غير الله يبقى دون لفسد فاقال الكسائي وسيبويه الا بمعنى غير فلما حصلت الالف موضع غير اعرب الاسم الذي بعدها باعراب غير كما قال

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

وكما قال سيبويه لو كان معنا رجل الا زيد لهلكنا وقال الفراء الا هنا في موضع سوى والمعنى لو كان فيهما الهة سوى الله لفسدتا اهلهما قال غيره اي لو كان فيهما الهان لفسد التدبير لان احدهما اذا اراد شيئا واراد الاخر ضده كان احدهما عاجزا وقيل معنى لفسدتا اي خربتا وهلك من فيهما بوقوع التنازع والاختلاف الواقع بين الشركاء سبحان الله عما يصفون نزه نفسه وامر العباد ان ينزهوه هو من ان يكون له شريك او ولد **قوله تعالى** لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قاصمة المقدرية غيرهم قال ابن جريج المعنى لا يسئله احد عن قضائه في خلقه وهو يسئل الخلق عن عملهم ٢ انهم عبيد بين هذا ان من يسئل عما عن اعماله كالمسيح والملائكة لا يصلح للالهية وقيل ٢ يؤاخذ على افعاله وهم يؤاخذون وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قال له يا امير المومنين اتحب ربنا ان يقضي قال افيقضي ربنا فهرا قال ارايت ان منعنا الهدي ومنحني انا ردا احسن ام اساءه تلا ٢ يسئل عما يفعل وهم يسئلون وعن ابن عباس قال لما بعث الله موسى عليه السلام وكلمه وانزل عليه التوراة قال اللهم انك رب عظيم لو سبقت ان لا تعصى ما قضيت وانه يجب ان يطاع وانت فوقك لعلي لكيف هذا يا رب فاوحى الله اليه ٢ يسئل عما يفعل وهم يسئلون **قوله تعالى** ام اتخذوا من دونه الهة اعاد التنبيه في اتخاذ الالهة من دون الله مبالغة في التوبيخ اي صنعهم كما تقدم في الانشاء والاحياء فيكون ام متصلة على ما تقدم قاله ابو البركات وقيل الاول احتجاج على الجاحد المعقول لانه قال لهم ينشرون ويحيون الموتى هم انتم والثاني احتجاج بالمنقول اي لم تجدوا البرهان على هذا في كتاب نزل هذا في القرآن ثم في الكتب المنزلة على الانبياء ثم ذكر من معي باخلاص التوحيد في القرآن وذكر من قبلي في التوراة ولا يعلم ما انزل الله من الكتب فانظروا هل في كتاب من هذه الكتب ان الله امر بايخاذ الهة سواه فالشرايع كلها تخالف فيما يتعلق بالتوحيد وانما تختلف في الاحكام والنواهي وقيل هذه الاستفهامة راجعة الى القرآن المعنى هذا ذكر من معي بما يلزمهم من الحلال والحرام وذكر من قبلي من الامم فمن هلك هلك بالشرك وقيل ذكر من معي علمهم من الثواب على الايمان

والعقاب على الكفر وذكر من قبلي من الامم السالفة فيما يفعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقيل معنى الكلام والتهديد اي افعلوا ما شئتم فنحن عن قريب ننتقم منكم وحكى ابو حاتم ان يحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف قرا اهذا ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين وكسر الميم وزعم انه الاوجه لهذا وقال ابو اسحاق الزجاج في هذه القراءة المعنى هذا ذكر ما انزل الي مما هو معي وذكر من قبلي وقيل ذكر كتب من قبلي اي جيت بما جاءت به الانبيا من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق وقرا ابن مخيصن والحسن الحق بالرفع بمعنى هو الحق وهذا الحق وعلى هذا يوقف عليه لا يعلمون ولا يوقف عليه على قراءة النصب لانهم معرضون اي عن الحق وهو القرآن فلا يتاملون فيعلمون فيوحدون قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه وقرا حمزة والكسائي يوحي اليه بالنون لقوله ارسلنا انه لا اله الا انا فاعبدون اي قلنا للجميع لا اله الا الله فادلة العقل شاهدة انه لا شريك له والنقل عن جميع الانبيا موجود والدليل اما معقول واما مسموع وقال قتادة لم يرسل نبي الا بالتوحيد والشرايع مختلفة في التوراة والانجيل والقرآن كذلك لكن على الاخلاص والتوحيد قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا تزلت في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله وكانوا يعبدونهم طمعا في شفاعتهم لهم وروي معمر عن قتادة قال قالت اليهود قال معمر في روايته او طوائف من الناس خلقت الجن والملايكة من الجن فقال السمر وجل سبحانه تنزيها له بل عباد اي بل هم عباد مكرمون اي ليس كما زعم هولا الكفار ويجوز النصب عند الزجاج على معنى بل اتخذ عبادا مكرمين واجازه الفراء ان يرده ولدا اي بل لم يتخذهم ولدا بل اتخذ نا بهم عبادا مكرمين والولد ها هنا للجمع وقد يكون الواحد والجمع اولادا ويجوز ان يكون للفظ الولد للجنس كما يقال للغلمان مال لا يحصون بالعد قوله تعالى لا يسبقونه بالقول اي لا يقولون حتى يقول ولا يتكلمون الا بامره وهم بامره يعملون اي بطاعته واوامره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم ما عملوا وما هم عاملون قال ابن عباس وعنه ايضا ما بين ايديهم الاخرة وما خلفهم امر الدنيا ذكر الاول للتلي والثاني للتشريع ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن عباس هم اهل شهادة ان لا اله الا الله وقد دخلهم كل من رضي الله عنهم والملايكة يشفعون غدا في الاخرة كما في صحيح مسلم وغيره وفي الدنيا ايضا فانهم يستغفرون للمومنين وللمن في الارض كما نص به التنزيل على ما ياتي وهم بعض الملايكة من خشيته بعض من خوفه مشفقون اي خايفون لا يامنون مكره قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه قال قتادة والضحاك وغيرهما معنى هذه الاية ابليس حيث ادعا الشركة ودعا الى عبادة نفسه وكان من الملايكة ولم يقل احد من الملايكة اني اله غيره وقيل الاشارة الى جميع الملايكة بعد ذلك القايل نجزيه جهنم وهذا دليل على انهم وان الزموا بالعصمة فهم متعبدون وليسوا مضطرين الى العبادة كما ظنه بعض الجهال وقد استدل ابن عباس بهذه الاية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل اهل السما وقد تقدم في البقرة كذلك نجزي الظالمين الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها قوله تعالى اولم ير الذين كفروا قراة العامة اولم بالواو وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد وسبل ابن عباد لم يفتروا ولذلك هو مصحف في مكة الم ترى يعني يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال الاخفش قال كانتا لانهما صفتان كما تقول العرب هما لقاحان اسودان وكما قال الله عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا قال ابو اسحاق كانتا لانه يعبر عن السموات بلفظ الواحد سما لان السموات والارض كانت سما واحدا وكذلك الارضون وقال رتقا ولم يقل رتقين لانه مصدر والمعنى كانتا ذوا رتق وقرا الحسن رتقا بفتح التا قال تغلبي بن عمر هو صواب وهي لغة والرتق الالتزمد الفتق وقد رتقت الفتق ارتقه رتقا رتق اي التام وقيل الرتق الملتصقة المنضم قال ابن عباس والحسن وعطا والضحاك وقتادة يعني انهما كانتا شيا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهوا وكذلك قال كعب خلق الله السموات بعضها على بعض ثم خلق ريحا فوسطتها ففتحها بها وجعل السموات سبعا والارضين سبعا وقول ثان قاله مجاهد والسدي

وا بوصالح كانت السموات سوتلعة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارضين سرتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبعا وحكاه الفتني في عيون الاخبار له عن اسماعيل بن ابي خالد قال في قوله عز وجل اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السما مخلوقة وحدها والارض مخلوقة وحدها ففتق من هذه سبع سموات ومن هذه سبع ارضين خلق الارض العليا فجعل سكانها الجن والانس وسبق فيها الانهار وابتث فيها الثمار وجعل فيها البحار وسماها رعاعرضها مسيرة خمس مائة عام ثم خلق الثانية مثلها في العرض والغلظ وجعل فيها اقواما اقوامهم كاقواه الكلاب وايديهم ايدي الناس واذانهم اذان البقر وشعورهم شعور الغنم فاذا كان عند اقتراب الساعة القتهم الارض الي ياجوج وماجوج واسم تلك الارض الركام ثم خلق الارض الثالثة غلظها مسيرة خمس مائة عام ومنها هوالي الارض الرابعة خلق فيها ظلمة وعقارب لاهل النار مثل البغال السود ولها اذناب مثل اذناب الخيل الطوال يأكل بعضها بعضا وتسلط على بني ادم ثم خلق الله الخامسة في الغلظ والطول والعرض فيها سلاسل وقيود لاهل النار ثم خلق الله الارض السادسة واسمها ماديها حجارة سودا هم ومنها خلقت تربة ادم عليه السلام ينبت تلك الحجارة يوم القيامة وكل حجر منها كالطود العظيم وهي من كبريت تغلق في اعناق الكفار فتشتعل حتى تحرق وجوههم وايديهم وذلك قول عز وجل وقودها الناس والحجارة ثم خلق الله الارض السابعة واسمها عرسه وبها جهنم فيها بابان اسم الواحد سجين واسم الاخر الغلق فاما سجين فهو مفتوح والية ينتهي كتاب الفجار وعليه تعرض اصحاب المائدة وقوم من عوف واما الغلق فهو مغلق لا يفتح الي يوم القيامة وقد مضي في البقرة انها سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمس مائة عام وبيانه له في احزاب اطلاق زيادة بيان ان شا الله تعالي وقول ثالث قاله عكرمة وعطية وابو زيد وابن عباس ايضا فاذكر المهدوي ان السموات والارض كانت رتقا لا تمطر والارض كانت رتقا لا تخرج نبتا ففتق السما بالمطر والارض بالنبات نظيره قوله عز وجل والسما ذات الرجع والارض ذات الصدع واختار هذا القول الطبري لان بعده وجعلنا من الماكل شي حي افلا يومنون قلت وبه يقع الاعتبار مشاهدة ومعاينة ولذلك اخبر بذلك في معرض ايته كبرى على كمال قدرته وعلى النعمة والجزا وتنبيه يومن عليهم اذا ابصروه سخط العداه وارغامها ورتق الفتوق وفتق الرتوق ونقض الاثور وابراها وفي قوله جعلنا من الماكل شي حي ثلاث تاويلات احدها انه خلق كل حي من الما قاله قتادة الثاني حفظ حياة كل شي بالما الثالث وجعلنا من ما الصلب كل شي حي قاله قطرب وجعلنا بمعني خلقنا وروي ابو حاتم البستي في المسند الصحيح له من حديث ابي هريرة قال قلت يا رسول الله اذا رايتك طابت نفسي وقرت عيني انبئني عن كل شي قال كل شي خلق من الما الحديث قال ابو حاتم قول ابي هريرة انبئني عن كل شي اراد به عن كل شي خلق من الما والدليل علي صحة هذا الجواب المصطفى اياه حيث قال كل شي خلق من الما وان لم يكن وان لم يكن مخلوقا وهذا احتجاج اخر سوي ما تقدم من كون السموات والارض رتقا وقيل الكل قد يذكر بعض البعض كقوله واوتيت من كل شي وقوله تدمر من كل شي والصحيح قوله عليه الصلاة والسلام كل شي خلق من الما والله اعلم افلا يومنون اي افلا يصدقون بما يشاهدون واذ ذلك لم ينبغ لنفسه بل عملت لكونه مدبرا وحده ولا يجوز ان يكون ذلك الملون محدثا قوله تعالي وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم اي لئلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار عليها قاله الكوفيون وقال البصريون المعني كراهية ان تميد والميد التحرك والدوران يقال ماد راسه اي دار وقد مضي في النحل مستوفي وجعلنا فيها فجاجا يعني في الرواسي عن ابن عباس والفجاج المسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين وقيل وجعلنا في الارض اي فجاجا اي مسالك وهو اختيار الطبري لقوله لعلهم يهتدون اي يهتدون في السير في الارض سبلا تفسير الفجاج لان الفج قد يكون طريقا نافذا مسلوكا وقيل

بالاعتبار بها الى دينهم فقد قال تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا اي محفوظا من
ان يقع ويسقط عليه قوله تعالى ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه وقيل
محفوظا بالنجوم من الشيطان قاله الفرا ودليله قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان
شيطان رجيم وقيل محفوظا من الهدم والنقض وعن ان يبلغه احد بحيله وقيل
محفوظا فلا يحتاج الى عماد وقد جاهد مرفوعا وقيل محفوظا من الشرك والمعاصي
وبهم يعني الكفار وعن اياتها معرضين قاله مجاهد مرفوعا يعني الشمس والقمر
واضاف الآيات الى السما لانها محمولة فيها واضاف الايات الى نفسه في مواضع
لانه الفاعل لها بين ان المشركين غفلوا عن النظر في السموات واياتها من ليلها
ونهارها وشمسها وقمرها وافلاكها ورياحها وسحابها وما فيها من قدرته تعالى اذ لو
نظروا واعتبروا انها صانعا قادرا واحدا يستحيل ان يكون له شريك قوله تعالى
وهو الذي خلق الليل والنهار وكرهم فيه احزي جعل لهم الليل ليسكنوا فيه
والنهار مبصرا لينتشروا فيه لمعايشهم والشمس والقمر اي وجعل الشمس
اية النهار والقمر اية الليل لتعلم الشهور والسنين والحساب كما تقدم في سبحان بيانه
كل بين من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل والنهار وفي ذلك يسبحون
اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الماء قاله ابن عباس تعالى والسابحات
وقال للمرسل الذي يمده في الجري سابح وقيل من المحال انه لم يقل يسبحن
ولا تسبح فذهب سيبويه انه لما اخبر عنهن بفعل ما يعقل جعلهن في اطاعة بمنزلة
من يعقل جمعهن بالواو والنون ونحوه قال الشاعر وقد تقدم هذا المعنى
في يوسف وقال الكسائي انما قال يسبحون لانه رأس اية كما قال تعالى لعلهم
جميع منتصر ولم يقل منتصرون وقيل الجري للفلك فتب اليها والاصح ان السابح
يجري في الفلك وهي سعة الفلك دون السموات المطبقة التي هي سماء الملائكة
واسباب الملكوت فالقمر في السماء الدنيا ثم عطارد ثم الزهرة
ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل والثامن فلك البروج والتاسع الفلك
الاعظم والفلك واحد افلاك النجوم وقال ابو عمر ويجوز ان يجمع على مثل
مثل اسد واسد وحنث وحنث فاصل الكلمة من الدوران ومنه فلكة المغزل
لاستدارتها ومنه قيل فلك يد المرأة تفليكا وتفلك استدار وفي حديث
ابن مسعود نزلت فوسى كانه يدور في فلك كانه لدورانه يشبه بفلك السما
الذي تدور عليه النجوم قال ابن زيد الافلاك مجاري النجوم والشمس
والقمر فالد وهي بين السما والارض وقال قتادة الفلك استدارة في السما
يدور بالنجوم مع ثبوت السما وقال مجاهد الفلك كهيئة حديدة الرحا وهي
قطبها وقال الضحاك فلكها مجراها وسرعة سيرها وقيل الفلك موج
مكفوف ومجرى الشمس والقمر فيه والله اعلم قوله تعالى وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد اي دوام البقا في الدنيا نزلت حين قالوا نتربص بمحمد ريب
المنون وذلك ان المشركين كانوا يدفعون نبوته ويقولون شاعر نتربص
به ريب المنون ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان فقال الله قد مات
الانبيا من قبلك وتولى الله نصره دينه بالنصر والحياطة فهكذا يحفظ
دينك وشرعك افاين مت فهم الخالدون اي انهم مثل قول الشاعر

وقولي وقالوا يا حويلد لم ترع

فقلت واتكرت الوجوه هم هم اي انهم فهما استفهام انكار وقال الفرا جايز لما
ليدل على الشرط لانه جواب قولهم سموت ويجوز ان يكون هي بها لان التقدير
فيها انهم الخالدون ان مت قال الفرا ويجوز حذف الفا واضمارها لانهم
لا ينبين فيها الاعراب اي ان مت فهم يموتون ايضا فلا لما نافية في الامانة وقرئ
مت رمت بكسر الميم وضمها لغتان قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت
تقدم في ال عمران ونبلوكم بالشر والخير فتنة فتنة مصدر على غير اللفظ
اي يختبركم بالشدة والرخا والحلال والحرام لينظر كيف شكركم وصبركم والينا

تحصون اي للجزا بالايمان قوله تعالى واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك
الا هزوا اي ما يتخذونك والهزا السخرية وهم المستهزؤن المتقدم ذكرهم
في اخر الحجر في قوله انا كفيناك المستهزئين كانوا يعيبون من يحمد الاصنام
وهم جاحدون لا امنة الرحمن وهذا يدل ان الجهل اهذا الذي اي يقولون اهذا الذي
فاضمر القول وهو جواب اذا وقوله ان يتخذونك الا هزوا كلام معترض بين اذا
وجوابه بذكر المتكلم اي بالسوء والعيب ومنه قول عنترة

لا تذكري مهري وما اطعمته فيكون جلدك مثل جلد الاخرب

اي لا تقيسي مهري بذكر الرحمن اي بالنوان هم كافرون هم الثانية توكيد كفرهم
اي هم الكافرون ما لفتني وصفهم بالكفر قوله تعالى خلق الانسان من عجل اي
ركب على العجلة فخلق عجولا كما قال الله الذي خلقكم من ضعف اي خلق الانسان
ضعيفا وقيل لخلق الانسان من الشر اي سيرا ذا بالغت في وصفه به وقيل
المات ذهاب ومحي اي ذاهب حاي اي طبع الانسان العجلة فيستعجل كثيرا من الاشيا
وان كانت تضره ثم قيل المراد بالانسان ادم قاله سعيد بن جبير والسدي
لما دخل الروح في عيني ادم عليه السلام نظر الى ثمار الجنة فلما دخل جوفه اشتهى
الطعام فوثب من قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلانا الى ثمار الجنة فذلك قوله خلق
الانسان من عجل وقيل خلق يوم الجمعة في اخر النهار فلما احيى الله راسه
استعجل وطلب سيبم نفخ الروح فيه قبل غروب الشمس قاله الكلبي ومجاهد
وغيرهما قال ابو عبيدة وكثير من اهل المعاني العجل الطين بلغة حمير وانشدوا
والنخل ينبت بين الماء والعجل وقيل المراد بالانسان الناس كلهم
وقيل المراد النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار في تفسير ابن عباس
اي لا ينبغي لمن خلق من الطين ان يستهزي بايات الله ورسله وقيل انه من المقلوب
اي خلق العجل من الانسان وهو مذهب ابي عبيدة النحاس وهذا القول
لا ينبغي ان يجاب به في كتاب الله لان القلب انما يقع في الشعر اضطرارا هو
كما قالت كما كان الزنا فريضة الرجم وتفسير هذه الاية وكان الانسان عجولا وقد
مضى في سبحان ساريكم اياتي فلا تستعجلون هذا يقوي القول الاول
وان طبع الانسان العجلة وانه خلق خلقا لا يتمالك كما قال عليه السلام
حب ما تقدم في سبحان والمراد بالايات ما دل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
من المعجزات وتاخيره من العاقبة المحمودة وقيل ما طلبوه من العذاب
فاراد وا الاستعجال وقالوا متى هذا الوعد وما علموا ان لكل شيء اجلا مقدورا
نزلت في النضر بن الحارث وقوله ان كان هذا هو الحق وقال الاخفش سعيد
معنى خلق الانسان من عجل اي قيل له كن فكان فمعنى فلا تستعجلون
على هذا القول انه من يقول للشيء كن فيكون لا يعجزه اظهاره فاستعجلوه
من الايات ويقولون متى هذا الوعد اي الموعود كما قال الله رجاونا اي
مرجونا وقيل معنى الوعد هنا الوعيد اي الذي يعدنا من العذاب
وقيل القيامة ان كنتم صادقين يا معشر المومنين قوله تعالى لو يعلم الذين كفروا
العلم هنا بمعنى المعرفة فلا يقتضي مفعولا ثانيا مثل لا تعلمونهم الله يعلمهم
وجواب لو محذوف اي لو علموا الوقت الذي لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم ولا هم ينصرون وعرفوه لما استعجلوا الوعيد وقال الزجاج اي لعلموا
صدق الوعد وقيل المعنى لو علموه لما اقاموا على الكفر ولا منوا وقال
الكسائي هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة اي لو علموه علم يقين لعلموا ان
الساعة اتية ودل عليه بل تاتيهم بغتة اي فجاة بمعنى القيامة وقيل العقوبة
وقيل النار فلا يتمكنون من حيلة فتبهتهم قال الجوهري بهته بهتا اخذه
بغتة قال الله تعالى بل تاتيهم بغتة فتبهتهم وقال الفراء فتبهتهم اي تحيرهم
يقال بهته يبهته اذا واجهه لشيء يكرهه وقيل فتجاههم فلا يستطيعون رده

اي صرفها عن ظهورهم ولا هم ينظرون اي يمهلون ويوخرون لتوبة او اعتذار
قوله تعالى ولقد استهزي برسل من قبلك هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وتعزية له يقول ان استهزاءك هولا فقد استهزي بمن قبلك من الرسل
فاصبر كما صبروا ثم وعده النصر فقال فحاق اي احاط ودار بالذي كفروا به
وسخروا منهم وهزوا بهم ما كانوا به يستهزون اي جزاء استهزايهم قوله تعالى
قل من يكلوكم اي يحرسكم ويحفظكم والكلاءة الحراسة والحفظ كلاه الله كلاءة بالكسر
اي حفظه وحرسه يقال اذهب في كلاءة الله واكتلاءه منهم احترست قال الشاعر

هوين هريثة ان سليمى والله فكلوها صيب لشي ما كان نذروها

وقال اخر اكتب بعيرك واكتلأت بعينه وحكى الكسائي والفراء من يكلوكم
بفتح اللام واسكان الواو وحكيا من يكلاكم على تخفيف الهمزة في الوجهين
والمعروف تحقيق الهمزة وهي قراءة العامة وما يكلاكم فحظا من وجهين
كما ذكره النحاس احدهما ان يبدل الهمزة الفا تكون في الشعر والثاني انهما
يقولان في الماضي كلئت فتنقلب المعنى لان كلئت اوجعت كلينة ومن قال
لرجل كلاك الله فقد دعا عليه بان يصيبه الله تعالى بالوجع في كلينة ثم قيل ما معنى
اللفظ ما معنى الاستفهام والمراد به النفي وتقديره قل لا احد يكلوكم بالليل
اذا نمتم وبالنهار اذا قمتم وتصرفتم في امورهم من الرحمن اي من عذابه وبأسه
كقوله تعالى في حم تنزيل من الله اي من عذاب الله والخطاب لمن اعترف منهم
بالصانع اي اذا اقررتم بانه الخالق فهو قادر على ان يحفظكم بالليل والنهار من
الذي تستهزئون بل هم عن ذكر ربهم اي عن القرآن وقيل عن مواعظ ربهم وقيل
عن معرفته معرضون لا يعون عما قلوت قوله تعالى ام لهم الهة المعنى الهم والميم
صلة تمنعهم من دوننا اي من عذابنا لا يستطيعون يعني الذين زعم هولاء
الكفار انهم ينصرونهم لا يستطيعون نصر انفسهم فكيف ينصرون غايرهم ولا هم
منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وعنه يجارون وهو اختيار الفراء
تقول العرب انا لك جار وصاحب من فلان اي محرز منه قال الشاعر

ينادي باعلى صوته متفوز المقنب منها والرماح دوان

وروي بسند عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال ينصرون اي يحفظون فنادة اي
لا يصحبهم الله بخير ولا يجعل رحمته صاحبا لهم قوله تعالى بل متعنا هولاء
وآباءهم قال ابن عباس يريد اهل مكة اي بسطنا لهم ولآبائهم في نعيمها
فطال عليهم العمر في النعمة فظنوا انها لا تزول عنهم فاغتروا واعرضوا عن
تذكير الله افلا يرون انا ناتي الارض لنقصها من اطرافها اي بالظهور
عليها لك يا محمد ارضا بعد ارض وفتحها بلدا بعد بلد مما حول مكة قال
معناه الحسن وغيره وقيل بالقتل والسبي حكاه الكلبي والمعنى واحد
وقد مضى في الرعد الكلام في هذا ستوفى انهم الغالبون يعني كفار مكة
بعد ان نقصنا من اطرافهم بلايات تقلبهم وتظهر عليهم قوله تعالى
قل انما انذركم بالوحي اي احوفكم واحذركم بالقرآن ولا يسمع الصم الدعاء اي
من اصم الله قلبه وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة عن فهم الايات
وسماع الحق وقرا ابو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن السميفع ولا تسمع تبنا مضمومة
وفتح الميم على ما لم يسم فاعله الصم رفعا اي ان الله لا يسمعهم وقرا ابن عامر
والسلمي ايضا وابو حيوة ويحيى بن الحارث ولا تسمع تبنا مضمومة وكسر الميم
الصم نصبا اي انك يا محمد لا تسمع الصم الدعاء فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وردها هذه القراءة بعض اهل اللغة وقال كان يجب ان يقول ايذا ما ينذرون
قال النحاس وذلك جايز لانه قد عرف المعنى قوله تعالى ولي منهم نقمة من

عذاب ربك قال ابن عباس طرف قتادة عقوبة ابن كيسان قليل وادنى شي مما حنوز
من نفح المسك وغيره من سروات النساتنفح بالمسك اذا وانها ابن خرتج نضب كابيناه
نفح قلان لفلان من عطايه اذا اعطاه نصيبا من المال قال الشاعر

لما اتيتكم ارجو فضلنا يلكم نفحتني نفحة طابت لها العرب

ايطابت لها النفس والنفحة في اللغة الدفعة اليسيرة والمعني ولئن مسهم
اقل شي من العذاب ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي متعدين فيعترفون
حين لا ينفعهم الاعتراف قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة
فلا تظلم نفس شيا الموازين جمع ميزان فقيل انه يدل ظاهره على ان لكل مكلف
ميزانا توزن به اعماله فيوضع الحسنات في كفة والسيات في كفة وقيل يجوز
ان يكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها بعض من
اعماله كما قال

ملك تقوم الحادثات لعدله فلكل حادثة لها ميزان

ويمكن ان يكون ميزانا واحدا عبر عنه بلفظ الجمع وخرج الملا الكافي
الحافظ ابو القاسم في سنته عن انس رفعه ان ملكا موكلا بالميزان فيوتى بابن
ادم فيوقف بين كفتي الميزان فان رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلائق يفاز
سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف نادى الملك
شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وخرج عن حد بيته قال صاحب
الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام وقيل للميزان كفتان وخيوط وانما
واشاهين فالجمع يرجع اليهما وقال مجاهد وقتادة والضحاك وذكر الميزان
مثل وليس ثم ميزان وانما هو العدل والذي وردت به الاخبار وعليه السواد
الاعظم القول الاول وقد مضى في الاعراف بيان هذا وفي الكهف ايضا وذكرناه هناك
التذكرة مستوفى والحمد لله والقسط العدل اي ليس فيها بخس ولا ظلم كما يكون في ورن
الدنيا والقسط صفة الموازين ووحد لانه مصدر يقال ميزان قسط
وميزانان قسط وموازين مثل رجال عدل ورضى وقرات القسط بالصاد
ليوم القيامة اي لاهل يوم القيامة وقيل المعنى في يوم القيامة فلا تظلم نفس
شيا اي لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساءة مسي وان كان مثقال
حبة من خردل قرانافع وشيبة وابو جعفر مثقال بالرفع هنا وفي لقمان على ان
معنى ان وقع او حضر فيكون كان تامة وحتاج الى خبر البا قوت مثقال بالنصب
وان كان العمل او ذلك الشي مثقال ومثقال الشي ميزانه من مثله اتينا بها
مقصورة الالف قراة الجمهور اي احضرناهم وجيئنا بها للمجازاة عليها
وبها اي بالجنة ولو قال به اي بالمثقال لجاز وقيل مثقال ليس شيا غير الحبة
فلهذا قال اتينا بها وقرا مجاهد وعكرمة اتينا بالمد على معنى جازينا بها
يقال اتانا بوابي موانا ه وكفى بنا حاسبين اي مجازين على ما قدموه من خير
وشر وقيل حاسبين اذ لا احد اسرع حسابا منا والحساب العدل روى الترمذي
عن عايشة ان رجلا قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لي مملوكين يكذبوني
ويخونوني ويعصونني واشتمهم واضربهم فاين انا منهم فقال يحسب ما خانوك
وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان
كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك
وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل قال فتنحى الرجل
فجعل يبكي وينتف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما تقرا كتاب الله ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيا الاية فقال الرجل والله ما
يرسول الله ما اجد لي ولهولا شيا خيرا من مفارقتهم اشهدك انهم احرار قال
حديث غريب قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضيا وحكي عن ابن
عباس وعكرمة الفرقان ضيا تقدروا وعيا الحاد وزعم الفرا ان حذف العاطف
والمعنى بهما واحد كما قال عز وجل انا ازينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا
اي حفظا ورد عليه هذا القول الزجاج قال لان الواو وتجي لمعنى فلا تزاد قال

وتفسير الفرقان التوراة لانه فيها الفرق بين الحلال والحرام قال وصاحب
شهدي ونور وقال ابن زيد الفرقان ههنا هو النصر على الاعداء ولهذا قلنا
في عيد نا يوم الفرقان يوم بدر وقال السدي وهذا القول اشبه بظاهر الاية
لدخول الواو في الضياء فيكون معنى الاية ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان
والتوراة الضوء والتوراة التي هي الضياء قال للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب
اي عابدين لانهم لم يروا الله بل عرفوا بالنظر والاستدلال انه لم ربا قادرا
يجازي على الاعمال وهم يخشونه في سرايرهم وخلواتهم التي يأمنون فيها من الناس
وهم من الساعة الذي من قيامها قبل التوبة مشفقون اي خائفون وجلون
وهذا ذكر مبارك انزلناه يعني القرآن افانتم له يا معشر العرب منكرون
وهو معجز لا يقدرون على الاتيان بمثله واجاز الفراء وهذا ذكر مبارك انزلناه
بمعنى انزلناه مباركا قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده قال الفراء اي اعطيناه
هذا اي من قبل النبوة اي وفقناه للنظر والاستدلال لما جن عليه الليل
فراى النجم والشمس والقمر وقيل من قبل اي من قبل موسى وهارون والرشد
على هذا النبوة وعلى الاول اكثر اهل التفسير كما قال لنجيبي واتيناه الحكم صبيا قال
القرطبي رشده صلاحه وكنا به عالمين اي انه اهل لان يؤتيه الرشد وصالح للنبوة
قوله تعالى اذ قال لابيه قيل المعنى اي اذكر حين قال فيكون الكلام قديما عند
قوله وكنا به عالمين وقيل المعنى وكنا به عالمين اذ قال فيكون الكلام متصلا
ولا يوقف على قوله عالمين لابيه وهو آزر وقومه مشركون وروى عن ابن عباس
التماثيل هي الاصنام والتمثال اسم موضوع للشيء الموضوع المصنوع شبها بخلق
من خلق الله تعالى يقال مثلت الشيء بالشيء اي شبهته به واسم ذلك المثل
تمثال التي انتم لها عاكفون اي مقيمون على عبادتها قالوا وجدنا ابائنا لها
عابدين اي نقتدي بهم اذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم قال لقد كنتم انتم وابائكم في ضلال
مبين اي في خسران بعبادتها اذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم قالوا اجئتنا
بالحق اي اجادت محقا فيما تقول ام انت من اللاعبين اي لاعب هازل قال بل ربكم
رب السموات اي ليست بلاعب بل ربكم والقائم بتدبيركم خالق السموات والارض الذي
فطرهن اي خلقهن وابدعهن وانا على ذلكم من الشاهدين اي على انه رب السموات
والارض وانا شاهد بتبيين الحكم ومنه شهد الله بين الله فالمعنى وانا ابين بالدليل
ما اقوله قوله تعالى وتالله لاكيدن اصنامكم اخبر انه لم يكتف بالمحاجة
باللسان بل كسر اصنامهم فعل واثق بالله تعالى موطن نفسه على مقاساة
المكروه في الذب عن الدين وانما قال تالله تختصص في القسم باسم الله وحده دون الواو
تختص لكل مظهر والتاء لكل مضمر ومظهر قال الشاعر

بالله يبقى على الايام ذو احد ... المسمحن به الطيان والآس

قال ابن عباس اي وعزة الله لاكيدن اصنامكم اي لامكرن بها والكيد المكر
كاده يكيده كيدا ومكيده وكذلك المكايده وربما سمي الحرب كيدا قال عز اقلت
فلم يلق كيدا وكل شيء تعالجه فانت تكيده ومعنى تولوا مدبرين اي منطلقين ذاهبين
وكان لهم في كل سنة عيد يجتمعون فيه فقالوا لابراهيم لو خرجت معنا اعجبك
ديننا روي ذلك عن ابن مسعود على ما بابن بيانه في الصافات فقال
ابراهيم في نفسه تالله لاكيدن اصنامكم فانا محاهد وقتادة انما قال
ذلك ابراهيم بمشورة من قومه ولم يسمع الا رجل واحد وهو الذي اساء بجيبه
عنه بخبر الجمع اذا كانوا كما اخبر به عنه مما يرضى به غيره ومثله يقولون ليس
رحمنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقيل انما قاله بعد خروج القوم
ولم يبق الا الضعفاء فهم الذين سمعوه وكان احتال في التخلف عنهم بقوله
اني سقيم اي ضعيف عن الحركة فقوله تعالى فجعلهم جذاذا اي قطعا والجذا
الكسر والقطع جذذت الشيء كسرته وقطعته والجذاذ والجذاذ ما كسر منه فالضم
والفتح فيه من كسره قاله الجوهري الكسائي وقيل الجذاذ الذهب جذاذ
لانها تكسر وقرأ الكسائي والاعمش وابن محيصن جذاذ بكسر الجيم اي كسرا
وقطعا جمع جذيذ وهو الهشيم مثل حفيف وخفاف وطريف وطراف وقال

وقال انا عرجذ ذ الاصنام محراها ذاك في الم العلي المقتدر اما قوت بالضم
واختاره ابو عبيد وابو حاتم اي الحطام والدقاق الواحده جذاذه وهذا قول
الكيد الذي اقسم به ليفعلنه بها وقال فجعلهم لان القوم اعتقدوا في اصنامهم
الالهة وقرا ابن عباس وابو نهيك وابو السماك جذاذ بفتح الجيم والفتح هو
والكسر لغتان كالحصاد والحصاد وابو حاتم الفتح والكسر والضم بمعنى حكاه و
تطرح الاكبر الهم اي عظيم الالهة في الخلق فانه لم يكسره قال السدي ومجاهد
ترك الصنم الاكبر وعلق الفاس الذي كسر الاصنام به في عنقه ليحتج به عليهم
لعلهم اليه اي ابراهيم وقيل يرجعون اذا قامت الحجة عليهم وقيل لعلهم
اليه اي الى الصنم الاكبر يرجعون في تكسرها قوله تعالى قالوا من فعل هذا
بالهتنا انه لمن الظالمين المعني لما رجعوا من عيدهم ورأوا ما احدث بالهتهم
قالوا على جهة البحث والانكار من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين
وقيل ليس استفهاما بل هو ابتداء وخبره لمن الظالمين اي فاعل هذا ظالم
والاول اصح لقوله سمعنا فتى يذكرهم وهذا جواب من فعل هذا والضمير في قالوا
للقوم الضعفا الذي سمعوا ابراهيم او الواحد على ما تقدم ومعنى يذكرهم بسبهم
وشتمهم قيل انه صنع هذا واختلف الناس في رفع ابراهيم فقال الزجاج
يرتفع على معنى يقال له هو ابراهيم فيكون مبتدا وخبره محذوف
والجملة محكية قال ويجوز ان يكون رفعا على البدل او صفة بنا وقام له
مقام فاعله وقيل رفع على البدل انه مفعول لم يسم فاعله
على ان يجعل ابراهيم غير ذهب ذاك على الشخص بل يجعل التلفظ بالاعلى
بهذه اللفظة اي يقال له هذا القول وهذا اللفظ وهذا كما تقول
زيد ورد فعل او زيد ثلاثة احرف فلم يدل بوجه على الشخص بل دلت
بتلفظك بها بنفس اللفظة وعلى هذه الطريقة تقول قلت ابراهيم
ويكون مفعولا صحيحا اذ التلفظ نزله قول وكلام فلا يفقد بعد ذلك
ان يبني الفعل فيه للمفعول هذا اختيار ابن عطية في رفعه وقال
الاستاذ ابو الحجاج الاشبيلي الاعلم هو رفع الابهام قال ابن عطية لما رأى
وجوه الرفع كلها لا توضح المعنى الذي قصدوه ذهب الى رفعه بغير شيء كما قد
يرفع التجرد والهروب عن المواصل الابتداء والفتى الشاب والفتاة الشابة
وقال ابن عباس ما ارسل الله نبيا الا شابا ثم قرأ سمعنا فتى يذكرهم قوله
تعالى قالوا فأتوا به على اعين الناس فيه مسئلة واحدة وهي انه لما بلغ الخبر
نمرود واشراف بيته كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فقالوا ائتوا به ظاهرا
لمرأى من الناس حتى يروه لعلهم يشهدون عليه بما قال ليكون ذلك حجة
عليه وقيل لعلهم يشهدون عقابه فلا يقدم احد على مثل ما اقدم عليه
ولعلهم يشهدون بانهم راوه يكسر الاصنام او لعلهم يشهدون طفيه
على الهتهم ليعلموا انه ليستحق العقاب قلت وفي هذا دليل على انه لا يؤخذ
احد بدعوى احد فيما تقدم لقوله فأتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون
وهكذا الامر في شرعنا ولا خلاف فيه قوله تعالى قالوا انت فعلت هذا
بالهتنا يا ابراهيم فيه اربع مسائل الاولى لما لم يكن السماع عاما ولا انتشر
الشهادة استفهموه على فعل ام لا وفي الكلام حذف فجاء ابراهيم حتى اتي به
فقالوا انت فعلت هذا بالهتنا فقال لهم ابراهيم على جهة الاحتجاج عليهم
بل فعله كبيرهم هذا اي انه غار وغضب من ان يعبد هو ويعبد الصغار معه
ففعل هذا بها كذلك ان كانوا ينطقون فاسألوهم فعلق فعل الكبير بنطق
الاحجار تنبيها لهم على فساد اعتقادهم كانه قال بل هو الفاعل ان ينطق
هؤلاء وفي الكلام تقديم على هذا التأويل في قوله فاسألوهم وقيل اراد بل
فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون بين ان من لا يتكلم ولا يسمع لا يستحق ان

يعبدفكان قوله من المعاريض مندوحة عن الكذب اي سلوبهم ان ينطقوا
فانهم يعبدفون والم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل وفي ضمن هذا
الكلام اعتراف بانه الفاعل وهذا هو الصحيح لانه عده في نفسه فرد انه
خرج مخرج التقريض وذلك انهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم الهة من دون الله
كما قال ابراهيم لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع الاية فقال ابراهيم بل فعله
كبيرهم هذا لتقولوا انهم لا ينطقون ولا يتقون ولا يضرون فيقول لهم فلم
تعبدوهم فتقوم عليهم الحجة منهم ولهذا يجوز عند الامن فرض الباطل مع الخصوم
حتى يرجع الى الحق من ذات نفسه فانه اقرب للحجة واقطع للشبهة كما قال
لقومه وهذه اختي واني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقرا ان السميقع بل
فعله بتشديد الكاف بمعنى ولعل الفاعل كبيرهم وقال الكسائي الوقف عند
قوله بل فعله اي فعله من فعله ثم يبتدي كبيرهم هذا الزام بلفظ الخبر
اي من اعتقد عبادتها يلزمه ان يثبت لها فعلا والمعنى بل فعله كبيرهم
فيما يلزمكم مسلم روى البخاري ومسلم والترمذي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم النبي في شي قط الا في ثلاث
قوله اني سقيم وقوله لسارة اختي وقوله بل فعله كبيرهم لفظ الترمذي
وقال هذا حديث حسن صحيح ووقع في الاسراء في صحيح مسلم من حديث
ابي هريرة في قصة ابراهيم قال وذكر قوله في الكواكب هذا ربي فعلى هذا
تكون الكذبات اربعا الا ان الرسول عليه السلام قد نفاها تلك بقوله
لم يكذب ابراهيم النبي قط الا في ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم
وقوله بل فعله كبيرهم وواحدة في شان سارة لفظ مسلم وانما لم يعد عليه
قوله في الكوكب هذا ربي كذبة وهي داخلة في الكذب لانه والله اعلم كان حين
قال ذلك في حال الطفولية ولم يبلغ حال التكليف او قاله لقومه لستفهمهم
لهم على جهة التوبيخ والانكار وحذفت همزة الاستفهام ارعلى طريق الاحتجاج
عليهم بتسليم ان ما يتغير لا يصلح للربوبية وقد تقررت هذه الوجوه
كلها في الاتمام مبينة والحمد لله مسئلة قال القاضي ابوبكر بن العربي
في هذا الحديث نكتة عظمى بعصم الطهر وهي انه عليه السلام قال لم يكذب
ابراهيم الا في ثلاث نتثنين ما حل بها عن ذات الله وهما قوله اني سقيم وبل
فعله كبيرهم ولم يعد هذه احتى في ذات الله تعالى وان كان واقعا بها مكروها
ولكنه لما كان لابراهيم عليه السلام فيها حظ من صيانة نراشه وكبار اهله
لم يجعلها في ذات الله وذلك لانه لا يجعل في جنب الله وذانه الا العمل الخالص
من سوايب الدنيا والمعاريض التي ترجع الى النفس اذا حصلت للدين
كانت لله سبحانه كما قال الا لله الدين الخالص وهذا لو صدر منا لكان لله ولكان
هتزلة ابراهيم اقتضت هذا والله اعلم مسئلة قال علماؤنا الكذب هو الاخبار
عن الشي بخلاف ما هو عليه والاظهر ان تولد ابراهيم فيما اخبر عنه عليه اللام
كان من المعاريض وان كانت معاريض وحسنات وحججا في الخلق ودلالات
لكنها اثرت في الرتبة وحطت عن محمد المنزلة واستحيي منها قايلها على ما ورد
في حديث الشفاعة فان الانبيا يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم اجلالا لله
فان الذي كان يليق بمرتبته في النبوة والجلة ان يقتدح بالحق ويقترح بالامر
كيف ما كان ولكنه رخص له قبل الرحمة فكان ما كان من العصمة ولهذا
جاء في حديث الشفاعة انما اتخذت خليلا سوارا وارنبصب وارا بضب وارا
فيها على البنا الجملة عشر وكما قالوا حاري بت بت وقع في بعض نسخ مسلم
من وارا من وارا باعادة من وحينيذ لا يجوز البنا على الفتح وانما يبنيان
كل واحد منهما على الضم لانه قطع عن الاضافة ونوي المضاف كقبل
وبعد وان لم ينو المضاف اعرب ونون غيران وارا لا ينصرف لان اللفظة
للتانيث لانه قال في تصغيرها وريئة قال الجوهري وهي سادة فعلى هذا
يصح الفتح فيهما مع وجود من فيهما والمعنى اني لست خليلا متاخرا عن
غيري ونستفاد من هذا ان الخلة لم تقع بكمالها الا لمن ضحى لله في ذلك اليوم

المقام المحمود كما تقدم وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فرجعوا الى
انفسهم اي رجع بعضهم الى بعض رجوع المنقطع من حجة المسطن لصحة حجة
خصمه فقالوا انكم انتم الظالمون اي لعبادة من لا ينطق بلفظ ولا يملك لنفسه
لحظ وكيف عابدوه ويدفع عنهم الناس من لا يرد عن راسه الناس قوله تعالى
ثم نكسوا على رؤسهم اي عادوا الى جهلهم وعبادتهم فقالوا لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون فقال فاطما لما به يهتدون ومنفعتها لهم فما بالهم تقولون افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم اف لكم اي البعد لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون وقيل ثم نكسوا على رؤسهم اي طاطوا رؤسهم
خجلة من ابراهيم وفيه نظر لانه لم يقل نكسوا رؤوسهم بل قال نكسوا
نكسوا على رؤسهم اي ردوا على ما كانوا عليه اولا الامر وكذا قال ابن عباس
قال ادركهم السفاء فعادوا الى كفرهم قوله تعالى قالوا حرقوه لما انقطعوا
بالحجة اخذتهم عزة بالاثم وانصرفوا الى طريق العشم والعصبية وقالوا حرقوه
روي ان قائل هذه المقالة هو رجل من الاكراد من اعراب فارس اي من
بادية لها قاله ابن عمر ومجاهد وابن جريج ويقال اسمه هيزن فخسف الله به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل قالت ملكهم عمرود وانصروا الهتكم
وبحرقة ابراهيم لانه سبها وعيبها وجاء في الخبر ان لعمرود بيت صرحا طوله
ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا قاله ابن اسحاق وجمعوا الحطب
لهم ثم اوقدوها واشتعلت واشتدت حتى ان كان الطائر ليمر بجنباتها
فتحترق من شدة وهجها ثم قيدوا ابراهيم ووضعوه في المنجنيق مغلولا
ويقال ان ابليس صنع لهم المنجنيق بوسيز فضجت السموات والارض
ومن فيهن من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين صيحة واحدة ربنا
ابراهيم ليس في ارضك احد يعبدك غيره يحرق فيك فاذن لنا في نصرته
فقال الله تعالى ان استغاث بشيء منكم او دعاه فلتنصره فقد اذنت لهم في
ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فلما اراد وا القاءه في النار
اتاه خزان الماء وهو في الهواء فقال يا ابراهيم ان اردت اخمدنا النار بالماء
فقال لا حاجة لي اليكم فاتاه ملك الريح فقال له لو شئت طيرت النار
فقال لا ثم رفع راسه الى السماء فقال اللهم انت الواحد في السماء وانا الواحد
في الارض ليس احد يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وروى ابي بن كعب
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار قال
لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك قال
ثم رموا به في المنجنيق من مضرب ساسع فلقيه جبريل فقال يا ابراهيم
الك حاجة فقال اما اليك فلا فقال جبريل فاسل ربك قال حسبي من
سوالي علمه بحالي فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
قال بعض العلماء لو لم يقل الله وسلاما لقتله بردها وحر ايدفع حرها وحر ايدفع بردها فصارت
سلاما عليه قال ابو العالية لو لم يقل برد او سلاما لكان بردها اشد
عليه من حرها وكلم ولو لم يقل على ابراهيم لكان بردها باقيا على الارض
وذكر بعض العلماء ان الله تعالى انزل زريرا من الجنة فبسطها في الحجيم
فانزل الله ملكا يكنى جبريل وميكائيل وملك البرد وملك السلامة وقال
علي وابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابراهيم من بردها ولو لم يقل
ويسيز نار لاطفت طفئت انها لا تنفي قال السدي وامر الله كل عود من
شجره ان يرجع شجره ويطفئ نمرته وقال كعب رقتادة ولم تحرق النار
من ابراهيم الا وثاقه فاقام في النار سبعة ايام لم يقدر احد ان ينظر
من النار ثم جاوا فاذا هو قائم يصلي وقال المهاجر بن عمر وقال ابراهيم
ما كنت اياما قط انعم مني في الايام التي كنت فيها في النار وقال كعب وقتادة
والزهري ولم يبق يومئذ دابة الا اطفأت عنه النار الا الوزغ فانها
كانت تنفخ عليه فلذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلها وسماها فويسقا
وقال سميت الحمة التي القي ابراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة وقال

ابن جوج التي ابراهيم في النار وهو ابن ست وعشرين سنة ذكر الاول الثعلبي
والثاني الماوردي والله اعلم وقال الكلبي بردت نيران الارض جميعا فلما
اضجعت كراعا فرآه نمرود في النصر ٢ وهو جالس على السرير بوسنه ملك
الظل فقال لهم الرب ربك لاقربن له اربعة الاف بقره وكف عنه فقد تقدم
واراد وابه كيدا اي اراد نمرود واصحابه ان يكروا به فجعلنا هم الاخسرين
اي في اعمالهم ورددنا مكرهم عليهم بتسليطهم ضعف خلقتنا قال ابن عباس
سلط الله عليه اضعف خلقه البعوض فما برح نمرود حتى راي عظام اصحابه
وجبله بلوح اكلت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت هو واحده في منخره
فلم تزل تاكل الي ان وصلت دماغه وكان اكرم الناس عليه الذي يضرب
راسه بمرزبة من حديد فاقام بعذاب كونه من اربعة ايام ستة قوله تعالى
ونجيناه ولوطا الي الارض التي باركنا فيها للعالمين يريد نجينا ابراهيم
ولوطا الي ارض الشام وكانا بالعراق وكان لوط عليه السلام عم قال
ابن عباس وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وانهارها ولانها مهبط
الانبياء والبركة ثبوت الخير وسنه بركة البعير اذا الزم مكانه فلم يبرح وقال
ابن عباس الارض المباركة مكة وقيل بيت المقدس لانه منها بعث الله
اكثر الانبياء وهي ايضا كثيرة الخصب والنمو عذبة الماء ومنها يتفرق في الارض
قال ابو العالية ليس ماء عذب الا ينبط من السماء الي الصخرة التي ببيت
المقدس ثم يتفرق في الارض ونحوه عن كعب الاحبار وقيل الارض المباركة
بصرفقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة اي زيادة لانه
دعا في اسحاق ولم يدع في يعقوب من غير دعاء وكان ولد ولد نافلة اي زيادة
على ما سال اذ قال رب هب لي من الصالحين وقيل لولد الولد نافلة
لانه زيادة بعد الولد وكلا جعلنا صالحين اي وكلا من ابراهيم واسحاق
ويعقوب جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله وجعلهم صالحين انما
يتحقق لخلق الصلاح والطاعة لهم ولخلق القدرة على الطاعة ثم
لما يكسبه العبد فهو مخلوق لله تعالى في قوله تعالى وجعلناهم ائمة
يهدون بامرنا اي يرشدون الناس يقتدي بهم الخيرات واعمال الطاعات ومعنى
بامرنا اي بما انزلنا عليهم من الوحي والامر والنهي فكانه قال يهدون
بكتابنا وقيل المعنى يهدون الناس الي ديننا بامرنا اياهم بارسال الرسل
ودعائهم الي التوحيد واوحينا اليهم فعل الخيرات اي بفعلوا الطاعات
واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين اي مطيعين قوله تعالى
ولوطا اتيناه حكما وعلما لوطا منصوب بفعل مضمر دل عليه الثاني اي
واتينا لوطا اتيناه وقيل اي واذكر لوطا والحكم والنبوة والعلم والمعرفة
بامر الدين وكما يقع به الحكم بين الخصوم وقيل فيهما والمعنى واحد ونجيناه
من القرية التي كانت تعمل الخبائث يريد سدوم ابن عباس وكانت سبع قرى
فلما جبريل عليه السلام ستة وابقى واحدة للوط وعياله وهي زعر التي فيها
الثمر من كورة فلسطين الي حد البراة ولها قرى كثيرة الي حد بحر القلزم بالحجاز
وفي الخبائث التي كانوا يعملون بها قولان احدهما اللواط على ما تقدم
الصراط اي كانوا ينتضارطون في بواديهم ومجالسهم وقيل الضراط وحذف
الحصى وسبابتي انهم كانوا قوم سوء فاسقين اي خارجين عن طاعة الله
والفسوق الخروج وقد تقدم وادخلناه في رحمتنا اي في النبوة وقيل في الاسلام
وقيل الجنة وقيل عنا بالرحمة الجاه من قومه انه من الصالحين قوله تعالى
ونوحا اذ نادى من قبل اي واذكر نوحا اذ نادى اي دعا من قبل اي من قبل
ابراهيم ولوط عليهما قومه وهو قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين دارا
وقال لما كذبوه اي مغلوب فانتصر فاستجبنا له فنجيناه واهله من
الكرب العظيم اي من الغرق والكرب الغم الشديد واهله اي المؤمنين
منهم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بايانتا قال ابو عبيدة من معنى

على وقبل المعنى فانتهما له من القوم الذين كذبوا بايا تنا فاغرقناهم اجمعين
اي الصغير منهم والكبير فقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث
الى قوله وعلما فيه ست وعشرون مسئلة الاولى قوله تعالى وداود وسليمان
اذ يحكمان واذكرهما اذ يحكمان ولم يرد بقوله اذ يحكمان الاجتماع في الحكم وان
جمعهما في القول فان حكمين على حكم واحد لا يجوز وانما كل واحد منهما على
انفراده وكان سليمان انتقائم لها بهم الله تعالى اياه في الحرث اختلف
فيه على قولين فقيل كان زرعا قاله قتادة وقيل كرما نتشت عناقيره
قاله ابن مسعود وشريح والحرث يقال فيهما وهو في الزرع من الاستفاذة
الثانية قوله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعت فيه ليلا والنفش الرعي
بالليل يقال نفشت بالليل وهملت بالنهار اذا رعت بلا راع والمنتشها
صاحبها وابل نفاش وفي حديث عبد الله بن عمرو الحبة في الجب كمثل كرش
البعير يبيت نافشا اي راعيا حكاه الهروي وقال ابن عزيز لا يقال
الا في الغنم وانما هو في الابل الثالثة قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين دليل
على ان اقل الجمع اثنان وقيل المراد الحاكمان والمحكوم عليهم فلذلك قال
لحكمهم الرابعة قوله تعالى ففهمناها سليمان اي فهمنا القضية والحكومة
عنها اذ سبق ما يدل عليها وفضل حكم سليمان حكم ابيه في انه احرز ان يبقى
ملك كل واحد منهما على متاعه وتبقى نفسه طيبة بذلك وذلك ان داود عليه
السلام راى ان يدفع الغنم الى صاحب الحرث وقالت فرقة بل دفع الغنم
الى صاحب الحرث والحرث الى صاحب الغنم قال ابن عطية فيشبه على
القول الواحد انه راى الغنم تقاوم الغلة اي افسدت وعلى القول الثاني
راها تقاوم الحرث والغلة فلما حزبه الخصمان على سليمان
وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم وكانوا يرحلون الى داود
على باب اخر فقالا لم نقض بيننا نبي الله داود فقالا نقضي بالغنم لصاحب
الحرث فقال لعل الحكم غير هذا انظرها سعي فاتاه فقال يا نبي الله انك حكمت
بكذا وكذا واني رايت كما هو ارفق بالجميع قال كما هو قال فينبغي ان يدفع الغنم
الى صاحب الزرع فينتفع بالبانها وسمونها واصوافها ويدفع الحرث الى
صاحب الغنم ليقوم عليه فاذا اعاد الزرع الى حاله التي اصابته الغنم عليه
في الستة المتسلم رد كل واحد منهم ماله الى صاحبه فقال داود وفقك
يا نبي الله فامض وقضى بما افتى به سليمان قال ابن مسعود ومجاهد
وغيرهما قال الكلبي فقوم داود الغنم والكرم الذي افسدته الغنم فكانت
القيمتان سواء فدفع الغنم الى صاحب الكرم وهكذا قال النحاس انما افتى
بالغنم لصاحب الحرث لان ثمنها كان قريبا منه واما في حكم سليمان
فقد قيل كانت قيمة ما اكل من الغنم وقيمة ما افسدت الغنم سواء ايضا
الخامسة قوله تعالى وكلا اتينا حكما وعلما تاول قوم ان داود لم يخطئ في هذه
النازلة بل فيهما اوتي الحكم والعلم وحملوا قوله ففهمناها سليمان على انه فضيلة
له على داود وفضيلة راجعة الى داود والوالد يسره زيادة ولده عليه
وقالت فرقة بل لانه لم يصب النص المطلوب في هذه النازلة وانما مدحه
الله بان له حكما وعلما يرجع اليه في هذه النازلة واما في هذه فاصاب سليمان
واخطا داود ولا يمتنع وجود التغليط والخطا من الانبياء لوجوده من
غيرهم لكن لا يقرون عليه وان اقر عليه غيرهم ولما هدم الوليد كنيسة
دمشق كتب اليه ملك الروم انك هدمت الكنيسة التي زاي ابوك تركها
فان كنت مصيبا فقد اخطا ابوك وان كان ابوك مصيبا فقد اخطات
انت فاجابه الوليد وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم
وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقال قوم كان داود
وسليمان عليهما السلام ببينان بقضيان بما يوحي اليهما فحكم داود بوحي وحكم سليما

سنا ٥٥

ن

بوحي

سليمان بوحي بتح الله به حكم داود وعلى هذا فهمنا ها سليمان اي بطريق الوحي
الناسخ لما اوحي الى داود وامر سليمان ان يبلغ ذلك داود فلهذا قال
وكلا اتينا حكما وعلما هذا قول جماعة من العلما وسنها ابن تورك وقال الجمهور
ان حكمها كان باجتهاد السادسة واختلف العلما في جواز الاجتهاد على الانبيا
فمنعه قوم ويجوزه المحققون لانه ليس فيه استحالة عقلية لانه دليل شرعي
فلا احالة ان يستدل به الانبيا كما قال له الرب سبحانه اذا غلب على ظنك
كذا فاقطع بان ما غلب على ظنك فهو حكمي فبلغته الامة فهذا غير مستحيل
في العقل فان قيل انما يكون دليلا اذا تقدم السمع وهم لا يتقدمونه قلنا
او لم ينزل الملك فتقدم السمع عندهم وصار واقع الحث لغيرهم من المجتهدين
عن معاني النصوص التي عندهم والفرق بينهم وبين غيرهم من المجتهدين
انهم معصومون عن الخطا والغلط وعن التقصير في اجتهادهم وغيرهم
ليس كذلك هذا مذهب الجمهور في ان جميع الانبيا صلوات الله عليهم معصومون
عن الخطا والغلط في اجتهادهم وذهب ابو علي بن ابي هريرة من اصحاب
الشافعي الى ان نبينا صلى الله عليه وسلم معصوم منهم في جواز الخطا عليهم
وفرق بينه وبين غيره من الانبيا انه لم يكن بعده من يستدرك غلطه
وكذلك عصمه الله تعالى منه وقد تبعت بعد غيره من الانبيا من يستدرك غلطه
وقد قيل انه يجوز على العموم جميع الانبيا وان نبينا وغيره من الانبيا صلوات الله عليهم
في تجويز الخطا عليهم سوا الا انهم لا يقرون عليه امضائه فلم يعتبر فيه استدراك
من بعدهم من الانبيا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سالته امراة عن
العمرة فقال لها اعتدي حيث شيت ثم قال اكلمي في بيتك حتى يبلغ الكتاب
اجله وقال له رجل ارايت ان قتلت صابرا محتسبا ايجزي عني الجنة
شي فقال لا ثم دعاه فقال الا الدين كذا اخبرني جبريل السابعة قال
الحسن لولا هذه الاية لرايت الفصاة هلكوا ولكنه تعالى اثنى على سليمان
بصوابه وعذر داود باجتهاده وقد اختلف الناس في المجتهدين في الفروع
اذا اختلفوا فقالت فرقة الحق في طرف واحد عند الله وقد نصب على ذلك
ادلة وحمل المجتهدين على البحث عنها والنظر فيها فمن صادف العين
المطلوبة في المسالة فهو المصيب على الاطلاق وله اجران اجر في الاجتهاد
واجر في الاصابة ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهاده مخطي في ان لم
يصب العين فله اجر وهو غير معذور وهذا سليمان فرد صادف العين
المطلوبة وهي التي فهم وراث فرقة ان العالم المخطي لا اثم عليه في خطابه وان
كان غير معذور وقالت فرقة الحق في طرف واحد ولم ينصب الله تعالى عليه
دلايل وكل الامر الى نظر المجتهدين فمن اصابه اصاب ومن اخطا فهو معذور
ماجور ولم تتعبدنا باصابة العين بل تعبدنا بالاجتهاد فقط وقال جمهور
اهل السنة وهو المحفوظ عن مالك واصحابه ان المسايل الحق في مسايل
الفروع في الطرفين وكل مجتهد مصيب والمطلوب انما هو الافضل في ظنه
فكل مجتهد قد اداه نظره الى الافضل في ظنه والدليل على هذه المقالة
ان الصحابة ممن بعدهم فوض بعضهم خلاف بعض ولم ير احد منهم ان يقع الاجماع
على قوله دون قول مخالفه ومنه رد مالك رحمة للمنصور ابي جعفر عن حمل
الناس على الموطا فاذا اشار عالم في امر حلال فذلك هو الحق فما يختص
بذلك العالم عند الله وبكل من اخذ بقوله وكذا في العكس قاله وان كان
سليمان عليه السلام فهم القضية المثلى والتي هي ارجح قال ولي ليست بخطا
وعلى هذا يحملون قوله عليه السلام اذا اجتهد العالم فاخطا اي اخطا
الافضل الثامنة روى مسلم وغيره عن عمرو بن العاص سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد

ثم اخطأ قله اجر هكذا لفظ الحديث في كتاب مسلم اذا حكم فاجتهد فيدل بالحكم
قبل الاجتهاد والامر بالعكس فان الاجتهاد متقدم على الحكم فلا يجوز الحكم
قبل الاجتهاد فتبارا جماع وانما معنى الحديث اذا اراد ان يحكم كما قال فاذا افزات
القرآن فاستفز فمعتد ذلك يجتهد في النازلة ويفيد هذا صحة ما قاله
الاصوليون انه المجتهد يجب عليه ان يحدد نظرا عند وقوع النازلة ولا يعتمد
على اجتهاده المتقدم لامكان ان يظهر له ثانيا خلاف ما ظهر له اولا الا ان
الا ان يكون ذاكرا لاركان اجتهاده سابلا اليه فلا يحتاج الى استيناف
نظر في اشارة احرى التاسعة انما يكون الاجر للحاكم المخطئ اذا كان عالما
بالاجتهاد والسنن والقياس وتقفي من فصلي لاذ اجتهاده عباده ولا يوجر
على الخطا بل يوضع عنه الاثم فقط فاما من لم يكن محلا للاجتهاد وهو متكلف
لا يفيد ما الخطا في الحكم بل خبا فعليه اعظم الوزر يدل على ذلك حديث الاخر
رواه ابو داود والنسائي ثلاثة في الحديث قال ابن المنذر وانما يوجر على اجتهاد
في طلب الصواب لا على الخطا ومما يوضح هذا قوله تعالى ففهمناها سليمان
الاية قال الحسن اثنى على سليمان ولم يذم داود العاشرة ذكره ابو الثناء
المالكي ان مذهب مالك ان الحق في واحد من اقاويل المجتهدين وليس ذلك
في اقاويل المختلفين وبه قال اكثر الفقهاء قال وحكى ابن القاسم انه سال
مالكا عن اختلاف الصحابة فقال مخطئ ومصيب وليس في جميع اقاويلهم
وهذا القول قيل هو المشهور عن مالك وابى ذلك محمد بن الحسن واجتمعن
قال هذا الحديث عبد الله بن عمرو قالوا وهو نص على ان في المجتهدين وفي الحاكمين
مخطئا ومصيبا قالوا والقول بان كل مجتهد الى الشيء حلالا وحراما وواجبا
ندبا واحتج اهل المقالة الاولى بحديث ابن عمر قال نادى فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم انصرف من الاحزاب الا لا يصلين احد العصر
الا في بني قريظة فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة وقال
الاخرون لا نصلي الا حيث امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان فاتنا الوقت
قال فما عنف واحدا من الفريقين قالوا فلو كان احد الفريقين مخطئا لعنفه
النبي صلى الله عليه وسلم ويمكن ان يقال لعله انما سكت عن تعنيف المخطئين
لانه غير اثم بل ماجور فاستغني عن تعنيفه والله اعلم ومسئلة الاجتهاد
طويلة متشعبة وهذه النبذة التي ذكرناها كافية في معنى الاية والله الموفق
للهداية الحادية عشرة ويتعلق بالاية فصل اخر وهو رجوع الحاكم بعد قضائه
من اجتهاده الى اجتهاد اخر ارجح من الاول فاذا داود عليه السلام فعل
ذلك وقد اختلف علماؤنا في ذلك رحمهم فقال عبد الملك ومطرف في الواضحة
ذلك له ما دام في ولايته فاما ان كانت ولاية اخرى فليس له ذلك وهو
بمنزلة غيره من القضاة وهذا هو الظاهر من قول مالك رحمه الله
في المدونة وقال سحنون في رجوعه من اجتهاد نبي فتوى الى غيره مما راه اصوب
ليس له ذلك وقاله ابن عبد الحكم قالا ويستانف الحكم بما قوي عنده قال
سحنون الا ان يكون شيء لا قوي عنده في ذلك الوقت ثم قوي عنده غيره بعد
ذلك فلا سبيل الى نقض الاول قاله سحنون في كتاب ابيه وقال اشهب
في كتاب ابن المواز انه كان رجوعه الى الاصوب في ماله فله نقض الاول
وان كان في طلاق او نكاح او عتق فليس نقضه قلت رجوع القاضي
عما حكم به اذا تبين له ان الحق في غيره ما دام في ولايته اولى وهكذا في رسالة
عمر الى ابي موسى رضي الله عنهما رواه الدارقطني وقد ذكرناها في الاعراف
ولم نفصل وهي الحجة نظرا هو قول مالك ولم يختلف العلماء ان القاضي اذا قضى
بجور او خلاف اهل العلم فهو مردود وان كان على وجه الاجتهاد فاما
ان يتعصب قاض حكم قاض اخر فلا يجوز ذلك له لانه فيه مضرة عظيمة
من جهة نقض الاحكام وتبديل الحلال بالحرام وعدم ضبط قوانين الاسلام

ولم

ولم يتعرض احد من الخلفا لبعض ما راه الاخر وانما كان يحكم بما ظهر له الثانية
عشرة قال بعض الناس ان داود لم يكن انفذ الحكم وظهر له ما قال غيره
وقال اخرون لم يكن حكما وانما كان فتيا قلت وهكذا تاول فيما رواه ابو هريرة
عنه عليه الصلاة والسلام انه قال بينما امراتان معهما ابناهما جاء الذيب
فذهب بابن احدهما فقالت هذه لصاحبتها انما ذهب بابنك انت وقال الاخرى
انما ذهب بابنك فتحاكمتا الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود
فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين اشقه بينكما فقالت الصغرى لا رحمك الله
هو ابنها فقضى به للصغرى قال ابو هريرة ان سمعت بالسكين قط الا يومئذ
قالنا نقول الا المدية اخرجه مسلم فاما القول بان ذلك من داود
فتيا فهو ضعيف لانه كان النبي حكم واما قول الاخر فبعيد لانه تعالى
قال اذ يحكمان في الحرث فبين ان كل واحد منهما تحكم وكذا قوله في الحديث فقضى
به للكبرى بدل على انفاذ القضا واجازه ولقد اخطا من قال انه كان من شرع
داود ان يحكم به للكبرى من حيث هي كبرى لان الكبر والصغر طرو محض عند
الدعاوي كالطول والقصر والسواد والبياض وذلك لا يوجب ترجيح احد
المتداعيين حتى يحكم له او عليه لاجل ذلك وهذا مما يقطع به من فهم ما جات
به الشرايع والذي ينبغي ان يقال ان داود عليه السلام انما قضى به للكبرى
لسبب اقتضى عنده ترجيح قولها ولم يذكر في الحديث بعينه اذ لم يرجع حاجة
اليه فيمكن ان الولد كان بيدها وعلم عجز الاخرى عن اقامة البينة فقضى به
لها انفاذا لما كان على ما كان وهذا اقرب تاويل احسن ما قيل في هذا الحرف
وهو الذي يشهد له قاعدة الدعاوي الشرعية التي يبعد اختلاف الشرايع
فيها لا يقال فان كان داود قضى بسبب شرعي فكيف ساغ لسليمان نقض حكمه
فالجواب ان سليمان لم يقترض لحكم ابيه بالنقض وانما اجتاد جليلة لطيفة
ظهر له بسببها حذف الصغرى وهي انه لما قال لها ان السكين اشقه بينكما هي
كما قالت الصغرى لا ظهر له من قرينة الشفقة في الصغرى وعدم ذلك
في الكبرى مع ما عيناه ايضا في ذلك من القرائن ما حصل له العلم
بصدقها فحكم لها ولعله كان ممن سوغ له اجتهاده لعلمه وقد ترجم النسائي
على هذا الحرف حكم الحاكم بعلمه وترجم له ايضا السهم للحاكم ان يقول للشيء
الذي لا يفعله افعل ليتبين الحق وترجم له ايضا نقض الحكم ما حكم به غيره
ممن هو مثله او اجل منه ولعل الكبرى اعترفت بان الولد للصغرى عند ما راات
من سليمان الحزم والجد في ذلك فقضي بالولد ويكون هذا اذا احلف الحاكم
باليمين فلما مضى ليحلف حضر من استحق من المنكر ما ارجب اقراه فانه
يحكم عليه بذلك الاقرار قبل اليمين وبعدها ولا يكون ذلك من باب نقض
الحكم الاول لانه من باب تبدل الاحكام بحسب تبدل الاسباب والله اعلم وفي هذا
الحرف من الفقه ان الانبيا سوغ لهم الحكم بالاجتهاد وقد ذكرناه وفيه من الفقه
استعمال الحكام الحيل التي يستحق بها الحقوق وذلك يكون عند قوة الدعاوي
والفطنة وممارسة احوال الخلق وقد يكون في اهل التقوى بفراسة ويبنيه
وبوسمات نورية وذلك فضل الله يوتيه من يشا وفيه حجة لمن يقول ان الام
تستحق وليس مشهور مذهب مالك وليس هذا موضع ذكره وعلى الجملة
فقضا سليمان في هذه القصة بصحتها مدحه تعالى له بقوله ففهمناها سليمان
الثالثة عشرة قد تقدم القول في الحرث والحكم في هذه الواقعة في شرعنا ان على
اصحاب الماشية حفظها بالليل وعلى اصحاب الحوايط حفظ حيطانهم
وزروعهم بالنهار ثم الضمان المثل بالمثليات وبالقيمة في ذوات القيم
والاصل في هذه المسئلة في شرعنا حكم به محمد نبينا صلى الله عليه وسلم في ناقة البراا
ابن عازب رواه مالك عن ابن شهاب عن حزام بن سعد بن محيصة ان ناقة
للبرا دخلت حايط رجل فافسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان على

اهل الحوائط حفظها بالليل وان ما افسدت المواشي بالليل ضامن على اهلها
هكذا رواه جميع الرواة مرسلا وكذلك رواه اصحاب ابن شهاب عن ابن شهاب
الا ابن عيينة فانه رواه عن الزهري وحزام بن سعد بن محيصة فذكر مثله
بمعناه ورواه ابن ابي ذيب عن ابن شهاب انه بلغه ان ناقة البراء دخلت
حائط قوم مثل حديث مالك سواء الا انه لم يذكر حزام بن سعد بن محيصة ولا غيره
قال ابو عمر ولم يتابع ابن ابي ذيب شيء لانه افسد الاسناد ورواه عبد الرزاق
عن معمر عن الزهري عن حزام بن محيصة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يبالغ عبد الرزاق على ذلك وانكروا عليه قوله عن ابيه ورواه ابن جريج
عن ابن شهاب قال حدثني ابو امامة بن سهل بن حنيف ان ناقة دخلت
في حائط قوم فافسدت فجعل الحديث لابن شهاب عن ابي امامة ولم يذكر ان
الناقة كانت للبراء وجائز ان يكون الحديث عند ابن شهاب عن ابن محيصة وعن
سعيد بن المسيب وعن ابي امامة والله اعلم فحدث به عن من شاء منهم على
ما حضره وكلهم ثقات قال ابو عمر وهذا الحديث وان كان مرسلا فهو حديث
مشهور ارسله الائمة وحدث به الثقات واستعمله فقهاء الحجاز وتلقوه بالقبول
وجرى في المدينة به العمل رحسبك باستعمال اهل المدينة وسائر اهل الحجاز بهذا
الحديث الرابعة عشرة ذهب مالك وجمهور الائمة الى القول بحديث البراء
وذهب ابو حنيفة واصحابه وجماعة من الكوفيين الى ان هذا الحكم منسوخ
وان البهائم اذا افسدت ليلا ضمن اربابها وانه لا يلزم صاحبها شيء واحتل
فساد قائم بعموم قوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار فقاس جميع ما اتلفت
عاجرحها وقيل انه ما تقدم ابو حنيفة اخذ بهذا القول ولا احتج له ولا لمن
اشبهه في حديث العجماء وكونه ناسخا لحديث البراء ومعارضا له فان الناسخ شروطه
معدومة والتعارض من اصله لا يصح اذ لم يكن استعمال احدهما الا ينفي الاخر وحديث
العجماء جرحها جبار عموم متفق عليه ثم خص منه الزرع والحوائط بحديث
البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم لو جاء في حديث واحد ان العجماء جرحها جبار
نهارا الا ليلا وفي الزرع والحوائط والحرب لم يكن هذا مستحيلا من
القول فكيف يجوز ان يقال في هذا تعارض وانما هذا من باب العموم والخصوص
على ما هو مذكور في الاصول الخامسة عشرة ان قيل ما الحكمة في تفريق
الشارع بين الليل والنهار وقد قال الليث بن سعد نضمن ارباب المواشي
بالليل والنهار وكل ما افسدت ولا يضمن اكثر من قيمة الماشية قلنا الفرق
بينهما واضح وذلك ان اهل المواشي لهم ضرورة الى ارسال مواشيهم لترعى
بالنهار والاغلب عندهم ان من عنده زرع سعاهذه بالنهار ويحفظه عمن
اراده فجعل حفظ ذلك بالنهار على اهل الزروع لانه وقت التقرف
في المعاش كما قال سبحانه وجعلنا النهار معاشا فاذا جاء الليل فقد
جاء الوقت الذي يرجع كل شيء الى موضعه وسكنه كما قال تعالى من الهه غير الله ه
يأتيكم بليل تسكنون فيه وقال وجعل الليل سكنا ورد اهل المواشي مواشيهم
الى مواضعهم ليحفظوها فاذا افرط صاحب الماشية في ردها الى منزله او فرط
في ضبطها وحبسها عن الانتشار بالليل حتى انلفت شيئا فعليه ضمان
ذلك يجري الحكم على الاوفق الاسمح وكان ذلك ارفق بالفريقين واسهل
عن الطائفتين واحفظ للمالين وقد وضح الصبح لذي عينين ولكن لسلم الخاطئ
واما قول الليث لا يضمن اكثر من قيمة الماشية فقد قال ابو عمر لا اعلم من ابن قال
الليث بن سعد الا ان يجعله قياسا على العبد لا يمسك باكثر من قيمته ولا يلزم
سيده في جنايته اكثر من قيمته وهذا ضعيف الوجه كذا قال في التمهيد وقال
في الاستذكار وممن قال من الحديث في العجماء جرحها جبار وخالف ناقة البراء وقد يقدم
الى ذلك طائفة من العلماء منهم عطاء قال ابن جريج قلت لعطاء الحرب تضمن الماشية
ليلا او نهارا قال يضمن صاحبها ويضمن قلت كان عليه حفظا او لم يكن قال
نعم يغرم قلت ما يغرم قال قيمة ما اكل حماره ودابته وماشيته وقال معمر عن

ابن شبرمة يقوم الزرع على ما له التي اصيب عليها دراهم وروي عن عمر بن
الخطاب وعمر بن عبد العزيز يضمن رب الماشية ليلا ونهارا من طرف لا يصح
السادسة عشره قال مالك ويقوم الزرع الذي افسدت المواشي بالليل
على الرجا والحوش قال والحوائط التي تحرس والتي لا تحرس والمحظر عليها
وغير المحظر سواء يقوم اهلها ما اصابت بالليل بالغا ما بلغ وان كان اكثر
من قيمتها قال واذا انفلتت دابة بالليل فوطيت على رجل انسان لم يغرم صاحبها
شيئا وانما هذا في الحائط والزرع والحرث ذكره عنه ابن عبد الحكم وقاله
ابن القاسم كما افسدت الماشية بالليل مهنوءة ما دون ربها وان كانوا اضعاف
عنها لان الحماية من قبله اذا لم يربطها وليست الماشية كالعبد حكاه سحنون
واصبغ وابو زيد عن ابن القاسم السابعة عشرة فلا تستأني بالزرع ان
بيت او لا بيت كما يفعل في سن الصغير قال عيسى عن ابن القاسم
قيمته لو حل بيعه وقاله اشهب وابن نافع في المجموعة عنه وان لم يبد صلاحه
ابن العربي والاول اقوى لانها صفته فيقوم كل مثل صفته الثامنة
عشرة اذا لم يفض للمفسد له بشيء حتى نبت والخبر فان كان فيه فتيل ذلك
منفعة وغني او شيء ضمن تلك المنفعة وان لم يكن فيه منفعة فلا ضمان
وقاله اصبغ بيمين لان التلف قد تحقق والخبر ليس من جهته فلا يعقل له
به الثامنة عشرة وقع في كتاب ابن سحنون ان الحديث انما جاء في امثال
المدينة التي هي حيطان محدقة واما البلاد التي في زروع منفصلة
غير محظره وبساتين كذلك فتضمن ارباب النعم ما افسدت من ليل او نهار
كان ذهب الى ان ترك تضييع الحيوان في مثل هذه البلاد يعد لانها ولابد
تفسد وهذا احسن الى قول الليث المتوفية عشرين قال اصبغ في المدينة
ليس لاهل المواشي ان يخرجوا مواشيهم الى قرى الزرع بغير داود فرط
لهم اعلى هذا اذا انفلتت لا يحتلوا ان تكون بقعة زرع او بقعة سرح
فان كانت بقعة زرع فلا يدخلها ماشيه الا ماشية يحتاج وعلى
ارباها حفظها وما افسدت صاحبها ضامن ليلا او نهارا وان كانت
بقعة سرح فعلى صاحب الذي حوزه فيها حفظه ولا شيء على ارباب
المواشي الحادية والعشرون المواشي على قسمين صواري وخوشة
وعليها قسمها مالك فالصواري هي المعتادة للزرع والثمار قاله
مالك تقرب وتباع في بلد لا زرع فيها رواه ابن القاسم في الكتاب
وغيره قال ابن حبيب وان كره ذلك ربها وكذلك قال مالك في الدابة التي ضربت
افساد الزرع بعرقه وتباع واما ما يستطاع الاحتراس منه فلا يوسر صاحبه
باخراجه الثالثة والعشرون قال اصبغ النحل والحمام والاوز والدجاج
كالماشية لا يمنع صاحبها من ايجادها وان افزت وعلى اهل القرى حفظ
زروعهم قال ابن العربي وهذه رواية ضعيفة لا يلتفت اليها من اراد ان
يتخذ ما ينتفع به مما لا يضر بغيره مكرمة واما انتفاعه بما يتخذه باضراره
باحد فلا سبيل لهم الى قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار
وهذه الصواري عن ابن القاسم في المدينة لا ضمان على ارباها الا بعد
التقدم ابن العربي واري الضمان عليهم قبل التقدم اذا كانت صواري
الثالثة والعشرون ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الشعبي
ان شاة وقعت في غزل حائك فاختصموا الى شريح فقال الشعبي له
انظروه فانه سيسلمهم الليلة وقضى عليه او نهارا فتعمل ثم قال
ان كان بالليل ضمن وان كان بالنهار لم يضمن ثم قال شريح اذا لم تشتد
فيه غنم القوم قال المتشش بالليل والمعمل بالنهار قلت ومن هذا
الباب قوله صلى الله عليه وسلم العجماء جرحها جبار والحديث وقال ابن شهاب
والجبار الهدر والعجماء البهيمة قال عيسى وظاهر قوله العجماء جرحها جبار

ان ما اتلفت البهيمة بالليل فلم يكن فيه شيء وهذا مجمع عليه فلو كان معها قائد او راكب فحملها احدهم على شيء فاتلفته لزمه حكم المتلف فان كانت جنايته مضمونة بالقصاص وكان الحمل عمدا كان فيه القصاص ولا يختلف فيه لان الدابة كالآلة وان كانت من غير قصد كانت فيه الدية على العاقلة وفي الاموال الغرامة في مال الجاني الزامية والمشهور واختلفوا فيما اصابت برجلها او ذنبها فلم يضمن مالك والليث والاوزاعي صاحبها وضمنه الشافعي وابن ابي ليلى وابن شبرمة واختلفوا في العمارية يحملون ربها اهل خيبر وما لك وبعض اصحابه يضمنونه الخامسة والمشهور روى سفيان بن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل جبار قال الدارقطني لم يروه غير سفيان بن حسين ولم يبالغ عليه وخالفه الحفاظ عن الزهري منهم مالك وابن عيينة وبونس ومعمر وابن جريج والزبيدي وعقيل وليث ابن سعد وغيرهم كلهم رووه عن الزهري فقالوا العجماء جبار والبئر جبار والمعدن جبار ولم يذكروا الرجل وهو الصواب وكذلك رواه ابو صالح السمان وعبد الرحمن الاعرج ومحمد بن سيرين ومحمد بن زياد وغيرهم عن ابي هريرة لم يذكروا فيه والرجل وهو المحفوظ عن ابي هريرة السادسة والمشهور قوله والبئر جبار وقد روي موضعه والنار جبار قال الدارقطني اتانا حمزة بن القاسم الهاشمي حدثنا حنبل بن اسحاق قال سمعت ابا عبد الله احمد بن حنبل يقول في حديث عند الرزاق حديث ابي هريرة والنار جبار ليس بشيء لم يكن في الكتاب باطل ليس هو بصحيح حدثنا محمد بن مخلد حدثنا ابو اسحاق ابراهيم بن هاني قال سمعت احمد بن حنبل يقول اهل اليمن يكنون النار كبيرا ويكنون البئر بيبي مثل ذلك وانما لقن عبد الرزاق النار جبارا وقال الرماني قال عبد الرزاق قال معمر لا اراه الا وهما قال ابو عمر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث معمر عن همام ابن منبه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال النار جبار وقال يحيى بن معين اصله البئر ولكن معمرا صحفه قال ابو عمر لم يات ابن معين بما قوله فهذا بدليل وليس هكذا تزد احاديث الثقات ذكر وكيع عن عبد العزيز بن حصين عن يحيى بن يحيى الغساني قال احرق رجل بيتا الى جنبه لرجل فخرجت شراره من نار حتى احرقت ساجا قال فكتبت فيه الى عمر بن عبد العزيز بن حصين فكتب الي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العجماء جبار وارى ان النار جبار وقد روي والسايبة جبار يريد البعير فهذا ما ورد في الفاظ هذا الحديث ولكل معنى لفظ صحيح مذكور في شرح الحديث وكتب الفقه قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن قال وهب وكان داود يمر بالجبال فتسبح والجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل كان داود اذا وجد فترة امر الجبال فسبحت حتى يتاقب ولهذا قال سخرنا اي جعلناها بحيث نظيفه اذا امرها بالتسبيح وقال ان سيرها معه بالتسبيح والتسبيح ماخوذ من السباحة وقيل قوله تعالى يا جبال اوبي معه وقال قتادة تسبح بتسبيحه معه اذا صلى والتسبيح الصلاة وكل تحميد ذكر فضل الله تعالى بها ذلك لان الجبال لا تتقل فتسبيحها دلالة على تنزيه الله تعالى عن صفات العاجزين والمحدثين قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم يعني ايجاد الدروع بالانة الحديد له واللبوس عند العرب السلاح كله درعا كان او حربة او سيفا او رمحا قال الهذلي بصيف رمحا

وعندي لبوس في اللباس كانه روق يجهه لماح محلل

والبوس كل ما يلبس واشتداد البلاء
البيس لكل حالة تلبسها اما انعيمها واما بوسها
واراد الله تعالى هنا الدروع وهو بمعنى البوس نحو الركوب والحلوب
قال قتادة اول من صنع الدروع داود وانما كانت صفائح فهو اول من سردها
وحلقها الثانية قوله تعالى ليحصنكم ليحرزكم من بأسكم اي من حربكم وقيل
من السيف والسهم والرمح اي من الم بأسكم فحذف المضاف ابن عباس من
سلاحكم الضحاك من حرب اعدائكم والمعنى واحد وقرا الحسن وابو جعفر
وابن عامر وحفص وروح ليحصنكم بالتاء راجع الى الصنعة وقيل الى اللبوس
والمنعة التي هي الدروع وقرا شيبة وابو بكر والمفضل وروبس وابن اسحاق
ليحصنكم بالنون لقوله وعلمناه وقرا الباقون بالياء جعلوا الفعل للبوس
ويكون المعنى ليحصنكم الله فهل انتم شاكرون اي على تبيينه وتعليمه والدروع لكم
وقيل هل انتم شاكرون قال تظنوا رسول الثالثة هذه الاية اصل في ايجاد
الصنايع والاسباب وهو قول اهل المعقول والالباب لا قول الجهلة الاغبياء
القائلين بان ذلك انما شرع للصنعة فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن
في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة وسبب من ذكرنا الى الصنعة وعلم
المنه وقد اخبر الله عن نبيه داود عليه السلام انه كان يصنع الدروع وكان
ايضا يصنع الجواشن وكان ياكل من عمل يده وكان ادم حراثا ونوح نجارا وادريس
خياطا وطالوت دباغا وقيل سقاء فالصنعة يكف بها الانسان نفسه
عن الناس ويدفع بها عن نفسه الضر والبأس وفي الحديث ان الله يحب
المؤمن المحترف الضعيف المتعفف ويبغض السائل المكثر وسياتي لهذا
مزيد بيان في سورة الفرقان وقد تقدم في غيرها انه كافيه كفاية والحمد لله
قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة اي وسخرنا لسليمان الريح عاصفة اي
شديدة الهبوب يقال منه عصفت الريح اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف
وفي لغة بني اسد اعصفت الريح فهي معصف ومعصفة والمعصف السفن
فسمي به شدة الريح لانها تعصفه بشدة نظرها وقرا عبد الرحمن الاعرج
والسلمي وابو بكر ولسليمان الريح برفع الحاء على القطع مما قبله والمعنى ولسليمان
تسخير الريح ابتدا وخبر يجري بامره الى الارض التي باركنا فيها تعني الشام
يروى انها كانت تجري به وباصحابه الى حيث اراد ثم تردده الى الشام وقال
وهب كان سليمان بن داود اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقامت له
الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان امران لا يقعد عن العمل وقاد اذا
اراد ان يغزو امر بخشب فنصب ورفع عليها الناس والدواب والة الحرب
ثم امر العاصف فاقلت ولكن ثم امر الرخا فمرت به شهرا في رواحه وشهرا
في غدوه وهو معنى قوله تعالى بامره رخاء حيث اصاب والرخاء اللينة وكنا
بكل شيء عالمين اي بكل شيء عملنا عالمين بتدبيره قوله تعالى ومن الشياطين
من يغوصون اي وسخرنا له من يغوصون يغيبون تحت الماء اي يستخرجون
له الجواهر من البحر والغوص النزول تحت الماء وقد غاص في الماء والهاجم
على الشيء غائص والغواص الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ وفعله الغياصة
ويعملون عملا دون ذلك اي سوى ذلك من الغوص قاله الحسن وقيل يريد
بذلك المحاريب والتماثيل وغير ذلك مما يسخرهم فيه وكنا لهم حافظين
اي لاعمالهم وقال الحسن حافظين لهم من ان يفسدوا اعمالهم او يهيجوا احدا
من بني ادم في زمان سليمان وقيل حافظين لهم من ان يهربوا ويمتنعوا ه
وحفظناهم من ان يخرجوا عن امره وقد قيل ان الحمام والنورة والطواحين
في العوارين والصابون من استخراج الشياطين قوله تعالى وايوب
اذ نادى ربه اني مسني الضر اي نالني في بدني ضر وفي مالي واهلي قال
ابن عباس سمي ايوب لانه اب الى الله في كل حال وروي ان ايوب عليه السلام

كان رجلا من الروم ذا مال عظيم وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل ويكرم
الضيف ويعلم ابن السبيل شاكرا لانعم الله تعالى وانه دخل مع قومه على جبار عظيم
فخاطبوه في امر فجعل ايوب يلين له من اجل زرع كان له فامتحنه الله بذهاب
ماله وبالمرض في جسمه حتى تناثر لحمه ودود جسمه حتى اخرجه اهل قريته الى
بخارج القرية وكانت امرأته تخدمه قال الحسن مكث بذلك نيفا ستين
وستة اشهر فلما اراد ان يعوج عنه نادى الله تعالى له اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فيه شفاؤك وقد وهبت لك اهلك وولدك ومثلهم معهم وبقي
في ضمن المحسنين في قصة ايوب من تسليط الشيطان عليه والرد عليهم
ان شاء الله واختلف في قول ايوب مسني الضر على خمسة عشر قولا الاول انه ونث
ليصلي فلم يقدر على النهوض فقال مسني المنزل احبارا عن حاله لا سلوى
لبلائه رواه انس مرفوعا الثاني انه افترى بالعجز فلم يكن مثابا للصبر
الثالث انه سبحانه اجراه على لسانه ليكون حجة لاهل البلاء بعده في الاقتداء
بما نزل بهم الرابع انه اجراه على لسانه اكراما له في صفة الادمي في الضعف
عن تحمل البلاء الخامس انه انقطع الوحي عنه اربعين يوما فخاف هجران ربه
فقال مسني الضر وهذا قول جعفر بن محمد السادس ان تلامذته الذين
كانوا يكتبون عنه لما اقعد حاله الى ما انتهت اليه محوا كلاما كتبوا عنه
وقالوا انما هذا عند الله قدر قاسى الضر في ذهاب الوحي والدين من هم
ابدي الناس وهذا مما لم يصح سنده والله اعلم قاله ابن العربي السابع ان دوده
سقطت فاخذها وردها في موضعها فتقرنه فصاح مسني الضر فقيل
اعلينا تنضير قال ابن العربي وهذا بعيد جدا مع انه ينتقل الى نقل صحيح
ولا تميل الى وجوده الثامن ان الدود كان يتناول بدنه فصبر حتى تناول
دوده قلبه واحشاءه فقال مسني الضر لاشتغاله عن ذكر الله قاله
ابن العربي وما احسن هذا لو كان له سند ولم يكن دعوى عريضة
التاسع انه ابتلي عليه جميع احد البلاء له هل هو تاديب او تعذيب او تخصيص
او تمحيص او قهر او ظهر فقال الضر اي ضد الاشكال في جملة احد
البلاء قال ابن العربي وهذا علو لا يتناول اليه العاشر انه قيل له سل الله العافية
فقال افمت في النعيم سبعين سنة فاقيم في البلاء سبعين سنة وحينئذ اسأله
فقال مسني الضر قال ابن العربي وهذا ممكن ولكنه لم يصح في اقامته
مدة ولا في هذه العقبة الحادي عشر ان ضره قول ابليس لربه اسجد
لي فحاك ذهاب الايمان عنها فهلك ويبقى بقية كاقل الثاني عشر لما ظهر به
البلاء قال قومه لو اصبر لكشف ما به ولفرج عنا فاخرجته
امرأته الى ظاهر البلد وكانوا اذا اخرجوا راوه ونظروا به ونشأ سوابر وتبة
فقالوا لو فعل بحيث لا نراه فنخرج الى بعد من القرية فكانت امرأته تقوم عليه
وتحمل قوته اليه فقالوا لها سأله ولعله ان يشفيه فيعود بسببها ضره الينا
فاراد وا قتلها عنه فقال مسني الضر الثالث عشر قال عبد الله بن عبيد
ابن عمير كان لايوب اخوان فاتياه فاقاما عنده لا يعلمان بدنو امنه
من نتن ريحه فقال احدهما للآخر لو علم الله في ايوب خيرا ما ابتلاه بهذا البلاء
فلم يسمع شيأ اشد عليه من هذه الكلمة فعند ذلك قال مسني الضر ثم قال
اللهم ان كنت تعلم اني لم ات شيأ ان قط وانا اعلم مكان جايع فصدقني
فناداه ميكائيل من السماء ان صدق عبدي وهما يسمعان فخرا ساجدين
الرابع عشر ان معنى مسني الضر شماتة الاعداء ولهذا قيل له ما كان
اشد عليك في بلائك قال شماتة الاعداء قال ابن العربي وهذا ممكن
فان الكلام قد سأله اخوه الفائتة من ذلك فقال ان القوم استضعفوني
وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء الخامس عشر ان امرأته كانت ذات
دواب فقدمت حين سئلت ان تبصر لاحد بسببه ما يعود به عليه

فقطعت ذوايبها واشترت بها ممن يبيعها فوتا وجاءت به اليه وكانت
يتعهد بذوايبها في تضرعه وبقله فلما عدمها واراد الحركة في تنقله لم يقو
قال مسني الضر وقيل انها لما اشترت الفوت بذوايبها جاءه ابليس في صفة
رجل وقال له ان اهلك بيعت فاحذرت وحلق شعرها فحلف ان يجلدها فكانت
المحنة على قلب المراة اشد من المحنة على قلب ايوب قلت وقول سادس
عشر ذكره ابن المبارك انبانا يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب النبي وما اصابه من البلا
لحديث وفيه ان بعض اخواته ممن صابره ولازمه قال يا نبي الله لقد اعجبني
امرك وذكرته الي اخيك وصاحبك انه فوا ابتلاك بذهاب الاهل والمال
وفي جسدك منذ ثمانية عشر سنة حتى بلغت ما تزي لارحمك فيكشف عنك
لتزاوبيت دنيا ما اظن احدا بلغه فقال ايوب عليه السلام ما ادري
ما يقولان غير ان ربي عز وجل يعلم اني كنت امر على الرجلين يتنازعان
فكل يحلف بالله او على الشر يتنازعون فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم
اراده ان لا يأثم احد ذكره ولا يذكره احد الا حق فنادى ربه اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين وانما كان دعاؤه عرضا عرض على الله تبارك وتعالى
يخبره بالذي بلغه صابرا لما يكون من الله تبارك وتعالى فيه وذكر الحديث
وقول سابع عشر سمعته ولم اقف عليه ان داوده سقطت من جسده
قطعها فيرد ها الى موضعها فلم يجدها قال مسني الضر لما فقد من اجر
ما تلك الدوده وكان اراد ان يبقى له الاجر موفرا الى وقت العافية وهذا
حسن الا انه يحتاج الى سند قال العلما ولم يكن قول مسني الضر جزعا
لان الله تعالى انما وجدناه صابرا بل كان ذلك دعا منه والجزع في الشكوى
الى الخلق لا الى الله تعالى والدعا لا ينافي الرضا قال الثعلبي وسمعت
استاذنا ابا القاسم ابن حبيب يقول حضرت مجلسا خاصا بالفقها
والادبا في دار السلطان فسئلت عن هذه الاية بعد احتجاجهم عليها
قول ايوب كان شكاية وقد قال الله تعالى انا وجدناه صابرا فقلت ليس
هذا شكاية وانما كان دعا بيانه واستجبنا له والاجابة تتعقب الدعا
لا الاستكا فاستحسنوه وارتضوه وسئل الجنيد عن هذه الاية فقال
عرفه فاقم السوال ليبين عليه بلزم السوال فقول تعالى فكشفنا ما به
من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم قال مجاهد وعكرمة قتل لايوب
صلى الله عليه وسلم قد اتيناك اهلك في الجنة فان شئت تركناهم لك في الاخرة
وان شئت اتيناكهم في الدنيا قال مجاهد فتركهم الله في الجنة واعطاه مثلهم
في الدنيا قال المحاسبي والاسناد عنهما بذلك صحيح وحكاه المهدوي
عن ابن عباس وقال الضحاك قال عبد الله بن مسعود كان اهل ايوب
قد ماتوا الا امراته فاحياهم الله عز وجل في اقل من طرف البصر واتاه
مثلهم معهم وهذا ابن عباس ايضا كان بنوه قد ماتوا فاحيوا له وولد له
مثلهم معهم وقال قتاده وكعب الاحبار والكلبي وغيرهم قال
ابن مسعود مات اولاده وهم سبعة من الذكور وسبعة من الاناث
فلما عوفي بشروا له وولدت له امراته سبع بنين وسبع بنات قال
الثعلبي هذا القول اشبه بظاهر الاية قلت لانهم ماتوا ابتلا قل
اجلهم حب ما تقدم بيانه في سورة المؤمنون في قصة الذين خرجوا من
ديارهم وهم الوف وفي قصة السبعين الذين اخذتهم الصعقة فماتوا ثم
احيوا وذلك انهم ماتوا قتل احيائهم كذلك ههنا والله اعلم وعلى قول مجاهد
وعكرمة تكون المعنى واتيناه اهله في الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا وفي
الخبر ان الله بعث الى جبريل عليه السلام حين ركض برجله على الارض
وكضه فظهرت عين فجاء واخذ بيده فتفضه نفضة فتناثرت
عنه الديدان وعاش في المكان فشفاه وعاد الى منزله ورد الله عليه

اهله ومثلهم معهم وسات صحابه عيال فذر رفقوا عدد اره فمطرت ثلاثة ايام
بلياليها جرارا بين ذهب فقال له جبريل اشبعت فقال ومن يشبع من
فضل الله فاوحى الله اليه قد اثبت عليك بالصبر قبل وتوعك في البلا وبعده
ولولا اني وضعت تحت كل شعره منك صبرا ما صبرت رحمة من عندنا
اي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا وقيل ابتليناه ليعظم ثوابه عندنا
وذكرى للعابدين بدين اي وتذكيرا للعباد لانهم اذا ذكروا بلاء ايوب
وصبره عليه ومحبته له وهوانه على اهل زمانه وطنوا انفسهم على الصبر
على شدايد الدنيا نحو ما فعل ايوب فيكون هذا تنبيها لهم على ادامة العبادة
واحتمال الصبر واختلف في مدة اقامته في البلا فقال ابن عباس كانت
مدة البلا سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ليال وهب ثلاثين
سنة الحسن سبع سنين وستة اشهر قلت واصح من هذا والله اعلم
ثمان عشرة سنة رواه ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن
المبارك وقد تقدم فوله تعالى وادريس وهو خنوخ وقد تقدم وذا
الكفل واذكرهم وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وغيره من حديث
ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان كان في بني اسرائيل رجل يقال له
ذا الكفل لا يتورع عن ذنب عمله فاتته امراة فاعطاها ستين دينارا
فلما قعد منها مقعد الرجل من امراته ارعدت وبكت فقال ما يبكيك
اكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما حملني عليه الا الحاجة
فقال تفعلين انت هذا وما فعلته اذهبي فهو لك وقال والله لا اعصي
الله بعدها ابدا فمات من ليلته فاصبح مكتوبا على بابه ان الله قد غفر
لذا الكفل قال حديث حسن وقيل ان اليسع قال لو استخلفت رجلا
على الناس حتى انظر كيف يعمل فقال من يتكفل لي بثلاث يصوم
النهار ويقوم الليل وان لا يغضب ويمضي فقام رجل من ذرية
العصي انا فرده ثم قال مثلها من الغد فقال الرجل انا فاستخلفه
فاستخلفه توفي فاتى الله عليه فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى له
ابو موسى ومجاهد وقتادة وقال عمر بن عبد الله بن الحارث وقال
ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذا الكفل لم يكن نبيا كان
عبدا صالحا فتكفل بعمل رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم مائة
صلاة فاحسن الله الثنا عليه وقال كعب كان في بني اسرائيل ملك كافر
وله بلاد رجل صالح فقال والله ان خرجت من هذه البلاد حتى اعرض
على هذا الملك الاسلام فعرض عليه فقال ما جزاي قال الجنة ووصفها له
قال من يتكفل لي بذلك قال انا فاسلم الملك وتخلى عن المملكة وقبل
على طاعة ربه حتى مات فدفن فاصبحوا فوجدوا بابه خارجا من القبر
وفيها رقعة خرج مكتوب بتوراييض ان الله قد غفر لي وادخلني الجنة
وفي كفالة فلان فاسرع الناس الى ذلك الرجل بان ياخذ عليهم الايمان

ويتكفل لهم بما تكفل به للملك ففعل ذلك فامنوا كلهم وسمي ذا الكفل
وقيل كان رجلا عفيفا يتكفل بشان كل انسان وقع في بلاء او لهمة او مطالبة
بنجيه الله على يديه وقيل سمي ذا الكفل لان الله تكفل له في سبعه وعمله
يضعف عمل غيره من الانبياء الذين كانوا في زمانه والجمهور على انه ليس
بنبي وقال الحسن هو نبي قبل الياس وقيل هو زكريا كفل مريم
كل من الصالحين اي عباد الله والقيام بطاعته واجتناب معاصيه هم
وادخلناهم في رحمتنا اي الجنة انهم من الصالحين قوله تعالى وذا النون
اذ ذهب مغاضبا النون الحوت وهو لقب ليونس بن متى لابتلاع النون اياه
والنون الحوت وفي حديث عثمان رضي الله عنه انه راى صبيا سلحا فقال
وسموا نونته ليلا تقبيه العين روي كعب عن ابن الاعرابي النونة الفتنة
التي تكون في قتل الصبي ومعنى وسموا سودوا اذ ذهب مغاضبا قال
الحسن والشعبي وسعيد بن جبير مغاضبا لربه جل وعز واختاره الطبري
والفتبي واستحسنه المهدوي وروي عن ابن مسعود وقال العباس
ربما انكر هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح والمعنى مغاضبا من اجل
ربه كما تقول غضب لك اي من اجلك والمؤمن يغضب لله جل وعز اذا عصي
واكثر اهل اللغة تذهب الى ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة
اشترطي لهم الولاء من هذا وبالغ المتنبي في نصرة هذا القول وفي الخبر
في وصف انه كان ضيق الصدر فلما حمل اعباء النبوة تسع لها بقوة الربع
تحت الحمل الثقيل فمضى على وجهه مضي الاتق الثائر وهذه المعاصي
كانت صغيره ولم يغضب على الله ولكن غضب لله اذ رفع العذاب عنهم وقال
ابن مسعود انف من امر ربه اي من امر ربه حتى امره بالعود اليهم بعد
رفع العذاب عنهم فانه كان وعد قومه بنزول العذاب في وقت معلوم
وخرج من عندهم في ذلك الوقت فاظلهم العذاب فتضرعوا فرفع عنهم
ولم يعلم يونس بتوبتهم فلذلك ذهب مغاضبا وكان من حقه ان لا يذهب
الا باذن مجدد قال الحسن امره الله تعالى بالمسير الى قومه فسال ان
ينظر ليتاهب فاعجله الله تعالى حتى سال ان يختار بعلا بلسها فلم ينظر
وقيل له الامر اعجل من ذلك وكان في خلقه ضيق فخرج مغاضبا لربه
فهذا قول وقول الخاسن احسن ما قيل في تاويله اي خرج مغاضبا
من اجل ربه اي غضب على قومه من اجل كفرهم بربهم وقيل انه غاضب
قومه حين طال عليهم امرهم ونقضتهم فذهب فارا بنفسه ولم يصبر
على اذاهم وقد كان الله امره بحملهم والدعاء وكان دينه خروجه من بينهم
من غير اذن من الله روي معناه عن ابن عباس والضحاك وان يونس
كان شابا ولم يحمل اثقال النبوة ولهذا قيل للنبي صلى الله عليه وسلم
ولا تكن كصاحب الحوت وعن الضحاك ايضا خرج مغاضبا لقومه
لان قومه لما لم يقبلوا منه وهو رسول من الله عز وجل كفروا بهذا
فوجب ان يغاضبهم وعلى كل احد ان يغاضب من عصى الله عز وجل
وقالت فرقة منهم الاخفش انما خرج مغاضبا للملك الذي كان على
قومه قال ابن عباس اراد شعيا النبي والملك الذي كان في وقته
اسمه حزقيل ان يبعثوا يونس الى ملك نينوى وكان عتو بني اسرائيل
وسبي الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني اسرائيل وكان الانبياء في ذلك
الزمان يوحى اليهم والامر والسياسة الى الملك فاختاروه فثقل على
وحي ذلك النبي وكان اوحي الله الى شعيا ان قل لحزقيل الملك ان يختار
نبيا قويا امينا من بني اسرائيل فيبعثه الى اهل نينوى فامرهم بالتحلية
عن بني اسرائيل فاني القي في قلوب ملوكهم وحيا برفع التحلية عنهم فقال
يونس لشعيا هل امرك الله بأخراجي قال لا فهل سماني لك قال لا فهل
هنا انبيا امنا اقويا قالوا عليه فحزن مغاضبا للنبي والملك وقومه
فاتى بحر الروم وكان من قصته ما كان فابتلي ببطن الحوت لتركه امر شعيا

صبا

ولهذا قال تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم والمليم من فعل ما يلام عليه
وكان ما فعله اما صغيره او ترك الاولى وقيل حرج2 ولم يكن نبيا في ذلك
الوقت ولكن امره ملك من ملوك بني اسرايل ان يأتي نينوى ليدعو اهلها
بامر شعيا فانف ان يكون ذهابه اليهم باحد حرج2 معاضدا للملك
فلما نجا من بطن الحوت بعثه الله الى قومه فدعاهم وامنوا به قال
القشيري والاظهر ان هذه المعاصية كانت بعد ارسال الله تعالى اياه
وبعد رفع العذاب عن القوم بعدما اظلهم فانه كره رفع العذاب عنهم
قلت احسن ما قيل فيه على ما يأتي بيانه في والصافات ان شاء الله تعالى
وقيل انه كان من اخلاق قومه قتل من حرقوا عليه الكذب فخشي
ان يقتل فغضب وخرج فاراد ركوبا فركب في سفينة فلجت
ولم تجر فقال الحوت تحيفا من الصغيره كما قال في اهل احد حتى اذا فشلتم
الى قوله ولقد عفا الله الذين امنوا لمعاصي الانبيا مغفورة ولكن قد يجري تحيف
وتتضمن ذلك زجرا عن المعاودة وقول ذا النون انه لم يغاضب ربه ولا قومه
ولا الملك وانما من قولهم غضب اذا انف وفاعل قد يكون من واحد فالمعنى
انه لما وعد قومه بالعذاب وخرج عنهم تابوا وكشف عنهم العذاب فلما رجع
وعلم انهم لم يهلكوا انف من ذلك فخرج انفا وشرد هذا البيت

واعضب ان تجيء لهم بدارم اي انف

وهذا يثقل فانه يقال لصاحب هذا القول ان تلك المعاصية وان
كانت من الانبياء لابد ان يخالطها العقب وان وقع بما من كان وانت
تقول لم يغضب على ربه ولا على قومه فذلك العقب الذي يخالط الانبياء
على من كان قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات
قيل معناه اشكه ابليس ووقع في ظنه امكان ان لا يقدر الله عليه لمعاصيته
وهذا قول مردود وعنه لانه كفر روي عن سعيد بن جبير حكاه عنه المهدوي
والثعلبي عن الحسن وذكر الثعلبي وقال عطا وسعيد بن جبير وكثير
من العلما فظن ان لن يضيق عليه قال الحسن من قولهم يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر اي يضيق وقوله ومن قدر عليه رزقه قلت وهذا الاشبه
بقول سعيد والحسن وقدر وقتر بمعنى اي ضيق وهو قول ابن عباس
فيما ذكره الماوردي والمهدوي وقيل هو من القدر الذي هو القضا والحكم
اي فظن ان لن تقضي عليه العقوبة قاله قتادة ومجاهد والمراد ما خوذ
من القدر وهو الحكم دون القدرة والاستطاعة وروي عن ابي العباس
احمد بن يحيى ثعلب انه قال في قوله الله عز وجل فظن ان لن نقدر عليه
قال هو من التقدير ليس من القدرة يقال منه قدر الله لك الخير يقدره
قدرا بمعنى قدر الله لك الخير واشتقاقه

قلبت عشيات اللوابر راجع لنا ايدا ما ابرم السلم اللئم
ولا عابرا ذاك الرسان بالذي مضى تباركت ما يقدر يقع وكذلك
بيت كما يقدره ويقضي به يقع وعلى هذين التاويلين العلما وقرا عمر
ابن عبد العزيز والزهري فظن ان لن نقدر بضم النون وتشديد الدال
من التقدير وعلى هذه القراة الماوردي عن ابن عباس وقرا عبيد
ابن عمير وقتادة والاعرج ان لن نقدر بضم الياء مشددا على المفعل
المجهول وقرا يعقوب وعبد الله بن ابي اسحاق والحسن وابن عباس ايضا
يقدر عليه بياء مضمومة وفتح الدال مختفا على المفعل المجهول
وعن الحسن ايضا وظن ان لن نقدر عليه الماقوت نقدر بفتح النون
وكسر الدال وتخفيفها بمعنى التقدير قلت وهذان التاويلان تاولها
العلما في قول الرجل الذي لم يعمل خيرا قط لاهله اذا مات فاحرقوه فزاه الله لين

قدر الله على الحديث فعلى القاول الاول يكون تقديره والله لئن ضيق الله علي
وبالغ في محاسبتي وجزائي على ذنوبي ليكونن ذلك ثم امر ان يحرق باحراط
حوته وعلى التاويل الثاني اي لنبي كان سبق في قدر الله وقضائه ان يعذب
كل ذي حرم على حرمه ليعذبني الله على احرامي وذنوبي عذابا لا يعذبه
احدا من العالمين غير وحديث حرجه الامام في الموطا وغيره والرجل كان
يوما موحدا وقوحا في بعض طرقه لم يعمل خيرا قط الا التوحيد وقد قال
حين قاد الله لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب والخشية لا تكون
الا من مومن مصدق قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما وقد قيل
ان معنى قدر عليه الاستفهام وتقديره اتظن ان لن نقدر عليه الاستفهام ايجازا وهو قول سليمان بن المعتمر حكي القاضي منذر بن
سعيد ان بعضهم قرا اخطن بالالف قوله تعالى فنادى في الظلمات
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى فنادى في الظلمات اختلف الناس في جمع الظلمات ما المراد
به فقالت فرقة منهم ابن عباس وقتادة ظلمة الليل وظلمة البحر
وظلمة الحوت وذكر ابن ابي الدنيا حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله
ابن موسى عن اسرائيل عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال حدثنا عبد الله
ابن مسعود في بطن الماء قال لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام اهوى
الى قرار الارض فسمع يونس تسبيح الحصا فنادى في الظلمات ظلمات
ثلاث بطن الحوت وظلمة الليل وظلمة البحر ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين فنبذناه بالعرا وهو سقيم كهيئة الفرخ الممعوط
الذي لا عليه ريش وقالت فرقة منهم سالم بن ابي الجعد ظلمة البحر وظلمة
جوف الحوت الاول ويصح ان يعبر بالظلمات عن جوف الحوت الاول
فقط كما قال في غيابة الجب وفي كل جهة من ذلك ظلمة تخصها سابع وذكر الماوردي
انه يحتمل ان يعبر بالظلمات عن ظلمة الخطيئة وظلمة الشدة وظلمة الوحدة
وروي ان الله تعالى اوحى الى الحوت لا تنهز منه قنة شعره فاني جعلت بطنك
سجنا ولم اجعله طعاما لك وروي ان يونس عليه السلام سجد في جوف
الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر وذكر ابن ابي الدنيا حدثنا
العباس بن يزيد البحيري حدثنا اسحاق بن ادريس حدثنا جعفر
ابن سليمان عن عوف عن سعيد بن ابي الحسن قال لما التقم الحوت يونس
ظن انه قد مات فطول رجليه فاذا هو لم يمت فقام الى عادته يصلي
فقال في دعائه واتخذت لك مسجدا حيث لم يتخذه احد وقال ابو المعالي
قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى المعنى فاني لم اكن
وانا في سدرة المنتهى بافرب الى الله منه وهو في قعر البحر في بطن الحوت
وهذا يدل على ان الباري سبحانه ليس في جهة وقد تقدم هذا المعنى
في البقرة والاعراف ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
يريد فيما خالف فيه من ترك مداومة قومه والصبر عليهم وقيل في الحزن
من غير ان يكون له ولم يكن ذلك من الله معصية لان الانبيا لا يجوز ان
يقاتلوا وانما كان ذلك تخييبا وقد يوجد من لا يستحق العقاب
كالصبيان ذكره الماوردي وقيل من الظالمين في دعائي على قومي بالعذاب
وقد دعا نوح على قومه فلم يواخذ وقال الواسطي في معناه تنزه ربنه عن
الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستغفارا ومثل هذا قول آدم
وحوا ربنا ظلمنا انفسنا اذ كان السبب في وضعها انفسهما غير الموضع
الذي انزلا فيه الثانية روى ابو داود عن سعيد بن ابي وقاص عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال دعوة ذي النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شي قط الا استجيب له وقد قيل
انه اسم الله الاعظم ورواه سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الخبر

في هذه الاية شرط الله لمن دعاه ان يجيبه وينجيه كما انجاه وهو قوله وكذلك ننجي
المؤمنين وليس هاهنا مزج دعاء انما هو بضمون قوله اني كنت من الظالمين
تا عترف بالظلم فكان تلويحا قوله تعالى وكذلك ننجي المؤمنين اي نخلصهم من
همهم بما سبق من عملهم وذلك قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه
الى يوم يبعثون وهذا احفظ من الله لعبده يونس رعاه حق رعايته
وحفظه تمام ما سلف له من طاعته قال الاثرم وابو اسحاق صحب ذا النون
الحوت اياما قلائل فالى يوم القيامة يقال له ذا النون فما ظنك بغير
عبده سبعين سنة ببطن هذا الحوت لا يظن فيه ذلك من القسم
اي من يظن الحوت قوله تعالى وكذلك ننجي المؤمنين قراءة العامة بنونين
من النجي ننجي وقرا ابن عامر نجي بنون واحدة وجيم مشددة وتشكين النا
على الفعل الماضي وامثاره المصدر اي وكذلك تنجي النجا المؤمنين
كما تقول ضرب زيدا بمعنى ضرب الضرب زيدا واشد

ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا

اراد لسب الاب بذلك الجرو وسلبت ياوه على لغة من يقول بقي ورضي
فلا تحول الياء وذا الحسن وذروا ما بقي من الربا استيفا لا لتحريك
ما قبلها كسره واشد

همو المشيب لمتي تحميرا وجداني الى الفتور وكبيرا

ليت شعري اذا القيامة قامت وعي بالحساب ابن المصيرا

سكن الياء في وعي استثقالا لتحركها وقبلها كسرة وقاعل جدي المشيب
اي وجدي للمشيب البعير ليت شعري المصيرا اي هو هذا تا ويل القرا
ابي عبيد وتلقيت في تثقيب هذه القراءة وخطاها ابو حاتم والزجاج
وقالوا هو لحن لانه نصب اسم ما لم يسم فاعله وانما قياسه نجي المؤمنون
كما يقال كرم الصالحون ولا يجوز ضرب زيدا عمرو على ضرب الضرب زيدا
لانه لا فائدة اذ كان ضرب بدلا على الضرب ولا يجوز ان يحتج بمثل ذلك
البيت على كتاب الرقاشي ولا ابي عبيد قول احد وقاله الفتى وهو انه
ادغم النون في الجيم المحاسن وهذا القول لا يجوز عند احد من النحويين
ليعد محرك النون من مخرج الجيم فلا تدغم فيها ولا يجوز من جا بالحسنة
فيجا بالحسنة قال المحاسن ولم اسمع في هذا الحرف شيا سمعته من علي
ابن سليمان قال الاصل ننجي فحذف احدى النونين لاجتماعهما كما يحذف
احدى التائين لاجتماعهما نحو قوله عز وجل ولا تفرقوا الاصل تتفرقوا
وقرا محمد بن السميفع وابو السمالية وكذلك نجا المؤمنين اي نجا الله المؤمنين
وهي قراءة حسنة قوله تعالى وزكريا اذ نادى ربه اي واذكر زكريا وقد تقدم
في ال عمران ذكره رب لا تذرني فردا اي منفردا لا ولد لي وقد تقدم وانت خير
الوارثين اي خير من بقي بعد من يموت وانما قال خير الوارثين لما تقدم
من قوله يرثني اي اعلم انك لا تضيع دينك ولكن لا تقطع هذه الخصلة
التي هي عن عقبي كما تقدم في مريم بيانه قوله تعالى فاستجبنا له اي اجبنا دعاه
ووهبنا له يحيى تقدم ذكره سقوني واصلحنا له زوجه قال قتادة وسعيد
ابن جبير واكثر المفسرين انها كانت عاقرا فحملت ولودا وقال ابن عباس
وعطا كانت سيئة الخلق طويلة اللسان فاصلحها الله فجعلها حسنة
الخلق قلت ويحتمل ان تكون جمعت المعنيين فحملت حسنة الخلق
ولودا انهم يعني الانبيا المسمين في هذه السورة وكانوا يسارعون في الخيرات
وقيل الكناية راجعة الى زكريا وامراته ويحيى قوله تعالى ويدعوننا

رغبا ورهبا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا اى
يدعوننا انبيا فيدعوننا في حال الرخا وحال الشدة وقيل المعنى يدعون
وقت تعبدهم وهم يجادرغبة ورجا ورهبة وخوف لان الرغبة والرهبة
يكادان يقبل الرغب رفع يطول الالف الى السما والرهب رفع ظهر رهما
قاله حصيف قال ابن عطية وتلخيص هذا ان عادة كل داع من البشر
ان يبتهل بيده فاذا رغب من حيث هو طلب يحس منه ان يوجه باطن
الراح نحو المطلوب منه اذ هو موضع اعطا وبها يتملك والرهب من حيث
هو رفع مضره يحس منه طرح ذلك والاشارة الى ذهابه ويوفيه يبعد
اليد ونحوه الثانية روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه في الدعا لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه وقد مضى
في الاعراف الاختلاف في رفع الايدي وذكرنا هناك هذا الحديث وغيره هنا ك
وفي القنوت بالرفع وقد اختلف الناس في صفته والى اين فكان بعضهم
يجيز ان يبسط كفيه رافعهما حذو وصدره يطوفهما الى وجهه روي عن عمر
وابن عباس وكان علي يدعو بباطن كفيه وعن انس مثله وهو ظاهر
حديث الترمذي وقوله صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله فاسئلوه ببطون
اكفكم ولا تسئلوه بظهورها وامسحوا بها وجوهكم وروي عن ابن عمر وابن
الزبير يرفعهما الى وجهه واحتجوا بحديث ابي سعيد الخدري قال وفقد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض اهل بيته فجعل يدعو وجعل ظهر كفيه مما يلي وجهه
ورفعهما فوق ندبيه واسفل من منكبيه وقيل حتى يجاذي بهما وجهه
وظهورهما مما يلي وجهه قال ابو جعفر الطبري والصواب ان يقال
ان كل هذه الاثار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم متفقة غير مختلفة
بالمعاني وجايز ان يكون ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم لاختلاف الدعا
كما قال ابن عباس اذا اشا راحدكم باصبع واحدة فهو الاخلاص واذا رفع
يديه حذو صدره فهو الدعا واذا رفعهما حتى يجاوز رهما راسه وظاهرهما
مما يلي وجهه فهو الابتهال قال الطبري وقد روي قتاده عن انس قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بظهر كفيه وباطنهما ورغبا ورهبا بصوبتا
على المصدر اي يرغبون رغبا ويرهبون رهبا او على المفعول من اجله اي
للرغب والرهب او على الحال وقرا طلحة بن مصرف ويدعوننا بنون واحدة
وقرا الاعمش بضم الرا واسكان الهي والهما مثل السقم والسقم والعدم
والعدم لغتان وابن وثاب والاعمش ايضا رغبا ورهبا بالفتح في الرا والقبيح
في العين والهما وهما لغتان مثل نهر ونهر وصخر وصخر وروي هذه
القراة عن ابي عمرو وكانوا لنا خاشعين اي متواضعين خاضعين
قوله تعالى والتي احصنت فرجها اي واذكر مريم التي احصنت فرجها
وانما ذكرها وليست من الانبيا لتتميم ذكر عيسى ولهذا قال وجعلناها
وابنها اية للعالمين لان معنى الكلام وجعلنا شانهما وامرهما وقصتهما
اية للعالمين وقال الزجاج ان الاية فيهما واحدة لانها ولدت من غير فحل
وعلى مذهب سيبويه التقدير وجعلنا ها اية للعالمين ثم حذف وعلى
مذهب الفرا وجعلناها اية للعالمين وابنها مثل قوله جل ثناوه والله ورسوله
احق ان يرضوه وقيل من اياتها انها اولد امراة فسلت في الغذر في المنعبد
ومنها ان الله اعذاها برزق من عنده لم يكبره على بعد من عبيده وقيل
انها لم تلتقم ثديا قط واحصنت نفسها عفت واستعفت من الفاحشة
وقيل ان المراد بالنفخ فتح الجيب الذي لم يعلق بثوبها ربه اي انها طاهرة
الاثواب وفروج القميص اربعة الكمان والاعلا والاسفل قال
السهيلي فلا تذهبن وهمك في غير هذا فانه من لطيف الكتابة لان القران
انزله معجزا ونزل لفظا والطف اشارة واحسن عبارة من ان يريد
ما يذهب اليه وهم الجاهل لاسيما والنفخ من روح القدس بامر القدس
فاضيف القدس الى القدس ونزه المقدسة المطهرة عن الظن الكاذب

والحدس فنفخنا فيها من روحنا بعني امرنا جبريل حتى نفخ في درعها فاحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وتدسي هذا في التنا ويوم فلا مسمي للاعادة اية ايما علامة واعجوبة للمخلق وعلما للنبوة عيسى ودلالة على قدرتنا مما نشا قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة ما ذكرا لانبيا قادهو لاكلهم مجتمعون على التوحيد فالامة هي بمعنى الدين الذي هو الاسلام قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما فاما المشركون فقد خالفوا الكل وانا ربكم اي الاهكم وحدي فاعبدون اي افردوني بالعبادة وقرا عيسى بن عمرو بن ابي اسحاق ان هذه امتكم امة واحدة ورواها حسين عن ابي عمرو الباقون امة واحدة بالنصب على القطع لمجي النكرة بعد تمام الكلام قاله الفرا الزجاج انتصب امة على الحال اي في حال اجتماعها على الحق اي هذه امتكم ما دامت امة واحدة واجتمعتم على التوحيد فاذا اختلفتم وتفرقتم فليس من خالف الحق من جملة اهل الدين الحق وهو كما تقول فلان صديقي بعينها فاذا خالف الصدق لم يكن صديقي واما الرفع فيجوز ان يكون على البدل من امتكم او على اضمار مبتدا اي ان هذه امتكم امة واحدة او يكون خبرا بعد خبر ولو نصبت على البدل من هذه لجاز وتكون امة واحدة خبرا ان قوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم اي تفرقوا في الدين قاله الكلبي الاخفش اختلفوا فيه والمراد المشركون ذهبوا بمخالفة الحق واتخاذهم الهة من دون الله قال الازهري اي تفرقوا في امرهم فحذف امرهم وتقطعوا فالمنقطع على هذا لازم وعلى الاول مبتدا والمراد جميع الخلق اي جعلوا امرهم في اديانهم وتقطعوه بينهم فمن موحد ومن يهودي ومن نصراني ومن عابد ملك او مسلم كل الينا راجعون الي حكمنا فنجازيهم قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مومن من للتبعيض لان الجنس اذ لا قدرة للمكلف ان ياتي بجميع الطاعات كلها فرضها ونفلها فالمعنى من يعمل شيا من الطاعات فرضا او نفلا وهو موحد مسلم وقال ابن عباس مصدقا بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا كفران لسعيه اي لا جحود لعمله اي لا يضيع جزاءه ولا يبطل والكفر ضد الايمان جحود النعمة وهو ضد الشكر وقد كفره كفورا وكفرانا وفي حرف ابن مسعود فلا كفر لسعيه وانا له كاتبون لعمله حافظون لتظيره اي لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى اي كل ذلك محفوظ ليجازى به قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون تراه زيد بن ثابت واهل المدينة وحرام وهو اختيار ابي عبيدة وابي حاتم واهل الكوفة وحرم وروبت عن علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وهما لغتان مثل حل وحلال وقد روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وحرم بفتح الحا والميم وكسر الرا وعن ابن عباس ايضا وعكرمة وابي العالية وحرم بضم الرا وفتح الحا والميم وعن ابن عباس ايضا وحرم وعنه ايضا وحرم وحرم وعن عكرمة ايضا وحرم وعن قتادة وحرم وحرام وحرم تسع قرات وقرا السلمي على قرية اهلكناها واختلف في لا في قوله لا يرجعون فقيل هي صلة روي ذلك عن ابن عباس واختاره ابو عبيد اي وحرام على قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل ليست بصلة وانما هي ثابتة ويكون الحرام بمعنى الواجب اي وجب على قرية كما قالت الخنسا

واما حراما لا ازال الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على عمرو

تريدا خاها فلا تاتيه على هذا القول قال النحاس والاية مشكلة ومن احسن ما قيل فيها ما رواه ابن عيينة وابن علية وهشيم وابن ادريس ومحمد بن فضيل وسليم بن حيان ومعلى عن داود بن ابي هند

عن عكرمة عن ابن عباس في قوله عز وجل وحرام على قرية اهلكناها قال
وجب انهم لا يرجعون قال لا يتوبون قال ابو جعفر واشتقاق هذا من
اللفظ وشرحه ان معنى حرم التي حظر ومنع منه كما ان معنى احل بيع
لم يمنع منه فاذا كان حرام وحرم بمعنى واجب فمعناه انه قد ضيق الخروج
منه ومنع فقد دخل في باب المحظور لهذا قانا قول ابي عبيد ان لا زايدة
فقد رده عليه جماعة لانها لا تزاد في مثل هذا الموضع ولا فيما يقع فيه
اشكال ولو كانت زايدة لكان التاويل بعيدا ايضا لانه ان اراد وحرام على
قرية اهلكناها ان يرجعوا الى الدنيا فهذا ما لا يكون فيه وان اراد التوبة
فالتوبة لا تختم وقيل في الكلام اضمار وحرام على قرية حكمنا باستيصالها
او بالختم على قلوبها ان يتقبل منهم عمل لانهم لا يرجعون اي لا يتوبون قاله
الزجاج وابو علي ولا غير زايدة وهذا هو معنى قول ابن عباس قوله تعالى
حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج تقدم القول فيهم وفي الكلام حذف
اي حتى اذا فتح سد ياجوج وماجوج مثل واسئل القرية وهم من كل حدب
ينسلون قال ابن عباس من كل شرف يقبلون لكثرتهم ينسلون من كل ناحية
والحدب ما ارتفع من الارض والجمع الحداب ماخوذ من حدبة الظهور
قال عنترة فارعشت يداي ولا ردها لوائم اليس من الحداب

وقيل ينسلون يخرجون ومنه قول امرئ القيس

فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي وقيل

ينسرعون ومنه قول النابغة

عسلان الذيب امسي قاربا يرد الليل عليم فنسل

يقال عسل الذيب عسلا وعسلانا اذا اعنق واسرع وفي الحديث كذب
عليك العسل اي عليك بسرعة المشي وقال الزجاج والنسلان مشية
الذيب اذا اسرع يقال نسل فلان في العدو ينسل وينسل بالكسر والضم
نسلا ونسولا ونسلانا اي اسرع ثم قيل في الذين ينسلون من كل حدب
انهم ياجوج وماجوج وهو الاظهر هو قول ابن مسعود وابن عباس وقيل
جميع الخلق كلهم يحشرون الى ارض الموقف وهم ينسرعون من كل صوب
وقيل في السواد وهم من كل حدب ينسلون احد اثنين قوله تعالى اذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون وحكى هذه القراءة المهدوي عن ابن مسعود والنقاش عن
مجاهد والى الصحيا قوله تعالى واقترب الوعد الحق يعني القيامة قال
الفرا والكسائي وغيرهما الواو زايدة معجمة والمعنى حتى اذا فتحت ياجوج
وماجوج اقترب الوعد الحق فاقتربه جواب اذا وانشد الفرا

فلما احرتنا ساحة الحي وانتحى اي انتحى

والواو زايدة ومنه قوله تعالى وتله للجبين وناديناه واجاز الكسائي
ان تكون جواب اذا اذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ويكون قوله واقترب
الوعد الحق معطوفا على الفعل الذي هو شرط وقال البصريون الجواب
محذوف والتقدير قالوا يا ويلنا وهو قول الزجاج وهو قول حسن قال
الله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
المعنى قالوا ما نعبدهم وحذف القول كثير قوله تعالى فاذا هي شاخصة هي
ضمير الابصار والابصار المذكورة نعتها تقديرها كانه قال
واذا ابصار الذين كفروا شاخصة عند مجيء الوعد وقال الشاعر

لعمرك ما الانقول طبيتني الا زعمها مالك بن ابي كعب

كنى عن الطيبة في ابيتها ثم اظهرها وقال الفرا هي عماد سل فانها لانثى الابصار

وقيل ان الكلام عند قوله هي التقدير فاذا هي بمعنى القيامة بارزة واقعة
اي من قربها كانها اتية حاضرة ثم ابتدا فقال شاخصة ابصار الذين
كفروا على تقديم الخبر على الابتدا اي ابصار الذين كفروا شاخصة من هذا
اليوم اي من هوله لاتكاد تطرف يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين
بمعصيتنا ووضعنا العبادة في غير موضعها قوله تعالى انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى انكم وما تعبدون
قال ابن عباس انه لا يسلي الناس عنها لا ادري اعرفوها فلم يسلوا عنها
او عرفوها فلا يبتلون عنها قيل وما هي قال انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم انتم لها واردون لما انزلت شق على كفار قريش وقالوا
انتم الهتنا وايانا بن الزبعري واخبروه فقال لو حضرته لرددت عليه
قالوا وما كنت تقول له قال كنت اقول له هذا المسيح تعبده النصارى
واليهود وتعبد عزيرا افما من حصب جهنم فسكت قريش عن مقالته
وراوا ان محمدا قد خصم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
اولئك عنها مبعدون وفيه نزل ولما ضرب ابن مريم مثلا يعني بابن الزبعري
اذا قومك منه يصدون بكسر الصاد اي يضجون وسياتي الثانية
هذه الاية اصل في القول بالعموم وان له صيغا مخصوصة خلافا لمن قال
ليست له صيغة موضوعة للدلالة عليه وهو باطل لما دلت عليه بعده
الاية وغيرها فهذا عبد الله بن الزبعري قد فهم مما في جاهليته جميع من عبد
ووافقه على ذلك قريش وهم العرب الفصحا واللسن البلغا ولو لم تكن
للعموم لما صح ان يبتلي منها وقد وجد ذلك فدل للعموم وهذا واضح
الثالثة قراة العامة بالصاد المهملة اي انكم يا معشر الكفار والاوثان
التي تعبدونها من دون الله وقود جهنم قاله ابن عباس وقال مجاهد
وعكرمة وقتادة حطبها وقرا علي بن ابي طالب وعائشة رضوان الله عليهم
حطب جهنم بالطا وقرا ابن عباس حضب بالضاد المعجمة قال
الفرا يريد الحطب وذكرنا ان الحضب وكل ما هيجت به النار واوقدتها
هو حضب ذكره الجوهري والموقد حضب وقال ابو عبيدة في قوله تعالى
حصب جهنم كلما التنيتم في النار فقد حصبتموها به ويظهر من هذه الاية
ان الناس من الكفار وما يعبدون من الاصنام حطب لجهنم وتظيره
قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة وقيل ان المراد بالحجارة
حجارة الكبريت على ما تقدم في البقرة وان النار لا تكون على الاصنام عذابا
ولا عقوبة لانها لم تذنب ولكن تكون عذابا على من عبدها او دسي بالجسة
ثم تجمع على النار فتكون نارها اشد من كل نار ثم يعذبون بها وقيل بل
فتلصق بهم زيادة في تعذيبهم وقيل انما جعلت في النار ركضا لعبادهم
الرابعة قوله انتم لها واردون اي فيها داخلون والخطاب للمشركين
عبدة الاصنام اي انتم وارد وها مع الاصنام ويجوز ان يقال الخطاب
للاصنام وعبدتها لان الاصنام وان كانت جمادات فقد يجيز عنها تكلما
الادميين وقال العلما ولا يدخل في هذا عيسى ولا عزيرا ولا الملائكة
صلوات الله عليهم لان ما لغير الادميين ولو اراد ذلك لقال ومن قال
الزجاج لان المخاطبين بهذه الاية مشركو مكة دون غيرهم قوله تعالى

لوكان هؤلاء الهة ما وردوها اي لوكانت الاصنام الهة لما وردوها
عابدوها النار وقيل ما وردوها العابدون والمعبودون ولهذا قال
وكل فيها خالدون قوله تعالى لهم فيها زفير اي لهؤلاء الذين وردوا النار
من الكفار والشياطين قال الاصنام فعلى الخلاف فيها هل يحييها
الله ويعذبها حتى يكون لهم زفيرا ولا قول والزفير صوت تنفس المغموم يخرج
من القلب وقد تقدم في هود وهم فيها لا يسمعون قيل في الكلام حذف والمعنى
وهم فيها لا يسمعون شيأ لانهم يحشرون صما كما قال الله عز وجل ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وفي سماع الاشقياء واصل
منع الله الكفار ذلك في النار وقيل لا يسمعون ما يسرهم ثم قيل يسمعون
صوت من يتولى تعذيبهم من الزبانية وقيل اذا قيل لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون
يصيرون حينئذ صما وبكما قال ابن مسعود اذا بقي من يخلد في النار هم
في جهنم جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت التوابيت في توابيت اخرى
فيها مسامير من نار فلا يبصرون شيأ ولا يرى احدهم ان في النار من
يعذب غيره قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اي الجنة اولئك عنها
اي عن النار مبعدون تمحى الكلام الاستثناء ولهذا قال بعض اهل العلم
ان ها هنا بمعنى الاولى ليس في القرآن غيره وقال محمد بن كاتب سمعت علي
ابن ابي طالب يقرأ هذه الآية على المنبر ان الذين سبقت لهم منا الحسنى
فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان عثمان منهم قوله تعالى
لا يسمعون حسيسها اي حس النار وحركة لهبها والحسيس والحس
الحركة وروي ابن جريج عن عطا قال قال ابو راشد الحروري لابن عباس
لا يسمعون حسيسها فقال ابن عباس امجنون انت قال فقوله تعالى
وان منكم الا واردها وقوله تعالى فاوردهم النار وقوله الى جهنم وردا
ولقد كان من دعاء موسى اللهم اخرجني من النار سالما وادخلني الجنة
فائزا وقال ابو عثمان الهندي على الصراط حيات تلسع اهل النار فيقولون
حس حس وقيل اذا دخل اهل الجنة الجنة لم يسمعوا حس النار وقيل
ذلك يسمعون والله اعلم وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون اي دائمون
وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقال ولكم فيها ما تشتهي انفسكم
ولكم فيها ما تدعون قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقرأ ابو جعفر
وابن محيصن لا يحيزنهم بضم الياء وكسر الزاي الباقون بفتح الياء وضم الزاي
قال اليزيدي حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرئ بهما والفزع الاكبر
اهوال يوم القيامة وروي عن ابن عباس وقال الحسن هو وقت يؤمر
بالعباد الى النار وقال ابن جريج وسعيد بن جبير والضحاك هو اذ اطبقت
النار على اهلها وذبح الموت بين الجنة والنار وقال ذو النون المصري
هو الغطيطة والعرق وعن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة في
كثيب المسك الا فزع لا يحزنهم الفزع الاكبر رجل ام قوما محتسبا وهم به
راضون ورجل اذن لقوم محتسبا ورجل ابتلي برزق في الدنيا فلم يشغله
عن طاعة ربه وقال ابو سلمة بن عبد الرحمن سررت برجل يضرب غلاما
له قاشارا الي الغلام فكلمت مولاه حتى عفى عنه فلقيت ابا سعيد الخدري
فاخبرته فقال يا ابن اخي من اعاب مكروها اعتقه الست من النار يوم الفزع
الاكبر سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتلقاهم الملائكة
اي تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنونهم ويقولون لهم هذا يومكم

الذي كنتم توعدون وقيل تستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور
عن ابن عباس هذا يومكم اي ويقولون لهم هذا الذي كنتم توعدون فيه
فيه للكرامة قوله تعالى يوم نطوي السما كطي قرا ابو جعفر بن القعقاع
وشيبة بن نصاح والاعرج والزهري نطوي بطا مضمومة السما رفعا
على ما لم يسم فاعله مجاهد نطوي على معنى الله السما الباقون نطوي بنون
العظمة وانتصاب يوم على البدل من الها المحذوفة في الصلة التقدير
الذي كنتم توعدونه يوم نطوي السما او يكون منصوبا بمضمر من قوله
كما بدانا اول خلق نعيده او بقوله لا يحزنهم اي لا يحزنهم الفزع الاكبر في اليوم
الذي نطوي فيه السما او على اضمار واذكروا زاد بالسما الجنس وقيله
والسموات مطويات بيمينه كطي السجل للكتاب قاله ابن عباس ومجاهد
اي كطي الصحيفة على ما فيها واللام بمعنى على وعن ابن عباس ايضا اسم
كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بالقوي لان كتاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم معروفون ليس هذا منهم ولا في اصحابه من اسمه السجل
وقال ابن عباس ايضا وابن عمر والسدي السجل ملك وهو الذي
يطوي كتب بني ادم اذا رفعت اليه وقيل انه في السما الثالثة ترفع اليه
اعمال العباد يرفعها اليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل خميس واثنين
وكان من اعوانه فيما ذكروا هاروت وماروت والسجل الصك وهو
اسم مشتق من المسجلة وهي المكاتبة واصلها من السجل وهو الدلو تقول
ساجلت الرجل اذا نزعت دلوا ونزع دلوا ثم سمي به فسميت
المكاتبة والمراجعة مساجلة وقد سجل الحاكم تسجيلا وقال الفضل
ابن العباس بن عتبة بن ابي لهب

من يساجلني يساجل ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب

ثم بني هذا الاسم على فعل مثل حمر وطمر وبلي وقرا ابو زرعة بن عمرو بن جرير
كطي السجل بضم السين والجيم وتشديد اللام وقرا الاعمش وطلحة كطي
السجل بفتح السين واسكان الجيم وتخفيف اللام قال النحاس والمعنى
واحد ان شا الله والتمام عند قوله للكتاب والطي في هذه الاية يحتمل
معنيين احدهما الدرج الذي هو اصل البيس قال الله تعالى والسموات
مطويات بيمينه والثاني الاخفا والنهية والمحو لان الله يمحو ويطمس رسومها
ويكدر نجومها قال الله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت الى
واذا السما كشطت للكتاب وتم الكلام وقرا الاعمش وحفص وحمزة
والكسائي ويحيى وخلف الكتاب جمعا ثم استانف الكلام فقال
كما بدانا اول خلق نعيده اي نحشرهم حفاه عراه عراة كما بدانا اول خلق
وروى النسائي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يحشر الناس يوم القيامة عراة عرلا اول الخلق يكسى يوم القيامة
ابراهيم عليه السلام ثم قرا اول خلق نعيده وخرجه مسلم ايضا عن ابن
عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال
يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاه عراة غرلا كما بدانا اول خلق
نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا وان اول الخلائق يكسى يوم
القيامة ابراهيم عليه السلام وذكر الحديث وقد ذكرنا هذا الكتاب في كتاب
التذكرة مستوفى وذكر سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن ابي الزعرا عن

عبد الله

عبد الله بن مسعود قال يرسل الله عز وجل ما من تحت العرش كمثي الرجال
ينبت منه لحمانهم وجسمانهم كما تنبت الارض بالثري وقوا كما بدانا اول خلق
نعيده وقال ابن عباس الممحي يملك كل شي ويعيده كما كان اول مرة وعلى هذا
فالكلام متصل بقوله يوم تطوي السما اي تطويها فتعدم الى الهلاك والفنا
فلا يكون شيا وقيل تفني السما ثم تعيدها مرة اخرى بعد طيها ودرورها
لقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات والقول الاول اصح وهو نظير قوله
ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقوله وعرضوا على ربك صفا لقد
جيتمونا كما خلقناكم اول مرة وعدا نصب على المصدر اي وعدنا وعدا علينا
انجازه والوفاية من النعت والاعادة ففي الكلام حذف ثم اكد ذلك بقوله
جل ثناؤه انا كنا فاعلين قال الزجاج معنى انا كنا فاعلين انا كنا قادرين
على ما نشا وقيل انا كنا فاعلين اي ما وعدناكم وهو كما قال وكان وعده مفعولا
وقيل كان للاخبار عما سبق من قضائه وقبل صلة قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر الزبور والكتاب واحد ولذلك جاز ان يقال للتوراة والانجيل
زبور وزبرت اي كتبت وجمعه زبر قال سعيد بن جبير الزبور التوراة والانجيل
والفرقان من بعد الذكر الذي في السما ان الارض ارض الجنة يرثها عبادي
الصالحون عن الاعمش عن سعيد بن جبير الشعبي الزبور زبور داود
والذكر توراة موسى عليه السلام مجاهد وابن زيد الزبور كتب الانبيا عليهم
السلام والذكر ام الكتاب الذي عند الله في السما وقال ابن عباس الزبور
الكتب التي انزلها الله تعالى من بعد موسى على انبيائه والذكر التوراة المنزلة
على موسى وقرا حمزة في الزبور بضم الزاي جمع زبر ان الارض يرثها عبادي
الصالحون احسن ما قيل فيه انه يراد بها ارض الجنة كما قال سعيد بن جبير
لان الارض في الدنيا قد ورثها الصالحون وغيرهم وهو قول ابن عباس ومجاهد
وغيرهما قال مجاهد وابو العالية ودليل هذا التاويل قوله تعالى وقالوا
الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض وعن ابن عباس انها الارض
المقدسة وعنه ايضا انها ارض الامم الكافرة ترثها امة محمد صلى الله
عليه وسلم بالفتوح وقيل ان المراد بذلك بنو اسرايل بدليل قوله تعالى
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها
واكثر المفسرين على ان المراد بالعباد الصالحين امة محمد صلى الله عليه
وسلم وقرا حمزة عبادي يستكن البيا ان في هذا اي فيما جرى ذكره في
هذه السورة من الموعظة والتنبيه وقيل اي في القران لبلاغا لقوم
عابدين قال ابو هريرة وسفيان الثوري هم اهل الصلوات وقال ابن عباس
عابدين مطيعين والعابد المتذلل الخاضع قال القشيري ولا يبعد ان
يدخل فيه كل عاقل لانه من حيث الفطرة متذلل للخالق وهو يجب
لو تامل القران واستعمله لاوصله ذلك الى الجنة وقال ابن عباس ايضا
هم امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون
شهر رمضان وهذا هو القول الاول بعينه قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان محمد صلى
الله عليه وسلم رحمة لجميع الناس فمن امن به وصدق به سعد ومن لم يومن
به سلم مما لحق الامم من الخسف والغرق قال ابن زيد اراد بالعالمين
المومنين خاصة قوله تعالى قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فلا يجوز
الاشراك به فهل انتم مسلمون اي منقادون لتوحيد الله اي فاسلموا لقوله
تعالى فهل انتم منتهون قوله تعالى فان تولوا اي ان اعرضوا عن الاسلام
فقل اذنتكم على سوا اي اعلمتكم على بيان اناذا بكم حرب لاصلح بيننا لقوله
واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سوا اي اعلمهم انك نقضت العهد
نقضا استويت انت وهم فليس لغربتي عهد يلتزم في حق الفريق الاخر
وقال الزجاج المعنى اعلمتكم بما يوحى الي على استوا في العلم به ولم اظهر لاحد

سالتمته عن غيره وان ما ادري ان نافيه بمعنى ما اي وما ادري اقرب
ام بعيد ما توعدون بمعنى اجل القيامة لابد ان يجيء احد لانبي بعده رسل ولا ملك
مقرب قاله ابن عباس وقيل اي اذ تتكلم بالحرب ويكني لا ادري متى يؤذن
لي في محاربتكم قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي
من الشرك وهو المجازي عليه فان ادري لعله اي لعل امهال فتنة
لكم اي اختبار ليري كيف صنيعكم وهو اعلم ومتاع الى حين قيل الى انقضاء المدة
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى بني امية في منامه تكون الناس
فخزه الحكم من عنده فاخبر بني امية بذلك فقالوا له ارجع فشله متى يكون
ذلك فانزل الله تعالى وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون وانا ادري
لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فقيل لنبيه عليه السلام قل لهم ذلك
قوله تعالى قل رب احكم بالحق ختم السورة بانه امر النبي عليه السلام
بتفويض الامر اليه ورفع المحن عنه اي احكم بيني وبين هولاء
المكذبين وانصرني عليهم روي سعيد عن قتادة قال كانت الانبياء
تقول ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فامر النبي صلى الله عليه وسلم
ان يقول رب احكم بالحق وكان اذا التقى العدو يقول وهو قيل انه على
الحق وعدوه على الباطل رب احكم بالحق اي اقض به وقال ابو عبيدة
هاهنا اقيمت مقام للموصوف والتقدير رب احكم بحكمك الحق ربي في موضع
نصب لانه منادى مضاف وقرا ابو جعفر بن القعقاع وابن محيصن
قل رب احكم بالحق بضم الباء قال النحاس وهذا لحن عند النحويين
لا يجوز عندهم رجل اقبل حتى يقول يا رجل اقبل وما اشبهه وقرا الضحاك
وطلحة ويعقوب قال رب احكم بقطع الالف مفتوحة الكاف والميم مضمومة
اي قال محمد رب احكم بالحق من كل حاكم وقرا الحجري قل رب احكم على معنى
احكم الامور بالحق ولنا الرحمن المستعان على ما تصفون اي لصفونه
من الكفر والتكذيب وقرا المفضل والسلمي على ما يصفون بالياء على
الخبر الباقون بالتاء على الخطاب

وهي مكية سوى ثلاث ايات قوله تعالى هذان خصمان الى تمام ثلاث
ايات قاله ابن عباس ومجاهد وعن ابن عباس ايضا انهن اربع
ايات الى قوله عذاب الحريق وقاله الضحاك وابن عباس ايضا
هي مدنية وقاله ابن عبلة قتادة الا اربع ايات وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الى عذاب مقيم فهن مكيات وعد التقاشت
ما نزل بالمدينة عشر ايات وقال الجمهور السورة مختلطة منها مكي ومنها
مدني وهذا هو الاصح لان الايات تقتضي ذلك لان يا ايها الناس مكي
ويا ايها الذين امنوا مدني المعنوي وهي من اعاجيب السور نزلت
ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا ومدنيا وحربيا سخيا ومتوحدا
محكما ومتشابها مختلف المدد قلت وجاء فضلها ما رواه الترمذي
وابو داود والدارقطني عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت
سورة الحج بان فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما لفظ
الترمذي وقال هذا حديث حسن ليس اسناده بالقوي واختلف
اهل العلم في هذا فروي عن عمر بن الخطاب وابن عمر انهما قالا فضلت سورة
الحج بان فيها سجدتين وبه يقول ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق
وراى بعضهم ان فيها سجدة واحدة وهو قول سفيان الثوري وروى
الدارقطني عن عبد الله بن لهيعة قال رايت عمر بن الخطاب سجد في الحج سجدتين
قلت في الصحيح قال في الصحيح بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم روى الترمذي عن عمران ابن حصين
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة

شيء عظيم

شيء عظيم الي قوله ولكن عذاب الله شديد قال اتدرون عليه هذه / لا يزد وهو يسير
فقال انزروف اي يوم ذاك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذاك يوم ينزل
الله لادم ابعث بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال تسع مائة
وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فانشا المسلمون يبكون
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا فانه لم تكن نبوة قط
/ الا كان بين يديها جاهلية قال فيؤخذ العدد من الجاهلية فان عتت
والا كملت من المنافقين وما مثلكم والامم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة
او كالشامة في جنب البعير ثم قال اني لارجوا ان تكونوا ربع اهل الجنة
فكبروا قال اني لارجوا ان تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا لا ادري قال
الثلثين ام لا قال هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه وقد روي
عن الحسن عن عمران بن حصين وفيه فتبسم القوم حتى ما ابدوا ضاحكة
فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعملوا وابشروا فوالذي نفسي
بيده انكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء الا كثرتاه ياجوج وماجوج و
من مات من بني ادم وبني ابليس قال فسري عن القوم بعض الذي
يجدون فقال اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس
/ الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة قال هذا حديث حسن
صحيح وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير بيديك قال
يقول اخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة
وتسعة وتسعين قال فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات
حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
قال فاشتد ذلك عليهم قالوا يا رسول الله ايانا ذلك الرجل فقال
ابشروا فان من ياجوج وماجوج الفا ومنكم رجل وذكر الحديث
نحو ما تقدم في حديث عمران بن حصين وذكر ابو جعفر النحاس
قال حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال حدثنا مسلمة قال حدثنا عبد الرزاق
قال انبانا عن قتادة عن انس بن مالك قال يا ايها الناس اتقوا
ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الي ولكن عذاب الله شديد قال
نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سفر له فرفع بها صوته حتى ناب
اليه اصحابه فقال اتدرون اي يوم هذا هذا يوم يقول الله عز وجل
لادم صلى الله عليه وسلم قم فابعث اهل النار من كل الف تسعمائة وتسعة
وتسعين الى النار وواحد الى الجنة فكبر ذلك على الناس فقال صلى الله
عليه وسلم سددوا وقاربوا وابشروا فوالذي نفسي بيده ما انتم في الناس
/ الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الحمار وانى لاطمع ان تكونوا ربع
ما كانتا في شيء / الا كثرتاه ياجوج وماجوج ومن هلك من كفرة الجن والانس
قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم المراد بهذا النداء المكلفون اي اخشوه في
امره وان تتركوها فانه واجب وان تفعلوها الى التقوى احترس من المكروه
وقد تقدم في اول البقرة القول فيه مستوفى فلا معنى لاعادته والمعنى احترسوا
بطاعته عن عقوبته قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم الزلزلة شدة الحركة
ومنه وزلزلوا حتى يقول الرسول واصل الكلمة ان زل عن الموضع اي
زال عنه وتحرك وزلزله الله قدمه اي حركها وهذه اللفظة تشتمل في تهويل
الشيء وقيل هي الزلزلة المعروفة التي هي احدى شرائط الساعة التي تكون في الدنيا
قبل يوم القيامة هذا قول الجمهور وقد قيل ان هذه الزلزلة تكون في النصف من
شهر رمضان وسنعيدها طلوع الشمس من مغربها والله اعلم قوله تعالى يوم
ترونها الهاء ترونها عائدة عند الجمهور على الزلزلة ويقوي هذا قوله تذهل
كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى والرضاع
والحمل انما هو في الدنيا وقالت فرقة الزلزلة يوم القيامة واحتجوا بحديث
عمران بن حصين الذي ذكرته وفيه اتدرون اي يوم ذاك الحديث وهو الذي

يعتقبه سياق مسلم في حديث ابي سعيد تولد تذهل اي تشغل قاله قطرب وانشد
يضرب يزيد الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله وقيل تنسى وقيل تلهو
وقيل تشكو والمعنى متقارب مما ارضعت قاله المبرد ما بمعنى المصدر
اي تذهل عن الارضاع قال وهذا يدله على ان هذه الزلزلة في الدنيا اذ ليس
بعد البعث حمل وارضاع الا ان يقال من مات حاملا تبعث حاملا فتضع
حملها للهول ومن مات مرضعة تبعث كذلك ويقال هذا كما قال تعالى يوما
يجعل الولدان شيبا وقيل تكون مع النفخة الاولى وقيل تكون مع قيام الساعة
حين تتحرك الناس من قبورهم في النفخة الثانية ويحتمل ان تكون الزلزلة
في الاية عبارة عن اهوال يوم القيامة كما قال تعالى مستهم البأساء والضراء
وزلزلوا وكما قال عليه الصلاة والسلام اللهم اهزمهم وزلزلهم وفائدة ذكر هول
ذلك اليوم التحريض على التاهب له والاستعداد بالعمل وتسمية الزلزلة
بشيء اما لانها حاصلة متقنة وقوعها فيستهل لذلك ان يسمى شيئا وهي معدومة
اذ ذاك ليتقين بشبه الموجودات واما على المال اي هي اذا وقعت شيء عظيم
وكانه لم يطلق الاسم الا بل المعنى انها اذا كانت فهي اذا شيء عظيم ولذلك
تذهل المراضع وتشكر الناس اي من هولها ومما يدركهم من الخوف
والفزع وما هم بسكارى بدل عليه قراءة ابي ورعزة هرم بن عمرو بن جرير
اي عبد الله وترى الناس بضم التاء ابو بكر وخيل اليك وقرا حمزة والكسائي
سكرى بغير الف الباقون سكارى وهما لغتان تجمع سكران مثل كسلى وكسالى
والزلزلة التحريك العنيف والذهول العقلة عن الشيء بطريان ما يشغل
عنه من هم او وجع او غيره قال ابن زيد المعنى تترك ولدها للكرب الذي نزل بها
قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم قيل المراد بقوله النضر بن الحارث
قال ان الله عز وجل عني قادرا على احياء من بلي وعاد ترابا ويتبع ابليس قوله
ذلك كل شيطان مريد متمرد وكتب عليه انه من تولاه قال قتادة ومجاهد
اي من تولى الشيطان فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير قوله تعالى
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الى قوله مسمى فيه اثنتا عشرة مسالة
الاولى قوله تعالى ان كنتم في ريب من البعث هذا احتجاج على العالم بالبداية الاولى
وقوله ان كنتم في ريب متضمنه التوقيف وقرا الحسن بن ابي الحسن البعث
بفتح العين وهي لغة في البعث عند البصريين وهو عند الكوفيين تخفيف بعث
والمعنى يا ايها الناس ان كنتم في شك من الاعادة فانا خلقناكم اي خلقنا اباكم
الذي هو اصلكم البشر يعني ادم عليه السلام من تراب ثم خلقنا ذرية من نطفة
وهو الذي سمي نطفة لقلته وهو القليل من الماء وقد يقع على الكثير ومنه الحديث
حتى يبقى الراكب بين النطفتين لا يمر حورا اراد بحر المشرق وبحر
المغرب والنطفة الغطر نطف ينطف وينطف ونبع نطوف ودابة القطر ثم من
علقة وهو الدم الجامد والعلق الدم العبيط اي الطري وقيل الشديد الحمرة
ثم من مضغة وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ ومنه الحديث الا ان في الجسد مضغة
وهذه الاطوار اربعة اشهر وفي العشر بعد الاشهر الاربعة ينفخ فيه الروح فذلك
عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا الثانية روى يحيى بن زكريا
عن ابي زائدة حدثنا داود عن عامر عن علقمة عن ابن مسعود وعن ابن عمر
ان النطفة اذا استقرت في الرحم احرها ملك بكفه قال يا رب ذكر ام انثى
شقي ام سعيد فما الاجل والاثر فاي ارض تموت فيقال له انطلق الى ام الكتاب
فانك تجد فيها قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في ام الكتاب فينخلق
فتاكل رزقها وتطا اثرها فاذا اجلها قبضت فوقعت في المكان الذي تدر
لها ثم قرا عامر يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
وفي الصحيح عن انس بن مالك رفع الحديث قال ان الله قد وكل بالرحم ملكا فهو
فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقا
قال قال الملك اي رب ذكر او انثى شقي او سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب
كذلك في بطن امه وفي الصحيح ايضا عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها
ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها ولحمها وعظامها ثم يقول اي رب اذكر ام انثى
وذكر الحديث وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم تكون في ذلك
علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر
باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد الحديث فهذا الحديث
للاحاديث الاول فان فيه يجمع خلق احدكم في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم اربعين
يوما علقة ثم اربعين يوما مضغة ثم يبعث الملك فينفخ فيه الروح فهذه الاربعة
اشهر وفي العشر ينفخ الملك الروح وهذه عدة المتوفى كما قال ابن عباس وقوله ان
احدكم يجمع خلقه في بطن امه قد فسره بن مسعود سئل الاعمش ما يجمع في بطن امه
فقال حدثنا حسنة قال قال عبد الله اذا وقعت النطفة في الرحم فاراد الله ان
يخلق منها بشرا طارت في بشرة المرأة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث اربعين يوما ثم
تصير ما في الرحم فذلك جمعها وهذا وقت كونها علقة الثالثة تكسى الخلق
والتصوير الملك ليس له تجاويف الحقيقة وانما صدر عنه فعل ما في المضغة كان
عند التصوير والتشكيل بقدرة الله وخلقه واختراعه لا انشاءه سبحانه فاذا صار
الشيء الخلقة الحقيقية وقطع عنها نسب جميع الخليقة قال لقد خلقنا كم ثم صورناكم
في قراءة ولقد بينا لكم الكتاب في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة
وقال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم قال وصوركم فاحسن صوركم او قال
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال خلق الانسان من علق الى غير ذلك من الايات
فاذا لقن عليه قالت الهداهد ان الخالق لشيء من المخلوقات الا رب العالمين وهكذا
القول في قوله ثم يرسل الملك فينفخ الروح اي ان الله سبحانه خلق فيها الروح
والحياة وكذلك القول في سائر الاشياء المتناولة فانه بارادة الله لا بفعل
هذا الحاصل وتمسك به فيه الشماخ من مذهب اهل العدل الطبايع وغيرهم الرابعة
لم يختلف العلماء ان نفخ الروح فيه تكون بعد مائة وعشرين يوما وذلك تمام اربعة
اشهر وهو قوله في الخامسة كما بيناه بالاحاديث وعليه يقول فما يحتاج اليه من الاحكام
في المستلحق عند التنازع وفي وجوب النفقات على هذا المطلقات وذلك لسعة
سبر كذا الجنين في الحوف وقد قيل انه الحكمة في عدة المرأة من الوفاة اربعة اشهر وعشر
وهذا الدخول في الخامس تحقق براءة الرحم ببلوغ هذه المدة اذا لم يظهر حمل الخامسة
النطفة ليست بشيء يقينا ولا يتعلق بها حكم اذا القتها المرأة اذ لم يتجمع في الرحم فهي كما
لو اسقطت في صلب الرجل فاذا طرحته علقة فقد تحققت ان النطفة قد استقرت
واجتمعت واستحالت الى اول احوال ما يتحقق به انه ولد وعلى هذا فيلون وضع العلقة
فما فوقها من المضغة وضع حمل بابه الرحم وتنقضي به العدة وتثبت به لما حكم ام
الولد وهذا مذهب مالك واصحابه وقال الشافعي لا اعتبار باسقاط العلقة وانما
الاعتبار بظهور الصورة والتخطيط فان اخفى التخطيط وكان لحما فقولان بالنقل
والتخريج والمنصوص انه تنقضي به العدة ولا تكون ام ولد قال ابو الوليد تنقضي
بالدم الجاري فيصير او في السادسة قوله تعالى مخلقة وغير مخلقة قال
الفراء مخلقة تام الخلق وغير مخلقة السقط وقال ابو الاعرابي مخلقة تزيدا خلقه
وغير مخلقة لم يصور لوجه من وجوه النقص التي خلق الله فيها الرأس واليدين والرجلين
وغير مخلقة التي لم تخلق فيها شيء قال ابن العربي اذا رجعنا الى اصل الاشتقاق فان
النطفة مخلقة والعلقة والمضغة لا بد ان كل خلق الله تعالى وانا رجعنا الى التصوير
الذي هو منتهى الخلقة كما قال تعالى ثم انشأناه خلقا آخر فبارك الله احسن الخالقين
فاثبت التخليق من الخلق وهي بمعنى لكثرة ما يجد عليه الاطوار فقد خلق خلقا بعد
خلق واذا كان نطفة فهو مخلوق ولهذا قال تعالى ثم انشأناه خلقا آخر والله
اعلم وقد قيل ان قوله مخلقة وغير مخلقة يرجع الى الولد بعينه لا الى السقط اي منهم من يتم
الرب سبحانه وتخلق له الاعضاء اجمع ومنهم من تكون خلقا ناقصا غير تام وقيل المخلقة
ان تلد المرأة لتمام الوقت اي عاش المخلقة ما كان حيا وغير المخلقة السقط قال ابي غير المخلقة
السكافي الحرم وكل والحيا التاسعة اجمع العلماء على ان الامة تكون ام ولد بالسقط من

ولد تام الخلق وعند مالك والاوزاعي وغيرهما بالمضغة كانت مخلقة وغير مخلقة قال مالك
اذا علم انها مضغة وقال الشافعي وابو حنيفة ان كان قد تبين له شيء من خلق بني ادم اصبع
او عين او غير ذلك فهي به له ام ولد واجمعوا على ان المولود اذا استهل صارخا يصلى عليه فان لم
يستهل صارخا لم يصل عليه عند مالك وابي حنيفة والشافعي وغيرهم وروي عن ابن عمر
انه يصلي عليه وقاله ابن المسيب وابن سيرين وغيرهما وروي عن المغيرة بن شعبة
انه كان يامر بالصلاة على السقط ويقول سموهم واغسلوهم وكفنوهم وحنطوهم قال
قال الله اكرمنا بالاسلام كبيرهم وصغيرهم ويتلو هذه الاية انا خلقناكم الى وغير مخلقة
قال ابو المؤيد محمد المغيرة بن شعبة اراد بالسقط ما تبين خلقه فهو الذي يبنى ما لم
يتبين خلقه فلا وجود له وقال بعض السلف يصلى عليه متى نفخ فيه الروح وتمت
له اربعة اشهر روي ليث داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا استهل المولود ورث الاستهلال رفع الصوت فكل مولود كان ذلك منه او حركة
او عطاس او تنفس فانه يورث لوجود ما فيه من دلالة الحياة والى هذا ذهب
سفيان الثوري و الاوزاعي والشافعي قال الخطابي واحسنه قول اصحاب
الراي وقال مالك لا ميراث له وان تحرك او عطس ما لم يستهل وروي عن محمد بن سيرين
والشعبي والزهري وقتادة الثامنة قال مالك طرحة المراة من مضغة او علقة
او ما تعلم انه ولد اذا ضرب بطنها فنفيه الغرة وقال الشافعي لا شيء فيه حتى يتبين
من خلقه شيء قال مالك اذا اسقطت الجنين فلم يستهل صارخا فيه الغرة سواء تحرك
او عطس فيه الغرة انما الذي يستهل صارخا فيه الدية كاملة وقال الشافعي وسائر
فقهاء الامصار اذا علمت حياته بحركة او بعطاس او بغير ذلك مما تتبين به
حياته ففيه الدية التاسعة ذكر القاضي اسماعيل ان عدة المراة تنقضي بالسقط
الموصوف واحتج عليه بانه حمل وقال الله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن قال القاضي اسماعيل والدليل على ذلك انه يرث اباه قد ثبت حياته
وكونه ولدا وحملا قال ابو المعالي ولا يشترط به شيء من هذه الاحكام الا ان يكون مخلقا
قلت ما ذكرناه من الاشتقاق عليه السلام ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه يدل على صحة
ما قلناه وبان مسمى العلقة والمضغة تصدق على المراة اذا القته انها كانت
حاملا وضعت ما استقر في رحمها فشملها قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان
يضعن حملهن ولانها وصفت مدة المولود عن نطفة مستجمعا كالمحقط وهذا بين
العاشرة روى ابن ماجة حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا يزيد عن
عبد الملك القرشي عن يزيد بن رومان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لسقط احدكم بين يدي احب الي من فارس اخلفه واخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث
عن اسماعيل بن ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة فقال احب الي من الف فارس اخلفه
وراي الحادية عشرة لتبين لكم يريد كما قدرتنا سمر نقيا الطوار وتقر في الارحام ترى بنصب
تقر وتخرج رواه ابو حاتم عن ابي زيد عن المعقل عن عاصم قال ابو حاتم النصب على
العطف وقال الزجاج تقرا بالرفع لا غير لانه ليس المعنى فيقياذ لك لتقر في الارحام
ما نشاء انما خلقهم عز وجل ليدلهم على الرشد والصلاح وقيل المعنى لتبين امر البعث
فهو اعتراض بين الكلامين وقرات لهذه العرادة بالرفع والنصب المعنى ونحن نقر
وهذه قراءة الجمهور قرى ونقر ويخرجكم بالياء والرفع على هذا شايع وقرا ابن وثاب
ما يكتبنا بكسر الالف المعنى تختلف بكم جنين جنين ثم من نسقط ولم يكمل امره
ويخرجه حيا وقال ما نشاء ولم يقل من نشا لانه رجع الى الحمل ونقر في الارحام ما نشاء
من الحمل ومن المضغة وبني حماد تكفي عنها بلفظ ما الثانية عشرة قوله تعالى ثم يخرجكم
طفلا اي اطفالا لانه واسم جنس وايضا فان العرب قد تنفي الجمع باسم الواحد قال الشاعر

تلحينني في جهلها وبلى ان العواذل ليس لي بامير

ولم يقل امرا وقال المبرد هو اسم يستعمل مصدرا كالرضى والعدل فيقع على التبيين كقوله تعالى فان
طبن لكم عن شيء منه نفسا وقيل المعنى ثم يخرج كل واحد منكم طفلا والطفل يطلق من وقت
انفصاله من بطن امه الى البلوغ وولد كل وحشية ايضا طفل ويقال جارية طفلة وجاريتان طفلتان وجوار طفل
وغلام طفل وغلمان طفل ويقال ايضا طفل وطفلة وطفلتان واطفال ولا يقال طفلات واطفلت المراة
صارت ذات طفل والمطفلة الظبية معها طفلها وهي قريبة عهد بالنتاج وكذا الناقة مطفل ومطافيل
والطفل بالفتح في الطاء التاعم يقال جارية طفلة اي ناعمة وابنان طفل وقد طفل الليل اذا اقبل

لم تبلغوا اشدكم قبل ان لم زايده كانوا وفي قوله حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها لان ثم من
حروف السبق كانوا واشدكم كما عهدوكم وسماية قوائم وقد سقى في اسام بيانه ومنكم من
يرد الى ارذل العمر اي اخسه واردنه وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل ولهذا قال لكي
لا يعلم من بعد علم شيا كما قال في سورة ليس ومن نعمره ننكسه في الخلق وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك
من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب
القبر اخرجه البخاري عن سعد وقال كان يعلمهن بنيه كما يعلم المكتب الغلمان
وقد سقى في البخل هذا المعنى قوله تعالى ورب الارض هامدة ذكر دلالة اخرى
على البعث فقال في الاول خلقناكم من تراب فخاطب جميعا وقال في الثاني
وترى الارض فخاطب واحدا لتفصل الخطاب عن الخطاب ولكن المعنى مستفاد من غير
الاحتجاج عليه بذكر البعث هامدة يابسة لا نبت شيا قاله ابن جريج وقيل دارسة
والهمود الدروس قال الاعشى

* قالت قتيلة ما بجسمك شاحبا وارى ثيابك بالدماء هوامدا *

الهمود هامدة اذا جاد بالتراب وقال شمر يقال همد الرجل اذا بلى وذهب
وهمدت اصواتهم اذا سكتت وهمود الارض ان لا يكون فيها نبات ولا عود
ولم يجيء اسقط في الحديث حتى كاد يهمد من الجوع اذا يهلك يقال همد الثوب يهمد
اذا بلى وهمدت النار تهمد قوله تعالى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت اي
تحركت والاهتزاز شدة الحركة يقال هززت الشيء فاهتز اي حركته فتحرك
وهز الجاد الابل هزيزا فاهتزت هي اذا تحركت في سيرها بحدايه واهتز
الكوكب في انقضاضه وكوكب هار في الارض تمتلئ بالنبات لان النبات لا يخرج مما حتى
تربد بعضها من بعض اراه عليه شدة حركته قال الشاعر *

* تشتي اذا اقامت وتمتري اذا مشت كما اهتز عضو النبات في ندى حمر *

اي النبات الهمر سمي الارض ربت اي ارتفعت وازدادت وقيل اسمعت والمعنى
واحد واصله الزيادة اذا الشيء يربو ربوا اي زاد ومنه الربا والربوة وقيل يريد
ابن الفتاح وخالق الناس وربات اي انتفخت صارت بمنزلة الربوة وهو الذي
يحيط الغلو على شيء مسرف فهو ربي وربيه على المبالغة قال امرؤ القيس *

* تعشار ما قد ذلك منها اذا مشت العشى مشي الفرد شي *

واسب اذا خرجت من كل زوج اي لون بهيج اي يسر من نبصره
والبهجة الحسن يقال رجل وامرأة بهيج وقد بهج بالضم بهاجة وبهجه فهو بهيج وابهجني
اعجبني حسنه وما وصف الارض والنبات دل على ان قوله اهتزت وربت يرجع
الى الارض لا الى النبات والله اعلم قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق لما ذكر افتقار
الموجودات اليه وتسخيرها على وفق ارادته واختياره في قوله يا ايها الناس ان كنتم
في ريب البعث الى قوله بهيج قال بعد ذلك ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى
وانه على كل شيء قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور سبحانه
سبحانه يدل على ان كل ما سواه وان كان موجودا حقا فانه لا حقيقة له من نفسه لانه
سبحانه هو الحق المتحقق هو الموجود المطلق الذي وجوده واجب وجوده كذلك لا وجود
عن وجود وجوده وبهذا قال في اخر السورة وان ما يدعون من دونه الباطل
والحق الموجود الثابت الذي لم يزل ولا يزول وهو الله تعالى وقيل والحق على عباده
وقيل الحق بمعنى كذا في افعاله وقال الزجاج ذلك في موضع رفع اي الامر ما وصفت
لكم وبين ان الله هو الحق اي لان الله هو الحق قال ويجوز ان يكون ذلك بمعنى اي
فعل الله ذلك بانه هو الحق وانه يحيي الموتى اي بانه وانه على كل شيء قدير وبانه قادر
على ما اراد وان الساعة اتية عطف على قوله ذلك بان الله هو الحق من حيث المعنى
وليس عطفا في المعنى اذ لا يقال فعل الله كذا بان الساعة اتية بل لا بد من اضمار
فعل تقديره وليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها اي لا شك وان الله يبعث من في
القبور ليجزيه بالثواب والعقاب قوله تعالى ومن الناس من يجادل الله بغير
علم ولا هدى ولا كتاب منير اي بين بين الحجة نزلت في النضر بن الحارث وقيل في ابي
جهل بن هشام قاله ابن عباس والمعنى على انها نزلت في النضر بن الحارث كالاية الاولى

هما في طريق واحد والتكرير للمبالغة في الذم كما يقول للرجل سبه ولعنه انت فعلت
هذا انت فعلت هذا ويجوز ان يكون الثاني بدلا من الاول وصفة في كل آية بزيادة وكانه قال
ان الذين يجادلون في آيات الله وينكرون كل شيطان مريد ومن عاداهم وكتب عليه
ليضل عن سبيل الله وهو كقولك زيد يسيء ويظلم ويفجر بني وهو تكرار معنى
قاله الفشيري وقيل الثالث فيه يضع عشرة آية فالمراد بالآية الاولى انكاره البعث وبالثانية
انكاره النبوة او ان القرآن منزل من عند الله وقد قيل كان سبب نزول المقداد بن الحارث
ان الملائكة بنات الله وهذا عبدان في الله تعالى سبق ما في موضع رفع بالابتداء والخبر في قوله
ومن الناس ما في محله نصب على الحال ويتأول على معنيين احدهما روي عن ابن عباس انه
قال هو النضر بن الحارث توفي عشية من جاد نظيرها في العصر الآخر وهو قوله تعالى
الا الذين تابوا من الناس من يجادل في الله بغير علم ما في محله الا معطوفا على الذكر
ذكره النحاس وقال مجاهد وقتادة الآية عامة كعدد ابن عباس معطوفا ايضا على الذكر
والمعنى واحد وروى الاوزاعي عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن ابن عباس في قوله
عز وجل ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله قال هو صاحب البدعة المرد المعطف من الشيء
من العنق وقال المفضل والعطف الجانب وسمة قولهم ثلاثة ليطاق اعطافه اي في اخواته
وعطف الرجل من لدن رأسه الى وركيه وكذلك عطفا كل شيء جانباه ويقال ثنى فلان
عني عطفه اذا انصرف عنك فالعني اي هو معرض عن الحق في جداله وصدود عن النظر في كلامه
وهو كقوله تعالى ولي مستكبرا كان لم يسمعها وقوله تعالى لوى رؤوسهم وقوله اعرض
ونأى بجانبه وقوله ذهب الى اهله يتطى ليضل عن سبيل الله اي عن طاعة وقرئ ليضل
بفتح الياء واللام لام العاقبة اي يجادل ليضل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي فكان
لهم كذلك وتظليله اذا قرئ منهم بها يكون ليكفروا له في الدنيا خزي اي هوان
وكل ما تحرد له من الذل فتح على السنة الموسيلمة الى يوم القيامة كما قال تعالى ولا تطع
كل حلاف مهين الآية وقوله تعالى لبئس ما إلى لبئس وبئس وقيل الخزي هاهنا القتل
قاله النبي صلى الله عليه وسلم قتل النضر بن الحارث يوم بدر صبرا كما تقدم في آخر
الانفال وقد يكون يوم القيامة عذاب الحريق اي يقال لهم ذلك بما قدمت يداك
اي يقال لمن الآخرة اذا دخل النار ذلك العذاب بما قدمت يداك من المعاصي
والكفر وغير تأكيد عن الجملة لان اليد انما تفعل وتبطش للجملة او ذلك بمعنى هذا
كما تقدم في اول البقرة في قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف
ما في موضع رفع بالابتداء وتمام الكلام على وجهه في قراءة الجمهور حسن وهذه الآية
خبر عن المنافقين قال ابن عباس يريد سبيه بن ربيعة كان قد اسلم قبل ان يظهر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اوحي اليه اذر سبيه بن ربيعة فقال
ابو سعيد الخدري اسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وشام بالاسلام فاتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فقال اني
لما اصاب في ديني هذا فهل ترى ذهب بصري ومالي وولدي فقال يا يهودي ان الاسلام
يسبك الرجال كما يسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب فانزل الله تعالى
ومن الناس من يعبد الله على حرف وروى اسرائيل عن ابي حصين عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال ومن الناس من يعبد الله على حرف قال كان الرجل يقدم المدينة
فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح فان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله
قال هذا دين سوء وقال المسيب فانزلت في اعراب كانوا يفدون على النبي صلى الله عليه
وسلم فيسلمون فان كان صائفا وافاهم مدة الله والا ارتدوا وقيل نزلت في المغيرة بن الحارث
وقال ابن زيد وغيره نزلت في المنافقين ومعنى على حرف على شك قاله مجاهد وغيره
وحقيقته على منعف في عبادته لضعف القائم على حرف مضطرب فيه وحرف كل شيء طرفه
وسفيره وحده ومنه حرف الجبل وهو اعلاه المحدد فقيل على حرف اي على وجه واحد وهو
ان يعبد على السراء دون الضراء ولو عبدوا الله على السكون في السراء والصبر على الضراء
لما عبدوا الله على حرف وقيل على حرف على شرط ودلك ان شيبة بن ربيعة قال
للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يظهر امرك ادع الي ربك ان يكثر تمرنا والبلاد خيلا
ودلنا حتى ادخل بك واعود اليه فيك وقد اله عز وجل ما تمنى ثم اراد الله
جل وعز فتنته واختباره وهو اعلم به فلما منعه ما كان له قبل ان اسلم فارتد عن

الاسلام فانزل الله تبارك وتعالى فيه وما الناس من يعبد الله على حرف يريد شرط وقال
الحسن هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه وبالجملة فهذا الذي يعبد الله على حرف ليس
داخلا بكليته وبين هذا يجزم اذا اصابه خير مما جسم وصحة جسيمة رضي واقام على
دينه وان اصابته فتنة خلاف ذلك بما يجزم انقلب على وجهه اي ارتد ورجع الى وجهه
الذي كان عليه من الكفر خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين فراجاهد وهبيد
ابن انيس والاصبغ والزهري وابن ابي اسحاق وروي عن يعقوب خاسر الدنيا بالف
نفسها على المال وعليه فلا يوقف على وجهه وخسارته الدنيا بان لا يحظله فيها ولا ثنا
والاخرة بان لا ثواب له فيها قوله تعالى يدعو من دون الله ايها هذا الذي يرجع
الى الكفر يعبد الصنم الذي لا ينفع ولا يضر ذلك هو الضلال البعيد قال الفراء
التطويل هو تم تعالى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه ايها هذا الذي انقلب
على وجهه يعبد من ضره ادنى من نفعه اي في الاخرة لانه يعبده فيدخله النار ولم يعبد
نفعا اصلا ولكنه قال ضره اقرب من نفعه اي في الاخرة لانه يعبده فيدخله النار
ولم يعبد نفعا اصلا ولكنه قال ضره اقرب من نفعه لتسمعا الكلام لعوله تعالى وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين وقيل يعبد وهم يوهم انهم يسمعون لهم كما قال تعالى
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هاؤلاء شفعاؤنا عند الله وقال
تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال الفراء والكسائي والزجاج معنى الكلام
التقديم والتاخير الذي يدعو الله لمن ضره اقرب من نفعه فاللام متقدمة في غير موضعها
وهي في موضع نصب يدعو واللام جواب القسم وضره مبتدا واقرب خبره وضمير
العائد محذوف تاخيرا للام وقال وليس للام من الكفر ما يوجب ان يكون فيها تقديم ولا تاخير
قلت حق اللام التقديم وقد يورد قال الشاعر

* حلفت لاثنا ومن ثم حالة سل الهلا ويلزم الاحوالا *

اي يحالفا ثنا وقد تقدم وقد تقدم الجواب وهكذا قال علي بن سليمان عن محمد بن يزيد
قال في الكلام حذف والمعنى يدعو لمن ضره اقرب من نفعه الاهة قال النحاس واحسب
هذا القول غلطا على محمد بن يزيد لانه لا معنى له لان ما بعد اللام سد فلا يجوز نصب
الاه وما احسن ما ذهب محمد بن يزيد الا ان القول الاخفش وهو احسن ما قيل في الاية عندي
والله اعلم قال يدعو بمعنى يقول وان مبتدا وخبره محذوف والمعنى يقول لمن ضره
اقرب من نفعه الاهه قلت وذكر هذا القول المنذري عن الزجاج والهمداني
عن الاخفش وكذا اعرابه فقال يدعو بمعنى يقول ومن مبتدا وضره مبتدا ثان واقرب
خبره والجملة صلة من وخبر من محذوف والتقدير يقول يدعو لمن ضره اقرب من نفعه
الاهه وبنحله قول عنترة

* يدعون عنتر والرماح كانها اشطان بئر في لبان الادهم *

قال المنذري وذكر الكافر الذي يقول الصنم معبودي لا يقول ضره اقرب من نفعه ولكن المعنى
يقول الكافر لمن ضره اقرب من نفعه في قول المسلمين معبودي والهي وهو كقوله تعالى يا ايها
الساحر ادع لنا ربك يا ايها الساحر عبدك ولبيك الذين يدعونك ساحرا وقال
الزجاج يجوز ان يكون يدعو لمن ضره اقرب بمعنى يقول ويتم الكلام ثم تبتدئ فتقول
لبئس المولى اي لبئس المعبود هذا يدعو الذي هو الضلال البعيد يدعو
لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى وهذا الذي قاله الزجاج هو اختيار ابي اسحاق
ابن السري واستحسنه ابو علي قال الزجاج
اذا المحوجين اعتللوا هذا القول والله اعلم ما العباد عليك اماده يجوز
وهذا على طريق الجدال وقال الزجاج ايضا ويجوز ان يكون
يدعو لمن ضره على ما تقدم على وجه التكثير هذا الفعل الذي هو الدعاء لا يدعو
الا من يرجو منه ان ينفعه ثم قال على وجه التكثير يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره يدعو لمثل من ثبت
له ضر ثم حذف يدعو الاخرة اكتفاء بالاولى قال الفراء ويجوز لمن ضره

اللام اي يدعوا الذين ضره اقرب من نفعه قال اسئل رجل يا رسول الله اذهي لها اي
اليها وقال الفرا ايضا والتقدير اللام صلة اي يدعوا من ضره اقرب من نفعه
اي يعبده وذلك هي في قراءة عبد الله بن مسعود لبئس المولى في التناصر
ولبئس العشير اي الصاحب والخليل مجاهد يعني الوثن قوله
تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار لما ذكر حال المشركين وحال المنافقين والشياطين ذكر
حال المؤمنين في الآخرة ايضا ان الله يفعل ما يريد اي يثيب من يشاء ويعذب
من يشاء للمؤمنين الجنة بحكم وعده الصدق وليفعلن ذلك الكافرين النار
بما سبق من وعده لان ذلك الرب حسن يفعل السيد قوله تعالى
من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء قال
ابو جعفر النحاس من احسن ما قيل فيها ان المعنى من كان يظن ان لن ينصره الله محمدا
صلى الله عليه وسلم وانه يتمالة ان يقطع النصر الذي اتاه فليمدد بسبب الى السما
اي ليطلب حيلة يصل بها الى السماء ثم ليقطع اي ثم ليقطع النصر ان تمالة
فلينظر هل يذهبن كيده وحيلته ما يغيظه من نصر النبي صلى الله عليه وسلم
والفائدة في الكلام انه اذا لم يتمالة الكيد والحيلة بان يفعل مثل هذا بعيد
الى قطع النصر وكذا قال ابن عباس ان الكناية في ينصره الله ترجع الى
محمد صلى الله عليه وسلم وهو اذا لم يجر ذكره فجميع الكلام دال عليه لان الايمان
هو الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم والانقلاب عن الدين انقلاب
عن الرسل الى نبي محمد صلى الله عليه وسلم اي من كان يظن ممن يعادي محمدا
ومن يحسده على عرف انا لا ننصر محمدا فليفعل كذا وكذا وعن ابن عباس ايضا
انه انما يقود على من والمعنى من كان يظن ان الله لا يرزقه فليختنق فليشد
نفسه الى الجذع في جباه تخلوا عن عون الله والنص على هذا القول
الرزق لقوله العرب من ينصر في نصره اي من اعطاه اعطاه الله ومن
ذلك قول العرب ارض منصورة اي مسطورة قال الهيثمي

• وذلك لا يغلط امرا فوق حظه ولا يملك الغيث الذي نامره •

وكذا روي عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال من كان يظن ان لن ينصره
الله قال اي لن يرزقه الله وهو قول ابي عبيدة وقيل اذا انها
تعود على الدين والمعنى من كان يظن ان الله ينصر الله دينه فليمدد بسبب
اي بحبل والسبب ما يتوصل به الى الشيء الى السما الى سقف البيت ابن
زيد هي السما المعروفة ذكر الكوفيون ثم ليقطع باسكان اللام قال
النحاس وهذا بعيد في العربية لان ثم لسبعث سكن للواو والفا لا يوقف عليهما
والمطرد في قراءة عبد الله فليقطعه ثم لينظر هل يذهبن
كيده ما يغيظ بتاء لمعنى الذي اي يذهبن كيده الذي يغيظه فذكر
انها لم تكن اهلكت قيل بمعنى المصدر اي هل يذهبن كيده غيظه
قوله تعالى وكذلك انزلناه اياتا بينات يعني القرآن
وان الله اي وكذلك ان الله يهدي من يريد بمشيئته وجود الهداية
باراداته فهو الهادي لا هادي سواه قوله تعالى ان الذين
امنوا اي بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم والذين هادوا اليهود
وهم المنسوبون الى ملة موسى والصابئين هم قوم بين المجوس
النصارى وهم المنسوبون الى ملة عيسى والمجوس هم عبدة
البيران القائلين بالعالم اصلين نور وظلمة قال قتادة الاديان
خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن وقيل المجوس في الاصل اسم
لمدبريهم باستعمال الخاسات والنون والميم بناء تبان كالقيم
والقين والابن والايم وهذا مضى في البقرة هذا كله مستوفى والذين
اشركوا هم العرب عبدة الاوثان ان الله يفصل بينهم يوم القيامة
اي بالحق ويحكم لفلكافرين النار وللمؤمنين الجنة وقيل هذا الفصل
بان يعرفهم الحق من المبطل بمعرفة ضرورية والبوم يتميز المحق عن المبطل

بالنقل

بالنظر والاستدلال ان الله على كل شئ شهيد اي من اقال خلقه وحركاتهم واحوالهم فلا يزول
عنه شئ منها سبحانه وقوله ان الله يفصل بينهم خبر ان في قوله ان الذين امنوا كما تقول
ان زيدا ان لخبر عمده وقال الفراء ولا يجوز في الكلام ان زيدا ان اباه منطلق
وزعم انه اجاز في الاية لان في الكلام معنى المجازاة ايا من امن وعمل صالحا
يفصل بينهم وحسابهم على الله عز وجل ورد ابو اسحاق على الفراء هذا القول
واستقبح قوله لا يجوز ان زيدا ان اباه منطلق قال لانه لا فرق بين زيد وبين
الذين وان تدخل في كل منهما تقول ان زيدا هو منطلق ثم تاتي بان
فتقول ان زيدا انه منطلق وقال الشاعر

• ان الخليفة ان الله سربله سربال عز به تزجى الخوافيم •

قوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض هذه
رؤية القلب اي الم تتبصر وتعتقد وتتعلم معنى السجود في البقرة وسجود الجماد
في النحل والشمس مبسوطة على من وكثير من الدواب والشجر والدواب
وكثير من الناس ثم قال وكثير حق عليه العذاب وهذا مستثنى من الاعراب
كيف لم يقع للمبتدا ما بعده الفعل على ما تعمل فيه الفعل مثل والظالمين
اعد لهم عذابا اليما فرفعهم بالابتداء لو نصب لكان اضمر الرفع لان
المعنى وكثيرا ابى السجود فيكون ابتداء وخبرا ثم الكلام عند قوله وكثير من الناس
ويجوز ان يكون معطوفا على ان يكون السجود الخضوع والانقياد لتدبيره اياه عن كل
مخلوق طوعا وكرها وظلهم وحسنا وقبيحا وهذا يدخل فيه كل شئ ويجوز ان
ينتصب على تقدير وافعال كثير حق عليه العذاب ونحوه وفضل ثم الكلام عند
قوله والدواب ثم ابتدا فقال وكثير من الناس في الجنة وكثير حق عليه العذاب
ذكر ابن الانباري وقال ابو العالية فالذي في السموات هم ملائكة والشمس لا يقع
ساجدا لله حتى يغيب ثم لا يطلع حتى يؤذن له فيرجع من مطلعه قال الشنقيطي
ورد هذا في حديث مسند في حق الشمس وهذا سجود حقيقي ومن مراده تركيب
الحياة والعقل في حق الساجد ثالث الحديث المسند الذي اشار اليه اخرجه
مسلم وسيأتي في سورة يس عند قوله والشمس تجري لمستقر لها وقد تقدم في
البقرة معنى السجود لغة قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم
اي من اهانه بالشقاء والكفر لا يقدر احد على رفع الهوان عنه وقال ابن عباس
من يعاند بعبادة الاصنام اي الشيطان الله يفعل ما يشاء يريد ان يصيرهم
الى النار فلا اعتراض لاحد عليه وحكى الاخفش والكسائي والفراء من يهن الله فما له
من مكرم اي اكرام قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم
اخرج مسلم عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الاية هذان خصمان
اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث
وهم الذين عنتهم وعتبة وشيبة ابناء ربيعة والوليد بن عتبة وبقية الحديث خرجه
مسلم رحمه الله تعالى في كتابه وقال ابن عباس نزلت هذه الاية الثلاثة
على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة في ثلاث نفر من المؤمنين وثلاث
نفر كافرين وساقهم كما ذكرنا بدر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
اني لاول من يجثو للخصومة بين يدي الله يوم القيمة بريد حقه في مبارزته
هو وما صباه ذكره البخاري وفي هذا القول ذهب هلال بن يساف
وعطا ابن يسار وغيرهما وقال عكرمة المراد بالخصمين الجنة والنار اختصمتا
فقالت النار خلقتني لعقوبتك وقالت الجنة خلقتني لرحمتك فلست وقد روى
تخاصم الجنة والنار حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت
هذه يدخلني الضعفاء والمساكين فقال الله للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملؤها اخرجه
البخاري ومسلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال
ابن عباس ايضا هم اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن اولى بالله منكم
وافقم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقالوا المؤمنين نحن اولى بالله امنا بمحمد وامنا

بينهما وبما انزل اليهم من كتاب وانتم تقرؤنه بينما لم تركتموه وكذبتموه فمن اين كانت
هذه خصومتهم وانزلت فيهم هذه الاية هذا قول قتادة والقول الاول
اصح رواه ابن ابي حاتم عن عجاج ابن محمد عن هشيم ورواه سليمان التيمي عن ابي مجلز
عن قيس بن عباد عن علي قال فينا نزلت هذه الاية وفي سبارزة يوم بدر هذان
خصمان اختصموا في ربهم الى قوله عذاب الحريق وقرا ابن كثير هذان خصمان بتشديد
النون من هذان وتاول القراء المخففين على انما بمعنى فان اهل قيس قالوا هم اثنان الخصم
الواحد المسلمون والاحزاب اليهود والنصارى اختصموا في ربهم قال فقال اختصموا
لانهم قالوا اختصمنا فجار قال النحاس وهذا قول حسن ويدل على ذلك بالحديث
ولا يكتب اهل التفسير الا الحديث في هذه الاية ستهود رواه سفيان الثوري
وغيره عن ابي هاشم عن ابي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت
ابا ذر يقسم قسما ان هذه الاية نزلت في حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث
ابن عبد المطلب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة وهكذا روى
ابو عمرو بن العلا عن مجاهد عن ابن عباس وفيه تقول
رابع اربعة المؤمنين كلهم والكافرون كلهم من اهل مكة كما قاله مجاهد
والحسن وعطا ابن ابي رباح وعاصم بن ابي النجود والكلبي وهذا القول
بالعموم يجمع المشار اليهم وغيرهم وقيل نزلت في الخصومة في البعث والجزاء
اذ قال بعضهم وانكره قوم فالذين كفروا يعني من المشركين الذين تقدم
ذكرهم قطعت لهم ثياب من نار اي خيطت وسويت وسميت النار بالثياب
لانها تحيط بهم كالثياب وقوله قطعت اي لتقطع لهم في الاخرة ثياب من نار
وذكر بلفظ الماضي لان ما كان من اخبار الاخرة والموعود به كالواقع
المحقق قال الله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين وقال اعدت للذين كفروا بربهم عذاب جهنم
ثم لبسوها اذا ماروا الى النار وقال سعيد بن جبير من نار يحس
فتلك الثياب من نحاس قد اذيب وهي السرابيل المذكورة في
قطران وليس في الاية شيء اذا هي يكون الله حراسه وقيل المعنى ان النار
قد احاطت بهم كاحاطة الثياب المقطوعة اذا لبسوها عليهم فصارت
من هذا الوجه ثيابا لانها لاحاطة كالثياب وجعلنا الفيلمانا يصب
من فوق رؤسهم الحميم ابو الماء الحار المغلي بنار جهنم ورويي الترمذي عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب
على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخرج الى جوفه فيسلب ما في جوفه حتى يمرق
من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان قال حديث حسن صحيح غريب
يهشر بثياب بما في بطونهم والجلود اذابة الشحم والصهارة ما اذيب منه يقال
صهرت الشيء فانصهر اي اذبته فذاب فهو صهير قال ابن حميد يصب
فيرح فتطاه

• تزل التي تتقي صفاصف •
• تضمر الشمس فانضمد •

اي اذابه الشمس فصهير على ذلك والجلود اي وتحرق الجلود او تسقط
الجلود فالجلود للثياب ولكن يضمر فاكتفى بما يفهم كما تقول اتيته فاطعمني لحم ابل او الله ولبانا فرمنا اي وسقاني
لبنا وقال الشاعر

• فاعلفها تبنا وماء باردا •

ولهم مقامع من حديد اي ليضربوا بها فتكون الواحدة مقمعة
وسميت ايضا كالمحجن يضرب به على راس الفيل وقد قمعته اذا ضربته
بها وقمعته والمقمعة بمعنى اي ضربة واذللته فانقمع قال
ابن السكيت اقمعت الرجل عني اذا عاد اذا طلع عليك فرددته
عنك وقيل القامع المطارق وهي المراتب ايضا بيد لكلما
ساخت منه صهرته بها سبعتان فيضرب بها المرة بعد المرة يضرب بها سبعين

القادم قبل المتامع سباط من نار يسمين بن ذلك لانها تلفح المعذبين
وذلك لقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها بالمقارع والمتامع قال ابو طليبان ذكرنا انهم يعادون الخارج من النار
حين تخيشي بهم وتقود فتلقى من فيها الى اعلاها فيريدون الخارج فتعيدهم
الحزنة فيها بالمتامع وقيل اذا استغاثوا فيها ذروا فان خلفهم سلم الى شفيرها
العادم الملائكة فيها بالمتامع ويقولون ذوقوا عذاب الحريق انها المحرق
مثل الاليم والوجيع وقيل الحريق الاسم من الاحتراق يحرق الشيء بالنار واحترق
والاسم المحرقة والحريق والحرق مناسبة يحصل معها ادراك وهو هنا توسع
والمراد به ادراكهم الالم قوله تعالى ان الله يدخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ذكر حكم احد الفريقين
وهو الكافر ذكر حال الفريق الاخر وهو المؤمن يحلون فيها من اساور من
ذهب يسور جمع سوار واسورة واحدها سوار وفيه ثلاث
لغات ضم السين وكسرها واساور قال المفسرون لما كانت الملوك
تلبس في الدنيا الاساور والتيجان جعل الله ذلك لاهل الجنة
وليس احد فيها من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار
من ذهب وسوار من فضة وسوار من لولو قال هناد بن السري
اساور من ذهب ولولو وقال في سورة الانسان وحلوا اساور
من فضة وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة سمعت خليلي صلى الله عليه
وسلم يقول تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء وتحلى
تحلى النساء بالذهب والرجال بالفضة وفيه نظر والقرآن
يرده ولولوا لغتان ابن الانباري وشبهه وعامتهم همادي سورة الملائكة
لولوا بالنصب على معنى ويحلون لولوا لما سئلوا بما مكتوب
في جميع المصاحف هنا بالالف وكذلك قرأ يعقوب والجحدري وعيسى
ابن عمر بالخفض هنا والخفض في فاطر اتباعا للمصحف ولانها كتبت
هنا بالالف وهناك بغير الف الباقون بالخفض في الموضعين
وقال ابو بكر لا يجوز للولو في كل القرآن وهو ما يستخرج من البحر
في جوف الصدف قال المنذري والمراد ترصيع السوار باللولو ولا يبعد
ان يكون في الجنة سوار من لولو يضمن ثلاثة وهو ظاهر القرآن
لا يضمنه وقال ابن الانباري من قرأ ولولوا بالخفض وقف عليه ولم يقف على
الذهب وقال السجستاني من نصب لولوا فالوقف الكافي من ذهب لان المعنى
ويحلون لولوا قال ابن الانباري وبسبب ما قال لان اذا خفضنا اللولوة سقناه
على لفظ الاساور واذا نصبنا وسقناه على لفظ الاساور كانا قلنا يحلون فيها
اساور ولولوا وهو في المصحف بغير الف في الخفض فلا معنى لحظه من الاولى
قوله تعالى ولباسهم فيها حرير اي جميعهم يلبسونه من فرشهم ولباسهم
وستورهم حرير وهو اعلاها في الدنيا بكثير روى النسائي عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة
ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الاخرة ومن شرب في اناء الذهب والفضة لم يشربه
في الاخرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما هذا لهم في الجنة وانتما
وانتم لهما في الاخرة فمن يجرهما اذا دخل الجنة قلنا الله اذا لم يثبت فيهما حرمهما في الاخرة وان
دخل الجنة لاستحاله ما حرم الله عليه في الدنيا لانه انما حرم ذلك في الوقت الذي يعذب في
النار او يطول مقامه في الموقف واما اذا دخل الجنة فلا يذوق شيئا من ذلك الجنة لا تكلف
في الجنة ولا عقوبة ولا مؤاخذة فيها بوجه فانا نقول ما ذكرتموه محتمل لولا ما جاء ما يدفع
هذا الاحتمال ويرده من ظاهر الحديث الذي ذكرناه وما رواه الامام احمد حديث ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الاخرة فالاصل التمسك
بالظاهر حتى يرد دفعه بل قد ورد دفعه على صحة ما ذكرناه وهو ما رواه ابو داود الطيالسي
في مسنده ثنا هشام عن قتادة عن داود الصراج عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وان دخل الجنة لبسه اهل
الجنة ولم يلبسه هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم فهي الغاية في البيان وان كانا من كلام الراوي
فهما ما ذكرهما اعلم بالمقال واعرف بالحال ومثله لا يقال بالرأي والله اعلم وكذلك من شرب الخمر ولم يتب
ومن استعمل آنية الذهب والفضة وكالا يستهي ملؤله من هو ارفع منه لبس ذلك يعفو الله كذلك
لا يشتهي هنا الجنة ولا هي بها ولا يكون ذلك عقوبة وقد ذكرنا هذا كله في كتاب التذكرة
مستوفى والحمد لله وذكرنا هنا الا شيء الجنة وثمارها لتعلقه في باب الجنة وقد ذكرناه في سورة
الكهف قوله تعالى وهدوا الى الطيب من القول اي ارشدوا اليه ذلك قال ابن عباس
يريد لا اله الا الله والحمد لله وقيل القرآن ثم قيل هذا في الدنيا هدوا الى الشهادة وقراءة
القرآن وهدوا الى صراط الحميد الى صراط الله وصراط الله دينه وهو الاسلام وقيل هدوا
في الآخرة الى الطيب من القول وهو الحمد لله لانهم يقولون عند الحمد لله الذي هدانا لهذا
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن فليس في الجنة لغو ولا كذب فيما يقولونه فهو طيب القول
وقد هدوا الى الجنة الى صراط الله الذي ليس في الجنة شيء من مخالفة امر الله وقيل الطيب من
القول وقد هدوا الى الجنة الى صراط الله ما يلهمهم من الله من البشارات الحسنة وهدوا الى صراط
الحميد اي الى طريق الجنة قوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله
الى قوله اليم ثم سبع مسائل الاولى قوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون اعاد الكلام الى مشركي
العرب حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام عام الحديبية وذلك انه لما علم
لهم صد قبل ذلك الحج الا ان يريد صدهم لانه قد ساء الناس فقد وقع ذلك في صده المشركين والصد
المنع اي وهم يصدون ويمنعون عطف المستقبل على الماضي وقيل الواو زائدة ويصدون
خبر ان وهذا مشكل لان الذي المقصود انما الخبر محذوف ومقدر عند قوله والبادي تقديره
اذا هلكوا وجاز ويصدون مستقبلا اذ هو فعل يديمونه كما جاء قوله الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر
فكانه قال ان الذين كفروا من شانهم الصد ولو قال ان الذين كفروا وصدوا جاز قال النحاس وفي
كتابي عن ابي اسحاق قال وجائز ان يكون وهو لوجه الذي الخبر فرقه من عذاب اليم قال ابو جعفر وهذا
غلط ولست اعرف هذا الوجه فيه لانه جائز ان يجزم ويثبتا فانه جواب الشرط ولو كان خبر ان لبقي
الشرط بلا جواب ولا سيما والفعل الذي في الشرط مستقبل فلا بد له من جواب الثانية قوله تعالى
والمسجد الحرام قيل انه المسجد نفسه وهو ظاهر القرآن لانه لم يذكر غيره وقيل الحرم كله لان المشركين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عنه عام الحديبية فنزل غار جا عنه قال الله تعالى وصدوكم
عن المسجد الحرام وقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وهذا يجمع بكله فقد ذهبا بالذكر
المبهم المقصود من ذلك الثالثة قوله تعالى الذي جعلناه للناس اي للصلاة والطواف والعبادة وهو كقوله
ان اول بيت وضع للناس سواء العاكف فيه والبادي العاكف المقيم والملازم والبادي اهل البادية ومن يقدم
عليهم بقول سواء في تعظيم حرمته وقضاء المناسك فيه الحاضر والذي يأتيه من البلاد فليس اهل
مكة احق من الطارئ اليه وقيل ان المساواة انما هي في دوره ومنازله ليس المقيم فيها اولى من الطارئ
عليها وهذا على ان المسجد الحرام الحرم كله وهذا قول مجاهد ومالك رواه عنه ابن القاسم وروي
عن عمر بن عباس رفاعة الى ان الخادم له النزول حيث وجد وهو قول ابي حنيفة واصحابه وقال
ذلك سفيان الثوري وغيره وكذلك قال الاسواني الحرس الاول كانت دورهم بغير ابواب حتى
كسرت السرقة فاتخذ رجل بابا فانكر عليه عمر وقال ابيتون بابا في وسط حاج بيت الله فقال الطارد
حفظنا متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ الناس الابواب وروي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
ايضا انه كان يأمر في الموسم بقلع ابواب دور مكة حتى يدخلها الذي يقدم فينزل حيث شاء وكانت
الفساطيط تضرب في الدور وروي عن مالك ان الدور كالمسجد ولاهلها
الاستناع منها ولا يستبدادها هذا هو الحق اليوم وقال بعضهم سورة الا هذا الخلاف
ينبني عليها اصلبيا احدهما ان دور مكة هي ملك لاربابها ام للناس والخلاف سبعان
فعلى انها ملك كان عمر رضي الله عنه بارا من السواد وعفى لهم عن الخراج
كما عفى عن سبيهم واسترقاقهم احسانا اليهم دون سائر الكفار فتبقى على ذلك لانتباع
ولانكير ومن سبق الى موضع كان اولى به وبهذا قال مالك وابو حنيفة والاوزاعي واحمد
فتحها صلحا وايضا ذهب الشافعي فتبقى دياريهم بايديهم في املاكهم يتصرفون كيف
شاؤا وروي عن عمر انه اشترى دار صفوان بن امية باربعة الاف وجعلها سجنا وهو اول
من حبس في السجن في الاسلام على ما تقدم بيانه في اية المحاربين في سورة المائدة وتردد

صلي الله عليه وسلم جلس في تهمة وكان طاوس يكره السجن بمكه
ويقول لا ينبغي لبيت عذاب ان يكون في بيت رحمة قلت الصحيح ما قاله
مالك وعليه تدل ظواهر الاخبار الثانية بانها فتحت عنوة قال
ابو عبيد ولا يعلم مكة تشبهها شئ من البلاد وروي الدارقطني
عن علقمة بن نضله قال توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر رضي الله عنهما وما يدعي رباع مكة الا السوائب من
احتاج سكن ومن استغني اسكن وزاد في رواية وعثمان وروي
ايضا عن علقمة بن نضله الكناني قال كانت تدعي بيوت مكة
على عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو بكر وعمر السوا
لا تباع من احتاج سكن ومن استغني اسكن وروي ايضا
عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان
الله تعالي حرم مكة فحرام بيع رباعها واكل ثمنها وقاله من اكل من
اجر بيوت مكة شيا قايما ياكل نارا قال الدارقطني كذا رواه ابو
حنيفة مرفوعا ووهم فيه ووهم ايضا في قوله عبيد الله
ابن ابي يزيد وانما هو ابن ابي زياد القداح والصحيح انه موقوف
واسند الدارقطني ايضا عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم مكة مباح لا تباع ولا يواجر بيوتها
وروي ابو داود عن عايشة قالت قلت يا رسول الله الا ننبي لك منا
بنينا وبنا يظلك من الشمس فقال لا انما هو مباح بمن سبق اليه
وتمسك الشافعي رضي الله عنه بقوله تعالي الذين اخرجوا من
ديارهم فاضافها اليهم وقاله عليه السلام يوم الفتح من اغلق
بابه فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن الرابعة قرا
جمهور الناس سواء بالرفع وهو علي الابتدا والعاكف خبره وقيل
الخبر سواء وهو مقدم اي العاكف فيه والبادي سواء وهو قول ابي
علي والمعني الذي جعلناه للناس قبلة ومتعبدا العاكف فيه والبادي
سواء وقرا حفص عن عاصم سواء بالنصب وهي قراة الاعمش وذلك يحتمل
ايضا وجهين احدهما ان يكون مفعولا ثانيا لجعل ويرتفع العاكف
فيه لانه مصدر فاعمل عمل اسم الفاعل لانه في معني مستو والوجه
الثاني ان يكون حالا من الضمير في جعلناه وقرات فرقة بالنصب العا
كف بالخفض والبادي قراة ابن كثير في الوقف والوصل بالياء
ووقف ابو عمرو بغير ياء ووصل بالياء وقرا نافع بغير ياء في الوصل
والوقف واجمع الناس علي الاستواء في نفس المسجد الحرام واختلفوا في
مكة وقد ذكرناه الخامسة ومن يرد فيه بالحاد بظلم شرط وجوابه
نذقه من عذاب اليم والالحاد في اللغة الميل الا ان الله تعالي بين ان
الميل هو المراد واختلف في الظلم فروي علي بن ابي طلحة عن ابن
عباس ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال الشرك وقال عطا الشرك
والقتل وقيل معناه صد جماعة وقطع سبيله ودخوله غير محرم
وقال ابن عمر كنا نحدث ان الالحاد فيه ان يقول الانسان لا والله وبلي
والله وكلا والله ولذلك كان له قسطان احدهما في الحل والاخر في
الحرم فكان اذا اراد الصلاة دخل قسطاط الحرم واذا اراد بغضه سانه
دخل قسطاط الحرم صيانة للحرم عن قولهم كلا والله وبلي والله
وحين عظم الله الذنب فيه ولذلك كان لعبد الله بن عمرو بن العاص
قسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله
عاتبهم في الحل واراد ان يصلي صلي في الحرم فقيل له في ذلك فقال ان
كنا لنحدث ان من الالحاد في الحرم ان يقول كلا والله وبلي والله والما
تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات فتكون المعصية معصيتين احداهما
بنفس المخالفة والثانية باستقاط البلد الحرام وهكذا الاشهر الحرم سوا

عطفا على الناس التقدير الذي جعلناه للناس العاكف والبادي عمر

ي

اداء

وقد تقدم وروى ابو داود عن يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه وهو قول عمر بن الخطاب والعوفي
يأتي على هذا كلام السادسة ذهب قوم من اهل التاويل منهم الضحاك
وابن زيد الى ان هذه الاية تدل على ان الانسان يعاقب على ما نوى من
المعاصي بمكة وان لم يعمله وقد روي نحو ذلك عن ابن مسعود بن عمر خلوا
لو هم رجل يقتل رجل بهذا البيت وهو بعدن لعذبه الله قلت هذا المعنى
وقد جاء هذا المعنى في سورة ن والقلم مبينا على ما ياتي بيانها هناك
ان شاء الله تعالى الساجعة الباء في بالحاد زائدة لزيادتها في قوله تنبت
وعليه حملوا قول الشاعر ونحن بنو احيدة اصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج والاد نرجوا الفرج وقال الاعشى ضمنت مرزق عيالنا ارماحنا
اي رزق وقال احزلم يأتيك والانباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد اي مالا
قت والباز البدة وهو كثير وقال الفراء سمعت اعرابيا وسالته عن شيء
فقال ارجو بذاك اي ارجو اذاك وقال الشاعر نراد بما بيننا السمك صدره
واسفله بالموج والشيهانة اي الموج وهو قول الاخفش والمعنى عندي ومن
يرد فيه الحاد بظلم وقال الكوفيون دخلت الباء لان المعنى ان يلحد والجامع ان
يدخل ويخذف ويجوز ان يكون التقدير ومن يرد الناس فيه بالحاد
وهذا الالحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر الى الصغائر فلعظم حرمة
المكان يوعد الله على نية السيئة فيه ومن نوع سيئة ولم يعملها لم يحاسب
عليها الا في مكة هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم
وقد ذكرناه انفا قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت الى قوله والسجود
فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكانه البيت اي واذكر
اذ بوانا يقال بوات منزلا وبوات له كما يقال مكنتك ومكنت لك فاللام في قوله
لابراهيم صلة للتاكيد لقوله ردف لكم وهذا قول الفراء وقيل بوانا لا
براهيم مكان البيت اي ارياه اصله ليبنيه وكان قد درس بالطوفان وغيره
فلما جاءت مدة ابراهيم عليه السلام امره الله ببنائه فجاء الى موضعه
وجعل يطلب ابرا فبعث الله ريحا فكشفت عنه اساس ادم فرتب قوا
عده عليه حسب ما تقدم بيانه في البقرة وقيل بوانا نازله منزلة
فعل يتعدى باللام نحو جعلنا اي جعلنا لابراهيم مكان البيت مثوا وقال
الشاعر لم ميناح الى ما حد بوانه سدى لحد الثانية ان لا تشرك مخاطبة
لابراهيم عليه السلام في قول الجمهور وقرا عكرمة ان لا تشرك بالتا
على تعل معنى القول الذي قيل له قاله ابو حاتم ولا يرمن نصب الكاف
على هذه القراءة بمعنى لان لا تشرك وقيل ان ان مخففة من الثقيلة
وقيل مفسرة وقيل زايدة مثل فلما ان جا البشير وفي الاية طعن على
من اشرك من وطان البيت اي هذا كان الشرط عليكم يا بكم ممن بعده
وانتم فلم تعوا ما اشركتم وقالت فرقة الخطاب من قوله ان الله لا يشرك
لمحمد صلى الله عليه وسلم وامر بتطهير البيت والاذان بالحج والجمهور على
ان ذلك لابراهيم وهو الاصح وتطهير البيت عام في الكفر والبدع وجميع الا
حاس والدما وقيل عني به التطهير عن الاوثان كما قاله تعالى فاجتنبوا
الرجس من الاوثان وذلك ان حواليها والها لقم كانت لهم اصنام في محل
البيت وحوله فقيل ان يبنيه ابراهيم وقيل المعنى نزه عن ان يعبد فيه صنم
وهذا امر باظهار التوحيد فيه وقد مضى ما للعلما في تنزيه المسجد الحرام
وغيره وهذا امر باظهار التوحيد فيه كفاية في براه والقائمون هم المصلو
وذكر تعالى من اركان الصلاة اعظمها وهو القيام والركوع والسجود قوله
تعالى واذن في الناس بالحج الى قوله عميق فيه سبع مسايل الاولى قوله
تعالى واذن في الناس بالحج قرا جمهور الناس واذن بشد الذال وقرا الحسن
ابن ابي الحسن وابن محيصن واذن بتخفيف الذال ومما لالف ابن عطية
وتصحف هذا على ابن جني فانه حكى عنهما واذن علي انه فعل ماض واعز

عن ذلك

عن ذلك بان جعله عطفا على يوانا والاذان الاعلام وقد تقدم في براءة الثانية
لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بنا البيت وقيل له اذن في الناس بالحج قال
يارب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي البلاغ فصعد ابراهيم خليل الله جبل
ابي قبيس وصاح يا يها الناس ان الله قد امركم بحج هذا البيت ليثيبكم
به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فاجابه من كان في اصلاب الرجال
وارحام النسا لبيك اللهم لبيك فمن اجاب يومئذ حج على قدر الاجابة
ان اجاب مرة فمرة وان اجاب مرتين فمرتين وجرت التلبية على ذلك
قاله ابن عباس وابن جبير وروي عن ابي الطفيل قال قال لي ابن
عباس اتدري ما كان اصل التلبية قلت لا قال لما امر ابراهيم عليه
السلام ان يؤذن في الناس بالحج خفضت الجبال رؤسها ورفعت له
القرى فنادى في الناس بالحج فاجابه كل شيء لبيك اللهم لبيك وقيل ان
الخطاب لابراهيم ثم عند قوله والسجود ثم خاطب الله عز وجل محمدا
عليه السلام فقال واذن في الناس بالحج وقول ثالث ان الخطاب من
قوله ان لا تشرك مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا قول اهل
النظر لان القرآن عما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم فكل ما
فيه من المخاطبة فهي له الا ان يرد دليل قاطع على غير ذلك وها
هنا دليل اخر يدل على ان المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم
ان لا تشرك بي شيئا وهذا المخاطبة ما لم تشاهد وابراهيم عليه السلام
غائب فالمعنى هذا واذن يا ابراهيم مكان البيت فجعلنا لك الدلالة على
توحيدنا لله جل وعز وعلى ان ابراهيم كان يقيدا لله وحده وقرا
جمهور الناس بالحج بفتح الحا وقرا ابن ابي اسحق في كل القرآن بكسرها
وقيل ان يرا ابراهيم من جملة ما امر به من شرايع الدين والله اعلم
الثالثة قوله تعالى يا توك رجالا وعلى كل ضامر وعده اجابه الناس
الى حج البيت ما بين راجل وراكب وانما قال يا توك وان كانوا يا تون
الكعبة لان المنادي ابراهيم ممن اتى الكعبة حاجا فكانه اتى ابراهيم
لانه اجاب دعاه وفيه بشرى لابراهيم ابن عطية رجالا جمع راجل مثل
تاجر وتجار وصاحب وصحب وصاحب وقد يقال في الجمع رجال بالتشديد
مثل كافر وكفار وقرا ابن ابي اسحق وعكرمة رجالا بضم الرا و
تخفيف الجيم وهو قليل في اتباعه بالجمع وروي عن مجاهد رجالي
على وزن فعالي فهو مثل كسالى قال النحاس في جمع راجل خمسة
اوجه رجال مثل ركاب وهذا الذي روي عن عكرمة ورجال مثل
قيام ورجل ورجال والذي روي عن مجاهد رجالا غير
معروف والاشبه به ان يكون غير منون مثل كسارى وسكارى ولو
نون لكان على فعال وفعاله في الجمع قليل وقدم الرجال على الركبان
في الذكر لزيادة تفهيم في المشي وعلى كل ضامر يائتين معنى صوامر قال الفرا
ويجوز يا تين على اللفظ والضامر البعير المهزول الذي انضبه السفر يقال
ضمر يضمر ضمورا فوصفها بانه تعالى يا تي بالمال الذي استعلية الى مكة
وذكر سبب الضمور فقال يا تين من كل فج عميق اي اثر فيها طول السفر
ورد الضمير الى الابل يلزمه لها لقصدها الحج مع اربابها كما قاله والعاديات
بعضهم انما قال رجالا لان الغالب خروج الرجال للحج دون الاناث فقوله
رجالا منه قولك هذا رجل فهذا فيه بعد لقوله وعلى كل ضامر يعني
الركبان فدخل فيه الرجال والنسا فلما قاله تعالى رجالا وركبانا
كل على ان حج الراجل افضل من حج الراكب قال ابن عباس ما اسى
سى فائتي الا اني لم اكن حججت ما شيا فاني سمعت الله عز وجل يقول
يا توك رجالا وقال ابن ابي نجيح حج ابراهيم واسماعيل عليهما السلام
ماشيين وقرا اصحاب ابن مسعود يا تون وهي قرا ة ابن ابي عبلة والضحاك

والضمير للناس الخامسة لاخلاف في جواز الركوب والمشي واختلفوا في الافضل
منهما فذهب مالك والشافعي في امرين الى ان الركوب افضل اقتدا بالنبي
صلى الله عليه وسلم ولكثرة النفقة وتعظيم الحج شعائر الحج ما شهد الركوب
وذهب غيرهم الى ان المشي افضل لما فيه من المشقة على النفس وحديث
ابي سعيد قال حج النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مشاة من المدينة
الى مكة وقال اربطوا اوساطكم بازركم ومشيا خلط الهزوله خرجه ابن
ماجه في سننه ولاخلاف في الركوب في الوقوف بعرفة افضل واختلفوا
في الطواف والسعي والركوب عند مالك في المناسك كلها افضل للا
قتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم الساقطة استدل بعض العلما
بسقوط ذكر النحو من هذه الاية على ان فرض الحج بالبحر ساقط قال
مالك في الموازية لا سمع للبحر ذكرا وهذا ليس بالبين لانه لا يلزم من
سقوط ذكره سقوط الفرض فيه وذلك ان مكة ليست في صفة بحر
فيأتيها الناس في السفر ولا بد من ركب البحر انه يصير في انبار مكة
اما راجلا فاما على ضامر وانما ذكرت حالتا الوصول واسقاط فرض
الحج بمجرد البحر ليس بالكثير ولا بالقوي فاما اذا اقترن به عدو وخوف
او هول شديد او مرض يلحقه شخصا فمالك والشافعي وجمهور الناس
على سقوط الوجوب بهذه الاعذار وانه ليس بسبيل يستطاع قال
ابن عطية وذكر صاحب الاستظهار في هذا المعنى كلاما ظاهره ان
الوجوب لا يسقط ليس من هذه الاعذار وهذا ضعيف قلت واضعف
منه ضعف وقد مضى في البقرة بيانه والفج الطريق الواسعة والجمع
فجاج وقد مضى في الانبيا والعميق معناه البعيد وقرا الجماعة ياتين
وقرا اصحاب عبد الله يا توك وهذا للركبان ويا تين للجمال كانه قال
وعلى ابلها مرة يا تين يا تين من كل فج عميق اي بعيد ومنه بير
عميقة اي بعيدة القعر ومنه وقائم الاعماق حاوي المخترق السابوغة
واختلفوا في الواصل الى البيت هل يرفع يديه عند رويته ام لا فروى
ابو داود قال سئل جابر بن عبد الله عن الرجل يرى البيت ويرفع
يديه فقال ما كنت ارى ان احدا يفعل هذا الا اليهود وقد حججنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نكن نفعله وروى ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يرفع الايدي في سبع مواطن
افتتاح الصلاة واستقبال البيت والصفا والمروة والموقفين والجمرتين
وضعف احد حديث جابر لان مهاجرا المكي راويه مجهول وكان ابن عمر
يرفع يديه عند رويته البيت وعن ابن عباس مثله قوله تعالى ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله الى قوله بالبيت العتيق فيه ثلاث وعشرون
مسئلة الاولى قوله تعالى ليشهدوا اي اذن يا ابراهيم بالحج يا توك رجالا وركبانا
ليشهدوا اي ليحضروا والشهود الحضور منافع لهم اي الينا سنن
كفرعات والمشعر الحرام وقيل المغفرة وقيل التجارة وقيل عموم اي ليحضروا
منافع لهم اي ما يرضي الله تعالى من امر الدنيا والاخرة قاله مجاهد
وعطا واختاره ابن العربي فانه يجمع ذلك كله من نسك وتجارة
ومغفرة ومنفعة دنيا واخرى ولا خلاف في ان المراد بقوله ليس
عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم التجارة الثانية ويذكروا اسم
الله في ايام معلومات قد مضى في البقرة الكلام في الايام المعلومات
والمعدودات والمراد بذكر اسم الله ذكر التسمية عند الذبح والنحر
مثل قولك بسم الله والله اكبر اللهم منك ولك ومثل قولك عند
الذبح ان صلاتي ونسكي الاية وكان الكفار يذبحون على اسما صنامهم
فبين الله ان الواجب الذبح على اسم الله وقد مضى في الانعام الثالثة
واختلف العلما في وقت الذبح يوم النحر فقال مالك بعد صلاة الامام

هوم

وطنهم

وذبحه الان يوخر تواخير يتعدي فيه فسقط الاقتداء بابي حنيفة
الفراغ من الصلاة دون ذبح والشافعي دخول وقت الصلاة ومقدار
ما توقع فيه من الخطبتين فاعتبر الوقت دون الصلاة هذه
رواية المزني عنه وهو قول الطبري وذكر الربيع في التوبيطي
قال قاله الشافعي ولا يذبح احد حتى يذبح الامام الا ان يكون ممن لا
يذبح فاذا صلى وفرغ من الخطبة حل الذبح وهذا كقول مالك وقال
احمد اذا انصرف الامام وهو قول ابراهيم واصح هذه الاقوال
قول مالك لحديث جابر بن عبد الله قال صلى بنا النبي صلى الله
عليه وسلم يوم النحر بالمدينة فتقدم رجال فنحروا وظنوا ان
النبي صلى الله عليه وسلم قد نحر فامر النبي صلى الله عليه وسلم
من كان نحر ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نحر يعيد بنحر اخر
ولا تنحروا حتى ينحر النبي صلى الله عليه وسلم خرجه مسلم
والترمذي وقال وفي الباب عن جابر وجندب وانس وعويمر
ابن ساعدة وابن عمر وابي زيد الانصاري وهذا حديث حسن
صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم ان لا يضحي بالمصر حتى يصلي
الامام وقد احتج ابو حنيفة بحديث البراء فيه ومن ذبح بعد
الصلاة فقد تم نسكه واصاب سنة المسلمين خرجه مسلم
ايضا فعلق الذبح على الصلاة ولم يذكر الذبح وحديث جابر
يعيده وكذلك حديث البراء ايضا قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم
نرجع فننحر من فعل ذلك فقد اصاب سنتنا الحديث وقال
ابو عمر بن عبد البر لا اعلم خلافا بين العلماء ان من ذبح قبل
الصلاة وكان من اهل المصر انه غير مضح لقوله عليه السلام
من ذبح قبل الصلاة فتلك شاة لحم الرابعة واما اهل البوادي ومن
لا امام له فمنتهى مذهب مالك يتحرى وقت ذبح الامام او
اقرب الائمة اليه وقاله ربيعة وعطاء فمن لا امام له ان يذبح
قبل طلوع الشمس لم يجزه وخير به ان ذبح بعده وقال اهل
الراي يخير بهم من بعد الفجر وهو قول ابن المبارك ذكره عنه
الترمذي وتمسكوا بقوله تعالى ليذكروا اسم الله في ايام معلو
مات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فاضاف النحر الى اليوم
وهل اليوم من طلوع الفجر او من طلوع الشمس قولان والاخلاف
انه لا يجزي ذبح الاضحية قبل طلوع الفجر من يوم النحر الخامسة
واختلفوا كم ايام النحر فقال مالك ثلاثة يوم النحر ويومان بعده
وبه قال ابو حنيفة والثوري واحمد بن حنبل وروي
ذلك عن ابي هريرة وانس بن مالك من غير اختلاف عنهما
وقال الشافعي في اربعة يوم النحر وثلاثة بعده وبه قال
الاوزاعي وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن
عمر وروي عنهم ايضا مثل قول مالك واحمد وقيل هو يوم
النحر خاصة وهو الذي ذكر من ذي الحجة روي عن ابن سيرين
وعن سعيد بن جبير وجابر بن زيد انهما قالا النحر في الامصار
يوم واحد وفي منى ثلاثة ايام وعن الحسن البصري في
ذلك ثلاث روايات احدها كما قال مالك والثاني كما قال الشا
فعي والثالثة الى اخر يوم من ذي الحجة فاذا هل هلال المحرم
فلا اضحى قلت وهو قول سليمان بن يسار وابي سلمة بن عبد
الرحمن وروياه حديثا مرسلا مرفوعا خرجه الدار قطني الضحا
الى هلال ذي الحجة ولم يصح ودللنا قوله تعالى في ايام معلومات
الاية وهذا جمع قلة لكن المتيقن منه الثلاثة وما بعد الثلاثة

غير متيقن فلا يعمل به قال ابو علي وابن عبد البر اجمع العلماء على ان يوم
النحر يوم اضحى واجمعوا على ان لا اضحى بعد انسلاخ ذي الحجة ولا يصح
عندي في هذه الا قولان احدهما قول مالك والكوفيين والاخر
قول الشافعي والشاميين وهذان القولان مرويان عن الصحابة
فلا معنى للاشتغال بما خالفهما لان ما خالفهما لا اصل له في السنة
ولا في قول الصحابة وما خرج عن هذين فمتروك لهما وقد روي
عن قتادة قول سادس وهو ان الاضحى يوم النحر ستة
ايام بعده وهذا ايضا خارج عن قول الصحابة فلا معنى له
السادس سنة واختلفوا في ليالي النحر هل تدخل مع الايام فتجوز فيها
الذبح او لا فروي عن مالك في المشهور انها لا تدخل فلا يجوز
الذبح بالليل وعليه جمهور اصحابه واصحاب الراي لقوله تعالى
ويذكروا اسم الله في ايام فذكر الايام دليل على ان الذبح في الليل
لا يجوز قال ابو حنيفة والشافعي واحمد واسحق وابو ثور
الليالي داخلة في الايام وتجزي الذبح فيها وروي عن مالك
واشهب كقولهما ولا يشهب تفريق بين الهدي والضحية فاجاز
الهدي ليلا ولم يجز الضحية ليلا والتسمية قوله تعالى على
ما رزقهم من بهيمة الانعام الانعام هنا الابل والبقر والغنم
وبهيمة الانعام هي الانعام فهي كقوله صلاة الاولى ومسجد
الجامع الشامية فكلوا منها امر ندبنا اليه عند الجمهور ويحب
الرجل ان ياكل من هديه واضحيته قال بعضهم بالاكثر
مع تخيرهم والصدقة بالاكل واكل الكل وبشدق طائفة قال
حبيب الاكل والاطعام ولقوله عليه السلام فكلوا وادخروا
وتصدقوا قال الكيا قوله تعالى فكلوا منها واطعموا يدل على انه لا
يجوز مع جميعه ولا التصدق بجميعه الثا سعة دما الكفارات لا ياكل
منها اصحابها وهو مذهب مالك له لا ياكل من ثلث جزاء الصيد
ونذر المساكين وفدية الاذى ويا كل مما سوى ذلك اذا بلغ محله
واجبا كان او تطوعا ووافقه على ذلك جماعة من السلف وفقهاء
الامصار الثالثة قال اكل مما منع منه فهل يغرم قدر ما اكل او يغرم
هديا كاملا قولان في مذهبنا فالاول قال ابن الماجشون قال ابن
العربي وهو الحق لا شيء عليه غيره ولذلك لو نذر هديا للمساكين
فاكل منه بعد ان بلغ محله لا يغرم الا ما اكل خلافا للمدونة لان
النحر قد وقع والتقدير انما هو على اللحم فيغرم قدر ما تقدير فيه
قوله تعالى وليوفوا نذورهم يدل على وجوب اخراج النذر وان
كان دما او هديا او عمره ويدل ذلك على ان النذر لا يجوز ان ياكل
منه وفا بالنذر ولذلك وجزاء الصيد وفدية الاذى لان المطلوب
ان يا تي به كاملا من غير نقصه لحم ولا غيره فان اكل من ذلك كان
عليه هدي كامل والله اعلم الحادية عشرة هل يغرم قيمة اللحم
او تقويما ففي كتاب محمد عن عبد الملك انه يغرم والاول اصح انما
هو في مقابلة الهدي كله عند تعذره عبادة وليس حكم النذر
حكم العبادة الثانية عشرة فان عطب من هذا الهدي المضمون
الذي هو جزاء الصيد وفدية الاذى ونذر المساكين شيء قبل محله
اكل منه صاحبه واطعم منه الاغنياء والفقراء من احب ولا يبيع من
لحمه ولا جلده ولا من قلائده شيئا قال اسماعيل بن اسحق لان
الهدي المضمون اذا عطب قبل ان يبلغ محله كان عليه بدله ولذ
جاز له ان ياكل منه صاحبه ويطعم واذا عطب الهدي التطوع قبل
ان يبلغ محله لم يجز ان ياكل منه ولا يطعم لانه لما لم يكن عليه بدله
خيف ان يفعل ذلك بالهدي ويخبر من غير ان يعطب فاحتيط على

الناس

الناس ويدل له مضي العمل وروي ابو داود عن ناجية الاسلمي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث معه بهدي وقال ان عطب منها شيء
فانحره ثم اصبغ نعله في دمه ثم خله بينه وبين الناس وبهذا
الحديث قال مالك والشافعي في احد قوليه واحمد واسحق
وابو ثور واصحاب الراي ومن افقههم في الهدي التطوع لا ياكل منها سا
ئقها منها شيأ وحل بينها وبين الناس ياكلونها وفي صحيح مسلم
ولا تاكل منها انت ولا احد من اهل بيتك وبظاهر هذا الذهب
قال ابن عباس والشافعي في قوله الآخر واختاره ابن المنذر
فقالا لا ياكل منها شيأ بيتها ولا احد من اهل رفقته قال ابو عمر قوله
عليه السلام ولا تاكل منها ولا احد من اهل رفقتك لا يوجد الا في
ابن عباس وليس ذلك في حديث هشام بن عروة عن ابيه
عن ناجية وهو عندنا اصح من حديث ابن عباس وعليه
العمل عند الفقها ويدخل في قوله عليه السلام حل بينها
وبين الناس اهل رفقته وغيرهم وقال الشافعي وابو ثور
ما كان من الهدي اصله واجبا فلا ياكل منه وما كان تطوعا وشكرا
اكل منه واهدى وادخر وتصدق والمتعة والقران عنده شكر
ونحوه مذهب الاوزاعي وقال ابو حنيفة واصحابه ياكل من هدي
المتعة والتطوع ولا ياكل مما سوى ذلك مما وجب بحكم الاحرام
وحكي عن مالك لا ياكل من دم الفساد وعلى قياس هذا لا ياكل
من دم الجزاء لقول الشافعي والاوزاعي يمتثل مالك بان جزاء الصيد
جعله الله للمساكين بقوله تعالى او كفارة طعام مساكين وقال
في فدية الاذى هدية من صيام او صدقة او نسك وقال صلى
الله عليه وسلم لكعب بن عجزه اطعم ستة مساكين مدين
لكل مسكين او صم ثلاثة ايام او انسك شاة ونذر المساكين مصرح
به وما غير ذلك من الهدايا فحكمها ملحق على اصل قوله والعدة
فيما ذكرناها كم من شيء ابراهيم الى قوله فكلوا منها وقد اكل النبي صلى الله
عليه وسلم وعلي رضي الله عنه من الهدي الذي جاء به وشربا
من مرقه وكانت عليه السلام قارنا في اصح الاقوال والروايات
فكانت هديه على هذا واجبا فيما تعلق به ابو حنيفة غير صحيح والله
اعلم وانما اذن الله سبحانه في الاكل من الهدايا لاجل ان العرب
كانت لا تري ان ياكل من نسكها فامر الله سبحانه نبيه عليه السلام
بمخالفتهم فلا حرم لذلك شرع وبلغ وكذلك فعل حين
اهدى واحرم صلى الله عليه وسلم الثالثة عشرة
فكلوا منها قال بعض العلما قوله تعالى فكلوا منها تاسخ
لايام فانوا يحرمون لحوم الضحايا على القسم ولا ياكلون منها
كما قلناه في الهدايا فنسخ الله ذلك بقوله فكلوا منها ويقول النبي
صلى الله عليه وسلم من ضحى فليا كل من اضحيته ولانه عليه
السلام اكل من ضحيته وهدية وقال الزهري من السنة ان ياكل
ولا من الكبد الرابعة عشرة ذهب اكثر العلما الى انه يستحب ان يتصد
بالثلث ويطعم الثلث ويا كل هو واهله الثلث وقال ابن القاسم
عن مالك ليس عندنا في الضحايا قسم معلوم موصوف قال مالك
في حديثه والمعنى عندنا ابنه مسعود وليس عليه العمل روي
الصحيح ابو داود وقال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شاة ثم قال يا ثوبان اصلح لحم هذه الشاة قال فما زلت اطعمه
منها حتى عدم المدينة وهذا نص في الفرض واختلف قول
الشافعي حمزة قال يا كل النصف ويتصدق بالنصف لقوله تعالى
فكلوا منها واطعموا البائس الفقير فذكر شخصين وقال مره يا كل

ق

ثلثا ويهدي ثلثا ويطعم ثلثا لقوله تعالى فكلوا منها واطعموا القانع
والمعتر فذكر ثلثة ل[illegible] عشرة المسافر مخاطب بالاضحية
كما خاطب بها الحاضر اذ الاصل عموم الخطاب وهو قول كافة العلماء
وخالفت في ذلك ابي حنيفة والنخعي وروي عن علي والحديث
حجة عليهم واستثنى مسالك من المسافرين الحاج بمنى فلم ير
عليه اضحية وبه قال النخعي وروي ذلك عن الخليفتين ابي بكر
وعمر وجماعة من السلف لان الحاج انما هو مخاطب في الاصل
بالهدي فاذا اراد ان يضحي جعله هديا والناس غير الحاج انما امروا
بالاضحية ليتشبهوا باهل منى فيحصل لهم حظ من امرهم السابق
عشرة اختلف العلماء في الاخذ على اربعة اقوال روي عن علي
وابن عمر رضي الله عنهما من وجه صحيح انه لا يخرج من الضحايا
بعد ثلاثة وروياه عن النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي
وقالت جماعة ما روي من النهي عن الادخار منسوخ فذكر
الى اي وقت احب او قالت طائفة ان كانت بالناس حاجة اليها
فلا يدخر لان النهي انما كان لعلة وهي قوله عليه السلام انما
نهيتكم من اجل الدافة التي دفت ولما ارتفعت ارتفع المنع المتقدم
لارتفاع موجبه لا لانه منسوخ وتنشأ هنا مسئلة اصولية وهي
السابعة عشرة وهي الفرق من رفع الحكم بالنسخ ورفعه لارتفاع
علته علم ان المرفوع بالنسخ لا يحكم به ابدا والمرفوع لارتفاع علة
يعود الحكم لعود العلة فلو قدم على اهل بلده زاس يحتاجون
في زمان الاضحي ولم يكن عند اهل ذلك البلد سعة يسدون
بها فاقهم الا الضحايا لتعين عليهم الاكل حزورها فوق ثلث
كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم الثامنة عشرة الاحاديث
الواردة في هذا الباب بالمنع والاباحة صحاح ثابتة وقد جا
ابن الاكوع وابي سعيد الخدري رواها الصحيح وروي الصحيح
عن ابي عبيد مولى ابن ازهر انه شهد العيد مع عمر بن الخطاب
قال ثم صليت العيد مع علي بن ابي طالب قال فصلى لنا قبل الخطبة
ثم خطب الناس فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاكم
ان تاكلوا لحوم نسككم فوق ثلاث ليال فلا تاكلوها وروي عن ابن
عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يوكل لحوم الاضا
حي بعد ثلاث قال سالم فكان ابن عمر لا ياكل لحوم الاضاحي
فوق ثلاث وروي ابو داود عن نبيشة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا كنا نهيناكم عن لحومها
فوق ثلاث لكي تسعكم جاء الله بالسعة فكلوا وادخروا
وانتجروا الا وان هذه الايام ايام اكل وشرب وذكر الله عز وجل قال
ابو جعفر الضحاك وهذا القول احسن ما قيل في هذا حتى يتفق الا
حاديث والانتقاد ويكون قول امير المومنين علي ابن ابي طالب
وعثمان رحمه الله محصورا لان الناس كانوا في شدة محتاجين
فعملا بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمت
الرافة والدليل على هذا ما حدثنا ابراهيم بن سهل قال نا احمد
قال نا ليث قال حدثني الحارث بن يعقوب عن يزيد بن ابي يزيد
عن امراته انها سالت عايشة عن لحوم الاضاحي فقالت
قدم علينا علي بن ابي طالب من سفر فقدمنا اليه طعاما فاجتنبه
ان ياكل حتى سالته رسول الله صلى الله عليه وسلم فساله فقال
كل من ذبح الحجة الى ذي الحجة وقال الشافعي من قال بالنهي
عن الادخار ومن قال بالنهي والرخصة سمعها جميعا فعمل بمقتضا

والله اعلم

والله اعلم وسيأتي في سورة الكوثر الاختلاف في وجوب الاضحية وندبيتها
وانها ناسخة لكل ذبح تقدم ان شاء الله تعالى اثنا عشرة قوله
تعالى واطعموا البائس الفقير من صفة البائس وهو الذي به البؤس
وشدة الفقر يقال بيئس يبئس بأسا اذا افتقر فهو بائس وقد
تستعمل ممن نزلت به نازلة دهر وان لم يكن فقيرا ومنه قوله عليه
السلام لكنما البائس سعد بن خولة ويقال رجل بيئس اي شديد وقد بؤس
يبؤس بأسا اذا اشتد ومنه قوله تعالى واحدنا الرئيس كلموا بعد انه
بيئس اي بشديد وكلما كانت التصدق بلحم الاضحية اكثر كان الاجر
اوفر وفي القدر الذي يجوز اكله خلاف قد ذكرناه فقيل النصف
كقوله فكلوا واطعموا وقيل الثلث لانه لقوله الا فكلوا وادخروا
وانخروا اي اطلبوا الاجر بالاطعام واختلف في الاكل والاطعام
فقيل واجبان وقيل مستحبان وقيل بالفرق بين الاكل والاطعام
فالاكل مستحب والاطعام واجب وهو قول الشافعي في الموفية عشرين
قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم يعني نحر الضحايا والهدايا ما بقي عليهم
من امر الحج كالحلق ورمي الجمار وازالة شعث ونحوه قاله ابن عرفة
اي ليزيلوا عنهم اوساخهم وقال الازهري التفث الاخذ من الشارب
وقص الاظفار ونتف الابط وحلق العانة وهذا عند الخروج من
الاحرام وقال النضر بن شميل التفث في كلام العرب اذهاب الشعث
الازهري يقول التفث في كلام العرب لا يعرف الا من قول ابن عباس
واهل التفسير قال الحسن هو ازالة قمله وسوء الاحرام وقيل التفث
مناسك الحج كله رواه عمرو بن عباس قال ابن العربي لو صح عنهما
لكان حجة لشرف الضحية والاحاطة باللغة قال وهذه اللفظة غريبة
لم تجد اهل العربية فيها سعرا ولا احاطوا بها خبرا الى سمعت
التفث لغة فرايت ابو عبيدة معمر بن المثنى قال انه قص الاظفار
واخذ الشارب وكل ما يحرم على المحرم الا النكاح قال ولم يحك فيه سعر
يحتج به وقال صاحب العين هو التفث هو الرمي والحلق والتقصير
والذبح وقص الاظفار والشارب والابط وذكر الزجاج والفراء نحوه
ولا اراه اخذوه الا من قول العلماء وقاله فطرب تفث الرجل
اذا كثر وسخه قال امية بن ابي الصلت حمر وسطهم لم يحلقوا
تفثا وسلوا لهم قملا وصيبانا وما اشار اليه فطرب هو الذي قاله
ابن وهب عن مالك وهو الصحيح في التفث وهذه صورة القاء التفث
لغة واما حقيقة الشرعية فاذا اخر الحاج او المعتمر هديه وحلق
راسه وازال وسخه وتظهر وسعى وليس فقد ازال تفثه وفي
نذره والنذر ما لزم الانسان والتزمه قلت ما حكاه عن قطرب وذكر
من السفر قد ذكره في تفسيره الماوردي وذكر بيتا اخر فقال
قضوا تفثا وحجا ثم ساروا الى نجد وما انتظروا علبا وقال الثعلبي
واصل التفث في اللغة الوسخ يقول العرب الرجل تستقذره ما انتفثك
اي ما اوسخك وقد ذكر قال امية ابن ابي الصلت يصف اباطهم لم
يقدروا تفثا وتيرعوا عنهم قملا وصيبانا الماوردي قيل لبعض الصلحاء
ما المعنى في سعت المحرم قال ليشهد انه منك الاعراض عن العناية
بنفسك فتعلم صدقك في بذلها لطاعته الحادية والعشرون
وليوفوا نذورهم امر بوفاء النذر مطلقا الا ما كان معصية لقوله
عليه السلام لا وفاء لنذر في معصية وقوله من نذر ان يطيع الله
فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصيه وليطوفوا بالبيت العتيق
الطواف المذكور في الاية هو طواف الافاضة الذي هو من واجبات
الحج قال الطبري لا خلاف بين المتاولين في ذلك الثانية والعشرون
الحج ثلاثة اطواف طواف القدوم وطواف الافاضة وطواف الوداع

قال اسمعيل بن اسحق طواف القدوم سنة وهو ساقط عن المراهق وعن
المكي وعن كل من يجيء بالحج من مكة قال والطواف الواجب الذي لا يسقط
بوجه من الوجوه وهو طواف الافاضة الذي يكون بعد عرفة قال الله
تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق قال فهذا
هو الطواف المعترض في كتاب الله عز وجل وهو الذي يحل به الحاج من
احرامه قال الحافظ ابو عمر ما ذكره اسمعيل في طواف الافاضة هو قول
مالك عن اهل المدينة وهي رواية ابن وهب وابن نافع واسبلها عنه وهو
قول جمهور اهل العلم من فقهاء اهل الحجاز والعراق وقد روي ابن القاسم
وابن عبد الحكم عن مالك ان طواف القدوم واجب وقاله ابن القاسم في غير موضع
من المدونة ورواه ايضا عن مالك الطواف الواجب طواف القادم مكة قال
ومن نسي الطواف في حينه دخوله مكة او نسي بسوطا منه او نسي السعي
او بسوطا منه حتى رجع الى بلده ثم ذكر فان لم يكن اصاب النساء رجع
الى مكة حتى يطوف بالبيت ويركع ويسعى بين الصفا والمروة ثم يهدي
وان اصاب النساء رجع وطاف وسعى ثم اعتمر واهدى لقوله فيمن نسي
طواف الافاضة بسوء فعلي هذه الرواية الطواف ان جميعا واجبات
والسعي ايضا واما طواف الصدر وهو المسمى بطواف الوداع فروى ابن
القاسم وغيره عن مالك فيمن طاف طواف الافاضة على غير وضوء انه
يرجع من بلده الا ان يكون تطوع بعد ذلك وهذا مما اجمع عليه مالك
واصحابه وانه يجزيه عن تطوعه عن الواجب المفترض عليه طوافه
ولذلك اجمعوا ان من فعل في حجه شيئا تطوع به من فعل الحج وذلك الشيء
واجب في الحج قد حاز وقته فانه تطوعه يصير للواجب لا للتطوع بخلاف
الصلاة فاذا كان التطوع ينوب عن الفرض في الحج كان الطواف لدخول
مكة احرى ان ينوب عن طواف الافاضة الا ان اسمعيل وغيره
وهو مذهب ابن القاسم لا ينوب عنهم عن طواف الافاضة الا ملكان
من الطواف بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر وبعده للوداع ورواية
ابن عبد الحكم عن مالك بخلاف ذلك لان فيها طواف الدخول مع السعي
ينوب عن طواف الافاضة لمن رجع الى بلده مع الهدي كما ينوب
طواف الافاضة مع السعي لمن لم يطف ولم يسع حين دخوله مكة
مع الهدي ايضا عن طواف القدوم ومن قاله هذا انما قيل لطوافه
الدخول واجب ولطواف الافاضة واجب لان بعضها ينوب عن بعض
ولانه قد روي عن مالك انه يرجع من اي احدهما من بلده على ما ذكرنا
ولان الله عز وجل لم يفترض على الحاج الا طوافا بقوله واذن في الناس
بالحج وقاله في سياق الاية وليطوفوا بالبيت العتيق والواو عندهم في هذه
الاية وغيرها لا يوجب رتبة الا بتوقيف واسند الطبري عن عمرو
ابن ابي سلمة قال سألت زهيرا عن قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق
فقال هو طواف الوداع وهذا يدل على انه واجب وهو احد قولي الشافعي
لانه عليه السلام رخص للحائض ان تنفر دون ان يطوف ولا يرخص
الا في الواجب الثالثة والعشرون اختلف المتأولون في وجه صفة البيت
بالعتيق فقال مجاهد والحسن العتيق القديم يقال سيف عتيق وقد عتق
اي قدم وهذا قول يعضده النظر وفي الصحيح انه اول مسجد وضع في
الارض وقيل عتيقا لان الله اعتقه من ان يسلط عليه جبارا بالهوان
الى انقضاء الزمان قاله معناه بن الزبير ومجاهد وفي الترمذي
عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار قال هذا حديث حسن
غريب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا فان ذكر ذاكر
الحجاج بن يوسف ونصبه المنجنيق على الكعبة حتى كسرها قيل له انما
اعتقها عن كفار الجبابرة لانهم اذا اتوا بانفسهم متمردين وحرمة البيت

غير

غير معتقدين وقصدوا الكعبة بالسوء فعصمته منهم ولم تنلها ايديهم كان ذلك
دلالة على ان الله جل وعز صرفهم عنها خرافا ما المسلمون الذين اعتقدوا
حرمتها فانهم ان كفوا عنها لم يكن في ذلك من الدلالة على منزلتها عند
الله مثل ما يكون منها في كف الاعداء فقصر الله تعالى هذه الطايفة على
الكف بالنهي والوعيد ولم يتجاوزه الى الصرف بالالجاء والاضطرار
وجعل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وقالت طايفة سمي
عتيقا لانه لم يملك موضعه قط وقالت فرقة سمي عتيقا لان الله
يعتق فيه رقاب المذنبين من العذاب وقيل سمي عتيقا لانه اعتق
من غرق الطوفان قاله ابن جبير وقيل العتيق الكريم والعتق
الكرم قال طرفة تضف اذنه العرس وموللبانة يعرف العتق فيها
كسا معقلي مدعورة وسط ربربه وعتق الرقيق الخروج من ذل
الرق الى كرم الحرية ويحتمل ان يكون العتيق صفة مدح تقتضي جودة
الشيء كما قاله عمر حملت على فرس عتيق الحديث والقول الاول
اصح للنظر والحديث الصحيح قال مجاهد خلق الله البيت قبل الارض
بالفي عام وسمي عتيقا لهذا والله اعلم قوله تعالى ذلك ومن يعظم
حرمات الله فهو خير له الى قوله لسحيق فيه ثمانية مناسبة الاولى
قوله تعالى ذلك يحتمل ان يكون في موضع رفع بتقدير فرضكم ذلك او
الواجب ذلك ويحتمل ان يكون في موضع نصب بتقدير امسكوا ذلك ونحو
هذه الاشارة البليغة قوله ذهب هذا وليس لمن يعنى بحظه ونشط
للبر اذا ما قابل نطق والحرمات المقصودة هنا هي افعال الحج المشار
اليها في قوله ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ويدخل في ذلك
تعظيم المواضع قاله ابن زيد وغيره والجمع ذلك ان يقول الحرمات
امتثال الامر من فرايضه وسننه وقوله فهو خير له عند ربه
اي التعظيم خير له عند ربه من التهاون بشيء منها وقيل ذلك
التعظيم خير من خير انه ينتفع وليبينه للتفصيل وانما هي عده خير
الثانية قوله تعالى واحلت لكم اي بهيمة الانعام ان تاكلوها وهي الابل
والبقر والغنم الا ما يتلى عليكم في الكتاب من المحرمات وهي الميتة
والموقوذة واخواتها ولهذا اتصال بامر الحج فان الحج النحر فنبين ما يحل
ذبحه واكل لحمه وقيل الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم
الثالثة قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان الرجس الشيء
القذر والوثن التمثال من خشب او حديد او ذهب او فضة وكانت
العرب تنصبها وتعبدها والنصاري تنصب الصليب وتعبده وهو
طمه فهو كالتمثال ايضا وقال عدي بن حاتم اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي اطرح عنك هذا الوثن
اي الصليب واصله من وثن الشيء اي اقام في مقامه وسمي الصنم
وثنا لانه ينصب ويركز في مكان فلا يمرح عنه بريد اجتنبوا عبادة
الاوثان وروي عن ابن عباس وابن جريج وسماها رجسا لانها
سبب الرجز وهو العذاب وقيل وصفها بالرجس والرجس
النجس فهي نجسة حكما ولبنت النجاسة وصفا ذاتيا للاعيان
وانما هي وصف شرعي من احكام الايمان فلا تزاله الا بالايمان كما لا يزول
الطهارة الا بالماء الرابعة من في قوله من الاوثان قيل انها لبيان
الجنس فيقع نهيه عن رجس الاوثان فقط وينفي نساير الارجاس
نهيها في غير هذا الموضع ويحتمل ان يكون لابتداء الغاية وكانه
نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبداه الذي منه يلحقهم اذ
عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس ومن قال ان من للتبعيض
ثلث معنى الاية وافسده الخامسة قوله تعالى واجتنبوا قول
الزور الزور كل باطل والكذب وسمي زورا لانه اميل عن الحق ومنه

تزاد عن كهنهم ومدينة زورا مي ما يله وكل ما عدي الحق فهو كذب وباطل وزور
وفي الخبر انه عليه السلام قام خطيبا فقال عدلت شهادة الزور بالشرك
بالله قالها مرتين او ثلاثا يعني انها قد جمعت مع عبادة الوثن في النهي
عنها السادسة هذه الاية تضمنت الوعيد على الشهادة بالزور وينبغي
للحاكم اذا غير على الشاهد بالزور ان يعزره وينادي ليعرف ليلا يغتر
بشهادته احد ويختلف الحكم في شهادته اذا بان فان كان من اهل
العدالة المشهور بها المرر فيها لم يقبل لانه لا سبيل الى علم حاله
في التوبة اذ لا يستطيع ان يفعل من الغرباء اكثر مما هو عليه وان
كان دون ذلك فشمر في العباده وزاد في حاله في النفي فتقبل شهادته
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اكبر الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وقول الزور
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكيا فجلس فما زال يكررها
حتى قلنا ليته سكت السابعة حنفا لله معناه مستقيمين او مسلمين
مائلين الى الحق ولفظه حنفا من الاضداد تقع على الاستقامة
وتقع على الميل وحنفا نصب على الحال وقيل حنفا حجا وهذا خصص
لاحجة معه الثامنة قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السما
اي هو يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا ولا يرفع عن نفسه
عذابا فهو بمنزلة من خر من السما فهو لا يقدر ان يرفع عن نفسه
ومعنى فتخطفه الطير اي تقطعه بمخالبها وقيل هذا عند خروج
روحه وصعود الملائكة بها الى السما الدنيا فلا يفتح لها فترمي بها
الى الارض كما في حديث البرا وقد ذكرناه في التذكرة والسحيق
البعيد ومنه قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير وقوله عليه
السلام فسحقا فسحقا قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله
الاية فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى ذلك فيه ثلاثة اوجه
قيل يكون في موضع رفع بالابتدا اي ذلك امر الله ويجوز ان يكون
في موضع رفع على خبر ابتدا محذوف ويجوز ان يكون في موضع نصب
اي امتثلوا ذلك الثانية قوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اشعائر
جمع شعيرة وهو كل شيء لله تعالى فيه امر اشعر به فمنه شعائر
الحرب في الحرب اي علامتهم التي يتعارفون ومنه اشعار البدنة
وهو الطعن في جانبها الايمن حتى يسيل الدم فيكون علامة
فهي تسمى بشعيرة بمعنى المشعورة فشعائر الله اعلام دينه لاسيما
ما يتعلق بالمناسك وقالت فرقة المراد هنا تسمين البدن والاهتمام
بامرها والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة وفيه
اشارة لطيفة وذلك ان اصل شعائر البدن بما يجعل على فعل ما لا
بد منه فلا يدل على الاخلاص فاذا عظمها مع حصول الاجزا
بما دونه فلا يظهر له محمل الا تعظيم الشرع وهو من تقوى القلوب
والله اعلم الثالثة الضمير في انها عائد على الفعلة التي يتضمنها
الكلام ولو قال فانه لجاز وقيل انها راجعة الى الشعائر اي فان
تعظيم الشعائر فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه فرجعت الكنا
ية الى الشعائر الرابعة قوله تعالى فانها من تقوى القلوب قرئ
القلوب بالرفع على انها فاعله بالمصدر الذي هو تقوى واضاف
الى القلب لان حقيقة التقوى في القلب ولهذا قاله عليه السلام
في صحيح الحديث التقوى ها هنا واشار الى صدره الخامسة
قوله تعالى لكم فيها منافع يعني البدنة من الركوب والاكل والرزق
بالنسل والصوف وغير ذلك اذا لم يبعثها ربها هديا فاذا بعثها
فهو الاجل المسمى قاله ابن عباس فاذا صارت بدنا هديا فالمنافع فيها
وكونها عند الحاجة وشرب لبنها بعد رى فصيلها وفي الصحيح عن ابي

هريرة

هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم راي رجلا سوق بدنه فقال
اركبها فقال انها بدنه قال اركبها قال انها بدنه قال اركبها ويلك في
الثانية او في الثالثة وروي عن جابر بن عبد الله وسئل عن ركوب
الهدي فقال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول اركبها بالمعروف
اذا الجئت اليها حتي يجد ظهرا والاجل المسمي علي هذا القول لخرها قاله
عطا ابن ابي رباح السادسة ذهب بعض العلما الي وجوب ركوب
البدنة لقوله عليه السلام اركبها ومن اخذ بظاهره احمد واسحق
واهل الظاهر وروي بن نافع عن مالك لا باس بركوب البدنة ركوبا
غير قادح والمشهور انه لا يركبها الا اذا اضطر اليها لحديث جابر
فانه مفسر والمفسر يقضي علي المطلق ونحو ذلك قال الشافعي وابو
حنيفة ثم اذا ركبها عند الحاجة نزل قاله اسمعيل القاضي وهو الذي
يعول عليه مذهب مالك وهو خلاف ما ذكره ابن القاسم انه لا ينزل
النزول وجيئه اباحة النبي صلي الله عليه وسلم له الركوب فجاز
له استصحابه وقوله اذا الجئت اليها حتي تجد ظهرا يدل علي صحة
ما قاله الشافعي وابو حنيفة وما حكاه اسمعيل عن مذهب مالك
وقد جاء صريحا ان النبي صلي الله عليه وسلم راي رجلا يسوق
بدنة وقد جهد فقال اركبها وقال ابو حنيفة والشافعي ان نقصها
الركوب المباح فعليه قيمة ذلك ويتصدق به السابعة قوله تعالي
ثم محلها الي البيت العتيق يريد انها تنتهي الي البيت وهو الطواف
فقوله محلها ماخوذ من احلال المحرم والمعني انه تستباح بالحلق
من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي بنتهي الطواف الافاضة
بالبيت العتيق فالبيت علي هذا التاويل يراد بنفسه قاله مالك في الموطا
وقال عطا ينتهي الي مكة وقال الشافعي الي الحرم وهذا بنا علي ان الشعا
هي البدن ولا وجه لتخصيص الشعا بهذا مع عمومها والفا خصوصية
ذكر البيت والله اعلم قوله تعالي ولكل امة جعلنا منسكا الاية لما ذكر
تعالي الذبايح بيننا انه لم يجل منها امة من الامم القوم المجتمعون علي
مذهب واحد اي ولكل جماعة مومنة جعلنا منسكا والنسك الذبح
واراقة الدم قاله مجاهد يقال نسك اذا ذبح ينسك نسكا والذبيحة
نسيكة وجمعها نسك ومنه قوله او صدقة او نسك فالنسك ايضا
الطاعة وقال الازهري في قوله تعالي ولكل امة جعلنا منسكا
انه يدل علي موضع الحج في هذا الموضع اراد مكان ينسك ويقال
منسك ومنسك لغتان وقرئ بهما قرا الكوفيون الاعاصم بكسر السين
الباقون بفتحها وقال الفرا المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في
خير او شر وقيل مناسك الحج ليرادا لناس اليها وقال ابن عرفة
في قوله ولكل امة جعلنا منسكا اي مذهبا من طاعة يقال نسك
ينسك فهو ناسك اذا سلك مذهبهم وقيل منسكا عيدا قاله الفرا
وقيل حجا قاله قتادة والقول الاول اظهر لقوله تعالي ليذكروا
اسم الله علي ما رزقهم من بهيمة الانعام اي علي ذبح ما رزقهم
فامر تعالي عند الذبح بذكره وان يكون الذبح له لانه رازق ذلك
ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم الي اخبار الحاضرين بما معناه
فالاله واحد لجميعكم فكذلك الامر في الذبيحة انما ينبغي ان يخلص
له قوله تعالي فله اسلموا معناه لحقه ولوجهه فالعامة امنوا
واسلموا ويحتمل ان يريد الاستسلام اي له اطيعوا وانقادوا
قوله تعالي وبشر المخبتين المخبت المتواضع الخاشع من المو
منين والخبت ما انخفض من الارض اي لبشرهم بالثواب الجزيل
قال عمرو بن اوس المخبتون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا
وقال مجاهد فيما روي عنه سفيان عن ابن ابي نجيح المطمئنون بامر

مه

بر

الله عز وجل فقوله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى وجلت اي خافت وحذرت مخالفته فوصفهم
بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة تقيظهم ومراعاتهم لربهم
وكانهم بين يديه وصفهم بالصبر واقام الصلاة ما داموا متهادوه
انه هذه الاية فقوله وبشر المخبتين نزلت في ابي بكر وعمر
وعلي رضوان الله عليهم وقرأ الجمهور الصلاة بالخفض على
الاضافة وقرأ ابو عمر الصلاة بالنصب على توهم النون وان
حذفها للتخفيف لطول الاسم وانشد سيبويه الحافظوا عورة
العشيرة بالنصب الثانية هذه الاية نظير قوله تعالى انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم
ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وقوله تعالى الله نزل احسن الحديث
كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم
ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله هذه حالة العارفين
بالله الخائفين من سطوته وعقوبته لا كما تفعله جهلة
اللوام والمبتدعة الطغام من الرعيق والوتين ومن انها
الذي يشبه نهاق الحمير فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم ان
ذلك وجد وخشوع انكم لم تبلغوا ان تتساووا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولاصحابه في المسجد بالله تعالى
والخوف منه والله اعلم لقد علم الحلال له ومع ذلك فكانت حالة
عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفا من الله ولذلك وصف
الله تعالى احوال اهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه
ومن لم يكن كذلك جاس على هديهم ولا على طريقتهم قال
الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين
هذا وصف حالهم وحكاية مقالهم فمن كان مستثنا فلم
يستثن ومن تعالى احوال المحاسن والحسون فهو منه احسنهم
حالا والحسون نوعان روي الصحيح عن انس بن مالك ان الناس
سالوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى احفوه في المسئلة فخرج
ذات يوم فصعد المنبر فقال سلوني لا تسالوني عن شيء الا بينه
لكم ما دمت في مقامي هذا فلما سمع ذلك القوم ارموا ورهبوا
ان يكون بين امر قد حضر قال انس فجعلت البيت يمينا وشمالا
فاذا كل انسان لاق راسه في ثوبه يسفي وذكر الحديث وقد
مضى القول في هذه المسئلة ما شفع من هذا في الانفال
والحمد لله قوله تعالى والبدن جعلناها لكم من شعائر الله فيها
عشر مسائل الاولى قوله تعالى والبدن وقرا ابن السميفع
والبدن لغتان واحدتها بدنة كما يقال تمر وتمرة وخشب
وفي التنزيل وكانا له ثمر وروي ثمر لغتان وسميت بدنة
لانها تبدن والبدان السمن وقيل ان هذا الاسم خاص
بالابل وقيل البدن جمع بدنة بفتح الباء والدال يقال بدن الرجل
بضم الدال اذا سمن وبدن بتشديد ما اذا كثر لحمه وفي
الحديث اني قد كنت ابدنت اي كبرت وامتلأت ورويت بدنت ولا
له معنى لانه يخالف صفته صلى الله عليه وسلم ومعناه كثرة
اللحم يقال بدن الرجل يبدن بدنا وبدانة فهو بادن اي
فيهم الثانية اختلف العلماء في البدن هل يطلق على غير
الابل من البقر ام لا فقال ابن مسعود وعطا والشافعي لا
وقال مالك وابو حنيفة نعم وفائدة الخلاف فيمن نذر بدنة
فلم يجد البدنة اولم يقدر عليها وقدر على البقرة فهل يجزيه

ام لا فقلي مذهب الشافعي وعطا لا يجزيه وعلي مذهب مالك يجزيه والصحيح
ما ذهب اليه الشافعي وعطا لقوله عليه السلام في الحديث الصحيح في
يوم الجمعة من راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح
في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة الحديث فتفريقه عليه
السلام بين البدنة والبقرة ويدل على ان البقرة لا يقال عليها
بدنة والله اعلم وايضا قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها يدل على
ذلك وان هذا الوصف خاص بالابل والبقر يضحى وينحر كما لغنم
على ما ياتي ودليلنا ان البدنة ماخوذة من البدانة وهو الضخا
مة والضخامة توجد فيها جميعا والله اعلم وايضا فان البقرة
في التقرب الى الله تعالى بإراقة الدم بمنزلة الابل حتى يجزئ
البقرة في الضحايا عن سبعة كالابل وهذا حجة لابي حنيفة وافقه
الشافعي على ذلك وليس ذلك في مذهبنا وحكي ابن سيده انه يقال
في الغنم بدنة وهو قول شاذ والبدنة هي الابل التي يهدى الى
الكعبة والهدي عام في الابل والبقر والغنم الثالثة قوله تعالى
من شعائر الله يصح في أيتها بعض الشعائر وقوله لكم فيها خير يريد
به المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومه في خير الدنيا والآخرة
الرابعة قوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صوافي اي انحروها
على اسم الله وصوافي اي قد صفت قوائمها والابل تنحر قياما =
معقولة واصل هذا الوصف في الخيل يقال صفن فهو صافن اذا
قام على ثلاث قوائم وثنى سنبك الرابعة والسنبك طرف الحافر =
والبعير اذا اراد ان ينحره يعقل احدى يديه فيقوم على ثلاث
قوائم وقرا الحسن والاعرج ومجاهد وزيد بن اسلم وابو موسى
الاشعري صوافي اي خوالص لله عز وجل لا تشركون به في
التسمية على نحرها احدا وعن الحسن ايضا صوافي بكسر الفاء
وتنوينها مخففة وهي معنى التي قبلها لكن حذفت الياء تخفيفا على
غير قياس وصوافي قراءة الجمهور بتنوين الفاء وشدها من صف يصف
واحد صوافي صافنة وواحد صوافي صافيه وابن مسعود وابن
عباس وابن عمر وابو جعفر محمد بن علي صوافن بالنون جمع
صافنه ولا تكون واحدها صافيا لانه فاعلا لا يجمع على فواعل
الا في حروف مختصة لا يقاس عليها وهي فارس وفوارس
وهالك وهوالك وحالف وحوالف والصافنه هي التي قد رفعت
احدى يديها بالعقل ليلا يضطرب ومنه قوله تعالى الصافنات
الجياد وقاله عمرو بن كلثوم تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنقها
صفونا ويروي يطل حياده يطل جياده نوحا عليه مقلدة اعنقها
صفونا وقاله اخر الف الصفون فما يزال كانه مما يقوم على الثلاث
كسيرا وقال ابو عمر الجرمي الصافن عرق في مقدم الرجل فاذا
ضرب على الفرس رفع رجله وقال الاعشى وكل كميت لجرع السوق
يرين القنا اذا ما صفن الخامسة قال ابن وهب اخبرني ابن ابي
ذويب انه سأله بن شهاب عن الصوافن يقيدها ثم يضعفها وقال
مالك أبى ابن شهاب مثله وكافة العلماء على استحباب ذلك الا ابا حنيفة
والثوري فانه احب ان ينحرها باركة وقياما ونشد عطا مخالف واستحب
نحرها باركة والصحيح ما عليه الجمهور لقوله تعالى فاذا وجبت جنو
بها معناه سقطت بعد نحرها ومنه وجبت الشمس وفي صحيح مسلم
عن زياد بن جبير ان ابن عمر اتى على رجل وهو ينحر بدنته باركة
فقال ابعثها قائمة مقيدة سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وروى
ابو داود عن ابي الزبير عن جابر واخبرني عبد الرحمن بن سابا
ط ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا ينحرون البدنة معقو

البسري قايمة علي مابقي من قوايمها السادسة قال مالك فان ضعف
انسانا او تخرق ان سقلت بدنته فلا ارى باسا ان ينحرها مقولة
او لاختيار ان تخر الابل قايمة غير مقولة الا ان يتقى ذلك
فيعقل ولا تعرقب الا ان يخاف ان يضعف عنها ولا يقوى عليها
ونحرها باركة افضل من ان تعرقب وكان ابن عمر ياخذ الجزية
بيده في عمرة ان فينحرها في صدورها ويخرجها علي سامها قلما
امن كان ينحرها باركة لضعفه وتمسك معه الجزية ارجل اخر واخر
خطامها السابعة وتضجع البقر والغنم ولا يجوز النحر قبل النحر
يوم النحر باجماع وكذلك الاضحية ولا يجوز قبل الفجر فاذا طلع
الفجر حل النحر بمنى وليس عليهم انتظار امامهم بخلاف الاضحية
في سايرالبلاد والنحر بمنى لكل حاج ومكة لكل معتمر ولو نحر الحاج
بمكة والمعتمر بمنى لم يجزه واحد منهما ان سالته الثامنة
قوله تعالي فاذا وجبت جنوبها يقال له وجبت الشمس اذا سقطت
ووجبت الحايط اذا سقط قال قيس بن الخطيم اصاعت موعوفا
امير اليهام عن السلم حتي كان اوله واجب وقال اوس بن حجر لم
تلثفت الشمس البرد والكواكب للحيل الواجب فقوله تعالي فاذا
وجبت جنوبها يريد اذا سقطت علي جنوبها ميتة كنى عن الموت
بالسقوط علي الجنب كما كني عن النحر والذبح بقوله تعالي فاذكروا
اسم الله عليها والكنايات في اكثر المواضع ابلغ من التصريح قال
الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه ما بين قلة راسه والمعصم وقال عنترة
وضربته فترني لبسها فمجدلا اعي سقط مقتولا الي الحيالة وهي الارض
ومثله كثير والوجوب للجنب بعد النحر علامة يرق الدم وخروج
الروح منها وقت الاكل ان وقت قرب الاكل لانه انما يقيد السلخ وقطع
شئ من الذبيحة يطبخ ولا يسلخ حتي يبرد لان ذلك من باب التعذيب
ولهذا قاله عمر رضي الله عنه لا تعجلوا الانفس ان يزيف الثامنة
قوله تعالي فكلوا منها امر معناه الندب وكل العلما يستحب ان ياكل الانسان
من هديه وفيه اخبرنا مسلك اذ كان اهل الجاهلية لا ياكلون من هديهم
شيا عمدا وقال ابو العباس بن سريج الاكل والاطعام مستحبان وقد
الاقتضا دعلي ايهما وقال الشافعي الاكل مستحب والاطعام واجب
فان اطعم جميعها اجزاه وان اكل جميعها لم يجزه وهذا فاكان تطوعا
خاما واجبات الدما فلا يجوز ان ياكل منها شيا حسب ما تقدم بيانه
العاشرة قوله تعالي واطعموا القانع والمعتر قال مجاهد وابراهيم
والطبري قوله واطعموا امر لاباحة والقانع السايل يقال قنع الرجل
يقنع قنوعا اذا سال بفتح النون في الماضي والمستقبل يقنع قناعة
فهو قنع اذا تقنف واستفي سلفته ولم يسل مثل جمد يجمد قناعة وقنفا
وقنعا ما قاله الخليل ومن الاول قول السماح لمال المرء يصلحه فيغني
مفاخره اعف من القنوع وقال الكسايي من القرب من ذكر القنوع
بمعني القناعة وهي الرضي والتقنف وترك المسيلة وروي عن ابي
زجر انه قرا واطعموا القنع ومعني هذا مخالف للاول يقال فيه الرجل
فهو قنع اذا رضي واما المعتر فهو الذي يطيف بك ويطلب ما عندك سايلا
كان او ساكتا وقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد وابراهيم والطبري
والحسن بن ابي الحسن المعتر المعترض من غير سوال قال زهير علي
ما تشريهم رزق من بيتريهم وعند الله المقلين السماحة والبذل
وقاله مالك احسن ما سمعت ان القانع الفقير والمعتر الزاير وروي عن
الحسن انه قرا والمعتري ومعناه كمعني المعتر يقال اعتره واعتراه
وعره وعراه اذا تعرض لما عنده او طلبه ذكر التمامس قوله تعالي
لن ينال الله لحومها ولا دماها فيه خمس مسايل الاولي قوله تعالي

لن ينالوا الله لحومها قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يفرحون بهما البيت فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فنزلت الاية والنيل لا يتعلق بالباري تعالى ولكنه عبر عنه بقبل مجازا عن القبول المعنى لن يصل اليه وقال ابن عباس لن يصعد اليه ابن عيسى لن يقبل لحومها ولا دماؤها ولكن يصل اليه التقوى منكم ايهما اريد به وجهه فذلك الذي يقبله ويرفع اليه ويسمه ويثيب عليه ومنه الحديث انما الاعمال بالنيات والقراة لن ينال الله ويناله بالياء فيهما وعن يعقوب بالياء فيهما نظرا الى اللحوم الثانية قوله تعالى كذلك سخرها لكم من تسخيره علينا بتبديلها وتمكيننا من تصريفها وهي اعظم منا ابدانا واقوى ما اعتصادكم العبد ان الامور ليست على ما يظهر للعبد من التدبير وانما هي بحسب ما يريدها العزيز القدير فتقلب الكبير ليعلم الخلق ان الغالب هو الله الواحد القهار فوق عباده الثالثة قوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم ذكر تسميته ذكر اسمه عليها في الاية قبلها فقال فاذكروا اسم الله عليها وذكر هنا التكبير وكان ابن عمر يجمع بينهما اذا نحر هديه فيقول بسم الله والله اكبر وهذا من فقهه رضي الله عنه وفي الصحيح عن انس قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين قال ورايته يذبحها بيده ورايته واضعا قدميه على صفاحهما وسمى وكبر وقد اختلف العلما في هذا فقال ابو ثور التسمية متعينة كالتكبير في الصلاة وكافة العلما على استحباب ذلك فلو قاله ذكرا خر فيه اسم من اسما الله واراد به التسمية جاز ولذلك لو قال الله اكبر فقط او لا اله الا الله قاله ابن حبيب فلو لم يرد التسمية لم يجز ولا تؤكل قاله الشافعي ومحمد بن الحسن وكره كافة العلما منا اصحابنا وغيرهم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند التسمية في الذبح او ذكره وقالوا لا يذكر هنا الا الله وحده واختار الثنا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح الرابعة ذهب الجمهور الى ان قوله اللهم تقبل منيجا بن ذكره ذلك ابو حنيفة والحجة ما رواه الصحيح وغايشة ومنه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد واله محمد ومن امة محمد ثم ضحى به واستحب بعضهم ان يقوله ذلك بنص الاية الاية ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وكره مالك قولهم اللهم منك واليك وقال هذه بدعة واجاز ذلك ابن حبيب من اصحابنا والحسن والحجة لهما ما رواه ابو داود عن جابر بن عبد الله قال ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم الذبح كبشين اقرنين موجيين املحين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وقرا الى قوله وانا اول المسلمين اللهم منك واليك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر الله اكبر ثم ذبح فلعل مالكا لم يبلغه هذا الخبر او لم يصح عنده او راى العمل يخالفه وعلى هذا يحمل قوله انه بدعة والله اعلم قوله تعالى وبشر المحسنين زعم انها نزلت في الخلفا الاربعة حسب ما تقدم في الاية التي قبلها وهو ظاهر اللفظ فمقتضى العموم في كل محسن قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا الاية روي انها نزلت بسبب المومنين لما كفروا بمكة واذاهم الكفار وهاجر من هاجر الى ارض الحبشة اراد بعضهم مومني بمكة ان تقتل من امكنه من الكفار ويقاتلوه ويغدروا به فنزلت هذه الاية الى قوله كفور فوعد فيها سبحانه بالمدافعة ونهى افصح نهي عن الخيانة والغدر وقدمضى في الانفال التشديد في الغدر وانه ينصب للغادر لواء عند استه يقدر عدد ان يقال هذه غدرة فلان وقيل المعنى يدفع عن المومن بانه يديم توفيقهم حتى يمكن الايمان من قلوبهم فلا يقدر الكفار على اما لتهم عن دينهم وان جروا اكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا بقلوبهم وقيل يدفع عن المومنين باعلابهم بالحجة ثم قتل كافر مومنا نادر وانه فيدفع الله عن ذلك المومن بان قبضه الى

رحمته وقرا نافع لدافع ولو دفاع وقرا ابو عمرو وابن كثير يدفع ولولا
دفع وقرا عاصم وحمزة والكسائي تدافع ولولا دفع وتدافع بمعنى تدفع
مثل عاقبت اللص وعافاه الله والمصدر دفاعا وحلى الزهراوي اراد
مصدر دفع كحسبته حسابا فقوله تعالى اذن للذين يقاتلون قيل
هذا بيان قوله انا الله يدفع عن الذين آمنوا اي يدفع عنهم بموالية
الكفار بان ينتج لهم القتال وينصرهم وفيه اضمار اي اذن للذين
يصلحون للقتال في القتال فحذف لدلالة الكلام على المحذوف
وقال الضحاك استاذن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قتال الكفار اذا دوهم بمكة فانزل الله ان الله لا يحب كل خوان كفور
فلما هاجر نزلت اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وهذا ناسخ
لكل ما في القرآن من اعراضه وترك صفح وهي اول اية نزلت في
القتال قال ابن عباس وابن جبير نزلت عند هجرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ورواه النسائي والترمذي
عن ابن عباس قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة
قال ابو بكر اخرجوا نبيهم ليهلكن فانزل الله اذن للذين يقاتلون
بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير فقال ابو بكر لقد علمت
انه سيكون قتال هذا حديث حسن وقد روي غير واحد
عن سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير
مرسلا وليس فيه عن ابن عباس الثالثة في هذه الاية دليل
على ان الاباحة من الشرع خلافا للمعتزلة لان قوله اذن معناه
ابيح وهو لفظ موضوع في اللغة لاباحة كل ممنوع وقد تقدم هذا
المعنى في المفردة وغيره موضع وقرئ اذن بفتح الهمزة اي اذن الله فيقا
تلون بكسر التاء اي بما تلونه عدوهم وقرئ يقا تلون بفتح التاء اي
يقاتلهم المشركون ورهم المؤمنون ولهذا قال بانهم ظلموا اي اخرجوا
من ديارهم قوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق فيه
تسع مسائل الاولى قوله تعالى الذين اخرجوا هذا احد ما ظلموا
به وانما اخرجوا لقولهم ربنا الله وحده قاله سفيان به وقاله الفرا
يجوز ان يكون في موضع خفض بقدرها مرددة على الباء وهو
قول ابي اسحق الزجاج والمعنى عنده الذين اخرجوا من ديارهم
بلا حق الا بان يقولوا ربنا الله اي اخرجوا بتوحيدهم اخرجهم اهل
الاوثان والذين خرجوا في موضع خفض بدلا من قوله للذين يقا
تلون الثانية قال ابن العربي قال علماؤنا كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يوذن له في الحرب ولم يحل له الدما
انما يومر بالدعا الى الله والصبر على الاذا والصفح عن الجاهل مدة
من عشرة اعوام لاقامة حجة الله تعالى عليهم ووفا بوعده لذي
امنين به بفضله في قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاسمى
الناس في الطغيان وما استدلوا بواضح البرهان فكانت قريش قد
اصطهرت من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى سوهم عن
دينهم وسوهم عن بلادهم فمنهم من فر الى ارض الحبشة ومنهم
من خرج الى المدينة ومنهم من صبر على الاذا فلما عتت قريش
على الله تعالى وردوا امره وكذبوا نبيه عليه السلام وعذبوا
من امن به وعبده ووحده وصدق نبيه عليه السلام واعتصم
بربه اذن الله لرسوله في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم
وانزل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى قوله الامور الثالثة
في هذه الاية دليل على ان نسبة الفعل الموجود من الملجا المكره منتفية
الى الملجا الجاه وآكره لان الله تعالى نسب الاخراج الى الكفار لان
الكلام في معنى تقريب الذنب واكراهه وهذه الاية مثل قوله تعالى اذا خر

الذين كفروا والكلام فيهما واحد وقد تقدم في براءة والحمد لله الرابعة
ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي لولا ما شرعه الله للانبيا
وللمومنين من قتال الاعداء لاستولى اهل الشرك وعطلوا ما بنيته
او باحيا الدوانا ت من مواضع العبادات ولكنه دفع بانه اوجب
القتال ليتفرغ اهل الدين للعبادة فالجهاد امر مستقدم في الامم
وبه صلحت الشرايع واجتمعت المتغيرات فكانه اذن في
القتال فلبقتال المومنون ثم قوي هذا الامر في القتال
بقوله ولولا دفع الله الناس الاية اي لولا القتال والجهاد لتغلب
على الحق في كل امة ممن استشرع من النصارى والصابيين فهو
مناقض لمذهبه اذ لولا القتال ما بقي الدين الذي يدب عينه
وايضا هذه المواضع التي احدثت قتل تخريبهم وتبديلهم وقتل
شيخ تلك الملك بالاسلام انما ذكرت هذا المعنى اي لولا هذا الدفع
لهدم في زمان موسى الكنايس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع
وفي زمن محمد عليه السلام المساجد لهدمت من هدمت البنا
اي نقضته فانهدم قاله ابن عطية هذا صوب ما قيل في الاية
وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ولولا دفع
الله باصحاب محمد الكفار عن التابعين ممن بعدهم وهذا وان كان
فيه دفع فقوم يقولون الاان معنى القتال لما ليف كما تقدم وقال مجاهد
ولولا دفع الله ظلم قوم ببشهادة العدول وقالت فرقة ولولا
دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة وقال ابو الدرداء لولا ان الله
عز وجل يدفع بمن في المساجد عن من ليس في المساجد ومن
يغزو وعن من لا يغزو لاتاهم العذاب وقالت فرقة ولولا دفع
الله العذاب عوعا الفضلا والاخبار الى غير ذلك من التفصيل
المفسد لمعنى الاية وذلك ان الاية ولا بد تقتضي بعد نوعا من الناس
ومدفوعا عنه فتامله الخامسة قال ابن جوار منداد
تضمنت هذه الاية المنع من هدم كنايس اهل الذمة وتبعهم
وبيوت نيرانهم فلا يتركون ان يجددوا ما لم يكن ولا يريدون
في البنيان السعة ولا ارتفاعا ولا ينبغي للمسلمين ان يدخلوها
ولا يصلوا فيها ومتى احدثوا زيادة وجب نقضها وينقض ما
وجد في بلاد الحرب من البيع والكنايس وانما لم ينقض ما في بلاد
الاسلام لاهل الذمة لانها جرت مجرى سوقهم واموالهم التي عا
هدوا عليها في الصايفة ولا يجوز ان يمكنوا من الزيادة لان في
ذلك اظهارا لسياحتنا الكفر وجايز ان ينقض المسجد ليعاد وبنيانه
وقد فعل ذلك عثمان بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم السادسة
فزعم قوم بتخفيف الدال وتشديد الواو مع جمع صومعة
وزنها فوعله وهي بنا مرتفع جدا لاعلا يقاله صمع الرجل
اي رفع راسها وحدده ورجل اصمع القلب اي حاد الفطنة والا
جمع من الرجال الحديد القول وقيل هو الصغير الاذن من الناس
وغيرهم وكانت قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى ونساك
الصابين قاله قتادة ثم استعمل في معبد المسلمين والبيع جمع بيعة
وهي كنيسة النصارى وقاله الطبري وقيل هي كنايس اليهود
ثم ادخل ممن جاهد ما لا يقتضي ذلك وصلوات قاله الزجاج
والحسن هي كنايس اليهود وهي بالعبرانية صلاثا وقال
ابو عبيدة الصلوات بيوت تبنى للنصارى في البراري يصلون
فيها في اسفارهم سميت صلوانا فعربت فقيل صلوات وفي صلوات
سبع قراءات ذكرها ابن عطية صلوات صلوات صلوات صلوات
صلوث وزنه فعلة قوله صلوث بالثا نواحده جمع صليب صلوبا لثا

المثلثة علي وزن فعول صلواة بضم الصاد واللام والف بعد الواو وصلوتا
بضم الصاد واللام وقصر الالف بعد الثاء المثلثة صلوثيا بكسر الصاد
والثاء المثلثة وذكى النحاس وروي عن عاصم الجحدري انه قرأ صلوث وروي
عنه انه قرأ وصلوه وروي عن الضحاك انه قرأ مصلوث بالثاء معجمة
بثلاث ولا ادري ما فتح الصاد ام ضمها قلت فعلي هذا لجي ثنتا عشرة
قراءة وقال ابن عباس الصلوات الكنايس التي للعالية الصلوات مساجد
الصابئين بن زيدهم صلوات المسلمين ينقطع اذا دخل عليهم
العدو وتهدم المساجد فعلي هذا استقر الهدم للصلوات من
حيث تفعل اولاد موضع صلوات فحذف المضاف وعلي قول
ابن عباس والزجاج وغيرهم يكون الهدم حقيقة وقال الحسن
هدم الصلوات تركها فتخرب هي الصوامع الصغار ولم يسمع لها
واحد وذهب حصيف الي ان القصد بهذه الاسماء تقبيح متعبدات
ولم يسمح لها الاسم فالصوامع للرهبان والبيع للنصاري والصلوات لليهود
والمساجد للمسلمين قال ابن عطية والاظهر انها قصد بها المبالغة
في ذكر المتعبدات وهذه الاسماء يشترك الاسم في مسمياتها الا البيعة
فانها مختصة بالنصاري في لغة العرب ومعاني هذه الاسماء هي الا
ماكم التي لهم كتاب علي قديم الدهر ولم يذكر في هذه المجوس ولا اهل
الاشراك لان هؤلاء ليس لهم ما يجب حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند
اهل الشرايع وقال النحاس يذكر فيها اسم الله الذي يجب في كلام
العرب علي حقيقة النظر ان يكون يذكر فيها اسم الله عاليا علي المساجد
لا علي غيرها لان الضمير يليها ويجوز ان يعود علي صوامع وما بعدها
يكون المعني وقتت شرايعهم وافاما منهم الحق السابعة فان قيل
لم قدمت مسافة اهل الذمة ومصلي قتهم علي مساجد المسلمين
قيل لانها اقدم بنا وقيل لقربها من الهدم وقرب المساجد من الذكر
كما اخر السابق في قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات الثامنة قوله تعالي ولينصرن الله من ينصره اي
من ينصر دينه وينبيه ان الله لقوي بمعني قادر قال الخطابي
القوي يكون بمعني القادر ومن قوي علي شيء فقد قدر عليه
عزيز اي جليل شريف قاله الزجاج وقيل المتمنع الذي لا يرام
وقد بينهما في الكتاب الاسني في شرح اسماء الله الحسني قوله
تعالي الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة قال الزجاج الذين
في موضع نصب ردا علي قوله اذن للذين يقاتلون ويكون الذين
ان مكناهم في الارض اربعة من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
لم يمكن في الارض غيرهم وقال ابن المراد المهاجرون والانصار والتابعون
باحسان وقال قتادة اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم
وقال عكرمة هم اهل الصلوات وقال الحسن وابو العالية هم هذه
الامة اذا فتح الله عليهم اقاموا الصلاة وقال ابن ابجر يعني
الولاة وقال الضحاك هو شرط شرطه الله جل وعز علي من اتاه
الملك وهذا حسنه قال سهل بن عبد الله الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر واجب علي السلطانة وعلي العلماء الذين يأتونه وليس
علي الناس ان يأمروا السلطان لان ذلك لا يلزم له واجب عليه
ولا يأمروا العلماء فان الحجة قد وجبت عليهم قوله تعالي وان
يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود هذا تسلية للنبي
صلي الله عليه وسلم وتعزية اي كان قبلك انبياء كذبوا فصبروا
الي ان اهلك الله المكذبين فاصبر انت ايضا واصبر وكذب موسي اي كذبه
قومه وقومه قاما بنو اسرائيل فما كذبوه فلهذا لم يعطفه
علي ما قبله فيكون وقوم موسي فامليت للكافرين اي اخرت

من من يبني في قوله ولينصرن
حتى نصبه وقال ابن كيسان
نصب رداً علي قوله اذن
للذين يقاتلون

عنهم

عنهم المعذبة ثم احذنهم فما فنيتهم فكيف كان نكير استفهام بمعنى
التقرير اي فانظر كيف كان تغيري بما كانوا فيه من النعم بالعذاب
والهلاك فكذلك فافعل بالمكذبين من قريشة قال الجوهري النكير
والانكار تغييرا لمنكر والمنكر واحدا لمناكير قوله تعالى فكاين من
قرية اهلكتها اي اهلكنا اهلها وقد مضى في ال عمران الكلام في كاين
وهي ظالمة اي بالكفر اي هي خاوية على عروشها تقدم في الكهف
وبير معطلة وقصر مشيد قال الزجاج وبير معطلة معطوف
على من قرية اي ومن اهل قرية ومن اهل بير والفراء ذهب
الى ان وبير معطوف على عروشها وقال الاصمعي سالت نافع
ابن ابي نعيم اتهمز البير وكذبت فقال انا كانت العرب تهمزها فاهمزها
واكثر الرواة عن نافع يهمزها الا ورشا فانه روايته عنه بغير
همز فيهما والاصل الهمز ومعنى معطلة متروكة قاله الضحاك وقيل
خالية من اهلها لهلاكهم وقيل غائرة الماء قيل معطلة من دلايها
وارشيتها والمعنى متقاربة وقصر مشيد قال قتادة والضحاك ومقاتل
رفيع طويل قال عدي بن زيد ساده مرمرا فضله كلسا فللطير
في دناه وكور اي رفعه وقال سعيد بن جبير وعطا وعكرمة هو
وما هو محصص من الساج وهو الحصن قال الراجز لاحتبين
وان كنت امرا عمرا الباس الطبن والساج وقال امرؤ القيس ولا
اطما الا مشيدا بجندل وقال ابن عباس مشيدا اي حصينا وقاله
الكلبي وهو مفعل بمعنى مفعول كمبيع بمعنى مبيوع وقال
الجوهري والمشيد المعمول والشيد بالكسر كل شيء طليت
به الحائط من جص او بالفتح المصدر يقول شاده يشيده شيدا
جصصه والمتشيد بالتشديد المطول وقال الكسائي المشيد للواحد
من قوله بقالي وقصر مشيد والمشيد للجمع في بروج مشيدة
وفي الكلام مضمر محذوف تقديره وقصر مشيد مثلها يا معطل
ويقال ان هذه البير والقصر بحضرموت معروفان فالقصر
مشرف على قلة جبل لا يرتقى اليه بحال والبير في سفحه
لا يصدر الريح شيئا يسقط فيه الا اخرجته واصحاب القصور ملوك
الحضر واصحاب الآثار ملوك البدو واسمه فاهلكنا هولاء وهولاء وذكر
الضحاك وغيره في ذكر التغلبي وابو بكر محمد بن الحسن المقري
وغيرهما ان البير الرس وكانت بلدان باليمن بحضرموت في بلد
يقال لها حضورا نزل بها اربعة الاف ممن امن بصالح وبقوا من
الحراث ومعهم صالح فمات صالح فسمي المكان حضرموت لان صالحا
لما حضره مات فسوا حضورا وقعدوا على هذه البير وامروا
عليهم يقال له الفلتن بن حلاس بن سويد فيما ذكر القرظي
التغلبي حلهس بن حلاس وكان حسن السيرة فيهم عادلا عليهم
وملوا وزيره سمعاريب بن سواده فاقاموا دهرا وتناسلوا حتى
كبروا وكانت البير تسقي المدينة كلها وقاديتها وجميع ما فيها
من الدواب والغنم والبقر وغير ذلك لانها كانت له انكرات
كثيرة منصوبة عليها ورحال كثيرة موكلون بها وارون بالنوبة
من رخام وهي بشبه الحياض كثيرة تملا للناس واخر للدواب
واخر للبقر واخر للغنم والقوام يسقون عليها بالليل والنهار
بتنا ولون ولم يكن لهم ما غيرها وطال عمر الملك الذي امروه
فلما جاء الموت اطلى منهو ليبقى صورته لا يتغير وكذلك يفعلون
اذا مات منهم الميت وكان ممن تكرم عليهم فلما مات شق ذلك
عليهم ولما وان امرهم قد فسد وصحوا جميعا بالبقا واغتنمها الشيطان
منهم فدخل في جثة الملك بعد موته بايام كثيرة فكلمهم وقال

انى لم امنن تغيبت عنكم حتى ارى صنيعكم ففرحوا استشعروا الفرح وامر خاصته
ان يضربوا له حجابا بينه وبينهم و يكلمهم من ورايه كيلا يعرف
الموت في صورته فنصبوا صنما من ورا الحجاب لا ياكل ولا يشرب
واخبرهم انه لا يموت ابدا وانه الاه لهم فذلك كله يتكلم به السلطان
على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المومنا لمكذب
منهم اقل من المصدق له فكما تكلم ناصح لهم زجر وقهر فاصغوا
على عبادته فبعث الله اليهم نبيا كان الوحي ينزل عليهم في النوم
دون اليقظة كان اسمه حنظلة بن صفوان فاعلمهم ان الصورة
صنم لا روح له وان السلطان قد اضلهم وان الله لا يتمثل بالخلق
فان الملك لا يجوز ان يكون شريكا لله وعظهم و نصحهم وحذرهم
سطوة ربهم ونعمته فاذوه وعادوه وهو يتعهدهم بالموعظة
ولا يسهم بالنصيحة حتى قتلوه في السوق وطرحوه في بير فعند
ذلك اصابتهم النقمة فما تواشبعا رواء من الماء واصبحوا والبير
قد غارماوها وتقطعت بشاوها فصاحوا باجمعهم وضج النساء والولدان
وصيحت البهايم عطشا حتى عمهم الموت وسلمهم الهلاك وخلفتهم
في ارضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع وتبدلت حياتهم
واموالهم بالسدد وتشوك الفضاء والقتاد فلا يسمع فيها الا عزيف
الجن وزبير الاسد يعود بالسه من بسطوانته ومن الامراء
على ما يوجب نقمانه قال السهيلي واما القصر المشيد ففقصر
بناه شداد بن عاد بن ارم لم يبن في الارض مثله فيما ذكروا
وزعموا وحاله ايضا كحاله هذه البير المذكورة في الحاشية بعد الانبس
واقفاره بعد العمران وان احدا لا يستطيع ان يدنو اهنه على اميال
تسمع فيه من عزيف الجن والاصوات المنكرة بعد النعيم والعيش
الرغد وبها الملك والانتظام الاهل كما تسلك فبادوا وما تعادوا
فذكرهم الله تعالى في هذه الاية موعظة وعبرة ويذكره وذكرا
وتحذيرا من معه المعصية وسوء عاقبة المخالفة نعوذ بالله
من ذلك ونستخيره من سوء المآل وقبل ان الذي املكهم تحت
نصر على ما تقدم في سورة الانبيا في قوله وكم قصمنا من قرية
فتقطعت بيرهم وخربت فقصودهم قوله تعالى افلم يسيروا في
الارض يعني كفار مكة فيشاهدوا هذه القرى فيتعظوا ويحذروا
عقاب الله ان ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم فتكون لهم قلوب
يعقلون بها اضاف العقل الى القلب لانه محله كما ان السمع محله
الاذن وقد قيل ان القلب محله الدماغ وروي عن ابي حنيفة
وما راها عنه صحيحة فانها لا تعمى الابصار قاله الفرا انها عماد
ويجوز ان يتاله فانه وهي قراة عبد الله بن والمعنى واحد التذكير
على الخبر والتانيث على الاضمار والقصة اي فانه الابصار لا
تعمى اوفان القصة لا تعمى اوفان القصة لا تعمى الابصار اي ابصار
العيون ثابتة لهم ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي عن
درك الحق والاعتبار وقال قتادة البصر الناظر حمل للعمه
ومنفعه والنصر النافع في القلب وقال مجاهد لكل عين اربع
اعين يعني لكل انسان اربعا عين عينان في راسه لدنياه وعينا
لقلبه في اخرته فان عميت عينا راسه وابصرت عينا قلبه
فلم يضره عماه شيا وان ابصرت عينا راسه وعميت عينا قلبه
فلم ينفعه نظره شيا وقال قتادة وابن جبير نزلت هذه الاية
في ابن ام مكتوم الاعمى قال ابن عباس ومقاتل لما نزل ومن
كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله فانا في الدنيا
اعمى افتكون في الاخرة اعمى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب

التي

التي في الصدور اي ممن كان في هذه العمى بقلبه عن الاسلام فهو
في الاخرة في النار قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب نزلت
في النضر بن الحارث وهو قوله ائتنا بما تعدنا ان كنت من
الصادقين وقيل نزلت في ابي جهل بن هشام وهو قوله
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
الاية قال الزجاج استعجلوا العذاب فاعلمهم الله انهم لا يفوتونه
بشيء وقد نزل بهم في الدنيا يوم بدر قوله تعالى وان يوما
عند ربك كالف سنة مما تعدون قال ابن عباس ومجاهد
يعني في الايام التي خلق الله فيها السموات والارض عكرمة
يعني من ايام الاخرة اعلمهم الله اذا استعجلوه بالعذاب
في ايام قصيرة انه يأتيهم منها بام طويلة قال الفراء هذا
وعيد لهم بامتداد عذابهم في الاخرة اي يوم من ايام عذابهم
في الاخرة الف سنة وقيل المعنى وان يوما في الخوف
والشدة في الاخرة كالف سنة من سني الدنيا فيها خوف
وشدة ولذلك يوم النعيم قياسا وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي مما تعدون واختاره ابو عبيد لقوله ويستعجلونك
الباقون بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم قوله تعالى
وكاين من قرية املیت اي املهلتها مع عتوها ثم اخذتهم
بالعذاب والي المصير قوله تعالى قل يا ايها الناس يعني اهل
مكة انما انا لكم نذير اي منذر مخوف وقد تقدم في البقرة
الانذار في اولها مبين اي ابين لكم ما جئتكم به من
امر دينكم فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق
كريم يعني الجنة والذين يسعون في اياتنا معاجزين
اي مغالبين مسابقين قاله ابن عباس الحسن معاندين
وقال عبد الله بن الزبير ما هي معجزين اي متشطين
عن الاسلام وقال الاخفش معاجزين مسابقين الرجا ح
اي ظانين انهم يعجزونا لانهم ظنوا ان لا بعث ولا نشور
لا يقدر عليهم وقاله قتادة وكذلك معنى قراءة ابن كثير والي
عمرو معجزين بلا الف مشددة ويجوز ان يكون معناه
انهم يعجزون المومنين في الايمان بالنبي عليه السلام وبالا
يات قاله السدي وقيل اي يسعون من آمن محمدا عليه السلام
الى العجز كقولهم جهينة يسقيه اولئك اصحاب الجحيم قوله
تعالى وما ارسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى تمنى اي
قرا وتلا القى الشيطان في امنيته اي قراءته وتلاوته وقد
تقدم في البقرة قال ابن عطية وجا عن ابن عباس انه
كان يقرا وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث
ذكره مسلمة بن القاسم بن عبد الله رواه سفيان عن عمرو
ابن دينار عن ابن عباس قال مسلمة فوجدت بالمحدثين
متشبثين بالسوء على قراءة ابن عباس لانهم تكلموا بامور
غالبة من اسا الغيب خطرات ونطقوا بالحكمة الباطنة فا
صابوا وعصموا فيما نطقوا لعمر بن الخطاب في قصة ساربة
وما تكلم به من البراهين العالية قلت وقد ذكر هذا
الخبر ابو بكر الانباري في كتاب الرد له وقد حدثني رحمه
الله تعالى علي بن حرب انا سفيان بن عيينة عن عمرو
عن ابن عباس انه قرا وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي ولا محدث قال ابو بكر فهذا حديث لا يوجد به

اعلم ان ذلك قران والمحدث هو الذي يوحي اليه في نومه لان رويا
الانبيا وحي الثانية قالوا العلما هذه الاية مشكلة من جهتين
احدهما انا نقول ما يرون الانبيا صلى الله عليهم فيهم مرسلون
وفيهم غير مرسلين وغيرهم يذهب الى انه لا يجوز ان يقال
نبي حي يكون مرسلا وانه ليل على صحة هذا قوله جل وعز
وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فاوجب للنبي صلى
الله عليه وسلم الرسالة وان معنى نبي انا عن الله عز وجل
ومعنى انا عن الله جل وعز الارسال بعينه وقالوا لقرا
الرسول الذي ارسل اليه الخلق يا رسال جبريل عليه
السلام اليه عيانا والنبي الذي تكون نبوته الهاما او منامات
فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وكذا ذكر القاضي عياض
في كتابه الشفا قال والصحيح والذي عليه الجما الغفير ان
كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واحتج لحديث ابي الدرد
ذر وانا الرسل من الانبيا ثلاث مايه وثلاثة عشر
اولهم ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم والحكم الاخر
التي فيها الاستكمال وهي الثالثة الاحاديث المروية في
نزول هذه الاية وليست منها شي لصح وكان مما يموه
به الكفار على عوامهم قولهم حف الانبيا انه لا يعجزوا عن شي
فلم لا يا تينا محمد بالقرآن وقد لقنا في عداوته وكانوا يقولون
ايضا ينبغي ان لا يجري عليهم سهوه وغلط فبين الرب سبحانه
انهم بشر وا لاني بالحذاء هو الله على ما يريد ويجوز على
البشر السهو والنسيان والغلط الا ان يحكم الله اياته وسيح
هل الشيطان روى الليث عن موسى عن الزهري عن ابي
بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوى فلم بلغ افرايتم اللا
والعزى ومناة الثالثة الاخرى القى عليها فقال فانه شفاعتهن
ترتجى فلقنه المشركون والذين في قلوبهم مرض فسلموا
عليه وفرحوا فقال ان ذلك من الشيطان فانزل الله وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية قال البخاري
وهذا حديث منقطع وفيه هذا الامر وكذا حديث قتادة
وزاد فيه وانهن لهن الغرانيق العلى وافقطع من هذا
ما ذكره الواقدي عن كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله
قال فسجد المشركون كلهم الا الوليد بن المغيرة فانه اخذ
كفا من الارض ورفعه الى جبهته وسجد عليه وكان
شيخا كبيرا ويقال انه ابو اخيه سعيد بن العاص حتى نزل
جبريل عليه السلام فقرا عليه النبي صلى الله عليه
وسلم فقال له ما حبيتك به فانزل الله لقد تركن اليهم شيا
قليلا قال البخاري وهذا حديث منكر منقطع ولا شبها من
حديث الواقدي وفي البخاري عن ابي الذبيه اخذ قبضة من تراب
ورفعها الى جبهته هو امية ابن خلف وسياتي عام كلام
البخاري على الحديث ان شا الله اخر الباب قال ابن عطية
وهذا الحديث الذي فيه فيه هي الغرانيقه العلى وقع في
كتب التفسير ولغوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا
ذكره في علمي مصنف مشهور بل يقتضي مذهب اهل الحديث
ان الشيطان القى ولا يعبئون هذا السب ولا غيره ولا
خلاف ان القا الشيطان انما هو الالفاظ مسمومة مما وقعت
الفتنة ثم اختلف الناس في صورة هذا الالقا فالذي في

التفاسير وهو مشهور والمقول انه النبي صلى الله عليه وسلم
تكلم ملك الالفاظ على لسانه وحدثني ابي رضي الله عنه
انه لقي بالشرف مشيوخ من العلما والمتكلمين ممن هذا
لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم
في التبليغ وانما الامر انما الشيطان نطق بلفظ اسمعه الكفار
عند قوله النبي صلى الله عليه وسلم افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى وقرب صوته من بكوت النبي صلى
الله عليه وسلم حتى التبس الامر على المشركين وقالوا
محمد قراها وقد روي بخو هذا التاويل عن الامام ابي
المعالي وقيل الذي القي شيطان الانس كقوله عز وجل
والقراطيسها قتادة هو ما تلاه يا عينتا وقال القاضي
عياض في كتابي الشفا بعد ان ذكر الدليل على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم وان الامة اجتمعت فيما طريقه
البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شي بخلاف ما
هو عليه لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا او غلطا اعلم اكرمك
الله ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين
احدهما توهيته اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول
فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه
بسند سليم متصله ثقة اولع به ومثله المفسرون والمو
رخون المولعون بكل عدد المتلقطون من الصحف
كل صحيح وسقيم قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه
مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل
يجوز ذكره الا من رواية شعبة عن ابي بشر عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس فما احسب الشك في الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصه
ولم يسنده عن شعبة الا امية بن خالد وغيره يرسله
عن سعيد بن جبير انما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف
من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما
فيه عليه مع وقوع الشك فيه الذي ذكرناه الذي لا
نوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فلا يجوز
الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار
اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم قرا والنجم بمكة فسجد وسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والانس هذا تزهينه
من طريق النقل واما الماخذ الثاني فهو مبني على
تسليم الحديث او صحة وقد اعادنا الله من حديثه ولكن على ذلك
من حاك فقد اية المسلمين عنه ما حويه العث والسمين والذي
يظهر ويترجح في تاويله على تسليمه ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الاي
تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصيد السلطان
لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات
محاكيا فعه النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من
دنا اليه من الكفار فظنوها من قوله النبي صلى الله عليه
وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة
قبل ذلك على ما انزلها الله وحفظهم من حال النبي صلى
الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه قبل

ما روي من حرف النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الامة والشبهة
وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الاية قلت وهذا التاويل احسن ما قيل في هذا وقد
قال سليمان بن حرب ان في يعني عند اي القى الشيطان في قلوب
الكفار عند تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم كقوله عز وجل
ولبثت فينا اي عندنا وهذا هو بمعنى ما حكاه ابن عطية عن ابيه
عن علماء المشرق وابيه استاذ القاضي ابو بكر بن العربي وقال
قبله ان هذه الاية قد في عرفنا دليل على صحة مذهبنا اصل
في براءة النبي صلى الله عليه وسلم فيما ينسب اليه انه قال وذلك
ان الله تعالى قال وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته فاخبر تعالى ان من
سننه في رسله وتسييرته وانبيائه اذا قالوا عن الله تعالى
قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه كما يفعل سائر المعاصي
يقول القيت في الدار كذا والقيت في الكيس كذا فهذا نص في الشيطان
انه زاد في الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى
الله عليه وسلم تكلم به بشر ذكر معنى كلام مبتدا من الى ان قال
وما هدى هذا الا الطبري لجلالة قدره وصفا فكره وسعة
باعه في العلم وسدده ساعده في النظر وكانه اشار الى هذا
الغرض وصوب على هذا المرمى وقرطس بعد ما ذكر في ذلك
روايات كثيرة كلها باطل لا اصل لها ولو شاركل ما رواه احد
ولا سطرها ولكنه فعالها بيد وما غيره من التاويلات مما
حكاه فزعم ان الشيطان اكرهه حتى قال كذا فهو محال اذ ليس
للشيطان قدرة على سلب الانسان الاختيار قال الله تعالى مخبرا
عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
ولو كان للشيطان هذه القدرة لما نجى من احد من بني ادم قوة
في طاعة ومن توهم ان للشيطان هذه القوة فهو فاقد التمييز
والمجوس في ان الخير من الله والشر من الشيطان ومن قال الخير
والشر كليهما من الله قال لا يبعد انه كان يسمع المتكلمين من
المشركين وكانت تاتي حفظه فجرى عند قراءة السورة ما كان
في حفظه سهوا وعلى هذا يجوز السهو عليهم ولا يقرون عليه
وانزل الله هذه الاية تمهيدا لقدرته وتسلية له لئلا يقال انه
رجع عن بعض قرائته وبين ان مثل هذا جرى على الانبياء سهوا
والسهو مما تسمو عنه الله تعالى وقد قال ابن عباس ان شيطانا
يقال له الابيض كان قد اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
صورة جبريل عليه السلام والقى في قراءة النبي تلك الغرانيق العلى
وان شفاعتهم لترتجى وهذا التاويل وان كان اشبه مما قبله فالتا
الاول عليه المعول فلا يعدل عنه الى غيره لاجتباء العلماء المختصين
اياه وضعف الحديث معنى عن كل تاويل والحمد لله ومما يدل على
ضعفه ايضا وتوهينه الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا
ليفتنونك الا يبتين فابهما يراد ان الخبر الذي رووه لان الله تعالى
ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى تعسر وانه لولا ان ثبته لكان يركن
اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى
لم تركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يرون في اخبارهم الواهية انه
زاد على الركون والافتراء بمدح الهتهم فانه قال عليه السلام
افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي بضعف
الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهنا مثل قوله ولولا فضل الله
عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم

وما

وما يضد ونكه من تمني قال القشيري ولقد طالبته فريبته وتفتيش اذ مربالهتهم ان يقتبل بوجهه اليها ووعدوه بالايمان به ان فعل ذلك فيما فعل والاكان ليفعله قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا زكن وقال الزجاج اي كادوا ودخلت ان واللام للتاكيد وقد قيل انه معنى تمنى حديثه لا تلى وروي عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله عز وجل الا اذا تمنى قال الا حدث القى الشيطان في امنيته قال في حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان قال فيدخل الله ما يلقي الشيطان قال المحاسن وهذا من احسن ما قيل في الاية واعلاه واصله وقد قال احمد بن محمد بن حنبل بمصر صحيفه في التفسير رواها علي بن ابي طلحة لو رحل فيها الى مصر قاعدا فما كان كثيرا والمعنى عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حدث نفسه القى الشيطان في وجوهه الحيله فيبطله ويحكم الله عز وجل ان يعمك لسمع المسلمون ويعلم الله عز وجل ان الصلاح في غير ذلك فيبطل ما يلقي الشيطان كما قاله ابن عباس وحكى الكسائي والفراء جميعا تمنى اذا حدث نفسه وهذا هو المعروف في اللغة وحكيا ايضا تمنى اذا تلى وروي عن ابن عباس ايضا وقاله مجاهد والضحاك وغيرهم وقال ابو الحسن بن مهدوي ليس هذا التمني من القران والوحي في شيء وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صعرت يده من المال ورأى ما باصحابه من سوء الحال تمنى الدنيا بقلبه ووسوسة الشيطان وذكر المهدوي عن ابن عباس ان المعنى اذا حدث القى الشيطان في حديثه وهو اختيار الطبري قلت قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة الاية يرد حديث النفس وقد قال ابن عطية لا خلاف ان القا الشيطان انما هو لالفاظ مسموعه بها وقعت العصمه والله اعلم قال المحاسن ولو صح الحديث وانفصل لسنا ده لكان المعنى فيه صحيحا ويكون معنى نسخها اسقاطه ويكون تقديره افرايتم اللات والعزى ومناة الكلام واسقط والغرانيق العلى يعني الملايكة فان شفاعتهم لعود الضمير على الملايكة واما من روى فانهن الغرانيق العلى ففي روايته اجوبة منها ان يكون القول محذوفا كما تستعمل العرب في اشيا كثيرة ويجوز ان يكون بغير حذف ويكون تقديما لان قبله افرايتم ويكون هذا احتجا عليهم فان كان في الصلاة فقد كان الكلام مباحا في الصلاة وقد روي في هذه القصة انه كان مما يقرا افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والغرانيقة العلى وان شفاعتهن لترتجى روي معناه عن مجاهد وقال الحسن اراد بالغرانيق العلى الملايكة وبهذا فسر الكلبي الغرانيقة انها الملايكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملايكة بناة الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجا الساعة من الملايكة صحيح فلما تاولة المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان بذلك نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورجع تلاوة تلك الفظين اللتين وجد الشيطان بهما مسبلا للتلبيس كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته قاله القشيري وهذا غير بعيد بدليل قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يبطله ويشفاعة الملايكة عنده بالحلة والله عليم حكيم علم بما اوحى الى نبيه حكيم في خلقه قوله تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة اي ضلالة للذين في قلوبهم مرض اي شرك ونفاق والقاسية قلوبهم فلا يلين لامر الله قال الثعلبي وفي الاية دليل على ان الانبيا يجوز عليهم السهو والنسيان والغلط ليوسوس الشيطان او عند تشغل القلب حتى يغلط ثم يبينه ويرجع الى الصحيح وهو معنى قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته ولكن انما يكون الغلط على حسب

ما يغلط احدنا فاما ما يضاف اليه من قولهم تلك الغرانيق العلي فكذب على النبي
صلى الله عليه وسلم لان فيه تعظيم الاصنام ولا يجوز ذلك كما لا يجوز ان
يقرا بعض القران ثم ينشد شعرا ويقول غلطت وظننته قرانا وان الظا
لمين لفي شقاق بعيد ان الكافرين لفي خلاف وعصيان ومشاقة
لله ولرسوله وقد تقدم في البقرة قوله تعالى وليعلم الذين اوتوا
العلم اي هنا لمؤمنين وقيل اهل الكتاب انه اي القران الحكم من اياته
القران هو الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم اي تخشع وتسكن
وقيل تخلص وان الله لهادي الذين امنوا هذا قرا ابو جعفر ان الله لهادي الذين
امنوا للتنوين الى صراط مستقيم اي يثبتهم على الهداية قوله تعالى
ولا يزال الذين كفروا في مرية منه يعني في شك من القران قاله ابن جريج
وغيره منه اي الدين وهو الصراط المستقيم وقيل هما القران الشيطان على لسان
محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون ما باله ذكر الاصنام بخير ثم ارتد عنها وقرا
ابو عبد الرحمن السلمي في مرية بضم الميم والكسر اعرف ذكره المحاسبي حتى تاتيهم
الساعة اي القيامة بغتة اي فجاة اذ ياتيهم عذاب يوم عقيم قال الضحاك
عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة المحاسبي سمي يوم القيامة عقيما
لانه ليس بعقبه بعده يوما مثله وهو معنى قول الضحاك والعقيم في
اللغة عبارة عن من لا يكون له ولد وانما كان الولد يكون بين الابوين
وكانت الايام تتوالى قبل وبعد جعل الانتباع فيها كهيئة الولادة ولما لم
يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف بالعقيم وقال ابن عباس ومجاهد وقتا
المراد عذابه يوم بدر ومعنى عقيم لا مثل له في عظمه لان الملائكة قاتلت
فيه بنفسها لانهم لم ينظروا فيه الى الليل بل قتلوا قتل المستضار
يوما لا ليلة له وكذلك يكون معنى قول الضحاك انه يوم القيامة لانه لا ليلة
له وقيل لانه لم يكن فيه لذة ولا راحة وكان عقيما من كل خير ومنه قوله
تعالى في ريح عقيم اي التي لا خير فيها ولا تاتي بمطر ولا راحة
قوله تعالى الملك يومئذ لله يحكم بينهم يعني يوم القيامة هو لله وحده
لا منازع له فيه ولا مدفع والملك هو نفاذ المقدور لمن له تدبير الامور ثم بين
حكمه فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا
وكذبوا بايتنا فاولئك لهم عذاب مهين قيل ويحتمل ان تكون الاشارة
بيومئذ ليوم بدر وقد حكم فيه باهلاك الكافر وسعادة المؤمن وقد
قال عليه السلام لعمر وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل
الله ثم قتلوا او ماتوا الاية فرد ذكر المهاجرين الذين ماتوا وقتلوا
تفضيلا لهم وتشريفا على سائر الموتى وسبب نزول هذه الاية انه لما مات
بالمدينة عثمان بن مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس
من قتل في سبيل الله افضل ممن مات حتف انفه فنزلت هذه الاية
مسوية بينهم ان الله يرزق جميعهم رزقا حسنا وظاهر الشريعة
تدل على ان المقتول افضل وقد قال بعض اهل العلم ان المقتول في
سبيل الله والميت في سبيل الله شهيد ولكن للمقتول مزية ما
اصابه في ذات الله وقال بعضهم هما سواء واحتج بالاية ويقوله
تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله وحد ام حرام فانها صرعت عن ذابتها
فماتت فلم تقتل وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم انت من الاولين ويقوله
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عتيك من خرج من بيته
مجاهدا في سبيل الله فخر عن ادابته فمات او لدغته حية فمات او مات
حتف انفه فقد وقع اجره على الله ومن مات فعصا فقد استوجب النار
وذكر ابن المبارك عن فضالة بن عبيد في حديث ذكر فيه رجلين احدهما
اصيب في غزاة بمخنق والاخر مات هناك فجلس فضالة عند الميت فقيل

له نزلت المشهد ولم تجلس عنده فقال ما ابالي من اي حفرتيها بعست ثم تلا
قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا وماتوا الاية كلها وقال
سلمان بن عامر كان فضالة بن دينوس اميرا على الارباع فخرج بحاره رجلين
احدهما قتيل والاخر متوفي فراى سبيل الناس مع جباره القتيل الى حفرته
فقال اراكم ايها الناس تميلون مع القتيل فوالذي نفسي بيده ما ابالي من
اي حفرتيهما بعثت اقروا قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم
قتلوا او ماتوا هكذا ذكره الثعلبي في تفسيره وهو معنى ما ذكره ابن المبارك
واحتج من قال ان للمقتول زيادة فضل بما ثبت عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه سئل اي الجهاد افضل قال من اهريق دمه وعقر جواده
افضل الشهداء انه من لم يكن تلك الصفة معقول قرا ابن عامر واهل
الشام قتلوا بالتشديد على التكثير والباقون بالتخفيف ليدخلنهم مدخلا
يرضونه اي الجنة قرا اهل المدينة مدخلا بفتح الميم اي دخولا وضمها
الباقون وقد مضى في سبحان ان الله عليم حليم قال ابن عباس عليم
ببأسهم حليم عن عقابهم قوله تعالى ذلك ومن عاقب ذلك في موضع رفع
اي ذلك الامر الذي قصصنا عليك قال مقاتل نزلت في قوم من مشركي
مكة فروهم من المسلمين للبلتين بقيتا من المحرم فقالوا انا اصحاب محمد
يكره القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليه فانا نشدهم المسلمون
انه لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فان المشركون الا القتال فحملوا عليهم
فثبت المسلمون ونصرهم الله على المشركين ويجعل في الفسق المؤمنين
من القتال في الشهر الحرام شئ فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في قوم
من المشركين سلوا بقوم من المسلمين فقتلوهم يوم احد فعاقبهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله فمعنى من عاقب بمثل ما عوقب
به اي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه فسمي جزاء العقوبة بمعقوبة لا
يستوا الفعلين في الصورة فهو مثل وجزاء سيئة سيئة مثلها مثل
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقد تقدم
ثم بغي عليه اي بالكلام والاذعاج من وطنه وذلك ان المشركين كذبوا نبيهم
واذوا من امن به واخرجوه واخرجوهم من مكة وظاهروا على اخراجهم
لينصرنه الله اي لينصرن الله محمدا عليه السلام واصحابه فان الكفار بغوا
عليهم ان الله لعفو غفور اي عفا عن المؤمنين اي عفا عن المؤمنين وقتالهم
لهم في الشهر الحرام وستر قوله تعالى ذلك ان الله يولج الليل في النهار
اي ذلك قصصت عليك من نصر المظلوم هو بانى انا الذي اولج الليل في
النهار فلا يقدر احد على ما اقدر عليه اي من قدر على هذا على من ينصر
عبده وقد مضى في ال عمران ويولج النهار في الليل وان الله سميع بصير
يسمع الاقوال ويبصر الافعال فلا يجزى عنه مثقال ذرة ولا يبيت عملة
لا يعلمها ويسمعها ويبصرها قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق قد بينه
لخلقه وعباده حق فالمؤمنون يستحقون منه النصر بحكم وعده الحق
وانما يدعون من دونه هو الباطل اي الاصنام التي لا استحقاق لها
في العبادة وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وابو بكر وانما تدعون
بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم الباقون بالياء على الخبر هنا
وفي لقمان واختاره ابو عبيد وان الله هو العلي اي العالي على كل شئ
بقدرته والعالي عن الاشباه والاضداد المتقدس عما يقول الظالمون
من الصفات التي لا تليق بجلاله الكبير الموصوف بالعظمة والجلال
وكبر الشان وقيل الكبير دون الكبير عبارة عن كمال الذات اي له
الوجود المطلق ابدا وازلا فهو الاول القديم والاخر الباقي بعد
فناء خلقه قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض
مخضرة على كمال قدرته اي من قدر على هذا قدر على اعادة الحيوة
بعد الموت كما قال فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومثله كثير فتصبح

ليس بجواب فيكون منصوبا وانما هو خبر عند الخليل وسيبويه قال
الخليل المعنى انه انزل الله من السما ما كذا وكذا كما قالك المرسل القول
فينطلق وهل يخبرنك اليوم سداسهلق معناه فذ سالته فنطق وقال
الفرا الم تر خبرا كما يقول في الكلام اعلم ان الله جل وعز نزل من السما
ما فتصبح الارض مخضرة كما تقوله مغفله ومسبعه اي ذات غفل وسباع
وهو عبارة عن استحيالها اثر نزوله اما بالنبات واستمرارها كذلك عاده
قاله ابن عطية وروي عن عكرمة انه قال هذا لا يكون الا بمكة
وتهامه ومعنى هذا انه احد قوله فتصبح مخضوذا نيه صاح لبله
وذهب الي ان ذلك الاخضرار ينباح في سايرا لبلاد وقد شاهد
هذا السوسن الاقصي نزله المطر لبلاد بعد قحط اصبحت تلك الارض
الرمله التي تشقيها الرياح فلما خضرت بنبات خفيف رقيق ان الله
لطيف خبير قاله ابن عباس خبير بما يبطوي عليه العباد من الغيوط
عندنا خبير المطر لطيف بارزاق عباده وقيل لطيف باستخراج النبات
من الارض خبير بحاجتهم وفاقتهم قوله تعالي له ما في السموات
وما في الارض خلقا وملكا وكل محتاج الي تدبيره وانتفا نه وان الله
لهو الغني الحميد فلا يحتاج الي شيء وهو المحمود في كل حال قوله
تعالي الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض ذكر نعمه اخري فاخبر انه سخر
لعباده ما يحتاجون اليه من الدواب والشجر والانهار والفلك وسخر
لكم الفلك في حاله جريها وفي عهد الرحمن الاعوج والفلك رفعا علي
الابتدا وما بعده خبره اليا قون بالنصب سقا علي قوله ما في الارض
ويمسك السما ان تقع علي الارض اي كراهيه ان تقع وقالك الكوفيون
لبلا تقع وامساكه لها خلقها لسكون فيها حالا بعد حال الا باذنه اي الا
باذن الله لها بالوقوع فتقع باذنه اي بارادته وخليته ان الله بالناس
لرؤف رحيم اي في هذه الاشيا التي يسخرها لهم قوله تعالي وهو الذي
احياكم اي بعد ان كنتم نطفا ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم اي للحساب
والثواب والعقاب ان الانسان لكفور اي جحود اي لمن اظهر من الايات
الدالة علي قدرته ووحدانيته قال ابن عباس يريد الاسود بن عبد
الاسود وابا جهل بن هشام والعاص بن هشام وجماعة من المشركين
وقيل انما قال ذلك لان الغالب علي الانسان كفران المنعم كما قال وقليل
من عبادي الشكور قوله تعالي لكل امة جعلنا منسكا اي شرعا
هم ناسكوه اي عاملون به فلا ينازعنك في الامر احد منهم فما شرع
لامتك فقد كانت الشرايع في كل عصر وروت فرقة ان هذه الاية
نزلت بسبب جدال الكفار بامر الرياح وقولهم للمومنين ياكلون
ما ذبحتم ولا تاكلون ما ذبح الله من الميتة فكان ما تقتلونه احق ان
ياكلوه مما قتلتم انتم بسكاكينكم فنزلت الاية بسبب هذه المنازعة وقد
مضي هذا في الانعام والحمد لله وتقدم في هذه السورة ما للعلما في
قوله تعالي منسكا وقوله هم ناسكوه يبطي ان المنسك المصدر
ولو كانت الموضع لقال هم ناسكوه فيه وقال الزجاج فلا ينازعنك في
الامر اي فلا تجبهم بذلك ودل علي هذا قال حاجوك ويقال قد نازعوه
فكيف قال فلا ينازعنك فلا تضاربنه انت فيجري هذا فالجواب ان
المعني فلا تنازعهم انت نزلت الاية قبل الامر بالقتال تقول ايضا
دينك فلا تضاربه انت فيجري هذا في باب المفاعلة ولا يقال لا
يضربنك زيد وانت تريد لا يجرب زيدا وقرا ابو محله فلا ينزعنك
في الامر اي لا يستخفنك يقلبك عن دينك وقرا الجماعة من المنازعة
ولفظ النهي في القرا نبي لكفارا والمراد النبي صلي الله عليه وسلم
وادع الي ربك اي الي توحيده ودينه والايمان به انك لعلي هدي اي
دين مستقيم اي قويم لا اعوجاج فيه قوله تعالي وان جادلوك اي فا

صموك يا محمد بريد مشركي مكة فقل الله اعلم بما تعملون بريد من تكذ
يبهم محمدا صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس وقال مقاتل هذه
الاية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وهو في السما
السابعة لما راى من ايات ربه الكبرى فاوحى الله اليه وان جادلوك
بالباطل فاد فعهم بقولك الله اعلم بما تعملون من الكفر والتكذيب
فامر الله بالاعراض عن مجادلتهم صيانة له عن الاشتغال بتعنيتهم
ولا جواب لصاحب العناد الله يحكم بينهم يوم القيامة بريد من النبي
وقومه فيما كنتم فيه تختلفون بريد في خلافكم اياتي فتعرفون حينئذ
الحق من الباطل مسئلة في هذه الاية ادب حسن علمه الله عباده
في الرد على من جادل تعنتا وعنادا ان لا يجاب ولا يناظر ويدفع بهذا
القول الذي علمه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان هذه
الاية منسوخة بالسيف بعد السكوت عن مخالفه والاكتفاء بقوله
الله يحكم بينهم قوله تعالى الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات اي واذ
قد علمت يا محمد هذا فاعلم انه يعلم ايضا ما انتم مختلفون
فيه فهو يحكم بينكم وقد قيل انه استفهام تقرير للغير ان ذلك في
كتاب اي كل ما يجري في العالم فهو مكتوب عند الله في ام الكتاب ان ذلك
على الله يسير اي ان الفصل بين المختلفين على الله يسير وقيل
ان المعنى ان كتابة القلم الذي امره ان يكتب ما هو كائن الى يوم القيا
مة على الله يسير قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات الاية
ويعبدون يريد كفار قريش من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي
حجة ويرهانا وقد تقدم في ال عمران وما ليس لهم به علم وما للظا
لمين من نصير قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات بينن
القران تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الغضب والعبوسة
يكادون يسطون اي يبطشون والسطوة الشدة والبطش يقال
سطا به يسطو اذا بطش به كان ذلك لضرب او لشتم وسطا عليه
بالذين يتلون عليهم اياتنا وقال ابن عباس يبطشون اليهم ايديهم
محمدين كفي اي تعمون بهم الضحاك اي ياخذونهم اخذا باليد
والعنف واخذ واصل السطو القهر والله ذو بسطوات اي اخذات
شديدة قل افانبئكم بشر من ذلكم النار اي اكره من هذا القران
الذي يسمعونه هو النار فكانهم قالوا ما الذي هو شر فقيل هو النار
فيكون هذا وعيدا لهم على بسطوتهم بالذين يتلون القران ويجوز
في النار الرفع والنصب والخفض والرفع على هي هو النار او هي النار والنصب
بمعنى اعني او على اضمار فعل مثل الاول او يكون محمولا على المعنى
اي اعرفكم بشر من ذلكم النار والخفض على البدل وعدها الله
الذين كفروا في القيامة وبيس المصير اي المرجع الذي يصيرون
اليه وهو النار قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له هذا متصل بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به
سلطانا وانما قال ضرب مثل لان حجج الله تعالى عليهم بضرب
الامثال لهم اقرب افهامهم فان قيل فاين المثل المضروب
ففيه وجهان الاول قال الاخفش ليس ثم مثل وانما المعنى ضربوا
الي مثلا فاستمعوا قولهم يعني ان الكفار جعلوا لله مثلا بعبادتهم
غيره فكانه قال جعلوا لله شبيها في عبادتي فاسمعوا خبرهذا
السبب الثاني في قوله الفتي وان المعنى يا ايها الناس مثل من
عبد الله لم يستطع ان يخلق ذبابا وان سلبها الذباب شيا لم
يستطع ان يستنقذه منه وقال الخاسن المعنى ضرب الله عز
وجل مما يعبد من دونه مثلا قال وهذا من احسن ما قيل
فيه اي يبين الله لكم شبهها ومعبودكم ان الذين تدعون من دون

الله فزاد العامة تدعون بالتاء وقرأ المسلمي وابو العالية ويعقوب بالياء على الخبر والمراد الاوثان الذين عبدوهم من دون الله وكانت حول الكعبة وهي ثلاثمائة وستون صنما وقيل الشياطين الذين صرفوهم عن طاعة الله تعالى وقيل الشياطين الذين حملوهم معصية الله والاول اصوب لن يخلقوا ذبابا اسم واحد للذكر والانثى والجمع القليل اذبة والكثير ذبان على مثل عراب واعربه وعربان وسميه لكثرة حركته الجوهري والذباب معروف الواحده ذبابه ولا يقل ذبانه والمذبه ما يذب به الذباب وذبابي السان الابل حدها وذباب السيف طرفه الذي يضرب به وذباب العين اسنانها والذباب بقيه من الدين وذبب النهار اذا لم يبق منه الا بقيه والتذبذب التحرك والذبابه لوسي الذي يعلق في الهوا والذبذب الذكر كثر ذكره في الحديث منه وفي بشر ذبذبه وهذا مما لم يذكره على قوله وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه الاستنقاذ والانقاذ التخليص قال ابن عباس كانوا يطلون اصنامهم بالزعفران فيجئ ذبان فيلحسه وقال السدي كانوا يجعلون للاصنام طعاما فيقع عليه الذباب فيا كل ضعف الطالب والمطلوب قبل الطالب الاله والمطلوب الذباب وقيل بالعكس وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب الصنم فالطالب يطلب الى هذا الصنم بالتقرب اليه والصنم المطلوب اليه وقد قيل لا يسلبهم الذباب شيئا راجع الى اله في فرض ابدانهم حتى يسلبهم الصبر لها والوقار معها وخص الذباب لاربعة امور تخصه لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته فاذا كان هذا الذي هو اضعف الحيوان واحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله على خلق مثله ودفع الاية فكيف يجوز ان يكونوا الهة معبودين وارباما مطاعين وهذا من اقوى حجة واوضح برهان قوله تعالى ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هذه الاصنام شركا وقد مضى في الانعام ان الله لقوي عزيز قوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس خبر السورة بان الله اصطفى محمدا للتبليغ الرسالة اي ليس بدعا ممن ارسل مرغبا وقيل انه الوليد بن المغيرة قال او انزل عليه الذكر من بيننا فنزلت الاية واخبر ان الاختيار اليه سبحانه ان الله سميع لاقوال عباده بصير بمن يختاره من خلقه لرسالته يعلم ما بين ايديهم يريد ما قدموا وما خلفهم يريد ما خلفوا مثل قوله في يس انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا يريد بين ايديهم واثارهم يريد ما خلفوا والى الله ترجع الامور قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا تقدم في اول السورة انها فصلت بسجدتين وهذه السجدة الثانية لم يرها مالك وابو حنيفة من العزايم لانه قرن الركوع بالسجود وان المراد بها الصلاة المفروضة وخص الركوع والسجود تشريفا للصلاة وقد مضى القول في الركوع والسجود مبينا في البقرة والحمد لله قوله تعالى واعبدوا ربكم اي امتثلوا امره وافعلوا الخير ندب فيها عدا الواجبات التي صح وجوبها من غير هذا الموضع قوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده قيل عني به جهاد الكفار وقيل هو اشارة الى امتثال جميع ما امر الله به والانتهاء عن كل ما نهى عنه اي جاهدوا انفسكم في طاعة الله وردها عن الهوى وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته والظلمة في رد ظلمتهم والكافرين على كفرهم قاله ابن عطية وقال مقاتل هذه الاية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وكذا قال هبة الله ان قوله حق جهاده وقوله في الاية الاخرى حق تقاته منسوخ بالتخفيف الى الاستطاعة في

هذه الاوامر ولا حاجة الى تقدير النسخ فان هذا هو المراد من اول الحكم لان حق جهاده
ما ارتفع عنه الحرج وقد روي سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير دينكم ايسره وقال ابو جعفر النحاس وهذا مما لا يجوز ان يقع فيه نسخ ه
لانه واجب على الانسان كما روي حيوة بن سريح يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال الى اهد من جاهد نفسه لله عز وجل وكما روي ابو غالب عن ابي امامة ان ه
رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم اي الجهاد افضل عند الجمرة الاولى فلم يجبه ثم
سأله عند الجمرة الثانية فلم يجبه ثم سأله عند الجمرة العقبة فقال صلى الله عليه وسلم
اين السايل فقال انا ذا فقال عليه السلام كلمة عدل عند سلطان جابر قوله تعالى
وما جعل عليكم في الدين من حرج فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى من حرج اي من
ضيق وقد تقدم في الانعام وهذه الاية تدخل في كثير من الاحكام وهي مما خص الله
بها هذه الامة روى معمر عن قتادة قال اعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبي
كان يقال للنبي اذهب فلا حرج عليك وقيل لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من
حرج والنبي شهيد على امته وقيل لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس ويقال ه
للنبي فقيل تعطه وقل لهذه الامة ادعوني استجب لكم الثانية واختلف ه
العلماء في هذا الحرج الذي رفعه الله فقال عكرمة هو ما احل من النساء مثنى وثلاث ه
ورباع وما ملكت يمينك وقيل المراد قصر الصلاة والافطار للمسافر وصلاة الايما
لمن لا يقدر على غيره وحط الجهاد عن الاعمى والاعرج والمريض والعديم الذي ه
لا يجد ما ينفق في غزوه والغريم ومن له والدان وحط الاصر الذي كان على بني
اسرايل وقد مضى تفصيل اكثر هذه الاشيا وروي عن ابن عباس والحسن البصري
ان هذا في تقديم الاهلة وتاخيرها في الفطر والاضحى والصوم فاذا اخطات
الجماعة هلال ذي الحجة فوقفوا قبل عرفة بيوم او وقفوا يوم النحر اجزاهم ه
على خلاف بيناه في كتاب المقتبس في شرح موطا مالك بن انس وما ذكرناه هو الصحيح
في الباب وكذلك الفطر والاضحى لما رواه حماد بن زيد عن ايوب عن محمد بن المنكدر
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطركم يوم تفطرون واضحاكم
يوم تضحون خرجه ابو داود والدارقطني ولفظه ما ذكرناه والمعنى باجتهاد كم
من غير خرج يلحقكم وقد روي الايمة انه عليه السلام سيل يوم النحر عن اشيا فما
سيل عن امر مما ينسى المرا ويجهل من تقديم الامور بعضها قبل بعض واشباهها
الا قال فيها افعل ولا حرج الثالثة قال العلما رفع الحرج انما هو لمن استقام
على منهاج الشرع واما السلاتة السراق واصحاب الحدود فعليهم الحرج وهم جاعلوه
على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع اعظم حرجا من آلام ثبوت رجل لاثنين في
سبيل الله ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج قوله تعالى ملة ابيكم قال
الزجاج المعنى اتبعوا ملة ابيكم الفرا انتصب على تقدير حذف الكاف كانه قال كملة
وقيل المعنى فافعلوا الخير فعل ابيكم فاقام الفعل مقام الملة فابراهيم هو ابو العرب
قاطبة وقال الخطاب جميع المسلمين فان لم يكن الكل من ولده لان حرمة ابراهيم على المسلمين
كحرمة الوالد على الولد هو سماكم المسلمين من قبل قال ابن زيد والحسن هو راجع الى ابراهيم
والمعنى هو لما سماكم المسلمين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا ابي في حكمه ان من
اتبع محمدا فهو مسلم قال ابن زيد وهو معنى قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك قال النحاس وهذا القول يخالف لقول علما الايمة روي عن ابن ابي ه
طلحة عن ابن عباس قال سماكم الله عز وجل المسلمين من قبل اي في الكتب المتقدمة وفي
هذا القرآن وقاله مجاهد وغيره ليكون الرسول شهيدا عليكم اي بتبليغه اياكم وتكونوا
شهدا على الناس ان رسلهم قد بلغتهم كما تقدم في البقرة فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة ه
واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير تقدم مستوفى والحمد لله تفسير
سورة المومنين مكية هي مائة وثمان عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى قد افلح المومنون اي قوله خالدون فيه سبع مسايل الاولى قوله ه
تعالى قد افلح المومنون روى البيهقي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لما خلق الله جنة عدن وغرس اشجارها بيده قال تكلمي فقالت قد افلح المومنون
وروى النسايي عن عبد الله بن السايب قال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم

الفتح فصلي في قبل الكعبة فخلع نعليه فوضعهما عن يساره فافتتح سورة المومنين
فلما جاذكر موسى او عيسى عليهما السلام اخذته سعلة فركع فخرجه مسلم بمعناه في
الترمذي عن عمر بن الخطاب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي سمع
عند وجهه كدوي النحل وانزل عليه يوم فمكثنا ساعة فسري عنه فاستقبل القبلة ه
فرفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا ثم قال انزل علي عشر ايات من اقامهن دخل ه
الجنة وقرا قد افلح المومنون حتى ختم عشر ايات صححه ابن العربي وقال النحاس من
اقام عليهن ولم يخالف ما فيهن كما تقول فلان يقوم بعمله ثم نزل بعد هذه الايات فرض
الوضوء والحج فدخل معهن وفراطلحة بن مصرف قد افلح المومنون بضم الالف على الفعل
المجهول اي انقوا في الثواب والخير وقد مضى في البقرة مع الفلاح لغة ومعنى والحمد لله
الثانية قوله تعالى خاشعون روى المعتمر عن خالد عن محمد بن سيرين قال كان النبي
صلى الله عليه وسلم ينظر الى السما في الصلاة فانزل الله عز وجل هذه الاية الذين هم في صلاتهم
خاشعون فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر حيث يسجد وفي رواية هشيم كان ه
المسلمون يلتفتون في الصلاة وينظرون حتى انزل الله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم
خاشعون فاقبلوا على صلاتهم ونظروا امامهم وقد تقدم للعلما في حكم المصلي الى اين
ينظر في البقرة عند قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وتقدم ايضا معنى الخشوع ه
لغة ومعنى في البقرة ايضا عند قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين والخشوع ه
محله القلب فاذا خشع خشعت الجوارح لخشوعه اذ هو ملكها حسب ما بيناه اول
البقرة وقال الرجل من العلما اذا قام الى الصلاة وقام اليها بهاب الرحمن ان يمد بصره
الى شي وان يحدث نفسه بشي من الدنيا وقال عطا هو ان لا يعبث بشي من جسده في
الصلاة وانظر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع ه
قلب هذا لخشعت جوارحه وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى ه
الصلاة فان الرحمة تواجهه فلا يحرك الحصا رواه الترمذي وقال الشاعر ه

ه الا في صلاة المجد والفضل اجمع ه لان بها الارباب لله يخضع ه
ه واول فرض من شريعة ديننا ه واخر ما يبقى اذا الدين يرفع ه
ه فمن قام للتكبير لا فيه رحمته ه وكان كعبد باب مولاه يقرع ه
ه وصار لرب العرش حين صلاته ه نجيا فياطوباه لو كان يخشع ه

وروى ابو عمران الجوني قال قيل لعايشة ما كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت اتقرون سورة المومنين قيل نعم قالت افروا فقري عليها قد افلح المومنون
حتى بلغ يحافظون وروى النسائي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يلحظ في صلاته يمينا وشمالا ولا يلوي عنقه خلف ظهره وقال كعب
ابن مالك في حديثه الطويل ثم صلى قريبا منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم واسارقه
النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه اعرض عني الحديث وتم
بامره باعادته الثالثة اختلف الناس في الخشوع هل هو من فرايض الصلاة او فضايلها
ومكملاتها على قولين والصحيح الاول ومحله القلب وهو اول علم يرفع عن الناس
قاله عبادة ابن الصامت رواه الترمذي من حديث جبير بن نفير ايضا عن عوف بن
مالك الاشجعي من طريق صحيحة قال ابو عيسى ومعاوية بن صالح ثقة عند اهل
الحديث ولا نعلم احدا تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان قلت معاوية بن صالح ابو
عمرو او يقال ابو عمر الحضرمي الحمصي قاضي الاندلس سيل عنه ابو حاتم الرازي ه
فقال صالح الحديث يكتب حديثه ولا يحتج واختلف فيه قول يحيى بن معين ووثقه
عبد الرحمن بن مهدي واحمد بن حنبل وابو زرعة الرازي واحتج به مسلم في صحيحه
وتقدم في البقرة معنى اللغو والزكاة فلا معنى للاعادة وقال الضحاك ان اللغو
بها الشرك وقال الحسن انه المعاصي كلها فهذا قول جامع يدخل فيه قول من قال هو
الشرك وقول من قال هو الغنا كما روى مالك ابن انس عن محمد بن المنكدر على ما ياتي
في لقمان بيانه ومعنى فاعلون اي مودون وهي فصيحة وقد جات في كلام العرب
قال امية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة الارمه والفاعلون للزكوات
الرابعة قوله تعالى والذين هم لفروجهم الاية قال ابن العربي من غريب القران ان
هذه الايات العشر عامة في الرجال والنسا كساير الفاظ القران التي هي محتملة لهم فانها

عامة فيهم الا قوله والذين هم لفروجهم حافظون فانما خاطب بها الرجال خاصة دون
الزوجات بدليل قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وانما عرفى حفظ المراة فرجها
من ادلة اخر كايات الاحصان عموما وخصوصا وغير ذلك من الادلة قلت وعلى هذا
التاويل في الاية فلا يحل لامراة ان يطاها من تملكه اجماعا من العلما لانها غير داخلة
في الاية ولكنها لو اعتقته بعد ملكها له جاز له ان يتزوجها كما يجوز لغيره عند الجمهور
وروي عبد الله بن عتبة والشعبي والنخعي انها لو اعتقته حين ملكته كانا على نكاحهما
قال ابو عمر ولا يقول هذا احد من فقهاء الامصار لان بملكها عندهم يبطل النكاح
بينهما وليس ذلك بطلاق وانما هو فسخ للنكاح وانه لو اعتقه بعد ملكها له لم
يراجعها الا بنكاح جديد ولو كانت في عدة منه للخاصة قال محمد بن عبد الحكم
سمعت حرملة بن عبد العزيز قال سالت مالكا عن الرجل يحلل عبيره فتلا هذه الاية
والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله العادون لانهم يكونون عن الذكر بمعزل
وفيه يقول الشاعر

اذا حللت بواد لا انيس به ۞ فاجلد عبيره لادا ولا حرج

وتسميه اهل العراق الاستمنا وهو استفعال من المني واحمد بن حنبل على ورعه
يجوزه ويجتج بانه احراج فضله من البدن فجاز عند الحاجة اصله الفصد والحجامة
وعامة العلما على تحريمه وقال بعض العلما انه كالفاعل بنفسه وهي معصية
احدثها الشيطان واجراها بين الناس حتى صارت سنة وما لبثها لم تقل ولو قام
الدليل على جوازها لكان ذو والمروة يعرض عنها لدنائتها فان قيل انها احرى من
نكاح الامة قلنا نكاح الامة ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلما خير من
هذا وان كان قد قال به قايل ايضا ولكن الاستمنا ضعيف في الدليل عار بالرجل
الديني فكيف بالرجل الكبير السادس قوله تعالى الا على ازواجهم قال العراقي
من ازواجهم اللاتي احل الله لهم لايجاوزون او ما ملكت ايمانهم في موضع خفض
معطوفة على ازواجهم وما مصدرية وهذا يقتضي تحريم الزنا وما قلناه من
الاستمنا ونكاح المتعة لان التمتع بها لا يجري مجرى الزوجات لا يرث ولا يورث
ولا يلحق به ولدها ولا يخرج من نكاحها بطلاق يستانف لها وانما تخرج بانقضا
المدة التي عقدت عليها وصارت كالمستاجرة قال ابن العربي ان نكاح المتعة جايزه
فهي زوجة الى اجل ينطبق عليها اسم الزوجة وان قلنا بالحق الذي اجمعت عليه الامة
من تحريم نكاح المتعة لما كانت زوجة فلم يدخل في الاية قلت وفايدة هذا الخلاف هل
يجب الحد ولا يلحق الولد كالزنا الصريح او يدفع الحد للشبهة ويلحق الولد قولان لاصحابنا
وقد كان للمتعة في التحليل فالتحريم احوال فمن ذلك انها كانت مباحة ثم حرمها رسول
الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر ثم حللها في عزاة الفتح ثم حرمها بعد قاله ابن
خويز منداد من اصحابنا وغيرهم واليه اشار ابن العربي وقد مضى في النسا القول
فيها مستوفى والحمد لله السابعة قوله فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون فسمى
من نكح ما لا يحل عاديا واوجب عليه الحد لعدوانه واللافظ عاد قرانا ولغة بدليل
قوله بل انتم قوم عادون كما تقدم في الاعراف فوجب ان يقام الحد عليهم وهذا ظاهر
لا غبار عليه قلت فيه نظر ما لم يكن جاهلا اومتاولا وان كان الاجماع منعقدا على
ان قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين خص به الرجال دون النسا فقد روي معمر عن قتادة قال تسرى رجل بامراة
غلامها فذكر ذلك لعمر فسالها ما حملك على ذلك فانت كنت اراه يحل لي تملك يميني كما
يحل للرجل المراة بملك اليمين فاستشار عمر في رجمها اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا تاولت كتاب الله على غير تاويله فارجم عليها فقال عمر لاحرمن فالله لا احللت لحر
بعده ابدا عاقبها بذلك ودرا الحد واسر العبد ان لا يقربها وعن ابي بكر بن عبد الله انه
سمع اباه يقول اتاحضرت عمر بن عبد العزيز جاءته امراة بغلام لها وصي فقالت اني
استسررته فتعبني بنو اعمي عن ذلك وانما انا بمنزلة الرجل يكون له الوليدة فيطاها فانه
عني بي عمي فقال عمر اتزوجت قبله قط قالت نعم قال اما والله لو لا منزلك من الجهالة لرجمتك
بالحجارة ولكن اذهبوا به فبيعوه ابي من يخرج به الى غير بلدها وروا بمعنى بيعوا وهو
مفعول ما تبغي اي من طلب سوى الارواح والولايد المملوكة له وقال الزجاج اي فمن ابتغى

صنع شيا خلقه ومنه قول الشاعر

وانت تفري ما خلقت ٭ وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

وذهب بعض الناس لما نفى هذه اللفظة عن الناس وانما يضاف الخلق الى الله تعالى وقال ابن جريج انما قال احسن الخالقين لانه تعالى قد اذن لعيسى عليه السلام ان يخلق واضطرب بعضهم في ذلك ولا ينفي اللفظة عن البشر في معنى الصنع وانما هي منفية بمعنى الاختراع والايجاد من العدم مسئلة من هذه الاية قال ابن عباس لعمر حين سال مشيخة الصحابة عن ليلة القدر فقالوا الله اعلم فقال عمر ما تقول يا ابن عباس فقال يا امير المومنين ان الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وخلق ابن ادم من سبع وجعل رزقه في سبع فاراها في ليلة سبع وعشرين فقال عمر رضي الله عنه اعجزكم ان ياتوا بمثل ما اتى هذا الغلام ابي لم يجمع سورة راسم وهذا الحديث بطوله في مسند بن ابي شيبة فاراد ابن عباس خلق ابن ادم من سبع بهذه الاية ونقوله وجعل رزقه في سبع قوله فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدايق غلبا وفاكهة وابا الاية السبع منها لابن ادم والاب للانعام والقضب ياكله ابن ادم وتسمى سنة الى هذا قول وقيل القضب النعول لانها تقضب فهي رزق ابن ادم وقيل القضب والاب للانعام والست الباقية لابن ادم والسابعة هي الانعام اذ هي من اعظم رزق ابن ادم قوله تعالى ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد الخلق والحياة النحاس ويقال في هذا المعنى لمايتون ثم اخبرنا البعث بعد الموت فقال ثم انكم يوم القيامة تبعثون قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرايق قال ابو عبيدة اي سبع سموات وحكي عنه انه يقال طارقت الشي اي جعلت بعضه فوق بعض فقيل للسموات طرايق لان بعضها فوق بعض والعرب تسمي كل شي فوق شي طريقه وقيل لانها طرايق الملايكة وما كنا عن الخلق غافلين قال بعض العلما اي عن خلق السما وقال اكثر المفسرين اي عن الخلق كلهم من ان يسقط عليهم فنهلكهم قلت ويحتمل ان يكون المعنى وما كنا عن الخلق غافلين اي في القيام بمصالحه وحفظه وهو معنى الحي القيوم على ما تقدم قوله تعالى وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض فيه اربع مسايل الاولى هذه الاية من نعم الله على خلقه ومما امتن به عليهم ومن اعظم المن الما الذي هو حياة الابدان وما الحيوان والما المنزل من السما على قسمين هذا الذي ذكره الله سبحانه واخبر عنه بانه استودعه في الارض وجعله فيها مختزنا لسقي الناس يجدونه عند الحاجة اليه وهو ما الانهار والعيون وما يستخرج من الابار وروي عن ابن عباس وغيره انه انما اراد الانهار الاربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات وقال مجاهد ليس في الارض ما الا وهو من السما وهذا ليس على اطلاقه والا فالاجاج ما بث في الارض فيمكن ان يقيد قوله بالما العذب ولا محالة ان الله قد جعل في الارض ما وانزل من السما ما اشارة الى العذب وان اصله من البحر رفعه تعالى بلطفه وحسن تقديره من البحر الى السما حتى طاب بذلك الرفح والتصعيد ثم انزله الى الارض لينتفع به ولو كان الامر الى ما البحر لما انتفع بد من ملوحته الثانية قوله تعالى بقدر اي بمقدار يصلح لانه لو كثر اهلك ومنه قوله تعالى وان من شي الا عندنا خزاينه وما ننزله الا بقدر معلوم وانا على ذهاب به لقادرون يعني الما المختزن وهذا تهديد ووعيد اي في قدرتنا اذهابه وتغويره ويهلك الناس بالعطش ويهلك مواشيهم وهذا كقوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماوكم غورا فمن ياتيكم بما معين الثالثة ذكر النحاس قرب علي ابي يعقوب اسحاق ابن ابراهيم ابن يونس عن حامع ابن سواده قال حدثنا سعيد بن سابق قال حدثنا سلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال انزل الله عز وجل من الجنة الى الارض خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجله والفرات وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع الناس في اصنافهم معايشهم وذلك قوله جل ثناوه وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله جل وعز جبريل عليه السلام فرفع من الارض القرآن والعلم وجميع الانهار الخمسة فيرفع ذلك الى السما فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشيا من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا الرابعة كل ما انزل من السما مختزنا كان او غير مختزن فهو طاهر مطهر يغتسل به ٭

بعد ذلك فمفعول الابتغاء مفعول وراء طرف وذلك يشاربه الي كل مذكور مونثا كان او مذكرا ه
فاولئك هم العادون اي المجاوزون الحد من عدا اي جاوز الحد وجاوزه الثامنة قوله تعالي
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم علي صلاتهم يحافظون قرا الجمهور لاماناتهم
بالجمع وابن كثير بالافراد والامانة والعهد بجمع كل ما يحمله الانسان من امر دينه ودنياه فقولا
وفعلا وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك وغاية ذلك حفظه والقيام به والامانة
اعم من العهد وكل عهد فهو امانة فيما تقدم فيه قوله او فعل معتقد التاسعة قرا الجمهور
صلواتهم وحمزة والكسائي صلاتهم بالافراد وهذا الافراد اسم جنس فهو في معني الجمع ه
والمحافظة علي الصلاة اقامتها والمبادرة بها اول اوقاتها واتمام ركوعها وسجودها وقد
تقدم في البقرة مستوفي ثم قال اولئك هم الوارثون اي من عمل بما ذكر في هذه الايات فهم
الوارثون اي يرثون منازل اهل النار من الجنة وفي الخبر عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه
وسلم ان الله تعالي جعل لكل انسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار فاما المومنون فياخذون
منازلهم ويرثون منازل الكفار ويحصل الكفار في منازلهم في النار خرجه ابن ماجه بمعناه عن ه
ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل في
الجنة ومنزل في النار فاذا مات فدخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالي اولئك هم الوارثون
اسناده صحيح ويحتمل ان يسمي الحصول علي الجنة وراثة من حيث حصلوا دون غيرهم فهو ه
اسم مستعار علي الوجهين والفردوس رتبة في الجنة واوسطها وافضلها خرجه الترمذي من
حديث الربيع بنت النضر الحارثة وقال حديث حسن صحيح وفي حديث مسلم فاذا سالتموه الله
فاسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلي الجنة ومنه تفجر انهار الجنة قال ابو حاتم محمد بن
حبان قوله صلي الله عليه وسلم فانه اوسط الجنة يريد ان الفردوس في وسط الجنان في العرض ه
وهو اعلي الجنة يريد في الارتفاع وهذا كله يصحح قول ابي هريرة ان الفردوس جبل الجنة ه
التي تتفجر منه انهار الجنة والله اعلم فيما قال مجاهد رومية عربت وقيل هي فارسية عربت وقيل
حبشية وان ثبت ذلك فهو وفاق بين اللغات وقال الضحاك هو عربي وهو الكرم والعرب تقول
للكروم فراديس هم فيها خالدون فانث علي معني الجنة قوله تعالي ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين اي قوله احسن الخالقين فيه خمس مسايل الاولي قوله تعالي ولقد خلقنا الانسان
الانسان ههنا ادم عليه السلام قاله قتادة وغيره لانه اسل من الطين الصلصال في قوله ثم جعلناه
عابد علي ابن ادم وان كان لم يذكر لشهرته الامر فان المعني لا يصلح الا له نظير ذلك حتي توارت بالحجاب
وقيل المراد بالسلالة ابن ادم قاله ابن عباس وغيره فالسلالة علي هذا صفوة الماء يعني المني
والسلالة فعالة من المسل وهو استخراج الشيء من الشيء يقال سللت الشعر من العجين
والسيف من الغمد فانسل ومنه قوله حنظلي ثابتي من ثابت ينسل فالنطفة سلالة والولد
سليل وسلالة عني به ما يسل من الظهر سلا قال الشاعر ه

فجاء به عضب الاديم غضفره ٭ سلالة فرج كان غير حصين ٭ وقال اخر

وهل هند الا مهرة عربية ٭ سليلة افراس تحللها بغل ٭

وقوله من طين اي ان الاصل ادم وهو من طين قلت اي من طين خالص فالمولود فهو
من طين وسمي حسب ما بيناه في اول سورة الانعام وقال الكلبي السلالة الطين ان عصرته
اسيل من بين اصابعك فالذي يخرج هو السلالة الثانية قوله تعالي ثم انشاناه خلقا
اخر اختلف الناس في الخلق الاخر فقال ابن عباس والشعبي وابو العالية والضحاك وابن ه
زيد هو نفخ الروح فيه بعد ان كان جمادا وعن ابن عباس خروجه الي الدنيا وقال قتادة ه
عن فرقة نبات شعره الضحاك خروج الاسنان ونبات الشعر مجاهد كمال الشباب وروي عن ابن
عمر والصحيح انه عام في هذا وفي غيره من النطق والادراك وحسن المحاولة وتحصيل
المعقولات الي ان يموت الرابعة قوله تعالي فتبارك الله احسن الخالقين يروي ان ه
عمر بن الخطاب لما سمع صدر الاية الي قوله خلقا اخر قال فتبارك الله احسن الخالقين فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم هكذا انزلت وفي مسند الطيالسي ونزلت ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الاية فلما نزلت قلت انا تبارك الله احسن الخالقين فنزلت تبارك الله احسن
الخالقين ويروي ان قايل ذلك معاذ بن جبل ويروي عبد الله بن ابي سرح وهذا السبب ارتد
وقال بمثل ما ياتي محمد وفيه نزلت ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح
اليه ومن قال سانزل مثل ما انزل الله علي ما تقدم في الانعام بيانه وقوله مثل ما انزل الله علي
ما تقدم في الانعام بيانه وقوله تبارك تفاعل من البركة احسن الخالقين اتقن الصانعين يقال لمن

صنع

وبتوضا منه على ما ياتي في الفرقان بيانه قوله تعالى فانشانا لكم به جنات فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى فانشانا اي جعلنا ذلك سبب النبات واوجدناه به وخلقناه وذكر
تعالى النخيل والاعناب لانها ثمرة الحجاز بالطايف والمدينة وغيرهما قاله الطبري ولانها
ايضا اشرف الثمار فذكرها تشريفا وتنبيها عليها لكم فيها اي في الجنات فواكه من غير الرطب
والعنب ويحتمل ان يعود على النخيل والاعناب خاصة اذ فيها مراتب وانواع والاول
اعم لسايرالثمرات الثانية من حلف ان لا ياكل فاكهة ففي الرواية عندنا يحنث بالباقلا
الاخضر وما اشبهها وقال ابو حنيفة لا يحنث باكل القثاء والخيار والجزر لانها من البقول لا من
الفاكهة وكذلك الجوز واللوز والفستق لان هذه الاشيا لا تعد من الفاكهة وان اكل تفاحا
او خوخا او مشمشا او تينا او اجاصا يحنث وكذلك البطيخ لان هذه الاشيا تؤكل على جهة التفكه
قبل الطعام وبعده فكانت فاكهة وكذلك يابس هذه الاشيا الا البطيخ اليابس لان ذلك لا يؤكل
الا في بعض البلدان ولا يحنث باكل البطيخ الهندي لانه يعد من الفواكه وان اكل عنبا ورمانا او
رطبا لا يحنث وخالفه صاحباه فقالا يحنث لان هذه الاشيا من اعز الفواكه وتؤكل على وجه
التنعم والافراد لها بالذكر في كتاب الله لكمال معانيها التخصيص جبريل وميكايل من الملايكة واحتج
ابو حنيفة بان قال عطف هذه الاشيا على الفاكهة مرة قال فيها فاكهة ونخل ورمان ومرة
عطف الفاكهة على هذه الاشيا فقال وفاكهة وابا والمعطوف عنه المعطوف عليه ولا
يليق بالحكمة ذكر الشي الواحد بلفظين مختلفين في موضع المنة والعتب والرمان يكتفي بهما
في بعض البلدان فلا تكون فاكهة ولان ما كان فاكهة لا تفرق بين رطبه ويابسه ويابس
هذه الاشيا لا يعد فاكهة فكذلك رطبها قوله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء
تنبت بالدهن وصبغ للاكلين فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى وشجرة شجرة عطف
على جنات واجاز الفرا لانه لم يظهر الفعل بمعنى وثم شجره ويريد بها شجرة الزيتون وافردها
بالذكر لعظم نافعها في ارض الشام فالحجاز وغيرهما من البلاد وقله بعاهدها بالسقي
والحفر وغير ذلك من المراعاة في سايرالاشجار يخرج في موضع الصفه من طور سيناء
اي انبتها الله في الاصل من هذا الجبل الذي بارك فيه وطور سيناء من ارض الشام وهو
الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام قاله ابن عباس وغيره وقد تقدم في
البقرة والاعراف والطور الجبل في كلام العرب وقيل هو بما عرب من كلام العجم
وقال ابن زيد هو جبل بيت المقدس ممدود من مصر الى ايليه واختلف في سيناء فقال
قتادة فمعناه الحسن ويلزم على هذا التاويل ان يبنون الطور على البعث وقال مجاهد
معناه تبارك وقال معمر عن فرقة معناه وسجر بلغتهم ان يثنوا الطور وقال الجمهور
هو اسم للجبل كما تقول جبل احد وعن مجاهد ايضا سيناء حجر بعينه اضيف الجبل
اليه لوجوده عنده وقال مقاتل كل جبل يحمل الثمار فهو سيناء اي حسن وقرا الكوفيون
بفتح السين على وزن فعلا وفعلا في كلام العرب كثير فمنع من الصرف في المعرفة
والنكرة لان في اخرها الف التانيث والف التانيث ملازمة لما هي فيه وليس في الكلام
فعلا ولكن من قرا سيناء بكسر السين جعله فعلا لا فالهمزة فيه كهمزة حرباء ولم يصرف
في هذه الاية لانه جعل اسم بقعة وزعم الاخفش انه اسم اعجمي التانية
قوله تعالى تنبت بالدهن قرا الجمهور تنبت بفتح التا وضم الباء والتقدير
تنبت ومعها الدهن كما تقول خرج زيد بسلاحه وقرا ابن كثير وابو عمرو
بضم التا وكسر الباء واختلف في التقدير على هذه القراة فقال ابو علي الفارسي
التقدير تنبت جناها ومعه الدهن فالمفعول محذوف وقيل الباء زايدة ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وهذا مذهب ابو عبيده وقال الشاعر

* تضرب بالسيف ونرجو بالفرج * وقال اخر

* هن الحرايرلا ربات اخمر * سود المحاجر لا يقران بالسور

ونحو هذا قاله ابو علي ايضا وقد تقدم وقيل انبت بمعنى فيكون المعنى كما مضى
في قراة الجمهور وهو مذهب الفرا وابي اسحاق ومنه قول زهير

* رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم * قطينا هاحتى اذا انبت البقل *

والاصمعي ينكر انبت ومنهم قصدة زهير التي فيها رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم
* قطينا هاحتى اذا انبت البقل * وقرا الزهري والحسن والاعرج تنبت بالدهن
برفع التا ونصب الباء قال ابن جني هي بالحال اي تنبت ومعها دهنها وفي قراة

ابنه مسعود تخرج بالدهن وهي تا الحاله ابنه درستويه بالدهن
الما اللبن تتبنه من الانبات وقرا ذر بن حبيش تنبت بضم التا وكسر
الباالدهن بحذف الباونصبه وقرا سليمان بن عبد الملك والا
تشهب بالدهانة والمراد من الاية تخصيص نعمة الزيت على الانسان
وهي من اركان النعم التي لاغني بالصحة عنها ويدخل في معني الزيتونة شجر الزيت
كله على اختلافه بحسب الاقطار الثالثة قوله تعالي وصبغ للاكلين ه
قراه الجمهور وقرا فرقة واصباغ بالجمع وقرا عامر بن عبد قيس ومتاعا
والمراد به الزيت الذي يصطبغ به الاكل يقال صبغ وصباغ مثل دبغ ودباغ
ولبس ولباس وكل ادام يوتدم به فهو صبغ حكاه الهروي وغيره واصل
الصبغ ما يلون به الثوب وشبه الادام به ولان الخبز يلون بالصبغ اذا غمس
فيه وقال مقاتل الادم الزيتون والدهن الزيت وقد جعل الله في هذه
الشجرة ادما ودهنا فالصبغ على هذا الزيتون الرابعة لاخلاف ان
كل ما يصطبغ فيه من المايعات كالزيت والسمن والعسل والرب والخل وغير ذلك
من الادام وقد نص رسول الله صلي الله عليه وسلم على الخل فقال
نعم الادام الخل رواه تسعة عشر من الصحابة سبعة رجال وامراتان ومن
رواه في الصحيح جابر وعايشة وخارجه وعمر وابنه وعبيد الله وابن
عباس وابو هريرة وسمرة بن جندب وانس وام هاني الخامسة
واختلف فيما كان جامدا كالتمر والتمر والزيتون وغير ذلك من الجوامد
والجمهور ان ذلك كله ادام فمن حلف ان لا ياكل ادما فاكل تمرا وجبنا حنث
وقال ابو حنيفة لا يحنث وخالفاه صاحباه وقد روي عن ابي يوسف
مثل قول ابي حنيفة والنقل ليس بادام في قولهم جميعا وعن الشافعي في
التمر وجهان والمشهور انه ليس بادام لقوله في التنبيه وقيل يحنث ه
والصحيح ان هذا كله ادام وقد روي ابو داود عن يوسف بن عبد
الله بن سلام قال راي النبي صلي الله عليه وسلم اخذ كسرة من خبز شعير فوضع ه
عليها تمرة فقال هذه ادام هذه وقال صلي الله عليه وسلم سيد ادام الدنيا
والاخرة اللحم ذكره ابو عمر ويرجح البخاري بابه الادام وساق
حديث عايشة ولان الادام ماخوذ من الموادمة وهي الموافقة وهذه الاشيا
توافق الخبز ادما وفي الحديث عنه عليه السلام ابتدموا ولو بالماء ولابي ه
حنيفة ان حقيقة الادام الموافقة في الاجتماع على وجه لا يقبل الفصل
كالخل والزيت ونحوهما واما اللحم والبيض وغيرهما لا يوافق الخبز بل يجاوره
كالطبيخ والتمر والعنب والحاصل ان كل ما يحتاج في الاكل الي موافقة الخبز
كان ادما وكل ما لا يحتاج ويوكل وحده لا يكون ادما والله اعلم السادسة
روي الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ه
صلي الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة هذا حديث
لا يعرف من حديث عبد الرزاق وكان يضطرب فيه فربما يذكر فيه عن عمر عن
النبي صلي الله عليه وسلم وربما رواه علي الشك وقال احسبه عن عمر عن
النبي صلي الله عليه وسلم وربما قال عن زيد بن اسلم عن ابيه عن النبي صلي
الله عليه وسلم وقال مقاتل خص الطور بالزيتون لانه اول الزيتون نبت
منها وقيل اول الزيتون او شجره في الدنيا بعد الطوفان قوله
تعالي وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الاية الي اخرهما
تقدم القول فيهما في النحل والحمد لله وفي هود قصة السفينة ونوح ه
وركوب البحر في غير موضع قوله تعالي وعليها اي وعلي الانعام في البر
وعلي الفلك في البحر تحملون وانما يحمل في البر علي الابل فيجوز ان يرجع
الكناية الي بعض الانعام وروي ان رجلا ركب بقرة في الزمان الاول فانطقها
الله تعالي معه فقالت انا لم نخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقوله تعالي
مالكم من اله غيره قرئ بالخفض رد اعلي اللفظ وبالرفع رد اعلي المعني وقد
مضي في الاعراف قوله تعالي ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم اب

يسودكم ويشرف عليكم بان يكون متبوعا ونحن له تبع ولوشا الله لانزل ملايكة اي لوشا الله ان لا يعبد شيء سواه لجعل رسوله ملكا ما سمعنا بمثل هذا اي بمثل دعوته وقيل ما سمعنا بمثله بشرا اي برسالة ربه في ابائنا الاولين اي في الامم الماضية قاله ابن عباس والباقي بهذا زايدة اي ما سمعنا هذا كائنا في ابائنا ثم عطف بعضهم على بعض فقالوا ان هو يعني نوحا الا رجل به جنة اي جنون لا يدري ما يقول فتربصوا به حتى حين اي انتظروا موته وقيل حتى يتبين جنونه وقال الفراء ليس مرادا بالحين هاهنا وقت بعينه انما هو لقوله دعه الى يوم ما فقال حين تمادوا على كفرهم رب انصرني بما كذبون اي انتقم منهم لتكذيبي ولم تسمع رسالتي فاوحينا اليه اي ارسلنا اليه رسلا من السما ان اصنع الفلك على ما تقدم بيانه فوله تعالى فاذا استويت اي علوت انت ومن معك على الفلك والبين فقل الحمد لله اي احمدوا الله على تخليصه اياكم من القوم الظالمين ومن الغرق والحمد لله كلمة كل شاكر لله وقد في الفاتحة بيانه فوله تعالى فاسلك فيها اي ادخل فيها واجعل فيها يقال سلكته في كذا واسلكته فيه اذا ادخلته قال عبد مناف بن ربيع الهذلي ﴿ حتى اذا اسلكوهم في قيادة شلا كما يطرد الجمالة الشردا ﴾ من كل زوجين اثنين قراحفص من كل بالتنوين والباقون بالاضافة وقد مر وقال الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض فاما البق والذباب والدود فلم يحمل شيا منها وانما تخرج من الطين وقد مضى القول في السفينة والكلام عليها مستوفى فوله تعالى وقل رب انزلني منزلا مباركا قراه العامة منزلا بضم الميم وفتح الزاي على المصدر الذي هو الانزال اي انزلني انزالا مباركا وقرا زر بن حبيش وابو بكر عن عاصم والمفضل منزلا بفتح الميم وكسر الزاعلى الموضع اي انزلني موضعا مباركا الجوهري المنزل بفتح الميم والزا النزول وهو الحلول يقال نزلت نزولا ومنزلا وقال ان ذا لمنزلها حمل ﴿ بلث قد منع العين منخدر سجل ﴾ نصب المنزل لانه مصدر وانزله غيره واستنزله بمعنى ونزله منزلا والتنزيل ايضا الترتيب قال ابن عباس ويجاهد هذا حين خرج من السفينة مثل قوله تعالى اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وقيل حين دخلها فعلى هذا يكون قوله مباركا بمعنى بالسلامة والنجاة قلت وبالجملة فالاية تعليم من الله عز وجل لعباده اذا ركبوا واذا نزلوا ان يقولوا هذا واذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوا وروي عن علي رضي الله عنه انه كان اذا دخل المسجد قال اللهم انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين فوله تعالى ان في ذلك لايات اي في امر نوح والسفينة واهلاك الكافرين لايات اي دلالات على كمال قدرة الله تعالى وانه ينصر اولياءه ويهلك اعداءهم وان كنا لمبتلين اي ما كنا لامتحنين الامم قبلكم اي مختبرين لهم بارسال الرسل اليهم ليظهر المطيع والعاصي فنبين للملايكة حالهم لان ﴿ يستحدث الرب علما وقيل يعاملهم معاملة المختبرين وقد تقدم هذا في البقرة وغيرها وقيل وان كنا وقد كنا فوله تعالى ثم انشانا من بعدهم اي من بعد هلاك نوح قرنا اخرين قيل هم قوم عاد ﴿ فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا الان ما كانت امة انشئت في اثر قوم نوح الا عاد وقيل هم قوم ثمود فارسلنا فيهم رسولا يعني صالحا قالوا والدليل عليه فوله تعالى اخر الاية فاخذتهم الصيحة تظيرة واخذ الذين ظلموا الصيحة قلت وممن اخذ بالصيحة اصحاب مدين قوم شعيب فلا يبعد ان يكونوا هم والله اعلم منهم اي من عشيرتهم يعرفون مولده ومنشاه ليكون شكوتهم الى قوله اكثر فوله تعالى وقال الملا اي الاشراف والقاده والروسا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقا الاخرة يريد بالبعث والحساب واترفناهم في الحياة الدنيا اي وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا وصاروا يوثرون بالترفة وهي مثل التحفة ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون فلا فضل له عليكم لا تحتاج الى الطعام والشراب كانتم وزعم الفرا ان معنى ويشرب مما تشربون على حذف من اي مما تشربون منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يحتاج الى حذف البتة لان ما اذا كان مصدريا لم يحتج الى عايد فان جعلتها بمعنى الذي حذفت المفعول ولم يحتج الى اضمار من ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون يريد لمغبونون بتركم الهتكم واتباعكم اياه من غير فضيلة لد عليكم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون اي مبعوثون من قبوركم وان الاولى في موضع نصب بوقوع يعدكم عليها والثانية بدل منها هذا مذهب سيبويه والمعنى ايعدكم انكم مخرجون اذا متم قال الفرا وفي قراة عبد الله ايعدكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون وهو كقولك اظن ان خرجت انك نادم وذهب الفرا والجرمي وابو العباس والمبرد الى ان الثانية مكررة للتوكيد لما طال الكلام على تكريرها حسا وقال الاخفش المعنى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما تحدث اخراجكم فان الثانية في موضع رفع بفعل مضمر كما تقول اليوم اليوم يحدث العيال وقال ابو اسحاق ويجوز ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون لان المعنى ايعدكم يقول لكم فوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون قال ابي

قوم

عباس

عباس هو كلمة للبعيد كأنهم قالوا بعيدا توعدون اي ان هذا لا يكون ما يذكر من البعث وقال
ابو علي هو بمنزلة الفعل اي بعد ما توعدون وقال ابن الانباري وفي هيهات عشر لغات هيهات
لك بفتح التاء وهي قراءة الجماعة وهيهات لك بخفض التاء يروي عن ابي جعفر وهيهان لك بالخفض
والتنوين يروى عن عيسى بن عمر وهيهات لك برفع التاء التغلبي وبها قرأ نصر بن عاصم وابو العالية
وهيهات لك بالرفع والتنوين وبها قرأ ابو حيوة الشامي ذكر التغلبي ايضا وهيهاتا بالنصب والتنوين
قال الاخوص * تذكرت ايلا مصعبين الصبي * وهيهات ايك رجوعها * واللغة السابعة
ايهات ايهات والشد للغراء فايهات ايهات العقيق ومن به * وايهات خل بالعقيق فواصله
قال المهدوي وقرأ عيسى المهدي هيهات هيهات بالاسكان قال ابن الانباري ومن العرب من
يقول ايهان بالنون ومنهم من يقول ايها بلا نون وانشد الفراء * ومن د ولي الاغبار والفتح كلد
وكنا ايهاما اشتف وابعدا * فهذه عشر لغات فمن قال هيهات يفتح التاء جعله مثل اين وكيف
وقطام لانهما اداتان من كيتان مثل خمسة عشر وبعلبك ورامهرمز ويقف على التاء بالهاء كما تقول خمس عشره
وسبع عشره وقال الفراء نصبها كنصب ثمة وربة ويجوز ان يكون الفتح اتباعا للالف والفتحة التي قبلها
ومن كسره جعله مثل امس وهؤلاء قال وهيهات هيهات ايك رجوعها قال الكسائي ومن كسر التاء وقف
عليها بالهاء فيقول هيهاه ومن نصبها وقف بالتاء وان شاء بالهاء ومن ضمه فعلى مثل منذ وقط ومن
ومن قرأ هيهات بالتنوين فهو جمع ذهب به الى التنكير كأنه قال بعدا بعدا وقيل خفض ونون تشبيها
بالاصوات بقولهم عاق وطاق وقال الاخفش يجوز في هيهات ان يكون جماعة فتكون التاء التي فيها تاء
الجمع التي للتانيث ومن قرأ هيهات جاز ان يكون اخلصها اسما معربا فيه معنى البعد ولم يجعله اسما للفعل
فينبنيه وقيل شبه التاء التاء الجمع كقوله تعالى فاذا اقسمتم من عرفات قال الفراء وكاني استحب الوقف على التاء اذ من
العرب من يخفض التاء على كل حال فكأنها مثل عرفات ومكيوتة وما اشبه ذلك وكان مجاهد وعيسى بن عمر وابو
عمرو بن العلاء والكسائي وابن كثير يقفون عليها هيهاه بالهاء وقد روي عن ابي عمرو ايضا انه كان يقف على هيهات
بالتاء وعليه بقية القراء لانها حرف قال ابن الانباري من جعلها حرفا واحدا لا يفرد احدهما من الاخر وقف على الثاني
بالهاء ولم يقف على الاول فيقول هيهات كما تقول خمس عشرة على ما تقدم ومن نوى افراد احدهما من الاخر وقف
فيهما جميعا بالهاء والغالان اصل الهاء بالهاء قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا هي كناية عن الدنيا اي ما الحياة الا
ما نحيا فيه لا الحياة الاخرة التي بعدنا بعد البعث نموت ونحيي يقال كيف قالوا نموت ونحيي وهم لا يقرون
بالبعث ففي هذا اجوبة سهلة ان يكون المعنى يكون موتانا اي نطفا ثم يحيي في الدنيا وقيل فيه تقديم وتاخير اي هي
الا حياتنا الدنيا نحيي فيها ونموت كما قال واسجدي واركعي وقيل نموت يعني الاباء ونحيي يعني الاولاد وما نحن بمبعوثين
بعد الموت قوله تعالى ان هو الا رجل يفتري على الله كذبا يعني الرسول الا رجل افترى اي اختلق على الله كذبا وما نحن له بمومنين قال
رب انصرني بما كذبون عما قليل اي عن قليل وما زايدة موكدة لتصبحن نادمين على كفرهم واللام لام القسم
اي والله ليصبحن نادمين على كفرهم فاخذتهم الصيحة في الثغاء سير صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة واحدة مع الريح
التي اهلكهم الله بها فماتوا عن اخرهم فجعلناهم غثاء اي هلكى هامدين كغثاء السيل وهو ما يحمله من باقي الشجر والحشيش
والقضب مما يبس ويقشه فبعدا للقوم الظالمين اي هلاكا لهم وقيل بعدا لهم من رحمة الله وهو منصوب على
المصدر ومثله سقيا لهم ورعيا قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم اي من بعد هلاك هؤلاء قرونا اي امما *
قال ابن عباس يريد بني اسرايل وفي الكلام حذف فكذبوا انبيا وهم فاهلكناهم ما تسبق من امة
اجلها من صلة اي ما يستبق امة الوقت لها ولا تتاخره مثل قوله تعالى فاذا جا اجلهم
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ومعنى تترا تتواتر ويتبع بعضهم بعضا ترغيبا وترهيبا
قال الاصمعي واترت الشي عليه اتبعت بعضها بعضا الا ان بين كل واحد منها وبين الاخر مهلة وقال
غيره المتواترة المتتابع بغير مهلة وقرا ابن كثير وابو عمرو وتترا بالتنوين على انه مصدر ادخل فيه
التنوين على فتح الراكقولك حمدا وشكرا فالوقف على هذا على الالف العوضة من التنوين ويجوز *
ان يكون ملحقا بجعفر فيكون مثل ارطى وعلقى كما قال بسين في علقى وفي مدون فاذا وقف
على هذا الوجه جازت الاماله على ان ينوي الوقف على الالف الملحقة وقرا ورش بين *
اللفظتين مثل سكرى وغضبى وهو اسم جمع مثل شتى واسرى واصله وترا من الموانرة *
والتواتر فقلبت الواو فا مثل التقوى والتقلان ونحاه ونحوها وقيل هو من الوتر وهو الفرد
فالمعنى ارسلناهم فردا فردا فرد النحاس وعلى هذا يجوز وتترا بكسر التاء الاولى وبوضعها نصب
على المصدر لان المعنى ثم ارسلنا وانترنا ويجوز ان يكون في موضع الحال اي متواترين يعني
فاتبعنا هم بعضهم بعضا اي بالهلاك وجعلناهم احاديث مع احدوثه وهي ما يتحدث
به كاعاجيب جمع الجوبه وهي ما يتعجب منه قال الاخفش انما يقال هذا في الشر جعلناهم
احاديث ولا يقال في الخير كما يقال صار فلان حديثا اي عبره ومثلا كما قال في اية اخرى

فجعلناهم احاديث وسرقناهم كل ممزق قلت وقد يقال فلان حديث حسن اذا كان
مفيدا يذكر ذلك ومنه قول ابن دريد وانما المرء حديث فكن حديثا حسنا لمن
وعى قوله تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه الى اخر الاية تقدم ومعنى عالين متكبرين
قاهرين لغيرهم بالظلم كما قال تعالى ان فرعون علا في الارض فقالوا انؤمن لبشرين ٥
مثلنا اللاية تقدم ايضا ومعنى من المهلكين اي بالغرق في البحر قوله تعالى ولقد
اتينا موسى الكتاب يعني التوراة وخص موسى بالذكر لان التوراة انزلت عليه في الطور ٥
وهارون خليفته في قومه ولو قال اتيناهما جاز كما قال ولقد اتينا موسى وهارون ٥
الفرقان قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية تقدم في الانبياء القول فيه واويناهما
الى ربوة ذات قرار ومعين الربوة المكان المرتفع وقد تقدم في البقرة والمراد بها هنا
في قول ابي هريرة فلسطين وعنه ايضا الرملة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ابن عباس وابن المسيب وابن سلام دمشق وقال كعب وقتادة بيت المقدس قال كعب
وهي افرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا قال فكنت همدان عن رسن بربوة تعلو له
ريح جنوب وشمال وقال ابن زيد بمصر وروي سالم الافطس عن سعيد بن جبير
واويناهما الى ربوة قال النصف من الارض ذات قرار اي مستوية يستقر عليها وقيل
ذات ثمار واجل الثمار ما يستقر فيها السيول ومعين ناجار ظاهر للعيون يقال معين
ومعين كما يقال رغيف ورغف قاله علي بن سليمان وقال الزجاج هو الماء الجاري في العيون
فالميم على هذا زايدة لزيادتها في سيع وكذلك الميم زايدة في قول من قال انه الماء الذي
يرى بالعين وقيل انه فعيل بمعنى المفعول قال علي ابن سليمان يقال معن الماء اذا اجري
فهو معين ومعون ابن الاعرابي معن الماء معنا اذا جرى وسهل وامعن ايضا ٥
وامعنته ربه معان قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فيه ثلاث مسايل الاولى
روى الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا
وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون
عليم وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد
يديه الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب
لذلك الثانية قال بعض العلما الخطاب في هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم وانما اقامه مقام
الرسل كما قال الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود وقال الزجاج هذه تخاطبه للنبي صلى الله عليه
وسلم ودل الجمع على ان الرسل كلهم كذا امروا اي كلوا من الحلال وقال الطبري الخطاب لعيسى
روي انه كان ياكل من غزل امه والمشهور عنه انه كان ياكل من بقل البرية ووجه خطابه ٥
لعيسى ما ذكرناه من تقديره لمحمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له وقيل ان هذه المقالة خوطب
بها كل نبي لان هذه طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها فيكون المعنى وقلنا يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات كما تقول لتاجر رابح ينبغي ان يجتنب الربا فانت تخاطبه بالمعنى وقيل اقترن
بذلك ان هذه المقالة تصلح لجميع صنفه فلم يخاطبوا قط مجتمعين صلوات الله عليهم اجمعين
خوطب كل واحد في عصره قال الفراء وكما تقول للرجل الواحد كفوا عنا اذاكم الا تسمه سوى الله
تعالى بين النبيين والمومنين في الخطاب بوجوب اكل الحلال وتجنب الحرام ثم شمل الكل في الوعيد الذي
تضمنه قوله تعالى اني بما تعملون عليم صلى الله على رسله وانبيايه واذا كان هذا نعتهم فما ظن
كل الناس بانفسهم وقد مضى القول في الطيبات والرزق في غير موضع والحمد لله وفي قوله عليه ٥
السلام يمد يديه دليل على مشروعية مد اليدين عند الدعا الى السما وقد مضى الخلاف في
هذا والكلام فيه والحمد لله وقوله عليه السلام فاني يستجاب لذلك على جهة الاستبعاد انه ليس اهلا لاجابة
دعايه لكن يجوز ان يستجيب الله له تفضلا ولطفا وكرما قوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة فيه اربع
مسايل الاولى قوله وان هذه امتكم امة واحدة المعنى هذا الذي تقدم ذكره وهو دينكم وملتكم فالزموه
والامة هنا الدين وقد تقدم محامله ومنه قوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة اي على دين وقال ٥
النابغة حلفت فلم اترك لنفسك ريبة ٥ وهل اثمن ذو امة وقعوطايع الثانية قرئ وان هذه بكسر ان على
القطع وبفتحها وتشديد النون قال الخليل هي في موضع نصب لما زال الخافض اي انا عالم بان هذا دينكم
الذي امرتكم ان تثبتوا به وقال الفراء ان متعلقة بتجعل مضمرة تقديره واعلموا ان هذه امتكم وهي عند
سيبويه بقوله فاتقون والتقدير فاتقون لان امتكم واحدة وهذا كقوله تعالى وان المساجد لله
فلا تدعوا مع الله احدا اي لان المساجد لله ولا تدعوا معه غيره ولقوله ليلاف قريش اي
فليعبدوا رب هذا البيت ليلاف قريش الثالثة هذه الاية يقوى ان قوله تعالى يا ايها الرسل انما هو مخاطبة

لجميعهم

لجميعهم وانه بتعذر حصورهم واذا قدرت يا ايها الرسل مخاطبة لمحمد عليه السلام فلك اتصال
هذه وانصال قوله فيقطعوا امرهم ان قوله وانا ربكم فاتقون وان كان قبل للانبيا فامهم
داخلون فيه بالمعني فيحسن بعد ذلك اتصال فيقطعوا ان افترقوا يعني الامم اي جعلوا
اذ نيهم ادبانا بعد ما امروا بالاجتماع ثم ذكر تعالى ان كل منهم معجب برايه وضلالته وهذا
غاية الضلال الرابعة هذه الاية بنظر الي قوله صلي الله عليه وسلم الا ان من قبلكم
من اهل الكتاب افترقوا علي ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق علي ثلاث
وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة الحديث خرجه ابو
داود ورواه الترمذي وزاد قال ومن هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي خرجه
من حديث عبد الله بن عمرو وهذا بين ان الافتراق المحذر منه في الاية والحديث انما هو في اصل
الدين وقواعده لانه قد اطلق عليهما ملا فاخبر ان التمسك بشيء من تلك الملل موجب لدخول
النار ومثل هذا لا يقال في الفروع فانه لا يوجب بعد ولا يمكن ولا عذاب النار قال
الله تعالي لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فقوله تعالي دبرايعني كتبا وضعوها
وضلالات القوها قال ابن زيد وقيل انهم فرقوا الكتب فانبعت فرقة الصحف وفرقة التوراة
وفرقة الزبور وفرقة الانجيل ثم حرفوا الكل وبدل قاله قتادة وقيل احدث كل فريق منهم
كتابا امن به وكفر بما سواه وزبرا بضم الباء قراءة نافع جمع زبور والاعمش وابو عمرو بخلاف
عنه وبرا بفتح الباء اي قطعا كقطع الحديد كقوله تعالي ايوني زبر الحديد كل حزب
اي فريق وملة بما لديهم اي عندهم من الدين فرحون اي معجبون به وهذه الاية
مثال لقريش خاطب محمد عليه السلام في شانهم متصلا بقوله قد زهم في غمرتهم اي
قد رهولاء الذين هم بمنزلة من تقدم ولا يضيق صدرك بتاخر العذاب عنهم قل كل
شيء وقت والغمرة في اللغة ما يعمرك ويغلبك واصله الستر ومنه الغمر الحقد لانه
يغطي القلب والغمر الماء الكثير لانه يغطي الارض وغمر الرداء الذي يشمل الناس به
بالعطايا قال عمر الرداء اذا تبسم ضاحكا علمت افحكته رقاب المال والمراد هنا
الحيرة والغفلة والضلالة وداخل فلانة في غمار الناس اي زحمتهم وقوله حتي حين
قال مجاهد حتي الموت فهو تهديد لا توقيف كما يقال سياتي لك يوم وقوله تعالي
ايحسبون انما نمدهم من مال وبنين ما بمعني الذي اي يحسبون يا محمد ان
الذي يعطيهم في الدنيا من المال والاولاد هو ثواب لهم انما هو استدراج فاعلا
لبس اسراعا في الخيرات وفي خيرات نكرة اقوال منها انه محذوف وقال الزجاج
المعني نسارع لهم به في الخيرات وحذفت به وقال هشام الصرير قوه دقيقا
قال انما هي الخيرات فعاد المعني نسارع لهم فيه ثم اظهر فقال في الخيرات ولا حذف
فيه علي هذا التقدير ومذهب الكسائي اي ايما حرف واحد قد يحتاج الي تقدير
حذف ويجوز الوقف علي قوله وبنين ومن قال ان ما حرفان فلا بد من ضمير
يرجع من الخبر الي اسم ان ولم يتم الوقف علي بنين وقال السجستاني لا يحسن
الوقف علي وبنين لان نحسبون تحتاج الي مفعولين فيتم المفعولين في الخيرات
قال ابن الانباري وهذا خطا لانه ان كافية من اسم ان وخبرها ولا يجوز ان
تاتي بعدان بمفعول ثان وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وعبد الرحمن بن بكرة
ويسارع بالياء علي ان تكون فاعلة امداد ما وهذا يجوز علي ان تكون
علي غير حذف اي نسارع لهم الامداد ويجوز ان تكون فيه حذف ويكون
المعني يسارع الله لهم وقري يسارع لهم في الخيرات وفيه ملتة اوجه
احدها علي حذف به ويجوز ان تكون نسارع الامداد ويجوز ان تكون
لهما اسم ما لم يسم فاعله ذكره النحاس قال المهدوي وقرا الحسن
النحوي يسرع لهم في الخيرات وهو معني قراة الجماعة قال الثعلبي
فالصواب قراة العامة لقوله بل لا يشعرون ان ذلك فتنة لهم
واستدراج قوله تعالي ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
لما فرغ ذكر الكفر وموعدهم عقب ذلك بذكر المومنين المسارعين في الخيرات
ووعدهم وذكر ذلك بابلغ صفاتهم ومشفقون جانعون وخلوق مما خوفهم
الله تعالي والذين هم بايات ربهم يومنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين
يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يوتون الاخلاص ويخافون ان لا

تقبل منهم وروي الترمذي عن عائشة روي النبي صلى الله عليه وسلم قالت
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم
وجلة قالت عائشة اهم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يابنت الصديق
ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ان لا يتقبل منهم
اولئك يسارعون في الخيرات وقال الحسن لقد ادركت اقواما كانوا من
حسناتهم ان ترد عليهم اسفق منكم على سيئاتكم ان يعذبوا عليها وقرات عائشة
وابن عباس والنخعي والذين تاتون ما اتوا مقصورا من الاتيان قال الفراء
ولو صحت هذه القراءة عن عائشة لم يخالف قراءة الجماعة لان العرب
من يلزم فيه الالف في كل الحالات اذا كتب فتكتب سيل الرجل بعد النبي
وتشمئزون بالف بين الزاي والواو وشي وشي بالف بعد الباء فقر مستكبرين في مد
هب هؤلاء ان تكتب تؤتون بالف بعد الباء فيحتمل هذا اللفظ بالبناء على هذا
الخط قراءتين يؤتون ما اتوا وتاتون ما اتوا وينفرد ما عليه الجماعة باحتمال
تاويلين احدهما والذين يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقة وقلوبهم
خائفة والاخر والذين يؤتون الملائكة الذين يكتبون الاعمال على العباد
ما اتوا وقلوبهم وجلة فتحذف مفعول في هذا الباب لوضوح معناه كما حذف
في قوله جل وعز فيه يغاث الناس وفيه تعصرون والمعنى تمصرون السمسم
والعنب فحذف المفعول لوضوح تاويلهم فتكون الاصل في الحرف على ما جاء به
الموجود في الامام باثنين بالف مبدلة من الهمزة فليست الالف واو التاخير
حروف المد واللين في الحفا حكاه ابن الانباري قال النحاس المعروف من
قراءة ابن عباس والذين تاتون ما اتوا وهي القراءة المروية عن النبي صلى الله
صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنهما ومعناها يعملون بما يحبه كما روي
في الحديث والرجل يخاف ان يشقى فالنبي والتائب خوفه امر العاقبة وانقطع
عليه بعد الموت وفي قوله انهم الى ربهم راجعون تنبيه على الخاتمة وفي صحيح
البخاري انما الاعمال بالخواتيم واما المخلط فينبغي له ان يكون تحت خوف
من ان ينفذ عليه الوعيد بتخليطه وقاله بعض اصحاب الخواطر وحل العارف
من طاعته الكبر وخلا من وجلة من مخالفته لانه المخالفة تمحوها التوبة والطاعة
سطلت بصحيح الغرض انهم اي لانهم او من اجل انهم الى ربهم راجعون قوله
تعالى اولئك يسارعون في الخيرات اي في عمل الخيرات اي في الطاعات كي
يسابقوا بها غيرهم على الغرفات والدرجات وقرئ يسرعون في الخيرات اي يكونوا
سراعا اليها ويسارعون على معنى سابقون من سابقهم اليها فالمفعول محذوف
قال الزجاج يسارعون ابلغ من يسرعون وهم لها سابقون احسن ما قيل فيه
انهم يسعون الى اوقاتها وذلك يمنع ان الصلاة في اول الوقت افضل كما هو هم
في البقرة وكل من تقدم في شيء فقد سابق اليه وكل من تاخر عنه فقد سبقه
وجائز ان تكون اللام في لها على هذا القول بمعنى الى كما قال باان ربك اوحى لها
اي اوحى اليها وانشد سيبويه تخانف من حوالي يمامة يا فتى وباقصدت
من اهلها لسويكا وعن ابن عباس في معنى ولها سابقون سبقت لهم
من السعادة فلذلك يسارعون في الخيرات وقيل المعنى وهم من اجل الخيرات
سابقون قوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها قد مضى في البقرة
ان الله تعالى لم يكلف احدا في الشرع من التكليف ما لا يطاق ولدينا كتاب ينطق
بالحق لانه اظهر ما قبل فيه انه اراد كتاب احصاء الاعمال الذي ترفعه الملائكة
واضافه الى نفسه لانه الملائكة كتبت فيه اعمال العباد بامره فهو ينطق
بالحق وفي هذا بهذيد وتانيس من الخيف والظلم ولفظ النطق يجوز في الكتاب
والمراد انه البيان ينطق بما فيه والله اعلم وقيل عني اللوح المحفوظ وقد اثبت
فيه كل شيء فهم لا يجاوزون ذلك وقيل الاشارة بقوله ولدينا كتاب القرآن
فالله اعلم وكذا محتمل والاول اظهر قوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا
قال مجاهد اي في غطاء وغفلة وعماية من القرآن ويقال غمره الماء اذا غطاه
ومنه رجل غمر ممن يغطي الوجه ومنه دخل في غمار الناس وغمارهم اي فيما تغطيه

من

من الجمع وقيل بلد قلوبهم في عمرة اي حيره وعمي اي بما وصف من اعمال البر في الايات
المقدمة قاله قتادة او من الكتاب اليك ينطق بالحق ولهم اعمال من دون ذلك
هم لها عاملون قال قتادة ومجاهد اي لهم خطايا لابد ان يعملوها من دون
الحق وقال الحسن وابن زيد المعنى ولهم اعمال رديه لم يعملوها من دون ما هم
عليه لابد ان يعملوها دون اعمال المومنين يدخلون بها النار ولما سبق لهم من
الشقوة وحقال بالتا انه ظلم الخلق مع الكفر بالخالق ذكره الماوردي
والمعنى متقارب حتى اذا اخذنا مترفيهم من العذاب يعني بالسيف يوم بدر
قاله ابن عباس وقال الضحاك يعني بالجوع حين قال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف
فابتلاهم الله بالقحط والجوع حتى اكلوا العظام والميتة والكلاب والجيف وهلك
الاموال والاولاد اذا هم يجرون اي يصيحون ويستغيثون واصل الجوار
رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور قال الاعشى نصف بقرة فطافت ثلاثا
يومها وليلة وكانا لتكبران لطيئ ونجارا قال الجوهري الخوار مثل الحوار يقال خار الثور اي صاح
وقرا بعضهم عجلا جسدا له خوار حكاه الاخفش وخار الرجل الى الله تضرع بالدعا قتادة تضرحون بالتوبة
فلا يقبل منهم قال برواج من صلوات الميل فطوراً سجدا فطوراً خوارا قال ابن جريج حتى اذا اخذنا مترفيهم
بالعذاب هم الذين قتلوا ببدر اذا هم يجرون هم الذين بمكة فجمع بين العولين المتقدمين وهو حسن
لا تجروا اليوم انكم منا اي من عذابنا لا تنصرون لا تمنعون ولا ينفعكم جزعكم وقال الحسن لا
تبصرون مفعول التوبة وقيل معنى هذا النهي الاخبار اي انكم ان تضرعتم لم ينفعكم قوله تعالى قد
كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون الايات يريد بها القران تتلى عليكم اي تقرا قال
الضحاك قيل ان تعذبوا بالقتل وتنكصون ترجعون وراكم تجاهدون تتباخرون واصله ان
ترجع الخمعثمري قال الشاعر زعموا انهم على سبل الحق وانا نكص على الاعقاب وهو هنا
استعارة للاعراض عن الايمان عن الحق وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه على ادباركم بدل
على اعقابكم تنكصون بضم الكاف وسكون النون حال والضمير في به قال الجوهري وهو مما يدعى
الحرم او المسجد او البلد الذي مكة وان لم يتقدم له ذكر لشهرته في الامراء يقولون نحن اهل الحرم فلا نخاف
وقيل المعنى انه يعتقد. وفي نفوسهم ان لهم بالمسجد والحرم اعظم الحقوق على الناس والمنازل فستكبرون
لذلك ولبني الاستكبار من الحق وقالت فرقة الضمير عليكن على القران من حيث ذكرت الايات والمعنى
محدثين لكم سماع ايات كبرا وطغيانا فلا يومنوا قال ابن عطية وهذا قول حسن للخاسي والقول الاول
اولى والمعنى انهم يفتخرون ويقولون نحن اهل حرم الله قوله تعالى سامرا تهجرون فيه اربع
مسايل الاولى قوله تعالى سامرا تهجرون سامرا يصيغة الحال ومعناه سمارا وهي الجماعة يتحدثون
بالليل ماخوذ من السمر وهو ظل القمر قال المنوري يقال لظل القمر السمر ومنه السمر في اللون ويقال
لم النجب ومنه قيل فاحمة وقرا ابو رجا سمارا وهو جمع سامر كقائم وقيام والناس حوالي وفي حديث
قبله اذا حاز وجدنا من السامر يعني من القوم الذين يسمرون بالليل فهو اسم مفرد بمعنى الجمع كالحاضر وهم القوم
النازلون على الماء والبافر جمع البقر والحامل جمع الابل ذكورها واناثها ومنه قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا
اي اطفالا ويقال قوم سمر وسمر وسامر ومعناه سمر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الاسمار من
صوا القمر قال الجوهري والسامر ايضا السمار وهم القوم الذين يسمرون كما يقال للحاج حجاج وقوله
وسامر طال فيه اللمو والسمر فانه سمي المكان الذي يجتمع فيه للسمر بذلك وقيل وحد سامرا وهو
بمعنى السمار لانه وضع موضع القوة لقول الشاعر من دونهم ان جيئهم سمر الفتيان ومجلس عمر
فقال سمر الان معناه ان جيئهم ليلا وحديثهم وهم يسمرون وانما سمر الليل والنهار لانه يسمر فيهما
يقال لا افعله ما سمر ابنا سمر ابدا ويقال السمير الدهر وابناء الليل والنهار ولا افعله السمر
والقمر ايما دام الناس يسمرون في ليله قمرا ولا افعله سمير الليالي قاله السفري هنالك لا ارجعوا
حياة شرقي سمير الليالي مسبلا بالحرائر والسمار بالفتح الليل الرقيق وكاتب العربة مجلس للسمير
بحدث وهذا اوجب معرفتنا بالنجوم لانها تجلس في الصحراء فترى الطوالع من العوارب وكانت
قريش تسمر حول الكعبة مجالس في اناطيلها وكفرها فعابهم الله بذلك وتهجرون قرى بضم
التا وكسر الجيم من الهجر اذا نطق بالخنا ونصب التا وضم الجيم من هجر المريض اذا هذي
ومعناه تتكلمون بهجر وسي من القول في النبي عليه السلام وفي القران عن ابن عباس
وغيره الثالثة روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انما كره السمر حين نزلت هذه
الاية مستكبرين به سامرا تهجرون يعني ان الله تعالى اقرانا يسمرون في غير طاعة الله

تعالى اما في هدياك واما في اذابه وكان الاعمش يقول اذا رايت الشيخ ولم يكتب الحديث فاصفعه فانه من شيوخ
القمر يعني يجتمعون في ليالي القمر يتحدثون بايام الخلفاء والامراء ولا يحسن احدهم يتوضا للصلاة الحالة
روى مسلم عن ابي برزة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخر العشا الى ثلث الليل ويكره النوم قبلها
والحديث بعدها قال العلما اما الكراهية للنوم قبلها فلئلا يعرضهما للفوات عن كل وقتهما او افضل وقتهما
وعن ابن عمر لمن نام قبلنا من عيبته ثلثا ولمن كره النوم قبلها عمر وابنه عبد الله وابن عباس وغيرهم
وهو مذهب مالك ورخص فيه بعضهم منهم علي وابو موسى وغيرهم وهو مذهب الكوفيون وشرط بعضهم
ان تجعل معه من بوقظة للصلاة وروي عن ابن عمر مثله واليه ذهب الطحاوي واما كراهية الحديث
بعدها فلان الصلاة قد كفرت خطاياه فينام على سلامة وقد ختم الكتاب بصحيفته بالعبادة
فانهم يسمرون ويحدثون فيملوها بالهوس وتجعل خاتمة اللغو والباطل وليس هذا من فعل المؤمنين
وايضا فان السمر في الحديث مظنة غلبة النوم اخر الليل فينام عن قيام اخر الليل وربما ينام عن صلاة
الصبح وقد قيل انما يكره السمر بعدها لما روي جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اياكم والسمر بعد هدأة الرجل فان احدكم لا يدري ما يثبت الله من خلقه اغلقوا الباب واوكوا السقا
الا ناء واطفيوا المصابيح وروي عن عمر انه كان يضرب الناس على الحديث بعد العشا ويقول اسمروا
اول الليل وتوما اخره اراكم ايقاظا كم حتى انه روي عن ابن عمر انه قال من قرا من بيت شعر بعد
العشا لم تقبل له صلاة حتى تصبح واسنده سعد بن اوس الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل
ان الحكمة في كراهة الحديث بعدها انما هو لما ان الله تعالى جعل الليل سكنا اي يسكن فيه فاذا
تحدث الانسان فيه فقد جعله كالنهار والليل هو متصرف المعاش فكانه تصدى الى مخالفة حكمة الله
تعالى التي اجرى عليه وجوده فقال وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا الربع
هذه الكراهة انما تختص بما لا يكون من قبيل العلم والاذكار وتعليم العلم ومسامرة الاهل بالعلم وتعليم
المصالح وما شابه ذلك فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف ما يدل على جواز ذلك بل على
ندبيته وقد قال الطحاوي باب السمر في الفقه والخير بعد العشا وذكر ان قرة بن خالد قال انتظرنا
الحسن وثابت علينا حتى قربنا من وقت قيامه فخا قال دعانا خير امنا هؤلاء ثم قال اليس انتظرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى كان شطر الليل فخا فصلى ثم خطبنا فقال ان الناس قد صلوا
وانكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلوات قال الحسن فان القوم لا يزالون في خير ما انتظروا الخير قال
باب السمر مع الضيف والاهل وذكر حديث ابي بكر بن عبد الرحمن ان اصحاب هذه
الصفة كانوا فقرا الحديث اخرجه مسلم ايضا وقد جاء في حراسة الثغور وحفظها
العساكر بالليل من الثواب الجزيل والاجر العظيم ما هو مشهور في الاخبار وقد مضى
من ذلك جملة في اخر عمران والحمد لله قوله تعالى افلم تدبروا القول يعني
القران وهو قوله تعالى افلا يتدبرون القران وسمي القران قولا لانهم خوطبوا به
ام جاءهم ما لم يات اباءهم فانكروه واعرضوا عنه وقيل ام بمعنى بل اي بل جاءهم
ما لا عهد لهم لاباءهم به فلذلك انكروه وتركوا التدبر له وقاله ابن عباس وقيل
المعنى ام جاءهم امان من العذاب وهو شيء لم يات اباءهم الاولين شركوا الاعز
قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون هذا مستفاد العرب على معنى التوفيق
والتقبيح فيقولون الخير احب اليك ام الشر اي فاذا اخترت الشر فتحببه وقد
عرفوا رسولهم وانه من اهل الصدق والامانة فهو اتباعه النجاة والخير لولا
العنت قال بل جاءهم بالحق اي قد عرفوه ولكنهم حسدوه قوله تعالى ام يقولون به
جنة اي ام تحكمون به في نزل الايمان به بانه مجنون فليس هو كهذا اني لن زال
اما رات الحيون عنه بل جاءهم بالحق يعني القران والتوحيد الحق والدين الحق
واكثرهم اي للهم للحق كارهون حسدا وبغيا وتقليدا قوله تعالى ولو اتبع
الحق هنا الله سبحانه قاله الاكثرون منهم مجاهد وابن جريج وابو صالح وغيرهم
وتقديره في العربية فلو اتبع صاحب الحق قاله النحاس وقد قيل هو مجاز اي لو وافق الحق
اهواهم فجعل موافقته اتباعا مجازا اي لو كانوا يكفرون بالرسل ويعصون
الله جل وعز بما يافسون ولا يجازون على ذلك اما مجازا اما جملا لفسدت
السموات والارض وقيل المعنى ولو كان الحق ما يقولون من اتخاذ الهة من الله جل وعز
لساقب الالهة واراد بعضهم ما لا يريده بعض فاضطرب التدبير وفسدت السموات والارض
واذا فسدتا فسد من فيهما وقيل لو اتبع الحق اهواهم اي ما تهواه الناس ويسمونه ابطل
بطام العالم لان سموات الناس وتختلف وتتضاد وسبيل الحق ان يكون متبوعا وسبيل

الناس

الناس الانقياد للحق وقيل الحق القرآن اي لو نزل القرآن بما تحبون لفسدت السموات
والارض ومن فيهن اشارة الى من يعقل من ملايكة السموات وانس الارض وجنها الماوردي
وقال الكلبي يعني وما بينهما من خلق وفي قراءة بن مسعود لفسدت السموات والارض
وما بينهما فتكون على تاويل الكلبي وقراءة بن مسعود محمولا على فساد من يعقل وما لا
يعقل من حيوان وجماد وظاهر التنزيل في قراءة الجمهور تكون محمولا على فساد ما
يعقل من الحيوان لان ما لا يعقل تابع لما يعقل في الصلاح والفساد فعلى هذا ما يكون
من الفساد تفسد على من في السموات من الملايكة ان جعلت اربابا وهي مربوبة
وعبدة وهي مستعبدة وفساد الانس يكون على وجهين احدهما باتباع الهوى
وذلك ممكن الثاني لعبادة غير الله وذلك كفر واما فساد ما عدا ذلك هذه
فيكون على وجه التبع لانهم مدبرون بدوي العقول فعاد فساد المدبرين عليهم
قوله تعالى بل اتيناهم بذكرهم اي بما فيه شرفهم وعزهم قاله السدي وسفيان وقال
قتادة ايمانهم فيه ذكرناهم وعفا بهم بن عباس اي بثبات الحق وذكر ما لهم به
حاجة من امر الدين فهم عن ذكرهم معرضون قوله تعالى ام تسالهم خرجا اي اجرا
على ما جيتهم به قاله الحسن وغيره فخراج ربك خير وقرا حمزة والكسائي
والاعمش ويحيى بن وثاب خراجا بالف الباقون بغير الف وكلهم قرا فخراج بالف
الا ابن عامر وعاصما فانهما قراة بغير الف والمعنى ام تسالهم رزقا فرزق ربك
خير وهو خير الرازقين اي ليس بقدر احد ان يرزق مثل رزقه ولا ينعم مثل
انعامه وقيل اي ما يوتيك الله من الاجر على طاعتك له والدعاء اليه خير من عرض
الدنيا وقد عرضوا عليك اموالهم حتى تكون اجمعين رجل من قريش فلم يجعلهم الى
ذلك قال معناه الحسن والخرج والخراج واحد الا ان اختلافا لكلام احسن قاله الاخفش
وقال ابو حاتم الخرج الجعل والخراج العطا المبرد الخرج المصدر والخراج الاسم
وقال المفضل بن سلمة سالت ابا عمرو بن العلا عن الفرق بين الخرج والخراج فقال
الخراج ما لزمك فالخرج ما تبرعت وعنه ان الخرج من الرقاب والخراج من الارض
ذكرا الاول الثعلبي والثاني الماوردي قوله تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم اي
اي الى دين قويم والصراط في اللغة الطريق يسمى الدين طريقا لانه يودي الى الجنة
فهو طريق اليها وان الذين لا يومنون بالاخرة اي بالبعث عن الصراط لناكبون قيل هو
مثل الاول وقيل انهم عن طريق الجنة لعادلون حتى يصيروا الى النار ونكب عنا الطريق
تنكب تكوبا اذا عدل عنه وماله الى غيره ومنه نكبت الريح اذا لم تستقم على مجرى ونشر
الريح النكباء قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي لو ردد ناهم الى الدنيا ولم نردهم
النار وامتحانهم للجوا في طغيانهم يعمهون قال الاخفش يتردد ون وقال بن جريج ولو
رحمناهم بعيشة في الدنيا وكشفنا ما بهم من ضر اي من قحط وخرج للجوا اليما دوا في طغيانهم
وضلالتهم ويحاربون يتمادون ويتحيرون ولقد اخذناهم بالعذاب قال
الضحاك بالجوع وقيل بالامراض والحاجة والجوع وقيل بالقتل والجوع فما استكانوا لربهم
اي ما خضعوا وما يتضرعون اي ما يخشعون لله جل وعز قيل الشدايد يصيبهم قال بن
عباس نزلت في قصة يمامة من اثال لما اسره السرية واسلم وحلي رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبيله حال بين مكة وبين الميرة وقال وقال الله لا ياتيكم من اليمامة حبة
حنطة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ الله قريشا بالقحط والجوع
حتى اكلوا الميتة والكلاب والعلهز قيل وما العلهز قال كانوا ياخذون الصوف والوبر
فيلقونه بالدم ثم يشوونه ويا كلونه فقال له ابو سفيان استدل الله الذي تزعم
انك بعث رحمة للعالمين قال بلى قال فوالله ما اراك الا هلكت الا بالسيف والا بالجوع
فنزلت قوله ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر الى قوله يعمهون قوله تعالى حتى اذا
فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال عكرمة يعني بابا من ابواب جهنم عليه من الخزنة
اربع مايتا الف سود وجوههم قالجه انيابهم قد قلعت الرحمة من قلوبهم اذا ابلسوه فتح الله عز وجل
عليهم وقال بن عباس هو قتلهم بالسيف يوم بدر مجاهد هو القحط الذي اصابهم حتى اكلوا العلهز من الجوع
على ما تقدم وقيل فتح مكة اذا هم فيه مبلسون اي ما لسون متحيرون لا يدرون ما تصعدون كالايس من
الفرج ومن كل خير وقد تقدم في الانعام قوله تعالى وهو الذي انشاكم السمع والابصار عرفهم كثرة نعمه وقلة
قليلا ما تشكرون اي ما تشكرون الا شكرا قليلا وقيل اي لا تشكرون البتة قوله تعالى وهو الذي ذراكم

ذراكم في الارض اي نشركم وتبثكم واليه تحشرون اي تجمعون للجزاء قوله تعالى وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ايجعلهما مختلفين كقوله تكن الاجر والصلة انك توجره وتوصل قاله الفراء وقيل اختلافهم نقصان احدهما وزيادة الاخر وقيل اختلافهما النور والظلمة. وقيل تكرر هما يوم بعد ليلة وليلة بعد يوم ويحتمل خامسا اختلاف ما مضى فيهما من سعادة وشقاء وضلال وهدى افلا تعقلون كنه قدرته وربوبيته ووحدانيته وانه لا يجوز ان تكون له شريك من خلقه وانه قادر على البعث ثم نبههم بقوله واخبر عنهم انهم قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما ايا لمبعوثون هذا لا يكون ولا نتصور قط وعدنا نحن وابا ونا هذا من قبل اي من قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلم تزل الحقيقة ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين اي اباطيلهم ونزهاتهم فيما تحرير توبيخه لله ولا ندلهم من ذلك. فعل افلا يذكرون اي افلا يتفطنون ويعلمون انه من قدر على خلق ذلك ابتدا فهو على احيا الموتى بعد موتهم قادر قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون تزيدا فلا تخافون حيث تجعلون لي ما تكرهون زعمتم ان الملائكة بناتي وكرهتم لانفسكم البنات قل من بيده ملكوت كل شي يريد السموات وما فوقهما وما بينهن والارض وما تحتهن وما بينهن وما بعالمه احد الا هو وقال مجاهد ملكوت كل شي جزائي كل شي الضحاك ملك كل شي والملكوت من صفات المبالغة كالجبروت والرهبوت وقد مضى في الانعام وهو يجير ولا يجار عليه اي يمنع ولا يمنع منه وقيل يجير من شاء ولا يجار عليه اي لا يؤمن من اخافه ثم قيل هذا في الدنيا اي من اراد الله خوفه واهلاكه لم يمنعه منه مانع ومن اراد نصرته لم يدفعه من يضره وامنه مانع وقيل هذا في الاخرة اي لا يمنعه من مستحق العذاب مانع ولا يدفعه من مستوجب العذاب دافع فاني تسحرون اي كيف تخدعون وتصرفون عن طاعته وتوحيده وكيف تخيل اليكم ان تشركوا به من لا يضر ولا ينفع والتخييل وكل هذا احتجاج على العرب المقرين بالصانع وقرا ابو عمر سيقولون الله في الموضعين الاخيرين وهي قراءة اهل العراق الباقون لله ولا خلاف في الاول انه لله لانه جواب لمن الارض ومن فيها فلما تقدمت اللام في لمن رجعت في الجواب ولا خلاف انه مكتوب في جميع المصاحف بغير الف واما من قرا سيقولون الله لان السوال بغير لام فجا الجواب على لفظه وجا في الاول بها لما كان السوال باللام واما من قرا به باللام في الاخيرين وليس في السوال لام فلان قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فكان الجواب لله حين تقدم اللام في السوال وعلة الثالثة لعله الثانية قال الشاعر اذا قيل من رب المزالف والغري ورب الجياد الحر قيل لخالد اي لمن المزالف ودلت هذه الايات على حوار جداد الكفار واقامة الحجة عليهم وقد تقدم في البقرة ونبهت على ان من استبد بالخلق والاختراع والايجاد والابداع هو المستحق للالوهية والعبادة قوله تعالى بل اتيناهم بالحق اي بالقول الصدق لما نقوله الكفار من اثبات الشريك ونفي البعث وانهم لكاذبون اذ الملائكة بنات الله فقال تعالى ما اتخذ الله من ولد من صلة وما كان معه من اله من زيادة التقدير ما اتخذ الله ولدا كما زعمتم ولا كان معه اله فيما خلق وفي الكلام حذف والمعنى لو كانت الهة لا نفرد كل اله بخلقه ولعلى بعضهم على بعض اي ولغالب وطلب القوي الضعيف كما لعادة بين المملوك فكان الضعيف المغلوب لا يستحق الالهية وهذا الذي يدل على نفي الشريك بدل على نفي الولد ايضا لان الولد ينازع الاب في الملك منازعة الشريك سبحان الله عما يصفون تنزيها له عن الولد والشريك عالم الغيب والشهادة تعالى عما يشركون تنزيه وتقديس قرا نافع وابو بكر وحمزة والكسائي عالم بالرفع على الاستيناف اي هو عالم الغيب الباقون بالجر على الصفة لله وروي روكس عن يعقوب ما لم اذا وصل حفظا وما لما اذا ابتدا رفعا قوله تعالى قل رب اما تريني ما توعدون علمه ما تدعوا به اي قل رب اي يا رب ان اريني ما توعدون من العذاب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي ونزول العذاب بهم بل اخرجني منهم وقيل النداء معترضون وما في اما زايدة وقيل ان اصل اما ان ما ان شرط وما شرط فجمع بين الشرطين توكيدا والجواب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي اذا اردت بهم عقوبة فاخرجني منهم وكان عليه السلام يعلم ان الله تعالى لجعله في القوم الظالمين اذا نزل بهم العذاب ومع هذا امره الرب بهذا الدعا والسوال لتعظم

احرص ولتكونن في طلب الاوقات ذكر الربه تعالى وانا علي ان نريكم ما نعدهم لقادرون
نبه علي ان خلاف المعلوم مقدور وقد اراه الله ذلك فيهم بالجوع والسيف ونجاه
الله ومن امن به من ذلك قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة امر بالصفح وملاينة
الاخلاق فما كان منها لهذه فهو محكم باق في الامة ابدا وما فيها من معنى موادعة
الكفار وترك التعرض لهم والصفح عن اموره منسوخ بالقتال نحن اعلم بما يصفون
اي من الشرك والتكذيب وهذا يقتضي انها ايه موادعة والله اعلم قوله تعالى
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى من همزات
الهمزات جمع همزة لهم في اللغة النخس والدفع يقال لهمزة وطزة وخسة دفعه
قال الليث الهمز لذم من اوراء القفا والهمز مراجعة والشيطان يوسوس فيهمس في
وسواسه في صدر بني ادم وهو قوله اعوذ بك من همزات الشياطين بن عباس الشياطين
الساعية عن ذكر الله وفي الحديث كان يتعوذ من همز الشيطان ولمزه وهمسه قال
ابو الهيثم اذا اشر الكلام واخفاه فكذلك الهمز في الكلام وسمي الاسد هموسا لانه
يمشي بخفة فلا تسمع صوت وطيه وقد تقدم في طه الثانية امر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم بالتعوذ من الشيطان في همزاته وهي سوداء الغضب الذي لا يملك
الانسان فيها نفسه وانما هي التي كانت تصيب المومنين مع الكفار فيقع المجاهدة
فلذلك اتصلت بصفة الاية فالرغبات سوى الغضب الواردة من الشيطان هي
التعوذ منها في الاية وقد تقدم في اخر الاعراف بيانه مستوفى وفي اول الكتاب ايضا
وروى علي بن حرب ان محمد الطائي بن سفيان عن ابون عن محمد بن حيان ان
خالد الكان يورق من الجيل فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فامران يتعوذ
بكلمات الله التامة من غضب الله وعقابه ومن همزات الشياطين وان يحضرون
وفي كتاب ابي داود قال عمر وهمزة الموتة وقال بن ماجة يعني الجنون والتعوذ
ايضا من الجنون وكيد وفي قراءة اي رب عايذا بك من همزات الشياطين وعايذا بك ان
يحضرون اي يكونوا معي في اموري فاعلم اذا احضروا الانسان كانوا معدين للشهوات
واذا لم يكن حضور فلا همز وفي صحيح مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الشيطان يحضر احدكم عند كل شيء من شانه حتى يحضره عند طعامه فاذا سقطت من احدكم
اللقمة فليمط ما كان بها من اذى ثم ليا كلها ولا يدعها للشيطان فاذا فرغ فا
فليلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة قوله تعالى حتى اذا
احدهم الموت قال رب ارجعون عاد الكلام الى ذكر المشركين اي قالوا اذا ادم
منتا الى قوله ان هذا اسا طير الاولين ثم اخبر عليهم وذكرهم قدرته على كل
شيء ثم قال هم مصرون على ذلك حتى اذا جا احدهم الموت يتيقن خلاله وعاين
الملايكة التي تقبض روحه كما قال تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة
قال رب ارجعون عني الرجعة لي يعمل صالحا تركه وقد يكون القول في النفس
قال جل وعز ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله فا ما قوله ارجعون وهو
يخاطب به عز وجل ولم يقل ارجعني فقيل جا على تعظيم الذكر للمخاطب وقيل
استعانوا بالله جل وعز ولم يقل قايلهم رب ثم رجع الى مخاطبة الملايكة فقال
ارجعون اي ارجعون الى الدنيا قاله بن جريج وقيل ان معنى ارجعون على جهة
التكرير اي ارجعني ارجعني وهكذا قال المبرد في قوله تعالى القيا في جهنم قال
معناه القه القه قال الضحاك المراد به اهل الشرك قلت ليس سوال الرجعة مختصا
بالكافر فقد سالها المومن كما في اخر سورة المنافقين على ما ياتي ودلت الاية
على ان احد لا يموت حتى يعرف اضطرارا هو من اولياء الله ام من اعداء الله
ولولا ذلك لما سال الرجعة فيعلمون ذلك قبل نزول الموت وذواقه لعلي اعمل
صالحا قال بن عباس يريد اشهد ان لا اله الا الله فيما تركت اي فيما ضيعت
وترك العمل به من الطاعات وقيل فيما تركت من مالي فا تصدق ولعل يتضمن
تردد اوهذا الذي سال الرجعة قد استيقن العذاب وقنوط نفسه عليه
العمل قطعا من غير تردد فالتردد يرجع اما الى رده الى الدنيا واما الى التوفيق
لو رد الى الدنيا كلا هذه كلمة ردع وليس الامر على ما يظنه من انه يجاب الى
الدنيا بل هو كلام ينطح في اد راج الريح وقيل لواجيب الى ما يطلب لما وفا بما يقول

كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل كلا انها كلمة هو قايلها ترجع الى الله تعالى
اي لا حلف في خبره وقد اخبر انه لن يؤخر نفسا اذا جاء اجلها واخبر بان هذا الكافر
لا يؤمن وقيل انها كلمة هو قايلها عند الموت ولكن لا ينفع من ورايهم برزخ اي وصن
امامهم وبين ايديهم وقيل من خلفهم برزخ اي حاجز بين الموت والبعث قاله
الضحاك ومجاهد وابن زيد وعن مجاهد ايضا ان البرزخ هو الحاجز بين الميت هو
والرجوع الى الدنيا وعن الضحاك هو ما بين الدنيا والاخرة ابن عباس حجاب السدي
اجل فتادة نفيه الدنيا وقيل الا نهار الى يوم القيامة مكاه بن عيسى الكلبي هو
الاجل ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة وهذه الاقوال متقاربة وكل حاجز
بين شيئين فهو برزخ قال الجوهري البرزخ الحاجز بين الشيئين والبرزخ ما
بين الدنيا والاخرة من وقت الموت الى البعث فمن مات فقد دخل في البرزخ
وقال رجل بحضرة الشعبي رحمه الله فلانا فقد صار من اهل الاخرة فقال لم تصر
من اهل الاخرة ولكنه صار من اهل البرزخ وليس من الدنيا ولا من الاخرة واضيف
يوما الى يبعثون لانه ظرف زمان والمراد بالاضافة المصدر في قوله تعالى فاذا
نفخ في الصور المراد بهذا النفخ النفخة الثانية فلا انساب بينهم يومئذ ولا
يتساءلون قال ابن عباس لا يفتخرون بالانساب في الاخرة كما يفتخرون بها
في الدنيا ولا يتساءلون فيما لا يتساءلون في الدنيا من اي قبيلة انت ولا من اي نسب
ولا يتعارفون لهول ما ادهلهم ومن ابن عباس ان ذلك في النفخة الاولى حين
تصعق من في السموات ومن في الارض الا ما شاء الله فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على
بعض يتساءلون وسال رجل ابن عباس عن هذه الاية وقوله واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون فقال لا تسالون في النفخة الاولى لانه لا يبقى على الارض
حي فلا انساب ولا تساءل واما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فانهم اذا
دخلوا الجنة يسالوا وقال ابن مسعود انما عنى في هذه الاية النفخة الثانية
وقال ابو عمران دخلت على ابن مسعود فوجدت اصحاب الخير اليمنية
قد سبقوني اليه فناديت يا علي صوتي يا عبد الله بن مسعود من اجل
ابي رجل اعجمي اذنبت ذنوبا واقصيتني فقال انه قد ذنوب حتى ما كان بيني
وبينه جليس فسمعته يقول يوخذ بيد العبد او الامة يوم القيامة
فتنصب على رؤس الاولين والاخرين ثم ينادي مناد هذا فلان بن فلان
من كان له حق فليات الى حقه فتفرح المراة ان تدور لها الحق على ابيها
او على زوجها او على اخيها او على ابنها ثم قرا ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون فيقول الرب سبحانه انه هو لاحق قهم فيقول يا رب قد فنيت
الدنيا فمن اين اوتيهم فيقول الرب للملايكة خذوا من حسناته فاعطوا
كل انسان بقدر طلبته فان كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل
فضاعفها الله حتى يدخله بها الجنة ثم قرا ابن مسعود ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
الاية وان كانت سقيا قالت الملايكة رب قد بلغت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى خذوا
من اعمالهم فاطرحوها في سيياته وصكوا له صكا الى جهنم قوله تعالى فمن ثقلت موازينه
الاية الكلام فيها قوله تعالى تلفح وجوههم النار بمعناه ومنه ولئن مستهم نفحة من
ان تلفح ابلغ تاسا يقال نفحته النار والسموم تحرقها احرقته ولفحته بالسيف لفحة اذا ضربته به حقيقة وهم
فيها كالحون قال ابن عباس عابسون وقال اهل اللغة الكلوح تكشر في عبوس والكالح الذي قد بشر شفتاه وبدت
اسنانه قال الاعشى ولم المعدم لا يسل له ساعة الشدق عن الناب كالح وقد كلح الرجل كلوحا وكلاحا وملاقع
كالحون يريد كالذي كلح وتقلصت شفتاه وساء صديده وقال ابن مسعود الم تر الى الراس المشيط
بالنار وقد بدت اسنانه وقلصت شفتاه وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال السفعة النار فتقلص
شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب
سرته قال هذا حديث حسن صحيح غريب قوله تعالى قالوا ربنا غلبت علينا
شقوتنا وقرا الكوفيون الا عاصما شقاوتنا وهذه القراءة مروية عن ابن مسعود
والحسن ويقال شقا وشقا بالمد والقصر واحسن ما قيل في معنى غلبت

علينا لذاتنا وهو الافسي الذات والاهوا شقوة لانها يودي بان قال الله عز وجل ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا الان ذكر من يودي بهم الى النار وقيل ما سبق
في علمك وكتب علينا في ام الكتاب من السعادة وقيل حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق
وكنا قوما ضالين اي كان في فعلنا ضالين من الهدى وليس هذا اعتذارا منهم انما هو قرار
ويدل على ذلك قولهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون طلبوا الرجعة الى الدنيا
كما طلبوها عند الموت فان عدنا الى الكفر فانا ظالمون لانفسنا بالعود اليه فيجابون بعد
الف سنة اخسؤا فيها ولا تكلمون اي ابعدوا في جهنم كما يقال للكلب اخسا اي ابعد
خسأت الكلب خسأ طردته وخسأ الكلب بنفسه خسوءا يتعدى ولا يتعدى وانخسأ
الكلب ايضا وقرئ بن المبارك قال حدثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة بذكر عن
ابي ايوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان اقل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم
اربعين عاما ثم يرد عليهم انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وراحت
ثم يدعون ربهم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا
منها فان عدنا فانا ظالمون قال فسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم ترد عليهم اخسؤا
فيها ولا تكلمون قال فوالله ما تيئس القوم بعد بها بكلمة وما هو الا الزمير والشهيق
في نار جهنم فتشبه اصواتهم بصوت الحمير اولها زفير واخرها شهيق خرجه
الترمذي مرفوعا بمعناه من حديث ابي الدرداء وقال قتادة صوت الكفار
في النار كصوت الحمار اوله زفير واخره شهيق وقال ابن عباس تصير لهم
نباح كنباح الكلاب وقال محمد بن كعب القرظي بلغني او ذكر لي ان اهل النار استغاثوا
بالخزنة الحديث بطوله ذكره ابن المبارك وقد ذكرناه بكماله في التذكرة وفي اخره
ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم ناداهم الم يكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون
قال فلما سمعوا صوته قالوا الان ربنا فتنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا
اي الكتاب الذي كتب علينا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا
ظالمون فقال عند ذلك اخسؤا فيها ولا تكلمون فانقطع عند ذلك رجاؤهم
الدعاء والرجاء واقبل بعضهم على بعض ينتج بعضهم في وجه بعض واطبقت
عليهم قوله تعالى انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا الاية قال مجاهد
هم بلال وخباب وصهيب وفلان وفلان من ضعفاء المسلمين كان ابو جهل واصحابه
يهزؤون بهم فاتخذتموهم سخريا بالضم قراءة نافع وحمزة والكسائي هاهنا وفي
ص وكسر الباقون قال النحاس وفرق ابو عمر وبينهما فجعل المكسورة من جهة التهزؤ
والمضمومة من جهة السخرة ولا يعرف هذا التفريق الجليل ولا سيبويه ولا
الكسائي ولا الفراء قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد كما يقال عصي وعصي
وحكي الثعلبي عن الكسائي والفراء الفرق الذي ذكره ابو عمرو وان
الكسر بمعنى الاستهزاء والسخرية والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالعمل
وقال المبرد انما يوجد التفريق بين المعاني عن الضرب وما اشبهه فلا يكون
والكسر في سخري في المعنيين جميعا لانا لضمه بالاستهزاء بهم عن ذكري وكنتم
منهم تضحكون استهزاء بهم واضاف الانساء الى المؤمنين لانهم كانوا سببا
لاشتغالهم عن ذكره وبعدي سوم استهزاء بهم بالمؤمنين اي استيلاء الكفر
على قلوبهم اي حرمتهم اليوم بما صبروا على اذاكم وصبروا على طاعتي انهم
هم الفائزون اي انهم هم الفائزون وبحوز نصبه بوقوع الجزاء عليه تقديره اي
جزيتهم الفوز بالجنة قلت ويتظر اي معنى هذا قوله تعالى في اخر المطففين
فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون اي في اخر السورة على ما ياتي بيانه ان
شاء الله ويستفاد من هذا التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء
والمساكين والاحتقار لهم والازراء عليهم والاشتغال بهم فيما لا يعني وان
ذلك مبعد من الله جل وعز وقوله تعالى قال كم لبثتم في الارض قيل يعني في
القبور وقيل سهوا لهم عن مدة حياتهم في الدنيا وهذا السؤال
للمشركين في عرصات القيامة او في النار بعد دخولها فتح انه على
جمع مسلم ومن الغريب من خفضها وثبوتها قالوا لبثنا يوما او بعض
يوم انساهم شدة العذاب مدة مكثهم في القبور وقيل لان العذاب

وقع منهم بين النفختين فليسوا ما كانوا فيه من العذاب من النفخة الاولى الى الثانية وذلك
انه ليس من احد قتله نبي او قتل نبيا او مات بحضرة نبي الا عذب من ساعته بموت الى
النفخة الاولى ثم يمسك عنه العذاب فيكون كالماحي بين النفختين وقيل استقصروا مدة
لبثهم في الدنيا وفي القبور او هو بيان بالنسبة الى ما هم بصدده فسل العادين اي سل الحساب
الذين يعرفون ذلك فانا قد سيناه او فاسل الملائكة الذين كانوا معنا في الدنيا الاول
قول قتادة والثاني قول مجاهد وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي قل لم لبثتم في الارض
على الامر وبحقل ثلاثة معان احدها قولوا لم لبثتم فاخرج الكلام مخرج الامر للواحد
والمراد الجماعة اذا كان المعنى مفهوما الثاني ان يكون امرا للملك لتسليمهم يوم البعث
عن قدر ملتهم في الدنيا او اذا قل ايما الكافرون لبثتم وهو الثالث الباقون قال
لم على الخبر اي قال الله لهم او قالت الملائكة لهم لم لبثتم وقرا حمزة والكسائي
ايضا قل ان لبثتم الا قليلا الباقون على الخبر على ما ذكر من التاويل في الاول
اي بالبث في الارض الا قليلا وذكر ان مكثهم في القبور وان طال كان متناهيا وقيل
هو قليل بالنسبة الى مكثهم في النار لانه لا نهاية له لو انكم كنتم تعلمون قوله
تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي مهملين كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب
مثل قوله تعالى ايحسب الانسان ان يترك سدى يريد كالبهائم مهملا لغير فائدة
قال الترمذي الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي ان الله تعالى خلق الخلق لعبد التعبدوه
فيثيبهم على العبادة ويعاقبهم على تركها فان عبدوه فهم اليوم له عبيد احرار
كرام من رق الدنيا متروك في دار الاسلام وان رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد
باق سخاط لئام وعدا عذابا في السجون بين اطباق النيران وعبثا نصب على
الحال عند سيبويه وقطرب وقال ابو عبيدة هو نصب على المصدر لانه مفعول
له وانكم الينا لا ترجعون فتجازون باعمالكم وقرا حمزة والكسائي يرجعون بفتح
التاء وكسر الجيم من الرجوع قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق اي تنزه وتقدس
الله الملك الحق عن الاولاد والشركاء والانداد عن ان يخلق شيئا عبثا او سدى
لان الحكيم لا اله الا هو رب العرش الكريم ليس في القرآن غيرها وقرا ابن
محيصن وروي عن ابن كثير الكريم بالرفع نعتا لله قوله تعالى ومن
يدع مع الله الها اخر لا برهان له به اي لا حجة له عليه فانما حسابه
عند ربه اي فهو يجازيه عليه فيحاسبه انه لا يفلح الكافرون وقرا الحسن وقتادة انه لا تفلح بالفتح من لدن وجد ما جنت
به وكفر بنعمتي ثم امر نبيه عليه السلام بالاستغفار ليقتدي به الامة وقيل
امره بالاستغفار لامته وانشد الثعلبي من حديث لهيعة عن عبد الله بن
هبيرة عن جنش بن عبد الله الصنعاني عن عبد الله بن مسعود انه مر عصابة يتلو فقرا في
اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا حتى ختم فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا
قرات في اذنه فاخبره فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قرا ها على جبل لزال
تفسير سورة النور مدنية باجماع بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سورة انزلناها الاية
مقصود هذه السورة ذكر احكام العفاف والستر وكتب عمر رضي الله عنه الى الكوفة
علموا نساءكم سورة النور وقالت عائشة رضي الله عنها لا تنزلوا النساء الغرف ولا
تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والمعوذتين وفرضناها قرا بتخفيف الرا
فرضنا عليكم وعلى من بعدكم ما فيها من الاحكام وبالتشديد اي انزلنا
فيها فرائض مختلفة وقال ابو عمرو وفرضناها بالتشديد اي قطعناها
في الانزال كما والفرض القطع ومنه فرضة النهر وفرائض الميراث وفرضة
النقرة وعنه ايضا فرضناها فصلناها وبيناها وقيل هو على التكثير لكثرة
ما فيها من الفرائض والسورة في اللغة اسم للمنزلة الشريفة قد
تكن سميت السورة من القرآن سورة قال زهير الم تر ان الله اعطاك
سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب وقد مضى في مقدمة الكتاب والقول
فيها وقرئ سورة بالرفع على انها مبتدا وخبرها انزلناها قاله ابو عبيدة
والاخفش وقال الزجاج والفراء والمبرد سورة رفع لانها خبر الابتداء انها
نكرة ولا يبتدا بالنكرة في كل موضع اي هذه سورة ويحتمل ان تكون قوله سورة ابتدا

وما بعدها صفة لها اخرجتها من حد النكرة المحضة فحسنت الابتداء لذلك ويكون
الخبر في قوله الزانية والزاني وقرئ سورة بالنصب على تقدير انزلنا سورة
انزلناها وقاله الشاعر والاديب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح
والمطر ويكون منصوبة باضمار فعل امرا تلو سورة وقاله الفراء هي حال مقدمة
الهاء والالف والحال منها لمكتبي يجوز ان يتقدم عليه قوله تعالى الزانية
والزاني فاجلد واكل واحد منهما مائة جلدة الى قوله المؤمنين فيه احد عشر ونون
مسئلة الاولى قوله تعالى الزانية والزاني كانه الزنا في اللغة معروفا قبل الشرع
مثل اسم السرقة والقتل وهو اسم لوطء الرجل امرأة في فرجها من غير نكاح ولا
شبهة نكاح. عطاء ومنها وان شئت قلت هو ادخال فرج في فرج مشتهى طبعا
محرم شرعا فاذا كان ذلك وجب الحد وقد مضى الكلام في حد الزنا وحقيقته وما للعلماء
في ذلك وهذه الاية ناسخة لاية الحبس واية الاذى المتقدمة في سورة النساء باتفاق
الثانية قوله تعالى مائة جلدة هذا حد الزاني الحر البالغ البكر وكذلك الزانية البكر
البالغة الحرة وثبت بالسنة تغريب عام على ما يأتي الخلاف في ذلك واما المملوكان فالواجب
خمسون جلدة لقوله فاذا احصن بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب
وهذا في الامة ثم العبد في معناها واما المحصن من الاحرار فعليه الرجم دون الجلد
وفي العلماء من يقول يجلد مائة ثم يرجم وقد مضى هذا كله ممهدا في النساء فاغنى عنه
اعادته الثالثة قراء جمهور الناس الزانية فالزاني بالرفع وقراء عيسى بن عمر
المثقفي الزانية بالنصب وهو وجه عند سيبويه لانه عنده لتقوله زيدا اضرب
ووجه الرفع عنده خبر ابتداء تقديره فيما يتلى عليكم الزانية والزاني واجمع الناس
على الرفع وانه كان القياس عند سيبويه النصب واما الفراء والمبرد والزجاج
فان الرفع عندهم هو الاوجه والخبر في قوله فاجلد والالف لمعنى الزانية
والزاني محلولان بحكم الله وهو قول حيد وهو قول اكثر النحاة وان شئت
قدرت الخبر ينبغي ان يجلدا وقراء ابن مسعود والزاني بغير يا الرابعة ذكر
الله سبحانه الذكر والانثى والزاني كان يكفي منهما فقيل ذكرهما للتاكيد كما قال
تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ويحتمل ان يكون ذكرهما هنا ليدلا
بظنه ظان انه الرجل لما كان هو الواطئ والمرأة محل ليست بواطئة فلا يجب عليها
حد فذكرها رفعا لهذا الاشكال الذي اوقع جماعة منه العلماء منهم الشافعي
فقالوا لا كفارة على المرأة في الوطء في رمضان لانه قال جامعت اهلي في نهار
رمضان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كفر فامره بالكفارة والمرأة ليست
بجامعة ولا واطئة الخامسة قد مت الزانية في هذه الاية منه حيث كان في ذلك
الزمان زنا فاشه وكان الامر كما ذكر وقتا لوقت واثبات وكنه مجاهرات
بذلك وقيل لان الزنا في النساء اعر وهو لاحمل الحمل اضر وقيل لان الشهوة في
المرأة اكثر وعليها امارات قصد بها تغليظا لدرء شهوتها وان كان قد ركب
فيها حب لكنها اذا زنت ذهب الحياء كله وايضا فان العار بالنساء الحق اذ
موضوعهن الحجبة والصيانة فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما السادسة
الالف واللام في قوله الزانية والزاني للجنس وذلك يعطي انها عامة في جميع
الزناة ومن قاله بالجلد مع الرجم قال السنة جاءت بزيادة حكم فيقام مع الجلد
وهو قول اسحاق بن راهويه والحسن بن ابي الحسن وفعله علي بن ابي
طالب بسراحه وقد مضى في النساء بيانه وقال الجمهور هي خاصة في البكرين
واستدلوا على انها غير عامة بخروج العبيد والاماء منها السابعة نص الله
سبحانه ما يجب على الزانيين اذا شهد بذلك عليهما على ما ياتي واجمع العلماء
على القول واختلفوا فيما يجب على الرجل يوجد مع المرأة في ثوب واحد
فقال اسحاق بن راهويه يضرب كل واحد منهما مائة وروي ذلك عن عمر وعلي
وليس يثبت ذلك عنهما وقاله عطاء وسفيان الثوري يود بانه وبه قال
مالك واحمد على قدر مذاهبهم في الادب قاله ابن المنذر والاكثر ما رايناه
يرمى على منه وحد على هذه الحال الادب وقد مضى في هود اختيار ما في هذه
المسئلة والحمد لله الثامنة قوله تعالى فاجلد وقد خلت الغالا انه موضع امر

والامر مضارع للمشروط وقال المبرد فيه محذوف الجزاء اي ان زنا زانف فاجلدوه
كذا ولهذا دخلت الفا وهكذا السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما التاسعة
لاخلاف ان المخاطب بهذا الامر الامام ومن قام مقامه وزاد مالك والشافعي
السادة في العبيد قال الشافعي في كل جلد وقطع وقال مالك في الجلد
دون القطع وقيل الخطاب للمسلمين لان اقامة من اسم الدين واجبة على
المسلمين ثم الامام يوب عنهم اذ لا يمكنهم الاجتماع على اقامة الحدود العاشرة
اجمع العلماء على ان الجلد بالسوط يجب والسوط الذي يجب ان يجلد به
يكون بسوط متوسط لا شديدا ولا لينا روي مالك عن زيد بن اسلم
ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فاتي بسوط مكسور فقال
فوق هذا فاتي بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا فاتي بسوط
قد ركب به فلان فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد الحديث
قال ابو عمر هكذا روي هذا الحديث مرسلا جميع رواة الموطاء ولا اعلم يسند
بهذا اللفظ من وجه من الوجوه وقد روي معمر عن يحيى بن ابي كثير
عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله سواء وقد تقدم في المائدة ضرب عمر
الحارود في الخمر بسوط تام يريد وسطا الحادية عشرة اختلف العلماء في
تجريد المجلود في الزنا فقال مالك وابو حنيفة وغيرهما يجرد ويترك على
المراة ما يستر ظهرها ودفاها يقيها الضرب وقال الاوزاعي الامام مخير ان
شاء جرد وان شاء ترك وقال الشعبي والنخعي لا يجرد ولكن يترك عليه
قميصه قال ابن مسعود لا يحل في هذه الامة تجريد ولا مد وبه قال الثوري
الثانية عشرة اختلف العلماء في كيفية ضرب الرجال والنساء فقال
مالك الرجل والمراة في الحدود كلها سواء لا يقام واحد منهما ولا يحفر عنده
الا في الظهر واصحاب الراي والشافعي يرون ان يجلد الرجل وهو واقف وهو
قول علي بن ابي طالب وقال الليث بن سعد وابو حنيفة والشافعي
الضرب في الحدود كلها وفي التعزير مجردا قائما غير ممدود الا حد القذف
فانه يضرب وعليه ثيابه وحكاه المدونة في المحصنات عن مالك ونزع
الممتشط والغر وقال الشافعي ان كان مدة ملاحما مد الثالثة عشرة
واختلفوا في المواضع التي يضرب منه الانسان في الحدود فقال مالك الحدود
كلها لا يضرب الا في الظهر وقال الشافعي واصحابه يتقي الوجه والفرج
ويضرب سائر الاعضاء وروي عن علي وابن عمر ان الضرب اليه رجل امد
جلدها في الزنا قال ابن عطية والاجماع في تسليم الوجه والعورة والمقاتل
واختلفوا في ضرب الراس فقال الجمهور يتقي الراس وقال ابو يوسف يضرب
الراس وروي عن عمر وابنه فقالا يضرب الراس وضرب عمر صبيغا في
راسه وكان تعزيرا لاحدا ومن حجة مالك ما ادرك عليه الناس وقوله عليه
السلام المبينة والاحد في ظهرك وسبابته الرابعة عشرة الضرب الذي
يجب هو ان يكون مولما لا يجرح ولا يشين ولا يخرج الضارب يده منه تحت
ابطه وبه قال الجمهور وهو قوله عليه وابن عباس واتي ابن عمر برجل في حد
فاتي بسوط بين سوطين وقال للضارب اضرب ولا يرى ابطك واعط
كل عضو حقه واتي رضي الله عنه بشارب فقال لا تشكك اليه رجل لا تاخذه
فيك هواده فبعثه الى مطيع بن الاسود العدوي فقال اذا صبحت العدد
فاضربه الحد فجاء عمر وهو يضربه ضربا شديدا فقال فقلت للرجل كم ضربته
قال ستين قال اقصه منه بعشرين قال ابو عبيد اقصه عنه بعشرين يقول
اجعل سبده هذا الضرب الذي ضربته قصاصا بالعشرين التي بقيت ولا
تضربه العشرين وفي الحديث منه الفقه ان ضرب الشارب ضرب خفيف
وقد اختلفوا العلماء في اشد الحدود ضربا وهي الخامسة عشرة فقال
مالك واصحابه والليث بن سعد الضرب في الحدود كلها سواء ضرب غير مبرح
ضربا بين ضربين وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه التعزير

اشد

اشد العقوبة وضرب الزنا اشد من ضرب الخمر وضرب الشارب اشد من ضرب
القذف وقال الثوري ضرب الزنا اشد من ضرب القذف وضرب القذف اشد من
ضرب الخمر احتج مالك بورود التوقيف عليه عدد الجلدات ولم يرد في شيء منها
تخفيف ولا تثقيل ممن يجب التسليم له احتج ابو حنيفة بفعل عمر فانه ضرب في
التعزير ضربا اشد منه في الزنا احتج الثوري بان الزنا لما كان اكثر عددا في
الجلدات استحال ان يكون القذف ابلغ في النكاية وكذلك الخمر لانه لم يثبت فيه
الحد لا بالاجتهاد وسبيل مسايل الاجتهاد لا تقتضي قوة مسايل التوقيف
السادس عشر الحد الذي اوجبه الله في الزنا والخمر والقذف وغير ذلك ينبغي
ان يقام بين يدي الحكام ولا يقيمه الافضلا الناس وخيارهم يختارهم الامام
لذلك وكذلك كانت الصحابة تفعل كلما وقع لهم شيء من ذلك رضي الله عنهم
وسبب ذلك انه قيام بقاعدة شرعية وقربة تعبدية يجب المحافظة
عليه فعلها وقدرها ومحلها وحالها بحيث لا يتعدى به شيء من شروطها ولا
احكامها فان دية المسلم وحرمته عظيمة فيجب مراعاته بكل ما امكن روى
الصحيح عن حصين بن ابي المنذر ابي ساسان قال شهدت عثمان بن عفان اتى
بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال ازيدكم قال فشهد عليه رجلان احدهما
حمران انه شرب الخمر وشهد اخر انه راه يتقيا فقال عثمان انه لم يتقيا حتى
شربها فقال يا علي قم فاجلده فقال علي قم يا حسن فاجلده فقال الحسن
ول حارها من تولى قارها فكانه وجد عليه فقال يا عبد الله بن جعفر قم
فاجلده فجلده وعلي يعد الحديث وقد تقدم في المايدة فانظر قول عثمان
للامام علي قم فاجلده السابعة عشر نص الله تعالى على عدد الجلد في الزنا
والقذف وسبب التوقيف في الخمر على الحد في ذلك كله قاله ابن العربي وهذا
مما ينتابع الناس فيه الشر ولا احلولت لهم المعاصي حتى يتخذوها مراوح
ويوطنون عليها انفسهم فلا ينتاهون عن منكر فعلوه فحينيذ ينبغي التشديد
ويراد الجلد لاجل زيادة الذنب وقد اتى عمر بسكران في رمضان فضربه ماية
ثمانين حد الخمر وعشرين لهتك حرمة الشهر فهكذا يجب ان يركب العقوبات
على تغليظ الجنايات وهتك الحرمات وقد لعمه رجل بصبي فضربه الوالي
ثلاث ماية سوط فلم ينكر مالك حبسه مكروه بلغه فكيف لو راى في زماننا
هذا بهتك الحرمات والاشتهار بالمعاصي والتظاهر بالمناكر وسع الحدود
واستيفا العبيد لها في منصب القضاة لمات كمدا ولا يجالس احدا وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولهذا المعنى والله اعلم زيد في حد الخمر حتى انتهى الى ثمانين
روى الدارقطني انا القاضي حسين بن اسماعيل نا يعقوب بن ابراهيم الدورقي
نا صفوان بن عيسى نا اسامة بن زيد عن الزهري قال اخبرني عبد
الرحمن بن ازهر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين
وهو يجلد الناس بسوط من منزل خالد بن الوليد فاتي بسكران فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن عنده فضربوه بما في ايديهم قال
وحثى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه التراب قال ثم اتى ابو بكر
بسكران قال فنوحي الذي كان منه ضربهم يومئذ فضرب اربعين قال
الزهري ثم اخبرني حميد بن عبد الرحمن عن ابيه وبره الكلبي قال رسلني
خالد بن الوليد الى عمر قال فاتيته ومعه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن
عوف وعلي وطلحة والزبير وهم معه مسلمون في المسجد فقلت ان خالد بن
الوليد ارسلني اليك وهو يقراء عليك السلام ويقول ان الناس قد انهمكوا
في الخمر وتحاقروا العقوبة فيه فقال عمر هم هؤلاء عندك فاسالهم قال علي نراه
اذا سكر هذى واذا هذى افترى وعلى المفتري ثمانون قال فقال عمر ابلغ صاحبك
ما قال فجلد خالد ثمانين وعمر ثمانين قال وكان اذا اتى بالرجل الضعيف
الذي كانت منه الزلة ضربه اربعين قال وجلد عثمان ايضا ثمانين واربعين
ابانة يشهوا في رواية لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم وروى
حامد بن يحيى عن سفيان عن مسعر عن عطية ابي بسر وان عليا ضرب

الخفاجي في الخرمانية مجلدة ذكره ابو عمرو ولم يذكر شيأ الثامنة عشرة قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ايي لا تمتنعوا عن اقامة الحد وشفقة على الجلود ولا تخففوا الضرب منه عبرا يجاع هذا قول جماعة اهل التفسير وقاله الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير لا تأخذكم بهما رأفة قالوا في الضرب والجلد وقال ابو هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر اربعين ليلة ثم قراء هذه الاية والرأفة ارفة الرحمة وقد يقال رأفة بفتح العين على وزن فعله وقد يقال رأفة على وزن فعالة ثلاث لغات وهي كلها مصادر اشهرها الاولى منه رؤف اذا رفق ورحيم ويقال رأفه ورافه مثل كابه وكابه وقد رأفت به ورؤفت به والرؤف منه صفات الله تعالى العطف الرحيم الثامنة عشرة قوله تعالى في دين الله ايي في حكم الله كما قاله تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ايي في حكمه وقيل في دين الله ايي في طاعة الله وشرعه فيما امركم به من اقامة الحد ثم قررهم على معنى التثبيت والحض بقوله ان كنتم تؤمنون بالله وهذا كما تقول لرجل لحصه ان كنت رجلا فافعل كذا ايي هذه افعاله الرجال الموفية عشرين قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين قيل لا يشهد التعذيب الا من لا يستخف التاديب قاله مجاهد رجل فما فوقه الى الف قال ابن زيد لا بد من حضور اربعة قياسا على الشهادة على الزنا وان هذا ما يجب منه وهو قول مالك والليث والشافعي وقاله عكرمة وعطا لا بد منه اثنين وهذا مشهور قول مالك قراها موضع شهادة وقال الزهري ثلاثة لانه اقل الجمع الحسنة واحدا فصاعدا وعنه عشرة الربيع ما زاد على الثلاثة وحجة مجاهد قوله تعالى فلولا نفر من كل كل فرقة منهم طائفة وقوله وان طائفتان ونزلت في نفاثل رجلين فكذلك قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين والواحد يسمى طائفة الى الف قاله ابن عباس وابراهيم وامرأ بو بردة الاسلمي بجارية له قد زنت فالقى عليها ثوبا وامر ابنه ان يضربها خمسين ضربة غير مبرح ولا مخيف لكن مولم ودعا جماعة ثم تلى وليشهد عذابهما طائفة منه المؤمنين الحادية والعشرون اختلف في المراد بحضور الجماعة هل المقصد بها الاعلاط على الزناة والتوبيخ بحضرة الناس وان ذلك يردع المحدود ومن شهده وحضره يتعظ به ويزدجر لاجله ويسمع حديثه فيعتبر به من بعده او الدعا لهما بالتوبة والرحمة وان للعلما الثانية والعشرون روى حديثه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الاخرة فاما التي في الدنيا فتذهب البهاء وتورث الفقر وتنقص العمر واما التي في الاخرة فتوجب السخط وسوء الحساب والخلود في النار وعن ابن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعمال امتي تعرض علي في كل جمعة مرتين فاشتد غضب الله على الزنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله علي امتي فغفر لكل مومن لم يشرك بالله شيأ الا خمسة ساحر وكاهن وعاق لوالديه ومدمن خمر ومصر على الزنا قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية ومشركة فيه سبع مسايل الاولى اختلف العلما في معنى هذه الاية على ستة اوجه من التاويل الاول ان يكون معناه الاية تسمية الزنا وتسمية امره وانه محرم على المومنين وايضا هذا المعنى بما قبل حسن بليغ ويريد بقوله لا ينكح ايي لا يطاء فيكون النكاح بمعنى الجماع وردا لغضة مبالغة واحدا من كلي الطرفين ثم زاد تقسيم المشركة والمشرك منه حيث الشرك اعم في المعاصي من الزنا فالمعنى الزانية لا يطاوعها في وقت زناه الا زانية منه المسلمين ومن هي احسن منها من المشركات وقد روي عن ابن عباس انه النكاح في هذه الاية الوطي وانكر ذلك الزجاج وقال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج وليس كما قال وفي القرآن حتى ينكح زوجا غيره وقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم له بمعنى الوطي وقد تقدم في البقرة وذكر الطبري ما يخوا اليه هذا التاويل عن سعيد بن جبير وابن عباس وعكرمة ولكن غير مخلص ولا مكمل وحكاه

الخطابي عن ابن عباس وان معناه الوطيء لا يكون زنا الا برائية ويقيد انه زفاف
الجهنية فهذا قوله الثابت مما رواه ابو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان مزيد بن ابي مزيد كان يحمل الاسارى بمكة وكان
بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقته قال فجئت النبي صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله اني املح عناق قال فسكت عني فنزلت الزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك فدعاني فقرأها علي وقال لا تنكحها لفظ ابي داود وحديث
الترمذي بكمله قال الخطابي هذا خاص بهذه المرأة اذ كانت كافرة فاما الزانية
المسلمة فانا لعقد عليها لا يصح الثالث انها مخصوصة في رجل من المسلمين
ايضا استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح امرأة بغي لها
ام مهزول وكانت من بغايا الزانيات وشرطت ان تنفق عليه فانزل الله
هذه الاية قاله عمرو بن شعيب والحاكم ومجاهد الرابع انها نزلت في اهل الصفة وكانوا
قوما من المهاجرين ولم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشاير فنزلوا صفة
المسجد وكانوا اربعمائة رجل يلتمسون الرزق بالنهار ويأوون الى الصفة
بالليل وكانه بالمدينة بغايا متخليات بالفجور محاصيب بالكسوة والطعام
فهم اهل الصفة انه يتزوجهن فيأوين الى مساكنهن ويأكلون من طعامهن
وكسوتهن فنزلت هذه الاية صيانة لهم عن ذلك قاله ابن ابي صالح الخامس
ذكره الزجاج وغيره عن الحسن وذلك انه قال المراد الزاني المحدود والزانية
المحدودة قال وهذا حكم من الله ولا يجوز لزان محدود انه يتزوج الا محدودة
وقال ابراهيم النخعي نحوه وفي مصنف ابي داود عن ابي هريرة قاله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكح الزاني المجلود الا مثله ورويا ان
محدودا تزوج غير محدودة فتفرق عليه رضي الله عنه بينهما قال ابن العربي وهذا
معنى لا يصح نظما كما لم يثبت نقلا وهل يصح ان يوقف نكاح من حد من الرجال
على نكاح من حد من النساء فيأتي اثر يكون ذلك وعليه اي اصل يقاس من
الشريعة قلت وحكى وهذا القول الكيا عن بعض اصحاب الشافعي المتأخرين
وان الزاني اذا تزوج غير زانية فرق بينهما لظاهر الاية قاله الكيا وان هو حمل
بالظاهر فقامه عليه للزاني التزوج بالمشركة ويجوز للزانية ان تزوج نفسها
من مشرك وهذا في غاية البعد وهو خروج عن الاسلام بالكلية وربما قال
هؤلاء ان الاية منسوخة في المشرك خاصة دون الزانية السادس انها منسوخة
روى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال الزاني لا ينكح الا
زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك قال نسخت هذه الاية
التي بعدها وانكحوا الايامى منكم وقاله ابن عمرو قال دخلت الزانية في
ايامى المسلمين قال ابو جعفر النحاس وهذا القول عليه اكثر العلماء واهل
الفتيا يقولون ان من زنا بامرأة فله ان يتزوجها ولغيره ان يتزوجها وهو
قول ابن عمر وسالم وجابر بن زيد وعطاء وطاوس ومالك بن انس وهو
قول ابي حنيفة واصحابه وقال الشافعي القول فيها كما قال سعيد بن
المسيب ان شاء الله هي منسوخة قال ابن عطية وذكر الاشراك في الاية
يضعف هذه المذاهب قال ابن العربي والذي عندي ان النكاح لا يخلو
ان يراد به الوطء كما قال ابن عباس او العقد فان اريد به الوطء فان معناه
لا يكون زنا الا بزانية وذلك عنده عند ان الوطيء من الرجل والمرأة
زنا من الجهتين ويكون تقدير الاية والحبي الزانية ولا يحبها الا من زان
او مشرك فهذا يرد عند ابن عباس وهو معنى صحيح فان قيل فاذا زنا بالغ
بصبية او عاقل بمجنونة او مستيقظ بنائمة فان ذلك من جهة الرجل فهذا
زان ينكح غير زانية فيخرج المراد عن بابه الذي تقدم قلنا هو زنا من كل
جهة لان احدهما يسقط فيه الحد والاخر تثبت فيه وان اريد به العقد كان
معناه ان متزوج الزانية التي قد زنت ودخل بها ولم يستبرها يكون بمنزلة
الزاني الا انه لا حد عليه لاختلاف العلماء في ذلك واما اذا عقد عليها ولم يدخل
بها حتى يستبرئها فذلك جائز اجماعا وقيل لبسه المراد في الاية ان الزاني

لا ينكح فقط الا زانية اذ قد يتصور ان يتزوج غير زانية ولكنه المحبب انه من تزوج بزانية فهو زان فكانه قال لا ينكح الزانية الا زان فقلب الكلام وذلك انه لا ينكح زانية الا وهو راض به زنا بها وانما يبرم بذلك اذا كان هو ايضا يزني الثانية ج هذه الاية دليل على ان التزوج بالزانية صحيح واذا زنت زوجة الرجل لم يفسد النكاح واذا زنا الزوج لم يفسد نكاحه معزوجته وهذا على ان الاية مسوخة وقيل انها محكمة وسيأتي الثالثة روي انه رجلا زنا بامراة في زمان ابي بكر رضي الله عنه فجلدها ثم تزوج احدهما منه الاخر مكانه وتقادمها سند وروي مثل ذلك عن عمر وابن مسعود وجابر وقال ابن عباس او سفاح واخره نكاح ومثل ذلك مثل رجل سرق من حايط ثمره ثم اتى صاحب البستان فاشترى منه ثمره فاسرق حرام وما اشتري حلال وبهذا اخذ الشافعي وابو حنيفة واوجبا الما لا حرمة له وروي عن ابن مسعود انه قال اذا زنا الرجل بالمراة ثم نكحها بعد ذلك فهما زانيان ابدا وبهذا اخذ مالك فراى انه لا ينكحها حتى يستبرئ بما من ماء الفاسد لان النكاح له حرمة ومن حرمته ان لا يصيب عليه مثله السفاح فيخلط الحرام بالحلال ويمتزج ماء المهانة بماء الغرة الرابعة قال ابن خويزمنداد من كان معروفا بالزنا او بغيره من الفسوق معلنا به فتزوج الى اهل بيت ستر وعورهم من نفسه فلهم الخيار في المقام او فراقه وذلك كعيب من العيوب واحتج بقوله عليه السلام لا ينكح الزاني المجلود الا مثله قال ابن خويزمنداد وانما ذكر المجلود لاشتهاره بالفسق وهو الذي يجب ان يعرف بينه وبين غيره فاما من لم يشتهر بالفسق فلا الخامسة قال قوم من المتقدمة الاية محكمة غير منسوخة وعندهم ان من زنا فسد النكاح بينه وبين زوجته واذا زنت الزوجة فسد النكاح بينها وبين زوجها وقال قوم منهم لا يفسخ النكاح ولكن تؤمر المراة بطلاقها ولو امسكها اثم ولا يجوز التزوج ولا من الزانية بل لو ظهرت التوبة فحينئذ يجوز النكاح السادسة وحرم ذلك على المومنين اي نكاح او لبك البغايا حرمه الله على امة محمد عليه السلام ومن اشتهر عنه الزنا في الجاهلية حرم الله الزنا في كتابه فحيث ما زنا الرجل فعليه الحد وهذا قول مالك والشافعي وابو ثور وقال الضحاك الزاني في الرجل المسلم اذا كان في دار الحرب بامان وزنا هناك ثم خرج لم يجد قاله ابن المنذر دار الحرب ودار الاسلام واحد من زنا فعليه الحد على ظاهر قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مايه جلدة قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الى قوله غفور رحيم فيه سبعة وعشرون مسئلة الاولى في هذه الاية نزلت في القاذفة قالت سعيد بن جبير كان سببها ما قيل في عايشة ام المومنين رضي الله عنها وقيل بل نزلت بسبب القذفة عاما لا في تلك التي نزلت وقال ابن المنذر لم يختلف اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا يدل على ان حد القذف وظاهر كتاب الله مستغنى به دالا على ان القذف الذي يوجبه الحد واهل العلم على ذلك مجمعون الثانية قوله تعالى والذين يرمون يريد يقذفون واستعير له اسم الرمي لانه اذا يه بالقول كما قال النابغة

وخرج السنان كمخرج البيدء وقال اخر

رواني بامر كنت عنه ووالدي بريا ومن حال الطوي رماني

وبسببه قذفا ومنه الحديث ان ابن امية قذف امراته بشريك بن سحما في رمانها الثالثة ذكر الله في الاية النساء من حيث هو اهم ورميهن بالفاحشة اشنع وانكى للنفوس وقذف الرجال داخل في حكم الاية بالمعنى واجماع الامة على ذلك وهذا مخصوص على الحقيقة ودخل شحمه وعضاريفه ونحو ذلك بالمعنى وبالاجماع وحكم الزهراوي انه المعنى والا نفس المحصنات فهي تعم بلفظها الرجال والنساء ويدل على ذلك قوله والمحصنات من النساء قال قوم اراد بالمحصنات الفروج كما قال تعالى والتي احصنت فرجها فيدخل فيه فروج الرجال والنساء وقيل انما ذكر المراة الاجنبية اذا قذفت

لسطف

ليعطف عليها فقذف الرجل زوجته والله اعلم وقراء الجمهور والمحصنات بفتح الصاد وكسرها
يجيء بثم وبابه والمحصنات العفايف في هذا الموضع وقد مضى في النساء ذكر الاحصان
ومراتبه والحمد لله الرابعة للقذف شروط عند العلماء تسعة شروط في القاذف
وهي العقل والبلوغ لانهما اهل للتكليف لا التكليف ساقط دونهما وشرطان في
الشيء المقذوف به وهو انه يقذف بوطيء يلزمه فيه الحد وهو الزنا او اللواط
او ينفيه من ابيه دون سايرالمحارم وخمسة في المقذوف وهي العقل والبلوغ
والاسلام والحرية والعفة عن الفاحشة التي رميت بها كان عفيفا عن غيرها
ام لا واما شرطنا في المقذوف العقل والبلوغ كما شرطناهما في القاذف وان
لم يكونا من مسايغ الاحصان لاجل ان الحد انما وضع للزجر عن الاذاية
بالمضرة الداخلة على المقذوفة ولا مضرة على من عدم العقل والبلوغ اذ لا
يوصف الوطيء فيهما ولا منهما بانه زنا الخامسة اتفق العلماء على انه اذا صرح
بالزنا كان قاذفا ورميا موجبا للحد فان عرض ولم يصرح فقال ما انا بهو قذف
وقال الشافعي وابو حنيفة قذف احتج بقوله اردت به القذف والدليل لما
قاله مالك هو ان موضوع الحد في القذف انما هو ازالة المعرة الحتمية او قعها
القاذف بالمقذوف فاذا حصلت المعرة بالتعريض وجب ان يكون قذفا كالصريح
والمعول عليه الفهم وقد قال تعالى مخبرا عن شعيب انك لانت الحليم الرشيد
ايه السفيه الضال فعرضوا له بالسب بكلام ظاهره المدح في احد الثاويلات حسب
ما تقدم في هود وقال تعالى في ابي جهل ذق انك انت العزيز الكريم وقال
حكاية عن مريم يا اخت هارون ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا
قد علموا اباها وبغوا عن امها البغاء ابي الزنا وعرضوا لمريم بذلك ولذلك قال تعالى
وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وكفرهم معروف والبهتان العظيم
هو التعريض اه ابي ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا ابي انت بخلافهما
وقد نبئت بهذا الولد وقال تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض
قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فهذا اللفظ قد فهم منه
انه المراد به ان الكفار على غير هدى وان الله ورسوله على الهدى فمن هذا
هذا التعريض ما يفهم منه من نحو وقد حبس عمر رضي الله عنه الحطيئة لما قال
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي لانه شبهه
بالنساء اللاتي يطعمن ويسقين ويكسون ولما سمع قول النجاشي فنبيله لا
كما يعدون ندمم ولا بظلموث الناس حبة خردل قال لبيد الخطاب كذلك
وانما اراد الشاعر ضعف الفئة ومثله كثير المساواة الجمهور من العلماء
على انه لا حد على من قذف رجلا من اهل الكتاب او امراة منهم وقال الزهري
وسعيد بن المسيب وابن ابي ليلى عليه الحد اذا كان ولد من مسلم وفيه قول
ثالث وهو انه اذا قذف النصرانية يجب المسلم جلد الحد قاله ابن المنذر وجل
العلماء بخلافه وقالوا والقول الاول ولم ادرك احدا ولا لقيه مخالف في ذلك
واذا قذف النصراني المسلم الحر فعليه ما على المسلم ثمانون جلدة لا اعلم في
ذلك اختلاف السابقة الجمهور من العلماء على ان العبد اذا قذف حر جلد
اربعين لانه حد يتشطر بالرق كحد الزنا وروي عن ابن مسعود وهم ابن
عبد العزيز وقبيصة بن ذويب يجلد ثمانين وجلد ابو بكر بن محمد عبدا قذف
حرا ثمانين وبه قال الاوزاعي احتج الجمهور بقول الله تعالى فان اتين
بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقال الاخرون
فهمنا هناك ان حد الزنا لله تعالى وانه ربما كان اخف فيمن قلت نعم لله
عليه والحشه فيمن عظمت نعم الله عليه واما حد القذف فحق الادمي
وجب للجناية على عرض المقذوف والجناية لا تختلف بالرق والحرية
وربما قالوا لو كان لذكر كما ذكر في الزنا قاله ابن المنذر المقذوف والذي عليه
عوام علماء الامصار القول الاول وبه اقول الثامنة واجمع العلماء على
ان الحر لا يجلد للعبد اذا افترى عليه لسائر من بينهما ولقوله عليه السلام
من قذف مملوكه بالزنا اقام عليه الحد يوم القيامة الا ان يكون كما قال

خرجه البخاري ومسلم وفي بعضه طرقه من قذف عبده بزنا ثم لم يثبت اقيم عليه
يوم القيامة الحد ثمانون ذكره الدارقطني قال العلماء وانما كان ذلك في الآخرة
لارتفاع الملك واستواء الشريف والوضيع والحر والعبد ولم يكن لاحد فضل الا بالتقوى
ولما كان ذلك خافا الناس في الحدود والحرمة واقتص من كل واحد لصاحبه لا
ان يعفو المظلوم عن الظالم وانما لم يتكافوا في الدنيا ليلا يدخل الداخلة على المالكين
في ملكهم فلا يصح لهم حرمة ولا فضل في منزلة وتبطل فايدة التسخير لحكمة
من الحكيم العليم لا اله الا هو الثامنة قال مالك والشافعي من قذف من
يحسب عبدا فاذا هو حر فعليه الحد وقال الحسن البصري واختاره ابن المنذر
قال مالك ومن قذف ام الولد حد وروي عن ابن عمر وهو قياس قول
الشافعي وقال الحسن البصري لا حد عليه العاشرة واختلف العلما
فيمن قال لرجل يا ابن يهودي او نصراني لابيه الخمر يين فقال ابن القاسم عليه الحد لانه
تعريض وقال اشهب لا حد عليه لانه نسبه الى فعل لا يعد زنا اجماعا الحادية
عشرة اذا رمى صبية لم توطأ قبل البلوغ بالزنا كان قذفا عند مالك وقال
ابو حنيفة والشافعي وابو ثور ليس بقذف لانه ليس بزنا ولا حد عليها ويعزر
قال ابن العربي والمسئلة محتملة مشكلة لكن مالك طلب حماية عرض
المقذوف وغيره راعى حماية ظهر القاذف وحماية عرض المقذوف اولى
لانه القاذف كشف ستره فلزمه الحد قال ابن المنذر وقال
احمد في الجارية بنت تسع تجلد قاذفها وكذلك الصبي اذا بلغ عشرا ضرب
قاذفه قال اسحاق اذا قذف غلاما لم يطأ مثله فعليه الحد والجارية اذا
جاوزت تسعا مثل ذلك قال ابن المنذر لا اجد من قذف من لم تبلغ لان ذلك
كذب ويعزر عليه لا اذا قاله ابو عبيد في حديث علي عليه السلام ان امراة
جاته فذكرت ان زوجها يأتي جاريتها فقال ان كنت صادقة رجمناه وان كنت
كاذبة جلدناك فقالت رد وني الى اهل عمر بن بعره قال ابو عبيد في
هذا الحديث من الفقه ان على الرجل اذا وطئ جارية امراته الحد وفيه ايضا
اذا قذفه بذلك كان قاذفا فحد الحد لا يسمع قوله وان كان كاذبة جلدناك
ووجه هذا كله اذا لم يكن القاذف جاهلا بما يأتي وبما يترك وان كان جاهلا
وادعى شبهة درئ عنه الحد في ذلك كله وفيه ايضا ان رجلا لو قذف رجلا
بحضرة حاكم وليس المقذوف بحاضر انه لا شيء على القاذف حتى يجيء فيطلب
حده لانه لا يدري لعله يصدقه الا ترى ان عليا رضي الله عنه لم يعرض لها
وفيه ان الحاكم اذا قذف عنده رجل ثم جاء المقذوف وطلب حقه اخذه الحاكم
بالحد لسماعه الا تراه يقول وان كنت كاذبة جلدناك وهذا لانه من حقوق
الناس قلت اختلف هل هو من حقوق الله او حقوق الادميين
وسيأتي قال ابو عبيد قال الاصمعي سألني شعبة عن قوله وعيري
بجره فقلت له هو ما خوذ من نغر الغدر وهو غليان القدر وفورها يقال منه
نغرت تنغر ونغرت تنغر اذا علت فمعناه انها اذا دت ان حرها يغلي من
الغيظ والغره لما لم يجد عنده ما تزيد قال ويقال منه رايت فلانا يتنغر
علي فلان اي يغلي حوفه عليه غيظا الثانية عشرة من قذف زوجة
من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حد حد بن قاله مسروق قال
ابن العربي والصحيح انه حد واحد لعموم قوله تعالى والذين يرمون
المحصنات لانه ولا يقتضي شرفهن زيادة في حد من قذفهن لان
شرف المنزلة لا يوثر في الحدود وانقصها يوثر في الحد بنقيصه والله اعلم
وسيأتي الكلام فيمن قذف عايشة رضي الله عنها هل يقتل ام لا الثالثة
عشرة قوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء الذي يقتضيه ان يأتوا به اربعة شهدا
دون سايط الحقوق هو الزاجر رحمة بعباده وستر الهم وقد تقدم في الشاهد
الرابعة عشرة من شروط ادا الشهود الشهادة عند مالك ان يكون
ذلك في مجلس واحد فان افترقت لم تكن شهادة وقال عبد الملك تقبل
شهادتهم مجتمعين ومفترقين فراى مالك ان اجتماعهم تعديل قال

ابن الحسن وابو عبد الملك اذا اقتصدا الشهادة واجتماعهما وقد حصل وهو قول
عثمان البتي وابي ثور واختاره ابن المنذر لقوله تعالى ثم لم يأتوا باربعة شهداء
وقوله فانهم لم يأتوا بالشهداء ولم يذكر مفترقين ولا مجتمعين الخامسة عليه
فان تمت الشهادة الا انهم لم يعدلوا فكان الحسن البصري والشعبي يريان الاخذ
عليهم الشهود والاعلى المشهور وبه قاله احمد والنعمان ومحمد بن الحسن وقال مالك
اذا شهد عليه اربعة بالزنا فانه كان احدهم مسخوطا عليه او عبدا يجلدون جميعا
وقال سفيان الثوري واحمد بن حنبل اربعة عميان يشهدون على امرأة بالزنا يضربون
السادسة عشرة فان رجع احد الشهداء وقد رجم المشهود عليه في الزنا فقالت
طائفة يغرم ربع الدية ولا شيء عليه الاخرين وكذلك قال قتادة وحماد وعكرمة
وابو هاشم ومالك واحمد واصحاب الرأي وقال الشافعي ان قال تعمدت ليقتل
قالا ولياء بالخيار ان شاؤا اقتلوا وان شاؤا عفوا واخذوا ربع الدية وعليه
الحد وقال الحسن البصري يقتل وعليه الاخرين ثلاثة ارباع الدية وقال
ابن سيرين اذا قال اخطأت وادت عشيرته فعليه الدية كاملة وان قال تعمدت
قتل به وبه قال ابن شبرمة السابعة عشرة واختلف العلماء في حد القذف
هل هو من حقوق الله او حقوق الادميين وفيه شائبة منهما الاول قول
ابي حنيفة والثاني قول مالك والشافعي والثالث قاله بعض المتاخرين
وفائدة الخلاف انه ان كان حقا لله وبلغ الامام اقامه وان لم يطلب ذلك المقذوف
وتحت القاذف التوبة فيما بينه وبين الله تعالى ويشترط فيه الحد بالرق
كالزنا وان كان حقا للادمي فلا يقيمه الامام الا بمطالبة المقذوف ويسقط
بعفوه ولم يمنع القاذف التوبة حتى يحلله المقذوف الثامنة عشرة قوله
تعالى باربعة شهداء قراء الجمهور على اضافته الاربعة الى الشهداء وقراء عبد
الله بن مسلم بن يسار وابو عمرو بن عمر وابن جرير باربعة بالتنوين شهدا وفيه
اربعة اوجه يكون في موضع جر على النعت لاربعة او بدلا ويجوز ان يكون
حالا منه نكرة او تمييزا وفي الحال والتمييز نظر اذ الحال من نكرة والتمييز
مجموع وسيبويه يرى ان التنوين للفرد وتركه اما فتحة اما يجوز في الشعر وقد
حسنه ابو الفتح عثمان بن جني هذه القراءة وحث على قراءة الجمهور قال النحاس
ويجوز ان يكون شهداء في موضع نصب بمعنى ثم لم يحضروا اربعة شهداء الثامنة
عشرة حكم شهادة الاربعة ان يكون على معاينة يرون ذلك كالمرود في المكحلة
على ما تقدم في النساء في حقه الحديث وان يكون في موطن واحد على قوله مالك
وان اضطرب واحد منهم جلد الثلاثة كما فعل عمر في امير المغيرة بن شعبة وذلك
انه شهد عليه بالزنا ابو بكرة ونافع بن الحارث واخوه زياد فقال الزهري وعبد
الله بن الحارث وزياد اخوهما لام وهو مستلحق معاوية ونسيله بن معبد البجلي
فلما جاؤا لاداء الشهادة وتوقف زياد ولم يودها جلد عمر الثلاثة المذكورين الموفية
عشرين قوله تعالى فاجلدوهم الجلد الضرب والمجادلة المضاربة في الجلود او
بالجلود ثم استعير الجلد لغير ذلك من سيف وغيره ومنه قوله قيس بن الخطيم

• • احالدهم يوم الحديقة حاسرا كان يدي بالسيف محراق لامعة تماني •

نصب على المصدر جلدة تمييز ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا هذا بمقتضى مدة اعمارهم
ثم حكم عليهم بانهم فاسقون اي خارجون عن طاعة الله جل وعز الحادية والعشرون
قوله تعالى الا الذين تابوا في موضع نصب على الاستثناء ويجوز ان يكون في موضع
خفض على البدل والمحب ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا الا الذين تابوا واصلحوا من
بعد القذف فان الله غفور رحيم فتضمنت الاية ثلاثة احكام في القاذف جلده
ورد شهادته ابدا وفسقه فالاستثناء غير عامل في جلده باجماع الاما روي عن
الشعبي على ما يأتي وعامل في فسقه باجماع واختلف الناس في عمله في رد
الشهادة فقال شريح القاضي وابراهيم النخعي والحسن البصري وسفيان
الثوري وابو حنيفة لا يعمل الاستثناء في رد شهادته وانما يعود فسقه عند
الله تعالى واما شهادة القاذف لا تقبل البتة ولو تاب وأكذب نفسه ولا يحال من
الاحوال وقال الجمهور الاستثناء عامل في رد الشهادة فاذا تاب القاذف قبلت

شهادته وانما كان ردها لعلة الفسق فاذا تاب التوبة قبلت شهادته مطلقا قبل الحد
وبعده وهو قوله عامة الفقهاء اختلفوا في صورة توبته فذهب عمر بن الخطاب رضي
الله عنه والشعبي وغيره ان توبته لا تكون الا بان يكذب نفسه في ذلك القذف
الذي حد فيه وهكذا فعل عمر فانه قال للذي شهد واعلموا المغيرة من اكذب نفسه
اجزت شهادته فيما استقبل ومن لم يفعل لم اجز شهادته فاكذب المسيل بن معبد
ونافع بن الحارث بن كلدة انفسهما وتابا وابى ابو بكرة ان يفعل فكان لا يقبل
شهادته وحكيه هذا القول الخواص عن اهل المدينة وقالت فرقة منها مالك
رحمه الله وغيره توبته ان يصلح ويحسن حاله وان لم يرجع عن قوله بتكذيب
وحسبه الندم عليه قذفه والاستغفار منه وتزك العود اليه مثله وهو قول
ابن حبيب وبه روي عنه الشعبي انه قال الاستثناء منه الاحكام الثلاثة اذا
تاب وظهرت توبته لم يحد وقبلت شهادته وزاله عنه الفسق لانه قد صار ممن
يرضى منه الشهداء وقد قاله الله عز وجل وانى لغفار لمن تاب الاية الثانية
والعشرون اختلف علماؤنا رحمهم الله متى تسقط شهادة القاذف فقال
ابن الماجشون بنفسه قذفه وقاله ابن القاسم واشهب وسحنون لا تسقط
حتى يجلد فان منع من جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته وقال الشيخ
ابو الحسن اللخمي شهادته في مدة الاجل موقوفة ورجح القول بان التوبة انما
تكون بالتكذيب في القذف والا فانما رجوع لعل انه قذف وحد ويقي عليه
حد الثانية والعشرون واختلفوا ايضا على القول بجواز شهادته بعد
التوبة في اي شيء يجوز فقال مالك رحمه الله يجوز في كل شيء مطلقا وكذلك كل
من حد في شيء من الاشياء رواه ابن نافع عن عبد الحكم عن مالك وهو قول
ابن كنانة الا فيما عن مالك انه لا تقبل شهادته فيما حد فيه خاصة وتقبل فيما
سوى ذلك وهو قوله مطرف وابن الماجشون وروي العتبي عنه اصبغ
وسحنون مثله قاله سحنون من حد في شيء من الاشياء فلا تجوز شهادته
في مثل ما حد فيه قاله مطرف وابن الماجشون من حد في قذف او زنا فلا
يجوز شهادته في شيء منه وجوه الزنا ولا في قذف ولا في لعان وان كان عدلا
وروياه عن مالك واتفقوا على ولد الزنا ان شهادته لا تجوز في الزنا الرابعة
والعشرون الاستثناء اذا تعقب جملا معطوفا عاد الى جميعها عند مالك
والشافعي واصحابهما وعند ابي حنيفة وجل اصحابه يرجع الاستثناء الى اقرب
مذكور وهو الفسق ولهذا لا تقبل شهادته فان الاستثناء راجع اليه الفسق
خاصة لا الى قبل الشهادة وسبب الخلاف في هذا الاصل سببان احدهما هل
هذه الجمل في حكم الجملة الواحدة للعطف الذي فيها او لكل جملة حكم نفسها في
الاستقلال وحرف العطف محسنة لا مشرك وهو الصحيح في عطف الجمل يجوز
عطف الجمل المختلفة بعضها على بعض على ما يعرف في النحو السبب الثاني
شبه الاستثناء بالشرط في عوده الى الجمل المتقدمة فانه يعود الى جميعها
عند الفقهاء ولا يشبه به لانه من باب القياس في اللغة وهو فاسد على
ما يعرف في اصول الفقه والاصل ان كل ذلك محتمل ولا نرجح فتعين ما
قاله القاضي منه الموقف ويتاييد الاشكال بانه قد جاء في كتاب الله جل وعز
كلا الامرين قال ابن المجازية فيها عود الضمير الى الجميع باتفاق وانه قتل
المؤمن خطا فيما ورد الاستثناء الى الاخيرة باتفاق وابنة القذف محتملة
للوجهين فتعين الوقف من غير مبين قال علماؤنا وهذا خطر كلي اصولي
ويترجح قول مالك والشافعي رحمهما الله من جهة نظر الفقه الحري بان
يقال الاستثناء راجع الى الفسق والتوبة جميعا الا ان يفرق بين ذلك بخبر
يجب التسليم له واجمعت الامة على ان التوبة تمحوا الكفر فيجب ان يكون
ما دونه كذلك والله اعلم قال ابو عبيد الاستثناء يرجع الى الجمل
السابقة قال وليس من نسبه الى الزنا بمنزلة جرما من ارتكب الزنا ثم الزاني
اذا تاب قبلت شهادته لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له واذا قبل الله
التوبة من العبد كان العباد بالقبول اولى يعني ان مثل هذا الاستثناء موجود

في مواضع منه القرائن منها قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الى قوله الا الذين تابوا ولا شك ان هذا الاستثناء الى الجميع وقاله الزجاج وليبنه القاذف بالله جرما منه الكافر فحقه اذا تاب واصلح ان تسمع شهادته قال وقوله ابدا اي ما دام قاذفا كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا فان معناه ما دام كافرا وقال الشعبي للمخالف في هذه المسئلة يقبل الله توبته ولا يقبلون شهادته ثم انه كان الاستثناء يرجع الى الجملة الاخيرة عند اقوام منه الامولييث فقوله فاولئك هم الفاسقون تعليل لجملة مستقلة بنفسها اي لا تقبلوا شهادتهم لفسقهم فاذا زال الفسق فلم لا تقبل شهادتهم ثم توبة القاذف اكذابه نفسه كما قال عمر لقذفة المغيرة كحزة الصحابة من غير تكثير اشاعة الفضيحة وشهرتها منا البصرة الى الحجاز وغير ذلك من الافطار ولو كان تاويل الاية ما قاله الكوفيون لم يجز انه يذهب علم ذلك من الصحابة ولقالوا لعمر لا يجوز قبول توبة القاذف ابدا ولم يسعهم السكوت عنه الفضا بتخريجه تاويل الكتاب فسقط قولهم والله المستعان الخامسة والعشرون قال القشيري ولا خلاف انه اذا لم يجلد القاذف بانه مات المقذوف قبله انه يطالبه القاذف بالحد او لم يرجع الى السلطان او عفى المقذوف فالشهادة مقبولة لان عند الخصم في المسئلة التي عن قبوله الشهادة معطوف على الجلد قاله الله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وعند هذا قاله الشافعي هو قبل انه يجد بشرمنه حين حد لان الحدود كفارات فكيف ترد شهادته في احسن حالية دون اخسها قلت هكذا قاله ولا خلاف وقد تقدم ابن العربي ما حشوني انه بنفسه القذف ترد شهادته وهو قول الليث والاوزاعي والشافعي يرد شهادته وان لم يجد به القذف بفسق لانه مقام الكبائر فلا تقبل شهادته حتى يصح براءته بان قرار المقذوف له بالزنا او بقيام البينة عليه السادسة والعشرون قوله واصلحوا يريد اظهار التوبة وقبله واصلحوا العمل فان الله غفور رحيم حيث تابوا وقبل توبتهم قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الى قوله ان كان من الصادقين فيه ثلاثون مسئلة الاولى قوله تعالى ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم بالرفع على البدل ويجوز النصب على الاستثناء وعلى خبر يكن فشهادة احدهم اربعة شهادات بالرفع على الابتداء والخبر اي فشهادة احدهم التي تزيل عنه حد القذف اربع شهادات وقرأ اهل المدينة وابو عمرو اربع بالنصب لانه معنى فشهادة انه يشهد والتقدير فعليهم ان يشهد احدهم اربع شهادات وقال ان يشهد احدهم اربع شهادات ولا خلاف في الثاني انه منصوب بالشهادة والخامسة رفع بالابتداء والخبر ان وصلتها ومعنى المخففة كمعنى المثقلة لانه معناها انه وقرأ ابو عبد الرحمن وطلحة وعاصم في رواية حفص والخامسة بالنصب بمعنى وتشهد الشهادة الخامسة قوله لعنت الله عليه المثانية في سبب نزولها وهو ما رواه ابو داود عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا راى احدنا رجلا على امراته يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق انه لصادق وليترلن الله في امري ما يبرئ ظهري من الحد فنزلت والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فقراء حتى بلغ من الصادقين الحديث بكماله وقيل لما نزلت الاية المتقدمة في الذين يرمون المحصنات وتناوله بظاهرها الازواج وغيرهم قال سعد ابن معاذ يا رسول الله انا وجدنا مع امراته رجلا امهله حتى اتيه باربعة واضربه بالسيف غير مصفح عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غير سعد لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وفي الفاظ سعد واباه مختلفة هذا نحو معناها ثم جاء من بعد ذلك هلال بن امية الواقفي فرمى زوجته بشريك بن سحما البلوي عند ما ذكرنا وعزم النبي صلى الله عليه وسلم على مذهب حد القذف فنزلت هذه الاية فجمعها رسول الله صلى الله عليه

وسلم على صريح حد القذف في المسجد وتلاعنا فتشكلت المرأة عند الخامسة لما وعظت
وقيل انها موجبة ثم قالت لا افضح قومي سائر اليوم فالتحقت وفرق رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينهما وولدت غلاما كان جعد اورق عليه النعت المكروه ثم كان
الغلام بعد ذلك اميرا بمصر وهو لا يعرف لنفسه ابا وجاء ايضا عويمر العجلاني فرمى
امرأته ولاعن والمشهور انه نازلة هلال كانت قبل وانها سبب الاية وقيل كل نازلة
نازلة عويمر بن اسفر كانت قبل وهو حديث صحيح مشهور خرجه الائمة قال
ابو عبد الله بن ابي صفرة الصحيح انه القاذف لزوجته عويمر وهلال بن امية
خطا قال الطبري يستنكر قوله في الحديث هلال بن امية وانما القاذف عويمر
ابن زيد بن الحرث العجلاني شهد احدا مع النبي صلى الله عليه وسلم رماها
بشريك بن السحماء والسحماء امة قيل لها ذلك لسوادها وهو ابن عبده بن الحرث
ابن العجلاني كذلك كان يقول اهل الاخبار وقيل قراء النبي صلى الله عليه وسلم
عليهم الناس في الخطبة يوم الجمعة والذين يرمون المحصنات فقال عاصم بن عدي الانصاري
جعلني الله فداك ان رجلا منا وجد بطن امرأته رجلا فتكلم فاخبر بما جرى به
جلد ثمانين وسماه المسلمون فاسقا فلا يقبل شهادته فكيف لاحدنا اذا شهد ذلك
باربعة شهود والى ان يلتمس اربعة شهود فقد فرغ الرجل من حاجته فقال
عليه السلام كذلك انزلت يا عاصم بن عدي فخرج عليهم سامعا مطيعا فاستقبله
هلال بن امية يسترجع فقال ما وراك قال شر قال وجدت شريك بن السحماء
على بطن امرأتي خوله بزنيه بها وخوله هذه بنت عاصم بن عدي كذا في هذا الطريق
ان الذي وجد مع امرأته شريكا هو هلال بن امية والصحيح خلافه حسبما
تقدم بيانه قاله الكلبي والاظهر ان الذي وجد مع امرأته شريكا عويمر
العجلاني لكثرة ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن بينه العجلاني
وامرأته واتفقوا عليه ان هذا الزاني هو شريك بن عبده وامه السحماء وكان عويمر
وخوله بنت قيس وشريك بنو عم عاصم وكانت هذه القصة في شعبان سنة تسع
من الهجرة منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم منه تبوك الى المدينة قاله
الطبري وروي الدارقطني عن عبد الله بن جعفر قال حضرت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين لاعن عويمر العجلاني وامرأته مرجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وانكر حملها الذي رمي بطنها وقال هو ابن
السحماء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ها انه امرأتك فقد نزل القرآن
فيكما فلاعن بينهما بعد العصر عند المنبر عليه حمل في طريقه الواقدي عن
الضحاك بن عثمان عن عمران بن ابيه انس قال سمعت عبد الله بن جعفر
يقوله فذكره الثالثة قوله سبحانه والذين يرمون ازواجهم عام في كل رمي سواء
قال زنيت او يا زانية او رايتها تزني وهذا الولد ليس مني فانه الاية مشتملة
عليه ويجب اللعان اذا لم يات باربعة شهداء وهذا قول جمهور العلماء وعامة
الفقهاء وجماعة اهل الحديث وقد روي عن مالك مثل ذلك وكان مالك
يقول لا يلاعن الا ان يقول رايتك تزني او بينت حملا او ولدا منها وقوله
ابو الزناد ويحيى بن سعيد والليث مثل قول مالك ان الملاعنة لا تجب بالقذف
وانما تجب بالرؤية او نفي الحمل مع دعوى الاستبراء هذا هو المشهور عن مالك
وقاله ابن القاسم والصحيح الاول لعموم قوله والذين يرمون ازواجهم قال ابن
العربي وظاهر القرآن يكفي لا يجاب اللعان مجرد القذف من غير رؤية فلتعولوا
عليه لاسيما وفي الحديث الصحيح ارايت رجلا وجد مع امرأته رجلا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم فاذهب فات بها ولم يكلفه ذكر الرؤية واجمعوا ان الاخرس
يلاعن اذا قذف امرأته ولو كانت الرؤية من شرط اللعان ما لاعن الاخرس قاله
ابو عمر وقد ذكر ابن القصار عن مالك ان لعان الاخرس لا يصح الا ان يقول لمست
فرجها والحجة لمالك ومن اتبعه رواه ابو داود عن ابن عباس قال جاء هلال
ابن امية وهو احد الثلاثة الذين تيب عليهم فجاء من ارضه عشيا فوجد عند اهله
رجلا فرأى بعينيه وسمع باذنيه فلم يهجه حتى اصبح ثم غدا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جئت اهلي عشيا فوجدت عندهم رجلا

فرايت بعينيه وسمعت باذنيه فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد
عليه فنزلت والذين يرمون ازواجهم الاية وذكر الحديث وهو نص في
الملاعنة التي قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانت في الرؤية
فلا يجب ان يتعدى ذلك ومن قذف امرأته ولم يذكر رؤية حد لعموم قوله والذين
يرمون المحصنات الرابعة اذا بقي الحد فانه يلتعن لانه اقوى منه الرؤية
ولا بد منه ذكر عدم الوطء والاستبراء بعده واختلف في ما وراء في الاستبراء
فقال المغيرة ومالك في احد قوليه يجزيء في ذلك حيضة وقال مالك ايضا لا
يبقيه الا بثلاث حيض والصحيح الاول لانه براءة الرحم منه فاشبه ثلاث
استبراء الامة وانما راعينا الثلاث حيض في العدد لحكم اخر بانا بينا في
الطلاق ان شاء الله وحكمة الحكم عند مالك انه قاله مرة لا يبقى الولد بالاستبراء
بانه الحيض يأتي على الحمل وقاله الشهب في كتابه ابن المواز وقاله المغيرة وقال
لا يبقى الولد لا بخمس سنين لانه اكثر مدة الحمل على ما تقدم الخامسة اللعان
عندنا يكون في كل زوجين حرين كانا او عبدين مؤمنين او كافرين فاسقين
او عدلين وبه قال الشافعي واللعان بين الرجل وامته ولا بينه وبين ام
ولده وقيل لا ينتفي ولد الامة عنه الا بيمين واحدة بخلاف اللعان وقد قيل
انه اذا نفى ولد ام الولد لاعن والاول تحصيل المذهب مالك وهو الصواب وقال
ابو حنيفة لا يصح اللعان الا من زوجين حرين مسلمين وذلك لان اللعان عنده
شهادة وعندنا وعند الشافعي يمين فكل من صحت يمينه صح قذفه ولعانه
واتفقوا على انه لا بد ان يكونا مكلفين وفي قوله صلى الله عليه وسلم وجد
مع امرأته رجلا دليل على ان الملاعنة تجب على كل زوجين لانه لم يخص رجلا
من رجل ولا امرأة من امرأة ونزلت اية اللعان على هذا الجواب فقال والذين
يرمون ازواجهم ولم يخصه زوج وابى هذا ذهب مالك واهل المدينة
وهو قول الشافعي واحمد واسحاق وابي عبيد وابي ثور وايضا فان اللعان
يوجب فسخ النكاح فاشبه الطلاق فكل من يجوز طلاقه يجوز لعانه واللعان
ايمان لا شهادات قاله الله تعالى لشهادتنا احق من شهادتهما بايمانها وقال
تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال تعالى اتخذوا ايمانهم
جنة وقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شان واما ما احتج به الثوري
وابو حنيفة فهو حجة لا يقوم على ساق منها حديث بن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة ليس
بينهم لعان ليس بين الحر والامة لعان وليس بين الحرة والعبد لعان وليس
بين المسلم واليهودية لعان وليس بين المسلم والنصرانية لعان اخرجه الدارقطني
من طرق منعفها كلها وروي عن الاوزاعي وابن جريج وبها ما عن عمرو
ابن شعيب عن ابيه عن جده قوله ولم رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا من
جهة النظر ان الازواج لما استثنوا من جملة الشهداء بقوله ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم
وجب ان لا يلاعن الامة ايضا فلو كانت يمينا لردت والحكمة
في تردها قيامها في الاعداد مقام الشهود في الزنا فلما هنا يبطل يمين القسامة
فانها تكرر وليست بشهادة اجماعا والحكمة في تكرارها التغليظ في الدم
والدين قال ابن العربي والفيصل في انها يمين لا شهادة ان الزوج يحلف لنفسه
في اثبات دعواها وتخليصه من العذاب وكيف يجوز لاحد ان يدعي في
الشريعة ان يشهد لنفسه بما يوجب حكما على غيره هذا بعيد في الاصل
معدوم في النظر السادسة اختلف العلماء في ملاعنة الاخرس فقال
مالك والشافعي يلاعن لانه ممن يصح طلاقه وظهاره وايلاؤه اذا فهم ذلك
عنه وقال ابو حنيفة لا يلاعن لانه ليس منه على الشهادة وانه قد ينطق
بلسانه فينكر اللعان فلا يمكننا اقامة الحد عليه وقد تقدم هذا المعنى في سورة
مريم عليها السلام والدليل عليه والحمد لله السابعة قال ابن العربي رأيت ابو
حنيفة تموه الادلة فقال ان الرجل اذا قذف زوجته بالزنا قبل ان يتزوجها
فانه يلاعن وسببه ان ذلك قد تضمنه قوله والذين يرمون المحصنات وهذا رماها

محصنة غير زوجته وانما يكون اللعان في قذف يلحق فيه النسب وهذا قذف فلا يلحق
فيه نسب فلا يوجب لعانا كما لو قذف اجنبية التاسعة اذا قذفها بعد الطلاق نظرت
فان كان هناك نسب يريد انه ينفيه او حمل ينتظر منه لاعن والا لم يلاعن وقال
عثمان البتي لا يلاعن بحال لانها ليست بزوجة وقال ابو حنيفة لا تلاعن في
الوجهين لانها ليست بزوجة وهذا ينتقض عليه بالقذف قبل الزوجية كما
ذكرناه (الغالب هذا ولد) لانه النكاح قد تقدم وهو يريد ان ينتفي منه النسب
وتبرئته من ولد يلحق به فلا بد منه اللعان واذا لم يكن هناك حمل يرجى ولا
نسب يخاف تعلقه لم يكن للعان فايدة فلم يحكم فيه وكان قذفا مطلقا فاشبه
من لطخ بعموم والذين يرمون المحصنات الآية فوجب عليه الحد وبطل ما
قاله البتي لظهور فساده التاسعة لا ملاعنة بين الرجل وزوجته بعد
انقضاء العدة الا في مسئلة واحدة وهي ان يكون غائبا فتاتيه امرأته بولد
في مغيبه وهو يعلم فيطلقها فتنقضي عدتها ثم تقدم فينفيه فله ان يلاعنها
هاهنا بعد العدة ولذلك لو قدم بعد وفاتها وتبعه الولد عن نفسه وهي ميتة
بعد مدة من العدة ويرثها لانها ماتت قبل وقوع الفرقة بينهما العاشرة
اذا انتفى من الحمل ووقع بشرطه لاعن قبله (الوضع وبه قاله الشافعي وقال
ابو حنيفة لا يلاعن (لا بعد ان تضع لانه يحتمل انه يكون ريحا او دليلنا
النص الصريح بان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن قبل الوضع وقال ان
جاءت به كذا فهو لابيه وان جاءت به كذا فهو لفلان فجاءت به على النعت المكروه
الحادية عشرة اذا قذف بالزنا في الدبر لاعن وقال ابو حنيفة لا يلاعن وبناه
على اصله في ان اللواط لا يوجب الحد وهو فاسد لانه الرمي به معرة وقد دخل تحت
عموم قوله والذين يرمون ازواجهم وقد تقدم في الاعراف والمؤمنة انه يجب
به الحد الثانية عشرة قال ابن العربي منه عرف امر هذا الرجل انه اذا قذف
زوجته وامها بالزنا انه انه حد للام سقط حد النسب وان لاعن للنسب لم يسقط
حد الام وهذا لا وجه له وما رايت لهم شبها بحكمه وهذا باطل حدا فانه خص عموم
الآية في النسب وهي زوجة بحد الام من غير دليل اصلا فاسه عليه الثالثة
عشرة اذا قذف زوجته ثم زنت قبل التعانه فلا حد ولا لعان وبهذا قاله ابو
حنيفة والشافعي واكثر اهل العلم وقاله الثوري والمزني لا يسقط الحد
عن القاذف ورمي المقذوف بعد ان قذف لا يقدح في حصانته المتقدمة ولا
يرفعها لان الاعتبار بالحصانة والعفة في حال القذف لا بعده كما لو قذف مسلما
فارتد المقذوف بعد القذف وقبل ان يجد القاذف لم يسقط الحد عنه وايضا
فان الحد وجد معتبرة بوقت الوجوب لا وقت الاقامة ودليلنا قد ظهر قبل
استيفاء اللعان والحد معنى لو كان موجودا في الابتداء منع صحة اللعان ووجوب
الحد فذلك اذا طرء في الثاني كما اذا شهد شاهدان ظاهرهما العدالة فلم
يحكم الحاكم بشهادتهما حتى ظهر فسقهما بانه زنى او شرب خمرا لم يجز للحاكم ان
يحكم بشهادتهما تلك وايضا فان الحكم بالعفة والاحصان يوجد من طريق
الظاهر لانه من حيث القطع واليقين وقد قال عليه السلام ظهر المؤمن حمى
فلا يجد القاذف الا بدليل قاطع وبالله التوفيق الرابعة عشرة من
قذف امرأته وهي كبيرة لا تحمل تلاعن هو لدفع الحد وهي لدرء العذاب
فان كانت صغيرة لا تحمل لاعن هو لدفع الحد وهم تلاعن هي لانها لو اقرت
لم يكن بها شيء وقال ابن الماجشون لا حد عليه قاذف منه لم يبلغ قال
اللخمي فعليه هذا لا لعان على زوج الصغيرة التي لا تحمل الخامسة عشرة
اذا شهد اربعة على اربعة امرأة بالزنا احدهم زوجها فان الزوج يلاعن
فتحد الشهود الثلاثة وهو احد قولي الشافعي والقول الثاني انهم لا يحدون
وقال ابو حنيفة اذا شهد الزوج والثلاثة ابتداء قبلت شهادتهم
وحدت المرأة ودليلنا قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الآية فاخبر
ان من قذف محصنا ولم يات باربعة شهداء حد والزوج رام لزوجته فخرج عن
ان يكون احد الشهود والله اعلم السادسة عشرة اذا ظهر بامرأة حمل فترك

ان ينفيه لم يكن له نفيه بعد سكوته بعد العلم به رضي به كما لو اقر به لم ينفيه فانه لا
يقبل منه والله اعلم السابعة عشرة فان اخر ذلك الجبر ان وامتنعت وقال وجوز
ان يكون تركها بغسله او يسقط فاستوى منه الفذف فقيل لنفيه بعد وضعه
مدة ما فاذا تجاوزها لم يكن له ذلك فقد اختلف في ذلك فنحن نقول ان لم
يكن له عذر في سكوته حتى مضت ايام فهو راض به ليست له نفيه وبهذا قال
ايضا متى امكنه نفيه على ما جرت به العادة متى تمكنه من الحاكم فلم يفعل لم
يكن له نفيه من بعد ذلك وبهذا قاله مالك انه ان ترك اليوم والليومين
لم يكن له نفيه وقال ابو حنيفة لا اعتبر مدة وقاله ابو يوسف ومحمد
يعتبر فيه اربعون يوما مدة النفاس قال ابنه القصار والدليل لقولنا
هو ان نفيه ولده محرم عليه واستلحاقه ولد ليسه مستحق محرم عليه فلا بد ان يوسع
عليه لكنه ينظر فيه ويفكر هل يجوز له نفيه اولا واما تحديدنا الحد ثلاثة لانه
اول حد الكثرة واخر حد القلة وقد جعلت ثلاثة ايام يختبر بها حال المضروة
فكذلك ينبغي ان يكون هنا واما ابو يوسف ومحمد فليسه اعتبارهم بما ولي من
اعتبار مدة الولادة والرضاع اذ لا شاهد لهم في الشريعة وقد ذكرنا نحن شاهدا
في الشريعة من مدة المضروة الثامنة عشرة قال ابن القصار اذا قالت امرأة
لزوجها ولاجنبي بانا بها وكذلك الاجنبي للاجنبي فليست اعرف فيه
نصا لاصحابنا ولكنه عندي يكون قذفا وعليه قايله الحد وقد زاد حرفا وبه
قاله الشافعي ومحمد بن الحسن وقال ابو حنيفة وابو يوسف لا يكون قذفا
وانما قال انه اذا قاله لامرأته بانا انه قذف والدليل عليه انه يكون في الرجل
قذفا هو ان الخطاب اذا فهم منه معناه ثبت حكمه سواء كان بلفظ اعجمي او عربي
الا ترى انه اذا قال للمرأة زنيت بفتح التاء كان قذفا لان معناه يفهم منه
ولابي حنيفة وابي يوسف انه لما جاز ان يخاطب المؤنث بخطاب هو المذكر
كقوله تعالى وقال نسوة صلح ان يكون قوله بانا انه للمؤنث ولما لم يجز ان يؤنث
فعل المذكر اذا تقدم عليه لم يكن لخطابه بالمؤنث حكم الثامنة عشرة بلاعن
في النكاح الفاسد زوجته لانها صارت فراشا ويلحق النسب فيه فجرى اللعان
عليه الموفية عشرين اختلفوا في الزوج اذا لاعن منه لالتعان فقال ابو حنيفة
لا حد عليه لان الله تعالى جعل على الاجنبي الحد وعلى الزوج اللعان فلما لم
ينتقل اللعان اليه الاجنبي لم ينتقل الحد اليه الزوج ويسجن ابدا حتى يلاعن او ان
الحدود لا تؤخذ قياسا وقاله مالك والشافعي وجمهور الفقهاء انه لم ينتقل الزوج
حد لان اللعان له براءة كما ان الشهود للاجنبي فانه لم يأت الاجنبي باربعة شهداء
حد فكذلك الزوج انه لم ينتقل وفي حديث العجلاني ما يدل عليه هذا لقوله
ان سكت سكت على غيظ وان قتلت قتلتم وان نطقت جلدتم الحادية
والعشرون واختلفوا ايضا هل للزوج ان يلاعن بشهوده فقاله مالك والشافعي
يلاعن كان له شهود او لم يكن لان الشهود لسبب لهم عمل في غير درء الحد واما دفع
الفراش ونفي الولد فلا بد فيه من اللعان وقاله ابو حنيفة واصحابه انما يجعل
اللعان للزوج اذا لم يكن له شهود غير نفسه لقوله ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم
الثانية والعشرون البداية في اللعان بما بدأ الله به وهو الزوج وفايدته
درء الحد عنه ونفي النسب منه لقوله عليه السلام البينة والا حد في ظهرك
ولو بدي بالمرأة قبله لم يجز لانه عكس ما رتبه الله وقال ابو حنيفة يجزيه
وهذا باطل لانه خلاف القرآن وليس له اصل يرد اليه ولا معنى يقوى به
بل المعنى لنا لان المرأة اذا بدأت باللعان فينتفي ما لم يثبت وهذا لا وجه الثالثة
والعشرون وكيفية اللعان ان يقول الحاكم للملاعن قل اشهد بالله لرايتها
تزني ورايت فرجها كالمرود في المكحلة وما وطيتها بعد وبيني
وانه لمن الصادقين قلت لقد زنت وما وطيتها بعد زناها يردد ما شاء من هذين اللفظين
اربع مرات فاذا فرغ قال له اتق الله فان لعنة الله شديدة وعذابه اليم فان
اشهد بالله لقد استبرأتها وما وطيتها بعد وما هذا الحمل مني ويشير اليه فيحلف
بذلك اربع مرات ويقول في كل يمين منها وابي لمن الصادقين في قوله هذا عليها

ثم يقول في الخامسة علي لعنت الله ان كنت من الكاذبين وان شاء قاله ان كنت كاذبا
فيما ذكرت منها فاذا قال ذلك سقط عنه الحد ولا ينتفي عنه الولد فاذا فرغ الرجل من
الملاعنة قامت المرأة بعده فحلفت بالله اربعة انها تقول فيما اشهد بالله انه
لكاذب وانه لمن الكاذبين فيما ادعاه علي وذكر عينه وانه كانت حاملا قالت
وانه حملي هذا منه ثم تقول في الخامسة وعلي غضب الله ان كان صادقا
وان كان منه الصادقين في قوله ذلك ومنها وجب اللعان بالقذف يقول في
كل شهادة منه الاربع اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا
ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت كاذبا فيما رميتها به من الزنا
وتقوله هي اشهد بالله انه لكاذب فيما رماني به من الزنا وتقول في
الخامسة علي غضب الله ان كان صادقا فيما رماني به من الزنا وقال الشافعي
يقوله الملاعن اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجي فلانة
بنت فلان ويشير اليها ان كانت حاضرة يقوله ذلك اربع مرات ثم يتعده
الامام ويذكره الله ويقول اني اخاف انك لم تكن صدقت ان تبوء بلعنة الله
فان رآه يريد ان يمضي عليه ذلك امر من يضع يده عليه فيه ويقول انه قولك
وعلي لعنة الله ان كنت منه الكاذبين موجبا فان اراد ان تركه يقوله ذلك
لعنة الله عليه ان كنت منه الكاذبين فيما رميت به فلانة منها لزنا واجتج
بما رواه ابو داود عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر
رجلا حين امر الملاعنين ان يضع يده علي فيه عند الخامسة يقول انها
موجبة الرابعة والعشرون اختلف العلماء في حكم من قذف امرأته
برجل سماه هل يحد له ام لا فقال مالك عليه اللعان لزوجته وحد للمرمي وبه
قال ابو حنيفة لانه قاذف لمن لم يكن له ضرورة الى قذفه وقال الشافعي
لا حد عليه لان الله عز وجل لم يجعل عليه من رمى زوجته بالزنا الا حدا واحدا
بقوله والذين يرمون ازواجهم ولم يفرق بين ما ذكر رجلا بعينه وبين ما لم يذكره
وقد رمى المتلاعنان زوجته بشريك وكذلك هلال بن امية فلم يجد واحد منهما
قاله ابن المعذب وظاهر القرآن لنا لان الله وضع الحد في قذف الاجنبي والزوجة
مطلقين ثم خص حد الزوجة بالخلاف باللعان وبقي الاجنبي على مطلق الآية
وانما يجد المتلاعنان لشريك ولاهلال لانه لم يطلبه وحد القذف لا يقيمه
الامام الا بعد المطالبة اجماعا منا ومنه الخامسة والعشرون اذا فرغ المتلاعنان
من تلاعنهما جميعا تفرقا وخرج كل واحد منهما على باب من ابواب المسجد الجامع غير
الباب الذي يخرج منه صاحبه ولو خرجا من باب واحد لم يضر ذلك لعانهما ولا
خلاف في انه لا يكون اللعان الا في مسجد جامع يجمع فيه الجمعة بحضرة السلطان
او من يقوم مقامه من الحكام وقد استحب جماعة من اهل العلم ان يكون اللعان
في الجامع بعد العصر وتلتعن المصلانية من زوجها المسلم في الموضع الذي تعظم
من كنيستها بمثل ما تلتعن به المسلمة الساد سة والعشرون قال مالك
واصحابه وبتمام اللعان تقع الفرقة بين المتلاعنين فلا يجتمعان ابدا ولا يتوارثان
ولا يحل له مراجعتها ابدا لا قبل زوج ولا بعده وهو قول الليث بن سعد وزفر
ابن الهذيل والاوزاعي وقال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن لا تقع الفرقة
بعد فراغهما من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما وهو قول الثوري لقوله ابن عمر
فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين اذا اكمل الزوج
الشهادة والا التعان فقد زال فراش امرأته التعنت او لم تلتعن قاله واما
اللعان المرأة فانما هو لدرء الحد عنها لا غير وليس لالتعانها في زوال الفراش
معنى ولما كان لعان الزوج ينفي الولد ويسقط الحد رفع الفراش وكان عثمان
البتي لا يرى ان المتلاعنين ينقص شيئا من عصمة الزوجية حتى تطلق وهذا قول
لم ينقد له اليه احد من الصحابة على ان النبي قد استحب للملاعن ان يطلقها بعد
اللعان ولم يستحسنه قبل ذلك فدل على ان اللعان عنده قد اخذ حكما ويقول
عثمان قاله جابر بن زيد فيما ذكره الطبري وحكاه عن محمد بن ابي صفرة ومشهور
المذهب ان نفس تمام اللعان بينهما فرقة واصبح اهل هذه المقالة بانه ليس في

كتاب الله تعالى به اذا لاعن او لاعنت يجب وقوع الفرقة ويقوله عويمر كذبت عليها
ان امسكتها فطلقها ثلاثا قاله ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليه
ولم يقل له لم قلت هذا وانت لا تحتاج اليه لانه باللعان قد طلقت والحجة لمالك
في المشهور ومن قال بقوله عليه السلام لا سبيل لك عليها وهذا اعلام منه
انه تمام اللعان رفع سبيله عليها وليست تفريقه بينهما باستيناف حكم وانما كان
تثبيتا لما اوجبه الله بينهما من المباعدة وهو معنى اللعان في اللغة السابعة
والعشرون ذهب الجمهور من العلماء انه المتلاعنين لا يتناكحان ابدا فانه
اكذب نفسه جلد الحد ولحق به الولد ولم يرجع اليه ابدا وعلى هذا السنة التي لا
شك ولا اختلاف وذكر ابن المنذر عن عطاء ان الملاعن اذا اكذب نفسه بعد اللعان
لم يجد وقاله قد تفرقا بلعنة من الله وقال ابو حنيفة ومحمد اذا اكذب نفسه
جلد الحد ولحق به الولد وكان خاطبا من الخطاب انه بتا وهو قول سعيد
ابن المسيب والحسن وسعيد بن جبير وعبد العزيز بن ابي سلمة وقالوا
يعود النكاح حلالا كما لحق به الولد لانه لا فرق بينه بشيء من ذلك وحجة
الجماعة قوله عليه السلام لا سبيل لك عليها ولم يقل الا ان تكذب نفسك وروى
ابن اسحاق وجماعة عن الزهري قال فمضت السنة انهما اذا تلاعنا فرق
بينهما فلا يجتمعان ابدا ورواه الدارقطني وزواه مرفوعا من حديث سعيد
ابن جبير عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتلاعنان اذا
تفرقا لا يجتمعان ابدا ورويه عن علي وعبد الله قالا مضت السنة لا يجتمع
المتلاعنان ومن عليه ابدا الثامنة والعشرون اللعان يفتقر الى اربعة اشياء
عدد الالفاظ وهو ان يشهد اربع شهادات على ما تقدم والمكان وهو ان يقصد به
اشرف البقاع بالبلد الذي هو كائن بمكة فعند الركن والمقام وان كان بالمدينة
فعند المنبر وان كان ببيت المقدس فعند الصخرة وانه كان في سائر البلدان
ففي مساجدها وان كانا كافرين بعث بهما الى الموضع الذي يعتقدان تعظيمه ان
كانا يهوديين فالكنيسة وان كانا مجوسيين ففي بيت النار وانه كانا لا دين لهما
مثل الوثنيين فانه يلاعن بينهما في مجلس حكمه والوقت وذلك بعد صلاة العصر
وهو الناسعة وذلك انه يكون هناك اربعة انفس فصاعدا فالفظ وهو الناسعة
مشروطان والزمان والمكان مستحبات الثامنة والعشرون منه قال ابو
الخراساني لا يتم اللعان الا بتمام التعانهما فعليه لو مات احدهما قبل تمامه وزنه لا خر
ومنه قال لا يقع الا بتفريق الامام فمات احدهما قبل ذلك وتمام اللعان وزنة
الاخر قاله ابن القصار تفريق اللعان عندنا ليس بفسخ وهو مذهب المدونة
ان اللعان حكم تفريقه حكم الطلاق ويعطيه لغير المدخول بها نصف الصداق
وفي مختصر ابن الجلاب لا شيء لها وهذا عليه ان تفريق اللعان فسخ قوله تعالى
ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم الايات العشرون فيه ثمانية وعشرون مسئلة
الاولى قوله تعالى ان الذين جاؤوا بالافك عصبة منكم عصبة خبران ويجوز
نصبهما على الحال ويكون الخبر لكل امرئ منهم ما اكتسب منه الاثم وسبب نزولها
ما رواه الائمة منه حديث الافك الطويل في قصة عائشة رضوان الله
عليها وهو خبر صحيح مشهور اعتنى اشتهاره عن ذكره وسيأتي مختصرا واخرجه
البخاري تعليقا وجزمه ثم قال وقال اسامة عن هشام ابن عروة عن ابيه
عن عائشة واخرجه ايضا عن محمد بن كثير عن اخيه سليمان منه حديث مسروق
عن ام رومان ام عائشة انها قالت لما رميت عائشة خررت مغشيا وعن موسى
ابن اسماعيل منه حديث ابيه وابيك قاله حدثني مسروق بن الاجدع قاله حدثتني
ام رومان وهي ام عائشة قالت بينا انا قاعدة انا وعائشة اذ ولجت امرأة من
الانصار فقالت فعل الله بفلان وفعل فقالت ام رومان وما ذاك قالت ابنه
فيمن حديث الحديث قالت وما اذاك قالت كذا وكذا قالت عائشة سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت وابو بكر قالت نعم فخررت مغشيا عليها فما افاقت
الا وعليها حمى بنافضة وطرحت عليها ثيابها فغطيتها فجاء النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ما شأن هذه قلت يا رسول الله اخذتها الحمى بنافضة قال فلعل

في حديث يحدث به قالت نعم فتعدت عايشة فقالت والله لبئس حلفتك لا تضد فوثب
ولبث قالت لا تعذر ونبب مثلكم كيعتذر به وبنبيه فالله المستعان عليه ما
تصفونه قالت فانصرفت ولم يقل شيئا فانزل الله عذرها قالت نحمد الله لا بحمد احد
ولا بحمدك قال ابو عبد الله الحميدي كذا بعض من لقينا من الحفاظ البعداديين
يقوله الارسال في هذا الحديث ابين واستدل له على ذلك بانه ام رومان توفيت
في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومسروق لم يشاهد النبي صلى الله عليه
وسلم بلا خلاف وللبخاري منه حديث عبيد الله بن عبد الله بن ابي مليكة
انه عايشة كانت تقرأ اذ تلقونه بالسنتكم وتقوله الولق الكذب قاله ابن ابي
مليكة وكانت اعلم بذلك من غيرها لانها نزلت فيها قاله البخاري قاله معمر بن
راشد عن الزهري وكان حديث الافك في غزوة المريسيع قاله ابن اسحاق
وذلك سنة ست وقاله موسى بن عقبة سنة اربع واخرج البخاري منه حديث
معمر عن الزهري قال قال لي الوليد بن عبد الملك ابلغك ان عليا كان
فيمن قذف قال قلت لا ولكنه قد اخبرني رجلان منه قومك ابو سلمة بن
عبد الرحمن وابو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ان عايشة قالت
لها كان علي مسلما في شانها واخرجه ابو بكر الاسماعيلي في كتابه المخرج
على الصحيح منه وجه اخر من حديث معمر عن الزهري وفيه قال كنت
عند الوليد بن عبد الملك فقال الذي تولى كبره منهم علي بن ابي طالب فقلت
لا حد ثني سعيد بن المسيب وعروة وعلقمة وعبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة كلهم يقول سمعت عايشة تقوله والذي تولى كبره عبد الله بن ابي
واخرج البخاري ايضا منه حديث الزهري عن عروة عن عايشة والذي
تولى كبره منهم عبد الله بن ابي الثانية قوله بخالجنيا الافك الكذب
والعصبة ثلاثة رجال قاله ابن عباس وعنه ايضا منه الثلاثة الى العشرة
ابن عيينة اربعون رجلا مجاهد منه عشرة الى خمسة عشر واصلها في اللغة
وكلام العرب الجماعة الذي ينتصب بعضهم لبعض والخير حقيقته ما زاد نفعه
على ضره والشر ما زاد ضره على نفعه وان خيل لا شر فيه هو الجنة وشر
لا خير فيه هو جهنم فاما البلاء النازل على الاولياء فهو خير لان ضرره من
الام قليل في الدنيا وخيره هو الثواب الكبير في الاخرة فنبه الله تعالى
عايشة واهلها وصفوان اذ الخطاب لهم في قوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم
لرجحان النفع والخير عليه جانب الشر الثالثة لما خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعايشة معه في غزوة بني المصطلق وهي عشرة المريسيع
وقفل ودنا من المدينة اذن ليلة فقام حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى
جاوزت الجيش فلما فرغت من شانها اقبلت الى الرحل فلمست صدرها
فاذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسها ابتغاؤه فوجدته
وانصرفت فلم يجد احدا وكانت شابة قليلة اللحم فرفع الرحال هودجها ولم
يشعروا بنزولها منه لم يجد احدا فاضطجعت في مكانها رجاء ان تفتقد فترجع
اليها فنامت في الموضع ولم يوقظها الا قول صفوان بن المعطل انا لله وانا اليه
راجعون وكان انه كان تخلف لاداء الجيش لحفظ السماقة وقيل انها استيقظت
لاسترجاعه ونزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عايشة واخذ يقودها
حتى بلغ بها الجيش في نحر الظهيرة فوقع اهل الافك في مقالتهم وكان
الذي يجمع اليه فيه ويشيعه عبد الله بن ابي سلول المنافق
وهو الذي راعه صفوان اخذا بزمام ناقة عايشة فقال والله ما نجت منه
ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل وكان من قاله حسان بن
ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش هذا اختصار الحديث وهو بكماله
واثقابه في البخاري ومسلم وهو في مسلم اكمل ولما بلغ صفوان قوله حسان
في الافك جاء فضربه بالسيف ضربة على راسه وقال تلقف دباب السيف
عني فاني غلام اذا هو حسان لبسه بشاعر فاخذ جماعة حسان ولببوه
وجاؤا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهدر رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم خرج حسان واسطحه اياه وهذا يدل عليه ان حسان ممن تولى الكبر
عليه ما يأتي والله اعلم وكان صفوان هذا صاحب ساقة رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزواته لشجاعته وكان من خيار الصحابة وقيل كان حضور الاباي النسا
ذكره ابن اسحاق من طريق عائشة وقيل كان له ابناء يدل على ذلك حديثه
المروي مع امرأته وقوله النبيه صلى الله عليه وسلم في ابنيه لهما اشبه به
من العراب بالغراب وقوله في الحديث والله ما كشفت كنف انثى قط يويد بذلك
وقتل شهيدا رضي الله عنه في غزوة ارمينيه سنة سبع عشرة في زمان عمر
وقيل ببلاد الروم سنة ثمان وخمسين في زمان معاوية الرابعة قوله تعالى
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم يعني ممن تكلم بالافك ولم يسم منهم اهل
الافك الا حسان ومسطح وحمنة وعبد الله وجهل الخير قاله عروة بن الزبير
وقد سأله عنه ذلك عبد الملك بن مروان وقال الا انهم كانوا عصبة كما قال الله
وفي مصحف حفصة عصبة اربعة الخامسة قوله تعالى والذي تولى كبره منهم
وقراءة جمهور الاعرج ويعقوب كبره بضم الكاف قاله الفراء وهو وجه جيد لان العرب
تقول فلان تولى عظم كذا وكذا اي لكبره وروي عن عائشة انه حسان وانها قالت
حين عمي لعله العذاب العظيم الذي اوعده الله به ذهاب بصره رواه عنها مسروق
وروي عنها انه عبد الله بن ابي وهو الصحيح وقاله ابن عباس وحكى ابو
عمر بن عبد البر انه عائشة برات حسان منه الغريزة وقالت انه لم يقل شيأ
وقد انكر حسان ان يكون قال شيأ من ذلك في قوله حصان رزان ما تزن بريبه
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل جليلة خير الناس دينا ومنصبا بني الهدى
والمكرمات الفواضل عقيلة حي من لوي بن غالب كرام المساعي مجدها غير
زائل مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل شين وباطل فان كان ما
بلغت عني قلته فلا رفعت سوطي الي انامليي فكيف ووديي ما حييت ونصرتي
لآل رسول الله زعم الحافل له رثنه عال علي الناس فضلها تقاصر عنها
سورة المتطاول وقد روي انه لما انشدها حصان رزان قالت له لست كذلك
نزيد انك وقعت في الغوافل وهذا تعارضه ويمكن الجمع بان يقال انه حسانا
فعل ذلك نصا ونصرتها ويكون عرضه بذلك واوما اليه فنسبه ذلك اليه
والله اعلم وقد اختلف الناس فيه هل خاض في الافك ام لا وهل جلد
الحد ام لا فالله اعلم اي ذلك كان وهيا لمسئلة الساد سة فروي محمد بن
اسحاق وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم جلد في الافك رجلين وامرأة
مسطحا وحسان وحمنه وذكر الترمذي وذكر الشعبي عن ابن عباس
قال جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم بن ابي ثمانين جلدة وله في
الاخرة عذاب النار قاله الشعبي والذي ثبت في الاخبار انه ضرب في
ابيه وضرب حسان وحمنه واما مسطح فلم يثبت عنه قذف صريح ولكنه
كان يسمع ويشيع من غير تضريح السابعة قال الماوردي اختلفوا هل حد
النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه الافك عليه قولين احدهما انه لم يحد احدا
من اصحاب الافك لانه الحدود لانتقام الا باقرار او بينة ولم يتعبده الله
ان يقيمها باخباره عنها كما لم يتعبده بقتل المنافقة وقد اخبر بكفرهم قلت
وهذا فاسد مخالف لنص القرآن فان الله عز وجل يقول والذين يرمون
المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء اي عليه صدق قولهم فاجلدوهم ثمانين
جلدة والقول الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم حد اهل الافك عبد
الله ابن ابي ومسطح بن اثاثه وحسان بن ثابت وحمنه بنت جحش
وفي ذلك قال شاعر من المسلمين

لقد ذاق حسان الذي ساق اهله ... وحمنة اذ قالوا هجرا ومسطح
وابن سلول ذاق في الحد حده ... كما خاض في افك من القول يفضح
فطاعوا برجم الخبيث زوج نبيهم ... وسخطه ذي العرش الكريم فابرحوا
واذوا رسول الله فيها فجلدوا ... حدود بني عم لهم وصفوح
فصبت عليهم محصنات كانها ... شآبيب من قطر من الدرج الشحي

قلت المشهور من الاحباء المعروف عند العلماء ان الذي حد حسان ومسطح وحمنة
ولم يسم بحد لعبد الله بن ابي رويه ابو داود عن عائشة قالت لما نزل عذري
قام النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلى القرآن فلما نزل من المنبر
امر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم وسماهم حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة
وحمنة بنت جحش وفي كتاب الطحاوي ثمانين ثمانين قال علماؤنا وانما لم يحد
عبد الله بن ابي لان الله تعالى قد اعد له في الآخرة عذابا عظيما فلو حد في الدنيا لكان
ذلك نقصا من عذابه الاخروي وتخفيفا عنه مع ان الله قد شهد ببراءة عائشة ويكذب
كل من رماها فقد حصلت فائدة الحد اذ مقصوده اظهار كذب القاذف وبراءة
المقذوف كما قال تعالى فاذ لم يأتوا باربعة شهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
وانما حد هؤلاء المسلمون ليكفر عنهم اثم ما صدر منهم من القذف حتى لا يبقى عليهم
تبعة من ذلك في الآخرة وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحدود انها كفارة لمن
اقيمت عليه كما في حديث عبادة بن الصامت ويحتمل ان يقال انما ترك حد ابن ابي
استيلافا لقومه واحتراما لابنه واطفاء لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك وقد كان
ظهر منادي بها من سعد بن عباده ومن قومه كما في صحيح مسلم والله اعلم الثامنة
قوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا الآية هذا
عتاب من الله سبحانه للمؤمنين في ظنهم حيث قالوا اصحاب الافك ما قالوا قال
ابن زيد ظن المؤمنة انها لا يفجر بامه قالوا المهدوي ولولا معنى هذا
وقيل المعنى انه كان ينبغي ان يقيسوه فعلا المؤمنين والمؤمنات الامر على انفسهم
فان كان ذلك يبعد فيهم فذلك في عائشة وصفوان ابعد وروي انه هذا النظر
الشديد وقع من ابي ايوب الانصاري وامرأته وذلك انه دخل عليها فقالت له
يا ابا ايوب اسمعت ما قيل فقال نعم وذلك الكذب اكنت انت يا ام ايوب تفعلين ذلك
قالت لا والله قال فعائشة والله افضل منك قالت ام ايوب نعم فهذا الفعل ونحوه
هو الذي عاتب الله عليه المؤمنين اذ لم يفعلوه جميعهم التاسعة قوله تعالى بانفسهم
قال النحاس معنى بانفسهم باخوانهم فاوجب الله على المسلمين اذ سمعوا
رجلا يقذف احدا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به ان يبلغوا عليه ويكذبوه
ويبرءوه من تركه ذلك ومنه نقلة قلت ولاجل هذا قال العلماء ان الآية اصل في ان
درجة الايمان التي حازها الانسان ومنزلة الصلاح التي حلها المرء ليست العقابية
التي يستتبه بها المسلم لا يزيلها عنه خبر يحتمل وان شاع اذا كان اصله فاسدا او
مجهولا العاشرة قوله تعالى لولا جاؤا عليه باربعة شهداء هذا توبيخ لاهل الافك
ولولا بمعنى هلا اي هلا جاؤا باربعة شهداء على ما زعموا من الافك وهذا
يدل على الحكم الاول واحالة على الآية السابقة في الآية القذف الحادية عشرة
قوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون اي هم في حكم
الله كاذبون وقد يعجز الرجل عن اقامة البينة وهو صادق في قذفه ولكنه
في حكم الشرع وظاهر الامر كاذب لا في علم الله وهو سبحانه انما رتب الحدود
على حكمه الذي شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تفلف بالانسان
على ما هو عليه فانما ينبغي عليه ذلك حكم الآخرة قلت ومما يقوي هذا
المعنى ويعضده ما خرجه البخاري عن عمر بن الخطاب انه قال يا ايها الناس
ان الوحي قد انقطع وانما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من اعمالكم فمن اظهر لنا
خيرا امناه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته
ومن اظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وان قال ان سريرته حسنة واجمع
العلماء انه احكام الدنيا على الظاهر وان السرائر الى الله عز وجل الثانية
عشرة قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته فضله رفع بالابتداء عند
سيبويه والخبر محذوف لا تظهره العرب وحذف جوابه لولا لانه قد
ذكر مثله بعد قال الله جل وعز ولو فضل الله عليكم ورحمته لمسكم ايها
بسبب ما قلتم في عائشة عذاب عظيم في الدنيا والآخرة وهذا عتاب من
الله بليغ ولكنه برحمته سترعليكم في الدنيا ويرحم في الآخرة منه اتاه تائبا
والافاضة الاخذ في الحديث وهو الذي وقع عليه العتاب بقوله افضتم في

الحديث ايه اخذوا فيه الثالثة عشره قوله تعالى اذ تلقونه بالمستكم قراءة محمد بن السميفع بضم التاء وسكون اللام وضم القاف من الالقاء وهذه قراءة بينة وقرا ابي وابن مسعود اذ تلقونه من التلقي بتا بين وقراءة جمهور السبعة بحذف التاء الواحدة واظهار الدال دونه ادغام وهو ايضا من التلقي وقراءة ابو عمرو وحمزة والكسايي بادغام الدال في التاء وقراءة ابن كثير باظهار الدال وادغام التاء في التاء وهذه قراءة فلتغه لانها تقتضي اجتماع ساكنين وليست كالادغام في قراءة من قراء لا تتنازعوا ولا تتنابزوا لان الدال والباء الاولى ساكنة وكونها حرف لين حست هنالك ما لا يحسن مع سكون الدال وقراءة ابن يعمر وعايشة رضي الله عنهما وهم اعلم الناس بهذا الامر اذ تلقونه بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف ومعنى هذه القراءة من قولهم العرب ولغ الرجل بلغ ولغا اذا كذب واستمر عليه فحاول بالمتعدي شاهدا مبينا للمتعدي قاله ابن عطية وعند ي انه اراد اذ تلقونه فيه فحذف حرف الجر فاتصل الضمير وقاله الخليل وابو عمرو وامل الولغ الاسراع يقال جاءت الابل تلغ اي بسرعة قال لما راوا شيا عليهم فوطئوه جاوا يشراب من الشام ولغ اخراجه الحصين زلغ وزملغ جاءت به عشيه من الشام يلغ يقال رجل زلغ وزملغ مثال هديد وزمالغ ورملغ بتشديد اللام الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع قاله الزاجز اخراجه الحصين رلغ ورملغ والرلغ ايضا خفة الطعن وقد ولغه يلغه ولغا يلغا بتثليث ولغه بالسيف ولغات اي ضربات فهو مشترك الرابعة عشره وتقرلون بافواهكم مبالغة والزام وتاكيد والضمير يحسبونه عايد عليه الحديث والخصوص فيه والاعمه له وهينا سيرا اي شيا يسيرا لا يلحقكم فيه اثم وهو عند الله في الوزر عظيم وهذا مثل قوله عليه السلام في حديث القبرين انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اي بالنسبة الى ما كلف الخامسة عشره قوله تعالى لولا اذ سمعتموه اي حكم عقاب لجميع المومنين اي كان ينبغي عليكم ان تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة المكاية والنقل وان تنزهوا الله عما لا يليق بعظم هذا من زوجة نبيه عليه السلام وان تحكموا على هذه المقالة بانها بهتان وحقيقة البهتان ان تقول في الانسان ما ليس فيه والغيبة ان تقول في الانسان ما فيه وهذا لمعينه قد جاء في صحيح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم وعظهم تعالى فيما العودة الى مثل هذه الحالة وان متعول من اجل بتقدير كراهية ان او نحوه السادسة عشره قوله تعالى ان كنتم مومنين توقيف وتاكيد كما تقول ينبغي انك ان تفعل كذا وكذا ان كنت رجلا السابعة عشره قوله تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا يعني في عايشة لان مثله لا يكون لا ينظر العقل في المقول عنه بعينه او فيمن كان في مرتبته من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لما في ذلك من اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرضه واهله وذلك كفر فاعلم الثامنة عشره قال هشام بن عمار سمعت مالكا يقول من سب ابا بكر وعمر ادب ومن سب عايشة قتل لان الله تعالى يقول يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن سب عايشة فقد خالف القرآن ومن خالف القرآن قتل قال ابن العربي قاله اصحاب الشافعي من سب عايشة رضي الله عنها ادب كما في سايرا لمومنين وليس كما قوله ان كنتم مومنين في عايشة كفرا واظهر كما قاله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن حقيقة قلنا ليس كذلك كما زعمتم ان اهل الافك رموا عايشة المطهرة بالفاحشة فبراها الله فكان من سبها مما براها الله منه مكذبا ومن كذبه الله فهو كافر فهذا طريق قوله مالك وهو سبيله الا ترى لاهل الجمايز ولو ان رجلا سب عايشة بغير ما براها الله منه لكان جزاوه الكفر التاسعة عشره قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي تفشوا تقول شاع الشي يشوع شيوعا وشيعا وشيعانا وشيوعه اي ظهر وعرف في الذين امنوا اي في المحصنات والمراد بهذا اللفظ العام عايشة وصفوان والفاحشة الفعلة القبيحة المفرطة القبح وقيل الفاحشة في هذه الاية القول السيي لهم

مذاب اليم في الدنيا اي الحد وفي الاخرة عذاب النار اي للمنافقين فهو مخصوص وقد
بينا ان الحد للمؤمنين كفارة وقال الطبري معناه ان مات مصرا غير تائب
والله يعلم اي يعلم مقدار عظم هذا الذنب والمجازاة عليه ويعلم كل شيء وانتم لا
تعلمون روي عنه حديث ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ايما رجل يشد عضد امرئ عن الناس في خصومة لا علم له بها فهو في
سخط الله حتى ينزع عنها وايما رجل حال بشفاعة دون احد من حدود الله
ان يقام فقد عاند الله حقا واقدم عليه سخطه وعليه لعنة الله سابع الى يوم
القيامة وايما رجل اشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء يريد بها
بشينه بها في الدنيا كان حقا على الله ان يرميه بها في النار ثم تاب معذفة من
كتاب الله تعالى انا الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا الاية الموفية
عشرين من قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان يعني مسالكه
ومذاهبه لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم اليها الشيطان وواحد الخطوات
خطوة وهو ما بين القدمين والخطوة بالفتح مصدر يقال خطوت خطوة
وجمعها خطوات وتخطى البناء فلان ومنه الحديث انه راى رجلا يتخطى رقاب
الناس يوم الجمعة وقراءة الجمهور خطوات بضم الطاء وسكنها عاصم والاعمش وقراءة
الجمهور ما زكى بتخفيف الكاف اي ما اهتدى ولا اسلم ولا عرف رشده وقيل ما
زكى اي ما صلح يقال زكا يزكو زكاء اي صلح وشدد ها الحسن وابو حيوة اي
تزكيته لكم وتطهيره وهدايته اياها هي بفضله لا باعمالكم وقال الكسائي يا ايها
الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان معترض وقوله ما زكى منكم من احد
ابدا جواب لقوله ولولا وثانيا ولولا فضل الله الخ الاية والعشرون قوله
تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة الاية المشهورة من الروايات ان
هذه الاية نزلت في قضية ابي بكر بن ابي قحافة رضي الله عنه ومسطح بن
اثاثة وذلك انه كان ابن بنت خالته وكان من المهاجرين البدريين المساكين
وهو مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف
ومسطح لقب وكان ابو بكر ينفق عليه لمسكنته وقرابته فلما وقع امر الافك وقال
فيه مسطح ما قال حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة ابدا
فجاء مسطح فاعتذر وقال انما كنت امنع مجلس حسان فاسمع ولا اقول
فقال له ابو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ومر على يمينه فنزلت الاية وقال
الضحاك وابن عباس ان جماعة من المؤمنين تطحوا منافعهم عن كل من قال في
الافك وقالوا والله لا نصل من تكلم في شان عايشة فنزلت الاية في تعالمهم جميعهم
والاول اصح غير ان الاية تتناول الامة الى يوم القيامة بان لا يعتاد
ذو فضل وسعة بحلف ان لا ينفع من هذه صفته عاجل الدهر وفي الصحيح ان الله
لما انزل ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم عشر ايات قال ابو بكر
وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا انفق عليه شيئا ابدا بعد الذي
قاله لعايشة فانزل الله تعالى ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة الى
قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم قال عبد الله بن المبارك هذه ارجى
اية في كتاب الله تعالى فقال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع
الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال لا انزعها منه ابدا
الثانية والعشرون في هذه الاية دليل على ان القذف وان كان
كبيرا لا يحبط الاعمال لان الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة
والايمان وكذلك سائر الكبائر ولا يحبط الاعمال غير الشرك قال الله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك الثالثة والعشرون منه حلف على شيء
لا يفعله فرايى فعله اولى منه اتاه وكفر عن يمينه واتاه كما تقدم في المايدة
ورابعة الفتها ان من حلف انه لا يفعل سنة من السنن او مندوبا وابدا
ذلك انها جرحة في شهادته ذكره الطبري فيما لم يتقدم الرابعة والعشرون
قوله تعالى ولا يأتل معناه يحلف وزنها يفتعل من الالية وهي اليمين ومنه
قوله تعالى للذين يؤلون من نسايهم وقد تقدم في وقالت فرقة معناه يقصر

من قولك الوقت في كذا اذا قصرته فيه ومنه قوله تعالى لاياكم خيبا لا الخامسة والعشرون قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم تمثيل وحث اي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم وينظر الى هذا المعنى قوله عليه السلام من لا يرحم لا يرحم السادسة والعشرون قال بعضهم العلماء هذه ارجى اية في كتاب الله تعالى منه حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ وقيل ارجى اية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقد قاله تعالى في اية اخرى والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير في هذه الاية وبشر المومنين في ذلك ومنه ايات الرجا قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى الله لطيف بعباده وقال بعضهم ارجى اية في كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجى بيقا احد من امته في النار السابعة والعشرون قوله تعالى ان يتوبا اي لا يوتبا فحذف لا كقول القايل فقلت يمين الله ابرح قاعدا ذكره الزجاج وعلى قوله ابي عبيدة لا حاجة اليه اضمار لا وليضعط من عف الربع ايمد رسه فهو محو الذنب حتى يجعلهما بمنزلة من لم يذنب يرمون المحصنات الغافلات المومنات فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى المحصنات تقدم في النساء واجمع العلماء على ان حكم المحصنين في القذف كحكم المحصنات قياسا واستدلالا وقد بينا اوله السورة والحمد لله واختلف فيمن المراد بهذه الاية فقال سعيد بن جبير هي في رماة عايشة رضوان الله عليها خاصة وقاله قوم هي في عايشة وساير ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس والضحاك وغيرهما ولا تنفع التوبة ومن قذف غيرهن منه المحصنات فقد جعل الله له توبة لانه قال والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء الى قوله الا الذين تابوا فجعل الله لهما توبة ولم يجعل لا وليك توبة قاله الضحاك وقيل هذا الوعيد لمن اصر على القذف ولم يتب وقيل نزلت في عايشة الا انه يراد بها كل من اتصف بهذه الصفة وقيل انه عام لجميع الناس القذفة من ذكر وانثى ويكون التقدير ان الذين يرمون الانفس المحصنات فدخل في هذا المذكر والمونث واختاره النحاس وقيل نزلت في مشركي مكة لانهم يقولون للمراة اذا هاجرت انما هاجرت لتفجر الثانية لحقا في الدنيا والاخرة قال العلماء ان كان المراد بهذه الاية المومنون من القذفة فالمراد باللعنة الابعاد ومرتبة الحد واستيجاش المومنين منهم وهجرهم لهم وزوالهم عنه وتنبيه العدالة والبعد عنه الثنا الحسن على الستة المومنين وعلى قول من قال هي خاصة لعايشة تترتب في هذه الشدايد في جانب عبد الله بن ابي واشياعه وعلى قول من قال نزلت في مشركي مكة فلا كلام فانهم مبعدون ولهم في الاخرة عذاب عظيم ومن اسلم بالاسلام يجب ما قبله وقال ابو جعفر النحاس من احسن ما قيل في تاويل هذه الاية انه عام لجميع الناس القذفة من ذكر وانثى ويكون التقدير ان الذين يرمون الانفس المحصنات فدخل في هذا المونث والمذكر وكذا في الذين يرمون الا انه غلب المذكر على المونث قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم قراة العامة بالتاء واختاره ابو حاتم وقراء الاعمش وحمزة والكسايي وخلف يشهد بالياء واختاره ابو عبيد لان الجار والمجرور قد حال بين الاسم والفعل والمعنى يوم تشهد الستة بعضهم غلب بعضه بما كانوا يعملون من القذف والبهتان وقيل تشهد عليهم السنتهم ذلك اليوم بما تكلموا به وايديهم وارجلهم اي وتتكلم الجوارح بما عملوا في الدنيا قوله تعالى يومييذ يوفيهم الله الحق اي حسابهم وجزاءهم وقراء مجاهد يومييذ يوفيهم الله دينهم الحق برفع الحق على انه نعت لله عز وجل قال ابو عبيد ولو لا كراهية خلاف الناس لكان الوجه الرفع ليكون نعتا لله عز وجل ويكون موافقة لقراءة ابي وذلك ان جرير بن حازم قال رايت في مصحف ابي يوفيهم الله دينهم قال النحاس

دينهم هم

وهذا الكلام منه ابي عبيد غير مرضي لانه احتج بما هو مخالف الشواذ الاعظم ولا حجة
ايضا فيه لانه لو صح هذا انه في مصحف ابي كذا جاز ان تكون القراة بوعيد يوفيهم الله
الحق دينهم بكونه دينهم بدلا من الحق وعلي قراة العامة دينهم الحق تكون الحق
نعتا لدينهم والمعنى حسنه لان الله جل وعز وكل المسيين واعلم انه يجازيهم
بالحق كما قاله جل وعز وهل يجازيه الا الكفور لان مجازاة الله عز وجل
للكافر والمسيء بالحق والعدل ومجازاته المحسن بالاحسان والفضل ويعلمون
ان الله هو الحق المبين اسمان من اسمايه سبحانه وقد ذكرناهما في غير موضع
وخاصة في الكتاب الاسبي قوله تعالى الخبيثات للخبيثين والاية قال ابن
زيد المعنى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وكذا الخبيثون للخبيثات
وكذا الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وقال مجاهد وابن جبير
وعطاء اكثر المفسرين المعنى الكلمات الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال
وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول وكذا الكلمات الطيبات
من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من القول
قال النحاس في كتابه معاني القرآن وهذا احسن ما قيل في هذه الاية
ودل عليه صحة هذا القول اولئك مبرون مما يقولون اي مما يشتهي وصفوات مما يقول
الخبيثون والخبيثات وقيل ان هذه الاية مبينة على قوله الزاني لا ينكح
الا زانية ومشركة الاية فالخبيثات الزواني والطيبات العفايف وكذا الطيبون
والطيبات واختار هذا القول النحاس ايضا وهو معنى قول ابن زيد اولئك
مبرون مما يقولون يعني به الجنس وقيل عايشة وصفوان فجمع كما قال فان كان
له اخوة والمراد اخوان قاله الفراء ومبرون يعني منزهين مما رموا به
قال بعض اهل التحقيق ان يوسف عليه السلام لما رمي بالفاحشة براه
الله على لسان صبي في المهد وان مريم لما رميت بالفاحشة براها الله على
لسان ابنها عيسى صلوات الله عليه وان عايشة لما رميت بالفاحشة براها
الله بالقرآن لما رضي لها براة صبي ولا نبي حتى براها الله بكلامه من القذف
والبهتان وروى علي بن ابي زيد بن جدعان عن جدته عايشة رضي الله عنها
انها قالت لقد اعطيت سبعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبريل عليه السلام
بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني
ولقد تزوجت بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي وحفت الملايكة ببيتي
وان كان الوحي لينزل عليه وهو في اهله فينصرفون عنه وان كان لينزل عليه
وانا في لحافه فما يمنعه من جسده واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل
عذري من السماء ولقد خلقت طيبة وعند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزق
كريم وهو الجنة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى
تستانسوا وتسلموا على اهلها فيه تسع عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا لما خصص الله سبحانه بني ادم الذين كرمه وفضله
بالمنازل وسترهم فيها عن الابصار وملكهم الاستماع بها الانفراد
وحجر على الخلق ان يطلعوا على ما فيها من خارج او يلجوها من غير اذن
اربابها اذنهم بما يرجع على الستر عليهم لئلا يطلع احدهم على عورة
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطلع
في بيت قوم بغير اذنهم حل لهم ان يفقوا عينه وقد اختلف في تاويله
فقال بعض العلماء ليس هذا على ظاهره فقا فعليه الضمان منسوخ وكان قبل
نزول قوله تعالى وان ما قبتم فعاقبوا يحتمل ان يكون حز على وجه
الوعيد لا على وجه الحكم والخبر اذا كان مخالفا لكتاب الله تعالى فلا يجوز العمل به
وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بالكلام في الظاهر وهو يريد شيا
اخر كما جاء في الخبر ان عباس بن مرداس لما مدحه قال لبلال قم فاقطع
لسانه وانما اراد بذلك ان يدفع اليه شيا ولم يرد بالقطع في الحقيقة وكذلك
هذا يحتمل ان يكون ذكر فقا العين والمراد ان يعمل به عملا حتى لا ينظر

بعد

عنه ذلك في بيت غيره وقال بعضهم لا ضمان عليه ولا قضاء وهو الصحيح ان شاء
الله لحديث انس على ما ياتي الثانية سبب نزوله هذه الاية ما رواه الطبري
وغيره عن عدي بن ثابت ان امرأة من الانصار قالت يا رسول الله اني اكون
في بيتي على حال لا احب ان يراني عليها احد لا والد ولا ولد فيأتي الاب
فيدخل علي وانه لا يزال يدخل علي رجل من اهلي واما علي تلك الحال
فكيف اصنع فنزلت الاية فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله افرايت
الخانات والمساكين في طرق الشام ليست فيها ساكن فانزل الله ليس عليكم
جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة الثالثة مدا الله سبحانه لتحريم
في دخوله ببيت ليست هو ببيتك الى غاية هي الاستيناس قال ابن وهب قال
مالك الاستيناس فيما ارى والله اعلم الاستيذان وكذلك في قراءة ابي
وابن عباس وسعيد بن جبير حتى تستاذنوا وتسلموا على اهلها وقيل انه
معنى تستانسوا تستعملوا من في البيت قال مجاهد بالتنحنح
او بما يوجه اهل البيت قد رما يعلم انه قد شعر به ويدخل ابو داود لك
وقاله معناه الطبري ومنه قوله تعالى فان استنتم منهم رشدا اي علمتم وقال
الشاعر

• استت بيتها وافرعها العام عصرا وقد دنا الامسا •

قلت وفي سنن ابن ماجه حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبد الرحيم
ابن سليمان عن هاشم بن البساني عن ابي سودة عن ابي ايوب الانصاري
يا رسول الله هذا السلام فما الاستيناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة
وتحميدة ويتنحنح يوذن اهل البيت قلت وهذا نص في ان الاستيناس غير
الاستيذان كما قاله مجاهد ومن وافقه الرابعة روي عن ابن عباس
وبعض الناس يقول عن سعيد بن جبير حتى يستاذنوا خطا او وهم من
الكاتب انما هو حتى يستاذنوا وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره فاما
صاحب الاسلام كلها قد ثبت فيها حتى يستانسوا وهي الاجمام فيها من لدنه مدة
ثمان فهي التي لا يجوز خلافها واطلاق الخطا والوهم عليها لكتابه في لفظ
اجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس وقد قال جل وعز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال تعالى انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون وقد روي عن ابن عباس انه في الكلام تقديما وتاخيرا
والمعنى حتى يسلموا على اهلها وتستانسوا حكاه ابو حاتم قال ابن عطية ومما
ينفي هذا القول عن ابن عباس وغيره ان تستانسوا ممكنة في المعنى
بنية الوجه في كلام العرب وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم استانست
يا رسول الله وعمر واقف على باب الغرفة الحديث المشهور وذلك يقتضي انه
طلبه الانس به صلى الله عليه وسلم فكيف تعطي ابن عباس اصحابه الرسوخ
في مثل هذا قلت قد ذكرنا من حديث ابي ايوب انه الاستيناس انما يكون
قبل الاسلام وتكون الاية على بابها لا تقدم فيها ولا تاخير وانه اذا دخل سلم
والله اعلم الخامسة السنة في الاستيذان ثلاث مرات لا احب ان يزيد
احد عليها الا من علم انه لم يسمع فلا ارى باسا ان يزيد اذا استيقن انه لم يسمع
وصورة الاستيذان ان يقول الرجل السلام عليكم ادخل فان اذن له دخل
وان امره بالرجوع انصرف وان سكت عنه استاذن ثلاثا ثم ينصرف بعد
الثلاثة وانما قلنا ان السنة في الاستيذان ثلاث مرات لما زاد عليها حديث
ابي موسى الاشعري الذي استعمله مع عمر ان الخطاب وشهد به ابو موسى
ابو سعيد الخدري ثم ابي بن كعب وهو حديث مشهور اخرجه الصحيح
وهو نص صريح فقال يعيب عمر ما منعك وان تاتينا فقلت اتيت فسلمت
علي بابك ثلاثا فلم نرد علي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا استاذن احدكم ثلاثا فلم يوذن له فليرجع واما ما ذكره من صورة
الاستيذان فلما رواه ابو داود عن ربعي قال حدثنا رجل من بني عامر
استاذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فقال االيج فقال

النبي صلى الله عليه وسلم اخرج اليه هذا فعلمه الاستيذان فقيل له قل السلام
عليكم ادخل فسمعه الرجل فقاله السلام عليكم ادخل فاذن له النبي صلى
الله عليه وسلم فدخل وذكره الطبري وقال فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لامة له يقال لها روضة قولي لهذا يقول السلام عليكم ادخل الحديث وروي
ان ابن عمر اتى الرمضاء مما فاتى فسطاط امراة من قيس فقال السلام عليكم ادخل
فقالت المراة ادخل بسلام فاعاد فاعادت فقال لها قولي ادخل فقالت ذلك
ادخل فتوقف لما قالت بسلام لاحتمال اللفظ ان يريد بسلامك لا بتحكمك هو
السادس قال علماؤنا رحمة الله عليهم انما خص الاستيذان بثلاث لان
الغالب من الكلام اذا كرر ثلاثا سمع وفهم ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا تكلم بكلمة اعادها ثلاثا حتى تفهم عنه واذا سلم على قوم سلم عليهم ثلاثا
واذا كان الطالب هنا فاذا لم يوذن له بعد ثلاث ظهر ان رجع المنزل لا يريد
الاذن او لعله يمنعه منه الحجاب عنه عذر لا يمكنه رفعه فينبغي للمستاذن ان ينصرف
لان الزيادة عليه ذلك قد تعلق رب المنزل وربما يضره الا لحاج ممنع ينقطع عما
كان مشتغلا به كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى حيث استاذن
عليه فخرج مستعجلا فقاله لعلنا اعجلناك الحديث وروى عقيل عن ابن شهاب
قال انما سمي التسليمة الثلاثة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى سعد
ابن عبادة فقال السلام عليكم فلم يرد ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام عليكم فلم يرد ثم قال السلام عليكم فلم يرد فانصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما فقد سعد تسليمه عرف انه قد انصرف فخرج سعد في
اثره حتى اداركه فقال وعليك السلام يا رسول الله انما اردنا ان نستكثر من سلامك
وقد والله سمعنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سعد حتى دخل
بيته قال ابن شهاب فاما احد التسليم ثلاثا من قبل ذلك ورواه الوليد بن
مسلم عن الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن
عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في منزلنا فقال السلام عليكم ورحمة الله قال فرد سعد ردا خفيا قال فقلت
فقلت الا تاذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقاله دعه يكثر علينا
من السلام الحديث اخرجه ابو داود ولفظه فيه قال ابن شهاب فاما احد
التسليم ثلاثا من قبل ذلك قال ابو داود ورواه محمد بن عبد الواحد وابن
سماعة عن الاوزاعي مرسلا لم يذكرا قيس بن سعد السابعة وروي عن
ابن عباس ان الاستيذان ترك العمل به الناس قاله علماؤنا رحمة الله
عليهم وذلك لا تخاذ الناس الابواب وقربها والله اعلم روى ابو داود عن
عبد الله بن بشر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب
قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكنه من ركنه الايمن او الايسر فيقول
السلام عليكم السلام عليكم وذلك ان البيوت لم يكن عليها يومئذ ستور التقدمة
فان كان الباب مردودا قاله ان يفتحه حيث شاء منه ويستاذن وان شاء دق
الباب لما رواه ابو موسى الاشعري انه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان في حايط بالمدينة فجلس فقعد البيرمدل رجليه في البير فدق الباب ابو
بكر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ايذن له وبشره بالجنة هكذا
رواه عبد الرحمن بن ابي الزناد وتابعه صالح بن كيسان ويونس بن يزيد فروه
جميعا عن ابي الزناد عن ابي سلمة عن عبد الرحمن بن قانع عن ابي موسى
وخالفهم محمد بن عمرو بن الليثي فرواه عن ابي الزناد عن ابي سلمة عن قانع
ابن عبد الحارث عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك والاسناد الاول اصح
المناسبة وصفة الدق ان يكون خفيفا بحيث يسمع ولا يعنف في ذلك فقد
روى انس بن مالك قال كانت ابواب النبي صلى الله عليه وسلم تقرع
بالاظافير ذكره ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب في جامعه الحاشرة روى
الصحيحان وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال استاذنت على النبي صلى
الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت انا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا انا

كانه

كانه كره ذلك قال علماؤنا انما كره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لان قوله
انا لا تحصك بها تعريف وانما الحكم في ذلك ان يذكر اسمه كما فعل عمر بن الخطاب
وابو موسى لان في ذكر الاسم استغناء عن السؤال والجواب ثبت عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مشربة
له فقال السلام عليك يا رسول الله السلام ايدخل عمر وفي صحيح مسلم ان
ابا موسى جاء الى عمر بن الخطاب فقال السلام عليكم هذا ابو موسى السلام عليكم
هذا الاشعري الحديث الحادية عشرة ذكر الخطيب في جامعه عن علي بن
عاصم الواسطي قال قدمت البصرة فاتيت منزل شعبة فدققت عليه الباب
فقال من هذا قلت انا فقال يا هذا ما ليه صديق يقال له انا ثم خرج الي فقال
حدثني محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اتيت النبي صلى الله
عليه وسلم في حاجة لي فصرخت عليه الباب فقال من هذا قلت انا فقال
انا انا كانه رسول الله صلى الله عليه وسلم كره قولي هذا وذكر عن عمر
ابن شبة نا محمد بن سلام عن ابيه قال دققت على عمرو بن عبيد الباب
فقال لي من هذا قلت انا فقال لا يعلم الغيب الا الله قال الخطيب
سمعت علي بن المحسن القاضي يحكي عن بعض المشيوخ انه كان اذا دق بابه
فقال من ذا قال الذي علي الباب انا قال المشيخ انا هم دق الثانية عشرة
ثم لكل قوم في الاستئذان عرفهم في العبارة كما رواه ابو بكر الخطيب مسندا عن
ابي عبد الملك مولى ام مسكين بنت عاصم بن عمر بن الخطاب قال ارسلتني مولاتي
الى ابي هريرة لحاجة معي فلما قام بالباب قال اندراي قالت اندروف وذكر عن احمد
ابن صالح قال كان الدراورد يسمى من اهل اصبهان نزل المدينة وكان يقول
للرجل اذا اراد ان يدخل اندرون فلقبه اهل المدينة الدراوردي الثالثة
عشرة روى ابو داود عن كلدة بن حنبل ان صفوان بن امية بعثا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بلبن وجداية وضغابيش والنبي صلى الله عليه وسلم
باعلى مكة فدخلت ولم اسلم فقال ارجع فقل السلام عليكم وذلك بعد ما اسلم
صفوان بن امية وروى ابو الزبير عن جابر ان رجلا صلى الله عليه وسلم
قال من ثم يبدأ بالسلام فلا بأس به وذكر ابن جريج اخبرني عطاء قال سمعت ابا
هريرة يقول اذا قال الرجل دخل ولم يسلم فقال له اخمص يا بني بالمفتاح فقلت له
السلام عليكم ادخل قال نعم وروى ابن خديفة جاء رجل فنظر الى ما في البيت
فقال السلام عليكم ادخل فقال خديفة اما بعينك فقد دخلت واما باسمك فلم يدخل
الرابعة عشرة ومما يدخل في هذا الباب ما رواه ابو داود عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الى الرجل ان ذاك اذنه اذا دعي
فقد اذن له في الدخول ببيته فوله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجاء
الرسول فان ذلك له اذن اخرجه ابو داود ايضا عن ابي هريرة الخامسة عشرة
فان وقعت العين على العين فالسلام قد تعين وان تعذر وبينه اذنا لك في دخولك
عليه فاذا قضيت حق السلام لانك لو اردته عليه تقول ادخل فان اذنه لك والا
رجعت السادسة عشرة هذه الاحكام كلها انما هي في بيت ليس لك فاما بيتك
الذي تسكنه فان كان فيه اهلك فلا اذن عليها الا انك تسلم اذا دخلت قال
قتادة اذا دخلت بيتك سلم على اهلك فهم احق من سلمت عليهم فان كان فيه
معك احد واختك فقالوا لا تخنع وامرأتك ترجلك تتهيأ لدخولك لان لا هل
الاحتشمة بينك وبينهما واما الام والاخت فقد يكونا على حالة لا يحب ان تراها
فيها قال ابن القاسم قال مالك وليستأذن الرجل على امه واخته اذا اراد
ان يدخل عليهما وقد روى عطاء بن يسار ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
استأذن على امي قال نعم قال انه خادمها قال استأذن عليها فعاوده ثلاثا
قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها ذكره الطبري السابعة
عشرة فان دخل بيت نفسه وليس فيه احد فقال علماؤنا يقول السلام علينا
من ربنا بالتحيات الطيبات المباركات لله السلام رواه ابن وهب عن النبي
صلى الله عليه وسلم وسنده ضعيف وقال قتادة اذا دخلت بيتا ليس فيه

احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانه يومر بذلك قال وذكر لنا
ان الملايكة ترد عليهم قال ابن العربي والصحيح ترك السلام والاستيذان والله
اعلم قلت قوله قتادة حسنة قوله تعالى فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها فيه
اربع مسايل الاولى قوله تعالى فانه لم يجدوا الضمير في يجدوا للبيوت التي هي
بيوت الغير وحكى الطبري عن مجاهد انه قال معنى قوله فانه لم تجدوا فيها
احدا اي لم يكن لكم فيها متاع وضعف الطبري هذا التاويل وكذلك هو في غاية
الضعف وكان مجاهد راى ان البيوت غير المسكونة انما يدخل دونه اذنه
اذا كان لله داخل فيها متاع وراى لفظة المتاع متاع البيت الذي هو البسط
والثياب وهذا كله ضعيف والصحيح انه هذه الاية مرتبطة بما قبلها والاحاديث
المتقدمة يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
وتسلموا على اهلها فان اذن لكم فادخلوا والا فارجعوا كما فعل عليه السلام
بسعد وابي موسى رضي الله عنهما فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا
تدخلوها حتى تجدوا اذنا واسند الطبري عن قتادة قاله قال رجل من المهاجرين
لقد طلبت عمري كله هذه الاية فما ادركتها ان استاذن على بعض اخواني
فيقول لي ارجع فارجع وانا مغتبط لقوله تعالى وازكى لكم المثانية سواء كان
هذا الباب مغلقا او مفتوحا لان الشرع قد اغلقه بالتحريم للدخول حتى يفتحه
الاذن من ربه له يجب عليه ان ياتي الباب ويحاول الاذن على صفة
لا يطلع منه على المبيت لاحتمال ان يقابله وهو في اقبح حالاته فقد روي علما وانا عن عمر
ابن الخطاب انه قال من ملا عينيه من قاعد بيت فقد فسق وروى الصحيح
عن سهل بن سعد ان رجلا طلع من حجر في باب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرى يرجل به راسه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اعلم انك تنظر لطعنت به في عينك انما
جعل الله الاذن من اجل البصر وروى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لو ان رجلا اطلع عليك بغير اذن فحذفته بحصاة ففقات عينه ما كان
عليك من جناح الثالثة اذا ثبت ان الاذن شرط في دخول المنزل فانه
يجوز من الصغير والكبير وقد كان انس بن مالك دون البلوغ يستاذن عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة مع تباينهم وعلمهم
رضي الله عنهم وسياتي لهذا مزيد بيان في اخر السورة ان شاء الله تعالى
الرابعة قوله والله بما تعملون عليم توعد اهل التجسس على البيوت وطلب
الدخول على غفلة للمعايب والنظر الى ما لا يحل ولغيرهم ممن يقع في محظور
قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم
فيه مسيلتبين لا وجه روعي ان بعض الناس لما نزلت اية الاستذان
تحمقه في الامر فكان لا ياتي موضعا خربا ولا مسكونا الا سلم واستاذن
هذه الاية اباح الله فيها دخول الاستيذان في كل بيت لا يسكنه احد لان العلة
في الاستيذان انما هي خوف العورة على الحرمة فاذا زالت العلة
زال الحكم الثانية اختلف العلماء في المراد بهذه البيوت فقال محمد
ابن الحنفية وقتادة ومجاهد هي الفنادق التي في طرق السابلة قال مجاهد
لا يسكنها احد بل هي موقوفة لينزل اليها كل ابن سبيل وفيها متاع لهم
في استمتاع وعن محمد بن الحنفية ايضا ان المراد بها دور مكة وبشبه قول
مالك وهذا على القول بانها غير متملكة وان الناس شركا فيها وان مكة
اخذها عنوة وقال ابن زيد والشعبي هي حوانيت الغيسارية
قال الشعبي لانهم جاءوا سوغهم فجعلوها فيها وقالوا هلم وقال عطاء المراد
بها الخرب التي يدخلها الانسان للتبول والغايط ففي هذا ايضا متاع وقال
جابر بن زيد ليست بعني بالمتاع الجهاز ولكن ما سواه من الحاجة اما منزل
ينزله قوم من ليل او نهار او خربة يدخلها بغضا حاجة او دار ينظر اليها فهذا
متاع وكل منافع الدنيا متاع قال ابو جعفر النحاس وهذا شرح حسن من
قوله امام من ايمة المسلمين وهو موافق للغة والمتاع في كلام العرب

المنفعة

المنفعة ومنه امتنع الله بك ومنه متعوهة قلت واختاره ايضا القاضي ابو بكر
ابن العربي وقال امامنه فسر المتاع بانه جميع الانتفاع فقد طبق المفصل
وجاء بالفيصل وبيت ان الداخل فيها انما هو لما له من الانتفاع فالطالب يدخل في
الحمامات وهي الممارسة للطلب العلم والساكن يدخل الخانات وهي الفنادق
وامي المتاجر والدكان للابتياع والحاقن يدخل الخلا للحاجة وكل
يرتيء على وجهه من بابه واما قول ابن زيد والشعبي فتتولد وذلك ان
بيوت القبسار يابات محظورة باموال الناس غير مباحة لكل من اراد دخولها
باجماع ولا يدخلها الا من اذن له ربها بل اربابها موكلون بدفع الناس
قوله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم الى قوله بصنعون فيه سبع
مسايل الاولى قوله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم وصله تعالى
بذكر السبب ما يتعلق به من امر النظر عض بصره يغضه عضا قال الشاعر

• فغضه الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا •

وقال عنترة •

• واغضه طرفي ما بدت لي جارتي حتى تواري جارتي ماواها •

ولم يذكر تعالى ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج غير ان ذلك معلوم بالعادة
وانما المراد منه المحرم دون المحلل وفي البخاري وقال سعيد بن ابي
الحسن للحسين ان نساء العجم يكشفن صدورهن وروسهن قال امرف
بصرك بقوله الله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال
قتادة عما لا يحل لهم وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن
خائنة الاعين النظر الى ما نهي عنه الثانية قوله تعالى من ابصارهم من
زايدة كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين وقيل من للتبعيض لان من النظر
ما يباح وقيل العض الغضاض يقال عض فلان من فلان اي وضع فالبصر اخا لم
يكن منه عمله فهو موضوع منه ومنقوص حقه منه مملتزا لغضه وليست للتبعيض
ولا للزيادة الثالثة البصر هو الباب الابلغ الى القلب واعمر طريق الحواس
اليه ويحسب ذلك كثر الساقوط من جوفته ووجب التحذير منه وغضه واجب
من جميع المحرمات وكل ما تخشى الفتنة منه اجله وقد قال صلى الله
عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا
منه مجالسنا بد نتحدث فيها فقال فاذا ابيتم الا المجلس فاعطوا الطريق
حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر وكف الاذى
ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر رواه ابو سعيد الخدري
خرجه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم لاتبع النظرة النظرة
فانما لك الاولى وليست لك الثانية ورويه الاوزاعي قال حدثني هارون
ابن رباح ان عمر وان ابا موسى الاشعري كانا في بعض مغازيهم فكشفت
جارية فنظر اليها عمر وان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت فقال انك لمحاضه
الى ما يضرك ولا ينفعك فلقي ابا موسى فساله فقال ظلمت عينك فاستغفر
الله ونبه ان لها اول نظرة وعليها ما كان بعد ذلك قال الاوزاعي
وكان عمر وان ملك نفسه فلم يضحك حتى مات رضي الله عنه وفي صحيح مسلم
عن جرير بن عبد الله قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن نظرة الفجاءة قام في ان اصرف بصري وهذا يقوي قول من يقول ان منه
للتبعيض لان النظرة الاولى لا تملك فلا تدخل تحت خطاب تكليف اذ
وقوعها لا ينافي ان يكون مقصودا فلا يكون ملتبسة فلا يكون مكلفا بها
فوجب التبعيض لذلك ولم يقله ذلك في الفرج لانها تملك ولقد كره الشعبي
ان يديم الرجل النظر الى ابنته واخته وزمانه خير منه زماننا هذا
وحرام على الرجل ان ينظر الى ذات محرمة نظر شهوة بردد ها الثالثة
قوله تعالى ويحفظوا فروجهم اي يستروها عنه ان يراها من لا يحل وقيل
ويحفظوا فروجهم اي عن الزنا لوقاله منه فروجهم لجاز والصحيح ان الجميع
مراد والفظ عام نهر بن حكيم بن معاوية القشيري عن ابيه عن جده

قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من
او ما ملكت يمينك قال الرجل يكون مع الرجل انه استطعت ان لا تراها
فافعل قلت فالرجل يكون خاليا قال الله احق ان يستحيى منه من الناس
وقد ذكرت عائشة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحالها
معه فقالت ما رأيت ذلك منه ولا رأى هذا من الحرمة هذه الآية تحرم
العلماء نصا دخول الحمام بغير مئزر وقد روي عن ابن عمر انه قال
اطيب ما انفق الرجل درهما يعطيه للحمام في خلوة وصح عن ابن عباس
انه دخل الحمام وهو محرم بالجحفة فدخولها جايز للرجل بالمئزر وكذلك النساء
للضرورة كغسلهن من الحيض او النفاس او مرض يلحقهن والاولى
بهن والافضل لهن غسلهن انه امكن ذلك في بيوتهن فقد روينا احمد بن
منيع نا الحسن بن موسى نا ابن لهيعة نا رمان عن سهل بن معاذ عن
ابيه عن ام الدرداء انه سمعها تقول لقنبي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد خرجت من الحمام قال من اين يا ام الدرداء قالت من الحمام قال
والذي نفسي بيده ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت احد من امهاتها
الا وهي هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن عز وجل وخرج ابو بكر البزار
من طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم احذروا بيتا يقال له الحمام قالوا يا رسول الله ينقى الوسخ قال
فاستتروا قال ابو محمد عبد الحق هذا صحيح اسناد حديث في هذا الباب على ان
الناس يرسلونه عن طاوس واما ما خرجه ابو داود في هذا من الحظر والاباحة
فلا يصح منه شيء لضعف الاسانيد وكذلك ما خرجه الترمذي قلت اما
دخول الحمام في هذه الازمان فحرام على اهل الفضل والدين لغلبة الجهل
على الناس واستنها لهم اذا توسطوا الحمام رمي ميازرهم حتى يرمي الرجل
الهميان والشيء قايما منتصبا وسط الحمام وخارجه باديا عن عورته صاما
بين فخذيه ولا احدا يغير عليه هذا امر الرجال فكيف النساء لا سيما
بالديار المصرية اذ حمامانهم خالية عن المطاهر التي هي عن اعين الناس
ستور ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الخامسة قال العلماء
فان استتر فليدخل بعشرة شروط الاول ان لا يدخل الا بنية التداوي
او بنية التطهر عن الرحضا الثاني ان يتعمد اوقات الخلوة او قلة الناس
الثالث ان يستتر عورته بالمئزر الضعيف الرابع ان يكون نظره الى الارض
ويستقبل الحايط ليلا يفتح بصره على محظور الخامسة ان يغير ما يرى
من منكر برفق يقول استتر ستر الله السادسة ان ذلك اجدا لا يمكنه
من عورته من ستر فخذه الى ركبته الا امرأته وجاريته وقد اختلف
في الفخذين هل هما عورة ام لا السابع ان يدخله باجرة معلومة بشرط
او بعادة الثامنة ان يصيب الماء على قدر الحاجة التاسع ان لم يقدر على
خلوه وحده انتقى مع قوم يحفظون اديانهم على كرايه العاشر ان يتذكر
به جهنم فان لم يمكنه ذلك كله فليستتر وليجتهد في غض البصر ذكر
الترمذي ابو عبد الله في نوادر الاصول منه حديث طاوس عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انقوا بيتا يقال له الحمام
قيل يا رسول الله انه يذهب الوسخ ويذكر الناس فقال ان كنتم لابد
فاعلين فادخلوه مستترين وخرج منه حديث ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم البيت بيت يدخله الرجل
المسلم بيت الحمام وذلك لانه اذا دخله سال الله الجنة واستعاذ به
من النار ونعم البيت بيت يدخله الرجل بيت العروس وذلك لانه يرغبه
في الدنيا ويشبهه الاخرة قال ابو عبد الله فقنا لاهل الغفلة صير
الله هذه الدنيا بما فيها سببا للذكر لاهل الغفلة ليذكروا بها اخرتهم
فاهل اليقين فقد مارت الاخرة نصب اعينهم فلا بيت حمام يزعجه ولا
بيت عروس يستفزه لقد دفنت الدنيا بما فيها في الصديقين والصديقين

في جنب الاخرة حيث لا ان جميع نعيم الدنيا في اعينهم كتناول الطعام من مائدة عظيمة وجميع شدايد الدنيا في اعينهم كفعله عوقب بها محروما و سببه قد كان استوجب القتل والصلب من جميع عقوبات اهل الدنيا السادسة قوله تعالى ذلك ازكى لهم ايه عفة البصر وحفظ الفرج اطهر في الدين وابعد من دنس الاثام ان الله خبير ايه عالم بما تصنعون تهديد ووعيد قوله تعالى للمومنات يغضضن من ابصارهن خص الله سبحانه الاناث بهذا الخطاب عليه طريق التاكيد الى قوله ويبدين زينتهن منه ثلاث وعشرون مسئلة الاولى قوله تعالى قل للمومنات خص الله سبحانه الاناث بهذا الخطاب عليه طريق التاكيد فان قوله قل للمومنين يكفي لانه قول عام يتناوله الذكور والانثى من المومنين حسب كل خطاب عام في القرآن وظهر التضعيف في يغضضن ولم يظهر في يغضوا لان لام الفعل من الثاني ساكنة ومن الاول متحركة وهما في موضع جزم جوابا وبدا بالغض قبل الفرج لان البصر رايد القلب كما ان الحجب رايد الموت واحد هذا المعنى بعضهم (شعرا)

(فقالت الم تزان الحب للقلب رايد ٭ فقلت بلى لكن العيان فالقلب الخ)

وفي الخبر النظر سهم من سهام ابليس مسموم فمن غض بصره اورثه الله الحلاوة في قلبه وقال مجاهد اذا اقبلت المراة جلس الشيطان على راسها فزينها لمن ينظر فاذا ادبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر وعن خالد بن ابي عمران قال لا تتبعن النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة يثقل منها قلبه كما يثقل الادريم فلا ينتفع به فامر الله سبحانه المومنين والمومنات بغض الابصار عما لا يحل فلا يحل للرجل ان ينظر الى المراة ولا المراة الى الرجل فان علا فيها به لعلا فتنه بها وقصدها بنيته لقصده منها وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فالعين انه تزنيان وزناها النظر الحديث وقال الزهري في النظر الى التي لم تحض من النساء لا يصلح النظر الى شيء منهن مما يشتهين النظر اليه من وان كانت صغيرة وكره عطا النظر الى الجواري التي يبعثن بمكة الا ان يريد ان يشتري وفي الصحيحين عنه عليه السلام انه صرف وجه الفضل عن الخثعمية حين سالته وطفق الفضل ينظر اليها وقال عليه السلام النظرة من الايمان والمداعبة من النفاق المداعبة هو ان يجمع الرجل بينه النساء والرجال ثم يخليهم يمازحهم بعضهم بعضا ماخوذ من المدعبة وقيل هو ارساله الرجال الى النساء من قولهم مدينة الفرس اذا ارسلتها تزعبي وكل ذكر يدعبي وكل انثى تعدعبي فلا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر ان تبدي زينتها الا لمن يحل او لمن هي محرمة عليه على التابيد فيومن ان تتحرك طبيعة اليها لوقوع الياس له منها الثانية روي الترمذي عن نبهان مولى ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها ولميمونة وقد دخل عليهما ابن ام مكتوم احتجبا فقلنا انه اعمى فقال افعمياوان انتما الستما تبصرانه فان قيل هذا الحديث لا يصح عند اهل النقل لانه رواية عن ام سلمة بنبهان مولاها وهو من لا يحتج بحديثه وعلى تقدير صحته فانه ذلك منه عليه السلام تغليظ عليهن ازواجه لحرمتهن كما غلظ عليهن امر الحجاب كما اشار اليه ابو داود وغيره من الايمة ويبقى معنى الحديث الصحيح الثابت وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم امر فاطمة بنت قيس ان تعتد في بيت ام شريك ثم قال تلك المراة يغشاها اصحابي اعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك ولا يراك فلما قد استدل به بعض العلماء بهذا الحديث على ان المراة يجوز لها ان تطلع من الرجل ما لا يجوز للرجل انه يطلع عليه المراة كالراس ونحوه اما العورة

فلا فعليه هذا يكون مخصصا لعموم قوله تعالى وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن
ويكون من للتبعيض كما هي في الاية قبلها قال ابن العربي انما امرها
بالا تتقاله من بيت ام شريك اذا كانت ام شريك موسرة يكثر الداخل
اليها فيكبر الرائي لها وفي بيت بنت ام مكتوم لا يراها احد فكان بر امساك
بصرها عنه اقرب من ذلك والولي فرخص لها في ذلك والله اعلم الثالثة
امر الله سبحانه النساء بانه لا يبدين زينتهن للناظرين الا ما استثناه من
الناظرين في باقي الاية حذارا من الافتتان ثم استثنى ما يظهر من الزينة
واختلف الناس في قدر ذلك فقال ابن مسعود ظاهر الزينة
هو الثياب وزاد ابن حبير الوجه وقال سعيد بن حبير ايضا وعطاء الاوزاعي
الوجه والكفان والثياب وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة
ظاهر الزينة هو الكحل والسواك والخطاب الى نصف الساق والقرط
والخاتم ونحو هذا فباح ان تبديه المراة لكل من دخل عليها من الناس وذكر
الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثا عن النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر اخر عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يحل لامراة تومن بالله واليوم الاخر اذا عرقت ان تظهر الا وجهها ويديها
الى هاهنا ونصف الى نصف الذراع قال ابن عطية ويظهر بحكم الفاظ
الاية ان المراة مامورة بان لا تبدي وان تجتهد في الاخفاء لكل ما هو
زينة ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه او صلاح
شان ونحو ذلك كما ظهر على هذا الوجه مما تودي اليه الضرورة في النساء
فهو الممفو عنه قلت هذا قوله حسن الا انه تماطاه الغالب من
الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الصلاة والحج فيصلح ان
يكون الاستثناء راجعا يدل على ذلك ما رواه ابو داود عن عايشة ان اسما
ابنة ابي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب
رقاق فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا اسماء ان
المراة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا واشار الى وجهه وكفيه
فهذا فوق في جانب الاحتياط ولمراعاة فساد الناس فلا تبدي المراة
متعريتها الا ما ظهر منه وجهها وكفيها والله الموفق لا رب غيره وقد قال
ابن حوار منداد من علمايتا ان المراة اذا كانت جميلة وخيف منها وجهها
وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك وان كانت عجوزا او مقبحة جاز انه تكشف
وجهها وكفيها الرابعة الزينة على قسمين خلقية ومكتسبة فالخلقية
وجهها فانها اصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الجوانية لما فيه من المنافع
وشرف العلوم واما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المراة في حسن خلقها
كالثياب والحلي والكحل والخطاب ومنه قوله تعالى خذوا زينتكم قال
الشاعر

• • ياخذن زينته احسن ما يرى واذا عطلن فهن خير عواطله

الخامسة من الزينة ظاهر وباطن فيما ظهر فباح ابداوه لكل الناس من
المحارم والاجانب وقد ذكرنا ما للعلما فيه واما ما بطن فلا يحل ابداوه الا
لمن سماهم الله في الاية واهل تحلهم واختلف في السوار فقالت عايشة
هو من الزينة الظاهرة لانها في اليد بث وقال مجاهد هو من الزينة
الباطنة لانه خارج من الكفين وانما يكون في الذراع قال ابن العربي
واما الخطاب فهو من الزينة الباطنة اذا كان في القدمين السادسة قوله
تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن قراء الجمهور بسكون اللام التي هي
للامر وقراء ابو عمرو في رواية عباس بكسرها على الاصل لان اصل لام
الامر الكسر وحذفت الكسرة لثقلها وانما سكنها للتسكين عضد
وجذ ويضربن في موضع جزم بالامر لانه بني على حالة واحدة اتباعا
لما فيه عند سيبويه وسبب هذه الاية ان النساء كن في ذلك الزمان
اذا غطين رووسهن بالاخمرة وهي المقانع سدلنها من وراء الظهر قال

القاسم

الناس كما يصنع البسط فيتقي النحر والابط والعنق والاذنان لا يستقر على
ذلك فامر الله تعالى بالضرب بالخمار على الجيوب وهو ذلك انه تضرب المراة
بخمارها عليه جيبها ليستر صدرها وفي البخاري عن عايشة انها قالت
رحم الله نساء المهاجرات الاول لما انزل وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن
ازرهن فاختمرت بها ودخلت عليه عايشة حفصة بنت اخيها عبد الرحمن
وقد اختمرت سحب بسفه عنها وما هنالك فشققته عليها وقالت انما يضرب
بالكشف الذي يستر السابغة النحر جمع النحار وهو ما يغطي به راسها ومنه
اختمرت المراة وتخمرت وهي حسن النحر والجيوب جمع الجيب وهو موضع
القطع من الدرع والقميص وهو منه الجيوب وهو القطع والمشهور القراءة
بضم الجيم من جيوبهن وقرا بعضهم الكوفيين بكسرها نسبة الى كفرا تهم
ذلك في بيوتهم وشيوخ والنحويون القدما لا يجوزون هذه القراءة ويقولون
بيتوا وبيوت كفلس وفلوس وقال الزجاج يجوز ان تبدل من الضمة
كسرة فاما ما روي عن حمزة من الجمع بين الضم والكسر فمحال لا يقدر
احد ان ينطق به الا عليه الا بما الى ما لا يجوز قال مقاتل على جيوبهن
اي على صدورهن يعني على مواضع جيوبهن الثامنة في هذه الاية
دليل على ان الجيب انما يكون في الثوب موضع الصدر وكذلك كانت الجيوب
في ثياب السلف رضوان الله عليهم على ما نصنعه النساء عندنا بالاندلس
واهل الديار المصرية من الرجال والصبيان وغيرهم وقد ترجم البخاري
رحمه الله باب جيب القميص من عند الصدر وغيره وساق
حديث ابي هريرة قال ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت
ايديهما وبراقيهما الحديث وقد تقدم بكماله وفيه قال ابو هريرة فانا رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول باصبعيه هكذا في جيبه فلو رايته
يوسعها ولا يوسع فهذا تبيين لكيفية جيبه عليه السلام كانت في صدره
وكان في مكنته لم تكن بيده اه مصطرة ابي بدسه وبراقيهما وهذا استدلال
حسن التاسعة قوله تعالى الا لبعولتهن البعل هو الزوج والسيد
في كلام العرب ومنه قوله النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل
اذا ولدت الامة ربتها يعني سيدها اشارة الى كثرة السراري بكثرة الفتوحات
فتاتي الامة ولادا منه الا ما فمنعتك كل ام يولدها وكانه سيدها الذي منه
عليهن بالعتق اذ كان العتق حاصلا لها من سيده قاله ابن العربي
قلت ومنه قوله عليه السلام في جارية اعتقها ولدها فنسبه
الى العتق اليه وهذا منه احسن تاويلات هذا الحديث والله اعلم
مسئلة الزوج والسيد يريبه الريبة منه المراة واكثر من الريبة اذ كل بعل
من بهيمة حلال له لذة ونظرا ولهذا المعنى بدا البعولة لان اطلاعهم يقع
على اعظم من هذا قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على
ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين العاشرة اختلف
الناس في جواز نظر الرجل الى فرج المراة على قولين احدهما يجوز لانه
اذا جاز له التلذذ به فالنظر اولى وقيل لا يجوز لقول عايشة رضي
الله عنها في ذكر خالها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايت ذلك
منه ولا يابى ذلك مني والاول اصح وهذا محمول على الادب قاله ابن
العربي وقد قال اصبغ من علمنا انه يجوز له ان يلمسها بلسانه وقال
ابن خويز منداد اما الزوج والسيد يجوز له ان ينظر الى سائر الجسد
وظاهر الفرج دون باطنه وكذلك المراة يجوز ان تنظر اليه عورة
زوجها قلت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال النظر
الى الفرج يورث الطمس يعني في البصر اي في الناظر وقيل الولد بينهما اعمى
الحادية عشرة لما ذكر تعالى الازواج وبدا بهم ثم بذوي المحارم وسوى
بينهم في ابداء الزينة ولكنه تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس البشر فلا

مرية ان كشف الاب والاخ على المراة احوط من كشف ولد زوجها وتختلف
مراتبهم ما يبدو لهم فيبدو للاب ما لا يجوز ابداؤه لولد الزوج وقد ذكر
القاضي اسماعيل عن الحسن والحسين رضوان الله عليهما انهما كانا لا
يريان امهات المومنين وقلت ابن عباس ان رويتهما لهن تحل قال
اسماعيل احسبه اخذ الحسن والحسين ذهبا في ذلك لنا ان انثا البعولة
لم يذكرن في الاية التي في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهي قوله لا
جناح عليهن في اباءهن وقال في سورة النور ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
فذهب ابن عباس الى هذه الاية وذهب الحسن والحسين الى الاية
الاخرى الثانية عشرة قوله تعالى او ابناء بعولتهن يريد ذكور
اولاد الازواج ويدخل فيه اولاد الاولاد وان سفلوا من ذكران كانوا او
اناث كبنيه البنين بنو البنات وكذلك ابا البعولة والاجداد وان علوا
من جهة الذكران لان الاباء والى الامهات وكذلك ابناؤهن وان سفلوا
وكذلك ابناء البنات وان سفلوا وكذلك ابناء البعولة وان سفلوا فبنوهم
فيه اولاد البنين واولاد البنات وكذلك اخوانهن وهم من ولده الاباء
والامهات او احدا لهما وكذلك بنو الاخوة وبنو الاخوات وان
سفلوا من ذكرا كانوا او اناث كبنيه بنو الاخوات وبنيه بنات الاخوات وهذا
كله في معناه ما حرم من المناكح فان ذلك عليه المحانيه في الولادات وهو
محارم وقد تقدم في النساء والجمهور على ان العم والخال كسايرا لمحارم
في جواز النظر لها الى ما يجوز لهم وليس في الاية ذكر الرضاع وهو كالنسب على
ما تقدم وعند الشعبي وعكرمة ليسا العم والخال من المحارم قال عكرمة
لم يذكرهما في الاية لانهما ينعتان لابنايهما الثالثة عشرة قوله تعالى
او نسايهن يعني المسلمات ويدخل في هذا الامات المومنات ويخرج منهن
نساء المشركين من اهل الذمة وغيرهم فلا يحل لامراة مومنة ان تكشف
شيا من بدنها من بدن امراة مشركة الا ان تكون امة لها فذلك قوله او
ما ملكت ايمانهن وكان ابن جريج وعبادة بن نسي وهشام الخاري
يكرهون ان تغسل النصرانية المسلمة او تمرضها وبينا ولون او نسايهن
وقال عبادة بن نسي وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي ابي عبيدة بن الجراح
انه بلغني ان نساء اهل الذمة يدخلن الحمامات مع نساء المسلمين فامنع
من ذلك وحل دونه فانه لا يجوز ان تنزع الذمية ثوبه المسلمة قال فعند
ذلك قام ابو عبيدة وانتهل وقال ايما امراة تدخل الحمام من غير عذر
لا تريد الا ان تبيض وجهها فسود الله وجهها يوم تبيض الوجوه وقال
ابن عباس لا يحل للمسلمة ان تراها يهودية او نصرانية لبلا تصفها لزوجها
وفي هذه المسلمة خلاف للفقها فان كانت الطاهرة امة لمسلمة جاز
ان تنظر الى سيدتها واما غيرها فلا لانقطاع الولاية بين اهل الاسلام
واهل الكفر فلما ذكرناه الى ابعة عشرة قوله تعالى او ما ملكت ايمانهن
ظاهر الاية يشمل العبيد والاماء المسلمات والكتابيات وهو قول
جماعة من اهل العلم وهو الظاهر من مذهب عايشة وام سلمة رضي الله
عنهما وقال ابن عباس لا بن عباس ان ينظر المملوك الى شعر مولاته
وقال اشهب سيل مالك اتلفي المراة خمارها بين يدي الخصي فقال
نعم اذا كان مملوكا او لغيرها واما الحر فلا وان كان صغيرا كبيرا وغدا تملكه
لا هيبة له ولا منظر فلينظر الى شعرها قال اشهب قال مالك ليس بواسع
ان يدخل جارية الولد او الزوجة على الرجل المرخاص قال الله تعالى
او ما ملكت ايمانكم وقال اشهب عن مالك ينظر الغلام الوغد الى شعر
سيدته ولا احب الغلام الزوج وقال سعيد بن المسيب لا تقرنكم هذه
الاية او ما ملكت ايمانهن انما عنى بها الاماء ولم يعن بها العبيد وكان الشعبي
يكره ان ينظر المملوك الى شعر مولاته وهو قول عطا ومجاهد روى ابو
داود عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة بعبد وهبه

لها قال وعليه فاطمة ثوب اذا غطت راسها لم يبلغ الى رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ الى راسها فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى من ذلك قال انه لا باس عليك انما هو ابوك وغلامك الخامسة عشرة قوله تعالى او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي غير اولي الحاجة والاربة الحاجة اربت اربا كذا ارب اربا والارب والاربة والمادبة والارب الحاجة والجمع ما اربه اي هو ابح ومنه قوله تعالى ولي فيه مآرب اخرى وقد تقدم وقال طرفة

* اذا المرء قاد الجهل والحرب والحي تقدم يوما ثم فاءت ماربه *

واختلف الناس في معنى قوله او التابعين غير اولي الاربة فقيل هو الاحمق الذي لا حاجة به الى النساء وقيل الرجل ينبع القوم فيأكل معهم ولا يقف بهم وهو ضعيف لا يكترث للنساء ولا يشتهيهن وقيل العنين وقيل الخصي وقيل المخنث وقيل الشيخ الكبير والصبي الذي لم يدرك وهذا الاختلاف كله متقارب المعنى ويجتمع فيمن لا فهم له ولا همة يبتغيها في امر النساء وهذه الصفة كانت هيت المخنث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع منه ما سمع من وصف محاسن المراة بادبر قبل امه عملان امر بالاحتجاب منه اخرج حديثه مسلم وابو داود ومالك في الموطا وغيرهم من هشام بن عروة عن عروة عن عايشة قال ابو عمر ذكر عبد الملك بن حبيب عن حبيب كاتب مالك قال قلت لمالك ان سفيان زاد في حديث ابيه عملان ان مخنثا يقال له هيت وليس في كتابك هيت فقال مالك صدق هو كذلك وعربه النبي صلى الله عليه وسلم اب الحمى وهو موضع من ذي الحليفة ذات الشمال منه مسجدها قال حبيب وقلت لمالك وقال سفيان في الحديث اذا فتحت بيته واذا تكلمت تعصف قال مالك صدق هو كذلك قال ابو عمر ما ذكره حبيب كاتب مالك عن سفيان انه قاله في الحديث يعني حديث هشام بن عروة ان مخنثا يدعى هيتا غير معروف عند احد من رواته عن هشام لا ابن عيينة ولا غيره ولم يقل في سياق الحديث ان مخنثا يدعى هيتا وانما ذكره عنه ابن جريج بعد تمام الحديث وكذلك قوله عن سفيان انه يقول في الحديث اذا قعدت تشتت واذا تكلمت تعصفت هذا ما لم يقله سفيان ولا غيره في حديث هشام بن عروة وهذا اللفظ لا يوجد الا من رواية الواقدي والكلبي انه يكنيه عن سفيان ويكنيه عن مالك انه كذلك فصار في رواية عن مالك ولم نره عن مالك عن حبيب ولا ذكره عن سفيان غيره ايضا والله اعلم وحبيب كاتب مالك متروك الحديث ضعيف عند جميعهم لا يكتب ولا يلتفت الى ما يجيء به ذكره الواقدي والكلبي ان هيتا المخنث قال لعبد الله بن ابي امية المخزومي وهو اخو ام سلمة لابيها واما عائشة فعمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له وهو في بيت اخته ام سلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ان فتح الله عليكم الطايف فعليك بابنة غيلان بن سلمة الثقفي فانها تقبل باربع وتدبر بثمان مع نظر كالا فخوان اذا جلست تثنت واذا تكلمت تعنت بين رجليها كالاناء المكفو وهي كما قال قيس بن الخطيم تعرف الطرف وهي لاهية كانما شف وجهها نرف بين شكول النساء خلقتها قصد فلا عبك ولا تصف بمام عن كبر شانها فاذا قامت وريدا تنضد تنصف فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد غلغلت النظر اليها يا عدو الله ثم امر باخراجه من المدينة الى الحمى قال فلما افتتحت الطايف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت منه بريهة في قول الكلبي ولم يزل هيت بذلك المكان حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي ابو بكر كلم فيه فابى ان يرده فلما ولي عمر كلم فيه فابى ثم كلم فيه عثمان بعد وقال انه قد كبر وضعف واحتاج فاذن له يدخل كل جمعة فيسال ويرجع الى مكانه قال وكان هيت مولى لعبد الله بن امية المخزومي وكان له طويسا ايضا مخنثا ثم قيل الخنث قال ابو عمر يقال نادية بالياء كما قال وناديه بالنون والصواب فيه عندهم بالياء وهو قتول اكثرهم وكذلك

ذكر الزبير بن العوام السادسة عشرة وصفها التابعين بغير لان التابعين غير
مقصودين باعيانهم فصار اللفظ كالنكرة وغير لا يتعرفه نكرة فجاز ان يجري
وصفا على المعرفة وان شئت قلت هو بدل والقول فيها كالقول في غير
المغضوب عليهم وقراء عاصم وابن عامر غير بالنصب فيكون استثناء ايجب
ببدينه وبينهن التابعين الا اذا الاربة منهم ويجوز ان يكون حالا اي
والذين يتبعونهن عاجزين عنهن قاله ابو حاتم وذو الحال ما في التابعين
من الذكر السابعة عشرة قوله تعالى والطفل اسم جنس بمعنى الجمع
والدليل عليه ذلك نعته بالذين وفي مصحف حفصة او الاطفال على
الجمع ويقال طفل ما لم يراهق الحلم ويظهر والمعنى انهم يطلعون بالوطي اي
لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع لصغرهم وقيل لم يبلغوا ان يطيقوا النساء
يقال ظهرت على كذا اذا علمته وظهرت عليه كذا اذا قهرته والجمهور على
سكون الواو من عورات لاستثقال الحركة على الواو وروي عن ابن
عامر فتح الواو ومثل حفنة وحفنات وحكى الفراء انها لغة قيس عورات
الثامنة عشرة اختلف العلماء في وجوب ستر ما سوى الوجه
والكفين منه على قولين احدهما لا يلزم لانه لا يكلف عليه وهو الصحيح والا
يلزم لانه قد يشتهى وقد تشتهى هي ايضا فانه راهق فحكمه حكم البالغ في
وجوب الستر ومثله الشيخ الذي سقطت شهوته اختلف فيه ايضا
على قولين كما في الصبية والصحيح بقاء الحرمة قاله ابن العربي التاسعة
عشرة اجمع المسلمون على ان السوءتين عورة من الرجل والمرأة وان المرأة
كلها عورة الا وجهها ويديها فانهم اختلفوا فيهما وقال الكثر العلماء في الرجل
من سرته الى ركبتيه عورة لا يجوز ان تزعى وقد مضى في الاعراف القول في
هذا مستوفى الموفية عشرين قال اصحابنا عورة المرأة مع عبدها
من السرة الى الركبة ابدا العربي وكانهم ظنوها رجلا او ظنوه امرأة والاستثناء
قد حرم المرأة على الاطلاق بنظرة ولذة ثم استثنى الله للازواج ملك
اليمين ثم استثنى الزينة لاثنين عشر شخصا العبد منهم كما لنا وكذلك هذا
نظر فاسد واجتهاد من السداد مساعد وقد تاول بعضه الناس قوله وما
ملكت ايمانهن على الاماء والعبيد منهم سعيد بن المسيب فكيف يجعلون
على العبيد ثم يخصون بالنساء هذا بعيد جدا قاله ابن العربي وقد قيل
انه التقدير وما ملكت ايمانهن من غير اولي الاربة او التابعين غير
اولي الاربة حكاه المهدوي الحادية والعشرون قوله تعالى ولا يضربن
بارجلهن اي لا تضرب المرأة برجلها اذا مشت ليسمع صوت خلخالها فاسماع
صوت الزينة كابداء الزينة واشد والعرض المشتهر اسند الطبري عن
المعتمر عن ابيه انه قال زعم حضرمي ان امرأة اتخذت برتين من فضة
واتخذت خدما فجعلت في ساقيها فمرت على القوم فضربت برجلها الارض
فوقع الخلخال عليها الجذع فصوت فنزلت هذه الاية وسماع هذه الزينة
اشد تحريكا للشهوة من ابدائها قاله الزجاج الثانية والعشرون
منه فعل ذلك منهن مرحا بحليهن فهو مكروه ومن فعل ذلك منهن تبرجا
وتعرضا للرجال فهو حرام هذا موضع وكذلك من ضرب بنعله منه الرجال
انه فعل ذلك تعجبا حرم فان العجب كبيره وان فعل ذلك تبرجا لم يخرجا الثالثة
والعشرون قال مكي رحمه الله في كتابه انه اكثر ما يرمى من هذه
جمعت خمسة وعشرين ضمير المؤمنات منه مخفوض ومرفوع قوله تعالى
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون فيه مسألتان الاولى قوله تعالى وتوبوا
امر ولا خلاف بين العلماء في وجوب التوبة وانها فرض متعين وقد مضى
الكلام فيها في النساء وغيرها فلا معنى لاعادة ذلك والمعنى وتوبوا الى الله
فانكم لا تخلون من سهو وتقصير فاذا خوف الله فلا تتركوا التوبة في كل
حال الثانية قراءة الجمهور ايه بفتح الهاء وقراءة ابن عامر بضمها ووجه ان
يجعل الهاء من نفس الكلمة فيكون اسم اب المنادى فيها وضعف ابو علي

ذلك

ذلك جدا وقال اخر الاسم هو الياء الثانية من ايم فالمضموم ينبغي ان يكون اخر
الاسم ضم الهاء هنا لاقترانها بالكلمة لجاز ضم الميم في اللهم لا قترانها بالكلمة في
كلام طويل والصحيح انه اذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قراءة فليست
لا عتقاد الصحة في اللغة فان القرآن هو الحجة واسند الفراء انه القلب
اللحوح لنفسه اقف عنه البيضة الحسناء اللحسة اللعسة لون الشفة اذا
كانت تضرب اليه السواد قليلا وذلك يستملح يقال شفة لعساء وقبلة ولعسة
لعسة وبعضهم يقف اليها بالالف لانه علة حذفها في الوصل
انما هو سكونها وسكون اللام فاذا كانت الوقف ذهبت العلة فرجعت الالف
كما ترجع الياء اذا وقفت على محكي من قوله تعالى غير محلي الصيد وهذا
الاختلافة الذي ذكرناه كذلك في ايا يه الساحر وايه التثقلات قوله
تعالى وانكحوا الايامى منكم فيه مسايل الاولى هذه المخاطبة تدخل في
باب الاستحباب والصلاح ايمة زوجها من لا زوج له منكم فانه طريق التعطف
والخطاب للاولياء وقيل للازواج والصحيح الاول اذ لو اراد الازواج لقال وانكحن
بغير هم وكانت الالف للوصل وفي هذا دليل على ان المراة ليس لها ان تنكح نفسها
بغير ولي وهو قول اكثر العلماء وقالت ابو حنيفة اذا زوجت الثيب
او البكر نفسها بغير ولي كفوا لها جاز وقد مضى هذا في البقرة مستوفى الثانية
اختلف العلماء في هذا الامر على ثلاثة اقوال فقال علماؤنا يختلف
الحكم في ذلك باختلاف حال المومن خوفه العنت وعدم صبره ومن قوته
على الصبر وزواله خشية العنت عنه واذا خاف الهلاك في الدين والدنيا
او فيهما فالنكاح حتم وان لم يخش شيا وكانت الحال مطلقة فقال الشافعي
النكاح مباح وقالت مالك وابو حنيفة هو مستحب تعلق الشافعي بانه
فضيلة فكان مباحا كالاكل والشرب وتعلق علماؤنا بالحديث الصحيح من
رغب عن سنتي فليس مني الثالثة قوله تعالى الايامى منكم ايم الذين
لا ازواج لهم من الرجال والنساء واحدهم ايم قال ابو عمر ايامى مقلوب
ايايم واتفق اهل اللغة على ان الاسم في الاصل هو المراة التي لا زوج لها
بكرا كانت او ثيبا حكى ذلك ابو عمرو الكسايي وغيرهما تقول العرب قامت
المراة الما قامت لا تتزوج وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انا وامراة
شفعا الحديث قامت على ولدها الصغار حتى بلغوا او بعثهم الله من فضله
كما تبين في الجنة وقال الشاعر

فان تنكحي انكح وان تتايمي، وان كنت فيهم منكم اتايم

ويقال ايم بين الايمة وقد امت هي وامت انا قال الشاعر

لقد امت حتى لا مني كل صاحب وحاسبني ان تهم كما امت

قال ابو عبيد يقال رجل ايم وامراة ايم واكثر ما يكون في النساء وهو في المستعار
في الرجال، وقالت امية بن ابي الصلت،

لعمرك ان على ايم منهم ويائم

وقال قوم هذه الاية ناسخة لحكم
قوله تعالى والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المومنين
وقد بيناه في اول السورة والحمد لله الرابعة المقصود من قوله وانكحوا الايامي
منكم الحرائر والاحرار ثم بين حكم المماليك والصالحين من عبادكم وامائكم
وقراء الحسن والصالحين من عبيدكم وعبيد اسم للجمع قال الفراء ويجوز
وايمائكم بالنصب نرده على الصالحين يعني الذكور والاناث والصلاح الايمان
وقيل المعنى ينبغي ان تكون الرغبة في تزويج الاماء والعبيد اذا كانوا
صالحين فيجوز تزويجهم ولكن ترغيب فيه ولا استحباب كما قال فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا قد تجوز الكتابة وان لم يعلم في العبد خيرا ولكن الخطاب
ورد في الترغيب لا استحباب وانما يستحب كتابة من فيه خير الخامسة
اكثر العلماء على ان للسيد ان يكره عبده وامته على النكاح وهو قول
مالك وابي حنيفة وغيرهما قال مالك ولا يجوز ذلك اذا كان ضررا وروي
نحوه عن الشافعي ثم قال ليست للسيد ان يكره العبد على النكاح ويفلتون

من م

عليهم الابوابه تمسك اصحاب الشافعي فقالوا العبد مكلف فلا يجبر على النكاح
ان التكليف يدل على ان العبد كامل من جهة الادمية وانما يتعلق به المملوكية
فما كان حظا للسيد منه ملك الرقبة والمنفعة بخلاف الامة فانه لا حق
المملوكية في بضعها ليستوفيه واما بضع العبد فلا حق له فيه ولاجل ذلك تباح
السيدة لعبدها هذه جملة اهل خراسان والعراق وعمدتهم ايضا الطلاق
فانه بملكه العبد بملكه عقده ولعلمائنا الملفة العظمى في انه مالكية العبد
استغرقها مالكية السيد ولذلك لا يتزوج الا باذنه باجماع والنكاح وابه
انما هو منه المصالح ومصلحة العبد موكولة الى السيد هو يراها ويقيم للعبد
السادسة قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله رجع الكلام الى
الاحرار اي لا تمتنعوا عن التزوج بسبب تغير الرجل والمرأة ان يكونوا
فقراء يغنهم الله من فضله وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلب رضي الله عنه
واعتصاما منه معاصيه وقال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح وتلى
هذه الاية وقال عمر رضي الله عنه عجبت ممن لا يطلب الغنى في النكاح
وقد قال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وروي هذا المعنى
عن ابن عباس ايضا ومنه حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ثلاثة كلهم حق على الله عونه المجاهد في سبيل الله
والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء اخرجه ابن ماجه في سننه
فان قيل فقد يجد الناكح لا يستغني قلنا لا يلزم ان يكون هذا على الدوام
بل لو كان في لحظة واحدة لصدق الوعد وقد قيل يجتنبه اي يغنيه النفس
وفي الصحيح ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس عن كثرة
العرض انما الغنى غنى النفس وقد قيل ليس وعد بيتم فيرخلف بل المعنى
ان المال عماد والنكاح فارجوا الغنى وقيل المعنى يغنيهم الله من فضله ان شاء
كقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال تعالى يبسط الرزق لمن يشاء
قيل المعنى ان يكونوا فقراء ايها النكاح يغنيهم الله بالحلال ليتعففوا عن الزنا
السابعة هذه الاية دليل على تزويج الفقير ولا يقول كيف اتزوج وليس لي
مال فان رزق على الله وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم المرأة
التي اتته تهب له نفسها من ليس له الا رداء واحد وليس لها بعد ذلك فسخ النكاح
بالاعسار لانها دخلت عليه وانما يكون ذلك اذا دخلت على اليسار فخرج
معسرا وهذا الاعسار بعد ذلك لانه الجوع لا صبر عليه قاله علماؤنا وقال الناس
هذه الاية حجة على ابي حنيفة حيث قال انما الفاقة يفرق بينه الزوجين اذا كان
الزوج فقيرا لا يقدر على النفقة لان الله تعالى قال يغنيهم ولم يقل يفرق
وهذا استدلال ضعيف وليس هذه الاية حكما فيمن عجز عن النفقة وانما هي
وعدا بالاغنا لمن تزوج فقيرا فاما من تزوج موسرا واعسر بالنفقة فانه يفرق
بينهما قال الله تعالى وان يتفرقا يغنه الله كلا من سعته وتفاوت الله
مألوف في كل حال موجود بها فعل الله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون
نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى
وليستعفف الخطاب لمن يملك امر نفسه لا لمن زمامه بيد غيره فانه يقود
الى ما يراه لا المجبور فولا واحدا والامة والعبد على احد قولي العلماء الثانية
وليستعفف وزنه استفعل ومعناه طلب ان يكون عفيفا فامر الله تعالى
بهذه الاية كل من تحدث عليه النكاح ولا يجده بابي وجه تعذر ان يستعفف
ثم لما كان الموانع على النكاح عدم المال وعدنا الله من فضله فيرزقه
ما يتزوج به او يجد امرأة تزفي اليسير منه الصداق او يزول عنه شهوة
النساء وروي النساء عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ثلاثة كلهم حق على الله وكان عونه المجاهد في سبيل الله والناكح الذي
يريد العفاف والمكاتب الذي يريد الاداء الثالثة قوله تعالى لا يجدون
نكاحا اي طول نكاح فحذف المضاف وقيل النكاح ها هنا ما تنكح به المرأة
من المهر والنفقة كالمعاف اسم لما يلتحف به والملابس اسم لما يلبس فعلى

هذا لاحد في الاية قال جماعة من المفسرين وحملهم على هذا قوله تعالى حتى يغنيهم الله من فضله فظنوا ان المامور به الاستعفاف انما هو من عدم المال الذي يتزوج به وفي هذا القول تخصيص المامور به بالاستعفاف وذلك ضعيف بل الامر بالاستعفاف متوجه لكل من تعذر عليه النكاح بايّ وجه تعذر كما قدمناه والله اعلم الرابعة من ثابت نفسه الى النكاح فان وجد الطول فالمستحب ان يتزوج وان لم يجد الطول فعليه بالاستعفاف ما امكنه ولو بالصوم فانه الصوم وجاء كما في الخبر الصحيح ومن لم تتق نفسه الى النكاح فالاولى له التخلي لعبادة الله تعالى وفي الخبر خيركم الخفيف الحاذ يعني الذي لا اهل له ولا ولد وقد تقدم جواز نكاح الامة عند عدم الطول للحرة في الشتاء والحمد لله ولما لم يجعل الله من العفة والنكاح درجة دل على انه ما عداها محرم ولا يدخل فيه ملك اليمين لانه لتحصن اخر مباح وهو قوله وما ملكت ايمانكم فجاء فيه زيادة وبيقين على التحريم الاستمتاع اليه احد وكذلك يخرج عنه نكاح المتعة بنسخه وقد تقدم قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فيه ست عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب الذي في موضع رفع وعند الخليل وسيبويه في موضع نصب على اضمار لان بعده امرا ولما جرى ذكر العبيد والاماء فيما سبق وصل به ان العبد اذا طلب الكتابة فالمستحب كتابته فربما يقصد بالكتابة ان يستقل ويكتسب ويتزوج اذا اراد فيكون اعف له قيل نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال له صبيح ويقال صبيح طلب من مولاه ان يكاتبه فابى فانزل الله هذه الاية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل بحنين في الحرب ذكره القشيري وحكاه النقاش قال مكي هو صبيح الفيطي غلام حاطب بن ابي بلتعة وعلى الجملة فان الله تعالى امر المومنين كافة ان يكاتب منهم كل من له مملوك وطلب المملوك الكتابة وعلم سيده منه خيرا الثانية الكتاب والكتابة سواء مفاعلة مما لا تكون الا بين اثنين لانها معاقدة بين السيد وعبده بيان كاتب كتابا ومكاتبة كما يقال قاتل قتالا ومقاتلة فالكتاب في الاية مصدر كالقتال والجلاد والدفاع وقيل الكتاب هاهنا هو الكتاب المعروف الذي يكتب فيه الشيء وذلك انهم كانوا اذا كاتبوا العبد كتبوا عليه وعليهم انفسهم بذلك كتابا فالمعنى يطلبون العتق الذي يكتب به الكتاب فيدفع اليهم الثالثة ومعنى المكاتبة في الشرع هو ان يكاتب الرجل عبده على مال يودّيه منجما عليه فاذا ادّاه فهو حر ولها حالتان الاولى ان يطلبها العبد ويجيبه السيد فهذا مطلق الاية وظاهرها الثانية ان يطلبها العبد وياباها السيد وفيها قولان الاول لعكرمة وعطاء ومسروق وعمرو بن دينار والضحاك ابن مزاحم وجماعة اهل الظاهر انه ذلك واجب على السيد وقال علماء الامصار لا يجب ذلك وتعلق من اوجبها بمطلق الامر والفعل بمطلقه على الوجوب حتى يأتي الدليل بغيره وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن عباس واختاره الطبري واحتج داود ايضا بان سيرين ابا محمد بن سيرين سال انسا بن مالك الكتابة وهو مولاه فابى انس فرفع عليه الدرة وتلا فكاتبوهم فكاتبه انس فقال داود ما كان عمر ليرفع الدرة على انس فجعل له مباحا ان لا يفعله وتمسك الجمهور بان الاجماع منعقد على انه لو ساله ان يبيعه من غيره لم يلزمه ذلك ولم يجبر عليه وان ضعف له في الثمن وكذلك لو قال له اعتقني ودبرني او زوجني لم يلزمه ذلك باجماع فكذلك الكتابة لانها معارضة فلا يصح الا عن تراض وقولهم مطلق الامر يقتضي الوجوب صحيح لكن اذا عرض علم الخير فيه فعلق الوجوب على امر باطن وهو علم السيد بالخير واذا قال العبد كاتبني وقال السيد لم اعلم فيك خيرا وهو امر باطن يرجع فيه اليه ويعول عليه وهذا قوي في بابه الرابعة واختلف العلماء في قوله تعالى ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عباس وعطاء المال مجاهد المال والاداء الحسن والتخعي الدين والامانة وقال مالك سمعت بعض اهل العلم يقولون هو القوة على الاكتساب والاداء وعن الكتبي نحوه وهو قول

الشافعي وقال عبيدة السلماني اقامة الصلاة والخير قاله الطحاوي وقول من قال
انه المال لا يصح عندنا لان العبد ماله لمولاه فكيف يكون له مال والمعين عندنا
ان علمتم فيهم الدين والصدق وعلمتم انهم بما ملوتكم عليه انهم متعبدون بالوفا
لكم بما عليهم من الكتابة والصدق في المعاملة وكاتبوهم وقال ابو عمر من لم يقل
ان الخير هنا المال انكر ان يقال ان علمتم فيهم مالا وانما يقال علمت فيه الخير
والصلاح والامانة ولا يقال علمت فيه المال وانما يقال علمت عنده المال قلت
وحديث بريرة يرد قول من قال ان الخير المال على ما ياتي الخامسة اختلف
العلماء في كتابة من لا حرفة له فكان ابن عمر يكره ان يكاتب عبده اذا لم تكن
له حرفة ويقول تامرني ان اكل اوساخ الناس ونحوه عن سلمان الفارسي
وروينا عن حكيم بن حزام قال كتب عمر بن الخطاب الي عمير بن سعد انما بعد فانه من
قبلك من المسلمين ان يكاتبوا ارقاهم على مسئلة الناس وكرهه الاوزاعي
واحمد واسحاق ورخص في ذلك مالك وابو حنيفة والشافعي وروينا عن علي
رضي الله عنه ان ابن الساج مودنه قال لما كاتبت وليس لي مال قال نعم ثم
حض الناس علي الصدقة علي فاعطوني ما فضل عن مكاتبتي فاتيت عليا
فقال اجعلها في الرقاب وقد روينا عن مالك كراهة ذلك وان الامة التي لا
حرفة لها يكره كتابتها لما يؤديها اليه من فسادها والحجة في السنة لا فيما خالفها
وروينا الا يمة عن عائشة قالت دخلت علي بريرة فقالت ان اهلي كاتبوني
علي تسع اواق في تسع سنين كل سنة اوقية فاعينيني الحديث فهذا دليل على
ان للسيد ان يكاتب عبده وهو شيء معروف لا تري ان بريرة جاءت عائشة تخبرها
بانها كاتبت اهلها وسالتها ان تعينها وذلك كان في اول كتابتها قبل ان يؤدي شيئا
كذلك ذكر ابن شهاب عن عروة ان عائشة اخبرته ان بريرة جاءت تستعينها في كتابتها
ولم تكن قضت من كتابتها شيئا اخرجه البخاري وابو داود وفي هذا دليل على
اجازة كتابة الامة وهي غير فارهة صنعة ولا حرفة ولا مال ولم يسال النبي صلي
الله عليه وسلم هل لها كسب او عمل او اصب او مال ولو كان هذا واجبا لسال عنه
ليقع حكمه عليه لانه بعث مبينا معلما صلي الله عليه وسلم وفي هذا الحديث ما
يدل علي ما تاولناه في قوله تعالي ان علمتم فيهم خيرا ان المال الخير ليس بالتاويل الجيد
وانما الخير المذكور هو القوة علي الاكتساب مع الامانة والله اعلم السادسة
الكتابة تكون بقليل المال وكثيره وتكون علي النجم الحديث بريرة وهذا لا خلاف
فيه بين العلماء والحمد لله فلو كاتبه علي الف درهم ولم يذكر اجلا نجمت عليه
بقدر سعايته وان كره السيد قاله الشافعي لا بد فيها من اجل واقلها ثلاثة انجم
واختلفوا اذا وقعت علي نجم واحد فاكثر اهل العلم يجيزونها علي نجم واحد
وقال الشافعي ولا تجوز حالة البتة وانما ذلك عتق علي صفة كانه قال اذا اديت
كذا وكذا فانت حر وليست كتابة قال ابن العربي اختلف العلماء والسلف
في الكتابة اذا كانت حالة علي قولين واختلف قول علمائنا كاختلافهم والصحيح
في النظر ان الكتابة موجلة كما ورد بها الاثر في حديث بريرة حيث كانت اهلها على
بيع اواق في كل عام وفيه وكما فعلت الصحابة ولذلك سميت كتابة لانها
تكتب وتشهد عليها فقد استوفت الاسم والاثر وعضده المعني فان المال ان جعله
حالا وكان عند العبد شيء فهو مال مقاطعة لا مقدر كتابة وقال ابن خويزمنداد
اذا كاتبه علي مال معجل كان عتقا علي مال ولم يكن كتابة واجاز غيره من
اصحابنا الكتابة الحالة وسماها قطاعة وهو القياس لان الاجل فيها انما هو
فيخه العبد المكتسب الا تري انه لو جاء النجم عليه قبل محله لوجب علي السيد
ان ياخذه ويتعجل المكاتب عتقه ويجوز الكتابة الحالة قال الكوفيون قلت
لم يرد عن مالك نص في الكتابة الحالة والاصحاب يقولون انها جايزة ويسمونها
قطاعة واما قول الشافعي انها لا تجوز علي اقل من ثلاثة انجم فليس بصحيح
لانه لو كان صحيحا لجاز لغيره ان يقول لا يجوز علي اقل من خمسة نجوم لانها اقل
النجوم التي كانت علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم في بريرة وعلم بها
النبي صلي الله عليه وسلم ولم ينه فيها فكان بصواب الحجة اولي روينا البخاري

عن

من عائشة ان بريرة دخلت عليها تستعينها في كتابتها وعليها خمسة اواق نجمت
عليها في خمس سنين الحديث كذا قال الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عروة
عن عائشة وعليها خمسة اواق نجمت عليها في خمس سنين وقال ابو اسامة
عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت جاءت بريرة قالت اني كاتبت اهلي
على تسع اواق الحديث وظاهر الروايتين تعارض غير انه حديث هشام اولى
لاتصاله وانقطاع حديث يونس لقول البخاري وقال الليث حدثني يونس
ولان هشاما اثبت في حديث ابيه وحدثه من غيره وابنه اعلم السابعة المكاتب
عبد ما بقي عليه من مال الكتابة شيء لقوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه من
مكاتبته درهم اخرجه ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ورويي عنه
ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما عبد كاتب على مائتي دينار فادها
الا عشرة دنانير فهو عبد وهذا قول مالك والشافعي وابي حنيفة واصحابهم
والثوري واحمد واسحاق وابي ثور وداود والطبري ورويي ذلك
عن ابن عمر منه ورجوعه عن ذلك ابن ثابت وعائشة وام سلمة ثم اختلف عنهم
في ذلك رضي الله عنهم ورويي ذلك عن عمر بن الخطاب وبه قال ابن المسيب
والقاسم وسالم وعطاء قاله مالك وكل من ادركنا ببلدنا يقوله ذلك وفيها
قول اخر رويي عن علي انه اذا ادى الشطر فهو غريم وبه قال النخعي ورويي
ذلك عن عمر رضي الله عنه والاسناد عنه بان المكاتب عبد ما بقي عليه
درهم حرية الاسناد عنه بان المكاتب اذا ادى الشطر فلا رق عليه وعن علي
ايضا يعتق منه بقدر ما ادى وعنه ايضا ان العتاقة مخيرة فيه ما لم يحكم
توديه وقاله ابن مسعود اذا ادى ثلث الكتابة فهو عتيق غريم وهو قول شريح وعن
ابن مسعود لو كانت الكتابة مائتي دينار وقيمة العبد مائة دينار فادى العبد
المائة التي هي قيمته عتق وهو قوله النخعي ايضا وقوله شاذ اذا ادى الثلاثة
الارباع وبقي الربع فهو غريم ولا يعود عبدا قاله عطاء بن ابي رباح رواه ابن
جريج عنه وحكي عن بعض السلف انه بنفس عقد الكتابة حر وهو غريم
بالكتابة ولا يرجع الى الرق ابدا وهذا القول يرده حديث بريرة لصحته عن
النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دليل واضح على ان المكاتب عبد ولولا
ذلك ما بيعت بريرة ولو كان فيها شيء من العتق ما اجاز بيع ذلك اذ من سنته
المجتمع عليها ان لا يباع الحر وكذلك كتابة سلمان وجويرية قال النبي صلى الله
عليه وسلم حكم جميعهم بالرق منهم ورد الكتابة وهي حجة الجمهور في ان المكاتب
عبد ما بقي عليه شيء وقد ناظر علي بن ابي طالب لو شهد فقال عليه لا فقال زيد
هو عبد ما بقي عليه شيء وقد رويي النسائي عن ابن عباس وغلب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال المكاتب يعتق منه بقدر ما ودى ويقام
عليه الحد بقدر ما ودى ويرث بقدر ما عتق منه واسناده صحيح وهو حجة
لما رويي عن علي ويعتضد بما رواه ابو داود عن نبهان فكاتبت لام سلمة قالت
سمعت ام سلمة يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان لاحداكن
مكاتبة وكان عنده ما يودي فلتحتجب منه واخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح الا انه يحتمل ان يكون خطابا مع زوجاته اهذا لاحتياط والورع
في حقهن كما قاله لسودة احتجبي منه مع انه قد حكم باخوتها له ويقوله لعائشة
وحفصة افعمياوان انتما الستما تبصرانه يعني ابن ام مكتوم مع انه قال لفاطمة
بنت قيس اعتد به عند ابن ام مكتوم وقد تقدم هذا المعنى الثامنة اجمع
العلماء على ان المكاتب اذا حل عليه نجم من نجومه او نجمان او نجومه كلها فوقف
السيد من مطالبته وتركه يحاله ان الكتابة لا تنفسخ ماذا على ذلك ثابتين
التاسعة قال مالك ليس للعبد ان يعجز نفسه اذا كان له مال ظاهر وان لم
يظهر له مال فذلك اليه وقال الاوزاعي لا يمكنه من تعجيز نفسه اذا كان
قويا على الاداء وقال الشافعي له ان يعجز نفسه علم له مال او قوة على الكتابة
لو لم يعلم فاذا قال قد عجزت نفسي وانطلقت الكتابة فذلك اليه وقال مالك اذا
عجز المكاتب فكل ما قبضه منه سيده قبل العجز حل له كان من كسبه او

من صدقة عليه واما ما يبيعه بعلمه فكاكه رقبته فلم يفه ذلك بكتابته كان ذلك من
اعانة الرجوع بما اعطى ويخلل منه والمكاتب ولو اعانوه صدقة لاعلى فكاك
رقبته فذلك ان عجز حل لسيده ولو تم به فكاكه وبقيت منه فضلة فان
كان يعينه لفكاك رقبها اليهم بالحصص ويحللونه منها هذا جملة مذهب مالك
فيما ذكر ابن القاسم وقال اكثر اهل العلم ان ما قبضه السيد منه من كتابته
فهما فضل بيده بعد عجزه من صدقة او غيرها فهو لسيده يطيب له اخذ
ذلك كله هذا قول الشافعي وابي حنيفة واصحابهما واحمد بن حنبل وروايته
عنه شريح وقال الثوري يحل السيد ما اعطاه في الرقاب وهو قول
مسروق والنخعي وروايته عن شريح وقالت طايفة ما قبض منه السيد
فهو له وما فضل بعد العجز فهو لورثة سيده وهذا قول بعض من ذهب
اليه ان العبد يملك وقال اسحاق ما اعطى بحال الكتابة رد عليه ربا به
العاشرة حديث بريرة عليه اختلاف طرقه والفاظه يتضمن ان بريرة
وقع فيها بيع بعد كتابة فقدمته واختلف الناس في بيع المكاتب بسببه
ذلك وقد ترجم البخاري باب ——— بيع المكاتب اذا رضيه وابيه
جواز بيعه للحنفي اذ رضيه المكاتب بالبيع واذا لم يكن عاجزا ذهب ابو
المنذر والداودي وهو الذي انتضاه ابو عمر بن عبد البر وبه قال ابن
شهاب وابو الزناد وربيعة غير انهم قالوا لان الرضاه بالبيع عجز منه وقال
مالك وابو حنيفة واصحابهما لا يجوز بيع المكاتب ما دام مكاتبا حتى يعجز
ولا يجوز بيع كتابته بحال وهو قول الشافعي بمصر وكان بالعراق يقول
بيعه جايز واما بيع كتابته فغير جايزة واجاز مالك بيع الكتابة فان
اداها والا كان رقيقا للمشتري الكتابة ومنع من ذلك ابو حنيفة لانه
بيع نسيء واختلف ——— قول الشافعي في ذلك بالمنع والاجازة وقالت
طايفة يجوز بيع المكاتب على ان يمضي في كتابته فان ادى عتق وكان
ولاؤه للذي باعه ولو عجز فهو عبد له وبه قال النخعي وعطا والليث
واحمد وابو ثور وقالت الاوزاعي لا يباع المكاتب الا للعتق ويكره ان
يباع قبل عجزه وهو قول احمد واسحاق قالوا ابو عمر في حديث بريرة اجازة
بيع المكاتب اذا رضي بالبيع ولم يكن عاجزا عن اداء نجم فدخل عليه خلاف
قوله من زعم ان بيع المكاتب غير جايز الا بالعجز لان بريرة لم يذكر انها عجزت
عن اداء نجم ولا اخبرت ان النجم قد حل عليها ولا قال لها النبي صلى الله عليه
وسلم اعاجزة انت ام هل حل عليك نجم فلم تؤده ولو لم يجز بيع المكاتب
والمكاتبة الا بالعجز عن اداء ما قد حل لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
سالها اعاجزة هي ام لا وما كان ليادن في شرايها الا بعد علمه صلى الله عليه
وسلم انها عاجزة ولو عجز اداء نجم واحد فحل عليها وفي حديث الزهري انها
لم تكن قضت من كتابتها شيا ولا اعلم في هذا الباب حجة اصح من حديث بريرة
هذا ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء يعارضه ولا في شيء من الاخبار
دليل عجزها استدل به من منع من بيع المكاتب بامور منها ان قالوا ان الكتابة
المذكورة لم تكن انعقدت وان قولها كاتبت اهلي معناه انها راوضتهم عليها
وقدروا مبلغها واجلها ولم يعقدوها وظاهر الاحاديث خلاف هذا اذ
يحمل مساقها وحينيذ صح البيع الا ان هذا انما يتمشى على قول من
يقول ان بعض المكاتب غير معتق الى حكم حاكم اذا اعتقه السيد
عليه لان العتق لا بعد وهذا وهو المذهب المعروف وقالوا سيحتمل ان
من الشيطان وهذا انما خاف ان يتواطيا على ترك حقه والبدل عليه
صحة انها عجزت ما روي انه بريرة جاءته عما يشتري تستعينها في كتابتها
ولم تكن قضت من كتابتها شيا فقالت لها ما يثنيك ارجعي الى اهلك فان احبوا
ان اقضي عنك كتابتك فعلت وظاهر هذا ان جميع كتابتها او بعضها استحق
عليها لانه لا يقضي من الحقوق الا ما وجبت المطالبة والله اعلم هذا
الذي يليق استنباطه مما لهم وفيما من المدخل ما بيناه وقال ابن المنذر ولا

اعلم حجة لمن قاله ليس له بيع المكاتبة إلا ان تعوله لعلة بريرة عجزت قاله الشافعي والظاهر
معانيه ان لمالك المكاتب بيعه لجاد بيعة عشرة المكاتب اذا ادى ما كاتبه عتق
ولا يحتاج الى ابتداء عتق من السيد ولذلك ولاؤه الى من يعتقه ولد والي كتابته
امته يعتقونه بعتقه ويرقونه برقه لانه ولد لا لانه منه امته تحتاج عتقا
بالخبر وكذلك ولد المكاتبة فانه كان لها ولد قبل الكتابة لم يدخل في الكتابة الا
بشرط المكاتبة عشرة وا توهم من ماله الذي به اتاكم هذا امر للسادة باعانتهم
في مال الكتابة اجابات بعطوهم شيئا مما في ايديهم لعيني ايدي السادة او يحط عنهم
شيا من ماله الكتابة قاله مالك يوضع عن المكاتبة من آخر كتابته وقد روي ابن
عمر خمسة الا ثلثا من خمسة وثلاثين الفا وعن علي رضي الله عنه انه يكون ذلك
ربع الكتابة قال الزهري وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم
واستحسنه ابن مسعود والحسن بن ابي الحسن ثلثها وقال قتادة عشرها
ابن حبيب يسقط عنه شيا ولم يحده وهو قوله الشافعي واستحسنه الثوري
قال الشافعي والشيء اقل شيء يقع عليه اسم شيء ويجبر عليه السيد ويحكم
به الحاكم عليه لورثته ان مات السيد وراى مالك رحمه الله هذا الامر على
الندب ولم يوله رأى الوضيعة حكما احتج الشافعي بمطلق الامر في قوله وا توهم
وراى ان عطف الواجب عليه الندب معلوم في اللغة ولسان العرب كما قاله
تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الخبر خوفا ان لا يدرك
اخرها وراى مالك رحمه الله وغيره ان يكون الوضع من آخر نجم وعلة ذلك انه
اذا صح من اول نجم وربما عجز العبد فرجع هو وماله الى السيد فعاد ذلك اليه
وهبته وهي شبه الصدقة وهذا قول عبد الله بن عمر وعلي وقال مجاهد
يترك له من كل نجم وقال ابن العربي والاقوى عندي ان يكون في اخرها
لان الاسقاط ابدا انما يكون في آخر الديون والمكاتب اذا بيع للعتق رهب
منه بعد الكتابة وقبض ما يعد ثمنه لم يجبر عليه ان يعطيه من ثمنه شيا سواء
باعه لعتق او غير عتق وليس ذلك كالسيد يودي الى مكاتبه فيوتيه منها
او يضع عنه من آخرها نجما وما شاء على ما امر الله به في كتابه لان النبي صلى
الله عليه وسلم امر موالي بريرة باعطائها مما قبضوا شيا وانه كاتبها قد باعوها
للعتق المرابعة عشرة اختلفوا في صفة عقد الكتابة فقال ابن خواز منداد
صفتها ان يقول السيد لعبده كاتبتك على كذا وكذا من المال في كذا كذا نجما
فاذا اديته فانت حر ويقول له اذا ادى الى الفا في عشرة انجم وانت حر فيقول
العبد قد قبلت ونحو ذلك من الالفاظ فمتى ادى عتق وكذلك لو قال العبد
كاتبني فقال السيد قد فعلت او فككاتبتك قال ابن العربي وهذا لا يلام
لان لفظ الفك ان لا يقتضيه والحال يشهد له فانه ذكره فحسن وان تركه فهو
معلوم لا يحتاج اليه ومسايل هذا الباب وفروعه كثيرة وقد ذكرناه من
اصوله جملة فيها لمن اقتصر عليها كفاية والله الموفق للهداية الخامسة
عشرة في ميراث المكاتب واختلف العلماء في ذلك على ثلاثة اقوال فذهب

ملك ابنه المكاتبة انها هلك وترك مالا اكثر مما بقي عليه من كتابته وله ولد ولدوا
في كتابته او كاتب عليهم ورقا ما بقي من المال بعد فضاء كتابته لان حكمهم
حكمه وعليهم السعي فيما بقي من كتابته او لم يخلف مالا ولا يعتقون الا بعتقه
ولا ادى عنهم ما حل عليه لانهم يستقون عليه فهم اولى بميراثه لانهم مساوون
له في جميع حاله والقول الثاني انه يودي عنه منه ما له جميع كتابته وجعل
انه قد مات حرا ويرثه جميع ولده وسواء في ذلك كان حرا قبل موته من
ولده ومن كاتبه عليهم او ولدوا في كتابته لانهم قد استووا في الحرية كلهم
حيث قادوا عنهم كتابتهم وروي هذا القول عن علي رضي الله مسعود ومن
القائلين عن عطاء والحسن وطاوس وابراهيم وبه قال فقهاء الكوفة
سفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حي وابنه
ذهب اسحاق والقول الثالث انه المكاتب اذا مات قبل ان يودي جميع
كتابته فقد مات عبدا وكل ما يخلفه من المال فهو لسيده ولا يرثه احد
من اولاده لا الاحرار ولا الذين معه في كتابته لانه لما مات قبل ان يودي
جميع كتابته فقد مات عبدا وماله لسيده فلا يصح عتقه بعد موته لانه محال
ان يعتق عبد بعد موته وعليه ولده الذين كاتب عليهم او ولدوا في كتابته
انه يسعى في باقي الكتابة وسقط عنهم منها قدر حصته فان ادوا عتقوا لانهم
كانوا فيها تبعا لابيهم وان لم يودوا ذلك رقوا هذا قول الشافعي وبه قال
احمد بن حنبل وهو قول عمر بن الخطاب وضي الله عنه وزيد بن ثابت وعمر
ابن عبد العزيز والزهري وقتادة قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على
البغاء ان اردن تحصنا روي عن جابر بن عبد الله وابن عباس ان هذه الاية
نزلت في عبد الله بن ابي وكانت له جاريتان احداهما تسمى معاذة والاخرى
مسيكة فكان يكرههما على الزنا ويضرب عليه ابتغاء الاجر وكسب الولد
فشكتا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فيه وفيمن فعل
فعله من المنافقين ومعاذة هذه ام خولة التي جادلت النبي صلى الله عليه
وسلم في زوجها وفي صحيح مسلم ان جارية لعبد الله بن ابي يقال لها
مسيكة واخرى يقال لها اميمة فكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء الى
قوله ان الله غفور رحيم قوله تعالى ان اردن تحصنا راجع الى الفتيات
وذلك ان الفتيات اذا اردن التحصن فحينئذ يمكن ويتصور ان يكون السيد لها
ويمكن ان ينهى عن الاكراه اذا كانت الفتاة لا تريد التحصن ولا يتصور ان
يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه يتصور فيها وهي مريدة للزنا فهذا امر
في سادة وفتيات حالهن هذه والى هذا المعنى اشار ابن العربي فقال انما ذكر
الله تعالى ارادة التحصن من المرأة لان ذلك هو الذي يتصور الاكراه
فاما اذا كانت هي راغبة في الدنيا لم يتصور اكراه تحصله وذهب هذا الناظر
من كثير من المفسرين فقال بعضهم قوله ان اردن تحصنا راجع الى الايامى
قال الزجاج والحسين بن الفضل في الكلام تقديم وتأخير اي وانكحوا
الايامى والصالحين من عبادكم ان اردن تحصنا وقال بعضهم هذا الشرط
في قوله ان اردن ملتبي وبخوذلك مما يضعف والله الموفق قوله تعالى لتبتغوا
عرض الحياة الدنيا اي الذي تكتسبه الامة لمولاها والولد ليسترق
فيباع وقيل كانوا في الجاهلية يقتدي بها ولده من المرباة بها بابة منه لا بد فيها
الى سيدها قوله تعالى ومن يكرههن اي يجبرهن فان الله من بعد
اكراههن غفور لهن رحيم بهن وقرأ ابن مسعود وجابر بن عبد الله
وابن جبير لهن غفور بزيادة لهن وقد مضى الكلام في الاكراه في النحل والحمد
لله ثم مدد تعالى على المؤمنين نعمه فيما انزله اليهم من الايات المبينات
وفيما ضرب لهم من امثال الماضين من الاتم ليقع التحفظ مما وقع وليكف
فيه قوله تعالى الله نور السموات والارض الاية النور في كلام العرب
الامنوا المدرك بالبصر واستعمل مجازا فيما صح من المعاني ولاح فيقال

منه

منه كلام له نور ومنه الكتاب المنير ومنه قول الشاعر
سبحان من ظلمة الليل نور ومن ضياء الصباح عمود
والناس يقولون فلان نور البلد وشمسه العصر فقره قال فلك شمسه والملوك
كواكبه وقال اخر
هلا خصصت من البلاد بمقصدها غنا الغمايل خالد بن يزيد
وقال اخر
اذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها
ويجوز ان يقال لله تعالى نور منه جهة المدح اوجد الاشيا ونور جميع الاشيا منه
ابتداوها ومنه صدورها وهو سبحانه ليس منه الاضواء المدركة جل وتعالى
عما يقوله الظالمون علوا كبيرا وقد قاله هشام الجواليقي وطايفة معه المجسمة
هو نور لا كالانوار وجسم لا كالاجسام وهذا كله محال على الله تعالى عقلا
ونقلا على ما يعرف في موضعه من علم الكلام ثم اذا قولهم منتاقض فان قولهم
جسم او نور حكم عليه بحقيقة ذلك قولهم لا كالانوار ولا كالاجسام نفي لما اثبتوه
منه الجسمية والنور وذلك منتاقض وبحقيقة في علم الكلام والذي اوقعهم
في ذلك ظواهر اشبهوها هذه الاية وقوله عليه السلام اذا قام من الليل يتهجد
اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض وقاله عليه السلام وقد سئل هل
رايت ربك فقال رايته نورا اني غير ذلك من الاحاديث واختلف العلما
في تاويل هذه الاية فقيل المعنى ايه به وبقدرته انار بنيه اضواءها واستقامت
امورها وقامت مصنوعاتها فالكلام على التقريب للفهم كما يقال للملك
نور اهل البلد اي به قوام امرها وصلاح جملتها لجريان اموره على سنن السداد
فهو في الملك مجاز وهو في صفة الله حقيقة بحقيقة اذ هو الذي ابدع الموجودات
وخلق العلق نورها دي لانه ظهور الموجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور
المبصرات تبارك الله تعالى لاريب قاله معناه مجاهد والازهري وغيرهما
قاله ابن عرفة اي منور السموات والارض وكذا قاله الضحاك والقرظي
كما يقال فلان عباتنا اي معيننا وفلان رادينا اي مرودينا قاله جرير والله
لنا نور وغيث وعصمة وبيت لمن يرجو ملك وريف اي مدور قه وقال مجاهد
مدبر الامور في السموات والارض اي به كحب والحسن واي العالية
مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزينها الارض بالانبيا والعلما
والمومنين وقال ابن عباس واسمه المعنى الله هادي اهل السموات
والارض والاول اعم للمعاني واصح مع التامل قوله تعالى مثل نوره اي به
صفة دلايله التي يقذفها في قلب المومن والدلايل تسمى نورا وقد سمى الله
تعالى كتابه فقال وانزلنا اليكم نورا مبينا وسمى نبيه فقال لقد جاكم
من الله نور وكتاب مبين وهذا لان الكتاب يهدي ويبين وكذلك الرسول
ووجه الاضافة اليه الله تعالى انه مثبت الدلالة ومبينها وواضعها ويحتمل
الاية معنى اخر اسنده نبه مقابلة خبر من الضال بخبر من اهتدى به بل
وقع الشبه فيه جملة بجملة وذلك ان يزيد مثل نور الله للذي هو هدا ه
واتقانه صنعه كل مخلوق وبراهينه الساطعة على الجملة كهذه الجملة من
النور الذي تتخذونه انتم على هذه الصفة التي هي ابلغ صفاته النور الذي
بين ايديهم الناس فتلك نور الله في الوضوح كهذا الذي هو منتهاكم ايها البشر
والمشكاة الكوة في الحايط غير النافذة قاله ابن حبيب وجمهور المفسرين
وهي اجمع للضوء والمصباح فيها اكثر انارة منه في غيرها واصلها الوعا فجعل
فيها الشب والمشكاة وعا من ادم كالدلو يبرد فيها الماء وهو على وزن مفعله
كالمغراه والمصفاه قال الشاعر
كان عينيه مشكاتان في حجر قيضا اقتناما باطراف المسافير
وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وقال مجاهد هي القنديل
وقال هي زجاجة لانه جسم شفاف المصباح فيه انور منه في غيرها الزجاج
والمصباح الفتيل بناره كانها كوكب دري اي في الانارة والضوء وذلك

يحتمل معنيين اما ان يريد انها بالصباح كذلك واما ان يريد انها في نفسها
وجودة جوهرها لذلك وهذا التاويل الخ ابو حيان التعاون على النور قال الضحاك
الكوكب الدري الزهره قوله تعالى توقد من شجرة اي من زيت شجرة فحذف
المضاف والمباركة الخماه والزيتون من اعظم الثمار غناء والرمان كذلك والعيان
يقتضي ذلك وقوله ابي طالب يرثي مسافر بن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس
ليت شعري مسافر بن ابي عمرو وليت يقولها المحزون بورك الميت الغريب
كما بورك بيع الرمان والزيتون وقيل منه بركتهما انه انبت اصلها
الى اعلاها وقال ابن عباس في الزيتونة منافع يسرج بالزيت وهو ادام
ودهان ودباغ ووقود يوقد بحطبه وفتيله ولبسه فيه شبه الا وفيه منفعة
حتى الرماد يغسل به لا بربسم وهي اول شجرة نبتت في الدنيا واول
شجرة نبتت بعد الطوفان ونبت في منازل الانبياء والارض المقدسة ودعا
لها سبعون نبيا بالبركة منهم ابراهيم ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم فانه
قال اللهم بارك في الزيت والزيتون قاله مرتين قوله تعالى لا شرقية
ولا غربية اختلف العلماء في قوله لا شرقية ولا غربية فقال ابن عباس
وعكرمة وقتادة وغيرهم الشرقية التي يصيبها الشمس اذا اشرقت
ولا تغيبها اذا غربت لان لها سترا والغربية عكسها اي انها شجرة في صحراء
ومنكشفة من الارض لا يواريها عن الشمس شيء وهو اجود لزيتها فليست
خالصة للشرق فتسميه شرقية ولا للغرب فتسمى غربية وقال الطبري
عن ابن عباس انها شجرة في ذروة قد حاطب بها في غير منكشفة من جهة
الشرق ولا من جهة الغرب قاله ابن عطية وهذا قول لا يصح عن ابن
عباس لان الثمرة بهذه الصفة تفسد حباها وذلك مشاهد في الوجود وقال
الحسن ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله لنوره
ولو كانت في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية التعليق وقد افصح
القرآن بانها من شجر الدنيا لانها بدل من الشجرة فقال زيتونة وقال
ابن زيد انما هي شجر الشام فانه الشام لا شرقي ولا غربي وشجر الشام هي
افضل الشجر وهي الارض المباركة وشرقية نعت لزيتونة ولا ليست
تحوله ببنية النعت والمنعوتة ولا غربية عطف عليه قوله تعالى يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار مبالغة في حسنه وصفائه وجودته نور على نور اي
اجتمع في المشكاة ضوء المصباح الى ضوء الزجاجة والى ضوء الزيت فصار لذلك
نور على نور واعتقلت هذه الانوار في المشكاة فصارت كنور ما يكون فكذلك
براهين الله واضحة وهي برهان بعد برهان وتنبيه بعد تنبيه كارساله
الرسل وانزاله الكتب ومواعظ يتكرر فيها لمن له عقل مختبر ثم ذكر تعالى هداه
لنوره من يشاء واسعد منه عباده وذكر تفضله للعباد في ضرب الامثال
ليتضح لهم العبرة والنظر المودي الى الايمان وقراء عبد الله بن عباس بن
دينة وعبد الرحمن السلمي الله نور بفتح النون والواو المشددة
واختلف المتاولون في عود الضمير في نوره على من يعود فقال
كعب الاحبار وابن حبير هو عايد على محمد صلى الله عليه وسلم اي
مثل نور محمد قال ابن الانباري اي الله نور السموات والارض وقف
حسن ثم يبتدي مثل نوره كمشكاة فيها مصباح على معنى نور محمد صلى
الله عليه وسلم وقال ابي بن كعب وابن حبير ايضا والضحاك هو عايد
على المومنين وفي قراءة ابي مثل نور المومنين ورويي ان في قرائته مثل
نور المومن ورويي ان فيها مثل نور من امن به وقال الحسن هو
عايد على القرآن والايمان قال مكي وعلى هذه الاقوال يوقف على
قوله والارض قال ابن عطية وهذه الاقوال فيها عود الضمير على من
لم يجر له ذكر وفيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل فعل منه
قال الممثل به محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول كعب الخبر فرسول
الله صلى الله عليه وسلم هو المشكاة وصدره والمصباح هو النبوة وما

ينفصل بها من عمله وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة هي الوحي والملائكة
رسل الله اليه وسببه المتصل به والزيت هو الحج والبراهين والايات
التي تضمنها الوحي وممن قاله الممثل به المؤمن وهو قول ابي فالمشكاة
صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه وزيتها هو الحج والجملة
التي تضمنها قال ابي فهو على احسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي
في قبور الاموات وممن قاله ان الممثل به هو القرآن والايمان فتقدير
الكلام مثل نوره والذي هو الايمان في صدر المؤمن في قلبه كمشكاة ابي
لهذه الجملة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالاول لان المشكاة
ليست تقابل الايمان وقالت طائفة الضمير في نوره عائد على الله تعالى
وهذا قول ابن عباس فيما ذكر الثعلبي والماوردي والمهدوي وقد تقدم
معناه ولا يوقف على هذا القول علي والارض قالت المهدوي الها
الله عز وجل والتقدير الله هادي اهل السموات والارض مثل هداه
في قلوب المؤمنين كمشكاة ورويه ذلك عن ابن عباس وكذلك قال
زيد بن اسلم والحسن ان الها الله عز وجل ونحا ابي وابن مسعود
يقرءانها مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة قال محمد بن علي
الترمذي فاما غيرهما فلم يقرأها في التنزيل هكذا وقد وافقهما في
التاويل انذاك نوره في قلب المؤمن وتصديقه احري يقوله اخذ
بشرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واعتل الاول بان قالوا
لا يجوز ان تكون الها الله عز وجل لان الله تعالى لا حد لنوره واما
الكسائي فيما روي عنه ابو عمر والدوري لا لف من مشكاة وكسر
الكاف الى بعدها وقراء نصر بن عاصم زجاجة بفتح الزاي والزجاجة كذلك
وهي لغة وقراء ابن عامر وحفص عن عاصم دري بضم الدال وشد الياء
ولهذه القراءة وجهان اما ان ينسب الكوكب الى الدر لبيانه وصفائه
واما ان تكون احد درسموز فعيل منه الدر وهو الدفع وخففت الهمزة
ويقال للنجوم العظام التي لا تعرف اسماؤها الدراري بغير همز فلعلهم
خففوا الهمزة والاصل منه الدرائي هو الدفع وقراء حمزة وابو بكر عن
عاصم دري بالهمز والمد وهو فعيل منه الدرء بمعنى انها يدفع بعضها بعضا
وقراء الكسائي وابو عمرو دري بكسر الدال والهمز من الدرء والدفع مثل السكين
والبشع قال سيبويه ايدفع بعضه بعضا من لمعانه قال النحاس
ومنعف ابو عبيد قراءة ابي عمرو والكسائي تضعيفا شديدا لانه تاول لها من
دراني اي يدفع فجعلت اي كوكب يجري منه الا فق اي الا فق واذا كان التاويل
عليهما تاوله لم تكن في الكلام فائدة والا كان لهذا الكوكب فوقية على اكبر
الكواكب الا ترى انه لا يقال جاءني انسان منه بني ادم ولا ينبغي ان يتاول
لمثل ابي عمرو والكسائي مثل علمهما وجلالتهما هذا التاويل البعيد ولكن
التاويل لها عليه ما روي عن محمد بن يزيد ان معناها في ذلك كوكب مندفع
بالنور كما يقال انذر الحريف اي اندفع وهذا تاويل صحيح لهذه القراءة وحكى
سعيد بن مسعدة انه يقال درا الكوكب واذا امتد ضوءه وعلا وقال
الجوهري في الصحاح ودراء عليها فلان يدرو دورا اي اطلع مفاجاة ومشكوكب
دري على فعيل مثل سكير وخمير للشدة توقده وتلالؤه وقد دراء الكوكب
دروا قال ابو عمرو بن العلا سالت رجلا من سعيد بن بكير من اهل ذات عرق
فقلت هذا الكوكب الضخم ما تسمونه فقاله الدري وكان من افصح الناس
قال النحاس فاما قراءة حمزة فاهل اللغة جميعا قالوا هي لحن لا يجوز
لانه ليس في كلام العرب اسم على فعيل وقد اعترض ابو عبيد في هذا فاحتج
لحمزة فقال ليس هو فعيل وانما هو فعول مثل سبوح انبدله من الواو يا
كما قالوا عتي قال ابو جعفر النحاس وهذا الاعتراض والاحتجاج من
اعظم الغلط واشده لانه هذا لا يجوز البته ولو جاز ما قال لقيل في سبوح
سيح وهذا لا يقوله احد وليس عتي من هذا والفرق بينهما واضح بين لانه

ليبنه عملوا همزتان احديهما حشو بين عاتين اما ان يكون جمع عاة فيكون البدل فيه لازما لان
الجمع بابه تصحيح الواو ولا تكون طرفا لان الاسماء قبلها ضمة فلما كان مثل هذه ساكنة
وقبل الساكن ضمة والساكن ليس بحاجز حصين ابدله من الضمة كسرة فقلبت الواو
ياء وان كان عينا واحدا كان بالواو اولى فصار قبلها لانها طرف والواو وفي قول
ليست ظرفا فلا يجوز قلبها قال الجوهري قال ابو عبيد ان همزت الدال
قلت درية يكون منسوبا اليه الدرعلى فعلية ولم تهمز لانه ليس في كلام العرب
فعيل ومن همزه منه الغلاء فانما اراد فعول مثل سبوح فاستثقل فرد بعضه
اليه الكسر وحكى الاخفش عن بعضهم درية من دراته وهمزها وجعلها على فعيل
مفتوحة الاول قال وذلك من تلالوه قال الثعلبي وقراء سعيد بن
المسيب وابو رجاء درية بفتح الدال مهموزا قال ابو حاتم هذا خطا لانه ليس في
الكلام فعيل فان صح عنهما فلها حجة توقد قراءة شيبة ونافع وابو جعفر وسلام
وابن عامر واهل الشام وحفص يوقد بياء مضمومة وتخفيف القاف وضم الدال
وقراء الحسن والسلمي وابو جعفر وابو عمرو بن العلا البصري توقد مفتوحة
الحروف كلها مشددة القاف واختارها ابو حاتم وابو عبيد قال النحاس
وهاتان القراءتان متقاربتان لانهما جميعا المصباح وهو اشبه بهذا الوصف لانه الذي
ينير ويضيء وانما الزجاجة وعاله وتوقد فعل ماض من توقد يتوقد وتوقد
فعل مستقبل منه اوقد يوقد وقراءة نصر بن عاصم توقد والاصل عليه قراءته
تتوقد حذف احدى التاءين لان الاخرى تدل عليها وقراءة الكوفيون يوقد
بالياء يعنون الزجاجة فهاتان القراءتان عليهما ناسب الزجاجة من شجرة مباركة
زيتونة لا شرقية ولا غربية تقدم القول فيها يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار نور على نور على ناسب الضياء وزعما ابو عبيد انه لا يعرف الا هذه
القراءة وحكى ابو حاتم انها لسعيد بن جبير عن ابن مالك عن ابن عباس
انه قرأ ولو لم يمسسه نار بالياء قال محمد بن يزيد التذكير على انه تانيث
غير حقيقي وكذا سبيل المؤنث عنده قال ابن عمر المشكاة جوف محمد
عليه السلام والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في قلبه يوقد
من شجرة مباركة ابي ان اصله من ابراهيم وهو شجرته فاوقد الله في قلب
محمد عليه السلام النور كما جعله في قلب ابراهيم عليه السلام وقال محمد
ابن كعب المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد صلوات الله
عليهم اجمعين سماه الله نورا مصباحا كما سماه سراجا فقال وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهي ادم عليه السلام
بورك في نسله وكثر منه الانبياء والاولياء وقيل هي ابراهيم سماه مباركا لان
اكثر الانبياء كانوا من صلبه لا شرقية ولا غربية اي لم يكن يهوديا ولا نصرانيا
وانما كان حنيفا مسلما وانما قال ذلك لان اليهود قبلتهم الغرب والنصارى
قبلتهم المشرق يكاد زيتها يضيء اي يكاد مجلس محمد عليه السلام يظهر
للناس قبل ان يوحى اليه نور على نور ذريته من نسله نبي وقال
الضحاك شبه عبد المطلب بالمشكاة وعبد الله بالزجاجة والنبي صلى الله
عليه وسلم بالمصباح كان في قلبهما نور النبوة من ابراهيم من شجرة ابي
شجرة التقى والرضوان وعشيرة الهدى والايمان شجرة اصلها نبوة
وفرعها مروة واغصانها تنزيل وورقها تاويل وحديثها جبريل وميكايل
قال القاضي ابو بكر ابن العربي ومنه غريب الامرات بعض الفتها
قال ان هذا مثل ضربه الله تعالى لابراهيم ومحمد ولعبد المطلب
وابنه عبد الله فالمشكاة هي الكوة بلغة الحبشة فشبه عبد المطلب
بالمشكاة فيها القنديل وهو الزجاجة وشبه عبد الله بالقنديل وهو
الزجاجة ومحمد كالمصباح يعني منه اصلابهما وكانه كوكب درري وهو
المسرج توقد من شجرة مباركة يعني ارث النبوة من ابراهيم عليه
السلام هو الشجرة المباركة يعني حنيفية لا شرقية ولا غربية لا يهودية
ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يقول يكاد ابراهيم يتكلم

بالوحي

بالوحي ثم قبل ان يوحى اليه نور على نور ابراهيم ثم محمد صلى الله عليه وسلم
قاله القاضي وهذا كله عدول عن الظاهر وليس بممتنع في التمثيل ان ينوع
المرء فيه قلت وكذلك جميع الاقوال لعدم ارتباطها بالاية ما عدى هذا القول
الاول وان هذا مثل ضربه الله لنوره ولا يمكن ان يضرب لنوره العظيم مثلا
تنتهي الخلقة الا ببعض خلقه لان الخلق لقصورهم عن بهموت / لا بانفسهم
ومن انفسهم ولولا ذلك ما عرف الله / لا الله وحده قال ابن العربي
قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المومن كما يكاد
الزيت الصافي يضيء قبل ان يمسه النار فان مسته النار زاد ضوءه كذلك
قلب المومن يكاد يعمل بالهدى قبل ان يأتيه العلم زاد هدى على هدى
ونورا على نور كذلك ابراهيم من قبل ان يجيئه المعرفة هذا ذهب من قبل
ان يخبره احد انه ربا فلما اخبره الله انه ربه زاد هدى فقال له ربه اسلم
قال اسلمت لرب العالمين ومن قال ان هذا مثل القرآن في قلب المومن
قال كما ان هذا المصباح يستضاء به ولا ينقص كذلك القرآن يهتدي به ولا
ينقص فالمصباح القرآن والزجاجة قلب المومن والمشكاة لسانه وفيه
والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد
حجج القرآن تتضح ولو لم يقرأ نور على نور يعني ان القرآن نور من الله تعالى
لخلقه مع ما قام لهم من الدلايل والاعلام قبل نزول القرآن فازداد والحمد لله
نورا على نور ثم اخبر ان هذا النور المذكور عزيز وانه لا ينال الا من اراد
الله هداه فقال يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس
ايمي يبين الاشياء تقريبا الى الافهام والله بكل شيء عليم اعلم بالمهتدي والضال
وروي عن ابن عباس انه اليهود قالوا يا محمد كيف يخلص نور الله تعالى من
دون السماء فضرب الله تعالى ذلك مثلا لنوره قوله تعالى في بيوت اذن
الله ان ترفع الى قوله وايتاء الزكاة فيه تسع عشرة مسئلة / الاولى في قوله
تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع الى قوله في بيوت نقم ونكسر وقد تقدم
واختلف في الظرف من قوله في فقيل هو متعلق بمصباح وقيل بيسبح
له فعليه هذا التاويل يوقف على عليم قاله ابن / الانباري وروي سمعت ابا
العباس يقول هو حال للمصباح والزجاجة والكوكب كانه قال وهي في
بيوت وقال الترمذي الحكيم محمد بن علي في بيوت منفصل كانه يقول
الله في بيوت اذن الله ان ترفع وبذلك جاءت الاخبار انه من جلس في
المسجد فانما يجالس ربه وكذا ما جاء في الخبر فيما يحكي عن النور ربه
ان المومن اذا مشى الى المسجد قال الله تبارك اسمه عبدي زارني وعلي
قراه ولن ارضى له قرى دون الجنة قال ابن / الانباري ان جعلت في
متعلقة بيسبح او رافعة للرجال حسن الوقف على قوله والله بكل شيء
عليم وقال الرماني يتوقد وعليه فلا يوقف عليه عليم وقيل في
الوجه اذا كان البيوت متعلقة بتوقد في تقييد المصباح والمشكاة وجميع
البيوت ولا يكون مشكاة واحدة / الا في بيت واحد قيل هذا من الخطاب
الممتزج الذي يفتتح بالتوحيد ويختم بالجمع كقوله تعالى يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء ونحوه وقيل رجع الى كل واحد من البيوت وقيل هو
كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا والمراد هو في واحد منها واختلف
الناس في البيوت هنا على خمسة اقوال / الاول انها المساجد المخصوصة
لله تعالى بالعبادة وانها تضيء لاهل السماء كما تضيء الكواكب لاهل الارض
قاله ابن عباس ومجاهد والحسن الثاني هي بيوت الانبياء المقدس
عن الحسن ايضا الثالث بيوت النبي صلى الله عليه وسلم عن مجاهد
ايضا الرابع هي البيوت كلها قاله عكرمة وقوله يسبح له فيها لغدو والآصال
يقوي انها المساجد وقول خامس انها المساجد الاربعة التي لم يبنها / الا
نبي الكعبة وبيت اريحا ومسجد المدينة ومسجد قبا قاله ابن بريدة وقد
تقدم ذلك في براءة قلت / الاشهر القول / الاول لما رواه انس بن مالك

عن رسوله الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الله عز وجل فليحببه ومن احبني
فليحب اصحابي ومن احب اصحابي فليحب القرآن ومن احب القرآن فليحب
المساجد فانها افنية الله اشهد الله اذن الله في رفعها وبارك فيها ميمونة ميمون
اهلها محفوظة محفوظ اهلها في صلاة تهم والله عز وجل في حوائجهم هم في
مساجدهم والله من ورائهم قوله تعالى اذن الله ان ترفع اذن معناه قاله
وقضى وحقيقة الاذن العلم والتمكين دون حظر فان اقترن به لك امر وانقاد
كان اقوى وربما رفع قيل معناه يبنى ويعلى قاله مجاهد وعكرمة ومنه قوله
تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال صلى الله عليه وسلم
من بنى مسجدا من ماله بنى الله له بيتا في الجنة وفي هذا المعنى احاديث
كثيرة تحض عليه ببناء المساجد وقال الحسن البصري وغيره معنى
ترفع تعظم وترفع شانها وتطهر من الانجاس والاقذار ففي الحديث ان
المسجد لينزوي من النجاسة كما ينزوي الجلد من النار وروى ابن ماجه
في سننه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اخرج اذى من المسجد بنى الله له بيتا في الجنة وروى عن
عائشة قالت امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتخذ المساجد
في الدور وان نطهرها ونطيبها الثالثة اذا قلنا انما المراد بنيانها فهل تزيينه
وتنقيشه اختلف في ذلك فكرهه قوم واباحه اخرون وروى حماد بن
سلمة عن ابوب عن ابي قلابة عن انس وقتادة عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في
بناء المساجد اخرجه ابو داود وفي البخاري وقال انس يبنون بها هون بها
ثم لا يعمرونها الا قليلا فقال ابن عباس لتزخرفنها كما زخرفت اليهود
والنصارى روى الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوادر الاصول من حديث
ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم
وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم احتج من اباح ذلك بانه فيه تعظيم المساجد
والله امر بتعظيمها في قوله في بيوت اذن الله ان ترفع يعني تعظم وروى
عن عثمان انه بنى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالساج وحسنه
قال ابو حنيفة لا باس بتقشيف المساجد بماء الذهب وروى عن عمر بن
عبد العزيز انه نقش مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وبالغ في عمارته
وتزيينه وذلك في زمانه ولا ينكر فقد خلافته ولم ينكر عليه احد ذلك وذكر
ان الوليد بن عبد الملك انفق في عمارة مسجد دمشق وفي تزيينه مثل
خراج الشام ثلاث سنين وروى ان سليمان بن داود عليهما السلام بنى
مسجد بيت المقدس وبالغ في تزيينه الرابعة ومما يصان عنه المساجد
وتنزه عنه الروائح الكريهة والاقوال السيئة وغير ذلك على ما بينه
من ذلك من تعظيمها وقد صح من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاله في غزوة تبوك من اكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا ياتين
المساجد وفي حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من اكل من هذه البقلة الثوم وقال مرة من اكل من البصل والثوم والكراث
فلا يقربن مسجدنا فانه الملائكة تتاذى مما يتاذى منه بنو ادم وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خطبته ثم انكم ايها الناس تاكلون من
شجرتين لا اراهما الا خبيثتين هذا البصل والثوم لقد رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا وجد ريحهما من الرجل في المسجد امر به فاخرج الى البقيع
فمن اكلهما فليمتهما طبخا خرجها مسلم في صحيحه قال العلماء واذا طابت
العلة في اخراجه من المسجد انه يتاذى به ففي القياس ان كل من تاذى به
من انه في المسجد بان يكون ريحه او الم سماعها عليهم او كان رائحة قبيحة لا
لرعمه لسوء صناعته او عاهة موذية كالجذام وشبهه وكل ما يتاذى به الناس
كان لهم اخراجه ما دامت العلة موجودة فيه حتى تزول وكذلك يجتنب مجتمع
الناس حيث كانت الصلاة او غيرها لمجالس العلم والذكر وما اشبهها من اكل الثوم

وما

وما في معناه مما له رائحة كريهة توذي الناس ولذلك جمع بينه البصل والثوم والكراث
واختلف ذلك مما يباح به فقال ابو عمر بن عبد البر وقد شاهدت شيخنا ابا عمر احمد
ابن عبد الملك ابن هشام رحمه الله افتى في رجل سكاه جيرانه والتقوا عليه
انه يوذيهم في المسجد بلسانه ويده بشر ورفيه فافتى باخراجه من المسجد وابعاده
عنه وانه لا يبتناهد معهم الصلاة اذ لا سبيل مع حبولته واستطالته الى السلامة
منه فذكرته يوما امره وطالبته بالدليل فيما افتى به من ذلك وراجعته فيه القول
فاستدل بحديث الثوم وقاله هو عندي به التوذي منه اكل الثوم وصاحبه يمنع منه
شهود الجماعة في المسجد قلت وفي الاثار المرسلة ان الرجل ليكذب الكذبة فيباعد
عنه الملك منه ثلثة ارياح فعليه هذا يخرج منه عرف منه الكذب والتنول بالباطل
فان ذلك يوذي الخامسة اكثر العلماء على ان المساجد كلها سواء لحديث ابن عمر وقال
بعضهم انما خرج النبي على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجل جبريل
ونزوله فيه ولقوله في حديث جابر فلا يقربن مسجدنا والاول اصح لانه ذكر الصفة في
الحكم وهي المسجدية وذكر الصفة في الحكم تعليله وقد روي التعليل باسناده عن انس
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يا بني ان يوم القيامة بمساجد الدنيا كانها خيابر بيض
قوايمها من العنبر واعنانها من الزعفران ورؤسها من المسك وازهرتها من
الزبرجد الاخضر وقوامها والموذنون فيها يقودونها وايمتها يسوقونها وعمارها متعلقون
بها فتجوز عرصات القيامة كالبرق الخاطف فيقول اهل الموقف هؤلاء ملايكة مقربون
وانبيا مرسلون فينادي بهم ما هؤلاء بملايكة مقربون ولا انبياء ولكنهم اهل المساجد
والمحافظون على الصلوات من امة صلى الله عليه وسلم وفي التنزيل انما يعمر مساجد
الله من امن بالله وهذا عام في كل مسجد وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل
يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ان الله تعالى يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله
واليوم الاخر وقد تقدم السادسة ونهاه المساجد ايضا عن البيع والشرا وجميع الاشغال
لقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي نشد ضالة الجمل الاحمر لا وجدت انما بنيت المساجد
لما بنيت له اخرجه مسلم من حديث سليمان بن بريده عن ابيه ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما صلى قام رجل فقال من دعا الى الجمل الاحمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا وجدت انما بنيت المساجد لما بنيت له وهذا يدل عليه ان الاصل انه لا يعمل في المساجد
غير الصلوات والاذكار وقراءة القرآن فكذا ما تسبب منه حيث انه قال بينما
كنت في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جا اعرابي فقام يبول في المسجد
فقال اصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم مه مه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه
فقال له ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر انما هي لذكر الله والصلاة
وقراءة القرآن او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر رجلا من القوم فجا بدلو
من ما فشنه عليه خرجه مسلم ومما يدل عليه هذا منه الكتاب قوله الحق وبذكر فيها اسمه
وقوله صلى الله عليه وسلم لمعاوية بن الحكم السلمي ان هذه المساجد لا يصلح فيها
شيء من كلام الناس انما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن او كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله خرجه مسلم في صحيحه ومسلك وسمع عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه صوت رجل في المسجد فقال ما هذا الصوت اتدري اين
انت فكان خلفه بن ايوب جالسا في مسجده فاتاه غلامه يساله عن شيء فقام وخرج
من المسجد واجابه فقيل له في ذلك فقال ما تكلمت في المسجد بكلام منذ كذا وكذا فكرهت
ان اتكلم اليوم الساعة روينا التزهيد فيه من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نهى عن تناشد الاشعار في
المسجد وعن البيع والشراء فيه وان يتخلف الناس يوم الجمعة قبل الصلاة قال
وفي الباب عن بريده وجابر وانس حديث عبد الله بن عمرو حديث حسن قال محمد
ابن اسماعيل ارا بنه محمد واسحاق وذكر غيرهما يحتجون بحديث عمرو بن شعيب
وقد كره قوم من اهل العلم البيع والشرا في المسجد وبه يقول احمد واسحاق وروينا
ان عيسى بن مريم عليهما السلام اتى على قوم ينشدون في المساجد فجعل رداه
محرابا ثم جعل يسبح عليهم ضربا ويقول لعمرا ابنا الا فاعملوا لتخذتم مساجد الله اسواقا

هذا سوق الاجرة قلت وقد كره بعض اصحابنا تعليم الصبيان في المساجد وراجع الله من
باب البيع وهذا اذا كان باجرة فلو كان بغير اجرة لمنع ايضا من وجه اخر وهو ان
الصبيان لا يتحرزون من الاقذار والوسخ بسرعة فذلك ابي عدم تنظيف المساجد وقد
امر صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطييبها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم
وسل سيوفكم واقامة حدودكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم واجمروها في الجمع
واجعلوا على ابوابها المطاهر في اسناده ابن لهيعة كثير الدمشقي مولى بني امية
وهو ضعيف عندهم ذكره ابو احمد بن عدي الجرجاني الحافظ وذكر ابو احمد ايضا
من حديث علي بن ابي طالب قال صليت العصر مع عثمان امير المومنين فراى
خباطا في ناحية المسجد فامر باخراجه فقيل له يا امير المومنين انه يكنس المسجد
ويغلق الابواب ويوشه احيانا فقال عثمان اني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول جنبوا صبيانكم منه مساجدكم غير محفوظ في اسناده محمد بن حميد الشعبي
وهو ذاهب الحديث قلت وما ورد في هذا المعنى وان كان طريقه لينا فهو صحيح
معنى بدل عليه صحة ما ذكرناه قبل قال الترمذي وقد روي عن بعض اهل العلم من
التابعين رخصة في البيع والشراء في المسجد وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم في غير حديث رخصة في انشاد الشعر في المساجد قلت اما انشاد الاشعار
فاختلفت في ذلك فمن مانع مطلقا ومنه مجيز مطلقا والاولى التفصيل وهو ان
ينظر الى الشعر فان كان فيما يقتضي الثناء على الله جل وعز وعلى رسوله صلى
الله عليه وسلم او الذب عنهما كحسان او نحوه او الحض على الخير والوعظ
والزهد في الدنيا والتنفير منها فهو حسن في المساجد وغيرها كقول الغائل

* طرقي بانفسه لما فقد فردا صمدا * وذر بمي لست ابغي غيره فيها احدا *
* فهو اشهى وجليسي ودمعي الناس مذ انه يجدي من دونه ملتحدا *

وما لم يكن كذلك لم يجز لان الشعر في الغالب لا يخلو عن الفواحش والكذب والتزين بالباطل
ولو سلم من ذلك فاقل ما فيه اللغو والهذر والمساجد منزهة عن ذلك لقوله في بيوت
اذن الله ان ترفع وقد يجوز انشاده في المسجد كقول الغائل

* كفعل الضاب الفرد يضربه الدهيم في متنه وخدرا * وقول
الاخر * اذا سقط السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا *

فهذا النوع وان لم يكن فيه حمد ولا ثناء يجوز لانه خال عن الفواحش والكذب وسيأتي
ذكر الاشعار الجايزة وغيرها مما فيه كفاية في الشعر ان شاء الله وقد روي
الدارقطني من حديث هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها قالت
ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر فقال هو كلام حسنه حسن وقبيحه
قبيح وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص وابي هريرة وابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره في السنن قلت واصحاب الشافعي يأثرون
هذا الكلام عن الشافعي وانه لم يتكلم به غيره وكلهم لم يفتوا على الاحاديث في ذلك
والله اعلم الثامنة واما رفع الصوت فان كان مما يقتضي مصلحة للرافع صوته دعا عليه
بتقبيض فقد روي عن بريدة المتقدم وحديث ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سمع رجلا ينشد ضالة فليقل لا ردها الله عليك فان المساجد لم
تبن لهذا وليهذا ذهب مالك وجماعة حتى كرهوا رفع الصوت في المسجد في العلم
وغيره واجاز ابو حنيفة واصحابه ومحمد بن مسلمة من اصحابنا رفع الصوت فيه
في المضمومة والعلم قالوا لانهم لا بد لهم من ذلك وهذا مخالف لظاهر الحديث وقولهم
لا بد لهم من ذلك ممنوع بل لهم بد من ذلك بوجهين احدهما بملازمة الوقار والحرمة
وباحضار ذلك بالبال والتحرز من تقبيضه والثاني انه اذا لم يتمكن من ذلك فليتخذ
لذلك موضعا يخصه كما فعل عمر حيث بنى رحبة تسمى البطيحا وقال من اراد
ان يلغط او ينشد شعرا يخرج في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليخرج الى
هذه الرحبة وهذا يدل على ان عمر كان يكره انشاد الشعر في المسجد ولذلك
البطيحا خارجه التاسعة واما النوم في المسجد لمن احتاج الى ذلك من رجل او
امراة كالغربا ومن لا بيت له فجايز لان في البخاري وقال ابو قلابة عن انس
قدم رهط عكل على النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا في الصفة وقال عبد الرحمن بن

ابي بكر كانه اصحابه الصفة فقرا وفي الصحيحين عن ابن عمر انه كان ينام وهو شاب اعزب لا اهل له في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وترجم ما جاء في نوم المرأة في المسجد وادخل حديث عائشة في قصة السوداء التي اعتقها اهلها بالوشاح قالت عائشة فكانت لها خباء في المسجد وحسن الحديث وبقال كانه مبيت عطاء ابن ابي رباح في المسجد ربعيب سنة العاشرة وروى مسلم عن ابي حميد او عن ابي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم اني اسئلك من فضلك خرجه ابو داود وزاد الا انه زاد بعد قوله اذا دخل احدكم فليسلم وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم افتح الحديث وروى ابن ماجه عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وفضلك وروى عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني منه الشيطان الرجيم وخرج ابو داود عن حيوة ابن شريح قال لقيت عقبة بن مسلم فقلت له بلغني انك حدثت عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال نعم قال فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني سائر اليوم الحاديث وروى مسلم عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وعنه قال دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بين ظهراني الناس قال فجلست فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تركع ركعتين قبل ان تجلس فقلت يا رسول الله رايتك جالسا والناس جلوس قال فاذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين قال العلما فجعل صلى الله عليه وسلم للمسجد مزية يتميز بها عن سائر البيوت وهو ان لا يجلس حتى يركع وعامة العلما على ان الامر بالركوع عليه الندب وقد ذهب داود واصحابه الى ان ذلك عليه الوجوب وهذا باطل ولو كان الامر عليه ما قالوه لحرم دخول المسجد على المحدث الحدث الاصغر حتى يتوضا ولا قايل به فيما علم والله اعلم فان قيل فقد روى ابراهيم بن يزيد عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين فاذا دخل احدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فانه الله جاعل من ركعتيه في بيته خيرا وهذا يقتضي التسوية بين المسجد والبيت قيل له هذه الزيادة في الركوع عند دخوله البيت لا اصل لها قاله ذلك البخاري وانما يصح في هذا حديث ابي قتادة المذكور تقدم لمسلم وابراهيم هذا لا علم روى عنه الا سعد بن عبد الحميد ولا اعلم له الا هذا الحديث الواحد قاله ابو محمد عبد الحق الثالثة عشرة روى سعيد بن زيان حدثني ابي عن ابيه عن جده عن ابيه هند رضي الله عنه قال حمل تميم بن اوس الداري من الشام الى المدينة قناديل وزيتا ومقطا فلما انتهى الى المدينة وافق ذلك ليلة الجمعة فامر غلاما يقال له ابو البراد فقام فنشط المقط وعلق القناديل وصب فيها الماء والزيت وجعل فيها الفتل فلما غربت الشمس امر ابا البراد فاسرجها وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا هو بها تزهر فقال من فعل هذا قالوا تميم الداري يا رسول الله فقال نورت الاسلام نور الله عليك في الدنيا والاخرة اما انه لو كانت لي ابنة لزوجتكها قال نوفل ابن الحارث لي ابنة يا رسول الله سميها الخيرة بنت نوفل فاخطب فيها ما اردت فاتاها اياها ربان بفتح الزاي والباء وتشديد الياء بنقطة واحدة من تحتها سمي به سعيد وحده فهو ابو عثمان سعيد بن زيان بن فايد بن ربان بن ربيعة هند هذا مولى بني سامة حجام النبي صلى الله عليه وسلم والمقط جمع المقاط وهو الحبل فكانه مقلوب القماط والله اعلم وروى ابن ماجه عن سعيد الخدري قال اول من سرج في المساجد تميم الداري وروى عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة العرش يصلون عليه ويستغفرون له ما
دام ذلك الضوء فيه وان كنس عمار المساجد سعد الحور العين قال العلما ويستحب ان
ينور البيت بقراءة فيه القرآن بتعليق القناديل ونصب الشموع فيه وينبغي شهر
رمضان في انوار المساجد الثالثة عشره قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال
رجاله اختلف العلما في وصف الله تعالى المسبحين فقيل لهم المراد بنو امر الله الطائفة
رضاه الذين لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شيء من امور الدنيا وقال كثير
من الصحابة نزلت في هذه الآية في اهل الاسواق اذا سمعوا النداء بالصلاة
تركوا كل شغل وبادروا وفي ابي سالم بن عبد الله اهل الاسواق وهم مقبلون
الى الصلاة فقال هؤلاء الذين اراد الله بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
وروي ذلك عن ابن مسعود وقراء عبد الله بن عامر وعاصم في رواية ابي بكر
عنه والحسن يسبح له بفتح الباء على ما لم يسم فاعله وكان نافع وابو عمرو وحمزة
يقرؤن يسبح بكسر الباء وكذلك روي ابو عمرو عن عاصم فمن قرأ يسبح بفتح
الباء كان له على معنيين احدهما ان يرتفع رجال بفعل مضمر دل عليه الظاهر المعنى
يسبحه رجال فيوقف عليه هنا على الآصال وقد ذكر سيبويه مثل هذا واستشهد
لبيك يزيد ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح المعنى يلبيك يزيد ضارع
هذا يقول مذهب زيد عمرو وعلى معنى مذ يزيد عمرو والوجه الآخر ان يرتفع
رجال بالابتداء والخبر في بيوت اي في بيوت اذن الله ان ترفع رجال ويسبح فيها
حال من الضمير في ترفع كانه قال ان ترفع له مسبحا له فيها ولا يوقف على الآصال على هذا
التقدير ومن قرأ يسبح بكسر الباء يقف على الآصال لانه يسبح فعل للرجال والفعل
مضطر اليه فاعلوا اهما رفيه وقد تقدم القول في الغدو والآصال في اخر الاعراف
والحمد لله الرابعة عشره قوله تعالى يسبح له فيها قيل معناه يصلي وقال ابن عباس كل تسبيح
في القرآن صلاة ويدل عليه قوله بالغدو والآصال اي بالغداة والعشي وقال اكثر
المفسرين اراد الصلاة المفروضة فالغدو صلاة الصبح والآصال صلاة الظهر والعصر
والعشايا لان اسم الآصال يجمعها الخامسة عشره روي ابو داود عن ابي
امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته متطهرا الى صلاة
مكتوبة فاجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا اياه
فاجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة كتاب عليين وخرج عن بريدة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم
القيامة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا
الى المسجد او راح اعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا او راح في غير الصحيح من الزيادة
كما ان احدكم لو زار من يحب لزاره لاحتشد في كرامته ذكره الثعلبي وخرج مسلم من
حديث ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من تطهر في بيته ثم مشى الى
بيت من بيوت الله ليقضي من فرايض الله كانت خطوتاه احداهما تحط خطيئة
والاخرى ترفعه درجة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في
جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا وعشرين درجة وذلك ان
احدهم اذا توضا فاحسن الوضوء ثم خرج الى المسجد لا ينهزه الا الصلاة لا يريد الا
الصلاة فلم يخط خطوة الا رفع له بها درجة وحطت عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فاذا
دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملايكة يصلون على احدكم
ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم
يؤد فيه ما لم يحدث فيه في رواية ما لم يحدث قال يفسو او يضرط وقال حكيم بن
زريق قيل لسعيد بن المسيب احضرت الجنازة احب اليك ام الجلوس في
المسجد فقال ما صلي عليه جنازة فله قيراط ومن شهد دفنها فله قيراطان والجلوس
في المسجد احب الي لان الملايكة تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه اللهم تب عليه
وروي عن الحكم بن عمير ما حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا في الدنيا اضيافا واتخذوا المساجد بيوتا
وعودوا قلوبكم الرقة واكثروا التفكر والبكا ولا تختلفن بكم الاهوا تنبتوا مالا
تسكنون وتجمعوا مالا تاكلون وتاملوا ما لا تدركون وقال ابو الدرداء لان

ليكن المسجد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انا المساجد بيوت المتقين
ومنه كانت المساجد بيته ضمن الله تعالى له بالروح والراحة والجواز على الصراط وكتب
ابو صادق الاردبيلي شعيبه الحجاب ان عليك بالمساجد فالزمها فانه بلغني انها كانت
مجالس الانبيا وقال ابو اديب الحولاني المساجد مجالس الكرام من الناس وقال مالك بن دينار
بلغني ان الله تبارك وتعالى يقول اني انظر الى عمار المساجد وجلسا
الى القرآن وولد لا يعصيني فيسكن غضبي وروي عنه عليه السلام انه قال سيكون
في اخر الزمان رجال يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبها
فلا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال ابن المسيب من جلس في مسجد فانما
يجالس ربه فحقه ان يقول الا خير وقد مضى من تعظيم المساجد وحرمتها ما فيه
كفاية وقد جمع بعضهم العلما فيذلك خمس عشرة خصلة فقال من حرمة المسجد ان
تسلم وقت الدخول ان كان القوم جلوسا وان لم يكن في المجلس احد قال السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وان يركع ركعتين قبل ان يجلس وان لا يشتري
فيه ولا يبيع ولا يسل فيه سيفا ولا سهما ولا يطلب فيه ضالة ولا يرفع فيه صوتا
بغير ذكر الله ولا يتكلم فيه باحاديث الدنيا ولا يتخطى ارقاب الناس ولا ينازع
في المكان ولا يضيق على احد في الصف ولا يمر بين يدي مصل ولا يبصق ولا
يتنخم ولا يقرقع اصابعه ويعيب لشيء من جسده وان ينزه عن النجاسات
والصبيان والمجانين واقامة الحدود وان يكثر ذكر الله ولا يعقل عنه فاذا
فعل هذه الخصال فقد ادى حق المسجد وكان المسجد جواله وخصما من
الشيطان الرجيم وفي الخبر ان مسجدا ارتفع باهله الى السماء يشكوهم الى الله لما
يتحدثون فيه من احاديث الدنيا وروى الدارقطني عن عامر الشعبي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة ان يرى الهلال قبلا فقال
للبيتين وان تتخذ المساجد طرقا وان يظهر موت الفجاه هذا بروية عبد الكبير
ابن المغاني عن شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي عنه انس وغيره
وبه عنه الشعبي مرسلا والله اعلم وقال ابو حاتم عبد الكبير من معافا ثقة كان
بعد منه الابدال وفي البخاري عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
مر في شيء من مساجد او اسواقنا قليا خذ بنصالها لا يعقر بكفه مسلما وخرج
مسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البزاق في المسجد خطيئة
وكفارتها دفنها وعنه ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي اعمال امتي
حسنها وسيئها فوجدت في محاسن اعمالها الاذى يماط عن الطريق ووجدت
في مساوي اعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن وخرج ابو داود عن
العرج بن فضالة عن ابي سعيد الخدري قال رايت وايلة بن الاسقع في مسجد
دمشق بصق عليه الحصير ثم مسحه برجله فقيل له لم فعلت هذا قال لاني رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينعله فرج بن فضله ضعيف وايضا فلم تكن في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حصر والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما بصق على الارض وذلك بنعله اليسرى وفعل واثلة انما اراد هذا فحمل الحصر
عليه السادسة عشرة لما قال تعالى رجال فخصهم بالذكر دل على ان النساء لا حظ لهن
في المساجد اذ لا جمعة عليهن ولا جماعة وان صلاتهن في بيوتهن افضل وروى
ابو داود عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة المرأة في بيتها
افضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها السابعة عشرة
قوله تعالى لا تلهيهم اي تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله خص التجارة بالذكر لانها
اعظم ما يشتغل بها الانسان عن الصلاة فان قيل فلم كرر ذكر البيع والتجارة
تشمل قيل له اراد بالتجارة الشرا لقوله ولا بيع نظير قوله تعالى واذا راوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها قاله الواقدي وقال الكلبي التجار هم الجلاب المسافرون
والباعة هم المقيمون عن ذكر الله اختلف في تاويله فقال عطاء يعني حضور
الصلاة وقاله ابن عباس وقال المكتوبة وقيل عن الاذان ذكره يحيى بن
سلام وقيل عن ذكره باسمائه الحسنى اي يوحدونه ويمجدونه والاية نزلت في اهل
الاسواق قاله ابن عمر فقال سالم جار عبد الله بن عمر بالسوق وقد اغلقوا حوانيتهم

وقاموا ليصلوا في جماعة فقال فيهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة الاية قال ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم هم الذين يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقيل ان
رجلين كانا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم احدهما بياعا فاذا سمع النداء بالصلاة فان
كان الميزان بيده طرحه ولا يضعه وضعا وان كان بالارض لم يرفعه فكان الاخر
فيبا يعمل السيوف للتجارة فكان اذا كانت مطرقته على السندان القاها موضوعة وان
كان قد رفعها القاها من يده وكان ظهره اذا سمع الاذان فانزل الله هذا الثنا عليهما
وعلى كل من اقتدى بهما الثامنة عشرة قوله تعالى واقام الصلاة هذا دليل على ان
المراد بقوله عن ذكر الله غير الصلاة لانه تكرار بقاله اقام الصلاة اقامة والاصل
اقوامه فقلبت حركة الواو على القاف فانقلبت الواو الفا وبعدها الف
ساكنة فحذفت احداهما واثبتت الهاء لبلا يحذفها فتجحف فلما اضفته قام المضاف
مقام الهاء فجاز حذفها وان لم تضف لم يجز حذفها لا تزى انك تقول وعد
وعده ووزن وزنه فلا يجوز حذف الهاء لانك قد حذفت واوا لان الاصل وعد
وعده ووزن وزنه فان اضفته حذفت الهاء واسقطت الفراء
ان الخليط اخذوا البين واجردوا واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
يريد عدة فحذف الهاء لما اضاف روي عن حديث انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا بني الله يوم القيامة بمساجد الدنيا كانها خبب
الحديث وقد تقدم وعن علي رضي الله عنه انه قال يا تي على الناس زمان
لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القران الا رسمه يعمرون مساجدهم وهي
من ذكر الله خراب اهل ذلك الزمان علماؤهم شر من تحت اديم السماء منهم تخرج الفتنة واليهم تعود
يعني انهم يعلمون ولا يعملون بواجبات ما علموا التاسعة عشرة قوله تعالى
واتيا الزكاة قيل الزكاة المفروضة قاله الحسن وقال ابن عباس الزكاة هنا طاعة
الله والاخلاص اذ لبسبه لكل مومن مال يخافون يوما يعني يوم القيامة تتقلب فيه
القلوب والابصار يعني من هوله وحذر الهلاك والتقلب التحول والمراد قلوب
الكفار وابصارهم فتتقلب القلوب انتزاعها من اماكنها اليه الحناجر فلا ترجع
الى اماكنها ولا هي تخرج واما تقلب الابصار فالرعب بعد الجرأة والعمى بعد
البصر وقيل تتقلب القلوب بين الطمع في التجارة والخوف من الهلاك والابصار
تنظر من اي ناحية يعطون كتبهم والى اي ناحية يوخذ بهم اي من قلوب الشاكين
تتحول مما كانت عليه من الشك وكذلك ابصارهم لرويتهم البغتة وذلك مثل
قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فما كان يراه في الدنيا
غيا يراه رشدا الا ان ذلك لا ينفعهم في الاخرة وقيل يتقلب عليهم جمر جهنم
لقوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار وتقلب افيدتهم وابصارهم في قول
من جعل المعنى تقلبها على لهب النار وقيل تقلب بان تلفحها النار مرة وتنضجها
مرة وقيل ان تتقلب القلوب وحدها وتقلب الابصار لنظرها الى نواحي
الاهوال ليجزيهم الله احسن ما عملوا فذكر الجزاء على الحسنات ولم يذكر الجزاء
على السيئات وان كان يجازي عليها لامرين احدهما انه ترغيب فاقتصر على ذكر
الرغبة الثاني انه في صفة قوم لا يكون منهم الكبائر فكانت صغائرهم مغفورة ويزيدهم
من فضله يحتمل وجهين احدهما ما يضاعفه من الحسنة بعشر امثالها الثاني ما
يتفضل به من غير جزاء والله يرزق من يشاء بغير حساب اي من غير ان يحاسبه
على ما اعطاه اذ لا نهاية لعطايه وروي انه لما نزلت هذه الاية امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ببنا مسجد فبا بحضر عبد الله بن رواحة فقال يا رسول الله قد فهمت
بنيا المساجد قال نعم يا ابن رواحة قال وصلى فيها قياما وقاعدا قال نعم يا ابن رواحة قال
ولم يسه لله لا ساجدا قال نعم يا ابن رواحة كف عن السجع فما اعطي عبد شيا شر من طلاقة في
لسانه ذكره الماوردي قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الما مثل
المومن مثل الكافر قال مقاتل نزلت في شيبة بن ربيعة بن عبد شمس كان يترهب
ملتمسا للدين فلما خرج صلى الله عليه وسلم كفر وقال في اهل الكتاب الضحاك في اعمال
الخير للكافر كصلة الرحم وسقي الحيوان والسراب ما يرى نصف النهار في اشتداد الحر
كالماء في المفاوز يلصقه بالارض والالة الذي يكون ضحى كالماء الا انه يرفع من الارض

يظهر ومنه رجل اهضم للحمد اى منصفهما هذا قول اهل اللغة وحكى الماوردى وغيره فى ذلك اثنى عشر قولا احدها انه الرطب اللين قاله عكرمة الثانى للذنب من الرطب قاله سعيد بن جبير الفاسر وروى ابو اسحاق عن زيد وهو بن ابى مريم لونى وبين بذ بن ابى مريم سام وبحل ظلمها هضيم قال منه ما قد ارطب ومنه ما ذنب الثالث انه الذى لم يسق فيه نوى قاله الحسن الرابع انه المتهشم المتفتت اذا مس تفتت قاله مجاهد وقال ابو العالية بهشيم فى الغم الخامس هو الذى ضم بركوب بعضه بعضا قاله الضحاك وعاتل السادس انه المتلاصق هو بعضه ببعض قاله ابو صخر السابع انه الطلع حين ينشق ويخضر قاله الضحاك ايضا الثامن انه اليابس المتكسر قبل ان ينعقد عنه الحب حكاه بن شجرة قال ـــــ كان حمولة نخل عليه هضيم ما يحس له سفوف العاشر انه الرخو قاله الحسن الحادى عشر انه الرخص اللطيف اول ما يخرج وهو الطلع المنضم قاله الفروى الثالث عشر المرى قاله بن الاعرابى فعيل بمعنى فاعل اى هى مرى من انهضام الطعام والطلع اسم مشتق من الطلوع وهو الظهور ومنه طلوع الشمس والقمر والنبات قوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين النحت النجر والبرى نحته ينحته بالكسر نحتا براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به وقى والصافات انتعبدون ما تنحتون وكانوا ينحتون بيوتا من الجبال لما طالت اعمارهم ويهدم بناؤهم من المدر وقد ابن كثير وابو عمرو وفارهين بغير الف الباقون فارهين بالف وهما بمعنى واحد فى قول ابى عبيدة وغيره مثل عطا ما خرج وتاخره وقاله فطرب وحكى قرح بجزم هو فاره وقرح بجزم هو قرح وفاره اذا هو كان بشيطان وهو نصب على الحال وقرق بينهما قوم فقالوا فارهين حاذقين بنحتها قاله ابو عبيدة وروى عن بن عباس وابى صالح وغيرهما وقال ـــــ عبد الله بن شداد فارهين مبطرين وروى عن بن عباس ايضا ان معنى فرهين بغير الف اشرين بطرين وقاله مجاهد وروى عنه مستهم بن الضحاك كيسين قتادة مجبين وعنه تاعمين وعنه ايضا امنين وهو نحو ـــــ الحسن وقيل متجبرين قاله الكلبى والسدى ومنه قول ـــــ

قوم ـــــ السناعر

اى قوم يجد كل امر قصدت له كاجبر الطباع ـــــ

وقيل متجبين قاله خصيف وقال بن زيد اقويا وقيل فرهين فرحين قاله الاخفش هو والعرب يعاقب بين الهاء والفاء نحو ـــــ مدهنة ومدحنة فالفرح الاشر المرح ثم الفرح هو بمعنى المرح المذموم قال الله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا وقال ـــــ ان الله لا يحب الفرحين فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قيل المراد الذين عقروا الناقة وقيل التسعة رهط الذين يفسدون فى الارض ولا يصلحون قال ـــــ السدى وغيره اوحى الله تعالى الى صالح ان قومك سيقتتلون فاقتتلوا فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاكم على يديه فقالوا لا يولد فى هذا الشهر ذكر الا قتلناه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر فذبحوا ابناءهم وكد للعاشر فابى ان يذبح ابنه كان لم يولد قبل ذلك فكان العاشر ازرق احمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة قراوه قالوا لو كان ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا وغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتلهم ابناءهم فتعصبوا وتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج الى سفر فترى الناس سفرنا فنكون فى غار حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويعلمون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم فى مسجده فاذا اصبح اتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار اراد ان يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم فرأى ذلك ناس ممن قد اطلع على ذلك فصاحوا فى الغرية يا عباد الله اما رضى صالح الى مسجده اتيناه ان امر بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل العربة على عقر الناقة قال ـــــ بن اسحاق انما اجتمع التسعة على سب صالح بعد عقرهم الناقة واندارهم العذاب على ما بانى ببيانه فى سورة النمل قالوا انما انت من المسحرين هو من السحر فى قول مجاهد وقتادة قال ما انت الا بشر مثلنا فلم تدع الرسالة دوننا وقيل من المعللين بالطعام والشراب قاله بن عباس والكلبى وقتادة ومجاهد ايضا فيما ذكر الثعلبى وهو على هذا القول ـــــ من السحر وهو الريا اى بشر مثلك سحرى ريه تاكل وتشرب كمثلنا قال ـــــ امرى القيس

فان تبيا لينا فانا نحن فاننا عصافر من هذا الانام المسحر

وقال ايضا وستحر بالطعام وبالشراب فان بايه ان كنت من الصادقين فى قولك قال هذه
ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال ابن عباس قالوا ان كنت صادقا فادع الله يخرج
لنا من هذا الجبل ناقة جمعاء عشراء فتضع وتحن ننظر ولدها الما فنشرب ونحلب وعلينا
نحلبه لبنا فدعا وفعل الله ذلك فقال هذه ناقة لها شرب اى حظ اى لكم شرب يوم ولها شرب
يوم وكانت اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله اول النهار وسمنهم اللبن آخر النهار
واذا كان يوم شربهم كان لانفسهم ومواشيهم وارضيهم لبن لها فى يوم وردها ان يشربوا
من شربها شيأ ولا لها ان يشرب فى يومهم من مائهم شيأ قال الفراء الشرب
الحظ من الما قال الخاسن فاما المصدر فيقال فيه شرب شربا وشربا وشربا
واكثرها المضموم لان المكسورة والمفتوحة يشتركان مع شئ آخر فيكون الشرب الحظ
من الما ويكون الشرب جمع شارب كما قال فخلت للشرب فى دورنا وقد يملوا
الا ان ابا عمرو بن العلا والنسائى يختاران الشرب بالفتح فى المصدر وبحتجان برواية
بعض العلما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ايما ايام اكل وشرب ولا تصوموها
بسوء لا يجوز اظهار التضعيف هاهنا لانهما حرفان من جنس واحد فيأخذكم
جواب النهى ولا يجوز حذف الفاء منه والجزم كما جاز فى الا الاشيا رونى الكسائى يحسن
فعقروها فاصبحوا نادمين اى على عقرها لما ايقنوا بالعذاب وذلك انه انذرهم
ثلاثا فظهرت عليهم العلامة فى كل يوم ولدوا ولم ينفع الندم عند معاينة العذاب
وقيل لم ينفعهم الندم لانهم لم يتوبوا بل طلبوا صالحا عليه السلام ليقتلوه لما ايقنوا
بالعذاب وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد اذ لم يقتلوها مع علمهم وهو بعيد ان فى ذلك
لاية الخ تقدم وقال انه ما امن به من تلك الامم الا اربعة وثمانون مائة رجل وامرأة
وقيل كانوا اربعة الاف وقال كعب كان قوم صالح اثنى عشر الف قبيلة كل قبيلة
نحو اثنى عشر الفا من سوى النسا والذرية ولقد كان قوم عاد منهم ستين الف قبيلة
كذبت قوم لوط المرسلين يعنى معناه وقصته فى الاعراف وهود ستأتى ولله الحمد قوله تعالى
انا لوطن الذكران من العالمين كانوا ينكحونهم فى ادبارهم وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء
على ما تقدم فى الاعراف وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعنى من فرج النسا فان الله
خلقها للنكاح قال ابراهيم بن المهاجر قال مجاهد كيف بمن يعرا عبد الله وتذرون ما خلق
لكم ربكم من ازواجكم قلت وتذرون ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم قال العرج كما قال
فانوهن من حيث امركم الله بل انتم قوم عادون اى متجاوزون الحد ودا الله قالوا لئن لم تنته
يا لوط عن قولك هذا لتكونن من المخرجين اى من بلدنا وقريبا قال انى لعملكم يعنى
اللواط من القالين اى المبغضين والعلى البعض فليته اقلبه قلى وقلا قال
فلست بمعلى للخلا ولا قال وقال اخر عليك السلام بما ملكت قربته ومالك
عندى ان بانت قلا رب نجنى واهلى مما يعملون اى من عذاب عملهم دعا الله لما يئس
من ايمانهم ان لا يصيبه من عذابهم فقال تعالى فنجيناه واهله اجمعين ولم يكن الا ابنتيه
على ما تقدم فى هود الاعجوز فى الغابرين روى سعيد عن قتادة قال عمرت فى عذاب الله
جل وعزا ثمانين وابو عبيدة يذهب الى ان المعنى من الباقين فى المرا اى بقيت حتى هرمت
قال الخاسن فيقال للواهب عابر والباقى عاقر كما قال لا يليق السمو ما عمارها
انك لا تدرى من الملح وكما قال فما رى محمد ان عقرله الا له ما مضى وما عرا ى ما بقى
والاعمار عمار الانسان ثم دمرنا الاخرين اى اهلكناهم بالخسف والحصب قال مقاتل
خسف الله بقوم لوط وارسل الحجارة على من كان خارجا من القرية وامطرنا عليهم يعنى
الحجارة فسماها مطر المنذرين وقيل ان جبريل خسف بقراهم بهم وجعل عاليها سافلها ثم
اتبعها الله بالحجارة ان فى ذلك لاية ولما كان اكثرهم مومنين لم يكن فيهما مومن الا بيت لوط
واسناه قوله تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة السجر الكثير الملتف الواحدة
ليكة ومن قرا اصحاب الايكة فهى المقبضة ومن قرا ليكة فهو اسم القرية وبقال سمى
ليكة وبكة وقال الجوهرى وقال الخاسن وقرا ابو جعفر ونافع كذب اصحاب
ليكة المرسلين وكذا قرا فى صاد واجمع القرا فى الحجر الى فى سورة الحجر والى فى سورة
ق فيحسن نرد ما اختلفوا فيه الى ما اجمعوا عليه ان كان المعنى واحدا فاما ما حكاه ابو عبيدة
من ان ليكة هى اسم القرية التى كانوا فيها وان الايكة اسم البلد فشئ لا يثبت ولا يعرف من
قاله فتثبت علمه ولو عرف من قاله لكان فيه نظر لان اهل العلم جميعا من اهل التفسير والعلم

مدين صحح

بكلام العرب على خلافه روى عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قتادة قال ارسل شعيب
عليه السلام الى امتين الى قومه من اهل وال اصحاب الايكة قال والايكة غيضة من
سدر ملتف وروى سعيد عن قتادة قال كان اصحاب الايكة اهل غيضة وشجر وكانت
عامة شجرهم الدوم وهو شجر المقل وروى بن جبير عن الضحاك قال خرج اصحاب الايكة
يعني حين اصابهم الحر فانضموا الى الغيضة والتيح فارسل اليهم سحابة فاستظلوا
تحتها فلما تناحوا تحتها احرقوا ولم يكن في هذا الاثر روى عن بن عباس قال الايكة التيح
ولا يعلم بين اهل اللغة اختلافا ان الايكة التيح الملتف فاما احتجاج بعض من احتج
لقراءة من قرأ في هذين الموضعين بالفتح انه في التيوار لكنه فلا حجة فيه والقول فيه
ان اصله الايكة ثم خففت الهمزة فالقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنيت
عن الف الوصل لان اللام تحركت فلا يجوز على هذا الا الخفض كما يقول بالاحمر يخفض الميم
ثم يجمعها فيقول بالاحمر فان شئت كتبته في اللفظ على ما كتبته اولا وان شئت
كتبته بالحذف ولم يجز الا الخفض فكذا لا يجوز في ليكة الا الخفض قال سيبويه
واعلم ان ملا ينصرف اذا دخلت الالف واللام او اضيف انصرف ولا يعلم احدا خالف
سيبويه في هذا وقال الخليل الايكة غيضة تنبت السدر والاراك ونحوه
من ناعم التيح اذا قال لهم شعيب ولم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن اخا اصحاب الايكة
في النسب فلما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان منهم وقد مضى في الاعراف
القول في نسبه قال بن زيد ارسل الله شعيبا رسولا الى قومه هم
اصل مدين والى اهل البادية وهم اصحاب الايكة وقال قتادة وقد ذكرناه
الا تتقون تخافون الله اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون الامة واما كانه
جواب هؤلاء الرسل واحدا على صيغة واحدة لانهم متفقون على الامر بالتقوى والطاعة
والاخلاص في العبادة والامتناع من الاجر على تبليغ الرسالة او هو الكيل والوزن
تكونوا من المخسرين الناقصين للكيل والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم
اي اعطوا الحق وقد مضى في سبحن وغيرها ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين تقدم في هود وغيرها واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين
الجبلة الخلقة والجبل والاناث على لغة اي خلق والخلق جبلة وجبلة وجبلة وجبلة وجبلة
ذكر النحاس في معاني القرآن والجبلة عطف على الكاف والميم قال الهروي
الجبلة والجبلة والجبل والجبل لغات وهو الجمع ذو العدد الكثير من الناس ومنه
قوله تعالى جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا وقال النحاس في كتاب اعراب
القرآن له ويقال جبلة والجمع فيه جبال وتحذف الضمة والكسرة من الباء وكذلك
التشديد من اللام فيقال جبلة وجبل ويقال جبلة وجبال يحذف الهاء من هذا كله
وقرأ الحسن باختلاف عنه والجبلة الاولين بضم الجيم والباء وروى عن سيبويه هم
والاعرج الباقون بالكسر قال والجبلة اعظم خلقة فيما يعن على الجبلة قالوا انما
انت من المسحرين الذين يأكلون الطعام والشراب على ما تقدم وان نظنك لمن الكاذبين
اي ما نظنك الا من الكاذبين في انك رسول الله تعالى فاسقط علينا كسفا من
السما اي جانبا من السما وقطعة منه فنتظر اليه كما قال وان يروا كسفا من السما
ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقيل اراد وا انزلت علينا العذاب وهو مبالغة في التكذيب
قال ابو عبيدة الكسف جمع كسفة مثل سدر وسدرة وقرأ السلمي وحفص
كسفا جمع كسفة ايضا وهي القطعة والجانب تقديره كسرة وكسر قال الجوهري
الكسفة القطعة من الشيء يقال اعطني كسفة من ثوبك والجمع كسف وكسف وقال
الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرأ كسفا جعله واحدا وهو
من كسفت الشيء كسفا اذا اعطيته ان كنته من الصادقين قال رب اعلم بما تعملون
تهديد اي انما علي التبليغ وليس العذاب الذي سألتم الي وهو يجازيكم فكذبوه فاخذ
عذاب يوم الظلة قال بن عباس اصابهم حر شديد فارسل الله سبحانه فهبوا
اليها ليستظلوا بها فلما صاروا تحتها صيح بهم فهلكوا وقيل اقامها الله فوق رؤسهم
وانزلها عليهم حواحي ما تؤا من الرمد وكان من اعظم يوم في الدنيا عذابا وقيل بعث
الله عليهم سموما فحموا الى الايكة يستظلون بها فاضرمها الله عليهم نارا فاحترقوا وعن
بن عباس ايضا وغيره ان الله تعالى فتح عليهم بابا من ابواب جهنم وارسل عليهم هذه وحر شديد

فاخذ بانفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فاضطجعوا الحر فخرجوا هاربا الى البرية فبعث الله عليهم
عز وجل سحابة فاظلتهم فوجدوا لها ريحا وذوقا طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة
رمتهم الله تعالى عليهم نارا وارسلت لهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلى فصاروا رمادا قال قوله
فاصبحوا في ديارهم جاثمين كانهم لم يغنوا فيها وقوله فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم
وقيل ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام وسلط عليهم الحر حتى اخذ بانفاسهم ولم
ينفعهم ظل ولا ماء فكانوا يدخلون الاسراب لتبرد لهم فيجدونها اشد حرا من الظاهر
فيهربون الى البرية فاظلتهم سحابة وهي الظلة فوجدوا لها ريحا وبردا فنودي عليهم نارا
فاحترقوا وقال ابن يزيد الحروري سلط الله عليهم الحر سبعة ايام وليالي لها ثم رفع لهم
جبل من جمير فلما صعد رجل فاذا تحته انهار وعيون وشجر وماء بارد فاجتمعوا كلهم تحته فوقع
عليهم الجبل وهي الظلة وقال قتادة بعث الله شعيبا الى امتين اصحاب الايكة
واصحاب مدين فاهلك اصحاب الايكة بالظلة واما اصحاب مدين فصاح عليهم جبريل
صيحة فهلكوا اجمعين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين قيل ما من يشعب
من الضحيتين يشتمل ما به رحل قوله تعالى وانه لتنزيل رب العالمين عاد الى ما تقدم
في السورة من اعراض المشركين عن القرآن تنزل به الروح الامين نزل مخففا وابو جعفر
وابن كثير وابو عمرو الباقون نزل مشددا به الروح الامين نصبا وهو اختيار ابي حاتم وابي
عبيد لقوله وانه لتنزيل وهو مصدر لنزل والحجة لمن قرا بالتخفيف ان يقول ليس هذا بمصدر
لان المعنى وان القرآن لتنزيل رب العالمين نزل به جبريل اليك كما قال تعالى قل من
كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك اي ينزل عليك فحفظه قلبك وقيل ليثبت
قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين اي ليلا يقول لسنا نفهم ما تقول
وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكر نزوله لفي كتب الاولين يعني الانبياء وقيل ان ذكر
محمد عليه السلام في كتب الاولين كما قال تعالى نجدونه مكتوبا عندهم في
التوراة والانجيل والزبر الكتب الواحد زبور وقد تقدم قوله تعالى
اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل قال مجاهد يعني عبد الله بن سلام
وسلمان وغيرهما ممن اسلم وقال ابن عباس لما بعث اهل مكة الى اليهود وهم
بالمدينة يسالونهم عن محمد عليه السلام فقالوا ان هذا الزمانه وان نجد في التوراة
نعته وصفته فرجع لفظ العلماء الى كل من كان له علم بكتبهم اسلم اولم يسلم على هذا القول
وانما صارت شهادة اهل الكتاب حجة على المشركين لانهم كانوا يرجعون في اشياء من امور
الدين الى اهل الكتاب لانهم مطبوعون بهم علم وقرا ابن عامر اولم تكن لهم اية بالتاء اولم يكن
لهم اية بالنصب على الخبر واسم يكن ان يعلمه والتقدير اولم يكن لهم علماء بني اسرائيل الذين اسلموا
اية واضحة وعلى القراءة الاولى اسم كان اية والخبر ان يعلمه علم علماء بني اسرائيل وقرا عاصم الجحدري
ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين اي على رجل ليس بعربي اللسان فقراه عليهم
بلغة العرب لما امنوا ولما قالوا الا يفصلت نظيره ولو جعلناه قرانا اعجميا الاية وقيل معناه ولو
نزلناه على رجل ليس من العرب لما امنوا به انفة وذهابا عن الحق رجل اعجم واعجمي انا كان
غير فصيح وان كان عربيا ورجل عجمي وان كان فصيحا ينتسب الى صله الا ان العرب اجازت ان يقال
رجل عجمي يعني الجمي وقال الحسن على بعض الاعجمين مستدركة ببان حجله تسمعه ومن قرا
الاعجمين فقيل انه جمع اعجم وفيه بعد لان ما كان من الصفات الذي مونثه فعلاء لا يجمع مونثه
بالواو والنون ولا مونثه بالالف والتاء لا يقال احمرون ولا حمراوات وقيل ان اصله
الاعجمين كقراءة الجحدري ثم حذفت ياء النسب وجعل جمعه بالياء والنون دليلا عليها قاله
ابو الفتح عثمان بن جني وهو مذهب سيبويه قوله تعالى كذلك سلكناه يعني القرآن
اي الكفر به في قلوب المجرمين لا يومنون به وقيل سلكنا التكذيب في قلوبهم فذلك
الذي منعهم من الايمان قاله يحيى بن سلام وقال عكرمة السمع والمعنى متقارب
وقد مضى في الحجر واختلف القراء في لا يومنون لان فيه معنى الشرط والجزاء وزعم انه من شان
العرب اذا وصلت لا بموجب كي لا في مثل هذا رجوت بها وجودها وربما وقعت فيقول
ربطت الفرس لا تنفلت بالرفع والجزم قال لان معناه ان لم اربطه تنفلت والرفع على ان
كيلا تنفلت واشتد بعض بني عقيل

وحتى رايتنا احسن الفعل بيننا مساكنة لا يوفق البتر فارق

بالرفع لما حذف كي ومن الجزم فوله الاخر

بطال

• بطال ما حلا عما هالا يرد فلما والسحال سرد •

قال النحاس وهذا كله في يومنون خطأ عند البصريين ولا يحور الجزم بلا حازم ولا يكون شيء يحمل عملا اقوى من عمل وهو موجود وهذا احتجاج بين حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة اي العذاب وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء والمعنى فتأتيهم الساعة بغتة فاضمر فيها لدلالة العذاب الواقع فيها ولكنه ما في القرآن من ذكرها وقال رجل للحسن ها وقد قرأ فتأتيهم يا ابا سعيد ايا يأتيهم العذاب بغتة فأتمره وقال انما هي الساعة تأتيهم بغتة الى مخاصمهم لا يشعرون بأتيانها فيقولوا هل نحن منظرون اي موخرون ها ويمهلون يطلبون الرجعة هناك فلا يجابون اليها قال العسكري وقوله فيأتيهم ليس عطفا على قوله حتى يروا بل هو جواب قوله لا يومنون فلما كان جوابا للتي انتصب ولذ يقولوا قوله تعالى افبعذابنا يستعجلون قال منا ثل قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد الى متى تعدنا بالعذاب ولا ناتي به فقرئت افبعذابنا يستعجلون افرايت ان متعناهم سنين يعني في الدنيا والمراد اهل مكة في قول الضحاك وغيره ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب والهلاك ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ما الاولى استفهام معناه التقرير وهو في موضع نصب باغنى وما الثانية في موضع رفع ويجوز ان يكون الثانية نفيا لا موضع لها وقيل ما الاولى حرف نفي وما الثانية في موضع رفع باغنى والمها العابد محمد وقد والتقدير ما اغنى عنهم الذي كانوا يمتعونه وعن الزهري ان عمر بن عبد العزيز كان اذا اصبح امسك لحيته ثم يقرأ افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ثم يبكي ويقول

• يها ركب يا معزور سهو وغفلة • ولملك نوم والردى لك لازم •
• فلا انت في الايقاظ يقظان حازم • ولا انت في النوام باح فسالم •
• تسر بما يفنى وتفرح بالمنى • كما سر بالذات في النوم حالم •
• وتسعى الى ما سوف يكره عنده • كذلك في الدنيا تعيش البهائم •

قوله تعالى وما اهلكنا من قرية من صلة المعنى وما اهلكنا قرية الا ولها منذرون اي رسل ذكرى قال الكسائي ذكرى في موضع نصب على المصدر قال الفراء اي تذكرون ذكرى على القطع لحال النحاس وهذا لا يحصل والقول فيه قول الفراء ابي اسحاق اي تذكرون ذكرى فهما في موضع نصب على القطع لحال المصدر قال الفراء اي تذكرون ذكرى وهذا قول صحيح لان معنى الا لها منذرون الا لها مذكرون وذكرى لا ينبغي فيه الاعراب لان هو فيها الفاعل مضمرة ويجوز ذكرى بالتنوين ويجوز ان يكون ذكرى في موضع رفع على اضمار مبتدا قال ابو اسحاق الدار ما ذكرى وقال الفراء وذلك ذكرى وتلك ذكرى قال ابن هرمة الهاسارى قال بعض المفسرين ليس في الشعر وقف تام الا قوله لها منذرون وهذا عندنا وقف حسن ثم يبتدئ ذكرى او بذكرهم ذكرى والوقف على ذكرى احود وما كنا ظالمين في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم واعذرنا اليهم قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين يعني بالقرآن بل نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ايهم عن السمع لمعزولون اي بري الشهب كما مضى في الحجر بيانه وكان الحسن ومحمد بن السميفع وما تنزلت به الشياطون قال المهدوي وهو غير جايز في العربية ومخالف للخط وقال النحاس وهذا غلط عند جميع النحويين وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول هذا غلط العلما انما يكون بدخول شبهة لما راى للحسن في اخره يا ونونا وهو في موضع رفع اسنده عليه بالجمع المسلم فغلط وفي الحديث احدروا زلة العالم وقد قال هو مع الناس واذا خلوا الى شياطينهم ولو كان هذا بالواو في موضع رفع لوجب حذف النون هو للاضافة وقال الثعلبي قال ابو غلط الشيخ يعني الحسن فقيل ذلك للمقرئ بن شميل فقال ان جاز ان يجيء لحن روبة والعجاج ورؤبة جاز ان يجيء لقول الحسن وصاحبه سمع انا نعلم ايمانا لم يقرا بذلك الا وقد سمعا في ذلك شيئا وقال الموبخ ان كان الشيطان من شاط يشيط كان لقرانهما وجه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلنا سبا من ورا يحما بسنا تون فقلت ما اشبه هذا بقراءة الحسن قوله تعالى فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين قيل المعنى قل لمن دونهم هذا وقيل هو مخاطبة له عليه السلام وان كان لا يفعل هذا كانه معصوم مختار ولكنه خوطب بهذا والمقصود غيره ودل على هذا قوله وانذر عشيرتك الاقربين اي لا يكلوا على شفاعتهم وقرابتهم فيدعوا ما يجب عليهم قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين

فنبه مسلمان الاولى قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين حص عشيرته الاقربين بالانذار
ليحسم اطماع سايرعشيرته واطماع الاجانب فى مخارقتهم اياهم على الشرك وعشيرته الاقربون
قريش وقيل بنو عبد مناف ووقع فى صحيح مسلم وانذر عشيرتك الاقربين وذهب
منهم المخلصين وظاهر هذا انه كان يلزم قرانا يتلى وانه نسخ ان لم يثبت نقله فى المصحف
ولا يؤثر ويلزم على تقدير الاستكال وهو انه كان يلزم عليه الانذار لامن امن من عشيرته
فان المومنين هم الذين يوصفون بالاخلاص فى دين الاسلام وفى حب النبى عليه السلام
لا المشركون لانهم ليسوا على شئ من شئ والنبى صلى الله عليه وسلم دعا عشيرته كلهم
مومنهم وكافرهم وانذرجميعهم ومن معهم وما بايى لهجدهم صلى الله عليه وسلم فلم يثبت ذلك
نقلا ولا معنى وروى مسلم من حديث ابى هريرة قال لما نزلت هذه الاية وانذر
عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا
فعم وخص فقال يا بنى كعب بن لوى انقذوا انفسكم من النار يا بنى عبد شمس انقذوا
انفسكم من النار يا بنى هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بنى عبد المطلب انقذوا
انفسكم من النار يا فاطمة انقذى نفسك من النار فانى لا املك لكم من الله شيئا
غير ان لكم رحما سابلها ببلالها النار فى هذا الحديث والاية دليل على ان العرب فى الاسباب
لا يقنع بها بعد فى الاسباب ودليل على جواز صلة المومن الكافر وارشاده ونصيحته
لقوله ان لكم رحما سابلها ببلالها وقوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى
الدين الاية على ما ياتى بيانه هناك قوله تعالى واخفض جناحك للمومنين تقدم فى
الحجر وسبحان ربى خفض جناحه ادا ان فان عصوك اى خالفوا امرك فقل انى برى
مما تعملون اى برى من معصيتكم اياى لان عصيانهم اياه عصيان لله جل وعز لانه
عليه السلام لا يامر بما يرضاه ومن تبرا منه فقد تبرا الله منه قوله تعالى وتوكل على
العزيز الرحيم اى فوض امرك اليه فانه العزيز الذى لا يغالب الرحيم الذى لا يخذل اولياءه
وقرا الكسائى منه وتوكل بالواو وكذلك هو فى مصاحفهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل بالفا
وكذلك فى مصاحف المدينة والشام الذى يراك حين تقوم اى حين تقوم الى الصلاة
فى قول اكثر المفسرين ابن عباس وغيره وقال مجاهد يعنى تقوم حيث ما كنت وتقلبك
فى الساجدين قال مجاهد وقتادة فى المصلين وقال ابن عباس اى فى اصلاب
الآباء ادم ونوح وابراهيم حتى اخرجه نبيا وقال عكرمة يراك قائما وراكعا وساجدا وقاله
ابن عباس ايضا وقيل المعنى انك ترى تقلبك فى صلاتك من خلفك كما ترى بصيرتك من
قدامك وروى عن مجاهد ذكر الماوردى والمعلى وكان عليه السلام يرى من
خلفه كما يرى من بين يديه وذلك ثابت فى الصحيح وفى تاويل الاية بعيد انه هو
السميع العليم تقدم قوله تعالى هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك
اثيم انما قال تنزل لانها اكثر ما تكون فى الهواء انما تخرج من الريح يلقون السمع هو
واكثرهم كاذبون تقدم فى الحجر يلقون السمع صفة الشياطين واكثرهم يرجع الى الكهنة
وقيل الى الشياطين قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون فيه ست مسايل الاولى
قوله تعالى والشعراء اسم جمع شاعر مع جاهل وجهلا قال ابن عباس هم الكفار
يتبعهم ضلال الجن والانس وقيل الغاوون الرانلون عن الحق ودل بهذا ان الشعراء
ايضا غاوون لانهم لو لم يكونوا غاوون ما كان يتبعهم لذلك وقد قدمناه فى سورة النور
من الشعر ما يجوز انشاده ويكره وحرم روى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن
ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك من
شعر امية بن ابى الصلت بشئ قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا هيه
ثم استنشدته بيتا فقال هيه حتى استنشدته ماية بيت هكذا صواب هذا السند
وصحيح روايته وقد وقع لبعض رواة كتاب مسلم عن عمرو بن الشريد عن الشريد
ابيه وهو وهم لان الشريد هو الذى ارداه رسول الله صلى الله عليه وسلم
واسم ابى الشريد سويد وفى هذا دليل على حفظ الاسعار والاعتناء بها هو
اذا تضمنت الحكم والمعانى المستحسنة شرعا وطبعا وانما انكر النبى
صلى الله عليه وسلم من شعر امية لانه كان حليما الا يرى قول عليه السلام وكان
امية بن ابى الصلت ان يسلم فاما ما تضمن ذكر الله وحمده والثنا عليه فذلك مندوب
اليه كقوله الفايل الحمد لله العلى المنان صار الشريد فى رؤس العيدان او و

ذكر

ذكر رسوله صلى الله عليه وسلم لقول العباس

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركبت السفينان وقد الجم نسيرا واهلم الغرق

بنقل من صالب الى رحم اذا مضى عالم بدا طبقا

فقال صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك اوادوته عنه كمول حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

وهذه ابيات ذكرها مسلم في صحيحه وهي في السير اتم واولى الصلاة عليه كما روى زيد بن اسلم قال خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا واذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار

قد كنت قواما بكا بالاسحار يا ليت شعري والمنايا اطوار

هل تجمعني وحبيبي الدار

يعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وكذلك ذكر اصحابه ومدحهم رضي الله عنهم ولهذا حسن محمد بن كعب حيث قال

اني رضيت عليا للهدى علما كما رضيت عتيقا صاحب الغار

وقد رضيت لنا حفصا وشيعته وما رضيت بقتل الشيخ في الدار

كل الصحابة عندي فوق منزلة وفضل حب على هذا الورى عار

ان كنت تعلم اني لا حبهم الا من احلك فاعتقني من النار

وقال اخر فاحسن

حب النبي مفترض وحب اصحابه نور بيرهان

من كان يعلم ان الله خالقه لا يرمين ابا بكر بهتان

ولا ابا حفص الفاروق صاحبه والثالثة عثمان بن عفان

اما علي فمشهور فضائله والبيت لا يستوى الابركان

قال ابن العربي واما الاستغارات في التشبيهات فلا دون فيها وان استغرق الحد وعاورت المبعاد فمذلك نضر بن الملك الموكل بالكرويا المثل وقد انتقد كعب بن زهير

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يجز مكبول

وما سعاد غداة البين اذ رحلوا الا اغن غضيض الطرف مكحول

تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت كانه منهل بالراح معلول

فجاني هذه القصيدة من الاستغارات والتشبيهات بكل بديع والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر في تشبيهه ونعته بالراح وانتقد ابو بكر رضي الله عنه حيث يقول

فقدنا الوحي اذ ولت عنا ووددنا من الله الكلام

سوى ما قد تركت لنا رهينا نوارثه الاعاظم الكرام

فقد اوتينا ميراث صدق عليك به التحية والسلام

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعه وابو بكر ينشده فهل للتقليد والاقتداء موضع ارفع من هذا قال ابو عمر ولا ينكر لحسن من الشعر احد من اهل العلم ولا من اولي النهي وليس من كبار الصحابة واهل العلم وموضع العدل الا وقد قال الشعر وتمثل به او سمعه فرضيه ما كان حكمه او مباحا ولم يكن فيه فحش ولا حتى ولا لمسلم اذى فان كان كذلك فهو المنكور من القول سوا الجهل سماعه ولا قوله روى ابو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول اصدق كلمة قالها العرب قول لبيد الا كل شي ما خلا الله باطل اخرجه مسلم وزاد وكاد امية بن ابي الصلت ان يسلم وروى عن ابن سيرين انه انشد شعرا فقال له بعض جلسايه متلك ينشد الشعر يا ابا بكر فقال وبلك يا اكمه وهل الشعر الا كلام فما خالف سايره الكلام الا في القوافي فحسنه حسن وقبيحه قبيح قال وقد كانوا يتذاكرون الشعر قال وسمعت ابن عمر ينشد

يحب المرء من شمال الغدايا ويكره ان يفارقه الغلوس

وكان عبيد الله بن عتبة بن مسعود احد فقهاء المدينة السبعة ثم المتيمة السبعة شاعر مجيد استدعاه فيه وللزبير بن فكان القاضي في اشعاره كثاب وكانت له زوجة شمى عمه فعتب عليها في بعض الامر وطلقها وله فيها اشعار كثيرة منها قوله

لعل الله جب عمة في فؤادي ... فنادبه مع الخافي سبيلا

فنلتقل حيث لم يبلغ شراب ... ولا حزن ولم يبلغ سرور

لسمية اكاد اذا ذكرت العهد منها ... اطير لوان انسانا يطير

وقال بن شهاب قلت لعروة الشعر في نسكك وفضلك فقال ان المصدور اذا فتت ترا التابية واما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم فهو التكلم بالباطل حتى يفصلوا اعين الناس على عثرته واشحهم على حاجم وان ينتهوا الزنى وينسكوا التقى وان يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء عيه في شلبية النفس وكسين القول كما روى عن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله

بنتن حاسي مصرعات ... بركاوي وسلفضى اغلاق الختام

فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المومنين قد درات عني الحد بقوله وانهم يقولون مالا يفعلون وروى ان النعمان بن عدي بن نضلة كان عاملا لعمر بن الخطاب فقال

فقال الاهل الى الخنساء ان خليلها ... بيسان يسقى في زجاج وحنتم

اذا شربت عنقين دهاقين قربة ... وقاصره حدوا على كل مسلم

فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني ... ولا تسقني بالاصغر المتثلم

لعل امير المومنين يسوءه ... تنادمنا بالموسق المتهدم

فبلغ ذلك عمر فارسل اليه بالقدوم عليه وقال اني والله سيسوني فقال يا امير المومنين ما فعلت شيئا مما قلت وانما كانت قصيدة من القول وقد قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون فقال له عمر ما عذرك فقد اعتدك الحد ولكن لا تعمل لي عملا ابدا وذكر الزبير بن بكار قال حدثني مصعب بن عثمان ان عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم يكن لهم هم الا عمر بن ابي ربيعة والاحوص فكتب الى عامله على المدينة اني قد عرفت عمرا والاحوص بالحب والشر فاذا اتاك كتابي هذا فاستدعهما واحملهما الي فلما اتاه الكتاب حملهما اليه فاقبل على عمر فقال هيه فلما رآه تميز مسطرنا طرا ولا كليا لي لحج افلتن راهوى ودم مالي عينيه من شئ غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدما اما والله لو اهمت بحجك لم تنظر الا شيء يغيرك فاذا لم تغلب الناس منك في هذه الايام فمتى يغلبون ثم امر بنفسه فقال يا امير المومنين او خير من ذلك فقال ما هو قال اعاهد الله ان لا اعود لمثل هذا الشعر ولا اذكر النساء في شعري ابدا واجدد توبة قال او تفعل قال نعم فعاهد الله على توبته وحلاه ثم دعا بالاحوص فقال هيه الله بيني وبين قيمها يضرب بها مني واتبعه بل الله بين قيمها وبينك ثم امر بنفسه فكلمه فيه رجال من الانصار فابى وقال والله لا ارى ما كان لي سلطان فانه فاسق يعاهد فيحنث احكم هو الشعر المذموم وحكم صاحبه فلا يحل سماعه ولا انشاده في مسجد ولا في غيره كمنثور الكلام القبيح ونحوه روى اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الشعر كحسن الكلام وقبيح الشعر وحديثه عن اهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره وروى بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام الثالثة روى مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلئ جوف احدكم قيحا خير من ان يمتلئ شعرا وفي الصحيح ايضا عن ابي سعيد الخدري قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا الشيطان او امسكوا الشيطان لان يمتلئ جوف رجل قيحا خير من ان يمتلئ شعرا قال علماؤنا انما فعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع هذا الشاعر لما علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله انه قد اتخذ الشعر طريقا للتكسب فيفرط في المدح اذا عطا وفي الهجو والذم اذا منع فتوذي الناس في اموالهم واعراضهم والاخلاق

في ان

ان من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام وكل ما يقوله عليه حرام
من ذلك ولا يحل الاصغاء اليه بل يجب الانكار عليه فان لم يكن ذلك فمن خاف من لسانه
قطعا يتعين عليه ان يداريه بما استطاع ويدافعه بما امكن ولا يجزان يعطى شيأ هو
ابتدا الان ذلك عوض على المعصية فان لم يجد من ذلك بدا اعطاه بنيه وقايه
العرض فما وفى به المعوض كتب له به صدقة قوله لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى
يريه القيح المدة يخالطها دم تفاعل من فاح القيح يقيح نعيح وفح و
وثوه فاعل الاصمعى هو من الورى على مثال الرمى وهو ان يدوى
جوفه تفاعل من رجل مورى مشدد غير مهموز وفى الصحاح
وري القيح جوفه يريه وريا اذا اكله وانشد الترمذى * قالت له وريا اذا تنحنح *
وهذا الحديث احسن ما قيل فى تاويله انه الذى قد غلب عليه الشعر واملا
صدره منه دون علم سواه ولا شئ من الذكر ممن يخوض به فى الباطل ويسلك
به مسالك لا تحمد له كالكثير من اللفظ والهدر والعتيه وفيح القول
ومن كان الغالب عليه الشعر لم يستحق هذه الاوصاف المذمومة الدنية بحكم
العادة الا دنيه وهذا المعنى هو الذى اشار اليه البخارى فى صحيحه لما بوب
على هذا الحديث باب ما يكره ان يكون الغالب على الانسان الشعر
وقد قيل فى تاويله ان المراد بذلك الشعر الذى هجى به النبى صلى الله عليه
وسلم او غيره وهذا ليس بشئ لان القليل من هجو النبى صلى الله عليه وسلم
وكثير سواء انه كفر ومذموم وكذلك هجو عن النبى صلى الله عليه وسلم
من المسلمين محرم قليله وكثيره وحينئذ لا يكون لتخصيص الدم بالكثير معنى
الرابعة قال الشافعى الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام
وقبيحه كقبيحه يعنى ان الشعر ليس بكفر لذاته وانما يكره لمضمناته وقد
كان عند العرب عظيم الموقع قال الاول منهم وحرج اللسان كحرج
اليد وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الشعر الذى يرديه حسان
على المستكبين انه لاشر ع فيهم من رسق بالنبل اخرجه مسلم وروى الترمذى
وصححه عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى عمرة القضاء
وعبد الله بن رواحة يمشى بين يديه وينوه خلوا بنى الكفار
عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخ
الخليل عن خليله فقال عمر يا ابن رواحة فى حرم الله وبين يدى
رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهو اسرع فيهم من نضح
النبل الخامسة قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون لم تختلف القرا
فى رفع والشعراء فيما علمت ويجوز النصب على اضمار فعل يفسره يتبعهم وبه قرا
عيسى بن عمر وقال ابو عبيدة كان الغالب عليه حيث النصب
قرا والسارق والسارقة وحالة الحطب وسورة انزلناها وقرا نافع وشيبة
والحسن والسلمى يتبعهم مخففا والباقون يتبعهم وقال
الضحاك بهاجى رجلان احدهما انصارى والآخر مما جرى على عهد
النبى صلى الله عليه وسلم مع كل واحد عواد قومه وهم اسفها فنزلت
وقاله ابن عباس وعنه هم الرواة للشعر وروى عنه على بن ابى طلحة الفهم
الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس وقد ذكرناه وروى عصيف عن ابى
صلى الله عليه وسلم قال من احدث هجاء الاسلام فاقطعوا
لسانه وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم لما افتح مكة ان هر
ابليس رسله واجتمع اليه من ربيته فقال ايسوا ان يرتد وا امة
محمد على الشرك بعد يومكم هذا ولكن ايسوا بينهم يعنى مكة والمدينة الشعر
الشعراء وتمامه قوله تعالى الم تر انهم فى كل واد يهيمون يعنى
فى كل لغو يخوضون ولا يتبعون سنن الحق لان من اتبع الحق وعلم انه يكتب
عليه ما يقوله يثبت ولم يكن هاجيا يذهب على وجهه لا يبالى ما قال
نزلت فى عبد الله بن الزبعرى ومسافع بن عبد مناف وامية بن الصلت
وانهم يقولون ما لا يفعلون يعنى اكثرهم يكذبون اى يذلون بكلامهم

على الكرم والخير ولا يغلبونه قيل ابيات لابي عزة الجمحي حيث قال

الا ابلغا عني النبي محمدا ... ابا بلغ حق والمليك حميد

ولكن اذا ذكرت بدرا واهلها ... اقمنا وقلنا اين منا يزيد

ثم استثنى شعر المؤمنين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير ومن كان على طريقهم من الحق فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا في كلامهم وانتصروا من بعد ما ظلموا وانما يكون الانتصار بالحق وبما حده الله عز وجل فان جاوز ذلك فقد انتصر بالباطل وقال ابو الحسن المبرد لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا نبي الله قد انزل الله تعالى هذه الاية وهو تعالى يعلم انا شعراء فقال اقرءوا ما بعدها الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية انتم وانتصروا من بعد ما ظلموا انتم بالرد على المشركين قال صلى الله عليه وسلم انتصروا ولا تقولوا الا حقا ولا تذكروا الا بادلة الايمان فقال حسان هو لابي سفيان

فهجوت محمدا فاجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

وابن والدي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

اتشتمه بكفوء فتركما ... بخيركما الفداء

لساني صارم لا عيب فيه ... وبحري لا تكدره الدلاء

وقال كعب يا رسول الله ان الله قد انزل في الشعر ما قد علمت فكيف يرى فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما يرمونهم به نضح النبل وقال كعب حيث ينحيه بغالب ربنا وليغلبن هنالك الغالب

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال في قوله والشعراء يتبعهم الغاوون منسوخ بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المهدوي والصحيح عن ابن عباس انه استثنا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون اي مصير يصيرون في هذا تهديد من انتصر بظلم سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين يدي الله تعالى فالظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر وقرا ابن عباس اي منقلب بتقلبون بالتاء والنون ومعناهما واحد التقلب ومعنى اي منقلب ينقلبون اي مصير يصيرون واي مرجع يرجعون لان هو مصيرهم الى النار وهو اقبح مصير ومرجعهم الى العذاب وهو شر مرجع والفرق بين التقلب والرجوع ان المتقلب الانتقال لما صدر ما هو فيه والمرجع العود من حال هو فيها الى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا والله اعلم ذكره الماوردي واي منصوب بينقلبون وهو بمعنى المصدر ولا يجوز ان يكون منصوبا بسيعلم لان ايا وسائر اسما الاستفهام لا يعمل فيما قبلها فيما ذكر النحويون قال النحاس وحقيقة القول في ذلك هو ان الاستفهام معنى وما قبله معنى اخر فلو عمل ما فيه قبله لدخل بعض المعاني

سورة النمل مكية كلها في قول

الجميع وهي ثلاث وتسعون اية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

طس تلك ايات القرآن وكتاب مبين معنى الكلام في الحروف المقطعة في البقرة وغيرها وتلك بمعنى هذه اي هذه السورة ايات القرآن وايات كتاب مبين وذكر القرآن بلفظ المعرفة وقال كتاب مبين بلفظ النكرة وهما في معنى المعرفة كما تقول فلان رجل عاقل وفلان الرجل العاقل والكتاب هو القرآن فجمع له من الصفتين بانه قرآن وانه كتاب لانه ما يظهر بالكتابة ويظهر بالقراءة وقد مضى اشتقاقهما في البقرة وقال

في سورة

في سورة الحجر الرتلك اياتُ الكتابِ وقرآنٍ مبينٍ فاخرج الكتاب بلفظ المعرفة والقرآن بلفظ النكرة وذلك لان القرآن والكتابَ اسمان يصلح لكل واحد منهما ان يجعل معرفة وان يجعل معرفة وان يجعل صفة ووصف بالمبين لانه بين فيه امره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده وقد تقدم قوله تعالى هدى وبشرى للمؤمنين هدى في موضع نصب على الحال من الكتاب تلك اياتُ الكتابِ هاديةً ومبشرةً ويجوز الرفع على الابتداء اى هو هدى وان نصب على حذف حرف الصفة اى فيه هدى ويجوز ان يكون الخبر للمؤمنين ثم وصفهم فقال الذين يقيمون هو الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم يوقنون وقد مضى في اول البقرة بيان هذا قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة اى لا يصدقون بالبعث زينا لهم اعمالهم فنيل اعمالهم السيئة حتى راوها حسنة وقيل زينا لهم اعمالهم الحسنة فلم يعملوها وقال الزجاج جعلنا جزاءهم على كفرهم ان زينا لهم ما هم فيه فهم يعمهون اى يترددون في اعمالهم الخبيثة وفي ضلالتهم عن ابن عباس ابواب العناء هم فيما دون قنارة ملعونون للحسن يحرمون قال الزاجز

وهمه اطرافه في همه ... اعمى الهدى بالجائرين العسفه

قوله تعالى اولئك الذين لهم سوء العذاب وهو جهنم وهم في الاخرة هم الاخسرون في الاخرة ليس ولا يمكن بمتعلق بالاخسرين فان من الناس من خسر الدنيا وربح الاخرة وهو لا خسر والاخرة يكونهم فيها اخسر كل خاسر قوله تعالى وانك لتلقى القرآن اى يلقى عليك فتتلقاه وتعلمه وتاخذه من لدن حكيم عليم لدن بمعنى عند الا انها مستبدة غير متمكنة لانها لا تتمكن وفيها لغات ذكرت في الكهف وهذه الاية بساطة وتمهيد لما يريد ان يسوق من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه قوله تعالى اذ قال موسى لاهله اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم خذ يا محمد من انباء حكمته وعلمه قصة موسى اذ قال لاهله اني انست نارا اى ابصرتها من بعد قال الحوت بن جلوح انست بنار وافترعها العباس بن مرداس بكم سمها بخبر او اتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون قراءاصم وحمزة والكسائي بشهاب تقبس بتنوين شهاب والباقون بغير تنوين على الاضافة اى بشعلة نار واختاره ابو عبيد وابو عاصم وزعم الفراء ترك التنوين انه بمنزلة قولهم ولدار الاخرة ومسجد الجامع وصلاة الاولى اضاف الشيء الى نفسه ان اختلفت اسماؤه قال في اللغة ضم الشيء الى الشيء فحينئذ ان يضم الى نفسه وانما يضاف الشيء الى الشيء ليبين به معنى الملك او النوع فمعنى ان يكون اسما لمالك نفسه او من نوعها وشهاب تقبس اضافة النوع والجنس كما يقول هذا ثوب خز وخاتم حديد وشهاب والشهاب كل ذي نور كالكوكب والعود الموقد والقبس اسم لما يقتبس من نحو وما اشبهه فالمعنى بشهاب من قبس تقول اقتبست قبسا واقتبست نارا والاسم قبس كما يقول قبضت قبضا والاسم القبض ومن قرا بشهاب قبس جعله بدلا من المهدوي او صفة كان القبس يجوز ان يكون اسما غير صفة ويجوز ان يكون في الاصل صفة فلما كونه صفة فلانهم قالوا اقتبسته قبسا والقبس المقبوس وان كان صفة فالاحسن ان يكون نعتا والاضافة فيه اذا كان غير صفة حسن وهي اضافة النوع الى الجنس كخاتم فضة وشهاب وتوقد بنصب فقبس على البيان او الحال من المجاز النحاس ويجوز في غير القرآن بشهاب فقبسا على انه مصدر او بمعنى اقتبس لعلكم تصطلون اصل الطاء تاء فابدل من التاء مما طاء كان الطاء مطبقة والصاد مطبقة فكان الجمع بينهما حسنا ومعناه يستدفئون من البرد يقال اصطلى يصطلي اذا استدفا قال الشاعر

لما رفا كهبة الشتاء من يرد اهل الموائد شتائيا فليصطلي

الرماج كل ابيض ذي نور فهو بشهاب ابو عبيدة الشهاب النار قال ابو اللحم كلما كان شهابا واقدا اصاب مولاهم فصار حامدا احمد بن يحيى اصل الشهاب عود في احد طرفيه حمرة والاخر لا نار فيه وقوله النحاس فيه حسن والشهاب الشعاع المضيء

ومنه قيل للكوكب الذى يمد ضوءه فى السماء وقال الشاعر

* مثل كفر صعده منتفقه فيها سبان كشمعه المحبس *

قوله تعالى فلما اتاها اى فلما جاءها موسى الذى ظن انه نار وهى نور قال وهب بن منبه فلما راى موسى الناس وقف قريبا منها فرأها تخرج من فروع شجرة خضراء شديدة الخضرة قال فما الحليق لا تزداد فضرة ما وعظيما ولا يزداد الشجر الا خضرة وحسنا فتعجب منها واهوى اليها ليصعت فى يده ليقتبس منها فالت اليه فخافها فتاخر عنها ثم لم يزل يطمع فيها الا ان وضع امرها على انها مامورة لا يدرى من امرها الى ان يدرى ان نورا من النار ومن حولها وقد مضى هذا المعنى فى طه نودى اى ناداه الله كما قال وناديناه من جانب الطور الايمن ان نور قال الزجاج ان فى موضع نصب اى انه قال ويجوز ان يكون فى موضع رفع جعلها اسما لم يسم فاعله وحكى ابو حاتم ان فى قراءة ابى وابن عباس ومجاهد ان بورك النار ومن حولها قال النحاس ومثل هذا لو وجد باسناد صحيح ولو صح لكان على التفسير ويكون البركة راجعة الى النار ومن حولها الملائكة وموسى وحكى النسائى عن العرب باركك الله وبارك لك فيك الا على العرب تقول بارك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك اربع لغات قال الشاعر

* فبوركت مولودا وبورك ناشئا وبوركت * عند المشيب اذ انتمت اشيب *

الطبرى قال بورك من فى النار ولم تقل بورك على النار على لغة من يقول بارك الله وبقال بارك الله وبارك له وبارك عليه وبارك فيه بمعنى اى بورك على من فى النار وهو موسى او على من فى قرب النار لانها كانت فى وسطها وقال السدى كان فى النار ملائكة قال التزيل عائد الى موسى والملائكة اى بورك فيك يا موسى وفى الملائكة الذين هم حولها وهذا تحية من الله تعالى لموسى ومكرمة له كما حيا ابراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه قالوا رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت وقوله تعالى قاله ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير قدس من فى النار وهو الله سبحانه عنى به نفسه تقدس وتعالى قال ابن عباس ومحمد بن كعب النار نور الله عز وجل نادى الله موسى وهو فى النور وتاويل هذا ان ظن موسى عليه السلام راى نورا عظيما فظنه نارا وهذا لان الله تعالى ظهر لموسى بايانه وكلامه من النار لانه يحضر فى جميعه وهو فى السماء الله وفى الارض اله لانه يحضر فيهما ولكنه يظهر فى كل فعل فيعلم به وجود الفاعل وقيل على هذا اى بورك من النار تسلطانه وقدرته وقيل اى بورك ما فى النار من امر الله تعالى الذى جعله علامة قلت وبما يدل على صحة قول ابن عباس ما خرجه مسلم فى صحيحه وابن ماجه فى سننه واللفظ له عن ابى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغى له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يحاب به النور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل شئ ادركه بصره ثم قرا ابو عبيدة ان بورك فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين اخرجه البيهقى ايضا ولفظ مسلم عن ابى موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغى له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفى رواية ابى بكر النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه وبهما قيل سبحان الله انما هو تعظيم له وتنزيه وقوله لو كشفها يعنى لرفع الحجاب عن اعيننا ولم يبق لنا رؤيته لاحرقوا وما استطاعوا لها قال ابن جريج النار حجاب وهى سبعة حجب

حجاب العزة وحجاب الملك وحجاب السلطان وحجاب النار وحجاب النور وحجاب
الانام وحجاب الماء والحقيقة فالمخلوق المحجوب والله لا يحجبه شئ فكانت النار نورا واعادكم و
لبسط النار وكان موسى حسبه نارا والعرب يضع احدهما موضع الاخر وقال
سعيد بن جبير كانت النار تحسبها فسمعه تعالى كلام من نار فحسبها واظهر له زبونة
من جهنم وهو كما روى انه مكتوب في التوراة حالا من سمعا واشرف من سماع
واستعلى من حياة فاران محمد من سيناء بعثه موسى منها واسراره
من ساعير بعثه المسيح منها واستعلاؤه من فاران بعثه محمدا صلى الله
عليه وسلم وباء ان بكة وسنابي في القصص لاسماعه سبحانه كلام من
السحر زيادة بيان ان شاء الله تعالى قوله تعالى وسبحان الله رب
العالمين سترعلوقد سبحان الله رب العالمين وقد تقدم في غير موضع وللعنى اني
وبقوله من حولها وسبحان الله الخ وقيل ان موسى قاله حين فرغ
من سماع النداء بسماعه بالله تعالى وتنزيها له قاله السدي وقيل هو من قول
الله تعالى وممناه وبورك فيمن سبح الله تعالى رب العالمين حكاه ابن عيسى
قوله تعالى يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم الهاء عماد ولبست بكناية عن قوله
الكوفيين والصحيح انها كناية عن الامر والشان انا الله العزيز الغالب الذي ليس
كمثله شئ الحكيم في امره وفعله وقيل قال موسى يا رب من الذي
نادى فقال انه اي اني انا المنادي لك انا الله قوله تعالى وان
والق عصاك قال وهب بن منبه ظن موسى ان الله امره ان
يرفضها من يده وقيل انما قال له ذلك ليعلم موسى ان المكلم
له هو الله وان موسى رسوله وكل نبي فلا بد له من اية في نفسه فتعلم بها نبوته
وفي الاية حذف اي والق عصاك فالقاها من يده فصارت حية تهتز كانها
جان وهي الحية الخفيفة الصغيرة الجسم وقال الكلبي لا صغيرة
ولا كبيرة وقيل انها قلبت له اولا حية صغيرة فلما انس بها قلبت حية كبيرة
وقيل انقلبت مرة حية صغيرة ومرة حية تسعى وهي الاشي ومرة ثعبانا
وهو الذكر الكبير من الحيات وقيل المعنى انقلبت ثعبانا يهتز كانها جان
لها عظيم الثعبان وحركة الجان واهتزازه وهي حية تسعى وجمع الجان جنان
ومنه الحديث نهى عن قتل الجان التي في البيوت ولى مدبرا ولم يعقب
اي لم يرجع قاله مجاهد وقتادة لم تخف يا موسى لا تخف اي من الحية وصرها اني لا يخاف لدي المرسلون ونزل الكلام
ثم استثنى استثناء منقطعا فقال الا من ظلم وقيل انه استثناء متصل
محذوف والمعنى اني لا يخاف لدي المرسلون وانما يخاف غيرهم ممن ظلم ثم بدل
حسنا بعد سوء فانه لا يخاف قاله الفراء قال النحاس استثنا
من محذوف تقديره لكنه استثنا من شئ لم يذكر ولو جاز هذا لجاز اني لاضرب
القوم انما اضرب غيرهم الا زيدا بمعنى اني لاضرب القوم انما اضرب غيرهم الا زيدا
وهذا ضد البيان والمعنى مما لا يعرف معناه وزعم الفراء ايضا ان بعض النحويين
يجعل الا بمعنى الواو اي ولا من ظلم قال وكذا حرف عبد الله اخوه لعمر بيد
الا انه قد ان قال النحاس وكون الا بمعنى الواو لا وجه له ويجوز في
شئ من الكلام ومعنى الاستثناء الاخوة ولا نسبة بينهما ولا تعارف وفي الاية قول
اخر وهو ان يكون الاستثناء متصلا والمعنى الا من ظلم المرسلين بانيان الصغائر
التي لا يسلم منها احد سوى ما روى عن يحيى بن زكريا عليه السلام وما ذكره
الله تعالى في نبينا عليه السلام من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر ذكره المهدوي واختاره النحاس قال علم الله من عصى منهم
فاستثناه فقال الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء اي فانه يخاف
فان كنت قد عرفت ذلك يعني ادم وداود عليهما السلام والذين يحشرون
كالذي فرط من ادم ويونس وداود وسليمان واخوته ويوسف ومن موسى صلى
عليه السلام توكزه القبطي فان قال قيل فما معنى الخوف بعد التوبة
والمغفرة قيل له هذه سبيل العلماء بالله عز وجل ان يكونوا خائفين من معاصيهم

وحلس وهم ايضا لا يامنون ان يكون قد بقي من اشتراط التوبة شئ لم يأتوا به فهم يخافون من هم
المطالبة به وقال الحسن وابن جريج قال الله تعالى لموسى اني اختار
لقتلى العمالقة فقال موسى وكانت الانبياء تذنب فتتاب قال المعلى
والقشيري والماوردي وغيرهم فالاستثناء على هذا صحيح اي الا من ظلم نفسه من الموطن
والسبق فيما فعل من صغيره او قبل النبوة وكان موسى خاف من قبل العمالقة وبادر منه
وقد قيل انهم بعد النبوة معصومون من الصغائر والكبائر وقد مضى هذا في الاعراف
قلت والاول اصح لتعلمهم من ذلك في القيمة كما في حديث الشفاعة
وانا احدث المعنى بحدثا فهو فان عقله ذلك الحديث فانزل ذلك الحدث ما قد وما لام
الا تؤاخذ البهيمة قايمة فالحوق كائن لا خوف العقوبة ولكن خوف العظمة والمهم عند
السلطان عد للبهيمة جزاء بودية الى ان يدر عليه صغا التقة وموسى صلى
الله عليه وسلم قد كان منه الحدث في ذلك العرعوني ثم استغفر واقر بالظلم
على نفسه فتقبل له ثم قال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا
للمجرمين ثم ابتلا من العد بالعرعوني الاخر واراد ان يبطش به فصار حدثا اخر
بهذه الارادة وانما ابتلى من العد لقوله فلن اكون ظهيرا وذلك كلمة اقتدار من قوله لن
افعل فعوقب بالارادة حين اراد ان يبطش ولم يفعل فسلط عليه الاسرائيلي حتى
اقتفى سره كما من الاسرائيلي لما راه سيتمر ليبطش ظن انه يريده فاقتفى عليه فقال
يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فهرب العرعوني واخبر فرعون
بما اقتفى الاسرائيلي على موسى فكان القتل بالامس مكتوما امن كان يدري من قتله
فلم علم فرعون بذلك وجه في طلب موسى ليقتله استمر الطلب واخذوا مجامع
الطرق جاء رجل يسعى قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك
الاية فخرج كما اخبر الله فخوف موسى انما كان خوفه من اجل هذا الحديث مهموا ان قربه
ربه واكرمه واصطفاه بالكلام فالبهيمة التي ما فيه ولت به ولم يجعل قوله تعالى
وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء تقدم القول في طه القول
فيه في تسع ايات قال النحاس احسن ما قيل فيه ان هذه الاية داخلة
في تسع المعنى الى عصاك وادخل يدك في جيبك فهما ايتان من التسع
ايات وقال مجاهد العشير كالعشراء خرجت في عشر نفر وانت احدهم
اي خرجت عاشر عشرة ففي بمعنى من لغتان بمعنى كالتعوقب حدثني عشرا
من الابل فلان اي منها وقال الاصمعي في قول امرئ القيس

وهل يعمن من كان اخر عهده ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال

في بمعنى من وقيل في بمعنى قال ايات عشر منها الجدب والتسع المحق والحصا والجراد
والقمل والطوفان والدم والضفادع والسنين والطمسة وقد تقدم بيان جميعها
الى فرعون وقومه قال الزمخشري الكلام اضمار لدلالة الكلام اي انك
مبعوث فترسل الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن طاعة
الله وقد تقدم قوله تعالى فلما جاءهم اياتنا مبصرة اي واضحة بينة قال
الاخفش ويجوز مبصرة وهو مصدر كما قال انما هو سحر مبين
جروا على عادتهم في التكذيب ولهذا قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
ظلما وعلوا اي تبعوا انها من عند الله وانها ليست سحرا ولكنهم كفروا بها وانكروا ان
يؤمنوا لموسى وهذا بدل على انهم كانوا معاندين وكما وعلوا منصوبان
على نعت مصدر محذوف اي وجحدوا بها جحودا ظلما وعلوا والبادرة الحدة اي وجحدوها
قاله ابو عبيدة فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المفسدين اي جزاء امر الكافرين هم
الطاغين انظر ذلك بتعيين قلبك وتدبر فيه لتزداد الخطاب او لغيره قوله تعالى
ولقد اتينا داود وسليمان علما اي فهما قاله قتادة وقيل علما بالدين والحكم وغيرهما
كما قال وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل صنعة الكيمياء وهو سار وانما
الذي اتاهما الله النبوة والخلافة في الارض والملك وقالا الحمد لله الذي فضلنا على
كثير من عباده المؤمنين وفي الاية دليل على شرف العلم وانه يحله وتقدم حكمه
واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا
على كثير من عباد الله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقد تقدم

هذا في عز موضع قوله تعالى وورث سليمان داود قال الكلبي كان لداود تسعة عشر ولدا ذكورا فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه ولو كان وراثة المال لكان جميع اولاده فيه سواء وقاله بن العربي قال خلوا كتاب وراثة مال لا تقسمت على الورثة بحسب الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة وزاد من فضله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده قال بن عطية داود من بني اسرائيل وكان ملكا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة بعني صار اليه ذلك بعد موت ابيه فسمي ميراثا مجازا وهذا هو نحو قولهم العلماء ورثة الانبياء ويحتمل قوله عليه السلام ايا معشر الانبياء ان يريد ان ذلك من فضل الانبياء وسيرتهم وان كان فيهم من ورث ماله كزكريا على اشهر الاقوال فيه وهذا كما تقول ايا معشر المسلمين انما شغلتنا العبادة والمراد ان ذلك فضل الاكثر ومنه ما حكى سيبويه ايا معشر العرب اقرى الناس للضيف فلت فد تقدم هذا المعنى في مريم وان الصحيح القول الاول لقوله عليه السلام ايا معشر الايمان لا يورث كنوز علم ولا يخرج شيء منه الا بدليل قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود وافتى مئة وكان داود اشد تعبدا من سليمان قال غيره ولم يبلغ احد من الانبياء ما بلغ ملكه قال الله سبحانه وتعالى سخر له الانس والجن والطير والوحش واتاه ملكا لم يؤت احدا من العالمين وورث اياه في الملك والنبوة واقام لشريعته وكل نبي جاء بعد موسى ممن بعث اولم يبعث قائما كان بشريعة موسى الى ان بعث المسيح عليه السلام فنسخها وبينه وبين هو البحر نحو من الف وثمانمائة وثمان ما بة سنة واليهود تقول الف وثلثمائة واثنان وستون سنة وقيل ان بين موته وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحو من الف وسبعمائة سنة واليهود تنقص من هذا ثلثمائة سنة وعاش بعد ذلك ستين سنة قوله تعالى وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير اي قال سليمان لبني اسرائيل على جهة التشكر لنعم الله علينا منطق الطير اي تفضل الله علينا على ما ورثنا من داود من العلم والنبوة والملك في الارض قيل ان فهمنا من اصوات الطير المعاني التي تفهمها قال مقاتل في الاية كان سليمان جالسا ان مر به طائر يطوف فقال لجلسائه اتدرون ما يقول هذا الطائر قالت الله اعلم قال سليمان انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء فنزل فاتاه فقال ايها الملك المسلط والنبي لبني اسرائيل اعطاك الكرامة واظهرك على عدوك ان منطلق الى فراخي ثم امر بك الثانية وانه سيرجع الينا الثانية ثم رجع فقال انه يقول السلام عليك ايها الملك المسلط ان سمعت ان تاذن لي كيما اكتسب على فراخي يشبعوا ثم اتيك فافعل ما شئت فاخبرهم سليمان بما قال فقال وان له فانطلق وقال قد قدر السحي مر سليمان على بليل فوق شجرة تحيك راسه وعيدة به فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البليل قالوا لا ياتي الله قال انه يقول اكلك نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخا فقال له سليمان احذر يا هدهد فقال يا نبي الله هذا حبني لا عقل له فانا اسحر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حباله الصبي وهو في يده فقال هدهد ما هذا قال ما رأيتهما حين وقعت فيهما يا نبي الله قال ويحك فانت ترى الماء تحت الارض اما ترى الفخ قال يا نبي الله اذا وقع القضاء عمي البصر وقال كعب صاح ورشان عند سليمان بن داود فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول اذوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاحة فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انها تقول لدوا للموت وابنوا للخراب يا ابناء الناس لما خلقتم وصاح عنده طاووس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح عنده هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد عنده فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقيل ان الصرد هو الذي دل ادم على مكان البيت وهو اول من صام ولذلك يقال لرائد الصرد الصوام روى عن ابي هريرة وصاحت عنده طيطوى فقال اتدرون

ما يقول قالوا لا قال انما تقول قد سمعوا خبرا تحدث فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل ان ادم خرج من الجنة فاشتكى الى الله الوحشة فاسمعه الله تعالى بلطائف
الحيل صوت القبوت فمن لا تعارف بني ادم اسمعهم فقال ومعها اربع ايات من كتاب
الله عز وجل لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته الاخرها وتخصوصها بقوله العزيز الحكيم وهدرت
حمامة عند سليمان فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الاعلى
عدد ما في سمائه وارضه وصاح ديك عند سليمان فقال اتدرون ما يقول
قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي العظيم سبحان ربي الاعلى المهيمن وقال
كعب وجد تهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن العشار والحدأة تقول
كل شيء هالك الا وجهه والعقاب تقول من سكت سلم والثعلب يقول ويل لمن الدنيا
همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والفار يقول سبحان ربي
وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل مكان وقال
مكحول صاح ديك عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال
انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال الحسن قال النبي صلى
الله عليه وسلم الديك اذا صاح قال اذكروا الله يا غافلين وقال الحسن بن
علي بن ابي طالب قال النبي صلى الله عليه وسلم العصفور اذا صاح قال بن ادم عش
ما شئت فاخرك الموت واذا صاحت العقاب قالت في البعد من الناس الراحة
واذا صاح الهزبر قالت الهي الحق مبغضي محمد صلى الله عليه وسلم واذا صاح
الحطاف قال الحمد لله رب العالمين الى اخرها فتقول ولا الضالين ويمد بها صوته
كما يمد القارئ قال قتادة والشعبي انما هذا الامر في الطير خاصة لقوله علمنا
منطق الطير والنمل طير اقد يوجد له اصبع قال الشعبي وكذلك كانت هذه
النملة قد ان جناحين وقالت وقرة بل كان في جميع الحيوان وانما ذكر الطير لانه كان جند
من جند سليمان بجناحه في التظليل على الشمس وفي البعث في الامور فخص بالذكر
لكثرة مداخلته وكان امر سائر الحيوان سايرا غير متردد عن ذا امر الطير وقال
ابو جعفر النحاس والمنطق قد يجمع لما يفهم بجنس كلام والله جل وعز اعلم بما اراد قال
ابن المرزبان من قال انه لا يعلم الا منطق الطير فنقصان عظيم وقد اتفق الناس على
انه كان يفهم كلام من لا يتكلم ويخلق له فيه الفهم من النمال وكان كل يوم يقول
له انا شجر كذا فيقطع من كذا واخر من كذا فما ظنك بالحيوان قوله تعالى واوتينا من كل
شيء ان هذا لهو الفضل المبين اي من كل شيء نبتاليه حاجة النبي والحلم والحكمة
والعلم والتسخير من الجن والانس والطير والرياح والوحش والدواب
وكل ما بين السما والارض ان هذا لهو الفضل المبين اي الظاهر والمظهر لفضيلتنا
قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وحشر حشر جمع والحشر الجمع وفيه قوله
جل وعز وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا واختلف الناس في معنى احشر جند سليمان
عليه السلام فيقال كان معسكرهم مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون
للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون
للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة سرية
وسبعمائة سرية من عصية اختلف في معسكره ومقدار جنده اختلافا شديدا
غير ان الصحيح ان ملكه كان عظيما ملا الارض والعادل له المعمور كلهم يوزعون
بمعناه يردا ولهم الى اخرهم ويكفون قال قتادة لكل صنف وزعة اي رؤساء
ومواضعهم من الكرسي ومن الارض اذا مشوا فيها فقال وزعه ازعه
وزعا اي لمعه والوزاع في الحرب الموكل بالصفوف نوع من تقدم منهم روى محمد بن
اسحاق عن اسما بنت ابي بكر قالت لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذي طوى يعني يوم الفتح قال ابو قحافة وقد كف يومئذ بصره لابنته
اظهري بي على ابي قبيس قالت فاشرفت به عليه فقالت ما ترين قالت اشارى
سوادا مجتمعا قال تلك الخيل قالت والذي رجلا بين السواد متجلا
ومدبرا قال تلك الوزاع عنها ان يسير وذكر تمام الخبر ومن ذلك
قوله عليه السلام ما رأى الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ

منه

منه في يوم عرفة وما ذلك الا لما رأى من تنزل الرحمة وعجلون الله عن الذنوب
الطعام الا ما رأى يوم بدر فقيل وما رأى يا رسول الله فقال اما انه
رأى جبريل ينزع الملائكة اخرجه الموطأ ومن هذا المعنى قوله النابغة
على حين عاتبت المشيب على الصبى وقلت المأ اصح والشيب وازع
وقال اخر
ولما التقينا جرت من جفوننا دموع وذعنا سربها بالاصابع
وقال اخر
ولا ينزع النفس الجموح عن الهوى من الناس الا وافر العقل كامله
وقيل هو من التوزيع بمعنى التقريب والقوم اوزاع اى طوائف وفي القصة
ان الشياطين نسجت له بساطا من قوارير في قوارير ذهبا في ابريسما وكان
يوضع له كرسي من ذهب وحوله ثلاثة الاف كرسي من ذهب وفضة
فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة الثانية
في الاية دليل على اتخاذ الامام والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعهم من
تظاوت بعضهم على بعض الا يمكن الحكام من ذلك بانفسهم وقال
ابن عون سمعت الحسن يقول وهو في مجلس قضائه فلما راى ما يصنع الناس
قال والله ما يصلح هؤلاء الناس الا وزعة وقال الحسن ايضا
لابد للناس من وزاع اى من سلطان يكفهم وذكر ابن القاسم قال مالك بن
عثمان بن عفان كان يقول فما نزع الامام اكثر مما ينزع القرآن اى من
الناس قال ابن القاسم فلت لمالك ما نزع قال بكيف قال اقاضي
ابو بكر بن العربي وقد جهل قوم المراد بهذا الكلام وظنوا ان المعنى ان قدر ما
السلطان يردع الناس اكثر مما يردعهم حدود القرآن هذا جهل بالله وحكمته
فان الله ما وضع الحدود الا لمصلحة عامة قائمة لقوم الخلق لا زيادة عليها
ولا نقصان معها ولا مصلحة سواها ولكن الظلمة تجاسروا بها وجسروا عليها
وابوا ما ابو بعزيمة ولم يقصدوا وجه الله في اقتضائها فلم يرد الخلق بها
ولو حكموا بالحدود واخلصوا النية لاستقامت الامور وصلح الجمهور
قوله تعالى حتى اذا اتوا على واد النمل قالت نملة يا ايها النمل الى قوله فتبسم
ضاحكا فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى حتى اذا اتوا على واد النمل
قال قتادة ذكر لنا انه واد بارض الشام وقال كعب
هو بالطايف قالت نملة يا ايها النمل قال الشعبي كان للنملة جناحان
فصارت من الطير فلذلك علم منطقها ولولا ذلك لم علمه وقد مضى هذا
وباقي وقرأ سليمان النيمي نملة والنمل بفتح النون وضم الميم وعنه ايضا
ضمهما جميعا وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قرارها
قال كعب ومر سليمان عليه السلام بواد السمدير من اودية
الطايف فاتى على واد النمل فقالت نملة تمشي وكانت عرجا اسمها شكا وسمها
مثل الذئب في العظم فنادت ايها النمل الاية وكانت تمشي وهي عرجاء شكا وسمها
وقيل كان اسمها طاحنة وقال السهيلي ذكروا اسم النملة الكلمة
لسليمان عليه السلام وقالوا اسمها حرميا ولا ادري كيف يتصور للنملة
اسم علم والنمل لا يسمي بعضهم بعضا ولا الادميون عليهم تسمية واحدة منهم
باسم علم لانه لا يتميز للادميين بعضهم من بعض ولانهم ايضا واقعون
تحت ملكة بني ادم كالخيل والكلاب ونحوها فان التسمية لما كان لذلك موجودة
عند العرب فان قلت ان التسمية موجودة في الاجناس كثعالة واسامة
وحباب وقيام في الضبع ونحو هذا الكثير فليس اسم النملة من هذا القبيل
لانا نعلم ان اسم علم لنملة واحدة معينة من بين سائر النمل ونمالة ونحوه
لا يختص بواحد من الجنس بل كل واحد واحد من ذلك الجنس فهو نملة
وكذلك اسامة وبن اوى وبن عرس وما اشبه ذلك فان صح ما قالوه فله
وجه وهو ان يكون هذه النملة الناطقة سميت بهذا الاسم وعرفها به الانبيا
قبل سليمان عليه السلام في التوراة او في الزبور او في بعض الصحف لما اراها الله تعالى من

بهذا الاسم وعرفنا به الانبيا قبل سليمان او بعضهم وخصت بالتسمية لنطقها
وايانا فهذا وجه ومعنى قولنا بايانها قالت للنمل لايحطمنكم سليمان وجنوده
وهم لا يشعرون النعاية من اى من عرف سليمان وفضله وفضل
جنوده لايحطمون نملة كما قوهما الايان لا يشعرون وقد قيل ان تبسم سليمان هو
سرور بهذه الكلمة منها ولذلك اكد التبسم بقوله ضاحكا اذ قد يكون التبسم
من غير ضحك ولا رضى للاراهم يقولون فتبسم يتبسم التبسم العضبان ويتبسم
التبسم المستهزئين ويتبسم الضحك انما هو عن سرور ولا سرني يا مرزنة
وانما يتبسم بما كان الدين من الدين وهم لا يشعرون اشارة الى الدين والحمد
والرافة ونظير قوله النملة في جنب سليمان وهم لا يشعرون قول
الله تعالى في جنب محمد صلى الله عليه وسلم فنصيبكم منهم معرة بغير
علم النعاما الى انهم لا يقصدون هدر دمه الا ان التسمي على جنب هي النملة
باذن الله والتسمي على جنب محمد صلى الله عليه وسلم هو الله جل وعز هو
بتقديمه لمحمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جنب غيره من هو
الانبيا كمحمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جميع النبيين صلى الله
عليهم اجمعين وقرا سهل بن حوشب مساكنكم بسكون النون على الافراد
وفي مصحف ابي مساكنكن لا يحطمنكم وقرا سليمان النبي مساكنكم
لا يحطمنكن ذكر النحاس اى لا يكسرنكم بوطيهم عليكم وهم لا يعلمون بكم قال
المهدوي وافهم الله تعالى النملة هذا لتكون معجزة لسليمان وقال
وهب امر الله تعالى الريح ان لا تحمل احدا شيا الا طرحته في سمع سليمان هو
بسبب ان الشيطان اراد تكبره وقد قيل ان هذا الوادي كان ببلاد اليمن
وانما كانت نملة صغيرة مثل النمل الصغار قاله الكلبي وقال
الثعلبي وشعيب بن سلمة كان مثل ذلك الوادي كمثل الذباب في العظم
وقال نوره الاسلمي كمثل النعاج قال محمد بن علي
الترمذي قال كان على هذه النملة كلها صوف وانما افتقد صوت النمل لان
لصغر خلقها والا فالاصوات في الطيور والبهايم ندركه وذلك مطبقهم وفي
تلك المناطق معاني التسبيح وغير ذلك وهو قوله تعالى وان من شي الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قلت وقوله لا يحطمنكم يدل على صحة قول
الكلبي اذ لو كانت كمثل الذباب والنعاج لما حطمت بالوطي والله اعلم
وقال ادخلوا مساكنكم فجاء على خطاب الادميين لان النمل هاهنا
اجرى مجرى الادميين حين نطقت كما ينطق الادميون قال ابو
اسحاق الثعلبي ورايت في بعض الكتب ان سليمان قال لها لما
حدثت النمل احفظي علي ما علمت اني نبي عدل فلم قلت
لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولي وهم لا يشعرون
مع اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب حسبت ان يثنيهن
مثل ما اعطيت او يبتلين بالدنيا او يستغلين بالنظر الى ملكك عن التسبيح
والذكر فقال لها سليمان عظيني فقالت النملة اما علمت لم سمي
ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جرحه فودا هل علمت لم سميت
سليمان قالت لانك سلمت الناحية على ما اوتيته بسلامة صدرك وان
لك ان تلحق بابيك ثم كانت اول ريح لم تحمله تلك الريح قال لا
قالت اخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها منجبا ثم مضت
مسرعة الى قومها فقالت هل عندكم من شي يهدى الى نبي الله قالوا وما قدر
ما نهدي له والله ما عندنا الا نبقة واحدة قالت حسبتكم ايتوني بها فاتوها
بها فحملتها فحملها وانطلقت نحوه فامر الله الريح فحملتها واقبلت تنتشق الجن والانس
والعلما والانبيا على البساط حتى وقعت بين يديه ثم وضعت تلك النبقة
من يدها في كفه وانشدت تقول

• الم تر انا نهدي الى الله ما له وان كان عنه داعنا فهو قابله •
• ولو كان يهدى للجليل لعدوه لافضح عنه اليم يوما تساحله •

ولكننا

ولكننا نهدى الى من نحبه فيرضى به عنا ويشكر فاعله
ونهدى الى من كرم فعاله والامانى ملكنا ما يبتغا كله
فقال لها بارك الله فيكم بتلك الدعوة اشكر خلق الله واكثر خلق الله
وقال ابن عباس نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب
الهدهد والصرد والنملة والنحلة اخرجه ابو داود فى الاعراف قال النملة انبت على سليمان
واجرت باحسن ما تقدر عليه بانهم لا يشعرون ان حطمتكم ولا يعلمون ذلك
عن عمد منهم فيتغير عنه الحور فلذلك نهى عن قتلها وعن قتل الهدهد لانه
كان دليل سليمان على الماء ورسوله الى بلقيس وقال عكرمة انما
صرف الله سر سليمان عن الهدهد لانه كان نارانا توبه والصرد نقار
الصرد الصوام وروى عن ابى هريرة قال اول من صام الصرد ولما خرج
ابراهيم عليه السلام من الشام الى الحرم فى بنا البيت كانت السكينة
معه والصرد فكان الصرد يدله الى الموضع والسكينة معه داره فلما صار
الى البقعة وقعت السكينة على موضع البيت وناديت ان يا ابراهيم على
مقدار ظلى وقد تقدم فى الاعراف سبب النهى عن قتل الضفدع وفى النحل
نهى عن قتل النحل والحمد لله الثانية قرأ الحسن لا يحطمنكم وعنه ايضا
لا يحطمنكم وعنه ايضا وعن ابى رجا لا يحطمنكم والحطم الكسر حطمه اى
كسره وحطم والتحطيم التكسير وهم لا يشعرون يجوز ان يكون حالا من
من سليمان وجنوده وهم لا يشعرون والعامل فى الحال يحطمنكم او حالا من
من النملة والعامل قالت اى قالت ذلك فى حال عقلهم
الجنود كقولك جئت والناس غافلون او حالا من النمل ايضا والعامل قالت
على ان المعنى والنمل لا يشعرون ان سليمان يعلم مقالتها وفيه بعد وسيأتى
الثالثة روى مسلم من حديث ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان نملة قرصت نبيا من الانبيا فامر بقرية النمل فاحرقت فاوحى الله اليه افى
ان قرصتك نملة اهلكت امة من الامم تسبح وفى طريق اخر لنملا نملة واحدة
قال علما ونا فيحال انه هذا النبى هو موسى عليه السلام وانه قال
يا رب تعذب اهل قرية لصاحبهم وفيهم الطايع فكانه احب ان يريه
ذلك من عنده فسلط عليه الحر حتى التجا الى شجرة مسروحا الى ظلها وعندها
قرية النمل فعليه النوم فلما وجد طعم النوم لذعته نملة فاصحرته قد للهمن
بجدمر فاهلكهن واحرق تلك الشجرة التى عندها مساكنهم فاراه الله العبرة
فى ذلك انه لما لذعته نملة فكيف اصبت انا فلن يعذبهما يريد ان يعلمه
ان العقوبة من الله تعالى تهم فيصبر نفسه على المطيع وظهاره وتوكد سرا وتهم
على العاصى وعلى هذا فليس فى الحديث ما يدل على كراهة ولا حظر
فى قتل النمل فان من اتاك حل لك دفعه عن نفسك ولا احد من خلقه
اعظم حرمة من المومن وقد اباح لك دفعه عنك تقتل وضرب على هو
المختار فكيف بالهوام والدواب التى قد سخرت لك وسلطت عليه فاذا
اذاك اباح لك قتله وروى عن ابراهيم ما آذاك من النمل فاقتله وقوله
الا نملة واحدة دليل على ان الذى يؤذى ويقتل وكلما كان القتل لنفع
او دفع ضرر فلا باس به عند العلما واطلق له نملة ولم يخص تلك النملة التى
لدغت من غيرها لانه ليس المراد اقتصاص لانه لو اراده لقال الا هو
نملتك التى لدغتك ولكن قال الا نملة مكان نملة ثم الحرق والحيا
فى ذلك ليعلم انه اراد ان يبتليه ليسلبه ربه فى عذاب اهل قريته وفيهم
المطيع والعاصى وقد قيل ان هذا الشى كانت العقوبة به للحيوان بالنحل التى
جايزة فى شرعه وكذلك انما عابته الله تعالى فى احراق الكثير من النمل الا فى
اصل الاحراق الا برى قوله فهلا نملة واحدة اى هلا حرقت نملة واحدة وهذا بخلاف
شرعنا فان النبى صلى الله عليه وسلم قد نهى عن التعذيب بالنار وقال
لا يعذب بالنار الا رب النار وكذلك ايضا كان قتل النمل مباحا فى شرعه ذلك

النبي صلى الله عليه وسلم فان الله لم يجتبه على اصل قتل النمل واما شرعنا فقد
جاء من حديث بن عباس وابي هريرة النهي عن ذلك وقد ذكر ملك قتل النمل الا
ان يضر ولا يقدر على دفعه الا بالقتل وقد قيل ان النبي انما عاتبه الله حيث انتقم
لنفسه باهلاك جمع اذاه واحد وكان الاولى به الصبر والصفح لا لئن وقع النبي
ان هذا النوع مودب بني ادم وحرمة بني ادم اعظم من حرمة غيره من الحيوان غير
الناطق فلوا نفرد له النظر ولم يلطم اليه التشفي الطبعي لم يعاقب والله اعلم
لكن لما اضاف اليه التشفي الذي دل عليه سياق الحديث عوتب الرابعة
قوله فان قرصتك نملة اهلكت امة من الامم مقتضى هذا انه يسبح تعالى
ونطق كما اخبر الله تعالى عن النمل انه نطقا وفهمه سليمان عليه السلام معجزة له
وتبسم وهذا يدل دلالة على ان للنمل نطقا وقولا لكن لا يسمعه كل احد
بل من شاء الله تعالى ممن خرق له العادة من نبي او ولي ولا ينكر هذا من حيث انا
لا نسمع ذلك فانه لا يلزم من عدم الادراك عدم المدرك في نفسه كما ان الانسان
يجد في نفسه قولا وكلاما ولا يسمع منه الا اذا نطق بلسانه وقد خرق الله العادة
لنبينا صلى الله عليه وسلم فاسمعه كلام النفس من قوم يحيد ثوا مع انفسهم
واخبرهم بما في نفوسهم كما قد نقل منه الكثير ايتنا في كتب معجزات النبي صلى
الله عليه وسلم وكذلك قد وقع لكثير ممن اكرمه الله تعالى من الاولياء مثل ذلك
في غير ما قضيه وانبأه عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان في امتي محدثون وهم
وان عمر منهم وقد مضى هذا في الحمار في سجاذ وانه يسبح تسبيح لسان ومقال
لا تسبيح دلالة حال والحمد لله الخامسة قوله تعالى فتبسم ضاحكا وقرا ابن
السميفع ضحكا هذا مذهب سيبويه وهو عند غير سيبويه منصوب بنفس
تبسم لانه في معنى ضحك ومن قرا ضاحكا فهو منصوب على الحال من هو
الضمير في تبسم والمعنى تبسم مقدارا لضحك لان الضحك يبتدئ التبسم
والتبسم دون الضحك وهو اوله يقال تبسم بالفتح تبسم سبما فهو باسم
وابتسم وتبسم والمتبسم الثغر مثل المجلس من جلس يجلس ورجل مبسام
وسبام كثير التبسم فالتبسم ابتداء الضحك والضحك عبارة عن الابتداء والانتهاء
الا ان الضحك يقتضي امرا زائدا على التبسم فاذا اراد ولم يضبط الانسان نفسه
قيل فهقه والتبسم ضحك الانبياء عليهم الصلاة والسلام في غالب امرهم وفي
الصحيح عن جابر بن سمرة وقيل له الا تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نعم كثيرا كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح او الغداة
حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا لا يجدثون فيأخذون في امر الجاهلية
فيضحكون ويتبسم وفيه عن سعد قال كان رجل من المسلمين قد احرق
في المسلمين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادم فداك ابي وامي قال
فنزع له سهم ليس فيه نصب فاصيب حسه فسقط فكشفت عورته فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى بواحذه فكان عليه السلام
في اكثر احواله تبسم وكان ايضا يضحك في احوال اخر ضحكا اعلى من هو
التبسم واقل من الاستغراق الذي يعتري واضعي المهوات وكان في الصحابة
من يجيبه ربما ضحك حتى بدت بواحذه وقد كثر العلماء منه الكثرة كما قال لقمان هو
لابنه يا بني اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب وقد روى مرفوعا من حديث
ابي ذر وغيره وضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت بواحذه حتى رمى سعد
الرجل فاصابه انما كان سرورا باصابته لا بانكشاف عورته فانه المنزه عن ذلك
صلى الله عليه وسلم السادس سهر لا اختلاف عند العلماء ان للحيوانات كلها لها
الهام وعقول وقد قال الشافعي للحمام اعقل الطير قال بن عطية
والنمل حيوان فطن قوي شمام جدا يدخر ويجد الغرى ويتقي الحب بمقطعتين
لئلا تنبت ويتقي الكمرة بارباع وطبع لها تتبين اذا سقت فقطعتين ويأكل
في عامه نصف ما جمع ويبستقي سائره قال بن العربي وهذه
خواص المعلوم عندنا وقد اركبها النمل بخلق الله ذلك لها قال الاستاذ ابو
المظفر شاهور الاسفرايني ولا بعد ان يدرك البهائم حدث العالم وحدث الخلوقات

وحد ابيه الاله ولكنها لا تفهم عنا ما نطلبها وهي نعرض منا بحكم الجنسية قوله
تعالى وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي قال معمر
واوزعني اي الهمني ذلك واصله من روع فكانه قال دعني عما سبحطك وقال محمد بن اسحاق
يزعم اهل الكتاب ان ام سليمان هي امراة اوريا التي امتحن الله بها داود وانه لما حدثت
زوجها تزوجها داود فولدت له سليمان عليه السلام وسياتي بهذا مزيد بيان في
سورة ص ان شاء الله تعالى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين اي مع عبادك
عن بن زيد وقيل المعنى في جملة عبادك الصالحين قوله تعالى وتفقد الطير فقال
لا احر قضية الهدهد فيه ثمانية عشر مسئلة الاولى قوله تعالى وتفقد الطير ذكر شيا
احر مما جرا له من مسيرة الذي كان فيه من العمل ما تقدم والتفقد لطلب ما غاب
عنك من شيء والطير اسم جامع والواحد طائر والمراد بالطير هنا جنس الطير
وجماعتها وكانت تصحبه في سفره وتظله باجنحتها واختلف الناس في معنى تفقد
للطير فقالت فرقة ذلك لحسب ما يقتضيه العناية بامور الملك والتهمم بكل
حرسها وهذا ظاهر الاية وقالت فرقة بل تفقد الطير لان الشمس دخلت من موضع
الهدهد حين غاب فكان ذلك سبب تفقد الطير ليتبين من اين دخلت الشمس وقال
عبد الله بن سلام انما طلب الهدهد لانه اهتاج الى معرفة الماء على كم هو من وجه الارض
وظاهرها فكان بخبر سليمان بموضع الماء كانت الجن تخبره في بياعة تسيره تتسلح عنه وجه
الارض كما تتسلح شاة قاله بن عباس فيما روى عن بن سلام قال ابو بكر قال بن عباس لعبد الله بن سلام
اريد ان اسالك عن ثلاث مسايل قال اتسالني وانت تقرا القران قال نعم ثلاث مرات قال لم تفقد سليمان
الهدهد دون سايز الطير قال لاحتياج الى الماء لم يعرف عمقه او قال مسافته وكان الهدهد يعرف ذلك
دون الطير فينفرده وقال في كتابه المقباس كان الهدهد مهندسا وروى ان نافع بن الازرق سمع
بن عباس يتكوثا ان الهدهد فقال له قف يا وقاف كيف يرى الهدهد باطن الارض وهو يرى الفخ حين ينصب
فيه فقال له بن عباس اذا جاء القدر عمي البصر وقال مجاهد قيل لابن عباس كيف تفقد الهدهد من الطير فقال
لم ير ملكا ولم يرك ما تحت الماء وكان الهدهد مهندسا يدله الماء فاذا كان بسلم قال مجاهد فقلت كيف يهتدي
والصبي يضع له الخبالة فيصيده فقال اذا جاء القدر عمي البصر قال بن الحرث ولا تغتر على هذا الجواب
الا عالم القران قال المولف رضي الله عنه هذا الجواب قد قاله الهدهد لسليمان واشتد وا

، اذا اراد الله امرا بامرء وكان ذا عقل ورای ونظره وحيلة يحملها في دفع ،
، ما ياتي به مكروه اسباب القدر عطى عليه سمعه وعقله وسله ،
، من ذهنه سل الشعر حتى اذا انفذ فيه حكمه رد عليه عقله ليبصر ،

قال الكلبي لم يكن له في مسيرة الاربعة واحد والله اعلم الثانية في هذه الاية دليل على تفقد الامام
احوال رعيته والمحافظة عليهم فانظر الى الهدهد ما صنع كيف لم يخف على سليمان حاله فكيف بعظام الملك
ويرحم الله عمر فانه كان على سيرة قال ابن العربي احد هما الذب لبسبيل عنهما عمر فاطنك
بالك تذهب على يديه البلدان وتضيع الرعية وتضيع الديان وفي الصحيح عن عبد الله بن عباس بن عمر بن
الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه امراء الاجناد ابو عبيدة واصحابه فاخبروه ان الوبا
قد وقع بالشام الحديث قال علماؤنا كان الخروج من عمر بعد ما فتح بيت المقدس سنة عشرة على ما ذكره
خليفة بن خياط وكان يتفقد احوال رعيته واحوال امرائه بتنفسه فقد دل القران والسنة وبيانا ما
من تفقد احوال رعيته ومباشرة ذلك بنفسه والسفر الى ذلك وان طال ورحم الله بن المبارك حيث
يقول * وهل افسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها الثالثة قوله تعالى مالي لا ارى الهدهد اي ما للهدهد
لا اراه فهو من الغلب الذي لا يعرف معناه وهو كقولك مالي اراك كسلانا اي مالك والهدهد طير معروف وهدهد به صورته قال بن عطية
انما قصد الكلام الهدهد غائبا لكنه اخذ الكلام معتبه وهو ان لا يراه فاستتم على جهة التوبيخ على اللازم وهذا ضرب من المجاز وقيل
انما قال مالي لا اری الهدهد لانه اعتقد حال نفسه اذ علم انه لو زال الملك العظيم وتحوله الحق عنه لم يخل الشكر فلاجله سلبه ليجعل بتفقد
نفسه فقال مالي قال بن العربي وهذا يفعل شيوخ الصوفية اذا فقدوا ما لهم تفقدوا اعمالهم هذا في الاداب فكيف بنا اليوم ونحن نقص
في الفرايض وقرا بن كثير وبن محيصن وعاصم والكسائي وهشام وابو بكر مالي بفتح الياء كذلك في بين ومالي لا عبد واسكنها
حمزة ويعقوب وقرا الباقون المدنيون وابو عمرو بفتح الياء التي في بين واسكان هذه قال ابو عمرو وكان هذه التي في النمل استفهاما
والاخرى اثباتا واخبارا بوجهين وابو عبيد الاسكان فقال مالي وقال ابو جعفر النحاس زعم قوم انهم اراد وا ان يفرقوا
بين ما كان مبتدا وبين ما كان معطوفا على ما قبله وهذا ليس وانما هي ما التي من العرب من يفتحها ومنهم
من يسكنها فغزوا بالمعنيين واللغة الفصيحة في ما التي وكان الاخبار ان لا يسكن فيجيب بالاسم اما كان هو
من الغايبين بمعنى ايل الرابعة قوله تعالى لاعذبنه عذابا شديدا الاية دليل على ان الحي على قدر

بجيب

* استفهام الذي في قوله مالي من ماب للالف التي تثبت في الوصل

الدين لاعلى قدر للجسد اما انه يرفق بالمحدود في الزمان والصفة روى عن ابن عباس ومجاهد
وقيل خير ان يعذبه للطير كان بان يعتقد بيشه قال ابن جريج رسيله اجمع وقال يزيد بن رومان
جناحاه وقيل سليمان هذا بالهدهد اعلاما على العاصين وعفا باعلى احلاله بنبوته ورتبته
وكان اباح الله له ذلك كما اباح ذبح البهائم والطير للاكل وغيره من المنافع والله اعلم وفي
نوادر الاصول قال حدثنا سليمان بن محمد ابو الربيع الايادي قال نا ابن عيينة عن الحسن الجعفي
عن الربيع بن خيثم عن عكرمة قال انما صرف الله شر سليمان عن الهدهد لانه كان بارا بابويه وسباق
وقيل تعذيبه ان يجعل مع اصداده وعن بعضهم اصعق السجنه معاشرة الاضداد وقيل لا
لن منه خدمة اوانه وقيل ابداعه النقص وقيل بان يجعله للشمس بعد نعمه وقيل سخره
عن خدمتي والملوك تودون بالحرمان لحسد تتزين الدر وهو مولد بالنون المسلة وهي لا ذمة هي
قال ابو حاتم ولو قرئ لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه جازا وليأتيني بسلطان مبين اي بحجة
وليست اللام في حافي اي قوله لاعذبنه وهو مما جاء به القاسم اجراه مجراه وقال ابن كثير وحده ليأتيني
بتنوين الخامسة قوله تعالى فمكث غير بعيد اي الهدهد والجمهور من القراء على ضم الكاف وفرا
عاصم وحده بفتحها ومعناه في القراءتين اقام قال سيبويه مكث يمكث مكونا كما قالوا فقد
يفعد فعودا قال ومكث مثل طرف قال غيره والفتح احسن لقوله تعالى ماكثين اذ هو من مكث
يقال مكث يمكث فهو ماكث ومكث يمكث مثل عظم يعظم فهو مكيث مثل عظيم ومكث يمكث
فهو ماكث مثل حمد يحمد فهو حامد والضمير في مكث عائد على ان يكون لسليمان وللمعنى نفى سليمان
تفقد الطير والوعيد غير طويل اي غير وقت طويل ويحتمل ان يكون الهدهد وهو الاكثر فقال
احطت بما لم تحط وهي السارسة اي علمت ما لم تعلمه من الامر حكاه في هذا رادعا من قال
ان الانبياء تعلم الغيب وحكى الفراء احط بدغم التاء في الطاء وحكى احت بقلب الطاء تاء وبدغم
السابعة قوله تعالى وجئتك من سبا بنبإ يقين اعلم سليمان ما لم يكن يعلمه ودفع عن نفسه
ما توعده من العذاب والذبح وقرأ الجمهور سبا بالنون وابن كثير وابو عمرو وسبإ بفتح الهمزة
وترك الصرف فالاول على انه اسم رجل نسب اليه قوم وعليه قول الشاعر

الواردون وتيم في ذرى سبإ قد عض اعناقهم جلد الجواميس

وانكر الزجاج ان يكون اسم رجل وقال سبا اسم مدينة يعرف ما بين اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة ايام
وانشد للنابغة الجعدي من شاء الحاضر من مأرب اد سيون من دون سيله العرما قال فمن لم يصرف
قال انه اسم مدينة ومن صرف وهو الاكثر فلانه اسم للبلد ليكون مذكرا سمي به مذكر وقيل اسم امرأة
سميت بها المدينة والصحيح انه اسم رجل كذلك في كتاب الترمذي من حديث
فروة بن مسيك المرادي عن النبي صلى الله عليه وسلم وسبإ ان شاء الله تعالى قال ابن عطية
وحمى هذا الحديث على الرجاح محمط عسروا وزعم الفراء ان الرواسي سألوا ابا عمرو
بن العلاء عن سبا فقال ما ادري ما هو قال النحاس وتأول الفراء على ابي عمرو انه معرفة
من الصرف لانه مجهول وانه اذا لم يعرف الشيء لم يعرف قال النحاس وابو عمرو
اجل من ان يجهل هذا وليس في حكاية الرواسي عنه دليل انه انما منعه من الصرف لانه لم
يعرفه وانما قال لا اعرفه ولو سئل نحوي عن اسم فقال لا اعرفه لم يكن في هذا دليل على
انه ممنوع من الصرف بل الحق على غير هذا والواجب اذا لم يعرفه ان يصرفه لان اصل الاسم الصرف
وانما يمنع التي من الصرف لعلة داخلة عليه فالاصل باق لم يعدل فلا يزول بما لا يعرف وذكر كلاما
كثيرا عن النحاة وقال في اخره والقول في سبا ما جاء التوقيف فيه انه في الاصل اسم رجل
فان صرفته فلانه صار اسما للحي وان لم تصرفه جعلته اسما للقبيلة مثل ثمود الا ان الاحسن عند
سيبويه الصرف وحجته في ذلك قاطعة لان هذا الاسم لما كان يقع له التذكير والتأنيث كان التذكير
اولى لانه الاصل والاخف التامة وفي الاية دليل على ان الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم عندك
ما ليس عندك اذا تحقق ذلك ونبئنك هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جلالته وعلمه لم يكن عنده
علم بالاسيدان وكان علم اليتيم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قال لابن يتيم الحبب وكان حكم الاذن في ان تقع
الحاجة عند ابن عباس ولم يعلمه عمر وقال زيد بن ثابت وكان عتمل راس الحرم مطلوما عند ابن عباس وخفي
عن المسور بن مخرمة ومثله كثير ولا يطول به الناسعة قوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم الاية قال الهدهد وجيئك من
سبا بنبإ يقين فقال سليمان وما ذاك الخبر قال اني وجدت امرأة تملكهم سميت بلقيس بنت شراحيل تملك اهل
سبا ويقال كنت خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها فريبة وهي من مسيرة ثلاثة ايام بين صنعاء وما
الجواب ان الله عز وجل اخفى ذلك عنه لمصلحة واما كما اخفى على يعقوب مكان يوسف ويروى ان احدا بوبها كان من الجن
كان بن الهربي وهذا مما تنكره السحرة ويقولون لفي لا يكون ولا يبلدون وكذبوا لعنهم الله اجمعين ذلك صحيح وكاهنهم جابر

عقلا

جابر عقلا والصحيح نقلا فيهما ونحن قائلون قال المولف خرج ابو داود من حديث عبد الله بن مسعود انه
قال قدم وفد من الجن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انه امتك ان
ان يستنجوا بعظم او روثة او حممة فان الله جاعل لنا فيها رزقا فنهى صلى الله عليه وسلم فقال
لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم هـ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم وفي البخاري
من حديث ابي هريرة قال فقلت انوبا لا العظم والروثة قال هما من طعام الجن وانه
اتاني وفد جن نصيبين ونعم الجن فسألوني الزاد فدعوت الله ان لا يمروا بعظم
ولا روثة الا وجدوه عليها طعاما وهذا كله نص في انهم ليطعمون واما نكاحهم فقد
تقدمت الاشارة اليه في سجن عند قوله وشاركهم في الاموال والاولاد وروى
وهب بن جرير بن حازم عن الخليل بن احمد عن عثمان بن حاضر قال كانت ام بلقمة
من الجن فقال لها بلقمة بنت صيصبان وشنا بن لهذم من بني بان ان شاء الله تعالى
العاشرة روى البخاري من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه
ان اهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة قال القاضي
ابو بكر بن العربي هذا نص في ان المراة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه ونقل محمد بن جرير
الطبري ان تكون المراة قاضية ولم يصح فيه نقل عنه ولعله نقله عنه كما نقل عن ابي حنيفة
انها انما تقضي فيما تشهد فيه وليس بان يكون قاضية على الاطلاق ولان لم تكن
لها مسطور شان فلانه مقدمه على الحكم وانما ذلك لنبيل التحكيم والاستنابة
في العصبة الواحدة وهذا هو الظن بابي حنيفة وابن جرير وقد روي عن عمر انه قوم
امراة على حسبة السوق ولا تصح فلا تلتفوا اليه فانها هو من وساوس المتدعة
في الاحاديث وقد تناظرت في هذه المسالة في هذه المسالة القاضي ابو بكر بن الطيب
الباقلاني الاشعري مع ابي المعرج بن طراد شيخ الشافعية فقال ابو المعرج الدليل ان
المراة تحوز ان تحكم ان العرض من الاحكام تنفيذ القاضي لها وسماع البينة
عليها والفصل بين الخصوم فيها وذلك ممن المراة كما ممن الرجل فاعترض عليه
القاضي ابو بكر وقبض كلامه بالامامة الكبرى قال العرض منه حفظ التصور
وتدبير الامور وحماية البيضة وقبض الخراج وردة على مستحقه وذلك لا يمكن من
المراة كما يمكن من الرجل قال ابن العربي وليس كلام الشيخين في هذه المسالة
بمتفق فان المراة لا يمكن منها ان تتوزل المجلس ولا تخالط الرجال ولا تقاومهم
سفارة فضلا عن النظر لانها ان كانت فتاة حرم النظر اليها وكلامها وان كانت برزة
لم يجمعها معا وضعا النظر لانها ان كانت فتاة حرم النظر اليها وكلامها والرجال
مجلس واحد يزدحم فيه بعضهم وتكون مناظرة لهم ولن يفلح قوم من تصور هذا ولا
اعتقده الكاذبة عشرة قوله تعالى واوتيت من كل شيء مما لفتاة عما تحتاجه
المملكة وقيل لفتى اوتيت كل شيء في زمانها سبا فحذف المفعول لان الكلام دل عليه
ولها عرش عظيم في سرير وصفه بالعظم في الهيئة ورتبة السلطان قيل
كان من ذهب تجلس عليه وقيل لعرش الملك والاول اصح بقوله تعالى اياكم
يا تيني بعرشها الزمخشري قال قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش
الله في الوصف بالعظم قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظيم
تعظيم له بالاضافة الى عروس انا جنسها من الملون ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم
بالنسبة الى ما خلق من السموات والارض قال ابن عباس كان طول عرشها ثمانين
ذراعا وعرضه اربعين ذراعا ارتفاعه ثلاثين ذراعا مكللا بالدر
والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر فوازيه من سرير حدا خضر فيادة وفوقه
لولو وجوهر وكان مستورا بالديباج والحرير على سبعة مقاصير فيما قال كان
ثمانين ذراعا وارتفاعه من الارض ثمانون ذراعا وهو مكلل بالجواهر
اين تنحت وكان يحملها الف رجل وكان معها لخدمتها ستمائة امراة قال ابن
عطية والذي يلزم من الاية انها اثرة ملكه على هذا اليمن ذات ملك عظيم
وسرير عظيم وكانت كافرة من قوم كفار الثانية عشرة قوله تعالى
وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله قيل كانت هذه الامة ممن
تعبد الشمس لانهم كانوا زنادقة فيما يروى وقيل كانوا مجوسا يعبدون الا

وروي عن نافع انه وقف على عرش قال المهدوي وعظيم على هذا متعلق بما بعده
وكان ينبغي على هذا ان يكون عظيم ان وجدتها اي عظم وجودي اياها كافرة
وقال ابن الانباري واما عرش عظيم وقف حسن ولا يجوز ان يقف على يقف
على العرش وتبتدئ عظيم وجدتها الا على من فتح لان عظيما نعت للعرش فلو
كان متعلقا بوجدتها لقلت عظيمه وجدتها وهذا محال ان تكلم وجده وقد حدثني
ابو بكر محمد بن الحسن بن سهريار قال حدثنا ابو عبد الله الحسين بن هـ
الاسود العجلي عن بعض اهل العلم انه قال من يريد هذا المذهب وتخفض عرشها
احفز وادق شانا من ان يصفه بالعظم قال ابن الانباري والاختياري ما
ذكرته والا بد ليس على اضمار زيادة الشمس والقمر دليل وغير متكرا ان يصف
الهدهد عرشها بالعظم اذا له متناهيا في الطول والعرض حريه على اعراب عرش
دليل على انه لعبه وزين لهم الشيطان اعمالهم اي ما هم فيه من الكفر فصدهم
عن السبيل اي عن طريق التوحيد وبين هذا انما كان ينبغي ان يتوحد
فلم يسبل ينبغي به على التحقيق فهم لا يهتدون الى الله وتوحيده هـ
الثالث عشر قوله تعالى الا يسجدوا لله قرا ابو عمرو عاصم ونافع
وحمزة الا يسجدوا بالتشديد الا قال ابن الانباري فهم لا يهتدون ان عمرا مر
من سجد الا ان المعنى وزين لهم الشيطان الا يسجدوا فاذا الخاء في ادخلت
عليها ان في موضع نصب قالا الاخفش بر اي زين لهم لئلا يسجدوا والقصد هم
اي قصدهم الا يسجدوا وهو في الوجهين مفعول له وقال المبرد وعلي ابن
سليمان ان بدل من اعمالهم في موضع نصب وقال ابو عمران في موضع خفض على
البدل من السبيل وقيل الفاعل فيها لا يهتدون اي فهم لا يهتدون ان لا يسجدوا
اي لا يعلمون ان ذلك واجب عليهم وعلى هذا القول فلا يتم موضع سجدة
لان ذلك صير عنهم بنزع الجر بعن او بالصد او بمنع الاقتداء وقرا
الزهري والكسائي وغيرهما ان لا يسجدوا لله بتخفيف الا بمعنى الا يا هؤلاء اسجدوا لان هـ
يا حرف ينادى بها المتعجب من الامر فالمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء اسجدوا لله
وقوله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون
وقوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم لانه لو كان للعرش
نصبها لانه كان يصير منادى مضافا ولكن تقديره يا هؤلاء اسجدوا لا
قوا على سيبويه وحكى بعضهم سماعا عن العرب الا يا ارحموا الا يا صدقوا يريدون
الا يا قوم ارحموا صدقوا فعلى هذه القراءة اسجدوا في موضع جزم بالام
والوقف عليه الا يا ثم يبتدئ فيقول اسجدوا قال الكسائي ما كنت اسمع الاشياخ
يقرونها الا بالتخفيف على نية الامر في قراءة عبد الله هلا يسجدون لله بالتاء
والنون وفي قراءة ابي الا يسجدون لله فهاتان القراءتان حجة من خفف الراء هـ
وقراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون التشديد واختار ابو حاتم وابو
عبيد قراءة التشديد وقال التخفيف وجه حسن الا انه فيه انقطاع
الخبر عن امر سبأ ثم يرجع بعد الى ذكرهم والقراءة بالتشديد حسن متصل
بعضه ببعض لا انقطاع في وسطه ونحوه قال الفراء قراءة التخفيف
بعيده لان الكلام يكون مقتضيا وقراءة التشديد يكون الكلام بها مستقيما
وايضا قال السوادي غير هذه القراءة لانه قد حدثني منها الفاذ وانا هـ
سمعت مثل هذا الحذف الف واحدة يعني يا عيسى بن مريم ابن الانباري وسقطت
الف اسجدوا كما سقط مع هؤلاء اذا ظهرت ولما سقطت الف يا وانضمت بها الف
اسجدوا سقطت فقد سقوطها لالة على الاختصار وايثار الما يخف ونقل
الفاظه وقال الجوهري احتركتا به قال بعضهم ان يا في هذا الموضع انما هو
للتنبيه كما تقول الا اسجدوا انما ادخل عليه يا للتنبيه سقطت الف
الف اسجدوا لانها الف وصل وذهبت الف التي هي لالتقاء الساكنين
لانها والسين ساكنتان قال ذو الرمة الا يا اسلمي يا دارمي على البلا
وهذا لا يمتنع ان يكون من كلام الهدهد وقال الحرجاني هو كلام معترض من الهدهد
وسليمان او من الله اي الا يسجدوا لله قوله تعالى قل للذين امنوا يغفروا
للذين قيل انها امرا ليغفروا وتنتظم على هذا كتابه المصحف اي ليس هذا

مبين

ذا قال ابو عطية فصل من كلام الهدهد الى قوله العظيم وهو قول ابن زيد وابن اسحق
ويعترضه انه غير مخاطب فكيف يتكلم في معنى سرك ويحتمل ان يكون من قول سليمان
لما اخبره الهدهد هذا القول ويحتمل ان يكون من الله تعالى فهو اعتراض بين الكلا
وهو الثابت مع التامل وقراءة التشديد في ان لا يعطي ان الكلام الهدهد وقراءة
التخفيف بمنعه والتخفيف يقتضي الامر بالسجود لله غير وهل للامر علما بانه
وقال الزمخشري فان قلت اسجدة التلاوة واجبة في القرآن جميعا ام في
احداهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بهما او مدح
لمن ابى بهما او ذم تركها فاخذ القرآن امر بالسجود والاخرى ذم للتارك قال
مولفه رضي الله عنه وقد اخبر الله عن الكفار بانهم لا يسجدون كما في الشقاق
وسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيها كما ثبت في صحيح مسلم البخاري وغيره فكذلك
الهدهد والله اعلم الزمخشري وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون
التشديد فغير مرجوع اليه الذي يخرج الخب خبء لغتان فطرها وخب الارض كنوزها
وبناتها وقال قتادة الخبا السر الخفي وهنا اولى اي ما غاب في السموات والارض
ويدل عليه تاتمون وما تعلنون وقرا مكرمة وشاذلة ابن بساد الخب بفتح
الباء من غير همز قال المهدوي وهو التخفيف القياسي وذكر بن بشكوال الهمز في الوقف
وقال النحاس وحكى ابو حاتم ان مكرمة قال الذي يخرج الخبا بالف غير مهموز وزعم
ان هذا لا يجوز في العربية واعتل بانه ان يخفف الهمزة التي حركتنا على الباء وحذفها
فقال الخب للسموات والارض وانه ان حول الهمزة قال الحبي باسكان الباء وبعدها
ياء قال النحاس وسمعت علي ابن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول كان ابو
حاتم دون اصحابه في النحو ثم يلتفت فيهم الا ترى اذا خرج من بلده ولم يلتفت اعلم منه على
سيبويه عن العرب انها تلتقي همزة الفاء اذا كان قبلها ساكن وكانت مفتوحة وتبدل
منها واوا اذا كان قبلها ساكن وكانت مضمومة وتبدل منها ياء اذا كان قبلها
ساكن وكانت مكسورة فيقول هذا الوشي وعجبت من الولي ورايت الوتا وبهذا
من ونيت يده وكذلك الحبو وعجبت من الحيي ورايت الخب واما فعل هذا الا ان الهمزة
خفيفة فابدل منها هذا الحرف وحكى سيبويه عن قوم من بني تميم وبني اسد انهم يقولون
هذا الحبو فيضمون الساكن اذا كانت الهمزة مضمومة ويتبعون الهمزة ويكسرون
الساكن اذا كانت الهمزة مكسورة ويفتحون الساكن اذا كانت الهمزة مفتوحة
وحكى سيبويه ايضا انهم يكسرون وان كانت مضمومة الا ان هذا عن بني تميم هم
فيقولون الردي وزعم انهم لم يضموا الا لانهم كرهوا ضمة قبلها كسرة لانها ليس
في الكلام فعل وهذه كلها لغات داخلة على اللغة التي قراها الجماعة وفي قراءة عبد
الله الذي يخرج الخب من السموات ومن في وتتفاقيان يقولا العرب لا يستحوذ حتى العلم
منكم يريد فيكم قاله الفراء ويعلم ما يخبؤون وما يعلمون قراءة العامة فيهما بالياء وهذه
الغيبة تعطي ان الاية من كلام الهدهد وان الله تعالى خصه من المعرفة بتوحيده
ووجوب السجود لله وانكاره سجودهم للشمس واضافته للشيطان وتزيينه
لهم ما خصه به غيره من الطير وسائر الحيوان من المعارف اللطيفة التي لا تكاد
العقول الراجحة تهتدي لها وقرا الحجدري وعيسى بن عمر وحفص والكسائي
يخفون وتعلنون بالتاء على الخطاب وهذه الغيبة تقتضي ان الاية من خطاب
الله جل وعز لامة محمد صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو رب العرش العظيم
قرا ابن محيصن العظيم رفعا نعتا لله الباقون والخفض نعتا للعرش وجمعا
بالذكر لانه اعظم المخلوقات وما عداه في ضمنه وتضمنه القرآن العظيم عشرة
قوله تعالى قال سننظر ان الناظر الذي هو التامل والتفحص اصدقت ام كنت من
الكاذبين في قالتان وكنت بمعنى انت وقال سننظر اصدقت ولم يقل سننظر
في امرك لان الهدهد لما صرح بالعلم في قوله احطت بما لم تحط به صرح له سليمان
بانه سننظر اصدقت ام كذبت فكان ذلك حيا لما قاله الخامسة
عشرة في قوله سننظر اصدقت ام كنت من الكاذبين دليل على ان الامام
يجب عليه ان يتصل عذر رعيته والعقوبة عنهم في ظاهر احوالهم بباطن
اعذارهم لان سليمان لم يباشر قتل الهدهد حين اعتذر اليه وانما طالبه صدق

الهدهد عذرا لانه اخبر بما يقتضي الجهاد وفي الصحيح لا احد احب اليه العذر
من الله من اجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين وقد قيل عمر
عذر النعمان ابن عدي ولم يعاقبه ولكن للامام ان يعفو عن ذلك اذا تعلق
حكم من احكام الشريعة كما فعل سليمان فانهما قال سلكما الهدهد اني وجدت
امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم لم يستفزه الطمع لاستحقره بحب
الزيادة في الملك الى ان لعرض له حتى قال وجدتها وقومها يسجدون من
دون الله فعاقبه حينئذ ما سمع وطلب الاتيان بها الى ما اخر وتحصيل علم
ما غاب عنه من ذلك فقال لسنظر اصدقت ام كنت من الكاذبين وتحوه
ما رواه الصحيح عن المسور بن مخرمة حين استشار عمر الناس في املاص المراة
وهي التي تضرب بطنها فتلقي جنينها قال المغيرة بن شعبة شهدت النبي صلى
الله عليه وسلم قضى فيه بغرة عبد او امة قال فقال عمر ائتني بمن يشهد معك
قال فشهد له محمد بن مسلمة في رواية فقال لا يبرح حتى ياتي بالمخرج من ذلك
فخرج فوجد ثم محمد بن مسلمة فجئت به فشهد وتحوه حديث الموسى في
الاستيذان وغيره السادسة عشرة قوله تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه
اليهم باثبات الباء في اللفظ وحذف الواو واثبات الكسرة دالة عليها فالقه اليهم
وتضم الهاء واثبات الواو وعلى الاصل فالقهوا اليهم وحذف الواو واثبات
الضمة فالقه اليهم واللغة الخامسة فالقها حمزة باسكان الهاء فالقه اليهم قال
النحاس وهذا عند النحويين لا يجوز الا على حيلة بعيدة يكون بعد الوقف ويسمعت
على ابن سليمان يقول لا يلتفت الى هذه اللغة ولو خاز ان نصلي ونسوي الوقف
لجاز ان يحذف الاعراب من الاسماء وقالوا اليهم على لفظ الجمع ولم يقل اليها لانه قال
وجدتها وقومها يسجدون للشمس فكانه قال فالقه الى الذين هذا دينهم
الفتها ما سنه باسرا لذين واستغنى به عن غيرهم وهي الخطاب في الكتاب على لفظ
الجمع لذلك وروي في قصص هذه الاية ان الهدهد وصل فالقى دون هذا الملك
حجر حمير ان فعدا الى كوة كانت بالقليس صنعتها لتدخل منها الشمس
عند طلوعها لمعنى عبادتها اياها فدخل منها ورمى الكتاب على القليس وهي بما
يروى تامة فلما انتهت وجرته فراعها وظنت انه قد دخل تملكها احدهم فاخذت
مزجة فحالها كما تعمدت فنظرت الى الكوة بهما بامر الشمس فرات الهدهد
فعلمت قال وهب وابن زيد كانت لها كوة مستقبلة مطلع الشمس فاذا طلعت
سجدت فسدها الهدهد بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبانت
الشمس قامت تنظر فرمي بالصحيفة اليها فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت
لان ملك سليمان على الشياطين كان في خاتمه فقرات فجمعت الملا من قومها فما
طبتهم بما بالتي فعدوا فقالوا ما نعلم الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف
على راس المراة وهولها الجنود والعساكر في قرى ساعة والناس ينظرون اليه
فرمت المراة فالقى الكتاب في حجرها السابعة عشرة في هذه الاية دليل على
ارسال الكتب الى المشركين وتبليغهم الدعوة ودعاءهم الى الاسلام وقد كتب
النبي صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر والى كل جبار كما تقدم في الاعمران السا
عشرة قوله تعالى ثم تول عنهم امره بالتولي حسن ادب للمسلمي حسب ما
ناديب به مع الملوك ومعنى وكن قريبا حتى ترى مراجعتهم قاله وهب ابن منبه
وقال ابن زيد امره بالتولي بمعنى الرجوع الى بيته اي القه وارجع قال وقوله فانظر
ما يرجعون يعني لتعتبر بم على قوله ثم تولي وانشاق رسنه الكلام الهدهد
اي القه ثم تولي وخلا لذلك فانظر اي انتظر وقيل فاعلم لقوله يوم
ينظر المرء ما قدمت يداه اي اعلم ما ذا يرجعون اي يحسنون او ما يتردون من
القول وقيل فانظر ما ذا يتراجعون بينهم من الكلام قوله تعالى قالت
يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم سبب ذلك ان بلقيس صنفت لتدخل منها الشمس
اعتقدوا ب

وكرامة الكتاب ختمه روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه براءة
لبسم الله الرحمن الرحيم وقد قال صلى الله عليه وسلم كل كلام لا يبدأ فيه ببسم الله
الله الرحمن الرحيم فهو اجذم وقيل لانه براءة منه بنفسه ولا يفعل ذلك الا الجاهله
وفي حديث ابن عمر انه كتب الى عبد الملك بن مروان سابعه من عبد الله لعبد الملك
ابي مروان امير المومنين اما بعد فانك بالسمع والطاعة ما استطعت وان بني فراوا
فراوا ابن لك وقيل لم ختمت انه كتاب جامن السماء كان الموصل طيرا وقيل كريم
حسن كقوله ومقام كريم اي محل حسن وقيل وصفته بذلك لما تضمن
من لين القول والموعظة في الدعاء الى عباده جل وعز وحسن الاستعطاف
والاستلطاف من غير ان يتضمن مساءة ولا لغنا ولا تعييرا للنفس ومن غير كلام
باذل ولا متملق على عادة الرسل في الدعاء الى الله عز وجل الا ترى ان قول
الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وقوله لموسى وهرون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وكلها وجوه حسنة
وهذا احسنها وقد روي انه لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم احد قبل سليمان وفي
قراءة ابي وانه بزيادة ولوا لتاسنة الوصف بالكريم اي الكتاب غاية الوصف
الا ترى قوله تعالى انه لقران كريم وانهم لان يصفون الكتاب بالتحبير
والتزيين وبالمبرور وان كان الملك قالوا العزيز واسقطوا الكريم تغليبا
وهو افضلها خصله فاما الوصف بالعزيز فقد وصف به القران فقال تعالى
وانه لكتاب عزيز وليست لاحد الاله في تنقيصه وكتمكم واجعلوا بينها
القالي نوقيه الحق الولاية وحياطة الدنيا قاله القاسم ابو بكر بن العربي الثالثة
كان تسليم المتقدمين اذا كتبوا ان يبدوا بانفسهم فيقولون من فلان ذا الى فلان وبذلك
جاء الاثار وروي الربيع عن انس قال ما كان احد اعظم حرمة من النبي صلى الله
عليه وسلم وكانوا اصحابه اذا كتبوا بدوا بانفسهم وقال ابن سيرين قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان ابدا فاذا كتبوا بدوا بغيرهم فلا يبدوا الرجل الا بنفسه
قال ابو الليث في كتابه البستان ويبدا بالمكتوب اليه جاز لان الابتداء قد اجتمعت
عليه وتركوه لمصلحته وانما ذلك او لنسخ ما كان من قبل قال الحسن في زماننا
هذا ان يبدا بالمكتوب اليه ثم بنفسه لان البداية بنفسه بعد منه استخفافا
بالمكتوب وتكبرا عليه الا ان يكتب الى عبد من عبيده او غلام من غلمانه الرابعة
واذا ورد على انسان كتاب بالنخنة ونحوها ينبغي ان يرد الجواب لان الكتاب
من الغائب كالسلام من الحاضر وروي عن ابن عباس انه كان يرى رد الكتاب واجبا
كما يرى رد السلام والله اعلم الخامسة واتفقوا على كتب بسم الله الرحمن الرحيم في اول
الكتب والرسايل وعلى ختمها لانها ابعد من الريبة وعلى هذا جرى الرسم وبه جاء الاثر
عن عمر بن الخطاب انه قال ايما كتاب لم يكن مختوما فهو بمنزلة وفي الحديث كرم
الكتاب ختمه وقال بعض الادباء من كتب الي كتابا ولم يختمه فقد استخف
به لانه الختم ختم وقال انس لما اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب الى العجم
فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه ختم فاصطنع خاتما ونقش على فصه
لا اله الا الله محمد رسول الله وكان انظر الي وبيصه في يمناه في كفه السادسة
قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وانه بالكسر فيهما اي وان
الكلام وان مبتدا الكلام بسم الله الرحمن الرحيم واجاز الفراء انه من سليمان وانه
بفتحهما على ان يكونا في موضع رفع بدل من الكتاب بمعنى لقي الي انه من سليمان واجاز
ان يكونا في موضع نصب على حذف الخافض لانه من سليمان ولانه كانما علمت
كرمته بكونه من سليمان وتصديره ببسم الله وقرا شهب العقيلي ومحمد بن السميقع
ان لا تعلوا بالتاء المجهورة وعمر وعمر وهب بن منبه من ملا يعلو اذا تكاثر
وبكثر وهي راجعة الى معنى قوله الجماعة وتوتي مسلمين منقادين طايعين
مومنين قوله تعالى قالت يا ايها الملا افتوني في امري فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله تعالى قالت يا ايها الملا افتوني في امري الملا اشراف القوم وقد مضى في البقرة
القول فيه قال ابن عباس كان معها الف قيل وقيل اثنا عشر الف قيل مع كل قيل
كل قيل الف والقيل الملك دون الملك الاعظم فاخذت في حسن الادب مع

مع قومها ومشاورتهم في امرها واعلمهم ان ذلك مطرد عندها في كل امر يعرض لقولها
ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون تكيف في هذه النازلة الكبرى فترجعها
الملا بما يقرع سمعها من املاكهم اياها بالقوة والبأس ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه
مشاورة حسنة من الجميع فارتقبوا ذكر لنا انه كان لها اثنا عشر الف مقاتل من كل
عشر رجلا هم اهل كل رجل منهم على عشرة آلاف الثانية في هذه الآية
دليل على صحة المشاورة وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم
في الامر في آل عمران اذا استكفاه بالاراء واما مقداره للاولياء وقد مدح الله الفضلاء
بقوله وامرهم شورى بينهم والمشاورة من الامراء تقدم وحاصله في الحرب
فحمدته بلقيس امرأة جاهلية فاتت لفقد الشمس قالت يا ايها الملا افتوني
في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون لتحت رعن مهم على مقاومتهم وحزمهم فيما يقيم اثرهم وامضاهم على الطاعة لها بعلمها بانهم ان لم يبذلوا انفسهم
واموالهم ودماءهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها وان لم يجتمع امرهم
وحزمهم وجدهم كان ذلك عونا لعدوهم عليهم وان لم يختبر مساعيهم ويعلم قدر
عزمهم لم تكن على تبصيرة من امرهم وربما كان استبدادها برايها وهنا في طاعتها
ودخيلة في تقدير رايهم وكان في مشاركتهم واحذ رايهم عون على ما تتوخاه من قوة سلوكهم
وسدة سد اقتحامهم الا ترى الى قولهم في جوابهم نحن اولوا قوة واولوا باس شديد
قال ابن عباس كان في قوة احدهم انه يركض فرسه حتى اذا احتدم حبسه بقوته
الثالثة قوله تعالى وانظري ماذا تامرين تامرين سلموا الامر الى نظرها
مع ما اظهروا لها من القوة والباس والشدة فلما فعلوا ذلك اجترت عندذلك
بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها وفي هذا الكلام خوف على قومها وحفظ
لهم واستعظام الامر سليمان عليه السلام وكذلك يفعلون قتلها هو من قول بلقيس
بالبدا للمعنى الذي اراده وقال ابن عباس فهو من قول الله جل وعز مبتدا لمحمد صلى
الله عليه وسلم وامته بذلك وتحذيرا به وقال وهب لما قرات عليهم الكتاب لم
يعرفوا اسم الله فقالت ما هذا فقال بعض لقومها ما تنظرين هذا الا عفريت عظيم من
الجن يهددها به هذا الملك على ما يريده فسلوة الارض لا هم ثلاثة من الصفارنة
فسكتن فقال شاب قد علم يا شيبة الملوك ان سليمان لملك فاعطاه الله
ملك السماء ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمة الا بدا بها لتسمية الله والله اسم
ملك السماء والرحمن الرحيم بقوله فقدرها قالت افتوني في امري فقالوا لها
اولوا قوة في القتال واولوا باس شديد قوة في الحرب واللقاء والامر اليك فردوا
امرهم اليها لما جربوا على رايها فانظري ماذا تامرين فقالت ان الملوك اذا دخلوا
قرية افسدوها خربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون اشرفوها التسفيم
لهم الامور فصدق الله قولها وكذلك يفعلون قال ابن الانباري وجعلوا اعزة
اهلها اذلة هذا وقف تام فقال الله عز وجل تحقيقا لقولها وكذلك يفعلون
وشبيه به في سورة الاعراف قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد
ان يخرجكم من ارضكم فما ذا تامرون وقالوا ارجه وهو قول بلقيس قالوقف وكذلك يفعلون اي وكذلك يفعل سليمان اذا دخل
بلادنا قوله تعالى واني مرسلة اليهم بهدية فيه ست مسائل الاولى قوله
تعالى واني مرسلة اليهم بهدية فهذا من حسن نظرها وتدبيرها الى جرب
هذا الرهن بهدية واعظمه فيها نفائس الاموال واغرب عليه بامور المملكة فان
كان ملكا دنيا ويا ارضاه المال وعلمنا فقه حسب ذلك وان كان نبيا لم يرضه
ولا رضي في امر الدين فيسعى ان تؤمن به وتتبعه على دينه فصنعت الهدية
عظيمة اكرا لنا من في تفصيلها فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس وصائف
مائة من ذهب فزادت الرسل الحمطان من ذهب فصنع عندهم ما جاوا به
وقال مجاهد ارسلت بمائتي غلام ومائتي جارية وروي عن ابن عباس بمائتي
عسق وصيفة مذكرين قد الستهم زي الغلمان وائتي عسق غلاما وجوئين
زي النساء على تيجان الوصائف الطباق مسك وعنبر ومائتي عسق جبينة تحمل
لبنا الذهب وتحمر بين احدها فير منفوبة والاخرى منفوبا نقيا موجا ونفرح

وقالوا

لاحتبه

فيه وبعضها كان يتوارثونها ملوك حمير واهدت الهدية مع جماعة من قومها وقيل كان الرسول
واحدا ولكن كان في صحبته اتباع وخدم وقيل ارسلت رجلا من اشراف قومها يقال له
المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا ذوي رأي وعقول والهدية مائة وصيف ومائة
وصيفة فدهوا بينهم في اللباس وقالت للغلمان اذا كلمكم سليمان فكلموه
بكلام فيه تأنيث بشبه كلام النساء وقالت للجواري كلمنه بكلام فيه تمثل بشبه
كلام الرجل فيقال انه الهدهد هدها اخبر سليمان بذلك كله وقيل ان الله اخبر سليمان
بذلك فامر سليمان عليه السلام ان يبسط من موضعه الى تسع فراسخ لبنات
الذهب والفضة فاتي لها لدوابه ورأيتم البر والبحر فاتي لها بأنيتها الذهب
وآنية فضة مختلفة مختلفة الوانها لما احتكم واعراف ونواصي
ناسرها فجات فشدت على عين الميدان وعلى يساره لبنات الذهب والفضة ثم
وقفوا لها على فارسها ثم قال للجن على بأولادكم فاتاهم احسن ما يكون الدواب
عن عين الميدان ويسارة ثم فقد سليمان عليه السلام على كرسيه فمثله
ووضع له اربعة آلاف كرسي ثم دنا عن يمينه ومثله عن شماله واطلق عليها
الانبياء والعلماء والملائكة والجن ان يضطفوا صفوف فراسخ وامر السباع
والوحوش والبهائم والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم
من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر اعينهم احسن منها
تروت على لبنات الذهب والفضة تقاصرت عليهم انفسهم ورموا ما معهم من
الهدايا وقيل بعض الدوابين ان سليمان لما امرهم بتقرير الميدان بلبنات الذهب
والفضة امروا ان ينزل على طريقهم موضعا على قدر موضع بساط من الارض عبيد
مفروسه فلما مروا بها خافوا ان يتنجسوا بذلك وطرحوا ثيابهم في ذلك المكان
فلما رأوا الشياطين راوا منظرا هائلا فصيفا ففزعوا وخافوا فقالت لهم
الشياطين جوزوا لا بأس عليكم فمانوا على كرد وسوكرد وس من الجن والانس والبهائم
والهوام والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه السلام
فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقد كانت قالت لرسلها انظروا
اليه نظر بغضب فاعلم انه ملك فلا تهولنك منظره فانا اعز منه وان رأيت
الرجل يسألكما فاعلم انه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فاخبرا الهدهد
سليمان بذلك على ما تقدم وكانت عمدت الى حقه من ذهب فجعلت فيها درة
يتيمة غير مثقوبة وجزعة معوجة الثقب وكتبت كتابا مع رسولها تقول
فيه ان كنت نبيا فميز بيني لوصائف والوصائف واخبرما في الخفة وعمدت الى راس
القصب من اسفلها وانتقبت الدرة ثقبا مستويا ودخل خيط الجزعة واملأ
القدح ماء من بداير ليس من الارض ولا من السماء فلما وصل الرسول ووقف بين
يدي سليمان عليه السلام اعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال ايتوني بالخفة فاتي
بها فحركها فاخبره جبريل بما فيها ثم اخبرهم سليمان فقال له الرسول صدقت
فانتقب الدرة وادخل الخيط في الجزعة فسأل سليمان الجن والانس عن تقبهما
فعجزوا فقال للشياطين ما الرأي فيها فقالوا ترسل الى الارضة فجاءت
الارضة واخذت تنشرة في فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها
سليمان ما حاجتك قالت لصبي رزقي في السنة فقال لها ذلك ثم قال
من لهذه الجزعة تسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا نبي الله فاخذت
الدودة الخيط في فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال
لها سليمان ما حاجتك قالت لصبي رزقي في ورق التوت ثم من بين هذه
الغلمان قال لسدي امرهم بالوضوء فحمل يجذب الماء على اليد والرجل حتى راه
وجعل الجواري يصبن من اليد اليسرى على اليمنى ومن اليمنى اليسرى فميز بينهم
وقيل كانت الجارية تأخذ الماء من الاناء باحدى يديها ثم تحمله على الاخرى ثم
تضرب به على الوجه والغلام كما يأخذ الماء من الاناء فيضرب في الوجه والجارية
تصب على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد فالجارية تصب الماء
والغلام يجذ على يديه فميز بينهم وروى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال

ن

الرجل ع

قال ارسلت بالفلس باثني وصيفة ووصيف وقالت ان كان نبيا فسيعلم
الذكور من الاناث فامرهم فتوضوا فمن توضأ منهم فهو امرأة فقيل لها
قالت هو من الاناث ومن بدأ بكفه قبل مرفقه هو من الذكور ثم ارسل العصا
اليها فاضطربت اليه اشد اضطراب الارض فهوا مسلما وامرها بالخيل فاجريت
حتى عرقت وسألت الخراج من مرفها ثم رد سليمان الهدية فروي انه لما صرف
الهدية عليها واخبرها رسولها بما شاهد قالت لقومها آهذا امر اسما الثاني
كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ولا يقبل العدية
ولذلك كان سليمان وجميع الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين وانما حملت هم
بالفلس قول الهدية اوردها علامة على ما بينها على ما ذكرناه من كون سليمان
ملكا اونبيا لانها قالت في كتابها الا تقلوا علي وائتوني مسلمين وهذا لا يقبل
من الهدية ولا توجد عنه هدية وليس هذا من الباب الذي يقرر في الشريعة
من قبول الهدية بسبب وانما هي رشوة وبيع الحق بالباطل وهي الرشوة التي
لا تحل واما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فانها جائزة من كل احد ومن
كل احد وهذا لم تكن من مشرك اليه قط فان كانت من مشرك ففي الحديث
نهي عن زيد المشركين يعني رفدهم وعطاياهم وروي عنه عليه السلام انه
قبلها كما في حديث مالك عن سورين مزيد الذهلي وغيره فقال جماعة من العلماء
بالنسخ فيها وقال آخرون ليس فيها ناسخ ولا منسوخ والمعنى فيها انه كان لا
تقبل هدية من لم يطع بالظهور عليه واخذ بلاده ودخوله في الاسلام وهذه الصفة
كانت حالة سليمان عليه السلام فمن مثل هذا يمكن ان تقبل هديته جملا
على الكف عنه وهذا احسن تاويل للعلماء في هذا فارجع في الاحاديث وقبل
غير هذا الرابعة الهدية مندوب اليها وهي مما تورث المودة وتذهب
العداوة روى مالك عن عطاء بن عبد الله الخراساني قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم تهادوا فانها تذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء
وروى مناوئة بن الحكم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
تهادوا فانه يضعف الود ويذهب بغوائل الصدر قال الدارقطني تفرد بن تحسر
عن ابيه عن مالك ولم تكن بالرضا ولا يصح ذلك عن مالك ولا عن الزهري وعن
ابن شهاب قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تهادوا بينكم فان
الهدية تذهب السخيمة قال ابن وهب فقلت ليونس عن السخيمة ما هي فقال
الغل وهذا الحديث وصله الوقاصي عثمان عن الزهري وهو ضعيف على الجملة
فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية وفيه الاسوة الحسنة ومن
فضل الهدية مع اتباع السنة انها تزيل حزازات القلوب وتكسب المهدي له
والمهدى اليه ريحا في اللقاء والجلوس وقد حسن من قال هذا يا الناس هو
بعضهم ليتعطف تولد في قلوبهم الرضا لا وتزرع في الضمير هوى ووداد وتكسبهم
اذا حضروا اجلالا احزاذا الهدايا لحاظا اذا وردت احضى من الاذن عند الوارد
الحديث الخامسة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جلسا وكم شركاؤكم
في الهدية واختلف في معناه فقيل هو محمول على ظاهره وقيل يباركهم على وجه
الكرم والمروءة فان لم يقبل فلا يجبر عليه وقال ابو يوسف ذلك في الطعام
وقال بعضهم هم شركاؤه في السرور لا في الهدية والخبر محمول في مثل اضحايا
الصدقة والحوائط والرباطات واما اذا كان فيها من الفقهاء اختص بها فلا
شركة فيها لاصحابه فان اشركهم فذلك لزمام وجود اسناده السادسة قوله
فلما جاء قناظرة اي منتظرة بالرجع المرسلون قال قتادة يرحمها الله لما قلة
واسلامها وشركها قد علمت ان الهدية قد تقع موقعا من الناس وتسلت
الالف فيهم للتعرف بين ما الخبرة وقد حوى اثبانها قال شمر هل ما قام
يستثني لبنيهم كبير بتيرغ رشاد فقوله فلما جاء سليمان اي جاء الرسول
سليمان قال امتدوني بمال قرأ حمزة وبيعقوب وآلة بمسكين بنون واخرة مخففة
فيهما ثبات الياء عند الوقف ليصح لهما موافقة لهجا المصحف والاصل في النون

التشديد ومن ذا الموضع كما خفف من اشهد انك عالم وامثله انك عالم وعلى ذا المعنى
الذي نذر لئن ماتوت فيهم انخاجوني فالله وقد قالت العرب الرجال يضربوني و
ويصدوني وامثله يضربوني ويقصدوني لابناء عام يضربوني ويقصدوني
قال الشاعر تزهقنني وانجيد منك للبلى والحاد البشام وألعنان
والمعنى يرمينني فتخفف ومعنى تعدوني انوبد وتني ما لا الى ما تيسا
لعد وابه اموالي فقوله تعالى فما اتانى الله خير مما اتاكم اي مما اعطاني من الا
سلام والملك والنبوة خير مما اعطاكم فلا افرح بالمال وابان وقفت في
كل المصاحف بغير واقرا ابو عمرو ونافع وحفص بإفي الوصل ياقوم فاذا
وقفوا حذفوا قالوا لعقوب فاذا بينتها في الوقف ويحذف في الوصل لالتقا
الساكنين الباقون بغير ياء في الحالين بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل تفاخره
وتكاثره في الدنيا فقوله تعالى ارجع اليهم اي قال سليمان للمندر بن عمرو
امير الوفد ارجع اليهم بهديتهم فلنا بينهم بجنود لا قبل لهم بها لام فتم والنون لها
لازمة قال الخليل وسمعت ابا الحسن بن كيسان يقول هي لام توكيد وكذا قال
عند هما ان الدلامات كلها ليست لام توكيد ولا لام امر ولا لام خفض وهذا قول
الحذاق من النحويين لانهم يردون الشيء الى اصله وهذا لا يتبين الا لمن درب في العربية
ومعنى لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم عليها ولنخرجنهم اي من ارضهم اذ لنا
وهم صاغرون وقيل منها اي من قريتهم سبا وقد سبق ذكر القرية في قوله
ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اي لو ان قد سبا اولكلهم وعزهم وهم
صاغرون اي مهانون اذ لا ان الصغر وهو الذل ان لم يسلموا فرجع الهدهد
فاخبرها فقالت قد عرفت انه ليس بملك ولا طاقة لنا بقتال نبي من انبيا
الله ثم امرت بعرشها فجعل في سبعة ابيات بعضها في بعض واغلقت
من سبع قصور وغلقت الابواب وجعلت الحرس عليه وتوجهت في اثني عشر
الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة الف قال ابن عباس وكان سليمان
يومها لا يستدني حتى تكون هو تسأل عنه فنظر ان يوم رهما قريبا منه
فقال ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين وقال عبد الله بن سلام كانت
ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين لما قال ايكم ياتيني بعرشها وكانت خلفت عرشها بسبا
على فرسخ من سليمان لما قال ايكم ياتيني بعرشها وكانت وكلت به حفظة وقيل انها لما بعثت بالهدية بعثت رسلها فجيدها
لها فعرف سليمان علمه السلام بالفضل قبل ان تاتيه سليمان له ان كان
طالبة ملكا فلما علم ذلك قال ايكم ياتيني بعرشها قال ابن عباس كان امره
بالاتيان بالعرش قبل ان تكتب الكتاب اليها ولم يكتب اليها حتى جاءه
العرش قال ابو عطية وظاهر لا يبعد ان هذه المقالة من سليمان هي
علة السلام لعي بعد مجيء الهدية او رده اياها وبعد الهدهد بالكتاب
ومنع هذا جميعهم الماء والتين واختلفوا في قائد استدعا عرشها فقال قتادة
وكذه له بقطع وجوده فاراد اخذه قبل ان يصيبها وقومها الاسلام ويجيء
امواله والاسلام على هذا الدين وهو قول ابن جبير وقال ابن زيد استدعاه
ليريها القدرة التي هي من عند الله ويجعله دليلا على نبوته لاخذه من تحت
دون حيلة ولا حرب ومسلمين على هذا التاويل يعني مسلمين
وهو قول ابن عباس وقال ابن زيد ايضا اراد ان يختبر عقلها ولهذا قال
نكروا لها عرشها تنظر اتهتدي وقيل خافت الجن ان يتزوج بها سليمان
عليه السلام فتوله له سبها فلا يزالون في السخرة والخدمة لنسل سليمان
فقالت لسليمان في عقلها خلافا اراد ان يمتحنها بعرشها وقبل ان
يختبر صدق الهدهد في قوله ولها عرش عظيم قاله الطبري وعن قتادة
اختار لها العالم وصفه الهدهد والقول الاول عليه اكثر العلما لقوله
تعالى قبل ان ياتوني مسلمين ولانها لو اسلمت لخطر عليها سالها فلا يوتي

به الا باذ مما روى انه كان من فضة وذهب مرصعا بالياقوت والجوهر
وانه كان في جوف تمثال ابيان عليه سبعة املاك فقوله تعالى قال
عفريت من الجن كذا قال الجمهور وقرا ابو رجاء وعيسى لتفتنى عفرية وروينا
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي الحديث ان الله يبغض الشريد الشرير
الشايع لغريه قال قتادة هو الذي لا اهتبة قال النحاس يقال للمسن ايداء كان
يعلو خبث وداهية عفر وعفرية وعفرية وعفارية وقيل عفريت اي مريد
وفتاة مفرنقعة عفرية بكسر الفاء حكاه ابن عطية قال النحاس من قال عفريه
جمعه على عفار ومن قال عفرنت حكاه له في الجمع ثلثة اوجه ان شاء قال
عفارنت وان شاء قال عفار لان النون اذا جمع بالتاء ربما كانت طواعية في جمع طاعون
وان شاء عوض من التاء فقال عفاري والعفريت من الشياطين القوي المارد
والبارية وفرقوا بين العفريت الرجل اذا طلق الادارة قال وهذا ابن سبع
اسم هذا العفريت كذا في ذكره النحاس وقد ذكر ان ذكره السهيلي وقال
شعيب الجباني اسمه دعوان وروي عن ابن عباس انه صخر الجني ومن هذا الاسم
قول الهذلي ذي الرمة كانه كوكب في اثر عفرنته مصوب في سواد الليل منقضب
واسند الكسائي فقال الشيطان لهم عفريت نهالكم مكثت ولا ثبت وفي الصحيح
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن جعل يفتك
علي البارحة ليقطع علي الصلاة وان الله تعالى امكنني منه فذعته وذكر الحديث
وفي البخاري تفلت علي البارحة مكان جعل يفتك وفي الموطا عن يحيى بن سعيد
انه قال اخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابي عفريتا من الجن لطلته
ليقطع علي نارة كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم راه فقال جبريل
افلا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفئت ستمتنه ولخرلته فقال رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال اعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله
التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما وشر ما يعرج فيها
ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل الا طارقا يطرق بخير يا رحمان قوله
لها لي انا انتل به قبل ان تقوم من مقامك يعني مجلسه الذي يحكم والتي عليه
لقوي امين اي قوي على حمله امين على ما فيه ابن عباس امين على فرج المراة ذكره
المهدوي فقال سليمان اريد اسرع من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اكثر المفسرين على ان الذي عنده علم من
الكتاب اصف بن برخيا وكان من بني اسرائيل وكان صديقا يحفظ اسم الله الا
عظم الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى وقالت عائشة رضي الله عنها
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اسم الله الاعظم الذي دعي به اصف يا حي
يا قيوم قلت وهي بلسانهم الهيا شرهيا قال الزهري دعا الذي عنده اسم
الله الاعظم يا الهنا واله كل شي الها واحدا لا اله الا انت اتيني بعرشها فمثل
بين يديه وقال شمخا هدد عا فقال يا الهنا واله كل شي يا ذا الجلال والاكرام
قال السهيلي الذي عنده علم من الكتاب هو اصف ابن برخيا ابن خالة
سليمان وكان يحفظ اسم الله الاعظم من اسما الله تعالى وقيل هو سليمان
نفسه ولا يصح في سياق الكلام سوى هذا التاويل قال ابن عباس قالت
فرقة هو سليمان والمعاملة في هذا التاويل للعفريت لما قال انا اتيك به
قبل ان تقوم من مقامك كان سليمان استبطا ذلك فقال له علي جهة
التحقير انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واستدل قائلو هذه المقالة
بقول سليمان هذا من فضل ربي فلت ما ذكره ابن عطية قاله النحاس
في معاني القرآن له وهو قول حسن ان شاء الله قال ابو محمد هو مثال بديه
كتاب المغازي ارسله الله عند قول العفريت قال السهيلي وذكر محمد بن الحسن
المقرئ انه صحف براد وهذا لا يصح البتة لان اصحه هو ابرادين طاكه
واسمه عمرو بن الياس بن مضر بن نزار بن معد وكان في يده تحت نصف
ذلك بعد محمد سليمان بن داود طويل فاذا لم يكن صحف في عهد سليمان فكيف

صحه

صباء بن ادد وهو بعده بخمسمائة اما وقد انتفى لمن تامل من لم يسمه هو الخضر عليه
السلام وقالا بن يزيد عنده علم من الكتاب رجل صالح كان في جزيرة من جزائر
البحر حرجي ذلك اليوم ينظر من سائل الارض وهل يعبد الله ام لا فوجد سليمان
فدعا باسم من اسماء الله فجيء بالعرش وقول سابع انه رجل من اشراف اسمه شمليخا كان
يعلم اسم الله الاعظم ذكره الثعلبي وقال ابن برة الرجل الذي كان عنده علم من الكتا
اسمه سطوم كان عابدا في بني اسرائيل ذكره العربي وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان
عليه السلام اما ان الناس يروون انه كان معه اسم وليس ذلك كذلك انما كان
رجل من بني اسرائيل عالم اتاه الله علما وفقها قال انا انتك به قبل ان يرتد اليك طرفك
قالت هيا ت قال اتت نبي الله ابن نبي الله قال ادع الله ان يجيء به فدعا الله
سليمان فجاء الله بالعرش وقول سابع انه جبريل عليه السلام قاله الضحاك
وروي عن ابن عباس وعلم الكتاب علم هذا علمه بكتب الله المنزلة وما في اللوح
المحفوظ وقيل علم كتاب سليمان ابي تلقيس قال ابن عطية والذي عليه
الجمهور من الناس انه رجل صالح من بني اسرائيل اسمه اصف بن برخيا انه صلى ركعتين
ثم قال لسليمان يا نبي الله مد بصرك فمد بصره نحو اليمن فاذا بالعرش قد رد سليمان
بصره اليه وهو عنده قال بعض العلماء هذا اسرع النظر حين يرتد طرفه حاسبا حسيرا
وقيل اراد ما بين فتح عينيه ثم تطرف وهو ما يقول اقل كذا في لحظة فمن
وهذا اشبه الا ان كان الفعل من سليمان فهو معجزة وان كان من اصف او غيره
من اولياء الله تعالى فهي كرامة وكرامة الولي معجزة النبي قال القشيري وقد
ذكر كرامات الاولياء في قال الذي عنده من الكتاب هو سليمان قال للعفريت
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وعند هو لا ما فعلوا العفريت فليس
من المعجزات ولا من الكرامات قال الجبائيون لا يتصور ذلك بان يقدم الله الجوهر في نفق
الارض ثم يعيده في الحالة الثانية وهي الحالة التي بعد العدم في نفس الامر
وبعدم الامكنة المتوسطة ثم يعيدها قال القشيري ورواه ابن وهب
عن مالك وقد قيل يؤتى به في الهواء قال ابن عطية وكان سليمان والعرش
كما بين الكوفة والجزيرة وقال مسافة كانت باليمن وسليمان بفلسطين عليه السلام
بالشام وفي التفاسير الحرف ان عرش بلقيس كان اثنا الذي هو ثمانون ذراعا سمك بين يدي
سليمان قال عبد الله بن سيدان فنظر العرش من تحت الارض فاستقر عنده
اي ذلك كان قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده اي ثابتا عنده قال هذا من
فضل ربي اي هذا البصر والتمكن من فضل الله ليبلوني قال ابن خثيم ليعلم
اشكر ام اكفر وقال غيره معناه ليبلوني وهو سيادة الاصاغر الابتلاء الاختبار
اي ليختبرني اشكر نعمته ام اكفرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي لا يرجع
نفع ذلك الا الى نفسه حيث استوجب بشكره تمام النعمة ودوامها والمزيد
منها والشكر قيد النعمة الموجودة وبها تنال النعمة المفقودة ومن كفر فان
ربي غني عن شكر خلقه كريم في التفضل قوله تعالى قال نكروا لها
عرشها اي غيروه قيل جعل اعلاه اسفله واسفله اعلاه وقيل غير زيادة
او نقصان قال القشيري وغيره وانما امر بتنكيره لانه لما سألت قالوا له
انا في عقلها شيئا فاذا اختبرناها وقيل خافت الجن ان يتزوج بها سليمان فقوله
له منها ولد فيقتلون سخرين لا لسليمان ابدا فقالوا لسليمان انها ضعيفة تدخل
العقل ورجلها كرجل الحمار فقال نكروا لها عرشي لننظر اتعقلها وكان سليمان
ناصحا من الجن فقال كيف لي اذا رأى فزعمها من غير ان اسأل لها كشفها فقال
انا اجعل في هذا القصر ما واجعل فوق الماء حاجزا فاطمئن اذا ما فتش فوقه
فترى فزعمها فعلها هو الصرح الذي اخبر الله تعالى عنه فقوله تعالى فلما
جاءت قيل بلقيس قيل لها اهكذا عرشك قالت كانه هو شبهته به لانها
خلفته تحت الاغلاق فلم يعزب عنها شيء ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها قال
عكرمة كانت حكيمة فقالت كانه هو قال مقاتل عرفته ولكن سهت عليهم
كما سهوا عليها وقيل لها اهذا عرشك قالت نعم وقال الحسين بن

الفضل لها وقيل اراد سليمان ان يظهر لهما ان الجن يسخرون له وكذلك هم
الشياطين ليسرق انهما سوءه وتوسن وقيل هذا في مقابلة تقدمها الامر في باب الغلمان
والجواري واوتينا العلم من قبلها هو من قول بلقيس اي اوتينا العلم بصحة
نبوة سليمان من قبل هذه الاية وكنا مسلمين منقادين لامره وقيل هو من
قول سليمان اي اوتينا العلم بقدرته على ما لم نكن من قبل هذه المرأة واوتينا
العلم باسلامها وحسنها طائعة من قبل مجيئها وقيل هو من كلام قوم سليمان
والله اعلم قوله تعالى قوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله الوقف
على من دون الله حسن والمعنى منعها ان تعبد الله ما كانت تعبد من الشمس
والقمر فما في موضع رفع الباقي لمعنى اي صدها عبادتها من دون الله وعادتها
اياها عن ان تعلم ما علمنا ويجوز ان تكون ما في موضع نصب ويكون التقدير وصدها
سليمان مما تعبده من دون الله اي حال بينهما وبينه ويجوز ان يكون المعنى
وصدها الله اي منعها عن عبادتها غيره فحذفت عن وتعدى الفعل بنفسه
واختار موسى فوقه اي من قومه والتقدير بينه وبين عبادة الله بالحواصي
كما ساروا اليها تبيا صحيحا وزعم ان الصحة بنيت عن عبادة الله انها كانت
من قوم كافرين قرأ سعيد بن جبير انها بفتح الهمزة وهي موضع نصب بمعنى لانها
ويجوز ان تكون بدلا من ما فتكون في موضع رفع ان كانت ما فاعلة او على ان فاعل
الصد والكسر على الاستيناف في قوله تعالى قيل لها ادخلي الصرح التقدير عند
سيبويه ادخلي الصرح فحذفت ابو زيد والفراء الفعل وابو العباس يغلط في
هذا قال لان دخل يدل على مدخول وليس الصرح صحيحا من زجاج تحته ماء فيه
الحيتان عمله لها سليمان اعظم من ملكها قاله سعيد بن جبير وقال قتادة كان من
قوارير تجري تحته الماء وقيل الصرح القصر عن ابن عبيدة
كانوا يحسبون اعلاه من الصروح وقيل الصرح الصحن كما تقول هذه
صرحة الدار روق عنها بعض وحكى ابو عبيدة والغريب المصنف اذا الصرح
كل بناء عال مرتفع من الارض وان المرد الطويل الحسن ان اصل هذا انه يقال
لكل شيء عمل واحدا صرح من قولهم لبن صريح اذا لم يشب بماء ومن قولهم صرح بالامر
وسنه عرف صريحه وقيل عمله للتجبر حول الجن فيها اذا مها من الجن ورطها
رجل جائز وهب بن منبه فلما رأت اللجة فزعت وظنت انه قصد بها
الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الماء وتحت تماثيلها وليكن لها بد من
ان تبدي للامر فكشفت عن ساقيها فاذا هما احسن الناس ساقا فلما
رأت الجن عنها ما كانت كثفة الشعر فلما بلغت هذا الحد قال لها
سليمان بعد ان صرف بصره عنها انه صرح ممرد من قوارير والمرد الملوك الملس
ومنه الامرد وغزاء الرجل اذا ابطأ خروج لحيته بعد ادراكه قاله الفراء ومنه
الشجرة المرداء التي لا ورق عليها ورمله مرد اذا ما نبت لا يستوا والممرد ايضا
المطول ومنه قيل للحصن رداح بوصائل طويل على لبنة النخلة من شجره واسع
في طوله وعرضه قال لعنزون مساحا بالراح وجدتم قتيل الصنعي في السابري
الممرد اي الدروع الواسعة وعند ذلك اسلمت بلقيس وادعت واسلمت
وانزت على نفسها بالظلم على ما مر ولما رأى سليمان عليه السلام قدميها
قال لها صحيحة من الشعر ان بلقيس اني اقلع هذا الشعر من غير منصرة
بالحديد فدله على عمل النورة فكانت النورة والحمامات من يومئذ ويروى
ان سليمان تزوجها عند ذلك واسكنها الشام قاله الضحاك وقال سعيد
ابن عبد العزيز في كتاب التقاسيم تزوجها ورد ها اليملكها باليمن وكان
يأتيها على الريح كل شهر مرة فولد له غلام سماه داود مات في زمانه وفي
بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت بلقيس من احسن
نساء العالمين ساقين وهي من ازواج سليمان عليه السلام في الجنة فقالت
عائشة هي احسن ساقين مني انا احسن ساقين منها في الجنة ذكره ابو

الثعلبي وذكر الثعلبي عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اول من اتخذ الحمام سليمان بن داود عليهما السلام فلما اتخذ الصفا الى
الجدار فسرحها فقالت اواه من عذاب الله ثم اجهها حاسدة اوافرخت
على ملكها باليمن وامر الجن فبنوا لها ثلث حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا
مسلحون وتبنون وعمدان ثم كان لسليمان بن داود فيها كل شهر مرة ويقيم
عندها ثلاثة ايام وحكى الشعبي ان ثمانين عمر حفروا وسترة الملوك
فوجدوا فيها قبرا فتحفروا فيه امرأة عليها حلل منسوجة بالذهب وعند
راسها لوح رخام فيه مكتوب بالذهب الا فتقدم عوجوا مما وارتعوا في مغنى
لتعلموا الى تلك التي قد كنت ادعى الدهر بلقيسا
مدينة فضل الملوك في حمير قومي وقد سما كان سابورسا
وكنت في ملكي وتدبيره ازهو في الله المقاطيسا
بملكي سليمان الذي قد كان الغوراة تدريسا
وسخر الجن له مركبا تخب احيانا رواسيها
مع ابن داود النبي فدسنة الدهر من تقدليسا
وقال محمد بن اسحق ووهب بن منبه تزوجها سليمان وانما قال لها
اختاري زوجا فقالت لن سليمان بشكم وقد كان في الملك ما كان فقال لابد
في الاسلام من ذلك فاختارت ذا تبع ملك همدان فزوجها اياها ورد ها
الى اليمن وامر وزيره ذا الجن ان يطهره فبنى لها المصانع ولم ير لها سرا
حتى ماتت سليمان وقال قوم لم يرد فيه خبر صحيح لا في انه تزوجها ولا
في انه زوجها وهي بلقيس بنت الشرح بن لهيعة بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب
ابن قحطان بن عامر بن شالخ بن ارفخشد بن شام بن نوح وكان جدها
الهدهاد ملكا عظيم الشان وولد له اربعون ولدا كلهم ملوك وكان ولد
ارض اليمن سبا وكان ابوها الشرح يعول لملوك الاطراف ليس احد منكم
كفوا لي وابى ان يتزوج منهم فزوجوه امرأة من الجن وقال ابو هريرة قال
النبي صلى الله عليه وسلم كان احد ابوي بلقيس جنيا قال ابوها واختلف
عليها ملوك حمير فقتلوه وملكوا امرهم رجلا فساروا سيرته حتى مضت بذلك
زمنه فاذا ركب بلقيس الغيرة فرضت عليه نفسها فزوجته فسقته الخمر
حتى خرت راسه ونضته على باب دارها فملكوها وقال ابو بكره ذكرت
بلقيس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا امرهم امرأة
وقيل ان سبب تزويجها من الجن انه كان وزير الملك عان يعسب للنساء
الرغبة وكان الوزير منورا فلم يتزوج فنصب مرة في الطريق رجلا لا يعرفه
فقال قل لكل من تزوجت ابنتي لم يفتضها ابدا قال انا قوم من الجن
لا يقدر علينا من ازواجهم فتزوج ابنته فولدت له بلقيس ثم كانت
ام وابنت بلقيس فطرق السمر فتحدث ابوها محمد بهما غلطا
فتى للملك خبرها فقال له يا فلا تكون عندك هذه البنت الجميلة وانت
لا تاتي بها وانت تقلم حتى للنساء ثم امر بحلبه فارسلت بلقيس اليه الى
بين يديك فتحمد للسير الى قصرها فلما هم بالدخول بين فخذيه خرجت اليه
خوارى من ثنايا الجن مثل صورة الشمس وقلن له الا لتشتمي قالت لبلقيس
ستنا انه دخل بنا ولا الرجال معنا على الملك فاذن لهم بالانصراف ودخل
وحده وغلقت عليه الباب وقتلته بالنعال ثم قطعت راسه ورمته الى
عسكره فوسروها عليهم فلم تزل كذلك الى ان بلغ خبرها سليمان عليه
السلام وذلك ان سليمان لما نزل ببعض منازله قال له الهدهاد ان سليمان
قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السما فتصرطول الدنيا وعرضها فابصر
الدنيا يمينا وشمالا فراى بستانا لبلقيس فيه هدهد وكان اسم ذلك الهدهد

عنصر فقال عنصر الحمن لعنصو رسليمان من ابن اقبلت وابن تريد قال اقبلت
من الشام مع صاحبي سليمان بن داود عليه السلام قال ومن ابن سليمان قال
ملك الجن والانس والشياطين والطير والوحش والريح وكل ما بين السماء والارض
فمن ابن انت قال من هذه البلاد وملكنا امرأة يقال لها بلقيس تحت يدها
اثنا عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف مقاتل من سوى السباع والذراري
فاطلق عنه ونظر الى بلقيس وملكها ورجع الى سليمان وقد حضر
وكان سليمان قد فقده وقت الصلاة فلم يجده وكانوا على عهدها قال ابن
في روايته ونتفت نفحة من الشمس فقال لوزير الطير هذا موضع من قال
يا نبي الله هذا موضع الهدهد قال ولي ذهب قال لا ادري اصلح الله الملك
فغضب سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه ثم دعا بالعقاب
سيد الطير وحرسها واسدها بأسا فقال له يا نبي الله فقال على بالهدهد
الساعة فرفع العقاب نفسه في جو السماء دون السماء حتى لصق بالهواء فنظر
الى الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن
فانقض نحوه والتقب قنه فخلبه فقال له الهدهد اسلمك بالذي اقدرك
وقواك على الرحمتني فقال له الويل لك وتكلتك امك انبي الله سليمان
حلف ان لاعذبك او يذبحك ثم اتى به فلقنته الشورى وشاورهما كالرأي
وقالوا الويل لك يوعدك نبي الله فقال وما تدري وما انا ايما استثنى قالوا
بلى انه قال اولياتني بسلطان ثم دخل على سليمان فرفع رأسه وارخى
ذنبه وجناحه فقال صفا لسليمان ايكنت عن حدثت وما تك لاعذ
عذابا شديدا او لاذبحنك فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك
بين يدي الله بمنزله وقوفي بين يديك فاقشعر جلد سليمان وارتعد وعفا
عنه وقال عكرمة انما صرف الله سليمان عن ذبح الهدهد انه كان بارا بوالديه
ينقل الطعام اليهما فبرهما ثم قال له سليمان ما الذي اطابك قال الهدهد
ما اخبر الله عن بلقيس وعرشها وقومها حسب ما تقدم بيانه قال
الماوردي والقول بان ام بلقيس جنية مستنكر من القول لتباين الجنسين
واختلاف الطبعين ويفارق الحسن لان الادمي حسماني والجن روحاني
وخلق الله تعالى الادمي من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من
نار وتمتنع الازدواج مع هذا التباين ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف قال المؤلف قد مضى القول في هذا والعقل لا يحيله مع ما جاء
الخبر في ذلك واذا نظر في اهل الخلق فاصله الماء على ما تقدم بيانه ولا بعد
في ذلك والله اعلم وفي التنزيل وشاركهم في الاموال والاولاد وقد تقدم
وقال تعالى ولم يطمثهن انس قبلهم ولا جان على ما يأتي في الرحمن قوله
تعالى قالت رب اني ظلمت نفسي اي بالشرك الذي كانت قاله بن سبعة وقال
سفيان اي بالظن الذي ظنت في سليمان لانها امرت بدخول الصرح
حسبته لجة وان سليمان يريد تقريرها بانه فلما بان لها انه صرح ممرد من
قوارير علمت انها ظلمت نفسها بذلك الظن وكسرت ان لانها مبتدأة بعد
القول ومن العرب من يفتحها فيعمل فيها القول واسلمت مع سليمان مع
سليمان لله رب العالمين اذا سكنت ثم فيها حرف جر المعنى بلا اختلاف بين
النحويين واذا فتحتها ففيها قولان احدهما انها مفعول الظرف اسم والاخر
انها حرف خافض بني على الفتح قاله الخليل وتقدم معناه فاذا هم فريقان يختصمون
قال مجاهد الى مؤمن وكافر قال وهو الخصومة التي حكاها الله تعالى في قوله
تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم الى قوله كافرون وقيل بخاصمهم ان لكم بقرة
فان نحن على الحق دونكم قوله تعالى قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل
الحسنة قال مجاهد بالعذاب قبل الرحمة والمعنى لم يتوبون الايمان الذي يجلب

اليكم العذاب وتعذبون الكفر الذي يوجب العقاب وكان الكفار يقولون لشرط
الانذار ائتنا بالعذاب اي لم يفعلوا ما يستحقون به العقاب لانهم التمسوا تعجيل
العذاب ولولا تستغفرون الله اي هلا تتوبون الى الله من الشرك لعلكم ترحمون
لكي ترحموا وقد تقدم تحوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك الشأم
والسوم الجدب ولا شيء ضربا لدابة ولا قيد للذبيرش امتقادا للطير ومن
طيرانه جوازه بغرة او يعتق غراب ترد قضا او يدفع مقدور وقد جمل قال
الشاعر طيرة الدهر لا تزد قضا ما عدت الدهر لا يشبه بلوم اي
يوم بحسبه يسعود والمنايا يستزلن في كل يوم ليس يوم لا وفيه سعود
وخوض تجري لقوم دون قوم وقد كانت العرب اكثر انا سرطيرة وكانت اذا
ارادت سفرا تقترب طايرا فان طار يمنه سارت وتيمنت وان طار شامه
رجعت وتشاءمت فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا اقروا الطير في
وكاننا على ما تقدم بيانه في المايدة قال طايركم عند الله مصايبكم بل انتم قوم تفتنون
اي تمتحنون وقيل تعذبون بذنوبكم قوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط
اي في مدينة صالح وهي الحجر تسعة رهط اي تسعة رجال من ابنا اشرافهم قال
الضحاك كانوا هولاء التسعة عظماء اهل المدينة وكانوا يفسدون ولا يصلحون
يعاونون على المعاصي فقتلهم الله عليهم وقال عطا ابن ابي رباح
بالعسكر فجلسوا عند صخرة عظيمة فقتلهم الله عليهم وقال عطا ابن ابي رباح
بلغني انهم كانوا يعبرون الدنانير وانهم وذلك من الفساد في الارض وقال
سعيد بن المسيب وقتادة كانوا تسعة رهط يسكنون مدينة صالح وكانوا يفسدون
عليهم ولا يصلحون وقيل كانوا من الاشراف من ابنا تسعة رجال وقيل غير ذلك
وانما نسب الفعل الى جميعهم لانهم كانوا راضين بما فعله الضحاك وغيره انهم كانوا من
اوجه القوم وقادتهم واعيانهم وكانت اعمالهم اعمال كفر ومعاصي فجعل امرهم
انهم يفسدون ولا يصلحون والرهط اسم الجماعة كانهم كانوا رؤساء سبعة
فعلى هذا منهم رهط والجمع ارهط وارهط قال ناس للحرب التي وقعت
ارهط فاستراحوا وقولهم المدعوون كانوا اصحاب قدار على ما قدمنا قد ذكره
ابن عطية قلت واختلف في اسمائهم فقال الثعلبي واسماؤهم قدار بن
سالف ومصدع واسلم وذسما ودهيم وذعمي ودعيم وقتال وصداف بن
سحق واسمهم راسبهم قدار ابن سالف ومصدع بن مهرج فاتبعهم سبعة هو بلع
ابن مسلع ودعمر بن عميم ودواب بن مهرج وارنبة لم نعرف اسماؤهم وذكر
الزمخشري اسماؤهم عن وهب ابن منبه الهذيل ابن عبد رب عسم بن محنم دنا
مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كرده عاصم بن نمرمة سبيط بن صدقة قدمان
ابن حسني قدار ابن سالف وهم الذين سموا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم
صالح وكانوا من ابنا اشرافهم السهيلي وذكر التقاسم الذين كانوا
يفسدون في الارض ولا يصلحون وسماهم باسمائهم وذلك لا يضبط بروايته
غير انا اذكره على وجه الاجتهاد والتخمين ولكن نذكره على ما وجدناه في كتاب
محمد بن حبيب وهم مصدع بن دهر وبقاردهم وقدار ابن سالف وهرم وهنوا
وزياب ودواب ودعمي وهرمي وزعيم بن دعمر وقلت فقد ذكرنا ما ورد في اسمائهم
عن ابن عباس فقال دهيم ورعيم وهرمي وهرسم ودواب وصواب وزياب
ومسطح وقد اوردنا ان ارض الحجر وهي ارض الشام بقوله تعالى قالوا تقاسموا
بالله لنبيتنه واهله يجوز ان يكون تقاسموا فعلا مستقبلا وهو امر
ايضا لبعضهم لبعض حلفوا ويجوز ان يكون ماضيا في معنى الحال كما قال
قالوا متقاسمين بالله ودليل هذا التاويل قراءة عبد الله تقاسموا
ولا يصلحون تقاسموا بالله ولنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه
قراءة العامة بالتون فيهما واختاره ابو حاتم وقرا حمزة والكسائي بالتا فيهما
وضم التا واللام على الخطاب انهم يحلفون بذلك واختاره ابو عبيد وقرا مجاهد
وحميد بالياء فيهما وضم التا واللام على الخبر والسياق مبايعة العدو ليلا وسفي
لوليه اي لدمه طالبه ولا يشهد العرب ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا هذه
قتله ولا ندري من قتله وقيل اهله وانا لصادقون في انكارنا لقتله والمهلك
بمعنى الاهلاك ويجوز ان يكون الموضع وقرا حفص والسلمي بفتح الميم واللام

اى الهلاك فقال نضرب مصرنا اى ضربا وقرا المفضل وابو بكر بفتح الميم واللام اى
الهلاك وخبر اللام فتكون اسم المكان كالمجلس لموضع الجلوس ويجوز ان تكون مصدرا
لقوله تعالى الينا مرجعكم اى رجوعكم ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم
ما روى ان هولاء التسعة لما كان في صدر الثلاثة ايام بعد عقر الناقة ندموا حرصوا
صالحا ليتمالؤا على قتله ثم يقولون لاوليائه انا لم نقتله وانا لصادقون فيما نقول له
فاقسموا فان كان كاذبا في وعيده اوقعنا به ما يستحق وان كان صادقا كنا هو
عجلناه قتلنا وسعينا نفوسنا قاله مجاهد وغيره قاله ابن عباس ارسل الله تعالى
الملائكة فاستقبلتهم دار صالح فاتى السبعة دار صالح شاهرين سيوفهم
فقتلتهم الملائكة رضخا بالحجارة فيرون الحجارة ولا يرون من يرميها وقال
قتادة خرجوا مسرعين الى صالح فسلط عليهم ملك بيده صخرة فقتلهم وقال
السدى نزلوا على حرف من الارض فانهارت بهم فاهلكتهم الله بقتله وقيل اختفوا
في غار فتربص بهم دار صالح فانحدرت عليهم صخرة سدت عليهم فمات جميعا فهذا ما كان
مكرهم ومر الله سبحانه بهم على ذلك فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم
اجمعين اى بالصيحة التي اهلكتهم وقد قيل ذهلك الكل كان لصيحة جبريل
والظهر اذا التسعة هلكوا بعذاب مفرد ثم هلك الباقون بالصيحة والرجفة
وكان الاعمش والحسن وابن ابي اسحق وعاصم وحمزة والكسائي يفتحوا انا بالفتح
قال ابن الانباري فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على ما قبله مكرهم لان ابا دهو
سرنا هم خبر كان ويجوز ان يجعلها في موضع رفع على الاتباع للعاقبة ويجوز ان يجعلها
في موضع نصب من قول الفراء وحفص من قول الكسائي بانا دمرناهم ويجوز ان يجعلها
في موضع نصب على الاتباع لموضع كيف فمن هذه المذاهب لا يحسن الوقف على
مكرهم وقرا ابن كثير ونافع وابو عمر انا دمرناهم بكسر الالف استيناف فعلى هذا
المذاهب يحسن الوقف على مكرهم قال النحاس ويجوز ان ينصب عاقبة على خبر
كان ويكون انا في موضع رفع على انها اسم كان ويجوز ان يكون في موضع رفع على اضمار
مبتدا تبيينا للعاقبة والتقدير هي انا دمرناهم قال ابو حاتم وفي حرف نصدقها
لنخبرها قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا قراة العامة بالنصب على
الحال عند الفراء والنحاس وهي حالة عن اهلها حرابا ليس لها ساكن وقال
الكسائي وابو عبيدة حال منه نصب على القطع مما قبله فتلك بيوتهم الخاوية
فلما قطع منها الالف واللام نصب كقوله ولهذين واصبا وقرا عاصم بن عمر
ونصر بن عاصم والجحدري بالرفع على انها خبر عن تلك وبيوتهم بدل من تلك
ويجوز ان يكون بيوتهم عطف بيان وخاوية خبر عن تلك ويجوز ان يكون بيوتهم
وخاوية خبرين عن تلك ويجوز ان يكون رفع خاوية على انها خبر ابتدا محذوف
اى هي خاوية او بدل من بيوتهم لان النكرة صار لما لمعرفة ان في ذلك لاية لقوم
يعلمون وانجينا الذين امنوا وكانوا يتقون الله ويخافون عذابه قيل ان صالحا
قدم اربعة الاف والباقون خرج بابدانهم في قول مقاتل وعمرو خرج سبعمائة
وكان في اليوم الاول احمر ثم صار غدا اصفر ثم صار في الثالث اسود وكان
عقر الناقة يوم الاربعاء وهلاكهم يوم الاحد قال مقاتل لعشر مضت للمحرم
وصاح جبريل بهم حين اهلك صيحة فخمدوا وكان ذلك صيحة وحرق ما لهم من
ارضهم الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت قال الضحاك ثم
ارسله الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت قال الضحاك ثم
بنى الاربعة الاف مدينة تقال لها حاصورا على ما تقدم بيانه في قصة اصحاب
الرس قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اى وارسلنا لوطا او اذكر لوطا اذ قال
لقومه وهم اهل سدوم وقال لقومه اتاتون الفاحشة الفعلة القبيحة
البينة وانتم تبصرون انها فاحشة وذلك اعظم لذنوبكم وقيل يا تي بعضكم
بعضا وانتم تنظرون اليه وقيل لا يستترون عما تاتيهم وتاتون
اليكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء عادة ذكرها الفرط قبحها وشنعتها
بل انتم قوم تجهلون اياما التحريم او العقوبة واختار الخليل وسيبويه
تخفيف الهمزة الثانية من اينكم فاما الخط فالسبيل فيه ان يكتب بالعين

على الوجوه كلها لانها همزة مبتدأة دخلت عليها الف الاستفهام فقوله تعالى فيما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون عن ادبار الرجال يقولون ذلك استهزاء منهم قاله سيبويه وقال قتادة عابوهم والله بغير عيب بانهم يتطهرون من اعمال السوء والخبث وآثامه الا امرأته قدرنا ها من الغابرين قرأ عاصم قدرنا مخففا والمعنى واحد تقول قد قدرت الشيء قدرا وقدرا وقدرته واطرنا عليهم مطرا فنا مطر المنذرين اي من انذر فلم يقبل الانذار وقد مضى بيان هذا في الاعراف وهود قوله تعالى وسلام على عباده الذين اصطفى قال الفراء قال لي قائل قل للوط قل الحمد لله على هلاكهم وقال جماعة من العلماء الفراء هذا وقال هو شيء لقنه لنبينا صلى الله عليه وسلم اي قل الحمد لله على هلاك الكفار الامم الخالية قال النحاس وهذا اولى لان القرآن منزل على النبي صلى الله عليه وسلم وكل شيء فيه فهو مخاطب به عليه السلام الا ما لم يصلح بخطابه الا لغيره وقيل المعنى اي قل يا محمد الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى يعني امته عليه السلام قرأ الكلبي اصطفاهم الله بمعرفته وطاعته وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول هذه الآية ان الطائفة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء وحكمته وان يبتدئ بحمده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن وتوقيف على ادب جميل ونعت على اليقين بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بحمايتهما على قبول ما يلقى اليه السامعين واصفائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي تبعثها المستمع ولقد توارث العلماء والحكماء والوعاة كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امام كل علم مفاد وقيل كل عطسة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المرسلون فاخبروا عليهم اوائلكتبهم بالفتوح والثناء وميز ذلك من الحوادث التي لها شان قوله تعالى الذين اصطفى اي لرسالته وهم الانبياء عليهم السلام وقيل لطاعته وسلام على المرسلين آمنة خيرا لهم ابو حاتم الله خير لهم من الذين لا يعلم احد تابعه على ذلك لان هذه المدة انما هي بما من قرأ بين الاستفهام والخبر وهذه الف الوقف وخبرها هنا بمعنى فصل بذلك وانما هو مثل قولك لست لا بكوه ولست له بكف مسرعا كما الغدا فالمعنى فالذي فيه الشر منكما فيه الخير الغدا ولا يجوز ان يكون بمعنى لان اذا قلت فلان سرمن فلان فمن كل واحد منهما وقيل الخير في هذا الذي لنبركونه في العبادة وحكى سيبويه القعادة احب اليهم من القيام الشقاء وهو يعلم ان القعادة احب اليه من التفضل والمعنى الله خير اما يشركون اي ابوا كه خير ام عقاب يشركون وقيل ذا لهم ذلك لانهم كانوا يعتقدون في عبادة الاصنام خيرا فالهمهم الله عز وجل على اعتقادهم وقيل اللفظ لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وقرأ ابو عمرو عاصم ويعقوب ليشركون بنا على الخبر الباقون بالتاء على الخطاب وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ هذه يقول الله خير وابقى واجل واكرم قوله تعالى امن خلق السموات والارض قال ابو حاتم تقديره الهتكم خير من خلق السموات والارض وقدر على حذف من وقيل المعنى اعبادة من خلق السموات والارض فهو مردود على ما قبله من المعنى وقد مضى التوبيخ لهم والحجة عليهم في قدرة الله عز وجل وعجز الهتهم فانتبها به حذاق ذات السجحة الحديقة البستان الذي عليه حائط والسجحة للبستان قال العجاج الحديقة البستان المحصر عليه فان لم يكن عليه حائط فهو البستان وليس بحديقة وقال قتادة وعكرمة النخل ذات بهجة والبهجة الرونق والحسن تبهج به من رآه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ما النفي ومعناه النهي والمنع من فعل هذا اي ما كان للشر ولا يتهيأ لهم ولا ينبغي ان يتهيأ شجرها اذ هم عجزه عن مثلها لان ذلك اقراح الشيء من العدم للوجود قلت وقد يستدل من هذا على منع تصوير شيء سوى ما كان له روح اولم يكن وهو قول مجاهد ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ومن اظلم ممن

من ذهب يخلق خلقا خلق فليخلقوا ذاره وليخلقوا حبه وليخلقوا سعيره رواه
مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله عز وجل فذكره بالزوم ذا للتهديد والتقبيح كل من يتعاطى تصوير
شيء مما خلقه الله وضاهى به في خلقه فيما انفرد به سبحانه من الخلق والاختراع
وهذا واضح وذهب الجمهور الى ان تصوير ما ليس له سمحمه روح يجوز هو
والكتابة به وقد قال ابن عباس للذي سأله ان يصنع التصوير ان كنت لابد
فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس فيه رواه مسلم اما الصنع او لا فواضح والله اعلم لما ذكرنا
وسيأتي لهذا مزيد بيان في سبأ ان شاء الله تعالى ثم قال في هذا الثواب يحج
اليه مع الله ام هل يعبد مع الله بعضه على ذلك بل هم قوم يعدلون بالله غيره
وقيل يعدلون عن القصد والحق اي يكفرون اليه مرجوعك بعد تقديره امع الله وبكم
اله والوقف على مع الله حسن قوله تعالى ام من جعل الارض قرارا اي مستقرا
وجعل خلالها انهارا اي وسطها مثل وفجرنا خلاله نهرا وجعل فيها رواسي يعني
جبالا لئلا تميد بمن عليها من الحركة وجعل بين البحرين حاجزا ما نعا من قدرته
لئلا يختلط الاجاج بالعذب وقال ابن عباس سلطانا من قدرته فلا هذا يغير ذاك
وذاك لا يغير هذا والحجر المنع الله مع الله اذا ثبت انه لا يقدر على هذا غيره
فلم يعبد وثن لا يخلق ولا يضر ولا اكثرهم لا يعلمون بمعنى كانهم يجهلون الله فلا يعلمون
ما يجب له من الوحدانية قوله تعالى ام من يجيب المضطر اذا دعاه فيه ثلث مسائل
الاولى قوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه قال ابن عباس هو ذو الصورة
المعوذ وقال السدي الذي لا حول له ولا قوة وقال ذو النون هو الذي قطع
الجبال بقف عباد ون الله وقال ابو جعفر ابو عثمان النيسابوري هو المفلس
وقال سهل ابن عبد الله هو الذي اذا رفع يديه الى الله دعا لم يكن له وسيلة من
الطاعة قدمها وجاء رجل الى مالك بن دينار فقال يا ابا يحيى ان اشتكيت بالله ان تدعو لي فانا
مضطر قال اذا اضطررت فاسأله فانه يجيب المضطر اذا دعاه قال الشاعر

وانى لادعوا الله والامر ضيق علي فما ينفك ان يتفرجا ورب اجاب
عليه وجوهه اصاب بها لما دعاه اسهما مخرجا الثانية في مسند ابي داود والطيالسي
عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعاء المضطر اللهم رحمتك ارجو
فلا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت الثالثة ضمن
الله تعالى اجابة المضطر اذا دعاه واضطراره ذلك عن نفسه والسبب في ذلك ان
الضرورة اليها تلجيء القلب عن الاخلاق وقطع القلب عما سواه وذلك اخلاص
عنده سبحانه موقع وده وحرمن مومن او كافر طائع او فاجر كما قال تعالى في حق
الذين اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم
الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين وقوله تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
فاجابهم عند ضرورتهم ووقوع اخلاصهم مع علمه انهم يعودون الى شركهم
وكفرهم وقال تعالى في الدار لبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين لان
يجب المضطر لموضع اضطراره واخلاصه وفي الحديث ثلاث دعوات مستجابات
لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده ذكره صاحب
الشهاب وهو حديث صحيح وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم بينها
وبين الله حجاب وفي كتاب الشهاب اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام
يقول الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين وهو صحيح
ايضا وخرج الاجري من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فاني لاردها
ولو كانت من فم كافر فيجب المظلوم ان يرضع اخلاصه نفسه ويرتهن مقتضى كرمه
واجابته لاخلاصه وان كان كافرا ولذلك ان كان فاجرا في دينه فيجوز الفاجر
وكفر الكافر لا يعود ضرره بنقص ولا رهن على مملكة سيده فلا تمنعه ما قضى
للمضطر من اجابته وفسر اجابته للمظلوم بالنصرة على ظالمه بما شاء سبحانه من
فنونه او انتقاما من نفسه او تسليط ظالم اخر عليه يقهره كما قال عز وجل
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا واكد سرعة اجابتها بقوله تحمل على الغمام

ومعناه

ليي

ومعناه والله اعلم ان الله عز وجل يوكل ملائكة تلتقي دعوة المظلوم ويحملها على
الغمام فيبعثوا بها الى السما فتلقاه الدعا لتها الملائكة كلهم فيظهر منهم مقاولة
المظلوم منهم له في اجابة دعوته رحمة له وفي هذا تحذير من الظلم لما فيه من سخط الله ومعصيته ومخالفة امره حيث قال على لسان نبيه
في صحيح وعزتي يا عبادي لاحرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا
الحديث فالمظلوم مسخط ويقرب منه المسافر لانه منقطع عن الاهل والوطن
مفرد عن الصديق والحميم لا لسكن قلبه الى مسعد ولا يعين لعزيمته فيصدق هو
ضرورية الى المولى فيخلص اليه في الليل وهو المجيب للمضطر اذا دعاه ولذلك هو
دعوة الوالد على ولده لا يصدر منه مع سالم يعلم من حسنه عليه وشفقته لا
عند تكامل عجزه عنه وضيق ضرورته واما كه عند ثروته مع وجود اذيته
فيسرع الحق الى اجابته قوله تعالى ويكشف السوء اي الضر وقال الكلبي الجوع
ويجعلكم خلفاء الارض يسكنها بعد الامم الماضية بعد قوم عاد وبعد اهل الحجر
امم ويجعل اولادكم خلفا وقال الكلبي خلفا من الكفار يرثون ارضهم
وديارهم الله مع الله علا لهم مع الله على جهة التوبيخ كما قال ا مع الله ويلكم اله
قال له مرفوع بمع ويجوز ان يكون مرفوعا بانه اله مع الله يفعل ذلك فيعبده و
الوقف على مع الله حسن قليلا ما يذكرون قرا ابو عمرو وهشام ويعقوب
يذكرون بالياء على الخبر لقوله بل اكثرهم لا يعلمون وتعالى اسما يشركون قرا حمزة
قبلها وبعدها واختاره ابو حاتم الباقون بالتا خطابا لقوله ويجعلكم خلفاء الارض
قوله تعالى امن يهديكم اي يرشدكم الطريق في ظلمات البر والبحر اذا سافرتم الى
البلاد التي تتوجهون اليها بالليل وقيل جعل مفاوز البر التي لا اعلام لها
والبحر التي لا نها ظلمات لانه ليس لها ما فيه علم يهتدى به ومن يرسل الرياح تبشرا بين
يدي رحمته اي قدام المطر باتفاق اهل التاويل مع الله يفعل ذلك وتعالى
تعالى الله عما يشركون من دونه قوله تعالى امن يبدؤا الخلق ثم يعيده كانوا
يقرون ان الله الخالق الرازق فالزمهم الاعادة اي اذا قدر على الاشد افمن ضرورته
القدرة على الاعادة وهم يقرون عليها مع الله تخلق وترزق وبيده وبعيد
قل هاتوا برهانكم اي حجتكم ان لي شريكا وحجتكم في انه صنع احد شيا من هذه
الاشيا غير الله ان كنتم صادقين قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب
الا الله وعن بعضهم اخفى عيبه عن الخلق فلم يطلع عليه احدا قيل لا يا من احد من
عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا النبي صلى الله عليه وسلم
عن قيام الساعة وفي موضع رفع والمعنى قل لا يعلم احد الغيب الا الله فانه بدل
من قائم الزجاج الا ذا رفع ما بعد الا لانه ما قبلها جحد لقوله ما ذا احد
الا ابوك والمعنى واحد قال الزجاج من نصب نصب على الاستثنا ليس
في الكلام معنى الجحد قال النحاس وسمعته يحتج بهذه الاية على من صدق منجما
وقال اخاف ان يكفر بهذه الاية قلت فرضي هذا في الانعام
مستوفى وقالت عائشة من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد اعظم على الله
الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله خرجه
مسلم وروي انه نزل على الحجاج منجم فاعتقله الحجاج ثم احضر حصيات فوزن
ثم قال له كم في يدي من حصاة فحسب المنجم ثم قال كذا فاصاب ثم اعتقله ثم اخذ
اخذ حصيات لم يعدهن فقال له في يدي فحسب فاخطا ثم حسب فاخطا
ثم قال ايها المنجم اظنك لا تعرف عددها قال لا قال فاني لا اصيب قال
فما الفرق قال اذن ذلك احصيته فخرج عن حد الغيب وقد الم تخصه فهو
غيب ولا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وقد مضى هذا في آل عمران
قوله تعالى بل ادرك علمهم في الاخرة هذه قراءة اهل المدينة ومنهم عاصم
وشيبة ونافع ويحيى وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وقرا ابو جعفر
وابن كثير وابو عمرو وحميد بل ادرك من الادراك وقرا عطاء بن يسار واخوه
سليمان بن يسار والاعمش بل ادرك غير ممدود مسندا وقرا ابن محيصن بل
ادرك على الاستفهام وقرا ابن عباس بل باثبات الالف ادراك بهمزة قطع

اكثرهم

والدال مشددة والف بعدها قال النحاس واسناده صحيح هو من حديث
شعبة يرفعه الى ابن عباس وزعم هرون القاري ان قتادة ابي بزيد لان علمهم هو
العدة الاولى والاخرة معناهما واحد لان اصل ادارك بدا دلك ادغمت الدال
في التاء وجي بالف للوصل وفي معناه قولان احدهما ان المعنى بل تكامل علمهم في الاخرة
لانهم رأوا كلما وعدوا به معاينة فتكامل علمهم به والعقل الاخر ان المعنى بل
تتابع علمهم اليوم في الاخرة فقالوا لكون وقالوا لا تكون القراءة الثالثة
فيها ايضا قولان احدهما ان معناه تكمل في الاخرة مثل الاول قال ابو حاتم قد
معناه تدارك علمهم في الاخرة ويعلمونها اذا ما يعاينوها حين لا ينفعهم علمهم
لانهم كانوا في الدنيا مكذبين والقول الاخر على انه معنى الانكار وهو مذهب
ابي اسحق واستدل على صحة هذا القول بما بعده بل هم منها عمون اي لم يدرك
علمهم علم الاخرة وقيل بل صل وغاب علمهم في الاخرة فليس لهم فيها علم
الاخرة الثالثة بل ادرك فهي بمعنى بل الدرك وقد يجيء افتعل وتفاعل بمعنى
وكذلك صح ارد وجواجير كان بمعنى براوجوا القراءة الرابعة ليس فيها الا قول
واحد يكون فيه معنى الانكار كما يقول انا قائلتك فتكون المعنى لم يدرك وعليه
يرجع قتادة ابن عباس قال ابن عباس بل ادرك علمهم في الاخرة اي لم يدرك قال
الفراء وهو وجه حسن كانه وجهه الى الاستهزاء بالمكذبين بالبعث كقولك لرجل
يكذب به بلى لعمري قد ادركت الثلث وانت ترى ما لا ارى وانت تكذب به
وقراءة شاذة بل ادرك بفتح اللام على لفظ الماضي الفتحة لخفتها وقد حكي نحو ذلك
عن قطرب في قم الليل فانه عدل الى الفتح وذلك في بعض الصوت ونحوه وذكر
الزمخشري في الكتاب وقرئ بل ادرك بهمزتين بل ادرك بالف بينهما بل
ادرك بلا ادرك ام بدا له ام ادرك فهذه ثمانية عشرة قراءة ثم اخذ يعلل
وجوه القراءات وقال قلت وجه قراءة بل ادرك على الاستفهام قلت
هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ ام ادرك او
ام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة والف استفهام بل ادرك علم الا
ستفهام بمعناه بل هم في شك منه ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر
علمهم بكونها بل يتحصل لهم شهود بوقوعها لان العلم بوقت الكتاب
تابع للعلم بكون الكائن في الاخرة في شان الاخرة ومعناها بل هم في شك منها
اي في الدنيا بل هم منها عمون لعلوهم واحدهم عمو وقتل عم فاصله عمون
فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ولم تحرك بالنقل لحركة ما قبلها فقوله تعالى
وقال الذين كفروا الى قوله مكة ابذا كنا ترابا وابآؤنا اينا لمخرجون
هكذا بقراءة نافع هنا وفي سورة العنكبوت وقرأ ابو عمرو باستفهامين الا
خفف الهمزة وقرأ عاصم وحمزة ايضا باستفهامين الا انهما خففا
الهمزتين وكل ما ذكرناه في السورتين جميعا واحد وقرأ الكسائي وابن عامر
ورويس ويعقوب اذا بهمزتين انا بنونين على الخبر في هذه السورة
وفي سورة العنكبوت باستفهامين قال ابو جعفر النحاس القراءة اذا كنا
ترابا وابآؤنا اينا موافقة للخط حسنة وقد عارض فيها ابو حاتم فقال
وهذا معنى كلامه اذا للجزاء باستفهام وانا استفهام وجهه اذا كيف
يجوز ان يعمل ما في خبر الاستفهام فيما قبله وكيف يجوز ان يعمل ما بعد
ان فيما قبلها وكيف يجوز عند ان زيدا خارج فاذا كان قبله استفهام كان
ابعد وهذا اذا سئل عنه كان مشكلا كما بعد وهذا اذا سئل عنه لما ذكرت
وقال ابو جعفر وسمعت محمد بن الوليد يقول سألنا ابا العباس عن انه
شد القرآن صعبه مشكلة وهي قول الله عز وجل وقال الذين كفروا
هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد فقال
ان عمل اذا سبكم كان محالا لانه لا يلتئم ذلك الوقت وان عمل فيه
ما بعد اذ كان المعنى صحيحا وكان خطأ في العربية ان يعمل ما قبل ان فيما
بعدها وهذا سؤال بين وليت ان يذكر في السورة التي هو فيها فاما

ابو عبيد فما له الى قراءة نافع ورد على من رجح من استفهامين واستدل لقوله تعالى
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ولقوله تعالى افائن مت فهم الخالدون ولهذا
الرد على الحمزوي عاصم وحمزة وطلحة والاعرج لا يلزم منه شيء ولا يشبه ما جاء به
من الاستفهامين شيأ والفارق بينهما ان الشرط وجوابه بمنزلة شيء واحد ومعنى
افائن مت فهم الخالدون افائن مت خلدوا ونظير هذا اريد منطلق ولا تقول
اريد منطلق لانهما بمنزلة شيء واحد وليس هذا الآية لان الثاني جملة قائمة
بنفسها فصلح فيها الاستفهام والاول كلا يصلح فيه الاستفهام فاما من خفف
الاستفهام من الثاني واثبته في الاول فقوله اذا كنا ترابا فحذف منه من الثاني لان
في الكلام دليلا عليه بمعنى لانكار قوله تعالى لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا
من قبل ان هذا الا اساطير الاولين تقدم في سورة المؤمنين وكانت الانبياء
يغيرون اخر العقد مخالفة في التخيير وكل ما هو آت بقريب قوله تعالى قل
سيروا في الارض اي قل لهما ولا انكار قوله تعالى سيروا في بلاد الشام والحجاز
واليمن فانظروا اي تقلبكم وتصاريفكم كيف كان عاقبة المكذبين لرسلهم ولا تحزن
عليهم اي على كفار مكة ان لم يؤمنوا ولا تكن في ضيق حرج مما يمكرون نزلت في
المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة وقد تقدم ذكرهم وقرئ في ضيق بالكسر
وقد مضى في اخر النحل ويقولون متى هذا الوعد اي وقت يجيء العذاب بكذبنا
ان كنتم صادقين في قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم اي اقرب لكم ودنا منكم
بعض الذي تستعجلون اي من العذاب قاله ابن عباس وهو من ردفه وارتدفه
وجاء في اثره ويكون اللام ادخلت لان المعنى اقرب لكم وديا لكم او تكون متعلقة
بالمصدر وقيل معناه سعكم وقال ابن سكره سعكم ومنه ردف المرأة لانه
تبع له من خلفها ومنه قول الهذلي ذؤيب عاد السواد بياضها فتتابعا ردف لاشرحيا بيا
السبب اردفا قال الجوهري وارتدفه امر لعه في ردفه مثل تبعه واتبعه
بمعنى قال خزيمة بن مالك بن نهد اذا الجوزاء اردفت الثريا ظننت بآل
فاطمة الظنونا يعني فاطمة بنت بدكر بن عتره احد الفارطين وقال الفراء
ردف لكم وما لكم وليهذا قال لكم وقيل ردفه ورد ف له بمعنى وزاد اللام للتوكيد
من العرب ايضا من يقول لعدته ولقد نك له وكلته ووزنته وكلت له ووزنت
له وشكرت لك نعمتك ونصحت لك وشكرتك ونصحتك قال الله تعالى ان ربك
لذو فضل على الناس بما اشرنا اليه من العفو وازدياد الرزق ولكن اكثرهم
لا يشكرون فضله ونعمه منه قوله تعالى وان ربك ليعلم ما تكن اي تخفي صدورهم
وما يعلنون يظهرون من الامور وقرأ ابن محيصن وحميد ما تكن من كننت الشيء
الشيء اذا سترته بهما هنا وفي القصص تقدم تفسيره ما تكن صدورهم عليه فكان الضمير
الذي في الصدور ركا لجسيم الساتر ومن قرأ تكن فهو المعروف يقال كننت الشيء
واكننته في نفسي قوله تعالى وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب
مبين قال الحسن الغائبة هنا القيمة وقيل ما غاب عنهم من عذاب السماء والارض
حكاه الثقفي وقال ابن سكره الغائبة هنا جميع ما اخفى الله تعالى عن خلقه
وعنه عنهم وهذا عام وانما دخلت الهاء في غائبة اشارة الى الجمع اي ما من خصلة
غائبة عن الخلق الا والله عالم بها قد اثبتها في ام الكتاب عنده فكيف يخفى عليه ما
يسرها ولا وما يعلنونه وقيل اي عمل سيء هو مثبت في ام الكتاب لجزيه للاجل
الموجل له الذي يستعجلونه من العذاب له اجل يضرب ولا ينال حتى يعده ولا يتقدم
عليه والكتاب المبين اللوح المحفوظ اثبت الله فيه ما اراد ليعلم به الملائكة من ليس من
ملائكته قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وذلك انهم اختلفوا في كثير من الاشياء حتى ان بعضهم لعن بعضا لما نزلت والمعنى ان
هذا القرآن يبين لهم ما اختلفوا فيه لو اخذوا به وذلك ما حرفوه من التوراة
والانجيل وما اسقطوه من كتبهم من الاحكام وانما بين القرآن لهدى ورحمة للمؤمنين
خص المؤمنين لانهم المنتفعون انا ربك يقضي بينهم بحكمه اي يقضي بين بني اسرائيل
فيما اختلفوا فيه من الاخرة فيجازي المحق والمبطل وقيل يقضي بينهم في الدنيا
فيظهر ما حرفوه وهو العزيز المنيع الغالب الذي لا يرد امره العليم الذي لا يخفى

عليه شي قوله تعالى فتوكل على الله اي فوض اليه امرك واعتمد في الدفاع عنك انك
على الحق المبين اي الظاهر وقتلا المظهر لمن يدبر وجه الصواب انك لا تسمع الموتى
يعني الكفار لتركهم التدبر فهم كالموتى الذين لا حس لهم ولا عقل وقيل هذا
فيمن علم الله لا يؤمن ولا يسمع الصمم الا وما يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن
قبول المواعظ فاذا دعوا الى الخير اعرضوا وولوا كانهم لا يسمعون نظيره صم بكم
عمي كما تقدم وقرا ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن ابي اسحق وعباس عن ابي عمرو
ولا تسمع بفتح الياء والميم الضم رفعا على انها على الباقون ليسمع مضارع اسمعت
الصم نصبا مسلة وقرا طلحة عائشة رضي الله عنها في انكارها اذا النبي صلى
الله عليه وسلم اسمع الموتى بدر بعبدة الا لات وتدرت ولا يتيسر على قول
ووقفت مع هذه الاية وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انتم باسمع
منهم قال ابن عطية فشبهه ان قصته بدر حرق عادة لمحمد عليه السلام وان
يرد الله اليهم ادراكا سمعوا به مقالته ولو لا احيا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليسامهم تحمل نداءه ايا هم على معنى التوبيخ لمن بقي منا لكفرة وعلى معنى تشفي
صدور المؤمنين قال ـــــ روى البخاري حدثني عبد الله بن محمد سمع زوح
ابن عبادة قال حدثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا انس بن مالك
عن ابي طلحة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم امر يوم بدر باربعة وعشرين رجلا
من صناديد قريش فقذفوا في طوي من اطواء بدر خبيث مخبث وكان اذا ظهر
على قوم اقام بالعرصة ثلث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته فشد
عليها رحلها ثم مشى واتبعه اصحابه قالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى
قام على شفة الركي فجعل يناديهم باسمائهم واسماء ابائهم يا فلان بن فلان
ويا فلان بن فلان ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا قال فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا
ارواح لها فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما انتم باسمع
لقولي منهم قال قتادة احياهم الله حتى اسمعهم قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة
وحسرة وندما اخرجه مسلم ايضا قال البخاري حدثني محمد ثنا عبد قال
ثنا عبدة عن هشام عن ابيه عن ابن عمر قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم
على قليب بدر فقال ـــــ هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم الان ليعلمون
ان الذي كنت اقول لهم هو الحق ثم قرات انك لا تسمع الموتى حتى قرات الاية
وقد مر ضت هذه الاية بقصة بدر وبالسلام على القبور وبما روي في ذكر
من اذا مات راح تكون تكون على سفير القبور فاوقفت وبان الميت ليسمع قدم
النفاذ اذا انصرفوا عنه الى غير ذلك فلو لم يسمع الميت لم يسلم عليه وهذا واضح
وقررناه في كتاب التذكرة قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم اي كفرهم
اي لست بقادر على ان تجعل الايمان في قلوبهم وقرا حمزة بهادي العمي عن ضلالتهم
كقوله افانت تهدي العمي ولا يقودون بهادي وهي لغة لاهل عبد والى حاتم وفي الروم
مثله وكلهم وقف بهادي بالياء في هذه السورة وبغير ياء في الروم واثبتا في
المصحف ولا يقف ابو عمرو وقف فيهما جميعا بالياء وجاز الفراء وابو حاتم وما انت
بهادي العمي وهي لاصل وتحرف عند انه وما ان تهدي العمى ان تسمع اي ما يسمع
الا من يؤمن بايتنا قال ابن عباس اي الا من خلقته للسعادة فهم مخلصون في
التوحيد قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم
اختلف في معنى وقع القول وفي الدابة فقيل معنى وقع القول عليهم بانهم
لا يؤمنون وقال ابن عمر وابو سعيد الخدري رضي الله عنهم اذا لم يامروا
بالمعروف وينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم وقال عبد الله بن مسعود اذا
وقع القول تكون تموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن قال عبد الله اكثروا
تلاوة القرآن قبل ان يقبض قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في الصدور
الرجل قال ليسري عليه ليلا فيصبحون منه فقرا وينسون لا اله الا الله
ويقعون في قول الجاهلية واشعارهم وذلك حين يقع القول عليهم قلت
اسنده ابو بكر البزار قال ثنا عبد الله بن يوسف الثقفي قال ثنا عبد المجيد

ابن عبد

ابن عبد العزيز عن موسى بن عبيدة عن صفوان بن سليم عن ابن لعبد الله بن مسعود
رضي الله عنه عن ابيه انه قال اكثروا من زيارة هذا البيت من قبل ان يرفع
وتنسى لنا موسكا نروا كثروا تلاوة القرآن من قبل ان يرفع قالوا يا ابا عبد الرحمن
هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يصبحون فيقولون كنا
نتكلم بكلام ونقول قول لا فيرجعون الى ستمرا لها هلية واحاديث الجاهلية
وذلك حين يقع القول عليهم وقيل القول هو قوله تعالى ولكن حق
القول مني لاملان جهنم فرفع القول وجوب العقاب على هؤلاء اذا صاروا
الى حد لا تقبل توبتهم ولا ولدلهم ولدسوء من تحينيد تقوم القيامة ذكره ابو
العشرين وقول سادس قالت حفصة بنت سيرين سالت ابا العالية عن
قول الله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض فقال
اوحى الله الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فكانوا على ما هم عليه
كشف قناع الهما تين وهذا من احسن الجواب لان الناس صنفان ومؤمنون
لان فيهم مؤمنين وصالحين ومن قد علم الله جل وعز انه سيؤمن ويتوب فلهذا
امهلوا وامروا باخذ الجزية فاذا زال هذا وجب القول عليهم فصاروا كقوم
نوح حين قال الله عز وجل انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن قلت وجميع الاقوال
عندنا لا ترجع الى معنى واحد والدليل عليه اخر الاية ان الناس كانوا
بايا تنا لا يوقنون وقرأ ابن كثير ان تكلمهم الهمزة وبايا تنا وفي صحيح مسلم من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وقد صح واختلف في
تفسير هذه الدابة وصفتها ومن اين تخرج اختلافا كثيرا قد ذكرناه في كتاب التذكرة
وسنذكره هنا ان شاء الله تعالى في قول لا قول الا ان فصيل ناقة صالح وهو اصحها
والله اعلم لما ذكره ابو داود الطيالسي في مسنده عن حذيفة قال ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم الدابة قال لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في اقصى
البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة زمانا طويلا ثم تخرج خرجة
اخرى قريبا من ذلك فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية
يعني مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينا الناس عظم المساجد
على الله حرمة خيرها واكرمها المسجد الحرام لم يرهم الا وهي ثمر عوالي هو
الوكن والمقام ينثعر عن راسها الثراب فارفض الناس منها وتبعا وتثبت له
عصابة من المؤمنين وعرفوا انهم لن يعجزوا الله فذهب بهم فجاءت وجوههم
حتى جعلها كانها الكواكب الدري وولدت في الارض لا يدركها طالب ولا يفوتها
هارب حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فاتته من خلفه فتقول يا فلان
الان تصلي فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم ينطلق ويشترك الناس في الاسواق
ويصطحبون في الاسفار ويعرف المؤمن الكافر حتى ان المؤمن يقول يا كافر
اقضني حقي وسوقع الدليل من هذا الحديث انه المعصل قوله وهو يرعوا والذي
انما هو للابل وذلك ان العصل لما تمثلت الناقة هرب فانضم له حجر
فدخل في جوفه ثم انطبق عليه فهو فيه حتى تخرج باذن الله عز وجل وروي
انها دابة شعراء ذات قوائم ولها ريش وذنب وقيل انها الجساسة وهو
قول عبد الله بن عمرو وروي انها دابة عن ابن عباس انها على خلقة الانسان وهي في
السحاب وقوائمها في الارض وروي انها جمعت من كل حيوان وذكر الماوردي
والثعلبي رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها
قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها
خاصرة هرة وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل
اثنى عشر ذراعا الرمشري بعد ما ذكر ان دم غلبة السلام يخرج معها عصى موسى
عليه السلام وخاتم سليمان فتنكت في وجه المؤمن بعصا موسى نكتة بيضاء
فيبيض وجهه وينكت في وجه الكافر بخاتم سليمان فيسود وجهه قاله
ابن الزبير رضي الله عنهما وفي كتاب النقاش عن ابن عباس الدابة ثعبان
المشرق على جدار الكعبة التي اقتلعتها المتقارضين اراد ت قريش بناء الكعبة

خلق ج

وحكى الماوردي عن محمد بن كعب عن علي بن ابي طالب عليه السلام انه سئل عن الدابة فقال اما والله ما لها ذنب وان لها للحية قال الماوردي وفي هذا القول اشارة الى ما بين الانس وان لم يصرح به قلت ولهذا والله اعلم قال بعض المتاخرين من المفسرين ان الاجدر ان تكون هذه الدابة انسانا تكلما تناظرا هل البدع والكفر وتجادلهم كيف لهم انها تنبئ اهل الباطل عن بينة وتجلي من جلي عن بينة وشيخنا الامام ابو العباس احمد بن عمر القرطبي في كتاب المفهم وانما كان عند هذه القائل الاقرب لقوله تعالى تكلمهم وعلى هذا فلا يكون في هذه الدابة آية خاصة خارقة للعادة ولا يكون من جملة الاربعة الايات المذكورة في الحديث لان وجود الناظرين والمجتمعين على اهل البدع كثيرا قلت انه خاصة فلا يبعد ان يذكر مع العشر وترتفع خصوصيته وجودها اذا وقع القول بما ذهب اليه العدول عن تشبيه هذا الانسان المناظر لهذا المقام الذي هو على اهل الارض باسم الانسان او بالعلم او بالامام الى ان يسمى بدابة وهذا خروج عن عادة الفصحاء ومن تعظيم هم العلماء ولكن ذلك دأب العقلاء الاولى ما قاله اهل التفسير والله يحكم ما يريد امر عظيم قلت رفع الاشكال في هذه الدابة ما ذكره ابن عطية خرجت عليه واختلف من اي موضع يخرج فقال عبد الله بن عمر يخرج من حيث الصفا بمكة بتقدم فيخرج ستة فقال عبد الله بن عمرو بن العاص لو شئت لاضع قدمي على موضع من وجهها لفعلت وروي في خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض تنشق عن الدابة وعليها عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من ناحية المسعى وانها تخرج من الصفا فتسم بين عيني المؤمن هذا المؤمن حقا وتسم بين عيني الكافر يا كافر حقا وذكر في الخبر انها ذات وبر وريش ذكر المهدوي وعن ابن عباس انها تخرج من شعب فيمسح راسها السحاب ورجلاها في الارض لم يخرجا ويخرج معها عصا موسى وخاتم سليمان وتخرج نافة تخرج تلك فرجات خرجة في بعض الوادي ثم يكبن وخرجة العرق يتقايد فيها الرجل حتى تكثر الرماد وخرجه من اعظم المساجد اكرمها واشرفها وافضلها الارض تمخر بمخرم من بين الركن حذاء الركن مخرومة عن يمين الخارج من المسجد فتقوم يمر بون وتقوم لتفقهون لطارته وروي عن قتادة انها تخرج في ثنية تنفه تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام وقيل من ارض الطائف قال ابو قبيل ضرب عبد الله بن عمرو ارض الطائف برجله وقال من هنا تخرج الدابة التي تكلم الناس وقيل من بعض اودية تهامة قاله ابن عباس وقيل من صخرة في شعب اجياد قاله عبد الله بن عمرو وقيل من بحر سكروم قاله وهب ابن منبه ذكر هذه الثلاثة الاقوال الاخرة الماوردي في كتابه وذكر البغوي ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال ثنا علي ابن الجعد عن فضيل بن مرزوق الرقاشي عن عمرو سئل عنه يحيى بن معين فقال ثقة عن عطية العوفي عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع في الكعبة كجري العنين ثلاثة ايام لا يخرج ما قلت فهذه اقوال الصحابة والتابعين في خروج الدابة وصفتها وهي ترد قول من قال من المفسرين ان الدابة انما هي لسان متكلم يناظر اهل البدع والكفر وقد روي ابو امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ذكره الماوردي تكلمهم بضم التاء وتشديد اللام مكسورة من الكلام قراءة العامة بدل عليه قراءة ابي تنبئهم وقال السدي تكلمهم بطلان الاديان سوى دين الاسلام وقيل تكلمهم بانفسهم وقيل تكلمهم بلسان دلق تتعوذ بصوت يسمعه من قرب وبعد ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون اي يخرج لان خروجها من الايات وينزل الا لعنة الله على الظالمين وقرا ابو هريرة وابن عباس والحسن وابو رجاء تكلمهم الناس بفتح التاء والخاء قال مكرمة اي يسمهم وقال ابو الحوراء سالت ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم او تكلمهم فقال هو والله تكلمهم

بفتح ح

وتكلمهم

وتكلمهم تكلم المؤمن وتكلم الكافر الناطر اي بجرحه وقالا بوحا ثم تكلمهم كما تقول
بجرحهم تذهب الى انه تكثير من كلامهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون وقرأ الكوفيون
وابن ابي اسحق ان بالفتح وقرأ اهل الحرمين واهل الشام واهل البصرة ان بالكسر لهم
قال ابن عباس في المفتوحة فتزلان وكذا المكسورة قال الاخفش المعنى
بان ولهذا قرأ ابن مسعود بان وقال ابو عبيد موضعها نصب بوقوع العلم عليها
اي بخبرهم ان الناس وقرأ الكسائي والفراء ان الناس بالكسر على الاستئناف
وقال الاخفش هي بمعنى تقول لانا الناس بمعنى الكفار بآياتنا لا يوقنون اي
بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك حين لا يقبل الايمان كما قال ايمانا ولم
يكونوا موقنوا وكما قرؤوا في علم الله قبل خروجهما قوله تعالى ويوم نحشر
من كل امة فوجا بحذف صفة وجماعة ممن يكذب بآياتنا ويأتي فوج الى موضع الحساب
قال الشماخ وكم وزعنا من هبيد بحجل وكم جوانا من ربيئ مسحل وقال
عطاء يوزعون اي يرد اولهم على اخرهم حتى اذا جاؤا اي قال الله اكذبتم بآياتي
الى آخر الآية على رسلي وبالآيات التي اقلتها دلالة على توحيدي ولم تحيطوا
بها علما اي بطلانها حتى تفرضوا فيها بل كنتم جاهلين غير مستدلين امام
كنتم تعملون تفريع وتوبيخ اي ماذا كنتم تعملون حين لم تحيطوا علما
ولم تتفكروا فيها ووقع القول عليهم بما ظلموا اي وجب العذاب عليهم بظلمهم
اي بشركهم فهم لا ينطقون اي ليس لهم عذر ولا حجة وقيل بجنايتهم على انفسهم
فلا ينطقون قاله اكثر المفسرين فقوله تعالى الم يروا انا جعلنا الليل اي
ليستقروا فيه ساكنون والنهار مبصرا اي يبصر فيه ليسعى الرزق الذي في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون بالله ذكر الدلالة على الالهية وقد رتبنا لم يعلموا كما قدرتنا فيتوبوا
فقوله تعالى ويوم ينفخ في الصور اي واذكر يوما واذكرهم يوم ينفخ في الصور هو
وهذا لعب القرآن المعنى واذكروا اذ يقول الله اكذبتم بآياتي
الصور اذا قرن من نور ينفخ فيه اسرافيل وقال فيما هذا لهيئة البوق بلغة
اهل اليمن وقد مضى في الانعام بيانه وما تكلما في ذلك بفزع من في السموات ومن
في الارض الا من شاء الله قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله لما فرغ من السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه
على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة قلت يا رسول الله
ما الصور قال قرن عظيم والذي نفسي بالحق ان عظم دارة منه لعرض السماء والارض
فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق
والنفخة الثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين وذكر الحديث ذكره علي ابن معبد
والطبري والثعلبي وغيرهم وصححه ابن العربي وقد ذكرناه في كتاب التذكرة
وتكلمنا عليه هناك وان الصحيح في النفخ في الصور نفختان لا ثلث وان نفخة
الفزع اما ان تكون رابعة الى نفخة الصعق لان الامرين لا بد منهما فزعوا فزعا
شاقوا سمعوا اولى نفخة البعث وهو اختيار الطبري وغيره فانه كان في كلامه في هذه
الآية والمراد النفخة الثانية اي يحيون فزعين منقولون من بعثنا من مرقدنا هذا
وتعاينون من الامر ما يهولكم ويفزعكم وهذا النفخ كصوت البوق فيجتمع
الخلق في ارض الجمع وقال الماوردي ويوم ينفخ في الصور هو يوم النشور
من القبور قال وفي هذا الفزع قولان احدهما انه لا سراع والاجابة الى البعث من
قولهم فزعت الى كذا اذا اسرعت الى يدايك في معونتك والقول الثاني ان الفزع
ها هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحذر لانهم اذا سمعوا من قبورهم فزعوا
وخافوا وهذا اشبه القولين والسنة الثابتة من حديث ابي هريرة وحديث
عبد الله بن عمرو يدل على انها نفختان لا بد منهما سلم وقد ذكرناها في كتاب
التذكرة وهو الصحيح ان شاء الله انها نفختان قال الله تعالى ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاستثنى هنا كما استثنى
في نفخة الفزع فدل انها واحدة وذكر ابو المبارك عن الحسن قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنة الاولى يميت الله بها
كل حي والاخرى يحيي الله بها كل ميت فان قيل فان قوله تعالى يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة الى ان قال فانما هي زجرة واحدة وهذا يقتضي ظاهره انها
ثلث قيل له ليس كذلك وانما المراد بالزجرة النفخة الثانية التي تكون عنها خروج
الخلق من قبورهم كذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد وغيرهم
قال مجاهد هما صيحتان الاولى فمات كل شيء باذن الله والاخرى فحيي
كل شيء باذن الله وقال عطاء الراجفة القيامة والرادفة البعث وقال
ابن زيد الراجفة الموتة والرادفة الساقة والله اعلم الا من شاء الله اختلف
في هذا المستثنى منهم فذكر ابو هريرة انهم الشهداء عند ربهم يرزقون انما
نصلا لغرم الى الاحياء وهو قول سعيد بن جبير انهم الشهداء متقلدة السيوف
حول العرش قال القشيري والمتبادر من جملتهم ان لهم الشهادة مع النبوة
وقيل الملائكة قال الحسن استثنا طوائف من الملائكة وقيل بين النفختين
قال مقاتل يعني جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل الحور العين
وقيل هم الموسون لان الله تعالى قال عقيب هذا من جاء بالحسنة فله خير منها
وهم من فزع يومئذ امنون وقال بعضهم ايتاوا الصحيح انه لم يرد في نفسهم خبر
صحيح والكل محتمل قلت خفي عليه حديث ابي هريرة وقد صححه القاضي
ابو بكر بن العربي فليعول عليه لانه نص في التعيين وغيره اجتهاد والله اعلم وقيل
غير هذا على ما يأتي ذكر الزمر وقوله ففزع من في السموات ما هو ليقع مستقبل
فيقال كيف عطف ماضيا على مستقبل فزعم الفراء ان هذا محمول على المعنى لان اذا
اذا تقع في الصور ففزع الا من شاء الله نصب على الاستثنا وكل اتوه داخرين
قرا ابو عمرو وعاصم والكسائي ونافع وابن عامر وابن كثير اتوه جعلوه
فعلا مستقبلا وقرا الباقون وحمزة وحفص عن عاصم وكل
اتوه مقصورا على الفعل الماضي وكذلك قراه ابن مسعود وعن قتادة
وكل اتاه داخرين قال النحاس وفي كتاب يحيى ابي اسحق في القرآن
وكل اتوه وحد على لفظ كل ومن قرا اتوه جمع على معناها وهذا القول غلط فتبيح
لانه اذا قال وكل اتوه فلم يوجد وانما جمع دلو وحد لفظا اتاه ولكن من قال اتوه
جمع على المعنى وجاء به ماضيا لانه رده الى تفريع ومن قرا وكل اتوه حمله على
على المعنى ايضا وقال اتوه لانها جملة منقطعة من الاولى قال ابن مقسم
قد حكى عن ابن اسحق رحمه الله سالم بقبله ونصل ابي اسحق وكل اتوه داخرين
ويقرا حده فللفظ ومن جمع فلمعناها بريد ما ان في موضع القرآة هم
او غيره من وحد حمل كل فعلى اللفظ او جمع فعلى المعنى قلت اخذ ابو جعفر
هذا المعنى قال المهدوي ومن قرا وكل اتوه داخرين فهو فعل من الاثنين
ثيابان وحمل على معنى كل دون لفظها ومن قرا وكل اتوه داخرين فهو
اسم الفاعل من اتى يدل على ذلك قوله تعالى وكلهم اتيه يوم القيامة
فرد او كل اتاه جملة على لفظ كل دون معناها وحمل داخرين على المعنى
وسمناه صاغرين عن ابن عباس وقتادة وقد مضى في النمل قوله تعالى
وترى الجبال تحسبها جامدة قال ابن عباس انها قائمة وهي تسير سير
السحاب وذلك اذا الجبال تجمع وتسير وهي في رؤية العين كالقائمة
وهي تسير وكذلك كل شيء عظيم وهم كثير يعتبر هذا النظر لكثرته
ويعد ثابتا بين اطرافه وهو في حساب الناظر كالواقف كالجاج والركاب
تسمع قال القشيري وهذا يوم القيامة منه ما هو لكثرته كما ذكرنا هو
اي واقفة وهي تسير اي تمر مر السحاب حتى لا يبقى منها شيء قال الله تعالى

وسيرت

وهو يسير فاذا ان ذلك في وقت
حشرهم وقبل نشرهم
وقوفهم

وسيرت الجبال فكانت سرابا وتقال ذا اراد الله تعالى وصف الجبال بصفات هي
مختلفة ترجع كلها الى تفريغ الارض منها وابدأ زنا كلمات توازيها فاول
الصفات الاندكاك وذلك قبل ان تزول ثم تصير كالعهن المنفوش
وذلك اذا صارت لينا كالمهل وتتراكم اجزاؤها بعضها على بعض فتارة
تكون لينا كالمهل وتكون الجبال كالعهن والحالة الثالثة ان تصير
كالهباء وذلك اذا انقطع بعد ان كانت كالعهن والحالة الرابعة ان
يبس لانها مع الاموال المتقدمة تارة تجمع مواضعها والارض تختمها
مختربا رزة تيبس عنها فاذا لشفت فانها تسأل الرياح عليها والحالة
الخامسة بان الرياح ترفعها على وجه الارض فتظهر فيها سفاعا في الهوا
كانها غبار فمن نظر اليها من بعد حسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهي
بالحقيقة متباينة الا ان مرورها مرور الرياح كانها سندكة بسعيد لقة
والحالة السادسة ان يكون سرابا فمن نظر الى مواضعها لم يجد فيها شيأ منها
كالتراب قال مقاتل تقع على الارض فتستوي بها فذلك قوله فيذرها قال
الماوردي وفيما ضرب له ثلثة اقاويل احدها انه مثل ضربه الله تعالى لهذه
الدنيا فمن نظر اليها انها واقفة كالجبال وهي في حدوثها من الزوال
كالسحاب قاله سهل بن عبد الله التاني انه مثل ضرب للاعمال بجعله
هباء لفقد الاخلاص والثالث انه مثل ضرب للنفوس عند
خروج الروح والروح لشيء الى القدس صنع الله الذي اتقن كل شيء انه
من فعل الله وهو فعل منه هو يتقن ويرى من رؤية العين ولو كانت
من رؤية القلب لتعدت الى مفعولين والى مثل سراب فالقلب حركة
الهمزة على الراء فتحولت الراء وحذفت الهمزة وهذا سبيل تخفيف الهمزة
اذا كان قبلها ساكن الا ان التخفيف لازم ليرى راء الكوفة ليرون
حكمها بفتح السين وهذا الفتاس لانه من حسب يحسب الا انه قد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه انه قرأ بالكسر في المستقبل
فيكون على فعل يفعل مثل يعلم يسلم ويبس يبس وفي يبس يبس
من الشاذ لا يعرف في كلام العرب غير هذه الاحرف وهي من سراب
التقدير • يمر مر السراب فاقيمت الصفة مقام الموصوف والمضاف
مقام المضاف اليه والحال مر السراب من اماكنها من على وجه الارض ويجمع
ويسير كما تسير السحاب ثم تكسر وتعود الى الارض كما قال وليست الجبال لكنها
صنع الله عند الخليل وسيبويه منصوب على انه مصدر لانه لما قال
عز وجل وهي تمر السحاب دل على انه قد صنع ذلك صنعا ويجوز
النصب على الامر اي انظروا صنع الله فتوقف على هذا على السحاب
ولا تقف على التقدير الاول ويجوز رفعه على تقدير ذلك صنع
الله الذي اتقن كل شيء اي احكمه ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم رحم الله امرءا عمل عملا فاتقنه وقال قتادة احسن كل
والاتقان الاحكام تقاتل رجل يعني ابا حاذف بالاسباب قال
الزهري اصله من ابي تقن وهو رجل يعني عادكم بكي ليستقط له سهم فضرب
به المثل يقال ارمى من ابي تقن يقال الكل حاذق يقن انه خبير بما
يفعلون قرأ ابن كثير وابو عمرو هشام بما يا بالياء اي قوت يعملون بناء على
الخطاب متوعدة تقاتل من جاء بالحسنة فله خير منها قال
ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما الحسنة لا اله الا الله وقال
ابو عثمان كان ابراهيم يحلف بالله الذي لا اله الا هو ولا يستثني ان الحسنة
لا اله الا الله محمد رسول الله وقال علي بن الحسين ابن علي رضي الله عنهما
عن رجل فاذا خلا بهما ان قال لا اله الا الله وحده لا شريك له فبينما
هو في ارض الروم في ارض خلقاء يريد بها رفع صوته فقال لا اله الا الله

وحده لا شريك له فمن جاء على فرس عليه ثياب بيض فقال والذي
نفسي بيده انها الكلمة التي قال الله من جاء بالحسنة الآية وروى ابو ذر قال
قلت يا رسول الله اوصني قال اتق الله اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة
تمحها قال قلت اي الحسنات لا اله الا الله قال من افضل الحسنات
وروايته قال نعم هي احسن الحسنات ذكره البيهقي وقال قتادة من
جاء بالحسنة بالاخلاص والتوحيد وقبل اداء الفرائض كلها قلت انى
بلا اله الا الله على حقيقتها وما يجب لها على ما تقدم بيانه في سورة ابراهيم
معتقدا لها بالتوحيد والاخلاص وانقياد له حبر منها قال ابن عباس
اي وصل الله الخير منها وقال سماعة وقيل فله الجزاء الجميل وهو
الجنة وليس خير للتفضيل قال مكرمة وابن جبير بمعنى ان يكون له خير
منها يعني من الايمان قال فانه ليس شيء خير لمن قال لا اله الا الله ولكن
له منها خير وقيل فله خير منها بالتفضيل اي ثواب الله خير من عمل
العبد وقوله وذكره وكذلك رضوان الله خير للعبد من فعل العبد قاله
ابن عباس وقيل يرجع هذا الى الاضعاف فان الله تعالى يجزي بالواحدة عشرا
وبالايمان في سورة يسيرة الثواب الابد كما قاله محمد بن كعب وعبد الرحمن بن
زيد وهم من فزع يومئذ ممنون قرأ عاصم وحمزة والكسائي من فزع
يومئذ بالاضافة قال ابو عبيد وهذا اعجب الي لانه اعم التأويلين ان يكون
الامن من جميع فزع ذلك اليوم واذا قال من فزع يومئذ فانما كان فزع دون فزع قال
القشيري وقرئ مرفوعا بالتنوين ثم قيل يعني بذلك
فزعا واحدا كما قال لا يحزنهم الفزع الاكبر وقيل عن الكثرة لانه مصدر
والمصدر صالح للكثرة قلت فعلى هذا تكون القراءتان بمعنى قال
المهدوي من قرأ من فزع يومئذ بالتنوين انتصب يومئذ بالمصدر
الذي هو فزع ويجوز ان يكون صفة لفزع ويكون متعلقا بمحذوف
لان المصادر تخبر عنها باسماء الزمان وتوصف بها ويجوز ان يتعلق
باسم الفاعل الذي هو امنون والاضافة على الاتساع في الظروف ومن حذف
التنوين وفتح الميم بناه لانه ظرف زمان وليس الاعراب في ظرف الزمان
متمكنا فلما اشبها في غير ممكن ولا معرب بنيا وانتصب يومئذ على حد ما
الناس رجلا امورهم فتيد لان تقديره الما يدل السؤال قوله تعالى ومن جاء بالسيئة
اي بالشرك قاله ابن عباس وابو هريرة ومجاهد وقتادة وسعيد والحسن
وهو اجماع من اهل التأويل في ان الحسنة لا اله الا الله وان السيئة الشرك
في هذه الاية قلت وجوههم في النار قاله ابن عباس للفتت وقال الضحاك
طرحت فيها كبت الانا اي قلبته على وجهه قال اللازم الكب وقال ما بقي
هذا في كلام العرب هل تجزون ابو بقال لهم هل تجزون لم يجز ان يكون من قول
الله ويجوز ان يكون من قول الملائكة الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء عملكم قوله
تعالى انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة التي حرمها اي جعلها
حراما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد فيها صيد ولا يقصد فيها شجر على
ما تقدم بيانه في غير موضع وقرأ ابن عباس التي حرمها تعظيما للبلدة وقراءة الجماعة الذي وهو في
موضع نعت لرب ولو كان بالالف واللام لقلت المحرمان فان كان نعتا للبلدة قلت المحرمها
هو لا بد من اظهار الضمير مع الالف واللام لان الفعل جرى بها عمر من هو له فان قلت لم حرمها ولم يخترع
ان تقول هو له كل شيء خلقا وملكا واسرت ان اكون من المسلمين اي من المنقادين لامره الموحدين له وان
اتلوا القرآن اي واسرت ان اتلوا القرآن على اهل مكة فمن اهتدى فلنفسه ثواب هدايته ومن ضل فليس علي الا
الابلاغ ثم نسختها اية القتال قاله ابن عباس وانا اتلو نصب بان على الغاية واجري القرآن وان اتلو واحد
اذ في موضع جزم بالامر وكذلك حذفت منه الواو قال ابن عباس ولا يعرف احد قرأ هذه القراءة وهي
مما لفقه لجميع المصاحف قوله تعالى قل الحمد لله اي على نعمه وعلى ما هدانا سيريكم في انفسكم وفي غيركم
كما قال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم فتعرفون بها اي دلائل قدرته ووحدانيته في انفسكم وفي
السموات وفي الارض نظيره قوله تعالى وفي الارض اياة للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وما ربك
بغافل عما تعملون قرأ اهل المدينة واهل الشام وحفص وعاصم بالتاء على الخطاب لقوله سيريكم اياته فتعرفونها فيكون الكلام على
نسق واحد على ان سرد ما قبله من قوله فمن اهتدى فانما يهتدي له فاخبر عن تلك الاية سورة القصص مكية كلها في قول

بسم الله الرحمن الرحيم سورة القصص مكية كلها في قول الحسن
وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس وقتادة الا ثلاث آيات نزلت بين مكة والمدينة وقال ابن سلام بالجحفة
في وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن
لرادك الى معاد وقال مقاتل فيها من المدنى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين
وهي ثمان وثمانون اية قوله تعالى طسم تقدم الكلام فيه تلك آيات الكتاب المبين تلك في موضع
رفع بمعنى هذه تلك وآيات بدل منها ويجوز ان يكون في موضع نصب بتلوا وآيات بدل منها
ايضا وينصبها كما تقول زيدا ضربت والمبين اي البين نزكته وخيره والمبين الحق من الباطل
والحلال من الحرام وفصل انبياء ونبوءه صلى الله عليه وسلم وقيل ابان الشيء وابان افصح
نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يومنون ذكر تعالى قصة موسى وفرعون وقارون
واحتج على مشركي قريش وبين ان قرابة قارون من موسى لم ينفعه مع كفره وكذلك قرابة
قريش لمحمد وبين أن فرعون علا وتجبر فكان ذلك من كفره فليحتنب العلو في الارض
وكذلك التفرز بكثرة المال وهما من سيره فرعون وقارون نتلوا عليك اي نقرأ عليك
جبريل بامرنا من نبأ موسى وفرعون وقارون نتلوا عليك ومن للتبعيض ومن نبأ مفعول
نتلوا عليك بعض خبرهما كقوله تنبت بالدهن ومعنى بالحق اي بالصدق الذي لا ريب
ولا كذب لقوم يومنون اي يصدقون بالقرآن ويعلمون انه من عند الله فاما من لم يومن
فلا يعتد انه حق قوله تعالى ان فرعون علا في الارض اي استكبر وتجبر قال ابن عباس هو
والسدي وقال قتادة علا وتعظم عن عبادة ربه بكفره وادعى الربوبية وقيل ملكه
وسلطانه فصار عاليا على من تحت يده في الارض اي ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا
واصنافا في الخدمة قال الاعشى وبلدة تزهر من الجوانب داجها حتى تراه عليها يبتغي
الشنا يستضعف طائفة منهم اي من بني اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان
من المفسدين تقدم القول فيه في البقرة عند قوله يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم
الاية وذلك ان الكهنة قالوا له ان مولودا يولد في بني اسرائيل يذهب ملكك على يديه
وقال المجنون له دلك وارايا رويا وعبرت كذلك قال الزجاج العجب من حمقه لم يدر
ان الكاهن اذا صدق فالقتل لا ينفع وان كذب فلا معنى للقتل وقيل جعلهم شيعا فاستعمل
كل قوم من بني اسرائيل في شغل مفرد اتنه فكان من المفسدين اي في الارض بالعمل والتجبر
والمعاصي قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض اي نتفضل عليهم
وننعم وهذه حكاية نصب وتجعلهم ائمة قال ابن عباس قادة سادة في الخير مجاهد دعاة الى
الخير قتادة ولاة وملوكا دليله قوله تعالى وجعلكم ملوكا قلت وهذا اعم فان الملك
امام يومر به وينتهي اليه ويجعلهم الوارثين للملك فرعون بن مصعب ملكه ويسكنون مساكن
القبط وهذا معنى قوله وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بصبرهم وقيل بقوله تعالى وهذا اعم
ونمكن لهم في الارض اي نجعلهم متمكنين على الارض واهلها حتى يتبوأ عليها يعني ارض الشام
ومصر ونري فرعون وهامان وجنودهما اي ونريد ان نري فرعون وقرأ الاعمش ويري
وحمزة والكسائي ويجعل ويري بالياء على انه فعل مستقبل من راي فرعون وهامان وجنودهما
رفعا لانه الفاعل الباقون نري بضم النون وكسر الراء على انه فعل رباعي من اري يري
وهي على نسق الكلام لان قبله ونريد ان نمن وبعده ونمكن فرعون وهامان وجنودهما نصبا
بوقوع الفعل واجاز الفراء ويري فرعون بضم الياء وكسر الراء وفتح الباء بمعنى ويري
الله فرعون منهم ما كانوا يحذرون وذلك انهم اخبروا ان هلاكهم على يدي رجل من بني اسرائيل
فكانوا على وجل منهم فاراهم الله ما كانوا يحذرون قال قتادة كان جار لفرعون
والعاري المجسم قالوا له انك ستولد في هذه السنة مولود يذهب ملكك فامر فرعون
بقتل الولدان في تلك السنة وقد تقدم قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
قد تقدم معنى الوحي ومحامله واختلف واختلف في هذا الوحي الى ام موسى فقالت فرقة
كان قولا في منامها وقال قتادة كان الهاما وقالت فرقة كان ملك تمثل لها قال
مقاتل اتاها جبريل بذلك فعلى هذا هو وحي اعلام لا الهام واجمع الكل على انها لم
تكن نبيه وانما ارسل الملك اليها بتكليم الملك لك فرع والبرصوا الا عمى الحديث
المشهور خرجه البخاري ومسلم وقد ذكرناه في سورة براءة وعرف لك بما روي من تكليم
الملائكة للناس من غير نبوة وقد سلمت على عمران بن حصين فلم يكن بذلك بأسا واسمها
اباوخا وقيل اباروخت فيما ذكر السهيلي وقالا لتغلبي واسم ام موسى كوجابت هلذد

دها

ابن لاوي بن يعقوب اذا رضعيه وقرأ عمرو بن عبد العزيز ان ارضعيه بكسر النون والف
وصل حذف همزه ارضع تخفيفا ثم كسرت النون لالتقاء الساكنين قال مجاهد وكان
الوحي بالرضاع قبل الولادة وقيل بعدها قالت السدي لما ولدت ام موسى اسرت ان
ترضعه عقيب الولادة وتضع به بمائها لان الخوف كان عقب الولادة وقال
ابن جريج اسرت برضاعه اربعة اشهر في سنان فاذا خافت ان تصيح لان لسنها
لانه صنعت به هذا والاظهر الا ان الاخر يعضده قوله فاذا خفت عليه واذا
لما يستقبل من الزمان فيروى انها انحدرت له تابوتا من بردي وقيرته بالقار من
داخله وخارجه ووضعت فيه موسى والقته في نيل مصر وقد مضى خبره في طه قال ابن عباس
ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي فسلط الله عليهم القبط
وساموهم سوء العذاب الى ان اخافهم الله على يدي موسى قال وهب تلقى انه ذبح في طلب موسى
سبعين الف وليد ونقل تشموث المغاوري انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت
بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل مصافيه لها فقالت لسنى محبتك اليوم
فقالتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش وارتعد كل مفصل منها
ودخل حبه قلبها ثم قالت ما حملك لا قتل مولود لك ولغير فرعون ولكني وجدت لابنك
حبا ما وجدت مثله قط فاخبئيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فحرقت ووضعته
في بيت سعور انارا فلم تعلم بما بصنع لما طار عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري
كانه قسمت بكاه من التنور وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما قوله تعالى ولا تخافي
فيه وجهان احدهما لا تخافي عليه الغرق قاله ابن زيد الثاني لا تخافي عليه الضيعة قاله
ابن سلام ولا تحزني فيه ايضا وجهان احدهما لا تحزني لفراقه قاله ابن زيد الثاني لا
تحزني انه يقتل قاله يحيى بن سلام فقيل انها جعلته في تابوت طوله خمسة اشبار وعرضه
خمسة اشبار وجعلت المفتاح مع التابوت وطرحته في اليم لعدة اوضعته اربعة اشهر
وقال اخرون ثلاثة اشهر وقال ثمانية اشهر حكاه الكلبي وروي انه لما فرغ النجار
من صنعة التابوت ثم الى فرعون بخبره فبعث معه من يأخذه فطمس الله عينه وقلبه
فلم يعرف الطريق فايقن انه المولود الذي خوف منه فرعون فامن من ذلك الوقت وهو
الذي ذكره الماوردي قاله ابن عباس فلما توارى عنها نفسها الشيطان وقالت
في نفسها لو ذبح عندي فكفنته ودارته كان اهب الي من القائه في البحر فقال الله تعالى
انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين اي الى اهل مصر حكى الاصمعي قال سمعت جارية
اعرابية تنشد وتقول

* استغفر الله لذنبي كله * قبلت انسانا بغير حله *

* مثل الغزال ناعما في دله * فانتصف الليل ولم اصله *

فقلت قاتلك الله ما افصحك قالت او بعد هذا فضاحة مع قوله واوحينا الى ام موسى
ان ارضعيه الاية مجمع في اية واحدة بين امرين وخبرين وبشارتين وقوله تعالى
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لما كان التقاطهم اياه يودي الى كونه لهم
عدوا وحزنا قال الام في ليكون لام العاقبة ولام الضرورة لانهم انما التقطوه ليكون لهم
قرة عين فكان عاقبة ذلك ان كان لهم عدوا وحزنا فذكر الحال بالمال كما قال الشاعر

* ولدنا فاربى كل من مرضعة * ودورنا الخراب الدهر تبنى المساكن *

وقال اخر

* فللموت ما تلد الوالدات سخالها كما لخراب الدهر تبنى المساكن *

اي فعاقبة البناء الخراب وان كان في الحال مسرورا به والالتقاط وجود الشيء من غير
طلب ولا ارادة والعرب تقول لما وجدته من غير طلب ولا ارادة التقطه التقاطا ولقيته
فلانا التقاطا قال الراجز

* ومهمه رددته التقاطا * ولقيت فلانا التقاطا ومنه اللقطة *

وقد مضى شرح ذلك من الاحكام في سورة يوسف بما فيه كفاية وقرأ الاعمش وحمزة
والكسائي وخلف وحفص تا بضم الحاء وسكون الزاي الباقون بفتحها
واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال المتهم فيه وهما لغتان مثل العدم والعدم والسقم
والسقم والرشد والرشد ان فرعون وهامان وكان وزيره من القبط وجنودهما
كانوا خاطئين اي عاصين منكبين مشركين اثمين قوله تعالى وقالت امرأة فرعون

قرة عين

قرة عين لي ولك لا تقتلوه يروي انها سبته امرأة فرعون رأت الماء بوت يعوم في اليم فامرت
بسوقه اليها وفتحته فرأت فيه صبيا صغيرا فرحمته واحبته فقالت لفرعون قرة عين
لي ولك ابي هو قرة عين لي ولك فقره خبرا مبتدا مضمرا تقديره هو قرة لكما لي وقال الخاسر
وفيه وجه اخر بعيد وكره ابو اسحق يكون رفعا بالابتداء والخبر لا تقتلوه وانما بعده لا يتم
بصير المعنى انه معروف بانه قرة عين او جوازه ان يكون المعنى اذا كان قرة لي ولك ولا
تقتلوه وقيل تمام الكلام عند قوله ولك الخاسرون والدليل على هذا انه في قراءة عبد الله
ابن مسعود وقالت امرأة فرعون لا تقتلوه قرة عين لي ولك ويجوز النصب بمعنى
لا تقتلوه قرة عين لي ولك وقالت لا تقتلوه ولم يقل لا يقتله فهي خطاب فرعون
كما يخاطب الجبارون وقيل كما يخبرون عن انفسهم وقيل قالت لا تقتلوه فان الله الذي به
به من ارض اخرى وللنبي من بني اسرائيل عسى ان ينفعنا فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا
وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وكان فرعون لما رأى الرؤيا هو
وقصها على كهنته وعلمايه على ما تقدم قالوا له ان غلاما من بني اسرائيل يفسد ملكك
فاحتد بني اسرائيل فذبح الاطفال فرأى ان يقطع نسلهم فعاد فذبح عاما واستحيى
عاما فولد هارون في عام الاستحياء ولد موسى في عام الذبح فقوله تعالى وهم لا يشعرون
هذا ابتداء كلام من الله تعالى اي وهم لا يشعرون ان هلاكهم بسببه وقيل هو من كلام
امه وبنو اسرائيل لا يدرون انا التقطناه ولا يشعرون لانا ولدناه واختلف المتأولون
في الوقت الذي قالت فيه امرأة فرعون قرة عين لي ولك فقالت فريق كان ذلك
عند التقاط التابوت لما اشعرت فرعون به ولما اعلمته سبق الي وهمها انه من بني اسرائيل
وان ذلك قصد به ليتخلص من الذبح فقال على بالربيحين فقالت امرأته ما ذكر فقال فرعون
اما لي فلا قال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون نعم لامن بموسى ولكان قرة عين
له وقال السدي بل رببته فرعون فيرسها منه وطنه من بني اسرائيل واحذه
في يده فمر موسى ببده ونتف لحية فرعون فهم حينئذ بذبحه وحينئذ خاطبته بهذا
وحرسته له في الثانية فوثبته والجمرة فاحترق لسانه وغلق العقدة على ما تقدم في طه
قال الفراء سمعت محمد بن مروان الذي يقال له السدي يذكر عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس انه قال انما قالت قرة عين له ولك لانهم قالت نقتلوه قال الفراء قال
ابن الانباري وانما حكم عليهم بالكذب لانه لو كان كذلك لكان يقتلونه بالنون لان الفعل
المستقبل مرفوع حتى يدخل عليه الناصب او الجازم فالنون منه علامة الرفع قال
الفراء ويقوي ذلك على رده قراءة عبد الله بن مسعود وقالت امرأة فرعون لا تقتلوه
قرة عين لي ولك فتقديم لا تقتلوه قوله تعالى فاصبح فؤاد ام موسى فارغا قال ابن
مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابو عمران الجوني
وابو عبيدة فارغا فيخالبا من ذكر كل شيء في الدنيا الا من ذكر موسى وقال الحسن ايضا
وابن اسحق وابن زيد فارغا من الوحي اذ اوحى اليها حين امرت ان تلقيه في اليم ولا تخافي
ولا تحزني انا رادوه عليك ومجعلوه من المرسلين فقال لها الشيطان يا ام
موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فغرقته انك لم تلقيه ان ولدها وقع في يد فرعون
فانشأها عظيم البلاء مما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيدة فارغا من الغم
والحزن لعلمها انه لم يغرق وقال الاخفش بطيا وقال العلاء بن زياد فارغا من رأيه
الكبير ناسيا ذابلا وقيل زالها رواه سعيد بن جبير عن القاسم هو ذهاب
العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من فرط الجزع والدهش
ونحوه قوله تعالى وافئدتهم هواء اي خوف لا عقول لهم لها كما قدم في سورة ابراهيم وذلك
ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وبدل
عليه قراءة من قرأ فارغا الخاسرين اصح هذه الاقوال الاول والذين قالوا اعلم بكتاب الله
عز وجل واذا كان فارغا من كل شيء الا من ذكر موسى فهو فارغ من الوحي وقول ابي عبيدة فارغا
من الغم غلط قبيح لان بعده ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها وروى سعيد بن
جبير عن ابن عباس قال كادت تقول واثبوراه وقال الضحاك عن ابن عباس رضي
الله عنه ومحمد بن السميقع وابو المتوكل وابن محيصن فرغا بالغين والعين المهملة
من الفرح اي خائفة عليه ان لعمل بن عباس فرغا بالقاف والراء والعين المهملتين وهي
راجعة الى قراءة الجماعة فارغا ولذلك قيل للرأس الذي لا شعر عليه افرغ لفراغه من

من الشعر وحكى الخطابي ان لبعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فرا فرعا بالفاء والراء والعين المعجمة من غير الف وهو كقوله هزوا وباطلا بقال دما وهم بتبشيهم فزع اي هدر والمعنى بطل قتلها وذهبت وبقيت لا قتل لها من سدة ما ورد عليها وفي قوله تعالى واصبح وجهان احدهما القتل ليلا فاصبح فؤادها فارغا الثاني انها القتل نهارا ومعنى اصبح اي صار كما قال الشاعر وقد مضى الحلفا بالامر الرشيد واصبحت المدينة للوليد

ان كادت اي انها كادت فلما حذفت الكناية سكنت النون فصار ان وكذلك دخلت اللام في لتبدي به اي لتظهر امره من بدا يبدو اذا ظهر قال ابن عباس ابى يصح عند الغاية واساه السدي كادت تقول لما حملت لارضاعه وحضانته هو ابني وقيل انه لما سمع الناس يقولون موسى بن فرعون تشق عليها وضاق صدرها وكادت تقول هو ابني وقيل الها به عائدة الى الوحي تقديره ان كادت لتبدي بالوحي الذي اوحيناه اليها ان نرده عليها والاول اظهر قال ابن كادت تقول انا امه وقال الفراء ان كادت لتبدي باسمه لشق صدرها لولا ان ربطنا على قلبها قال قتادة بالايمان السدي بالعصمة وقيل بالصبر والربط على القلب الهام الصبر لتكون من المومنين اي من المصدقين لوعد الله حتى قال ردوه الينك وقال لتبدي به ولم يقل لتبدي به لان حروف الصفات قد تتزاد في الكلام تقول اخذت الحبل واخذت بالحبل وقيل اي لتبدي الغيب به قوله تعالى وقال لاخته قصيه اي فقالت ام موسى لاخت موسى اتبعي اثره حتى تنظري خبره واسمها مريم بنت عمران واتفق اسمها اسم مريم ام عيسى عليه السلام ذكره السهيلي والمعلى وذكر الماوردي عن الضحاك ان اسمها كلثمة وقال السهيلي كلثوم خاد للذكر حديث رواه الزبير بن بكار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اسقرئ ان الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم اخت موسى واسية امراة فرعون فقالت الله اخبرك بهذا فقال نعم فقالت بالرفاء والبنين فبصرت به عن جنب اي بعد قاله مجاهد وقتادة والاجنبي قال الشاعر

فلا تحرمني نائلا عن جنابة فاني امرء وسط القباب غريب

واصله من مكان جنب قال ابن عباس عن جنب اي عن جانب وقرا النعمان بن سالم عن جانب اي عن ناحية وقيل عن سوق وحكى ابو عمرو بن العلا انها لغة لخثعم يقولون جئت اليك اي اشتقت وقيل عن جنب اي عن مباعدة لها منه فلم يعرفوا انها منه قبيل وقال قتادة جعلت تنظر اليه بناحية لا يرينه وكان بعيرا عن جنب بفتح الجيم واسكان النون وهم لا يشعرون انها اخته لانها كانت تمشي على ساحل اليم حتى رأتهم فاخذوه فلم ترضع وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه من الارتضاع من قبل اي من قبل مجيء اخته والمراضع جمع جمع مرضع ومن قال مراضع فهو جمع مرضاع ومعقال يكون للمكثير ولا تدخل الها فيه فرق ابن الموت والمذكر لانه ليس بحارعلى الفعل ولكن من قال مرضعة جاء بالها للمبالغة كما يقال مصراة قال ابن عباس لا يرتضع بمرضع فيقبلها وهذا تحريم منع لا تحريم شرع قال امرؤ القيس

حانت لتضرعني فقلت لها اقصري اني امرء صرعي عليك حرام

اي ممنوع فلما رات اخته ذلك قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم الاية فقالوا لها عند قولها وهم له ناصحون وما يدريك لعلك تعرفين اهله فقالت لا ولكنهم يرجون على سرة الملك ويرغبون في صهره وقال السدي وابن جريج قبل لها لما قالت وهم له ناصحون قد عرفت اهل هذا الصبي فدلينا عليهم فقالت اردت وهم للملك ناصحون فدلتهم على ام موسى فانطلقت فانطلقت اليها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يلعب لحيته شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فدفعه اليها فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وقال ابن زيد استراثوها حين قالت ذلك فقالت وهم للملك ناصحون وقيل انها لما قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وكانوا يبغون في طلب مرضعه يقبل ثديها فقالوا من هي فقالت امي فقبل لها ائتينا فقالت نعم لبن هرون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها الصبيان فقالوا صدقت والله وهم له ناصحون اي فيهم شفقة ويصح فروى انه قبل لام موسى حين ارتضع منها كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اكاد اوتى بالصبي لا ارتضع مني قال ابو عمران للهوى وكان فرعون يعطي ام موسى كل يوم دينارا قال الزمخشري فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها قلت ما كانت تاخذه على انه اجرة على الرضاع ولكنه كان يجري لها ان تاخذه على وجه الاستاجة فلذلك قال تعالى فرددناه الى امه اي رددناه وقد عطف الله قلب العدو وعكبه وقيل انما

بالموعد كي تقر عينها اي بولدها ولا تحزن اي بفراق ولدها ولتعلم ان وعد الله حق اي لتعلم وقوعه فانها كانت عالمة بان رده اليها سيكون ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني اكثر الناس لا يعلمون يعني اكثر القرعون لا يعلمون اي كانوا في غفلة من التقدير وسر القضاء وقيل اي اكثر الناس لا يعلمون اي وعد الله في كل ما وعد الله حق قوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما قد مضى الكلام في الاشهد في الانعام وقوله ربيعة ومالك انه الحلم اولى ما قيل فيه لقوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح وذلك اول الاشد وانقضاءه اربع وثلاثون سنة وهو قول سفيان الثوري قال ابن عباس بلغ اربعين سنة والحكم الحكمة قبل النبوة وقيل الفقه في الدين وقد مضى بيانها في البقرة وغيرها والعلم الفهم في قول السدي وقيل النبوة وقال مجاهد الفقه محمد بن اسحق اي العلم بما في دينه ودين ابائه وكان له شيعة من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به ويجتمعون اليه وكان هذا قبل النبوة وكذلك نجزي المحسنين اي كما جزينا ام موسى لما استسلمت لامر الله والقته ولدها في اليم وصدقت بوعد الله فرددناه ولدها اليها بالتحف والظرف وهي امنه وهناله العقل والحكمة والنبوة وكذلك نجزي المحسنين قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قيل لما عرف موسى عليه السلام ما هو عليه من الحق في دينه وغاب عما عليه قوم فرعون وشاذ لك منه فاخافوه وخافهم فكان لا يدخل مدينة فرعون الا خائفا متخفيا وقال السدي كان موسى في وقت هذه القصة على رسم التغلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى كان يدعى موسى بن فرعون فركب فرعون يوما وسار الى مدينة من مدائن مصر يقال لها منف قال قتادة على راس فرسخين من مصر يوم علم موسى بركوب فرعون فركب بغلته ولحق بتلك العزبة في وقت تلك القائلة وهو وقت الغفلة قاله ابن عباس وقال ايضا هو بين العشاء والعتمة وقال ابن اسحق دخل المدينة مصر لشغلها وكان موسى في هذا الوقت قد اظهر خلاف فرعون وغاب عليهم عبادة فرعون الاصنامه يدخل مدينة فرعون يوما على حين غفلة من اهلها قال سعيد بن جبير وقتادة وقت القيلولة والناس نيام وقال ابن زيد كان فرعون قد نادى بقتل موسى واخرجه من المدينة وقتا عنها سنين وجاء والناس على غفلة بنسيانهم لامره وبعد عهدهم به وكان ذلك يوم عيد وقال الضحاك طلب ان يدخل المدينة وقت غفلة اهلها فدخلها حين علم منهم ذلك فكان منه من قتل الرجل من قتل ان تو سر لقتله فاستغفر ربه فغفر له وقال في الكلام وخلت المدينة حين غفل اهلها ولا يقال على حين غفل اهلها فدخلت على في هذه الاية لان الغفلة هي المقصود فصار كان هذا هو الذي حين على غفلة وان شئت قلت حين على حين غفلة وكذا الاية فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته المعنى اذا نظر اليه الناظر قال هذا من شيعته اي من بني اسرائيل وهذا من عدوه اي من قوم فرعون فاستغاثه الذي من شيعته اي طلب نصره وعونه وكذلك قال في الاية بعدها فاذا الذي استنصره بالامس ليستنصره اي ليستغيث به على قبطي اخر وانما اغاثه لان نصر المظلوم في الملل كلها على الامم وفرض في جميع الشرايع قال قتادة فاراد القبطي ان يسخر الاسرائيلي ليحمل حطبا للمطبخ فرعون فابى عليه فاستغاث بموسى قال سعيد بن جبير وما كان الفرعوني فوكزه موسى قال قتادة بعصاه وقال مجاهد بكفه اي دفعه وقيل الضرب بجميع الكف مجموعا والوكز واللكز واللهز والنهز بمعنى واحد وهو الضرب بجميع الكف مجموعا كعقد ثلاثة وثلاثين وقرا ابن مسعود فلكزه وقيل اللكز في اللحي والوكز على القلب وحكى الثعلبي ان في مصحف عبد الله بن مسعود فنكزه بالنون والمعنى واحد وقال الجوهري عن ابي عبيدة اللكز الضرب بالجمع على الصدر وقال ابو زيد في جميع الجسد واللهز الضرب بجميع اليد في الصدر ونقل اللكز عن ابي عبيدة ايضا وقال ابو زيد هو بالجمع في اللهازم والرقبة والرجل نهز بكسر الميم وقال الاصمعي نكزه اي ضربه ودفعه الكسائي نهده مثل نكره ووكزه اي ضربه ودفعه ونهده لهذا اي دفعه له هو نهود وكذلك لهده قال طرفة فكم بردم رجلا ذي بطن عن الراعي الى الحناء لولا اجتماع الرجال لهلد له مدفع وانما شد دهم اللكزة وقالت عائشة رضي الله عنها فلهدني بين ثديي رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدة اوجعني خرجه مسلم فعمل موسى عليه السلام ذلك وهو لا يريد قتله انما قصد دفعه وكانت منيته بقتله وهو معنى قضى عليه وكل شيء انبت عليه وفرغت منه فقد قضيت عليه الا شجع قال هذا من عمل الشيطان اي من اعوانه قال الحسن لم يكن بجل قتل

الكافر يوميذ في تلك الحال لانها كانت حالة تكف عن القتال لانه عدو وضل مبين خبر بعد خبر قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له يوم موسى عليه السلام على ذلك الوكز الذي كان منه رهقا بالنفس فحمله بوكزه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه قال قتادة عرف والله المخرج فاستغفر ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم يردد ذلك على نفسه مع علمه انه قد غفر له حتى انه في القيامة يقول اني قتلت نفسا لم اومر بقتلها وانما عدوه على نفسه ذنبا وقال ظلمت نفسي فاغفر لي من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يومر وايضا فان الانبياء يشفقون مما لا يشفق منه غيرهم قال المفسرون لم يقتله عن عمد بل اراد القتل وانما وكزه وكزة من يريد بها دفع ظلمه قالوا وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وقال كعب كان ابن احدى عشرة سنة وكان قتله قبل مع ذلك خطأ فان الوكزة والكزة في القتل لا تقتل روى سلم عن سالم بن عبد الله قال يا اهل العراق ما اسألكم عن الصغيرة وما اركبكم للكبيرة سمعت ابا عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العمد تحتي من ها هنا واومأ بيده نحو المشرق ومن حيث يطلع قرن الشيطان وانتم تضربون اعناق بعض وانما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ قال الله تعالى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فغفر له فقال رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين فنبه سبحانه على ان قوله تعالى قال رب بما انعمت علي اي من المعرفة والحكمة والتوحيد فلن اكون ظهيرا للمجرمين ايضا للكافرين قال القشيري ولم يقل بما انعمت علي من المغفرة لان هذا قبل الوحي وما كان عالما بان الله غفر له ذلك القتل وقال الماوردي يحتمل انعمت علي وجهان احدهما من المغفرة وكذلك ذكر المهدوي والثعلبي قال المهدوي يحتمل انعمت علي بالمغفرة فلن اتعاقب على الوجه الثاني من هذا ابدا قلت قوله تغفر له يدل على المغفرة والله اعلم قال الزمخشري قوله تعالى بما انعمت يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا فكانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون انا عصمتي ظهيرا لهم للمجرمين واراد بظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرته في ان مظاهرته الى الحرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي الموديه الى القتل الذي لم يحل له قتله وقيل اراد اي وان اساءت في هذا القتل الذي لم اومر به فلا اترك نصرة الاسلام على المجرمين فعلى هذا كان الاسرائيلي مؤمنا ونصرة المؤمن واجبة في جميع الشرائع وقيل في بعض الروايات ان ذلك الاسرائيلي كان كافرا وانما قيل ابن شيعته لانه كان اسرائيليا ولم يوافقه في الدين فعلى هذا ندم لانه اعان كافرا على كافر فقال لا اكون بعدها ظهيرا للكافرين وقيل ليس هو خبرا بل هو دعاء اي فلا اكون بعدها ظهيرا اي فلا تجعلني يارب ظهيرا للمجرمين وقال الفراء المعنى اللهم فلن اكون ظهيرا للمجرمين وزعم ان قوله هذا قول ابن عباس قال النحاس وان يكون بمعنى الجزاء اولى واشبه بنسق الكلام كما يقال لا اعصيك لانك انعمت علي وهذا قول ابن عباس على الحقيقة لا ما حكاه الفراء ان ابن عباس قال لم يستثن فابتلي حتى قال يوم ولم استثنا يكون في الدعاء لا يقال اللهم اغفر لي ان شئت واعجب الاشياء ان الفراء روى عن ابن عباس هذا ثم حكى عنه قوله قلت قد مضى هذا المعنى ملخصا مبينا في سورة النحل وانه خبر لا دعاء وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي بمرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا نحو قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا الثانية قال سلمة ابن سعيد بعث عبد الرحمن بن مسلم الى الغنى ان يعطي اهل بجاد وقال اعطهم فقال اعفني فلم يزده ليسعفه حتى اعياه فقيل له ما عليك ان يعطيهم انت ولا يريدهم شيأ قال لاحب ان اعين الظلمة على شيء من امرهم وقال عبد الله بن الوليد الرمادي قلت لعطاء ابن ابي رباح ان لي اخا يأخذ بقلمه وانا يجب ما يدخل ويخرج وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وهو ان يقال من الريبي قلت خالد بن عبد الله الواسطي العسكري فقال ما يقول ما قال العبد الصالح رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين قال ابن عباس فلم يستثن فابتلي ثانية فاعانه الله فلا يعينهم اخوك فان الله يعينه قال عطاء فلا يحل لاحد ان يعين ظالما ولا يكثر له ولا يصحبه وان فعل شيأ من ذلك فقد صار معينا للظالمين وفي الحديث ينادي منادٍ يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم ويروى عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط
يوم تزل فيه الاقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه ازل الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه
الاقدام وفي الحديث من مشى مع ظالم فقد احرم بالمشي مع الظالم ولا يكون حراما الا اذا مشى
معه ليعينه لانه ارتكب نهي الله تعالى في قوله سبحانه ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
فاصبح في المدينة خائفا يترقب فرتقدم في طرقها لان الانبياء صلوات الله عليهم يجانبون
ردا على من قال يعتريهم ذلك وان الخوف لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه فقيل اصبح خائفا
من قتل النفس وان يوجد فيها وقيل خائفا من قومه ان يسلموه وقيل خائفا من الله تعالى
ينترقب قال سعيد بن جبير يتلفت من الخوف وقيل ينتظر الطلب ويبتغي ما يتحدث
به الناس وقال قتادة يترقب اي يترقب الطلب وقيل خرج ليستخبر الخبر ولم يكن اعلم
بقتل القبطي غير الاسرائيلي واصبح يحتمل ان يكون بمعنى صار اي لما قتل صار خائفا ويحتمل
ان يكون دخل في الصباح اي في صباح اليوم الذي تلي يومه وخائفا منصوب على انه خبر اصبح وان
جعلت على الحال ويكون الظرف في موضع الخبر فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه
اي فاذا صاحبه الاسرائيلي الذي خلصه بالامس يقاتل قبطيا اخر اراد ان يسخره والا
يستصرخ الاستغاثة وهو من الصراخ وذلك لان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث
قال كنا اذا ما اتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الطنابيب
قيل كان هذا الاسرائيلي المستنصر السامري استسخره طباخ فرعون في حمل الى المطبخ وكره
التسخير والذي رفع بالابتداء ليستصرخه في موضع الخبر ويجوز ان يكون في موضع نصب
على الحال وانى للوقت الذي قبل يومك وهو مبني على الكسر لانتفاء التمكين فاذا دخله
الالف واللام او اضافة تمكن فاعرب بالرفع والفتح عند اكثر النحويين ومنهم من يبنيه
وشبه الالف واللام وكل به وغيره ان من العرب من يجري امس مجرى ما لا ينصرف في موضع
الرفع خاصة وربما اضطر الشاعر فعمل هذا في الخفض والنصب قال الشاعر
لقد رابني مجيئها امسا ... مخبض بعد ما مضى وذهب
الفتى الجيد الرفع فاجرى امس في الخفض مجراه في الرفع على اللغة الثانية قال له موسى انك لغوي مبين والغوي الخائب
اي انك تشار من لا يطيقه وقيل مضل بين الضلالة قتلت نفسا بالامس رجلا وتريد اني
اليوم لاخر والغوي يقتضي من اغوي يغوي وهو بمعنى غوي وهو كالوجيع والاليم بمعنى الموجع
والمولم وقيل الغوي بمعنى الغاوي اي انك لغوي في قتال من لا يطيق دفع شره عنك وقال
الحسن ان قال للقبطي انك لغوي مبين في استنجاد هذا الاسرائيلي وهم ان يبطش به
يقال بطش يبطش ويبطش والضم افشى لانه فعل لا يبتدي قال يا موسى اتريد ان
تقتلني قال ابن جبير اراد موسى ان يبطش بالقبطي فتوهم الاسرائيلي انه يريده لانه اغلظ
له في القول فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس فسمع القبطي الكلام فافشاه
وقيل اراد ان يبطش الاسرائيلي بالقبطي فنهاه موسى فخاف منه فقال اتريد ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي قتالا قال
علقمة والشعبي لا يكون الانسان جبارا حتى يقتل نفسين بغير حق وما تريد ان تكون
من المصلحين اي الذين يصلحون بين الناس شر له صار وجار رجل قال الكلبي هذا النفير
هذا الرجل هو جرفيل بن صبور امؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون ذكره الثعلبي وقيل
طالوت ذكره السهيلي وقال الهدي عن قتادة اسمه سمعون مؤمن آل فرعون وقيل
سمعان قال الزمخشري لا يصرف سمعان بالسين المهملة لانه مؤمن آل فرعون وروي
ان فرعون امر بقتل موسى فبلغ ذلك الرجل بالخبر فقال يا موسى ان الملا يأتمرون
اي يتشاورون في قتلك بالقبطي الذي قتلته بالامس وقيل يأمر بعضهم بعضا قال
الزهري ايتمروا القوم وتآمروا اي امر بعضهم بعضا نظيره قوله وايتمروا بينكم بمعروف
وقال الترجمان قلب ان الناس قد اجمعوا بمشورة في كل جادة بومشوره فاخرج اني لك
من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب اي ينتظر الطلب قال رب نجني من القوم
الظالمين وقيل الجبار الذي يفعل ما يريده من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب
ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى قوله تعالى
ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل لما خرج موسى عليه السلام
فارا بنفسه مستخفيا خائفا لا شيء معه من زاد ولا راحلة ولا احد اعتمد بن للسبب الذي
بينه وبينهم لان مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم

ورأي حاله وعدم معرفته بالطريق وحكوه من فلاة وغيره استدامره الي الله تعالي بقوله
عسي ربي ان يهديني سواء السبيل وهذه غاية المضطر قلت روي انه كان يقتات
ورق الشجر وما وصل حتي سقط تحف قدميه قالوا ولما لان وكان فرعون وجه في طلبه
وقال لهم اطلبوه في ثنيات الطريق فان موسي لا يعرف الطريق فجاء ملكا راكبا فرسا فاه
ومعه غيره فقال لموسي اتبعني فاتبعه فهداه الي الطريق فقال انما اعطاه العزة وكانت
عقباه وتبرؤي ان عصاه انما اخذها لرعيته الغنم من مدين وهو اكثر واصح وقال مقاتل
والسدي ان الله بعث اليه جبريل فالله اعلم وبين مدين ومصر ثمانية ايام قاله ابن جبير
والناس وكان ملك مدين لغير فرعون فوله تعالي ولما ورد ماء مدين الي قوله وكيل
بيه اربع وعشرين مسئلة الاولي قوله تعالي ولما ورد ماء مدين مشي موسي عليه السلام
حتي ورد ماء مدين اي تلقها وورودها الماء بلغه الا انه دخل فيه ولفظه الورود
قد يكون بمعني الاطلاع عليه والبلوغ اليه وان لم يدخل فورود موسي هذا الماء كان بالوصول
اليه ومنه عن زيد ذهبوا فلما وردنا الماء زفاحمة من عصل الحاضر المتخيم وقد تقدمت
هذه المعاني في قوله وان منكم الا واردها ومدين لا ينصرف اذ هي نكرة مؤنثة قال الشاعر

• ذهبان مدين لو اراد وكل ينزلواء والعصف من شعف الجبال القارد

وقيل قبيلة من ولد مدين بن ابراهيم وقد مضي في الاعراف القول فيه ولامة الجم الكثير
ويقولون معناه ماشيتهم ومن رواه معناه ناحية الي الجهة التي جاءتها فوصل الي
المرتين قبل وصوله الامة وجرهما تذودان ومعناه تمنعان وتحبسان ومنه قوله
عليه السلام فلم اذد ان رجلا عن حوضي وفي بعض المصاحف امرأتين حابستين تذودان
قيل لزاد بزود اذا ذهب وجاودت الشيء جدته قال الشاعر

• اتيت علي باب العواني كانما اذود بها سربا من الوحش نزعا

اي احسن وامنع وقيل تذودان تطردان قال

• لقد سليت عضال بنو اتميم • فما تدري باي عصي تذود

اي تطرد وتكف ومنع ابن سلام ممنعتان عنهما ليلا تختلط بغنم الناس فحذف المفعول
اما ايها ما علي المخاطب واما استغنا بعلم قال ابن عباس تذودان عنهما عن الماخوفا
من السقاة الافوبا فتارة تذودان الناس عن غنمهما قال النحاس والاول اولي لان بعده
قالتا لا نسقي حتي يصدر الرعاء ولو كانتا تذودان عن غنمهما الناس لم يخبرا عن سبب
تاخير سقيهما حتي يصدر الرعاء فلما راي موسي عليه السلام ذلك منهما قال ما خطبكما اي
شانكما قال ابن عباس ما رايت رجلا اغض بصرا منها ولا اصون منها تريان غنمهما لا
تريدان ان تسقيا حتي يرجع الناس وكان استعمال السؤال بالخطب
انما هو في مصاب او مصطاد او من يشفق عليه او باتي يتمكن من الامر فكانه بالحمله في شر فاخبرا
بخبرهما وان ابا هما شيخ كبير فالمعني لا يستطيع لضعفه ان يباشر امر غنمه وانما هما
لامر ضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران علي مزاحمة الاقوياء وان عادتهما الثاني حتي يصدر
الناس عن الماء ويخلي وحينئذ يرادان وقرا ابن عامر وابو عمرو ويصدر من صدر وهو
صدور ذلك برجع الرعاء والباقون يصدر بضم الياء من الصدر حتي يصدروا مواشيهم
من ورودهم والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب قالت فرقة كانت الا
بار مكشوفة وكان رجل الناس بينهما فلما اراد موسي ان يسقي لهما رحم الناس وعليهم
علي الماء حتي سقي فعل هذا القلب الذي كان منه وصفته احداهما بالقوة وقالت
فرقة انما كانتا تتبع فضالتهم في الصدار فان وجدتا في الحوض بقية كان ذلك سقيهما
وان لم يكن فيه بقية عطشت غنمهما فرق لهما موسي فعمد الي بير كانت مغطاة والناس
يستقون من غيرها وكانت حجرها لا ترفعه الا سبعة قاله ابن زيد بن جريج عشرة بن
عباس ثلاثون الزجاج اربعون فرفعه وسقي للمرتين فحين رفع الصخرة وصفته
بالقوة وقيل انه بير هم كانت واحدة وانه رفع عنها الحجر بعد انفضال السقاة اذا
كانت عادة المرتين سرب الفضلان روي عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب انه قال
لما استقي الرعاء غطوا علي البير صخرة لا يقلها الا عشرة وحاول بها موسي فاقتلعها
واستقي ذنوبا واحدا ثم يجيء الي ظله فسقي لهما الثانية انه قيل كيف سقي لبنات الله صلي
الله عليه وسلم ان يرضي لابنته بسقي الماشية قيل له ليس ذلك بمحظور والذين
لا يابا ه واما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادة متباينة واحوال العرب
فيه مخالفة احوال العجم ومذهب اهل البدو غير مذهب الحضر خصوصا اذا كانت

الحالة

حالة الضرورة الثالثة قوله تعالى ثم تولى الى الظل اى الى ظل شجرة قاله ابن مسعود وتعرض لسوال ما يطعمه بقوله الى لما انزلت من خير فقير وكان لم يرق طعاما سبعة ايام وقد لصق بطنه بظهره يعرض بالدعاء ولم يصرح بسوال هذا روى جميع المفسرين انه طلب في هذا الكلام ما ياكله فالخير يكون بمعنى الطعام كما في هذه الاية ويكون بمعنى المال كما قال ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد ويكون بمعنى القوة كما قالوا لهم خير ام قوم تبع ويكون بمعنى العبادة كقوله واوحينا اليهم فعل الخيرات قال ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع واخضر لونه من اكل البقل في بطنه وانه اكرم الخلق على الله ويروى انه لم يصل الى مدين حتى سقط باطن قدميه فلما نظر واشار بهوان الدنيا على الله وقالوا لبكر ابن ماهر في قوله اني لما انزلت الي من خير فقير اعلما ابرئت من فضلك وغناك فقيرا الى ان تغنيني بك عن من سواك فلت ما ذكره اهل التفسير اولى فان الله تعالى انما اغناه بواسطة شعيب الرابعة قوله تعالى فجاءته احداهما تمشي على استحياء في هذا الكلام اختصار فذهبا الى ابيهما ثم رجعتا وكانت عادتهما الاباطء في السقي فحدثتاه بما كان من الرجل الذي سقى لهما فامر الكبرى ان تدعوه له فجاءت على هذه الاية قال عمر بن ميمون ولم تكن بذلعة من النساجراة ولا وجه وقيل جاءته سائرة وجهها بكم درعها قاله عمر بن الخطاب وروى انه اسم احداهما لبا والاخرى صفورا بانتينا تترون وتترون هو شعيب وقيل ابن اخي شعيب وان شعيبا كان قد مات واكثر الناس على انهما ابنتا شعيب عليه السلام وهو ظاهر القران قال الله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا كذا في سورة الاعراف وفي سورة الشعراء كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب قال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب الايكة واصحاب مدين وقد مضى في الحلاف في اسم ابيه ويروى ان موسى عليه السلام لما جاءه بالرسالة قام بشبهها كان بين موسى وبين ابيها ثلاثة اميال فهبت ريح فمتصها فوصفت عجيزتها فخرج موسى من النظر اليهما فقالا رجع خلفي وارسد بني الى الطريق لصوتك وقيل ان موسى قال لها تبعيني وراي فاني رجل غيرة لا انظر في ادبار النساء ودليني على الطريق يمينا او يسارا فدل لسببه وصفها بالامانة قاله ابن عباس فدخل موسى الى داعيه فقص عليه امره من اوله الى اخره فالتفت اليه وقال لا تخف نجوت من القوم الظالمين وكانت مدين خارجة عن مملكة فرعون وقرب اليه طعاما فقال موسى لا اكل اناهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا فقال شعيب ليس هذا عوض لسقي ولكن عادتي وعادة اباءي قري الضيف واطعام الطعام فجلس موسى ياكل فقالت احداهما يا ابت استاجره دليل على ان الاجارة كانت عندهم شرعة معلومة وكذلك كانت في كل ملة وهو من ضرورة الخليقة ومصلحة المخالطة بين الناس خلافا للاصم حيث كان عن سماعها اصم السادسة قوله الى اريد ان انكحك الاية فيه عرض الولي ابنته على الرجل وهذه سنة قائمة عرض صالح مدين ابنته على صالحي بني اسرائيل وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على ابي بكر وعثمان وعرضت ام هوية نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم فمن الحسن عرض الرجل وليته والمراة نفسها على الرجل الصالح اقتداء بالسلف الصالح قال ابن عمر لما ايمت حفصة قال عمر لعثمان ان شئت انكحتك حفصة بن عمر الحديث انفرد باخراجه البخاري السابعة وفي هذه الاية دليل على ان النكاح الى الولي للمراة فيه لان صالح مدين تولاه وبه قال فقهاء الامصار وخالف في ذلك البوحنيفة وقد مضى هذا الثامنة هذه الاية تدل على ان للاب ان يزوج ابنته البكر البالغ من غير استيمار وبه قال مالك واحتج بهذه الاية وهو ظاهر قوي في الباب واحتجاجه بها يدل على انه كان يقول على الاسرائيليات كما تقدم ويقول مالك في هذه المسالة قال الشافعي وكثير من العلماء وقال ابو حنيفة اذا بلغت الصغيرة فلا يزوجها احد الا برضاها لانها بلغت حد التكليف فاما اذا كانت صغيرة فانه يزوجها بغير رضاها لانه اذن لها ولا رضى بغير تخلاف في الناسعة استدل اصحاب الشافعي وكثير من العلماء وقال ابو حنيفة بقوله الى اريد ان انكحك على ان النكاح موقوف على لفظ التزويج والانكاح وبه قال ربيعة وثور وابو عبيدة وداود ومالك على اختلاف عنه وقال علماؤنا في المشهور ينعقد النكاح بكل لفظ يقتضي التابيد على التمليك اما الشافعية فلا

حجة لهم في الآية لأسرع من قبلنا وهم لا يرونه حجة في شيء عندهم واما ابو حنيفة واصحابه والثوري والحسن بن حي فقالوا ينعقد النكاح بلفظ الهبة وغيره اذا كان قد اشهد عليه لان الطلاق يقع بالتصريح وبالكناية قالوا فكذلك النكاح قالوا والذي خص به النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد ليضع من العوض لا النكاح بلفظ الهبة وتابعهم ابن القاسم فقال ان وهب ابنته وهو يريد انكاحها فلا احفظ عن مالك فيه شيأ وهو عندي جائز كالبيع قال ابو عمر الصحيح ان لا ينعقد نكاح بلفظ الهبة كما لا ينعقد لفظ النكاح هبة شيء من الاموال وايضا فان النكاح مفتقر الى التصريح لتقع الشهادة عليه وهو ضد الطلاق فكيف يقاس عليه وقد اجمعوا ان النكاح لا ينعقد بقوله ايحلك فلك فكذلك وقال صلى الله عليه وسلم استحللتم فروجهن بكلمة الله يعني القرآن وليس في القرآن عقد النكاح بلفظ الهبة وانما فيه التزويج والنكاح وفي اجازة النكاح بلفظ الهبة ابطال لبعض خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم **العاشرة** قال فقهاء الحجاز وخالفهم في ذلك ابو حنيفة وقد مضى **الثامنة** هذه الآية يدل على ان للرجل ان يزوج قوله تعالى احدى ابنتي هاتين يدل على انه عوض لا عقد لانه لو كان عقد لكان العين المعقود عليها له لان العلماء وان كانوا قد اختلفوا في جواز البيع اذا قال بعتك احد عبدي هذين بثمن كذا فانهم اتفقوا على ان ذلك لا يجوز في النكاح لانه خيار روي عن الخيار لا يلتقي بالنكاح **الحادية عشرة** قال مكي في هذه الآية خصائص في النكاح منها انه لم يتعين الزوجة ولا حدا ولا الامد وجعل لمهر اجارة ودخل ولم ينقل شيأ قلت فتحمله اربع مسائل تضمنتها المسئلة الحادية عشرة الاولى من الاربع مسائل قال العلماء واما التعيين فيشبه انه كان في بادي الحال المراوضة وانما عرض الامر فيها مجملا وعن بعد ذلك وقد قيل انه زوجه صفورية وهي الصغرى يروى عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك سألت اي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما واوفاهما وان سألت ايا المرأة تزوج فقل الصغرى وهي التي جاءت خلفه وهي التي قالت يا ابت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين فقول ان الحكمة في تزويجه الصغرى منه قبل الكبرى وان كانت الكبرى احوج الى الرجال ان توقع ان يميل اليها الانسان لما في رسالته وما شاهاه في قبالة الى ابيها معها فلو عرض عليه الكبرى ربما اظهر له الاختيار وهو يضمر غيره وقيل غير هذا والله اعلم وفي بعضها خيار ان يتزوج بالكبرى حكاه الغزنوي الثانية واما ما ذكره ولد المدة فليس في الاية ما يقتضي اسقاطه بل هو مسكوت عنه فاما رسماه والمهر فمن اول وقت العقد الثالثة واما في عقد النكاح بالاجارة فظاهر من الاية وهو امر قد قرر كاشرعنا وجرى في حديث الذي لم تكن عنده الا التي من القرآن رواه الائمة في بعض طرقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحفظ من القرآن فقال سورة البقرة والتي تليها قال فعلمها عشرين اية وهي امرأتك واختلف العلماء في هذه المسئلة على ثلاثة اقوال فكرهه مالك ومنعه ابن القاسم واجازه ابن حبيب وهو قول الشافعي واصحابه قالوا يجوز ان تكون منفعة الخبر صداقا كالخياطة والبناء وتعليم القرآن وقال ابو حنيفة لا يصح وجوز ان يتزوجها ان يخدمها عنده سنة او يسكنها داره سنة لان العبد والدار مال وليس خدمتها بنفسه مالا وقال ابو الحسن الكرخي عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فيهما متنافيان وقال ابن القاسم يفسخ وقبل البناء وبنيت بعد وقالا صبغ ان تفوته شيأ فقيه اختلاف وان لم يفت فهو اشد فان عجل مضى على كل حال بدليل فصته شعيب قاله مالك وابن الموازي واشهب وهو على هذه الاية جامعة من المتأخرين والمتقدمين في هذه النازلة قال ابن خواز منداد تضمنت هذه الاية النكاح على الاجارة والعقد صحيح وكره ان يجعل الاجارة مهرا وينبغي ان يكون المهر مالا كما قال عز وجل كما قال اذ تستقوا باموالكم محصنين هذا قول ضمنا بينا جميعا الرابعة واما قوله ودخل ولم ينقد فقد اختلف الناس في هذا هل دخل حين عقد ام حين سافر فان كان حين عقد فما تقدم وقد منع علماؤنا من الدخول حتى ينعقد ثلاثة ايام وقاله ابن القاسم فان دخل قبل ان ينقضي مضى لان المتأخرين من اصحابنا قالوا تقبل الصداق او شيء

مستحب

مستحب على انه ان كان الصداق رعية الغنم فقد وقع الشروع في الخدمة وان كان وجل
حين سافر فطول الانتظار في النكاح لجاز وان كان مدي العمر بغير شرط فلا يكون
الا ان يكون العرض صحيح مثل التاهب للبناء وانتظار صلاحية الدرجة للدخول ان
كانت صغيرة نص عليه علماؤنا **الثالثة عشرة** في هذه الاية اجماع اجارة
ونكاح وقد اختلف علماؤنا في ذلك على ثلاثة اقوال الاول قال في ثمانية ابي زيد
يكره ابتداء ان وقع مضى النابي قاسم والبن القاسم في المشهور لا يجوز ويفسخ
قبل الدخول وبعده لاختلاف مقاصدهما كسائر العقود المتباينة الثالث الاجارة
اشبه واصبغ قال ابن المرابي وهذا هو الصحيح وعليه تدل الاية وقد قال مالك
النكاح اشبه شيء بالبيوع فاي فرق بين اجارة وبيع او بين بيع ونكاح فرع ان
اصدقها تعليم شعر مباح صح قال المرابي وذلك مثل قول الشاعر

لبقول العبد فابدلتي وما لي ... وتقوى الله افضل ما استفادا

وان اصدقها تعليم شعر نبيه هجوا وفحش كان كما لو صدقها خمرا او خنزيرا **الثانية عشرة** قوله تعالى على ان تاجرني ثماني حجج جرى ذكر الخدمة مطلقا وقال مالك انه جايز ويحمل على العرف فلا يحتاج في التسمية الى الخدمة وهو ظاهر قصة موسى فانه ذكر اجارة مطلقة وقال ابو حنيفة والشافعي لا يجوز حتى يسمي لانه مجهول وقد ترجم البخاري باب من استاجر اجيرا فبين له الاجل ولم يبين له العمل عندهم كان معلوما من سقي وحرث ورعي وما شاكل اعمال التادية في مهنة اهلها فهذا متعارف وان لم يبين له انخرام الاعمال ولاختلاف اغراضها مثل ان تقول له انك تخرث كذا من النخلة وترعى كذا من الغنم فهذا انما هو على المعهود من خدمة التادية وانما الذي لا يجوز عند الجميع ان يكون المدة مجهولة غير معهودة لا يجوز حتى يعلم قال ابن المرابي وقد ذكرا هذا التفسير انه عين له رعية الغنم ولم نر ومن طرق صحيحة ولكن قالوا ان صالح مدين لم يكن عمل الرعية الغنم فكان ما عمل من ذلك قائما مقام التعيين للخدمة فيه **الرابعة عشرة** اجمع العلماء على انه جايز ان يستاجر الراعي شهورا معلومة باجرة معلومة لرعاية غنم معدودة فان كانت معدودة معينة ففيها تفصيل لعلمائنا قال ابن القاسم لا يجوز حتى يشترط الحلف اذا تلفت وهي رواية ضعيفة جدا وقد استاجر صالح مدين موسى على غنمه وقد رآها ولم يشترط حالفا وان كانت مطلقة غير مسماة ولا معينة جازت عند علمائنا وقال ابو حنيفة والشافعي لا يجوز لانها عدد علمائنا على العرف حسب ما ذكرناه انفا وانه يعطى بقدر ما يحتمل قوته وزاد بعض علمائنا انه لا يجوز حتى يعلم المستاجر قدر قوته وهو صحيح فان صالح مدين علم قدر قوة موسى برفع الحجر الخامسة عشرة قال مالك وليس على الراعي ضمان وهو مصدق فيما هلك او سرق لانه كالوكيل وقد ترجم البخاري باب اذا ابصر الراعي او الوكيل شاة تموت او شيا يفسد فاصلح ما يخاف الفساد وساق حديث كعب بن مالك عن ابيه انه كانت له غنم ترعى بسلع فابصرت جارية لنا شاة من غنمنا فكسرت حجرا فذبحتها بحجر فقال لهم لا تاكلوا حتى اسال النبي او ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم من يسئله وانه سال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ارسل اليه فامره باكلها قال عبد الله فيحتمل انها امه وانها ذكية قال المهلب فيه من الفقه تصديق الراعي والوكيل فيما ائتمنا عليه حتى يظهر عليهما دليل الخيانة والكذب وهذا قول مالك وجماعة وقال ابن القاسم اذا خاف الموت على شاة فذبحها لم يضمن ويصدق اذا جاءها مذبوحة قال عنه يضمن حتى يبين ما قال
ل السادسة عشرة واختلف ابن القاسم واشهب اذا اتى الراعي على اتان الماشية فحملت اذنا بها فهلكت فقال ابن القاسم لا ضمان عليه لانه من اصلاح المال وبه قال اشهب عليه الضمان وقول ابن القاسم اشبه بدليل حديث كعب وانه لا ضمان عليه فيما تلف عليه واجتهاده اذا كان من اهل الصلاح وممن يعلم اشفاقه على المال واما ان كان من اهل الفسوق والفساد وارادة صاحب المال ان يضمنه فعل لانه لا يصدق ان راى بالشاة موتا لما عرف من فسقه السابعة عشرة لم ينقل ما كانت اجرة موسى عليه السلام ولكن روى يحيى بن سلام ان صالح مدين جعل لموسى كل سخلة توضع خلاف لون امها فاوحى الله الى موسى ان القحة تلد بينهن بادن خلاف شبههن كلهن

وقال غيره يحمي بل حمل له كل تلقاء ولد له فولدت له كلهن بلقاء وذكر الفشيري ان شعيبا لما
استاجر موسى قال له ادخل ببيت كذا وخذ عصى من العصي الذي في البيت فاخرج موسى عصي
وكان اخرجها آدم من الجنة وتوارثتها الانبياء حتى صارت الى شعيب فامره شعيب ان
يلقيها في البيت ويأخذ عصى اخرى يدخل فاخرج تلك العصي وكذلك سبع مرات كل ذلك
لا تقع بيده غير تلك فعلم شعيب ان له شانا فلما اصبح قال له سق الغنام الى مفرق
الطريق تخذ عن يمينك وليس بها عشب كثير ولا تاخذ عن يسارك فان بها عشبا
كثيرا وثنيا كبيرا لا تقبل المواشي فساق المواشي الى مفرق الطريق فاخذ يمنة السار
ولم يقدر على ضبطها فقام موسى فخرج التنين فقامت العصا وصارت تعسفها خديدا
وحاربت التنين حتى قتلته وعادت الى موسى عليه السلام فلما انتبه موسى راى
العصا مخضوبة بالدم والتنين مقتولا فعاد الى شعيب عشيا وكان شعيب ضريرا
فمس الاغنام فاذا اثر الخضب باذن عليها فسأله عن القصة فاخبره بما فرح شعيب
وقال لكل تلد هذه المواشي هذه السنة قالب لون الا ذات لونين فهو لك فجاء جميع
السخال تلك السنة ذات لونين فعلم شعيب ان لموسى عند الله مكانة وروي عنه
ابن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجر موسى يقسمه بسبع لطمته وعنه
فرجه فقال له شعيب لك منها بغنى من نتاج غنمه ما جاءت به قالب لون لبس فيها
عزور ولا فشوش ولا كبوش ولا صبوب ولا مكبشة ولا لعول قال الهروي في الغريبين
البكبشة ما خوذ من العزار وهي الارض الصلبة وقد تعزرت الشاة والفشوش التي
يتفشى لبنها من عنز حلب وذلك لسبعة الاحليل ومثله الفوج والعزور ومن امثالهم
لا فشل فشى الوطب اي لا خرج عضبك وكبر من راسك ونقيا لفشل لستا اذا
اخرج منه الريح ومنه الحديث ان الشيطان ليفشي بين البتي احدكم حتى يجيل اليه انه
احدث اي ينفخ نفخا ضعيفا والكموش الصغيرة الضرع وهي الكمشة ايضا سميت
بذلك لانكماش ذرعيها وهو تقلصه ومنه يقال رجل كمش الازار والكشور مثل
الكموش والصبوب الضعيفة ثقب الاحليل والصنا الحلب لشدة العصر والتقول
التي لها زيادة حلمة وهي القلا والتقل زيادة السن وتلك الزيادة هي النقل
ورجل انقل والنقل مخرج اللبن قال الهروي وتفسير قالب لون في الحديث انها
جاءت على غير الوان امهاتها انتهى مسئلة عشرة الاجارة بالعوض المجهول لا يجوز فان ولادة
الغنم غير معلومة وان من البلاد الخصبة ما يعلم ولاد الغنم قطعا وعدمها وسلام سخالها
كبارا وصغارها بيد ان ذلك لا يجوز في شرعنا لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن
الغرر ونهى عن المضامين والملاقيح والمضامين ما في بطون الاناث والملاقيح ما في
اصلاب الفحول او على خلاف ذلك قال الشاعر

ملقوحة في بطن بات حامل ونفه مضى في سورة الحج بيانه على ان زاذان بن
مهران اجاز الاجارة على الغنم بالثلث والربع وقال ابن سيرين وعطا ينتج الثوب
ينصب منه وبه قال احمد الثامنة عشرة النكاح معتبرة واختلف العلما
هل هي الدين والمال والحسب او في بعض ذلك والصحيح جواز نكاح الموالي العربيات
والعربيات لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقد جا موسى لي صكاي مدين غريبا
طريدا وحيدا حافيا عريانا فانكح ابنته لما تحقق ورايه من حاله واعرض عما سوى
ذلك وقد تقدمت لهذه المسئلة نوعمة والحمد لله الموفق عشرون قال بعضهم هذا اجراء
من شعيب لم يكن ذكر الصداق المراة وانما كان اشترط النفسه على ما يفعله الاعراب
فانها تشترط صداق بناتها وتقول لي كذا في خاصة نفسي وترك المهر معوضا ونكاح
التفويض جايز قال ابن العربي هذا الذي تفعله الاعراب هو حلوان وزيادة على
المهر وهو حرام لا يليق بالانبيا فاما اذا اشترط للولي شيا لنفسه فقد اختلف العلما
فيما يخرجه الزوج من يده ولا يدخل في المراة على قولين احدهما انه جايز والثاني لا يجوز
والذي يصح عندي في التقسيم فان المراة لا تخلو ان تكون بكرا او ثيبا فان كانت ثيبا
جاز لان نكاحها بيدها يكون للولي مباشرة العقد ولا يمتنع احدا العوض عليه كما ياخذ
الوكيل على عقد البيع وان كانت بكرا كان العقد بيده وكان عوض في النكاح لغير الزوج
وذلك باطل فان وقع فسخ قبل البنا وثبت بعده على مشهور الرواية المادة والعشرون
لما ذكر الشرط واعقبه بالمطوع في العشر خرج كل واحد منهما على حكمه ولم يلحق الاخر بالاول

ولا

ولا اشترك العرض والطوع ولذلك بكت في العقود الشروط المتفق عليها ثم بقال وطوع
بكذا فيجري الشرط على سبيله والطوع على حكمه والفضل الواجب من التطوع وقيل ومن لفظ
شعيب حسن في لفظ العقود في النكاح انكحها اياها او لي من انكحها اياه على ما ياتي بيانه
في الاحزاب وجعل شعيب الثمانية الاعوام شرطا وكل العاشرة الى المروة الثانية
والعشرون قوله تعالى قال ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي
فلما فرغ كلام شعيب لخزره موسى عليه السلام كرر معناه على جهة الموثقة ان الشرط
انما وقع في ثمان حجج وانما استفهام منصوب بقضيت والاجلين مخفوض باضافة
اليها وما صلة التاكيد وفيه معنى الشرط وجوابه فلا عدوان وان عدوان منصوب
بلا وقال ابو كثير ان ما في موضع خفض باضافة اي ايما وهي نكرة والاجلين بدل
منها ولذلك قوله فبما رحمة من الله اي رحمة بدل من ما قال مكي وكان يتلطف في ان لا
يجعل شيئا زايدا في القرآن ونحو له وحيا يخرجه من الزيادة وقرا الحسن ايما بكون
الياء وقرئ ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرا الجمهور عدوان بضم العين وابو
حياة بكسرها والمعنى لا تبعة علي ولا طلب في الزيادة عليه والعدوان التمادي في
غير الواجب والحج السنون قال الشاعر لمن الديار بقنة الحجر افقين من حج ومن
دهر الواحدة حجة بكسر الحا والله اعلم على ما يقول وكيل وقيل هو من قول موسى
وقيل هو من قوله والد المراة فاكتفى الصالحان صلوات الله عليهما في الاشهاد عليهما بانه
ولم يشهد احد من الخلق وقد اختلف العلماء في وجوب الاشهاد النكاح وهي الثالثة
والعشرون على قولين احدهما انه لا ينعقد الا بشاهدين وبه قال ابو حنيفة والشافعي
وقال مالك انه ينعقد دون شهود لانه عقد معاوضة فلا يشترط فيه الاشهاد كالبيع
وانما يشترط فيه الاعلان والتصريح وفرق ما بين النكاح والسفاح الدف وقد مضت
هذه المسيلة في البقرة مستوفى وفي البخاري عن ابي هريرة ان رجلا من بني اسرايل
سال بعض بني اسرايل ان يسلفه الف دينار فقال ايتني بالشهداء اشهدهم فقال
كفى بالله شهيدا فقال ايتني بكفيل فقال كفى بالله وكيلا قال صدقت فدفعها اليه
وذكر الحديث قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله فيه ثلاث مسايل الاولى فلما
قضى موسى الاجل قال سعيد بن جبير سالني رجل من النصارى اي الاجلين قضى موسى فقلت
لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاساله اعني ابن عباس فقدمت اليه فساالته فقال
قضى اكملهما واوفاهما فاعلمت النصراني فقال صدق والله هذا العالم وروي عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم سالة في ذلك جبريل فاخبره انه قضى عشر سنين وحكى الطبري
عن مجاهد انه قضى عشرا وعشرا بعدها قال ابن عطية وهذا ضعيف الثانية قوله
تعالى وسار باهله فيه دليل على ان الرجل يذهب باهله حيث شاء لما له عليها من فضل
القوامية وزيادة الدرجة الا ان يلتزم لها امرا فالمومنون عند شروطهم واحق الشروط
ان يوفى به وما استحللتم به الفروج الثالثة قوله تعالى انس من جانب الطور نارا
الاية تقدم القول في ذلك في طه والجذوة بكسر الجيم قراءة عامة وضمها حمزة ويحيى
وفتحها عاصم والسلمي ورزين حبيش قال الجوهري الجذوة والجذوة الجمرة والجمع
جبري وجذى وجذى قال مجاهد في قوله تعالى او جذوة من النار اي قطعة من الجمر
قال وهي بلغة جميع العرب وقال ابو عبيدة والجذوة مثل الجذمة وهي القطعة
الغليظة من الخشب كان في طرفها او لم يكن قال ابن مقبل يا بنت حوطب ليلى ليتمنى
لها جزل الجذى غير خوار ولا رعش وقال والقى على قليس من النار جزوة شديد
عليها حميمها ونصبهما قوله تعالى فلما اتاها يعني الشجرة قدم ضميرها نودي من
شاطئ الوادي والثاني لابتدا الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة
ومن الشجرة بدل من قوله من شاطئ الوادي بدل اشتمال لان الشجرة كانت نابتة على
الشاطئ وشاطئ الوادي شطه وجانبه والجمع شطان وسواطئ ذكره القشيري وابن
فارس والجوهري وتقول شاطئ الوادي بينه ولا يجمع وشاطات الرجل اذا مشيت على شاطئ
ومشى فلان على الشاطئ الاخر اي عن يمين موسى وقيل عن يمين موسى وقيل عن يمينه
الجبل في البقعة المباركة وقرا الاشهب العقيلي في البقعة بفتح الباء وقولهم
بارك الله عليك بقعة وحنان ومن قال بقعة قال لبقع مثل عرقة وعرق
من الشجرة اي من ناحية الشجرة قيل كانت شجرة العليق وقيل سمرة وقيل عوسج

ط

ومنها كانت عصاة ذكره الزمخشري وقيل عناب والعوسج اذا عظم يقال له العرفج وفي
الحديث ان شجرة اليهود فاذا نزل علينا وقتل اليهود الذين معه الرجال ولا يختفي منهم
احد خلف شجرة الا نطقت وقال يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله الا الغرقد فانه من
شجر اليهود فلا ينطق حرجه مسلم قال الحميدي وكلم الله تعالى موسى عليه السلام من فوق
عرشه ذا سمعه كلامه من الشجرة على ما شاء ويجوز ان يوصف الله تعالى بالانتقال والزوال
وشبه ذلك من صفات المخلوقين قال ابو المعالي وافقه الحق يقولون ان كلام الله تعالى
وخصه بالرتبة العليا والغاية القصوى ندرك كلامه العظيم المنزه عن متشابهات
الحروف والاصوات والعبارات والنغمات وضروب اللغات كما انه من خصائص الله بمنازل
الكرامات واكمل علومه ونزفه رويته سبحانه ربي الله سبحانه منزها عن مماثلة الاجسام
واحكام الحوادث ولا مثل له سبحانه في ذاته وصفاته واجمعت الامة على ان الرب تعالى خص
موسى عليه السلام بكلامه وغيره من المصطفين من الملائكة بكلامه قال الاستاذ ابو
اسحق اتفق اهل الحق على ان الله تعالى خلق لموسى عليه السلام معنى من المعاني ادرك
به كلامه كما ان خلق سمعه وابصاره فادرك على مثله في جميع خلقه واختلفوا في نبينا
عليه السلام هل سمع ليلة الاسراء كلام الله وهل سمع جبريل كلامه على قولين وطريقتين
احدهما النقل المقطوع به وذلك منفي واتفقوا على ان سماع الخلق له عند قراءة القرآن
على معنى انهم سمعوا العبادة التي عرفوا بها معناه دون سماعه له في عينه وقال عبد الله
ابن سعيد بن كلاب ان موسى عليه السلام فهم كلام القديم من اصوات مخلوقة انشأها
الله تعالى في بعض الاجسام قال ابو المعالي وهذا مردود بل يجب اختصاص موسى عليه
السلام بادراك كلام الله حرفا للعادة ولو لم يجب ذلك لم يكن لموسى عليه السلام فضل
اختصاص بتكليم الله اياه والرب تعالى سمعه كلامه العزيز وخلق له علما ضروريا
حتى علم ان ما سمعه كلام الله وان الذي كلمه وناداه هو الله رب العالمين وقد ورد في
الاثار صريحا ان موسى عليه السلام قال سمعت كلام ربي بجميع جوارحي ولم اسمعه من جهة
واحدة من جهاتي وقد تضمن هذا الخبر في البقرة مستوفى ان يا موسى انا في موضع تغيب
الحروف حرف الجر اي بان يا موسى اني انا الله نفى الربوبية عن غيره سبحانه وصله بهذا الكلام
من اصفيا الله عز وجل لان رسله لا يبشر برسول الا بعد امره بالرسالة والامر
بها ان ما كان بعد هذا الكلام **قوله تعالى** وان القي عصاك عطف على ان يا موسى
وتقدم الكلام في هذا في النمل وطه وحذر اي تضب في الحال ولذلك موضع قوله ولم
يعقب تضب على الحال الحبا يا موسى اقبل ولا تخف قال وهب قيل له ارجع اليحيث
كنت فرفع فلقف ذراعيه في يده فقال له الملك ارايت ان اراد الله ان يسلبك بما
جاد راينعلك لعلك بذلك قال لا ولكني ضعيف خلقت من ضعيف وكف يده
فادخلها في فم الحية فعادت عصا كما كانت **قوله تعالى**
اسلك يدك في جيبك الاية تقدم القول فيه واضمم اليك جناحك من الرهب من
مضلعة بولي ابي ولي مدبرا من الرهب وقرا حفص وابن سلمى وعلي بن نصير
وابن اسحق من الرهب بفتح الراء واسكان الهاء وقرا ابن عامر والكوفيون الا حفص
بضم الراء وجزم الهاء الباقون بفتح الراء والهاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله
تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وكلها لغات بمعنى الخوف والمعنى اذا هالك امر فاضمم
يديك فادخلهما في جيبك وارددهما اليه بعد كما كانتا وقيل امره ان يضم
يده الى صدره فيذهب عنه خوف الحية عن مجاهد وعبيد وروى الضحاك عن ابن
عباس قال قال ابن عباس لموسى من احد يده خلف رب فقد موسى عليه السلام ثم
يدخل يضعها على صدره اذ ذهب عنه الرعب وحكي عن عمر بن عبد العزيز رحمه
الله انه كان نبيا كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فتخيل وانكس فقام وضرب بقلمه الارض
فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليخرج روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما
سمعتها من نفسي وقيل المعنى اضمم يدك الى صدرك ليذهب الله ما في صدرك من الخوف
وكان موسى لم يفقد خوفا اما من الكفر عون واما من النقصان وضم الجناح هو السكون لقوله
تعالى واخفض لهما جناح الذل من الرحمة يريد الرفق وقوله واخفض جناحك لمن اتبعك
من المؤمنين اي ارفق بهم وقال الفراء اراد بالجناح عصاه وقال بعض اهل المعاني الرب اكم
بلغة حمير وبني حنيفة قال لبيد سالتني الرزء اني اخبئه شيبا وانا اكفل فملات الكف واومات اليها

فقالت

فقالت ها هنا فرهبى بزيد فى كمى وقال الاصمعى سمعت اعرابيا يقول لاخر اعطنى ما فى رهبك فسالته
عن الرهب فقال لكم فعلى هذا يكون معناه اضمم يدك اليك واخرجها من اكمك لانه يتاول العطا
ويدره فى كمه قوله اسلك فى جيبك ندل على انها البيضا ليمنى لان الجيب على اليسار ذكره الفشيرى
قلت وما فسروه من ضم اليد الى الصدر يدل على الجيب موضعه الصدر وقد مضى فى سورة النور
بيانه الزمخشرى ومن بديع التقاسيم ان الرهب بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى ما فى رهبك
وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الانبان الثقات التى تنقى عربيتهم ثم
ليت شعرى كيف موقعه فى الاية وكيف تطبيقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على ان موسى
صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا رمة من صوف لاكمى لها قال الفشيرى
وقوله واضمم اليك جناحك يريد اليد بين ان قلنا اراد الاس من فزع الثعبان وقيل
واضمم اليك جناحك اجمع لنفسك واستعد لتحمل اعباء الرسالة قلت فعلى هذا قيل انك
من المرسلين اى من المرسلين لقوله انى لا يخاف لدى المرسلون قال ابن بحر وصار على هذا التاويل
رسولا بهذا القول وقيل انما صار رسولا لقوله قد اتتك برهان من ربك الى فرعون وملائه
والبرهان اليد والعصا وقرا ابن كثير بتشديد النون وخففها الباقون وروى ابو
عمارة عن ابى الفضل عن ابى بكر عن ابن كثير فذانك بالتشديد والتاء عن ابى عمرو ايضا
قال ابو الفتح هذا بدل فذانك بالتخفيف والمالة فزليش فذانك كما قرا ابو عمرو
وابن كثير وفى تقليله خمسة اقوال قيل شدد النون عوضا من الالف الساقطة فى ذلك
الذى هو تثنية ذا المرفوع وهو ربع بالابتدا والف ذا محذوفة فدل حذف الالف التى التثنية عليها
ولم يلتفت الى التقا الساكنين لان اصله فذانك فحذف الالف الاولى عوضا من النون
المشددة وقيل التشديد للتاكيد كما اذا ادخلوا اللام فى ذلك مكى وقيل ان من شدد
انما بناه على لغة من قال فى الواحد ذلك فلما بنى اثبت اللام بعد نون التثنية ثم ادغم
اللام فى النون على حكم ادغام الثانى فى الاول والاصل ان يدغم الاول فى الثانى الا ان
يمنع من ذلك علة فيدغم الثانى فى الاول والعلة التى منعت فى هذا ان يدغم الاول فى الثانى
انزلوا فعل ذلك لصار فى موضع النون التى تدل على التثنية لام مشددة فيستغنى بلفظ
التثنية فادغم الثانى فى الاول لذلك فصار نونا مشددة وقد قيل انه لما بنى فى ذلك
اثبت اللام قبل النون ثم ادغم الاول فى الثانى على اصول الادغام فصار نونا مشددة وقيل
شددت فرقا بينها وبين الظاهرة التى تسقط الاضافة نونه لان ذان لا مضاف وقيل
للفرق بين الاسم المتمكن وبينهما ولذلك العلة فى تشديد النون فى الذين وهذان
قالوا لابى عمرو وانما اختص ابو عمرو هذا الحرف بالتشديد دون كل تثنية من جنسه
لقلة حروفه فقراه بالتثقيل ومن قرا فذانك بيانع تخفيف النون قالا صل عنده
فذانك بالتشديد فابدل من النون الثانية الياء هية التضعيف كما قالوا لا املاه
فى لا املوه فابدلوا اللام الثانية الفا ومن قرا بيا بعد النون المشددة فوجهه انه
اشبع كسرة النون فتولدت عنها الياء ليصح النطق فارسله معى ردا يعينى معينا مشتق
من ازدته اى اعنته والردى العون قال الشاعر

* الم تر ان اصرم كان ردى وجبره الناس فى قل وبال *

النحاس وقرا ارداه اى اعانه وترك همزة تخفيف وبه قرا نافع وهو بمعنى
المهموز قال الممدوى ويجوز ان يكون نزل الهمز من قولهم ارد اعلى المايدة اى
ازد عليها فكان المعنى ارسله معى زيادة فى تصديقى قاله مسلم بن خيذب وانشد قول
الشاعر وهو اسم حطبا كان لغوبة نوى العسب فزاردى على العشر

كذا انشد الماوردى هذا البيت فزاردنى وانشد الغزنوى والجوهرى فى الصحاح قال
والقشب الصلب والقشب بمن تابش يتقنت فى الفم صلب النواه قال نصف ريحا واسم
البيت قال الجوهرى رد والشى يرد ورودا مهموز ردى اى فاسد واراد انه افسد نبوته
واراد انه ايضا معينى لانه يقول ازرت به كنت له ردا وهو العون قال الله
تعالى ارسله معى ردا يصدقنى قال النحاس وقد حكى ردا نه ردا وجمع ردى ارداء وقرا
عاصم يصدقنى بالرفع وجزم الباقون وهو اختيار ابى حاتم على جواب الدعا واختيار
الرفع ابو عبيد على الحال من الهاء ارسله اى ارسله ردا مصدقا حالة التصديق كقوله
انزل علينا مايدة من السما تكون اى تكون كائنة حال صرف الى الاستقبال ويجوز ان
يكون صفة لقوله ردا الى اخاف ان يكون اذا لم يكن لى وزيرا لاسعين لانهم لا يكادون

يعتنون بمعنى تقال للرجل وعزله سنشد عضدك باخيك اي نقويك به وهذا تمثيل لان قوة اليد بالعضد قال طرفة ابنى لبيني لستم بيد الا يد الست لها عضد ولقيل لي دعا الخير سدا الله عضدك وفي صده بث الله في عضدك وجعل لكما سلطانا اي حجة وبرهانا فلا يصلون اليكما بالاذا بايا تنا اي بتمتنعان منهم بايا تنا فيجوز ان يوقف على اليكما ويكون في الكلام تقديم وتاخير وقيل التقدير انتما ومن اتبعكما الغالبون بايا تنا قاله الاخفش والطبري قال المهدوي وفي هذا تقديم المعمول على الموصول الا ان يقدر انتما غالبان ما بايا تنا انتما ومن اتبعكما الغالبون واتمني بالايات سائر معجزاته قوله تعالى فلما جاءهم موسى بايا تنا بينات اي ظاهرات بينات قد اصحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى يكذب مختلق وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين وقيل ان لهذه الايات ما احتج به موسى في اثبات التوحيد من الحجج العقلية وقيل هي قوله تعالى وقال موسى قراءة العامة بالواو وقرا يحيى هذا وابن كثير وابن محيصن قال ـــــ بلا واو ولذلك في مصحف اهل مكة ربي اعلم من جاء بالهدى اي بالرشاد من عنده ومن تكون قرا الكوفيون بالياء لما يكون بالياء الباقون بالتاء وقد تقدم هذا عاقبة الدار اي دار الجزاء اينا لها صير الامور والشان لا يفلح الظالمون قوله تعالى وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري قال ابن عباس كان بينهما وبين قوله انا ربكم الاعلى اربعون سنة ولذ عبد والله بل علم ان لهم ربا هو خالقه ولكن سالهم عن خلقهم ليبينوا انه قال ـــــ فاوقد لي يا هامان على الطين اي اطبخ الاجر عن ابن عباس رضي الله عنه وقال قتادة هو اول من صنع الاجر وبنى به ولما امر فرعون وزيره هامان ببنا الصرح جمع هامان العمال فبلغ خمسين الف بناء سوى الاتباع والاجراء امر بطبخ الاجر والجص ونشر وقطع الخشب وضرب المناشير فنبوا ورفعوا البنا وشيدوه بحيث لم يبلغه بنيان منذ خلق الله السموات والارض فكان البناي لا يقدر ان يقوم على رأسه شهرا حتى اراد الله ان يفتنهم فيه فحكى السدي ان فرعون صعد الصرح وراى بنشابة نحو السما فرجعت اليه ملطخة بدم فقال قد قتلت اله موسى وروي ان جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى عند مقالته فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاثة قطع فقطعة على عسكر فرعون فقتلت منهم الفا الف وقطعة في البحر وقطعة في العرب وهلك كل من عمل فيه سبا والله اعلم بصحة ذلك واني لاظنه من الكاذب بين الظن هنا ان شئت وكفر على ان شئت لانه قد راى من البراهين ما لا يجيل على دعي فطرة قوله تعالى واستكبر اي تعظم هو وجنوده اي عن الايمان بموسى في الارض بغير الحق اي بالعدوان اي لم يكن له حجة يدفع بها جا به موسى وظنوا انهم الينا لا يرجعون اي توهموا انا لا نعاد ولا نبعث وقرا نافع وابن محيصن وشيبة ونعقوب وحمزة والكسائي لا يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم على انه مسمى الفاعل الباقون يرجعون على الفعل المجهول وهو اختيار ابي عبيد والاول اختيار ابي حاتم فاخذناه وجنوده وكانوا الفي الف وستمائة الف قبيل ناهم في اليم اي طرحناهم في البحر المالح قال قتادة بحر من وراء مصر يقال له اساف اغرقهم الله فيه وقال وهب والسدي المكان الذي اغرقهم الله به ناحية القلزم يقال لبطن صرزه وهو الى اليوم عصيان وقال مقاتل يعني بمر القلزم وهذا ضعيف والمشهور الاول فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين اي اخبارهم وجعلناهم ائمة اي جعلناهم رغما سمون الكفر فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم حتى تكون عقابهم اكثر وقيل جعلهم الله الملا من قومه رؤسا لسفلة منهم فهم يدعون الى جهنم وقيل ائمة يأتم بهم ذوو الغير ويتعظ بهم اهل البصائر يدعون الى النار اي الى عمل اهل النار ويوم القيامة لا ينصرون وانبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي امرنا العباد بلعنهم فمن ذكرهم لعنهم وقيل لزمناهم اللعن اي البعد عن الخير ويوم القيامة هم من المقبوحين اي الممقتين الممقوتين قاله ابن كيسان وابو عبيدة وقال ابن عباس المشوهين الخلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل من المبعدين المقبوحين يقال قبحه الله اي نحاه من كل خير وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عمرو قبحت وجهه بالتخفيف معناه قال ـــــ الشاعر

* لا افتح الله الاراجيم كلما وقبح يربوعا وقبح دارها * وانتقب يوم على الجمل

على الموضع في هذه الدنيا واستغنى عن حرف العطف في قوله من المفتوحين كما استغنى في قوله
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويجوز ان يكون العامل في يوم مضمرا بدلا عليه قوله
وهم من المفتوحين فيكون قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويجوز ان
يكون العامل في يوم قوله هم من المفتوحين وان كان الظرف متقدما ويجوز ان يكون
مفعولا على السعة كانه قال واتينا هم في هذه الدنيا الغنة ولغة يوم الغنيمة قوله تعالى
ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة قاله قتادة قال يحيى بن سلام هو اول كتاب
يعني التوراة نزل فيه الفرائض والحدود والاحكام وقيل الكتاب هنا ستة من المثاني
السبع التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس ورواه مرفوعا من بعد
ما اهلكنا القرون الاولى قال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ما
اهلك الله قوما ولا قرنا ولا امة ولا اهل قرية بعذاب من السماء ولا من الارض منذ انزل
الله التوراة على موسى غير القرية التي مسخت قردة الم تر الى قوله تعالى ولقد اتينا موسى
الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اي من بعد قوم نوح وعاد وثمود وقيل من
بعد ما اغرقنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون بصائر للناس اي اتينا ما الكتاب
بصائر لتبصروا وهدى اي من الضلالة لمن عمل بها ورحمة لمن امن بها لعلهم يتذكرون
اي ليذكروا هذه النعمة فيعتبروا على ايمانهم في الدنيا ويثقوا بثوابهم في الاخرة قوله
تعالى وما كنت يا محمد بجانب الغربي اي بجانب الجبل الغربي قال الشاعر

ك

اعطاك من اعطى المهذب المبينا نورا بان من المسير الغربيا اذ قضينا الى موسى الامر
اي اذ كلفناه امرنا ونهينا وانزلناه عهدنا وقيل اي اذ قضينا الى موسى امرك وذكرنا
تخبر ذكر قال ابن عباس اذ قضينا اي اخبرنا ان امة محمد خير الامم وما كنت من الشاهدين
اي الحاضرين قوله تعالى ولكنا انشانا قرونا اي من بعد موسى فطال عليهم العمر
حتى نسوا الذكر اي عهده وامره ونظيره فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وظاهر هذا
يوجب ان يكون خبرا للنبينا عليه السلام ذكر في ذلك الوقت وان الله سيبعثه ولكن
اطالت المدة وغلبت الفترة فنسي القوم ذلك ولقد اتينا موسى الكتاب واخذنا
على قومه العهود ثم تطاول العهد فكفروا فارسلنا محمدا الحمد والدين ودعا الخلق
اليه وقوله تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين اي مقيما كمقام موسى وشعيبا بينهم قال
العجاج به فبات حيث يدخل الذوي اي الضيف المغتم وقوله تتلوا عليهم اياتنا اي يتذكرهم
بالوعد والوعيد ولكنا كنا مرسلين اي ارسلناك الى اهل مكة وانبأناك كتابه الاخبار وتو
ذلك لما علمنا **قوله تعالى** وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي كما لم تحضر جانب المكان الذي
اذ ارسل الله موسى الى فرعون فذلك لم تحضر جانب الطور اذ نادينا موسى باتنا المبينات
مع السبعين وروي عمر بن دينار رفعه قال ليودي يا امة محمد احبكم قبل ان تدعوني واعطيتكم
قبل ان تسلوني فذلك قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا وقاله ابو هريرة وروى نحوه
عن ابن عباس ان الله تعالى قال يا امة محمد احببتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني
وغفرت لكم قبل ان تستغفروني ورحمتكم قبل ان تستوجبوني قال وهب وذلك ان موسى
لما ذكر الله له فضل محمد قال يا رب ارينيهم فقال الله تعالى انك لن تدركهم وان شئت
نادينهم فاسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله تعالى يا امة محمد فاجابوا من اصلاب
ابائهم فقال قد اجبتكم قبل ان تدعوني ومعنى الاية على هذا ما كنت بجانب الطور اذ كلمنا
فنادينا اتتك واخبرناه بما كتبناه لك ولا اتتك من الرحمة الى احرا لوبنا ولكن فعلنا ذلك
رحمة منا بكم قال الاخفش رحمة نصب على المصدر اي ولكن رحمنا رحمة وقال
الزجاج هو مفعول من اجله اي فعلنا ذلك من اجل الرحمة الخامس اي لتحمد فضلي
الرابع ولا يكتب عليك ولكنا بعثناك واوحينا اليك للرحمة وقال الكسائي على خبر
كان التقدير ولكن كان رحمة قال ويجوز الرفع بمعنى لكن هي رحمة الزجاج الرفع بمعنى
ولكن فعلنا ذلك رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني العرب العذاب
اي لم يشاهد تلك الاخبار ولكن اوحينا اليك رحمة بما ارسلناك اليه لتنذرهم بها لعلهم
يتذكرون **قوله تعالى** ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا قبل لليهود
مصيبة اي عقوبة ونقمة بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي وحصل الابتداء بالذكر
لان القائل من الكتب انما يقع بها جواب لولا محذوف اي لولا ان تصيبهم عذاب
لبعثناك ما صيبهم المتقدمة فيقولون ربنا لولا اي هلا ارسلت الينا رسولا

لما بعثت الرسل وقبله لقاتلناهم بالعقوبة وبعث الرسل ازاحة لعذر الكفار كما
تقدم في سبحني واحرطه فتتبع اياك نضب على جواز التخصيص ويكون عطف
عليه من المؤمنين من المصدقين وقد احتج بهذه الاية من قال ان العقل يوجب
الايمان والشكر لانه قال لما فترت ايجابهم وذلك موجب للعقاب اذ لو لم تجب
قبل بعثة الرسل وانما يكون ذلك بالعقل قال القشيري والصحيح ان المحذوف
لو لاكرا لما احتيج الى تحذيره الرسل اي هؤلاء الكفار غير معذورين اذا بلغتهم
الشرايع السالفة والدعاء الى التوحيد ولكن نطاول العهد فاوعدناهم فقد يقول
قايل منهم طال العهد بالرسل وربما ان ذلك عذر ولا عذر لهم بعد ان بلغهم خبر
الرسل ولكن اكملنا لهم زواجر التعذير وانمحنا البينات فبعثناك يا محمد اليهم وقد
حكم الله بانه لا يعاقب عبدا الا بعد كمال البيان والحجة وبعثة الرسل وقد تم
هنا فلما جاءهم الحق من عندنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا لعنى كفار مكة
لولا اي هلا اوتي مثل ما اوتي موسى يعني من العصا واليد البيضاء وانزل عليه القرآن
جملة واحدة كالتوراة وكان بلغهم ذلك من امر موسى قبل مجيء محمد فقال الله تعالى اولم
يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا اي موسى ومحمد تعاونا على السحر
قال الكلبي بعث قريش الى اليهود وسالوهم عن نعت محمد وشانه فقالوا انا نجد في
التوراة نعته وصفته فلما رجع الجواب اليهم قالوا ساحران تظاهرا وقال قوم
ان اليهود علما المشركين وقالوا قولوا لمحمد لولا اوتي مثل ما اوتي موسى ما اذا اوتي
التوراة دفعة واحدة فهذا الاحتجاج وارد على اليهود بما اوتي موسى اولم يكفروا هؤلاء
حين قالوا في موسى وهرون هما ساحران وانا بكل كافرون اي واليهود انا كافرون
بكل واحد منهما وقرأ الكوفيون سحران بغير الف الانجيل والفرقان وقيل التوراة هو
والفرقان قاله الفراء وقيل التوراة والانجيل قاله ابو رزين الباقون ساحران
بالف وفيه ثلاثة اقاويل احدها موسى ومحمد عليهما السلام وهذا قول مشركي العرب
وبه قال ابن عباس والحسن الثاني قتيل موسى وهرون وهذا قول اليهود لهما
في ابتداء الرسالة وبه قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد فيكون الكلام احتجاجا
عليهم وهذا يدل على ان المحذوف في قوله ولولا ان تقديرهم مصيبة لما حددنا نبعثه
الرسل لان اليهود اعترفوا بالنبوات ولكنهم حرفوا وغيروا واستحقوا العقاب فقد
قد اكملنا ارجاء عذرهم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم الثالث عيسى ومحمد صلى الله عليهما
وسلم وهذا قول اليهود اليوم وبه قال قتادة وقيل لم يكفروا جميع اليهود بما اوتي
موسى في التوراة من ذكر المسيح وذكر الانجيل والفرقان قرأ عيسى ومحمد ساحران
والكتابين سحر **قوله تعالى** قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما
اتبعه اي قل يا محمد اذ كفرتم بما اتى المشركين بهذين الكتابين فاتوا بكتاب من
عند الله هو اهدى منهما اتبعه فيكون ذلك عذرا لكم في الكفر ان كنتم صادقين في
انهما سحران او فاتوا بكتاب هو اهدى منهما من كتابي موسى ومحمد عليهما السلام
وهذا لهوى قراءة الكوفيين سحران اتبعه قال الفراء بالرفع لانه صفة للكتاب
وكتاب نكرة قالوا واذا اجزمت وهو الوجه فعلى الشرط **قوله تعالى** فان لم يستجيبوا
لك يا محمد ان ياتوا بكتاب من عند الله فاعلم انما يتبعون اهواءهم اي اراء قلوبهم وما
يستحسنونه ويحبونه لهم الشيطان وانه لا حجة لهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير
هدى من الله اي لا احد اضل منه ان الله لا يهدي القوم الظالمين **قوله تعالى**
ولقد وصلنا لهم القول اي اتبعنا بعضه بعضا وبعثنا رسولا بعد رسول وقرأ
الحسن وصلنا مخففا وقال ابو عبيدة والاخفش معنى وصلنا اتممنا كصلنا
الشيء وقال ابن عبيدة والسدي بينا وقال ابن عباس وقال مجاهد فصلنا
وكذلك كانت بقراها وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الاخرة حتى كانهم
في الاخرة في الدنيا وقال اهل المعاني والنبأ وثابعنا القرآن تتبع بعضه
بعضا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا وقضايا ومواعظ ارادة ان يتذكروا
فيفلحوا واصلها من وصل الحبال بعضها ببعض قال الشاعر

فقل لبني مروان ما بال ذمه ... وحبل ضعيف ما زال يوصل

وقال امرؤ القيس

والضمير في لهم لقريش عن مجاهد وقيل هو لليهود وقيل هو لهم جميعا والآية رد على من قال لهل
الاولى محمد القرآن جملة لعلهم يتذكرون قال ابن عباس يتذكرون محمد ينبوتون به وقيل
يتذكرون فيجاوزون ان ينزل بهم ما نزل من قبلهم قاله علي بن عيسى وقيل لعلهم يتعظون
بالقرآن عن عبادة الاصنام حكاه النقاش قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب من قبله
هم به يؤمنون اخبار ان قوما ممن اوتوا الكتاب من بني اسرائيل من قبل القرآن يؤمنون بالقرآن
كعبد الله بن سلام وسلمان ويدخل فيه من اسلم من علماء النصارى وهم اربعون رجلا
قدموا مع جعفر بن ابي طالب المدينة اثنان وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية نفر
اقبلوا من الشام وكانوا ايمة النصارى منهم بحيرا الراهب وابرهة والاشرم وعامر
وادريس ونافع كذا سماهم الماوردي وانزل الله تعالى فيهم هذه الآية والتي بعدها
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا قاله قتادة وعنه انها نزلت في عبد الله بن سلام
وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي اسلموا فنزلت فيهم هذه الآية وعن
رفاعة ابن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقال الزهري نزلت في النجاشي واصحابه وهم
اثنى عشر رجلا فجلسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو جهل واصحابه قريبا منهم هم
قاموا بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما قاموا من عنده تبعهم ابو جهل ومن معه فقال لهم
خيبكم الله من ركب وقبحكم من وفد لم تلبثوا ان صرفتموه وما رأينا ركبا احمق منكم ولا
اجهل فقالوا سلام عليكم لم نأل انفسنا رشدا انا اعمالنا ولكم اعمالكم وقد تقدم هذا في المائدة
عند قوله واذا سمعوا ما انزل الى الرسول مستوفى وقال ابو العالية هؤلاء قوم امنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد ادركه بعضهم من قبله اي من قبل القرآن وقيل
من قبل محمد صلى الله عليه وسلم هم به اي بالقرآن او بمحمد عليه السلام يؤمنون واذا
يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا اي اذا قرئ عليهم القرآن قالوا صدقنا بما
فيه انا كنا من قبله اي من قبل نزوله او من قبل بعثة محمد عليه السلام مسلمين موحدين
او مؤمنين بانه سيبعث محمد وينزل عليه القرآن **قوله تعالى** اولئك يؤتون اجرهم
مرتين بما صبروا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ثبت
في صحيح مسلم عن ابي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للذي يؤتون اجرهم مرتين
رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وادرك النبي صلى الله عليه وسلم فامن به واتبعه
وصدقه فله اجران وعبد مملوك ادى حق الله عز وجل وحق سيده فله اجران ورجل
كانت له امة فغذاها فاحسن غذاها ثم ادبها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها فله
اجران قال الاسمري للحراساني خذ هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما
دون هذا الحديث الى المدينة وخرجه البخاري ايضا فالعلماء لما كان كل واحد من
هؤلاء مخاطبا بامرين من جهتين استحق كل واحد منهم اجرين كالكتابي كان مخاطبا
من جهة نبيه ثم انه خوطب من جهة نبينا فاجابه واتبعه فله اجران لهذين وكذلك
العبد هو مأمور من جهة الله تعالى ومن جهة سيده ورب الامة لما قام بما خوطب به
من تربية امته وادبها فقد حيا لها حياة الترتيب ثم انه لما اعتقها وتزوجها احيا
حياة الحرية التي الحقها فيه بمنصبه فقد قام بما امر فيهما فاجر كل واحد منهما اجرين
ثم ان كل واحد من الاجرين مضاعف في نفسه الحسنة بعشر امثالها فتضاعف
الاجور وكذلك قيل ان العبد الذي يقوم بحق سيده وحق الله تعالى افضل من الحر
وهو الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وغيره وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبد المملوك المصلح اجران لهم والذي نفس ابي هريرة بيده
لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر امي لاحببت ان اموت وانا مملوك قال سعيد بن المسيب
وبلغنا ان ابا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت امه لصحبتها وفي الصحيح ايضا عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعما للعبد المملوك ان يتوفى يحسن عبادة الله
وصحابه سيده ونعما له **الثانية** قوله تعالى بما صبروا اعلم ان صبرهم على ملتهم
على هذه وعلى الاذى الذي يلقونه من الكفار وعبر ب عن قوله تعالى ويدرؤون بالحسنة
السيئة اي يدفعون ويزيلون اذا دفعت والدرء الدفع وفي الحديث ادرؤا الحدود
بالشبهات ما استطعتم وقيل يدرؤون قيل يدفعون بالاحتمال والكلام الحسن
الاذى بالتوبة والاستغفار الذنوب وعلى الاول فهو وصف لمكارم الاخلاق اي من قال
لهم سوءا لم يسبوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه فهذه اية مهادنة وهي من صدر

ها

الاسلام وهي مما نسخته اية السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر بتباطاه امته محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة ومنه قوله عليه السلام لمعاذ واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ومن الخلق الحسن دفع المكروه والاذى والصبر على الجفا والاعراض عنه ولين الحديث **الرابعة قوله تعالى** ومما رزقناهم ينفقون اثنى عليهم بانهم ينفقون اموالهم في الطاعات وفي رسم الشرع وفي ذلك الحض على الصدقات وقد يكون الانفاق من الابدان بالصوم والصلاة ثم مدحهم ايضا على اعراضهم عن اللغو كما قال واذا مروا باللغو امروا كراما اي اذا سمعوا ما قال لهم المشركون من الاذى والشتم اعرضوا عنه اي لم يشتغلوا به وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم اي متاركة مثل قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي لما دينا ولكم دينكم سلام عليكم اي امنا لكم منا فانا لا نحاربكم ولا تشابكم وليس من التحية في شيء قال الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال ولا ينبغي الجاهلين اي لا نطلبهم للجدال والمراجعة والمشاتمة **قوله تعالى** انك لا تهدي من احببت الاية قال الزجاج اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي طالب قلت والصواب ان نقال اجمع جل المفسرون على انها نزلت في شان ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وهو نص البخاري ومسلم وقد تقدم ذلك في براءة وقال ابو سريج قوله ولكن الله يهدي من يشاء اشارة الى العباس وقاله قتادة وهو اعلم بالمهتدين قال مجاهد لمن قدر له ان يهتدي وقيل معنى من احببت اي من احببت ان يهتدي قال جبير بن مطعم لم يسمع احد الوحي يلقى على النبي صلى الله عليه وسلم الا ابو بكر الصديق فانه سمع جبريل وهو يقول يا محمد انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء **قوله تعالى** وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا هذا قول مشركي مكة قال ابن عباس قال ذلك من قريش الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف القرشي قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان ما تقول حق ولكن يمنعنا ان نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة ان تتخطفنا العرب من ارضنا يعني مكة لاجتماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم وكان هذا من جهلهم فاجاب الله تعالى عما اعتلوا به فقال اولم نمكن لهم حرما امنا اي ذا امن وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة امنون حيث كانوا لتعظيمهم الحرم فاخبر انه فعل ذلك امنهم لحرمة البيت ومنع عنهم عدوهم ولا يجاوزون ان تستحل العرب حرمة في قتالهم والتخطف الانتزاع بسرعة وقد تقدم قال يحيى بن سلام يقول كنتم امنين في حرمي تأمنون رزقي وتقيمون بخيري افتخافون اذا اسلمتم تمنعون وامنتم بي يجبى اليه ثمرات كل شيء اي يجمع اليه الثمرات ثمرات كل ارض وبلد عن ابن عباس وغيره يقال جبا الماء الحوض اي جمعه والجابية الحوض العظيم وقرا نافع تجبى بالتاء لاجل الثمرات الباقون بالياء لقوله كل شيء واختاره ابو عبيدة قال لانه حال بين المؤنث وفعله فاصل وايضا فان الثمرات جمع وليس بتانيث حقيقي رزقا من لدنا اي من عندنا ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا يعقلون اي هم غافلون عن الاستدلال وان من رزقهم وامنهم فيما مضى حال كفرهم برزقهم لو اسلموا ويمنع الكفار بعضهم في اسلامهم ورزقا نصب على المفعول من اجله ويجوز نصبه على المصدر بالمعنى لان معنى يجبى يرزقنا وقرا يحيى بالنون من الحباء تقدم بيانه الى قوله تجبى اليه وبجبى الى الحاقه **قوله تعالى** وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اي لمن توهم انه لو امن لعاجلته المنية ان الخوف في ترك الايمان اكثر فكم من قوم كفروا ثم هلكهم البوار والمطر الطغيان بالنعمة قاله الزجاج اي بطرت معيشتها فلما حذف في نقدي العقل قاله الماوردي لقوله واختار موسى قومه سبعين رجلا الفراء هو منصوب على التفسير كما قال ابطرك مالك وبطرته ونظيره عندي الا من سفه نفسه وكذا عندهم فان طابت لكم عن شيء منه نفسا وصب المعارف على التفسير محال عند البصريين لان معنى التفسير والتمييز ان يكون واردا بكره يد لعلي الجنس وقيل انتصب بطرت بطرت جملت فالمعنى بطرت حملت شكر معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا اي لم تسكن بعد هلاك اهلها الا قليلا من المساكن واكثرها خراب والا مستثنا يرجع الى المساكن اي بعضها يسكن قاله الفراء واعترض عليه فقيل لو كان كذلك فان الا مستثنا يرجع الى المساكن لقال الا قليلا لانك تقول القوم لم يضرب الا

قيل

قليلا انك تقول القوم لم يضرب الا قليل يرفع اذا كان المضروب قليلا واذا نصبت كان القليل
صفة للمضرب اى لم يضرب الا ضربا قليلا فالمعنى اذا قلت مساكنهم لم يسكنها الا المسافرون
عبر يا لطريق يوما او بعض يوم اى لم تسكن من قبلهم الا سكونا قليلا وكذا قال ابن عباس
لم يسكنها الا المسافر او نهار الطريق يوما او بعضه وكنا نحن الوارثين اى لما حلفوا بعد هلاك
كلهم **قوله تعالى** وما كان ربك مهلك القرى اى القرى الكافرة اهلها حتى يبعث في امها
رسولا قرى بضم الهمزة وكسرها الامهات الجر يعنى مكة ورسولا يعنى محمدا صلى الله عليه
وسلم وقيل في امها يعنى في اعظمها رسولا يبذر هم وقال الحسن في اوليها قلت مكة
اعظم القرى لعرمها واولها لقوله ان اول بيت وضع للناس رخصت بالاعظم لبعثة
الرسول فيها لان الرسل بعثت الى الاشراف وهم ليسكنون المدائن وهي ام ما حولها وقد
مضى هذا المعنى في اخر سورة يوسف تتلوا عليهم اياتنا تتلوا في موضع الصفة اى
تاليا اى تخبرهم ان العذاب ينزل بهم ان لم يوحدوا وما كنا مهلكي القرى وسقطت
النون للاضافة مثل الظالمي اهلها الا واقلها ظالمون اى ان لم اهلكهم الا وقد استحقوا
الهلاك لاصرارهم على الكفر بعد الاعذار اليهم وفي هذا بيان لعدلوا وتعديد عن
الظلم اخبر تعالى انه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين
الا بعد تاكيد الحجة والاكثار من بعثة الرسل ولا يحمل عليه باحوالهم حجة عليهم وتنزه ذاته
ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وعز من قائل وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها
مصلحون فنص في قوله بظلم اى بالشرك وهم مصلحون لكاذ ذلك ظلما لهم منه وان
حال النفي عناه وحكمته ما قبله للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لانه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم **قوله تعالى** وما اوتيتم من شيء اى اهل مكة فمتاع الحياة الدنيا وزينتها اى
يتمتعون بها مدة حياتكم ثم تموتون فما انتم تنزلوا عنها او تزول عنكم وما عند الله خير اى
ايما افضل واد وم يريد الدار الاخرة وهي الجنة افلا تعقلون انها الباقية افضل من الفانية
وقرا ابو عمرو ويعقلون يا ايها الباقون يا ايها على الخطاب وهو الاختيار لقوله وما اوتيتم
قوله افمن وعدناه وعدا حسنا هو الجنة وما فيها من الثواب لكل من اتقاه متاع
الحياة الدنيا فاعطى منها بعض ما اراد ثم هو يوم القيامة من المحضرين اى في النار وتظيره
قوله ولولا ان يحزنني لكنت من المحضرين قال ابن عباس نزلت في حمزة بن عبد المطلب وفي ابي
جهل بن هشام وقال مجاهد نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل بن هشام وقال مقاتل
محمد بن كعب نزلت في حمزة وعلي وفي ابي جهل وعمارة بن الوليد وقيل في عمار والوليد بن المغيرة
قاله السدي قال الفشيري والصحيح انها نزلت في المومن والكافر على التعميم التقابلي
وبالجملة فانها نزلت في كل كافر متنع في الدنيا بالعافية والعناوله في الاخرة النار وفي كل مومن
صبر على بلاء الدنيا نقمه وعداه وله في الاخرة الجنة **قوله تعالى** ويوم ينادي بهم اى ينادي
الله يوم القيامة هؤلاء المشركين فيقول اين شركائي زعمكم انهم ينصرونكم ويشفعون لكم قال
الذين حق عليهم القول اى حقت عليهم كلمة العذاب وهم الروساء قاله الكلبي وقال قتادة
هم الشياطين ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي دعونا هم الى الغي فقبل لهم اغووهم قالوا اغوينا
كما غوينا يعنون اضللناهم كما كنا ضالين تبرانا اليك اى تبرا بعضنا من بعض والشياطين
يبرؤن ممن اطاعهم والروساء يتبرؤن ممن قبل منهم كما قال الملا ء لموسى بعضهم لبعض
عدوا الا المتقين **قوله تعالى** وقيل للكفار ادعوا شركاءكم اى استغيثوا بالهتكم التي
عبدتموها في الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم فدعوهم اى استغاثوا بهم فلم يستجيبوا اى
فلم يجيبوهم ولم ينفعوا بهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون قال الزجاج جواب
لو محذوف والمعنى لو انهم كانوا يهتدون لاتاهم الهدى ولما صاروا الى العذاب لو انهم
كانوا يهتدون في الدنيا اذا راوا العذاب يوم القيامة ما ذا اجبتم المرسلين اى
يقول الله لهم ما كان جوابكم لما ارسل اليكم من النبيين لما بلغوكم رسالاتي فعميت
عليهم الانبياء يومئذ اى خفيت عليهم الحجج قاله مجاهد لان الله قد اعذر اليهم في الدنيا
فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة ولا ينسأ الاخبار سمي حجتهم انباء لانها اخبار
يخبرونها فهم لا يتساءلون اى لا يتساءل بعضهم بعضا عن الحجج لان الله تعالى ادحض
حجتهم قاله الضحاك وقال ابن عباس لا يتساءلون اى لا ينطقون بحجة وقيل لا
يتساءلون في تلك الساعة ولا يذكرون ما يجيبون به من هول تلك الساعة

ثم يجتمعون بعد ذلك كما اخبر عن قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقال مجاهد لا يتساءلون هم بالانساب وقيل لا يسأل بعضهم بعضا ان يحمل من ذنوبه شيئا حكاه ابن عيسى **قوله تعالى** فاما من تاب اي من الشرك وآمن اي صدق وعمل صالحا اي بالفرائض واكثر من النوافل فعسى ان يكون من المفلحين اي من الفائزين بالسعادة وعسى من الله واجبة **قوله تعالى** وربك يخلق ما يشاء ويختار هذا متصل بذكر الشركاء الذين عبدوهم واختاروهم للشفاعة اي اختارا لله تعالى في الشفعا لا الى المشركين وقيل هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه وعم وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف وقيل هو جواب اليهود لطاعنة وقال يحيى بن سلام المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه ويختار من خلقه من يشاء للنبوة وحكى الثعلبي ان المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه يعني محمد صلى الله عليه وسلم ويختار الانصار لدينه قلت وفي كتاب البزار مرفوعا صحيحا عن جابر ان الله تعالى اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي اربعة يعني ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابي وفي اصحابي كلهم خيرا واختارا مني على سائر الامم واختار لي من امتي اربعة قرون وحكى سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب ابن منبه عن ابيه في قوله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار قال من النعم الضان ومن الطير الحمام والوقف التام ويختار قال علي بن سليمان هذا وقف تام ولا يجوز ان يكون ما في موضع نصب بيختار لانها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها هاء قال في هذا رد على القدرية قال النحاس يا ثابت ويختار اي يختار الرسل ما كان لهم الخيرة اي ليس لرسول من اختاروه هم وقال ابو اسحق ويختار هذا الوقف التام هو المختار ويجوز ان يكون ما في موضع نصب بيختار ويكون المعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة قال الفشيري والصحيح الاول لاطباقهم الوقف على قوله ويختار قال المهدوي وهو اشبه بمذهب اهل السنة وما في قوله ما كان لهم الخيرة نفي عام لجميع ما شاء ان يكون للمعتدفيها شيء سوى اكتسابه بقدرة الله عز وجل المرتشري ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه يختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله تعالى في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها اي ليس لاحد من خلقه ان يختار على الله واجاز الزجاج وغيره ان تكون ما منصوبة بيختارون انكر الطبري ان تكون ما نافية ليلا يكون المعنى انهم لم يكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم فيما يستقبل ولا يلزم بهذا كلام يبقى قال المهدوي ولا يلزم ذلك لان ما يتفي الحال والاستقبال كليس وكذلك عملها ولان الاية كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم على ما يسأل عنه وعلى ما هم مصرون عليه من الاعمال فان لم يكن ذلك في النص وتقديره الا ينبغ عند الطبري ويختار لولا نفي الخيرة من خلقه لان المشركين كانوا يختارون خيارا موالهم فيجعلونها لالهتهم فقال الله تبارك وتعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار للهداية من خلقه من سبقت له السعادة في علمه كما اختار المشركون خيارا موالهم لالهتهم مما على هذا المن يعقل وهي بمعنى الذي والخيرة رفع بالابتداء ولهم الخيرة والجملة خبر كان وشبهه بقوله كان زيد ابوه منطلق وفيه ضعف اذ ليس في الكلام عائد يعود على اسم كان الا ان يقدر فيه حذف فيجوز على بعد وقد روي معنى ما قاله الطبري عن ابن عباس قال الثعلبي وبنا ينبغي ان لا يكون لهم الاختيار على الله وهذا صواب لقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم فهذا الصواب قال محمد الوراق من توكل على الرحمن في كل حاجة اردت فان الله يقضي ويقدر

اذا ما مرد والامر شرا بعبده نصبه وما للعبد الا بخيره

وقد يهلك الانسان من وجه حذره ويخبو بحمد الله من حيث يحذر

وقال اخر العبد يصحر والرب ذو قدر والدهر ذو دول والرزق مقسوم

والخير اجمع فيما اختار خالقنا وفي اختيار سواه اللوم والشوم قال بعض العلما لا ينبغي لاحد ان يقدم على امر من امور الدنيا حتى يسأل الله الخيرة في ذلك وذلك بان يصلي ركعتين صلاة الاستخارة يقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الركعة الثانية قل هو الله احد وسورة الاخلاص واختاره بعض المشايخ ان يقرأ في

لطامته

الركعة

الركعة الاولى وربك يخلق ما يشاء ويختار الاية وفي الركعة الثانية وما كان لمؤمنة ولا مؤمنة اذا قضى
الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم وكل حسن ثم يدعو بهذا الدعاء بعد التسليم وهو
ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة
في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة
ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك
تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي
في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال في عاجل امري واجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه
اللهم وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة امري او قال
في عاجل امري واجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال
ويسمي حاجته وروت عائشة عن ابي بكر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا اراد قال اللهم خر واختر لي ٥ وروي انه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له
يا انس اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى ما يسبق قلبك فان الخير
فيه قال العلماء وينبغي له ان يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون ما يلا الى امر من
الامور فقد ذلك ما يسبق الى قلبه يعمل عليه فان الخير فيه ان شاء الله وان عزم على
سفر فسوحي لسفره يوم الخميس او يوم الاثنين افتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم نزه نفسه سبحانه بقوله الحق فقال سبحان الله اي تنزيها وتعالى اي تقدس
ويمجد عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يظهرون وقرا ابن محيصن
وحميد تكن بفتح التاء وضم الكاف وقرئ لتغتر لهذا في الثمل بمدح سبحانه بانه عالم الغيب ٥
والشهادة لا يخفى عليه شيء وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم والاليه
ترجعون تقدم معناه وانه المتفرد بالوحدانية وان جميع المحامد انما تجب له وانه لا حكم الا له
والاليه المصير **قوله تعالى** قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا اي دايما ومنه قول طرفة

لعمرك ما امري على بغمة نهاري ولا ليلي على بسرمد

بين سبحانه انه مهد اسباب المعيشة ليقوموا بشكر نعمه من اله غير الله ياتيكم بضياء اي
بنور تطلبون فيه المعيشة وقيل بنهار تتصرفون فيه في معايشكم ومصالح فيه النهار هو
والليل ٥ افلا تسمعون سماع فهم وقبول قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا
الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه اي تستمرون من التصرف
افلا تبصرون ما انتم فيه من الخطا في عبادة غيره فاذا افترتم بانه لا يقدر على اتيان الليل
والنهار غيره فلم يشركون به ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
اي فيهما وقيل الضمير للزمان وهو الليل والنهار ولتبتغوا من فضله اي لتطلبوا من رزقه
فيه اي في النهار بحذف ولعلكم تشكرون الله على ذلك **قوله تعالى** ويوم يناديهم
فيقول اي شركائي الذين كنتم تزعمون اعاد هذا الضمير لاختلاف الحالين بنادون مرة هم
فيقال لهم اين شركائي الذين كنتم تزعمون الاصنام فلا يستجيبون فتظهر حيرتهم ثم
ينادون من اخرى فيسكتون وهو توبيخ وزيادة حسرة خزي والمنادى هنا ليست
من الله لان الله لا يكلم الكفار لقوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم القيامة لكنه تعالى يامر
من يوبخهم ويبكتهم ويقيم الحجة عليهم في مقام الحساب وقيل يحتمل ان يكون من الله وقوله
لا يكلمهم الله خبر كما تقول لهم اخسوا فيها ولا تكلمون وقال شركاؤهم لانهم جعلوا لهم
نصيبا من اموالهم **قوله تعالى** ونزعنا من كل امة شهيدا اي نبيا عن مجاهد وقيل
هم عدول المؤمنة ليشهدوا على العباد باعمالهم في الدنيا والاول اظهر لقوله تعالى فكيف
اذا جينا من كل امة شهيدا وجينا بك على هؤلاء شهيدا وشهيد كل امة رسولها الذي
يشهد عليها والشهيد الحاضر اي احضروا رسولهم المبعوث اليهم فقلنا هاتوا برهانكم
اي حجتكم فعلموا ان الحق لله اي علموا صدق ما جاءت به الانبيا وضل عنهم اي ذهب عنهم
وبطل ما كانوا يفترون اي يختلقونه من الكذب على الله تعالى تعالى من ان يكون له
الهة تنعد **قوله تعالى** ان قارون كان من قوم موسى لما ذكر تعالى وما اوتيتم
من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها بين ان قارون اوتيها واغتر بها ولم ينفعه من
عذاب الله كما لم ينفع فرعون وانتم ايها المشركون باكثر عددا ومالا من قارون ثم
وفرعون فلم ينفع فرعون جنوده واموالهم ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه
قال النخعي وقتادة وغيرهما كان ابن عم موسى لحاد هو قارون بن يصهر بن قاهث

نكم

ابن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقال ابن اسحق كان عم موسى لاب وام وقيل كان ابن خالته ولم يبصر للعجمة والتعريف وما كان على وزن فاعول اعجميا لا يحيز تنكيره الالف واللام ولم ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة فان حذفت منه الالف واللام انصرف ان كان اسما مذكرا نحو طاوس وراقود قال الزجاج ولو كان قارون ممن تقرب الى الله لم ينصرف فبغى عليهم بغيه انه ترك زايدة في طول ثوبه شبرا قاله شهر بن حوشب وفي الحديث لا ينظر الله الى من جر ازاره بطرا وقيل بغيه كفره بالله عز وجل قاله الضحاك وقيل بغيه استخفافه بهم لكثرة ماله وولده قاله قتادة وقيل بغيه بسببه ما اتاه الله من الكنوز الى نفسه بعلمه وحيلته قاله ابن جبير وقيل بغيه قوله اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي فروى انه لما جاوزهم موسى البحر وصارت الرسالة لموسى والحبورة لهرون بغى قارون وكون رئاسة بنى لاوي فيهم وكان القربان لموسى فجعله موسى الى اخيه وحسد قارون لنفسه وحسدهما فقال لموسى لا مرلكما وللبيوتي التي الى منى اصغر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا صدقك حتى يأتي كل واحد منهم بعصاه فجمعها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه منها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر كانت من سمر اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما يصنع من الشجر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم وقال يحيى بن سلام وابن المسيب كان قارون عاملا لفرعون على بني اسرائيل فتعدى عليهم وظلمهم وكان منهم وقول سابع روي عن ابن عباس قال لما امر الله تعالى موسى رحم الزنا في عمد قارون الى امرأة بغي فاعطاها مالا فحملها على ان ادعت على موسى انه زنى بها ففعلت فقام على موسى فذكر لها الله الذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل التوراة على موسى لما صدقت فلما ذكرها الله فقالت اشهد انك بري وان قارون اعطاني مالا وحملني الى ان قلت ما قلت وانت الصادق وقارون الكاذب فجعل الله امر قارون الى موسى وامر الارض ان تطيعه فجاء وهو يقول للارض يا ارض خذيهم وهي تأخذه شيأ فشيأ وهو يستغيث يا موسى الى ان ساخ في الارض هو ودارة وجلساره الذين كانوا على مذهبه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى استغاث بك عبادي فلم تغثهم اما انهم لو دعوني لوجدوني قريبا مجيبا ذكر ابن جريج بلغنا انه يخسف بهم كل يوم قامة فلا يبلغون الى سفل الارض الى يوم القيامة وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الفرج حدثني ابراهيم بن راشد قال حدثني داود بن مهران عن الوليد بن مسلم عن مروان بن حماد عن يونس بن ميسرة بن حلبس قال لقي قارون يونس في ظلمات البحر فناداه قارون يونس فقال يا يونس تب الى الله فانك تجده عندا ولقد تاب الله على من هو اعظم منك ذنبا فقال يونس ما صنعت من التوبة فقال ان توبتي جعلت الى ابن عمي فابى ان يقبل مني وفي الخبر اذا دخل قارون الى قرار الارض السابعة نفخ اسرافيل في الصور والله اعلم قال السدي وكان اسم البغي سيرثما وبذلها قارون الف درهم فقالت وكان قطع البحر مع بني اسرائيل وكان ليبي المنور من حسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري

قوله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء قال عطاء ما ان كنز من كنوز يوسف عليه السلام وقال الوليد بن مروان انه كان يعمل الكيميا ما ان مفاتحه وان واسمها وخبرها في صلة ما وما مفعولة انيناه قال الفراء وسمعت علي بن سليمان يقول ما افتح ما يقول الكوفيون في الصلات انه لا يجوز ان يكون صلة الذي واخواتها ان وما عملت فيه وفي القرآن ما ان مفاتحه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به ومن قال مفتاح قال مفاتيح ومن قال هي الخزائن فواحدها مفتح بالفتح لتنوء بالعصبة احسن ما قيل فيه ان المعنى لتنئ العصبة اي تميلهم بثقلها فلما انفتحت الباء دخلت اللام كما قالوا هو يذهب بالبوس ويذهب للبوس واغمضا لتنوء بالعصبة تنوء اي بثقلها مفاتحه كقوله قم بنا اي اجعلنا نقوم بقال ناء ينوء اذا نهض بثقل قال الشاعر

تنوء باخراها ثلاثا فقيامها ... ويمشي الهوينا عن قريب فتبهر

وقال اخر

اخذت فلم املل وبوئت فلم اسم كابي من طول الزمان متيد

وناي وانا بي اذا انفتح عن ابن دريد وقال ابو عبيدة قوله لتنوء بالعصبة مقلوب والمعنى لتنوء بها العصبة اي تنقض بها ابو زيد نؤت بالحمل اذا نهضت قال الشاعر

انا وجدنا خلفا بئس الخلف ... عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف

والاول معنى قول ابن عباس وابي صالح والسدي وهو قول الفراء واختاره النحاس كما

فقال ذهبت به واذهبته وجئت به واجأته وابأته وفوت به فما وافق لهم عندي فاسماه وناه فهو اتباع كان يجب ان يقال واناه ومثله هنالك الشيء ومراني واجره فما فزم وفاجرت وفيه هو ما خوذ من الناي وهو البعد ومنه قولهم للشاعر

تنون عنا وتابناي مودتهم فالقلب فيهم رهين حيث ما كانوا او المذكور

وقرا الوقفل من ميسرة لينوء بالبا اي لينوء الواحد منها فحمل على المعنى وقال ابو عبيدة قلت لرويبة ابن العجاج في قوله ذي فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق

ان كنت اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانها فقال اردت كل ذلك واختلف في العصبة وهي الجماعة التي تنقص لعصبهم لبعض على احد عشر قولا الاول ثلثة رجال قاله ابن عباس وعنه ايضا من الثلاثة الى العشرة وقال مجاهد العصبة هنا ما بين العشرين الى خمسة عشر وعنه ايضا من عشرة الى خمسة ذكر الاول الثعلبي والثاني الثعتبري والثالث الماوردي والثالث المهدوي وقال ابو صالح والحكم بن عيينة وقتادة والضحاك اربعون رجلا السدي ما بين العشرة الى الاربعين وقاله قتادة ايضا وقال عكرمة ما بين العشرة الى الاربعين وقال عكرمة منهم من يقول اربعون ومنهم من يقول سبعون وهو قول ابي صالح ان العصبة سبعون رجلا ذكره الماوردي والاول ذكره عنه الثعلبي وقيل ستون رجلا وقال سعيد بن جبير ستة او سبع وقال عبد الرحمن بن زيد ما بين الثلاثة والتسعة وهو النفر وقال الكلبي عشرة لقول اخوة يوسف ونحن عصبة وقاله مقاتل وقال الحسين وحدث في الانجيل ان مفاتيح خزائن قارون وزستون بغلا غر محمله وانها لتنوء بما من ثقلها ما يريد يفتح منها على اصبع لكل مفتح منها كنز مال لو اقتسم ذلك الكنز على اهل البصرة لكفاهم قال مجاهد كانت المفاتيح من جلود الابل وقيل من جلود البقر ليخف عليه وكانت تحمل معه اذا ركب على سبعين بغلا كما ذكر الثعتبري وقيل على اربعين بغلا وهو قول الضحاك وعنه ايضا ان مفاتحه اوعيته وكذا قال ابو صالح ان المراد بالمفاتيح الخزائن فالله اعلم اذ قال له قومه اي المومنون من بني اسرائيل قاله السدي وقال يحيى بن سلام القوم هنا نوه وقاله الفراء قال وهو جمع اريد به واحد كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس وانما هو نعيم ابن مسعود على ما تقدم لا تفرح اي لا تاشر ولا تبطر ان الله لا يحب الفرحين ابو العباس هو المبرد قال مجاهد والسدي قال الشاعر

ولست بمفراح اذا الدهر سرني ولا ضارع في حرقة المتلمس

وقال الزجاج المعنى لا يفرح بالمال فان الفرح بالمال لا يودي حقه وقال محمد بن عبد الله لا يفرح ولا يبتهج قال الشاعر

اذا انت لم تبرح تودي امانة وتحمل اخرى افرحتك الودائع

اي افسدتك وقال ابو عمرو وافراحها الدين اي المثقلة وانشد

اذا انت اتيت البيت وافرحه سرورا فهو مستزل قال الزجاج والفرح والفارحين سواء وفرق بينهما الفراء فقال معنى الفرحين الذين هم في حال فرح والفارحين الذين يميزون في المستقبل وزعم ان مثله طمع وطامع وسبت وسابت وبدل على خلاف ما قال قول الله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ولم يقل سائت وقال مجاهد ايضا معنى لا يفرح لا يسع ان الله لا يحب الفرحين ابو العباس قال ابن سجر لا تبخل ان الله لا يحب الباخلين **قوله تعالى** وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اي اطلب فيما اعطاك الله من الدنيا الدار الاخرة وهي الجنة فان حق المومن ان يصرف الدنيا فيما ينفعه في الاخرة لا في التخمر واللعب ولا تنس نصيبك من الدنيا اختلف فيه فقال ابن عباس والجمهور لا تضيع عمرك في ان لا تعمل عملا صالحا في دنياك اذ الاخرة انما تعمل لها فنصيب الانسان من عمره عمله الصالح فيها فالكلام على هذا التاويل فيه حذف وتقديره في الموعظة وقال الحسن وقتادة معناه لا يمنعك حظك من دنياك في ان تمتعك بالحلال وطلبك اياه ونظرك لعاقبته في دنياك فالكلام على هذا التاويل فيه بعض الرقف به واصلاح الامر الذي ينبغي وهذا ما يجب استعماله مع الموعوظ خشية السوم من السدة قاله ابن عطية قلت وهذا اذا التاويلان فجمعهما ابو عمرو في قوله احرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا وعن الحسن فزم الفضل وامسك ما يبلغ وقال مالك هو الاكل والشرب بلا سرف وقيل لا تدع نصيبك الكفر فهذا وعظ منفصل كانهم قالوا

لا نلبس انك تنزل جميع مالك المنصبك هو الذي هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداء ان تلوي فيهما وحنوط

وقال آخر هما القناعة لا تبغي بهما بدلا فيهما النعيم وفيهما راحة البدن

انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها سوى بالقطن والكفن

قال ابن العربي وابدع ما فيه عندي قوله قناعة ولا تنس نصيبك الحلال فهو نصيبك من الدنيا وبأما احسن لهذا واحسن كما احسن الله اليك اي اطع الله واعبده كما انعم عليك ومنه الحديث ما الاحتسان ان تعبد الله كأنك تراه وقيل هو ان يصله المساكين قال ابن العربي قيدا قوله الكيمياء بما استعمل بعم الله في طاعة الله وقال سلمان هو الاكل والشرب من غير سرف قال ابن العربي اري مالكا اراد الرد على المقالين في العبادة والتقشف قال النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلو ويشرب العسل وليستعمل النساء ويشرب الماء البارد وقد مضى هذا في غير موضع ولا نبغ الفساد في الارض اي لا تعمل بالمعاصي ان الله لا يحب المفسدين **قوله تعالى** قال انما اوتيته على علم عندي يعني علم التجارة وكان كما روي من اقرأ الناس لها ومن اعلمهم بها وكان اخبر العلماء السبعين الذين اختارهم موسى للميقات وقال ابن زيد انما اوتيته لعلم بفضلي ورضاه عني فعلى هذا معنى قوله عندي عندي اي عندي ان الله اتاني هذه الكنوز على علم منه باستحقاقي اياها لفضلي وقيل اوتيته على علم عندي بوجوه التجارة والمكاسب قاله ابن عيسى ولم يعلم ان الله لو لم يستحل له اكتسابها لما اجتمعت عنده وقال ابن عباس على علم عندي بصنعة الذهب واشار الى علم الكيمياء وحكى الثعالبي ان موسى عليه السلام علمه الثلث من صنعة الكيمياء ويوشع الثلث وهرون الثلث فجمعها قارون وكان على ايمانه حتى علمها عندهما وعملا الكيمياء فكثرت اموالهم وقيل ان موسى علم الكيمياء يوشع ابن نون وطالوت وقارون واختار الزجاج القول الاول وانكر قول من قال انه يعلم الكيمياء قال لان الكيمياء باطل لا حقيقة له وقيل ان موسى علم اخته علم الكيمياء وكانت زوجة قارون وعلمت اخت موسى قارون والله اعلم **قوله تعالى** اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله اي بالعذاب من القرون اي الامم الخالية الكافرة من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اي بالمال ولو كان المال يدل على فضل لما اهلكهم وقيل القوة الالات والجمع الاعوان والانصار والكلام خرج مخرج التقريع من الله تعالى لقارون اي اولم يعلم قارون ان الله قد اهلك من قبله من القرون ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون اي لا يسألون سؤال استفتاء كما قال ولا هم يستعتبون ومنهم من المعنيين وانما تسألون سؤال تقريع وتوبيخ كقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين قاله الحسن وقال مجاهد لا يسأل الملائكة عند اهل المجرمين فانهم يعرفون بسيماهم فانهم يجرون سودا الوجوه زرقا العيون وقال قتادة لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها بل يدخلون النار بلا حساب وقيل لا يسأل فيجرموا هذه الامة عن ذنوب الامم الخالية الذين عذبوا في الدنيا وقيل اهلك من القرون من علم منه بذنوبهم فلم يحتج الى مسئلتهم عن ذنوبهم **قوله تعالى** فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا الاية اجمعوا بعض اسرائيل فاراه زينته فمن متاع الحياة الدنيا من الثياب والدواب والتجمل في يوم عيد قال العوفي في يوم السبت في زينته اي مع زينته قال الشاعر

اذا ما قلوب القوم طارت مخافة من الموت ارموا بالنفوس الاواجد

اي مع النفوس وكان خرج في سبعين الفا من ثمانية عليهم المعصفرات وكان اول من صبغ له الثياب المعصفرة قال السدي مع الف جارية على بغال بيض لبسن الديباج على قطف الارجوان قال ابن عباس خرج على البغال الشهب مجاهد براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليهم المعصفرات وكان ذلك اول يوم رؤي فيه المعصفر قال قتادة خرج على اربعة آلاف دابة عليهم ثياب حمر والف بغل ابيض عليها قطف حمر قال ابن جريج خرج على بغلة شهباء عليها الارجوان ومعه ثلثمائة جارية على البغال الشهب عليهن الحمر وقال ابن زيد خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات الكلبي خرج في ثوب اخضر كان الله انزله على موسى من الجنة فسرقه منه قارون وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه كانت زينته الفرس من قلـــــ الفرس من صبغ احمر مثل الارجوان والارجوان في اللغة صبغ احمر ذكره الفشيري قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم اي نصيب واخر من الدنيا قيل هذا من قول قوم

موسى ذلك الوقت بمواعيد ما له رغبة في الدنيا وقيل هو من قول اقوام لم يوعدوا بالآخرة ولا رغبوا فيها وهم الكفار فقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم وهم احبار بني اسرائيل للذين تمنوا مكانه ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون اي لا يوفى الاعمال الصالحة ولا يوفى الجنة في الآخرة الا الصابرون على طاعة الله وحاز ضميرها لانها المعنية بقوله ثواب الله قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض قال لما امر موسى الارض فابتلعتهم قالت بنو اسرائيل انما دعا عليكم ليرث ماله لانه كان ابن عمه اخي ابيه فخسف الله تعالى به وبداره الارض وبجميع امواله بعد ثلاثة ايام قال فاوحى الله الى موسى اني لا اعذب طاعة الارض لي احد بعد ان اقبل خسف المكان هم يخسف خسوفا فذهب في الارض وخسف الله به والارض تخسف اي تغيب بما وسعه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض وخسف هو في الارض وخسف به وخسوف القمر كسوفه قال ثعلب كسفت الشمس وخسف القمر هذا هو الكلام والحسف النقصان يقال رضي فلان بالخسف اي بالنقيصة وما كان له من فئة اي جماعة وعصابة يبصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين لنفسه ابدا الممتنعين فيما نزل به من الخسف فروي ان قارون يتغلغل كل يوم لقدر قامة حتى اذا بلغ قعر الارض لسفلى تفجر اسرب عليه الصور وقد تقدم والله اعلم قوله تعالى واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس اي صاروا يتندمون على ذلك التمني ويقولون ويلك ان الله جزي بتندم قال النحاس احسن ما قيل في هذا قول الخليل وسيبويه ويونس والكسائي ان العرب متى رأوا انسانا قد اقبل على امر فاتاه ما يكرهه قالوا ويلك والمتندم من العرب يقول في حلال ندمه وي قال الجوهري وي كلمة تعجب ويقال ويلك رويد لعبد الله وقد تدخل وي على كان المخففة المشددة تقول ويلك انه الله قال الخليل هي بمنزلة قولك وي لم يبن بي فيقول كان قال الفراء هي كلمة يعبر بها عن قولك اما ترى الى صنع الله واحسانه وذكر ان اعرابيا قالت لزوجها اين ابنك فقال ويلك انه وراء البيت اي اما ترين بيته وقال ابن عباس والحسن ويلك كلمة ابتداء وتحقيق تقديره ان الله يبسط الرزق وقيل هو بمنزلة الهاء في قولك لا يفعل واما في قولك اما بعد فقال الشاعر

سألت اي الطلاق ادركها ... فقلت اما بي فقد حسمت بتكره

وي كان من لا يكن له نسب يجب ... ومن يفتقر يعش عيش ضره

وقال فطرب انما هو ويلك فاسقطت لامه وضمت الكاف التي هي الخطاب اليه وي قال عنترة

وي كان من يلقى اسنتها فتوك ... لقوا رس ويلي على ان اقدم

وانكره النحاس وغيره وقالوا ان المعنى لا يصح عليه لان القوم لم يخاطبوا احدا فيقولوا له ويلك ولو كان كذلك لكان انه بالكسر وايضا فان حد وا للام من ويلك لا تحذف وقال بعضهم التقدير ويلك اعلم انه اصر فاصمر اعلم ابن الاعرابي ويلك انه الله اعلم وقيل معناه الم تر وقال الفتيبي معناه رحمة الله بلغة حمير قال الكسائي وي وصله وسبب تعجب النبي ويروى عنه ايضا الوقف على وي وقال كلمة تفجع ممن قال ويلي وقف على الكاف فمعناه اعجب لان الله يبسط الرزق واعجب ان لا يفلح الكافرون وينبغي ان يكون الكاف حرف خطاب لا اسما لان وي ليست مما يضاف وانما كثرت بتصله لانها لما كثرت استعمالها صحبت مع ما بعدها كشيء واحد ولولا ان من الله علينا بالايمان والرحمة وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البغي والبطر لخسف بنا وقرا لولا من الله علينا وقرا حفص لخسف مبنيا للفاعل الباقون على ما لم يسم فاعله وهو اختيار ابي عبيد لان في حرف عبد الله لا تخسف بنا كما يقول انطلق بنا وكذلك قرا الاعمش وطلحة بن مصرف واختار قراءة الجماعة ابو حاتم لوجهين احدهما قوله فخسفنا به وبداره الارض والثاني قوله لولا ان من الله علينا فهو كان يضاف الى الله تعالى لعزه اسمه منا ولي ويك انه لا يفلح الكافرون عند الله قوله تعالى تلك الدار الآخرة يعني الجنة وقال ذلك على وجه التعظيم لها والتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعتم بذكرها وبلغكم وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي رفعة وتكبرا على الايمان والمؤمنين ولا فسادا عملا بالمعاصي قاله ابن جريج ومقاتل وقال عكرمة ومسلم البطين العشار اخذ المال لغير حق وقال الكلبي الرشا في غير طاعة الله وقال يحيى بن سلام هو قتل النبي والمؤمنين والعاقبة للمتقين قال الفضيل الجنة والله هو ان لا يريد علوا على من هو دون فلم يجزع من ذلها ولم ينافس في عزها وارفعهم عبد الله اشدهم تواضعا واعزهم عرا لومهم لذلك اليوم وروى سفيان

ابن عيينة عن اسمعيل بن ابي خالد قال مر علي بن الحسين وهو راكب على مساكين يأكلون كسرا
لهم فسلم عليهم فدعوه الى طعامهم فتلا هذه الآية الذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
ثم نزل فأكل معهم ثم قال اجبتكم فاجيبوني فحملهم الى منزله فاطعمهم وكساهم وصرفهم خرجه
ابو القاسم الطبراني سليمان ابن احمد قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال حدثني ابي
قال حدثنا سفيان بن عيينة فذكره وقوله لفظ الدار الآخرة يشمل الثواب والعقاب
والمراد انما ينتفع بتلك الدار وتسمى الجنة ومن لم يبغ فتلك الدار عليه لانه لا نهاية نصرة ولا ينفعه
قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها معناه في العمل وقد ذكر منه ليس شيء خير من لا اله الا
الله وانما يلقى من جاء بلا اله الا الله فله منها خير ومن جاء بالسيئة اي بالشرك فلا يجزى الذين
عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون اي يجازون بعمله **قوله تعالى** ان الذي فرض عليك القرآن
لرادك الى معاد ختم السورة ببشارة نبيه عليه السلام برده الى مكة قاهرا لاعدائه وقيل
هو بشارة له بالجنة والاول اكثر وهو قول ابن عباس وابن عبد الله وابن عباس ومجاهد وغيرهم
قال الفتيبي معاد الرجل بلده لانه يبصرف ثم يعود وقال مقاتل خرج النبي صلى الله عليه
وسلم من الغار ليلا مهاجرا الى المدينة في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع الى الطريق وترك
الجحفة عرف الطريق الى مكة فاشتاق اليها فقال له جبريل ان الله يقول ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد اي الى مكة ظاهرا عليها قال ابن عباس نزلت هذه الآية بالجحفة بين
مكة والمدينة وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس الى معاد قال الى الموت وعن مجاهد هذا
وعكرمة والزهري والحسن ان المعنى لرادك الى يوم القيامة وهو اختيار الزجاج وقال بيني
وبينك المعاد اي يوم القيامة ان الناس يعودون فيه احياء وقيل معناه انزل وعن مجاهد
ايضا وابي مسلم وابي صالح الى الجنة وهو قول ابي سعيد الخدري وابن عباس لانه دخلها
ليلة المعراج وقيل لانا با ادم خرج منها فلو رب اعلم اي قل لكفار مكة اذا قالوا انك لفي ضلال
مبين اي اعلم بمن جا بالهدى ومن هو في ضلال مبين انا ام انتم **قوله تعالى** وما كنت
ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك اي ما علمت انا نرسلك الى الخلق وننزل عليك
القرآن الا رحمة من ربك قال الكسائي هو استثناء منقطع بمعنى لكن فلا تكونن ظهيرا
للكافرين اي عونا لهم ومساعدا وقد تقدم في هذه السورة **قوله تعالى** ولا يصدنك
عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك يعني قوا لهم وكذبهم وآذاهم ولا تلتفت نحوهم وعن
الامر لك وشانك دقرا يعقوب يصدنك مجزوم النون وقرا يصدنك فمن صده يصده
وهي لغة في كلب وقال الشاعر

انا سراصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم

وادع الى ربك اي الى توحيده وهذا يتضمن الشهادتين والدعوة وهذا كله منسوخ بآية
السيف وسبب هذه الآية ما كانت قريش يدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تعظيم
اوثانهم وعند ذلك القى الشيطان في امنيته امر العرابيق على ما تقدم والله اعلم
قوله عز وجل ولا تدع مع الله الها اخر اي لا تعبد معه غيره فانه لا اله الا هو يعني لكل
معبود واثبات لغيره وانه كل شيء هالك الا وجهه قال مجاهد معناه الا هو وقال الصادق
دينه وقال ابو العالية وسفيان الا ما اريد به وجهه اي ما يقصد اليه بالعمل
قال استغفروا الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل وقال محمد بن
يزيد حدثنا الثوري قال سالت ابا عبيدة عن قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه قال
الا جاهه كما تقول لفلان وجه في الناس اي جاه له الحكم والاولى والآخرة وله الحكم واليه
ترجعون قال الزجاج وجهه منصوب على الاستثناء ولو كان في غير القرآن كان الا
وجهه بالرفع بمعنى كل شيء غير وجهه هالك كما قال

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

والمعنى كل اخ غير الفرقدين مفارقه اخوه واليه ترجعون بمعنى ترجعون اليه تمت سورة
القصص والحمد لله والمنة

سورة العنكبوت مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء

ومدنية كلها في احد قولي ابن عباس وقتادة وفي القول الآخر عنهما وهو قول يحيى بن سلام
انها مكية الا عشر ايات من اولها فانها نزلت بالمدينة في شان من كان من المسلمين
بمكة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه نزلت بين مكة والمدينة وهي تسع وستون آية

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله عز وجل** الم احسب الناس ان يتركوا الخ تقدم القول في اوائل السورة وقال ابن عباس انا الله اعلم وقيل هو اسم للسورة وقيل اسم للقرآن احسب استفهام اريد به التقرير والتوبيخ ومعناه الظن ان يتركوا في موضع نصب بحسب وهي وصلتها مقام المفعولين على قول سيبويه وان الثانية من ان يقولوا في موضع نصب على احدى جهتين بمعنى لان يقولوا او بان يقولوا او الجهة الاخرى ان تكون على التكرير للتقدير الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون قال ابن عباس وعنه يريد بالناس من المؤمنين كانوا بمكة وكان الكفار من قريش يعذبونهم ويفتنونهم عن الاسلام كسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وبابن ياسر وسمية امه وعدة من بني مخزوم وغيرهم فكانت صدورهم تضيق لذلك وربما استكان ان يمكن الله الكفار من المؤمنين قال مجاهد وغيره فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة ان هذه هي سيرة الله في عباده واختيار المؤمنين وفتنة قال ابن عطية وهذه الآية وان كانت نزلت بهذا السبب او ما في معناه من الافتراء مني بافتنه في امة محمد صلى الله عليه وسلم موجود حكمها بقية الدهر وذلك ان القصد من الله تعالى بافتنة في نفوس المسلمين بالاسر ومكابدة العدو وغير ذلك واذا اعتبرا يضا كل موضع فتنة ذلك بالامراض والاوجاع المحن ولكن الفتن لتسبد نازلة المسلمين مع قريش هي ما ذكرناه من امر العدو في كل ثغر قد ـــــ ما احسن ما قال ولقد صدق فيما قال رضي الله عنه وقال مقاتل نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر ابن الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى له باب الجنة من هذه الامة تخرج عليه ابواه فانزل الله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا وقال الشعبي نزلت مفتتح هذه السورة في اناس كانوا بمكة من المسلمين فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة انه لا يقبل منكم اقرار ولا اسلام حتى تهاجروا فخرجوا في اثرهم المشركون فاتبعوهم فنزلت فيهم هذه الآية فكتبوا اليهم نزلت فيكم آية كذا فقالوا نخرج وان اتبعنا احدا قاتلناه فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فنزل فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وهم لا يفتنون يمتحنون ايباطن الذين جزعوا من اذى المشركين ان يتبع منهم ان يقولوا امنا ومنون لا يمتحنون في ايمانهم وانفسهم فاموا لهم بما يتبين به حقيقة ايمانهم **قوله تعالى** ولقد فتنا الذين من قبلهم اي ابتلينا الماضين كالخليل الذي في النار ولقوم نشروا بالمناشير في دين الله فلم يرجعوا عنه وروى البخاري عن خباب ابن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون وخرج بن ماجة عن ابي سعيد الخدري قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف فقلت يا رسول الله ما اشدها عليك قال انا كذلك يضاعف لنا البلاء ويضعف لنا الاجر قيل قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء قلت ثم من قال ثم الصالحون ان كان احدهم ليبتلى بالقمل حتى ما يجد الا العباءة يحوبها وان كان احدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح احدكم بالرخاء وروى سعيد ابن ابي وقاص قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه ان كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه من خطيئة وروى عبد الرحمن بن زبير ان عليا عليه السلام كان له زبير فركب يوما فاخذه السبع فاكله فقال اعطيني يا رب زبيري فدتك نفسي وعوني على بني اسرائيل واخليفتي فيهم سلطت عليه كلبا فاكله قال ثم كانت له عندي منزلة وشفعة لم اجد عمله يبلغها فابتليته بذلك لابلغه تلك المنزلة وقال وهب في كتاب رجل من الحواريين اذا سلك سبيل البلاء فتزعبك واذا سلك سبل الرخاء فامك على نفسك فتزحلق بك عن سبيلهم **قوله عز وجل** وليعلمن الله الذين

صدقوا اى فليبين الله الذين صدقوا فى ايمانهم وقد مضى هذا المعنى فى البقرة وغيرها ليعلم
صدق الصادق بوقوع صدقه منه وقد علم الصادق من الكاذب قبل ان نختلفهما ولكن
القصد فصد وقوع العلم بما يجازى عليه وانما يعلم صدق الصدق واقعا كائنا وقوعه
وقد علم انه سيقع وقال النحاس فيه قولان احدهما ان يكون صدقوا مشتقا من الصدق
والكاذبين مشتقا من الكذب الذى هو ضد الصدق ويكون المعنى فليبين الله الذين
صدقوا افتعالهم حتى موسومون واعتقدوا مثل ذلك والذين كذبوا حتى اعتقدوا
غير ذلك والقول الاخر ان يكون صدقوا مشتقا من الصدق وهو الصلب والكاذبين
مشتقا من كذب اذا انهزم فيكون المعنى فليعلمن الله الذين يتولون الحرب والذين
انهزموا كما قال الشاعر

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

فجعل ليعلمن الله فى موضع فليتبين مجازا وقراءة الجماعة فليعلمن بفتح الياء واللام وقرا
على بن ابى طالب بضم الياء وكسر اللام وهى تبين معنى ما قاله النحاس ويحتمل ثلثة معان
الاول ان يعلم الاخرة هولا الصادقين والكاذبين بما نالهم من ثوابه وعقابه
باعمالهم فى الدنيا بمعنى برفعهم على ما كان منهم الثانى ان تكون المفعول الاول محذوفا
تقديره فليعلمن الناس والعالم هولا الصادقين والكاذبين اى يفضحهم ويشهرهم
هولا بالخير وهولا بالشر وذلك فى الدنيا والاخرة الثالث ان يكون ذلك من العلامة
اى يضع لكل طائفة علامة تشتهر بها فالاية على هذا نظير الى قول النبى صلى الله عليه وسلم
من اسر سريرة ألبسه الله رداءها **قوله تعالى** ام حسب الذين يعملون السيات اى
الشرك ان يسبقونا اى يفوتونا ويعجزونا قبل ان نواخذهم بما يفعلون قال ابن عباس
يريد الوليد بن المغيرة وابا جهل والاسود والعاص ابن هشام وشيبة وعتبة والوليد
ابن عتبة وعقبة ابن ابى معيط وحنظلة ابن ابى سفيان والعاص بن وايل ساء ما يحكمون
اى بئس الحكم حكموا فى اصحاب ربهم انه مسبوق وانه لا قادر على كل شى وما فى موضع نصب
بمعنى ساء شيا او حكما يحكمون ويجوز ان تكون ما فى موضع رفع بمعنى ساء الشى او
الحكم حكمهم وهذا قول الزجاج وقدرها ابن كيسان نعذبهم بئس الحكم حذف ذا بقبل احدها
ان يكون موضع ما يحكمون بمنزلة شى واحد كما يقول اعجبنى ما صنعت اى صنيعك فما
والفعل مصدر فى موضع رفع التقدير بئس حكمهم والتقدير الاخر ان تكون ما لا موضع
لها من الاعراب وقد قامت مقام الانسان كما وكذلك نعم وبئس قال ابو الحسن بن
كيسان واما اختار اذا جعل لها موضعا فى كل ما قدر عليه نحو قوله عز وجل فبما
رحمة من الله وكذلك فبما نقضهم وكذلك ايما الاجلين قضيت ما فى موضع حفض بى
هذا كله وما بعدها تابع لها وكذا ايا ما لا يستحيى ان تضرب مثلا ما بعوضة
ما فى موضع نصب وبعوضة تابع لها **قوله تعالى** من كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله
لات يرجوا بمعنى يخاف من قول الهذلى فى وصف عشاء

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها فى بيت نوب عوامل

المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملا صالحا فانه لابد ان ياتيه ذكره النحاس قال الزجاج معنى يرجوا لقاء
الله يرجوا ثواب الله ومن فى موضع رفع بالابتداء وكان فى موضع الخبر وهى فى موضع جزم بالشرط
ويرجوا فى موضع خبر كان والجزاء فان اجل الله لات وهو السميع العليم **قوله تعالى**
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اى ومن جاهد فى الدين وصبر على قتال الكفار واعمال الطاعة
فانما يسعى لنفسه اى ثواب ذلك كله له ولا يرجع الى الله بسعى من ذلك ان الله لغنى عن
العالمين اى عن اعمالهم وقيل المعنى من جاهد عدوه لنفسه لا يريد وجه الله فليس لله
لله حاجة بجهاده **قوله تعالى** والذين امنوا اى صدقوا وعملوا الصالحات لنكفرن
عنهم سياتهم اى لنغفرنها عنهم فنمحوها لهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون
اى باحسن اعمالهم وهو الطاعات ثم قيل يحتمل ان نكفر عنهم كل معصية عملوها فى الكفر
والاسلام فى الشرك وثابوا على ما عملوا من حسنة فى الاسلام ويحتمل ان نكفر عنهم سياتهم
فى الكفر والاسلام وبثابوا على حسناتهم فى الكفر والاسلام **قوله تعالى** ووصينا
الانسان بوالديه حسنا الاية نزلت فى سعد بن ابى وقاص فيما روى الترمذى قال نزلت
فى اربع ايات فذكر قصته فقالت ام سعد فاخبرنى الله بالبر والله لا اطعم طعاما ولا اشرب
شرابا حتى اموت او تكفر قال فكانوا اذا اراد ان يطعموها سحروا فاها فنزلت هذه

هذه الاية ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي الاية قال ابو علي هذا حديث حسن صحيح وروي عن سعد انه قال كنت بارا بامي فاسلمت فقالت لتدعن دينك ولا اكل ولا اشرب حتى اموت فتعير بي ويقول يا قاتل امه وبقيت يوما يوما فقلت يا امّاه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا فان شئت فكلي وان شئت فلا تاكلي فلما رات ذلك اكلت ونزلت وان جاهداك لتشرك بي وقال ابن عباس نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل لامه وفي فعلت امه مثل ذلك وعنه ايضا نزلت في جميع الامة اذ لا يصير على لا اله الا الله / الاصد بن وحسنا نصب عند البصريين على انك مراي وصياه حسنا وقيل هو على القطع لتقدير ووصينا بالحسن كما تقول وصيته خيرا ايوبا لخير وقال اهل الكوفة تقديره ووصينا ه ايوبعمل حسنا فيقدر له فعل وقال الشاعر

عجبت من دهماء اذ تشكونا ومن ابي دهماء اذ توصينا

خيرا بها كانما خافونا ٥٥ بوصيانا بفعل بها خيرا كقوله فطفق مسحا اي يمسح مسحا وقيل تقديره ووصيناه امرا ذا حسن فاقيمت الصفة مقام الموصوف وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه الزمناه حسنا وقرأ حسنا بضم الحاء واسكان السين وقرا ابو رجاء وابو العالية والضحاك بفتح الحاء والسين وقرا المجدري احسانا على المصدر وكذلك في مصحف ابي التقدير ووصينا الانسان ان يحسن اليهما احسانا ولا ينتصب بوصينا لانه قد استوفى مفعوليه الى مرجعكم وعيد في مجازاتهم والدين في معنى اكفر فانبئكم بما كنتم تعملون والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين كرر تعالى لتشبيه بها لذا الموصين الصالحين لتحرك النفوس الى نيل مراتبهم وقوله لندخلنهم في الصالحين مبالغة على معنى فالذين هم في زمانة الصلاح بعد غاية ما ذا يحصل للمؤمن هذا الحكم يحصل بمرتبة وجزاؤه وهو الجنة **قوله تعالى** ومن الناس من يقول امنا بالله الاية نزلت في المنافقين كانوا يقولون امنا بالله فاذا اوذوا في الله جعلوا فتنة الناس اي اذاهم كعذاب الله في الاخرة فارتدوا عن ايمانهم وقيل جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الاذية في الله ولئن جاء نصر من ربك ٥ ليقولن هؤلاء المرتدون انا كنا معكم وهم كاذبون فقال الله لهم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين يعني الله اعلم بما في صدورهم منهم بانفسهم قال مجاهد نزلت في ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلاء من الله او مصيبة في انفسهم افتتنوا وقال الضحاك نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يؤمنون فاذا اوذوا رجعوا الى الشرك وقال عكرمة كان قوم قد اسلموا فاكرههم المشركون على الخروج معهم الى بدر فقتل بعضهم فنزلت ان الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم فكتب بها المسلمون من المدينة الى المسلمين بمكة فخرجوا فلحقهم المشركون فافتتن بعضهم فنزلت هذه الاية فيهم وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة اسلم وهاجر ثم اوذي وضرب فارتد وانا عذبه ابو جهل والحارث وكانا اخوين لامه فقال ابن عباس ثم عاش بعد ذلك برهة وحسن اسلامه ولنعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين قال قتادة نزلت في القوم الذين ردهم المشركون الى مكة **قوله عز وجل** وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا اي ديننا ولنحمل خطاياكم جزم على الامر قال الفراء والزجاج هو امر في تاويل الشرط والجزاء اي ان اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياهم كما قال ــــ فقلت ادعي وادع فان ابدى لصوت ان ينادي داعيان اي ان دعوت دعوت قال المهدوي وجاء وقوع انهم لكاذبون بعده على الحمل على المعنى لان المعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فلما كان الامر يرجع الى المعنى الى الجزاء وقع عليه التكذيب كما يقع على الخبر قال مجاهد قال المشركون من قريش نحن وانتم لا نبعث فان كان علينا وزر فعلينا ابوء بحمل عنكم ما يلزمكم والحمل ها هنا معنى لما لذا لا الحمل على الظهر روي ان قابيل ذلك لهابيل بن المغيرة وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم يعني ما يحمل عليهم من سيات ما ظلموا بعد قراءة حسنائهم روي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم في ال عمران قال ابو امامة الباهلي يوتى بالرجل يوم القيامة وهو كثير الحسنات فلا يزال يقتص منه حتى يعنى حسنة ثم يطالب فيقول الله عز وجل انقصوا من عبدي فيقول الملائكة ما بقيت له حسنات فيقول خذوا من سيات المظلوم فاجعلوا عليه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقال قتادة من

دعا الى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيا نظيره قوله
تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وينظر
في هذا قوله عليه السلام من سن في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها
بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شي وروي من حديث ابي هريرة وغيره وقال الحسن
قال النبي صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى فاتبع عليه وعمل به قبله من اجور من
من تبعه ولا ينقص ذلك من اجورهم شيا وايما داع دعا الى ضلالة فاتبع عليها وعمل بها
بعده فعليه مثل اوزار من عمل بها من اتبعه لا ينقص ذلك من اوزارهم شيا ثم قرا
الحسن وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت هذا مرسل وهو معنى حديث
ابي هريرة خرجه مسلم وفي حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ايما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان له مثل اوزار من اتبعه لا ينقص ذلك من اوزارهم
شيا خرجه ابن ماجة في السنن وفي الباب عن ابي جحيفة وجرير وقد قيل ان المراد اعوان
الظلمة وقيل امحاب البدع اذا اتبعوا عليها وقيل بمن سنوا السنن الجارية اذ اعمل بها
من بعدهم والمعنى متقارب والحديث يجمع ذلك كله قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما ذكر قصة نوح لتسلية لنبيه صلى
الله عليه وسلم اذ ابتلي النبيون قبله بالكفار فصبر وحض نوحا بالذكر لانه اول رسول
ارسل الى الارض وقد اتفق ان كفروا على ما تقدم بيانه في هود وانه لم يلق نبي من قومه
ما لقي نوح على ما تقدم في هود عن الحسن وروي عن قتادة عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح قال قتادة وبعث على الجزيرة فاختلف في مبلغ عمره
عمره فقيل بلغ عمره ما ذكره الله تعالى في كتابه قال قتادة لبث فيهم قبل ان يدعو عليهم
ثلثمائة سنة ودعاهم ثلثمائة سنة ولبث بعد الطوفان ثلثمائة سنة وخمسين
سنة قال وقال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة ولبث في قومه الف سنة الا
خمسين عاما وعاش بعد الغرق ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وعنه ايضا انه
بعث وهو ابن ثمانين وخمسين سنة ولبث فيهم الف سنة الا خمسين وعاش بعد الطوفان
ثمانين سنة وقال وهب عمر نوح الف واربعمائة سنة وقال كعب الاحبار لبث نوح في
قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان سبعين عاما وكان مبلغ عمره
الف سنة وعشرين عاما وقال هود ابن ابي سدد لبث نوح وهو ابن خمسين وثلثمائة
سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين
سنة فكان مبلغ عمره الف سنة وستمائة سنة وخمسين سنة وعنه من الحسن
لما اراد ملك الموت نوحا ليقبض روحه قال يا نوح كم عشت في الدنيا قال ثلثمائة قبل
ان ابعث والف سنة الا خمسين عاما في قومي وثلثمائة سنة وخمسين سنة بعد
الطوفان قال قال لملك الموت فكيف وجدت الدنيا قال لنوح وجدتها يا بان
دخلت من هذا وخرجت من هذا وروي من حديث انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما بعث الله نوحا الى قومه بقي وهو ابن خمسين وثلثمائة سنة
فلبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وبقي بعد الطوفان خمسين وثلثمائة
فلما اتاه ملك الموت قال يا نوح يا اكبر الانبياء ويا طويل العمر ويا مجاب الدعوة كيف
رايت الدنيا قال مثل رجل بنى له بيت له بابان فدخل من واحد وخرج من الاخر
وقد قيل دخل من احدهما وجلس هنيهة ثم خرج من الباب الاخر وقال ابن الورد بنى
نوح بيتا من قصب فقيل له لو بنيت غير هذا فقال هذا اكثر لمن يموت وقال
ابو المهاجر لبث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما في بيت من شعر فقيل له يا نبي
الله ابن بيتا فقال ما وقت اليوم اموت غدا وقال وهب بن منبه عمر نوح خمس
مائة سنة لم يغرب الشمس وخلا من الموت ثم وقال مقاتل وجبريل ادم عليه
السلام حين كبر ورق عظمه قال يا رب الى متى اكدح واسعى قال يا ادم حتى يولد
لك ولد ممسوح فولد له نوح بعد عشرين ومائة وهو بين ميلاد ابن الف سنة الا ستين
عاما وقال بعضهم الا اربعين عاما والله اعلم فكان نوح بن لامك ابن متوشلخ
ابن ادريس وهو اخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث ابن ادم وكان
اسم ادم نوح السكن وانما سمي لسكن لان الناس بعد ادم سكنوا اليه فهو ابوهم
وولد له سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس والروم وكل هولاء خير

ر ولد حام القبط والسودان والبربر وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأ
جوج وليس في شئ من هؤلاء خبر وقال ابن عباس في ولد سام بياض وادم وفي ولد
حام سواد وبياض قليل وفي ولد يافث وهم الترك والصقالبة الصفرة والحمرة وكان
له ولد رابع وهو كنعان الذي غرق والعرب تسميه بام وسمي نوح نوحا لانه ناح على
قومه الف سنة الا خمسين عاما بما يدعوهم الى الله فاذا كثروا بكى وناح عليهم وذكر
ابن القاسم القشيري في كتاب التحبير له روي ان نوحا عليه السلام كان اسمه لشكر
وكان اكثر بكاءه على خطيئته اوحي اليه يا نوح كم تنوح فسمي نوحا فقيل يا رسول الله
فاي شئ كانت خطيئته قال انه قال انت مني وكلب فقال في نفسه ما افتحه فاوحى الله
تعالى اليه اخلق انت احسن من هذا وقال زيد الرقاشي انما سمي نوحا لطول ما ناح على نفسه
وقيل فلم قال الف سنة الا خمسين عاما وهلا قال تسع مائة وخمسين عاما فقيل
جوابان احدهما ان المقصود به تكثير العدد فكان ذكره الالف اكثر في اللفظ واكثر
في العدد الثاني انه اعطي من العمر الف سنة فوهب من عمره خمسين سنة لبعض ولده فلما
حضرته الوفاة رجع في استكمال الالف فذكر الله تعالى ذلك تنبيها على ان التنقيصة
ما تتزحزحه فاخذهم الطوفان قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة الماء الغالب
الغرق وقيل الموت رواه عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنه قول الشاعر

اتاهم طوفان موت خارق قال النحاس ينبغي لكل كثير مطيف بالجمع من مطر او قتل
او موت طوفان وهم ظالمون جملة في موضع الحال والف سنة منصوب على الظرف الا خمسين
عاما منصوب على الاستثناء من الوجيه وهو عند سيبويه بمنزلة المفعول لانه مستثنى
منه كالمفعول قال ابو العباس والمبرد فهو عنده مفعول محض قال قلت استثنيت
زيدا لتبدروي حسان بن غالب بن نجيح ابو الفاتح المصري حدثنا مالك
ابن انس عن الزهري عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جبريل
يواكرني فضل عمر فقلت له يا جبريل ما بلغ فضل عمر قال لي يا محمد لو لبثت معك ما
لبثت نوح في قومه ما بلغت لك فضل عمر ذكره الخطيب ابو بكر احمد بن ثابت البغدادي
وقال تفرد به وابنه حسان بن غالب عن مالك وليس بثابت من حديثه قوله تعالى
فانجيناه واصحاب السفينة معطوف على الهاء وجعلناها اية للعالمين الهاء والالف
في جعلناها للسفينة او للمفعولة او للنجاة ثلاثة اقوال قوله تعالى وابراهيم
قال الكسائي وابراهيم منصوب باضمار نبينا او معطوف على الهاء في لنجعلها لهم واجاز ان يكون
معطوفا على نوحا والمعنى وارسلنا ابراهيم وقال ثالث ان يكون منصوبا بمعنى واذكر ابراهيم
اذ قال لقومه اعبدوا الله اي افردوه بالعبادة واتقوه اي اتقوا عقابه وعذابه ذلكم خير
لكم اي من عبادة الاوثان ان كنتم تعلمون قوله تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا
اي اصناما قال ابو عبيدة الصنم ما يتخذ من ذهب او من فضة او نحاس والوثن ما يتخذ من
حجارة الجوهري الوثن الصنم والجمع وثن واوثان مثل اسد واساد وتخلقون افكا قال
الحسن معنى تخلقون تنحتون فالمعنى انما تعبدون اوثانا وانتم تصنعونها وقال مجاهد
الافك الكذب والمعنى انما تعبدون الاوثان وانتم تصنعونها وقال مجاهد الافك الكذب
والمعنى تعبدون الاوثان وتخلقون الكذب وقرا ابو عبد الرحمن وتخلقون وقرئ وتخلقون
بمعنى الكسر من خلق وتخلقون من يتخلق بمعنى يكذب ويحرص وقرئ افكا وفيه وجهان ان
يكون مصدر نعت كذب ولعب والافك مخففا منه كالكذب والكذب وان يكون صفة على
فعل اي خلقا افكا والافك والباطل اوثانا نصب بتعبدون وما كافة ويجوز في غير القرآن
رفع اوثان على ان يجعل ما اسما لان ويعبدون صلته وحذفت الهاء لطول الاسم وجعلا اوثانا
خبر ان فاسا وتخلقون افكا هو مستقبل بالفعل لا غير وكذا لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند
الله الرزق ايها مرغوا رغبتكم في ارزاقكم الى الله فاياه فاسلموا وحدوه دون غيره وان
يكذبوا فقد كذب امم من قبلكم فيهم من قوم ابراهيم ايها التكذيب عادة الكفار وليس على
الرسل الا التبليغ قوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده قرا الكسائي
بالياء على الخبر والتوبيخ لهم وفي اختيار الياء حجة واضحة قال ابو عبيد لذكر الامم
كانه قال اولم يروا الامم كيف وقرا ابو بكر والاعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي ترجعون
بالتاء وخطابا لقوله وان يكذبوا وقد قبل وان تكذبوا خطابا للعرب ليس من قول
ابراهيم ثم يعيده يعني الخلق والبعث وقيل المعنى اولم يروا كيف يبدئ الله النار فيحيي ثم يفنيها

هيم

ثم يعيدها بدا وكذلك بدوا خلق الانسان ثم يملكه بعد ان خلق منه ولدا وخلق من
الولد ولدا وكذلك سائر الحيوان ان ابى فاذا رايتم قدرته على البدا والاعادة فهو اقدر
على الاعادة اذ ذلك على الله يسير لانه اذا اراد امرا قال له كن فيكون قوله تعالى قل سيروا
في الارض ايقل لهم يا محمد سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الله الخلق على كثرتهم
وتفاوت هيئاتهم واختلاف السنتهم والوانهم وطبائعهم وانظروا الى مساكن القرون
الماضية وديارهم وآثارهم كيف اهلكهم ليعلموا بذلك كما قدرته ثم ان الله ينشئ النشاة
الاخرة وقرا ابو عمرو وابن كثير النشاة بفتح الشين والمد وهما لغتان مثل الرافة
والرأفة وشبهه ابو الحوهري النشاة الله خلقه والاسم النشاة والنشاة بالمد
عن ابي عمرو بن العلاء ان الله على كل شئ قدير يعذب من يشا ايمن يعبد له ويرحم من يشا
ايمن يفضله واليه تقلبون ترجعون وتردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما
قال ابن عباس معناه ولا من في السما بمعجزين الله وهو عائض في العربية للضمير الذي
لم يظهر في الثاني وهو كقول حسان

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

اراد ومن يمدحه وينصره سواء فحذف من وقاله عبد الرحمن بن زيد ونظيره قوله سبحانه
وما منا الا له مقام معلوم ايمن له والمعنى انا لله لا يعجزه اهل الارض ولا اهل
السما ان عصوه وقال قطرب ولا في السما لو كنتم فيها كما تقول لا سوبني فلان بالبصرة
ولا هنا يعني لا يفوتوني بالبصرة لو صاروا السما وقيل لا يستطيعون هربا لا في الارض
ولا في السما وقال المبرد المعنى ولا من في السما على ان من للبس موصوله ولكن يكون نكره
في السما صفة لها فلما قدمت الصفة مقام الموصوف ورد ذلك علي بن سليمان وقال
لا تجوز من اذا كانت نكرة فلا بد من وصفها بفعلها كالصلة لا يجوز حذف الموصول
وترك الصلة قال والمعنى انه الناس خوطبوا بما يعقلون المعنى لو كنتم في السما ما اعجزتم
الله كما قال ولو كنتم في بروج مشيدة وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بالرفع
على الموضع ويكون من زائدة والذين كفروا بايات الله ولقايه اي بالقرآن او بما نصبه من
الادلة اولئك يئسوا من رحمتي اي من الجنة والمعنى ويئسوا وهذه الايات الى الله
تذكيرا وتحذيرا ثم عاد الخطاب الى ابراهيم فقال فما كان جواب قومه حين دعاهم
الى الله فقالوا لا الا فقالوا اقتلوه او حرقوه ثم اتفقوا على تحريقه فانجاه الله من النار
ايمن اذا ان في ذلك اي في ايجاب النار العظيمة حتى لم تحرق بعد ما القي فيها لايات لعلامة
جواب بينت على انه خبر كان والا قال الخليل الرفع اسم كان وسالم الا قطس وعمرو بن دينار
جواب بالرفع على اسم كان وان في موضع الخبر منصوبا وقال ابن الانباري ما اتخذتم من دون الله اوثانا
مودة بينكم في الحياة الدنيا وقرا حفص وحمزة مودة بينكم وابن كثير وابو عمرو والكسائي
مودة بينكم وابن عامر على ابي بكر عن عاصم وابن وثاب والاعمش مودة بينكم الباقون
مودة بينكم فما قرا ابن كثير فيهما ثلاثة اوجه ذكر الزجاج منها وجهين احدهما
احدهما ان المودة ارتفعت على خبر ان وتكون ما بينه لقوم يعقلون قال قتادة
هي الحي ارثة التي كانت وقال ابو العالية وقيل ان يرحم بها قوم من هذه الامة وقال
ابن عباس هي اثانا ومنازلهم الحربة وقال مجاهد هو ما الماء السود على وجه الارض وكل في ذلك
باق فلا تعارض في ذلك **قوله تعالى** والمدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا الى مدين
وقد تقدم ذكرهم ونسادهم في الاعراف وهود وارجوا اليوم الاخر قال ابو علي الفارسي
اي اخشوا الاخرة التي فيها الجزا على الاعمال ولا تفسدوا في الارض مفسدين اي لا تكفروا
فانه اصل كل فساد والعثو والعثي اشد الفساد عثا يعثى وعثا يعثو اعثى واحد
وقد تقدم وقيل وارجوا اليوم الاخر اي صدقوا به فان القوم كانوا ينكرون **قوله**
تعالى وعادا وثمود اقال الكسائي قاد بعضهم امورا جمع الى اول السورة اي وقد
تبين لكم من قبلهم وقتنا عادا وثمود اقال وواجب الي ان يكون معطوفا على فاخذتهم
الرجفة واخذت عادا وثمود او زعم الزجاج ان التقدير وقد اهلكنا عادا وقيل المعنى
واذكروا عادا اذ ارسلنا اليهم هودا فكذبوه فاهلكناهم بالصيحة كما اهلكنا ثمود
بالريح العقيم وقد تبين لكم يا معاشر الكفار من مساكنهم بالحجر والاحقاف ايات
في هلاكهم فحذف فاعل التبيين وزين لهم الشيطان اعمالهم الخبيثة فحسبوها
رشيدة فصدهم عن السبيل اي عن طريق الحق وكانوا مستبصرين فيه قولان احدهما

وكانوا مستبصرين في الضلالة فقالوا سيأتي وكانوا مستبصرين فتعرفوا الحق من الباطل
يظهر البراهين وهذا القول لا يستقيم لانه انما يقال لفلان مستبصر اذا عرف الشيء على الحقيقة
قال الفراء كانوا عقلاء ذوي بصائر فلم ينفعهم بصائرهم وقيل كانوا أولي قوة وقدرة
لهم ان دافعتهم العذاب **قوله تعالى** وفلان له وفرعون وهامان قال الكسائي ان
شيئ كان محمولا على عاد وكانه قيل ما فيهم وان شيئ كان على قصدهم عن السبيل وصدقارون
وفرعون وهامان اي واهلكنا هؤلاء بعد ان جاءتهم الرسل فاستكبروا في الارض عن الحق عن
عبادة الله وما كانوا سابقين اي فائتين وفيل سابقين في الكفر بل قد سبقتهم للكفر
قرون كثيرة فاهلكناهم فكذا اخذنا بغتة فقال الكسائي فعلا منصوب باخذنا اي
اخذنا كلا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا يعني قوم لوط والى حيث ريحا يأتي بالحصبا
وهي الحصباء الصغار وتستعمل في كل عذاب ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمود واهل مدين
ومنهم من اغرقنا قوم نوح وقوم فرعون وما كان الله ليظلمهم لانه انزل بهم وامهلهم
وبعث اليهم الرسل وازاح العذر **قوله تعالى** مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
كمثل العنكبوت قال الاخفش كمثل العنكبوت وقف تام ثم قصصها كانه قال لكمثل التي
اتخذت بيتا فلا يجوز الوقف على الصلة دون الموصول وهو منزلة قولك كمثل الحمار
يحمل اسفارا فيحمل صلة للحمار ولا يجوز الوقف على الحمار دون يحمل قال الفراء هو مثل
ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه الهة لا تنفعه ولا تضره كما ان بيت العنكبوت لا يقيها
حرا ولا بردا ولا يجوز الوقف على العنكبوت لانه لما قصد بالتشبيه ببيتها التي لا يقيها
من شيء فشبهت الالهة التي لا تنفع ولا تضر بها وان اوهن البيوت اي اضعف البيوت لبيت
العنكبوت قال الضحاك اضرب مثلا لضعف الهتهم وهي هنا تؤنث وتذكر يقال هذا بيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون لو مستأنفة تبين العنكبوت اي لو علموا ان عبادة الاوثان كما تحاديت
العنكبوت الذي لا يغني عنهم شيأ وان هذا استلهم لما عبدوها لانهم يعلمون ان بيت
العنكبوت ضعيف وقال الضحاك ان تأ العنكبوت اخرها مزيدة لانها تسقط في
التصغير والجمع وهي مرتة وحكى الفراء تذكيرها وانشد

على حيطانهم منهم بيوت كان العنكبوت قد ابتناها

ويروى على اعطالهم منهم بيوت قال الجوهري والعطل اسم الجبل والعنكبوت الدويبة
المعروفة التي ينسج نسجا رقيقا مملسا يتبين الهواء ويجمع عناكب وعناكبة
وعنكاب وعكب واعكب وقد حكى انه يقال عنكب وعنكباه قال الشاعر

كانما يبتغط من لعابها بيت عنكباه على قوائمها

ويصغر فيقال عييكب وقد حكى عن يزيد ويصغر فيقال عنيكب وقد حكى عن يزيد
ان العنكبوت شيطان مسخها الله تعالى وقال عطاء الخراساني نسخت العنكبوت مرتين
مرة على داود حين كان جالوت يطلبه ومرة على النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك نهي عن
قتلها ويروى عن علي رضي الله عنه انه قال اطهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه
في البيوت يورث الفقر ومنع الخير يورث الفقر **قوله تعالى** ان الله يعلم ما تدعون
من دونه من شيء ما بمعنى الذي ومن للتبعيض ولو كانت نافية للتوكيد لا نقلبا المعنى
والمعنى ان الله تعالى يعلم ما يعبدون من دونه وقرأ عاصم وابو عمرو ويعقوب يدعون
بالياء وهو اختيار ابي عبيد لذكر الامم قبلها الباقون بالتاء على الخطاب قوله تعالى
وتلك الامثال نضربها اي هذا المثل وغيره مما ذكر في البقرة والحج وغيرهما نضربها نبينها
للناس وما يعقلها اي يفهمها الا العالمون اي العالمون بالله كما روي جابر عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه **قوله**
تعالى خلق السموات والارض بالحق اي بالعدل والقسط وقيل بكلامه وقدرته
وذلك هو الحق ان في ذلك لاية اي علامة ودلالة للمؤمنين المصدقين **قوله تعالى**
اتل ما اوحي اليك من الكتاب الاية فيه اربع مسائل الاولى في قوله تعالى اتل امر بالتلاوة
والمراد به القرآن وقد مضى في طه الوعيد لمن اعرض عنه وفي مقدمة الكتاب الامر
بالحض عليه والكتاب مراد به القرآن **الثانية قوله تعالى** واقم الصلاة
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته واقامة الصلاة ادامتها وقيل
وركوعها وسجودها وقعودها وتشهدها وجميع شروطها وقد تقدم بيان ذلك في
البقرة فلا معنى للاعادة **الثالثة قوله تعالى** ان الصلاة تنهى عن الفحشاء

والمنكر بين ان الصلاة الخمس هي التي تكفر ما بينهن من الذنوب كما قال عليه السلام ارايتم لو ان نهرا على باب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا اخرجه الترمذي من حديث ابي هريرة وقال فيه حديث حسن صحيح وقال ابن عمر الصلاة ههنا القرآن والمعنى الذي يتلى في الصلاة ينهى عن الفحشاء والمنكر وعن الربا وعن المعاصي قلت ومنه الحديث الصحيح قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين يريد قراءة الفاتحة وقال حماد بن ابي سليمان وابن جريج والكلبي لعبد ما دام في صلاة لا يأتي فحشاء ولا منكرا اي ان الصلاة تنهى ما دمت فيها قال ابن عطية وهذه عجمة واين هذا مما رواه انس بن مالك قال كان فتى من الانصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة الا ركبه فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الصلاة ستنهاه فلم يلبث ان تاب وصلحت حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اقل لكم وفي الآية تأويل ثالث وهو الذي ارتضاه المحققون وقال به المشيخة الطويلة وذكره المفسرون وهو قال المراد بإقامة الصلاة اداء ما فيها والقيام بحقوقها ثم اخبر حكما منه بان الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة بمعنى الدين والتقدير ان الدين اتخذ ممن دون الله اوثانا مودة بينكم والوجه الاخر ان يكون على اضمار مبتدا اي هي مودة او تلك مودة بينكم والمعنى لهتكم اوجامعتكم مودة بينكم قال ابن الانباري اوثانا وقف حسن لمن رفع المودة باضمار تلك مودة بينكم ومن رفع المودة على انها خبر ان لم يقف والوجه الثالث الذي لم يذكره مودة رفعا بالابتداء في الحياة الدنيا خبره فما اضافه مودة الى بينكم اسما غير ظرف والنحويون يقولون جعله مضمولا على السعة وحكى سيبويه ما شاربك الليلة اهلا وسهلا ولا يجوز ان يضاف اليه وهو ظرف لعلم ليس هذا موضع ذكرها ومن رفع مودة وقد بينكم فعلى معنى ما ذكر وبينكم بالنصب ظرفا ومن نصب مودة ولم ينون جعلها مضمولة بوقوع الاتخاذ عليها وجعل اما حرفا واحدا ولم يجعلها بمعنى الذي ويجوز نصب المودة على انها مفعول من اجله كما يقول جيئك ابتغاء الخير وقرئت فلا ان مودة لكم بالخفض ومن نون مودة ونصبها فعلى ما ذكر بينكم بالنصب من غير اضافة قال ابن الانباري ومن قرأ مودة بينكم ومودة بينكم لم يقف على الاوثان ووقف على الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا بتقدير الاوثان من عبادتها والرؤساء من السفلة كما قال الله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وماواكم النار هو خطاب لعبدة الاوثان الرؤساء منهم والاتباع وقيل يرجع الى الاوثان كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم **قوله تعالى** فامن له لوط وآمن طدق ابراهيم حين راى النار عليه بردا وسلاما قال ابن اسحق آمن لوط بابراهيم وكان ابن اخته وآمنت به سارة وكانت بنت عمه وقال اني مهاجر الى ربي قال النخعي وقتادة الذي قال اني مهاجر الى ربي هو ابراهيم عليه السلام قال قتادة هاجر من كوثا وهي قرية من سواد الكوفة الى حران ثم الى الشام ومعه ابن اخيه لوط بن هاران بن تارخ واخرانه سارة قال الكلبي هاجر من ارض حران الى فلسطين وهو اول من هاجر من ارض الكفر قال مقاتل هاجر ابراهيم وهو ابن خمس وسبعين سنة وقال ابن الانباري قال اني مهاجر الى ربي لوط عليه السلام لما ذكره البيهقي عن قتادة قال انا اول من هاجر الى الله عز وجل باهله عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قتادة سمعت النضر بن انس يقول سمعت ابا جمرة نصر بن عمران انس بن مالك يقول خرج عثمان بن عفان ومعه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة فابطأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم فقدمت امرأة من قريش فقالت يا محمد رايت ختنك ومعه امرأته قال على اي حال رايتهما قال رايته وقد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة وهو يسوقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لاول من هاجر بعد لوط قال البيهقي هذا في الهجرة الاولى واما الهجرة الثانية الى الحبشة فهي مما زعم الواقدي سنة خمس من نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم اني مهاجر الى ربي اي الى حيث امرني ربي انه هو العزيز الحكيم تقدم الكلام في الهجرة في النساء وغيرها **قوله**

تعالى

تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب اي من الله عليه بالاولاد فوهب له اسحق ولدا ويعقوب ولد ولد
وانما وهب له اسحق من بعد اسمعيل ويعقوب ابن اسحق وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب
فلم يبعث الله نبيا بعد ابراهيم الا من صلبه ووحد الكتاب لانه اراد المصدر كالنبوة والمراد
التوراة والانجيل وهو عبارة عن الجمع والتوراة انزلت على موسى من ولد ابراهيم والانجيل
على عيسى من ولده والفرقان على محمد من ولده صلى الله عليه وسلم واتيناه اجره في الدنيا
يعني الحجاج احتجاج اهل الملل عليهم قال عكرمة ورواه سفيان عن حميد بن قيس
قال ابو سعيد بن جبير لسنا ان نبيا لعكرمة عن قوله جل ثناؤه واتيناه اجره في الدنيا
قال لعكرمة اهل الملل كلها تدعيه وقيل هو ما قال سعيد بن جبير صدق وقال
قتادة هو مثل قوله واتيناه في الدنيا حسنة اي عافية وعملا صالحا وثناء حسنا
وذلك ان اهل كل دين يتولونه وقيل اتيناه اجره في الدنيا ان اكثر الانبياء من ولده وانه
في الاخرة لمن الصالحين لهم في الجنة داخلا في الصلة وانما هي تبيين وقد مضى في
البقرة بيانه وكل هذا حث على الاقتداء بابراهيم في الصبر على الدين الحق فوله تعالى ولوطا
اذ قال لقومه قال الكسائي المعنى وانجينا لوطا او وارسلنا لوطا قال وهذا الوجه
احب الي ويجوز ان يكون المعنى واذكر لوطا اذ قال لقومه توبيخا او تحذيرا انكم لتاتون
الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم تقدم الفاحشة في هذا وبيانها في سورة
الاعراف وتقدم قصة لوط وقومه في الاعراف وهود ايضا وتقطعون السبيل قيل
كانوا قطاع الطريق قال ابن زيد وقيل كانوا يأخذون الناس من الطريق لقضاء الفاحشة
حكاه ابن شجرة وقيل انه قطع السبيل بالعدول من النساء الى الرجال قاله وهب بن
منبه اذا استغنوا بالرجال عن النساء قلت ولعل الجميع كان فيهم فكانوا
يقطعون الطريق لاخذ الاموال في الفاحشة ويستغنون عن النساء بذلك وتاتون
في ناديكم المنكر الناديي المجلس واختلف في المنكر الذي كانوا يأتونه فيه فقالت فرقة
كانوا يجذفون الناس بالحصا ليستحمقون بالعزب والخاطر عليهم وروى ام هانئ
عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت ام هانئ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قول الله عز وجل وتاتون في ناديكم المنكر قال كانوا يجذفون من يمر بهم ويسخرون
منه فذلك المنكر الذي كانوا يأتونه اخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وذكره
الحارث والثعلبي والهروي والماوردي وذكر الثعلبي وقال ميمونة قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان قوم لوط كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل قصعة فيها الحصا
للحذف فاذا مر بهم عابر قذفوه فايهم اصابه كان اولى يعني يذهب به للفاحشة
فذلك قوله وتاتون في ناديكم المنكر وقالت عائشة وابن عباس والقاسم بن
بره والقاسم ابن محمد انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال مجاهد ومنصور كانوا
يأتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وعن مجاهد كان من امرهم لعب الحمام
وتكريب الاصابع والصفير والحذف وبه الحناء في جميع امورهم قال ابن عطية
وقد يوجد هذه الامور في بعض عصاة امة محمد صلى الله عليه وسلم فالتناهي واجب
قال مكحول في هذه الامة عشرة من اخلاق قوم لوط تضع الكف وتطريف الاصابع
بالحناء وحل الازار ويقصون الاصابع والعمامة التي تلف حول الراس والتشابك
ورمي الحيلاء هف والصفير والحذف واللوطية وعن ابن عباس قال ان قوم لوط كان
فيهم ذنوب غير الفاحشة منها انهم يتغاوطون فيما بينهم ويشتم بعضهم بعضا
ويتضارطون في مجالسهم ويحذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج ويلبسون الصفا
وبنا فرون بالديكة ويتباطحون بالكباش ويطرقون اصابعهم بالحناء وتتشبه الرجال
بلباس النساء والنساء بلباس الرجال ويضربون الملوس على كل عابر ومع هذا كله
كانوا يشركون بالله وهم اول من ظهر على ابليهم اللوطية والسماق فلما وقفهم لوط
عليه السلام على هذه القبايح رجعوا الى التكذيب والخاصم فقالوا ايتنا بعذاب
الله ايان ذلك لا يكون ولا تقدر عليه وهم لم يقولوا هذا الا وهم مصممون على اعتقاد
كذبه وليس يصح في الفطرة ان يكون مع اندر يقول هذا ثم استنصر لوط عليه السلام
ربه فبعث عليهم ملائكة لعذابهم مجاهد وابراهيم اولا مشين بنصر لوط على قومه
حسب ما تقدم بيانه في هود وغيرها وقرا الاعمش ويعقوب وحمزة والكسائي لننجينه
واهله بالتخفيف وشد الباقون وقرا ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائي

حسنة

انا مشغول وا هملت بالتخفيف وسكون الباقون وهما لغتان اتى وجاء بمعنى وقد تقدم وقرا
ابن عامر انا منزلون بالتشديد وهي قراءة ابن عباس والباقون بالتخفيف وقوله ولقد
تركنا منها اية والصلاة تشغل كل بدن المصلي فاذا دخل المصلي في محراب ربه وخشع واخبت
اليه ربه وذكر انه واقف بين يديه وانه مطلع عليه وانه يراه صلحت لذلك نفسه
وتزللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وطهرت على جوارحه هيبتها ولم يكن لعتر من ذلك
حتى تظل صلاة اخرى يرجع بها الى افضل حاله فهذا معنى هذه الاخبار لان صلاة
المومن هكذا ينبغي ان تكون وقد قلت لاسيما وان اشعر نفسه ان هذا ربما
يكون اخر عمله وهذا ابلغ في المقصود واهم من المراد فان الموت للمرء له سن محدود ولا
زمن مخصوص ولا موض معلوم وهذا مما لا اختلاف فيه وروي عن بعض السلف انه كان اذا
قام الى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال انى اقف بين يدي الله تعالى وحق
لي هذا مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر
ومن كانت صلاته دائرة حول الهزل الخشوع فيها ولا يوكر ولا فضاء بل الصلاة تناولتهما
تجري قبالك فتنزل صاحبها من نفسه حيث كان فان كان على طرف نفيه تماص بعده من
الله تعالى تركته الصلاة يتمادى على بعده وعلى هذا يخرج الحديث المروي عن ابن مسعود وابن
عباس والحسن والاعمش قولهم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزده من الله الا
بعدا وقد روي ان الحسن ارسله عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك غير صحيح السند قال
ابن عطية سمعت ابي رضي الله عنه يقوله فاذا قررناه ونظرنا معناه غير جايز ان يقوله
ان نفس صلاة العاصي تبعده من الله حتى كانها معصية وانما يخرج ذلك على انها
لا توشرع تقربه من الله بل يتركه على حاله وتعاصيه من الفحشاء والمنكر والبعد فلم يزده
الصلاة الا تقربا من ذلك البعد الذي كان له فكانها تفيد به حين لم يكن بعده عن
الله وقيل لابن مسعود ان فلانا كثيرا الصلاة فقال انها لا تنفع الا من اطاعها قلت
وعلى الجملة فالمعنى المقصود بالحديث لم تزده من الله الا بعدا ولم يزدد بها من الله الا مقتا
اشارة الى ان من تكب الفحشاء والمنكر لم تزره الصلاة نقلت القاصي على صاحبها وقيل
هو خبر بمعنى الامر اي لينتهي المصلي عن الفحشاء والمنكر والصلاة بنفسها لا تنهى ولكنها
سبب الى انتهائها وهو كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله انا انزلنا عليهم سلطانا
فهو ينكلم بما كانوا يشركون **الرابعة قوله تعالى** ولذكر الله اكبر اي ذكر الله اكبر
بالثواب والثناء عليكم اكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم قال بمعنا ابن مسعود
وابن عباس وابو الدرداء وابو قرة وسليمان والحسن وهو اختيار الطبري وروي
مرفوعا من حديث موسى بن علية عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ثم قال الله عز وجل ولذكر الله اكبر قال ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل ذكركم الله
في صلاتكم وفي قراءة الفقراء افضل من كل شيء وقيل المعنى ان ذكر الله اكبر مع المداومة
من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر وقالت فرقة ولذكر الله عند ما يحرم فيترك
اجل الذكر وقيل المعنى ولذكر الله للنهي عن الفحشاء والمنكر اكبر واكبر يكون
بمعنى كبير وقال ابن زيد ولذكر الله اكبر من كل شيء اي افضل من العبادات كلها بغير
ذكر وقيل ذكر الله منع من المعصية فان من كان ذاكرا لله لا يجاسره
وعندي ان المعنى ولذكر الله اكبر على الاطلاق اي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر
فالجزء الذي منع في الصلاة لعقل ذلك وكذلك يعمل في غير الصلاة ان الانتهاء لا يكون
الا من ذكر الله مراقب له وثواب ذلك الذكر ان يذكره الله تعالى كما في الحديث من ذكرني
في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم والحركات التي
في الصلاة لاتاثير لها في نهي والذكر النافع هو مع العلم واقبال القلب وتفرغه
من الخواطر من الله واما ما لا يتجاوز الملسان ففي رتبة اخرى وذكر الله تعالى للعبد
اقتضاه الوعد بذلك ولولا العلم عليه وذلك نعمة للذكر العبد ربه قال الله عز وجل فاذكروني
اذكركم وبالغ الناس ضرب مثل الوعيد والحث على المراقبة **قوله تعالى** ولا تجادلوا اهل
الكتاب الا بالتي هي احسن منه مسئلتان **الاولى** اختلف العلماء في قوله تعالى ولا
تجادلوا اهل الكتاب فقال مجاهد هي محكمة فيجوز جدالهم اهل الكتاب بالتي هي
احسن على معنى الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبيه على حجته وآياته رجاء اجابتهم
الى الايمان لا على طريق الاغلاظ والمخاشنة وقيل المعنى لا تجادلوا من امن منهم صلى

الله

الله عليه وسلم من اهل الكتاب المومنين كعبد الله بن سلام ومن امن معه / الا بالتي هي احسن
اي الموافقة فيما حدثوكم به من اخبارهم وعرف لك وقوله على هذا التاويل / الا الذين ظلموا
يريد به من بقي على كفره وعد ومن قرظة والنضير وغيرهم والاية على هذا ايضا محكمة وقيل
هذه الاية منسوخة بآية القتال لقوله تعالى قاتلوا الذين بالله قاله قتادة الا الذين
ظلموا اي جعلوا لله ولدا وقالوا يد الله مغلولة وان الله فقير ونحو / المشركون في سقوط الجزية
فانتصروا قاله الناس وغيره ومن قال هي منسوخة احتج بان / الاية مكية ولم تكن في ذلك
الوقت قتال معروض ولا طلب جزية ولا عز فلذلك وقول من قال هذا حسن لان احكام الله عز
وجل لا تقبل فيها انها منسوخة الا بخبر يقطع العذر او حجة من معقول واختار هذا القول
ابن العربي قال مجاهد وسعيد بن جبير وقوله / الا الذين منهم معناه / الا الذين نصبوا
للمومنين الحرب فحل لهم السيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية الثانية قوله تعالى
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم روى البخاري عن ابي هريرة قال كان اهل
الكتاب يقرون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل اليكم وروى عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسالوا اهل
الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما ان تكذبوا بحق واما ان تصدقوا بباطل
وفي البخاري عن حميد بن عبد الرحمن سمع معوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر
كعب الاحبار فقال اذكا نحن اصدق هولاء المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب
وان كان مع ذلك ليبلوا عليه الكذب **قوله تعالى** وما كنت تتلوا من قبله من كتاب الاية
فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب الضمير في قبله عائد
الى القرآن والمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم اي وما كنت يا محمد تقرا قبله
ولا تختلف الى اهل الكتاب بل انزلناه عليك في غاية / الاعجاز والنظم العجيب وغير
ذلك فلو كنت ممن يقرا كتابا ويخط حروفا لارتاب المبطلون اي من / اهل الكتاب
وقالوا لهم من ارتيابهم مستغلق وقالوا الذي يجده في كتبنا انه لا يكتب ولا يقرا وليس به
قال مجاهد كانوا اهل الكتاب يجدون في كتبهم ان محمد صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا
يقرا بخط فنزلت هذه الاية قال النحاس ورد لهذا على من زعم ان قريشا لانه لا يكتب ولا يقرا
ولا يخالط اهل الكتاب ولم تكن مكة اهل الكتاب فجاءهم باخبار الانبياء والامم وزالت
الريبة والشك الثانية ذكر الثعلبي في تفسير هذه / الاية عن الشعبي انه قال مات
النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب واسند ايضا حديثا الى ابي كبشة السلولي مضمنه انه
صلى الله عليه وسلم قرا صحيفة لعبيدة بن حصين واخبر بمعناها قال ابن عطية وهذا
كله ضعيف وقول الباجي رحمه الله منه قلت وقع في صحيح مسلم من حديث البراء في صلح
الحديبية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال له المشركون لو نعلم انك رسول الله ما بايناك ولفي رواية
ما بغيناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فامر علي ان يمحوها فقال علي والله لا امحوها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اروني مكانها فاراه فمحاها وكتب ابن عبد الله قال علماؤنا رضي الله
عنهم ظاهر هذا انه عليه السلام محا تلك الكلمة التي هي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده وكتب مكانها ابن عبد الله وقد رواه البخاري باظهر من هذا فقال فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب وزاد فطرقها حزي ولا يحسن ان يكتب فقالوا عنه
يجوز هذا الظاهر عليه وانه كتب بيده ومنهم السهيلي وابو ذر رواه الباجي وروا ان ذلك
غير قادح في كونه اميا ولا يعارض بقوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك ولا بقوله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب بل رواه زيادة في معجزاته واستظهر
على صدقه وصحة رسالته وذلك انه كتب من غير تعلم لكتابة ولا تعاط لاشباهها وانما
اجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها بامر الله لمن
قرأها فكان ذلك خارقا للعادة كما انه عليه السلام علم علما ولم يدارس الاخرين من
غير تعلم ولا اكتساب فكان ذلك ابلغ من معجزاته واعظم في فضائله ولا يزول عنه
اسم الامي بهذا ولا بذلك قال الراوي عنه في هذه الحالة ولا يحسن ان يكتب فنفى
عنه اسم الامي مع قوله قال شيخنا ابو العباس احمد بن عمر وقد انكر هذا
كثير من متفقهة الاندلس وغيرهم وشددوا النكير عليه وتشبثوا في ذلك

دليل على عدم العلوم النظرية وعدم التوقف في تكفير المسلمين ولم يتفطنوا لان تكفير المسلمين
ولم يتفطنوا لانه تكفير المسلم كقتله على ما جاء عنه عليه السلام في الصحيح لاسيما
وممن يشهد له اهل العصر بالعلم والفضل والامامة على انا المسئلة ليست قطعية
بل مستندها ظواهر اخبار احاد صحيحة غير ان العقل لا يحيلها وليس في الشريعة
قاطع يحيلها قلت قال بعض المتاخرين من قال هي اية خارقة فيقال له
كانت تكون اية لا يكتب ولا انها مناقضة لاية اخرى وهي كونه اميا لا يكتب ويكونه اميا
في امة اميه قامت الحجة وافحم الجاهد واخرست الشبهة فكيف يطلق الله تعالى
يده فكتب فيكون اية وانما الاية ان لا يكتب والمعجزات تستحيل ان يرتفع بعضها بعضا
وانما معنى كتب واخذ القلم اي امر من يكتب به من كتابه وكان كتبة الوحي بين يديه
صلى الله عليه وسلم ستة وعشرون كاتبا **الثالثة** ذكر القاضي عياض عن معاوية
انه كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له القى الدواة وحرف القلم واقم
الباء وفرق السين ولا تقور الميم وحسن الله ومد الرحمن ومجود الرحيم قال القاضي
وهذا وان لم يصح الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ومنع
القراءة والكتابة قلت هذا هو الصحيح في الباب انه ما كتب ولا حرفا
واحدا وانما امر من يكتب وكذلك ما قرأ ولا تهجى فان قيل فقد تهجى النبي صلى الله عليه
وسلم حين ذكر الدجال فقال مكتوب بين عينيه ك ف ر وقلتم ان المعجزة قائمة
في كونه اميا قال الله العظيم وما كنت تتلو من قبله من كتاب الاية وقال انا امة امية
لا نكتب ولا نحسب فكيف هذا فالجواب ما نصه عليه السلام في حديث حذيفة والحديث
كالقرآن يفسر بعضه بعضا ففي حديث حذيفة يقرأه كل مومن كاتب وغير كاتب ففي
بعض ذلك على غير الكاتب من غير ان يكون اميا وهذا من اوضح ما يكون جليا **قوله**
تعالى بل هو ايات بينات يعني القرآن قاله الحسن وزعم ان القرآن في قراءة عبد الله
بل هي ايات بينات العني بالايات القرآن ايات بينات قال الحسن ومثله هذا هو
بصابر ولو كانت هذه لجاز ومثله هذا رحمة من ربي قال الحسن اعطيت هذه
الامة الحفظ وكان من قبلها لا يقرءون كتابهم الا نظرا فاذا طبقوا لم يحفظوا مما فيه
الا النبيون فقال كعب في صفة هذه الامة انهم حكماء علماء وهم في الفقه انبياء في صدور
الذين اوتوا العلم اي للنبي هذا القرآن كما يقوله المبطلون من انه سحر او شعر ولكنه
علامات دلائل يعرف بها دين الله واحكامه وهي كذلك في صدور الذين اوتوا العلم
وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والموصون بحفظه ويقرونه ووصفهم بالعلم
لانهم ميزوا بافهامهم بين كلام الله وكلام الشياطين وقال قتادة وابن عباس
بل هي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل
الكتاب يجدونه مكتوبا عندهم في كتبهم بهذه الصفة اميا لا يقرأ ولا يكتب
ولكنهم ظلموا انفسهم وكتبوا وهذا اختيار الطبري ودليل هذا القول قراءة ابن هـ
مسعود وابن السميفع بل هذا ايات بينات وكان عليه السلام اية لانه واحده
لانه دل على اشياء كثيرة من امر الذين قبله اذا قيل هو ايات بينات وقيل بل هو
ذو ايات بينات فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه الا الظالمون اي الكفار لانهم
جحدوا نبوته وما جاء به **قوله تعالى** وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه هذا قول
المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه هلا انزل عليه اية كما يأتي الانبياء
وقيل كما جاء صالح بالناقة وموسى بالعصا وعيسى باحياء الموتى اي قلهم يا محمد
انما الايات عند الله هو يأتي بها كما يريد اذا شاء ارسلها وللبث عنده بي وانما انا نذير
وقرأ ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائي انذر بالتوحيد وجمع الباقون وهو اختيار ابي
عبيد لقوله قل انما الايات عند الله **قوله تعالى** اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه اي اولم يكف المشركين من الايات
هذا الكتاب المعجز الذي يتحدثهم ان ياتوا بمثله وبسورة منه فعجزوا وقد اتيتهم
بايات موسى وعيسى لقالوا سحر وهم لا يعرفون السحر والكلام مقرر لهم ومع
ذلك عجزوا عن المعارضة وقيل ان سبب نزول هذه الايات ما رواه ابن عيينة عن
عمرو بن دينار عن يحيى بن حمزة قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم بكف فيه كتاب
فقال كفى بقوم ضلالة ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به نبي غير نبيهم او كتاب

عنركتابهم فانزل الله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الى بتة اخرجه ابو محمد الدارمي في مسنده
وذكر اهل التفسير في كتبهم وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لو كان
موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي وفي مثله قال صلى الله عليه وسلم لبعض من لم يتقن
بالقرآن وليتفنن به عن غيره وهذا ثابت في البخاري رحمه الله في الاتية اذا كان تقاربه بكل
حرف عشر حسنات فاكثر على ما ذكرناه في مقدمة الكتاب فالرغبة عنه الى غيره هو
ضلال وخسران وعمى ونقصان ان في ذلك لرحمة اي في الرحمة في الدنيا والاخرة وقيل
رحمة في الدنيا باستنقاذ ثابه من الضلال وذكرى في الدنيا بارشادهم به الى الحق لقوم
يؤمنون **قوله تعالى** قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اي قل للمكذبين لك كفى بالله
شهيدا يشهد لي بالصدق فيما ادعيته من انى رسوله وان هذا القرآن كتابه يعلم
ما في السموات والارض اي لا يخفى عليه شيء وهذا احتجاج عليهم في صحة شهادته عليهم
لانهم قد اقروا بعلمه فلزمهم ان يقروا بشهادته والذين امنوا بالباطل قال يحيى بن
سلام ما بالمكس وقيل بعبادة الاوثان والاصنام فالدين شجرة وكفروا بالله اي لتكذيب
برسله وجحدهم لكتابه وقيل بما اشركوا به من الاوثان واضافوا اليه من الاولاد
والاصنام اولئك لهم الخاسرون انفسهم واعمالهم في الاخرة قوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب لما انذرهم بالعذاب قالوا لفرط الانكار عجل لنا هذا العذاب وقتل ان قائل
ذلك النضر بن الحارث وابو جهل حين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء وقولهم ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله
ولولا اجل مسمى في نزول العذاب قال ابن عباس يعني هو ما وعدتك الله اعذب
قومك واوخرهم اليوم القيامة بيانه بل الساعة موعدهم قال الضحاك هو مدة
اعمارهم في الدنيا وقيل المراد بالاجل المسمى النفخة الاولى قاله يحيى بن سلام وقيل
الوقت الذي قدره الله لهلاكهم وعذابهم قاله ابن شجرة وقيل هو القتل يوم بدر وعلى
الجملة فلكل عذاب اجل لا يتقدم ولا يتاخر لبله لكل نبإ مستقر لجاءهم العذاب يعني
الذي استعجلوه وليأتينهم بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون اي لا يعلمون بنزوله عليهم
وليستعجلونك بالعذاب اي ليستعجلونك وقواعد لهم جهنم وانما لم يحيط بهم لانه
فاعني الاستقبال وقيل نزلت في عبد الله بن ابي امية واصحابه من المشركين حين قالوا
او اسقط السماء كما زعمت علينا كسفا **قوله تعالى** يوم يغشاهم العذاب من فوقهم قيل
بما هو قبله اي يوم يجيئهم العذاب من فوقهم او من تحت ارجلهم فاذا غشيهم العذاب به
احاطت بهم جهنم وانما قال من تحت ارجلهم للمقارنة والا فالغشيان من فوق انما كما قال
الشاعر اعلفتها تبنا وماء باردا وقال اخر

ولقد كان فؤاد الجبان الي العدي عليهن عات من سماء ودروع

ويقول ذوقوا قرا اهل المدينة والكوفة يقول بالنون الباقون بالياء واختاره ابو عبيد
لقوله فكفى بالله ويحتمل ان يكون الملك الموكل بهم يقول ذوقوا العذاب ويحتمل ان ترجع الى معنى
ان يقول الملك يا مرسلا ذوقوا **قوله تعالى** يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة هذه الاية
نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا مقيمة على الهجرة في قول مقاتل والكلبي فاخبرهم
الله تعالى بسعة ارضه وان البقاء في نعمه على اذى الكفار ليس بصواب بل الصواب
ان يلتمس عباد الله في ارضه مع صالحي عباده اي ان كنتم في ضيق من اظهار الايمان بمكة فهاجروا
الى المدينة فانها واسعة لاظهار الحق حبذ بها وقال ابن جبير وعطا ان الارض التي
فيها الظلم والتكبر يتزنت فيها هذه الاية ويلزم الهجرة عنها الى بلد حق وقال مالك
وقتادة مما هذا ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا وقال مطرف بن الشخير ان ارضي
واسعة وعنه ايضا ان رزقي لكم واسع فانتعوه في الارض قال سفيان الثوري
اذا كنت بارض عالية فانتقل الى غيرها تملا فيها جرابك خبزا بدرهم وقيل المعنى ان
ارضي التي هي ارض الجنة واسعة فاعبدون حتى او ثكموها فاياي فاعبدون اياي
منصوب بفعل مضمر اي فاعبدوا اياي فاعبدون فاستغنى باحد الفعلين عن
الثاني والمعنى في قوله فاياي بمعنى الشرط اي ان ضاق بكم موضع فاياي فاعبدون
لان ارضي واسعة **قوله تعالى** كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون تقدم في
العمران وانما ذكره ها هنا بحتمل الامر الدنيا ومخاوفها كان بعض المؤمنين يظن في
عاقبة يلحقه في خروجه من وطنه من ملكة او موت او جوع او نحو هذا فحثهم الله على ذلك الدنيا

ان رحمتي ح

اي انتم لاسما لتبنون ومحشورون الينا فالبدار البدار الى طاعة الله والهجرة اليه والى ما ينمثل
ثم وعد المومنين القاسلين لسكنى الجنة تخريصا منه تعالى وذكر الجزا الذى ينالونه ثم
نعتهم بقوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقرا ابو عمرو ويعقوب والحدري وابن
ابى اسحق وابن محيصن والاعمش وحمزة والكسائي وخلف ياعبادي باسكان الياء وفتحها
الباقون اذا رضي فتحها ابن عامر وسكنها الباقون وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من تحول بيته من ارض الى ارض ولو قيد شبر استوجب الجنة وكان رفيق محمد
وابراهيم عليهما السلام ثم الينا يرجعون قرا السلمي وابو بكر عن عاصم يرجعون ها
بالياء لقوله كل نفس ذائقة الموت وقرا الباقون بالتاء ولقوله يا عبادي الذين امنوا
والشد بعضهم

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تركنن الى الدنيا وزهرتها وان توشحت من اثوابها الحسنا
اين الاحبة والجيران ما فعلوا اين الذين هم ابنا كانوا لها سكنا
سقام الموت كاسا غير صافية فصيرتهم تحت اطباق الثرى رهنا

وقرا ابن مسعود والاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي لنبوئنهم بالثاء مكان الباء من
البوي وهما الاقامة اي لننزلنهم غرفا يسكنون فيها وقرا رزين عن يعقوب والحدري
والسلمي لنثوينهم بالياء مكان النون والباء وقرا لنبوينهم بالياء اي لننزلنهم غرفا جمع غرفة
وهي العلية المشرفة وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب
الدري الغابر من الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله
تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا
المرسلين وخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقام اليه اعرابي
فقال لمن هي يا رسول الله قال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى
بالليل والناس نيام وقد رويناها هذا المعنى سائغ في كتاب الجنة من كتاب التذكرة ها
والحمد لله **قوله تعالى** وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم الواقدي عن
يزيد بن هرون قال حدثنا الحجاج بن منهال عن الزهري وهو عبد العظيم بن عطا عن
عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان
الانصار فجعل يلتقط من التمر فقال لي ابن عمر مالك لا تاكل فقلت لا اشتهيه يا رسول
الله قال لكنا اشتهيه وهذه صبيحته راغدا فاذ طعاما ولو شيت لدعوت ربي
فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبون رزق
سنتهم وتضعف اليقين قال والله ما برحنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل
رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قلت وهذا ضعيف ضعفه
ابن عليه السلام كان يدخر لاهله قوت سنتهم اتفق البخاري عليه ومسلم وكانت
الصحابة يفعلون ذلك وهم القدوة واهل اليقين والائمة لمن بعدهم من المتقين
المتوكلين وقد روى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمومنين بمكة حين اذا هم
المشركون اخرجوا الى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا قالوا ليس لنا بها دار ولا متاع
ولا من يطعمنا ولا من يسقينا فنزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم
اي ليس معها رزقها مدخرا وكذلك انتم يرزقكم الله في دار الهجرة وهذا اشبه
من القول الاول وتقدم الكلام في كاين وان هذه اي دقلت عليها كاف التشبيه
وصار فيها معنى كم والتعذير الخليل وسيبويه كالعداي كسي كثير من العدد من
دابة قال مجاهد يعني الطير والبهايم تاكل يا قوا بها ولا يحمل شيا من الحشف تاكل
لوقتها ولا تدخر لغد وقيل لا تحمل رزقها اي لا تقدر على رزقها الله يرزقها
اين ما توجهت واياكم وقيل الحمل بمعنى الحمالة وحكى الفراء ان المراد النبي صلى
الله عليه وسلم يا كل ولا يدخر قلت وليس بشي لاطلاق لفظ الدابة
وليس يستعمل في العرف اطلاقها على الادمي فكذا على النبي صلى الله عليه وسلم
وقد مضى هذا في النمل عند قوله واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض
تكلمهم قال ابن عباس الدواب هو كل دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر الا
ابن ادم والنمل والفار وعن بعضهم دابة البلبل البلبل يحتكر في حصنه ويقال للعقق

الا ترى انه سبحانه قد ضمن ارزاقها وايامكم فنوى بين المرتجي والمتوكل في رزقه وبين الراغب والقانع وبين الحيوان العاجز حتى لا يفتر الجلد المرزوق بجلده ولا يتصور العاجز ممنوع بعجزه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وهو السميع لقولكم وقولكم لا نجد ما ننفق بالمرتفع العليم بما في قلوبكم **قوله تعالى** ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الآية المشركون المسلمين بالفقر وقالوا لو كنتم على حق لم تكونوا فقراء وكان هذا سببا في الكفار فقرا وضارا زال الله هذا الشبهة وكذا كل من قال لهاجرنا لم نجد ما ننفق اي فاذا اعترفتم بان الله خالق هذه الاسباب فكيف تشكون في الرزق ممن بيده مكون الكائنات لا يعجز عن ترزق العبد ولهذا اوصله بقوله الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فانى يوفكون اي كيف يكفرون بتوحيدي وينقلبون عن عبادتي والله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده اي لا يختلف امر الرزق بالايمان والكفر فالتوسيع والتقتير منه فلا يغتر بالفقر فكل شيء بقضاء وقدر والله بكل شيء عليم من احوالكم وامورکم وقيل علم بما يصلحكم من اقتار وتوسيع **قوله تعالى** ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء اي من السحاب مطرا فاحيا به الارض بعد موتها اي جدبها وقحط اهلها ليقولن الله اي فاذا اقررتم بذلك فكيف تشركون به وتكفرون بالاعادة واذا قدر على ذلك فهو القادر على اغنا المومنين فكبر ذلك اكبارا قل الحمد لله اي على ما اوضح من الحجج والبراهين على قدرته بل اكثرهم لا يعقلون اي لا يتدبرون هذه الحجج وقيل الحمد لله على اقرارهم بذلك وقيل على انزال الماء واحيا الارض وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب اي شيء يلهى به ويلعب اي احسن ما اعطاه الله للاعبا من الدنيا الا وهو يضمحل ويزول كما للعب الذي لا حقيقة له ولا ثبات قال بعضهم الدنيا ان بقيت لك لم تبق لها والنشد

تزود لنا الدنيا بغير الذي بدت ويحدث من بعد اطمئنان امور
فمن ظن ان الدهر باق سروره فذاك محال لا يدوم سرور
وتجري الليالي بالجتماع وفرقة ويطلع فيها انجم وتغور
عفا الله عمن صير الهم واحزانه يقين ان الدار ليست تدور

قلت ـــــ وهذا كله في امور الدنيا من المال والجاه والتلبس الزائد على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطاعات فاما ما كان منها لله فهو من الآخرة وهو الذي يبقى كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اي ما ابتغي به وجه الله ورضاه وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها وزعم ابو عبيدة ان الحيوان والحياة والحي بمعنى واحد كما قال وقدر بان اصل الحياة حيي وغيره يقول ان الحي جمع على فعول مثل غصن وغصون والحيوان يقع على كل شيء حي وحيوان عين في الجنة وقيل اصل حيوان هيوان فابدلت احدى الواوين ياء والاجتماع المشركين لو كانوا يعلمون انما للذلك قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك يعني السفن وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين اي صادقين في نياتهم وتركوا عبادة الاصنام ودعاها فلما انجاهم الى البر اذا هم يشركون اي يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطانا وقيل اشراكهم ان يقول قائلهم لولا الله والملاح لغرقنا فيجعلون ما فعل الله من النجاة فسحة بين الله وخلقه **قوله تعالى** ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا قيل هما لام كي اي لكي يكفروا ولكي يتمتعوا وقيل اذا هم يشركون ليكون ثمرة شركهم ان يجحدوا نعم الله ويتمتعوا بالدنيا وقيل هما لام امر معناه التهديد والوعيد اي كفروا بما اعطيناكم من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا ودليل هذا قراءة ابي وتمتعوا ابن الهيثم الدوري وتقوي هذا قراءة الاعمش ونافع ونافع وحمزة وليتمتعوا بجزم اللام التخاس وليتمتعوا لام كي ويجوز ان تكون لام الامر لان اصل لام الامر الكسر الا اذا امر فيه معنى التهديد ومن قرأ وليتمتعوا باسكان اللام لم يجعلها لام كي لان لام كي لا يجوز اسكانها وهي قراءة ابن كثير والمسيبي وقالون عن نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم الباقون بكسر اللام وقرأ ابو العالية ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون تهديد ووعيد **قوله تعالى** اولم يروا انا جعلنا حرما امنا قال عبد الرحمن بن زيد هي مكة وهم قريش امنهم الله تعالى فيها ويتخطف الناس من حولهم قال الضحاك يقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا والخطف الاخذ بسرعة وقد يعني في القصص وغيرها فاذكرهم الله عز وجل هذه النعمة ليدعوا له بالطاعة

اي جعلت لهم حرما امنا امنوا فيه من السبي والغارة والقتل وخلصتهم في البر كما خلصتهم في البحر فصاروا يشركون في البر لا يشركون في البحر فهذا تعجب من نباقض احوالهم اقبا لباطل يرضون قال قتادة اقبا لشرك قال يحيى بن سلام اقبا بليس ونعمة الله يكفرون قال ابن عباس اقصاقبه الله وقال ابن شجرة اقبعطاء الله واحسانه وقال ابن سلام اقبما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى وعلى التفاسير اقبا طعامهم من حبوب ومنهم من حوف يكفرون وهذا تعجب وانكار وخرج مخرج الستفهام **قوله تعالى** ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن جعل مع الله شريكا وولدا اذا فعل فاحشة قال وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اوكذب بالحق لما جاءه قال يحيى بن سلام بالقرآن وقال السدي بالتوحيد وقال ابن شجرة محمد صلى الله عليه وسلم وكل قول تناول القولين الذين في جهنم مثوى للكافرين اي مستقر وهذا استفهام تقرير **قوله تعالى** والذين جاهدوا فينا اي في طلب مرضاتنا وقال السدي وغيره انها هذه الاية نزلت قبل فرض القتال قال ابن عطية فهي في فضل الجهاد العرفي وانما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته قال الحسن ابن ابي الحسن الاية في العباد وقال ابن عباس وابراهيم النخعي يزادهم في الدين يعلمون ما يجهلون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم وفرع بعضهم العلما لقوله واتقوا الله ويعلمكم الله وقال عمر انما قصرنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا ولو عملنا ببعض علمنا لاورثنا علما لا يقوم به ابدا نا قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال ابو سليمان الداراني ليس المجاهدة في الاية قتال الكفار بل هو نصر الدين الرد على المبطلين وقمع الظالمين وعظة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفس في طاعة الله وهو الجهاد الاكبر وقال سفين بن عيينة لابن المبارك اذا رأيت الناس قد اجتمعوا عليك بالمجاهدين واهل الثغور فان الله يقول لنبيه ليشهدوا منافعهم وقال الضحاك يعني ابنا والذين جاهدوا في الهجرة ليشهدنهم سبل الثبات على الايمان ثم قال السبل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم وقال عبد الله بن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل طاعتنا ثوابنا وهذا يتناول لعموم الطاعة جميع الاقوال ونحوه قول عبد الله بن الزبير قال يقول الحكمة من طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين ان يعمل باحسن ما يعلمه ويجتنب اسوا ما يعلمه وقال الحسين بن الفضل فيه تقديم وتاخير اي والذين هدينا هم الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا اي طرق الجنة قال السدي حتى التقاش بوقفهم لدين الحق وقال يوسف ابن اسباط المعنى لنخلصن نياتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم والله لمع المحسنين لام توكيد ودخلت في مع على احد وجهين ان يكون اسما ولام التوكيد انما تدخل على الاسما او حرفا فتدخل عليها لان فيها معنى الاستقرار كما تقول ان زيدا لفي الدار ومع اذا سكنت هي حرف لا غير واذا فتحت جاز ان تكون اسما وان تكون حرفا والاكثر ان تكون حرفا جاء لمعنى وتقدم معنى الاحسان والمحسنين في البقرة وغيرها وهو سبحانه معهم بالنصرة ومعهم بالمعونة والحفظ والهداية ومع الجميع بالاحاطة والقدرة فبين المعنيين ثمت السورة بحمد الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الروم مكية كلها غير خلاف وهي ستون اية

قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاعجب ذلك المومنين فنزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض ابي فتوفي المومنون بضع الله سبع سنين فغلبت الروم فارس وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه هكذا فسر ضرب على الجمع على غلبت الروم ورواه ابو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قول الله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض قال غلبت وغلبت قال كانت المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم لانهم واياهم اهل اوثان وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب فذكروه لابي بكر فذكره ابو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما انهم سيغلبون فذكره ابو بكر لهم فقالوا اجعل بيننا وبينك اجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا فجعل اجل خمس سنين فلم

يظهرون فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يحملنه الا دون قال ابو عيسى العشرة قال
ابو سعيد والبضع ما دون العشرة قال ثم ظهرت الروم بعد قال فذلك قوله الم غلبت
الروم الى قوله ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله قال سفيان سمعت انهم ظهروا عليهم
يوم بدر قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب ورواه الضباعي عن ابن بزمكرم
الاسلمي قال لما نزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع
سنين وكانت فارس يوم نزلت هذه الاية ظاهرين للروم وكان المسلمون يحبون
ظهور الروم عليهم لانهم واياهم اهل كتاب وفي ذلك قوله الله يومئذ يفرح المؤمنون بنصر
الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قريش تحب ظهور فارس لانهم واياهم ليسوا
باهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما انزل الله هذه الاية خرج ابو بكر الصديق رضي الله
عنه يصيح في نواحي مكة الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
في بضع سنين فقال ناس من قريش لابي بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبك ان
الروم ستغلب فارسا في بضع سنين افلا نراهنك على ذلك قال بلى وذلك قبل تحريم
الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان وقالوا لابي بكر كم تجعل البضع
ثلاث سنين او تسع سنين فتم بيننا وبينك وسطا بلغنتهى اليه قالوا فسموا بينهم
ست قال فمضت الست سنين قبل ان يظهروا فاخذ المشركون رهن ابي بكر فلما
دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس فغلب المسلمون على ابي بكر لتسعة
ست سنين قال لان الله تعالى قال في بضع سنين قال واسلم عند ذلك ناس كثير قال
ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب وروى الشعبي وابو مطيع وغيرهما انه لما
نزلت الاية خرج ابو بكر بها الى المشركين فقال اتركم ان غلبت الروم فارس فان هم
بيننا اخبرنا عن الله تعالى انهم سيغلبون في بضع سنين فقال له ابي بن ابي خلف واميه
واخوه وقيل ابو سفيان بن حرب يا ابا فصيل ليس هكذا بيننا انما البضع ما بين الثلاث
الى التسع فزد في الخطر واسالهم ابو بكر فقال قد فعلت وذلك قبل ان يحرم القمار وجعلوا
الرهان خمس قلايص في الاجل ثلث سنين وقيل جعلوا الرهان ثلاث قلايص
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال فهلا اخطرت فان البضع ما بين الثلاث
الى التسع والمشر ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الاجل ففعل ابو بكر
فجعلوا المئة قلوص بمئة والاجل تسع سنين وقيل جعلوا الرهان ثلاث قلايص
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال فهلا احطت فان البضع ما بين الثلاث
الى التسع والمشر ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الاجل ففعل ابو بكر
فجعلوا المئة قلوص بمئة والاجل لتسع اعوام فغلبت الروم في اثنا الاجل وقال الشعبي
ظهروا في تسع سنين العشري المشهور في الروايات ان ظهور الروم كان في السابعة من غلبته
ولعل رواية الشعبي تصحيف من التبع من بعض النسخة وفي بعض الروايات انه جعل الثلاث
الى تسع سنين وقيل اذ اخر فتح كسرى ابرويز فتح فيه القسطنطينية حتى بنا فيها بيت النار
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فانزل الله تعالى هاتين الايتين وخبر الثقاش
وغيره ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما اراد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم تعلق به ابي
ابن خلف وقال له اعطني كفيلا بالخطر ان غلبت فتعلل بابنه عبد الرحمن فلما اراد ابي الخروج
الى احد طلب عبد الرحمن بالكفيل فاعطاه كفيلا ثم مات ابي بمكة من جرح جرحه النبي صلى
الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية على رأس تسع سنين من مناجاتهم
وقال الشعبي لبث بضع تلك المدة حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيلهم بالمدائن وبثوا
رومية فمر ابو بكر بنيا واخذ قال الخطر من ورثته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
تصدق به فتصدق به وقال الشعبي وان السبب على انه الروم فارس امراة كانت
في فارس لا تلد الا الملوك والابطال فقالت لها كسرى ابرويز ان استهل احد بنيك على
حلمك اجيش له للروم فقالت هذا هرمز اروع من تغلب واحذر من صقر وهذا
فرخان اصرم من سنان وابعد من نبل وهذا سهربراز اعلم من كنا فاختر فاختار
الحليم ودلاه فشار الى الروم باهل فارس فظهر على الروم وقال عكرمة وغيره ان سهربراز
لما غلبت الروم فرتب دبارها حتى بلغ الخليج فقال لاخوه فرخان لعذرا بيننا حالكما
على سرير كسرى الى شهربراز اذا رسل الى برا سر فرخان فلم يفعل فكتب كسرى الى فارس اني
قد استعملت عليكم فرخان وعزلت شهربراز وكتب الى فرخان اذا اتاك كتابي هذا فاقتل شهر
براز فاراد فرخان قتل سهربراز فاخرج له سهربراز فقال سهربراز لفرخان ان كسرى
كتب الي اني اقتلك ثلاث صنايع وازجنه ابدا في امرك افتقبلني انت بكتاب ولعل
ورد الملك الى اخيه وكتب شهربراز الى قيصر ملك الروم يتبأ ونا على كسرى فغلبت الروم فارسا

وما ت كسرى وجاء الخبر الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية فسر بذلك من معه من المسلمين
فذلك قوله تعالى الم غلبت الروم فى ادنى الارض يعنى ارض الشام عسكره بادرعات
وهى ما بين بلاد العراق والشام كذا قيل ان نبط الفرس كان نبط رجلا يدعى بجلس وبعث
كسرى يتجسر له ان فالتقيا بادرعات وبصرى فهزمهم ادنى بلاد الشام الى ارض العرب
والعجم بما هنا بالحريرة وهو موضع ادنى الارض بين العراق والشام مقابل بين الاردن
وفلسطين وادنى معناه اقرب قال ابن عطية فان كانت الوقعة بادرعات فهى من ادنى
بلاد الارض بالقياس الى مكة وهى التى ذكر امرأ القيس فى قوله

تنورتها من ادرعات واهلها بيثرب ادنى دارها نظر عال

وان كانت الوقعة بالحريرة فهى ادنى بالقياس الى ارض كسرى وان كانت بالاردن فهى
ادنى الى ارض الروم سيغلبون ويكون الدولة لهم فى الحرب وقد مضى الكلام فى فواتح السور وقرأ
ابو سعيد الخدرى وعلى ابن ابى طالب ومعاوية بن قرة غلبت الروم بفتح اللام والعين
وتاويل ذلك اذا الذى ظهر اليوم بدرا انما كانت الروم غلبت فعزة لله على كفار قريش هم
وسر بذلك المسلمون فليشر الله انهم سيغلبون اضافى بضع سنين ذكر هذا التاويل
ابو حاتم قال ابو حاتم قال ابو جعفر النحاس تراه اكثر الناس غلبت بضم الغين
وكسر اللام وروى عن ابن عمر وابى سعيد الخدرى انما فتن غلبت بروم وقراءة
سيغلبون وحكى ابو حاتم ان عصمة هذا ضعيف وابو حاتم كثير الحكاية عنه هو
والحديث يدل على ان القراءة غلبت بضم الغين وكان فى هذا الاخبار دليل على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لان الروم غلبتها فارس فاخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه
وسلم انها الروم ستغلب فارس فى بضع سنين وان المومنين يفرحون بذلك لان الروم
اهل كتاب فكان هذا من علم الغيب الذى اخبر الله عز وجل به مما لم يكن وامرا بكر
ان يراهنهم على ذلك وان يبالغ فى الرهان ثم حرم الرهان بعد وفسخ تخزيم القمار
قال ابن عطية والقراءة بضم الغين اصح واجمع الناس على سيغلبون اذ بفتح
الباء يراد به الروم ويروى عن ابن عمر انه قرأ ايضا بضم الياء فى سيغلبون وفى هذه القراءة
قلب المعنى الى تظاهرت الروايات به قال ابو جعفر النحاس ورسم فى سيغلبون
فالمعنى عنده وفارس من بعد غلبهم ايا من بعد ان غلبوا سيغلبون وروى ان اتباع
الروم بالفرس كان يوم بدر كما فى حديث ابى سعيد الخدرى فى حديث الترمذى وروى
انه ذلك كان يوم الحديبية وان الخبر وصل يوم بيعة الرضوان قال له عكرمة وقتادة
وقال ابن عطية وفى تلك الموسم كان نصر من الله للمومنين وقد ذكر ان سبب سرور
الناس بغلبة الروم وظهورهم ان الغلب انما هو لاهل الروم اهل كتاب كالمسلمين وفارس
من اهل الاوثان كما تقدم بيانه فى الحديث قال النحاس وقول الحسن هو اولى اذ فى خبرهم
انما كان الاخبار وعد الله عز وجل اذا كان فيه دليل على النبوة لانه اخبر جل وعز بما يكون فى
بضع سنين فكان فيه قال ابن عطية وينبغى ان يعلل ذلك بما تقتضيه النظر من عجبة
ان تغلب وتمنى كتب العدو الاصغر لانه اليس بسونته ومتى غلب الاكبر كثر الخوف منه
فتامل هذا المجموع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجاه من ظهور دينه وشرعه
الذى بعثه به وغلبته على الامم واراده كفار مكة ان يرسلها الله عليهم فلم لهم صلة وبرهم
منه وقيل سرورهم انما كان بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين لان جبريل
اخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر حكاه الثعلبى قلت ويحتمل ان يكون سرورهم
بالمجموع من ذلك فرأوا ظهورهم على عدوهم وظهور الروم ايضا وبانجاز وعد الله وقرأ
ابو حيوة الشامى ومحمد بن السميفع من بعد غلبهم سيغلبون اللام وهما لغتان مثل
الطمث والطمث وزعم الفراء ان الاصل من بعد غلبهم فحذفت التاء كما حذفت فى قوله
عز وجل واقام الصلاة واصله واقامة الصلاة قال النحاس وهذا غلط لا يحمل
على كثير من اهل البصر لانه اقام الصلاة مصدر وقد حذف منه لاعتلال فعله فجعلت التاء
عوضا من المحذوف وغلب ليس مثله ولا حذف منه شىء وقد حكى الاصمعى طرد طردا وجلب جلبا
وحلب حلبا وغلب غلبا فما يحذف فى هذا فهل يجوز ان يقال فى اكل اكلا وما اشبهه حذف
منه فى بضع سنين حذفت الهاء فى بضع فرقا بين المذكر والمونث وقد مضى الكلام فيه
فى يوسف وفتحت النون من سنين لانه جمع سلم ومن العرب من يقول فى بضع سنى كما
يقول فى عشرين وجاز ان يجمع منه جمع من يعقل بالواو والنون والياء والنون لانه قد حذف

منها شيء مجمل هذا الجمع عوضا من النقص الذي في واحده لان اصل سنة سنهة او سنوة وكسرت السين منه دلالة على ان جمعه خارج عن قياسه ومنطه هذا قول البصريين ويلزم الفراء ان يضمها لانه يقول الضمة دليل على الواو وقد حذف من سنه واو في احد القولين ولا يضمها الحد علماه قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اخبر الله تعالى بالقدرة والتمام في العالم من غلبه وغيرها انما هي منه وبارادته وقدره تعالى الله الامر اي انفاذ الاحكام من قبل ومن بعد اي من قبل هذه الغلبة ومن بعدها وقبل من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء ومن قبل ومن بعد طرقان بنيا على الضم لانهما تعرفا بحذف ما اضيفا اليه وصار لهما ضمتين فبنيا وخصا بالضم لشبههما بالمنادى المفرد في انه اذا نكر واضيف نواه وكذلك هما قضيا ونيالا من قبل ومن بعد وحكى الفراء عن بعض بني اسد لله الامر من قبل ومن بعد الاول مخفوض منون والثاني مضموم بلا تنوين وحكى الفراء من قبل ومن بعد مخفوض بغير تنوين وانكره البصريون وردوه وقال الفراء وكنا به في القرآن اشبه كثيرة الغلط فيما بين منها انهم لا يجوز من قبل ومن بعد وانما يجوز من قبل ومن بعد على انهما نكرتان قال الزجاج من تقدم ومن تاخر ويوميذ يفرح المؤمنون بنصر الله تقدم ذكره بنصر من يشاء يعني من اوليائه لان نصره مختص بقبلته اوليائه لاعدائه وانما قبلته اعدائه لاوليائه فليس لينصر وانما هو انبلاء وقد يسمى ظفرا وهو العزيز في نقمته الرحيم لاهل طاعته قوله تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده لان كلامه صدق ولا كن اكثر الناس لا يعلمون وهم الكفار وهم اكثر وقيل المراد مشركو مكة وانتصب وعد الله على المصدر لان وعد ذلك وعدهم بين تعالى مقدارما يعلمون فقال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني امر معايشهم ودنياهم حتى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون وليس بشئون قاله ابن عباس وعكرمه وقتادة وقال الضحاك هو بنيان قصورها وتشقيق انهارها وغرس اشجارها والمعنى واحد وقيل هو ما تلقيه الشياطين اليهم من امور الدنيا عند استراقهم السمع من سما الدنيا قاله سعيد بن جبير وقيل الظاهر الباطل كما قال في موضع اخر فظاهر من القول قلت وقول ابن عباس اشبه بظاهر الحياة الدنيا حتى لقد قال الحسن بلغ والله من علم احدهم بالدنيا انه يقدر درهم فيجبر بورنه لا يحسن ان يقبلي وقالوا لابن عباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال ليصل يوم الذبح للنوم ويوم النيروز للصيد ويوم المهرجان للشرب واللهو ويوم الشعانين للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة اي عن العلم بها والعمل لها هم غافلون قال بعضهم ومن البلية ان ترى لبيبا صاحيا في صورة الرجل السميع المبصر فطن بكل مصيبة في ماله واذا ابصر دينه لم يشعر قوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم قوله في انفسهم ظرف للتفكر وليس بمفعول تعدي اليه يتفكروا واخرف جوابهم لم يوفروا ان يتفكروا في خلق انفسهم انما امروا ان يستعملوا التفكر في خلق السموات والارض وفي انفسهم حتى يعلموا ان الله لم يخلق السموات وغيرها الا بالحق قال الزجاج في الكلام حذف اي فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق قال الفراء معناه الا للحق يعني للثواب والعقاب وقيل الا اقامة الحق وقيل بالحق بالعدل وقيل بالحكمة والمعنى متقارب وقيل بالحق اي انه هو الحق والحق خلقها وهو الدال على توحيده وقدرته واجل مسمى اي للسموات والارض اجل ينتهيان اليه وهو يوم القيامة وفي هذا تنبيه على فناء وعلى ان لكل مخلوق اجلا وعلى ثواب المحسن وعقاب المسيء وقيل واجل مسمى اي خلق ما خلق الى وقت سماه لان خلق ذلك الشيء فيه وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون بلقاء ربهم على التقديم والتاخير اي لكافرون بالبعث بعد الموت ويقول ان زيدا في الدار الجالس ولو قلت ان زيدا لفي الدار الجالس جاز فان قلت ان زيدا جالس لفي الدار لم يجز لان اللام انما يولج بها توكيدا لاسم ان وخبرها واذا جئت بها لم يجز ان يأتي بها وكذا ان قلت ان زيدا الجالس لفي الدار لم يجز قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا بابصارهم وقلوبهم ليف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة لان اهل مكة لم يكونوا اصحاب حرث قال الله تعالى تثير الارض وعمروها اكثر مما عمروها اي وعمروها اولا اكثر مما عمروها هو لاء فلم تغنهم عمارتهم ولا طول اعمارهم وجاءتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات وقيل بالاحكام فكفروا ولم يوحدوا فما كان الله ليظلمهم بان اهلكهم من غير ذنب ولا ارسل ولا حجة ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالشرك والعصيان قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين

اساؤا السواي السواي فعلى هذا السوءا تنين السوءا وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الحسن وقيل
يعني بها ها هنا النار قاله ابن عباس ومعنى اساؤا اشركوا ولعلة ان كذبوا بايات الله اي
لانهم كذبوا فان لها التكذيب وقيل بان كذبوا وفزانافع وابن كثير وابو عمرو بم كانوا عاقبة الذين
بالرفع اسم كان وذكرت لان تانيثها غير حقيقي والسواي خبر كان والباقون بالنصب
على خبر كان السواي بالرفع اسم كان ويجوز ان يكون اسمها التكذيب فيكون التقدير ثم
كان التكذيب عاقبة الذين اساؤا ويكون السواي مصدرا لاساؤا او صفة لمحذوف
اي الخلة السواي وروي عن الاعمش انه قرا ثم كان عاقبة اساؤا السوءا برفع السوءا
والنحاس السواء مثل الشورا السواي منه اي كذبوا بايات الله فيكذبوا بمحمد والقران
قاله الكلبي مقاتل بالعذاب ان ينزل بهم الضحاك بمجزا نبي الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا
يستهزؤن **قوله تعالى** الله يبدي الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون قرا ابو عمرو وابو بكر
يرجعون بالياء الباقون بالتاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون وقرا ابو عبد الرحمن السلمي
يبلس بفتح اللام والمعروف في اللغة ابلس الرجل اذا سكت وانقطعت حجته ولم يول ان يكون
له حجة ولو ضربت سنة بحر كما قال العجاج يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم اعرفه
وابلسا وتزعم بعض النحويين ان ابليس مشتق من هذا وانه ابليس لانه انقطعت حجته
النحاس ولو كان كما قال لوجب ان ينصرف وهو في القران غير منصرف وقال الزجاج المبلس
الساكت المنقطع في حجته اليائس من ان يهتدي اليها ولو لم يكن من شركائهم اي فاعبدوه
من دون الله شفعاؤا كانوا شركائهم كافرين قالوا ليسوا بالهة تبرؤا منهم وقرات منهم
حسب ما تقدم في غير موضع **قوله تعالى** ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يعني
المؤمنين من الكافرين ثم بين كيف تفرقهم فقال فاما الذين امنوا قال النحاس سمعت
الزجاج يقول معنى اما مذ ما كنا فيه وحد في غيره وكذا قال سيبويه ان معناها مهما يكن
من شي اي مهما يكن من شي يحدث في غير ما كنا فيه فهم في روضة يحبرون قال الفراء
الحبرة والرياض الجنان وقال ابو عبيد الروضة ما كان في تسفل فاذا كان مرتفعا هو روضة
وقال غيره احسن ما يكون الروضة اذا كان في موضع مرتفع غليظ كما قال الاعشى

٢ ما روضة من رياض الحزن معشبة خضراء

جاد عليها مسبل هطل يضاحك الشمس منها كوكب شرق مورد تقيم النبت مكتهل يوما
باطيب منها نشرا يحة ولا باحسن منها اذ دنا الاصل لانه لا ينال لها روضة الا اذا كانت
فيها نبت فان لم يكن فيها نبت وكانت مرتفعة فهي تزعة وقد قيل في التزعة غير هذا
وقال الفراء الروضة عند العرب ما ينبت حول الغدير من النبت ولم يكن عند العرب
شي احسن الجوهري والجمع روض ورياض صارت الروا بالكسرة ما قبلها والروض نحو
من نصف الغدير ماوي في الحوض روضة من ماذا اعطي اسفله والشذا ابو عمرو
وروضة سقيت منها نصوبي يحبرون قال الضحاك وابن عباس يكرمون
وقيل ينعمون قاله مجاهد وقتادة وقيل يسرون وقال السدي يفرحون والحبرة عند العرب
السرور والفرح ذكره الماوردي وقال الجوهري والحبر الحبور وهو النور وربما اجبره
يجبره بالفم حبرا وحبرة قال تعالى فهم في روضة يحبرون اي ينعمون ويكرمون ويسرون
ورجل محبور بفتح من المحبور النحاس وحكى الكسائي حبرته اي اكرمته ونعمته وسمعت
علي بن سليمان يقول هو مشتق من قولهم على اسنانه حبرة اي اثر يحبرون لتبيين
عليهم اثر النعيم والحبر من هذا مشتق قال الشاعر لاتملا الدلو وتحرق فيها انما يريد
حفار من بيئتها وقيل اصله من التحبير وهو التحسين فيحبرون يحسنون يقال فلان
حسن الحبر والسبر بالفتح وهذا كانه مصدر قولك حبرته حبرا اذا احسنته والاول
اشهر ومنه الحديث يخرج رجل من النار وقد ذهب حبره وسبره وقال يحيى بن ابي كثير في روضة
يحبرون قال السماع لم تبق شجرة في الجنة الا رددت القنا بالتسبيح والتقديس وقال
الاوزاعي ليس لحد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على
سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم زاد غير الاوزاعي ولم يبق شجرة في الجنة الا وردت
ولم يبق ستر ولا باب الا ارتج في الفتح ولم يبق الا طنت باوتار طنينها احد من اجام الذهب
الا وقع اصوب الصوت في مقاصبها فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر ولم تبق
جارية من حور العين الا غنت باغانيها والطير بالحانها ويوحي الله تبارك وتعالى
الى الملائكة ان جاوبوهم واسمعوا عباد ي الذين هوا سماعهم عن سماع الشيطان

فيجاوبون بالحان واصوات روحانيين فتختلط هذه الاصوات فتصير رجة واحدة ثم يقول
الله جل ذكره يا داود قم عند سماع صوتي فيندفع داود بتمجيد ربه بصوت يفضل
الاصوات وبجلها وبتضاعف اللذة فذلك قوله فهم في روضة يحبرون ذكره الترمذي
الحكيم رحمه الله وذكر الثعلبي من حديث ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر
الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي الجنات العرم اعرابي فقال يا رسول الله
هل في الجنة من سماع فقال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء
بتفنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها فقط ذلك افضل نعيم الجنة فسأل رجل ابا الدرداء
ما ذا يتفنين فقال بالتسبيح والتحميد والتهليل الا ترى الحمامة البطن الخمصة الاسفل
تلك وهذا كله من النعيم والسرور والاكرام فلا تقارض بين تلك الاقوال
وان هذا من قوله الحق فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين على ما يأتي وقوله عليه
السلام فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد روي ان في الجنة
لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع نعث الله ريحا من تحت العرش
فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ذكره الزمخشري قوله
تعالى واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اي باقون
فيها وليس في العذاب محضرون اي معذبون وقيل مجموعون وقيل معذبون وقيل نازلون
وسئل قوله تعالى اذا حضر احدهم الموت ايتزل به قاله ابن شجرة والمعنى متقارب قوله
تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون فيه ثلاث مسائل الاولى قوله فسبحان
الله الاية فيه ثلاث اقوال الاول انه صلاة للموقتين بالامر بالعبادة والحض على الصلاة
في هذه الاية قال ابن عباس الصلوات الخمس في القرآن قيل له اين في القرآن الله تعالى حين
تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون صلاة الفجر وعشيا العصر وحين تظهرون
الظهر وقاله الضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ايضا وقتادة ادلة تنبيه على
اربع صلوات المغرب والصبح والعصر والظهر قالوا والعشاء الاخرة هي التي اخبر في زلف
من الليل وفي ذكرا وقال الحسن صلاة العورة وقال ابن عباس اهل التفسير على ان هذه الاية
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون في الصلوات وسمعت علي بن سليمان يقول
حقيقته عندي فسبحوا الله في الصلوات لان التسبيح يكون في الصلاة وهو القول الثاني
والقول الثالث فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون ذكره الماوردي وذكر القول
الاول ولفظه فيه فصلوا لله حين تمسون وحين تصبحون وفي تسميته الصلاة بالتسبيح
وجهان احدهما لما تضمنها من ذكر التسبيح في الركوع والسجود والثاني مأخوذ من السبحة
والسبحة الصلاة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكون لهم سبحة يقوم يوم القيامة
اي صلاة الثالث فسبحوا الله قوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين الكلام يدوب الحمد لله
على نعمه والاية وقيل معنى وله الحمد اي الصلاة له لاختصاصها بقراءة الحمد والاول اظهر فان
الحمد به من نوعي تعظيم الله تعالى والحض على عبادته وقوام نفعه فيكون نوعا اخر خلاف
الصلاة والله اعلم وبدأ بصلاة المغرب لان الليل يتقدم النهار وفي سورة سبحان بدأ
بصلاة الظهر اذ هي اول صلاة صلاها جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم الماوردي وخص
صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لان للانسان في النهار مقبلا في
رجوعه ترجب حمد الله عليها وفي الليل على خلوه توجب تنزيه الله من الاسواء فيها فكذلك صار
صار الحمد بالنهار اخص فسميت به صلاة النهار والتسبيح بالليل اخص فسميت به صلاة
الليل الثالث فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون والمعنى حينا تمسون فيه وحين
تصبحون فيه فحذف تخفيفا والقول فيه كالقول في واتقوا يوما لا تجزي نفس عن
نفس شيئا وعشيا قال الجوهري العشي والعشية من صلاة المغرب الى العتمة يقول
اتيته عشية امس وغشي امس وتصغير العشا عشيان على غير تكسيره كانهم صغروا
عشيانا والجمع عشيان وقيل ايضا تصغيره عشيشان والجمع عشيشات وتصغير
العشية عشيشية والجمع عشيشيات والعشا بالكسر والمد مثل العشي والعشاء
المغرب والعتمة وزعم قوم ان العشا من زوال الشمس الى طلوع الفجر والنشر وا ٢
عدونا غدوه سحر اي بكرة وعشا بعدنا انتصف النهار
الماوردي جمع والفرق بين المسا والعشا ان المسا بيض والظلام بعد المغيب والعشا اخر النهار
عند مثل الشمس للمغيب وهو مأخوذ من غشا العين وهو نقص النور من الناظر لنقص

نور الشمس قوله تعالى يخرج الحي من الميت الآية بين كمال قدرته اي كما احيى الارض باخراج النبات بعد هودها كذلك يحييكم بالبعث وفي هذا دليل على صحة القياس وقد مضى في آل عمران بيان يخرج الحي من الميت قوله تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب اي من سلالة من ربيبته ووجه انشائه ان خلقكم من تراب اي خلق اباكم منه والفرع كالاصل وقد مضى بيان هذا في الانعام وان في موضع رفع بالابتداء وكذا ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اذا انتم بشر تنتشرون ثم انتم عقلاء تطعون بتصرفون فيما هو قوام معايشكم فلم تكن لتعلقكم عبثا ومن قدر على هذا انهى هل للعبادة والتسبيح ومعنى خلق لكم من انفسكم ازواجا اي لنساء تكون اليها من انفسكم اي من لطف الرجال ومن جنسكم وقيل المراد حواء خلقها من ضلع ادم قاله قتادة وجعل بينكم مودة ورحمة قال ابن عباس والسدي المودة الجماع والرحمة الولد وقاله الحسن وقيل المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم على بعض وقال السدي المودة الصحبة والرحمة الشفقة وروي معناه عن ابن عباس وقال المودة حب الرجل امرأته والرحمة رحمته اياها ان يصيبها بسوء وقيل لان الرجل اصله من الارض وفيه قوة الارض وفيها الفرح الذي منه بدء خلقه فيحتاج الى سكن وخلقت المرأة سكنا للرجل قال الله تعالى ومن آياته ان خلقكم من تراب الآية وقال ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فالارتفاق الرجل بالمرأة سكونا لها لما فيه من تمليان القوة وذلك ان الفرح اذا تحمل حبه هيج ما الميل اليه فاليها لسكن وبها يتخلص من الهياج وللرجال خلق البضع منهن قال الله تعالى وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم فالله اعلم جل وعز الرجال ان ذلك الموضع خلق منهن للرجال فعليها بذله في كل وقت يدعوها الزوج فان منعت منه ظالمة وقع عليها حرج عظيم وكفيك من ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشها فتابى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي لفظ اخر اذا بات المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح ومن آياته خلق السموات والارض لقدم في الترجمة وكانوا يعترفون بان الله هو الخالق واختلاف ألسنتكم والوانكم اللسان في الفم وفيه اختلاف المخارج من الحلق والشفة والاسنان واختلاف الالوان في الصور من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد ترى احدا الا وانت تفرق بينه وبين الاخر وللبس هذه الاشياء من فعل النطفة والاسن فعل الابوين فلا بد من فاعل فعلم ان الفاعل هو الله تعالى فهذا من ادل دليل على المدبر الباري ان في ذلك لايات للعالمين اي البر والفاجر وقرا خص للعالمين بسكون اللام جمع عالم ومن آياته منامكم بالليل والنهار وقيل في هذه الاية تقديم وتاخير والمعنى ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله بالنهار فحذف حرف الجر لاقتضائه بالليل وعطفه عليه في الاسم الظاهر خاصة فجعل النوم بالليل دليلا على الموت والتصرف بالنهار دليلا على البعث ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تفهم وتدبر وقيل يسمعون الحق فيتبعونه وقيل يسمعون الوعظ فينتهون وقيل ليسمعون العبر ان فيصدقون والمعنى متقارب وقيل كان منهم من اذا تلى القرآن وهو صاغ رصد اذنيه حتى لا يسمع فبين الله عز وجل في هذه الاية علة ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا قيل المعنى ان يريكم فحذف ان لدلالة الكلام عليه قال الطرماح

الا ايها الليلي احضار الوغى وان سندا للذات هل انت مخلدي

وقيل هو على التقديم والتاخير ويريكم البرق خبر ان وقيل اي ومن آياته يريكم بها البرق كما قال الشاعر وما الدهر الا تارتان فمنها اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

وقيل اي من آياته انه يريكم البرق خوفا وطمعا من آياته قاله الزجاج فيكون عطف جملة على جملة خوفا اي للمسافر وطمعا للمقيم قاله قتادة الضحاك خوفا من الضرر ومعه وطمعا في انبات يحيى بن سلام خوفا من البرد ان يهلك الزرع وطمعا في المطر ان يحيي الزرع ابن عمر خوفا ان يكون البرق برقا خلبا لا يمطر وطمعا ان يكون ممطرا والشنفرى قال الشاعر

لا يكن برقك برقا خلبا ان خير البرق ما الغيث معه وقال اخر فقد اراد المياه بشر اذ سوى عذري بها برق الغمام والبرق الخلب الذي لا غيث فيه كانه خادع ومنه قيل لم يعدو ان يتجرفا قال انما انت كبرق خلب والخلب ايضا السحاب الذي لا مطر فيه ويقال برق خلب بالاضافة وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها

٢

الذي في ذلك لايات لقوم يعقلون بعدهم ومن ايا تدان تقوم السما والارض بامره ان في محل رفع كما تقدم
اي قيامها واستمساكهما بقدرته بلا عمد وقيل بتدبيره وحكمته اي لمسكهما بغير عمد لما فيه
الخلق وفعل بامره باذنه والمعنى واحد ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اي الذي
فعل هذه الاشيا قادر على ان يبعثكم من قبوركم والمراد سرعته وجود ذلك من غير توقف ولا
تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا فكامما دعوت براس الطول
او هو اسرع يريد براس الطول الصدي او الحجر اذا تمدوه وانما عطف هذا على قيام السموات
والارض بثم لعظيم ما يكون من ذلك الامر وافتخاره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور
قوموا فلا يبقى نسمة من الاولين والاخرين الا قاموا ينتظرون كما قال ثم نفخ فيه اخرى اه
فاذا هم قيام ينظرون واذا الاولى في قوله اذا دعاكم للشرط والثانية في قوله اذا انتم اه
للمفاجاة وهي جواب منابا لفا في جواب الشرط واجمع القرا على فتح التا هنا في تخرجون
واختلفوا في التي في الاعراف فقرا اهل المدينة ومنها تخرجون بضم التا وقرا اهل العراق
بالفتح واليه يميل ابو عبيد والعباس متقاربان الا ان اهل المدينة فرقوا بينهما
لتسق الكلام فتسق الكلام في التي في الاعراف بالضم اشبه اذا كان الموت للنس من فعلهم
وكذا الاخراج والفتح في سورة الروم اشبه بتسق الكلام اي اذا دعاكم خرجتم اي اطعتم اه
فالفعل اشبه وهذا المخرج انما هو عند نفخة اسرافيل النفخة الاخرة على ما تقدم
وبيانه وقرى تخرجون بضم التا وفتحها ذكره الزمخشري لم يرد على هذا شيا ولم يذكر ما
ذكرناه من الفرق والله اعلم وله من في السموات والارض خلقا وملكا وعبدا كل له قانتون
روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل قنوت في القرآن فهو طاعة
قال الضحاك مطيعون طاعة الانقياد وقيل قانتون مقرون بالعبودية اما قاله
واما دلالة قاله عكرمة وابو مالك والسدي وقال ابن عباس قانتون مصلون الربيع
ابن انس كل له قانتون اي قايم يوم القيامة كما قال يوم يقوم الناس لرب العالمين اي
للحساب الحسن كل له قايم بالشهادة انه غيره سعيد بن جبير قانتون مخلصون اه
قوله تعالى وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده اما يبدو وخلقه فعدوته في الرحم قبل
ولادته واما اعادته فاحياوه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث فجعل ما علم من
ابتدا خلقه دليلا على ما لا يخفى من اعادته استدلالا بالشاهد على الغايب ثم اكد ذلك
لقوله وهو اهون عليه وقرا ابن مسعود وابن عمر وسيدي الخلق من ابدا يبدي دليله
قوله تعالى انه هو يبدي ويعيد ودليل قرا الفامة قوله سبحانه كما بدأكم تعودون
واهون بمعنى هين اي الاعادة هين عليه قاله الربيع بن خيثم والحسن فاهون بمعنى
هين لانه ليس شي اهون على الله من شي قال ابو عبيدة ومن جعل اهون بغير
من تفضيل نفى على شي فقوله مردود لقول الله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا ولقوله
ولا يؤوده حفظهما والعرب تحمل افعل على فاعل ومنه قول الاعرابي

* الله يعلم انا في تلفتنا * يوم الفراق الى جيرانا صبح *

اي لصبح

* يعلم ان قلوصي في ركابكم * لمثل شوقي بها ما ابن ملذوم *

اي لملذوم

* ان الذي سمك السما بنى لنا * بيتا دعايمه اعز واطول *

اي دعايمه عزيزة طويلة وقال

* لعمرك ما ادري وان لاوجل * على اينا تغدو المنية اول *

اراد اي لوجل والشاعر ابو عبيدة الضا

* اني لامنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لاميل *

اراد لما يل والشاعر ابن ميادة

* تمنى رجال ان اموت وان امت * فتلك سبيل لست فيها بواحد *

اراد بواحد وقال اخر

* لعمرك ان الزبرقان لبادل * لمعروفه عند الستين وافضل *

اي وافضل وممن قال لهم الله اكبر انما معناه الله الكبير وروي معمر عن قتادة قال
في قرا عبد الله بن مسعود وهو عليه هين وقال مجاهد وعكرمة والضحاك
انما المعنى ان الاعادة اهون عليه اي على الله من البدا به اي اليسر وان كان جميعه على الله
تعالى هينا وقال ابن عباس ووجه ان هذا مستعمل ضربه الله تعالى لعباده يقال اعادة
الشي على الخلايق اهون من ابتدايه فيبغي ان لكون البعث لمن قدر على البدا به عندكم
وفيما بينكم اهون عليه اي على الخلق نصا حهم صيحة واحدة فيقومون وقيل
لهم كونوا فيكونون قد لفت اهون عليهم من ان لكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا

ثم اجنة ثم اطفالا ثم حلما ثم شبانا ثم رجالا ونساء وقال ابن عباس وقطرب وقيل اهون
اسهل قال ويقال وهان على اسما ان سلطنة النوي ومحوا لمهاوا لزد بتوقيف اي سهل عليها
وقال الربيع ابن خيثم في قوله تعالى وهو عليه قال ما من شيء على الله بعزيز عكرمة
فتحيي الكفار متى احيا الله الموتى فنزلت هذه الاية وله المثل الاعلى اي ما اراده جل وعز
كان وقال الخليل المثل الصفة اي وله الوصف الاعلى في السموات والارض قال
سئل الجنيد التي وعدا لمتقون اي صفتها وقد مضى الكلام في ذلك وعن معنى هذا المثل
الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه ان الذي له الوصف الاعلا اي الارفع الذي له الوصف
بالوحدانية وكذا قال قتادة ان المثل الاعلا اسمه الارفع الذي له الوصف بالوحدانية
وكذا قال قتادة ان المثل الاعلا شهادة ان لا اله الا الله وبعضده قوله تعالى ضرب
لكم مثلا من انفسكم ما بينه انفا ان شاء الله وقال الزجاج وله المثل الاعلا في السموات
والارض اي قوله وهو هين عليه قد ضربه لكم مثلا ما يصعب ويسهل يريد التفسير
الاولي وقال ابن عباس ليس كمثله شيء وهو العزيز الحكيم تقدم قوله تعالى ضرب لكم
مثلا من انفسكم فيه سبقتان الاولى قوله تعالى من انفسكم ثم قال من شركائكم قال
من ما ملكت ايمانكم فمن الاولي للابتدا كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم
وهي انفسكم والثانية للتبعيض والثالثة زايدة للتاكيد الاستفهام والاية نزلت
في كفار قريش كانوا يقولون في التلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما
ملك قاله سعيد ابن جبير وقال قتادة هذا مثل ضربه الله للمشركين والمعنى هل يرضى
احدكم ان يكون مملوكه في ماله ونفسه مثله فاذا لم ترضوا بهذا لانفسكم فكيف جعلتم
لله شركا الثانية قال بعض العلما هذه الاية امثل في الشرك بين المخلوقين لافتقار
بعضهم الى بعض وتنزيها عن الله سبحانه وذلك انه لما قال جل وعز ضرب لكم مثلا من انفسكم
هل لكم مما ملكت ايمانكم الاية فيجب ان يقولوا لسنا عبيده شركا ونحن فيما رزقناه فقال
لهم فكيف يجوز ان تشركوا نفوسكم عن شاركه عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركاء في
خلقي هذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب فاذا بطلت الشركة بين العبيد وسادتهم
فيما تملكه السادة والخلق كلهم عبيد الله تعالى فيبطل ان يكون شيء من العالم شريكا لله
تعالى في شيء من افعاله فلم يبق الا انه واحد لا شريك له وانما يكون له شريك اذا الشركة تقتضي
المعاونة ونحن مفتقرون الى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل والعظيم الاول منزه
عن ذلك جل وعز وهذه المسئلة افضل للطالب من حفظ دواوين كاملة لانه
لا ن جميع العبادات البدنية لا تصح الا بتصحيح هذه المسئلة في القلب فافهم ذلك
قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم لما قامت عليهم الحجة ذكر انهم يعبدون
الاصنام باتباع اهوائهم في عبادتها وتقليد الاسلاف في ذلك فمن يهدي من اضل الله اي
لا هادي لمن اضله الله تعالى وفي هذا رد على القدرية ومالهم من ناصرين قوله تعالى
فاقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله فيه ثلاث مسائل الاولى قال الزجاج فطرت
بمعنى اتبع فطرت الله قال لان معنى فاقم وجهك للدين اتبع الدين الحنيف واتبع فطرة
الله وقال الطبري فطرة الله مصدر من معنى فاقم وجهك لان معنى ذلك فطر الله الناس
على فطرته وقيل معنى ذلك اثبتوا دين الله الذي خلق الناس عليه وعلى هذا القول يكون
الوقف على حنيفا تاما وعلى القولين الاولين يكون مقصلا فلا يوقف على حنيفا وسميت
الفطرة دينا لان الناس يحملون له قال جل وعز وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وقال على بن سهل لها لقوله تعالى وان اساتم فلها والخطاب بافقم وجهك للنبي عليه السلام
امره بالقامة وجهه للدين المستقيم كما قال فاقم وجهك للدين القيم وهو دين الاسلام واقامة
الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجد في اعمال الدين وخص الوجه بالذكر لانه جوامع حواس
الانسان واشرفه ودخل في هذا الخطاب امته بالتفاف من اهل التاويل وحنيفا معناه
معتدلا مائلا عن جميع الاديان المحرفة المنسوخة الثانية في الصحيح عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا يولد على الفطرة في رواية على
هذه الملة ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون
فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة واقرؤا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله في رواية حتى تكونوا انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله افرايت من يموت
صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين لفظ مسلم الثالثة واختلف العلما في معنى الفطرة

المذكورة

المذكورة في الكتاب والسنة على اقوال متعددة منها الاسلام قاله ابو هريرة وابن شهاب وغيرهما
قالوا وهو المعروف عند عامة السلف من اهل التاويل واحتجوا بالاثر وحديث ابي هريرة
وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار المجاشعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس
يوما الا احدثكم بما حدثني الله في الكتاب ان الله خلق ادم وبنيه حنفاء مسلمين واعطاهم
ان الحلال لا لاحرام فيه فحيلوا ما اعطاهم الله حلالا لا وحراما الحديث وبقوله صلى الله
عليه وسلم خمس من الفطرة فذكر منها قص الشارب وهو من سنن الاسلام وعلى هذا
التاويل فيكون معنى الحديث ان الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذي اخذه الله
على ذرية ادم حين اخرجهم من صلبه وانهم اذا اقروا قبل ان يدركوا في الجنة اولاد
مسلمين كانوا او اولاد كفار وقال اخرون الفطرة هي البداءة التي ابتدا الله عليها
اي على فطرها الله عليه خلقه من انه ابتدا هم للحياة والموت والسعادة والشقاوة الى ما
يصيرون اليه عند البلوغ قالوا والفطرة في كلام العرب البداءة والفاطر المبتدي واحتجوا
بما روي عن ابن عباس انه قال لم اكن ما ادري ما فاطر السموات والارض حتى اتى اعرابيان
يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدا تها قال المروزي كان احمد بن حنبل يذهب
الى هذا القول ثم تركه قال ابو عمر في كتابه التمهيد له ما رسمه مالك في موطيه وذكر في ابواب
الفطرة فيه من الاماديث دليل على مذهبه في ذلك نحو هذا والله اعلم ومما احتجوا به ما روي عن كعب
القرظي في قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها حق عليهم الضلالة ان عملوا باعمال اهل الهدى
ومن ابتدا الله خلقه على الهدى صيره الى الهدى وان عمل باعمال الضلالة ابتدا الله خلق
ابليس على الضلالة وعمل باعمال الشقاوة مع الملائكة ثم رده الله الى ما ابتدا عليه خلقه
قال وكان من الكافرين قلت قد مضى قول كعب هذا في الاعراف وجاء
معناه مرفوعا من حديث عائشة رضي الله عنها قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
جنازة غلام من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم
يعمل السوء ولم يدركه قال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها
وهم في اصلاب ابائهم خرجه ابن ماجة في السنن وخرج ابو عيسى الترمذي عن عبد الله بن عمرو
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال اتدرون ما هذان
الكتابان فقلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب
من رب العالمين فيه اسماء اهل الجنة واسماء ابائهم وقبايلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد
فيهم ولا ينقص منهم ابدا ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء اهل
النار واسماء ابائهم وقبايلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا وذكر الحديث
وقال فيه حديث حسن وقالت فرقة ليس المراد بقوله تعالى الناس ولا بقوله
عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة العموم وانما المراد بالناس المؤمنون اذ لو لو فطر
الجميع على الاسلام لما كفر احد وقد ثبت ان خلقا اقواما للنار كما قال ولقد ذرانا لجهنم
واخرج الذرية من صلب ادم سودا وبيضا وقال في الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم
طبع كافرا وروى ابو سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر
بنهار وعنه وكان فيما خطبنا انه قال الا ان بني ادم خلقوا طبقات شتى فمنهم من يولد
مومنا ويحيى مومنا ويموت مومنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ومنهم
من حسن اقتضا حسن الطلب ذكره حماد بن زيد قال حدثنا علي بن زيد عن ابي نضرة
عن ابي سعيد قالوا والعموم بمعنى الخصوص كثير في كلام العرب الم تر الى قوله عز وجل
تدمر كل شي ولم تدمر السموات والارض وقوله فتحنا عليهم ابواب كل شي ولم يفتح عليهم
ابواب الرحمة وقال اسحق بن راهويه الحنظلي ثم الكلام عند قوله فاقم
وجهك للدين حنيفا ثم قال فطرة الله التي فطر الخلق عليها اي فطرة الله الخلق فطرهم
اما جنة او نارا وله اشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كل مولود يولد على الفطرة
ولهذا قال لا تبديل لخلق الله قال شيخنا ابو العباس من قال هي سابقة السعادة
والشقاوة فهذا انما يليق بالفطرة المذكورة في القرآن لان الله تعالى قال لا تبديل
لخلق الله واما في الحديث فلا لانه قد اخبر في بقية الحديث بانها تتبدل وتتغير وقالت
طايفة من اهل الفقه والنظر الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة
بربه فكانه قال كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه اذا بلغ مبلغ المعرفة بربه
خلقة مخالفة لخلقة البهايم التي لا تفضل لخلقها الى معرفته واحتجوا على ان الفطرة

موتناه

الخلقة والفاطر الخالق يقول الله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والارض يعني خالقهن ويقوله
تعالى لا عبدن الذي فطرني يعني خلقني ويقوله الذي فطرهن يعني خلقهن قالوا فالفطرة هي
الخلقة والفاطر الخالق فذكروا ان لكون المولود يفطر على كفر او ايمان او معرفة وانكار
قالوا وانما المولود على السلامة في الاغلب خلقة وطبعا وتنبيه ليس معها ايمان ولا كفر
ولا انكار ولا معرفة ثم يعتقدون الكفر والايمان بعدا لبلوغ اذا سيروا واحتجوا
بقوله في الحديث كما تنتج البهيمة بهيمة حمعاء يعني سالمة هل تحسون منها من جدعاء
يعني مقطوعة الاذن فمثل قلوب بني ادم بالبهايم لانها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان
ثم تبتلع اذانها وانفها فيتمثل لهذه بجابز وهذه سوابب يقول فكذلك قلوب الاطفال
في حين ولادتهم ليس لهم كفر ولا ايمان ولا معرفة ولا انكار كالبهايم السالمة فلما بلغوا
استهوتهم الشياطين فكفر اكثرهم وعصم الله قليلا منهم قالوا ولو كان الاطفال قد فطروا
على شيء من الكفر والايمان لما انتقلوا عنه ابدا وقد نجدهم يوحدون ثم يكفرون
قالوا وليستحيل في المعقول ان يكون الطفل في حين ولادته يعقل كفرا وايمانا لان الله اخرجهم
في حال لا يفقهون منها شيئا قال الله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
فمن المعلوم شيئا استحالة منه كفرا وايمان او معرفة او انكارا قال ابو عمر بن عبد البر هذا اصح
ما قيل في معنى الفطرة التي ولد الناس عليها ومن الحجة لهذا قوله تعالى انما تجزون
ما كنتم تعملون وكل نفس بما كسبت رهينة ومن لم يبلغ وقت العمل لم يرهن قال وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا ولما اجمعوا على دفع القود والقصاص والحدود والايمان عنهم
في دار الدنيا كانت الاخرة اولى بذلك والله اعلم ويستحيل ان يكون الفطرة المذكورة الاسلام
كما قال ابن شهاب لان الاسلام والايمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهذا
معدوم من الطفل لا يحمد ولا من ذي عقل وانما قول الاوزاعي سألت الزهري عن رجل عليه
رقبة انجزيء عنه الصبي ويعتقه وهو رضيع قال نعم لانه ولد على الفطرة يعني الاسلام
فانما عتقه عند من اجازه لان حكم حكم ابويه وخالفهم اخرون فقالوا لا يجزيء في الرقاب
الواجبة الا من صام وصلى وليس في قوله تعالى كما بدأكم تعودون ولا في ان تجتمع السرة
للعبد بما قضاه له وقدره عليه دليل على ان الطفل يولد حين يولد مومنا او كافرا لما
شهدت له الصفة انه في ذلك الوقت ليس ممن يعقل ايمانا ولا كفرا والحديث الذي
جاء فيه ان الناس خلقوا على طبقات ليس من الاحاديث التي لا مطعن فيها لانه انفرد
به علي ابن زيد بن جدعان وقد كان شعبة يتكلم فيه على انه يحتمل قوله يولد مومنا اي يولد
ليكون مومنا ويولد ليكون كافرا على سابق علم الله فيه وليس في قوله في الحديث خلقت
هولاء للجنة وخلقت هولاء للنار اكثر من مراعاة ما يجتمع به لهم لانهم في حين طفولتهم
من يستحق جنة او نارا او يعقل كفرا وايمانا قلت والى ما اختاره ابو عمر
واحتج له ذهب غير واحد من المحققين منهم ابن عطية في تفسير هذه الفطرة انها الخلقة
والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معده ومهيأة لان يصير ها مصنوعات الله
ويستدل بها على ربه ويعرف سر ابعه ولو من به فكانه تعالى قال اقم وجهك للدين
الذي هو الحنيف وهو فطرة الله التي على الاعداد له فطر الناس لكن نقتضيهم العوارض
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
او ينصرانه فذكر الابوين انما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة وكل شيخنا في عبارته
ان الله تعالى خلق قلوب بني ادم بحيث لقبول الحق كما خلق اعينهم واسماعهم
قابلة للمرئات والمسموعات فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الاهلية ادركت
الحق ودين الاسلام هو الدين الحق وقد دل على صحة هذا المعنى قوله كما تنتج البهيمة
بهيمة جمعاء كما تحسون فيها من جدعاء يعني ان البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة
سليما من الافات فلو نزل على اصل تلك الخلقة لبقي كاملا بريا من العيوب لكن يطرق
فيه فيجدع اذنه ولو سم وجهه فتطرا عليه الافات والنقايص فيخرج عن الاصل وكذلك
الانسان وهو تشبيه واقع ووجه واضح فلـــ هذا القول مع القول
الاول موافق له في المعنى وان ذلك بعد الادراك حين يعقلون امر الدنيا وتاكدت محبة الله
عليهم بما نصب من الايات الظاهرة من خلق السموات والارض والشمس والقمر والبر والبحر
واختلاف الليل والنهار فلما علمت اهواهم فيه انتهم الشياطين فدعتهم الى اليهودية
والنصرانية فذهبت باهوائهم يمينا وشمالا وانهم ان كانوا صغارا فهم في الجنة اعني جميع الا

طفال

طفال لان الله تعالى لما اخرج ذرية ادم من صلبه في صورة الذر اقروا له بالربوبية وهو قوله
تعالى وإذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا
بلى شهدنا ثم اعادهم في صلب ادم بعد ان اقروا له بالربوبية وان الله لا اله غيره ثم يكتب العبد
في بطن امه شقيا او سعيدا على الكتاب الاول فمن كان في الكتاب الاول شقيا عمر حتى يجري
عليه القلم فينقض الميثاق الذي اخذ عليه في صلب ادم بالشرك ومن كان في الكتاب الاول
سعيدا عمر حتى يجري عليه القلم فيصير سعيدا ومن مات صغيرا من اولاد المسلمين قبل
ان يجري عليه القلم فهم مع آبائهم في الجنة ومن كان من اولاد المشركين فمات قبل ان يجري عليه
القلم فليس يكون مع آبائهم لانهم ماتوا على الميثاق الاول الذي اخذ عليهم في صلب ادم ولم
ينقض الميثاق ذهب الى هذا جماعة من اهل التاويل وهو جمع بين الاحاديث ويكون معنى
قوله عليه السلام لما سئل عن اولاد المشركين فقال الله اعلم بما كانوا عاملين لئلا يتوهموا
ويدل على هذا التاويل ايضا حديث البخاري عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث
الطويل حديث الرؤيا وفيه قوله عليه السلام واما الرجل الطويل الذي في الروضة فابراهيم
عليه السلام واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قال فقال يا رسول الله واولاد
المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين وهذا نص برفع الخلاف وهو اصح
يبسى روي في هذا الباب وغيره من الاحاديث فيها علل وليست من احاديث الائمة الفقهاء
قاله ابو عمر بن عبد البر وقد روي من حديث انس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اولاد المشركين فقال لم تكن لهم حسنات فيجزوا بها فيكونوا من ملوك الجنة ولم تكن
له سيئات فيعاقبوا عليها فيكونوا من اهل النار ثم قدم لاهل الجنة ذكره يحيى بن سلام في
التفسير له وقد رنا هذه المسئلة بيانا في كتاب التذكرة وذكرنا في كتاب المقتبس في
شرح موطا مالك بن انس ما ذكره ابو عمر من ذلك والحمد لله وذكر النحاس بن راهويه
قال يا يحيى بن ادم قال ابو ناصر بن حازم عن ابي رجا العطاردي قال سمعت ابن عباس يقول
لا يزال امر هذه الامة موائنا او متقاربا او كلمة تشبهها حتى يتكلموا او يتطرقوا
في الاظفار والقدر قال يحيى بن ادم فذكرته لابن المبارك فقال السكت الانسان على
الجهل قلت فنامر بالكلام قال فسكت وقال ابو بكر الوراق فطرة الله التي فطر الناس
عليها هي العقل والفاقة وهذا حسن فاما من ذلك الى حين يموت فقير محتاج لهم وفي الاخرى
قوله تعالى لا تبديل لخلق الله اي هذه الفطرة لا تبديل لها من جهة الخالق ولا يعني
الامر على خلاف هذا بوجه اي لا يشقي من خلقه سعيدا ولا يسعد من خلقه شقيا وقال
مجاهد المعنى لا تبديل لدين الله وقاله قتادة وابن جبير والضحاك وابن زيد والنخعي
قالوا هذا معناه في المعتقدات وقال عكرمة وروي عن ابن عباس وعمر بن الخطاب
ان المعنى لا تغيير لخلق الله من البهائم ان يخصى محولها فيكون معناه النهي عن خصاء
الفحول من الحيوان وقد مضى هذا في النساء ذلك الدين القيم اي ذلك الدين المستقيم
قاله ابن عباس وقال مقاتل ذلك الحساب الصحيح وقيل ذلك الدين القيم اي دين الاسلام
هو الدين القيم المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يتفكرون فيعلمون ان لهم خالقا
معبودا او انهم فقراء الى قضائه ولفذ حكمه قوله تعالى منيبين اليه اختلف في معناه فقيل راجعين اليه بالتوبة والاخلاص وقال يحيى بن سلام والفراء
مقبلين اليه وقال عبد الرحمن بن زيد مطيعين له وقيل تائبين اليه من الذنوب
ومنه قول قطبة بن الاسلت فان تابوا فان بني سليم ومنهم هوازن قد تابوا والمعنى
واحد فان تاب وناب واناب وآب معناه الرجوع وقال الماوردي في اصل الاناية
قولان احدهما انه مشتق من القطع ومنه اخذ اسم الناب لانه قاطع فكان الاناية هي الانقطاع الى الله جل وعز بالطاعة الثاني اصله الرجوع ما خوذ من ناب ينوب اذا رجع
مرة بعد اخرى ومنه التوبة لانها الرجوع الى عادة الجود ويقال ناب الى الله افضل وناب
والتوبة واحدة النوب يقول جاءت فلانة تنوبنا وتنيبنا وهم يتناوبون التوبة فيما
بينهم في الماء وغيره وانتصب على الحال قال محمد بن يزيد لان معنى اقم وجهك فاقيموا
وجوهكم منيبين وقال الفراء المعنى فاقم وجهك ومن معك منيبين وقيل انتصب على
القطع اي فاقم وجهك انت واستكن المنيبين اليه لان الامر له امر لامته نحن ان نقول
منيبين اليه وقد قال يا ايها النبي اذا طلقتم النساء واتقوه اي خافوه وامتثلوا ما امركم
به واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين بين ان العبادة لا تنفع الا مع الاخلاص

فذلك قال ولا تكونوا من المشركين وقد سبق هذا مبينا في النساء والكهف من الذين فرقوا دينهم
وقوله ابو هريرة وعائشة وابو امامة انه لا هل من اهل الاهواء والبدع وقد مضى في الانعام
بيانه وقال الربيع ابن انس الذين فرقوا دينهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى
وقال قتادة ومعمر وقرا حمزة والكسائي فارقوا دينهم وقد قرا بذلك علي ابن ابي
طالب اي فارقوا دينهم الذي يجمعهم اتباعه وهو التوحيد وكانوا شيعا اي فرقا قاله الكلبي
وقيل اديانا قاله مقاتل كل حزب بما لديهم فرحون اي مسرورون لانهم لم يبتغوا
الحق وليهم ان يتبعوه وقيل كان هذا قبل ان تنزل الفرائض وقول ثالث ان العاصي
لله عز وجل قد يكون فرحا بمعصيته فكذلك الشيطان وقطاع الطريق وغيرهم
والله اعلم وزعم الفراء انه يجوز ان يكون التمام ولا تكونوا من المشركين ويكون المعنى
من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا على الاستئناف قوله انه يجوز ان يكون منفصلا بما قبله
النحاس واذا كان منفصلا بما قبله فهو عند البصريين على البدل باعادة الحرف كما قال الحوفي
وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن امن منهم ولو كان بلا حرف الجار **قوله تعالى**
واذا مس الناس ضر اي قحط وشدة دعوا ربهم ان يرفع ذلك عنهم منيبين اليه قال
عباس مقبلين عليه بكل قلوبهم لا يشركون ومعنى هذا الكلام التعجيب بينه من المشركين
في ترك الانابة الى الله تعالى مع تتابع الحجج عليهم اي اذا مس هؤلاء الكفار ضر من مرض وشدة
دعوا ربهم اي استغاثوا به في كشف ما نزل بهم مقبلين عليه وحده دون الاصنام لعلمهم بانه
لا فرج عندها ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي عافية ونعمة اذا فريق منهم بربهم يشركون
اي ليشركون بعبادة الاصنام **قوله تعالى** ليكفروا بما اتيناهم قيل هي لام كي وقيل
هي لام امر فيه معنى التهديد كما قال جل وعز فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فتمتعوا
فسوف تعلمون تهديد ووعيد وفي مصحف عبد الله وليتمتعوا اي مكناهم من ذلك
لكي يتمتعوا فهذا خبر عن غائب مثل ليكفروا وهو على خط المصحف خطاب لعد الاخبار
عن غائب اي يتمتعوا ايها الغافلون لهذا قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا اي هل
فيه معنى التوقيف قال الضحاك سلطانا اي كتابا وقاله قتادة والربيع ابن انس
واضاف الكلام الى الكتاب توسع وربما اقر العرب لغات السلطان يقول قضت
به عليك السلطان قال البصريون فالتذكير عندهم افصح وبه جاء القرآن
والتانيث عندهم جايز لانه بمعنى الحجة اي حجة تنطق بشركهم قاله ابن عباس
والضحاك ايضا وقال علي ابن سليمان عن ابي العباس محمد بن يزيد قال السلطان جمع
سليط مثل رغيف ورغفان فتذكيره على معنى الجماعة وقد
معنى في الكلام ان الحجة من السلطان ايضا مستوفاة والسلطان ما يدفع به الانسان
عن نفسه امر ليتوجه به عقوبة كما قال لاذبحنه او ليأتيني بسلطان مبين
قوله تعالى واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها معنى الخصب والسعة والعافية
قاله يحيى بن سلام النعماء النعمة والبطر قلة الامن والدعة والمعنى متقارب
فرحوا بها اي بالرحمة وان تصبهم سيئة اي بلاء وعقوبة قاله مجاهد السدي قحط المطر
بما قدمت ايديهم اي بما عملوا من المعاصي اذا هم يقنطون اي يايسون من الرحمة والفرج
قاله الجمهور وقال الكسائي اذا اعتوط ترك قرا الحسن اذا هم يقنطون بفتح النون وهي
قراءة العامة وقنط يقنط وهي قراءة ابي عمرو وابي بكر والكسائي ويعقوب
وقرا الاعمش فقنط يقنط بالكسر فيهما مثل حسب يحسب وهما لغتان صفة للكافر
يقنط عند الشدة وييأس عند النعمة كما قيل كما ان الانسان على نفسه ربه عند الشدة
جاع نمق وكثير ممن لم يرسخ الايمان في قلبه عند هذه المثابة وقد مضى في حم عسق
فاما المؤمن فيتكرر به عند النعمة ويرجوه عند الشدة **قوله تعالى** اولم يروا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر اي يوسع الخير في الدنيا لمن يشاء ويضيق فلا يجب ان يدعوهم
الفقر الى القنوط ان في ذلك لايات لقوم يومنون **قوله تعالى** فات ذا القربى
حقه فيه ثلاث مسايل الاولى لما تقدم انه سبحانه يبسط الرزق ويقدر امر من
وسع عليه الرزق ان يوصل الى الفقير كفاية ليمتحن شكر الغني والخطاب للنبي عليه
السلام والمراد هو وامته لانه قال ذلك خير للذين وامر بايتاء ذي القربى لقرب
رحمة وخير الصدقة ما كان على القريب وفيها صلة الرحم وقد فضل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصدقة على الاقارب على عتق الرقاب فقال لميمونة وقد

اعتقت

اعتقت ولده اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الثانية واختلف في هذه الاية وقيل
هي منسوخة بآية المواريث وقيل لا نسخ بل للمقرب حق لازم في البر على كل حال وهو
الصحيح قال مجاهد وقتادة صلة الرحم ترضى من الله عز وجل حتى قال مجاهد لا يقبل
صدقة من احد وجاره محتاجه وقيل المراد بالقربى اقربا النبي صلى الله عليه وسلم
والاول اصح فان حقهم مبين في كتاب الله جل وعز وقوله فان لله خمسه وللرسول
ولذي القربى وقيل ان الامر بالايتاء لذي القربى على جهة الندب قال الحسن
حقه المواساة في اليسر وقول ميسور في العسر والمسلمين قال ابن
عباس اي اطعم السائل الطواف وابن السبيل الضيف فجعل الضيافة فرضا وقد
مضى جميع هذا مبسوطا مبينا في مواضعه والحمد لله الثالثة قوله تعالى خير للذين
يريدون وجه الله والتقرب اليه واولئك هم المفلحون اي الفائزون بمطلوبهم
من الثواب في الاخرة وقد تقدم في البقرة القول فيه قوله تعالى وما اتيتم
من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله فيه اربع مسائل الاولى لما ذكر ما
يراد به وجهه ويثيب عليه ذكر عقيب ذلك من الصدقة وما يراد به انتماء وجهه
وقرا الجمهور اتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرا ابن كثير ومجاهد وحميد بغير مد بمعنى
ما فعلتم من ربا كما يقول اتيت صوابا واتيت خطأ واجمعوا على المد في قوله
وما اتيتم من زكاة والربا الزيادة وقد مضى في البقرة معناه وهو هنا تحريم وتحليل
وثبت بهذا انه قسمان منه حلال ومنه حرام قال عكرمة في قوله تعالى وما اتيتم
من ربا ليربوا في اموال الناس قال الربا ربا آن فربا حلال وربا حرام فاما الربا الحلال
فهو الذي يهدي يلتمس ما هو افضل منه وعن الضحاك في هذه الاية هو الربا الحلال
الذي يهدي ليثاب افضل منه لا له ولا عليه ليس له فيه اجر وليس عليه فيه اثم
وكذلك قال ابن عباس وما اتيتم من ربا ليربو به الرجل التي يرجو ان يثاب افضل منه
منه فذلك الذي لا يربو عند الله ولا يؤجر صاحبه ولكن لا اثم عليه وفي هذا المعنى
نزلت الاية قال ابن عباس وابن جبير وطاوس ومجاهد هذه الاية نزلت في هبة الثواب
قال ابن عطية وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلام وغيره
فهو ان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى وقال القاضي ابو بكر
ابن العربي وفي كتاب النسائي عن عبد الرحمن بن علقمة قال قدم وفد ثقيف على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومعهم هدية وصدقة فان كانت هدية قابلها بمثلها وجه
الله قالوا لا بل هدية فقبلها منهم وفقد منهم بيالهم وليبلونه وقال ابن عباس
الضياء وابراهيم النخعي نزلت في قوم يعطون قرابتهم واخوانهم على معنى نفعهم
وتمويلهم والتفضل عليهم وليزيدوا في اموالهم على وجه النفع لهم وقال الشعبي
معنى الاية انما خدم الانسان بها احدا وخوله ليثيبه في دنياه فان ذلك النفع
الذي يجري به الحد منه لا يربو عند الله وقيل كان هذا حراما على النبي صلى الله عليه
وسلم على الخصوص قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر فمعنى ان يعطي شيئا فيأخذ
اكثر منه عوضا وقيل انه الربا المحرم فمعنى لا يربو عند الله على هذا القول لا يحكم
به لاجره بل هو لما خوف منه قال السدي نزلت هذه الاية في ربا ثقيف لانهم كانوا
يعلمون بالربا ويعمله فيهم فرئيس الثانية قال القاضي ابو بكر بن العربي من رجح الاية
فيمن يهب ليطلب الزيادة من اموال الناس في المكافاة قال المهلب اختلف العلماء
فيمن وهب هبة يطلب ثوابها وقال انما اردت الثواب فقال مالك ينظر فيه فان
كان مثله من يطلب الثواب من الموهوب له فله ذلك مثل هبة الفقير للغني
وهبة الخادم لمخدومه وهبة الرجل لامير ومن خوفه وهو احد قولي الشافعي
وقال ابو حنيفة لا يكون له ثواب اذا لم يشترط وهو قول الشافعي الاخر قال
والهبة للثواب باطل لانتفعه لانه بيع بثمن مجهول واحتج لكونه باطلا بان موضع الهبة
الشرع فلو اجبنا فيها العوض لبطل معنى التبرع وصارت في معنى المعاوضات ه
والعرب تفرق بين لفظ البيع ولفظ الهبة فجعلت لفظ البيع على ما يستحق
فيه العوض والهبة بخلاف ذلك ودليلنا ما رواه مالك في موطيه عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال ايما رجل وهب هبة يرى انها للثواب فهو على هبته حتى يرضى
منها وبنحوه عن علي رضي الله عنه قال الواهب ثلاثة موهوب يراد بها وجه الله وموهبة

ل

ب

يراد بها وجوه الناس وموهبة يراد بها الثواب فمن وهب يراد بها الثواب يرجع فيها صاحبها اذا لم يثب منها وترجم البخاري رحمه الله بما ـــــــ التكافؤ في الهبة
وساق حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها
واثاب على القدح ولم يثب صاحبها حين طلب الثواب واما انكر سخطه للثواب وقال
زايد على القيمة خرجه الترمذي الثالثة ما ذكره علي رضي الله عنه وفضله من الهبة صحيح
وذلك ان الواهب لا يخلو في هبته من ثلاثة احوال احدها ان يراد بها وجه الله تعالى ويثني
عليها الثواب منه والثاني ان يريد به وجه الناس رياء ليحمدوه عليها ويثنوا عليه من اجلها
والثالث ان يراد بها الثواب من الموهوب له وقد مضى الكلام فيه وقال ـــ صلى الله
عليه وسلم الاعمال بالنيات فرأينا لكل امرئ ما نوى فاما اذا اراد بهبته وجه الله تعالى
واثنى عليه الثواب من عنده فله ذلك عند الله بفضله ورحمته قال الله عز وجل
وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وكذلك من يصل قرابته
ليكون غنيا حتى لا يكون كلا فالنية في ذلك متنوعة فان كان ليتظاهر بذلك دنيا
فليس لوجه الله وان كان ماله عليه من حق القرابة وبينهما من صحبة الرحم فانه لوجه الله
وان كان لماله عليه واما من اراد بهبته وجوه الناس رياء ليحمدوه عليها ويثنوا عليه
من اجلها فلا مستفضة له في هبته لا ثواب في الدنيا ولا اجر في الاخرى قال الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رياء الناس الآية
واما من اراد بهبته الثواب من الموهوب له فله ما اراد بهبته وله ان يرجع فيها ما لم
يثب بقيمتها على مذهب ابي القاسم او ما لم يرض منها بزيادة من قيمتها على ظاهر قول
عمر وعلي وهو قول لم نعرف في الواضحة انه الواضحة ما خانت قائمة العين وان زادت
او نقصت فلهما الرجوع فيها وان ابى الموهوب فيها اكثر منها وقد قيل انما ذلك
قائمة العين لم تتغير فانه ياخذ ما شاء وقيل يلزمه القيمة كنكاح التفويض واما اذا كان
بعد فوت الهبة فليس له الا القيمة اتفاقا قاله ابو العرب الرابع الثالث **قوله تعالى**
قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ليربوا بالياء باسناد الفعل الى الربا وقرأ نافع وحمزة
الساكنة على الهاء لغة تكون فيها ذوي زيادات وهي قراءة ابن عباس والحسن وقتادة
والشعبي قالا ابو حاتم هي قراءتنا وقرأ ابو مالك ليربوها يضمير مونث فلا يربوا عند
الله اي لا يزكوا ولا يثيب عليه لانه لا يتقبل الا ما اريد به وجهه وكان خالصا لله وقد تقدم
في النساء وما اتيتم من زكاة قال ـــ ابن عباس اي من صدقة تريدون وجه الله فاولئك
هم المضعفون اي ذلك الذي يتقبله ويضاعف له عشرة اضعافه او اكثر كما قال من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقال ـــ ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة وقال فاولئك هم
هم المضعفون ولم يقل فانتم المضعفون لانه رجع من المخاطبة الى الغيبة مثل قوله
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وفي معنى المضعفين قولان احدهما تضاعف لهم
الحسنات كما ذكرنا والآخر انهم قد اضعف لهم الخير والنعيم اي هم اصحاب اضعاف
كما يقال فلان مقو اذا كان ابله قوية او له اصحاب اقوياء وسلمى اذا كانت ابلهم
سمانا ومطشى اذا كانت ابله عطاشا ومضعف اذا كانت ابله ضعيفة وسنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من الخبيث المخبث الشيطان الرجيم هو
فالمخبث الذي اصحابه خبث وتبال فلان ردي اصحابه اردياء **قوله تعالى** الذي
خلقكم ابتدا وخبر وعاد الكلام الى الاحتجاج على المشركين وانه الخالق الرازق هو
المميت المحيي ثم قال على جهة الاستفهام هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لا
يفعل ثم نزه نفسه عن الاندادوالاضداد والصاحبة والاولاد بقوله الحق سبحانه
وتعالى عما يشركون واضاف الشركاء اليهم لانهم كانوا يسمونهم بالالهة والشركاء
ويجعلون لهم من اموالهم **قوله تعالى** ظهر الفساد في البر والبحر اختلف في معنى
الفساد والبر والبحر فقال قتادة والشعبي الفساد الشرك وهو اعظم الفساد
وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وحسان البر قتل ابن ادم اخاه قابيل قتل هابيل
وفي البحر بالملك الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا وقيل الفساد القحط وقلة النبات
وذهاب البركة وسوء قال ابن عباس قال هو نقصان البركة بالفساد لعباده
كي يتوبوا عن المعصية واحمق الصيادون وعمي دواب البحر وقال عطية فاذا قل المطر

قال الموضح النحاس وهو احسن ما قيل في الآية وعندي انما ان الفساد في البر ما يقطع
صيده بذنوب بني ادم وقال ابن عباس اذا عطرت السما تفتحت الصدا في البحر
فاذا وقع فيها من السما هو لو وقيل الفساد كساد الاسعار وقلة المعاش وقيل الفساد
المعاصي وقطع السبل والظلم فظهر هذا العلم ما نعاس من الزرع والعمارات والتجارات
والمعنى كله متقارب والبر والبحر هما المعروفان المشهوران في اللغة وعند الناس
لا خلاف له بعض العباد ان البر اللسان والبحر القلب لظهور ما يخرج اللسان وخفا ما في
القلب وقيل البر الغياض والبحر القرى قاله عكرمة والضرب لتسمى الامصار النحار وقال
قتادة البر اهل العمود والبحر اهل القرى والريف وقال ابن عباس اذا البر ما كان من
المدن والقرى على عين نهر والبحر ما كان على شط نهر قال اما والله ما لو بحركم هذا
ولكن كل قرية على ما جاز نهرها بحر وقال معناه النحاس قال في معناه قولان احدهما
ظهر الجدب في البر اي في البوادي وقراها وفي البحر اي في مدن البحر مثل واسيل القرية
اي ظهر فيها الغيث وغلا السعر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم عقاب بعض الذي
عملوا ثم حذف والقول الاخر انه ظهرت المعاصي من قطع السبل والظلم فهذا هو الفساد
على الحقيقة والاول مجاز لانه على الجواب الثاني فيكون في الكلام حذف واضطرد لعلمك
ما بعده ويكون المعنى ظهرت المعاصي في البر والبحر فحبس الله عنهم الغيث واغلى سعرهم
ليذيقهم عقاب الذي عملوا لعلهم يرجعون لعلهم يتوبون وقال بعض الذي عملوا لانه هضم
الجزاء في الاخرة والعراء ليذيقهم بالبا وقرا ابن عباس بالنون وهي قراءة السلمي وابن محيصن
وقنبل وبعقوب على التعظيم اي ليذيقهم عقوبة بعض ما عملوا **قوله تعالى** قل سيروا
في الارض اي قل لهم يا محمد سيروا في الارض لتعتبروا ومن قبلهم وينظروا كيف كان عاقبة من
كذب الرسل كانوا اكثرهم مشركين اي كافرين فاهلكوا **قوله تعالى** فاقم وجهك للدين
القيم قال الزجاج اي اقم وقصد لك واجعل جهتك اتباع الدين القيم يعني الاسلام
وقيل المعنى اوضح الحق وبالغ في الاعذار واشتغل بما انت فيه ولا تحزن عليهم من قبل
ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله عنهم فان لم يرده لم يتهيا لاحد رفعه ويجوز
عند غير سيبويه لا مرد له وذلك عند سيبويه يبعد الا ان يكون في الكلام عطف والمراد
يوم القيامة يوم يصدعون قال ابن عباس يتفرقون وقال الشاعر

وكنا كندمانَي جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

اي لن يتفرقا فتظيره قوله يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير والاصل
يتصدعون وبنيا للتصدع القوم اذا تفرقوا ومنه اشتق الصداع لانه يفرق شعب
الراس **قوله تعالى** من كفر فعليه كفره اي جزا كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
اي يوطئون لانفسهم في الاخرة فراشا ومسكنا وقرارا بالعمل الصالح ومنه مهد الصبي
والمهاد الفراش وقد تمهدت الفراش مهدا بسطته ووطئته وتمهيد الامور تسويتها
واصلاحها وتمهيدا لعذر لبسطه وقوله والتمهيد التمكين وروى عباد اي يحيى عن مجاهد
فلانفسهم يمهدون قال في القبر **قوله تعالى** ليجزي الذين امنوا اي يمهدون
لانفسهم ليجزيهم الله من فضله وقيل ليصدعون ليجزيهم الله اي ليميز الكافر من المسلم
انه لا يحب الكافرين **قوله تعالى** ومن اياته ان يرسل الرياح مبشرات اي ومن اعلام
كمالقدرته ارسال الرياح مبشرات اي بالمطر لانها تنشئه وقد مضى في الحجر
بيانه وليذيقكم من رحمته يعني الغيث والخصب ولتجري الفلك اي في البحر عند
هبوبها وانما زاد بامره لان الرياح قد تهب ولا تكون موانية فلا بد من ارسال السفن
والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاعرفها بامره ولتبتغوا من فضله يعني الرزق
بالتجارة ولعلكم تشكرون هذه النعم بالتوحيد والطاعة وقد مضى بيان هذا كله مبينا
قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا فجاءوهم بالبينات اي بالمعجزات والحجج البينات
فانتقمنا اي فكفرنا فانتقمنا من كفر وكان حقا علينا نصر المومنين حق خبر كان
ونصر المومنين اسمها وكان ابو بكر يقف على حقا اي وكان حقا حقا ثم قال علينا نصر
المومنين ابتدا وخبرا اي اخبرنا به ولا يحلف فخبرنا وروي من حديث ابي الدرداء قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله
تعالى ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلى وكان حقا علينا نصر المومنين ذكره
النحاس والثعلبي والزمخشري وغيرهم **قوله تعالى** الله الذي يرسل الرياح قرا ابن

وقال مجاهد حج

وابن كثير وحمزة والكسائي الريح بالتوحيد لانها تؤنث بالجمع قال ابو عمر وكلما كان بمعنى الرحمة فهو جمع وما كان بمعنى العذاب فهو موحد وقد مضى في البقرة معنى هذه الآية وفي غيرها كسفا جمع كسفة وهي القطعة وفي قراءة الحسن وابي جعفر وعيسى الاعرج وابن عامر كسفا باسكان السين وهي ايضا جمع كسفة كسدرة وسدر وعلى هذه القراءة يكون المضمر المرئي بعده عائدا عليه اي فترى انت الودق اي المطر يخرج من خلال الكسف لان كل جمع بينه وبين واحده الهاء لاغير فالتذكير فيه حسن ومن قرأ كسفا فالمضمر عنده عائد على السحاب وفي قراءة الضحاك وابي المتوكل وابن عباس فترى الودق يخرج من خلاله ويجوز ان يكون خلل جمع خلة فاذا اصاب به اي بالمطر من شاء من عباده اذا هم يستبشرون بغيرهون بنزول المطر عليهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي يائسين مكتئبين فتظهر الحزن عليهم لاحتباس المطر عنهم ومن قبله تكرير عند الاخفش معناه التاكيد واكثر النحويين على هذا القول قاله النحاس وقال غيره يجوز ان يكون قبل الاولى للاولى والثانية للمطر اي وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر وقيل المعنى من قبل تنزيل الغيث عليهم من قبل الزرع ودل على الزرع المطر اذ بسببه يكون ودل على الصفار وهو مصمت على ما يأتي وقيل المعنى من قبل السحاب من قبل رويته واختار هذا القول النحاس اي من قبل رؤية السحاب لمبلسين يائسين وقد تقدم ذكر السحاب **قوله تعالى** فانظر الى اثر رحمت الله يعني المطر اي انظروا انظروا استبصار واستدلال اي اسندوا ابدا للدلالة على ان من قدر عليه قادر على احياء الموتى وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي اثار بالجمع والباقون بالتوحيد لانه مضاف الى معرفة والاثر فاعل يحيي ويجوز ان يكون الفاعل اسم الله عز وجل ومن قرأ اثار بالجمع فلانه رحمت الله يجوز ان يراد بها الكثرة كما قال وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وقرأ الحدري وابو حيوة وغيرهما كيف يحيي الارض بحذف حرف الجر وابقاء الفعل على ما كان عليه ذهب به الى لفظ الرحمة لان اثر الرحمة ليقوم مقامها فكانه هو الرحمة اي كيف يحيي الرحمة الارض او الاثار ويحيي يعني الله جل وعز او المطر او الاثر ثم قرأ بالياء وكيف يحيي الارض في موضع نصب على الحال على الحمل على المعنى لان اللفظ لفظ الاستفهام والمعنى الخبر والتقدير فانظر الى اثر رحمت الله محيية للارض بعد موتها انه ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير استدلال بالشاهد على الغائب **قوله تعالى** ولئن ارسلنا ريحا قرأه مصعب اي الريح والريح يجوز تذكيره قال محمد بن يزيد لا يمتنع تذكير كل مؤنث غير حقيقي نحو اعجبني الدار وسعتها وقيل قرأ السحاب وقال ابن عباس الزرع وهو الاثر والمعنى فرأوا الاثر مصفرا واصفرار الزرع بعد اخضراره يدل على انه كذلك السحاب يدل على انه لا يمطر والريح على انها لا تلقح لظلوا من بعده يكفرون اي ليظلن وحسن وقوع الماضي في موضع المستقبل لما في الكلام من معنى المجازاة والمجازاة لا تكون الا بالمستقبل قاله الخليل وغيره **قوله تعالى** فانك لا تسمع الموتى اي وصحت الحجج يا محمد لكنهم لا لفهم تقليد الاسلاف في الكفر ماتت عقولهم وعميت بصائرهم فلا يتهيأ لك اسماعهم وهذا ايضا رد على القدرية ان يسمع الا من يؤمن بآياتنا اي لا يسمع مواعظ الله الا المؤمنين الذين يصغون الى ادلة التوحيد وخلق لهم الهدى به وقد مضى هذا في النمل ورفع قوله عباد الثمي هنا بغيرنا **قوله تعالى** الله الذي خلقكم من ضعف ذكر استدلالا اخر على قدرته في نفس الانسان لتعتبر وقرئ من ضعف من لغة ضعيفة وقيل من ضعف اي في حال ضعف وهو ما كانوا عليه في الابتداء من الطفولية والصغر ثم جعل من بعد ضعف قوة يعني الشيبة ثم جعل من بعد قوة ضعفا يعني الهرم وقرأ عاصم وحمزة بفتح الضاد فيهن والباقون بالضم لغتان والضم لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الحدري من ضعف ثم جعل من بعد ضعف بالفتح فيهما ضعفا بالضم خالصة ثم اراد ان يجمع بين اللغتين قال الفراء الضم لغة قريش والفتح لغة تميم الجوهري الضعف والضعف والضعف خلاف القوة وقيل الضعف بالفتح في الرأي والبدن وبالضم في الجسد ومنه الحديث في الرجل الذي كان يخدع في البيوع انه يتباع وفي عقده ضعف وشيبة مصدر كالشب والمصدر يصلح للجملة ولذلك الفعل في الضعف والقوة يخلق ما يشاء يعني من قوة وضعف وهو العلم

تنبيه

شديد يره القدرة على اراد ته واجاز النحويون الكوفيون من صعف بفتح العين وكذا كل
ما كان صفته حرف من حروف الحلق ثانيا او ثالثا **قوله تعالى** ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون اى المشركون ما لبثوا غير ساعة ليس في هذا رد لعذاب القبر اذا
كان قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير طريق انه ليقرر منه وامر ان يتعوذ منه
فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو في
تقول اللهم اسمعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي ابي سفيان وبامي معاوية
فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لقد سالت الله لاجال مضروبة وارزاق مقسومة
ولكن سلي الله ان يعيذك من عذاب جهنم او عذاب القبر فاجاد بث مشهورة خرجها
مسلم والبخاري وغيرهما وقد ذكرنا منها جملة في كتاب التذكرة وفي معنى ما لبثوا غير
ساعة قولان احدهما انه لا بد من خمسة قبل يوم القيامة فعلى هذا قالوا ما لبثنا غير
ساعة والقول الاخر انهم يصدون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال كانهم يوم
يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كانه لم يلبثوا الا ساعة من نهار وان كانوا قد اقسموا
على عيب وعلى غير ما يدرون قال الله عز وجل لذلك كانوا يوفكون اى كانوا يكذبون في الدنيا
قال افك الرجل اذا صرف عما قوله ممنوعة من المطر وقد زعم جماعة
من اهل النظر ان القيامة لا يجوز ان يكون فيها كذب كانوا يوفكون اى كانوا صرفوا عن الحق
في قسمهم انهم ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يصرفون عن الحق في الدنيا وقال جل وعز
ثم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون
وقال لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا **قوله**
تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فاختلف
في الذين اوتوا العلم فقيل الملائكة وقيل الانبياء وقيل علماء الامم وقيل هو متواهذن الاحتمالين
وقيل جميع المؤمنين اى يقول المؤمنون للكافرين عليهم لقد لبثتم في قبوركم الى يوم
البعث والفاء في قوله فهذا يوم البعث جواب لشرط محذوف ودل على الكلام محذوفه
انه كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وحكى يعقوب عن بعض القراء وهي قراءة الحسن
الى يوم البعث بالتخفيف وهذا ما فيه حرف من حروف الحلق وقيل معنى في كتاب الله
في حكم الله وقيل في الكلام تقديم وتاخير اى وقال الذين اوتوا العلم في كتاب الله والايمان لقد
لبثتم الى يوم البعث قاله قتادة الفشيري وعلى هذا او توا العلم بمعنى كتاب
الله وقيل الذين حكم لهم في الكتاب بالعلم فهذا يوم البعث اى اليوم الذي كنتم تنكرونه **قوله**
تعالى فيومئذ لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم اى لا ينفعهم العلم بالغيابة ولا اعتذار وقيل
لما رد عليهم المؤمنون سالوا الرجوع الى الدنيا واعتذروا فلم يعذروا ولا هم يستعتبون اى
ولا حالهم حال من يستعتب ويرجع يقال استعتبته فاعتبني اى استرضيته فارضاني
ذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه وسيأتي في فصلت بيانه وقراءة
عاصم وحمزة والكسائي فيومئذ لا ينفع بالياء والباقون بالتاء **قوله تعالى** ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل تقدم على ما يحاجون الله وينبههم على التوحيد
وصدق الرسل وبين حجتهم بآية اى معجزة لفلق البحر والعصا وغيرهما ليقولن الذين كفروا
ان انتم يا معشر المؤمنين الا مبطلون اى تتمعون الباطل والسحر كذلك اى كما طبع الله
على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله فلذلك يطبع على قلوب الذين لا يعلمون ادلة التوحيد
فاصبر ان وعد الله حق اى اصبر على اذاهم فان الله سينصرك ولا يستخفنك اى لا يستفزنك
عن دينك الذين لا يوقنون قيل هو النضر بن الحارث والخطاب للنبي عليه السلام والمراد
امته فيقال استخف فلان فلانا اذا استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي وهو في موضع جزم
بالنهي المؤكد بالنون الثقيلة فبني على الفتح كما بني الليان اذا ضم احرفها الى الاخر الذين لا يوقنون
في موضع رفع ومن العرب من يقول الذون في موضع الرفع وقد مضى في الفاتحة تحقيق السورة
بحمد الله تعالى

تفسير سورة لقمان وهي مكية غير آيتين قال قتادة

اولها ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى اخر الآيتين وقال ابن عباس ثلاث آيات
او لهن ولو ان ما في الارض وهي اربع وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم قوله
الم تلك آيات الكتاب الحكيم مضى الكلام في فواتح السور وتلك في موضع رفع بالابتداء

اي هذه تلك وتيا لتنبيك ايان الكتاب الحكيم بدل من تلك والكتاب القرآن والحكيم المحكم اي لا خلل فيه ولا تناقض وقيل ذو الحكمة وقيل الحاكم هدى ورحمة بالنصب على الحال مثل هذه ناقة الله لكم اية وهذه قراءة المدنيين وابي عمرو وعاصم والكسائي وقرأ حمزة هدى ورحمة بالرفع وهو من وجهين احدهما على اضمار مبتدا الاول اولا ية والاخر ان تكون خبر تلك والمحسن الذي يعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه فانه يراه وقيل هم المحسنون في الدين وهم الاسلام قال الله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله الاية الذين يقيمون الصلاة في موضع الصفة ويجوز الرفع على القطع بمعنى هم الذين والنصب باضمار اعني وقد مضى الكلام في هذه الاية والتي بعدها في البقرة وغيرها **قوله تعالى** ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم منه حسن مسائل الاولى قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث من في موضع رفع بالابتداء ولهو الحديث اقتناء قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما الغناء وهو ممنوع بالكتاب والسنة والتقدير من يشتري ذا لهو او ذا لهو مثل وسل القرية او يكون التقدير بدلا كأنه اشترى لهوا يشتريه ويبالغ في ثمنه كما اشترى لهوا للهو قلت هذه احد ثلاث الاية الذي استدل بها العلماء على كراهة الغناء والمنع منه والاية الثانية قوله وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغناء بالحميرية هو لنا سمدي لنا اي غن لنا والاية الثالثة قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال سمها هذا الغناء والمزامير وقد مضى في سبحان الكلام فيه وروى الترمذي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا انزلت هذه الاية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الى اخر الاية قال ابو عيسى هذا حديث غريب انما يروى من حديث القاسم عن ابي امامة والقاسم تفرد وعلي ابن يزيد يضعف في الحديث قاله محمد بن اسمعيل قال ابن عطية وهذا افسر بن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وذكر ابو الفرج الجوزي عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والنخعي قلت هذا اعلى ما قيل في هذه الاية وحلف على ذلك ابن مسعود بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات الغناء روى سعيد بن جبير عن ابي الصهباء البكري قال سئل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث فقال الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وعن ابن عمر لهو الغناء وكذلك قال عكرمة وميمون بن مهران وكحول وروى سفيان عن الحكم وحماد عن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب وقال مجاهد وزاد ان لهو الحديث في الاية الاستماع الى الغناء والى مثله من الباطل وقال الحسن لهو الحديث المزامير والغناء وقال القاسم بن محمد الغناء باطل والباطل في النار قال ابن القاسم سألت مالكا عنه فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فاين هو وترجم البخاري كل لهو باطل اذا شغل عن طاعة الله ومن قال لصاحبه تعال اقامرك وقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله ويتخذها هزوا فقوله اذا شغل عن طاعة الله مأخوذ من قوله تعالى ليضل عن سبيل الله وعن الحسن انها هو الكفر والشرك وتأوله قوم على الاحاديث التي تلهي بها اهل الباطل واللعب وقيل نزلت في النضر بن الحارث لانه اشترى كتب الاعاجم رستم واسفنديار فكان يحدث بها قريشا اذا قالت قريش ان محمدا قال كذا اضحك منه وحدثهم باحاديث ملوك الفرس ويقول حدثني هذا الحسن من حديث محمد حكاه الفراء والكلبي وغيرهما وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى جليسته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه وتقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وان يقاتل بين يديه وهذا القول الاول ظاهر في الشراء وقالت طائفة الشراء في هذه الاية مستعار وانما نزلت الاية في احاديث قريش وتلهيهم بامر الاسلام وخوضهم في الباطل قال ابن عطية وكان تول ما يجب قفله واستئصاله هذه المكاسب التي شراؤها على حد قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وقال بطرف سرا لهو الحديث استحبابه قتادة ولعله لا يقف فيه مالا ولكن سماعه شراؤه قلت القول الاول اولى ما قيل به في هذا الباب للحديث المرفوع فيه وقول الصحابة والتابعين فيه وقد زاد التغليظ في الوعيد

والواحدي في حديث الى امامة ومامن رجل يرفع صوته بالغنا الا بعث الله عليه شيطانين
احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون
هو الذي يسكت وروى الترمذي وغيره من حديث انس وغيره عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال صوتان ملعونان فاجران اهي عنهما صوت مزمار ورنة شيطان
عند نغمة ومرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب وروى جعفر بن محمد
عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت
بكسر المزامير حرجه ابو طالب الفلاني وخرج بن بشران عن عكرمة عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل وروى الترمذي من
حديث علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغت امتي خمسة
عشر خصلة حل بها البلاء فذكر منها اذا اتخذت القيان والمعازف وروى ابن
المبارك عن مالك بن انس عن محمد بن المنكدر عن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جلس الى قينة ليسمع منها صب في اذنيه الانك يوم القيامة هو
وروى اسد بن موسى عن عبد العزيز بن ابي سلمة عن محمد بن المنكدر قال بلغنا ان الله
تعالى يبعث يوم القيامة اناسا من عبادي الذين كانوا يتنزهون انفسهم واسماعهم عن
اللهو وسماع الشيطان احلوهم رياض المسك واخبروهم اني قد احللت عليهم رضواني
وروى ابن وهب عن مالك عن محمد بن المنكدر مثله وزاد بعد قوله المسك ثم يقول للملائكة
اسمعوهم حمدي وثنائي واخبروهم الخوف عليهم ولا هم يحزنون وقد روى هذا
مرفوعا هذا المعنى من حديث ابي موسى الاشعري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من استمع الى صوت غنا لم تزد الله له ان يسمع الروحانيين تقدس وسماع الروحانيون
يا رسول الله قال قراء اهل الجنة خرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوادر الاصول
وقد ذكرناه في كتاب التذكرة مع نظائره فمن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الاخرة
الى غير ذلك وكل ذلك صحيح المعنى على ما بيناه هنالك ومن رواياته مكحول عن عائشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا
عليه ولمدة الا نار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء وهي المسئلة الثانية وهو الغنا
المعتاد عند المستهترين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على اللهو والفرك والمجون
الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن من هذا النوع اذا كان في شعر يتشبب فيه بذكر النساء
ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه لانه اللهو والغنا المذموم
بالاتفاق فاما ما سلم من ذلك فتجوز القليل منه في اوقات الفرح كالعرس والعيد
وعند التنشيط على الاعمال الشاقة كما كانوا في حفر الخندق وحدوا بخشبه وسلمة بن
الاكوع فاما ما اشتغلت الصوفية اليوم من الاوتار على سماع المعاني بالالات المطربة
من الشبابات والطار والمعازف والمزامير فحرام ابن العربي فاما طبل الحرب فلا حرج
فيه ولا يقيم النفوس ويذهب الغدر وفي البراعة ترددوا لدف مباح الجوهري وربما يسموا
قضيب الراعي التي يسرسر بها هيرعة وراغة قال الاعشى ضرب بنى بدي الذي صلى
الله عليه وسلم يوم دخل المدينة فهم ابو بكر بالزجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعهن يا ابا بكر حتى تعلم اليهود انا في ديننا فسحة فكن يضربن ويغنين تحت ثنايا الخمار
هذا محمل من خالف فقال ان الطبل في النكاح كالدف ولذلك الالات المشهورة للنكاح
يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن فيه رفث الثالثة الاستغال
بالغنا على الدوام حتى تتردد به الشهادة فان لم يدم لم ترد وذكر اسحق بن علي الطباع
قال سالت مالك بن انس عن ما يرخص فيه اهل المدينة من الغنا فقال انما يفعله
عندنا الفساق وذكر ابو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال اما ما لك ابن
انس فانه نهى عن الغناء عن استماعه وقال اذا اشترى جارية ووجدها مغنية
كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر اهل المدينة لا ابراهيم بن سعد فانه حكى عنه
ذكرنا الساجي انه كان لا يرى به باسا وقال ابن حواز منداد فاما ما لك فنيقل عنه
انه كان عالما بالصناعة وكان مذهبه تحريمها وروي عنه انه قال لقمت هذه الغنا
وانا غلام شاب فقالت لي امي اي شيء ان هذه الصناعة يصلح لها من كان صبيح
الوجه وليست كذلك فاطلب العلوم المدينة فصحبنا ربيعة فجعل الله في ذلك الخير
قال ابو الليث الطبري واما مذهب ابي حنيفة فانه كره الغناء ايا حنة شرب النبيذ

ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك مذهب سائر اهل الكوفة ابراهيم والشعبي وحماد
والثوري وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك وكذلك لا يعرف بين اهل البصرة خلاف في كراهة
ذلك والمنع منه لما روي عن عبد الله ابي الحسن العنبري انه كان لا يرى به باسا قال
واما مذهب الشافعي فقال الغناء مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه
ترد شهادته وذكر ابو الفرج الجوزي عن امامه احمد بن حنبل ثلاث روايات قال
وذكر اصحابنا عن ابي بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز اباحة الغناء وانما اشاروا الى ما كان
في زماننا من القصائد الزهديات قال وعلى هذا اجمل لم يكرهه احمد ويدل عليه انه
سئل عن رجل مات وخلف ولدا وجارية مغنية فاحتاج الصبي الى بيعها فقال تباع
على انها ساذجة لا على انها مغنية فقيل له انها تساوي ثلاثين الفا ولعلها اذا بيعت ساذ
تساوي عشرين الفا فقال لا تباع الا على انها ساذجة قال ابو الفرج وانما قال احمد هذا
لان هذه الجارية المغنية لا تقتنى لقصائد الزهد بل بالاشعار المطربة المتعرة الى
المستمع وهذا دليل على ان الغناء محظور اذ لو لم يكن محظورا ما جاز تفويت المال على
السيد وصار هذا كقول ابي طالب طلحة للنبي صلى الله عليه وسلم عندي جمر لابتاع
فقال ارفها فلو جاز استصلاحهما لما امر بتضييع ماله النبامي قال الطبري
فقد اجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه وانما فارق الجماعة ابراهيم بن سعد
وعبد الله العنبري وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم
ومن فارق الجماعة مات ميتة جاهلية قال ابو الفرج وقال الغناء حرام اصحابنا
لا تقبل شهادة المغني قال الرقاص قلت واذا قد تبين ان هذا لا يجوز
فاخذ الاجرة عليه لا يجوز وقد ادعى ابو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على الغناء
وقد مضى قول الامام عند قوله وعنده مفاتح الغيب وحبك الرابعة قال
القاضي ابو بكر بن العربي واما سماع المغنيات فيجوز للرجل ان يسمع غناء جارية
اذ ليس شيء منها حراما لا من ظاهرها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها
اما انه لا يجوز انكشاف الغناء للرجال ولهتك الاستار ولاسماع الرقة فاذا
خرج ذلك الى ما لا يحل ولا يجوز سمع من اوله واجتنب من اصله وقال ابو الطيب الطبري
اما سماع الغناء من المرأة التي ليست بمحرم فان اصحاب الشافعي قالوا لا يجوز سواء كانت
حرة او مملوكة قال وقال الشافعي وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو
سفيه ترد شهادته ثم غلط المزني فيه فقال ردهي ديانة وانما جعل صاحبها
سفيها لانه دعا الناس الى الباطل ومن دعا الناس الى الباطل كان سفيها الخامسة

قوله تعالى ليضل عن سبيل الله قرأ حمزة والكسائي بضم الياء اي ليضل غيره عن
طريق الله واذا ضل غيره فقد ضل وقرأ ابن كثير وابن محيصن وحميد وابو عمرو ورويس
وابن ابي اسحق بفتح الياء على اللازم اي ليضل هو نفسه ويتخذها هزوا قرأ ابن
المحيصن وابي عمرو وابي عاصم بالرفع عطفا على يشتري ويجوز ان يكون مستانفا
وقرأ الاعمش وحمزة والكسائي ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل ومن الوجهين
جميعا يحسن الوقف على قوله بغير علم والوقف على قوله هزوا والهاء يتخذها
كناية عن الايات ويجوز ان يكون كناية عن السبيل
لان السبيل يونث ويذكر اولئك لهم عذاب مهين اي شديد يهينهم قال الشاعر

ولقد جرعت الى الضمار وقد بعد مالقى لصلب من العذاب مهينا

قوله تعالى واذا تتلى عليه ايات بينات لقمان ولي اعرض مستكبرا تقب على الحال
كانه لم يسمعها كان في اذنيه وقرا ثقلا وصمما وقد تقدم فبشره بعذاب اليم تقدم ايضا

قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم لما ذكر عذاب الكفار
ذكر نعيم الموحدين خالدين فيها اي في ايمان وعد الله حقا اي وعدهم الله هذا وعدا حقا
لا خلف فيه وهو العزيز الحكيم تقدم ايضا قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها
تكون ترونها في موضع خفض على النعت لعمد فيمكن ان يكون ثم عمد ولكن لا يرى ويجوز
ان يكون في موضع نصب على الحال من السموات ولا عمد ثم البتة الا ترى ان موسى وسمعت على ابن
سليمان يقول اله ولي يكون مستانفا ولا عمد ثم قال مكي ويكون بغير عمد التمام
وقد تضمن الرعد الكلام في هذه الاية والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد
في موضع نصب اي كراهية ان تميد والكوفيون يقولون تقديره بمعنى لئلا تميد وبث فيها

المهديم

من

من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم عن ابن عباس من كل لون حسن وتاوله الشعبي على الناس لانهم مخلوقون من الارض قال من كان منهم يصير الى الجنة فهو الكريم ومن كان منهم يصير الى النار فهو اللئيم وقد تاول غيره ان النطفة مخلوقة من تراب بظاهر القرآن يدل على هذا ذلك **قوله تعالى** هذا خلق الله مبتدا وخبر والخلق بمعنى المخلوق ان هذا الذي ذكرته مما تعاينون خلق الله اي مخلوق الله اي خلقها من غير شريك فاروني ماذا خلق الذين من دونه يعني الاصنام بل الظالمون اي المشركون في ضلال مبين اوخسران ظاهر وما استفهام في موضع رفع بالابتداء وخبره ذا وذا بمعنى الذي وخلق واقع على ها هنا وقد تقدم تفسيره فاروني اي بيني خلق الذين من دونه والجملة في موضع نصب باروني وتقدير الهاء خلق نفسه وعلى الذي اي فاروني الاشياء التي خلقها الذين من دونه وعلى هذا القول يقول ماذا انقلمت عنه اخوام شعر ويجوز ان يكون ها هنا في موضع نصب باروني وذا بمعنى وعلى هذا يقول ماذا انقلمت اخوام شعر **قوله تعالى** ولقد اتينا لقمان الحكمة معمولان ولم ينصرف لقمان لان الالف والنون زائدتان كشبه فعلان اي ابتناه فعلى فلم ينصرف في المعرفة لاجتماع ثقلتان والصرف في النكرة لان احد النقلين قد زال قالوا لقمان الحبشي وهو لقمان ابن باعورا ابن ناحور بن تارخ وهو ازر ابو ابراهيم كذا نسبه محمد بن اسحاق وقيل هو لقمان ابن عنقا بن سرون وكان نوبيا من اهل ايلة ذكره السهيلي قال وهب كان ابن اخت ايوب وقال مقاتل ذكر انه ابن خالة ايوب الزمخشري هو لقمان ابن باعورا ابن اخي ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر عاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ عنه العلم وكان يفتي بني داود فلما بعثه قطع الفتوى فقيل له فقال انما اكتفي اذا كفيت وقالوا لو افتى كان قاضيا في بني اسرائيل وقال سعيد بن المسيب كان لقمان اسود من سودان مصر وفتق اعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه من النبوة وعلى هذا جمهور اهل التاويل انه كان وليا ولم يكن نبيا وقال مجاهد عكرمة والشعبي وعلى هذا يكون الحكمة النبوة والصواب انه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى وهي الصواب في المعتقدات والفقه في الدين والعقل فاصباغ بني اسرائيل اسود مشقق الرجلين ذا مشافر اي عظيم الشفتين قاله ابن عباس وغيره وروي من حديث بن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه فمن عليه بالحكمة وخيره في ان يجعله خليفة يحكم بالحق فقال رب ان خيرتني قبلت الفاقة منه وتركت البلاء وان عزمت على قسما وطاعة فانك ستعصمني فكره ابن عطية وزاد الثعلبي فقالت له الملائكة بصوت لا يا ابراهيم لم يا لقمن قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ان نعس قيل الحق ان يجوز ان اخطا اخطا طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير له من ان يكون فيها شريفا ومن يختر الدنيا على الاخرة تفته الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فاتته يتكلم بها ثم تودي داود بعده فقبلها فلم يشترط ما اشترط لقمان فهوي في الخطيئة غير مرة كذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء واعطي داود الخلافة وابتلا بالبلاء لفتنه وقال قتادة خيرا الله تعالى لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة فاتاه جبريل عليه السلام وهو نائم فذر عليه الحكمة فاصبح وهو ينطق بها فقيل له كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو ارسل الي بالنبوة عزمة لرجوت فيها العون منه ولكنه خيرني فخفت ان اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الي واختلف في صفته فقيل كان خياطا قاله سعيد بن المسيب وقال لرجل اسود لا تحزن من انك اسود فانه كان من خيرا الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان وقيل كان يحتطب كل يوم لمولاه حزمة حطب وقال لرجل ينظر اليه ان كنت ترائي علبط الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق وان كنت ترائي اسود فقلبها بيض وقيل كان راعيا فراه رجل كان لا يعرفه قبل ذلك فقال الست عبد بني فلان قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال قدر الله وادائي الامانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني قاله عبد الرحمن ابن زيد بن جابر وقال خالد الربعي كان نجارا فقال له سيده اذبح لي شاة وائتني باطيبها مضغتين فاتاه باللسان والقلب فقال له ما كان فيها شيء اطيب من هذين فسكت

ثم امره بذبح شاة فمر بهم قال القى اخبثها مضغتين فالقى اللسان والقلب فقال له
امرتك ان تاتيني باطيب مضغتين فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تلقي اخبثها
فالقيت اللسان والقلب فقال له ليس شيء اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا
قلت هذا معناه مرفوعا غير ما حديث من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الا وان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
وجاء في اللسان اثار كثيرة صحيحة وشهيرة منها قوله عليه السلام من وقاه الله شر
شرائتين ولج الجنة ما بين لحييه ورجليه الحديث وحكم لقمان كثيرة ما مر ذكره هذا منها
وقيل له اي الناس اشر قال الذي لا يبالي ان زاد الناس ميسا قلت وهذا
ايضا مرفوع معنى قال صلى الله عليه وسلم كل امتي معافا الا المجاهرون وان من
الجهار ان يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحة
كذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه رواه ابو هريرة خرجه البخاري
وقال وهب ابن منبه قرات من حكمة لقمان اربع من عشرة الافا باب ورويانه دخل
على داود وهو يسرد الدروع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يسأله فادركته
الحكمة فسكت فلما البسها وقام لبوس الحرب اثنى فقال لم يتكلم حكيم وقليل فاعله
فقال له داود بحق ما سميت حكيما قوله تعالى ان اشكر لله فيه تقديران احدهما ان
يكون بمعنى ايي مفسرة اي قلنا له اشكر والقول الاحتمالي في موضع نصب والفعل داخل
في صلتها كما حكى سيبويه كتبت اليه ان قم الا ان هذا الوجه عنده بعيد وقال الزجاج
المعنى ولقد اتينا لقمان الحكمة لان يشكر لله تعالى وقيل اي بان اشكر لله فشكر فكان
حكيما لشكره لنا والشكر لله طاعته فيما امر به وقد مضى القول في حقيقته لغة
ومعنى في البقرة وغيرها ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اي من يطع الله فانما يعمل لنفسه
لان يقع الثواب عليه اليه ومن كفر اي كفر النعم فلم يوحد الله فان الله لغني عن عبادته
خلقه حميد عند خلقه اي محمود وقال يحيى بن سلام غني عن خلقه حميد في فعله
قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه قال السهيلي اسم ابنه ماران
في قول الطبري وابا نعيم وقال الكلبي مشلم وقيل انعم حكاه النقاش وذكر القشيري
ان ابنه وامراته كانا كافرين فما زال يعظهما حتى اسلما قلت ودليل هذا قوله لا تشرك
بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال لما نزلت الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لا
يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو كما تظنون انما هو كما قال
لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم واختلف في قوله ان الشرك
لظلم عظيم فقيل انه من كلام لقمان وقيل هو خبر من الله تعالى منقطعا من كلام لقمان
مستدلا به في تاكيد المعنى ويقويه هذا الحديث الماثور انما نزلت الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم اشفق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يظلم
فانزل الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فسكن اشفاقهم وانما لسكن اشفاقهم بان
يكون خبرا من الله تعالى وقد لسكن الاشفاق بان يذكر الله ذلك عن عبد قد وصفه
بالحكمة والسداد وادخل في موضع نصب بانينا والمعنى ولقد اتينا لقمان الحكمة اذ قال
النحاس واحسنه غلطا لانه في الكلام قد ايمنع من ذلك وقال يا بني تصغير ابن الا انها
دالة على الياء المحذوفة وقد ومن فتحها فلخفة الفتحة عنده وقد مضى في يوسف القول
في هذا وقوله يا بني ليس هو على حقيقة التصغير وان كان على لفظه وانما هو على وجه
الترقيق كما يقال للرجل يا اخي وللمصغي هو كذلك وليس قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه
حسنا الى قوله يعملون منه ثم ان مسائل الاولى قوله ووصينا هذه الاية من اثنا وصية
لقمان وقال ان هذا مما اوصى لقمان ابنه اخبر الله بذلك عنه اي قال لقمان لابنه لا تشرك
بالله ولا تطع في الشرك والدين فان الله وصى بهما في طاعتهما مما لا يكون شركا ومعصية
لله تعالى وقيل خبر ابتداء قال لقمان معلما للقمان فيما اتيناه من الحكمة ووصينا
الانسان بوالديه اي قلنا له اشكر لله وقلنا له ووصينا الانسان وقيل واذ قال
لقمان لابنه لا تشرك وحتى وصينا الانسان بوالديه حسنا وامرنا الناس بهذا
وامرنا لقمان به ابنه ذكر هذه الاقوال الثعلبي والصحيح ان هذه الايتين نزلتا
في شان سعد بن ابي وقاص كما تقدم في العنكبوت وعليه جماعة المفسرين وجله

الباب ان طلبه الابوين لاجل ما في ذلك من كبير فحلا في نزك في بضعة على الاعيان ويلزم طاعتها
في المباحات ويتحسن في ترك الطاعات النذب وستة امر الجهاد الكفاية والاجابة للام في
الصلاة مع امكان الاعادة على ان هذا اقوى من النذب لكن يعلل بخوف هلكه عليها ونحوه فما
ينسخ قطع الصلاة فلا يكون اقوى من النذب وخالف الحسن في هذا الفصل فقال ان
متعته امه من صوم التطوع فلا يلزمها التابعة لما خصص قال الامهد رحمه ذكر
الجلابي رحمه ذكر الوضاح حصل له من ثلاث مراتب الطاعات واحدة واسمه ذلك قوله
قوله صلى الله عليه وسلم حين قال له رجل من ابر قلك امك قال ثم من قال امك قال ثم
من قال امك قال ابوك فجعل له الربع من المتن كالاتة وقد مضى هذا كله في سبحان
الثالثة قوله تعالى وهنا على وهن اي حملته ذا وهن بعد وهن يزداد كل يوم ضعفا على ضعف وقيل المرأة
ضعيفة الحلقة تم بضعفها الحمل وقد اعلم التعب وهنا على وهن بمعنى لما فيهما وروي عن
ابن عمر وهما بمعنى واحد قال عتبة بن ام صاحب هل للمولود لمن ناه فيخبرها ان المولود فيها
الابن والوهن بمعنى ووهن يوهن ووهن يوهن مثل ورم يرم وانتصب وهنا على
المصدر وكره الفتيري النحاس على المفعول لما في باستقاط حرف الجر اي جلنه بضعف على
ضعف وقد اجاز الجمهور وفصاله وقد الحسن ويعقوب وفصله وهما لغتان ايه وفصاله في
انقضاء عامين والمقصود من الفصال الفطام فعبر بغايته ونهايته ويقال الفصل عن كذا اذا
تميز وبه سمي الفصيل الرابعة الناس يجعلون على العامين في هذا الرضاع في باب الاحكام والنفقات
واما في تحريم اللبن فحدت فرقة بالعام لا زيادة ولا نقص وقالت فرقة الثلاثون وما
انفصل بها من الشهور ونحوه اذا كان مستعمل الرضاع وقالت فرقة ان فطم الصبي قبل العامين
وترك اللبن فان ما شرب بعد ذلك في الحولين لا يحرم وقد مضى هذا في البقرة مستوفى
المسئلة **قوله تعالى** ان اشكر لي الآية اشكر لي في موضع نصب في قول الزجاج وان المعنى ووصينا
الانسان بوالديه ان اشكر لي النحاس واجود منه ان يكون ان مفسرة والمعنى قلنا له اشكر
لي ولوالديك قيل انه شكر لله على نعمه الايمان وللوالدين على نعمهما التربية وقال سعيد بن
عبيد من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعى لوالديه في ادبار الصلوات
الخمس فقد شكرهما الساوة **قوله تعالى** وان جاهداك الآية قدمنا ان هذه الآية
والتي قبلها نزلتا في شان سعد بن ابي وقاص لما اسلم وان امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن ابية
امية حلفت لا ياكل حتى تعذم في الآية قبلها الساعة قوله **قوله تعالى** وصاحبهما في الدنيا
معروفا نصب لمصدر محذوف وابي بصاحبا معروفا وقيل صاحبته مصاحبة ومصاحبا
معروفا اي ما يحسن والآية دليل على صلة الابوين الكافرين بما امكن من المال ان كان فقيرين
والآية الاولى والدعاء الى الاسلام برفق وقد قالت اسما بنت ابي بكر الصديق للنبي صلى الله
عليه وسلم وقد قدمت عليها حاملا وقبل انها من الرضاعة فقالت يا رسول الله ان امي قدمت
علي وهي راغبة افاصلها قال نعم وراغبة قيل مسلمة عن الاسلام قاله ابن عطية والظاهر
عندي انها راغبة في الصلة وما كانت لتعذم على اسما لولا حالتها والمرأة اسمها هيلة
بنت عبد العزى بنت عبد اسعد وام عائشة وعبد الرحمن هي ام رومان قدمت الاسلام
الثامنة **قوله تعالى** واتبع سبيل من اناب الى وصية لجميع العالم كان المامور الانسان
واناب بمعنى مال ورجع الى الشيء وهذه سبيل الانبياء والصالحين وحكى النقاش ان الآية
سعد والذي اناب ابو بكر وقال ان ابا بكر لما اسلم اباه سعد وعبد الرحمن بن عوف وعثمان وطلحة
وسعيد والزبير فقالوا امنت قال نعم فقلت فيه امن هو فانت انا الطلبة فلما سمعوا
البشارة امنوا فانزل الله فيهم نالذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها الى قوله اولئك
الذين هداهم الله وقيل الذي اناب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ولما اسلم
سعد اسلم معه اخواه عامر وعويمر فلم يبق منهم مشرك الا عتبة ثم توعد عز وجل بالبعث
من في القبور والرجوع اليه للجزاء والتوقيف على صغير الاعمال وكبيرها **قوله تعالى**
يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل الآية المعنى وقال لقمان لابنه يا بني وهذا القول
من لقمان انما قصد به اعلام ابنه بقدر قدرة الله تعالى وهذه الغاية التي يمكنه ان
يبلغه لان الخردل لم يقل ان الحس لا يدرك لها ثقلا اذ لا توجد ميزانا اي لو كان للانسان
رزق مثقال حبة خردل في هذا المواضع جاء الله بها حتى يسوقها الى من هي رزقه اي
لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن اداء الفرائض وعن اتباع سبيل من اناب الي قلت
ومن هذا المعنى قول صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود لا تكثرهمك ما يقدر يكن وما

يرف جانبك وقد نطقت هذه الآية بان الله تعالى يؤاخذ بكل شئ علما ويحصى كل شئ ردا
شيأ فلا مرتب له وروى ان ابن لقمان سأل اباه عن الجنة تقع في مثل البحر يعلمها الله هو
مزاحمة فقمان وقيل المعنى ان الله يوازن الاعمال المقاصى والطاعات اى ان تك الحسنة او
الخطيئة مثقال حبة يات بها الله اى لا تفوت الاتيان المعدو قوعها منه وبهذا المعنى
يتحمل ان الضمير عظمة تزجيته وتعريف مضاف الى تبيين قدرة الله تعالى وفي القول الاول
لم يتعرض فيه لتذكير ولا تعريف قوله تعالى مثقال حبة عبارة تقتضي للجواهر اى قدر
حبة وتقتضي للاعمال اى مجازيته عليها بمثله المماثلة قدر حبة وما يوزن قوله تعالى
الجواهر قراءة عبد الكريم الجزري بفتح كسر الكاف وشد الواو من الكن الذي هو الشيء الخفي
وقراءة الجمهور المشتملة بالتنوين فوق مثقال بالنصب على خبر كان واسمها مضمر تقديره
مسلتك على ما روى او المعصية والطاعة على القول الثاني ويدل على ضعفه قول ابن لقمان
لابنه يا بني ان علمت الخطيئة حبة لا ترى في احد كيف يعلمها الله فقال لقمان له يا بني انها ان
تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة في بطن قعر البحر يأت بها الله ان الله لطيف
والضمير في انها ضمير القصة كقوله انها هند قائمة اى القصة انها ان تك مثقال حبة الضمير
يخبرون انها ان يوجد معدوما او القصة او الكوينون لا يخرجون هذا الا في الموت كما ذكرنا
وقرأ نافع مثقال بالرفع والى هذا تك يرجع الى معنى خردل اى ان تك حبة من خردل
وقيل اسند الى المثقال لمضافه علامة التانيث من حيث انضاف الى مونث هو منه لان
مثقال الحبة من الخردل اما مثله او حبة كما قال فلقد عرا مثالها ما نت وان المثل
مذكر لانه اراد الخصلة وهذا كقول الشاعر

مشين كما اهتزت رماح تسفهت اعالیها مر الرياح النواسم

وتكن هنا بمعنى تقع فلا يقتضي خبرا قوله تعالى تكن في صخرة قيل معنى الكلام
المبالغة والانتهاء في التغييب اى ان قدرته تعالى تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما
يكون في السماء والارض وقال ابن عباس الصخرة تحت الارضين السبع وعليها الارض وقيل
هي الصخرة على ظهر الحوت وقال السدي هي صخرة ليست في السموات ولا الارض بل هي وراء
سبع ارضين عليها ملك قائم لا ثالث وفي السموات او في الارض وفيهما عنيته عن قوله
فتكن في صخرة تاكيد لقوله افترا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وقوله
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا قوله تعالى يا بني اقم الصلاة الاية قيد بثلاث
مسائل الاولى قوله تعالى اقم الصلاة وصى ابنه بعظيم الطاعات وهي الصلاة والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا انما يريد به بعد تسلم ذلك هو في نفسه ويزدجر عن المنكر
وبقيا هي الطاعات والمصائب اجمع ولقد احسن من قال

وابدا بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فانت حكيم

في اثنا نقدم في السورة ذكرها الثانية قوله تعالى واصبر على ما اصابك يقتضي
حضا على تغيير المنكر وان نال ضرر فواشعار بان التغيير يؤدي احيانا وهذا العذر على جهة
الندب والعزيمة في ذات الله واما على اللزوم فلا وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في ال
عمران والمائدة وقيل امره بالصبر على سوء ايذاء الدنيا كالامراض وغيرها وان لا يخرج
من الهوى المعصية الله جل وعز وهذا قول حسن لانه الثالثة قوله تعالى
ان ذلك لمن عزم الامور قال ابن عباس من حقيقة الايمان الصبر على المكاره وقيل ان
اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الامور اى مما عزمه الله وامر
به قال ابن جريج ويحتمل ان يريد ان ذلك من مكارم الاخلاق وعزائم اهل الحزم السالكين
طريق النجاة وقال ابن جريج اصوب قوله تعالى ولا تصاعر خدك للناس الاية
فيه ثلاث مسائل الاولى قراة نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي وابن محيصن تصاعر
بالف بعد الصاد والمعنى متقاربة والصعر الميل ومنه حقا الاعرابي وقد اقام
صعري بعد ان اقمت صعره ومنه قول عمرو بن
حتى التقلص حن وكلتا اذا الجبال صعر خده افنانه من سله فتقوم
واشده الطبري فتقوم ما قال ابن عطية وهو خطا لانه قافية الشعر محفوظة وفي
بيت اخر قد اقمنا له من خده المتصعر قال الهروي ولا تصاعر اى لا تعرض عنهم
تكبرا عليهم يقال اصاب البعير صعر وصيد اذا اصابه داء يلوي منه عنقه ثم يقال

للمتكبر

للمتكبر عليه صعّر خدّه عنّي لا تصعر اي لا تلزم خدك الصعر وفي الحديث يأتي على الناس زمان
ليس فيهم الا اصعر او ابتر او اصعر المعرض بوجهه كبرا وازدراء له الناس الذين
لا دين لهم وفي الحديث كل صعار ملعون اي كل ذي بهيمة وكبر الثانية معنى لا نية ولا عمل
خذلك للناس كبرا عليهم واعجابا واحتقارا لهم وهذا تاويل ابن عباس رضي الله عنهما وقيل هو
ان يلوي شدقه اذا ذكر الرجل عندك كانك تحتقره فالمعنى فقبل عليهم منوا منهم مؤانسا
ستانسا واذا هذبك اصغرهم فاصغ اليه حتى يكمل حديثه وكذلك كان النبي صلى
الله عليه وسلم يقبل قلب ومن هذا المعنى ما رواه مالك عن ابن شهاب
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تدابروا
ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث فالتدابر
الاعراض وترك الكلام والسلام ونحوه وانما قيل للاعراض تدابر لان من اعرض عنه
اعرضت عنه ولبته دبرك وكذلك ليمنع هويتي ومن احببته اقبلت عليك بوجهك
وواجهته لتنظره وتبرك بمعنى التدابر موجود فيمن صعر خده وبه فسر ما هذا الا نية وقال
ابن حوار مندا د قوله ولا تصاعر خدك للناس كما ندهى ان يبدل الناس نفسه من غير حاجة
ويحوذ لك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمسيء للادب ان يبدل نفسه الثالثة
قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا مختالا فخورا مختصر في موضع الحال وقد مضى في سبحان
وهو التشاط والبطر في غير شغل وفي غير حاجة واهل هذه الحلق سلازمون للفخر والخيلاء
فالمرح يحتال في مشيته روي يحيى بن جابر الطائي عن ابن عائذ الازدي عن عقبة بن الحرث
قال اتيت بيت المقدس انا وعبد الله بن عبيد بن عمير قال فجلسنا الى عبد الله بن عمرو بن
العاص فسمعته يقول ان العبد يكلم الله اذا وضع فيه فيقول يا ابن ادم ما عرك بي الم تعلم
اني بيت الوحدة الم تعلم اني بيت الظلمة الم تعلم اني بيت الحق يا ابن ادم ما عرك بي لقد
كنت تمشي حولي قدا د قال ابن عائذ قلت لتصيف ما العدا د يا ابا اسماء قال كبعضهم
مستك يا ابن اخي لحيانا قال ابو عبيد والمعنى ذا مال كثير وذا خيلا وقال صلى الله عليه
وسلم من جر ثوبه خيلا لا ينظر الله اليه يوم القيامة والمخور هو الذي يعدد ما اعطى ولا
يشكر الله قال لبيد ما عدد الفتى الفخر يا للشب ويبرد ذلك **قوله تعالى** واقصد
في مشيك واغضض من صوتك فيه ست مسائل المسألة الاولى في قوله تعالى واقصد في مشيك
الآية نهاه عن الخلق الوسيم رسوله الخلق الكريم الذي ينبغي ان يستعمله فقال واقصد
في مشيك اي توسط فيه والقصد ما بين الاشراع والبطء اي لا تذب دبيب النساء ولا تثب
وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن فامشوا رويدا
عليكم السلام انه كان اذا مشى اسرع وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع
فانما اراد ان السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت والله اعلم وقد مدح الله من بعده صفته
حسب ما تقدم بيانه في الفرقان الثانية **قوله تعالى** واغضض من صوتك اي
انقص منه اي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما يحتاج اليه فان الجهر باكثر من الحاجة
تكلف يؤدي والمراد بذلك كله التواضع وقد قال لعمر لموذن تكلف رفع الاذان باكثر من
طاقته لاذنك خشيت ان تشق مربطا ولك والموذن هو ابو محذورة سمره بن معمر والمربط
ما بين السرة الى العانة **قوله تعالى** ان انكر الاصوات لصوت الحمير اي اقبحها واوحشها
ومنه اتانا بوجه منكر والحمار مثل في الذم البليغ والتشنيع وكذلك بها فمن استفحل
منهم لذكره فجردا نهم يكون لله ويرعبون عن التضريح فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى
عن الاسد المستقذرة وقد عدني مساوي الاداب ان يجيء ذكر الحمار في مجلس قوم من
اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان يلفت منه الرحله وكان عليه
السلام يرتب تواضعا وتذللا لله جل وعز الرابعة في الآية دليل على تقريف فجع رفع
الصوت في المحاطبة والملاحاة بفتح اصوات الحمير لانها غالبة وفي الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال واذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها
رات شيطانا وقال سفيان الثوري صياح كل شيء تسبيح الا نهيق الحمير وقال عطا
نهيق الحمير دعاء على الظلمة الخامسة هذه الآية ادب من الله تعالى ينبغي ان يترك الصياح
في وجوه الناس تمانعا بهم او يترك الصياح جملة وكانت العرب تفخر بحمارة الصوت
الحمير وغير ذلك فمن كان منهم اشد صوتا كان اعز ومن كان اخفض كان اذل حتى
قال الشاعر هم جمير الكلام جمير العطاس جمير الرؤا جمير النعم

وتعبدوا على الدين عدو الظليم و يبلوا الحرجا لو تخلق بهم
فنهاهم سبحانه عن هذه الخلق الجاهلية بقوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير اي لوان سائها
لصوت الحمار فجعلهم في المثل سوآء **قوله تعالى** لصوت اللام للتاكيد و جرا الصوت
وان كان مضافا الى الجماعة لانه مصدر و المصدر يدل على الكثرة وهو يحذر ضاف
يضوف صوتا فهو ضائف وتقاله صوت يصوت فهو مصوت و رجل صائت اي شديد الصوت
بمعنى ضائف كقولهم رجل مال و تال اي كثير المال والسواد **قوله تعالى** الم تروا ان الله سخر
لكم ما في السموات وما في الارض ذكر نعمه على ابن ادم وانه سخر لكم ما في السموات من شمس و قمر
ونجوم وملائكة تخوطهم وتحرسهم ما فيهم وما في الارض جميعا في الجبال والشجار والثمار وما
يحصى واسبغ عليكم نعمه اي اكملها واتمها وقرا ابن هلبش ويحيى بن عمارة واصبغ بالغين
على بدلها من السين لان حروف الاستعلا تجتذب السين من سفلها الى علوها فتزهاصادا
والنعم جمع نعمة كسدر وسدر بفتح الدال وهي قراءة نافع وابي عمرو وحفص الباقون بسكون
الدال والافراد يدل على الكثرة كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي قراءة بزعبال
من وجوه صحاح وقيل ان معناها الاسلام قال النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس وقد
سئله عن هذه الاية الظاهرة الاسلام وما حسن من خلقك والباطنة ما ستر عليك القبائح
وسرح هذا ان سعيد بن جبير قال في قول الله عز وجل ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم
قال يدخلكم الجنة وتمام نعمة الله عز وجل على العبد ان يدخله الجنة فكذا الايمان للاسلام
يؤدي امره الى الجنة سمي نعمة وقيل الظاهرة وكمال الخلق والباطنة المعرفة والعقل وقال
المجاهد الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم العقبى وقيل الظاهرة ما يرجع بالانتفاع من المال
والجمال والجاه في الناس وتوفيق الطاعات والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم
بالله وحسن اليقين وما يدفع الله عن العبد من الافات وقد سرد الماوردي في هذا اقوالا
نستغني كلها نرجع الى هذا قوله **تعالى** ومن الناس من يجادل الله بغير علم نقدم في الحج وغيرها هو
نزلت في يهودي جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن ربك من اي شيء هو فجاءت
صاعقة فاحترقت فانزل الله مجاهد وقد مضى هذا في الرعد وقيل انها نزلت في النضر بن
الحرث كان يقول ان الملائكة بنات الله قاله ابن عباس مجادلة بغير علم اي بغير حجة
ولا هدى ولا كتاب منير اي بين الا الشيطان فيما يلقي اليهم وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم ليجادلوكم وانما يعلمه الاشلاف كما في الاية بعدها ولو كان الشيطان يدعوهم
الى عذاب السعير اي ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ينبغوه **قوله**
تعالى ومن يسلم وجهه الى الله اي يخلص عبادته وقصده اليه وهو محسن لان العبادة
من غير احسان ولا معرفة القلب لا تنفع نظيره ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
وفي حديث جبريل قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك فقد استمسك بالعروة الوثقى قال ابن عباس لا اله الا الله وقد
مضى في البقرة وقد اعلى بن ابي طالب والسلمي وعبد الله بن مسلم ابن يسار ومن يسلم
النحاس ويسلم في هذا القرن كما قال عز وجل فقد اسلمت وجهي لله ومعنى اسلمت وجهي
الى الله قصدت بعبادتي الى الله عز وجل ويكون ليسلم على التكثير الا ان المستعمل في سلمت
انه بمعنى دفعت تقول سلمت في الخمسة وقد يقال اسلمت الزمخشري قرا علي بن ابي
طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الى الله فان قلت
ما له عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله قلت معناه مع اللام
الاخلاص وجهه ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه مع الى راجع الى ان سلم الله
نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض اليه والى الله عاقبة الامور
اي مصيرها **قوله تعالى** ومن كفر فلا يحزنك كفرهم اليانا مرجعهم فننبئهم بما عملوا اي نجازيهم
ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا نبقيهم في الدنيا مدة قليلة ثم نضطرهم
اي نلجئهم ونسوقهم الى عذاب غليظ وهو عذاب جهنم ولفظ من يصلح للواحد
والجمع فلهذا قال كفره ثم قال لمرجعهم وما بعده على المعنى **قوله تعالى** ولئن
سالتهم ليقولن الله اي هم يعترفون بان الله خالقهم فلم يعبدون معه غيره قل الحمد لله
اي على ما هدانا له من دينه وليس الحمد لغيره ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا ينظرون
ولا يتدبرون لله ما في السموات وما في الارض اي ملكا وخلقا ان الله هو الغني عن خلقه
وعن عبادتهم وانما امرهم ليعنفهم الحميد اي المحمود على صنعه **قوله تعالى**

ولوان

ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية لما احتج على المشركين بما احتج بين ان معاني كلامه سبحانه بحيث لا تنفد وانها لا نهاية لها وقال الفقال لما ذكر انه سخر لهم ما في السموات وما في الارض وانه اسبغ النعم عليه انه لو كانت الشجار اقلاما والبحار امدادا فكتب بها عجايب صنع الله الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفذ تلك العجايب قال القشيري ويرد معنى الكلمات الى المقدور ان وحمل الاية على الكلام القديم اولى والمخلوق لا يدله من نهاية واذا تغيب النهاية عن مقدور انه فهو نفي النهاية عما تقدر في المستقبل على ايجازه فاما ما حصره الوجود وعده فلا بد من تناهيه والقديم لا نهاية له على التحقيق وقد مضى الكلام في معنى كلمات الله في اخر الكهف وقال ابو علي المراد بالكلمات والله اعلم ما في المقدور دون ما خرج منه الى الوجود وهذا نحو ما قاله الفقال واما المراد بالاعلام بكثرة معاني كلمات الله وهي في نفسها غير متناهية وانما قرب الامر على افهام البشر بما بينا هي لا غاية لما يعهده البشر من الكثرة لانها تنقد باكثر من هذه الاقلام والبحور ومعنى نزول الاية بد لعلى ان المراد بالكلمات الكلام القديم قال ابن عباس ان سبب هذه الاية ان اليهود قالت يا محمد كيف عنينا هذا القول وما اوتينتم من العلم الا قليلا وتحن قد اوتينا التوراة فيها كلام الله واحكامه وعندنا انها تبيان لكل شيء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم التوراة قليل من كثير وكرت هذه الاية والاية مدنية قال ابو جعفر الذي سوغ ان الكلمات ها هنا يراد بها العلم وحقايق المسميات لانه جل وعز علم قبل ان يخلق الخلق ما هو خالق في السموات والارض من شيء وعلم ما فيه من شأن قبل الذر وعلم اجناس كلها وما فيها من شعرة وعصو وما في الشجرة من ورقه وما فيها من ضروب الخلق وما يتصرف عليه من ضروب الطعم واللون فلو سمي كل دابة وحدها وسمى اجزاءها على ما يعلم من قبلها وكثيرها وما تحولت عليه من الاحوال وما زاد فيها من كل زمان وبين كل شجرة وحدها وما تفرعت اليه وقدر ما يلبس من ذلك في كل زمان ثم كتب البيان على كل واحد منها ما احاط الله جل ثناؤه به منها ثم كان البحر مدادا لذلك البيان الذي بين الله جل وعز عن تلك الاشياء اكثر قلت هذا معنى قول الفقال وهو حسن ان شاء الله وقال قوم انه قد يسبقها قالت سيبتم هذا الكلام لمحمد ويخبر فيه قالت وقال السدي قالت قريش ما اكثر كلام محمد فنزلت **قوله تعالى** والبحر يمده قرا الجمهور بالرفع على الابتداء وخبره في الجملة التي بعدها والجملة في موضع الحال كذا قدر البحر بعده حالة كذا قدرها سيبويه وقال بعض الكوفيين هو عطف على ان لانها في موضع رفع بالابتداء وقرا ابو عمرو وابن ابي اسحق والبحر بالنصب على العطف على ما في اسم ان وقبل اي ولو ان البحر بعده اي بزيد فيه وقرا ابن هرمز والحسن يمده من امده قالت فرقتهما بمعنى واحد وقالت فرقة مد الشيء بعضه بعضا كما يقول مد النيل الخليج اي زاد فيه وامد الشيء ما لبي منه وقرا عيسى هذا في البقرة وآل عمران وقرا جعفر بن محمد والبحر مداده ما نفدت كلمات الله تقدم ان الله عز وجل يقدم ايضا وقال ابو عبيدة البحر ها هنا الماء العذب الذي يبتلع الاقلام واما الماء الملح فلا يبتلع الاقلام **قوله تعالى** ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال الضحاك المعنى ما ابتدا خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وما بعثكم يوم القيامة الا كبعث نفس واحدة قال الخليل وهاكذا قدره النحويون بمعنى الا كخلق نفس واحدة وقال بعضهم هذا لانه يقول للقليل والكثير كن فيكون ونزلت الاية في ابي ابن خلف وابي الاسدين وشبه ابنا الحجاج بن السباق قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلقنا اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يقول انا نبعث خلقا جديدا عجبا في ساعة واحدة فانزل الله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لان الله تعالى يقضي ما يقضي على العباد وخلقه جميع العالم كخلقه لنفس واحدة ان الله سميع لما يقولونه بصير بما يفعلون **قوله تعالى** الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل تقدم في الحج والملائكة وسخر الشمس والقمر اي ذللهما بالطلوع والافول تقدير الكلام وانما كان الجميع كل يجري الى اجل مسمى قال الحسن الى يوم القيامة قتادة الى وقته في طلوعه وافوله لا يعدوه ولا يقصر عنه وان الله بما تعملون خبير اي من قدر على هذه الاشياء فلا بد من ان يكون عالما بها والعالم بها عالم بافعالكم وقواه القراء تعملون بالتاء خطابا وقرا السلمي ونصر بن عاصم والدوري عن ابي عمرو بالياء على الخبر ذلك

اي جعلوا لله ذلك لتقلموا وتقتنوا وابا الله هو الحق وانما يدعون من دونه الباطل اي الشيطان
قاله مجاهد وقيل ما اشركوا بالله تعالى من الاصنام والاوثان وان الله هو العلي الكبير
في مكانته الكبير في سلطانه **قوله تعالى** الم تر ان الفلك اي السفن تجري في موضع
الخبر في البحر بنعمت الله اي بلطفه بكم ورحمته لكم في خلاصكم منه وقرا ابن هرمز بنعمات الله جمع
نعمة وهو جمع لتلاؤمه ولان الاصل تخريك العين فاسكنت ليريكم من اياته من للتبعيض
اي يريكم جزءا لسن قاله يحيى بن سلام وقال ابن سمرة من ايانه ما تشاهدون
من قدرة الله تعالى فيما تتقاتش ما يرزقكم الله منه وقال الحسن مفتاح البحار السفن
ومفتاح الارض الطرف ومفتاح السما الدعا ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي صبار
لقضا به شكور على نعمايه وقال اهل المعاني اراد كل مومن بهذه الصفة لان الصبر والشكر
من افضل خصال الايمان والاية العلامة لانتباعه في صدر كل مومن انما التبين
لمن صدر على البلا شكر على الرخا قال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر نصف
الايمان واليقين الايمان كله الم تر الى قوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار ايه وقوله
ان في ذلك لايات للموقنين وقال عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر
قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل قال مقاتل كالجبال وقال الكلبي كالسحاب
وقال قتادة جمع ظلة شبه الموج بها لكبرها وارتفاعها قال النابغة في وصف بحر

وغاشيهن اخضر وظل على حافاته فاق الدنان

وانما شبه الزج وهو واحد بالظلل وهو جمع لان الموج ياتي شيا بعد شي ويركب بعضه بعضا
كالظلل وقيل هو بمعنى الجمع وانما لم يجمع لانه مصدر واصله من الحركة والازدحام ومنه
ماج البحر والناس يموجون قال كعب

فجيا الى موج من البحر وسطه احابيش منهم حاسر ومقنع

وقرا محمد بن الحنفية موج كالظلل جمع ظلة دعوا الله مخلصين له الدين موحدين له
لا يرجون لخلاصهم سواه وقد تقدم ما فيه من هذا المعنى فلما نجاهم بعضي من البحر الى البر فمنهم مقتصد
قال ابن عباس يعني بما عاهد يعني من الكفر على الله في البحر وقال الحسن مقتصد
مومن متمسك بالتوحيد والطاعة وقال مجاهد مقتصد في القول مصر للكفر
وقيل في الكلام حذف والمعنى فمنهم مقتصد ومنهم كافر وجاحد على المحذوف في قوله
تعالى وما يجحد بايانتا الا كل ختار كفور الختار الغدار والختر سوا الغدر قال
عمرو بن معدي كرب لله لو انك لو رايتنا ابا عمير ملات يديك من غدر وختر
قال الاعشى لله بايلق الغرد من تيما منزل حصن حصين وجار غير ختار
قال الجوهري الختر اقبح الغدر لتقاربهما في قبحه فهو ختار الماوردي وهو قول الجمهور
وقال عطية انه الجاحد وقال ختر نختر وبحر بالضم والكسر ختارا ذكره القشيري
وجحد الايات انكارا عيانا والجحد بالايات انكار دلايلها **قوله تعالى** يا ايها
الناس اتقوا ربكم يعني الكافر والمومن اوحدوه ووحدوه واخشوا يوما لا يجزي والد
عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده سنا تقدم معنى تجزي والنفرة وغيرها فان
قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث
لم تمسه النار الا تحلة القسم وقال من ابتلي بشي من هذه البنات فاحسن الى
كن له حجابا من النار فكيف له المعنى بهذه الاية انه لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز
والده ولا يوخذ احدهما عن الاخر والمعنى بالاخبار ان ثواب الصبر على الموت والاحسان
الى البنات يجب العبد على النار ويكون الولد سنا قالدا الى الجنة ان وعد الله حق
اي بالبعث فلا تغرنكم اي تخدعنكم الحياة الدنيا بزينتها وما تدعوا اليه فتتكلوا عليها
وتتركوا العمل للاخرة ولا يغرنكم بالله الغرور قرا العامة هنا
وفي سورة الملايكة والحديد بفتح الغين وهو الشيطان وقرا مجاهد وغيره وهو
الذي يغر الخلق ويمنيهم وقد سماكين حرب وابو حيوة وابن السميفع بضم الغين
اي لا تغتروا كانه مصدر من غر يغر غرورا قال سعيد بن جبير هو ان تعمل بالمعصية
وتتمنى المغفرة **قوله تعالى** ان الله عنده علم الساعة الاية زعم الفرا ان هذا
معنى النفي اي ما يعلمه احد الا الله جل وعز قال ابو جعفر النحاس وانما صار فيه معنى
النفي والايجاب بتوقيف الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك لانه صلى الله عليه وسلم

قال

قال في قوله الله جل وعز وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو انما هذه قلت قد ذكرنا في سورة الانعام حديث ابن عمر في هذا اخرجه البخاري وفي حديث جبريل قال اخبرني عن الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما المسئول عنها باعلم من السائل هي خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث فقال الرجل صدقت فقط اتى واردا لها لبس وقال عبد الله بن مسعود كل شيء في نبيكم صلى الله عليه وسلم غير خمس ان الله عنده علم الساعة الآية وقال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن ادعى انه يعلم شيأ من هذه فقد كفر بالقرآن لانه خالفه ثم ان الانبياء يعلمون كثيرا من الغيب بتعريف الله اياهم والمراد ابطال كون الكهنة والمنجمين ومن يلتحق بالانواء قد يعرف تطول التجارب اشياء من ذكوره الجهلة وانوائه الى غير ذلك حسب ما ذكرناه في الانعام وقد تخلف التجربة وتنكر العادة ويبقى العلم لله وحده وروي ان يهوديا كان يجالس النجوم فقال لابن عباس ان سبت انباتك نجم ابنك وانه يموت بعد عشرة ايام فاتت لا يموت حتى لقيها لا يحول على الحول حتى مات فقال يا يهودي قال لا ادري فقال ابن عباس صدق الله وما تدري نفس باي ارض تموت فرجع ابن عباس فوجد ابنه محموما ومات بعد عشرة ايام ومات اليهودي قبل الحول ومات ابن عباس ايضا قال علي بن حسين راوي هذا الحديث هذا اعجب الاحاديث قال مقاتل اذ هذه الآية نزلت في رجل من اهل البادية اسمه الوارث بن عمرو بن حارثة اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امرأتي حبلى فاخبرني ماذا تلد وبلادنا جدبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت وقد علمت ما علمت اليوم فاخبرني ماذا اعمل غدا واخبرني متى تقوم الساعة فانزل الله هذه الآية ذكره الثعلبي والماوردي وروى ابو المليح عن ابي عمرة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى قبض روح عبد بارض جعل له بها حاجة فلم يبرحه حتى يبلغها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا الله عنده علم الساعة الى قوله بارض تموت ذكره الماوردي وخرجه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بمعناه وقد ذكرناه في التذكرة مستوفى وقرأ العامة وينزل مشددا وقرأ ابو بكر وابو عمرو وحمزة والكسائي مخففا وقرأ ابي ابن كعب بأية ارض الباقون بأي ارض قال الفراء اكثر من بأية ارض من تأنيث الارض اي وضل اراد بالارض المكان فذكر قال فلا امرأة وقفت وقفا واذهب الارض اثقل انثالها وقال الاخفش يجوز بأية ارض اي جارية وأي جارية وشبهه سيبويه تأنيث اي بتأنيث كل في قولهم كلتهن ان الله عليم خبير نعت لعليم او خبير بعيد خبر بمنت السورة بحمد الله وعونه

سورة السجدة وهي مكية عشرون آية

بالمدينة وهي قوله افمن كان مؤمنا لمن كان فاسقا الى قوله تعملون في حم ٣٤ الى الذي كنتم به تكذبون وهي ثلاثون اية وقيل تسع وعشرون وفي الصحيح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل اتى على الانسان حين من الدهر الحديث وخرج الدارمي ابو محمد في مسنده لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك قال الدارمي واخبرنا ابو المغيرة ثنا عبد عن خالد بن معدان قال اقرؤا المنجية وهي الم تنزيل فانه بلغني ان رجلا كان يقرأها ما يقرأ شيأ غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت رب اغفر له فانه كان يقرؤني فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تنزيل الكتاب الاجماع على رفع تنزيل الكتاب ولو كان منصوبا على المصدر لجاز كما قال الكوفيون انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيلا العزيز الرحيم وتنزيل رفع بالابتداء والخبر لا ريب فيه او خبر على اضمار مبتدا اي هذا تنزيل والمتلو تنزيل وهذه المعروف تنزيل ودلت الضمة على ذكر المعروف ويجوز ان تكون لا ريب فيه في موضع الحال من الكتاب ومن رب العالمين الخبر قال الكسائي وهذا حسنها ومعنى لا ريب فيه من رب العالمين لا شك فيه انه من عند الله فليس بسجع ولا شعر ولا كهانة ولا اساطير الاولين **قوله تعالى** ام يقولون افتراه هذه ام المنقطعة التي تقدر ببل والف الاستفهام اي بل يقولون وهي تدل على خروج من حديث الى حديث فانه عز وجل اثبت انه تنزيله من رب العالمين وان فيه ما لا ريب فيه ثم اضرب

عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه اي اختلقه بل هو الحق من ربك كذبهم في دعوى
الافتراء ليلتزم قوما ما قال قتادة يعني قريشا كانوا امة امية لم يأتهم نذير من قبل
محمد صلى الله عليه وسلم ولتعلق لتنذر متعلق بما قبلها فلا يوقف على من ربك ويجوز ان يتعلق
بمحذوف اي انزل اليك لتنذر قوما فيجوز الوقف على من ربك وما في قوله ما اتاهم
نفي منه نذير صلة وتذكير في حمل للرفع وهذا المعلم المخوف وقيل المراد بالقوم اهل الفترة
بعد عيسى ومحمد صلى الله عليهما قاله ابن عباس ومقاتل وقيل كانت الحجة تابينة لله جل وعز
عليهم بانذار من تقدم من الرسل وان لم يروا رسولا وقد تقدم هذا المعنى **قوله تعالى**
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام عرفهم كمال قدرته ليعلموا الخالق وتباينوه
ومن خلق ابدع واوجد بعد العدم ان لم تكن شيأ في ستة ايام من ايام الاخرة اي اخر يوم
الجمعة قال الحسن من ايام الدنيا وقال ابن عباس اذ اليوم من الايام الستة التي خلق
الله فيها السموات والارض مقداره الف سنة من سني الدنيا وقال الضحاك في ستة
الف سنة اي في مدة ستة ايام من ايام الاخرة ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف
والبقرة وغيرهما وذكرنا ما للعلماء في ذلك مستوفى في الكتاب الاسنى في شرح اسماء
الله الحسنى وليست ثم للترتيب وانما هي بمعنى الواو ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع
اي للكافرين من ولي يمنع من عذابهم ولا شفيع ويجوز الرفع على الموضع افلا تذكرون
في قدرته ومخلوقاته **قوله تعالى** يدبر الامر من السماء الى الارض قال ابن عباس ينزل القضاء
والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل وروي عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن سابط قال
يدبر امر الدنيا اربعة جبريل وميكايل وملك الموت واسرافيل صلوات الله عليهم فاما
جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكايل فموكل بالقطر والماء واما ملك الموت فموكل
بقبض الارواح واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وقد قيل ان العرش موضع التدبير
كما انه ما دون العرش موضع التفصيل قال الله عز وجل ثم استوى على العرش يدبر
الامر يفصل الايات وما دون السموات موضع التقريب قال الله تعالى ولقد صرفناه
بينهم ليذكروا **قوله تعالى** ثم يعرج اليه قال يحيى بن سلام هو جبريل يصعد
الى السماء بعد ان ينزل به الوحي لتفاوت هو الملك الذي يدبر الامر من السماء الى الارض وقيل انما
اخبارا هل الارض يصعد اليه مع حملتها من الملائكة قاله ابن عيسى في يوم كان مقداره
الف سنة مما تعدون وقيل ثم يعرج اليه اي يرجع ذلك الامر بعد انقضاء الدنيا في يوم
كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة وعلى الاقوال المتقدمة فالكناية في يعرج
عن الملك ولم يجر له ذكر لانه مفهوم من المعنى وقد جاء مثل هذا في سائل سأل فوله تعرج
الملائكة والروح اليه والضمير في اليه يعود على السماء على لغة من يذكرها او على مكان الملك
الذي ترجع اليه او على اسم الله تعالى والمراد الى الموضع الذي اقره فيه واذا رجعت الى
الله فقد رجعت الى السماء او الى سدرة المنتهى فانها اليها ترتفع ما يصعد به من الارض
ومنها تنزل ما يهبط به اليها ثبت معنى ذلك في صحيح مسلم والها في مقداره راجعة
الى التدبير والقضاء كان مقدار ذلك التدبير الف سنة من سني الدنيا اي يقضي امر
كل شيء الف سنة في يوم واحد ثم يلقيه الى ملائكته فاذا مضت قضى الف سنة اخرى
ثم كذلك ابدا قاله مجاهد وقيل انها للعروج وقيل المعنى انه يريد امر الدنيا الى ان تقوم
الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر فيحكم فيه في كل يوم مقداره الف سنة وقيل المعنى
يدبر امر الشمس في طلوعها وغروبها ثم يرجوعها الى موضعها من الطلوع في يوم مقداره في
المسافة الف سنة وقال ابن عباس المعنى كان مقداره لو ساره غير الملك الف سنة
لان النزول خمس مائة والصعود خمس مائة وروي ذلك عن جماعة من المفسرين وهو
اختيار الطبري ذكره الهروي وهو معنى القول الاول اي ان جبريل لسرعة سيره
يقطع مسيرة الف سنة في يوم من ايامكم ذكره الزمخشري وذكر الماوردي عن ابن عباس
والضحاك ان الملك يصعد في يوم مسيرة الف سنة وعن قتادة ان الملك ينزل ويصعد
في يوم مقداره الف سنة فيكون مقداره نزوله خمسمائة سنة ومقدار صعوده خمس
مائة على قول قتادة والمسدي وعلى قول ابن عباس والضحاك النزول الف سنة والصعود
الف سنة مما تعدون اي مما تحسبون من ايام الدنيا وهذا اليوم عبارة عن زمان
يتعذر بالف سنة من سني العالم وليس بيوم تسبتوعب بمقدار بين ليلتين لان ذلك ليس
عند الله والعرب قد تعبر عن مدة الهرب بالليل كما قال الشاعر يوما ان ثم ظمآن

وايديه ويوم سير الى الاعداء تاويب وليس يريد يومين مخصوصين وانما اراد ان مسافتهم
بقدر سيرهم في يوم وقرا ابن ابي عبلة يعرجي على البناء المفعول
وقرىء يقدرون بالياء ما قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فسئل عن هذه
الاية وقد سال عبد الله بن غزوان الديلمي عبد الله بن عباس عن هذه الاية وعن قوله في
يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقال ايام سماها سبحانه وما ادري ما هي فاخبرته
بقول ابن عباس فقال ابن المسيب للسائل هذا ابن عباس اتتك انه يقوله فيما وهو اعلم
من ثم تكلم العلماء في ذلك فقالت فرقة سائل سال هو اشارة الى يوم القيامة بخلاف هذه
الاية والمعنى ان الله تعالى حمله في صعوبته على الكفار كخمسين الف سنة قال ابن عباس
والعرب تصف ايام المكروه بالطول وايام السرور بالقصر قال

ويوم لظل الرمح يصطرعانه دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقيل ان يوم القيامة منه ايام منها ما مقداره الف سنة وقيل اوقات القيامة مختلفة
فيعذب الكافر في بعض من العذاب الف سنة وقيل مواقف القيامة خمسون موقفا كل
موقف الف سنة فمعنى يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة اي مقدار وقت اي موقف
من يوم القيامة وقال الحسن اليوم في الاية بمعنى الوقت فالمعنى يعرج الملائكة والروح اليه
في وقت كان مقداره الف سنة وفي وقت اخر كان مقداره خمسين الف سنة وعن وهب ابن
منبه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال ما بين اسفل الارض الى العرش وذكر الثعلبي
عن ابن عباس وقتادة والضحاك في قوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة اراد من الارض الى سدرة المنتهى الذي فيها جبريل يقول تعالى ليعرج جبريل
والملائكة الذين هم من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا وقوله
اليه يعني الى المكان امرهم الله تعالى ان يعرجوا اليه وهذا القول ابراهيم الذي ذهب اليه زجاج سميت
اراد ارض الشام وقال ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقال ابو هريرة
قال النبي صلى الله عليه وسلم اتاني ملك من ربي تعالى برسالة ثم رفع رجله فوضعها فوق
السماء الاخرى على الارض لم يرفعها بعد **قوله تعالى** ذلك عالم الغيب والشهادة اي عالم
ما غاب عن الخلق وما حضرهم وذلك معنى ما حسب ما تقدم بيانه في اول البقرة وفي الكلام
معنى التهديد والوعيد اي اخلصوا افعالكم واقوالكم فاني اجازي عليها **قوله تعالى**
الذي احسن كل شيء خلقه ثم قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر خلقه واسكان اللام وفتحها
الباقون واختاره ابو عبيد وابو حاتم طلبا لسهولتها وهو فعل ماض في موضع خفض نعت لشيء
والمعنى على ما روي عن ابن عباس احكم شيء خلقه اي جاء به ما اراد لم يتعذر عن ارادته وقول
اخر ان كل شيء خلقه حسن لانه لا يقدر احد ان ياتي بمثله وهو راجع على خالقه من اسكن اللام
هو مصدر عند سيبويه لان قوله احسن كل شيء نزل على خلق كل شيء خلقا فهو مثل صنع الله
وكتاب الله عليكم وعند غيره منصوب على البدل من كل اي الذي احسن خلق كل شيء وهو
مفعول ثان عند بعض النحويين على ان يكون معنى احسن انهم وعلم فيتعدى الى مفعولين
اي اتقن كل شيء خلقه وقيل هو منصوب على التفسير والمعنى احسن كل شيء خلقا وقيل
هو منصوب باسقاط حرف الجر والمعنى لحسن كل شيء خلقه وروي معناه عن ابن عباس
واحسن اي اتقن واحكم فهو حسن من جهة ما هو لمقاصده التي اريد لها ومن هذا المعنى
قال ابن عباس وعكرمة ليست الفرد بحسنة ولا كنها متقنة محكمة وروي ابان بن ابي
عياش عن سعد احسن كل شيء خلقه قال اتقنه وهو مثل قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه
اي لم يخلق الانسان على خلق البهيمة ولا خلق البهيمة خلق الانسان ويجوز خلقه بالرفع
على تقدير ذلك خلقه وقيل هو عموم في اللفظ خصوص في المعنى والمعنى والمعنى احسن
كل شيء حسن وقيل هو عموم في اللفظ والمعنى اي جعل كل شيء خلقه حسنا حتى جعل الكلب
في خلقه حسنا قاله ابن عباس وقال قتادة في آية الفرد الفرد حسنة **قوله تعالى**
وبدا خلق الانسان من طين يعني ادم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين تقدم في المؤمنين
وغيرها وقال الحجاج من ماء مهين ضعيف وقال غيره لا حظ له عندنا ثم سواه يعني
الى ادم اي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه ثم رجع الى ذريته فقال وجعل لكم السمع والابصار
وقيل ثم جعل ذلك الماء المهين خلقا ممتدا وركب فيه الروح واضافه الى نفسه
تشريفا وايضا فانه من فعله وخلقه كما اضاف العبد اليه بقوله عبدي وعبر عنه
بالنفخ لان الروح في جلبة الريح وقد مضى هذا مبينا في النساء وغيرها قليلا ما تشكرون

اي ثم انتم لا تشكرون بل تكفرون **قوله تعالى** وقالوا ايذا ضللنا في الارض هذا قول منكري البعث اي هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا واصله من قولهم للعرب ضل الماء في اللبن اذا ذهب والعرب تقول للشيء غلب عليه غيره حتى خفي فيه اثره قد ضل قال الاخطل

كنت القذى في موج اكدر مزبد قذف الاتي به فضل فضلا لا وقال قطرب معنى ضللنا اخبثنا في الارض واشد قولا لنا فيه الزبيدي

قاب مقلوبه بمعنى حلقة وعود بالحولان حزم وتابل

وقرا ابن محيصن وحميد ب بمعنى ضللنا بكسر اللام وهي لغة قال الجوهري وقد ضللت اضل قال الله تعالى قل اذ ضللت فانما اضل على نفسي فهذه لغة نجد وهي الفصيحة واهل الحجاز يقولون ضللت بالكسر اضل وهو ضال وهي اضلالة وهو الثلاثة واصله اي اضاعه واهلكه يقال اضل الميت اذا دفن قال وان مضلوه البين ابن السكيت اضللت بعيري اذا ذهب منك وضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعها وكذلك كل شيء مفقود لا يهتدي له وفي الحديث لعلي فضل الله بريرا فضل عنا اي اخفى علينا من قوله تعالى ايذا ضللنا في الارض اي خفينا واصله الهمز فضل يقول انك تهتدي الضال ولا تهتدي المتضائل وقرا الاعمش والحسن صللنا بالصاد اي انتنا وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه النحاس لا يعرف في اللغة صللنا ولكن يقال صل اللحم واصل وخم واخم اذا انتن الجوهري صل اللحم يصل بالكسر صلولا اي انتن مطبوخا كان او نيا قال الخطيئة

زال فتى يبدل ذا فزرة لا يفسد اللحم لديه الصلول

قلت واصله سئله انا لمخلوق جديد اي يخلق بعد ذلك خلقا جديدا ويقرا ايضا النحاس وفي هذا سؤال صعب من العربية يقال ما العامل في اذا وان لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والسؤال في الاستفهام اشد لان ما بعد الاستفهام اجدر ان لا يعمل فيما قبله من ان كيف وقد اجتمعا فالجواب على قراءة من قرا انا ان العامل صللنا وعلى قراءة من قرا ايذا ان العامل مضمر والتقدير ابعثون اذا متنا وصرنا تربا سؤال اخر يقال اين جواب اذا على القراءة الاولى لان فيها معنى الشرط فالقول في ذلك ان بعدها فعلا تاما قلت لك جاء هذا بل هم بلقاء ربهم كافرون اي ليس لهم جحود قدرة الله تعالى عن الاعادة لانهم يقرون لقدرته ولكنهم اعتقدوا ان لا حساب عليهم وانهم لا يلقون الله **قوله تعالى** قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت لما ذكر استبعادهم للبعث ذكر لوفهم وانه يعيدهم بتوفاكم من توفى العدد والشيء اذا توفاه وقبضه جميعا يقال توفاه الله اي استوفى روحه وتوفيت مالي من فلان اذا استوفيته ملك الموت واسمه عزرائيل وفاعله عبد الله كما تقدم في البقرة وتصرفه كله بامر الله جل وعز بحلقه واختراعه وروي في الحديث ان البهائم كلها يتوفى الله ارواحها دون ملك كما انه يعدم حيوانها ذكره ابن عطية قلت وقد روي خلاف هذا وان ملك الموت يتوفى جميع ارواح الخلائق حتى البرغوث والبعوضة روى جعفر عن محمد عن ابيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل بر ومن رفيق واعلم ان ما من اهل بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى لانا اعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو اني اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت عليه ذلك حتى يكون الله هو الامر بقبضها قال جعفر بن علي بلغني انه يتصفحهم عند مواقيت الصلوات ذكره الماوردي وذكر الخطيب ابو بكر احمد ابن علي بن ثابت البغدادي حدثني ابو محمد الحسن بن محمد الخلال قال حدثنا ابو محمد عبيد الله بن عثمان الصفار قال ثنا ابو بكر حامد المصري قال ثنا يحيى بن ايوب العلاف قال ثنا سليمان بن مهران الكلابي قال حضرت مالك بن انس فاتاه رجل فسأله يا عبد الله البراغيث اسلط ملك الموت بقبض ارواحها قال فاطرق ملك طويلا ثم قال اها اهنتي قال ثم قال ملك يقبض ارواحها الله يتوفى الانفس حين موتها قال ابن عطية بعد ذكر الحديث وكذلك الامر في بني ادم الا انه نوع شرف يتصرف ملك وملائكته معه في قبض ارواحهم فخلق الله ملك الموت وخلق على يديه قبض الارواح وانسلا لها من الاجسام واحرا جها منه وخلق جندا يكونون معه يعملون عمله بامره فقال تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وقال لتوفته رسلنا وقد مضى هذا المعنى في الانعام والباري خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل قال الله تعالى

الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الذي خلق الموت والحياة يحيي ويميت فملك
الموت يقبض والاموات بما يحول والله يزهق الروح وهذا هو الجمع بين الاية والاحاديث
لكنه لما كان ملك الموت متولي ذلك بالوساطة والمباشرة اضيف المتوفى اليه كما اضيف الخلق
للملك كما تقدم في الحج وروي عن مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالطست بين يدي
الانسان يأخذ من حيث شاء وقد روي هذا المعنى مرفوعا وقد ذكرناه في التذكرة وروي
ان ملك الموت لما وكله الله بقبض الارواح قال رب جعلتني اذكر لسوء ويشتمني
بنو ادم فقال الله تعالى له اني اجعل لهم اسبابا من الامراض والاسقام يلبسون الموت
اليها فلا يذكرك احد الا بخير وقد ذكرناه في كتاب التذكرة متوفاه وذكرنا انه يدعوا لا
فتجيبه فيقبضها ثم يسلمها الى ملائكة الرحمة او العذاب بما فيها سفلا لذا اراد الوقوف
على ذلك الثانية استدل بهذه الاية لمن قبض العلما على جواز الوكالة من قوله وكل بكم اي يقبض
الارواح وهذا الحزن لفظه لا من معناه ولو اطرد ذلك لقلنا في قوله تعالى قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا انها منابة عن الله تعالى ووكالة في تبليغ رسالته ولقلنا ايضا في قوله
عز وجل واتوا الزكاة انه وكالة فان الله ضمن الرزق لكل دابة وخصها بالاعذية ولوعد
البهم بان يرزقها لقعدوا عندهم وامر بتسليمه اليهم مقدرا معلوما في وقت معلوم ديره بعلمه
وانفذه من حكمه وقدره بحكمته والاحكام لا تتعلق بالالفاظ الا ان ترد الى موضوعاتها الاصلية
في مقاصدها المطلوبة فان ظهرت في غير مقصدها لم تعلق عليها الا ترى ان البيع والشراء على
اللفظ والمعنى وقد قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة ولا يقال لهذه الاية دليل على جواز مبايعة السيد لعبده لان المقصد مختلفان اما
اذا لم يكن هذا من المعاني فيقال ان هذه الاية دليل على ان للقاضي ان يستنيب من ياخذ
الحق ممن هو عليه فتراد دون ان يكون له في ذلك فعل او يرتبط به رضا اذ وجد ذلك **قوله تعالى**
ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ابدا وخبرنا الزجاج والخاطبة للنبي صلى
الله عليه وسلم فخاطبه لامته فالمعنى ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرايت
العجب ومذهبي القياس غير هذا وان يكون المعنى يا محمد قل للمجرم ولو ترى اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك ناكسوا رؤسهم ابدا من الندم والحزن يعلوهم
والذل والغم عند ربهم اي عند محاسبة ربهم وجزائهم ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا
ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر وقيل ابصرنا صدق وعدك وسمعنا تصديق رسلك
ابصروا حين لا ينفعهم البصر وسمعوا حين لا ينفعهم السمع ارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا
انا موقنون اي مصدقون بالبعث قاله النقاش وقيل مصدقون بالذي جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم انه حق قاله يحيى بن سلام وقال سفيان تاكدهم الاخرة فقالوا ربنا
ردنا الى الدنيا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقيل معناه ناموقنون اي قد زالت عنا الشكوك
الان وكانوا يبصرون ويسمعون في الدنيا ولكن لم يكونوا يتدبرون وكانوا كمن لا يبصر ولا
يسمع فلما نهوا في الاخرة صاروا حينئذ كانهم سمعوا وابصروا وقيل اي ربنا لك الحجة
فقد ابصرنا رسلك وعجائب خلقك في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة لنا فهذا اعتراف
منهم حين طلبوا ان يردوا الى الدنيا ليؤمنوا **قوله تعالى** ولو شئنا لاتينا كل نفس
هداها قال محمد بن كعب القرظي لما قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون رد عليهم بقوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها يقول لو شئت لهديت الناس
جميعا فلم يختلف منهم احد ولكن حق القول مني الاية ذكره ابن المبارك في روايته حديث
فيه طول وقد ذكرناه في التذكرة الخامس ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها في معناه
قولان احدهما انه في الدنيا والاخر ان شيئا الكلام يدل على انه في الاخرة اي لو شئنا لرددناهم
الى الدنيا والمحنة كما سالوا ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
اي يحق القول مني لاعذبن من عصاني بعذاب جهنم وعلم الله جل وعز من ردهم لعادوا كما
قال جل وعز ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهذه الهداية سماها خلق المعرفة
في القلب وتاويل المعتزلة ولو شئنا لاكرهناهم على الهداية باظهار الايات الباهرة لكن
لا يحسن منه فعله لانه يتضمن للغرض للمجزي بالتكليف اليه وهو الثواب الذي لا
يستحق الا بما يفعله المكلف باختياره وقالت الامامية في تاويلها انه يجوز ان يريد
هداها الى طريق الجنة والاخرة ولم نقل فيما حد لكن حق القول مني انه يملا جهنم
فلا يجب على الله عندنا هداية الكلا لما قالوا بل الواجب هداية المعصومين

ثم ما له ذنب فيما يزهدا بتدا الى القادر جزاء فقال له وفي جواز ذلك منع لقطعهم على ان المراد
هذا هذا الى الايمان وفرتكلم العلماء عليهم في هذه الآية بيننا وبينهم بما فيه كفاية في اصول
الدين وافرب ما لهم في الجواب ان يقال فقد بطل عندنا وعندكم ان يميد بهم سبحانه على
طريق الجبار والاجبار والاكراه فصار ريوده ذلك الى مذهب الجبرية وهو مذهب
زذل عندنا وعندكم فلم يبق الا المهتدين من المومنين انما هداهم الله الى الايمان
والطاعة على طريقة الاختيار حتى يصح التكليف فمن شاء امن واطاع اختيارا لاجبارا قال
الله تعالى فمن شاء منكم ان يستقيم وقال ومن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ثم عقب هاتين
الآيتين بقوله وما تشاءون الا ان يشاء الله نوفق ايمان المومنين بمشيتهم وفق ان يشاء
الا ان يشاء الله وفرطت القدرية لما راوا ان هدايتهم الى الايمان معروف بمشيئة العباد
قالوا الخلق خالقون لافعالهم التفاتا منهم الى قوله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم
ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد وهو مذهب بين مذهبي الجبرية والقدرية
وغير الامور وسطها وذلك ان اهل الحق قالوا نحن نفرق بين ما اضطررنا اليه
وبين ما اختسبنا وهو انا ندرك بالفرق بين حركة الارتعاش الواقعة في يد الانسان
بغير حيلة ولا ارادته ولا مقدور له بقدرته وبين حركة الاختيار اذا حرك يده حركة مماثلة
لحركة الارتعاش ومن لا يفرق بين الحركتين حركة الارتعاش وحركة الاختيار وهما موجودتان
في ذاته محسوسان في يده يسفسط هذه ولا يدري لعل خاسته فهو معتوه في عقله ومختل
في حسه وخارج حزب العقلاء وهذا هو الحق المبين وهو طريق بين طريقي الافراط والتفريط
وكل طرفي قصد المورد سيم وبعد الاعتبار اختبارا هل النظر من العلماء ان سمعوا هذه
المنزلة بين المنزلتين كسبا واخذوا هذه التسمية من كتاب الله العزيز وهو قوله
سبحانه وتعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت **قوله تعالى** قد وفوا بالتبيين
لقائليكم هذا اقتبر قولان احدهما انزمن النسيان الذي لا ذكر بعده اي لم يعلموا للابد
اليوم فكانوا بمنزلة الناسين والحزان تنسيتم بما تركتم وكذا انا ننساكم واخرج
محمد بن يزيد بقوله جل وعز ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي قال والدليل على انه بمعنى
الترك ان الله جل وعز اخبر عن ابليس انه قال فانها كما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين فلو كان آدم ناسيا لكان قد ذكره والنشد
كانه خارجا من جنب صفحته سفود شرب نسوه عند مقتاد اي تركه ولو كان من النسيان لكان
قد عملوا به مره قال الضحاك ننسيتم اي تركتم امري يحيى بن سلام اي تركتم الايمان بالبعث
في هذا اليوم ننساكم تركناكم من الخير قاله السدي تركناكم في العذاب وفي استيناف قوله
انا ننساكم وجها الفعل على ان من قرأ سيهما ننشد يد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا
اي ما انتم فيه من تلمس الروح والحزي والغم لنسيان الله اياكم وذوقوا العذاب المخلد وهو الدائم
الذي لا انقطاع له في جهنم بما كنتم تعملون بعينه الدنيا من المعاصي وفر بعبر بالذوق عما
يطرأ على المذيب وان لم يكن مطعوما لاحتساسها به كاحتساس ما يذوق المطعوم قال
عمر بن ابي ربيعة كذق هجرها ان كنتم تزعمون انها فساد الملوب ما كذب الرعم
الجوهري وذقت ما عند فلان اي خبرته وذقت الفوسراذا جربته ونزها لتنظر ما سرعتها
واذاقه الله وبال امره قال طفيل فذوقوا كما ذقنا غداة محجر من الغيظ في اكبادنا
وتذوقته اي قد شيا بعد شي وامر مستذاق اي مجرب معلوم قال الشاعر
وعهد العامريات لهد فمن وقت عند الهقائل مستذاق
والذواق المطعوم **قوله تعالى** انما يومن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها هذه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم اي انهم لا لغيرهم الكفر لا يومنون بلذا انما يومن بك وبالقرآن المتدبرون
له والمتفطنون به وهم الذين اذا قرئ عليهم القرآن خروا سجدا قاله ابن عباس ركعا قال
المبرد وبهذا على مذهب من يرى الركوع عند قراءة السجدة واستدل بقوله تعالى وخر
راكعا فاناب وقيل المراد به السجود وعليه اكثر العلماء اي خروا سجدا لله على وجوههم
تعظيما لآياته وخوفا من سطوته وعذابه وسبحوا بحمد ربهم اي خلطوا التسبيح بالحمد اي
تنزهوه وحمدوه فقالوا في سجودهم سبحان الله وبحمده سبحان ربي الاعلى وبحمده اي
تنزيها لله عن قول المشركين وقال سفيان وسبحوا بحمد ربهم اي صلوا بامر ربهم
وهم لا يستكبرون عن عبادته قاله يحيى بن سلام التقلي لا يستكبرون كما استكبر
اهل مكة عن السجود **قوله تعالى** تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي ترفع وتنبو عن مواضع

الاضطجاع جمع مضجع وهي مواضع النوم نصب على الحال اى متجافية جنوبهم والمضاجع جمع مضجع وهي مواضع النوم ويعبر عن وقت الاضطجاع ولكنه مجاز والحقيقة اولى ومنه قول عبد الله بن رواحة وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو كتابه اذا انشق معروف من الصبح ساطع بيات يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع قال الزجاج والدعاء الخوف والتجافي الرحمة فوق وكذلك هو في الصفح عن المخطئ سب ونحوه والجنوب جمع جنب وفيها تتجافى جنوبهم عن المضاجع لاجله فقولان احدهما لذكر الله تعالى اياهم في صلاة وارضاة قاله ابن عباس والضحاك الثاني للصلاة وفي الصلاة التي تتجافى جنوبهم لاجلها اربعة اقوال احدها التنفل بالليل قاله الجمهور من المفسرين وعليه اكثر الناس وهذا الذي قد المدح وهو قول مجاهد والحسن وابي العالية وغيرهم ويدل عليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين لانهم جوزوا على ما اخفوا بما اخفى والله اعلم وسيأتي بيانه في قيام الليل احاديث كثيرة منها حديث معاذ بن جبل وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل قال ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون اخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده والقاضي اسمعيل بن اسحق وابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح الثاني صلاة العشاء التي يقال لها العتمة قاله الحسن وعطاء في الترمذي عن ابن عباس قال انما ذلك انه تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة قال هذا حديث حسن غريب الثالث التنفل ما بين المغرب والعشاء قاله قتادة وعكرمة وروى ابو داود عن انس بن مالك ان هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء الرابع قال الضحاك لا تتجافى الجنب هو ان يصلي الرجل العشاء والصبح في جماعة وقال ابو الدرداء وعبادة قلت وهذا قول حسن وهو يجمع الاقوال بالمعنى وذلك ان منتظر العشاء الى ان يصليها في صلاة وذكر لله جل وعز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل في صلاة ما انتظر الصلاة وقال الذي اراد انتظار صلاة العشاء الاخرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤخرها الى ثلث الليل قال ابن عطية وكانت العاهلية تبادر من اول الغروب وفي اي وقت شاء الانسان فجاء انتظار وقت العشاء عزيبا شاقا ومصلي الصبح في جماعة لا سيما في اول الوقت كما كان عليه السلام يصليها والفائدة ان من حافظ على هذه الصلاة في اول الوقت ينام سحرا ينوم صالح ويصلي ويذكر الله جل وعز الى ان يطلع الفجر فقد حصل التجافي اول الليل واخره هذا مع ما روى مسلم من حديث عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى العشاء في جماعة فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكانما قام الليل كله ولفظ الترمذي وابي داود في هذا الحديث من شهد العشاء في جماعة كان له كقيام نصف ليلة ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان له كقيام ليلة وقد نص في سورة النور عن كعب فيمن صلى بعد العشاء الاخرة اربع ركعات ظن له بمنزلة ليلة القدر وجاء حسان في فضل الصلاة بين المغرب والعشاء وقيام الليل ذكر ابن المبارك انا يحيى بن ايوب قال اخبرني محمد بن الحجاج ابو ابي الحجاج انه سمع عبد الكريم يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر بن الخطاب اذا تكثر قصورنا وبيوتنا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر واطيب وقال الطيب وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال صلاة الاوابين الحلوة التي بين المغرب والعشاء حتى يسوب الناس الى الصلاة وكان عبد الله بن مسعود يصلي في تلك الساعة ويقول ساعة غفلة بين المغرب والعشاء ذكره ابن المبارك ورواه الثعلبي مرفوعا عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من حيث جباه المضاجع ما بين المغرب والعشاء له قصر في الجنة حسنة عام وفيها من السحر ما لو نزلها اهل المشرق والمغرب لاوسعتهم فاكرمه وهي صلاة الاوابين وغفلة الغافلين وان من الدعاء المستجاب الذي لا يرد الدعاء بين المغرب والعشاء فضل التجافي ذكر ابن المبارك عن ابن عباس قال اذا كان يوم القيامة نادى منادي سيعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الحامدون لله على كل حال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادي ثانية سيعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون فيسرحون الى الجنة قال ثم ينادي ثالثة سيعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

واقام الصلاة وانفاق الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون فيحزن
الى الجنة ذكره الثعلبي مرفوعا عن اسماء بنت يزيد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين
والاخرين يوم القيامة جاء منادي فنادى بصوت يسمعه الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم
من اولى بالكرم لينهض الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادي
الثانية ستعلمون اليوم من اولى بالكرم لينهض الحامدون لله على كل حال من السراء والضراء فيقومون وهم
قليلون فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وذكر ابن المبارك
انبأنا معمر عن رجل عن ابي الملاء بن الشخير عن ابي وقال ثلاثة يضحك الله اليهم ويستبشر
الله بهم رجل قام من الليل وترك فراشه ودفئه ثم توضأ فاحسن الوضوء ثم قام الى الصلاة
فيقول الله لملائكته ما حمل عبدي على ما صنع فيقولون ربنا انت اعلم به فيقول انا اعلم به
ولكن اخبروني فيقول رجيته شيأ فرجاه وخوفته فخافه فيقول الى اشهدكم اني اعطيته
ما خاف واوجبت له ما رجاه قال ورجل كان في سرية فلقي العدو فانهزم اصحابه وثبت حتى
يقتل او يفتح الله عليهم فيقول الله لملائكته مثل هذا الفعته ورجل سرا فيله حتى اذا كان
في آخر الليل نزل هو واصحابه فنام اصحابه وقال هو يصلي فيقول الله لملائكته فذكر الفعته
قوله تعالى يدعون ربهم في موضع نصب على الحال اي داعين ويحتمل ان يكون صفة مثانية
اي تتجافى جنوبهم وهم انبياء في كل حال يدعون ربهم وبنارهم خوفا مفعول من اجله ويجوز ان يكون
مصدرا وطمعا مثله اي خوفا من العذاب وطمعا في الثواب ومما رزقناهم ينفقون يكفون
ما بعض الذي وتكون مصدرا وفي كلا الوجهين يجب ان يكون مستقبله مثل من وينفقون هو
قيل معناه الزكاة المفروضة وقيل النوافل وهذا القول احدح قوله تعالى فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين قراءة ما اخفي لهم باسكان الياء وفتحها الباقون وفي قراءة عبد الله ما
نخفي بالنون مضمومة وروي المفضل عن عاصم ما نخفي لهم بالياء المضمومة وفتح الفاء
وقرا ابن مسعود وابو هريرة من قرات اعين من اسكان الياء من قوله ما اخفي فهو مستقبل
والالف الف المتكلم وما في موضع نصب باخفي وهي استفهام والجملة في موضع نصب لوقوعها
موقع المفعولين والضمير الفاعل يعود على ما محذوف ومن فتح الياء فهو فعل ماض مبني للمفعول
وما في موضع رفع بالابتداء والخبر اخفي وما بعده والضمير في اخوها يعود على ما قال الزجاج
وتقرا ما اخفي لهم بمعنى ما اخفى الله لهم وهي قراءة محمد بن كعب وما في موضع نصب المعنى
ومن قرا قرات اعين فهو جمع قرة وحسن الجمع منه لاضافته الى جمع والافراد لانه مصدر
وهو اسم للجنس وقال ابو بكر الانباري وهذا لحن مخالف للمصحف لان تاء قرة تاء لغة وبحر
الوصل على الوقف كما كتبوا رحمت الله بالتاء ولا تنكر سقوط الالف من قرات في الخط وهو
موجود في اللفظ كما لم تنكر سقوط الالف من السموات وهي ثابتة في اللسان والنطق والمعنى
المراد انه اخبر تعالى بما لهم من النعيم الذي لا تعلمه نفس ولا بشر ولا ملك وفي معنى هذه الاية
قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا اخطر على قلب بشر ثم اقرا هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع الى قوله جزاء بما كانوا
يعملون اخرجه الصحيح من حديث سهل بن سعد الساعدي وقال ابن مسعود في التوراة مكتوب
على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا اخطر على قلب بشر
وقال ابن عباس لا شرف هذا اجل واعظم من ان يعرف لتفسيره قلت وهذا لكرامة اهل
الجنة مترتبة كما جاء في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة رفعه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام ربه فقال يا رب ما ادنى اهل الجنة منزلة قال هو
رجل يا تي بعد ما يدخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول اي رب كيف وقد نزل
الناس منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال له اترضى ان يكون لك ملك ملك من ملوك الدنيا
فيقول رضيت ربي فيقول لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت ربي فيقول
هذا لك وعشرة امثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت
عينك فيقول رضيت ربي قال رب فاعلاهم منزلة قال اولئك الذين اردت
غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع اذن ولم تخطر على قلب بشر
قال ومصداقه في كتاب الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية وقد روي عن المغيرة
مرفوعا مثله وخرج مسلم ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا اخطر
على قلب بشر ذخرا له ما اطلعكم عليه ثم قرا فلا تعلم نفس وقال ابن سيرين المراد به الفرج

الى الله

الى الله تعالى وقال الحسن اخفى القوم اعمالا من الله لهم ما لا عبرات ولا اذن سمعت قوله تعالى
افمن كان مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون فنبه بهذه الآية على الآية التي قبلها وهي قوله تعالى افمن كان مومنا
كمن كان فاسقا لا يستوون اي ليس المومن كالفاسق فلهذا اثبنا هو لاء المومنين الثواب العظيم
قال ابن عباس وعطاء بن يسار نزلت الآية في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط وكان
بينهما تلاحي فقال له الوليد انا اربط منك لسانا واحد لسانا واردى للكتيبة وروى واملا في
الكتيبة جسدا فقال له علي اسكت فانك فاسق فنزلت الآية وذكر الزجاج والنحاس انما
نزلت في علي وعقبة بن ابي معيط قال ابن عطية وعلى هذا يلزم ان تكون الآية مكية لان عقبة
لم يكن بالمدينة وانما قتل في طريق مكة منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وتعترض
القول الآخر باطلاق اسم العتق على الوليد وذلك يحتمل ان يكون في صدر اسلام الوليد لشي كان
في نفسه او لما روي من نقله عن سبي المصطلق ما لم يكن حتى نزلت ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
على ما يأتي في الحجرات ببيانه ويحتمل ان تطلق الشريعة ذلك عليه لانه كان طرف مما ينبغي وهو الذي شرب
الخمر في زمن عثمان وصلى الصبح بالناس اربعا ثم التفت وقال ازيدكم وبخوه هذا مما يطول
ذكره الثانية لما قسم الله تعالى المومنين والفاسقين الذين فسقهم بالكفر لانه التكذيب في
آخر الآية يقتضي ذلك اقتضى ذلك نفي المساواة بين المومن والكافر ولهذا امتنع القصاص
بينهما اذ من شرط وجوب القصاص المساواة بين القاتل والمقتول وبذلك احتج علماؤنا على
ابي حنيفة في قتله المسلم بالذمي وقال اراد بنفي المساواة ها هنا في الآخرة في الثواب وفي
الدنيا بالعدالة ونحن حملناه على عمومه وهو اصح اذ لا دليل يخصصه قال ابن العربي الثالثة
قوله تعالى لا يستوون قال الزجاج وغيره من يصلح للواحد والجمع النحاس لفظه
من يود به الجماعة فلهذا قال لا يستوون هذا قول كثير من النحويين وقال بعضهم
لا يستوون لا اثنين لان الاثنين جمع لانه واحد جمع مع آخر وقاله الزجاج ايضا والحديث
يرد على هذا القول لانه عن ابن عباس وغيره قال نزلت افمن كان مومنا في علي ابن
ابي طالب كمن كان فاسقا في الوليد بن عقبة بن ابي معيط وقال الشاعر

النسا لموت بينهما سوا اذا ماتوا وصاروا في القبور

قوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المآوى اخبر عن مقر المومنين
عند الله لهم من جنات المآوى اي يأوون الى الجنات فاضاف الجنات الى المآوى لان ذلك
الموضع يقتضي جنات تنزلا اي ضيافة والنزول ما يهيأ للنازل والضيف وقد مضى في
آخر آل عمران وهو نصب على الحال من الجنات اي لهم الجنات معدة ويجوز ان يكون منصوبا
له واما الذين فسقوا اي خرجوا عن الايمان الى الكفر فماواهم النار اي مقامهم فيها كلما ارادوا
منها ان يخرجوا منها اعيدوا فيها اي اذا دفعهم لهب النار الى اعلاها رموا الى موضعهم فيها لانهم يطلبون
في الخروج منها وقد مضى هذا في الحج وقيل لهم اي يقول لهم خزنة جهنم او يقول الله لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون والذوق ليشمل متوسطا ومعنى وقد مضى في هذه السورة بيان قوله
تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى قال ابن الحسن وابو العالية والضحاك وابي ابن كعب
وابراهيم التخعي العذاب الادنى مصائب الدنيا وآلامها مما يبتلى به العبد حتى يتوب
وقاله ابن عباس زاد ابن المبارك الحدود وقال ابن مسعود والحسن بن علي وعبد الله بن الحرث
هو القتل بالسيف يوم بدر وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى اكلوا الجيف وقاله مجاهد
وعنه ايضا العذاب الادنى عذاب القبر وقال البراء بن عازب قالوا والاكبر عذاب يوم القيامة
قال القشيري وقيل عذاب القبر وفيه نظر لقوله لعلهم يرجعون قالوا ومن حمل العذاب
على القتل قال لعلهم يرجعون اي يرجع من بقي منهم ولا خلاف ان العذاب الاكبر عذاب جهنم
الا ما روي عن جعفر بن محمد انه خرج المهدي بالسيف والادنى غلاء السعر وقيل ان معنى
قوله لعلهم يرجعون على قول مجاهد والقرا اي لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه لقوله
فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله
تعالى اذا قمتم اي اردتم الصلاة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول ذكره الزمخشري
قوله تعالى ومن اظلم اي لا احد اظلم لنفسه مما ذكر بايات ربه اي بحججه وعلاماته ثم اخبر عن
عنهم بترك القبول انا من المجرمين منتقمون لتكذيبهم واعراضهم **قوله تعالى** ولقد
اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية اي فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى قاله ابن عباس
وقد تقدم لغة الاشارة في هذا المعنى فلا تكن في شك من لقاء موسى في القيامة وستلقاه فيها
وقيل فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول قاله مجاهد والزجاج وعن الحسن انه

قال ولقد اتينا موسى الكتاب فاوذي وكذب فلا تكن في شك منه سيلقاك ما لقيه من التكذيب والاذى قالها عايدة على محمد وقوله المعنى من لقائنا الاتي الخاسر وهذا قول غريب الا انه من رواية عمرو بن عبيد وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في مرية من لقائه فجامع فيما بين ولقد اتينا موسى الكتاب وبين وجعلناه هدى لبني اسرائيل والضمير في جعلناه فيه وجهان احدهما عند موسى قاله قتادة الثاني جعلنا الكتاب قاله الحسن وجعلنا منهم ائمة قادة وقدوة يقتدي بهم في دينهم والكوفيون يقرؤن ائمة الخاسر وهو لحن عند جميع النحويين لانه جمع بين همزتين في كلمة واحدة وهو من دقيق النحو وشرحه ان الاصل ائمة فلما التقت حركة الميم على الهمزة وادغمت الميم وخففت الهمزة الثانية ليلا تجتمع همزتان والجمع بين همزتين في حرفتين بعد فاصل في حرف واحد فلا يجوز الا تخفيف الثانية نحو قولك ادم والخرون وتقول هذا ادم من هذا وايم بالواو والياء وقد مضى في براءة يهدون بامرنا يدعون الخلق الى طاعتنا بامرنا اي امرناهم بذلك وقيل بامرنا اي لامرنا اي يهدون الناس لديننا ثم قيل المراد بالانبياء قاله قتادة وقيل المراد الفقهاء والعلماء لما صبروا قراءة العامة لما بفتح اللام وشد الميم وفتحها اي حين صبروا وقرا يحيى بن وثاب والكسائي وخلف وروليس عن يعقوب لما صبروا اي لصبرهم جعلناهم ائمة واختاره ابو عبيد اعتبارا بقراءة ابن مسعود بما صبروا بالباء وهذا الصبر صبر على الدين وعلى البلاء وقيل صبروا على الدنيا ان ربك هو يفصل بينهم اي يقضي ويحكم بين المؤمنين والكفار فيجازي كلا بما يستحق وقيل يقضي بين الانبياء وبين قومهم حكاه النقاش **قوله تعالى** اولم يهد لهم وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة وابو زيد عن يعقوب يهد لهم بالنون مفتوحة قراءة بقية الخاسر وبالياء فيها اشكال لانه تقبال الفعل لاجلوا من فاعل فان الفاعل ليهد فتكلم النحويون في هذا فقال الفراء هو في موضع رفع يهد وهذا الغلط لاصول النحويين في قولهم ان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولا في كم بوجه اعني ما قبلها ومذهب ابي العباس ان يهد يدل على الهدى والمعنى اولم يهد لهم الهدى وقيل المعنى ويبدا لهم فيكون معنى الياء والنون واحدا اي اولم يتبين لهم اهلكنا القرون الكافرة من قبلهم وقال الزجاج كم في موضع نصب باهلكنا يمشون في مساكنهم يحتمل الضمير في يمشون ان يعود على الماشين في مساكن المهلكين اي وهم لا يمشون ولا يعتبرون ويحتمل ان يعود على المهلكين فيكون حالا والمعنى اهلكناهم ماشين في مساكنهم ان في ذلك لايات افلا يسمعون اياة الله وعظاته فيتعظون قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اي اولم يعلموا كما قد رتنا بسوقنا الماء الى الارض اليابسة التي لا نبات فيها لنخرج بها الزرع تخرج الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي واويل ولا نبات للقي لانبتت كالسباخ حزة ويعقوب على قوله فنخرج به زرعا قال ابن عباس هي ارض باليمن وقال مجاهد هي بين وقال عكرمة هي الارض الظاهر وقال الضحاك هي الارض المستة العطشى وقال الفراء هي الارض التي لا نبات فيها وقال الاصمعي هي التي لا تنبت شيئا قال محمد بن يزيد يجوز ان تكون الارض يعينها لدخول الالف واللام الا انه يجوز على قول من قال العباس والضحاك والسدي عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه وهذا انما هو نعت والنعت للمعرفة يكون بالالف واللام وهو مشتق من قولهم رجل جزور اذا كان لا يبقي شيئا الا اكله قال الراجز يا حب جزور واذا اجاع بكى وياكل التمر ولا يلقى النوى وكذلك ناقة جزور اذا كانت تاكل كل شيء تجده وسيف جراز اي قاطع ماض وجرز الجراد الزرع اذا استاصلته بالاكل وحكى الفراء وغيره انه يقال ارض جرز وجرز وجرر وكذلك نخل ورعب ورهب في الاربعة اربع لغات وقد روي ان هذه الارض لا انهار فيها وهي بعيدة من البحر وانما ياتيها في كل عام وادي فيزرعون ثلاث مرات في كل عام وعن مجاهد ايضا انها ارض النيل فيخرج به اي بالماء زرعا تاكل منه انعامهم من الكلا والحشيش وانفسهم من الحب والخضر والفواكه افلا يبصرون هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم ونخرج الخوبون معطوفا على نسوق او مستقطعا مما قبله تاكل منه انعامهم في موضع نصب على البعث ويقولون متى هذا الفتح متى في موضع رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب على الظرف قال قتادة الفتح القضاء قال الفراء والعربي يعني فتح مكة واولى من هذا ما قاله مجاهد قال يعني يوم القيامة ويروى ان المؤمنين قالوا ليحكم الله عز وجل بيننا يوم القيامة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء فقال الكفار على التهكم متى يوم الفتح اي هذا الحكم ويقال للحاكم فاتح وفتاح لانه الاتي بالفتح على يديه وتفصيل وفي القرآن ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقد مضى هذا في السورة

وغيرها

وغيرها قبل يوم الفتح على الظرف وإجاز الفراء الرفع لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون أي يؤخرون ويمهلون التوبة إن كان يوم الفتح يوم بدر أو فتح مكة ففي بدر قتلوا ويوم الفتح هزموا فلحقهم خالد بن الوليد فقتلهم قوله تعالى فأعرض عنهم قيل منسوخ أعرض عن سفههم ولا تحيهم إلا بما أمرته به وانتظرهم إنهم منتظرون أي انتظر يوم الفتح يوم يحكم الله لك عليهم إن عاندوا فأعرض عنهم أي عن مشركي قريش مكة وإن هذا منسوخ بالسيف في براءة في قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وانتظر موعدي لك قيل يعني يوم بدر إنهم منتظرون أي ينتظرون بكم حوادث الدهر ونوازله وقيل الآية غير منسوخة إذ قد يقع الأمران جميعا الأمر بالقتال كما لمدينة وغيرها وقبل أعرض عنهم بعد ما بلغت الحجة فانتظرهم إنهم منتظرون أن فعل كيف ينتظرون أفعالهم وهم لا يوحدون فيه هذا أجوبة أحدها أن يكون المعنى لهم منتظرون الموت وهو من أسباب الفناء فيكون هذا مجازا والآخر أن فيهم من يسلم ومنهم من يؤمن بالفناء فقد يكون هذا جوابا لمن هذا الصنف والله أعلم وقرأ ابن السميفع إنهم منتظرون بفتح الظاء ورويت عن مجاهد وابن محيصن قالا لغزا لا يصح هذا إلا بإضمار مجازه إنهم منتظرون بهم قال أبو حاتم الصحيح أنكسر إذا انتظر عذابهم إنهم منتظرون هلاك كل وقد قيل إن قراءة ابن السميفع بفتح الظاء ومعناها وانتظر هلاكهم فإنهم أخفا ينتظر هلاكهم بعينهم لا محالة وانتظرهم لن فإن الملائكة في السما ينتظرونه ذكره الزمخشري وهو معنى قول الفراء

سورة الأحزاب مكية في قول جميعهم نزلت في المدينة

وآيها ثلاث وسبعون آية

وآيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنهم فيه وفي مساكنه وغيرها وهي ثلاث وسبعون وكانت هذه السورة تعدل سورة البقرة وكانت فيها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ذكره أبو بكر الأنباري عن أبي بن كعب وهذا يدل أهل العلم على أن الله تعالى رجع من الأحزاب إلى ما يزيد على ما في أيدينا وأن آية الرجم رفع لفظها وقد حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد قال أبو عبيد القاسم بن سلام قال أبنا أبي عن ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة قالت كانت سورة الأحزاب تقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كتب المصحف لم يقدر منها إلا على ما هي الآن قال أبو بكر فمعنى هذا من قول أم المؤمنين عائشة أن الله تعالى رفع إليه من سورة الأحزاب ما يزيد على ما عندنا قلت هذا وجه من وجوه النسخ وقد تقدم في البقرة القول فيه مستوفى والحمد لله وروى عن قتادة قال قال لي أبي بن كعب إنك تعد سورة الأحزاب قلت ثلاثا وسبعين آية قال قط لقد رأيتها وإنها لتعدل سورة البقرة القول فيه مستوفى أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم أراد أبي بذلك ما نسخ من القرآن وما نحكى وأما ما يحكى أن سبب الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكلتها الداجن من غير أن يكون السبب الملاحدة والروافض لسم الله الرحمن الرحيم فلم تخالفه

يا أيها النبي اتق الله الآية أجمع المفسرون على أن هذا مخرج والنبي لا يتقي عند النحويين إلا الله خفض فإنه يقول إنه صلة لا يتقي ولا يعرف في كلام العرب اسم مفرد صلة لشيء البتة وهذا خطأ عند أكثر النحويين لأن الصلة لا تكون إلا جملة والاختيار له بنا قال إنه لما كان نداء لا زما سمي صلة فهذا الكوفيون يسمون نعت النكرة صلة لها ولا يجوز نصبه على الموضع عند أكثر النحويين وأجازه المازني على جعله كقولك يا زيد الظريف بنصف الظريف على موضع زيد يلي ولهذا نعت ليبتدئ عنه ونعت لا يبتدئ عنه فلا يجوز نصبه على الموضع وأيضا فإن نعت أي هو المنادى في المعنى فلا يجوز نصبه وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة كان يجب إسلام اليهود فوجد هم والتضرع وبني قينقاع وقد نابذوه من أمرهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويلزم صغيرهم وكبيرهم وإذا أتاه منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فقالت وقيل إنها نزلت فيما ذكر الواحدي والثعلبي والماوردي وغيرهم عن أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن سفيان نزلوا المدينة على عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه

فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل انها شفاعة
ومنعة لمن عبدها ونذرك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم فمالوا فقال عمر
يا رسول الله ايذن لنا في قتلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا قد اعطيناهم الامان فقال عمر
اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم ابن بنت الحطيئهم ان يخرجوا
من المدينة فنزلت الاية يا ايها النبي اتق الله ايخف الله ولا تطع الكافرين من اهل مكة
يعني ابا سفيان وابا الاعور وعكرمة والمنافقين من اهل المدينة يعني عبد الرحمن بن ابي
وطعمة وعبد الله بن ابي سرح فيما نهيتك عنه ولا تقبل اليهم ان الله كان عليما بكفرهم حكيما
بما يفعل بهم الزمخشري روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي
قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله
ابن ابي وعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر
الهتنا وذكر الخير معنى ما تقدم وان الاية نزلت في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع
الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وتزوجه ستة من
بنيهم بنته وخوفه منافقوا المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت الخاسرون ودل بقوله
ان الله كان عليما حكيما على انه كان يميل استدعاءهم الى الاستسلام اي لو علم الله عز وجل
ان مسارعتك اليهم فيه مفسدة لمنعك منه لانه حكيم ثم قيل الخطاب له ولامته وقيل
واتبع ما يوحى اليك من ربك يعني القرآن وفيه زجر عن اتباع مراسم الجاهلية وآرائهم
ومذاهبهم وفيه دليل على ترك اتباع الآراء وهو المض والخطاب له ولامته ان الله
كان بما تعملون خبيرا قراءة العامة بتاء على الخطاب وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرأ
السلمي وابو عمرو وابن ابي اسحق يعملون بالياء على الخبر وكذلك في قوله بما تعملون بصيرا
وتوكل على الله ايثق عليه في كل احوالك فهو الذي يعصمك ولا يضرك من خذلك وكفى
بالله وكيلا حافظا وقال سبيع من اهل الشام قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من ثقيف
يطلبون منه ان يدعهم باللات سنة وهي الطاغية التي كانت تعبدها وقالوا لنسلم
فنزلت منزلتنا عند لات مهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت وتوكل على الله وكفى بالله
وكيلا اي كافيا لهم ما تخافه منهم وبالله في موضع رفع لانه الفاعل ووكيلا نصب على البيان
او التمييز قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الى قوله السبيل فيه خمس
مسائل الاولى قال مجاهد نزلت في رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهاته
وكان يقول ان لي في جوفي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد قال وكان من فهمه
الواحد كثير وغيرها نزلت في جميل بن معمر الفهري وكان رجلا حافظا لما يسمع
فقالت قريش ما حفظ هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول لي قلبان اعقل بهما افضل
من عقل محمد فلما هزم المشركون يوم بدر ومعهم جميل بن معمر راه ابو سفيان في الفئ
وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال ابو سفيان ما حال الناس فقال
انهزموا قال فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك قال ما شعرت الا انهما في رجلي
فعرفوا يومئذ انه لو كان قلبان لما نسي نعله في هذه وقال السهيلي كان جميل بن
معمر الجمحي وهو ابن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح واسم جمح عمرو وكان يدعى
ذا القلبين فنزلت فيه الاية وفيه يقول الشاعر وكيف نومي بالمدينة بعد ما قضى وطرا
منها جميل بن معمر قلت كذا قالوا جميل بن معمر وقال الزمخشري جميل بن اسد الفهري
وقال ابن عباس سببها ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شيء فنزع
في غيره ثم عاد الى شأنه الاول فقالوا ذلك عنه فاكذبهم الله عز وجل وقيل نزلت
في عبد الله بن خطل وقال الزهري وابو جناب نزلت ذلك تمثيلا في زيد بن حارثة سماه
النبي صلى الله عليه وسلم فالمعنى كما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا يكون ولد واحد لرجلين
قال النحاس وهذا قول ضعيف لا يصح في اللغة وهو من سقطات الزهري رواه معمر
عنه وقيل هو مثل ضرب للظاهر اي كما لا يكون للرجل قلبان كذلك لا يكون امراته
الظاهر انه حتى يكون له اما ان وقيل كان للواحد من المنافقين يقول لي قلب ما يرى
بكذا او قلبت يا سر بن كذا فالمنافق ذو القلبين فالمقصود نفي النفاق وقيل لا يجتمع قلبان
في جوف فالمعنى لا يجتمع اعتقادان متغايران في قلب وتظهر من الاية تحملتها في اشيا

كانت

كانت العرب تعتقد كما في ذلك الوقت واعلم ان تحقيق الامر والله اعلم ان النابتة القلب بضغة
صغيرة على هيئة الصنوبرة خلقها الله في الادمي وجعلها محلا للعلم فيحصي به العبد من
العلوم ما لا يبلغ في استظاره كتبه الله فيه بالخط الالهي ويضبطه فيه بالحفظ الرباني
حتى يحصيه ولا يلتبس منه شيء وهو بين لمتين لمة من الملك ولمة من الشيطان كما قال
عليه السلام حرفه التزمذي وقد مضى في البقرة وهو محل الخطرات والوساوس ومكان
الكفر والايمان وموضع الاصل والنابة ويجري الانزعاج والطمانينة والمعنى في الاية
انه لا يجتمع في القلب الكفر والايمان والهدى والضلال والانابة والاصرار وهذا انفى لكل
ما توهمه احد في ذلك من حقيقة او مجاز والله اعلم الثالثة اعلم الله جل وعز في هذه الاية
بتقلبين ويكون في هذا طعن على المنافقين الذين تقدم ذكرهم اي انما هو قلب واحد
فاما منه ايمان واما كفر لا ورجة النفاق كانت متوسطة فنفاها الله وبين قلب
واحد على هذا التخويف يشهد للانسان بهذه الاية حتى لشيء سبا اورثهم يقول على
جهة الاعتذار ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الرابعة قوله تعالى ... وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم يعني قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وذلك
مذكور في سورة المجادلة على ما يأتي ان شاء الله الخامسة قوله تعالى وما جعل ادعياءكم
ابناءكم اجمع اهل التفسير على ان هذا انزل في زيد بن حارثة وروي الترمذي ان ابن عمر قال ما
كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله وكان
زيد قد سبي في الجاهلية وروي عن انس بن مالك وغيره سبيا من الشام سبته خيل من تهامة فاباعه حكيم بن
حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه
وسلم فاعتقه وتبناه فاقام عنده مدة ثم جاء عمه وابوه يرغبان في فدائه فقال لهما النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك قبل البعث خيراه فان اختاركما فهو لكما دون فداء فاختار الرق
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال محمد صلى الله عليه وسلم عند ذلك
يا معشر قريش اشهدوا انه ابن يرثني وارثه وكان يطوف على خلق قريش يشهدهم
على ذلك فرضي ذلك عمه وابوه وانصرفا وكان ابوه لما سبي مر وعلى الشام ويقول كبت
على زيد ولم ار ما فعل احمى فبرجي ام اتى دونه الاجل فوالله لا ادري واني لسائل اغال لك
بعدي السهل ام غال لك الجبل فالبيت شعر مه هل لك الدهر اوبه فحبي من الدنيا رجوعك
اي يجيء تذكرينه الشمس عند طلوعها ويعرض ذكراه اذا عز بها افل وان هبت الارياح
هيجن ذكره فيا طول ما حزني عليه وما وجل وما عجل نفل العليش في الارض جاهدا ولا
اسام التطرافه او تسام الابل وما حيا تي او ما لي على منهج فكل امرئ فان وان غره الامل
فاخبر انه بمكة فجاء اليه فسأله عنه وروي انه جاء اتيه فخيره النبي صلى الله عليه
وسلم كما ذكرنا وانصرف وسألني من ذكره وشرفه وفضله شفاعة عند قوله فلما قضى
زيد منها وطرا ان شاء الله وقتل زيد بمؤتة من ارض الشام سنة ثمان من الهجرة وكان النبي
صلى الله عليه وسلم امره في تلك الغزاة وقال ان قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر فعبد الله
ابن رواحة فقتل الثلاثة في تلك الغزاة رضوان الله عليهم ولما اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعي زيد وجعفر بكى وقال واخاي ومؤنساي ومحدثاي قوله تعالى ادعوهم
ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله الى قوله رحيما فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى ادعوهم
لابائهم نزلت في زيد بن حارثة على ما تقدم بيانه وقول ابن عمر ما كنا ندعو زيد بن حارثة
الا زيد بن محمد دليل على ان التبني كان معمولا به في الجاهلية والاسلام بتوارث به وينتاضر الى ان
نسخ الله ذلك بقوله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله اعدل وترفع الله حكم النبي وصنع
طلاقة لفظه وارشد بقوله الى ان الاولى والاعدل ان ينسب الرجل الى ابيه نسبا فمتى
كان الرجل في الجاهلية اذا اعجب جلد الرجل وظرفه عممه الى نفسه وجعل له نصيب الذكر
من ولاده من ميراثه وكان ينتسب اليه فقال فلان بن فلان وقال انس هذه الاية
نسخت ما كانوا عليه من التبني وهو من نسخ السنة بالقرآن فامر ان يدعوا من دعوا
الى ابيه المعروف فان لم يكن له اب معروف نسبوه الى ولاية فان لم يكن له ولا مسترق
فاخ في الدين قال الله تعالى فاما المرصون اخوتكم الثالثة لو نسبه انسان
الى ابيه من التبني فان كان على جهة الخطأ وهو ان يسبق لسانه اليه ذلك من غير قصد فلا
اثم ولا مواخذة لقوله تعالى ولا جناح عليكم فيما اخطأتم به وكذلك لو دعوت رجلا لغير
ابيه وانت تزعم انه ابوه ليس عليك باس قاله قتادة ولا يجري هذا المجرى ما غلب عليه

جكم

اسم التبنى كالحال في المقداد بن عمرو فانه كان يقال له المقداد بن الاسود فلما نزلت الآية قال المقداد انا ابن عمرو وسمي ذلك فبقي الاطلاق عليه ولم يسمع فيمن سمي من عصبي مطلق ذلك عليه وان كان معتمدا وكذلك سالم مولى ابي حذيفة وكان يدعى لابي حذيفة وغير هؤلاء ممن يتبنى وانتسب لغير ابيه وشهر بذلك وغلب عليه وذلك بخلاف الحال في زيد ابن حارثة فانه لا يجوز ان يقال لزيد بن محمد فانه قاله احد متعمدا عصى لقوله تعالى ولكن ما تعمدت قلوبكم اي فعليكم الجناح والله اعلم ولذلك قال بعده وكان الله غفورا رحيما اي غفورا للعمد ورحيما برفع اثم الخطأ الثالثة وقد قيل ان قوله تعالى لا جناح عليكم فيما اخطاتم به يحمل اي وليس عليكم جناح في شيء اخطاتم به وكانت فتيا عطاء وكثير من العلماء على هذا اذا حلف رجلا ليفارقن غريمه حتى يستوفي منه حقه فاخذ منه ما يرى انه جيد من دنانير فوزن فوجد فيها زجاجا انه لا شيء عليه وكذلك عنده اذا حلف ان لا يسلم على فلان فسلم عليه وهو لا يعرفه انه لا يحنث لانه لم يعتمد ذلك وما في موضع خفض رد على ما التي مع ما اخطاتم ويجوز ان يكون في موضع رفع على اضمار مبتدا والتقدير ولكن الذي تؤاخذون به ما تعمدت قلوبكم قاله قتادة وغيره من نسب رجلا الى غير ابيه وهو يعلم انه ابوه خطأ فذلك من الذي رفع الله عنه الجناح وقتل هو ان يقول له في الحال خطأ بانني على عمر تبين الرابعة فقوله تعالى ذلكم قولكم بافواهكم تاكيد لبطلان القول اي انه قول لا حقيقة له في الوجود انما هو قول لساني فقط وهذا كما يقول انا امشي الليل على قرم فانما تزيد بذلك المبرة وهذا كثير وقد تقدم هذا المعنى في غير موضع والله يقول الحق الحق نعت لمصدر محذوف اي تقول القول الحق ويهدي معناه يبين فهو يتعدى بغير حرف جر الخامسة الادعياء جمع الدعي وهو الذي يدعى ابنا لغير ابنه او يدعيه غير ابنه والمصدر الدعوة بالكسر فامر تعالى بدعاء الادعياء الى ابائهم للصلب فمن جهل ذلك فيه ولم يشتهر انتسابهم كان مولى واخا في الدين وذكر الطبري ان ابا بكرة قرا هذه الآية ثم قال انا ممن لا يعرف ابوه فانا اخوكم في الدين ومولاكم قال الراوي عنه ولو علم والله ان اباه حمار لانتمى اليه ورجال الحديث يقولون في ابي بكرة نفيع ابن الحرث السادسة روى الصحيح عن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة كلاهما قال سمعته اذناي ووعاه قلبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام وفي حديث ابي ذر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر ثم قال البخاري بالمؤمنين من انفسهم الى قوله مسطورا فنبه بذلك على الاولى بقوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم هذه الآية ازال الله بها حكما كان ثابتا في صدر الاسلام منها ان عليه السلام كان لا يصلي على ميت عليه دين فلما فتح الله عليه الفتوح قال انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته اخرجه الصحيحان وفيهما ايضا فايكم ما ترك دينا او ضياعا فانا مولاه قال ابن العربي فانتقل الامر الى الذب بالذهب فان تركن مالا صدق المقتضة به وان تركوا ضياعا اسلموا اليه فهو تغيير لولاية المذكورة في هذه الآية بتغيير النبي صلى الله عليه وسلم وتبديله ولا عطر بعد عروس قال ابن عطية وقال بعض العلماء العارفين هذا اولى بهم من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة قال ابن عطية ويدل على هذا قوله عليه السلام انا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش قلت هذا قول حسن في معنى الآية وتفسيرها والحديث الذي ذكر اخرجه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثل امتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه وانا اخذ بحجركم وانتم تقتحمون فيه وعن جابر مثله وانتم تفلتون من يدي قال العلماء الحجزة للسراويل والعقدة للازار فاذا اراد الرجل امساك من يخاف سقوطه اخذ بذلك الموضع منه وهذا مثل الاجتهاد لنبينا صلى الله عليه وسلم في نجاتنا وحرصه على تخلصنا من المهلكات التي بين ايدينا فنحن اولى بنا من انفسنا ولجهلنا بغدرة ذلك وغلبة شهواتنا عليها وظفر عدونا الكمين بنا صرنا احق من الفراش واذل من الفراش ولا حول ولا قوة الا بالله وقيل اولى بهم اي بالرد اذا امر بشيء ودعت النفس الى غيره كان امر النبي صلى الله عليه وسلم اولى به وقيل اولى بهم اي هو اولى بان يحكم على المؤمنين فينفذ حكمه في انفسهم اي فيما يحكون به لانفسهم مما يخالف حكمه الثانية قال بعض اهل العلم يجب على الامام ان يعطي من بيت المال دين الفقراء اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم

فانه

فانه قد صرح بوجوب ذلك عليه حيث قال فعلى قضاؤه والضياع بفتح الضاد مصدر ضاع يضيع جعل
اسما لكل ما هو بصدد ان يضيع من عيال ونحوهم لانه قيل لهم ضياع لا قيم له وسميت الارض ضيعة
لانها معرضة للضياع وتجمع ضياعا بكسر الضاد الثالثة قوله تعالى وازواجه
امهاتهم شرف تعالى ازواج نبيه عليه السلام بان جعلهن امهات المومنين ايذانا بوجوب التعظيم
والمبرة والاجلال وحرمة النكاح على الرجال وجعلهن رضي الله عنهن بخلاف الامهات ثم هذه
الامومة لا توجب ميراثا كامومة النسب وجاز تزويج بناتهن ولا يجعلن اخوات للناس ولا
يحل لهذه ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في اية التخيير ان شاء الله تعالى واختلف الناس هل
هن امهات الرجال والنساء امهات الرجال خاصة فيه قولان روي الشعبي عن مسروق
عن عائشة رضي الله عنها ان امراة قالت لها يا امة فقالت لها لست لك بام انما انا ام رجالكم
قال ابن العربي وهو الصحيح فلست لانا جدة لاحد منا ولا لحصر في الرياسة وهو الصحيح
للرجال دون النساء والذي يظهر لي انهن امهات الرجال والنساء تعظيما لحقهن على الرجال
والنساء يدل عليه صدر الاية النبي اولى بالمومنين من انفسهم وهذا يعم الرجال والنساء
ضرورة ويدل على ذلك حديث ابي هريرة وجابر فيكون قوله وازواجه امهاتهم وهو اب لهم
وقرا ابن عباس من انفسهم وهو اب وازواجه وهذا كله يوهن ما رواه مسروق اذ صح
من جهة الترجيح واذا لم يصح فيسقط الاستدلال به في التخطيب ونبينا على الاصل الذي
هو العموم الذي يسبق الى المفهوم والله اعلم الرابعة قوله تعالى واولوا الارحام اولى بعضهم
في كتاب الله من المومنين والمهاجرين قيل انه اراد بالمومنين الانصار وبالمهاجرين قريشا
وفيه قولان احدهما ان هذا ناسخ للتوارث بالهجرة حكى سعيد بن قتادة قال كان نزل في
سورة الانفال والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فتوارث
بالهجرة فكان لا يرث الاعرابي المسلم من قريبه المسلم المهاجر شيأ حتى نسخ ذلك في
هذه السورة فجعلوا اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض الثاني ان ذلك ناسخ للتوارث
بالحلف والمواخاة في الدين روى هشام بن عروة عن ابيه عن الزبير في اولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله وذلك انا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا اموال لنا
فوجدنا الانصار نعم الاخوان فاخينا هم فاورثونا واورثناهم فاخى ابو بكر خارجة بن زيد
واخيت انا كعب بن مالك فجيت فوجدت السلاح قد اتعله فوالله لقد مات عن الدنيا ورثه
غيري حتى انزل الله هذه الاية فرجعنا الى موارثنا واثبت عن عروة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخى بين الزبير وبين كعب بن مالك فارتث كعب يوم احد فجا الزبير يقوده بزمام
راحلته قلت ومات بعد كعب عن الضح والدين لورثة الزبير فانزل الله جل وعز واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فبين الله ان القرابة اولى من الحلف فتركت
بالحلف ورسوا بالقرابة وقد حصى في الانفال الكلام في توريث ذوي الارحام وقوله
في كتاب الله يحتمل ان يريد القرآن ويحتمل ان يريد اللوح المحفوظ الذي قضى منه احواله
خلقه ومن المومنين متعلق باولى لا بقوله واولوا الارحام بالاجماع لان ذلك كان يوجب
تخصيصا ببعض المومنين ولا خلاف في عمومها وهذا احد اشكالها قاله ابن العربي الثاني
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فبين الله القرابة اولى من الحلف فتركت التوارث
بالحلف ورسوا بالقرابة وقد حصى في الانفال الكلام من المومنين والمهاجرين يجوز ان
يتعلق من المومنين باولوا فيكون التقدير واولوا الارحام من المومنين والمهاجرين
ويجوز ان يكون المعنى اولى من المومنين وقال المهدوي قيل ان معناه واولوا الا
رحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله الا ما يجوز لازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان
يدعين امهات المومنين الخامسة واختلف في كونهن كالامهات في التحريم واباحة النظر
على وجهين احدهما هن محرم لا يجرم النظر اليهن الثاني ان النظر محرم لا تحريم نكاحهن
انما كان حفظا لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن وكان من حفظ حقه تحريم النظر
اليهن ولان فاطمة رضي الله عنها كانت اذا اراد ت دخول رجل عليها امرت
اختها اسما ان تزفه لبعير ابتا لاختمار من الرضاعة فيصير محرما يستبيح النظر واما
اللاتي طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته فقد اختلف في ثبوت هذه الحرمة
لهن على ثلاثة اقوال احدها ثبتت لهن هذه الحرمة تغليبا لحرمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الثاني لا يثبت لهن بل هن كسائر النساء لانه ليس صلى الله عليه وسلم فدارت عصمتهن
وقد راى زواجي في الدنيا هن ازواجي في الاخرة الثالث من دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

منهن تبت حرمتها وحرم نكاحها واذ طلقها حط الحرمة وخراسة لخلوته ومن لم يدخل بها
لم تثبت لها هذه الحرمة وقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه برجم امراة فقررها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت لم هذا وما ضرب على رسول الله صلى الله عليه وسلم حجابا
ولا سمي ام المومنين فكف عنها الناسوسة قال فقوم لا يجوز ان يسمى لنبي صلى الله عليه
وسلم ابا لقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن نقول لسن الاب للمومنين كما قال
انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم الحديث خرجه ابو داود والصحيح انه يجوز ان يقال انه
ابو المومنين اي في الحرمة وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي في النسب وثبات
وقرا ابن عباس من انفسهم وهو اب لهم واذواجه وسع عمر هذه القراءة فانكرها
وقال رحمكما يا غلام فقال له ابي في مصحف ابي فذهب اليه فسأله فقال له ابي انه كان
يملي عليه القرآن ويملي عليك الصحف بالاسواق واغلط لعمر وقد قيل في قوله لوط عليه
السلام هؤلاء بناتي انما اراد المومنات اي تزوجوهن وقد تقدم الناسعة قال
قوم لا نقول بنات المومنين ولا اخوانهن اخوال المومنين وخالاتهم قال الشافعي
تزوج الزبير اسماء بنت ابي بكر وقد اخت عائشة ولم يقل هي خالة المومنين واطلق قوم
هذا وقالوا معوية خال المومنين يعني في الحرمة لا في النسب الثامنة قوله تعالى الا ان
تفعلوا الى اوليائكم معروفا يريد الاحسان في الحياة والوصية عند الموت اي اذ ذلك
جايز قاله قتادة والحسن وعطاء وابن الحنفية قال محمد بن الحنفية نزلت في اجازة الوصية
للمعروف والصدقة ان يفعل هذا مع الولي والقريب وان كان كافرا فالمشرك ولي في النسب
لا في الدين فيوصى له بوصية واختلف العلماء هل يجعل الكافر وصيا فيجوز بعض ومنع بعض
ورد النظر الى السلطان في ذلك بعضهم ما لك رحمه الله وذهب مجاهد وابن زيد
والرماني الى ان المعنى الى اوليائكم من المومنين ولفظ الاية يعضد هذا المذهب وتقديم الولي
ايضا حتى ولاية النسب لا تدفع الكافر وانما تدفع الا يلتفت اليه بالمودة كولي الاسلام
التاسعة قوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا الكتاب يحتمل الوجهين المذكورين
المتقدمين في كتاب الله ومسطورا من قولك سطرت الاباب اذا اثبته اسطارا وقال
قتادة اي مكتوبا عند الله عز وجل اذ لا يرث كافر مسلما قال قتادة وفي بعض التوراة كان
ذلك عند الله مكتوبا وقال الفرطي كان ذلك في التوراة قوله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم اي عهدهم على الوفاء بما حملوا واذ ليشرع بعضهم بعض ويصدق بعضهم
بعضا اي كان مسطورا حين كتب الله ما هو كائن وحين اخذ الله المواثيق من الانبياء بك
يا محمد ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وانما خص هولا الخمسة وان دخلوا في
جملة النبيين تفضيلا لهم وقيل لانهم اصحاب الشرايع والكتب واولوا العزم من الرسل
وابتدا بالاهم ويحتمل ان يكون هذا لفظيا في قطع الولاية بين المسلمين والكافرين اي
هذا مما اختلف فيه شرايع الانبيا اي كان في ابتدا الاسلام توارث بالهجرة والهجرة سبب
متاكد في الديانة ثم توارثوا بالقرابة مع الايمان وهو سبب تاكيد فاما التوارث
بين موسى وكافر فلم يكن في دين احد من الانبيا الذين اخذ عليهم المواثيق فلا تدخلوا
في الدين ولا تماثلوا الكفار وتطير شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله
ولا تتفرقوا فيه ومن ترك التفرق في الدين ترك موالاة الكفار وقيل اي اذا تولى
بالمومنين من انفسهم كان ذلك في الكتاب مسطورا ومناخذ به المواثيق من الانبيا
واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي عهدا وثيقا عظيما على الوفا بما التزموا من تبليغ الرسالة
وان يصدق بعضهم بعضا والميثاق هو اليمين بالله تعالى فالميثاق الثاني تاكيد
للميثاق الاول باليمين وقيل الاول هو الاقرار بالله والثاني في امر النبوة وتظهير هذا
قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق
لما معكم لتومنن به ولتنصرنه الاية اخذ عليهم ان يعلموا ان محمدا رسول الله ويعلن محمد
انه لا نبي بعده وقدم محمدا في الذكر لما روي عن قتادة عن الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيل عن قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
قال كنت اولهم في الخلق واخرهم في البعث فلذلك قدمت ذكرا هد هذا في ظهر ادم عليه السلام هو
قوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم قيل اراد بهذا وجها احدها ليسئل الانبيا عن
تبليغهم الرسالة الى قومهم حكاه النقاش وفي هذا تنبيه اي اذا كان الانبيا ليسئلون
فكيف من سواهم الثاني ليسئل الانبيا عن ما اجابهم به قومهم حكاه علي بن عيسى الثالث

ليسئل النبيا عن الوفا بالميثاق الذي اخذه عليهم حكاه ابن سعد والسرايع ليسئل الصادقين
الصادقة عن القلوب المخلصة وفي التنزيل فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن
المرسلين وقد تقدم وقيل فايدة سؤالهم توبيخ الكفار كما قال انت قلت للناس
واعتقادنا للكافرين عذابا اليما وهو عذاب جهنم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود الاية يعني يوم الاحزاب غزوة الخندق والاحزاب وبني
قريظة وكانت حالا شديدة صعبة ورخاء وعطف وتضمنت احكاما كثيرة واياما
باهرات عزيزة ونحن نذكر من ذلك بقول الله ما يكفي في عشر مسايل الاولى اختلف في اي سنة
كانت فقال ابن اسحق كانت في شوال من السنة الخامسة وقال ابن وهب وابن القاسم
عن مالك كانت وقعة الخندق سنة اربع وهي وبنو قريظة في يوم واحد وبين بني
قريظة والنضير اربع سنين قال ابن وهب وسمعت مالكا يقول امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالقتال من المدينة وذلك قوله تعالى اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ
زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر قال ذلك يوم الخندق جاء قريش من هاهنا
واليهود من هاهنا والغطفانية من هاهنا يريد ملك اذ الذين جاءوا من فوقكم بنو قريظة
ومن اسفل منهم قريش وغطفان وكان سببها ان نفرا من اليهود منهم كنانة بن الربيع ابن
ابي الحقيق وسلام بن مشكم وحيي بن اخطب النضيريون وهوذة بن قيس وابو عمار من بني
وايل وهم كلهم يهود هم الذين حزبوا الاحزاب والبوا وجمعوا واحزبوا في نفر من بني النضير ونفر
من بني وايل فاتوا مكة فدعوا الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم واوعدوهم من انفسهم
بصوبهم من انتدب الى ذلك فاجابهم اهل مكة الى ذلك ثم خرج اليهود المذكورون الى غطفان
فدعوهم الى مثل ذلك فاجابوهم فخرجت قريش يقودهم ابو سفيان بن حرب وخرجت
غطفان وقايدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري على قراره والحارث ابن عوف
المري على بني مرة ومسعود بن رخيلة على اشجع فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم
ساور اصحابه فاشار عليه سلمان بحفر الخندق فرضي رايه وقال المهاجرون بيت سلمان
منا وقال الانصار سلمان منا اهل البيت وكان الخندق اول مشهد شهده سلمان مع النبي
صلى الله عليه وسلم وهو موضع حفنا لرسول الله انا كنا قنا دبين الى ان حوصرنا خندقنا
فعمل المسلمون في الخندق تجتمد بن وتكسل المنافقون وجعلوا يتسللون لواذا فانزلت فيهم
من العذاب ذكرها ابن اسحق وغيره وكان من فرغ من المسلمين من عمله عاد
الى غيره حتى كمل الخندق وكانت فيه ايات بينات وعلامات للنبوات قلت ففي
هذا الذي ذكرناه من هذا الخبر من الفقه وهي الثانية مشاورة السلطان اصحابه وخاصته
في امر القتال وقد مضى ذلك في العمران والنحل وفيه التخصص من الجند وبما امكن من الاشياء
واستعمالها وقد مضى ذلك في غير موضع وفيه ان حفر الخندق يكون مقسوما على الناس فمن
فرغ منهم عاون من لم يفرغ فالمسلمون يد على من سواهم وفي البخاري ومسلم عن البراء بن عازب
قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق
حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة
وينقل اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا وان الالى قد بغوا علينا
وان ارادوا فتنة ابينا ويرفع بها صوته وفي الصحيحين عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما امر النبي صلى الله
عليه وسلم بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام النبي صلى الله
عليه وسلم واخذ المعول ووضع رداءه ناحية الخندق وقال وتمت كلمة ربك الاية فندر ثلث
الحجر وسلمان الفارسي قايم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ثم
ضرب الثانية وقال وتمت الاية فندر الثلث الاخر فبرقت برقة فراها سلمان ثم
ضرب الثالثة وقال وتمت الاية فبرز الثلث الباقي وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذ رداءه وجلس قال وجلس قال سلمان يا رسول الله رايتك حين ضربت ما
تضرب ضربة الا كانت معها برقة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ذلك يا سلمان
قال اي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال فاني حين ضربت الضربة الاولى رفعت
لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة حتى رايتها بعيني قال له من حضره من اصحابه
يا رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرب بايدينا بلادهم فدعا

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها
حتى رأيتها بعيني قالوا يا رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا دارهم
ويخرب بايدينا بلادهم ثم ضربت الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من
القرى حتى رأيتها بعيني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك دعوا الحبشة ما ودعوكم
واتركوا الترك ما تركوكم وحرجه ايضا عن البراء بن عازب قال لما امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان نحفر الخندق عرض لنا صخرة لا تأخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فاتى دونه واخذ المعول وقال بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة
ثم قال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر الى قصورها الحمر الان من مكاني هذا
ثم ضرب اخرى وقال بسم الله فكسر ثلثا اخر ثم قال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله اني
لابصر قصر المدائن الابيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع الحجر وقال الله اكبر اعطيت
مفاتيح اليمن والله اني لابصر ابواب صنعا صححه ابو محمد عبد الحق الرابعة قال فلما فرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش في نحو عشرة الاف ممن معهم من كنانة واهل
تهامة فاقبلت غطفان بمن معها من اهل نجد حتى نزلوا الجانب الاحد وخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمسلمون حتى نزلوا بظهر سلع في ثلاثة الاف وضربوا عسكرهم والخندق بينهم
وبين المشركين واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم في قول ابن شهاب وخرج عدو الله بن حيي
ابن اخطب النضيري حتى كعب بن اسد القرظي وكان صاحب عقد بني قريظة ورئيسهم وكان
قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاقده وعاهده فلما سمع كعب بن اسد بمجيء بن اخطب
اغلق دونه باب حصنه وابى ان يفتح له فقال له افتح لي يا اخي فقال له لا افتح لك فانك
رجل مشؤوم وانك تدعوني الى خلاف محمد وانا قد رأيت منه وعاهدته ولم ار منه الا وفاء وصدقا
فلست بناقض ما بيني وبينه قال حيي فتح لي حتى اكلمك وانصرف عنك قال لا افعل
قال انا نخاف ان اكلت طعامك فغضب كعب وفتح له فقال له يا كعب انما جئتك
بعز الدهر جئتك بقريش وسادتها وغطفان وقادتها قد نزلوا الى جانب احد على ان نبيتا صلوا
محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر بحمام مرة لا غيث فيه ويحك يا حيي
دعني فلست بفاعل ما تدعوني اليه فلم يزل حيي بكعب يعده ويغره حتى رجع اليه وعاقده
على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وامحابه وان يصير معهم وقال له حيي بن اخطب ان
القرشية قريش وغطفان وحلت عنك من معك من يهود فلما انتهى خبر كعب وحيي
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وسعد الاوس
سعد بن معاذ وبعث معهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير وقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم انطلقوا الى بني قريظة فان كان ما قيل لنا حقا فالحنوا لنا لحنا ولا تفتوا
في اعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبين الناس فانطلقوا حتى اتوهم فوجدوهم
على اخبث ما قيل لهم عنهم ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا نعقد له عقدا
ولا عهد بينه وبين القوم فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكانت فيه حدة فقال له سعد بن عبادة دع
عنك مشاتمتهم فالذي بيننا وبينهم اكثر من ذلك ثم اقبل سعد وسعد حتى اتيا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من المسلمين فقالا عضل والقارة يعرضان لعبد من
عضل والقارة باصحاب الرجيع خبيب واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتى المسلمون عدوهم
من فوقهم يعني من فوق الوادي من قبل المشرق ومن اسفل منهم من بطن الوادي من
قبل المغرب حتى ظنوا بالله الظنونا واظهر المنافقون كثيرا مما كانوا يسرون فمنهم من قال
ان بيوتنا عورة فلننصرف اليها فانا نخاف عليها وما قال ذلك اوس بن قيظي ومنهم
من قال يعدنا محمد ان نفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يامن على نفسه لا
يذهب الى الغائط ومنهم من قال ذلك مغيث بن قشير احد بني عمرو بن عوف فاقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم واقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر لم يكن
بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصار فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام
المشركون انه اشتد على المسلمين البلاء بعث الى عيينة بن حصن الفزاري والى الحرث
ابن الحرث بن عوف المري وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة لينصرفا
بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا وبرجعا بقومهما عنهم وكانت هذه المقالة

مراوغة

مراوضة ولم تكن عقدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما انهما قد ارتا بارضيا ابى سعيد
ابن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فقالا يا رسول الله هذا امر تحبه
فنصنعه لك او شيء امرك الله به فلابد له وتطيع او امر تصنعه لنا قال بل امر اصنعه لكم والله
ما اصنعه لا ان قد رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة فقال له سعد بن معاذ يا رسول
الله والله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه
وما طمعوا ان ياكلوا منها ثمرة الا شراء او قرى فحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا
بك نعطيهم اموالنا والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فسر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بذلك وقال انتم وذاك وقال لعيينة والحرث ارجعا فليس لكما عندنا
الا السيف وتناول سعد الصحيفة وليس فيها شهادة فمحاها الخامسة فاقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون على حالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال بينهم الا ان فوارس
من قريش منهم عمرو بن ود العامري من بني عامر بن لوي وعكرمة ابن ابي جهل وهبيرة ابن ابي
وهب وضرار بن الخطاب الفهري وكانوا فرسان قريش وسجعانهم اقبلوا حتى وقفوا على
الخندق فلما رأوه قالوا ان هذه المكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تهموا مكانا ضيقا
من الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت بهم وجازوا الخندق وصاروا بين الخندق وبين سلع
وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها
واقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قد ابتدره الجراح يوم بدر فلم يستطع احدا
وارادوا يوم الخندق ان يرجع مكانه فلما وقف هو وخيله نادى من يبارز فبرز له علي ابن ابي
طالب وقال له يا عمرو انك عاهدت الله فيما بلغنا انك لا تدعو الى احدى خلتين الا اخذت احدا
هما قال نعم فانى ادعوك الى الله والاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك الى البراز
قال يا ابن اخي والله ما احب ان اقتلك فحمي عمرو بن عبد ود ونزل عن فرسه فعقره وصار
نحو علي فتنازلا وتجاولا وصار الغبار بينهما حتى حال دونهما فما انجلى النقع حتى راى عليا قد برك
على صدر عمرو قد قطع رأسه فلما رأى اصحابه انه قد قتله على اقتحموا بخيلهم الثغرة منهم نوفل بن عبد
الله بن المغيرة فاقتحم بفرسه فتقحم به في النار فقتل فيها وضرب الحجارة من سفاها هذه رابية ونصرت وبن محمد بضربة
نازلته فتركته متجدلا كالجذع بين دكادك ورواب
وعففت عن اثوابه ولو انني كنت المعطر بزني اثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الاحزاب

قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالسير يشكون فيها لعلي قال ابن هشام والذي عكرمة بن
ابي جهل رمحه يوم سيذ وهو مشتمل على عمرو فقال حسان ابن ثابت في ذلك

مرو الذي لنا رمحه لعلك عكرم ثم تفعل
وليت تفر او كعبد والظليم ما ان يحور عن العدل
ولم يكن طهرك مثلنا كان تفاقر فعل

قال ابن هشام ومر على صعير الضباع وكانت عائشة رضي الله عنها في حصن بن حارثة وام سعد
ابن معاذ معها وعلى سعد درع معلصة قد خرجت منها ذراعه وفي يده حربته وهو يقول
لبث قليلا يلحق الهيجا جمل لا باس بالموت اذا كان الاجل
ورمى يومئذ سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل واختلف فيمن رماه فقيل رماه حبان
ابن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لوي فلما اصابه قال له خذها وانا ابن العرقة فقال
له سعد عرق الله وجهك في النار وقيل ان الذي رماه خفاجة بن عاصم بن حبارة وقيل
بل الذي رماه ابو اسامة الجشمي حليف بني مخزوم ولحسان مع صفية بنت عبد المطلب
خبر طريف يوم سيذ ذكره ابن اسحق وغيره قالت صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها كنا
يوم الاحزاب في حصن حسان بن ثابت وحسان معنا في النساء والصبيان والنبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه في نحر العدو لا يستطيعون الانصراف اليا فاذا يهودي يمشي يريد ان
لحسان فنزل اليه فاقتله فقال ما ابا صاحب هذا ابنه عبد المطلب فاخذت عمودا
ونزلت من الحصن فقتلته فقلت يا حسان انزل فاسلبه فلم يمنعني من سلبه الا انه رجل
فقال ما لي بسلبه حاجة يا بنة عبد المطلب قال فنزلت فسلبته قال ابو عمر بن عبد البر
وقد انكر هذا عن حسان جماعة من اهل السير وقالوا لو كان في حسان من الجبن ما وصفتم
لم يجبه بذلك الذي كان بها جميعا في الجاهلية والاسلام وليحيى بذلك ابنه عبد الرحمن فانه
كان ذكيرا ما يجاري الناس في شعر العرب مثل النجاشي وغيره السادسة واثنى رسول الله صلى الله

عليه وسلم نعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي فقال يا رسول الله اني قد اسلمت ولم يعلم قومي باسلامي
فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل واحد من غطفان فلو خرجت فخذل
عنا ان استطعت كان ارهب لنا من قتالك معنا فاخرج فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن
مسعود حتى اتى بني قريظة وكان نداما لهم في الجاهلية فقال يا بني قريظة قد عرفتم
ودي اياكم وخاصتي ما بيني وبينكم قالوا قد فلست عندنا بمتهم فقال لهم ان قريشا
وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم فيه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم وان قريشا وغطفان
قد جاؤا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه فان رأوا فرصة اصابوها وان كان غير
ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا معهم حتى
تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم فيكونوا بايديكم توثقا لكم على ان تقاتلوا معه حتى
حتى تناجزوا محمدا فقالوا لقد اشرت برأي ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لهم قد عرفتم ودي لكم وفراقي
محمدا وقد بلغني امر رأيت من الحق ان اتلفكموه نصحا لكم فاكتموا علي ما قالوا
نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما كان من خذلانهم محمدا وقد ارسلوا اليه انا قد
ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك ان نأخذ من قريش وغطفان رهنا رجالا ونسلمهم اليكم
فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على ما بقي منهم حتى نستأصلهم ثم الى غطفان فقالت
ذلك فلما كان ليلة السبت وكان ذلك من صنع الله عز وجل لرسوله والمؤمنين ارسل ابو
سفيان الى بني قريظة عكرمة ابن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان يقول لهم انا لسنا
بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا لصبيحة نبد للقتال حتى نناجز محمدا فارسلوا
اليهم ان اليوم يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى في السبت ومع ذلك فلا نقاتل
معكم حتى تعطونا رهنا فلما رجع الرسول بذلك قالوا صدقنا والله نعيم بن مسعود فردوا
اليهم الرسل وقالوا والله لا نعطيكم رهنا ابدا فاخرجوا معنا ان شئتم والا فلا يعمد بيننا
وبينكم فقالوا لقد خذل بنو قريظة صدق والله نعيم بن مسعود وخذل الله بينهم واختلفت كلمتهم
وبعث الله عليهم ريحا عاصفا في ليال شديدة البرد فجعلت الريح تقلب اثنيتهم وتكفأ قدورهم
السابغة فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلاف امرهم بعث حذيفة بن اليمان
ليأتيه بخبرهم فاتاه واستتر بي بمرادهم وسمع ابا سفيان يقول يا معشر قريش لينظر كل امرئ جليسه قال حذيفة فاخذت بيد جليسي وقلت من انت فقال انا فلان ثم
قال ابو سفيان يا معشر قريش لينكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولكن هلك الكراع والخف
واخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عن هذا الريح ما ترون ما يستمسك لنا بناء ولا تثبت لنا قدر
ولا يقوم لنا نار فارتحلوا فاني مرتحل وثب على جمله فحل عقاله وهو قائم فقال حذيفة
ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي اذ لا تحدث شيئا لقتلته بسهم ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رحيله فوجدته قائما يصلي
في مرط لبعض نسائه مرجل فقال ابن هشام المرجل ضرب من وشي اليمن فاخبرته فحمد الله فاثنى
وخبر حذيفة مذكور في صحيح مسلم وفيه اية عظيمة رواه جرير عن الاعمش عن ابراهيم
التيمي عن ابيه قال كنا عند حذيفة فقال رجل لو ادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت
معه وابليت فقال حذيفة انت كنت تفعل هذا لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة الاحزاب واخذتنا ريح شديدة وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا رجل يأتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة فسكتنا فلم يجبه منا احد فقال
قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم فلم اجد بدا اذ دعاني باسمي اذ قام قال اذهب فاتني بخبر القوم
ولا تذعرهم علي فلما ولي من عنده جعلت كأنما امشي في حمام حتى اتيتهم فرأيت ابا
سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فاردت ان ارميه فذكرت قول رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تذعروهم علي ولو رميته لاصبته فرجعت وانا امشي في مثل الحمام
فلما اتيته فاخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فالبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم ازل نائما حتى اصبحت قال قم يا نومان فلما اصبح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذهب الاحزاب رجع الى المدينة ووضع المسلمون سلاحهم فاتاه جبريل صلى الله عليه وسلم في صورة دحية بن خليفة الكلبي على بغلة عليها
قطيفة ديباج فقال له يا محمد اوقد كنتم قد وضعتم سلاحكم فما وضعت الملائكة سلاحها
ان الله يأمرك ان تخرج الى بني قريظة واني متقدم اليهم فمزلزل بهم حصونهم فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو الثامنة مناديا ينادي الا ان صلين اصر العصر الا في قريظة
فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة وقال اخرون لا نصلي العصر الا

حيث امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان فاتتنا الوقت قال ما عنف واحد منا العريضي
وفي هذا من الفقه تصويب المجتهدين وقد مضى بيانه في الانبياء وكان سعد بن معاذ اذا
اصابه السهم دعا ربه فقال اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش فابقني لها فانه لا قوم احب
اذ جاهدهم من قوم كذبوا رسولك واخرجوه اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم
فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني في بني قريظة وروي انه وهب عن مالك
قال بلغني ان سعد بن معاذ مر بها بشة رضي الله عنها وتاسعها في الاطم الذي فارع عليه
محمد مسلمة بالكمين وبها اثر صفرة وهو يتحنز ليثب قليلا يدرك الهيجا حمل لا بأس بها هون
اذا كان الاجل فقالت عائشة رضي الله عنها لست اخاف ان يصاب سعد اليوم الا من اطراقه
فاصيب في اكحله وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قالت عائشة ما رأيت
رجلا اجل من سعد بن معاذ حاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصيب في اكحله ثم قال
اللهم ان كان حرب قريظة لم يبق منه شيء فاقبضني اليك وان كانت قد بقيت منه بقية فابقني
حتى اجاهد مع رسولك اعداءه فلما حكم في بني قريظة توفي فخرج الناس وقالوا نرجوا ان
يكون قد استجيبت دعوته لما سمعه ولما خرج المسلمون الى بني قريظة اعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الراية علي بن ابي طالب واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ونهض علي وطايفه
معه حتى انوا بني قريظة وناذلوهم فسمعوا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف على
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله لا تبلغ اليهم وعرض له فقال له اظنك
سمعت منهم شتمي لو رأوني لكفوا عن ذلك ونمض اليهم فلما رأوه امسكوا فقال لهم نقضتم
العهد يا اخوة القرود اخزاكم الله وانزل بكم نقمة فقالوا ما كنت جاهلا يا محمد فلا تجهل
علينا ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة وعرض عليهم سيدهم
كعب ثلاث خصال ليختاروا ايها شاؤا اما ان يسلموا ويتبعوا محمدا على ما جاء به فيسلموا
قال وتحوزوا اموالكم ونساكم وابناكم فوالله انكم لتعلمون انه الذي تجدونه مكتوبا
في كتابكم واما ان تقتلوا ابناءهم ونساءهم ثم تبتدئون فتقاتلون حتى يموتوا من اخرهم
واما ان يبيتوا المسلمين ليلة السبت في حين طمانينتهم فيقاتلونهم قتالا فقالوا له
اما الاسلام فلا نسلم ولا نخالف حكم التوراة واما قتل ابنائنا ونسائنا فما خزاهم
المساكين منا ان نفعل هم ولا نتعدى في السبت ثم بعث الى اوليائهم وكانوا حلفاء بني عمرو
ابن عوف وسائر الاوس فاتوه فجعلوا اليه ابناءهم ورجالهم ونساءهم وقالوا له يا ابا بنة ان
اتنزل على حكم محمد فقال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح ان فعلتم ثم ندم ابو لبابة في
الحين وعلم انه خان الله ورسوله وانه امر لا ينزه الله عليه عن تبيته صلى الله عليه وسلم
فانطلق الى المدينة ولم يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فربط نفسه في سارية واقسم لا
يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه فكانت امرأته تحله لوقت كل صلاة قال ابن عباس
وغيره فيه نزلت يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم الاية وقسم
ان لا يدخل ارض بني قريظة ابدا مكانا اصاب فيه الذنب فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم من فعل ابي لبابة قال اما انه لو اتاني لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل هو
فلست اطلقه حتى يطلقه الله عز وجل فانزل الله في امر ابي لبابة واخرون اعترفوا بذنوبهم
الاية فلما نزلت توبته لهذا الامر ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باطلاقه فلما اصبح بنو قريظة
نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الاوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا رسول الله قد علمت انهم حلفاؤنا وقد استعفيت عبد الله بن ابي ابن سلول
في بعنا لتضيفه حلفا الخزرج فلا تكن حظنا اوكسى وانقضى عندك من حظ غيرنا فهم موا
لينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الاوس الا ترضون ان يحكم فيه رجل
منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب
له خيمة في المسجد ليعوده من قريب في مرضه من جرحه الذي اصابه في الخندق فحكم
فيهم بان يقتل المقاتلة وسبى الذرية والنساء ويقسم اموالهم فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبع ارقعة وامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخرجوا الى موضع بسوق المدينة اليوم ومن ابن اسحق فحمد فقتلهم خنادق ثم
امر عليه السلام فضربت اعناقهم في تلك الخنادق وقتل يومئذ حتى بن اخطب وكعب
ابن الاسد وكانا رأسا القوم وكانوا من الستمائة الى السبعمائة وكان على حتى حلة
فقاجنة قد سمقها عليه من كل ناحية لموضع الانملة انملة لئلا يسلبها مجموعة

نوبهم

فلما تطلع ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم حين القاه ويراه الى عنقه بحمل قال اما والله ما ملت لغشي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس لا باس بامر الله كتاب الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وقتل من نسائهم امرأة وهي سانة امراة الحكيم القرظي التي طرحت الرحا على خلاد ابن سويد فقتلته وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل كل من انبت منهم وترك من لم ينبت وكانت عطية القرظي ممن لم ينبت فاستحياه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مذكور في الصحابة ووهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت ابن قيس بن شماس ولد الزبير بن باطا فاستحياهم منهم عبد الرحمن بن الزبير اسلم وله صحبة ووهب ايضا عليه السلام رفاعة ابن سموءل القرظي لام المنذر سلمى بنت قيس اخت سليط ابن قيس من بني النجار وكانت قد صلت القبلتين فاسلم رفاعة وله صحبة ورواية وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال ان ثابت بن قيس بن شماس الى ابن باطا وكانت له عنده يد وقال قد استوهبتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبدك الله لعندي قال ذلك بفعلك الكريم بالكريم ثم قال وكيف بعيش رجل لا ولد له ولا اهل قال فاني ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فاعطاه اهله وولده فاتى فاعلمه فقال كيف يعيش رجل لا مال له فاتى ابا ثابت النبي صلى الله عليه وسلم فطلبه فاعطاه ماله فرجع اليه فاخبره قال ما فعل ابن ابي الحقيق الذي كان وجهه مراة صنعة قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فما فعلت العسان قال قتلنا قال بئس ما صنعتم ولم اصب فيها دلوا ابدا يعني النخل فالحقني بهم فابى ان يقتله فقتله غيره والبدالتي كانت لابن باطا عند ثابت انه اسره يوم بعاث فجز ناصيته فاطلقه ﷺ العاشر وقسم صلى الله عليه وسلم اموال بني قريظة فاسهم للفارس ثلاثة اسهم وللراجل سهما وقد قيل للفارس سهمان وللراجل سهم وكانت الخيل للمسلمين يومئذ ستة وثلاثين فرسا ووقع للنبي صلى الله عليه وسلم من سبيهم ريحانة بنت عمرو ابن خناقة احد بني عمرو بن قريظة فلم يزل عنده الى ان مات صلى الله عليه وسلم ﷺ وقيل ان غنيمة قريظة هي اول غنيمة قسم فيها للفارس والراجل واول غنيمة حمل فيها الخمس وقد تقدم ان اول ذلك كان في سرية عبد الله بن جحش فالله اعلم قال ابو عمر ومدار ذلك ان تكون غنيمة قريظة اول غنيمة جرى فيها الخمس بعد نزول قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكان عبد الله بن جحش قد خمس قبل ذلك في سريته ثم نزل القرآن بمثل ما فعله وذلك من فضائله رحمه الله عليه وكان فتح قريظة في اخر ذي القعدة واول ذي الحجة من السنة الخامسة من الهجرة فلما تم امر بني قريظة اجيب دعوة الرجل الفاضل الصالح سعد بن معاذ فانفجر جرحه وانفتح عرقه فجرى دمه ومات رضي الله عنه وهو الذي ان في الحديث فيه اهتز لموته عرش الرحمن يعني سكان العرش من الملائكة فرحوا بقدوم روحه واهتز لذلك وقال ابن القاسم عن مالك حدثني يحيى بن سعيد قال لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون الفا من الملائكة ما نزلوا الى الارض قبلها قال مالك ولم يستشهد يوم الخندق من المسلمين الا اربعة او خمسة قلت الذي استشهد من الخندق من المسلمين ستة نقر فيما ذكر اهل العلم بالسير سعد بن معاذ ابو عمرو من بني عبد الاشهل والس بن اوس بن عتيك وعبد الله بن سهل وكلاهما ايضا من بني عبد الاشهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن عنمة وكلاهما من بني سلمة وكعب ابن زيد من بني دينار بن النجار اصابه سهم غرب فقتله رضي الله عنهم وقتل من الكفار ثلاثة منهم بن عثمان ابن عبيد الدار اصابه سهم فمات منه بمكة وقد قيل انما هو عثمان ابن امية ابن منبه بن عبيد بن السباق ونوفل ابن عبد الله بن المغيرة المخزومي اقتحم الخندق فتورط فيه فقتل وغلب المسلمين على جسده فروى عن الزهري انهم اعطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جسده عشرة الاف درهم فقال لا حاجة لنا بجسده ولا بثمنه فخلى بينهم وبينه وعمرو بن ود الذي قتله علي حين بارزه وقد تقدم واستشهد يوم قريظة من المسلمين خلاد ابن سويد ابن ثعلبة بن عمرو من بني الحارث بن الخزرج طرحت عليه امراة من بني قريظة

فيها

رحي فقتلته وقال في الحصار ابو سفيان بن حصن بن حرمان الاسدي اخو عكاشة
ابن حصن فدقته رسول الله صلى الله عليه وسلم بصخرة بين قريظة التي ينزلان من
المسلمون السكان بها اليوم ولم يصب غيرها دين ولم يغز كفار قريش المسلمين
بعد الخندق واسند الواردي ابو محمد في مسنده انا يزيد بن هرون عن ابن اسحق
عن المقبري عن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابيه قال حبسنا يوم الخندق حتى
ذهب هوي من الليل حتى كفينا وذلك قول الله عز وجل وكفى الله المؤمنين القتال
وكان الله قويا عزيزا فامر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فاقام فصلى الظهر
فاحسن كما كان يصليها في وقتها ثم اقام فصلى العصر فصلاها ثم اقام المغرب
فصلاها ثم اقام العشا فصلاها وذلك قبل ان ينزل فان خفتم فرجالا او ركبانا
خرجه النسائي ايضا وقد بقيت هذه المسئلة في طه وقد ذكرنا في هذه الغراء احكاما
كثيرة لمن تأمل فيها في مسائل عشرة ثم نرجع الى الاول الاولي وهي تسع عشرة اينع تضمنت ما ذكرنا

قوله تعالى اذ جاءكم جنود يعني الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا قال مجاهد هي الصبا
ارسلت على الاحزاب يوم الخندق حتى القت قدورهم ونزعت فساطيطهم قال والجنود
الملائكة ولم يقاتل يومئذ وقال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي
لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري بليل فكانت الريح التي
ارسلت عليهم الصبا وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وكانت هذه الريح معجزة لان النبي صلى الله
عليه وسلم والمسلمون كانوا قريبا منها لم يكن بينهم وبينها الا عرض الخندق وكانوا في
عافية منها ولا خير عندهم بها وجنود لم تروها وقرئ بالياء اي لم يرها المشركون قال
المفسرون بعث الله عليهم الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الطناب الفساطيط
واطفأت النيران واكفأت القدور وجالت الخيل بعضها في بعض وارسل الله عليهم الرعب
وكثر تكبير الملائكة في جوانب العسكر حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان الهلم الي
فاذا اجتمعوا قال لهم النجا النجا لما بعث الله عليهم من الرعب وكان الله بما تعملون بصيرا
وقرئ يعملون بالياء على الخبر وهي قراءة ابي عمرو والباقون بالتاء يعني من حفر الخندق والتحزب
من العدو **قوله تعالى** اذ جاءوكم من فوقكم اذ في موضع نصب بمعنى واذكروا كذا واذ
قالت طائفة منهم من فوقكم يعني من فوق الوادي وهو اعلاه من قبل المشرق جاءته
عوف بن مالك في بني نضر وعيينة بن حصن في اهل نجد وطليحة ابن خويلد الاسدي في
بني اسد ومن اسفل منكم يعني من بطن الوادي من قبل المغرب جاءته ابو سفيان بن حرب
في اهل مكة ويزيد بن جحش في قريش وجاء ابو الاعور السلمي ومعه حيي بن اخطب اليهود
في يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل من وجه الخندق واذ زاغت الابصار اي شخصت
وقيل مالت فلم تلتفت الا على عدو هائل من فرط الهول وبلغت القلوب الحناجر
اي زالت عن اماكنها من القلوب حتى بلغت الحناجر وهي الحلاقيم واحدها فلو لا انها
الحلوق ضاقت عنها لخرجت قاله قتادة وقيل هو على معنى المبالغة على مذهب العرب
على اضمار كان قال ____ اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس وقطرت دما
اي كادت تقطر وقيل اذا الرئة تنفتح عند الخوف فترتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة
مثلا ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره وقيل انه مثل ضرب في شدة الخوف ببلوغ هذه
القلوب الحناجر وان لم تزل عن اماكنها مع بقاء الحياة قال معناه عكرمة وروى حماد بن زيد
عن ايوب عن عكرمة قال بلغ فزعها والمظهر اذا اراد اضطراب القلب وضربانه اي كانه
لشدة اضطرابه يبلغ الحنجرة والحنجور بزيادة الواو حرفا الحلق وتظنون
بالله الظنونا قال ____ الحسن ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المؤمنون
انهم ينصرون وقيل هو خطاب للمنافقين اي قلتم هلك محمد واصحابه واختلف القراء في
قوله الظنونا والرسولا السبيلا من الاسورة فاثبت الفها في الوصل والوقف
نافع وابن عامر وروي عن ابي عمرو والكسائي وحمزة بخط المصحف مصحف عثمان في جميع
المصاحف في جميع البلدان واختاره ابو عبيد الا انه قال لا ينبغي للقاري ان يدرج القرآن
بعد هن لكن يقف عليهن قالوا ولان القرب تتمثل ذلك في قوافي اشعارهم ومضاربها
قلوا انحن جلبنا القرح القوافلا نستنفر الا واخرا الا قابلا
وقرأ ابو عمرو والبصري ويعقوب وحمزة بحذفها في الوصل والوقف سمعا قالوا هي

زايدة في الخط كما زيدت الالف في قوله ولا وضعوا خلالكم فكتبوها كذلك وغير هذا واما
الشعر فموضع ضرورة بخلاف القرآن فانه افصح اللغات ولا ضرورة فيه قال ابن
الانباري ولم يخالف المصحف من قرأ الظنون والسبيل والرسول بغير الف في الحرف
الثلاثة وحطهن في المصحف بالف لان الالف التي الطمنا او الداخلة في اول الرسول هو
والظنون والسبيل كمن حذف الالف المنطرفة المتاخرة كما كفت الف ابي حاد من الف هوار
وفيه حجة اخرى اذا الالف اثبتت منزلة الفتحة وما بعدها منه للحركة التي تستحق هو
والتثبة فيه السقوط فلما عمل على هذا كانت الالف مع الفتحة كالشيء الواحد يوجب الوقف
سقوطهما ويدل على ان صورة الالف في الخط لا توجب موضعا في اللفظ وانها كالف
في ساحران وفي فاطر السموات وفي واعدنا موسى وما يشبههن مما يحذف في الخط
وهو موجود في اللفظ ويثبت في اللفظ وهو مسقط في الخط وفيه حجة ثالثة هي انه
كتب على لغة من يقول الرجلا وقرئ على لغة من يقول لغيت الرجل يعيرا لف اي احمد
ابن يحيى عن جماعة من اهل اللغة انهم رووا عن العرب قام الرجلو ابوا ومررت بالرجلي
بياء الوصل والوقف ولغيت الرجلا بالف في الحالين كلتيهما قال الشاعر

اسايلة عميرة عن ابيها خلال الجيش تعترف الركابا

فاثبت الالف في الركاب بناء على هذه اللغة وقال الاخر

اذا الجوزاء ارد فت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنونا

وعلى هذه اللغة بنى نافع وغيره وقرأ ابن كثير وابن محيصن والكسائي بإثباتها في الوقف
وحذفت في الوصل قال ابن الانباري ومن وصل بغير الف ووقف بالف فجائز ان يحتج بان
الالف اختاج اليها عند السكت حرصا على بقاء الفتحة واذا الالف قد عنها دتقوم مقام **قوله**
تعالى هنالك ابتلي المومنون هنا للقريب من المكان وهنالك للبعيد وهناك للوسط
ولشارته الى الوقت اي عند ذلك اختبر المومنون ليتبين المخلص من المنافق وكان هذا
الابتلاء بالخوف والقتال والجوع والحصر والزلزال وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا تحريكا
قال الزجاج كل مصدر من المضاعف على فعلال يجوز فيه الكسر والفتح نحو قلقلته قلقالا
وقلقالا وزلزلته زلزالا وزلزالا والكسر اجود لان غير المضاعف على الكسر نحو حركته
حراكا وقراءة العامة بكسر الزاي وقرئ عاصم والجحدري بفتح الزاي قال
ابن سلام اي حركوا بالخوف تحريكا شديدا وقال الضحاك لهوازاحتهم عن اماكنهم حتى
لم يكن لهم الا موضع الخندق وقيل انه اضطرب اليهم عما كانوا عليه منهم من اضطرب في نفسه
ومنهم من اضطرب في دينه وهنالك يجوز ان يكون العامل فيه ابتلي فلا يوقف عليها كما
ويجوز ان يكون وتظنون بالله الظنونا فيوقف عليها لذلك **قوله تعالى** واذ يقول المنا
فقون والذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا اي باطلا
من القول وذلك ان طعمة بن ابيرق ومعتب بن قشير وجماعة نحو من سبعين رجلا
قالوا يوم الخندق كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع احدنا ان يذهب ويجيء
فانزل الله هذه الاية **قوله تعالى** واذ قالت طائفة
منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الطائفة تقع على الواحد فما فوقه وعنى به هنا
اوس بن قيظي والد عرابة بن اوس الذي يقول فيه الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ويثرب هي المدينة وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وطابة وقال ابو عبيدة
يثرب اسم ارض والمدينة ناحية منها السميل وسميت يثرب لان الذي نزلها من
العمالقة اسمه يثرب بن عميل بن لاوذ بن عملاق بن لاود بن ارم وفي بعض
هذه الاسماء اختلاف وبنو عميل هم الذين سكنوا الجحفة فاجحفت بهم السيول فيها
وبها سميت الجحفة لانقام لكم بفتح الميم قراءة العامة وقرأ حفص والسلمي والجحدري
وابو حيوة بضم الميم يكون مصدرا من اقام يقيم اي اقامة وموضعا يقيمون فيه
ومن فتح فهو اسم مكان اي لا موضع لكم يقيمون فيه فارجعوا اي الى منازلكم امرهم
بالهرب من عسكر النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس قالت اليهود لعبد الله بن ابي
ابن سلول واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل انفسكم سد ابي سفيان واصحابه
فارجعوا الى المدينة فانا معكم فانتم امنون **قوله تعالى** ويستاذن فريق

منهم النبي في الرجوع الى حلفائهم بالمدينة وهو بنو حارثة بن الحرث فقولا بن عباس وقال ابن
يزيد بن رومان قال ذلك اوس بن قيظي عن ملا من قومه يقولون ان بيوتنا عورة اي
ضايعة لبيت بحصينة وهي ما يلي العدو وقيل ممكنة للسراق لخلوتها من الرجال يقال دار
معورة وذات عورة اذا كان ليسهل دخولها يقال عور المكان عورا فهو عوير وبيوت عورة
وكل مكان للسبع ممنوع ولا مستور فهو عورة قاله الهروي وقرا ابن عباس وعكرمة ومجاهد
وابو رجا العطاردي عورة بكسر الواو وبعني قصيرة الجدران فيها خلل تفقوا لقرب دار
فلان عورة اذا لم تكن حصينة وقد عورها الفارس اذا بدا فيه خلل للضرب والطعن قال الشاعر
متى تلقهم لا تلق في البيت معورا ولا الصيف مغبوعا ولا الجار من ملا
الجوهري والعورة كل خلل يتخوف منه ضرر وحرب النحاس يقال أعور المكان اذا انبثق
فيه عورة وأعور الفارس اذا تبين منه موضع الخلل للهدوي ومن كسر الواو في عورة فهو شاذ
ومثله قولهم رجل عور لورا اي لا شيء له وكان القياس ان يعل فيقال لغارة كبيرة راح ورجل مال
اصلها روح وهو لهم قال تعالى ومنا هي بعورة تكذيبا لهم ورد اعليهم فيما ذكروه اذ يريدون
بالفرار ما يريدون الا الهرب قليلا من القتل وقيل من الدين وعلى التقاس ان هذه الاية
نزلت في قبيلتين من الانصار بني حارثة وبني سلمة وهموا ان ينزكوا مراكزهم يوم الخندق
وفيهم انزل الله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا الاية فلما نزلت هذه الاية قالوا
والله ما سرنا ما كنا هممنا به اذ الله ولينا وقال السدي الذي استاذنه منهم رجلان من
الانصار من بني حارثة احدهما ابو عرابة بن اوس والحارث بن قيظي قال الضحاك ورجع
بما نوى رجلا بغير اذنه **قوله تعالى** ولو دخلت عليهم من اقطارها هي البيوت او المدينة
اي من نواحيها وجوانبها الواحد قطر وهو الجانب والناحية وكذلك القتر لغتان القطر
ثم سيلوا الفتنة لاتوها اي لجاؤها هذا على قراءة نافع وابن كثير بالقصر وهذا الباقون
بالمد اي لاعطوها من انفسهم وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وفرجا في الحديث ان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعدون في الله ويسلون الشرك فكلما عطي ما سالوه الا بلا لا
وغيره دليل على قراءة المد من الاعطاء وبه على قراءة القصر قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من
من قبل لا يولون الادبار وعهد الله على لاتوها معطوا وفي الفتنة هنا وجهان احدهما
سئلوا القتال في العصبية لاسرعوا اليه قاله الضحاك الثاني ثم سيلوا الشرك لاجابوا اليه
مسرعين قاله الحسن وما تلبثوا بها اي بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا
قاله السدي والنبي والحسن والفراء وقال اكثر المفسرين وما احتبسوا عن فتنة الشرك
الا قليلا ولاجابوا بالشرك مسرعين وذلك لضعف نياتهم ولغلط نفاقهم فلو اختلطت
بهم الاحزاب لاظهروا الكفر **قوله تعالى** ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل
غزوة الخندق وبعد بدر قال قتادة وذلك انهم غابوا عن بدر ولما اعطى الله اهل بدر
من الكرامة والنصر قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وقال يزيد بن رومان هم بنو
حارثة هموا يوما ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا
يعودوا لمثلها فذكرهم الله عهدهم الذي اعطوه من انفسهم وكان عهدا لله مسئولا اي مسئولا
عنه قال مقاتل والكلبي يسئلون رجلا رجلا بيعة العقبة ليلة العقبة
وقالوا اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به
شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما يمنعون منه نساءكم وابناءكم واولادكم قالوا فما لنا
اذا فعلنا ذلك يا نبي الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة فذلك قوله وكان عهد
الله مسئولا اي ان الله ليسئلكم عنه يوم القيامة **قوله تعالى** قل لن ينفعكم الفرار
ان فررتم من الموت او القتل اي ان حضر اجله مات او قتل فلا ينفع الفرار وان لا تمتعون
الا قليلا اي في الدنيا بعد الفرار الى ان تنقضي اجالكم وكل ما هو آت قريب وروى الساجي
عن يعقوب الحضرمي واذا لا يمتعون بياء في بعض الروايات واذا لا يمتعوا نصبا باذن
والرفع بمعنى ولا يمتعون واذن ملغاة وبعوضا عما لها فمن اعملها اذا كان قبلها الواو
والفاء فاذا كانت مبتداة نصبت بها قلت اذن اكرمك **قوله تعالى** قل من ذا الذي
يعصمكم من الله اي يمنعكم منه ان اراد بكم سوءا اي قتلا او اراد بكم رحمة اي خيرا ونصرا
وغنيمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اي لا قريبا ينفعهم ولا ناصرا ينصرهم
قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين منكم ان يقصدوا الناس
عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتق من عاقني عن كذا اي صرفني عنه وعوق على التكثير

اهل حج

والقائلين لاخوانهم هلم الينا بلغة اهل الحجاز وغيرهم هلموا للجماعة وهلمي للمرأة لان اصلها
التي للتنبيه ضمت اليها لم لتؤخذ قتلا لف استخفافا وبنيت على الفتح فلم يجز فيها الكسر
ولا الضم لانها لا تتصرف ومعنى هلم اقبل وهو لازم يقتضي اي منكم من ينشط ويسوق والعوق المنع
والصرف يقال عاقه يعوقه عوقا وعوقه واعتاقه بمعنى وامر قال لمقاتلهم عبد الله بن ابي
واصحابه المنافقون والقائلين لاخوانهم هلم فيهم ثلاثة اقاويل احدها ان المنافقون
قالوا للمسلمين يا محمد واصحابه لا اكله راس وهو قتالك ومن معه فهلم الينا الثاني انهم
اليهود من بني قريظة قالوا لاخوانهم من المنافقين هلم الينا اي تعالوا الينا وفارقوا محمدا
فانه هالك وان ابا سفيان ان ظفر لم يبق منكم احدا الثالث ما حكاه ابن زيد ان رجلا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف فمال اخوه وكان من امه وابيه هلم الي قد
بيع بك ولصاحبك اي قد احيط بك وبصاحبك فقال له كذبت والله لاخبرنه بامرك هو
وذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجده قد نزل عليه جبريل عليه السلام
بقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ذكره الماوردي والثعلبي
ايضا ولفظه قال ابن زيد هذا يوم الخندق انطلق رجل من عند النبي صلى الله عليه وسلم
فوجد اخاه بين يديه رغيف وشواء ونبيذ فقال اتنعم في هذا ومحمد بين الرماح والسيوف
فقال هلم الي هذا فقد تبع لك ولاصحابك والذي يحلف به لا يستمتع بها محمد ابدا فقال
كذبت فذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره فوجده قد نزل جبريل بهذه الآية
ولا يأتون البأس الا قليلا خوفا من الموت وقيل لا يحضرون القتال الا رياء وسمعة قوله
تعالى اشحة عليكم اي بخلا لكم اي بالحضر في الخندق والمنفعة في سبيل الله فاله
بي هذا قتادة وقيل بالقتال معكم وقيل بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم وقيل
اشحة بالغنائم اذا اصابوها قاله السدي وانتصب على الحال قال الزجاج ويضبه
عند النحويين من اربع جهات احدها ان يكون على الذم ويجوز عنده نصبا على يقولون
اشحة ويجوز ان يكون التقدير والقائلين اشحة ويجوز عنده ولا يأتون البأس
الا قليلا يأتونه اشحة او اسحة على الغنائم حسنا الخاسر ولا يجوز ان
يكون العامل فيه المعوقين ولا القائلين ليلا يتفرق من الصلة والموصول ابن
الماوردي الا قليلا غير تام لان اشحة متعلق بالاول فهو بمنتصب مرارا بغير وجه
احدها ان ينصبه على القطع من المعوقين كانه قال قد يعلم الله الذين يعوقون عن
القتال ويشحون عن الانفاق على فقراء المسلمين ويجوز ان يكون منصوبا على القطع متا
في يأتون كانه قال ولا يأتون البأس الا جبناء بخلاء ويجوز ان تنصب اشحة على
الذم فهذا الوجه الرابع يحسن ان تقف على قوله الا قليلا اشحة عليكم وقبيح
وصله اشحة على الخبر حال من المضمر في سلقوكم وهو العامل فيه فاذا جاء الخوف رأيتهم
ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت وصفهم بالجبن
وكذا سبيل الجبان ينظر بميناً وشمالاً لا يحدد النظر ودهاش عليه وفي الخوف وجهان
احدهما من القتال فقد واذا ذهب قال السدي الثاني الخوف من النبي صلى الله عليه وسلم
اذا غلب قاله ابن عيسى رأيتهم ينظرون اليك خوفا من القتال على القول الاول ومن النبي
صلى الله عليه وسلم الثاني تدور اعينهم لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم النظر الى جهة
واحدة لشدة خوفهم حذرا ان يأتيهم القتل من كل جهة فاذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة
حداد وحكى ابن عيسى صلقوكم بالصاد وخطب صلاق وصلاف اذا كان بليغا واصل الصلق
الصوت ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله الصالقة والحالقة والسالقة قال
الاعشى فيهم المجد والسماحة والنجدة فيهم والحياطة والسلاق قال قتادة معنى
بسطوا السنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطينا فانا احق بها منكم
فمكم فعند الغنيمة شح قوم والسنتهم لسانا وقت البأس اجبن قوم واخوفهم قال
النحاس هذا قول حسن لان بعده اشحة عليكم وقيل المعنى بالعداء في مخاصمتكم والاحتجاج
عليكم وقال الغنوي المعنى اذكركم بالكلام الشديد والسلق الاذى ومنه قول الشاعر

ولقد سلقتن هوازنا بعواهل حتى انحنينا

اشحة على الخير اي على الغنيمة قاله يحيى بن سلام وقيل على المال ان ينفقوه في سبيل الله
قاله السدي اولئك لم يؤمنوا يعني بقلوبهم وان كان ظاهرهم الايمان والمنافق كافر على
الحقيقة لوصفهم الله جل وعز بالكفر فاحبط اعمالهم اي لم يثبهم عليها اذ لم يقصدوا

وجبر

وجه الله تعالى بها وكان ذلك على الله يسيرا يحتمل وجهين احدهما وكان ذلك الخذلان على الله هينا لا
وكان احباطهم على الله هينا قوله تعالى يحسبون الاحزاب لم ينصرفوا وان يات الاحزاب
ولكنهم لو بتباعدوا في البشر وان يات الاحزاب اي وان لم يرجع الاحزاب اليهم للقتال يودوا
لو انهم بادون في الاعراب يمكن ان يكونوا مع الاعراب حذرا من القتال ويحتمل للدافع
وقد اطلعته بمصرف لو انهم بادون في الاعراب يتبالون بادون بدا مثل غاد وغدي ولمه مثل
صيام وصوام بدا فلان يبدو اي خرج الى البلادية وهي البداوة والبداوة بالكسر والفتح
واصل الكلمة من البدو وهو الظهور ليسئلون وقرا يعقوب في رواية رويس يتالون
عن انبايكم اي عن اخباركم النبي صلى الله عليه وسلم يتحدثون انما هلك من تحدوا ضحى به اما غلب
ابو سفيان والاحزاب اي يودوا لو انهم بادون سايلون عن انبايكم من غير مشاهدة القتال
لفرط جبنهم وقيل اي هم ابدا يجيئهم ليسالون عن اخبار المومنين وهل اصيبوا وقيل كان
منهم في اطراف المدينة من لم يحضر الخندق وجعلوا يسالون عن اخباركم ويتمنوا هزيمة المسلمين
ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا اي رميا بالنبل والحجارة على طريق الرياء والسمعة ولو كان ذلك
لله لكان قليلا كثيرا قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة في حسنا الاولى قوله
تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة هذا عتاب للمختلفين عن القتال اي كان لكم في النبي
صلى الله عليه وسلم حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في حفر وجه الخندق والاسوة القدوة
وقرا عاصم اسوة بضم الهمزة الباقون بالكسر وهما لغتان والجمع فيهما واحد عند العراقيين
والعلة عنده في الضم على لغة من كسر في الواحدة الفرق بين ذوات الواو وذوات الياء
فيقولون كسوة وكساء ولحية ولحى الجوهري والاسوة والاسوة بالضم والكسر لغتان والجمع
اسى واسى وروى عفنة بن حسان البجرمي عن مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر لقد كان
لكم في رسول الله اسوة حسنة قال في حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الخطيب ابو بكر
احمد وقد تفرد به عفنة بن حسان عن مالك ولم اكتبه الا بهذا الاسناد الثاني قوله
تعالى الاسوة القدوة والاسوة ما يتاسى به اي يقتدى به فيفتدي به في جميع افعاله
ويقتدي به في جميع احواله فلقد شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة وهاشم مطبة
ولم يلف الا صابرا محتسبا وشاكرا راضيا وعن انس بن مالك عن ابي طلحة قال شكونا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجر بن
خرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم لما نجا اللهم
اغفر لقوم فانهم لا يعلمون وقد تقدم لمن كان يرجو الله قال سعيد بن جبير المعنى لمن كان يرجو
لقا الله بايمانه ويصدق بالبعث الذي فيه جزاء الاعمال وقيل اي لمن كان يرجو ثواب
الله في اليوم الاخر ولا يجوز عند الحذاق من النحويين ان يكتب يرجو الا بغير الف اذا كان لواحد
لان الهاء التي في الجمع ليست في الواحد وذكر الله كثيرا خوفا من عقابه ورجا لثوابه وقيل
ان المراد لمن قوله لكم ولا يجوز البصريون لان الغائب لا بد له من المخاطب وانما اللام من
لمن متعلقة بحسنة واسوة اسم كان ولكم الخبر واختلف فيمن اريد بهذا الخطاب على قولين
احدهما المنافقون عطفا على ما تقدم من خطابهم الثاني المومنون لقوله لمن كان يرجو
واليوم الاخر واختلف في هذه الاسوة بالرسول عليه السلام هل هي على الايجاب او على الا
ستحباب الثاني على الاستحباب حتى يقوم دليل على الايجاب ويحتمل ان تكون محمولة على الايجاب
من امور الدين وعلى الاستحباب من امور الدنيا قوله تعالى ولما راى المومنون الاحزاب
وهذا العرب من لفظ رايي على القلب قالوا هذا ما وعدنا الله يريد قوله تعالى في سورة البقرة
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الاية فلما راوا الاحزاب يوم الخندق
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله قاله قتادة وقوله ما زادهم الا ايمانا وتسليما
ابيه من حديثه قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الاحزاب خطا فجاء جبريل
عليه السلام اذا مشى ظاهرة عليها يعني على قصور الحيرة ومدائن كسرى فابشروا بالنصر
فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صادق اذ وعدنا بالنصر بعد الحصر وطلعت
الاحزاب فقال المومنون هذا ما وعدنا الله ورسوله وذكروا ما اوردي وما وعدنا ان جعلت ما
بمعنى الذي فلها محذوفة واذ جعلها مصدرا لم تحتج الى عايد وما زادهم الا ايمانا وتسليما
راجع على الرهبة وتثبيت الروية غير حقيقي والمعنى ما زادهم الروية الا ايمانا بالرب
وتسليما للقضا قاله الحسن ولو قال ما زادهم لجاز ولما اشتد الامر على المسلمين وطال
المقام في الخندق قام عليه السلام على التل الذي عليه مسجد الفتح في بعض الليالي ويوقع

ما وعده اللعين النضر من قال يذهب لبانتيا يخبرهم وقوله المجنة فلم يجبه احد فقال ثانيا ه
وثالثا فلم يجبه احد فنظر الى جانبه وقال من هذا فقال حذيفة قال لم تسمع كلامي منذ
الليلة قال هرمضت فقلت يا رسول الله منعني ان اجيبك الفزع قال انطلق حتى
تدخل في القوم فتسمع كلامهم وتاتيني بخبرهم اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن
يمينه وعن شماله حتى نرده الي انطلق ولا تحدث شيا حتى تاتيني فانطلق حذيفة
بسلاحه ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده يقول يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين
اكشف همي وغمي وكربي فقد تراها لي وحالا فمحابي فنزل جبريل وقال ان الله قد سمع دعوتك
وكفاك هول عدوك فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وبسط يديه وارخا عليهم
وهو يقول شكرا شكرا كما رحمتني ورحمت اصحابي واخبره جبريل ان الله مرسل عليهم ريحا
فبشر اصحابه بذلك قال حذيفة فانتميت اليهم وانا ابصرانهم تنتقد فما قبلت ريح شديدة
فيها حصبا فما تركت لهم نارا الا اطفاتها ولا بناء الا طرحته وجعلوا من الحصبا وقام ابو سفيان الى هو
راحلته وصاح في قريش النجا النجا وفعل كذلك عيينة بن حصين والحرث ابن عوف والا
قرع بن حابس وتفرقت الاحزاب وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد الى المدينة وهو من
اشعث ما جا الله فجاءته فاطمة تغسل رأسه فاتاه جبريل فقال وضعت
السلاح ولم يضعه اهل السما زلت اتبعهم حتى جاوزت بهم الرحائم قال افنهض الى بني
قريظة وقال ابو سفيان ما دامت اسمع قعقعة السلام حتى جاوزت الرحا فلم نبال
من المؤمنين رجال رفع بالابتدا وصلح الابتدا بالنكرة لان صدقوا في موضع الصفة فمنهم
من قضى نحبه موضع رفع بالابتدا وكذا ومنهم من ينتظر الخبر في المجرور والنحب النذر
والعهد يقول منه نحبت انحب بالضم قال الشاعر واذا نحبت كلب على الناس انهم اخف ساح الماجد
المتكرم وقال اخر قد نحبت المجد عليا نحبا وقال اخر

انحب فيقضي ام ضلال وباطل ٭ وروى البخاري ومسلم والترمذي عن انس
قال قال عمي انس بن النضر سميت به ولم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اول
مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر عليه عنت عنه اما والله لئن ارانى الله مشهدا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما اصنع قال فهاب ان يقول غيرها فشهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال
يا ابا عمرو اين قال واها لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع
وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورميه فقالت عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت اخي
الا ببنانه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر وما بدلوا تبديلا لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وقالت عائشة
رضي الله عنها في قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية نزلت فيه وفي اصحابه طلحة
ابن عبيد الله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اصيبت يده فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اوجب طلحة الجنة رواه الترمذي عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الا نرا ابي
جاهلا سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترؤن على مسئلته لوقاره وهيبته فسأله
الاعرابي فاعرض عنه ثم سأله فاعرض عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر
فلما رآني النبي صلى الله عليه وسلم قال اين السائل عن قضى نحبه قال الاعرابي انا يا رسول
الله قال هذا ممن قضى نحبه قال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يونس
ابن بكير وروى البيهقي عن ابي هريرة اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد مر
على مصعب ابن عمير وهو متنكل على طريقه فوقف عليه ودعا له ثم قرأ هذه الاية من
المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه الاية ثم قال لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهد وا ان هؤلا شهدا عند الله يوم القيامة فاتوهم وزوروهم
والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقيل النحب الموت اي
مات على ما عاهد عليه عن ابن عباس والنحب ايضا الوقت والمرة يقال قضى فلان نحبه اذا
مات وقال ذو الرمة عشية فر الحارثيون بعد ما قضى نحبه في ملتقى الخيل
هوبر وا النحب ايضا والنهمة يقول قاتلهم ما لي عندهم نحب وليس المراد بالاية والمعنى
في هذا الموضع بالنحب النذر كما قدمنا ولا اي منهم من بذل جهده على الوفا بعهده حتى قتل
مثل حمزة وسعد بن معاذ وانس بن النضير وغيرهم ومنهم من ينتظر الشهادة وما
بدلوا عهدهم ونذرهم وقد روي عن ابن عباس انه قرأ فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر

ومنهم

بنت رسول ص

ومنهم من ينتظر ومنهم من بدل تبديلا قال ابو بكر الانباري وهذا الحديث منذ اهل العلم مردود
لخلافه الاجماع ولان فيه طعنا على المؤمنين والرجال الذين مدحهم الله وشرفهم بالصدق والوفا
فما يعرف لهم مغيرونا واحد من جماعتهم بعد رضي الله عنهم ليجزي الله الصادقين بصدقهم
اي امر الله بالجهاد ليجزي الله الصادقين في الاخرة بصدقهم ويعذب المنافقين في الاخرة ان شاء ان
شاء ان يعذبهم لم يوفقهم للتوبة واذا لم يشا ان يعذبهم تاب عليهم قبل الموت ان الله كان غفورا
رحيما قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا قال محمد بن عمر وبرفعه الى
عائشة قالت الذين كفروا ها هنا ابو سفيان وعيينة بن بدر رجع ابو سفيان الى تهامة
ورجع عيينة الى نجد وكفى الله المؤمنين القتال بالريح التي ارسل عليهم ريحا وجنودا حتى رجعوا ورجعت
بنو قريظة الى صياصيهم فكفى امر قريظة بالرعب وكان الله قويا عزيزا امره عزيز لا يغلب ٥
قوله تعالى وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب يعني الذين عاونوا الاحزاب قريشا وغطفان
وهم بنو قريظة وقد مضى خبرهم من حيا صيهم اي حصونهم واحدها صيصية قال الشاعر ٥
كما صيصن السران صرعى واصبحن نساءهم يبددن الصيا صيا ٥ ومنه قيل للشوكة التي
التي بها للسيوف السواء والمحمة صيصية قال دريد بن الصمه
قين اليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدد ٥
ومنه صيصية الديك التي في رجله وصياصي البقر قرونها لانها تمنع بها وربما كانت تركب في الرما
مكان الاسنة ويقال جد الله صيصيته اي امثله وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وهم
الرجال وتاسرون فريقا وهم النساء والذرية على ما تقدم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم
وارضا لم تطوها بعد قال يزيد بن رومان وابن زيد وقتادة يعني حنينا ولم يكونوا قاتلوها فوعدهم
الله اياها وقال قتادة كنا نتحدث انها مكة وقال الحسن هي فارس والروم وقال عكرمة كل ارض
تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شيء قديرا قيم وجهان احدهما على ما اراد بعباده من نعمة او نقمة
قدير قاله محمد بن اسحق الثاني على ما اراد ان يفتحه من الحصون والغنائم قدير قال القتاس
وقيل وكان الله على كل شيء مما وعدكموه قديرا لا يرد قدرته ولا يجوز عليه العجز تعالى ويتعالى
تاسرون وتاسرون بكسر السين وضمها حكاه الفراء تعالى يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الى قوله عظيما قد مضى ان هذا بدا الله تعالى
يا ايها النبي قل لازواجك قال العلماء وانما هذه الاية متصلة بمعنى ما تقدم من المنع من ابتداء النبي
صلى الله عليه وسلم وكان قد نادى بعض الزوجات قبل سائله شيا من عرض الدنيا وفضلها
زينة الثغنة وسبب اذيته بغيرة بعضهن على بعض وقيل امر صلى الله عليه وسلم بثلاثة
هذه الاية عليهن وتخييرهن بين الدنيا والاخرة وقال الشافعي رحمه الله ان من طلق زوجته
فليس عليه تخييرها وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخير نساءه فاختارته وعلمنا ان الله سبحانه
خير النبي صلى الله عليه وسلم بين ان يكون نبيا ملكا وعرض عليه مفاتيح خزائن الدنيا وبين
نبيا مسكينا فشاور جبريل فاشار عليه بالمسكنة فاختارها فلما اختارها وهي على المرتبة
امره الله جل وعز ان يخير وجاز فربما كان فيهن من يكره المقام معه على الشدة فتزيلها
له وقيل ان السبب الذي اوجب التخيير لاجله ان امرأة من ازواجه سألته ان يصوغ لها
لها حلقة من ذهب فصاغ لها حلقة من قفتر وطلاها بالذهب وقيل بالزعفران فابين
الا ان يكون من ذهب فنزلت اية التخيير ٥ فقيل اختارك الله ورسوله وقيل اذ واجه
منهن اختارت العذاب فالله اعلم روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله
قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم موجدا الناس جلوسا ببابه لم يوذن
لاحد منهم قال فاذن لابي بكر فدخل ثم جاء عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه
وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال والله لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لو رايتك بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى سالتني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة
يجا عنقها وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده
ثم اعتزلهن شهرا او تسعة وعشرين ثم نزلت عليه هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك
ان كنتن تردن الحياة الدنيا الى تمام الاية وكان تحته عظيما فبدا بعائشة فقال يا عائشة اني اريد ان اعرض عليك
امرا احب ان لا تعجلي فيه حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية
قالت افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر

امراة من نسائك بالذي قلت قال لا تسألني امراة منهن الا اخبرتنا ان الله لم يبعثني معنتا ولا
متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا وروى الترمذي عن عائشة قالت لما امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتخييرازواجه بدا بي فقال يا عائشة اني اذكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي حتى تستامري
ابويك قالت وقد علم ان ابوي لم يكونا ليامراني بفراقه قالت ثم قال ان الله تعالى قال يا ايها النبي قل
لازواجك الآية فقلت افيك استامر ابويّ فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وفعل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت قال هذا حديث حسن صحيح قال العلماء وانما امر
النبي صلى الله عليه وسلم عائشة ان تستأمر ابويها لانه كان يعلم انهما كانا يختاران يمكثها فرط الشباب
على ان تختار فراقه ويعلم من ابويها انهما لا يشيران عليها بفراقه الثانية قوله تعالى قل لازواجك
كان للنبي صلى الله عليه وسلم ازواج منهن من دخل بها ومنهن من عقد عليها ولم يدخل بها ومنهم من خطبها فلم
يتم نكاحه معها فاول من خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وكانت
قبله عند ابي هالة واسمه زرارة بن النباش الاسدي وكانت قبله عند عتيق بن عابد ولدت
منه غلاما اسمه عبد مناف وولدت من بني هالة هند بن ابي هالة وعاش الى زمان الطاعون هند
ابن هند وسمعت تادبه بقوله رحمني ثابت واهند بن هند اه واربع رسول الله صلى الله عليه
وسلم على خديجة غيرها حتى ماتت وكانت يوم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت اربعين
سنة وتوفيت بعد ان مضى من النبوة سبع سنين وقيل بعشر وكان لها حين توفيت خمس وستون
سنة وهي اول امراة امنت به وجميع اولاده منه غير ابراهيم فالحكم بن حزام توفيت خديجة فحزن
بها سودة فتزوجها بعد ان دفنها بالحجون ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرتها ولم يكن يومئذ
سنة الجنازة عليها ومنهن سودة بنت زمعة بن قيس العامرية اسلمت قديما وبايعت وكان
ابن عم لها يقال له السكران ابن عمرو اسلم ايضا وهاجر جميعا الى ارض الحبشة في الهجرة الثانية
فلما قدما مكة مات زوجها وقيل مات بالحبشة فلما حلت خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتزوجها ودخل بها بمكة وهاجرت بها الى المدينة فلما كبرت اراد طلاقها فسالته ان لا يفعل وان
يدعها من نسائه وجعلت ليلتها لعائشة حسب ما هو مذكور في الصحيح فامسكها وتوفيت
بالمدينة في شوال سنة اربع وخمسين ومنهن عائشة بنت ابي بكر الصديق وكانت سماها
لجبير بن مطعم فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر لرسول الله وعني اسلها
من جبير سلا رقيقا فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة لبنتين وقيل
بثلاث سنين وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع وتوفيت عنده تسع سنين ومات صلى
الله عليه وسلم وهي بنت ثمان عشرة ولم يتزوج بكرا غيرها ومات سنة تسع وخمسين
وقيل ثمان وخمسين ومنهم حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية تزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طلقها فاتاه جبريل فقال ان الله يامرك ان تراجع حفصة
فانها صوامة قوامة فراجعها قال الواقدي وتوفيت في شعبان سنة خمس واربعين
في خلافة معاوية وهي ابنة ستين سنة وقيل ماتت في خلافة عثمان بالمدينة ومنهن
ام سلمة واسمها هند بنت ابي امية المخزومية واسم ابي امية سهيل تزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ليال بقين من شوال سنة اربع وجمعها منه انها سلمة على الصحيح
وكان عمر ابنها طفيرا وتوفيت في سنة تسع وخمسين وقيل سنة ثنتين وستين والاول
اصح وصلى عليها سعيد بن زيد وقيل ابو هريرة ودفنت بالبقيع وهي ابنة اربع وثمانين سنة
ومنهن ام حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان بن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو
ابن امية الضمري الى النجاشي ليخطب عليه ام حبيبة فزوجها اياها وذلك سنة سبع من الهجرة
واصدق النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع مائة دينار وبعث بها مع شرحبيل بن
حسنة وتوفيت سنة اربع واربعين وقال الدارقطني كانت ام حبيبة تحت عبيد الله بن
جحش فمات بارض الحبشة فتنصر هناك فزوجها النجاشي للنبي صلى الله عليه وسلم وامهرها
عنه اربعة آلاف وبعث بها اليه مع شرحبيل بن حسنة ومنهن زينب بنت جحش بن رياب
الاسدية وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب وكان اسم ابنها
برة فقالت يا رسول الله بدل اسم ابي فان البرة حقيرة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
لو كان ابوك مومنا سميناه باسم رجل منا اهل البيت ولكني قد سميته مجتبا والجحش الكبير
من البرة ذكر هذا الحديث الدارقطني تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في سنة خمس
من الهجرة وتوفيت سنة عشرين وهي بنت ثلاث وخمسين ومنهن زينب خزيمة بن

الحرث

الحرث بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية كانت تسمى في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان على راس احدى وثلاثين شهرا من الهجرة فملكت عنده ثمانية اشهر وتوفيت في حياته في اخر ربيع الاول على راس تسعة وثلاثين شهرا ودفنت بالبقيع ومنهن جويرية بنت الحرث بن ابي ضرار الخزاعية المصطلقية اصابها في غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابها وتزوجها وذلك في شعبان سنة ست وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية وتوفيت في ربيع الاول سنة ست وخمسين وقيل سنة خمس وهي ابنة خمس وستين ومنهن صفية بنت حيي بن اخطب النضرية سباها النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر واصطفاها لنفسه واسلمت واعتقها وجعل عتقها صداقها وبنى بها في الصحيح انها وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة ارؤس ومائتي سنة خمسين وقيل سنة اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع ومنهن ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناقة من بني النضير سباها رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقها وتزوجها في سنة ست ومائتي مرجعه من حجة الوداع فدفنها بالبقيع وقال الواقدي هي مائتي سنة ست عشرة وصلى عليها عمر قال ابو الفرج الجوزي وقد سمعت من يقول انه كان وطيها بملك اليمين ولم يعتقها قلت وبهذا والله اعلم لم يذكرها ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي في عداد ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهن ميمونة بنت الحرث الهلالية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف على عشرة اميال من مكة وذلك في سنة سبع من الهجرة في عمرة القضية وهي اخر امراة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ر الله تعالى انها ماتت في المكان الذي بنا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ودفنت هناك وذلك في سنة احدى وستين وقيل ثلاث وستين وقيل ثمان وثلاثين وهؤلاء المشهورات من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وهن اللاتي دخل بهن رضي الله عنهن فاما من تزوجها ولم يدخل بها من منهن الكلابية واختلفوا في اسمها فقيل فاطمة وقيل عمرة وقيل لقبها قال الزهري تزوج فاطمة بنت الضحاك الكلابية واستعاذت منه فطلقها وماتت تقول انا الشقية تزوجها في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين ومنهن اسماء بنت النعمان ابن ابي الجون ابن الحرث الكندية وهي الجونية قال قتادة لما دخل عليها دعاها فقالت لقد عذت منك بمعاذ قال انت طلقتها وقال غيره هي التي استعاذت منه وفي البخاري قالت تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امية بنت شراحيل فلما دخلت عليه بسط يده اليها فكانها كرهت ذلك فامر ابا اسيد ان يجهزها ويكسوها ثوبين وفي لفظ اخر قال ابو اسيد اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجونية فلما دخل عليها قال لها هبي لي نفسك فقالت وهل تهب الملكة نفسها لسوقة فاهوى بيده ليضعها عليه لتسكن فقالت اعوذ بالله منك قال قد عذت بمعاذ ثم خرج علينا فقال يا ابا اسيد اكسها رازقين والحقها باهلها ومنهن قتيلة بنت قيس اخت الاشعث بن قيس تزوجها اياه الاشعث ثم انصرف الى حضرموت فحملها اليه فبلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فردها الى بلاده فارتدت وارتدت معه ثم تزوجها عكرمة بن ابي جهل فوجد من ذلك ابو بكر وجدا شديدا فقال له عمر انها والله ما هي من ازواجه فاحبها وتخيرها ولقد براها الله منه بالارتداد وكان عروة ينكر ان يكون تزوجها ومنهن ام شريك الازدية واسمها غزية بنت جابر بن حكيم وكانت قبله عند ابي بكر بن ابي سلمي فطلقها النبي صلى الله عليه وسلم ولم يدخل بها وهي التي وهبت نفسها وقيل انها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم خولة بنت حكيم ومنهن خولة بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلكت قبل ان يدخل بها ومنهن شراف بنت خليفة اخت دحية تزوجها ولم يدخل بها ومنهن ليلى بنت الخطيم اخت قيس تزوجها وكانت عوراء فاستقالته فاقالها ومنهن عمرة بنت معاوية الكندية تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم قال الشعبي تزوج امراة من كندة يقال لها بعد ما ماتت ومنهن ابنة جندب بن ضمرة الجندعية قال بعضهم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكر بعضهم وجود ذلك ومنهن العفارية قال بعضهم تزوج امرة من غفار فلما رآها قام عنها فنزعت ثيابها فراى بياضا فقال الحقي باهلك وقال انما راى البياض بالكلابية فهؤلاء اللاتي عقد عليهن ولم يدخل بهن صلى الله عليه وسلم فاما من خطبهن فلم يتم نكاحه منهن ومن وهبت له نفسها منهن ام هانى بنت ابي طالب واسمها فاخته خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة مصبية واعتذرت اليه فعذرها

كبير

ومنهن ضباعة بنت عامر ومنهن صفية بنت بيان منه بن نضلة خطبها النبي صلى الله عليه وسلم
وكان اصابها سبا فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان شئت اقدان شئت رد حلن قالت
ردي فارسلها فلحقتها بنو تميم فقالوا ابن عباس ومنهن ام شريك وقد تقدم ذكرها هو
ومنهن ليلى بنت الخطيم وقد تقدم ذكرها ومنهن خولة بنت حكيم ابن امية وهبت نفسها
للنبي صلى الله عليه وسلم فارجاها فتزوجها عثمان بن مظعون ومنهن جمرة بنت الحرث بن
عوف المري خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابوها انها سوداء ولم يكن بها فذهب اليها
ابوها وقد برصت وهي ام سبيع ابن الابرص الشاعر ومنهن سودة العنزية خطبها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وماتت بمصيبد وقالت اخاف ان تضغوا ضغنا عند راسك
فحدثها وتمالها ومنهن امرأة لم يذكر اسمها قال مجاهد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرأة فقالت استامر ابي فلقيت ابا ها فاذن لها فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت قد التحفنا لحافا غيرك فتولاهن جميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان له من السراري
سريتان مارية القبطية وريحانة على قول قتادة وقال غيره كان له اربع مارية القبطية
وريحانة على قول قتادة واخرى جملة اصابها في السبي وجارية وهبتها له زينب بنت جحش هو
الثالثة قوله ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ان شرط وجوابه فتعالين فعلق التخيير
على شرط وهذا يدل على ان التخيير والطلاق المعلقين على شرط صحيحان فينفذان ويمضيان
خلافا للجهال المبتدعة الذين يزعمون ان الرجل اذا قال لزوجته انت طالق اذا دخلت الدار
انه لا يقع الطلاق اذا دخلت الدار لان الطلاق الشرعي هو المنجز في الحال لا غير الرابعة هو
قوله تعالى فتعالين هو جواب الشرط وهو فعل جاءت النساء فقلن تعال وهو دعاء
الى الاقبال اليه فقال بعضهم اقبل وضع لمن له جلالة ثم رفعة ثم صاروا يستعملونه لكل داع
الى اقبال وناء في هذا الموضع بنوعلى اصله فان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استغنى
عن تقدم الكلام في المتعة في البقرة وقرئ بإسكان نضم العين وكذا واسرحكن بضم الحاء على لا
ستيناف والسراح الجميل هو ان يكون طلاقا للسنة من غير ضرار ولا منع واجب لها الخامسة
اختلف العلماء في كيفية تخيير النبي صلى الله عليه وسلم ازواجه على قولين الاول انه خيرهن باذنه
الله في البقاء على الزوجية او الطلاق فاخترن البقاء قالته عائشة ومجاهد وعكرمة والشعبي
وابن شهاب وربيعة ومنهم من قال انما خيرهن بين الدنيا فيفارقهن او بين الاخرة فيمسكهن
لتكون لهن المنزلة العليا كما كانت لزوجهن ولم يخيرهن في الطلاق ذكره الحسن وقتادة ومن
الصحابة على فيما رواه عنه احمد بن حنبل انه قال لم يخير رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه
الا بين الدنيا والاخرة قلت القول الاول اصح لقول عائشة رضي الله عنها لما سالت عن الرجل
يخير امرأته فقالت قد خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان طلاقا في رواية فاخترناه
فلم يعده طلاقا ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان التخيير المامور بين البقاء و
الطلاق ولقائل ان يقول انما ذكرت امرا قد علمت انه تجلى منه حتى تشاوره
البوك الحديث ومعلوم انه لم يرد الا ستمار في اختيارا لدنيا وزينتها على الاخرة فثبت ان
الاستمار انما وقع في الفرقة والنكاح والله اعلم السادسة اختلف العلماء في المخيرة اذا اختا
رت زوجها فقال جمهور العلماء من السلف وغيرهم وائمة الفتوى انها لا يلزمه طلاق لا واحدة ولا
اكثر هذا قول عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وعائشة ومن
التابعين عطاء وشريح وسليمان بن يسار وربيعة وابن شهاب وروي عن علي وزيد
ايضا انها اختارت زوجها فواحدة بائنة وهو قول الحسن البصري والليث وحكاه الخطا
والتناشر عن مالك ويعلقوا بان قوله اختاري كناية في اتيا في الطلاق فاذا اضافها اليها
وقعت طلقة كقوله انت بائن والصحيح الاول لقول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخترنا فلم يعده علينا طلاقا اخرجه الصحيحان قال ابن المنذر وحديث عائشة يدل
على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم يكن ذلك طلاقا ويدل على ان اختيارها نفسها توجب
الطلاق ويدل على معنى ثالث وهو ان المخيرة اذا اختارت نفسها انها تطليقة تملك
زوجها رجعتها اذ غير جائز ان يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما امره الله
وروي هذا عن عمر وبن مسعود وابن عباس وبه قال ابن ابي ليلى والثوري والشافعي
وروي عن علي اذا اختارت نفسها انها واحدة بائنة وهو قول الليث واصحابه وروياه بن
خوازمنداد عن مالك وروي عن زيد بن ثابت انها اذا اختارت نفسها انها ثلاث
وهو قول الحسن البصري وبه قال مالك والليث لان الملك انما يكون بذلك وروي

ب

عن

عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت نفسها فثلثين بنى وروي عنه انها اذا اختارت زوجها فواحدة
رجعية السابعة ذهب جماعة من المدنيين وغيرهم الى ان التمليك والتخيير سواء والقضاء
تضت بهما جميعا وهو قول عبد العزيز بن ابي سلمة قال ابن شعبان وقد اختاره كثير من اصحا
وهو قول جماعة من اهل المدينة قال ابو عمر وعلى هذا القول اكثر الفقهاء والمشهور من مذهب
مالك الفرق بينهما وذلك ان التمليك عند مالك وهو قول الرجل لامرأته قد ملكتك
اي قد ملكتك ما جعل الله لي من الطلاق واحدة او اثنين او ثلاثا فلها ان تملكها بعض
ذلك دون بعض وان ما ذلك كان القول قوله مع يمينه اذا تاكدها وقالت طائفة من اهل
المدينة له المتاركة في التمليك وفي التخيير سواء المدخول بها وغير المدخول بها وهو قول مالك المشهور ه
وروي عن عثمان رضي الله عنه ان مالكا ادعى على مالك ان للزوج ان يتاركها المخيرة في الثلاث وتكون طلقة بائنة
كما قال ابو حنيفة وبه قال الجهم قال سحنون وعليه اكثر اصحابنا وتحصيل مذهب مالك ان المخير
اذا اختارت نفسها وهي مدخول بها فهو الطلاق كله وان انكر زوجها فلا نكرة له وان اختارت
واحدة فليس بشيء واما اختيار البتات اما اخذته واما تركته لان معنى التخيير التسريح قال الله تعالى
في اية التخيير فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا معنى التسريح البتات قال الله تعالى هو
الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان والتسريح باحسان هي الطلقة الثالثة
وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو عمر ومن حجة هذا المعنى قوله اختاري نفسك
تقتضي ان لا يكون له عليها سبيل اذا اختارت نفسها ولا تملك منها شيئا اذ قد جعل اليها ان تخرج
شاملكه منها او تقيم معه اذا اختارته فاذا اختارت البعض من الطلاق لم يعمل بمقتضى اللفظ
وكانت مخيرة من خيرين شيئين فاختارت غيرها واما التي لم يدخل بها فله مناكدتها في التخيير
والتمليك اذا اتت على واحدة لانها بائنين في الحال الثامنة اختلفت الرواية عن مالك متى يكون
لها الخيار فقال لها الخيار ما اقامت في المجلس قبل القيام او اشتغال يابد لعلى انها
عراض فان لم تختر ولم تقض شيئا حتى افترقا من مجلسهما بطل ما كان من ذلك اليها وعلى هذا
اكثر الفقهاء وقال مرة لها الخيار ابدا ما لم يعلم انها تركت وذلك يعلم بان تمكنه من نفسها بوط
او مباشرة فعل هذا ان صنعت نفسها ولم تختر شيئا كان له رفعها الى الحاكم ليوقع او تسقط
فان انت اسقط الحاكم تمليكها وهي على القول الاول اذا اخذت في غير ذلك من حديث او عمل
او شغل ومما ليس من التخيير بشيء كما ذكرنا سقط تخييرها واضجع بعض اصحابنا بهذا القول
بقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وايضا فان الزوج اطلق لها القول
ليعرف الخيار منها فضارا كالعقد بينهما فان قلته ولم يسقط كالذي يقول قد وهبت لك او بعتك
فان قبل ولم يكن الملك باقيا كما له هذا قول الثوري والكوفيين والاوزاعي والليث والشافعي
وابي ثور وهو اختيار ابن القاسم ووجه الرواية الثانية اذ قد تصارفا على ان ملكته على
زوجها بتملكه اياها فلما ملكت ذلك وجب ان يبقى في يدها كما يبقى بيد زوجها قلت وهذا
هو الصحيح لقوله عليه السلام لعائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي حتى تستامري
ابويك رواه الصحيح وخرجه البخاري وصححه الترمذي وقد تقدم ذا وذا الباب وهو
حجة لمن قال اذا اختار الرجل امرأته او ملكها انه لها ان يقضي في ذلك واذا افترقا من مجلسهما
روي هذا عن الحسن والزهري وقال مالك في احدى روايتيه قال ابو عبيد والذي عندنا
في هذا الباب اتباع السنة في عائشة في هذا الحديث حين جعل لها النبي صلى الله عليه وسلم
ابويها ولم يجعل قيامها من مجلسهما خروجا من الامر قال المروزي هذا اصح الاقاويل
عندي وقال ابن المنذر والطحاوي قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة
مبينة فله ثلاث مسائل الاولى قالوا لما اختار نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم شكر الله على ذلك فقال تكرمة لهن لا يحل لك النساء من
بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو كان لهن حكم غيرهن فقال وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا وجعل ثوابه طاعتهن وعقابه مضاعفته لهن اكثر مما لغيرهن فقال يا نساء
النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فاخبر تعالى ان
من حاز لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بفاحشة والله عاصم رسوله عليه السلام من ذلك
كما مر في حديث الافك يضاعف لها العذاب ضعفين لشرف منزلتهن وفضل درجتهن ه
وتغليظ عقوبتهن على نساء الناس اجمع وذلك بثبت الشريعة في غير ما موضع حسبما
تقدم بيانه غير مرة اه كلما تضاعفت الحرمات تضاعفت العقوبات وكذلك
حرا لحر على العبد والثيب على البكر وقيل لما كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في هبط

وفي منزل الامر الله ونواهيه فتؤدي الى عليهن ولزمهن بسبب ما ننتهين اكثر مما
يلزم غيرهن مضوعف لهن الاجر والعذاب وفعل اما ذلك لعظم الضرر في جرائمهن
بايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت العقوبة في قدر عظم الجريمة واذا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واختار
هذا القول الكيا الثانية قال قوم لو قدر الزنا من واحدة منهن وقد عاهدن الله عن
ذلك لكانت تحد حدين لعظم قدرها كما يزاد حد الحرة على الامة والعذاب بمعنى الحد
قال الله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وعلى هذا فمعنى الضعف في حقهن
المثلين او المرتين وقال ابو عبيدة ضعف الشيء مثلاه حتى يكون ثلاثة وقال ابو عمرو فيما
حكى الطبري عنه فيضاف الله عذابا ان مثله فيكون ثلاثة اعذبه وضعفه الطبري
وكذلك هو غير صحيح فان كان له باللفظ تعلق الاحتمال وكون الاجر مرتين مما يعضد هذا
القول لانا العذاب في الفاحشة بان الاجر في الطاعة قاله ابن عطية وقال النحاس فرق ابو
عمرو بين يضاعف ويضعف قال يضاعف للمرار الكثيرة ويضعف مرتين وقرا يضعف
لهذا وقال ابو عبيدة يضاعف لها العذاب بجعل ثلاثة اعذبه قال النحاس التفريق الذي
جاء به ابو عمرو وابو عبيدة لا يعرفه احد من اهل اللسان علمته والمعنى يضاعف ويضعف ولهذا
ان يجعل ضعفين كما تقول ان وقفت الي درهما وقفت الميك ضعفيه اي مثليه تعني درهمين
ويدل على هذا قوله تؤتها اجرها مرتين ولا يكون العذاب اكثر من الاجر وقال في موضع اخر انهم
ضعفين من العذاب اكثر من الاخر وقال في موضع اخر ضعفين من العذاب اي مثلين وروى
مهر عن قتادة يضاعف لها العذاب ضعفين قال عذاب الدنيا وعذاب الاخرة قال القشيري
ابو نصر الظاهر انه اراد بالضعفين المثلين لانه قال نؤتها اجرها مرتين فاما في الوصايا والوصي
لا لسان يضعف نصيب ولده فهو وصية بان يعطى مثل نصيبه ثلاث مرات فان الوصايا
تجري على العرف فما بين الناس وكلام الله يرد تفسيره الى كلام العرب والضعف في كلام العرب
المثل الى ما زاد وليس يقتضي على مثلين فيكون هذا لهذا ضعف هذا مثله وهذا اضعفاه اي
مثلاه قال الضعف في الاصل زيادة غير مقصورة قال الله تعالى فاولئك لهم جزاء الضعف والمراد
مثلا واما مثلين كل هذا قول الزهري وقد تقدم في النور الاختلاف في حد من قذف واحدة
منهن والحمد لله الثالثة قال ابو رافع كان عمر رضي الله عنه كثيرا ما يقرا سورة يوسف وسورة نور في
الاحزاب في الصبح وكان اذا بلغ يا نساء النبي رفع بها صوته فقيل له في ذلك فقال اذكرهن لعلهن
قرا الجمهور من يات بالياء وكذلك من ينت حملا على لفظ من والتوت الطاعة وقد تقدم وقرا
يعقوب من يات وبنت بالتاء من فوق حملا على المعنى وقال قوم الفاحشة اذا وردت معرفة
هي الزنا والتواطؤ اذا وردت منكرة هي سائر المعاصي واذا وردت ممنوعة هي عقوق الزوج
وفشاء عشيرته وقال فرقة قبل قوله فاحشة مبينة بفتح الياء وقرا نافع وابو عمرو وكسرها
وقالت فرقة يضاعف وكسر العين على اسناد الفعل الى الله وقرا ابو عمرو فيما روى خارجة
يضاعف بالنون المضمومة ونصب العذاب وهذه قراءة ابن محيصن وهذه مفاعلة
من واحد كطارقت النعل وعافيت اللص وقرا نافع وحمزة والكسائي يضاعف بالياء وفتح
العين العذاب رفعا وهي قراءة الحسن وابن كثير وعيسى وقرا ابن كثير وابن عامر تضعف بالنون
وكسر العين المشددة العذاب نصبا قال يتقابل هذا الضعف بالعذاب انما هو في الاخرة
لان اتيانها الاجر مرتين يضاف في الاخرة وهو احسن لان نساء النبي صلى الله عليه وسلم لا ياتين
بفاحشة توجب حدا وقد قالوا ابن عباس ما بغت امراة نبي قط وانما خانتا في الايمان والتهاه
وقال بعض المفسرين العذاب الذي توعدن به ضعفين هو عذاب الدنيا وعذاب
الاخرة وكذلك الاجر قال ابن عطية وهذا ضعف اللهم الا ان يكون ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم لا ترفع عنهم حدود الدنيا عذاب الاخرة على ما هي حال الناس عليه بحكم حديث
عائذة بن الصامت وهذا ما لم يرو في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا يحفظ لغيره
واهل التفسير على ان الرزق الكريم الجنة ذكره النحاس قوله تعالى يا نساء النبي لستن
كاحد من النساء ان اتقيتن يعني في الفضل والشرف وقال كاحد ولم يقل كواحدة لانه احد
يعني من المذكر والمونث والواحد والجماعة وقد تقدم الكلام على ما للنبي يا رضي يقال للمرء
فيها احد لا شاة ولا بعير وانما خصص النساء بالذكر لانه فيمن تعقل اشبه ومن ثم
وقد اشار الى هذا قتادة وقد تقدم في ال عمران الاختلاف في التفضيل بينهن فقال الله
هنا كلهن ثم قال ان اتقيتن اي خفتن الله فبين ان الفضيلة انما قامت لهن لشرط التقوى

لما منعهن الله في صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن قوله تعالى فلا تخضعن بالقول في موضع جزم بالنهي الا انه مبني كما بني الماضي هذا مذهب سيبويه اي لا تلن القول امرهن الله ان لا يكون قولهن خشنا وكل كلام فصلا ولا يكون على وجه تظهر في القلب علانيته بما يظهر علانية من اللين كما كانت الحال عليه في نساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت وليونته مثل كلام الزنيات والموسمات فنهاهن عن مثل هذا قوله فيطمع بالنصب على جواب النهي الذي في قلبه مرض اي شك ونفاق من قتادة والسدي وقيل تشوق لفجور وهو الفسق والعزل قاله عكرمة وهذا اصوب وليس للنفاق مدخل في هذه الاية وقرأ ابو رجاء ثم فيطمع بفتح الياء وكسر الميم النخعي راجع لهذا غلطا وان يكون قرأ فيطمع بفتح الياء وكسر العين بمطمعه على تخضعن بهذا وجه جيد حسن ويجوز فيطمع بمعنى فيطمع الخضوع او القول قوله تعالى وقلن قولا معروفا قال ابن عباس امرهن بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمرأة تتكلم اذا خاطبت الاجانب وكذا المحرمات عليها بالصاهرة الى المعلمة في القول من غير رفع صوت فان المرأة مأمورة بخفض الكلام وعلى الجملة فالقول المعروف هو الصواب الذي لا تستكره الشريعة ولا التفويض قوله تعالى وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى فيها اربع مسائل الاولى قوله تعالى وقرن قرأ الجمهور قرن بكسر القاف وقرأ عاصم ونافع بفتحها فاما القراءة الاولى فيحتمل وجهين احدهما ان تكون من الوقار يقول وقر يقر وقال اي سكن والامر قره وللنساء قرن مثل عدن وزن والقول الثاني وهو قول المبرد ان تكون من القرار يقول قررت بالمكان بفتح الراء اقر واصل اقررن اقررن بكسر الراء فحذفت الراء الاولى تخفيفا كما قالوا ظلت ظلت ومست مست ونقلوا حركتها الى القاف واستغني عن الف الوصل لتحرك القاف قال ابو علي بل علي ان ابدلت الراء ياء كراهة التضعيف كما ابدلت في قراطا ودينار وتصير للياء حركة الحرف المبدل منه فالتقدير يا قرين ثم تلقى حركة الياء على القاف كراهة تحرك الياء بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين وتسكن همزة الوصل لتحرك ما بعدها فيصير قرن واما قراءة اهل المدينة وعاصم فعلى لغة العرب قررت في المكان اذا اقمت فيه بكسر الراء اقر بفتح القاف من باب حمد يحمد لغة اهل الحجاز ذكرها ابو عبيد في الغريب المصنف عن الكسائي وهو اصل مشايخه وذكرها الزجاج وغيره والاصل اقررن حذفت الراء الاولى لثقل التضعيف والفتت حركتها على القاف فتقول قرن قال الفراء هو كما يقول احسن صاحبك اي هذا احتنبت وقال ابو عثمان المازني قررت به عينا بالكسر لا غير من قرة العين ولا يجوز قررت في المكان بالكسر وانما هو قررت بفتح الراء وما انكره من هذا لا يقدح في القراءة اذا ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فكيف وقد ثبت عنه من القراءة على صحة اللغة وزعم ابو حاتم ايضا انه لا مذهب له تقر خولف فيه وفيه مذهبان احدهما ما حكاه الكسائي والاخر ما سمعت علي بن سليمان يقول قال وهو من قررت به عينا اقر والمعنى واقررن به عينا في بيوتكن وهو وجه حسن الا ان الحديث يدل على ان نون الاول كما روي ان عمارا قال لعائشة رضي الله عنهما ان الله قرأ مرن تقر به في منزلك فقالت يا ابا اليقظان * ما زلت قواعا بالحق فقال الحمد لله الذي جعلني تحدث على لساني وقرأ ابن ابي عبلة واقررن بالف وصل وراء الاولى مكسورة الثانية مفتوحة هذه الاية الامر تلزم البيت وان كان الخطاب لنساء النبي صلى الله عليه وسلم تقتدي بهن في ذلك غيرهن بالمعنى هذا لو لم يرد ليلا يخص جميع المناكيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن ولا تكلف عن الخروج منها الا لضرورة على ما تقدم في غير موضع فامر الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم بملازمة بيوتهن وخاطبهن بذلك لتشريفا لهن ونهاهن عن التبرج اعلم انه فضل الجاهلية فقال ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقد تقدم معنى التبرج في النور وحقيقته اظهار ما ستره احسن وهو ما خود من السعة تعالى في اشاعة يبرح اذا كانت مستترة قاله المبرد واختلف الناس في الجاهلية الاولى فقيل هو الزمن الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعترض نفسها على الرجال وقال الحكم بن عيينة ما بين ادم ونوح وكان ثمانمائة سنة وكانت لهم سرد هيمة وقال ابن عباس ما بين نوح وادريس الكلبي ما بين نوح وابراهيم قيل ان المرأة كانت تلبس الدرع من غير اللؤلؤ غير مخيط الجانبين

وتلبس الثياب الرقاق ولا تعاري بدنها وقالت فرقنا بين موسى وعلى الشعر ما
بين علي ومحمد صلى الله عليه وسلم أبو القاسم هي زمان داود وسليمان كان فيه للمرأة
قميص قصير مخيط الجانبين وقال أبو العباس المبرد والجاهلية الاولى كما تقول
الجاهلية الجهلاء قال وكان النساء في الجاهلية الجهلاء يظهرون ما يفحش اظهاره حتى كانت
المرأة تخلس مع زوجها وحكمها فينفرد عليها بما فوق الإزار إلى الأعلى وينفرد زوجها
بما دون الإزار إلى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البدل وقال مجاهد كان النساء تمشين
بين الرجال فذلك التبرج قال ابن عطية والذي يظهر عندي انه اشار للجاهلية التي خلفتها
فأمرن بالتقلل عن سنن فيها وهي ما كان قبل الإسلام من سيرة الكثرة لانهم كانوا له
لا غيرة عندهم فكان أمرا للنساء وان جعلها جاهلية أولى بالنسبة الى ما كن عليه ولسن المعنى
ان ثم جاهلية أخرى وقد اوقع اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام فقالوا جاهلي
الشعر وقال ابن عباس في البخاري سلمت الى تقول في الجاهلية الى عهدها قلت وهذا
قول حسن ويعترض بان العرب كانت أهل تشف وضنك في القالب وان التنعم واظهار
الزينة انما جرى في الأزمان السابقة وهي المراد بالجاهلية الأولى وان المقصود من الآية
مخالفة من قبلهن من المستهتكات بتفسيح وتكسير واظهار المحاسن للرجال الى غير ذلك مما
لا يجوز شرعا وذلك يشمل الأقوال كلها وبعضها فيلزم من البيوت فان مست الحاجة الى الخروج
فليكن على تبذل وتستقر بام والله الموفق التالية ذكر الثعلبي غير ان عائشة رضي الله
عنها كانت اذا قرأت هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها وذكر ان سودة قيل لها لم تحجين ولا
تعتمرين كما يفعل اخواتك فقالت قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي قال
الراوي فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى اخرجت جنازتها وان الله عليها قال ابن العربي
لغزة فلت شيعا من الفتن فيه فما رأيت اصون عيالا ولا اعف لسانا من نسائنا لمكان
بها الخليل صلى الله عليه وسلم الثناء فاني أقمت فيها فما رأيت امرأة من طريق نهارا الا في يوم الجمعة
فانهن يخرجن اليها حتى يمتلئ المسجد منهن فاذا قضيت الصلاة وانقلبن الى منازلهن لم يقع
عيني على واحدة منهن الى الجمعة الاخرى وقد رأيت بالمسجد الاقصى عجائب ما خرج من بطونهن
حتى استشهدن فيه الرائعة قال ابن عطية لكن عائشة رضي الله عنها انما كان لسبب سفرها
ايام الجمل وحينئذ قال لها عمار انا لله اشهد انك تقرين في بيتك قال ابن العربي تعلق الرافضة
لعنهم الله بهذه الآية على ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها اذ قالوا انها خالفت امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين خرجت تقود الجيوش وتباشر الحروف وتقتحم مارق الطعن
والضرب فما لم يفرض عليها ولا يجوز لها قالوا ولو حضر عثمان فلما ان ذلك امرت برواحلها
فعزمت لتخرج الى مكة فقال لها مروان اقيمي هنا يا ام المؤمنين وردي هولا الرعاع فان لا
صلاح بين الناس فخرج من جملك قال ابن العربي قاتلهم الله علما وناهيك بجهلة الله عليهم ان عائشة رضي
الله عنها نذرت الحج قبل الفتنة فلم تزل تخلف عن نذرها ولو خرجت في تلك الآية لكان ذلك صوابا بالقضاء
لما خرجت في الجمل فما خرجت لحرب ولكن تفلق الناس بها شكوا اليها ما صاروا اليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس وتجاربركبها وطمعوا في الاستحياء
منها اذ هم وقفت الى الحق وظنت هي ذلك معيذ به بالله في قوله لا خير في كثير من نجواهم
الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وبقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما والامر بالاصلاح مخاطبة به جميع الناس من ذكر وانثى حر وعبد فلم يرد الله
بذلك قضاء به ونفاذ حكمه لن يقع اصلاح ولكن جرت مطاعنات وجراحات حتى يكاد
بعض الفريقان يعد بعضهم الى الجمل فرقه فلما سقط الجنبه ادرك محمد بن ابي بكر عائشة
رضي الله عنها فاحتملها الى البصرة وخرجت في ثلاثين امرأة فرمين على بها حتى وصلوها
الى المدينة برة بقيته محتمرة مصيبة شاة فما تناولت ما حوله فيما فعلت اذ كل مجتهد
في الاحكام مصيب وقد تقدم في النحل انهم هذا الجمل وبه يعرف ذلك اليوم قوله تعالى واقمن
الصلاة واتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت قال الزجاج قيل يراد به نساء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يراد به نساؤه واهله
الذين هم اهل بيته ما بانى بيانه واهل نصب على المدح واذ شئت قلت الله لك قال ويجوز الرفع
والخفض قال النحاس اذ خفض على انه بدل من الكاف والميم لم يجز عند ابي العباس محمد بن يزيد
قال لا تبدل من المخاطبة ولا من المخاطب لانهما لا يخفيان الى بيوتن وبطركن تظهيرا
مصدر رفيه معنى التوكيد كقوله تعالى واذكرن ما تتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة

هذه الالفاظ نعطي ان اهل البيت لنساوه وقد اختلف اهل العلم في اهل البيت منهم فقال عطاء
وعكرمة وابن فيا سرهم زوجاته خاصة لان رجلا معهن وذهبوا الى ان البيت اريد بهن ساكن
النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن وقالت فرقة منهن الكلبي هم
علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة وفي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا
بقوله تعالى ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا بالميم ولو كان للنساء خاصة
لكان عنكن ويطهركن الا انه يحتمل ان يكون خرج على لفظ الاهل كما يقول الرجل لصاحبه كيف
اهلك اي امرأتك ولنساؤك فيقولهم بخير قال الله تعالى اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت والذي يظهر من الاية انها عامة في جميع اهل البيت من الازواج وغيرهم
وانما قال ويطهركم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليا وحسنا وحسينا كان فيهم واذا اجتمع
المذكر والمونث غلب المذكر فاقتضت الاية اذا الزوجات من اهل البيت لان الاية فيهن
والمخاطبة لهن بدليل ما قبله سياق الكلام والله اعلم اما ان ام سلمة قالت نزلت هذه الاية
في بيتي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فادخل كل واحد منهم تحت كساء
خيبري وقال هؤلاء اهل بيتي وفي الاية وقالت اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
قالت ام سلمة وانا معهم يا نبي الله قال انت على مكانك وانت على خير اخرجه الترمذي وغيره
وقال هذا حديث غريب وقال الثعلبي وقالت ام سلمة ادخلت راسي في الكساء وقلت
انا منهم قال نعم وقال الثعلبي هم بنو هاشم فهذا على ان البيت يراد به بيت النسب فيكون
العباس وابناؤه وبنو اعمامه منهم وروي نحوه عن زيد بن ارقم رضي الله عنه وعلى قول الكلبي يكون
قوله واذكرن ابتداء غاية لما اراد الله عز وجل ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الموعظة
وتقدير النعمة بذكرنا يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة قال اهل العلم بالتأويل ايات الله
والحكمة السنة والصحيح ان قوله واذكرن متسوق على ما قبله وقارعكم لقوله اهل فالاولى
بذكر فيما هن وان كن اناث باسم التذكير فلذلك صار عنكم ولا اعتبار بقول الكلبي واشباهه
فانه لو جاز له اشباع هذا التفسير ما لو كان في زمان السلف الصالح لمنعوه من ذلك وتجروا
عليه فالايات كلها من قوله يا نساء النبي قل لازواجك الى قوله ان الله كان لطيفا خبيرا منسوق
بعضها على بعض فكيف صار في الوسط كلاما منفصلا لغير هن وانما هذا شيء جرى في الاخبار
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه هذه الاية دخل عليا وفاطمة والحسن والحسين فعهد
النبي صلى الله عليه وسلم الى الكساء فلفها عليهم ثم الوى بيده الى السماء فقال اللهم هؤلاء اهل بيتي اللهم
اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فهذه دعوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم تخصهم ولا
الاية احب ان يدخلهم في الاية التي خوطبت بها الازواج فذاهب الكلبي وطائفة وصرفها لهم
خاصة وهي دعوة لهم خارجة من التنزيل الثانية لفظ الذكر يحتمل ثلاثة معان اي اذكر
موضع النعمة اي صيركن الله في بيوت يتلى فيها ايات الله والحكمة والثاني اذكرن ايات الله واقدرن
قدرها وفكرن فيها حتى تكون منكن على بال لتتيقظن بمواعظ الله ومن كان هذا حاله ينبغي ان يكن
اتقى له والثالث اذكرن بمعنى احفظن واقرأن والزمنه السنة فكانه يقول واحفظن
اوامر الله ونواهيه وذلك هو الذي يتلى في بيوتهن وما سرين من اقوال النبي صلى الله عليه
وسلم ليبلغن من اقواله حتى يبلغن ذلك الى الناس فيعملون عليه ويقتدرون وهذا يدل
على جواز نقل خبر الواحد من الرجال والنساء والوجه الثالث قال ابن العربي في هذه الاية
تنبيه بديعة وهو ان الله تعالى لما امر نبيه عليه السلام بتبليغ ما انزل عليه من القرآن
وتعليم ما علمه من الدين فكان اذا اقرأ على واحد وما انفك سقط عنه الفرض وكان على
من سمعه ان يبلغه الى غيره ولا يكفيه ان يذكره لجميع الصحابة ولا كان عليه اذا علم ذلك
ازواجه ان يمضي الى الناس فيقول لهم نزل كذا وكذا ولا كان كذا ولهذا قلنا يجوز العمل بخبر
الواحد وايجاب الوضوء من مس الذكر لانها روت ما سمعت وبلغت ما وعت ولا يلزم ان يبلغ
ذلك الرجال كما قال ابو حنيفة انه لم ينقل عن سعيد بن ابي وقاص وابن عمر فيقال ان
المسلمين والمسلمات الاية انما نزلت سلمنا ان الاولى يروى الترمذي عن ام عمارة الانصارية
انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما ارى كل شيء الا للرجال وما ارى النساء يذكرن في
شيء فنزلت هذه الاية ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات الاية هذا اقرب
حسن غريب والمسلمين اسم ان والمسلمات عطف عليه ويجوز عطفهن عند البصريين
فاما القرآن فلا يجوز عندهم الا بتبيين قبل الاعراب الثانية قد اتى الله في هذه الاية
بذكر الاسلام الذي هو الايمان وعمل الجوارح ثم ذكر الايمان الذي هو بضعة له وتنبيها على ان عظم

الاسلام ودعا منه به والصابرين عن الشهوات وعلى الطاعات في المكرة والنشاط بالفرض والخاشع
الخائف لله والمتصدق بالفرض والنفل وقيل بالفرض خاصة والاول امدح والصائم كذلك
والحافظين فروجهم والحافظات عن ما لا يحل من الزنا وغيره وفي فروجهن والحافظات تحذف
بدل عليه المتقدم تقديره والحافظات فاكتفى بما تقدم في الذاكرات ايضا مثله ونظيره
قول الشاعر وكما تقدمناه كان هو نهاجري عوفها واستشعرت لون مذهب
وروي سيبويه لون مذهب بالنصب واما يجوز الرفع على حذف الهاء كانه قال واستشعرت
فيمن رفع لونا والذاكرين قتل في ادبارا لصلوات غدوا وعشيا وفي المضاجع وعند الانتباه
من النوم وقد تقدم هذا كله مفصلا في مواضعه وما تضمنت عليه من الفوائد والاحكام فاغني
عنه/ الاعادة والحمد لله قال مجاهد لا يكون ذاكرا لله جل وعز كثيرا حتى يذكره قائما وقاعدا
ومضطجعا وقال ابو سعيد الخدري من ايقظ اهله بالليل وصليا اربع ركعات كتبا من
الذاكرين الله كثيرا والذاكرات فنزلت فيه ثم ذكر ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله
ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم هذه اربع مسائل الاولى روي قتادة وابن عباس
ومجاهد في سبب نزول هذه/ الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت
جحش وكانت بنت عمته فظنت ان الخطبة لنفسه فلما بين انه يريدها لزيد لم ترض وابت
وامتنعت فنزلت الاية فاذعنت زينب حينئذ وتزوجته وزواته فامتنعت وامتنع
اخوها عبد الله لشبهها من نزلت وان زيدا كان يا لا من عبدا الا ان نزلت هذه/ الاية فقال
له اخوها امرني بما شئت فزوجها من زيد وقيل انما نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط
وكانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي
واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده فنزلت الاية فلما
ذلك فاجابا الى تزويج زيد قاله ابن زيد وقال الحسن ليس لمؤمن ولا مؤمنة اذا امر الله
جل وعز رسوله صلى الله عليه وسلم بامر ان يعصياه الثانية لفظها ما كان وما ينبغي ونحوها
معناها الحظر والمنع فيجيء لحظر الشيء عقلا والحكم بانه لا يكون كما في هذه/ الاية وربما كان
امتناع ذلك الشيء عقلا كقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وربما كان المتعلم بامتناعه
شرعا كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وربما كان في المندوبات كما تقول ما كان
لك يا فلان ان تترك النوافل ونحو هذا الثالثة في هذه الاية دليل لمن يقول ان الكفاءة
لا تعتبر في الاحساب وانما تعتبر في الاديان خلافا لمالك والشافعي والمغيرة وسيجيء
ذلك اذا الموالي تزوجت في قرشي تزوج زيد زينب بنت جحش وتزوج المقداد بن الاسود
ضباعة بنت الزبير وتزوج ابو حذيفة سالما من هند بنت الوليد بن عتبة وتزوج بلال
اخت عبد الرحمن بن عوف وقد تقدم هذا المعنى في غير موضع الرابعة قوله تعالى ان
يكون لهم الخيرة قرا الكوفيون ان يكون بالياء وهو اختيار ابي عبيد لانه فرق بين المؤنث
وبين فعله التاء دون التاء لان اللفظ مؤنث فعله حسن والتذكير على ان الخيرة بمعنى
التخير فالخيرة مصدر بمعنى الاختيار وقد ابان اسم يضع الخيرة باسكان الياء وهذه/ الاية
ضمن قوله النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ثم توعد تعالى واخبر ان من عصى رسوله فقد ضل
وهذا ادل دليل على ان ما ذهب اليه الجمهور من فقهائنا وفقهاء اصحاب الشافعي وبعض
الاصوليين من ان صيغة افعل للوجوب في اصل وضعها لان الله تبارك وتعالى لو خير
المكلف عند سماع امره وامر رسوله ثم اطلق على من ابقيت له خيرة عند صدور الامر انتهم
المعصية ثم ملق على المعصية بذلك الصلاد فلزم حمل الامر على الوجوب والله اعلم
قوله تعالى واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الى قوله مفعولا يتبع مسائل
الاولى روى الترمذي عن علي بن حجر قال ثنا داود بن الزبرقان عن داود بن ابي هند عن الشعبي
عن عائشة قالت لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الاية
واذ تقول للذي انعم الله عليه بالاسلام وانعمت عليه بالعتق فاعتقته امسك عليك
زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
الى قوله وكان امر الله مفعولا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطبها قالوا تزوج
حليلة ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه وهو صغير قلت حتى صار رجلا يقال له زيد
ابن محمد فانزل الله ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله قال ابو عيسى هذا الذي عولهم لا باتهم
هو اصح وقد روى بعضهم عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة

قالت

قالت لو كان النبي صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه هذا القدر هو الذي أخرجه مسلم في صحيحه وهو الذي صححه الترمذي في جامعه وفي البخاري عن أنس بن مالك أن هذه الآية وتخفي في نفسك ما الله مبديه نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة وقال عمرو بن مسعود وعائشة والحسن ما أنزل الله على رسوله آية أشد عليه من هذه وقال الحسن وعائشة لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية لشدتها عليه وروي في الخبر أنه أتى زيدا فاوى إلى فراشه قالت زينب ولم يبنطفني زيد وما استتم منه غير ما سمعه الله مني فلا يقدر على هذه رواية أبي عصمة نوح بن أبي مريم رفع الحديث إلى زينب أنها قالت ذلك وفي نقض الروايات أن زيدا توهم ذلك منه حين أراد تطليقها فذكر ذلك وجاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن زينب تؤذيني بلسانها وتفعل وتفعل وإني أريد أن أطلقها فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله وقيل إن الله تعالى أعلمه أنها ستكون من أزواجه فلما خطبها زيد فغارت واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه الآية واختلف الناس في تأويل هذه الآية فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم الطبري وغيره إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقع في نفسه استحسان زينب بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان مما أخفى في نفسه مما هو مبديه إذ زيد لما أخبره بأنه يريد فراقها وتشكو منها علظه قول وعصيانه أمره وإذايته باللسان وفخرها بالشرف قال له اتق الله وأمسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف وقال بعض قائل روج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنده حينا ثم إنه عليه السلام أتى زيدا يوما يطلبه فاصر زينب أنا بنزوكانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش فهويها وقالت سبحان الله مقلب القلوب فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن زيد فقال يا رسول الله ائذن لي في طلاقها فإن فيها كبرا تعظم علي وتؤذيني بلسانها فقال له عليه السلام أمسك عليك زوجك واتق الله وقيل إن الله تعالى أعلمه أنها ستكون زوجته فلما فرغت العدة زينب تفضله في منزلها فرآى زينب فوقعت في نفسه وقع في نفس زينب تعظمه إياها ووقعت في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لما جاء يطلب زيدا فأخبرته بذلك فوقع في نفس زيد أن يطلقها هو ابن عباس وتخفي في نفسك أمرا تخفيه في نفسك إياها وتخشى الناس أي تستحييهم وقيل تخاف وتكره لأمة المسلمين لو قلت طلقها ويقولون أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها والله أحق أن تخشاه في كل الأحوال وقيل والله أحق أن تستحي منه ولا تأمر زيدا قال زوجتك بعد أن أملك الله إياها ستكون زوجتك فعاتبه الله على جميع هذا وروي عن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان فيما أوحى الله إليه أن زيدا يطلق زينب وأنه يتزوجها يتزوج الله إياها فلما تشكو زيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وأنها لا تطيعه وأعلمه بأنه مريد طلاقها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك وهو يعلم أنه سيطلقها ويتزوجها وهذا هو الذي أخفى في نفسه ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها فعاتبه الله على ذلك القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله له بأن قال أمسك مع علمه بأنه يطلق واعلم أن الله أحق بالخشية أي في كل حال قال علماؤنا هذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبو بكر بن العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس إنما هو رجاء المنافقين بأنه نهى عن تزويج حلائل الأبناء وتزوج بزوجة ابنه فلما أن روى أن النبي صلى الله عليه وسلم هوى زينب امرأة زيد وربما أطلق بعض الجهال لفظة عشق فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا أو مستخف بحرمته قال الترمذي الحكيم في نوادر الأصول وأسند إلى علي بن الحسين قوله تعالى بن حسين جابها خاص من خزانة العلم جوهرا من الجواهر ودرا من الدرر فأبداه إنما عتب الله عليه أنه قد علم أن ستكون هذه من أزواجه فكيف قال بعد ذلك لزيد أمسك عليك زوجك واحرمك أن خشيت الناس أن يقولوا تزوج امرأة ابنه والله أحق أن تخشاه وقال الحسن قال بعض العلماء ليس هذا من النبي صلى الله عليه وسلم خطيئة إلا من حيث أنه لم

بالتوبة ولا بالاستغفار منه وقد يكون الشيء ليس بخطيئة الا ان غيره احسن منه واخوف لله
في نفسه خشية ان يعين الناس لتلك الخطيئة قال ابن العربي فان قيل لاي معنى قال له امسك
عليك زوجك وقد اخبره الله انها زوجه قلنا اراد ان يختبر منه ما لم يعلمه الله من رغبته
فيها او رغبته عنها فاباح له ان يأمره بالتثبت والكراهة فيها فان لم يكن علم منه في امرها
فان قيل كيف يأمره بالتمسك بها وقد علم ان الفراق لا بد منه وهذا تناقض قلنا بل هو صحيح
للتقاضي الصحيح كما قدمناه في الحجة ومعرفة العاقبة الامر بان الله تعالى يأمر العبد بالايمان
وقد علم انه لا يؤمن فليس في مخالفته متعلق الامر بمتعلق العلم ما يمنع من الامر به عقلا وحكما
وهذا من تقليب العلم تقتلوه وتقتلوه وقوله واتق الله اي في طلاقها فلا تظلمها وارادي
بها مستريبة لا تحبها فاذا الاولى ان لا تطلق وقيل اتق الله فلا تذمها بالنشوز الى الكبر واذى
الزوج وتخفي في نفسك قبل تعلق قلبه وقيل تمارقها ايا ها وقيل اعلمه بان زيدا سيطلقها
لان الله قد اعلمه بذلك السابعة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لزيد ما اصدق فيك
او ثق منك فاخطب زينب علي فما قد هب وليتها ظهري فيزوجني النبي صلى الله عليه وسلم خطبتها
فقرحت وقلت ما انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن فجاء
النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها قلت معنى هذا الحديث ثابت في الصحيح وترجم النسائي صلاة
المرأة اذا خطبت واستخارت بما روي الآية واللفظ لمسلم عن انس قال لما انقضت عدة زينب
قال رسول الله صلى الله عليه لزيد فاذكرها قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رأيتها
عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها
ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما
انا بصانعة شيئا حتى اوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل عليها بغير اذن قال فقال وانا والله لقد رأيناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز
واللحم حين انتهينا اليها الحديث وروايته حتى تركوه وفي روايته عن انس ايضا قال لما رأيت رسوله
الله صلى الله عليه وسلم اولم على امرأة ما اولم على زينب فانه ذبح شاة قال علماؤنا فقوله عليه السلام
لزيد فاذكرها على اي اخطبها كما بينه الحديث الاول وهذا استحسان لزيد واختيار له حتى يطهر
صبره وانقياده وطوعه قلت وقد يستنبط من هذا ان يقول الانسان لصاحبه
اخطب علي فلانة لزوجه المطلقة منه ولا حرج في ذلك والله اعلم الرابعة لما وكلت امرها الى الله وصح
تفويضها اليه تولى الله انكاحها ولذلك قال فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها وروى جعفر
بن محمد عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وطرا زوجتكها ولما اعلمه الله بذلك دخل عليها
بغير اذن ولا تجديد عقد ولا نثر صداق ولا شيء مما يكون شرطا في عقودهن سترا وعائدا وهذا
من خصوصياته صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها احد باجماع من المسلمين ولهذا كانت له
زينب تفاخر نساء النبي صلى الله عليه وسلم وتقول زوجكن اباكن وزوجني الله تعالى وساقني
اخرجه النسائي وعن انس بن مالك قال كانت زينب تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم تقول
ان الله عز وجل انكحني من السماء وفيها نزلت اية الحجاب المنامة المنعم عليه في هذه الاية هو
زيد بن حارثة كما بيناه وقد تقدم خبره في اول السورة وروي ان عمه لقيه يوما وكان ورد مكنه
في شغل له فقال ما اسمك يا غلام قال زيد قال ابن من قال ابن حارثة قال ابن من اجل
الكلبي قال فما اسم امك قال سعدى وكنت في اهوالي طي فضمه الى صدره وارسل الى اخيه وقومه
فحضروا وارادوا استه ان يقيم معهم فقالوا لم انت قال لمحمد بن عبد الله فانوه وقالوا هذا
ابنا فرده علينا فقال اعرض عليه فان اختارنا فحذوا بيده فبعث الى زيد وقال هل تعرف
هؤلاء قال نعم هذا ابي وهذا اخي وهذا عمي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فاي صاحب كنت لك
فبكى وقال لم سألتني على ذلك قال اخبرك فان اجبت ان تلحق بهم فالحق وان اردت ان تقيم
فانا من قد عرفت فقال من اختار عليك احدا فجد به عمه وقال يا زيد اختررت العبودية على ابيك
وعمك فقال اي والله العبودية عندي محمد احب الي من ان اكون عندكم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشهدوا الي وارث ومورث فلم يزل يقال زيد بن محمد الى ان نزل قوله تعالى
ادعوهم لابائهم ونزل ما كان محمد ابا احد من رجالكم السادسة قال الامام ابو القاسم عبد
الرحمن السهيلي رضي الله عنه كان يقال زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لابائهم فقال انا زيد
ابن حارثة وحرم عليه ان يقول انا زيد بن محمد فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر سنة
وعلم الله وحسنة من ذلك شرفه بخصيصة لم يكن يحصى بها احد من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم وهي انه سماه في القرآن فقال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا يعني من زينب ومن ذكره

الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرانا يتلى في المحاريب نوه به غاية التنويه ه
فكان في هذا تأنيس له وعوض من الفخر بابوة محمد صلى الله عليه وسلم له الا ترى الى قول ابي
ابن كعب حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان اقرأ عليك سورة كذا فبكى وقال
وذكرت هناك لك وكان بكاؤه من الفرح حين اخبر ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار اسمه قرانا
يتلى مخلدا الابيد يتلوه اهل الدنيا اذا قرؤا القرآن واهل الجنة كذلك ابدا لا يزال
على السنة المؤمنين كما لم يزل مذكورا على الخصوص عند رب العالمين اذ القرآن كلام الله
القديم وهو باق لا يبيد فكم زين هذا في المصحف المكرمة المرفوعة المطهرة مذكوره في التلاوة
السعرة الكرام البررة ولسوغ ذلك لاسم من اسماء المؤمنين الاتين من الانبياء ولزيد بن حارثة ه
تعويضا من الله تعالى له مما نزع عنه وزاده الى ما اتاه اذ قال واذ تقول للذي انعم الله عليه واذ
بالايمان تدل على ان من اهل الجنة علم ذلك قبل ان يموت وهذه فضيلة اخرى التاسعة
قوله تعالى وطرا الوطر كل حاجة للمرء فيها همة والجمع الاوطار قال ابن عباس اي بلغ ما اراد
من حاجته منتهى الجماع وفيه اشعار بما قضى وطره منها وطلقها زوجها كما قاله اهل البيت
وحتمها وقيل الوطر عبارة عن الطلاق قاله قتادة الثامنة ذهب بعض الناس من هذه
الاية ومن قول شعيب اني اريد ان انكحك ايا ها الى ان تزيد هذا المعنى في المهور ينبغي ان
يكون انكحه ايا ها فتقتضي ضمين الزوج كما في الايتين وكذلك قوله عليه السلام لصاحب الرداء
اذهب فقد انكحتكها بما معك من القرآن قال ابن عطية هذا غير لازم لان الزوج في الاية مخاطب
فيمن تقديمه وفي المهر الزوجان تقدم من شئت ولم يبق ترجيح الا برجحة الرجال وانهم وهم
القوامون النساء زوجها كما دليل على ثبوت الولي في النكاح وقد تقدم الخلاف في ذلك روي
ان عائشة وزينب تفاخرتا فقالت عائشة انا التي جاءني الملك ابي النبي صلى الله عليه وسلم
في سرقة من حرير فيقول هذه امرأتك اكشف عنها فاكشف وقالت زينب انا التي زوجني الله من
فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لادل
عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدي وجدك واحد وانا انكحك ايا ي من السما
وان السفير في ذلك جبريل وروي عن زينب انها قالت لما وقعت في قلب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليتطلقني زيد وما استنع منه عبر ما يمنعه الله تعالى مني فلا يقدر عليه قوله
تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل هذه منحة من الله تعالى لجميع امته اعلمهم ان هذا وكونه
من السنن الاقدام في الانبياء اذ نبا لوما احله لهم ابيح لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة ه
عليه في النكاح سنة الانبياء الماضية كداود وسليمان وكان لداود مائة امرأة وثلاثمائة
سرية ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية وذكر الثعلبي عن مقاتل وابن الكلبي
ان الهاشمي لابي داود عليه السلام حيث عم الله بينه وبين من فتن بها وسنة نصب على المصدر
اي سن الله سنة واسعة والذين خلوا هم الانبياء بدليل وصفهم بعد بقوله الذين يبلغون ه
رسالات الله ثم رضا في ما كان محمد ابا احد من رجالكم الى قوله عليما فيه ثلاث مسائل
الاولى لما تزوج زينب قال الناس تزوج امرأة ابنه فنزلت الاية اي للبني هو يابنه حتى
يحرم عليه حليلته ولكنه ابدا منه في التبجيل والتعظيم وان تناوله عليه حرام فاذهب الله
بهذه الاية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم واعلم ان محمدا لم يكن ابا احد من رجال المعاصرين
له في الحقيقة ولم يقصد بهذه الاية اذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ولد فقد ولد له ذكور
ابراهيم والقاسم والطيب والمطهر ولكن لم يعش له ابن حتى يطيق رجلا واما الحسن والحسين
فكانا طفلين ولم يكونا رجلين مقاربين له الثانية ولكن رسول الله قال الا خفش والفراء
اي ولكن كان رسول الله واجازا ولكن رسول الله وخاتم بالرفع وكذلك قرئ بن ابي عبلة وبعض
الناس ولكن رسول الله بالرفع على معنى هو رسول الله وخاتم النبيين وقرأت فرقة ولكن ه
بتشديد النون ونصب رسول الله على انه اسم كان والخبر محذوف وخاتم قراءة عاصم وحمزة بفتح
التاء بمعنى انهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم وقرأ حمزة مكسر التاء بمعنى انه ختمهم اي
جاء آخرهم وقيل الخاتم والخاتم لغتان مثل طابع وطابع وذائق وذائق وطابقه في اللحم
وطابقه التاسعة قال ابن عطية هذه الالفاظ فيها حجة على الامة خلافا لمن يلتقط ه
على العموم التام بمقتضية نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وما ذكره القاضي
ابو الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال في الفاظ هذه الاية ضعيف
وما ذكره الغزالي في هذه الاية وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد الحاد عندي
وتطرق خبيث الى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة فالحمد

الحدرحمنه والله الهادي برحمته قلت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا
نبوة بعدي الا مباشرا الله قال ابو عمر يعني الرويا والله اعلم الذي هي جزء منها كما قال لبس
بعدي من النبوة الا الرويا الصالحة وخبرا بن حسنون من رجالكم ولكن نبيا ختم النبيين قال
ختم به عليه السلام الاستصلاح فمن لم يصلح بمقبوس من صلاحه قلت ومن هذا المعنى
قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل
الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لو موضع اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا
موضع اللبنة جئت فختمت الانبياء ونحوه عن ابي هريرة غير انه قال فانا اللبنة وانا خاتم
النبيين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا الاية امر تعالى عباده بان يذكروه
ويكثروا من ذلك على ما الزمهم به عليهم وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد
ولعظم الاجر فيه قال ابن عباس لم يعذر احد في ترك ذكر الله الا من غلب على عقله وروى ابو سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثروا الله حتى يقولوا مجنون وقيل الذكر الكثير هو الذي لا اخلاص من القلب
والقليل ما يقع على حكم الاتفاق فالذكر باللسان قوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا
ايا شغلوا السنتكم بعظم اهوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير قال مجاهد وهذه
كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب وقيل ادعوه قال جرير

فلا تلثني لتسبيح الضحى ان يوسف غاره فاختاره حين سبحا

وقيل المراد صلوا لله بكرة واصيلا والصلاة لتسمى تسبيحا وخص الفجر والمغرب والعشا بالذكر
لانها احق بالتحريض عليها لانفضا لها بالطرفي الليل وقال قتادة والطبري الاشارة الى صلاة
الغداة وصلاة العصر فالاصيل العشي وجمعه اصائل والاصل بمعنى الاصيل وجمعه اصال قاله
المبرد وقالت غيره اصل جمع اصيل كرغف ورغف وقد تقدم مسئلة هذه
الصلاة مدنية فلا تعلق بها لمن زعم ان الصلاة انما فرضت اولا صلاتين في طرفي النهار والرواية
بذلك ضعيفة فلا التفات اليها ولا معول عليها وقد مضى الكلام في كيفية فرض الصلاة
وبالله العصمة في ذلك في سبحان والحمد لله قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم الاية قال ابن عباس
لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال المهاجرون والانصار هذا لك يا رسول الله
خاصة فما لنا فانزل الله هذه الاية قلت وهذه نعمة من الله تعالى على
هذه الامة من اكبر النعم ودليل على تفضيلها على سائر الامم وقد قال كنتم خير امة اخرجت
للناس والصلاة من الله على العبد في رحمته له وسرعة تدبه وصلاة الملائكة ودعاؤهم للمومنين
واستغفارهم لهم كما قال ويستغفرون للذين امنوا ونسائي وفي الحديث ان بني اسرائيل سالوا
موسى عليه السلام ان يصلي ربه جل وعز فاعظم ذلك فاوحى الله جل وعز ان صلاتي بازرحمتي
سبقت غضبي ذكره النحاس وقال ابن عطية وروت فرقة ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول
الله كيف صلاة الله على عباده قال سبوح قدوس رحمتي سبقت غضبي واختلف في تاويل هذا
القول فقيل انه كلام من كلام الله تعالى وهي صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس من كلام
محمد صلى الله عليه وسلم وقدمه بين يدي نطقه باللفظ الذي هو صلاة الله وهو رحمتي سبقت
غضبي حبب فيهم من السائل انه توهم في صلاة الله على عباده وجها لا يليق بالله عز وجل فقدم
التنزيه والتعظيم بين يدي اخباره قوله تعالى ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من
الضلالة الى الهدى ومعنى على هذا التنبيه على الهداية لانهم كانوا في وقت الخطاب
على الهداية ثم اخبر تعالى برحمته بالمومنين فقال وكان بالمومنين رحيما
قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام اختلف في الضمير الذي في يلقونه على من يعود فقيل
على الله تعالى اي كان بالمومنين رحيما فهو يومئهم من عذاب الله يوم القيامة وفي ذلك اليوم
يلقونه وتحيتهم اي تحيته لبعضهم لبعض سلام اي سلامة لنا ولكم من عذاب الله وقيل
هذه التحية من عذاب الله تعالى لهم فيسلمهم من الاخوان او يبشرهم بالامن من المخاوف
يوم يلقونه اي يوم القيامة بعد دخول الجنة قال معناه الزجاج واستشهد لقوله عز وجل
تحيتهم فيها سلام وقال ليوم يلقونه اي يوم يلقون ملك الموت وقد ورد انه لا يقبض روح
مومن الا سلم عليه روي عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام فيسلم ملك
الموت على المومن عند قبض روحه لا يقبض روحه حتى يسلم عليه قوله تعالى يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا وبشيرا الاية هذه الاية فيها تاليس للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين

وكريم

وتكريم لجميعهم وهذه الآية تضمنت من اسمائه صلى الله عليه وسلم ستة اسماء ولنبينا صلى الله عليه وسلم
اسماء كثيرة وسماه وردد ذكرها في الكتاب والسنة والكتب المتقدمة وقد سماه الله في كتابه محمدا واحمد
وقال صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه الثقات العدول لي خمسة اسماء انا محمد واحمد وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وفي صحيح مسلم
من حديث جبير بن مطعم وقد سماه الله رؤفا رحيما وفيه ايضا عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبي التوبة ونبي
الرحمة وقد تتبع القاضي ابو الفضل عياض في كتابه المسمى بالشفا ما جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله
صلى الله عليه وسلم وما نقل في الكتب القديمة واطلاق الامة اسماء كثيرة وصفات عدد بتها فبلغت
وقد ذكر القاضي ابو بكر بن العربي في احكامه في هذه الآية من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم ستة
وستين اسما وذكر صاحب وسيلة المتعبدين الى متابعة سيد المرسلين عن ابن عباس ان لمحمد صلى الله
عليه وسلم ثمانية وثمانين اسما من اراد ها وجدها هنالك وقال ابن عباس لما نزلت هذه الآية
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذ فبعثهما الى اليمن وقال اذهبا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا
تعسرا فانه قد انزل علي وقرآنا الآية نزوله شاهدا قال سعيد عن قتادة شاهدا على امته بالتبليغ
اليهم وعلى سائر الامم بتبليغ انبيائهم وكذلك ومبشرا معناه للمؤمنين برحمة الله وبالجنة
ونذيرا معناه للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخلد وداعيا الى الله الدعاء الى الله هو تبليغ
التوحيد والاحكام ومكافحة الكفرة وباذنه هنا معناه بامره اياك وتقديره ذلك في وقته واوانه
وسراجا منيرا استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه وفعل وسراجا اي هاديا من ظلم الضلالة
وانت كالصباح المضيء وصفه بالانارة كما في الشرح ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته
وفي كلام بعضهم بلغته نضي رسولا يطي وسراج لا يضي وفايده ينتظرها من لجي وسل بعضهم
عن الوحشي فقال ظلام وسائر وسراج فاتر واستدل الخاسر حدثنا محمد بن ابراهيم الزاز
قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الازدي قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن شيبان النحوي قال
نا قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فقال انطلقا
فبشرا ولا تنفرا فانه قد نزل علي الليلة انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ان النار وداعيا
الى الله قال شهادة ان لا اله الا الله باذنه بامره وسراجا منيرا قال بالقرآن وقال الزجاج وسراجا
اي وذا سراج منير اي كتاب منير وجاز ايضا ان يكون بمعنى وتاليا كتاب الله تعالى
وبشر المؤمنين اتوا وعاطفة جملة على جملة والمعنى منقطع من الذي قبله امره الله تعالى ان يبشر
المؤمنين بالفضل الكبير من الله عز وجل وعلى قول الزجاج ذا سراج منيرا وتاليا سراجا منيرا
يكون معطوفا على الكاف في ارسلناك قال ابن عطية قال لنا ابي رضي الله عنه هذه من ارجى اية عندي
في كتاب الله لان الله تعالى قد امر نبيه ان يبشر المؤمنين بان لهم عنده فضلا كبيرا وقد بين تعالى
الفضل الكبير في قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن
عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير فالآية لتمام هذه السورة خبر والتي في حم عسق تفسير لها
ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تطعهم فيما يشيرون عليك من المداهنة في الدين ولا تأمن
بلهم الكافرين ابي سفيان وعكرمة وابي الاعور السلمي قالوا يا محمد لا تذكر الهتنا بسوء ولك
والمنافقين عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد وطعمة بن ابيرق حتوا النبي صلى الله عليه وسلم
على الجابتهم بتعلقه المصلحة ودع اذاهم اي دع ان يوذيهم مجازاة على اذاهم اياك فامره
بترك معاقبتهم والصفح عن زللهم فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول ونسخ من الآية على هذا
التاويل ما يخص الكافرين وناسخه اية السيف وقيل معنى ذاك اي اعرض عن اقوالهم وما يوذيك
ولا تشتغل به فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل وهذا تاويل مجاهد والآية
منسوخة باية السيف وتوكل على الله اي امره بالتوكل عليه والثقة بقوله وكفى بالله وكيلا
وفي قوة الكلام وعد بنصره والوكيل الحافظ القائم على الامر فيه لم تنكحوها يا ايها الذين
امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها
فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا نزلت في زينب بنت جحش تزوجها زيد بن حارثة وتطليقه زينب وكانت مدخولا بها وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء
عدتها كما يبناه خاطب الله المؤمنين بحكم الزوجة تطلق قبل البناء وبين ذلك الحكم للامة فالمطلقة
اذا لم تكن ممسوسة لا عدة عليها بنص الكتاب واجماع الامة فان دخل بها فعليها العدة اجماعا
الثامنة النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لما استتبعه من حيث انه طريق ومنطبق
تسميتهم الخمر اثما لانه سبب في اقتراف الاسم ولم يرد لفظ العقد في كتاب الله الا في معنى العقد لانه

لانه في معنى الوطء وهو من اداب التنزيل الكناية عنه بلفظ الملامسة والمباشرة والقربان والتغشي والاتيان الثالثة استدل بعض العلماء بقوله تعالى وان طلقتموهن ومهلة لهم على ان الطلاق لا يكون الا بعد النكاح وان من طلق امراة قبل نكاحها وان عينها فان ذلك لا يلزمه وقال لهذا اتفق عليه ثلاثون من صاحب وتابع وامام سمي للبخاري منهم اثنين وعشرين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل نكاح ومعناه ان الطلاق لا يقع حتى يصح النكاح قال حبيب بن ثابت سئل علي بن الحسين رضي الله عنهما عن رجل قال لامراة ان تزوجتك فانت طالق فقال ليس بشيء ذكر الله عز وجل النكاح قبل الطلاق وقالت طائفة من اهل العلم ان طلاق المعين الشخص والقبيل او البلد لازم قبل النكاح منهم سلك وجميع اصحابه وجمع عظيم من علماء الامة وقد مضى في اول براءة الكلام فيها وفي قبل التربصين والحمد لله فاذا قال لكل امراة اتزوجها وكل عبد اشتريه حر لم يلزمه شيء فان قال لكل امراة اتزوجها الى عشرين سنة او ان تزوجت من بني فلان او من بني فلان فهي طالق لزمها الطلاق سالم تخف العقد على نفسه في طول السنين او يكون عمره في الغالب لا يبلغ ذلك فلا ان يتزوج وانما يلزمه الطلاق اذا عم لانه ضيق على نفسه المنافع فلو سغناه ان لا يتزوج ولحرج ولخيف عليه العنت وقد قال بعض اصحابنا ان وجد ما تيسر به لم يحنث وليس شيء وذلك ان الضرورات والاعذار ترفع الاحكام فصير هذا من حيث هو الضرورة كمن لم يجد قال ابن خواز منداد الرابعة استدل داود ومن قال بقوله ان المطلقة الرجعية اذا راجعها زوجها قبل ان تنقضي عدتها ثم فارقها قبل ان يمسها انه ليس عليه ان يتم عدتها ولا عدة مستقبلة لانها مطلقة قبل الدخول بها وقال عطاء بن ابي رباح وقرأت بعض في عدتها من طلاقها الاول وهو احد قولي الشافعي لان طلاقه لها اذا لم يمسها في حكم من طلقها في عدتها قبل ان يراجعها ومن طلق امراته في كل طهر مرة بنت ولم يتابعها وقال مالك اذا فارقها قبل ان يمسها انها لا تبني على ما مضى من عدتها وانها تبني من يوم طلقها عدة مستقبلة وقد طلم زوجها نفسه واخطأ ان كان ابتغى بها ولا حاجة له بها وعلى هذا اكثر اهل العلم لانها في حكم المدخول بها في المنفقة والسكنى وغير ذلك ولذلك تستانف العدة من يوم طلقت وهو قول جمهور فقهاء البصرة والكوفة ومكة والمدينة والشام وقال النعمان واصحابه ان كان الخامسة ملوكا فانت بائنة غير مستوفية فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول فقد اختلفوا في ذلك ايضا فقال مالك والشافعي وزفر وعثمان البتي لها نصف الصداق وتتم بقية العدة الاولى وهو قول الحسن وعطاء وعكرمة وابن شهاب وقال ابو حنيفة وابو يوسف والثوري والاوزاعي وزادا عليها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقبلة جعلوها في حكم المدخول بها لاعتدادها من مائه وقال داود ولها نصف الصداق وليس عليها بقية العدة الاولى ولا عدة مستقبلة والاولى ما قاله مالك والشافعي والله اعلم **السادسة** هذه الاية مخصصة لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولقوله يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر وقد مضى في البقرة ومضى فيها الكلام في المتعة فاغنى عن الاعادة هنا وسرحوهن سراحا جميلا فيه قولان احدهما انه دفع المتعة حسب الميسرة والعسرة قاله ابن عباس الثاني انه طلقها طاهرا من غير جماع قاله قتادة وقيل فسرحوهن بعد الطلاق الى اهلهن فلا تجتمع الرجعة والمطلقة **الثامنة قوله تعالى** فتعوهن قال سعيد هي منسوخة بالاية التي في البقرة وهي قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي فلم يذكر المتعة وقد مضى الكلام في هذا في البقرة مستوفى وقوله سرحوهن طلقوهن والتسريح كناية عن الطلاق عندنا اي حل لانه لا يستعمل في غيره فيحتاج الى النية وعند الشافعي صريح وقد مضى في البقرة القول فيه فلا معنى للاعادة جميلا ليست من غير بدعة **قوله تعالى** يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى قوله رحيما تقدم عند قوله الاولى ما رواه النسائي عن ابي صالح عن ام هانئ بنت ابي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك فلم اكن احل له لانها لم تهاجر كتب من الطلقاء خرجه ابو عيسى وقال هذا حديث حسن لا نعرفه الا من هذا الوجه قال ابن العربي وهو ضعيف جدا ولم يبن ان هذا الحديث من طريق صحيح الثانية لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فاخترنه حرم عليه التزويج لغيرهن والاستبدال فيهن بكافاة لهن على فعلهن والدليل على ذلك قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد الاية وهل كان يحل

له ان يطلق واحدة منهن بعد ذلك فقيل لا يحل له ذلك جزاء لهن على اختيارهن له وقيل كان يحل له
ذلك كغيره من الناس ولكن لا يتزوج بدلها ثم نسخ هذا التحريم فاباح له ان يتزوج من شاء
عليهن من النساء والدليل على هذا قوله تعالى انا احللنا لك ازواجك والاحلال يقتضي تقدم حظر
وزوجاته التي في حياته لم تكن محرمات عليه وانما كان يحرم التزوج بالاجنبيات فانصرف الاحلال
الى هن ولانه قال في سياق الاية وبنات عمك الاية ومعلوم انه لم يكن تحته احد من بنات
عمه ولا بنات عمته ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته فثبت انه احل له الان وبهذا اندفع
وهذه الاية وان كانت متقدمة في التلاوة فهي متاخرة في النزول عن الاية المنسوخة بها
كما يبنى الوفاء في السورة وقد اختلف الناس في تاويل قوله تعالى انا احللنا لك ازواجك فقيل المراد بها
ان الله تعالى احل له ان يتزوج كل امراة سوتها مهرها قاله ابن زيد والضحاك فعلى هذا تكون
الاية منسوخة بجميع النساء حاشى ذوات المحارم وقيل المراد احللنا لك ازواجك اي الكاتبات
عندك كما نهن قد اخترتك على الدنيا والاخرة قاله الجمهور من العلماء وهو الظاهر لان قوله اتيت
ماض ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال الا بشروط وحمل الامر على هذا التاويل صنفا
على النبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ لهذا التاويل بانا نراه ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتزوج ايا من الناس شاء وكما يشتهي ذلك على لسانه فلما نزلت هذه الاية وحرم عليه بها الناس
الا من سمي شرطنا وهذا ذلك قلت والقول الاول اصح لما ذكرناه وبدلالتها على صحته ما اخرجه
الترمذي عن عطاء قال قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له
النساء قال هذا حديث حسن صحيح الثانية قوله تعالى وما ملكت يمينك احل الله السراري
لنبيه صلى الله عليه وسلم ولامته سطفا واحل ازواج نبيه مطلقا واحله لتملق بعد وقوله
مما افاء الله عليك اي رده عليك من الكفار والغنيمة قد تسمى فيا اي مما افاء الله عليك من النساء
الماخوذ على وجه القهر والغلبة الرابعة قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك اي احللنا لك
ذلك لا بد من الازواج اللاتي اتيتا جورهن على قول الجمهور لانه لو اراد احللنا لك كل امراة تزوجت
واتيت اجرها لما قال بعد ذلك وبنات عمك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما تقدم فاكتفى بدخوله
وتمكن ذلك على الخاسة فقوله تعالى اللاتي هاجرن فيه نظر فان الاية لا تحل لك من قد اتبل
كنا نعهد الناس وغيره من اولاد المطلب وبنات عبد المطلب وبنات الخال من ولد
بنات عبد مناف بن زهرة الا من اسلم لقوله تعالى يا صلى الله عليه وسلم من سلم المسلمون من لسانه
ويده والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه الثالثة لا يحل لك منهن الا من هاجر الى المدينة لقوله تعالى
والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ومن لم يهاجر لم يحل له بعقد
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كمل وشرف وعظم صلى الله عليه وسلم السادسة قوله تعالى
مكذا المبيعة هنا المشتراة لا المهجرة لانها في الصحيحة فيها من هاجر فهل له كان في صحبته اذ هاجر
او لم يكن فيقال دخل فلان معي وخرج معي وكانه عمله كملي واذا لم يقترن فيه عملكما ولو قلت خرجنا
معا لاقتضى ذلك المشيئين جميعا المشتراكين في الفعل والاقتران التاسعة ذكر الله عز وجل
العم مفردا والعمات جمعا وكذلك قال في الخالات والخالة والحكمة في ذلك ان العم والخال في الاطلاق
اسم جنس كالشاعر والراجز للسكة بخلاف العمة والخالة وهذا اعرف لغوي بخلاف الكلام عليه
لغة انبانا لرفع الاشكال وهذا دقيق فتامله قاله ابن العربي الثامنة قوله تعالى
وامراة مؤمنة عطف على واحللنا لك امراة تهب نفسها من غير صداق وقد اختلف في هذا
المعنى فروى عن ابن عباس انه قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة الا عقد نكاح
او ملك يمين فاما الهبة فلم يكن عنده منهن احد وقال قوم بل كانت عنده وهو نفسه قلت
والذي في الصحيحين يقوي هذا القول ويعضده روى مسلم عن عائشة انها قالت كنت
اغار على اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول اما تستحي امراة تهب
نفسها لرجل حتى انزل الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء قلت والله ما ارى
ربك الا يسارع في هواك وروى البخاري عن عائشة انها قالت كانت خولة بنت
حكيم من اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكر هذا من كن عشرا واحدة
والله اعلم الزمخشري وقيل الموهبات اربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة
ام المساكين الانصارية وام شريك بنت جابر الاسدية وقال عروة بن الزبير ام حكيم بنت
الاوقص السلمية التاسعة وقد اختلف في اسم الواهبة نفسها فقيل هي ام شريك الانصارية
اسمها غزية وقيل غزيلة وقيل ليلى بنت حكيم وقيل هي ميمونة بنت الحرث حين خطبها
النبي صلى الله عليه وسلم فنافقا الخاطب وهي على بعيرها فقالت البعير وما عليه لرسول الله

صلى الله عليه وسلم وقتل هبار بن الاسود العامري وكانت عذرا الى المكرم الازدي وقتل عند الطفيل
ابن الحارث فولدت له سرحبيلا وقتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها ولم يثبت ذلك وانما
اعلم ذكره ابو عمر بن عبد البر وقال الشعبي وعروة وهي زينب بنت خزيمة ام المساكين
قالوا اعلم العاشرة قذا جمهور الناس اذ وهبت بكسر الالف وهذا يقتضي استيناف الامر ان
ان وقع فهو حلال له وقد روي عن ابن عباس ومجاهد انها اذا لم تكن عند النبي صلى الله عليه
وسلم امرأة موهوبة وقد دلنا على خلافه وروي الائمة من طريق سهل وغيره في الصحاح ان
امرأة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جئت اهب لك نفسي فصمت حتى قام رجل فقال
زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة فلو كانت لهذه البهتة غيرة لما سكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانه لا يقر على الباطل اذا شهد غيره فيحتمل ان يكون سكوته منتظرا بيانا فنزلت
الاية بالتخليل والتخيير فاختارت تركها وزوجها من غيره ويحتمل ان يكون سكت منتظرا بيانا
فنزلت الاية بالتخليل والتخيير فاختارت تركها وزوجها من غيره ويحتمل ان يكون سلمت
باطرا في ذلك حتى قام الرجل لها طالبا وقذا الحسن وابي بن كعب والشعبي ان وهبت بفتح
الهاء وقذا الاعمش وامرأة مومنة وهبت قال النحاس وكسرا اجمع للمعاني لانه قبل انهن
نساء واذا فتح كان المعنى واحدة بعينها لان ٢ على البدل من امرأة او بمعنى ان
الهاء بدل عشرة قوله تعالى مومنة يدل على ان الكافرة لا تحل له قال الامام الحرمين وقد
اختلف في تحريم الحرة الكافرة عليه قال ابن القاسم وابن المواز والصحيح عندي تحريمها عليه وبذا
ينتصر علينا فانه من كان من جانب الفضايل والكرامة تحفظه فيه اكثر مما كان من جانب
النقائص فجانبه عنها اطهر فيجوز له نكاح الحرائر الكتابيات وقصره صلى الله عليه وسلم
الحلال له على المومنات واذا كان لا يحل له من لم يهاجر لتفضيلة فضل الهجرة فاجرى ان لا تحل
له الكتابية الكافرة لتفضيل الكفر الثانية عشرة قوله تعالى ان وهبت نفسها
للنبي دليل على ان النكاح عقد سفاوضة على صفات مخصوصة قد تفترق في النساء وغيرها
وقال الزجاج معنى ان وهبت نفسها للنبي اي ان وهبت نفسها للنبي حلت وقذا الحسن
اذ وهبت بفتح الهمزة واذ في موضع نصب قال الزجاج اي لان وقال غيره ان وهبت
بدل الاشتمال من امرأة الثالثة عشرة قوله تعالى اذا اراد النبي ان يستنكحها اذا اذن
المرأة نفسها وقبلها صلى الله عليه وسلم حلت له واذا لم تقبلها لم يلزم ذلك كما اذا وهب لرجل شيا
فلا يجب عليه القبول سد آن من مكارم الاخلاق لنبينا ان يقبل من الواهب لهبته ويروي
الاكارم ان رد لها هجنة في العادة ووصمة على الواهب واذا به لعليه فمن الله ذلك في حق
رسوله صلى الله عليه وسلم وجعله قرانا يتلى لرفع عنه الحرج ويبطل نظر الناس في عاد ٢٨
وقولهم الرابعة عشرة قوله تعالى خالصة لك اي هبتنا لك انا اعلمنا ما فرضنا
ومرتبة لا يجوز ٢ فلا يجوز ان تهب المرأة نفسها لرجل ووجه الخاصة انها لو طلبت
فرضا المهر قبل الدخول لم يكن لها ذلك فاما فيما بيننا فللموهوبة طلب المهر قبل الدخول
ومهر المثل بعد الدخول الخامسة عشرة اجمع العلماء ان هبة المرأة نفسها غير جايز
وان هذا اللفظ من الهبة لا ينعقد عليه نكاح الا ما روي عن ابي ح وصاحبه فانهم قالوا
فاسهم اذا وهبت فاسمد نحو على نفسه مهر فذلك جايز قال ابن عطية فليس في قولهم
ما يجوز العبارة ولفظة الهبة والا فالاجماع قايم على ان شرطوها هي فقال النكاح بعقد
وقد تقدمت هذه المسئلة مستوفاة والحمد لله الساد سة عشرة خصائصه
رسوله في احكام الشريعة بعضها ان لم يشاركه فيها احد في باب الفرض والتحريم والتحليل من به
على الامة وهبت له ومرتبته خص بها فرضت عليه اشياء فرضت على غيره وحرمت عليه
اشياء لم تحرم عليهم وحللت له اشياء يحل لهم منها متفق عليه ومختلف فيه اما ما فرض
عليه فصلاة الوتر والتهجد بالليل الثاني الصحى الثالث الاضحى الرابع الوتر وهو بدل
في قسم التهجد الخامس السواك السادس فضاء دين من مات معسرا السابع مشاورة
ذوي الارحام في غير الشرايع الثامن تخيير النساء اذا عمل على ابنته زاد في مهره
وكان يجب عليه اذا راى منكرا انكره واظهره لان انذاره لغيره على ذلك يدل على جوازه
ذكره صاحب البيان واما ما حرم عليه فجملة عشرة الاول تحريم الزكاة عليه وعلى اله
الثاني صدقة التطوع عليه وفي اله تفصيل باختلاف الثالث خائنة الاعين وهو ان
يخالف ما يضمر ويخدع عما يجب وقد ذم لمضمر الكفر وعند ذلك ٢ الا ان لا تقول عند
دخوله الرابع حرم عليه اذا لبس لامته ان يحلها عند ويحكم الله بينه وبين محاربه

الخامس الاكل منكما السادس اكل الطعمة الكريهة الرابعة السابع العدد بازواجه وسبانى الثامن
نكاح امراة تكره صحبته التاسع السادس نكاح الحرة الكتابية العاشر نكاح الامة وحرم الله
عليه السلام جرمها في حيرة تنزيها له وتطهيرا فحرم الله عليه الكهانة وقول الشعر وتعليمه
ما ليس الحجنة وبانا لحجرنة قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
وذكر الفاشر اذ النبي صلى الله عليه وسلم مات حتى كتب والاول هو المشهور وحرم الله عليه ان
يمد عينيه الى ما متع به الناس قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم
وانما أحل الله له فيما ملكه سبعة على الاوصاف المتقدم الثاني الاستبداد بخمس
والخمس الثالث الوصال الرابع الزيادة على اربع لسعة الخامس النكاح بلفظ الهبة السادس
النكاح بغير ولي السابع النكاح بغير صداق الثامن نكاحه في حالة الاحرام التاسع سقوط
القسم من الازواج عنه وسبانى العاشر اذا وقع بصر على امراة وجب على زوجها طلاقها وحل
لها نكاحها قال ابن العربي هكذا قال الامام الحرمين وقد قضى ما للعلماء قضية زيد من
هذا المعنى الحادية عشرة انه اذا اعتق صفية وجعل عتقها صداقها الثاني عشر دخوله
مكة بغير احرام وفي حقائقه اختلاف الثالث عشر القتال بمكة الرابع عشر انه لا يورث
وانما ذكر هذا في قسم التمليك لان الرجل اذا قارب الموت بالمرض زال عنه اكثر ملكه ولم
يبق له الا الثلث خالصا وقد سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقرر ثبانية في انه
الوارث وسورة مريم بيانه الخامس عشر اذا طلق امراة بقي حرمته عليها فلا تنكح
وهذه الاقسام الثلثة تنتظم معظمها مفصلا في مواضعها وسبانى ان شاء الله وابيح
له عليه السلام اخذ الطعام والشراب من الجايع والعطشان وان كان من هو معه يجاف
على نفسه التلاف لقوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وعلى كل احد من المسلمين ان يقي
النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه وابيح له ان يحمي لنفسه والرمة الله بتحليل الغنايم وجعل
الارض له ولامته مسجدا وطهورا وكان من الانبيا لا يفتح صلاتهم الا في المساجد ونصر
بالرعب فكان العدو يخافه من مسيره شهر وبث الي كافة الخلق وقد كان من قبله من
الانبيا يبعث الواحد الى بعض الناس دون بعض وحفظت معجزاته على سبيل صلى الله عليه
وسلم وخرج الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وكانت معجزة عيسى احيا الموتى وابرء
الاكمه والابرص وقد سبحت الحصى في يد النبي صلى الله عليه وسلم وحن الجذع اليه وهو ابلغ وفضله
الله عليهم بان جعل القرآن معجزة له وجعل معجزته فيه باقية الى يوم القيامة ولقد اهملت
نبوته نبوة لا يبتنج الى يوم القيامة منه السابعة عشرة قوله ان يستكحها اي ينكحها
يقال نكح واستنكح مثل عجب واستعجب وجعل واستجعل ويجوز ان يرد الاستنكاح بمعنى
طلب النكاح او طلب الوطء وخالطه نصب على الحال قاله الزجاج وقيل حال من ضمير متصل
بفعل مضمر دل عليه المصدر تقديره احللنا لك ازواجك واحللنا لك امراة مومنة احللنا
خالصة بلفظ الهبة بغير صداق وغيري الثامنة عشرة قوله تعالى من دون
المومنين فايدته اذا لكفار زوجا طيبين بفروع الشريعة عندنا فليس لهم في ذلك
دخول لان تقرير الاحكام انما يكون فيهم على تقدير اسلامهم قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا
عليهم في ازواجهم الى قوله حيث على المومنين وقوله لا يتزوجوا الا اربع نسوة بمهر وبينه وولي
قال معناه ابن كعب وقتادة وغيرهما التاسعة عشرة قوله تعالى لكيلا يكون عليك
حرج اي ضيق في امرانت فيه محتاج الى التسعة ببيانها هذا البيان وشرحنا هذا البيان لكي
لا يكون عليك حرج فلكي لا متعلق بقوله انا احللنا لك ازواجك اي فلا يضيق قلبك
حتى تظهر منك انك قد امنت عند ربك في شيء مما لم تعالى جميع المومنين بغفرانه ورحمته
فقال تعالى وكان الله غفورا رحيما قوله تعالى ترجي من تشا منهن وتوي اليك من تشا منهن
احدى عشرة مسالة الاولى قوله تعالى ترجي من ترى بهمزا وغير مهموز وهما لغتان لقال
ارجيت الامر وارجاته اذا اخرته وتوي يتضم تقال اويت اليه بمد ووده الحلف ضم اليه واوي
مقصورة الالف انضم اليه الثانية واختلف العلماء فيما ولي هذه الاية فاصح ما قيل فيها
التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته
وهذا القول هو الذي يناسب ما مضى وهو الذي يدل معناه في الصحيح من عائشة رضي
الله عنها قالت كنت اغار على اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول
لو تهب المراة نفسها لرجل فلما انزل الله عز وجل ترجي من تشا منهن وتوي اليك من تشا
ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قلت والله ما ارى ربك الا يسارع في هواك قال ابن العربي

ها

هذا الذي يثبت في الصحيح هو الذي ينبغي ان يقول عليه والمعنى المراد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان مخيرا في ازواجه ان شاء ان يقسم قسم وان شاء ان ينزل النقسم ترك قسمه النبي صلى الله
عليه وسلم بان جعل الامر اليه فيه لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون ان فرض ذلك عليه تطييبا
لنفوس من دونها لهن عن اقوال المغيرة والتي تؤدي الى ما ينبغي وقيل كان القسم واجبا على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم نسخ الوجوب عنه بهذه الاية قال ابو مرزين كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد هم بطلاق بعض نسائه فقلن له اقسم لنا ما شئت فكان ممن اوى
عائشة وحفصة وام سلمة وزينب فكان يقسم لهن ما شاء وقيل المراد
الواهبات روى هاشم بن عروة عن ابيه عن عائشة في قوله ترجي من تشاء منهن قالت
هذه في الواهبات انفسهن قال الشعبي هن الواهبات انفسهن تزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم منهن وترك منهن وقال الزهري ما علمنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجا
احدا من ازواجه بل اوا لهن كلهن وقال ابن عباس وغيره المعنى في طلاق من شاء منهن حصل في
عصمته وامساك من شاء وقيل غير هذا وكل شيء مدني فالاية معناه التوسعة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم والاباحة وهذا اختيار ابي حاتم واصح والله اعلم الثالثة ذهب هبة الله في الناسخ والمنسوخ
الى ان قوله ترجي من تشاء الاية ناسخ لقوله لا يحل لك النساء من بعد الاية وقال الليث في كتاب الله
ناسخ بعدم المتوفى سوى هذا وكلامه يضعف من حيث ان في البقرة عدة المتوفى عنها
اربعة اشهر وعشر وهو ناسخ للحول وقد تقدم عليه الرابعة قوله تعالى ومن ابتغيت
ممن عزلت ابتغيت طلبت والمبتغى الطلب وعزلت ازلت وانزلت الازالة اي ان اردت
ان تؤوي اليك امراة ممن عزلتهن من القسمة وترجعها اليك فلا باس عليك في ذلك وكذلك حكم الارجا
قد احد الطرفين على الثاني الخامسة قوله تعالى فلا جناح عليك اي لا سبيل بقال
جنحت السفينة اي مالت الى احد جانبيها وضلعيها لا سبيل عليك باللوم والتوبيخ السادسة
قوله تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن قال قتادة وغيره اذ ذلك التخيير الذي خيرنا لك
في صحبتك فاذا الى رضاهن اذا علمن من عند نا لانهن اذا علمن ان العدل من الله قرت اعينهن
بما اوتين منه وان قل وان علمن ان له حقا لم يقنعه ما اوتي منه واستدل بعض اصحابنا وعلماء ان
قوله

على غير الميل فاما الحب والبغض فمحاجان عن الكسب فلا يسامح العدل فيهما وهو المعنى بقوله عليه
السلام في قسمته اللهم هذا فعلي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك لخرجه النسائي وابو
داود عن عائشة رضي الله عنها وفي الكتاب ابو داود وفي معنى الغلب والية الاشارة بقوله تعالى ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم وقوله والله يعلم ما في قلوبكم وهذا هو وجه
تخصيصه بالذكر هنا تنبيها منه لنا على انه يعلم ما في قلوبنا من ميل بعضنا الى بعض من غير ما
من النساء دون البعض وهو العالم بكل شيء لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء يعلم السر واخفى
عليه سبحانه لكنه سمح في ذلك اذ لا يستطيع العبد ان يصرف قلبه عن ذلك الميل والى ذلك يعود
قوله وكان الله غفورا رحيما وقد قيل في قوله ذلك ادنى ان تقر اعينهن وهي العاشرة اي ذلك
اقرب اذ لا يجبن اذا لم يجمع احداهن مع الاخرى وتعلن الا تزوجه والميل ورى ابو داود عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فمال الى احداهما جاء يوم القيامة وشقه
مائل ولا يحتج بما انتهين كلهن توكيد للمضمر في ايتهن ويرضين كلهن واجاز ابو حاتم والزجاج ورضين
بما اتيتهن كلهن على التوكيد للمضمر الذي في ايتهن والقراءة بخلافه لان المعنى ليس عليه اذ كان المعنى
ويرضين كل واحدة منهن وليس المعنى ما اعطيتهن كلهن المخاطبين والذي قاله حسن قولك لقائل
والله نعلم ما في قلوبكم خير قام والاشارة الى ما في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من
محبة شخص دون شخص وكذلك يدخل في المعنى بقية المؤمنين وفي البخاري عن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى ذات السلاسل فقلت اي الناس احب اليك قال
فقلت من الرجال فقال ابوها فقلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا وقد تقدم القول
في القلب بما فيه كفاية في اول البقرة وفي اول هذه السورة يروى ان لقمان الحكيم كان عبدا نجارا
قال له سيده اذبح شاة وائتني باطيبها بضعتين فاتاه باللسان والقلب ثم امره يوما بذبح شاة
اخرى فقال له القها بضعتين وائتني باللسان والقلب فقال ليس شيء اطيب منهما
اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن
من ازواج عدد سبع مسائل المسألة الاولى اختلف العلماء في تاويل قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد ما
فقيل معناه لا تحل لك النساء بعد التسع اللواتي تحت عصمتك الآن وقيل معناه لا تحل لك النساء
بعد اليوم وهذا اولى لانها مستوفية بالسنة والناسخ لها حديث عائشة قالت فمات رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين احل له النساء وقد تقدم انها مستوفية بابيها اخرجه ابو داود
والنسائي وصححه ام سلمة قالت لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتما حل الله له ان يتزوج
من النساء من شاء الا ما حرم وذلك قوله عز وجل ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء
الى قوله عليما وهذا والله اعلم اولى ما قيل في الاية وهو قول ما شئت واجد في النسخ
وقد يجوز ان يكون عائشة اردت احل له ذلك بالقرآن وهو رأي هذا قول علي بن ابي طالب
وابن عباس وعلي بن الحسين والضحاك وقد عارض بعض فقهاء الكوفيين وقال انما نسخ
هذه الاية يعني ترجي من تشاء منهن لا يحل لك النساء من بعد وهي قبلها في المصحف الذي جمع عليه
المسلمون ورجح قول من قال نسخت بالسنة قال النحاس وهذا المعارضة لا تلزم لان
وقتها خالف لان القرآن يمكن ان يكون سورة واحدة صح عن ابن عباس ان الله انزل القرآن جملة واحدة
الى السماء الدنيا في شهر رمضان وسعين ليلة اذا عترض هذا لا يلزم قوله عز وجل والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج منسوخة على
قول اهل التاويل لا يعلم بينهما خلافا في الاية التي قبلها والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا
يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا الثالثة ان النبي صلى الله عليه وسلم خطر عليه ان يتزوج
على نسائه لانهن اخترن الله ورسوله والدار الاخرة هذا قول الحسن وابن سيرين وابي بكر
ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال النحاس وهذا القول يجوز ان يكون هكذا ثم
نسخ الرابع انه لما حرم عليهن ان يتزوجن بعده حرم عليه ان يتزوج غيرهن قاله ابو
امامة بن سهل بن حنيف الخامسة لا يحل لك النساء من بعد الاصناف التي
سميت قاله ابن كيسان وعكرمة وابو رزين وهو اختيار محمد بن جرير ومن قال بان
الاباحة كانت له مطلقة قال هنا لا يحل لك النساء لا تحل لك اليهودية ولا النصرانية
وقد اثنى عليه بعد روي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة انها نصارى وهو القول
السادس قال مجاهد فيما ذكر لا يكون كافرة ام المؤمنين وهذا القول سعد لانه يقتضي
بعد المسلمات ولم يحرم المسلمات ذكر وكذلك قدروا كان يتبدل بهن ايمة ولا ان تطلق هو
مسلمة يستدل بما كانت به السابع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له حلالا ان يتزوج
من شاء ثم نسخ ذلك قال وكذلك كانت الانبياء قبله صلى الله عليه وسلم قال اسعد بن كعب

بن كعب القرظي الثاني قوله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج قال ابن زيد هذا شيء كانت العرب تفعله تقول لاخر نحن حدثني واعطني وخلني روى الدارقطني عن ابي هريرة قال كان البدل في الجاهلية ان يقول الرجل للرجل انزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي وازيدك فانزل الله عز وجل ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن قال فدخل عيينة بن حصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فدخل بغير اذن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة فاين الاستيذان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ اركبته قال فمن هذه الحميراء الى جنبك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عائشة ام المؤمنين قال افلا انزل عن الحسن الخلق فقال يا عيينة ان الله قد حرم ذلك قال فلما خرج قالت عائشة يا رسول الله من هذا قالت احمق مطاع وانه على ما ترين سيد قومه وفد انكر ذلك الطبري والنحاس وغيرهما ما حكاه بن زيد عن العرب من ابدالها ما تتنا بازواجها قال الطبري وما فعلت العرب قط هذا وما روي من حديث عيينة بن حصن من انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة الحديث فليس بشيء بل ولا اراد ذلك وانما احقر عائشة لانها كانت صبية فقال هذا القول قلت وما ذكرناه من حديث زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة من ان البدل كان في الجاهلية يرد على خلاف ما انكروا من ذلك والله اعلم قال المبرد وفرق لا تحل بالياء والتاء فمن قرأ بالتاء فعلى معنى جماعة النساء وبالياء من تحت على معنى جميع النساء وزعم الفراء قال احمد فالقراء على ان القراءة بالياء وهذا غلط وكيف يقال احمد القراء وقد قرأ بها عمرو ولا تبدل حسنهن قال ابن عباس نزلت ذلك لسبب انها بنت عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حش عنها فجعل ابن ابي طالب حشها فاراد ان يتزوجها فنزلت الاية وهذا حديث ضعيف قاله ابن العربي آخر القراءة في هذه الاية دليل على جواز ان ينظر الرجل الى من يريد زواجها وقد اراد المغيرة بن شعبة زواج امرأة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما اخرجه الصحيح قال الحميدي وابو الفرج الجوزي صغيرا او زفا وقيل رضاها الخامسة الامر بالنظر الى المخطوبة انما هو على جهة الارشاد انما هو على جهتنا الى المصلحة فانه اذا نظر اليها فلعله يرى ما يرغبه في نكاحها ومما يدل على ان الامر على جهة الارشاد ما ذكره ابو داود من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا خطب احدكم المرأة فان استطاع ان ينظر منها الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل فليفعل لا تقاس مسئلة فانه واجب وبعد ان قال جمهور الفقهاء مالك والشافعي والكوفيون وغيرهم واهل الظاهر وذكره ذلك قوم لا مبالاة بقولهم للاحاديث الصحيحة وقوله تعالى ولو اعجبك حسنهن وقال محمد بن ابي حنة رأيت محمد بن مسلمة يطارد نبيه بنت الضحاك على احار من احاجير المدينة فقلت له اتفعل هذا فقال نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا القى الله في قلب احدكم خطبة امرأة فلا بأس ان ينظر اليها الشاذة اختلف فيما يجوز ان ينظر منها فقال مالك تنظر الى وجهها وكفيها ولا تنظر الى اذنها وقال الشافعي واخذ باذنها او غيرها اذا كانت مستترة وقال ابو حنيفة وزاعي تنظر اليها وتحتمد وتنظر مواضع اللحم منها قال داود وينظر الى سائر جسدها تمسكا بظاهر اللفظ واصول الشريعة ترد عليه في تحريم الاطلاع على العورة والله اعلم الشاذة هنا لم تقا ب الا ما ملكت يمينك لاختلف العلماء في احلال الامة اذا كانت زوجة للنبي صلى الله عليه وسلم على قولين محل لعموم قوله الا ما ملكت يمينك قاله مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء والحكم قالوا فقوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد اي لا تحل لك النساء من غير المسلمات فاما اليهود والنصرانيات والمشركات فتحرم عليك اي لا تحل لك ان تتزوج كافرة فتكون اما للمؤمنين ولو اعجبك حسنها الا ما ملكت يمينك فان له ان يتسرى بها القول الثاني ضعيف لقدرته عن مباشرة الكافرة وقد قال تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر فكيف به صلى الله عليه وسلم وعلى قوله الا ما ملكت يمينك في موضع رفع بدل من النساء ويجوز ان يكون موضع نصب على استثناء منقطع ويجوز ان يكون مصدر بمعنى التقدير الا ما ملكت يمينك وملكت بمعنى مملوك وهو في موضع نصب كأنه استثنى من غير الجنس الا ولد قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى قوله عظيما فيه ست عشرة مسئلة الاولى قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم انه في موضع نصب على معنى الا بان يؤذن لكم او يكون استثناء ليس من الاول الى طعام غير ناظرين اناه نصب على الحال اي لا تدخلوا في هذه الحال ولا يجوز في غير الخفض على النعت للطعام

لانه

لانه لو كان نفسا لم يكن بد من اظهار الفاعلين وكان يقول غير ناظرين اناه انتم ونظم هذا من النحو هذا
رجل صالح رجل ملازم له هو وهذه الآية تضمنت قصتين احدهما الادب في امر الطعام والجلوس والثانية
امر الحجاب وقال حماد بن زيد هذه الآية نزلت في الثقلاء فاما الفضلاء الاولى فالجمهور من المفسرين
على ان سببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش امرأة زيد اولم عليها
فدعا الناس فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجه
مولية وجهها الى الحائط تثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انس فما ادري آخبرت
النبي صلى الله عليه وسلم ان القوم قد خرجوا او اخبر بي قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل
معه فالقى الستر بيني وبينه وانزل الحجاب قال وعظ القوم بما وعظوا به وانزل الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الى قوله ان ذلكم كان عند الله عظيما اخرجه الصحيح
وقال قتادة ومقاتل في كتاب التسلي لهذا السبب جرى بين ام سلمة والاول الصحيح
كما رواه الصحيح وقال قتادة عن انس نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي
صلى الله عليه وسلم فيدخلون قبل ان يدرك الطعام فيقعدون الى ان يدرك ثم ياكلون ولا
يخرجون وقال اسمعيل بن ابي حكيم فهذا ادب الله به الثقلاء وقال ابن ابي عائشة في
كتاب التعليم حسن من الثقلاء ان الشرع يخجلهم واما قصة الحجاب فقال انس بن مالك
وجماعة سببها امر القعود في بيت زينب القصة المذكورة انفا وقالت عائشة رضي الله عنها
وجماعة سببها ان عمر قال قلت يا رسول الله ان بحتا ان يدخل عليهن البر والفاجر فلو
امرتهن ان يحتجبن فنزلت الاية وروى الصحيح عن ابن عمر قال قال عمر وافقت ربي في
ثلاث في مقام ابراهيم وفي الحجاب واساري بدر هذا اصح ما قيل في امر الحجاب وفي هذه
الاقوال من الاحاديث والروايات فوائد لا يقوم شيء منها على ساق واصفها ما روى
عن ابن مسعود ان عمر امرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب بنت جحش يا ابن
الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فانزل الله تعالى واذا سالتموهن متاعا
فاسلوهن من وراء حجاب وهذا باطل لان الحجاب نزل يوم البناء بزينب كما بيناه اخرجه
البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينظم ومعه
بعض اصحابه فاصاب يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت اية الحجاب
قال ابن عطية وكانت سيرة القوم اذا كان لهم طعام وليمة او نحوه ان يبكروا من شا الى الدعوة
ينتظرون نضج الطعام وتضجه وكذلك اذا فرغوا منه جلسوا كذلك فنهى الله المؤمنين عن
امثال ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في النهي سائر المؤمنين والتزم الناس اذا
امر الله تعالى لهم في ذلك فمنهم من لا يدخل الا باذن عند الاكل لا قبله لانتظار نضج الطعام
الثانية في قوله تعالى ببيوت النبي دليل على ان البيت للرجل وتحل له وفاق اضافة له وفاق
قيل فقد قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن الاية قلنا اضافة البيوت الى النبي اضافة
ملك واضافة البيوت الى الازواج اضافة محل بدليل انه جعل فيها الاذن للنبي صلى الله
عليه وسلم والاذن انما يكون في الملك الثالثة واختلف العلماء في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم
اذا كان لم يسكن فيها احد بعد موته هل هي ملك لهن ام لا على قولين فقالت طائفة كانت ملكا
لهن بدليل انهن سكن فيها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم الى وفاتهن وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم وهب ذلك لهن في حياته الثانية ان ذلك كان اسكانا كما كان الرجل اهله وسكنه
هبة وتمليكا بما الى البيوت وهذا هو الصحيح وهو الذي ارتضاه ابو عمر وابن العربي
وغيرهم فان ذلك من موؤنتهن التي كان النبي صلى الله عليه وسلم استنا لهن كما استن لهن
نفقاتهن حين قال لا تقسم ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة اهلي ومؤنة
عاملي فهو صدقة هكذا قال اهل العلم قالوا ويدل على ذلك ان سكناهن لم ترثها عنهن
ورثتهن قالوا ولو كان ذلك ملكا لهن كان لا شك قد ورثه عنهن ورثتهن قالوا وفي
ترك ورثتهن ذلك دليل على انها لم تكن لهن ملكا وانما كان لهن سكناها حياتهن فلما توفين
حمل ذلك فرارا ذمة الذي يقيم المسلمين نفعه كما حمل ذلك الدين كان له من التفقات
في تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم منضمين لبيت المال فصرف في
منافع المسلمين عامتهم جميعهم نفعه والله الموفق قوله تعالى غير ناظرين اناه اي
غير منتظرين وقت نضجه وانا مقصور فيها لفتان الحاء بكسر الهمزة قال الشاعري
وكنا اذ لقتمه بنوه باسياف كما اقتسم الخمام تحفت الملوك له يوم اي ولكل
حامله تمام وقرا ابن ابي عبله غير ناظرين مجرورا صفة لطعام الزمخشري لبين

لانه جرى على غير ما هو له من حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال عزنا طرين انا ه انتم كقوله
هند زينب ضاربته هي وانا نفخمها وانا نفخم الهمزة والمد قال الخطيئة واخرت
العشا الى سهيل او الشعرى فطال بنا الا نا ه يعني طلوع سهيل وانا مصدر انا الشيء
يانى اذا تزع وحان وادرك ومنه قول الشاعر
الرابع قوله تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاكد المنع وحقق وقت الدخول بانا يكون
عند الاذن على وجه الادب وحفظ الحرمة الكريمة من المبا سطة المكروهة قال ابن العربي
ونعوذ بالله من الكلام ولكن اذا دعيتم واذن لكم فادخلوا والا فتفسل الدعوة لا يكون اذنا كما في
الدخول والغاء جواب اذا لازمته لها من معنى المجازاة الخامسة قوله تعالى فاذا طعمتم
فانتشروا امر تعالى بعد الطعام ان تفترق جمعهم ويلتشروا والمراد الزام الخروج من
المنزل عند انقضاء المقصود من الاكل والدليل على ذلك ان الدخول حرام وانما جاز لاجل
الاكل فاذا انقضى الاكل زال السبب المبيح وعاد التحريم الى اصله السادسة في هذه الاية
دليل على ان الضيف ياكل على ملك المضيف لانه لا على ملك نفسه لانه قال فاذا طعمتم فلم يجعل
له اكثر من الاكل ولا اضاف الطعم سواه ونفى الملك على اصله السابعة قوله تعالى ولا
مستانسين لحديث عطف على قوله غير ناظرين وعليه يصح الكلام والمعنى
ولكم ايها غير ناظرين ولا مستانسين والمعنى المقصود لا تمكثوا مستانسين بالحديث كما فعل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب انه ربما كان يؤذى الذي فتستحي منكم والله لا
يستحي اي لا يمتنع من بيانه واظهاره ولما كان ذلك يقع في النشر لعلة استحيا نفى عن الله
تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر وفي الصحيحين عن ام سلمة قالت جاءت ام سليم الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني لا استحي من الحق فهل على المراة من غسل اذا احتلمت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رات الماء الثامنة قوله تعالى واذا سالتموهن
متاعا الاية روى ابو داود الطيالسي عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في اربع
فقلت يا رسول الله لو ضربت على نسائك الحجاب فانه يدخل عليهن البر والفاجر فانزل الله
عز وجل واذا سالتموهن متاعا فاسالتموهن من وراء حجاب واختلف في المتاع فقيل ما يمتع
به من الغواري وقيل قنوي وقيل صحف القران والصواب انه عام في جميع ما يمكن ان يطلب
من الوا عمن وساتر المرافق للدين والدنيا التاسعة في هذه الاية دليل على ان الله تعالى
اذن في مسئلتين من وراء حجاب في حاجة تعرض او مسئلة يستفتى فيها ويدخل في ذلك
جميع النساء بالمعنى وما تضمنته اصول الشريعة من ان المراة كلها عورة بدنها وصوتها كما
تقدم فلا يجوز كشف ذلك الا لحاجة كالشهادة او ان يكون بيدها او سوالها كما تعرض وتعين
عند القاضي وقد استدل بعض العلماء باخذ الناس عن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من وراء
حجاب على جواز شهادة الاعمى بطريق وحقه بصره فتنه بدلا منها وعلى اجازة شهادة اكثر العلماء ولم
يجزها ابو حنيفة والشافعي وغيرهما قال ابو حنيفة يجوز في الاسباب وقال الشافعي لا يجوز الا فيما
يراه قبل ذهاب بصره الحادية عشرة قوله تعالى ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن
تريد من الخواطر التي تعرض للرجال في النساء وللنساء في امر الرجال اي ذلك اصفى للريبة وابعد
للتهمة واقوى في الحجاب وهذا يدل على انه لا ينبغي لاحد ان ينفرد بنفسه في الخلوة مع من لا تحل
له فان محادثة ذلك احسن لحاله واحصن لنفسه وانم لعصمته الثانية عشرة وما كان
لكم ان تؤذوا رسول الله الاية هذا تكرار للعلة وتاكيد لحكمها وتاكيد العلل اقوى في الاحكام
الثالثة عشرة قوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا روى اسمعيل بن اسحق
قال نا محمد بن عبيد قال نا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان رجلا قال لو قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم تزوجت عائشة فانزل الله تعالى ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية ونزلت
واولوا ارحامهم وقال الفقيه ابو نصر عبد الرحيم قال ابن عباس فاي رجل من مات من قريش
من العشرة الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على حراء نفسه لو توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتزوجت عائشة وهي بنت عمي قال مقاتل هو طلحة بن عبيد الله قال ابن عباس
وندم هذا الرجل على ما حدث به في نفسه فمشى الى مكة على رجليه وحمل على عشرة افراس
في سبيل الله واعتق رقبة فكفر الله عنه وقال ابن عطية روي انها نزلت بسبب ان بعض
الصحابة قال لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عائشة فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاداه بهذا كذا كتبت عنه عن ابن عباس ببعض التخابة وحكى مكي عن عمر انه قال
هو طلحة بن عبيد الله قلت وكذا حكى النحاس عن عمر انه طلحة ولا يصح قال ابن عطية وان

عباس

عباس وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيد الله قال شيخنا الامام ابو العباس وقد حكى هذا القول عن
بعض فضلاء الصحابة وحاشاهم عن مثله وانما الكذب في نقله وانما يليق مثل هذا القول
بالمنافقين لجهالة لم يروعه ان رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام سلمة بعد ابي سلمة وخصصت بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو قد مات
لاحلها السهام على نسائه فنزلت الاية في هذا تحرم ان نكاح ازواجه من بعده وجعل ذلك من
المهات وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه وتنبيها على من ينبغي صلى الله عليه وسلم هو
قال الشافعي رحمه الله وازواجه صلى الله عليه وسلم اللاتي مات عنهن لم يحل لاحد نكاحهن
ومن استحل ذلك كان كافرا لقوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا وقد قيل انما منع من التزوج بزوجاته لانهن ازواجه في الجنة وان المرأة في الجنة
لاحد ازواجها قال حذيفة لامرأته ان سرك ان تكوني زوجتي في الجنة ان جمعنا الله فيها فلا
تزوجي من بعدي فان المرأة لاحد ازواجها وقد ذكرنا ما للعلماء في هذا في كتاب التذكرة من ابواب
الجنة الرابعة عشرة اختلف العلماء في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته هل تعتبر ازواجا ام زال
النكاح بالموت فلا يحل عليهن عدة ام لا فصل عليهن العدة لانه توفي عنهن والعدة عبادة وفضل عبرة
عليهن لانها مدة ترتص لا يبتغطها الا باخة وهو الصحيح لقوله عليه السلام ما تركت ما
تركت بعد نفقة عيالي ومؤنة اهلي وهذا الا خاص بالزوجية ما بقي عليهن النفقة والسكنى
مدة حياتهن لكونهن نساءه ومن على غيره وهذا هو معنى قولنا النكاح وانما حمل الموت في حقه
عليه السلام لهن بمنزلة الغيبة في حق غيره لكونهن ازواجا لهن في الاخرة قطعا لخلاف
سائر الناس لان الرجل لا يعلم كونهم معه في دار واحدة فربما كان احدهما في الجنة والاخر في
النار وهذا انقطع السبب في حق الخلق وبقي في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام
روجاتي في الدنيا وروجاتي في الاخرة وقال عليه السلام كل سبب ونسب منقطع الا سببي ونسبي
فانه باق الى يوم القيامة شرفا فازواجه عليه السلام اللاتي فارقهن في حياته مثل
الكلبية وغيرها فهل كان يحل لغيره نكاحهن فيه خلاف والصحيح جواز ذلك لما روي ان الكلبية
التي فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها عكرمة بن ابي جهل على ما تقدم وقيل اذ الذي تزوجها
الاشعث بن قيس الكندي قال القاضي ابو الطيب الذي تزوجها منهما جون ابي اسنة وانكر ذلك
احمد بن حنبل انه اجماع الخامسة عشرة قوله تعالى ذلكم كان عند الله عظيما يعني اذاية رسول
الله صلى الله عليه وسلم او نكاح ازواجه فجعل ذلك من جملة الكبائر ولا ذنب اعظم منه السادسة
عشرة قد بينا سبب نزول الحجاب من حديث انس وقول عمر وكان يقول لسودة اذا خرجت
وكانت امرأة طويلة قد رايناك يا سودة حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله اية الحجاب ولا
بعد في نزول الاية بقول هذه النساء كلها والله اعلم بيد انه لما ماتت زينب بنت جحش
قال لا يشهد جنازتها الا ذو محرم منها من اجل الحجاب الذي نزل بسببها فدلت اسماء بنت عميس
على ستر هاعلى النعش في الحبشة واعلمته اياها ان ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر وروي
ان ذلك صنع في جنازة فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تبدوا شيئا او
تخفوه الاية الباري سبحانه وتعالى عالم بما بدا وما خفا وما كان وما لم يكن لا يخفى عليه ما خطر لعبد
ولا استقبل به وهذا على العموم تمدح به وهو اهل الحمد والمراد به ههنا التوبيخ والوعيد
لمن تقدم التفريط فيه في الاية قبلها من اسرار الله بقوله ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ومن اشبه
البيع في قوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فقبل لهم في
هذه الاية ان الله تعالى يعلم ما تخفونه من هذه المقترنات والخواطر المكروهة وبما تكلم
عليها فصارت هذه الاية منقطعة عما قبلها بمدته لها والله اعلم فوله تعالى
لا جناح عليهن في اباءهن فيه ثلاث مسائل الاولى لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء
والاقارب يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخن ايضا كلمهن من وراء حجاب فنزلت هذه الاية
الثانية ذكر الله في هذه الاية من يحل للمرأة البروز له ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين
وقد يسميهم الله تعالى بهذا الاسم الاهلك والد ابيك ابراهيم واسمعيل واسحق كان
العم قال الزجاج العم والخال ربما يصفان المرأة لولدهما فان المرأة تحل لابن العم وابن الخال
فكره لهما الرؤية وذكره الشعبي وعكرمة ان تضع المرأة خمارها عند عمها وخالها وقد ذكرنا
هذه الاية بعد المحارم وذكر الجميع في سورة النور فهذه الاية بعض تلك وقد مضى الكلام هناك
مستوفى والحمد لله الثالثة قوله تعالى واتقين الله لما ذكر الله تعالى الرخصة في
هذه الاصناف واتجرمن الاباحة عطف بامرهن بالتقوى عطف جملة وهذه في نهاية

البلاغة والايجاز كما نبه فقال اقتصروا على هذا وانظر حسن الله فيما ان يعبر به عن غيره وحض الناس بالذكر وعينهن في هذا الامر لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن والله اعلم ثم شرع تعالى في بيان ان الله كان على كل شيء مقتدرا فقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا هذه الآية شرف الله بها رسوله عليه السلام حيا له وميتا وذكر منزلته عنده وظهر بها سر فضل من استضيء في جملته فكرة سوء في امر زوجاته وخوف ذلك والصلاة من الله رحمته ورضوانه ومن الملائكة الدعاء والاستغفار ومن الامة الدعاء والتعظيم لامره مسئلة واختلف العلماء في الضمير في قوله يصلون فقالت فرقة الضمير فيه لله والملائكة وهذا قول من لا يلتفت اليه ممن يشرف به ملائكته قال الصحيح الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اخرجه الصحيح لانهم قالوا لانه ليس لاحد ان يجمع ذكر الله تعالى مع غيره في ضمير واحد فيصل في ذلك ما لبسا وقالت فرقة في الكلام حذف تقديره ان الله يصلي وملائكته يصلون وليس في الآية اجتماع في ضمير وذلك جائز للشرف فعله ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لبئس الخطيب انت لهذا المعنى وانما قاله لان الخطيب وقف على احدهما وسكت سكتة واستدبر اما رواه ابو داود عن عدي بن حاتم ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله فقال من يطع الله ورسوله ومن يعصهما فقال قم او اذهب بئس الخطيب الا انه يحتمل ان يكون لما خطأه في وقفه وقال له بئس الخطيب اصلح له بعد ذلك جميع كلامه فقال قل ومن يعص الله ورسوله كما في كتاب مسلم وهو نص في القول الاول لم يقف ومن يعصهما وقرأ ابن عباس وملائكته بالرفع على موضع اسم الله فصل وحول ان والجمهور بالنصب عطفا على المكتوبة في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما امر تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبين انبأ به لشرفه له ولا خلاف في ان الصلاة عليه فرض في العمر مرة وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يستطيع تركها ولا يغفلها الا من لا خير فيه الزمخشري فان قلت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ام مندوب قلت انها قلت وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كما جرى ذكره وفي الحديث وذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله وروي انه قيل له يا رسول الله قد علمنا قولك الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكا اذا ذكر عند مسلم فصلى علي لم يزل ذلك الملك يستغفر له ويقول الله وملائكته جوابا لذلك الملكين امين ولا اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذلك المكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذلك الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قال في آية السجدة وتشميت العاطس ولذلك في كل دعاء في اوله واخره وكذلك قال اطباء والشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلاة عند كل ذكر لها وردت الاخبار في ذلك مسئلة واختلفت الآثار في صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فروي ذلك عن ابن مسعود والانصاري قالا انا رسول الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد ابن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم ورواه النسائي عن طلحة مثله باسقاط ق له في العالمين وقوله والسلام كما قد علمتم وفي الباب عن كعب ابن عجرة وابي حميد الساعدي وابي سعيد الخدري وعلي ابن ابي طالب وابي هريرة وزينب الخزاعي وزيد بن خارجة ونقل ابن حارثة اخرجها ائمة اهل الحديث في كتبهم وصحح الترمذي حديث كعب بن عجرة خرجه مسلم في صحيحه مع حديث ابي حميد الساعدي قال ابو عمر وروى شعبة والثوري عن الحكم بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة فقال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آله محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وهذا لفظ حديث الثوري لا حديث شعبة وهو يدخل في التفسير المسند لقول الله تعالى

ان

ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية فبين كيف الصلاة عليه وعلمهم في التحيات كيف السلام
عليه وهو قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وروى المسعودي عن عون
ابن عبد الله عن ابي فاخته عن الاسود عن عبد الله انه قال اذا صليتم على النبي صلى
الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا
قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المسلمين وامام المتقين وخاتم
النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه به الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد وروينا بالاسناد المتصل في كتاب الشفا للقاضي عياض عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه قال عهد الي في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عهد الي في يدي
جبريل وقال كذا انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آله محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد قال ابن العربي من هذه الروايات صحيح ومنها سقيم واصحها ما رواه مالك فاعتمد
وروايته غير مالك من زيادة الترحم مع الصلاة وغيرها لا تعتوره وانما على الناس ان ينظروا
في اداء بانهم تنظرهم في اموالهم دهم لا ياخذون في البيع دنيا رديا وانما يختارون السالم الطيب
كذلك لا يوخذ من الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ما صح سنده فلا يدخل في حيز الكذب
على رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيه هو يطلب الفضل اذا به فراصاب النقص بل ربما اصاب به
الخسران البيت الثالثة فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا وقال سهل بن عبد الله الصلاة على محمد
افضل العبادات لانه الله تعالى تولاها هو وملائكته ثم امر بها المومنين وسائر العباد
لكذلك وروى المسعودي عن عون ابن عبد الله عن ابي فاخته عن الاسود عن عبد الله
انه قال اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك
يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المسلمين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه به الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد قال ابو سليمان داود الزاهد من اراد ان يسال الله حاجة فليبدا بالصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم يسال الله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يقبل
بالصلاتين وهو اكرم من ان يرد ما بينهما وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب انه
قال الدعاء محجوب دون السماء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءت الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم رفع الدعاء قال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
يصلون عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب الرابعة واختلفوا العلماء في الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم في الصلاة فالذي عليه الجم الغفير والجمهور الكثير انه ذلك سنن الصلاة ومستحباتها
قال ابن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو ترك
ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة
من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جميل اهل العلم وحكى عن مالك وسفيان انها في التشهد
الاخير مستحبة فان تاركها في التشهد مسي وعند الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة
واوجب اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وقال ابو عمر وقال الشافعي اذا لم يصل
على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير بعد التشهد وقبل التسليم اعاد الصلاة
قال وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه وهذا قول حكاه عنه حرملة بن يحيى لا يكاد يوجد هكذا
عن الشافعي الا من رواية حرملة عنه وهو من كبار اصحابه الذين كتبوا كتبه وقد تقلده
اصحاب الشافعي ومالوا اليه وناظروا عليه وهو عندهم تخصيل مذهبه وزعم الطحاوي
انه لم يقل به احد من اهل العلم غيره وقال الخطابي وهو من اصحاب الشافعي وليست واجبة
في الصلاة وهو قول حماد فقه الفقها الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة ودليل على انها ليست
من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وزعم انه لم يقل به وقد شنع عليه

في هذه المسئلة جدا وهذا التشهد بن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله
عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر
كما يعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر كما يعلمون الصبيان في الكتاب عمر وليس فيه
ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قلت قد قام وجوب الصلاة على النبي صلى
الله عليه وسلم في الصلاة محمد بن المواز ذهب اصبغ بما ذكر ابن القصار وعبد الوهاب واختاره ابن
العربي للحديث الصحيح ان الله امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك فعلم الصلاة ووقتها
فتعينت كيفيته ووقتا وذكر الدارقطني عن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين انه قال لو صلى صلاة
لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهله ببيته لرايتها لا تتم وروي موقوفا عنه
عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم والصواب انه قول ابي جعفر قاله الدارقطني الخامسة
قوله تعالى وسلموا تسليما قال القاضي ابو بكر بن بكير بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى الله
عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا عليه عند حضورهم
قبره وعند مروره وروى النسائي عن عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقلت انا لنرى البشر في وجهك قال انه اتاني الملك فقال
يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك ان لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد
الا صليت عليه عشرا وعن محمد بن عبد الرحمن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم
يسلم علي اذا مت الا جاني سلامه مع جبريل ينزل يا محمد هذا فلان بن فلان يقرأ عليك السلام فانزل عليه
السلام ورحمة الله وبركاته وروى النسائي عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله ملائكة سياحين يبلغوني من امتي السلام قال القشيري والتسليم نوعان سلام عليك هـ
اذ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة فيه ثمان مسائل الاولى
اختلف العلماء اذا بدأ الله بما ذا تكون فقال الجمهور من العلماء معناه بالكفر وبنسبة الصاحبة
والولد والشريك اليه ووصفه بما لا يليق به لقولهم الله لعنهم الله وقالت اليهود يد الله مغلولة
والنصارى المسيح ابن الله والمشركين الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وفي صحيح البخاري
قال الله تعالى يؤذيني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك الحديث وقد تقدم في سورة
مريم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال الله تبارك وتعالى يؤذيني ابن ادم يقول يا خيبة
الدهر فلا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره وفي رواية اخرى يسب ابن ادم الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار اخرجها ايضا مسلم وقال عكرمة
معناه بالتصوير والتعرض لفعل ما لا يفعله الا الله بخلق الصور وغيرها وقد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعن الله المصورين قلت وهذا ما يقوي قول من قال في هذه المنع من تصوير
الشجر وغيرها اذ كل ذلك صفة اختراع وتسبب لفعل الله الذي انفرد به سبحانه وتعالى وقد تقدم
هذا في سورة النمل والحمد لله وقالت فرقة ذلك على حذف مضاف تقديره يؤذون اولياء الله واما
وانا اذاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كل ما يؤذي به من الاقوال في غير موضع واحد ومن الافعال
ايضا قتلنا فساحر شاعرنا هو مجنون واما فعلهم تكسير رباعيته وشج وجهه يوم احد ومكنة
التي السلا على ظهره وهو ساجد الى غير ذلك وقال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ
صفية بنت حيي واطلق ابيتا الله ورسوله وقيد ايدا المومنين والمومنات لان ايذاء الله ورسوله لا يكون
الا بغير حق ابدا واما ايذاء المومنين والمومنات بغير سبب فمنه الثابتة قال علماونا والطعن في انساب
ابن زيد وطعن الناس في امرته فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تطعنوا في امرته فقد كنتم
تطعنون في امره ابيه من قبل وايم الله ان كان لخليقا للامارة وان كان لمن احب الناس الي وان
هذا لمن احب الناس الي بعده وهذا السبب والله اعلم هو الذي حمزه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع اسامة وامره عليهم وامره ان يغزو ابنى وهي الغزية التي عند موتة الموضع الذي قتل فيه
زيد ابوه مع جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة فامره ان يأخذ ثارا بيه فطعن من في قلبه
ريب في امرانه من حيث انه من الموالي ومن حيث انه كان صغير السن لانه كان اذ ذاك ابن ثمان عشرة
سنة قبض النبي صلى الله عليه وسلم وقد برز هذا السبب من المدينة ولم ينفصل بعد عنها فعقد له ابو
بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة في هذا الحديث اوضح دليل على جواز امامة المولى والمفضول
على غيرهما عدي الامامة الكبرى وقد قدم صلى الله عليه وسلم سالما مولى ابي حذيفة على الصلاة
بقباء فكان يومهم وفيهم ابو بكر وعمر وغيرهم من كبار قريش وروى الصحيح عن عامر بن واثلة
ان نافع ابن عبد الحرث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت على هذا الوادي
قال ابن ابزى قال ومن ابزى قال مولى من موالينا قال فاستخلفت عليهم مولى قال انه لقارئ

لكتاب الله وانا عالم بالفرائض قالها ان نبيكم قد قال ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به
آخرين الرابعة كان اسامة رضي الله عنه الحب بن الحب وبذلك كان يدعى وكان اسود شديد السواد
وكان زيد ابوه ابيض من القطن هكذا ذكره ابو داود وعن احمد بن صالح وقال لعمر احمد كان زيد
اظهر اللون وكان زيد شديد الادمة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب اسامة
وهو صغير ويمسح مخاطه وينهى النفساء ويقول لو كانت اسامة جارية لحليناه وجمزناه وحبنا
الى الاذواء وقد ذكران سبب ارتداد العرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم انه لما كان عليه السلام
في حجة الوداع بجلد عرقة عشية عرفة عند النفر احتبس النبي صلى الله عليه وسلم قليلا لسبب
اسامة الى ان اتاه فقالوا ما احتبس الا لاجل هذا الحقير له فكان قولهم هذا سبب ارتدادهم
ذكره البخاري في التاريخ بمعناه والله اعلم الخامسة كان عمر رضي الله عنه يفرض لاسامة في العطاء
خمسة الاف ولابنه عبد الله الفين فقال له عبد الله فضلت علي اسامة وقد شهدت ما لم يشهد
فقال ان اسامة كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك وابيه كان احب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم من ابيك فتفضل رضي الله عنه محبوب رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبوبه وهكذا
يجب ان يكون فاحب رسول وبغض من ابغض وقد قال مروان هذا الحب سنقضه وذلك
انه مر باسامة ابن مربد وهو يصلي عند باب البيت بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال له مروان
انما ارى ان بربد مكانك فقد تزايا مكانك فعجل الله بك وفعل به قولا قبيحا فقال له اسامة
انك اديتني وانك فاحش متفحش وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الفاحش
المتفحش فانظر ما بين الفعلين فلغدادي بنو اسامة النبي صلى الله عليه وسلم في اصحابه وانقضوا
في محابه قوله تعالى لعنوا معناه ابعدوا من كل خير فاللعن في اللغة الابعاد وسنة اللعان واعد
لهم عذابا اليما هو نحو قوله غضب والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات اذانية المؤمنين والموصلة
ايضا بالفعال والاقوال القبيحة كالبهتان والتكذيب الفاحش وهذه الاية نظيرة الاية
التي في النساء ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا كما قال هنا
وقد قيل ان من الاذية تعييره بعيب مذموم او حرفة مذمومة او شيء ينقل عليه اذا سمعه
لان اذاه في الجملة حرام وقد حرم الله تعالى بغير اذاه واذى الرسول واذى المؤمنين فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا وقد ثبتا وروي ان عمر بن الخطاب قال لابي بن كعب قرأت البارحة هذه الاية
فوقعت مني والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا الاية والله اني لاضربهم
واضعهم فقال له ابي يا امير المؤمنين لست منهم انما انت معلم ومقوم وقد قيل ان سبب
هذه الاية ان عمر راى جارية من الانصار فضربها وكره ما رآه من زيها فخرج اهلها فاذوا
عمر بالكلام فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في علي فان المنافقين كانوا يؤذونه ويكذبون
عليه رضي الله عنه قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين
عليهن من جلابيبهن هذه مسألة الاولى قوله تعالى قل لازواجك وبناتك قد مضى
الكلام في تفصيل ازواجه واحدة واحدة قالت فتادة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن تسع خمس من قريش عائشة وحفصة وام حبيبة وسودة وام سلمة وثلاث من سائر
العرب ميمونة وزينب بنت جحش وجويرية واحدة من بني هارون صفية واما اولاده
فكان للنبي صلى الله عليه وسلم اولاد ذكور وثلاث اناث فالذكور من اولاده القاسم امه خديجة وبه
كان يكنى صلى الله عليه وسلم وهو اول من مات من اولاده وعاش سنتين وقال بعضهم
خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم القاسم والطاهر وعبد الله والطيب وقال ابو بكر البرقي وتبعه
ان الطاهر هو الطيب وهو عبد الله وابراهيم امه مارية القبطية ولد في ذي الحجة سنة ثمان
من الهجرة وتوفي سنة عشر ثم اورد قبل ثمانية عشر ذكره الدارقطني وتوفي ودفن بالبقيع
وقال صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا تتم رضاعه في الجنة وجميع اولاد النبي صلى الله عليه وسلم من
خديجة سوى ابراهيم وكان اولاده ماتوا في حياته غير فاطمة والباقي من اولاده فمنهن
فاطمة الزهراء بنت خديجة ولدتها وقريش تبني البيت قبل النبوة بخمس سنين وهي اصغر
بناته وتزوجها علي رضي الله عنهما في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها في ذي
الحجة وقيل تزوجها في رجب وتوفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة اشهر وهي اول من
لحقه من اهل بيته رضي الله عنهما ومنهن زينب اكبرهما خديجة تزوجها ابن خالتها ابو
العاص بن الربيع وكانت ام العاص هالة بنت خويلد اخت خديجة وابنها ابو العاص
لقيط وقتل هاشم وقتل هشيم وقتل مقسم وكانت اكبر بنات رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتوفيت سنة ثمان من الهجرة وتزار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها ومنهن
رقية امها خديجة تزوجها عتبة بن ابي لهب قبل النبوة فلما بعث رسول الله صلى الله

الله عليه وسلم وانزل الله عليه تبت يدا ابي لهب قال ابو لهب لابنه راسي من راسك حرام ان لم تطلق
ابنته فطارقها ولم يكن بنا بها واسلمت حين اسلمت اسما خد بخته وباعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم هي واخواتها حين باعه الناس وتزوجها عثمان بن عفان وكانت لسانا قد ليشي
يعلن حين تزوجها عثمان احسن شخصين راي انسان رقية ونقلها عثمان وهاجرت معه
الى ارض الحبشة الهجرتين وكانت قد استقلت من عثمان سقطا ثم ولدت لعبد الله
وكان عثمان يكنى ابا عبد الله بلغ ست سنين فنقره ديك في وجهه فمات ولم تلد له شيا بعد ذلك
وهاجرت الى المدينة ومرضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز الى بدر فخلف عثمان عليها وتوفيت
ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر على راس سبعة عشر شهرا من الهجرة وقدم زيد بن حارثة
بشيرا من بدر فدخل المدينة حتى سوى التراب على رقية ولم يشهد دفنها رسول الله صلى الله عليه
وسلم ام كلثوم اسما خد بخته تزوجها عتيبة بن ابي لهب اخو عتبة قبل النبوة وامره ابوه ان
يفارقها للسبب المذكور في امر رقية ولم يكن دخل بها فلما نزل بمكة مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم واسلمت حين اسلمت اسما وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخواتها حين باعه الناس
وهاجرت الى المدينة حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفيت رقية تزوجها عثمان
وبذلك سمي ذا النورين وتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في سعبان سنة تسع من الهجرة
وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرها وترى في عينيه تعالوا الفضل واسامة وذكر
الزبير بن بكار ان اكبر ولد النبي صلى الله عليه وسلم القاسم ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب
والطاهر ولدا بعد النبوة وماتا صغيرا ثم ام كلثوم ثم فاطمة ثم رقية فماتا القاسم بمكة ثم
مات عبد الله التالية لما كانت عادة العربيات الجزع ولكن كشفن وجوههن كما يفعل
الرجال وكان ذلك ذا بمنزلة خطر الرجال الهين وشغب الفكرة فيهن امر الله رسوله صلى الله
عليه وسلم ان يامرهن بارخاء الجلابيب عليهن اذا اردن الخروج لحوايجهن وكن يتبرزن
في الصحراء قبل ان يتخذ الكنف فيقع التعرق بينهن وبين الاماء فتعرف الحرائر لتتزهن فكيف
عن مماثلتهن من كان عبدا او شابا وكانت المراة من نساء المومنين قبل تزول هذه الاية
تتبرز للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار فظن انها امة فتتبعها به فشكوا ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم ونزلت الاية بسبب ذلك قال بمعناه الحسن وعمرة الحادثة قوله تعالى من جلابيبهن الملابيب جمع جلباب وهو ثوب اكبر من الخمار وروينا عن ابن عباس وابن مسعود انه
الرداء قيل انه القناع والصحيح انه الثوب الذي يستر جميع البدن وفي صحيح مسلم عن
ام عطية قلت يا رسول الله احدانا لا يكون لها جلباب قال لتلبسها اختها من جلبابها الا بغة
واختلف الناس في صورة ارخائه فقال ابن عباس وعبيدة السلماني ذلك ان تلويه المراة حتى
لا يظهر منها الا عين واحدة تبصر بها وقال ابن عباس ايضا وقتادة ذلك ان تلويه فوق الجبين
وتشده ثم تعطفه على الانف واذا ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر وسطع الوجه وقال
الحسن يغطي نصف وجهها الخامسة اراد الله سبحانه جميع النساء بالستر وان ذلك لا يكون
بالا بصف جلدها الا اذا كانت مع زوجها فلها ان تلبس ما شاءت لان له ان يستمتع
بها كيف شاء بنت النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة فقال سبحان الله ماذا انزل الليلة
من الفتن وماذا فتح من الخزائن من يوقظ صواحب الحجرات كاسية في الدنيا عارية في الاخرة
وروي انه دحية الكلبي لما رجع من عند هرقل فاعطاه النبي صلى الله عليه وسلم قبطية فقال
اصل صدية لك تبيضا وامط صاحبتك صديا تختمر به والصديا القصديا ثم قال لامرها
تخيل تختمها سيا ليلا تنصف وذكر ابو هريرة رقة الثياب النساء فقال الكاسيات العاريات
الناعمات المتنعمات ودخل بنوة من بني تميم على عايشة عليهن ثياب رقاق فقالت عايشة
ان كنتن مومنات فليس هذا بلباس المومنات وان كنتن غير مومنات فتمتعن به
واد خلت امراة عروس على عايشة رضي الله عنها وعليها خمار رقيق فشقته حتى صفرت فلما رات انها قالت لم
توعن بسورة النور امراة تلبس هذا وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نساء كاسيات
عاريات مائلات ممالات رؤسهن كاسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وقال عمر
رضي الله عنه ما يمنع المراة المسلمة اذا كانت لها حاجة ان تخرج الى اطرافها او الى ارجائها
مستخفية لا يعلم بها احد حتى ترجع اليه بينها الساد سنة وصلى في ذلك ادنى ان
يعرفن اي الحرائر حتى لا يختلطن بالاماء فاذا اعرفن لم يتعرض بادني من المعارضة مراقبة
لرتبة الحرية فتنقطع الاطماع عنهن وليس المعنى ان تعرف المراة حتى تعلم من هي وكان
عمر رضي الله عنه اذا راى امة قد تقنعت ضربها بالدرة حتى القت على زي الحرائر وقد قيل
انه يجب الستر والتقنع الا في حق الجميع من الحرائر والاماء هذا كما ان اصحاب رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم منعوا النساء المساجد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله لا تمنعوا اماء
الله مساجد الله حتى قالت عائشة رضي الله عنها لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا
لمنعهن من الخروج الى المساجد كما منعت نساء بني اسرائيل وكان الله غفورا رحيما تابيس للنساء في
ترك الجلابيب فمثل هذا الامر المشروع من قوله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم
مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا
الاولى اهل التفسير على ان الاوصاف الثلاث لشيء واحد كما روى سفيان بن سعيد عن منصور
ابن ابي زرين قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون قال هم شيء واحد يعني انهم قد جمعوا
هذه الاشياء والواو منهم كما قال

الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتيبة في المزدحم ٭ اراد الى الملك القرم ابن الهمام ليث
الكتيبة وقد مضى في البقرة وقيل كان منهم قوم يرجفون وقوم ينبعون النساء المريبة وقوم يشككون
المسلمين قال عكرمة وسهر بن حوشب الذين في قلوبهم مرض يعني الذين في قلوبهم الزنا وقال ابو روق
نزلت هذه الاية في امر النساء قال سلت بن كهيل نزلت في اصحاب الفواحش والمعنى متقارب
وقيل المنافقون والذين في قلوبهم مرض سمي واحد عبر عنهم بلفظين دليله ابتداء المنافقين
في اول البقرة والمرجفون في المدينة قوم كانوا يجبرون المؤمنين بما يسوءهم من عدوهم فيقولون
اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قد قتلوا وهزموا واذا العدو قد اتاكم قاله
قتادة وغيره وقيل كانوا يقولون اصحاب الصفة قوم عزاب فحلهم الذين ينعسون للنساء
وقيل هم قوم من المسلمين يبطئون بالاخبار الكاذبة حبا للفتنة وقال ابن عباس الارجاف
الناس الفتنة والارجاف اشاعة الكذب والباطل الاغنام به وقيل تحريك القلوب فيما ترجف
الارض به تحركت وتزلزلت ترجف رجفا والرجفان الاضطراب الشديد والرجاف البحر سمي لاضطرابه
قال المطعمون اللحم كل عشية حتى تغيب الشمس في الرجاف والارجاف واحد اجيف الاخبار
وقد ارجفوا في الشيء اذا خاضوا فيه قال الشاعر

فانا وان عيرتمونا بعلة وارجف بالاسلام باغ وحاسد

وقال احرا بالاراجيف يا ابن اللوم لوعدوي وفي الاراجيف حلت اللوم والهون فالارجاف حرام
لان فيه اذاية فدلت الاية على تحريم الابد ابالارجاف الثابتة قوله تعالى لنغرينك اي لنسلطنك
عليهم لتستاصلهم بالقتل وقال ابن عباس لم ينتهوا عن اذا النساء اذا الله عز وجل قد اعلمه بهم
ثم انه قال عز وجل ولا ينقل على احد منهم مقاما ابدا ولا تقم على قبره ابدا امرهم بلعنهم وهذا هو
الاغراء وقال محمد بن يزيد تواعدهم في الاية التي تلي هذه مع اتصال الكلام بعضه ببعض وهو قوله عز وجل
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فهذا فيه معنى الامر بقتلهم واخذهم اي هذا حكمهم اذا كانوا
مقيمين على النفاق والارجاف وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم
فهذا فيه معنى الامر لانه سوى بين المحاسن وهذا من احسن ما قيل في الاية وقيل انهم قد انتهوا عن
الارجاف فلم يغيروا ولام لتغرينك لام القسم واليمين واقعة عليها وادخلت اللام وان توطئة
لها الثالثة قوله تعالى ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينة الا قليلا نصب على الحال من
الضمير في يجاورونك فكان الامر كما قال عز وجل لانهم لم يكونوا الا قلائل هذا الصحيح في الغزا
وهو الذي عنده اي الارجاف قتلهم والجواب الاخر ان يكون المعنى لا وقتا قليلا اي لا تستقر
معك المدة لسيرة اي لا يجاورونك فيها الا جوارا قليلا حتى يهلكوا فيكون نعتا لمصدر
او ظرف محذوف ويدل على ان معك ساكنا بالمدينة فهو جار وقد مضى في النساء الرافعة

ملعونين ح

قوله تعالى ملعونين قد اتم الكلام عند محمد بن يزيد وهو منصوب على الحال وقال
ابن الانباري قليلا وقف حسن التمام ويجوز ان يكون التمام الا قليلا وينصب ملعونين
على الشتم كما قرأ علي بن عمر وامرأته حمالة الحطب وقد حكى عن بعض النحويين انه قال يكون
المعنى اينما ثقفوا اخذوا ملعونين وهذا خطأ لا يعمل ما مع الجازاه قبلها وقيل معنى
الاية انهم ان اصروا على النفاق لم تكن لهم اقامة بالمدينة الا وهم مطرودون ملعونون وقد
فعل بهم فانه لما نزلت سورة براءة جمعوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان قم فاخرج
فانك منافق ويا فلان قم فقام اخوانهم من المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد
الخامسة قوله تعالى سنة الله نصب على المصدر اي سن الله جل وعز فيمن رجف
بالانبياء واظهر نفاقه ان يوجد ويقتل ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تحويلا وتغييرا لحكمه
وقال السدي معنى ان من قتل بحق فلا دية على قاتله المهدوي وفي الاية دليل على جواز ترك

اهلهم

انفاذ الوعيد والدليل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينفذ وعيده حتى مات والمعروف من الفضل

انام وعدهم وناجيهم وعبدهم وقد مضى هذا في اول السمران وغيرها قوله تعالى يسئلك
الناس عن الساعة هو لا المؤدون لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما لم يجدوا بالعذاب سألوا عن
عن الساعة استهزاء وتكذيبا منهم بانها لا تكون قل انما علمها عند الله اي لم يعلم عن سؤالهم
وقل علمها عند الله وليس في اخفاء الله وقتها حتى ما يبطل سؤالهم ولا من شرط النبي صلى الله
عليه وسلم ان يعلم الغيب بتعليم من الله جل وعز وما يدريك اي ما يعلمك لعل الساعة
تكون قريبا اي في زمان قريب وقال صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار
الى السبابة والوسطى خرجه اهل الصحيح وقال اي للنبيه بالساعة تكون قريبا فحذف
هاء التانيث وهما بالساعة اي اليوم كقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ولم يقل قريبة
ذهابا بالرحمة اذ الغفران ليس تانيثها اصليا وقد مضى هذا مستوفى وقيل لعل اخفى وقت
الساعة ليكون العبد مستعدا لها في كل وقت ثم قال ان الله لعن الكافرين اي طردهم
وابعدهم واللعن الطرد والابعاد عن الرحمة وقد مضى في البقرة بيانه واعد لهم سعيرا
خالدين فيها ابدا فاتت السعير لانها بمعنى النار لا يجدون وليا ولا نصيرا يمنعهم من عذاب الله
والخلود فيه يوم تقلب وجوههم في النار قراءة العامة بضم التاء وفتح اللام
على الفعل المجهول وقراءيني الهمداني وابن اسحاق تقلب بنون وكسر اللام وجوههم نصبا
وقراءيني ايضا تقلب بضم التا وكسر اللام على معنى تقلب السعير وجوههم وقرا ابو حيوة
باختلاف عنه وابو جعفر وشيبة تقلب بفتح التا واللام على معنى تتقلب وهذا التقلب
تغيير الوانهم بلفح النار فيسود مره ويخضر اخرى واذا بدلت جلودهم جلودا اخر فحينئذ
يتمنون انهم ما كفروا يا ليتنا اي يقولون يا ليتنا ويجوز ان يكون المعنى يقولون يوم
تقلب وجوههم في النار يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا اي لم نكفر فننجو من هذا العذاب
كما نجا المؤمنون وهذه الا لف تثبت في الوصل فيوقف عليها ولا يوصل بها وكذا السبلا
وقد مضى اول السورة وقرا الحسن انا اطعنا سادتنا بكسر التا جمع سادة وكالذي في هذا
زجر عن التقليد والسادة جمع السيد وهو فعله مثل كتبة وفجرة وسادة تاجمع الجمع والسادة
والكبرا بمعنى وقال قتادة هم المطعمون في غزوة بدر والاظهر العموم في القادة
والرؤساء في الشرك والضلالة اي اطعناهم في معصيتك وساد عونا اليه فاضلونا السبيل
اي عن السبيل وهو التوحيد فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب والاضلال لا يتعدى
الى مفعولين من غير توسط حرف الجر كقوله لقد اضلني عن الذكر فحولهم ضعفا لهم ربنا
اتهم ضعفين من العذاب قال قتادة عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وقيل عذاب الكفر وعذاب
الاضلال اي وعذبهم مثل ما تعذبنا فانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا قرا ابن مسعود
واصحابه وبحيى وعاصم بالباء والباقون بالتا واختاره ابو حاتم وابو عبيد والنحاس
لقوله تعالى اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهذا المعنى كثير وقال محمد بن الحنفي
السيد رات في المنام كاني في مسجد عسقلان وكان رجلا طويلا فجعل يلعن بعض اصحابه
محمد فقال والعنهم لعنا كثيرا ثم كررها حتى غاب عني لقوله الا يا لتا وقراة الباقين ترجع
في المعنى الى التا لان ما كثيرا كان كثيرا عظيم المقدار وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين اذوا موسى لما ذكر تعالى المنافقين والكفار الذين اذوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حذر المومنين من التعرض للايذاء وبهاهم عن التشبه ببني اسرايل في اذائهم
نبيهم موسى واختلف الناس فيما اوذي به محمد صلى الله عليه وسلم وموسى فحكى النقاش ان
اذاهم محمدا قولهم زيد بن محمد وقال ابو وايل اذاهم اياه عليه السلام قسم قسما فقال
رجل من الانصار ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فغضب وقال رحم الله موسى لقد اوذي باكثر من هذا فصبر واما اذاية موسى صلوات
الله عليه فقال ابن عباس وجماعة هي ما تضمنه حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك انه قال كان بنو اسرايل يغتسلون عراة وكان موسى عليه السلام يستتر كثيرا ويخفي
بدنه فقال قوم هو ادر اوابرص او به افة فانطلق ذات يوم يغتسل في عين فار من الشام
وجعل ثيابه على صخرة فمر الحجر بثيابه واتبعه موسى يقول ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من
بني اسرايل فنظروا اليه وهو من احسنهم خلقا واعدلهم صورة ولم ير به الذي قالوا
فهو قوله فبراه الله مما قالوا اخرجه البخاري ومسلم بمعناه ولفظ مسلم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانت بنو اسرايل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوة بعض وكان
موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه

ادر

ار زنا لقد ذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى عليه السلام
بأثره يقول ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى وقالوا والله ما بموسى من
باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله ان
بالحجر لندب ستة او سبعة ضرب موسى بالحجر فهذا نزول وروى بن عباس عن علي
ابن ابي طالب قال اذ اراد موسى عليه السلام بان قالوا قتل هرون وذلك ان موسى
وهرون خرجا من فحص لتنيه الى جبل فمات هرون فيه فاتى موسى فقالت بنو اسرائيل
لموسى انت قتلته وكان الرجل منك واشد حبا لنا منه وبذلك فاذوه فامر الله الملائكة
فحملته حتى طافوا به في بني اسرائيل وتكلموا به عظيمة دلتهم على صدق موسى ولم يكن
عليه اثر وقد قيل ان الملائكة تكلمت بموته ولم يعرف قبره الا الرخم واذا الله تعالى اخمله
امم اليكم ومات هرون قبل موسى في التيه ومات موسى قبل انقضاء مدة التيه
لقوله تعالى فلا تاس على القوم الفاسقين وحكى العشير عن علي بن ابي طالب ان الله احيا هرون فاخبرهم انه لم يقتله
ثم مات وقد قيل ان الذي اذى به موسى عليه السلام رميهم اياه بالبرص والجنون هـ
الاول ويحتمل ان فعلوا كل ذلك فبراه الله من جميع ذلك فبينما هو يغتسل موسى عليه
السلام ثوبه على الحجر ودخوله في الماء ربانا دليل على جواز ذلك وهو مذهب الجمهور ومنعه
ابن ابي ليلى واحتج بحديث لم يصح وهو قوله عليه السلام لا تدخل الماء الا بمئزر فان للماء عا
قال القاضي عياض وهو ضعيف عند اهل العلم قلت يستحب التستر
لما رواه اسرائيل عن عبد الاعلى ان الحسن بن علي دخل غديرا وعليه مرد متى ثيابه فلما خرج
قيل له قال انما استترت من ثيابي ولا اراه من ربي والملائكة فان قيل كيف نادى موسى
عليه السلام الحجر ثوبي ثوبي قيل لانه صدر عن الحجر فعل من يعقل وخجر منادى
مفرد محذوف حرف النداء كما قال تعالى يوسف اعرض عن هذا او ثوبي منصوب بفعل
مضمر لتمتثل اعطني ثوبي او اترك ثوبي فحذف الفعل لدلالة الحال عليه عند بعضهم
وكان عند الله وجيها اي عظيما والوجيه عند العرب العظيم القدر الرفيع المنزلة
ويروى انه كان اذا سال الله شيا اعطاه اياه وقرا ابن مسعود وكان عند الله وقيل
معنى وجيها اي كلمه تكليما قال ابو بكر الانباري في كتاب الرد عن من طعن في القرآن ان المسلمين
صححوا وكان عند الله وجيها وذلك يدل على ضعف مقصده وتقصانه وقلت علة ودلت
ان الله لو حملت على قوله وقربت وكان عند البعض من الناس على موسى عليه السلام ولان
ان وجيها يكون عند اهل الدنيا وعند اهل زمانه وعند اهل الاخرة فلا يوقف على كان
المدح لانه ان كان وجيها عند بني الدنيا كان ذلك انقاما من الله عليه لا يثنى عليه معه
ثناء من الله فلما اوضح الله تعالى عليه موضع المدح لقوله وكان عند الله وجيها استحق الشرف
واعظم الرفعة بان الوجاهة عند الله فمن عبر اللفظة صرف عن نبي الله افخر الثناء واعظم
المدح قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا اي قصدا وحقا وقال
ابن عباس اي صوابا وقال قتادة وسعيد بن جبير قولوا قولا سديدا في شان زيد وزينب ولا ه
تنسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى ما لا يحل وقال عكرمة وابن عباس مصابا القول السداد
لا اله الا الله وقيل هو الذي يوافق ظاهره باطنه وقيل هو ما اريد به وجه الله تعالى
دون غيره وقيل هو الاصلاح بين المتشاجرين وهو ماخوذ من تسديد السهم لصيانة
به العرض والقول السديد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك فظاهر الاية
يعطي انها اشارة الى ما يكون خلافا للاذى الذي قيل في وجهه الرسول وجميع المومنين
ثم عد جل وعز بانه تجازي على القول السداد باصلاح وغفران الذنوب وجعل ذلك زجر
ورفعة منزلة ومن يطع الله ورسوله اي فيما امره ونهى عنه فقد فاز فوزا عظيما ثم بين تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية تعالى في هذه السورة من الاحكام
ما بين امرا بالتزام اوامره والامانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الاقوال وهو
قول الجمهور روى الترمذي الحكيم ابو عبد الله نا اسمعيل بن نجيح عن صالح بن عبد الله عن
مجمع بن يزيد بن جوهر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى لادم يا ادم اني عرضت الامانة على السموات والارض فلم يطقنها فهل انت اخذ بها
بما فيها قال وما فيها يا رب قال ان احسنت جزيت وان اسيت عذبت فاحملها بما فيها
فلم يلبث في الجنة الا قدر ما بين صلاة الاولى الى العصر حتى اخرجه الشيطان منها فالا
امانة هي الفرائض التي ائتمن الله عليها العباد وقد اختلف في تفاصيل بعضها على اقوال

هذا

فقال ابن مسعود هي في اثنا عشر الحوالك والودايع وغيرها وروي عنه انها في كل الفرائض واشدها
امانة المال وقال ابي بن كعب من الامانة ان اؤتمنت المراة على فرجها وقال ابو الدرداء الغسل
من الجنابة امانة والعين امانة واللسان امانة والبطن امانة والرجل امانة ولا ايمان
لمن لا امانة له وقال السدي هي يتيمان ادم انه قابيل على ولده واهله وخيانته اياه في
قتله اخيه وذلك ان الله تعالى قال يا ادم هل تعلم انه لي بيت في الارض قال اللهم لا قال
فاذني بيتا بمكة فانه فقال للسما احفظي ولدي بالامانة فابت وقالت للارض احفظي ولدي
بالامانة فابت فقال للجبال فابت فقال لقابيل احفظ ولدي بالامانة فقال نعم تذهب
وترجع فتجد ولدك كما تبيركه فرجع فوجده قد قتل اخاه فذلك قوله انا عرضنا الامانة
على السموات والارض والجبال الاية وروى معمر عن الحسن ان الامانة عرضت على السموات
والارض والجبال قالت وما فيها قيل لها ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فقالت
لا قال بعضها هذا فلما خلق الله تعالى ادم عرضها عليه فقال وما هي فقال ان احسنت اجزتك
وان اسات عذبتك قال فقد تحملتها يا رب قال مجاهد فما كان بين ان حملها الى ان خرج
من الجنة الا قدر ما بين الظهر والعصر وروي عن ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى
انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال قال الامانة الفرايض عرضها الله جل وعز على
السموات والارض والجبال ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك واشفقوا من
غير معصية ولكن تعظيما لدين الله عز وجل لا لقوا به ثم عرضها على ادم فقبلها بما فيها
قال الحسن وهذا الفرق الذي على اهل التفسير وقيل لما حضرت ادم صلى الله عليه وسلم
الوفاة اراد ان يعرض الامانة على الخلق فعرضها فابى قبولها ان يبوء وقيل لهذه الامانة هي
ما اودعه الله تعالى في السموات والارض والجبال والخلق من الدلايل على ربوبيته ان ظهروها
فاظهروها الا الانسان فانه كتمها وجحدها قاله بعض المتكلمين ومعنى عرضنا اظهرنا
كما تقول عرضت الجارية على البيع والمعنى انا عرضنا الامانة وتضييعها على اهل السموات واهل
الارض من الملايكة والانس والجن فابين ان يحملنها اي يحملن وزرها كما قال الجبر وعز ولم يحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وحملها الانسان قال الحسن المراد الكافر والمنافق وانه كان ظلوما
لنفسه جهولا بربه فيكون على هذا الجواب مجاراة لسؤال المنزلة وفيه جواب اخر على ان
يكون حقيقة انه عرض على السموات والارض والجبال الامانة وتضييعها وهي الثواب والعقاب
اي اظهر لهن ذلك فلم يحملن وزرها واشفقن وقلن لا ابتغي ثوابا ولا عقابا وكل يقول
هذا امر لا نطيقه ونحن لك سامعون ومطيعون فيما امرت به وتجعل له قاله الحسن
وغيره قالوا لعلمها معلوم ان الجماد لا يفهم ولا يجيب فلا بد من تقدير الحياة على القول الاخر وهذا
العرض عرض تخيير لا الزام والعرض على الانسان الزام وقالوا القتال وغيره العرض في هذه
الاية ضرب مثل اي ان السموات والارض على كبر اجرامها لو كانت تحت تكليفها لثقل
عليها تقلد الشرايع لما فيها من الثواب والعقاب اي ان التكليف امر خفيف ان تعجز عنه
السموات والارض والجبال قد تكلفه الانسان وهو ظلوم جهول لو عقل وهذا كقوله
لو انزلنا هذا القران على جبل ثم قال وتلك الامثال نضربها للناس قالوا فاذا
تقرر انه تعالى ضرب الامثال وورد عليها من الخبر ما لا يخرج الا على ضرب المثل وجب
حمله عليه وقال قوم ان الاية من المجاز اذا قاسنا ثقل الامانة بقوة السموات والارض
والجبال رأيناها انها لا تطيقها وانها لو تكلمت لأبت واشفقت فعبر عن هذا المعنى بقوله
انا عرضنا الامانة الاية وهذا كما يقول عرضت الحمل على البعير فاباه وانت تريد فليست
قوته بثقل الحمل فرأيت انها تقصر عنه وقيل عرضنا معنى عارضنا الامانة وركبنا الاحاسة
بثقلها على السموات والارض والجبال فضعفت هذه الاشياء عن الامانة ورجحت الامانة
بثقلها عليها وقيل ان عرض الامانة على السموات والارض والجبال انما كان من ادم عليه
السلام وذلك ان الله تعالى لما استخلفه على ذريته وسلطه على جميع ما في الارض من
الانعام والطير والوحش وعهد اليه عهدا امره فيه ونهاه وحرم واحل فقبله ولم يزل
عاملا به فلما ان حضرته الوفاة سأل الله ان يعلمه من يستخلف بعده وتقلده من الامانة ما
تقلده فامره ان يعرض ذلك على السموات بالشرط الذي اخذ عليه منا الثواب ان اطاع
وخنا العقاب ان عصى فابين ان يقبلنه شفقا من عذاب الله ثم امره ان يعرض ذلك
على الارض والجبال كلها فاباه ثم امره ان يعرض ذلك على بني ادم كلها فاباه ثم امر
ان يعرض ذلك على ولده فعرضه عليه فقبله بالشرط ولم يبب بما نبت السموات والارض

والجبال

والجبال انه كان ظلوما لنفسه جهولا لما فيه مما تحمله ربه قال الترمذي الحكيم ابو عبد
الله محمد بن علي يحتج من هذا القائل من ابن اتى بهذه الصفة فان نظرنا الى الاثار وجدنا
بخلاف ما قالوا وان نظرنا الى ظاهره وجدنا بخلاف ما قالوا وان نظرنا الى باطنه وجزماه
بعيدا مما قالوا وذلك انه رد ذكر الامانة ولم يذكرها الا انه لما اوحى الى ان سلطنه
على جميع ما في الارض وعهد الله اليه عهدا فيما امره ونهيه وحلاله وحرامه وزعم انه امر ان عرض
ذلك على السموات والارض والجبال فابتضع السموات والارض والجبال بالحلال والحرام وما
التسليط على الانعام والطير والوحش وكيف اذا عرضه على ولده فقتله في اعناق ذريته من بعده
وفي مبتدا الخبر في التنزيل انه عرض الامانة على السموات والارض والجبال حتى ظهرت الامانة منهم
ثم ذكر ان الانسان حملها اي من قبل نفسه لا انه حمل ذلك فيما ظلوما اي لنفسه جهولا
بما فيها واما الاثار التي هي بخلاف ما ذكر فحدثني ابي رحمه الله قال نا الفيض بن الفضل
الكوفي نا السدي بن اسمعيل عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال لما خلق
الله الامانة مثلها صخرة ثم وضعها بحيث شاء ثم دعا لها السموات والارض والجبال ليحملها
وقال لهن ان هذه الامانة ولها ثواب وعليها عقاب قالوا يا رب لا طاقة لنا بها وافضل
الانسان من قبل ان يدعا فقال للسموات والارض والجبال ما خوفكم قالوا دعانا ربنا
ان نحمل هذه فاشفقنا منها ولم يطقها قال فحركها بيده وقال والله لو شئت ان احملها
لحملتها فحملها حتى بلغ بها الى ركبتيه ثم وضعها وقال والله لو شئت اذا زدادا لا زددت قالوا
دونك فحملها حتى بلغ بها حقويه ثم وضعها وقال لو شئت اذا زدادا لا زددت قالوا دونك
فحملها حتى وضعها على عاتقه فلما هوى ليضعها قالوا ما كنا نراك الا هذه الامانة ولها ثواب
وعليها عقاب وامرنا ربنا ان نحملها فاشفقنا منها وحملتها انت من غير ان يبدو لها فهي
في عنقك وفي اعناق ذريتك الى يوم القيامة فانك كنت ظلوما جهولا وذكر اخبارا عن الصحابة
والتابعين نعتزم اكثرها وحملها الانسان اي التزم القيام بحقها وهو في ذلك ظلوم لنفسه
وقال قتادة للامانة جهول لعذر ما دخل فيه وهذا تاويل ابن عباس وابن جبير وقال الحسن
جهول بربه قال ومعنى حملها كان فيها وقال الزجاج والاخفش الكافر والمنافق والعصاة
على قدرهم على هذا التاويل وقال ابن عباس واصحابه والضحاك وغيره الانسان ادم تحمل الامانة
فلم يتم له يوم حتى عصى للمعصية التي اخرجته من الجنة وعن ابن عباس ان الله تعالى قال له
انحمل هذه الامانة بما فيها قال وما فيها قال ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت
قال نا احملها بما فيها بين اذني وعاتقي فقال الله تعالى اني سابتلك فرحلت لك ه
لبصرك حجابا فاغلقه عما لا يحل لك ولرجلك لجاما فلا تكشفه الا على ما احللت لك وقال
قوم الانسان النوع كله وهذا حسن مع عموم الامانة كما ذكرناه اولا وقال السدي الانسان
فاسم علم لعبد الله المنافقين والمنافقات اللام في ليعذب متعلقة بحملها اي حملها
العاصي ويتوب المطيع هي لام التعليل لانا لعذاب يستحقه حمل الامانة فعلى هذا
اي عرضنا الامانة على الجميع ثم قلدناها الانسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق
ليعذبهم الله وايمان المؤمن ليتيب الله ويتوب الله قراءة الحسن بالرفع نسقه من
الاول اي يتوب الله عليهم بكل حال وكان الله غفورا رحيما خبر بعد خبر لكان ويجوز
ان يكون نعتا للغفور ويجوز ان يكون حالا من المضمر

شروع بسبب مكية في قول الجمع الا اية واحدة اختلف فيها

وهي قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الاية فقال قرظة هي مكية والمراد المؤمنون من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وقال قتادة هي مدنية والمراد المؤمنون من اسلم بالمدينة كعبد
الله بن سلام وغيره قاله مقاتل وقال ابو العالية انما هي امة محمد صلى الله عليه وسلم المؤمنون به كانوا من كان
وهي اربع وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الحمد لله الذي
له ما في السموات وما في الارض الذي في موضع خفض على النعت او البدل ويجوز ان يكون في موضع رفع
على اضمار مبتدا او ان يكون في موضع نصب بمعنى اعني وحق سيبويه الحمد لله اهل الحمد بالرفع والنصب
والخفض والحمد الكامل والثناء الشامل كله لله اذ النعم كلها منه وتدر سبل الكلام منه وفي اول الفاتحة
وله الحمد في الاخرة قيل هو قوله الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل هو قوله واخر دعواهم ان
الحمد لله رب العالمين فهو الحمود في الاخرة كما انه المحمود في الدنيا وهو المالك للاخرة كما انه المالك
للاولى وهو الحكيم في فعله الخبير بما خلقه قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض اي ما

يدخل فيها من قطر وغيره كما قال تسلكه ينابيع الارض من الكنوز والدفائن والاموات وما هي لمكفات
وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق
والمقادير والبركات وقرأ علي بن ابي طالب وما تنزل بالتخفيف والتشديد وما يعرج فيها من الملائكة
واعمال العباد قاله الحسن وغيره وهو الرحيم للمؤمنين الغفور لهم فلا يعاجلهم بالعقوبة وقال الذين كفروا للاماكن
تاتينا الساعة قيل المراد اهل مكة قاله مقاتل قال ابو حيان لكفار مكة واللات والعزى لا تاتينا
الساعة ابدا ولا نبعث فقال الله قل يا محمد بلى وربي لتاتينكم وروى هرون عن طلق المعلم قال
سمعت اشياخنا يقرؤن قل بلى وربي لتاتينكم البعث او امره كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او يا تي امر ربك فهو لاء الكفار متقرون بالابتداء منكرون الاعادة وهو نقض لما
اعترفوا به فتقديره على البعث وقالوا ان قدر لا يفعل فهذا الحكم بعد ان اخبر على السنة الرسل
انه يبعث الخلق واذا ورد الخبر بشيء وهو ممكن متعذر وقوعه كذب به من وجب صدقه فكان عالم
الغيب بالرفع قراءة نافع وابن كثير على الحمد لله عالم فعلى هذه القراءة لا يحسن الوقف على قوله لتاتينكم
وقرأ حمزة والكسائي عالم الغيب على المبالغة والنعت لا يعرب عند اي لا يعتد عنه
ويعرب ايضا قال الفراء والكسائي هو مخفوض على قراءة يحيى بن وثاب وهي لغة مضر وقد
يقال عزب يعزب ويعزب اذا بعد وغاب مستقيم ذرة اي قدر نملة صغيرة في السموات والارض
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر في قراءة الاعمش ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالفتح فيهما عطفا على
ذرة وقراءة العامة بالرفع عطفا على مثقال الا في كتاب مبين هو العالم بالخلق ولا يخفى عليه شيء
ليجزي متصوب بلام كي والتقدير لتاتينكم ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالثواب
والكافرين بالعقاب او ليبلغ بعثي للمؤمنين لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم وهو الجنة
والذين يسعون في آياتنا اي في ابطال ادلتنا والتكذيب بها معاجزين
سابقين يحسبون انهم يفوتوننا واذا هم لا يقدر على بعثهم في الاخرة وظنوا انا نهملهم فهو لاء لهم
عذاب من رجز اليم يقال عاجزه واعجزه اذا غالبه وسبقه والجمهور قراءة رفع بالكسر نعتا
للرجز فان الرجز هو العذاب قال الله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء وقرا ابن
كثير وحفص عن عاصم عذاب من رجز اليم برفع الميم هنا وفي الجاثية نعتا للعذاب وقرا ابن
كثير وابن محيصن وحميد بن قيس ومجاهد وابو عمرو ومجن بن ابي مسطين اي سطوا الناس
عن الايمان بالقرآن وآيات القرآن قوله عطف
انزل اليك من ربك هو الحق لما ذكر الذين سعوا في ابطال النبوة بين ان الذين اوتوا العلم الذي
يرون ان القرآن حق قال مقاتل الذين اوتوا العلم هم موسى واهل الكتاب وقال ابن
عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جميع المسلمين وهو اصح لعمومه والرؤية بمعنى
العلم وهو في موضع نصب عطفا على ليجزي وليرى قاله الزجاج والفراء ومنه نظر لان قوله
ليجزي متعلق بقوله لتاتينكم الساعة ولا يقال لتاتينكم الساعة ليرى الذين اوتوا العلم
ان القرآن حق فانهم يرون القرآن حقا وان لم تاتهم الساعة والصحيح انه رفع على الاستيناف
ذكره الفشيري قلت واذا كان ليجزي متعلقا بمعنى ثبت ذلك في كتاب مبين فيحسن
عطف وليرى اي واثبت ايضا رؤية الذين اوتوا العلم ان القرآن حق ويجوز ان يكون مستانفا
الذي في موضع نصب على انه مفعول ثان وهو فاعله والكوفيون يقولون عماد ويجوز الرفع
على انه مبتدا والمفعول خبره والجملة في موضع نصب على المفعول الثاني والنصب اكثر فيما تتقدم
الف واللام عند جميع النحويين وكذا ما كان نكرة لا يدخله الالف واللام فليست المعرفة
فان كان الخبر اسما معرفا نحو قولك كان اخوك هو زيدا فزعم الفراء ان الاختيار فيه الرفع
وكذا كان محمد هو عمرو وعلته في اختياره الرفع انه لما لم تكن فيه الالف واللام اشبه النكرة في
قوله كان زيد هو خا لسن لان هذا لا يجوز فيه الا الرفع ويهدي الى صراط العزيز الحميد اي يدعو
القرآن الى طريق الاسلام الذي هو دين الله الذي له ما في السموات وما في الارض ودل بقوله
على ان لا يليق به صفة العجز الذين كفروا هم اهل مكة قالوا لهم على رجل وان شئت
ادغمت اللام في النون لقربها منها يمزقكم اذا مزقتم كل ممزق وهذا اخبار عن من قال لا
تاتينا الساعة اي هل نرشدكم الى رجل يخبركم اي يقول لكم انكم تبعثون بعد البلى في القبور
وهذا اخبار عن فرط انكارهم الزمخشري فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم مشهورا بالصدق في قريش وكانوا يسمونه الامين فما معنى قولهم هل ندلكم
على رجل بينبئكم انكم اذا متم وصرتم عظاما ورفاتا وتمزقت اوصالكم كل تمزق
لمبعوثون خلقا جديدا وهذا مما لا يدخل تحت الافتراء والكذب قلت
كانوا يقصدون بذلك الطعن والهزؤ والسخرية فاخرجوه مخرج الكلام الذي يعرض الحاجي

التي يحاجى بها للضحك والتلهي متحاهلين به وبأمره وإذا في موضع نصب والعامل فيها مرقتم قاله
ولا يجوز ان تكون العامل فيها يسبكم لانه ليس يخبرهم ذلك الوقت ولا يجوز ان تكون فيها ما يعمل
ان لانه لا يعمل فيها قبله وانه لا يتقدم عليها ما بعدها ولا معمولها واجاز الزجاج ان تكون العامل فيها
محذوفا والتقدير واذا مزقتم كل ممزق تبعثون او يسبكم بانكم تبعثون اذا مزقتم النهدوي ولا يعمل
فيه مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل المضاف واجاز بعضهم على انه يحمل اذ الكلام اذا
في الشعر ومعنى مزقتم كل ممزق ومتمزق وتمزق قوله ' افترى على الله كذبا ام لم يحلف
العامل استفهام استغنيت عن الف الوصل فحذفتها وكان فتح الف الاستفهام فرقا بينها وبين
الف الوصل وقد مضى هذا في سورة مريم عند قوله تعالى اطلع الغيب ام اتخذ عهدا
مرد ود على ما تقدم من قول المشركين والمعنى قال المشركون افترى على الله كذبا ام لا افترى لا اخلا
ام به جنة اي جنون فهو يتكلم بما لا يدري ثم رد عليهم فقال بل الذين لا يؤمنون بالاخرة
في العذاب والضلال البعيد اي ليس الامر كما قالوا بل هو اصدق ومن يتكبر البعث فهو عدا في
العذاب والبعد في الضلال عن الصواب اذا صاروا الى ما لا يجيز لا له ونسبه الافتراء الى من انزه
الله بالمعجزات ثم قال تعالى فلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض اعلم الله تعالى ان
الذي قدر على خلق السموات والارض وما فيهن قادر على البعث وعلى تعجيل العقوبة فاستدل تقريرا
عليهم وان السموات والارض محيطة بهم من كل جانب فكيف يامنون الخسف والكسف
كما فعل بقارون واصحاب الايكة وقرا حمزة والكسائي ان نشا نخسف بهم الارض بالياء
بالياء في الثلاث اي ان نشا الله امر الارض فتخسف بهم او السماء فتسقط عليهم كسفا الباقون
بالنون على التعظيم وقرا السلمي وحفص كسفا بفتح السين الباقون بالاسكان وقد تقدم
بيانه في سبحان وغيرها ان في ذلك لاية اي في هذا الذي ذكرناه من قدرتنا لاية اي دلالة
ظاهرة لكل عبد منيب اي تائب راجع الى الله بقلبه وخص المنيب بالذكر لانه المنتفع بالتفكرة
في حجج الله وآياته قوله تعالى ولقد اتينا داود منا فضلا يعني لمنكري نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم ان ارسالنا الرسل ليس ببدع بل ارسلنا الرسل وايدناهم بالمعجزات واحللنا
لمن خالفهم العقاب اتينا اعطينا فضلا اي امرا فضلناه به على غيره واختلف في هذا الفضل
على تسعة اقوال الاول النبوة الثاني الزبور الثالث العلم قال الله تعالى ولقد اتينا داود
وسليمان علما الرابع القوة قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد الخامس تسخير الجبال
والطير معه السادس الغزو فقد كان داود اول من غزا السابع الحكم بالعدل يا داود انا
جعلناك خليفة في الارض الثامن الالانة الحديد والتاسع حسن الصوت وكان داود عليه السلام ذا صوت حسن ووجه حسن وحسن الصوت نعمة من الله يتفضل
منه وهو المراد بقوله جل وعز يزيد في الخلق ما يشاء على ما يأتي وقال صلى الله عليه وسلم
لابي موسى لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود وقال لقد اعطي المزمار والمزمور هو
الصوت الحسن وبه سميت الة الزمر مزمارا وقد استحسن كثير من فقهاء الامصار
القراءة بالترنين والترجيع وقد مضى هذا في مقدمة الكتاب والحمد لله قوله تعالى
يا جبال اوبي معه لانه قال جل وعز انا سخرنا الجبال معه يسبحن قال ابو ميسرة هو
التسبيح بلسان الحبشة ومعنى تسبيح الجبال هو ان الله تعالى خلق فيها هو
تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود
صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى سيري معه حيث شاء من التاويب الذي هو سير النهار
اجمع وتنزل الليل قال ابن مقبل لحقنا لحي اوبوا السير بعد مادفعنا شعاع الشمس
والطرف منح وقرا الحسن وقتادة وعنهما اوبي معه اي ارجعي معه من اب يؤب اذا
رجع اوبا واوبة وايابا وقيل المعنى انضمي معه على ما تنضم عليه داود اذا نهاره
فكان اذا قرا الزبور صوت الجبال معه واصغت اليه الطير فكانها فعلت ما
فعله وقال وهب ابن منبه المعنى نوحي معه والطير تسعده على ذلك فكان اذا
ناوى بالنياحة اجابته الجبال بصدا ما وعكفت الطير عليه من فوقه فتصدا الجبال
الذي يسمعه الناس لما كان من ذلك اليوم الى هذه الساعة قادر لمساعدة الجبال
لبلا تجد فترة فاذا دخلت الفترة اهتاج اي تاود وتحرك وقوي لمساعدة الجبال وكان
قد اعطي من الصوت ما يبرام الوحوش من الجبال على حسن صوته وكان الماء الجاري ينقطع عن
الجري وقوفا لصوته والطير بالرفع قراة ابن ابي اسحق ونصر عن عاصم وابن هرمز ومسلم
ابن عبد الملك عطفا على لفظ الجبال او على المضمر في اوبي وحسنه الفصل مع الباقون بالنصب

عطفا على موضع يا جبال اي نادينا الجبال والطير فالسيبويه وعند ابي عمرو بن العلا بانما رفعل
على معنى وسخرنا له الطير وقال الكسائي وهو معطوف على وآتيناه الطير حملا ولقد آتينا داود
منا فضلا التخاير ويجوز ان يكون مفعولا معه كما تقول استوى الماء والخشبة وسمعت الزجاج
يقول يحمر قمت وزيدا فالمعنى أولي معه ومع الطير والنا له الحديد قال ابن عباس صار عنده كالشمع
وقال الحسن كالعجين فكان يفتله من غير نار وقال السدي كان الحديد في يده كالطين المبلول
والعجين والسمع يضربه كيف شاء من غير ادخال نار ولا ضرب بمطرقة وقال قتادة كان
يعمل من الدرع في بعض اليوم او بعض الليل ثمانية الف درهم وقيل اعطي قوة تنبي بها
الحديد وسبب ذلك ان داود وعليه السلام لما سأل بني اسرائيل لقي ملكا وداود يظنه انسانا
وداود منكر خرج يسأل عن نفسه وسيرته في بني اسرائيل فحقا فقال داود دلني على الشخص
الذي يعمل لي ما قولت في هذا الملك داود فقال له الملك نعم العبد لولا خلة فيه قال داود
وما هي قال لو تزقر من بيت المال ولو اكل من عمل يده لتمت فضائله فرجع فدعا الله ان
يعلمه صنعة ويسهلها عليه فعلمه صنعة لبوس كما قال جل وعز في سورة الانبياء وعلمناه
الحديد تصنع منه الدرع فكان يصنع الدرع فيما بين يومه وليلته تساوي الف درهم حتى ادخر
منها كثيرا ووسعت معيشته منزله وتصدق على الفقراء والمساكين وكان ينفق بيت
المال في مصالح المسلمين وهو اول من اتخذ الدرع وصنعها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل انه
كان يبيع كل درع منها باربعة الاف والدرع مونسة اذا كانت للحرب ودرع المرأة مذكر
مسألة في هذه الآية دليل على تعلم اهل الفضل الصنايع وان التخرق بها لبعض من مناصبهم
يزيد ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم اذ يحصل لهم التواضع في انفسهم والاستغناء عن غيرهم وكسب
الحلال الحلي عن الانسان وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان خيرما اكل المؤمن من
عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده وقد مضى هذا في الانبياء مجردا والحمد لله وقوله تعالى
ان اعمل سابغات اي دروعا اي كوامل تامات واسعات تقال اسبغ الدرع والثوب وغيرهما
اذا اعطى كل ما هو عليه وفضل منه وقد روي في السرد قال قتادة كانت الدروع قبله صفائح
فكانت ثقالا فكذلك امر هو بالتقدير فيما يجمع من الخفة والحصانة اي قدر ما تأخذ من
هاذين المعنيين بقسطه اي لا تقصد الحصانة فتثقل ولا الخفة فتزيل المنعة
وقال ابو زيد التقدير الذي امر به هو من قدر الحلقة اي لا تجعلها صغيرة فتضعف ولا تجعل
الدرع على الرفاع ولا تجعلها كبيرة فتثقل لا بسها وقال ابن عباس التقدير الذي امر به هو
في المسمار اي لا تجعل مسمار الدرع رقيقا فيقلق ولا غليظا فيعصم الحلق روي بعضهم بالقاف
والفا يضا روانه في السرد نسخ خلق الدروع ومنه قيل لصانع الدروع السراد والزراد
بدل من السين الزاي كما قيل سراط وزراط والسرد الخرز يقال سرد يسرد اذا خرز والمسرد
الشيء وقيل لخراز قال
قطلت تبتاع خيلنا في سوقكم كما تابعت سرد العنان الخوارز
والسراد السير الذي يخرز به قال لبيد بالزوق سردا كما خرج السراد من النعال
يسد صفاحها بالزوق سردا كما خرج السراد من النعال
وقيل لفتاة الحديث والصوم قد سرد فيهما اذا مضى فيه ولا في لشيء واحد ومنه سرد الكلام
وفي حديث عائشة لم تكن النبي صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث كسردكم وكان يحدث الحديث
لو اراد العاد ان يعده لاحصاه ومنه رجل سرندى اي جدي قال ابن مقبل مضى قدما واصلد لك
في سرد الدرع وهو ان يحكمها ويجعل بطام خلقها ولا يغير مختلف قال لبيد
صنع الحديد مضاعفا اسراده لينال طول العيش غير مزوم
وقال ابو ذؤيب وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع
واعملوا صالحا اي عملا صالحا وهذا خطاب لداود واهله كما قال اعملوا آل داود شكرا الى
ما تعملون بصير ولسليمان الريح بالرفع على الابتداء قال الزجاج التقدير وسخرنا لسليمان
الريح وقرأ عاصم في رواية ابي بكر عنه الريح بالرفع على الابتداء والمعنى تسخير الريح له
بالاستقرار اي ولسليمان هذه الريح ثابتة وفيه دليل على المعنى الاول قال قائل اذا
قلت اعطيت زيدا درهما ولعمرو دينارا رفعته لم يكن فيه معنى الاول وجاز ان يكون
لم تقطد الثاني قيل الا مركذا ولكن الآية على خلاف هذا من جهة المعنى لانه قد علم
انه لم يسخرها احد الا الله جل وعز غدوها شهر ورواحها شهر اي مسيرة شهر
قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح

من اصطخر وبين بكابل وبينهما شهر للمشرع قال السدي كانت تسير به في اليوم مسيرة شهر من
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان سليمان اذا جلس نصبت خوالية ارثمانية الف
كرسي ثم جلس وسما الانس مما يليه وجلس عليه الانس مما يليهم ونسج كل كرسي طائر ليظل قر
عرقه ثم تقلهم الريح والطير تظلهم من الشمس فسدوا من بيت المقدس الى اصطخر فبنيت
بيت المقدس بلبن فمر ابن عباس عرعذوها شهر ورجعها شهر وقال وهب ذكر لي ان من الابنية
دجلة مكتوبا فيه كتبه بعض صحابة سليمان انا من الجن واما من الانس نحن نزلنا وما
بنينا وسبينا وجدنا وغدونا من اصطخر فقلنا ونحن راجعون حتى ان شا الله تعالى
فماتوا في الشام وقال الحسن شغلت سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر فعقر الخيل
فابدله الله خيرا منها واسرع ابه الريح تجري بامره حيث شا غدوها شهر ورواحها شهر
وقال ابو زيد كان مستقر سليمان بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل بحوصه من الشام
الى العراق فيتوها له بالصفاح والعمد والرخام المبيض والاصفر وفيه يقول النابغة
الا سليمان اذ قال الاله له قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد
من اطاعك فانفعه بطاعته كما طاعك وادله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على خمد
ووجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بارض كشكر انشاها بعض اصحاب سليمان عليه السلام
ونحن ولا حول سوى حول ربنا نروح الى الاوطان من ارض تدمر
اذا نحن رحنا كان ريث رواحنا مسيرة شهر والغدو لاحق
انا سخر والله طوعا لنوسهم سخرن داود والنبي المطهر
لهم وتعالى الرحمن فضل ولا فقة وان يلبسوا يوما فخير وانشر
متى يركبوا الريح المطيعة اسرعت مبادرة عن شهرها ثم تقصر
تظلهم طير صفوف عليهم متى وقرت من فوقهم لم تنشر

قوله تعالى وارسلنا له عين القطر النحاس عن ابن عباس وغيره اسيلت له مسيرة ثلاثة
ايام كما يسيل الماء وكانت بارض اليمن ولهذا النحاس قيار وهي لاحد قبله وكان لا يجف
ونقنه ذاب وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرج الله لسليمان قال قتادة فاسال الله عينا
يستعملها فيما يريد وقيل الكرمة الى اين سالت قال لا ادري وقال ابن عباس ومجاهد
والسدي اجريت له عين الصفر ثلاثة ايام بلياليهن قال القشيري وتخصيص الاسالة
بثلاثة ايام لا يدري ما اجره ولعله وهم من الناقل اذ في رواية عن مجاهد انها سالت من
صنعا ثلاث ليال مما يليها وهذا يشير الى بيان الموضع لا الى بيان المدة والظاهر انه جعل النحاس
لسليمان في معدنه عينا تسيل كعيون المياه دلالة على نبوته وقال الخليل القطر النحاس المذاب
قلت دليله قراءة من قرا من قطران ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه اي بامره
ومن يزغ منهم عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير اي في الاخرة
قاله اكثر المفسرين وقيل ذلك في الدنيا وذلك انه تعالى وكل بهم ملكا فيما روي عن السدي
بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة فلن حيث لا يراه حريقه
ومن في موضع نصب بفعل مضمر وسخرنا له من الجن من يعمل ويجوز ان تكون في موضع رفع كما تقدم
في الريح هو له تعالى يعملون له ما يشا من محاريب المحراب في اللغة كل موضع مرتفع وقيل
الذي يصلي فيه محراب لانه يحب ان يرفع ويعظم وقال الضحاك من محاريب اي من مساجد وكذا
قال قتادة وقال مجاهد المحاريب دون القصور قال ابو عبيدة المحراب اشرف بيوت
الدار قال وما ذا علمه انه ذكرت في التنزيل لانه رئيس في محاريب اقبال ثم قال
عدي بن زيد كرمي العاج في المحاريب او الوشي في الروضة زهره مستنير وقيل هو
كما يرقى اليه بالدرج كالغرفة الحسنة كما قال اذ تسوروا المحراب وقوله تخرج عليهم
من المحراب اي اشرف عليهم وفي الخبر اذا مر ان يعمل حول كرسيه الف محراب فيها الف رجل عليهم
السوح ويسرحون الى الله اساوه على اكرسي في مركبه والمحاريب حوله ويقول لجنوده اذا
ركب سبحوا الله الى ذلك العلم فاذا بلغوه قال لهللوه الى ذلك العلم فاذا بلغوه قال كبروا
الى ذلك العلم الآخر فيلج الجنود بالتسبيح والتهليل لحظة واحدة الثانية قوله تعالى
وتماثيل جمع تمثال وهي كانت من زجاج ونحاس ورخام وهو كل ما صور على مثل صورة
غيره من حيوان تماثيل اشيا ليست بحيوان وذكرانها صورا لانبيا عليهم السلام والعلما

وكانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا قال صلى الله عليه وسلم
ان اولئك كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور
اي ليتذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة وهذا يدل على ان التصوير كان مباحا في ذلك
الزمان ونسخ ذلك بشرع محمد صلى الله عليه وسلم وسيأتي لهذا بيان في سورة نوح عليه
السلام وقيل الكتماثيل ملمعات كان تعملها وتحرم على كل مضرا ان يتجاوزها فلا يتجاوزها
فيجعل بها للذباب او للبعوض وللتماثيل تنبيح في مكان ويأمرهم ان لا يتجاوزوه فلا يتجاوزه واحد
ابدا مادام ذلك التمثال قائما وواحد التماثيل تمثال بكسر التاء قال

وبارب يوم قد لهوت وليلة بآنسة كأنها خط تمثال

وقيل ان لفظة التماثيل رجال اتخذهم من نحاس وسأل ربه ان ينفخ فيها الروح ليقاتلوا في سبيل
الله ولا يجيئك فيهم السلاح وبقال ان اسفنديار كان منهم والله اعلم وروي انهم وقيل انهم عملوا
له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط للاسد ان له ذراعيهما
فاذا قد اطلقا الستر ان اجنحتهما الثالثة حكى في البعد اية له ان فرقة تحرم التصوير
وتحتج بهذه الاية قال ابن عطية وذلك خطأ وما احفظ من احد من ائمة العلم من
يجوزه قلت ما حكاه مكي ذكره النحاس قبله قال النحاس قال قوم عمل الصور
جائز بهذه الاية ولما اخبر الله عز وجل عن المسيح وقال قوم صح النهي عن النبي صلى الله عليه
وسلم والوعيد لمن عملها واتخذها فنسخ الله عز وجل بهذا ما كان مباحا قبله وكانت
الحكمة في ذلك لانه بعث عليه السلام والصور تعبد فكان الاصلح ازالتها الرابعة التمثال
على نسمة من حيوان وموات والموات على نسمة من جماد ونام وقد كانت الجن تصنع لسليمان
جميعه لعموم قوله وتماثيل وفي الاسرائيليات ان التماثيل من الطير كانت على كرسي سليمان
فان قيل لا عموم لقوله وتماثيل فانه اثبات في نكرة والاثبات في النكرة لا عموم له انما العموم في النفي
في النكرة قلنا كذلك هو ولكنه قد اقترن بهذا الاثبات ما يقتضي حمله على العموم وهو قوله
ما يشاء فاخبر ان المشيئة به تتعلق العموم له فان قيل كيف استخار الصور المنهي عنها قلنا
كان ذلك جائزا في شرعه ونسخ ذلك شرعنا كما يشاء والله اعلم وعن ابي العالية لم تكن التماثيل
الصور انما كانت تحرما الخامسة مقتضى الاحاديث تدل على ان الصور ممنوعة مما الا ما كان
رقما في ثوب فخص من جملة الصور ثم تثبت الكراهية منه بقوله عليه السلام لعائشة في الثوب
اخريه عني فاني كلما رأيته ذكرت الدنيا ثم تمتلئه الثوب المصور على عائشة منع منه ثم
يقطعها له وسادتين حتى تقعرت الصورة وخرجت من هيئتها فان جواز ذلك اذا لم تكن الصور
فيه متصلة الهيئة ولو كانت متصلة الهيئة لم يجز لقولها في الخرقة المصورة اشترتها
لك لتقعد عليها وتوسدها فمنع منه وتوعد عليه وتبين بحديث الصلاة الى الصور ان
ذلك جائز في الرقم في الثوب ثم لنسخه المنع منه وهذا استقراء امر فيه والله اعلم قال ابن العربي
السادسة روى مسلم عن عائشة قالت كان ستر منه تماثيل طائر وكان الطائر اذا
دخله استقبله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حولي هذا فاني كلما دخلت فرأيته
ذكرت الدنيا قالت وكان لنا قطيفة كنا نقول عليها حرير فكنا نلبسها وعنها قالت
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مستترة بقرام فيه صور فتلون وجهه ثم تناول
الستر فهتكه ثم قال ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز
وجل وعنها انه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدودة الى سهوة فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي اليه فقال اخريه عني قالت فاخرته فجعلته وسادتين قال بعض العلماء ويمكن ان
يكون تهتكه عليه السلام الثوب وامره بتأخيره رمزا لان محل النبوة والرسالة انكاله
فتأمله السابعة قال المزني عن الشافعي اذا دعا رجل الى عرس فرأى صورة ذات روح او صورا
ذات ارواح لم يدخل ان كانت منصوبة وان كانت توطأ فلا بأس وان كانت صور الشجر
ولم يختلفوا ان التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة وكذلك عدهم ما كان
خرطا او لفقا لنا واستثنى بعضهم ما كان رقما في ثوب لحديث سهل بن حنيف قلت
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المصورين ولم يستثن وقوله ان اصحاب هذه الصور
يعذبون يوم القيامة ويقال لهم احيوا ما خلقتم ولم يستثن وفي الترمذي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان
مبصرتان واذنان يسمعان ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد
وبكل من دعى مع الله الها آخر وبالمصورين قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح

وفي

وفي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون يدل على المنع من تصوير شيء اي شيء كان وقد قال عز وجل ما كانوا لكم ان تنبتوا شجرها على ما تقدم بيانه فاعلمه الثامنة وقد استثنى من هذا الباب لعب البنات لما ثبت عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت سبع سنين وزفت اليه وهي بنت تسع ولعبها معها ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وعنها ايضا قالت كنت العب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل ينقمعن منه فيسربهن الي فيلعبن معي رواه الجماعة الا مسلما وذلك للصغر ورد الى ذلك البنات حتى يدربن على تربية اولادهن ثم انه لا يبقى لذلك وكذلك ما يصنع من الحلاوة او من العجين لا يبقى له فرخص في ذلك زائدا على

وجفان هو كالحواب قال ابن عرفة الجواب جمع الجابية وهو حفير كالحوض وقال مجاهد كالجواب من الابل هو وقال ابن القاسم عن مالك كالحوبة من الارض والمعنى متقارب وكان يقعد على الحفنة الواحدة الف رجل الجواس وجفان كالجواب الاولى ان تكون بالياء ومن حذف الياء قال سيبويه الالف واللام ان يدخل على النكرة فلا يغيرها عن حالها فلما كان يقال جواب دخلت الالف واللام اقرتا على حاله فحذف الياء وواحد الجواب جابية وهي لغة اليمن والحوض العظيم الكبير الذي يجبى فيه الشيء ويجمع ومنه جبيت الخراج وجبيت الجراد اي جمعته الكسا جمعته قيل الا ان لنسا روي عن مجاهد قال الجواب جمع جوبة والجوبة الحفرة الكبيرة تكون في الجبل فيها الماء المطر وقال الكسائي جبوت الماء في الحوض وجبيته اي جمعته والجابية الحوض الذي يجبى فيه الماء للابل قال يروح على ال المخلق حفنه كجابية السيح العراقي يغشى ثم وروي يغشى الدرم على ال المخلق حفنه كجابية السيح ذكره النحاس ومعنى راسيات ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمها وقدور راسيات قال سعيد بن جبير هي قدور النحاس تكون بفارس وقال الضحاك هي قدور تعمل من الجبال عبرة فنحتت من الجبال الصم مما عملت له الشياطين اثافيها منها منحوتة فهكذا ان الجبال ومعنى راسيات ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمها قال ابن العربي وذلك كما قدور عبد الله بن جدعان تصعد اليها في الجاهلية بسلم وعنها عبر طرفه بنا لعبد تقول له كالجواب لا تنثني بمرعة لقرى الاضياف او المختصر قال ابن العربي ورأيت برباط الى سعيد قدر الصوفية على نحو ذلك فانهم يطبخون جميعا ويأكلون جميعا من غير استئثار واحد منهم على احد اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور وقد مضى معنى الشكر في البقرة وغيرها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فتلى هذه الاية قال نلت من اونيهن تفاحة ونلت مثلها اولى ال داود قلنا ما هن فقال العدل في الرضا والقصد في الفقر والغنا وخشية الله في السر والعلانية خرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله عن عطا ابن يسار عن ابي هريرة وروي ان داود عليه السلام قال يا رب كيف اطيق شكرك على نعمك والهامي وقدرتي على شكرك نعمة لك فقال يا داود الان عرفتني وقد مضى هذا المعنى في سورة ابراهيم وان الشكر حقيقة الاعتراف بالنعمة للمنعم واستعمالها في طاعته والكفران استعمالها في المعصية وقليل من يفعل ذلك لان الخير اقل من الشر والطاعة اقل من المعصية بحسب سابق التقدير وقال مجاهد لما قال الله تعالى اعملوا ال داود شكرا قال داود لسليمان ان الله عز وجل قد ذكر الشكر فاكفني صلاة النهار اكفك صلاة الليل قال لا اقدر قال فاكفني قال العار علي قال اني صلاة الظهر قال نعم فكفاه وقال الزهري اعملوا ال داود شكرا اي قولوا الحمد لله وشكرا نصب على جهة المفعول له اي اعملوا عملا هو الشكر وكان له الصلاة والصيام والعبادات كلها هي في نفسها الشكر اذ هي مسدة مسدة هذا قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وهو المراد بقوله وقليل من عبادي الشكور وقد قال سفيان بن عيينة في تاويل قوله تعالى ان اشكر لي ان المراد بالشكر الصلوات الخمس وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم حتى تفطر رجلاه فقالت له عائشة اتصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال لا افلا اكون عبدا شكورا انفرد باخراجه مسلم فظاهر القرآن والسنة ان الشكر عمل الابدان دون الافتقار على عمل اللسان فالشكر باللسان قول والشكر بالاركان والشكر بالقلب عمل اللسان فاعلم

وقليل من عبادي الشكور يحتمل ان يكون مخاطبة لال داود ويحتمل ان يكون مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وعلى كل وجه ففيه تنبيه وتحذير وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال

الرجل اذا ردت قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور فقال عمر رضي الله عنه كل الناس اعلم منك يا عمر وروى
ان سليمان عليه السلام كان يأكل الشعير ويطعم اهله الحنطة ويطعم المساكين الرسل وقد قيل
انه كان يأكل الرماد وينوسده والاول اصح اذ الرماد ليس بقوت وروي انه ما شبع قط فقيل له في
ذلك فقال اخاف ان شبعت انسى الجياع وهذا من الشكر وهو من القليل فتامله **قوله تعالى**
فلما قضينا عليه الموت اي فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صار كالامر المفروغ منه ووقع نبذه
الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منسأته وذلك انه كان متكيا على المنساه وهي
العصاة بلسان الحبشة في قول السدي وقتادة هي لغة اليمن قاله الفشيري فمات كذلك وبقي
حانيا في الحال الى ان سقط ميتا لانكسار العصا لاكل الارض اياها فعلم موته بذلك فكانت الارض
دالة على موته اي سببا لظهور موته وكان ليسأل الله تعالى ان لا يعلموا بحتى يمضي عليه سنة
واختلفوا في سبب سواله لذلك على قولين احدهما ما قال قتادة وغيره قال كانت الجن تزعم
علم الغيب فلما مات سليمان وخفي موته عليهم تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما
لبثوا في العذاب المهين ابن مسعود اقام حولا والجن يعملون بين يديه حتى اكلت الارض من سأته
فسقط ويروي انه لما سقط لم يعلم سد مات فوضعت الارضة على العصا فاكلت منها يوما
وليلة ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وقيل كان رؤساء الجن سبعة وكانوا
متقادين لسليمان عليه السلام وكان داود اسس بيت المقدس فلما مات اوصى الى سليمان
في اتمام بيت المقدس فامر سليمان الجن به فلما دنا وفاته قال لاهله لا تخبروهم بموتي حتى يتموا
بنا المسجد وكان بقي لاتمامه سنة وفي الخبر ان سليمان الموت كان صديقه فسأله عن ابيه موته
فقال ان يخرج من موضع سجودك شجرة يقال لها الخروبة فلم يكن يوم يصبح فيه الا نبتت في
بيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول للشجرة اسمي كذا وكذا فتقول ولاي شيء انت هم
فتقول لكذا وكذا فيأمرها فتقطع وتغرسها في بستان له ويأمر بكتب منافعها ومضارها وما
ومما يصلح له في الطب فبينما هو يصلي ذات يوم اذ رأى شجرة نبتت بين يديه فقال لها ما
اسمك قالت الخروبة قال ولاي شيء انت قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان لخرابه
وانا حي اثنت الذي على هلاكي وهلاك بيت المقدس فغرسها وعرسها في حائطه ثم قال اللهم عم
على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من
الغيب اشياء وانهم يعلمون ما في حد ثم للبس كفنه وتحنط ودخل المحراب فقام يصلي واتكأ على
عصاه على كرسيه فمات ولم تعلم الجن الى ان مضت سنة وتم بنا المسجد قال ابو جعفر النحاس
وهذا احسن ما قيل في الاية يدل على صحته الحديث المرفوع رويه ابراهيم بن طهمان عن عطاء
ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي الله داود
اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فسألها ما اسمك فان كانت لغرس غرست وان كانت للدواء
كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم اذا شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك فقالت الخروب
قال لاي شيء انت قالت لخراب هذا البيت قال اللهم عمي على الجن موتي حتى تعلم الانس
ان الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا لا يعلمون فسقطت فعلمت الانس
ان الجن لا يعلمون الغيب فنظروا فعادوا لذلك فوجدوه سنة وفي قراءة ابن مسعود وابن
عباس تبينت الانس ان لو كانوا يعلمون الغيب وقرأ يعقوب في رواية رويس تبينت
الجن غير مسمى الفاعل ونافع وابو عمرو وعاصم من سأته بالف بين السين والتاء من غير همز هم
والباقون بهمزة مفتوحة موضع الالف لغتان الا ان ذكوان اذا سكن الهمزة تخفيفا
قال الشاعر في ترك الهمز اذا وقف على المنساه مركبا فقد نبا عد عنك اللهو والغزل
وقال اخر فهمز وفتح ضربنا بمنساة وجمه فصار بذلك مهيبا ذليلا وقال اخر

* امن اجل حبل لا ابالك ضربته بمنساة قد جر حبلك اجبلا وقال اخر

* فسكن همزها * وقايم قد قام من مكانه كقوة السيخ الى منسأته واصلها من
نسأت الغنم اي زجرتها وسقتها فسميت العصا بذلك لانه يزجر بها الشيء ويساق قال طرفة

* امون كالالواح الا ران نسأتها على لاحب كانه ظهر برجد * قال النحاس واشتقاقها
يدل على انها مهموزة لانها مشتقة من نسأته اي اخرته ودفعته فقيل لها منساة لانه
يدفع بها الشيء ويؤخر وقال مجاهد وعكرمة هي العصا ثم قرأ من سأته ابدل من الهمزة الفا
فان قيل لم ابدل من الهمز قبيح جدا وانما يجوز في الشعر على بعد وشذوذ وقال ابو عمرو بن
العلا لا يغيب عنه مثل هذا لا سيما واهل المدينة على هذه القراءة فالجواب على هذا ان
العرب استعملت في هذه الكلمة البدل ونطقوا بها هكذا كما يقع البدل في غير هذا ولا قياس

عليه

عليه حتى قال ابو عمرو ولست ادري ممن هذا الا انها غير مهموزة لان ما كان مهموزا فقد يترك
همزه وما لم يكن مهموزا لم يخرهمزه بوجه المهذوي ومن قرا بهمزة ساكنة فهو شاذ بعيد لان
هذا التانيث لا يكون قبلها الا متحركا او الفا لكنه يجوز ان يكون ما سكن من المفتوح استخفا
ويجوز ان يكون لما ابدل من الهمزة الفاعل غير قياس قلت الالف همزة كما قلبوها
في قولهم انعام والخابور وروي عن سعيد بن جبير من مفصوله سانة مهموزة مكسورة التا
فقيل انه من سية القوس عن ربه قال الجوهري سية القوس فاعطفت من طرفها والجمع سيات
وانها عوض من الواو والنسبة اليها سيوي قال ابو عبيدة كان رؤبة يهمز سية القوس
وسايرا لعرب لا يهمزونها وفي دابة الارض قولان احدهما انها الارضة قال ابن عباس ومجاهد
وغيرهما وقد قري دابة الارض بفتح الراء وهو واحد الارضة ذكره الماوردي الثاني انها دابة
تاكل العيدان قال الجوهري والارضة بالتحريك دويبة تاكل الخشبة يقال ارضت الخشبة
تورض ارضا بالتسكين فهي ماروضة اذا اكلتها قوله تعالى فلما خر اي سقط تبينت الجن
مثل واسال القرية وفي التفسير بالاسانيد الصحاح عن ابن عباس قال قام سليمان بن
داود صلى الله عليهما حولا لا يعلم بموته وهو متوكي على عصاه والجن متصرفون فيما كان امرهما به
ثم سقط ميتا حول فلما خر تبينت الانس ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
وهذه القراءة من ابن عباس على جهة التفسير وفي الخبر ان الجن شكت ذلك للارضة فبها
كانت ياتونها بالماء قال السدي والطين الحر الى الطين المدي يكون في جوف الخشب فانها
مما تاتيها به الشياطين سكرا وقالت لو كنت تاكل الطعام والشراب لاتيناك بهما وان
في موضع رفع على البدل من الجن التقدير تبينت امر الجن بحذف المضاف اي تبين وظهر للانس
وانكشف لهم امر الجن انهم لا يعلمون الغيب وهذا بدل الاشتمال ويجوز ان تكون في موضع نصب
على تقدير حذف اللام وليتوا اقاموا والعذاب المهين السخرة والحمل والبنيان وعمر ذلك
وعمر سليمان ثلاثة وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة فملك وهو ابن ثلاث عشرة
سنة ومدة ملكه وابتدا في بنيان بيت المقدس وهو ابن سبع عشرة سنة وقال السدي
وغيره كان عمر سليمان سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة وابتدا في بنيان بيت
المقدس وهو ابن عشرين سنة وكان ملكه خمسين سنة وحكي ان سليمان عليه السلام ابتدا
ببنيان بيت المقدس في السنة الرابعة من ملكه وفرغ بعد فراغه منه اثنتي عشر الف
فرس وماتة وعشرين الف شاة واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنيانه عيدا واقام على الصخرة
رافعا يديه الى الله تعالى بالدعا فقال اللهم انك وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بنا
هذا المسجد اللهم فاوزعني شكرك على ما انعمت علي وقويتني على عملك ولا تنزع قلبي بعد اذ
هديتني اللهم اني اسالك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل للتوبة
الا غفرت له وتبت عليه ولا خائف الا امنته ولا سقيم الا شفيته ولا فقير الا اغنيته
والخامسة لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه الا من اراد الحادا او ظلما يا رب العالمين
ذكره الماوردي قلت وهذا اصح من ما تقدم انه لم يفرغ بناوه الا بعد موته لبنه
والدليل على صحة هذا ما خرجه النسائي وغيره باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سال الله خلالا ثلاثة حكما
يصادف حكمه فاوتيه وسال الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله حين فرغ
من بنايه المسجد الا ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرج من خطيئته يوم ولدته
امه وقد ذكرنا هذا الحديث في العمران وذكرنا بيانه في سبحان والحمد لله قوله تعالى لقد كان
لسبا في مساكنهم اية قرا نافع وغيره بالصرف والتنوين على انه اسم حي وهو في الاصل اسم
رجل جاز ذلك التوقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم روى الترمذي قال نا ابو كريب وعبد
ابن حميد قال نا ابو اسامة عن الحسن بن الحكم النخعي قال نا ابو سبرة النخعي عن فروة بن
مسيك المرادي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله الا اقاتل من ادبر
من قومي لمن اقبل منهم فاذن لي في قتالهم وامرني فلما خرجت من عنده قال ردوا علي فاتي
العطيف فاخبرني قد سرت قال فارسل واشتري فرد لي فاتيته وهو في نفر من اصحابه
فقال ادع القوم فمن سلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل حتى احدث اليك قال
وانزل في سا ارض او امراه فقال ليس بارض ولا بامراة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب
من العرب فتيامنهم ستة وتشاام منهم اربعة فاما الذين تشاموا فلخم وجذام وعاملة
وغسان واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول

الله وما امارقنا الذين هم ختم وجيله وروي في هذا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابو عيسى هذا حديث غريب وقد بين كثير ابو عمرو نسبا بغير صرف جعله جعله اسما
للقبيلة وهو اختيار ابي عبيد واستدل على انه اسم قبيلة ان بعده في مساكنهم النخاس ولو كان
ولو كان كما قال لكان في مساكنها وقد مضى في النحل زيادة لهذا المعنى وقال الشاعر في الصرف

الوارد ون دسم في دري سيافذ عض اعناقهم جلد الجواميس

وقال آخر في غير الصرف من سبا الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما
وقد قرأ نافع وابو جعفر والمحدري لسبا باسكان الهمزة في مساكنهم قراءة العامة على الجميع وهو
اختيار ابي عبيد وابي حاتم لان لهم مساكن كثيرة وليس بمسكن واحد وقرأ ابراهيم وحمزة وحفص
مسكنهم موحدا الا انهم فتحوا الكاف وقرأ يحيى والاعمش والكسائي موحدا كذلك انهم
كسروا الكاف قال النحاس ومساكن في هذا بين لانه يجمع اللفظ والمعنى فاذا قلت مسكنهم
كان فيه لغتان احداهما ان يكون واحدا يودي عن الجمع والاخرى ان يكون مصدرا الا يثنى
ولا يجمع كما قال جل وعز ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجاء بالسمع موحدا وكذا المصدر
صدق ومسكن مثل مسجد خارج عن القياس ولا يوجد مثله الا سماعا انه اسم كان اي علامة
دالة على قدرة الله جل وعز على انه لهم خالق خلقهم وانه كل الخلائق لو اجتمعوا على ان يجيروا
من الخشية بمرة لم يمكنهم ذلك ولم يهتدوا الى احتيال واحتراس لما رأوا انها وطوعها
ورأيتها وانها رهاد في ذلك ما يدل على انها لا تكون الا من عالم قادر جنتان يجوز ان تكون
بدلا من اية ويجوز ان تكون خبرا بتدا محذوف فيوقف على هذا الوجه على اية وليس بتام
قال الزجاج اي الاية جنتان بجنتان رفع لانه خبر ابتدا محذوف وقال الفراء رفع للتفسير
للاية ويجوز ان تنصب اية على انها خبر كان ويجوز ان تنصب الجنتين على الخبر اضافة عن
الفراء وقال عبد الرحمن بن زيد ان الاية التي كانت لاهل سبا في مساكنهم انهم لم يروا فيها
بعوضة قط ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة ولا عقربا ولا حية ولا غير ذلك من الهوام
واذا جاءهم الركب في بيوتهم القمل والدواب فاذا نظروا الى بيوتهم ماتت الدواب وقيل ان الاية
هي الجنتان كانت المرأة تمشي فيهما وعلى راسها مكتل فيمتلئ من انواع الفواكه من غير ان تمس
بيدها قاله قتادة وروي ان الجنتين كانتا بين جبلين باليمن قال السدي وجدتا في قصر ان مكتوب على احدهما نحن بنينا سبعة عشر قيدا بالبنين وعلى الاخر مكتوب
نحن بنينا صروحا بعد حسن بنا وجمع فكانت احدى الجنتين عن يمين الوادي والاخرى عن شماله
قال الفشيري ولم ير جنتين اتسع بلدا من الجنتين بمنة وبسرة اي كانت بلادهم
ذات بساتين وثمار وما رئيت الثمار بطلا لها كلوا من رزق ربكم اي قيل لهم كلوا ولم
يكن ثم امر ولكنهم تمكنوا من تلك النعم وقيل اي قالت الرسل لهم قد اباح الله لكم هذه النعم
فاشكروه بالطاعة من رزق ربكم اي من ثمار الجنتين واشكروا له بعني على ما رزقكم بلدة
طيبة هنا كلام مستانف اي هذه بلدة طيبة كثيرة الثمار وقيل غير سبخة وقيل طيبة
ليس فيها هوام الطيب هوا بها قال مجاهد هي صنعاء ورب غفور اي والمنعم بما تقلبكم رب
غفور تستر ذنوبكم فجمع لهم بين مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه
وقيل انما ذكر المغفرة مستدلا اي اذا الرزق قد يكون فيه حرام وقد مضى القول في هذا في البقرة
وقيل انما امتن عليهم بعفوه عن عذاب الاستئصال لتكذيب من كذبوه من سالف الانبياء
نبيا الى اذا استداموا الاضرار فاستوصلوا قوله تعالى فاعرضوا اي عن امره واتباع رسله
بعد ان كانوا مسلمين قال السدي ووهب بعث الى اهل سبا ثلثة عشر نبيا فكذبوهم
قال الفشيري وكان لهم ربيس يلقب بالحمار وكانوا في زمن الفترة بين عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل كان له ولد فمات فرفع راسه الى السماء فرأى الكفر فلهذا
يقال اكفر من حمار وقال الجوهري وقولهم اكفر من حمار هو رجل من عاد مات له اولاد فكفر
كفرا عظيما فلا يمر بارضه احد الا دعاه الى الكفر فان اجابه والا قتله ثم لما سأله
السائل بجنتيهم تفرقوا في البلاد على ما يأتي ولهذا قال في المثل تفرقوا ايادي
سبا وقيل الاوس والخزرج منهم فاما علمهم سيل العرم وقال لعطا العرم اسم الوادي
قتادة العرم واد سيل كانت تجتمع اليه سيول من الاودية فبلغ من البحر او دلية
اليمن فورد موارد بين جبلين وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة ابواب بعضها فوق
بعض فكانوا يستقون من الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجاتهم فاخصبوا
وكثرت اموالهم فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفار فتقدم الردم قال وهب كانوا

يزعمون انهم يجدون في علمهم القاوكيما نتهم انه يخرب سدهم فاره فلم يتركوا صخرة بين صخرتين
لا ربطوا الى جانبها هرة فلما جاء ما اراد الله بهم افتلت فارة حمرا الى نصف ذلك النهر فصارت
حتى استاخرت عن الجبل ثم وثبت وهي فلتت في الفرجة التي كانت عندها ونقبت السد
حتى اوهنته للسيل وهم لا يدرون فلما جاء السيل دخل ذلك الخلل حتى بلغ السد وقام
الماء على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم وقال الزجاج العرم اسم الجرذ الذي ثقب السكر
عليهم وهو الذي يقال له الخلد وقال قتادة ايضا وقد قال ابن الاعرابي العرم مسناة
النار وقال ابن عباس هذوا بن الى يخرج العرم ما احمر ارسله الله تعالى في السد فشقه
وهدمه وعن ابن عباس ايضا العرم المطر الشديد فتنسد السيل الذي لا يرسله
وقال عمرو بن شرحبيل العرم الماء وقاله الجوهري قال وواحد لها من لفظها وتقال
واحدها عرمة وقال محمد بن يزيد العرم على معنى حاجز بين شيئين وهو الذي يحبس السكر
وهو جمع عرمة كالخاتم وما يجتمع من مطرتين خلتين وفي وجه منشاه والمنشاه
هي التي يسميها اهل مصر الجبر فكانوا يفتحونها اذا انشاؤا فاذا رويت جنانهم سدوها
قال الهروي المنشاه الصفيرة تبنى للسيل يرده سميت منشاه لانه فيها منافع الما
وروى ان العرم سد بنته بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام ترتفع المنشاه
بلغة حمير بنته بالصخر والقار وجعلت له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وهو مشتق
من العرامة وهي الشدة ومنه رجل عارم اي شديد وعرمت العظم اعرمه واعرمه عرما
اذا عرفته وكذلك عرمت الابل السمحة نالت منه والعرام بالضم العراق من العظم والشجر
ونحوه العظم تعرقه وصبي عارم بين العرام بالضم شرس ولقد عرم يعرم ويعرم
عرامة بالفتح والعرم العارم عن الجوهري وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط وقرا ابو عمرو اكل خمط بغير تنوين مضافا قال ابو علي التفسير والخليل الخمط الاراك
قال الجوهري الخمط ضرب من الاراك له حمل يوكل وقال ابو عبيدة هو كل شجر ذي شوك
فيه مرارة الزجاج لا يمكن اكله المبرد الخمط كل ما تغير الى ما لا يشتهى والبن خمط اذا حمض
والماء لحمته قال الفراء ذواتي اكل خمط بالتنوين على انه نعت لاكل او بدل منه لان الاكل هو
الخمط بعينه عنده فاما الاضافة فقد ضعف جوازها ان يكون تغيرها ذواتي اكل
حموضة او اكل مرارة وقال الاخفش والاضافة احسن في كلام العرب تقول لهم
ثوب حمض والخمط البين الحامض وذكر ابو عبيد ان البن اذا ذهب عنه حلاوته الحلا
ولم يتغير طعمه فهو ناطف وان اخذ شيئا من الريح فهو حامض وخمط فان اخذ شيئا
من طعمه فهو مخمل فاذا كان فيه طعم الحلاوة فهو فوهة وتخمط الفحل هدر وتخمط
فلان اي غضب وتكبر وتخمط البعير اي انتفخ وخمطت الشاة اخمطها خمطا اذا نزعت
جلدها وشويتها فهي سميط والخمطة الخمر التي اخذت ريح الادراك كريح التفاح
ولم يدرك بعد وقال ابو الحامضة قاله الجوهري وقال المعنى في ادبه الكتاب فقال
للحامضة خمطه وتقال الخمطة التي قد اخذت شيئا من الريح والنشد عقار كماة التي
ليست بخمطة ولا خلة بكوي السهوب سهامها تا وائل قال الفراء هو شبيه بالطرفا
الا انه اعظم منه طولا ومنه اتخذ منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وللاصل اصول غليظة
يتخذ منه الابواب وورقه كورق الطرفا الواحدة اثلة والجمع اثلات وقال الحسن
الاثل الخشب قتادة هو ضرب من الخشب ليست له ثمرة الطرفا رأيته بعسفان وقيل هو الشمر
وقال ابو عبيد هو شجر المضاء روي عن سعد بن خليل قال الفراء هو السمر ذكره النحاس
وقال الازهري السدر من الشجر سدران يرعى ما لا ينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول
وله ثمر عفص لا يوكل وهو الذي يسمى المضال قال الثاني سدر نبت على الما وثمره النبق
وورقه غسول تشبه شجر الضاب قال قتادة بينما شجر القوم من خير شجر
اذ صيره الله من شر الشجر بما لهم فاهلك اشجارهم المثمرة واثبت بدلها الاراك والطرفا
والسدر القشير وامجار البوادي لا يستمتع بخشبه ولبنا ولكن لما وقعت للتابعة
في مقابلة الاولى اطلق لفظ الجنة وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ويحتمل ان
يرجع قوله قليل الى جملة ما ذكر من الخمط والاثل والسدر فقوله تعالى ذلك جزيناهم
بما كفروا اي بهذا التبديل جزاكفرهم ووضع ذلك نصب اي جزيناهم ذلك بكفرهم
وهل يجازى الا الكفور قرا العامة بجازي بياء مضمومة وزاي مفتوحة الكفور
رفعا على ما لم يسم فاعله وقرا يعقوب وحفص وحمزة والكسائي بجازي بالنون

وكسر الزاي المكنور بالنصب واختاره ابو عبيد وابو حاتم والا لان قبله جزيناهم ولم يقل
جوزوا التماس والامر في هذا واسع والمعنى فيه بين ولو قال قائل خلق الله ادم صلى
الله عليه وسلم من طين وقال اخر خلق ادم من طين لكان المعنى واحدا مسئلة
في هذه الاية سوال ليس في السورة اسند منه وهو ان يقال لم خص المجازاة بالكفور
ولم يذكر اصحاب المعاصي فتكلم العلماء في هذا فقال قوم ليس يجازى بهذا الجزاء الذي
هو الاصطلام والاهلاك الا من كفر وقال مجاهد يجازى بمعنى يعاقب وذلك اذا المؤمن
يكفر الله عنه سيئاته والكافر يجازى بكل سوء عمله فالمؤمن يجزا ولا يجازى لانه لا عتاب
وقال طاوس هو المناقشة في الحساب واما المؤمن فلا يناقش الحساب وقال قطرب
خلاف هذا جعلها في اهل المعاصي غير الكفار وقال المعتزلة من كفر بالمنعم وعمل بالكبائر الفاحشة
واولى ما قيل في هذه الاية واجل ما روي فيها ان الحسن قال مثلا بمثل وعن عائشة
قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من حوسب هلك فقلت يا نبي الله فاين قوله جل
وعز فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال انما ذلك العرض ومن نوقش الحساب يهلك هو
وهذا اسناد صحيح وسره ان الكافر ينكا على اعماله ويحاسب عليها ويحيط ما عمل من
خير وبين هذا قوله جل وعز في اول ذلك جزيناهم بما كفروا وفي الثاني وهل يجازى بكفره
بكل عمل وسمى جزيناهم وفيناهم بهذا حقيقة اللغة وان كان جاري تتبع بمعنى جزيجازا
قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة قال الحسن بعني
بين اليمن والشام والقرى التي بورك فيها الشام والاردن وفلسطين والبركة فيها
اربعة آلاف وسبعمائة قرية بورك فيها بالشجر والنهر والماء ويحتمل ان يكون باركنا فيها
بكثرة العدد قرى ظاهرة قال ابن عباس سير بين المدينة والشام وقال قتادة يعني
ظاهرة متصلة على الطريق يغدون فيقيلون في قرية ويروحون فيبيتون في قرية وقيل
كان على كل ميل قرية تسوق وهو سبب ان الطريق قال الحسن كانت المراة تخرج منها
مقنعتها وعلى راسها مكتلها ثم تلتهي يعز لها فلا تاتي بيتها حتى تمتلئ مكتلها من كل
الثمار فكان ما بين اليمن والشام كذلك وقيل ظاهرة اي سرتفعة قاله المبرد وقيل
انما قال ظاهرة لظهورها اي اذا خرجت من هذه ظهرت لك الاخرى فكانت قرى ظاهرة
اي بمرو وقد بقي لهذا امر ظاهر اي معروف وقدرنا فيها السير اي جعلنا السير بين
قراهم وبين القرى التي باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل الى منزل ومن قرية الى قرية
العرب اذا جعلنا بين كل قريتين نصف يوم حتى يكون المقيل في قرية والمبيت في اخرى
واما سائر الناس في السير لعدم الزاد والماء لخوف الطريق فاذا وجدوا الزاد والامن لم
يحمل على نفسه المشقة وترك ايمانا اراد سيروا فيها ليالي وقلنا لهم سيروا فيها اي في هذه
المسافة فتوا من ثمانين اي كانوا يسيرون فيها الى مقاصدهم اذا اراد وا امنين فتوا من
لمعنى الخبر وعبر عنه بالمقول ليالي وايامًا امنين نصب على الحال وقال ليالي وايامًا بلفظ
النكرة تنبيها على قصر اسفارهم اي كانوا لا يحتاجون الى طول السفر لوجود ما يحتاجون
اليه قال قتادة كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا اظما كانوا يسيرون نصف
ارتجة اشهر في اماكن لا يجوز بعضهم بعضا ولو لقي الرجل قاتل ابيه لم يعرض له فتمنوا
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا لما بطروا وطغوا وسيموا الراحة ولم يصبروا على الفقر
تمنوا طول الاسفار والكد في المعيشة كقول بني اسرائيل ادع لنا ربك يخرج لنا مما
تنبت الارض من بقلها الاية وكما لنضر بن الحارث اذ قال اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السما فاجابه الله وقتل يوم بدر بالسيف صبرا كذلك
هو لا تبدوا في الدنيا ومزقوا كل ممزق وجعل بينهم وبين الشام فلوات ومفاوز
يركبون فيها الرواحل ويتزودون الازواد وقرا القامة ربنا بالنصب على انه نداء
مضاف وهو منصوب لانه مفعول به لان معناه ناديت ودعوت باعد سالوا المباعدة
في اسفارهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن محيصن وهشام عن ابن عامر ربنا على
كذلك على الدعا بعد من التبعيد الناس باعد ويعقوب واحد في المعنى كما يقول وارب
وقرب وقرا ابو صالح ومحمد بن الحنفية وابو المتوكل ونصر بن عاصم ويعقوب
وروى عن ابن عباس ربنا رفعا باعد بفتح العين والدال على الخبر تقديره لقد
باعد ربنا بين اسفارنا كان الله تعالى يقول قد بنا لهم اسفارهم فقالوا اشر
وبطر العذ بوعدت علينا اسفارنا واختار هذه القراة ابو حاتم قال لانهم

طرفا نهج

جيه

ظلموا التبعيد انما ظلموا القرب من ذلك القرب بطرا وعجبا ثم كفرهم وقراءة يحيى بن يعمر وعلي بن محمد ويروى عن ابن عباس بعد بين اسفارنا بنا ندما فضاق ثم أخذوا بعد ذلك فقالوا ليعد بين اسفارنا ورفع بين بالفعل اي بعد ما اتصل باسفارنا وروى الفراء وابو اسحق قراءة شاذة مثل التي قبلها بضم العين الا انك تنصب بين على الظرف وتقديره في الدهر بين بعد سيرنا من اسفارنا الخمس وهذه القراءات اذا اختلفت معانيها لم يجز ان يقال احدها اجود من الاخرى كما لا يقال ذلك في اخبار الاحاد اذا اختلفت معانيها ولكن ما اخبر عنهم انهم دعوا ربهم ان يبعد بين اسفارهم بطرا واشرا وخبر عنهم انه لما فعل ذلك بهم خبر انه وشكوا كما قال ابن عباس وظلموا انفسهم اي بكفرهم فجعلناهم احاديث اي نتحدث باخبارهم وتقديره في العربية روي احاديث ومزقناهم كل ممزق اي لما فعلهم ما فعلهم تفرقوا وتمزقوا قال الشعبي فلحقت الانصار بيثرب وغسان بالشام والازد بعمان وخزاعة بتهامة وعامة العرب تضرب بهم المثل فتقول لقوا ايدي سبا وايادي سبا اي بددا هب سبأ وطرفها ان في ذلك لايات لكل صبار شكور الصبار الذي يصبر عن المعاصي وهو كثير صابر يمدح بهذا الاسم فان اردت انه صبر عن المعصية لم يستعمل الا صبار عن كذا شكور لنعمه وقد مضى هذا المعنى في البقرة قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قرأ ابو جعفر وشيبة ونافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر وروي عن مجاهد ولقد صدق بالتخفيف عليهم ابليس بالرفع ظنه بالنصب اي في ظنه قال الزجاج وهو على المصدر اي صدق عليهم ظنا ظنه اي صدق في ظنه فنصب على المصدر او على الظرف وقال ابو علي ظنه نصب لانه مفعول به اي صدق الظن الذي ظنه اذ قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقال لاغوينهم اجمعين ويجوز تقديره الصدق الى المفعول به وقال صدق الحديث اي في الحديث وقرأ ابن عباس ويحيى بن وثاب والاعمش وعاصم وحمزة والكسائي اي صدق بالتشديد ظنه بالنصب بوقوع الفعل عليه قال مجاهد ظن ظنا فكان كما ظن فصدق ظنه وقرأ جعفر بن محمد وابن الهباج صدق عليهم بالتخفيف ابليس بالنصب ظنه بالرفع قال ابو حاتم لا وجه لهذه القراءة عندي والله اعلم وقد اجاز هذه القراءة الفراء وذكرها الزجاج جعل الظن فاعل صدق وابليس مفعول به والمعنى ان ابليس سول له ظنه فيهم شيأ فصدق ظنه فكانوا قال ولقد صدق عليهم ظن ابليس وعلى متعلقة بصدق كما تقول صدقت عليك فيما ظننته بك ولا يتعلق بالظن لاستحالة ان تقدم شيء من الصلة على الموصول والقراءة الرابعة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه برفع ابليس والظن مع التخفيف فصدق على ان يكون ظنه بدلا من ابليس وهو بدل الاشتمال كما تقول ذهب زيد فرسه ثم قال تعالى وما كان لابليس الخ ما استفهام بمعنى النفي اي لم يكن له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وقيل هذا عام في صدق ابليس على الناس كلهم الا من اطاع الله قال مجاهد وقال الحسن لما اهبط آدم من الجنة وسمه حواء وهبط ابليس قال ابليس انا اذا صبت من الابوين ما اصبت فالذرية اضعف واضعف فكانت ظنا من ابليس فانزل الله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقال ابن عباس ان ابليس قال خلقت من نار وخلق آدم من طين والنار تحرق كل شيء لاحتنكن ذريته الا قليلا فصدق ظنه عليهم وقال زيد بن اسلم ان ابليس قال يا رب ارأيت هؤلاء الذين كرمتهم وشرفتهم وفضلتهم علي لاحتنكن اكثرهم شاكرين ظنا منه وصدق عليهم ظنه وقال الكلبي انه ظن ان اهواءهم اجابوه وان اظلهم اطاعوه وصدق ظنه فاتبعوه وقال الحسن ما ضربهم بسوط ولا بعصا وانما ظن ظنا فكان كما ظن بوسوسته الا فريقا من المؤمنين نصب على الاستثناء وهو منقطع عن الاول اي لكن فريقا من المؤمنين لان كثيرا من المؤمنين من يذنب ويتقاعد لابليس في بعض المعاصي فما سلم من المؤمنين ايضا الا فريق وهم المخلصون لقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فاما ابن عباس فعنه انه قال هم المؤمنون كلهم قيل على هذا التفسير لا للتبعيض فان قيل كيف علم ابليس صدق ظنه وهو لا يعلم الغيب قيل انه لما تقدم له في آدم ما تقدم علم ان بنيه لن يخلدوا مثله في ذريته وقد وقع له تحقيق ما ظن انه يتخذ وجوابه احسن وهو ما اجيب من قوله تعالى هو واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فاعطى من القوة والاستطاعة فظن انه يملكهم كلهم فلما رأى انه تاب على آدم وانه سيكون له نسل يتبعونه الى الجنة وقال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من تعلق

تعلق ابن عباس من قال الشكور الذي
يذكر نعم الله بالثناء عليه بها
وقد يعبد بن اسفارهم وقد يعبد بين
ابن ابي الحسن البصري
اسفارنا صح

من الغاوين فعلم ان له تبعا ولادم تبعا فظن انه تبعه اكثر من تبع ادم لما وضع في يديه من
سلطان الشهوات ووضعت الشهوات في اجواف الادميين فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم
وزين في اعينهم تلك الشهوات وندبهم اليها بالامانى والخدايع فصدق عليهم الظن الذى
ظنه والله اعلم قوله تعالى وما كان له عليهم من سلطان اى لم يقهرهم ابليس على الكفر
وانما كان منه الدعاء والتزيين والسلطان القوة وقيل الحجة اى لم تكن له حجة يستقيمهم بها
وانما اتبعوه بشهوة وتقليد وهوى نفس لا عن حجة ودليل الا لنعلم من يؤمن بالاخرة علم
الشهادة الذى يقع به الثواب والعقاب واما الغيب فقد علمه جل وعز ومذهب الفراء
يكون المعنى الا لنعلم ذلك عندكم كما قال ابن سركاي اى على قولكم وعندكم وليس قوله الا لنعلم
بجواب وما كان له عليهم من سلطان في ظاهره انما هو محمول على المعنى اى وما جعلنا له
عليهم من سلطان في ظاهره انما هو محمول الا لنعلم فالاستثنا منقطع اى لا سلطان له عليهم
ولكن ابتليناهم بوسوسته لنعلم فلا معنى لكن وقيل هو متصل اى وما كان له عليهم من
سلطان غير انا سلطناه عليهم لنتم الابتلا وقيل كان زائدة اى وما له عليهم من سلطان
كقوله كنتم خير امة وقيل لما اتصل طرف فيه بعضه سبا قال وما كان لابليس على اولئك
الكفار من سلطان وقيل وما كان له في قضايانا التابعة سلطان عليهم وقيل انا
لنعلم الا لنظهر وهو كما يقول النار تحرق الحطب فيقول احز لابل الحطب تحرق النار
فيقول الاول تقال حتى يجرب النار والحطب لنعلم ايهما يحرق صاحبه اى لنظهر
ذلك وان كان معلوما لهم ذلك وقيل الا لتعلموا انتم وقيل اى ليعلم اولياؤنا والملا
كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياء الله ورسوله وقيل
اى ليميز كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب وقد مضى هذا المعنى في السنة وغيرها
وقرأ الزهري الا لنعلم على ما لم يسم فاعله وربك على كل شي حفيظ انه تعالى عالم بكل شي
وقيل يحفظ كل شي على العبد حتى يجازيه عليه قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من
دون الله اى هذا الذى مضى ذكره من امر داود وسليمان وقصة سبا من اثار فذرني نقتل
ياحمد لهؤلا المشركين هل عند شركايكم قدرة على شي من ذلك وهذا خطاب توبيخ وتبكيت
اضمارا اى ادعوا الذين زعمتم انهم الهة لكم من دون الله لتنفعكم او لتدفع عنكم ما قضاه
الله عز وجل عليكم فانهم لا يملكون ذلك ولا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
وما لكم فيهما من شرك وما لهم منهم من ظهير اى ما لله من هؤلا من يعين على خلق شي بل الله
المنفرد بالايجاد فهو الذى يقبد وعباده غيره محال قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة
اى شفاعة الملائكة وغيرهم عنده اى عند الله الا لمن اذن له اذن لمن قرأه العامة اذن بفتح الهمزة
لذكر الله جل وعز اولا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن بضم الهمزة على ما لم يسم فاعله واذن هو
ومن يرجع الى الشافعين ويجوز ان يرجع الى المشفوع لهم حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ابن عباس
خلى عن قلوبهم الفزع فظن اخرج ما فيها من الخوف مجاهد كشف عن قلوبهم الغطا يوم القيامة
اى ان الشفاعة لا تكون من احد من هؤلا المعبودين من دون الله من الملائكة والانبياء والاصنام
الا ان الله يأذن للانبياء والملائكة في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله كما قال وهم من خشيته
مشفقون والمعنى انه اذا اذن لهم في الشفاعة ورد عليهم كلام الله فزعوا لما يعتريهم من تلك
الحال من الامر الهائل والخوف ان يقع في تنفيذ ما اذن لهم فيه تقصير فاذا سري عنهم قالوا
للملائكة وهم الذين يورد عليهم الوحي بالاذن ماذا قال ربكم اى ماذا امر الله به فيقولون لهم
قال الحق وهو اذن لكم في الشفاعة للمرضيين وهو العلي الكبير قيل ان يحكم في عباده بما يريد
ثم يجوز ان يكون هذا ادنا لهم في الدنيا في شفاعة اقوام ويجوز ان يكون في الاخرة وفي الكلام
اضمار اى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له لما روي عليه من الاذن تمثيلا لكلام الله
جل وعز حتى اذا زهق الفزع عن قلوبهم اجاب بالانقياد وقيل هذا الفزع يكون اليوم
للملائكة في كل امر يامر به الرب تعالى اى لا تنفع الشفاعة الا من الملائكة الذين قرئون
اليوم مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين وفي صحيح الترمذي عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله في السما امرا خرت الملائكة باجنحتها خضعانا
لقوله كانها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
وهو العلي الكبير قال والشياطين بعضهم فوق بعض قال حديث حسن صحيح وقال
النواس بن سمعان قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا الله اذا اراد ان يوحي بالامر تكلم بالوحي
اخذت السموات منه رجفة او رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع اهل

السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اول من يرفع راسه جبريل فيكلمه الله ويقول
له من وحيه ما اراد فكلما مر بسماء سالة ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول ياجبريل
قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقول كلهم كما قال لجبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث
امره الله تعالى وذكر البيهقي عن ابن عباس في قوله عز وجل حتى اذا فزع عن قلوبهم قال كان
كلما نزل من الجن مصعد من السماء يسمعون منه الوحي وكان اذا نزل الوحي سمع له صوت
كمر السلسلة على الصفوان فلا ينزل على اهل سماء الا صعقوا فاذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ثم يقول يكون العام كذا ويكون
كذا فسمعه الجن فتحدث الكهنة به والكهنة الناس يكون العام كذا فيجدونه
كذلك فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وحرسوا اي بالشهب فقالت الغرب حتى
لم يخبرهم الجن بذلك هلك من في السماء جعل صاحب الابل يجبر كل يوم بعيرا وصاحب البقر
يجبر كل يوم بقرة وصاحب الغنم شاة حتى اشرعوا في اموالهم فقالت ثقيف وكانت اعقل
العرب ايها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمنع من في السماء وان هذا لشيء ما ينتشار السنتم
تزون نجما لكم من النجوم كما هو والشمس والقمر والليل والنهار فقال ابليس لعفاريت
في الارض اليوم حدث فاتوني من كل ارض فاتوه بما جعل يشمها فلما شم تربة حكة
قارن هاهنا حدث فنصتوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وقد مضى هذا
المعنى مرفوعا مختصرا في سورة الحجر ومعنى القول الصفان رميهم بالشهب واحراقهم بها وياتي في
سورة الجن بيان ذلك وقيل انما يفزعون من قيام الساعة قال الكلبي وكعب كان بين عيسى
ومحمد عليهما السلام خمسمائة وخمسون سنة لا يجيء فيها الرسل فلما بعث الله محمدا صلى الله
عليه وسلم كلم الله جبريل بالرسالة فلما سمعت الملائكة الكلام رمقوا انها الساعة قد
قامت فصعقوا مما سمعوا فلما اخذ جبريل يجعل يمر بكل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم
ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فلم يدروا ما قال ولكنهم قالوا قال الحق وهو العلي
الكبير وذلك ان محمدا عند اهل السموات من اشراط الساعة وقال الضحاك اذا الملائكة الغفلة
الذين يختلفون الى اهل الارض يكتبون اعمالهم يرسلهم الرب تعالى فاذا اخذوا سمع لهم صوت شديد
فيحسب الذين هم اسفل من الملائكة ان امر الساعة وهذا شبيه من الله تعالى واخبار ان
الملائكة مع اصطفائهم ورفعتهم لا يمكنهم ان شفعوا لاحد حتى يؤذن لهم فاذا اذن لهم وسمعوا
صعقوا وكان هذه حالهم فكيف تشفع الاصنام او كيف تقولون انتم الشفاعة ولا يعقلون
بالقياس وقال الحسن وابن زيد ومجاهد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين قال
مجاهد في الاخرة عند نزول الموت وقال الحسن وابن زيد اقامة للحجة عليهم فالت الملا
لهم ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الا قرار اي قالوا قال الحق وقراءة
العامة فزع عن قلوبهم وقرا ابن عباس فزع عن قلوبهم سمي الفاعل وفاعله ضمير يرجع
الى اسم الله عز وجل ومن بناه للمفعول بالجار والمجرور في موضع رفع والفعل في المعنى لله عز
وجل والمعنى في القراءتين ازيل الفزع عن قلوبهم حسب ما تقدم بيانه ومثله اشكاه
اذا زال عنه ما يشكوه وقرا الحسن فزع مثل قراءة العامة الا انه خفف الزاي والجار والمجرور
في موضع رفع ايضا وهو لقوله انصرف عن كذا اي كذا وكذا ومعنى فزع بالزاي والعين المعجمة
والتخفيف عن سمي الفاعل روي عن الحسن ايضا وقتادة وعنهما ايضا فزع بالزاي والعين
معجمة سمي الفاعل والمعنى فزع الله قلوبهم اي كشف عنها اي نزعها من الفزع والخوف والى ذلك
يرجع النبا للمفعول على هذه القراءة وعن الحسن ايضا فزع بالتشديد قوله تعالى قل من يرزقكم
من السموات والارض لما ذكر انذارهم لا يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الرب قرر
ذلك فقال قل يا محمد للمشركين من يرزقكم من السموات والارض اي من يخلق لكم هذه الا
رزاق الكائنة من السموات اي من المطر والشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع
والارض اي الخارجة من الارض من الماء والنبات اي لا يمكنهم ان يقولوا هذا فعل الهتنا فيقولون
لا ندري فقل انا الله بفعل ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم وان قالوا الله يرزقنا فقد قرروا
الحجة فانه الذي ينبغي ان يعبد وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين هذا على وجه
الانصاف في الحجة كما يقول الرجل لصاحبه احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وانه صاحبه كاذب
والمعنى ما نحن واياكم على امر واحد بل على احد امرين متضادين واحدا الفريقين مهتد
وهو نحن والاخر ضال وهو انتم فكذبهم باحسن من نصف المتكذب والمعنى انتم الضالون
حين اشركتم بالذي يرزقكم من السموات والارض انا واياكم معطوف على انتم بان ولو عطف

على الموضع لكان او انتم لعلى هدى للاول لا غير واذا قلت او اياكم كان للثاني اولى وحذق من الاول ويجوز ان تكون للاول وهو اختيار المبرد قال ومعناه معنى قول المنتصر لصاحبه على صحة الوعيد والاستظهار بالحجة الواضحة احدنا كاذب وهو عرف المعنى كما نقول انا افعل كذا وتفعل انت كذا واحدنا مخطئ وقد عرفنا انه هو المخطئ فهكذا انا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وعند البصريين على بابها وليست للشك لكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا اذا لم يرد المخبر ان يبين وهو عالم بالمعنى وقال ابو عبيدة والفراء هي بمعنى الواو وتقديره وانا على هدى واياكم لفي ضلال مبين وقال الحربي اتغلبه الموارس ورا حا عدلت بهم طهيئة والربا كما يعني بعلبك وربا با وقال الاخر

فلما استدار الحرب فينا تاملنا رباحا وربا ما

اي وربا ما قوله تعالى قل لا تسالون عما اجرمنا اي ان كنا مجرمين ولا نسال نحن ايضا عما تعملون اي انما قصدنا ادعوكم اليه لخيركم لانه بنا لمن ضر كفركم وهذا يحاق لكم دينكم ولي ديني والله مجازي الجميع فهذه الاية مهادنة ومتاركة وهي منسوخة بالسيف وقيل نزلت هذا قبل ان السيف قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق اي يقضي فيبين المهتدي ويعاقب الضال وهو الفتاح اي القاضي بالحق العليم باحوال الخلق وهذا كله منسوخ بآية السيف قوله تعالى قل ارونيَ الذين الحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم قوله لنا قل ومما ارسلنا الا كافة للناس بشيرا ونذيرا اي وما ارسلناك الا للناس كافة اي عامة فقدم الكلام لتقدم وتاخير وقال الزجاج وما ارسلناك الا جامعا لهم للناس بالانذار والابلاغ والكافة بمعنى الجامع وقيل معناه كافا للناس تكفهم عما هم فيه من الكفر وتدعوهم الى الاسلام والتاء للمبالغة وقيل اي الا ذا كافة فحذف المضاف اي وذا منع الناس من ان يسدوا عن تبليغك او ذا منع لهم من الكفر ومنه كف الثوب لانه ضم طرفيه بشيرا اي بالجنة لمن اطاع ونذيرا من النار لمن كفر ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما عند الله وهم المشركون وكانوا في ذلك الوقت اكثر من الموحدين عددا ويقولون متى هذا الوعد يعنون موعدكم لنا بقيام الساعة ان كنتم صادقين فقال الله تعالى قل لهم يا محمد لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون فلا يغرنكم تاخره والميعاد الميقات وتعني بهذا الميعاد وقت الموت وقيل وقت حضور الموت اي لكم قتل يوم القيامة وقت تفنى فيه تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي وقيل اراد بهذا اليوم يوم بدر لان ذلك اليوم كان ميعادا عذابهم في الدنيا وعلم الله تعالى واجاز النحويون ميعاد يوم على ان يكون ميعاد ابتدا ويوم بدل منه والخبر لكم واجاز وا ميعاد يوما ظرفا ويكون الهاء في عنه يرجع الى يوم ولا يصح ميعاد يوم لا تستاخرون بغير تنوين واضافة يوم الى ما بعده اذا اقترن الها عايدة على اليوم لان ذلك يكون من اضافة الشيء الى نفسه من اجل الها التي في الجملة ويجوز ذلك على ان يكون الها للميعاد لا لليوم قوله تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه قال سعيد عن قتادة ولا بالذي بين يديه من الكتب والانبياء عليهم السلام وقيل من الاخرة وقالا بن جريج قال ذلك ابو جهل بن هشام وقيل ان اهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا فسالوه فلما سالوه وافق ما قال اهل الكتاب قالوا للمشركين لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي قبله من التوراة والانجيل بل نكفر بالجميع وكانوا قبل ذلك مراجعون اهل الكتاب فيما بينهم ويحتجون بقولهم فظهر بهذا تناقضهم وقلة علمهم ثم اخبر الله تعالى عن حالهم في مسالتهم فقال ولو ترى يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي محبوسون في موقف الحساب يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والقاء بعد ان كانوا في الدنيا اخلاء متناصرين وجواب لو محذوف اي لرايت امرا هائلا فظيعا ثم ذكر اي شيء يرجع من القول بينهم فقال يقول الذين استضعفوا في الدنيا من الكافرين للذين استكبروا وهم القادة والرؤساء لولا انتم لكنا مومنين اي اتباعين

واضللتمونا

واضللتمونا واللفتة الفصيحة لولا انتم ومن العرب من يقول لولاكم حكاها سيبويه يكون لولا يختص المضمر ويرتفع المظهر بعدها بالابتداء ويحذف خبره ومحمد بن يزيد يقول لا لا يجوز لولاكم لان المضمر عقيب المظهر فلما كان المظهر مرفوعا بالاجماع وجب ان يكون المضمر ايضا مرفوعا قال الذين استكبروا الذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اي مشركين مصرين على الكفر وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار والمكر اصله في كلام العرب الاحتيال والخديعة وقد مكر به يمكر مكرا ومكارا قال الاخفش مذهبي لقدير هذا مكر الليل والنهار قال الفراء والله اعلم بل مكركم في الليل والنهار وقال سفيان الثوري بل عملكم في الليل والنهار فقارة بل مكركم بالليل والنهار صدنا في صنيف المكر اليهما لوقوعه فيهما وهو كقوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر فاضاف الاجل الى نفسه ثم قال فاذا اجلهم لا يستاخرون ساعة اذ كان الاجل لهم وهذا من قبيل قولك ليله قايم ونهاره صايم قال الفراء اي بل مكركم الليل والنهار كما تقول العرب نهاره صايم وليله قايم والشد للجرير

لقد لمتنا يا ام غيلان في السري ونمت وما ليلي المطي بنايم

والشد سيبويه فنام ليلي وتخلي همي اي نمت فيه ونظيره والنهار مبصر وقراقتادة بل مكر الليل والنهار بخذف وقتا سعيد بن جبير بل مكر بفتح الكاف وشد الراء بمعنى المكرور وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف ويجوز ان يرتفع بفعل مضمر دل عليه انحن صددناكم كانهم لما قالوا لهم انحن صددناكم عن الهدى قالوا بل صددنا مكر الليل والنهار وروي عن سعيد ابن جبير قال لم يكن لليل والنهار عليهم غفلوا وقيل طول السلامة فيهما كقوله فطال عليهم العمر وقرا اشد بل مكر الليل والنهار بالنصب كما تقول زيدا مقدم الحاج وانما يجوز هذا ضمارا يعرف لو قلت زيدا مقدم زيد لم يجز ذكره النحاس اذ نامرون ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي اشباها وامثالا وقال محمد بن يزيد فلان اي مثله ويقال ند بفتح والشد تجعلون الي ندا وها انتم لدي حسب ند بفتح وقد مضى هذا في البقرة واسروا الندامة اي اظهروها وهو من الاضداد يكون بمعنى الاخفاء والابداء قال امرؤ القيس تجاوزت احراسا واهوال معشر علي حراص لو يسرون مقتلي وقد روي يبشرون وقيل واسروا الندامة اي تبينت الندامة في اسرارهم وقيل الندامة لا تظهر وانما تكون في القلب وانما يظهر ما يتولد عنها حسب ما تقدم بيانه في سورة يونس والعمران وقيل اظهارهم للندامة قولهم فلو ان لنا كرة فنكون من المومنين وقيل اسروا الندامة فيما بينهم ولم يجهروا القول بها كما قال واسروا النجوى وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا الاغلال جمع غل يقال في رقبته غل من حديد ومنه قتل بالمراة الستة الخلق غل قمل فاصله ان الغل كان يكون من قد وعلته شعر فيحمل وغلت يده الى عنقه وقد غل فهو مغلول يقال ما له اغل وغل القمل يضا والغلة حرارة العطش وكذلك الغليل يقال منه غل الرجل يغل غلا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله عن الجوهري اي جعلت الجوامع في اعناق التابعين والمتبوعين وقيل من غير هو لاء الذين وقيل يرجع الذين كفروا الى الجميع وقيل تم الكلام عند قوله لما رأوا العذاب ثم ابتدا فقال وجعلنا الاغلال بعد ذلك في اعناق ساير الكفار هل يجزون الا ما كانوا في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها قال قتادة اي اغنياوها ورساوها وجبابرها وقاده الشر للرسل انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اي فضلنا عليكم بالاموال والاولاد ولو لم يكن ربكم راضيا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يعطنا ذلك ونحن معذبين لان من احسن اليه فلا يعذبه فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنا فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا اي يوسعه ويقتر اي يقتر ان الله هو الذي يفاضل بين عباده في الرزق امتحانا لهم فلا يدل شيء من ذلك على ما في العواقب فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الاخرة ولا فقطوا اموالكم واولادكم تغني عنكم غدا شيا ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذا لانهم لا نيا ملون ثم قال تاكيدا وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قال مجاهد اي قربا والزلفة القربة وقال الاخفش اي ازلافا وهو اسم المصدر فيكون موضع قربا نصبا كانه قال بالتي تقربكم عندنا تقريبا وزعم الفراء ان التي يكون للاموال والاولاد جميعا وله قول اخر وهو مذهب ابي اسحق الزجاج يكون المعنى وما اموالكم بالتي تقربكم

عندنا زلفى ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ثم حذف خبر الاول لدلالة الثانى عليه والشد
القرا نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف ويجوز فى غير القرآن ما للتى
وبالتى وبالذين وبالذين للاولاد خاصة اى لا تزيدكم الاموال عندنا رفعة ودرجة ولا
تقربكم تقريبا للمؤمن وعمل صالحا قال سعيد بن جبير المعنى الا من امن وعمل صالحا فله
بضعف ما له وولده فى الدنيا وروى ليث عن طاوس انه كان يقول اللهم ارزقنى الايمان
والعمل وجنبنى المال والولد فانى سمعت فيما اوحيت دنا اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم
عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا قلت فقول طاوس فيه نظر فى المعنى والله
اعلم جنبنى المال والولد المطغيين او الذين لا خير فيهما فاما المال الصالح والولد الصالح
للرجل الصالح فنعم هذا وقد مضى هذا فى آل عمران وبرئتم والفرقان ومن فى موضع نصب على
الاستثنا المنقطع اى ولكن من امن وعمل صالحا وايمانه وعمله يقربانه منى وزعم الزجاج
انه فى موضع نصب بالاستثنا على البدل من الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل ولو جاز
هذا لجاز رأيتك زيدا وقولك ايا سمحف هذا قول الفرا لما ان الفرا لا يقول بدل الا بدل
من لفظ الكوفيين ولكن قوله يؤول الى ذلك وزعم ان مثله الا من اتى الا ان يتقلب سلم
يكون منصوبا عنده بينتفع واجاز الفرا ان يكون فى موضع رفع بمعنى ما هو الا من امن كذا
قال ولست احصل معناه فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا يعنى قوله من جا بالحسنة
فله عشر امثالها فالضعف الزيادة اى لهم جزاء التضعيف وهو من باب اضافة المصدر
الى المفعول وقيل لهم جزاء الاضعاف فاضعف بمعنى الجمع واضافة الضعف الى الجزا
كاضافة الشى الى نفسه نحو حق اليقين وصلاة الاولى اى لهم الجزا المضعف المؤاخذ
عشرة الى ما يزيد الله من الزيادة وبمدونه الا بية استدل من فضل الغنى على الفقر وقا محمد
ابن كعب اذا المؤمن اذا كان غنيا تقيا اتاه الله اجره مرتين بمدونه الا بية وهم فى الغرفات امنون
قرا نافع جزا الضعف بالاضافة وقرى الزهرى ويعقوب ونصر بن عاصم جزا مستونا منصوبا
الضعف رفعا اى فاولئك لهم الضعف جزا على التقديم والتاخير وجزا الضعف على ان يجاوزوا
الضعف وجزاء الضعف مرفوعا الضعف بدل من جزا وقرا الجمهور الغرفات على الجمع وهو
اختيار ابى عبيد لقوله لنبوئنهم من الجنة غرفا قال الزمخشرى وقرى فى الغرفات بضم الرا وفتحها وسكونها
وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة وخلف فى العرفة على التوحيد لقوله تعالى اولئك يجزون الغرفة والغرفة
يراد بها اسم الجمع واسم الجنس قال ابن عباس هى غرف من ياقوت وزبرجد ودر وقد مضى بيان ذلك
اى امنوا من العذاب والموت وقرا الجمهور ايضا فى الغرفات على الجمع وهو اختيار ابى عبيد لقوله لنبوئنهم
من الجنة غرفا الزمخشرى وقرى فى الغرفات بضم الرا وفتحها وسكونها وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب
وحمزة وخلف فى الغرفة على التوحيد لقوله تعالى اولئك يجزون الغرفة والغرفة يراد بها اسم
الجمع واسم الجنس قال ابن عباس هى غرف من ياقوت وزبرجد ودر وقد مضى بيان ذلك امنون
من العذاب والموت والاستقام والاحزان والذين يسعون فى اياتنا اى فى ابطالها ادلتنا ومجتنا
وكتابنا معاجزين يحسبون انهم يفوتوننا بانفسهم فاولئك فى العذاب محضرون اى فى جهنم
تحضرهم الزبانية فيها قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له
كررنا كيد او ما انفقتم من شى فهو يخلفه او قل يا محمد لهولا المقترين بالاموال والاولاد ان الله
يوسع على من يشا ويضيق على من يشا فلا تقتروا بالاموال والاولاد بل انفقوها فى طاعة الله فان
ما انفقتم فى طاعة الله فهو يخلفه وفيه اضمار اى فهو يخلفه عليكم يقال اخلف له واخلف عليه
اى يعطيكم خلفه وبدلك وذلك البدل اما فى الدنيا واما فى الاخرة وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول
احدهما اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وفيه ايضا عن ابى هريرة عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله قال لى انفق انفق عليك الحديث وفيه اشارة الى الخلف فى الدنيا بمثل
المنفق فيها اذا كانت النفقة فى طاعة الله وقد لا يكون الخلف فى الدنيا فيكون كالدعا كما تقدم
سواء فى الاجابة او التكفير او الاذخار وها هنا مسئلة فى الاجر مسئلة روى
الدارقطنى وابو احمد بن عدى عن عبد الحميد الملائى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها الا ما كان
من نفقة فى بنيان او معصية قال عبد الحميد قلت لابن المنكدر ما وعى الرجل عرضه قال
يعطى لسانه وذا اللسان عبد الحميد وسمه بن معين قلت ما انفق فى معصية
فلا خلاف انه غير مثاب عليه ولا مخلوف له واما البنيان فما كان منه ضرورة يكن الانسان

ويحفظه فى ذلك مخلوق عليه ومما جوز بينا نه وذلك لحفظ بنيته وستر عورته قال صلى الله
عليه وسلم ليس لابن ادم فى سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز
والماء وقد مضى هذا المعنى فى الاعراف مستوفى وهو خير الرازقين لما كان
قبله فى الانسان انه يرزق عياله والامير جنده قال وهو خير الرازقين والرازق من الخير
يرزق لكن ذلك من مال يملك عليهم لم ينقطع والله تعالى يرزق من خزائن لا تنفد ولا تتناهى
ومن اخرج من عدم الى الوجود هو الرزاق على الحقيقة كما قال انا الله هو الرزاق ذو القوة المتين
ويوم نحشرهم جميعا هذا متصل بقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون اى لو تراهم
فى هذه الحالة لرايت امرا فظيعا والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته قال ولو
تراهم ايضا يوم يحشرهم جميعا العابدين والمعبودين اى يجمعهم للحساب ثم يقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قال سمع عن قتادة هذا استفهام كقوله عز وجل لعيسى
انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله قال التحاس فالمعنى ان الملائكة صلوات
الله عليهم اذا اكذبتهم كاذبة ذلك تبكيت لهم فهو استفهام توبيخ للعابدين قالوا سبحانك اى
تنزيها لك انت ولينا من دونهم اى انت ربنا الذى نتولاه ونطيعه ونعبده ونخلص فى العبادة له
بل كانوا يعبدون الجن اى مطيعون ابليس واعوانه وفى التفاسير ان حيا يقال لهم بنو ملدح من خزاعة
كانوا يعبدون الجن ويزعمون ان الجن نثروا لهم وانهم ملائكة وانهم بنات الله وهو قوله وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا اى شفاعة ونجاة
ولا ضرا اى عذابا ونهلا كا وقيل اى لا تملك الملائكة دفع ضر عن عابديهم فحذف المضاف ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون يجوز ان يقول الله لهم او الملائكة ذوقوا
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعنى القرآن قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم
ويمنعكم عما كان يعبد اباؤكم اى اسلافكم من الالهة التى كانوا يعبدونها وقالوا ما هذا
الا افك مفترى يعنون القرآن اى ما هو الا كذب مختلق وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر
مبين قتادة قالوا سحر وتارة قالوا افك ويحتمل ان يكون فيهم من قال سحر ومنهم من قال افك
وما اتيناهم من كتب يدرسونها اى لم يقرؤا فى كتاب اوتوه مطلقا ما جئت به
ولو سمعوه من رسول بعث اليهم كما قالوا لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين
وهم يتشبث به ولا شبه يتعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتاب وشرائع
ومستندون الى رسل من رسل الله ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله الحق وكذب الذين من قبلهم اى كذب
الذين من قبل هؤلاء اقوام كانوا اشد من هؤلاء بطشا واكثر اموالا واولادا واوسع عيشا فاهلكتهم لتمود
وعاد وما بلغوا اى بلغ اهل مكة معشار ما اتيناهم تلك الامم والمعشار والعشر والنقان وقيل
المعشار عشر العشر الجوهرى ومعشار العشر عشره ولا يقولون هذا فى حيوان العشر وقيل ما
بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما اتيناهم حكاه النقاش وقيل ما اعطى الله تعالى من قبلهم معشار
ما اعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان قال ابن عباس فليتبوأ مقعده اعلم من امته ولا كتاب
انزل بعد القرآن وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير عشر العشر فيكون جزأ من الف جزء الماوردى
وهو الاظهر لان المراد به المبالغة فى التقليل فكذبوا رسلى فكيف كان نكير اى فقل انما اعظكم
بواحدة ثم الحجر على المشركين اى قل لهم يا محمد انما اعظكم اى اذكركم وانصحكم سوء عاقبة ما انتم
فيه بواحدة اى بكلمة واحدة شاملة على جميع الكلام تقتضى نفى الشرك والاتيان
الا لاله قال مجاهد بى لا اله الا الله وهذا قول ابن عباس رض
والسدى ومن جاهد ايضا بطاعة الله وقتل بالقتال من اجله يجمع كل المواعظ
وقيل تتذكروه بخلصة واحدة ثم بينها بقوله ان تقوموا لله مثنى وفرادى فيكون ان فى موضع
خفض على البدل من واحدة او فى موضع رفع على اضمار مبتدا اى هى ان تقوموا وذهب الزجاج
انها فى موضع نصب بمعنى لان تقوموا وهذا القيام معناه القيام الى طلب الحق لا القيام الذى
هو ضد القعود وهو كما تقول قام فلان بامر كذا اى لوجه الله والتقرب اليه وكما قال بعضهم
وان تقوموا للبنا ى بالقسط مثنى وفرادى اى وحدانا ومجتمعين قاله السدى وقيل منفردا
برايه ومشاورا لغيره وهذا قول مأثور وقال المنتب مناظرة مع غيره ومكررا فى نفسه هو
وكله متقارب ويحتمل رابعا اذا المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل لانه فى النهار يكثر ان
فى الليل وحيد قاله الماوردى وقيل انما قال مثنى وفرادى لان الرهن حجة الله على العباد
وهو العقل فاوقفهم عقلا اوقفهم حظا من الله فاذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة واذا كانوا
مثنى فبالرهان فترا يا من العلم لهما ما اضعف على الانفراد والله اعلم ثم تتفكروا ما

بصاحكم من جنة الوقف هذا لابن الانباري وقيل ليس هو بوقف لان المعنى ثم تتفكروا
هل جربتم على صاحبكم كذبا او رابتم فيه جنة او في احواله من فساد او اختلف الي احد ممن يدعي
العلم بالسحر او يعلم الاقاصيص وقرا الكلبي او عرفتموه بالطمع في اموالكم او تقولون على معارضته
في سورة واحدة فاذا عرفتم بهذا الفكر صدقتم فما بال هذه المقالة ان هو الا نذير لكم بين
يدي عذاب شديد وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك
الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فنبذ
يا صاحاه فقالوا من هذا الذي يهتف فقالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان
يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج ان
تسفح الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
قال فقال ابو لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا ابي
لهب وقد تب كذا قرا الاعمش الى اخر السورة قل ما سالتكم من اجر اي جعل
على تبليغ الرسالة فهو لكم اي ذلك الجعل لكم ان كنت سالتكموه ان اجري الا على الله وهو على كل
شيء شهيد اي رقيب وحاضر لاعمالي واعمالكم لا يخفى عليه شيء فهو مجازي الجميع قل ان
ربي يقذف بالحق اي يبين الحجج وينظمها قال قتادة يأتي بالحق بالوحي وعند الحق القرآن وقال
ابن عباس اي يقذف الباطل بالحق فدمغه فاذا هو زاهق وقرا علي بن عمر غلام الفضوب وقرا الفضوب على انه بدل
اي قل ان ربي غلام الفضوب يقذف بالحق قال الزجاج والرفع من وجهين على الموضع لان الموضع
موضع رفع او على البدل مما في يقذف في اللفظ والرفع وجهان احدهما ان يكون خبرا بعد خبر ويكون
على اضمار مبتدا او زعم الفراء ان الرفع في مثل هذا اكثر في كلام العرب اذا اتى بعد خبر ان ومثله ان
ذلك لحق تخاصم اهل النار وتري الفضوب بالحركات الثلاث فالفضوب كالبيوت والفضوب
كالعمود وهو الامر الذي غاب وخفي جدا فلما جاء الحق قال سعيد عن قتادة يريد
القرآن الخماس والنقذ بر جاء صاحب الحق اي الكتاب الذي فيه البراهين والحجج وما يدري الباطل
قال قتادة الشيطان اي ما يخلق الشيطان احدا وما يعيد فما تفي ويجوز ان يكون استفهاما
بمعنى اي شيء جاء الحق فاي شيء بقي للباطل حتى يبديه او فلم يبق منه شيء كقوله فهل ترى لهم من باقية
اي لا ترى قل ان ضللت فقال له قل يا محمد ان ضللت كما تزعمون فانما
اضل على نفسي وتراه العامة ضللت بفتح اللام وقرا يحيى بن وثاب وعمرو قل ان ضللت
بكسر اللام وفتح الضاد من اضل والضلال لغة في الضلال لغة في الرشاد وقد ضللت بفتح اللام
اضل بكسر الضاد قال الاسنائي قل ان ضللت فانما اضل على نفسي فهذه لغة نجد وفي الصحيح
واهل اللغة يقولون ضللت بالكسر اضل ابدا ضلالا لتمشي على نفسي واذا اهتديت فبما يوحي
الي من ربي من الحكمة والبيان انه سميع قريب اي سميع ممن دعاه قريب الاجابة وقيل وجه النظم
قل ان ربي يقذف بالحق وبين الحجة وضلال من ضل لا يبطل الحجة ولو ضللت لاضررت بنفسي
لانه يبطل حجة الله واذا اهتديت فبتبيين الله اذ بينني على الحجة انه سميع قريب
ولو ترى اذ فزعوا ذكر احوال الكفار في وقت ما يضطرون فيه الى معرفة الحق والمعنى لو ترى
اذ فزعوا في الدنيا عند نزول الموت او غيره من باس الله تعالى بهم روي معناه عن ابن عباس الحسن
هو فزعهم في القبور من الصيحة وعنه اذ ذلك الفزع انما هو اذا خرجوا من قبورهم وقاله قتادة وقال
ابن مسعود اذا عاينوا عقاب يوم القيامة السدي هو فزعهم يوم بدر حين ضربت اعناقهم
بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا فرارا ولا رجوعا الى التوبة سعيد بن جبير هو الجيش الذي
يخسف به البيداء فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي اصحابه فيفزعون فهذا هو فزعهم ولا
فوت فلا نجاة قاله ابن عباس مجاهد فلا مهرب واخذوا من مكان قريب اي من القبور وقيل
من حيث كانوا منهم من الله قريب ولا يفوتونه ولا يعجزونه وقال ابن عباس نزلت في
ثمانية الفا يغزون ذا خر الزمان الكعبة ليخربوها فيخسف بهم فهم
الاخذ من مكان قريب قليل في هذا الخبر مرفوع عن حذيفة وقد ذكرناه
في كتاب التذكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين اهل المشرق
والمغرب فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في قرقرة دلان حتى
ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا الى المدينة فيصير الجيش
نحو المشرق حتى ينزلوا بارض بابل في المدينة الملعونة وهي البقعة الخبيثة فتبقى مدينة
بغداد فاذا قد قتلوا اكثر من ثلاثة الاف ويقبضون اكثر من مائة امراة ويقتلون بها ثلاث

هذا ع

مائة

ما به كثير من ولد العباس ثم يخرجون منه حتى يأتوا جهينة الى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق
ذلك الجيش منها على ايلة فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ولا يستقبل ذو سلاح بيد ولا بسم
من السبي والغنائم ويحل جيشهم الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة ايام وليالهن ثم يخرجون
حتى يأتوا جهينة الخبر حتى اذا قاموا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول يا جبريل اذهب
فابدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم وذلك قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
واخذوا من مكان قريب فلا يفلت منهم الا رجلان احدهما بشير والآخر نذير وهنا من جهينة
ولذلك جاء القول وعند جهينة الخبر اليقين وقيل اخذوا من مكان قريب اي قبضتا رواحلهم
في انائها فلم يمكنهم الفرار من الموت وهذا على قول من يقول هذا الفزع عند الفزع ويحتمل
ان يكون هذا من الفزع الذي هو بمعنى الاجابة يقال فزع الرجل اي اجاب الصارخ الذي يستغيث
به اذا انزل به خوف ومنه الخبر اذ قال للانصار انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع
ومن قال اراد الخسف والقتل في الدنيا قال يوم بدر قال اخذوا في الدنيا قتلا ذريعا واخذوا في الآخرة ومن
قال هو فزع يوم القيامة قال اخذوا من تحت الارض ليظهرها وقيل اخذوا من مكان قريب
من جهنم فالقوا فيها وقالوا امنا به اي بالقرآن وقد صح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يغزو جيش الكعبة فاذا كانوا ببيداء من الارض خسف بهم فيها فقلت يا رسول الله كيف
بمن كره قال يحشر على نيته رواه مسلم وقال ابن عباس والضحاك
بالبعث فتناوشهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وقال لهم التناوش من مكان بعيد قال ابن عباس والضحاك
التناوش الرجعة اي يطلبون الرجعة الى الدنيا ليؤمنوا وهيهات من ذلك ومنه قول الشاعر
تمنى لي اللوب الى منى ولمس لي تناوشها سبيل
وقال السدي التناوش التناول قال ابن السكيت يقال للرجل اذا تناول رجلا ليأخذه
برأسه ولحيته ناشه ينوشه نوشا والنش
فهي تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع اجواز الفلا
اي تناول ما الحوض من فوق ويشرب شربا كثيرا ويقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج الى ما
آخر قال ومنه المناوشة في القتال وذلك اذا دنا بعضهم من بعض اي يدفع
بعضهم بعضا والتناوش والتناول والاشياء من مثله قال الزاجر كانت نوشا لقنق انبائها
وانى لهم التناوش من مكان بعيد يقول اي لهم تناول الايمان في الآخرة وقد
كفروا به في الدنيا وقرأ ابو عمرو والكسائي والاعمش وحمزة وانا لهم التناوش بالهمز المخالس
وابو عبيدة ليستبعد هذه القراءة لان التناوش بالهمز للعنق وانى لهم البعد من مكان بعيد قال ابو جعفر والقراءة جائزة
لان التناوش بالهمز للعنق فكيف يكون وانى لهم البعد من مكان بعيد قال ابو جعفر والقراءة جائزة
حسنة ولها وجهان في كلام العرب ولا نبالي ولم يهمز هذا المتناول للبعيد فاحد الوجهين ان تكون
الاصل غير مهموز ثم همزت الواو لان الحركة فيها حسنة وذلك كثير في كلام العرب وفي المصحف
الذي يقال انه من الجامعة من الجامعة فاذا الرسل اوقتت والاصل اوقتت لانه مشتق من الوقت
ويقول في جمع دار ادؤر والوجه الآخر ذكره ابو اسحق قال يكون مشتقا من النئ وهو الحركة
يقال ابن من ان لهم الحركة فيما فزعت يقال ناءت الشئ اخذته من بعد والنبأ الشئ العلي
قال الجوهري التناوش بالهمز التناول وقد ناشت الامر ناشه ناشا اخرته فانتاش
ونبأ فعله نبئا اي اخرا قال الشاعر
تمنى لبيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور
وقال آخر فقدت رجائي عن ظلالك للعلى وجبت نبئا بعد ما فاتك الخير وقال الفراء الهمز
وترك الهمز في التناوش متقاربة مثل وقتت الوجل وادنته اي هيئته من مكان بعيد اي من
الآخرة وروى ابو اسحق عن التميمي عن ابن عباس وانى لهم قال الرد سألوه وليس بحين
وقد كفروا به من قبل اي بالله عز وجل وقيل بمحمد من قبله يعني في الدنيا ويقذفون بالغيب
العرب تقول لكل من تكلم بما لا يحققه هو يقذف ويرجم بالغيب من مكان بعيد على جهة
التمثيل ان يرجم ولا يصيب اي يرمون بالظن فيقولون لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار
رجما منهم بالظن قاله قتادة وقيل يقذفون اي يرمون في القرآن فيقولون سحر
وشعر واساطير الاولين وقيل في محمد فيقولون ساحر وشاعر كاهن مجنون من مكان
بعيد اي من مكان بعيد عن قلوبهم وقرأ مجاهد ويقذفون بالغيب بغير همز على الفاعل اي
يرمون به وقيل يقذف به اليهم من تلقوبهم وبضلهم وحيل بينهم وبين
قبول الخير بينهم وبين النجاة من العذاب وقيل حيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا
من اموالهم واهليهم ومذهب قتادة ان المعنى انهم كانوا يشتهون النجاة والعذاب ان يقبل
منهم ان يطيعوا الله جل وعز وينتهوا الى ما امرهم به الله فحيل بينهم وبين ذلك

لان ذلك انما كان في الدنيا وقد زالت في ذلك الوقت والاصل هول فقلبت حركة الواو على الحا
فانقلبت يا ثم حذفت حركتها لنقلها كما فعل باشياعهم اشياع جمع شيع وشيع جمع
شيعة من قبل ممن مضى من القرون السالفة الكافرة انهم كانوا في شك من امر الرسل
والبعث والجنة والنار وقيل في الدين والتوحيد والمعنى واحد مريب لمستراب يقال
اراب الرجل اي صار ذا ريبة فهو مريب ومن قال هو من المريب الذي هو السقم والتهمة قال
يقال شك مريب كما يقال داء عجيب وشعر شاعر في التاكيد ختمت السورة والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاطر مكية

في قول الجميع وهي خمس واربعون اية قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض يجوز في فاطر
ثلثة اوجه الخفض على النعت والرفع على اضمار مبتدا والنصب على المدح وحكى سيبويه الحمد
لله اهل الحمد وكذا جاء على الملائكة والفاطر الخالق وقد مضى في توسط وغيرها والفطر الشق
من الشيء يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير طلع فهو بعير فاطر وانفطر الشيء تشقق
وسمع فطار ايء منه تشقق فاعترفه

وسبق كالفقيقة فهو كمعى سلاحي لاجل ولافطار اء والفطر ابتداء والاختراع
قال ابن عباس ما كنت لا ادري ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير
فقال احدهما انا فطرتها اي انا ابتدانها والفطر حلب الناقة بالسبابة والابهام والمراد
بذكر السموات والارض العالم كله وفيه هذا على ان من قدر على الابتداء قدر على الاعادة جاعل الملائكة
لا يجوز فيه التنوين لانه لما مضى صلة مفعولا ثان ويتاد على اضمار فعل لان فاعلا اذا كان
للماضي لم تعمل فيه شيئا واعماله على انه مستقبل حذف التنوين منه تخفيفا وقرا الضحاك
الحمد لله فاطر السموات والارض على الفعل الماضي جاعل الملائكة رسلا الرسل منهم جبريل وميكائيل
واسرافيل وملك الموت صلى الله عليهم اجمعين وقرا الحسن جاعل الملائكة بالرفع وقرا
خلد بن كيسان جعل الملائكة وكله ظاهر اولى اجنحة نعت اي اصحاب اجنحة مثنى
وثلاث ورباع اي اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة قال قتادة بعضهم له جناحان
وبعضهم ثلاثة وبعضهم اربعة ينزلون بما من السما الى الارض ويعرجون من الارض الى السما
وهم مسيرة كذا في وقت واحد اي جعلهم رسلا قال يحيى بن سلام الى الانبيا وقال السدي هو
العباد يرجعون ويقفون وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود انا النبي صلى الله عليه وسلم راى جبريل
عليه السلام له ستمائة جناح وعن الزهري ان جبريل عليه السلام قال له يا محمد لو رايت
اسرافيل انه لاثنى عشر الف جناح منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش لعلى
كاهله وانه في الاحايين لينتصال العظمة الله حتى يعود مثل الوضع والوضع عصفور
صغير حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته واولها اشم جمع له وكما ان هولا اشم جمع لذا وتظيرها
في المتكنة المحاض والحلقة وقد مضى الكلام في معنى وثلاث ورباع في النسا وانه غير منصرف
يزيد في الخلق ما يشا اي في خلق الملائكة في قول اكثر المفسرين ذكره المهدوي وقال
الحسن يزيد في الخلق اي في اجنحة الملائكة ما يشا وقال الزهري وابن جريج يعني حسن
الصوت وقد مضى القول فيه في مقدمة الكتاب وقال المبيتم الفارسي رايت النبي صلى
الله عليه وسلم في منامي فقلت له انت المهيتم التي تزين القران بصوتك جزاك الله خيرا
يزيد في الخلق ما يشا الملاحة في العينين والحسن في الانف والحلاوة في الفم وقيل الخط
الحسن وقال مجاهد الكلام الحسن وقيل في الخبر في هذه الاية هو الوجه الحسن والصوت الحسن
والشعر الحسن ذكره الثعلبي النقاش هو الشعر الجعد وقيل العقل والتمييز
وقيل العلوم والصنايع ان الله على كل شيء قدير من النقصان والزيادة الزمخشري
والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في
الاعضا وقوة في البطش وخصافة في العقل وحسن النفاذ الراي ووجوه في القلب وسماحة
في النفس وطلاقة في اللسان ولباقة في الكلام وحسن تاتٍ في مزاولة الامور وما اشبه
ذلك مما لا يحيط به وصف قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها واجاز
النحويون في غير القران فلا ممسك له على لفظ ما ولها على ~~الحمل~~ ~~على~~ ~~ما~~ ~~يمسك~~
~~فلا مرسل لها~~ ~~واجاز~~ ~~وما يفتح الله للناس من رحمة فلا مرسل لها~~ ~~لو رفع تكون~~ ~~على~~ ~~ان~~

~~الحمل على ما ولها~~

ما وليها على المعنى واجاز فما يمسك فلا مرسل لها واجاز وما يفتح الله للناس من رحمة بالرفع تكون ما بمعنى الذى اى ان الذى يفتحه بالرفع للناس فلا قدر احد ان يمسكه وما يمسكه من ذلك فلا يقدر على ان يرسله وقيل هو الدعاء لما العباس بن عباس من نوبة وقيل من توقيف وهذا قلت ولفظ الرحمة يجمع ذلك اذ هى منكرة للاشاعة والابهام فهى متناولة لكل رحمة على البدل فهو عام فى جميع ما ذكر وفى الموطا مالك انه بلغه ان ابا هريرة كان يقول اذا اصبح وقد مطرنا مطرنا بنوا الفتح ثم تلوا هذه الاية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو العزيز الحكيم تقدم قوله تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمت الله عليكم معنى هذا الذكر الشكر هل من خالق غير الله يجوز فى غير الفتح الرفع والنصب والخفض فالرفع من وجهين احدهما هل من خالق الا الله بمعنى ما خالق الا الله والوجه الثانى ان يكون نعتا على الموضع لان المعنى هل خالق غير الله وبن زايدة والنصب على الاستثناء والخفض على اللفظ قال حميد الطويل قلت للحسن من خلق الشر قال سبحان الله هل من خالق غير الله جل وعز الخير والشر وقرا حمزة والكسائى هل من خالق غير الله بالخفض الباقون بالرفع يرزقكم من السماء والارض النبات لا اله الا هو فانى تؤفكون من الافك بالفتح وهو الصرف تقول ما افكك عن كذا اى ما صرفك عنه وقيل يؤفك عن كذا اى ما صرف عنه وقيل من الافك بالكسر وهو الكذب ويرجع هذا ايضا الى ما تقدم لانه قول مصروف عن الصدق والصواب ايها الناس ابن لكم التكذيب بتوحيد الله والاية حجة على القدرية لانه يحتج خالقا غير الله وهم يثبتون معه خالقين على ما تقدم فى غير موضع **قوله تعالى** وان يكذبوك يعنى كما رفقريش فقد كذبت رسل من قبلك تعزى نبيه وتسليه صلى الله عليه وسلم وتسلى من قبله فى الصبر والى الله ترجع الامور قرا الحسن والاعرج ويعقوب وابن عامر وابو عمرو ابو حيوة وابن محيصن وحميد والاعمش وحمزة ويحيى والكسائى وخلف بفتح التاء على انه مسمى الفاعل واختاره ابو عبيد لقوله تعالى الا الى الله تصير الامور الباقون والخارزة ابو بكر بضم التاء على ما لم يسم فاعله تعالى يرجع على الفعل المجهول **قوله تعالى** يا ايها الناس وعد الله حق هذا وعظ للمكذبين للرسول بعد ايضاح الدليل على صحة قوله ان البعث والثواب والعقاب حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا قال سعيد بن جبير غرور الحياة الدنيا ان يشتغل الانسان بطيبها ولذاتها عن عمل الاخرة حتى يقول يا ليتنى قدمت لحياتى ولا يغرنكم بالله الغرور قال ابن السكيت وابو حاتم الغرور الشيطان وغر ورجمع غر وغر مصدر ويكون الغرور مصدرا وهو بعيد عند غير الى اسحق لان مصدره مستغر والمصدر المتعدى انما هو على فعل نحو ضرب ضربا الا فى اشياء يسيرة لا يقاس عليها قالوا الزمته لزوما وما تملله المرض تهوكا فاما معنى الحرف نا حسن ما قيل فيه ما قاله سعيد بن جبير قال الغرور بالله ان يكون الانسان يعمل بالمعاصى ثم يتمنى على الله المغفرة وقراه العامة الغرور بفتح وهو الشيطان اى لا يغركم بوساوسه والله يتجاوز عنكم لفضلكم وقرا ابو حيوة وابو سماك العدوى ومحمد بن السميفع الغرور برفع وهو الفلس وهو الباطل اى لا يغركم الباطل فالسين السكين والغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا قال الزجاج ويجوز ان يكون الغرور جمع غار مثل قاعد وقعود التجاس او جمع غر وليشبه بقولهم تملك المرض تهوكا ولزمه لزوما الزمخشرى او مصدر وجزه كالنكول والهيوك **قوله تعالى** ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا قماده ولا تطيعوه ويد لكم على عداوته احترازا لكم منه الجنة وضمانه اضلالكم فى قوله ولاضلنهم ولامنينهم الاية فاخبرنا جل وعز ان الشيطان لنا عدو ومتى ذا فنتصنع فيما فصله وما فعل بابينا ادم صلى الله عليه وسلم وكيف انتدب لعداوتنا وغرورنا من قتل وجودنا وبعده وتحزم ذلك نتولاه ونطيعه فيما يزين لنا ما فيه هلاكنا وكان الفضل بن عياض من يقول يا كذاب يا غرور اتق الله ولا تشبه الشيطان فى اعلا بيته وانت صديقه فى الشر قال ابن السماك يا عجبا لمن عصى المحسن قد صرحت له بعداوته وقد مضى هذا المعنى فى البقرة مجودا وعدو فى قوله ان الشيطان لكم عدو ويجوز ان يكون بمعنى معاد فيثنى ويجمع ويؤنث ويكون بمعنى النسب فيكون فى قوله اسكن حال كما قال اخلد عن فانهم عدو لى وفى الموت على هذا ايضا عدو التجاء فاما قول بعض النحويين ان الواو فى عدو قلبت ياء لانها فى الياء وحرف جلد انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير فمذهبه عداوته الذين كفروا

المطبعة

شديد يكون الذين بدلا من اصحاب فيكون في موضع خفض ويكون بدلا من حزبه فيكون في موضع
نصب او يكون بدلا من الواو فيكون في موضع رفع وقول رابع وهو احسنها يكون في موضع رفع
بالابتداء ويكون خبره لهم عذاب شديد وكأنه سبحانه بين حال من وافقته وانما لغته ويكون
الكلام قد تم في قوله من اصحاب السعير ثم ابتدأ فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد
والذين امنوا وعملوا الصالحات في موضع رفع بالابتداء وخبره محذوف قال الكسائي
والذي يدل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قال وهذا الكلام عربي
ظريف لا يعرفه الا قليل وذكره الزمخشري عن الزجاج قال النحاس والذي قاله الكسائي
احسن مما قيل في الآية لما ذكره من الدلالة على المحذوف والمعنى ان الله جل وعز نهى نبيه
عن شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم كما قال عز وجل فلعلك باخع نفسك قال اهل
التفسير قائل قال لنصر بن علي سألت الاصمعي عن قول النبي صلى الله عليه وسلم في اهل اليمن
هم ارق قلوبا وانجع طاعة ما معنى انجع فقال انضج فقلت له ان اهل التفسير ظاهرا وغيره
يقولون في قول الله عز وجل لعلك باخع نفسك معناه قاتل نفسك وقال الحسن ان هو
الا فضل فيه تقديم وتأخير حجازية امن زين له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل الجواب محذوف المعنى افمن
زين له سوء عمله كمن هدي ويكون بدلا على هذا الفرق وان الله يضل من يشاء فيهدي من
يشاء وقد زيد بن الفضائح فلا تذهب نفسك ويضمن له سوء عمله اربعة اقوال احدها
انهم اليهود قاله النصاري والمجوس قاله ابو قلابة ويكون سوء عمله معاندة الرسول صلى الله
الله عليه وسلم الثاني انهم الخوارج رواه عمرو بن القاسم فيكون سوء عمله تحريف التأويل الثالث
الشيطان قاله الحسن ويكون سوء عمله الاصنام الرابع كفار قريش قاله الكلبي ويكون
سوء عمله الشرك وقيل انها نزلت في العاص بن وائل السهمي والاسود بن المطلب وقال
غيره نزلت في ابي جهل بن هشام فرآه حسنا اي صوابا قال الكلبي وقيل هميلا قلت
وأقول بان المراد كفار قريش لظهور الاقوال لقوله تعالى ليس عليك هداهم وقوله
ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر وقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث وقوله فلعلك انذر بوا مومنين وقوله في هذه الآية فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات وهذا ظاهر بين اي لا تنفق نفسك على مقامهم على كفرهم فان
الله اضلهم وهذه الآية ترد على القدرية قولهم على ما تقدم افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا تأويله ان تمدبه وانما ذلك الى الله لا اليك والذي اليك هو التبليغ وقرا ابو جعفر
وشبة وابن محيصن فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصبا على المفعول به
والمعنى ان متقابلا ان حسرات مفعول من اجله اي فلا تذهب نفسك
للحسرات وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليهم حبا ومات عليه وهو بيان للمتحسر
عليه ولا يجوز ان يتعلق بالحسرات لان المصدر لا يتعلق عليه صلته ويجوز ان يكون
حالا كأنه لما صارت حسرات لفظ التحسر كما قالوا جرب حتى تشقق لهوا جرب حتى
السري حتى ذهب كلا كاسرورا يريد رجع كلا كلا وصدورا اي لم يبق الا كلا كلا وصدورا
ومنه قول الاحنف فعلى ابرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام او مصدر لان الله عليم
بما يصنعون **قوله تعالى** والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيا
به الارض بعد موتها كذلك النشور قرا ابو جعفر وشبة وابن محيصن الرياح على التوحيد
ميت واحد وكذا ميتة وميتة هذا قول الخذاق من النحويين وقال محمد بن يزيد
هذا قول البصريين ولم يبينوا احدا واستدل على ذلك بيت لابي ذؤاب قاطم وانشد

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحيا
انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجا

قال فهل ترى بين ميت وميت فرقا وانشد

هينون لينون ابياء نوبين سواس مكرمة ابناء ايسار

قال اجمعوا على ان هينون لينون واحد وكذا ميت وميت وسيد وسيد قال
فسقناه يعني ان قال الله الذي ارسل الرياح وهو من باب تلوين الخطاب وقال
ابو عبيدة بسيله فتسوقه لانه قال فتثير سحابا الزمخشري فان قلت
لم جاء فتثير على المضارع دون ما قبله وما بعده قلت لحكي الحال التي يقع فيها اثارة
الرياح السحاب ولتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون

لفعل منه نوع تميز وخصوصيته بحال تستفرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال
• ما بال سرك لا اراك تقول قولا تموى بسهب كالصعيدة صمصحان
فاضربها بلا دهش فخرت صريعا للبدين وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة
التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الفول كانه يبصرهم اياها وتطلعهم على كنهها مشاهدة
للمتعجب من خراته على كل هول وبيانه عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد
الميت • لا بل على الغدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا بعد ولا يمنع
من لفظ الغيبة الى ما هو داخل في الاختصاص دليل عليه وقراءة العامة الرياح
وقرا ابو محيصن وابن كثير والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي بوحيدا وقد قضى
ببيان هذه الآية والكلام فيها مستوفى لذلك النشور اي كذلك تحيون بعد ما صرتم من
نشر الانسان نشورا فالكاف في محل الرفع مثل احيا الموات نشوا لاموات وعن
ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في
خلقه قال اما مررت بوادي اهلك ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم يا رسول
الله قال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك اية في خلقه وقد ذكرنا هذا الخبر في الاعراف
وغيرها **هو له تعالى** من كان يريد العزة التعذير عند القراء من كان تزيد علم
العزة اذا كانت تؤدي الى ذلة فانما هي تفرض للذلة والعزة التي لا تذل منهما لله
لله جل وعز جميعا مضمونة على الحال وقد مر الزجاج معناه من كان يريد بعبادته الله جل
وعز العزة له سبحانه فان الله جل وعز يعزه في الآخرة واذ ليس فلست
وهذا حسن وروي مرفوعا على ما بانى قلله العزة جميعا ظاهر هذا يدل انه
معين من قرنه ونفر نفهم ان ما وجب له من ذلك وهو هو المفهوم من قوله الحق في سورة
يونس فلا يحزنك قولهم ان العزة لله ويحتمل ان يريد سبحانه ان يشبه ذوي الاقدار
والهمم من اين تنال ولا العزة ومن اين لستحق فتكون الا لعدوا اللام للاستغراق
وهذا المفهوم من اثبات هذه السورة فمن طلب العزة من الله وجد فان طلبها بافتقار
وذل وسكون وخضوع وجدها عنده ان شاء الله غير ممنوعة ولا محجوبة عنه
قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله ومن طلبها من مظانها من مصرها وكلها الى من
طلبها عنده عنده وقد ذكر قوما طلبوا العزة عند من سواه فقال الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ابتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فانك
صريحا لا اشكال فيه ان العزة له فيؤتيها من يشاء ويذل من يشاء قال صلى الله عليه وسلم
ومعنى القول له من كان يريد العزة فليطلب العزة جميعا من اراد عز الدارين فليطلب العزة
وهذا معنى قول الزجاج ولهذا حسن بن قال

• واذا تذللت الرقاب تواضعا • منا اليك فعزها في ذلها

فمن كان يريد العزة شيئا لا يكون الا لكبير ويد خلد ان العزة وهما العزة فليقصد بالعزة
الله سبحانه والاعتزاز به فانه اعتز بالعبيد اذ له الله ومن اعتز بالله اعزه الله قوله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب يرفعه وتم الكلام الطيب وتم الكلام ثم يبتدئ والعمل الصالح
يرفعه على معنى يرفعه الله او يرفع صاحبه ويجوز ان تكون المعنى والعمل
الصالح يرفع الكلم الطيب فيكون الكلام متصلا على ما بانى بيانه والصعود هو الحركة
الى فوق وهو العروج ايضا ولا يقتضي ذلك في الكلام لانه عرض لكن ضرب صعود
مثلا لقبوله لان موضع الثواب فوق وموضع العذاب اسفل وقال الزجاج يقال
ارتفع الامر الى القاضي اذا علمه فهو بمعنى العلم وخص الكلام الطيب بالذكر لبيان
الثواب عليه وقوله اليه يصعد وقيل يصعد الى سمائه والعمل الذي لا يخرج فيه
لاحد غيره حكم وقيل اي بعمل الكتاب الذي كتب فيه طاعات العبد الى السماء والكلم
الطيب هو التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة وقيل هو التوحيد والتمجيد وذكر
الله ونحوه والعمل الصالح

• لا تزجرن من قل حلاوة قوله • حتى يرين ما يقال فعاله
• فاذا وزنت فعاله بمقاله • فتوازنا فاخاك اي رجال

وقال ابن السميع قوله بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر
وقيل • لا تكون المقالة الا بفعل كل قول بلا فعال هباء •

من ج

الي

اذ قولا بلا فعال جميل وكلا بلا ولى سواء

وقرا الضحاك يصعد بضم الياء جمهور الناس الكلم جمع كلمة وقرا ابو عبيد الرحمن الكلام قلت فالكلام على هذا قد تنطلق بمعنى الكلم وبالعكس وعلة يخرج قول ابى الفاسم اقسام الكلام ثلاثة وتم فوضع الكلام بوضع الكلم والله اعلم والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما المعنى والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب وفى الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة قال ابن عباس فاذا ذكر العبد الله وقال كلاما طيبا وادى فرائضه ارتفع قوله مع عمله واذا قال ولم يود فرائضه رد قوله على عمله قال ابن عطية ولهذا قول برده معتقدا هل السنة ولا يصح عن ابن عباس والحق ان الفاعل للمتاركل للشرائض اذا ذكر الله وقال كلاما طيبا فانه مكتوب له متقبل منه وله حسناته وعليه سيئاته والله تعالى يتقبل من كل من اتقى الشرك وايضا فان الكلام الطيب عمل صالح وانما يستقيم قول من يقول اذا العمل هو الرافع للكلم بان يتناول الضمير في رفعه وحسن توفيقه اذا تفاضل عمله كما ان صاحب الاعمال من صلاة وصيام وغير ذلك اذا اختلت اعماله كلم طيب وذكر الله تعالى كانت الاعمال اشرف فتكون قوله والعمل الصالح يرفعه موعظة وتذكرة وحظا على الاعمال واما الاقوال التى هى اعمال في نفوسها كالتوحيد والتسبيح فمقبولة قال ابن العربي ان كلام المرء ذكرا لله اذا لم يقترن به عمل صالح لم ينفع لانه من خالف قوله فعله فهو وبال عليه وتحقيق هذا ان العمل اذا وقع شرطا في قبول القول له وعمله التي تكتنفه عليه وينفع الموازنة بينهما يحكم الله بالفوز والربح والخسران قلت قال ابن العربي تحقيق والعمل الصالح شرط في قبول القول الطيب وفرجا في الاثر اذا العبد اذا قال لا اله الا الله بنية صادقة تظرت الملائكة الى عمله فان كان العمل موافقا لقوله صعدا جميعا وان كان عمله مخالفا وقف قوله حتى يتوب من عمله فعلى هذا العمل الصالح يرفع الكلم الطيب الى الله والكناية في يرفعه يرجع الى الكلم الطيب وهذا قول ابن عباس وشهر ابن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وابى العالية والضحاك وعلى اذا الكلم الطيب هو التوحيد فهو الرافع للعمل الصالح لانه لا يقبل العمل الصالح الا مع الايمان والتوحيد اى والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب فلا كناية تعود على العمل الصالح وروى هذا القول عن شهر ابن حوشب قال الكلم الطيب القرآن والعمل الصالح يرفعه العمل وقيل تعود على الله جل وعز اى ان العمل الصالح يرفعه الله على الكلم الطيب لان العمل يحقق الكلم والعامل اكثر تعبا من القائل وهذا هو حقيقة الكلام لان الله هو الرافع هو الناقض والثاني والاول مجاز ولكنه سابغ جائز قال المحاسبي القول الاول اولاها واصحها لعلو من قال به وانه اعربها اولى لان القرآن على رفع العمل ولو كان المعنى والعمل الصالح يرفعه الله والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب لكان الاختيار نصب العمل ولا نعلم احدا قرأه منصوبا الا شيئا روى عن علي بن عمر انه قال قرأت الناس والعمل الصالح يرفعه وقيل والعمل الصالح يرفع صاحبه وهو الذي اراد المزني وعلم انها طلب من الله تعالى ذكره القشيري الثانية ذكروا عن ابن عباس ان الكلم الطيب لا يقطع الصلاة فمن اقعده الاية ليتصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقد استدل به بعضهم على مذهب السلف في القول بالقيام وقد دخل في الصلاة بشروطها فلا نقطعها علية شيء الا بثبوت ما يوجب ذلك من سنة فما فوقها انعقدت به من قرآن او سنة او اجماع وقد نقلت من رأى ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الاسود فقلت ما بال الكلب الاسود من الكلب الاصفر من الكلب الاحمر فقال ان الاسود شيطان خرجه مسلم وقد جاء ما يعارض هذا وهو ما خرجه البخاري عن ابن اخي ابن شهاب انه سأل عمه عن الصلاة تقطعها فقال لا يقطعها شيء اخبرني عروة بن الزبير ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم فيصلي من الليل وانى لمعترضة بينه وبين القبلة على فراشه الثالثة قوله تعالى والذين يمكرون السيئات ذكر الطبري في كتاب آداب النفوس حدثني يونس بن عبد الاعلى قال ثنا سفيان عن ليث ابن ابي سليم عن شهر ابن حوشب الاشعري في قوله عز وجل والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو يبور قال

هم اصحاب الرجاء وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال ابو العالية هم الذين مكروا بالنبي صلى الله
عليه وسلم لما اجتمعوا في دار الندوة وقال الكلبي يعني الذين يعملون السيآت في الدنيا مقابل
نعيم المشركين فتكون السيآت مفعوله ونقال يا ويلتا اذا هلكت وطال ويلتا السوءة
اي كسرتي وسوءتي نعوذ بالله من بوار الاثم ولئيم من ما يوتر اي يهلكني والمكر ما عمل على سبيل
اغتيال **قوله تعالى** والله خلقكم من تراب قال سعيد عن قتادة قال لابيكم آدم علمه
السلام والتقدير من على هذا خلق اصلكم ثم من نطفة قال اي ثم خلق اخرجها من ظهور
اباكم ثم جعلكم ازواجا اي زوج بعضكم بعضا فالذكر زوج الانثى لتتم البقاء في الدنيا الى انقضاء
مدتها وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي جعلكم ازواجا فيتزوج الذكر بالانثى فتنتا
تعلم الله فلا يكون حمل ولا وضع الا والله عالم به فلا يخرج شيء عن تدبيره وما يعمر من معمر ولا ينقص
ينقص من عمره الا في كتاب سماه معمرا يا هو صابرا لبه قال سعيد بن جبير عن ابن عباس وما
يعمر من يعمر الا كتب عمره كم هو سنة كم هو شهرا كم هو يوما كم هو ساعة ثم كتب في كتاب
اخر لنقص من عمره يوم لنقص شهر لنقص سنة حتى يستوفي اجله وقاله وقال ابن جبير
ايضا قال فما مضى من اجله فهو النقصان وما يستقبل فهو الذي يعمره قالها على هذا اهل
للمعمر وعن سعيد ايضا كتب عمره وكذا وكذا سنة ثم كتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب
يومان حتى بلغ على اخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة الفراء يقتني وما يعمر من
انه ما يكون ولا ينقص الاخر من عمر الاخر فالكتابة في عمره ترجع الى اخر عمره الاول
وكنى عنه بالها كناية الاول ومثله قولك عندي درهم ونصفه اي تصف اخر وقيل
ان الله كتب عمرا لانسان مائة سنة ان اطاع وبتسعين ان عصى فايهما بلغ فهو في كتاب وهذا
مثل قوله عليه السلام من احب ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه اي من
كتب في اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فان وصل رحمه زيد في عمره كذا سنة فمن
ذلك في موضع اخر من اللوح المحفوظ او سبعين رحمه فمن طاع على الاول دون الثاني ظن اثر
زيادة او نقصان وقد مضى لهذا المعنى عند قوله تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت والكتاب
على هذا ترجع الى المعمر وقيل وقيل المعنى وما يعمر من معمر اي هرم ولا ينقص احد من عمر
الهرم الا في كتاب اي نقصان من الله جل وعز روي معناه عن الضحاك واختاره النحاس
وهو اشبهها بظاهر التنزيل وروي نحوه عن ابن عباس فالها على هذا يجوز ان يكون
للمعمر ويجوز ان يكون لغير المعمر ان ذلك على الاسم لبسير اي كتابة الاعمال والاجال غير
منتقد عليه وقراءة العامة ينقص بضم الياء وفتح القاف وقرات فرقة منهم ينقص
بفتح الياء وضم القاف اي لا ينقص من عمره شيء يقال لنقص الشيء بنفسه ونقصه
غيره وزاد بنفسه وزاده غيره منتقد ولازم وقرا الاعمش والزهري من عمره بتخفيف
يقال نقص يخفف الميم وضمها لغتان وهما لغتان مثل السحق والسحق وبسير
انما خصا طويل الاعمار وقصيرها لا ينتقد عليه شيء منها ولا لغرب والعمل سهل
يسير ولو سمت به انسانا انتصف لانه قبيل قوله تعالى وما يستوي البحران هذا
عذب فرات فيه اربع مسائل الاولى قال ابن عباس فرات حلو واجاج مر وقال الليث
هذا ملح اجاج بفتح الميم وكسر اللام بغير الف قال ما الملح فهو الذي يجعل فيه الملح وقرا علي
وابن ابي اسحق سيغ شرابه مثل سيد وميت ومن كل تاكلون لحما طريا لا اختلاف في انه منها
جميعا وقد مضى في النحل الكلام فيه الثانية **قوله تعالى** وتستخرجون حلية تلبسونها
مذهب ابي اسحق ان الحلية انما تستخرج من الملح خاصة دون العذب لانها مختلطان وقال غيره
انما تستخرج الاشياء التي فيها الحلية من الدر وغيره من المواضع التي فيها العذب والملح نحو
المعدن فهو شاخوذ منهما لان في البحر عيونا عذبة وبئسهما يخرج اللؤلؤ عند التراجع وقيل
من نظر السماء وقال محمد بن يزيد قول الزجاج قال انما تستخرج الحلية من الملح خاصة النحاس
وهذا احسنها وليس هذا عنده لانهما مختلطان ولكن جميعا ثم اخبر عن احدهما كما قال
عز وجل وهو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وكما يقول لو
رايت الحسن والحجاج لرايت خيرا وشرا وكما يقول لو رايت الاصمعي وسيبويه لملأت
يدك لغة ونحوا فقد مر من معنى هذا وهو كلام فصيح كثير فكذا ومن كل تاكلون لحما طريا
وتستخرجون حلية تلبسونها فاجتمعا في الاول وانفرد الملح بالثاني الثالثة قوله تعالى
تلبسونها دليل على ان الحلي من كل شيء تحسبه فانما تم بجعل في الاصبع والساعد في الذراع له

والقلادة في العنق والخلخال في الرجل وفي البخاري والنسائي عن ابن سيرين قال قلت لعبيدة
اقتراش الحرير كلبسه قال نعم وفي الصحاح عن الليث فقت على حصير لنا فاذا سود من طول ما
لبس الحديث الرابعة **قوله تعالى** وترى الفلك مواخر قال البخاري اي ما الملح
اي ما الملح خاصة ولولا ذلك لقال فيها وقد مخرت السفينة تمخر اذا شقت الماء وقد
مقتى هذا في النحل ليبتغوا من فضله قال مجاهد التجارة في الفلك الى البلدان البعيدة
في مدة قريبة كما تقدم في البقرة وقيل مما تستخرج من حليته ومصاد من حيتانه
ولعلكم تشكرون على ما اتاكم من فضله وقيل قيل ما انجاكم من قوله **تعالى** يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل يقدم في العمران وعمرها وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل
مسمى تقدم في لقمان بيانه ذلكم الله ربكم له الملك اي هذا الذي من صفته ما تقدم هو
الخالق المدبر والقادر المختار وما لذين يدعون من دونه يعني الاصنام
ما يملكون من قطمير اي لا يقدرون عليه ولا على خلقه والقطمير القشرة الرقيقة البسماء
التي بين التمرة والنواة قاله اكثر المفسرين وقتادة ابن عباس هو شق النواة وهو اختيار
المبرد وقاله قتادة وعن قتادة ايضا ان القطمير العمم الذي على رأس النواة الجوهري هو
وقيل هما لفتيل البسماء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة **قوله تعالى** ان تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم اي اذا لتستفيثوا بهم في النوائب لا يسمعوا دعاءكم لانها جماد لا تبصر ولا
تسمع ولو سمعوا ما استجابوا لكم اذ ليس كل سامع ناطقا وقال قتادة المعنى لو سمعوا
دعاءكم لكانوا اطوع لله منكم ولما استجابوا لكم على الكفر ويوم القيامة يكفرون بشرككم
اي يجحدون انكم عبدتموهم ويتبرؤن منكم ثم يجوز ان ترجع هذه الهاء المضمومة من هما لفعلا
كالملائكة والجن والانبياء والشياطين اي يجحدون ان يكونوا ما فعلتموه حقا وانهم امروكم
بعبادتهم كما اخبر عن عيسى بقوله ما يكون لي ان اقول لما ليس لي بحق ويجوز ان تندرج فيه
الاصنام ايضا اي يجحدها الله حتى تخبر بانها لست اهلا للعبادة ولا يتنبئك مثل
خبير في علمه **قوله تعالى** يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله اي المحتاجون اليه في بقائكم
وكل احوالكم الزمخشري فان قلت عرف الفقراء وان تمانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه
من الناس وغيرهم لان الفقر انما يسع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد
شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال
الله الذي خلقكم من ضعف ولو تكرر لكان المعنى انتم بعض الفقراء قلت قد
الفقر بالغنى فائدة الحميد فلذلك انت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا
بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما واذا اتصف بالمنعم عليهم واستحق عليهم الحمد
ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه وخلقه الجواد المنعم عليهم المستحق انعامه عليهم
ان يحمدوه وتخفف الهمزة الثانية اجود الوجوه عند الخليل ويجوز تخفيف الاولى وتحقيقها
جميعا والله هو الغني الحميد تكون هو زايدة فلا يكون لما موضع من الاعراب وتكون مبتدأه
فيكون موضعها رفعا **قوله تعالى** ان يشأ يذهبكم حذف المعنى ان يشأ يذهبكم يذهبكم
يفنيكم ويأت بخلق جديد اي اطوع منكم وازكى وما ذلك على الله بعزيز اي ممتنع عسير
متعذر وقد مضى هذا في ابراهيم **قوله تعالى** ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم
الكلام فيه وهو مقطوع مما قبله والاصل تزر بزحذفت الواو لانتفاء العامل وزر وازرة تفت
لمحذوف اي نفس وازرة وكذا وان تدع مثقلة قال العزاي لنفس مثقلة اوزارها تزهم
قال وهذا نفع للمذكر والمونث قال الاخفش وان تدع مثقلة النساء الى حملها وهو نفع
والحمل ما كان على الظهر والحمل حمل المرأة وحمل النخلة حكاهما الكسائي بالفتح لا غير وحكى
ابن السكيت ان حمل النخلة يفتح ويكسر لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى النقدير على قولك
الاخفش ولو كان الانسان المدعو ذا قربى واجاز الفراء ولو كان ذو قربى وهذا جائز
عند سيبويه ومثله وان كان ذو عسرة فنكون كان بمعنى وقع او يكون الخبر محذوفا
اي وان كان فيمن فطالبون ذو عسرة وحكى سيبويه الناس يحتربون بالعامهم ان خيرا فخير
على هذا وخيرا فخيرا على الاول وروي عن عكرمة انه قال يلقى اليهودي والنصراني يوم
القيامة فيقول الرجل المسلم يوم القيامة فيقول له الم اكن اسديت اليك يدا الم اكن قد احسنت لك فتقول
بلى فيقول افتفتدي فلا يزال المسلم يسأل الله تعالى حتى يفتدي من عذابه واذا الرجل ليأتي
الى ابيه يوم القيامة فيقول الم اكن لك بارا وعليك مشفقا واليك محسنا وانت ترى

ما انا فيه فهب لي حسنة من حسناتك واحمل عني سيئة فيقول انا الذي سألتني ليس بيسير ولكني اخاف
مثل ما تخاف وان الاب ليقول الابنه مثل ذلك فيرد عليه نحو من هذا وان الرجل ليقول لزوجته
الم اكن حسن العشرة لك فاحمل عني خطيئة لعلي الحوائج فيقول انا ذلك ليسير ولكني اخاف مما تخاف
منه ثم تلى عكرمة وانذرهم متقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربا وقال الفضل
ابن عياض هي المرأة تلقى ولدها فتقول يا بني الم تكن بطني لك وعاء الم يكن حجري لك وطاء الم
يكن ثديي لك سقاء فيقول بلى يا امه فتقول يا بني فذا تقلتني ذنوبي فاحمل عني منها
ذنبا واحدا فيقول اليك عني يا امه فاني بدني عنك مشغول انما تنذر الذين يخشون
ربهم بالغيب اي انما يقبل انذارك من يخشى عقاب الله وهو كقوله تعالى انما تنذر من اتبع
الذكر وخشي الرحمن بالغيب ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه اي ومن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه وقرئ ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير اي اليه مرجع جميع المكلفين
قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمؤمن والجاهل والعالم مثل لا يستوي
الخبث والطيب ولا الظلمات ولا النور قال الاخفش سعيد لا البادية والمسي ولا الظل
والنور ولا الظل والحرور قال الاخفش والحرور لا يكون الا مع شمس النهار والسموم
يكون بالليل وقيل عكسه وقال ربيعة ابن العجاج الحرور يكون بالليل خاصة حكاه
المهدوي وقال ابن قزعة السموم لا يكون الا بالنهار والحرور يكون فيهما النهار وهذا
اصح لان الحرور فعول من الحر وقد سمي التكبير في الحر الموذي قلت وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قالت النار يا رب اكل بعضي
بعضا فاذن لي انفس فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فما وجدتم
من برد او زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر او حرور فمن نفس جهنم وروى
من حديث الزهري عن سعيد عن ابي هريرة فما تجدون من الحر من سمومها وشدة
ما تجدون من البرد من زمهريرها وهذا يجمع تلك الاقوال واذا السموم والحرور
يكونان بالليل والنهار والجنة فيهما فيما امله وقيل المراد بالظل والحرور الجنة والنار فالجنة
ذات ظل دائم كما قال تعالى اكلها وظلها والنار ذات حرور قال معناه السدي
وقال ابن عباس ما ظل الليل وحر السموم بالنهار فطرب الحرور الحر والظل البرد
وما يستوي الاحياء ولا الاموات قال ابن قتيبة الاحياء العقلاء والاموات الجهال
فتاده هذه كلها امثال اي كما لا تستوي هذه الاشياء كذلك لا يستوي الكافر
والمؤمن ان الله يسمع من يشاء اي يسمع اولياءه الذين خلقهم لجنته وما انت بمسمع
من في القبور اي الكفار الذين ماتت الكفر قلوبهم اي كما لا تسمع من مات كذلك لا
تسمع من مات قلبه وقرأ الحسن وعيسى الثقفي وعمرو بن عبيد تسمع من في القبور
بحذف التنوين تخفيفا اي هم بمنزلة القبور في انهم لا ينتفعون بما يسمعون ولا يقبلونه
قوله تعالى ان انت الا نذير اي رسول منذر فليس عليك الا التبليغ للرسالة
من الهدى شيء انما الهدى بيد الله جل وعز **قوله تعالى** انا ارسلناك بالحق بشيرا
ونذيرا اي بشيرا بالجنة اهل طاعته ونذيرا بالنار اهل معصيته وان من امة الا خلا
فيها نذير اي رسول قبلك قال ابن جريج ان العرب **قوله تعالى** وان يكذبوك
فقد كذب الذين من قبلهم الآية تسلي رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرات والشرائع الواضحات وبالزبر
اي الكتب المكتوبة وبالكتاب المنير الواضح وكرر الزبر والكتاب وهما واحد لاختلاف
اللفظين وقيل يرجع البيان والزبر والكتاب الى معنى واحد وهو ما انزل الله
الانبياء من الكتب ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير كيف كان عقوبتي لهم واثبت ورش
عن نافع وشيبة الياء في نكيري حيث وقعت في الوصل دون الوقف واثبتها يعقوب
في الحالين وفرحضي هذا كله والحمد لله قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء هذه الرؤية
رؤية القلب والعلم اي الم يبلغك علمك ورأيت تعلم ان الله انزل فان واسمها وخبرها
سدت مسد مفعولي الرؤية فاخرجنا به ثمرات هو من باب تلوين الخطاب فتختلفا
الوانها نصب مختلفا نعتا لثمرات الوانها رفع لمختلف وصلح ان يكون نعتا
لثمرات الواحها لما عاد عليه من ذكره ويجوز في غير القرآن رفعه ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف
الوانها الجدد جمع جدة وهي الطرائق المختلفة الالوان وان كان الجبل حجرا او ترابا
قال الاخفش وقوله الا جمع جدد بضم الجيم والدال كخمر وسرد وقال

زهير كانه اسفع الخدين ذو جدد وطاوي بزنخ بعد الصيف عريانا وقيل ان الجدد القطع ماخود من جددت الشيء اذا قطعته حكاه ابن بحر قال الجوهري والجدة الخطة التي فظهر اكبار تخالف لونه والجدة الطريقة والجمع جدد وقال تعالى وجدد بيض وحمر مختلف الوانها اي طرائق لون الجبل ومنه قولهم تعالى ركب فلان جدد من الامر اذا راى فيه رايا وكسا تجدد فيه خطوط مختلفه الزمخشري وقرا الزهري جدد بالضم جمع جديده وهي الجدة يقال جديد وجدد وجدائد كسفينه وسفاين وسفن وقد فسرها قول ابي دويب حون السراه له جدائد اربع وروي عنه جدد يغتمس وهو الطريق الواضح المنسوخ موضع الطرائق والخطوط الواضحة المتفصل بعضها من بعض ومن الناس والدواب وقرئ من الدواب مخففا وتظير هذا التخفيف قراءه من قرا والصابين لان كل واحد منهما فرمن التقا الساكنين بمجرد ذاك اولهما وحدق هذا احزهما قاله الزمخشري والانعام مختلف الوانه اي فيهم الاحمر والابيض والاسود وغير ذلك وكل ذلك دليل على صانع مختار وقال مختلف الوانه فذكر الضمير مراعاة لمن قاله المورج وقال ابو بكر بن عياش انما ذكر الكناية لاجل انها مردوده الى ما مضمرة مجاره ومن الناس ومن يقول الدواب ومن الانعام ما هو مختلف الوانه اي ابيض واحمر واسود وغرابيب سود قال ابو عبيدة الغربيب الشديد السواد في الكلام تقديم وتاخير والمعنى ومن الجبال سود غرابيب والعرب تقول للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب غربيب قال الجوهري وتقول هذا اسود غربيب اي شديد السواد واذا قلت غرابيب سود جعل السود بدلا من غرابيب لان توكيد الالوان لا يتقدم وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشيخ الغربيب يعني الذي يخضب بالسواد قال امرؤ القيس

العين طامحة واليد سابحة ... والرجل لافحة والوجد غربيب

وقال اخر

وقاتم الاعماق خاوي المخترق ... مشتبه الاعلام لماع الخفق

ومن تعاجيب خلق الله عاطفة ... تخرج منها ملاحي وغربيب

كذلك هنا تمام الكلام اي كذلك تختلف احوال العباد في الخشية ثم استانف فقال انما يخشى الله من عباده العلما يعني بالعلما الذين يخافون قدرته فمن علم ان الله جل وعز قدير ايقن بطعا قيقه على المعصية كما روي علي بن ابي طلحة عن ابن عباس انما يخشى الله من عباده العلما قال الذين علموا ان الله على كل شيء قدير وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وقال مجاهد انما العالم من خشي الله عز وجل وعن بن مسعود وكفى بخشية علما وبالاغترار جهلا وقيل لسعد بن ابراهيم من افقه اهل المدينة قال اتقاهم لربه عز وجل وعن مجاهد قال انما الفقيه من يخاف الله وعن علي رضي الله عنه قال ان الفقيه حق الفقيه من يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يومنهم من عذاب الله ولم يدع القران رغبة عنه الى غيره انه لا خير في عباده لا علم فيها ولا علم لا فقه فيه ولا قرا لا تدبر فيها واسند الدارمي ابو محمد عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم تلى هذه الاية انما يخشى الله من عباده العلما ان الله وملائكته واهل سماواته وارضيه والنون في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير الخبر مرسل قال الدارمي وحدثنا ابو النعمان حماد بن زيد عن يزيد بن حازم قال حدثني حميد بن يزيد انه سمع تبيعا يحدث عن كعب قال اني لاجد نعت قوم يتعلمون لغير العمل ويتفقهون لغير العباده ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون جلود الضان قلوبهم امر من الصبر يعمرون اماني يخادعون في حلقت لاتحن لهم فتنة تذر الحليم فيها حيرانا اخرجه مرفوعا من حديث ابي الدرداء وقد كتبناه في مقدمة الكتاب والحمد لله الزمخشري فان قلت فما وجه قراءة من قرا انما يخشى الله بالرفع من عباده العلما بالنصب وهو محمد بن عبد العزيز وحكي عن ابي حنيفة قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الدجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبته العصاه وغفرهم وانابه اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب والمثاب وهو ان يخشى قوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية هذه اية القرا العاملين العالمين يقيمون الصلاة الفرض والنفل وكذا في النفاق وقد مضى في مقدمة الكتاب ما ينبغي ان يحلق به قاري القران يرجون تجارة لن تبور ويزيدهم من فضله قال احمد بن يحيى خبران يرجون ويزيدهم من فضله قيل الزيادة الشفاعة في الاخرة وهذا مثل الاية الاخرى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى قوله ويزيدهم من فضله وقوله في اخر في النسا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم

وبرحمته هم من فضله وهنا لك ينساه انه غفور للذنوب شكور يقبل القليل من العمل الخالص ويثيب
الجزيل من الثواب **قوله تعالى** والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن هو الحق مصدقا
لما بين يديه اي من الكتب اذ الله بعباده لخبير بصير **قوله تعالى** ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فيه اربع مسائل الاولى هذه الآية مشكلة لانه قال اورثنا
اصطفينا من عبادنا ثم قال فمنهم ظالم لنفسه وقد تكلم العلماء فيها من الصحابة والتا
ومن بعدهم قال البخاري فيما صح مما روي في ذلك ما روي عن ابن عباس فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال كنت عرفتنا ويكون التقدير في العربية
فمنهم من عبادنا ظالم لنفسه اي كافر وقال الحسن اي فاسق ويكون الضمير الذين يدخلون
يعود على المقتصد والسابق لا على الظالم وعن عكرمة وقتادة والضحاك والفراء ان المقتصد
المؤمن العاصي والسابق التقي على الاطلاق وقالوا وهذه الآية تطير قولها سورة الواقعة
وكنتم ازواجا ثلاثة الآية قالوا ويبعد ان يكون ممن يصطفى ظالم ورواه مجاهد عن ابن عباس
قال ومجاهد فمنهم ظالم لنفسه اصحاب المشئمة ومنهم مقتصد اصحاب الميمنة ومنهم سابق
بالخيرات السابقون من الناس كلهم وقيل الضمير في يدخلونها يعود على الثلاثة الاصناف على
ان يكون الظالم ها هنا كافرا ولا فاسقا وممن روي عنه هذا القول عمر وعثمان وابو الدرداء
وابن مسعود وعقبة بن عمرو وعائشة والمتقدمون على هذا القول ان يكون الظالم لنفسه
الذي عمل الصغائر والمقتصد قال محمد بن يزيد هو الذي يعطى الدنيا حقها والآخرة حقها فيلزم
حيث عدل يدخلونها عابدا الى الجمع على هذا الشرح والتبيين وروي عن ابي سعيد الخدري
وقال كعب الاحبار اسوء منا كلهم ورب الكعبة ونفاضلوا باعمالهم وقالوا نرجو للمسيء
اما الذي سمعت مذ ستين سنة فكلهم ناج وروى اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ هذه الآية وقال كلهم في الجنة وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية ثم قال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم نحن ظالمنا ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فعلى هذا القول يقدر
مفعول الاصطفاء من قوله اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا محذوفا
حذف المضاف في وسط الآية اي اصطفينا دينهم فبقي اصطفيناهم فحذف العائد الى
الموصول كما حذف في قوله ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي تزدريهم فالاصطفاء اذا وجه
الى دينهم كما قال تعالى ان الله اصطفى لكم الدين قال الحسن وقوم ثالث يكون الظالم
صاحب الكبائر والمقتصد الذي لم يستحق الجنة بزيادة حسناته على سيئاته فيكون حابسا
عدن يدخلونها للذين سبقوا بالخيرات لا غير وهذا قول جماعة من اهل النظر لان
الضمير في حقيقة النظر لما يليه اولى قلت القول الوسط اولاها واصحها
ان شاء الله لان الكافر والمنافق لم يصطفوا بحمد الله ولا اصطفى دينهم وهو قول ستة
من الصحابة وحسك وشذ به بيانا واضحا في الآية الثانية **قوله**
تعالى اورثنا الكتاب اي اعطينا والميراث عطا حقيقة ومجازا قال الله تعالى فيما
صار للانسان بعد موت اخر والكتاب ها هنا برد تعالى القرآن وعلمه واحكامه
وعقائده وكان الله تعالى لما اعطى امة محمد عليه السلام القرآن وهو قد تضمن معاني
الكتب المنزلة فكانه ورث امة محمد عليه السلام الكتاب الذي كان في الامم قبلنا
اصطفينا اي اخترنا واشتقاقه من الصفو وهو الخلوص من شوائب الكدر واصله
اصطفوينا فابدلت الياء طاء والواو ياء من عبادنا قيل المراد امة محمد صلى الله عليه وسلم
قاله ابن عباس وغيره وكان اللفظ يحتمل جميع المؤمنين من كل امة الا ان عبارة توريث
الكتاب لم تكن الا لامة محمد صلى الله عليه وسلم والله ولو قيل المصطفون هنيئا لقوا
رثوا الكتاب بمعنى اذا انتقل عن بعضهم الى آخر قال الله تعالى وورث سليمان
داود وقال ليورثني من آل يعقوب فاذا جاز ان تكون النبوة هي موروثة فكذلك
الكتاب فمنهم ظالم لنفسه من وقع في صغيرة قال ابن عطية وهذا قول لم يرد
من غير ما وجه قال الضحاك معنى فمنهم ظالم لنفسه اي من ذريتهم ظالم لنفسه
وهو الشرك الحسن من امتهم على ما تقدم ذكره من الخلاف في الظالم في الآية
في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت عبارات ارباب القلوب في الظالم
والمقتصد والسابق فقال سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم
والظالم الجاهل وقال ذو النون المصري الظالم الذاكر الله بلسانه وقال الانطاكي

نعين

نها

الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال
وقال ابن عطا الظالم الذي يحب الله من اجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من اجل العقبى
والسابق الذي اسقط مراده بمراد الحق وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا من
من النار والمقتصد الذي يعبد الله طمعا في الجنة والسابق الذي يعبده لوجهه لا
لسبب وقيل الظالم الذي لا قدر في الدنيا لانه ظلم نفسه فترك لها حظا وهي المعرفة
والمحبة والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل الظالم الذي يجزع عند البلا
والمقتصد الصابر على البلا والسابق المتلذذ بالبلا وقيل الظالم الذي يعتمد
الله على الفضله والمقتصد الذي يعتمد على الرغبة والرهبة والسابق
الذي يعتمد على المنة وقيل الظالم الذي اعطي فمنع والمقتصد الذي اعطي فبذل
والسابق الذي منع فشكر وذكر روي ان عابدين من القبائل قالا لبني اخوانكم
بالبصرة قالا نحمد الله ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا فقال هذه حالة الكلاب
عندنا يسلم عبادنا ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا وقيل الظالم من استغنى
بماله والمقتصد من استغنى بدينه والسابق من استغنى بربه وقيل الظالم التالي
القرآن ولا يعمل به والمقتصد التالي القرآن ويعمل به والسابق القاري للقرآن
العامل به والعالم به وقيل السابق الذي يدخل المسجد قبل اذان المؤذن
والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد اذن والظالم الذي يدخل المسجد وقد اقيمت
الصلاة لانه ظلم نفسه الاجر فلم يحصل لها ما حصله غيره وقال بعضهم فضل العلم
في هذا بل السابق الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك الفضيلتين والمقتصد
الذي فاتته الجماعة لم يفرط في الوقت والظالم الغافل عن الصلاة حتى يفوت
الوقت والجماعة معا وقيل الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذي
يحب نفسه والسابق الذي يحب ربه وقيل الظالم الذي ينتصف ولا ينصف
والمقتصد الذي ينصف وينتصف والسابق الذي ينصف ولا ينتصف وقالت عائشة
رضي الله عنها السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد من اسلم بعد الهجرة
والظالم من لم يسلم الا بالسيف وكلهم مغفور لهم قلت ذكر هذه الاقوال
وزيادة عليها الثعلبي في تفسيره وبالجملة فيها طرفان واوسطه وهو المقتصد
اللازم للقصد وهو ترك الميل ومنه قول جابر بن حسن الشعبي بغاطي الملوك
السلام ما قصدوا الينا وليس علينا قبلهم بمحرم من بغاطيهم الصلح ما ركبوا بنا
القصد اي ما لم يجوروا وليس قبلهم بمحرم علينا اذ جاروا فلذلك كان المقتصد منزلة
بين المنزلتين اثبتنا الكتاب لهم وقبل ذلك الاصطفاء علمنا بهم وهو افضله
الكبير وقبل وعد الجنة لهم والثلاثة تفضل كبير الثالثة وتكلم الناس في تقديم
الظالم على المقتصد والسابق فقيل التقديم في الذكر لا يقتضي شرفا كقوله تعالى
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقيل قدم الظالم لكثرة الخائفين منهم
وهذا بين ان المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل
ذكره الزمخشري ولم يذكر غيره وقيل قدم الظالم للتأكيد لرجائه حقه لسؤله
شيء يتكل عليه الا رحمة ربه واتكل المقتصد على حسن ظنه والسابق على طاعته
وقيل قدم الظالم لعلا يؤيس من رحمة الله واخر السابق لعلا يعجب بعمله وقال جعفر
ابن محمد بن علي الصادق رضي الله عنهم قدم الظالم لعلا يستقر به الى الياس من نصرة
وكرمه وان الظالم لا مؤثر في الاصطفاء بينه اذا كانت ثم عناية ثم ثنى بالمقتصدين
لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لعلا يامن احد مكر الله وكلهم في الجنة بحرمة
كلمة الاخلاص لا اله الا الله محمد رسول الله وقال محمد بن علي الترمذي جمعهم في الا
صطفاء ازاله للعلل عن العطاء لانه الاصطفاء يوجب الارث لا الارث يوجب الا
صطفاء ولذلك قيل في الحكمة صح النسب ثم ادعي في الميراث وقيل اخر السابق
ليكون اقرب الى الجنان والثواب كما قدم الصوامع والبيع في سورة الحج على المساجد
ليكون الصوامع اقرب الى الهدم والخراب ويكون المساجد اقرب الى ذكر الله وقيل
اذا الملوك اذا اراد الجمع بين الاشياء بالذكر قدموا الادنى كقوله لتشهدوا العقاب

والذ

والله لغفور رحيم وقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقوله لا يستوي اصحاب النار
واصحاب الجنة قلت ولقد احسن من قال

وغاية الجود ان تجود وانما ... سواك الى الغايات في اخر الامر

الرابعة قوله تعالى جنات عدن يدخلونها جمعهم في الدخول لانه ميراث والعاق والبار
في الميراث سواء اذا كانوا من اهل الصلب فالقاصي والمطيع مقربين بالرب وفي جنة
عدن على ما قدمناه جنة مختصة بالنبيين لقتلتهم على ما تقدم وجنات عدن
بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها وهذا
للجميع وهو الصحيح ان شاء الله وقرأ ابو عمرو ويدخلونها بضم الياء وفتح الخاء للمفعول
يحلون وقد مضى في الحج الكلام في قوله تعالى من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها
حرير وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قالوا ابو ثابت دخل رجل المسجد فقال
اللهم ارحم غربتي وانسي وحدتي ويسر لي جليسا صالحا فقال ابو الدرداء لئن كنت
صادقا فلا اسعد بذلك منك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات قال فيجيء هذا السابق فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد
فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس في المقام ويوبخ ويغرم ثم يدخل الجنة
فهم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وفي لفظ اخر
واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين سلفانهم الله
برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الى قوله
ولا يمسنا فيها لغوب وقيل هو الذي يوخذ منه في مقامه يعني يكفر عنه ما يصيبه
من الهم والحزن ومنه قوله تعالى ومن يعمل سوءا يجز به يعني في الدنيا قال التعلبي وهذا
اثبت واولى باسم الظاهر هؤلاء قال جنات عدن يدخلونها ولقوله الذين اصطفينا
من عبادنا والكافر والمنافق لم يصطفوا قلت ـــــ وهذا هو الصحيح
وقد قال صلى الله عليه وسلم ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها
طيب وطعمها مر فاخبر ان المنافق يقرؤه واخبر الحق سبحانه بان المنافق في الدرك
الاسفل من النار وكثير من الكفار واليهود والنصارى يقرؤونه في زماننا هذا وقال فلك
قد يقرأ القرآن من لا خير فيه والمقت البغض والمقوت الابغض قوله تعالى والذين
كفروا لهم نار جهنم لما ذكر اهل الجنة واحوالهم ومقالتهم ذكر اهل النار واحوالهم ومقالتهم
لا يقضى عليهم فيموتوا مثل من لا يموت فيها ولا يحيى ولا يخفف عنهم من عذابها مثل
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب كذلك يجزي كل كفور اي
كافر بالله ورسوله وقرأ الحسن فيموتون بالنون ولا يكون للنفي حينئذ جواب ويكون
فيموتون عطفا على مقتضى تقديره لا يقضى عليهم ولا يموتون كقوله ولا يوذن لهم
فيعتذرون قال الكسائي ولا يوذن لهم فيعتذرون بالنون في المصحف لانه راس
اية ولا يقضى عليهم فيموتوا لانه راس اية ويكون في كل واحد منهما ما جاز في صاحبه وهم
يصطرخون فيها اي يستغيثون في النار بالصوت العالي والصراخ الصوت العالي
والصارخ المستغيث والمصرخ المغيث قال

كنا اذا ما اتانا صارخ فزع ... كان الصراخ له قرع الطنابيب

ربنا اخرجنا اي يقولون ربنا اخرجنا من جهنم ورددنا الى الدنيا فنعمل صالحا قال ابن عباس
نعمل لا اله الا الله وهو معنى قولهم غير الذي كنا نعمل اي من الشرك اي نؤمن بدل الكفر
ونطيع بدل المعصية ونمتثل امرك بدل مخالفتك اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر هذا جواب
دعائهم اي فيقال لهم فالقول مضمر وترجم البخاري بان من بلغ ستين سنة فقد
اعذر الله اليه في العمر لقوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير
يعني الشيب وعبد السلام بن مطهر وعمر بن علي وحسن بن محمد الغفاري عن سعيد بن
ابن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الى امرئ اخر
اجله حتى بلغه ستين سنة قال الخطابي اعذر اليه اي بلغ به اقصى العذر ومنه قولهم
قد اعذر من انذر اي اقام عذر نفسه في تقدم نذارته والمعنى ان من عمره الله ستين سنة
لم يبق له عذر لانه استنفد قريب من معترك المنايا وهو سن الانابة والخشوع ويرق
المشيب ولقاء الله تعالى فقيد اعذارا بعد اعذار الاولى بالنبي عليه السلام والمزنان

في الاربعين والستين قال علي وابن عباس وابو هريرة في تاويل قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر انه ستون سنة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في موعظة ولهذا بالغ في الاعذار من لم يقدم في الانذار قرنا بعد قرن من اتى من القرون الماضية ومنادي من قبل الله تعالى ابناء الستين اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وذكر الترمذي الحكيم من حديث عطاء ابن ابي رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نودي بابناء الستين وهو العمر الذي قال الله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وعن ابن عباس ايضا انه اربعون سنة وعن الحسن البصري وسروق مثله ولهذا نقول ايضا وجه وهو صحيح والحجة له قوله جل وعز حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة الاية ففي الاربعين تناهي العقل وما قبل ذلك وما بعده منتقض عنه هو والله اعلم وقال مالك ادركت اهل العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم ويخالطون الناس حتى ياتي لاحدهم اربعون سنة فاذا اتت عليهم اعتزلوا الناس واستقلوا بالقيامة حتى ياتيهم الموت وقد مضى هذا في سورة الاعراف والحمد لله وخرج ابن ماجة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين واقلهم من يجاوز ذلك **قوله تعالى** وجاءكم النذير فتوى وجاءكم واختلف فيه فقيل الشيب وقاله الرسل قاله زيد بن علي وابن زيد وقال ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين ابن الفضل والفراء والطبري وهو الشيب وقيل النذير الحمى وقيل موت الاهل والاقارب وقيل كمال العقل والنذير بمعنى الانذار قلت الشيب والحمى وموت الاهل كله انذار بالموت قال صلى الله عليه وسلم الحمى رائد الموت قال الازهري معناه ان الحمى رسول الموت اي كانها تشعر بقدوم ماء وتنذر بمجيئه والشيب نذير ايضا لانه يات في سن الاكتهال وهو علامة لما قد قرب من الصحي الذي هو سن اللهو واللعب قال

يا بيت الشيب من نذر لمثاياه لصاحبه وحسبك من نذير ... وقال اخر

فقلت لها الشيب عمري ولست سوداوحه النذير

واما موت الاهل والاقارب والاصحاب والاخوان فانذار بالرحيل في كل وقت وآوان وحين وزمان قال

الا لا تملهم ولست نرده وكاني بك قد رحلت فلم نرد

وقال اخره الموت في كل حين بيننا الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا قلت واما كمال العقل فهو الذي يصرف حقائق الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات فالعاقل يعمل لاخرته ويرغب فيما عند ربه فهو نذير وامامحمد صلى الله عليه وسلم فبعثه الله جل وعز مبشرا ونذيرا الى عباده فطفق الجهال يقولون لولا يكون على الله حجة بعد الرسل وقالوا ما كنا نعذبين حتى نبعث رسولا فقوله **تعالى** يريد عذاب جهنم لانكم ما اعتبرتم ولا اتعظتم فما للظالمين من نصير وما مانع من عذاب الله **قوله تعالى** ان الله عالم غيب السموات والارض اي عليم بذات الصدور وتقدم معناه في غير موضع والمعنى علم انه لو ردكم الى الدنيا لم تعملوا صالحا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعالم اذا كان بغير تنوين صلح ان تكون للماضي والمستقبل واذا كان منونا لم يجز ان تكون للماضي **قوله تعالى** هو الذي جعلكم خلائف في الارض قال قتادة خلفا بعد خلق وقرنا بعد قرن والخلف هو الثاني للمتقدم ولذلك قيل لابي بكر يا خليفة الله فقال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله وانا راض بذلك فمن كفر فعليه كفره وجزاء كفره وهو العقاب والعذاب ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي هلاكا وضلالا **قوله تعالى** قل ارايتم شركاءكم الذين شركاءكم منصوب بالرؤية ولا يجوز رفعه وقد يجوز الرفع عند سيبويه في قولهم قد علمت زيدا ابو من هو لان زيدا في المعنى مستفهم عنه ولو قلت ارايت زيدا ابو من هو لم يجز الرفع والفرق بينهما ان معنى هذا اخبرني عنه وكذا معنى هذا اخبروني عن شركائكم الذين تدعون من دون الله اعبدتموهم لان لهم شركة في خلق السموات والارض ثم قال ام اتيناهم كتابا اي ام عندهم كتاب انزلناه اليهم بالشركة وكان في هذا رد على من عبد غير الله جل وعز لانهم لا يجدون في كتاب من الكتب ان الله عز وجل امر ان يعبد غيره فهم على بينة منه قرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص عن عاصم على بينة بالتوحيد وجمع البافون والبينان متقاربان الا ان قراءة الجمع اولى لانه لا يخلو من قرأه على

ام فلهم سلطان منه

بينة

جيئة من ان تكون خلاف السواد الاعظم او يكون جاء على لغة من قال رجالي طلحة فوقف
بالنا وهذه لغة شاذة قليلة قاله النحاس وقال ابو حاتم وابو عبيد الجم او لي لوانفته
الخط لانها في مصحف عثمان بغيات بالالف والتابيل ان بعد الظالمون اي ما بعد الظا
بعضهم بعضا الا غرورا اي باطل نقد وهو قول الشاذة للسفلة ان هذه الالهة
تنفعكم وتضركم وقيل ان الشياطين نفذ المشركين ذلك وقيل وعدهم بانهم ينصرون
قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا فلا حاجة الى هذا الما ورهذا
قول الزجاج وان في موضع نصب بمعنى كراهة ان تزولا او لبلا تزولا ويجعل على المعنى لان
المعنى لان المعنى ان الله يمنع السموات والارض من ان تزولا لما بين ان الممنهم لا تقدر على
خلق شيء من السموات والارض بين ان خالقها وممسكها هو الله فلا يوجد حادث الا
باجباره ولا يبقى لا بابقائه ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده قال الفراء اي
ولو زالتا ما امسكهما من احد فان بمعنى ما قال وهذا مثل قوله ولئن ارسلنا
ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعد يكفرون وقيل المراد زوالهما يوم القيامة وعن
ابراهيم قال دخل رجل من اصحاب ابن مسعود الى كعب يتعلم منه العلم فلما رجع قال
له ابن مسعود ما الذي اصبت من كعب قال سمعت كعبا يقول ان السماء تدور على قطبه
مثل قطبة الرحا في عمود على منكب ملك فقال له عبد الله ودد ت ان انملتي براحلتك
ورحلها كذب كعب ما تركت يهود بنية ان الله تعالى يقول ان يمسك السموات والارض
ان تزولا ان السموات لا تدور ولو كانت تدور لكانت قد زالت وعن ابن عباس نحوه
وانه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال
سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما تترك يهود بنية بعد ثم
قرا هذه الآية ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد
من بعده وعن ابن عباس ايضا ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ان تقولا
لئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وعن ابن عباس ايضا ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ان تقولا لئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وعن ابن عباس ايضا
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ان تقولا لئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده
وعن ابن عباس ايضا ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ان تقولا لئن زالتا
ان امسكهما من احد من بعده وعن ابن عباس ايضا ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ان تقولا لئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وعن ابن عباس ايضا
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ان تقولا لئن زالتا ان امسكهما من احد
من بعده وعن ابن عباس ايضا ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ان تقولا
لئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده وعن ابن عباس ايضا ان الله يمسك السموات
والارض

الوقف عليه ثم اجري الوصل مجري الوقف او على انه اسكن الهمزة لتوالي الكسرات واليايات كما قال

• فاليوم اشرب غير مستحقب • قال العشيري وخزا همزة ومكر السي بسكون

الهمزة وخطاه اقوام وقال قوم لعله وقف عليه لانه تمام الكلام فغلط الراوي وردي ذلك

عنه في الادراج وتفسير الكلام في امثال هذا وقلنا ثبت بالاستفاضة او التواتر ان النبي صلى

الله عليه وسلم قراه فلا يدمن جوازه ولا يجوز ان يقال انه لحن ولعل مراد من صار الى التخطئة ان غيره

افصح منه وان كان فصيحا ولا تحقيق المكر السي الا باهله اي لا يترك عاقبة الشرك الا من اشرك وقيل

غير هذا اشارة الى قتلهم ببدر وقال الشاعر

• وقد رفعوا المنية فاستقلت دراعا بعد ما كانت تحيق

اوتنزل وهذا قول قطرب وقال الحلبي تحيق بمعنى تحيط والحوق الاحاطة يقال حاق به كذا

اي احاط به وعن ابن عباس ان كعبا قال له اني اجد في التوراة من حفر لاخيه حفرة وقع فيها فقال

ابن عباس فاني اوجد كذلك في القرآن ذلك قال ابن قتيبة ولا يحيق المكر السي الا باهله وفي امثال

العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وروى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تمكر

ولا تفن ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السي الا باهله ولا تبغ ولا تفن باغيا فان الله يقول

ومن نكث فانما ينكث على نفسه وقال انما بغيكم على انفسكم وقال بعض الحكماء

• يا ايها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم

• اني بغيت وحق من يحصي المصيبات وينسي النعم

وفي الحديث المكر والخديعة في النار فقوله في النار يعني في الآخرة تدخل اصحابها في النار لانها من

اخلاق الكفار لا من اخلاق المؤمنين الاخيار ولهذا قال عليه السلام في سياق هذا الحديث

وليس من اخلاق المؤمن المكر والخديعة والخيانة وفي هذا ابلغ تحذير عن التخلق بهذه الاخلاق

الذميمة والخروج عن اخلاف اهل الايمان بالكلية قوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين

اي انما ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة

الله تحويلا اي اجرى الله العذاب على الكفار وجعل ذلك سنة فيهم فهو يعذب بمثله من استحقه

لا يقدر احد ان يبدل ذلك ولا ان يحول العذاب عن نفسه الى غيره والسنة الطريقة والجمع

سنن وقد مضى في آل عمران واضافها الى الله جل وعز وقال في موضع اخر سنة من قد ارسلنا

قبلك من رسلنا فاضاف الى القوم لتعلق الامر بالجانبين وهو كالاجل تارة يضاف الى الله

وتارة الى القوم قال قتادة اجل الله لا اله الا هو ثم قال واذا اجلهم قوله تعالى

اولم يسيروا في الارض يعني المشية التي ذكرها اولم يروا ما الذي نعاد وثمود وبعدي وامثالهم

لما كذبوا الرسل فيتدبروا ذلك بنظرهم الى مساكنهم وديارهم وبما سمعوا على التواتر مما حل بهم

افليس فيه عبرة وبيان لهم ليسوا خيرا من اولئك ولا اخوفي بل كان اولئك اقوى دليله

قولهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض وانما اراد

انزال عذاب بقوم لم يعجز ذلك انه كان عليما قديرا قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس

بما كسبوا يعني من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة قال ابن مسعود يريد جميع الحيوان

مما دب ودرج قال قتادة وقد فعل ذلك زمن نوح عليه السلام وقال الحلبي

من دابة يريد الجن والانس دون غيرهما لانهما مكلفان بالعقل وقال ابن جريج والاخفش

والحسين بن الفضل اراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم قلت والذي يظهر

لانه عن صحابي كبير قال ابن مسعود كاد الجعل ان يعذب في جحره بذنب ابن ادم وقال

يحيى بن ابي كثير امر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر فقال له رجل عليك بنفسك فان الظالم

لا يضر الا نفسه فقال ابو هريرة كذبت والله لا الرا لاهوتم قال والذي نفسي بيده

ان الحبارى لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال الثعالبي ويحيى بن سلام في هذه الآية تحبس

الله المطر فيهلك كل شيء وقد مضى في البقرة نحو هذا عن عكرمة ومجاهد في تفسير ويلعنهم اللاعنون

هم الحشرات والبهائم تصيبهم الجدب بذنوب على السوء الكاتبين يلعنونهم وذكرنا هناك حديث

البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون

قال دواب الارض ولكن يوخرهم الى اجل مسمى قال مقاتل الاجل المسمى هو ما قدرهم في اللوح

المحفوظ وقال يحيى هو يوم القيامة فان الله كان بعباده اي بمن يستحق العقاب

منهم بصيرا ولا يجوز ان يكون التعليل في ابصيرا كما لا يجوز اليوم ان زيدا خارج وكن العامل

فيها ما يشبهها بحروف المجازاة والاسما التي يجازى بها يعمل فيها ما بعدها وسيبويه لا يرى

المجازاة بها الا في الشعر كما قال

اذ اقصرت اسبافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فتضارب حتى

سورة يس وهي مكية

باجماع وهي ثلاث وثمانون اية الا ان فرقة قالت الا قوله ونكتب ما قدموا وآثارهم نزلت في بني سلمة من الانصار حين اراد وا ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يأتي وفي كتاب ابي داود عن معقل ابن يسار قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرءوا ياسين على موتاكم واذكر الاجري من حديث ام الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ عليه سورة يس الا هون عليه وفي مسند الدارمي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر الله له في تلك الليلة اخرجه ابو نعيم الحافظ الضبي وروى الترمذي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله قرأته القرآن عشر مرات قال هذا حديث غريب وفي اسناده هرون ابو محمد شيخ مجهول وفي الباب عن ابي بكر الصديق ولا يصح حديث ابي بكر من قبل اسناده واسناده ضعيف وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس يدعى في التوراة المعمة قيل يا رسول الله وما المعمة قال تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه اهاويل الآخرة وتدعى الدافعة والقاضية قيل يا رسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها كانت له كاثنتي عشر دينارا تصدق بها في سبيل الله ومن كتبها وشربها ادخلت جوفه الف دواء الف نور والف يقين والف رحمة والف هدى ونزع عنه كل داء وغل ذكره الثعلبي من حديث عائشة والترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه مسندا وفي مسند الدارمي عن شهر ابن حوشب قال قال ابن عباس من قرأ يس حين يصبح اعطي ليسر قوته حتى يمسي ومن قرأها في صدر ليلة اعطي ليسر ليلته حتى يصبح وذكر النحاس عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لكل شيء قلب وقلب القرآن يس من قرأها نهارا كفر همه ومن قرأها ليلا غفر ذنبه وقال الشهر بن حوشب يقرأ اهل الجنة طه ويس قبل رفع هذه الاخبار الثلاثة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال الرد على الضحاك عن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس ومن قرأها في ليلة اعطي بيس ثلاث الليلة ومن قرأها في يوم اعطي بيس ذلك اليوم واذا اهل الجنة يرفع عنهم القرآن فلا يقرؤن شيأ الا طه ويس وقال يحيى بن ابي كثير بلغني انه من قرأ سورة يس ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي وفرحة من حربا ذكره الثعلبي وابن مطيعة قال ابن مطيعة وتصديق ذلك التجربة وذكر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن عبد الاعلى قال حدثنا محمد بن المثنى حدثنا بشر عن محمد بن مروان عن جعفر قال من وجد في قلبه قساوة فليكتب يس في جام بزعفران ثم يشربه حدثنا ابي رحمه الله قال حدثنا اصرم بن حوشب عن نقشة بن الوليد عن المغيرة بن سرق عن محمد بن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن افضل من كل شيء دون الله وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ومن قرأ القرآن فقد قرأ الله ومن لم يقرأ القرآن لم يقرأ الله وعن منذ القرآن عند الله كعن منذ الوالد على ولده القرآن شافع تشفع وما حل مصدق فمن شفع له القرآن شفع ومن محل به القرآن حل به القرآن صدق ومن جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار حامل القرآن هم المحفوفون برحمة الله المكنوفون بنور الله المعلمون كلام الله من والاهم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله يقول الله تعالى يا حملة القرآن اتجروا لربكم بتوفيق كتابه يزكم حبا وبحكمه الى عباده يرفع عنكم مستمع القرآن تلوي الدنيا وتلي الاخرة ومن استمع اية من كتاب كان افضل مما تحت العرش الى التخوم قال في كتاب الله لسورة تدعى القرية بزعانها جهنم الشريف يوم القيامة تشفع لصاحبها اكثر من ربيعة ومضر وهي سورة يس وذكر الثعلبي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة يس ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات قوله تعالى يس

في يس وجه من الغرابة قرأ اهل المدينة والكسائي يس والقرآن الحكيم بادغام النون في الواو وقرأ ابو عمرو وابو عمر وحمزة يس بإظهار النون وقرأ عيسى بن عمر يس بفتح النون وقرأ ابن عباس وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم يس بالكسر وقرأ هرون الاعور وسهل بن شعيب يس بضم النون فهذه خمس قراءات القراءة الاولى بالادغام على ما يجب في العربية لان النون تدغم في الواو ومن بنى على سبيل حروف التهجي آثر الوقف عليها واثبت النون للادغام في الادراج وذكر سيبويه النصب وجعله من جهتين احداهما ان تكون منصوبا وان لا تصرفه لانه عنده اسم اعجمي بمنزلة هابيل والتقدير اذكر يس وجعله سيبويه اسما للتنزيل وقوله الاجود ان تكون مبنيا على الفتح مثل كيف قال وامّا الكسر فزعم الفراء انه مشبه بقول العرب جير لا افعل فعلى هذا تكون يس قسما وقال ابن عباس وقيل شبه بياسين وحام وهؤلاء ورقاش واما الضم فمشبه بمنذ ووحث — وبالمنادى المفرد اذا قلت يا رجل قال ابن السميفع وهرون وقد جاء في تفسيرها يا رجل فالاولى بها الضم قال ابن الانباري ليس وقف حسن لمن قال هو افتتاح للسورة ومن قال معنى يس يا رجل لم تقف عليه وروي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ان معناه يا انسان وقالوا في قوله تعالى سلام على ال ياسين اي على محمد وقال سعيد بن جبير هو اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم دليله انك لمن المرسلين قال السيد الحميري ◆ يا نفسي لا تمضي بالنفس جاهده على الودة الا ال ياسين ◆ وقال ابو بكر الوراق في معناه يا سيد البشر وقيل انه اسم من اسماء الله قاله مالك روي عنه اشهب قال سألته هل يتسمى لاحد ان يسمي ياسين قال ابن العربي هذا كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يسمي باسم الرب اذا كان عبد معنى صفة لقوله عالم وقادر ومريد ومتكلم وانما منع ذلك من التسمية بياسين لانه اسم من اسماء الله لا يدري معناه فربما كان معناه ينفرد به الرب فلا يجوز ان يقدم عليه العبد ما لا يعلم فقيل فقوله قال الله تعالى سلام على ال ياسين قلنا ذلك مكتوب بنحا فتجوز التسمية به وهذا الذي ليس بمنجلي هو الذي تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال والله اعلم وقال بعضهم لعل افتتح الله هذه السورة بالياء والسين وفيها تجمع الخير وذلك المفتتح على انه قلب والقلب اميز على الجسد وكذلك ليس من علي سائر السور مشتمل على جميع القرآن ثم اختلفوا فيه ايضا فقال سعيد بن جبير وعكرمة هو بلغة الحبشة وقال الشعبي هو بلغة طي الحسن بلغة كلب الكلبي هو بالسريانية فتكلمت به العرب فصارا من لغتهم وقد مضى هذا المعنى في طه وفي مقدمة الكتاب مستوفى وقد سرد القاضي عياض قول المفسرين في معنى يس فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا لي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس واسمان لم يقلهما احد وذكر هما الماوردي عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى سماني في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله قاله القاضي وحكى ابو محمد الدرجاني المتسلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس ياسين يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله سبحانه وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل برجل وقيل يا انسان وعن ابن الحنفية ياسين يا محمد وعن كعب ليس قسم اقسم الله به قبلا ذ تخلق السماء والارض يا فهم يا محمد انك لمن المرسلين ثم قالوا القرآن الحكيم كأنه قيل ورب القرآن انك لمن المرسلين وهذا جواب القسم وفيه من تعظيم ما تقدم وتوكيد شيدا لقسم عطف القسم الاخر عليه وان كان معنى الاول اقتضى القسم الاخر لعوده لتحقيق رسالته والشهادة بصدق نبوته اقسم عليه تعالى باسمه وكتابه انه من المرسلين توحيده الى عباده وعلى صراط مستقيم من ابلاغه انه طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه بالقرآن الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده ما لا يخفى وكل من قال انه يا سيد فما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد آدم انتهى كلامه وحكى النقاش عن ابن عباس قالت كفار قريش لست مرسلا وما ارسلك الله الينا فاقسم الله بالقرآن الحكيم انه لمن المرسلين والحكيم المحكم حتى لا يتعرض لبطلان وتناقض كما قال احكمت اياته وكذلك احكم في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل وقد يكون الحكيم في حق الله بمعنى المحكم بكسر الكاف كالاليم بمعنى المولم على صراط مستقيم اي دين مستقيم وهو الاسلام وقال الزجاج على طريق الانبياء الذين تقدموا قاد وانك لمن المرسلين

خبران ٢ وانك على صراط مستقيم خبر ثان اى انك لمن المرسلين وانك صراط مستقيم وقيل المعنى لمن
المرسلين على استقامة فيكون قوله على صراط مستقيم من صلة المرسلين اى انك من المرسلين
الذين استقاموا على طريقة مستقيمة كقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله اى الصراط الذى
امر الله به **قوله تعالى** تنزيل العزيز الرحيم قرأ ابن عامر وحفص والاعمش ويحيى وحمزة
والكسائى وخلف تنزيل بنصب اللام على المصدر اى نزل الله ذلك تنزيلا او اضمار المصدر
فعلا ومعرفة كقوله فضرب الرقاب اى فاضربوا الرقاب او فعلنا تنزيلا بالرفع على خبر ابتداء محذوف
اى هو تنزيل او الذى انزل اليك الكتاب تنزيل العزيز الرحيم هذا اذا قرأ تنزيل بالجر على البدل من
القرآن والتنزيل يرجع الى القرآن وقيل الى النبى صلى الله عليه وسلم اى انك لمن المرسلين وانك
لتنزيل العزيز الرحيم فالتنزيل على هذا مصدر من الارسال قال الله تعالى فما نزلنا الله اليكم ذكرا رسولا
تتلوا وتقال ارسل الله المطر وانزله بمعنى واحد صلى الله عليه وسلم ارحمنا الله انزلها من السماء ومن
نصب قال انك لمن المرسلين ارسالا من العزيز الرحيم والعزيز المنتقم ممن خالفه الرحيم بأهل
طاعته **قوله تعالى** لتنذر قوما ما انذر ابا وهم ما لا موضع لها من الاعراب عند اكثر اهل التفسير
ستهم فتاذة لانها نفى والمعنى لتنذر قوما الى آبائهم قبلك نذير وقيل هى بمعنى الذى فالمعنى
لتنذرهم مثل ما انذر ابا وهم قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ايضا وقيل انها والفعل مصدر اى
لتنذر قوما انذار ابائهم ثم يجوز ان يكون العرب قد بلغتهم بالنقل آثار اخبار الانبياء فالمعنى لم
ينذروا رسولا من انفسهم ويجوز ان يكون بلغهم الخبر ولكن غفلوا واعرضوا ونسوا ويجوز ان يكون
هذا خطابا لقوم لم يبلغهم خبر نبى وقد قال الله وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم
قبلك من نذير وقال لتنذر قوما من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ان اريد لم يأتهم نبى وعلى قوله
من بلغهم خبر الانبياء فالمعنى فهم معرضون عن ان متمسكون فلون عن ذلك وتقال للمعرض عن الشئ انه
غافل عنه وقيل غافلون عن عقاب الله **قوله تعالى** لقد حق القول على اكثرهم اى وجب العذاب
على اكثرهم فهم لا يؤمنون بانذارك وهذا فيمن سبق فى علم الله انه يموت على كفره ثم يبين سبب
ترك ايمانهم فقال انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وقال ابن عباس نزلت فى ابى جهل بن هشام وصاحبه
المخزومى وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى محمدا يصلى ليرضخن رأسه بحجر فلما راه ذهب
ليرضخ حجره فلما دنا منه رجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل
له ما شأنك قال لعظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه واذا انا بفحل يخطر بذنبه ما رأيت فحلا قط
اعظم منه هم بى ان بينى وبينه من الهول والقوى لو دنوت منه لاكلنى فانزل الله تعالى انا
جعلنا فى اعناقهم اغلالا الآية فهم مقمحون وقال ابن عباس جعلنا فى اعناقهم
وقال الزجاج انا جعلنا فى ايديهم قال ابن عباس وهذه القراءة تفسير لا تقرأ بها خالفا المصحف
وفى الكلام حذف على قراءة العامة التقدير انا جعلنا فى اعناقهم وفى ايديهم اغلالا فحمل الاذقان
وهى كناية عن الايدى لان الاغلال والعرب تحذف مثل هذا وتضمره ترى البرد تنعتكم الحر
وتقيكم البرد تحذف لان كلا قد علم من الحر وفى من البرد لان الغل اذا كان فى العنق
فلا بد ان يكون فى اليد ولاسيما وقد قال الله جل وعز فهى الى الاذقان فقد علم انه يراد به الايدى
فهم مقمحون اى رافعوا رؤسهم لا يستطيعون الاطراف لان من غلت يده الى ذقنه لتوضع هو
رأسه روى عبد الله بن يحيى ان على بن ابى طالب عليه السلام راى قوما نياما فى المسجد فقال ما لكم
لا تصلون فقالوا قد صلينا فقال كلا انكم قوم مقمحون ثم قرأ هذه الآية وقال لقنبر ايقظ هؤلاء
فقال لا اوقظ قوما غضب الله عليهم فقال كذبت ايقظهم كما ايقظتنى فقال لا اوقظ قوما غضب
الله عليهم فقال اذهب فاخبرهم ان عليا امرك بذلك فقال لا اخبرهم بما يسوءهم فقال اذهب فاخبرهم
ان عليا يأمرك بذلك فقال لا افعل فقال اذهب فاخبرهم ان عليا يأمرك بذلك فقال لا افعل فقال
اذهب فاخبرهم ان عليا يأمرك بذلك فقال لا افعل فقال اذهب فاخبرهم ان عليا يأمرك بذلك فقال
لا افعل فقال اذهب فاخبرهم ان عليا يأمرك بذلك فقال لا افعل فقال اذهب فاخبرهم ان عليا يأمرك
بذلك فقال لا افعل فقال اذهب فاخبرهم ان عليا يأمرك بذلك فقال لا افعل

ومن عيوبها قعود ٭ نفض الطرف كالابل القماح

والقماح رفع الرأس وعض المبرة يقال قمح البعير اذا تناول رأس بعيره وقيل القماح اشد ما يكون من البرد وهما الكانونان سميا بذلك لان الابل اذا ولدت اذا هابرد الماء قامت رؤسها ومنه اقمحت السبيئة وقيل هو مثل ضربه الله تعالى لهم في امتناعهم من الهدى كامتناع المقلول قاله يحيى بن سلام وابو عبيدة وكما قال فلان حمار اي لا يبصر الهدى وكما قال لهم عن الرشد اغلال وقيود وفي الخبر ان اباذئب كان يهوى امرأة من الجاهلية فلما اسلم راودته فابى وانشا يقول فلسكهد الدار يا ام مالك ولكن احاطت بالرقاب السلاسل وعاد الغي كالكهل لبسبق تبايل سوى ان قد سيق القدر سياقا ستراح العواذل ٭ اراد منعنا موانع الاسلام عن تعاطي الزنا والفسق وقال الفراء نضاهد امثل ضربا اي حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله وهو كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وقال الضحاك وقيل اي هو لا صارفا والاستكبار عن الحق فمن جعل في يده غل فجمعت الى عنقه فبقي رافعا راسه لا يخفضه وغاضا بصره لا يفتحه والمتكبر يوصف بانتصاب العنق وقال الازهري اذا ابصرهم لما غلت عند اعناقهم رفعت الاغلال اذقانهم وروسهم صفرا فالابل ترفع روسها وهذا المنع يخلق الكفر في قلوب الكفار وعند قوم بسلبهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم وقتل الاية اشارة الى ما فعل باقوام غدا في النار وضع الاغلال في اعناقهم والسلاسل كما قال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون فاخبر عنه بلفظ الماضي لتحقيقهم لتقدم تقديره هو وقال مجاهد مقمحون مغلولون عن كل خير قوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا قال مقاتل لما عاد ابو جهل الى اصحابه ولم يصل الى النبي صلى الله عليه وسلم وسقط الحجر رجل اخر من بني مخزوم وقال انا اقتله بهذا الحجر فلما دنا من النبي صلى الله عليه وسلم طمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يبصرهم حتى نادوه فهذا معنى الاية وقاله محمد بن اسحق في روايته جلس عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وامية بن خلف مرا صدودا عن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغوا من اذاه فخرج عليهم عليه السلام وهو يقرا يس وفي يده تراب فرماهم به وقرا وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاطرقوا حتى قرا عليهم عليه السلام وقد مضى هذا في سورة سبحان ومضى في الكهف الكلام في سدا بضم السين وفتحها وهما لغتان فاغشيناهم اي غطينا ابصارهم وقد مضى في اول البقرة وقرا ابن عباس وعكرمة ويحيى بن يعمر فاغشيناهم بالعين غير معجمة من العشاء العينين وهو ضعف يصر حتى لا يبصر بالليل قال

مي يا نه تعشوا الى ضوء ناره ٭٭ وقال نقاي ومن يعش عن ذكر الرحمن الاية والمعنى متقارب والمعنى تعميناهم كما قال

ومن الحوادث لا ابا لك ٭ انني ضربت على الارض بالاسداد

لا اهتدي فيها لموضع تلعة بين العذيب وبين اوضى مراد

فهم لا يبصرون اي الهدى قاله قتادة وقيل فهم حين همتوا على قتله قاله السدي وقال الضحاك وجعلنا من بين ايديهم سدا اي الدنيا ومن خلفهم سدا اي الاخرة اي عموا عن البعث وعموا عن قبول الايمان في الدنيا قال الله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم اي زينوا لهم الدنيا ودعوهم الى التكذيب بالاخرة وقيل جعل لهذا من بين ايديهم سدا اي اغتروا بالدنيا ومن خلفهم سدا اي كذبوا بالاخرة وقيل ما بين ايديهم الاخرة وما خلفهم الدنيا وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون تقدم في البقرة والاية رد على القدرية وغيرهم عن ابن شهاب ان عمر بن عبد العزيز حضر غلامان القدر فقال يا عمر ان بلغني انك تتكلم بالقدر فقال لكذبوا علي يا امير المومنين ثم قال يا امير المومنين ارايت قول الله تعالى انا خلقناهم من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فقال اقرا يا غلام فقرا حتى انتهى الى قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فقال افرا فقرا وما تشاءون الا ان يشاء الله فقال والله يا امير المومنين ان شئت اذ هذا في كتاب الله قط فقال له يا غلام اقرا ولسوء تبين فقرا حتى بلغ وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون فقال الغلام والله يا امير المومنين لكاني ارى هذا خطا قبل اليوم اشد يا امير المومنين اني تائب فقال اللهم ان كان صادقا فاقت عليه وثبته وان كان كاذبا فسلط عليه من لا يرحمه واجعله اية للمومنين فاخذه هشام فقطع يديه ورجليه ثم

وصلبه

وصلبه قال ابن عون فانا رأيته مصلوبا على باب دمشق فقلنا ما سألك يا خليلا فقال اصابتني
دعوة الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر يعني القرآن وعمل
به وخشي الرحمان بالغيب اي ما غاب عن عذاب الله وناره قاله قتادة وقيل اي يخشاه في مغيبه
عن ابصار الناس دا القتاده بنفسه فليشره بمغفرة اي لذنبه واجر كريم اي الجنة قوله
تعالى انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فيه تكلت مسائل الاولى قوله تعالى
انا نحن نحيي الموتى اخبر تعالى انه يحيي الموتى ردا على الكفرة وقال الضحاك والحسن اي نجمعهم
بالاعادة بعد الجعل والاول اظهر اي نجمعهم بالبعث للجزاء ثم نوعدهم بذكره بحيث لا تادرهي
الالسنة واحصا كل شيء وكل ما يصنعه الانسان قال قتادة معناه من عمل وقال مجاهد وابن
زيد ونظيره قوله علمت نفس ما قدمت واخرت وقوله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر
وقال اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فاثار المرء الذي تبقي وتؤخر بعد الانسان
من خير او شر يجازى عليها من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس احبسوه او
بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سنة وطئها بعض الظلام على المسلمين
وسلكها احد بعدهم فهي تجري لهم وعلى اخذ بها فيه بعد من ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل
سنة حسنة او سنة تستن بها وقيل هي اثار المشاة بين الى المساجد وعلى هذا المعنى
تاول الاية عمرو بن عباس وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ايضا ان معنى اثارهم خطاهم
الى المساجد قال النحاس وهذا اولى ما قيل فيه لان الاية نزلت في ذلك لان الانصار
كانت منازلهم بعيدة من المسجد فاردوا ان يقربوا فنزلت في حديث طويل مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
ذاهبا واحدا اذا اخرج المسجد قلت وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال
كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فاردوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الاية
انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اثاركم
تكتب فلم ينتقلوا قال هذا حديث غريب من حديث الثوري وفي صحيح مسلم
عن جابر ان عند الله قال ارادوا بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد قال فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم يا بني سلمة دياركم تكتب اثاركم دياركم تكتب
اثاركم فقالوا ما كان يسرنا انا كنا تحولنا وقال ثابت البناني مشيت مع انس بن مالك
الى الصلاة فاسرعت فحبسني فلما انقضت الصلاة قال مشيت مع النبي صلى الله عليه
وسلم فاسرعت فحبسني فلما انقضت الصلاة قال ما علمت انك اثم تكتب فهذا احتجا
بالاية وقال قتادة وجاهد ايضا والحسن الاثار في الاية الخطا وحكى النقاش عن ابن
انه قال لاثارهم الخطا الى الجمعة واحد الاثار اثر وقيل اثر الشاة في هذه الاحاديث
المفسرة لمعنى الاية دليل على ان البعد من المسجد افضل فلو كان بجوار مسجد فحمل له ان
يجاوزه الى الابعد اختلف فيه فروي عن ابن نافع انه كان يجاوز المحدث الى العظيم وروي
عن غيره الابعد فالابعد من المسجد اعظم اجرا وكره الحسن وغيره هذا وقال الابهري نتحدا
قربه ويابى غيره وهذا مذهب مالك وفي تخطي مسجده الى مسجده الاعظم قولان وخرج ابن
ماجة من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في بيته
بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع
فيه بخمس مائة صلاة قال الزاهد دياركم منصوب على الاغراء اي الزموا وقد تكلمت جزم على جواب
ذلك الامر وكل نصب بفعل مضمر لا على مضمر لا على احصيناه ويجوز رفعه بالابتدا الى ان نصبه
اولى ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل وهو في قول الخليل وسيبويه والامام
والكتاب المقتدى به الذي هو حجة وقال مجاهد وقتادة وابن زيد اراد اللوح المحفوظ
وقالت فرقة اراد صحائف الاعمال قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ
جاءها المرسلون هذه القرية هي انطاكية في قول جميع المفسرين فيما ذكر الماوردي
نسبت الى هلا انطيس وهو اسم الذي بناها هاشم عربي من العرب ذكره السهيلي وقال
فيها انها كانت بالتا بدل الطا وكان بها فرعون فقال له انطيخس بن انطيخس بعده
الاصنام ذكره المهدوي وحكاه ابن جعفر النحاس عن كعب ووهب فارسلا الله اليه
ثلاثة وهم صادق وصدوق وشلوم وهو الثالث هذا قول الطبري وقال غيره سمعون
وسرجا وحكى النقاش شمعان ويحيى ولم يذكر صادقا ولا صدوقا وقال يجوز ان يكون
مثلا واصحاب القرية مفعولين لاضرب واصحاب القرية بدل من مثلا اي اضرب لهم مثلا

هذه ح

تحذف المضاف اى اهل بنى صلى الله عليه وسلم بانذارهم لا المشركين ان يحل بهم ما حل بكفار اهل
القرية المبعوث اليهم ثلاث رسل فقيل رسل من الله على الابتداء وقيل ان عيسى بعثهما الى هم
انطاكية للدعاء الى الله وهو قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين واضاف الارسال ذلك الى نفسه
لانه عليه السلام امرهما بامر الرب وكان ذلك حين رفع عيسى الى السماء فكذبوهما فعزز نا بهما
وسجنوهما فعزز نا بثالث فقويا وشدد نا الرسالة بثالث وقرا ابو بكر عن عاصم
وقرا ابو بكر عن عاصم فعزز نا بثالث بالتخفيف وشدد الباقون قال الجوهري وقوله
تعالى فعزز نا بثالثه يخفف ويشدد اى قوينا وشددنا قال الاصمعي اشددت فيه
ابو عمرو بن العلاء للمتلمس ذ اجدا حلت لعذر حلها واذا تشد بفضلها لا تبئس
فعلى هذا تكون للعزا ثلاث بمعنى وقيل التخفيف بمعنى علينا وكثرنا وقرا الضحاك انا عيسى
ارسل اليهم رسولين فلقيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فدعوه
الى الله وقالا انا رسولا عيسى ندعوكم الى عبادة الله فطلبا منه المعجزة فقالا نحن نشفي
المرضى وكان له ابن مجنون وقيل مريض على الفراش فمسحاه فقام باذن الله صحيحا فامن
الرجل بالله وقيل هو الذي جاء من اقصى المدينة يسعى فعند ذلك امرهما وشفى كثيرا من المرضى
فارسل الملك اليهما وكان يعبد الاصنام ليسخر بهما فقالا نحن رسولا عيسى قال وما
وما انتما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونبرئ المريض باذن الله تعالى وندعوك الى عبادة
الله وحده فهم الملك بضربهما وقال وهب حبسهما الملك وجلدهما مائتي جلدة فانتهى
الخبر الى عيسى فارسل اليهما شمعون الصفا راس الحواريين ليتلطف لهما فما زال
حاشيته الملك حتى تمكن منهم وانسوا به ورفعوا خبره الى الملك وانس به واظهر
موا فقته في دينه فرضي الملك طريقته ثم قال يوما للملك بلغني انك حبست رجلين
دعوا لك الهة وسالت عنهما ما رايا هما فقال انا لا نعتد بما بيني وبين سوالهما قال
فلو احضرتهما فامر بذلك فقال لهما شمعون ما يرهبكما على ما تدعيان فقالا نبرئ
الاكمه والابرص فجي بغلام ممسوح العينين موضع عينيه كالجبهة فدعوا ربهما فانشق
موضع البصر فاخذ يبذ قشين طينا فوضعها في حدقتيه فقامتا مقلتين يبصر بهما فعجب
الملك وقال ان ههنا غلاما مات منذ سبعة ايام ولم ار فنه حتى يجي ابوه فنسال بحضرته
ربكما فدعوا الله علانية ودعا شمعون سرا فقام الميت حيا فقال للناس الى مت منذ
سبعة ايام فوجدت نتنا فادخلت في سبعة ابوية من النار فاحذركم ما انتم فيه
فامنوا بالله ففتحت ابواب السماء فرات شابا حسن الوجه يشفع لهما والملائكة
تشفع وصاحبيه حتى احيا بي الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
عيسى روح الله وكلمته وان هولاء رسل الله فقالوا له وهذا شمعون انصاصهم
فاذنهم وهو افضلهم فاعلمهم شمعون ان رسولا لمسيح اليهم فامن قوم لرفق الملك وما
الى الله الا من ولم يومن قومه وطمام جبريل صيحة مات كل من بقي منهم من الكفار وروي
ان عيسى لما امرهم ان يذهبوا الى تلك القرية قالوا يا نبي الله انا لا نعرف ان نتكلم
بالسنتهم ولما نحن فدعا الله لهم فتاسوا مكانهم فهبوا من نومتهم وقد حملتهم الملائكة
فالقتهم بارض انطاكية فكلم كل واحد منهم ما حبه بلغة القوم فذلك قوله وايدناه
بروح القدس فقالوا جميعا انا اليكم لمرسلون فقالوا ما انتم الا بشر مثلنا تاكلون
الطعام وتمشون في الاسواق وما انزل الرحمن من شي ما تريدون الا تكذبون فقالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وان كذبتمونا
وما علينا الا البلاغ المبين فاذا الله واحد فقالوا لهم انا نتطير بكم اى تتشاءمنا بكم
قال مقاتل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا لشومكم وبقالهم اقاموا
ببلدهم عشر سنين لئن لم تنتهوا عما انتم فيه من اذانا لنرجمنكم قالوا لقولنكم قال
وعامة ما في القران من الرجم معناه القتل وقال مقاتل هو على بابه من الرجم بالحجارة
وقيل لنشتمنكم وقد تقدم جميعه وليمسنكم منا عذاب اليم قتل هوا لقتل وقيل
التعذيب المولم قيل القتل كالسلخ والقطع والصلب فقالت الرسل طايركم معكم
ايمشومكم معكم اى حظكم من الخير والشر معكم ولازم في اعناقكم وليس هو من شومنا
قال معناه الضحاك وقال قتادة اعمالكم معكم ابن عباس معناه الارزاق والاقدار
تتسعكم الغدا طايركم معكم رزقكم وعملكم والمعنى واحد وقرى الحسن اطيركم اى نظيركم
ان ذكرتم قال قتادة ان ذكرتم فتطيرتم وقيه تتسع اوجه من القران قرا اهل المدينة

ايجب ذكرتم بتخفيف الهمزة الثانية وقرا هشام لكم قلت ان بتحقيقها بين بين وابو جعفر ايئنكم
ان ذكرتم بهمزتين بينهما الف ادخلت الالف كراهة الجمع بين الهمزتين وابو جعفر ايئنكم
بهمزة بعدها الف وبعد الالف همزة مخففة والقراءة الخامسة ان بهمزتين مفتوحتين
وحكى الفراء ان هذه لغة قراءة ابي بن كعب قلت وحكاها الثعلبي عن ذر بن جليس
وابن السميفع وقرا ابن عمر والحسن البصري قالوا طائركم معكم ابن ذكرتم بمعنى جيء وقرا زيد
ابن القعقاع والحسن وطلحة ذكرتم بالتخفيف ذكره الجميع النحاس وذكر المهدوي عن طلحة
ابن مصرف وعيسى الهمداني ان ذكرتم بالمد على همزة الاستفهام دخلت على همزة مفتوحة
الماحشون ان ذكرتم بهمزة واحدة مفتوحة فهذه تسع قراءات وقرا ابن هرمز طيركم
معكم ابن ذكرتم اي لاوعظتم وهو كلام مستانف ابتدئ وعظتم تطيرتم وقيل ائما
تطيرهم انهم كل شيء دعا قومه فلم يجيبوه كان ما اصابه قومه السلام بل انتم قوم
مسرفون قال قتادة مسرفون في تطيركم يحيى بن سلام مسرفون في كفركم وقال ابن بحر
المسرف ههنا العتاد ومعناه بل انتم قوم تعتدون وقيل مشركون
والاشراف مجاوزة الحد والشرك تجاوز الحد قوله تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة
يسعى هو حبيب بن مري وكان نجارا وقيل قصارا وقال ابن عباس ومجاهد
وقتادة هو حبيب ابن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو ممن امن بالنبي صلى الله
عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما امن به سبعة الاكبر ودرقد ابن نوفل وغيرهما وآمنوا
بنبي احد الا بعد ظهوره قاتل لرهب وكان حبيب مجذوما وسكن لزمنى عند اقصى باب من ابواب
المدينة وكان يعكف على عبادة الاصنام سبعين سنة يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون
ضره فلما استجابوا له فلما اتصل الرسل دعوه الى عبادة الله فقال لهم اتبعوا
تدعوا ربنا القادر فيغفر لكم ذنوبكم قالوا ان هذا لعجب لي ادعوا هذه الالهة
سبعين سنة لتفرج عني فلم تستطع لفرجه ربكم في غداة واحدة قالوا نعم ربنا على
ما شئنا قدير هذه لا تنفع شيئا ولا تضرنا من دعوا غيرهم فكشف الله ما به كان لم يكن به
باس فحينئذ اقبل على التكسب فاذا مسي تصدق بكسبه فاطعم عياله نصفا وتصدق
بنصف فلما هم قومه بقتل المرسل جاءهم فقال يا قوم اتبعوا المرسلين الآية وقال قتادة
كان يعبد الله في غار فلما سمع بخبر المرسلين جاءهم فقال للمرسلين اتطلبون على ما
جئتم به اجرا قالوا نعم ما اجرنا الا على الله قالوا لقالتهم فاعتقد صدقهم فامن بهم
واقبل على قومه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا انه لو كانوا
منهمكين لطلبوا منكم المال وهم ممتدون فاقتدوا بهم وما لي لا اعبد الذي فطرني فالقنا
قال له قومه انت على دينهم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني اي خلقني قال الله ترجعون
وهو احتجاج منه عليهم واضاف الفطرة الى نفسه لان ذلك نعمة الى نفسه الهر شكرا
والبعث اليهم لان ذلك وعيد يقتضي الزجر فكان اضافة النعمة الى نفسه الهر شكرا
واضافة البعث الى الكافر ابلغ اثرا اتخذ من دونه الهة يعني اصناما ان يردني الرحمن
يعني ما اصابه من السقم لا تغني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون يخلصوني مما انا فيه
من البلاء اذا انا اتخذت ذلك لفي ضلال مبين اي خسران ظاهر اني امنت بربكم
فاسمعون قال ابن مسعود خاطب الرسل بان قال فاسمعون اي
فاشهدوا واسمعوا شهودي بالايمان وقال كعب ووهب انما قال ذلك لقوله اني
امنت بربكم الذي كفرتم وقيل انه لما قال لقومه اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم
اجرا رفعوه الى الملك وقال قد تبعت عدونا فطول لهم الكلام ليشغلهم وطوه هو
بارجلهم حتى خرج قضيبه من دبره والقى في بئر وهي الرس وهم اصحاب الرس وفي رواية
انهم قتلوا الرسل الثلاثة وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي
حتى قتلوه وقال الكلبي حفروا حفرة وحملوه فيها ورضوا فوقه التراب
فماتوا رضما وقال الحسن حفروا حفرا وخدوا فيها وحملوه من سور المدينة وقبره في سور انطاكية
حكاه الثعلبي وقال القشيري وقال الحسن لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله
الى السماء فهو في الجنة لا يموت الا بفناء السماء وهلاك الجنة فاذا اعاد الله الجنة
اعاد فيها وقيل نشروه بالمناشير حتى خرج من بين رجليه فوالله ما خرجت
روحه الا في الجنة فاطلعها الله ذلك قوله قيل ادخل الجنة قال يا شاهدها قال
يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي اي بغفران ربي لي فما مع الفعل بمنزلة المصدر

بمعنى المصدر وقيل بمعنى الذي والعائد من الصلة محذوف ويجوز ان يكون استفهاما
فيه معنى النفي كانه قال لبث قومي يعلمون باي شيء غفر لي ربي قال الفراء وغيره
الكسائي فقال لو صح هذا القال ثم من غفر لك وقال الفراء يجوز ان تقدم ما للخلف
وهو استفهام وانشد فيه ابيات ثم غفر طرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا
تقال قد علمت ما صنعت هذا وبما صنعت المسيء ويروى واثبات الالف في الاستفهام
قليل فيوقف عليها هذا على يعلمون وقال جماعة معنى قيل ادخل الجنة وجبت لك الجنة فهو
خبر بانه قد استحق دخول الجنة لانه دخولها يستحق بعد البعث قلت والظاهر من
الاية انه لما قيل له ادخل الجنة قال قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حتى يرزق
اراد قوله فتابي ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون
على ما تقدم في ال عمران بيانه والله اعلم قال ابن ليث قوله يعلمون ترتب
على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك المقول المنتظم الذي هو يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وجعلني من المكرمين وقرئ المكرمين وفي معنى تمنيه قولان احدهما انه تمنى ان يعلموا بحاله
ليعلموا حسن مآله وحميد عاقبته التي تمنى بذلك لو يمنوا مثل امانه فصيروا الى
مثل حاله قال ابن عباس نصح قومه حيا ومتى نصحه الكافر فقال وفي الخبر انه
عليه السلام قال في هذه لانه نصح لهم في حياته وبعد موته وقال ابن ابي ليلى سابق
الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين قال علي ابن ابي طالب وهو افضلهم وقوم من الفرعون
وصاحب ياسين قيم البصدبتون ذكره الزمخشري مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل النقمة على قومه فامر جبريل فصاح صيحة فماتوا
عن اخرهم ذلك قوله وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين
اي ما انزلنا عليهم من رسالة ولا نبي بعد قتله قاله قتادة ومجاهد والحسن قال الحسن
الجند الملائكة انا ذلون بالوحي على الانبياء قتل الجند العساكر اي لم احتج في هلاكهم
الى ارسال جنود ولا جيوش ولا عساكر بل اهلكتهم بصيحة واحدة قال معناه ابن مسعود
وغيره فقوله وما كنا منزلين تصغير لامرهم اي اهلكناهم بصيحة واحدة من بعد
قتله الرجل او من بعد رفعه الى السماء وقيل المعنى وما كنا منزلين على من كان قبلهم
الزمخشري فان قلت فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق فقال وارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقال بالف من الملائكة مردفين بثلاثة الاف من الملائكة
منزلين بخمسة الاف من الملائكة مسومين قلت انما كان يلقي في قلوبهم
واحدة فتنهزم اهلكنة مدائن قوم لوط بر لبثة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح
بصيحة ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم لكل نبي على كبار الانبياء واولي العزم
من الرسل فضلا على حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوته احدا
فمن ذلك اذا انزل الله جنودا من السماء كما تداشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين
الى ان انزال الجنود من مقامهم الامور التي لا يوهل لها الا مثله وما كنا نفعل بغيرك
اذ كانت الا صيحة واحدة فزاه انما منه صيحة واحدة بالنصب على تقدير ما كانت
عقوبتهم الا صيحة واحدة وقرا ابو جعفر بن القعقاع وشيبة والاعرج صيحة
بالرفع هنا وفي قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع جعلوا الكون بمعنى الوقوع
والحدوث فكانه قال ما وقعت عليهم الا صيحة واحدة وانكر هذه القراءة ابو حاتم وكثير
من النحويين لسبب التانيث فهو ضعيف كما تكون ما قامت الا هند ضعيفا من
حيث كان المعنى ما قام احد قال ابو حاتم فلو كان كما قرا ابو جعفر لقال ان كانت الا
صيحة قال النحاس لا يمتنع شيء من هذا لقيا لما جاءتني جاريتك معنى ما جاءتني
امراة او جاريتك الا جاريتك والتقدير في القراءة بالرفع ما قاله ابو اسحق قال
المعنى ان كانت عليهم صيحة الا صيحة واحدة وقدره سيبويه ما وقعت عليهم الا صيحة
واحدة وكان بمعنى وقع كثير في كلام العرب وقرا عبد الرحمن ابن الاسود وقتادة
في حرف عبد الله كذلك ان كانت رقية واحدة وهذا مخالف للمصحف وايضا فان
اللغة المشهورة قمرتها بمعنى اذا صاح فكان يجب على هذا ان يكون رقوة ذكره النحاس
قلت وقال الجوهري الرقية مصدر رقى يرقى رقيا ورقيا
اي صاح وكل صائح راق والرقية الصيحة قلت وعلى هذا فيقال رقية
رقية لغتان في القراءة صحيحة لا اعتراض عليها والله اعلم فاذا هم خامدون اي ميتون

اهلكنهم

خامدون

هامدون تشبيها بالرماد الخامد وقال قتادة هلكى والمعنى واحد ﴿ ياحسرة على العباد ﴾
منصوب لانه نكره ولا يجوز مثل غير المضمر عند البصريين وفي حرف ابي ياحسرة على
العباد على الاضافة وحقيقة الحسرة في اللغة ان يلحق الانسان من الدم مكروه يصير
به حسيرا وزعم الفراء ان الاختيار في النصب وانه لو رفعت النكرة الموصولة بالصلة كان
صوابا واستشهد باشياء منها انه سمع من العرب يا مهتم بامرنا لا تهتم قال الشاعر
يادار غيرها البلا تغييرا قال النحاس وفي هذا ابطال باب النداء والكوفيون لا يرفع
النكرة المضافة ويرفع ما هو بمنزلته في قوله وجيف الثوبين منوسطا ويرفع ما هو قريب
منه نحو لغير علة اوجبت ذلك تاما ما حكاه عن العرب فلا يشبه ما اجازه لانه لتقدير
يا مهتم بامرنا لا تهتم على التقديم والتاخير والمعنى يا ايها المهتم لا تهتم بامرنا وتقدير
البيت يا ايتها الدار خذ الدمع منك اي يا هولا غير هذه الدار لبكى كما قال الله جل وعز
خذ ما اتيناك بقوة اي بجد فيما امرت به فخسرة منصوب بفعل النداء كما يقول يا رجلا اقبل ومعنى
هذا موضع حضور الحسرة الطرى المعنى يا حسرة من العباد على انفسهم وتندما ولهذا
في استهزائهم برسل الله عليهم السلام ابن عباس يا حسرة على العباد اعتاب ويلا على العباد
وعنه ايضا حكى هولا محل من يتحسر عليهم وروى الربيع عن الشعبي ايا لها لتتاد العباد
هاهنا الرسل وذلك ان الكفار لما رأوا العذاب قالوا يا حسرة على العباد فتحيروا على
قتلهم وتركوا الايمان بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم الايمان وقال مجاهد وقال
المنهال انها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل وقيل يا حسرة على العباد من قول
الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يسعى لما وثبوا القوم لقتله وقيل اذ الرسل الثلاثة تنهم الذين قالوا
لما قتلوا القوم ذلك الرجل الذي جاء من اقصى المدينة وجاء بالقوم العذاب يا حسرة على هولا
كانهم يتمنون ان يكونوا فعلوا ما فعل هذا من قتل القوم قالوا لما قتلوا الرجل وفارقتهم
الرسل وقتلوا الرجل مع الرسل الثلاثة على اختلاف الروايات يا حسرة على هولا الرسل
وعلى هذا الرجل لبيناهم في الوقت الذي ينفع الايمان وتم الكلام على هذا ثم ابتدا هو
فقال لما اتاهم من رسول وقرا ابو هريرة وسلم بن جندب وعكرمة يا حسرة على العباد
فيكون الها التحسر على البيان وتقديرا لمعنى في التقديم اذا كان موضع وعظ وتنبيه والعرب
تدل في مثله وان لم يكن موضعا للوقف ومن ذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يقطع قراءته حرفا حرفا حرصا على البيان والافهام ويجوز ان يكون على العباد متصلا
بالحسرة ويجوز ان يكون منفصلا بمحذوف ولا بالحسرة فكما تقدم الوقف على الحسرة فكذلك
الهاشم قال على العباد اي احتسر على العباد وعن ابن عباس وابن الضحاك وغيرهما يا حسرة على
العباد مضاف بحرف على وهو خلاف المصحف ويجوز ان يكون من باب الاضافة الى الفاعل
فيكون العباد فاعلين كانهم اذا شاهدوا العذاب تحسروا فهو كقولك يا قيام زيد ويجوز
ان يكون من باب الاضافة الى المفعول فيكون العباد مفعولين فكان العباد تتحسر عليهم
من تشفق لهم وقراءة من قرا يا حسرة على العباد منونة لهذا المعنى ﴿ الم يروا كم
اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون قال سيبويه ان بدلت من كم ومعنى كم ها هنا
الخبر فلذلك جاز ان يبدل منها ما ليس باستفهام والمعنى الم يروا ان القرون الذين اهلكنا
انهم اليهم لا يرجعون وقال الفراء كم في موضع نصب من وجهين احدهما بيروا واستشهد
على هذا بانه في قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والوجه الاخر ان تكون كم في موضع نصب
باهلكنا قالا النحاس القول الاول لا يحال لان كم لا يعمل فيما قبلها لانها استفهام ومحال
ان يبدل الاستفهام في خبر ما قبله وكذا حكمها اذا كانت خبرا وان كانت بمعنى رب فذا ومما
يدل على فساد هذا القول انهم بدلا من كم وفسره ذلك محمد بن يزيد اشد رد وقال كم في موضع نصب
باهلكنا فانهم في موضع نصب والمعنى عنده بانهم ايم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون
بالاستيصال قالوا والدليل على هذا انها في قراءة عبد الله من اهلكنا قبلهم من القرون
انهم اليهم لا يرجعون وقرا الحسن بانهم اليهم لا يرجعون بكسر الهمزة على الاستئناف وهذه
لا يتجه الرد على من زعم ان من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد الموت وان كلا لما جميع لدينا
محضرون يريد يوم القيامة للجزاء وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة وان كل لما بتشديد
الميم وخفف الباقون فان مخففة من الثقيلة وما بعدها مرفوع بالابتداء وما بعده
الخبر وبطل عملها حين تغير لفظها ولزمت اللام في الخبر فرقا بينها وبين ان التي بمعنى
ما وما عند ابي عبيدة زايدة والتقدير عنده وان كلا لما جميع قالا الفراء ومن شدد لما معنى

الاوان بمعنى حينا اى ساكل الجميع كقوله اذهبوا الارجل به جنة وحكى سيبويه فى قوله سالتانا فاللهم
لما فعلت وزعم الاخفش انه لا يعرف هذا وقد مضى هذا المعنى فى هود وفى حديث ابى ذر ان
منهم الجميع لدينا محضرون وآية لهم الارض الميتة احييناها اخبرنهم
الله تعالى بمعجز على احيا الموتى وذكرهم نعمه عليهم وكمال قدرته وهى الارض الميتة احياها بالنبات
واخرج الحى منها فمنه ابو من الحب يأكلون وبه ينبتون وشدد العلا المدثرة وخفف الباقون
وقد تقدم وجعلنا فيها اى فى الارض جنات اى بساتين من نخيل واعناب وخصصها بالذكر
لانها اعلى الثمار وفجرنا فيها من العيون اى فى البساتين ليأكلوا من ثمره الضمير فى ثمره يعود
على ما العيون لان التفجير منها ليخرج قاله الفراء والمعنى وفجرنا فيها عيونا ليأكلوا
من ثمر ما ذكرنا كما قال وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه وقرأ حمزة والكسائى
من ثمره بضم الثاء والميم وفتحهما الباقون وعن الاعمش ضم الثاء واسكان الميم وقد مضى الكلام
فيه فى الانعام وما عملته ايديهم ما فى هو موضع خفض على العطف على من ثمره اى ومما عملته
ايديهم وقرأ الكوفيون وما عملت الباقون عملته على الاصل من غير حذف وحذف الصلة
ايضا فى الكلام كثير لطول الاسم ويجوز ان تكون ما نافية لا موضع لها فلا يحتاج الى صلة
ولا يرجع ايه ولم تعمله ايديهم من الزرع الذى انبته الله لهم وهذا قول ابن عباس والضحاك
ومقاتل وقال غيرهم المعنى ومن الذى عملته ايديهم اى من الثمار ومن اصناف الحلاوات
والاطعمة وما اتخذوا من الحبوب بعلاجهم كالخبز والدهن المستخرج من السمسم والزيتون
وقيل يرجع ذلك الى ما يغرسه الناس روى معناه عن ابن عباس ايجابا افلا تشكرون نعمهم
سبحان الذى خلق الازواج كلها تنزه نفسه سبحانه عن قول الكفار ايجعلوا
غيره على ما رأوه من نعمه آثار قدرته وقيل لتقديره الامر اى سبحوه وتنزهوه عما لا يليق به
وقيل فيه معنى التعجب اى عجبا لهؤلاء الكفرهم مع ما يشاهدون فيه من هذه الآيات ومن
تعجب من شئ قال سبحان الله والازواج الانواع والاصناف فكل صنف زوج لانه مختلف
فى الالوان والطعوم والاشكال والصفة والكبر فاختلافها هو ازدواجها وقال قتادة
يعنى ما ذكر والانثى مما تنبت الارض يعنى من النبات لانه اصناف ومن انفسهم يعنى وخلق
منهم اولادا وازواجا ذكورا واناثا ومما لا يعلمون اى من اصناف خلقه فى البر والبحر
والسماء والارض ثم يجوز ان يكون مما يخلقه لا يعلمه البشر ويعلمه الملائكة ويجوز ان لا يعلمه
مخلوق وقد استدل بهذه الآية من اثبت انه انفرد بالخلق فلا ينبغى ان يشرك به
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اى نخلعه ونكشفه فنوجد الظلمة بغيبة الله تعالى وقدرته ووجوب
الليل بغيبة الشمس والسلخ الكشط والنزع يقال سلخت الله من ثوبه ثم يستعمل بمعنى الاخراج وقد
يحصل ذهاب الضوء وحصول الظلمة كالسلخ من الشاة وظهور المسلوخ منها استعارة ومظلمون
داخلون فى الظلام يقال اظلمنا اى دخلنا فى ظلام الليل واظهرنا دخلنا فى وقت الظهر
وكذلك اصبحنا وامسينا وقيل منه بمعنى عنه والمعنى نسلخ عنه ضياء النهار
فاذا هم مظلمون اى فى ظلمة لان ضوء النهار يتبدد داخل فى الهواء فيضمحل فاذا اخرج منه الظلم
والشمس تجرى لمستقر لها يجوز ان يكون تقديره وآية لهم الشمس ويجوز ان يكون
الشمس تجرى مستقر لها مرفوعا بالابتداء وخبره لمستقر لها ويجوز ان يكون مرفوعا
بالابتداء خبره فى موضع الخبر اى جارية وفى صحيح مسلم عن ابى ذر قال سألت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قوله عز وجل والشمس تجرى لمستقر لها قال مستقرها تحت العرش
وفيه عن ابى ذر قال قال النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس
قال الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا
يؤذن

فلا يؤذن لها بقيل لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ولفظ الترمذي عن ابي ذر قال دخلت المسجد حين غابت الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فقال يا ابا ذر اتدري اين تذهب هذه قال قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب فتستأذن في السجود فيؤذن لها وكانها قد قيل لها اطلعي من حيث جئت فتطلع من مغربها قال ثم قرأ والشمس تجري لمستقر لها قال وذلك قراءة عبد الله قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقال عكرمة تدان الشمس اذا غربت دخلت سمرا باب العرش العرش يسبح الله حتى يصبح فاذا اصبحت استقبلت ربها من المخرج فيقول لها الرب ولم تزال قالت اني اذا خرجت عبدته من دونك فيقول لها الرب تبارك وتعالى اخرجي فليس عليك من ذلك شيء تابعث اليهم جهنم في سبعين الف ملك يقودونها حتى يدخلوهم فيها وقال الكلبي وغيره المعنى تجري الى اقصى منازلها في الغروب ثم ترجع الى اداني منازلها فتستقر بها طلوعها الموضع الذي لا يتجاوزه بل يرجع الى منزله الاول الذي ابتدا منه سفره وعليه تبلغ الشمس اقصى منازلها وهو مستقرها اذا طلعت المنفتنة وذلك اليوم اطول ايام السنة وتلك الليلة اقصر الليالي فانها خمسة عشر ساعة والليل تسع ساعات ثم ياخذ في النقصان فاذا طلعت الثريا استوى الليل والنهار وكل واحد اثنتا عشرة ساعة ثم تبلغ اداني منازلها وتطلع السماك وذلك اليوم اقصر الايام والليل خمسة عشر ساعة حتى اذا طلع فرغ المدلو الموخر استوى الليل والنهار ثم ياخذ الليل في النقصان كل يوم ثلث عشر عشر ساعة وكل عشرة ايام ثلث ساعة وكل شهر ساعة تامة حتى يبتوا وياخذ الليل حتى يبلغ خمس عشرة ساعة وياخذ النهار من الليل كذلك وقال الحسن ان للشمس في السنة ثلاث مائة وستين مطلقا ثم لا تنزله الى الحول فهي تجري في تلك المنازل وهي مستقرها وهو معنى الذي قبله سواء وقال ابن عباس لها اذا غربت وافقت الى الموضع الذي لا يتجاوز استقرت تحت العرش الى ان تطلع قلت ما قاله ابن عباس يجمع الاقوال قبله وقيل الى انتهاء امدها عند انقضاء الدنيا وقرا ابن مسعود وابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي انها تجري في الليل والنهار لا وقوف لها ولا قرار الى ان يكورها الله يوم القيامة وقد احتج من خالف المصحف فقال انا اقرا بقراءة ابن مسعود وابن عباس قال ابو بكر الانباري وهذا باطل مردود وعلى من نقله لانا ايما مروي عن مجاهد عن ابن عباس وابن كثير روى عن مجاهد عن ابن عباس والشمس تجري لمستقر لها فهذا ان السند ان عن ابن عباس للذان سندهما واحد بصحتهما الحجاج سطلان ما روي بالسند الضعيف مما يخالف مذهبه الجماعة وما اتفقت عليه الامة قلت [illegible] والخارج الثابت الذي ذكرناها ترد قوله مما احتج به على كتاب الله قائله الله وقوله لمستقر لها اي الى مستقرها او المستقر موضع القرار لان لفظ تقدير اسم الذي ذكر من امر الليل والنهار والشمس تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى والقمر يكون تقديره والية لهما القمر ويجوز ان يكون والقمر مرفوعا بالابتداء وقرا الكوفيون والقمر بالنصب على اضمار فعل وهو اختيار ابي عبيد قال لان قبله فعلا وبعده فعلا فقبله سلخ وبعده قدرناه النحاس وهذا لعمري جميعا فيما علمت على خلاف ما قال منهم الفراء قال الزجاج اعجب الي وانما كان الرفع عندهم اولى لانه معطوف على ما قبله وسماه والية لهم القمر وقوله ان قبله لسلخ فقبله ما هو قريب منه وهو تجري وقبله والشمس بالرفع والذي ذكره بعده وهو قدرناه قدر عمل والها قال ابو حاتم الرفع اولى لانك شغلت الفعل عنه بالضمير فرفعته بالابتداء وتقول القمر لست هو المنازل فكيف قال قدرناه منازل ففي هذا جوابان احدهما قدرناه ذا منازل مثل واسئل القرية والتقدير الاخر قدرناه منازل ثم حذفت اللام وكان حذفها حسنا لتعدي الفعل الى مفعولين مثل واختار موسى قومه سبعين رجلا وللمنازل ثمانية وعشرون منزلا لا يتزل القمر كل ليلة منها ينزل وهي للشرطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الخرتان الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية المقدم المؤخر المرزم المؤخر وسطى الحوت فاذا صار القمر في اخرها عاد الى

فيقطع الفلك في كل وعشرين ليلة ثم ليستأنف ثم يعود هكذا لا فيعود فقطع الفلك على المنازل
وهي منقسمة على البروج لكل برج منزلان وثلث فللحمل الشرطين والبطين وثلث الثريا
وللثور ثلث الثريا والدبران وثلثا الهقعة ثم كذلك الى سائرها وقد مضى للناس
تسمية البروج والحمد لله وقيل ان الله تعالى خلق الشمس والقمر من نار وخلق كرسيا النور عند
الطلوع فاما نور الشمس فمن نور العرش واما نور القمر فمن نور الكرسي فذلك اصل هذه
المختلفة وهذه الكسوة فاما الشمس فتركت كسوتها على حالها للتشعشع والشرف واما
القمر فامر الروح الامين جناحه على وجهه فمحا ضوءه لسلطان الحاجز وذلك ان الروح
والروح سلطانه غالب على الاشياء فبقاء ذلك المحو على سائر الخلق ثم جعل في غلاف من
ماء ثم جعل له مجرى في كل ليلة ينبذ وللمحلف من ذلك الغلاف قمرا بعد قمر لئلا يتمر لهم حتى
ينتهي بدوه ونزاه الخلق بكماله واستدارته ثم لا يزال يعود الى الغلاف في كل ليلة شيء
منه فينقص من الرونق والاقمار بعد اقمار ما زاد في البدء ويبتدئ في النقصان من
الناحية التي لا ترى اه الشيب وهو ناحية المغرب حتى يعود طالعا محولا للعرش
وهو العرق المنفوس ورقته وانما زال القمر لانه بقمر اي يبصر الجو بياضا الى ان هو
لسنبر الثنا منه حتى كادكا لعرجون القديم قال الزجاج هو عود العذق الذي عليه
الشماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانقطاف اي ساد في منزلة فاذا كان في اخرها
رق واستقوس حتى صار كالعرجون وعلى هذا فالنون زائدة وقد قالوا فيه هو العزف
اليابس المحنى من النخلة يقلب كالعرجون القديم قال العرجون الذي يبقى من الكباسة
في النخلة اذا قطعت والقديم الى الحليل في باب الرباعي العرجون اصل العذق وهو
اسفر عريض يشبه به الهلال اذا انحنى الجوهري العرجون اصل العذق الذي يعرج
وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا وعرجنه ضربه بالعرجون فالنون على قوله
هو لا اصلية ومنه شعر اعشى بني قيس

ترك المسك والعنبر بما ... منى صفر كعرجون القمر

فالعرجون اذا عتق ويبس وتقوس شبه المنزل في دقته وصفرته به فاعلم ان السنة
منقسمة على اربعة فصول لكل فصل سبع منازل فاولها الربيع واوله خمسة عشر
يوما من اذار وعدد ايامه اثنان وتسعون يوما تقطع فيه الشمس ثلاثة بروج
الحمل والثور والجوزا وسبعة منازل الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة
والهنعة والذراع ثم يدخل فصل الصيف في خمسة وعشرين يوما من حزيران وعدد
ايامه اثنان وتسعون يوما تقطع الشمس فيه ثلاثة بروج السرطان والاسد
والسنبلة وسبعة منازل وهي النثرة والطرف والجبهة والخرتان والصرفة
والعواء والسماك ثم يدخل فصل الخريف خمسة عشر يوما من ايلول وعدد ايامه
احد وتسعون يوما تقطع الشمس فيه ثلاثة بروج وهي الميزان والعقرب والقوس
والمنازل سبعة ثم فصل الشتاء خمسة عشر يوما من كانون الاول وعدد ايامه
تسعون يوما وربما كان احدا وتسعين يوما تقطع فيه الشمس ثلاثة بروج وهي
الجدي والدلو والحوت بسبعة منازل سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية
الفرغ المقدم الفرغ الموخر بطن الحوت وهذه خاتمة السرايين لشهورها ثلاثين الاول
من كانون الثاني كانون الاول كانون الثاني اسباط اذار نيسان ايار حزيران
تموز آب ايلول وكلها احد وثلاثون الا نشر الثاني ونيسان وحزيران وايلول
فيها ثلاثون واسباط ثمانية وعشرون يوما وربع يوم وانما اردنا بهذا ان تنظر
في قدرة الله تعالى في ذلك قوله تعالى والقمر قدرناه منازل فاذا كانت الشمس في
منزل اهل الهلال بالمنزل الذي بعده وكان القمر بمنزلتين من قبله فاذا كانت
الشمس بالثريا في خمسة وعشرين يوما من نيسان كان القمر بالشرطين واهل
الهلال بالدبران ثم يكون له في كل ليلة منزلة حتى يقطع في ثمان وعشرين ليلة ثمانية
وعشرين منزلة وقد قطعت الشمس منزلتين فيقطعها ثم يطلع في المنزلة
التي بعد منزلة الشمس فذلك تقدير العزيز العليم وقيل له ايضا الاهان والكبا
والقنوا اهل مصر يسمونه اسباطه وقرا العرجون يؤنث العرجون وهما لغتان تقول
كالبربون والبربون ذكره الزمخشري وقال هو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته
من النخلة الثالثة العذق القديم قال الزمخشري القديم المحول واذا قدم العذق

والنحس واصفر فشبه القمر به من ثلاثة اوجه وقيل قل الموصوف بالقديم النحول فلوان
رجلا قال لكل مملوك قديم فهو حر وكتب ذلك في وصيته عتق من يطلق له حول او اكثر قلت
قد مضى في البقرة ما يترتب على اهلة من الاحكام والحمد لله الرابعة
ينبغي لها ان تدرك القمر فعلت الشمس بالابتداء ولا يجوز ان يعمل لانه معرفة وقد تكلم
العلماء في معنى هذه الآية فقال بعضهم معناها ان الشمس لا تدرك القمر فتبطل معناه
اي لكل واحد منهما سلطان على حياله فلا يدخل احدهما على الآخر فيذهب سلطانه الى ان
يبطله الله تعالى وبرد من ذلك فيطلع الشمس من مغربها على ما تقدم في آخر سورة الانعام
بيانه وقيل اي اذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء
روي معناه عن ابن عباس والضحاك وقال مجاهد هذا بعيد لا يشبه ضوء احدهما ضوء الآخر
وقال قتادة لكل حد وعمل لا يعدوه ولا يقصر وقد اذا جاء سلطان هذا ذهب هذا وقال
الحسن انهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة اي لا تبقى الشمس حتى يطلع القمر
ولكن اذا غربت الشمس طلع القمر يحيى ابن سلام لا تدرك الشمس القمر ولكن اذا غربت
الشمس طلع القمر ليلة البدر خاصة لانه يبادر بالمغيب قبل طلوعها وقيل معناه اذا اجتمعا
في السماء كان احدهما بين يدي الآخر في منازله لا يشتركان فيها قاله ابن عباس ايضا قبل
القمر في السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة فهي لا تدركه ذكره النحاس والمهدوي
قال النحاس واحسن ما قيل في معناها وانتظمه مما لا يدفع ان سير القمر سير سريع والشمس
لا تدركه في السير ذكره المهدوي ايضا ما تقوله سبحانه وجمع الشمس والقمر بذلك
حين حبس الشمس عن الطلوع على ما تقدم بيانه في آخر الانعام وياتي في القيامة ايضا
وجمعهما علامة لانقضاء الدنيا وقيام الساعة كل يجري من الشمس والقمر والنجوم في فلك
يسبحون اي يجرون وقيل يدورون ولم يقل سبح لانه وصفها بفعل من يعقل وقال
الحسن الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السماء والارض غير ملصقة ولو كانت ملصقة
ما جرت ذكره الثعلبي والماوردي واستدل بعضهم بقوله تعالى ولا الليل سابق على ان
النهار مخلوق قبل الليل وان الليل لم يسبقه بخلق وقيل كلاهما يجري ويقطع ولا
يسبق صاحبه اي ان يجمع بين الشمس والقمر يوم القيامة كما قال وجمع الشمس والقمر
وانما هذا التعاقب لان تستتم مصالح العباد ولتعلموا عدد السنين والحساب ويكون
الليل للاجمام والاستراحة والنهار للتصرف كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقد وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم من عمل
النهار تقول له ولا الليل سابق النهار اي غالب النهار فقال سبق فلان فلانا اي غلبه وذكر
المبرد قال سمعت عمارة يقرأ ولا الليل سابق النهار فقلت ما هذا فقال ادرت سابق
النهار فحذفت التنوين لانه اخف قال النحاس يجوز ان يكون النهار منصوبا بغير تنوين
ويكون التنوين حذف للالتقاء الساكنين وابقى لهم يحتمل ثلاثة معان احدها
عبرة لهم لانه في الآيات اعتبار الثاني بقية عليهم لانه في الآيات انعاما الثالث انذارا لهم
لان في الآيات انذارا اذا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون من الشكل الذي في السورة لانهم
هم المحمولون نقيلا لمعنى وابقينا لهم يحتمل ايضا اذا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك هم
المشحون فالضمير اذا مختلفان ذكره المهدوي وحكاه النحاس عن علي ابن سليمان انه سمعه
يقول وقيل الضمير اذ جميعا ان لاهل مكة على ان يكون ذرياتهم اولادهم وضعفاءهم هم
في الفلك على العموم اي ولسفينة نوح وعلى الثاني يكون اسما للجنس جنح هل وعن بطنه
وانثاه وانه خلق السفن يحملون فيها من يقتضب عليه المشي والركوب من الذرية هم
والضعفاء فيكون الضمير اذ على هذا مختلفين وقيل الذرية الاباء والاجداد حملهم الله
تعالى في سفينة نوح عليه السلام فالاباء ذرية والابناء ذرية بدليل هذه الآية قاله
ابو عثمان وتحمل الاباء ذرية لان منهم ذرأ الابناء وقيل رابع اذ الذرية النطف حملها الرجال
في بطون النساء بالفلك المشحون قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذكره الماوردي
وقد مضى في البقرة اشتقاق الذرية والكلام فيه مستوفى والمشحون المملوء الموقر
والفلك يكون واحدا وجمعا وقد تقدم في يونس القول فيه قوله تعالى وخلقنا لهم
من مثله ما يركبون والاصل يركبونه فحذف الهاء لطول الاسم وانه رأس آية وفي معناه
ثلاثة اقوال مذهب مجاهد وقتادة وجماعة من اهل التفسير وروي عن ابن
عباس انه معني من مثله للابل خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة

في البحر والعرب تشبه الابل بالسفن قال طرفة

كان خروج الماكي غدوة حلايا سفين بالنواصف من دد

والقول الثاني انه للابل والدواب وكل ما يركب والقول الثالث انه للسفن
الخاص وهو اصحها لانه متصل الاسناد عن ابن عباس وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
قال خلق لهم سفنا امثالها يركبون فيها وقال ابو مالك انها السفن الصغار خلقها
مثل السفن الكبار وروي عن ابن عباس ايضا وقال الضحاك وغيره هي السفن
المتخذة بعد سفينة نوح قال الماوردي وحكي عن مقتضى تاويل علي رضي الله عنه
ان الذرية في الفلك المشحون هي النطفة في بطون النساء قولها خامس في قوله
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ان يكون تاويله النساء خلقن لركوب الازواج لكن
لم اره محكيا قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم في البحر فترجع الكناية الى اصحاب الذرية
او الى الجميع وهذا يرد على صحة قول ابن عباس ومن قال ان المراد من مثله السفن
لا الابل فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم رواه سعيد عن قتادة وروي بيان عن
قلا مستغاث لهم وسمعنا ما متقاربان وصريخ بمعنى مصرخ فعيل بمعنى فاعل
ويجوز فلا صريخ لهم لان بعده ما لا يجوز فيه الا الرفع لانه معرفة وهو لا يم
ينقذون والمعنيون يختارون لا رجل في الدار ولا زيد ومعنى ينقذون يخلصون
من الغرق وقيل من العذاب الا رحمة منا قال الكسائي هو نصب على الاستثناء
وقال الزجاج نصب مفعول من اجله اي للرحمة ومتاعا معطوف عليه الى حين
الى الموت قاله قتادة يجيبي بن سلام الى القيامة اي الا ان يرحمهم ويميتهم الى آجالهم
وان الله عجل عذاب الامم السالفة وآخر عذاب امة محمد وان كذبوه الى الموت
والقيامة قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قال
قتادة معناه اتقوا ما بين ايديكم من الوقائع فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم
في الاخرة ابن عباس وابن جبير ومجاهد ما بين ايديكم ما مضى من اجلكم وما خلفكم
ما بقي منه وقيل ما بين ايديكم من الدنيا وما خلفكم من عذاب الاخرة قاله سفين
وحكي عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس قال ما بين ايديكم من امر الاخرة
وما عملوا فيها وما خلفكم من امر الدنيا تاخذوها ولا تتزودوا بها وقيل ما بين
ايديكم ما ظهر لكم وما خفي عنكم والجواب محذوف والتقدير اذا قيل لهم ذلك
اعرضوا دليله قوله بعد وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين
تاكيد هذا عن ذلك قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي تصدقوا عليهم
المفقرا قال الحسن يعني اليهود امروا باطعام الفقراء قيل لهم المشركون قالوا
لهم فقراء اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله وذلك قوله
وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا لحرثهم وقالوا لولا الله اطعمكم
استهزاء فلا نطعمكم حتى ترجعوا الى ديننا قالوا التعلم اي انرزق من لو شاء الله اطعمه
كان يلزمهم بزعمهم ان الرازق هو الله فقالوا انرزق من لو شاء الله اغنا
وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا
لا والله ليفقره الله ونطعمه نحن وكانوا يستهزؤون بالمؤمنين فقال الله لهم انتم
تقولون لو شاء الله لاغنا فلانا ولو شاء لاغنى ولو شاء لفعل كذا وكذا فاخرجوا
فاخرجوا هذا الجواب فخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولون من قلة
الامر بمشيئة الله تعالى وقيل قالوا هذا لقلتنا نقول المؤمنين لهم انفقوا
مما رزقكم الله اي فاذا كان الله رزقنا فهو قادر على ان يرزقكم فلم تلتمسوا الرزق
منه وكان الاحتجاج هذا باطلا لان الله تعالى اذا ملك عبدا مالا لزم اوجب
عليه فيه حقا فكانه اتى بذلك القدر منه فلا معنى للاعتراض وقد صدقوا
في قولهم لو شاء الله اطعمهم ولكن كذبوا في الاحتجاج ومثله سيقول الذين اشركوا لو شاء
الله ما اشركنا وقوله قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد

والحسن ٢

ان

ان المناقشين لكاذبون ان انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول
الكفار للمؤمنين ايفي سوال المال وفي اتباعكم محمدا صلى الله عليه وسلم قاله
مسناه مقاتل وغيره وقيل هو من قول اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم وقيل
من قول الله تعالى للكفار حين ردوا بهذا الجواب وقيل ان ابا بكر الصديق
رضي الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين فلمنيم ابو جهل فقال يا ابا بكر
اترعم ان الله قادر على اطعام هولا قال نعم قال فما باله ان يطعمهم قال ابتلا
قوما بالفقر وقوما بالغنى وامر الفقرا بالصبر وامر الاغنيا بالاعطا
فقال والله يا ابا بكر ما انت الا في ضلال اترعم ان الله قادر على اطعام هولا
قال نعم فما باله لم يطعمهم قال ابتلا قوما بالفقر وقوما بالغنى وامر الفقرا بالصبر
وامر الاغنيا بالاعطا فقال والله يا ابا بكر ما انت الا في ضلال اترعم ان الله
قادر على اطعام هولا وهولا يطعمهم ثم يطعمهم انت فنزلت هذه الاية وتول
قوله تعالى فامن اعطى واتقى وصدق بالحسنى الايات وقيل نزلت الاية في قوم من
الزنادقة وقد كان فيهم قوام يريدون فلا يومنون بالصانع واستهزوا بالمسلمين
وهذا القول ذكره النقاش والماوردي في قوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد
لما قيل لهم انوا منا بين ايديكم وما خلفكم قالوا متى هذا الوعد وكان هذا استهزا
منهم ايضا لا تحقيق لهذا الوعد قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة وهي
نفخة اسرافيل تاخذهم وهم يخصمون اي يختصمون في امور دنياهم فيموتون في مكانهم
وقيل نفخة الصعق ويختصمون خمس قرات ابو عمرو وابن كثير وهم يخصمون
بفتح الياء والخا وتشديد الصاد وكذا روي ورش فروا عنه يختصمون باسكان
الخا وتشديد الصاد على الجمع بين ساكنين وقرا يحيى بن وثاب والاعمش
وحمزة وهم يخصمون باسكان الخا وتخفيف الصاد من خصمه ونوا عاصم والكسائي
وهم يخصمون بكسر الخا وتشديد الصاد يختصم بعضهم بعضا فيقبل ناخوهم
على بعض عند الخصام يختصمون في الجنة انهم لا يبلغون وقرا ابو جعفر عن ابي بكر عن
عاصم كسر التا والخا والتشديد قال النحاس القراة الاولى اسهلها والاصل فيها
يختصمون فادغمت التا في الصاد فحركت حركتها على الخا وحرف الى وهم يختصمون
واسكان الخا لا يجوز لانه جمع بين ساكنين وللواحد منها حرفه مد ولين وقيل
اسكنوا الخا على اصلها والمعنى يخصم بعضهم بعضا فحذف المضاف واجاز الكوفيون
المعنى يخصمون مجادلهم عند انفسهم فحذف المفعول قال الثعلبي وهي قراة
ابي بن كعب قال النحاس وما يختصمون والاصل فيه يختصمون فادغمت التا
في الصاد ثم كسرت الخا لالتقا الساكنين وزعم الفراء ان هذه القراة اجود والكثير
فتركت ما هو الي من الفاء حركة التا وعلى الخا والتقا الساكنين وزعم الفراء انه
هذه القراة اجود واكثر فتركت ما هو الي من الفاء حركة التا على الخا واختلف لها
حركة اخرى وجمع بين ساكنين وكسره وزعم انه اجود واكثر وكيف يكون اكثر وبالفتح قراة
الخلف من اهل مكة واهل البصرة واهل المدينة وما روي عن عاصم من كسر الباء
والخا فلالتقا الساكنين وقد مضى هذا في البقرة في يخطف ابصارهم ولو بشي في عمدي وقال
عكرمة في قوله جل وعز الا صيحة واحدة قال هي النفخة الاولى في الصور
وقال ابو هريرة ينفخ في الصور والناس في اسواقهم فمن حالت نفخة ومن
كارع ومن مازع حاضة وروى نعيم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما بينهما فلا يطويانه حتى تقوم
الساعة والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة
والرجل يخفض ميزانه فما يرفعه حتى تقوم الساعة والرجل يرفع اكلته
إلى فيه فما يبتلعها حتى تقوم الساعة وفي حديث عبد الله بن عمر وأول من يسمع
رجل يلوط حوضه انله قال فيصعق ويصعق الناس الحديث فلا يستطيعون
توصية اي لا يستطيع بعضهم ان يوصي بعضا بالتوبة والاقلاع بل يموتون
في اسواقهم ومواضعهم ولا الى اهلهم يرجعون اذا ماتوا وقيل ان المعنى
ولا الى اهلهم يرجعون لا يرجعون اليهم قولا وقال قتادة ولا الى اهلهم
يرجعون اي لشغلهم لانهم قد عجلوا عن ذلك قوله ونفخ في الصور هذه النفخة
الثانية للنشأة وقد بينا في سورة النحل انما نفختان لا ثلاث وهذه الآية
دالة على ذلك وروى المبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين النفختين اربعون سنة الاولى يميت بها كل حي والاخرى يحيي بها كل ميت
وقيل قتادة الصور جمع صورة اي ينفخ في الصور الارواح وصوره وصورت
صوره البناء وسورته قال العجاج ورب ذي سرادق محجوب سرب اليه في
اعالي السور وقد روي عن ابي هريرة انه قرأ ونفخ في الصور النحاس والصحيح ان الصور
باسكان الواو والقرآن جاء بذلك التوقيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك معروف
في كلام العرب انشد اهل اللغة بحر طخاهم عداه الصورين بالصاحبات في غمار
النقعين نظما شديدا الا كنطح الصورين وقد سلف هذا في الانعام مستوفى فاذا هم
من الاجداث اي القبور وقرئ الناس من الاجداث وذكره الزمخشري فقال احدث وحدث
واللغة الفصيحة الحدث بالنار والجمع احدث واحداث قال المتخل الهذلي
عرفت باحدث منعاف عرق علامات للتخبير النماط فاحدثت اي اتخذت
حيث ما اليهم ينسلون اي يخرجون قال ابن عباس وقتادة ومنه قول امرئ القيس
قتلى تناذى من ثيابك تسلى ومنه قيل للولد نسل لانه يخرج من بطن امه وقيل
وقيل يسرعون والنسلان والعسلان الاسراع في السير ومنه مشية الذئب
ونسل ينسل ويسل من باب ضرب يضرب ويقال ينسل بالضم ايضا وهو
الاسراع في المشي فالمعنى يخرجون مسرعين وفي التنزيل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس
واحدة وقال يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر وسأل سائل يوم يخرجون
كأنهم الى نصب يوفضون اي يسرعون وفي الخبر سلونا الى النبي صلى الله عليه وسلم
الضعف فقال عليكم بالنسل اي بالاسراع فانه ينشط قوله تعالى قالوا يا ويلنا
قال ابن الانباري يا ويلنا وقف وضع قال الحسن ينادي من بعثنا وروي عن
بعض القراء من يا ويلنا من بعثنا بكسر الميم والنون البعث روى ذلك عن علي رضي الله عنه
فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على قوله يا ويلنا حتى يقول من مرقدنا وفي قراءة ابي
ابن كعب هذا ما وعد الرحمن مرقدنا فهذا دليل على صحة هذا المذهب العامة قالوا المعدوي قرأ
ابن ابي ليلى قالوا يا ويلنا بزيادة تا التانيث الويل ومثله يا ويلنا الدرانا عجوزا
وقرأ علي رضي الله عنه تا ويلنا من بعثنا فمن متعلقة بالويل او حال من ويلنا تتعلق
بمحذوف كأنه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا ومن متعلقة بالويل او حال من ويلنا تتعلق
بمحذوف كأنه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا وكما يجوز ان يكون خبرا عنه كذلك يجوز ان
يكون حالا منه ومن من قوله من مرقدنا متعلقة بفعل المعنى ثم قيل كيف قا
هذا وهم من المعذبين في قبورهم فالجواب ان ابي ابن كعب قال يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا قال ابو بكر الانباري لا يجعل هذا الحديث على ان هنا من
لفظ القرآن كما قاله من طعن في القرآن ولكنه تفسير او تغيير عن بعض لغاته
قال ابو بكر وكذا احفظنه من حفيا لغيرا لذي هيئا مع تسكين نون من الطوب

على طريقة اللغة من ههنا بفتح النون على ان فتحة همزة اهب القيت
على نون من واسقطت الهمزة كما قالت العرب من اخبرك حتى تفعل
ولم يعبروا نحن اخبرك وبقال اهبت النائم فهو انتائم انتدنا
اه ربي يحيي العنوي وعاد له هبت بفعل يلومني ولم يعذرني قبل ذاك هم
عدل وقال ابو صالح اذا نفخ النفخة الاولى رفع العذاب عن
اهل القبور وهجعوا الى النفخة الثانية وبينهما اربعون سنة
قد لذ قولهم من بعثنا من مرقدنا وقالوا
اهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وما فيها من انواع العذاب
صار ما عذبوا به في قبورهم الى حيث عذبوا بها كالنوم قال مجاهد
فقال لهم المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وقال قتادة فقال لهم من
هداهم الله هذا ما وعد الرحمن وقال ابن زيد فقال لهم الملائكة هذا ما وعد
الرحمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الاقوال ضعيفة لان الملائكة من المؤمنين وصدق
الله عز وجل وعلى هذا يدل قوله الله عز وجل اذا الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية وكذا الحديث المؤمن عند الله خير مما خلق ويجوز
ان يكون الملائكة صلى الله عليهم وغيرهم من المؤمنين قالوا لهم هذا ما
وعد الرحمن وقيل اذا الكفار لما قال بعضهم لبعض من بعثنا من مرقدنا
صدقوا الرسل لما عاينوا ما اخبروهم به ثم قالوا هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون فكذبنا به افترى حين لم ينفعهم الاقرار وكان حمزة يقف
على من مرقدنا ثم يبتدي فيقول هذا قال ابن الانباري من بعثنا من
مرقدنا وقف حسن ثم يبتدي هذا ما وعد الرحمن ويجوز ان يقف
على مرقدنا هذا فيخفض هذا على الاتباع للمرقد ويبتدي ما وعد الرحمن
على معنى بعثكم ما وعد الرحمن اي بعثكم وعد الرحمن الذي سألتم القيام عليه من
مرقدنا وهذا في موضع رفع بالابتداء وخبره ما وعد الرحمن ويجوز ان يكون
في موضع خفض على البعث لمرقدنا فيكون التمام من مرقدنا هذا ما وعد
الرحمن في موضع رفع من ثلاث جهات ذكرها ابو اسحاق منها اثنتين قال
يكون باضمار هذا والجهة الثانية ان تكون حق ما وعد الرحمن بعثكم
والجهة الثالثة ان يكون بمعنى بعثكم ما وعد الرحمن انه كانت الا صيحة
واحدة تعجبان بعثكم واحيائهم كان بصيحة واحدة وهو قول اسرافيل
انها العظام البالية والاوصال المتقطعة والعظام المتفرقة والشعور
المتمزقة ان الله يمكن ان يجمعها لفصل القضاء وهذا معنى قوله الحق
يعني يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج وقيل مهطعين
الى الداع على ما يأتي وفي قراءة ابن مسعود ان صح عنه ان كانت الا رفثة واحدة
والرفثة الصيحة وقد تقدم هذا فاذا هم جميع لدينا محضرون
فاذا هم جميع لدينا محضرون فاذا هم جميع مبتدا وخبره وجميع نكرة
ومحضرون من صفته ومعنى محضرون سيعرضون احضر احضارا وافق
الحساب وهذا كقوله وما امر الساعة الا كلمح البصر قوله تعالى فاليوم
لا تظلم نفس شيئا اي لا ينقص من ثواب عمل ولا تجزون الا ما كنتم تعملون
ما في موضع نصب من وجهين الاول انه مفعول ثان لما لم يسم فاعله والثاني
بنزع حرف الصفة تقديره الا بما كنتم تعملون اي يعملونه تحذف قوله تعالى

ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد شغلهم بافتضاض العذارى وذكر الترمذي الحكيم في كتاب مشكلهم النزال له حدثنا محمد بن حميد الرازي حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شهر بن حوشب عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال يشغلهم افتضاض العذارى حدثنا محمد بن حميد حدثنا هرون بن المغيرة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس مثله وقال لا يقلب به يبيعا الرجل من اهل الجنة مع اهله اذ قيل له تحول الى اهلك فيقول انا مع اهلي مشغول فيقال تحول بنا الى اهلك وقيل اصحاب الجنة بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام باهوال المعاصي ومصيرهم الى النار وما هم فيه من اليم العذاب وان كان اقرباؤهم واهلوهم فيها قال سعيد بن المسيب وغيره وقال وكيع يعني في السماع وقال ابن كيسان في شغل اي في زيارة بعضهم بعضا وقيل في سماعة الله وروي انه كان يوم القيمة ينادي مناد اين مناد الذين اطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب فيقوم كاناس جمة يخرجون البدور والكواكب الدرية ركبانا تجب من نور ازمتها من اليواقيت تطير بهم على رؤس الخلائق حتى يقفوا بين يدي العرش فيقول الله جل وعز السلام على عبادي الذين اطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب انا اصطفيتكم وانا اجتبيتكم وانا اخترتكم اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب فلا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فيفتح لهم ابوابها فيدخل الخلق في المحشر يقفون فيقول بعضهم لبعض يا قوم اين فلان وفلان وذلك حين يعنيهم بعضا قتادة في مناداة اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون وشغل وشغل لغتان قرئ بهما مثل الرعب والرعب والسحت والسحت وقد تقدم فاكهون قال الحسن بن فضالة رفقاء ابن عباس يرجون مجاهدا والضحاك مجبون السيدي ناعمون والمعنى متقارب والفاكهة المزاح والكلام الطيب وقرا ابو جعفر وشيبة والاعرج فكهون بغير الف وقال الكسائي وابو عبيدة الفاكهة مثل شاحم ولاحم وتامر ولابن والفاكهة المتفكهة والمتنعم وفكهون بغير الف في قول قتادة مجبون وقال ابو زيد يقال رجل فكه اذا كان طيب النفس ضحوكا وقرا طلحة بن مصرف فاكهين بنصبها على الحال هم وازواجهم في ظلال على الارائك تكون مبتدا وخبره ويجوز ان تكون هم تاكيد والواجهم عطف على المضمر ومتكئون نعت لقوله فاكهين وقراة العامة في ظلال بكسر الظاء والف وقرا ابن مسعود وعبيد بن عمير والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف في ظلل بضم الظاء من غير الف فالظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة على الارائك بكسر السين في الجمال واحدها اريكة مثل سفينة وسفائن قال الشاعر

كان احمرار الورد من عصرونه ... بوقت الضحى في روضة المتفاحل

خدود عذارى قد خملن من الحيا ... فهن بالريحان فوق الارائك

وفي الخبر عن ابن مسعود الحذري قال النبي عليه السلام اذا اهل الجنة كلما جامعوا لذاتهم عادوا ابكارا وقال ابن عباس اذا الرجل من اهل الجنة ليعانق الحور سبعين سنة لا يملها ولا تمله كلما اتاها وجدها بكرا وكلما رجع اليها عادت شهوته فيجامعها بقوة سبعين رجلا لا يكون بينهما شئ لهم فيها فاكهة ابتداء وخبر ولهم ما يدعون اذا الثانية بدل من ما الا يستثقلون من دعائي من دعا شئ قال ابو عبيدة فمعنى يدعون يتمنون من الدعاء وقيل المعنى ان من ادعى منهم شيئا فهو له اذا اتى قد طلبهم على ان لا يدعي احد الا ما يحل ويحسن ان يدعيه وقال يحيى بن سلام يدعون يتفعلون ابن عباس يسئلون والمعنى متقارب قال ابن الانباري ولهم ما يدعون وقف حسن ثم يبتدئ سلام على معنى ذلك لهم سلام ويجوز ان يرفع السلام على معنى ولهم ما يدعون وقال الزجاج سلام مرفوع على البدل من ما اي ولهم ان يسلم الله عليهم وهذا مني اهل الجنة وروى حذيفة عن جرير بن عبد الله البجلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا اهل الجنة

في بيعهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم فقال السلام
عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا
يلتفتون الى شيء من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحجب عنهم فيبقى نوره وبركاته عليهم
في ديارهم ذكره الثعلبي والقشيري وسماه ثابت في صحيح مسلم وقد بيناه في يونس
عند قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويجوز ان تكون ما نكرة وسلام نعتا
لها اي ولهم ما يدعون شكر ويجوز ان يكون ما رفع بالابتداء وسلام خبرها وعلى هذه
الوجوه لا يوقف على ولهم ما يدعون وفي قراءة ابن مسعود وسلاما يكون مصدرا وان شئت
في موضع الحال اي ولهم ما يدعون ذا سلام او سلامة او مسلما فعلى المذهب لا يجيز
الوقف على يدعون وقد احمد بن كعب القرظي سلم على الاستئناف كانه قال ذلك لهم سلم
لهم لا ينازعون فيه ويكون ولهم ما يدعون تاما ويجوز ان يكون سلم بدلا من قوله ولهم ما
يدعون وخبر ما يدعون تام ويجوز ان يكون سلم خبرا اخر فيكون لهم للكلام انه ليس
خالصا من ممر ينازع فيه ولا يقصد به الى معنى قال الله ذلك قولا او بقوله قولا
وقد على العمل المحذوف لفظ مصدره ويجوز ان يكون المعنى ولهم ما يدعون قولا
اي عدة من الله تعالى هذا المذهب الثاني لا يجيز الوقف على تدعون وقال السجستاني
الوقف على قوله سلام تام وهذا خطا لان القول خارج مما قبله فقوله تعالى
وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقيل يميزهم الله وامتازوا وامتازوا والمعنى مرتبة فامتاز
وامتاز وزنة فيجوز ان يقال لهم هذا عند الوقوف للسوال حين يؤمر باهل الجنة
الى الجنة اي اخرجوا من جملتهم قال قتادة عزلوا عن كل خير قال الضحاك تمتاز
اليهود فرقة النصارى فرقة والمجوس فرقة والصابئون فرقة وعبدة الاوثان
كل فرقة وعنه ايضا ان لكل فرقة في النار بيتا تدخل فيه ويرد بابه فيكون فيه
ابدا لا يرى ولا يرى وقال داود بن الجراح تمتاز المسلمون من المجرمين وقال اصحاب
المعاني هو امر تكوين ثم الميز من قوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم العهد هنا بمعنى الوصية
اي الم اوصكم واعلمكم على السنة الرسل ان لا تعبدوا الشيطان اي لا تطيعوه في
معصية قال الكسائي والفراء ان اعبدوني بكسر النون على الاصل ومن ضم كره
كسرة بعد ياء ساكنة هذا صراط مستقيم اي عبادتي دين قويم ثم قوله
تعالى ولقد اضل منكم اي اغوى جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا قاله مجاهد
قتادة جموعا كثيرة الكلي منها كثيرة والمعنى واحد وقرا اهل المدينة وعاصم
جبلا بكسر الجيم والباء وابو عمرو وابن عامر جبلا بضم الجيم واسكان الباء
الباقون جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وشدها الحسن وابن ابي
اسحق وعيسى بن عمر وعبد الله بن عبيد والنضر بن انس وقرا ابو يحيى
والاعمش جبلا بكسر الجيم واسكان الباء وتخفيف اللام فهذه خمس
قراءات قال الفراء الجبل والجبل والجبل والجبل والجبل لغات بمعنى الخلق الناس
اشتملها القراءة الاولى ولدليل على ذلك انهم قد اجمعوا على ان قرؤا الجملة الاولى
فيكون جبلا جمع جبلة والاستثناء منه كله واحد من جبل الله عز وجل الخلق
اي خلقهم وقد ذكرت قراءة سادسة وهي ولقد اضل منكم جبلا كثيرا بالباء
وحكى عن الضحاك ان الجبل الواحد عشرة الاف والكثير ما لا يحصيه الا الله عز وجل
ذكره الماوردي افلم تكونوا تعقلون عداوته وتعلموا انه الواجب طاعته الله هذه
جهنم اي تتولى لهم خزنة جهنم التي وعدتم فكذبتم بها وروى عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الانس والجن
والاولين والاخرين في صعيد واحد ثم اشرف عليهم شرفة من النار على الخلائق فاحاطت بهم
ثم ينادي هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون فيجثو
يومئذ الامم على ركبهم وتضع كل ذات حمل حملها وتذهل كل مرضعة عما ارضعت وتذهب
النار بسكارتها وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وقوله تعالى اليوم
نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون في صحيح مسلم
عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم قال هل
تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب

الم نزك من البلاد قال بلى فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فينطلق فخذه قال فنطلق باعمالهم ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لك وسحقا فعنكن كنت اناضل رواه ايضا من حديث ابي هريرة وفيه قتادة قال انطلق فنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه وخرج الترمذي عن مقاتل بن حيان عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال واشار بيده الى الشام فقال هاهنا الى هاهنا تحشرون ركبانا ومشاة ويجرون على وجوههم يوم القيامة على اقدامكم تزفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله وانا اول ما تعرب عن احدكم فخذه في رواية اجزي فخذه وكعبه القدام وصفاه هو الكوز والابريق قاله الليث قال ابو عبيد يعني انهم سمعوا الكلام حتى تكلم افخاذهم فشهدت ذلك الكلام الذي يجعل على الابريق ثم قيل في سبب الختم ليعذر واحدا منها لانهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على افواههم حتى نطقت جوارحهم قاله ابو موسى الاشعري الثاني ليعرفهم اهل الموقف ويعرفون منهم قاله ابن زياد الثالث لان اقرار غير الناطق اتبع في الحجة من اقرار الناطق لخروجه مخرج الاعجاز وان كان يوما يحتاج الى اعجاز الرابع ليعلم ان اعضاءه التي كانت اعوانا في حق نفسه صارت عليه شهودا في حق ربه فان قيل لم قال وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم فجعل ما كان من اليد كلاما وما كان من الرجل شهادة قيل لان اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة وقولا لحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل على نفسه اقرارا فقال او فعل فلذلك جمع بما صدر من الايدي بالقول وبما صدر من الارجل بالشهادة وقد روي عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول عظم من الانسان يتكلم يوم تختم على الافواه فخذه من الرجل الايسر ذكره الماوردي والهروي وقال ابو موسى الاشعري اي الاحسب اول ما ينطق منه فخذه اليمنى ذكره المهدوي ايضا قال فاحتمل ان يكون تقديم الفخذ بالكلام على سائر الاعضاء لانه مقاصته بدركها بحواسه التي هي في الشطر الاسفل منها الفخذ فمما يقرب منها ان يتقدم في الشهادة عليها قال وقد مرت الشهوة في مباشر الاعضاء فقوي بها في مباشرها فلذلك تقدمت الميسرة على اليمنى لغلبة الشهوة او بالعكس لغلبة الشهوة او كل لهما مما والكف كان بمجموع ذلك يكون تمام الشهوة واللذة والله اعلم قوله تعالى ولو نشاء لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فاني يبصرون كما لكسائي طمس يطمس ويطمس والطموس والطمس عند اهل اللغة الذهاب في عين شق قال ابن عباس لمحينا اعينهم عن الهدى فلا يهتدون ابدا الى طريق الحق وقال الحسن والسدي لتركناهم عميا يتردون كالعمي لا عينا هم فلا يبصرون طريقا هم الذي يبصرهم في منازلهم ولا غيرها وهذا اختيار الطبري في قوله فاستبقوا الصراط اي استبقوا الطريق ليجوزوا فاني يبصرون اي فمن اين يبصرون وقال عطاء ومقاتل وقتادة وروي عن ابن عباس ولو نشاء لعميناهم عن ضلالهم واعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فاهتدوا وابصروا رشدهم وتبادروا الطريق الاعظم قال فاني يبصرون ولم يفعل ذلك بهم اذ لكن يهتدون وعيبا للهدى يطمسه عن الضلال يا فتية وقد روي عن عبد الله بن سلام في تاويل هذه الاية ما تقدم وتاولها على انها في يوم القيامة وقال اذا كان يوم القيامة ومد الصراط نادى منادي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وامته فيقومون بين يديه وقاحرهم يشمونه ليجوزوا الصراط فاذا صاروا بالمكان الذي طمس الله على اعينهم فتجارهم فاستبقوا الصراط فمن اين يبصرونه حتى يجاوزوه ثم ينادي منادي ليقم عيسى صلى الله عليه وامه فيقوم فيتسمعونه بردهم وقاحرهم فيكون سبيلهم تلك الليلة وكذا ساير الايات ذكره الخباز وقد كتبناه في التذكرة بمعناه حسب ما ذكره ابو المبارك في رقائقه وذكر القشيري وقال ابن عباس احدا الاسود بن عبد الاسود حجرا ومعه جماعة من بني مخزوم ليطرحه على النبي صلى الله عليه وسلم فطمس الله على بصره والصق الحجر بيده فما ابصر ولا اهتدى ونزلت الاية فيه والمطموس هو الذي لا يكون بين جبينه شق ماخوذ من طمس الريح الاثر قاله الاخفش والقتبي

قوله تعالى ولو نشاء لمسخناهم

قوله تعالى ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون المسخ تبديل الخلقة وقلبها حجرا او حمارا او بهيمة قال الحسن لاقعدناهم فلا يستطيعون ان يمضوا امامهم ولا يرجعوا وراءهم ولذلك الجماد لا يتقدم ولا يتباعد وقد يكون المسخ تبديل صورة الانسان بهيمة ثم تلك البهيمة لا يعقل موضعا تقصده فيتحير فلا يتبلد ولا تدبر ابن عباس رضي الله عنه المعنى لو نشاء لاهلكناهم في مساكنهم وقيل المعنى لو نشاء لمسخناهم في المكان الذي اختاروا فيه على المعصية ابن سلمة هذا كله يوم القيامة من يطمس الله تعالى على عينيه على الصراط وقرأ الحسن والسلمي وزر بن حبيش وعاصم في رواية ابي بكر مكانتهم على الجمع هـ الباقون بالتوحيد وقراءة ابو حيوة فما استطاعوا مضيا بفتح الميم والمضي بضم الميم هـ مصدر مضى يمضي مضيا اذا ذهب قوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق قرأ عاصم وحمزة ننكسه بضم النون الاولى وتشديد الكاف من التنكيس الباقون ننكسه بفتح النون الاولى وضم الكاف من نكست الشيء اذا قلبته على رأسه فانتكس وقد يعود انه يصير الى حال الهرم الذي يشبه حال الصبا وقال سفيان في قوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق اذا بلغ ثمانين سنة تغير جسمه وضعفت قوته قال الشاعر

• من عاش ابلغته النائبات ومن مات فقد سلم •

تطول العمر يصيره الشباب هرما والقوة ضعفا والزيادة نقصا وهذا هو الغالب وقد يقوه صلى الله عليه وسلم من ان يرد الى ارذل العمر وقد مضى في النحل بيانه افلا يعقلون ان من فعل هذا بكم قادر على بعثكم وقرأ نافع وابن ذكوان تعقلون بالتاء الباقون بالياء قوله تعالى وما علمناه الشعر فيه اربع مسائل الاولى اخبر تعالى عن خاتم نبيه صلى الله عليه وسلم وردقول من قال انه كان شاعرا وان القرآن شعر بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول الشعر ولا ينشده وكان اذا هاول انشاد بيت قديم يتمثل كسر وزنه وانما كان يجري المعاني فقط من غير تكلف انشد يوما قول طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا • ويأتيك من لم تزوده بالاخبار

والشد يوما وقد قيل من اشعر الناس فقال الذي يقول

• الم تر اني كلما جئت طارقا • وجدت بها او لم تطيب طيبا •

وانشد يوما • انجلى همي وغمي لعمير بن الاقرع وعبيده وقد كان عليه السلام ربما انشد البيت المستقيم في النادر فروي انه انشد بيت رواحه يبيت بجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع • وقال الحسن ابن ابي الحسن انشد النبي عليه السلام كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا فقال ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر هر مرة وقال ان تجمعت غاز يا كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال ابو بكر اوعمر اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن الخليل ان احمد كان الشعراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن لا تأتي له الشاكلة اصابة للوزن احيانا لا يوجب ان يعد الشعر وكذلك ما يأتي احيانا من ما يدخل في وزن لقوله يوم حنين وغيره هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فقد يأتي مستدلا في آيات القرآن وفي كل كلام وليس كل ذلك بشعر ولا في معناه كقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله وقوله نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين وقوله وجفان كالجواب وقدور راسيات الى غير ذلك من الآيات وقد ذكر ابن العربي منها اياتا وتكلم عليها واخرجها عن الوزن على ان ابا الحسن الاخفش قال في قوله انا النبي لا كذب ليس بشعر وقال الخليل في كتاب العين انما جاء الشعر على جزء بن لا يكون شعرا وروي عنه انه من سمع الرجز وقد قيل لا يكون مستوفي الرجز الا بوقف فخرج الباء من قوله لا كذب ومن قوله عبد المطلب ولم يتم كفى قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن العربي والظاهر من حاله ومن حاله انه قاله لا كذب الباء مرفوعة ولم تخفض لبا من عبد المطلب على الاضافة قال النحاس وقال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا كانت بالاعراب لم يكن شعرا لانه اذا فتح الباء من البيت الاول او ضمها او ضمها وكسر الباء من البيت الثاني خرج عن وزن الشعر وقال بعضهم ليس هذا الوزن من الشعر وهذا مكابرة العيان لان اشعار العرب على هذا قدروا ها الخليل وغيره واما قوله هل انت الا اصبع دميت فقيل انه من بحر السريع وذلك لا يكون الا اذا كررت التاء من دميت فليس بكن لا يكون شعرا بحال لان هاتين

الحلتين على هذه الصفة لا تكون فعولا ولا مدخل لفعولن في الحوا لسريع ولعل النبي صلى
الله عليه وسلم قالها ساكنة التاء او متحركة التاء من غير اشباع والمعول عليه في الانفصال
على التسليم ان هذا شعر ويسقط الاعتراض ولا يلزم منه ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم
عالما بالشعر ولا شاعرا اذ التمثل ببيت المتنبي واضرابه فيتبين الخطأ من الزجاج
وغيره لا يجوز حينئذ ان يكون قائلها عالما بالشعر ولا سيما شاعرا اتفاقا اقول كما ان من خاط
خيطا لا يكون خياطا قالوا سمعنا الزجاج يعني وما علمناه الشعر وما علمناه ان ينشد
ايما حملناه شاعرا وهذا لا يمتنع ان ينشد شيئا من الشعر قالوا لكن هذا احسن
ما قيل في هذا وقد قيل انما خبر الله جل وعز انه ما علمه الله الشعر ولم يخبر انه لا ينشد
شعرا وهذا ظاهر الكلام وقيل فيه قولان بين زعم صاحبه انه اجماع من اللغة وذلك
انهم قالوا كل من قال قولا موزونا لا يقصد به الى شعر فليس بشعر وانما وافق الشعر
وهذا قول بين قالوا وانما الذي نفاه الله عن نبيه عليه السلام ان يعلم بالشعر
واصنافه دواعا ربضه وقوافيه والانتصاف في قوله ولكني موصوف بذلك بالاتفاق
الا من زعم انه قرأ شيئا وصنف فيما يقولون للعرب قيد اذا قرءوا عليهم القرآن فقال بعضهم
تقول انه شاعر فقال اهل الفطنة منهم والله لتكذبنكم العرب فانهم يعرفون اصناف
الشعر فوالله ما يشبه شيئا منها وما قوله بشعر وقال الفراء الى ذا ذهب وضعت
قوله على امرأ القيس فلم يستقم انه شعر اخرجه مسلم وكان الذين من شعر العرب
وكذلك قال عتبة ابن ربيعة لما كلموا الله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر على ما بان
من خبره في سورة فصلت ان شاء الله تعالى وكذلك ان لغيرها من فصحاء العرب
العرباء واللسن البلغاء ان ما يجري على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرا وانما يعد
منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد اليه فقد يتمثل القائل بحديثنا شيخ لنا وينادي
يا صاحب الكساء ولا يعد هذا شعرا وقد كان رجلا ينادي في مرضه وهو من عرض القائمة
العقلاء اذ هموا في الطبيب وقولوا قد اكتوى الثالثة وهو ان ابن القاسم
عن مالك انه سئل عن انشاد الشعر فقال لا انكر ان يتمثل الرجل ببيت او بيتين ونحو
ان اجمع الشعر قبلك وسلهم عن الشعر هل بقي بينهم معرفته واحضر بيدا ذلك قال
فجمعهم فسالهم فقالوا انا لنعرفه ونقوله وسال لبيدا فقال ما قلت بيت شعر منذ
سمعت الله عز وجل يقول الم ذلك الكتاب لا ريب فيه قال ابن العربي هذه الاية
ليست من غث الشعر كما لم يكن قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
من غيب الكتابة فلما لم تكن الامية من عيب الخط كذلك لا يكون نفي النظم عن النبي صلى
الله عليه وسلم من عيب الشعر وروى ان المامون قال لابي علي المنقري يا بقي
امي وانك لا تعلم الشعر وانك تلحن فقال يا امير المومنين اما اللحن فربما سبق لساني منه
واما الامية وكسر الشعر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقيم
الشعر فقال له سالتك عن ذلك فتعيب فيك فزدتني ارتعادا هو المحل ناجا هلان
ذلك كان للنبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وهو فيك وفي امثالك نقيصة وانما سلب النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك لتنفي الظنة عنه لا لعيب في الشعر والكتابة الرابعة
قوله تعالى وما ينبغي له اي وما يتسهل له ان يقوله وجعل الله عز وجل ذلك علما من اعلام نبيه
عليه السلام لئلا تدخل الشبهة على من ارسل اليه فيطعن فيه فوجب على الله تعالى
من العون على الشعر والاعتراض للحد على هذا انما يتفق الوزن فيه من العرب وكلام
الرسول لا ان من وافق وزنه وزن الشعر لم يقصد به الى الشعر ليس بشعر ولو كان
شعرا لكان كل من نطق بموزون من الكلام الذين لا يعرفون شاعرا على ما تقدم
بيانه وقال الزجاج معنى وما ينبغي له اي ما يتسهل له قول الشعر الا بشدة وهو
الاذكر اي هذا الذي ينبئوه عليكم الا ذكر وقرآن مبين قوله تعالى لينذر من كان
حيا القلب قاله قتادة والضحاك اي عاقلا وقيل المعنى لينذر من كان مومنا في علم الله
هذا على قراءة التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وهي قراءة نافع وابن عامر وقرأ
الباقون بالياء على معنى لينذر الله عز وجل ولينذر محمد صلى الله عليه وسلم ولينذر
القرآن وروي عن ابن السميفع لينذر بفتح الياء والذال وتخفيف النون على الخطاب
اي وتحيا الحجة بالقرآن على الكفرة فوبر تعالى ادلم يروا انا خلقنا لهم هذه روية القلب

اي اولم

ايد اولم ينظروا ويعتبروا ويتفكروا ايما عملت ايدينا اي مما ابدعناه وعملناه من غير واسطة
ولا وكالة ولا شركة ومما يعمل الذي وحدوني اليها لطول اشهرا ان جعلت ما مصدرية لم
يحتج الى امتمار لها انعاما جمع نعم والنعم مذكور تتم لهما ما لكون ضابطون قاهرون
وذللناها لهم اي سخرناها لهم حتى يقودوا الصبي الجمل العظيم ويضربه ويصرفه كيف
شاء لا يخرج بن طاعته فمنها ركوبهم فتاة القامة بفتح الراي مركوبهم كالقتيل بمعنى
حلوب اي محلوبة وقرا الاعمش والحسن وابن السميفع فمنها ركوبهم بضم الراء على المصدر
وروي عن عائشة انها قرات فمنها ركوبتهم وكذا في مصحفها والركوب والركوبة واحد
مثل الحلوب والحلوبة والحمولة والحمولة وحكى الكوفيون ان العرب تقول
امراة صبور وشكور بغير هاء ويقولون شاة حلوبة وناقة ركوبة لانهم اراد وا ان هذه
الصفة صارت بالغلبة كالاسم الذي لا يجري على فعله فرقوا بين ما كان له الفعل واقعا عليه فحذفوا الهاء مما كان
فاعلا واثبتوها مما كان مفعولا كما قالوا فيها اثنتان واربعون حلوبة سوداء كما في
الحديث الصحيح قوله تعالى فمنها يجب ان يكون على هذا ركوبتهم فاما الصبيون فيقولون حذفت
الهاء على النسب والحمل للفواصل ولما رواه الحرمي عن ابي عبيدة قال الركوبة تكون
للواحد والجماعة والركوب لا تكون الا للجماعة فعلى هذا تكون لمذكر الجمع وزعم ابو حاتم
انه لا يجوز منها ركوبهم بضم الراء لانه مصدر والركوب مما يركب واجاز الفراء منها
ركوبهم بضم الراء كما تقول منها اكلهم ومنها شربهم ومنها ياكلون من لحمانها ولهم
فيها منافع من اصوافها واوبارها واشعارها وسحومها ولحومها وغير ذلك ومشارب
يعني البانها ولم يفرد لانها من الجموع الذي لا نظير لصيغة الواحد فلا يشكرون الله على
نعمه قوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة اي قبلوا هذه الايات من قدرتنا
ثم اتخذوا من دوننا الهة لا قدرة لها على فعل لعلهم ينصرون اي لما يرجون
من نصرتنا لهم اذا نزل بهم عذاب ومن العرب من يقول لعلنا ان نفعل لا يستطيعون
نصرهم يعني الالهة وجمعوا بالواو والنون لانه اخبر عنهم بخبر الادميين وهم تعبي
الكفار لهم جند محضرون قال الحسن يمنعون منهم ويدفعون عنهم وقال
قتادة اي يغضبون لهم في الدنيا وقيل المعنى انهم يعبدون الالهة ويقومون بامرهم
بمنزلة الجند وهي لا تستطيع ان تنصرهم وهذه لا قوال الثلاثة متقاربة المعنى
وقيل اي الالهة جند للقابيدين محضرون معهم في النار فلا يدفع بعضهم عن
بعض وقيل مساءة وهذه الاصنام لهم ولا الكفار جند الله عليهم في جهنم لانهم يلعنونهم
ويتبرؤون من عبادتهم وقيل للالهة جند لهم محضرون يوم القيمة لاعانتهم في ظنونهم
وفي الخبر انه يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله فيتبعونه الى النار
فهم لهم جند محضرون قلت ومعنى هذا الخبر ثابت في صحيح مسلم من
حديث ابي هريرة وفي الترمذي عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس
يوم القيمة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبع كل انسان ما كان يعبد فمنهم من يتبع الشمس
الشمس وتبع القمر القمر وتبع الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها شافقها
ومنافقها فيقول هل بينكم وبين ربكم اية فتعرفونه فيقولون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون
وذكر الحديث بطوله ه فلا يحزنك قولهم هذه اللفظة الفصيحة ومن العرب من
يقول يحزنك والمراد تسلية نبيه عليه السلام اي لا يحزنك قولهم شاعر ساحر
وتم الكلام ثم استانف فقال انا نعلم ما يسرون من العقود والعمل وما يظهرون
فيجازيهم بذلك قوله تعالى اولم ير الانسان قال ابن عباس الانسان هو عبد ابن خلف
ابن ابي وقال سعيد بن جبير هو العاص بن وايل السهمي وقال الحسن هو امية بن خلف
وقال قتادة ومجاهد هو ابي بن خلف الجمحي وقاله ابن اسحق ورواه ابن وهب
عن مالك انا خلقناه من نطفة وهو السيد من الماء الذي ينطف اذا قطر فاذا هو خصيم
مبين اي مجادل في الخصومة مبين للحجة يريد بذلك انه صار بعد ان لم يكن
شيئا مذكورا خصيما مبينا وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم وبيده عظم
الله وقد خلك البالي فنزلت هذه الاية ه قوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه
قال من يحيي العظام وهي رميم فنبه مسلطان الاولي قوله تعالى وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه اي ونسي خلقه انا انشاناه من نطفة ستة تركيبنا فيه الحياة اي
جوابه من نفسه حاضرا ولهذا قال عليه السلام نعم قال ونحن نحييك الله ويدخلك
النار ففي هذا دليل على صحة القياس لان الله جل وعز احتج على منكري البعث

بالنشاة الاولى قادر على العظام وهي رميم اي بالية دم العظم فهو رميم ورمام وانما
قال رميم ولم يقل رميمة لانها مصروفة عما كان فعلة وكان مفعولا عن وجهه وورنه
كان مصروفا عن اعرابه كقولك وما كانت امك بغيا اسقط الها لانها مصروفة عن
باغية وقيل ان هذا الكافر قال للنبي صلى الله عليه وسلم ارايت ان سحقتها واذ
ذريتها ابعيدها الله فمن لنا فقل يحييها الذي انشاها اول مرة اي من غير شيء
وهو قادر على اعادته في النشاة من شيء وهو عجب الذنب وقيل عجب الذنب
بالماء وهو محل شيء عليم اي كيف يبدئ ويعيد الناشيء في هذه الآية دليل على ان
في العظام حياة وانما تنجس بالموت وهو قول ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي
رضي الله عنه لاحياة فيه وقد تقدم هذا في النحل فان قيل اذا قيل لاحد قولوا من يحيي
العظام اصحاب العظام واقامة المضاف مقام المضاف اليه كثير في اللغة
موجود في الشريعة فلنا انما يكون اذا احتيج لضرورة وليس هنا ضرورة ه
تدعوا الى هذا المضمار ولا يفتقر الى هذا التقدير فان الباري سبحانه قد اخبر به
وهو قادر على الحقيقة لشمدلكة فان الاحياء الذي هو علامة الحياة من جمود ا
فيه قال ابن الاعرابي فتورتم تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا تعالى على
وجه الدليل والتنبيه وذلك ان الكافر قال للنطفة حارة رطبة بطبع الحياة تخرج
منها الحياة فانزل الله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا اي ان الشجر الاخضر
من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان فاخرج الله منه النار فهو ادل
على اخراج الضد من الضد وهو على كل شيء قدير ويعني بالانثى في المرخ والعفار
وهي زنادة العرب ومنه قولهم في كل شجر نار واستجد المرخ والعفار فالعفار
الزند وهو الاعلى والمرخ الزند وهي الاسفل يوخذ منها غصنان مثل السواكين
نقطر ان نا فيحك بعضها الى بعض فيخرج منها النار وقال من الشجر الاخضر كما قال
عز وجل من شجر من زقوم فمالئون منها البطون ثم قال تعالى مخبرا اولليس الذي خلق
السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم اي امثالهم ممكنين للنبث وقرا
سلام ابو المنذر ويعقوب الحضرمي بقادر على ان يخلق السموات والارض اعظم
من خلقهم فالذي خلق السموات والارض لقدر على ان يعيدهم وهو الخلق العليم
وقرا الحسن باختلاف عنه الخالق فقوله تعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن
فيكون قرا الكسائي فيكون بالنصب عطفا على يقول اي اذا اراد خلق شيء لا يحتاج
الى نصب ومعالجة وقد تقضى هذا في غير موضع سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تره
نفسه تعالى عن العجز والشرك وملكوت ومملكوت في كلام العرب بمعنى فلك ه
والعرب تقول لي خبرة ولي خبر من رحمة وقال سعيد عن قتادة ملكوت كل شيء مفاتيح
كل شيء وقرا طلحة بن مصرف وابراهيم التيمي والاعمش وهو بمعنى ملكوت الا ان خلاف
المصحف والية ترجعون ه اي ترد ون وتصيرون بعد مماتكم وقرا العامة بالتاء
على الخطاب وقرا السلمي وذر بن حبيش واصحاب عبد الله يرجعون بالياء على الخبر

تفسير سورة والصافات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والصافات صفا قال الزجاج زجرا فالتاليات ذكرا هذه قراءة اكثر القراء وقرا حمزة بالادغام
فيهن وهذه القراءة التي نصرتها احمد بن حنبل لما سمعها النهاري وهي بعيدة في
العربية من ثلاث جهات احداهن اذا التالية من مخارج الصاد ولا من مخرج الزاي
ولا من مخرج الذال ولا من اخواتهن وانما اختارها الطاوسي واخت الزاي ه
الصاد والسين واخت الذال الطاء والتاء والجيم لما بينا ان التاء في كلمة وما قبلها
في كلمة اخرى والجيم لما لشدة انك اذا ادغمت جمعت بين ساكنين من كلمتين وانما
يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا اذا كان في كلمة واحدة نحو دابة وشاة
ومما قرا حمزة ان التالية من بينة المخرج من هذه الحروف والصافات قسم اقوا
بدل من الباء والمعنى برب الصافات والزاجرات عطف عليه ان الهكم لواحد جواب القسم
واجاز الكسائي فتح ان في القسم والمراد بالصافات وما بعدها الى قوله وانا
لنحن ذكروا الملائكة في قول ابن مسعود وعكرمة وسعد بن جبير ومجاهد وقتادة
تصف في السما كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة وقيل تصف اجنحتها في الهوا ه

واقعد حتى يامرها الله بما يريد وهذا كما يقوم العبيد بين يدى ملكهم صفوفا وقال الحسن
صفا لصفوفهم عند ركعتهم في صلاتهم وقيل هي الطير تبسط قوله تعالى اولم يروا الى الطير
فوقهم صافات والصف ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة والصافات جمع
الجمع نظيرا لجماعة صافة ثم يجمع صافات وقيل الصافات جماعة الناس المؤمنين اذا
قاموا صفا في الصلاة او في الجهاد ذكره القشيري فالزاجرات الملائكة وفي قول ابن عباس
وابن مسعود ومسروق وغيرهم على ما ذكرناه اما الانها تزجر السحاب وتسوقه في
قول السدي واما الانها تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصايح وقال قتادة هي زواجر
القرآن فالتاليات تاليات ذكر الملائكة تتلوا كتاب الله تعالى قاله ابن مسعود وابن
عباس والحسن ومجاهد وابن جبير والسدي وقيل المراد جبريل وحده فذكر بلفظ
الجمع لانه كبير الملائكة فلا يخلوا من جنود وأتباع وقال قتادة المراد كل من تلا ذكر
الله تعالى وكتبه وقيل هي آيات القرآن وصفها بالتلاوة كما قال تعالى انا هذا له
القرآن نقص على بني اسرائيل ويجوز ان يقال لآيات القرآن تاليات لان بعض الحروف
يتبع بعضا ذكره القشيري وذكر الماوردي ان المراد بالتاليات الانبياء يتلون الذكر
على امتهم فان قيل ما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات فقل لها اما ان تدل على
ترتيب معانيها في الوجود كقوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر فالصايح فالنافخ فالاديب كما
قال الذي صبح فغنم فاب واما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقوله خذ
الكمال فالكمل واعمل الاحسن فالاحسن واما على ترتيب موصوفاتها فذلك كقوله
رحم الله المحلقين والمقصرين فعلى هذه القوانين الثلثة تتساق اسرار العلماء
في الصفات قاله الزمخشري ان قيل لم جاء جواب القسم فاردا ومعطوفا ثم ذكر
ان الكفار بملة قالوا اجعل الالهة الها واحدا وكيف يسع هذا الخلق فرد الله
فاقسم الله بهؤلاء الشرفاء وانزلت الاية قاله ابن الانباري وهو وقف حسن ثم ابتدء
رب السموات والارض على معنى هو رب السموات ويجوز ان يكون بدلا من
واحد من واحد قلت وعلى هذين الوجهين لا يوقف على الواحد وعلى الخفض رب
السموات ورب المشارق بالتنقيب على النعت لاشتمال الاسم بين بحسب ما فيه من
الوحدة والكثرة كما قدرته بان رب السموات والارض ايما خالقهما وما لكهما وما بينهما
ورب المشارق ايما مالك مطلع الشمس حتى ابن عباس للشمس كل يوم مشرق ومغرب
وذلك ان الله تعالى خلق السموات ثلثمائة وخمسة وستين كوة في مطلعها ومثلها في مغربها
على اياما عدد السنة الشمسية فتطلع في كل يوم في كوة منها وتغيب في كوة لا تطلع في تلك
الكوة الا في ذلك اليوم من العام المقبل ولا تطلع الا وهي كارهة فتقول رب لا تطلعني
على عبادك فيما ارام ليعصونك ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد وابن الانباري في كتاب الرد
عن عكرمة قال قلت لابن عباس ارايت ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في امنية ابن ابي
الصلت امن شعره وكفر قلبه قال هو حق فما انكرتم من ذلك قلت انكرنا قوله
والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد ليست بطالعة لهم في رسلها
المعذبة والا تخلد قال ما بال الشمس تخلد فقال والذي نفسي بيده ما طلعت
شمس قط حتى يخشاها سبعون الف ملك فيقولون لها اطلعي فتقول لا اطلع
على قوم يعبدون شيئا من دون الله فبانيتها ملك فيستقبل بصاحبتها فيردها
شطان يريد ان يصدها عن المطلوع فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تعالى
بحرها وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلعت الا بين قرني شيطان
ولا غربت الا بين قرني شيطان وما غربت قط الا خرت لله ساجدة فيأتيها
شيطان يريد ان يصدها عن السجود فتغرب بين قرنيه فيحرقه الله تعالى
بحرها فذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا غربت الا بين قرني شيطان
لفظ ابن الانباري وذكر عن عكرمة عن ابن عباس قال صدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم امية ابن ابي الصلت في هذا الشعر رجل ونور رجل بمنه والشعر للاعرى وليت مرصد والشمس تخرج تطلع كل آخر ليلة
تصبح لونها يتورد ليست بطالعة لهم في رسلها المعذبة والا تخلد قال
قال عكرمة فقلت لابن عباس يا بولاه تخلد الشمس فقال ايما اخبرك به
الروي الى الخلد لكنها تخاف العقاب وقد ذكرنا مطالع على المآب فلهذا لم

ذكر المغارب وهو كقوله سرابيل تقيكم الحر وخص المشارق بالذكر لان الشروق قبل
الغروب وقال في سورة الرحمن رب المشرقين ورب المغربين اراد بالمشرقين اقصى مطلع
تطلع منه الشمس في الايام لطول الاقصر يوم في الايام العضاه على ما تقدم في يس والله اعلم
قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب قال قتادة خلقت النجوم لثلث رجوما
للشياطين ونورا يهتدى بها وزينة السما الدنيا فاما من شرق والاعمش والنخعي وعاصم
وحمزة بزينة مخفوض منون الكواكب خفض على البدل من الزينة لانها هي وقرا ابو بكر
كذلك الا انه نصب الكواكب بالمصدر الذي هو زينة والمعنى بان زينا الكواكب فيها
ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني كما قرا انا زيناها بزينة اعني الكواكب وقيل
بدل من زينة على الموضع ويجوز بزينة الكواكب بمعنى بان زينتها الكواكب او بمعنى
هي الكواكب الباقون بزينة الكواكب على الاضافة والمعنى بزينا السما الدنيا بتزيين
الكواكب اي بحسنها للكواكب ويجوز ان يكون كقراءة من قرا الا ان يخطف والتشديد استخفافا
وحفظا حفظناها حفظا من كل شيطان مارد لما اخبر ان الملائكة تنزل
بالوحي من السما بين ان حرس السما من استراق السمع بعد ان زينها بالكواكب والمارد الفاعل
من المرد وهو النشز والهرب لشمه شيطانا قوله تعالى لا يسمعون الى الملا الاعلى قال
ابن عباس اخبر انهم لا يسمعوا ثم حذف ان فرفع الفعل فالملا الاعلى اهل السما الدنيا فما
فوقها وسمي الكل منهم ملا لانضمامهم الى ملا الارض والضمير في يسمعون للشياطين وقرا
جمهور الناس يسمعون بسكون السين وتخفيف الميم وقرا حمزة وعاصم وروان لا يصغر
لا يسمعون بتشديد السين والميم من التسميع فيشتفي على القراة الاولى سماعهم وان كانوا
وهو المعبر الصحيح وبعضه قوله انهم عن السمع لمعزولون ويشتفي على القراة الاخيرة
ان ينفي عنهم استماعا وسماعا فالجماهد كانوا يسمعون ولكن لا يسمعون وروي عن ابن عباس
لا يسمعون الى الملا انهم لا يسمعون ولا يتسمعون واصل يسمعون يتسمعون فادغمت
التا في السين لقربها منها واختاره ابو عبيد لان العرب لا تكاد تقول سمعت اليه وتقول
سمعت اليه ويقذفون من كل جانب اي يرمون من كل جانب اي بالشهب دحورا لان معنى
يقذفون يدحرون دحرته دحرا ودحورا اي طردته ونفيته ويطلب الحضري دحورا
بفتح الدال لكون مصدرا على فعول واما الفراء فقدره على انه اسم الفاعل اي ويقذفون بما
يدحرهم اي يدحورهم عن البادية الكوفيون يسمعون هذا الكبراء منهم ان الذي يرد ولم
يقوجواه واختلف هل كان هذا القذف قبل المبعث او بعده لاجل المبعث على قولين ويجا
يدل على ما بينا من ذكرها في سورة الجن عن ابن عباس وقد يمكن الجمع بينهما ان يقال
ان الذين قالوا لم تكن الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم رميا اي
لم تكن ترمى رميا يقطعها عن السمع ولكنها كانت ترمى وقتا ولا ترمى وقتا وترمى من جانب
ولا ترمى من جانب وتعلل الاشارة فقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب
واصب آلى هذا المعنى وهو انهم كانوا لا يقذفون الا من بعض الجوانب فصاروا يرمون
ايضا وانى كانوا من قبل كالمجتثة من الانس يسلم الواحد منهم حاجته ولا يبلغها
غيره ويسلم واحد ولا يسلم حين يقبض عليه ويعاقب ويكثر فلما بعث النبي صلى الله عليه
وسلم ونبذ في حفظة السما واعدت لهم شهب لم تكن من قبل ليدحروا عن جميع جوانب
السما ولا يقرب شيء مقعدا من المقاعد التي كانت لهم منها فصاروا لا يقدرون على سماع شيء مما
يجري فيها لان يختطف احدهم بغتة حرسته خطفة فيتبعه شهاب ثاقب قبل ان
ينزل الى الارض فيلقيها الباقون فيحرقه فسلمت من ذلك الكهانة وحصلت الرسالة
والنبوة فان قيل ان هذا القذف ان كان لاجل النبوة فلم دام بعد النبي صلى الله عليه
وسلم فالجواب انه دام بعد النبوة فان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بطلان الكهانة
فقال للذين سالوه عن الكهان فلعلهم تخبرهم بعد موته فعادت الجن الى تسمعها وعادت الكهانة
ولا يمتنع ان بعد ان يبطل ولان قطع الحراسة عن السما اذا وقع لاجل النبوة فعادت
الكهانة دخلت الشبهة على ضعفا المسلمين ولم يروا ان يبطلوا ان الكهانة انما ماتت
لتناهي النبوة فعلم ان الحكم تنتفي دوام الحراسة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد
ان خلق الله الى اكرامه صلى الله عليه وعلى اله ذلك ولهم عذاب واصب ايم دائم
وقال ابن عباس شديد وقال الكلبي واسرع وهو صالح موضع ليحملك ابو يحمل وجهه
الى الطالب ما حوذ من الوصب وهو المرض حاز من خطف الخطفة احتضنا من قوله ويقذفون

من كل جانب وقيل الاستثناء يرجع الى غير الرجم لقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون فيسترق الواحد
منهم شيئا فما يثبتا وصف فيه الملبكة فما سيكون في العالم قبل ان يعلمه اهل الارض وهذا الحفظ احدثا
الشياطين فيرجمون بالشهب حينئذ وروي في هذا الباب احاديث صحاح منها ان الشياطين
كانت تصعد الى السما فتقعد لتسمع واحدا فوق واحد بتقدم الاحدث الاحدث السما الذي يليه
فيقضي الله تعالى الامر من امر الارض فيتحدث به اهل السما فيسمعه منهم الشياطين الادنى فالادنى
الى الذي تحته فربما احرقه شهاب وقذف الى الكلام وربما لم يحرقه على ما بيناه فيترك ذلك الكلام
الى الكهان فيكذبون معها ما تكذب به ويصدق ذلك فيصدق الجاهلون الجميع كما بيناه في
الانعام فلما جا الله بالاسلام حرست السما بشدة فلا يقعد شيطان مقعدا الا رصد له شهاب
الراجمة هي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي وليست بالكواكب الجارية في السما لان
تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة هي التي يراها الناس تجري حركتها لانها قد رئيت مسارقة
في هذا الباب في سورة الجن بيان ما فيه كفاية وذكرنا في سبب حديث ابي هريرة وفيه والشياطين
بعضهم فوق بعض وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح وفيه عن ابن عباس ويخطف
الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى اوليائهم فما جاوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يحرفونه
ويزيدون قال فهذا حديث حسن صحيح والخطف اخذ الشي بسرعة خطف وخطف
وخطف وخطف وخطف والاصل في المسرد ات اختطف فاوقع التا في الطا لانها اختها وفتحت
الخا لان حركة التا القيت عليها ومن كسرها فللتقا الساكنين ومن كسر الياتبع الكسر الكسر
فاتبعه شهاب ثاقب اي مضي قاله الضحاك والحسن وغيرهما وقيل المراد كواكب النار تتبعهم
حتى تنتطفهم في البحر وقال ابن عباس في الشهب قال تخرفهم من غير موت وليست الشهب
التي يرجم بها من الكواكب الثوابت يدل على ذلك رؤيتها حركاتها والثوابت تتخذ تجري ولا تزي حركاتها
لبعدها وقد مضى هذا والله وجمع شهاب شهب والغالب في القليل اشهبة وان لم يسمع من العرب
وثاقب معناه مضي قاله الحسن وابو عبيدة وابو عبيدة ومنه قوله ٥ وزندك الثقب انارها
اي اضوؤها وحكي الاخفش في الجمع شهب شقب وثواقب وثقاب وحكي الكسائي ثقبت النار
تثقب ثقابة وثقوبا اذا اتقدت واثقبتها انا وقال زيد بن اسلم في الثاقب انه المستوقد
من قولهم ثقب زندك اي استوقد نارك وقالوا الاخفش وانشد قول الشاعر
بينما المرا سهاب ثاقب ضرب الدهر بسناه فخمده ٥
قوله تعالى فاستفتهم اي سلهم يعني اهل مكة من استفتا المفتي اهم اشد خلقا ام من خلقنا
قال مجاهد هذا اي من خلقنا من السموات والارض والجبال والبحار وقيل يدخل فيه الملايكة
ومن سلف من الامم الماضية يدل على ذلك انه اصبر عنهم من قال سعيد بن جبير الملبكة ٥
وقال وغيره من الامم الماضية وقد هلكوا وهم اشد خلقا منهم نزلت في ابي الاسد بن كلدة سمي
باسم الاشد بن لشدة بطشه وقوته وسيأتي في البلد ذكره ونظير هذه الخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس وقوله انتم اشد خلقا ام السما انا خلقناها من طين لازب
اي لاصق ابن عباس ومنه قول علي رضي الله عنه
٥ تعلم فان الله زادك بسطة ٥ واخلاق خير كلها لك لازب ٥
وقال قتادة وابن زيد هي لازق ٥ الماوردي والعرق يبين اللاصق واللازق ان اللاصق
هو الذي قد لصق بعضه ببعض واللازق هو الذي يلتزق بما اصابه وقال عكرمة لازب
لزج سعيد بن جبير اي جيد حر يلصق باليد مما هذا لازب لازم والعرب تقول طين لازب ولا
تبدل الباء من الميم ومثله قولهم لائب ولائم على بدل الباء من الميم واللازب الثابت تقول ضربه
الشي ضربة لازب وهو يصح منه لازم قال الناقة ٥
ولا تحسبون الخير لا شر بعده ٥ ولا تحسبون الشر ضربة لازب ٥
وحكى الفراء عن العرب طين لات بمعنى لازم واللاتب تقول منه يلتب لتبا ولتوبا مثل لزب
يلزب بالضم لزوبا وانشدا بو الجراح في اللاتب ٥ فان يك من نبيذ شربته ٥ فاني من شراب النبيذ تائب ٥
صراع وتوصيم العظام دفترة ٥ وعم مع الاشراق في الجوف لاتب ٥
واللات ايضا اللاصق مثل اللازب عن الاصمعي حكاه الجوهري قال السدي والكلبي في
اللازب انه الخالص وجاهد والضحاك هو المنتن قوله تعالى بل عجبت ويسخرون قراة
اهل المدينة وابي عمرو وعاصم بفتح التا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم اي بل عجبت مما انزل
عليك من القران وهم يسخرون به وهي قراة شريح وان الله لا يعجب من شي وانما يعجب من لا يعلم
وتعجب المعنى بل عجبت من انكارهم البعث وقرا الكوفيون الا عاصما بضم التا واختارها ابو عبيد

نم

الثابت ح

والفراء وهي مروية عن علي وابن مسعود وروى شعبة عن الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله بن مسعود انه قرأ بل عجبت بضم التاء وتروى عن ابن عباس قال الفراء في قوله سبحانه بل عجبت ويسخرون وقرأها الناس بل عجبت بفتح التاء وضمها والرفع احب الي لانها عن علي وعبد الله وابن عباس قال ابو زكريا الفراء العجب اذا اسند الى الله جل وعز فليس معناه من الله كمعناه من العباد وكذلك قوله الله يستهزئ بهم ليس ذلك من الله كمعناه من العباد وفي هذا بيان ذلك لكسر الفراء بما روى جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن شقيق سلمة قال قرأها عبد الله يعني ابن مسعود بل عجبت ويسخرون قال شريح ان الله لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم قال الاعمش فذكرته لابراهيم فقال ان شريحا كان يعجبه رأيه ان عبد الله كان اعلم من شريح وكان يقرؤها عبد الله بل عجبت قال الفراء وبه وقال بعض الائمة معنى قوله بل عجبت بل جازيتهم على تعجبهم لان الله تعالى اخبر عنهم في غير موضع بالتعجب من الحق فقال وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقالوا ان هذا شيء عجيب الآية ان اوحينا الى رجل منهم فقال تعالى بل عجبت بل جازيتهم على التعجب قلت وهذا تمام معنى قول الفراء واختاره البيهقي وقال علي بن سليمان معنى القراءتين واحد والتقدير قل يا محمد بل عجبت لان النبي صلى الله عليه وسلم مخاطب بالقرآن دون الناس وهذا قول حسن واضح والقول كبير البيهقي والاول اصح المهدوي ويجوز ان يكون اخبارا عن نفسه بالتعجب محمولا على انه اظهر من امره وسخطه على من كفر به ما يقوم مقام التعجب من المخلوقين كما يحمل اخباره تعالى عن نفسه بالضحك لمن رضي عنه على ما جاء من الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم على انه اظهر له من رضاه عنه ما يقوم له مقام الضحك من المخلوقين مجازا والتقدير قال الفراء وبه ونبأ لمعنى عجب ربكم اي رضي واثاب فسماه عجبا وليس بعجب في الحقيقة كما قال تعالى ويمكرون ويمكر الله معناه ويجازيهم الله على مكرهم ومثله في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وقد يكون العجب بمعنى وقوع ذلك الفعل عند الله عظيما فيكون معنى قوله بل عجبت اي عظم فعلهم عندي قال البيهقي ويشبه ان يكون هذا معنى حديث عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجب ربك من شاب ليست له صبوة قال البيهقي وقد يكون هذا ومما ورد من امثاله انه يعجب ملائكته من كرمه ورأفته بعباده حيث حملهم على الايمان به بالقتال والاسر في السلاسل حتى اذا امنوا ادخلهم الجنة وقيل معنى عجبت بل انكرت حكاه الفراء وقال الحسين ابن الفضل التعجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو لغة العرب وقد جاء الخبر عجب ربكم من الكم وقنوطكم ويسخرون قيل الواو واو الحال اي عجبت منهم في حال سخريتهم وقيل ثم الكلام عند قوله بل عجبت ثم استانف فقال ويسخرون مما جئت به اذا تلوته عليهم وقيل يسخرون منك اذ دعوتهم قوله تعالى واذا ذكروا اي وعظوا بالقرآن في قول قتادة لا يذكرون لا ينتفعون به وقال سعيد اذا ذكرهم شاحل بالمكذبين من قبلهم عرضوا عنه ولم يتدبروا واذا رأوا اية اي معجزة يستسخرون قال قتادة ويقولون انما سحرنا واستسخر وسخر بمعنى مثل استقر وقر واستجب وعجب وقيل يستسخرون اي يستدعون السخري من غيرهم وقال مجاهد يستهزئون وقيل اي يطيقون ان تفعل الاية سخرية وقالوا ان هذا الا سحر مبين اذا عجز واعن مقابلة المعجزات بشيء قالوا هذا سحر وتخييل وخداع اذا متنا اي ابعثنا اذا استفهموا استفهام انكار منهم وتخوينا اوائنا الاولون او تبعث اوائنا دخلت الف الاستفهام على حرف العطف وقرأ نافع اوائنا بسكون الواو وفتح هذا في سورة المائدة في قوله تعالى اوامن اهل القرى قوله تعالى قل نعم اي نعم تبعثون وانتم داخرون اي صاغرون اذلاء لانهم اذا راوا وقوع ما انكروه فلا محالة يذلون وقيل اي ستقوم القيامة وانكروهم فتواسر واقع على فعلكم وان انكرتموه اليوم بزعمكم فانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة قال الحسن وهي النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لان مقصودها الزجر اي يزجر بها كزجر الابل والخيل عند السوق فاذا هم قيام ينظرون بعضهم الى بعض وقيل المعنى ينظرون ما يفعل بهم وقيل هي مثل قوله فاذا هم ساخطة ابصار الذين كفروا وقيل اي ينظرون الى البعث الذي انكروه قوله تعالى وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اي قالوا عند ذلك يا ويلنا اهلكنا الله فهذا يوم الدين اي يوم الجزاء والحساب وهو منصوب على انه مصدر عند البصريين وزعم الفراء ان تقديره يا ويلنا ويل لنا ووى بمعنى حزن التخاس ولو كان كما قال لكان منفصلا وهو في المصحف متصل ولا نعلم احدا كتبها منفصلا ويوم الدين يوم الحساب وقيل يوم الجزاء هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون قيل هو من قول بعضهم لبعض اي هذا يوم

الحكم بين الناس فيما بين المحق من المبطل فوفق في الخير ومزيق في السعير قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم هم من قول الله تعالى للملائكة اي احشروا المشركين وازواجهم اي اشياعهم في الشرك والشرك الظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فيحشر الكافر مع الكافرة قتادة وابو العالية وقال عمر بن الخطاب في قول الله عز وجل احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال الزاني مع الزانية وشارب الخمر مع شارب الخمر وصاحب السرقة مع صاحب السرقة وقال ابن عباس وازواجهم اي اشباههم وهذا يرجع الى قول عمر وقيل وازواجهم نساؤهم الموافقات على الكفر قاله مجاهد والحسن ورواه النعمان ابن بشير عن عمر بن الخطاب وقال الضحاك وازواجهم قرناؤهم من الشياطين وهذا قول مقاتل ايضا يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله اي من الاصنام والشياطين وهذا قول مقاتل ايضا يحشر الكفار واباليس فاهدوهم اي سوقوهم الى صراط الجحيم اي سوقوهم الى النار وقيل فادلوهم اي دلوهم يقال هديته الى الطريق وهديته الطريق اي دللته عليه واهديت الهدية وهديت العروس وقيل اهديتها اي جعلتها بمنزلة الهدية قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون وحكى عيسى ابن عمر انهم بفتح الهمزة قال الكسائي اي لانهم وبانهم يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هي وقفا بمعدي ولا يتعدى اي احبسوهم وهذا يكون قبل السوق الى الجحيم وقيل بعد تقديره وقفوهم للحساب ثم سوقوهم الى النار وقيل بساقون الى النار لانهم يحشرون لمسوا اذا قربوا من النار لانهم مسئولون عن اعمالهم واقوالهم وافعالهم قاله الفرظبي والكلبي والضحاك عن عطاء بن عباس عن لا اله الا الله وعنه ايضا عن ظلم الخلق وفي هذا كله دليل على ان الكافر يحاسب وقد سبق في الحجر الكلام فيه وقيل سوال لهم ان يقال لهم مالكم لا تناصرون على جهة التقريع والتوبيخ اي ينصر بعضكم بعضا فيمنعه من عذاب الله وقيل هو اشارة الى قول ابي جهل يوم بدر نحن جميع منتصر واصله تتناصرون فطرحت احدى التائين تخفيفا وشدد الزمخشري التاء الوصل قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال قتادة مستسلمون في عذاب الله جل وعز اجتمعوا سوخا صنعون ذليلون الحسن منقادون الاخفش ملقون بايديهم والمعنى متقاربون واقبل بعضهم الى بعض يعني الروساء والاتباع يتساءلون يتخاصمون وقال لا يتساءلون فسقطت لان التخاسر انما غلط الجاهلية فتوهم انه هذا من قوله فلا انساب بينهم وقيل الانساب التي بينهم كما جاز ان الرجل ليبر بان يصح له على ابيه او على ابنه حق فيأخذه منه لانها الحسنات والسيات وفي حديث اخر رحم الله امرءا كان لاخيه عنده مظلمة من مال او عرض فجاءه فاستحله قبل ان يطالبه به فيأخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات زيد عليه من سيات الطالب ﴿ويتساءلون هيهنا انما هو ان يسال بعضهم بعضا ويوبخه في انه اضله او فتح له بابا من المعصية يبين ذلك ان بعده انكم كنتم تاتوننا عن اليمين ﴿قال حيا هذا هو قول الكفار للشياطين ﴿قتادة هو قول الانس للجن وقيل هو من قول الاتباع للمتبوعين وليس قوله تعالى ولو ترى اذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول الى قال السدي عن قتادة ﴿اي تاتوننا عن طريق الخير وتضدوننا عنها ﴿وعن ابن عباس نحو منه وقيل تاتوننا عن اليمين التي نحبها ونشتهيها لتغروننا بذلك من جهة النصح والعرب تتفاءل بما جاء من اليمين وتسميه السانح وقيل تاتوننا عن اليمين تاتوننا حين كنا نهاب الحلف لنا صدقنا ﴿وقيل تاتوننا من قبل الدين فتحسنون لنا امر الشريعة وتقبحون لنا عنها قلت وهذا القول حسن جدا لانه من جملة الدين يكون الخير والشر واليمين بمعنى الدين كنتم تزينون لنا الضلالة وقيل اليمين بمعنى القوة اي تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر قال الله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين اي بالقوة وقوة الرجل في يمينه وقال الشاعر

اذا ما رايته رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

اي بالقوة والقدرة وهذا قول ابن عباس وهذا قول مجاهد تاتوننا عن اليمين اي من قبل الحق انه محكم وكله متقارب المعنى قالوا بل لم تكونوا مومنين قال قتادة هذا قول ابليس لهم وقيل هو من قول الروساء اي لم تكونوا مومنين قط حتى تشقكم منه على الكفر بل كنتم على الكفر فاقمتم عليه للالف والعادة وما كان لنا عليكم من سلطان اي من حجة في ترك الحق بل كنتم قوما طاغين اي ضالين متجاوزين الحد نحق علينا قول ربنا هو ايضا من قول المتبوعين

طين

ن
ای وجب علینا وعلیکم قول ربنا فحقنا ذائق العذاب کما کتب اللہ ولخبر علی السنۃ الرسل لاملان
جہنم من الجنۃ والناس اجمعین وھذا موافق للحدیث انا اللہ جل وعز کتب للنار اھلا
وللجنۃ اھلا لا یزاد علیھم ولا ینقص فاعوذ باللہ منکم اعوذ بنا لکم مما کلفتم علیہ من الکفر انا کنا
غاوین بالوسوسۃ والاستزعام ثم قال خبرا عنھم فانھم یومئذ فی العذاب مشترکون
الضال والمضل فاکذلک ای مثل ھذا الفعل نفعل بالمجرمین ای المشرکین انھم کانوا
اذا قیل لھم لا الہ الا اللہ یستکبرون ای اذا قیل لھم قولوا قائمۃ القول ویستکبرون
فی موضع نصب علی خبر کان ویجوز ان یکون فی موضع رفع علی ان خبر ان وکان ملغاۃ ھی
ولما قال النبی صلی اللہ علیہ وسلم لابی طالب عند موتہ واجتماع قریش قولوا لا الہ الا
اللہ تملکوا بھا العرب وتدین لکم بھا العجم ابوا وانفوا من ذلک وقالوا لابی ھریرۃ عن
النبی صلی اللہ علیہ وسلم قال انزل اللہ تعالی فی کتابہ فذکر قوما استکبروا فقال
انھم کانوا اذا قیل لھم لا الہ الا اللہ یستکبرون وقال الذین اذ جعل الذین کفروا فی
قلوبھم الحمیۃ حمیۃ الجاھلیۃ فانزل اللہ سکینتہ علی رسولہ وعلی المومنین والزمھم
کلمۃ التقوی وکانوا احق بھا واھلھا وھی لا الہ الا اللہ محمد رسول اللہ استکبروا
عنھا المشرکون یوم الحدیبیۃ یوم کاتبھم رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم علی
قضیۃ المدۃ ذکر ھذا الخبر النبی والذی قبلہ البشری قولہ تعالی ویقولون
اینا لتارکوا الھتنا لشاعر مجنون ای لقول شاعر مجنون قرء الرحل وعلا علیھم
فقال بل جاء بالحق یعنی القرآن والتوحید وصدق المرسلین فیما جاءوا بہ من التوحید
انکم لذائقوا العذاب الالیم الاصل لذائقوا فحذفت النون استخفافا وخففت ھ
للاضافۃ ویجوز النصب کما انشد سیبویہ فالفیتہ غیر مستعتب ولا ذاکر اللہ
الا قلیلا ھ واجاز سیبویہ والمبرد الفصل بھذا وما تجزون الا ما کنتم
تعملون الا عملکم من الشرک الا عباد اللہ المخلصین استثنا ممن یذوق العذاب وقرات
اھل المدینۃ والکوفۃ المخلصین بفتح اللام یعنی الذین اخلصھم اللہ لطاعتہ ولدینہ
ودلا تنبا قول بکسر اللام ای الذین اخلصوا للہ العبادۃ وقیل ھو استثنا منقطع
ای انکم ایھا المجرمون ذائقوا العذاب لکن عباد اللہ المخلصین لا یذوقون العذاب
قولہ تعالی اولئک لھم رزق معلوم یعنی المخلصین ای لھم عطیۃ معلومۃ لا تنقطع
قال قتادۃ تعنی الجنۃ وقال غیرہ یعنی رزق الجنۃ وقیل ھی الفواکہ التی ذکر قال
مقاتل حین تشتھونہ وقال ابو السماک انہ یعذا بالغداۃ والعشی قال اللہ تعالی
ولھم رزقھم فیھا بکرۃ وعشیا ثم فواکہ جمع فاکھۃ قال اللہ تعالی وامددناھم
بفاکھۃ وھی اتمار کلھا رطبھا ویابسھا قالہ ابن عباس وھم مکرمون ای ولھم اکرام
من اللہ جل وعز برفع الدرجات وسماع کلامہ ولقائہ فی جنات النعیم ای بساتین
تشتمل فیھا وقد تقدم ان الجنان سبع وسورۃ لو تشتمل منھا النعیم قولہ تعالی
علی سرر متقابلین قال عکرمۃ ومجاھد لا ینظر بعضھم فی قفا بعض وقد تحذف
ان الجنات سبع نوا صلا ومحابا وقیل الاسرۃ تزور وکیف شئوا فلا یری احد قفا
احد وقال ابن عباس علی سرر مسلمۃ بالدر والیاقوت والزبرجد السریر
منا بین صنعا الی الجابیۃ وما بین عدن ابین الی ایلۃ وقیل تزورھا اھل المنزل
الواحد والله اعلم قولہ تعالی یطاف علیھم بکاس من معین لما ذکر مطاعمھم ذکر
شرابھم والکاس عندا ھل اللغۃ اسم شامل لکل اناء مع شرابہ فان کان فارغا
فلیس بکاس وقال الضحاک والسدی کل کاس فی القرآن فھی الخمر والعرب تقول
للاناء اذا کان فیہ خمر کاس اذا لم یکن فیہ خمر قالوا انا وقدح الیماس وحکی من
یوثق بہ من اھل اللغۃ اذا لغرب تقول للقدح اذا کان فیہ خمر کاس فاذا لم یکن
فیہ خمر فھو قدح کما تقال للحوان اذا کان علیہ طعام مائدۃ فاذا لم یکن علیہ طعام لم تقل
لہ مائدۃ قال ابو الحسن بن کیسان وخمر طیبۃ للمزج اذا کانت فیہ الماء
وقال الزجاج بکاس من معین ای من خمر تجری کما تجری العیون علی وجہ
الارض والمعین الماء الجاری الظاھر ایضا صفۃ للکاس وقیل الخمر لذۃ للشا
ربین
قال الحسن خمر الجنۃ اشد بیاضا من اللبن قال الزجاج ای ذات لذۃ فحذف
المضاف وقیل ھو مصدر رجل اشما بیضا لذۃ تقال شراب لذ ولذ یلذ مثل البات
یبیت وغضیض فاتر قولہ تعالی لا فیھا غول ولا ھم عنھا ینزفون الصرخدی یزکنہ بارض

العدا

العدا من خشية الحدثان ٥ كاذبيرا اليوم وقتيل بيضا اي لم يفضحها الرجال بافوا هم
لا فيها غول اي لا تقتال عقولهم ولا يصيبهم مرض ولا صداع ولا هم عنها ينزفون
اي لا تذهب عقولهم بشربها وقال الخمر غول للحلم والحرب غول للفرس اي تذهب بها
ويقال نزف الرجل ينزف فهو منزوف ونزف اذا سكر قال امرؤ القيس
وتاه اهي تمشي كمشي المنزف يصرعه بالكثيب النهر ٥ وقال الضبي
اذا قامت لوجه ما بلت نراشئ لقوا ذا الرحض لا تخترا
وقال الاخر فلثت فاها اخذا بقرونها ٥ شرب النزيف ببرد ماء الحشرج
وقرأ حمزة والكسائي بكسر الزاي من انزف القوم اذا حان منهم النزف وهو السكر
تقول احصد الزرع اذا حان حصاده واقطف الكرم اذا حان قطافه وارکب المهر
اذا حان ركوبه وقيل المعنى لا يبعدون شرابهم لاجلها يقال انزف الرجل فهو
منزوف اذا نفدت خمرته قال الحطيئة لعمرك انزفتم او صحوتم لبئس
الندامى كنتم آل حصن اذا سرى الفراة لا وعلى بين واضح في المعنى لانه معنى ينزفون
عن جملة اهل التفسير منهم مجاهد لا تذهب عقولهم فتفنى الله عز وجل عن خمر الجنة
الى قوله التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر ينزفون الصحيح فيه انه
يقال انزف الرجل اذا نفد شرابه وهو يبذل ان يوصف به شراب الجنة ولكن مجازه
ان يكون معنى لا ينفد ابدا وقيل لا ينزفون بكسر الزاي لا يسكرون ذكره الزجاج
وابو علي على ما ذكره الفشيري المهدوي ولا يكون معناه ولا يكون معناه يسكرون
لان قبله لا فيها غول اي لا تقتال عقولهم فيكون تكرارا ويسبق ذلك في الواقعة
ويجوز ان يكون معنى لا فيها غول لا يمرضون فتكون منفي ولا هم عنها ينزفون لا يسكرون
اذ لا ينفد شرابهم قال قتادة الغول وجع البطن وكذا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد
لا فيها غول قال لا فيها وجع بطن الحسن صداع وهو قول ابن عباس لا
فيها غول لا فيها صداع وحكي الضحاك عنه انه قال في الخمر اربع خصال السكر
والصداع والقيء والبول وذكر ان خمر الجنة تنزهها عن هذه الخصال ٥ مجاهد
وان كيسان منقض وهذه الاقوال متقاربة وقال الكلبي لا فيها غول
اي اثم تقبله لا تعقبها ولا تاثيم وقال الشعبي والسدي وابو عبيدة
لا تقتال لعقولهم فتذهب بها ومنه قول الشاعر
٥ وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالاول الاول
وتقرع واحدا واما صرف الله تعالى السكر عن اهل الجنة ليلا ينقطع الالتذاذ
عنهم بنعيمهم وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق في خفا يقال
اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره في خفية ومنه الغول والغيلة وهو
القتل خفية قوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف اتراب اي نساء قد قصر
طرفهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغيرهم
ماخوذ عكرمة قاصرات الطرف اي محبوسات على ازواجهن والقصر الاول بين لانه
ليس في الجنة مقصورات وكن في موضع اخر مقصورات ثابت بيانه وقاصرات ماخوذ
من قولهم قصرا قتصر على كذا اذا اقتنع به وعدل عن غيره قال امرؤ القيس
٥ من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا
ويروى فوق الجرد والاول ابلغ ٥ والاتب الغبيص والمحول الصغير من الذر وقال
مجاهد ايضا معناه لا يبغين عن عظام المحبون الواحدة عينا قاله السدي ٥
مجاهد عين حسان العيون الحسن الشديد اتساع شق العين الشديد سواد ها
والاول اشهر في اللغة تقال رجل اعين واسع العين بين العين والعمه عين وصله
فعل بالضم فكسرت العين ليلا تنقلب الواو ياء ومنه قتل لعفراء وحش تهيم
والثور اعين والمرة عيناء كانهن بيض مكنون مصون قال الحسن وابن زيد شبههن
ببيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار ولونها ابيض صفرة وهو
احسن الوان النساء وقال ابن عباس وابن جبير والسري شبههن ببطن البيض قبل
ان تقشر ومنه الايدي وقال عطا بالسحاء الذي يكون بين القشرة العليا
ولباب البيض ونحوه قول الطبري قال وهو القشر الرقيق الذي على البيضة
من داخل وروي نحو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والعرب تشبه المراة ٥

بالبيض لصفا بهم وبياضه قال امرؤ القيس

وبيض خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

وتقول العرب اذا وصفت الشيء بالحسن والنظافة كانه بيض النعام المعطى بالزيت وقيل المكنون المصون عن الكسر ايما من عذاري وقيل المراد باليبض اللؤلؤ كقوله تعالى وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون اي في اصدافه قاله ابن عباس ايضا ومنه قول الشاعر حك وهي بيضا مسل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون وانما ذكر المكنون واليبض جمع لانه رد النعت الى اللفظ قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يتساءلون فيما بينهم احاديثهم في الدنيا وهو من تمام الاذى في الجنة وهو معطوف على معنى يطاف عليهم المعنى تلذ عيون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب قال بعضهم وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام ثم فيقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة الله تعالى في اخباره قوله تعالى قال قائل منهم اني كان لي قرين اي صديق ملازم لقولا اينك لمن المصدقين انك بالبعث والجزاء وقال سعيد بن جبير قرين سوء وقد مضى في الكهف ذكرهما ونسبتهما والاختلاف في اسمهما مستوفى عند قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين وفيما انزل الله جل وعز قال قائل منهم اني كان لي قرين الى من المعذبين وقيل زاد بالقرين قرينه من الشياطين كانه يوسوس اليه بانكار البعث وقرئ اينك لمن المصدقين بتشديد الصاد وقراءة علي بن كثير عن سلم بن حمزة قال النحاس ولا يجوز اينك لمن المصدقين بتشديد الصاد واعترض عليه بان هذا من التصديق لا من التصدق والاعتراض باطل لان القراءة اذا ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مجال للطعن فيها فالمعنى اينك لمن المصدقين بالمال لحلبا في ثواب الاخرة ايذا لمتنا وكنا ترابا وعظاما انا لمدينون اي مجزيون مما سيوقف بعد الموت فقال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم مطلعون وقيل هو من قول المؤمن لاخوانه في الجنة هل انتم مطلعون الى النار لننظر كيف حال القرين وقيل هو من قول الملائكة وليس هذا انتم مطلعون باستفهام وانما هو بمعنى الامر اي اطلعوا قاله ابن الاعرابي وغيره ومما لحن فيه العوام قولهم قام عمر فنادى يا بني النبي صلى الله عليه وسلم رفع رأسه الى السماء ثم قال يا رب بيانا اسفي من هذا في الخمر فنزلت فهل انتم منتهون فقال فنادى عمر انتهينا يا ربنا انتهينا يا ربنا وقرأ ابن عباس هل انتم مطلعون بكسر الطاء حكيت نا اطلع فاطلع الف مخففة على معنى هل انتم مطلعون فاطلع قال النحاس فاطلع فراءه فيه قولان احدهما ان يكون فعلا مستقبلا اي فاطلع انا ويكون منصوبا على جواب الاستفهام والقول الثاني ان يكون فعلا ماضيا ويكون اطلع واطلع واحدا قال الزجاج يقال طلع واطلع واطلع بمعنى واحد وقد حكى هل انتم مطلعون بكسر النون وانكره ابو حاتم وغيره النحاس وهو لحن ولا يجوز لاجتماع بين النون والاضافة ولو كان مضافا لكان هل انتم مطلعي قال ان كان سيبويه والفراء حكيا مثله والشذوذ هم القائلون الخير والشر منه اذا ما خشوا من حمدث الامر معظما والشذا الغراء الفاعلونه والشذا يجوز وحده ولم يوقف بحذف نون هذا شاذ خارج عن كلام العرب وما كان مثل هذا لم يجئ في كتاب الله جل وعز ولا يدخل في الصحيح وقد قيل في توجيهه انه اجرى اسم الفاعل مجرى المضارع لقربه منه فجرى مطلعون مجرى يطلعون ذكره ابو الفتح عثمان ابن جني والشذ اراب ان جئت به املود مرجلا ويلبس ليرود اقائلين احضروا الشهودا فاجرى اقائلين مجرى اتقولين وقال ابن عباس في قوله تعالى هل انتم مطلعون فاطلع فراه في سواء الجحيم اي في وسط النار والحسن حواليه قاله ابن مسعود وقتادة تقبث حتى انقطع سوي اي وسطي ومن ابي عبيدة وعن ابي عبيدة قال قال لي عيسى بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوادي وعن قتادة

قال

قال قال بعض العلماء لولا ان الله جل وعز عرفه اياه لما عرفه لقد تقبر حبوه وسبره فعند
ذلك يقول يا ليتني اذ كذبت لتزين اذ مخففة من الثقيلة دخلت على كاد كما دخل على كان ونحوه
انكاد ليضلنا واللام من الفارقة بينها وبين النافية ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين
وقال لكنساي لتردين اي لتهلكني والردا الهلاك وقال المبرد لو قال لتردين لوقعني
في النار لكان جائزا ولولا نعمة ربي اي عصمته ونوفيقه بالاستمساك بعروة الاسلام
والبراءة من العزين السوء وما بعده تولا مرفوع بالابتداء وعند سيبويه والخبر محذوف
لكنت من المحضرين قال المعنى اي لكنت معك في النار محضرا واحضر لا يستعمل
مطلقا الا في الشر قال الماوردي فيجعله تعالى انا نحن بميتين وفوي بما يتبين
والهمزة في افما للاستفهام دخلت على فاء العطف والمعطوف محذوف تقديره وفي تمنيه نحن
خلدون تنعمون فما نحن بميتين ولا معذبين بعد موتتنا الاولى يكون استثنا ليس
من الاول ويكون مصدرا لانه منصوب وهو من افعال الجنة لملائكة خزنة يذبح الموت وقال
يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وقيل هو من قول المؤمن على جهة التحدث
بنعمة الله في انه لا يموت ولا يعذب بعدي اي هذه حالنا وصفتنا وقيل هو من قول المؤمن
توبيخا للكافر لما ذكره من البعث وانه ليس الا الموتة الدنيا ثم قال المؤمن مشيرا الى
ما هو فيه ان هذا لهو الفوز العظيم يكون هو مبتدا وما بعده خبره عنه والجملة خبر ان ويجوز
ان يكون هو فصلا لمثل هذا فليعمل العاملون يحتمل ان يكون من كلام المؤمن لما رأى ما
اعد الله له في الجنة وما اعطاه قال لمثل هذا الاعطاء والفضل فليعمل العاملون فليطلب
ما قال له الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا ويحتمل ان يكون من خطاب الملائكة وقيل هو من
قول الله عز وجل لاهل الدنيا قد سمعتم ما في الجنة من الخيرات والجزاء ولمثل هذا الجزا فليعمل
العاملون المتحاسون وتعجيبا لكلام والله اعلم فليعمل العاملون لمثل هذا ان قال قائل قد جا
في القرآن ما يدل على ان الثاني بعد الاول فكيف ما ورد بعدها سوى به المتقدم فالجواب
ان المتقدم مثل المتاخر لانه حق حروف الخفض وما بعدها ان تكون متاخرة فقوله ان
تعالى ان ذلك خبر مبتدا وخبره هو من قول الله عز وجل فتر لا على البيان والمعنى نعيم الجنة
خير نزلا ام شجرة الزقوم خير نزلا والنزل في اللغة الرزق الذي له سعة التخاسن كذا
النزل والنزل الا انه يجوز ان يكون النزل باسكان الزاي لغة ويجوز ان يكون اصله النزل
ومنه اقيم للقوم نزلهم واستقاقه ان العدا الذي يصلح ان ينزلوا بعده ويقيموا فيه وقد مضى
هذا في آخر سورة العمران وشجرة الزقوم مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها
وتنبيها قال المفسرون وهي في الباب السادس وانها تجيء يلهب النار كما تجيء الشجرة
يبرد الماء فلا بد لاهل النار من ان يتخذ من مكان هو فيها فيأكلون منها وكذلك يصنعون بها
من كان اسفل واختلف فيها هذه هي من شجر الدنيا ومن قال هذه اختلفوا فيها فقال قطرب
انها شجرة مرة تكون بتهامة يسمى اخبث الشجر وقال غيره بل هو كل نبات قاتل
والنبات انها لا تعرف في شجر الدنيا فلما نزلت هذه الآية في شجرة الزقوم قال كفار قريش
ما نعرف هذه الشجرة فقدم عليهم رجل من اليمن فسألوه فقال لهو عندنا الزبد والتمر
فقال ابن الزبعرى اكثر الله في بيوتنا الزقوم فقال ابو جهل للجارية زقمينا فاتته بزبد
وتمر فقال لاصحابه تزقموا هذا الذي يخوفنا به محمد يزعم ان النار تنبت الشجر والنار
تحرق الشجر فقوله تعالى انا جعلناها فتنة للظالمين اي المشركين وذلك انهم قالوا
كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر وقد مضى هذا المعنى في سبحان واستغنائهم
عن هذا التعريف بقوله تعالى عليها تسعة عشر الذي يخصص هذا العدد هي قال
بعضهم انا كفيهم منهم كذا فاكفوني انتم فقالوا لله تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة
للذين كفروا الفتنة الاختبار وقد ذكرنا هذا القول منهم جملا ان لا يستحيل في العقل
ان يخلق الله في النار شجرة من جنسها لانها كما يخلق الله فيها الاغلال والقيود
والحيات والعقارب وخزنة النار وقيل هذا استفتاح الذي وقع للكفار وهو الذي
وقع لان الملة حتى حملوا الجنة والنار على نعيم او عقاب تخيله الاوهام وجملوا هم
وزن الاعمال والصراط والحوض والقلم على معاني يزورونها بانفسهم دون ما فهمه المسلمون
من موارد الشرع واذا ورد خبر الصادق بشيء وجب الايمان به في العقل فالواجب تصديقه
وان جاز ان يكون له تاويل ثم التاويل في موضع اجماع المسلمين على انه تاويل باطل
لا يجوز والمسلمون مجمعون على الاخذ بهذه الاشياء من غير مصير الى تعليل الباطن وقيل

ونن

انهم

انها فتنة اي عقوبة للظالمين كما قال ذوقوا فتنتكم الذي كنتم به تستعجلون قوله تعالى
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي قعر النار ومنها منشأها ثم هي تستقر في جهنم طلعها
ثمرها سمي طلعا لطلوعه كأنه رؤوس الشياطين قيل يعني الشياطين بأعيانهم شبهها في
قبح صورتهم ورؤوس الشياطين متصورة النفوس وان كان غير مرئي وعن ذلك قولهم
ليس قبيح هو كصورة الشيطان ولكل صورة حسنة كصورة ملك كريم وهذا تشبيه
تخييلي روي معناه عن ابن عباس والفراء طبر وعنه قول امرئ القيس
ومسنونة زرق كانياب اغوال • وان كانت الغول لا تغرف لكن لما تصور
في النفوس وقد قال الله تعالى شياطين الانس والجن فمرده الى الانس شياطين مريبة وفي
الحديث الصحيح ولكن نخلها رؤوس الشياطين وقد ادعى كثير من العرب رؤية الشياطين
والغيلان وقال الزجاج والعرب الشياطين حيات لها رؤوس واعراف وهن من افتح الحيات
واخبثها واقبحها جسما قال الزاجز وقد تشبه المرأة بطيبة لها عرف • تحير تخلف فيه
احلف كمثل شيطان الحماط اعرف الواحدة حماطة والاعرف الذي له عرف وقال
الشاعر يصف ناقة تلاعب متنى حضرمي كأنه تلعج شيطان بذي خروع قفر التلعج
الموجاج في السير وسهم عوج يلتوي في ذهابه وتعمن الحنتم الخابية الملون في مرها وقال
يصف زمام الناقة • تلاعب متنى حضرمي كأنه تلعج شيطان بذي خروع قفر وقيل انما
شبه ذلك بثبت قبيح في اليمن يقال له الاستن والشيطان وقال ابن عباس وليس
ذلك بمعروف عند العرب الزمخشري هو شجر خشن منتن مر منكر الصورة يسمى عمر
رؤوس الشياطين ابن عباس وقيل الشياطين ضرب من الحيات قتام فانهم لا كلون منها
فما لهون منها البطون فمالئون منها البطون طعام وفاكهتهم بدل من رزق اهل الجنة وقال في الحاشية
ليس لهم طعام الا من مزيج وسائغ ثم ان لهم عليها اي بعدا لاكل من الشجرة لشوبا من
حميم اي شوب الخلط والشوب لغتان كالغمر والغمر والغنم والسهر قال الفراء شاب
طعامه وشرابه اذا خلطها بشيء ليشوبها شوبا وشيابة فالحميم انه شاب لهم والجيم الما
الحار يكون اشنع بشوبها شوبا وشيابة فالحميم قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع
امعاءهم السدي يشاب لهم الحميم ليشتد اعيهم وصديدهم من قيحهم ودمائهم وقيل يمزج لهم
الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم فتختلط لاجلهم وتجتمع البلا
ثم مرجعهم لا الى الجحيم قيل ايضا هذا بدل على انهم كانوا اكلوا الزقوم فعذاب غير النار ثم يردون
اليها وقال مقاتل الحميم خارج الجحيم فهم يردون الحميم ليشربه ثم يردون الى الجحيم لقوله
تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان وقرا ابن مسعود
ثم ان منقلبهم لا الى الجحيم وقال ابو عبيدة يجوز ان تكون ثم بمعنى الواو والفيروز ابادي ولعل
الجحيم في موضع من جهنم على طريق منها قوله تعالى انهم الفوا ابائهم ضالين اي ضلوا قومهم
كذلك فاقتدوا بهم فهم على اثارهم يهرعون اي يسرعون عن قتادة وقال مجاهد
كهيئة الهرولة قال الفراء الاهراع الاسراع برعدة وقال ابو عبيدة يهرعون يستحثون
من قلقهم ونحوه قول المبرد قال المهرع المستحث تقول جاءني فلان يهرع اي الى الناراة
استحثه الرداء فقيل يسرعون من عجلة الاسراع قاله المفضل الحاج يقال هرع
واهرع اذا استحث والذي في قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي من الامم الماضية
ولقد ارسلنا فيهم منذرين اي رسلا انذروهم العذاب فكفروا فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين اي اخر امرهم الا عباد الله المخلصين اي الذين استخلصهم الله من الكفر وتقدم
ثم قيل هو استثناء من المنذرين الذين هو اسم تام وقيل هو من قوله تعالى ولقد
ضل قبلهم اكثر الاولين فقوله تعالى ولقد نادانا نوح من الذين هو استئناف
ومعناه قبل جملة قتلاكم فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم
قال الكلبي من صلبه يعني اهل دينه وهم من امن معه وكانوا
ثمانين على ما تقدم هذا الكرب العظيم وهو الغرق وجعلنا ذريته هم الباقين قال ابن
عباس لما خرج نوح من السفينة مات من معه من الرجال والنساء الا ولده ونساؤهم
فذلك قوله وجعلنا ذريته هم الباقين وقال سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلاثة
والناس كلهم من ولد نوح فسام ابو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى وجام
ابو السودان من الحبش وفارا الى المغرب السند والهند والزنج والحبشة
والقبط والبربر وغيرهم ويافث ابو الصقالبة والترك والابجر والخزر وما

ياجوج وماجوج ومناهتالك وقال قوم كان لغير ولد نوح ايضا نسل بدليل قوله بعد ذريته من حملنا
نوحا وقوله قلنا يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم
ثم يمسهم منا عذاب اليم فعلى هذا الاية وجعلنا ذريته هم الباقون دون ذرية من كفر
قالوا اغرقنا اذلك قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين اي تركنا عليه ثناء حسنا في كل
امة فانه مذهب الى الجميع حتى ان المجوس من يقول افتريدون ورد معناه عن مجاهد
وغيره وزعم الكسائي ان فيه تقديما من احدهما وتركنا عليه في الاخرين تقال سلام
على نوح اي تركنا عليه هذا الثناء الحسن وهذا مذهب ابي العباس المبرد اي تركنا
عليه هذا الكلام باقيا فيمن يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي
كقوله تعالى سورة انزلناها والقول الاخر ان يكون المعنى وابقينا عليه وهو الكلام
ثم ابتدأ فقال سلام على نوح اي سلام لهذا الذي يذكر نوحا في الاخرين قال الكسائي
وفي قراءة ابن مسعود سلاما منصوب بتركنا اي تركنا عليه ثناء حسنا سلاما وقيل
في الاخرين اي في امة محمد صلى الله عليه وسلم اذا بعث بعده نبي لا سيما لا تمتد اليه قال
الله تعالى شرعا لكم من الدين ما وصى به نوحا وقال سعيد بن المسيب وبلغني انه قال
من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تلدغه عقرب ذكره ابو عمر في التمهيد وفي
الموطأ عن نوفل بن معاوية الديلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نزل منزلا فليقل
اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فانه لن يضره شيء حتى يرتحل وروينا عن ابي
هريرة ان رجلا من اسلم قال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما انك لو قلت حين امسيت اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ومعنى قوله تعالى انا
كذلك نجزي المحسنين انه يبقى عليهم الثناء الحسن والكاف في موضع نصب اي جزاء
مثل ذلك اشارة الى عبارتنا الموجزة عن هذا البيان احسانه قوله تعالى ثم اغرقنا الاخرين
من كفر وجميع اجرواء الاصل فيه ان يكون جمعه من الا انها حذفت لان المعنى مفهوم
ولا يكون اخرا الا وقبله شيء من جنسه وثم ليس للتراخي هنا بل هو للتنبيه على النعم
كقوله او مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين امنوا اي ثم اعلموا ان فيما عرفناكم الاخرين
وهم الذين تاخروا عن الايمان قوله تعالى وان من شيعته لابراهيم قال ابن عباس اي
من اهل دينه وقال مجاهد اي على منهاجه وسنته قال ابو صالح الشيعة الاعوان
وهو مأخوذ من الشياع وهو الحطب الصغار الذي يوقد مع الكبار حتى تستوقد وقال
الكلبي والمعنى المعنى وان من شيعته محمد لابراهيم فالنبي شيعته على هذا المحمد عليه السلام
وعلى الاول لنوح وهو اظهر لانه هو المذكور اولا وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيا هود
وصالح وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة حكاه الزمخشري
قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي مخلص من الشرك والشك وقال ابو العباس
سالت محمد بن سيرين ما القلب السليم فقال الناصح لله جل وعز في خلقه وذكر الطبري
عن غالب القطان وعوف وغيرهما عن محمد بن سيرين انه كان يقول للحجام سلم ابو
محمد اذا عذبه الله فبذنبه وان غفر له فبفضله وان كان قلبه سليما فقد افلح
الذنوب من هو خير منه قال عوف فقلت لمحمد ما القلب السليم قال ان يعلم ان الله حق
وان الساعة قائمة وان الله يبعث من في القبور وقال هشام ابن عمر وة كان ابي
يقول لنا يا بني لا تكونوا لعانين الم تروا الى ابراهيم لم يلعن شيئا قط فقال تعالى اذ جاء ربه
بقلب سليم ويحتمل مجيئه الى ربه وجهين احدهما عند موته اي لقي ربه وطاهرته الثاني
عند البعث في النار اذ قال لابيه وهو از روقد مضى الكلام فيه وقومه ماذا تعبدون
اي اي شيء تعبدون افكا نصب على المفعول له بمعنى تريدون افكا قال المبرد والافك اسوا الكذب وهو
الذي لا ثبات له ومنه انبفكن عن الارض اي تنصرف عنها حتى تستوف

مستهلا عندهم منظورا فيه فاذهبهم هو من تلك الجهة وانما هم من معتقدهم عذر الغفلة
وذلك انهم كانوا اهل رعاية وفلاحة وهاتان المعيشتان تحتاج فيهما الى النظر في النجوم
وقال ابن عباس كانوا علم النجوم من النبوة فلما حدث الانقلاب الشمسي على
يوشع بن نون بطل ذلك فنظر ابراهيم فيها علما نبويا وحكي جويبر عن الضحاك كان
علم النجوم باقيا الى زمن عيسى عليه السلام حتى فتحوا عليه في موضع لا يطلع عليه
فقالت لهم مريم من اين علمتم بموضعه قالوا من النجوم فدعا ربه عند ذلك فقال
اللهم فوههم في علمها فلا يعلم علم النجوم احد فصار حكمها في الشرع محظورا وعلمها
في الناس مجهولا قال الكلبي وكان بين ان نظر في النجوم وبين ان قال اني سقيم
حين وكانوا ينظرون في النجوم فهذا قول وقال الحسن المعنى انهم لما كلفوه
الخروج معهم تفكر فيما يعمل فالمعنى على هذا انه نظر فيما نجم له من الرأي فيما طلع من
فعلم ان كل حي يسقم فقال اني سقيم الخلق والمبرد يقال للرجل اذا فكر في نفسه يدبره
نظر في النجوم وقيل كانت الشامة التي دموه الى الخروج معهم فيها ساعة
تقاده فيها الحمى وقيل المعنى فنظر فيما نجم من الاشياء فعلم ان لها خالقا ومدبرا
وانه يتغير كتغير هذه فقال اني سقيم وقال الضحاك معنى سقيم ساسقم سقم الموت
لان من كتب عليه الموت يسقم ثم يموت وهذا تورية وتعريض كما قال للملك لما سأله
عن سارة هي اختي يعني اخوة الدين وقال ابن عباس وابن جبير والضحاك انما اشار لهم
الى عرض وسقم تعدي كالطاعون وكانوا يمرون من الطاعون ولذلك تولوا عنه
مدبرين اي فارين من سقمه خوفا من العدوى وروى الترمذي الحكيم قال حدثنا ابي قال
سأل عمرو بن حماد عن اسباط عن السدي عن ابي مالك وابي صالح عن ابن عباس عن شمر
عن الهمداني عن ابن مسعود قال قال ابو ابراهيم ان لنا عيدا لو خرجت معنا لاعجبك
ديننا فلما كان يوم العيد خرجوا اليه وخرج معهم فلما كان ببعض الطريق التي نظر
وقال اني سقيم استكى رجلي فطوا رحله وهو صريع فلما مضوا ادبر في اصنامهم وقال
اصنامكم قال ابو عبد الله وهذا الكلبي يعارض لما قال ابن عباس وابن جبير لانه
يحتمل ان يكون قد اجتمع له امران قلت وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم لم يكذب ابراهيم النبي عليه السلام الا ثلاث كذبات الحديث وقد مضى في سورة الانبياء
تأويل قوله اني لم اكن سقيما وانما عرض لهم وقد قال جل وعز انك ميت وانهم ميتون
فالمعنى انك ستسقم فيما استقبل فتوهموا انه سقيم الساعة وهذا من تعاريض الكلام
على ما قد ذكرنا وصفة المثل السائر كفى بالسلامة داء وقول لبيد

فدعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة داء

وقد مات رجل فجأة فالتف عليه عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال
اعرابي اصحيح من الموت في عنقه فابراهيم صادق لكنه لما كان الانبياء اقرب
سلمهم واصطفاهم عدد هذا الحديث ولهذا قالوا الذي الهمه ان يغمز لي خطتي يوم
الدين وقد مضى هذا كله مبينا والحمد لله وقيل لما دسقيم النفس لكفرهم والنجوم يكون
جمع نجم ويكون واحد مصدرا فقوله تعالى فنزاغ الى الهتهم قال السدي ذهب اليهم
وقال ابو مالك جاء اليهم وقال فتاده فمال اليهم وقال الكلبي فقرب عليهم وقيل
عدل والمعنى متقاربة راغ يروغ روغا وروغانا اذا مال وطوى وراغ اذا مال وقال
الشاعر ٭ وبرق بين طرفا الليل خلبة ٭ وبروق مثل كما يروغ الثعلب ٭
فقال الا تاكلون فقالوا انا كلون ٭ فاطبها كما بخاطب من يعقل لانهم انزلوها
بتلك المنزلة وكذا انا لكم لا تنطقون ٭ قيل كان بين يدي الاصنام طعام تركوه ليا
كلوه اذا رجعوا من العيد وانما تركوه لتصيبه بركة اصنامهم بزعمهم وقيل تركوه
لسدنة وقيل قربوا لها طعاما على جهة الاستهزاء فقال الا تاكلون ما لكم
لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين خص الضرب باليمين لانها اقوى والضرب اشد
قاله الضحاك والربيع ابن انس وقيل المراد باليمين اليمين التي حلف قال وتالله
لاكيدن اصنامكم وقال قتادة الغاء وتصلة ضربا بالقوة واليمين القوة وقيل بالعدل
واليمين ههنا العدل ومنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا
منه باليمين اي بالعدل فالعدل لليمين والجور للشمال والطاعة عن اليمين وكذلك
قال انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من قبل الطاعات فاليمين هو الموضع العدل

من

من السلم والشمال بوضع الجوارح ثم جاء ابو بكر بعد ذلك بيعته بالبيعة يوم الميثاق فالبيعة بالبيعة كتابه غدا بيمينه لانه وفى بالبيعة وبسطى للتالف للبيعة النهار برفقته من ذلك بسماله لانه الجور لهذا ان تقوله فتوفى عليهم ضربا باليمين اى بذلك العدل الذى كان بايع الله عليه يوم الميثاق سم وقاله هنا فعلى تلك الاوثان جذاذا اى قتاتا كالجذاذة وهى السويق ليس من قبيل الغوة قاله الترمذى الحكيم فاقبلوا اليه يزفون قرأ حمزة يزفون بضم الياء الباقون بفتحها اى يسرعون قاله ابن زيد قتادة والسدى يمشون وقيل المعنى يمشون بجمعهم على مهل امنين ان يصيب احدا لهتهم بضر وقيل المعنى يسلون لتسلل بين المشى والعدو وصفه زفيف النعامة وقال الضحاك يسعون وحكى يحيى بن سلام يرعدون غضبا وقيل يختالون وهو بين الخيلاء قاله مجاهد وصفه احد زفاف العروس الى زوجها وقال الفرزدق

وجاذفريع النسول قبل افالها يزفه وجان خلفه وهى زفف

ومن عد ان يزفون غيرهم اى يحملونهم على الترفيف وعلى هذا فالمعول محذوف قال الاصمعى زففت الابل اى حملتها على ان تزف وقيل هما لغتان يقال زف القوم وازفوا وزففت العروس وازففتها بمعنى والمزفة المحفة التى تزف فيها العروس حكى ذلك عن الخليل النحاس يزفون بضم الياء زعم ابو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة وقد عرفها جماعة من اهل اللغة وتكلمت بها العرب وقد حكى ان السود حدا ثغة فاسمع حصين فقال ازفوا اى صيروا الى ذلك فكذلك يزفون اى يصيرون الى الترفيف قال محمد بن يزيد الترفيف الاسراع وقال ابو اسحق الزفيف والعدو المقارب وقال ابو حاتم وزعم الكسائى ان قوما قرءوا فاقبلوا اليه اى حاتم وابو حاتم لم يسمع من الكسائى سماع وروى الفراء وهو صاحب الكسائى عن الكسائى انه لا يعرف يزفون مخففة قال الفراء وان لا اعرفها قال ابو اسحق وقد عرفها غيرهما وزف يزف اذا اسرع قال الهمدانى لا نعلم احدا قرأ يزفون قلت هى قراءة عبد الله بن يزيد فيما ذكر المهدوى هو الاعمش ويزفون على البناء للمفعول ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفون بعضا لشارعهم اليه وذكر الثعلبى عن الحسن ومجاهد وابى السميفع يزفون قال الفراء زفيف النعام وهو كفض بين المشى والطيران قوله تعالى قالوا اتعبدون ما تنحتون منه حذف اى قالوا من قتل هذا بآلهتنا فقال مخبرا تعبدون انتم اى تعبدون اصناما انتم تنحتونها بايديكم والنحت النحو والبرى تحته نحته بالكسر نحاما اى براه والنحانة البرانة والمنحت ما ينحت به والله خلقكم وما تعملون ما فى موضع نصب اى وخلق ما تعملونه من الاصنام يعنى الخشب والحجارة وغيرها كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذى فطرهن وقيل انما استفهام وتمناه التخجيل لعملهم وقيل هو نفى والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه والاحسن ان تكون ما مع الفعل مصدرا والتقدير والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب اهل السنة ان الله فعال خلق لله عز وجل والكتساب للعباد وفى هذا ابطال مذاهب القدرية والجبرية وروى ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله خالق كل صانع وصنعته ذكره الثعلبى وخرجه البيهقى من حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته فهو الخالق وهو الصانع سبحانه وقد بينا هذا والكتاب بالاستقصى فى شرح اسماء الله الحسنى قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا اى لتشاوروا فى امره لما علموا بالحجة حسب ما تقدم فى الانبياء بيانه فقالوا ابنوا له بنيانا تملؤه خطبا فتقذفوه منه ثم انجوه فيها وهو الجحيم قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارته طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وملوه نارا وطرحوه فيها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قلعا ما رئى البنيان قال حسبى الله ونعم الوكيل والف والام فى الجحيم بدل على الكناية اى فى جحيمه اى فى جحيم ذلك البنيان وذكر الطبرى ان قابيل ذلك اسمه الميزن رجل من اعراب فارس وهم الترك وهو الذى جاء فيه الحديث بينهما رجل يمشى فى حلة له يبتختر فيها فخسف به فهو يتجلجل فى الارض الى يوم القيمة فاراد وا به كيدا اى بابراهيم والكيد المكر اى احتالوا لاهلاكه فجعلناهم الاسفلين المقهورين المغلوبين

وازففناهم

اذ تقدمت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم قوله تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين قيل مسلما بالهاء الى هذه الارض المقدسة وقيل الى حيث امرني ربي وقيل الى حيث لا يتمكن من عبادته ربي فانه سيهدين فيما نويت الى الصواب قال مقاتل هو اول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة الى الارض المقدسة وقيل ذاهب بعملي وعبادتي وقلبي ونيتي فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن وقد يقتضي بيان هذا في الكهف مستوفى وعلى الاول بالمهاجرة الى الشام وبيت المقدس وقيل خرج الى حران فاقام بها مدة ثم قيل قال ذلك لمن فارقه من قومه فيكون ذلك منه تنبيها لهم وقيل قاله لمن هاجر معه من اهله فيكون ذلك منه تنبيها وقيل قال هذا قبل القاء به في النار وفيه على هذا القول تاويلان احدهما اني ذاهب الى ما قضاه علي ربي الثاني اني سيقت كما يقال لمن مات قد ذهب الى الله تعالى لانه عليه السلام تصور بانه يموت بالقاء في النار على المشهور من حمل لها في تلفه ما يبلغ فيها الى ان قيل لها كوني بردا وسلاما فلم يحترق ابراهيم منها وفي قوله سيهدين على هذا القول تاويلان احدهما سيهدين الى الخلاص منها الثاني الى الجنة وقال سليمان ابن صرد وهو ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لما اراد وا القاء ابراهيم في النار جعلوا يجمعون له الحطب فجعلت المراة العجوز تحمل على ظهرها حطبا وتقول اذهب به الى هذا الذي يذكر الهتنا فلما ذهب به ليطرح في النار قال الى ذاهب الى ربي فلما طرح في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما فقال ابو لوط وكان ابن عمه اذ النار لم تحرقه من اجل قراءته حتى قارب ان تنضج عنقا من نار فاحرقته الثانية فقوله تعالى رب هب لي من الصالحين لما عرفا انه مخلصه دعا الله ليعطيه ولدا يسليه عن غربته وقد مضى في آل عمران القول في هذا وفي الكلام حذف اي هب لي ولدا صالحا من الصالحين وحذف مثل هذا كثير قال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم اي ان يكون حليما في كبره فكانه بشر بذلك الولد لان الغلام الصغير لا يوصف بذلك وكانت البشرى بالجنة الملائكة كما تقدم في هود وبان الملائكة كما تقدم في هود وباتي ايضا في الذاريات قوله تعالى فلما بلغ معه السعي الى قوله تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين بينه وبين سبع عشرة سنة في الاولى قوله تعالى فلما بلغ معه السعي اي فوهب له الغلام فلما بلغ معه البلغ الذي تسعى مع ابيه في امور دنياه عرض له على اعمال الله قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك وقال في موضع اخر فلما بلغ معه السعي اي شب وادرك سعيه سعي ابراهيم وقال الضحاك كان بين اسمعيل ابن ثلاث عشرة سنة وقال ابن عباس هو لا حتلام قتادة مشى مع ابيه الحسن ومقاتل هو سعي العقل الذي تفرق به الحجة ابن زيد هو السعي في العبادة ابن عباس صام وصلى لم تسمع الله عز وجل لغلام دعا ربه وسئل ما سعيها واختلف العلماء في المامور بذبحه فقال اكثرهم الذبيح اسحق وممن قال ذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وهو الصحيح عن عبد الله ابن مسعود ان رجلا قال له يا ابن الاسافم الكرام فقال لعبد الله ذلك هو يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم وقد روى جابر وابن عباس رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم وروى ابو الزبير عن جابر قال الذبيح اسحق وذلك مروي ايضا عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وعن عبد الله بن عمر ان الذبيح اسحق وهو قول عمر رضي الله عنه وهؤلاء سبعة من الصحابة والتابعين وغيرهم علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم ابن ابي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن ابن سابط والزهري والسدي وعبد الله بن ابي الهذيل وسالت ابن لهيعة عن الذبيح فقالوا الذبيح اسحق وعليه اكثر اهل الكتابين اليهود

اهل

والنصارى

والقشاري واشاره غيرواحد منهم النحاس والطبري وغيرهما قال سعيد بن جبير اري ابراهيم
ربه اسحق في المنام فتاله مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر بمنى فلما
صرف الله عنه الذبح فامره ان يذبح الكبش فذبحه وساربه مسيرة شهر في روحه
واحدة طويت له الارض به والجبال وقال اخرون هو اسمعيل وممن قال ذلك ابو
هريرة وابو الطفيل عامر ابن واثلة وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس ايضا ومن
التابعين سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع ابن انس
وقتادة بن كعب القرظي والكلبي وعلقمة وسئل ابو سعيد الضرير عن الذبح فانشد

* ان الذبيح هدبت اسمعيل * نطق القران بذلك والتنزيل *
* شرف به حصن الاله نبينا * وانا به التفسير والتاويل *
* ان كنت امنه فلا تنكرله * شرفا به فخصه التفضيل *

وعن الاصمعي قال سالت ابا عمرو ابن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك
ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل والاولاد اكثر عنه صلى الله عليه
وسلم وعن اصحابه وعن التابعين واحتجوا بان الله جل وعز انما اخبرهم عن ابراهيم حين
فارق قومه فهاجر الى الشام مع امراته سارة وابن اخيه لوط فقال اني ذاهب الى ربي
سيهدين اي ذاهب حيث امرني ربي فدعا فقال رب هب لي من الصالحين فقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون
من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب ولا شك ان الله قال وفديناه بذبح عظيم فذكر
الله في الغلام الحليم الذي بشره ابراهيم وانما بشر باسحق لانه قال فبشرناه باسحق
وقال هنا بغلام حليم وذلك قبل ان تعرف هاجر وقبل ان يصير له اسمعيل وليس
في القرآن انه بشر بولد الا اسحق احتج من قال انه اسمعيل بان الله تعالى وصفه بالصبر
ادون اسحق في قوله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره
على الذبح ووصفه دون وصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه
من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله تعالى قال فبشرناه باسحق نبيا فكيف يامره
بذبحه وقد وعده ان يكون نبيا وايضا فان الله تعالى قال وبشرناها باسحق ومن وراء
اسحق يعقوب فكيف يامره بذبح اسحق قيل انما الوعد في يعقوب وانما ورد الاخبار
بتعيين قربان الكبش فدل على ان الذبيح اسمعيل ولو كان اسحق لكان الذبح
بفج بيت المقدس وهذا الاستدلال كله لبس يقاطع اما قولهم كيف يامره بذبحه وقد
وعده ان يكون نبيا فانه يحتمل ان يكون المعنى وبشرناه بنبوته بعد ان كان من امره ما كان
قال ابن عباس رضي الله عنهما امره بذبح اسحق بعد انه ولد له اسحق ويعقوب او قال لم
يرد في القرآن ليعقوب ولد له من اسحق واما قولهم ولو كان الذبيح اسحق لكانا
الذبح بفج بيت المقدس فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدم وقال
النخعي الله اعلم ايهما الذبيح وهذا مذهب ثالث الثالثة قوله تعالى قال يا بني
اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال سفيان رايه ذلك ابراهيم
عليه السلام ثلث ليال متتابعات وقال محمد بن كعب كانت الرسل ما تهم الوحي
من الله تعالى انتباها ورقودا فان الانبياء لا تنام قلوبهم وهذا ثابت في الخبر المرفوع
قال صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا وقال
ابن عباس رؤيا الانبياء وحي واستدل بهذه الاية وقال السدي لما اتى ابراهيم
باسحق فقال ان نولد له قال هو اذا لله ذبح فقيل له في منامه قد نذرت نذرا فف بنذرك
وقيل ان ابراهيم راى في ليلة التروية كان قائلا يقول ان الله يامرك بذبح ابنك
فلما اصبح روى في نفسه اي فكر هذا الحلم من الله او من الشيطان فسمي يوم التروية
فلما كانت الليلة الثانية راى ذلك ايضا وقيل له الوعد فلما اصبح ان ذلك من الله
فسمي يوم عرفة ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وروي انه
لما فرغ قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم
الله اكبر والحمد لله فبقي سنة وقد اختلف الناس في وقوع وهذا الامر وهي الثالثة
فقال اهل السنة ان نفس الذبح لم يقع وانما وقع انه امر بالذبح فتلوا ان يقع الذبح
ولو وقع لم ينقصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل لانه لو حصل الغرائم

من امتثال الامر بالذبح ما تحقق الغداء وقوله تعالى قد صدقت الرؤيا اي تحققت ما
بنينا لك عليه وفعلت ما امكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا اصح ما قيل به في
هذا الباب وقالت طائفة ليس هذا مما يبنى بوجه لان معنى ذبحنا الشيء قطعته
واستدل على هذا بقول ابي اسحق لابراهيم لانت ظننت اني قرحمني ولكن
اجعل وجهي الى الارض فاخذ ابراهيم السكين فامرها على حلقه فانقلبت فقال
له ما لك قال انقلبت السكين فقال اطعني بها طعنا وقال بعضهم كان كلما قطع
جزءا التأم وقالت طائفة وجد حلقه نحاسا او منشارا بخاريا وكان كلما اراد قطعه
وجد منعا وهذا كله جائز في القدرة الا انه بعيد لكنه يفتقر الى نقل صحيح فانه مما
لا يدرك بالنظر وانما طريقه الخبر ولو كان قد جرى ذلك لبني الله تعالى تعظيما
لرتبة اسمعيل وابراهيم صلوات الله عليهما وكان اولى بالبيان من الفداء فان نعمهم
اذا ابراهيم ما امر بالذبح الحقيقي الذي هو فري الاوداج وانهار الدم وانما راى انه اضجعه
للذبح فتوهم انه امر بالذبح الحقيقي فلما اتى ما امر به من الاضجاع قيل له قد صدقت
الرؤيا وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل والذبيح اذ لم يفهما من هذا الامر ما ليس
له حقيقة حتى يكون منهما التوهم وايضا لو صحت هذه الاشياء لما احتيج الى الفداء
الواقعة قوله تعالى فانظر ماذا ترى قرئ هذا بكسر الظاء وضم الراء من ارى يرى
والمعنى انظر ماذا تريني من صبرك وجزعك فقال
الرجاج لم يقل هذا احد غيره وانما قال لعلما ماذا تشير اي ما تريك نفسك من الراي
وانكر ابو عبيد ترى وقال انما يكون هذا من رويته العين خاصة وكذا قال ابو حاتم
لما سر وهذا غلط وهذا يكون من رويته العين وغيرها وهو مشهور ويقال ارايت
فلانا الصواب وراينه مرسنده وهذا البين من رؤية العين الباقون ترى مضارع راى
وقد روي عنهما كذلك وهما بمعنى ترى غير مسمى الفاعل ولم يقل له ذلك على جهة المواطأة
في امر الله وانما شاوره ليعلم صبره لامر الله ولتقر عينه اذا راى من ابنه طاعته لله في امر الله
قال يا ابت افعل ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك
الخير فافعل ما امرت به فوصل الفعل الى الضمير فصار تؤمره ثم حذف الها كقوله
وسلام على عباده الذين اصطفى اي اصطفاهم على ما تقدم وما بمعنى الذي ستجدني ان شاء
الله من الصابرين قال بعض اهل الاشارة لما استثنى وفقه الله للصبر وقد ينقض
الكلام في يا ابت ولك لن في يا بني في يوسف وغيرها المناسبة قوله تعالى فلما اسلما
اي انقادا لامر الله وقال ابن مسعود وابن عباس وعلي رضوان الله عليهم فلما سلما اي
فوضا امرهما الى الله وقال ابن عباس استسلما وقال قتادة اسلم احدهما نفسه
لله جل وعز واسلم الاخر ابنه وتله للجبين قال قتادة كبه وهو وجهه الى الارض
وجواب لما محذوف عند البصريين تقديره فلما اسلما وتله للجبين ناديناه بكثير
وقال الكوفيون الجواب ناديناه والواو زائدة مسمجة كقوله واجمعوا ان يجعلوه في
غيابة الجب وآوحينا اليه وقوله وهم من كل حدب ينسلون واقترب اي اقترب
وقوله فلما جاوزها ونخت ابواها وقال ابو قال لهم وقال امرؤ القيس
فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ابو انتحى والواو زائدة وقال ايضا
حتى اذا حملت بطونكم وارتمين نساكم شتوا وفصلتم ظهرا لمحي لناك اليم الفاجر
اراد فصلتم الميم من حروف المعجم لا يجوز ان تراد في الخبر ان الذبيح قال
لابراهيم عليهما السلام حين اراد ذبحه يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف
ثيابك لئلا يبتضح علي شيء مني فترى امي فتحزن واسرع مر السكين على حلقي
ليكون الموت اهون علي واقذفني للوجه لئلا تنظر الي وجهي فترحمني ولئلا تنظر الى الشفرة
فتجزع واذا اتيت امي فاقرئها مني السلام فلما جاء ابراهيم السكين ضرب الله عليه
صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيئا فذلك قوله تعالى وتله للجبين كذلك
ابن عباس معناه كبه على جبينه فتوهم ابراهيم فقد صدقت الرؤيا فالتفت
فاذا الكبش فكره المهدوي وقد تقدم الاشارة الى عدم صحته وان المعنى لما اعتقد
الوجوب وتهيأ للعمل هذا بمبلغ الذبح وهذا بصورة المذبوح اعطيا محل الذبح
ولم يكن هناك تل سكين وعلى هذا يصور الشيخ قبل العمل على ما تقدم والله اعلم

الهروي والتل الدفع والصرع ومنه حديث ابي الدرداء رضي الله عنه وتركون لتلك اي لمصرعك
وفي حديث اخر فجاءت كوسا فتلتها اي اخذتها وفي الحديث بينا انا نايم اتيت بمفاتيح
خزائن الارض فتلت في يدي قال ابن الانباري اي وقعت في يدي يقال تللت الرجل
اذا القيته وقال ابن الاعرابي تللت في يدي والتل السهل يقال تليل وتليل بالكسر اذا سقط قلت وفي صحيح مسلم عن سهل ابن سعد هو
الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن
يساره اشياخ فقال للغلام اتاذن لي ان اعطي هؤلاء فقال الغلام لا والله لا اوثر بنصيبي
منك احدا قال فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده بسر مد حمله في يده
وقال لبعضهم هذا لك اشارة ان ابراهيم او في سمعته الله ثم نظر انه آتولن بالمعجنة فلم
يرض حتى جيء بحنكه مشركه فقال له يا ابراهيم اذبح ولدك في مرضاتي فتشهد واخذ
السكين واضجع ولده ثم قال اللهم تقبله مني في مرضاتك فاوحى الله اليه يا ابراهيم
لم تكن المراد ذبح الولد وانما المراد اذ قبلت انيابا فلما رددت قبلتك تكليته انيابا
رددنا ولدك الى البيت وقال كعب وعشرة لما اراد ابراهيم ذبح ولده في منامه قال
الشيطان والله لئن لم افتن عند هذا الا براهيم لا افتتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان لهم في صورة الرجل ثم اتى ام الغلام وقال اين ذهب
ابراهيم بابنك قالت لا قال الا ليذبحه قالت كلا هو ارفق به من ذلك
قال انه يزعم ان ربه امره بذلك قالت فان كان ربه فقد امره بذلك فقد احسن
ان يطيع ربه ثم اتى الغلام فقال اين ذهب بك ابوك قال لا قال فانه
يذهب بك ليذبحك قال ولم قال زعم ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما
امره الله به سمعا وطاعة لامر الله ثم هما ابراهيم فقال اين تريد والله اني لاظن
ان الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك فعرفه ابراهيم فقال اليك
عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فلم يصب الملعون منهم شيأ قال ابن عباس
لما امر ابراهيم بذبح ابنه عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات
حتى ذهب ثم عرض لابراهيم لامر الله تعالى واختلف المراد الذي اراد ذبحه فقيل
بمكة في المقام وقيل في المنحر بمنى عند الجمار الزيمي يرمي ابليس قاله ابن عباس
وابن عمر ومحمد ابن كعب وسعيد ابن المسيب وحكى عن سعيد ابن جبير انه ذبحه على الصخرة
التي باصل ثبير بمنى وقال ابن جريج ذبحه بالشام وهو من بيت المقدس عاملين
ذلك باكثر فائدة وروي في الاخبار وتظاهرت ان الكبش في الجنة قد رعى قبل انه ذبح بمكة
وقال ابن عباس الكبش المعلق بثبير هبط به من ميزاب الكعبة قد رعى قبل ذلك اربعين
خريفا وقال من قال بان الذبح وقع بالشام لعل الراس حمل من الشام الى مكة والله اعلم اساتذة
تولد نقاوي ان كذلك تجزي المحسنين اي نجزيهم بالخلاص من الشدائد في الدنيا وهو
والاخرة ان هذا لهو البلاء المبين اي النعمة الظاهرة بقال ابلاه الله وبلاه اذا انعم عليه
وفرقال بلاه قال زهير

فابلاهما خير البلاء الذي يبلو فرعم قوم انجابا للفتيين وقال
اخرون بلاه الثاني يبلوه اذا اختبره ولا يقال من الاختبار الا بلاه يبلوه ولا يقال
من الانعام الا يبلوه واصل هذه الكلمة من الاختبار انما تكون بالخير والشر قال جل وعز ونبلوكم
بالشر والخير فتنة وقال ابو زيد هذا في البلاء الذي شرك به في ان يذبح ابنه قال
وهذا من البلاء المكروه السابق خلافه نقاوي وفديناه بذبح عظيم الذبح اسم المذبوح
وجمعه ذبوح كالطحن اسم المطحون والذبح المصدر عظيم اي عظيم القدر ولم يرد
عظيم الجثة وانما عظم قدره لانه فدي به الذبح ولانه مستقبل قال ابن عباس عظيم
في اللغة يكون للكبير والشريف واهل التفسير على انه ههنا للشريف المتقبل
وقال ابن عباس رضوا الكبش الذي تقرب به هابيل وكان في الجنة يرعى حتى فدي اسمه باسمعيل
وعنه ايضا انه كبش رسله الله الى الجنة كانه فدي في الجنة اربعين خريفا وقال
الكسائي فديناه اسمعيل الا بنين من الازدواج هبط عليه من ثبير فذبحه ابراهيم
فداء عن ابنه وهذا مفوض الى علي رضي الله عنه فلما راه ابراهيم اخذه فذبحه واعتق ابنه
وقال يا بني اليوم وهبت لي وقال ابو اسحق الزجاج قد قيل انه فدي بوعل
والوعل التيس الجبلي واهل التفسير على انه فدي بكبش الثامنة في هذه الاية دليل على

ان الاضحية بالغنم افضل من الابل والبقر وهذا مذهب مالك واصحابه قالوا افضل الضحايا الفحول من الضان واناث الضان يا حبذا من فحول المعز خير من اناثها واناث المعز خير من الابل والبقر وحجتهم قوله سبحانه وفديناه بذبح عظيم ضحى الجنة بكبشين وذلك لكبش لا جمل ولا بقرة وروى مجاهد وغيره عن ابن عباس انه لما اراد ابراهيم ان ينحر ابنه قال له جبريل كبر كبش سمين سم قرنا وفديناه بذبح عظيم وقال بعضهم لو علم الله حيوانا افضل من الكبش لفدى به اسحق وضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين واكثر ما تضحى به الكباش وذكر ابن ابي شيبة عن ابن علية عن ليث عن مجاهد قال الذبح العظيم الشاة التامة واختلفوا ايما افضل الاضحية او الصدقة بثمنها فقال مالك والشافعي الضحية افضل لانها بمعنى انه لنبي بموضع الاضحية حكاه ابو عمر وقال ابن المنذر روينا عن بلال انه قال ما ابالي ان لا اضحي لا بديل ولان اضعه في بطني فقد تقرب فيه هكذا قال المحدث احب الي ان اضحي به وهذا قول الشعبي اذا المقدار فيهما سواء فالصدقة افضل وبه قال مالك وابو يوسف وفيه متمسك لثان وتمسك الضحية افضل بهذا قول ربيعة وابي الزناد وبه قال اصحاب الرأي زاد ابو عمر واحمد بن حنبل قالوا الضحية افضل من الصدقة لان الضحية سنة وكيدة كصلاة العيد وعلموا ان صلاة العيد افضل من سائر النوافل ولذلك صلوات السنن افضل من التطوع كله قال ابو عمر وقد روي في فضل الضحايا آثار حسان فمنها ما رواه سعيد بن داود ابن ابي هند عن مالك عن نوير بن نجيح عن مكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفقة لعيد صلة الرحم افضل عند الله من اهراق الدم حتى قال ابو عمر وهو حديث غريب من حديث مالك وعن عائشة قالت يا ايها الناس ضحوا وطيبوا انفسا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد توجه باضحيته الى القبلة الا كان دمها وفرثها وصوفها حسنات محضرات في ميزانه يوم القيامة فاستمنه فان الدم ان وقع في التراب فانما يقع في حرز الله حتى يوفيه صاحبه يوم القيامة ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد وخرجها الترمذي ايضا عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ادمي من عمل يوم النحر احب الى الله من اهراق الدم انها لتاتي يوم القيامة بقرونها واشعارها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا قال وفي الباب عن عمران بن حصين وزيد بن ارقم وهذا حديث حسن الثالثة الضحية ليست بواجبة ولكنها سنة ومعروف وقال عكرمة كان ابن عباس يسمن يوم الاضحى بدرهم ان استطيع له ما وينبغي ان لا يفعل فعل هذا ابن عباس قال ابو عمر وقد شهد هذا ما روي عن ابي بكر وعمر انهما لا يضحيان عند اهل العلم لئلا يعتقد فيها الموا ظبة عليها انها واجبة فرض وكانوا ائمة يقتدي بهم من بعدهم ممن يظن ذلك بهم لانهم الواسطة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين امته فساغ لهم في الاجتهاد ترك ذلك ما لا يسوغ اليوم لغيرهم وفي حكى الطحاوي في مختصره قال ابو حنيفة الاضحية واجبة على المقيمين الواجدين من اهل الامصار ولا تجب على المسافر قال ويجب على الرجل عن الاضحية على ولده الصغير مثل الذي يجب عليه عن نفسه وخالفه ابو يوسف ومحمد فقالا لا تجب واجبة ولكنها سنة غير مرخص في وجد السبيل اليها في تركها قال ويدبا خذ قال ابو عمر وهذا مقول مالك قال لا ينبغي لاحد ان يتركها مسافرا ولا مقيما قال ابن حبيب ما صنع الا ان يكون له عذر الا الحاج بمنى وقال الامام الشافعي هي سنة على جميع الناس غير الحاج بمنى وليست بواجبة وقد احتج من اوجبها بان النبي صلى الله عليه وسلم امر بها بردة بن نيار ان يعيد ضحية اخرى لان ما لم يكن فرضا لم يؤمر فيه بالاعادة احتج الاخرون بحديث ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل العشر واراد احدكم ان يضحي فلا يا خذن من شعره ولا من اظفاره فلو كان كذلك الي ارادة المصلي وهو قول ابي بكر وعمر والي مسعود البدري ولا له الحادثة عشرة والذي يضحي به باجماع المسلمين الازواج الثمانية وهي الضان والمعز والابل والبقر قال ابن المنذر وقد حكي عن الحسن بن صالح انه قال يضحي ببقرة الوحش عن سبعة وبالظبي عن رجل وقال الامام الشافعي لو نتج ثور وحشي بقرة انسية او ثور انسي بقرة وحشية لا يجوز ان يضحى من هذا اضحية وقال اصحاب الرأي جائز لان ولدها بمنزلة امه وقال ابو ثور يجوز اذا كان منسوبا اليه لانضمام الثامنة عشرة

قد مضى

قد مضى في سورة الحج الكلام في وقت الذبح والاكل من الاضحية مستوفى وفي صحيح مسلم عن انس
قال ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر
ووضع رجله على صفاحهما في رواية قال ويقول بسم الله والله اكبر وقد مضى في اخر
الانعام حديث عمران بن حصين ومضى في المائدة القول في التذكية وبيانها وما يذكى به
وما لا يذكى الجنين ذكاة امه مستوفى وفي صحيح مسلم عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم امر بكبش اقرن يطأ في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد فاتي به ليضحي به
فقال لها يا عائشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ
الكبش فاضجعه ثم ذبحه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة محمد
ثم ضحى به وقد اختلف العلماء في هذا فكان الحسن البصري يقول في الاضحية بسم الله
والله اكبر هذا منك ولك تقبل من فلان وقال مالك ان فعل ذلك فحسن وان لم
يفعل وسمى الله اجزاه وقال الشافعي والتسمية على الذبيحة بسم الله فان زاد بعد
ذلك شيأ من ذكر الله او صلى على محمد عليه السلام لم اكرهه وقال اللهم تقبل
مني او قال تقبل من فلان فلا باس وقالا لا احب ان يذكر مع اسم الله غيره
وكره ان يقول اللهم تقبل من فلان عند الذبح وقال لا باس اذا كان قبل التسمية
وقالا ان يضع للذبح فحدث عائشة يرد هذا القول وقد تقدم ان ابراهيم
عليه السلام قال لما اراد ذبح ابنه الله اكبر والحمد لله فبقي سنة الثالثة غلبه
وروى البراء بن عازب اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل ما اذا يتقى من الضحايا
فاشار بيده وقال اربع وكان البراء يشير بيده ويقول بيدي اقصر من يد رسول الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم العرجاء البين ظلعها والعورا البين عورها
والمريضة البين مرضها والعجفا التي لا تنقى لفظ مالك ولا خلاف بينه واختلف
في البين من ذلك وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذن وان لا يضحى بمقابلة ولا مدابرة
ولا شرقا ولا خرقا قال والمقابلة ما قطع طرف اذنها والمدابرة ما قطع من جانب
الاذن والشرقا المشقوقة والخرقا المثقوبة قال حديث حسن
صحيح وفي الموطا عن نافع ان عبد الله بن عمر كان يتقي من الضحايا والبدن التي
لم تسن والتي تقص من خلقها قال مالك وهذا احب ما سمعت الي قال الغيبي
لم تسن اي لم تنبت اسنانها كما لم تفطر اسنانا وهذا كما قال فلان لم يلغ
اي لم يبط لبنا ولم يسن اي لم يبط سنا ولم يبزل اي لم يبط بزلا وهذا مثل الهتب
في الصاحي عن الهتما قال ابو عمرو لا باس ان يضحى عند مالك بالشاة الهتما
اذا كان ستوطا اسنانها من الكبر والهرم وكانت سمينة فان كانت ساقطة بعض
الاسنان وهي فتية لم يجز ان يضحى بها لان عيب غير مخيف والنقصان كله مكروه
وشرحه وتفصيله في كتب الفقه وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم استشرفوا
ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم ذكره الزمخشري الرابع عشر ولدت الابنة
على ان من نذر بكر ابنه او ذبحها انه يفديه بكبش كما فدي به ابراهيم ابنه قاله ابن هر
وعنه رواية اخرى يذبح شاة من الابل كما فدي بها عبد المطلب ابنه روى
البرواية عن عطاء الشعبي وروي عنه القاسم ابن محمد يجزيه كفارة يمين قال
جبرون لا شيء عليه وقال الشافعي هو معصية يستغفر الله منها وقال
ابو حنيفة لا يلزمه بها في ولده ذبح شاة ولا يلزمه في غير ولده شيء وقال
محمد عليه في الحلف بنحر عبده مثل الذي عليه في الحلف بنحر ولده اذا حنث وذكر ابن
عبد الحكم عن مالك فيمن قال انا انحر ولدي عند مقام ابراهيم فيمشي ثم حنث فعليه
هدي قال ومن نذر ان ينحر ابنه ولم ينزل عند مقام ابراهيم ولا اراده فلا شيء عليه
قال ومن جعل ابنه هديا اهدى عنه قال القاضي ابن العربي يلزمه شاة
كما قال ابو حنيفة لان الله تعالى جعل ذبح الولد واخرجه عنه بذبح شاة وكذلك اذا نذر
العبد ذبح ولده يلزمه ان ينذر شاة لان الله تعالى قال ملة ابيكم ابراهيم فالايمان
التزام اصلي والنذر التزام فرعي فيجب ان يكون محمولا عليه فان قيل كيف يؤمر
ابراهيم بذبح الولد وهي معصية والامر بالمعصية لا يجوز قلت هذا
العتراض على كتاب الله تعالى ولا يكون ذلك ممن يعتقد الاسلام فكيف بمن يفتي في الملا

والحرام وقد قال الله تعالى افعلما تؤمر والذي يحملوا الالباس عن قلوب الناس في ذلك
ان المعاصي والطاعات ليست باوصاف ذاتية للاعيان وانما الطاعة عبارة عن ما
تعلق به الامر من الافعال والمعصية عبارة عن ما تعلق به النهي من الافعال
فلما تعلق الامر بذبح الولد اسمعيل من ابراهيم صار طاعة وابتلاء ولهذا قال
الله تعالى ان هذا لهو البلاء المبين في الصبر على ذبح الولد النفس ولما تعلق النهي
بنافي ذبح ابنا بنا صار معصية فان قيل كيف يقدر نذرا وهو معصية قلت
انما يكون معصية لو كان يقصد ذبح الولد بنذره ولا يقول لله فان قيل فلو وقع
ذلك وقصدا لمعصية ولم ينو الفداء قلنا لو قصد ذلك لم يخرج في قصده ولا اثر في
نذره لان ذبح الولد صار عبادة عن ذبح الشاة شرعا الخامسة عشرة قوله
تعالى وتركنا عليه في الاخرين ابو على ابراهيم سلاما جملة في الامم بعده فما من امة الا
تصلي عليه وتحمده وهو دعاء ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في
الاخرين وقال عكرمة هو السلام على ابراهيم اي سلام منا وقيل سلامة له من
الموافات من مثل سلام على نوح في العالمين حسب ما تقدم كذلك نجزي المحسنين انه
من عبادنا المؤمنين او من الذين اعطوا العبودية حقها حتى استحقوا الاضافة
الى الله تعالى السادسة عشرة قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين بشر
بنبوته وذهب الى ان البشارة كانت مرتين فعلى هذا الذبيح هو اسحق لبشر بنبوته
جزاء على صبره ورضاه بامر ربه واستسلامه له وباركنا عليه وعلى اسحق اي ثنينا
عليهما بالتعهد وقيل كثرنا ولدهما اي باركنا على ابراهيم واولاده وقيل اسحق حين
اخرج ابناء بني اسرائيل من صلبه وقد قيل ان الكناية في عليه تعود على اسمعيل
وانه هو الذبيح قال المفصل الصحيح الذي يدل عليه القرآن انه اسمعيل وذلك
انه قضى الذبيح فلما قال في اخر القصة وفديناه بذبح عظيم ثم قال سلام على ابراهيم
كذلك نجزي المحسنين قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه اي على
اسمعيل وعلى اسحق كنى عنهما لانه قد تقدم ذكرهما ثم قال من ذريتهما فدل على انهما ذبيح
اسمعيل واسحق وليس تختلف الرواية في ان اسمعيل كان اكبر من اسحق بثلاث عشرة سنة
قلت قد ذكرنا اولا ما يدل على ان اسحق اكبر من اسمعيل وان المبشر به هو اسحق
بنص التنزيل فاذا كانت البشارة باسحق نصا فالذبيح لا شك هو اسحق فبشر بنبوته
فهو اكمل البشارة وبشر ابراهيم مرتين الاولى بولادته والثانية بنبوته كما قال
ابن عباس ولا تكون النبوة الا في حال الاخبار الكبرى نبيا نصب على الحال والهاء باركنا
عليه عائدة الى ابراهيم وليس لاسمعيل في الاية حق ترجع الكناية اليه واما روي من طريق
سفيان قال سمعت رجلا يقول للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فضحك النبي
صلى الله عليه ثم قال لمعاوية ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لله عليه ان سهل
الله عليه امرها ليذبحن احد ولده لله فسهل الله عليه امرها فوقع السهم على عبد الله
فمشت اخواله بنو مخزوم وقالوا افد ابنك فقداه بمائة من الابل وهو الذبيح
واسمعيل هو الذبيح الثاني فلا حجة فيه لان سنده لا يثبت على ما ذكرناه في كتاب
الاعلام في معرفة سوالة عليه الصلاة والسلام ولان العرب تجعل العم ابا قال
الله تعالى نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال تعالى ورفع
ابويه على العرش وهما ابوه وخالته ولذلك ما روي عن الشاعر الفرزدق عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لو صح اسناده فكيف والفرزدق في نفسه يقال
السابعة عشرة قوله تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لما ذكر البركة في الذرية هو
والكثرة قال بعضهم محسن ومنهم مسيء وان المسيء لا ينفعه نبوة النبوة فالهود
والنصارى وان كانوا من ولد اسحق والعرب وان كانوا من ولد اسمعيل فلا بد من
الفرق بين المحسن والمسيء والمؤمن والكافر. وفي التنزيل وقالت اليهود والنصارى
نحن ابنا الله واحباؤه الاية ابناء رسل الله نزاوا لانفسهم فضلا وقد تقدم في
قوله تعالى ولقد منا على موسى وهرون لما ذكر انجاء اسحق من الذبح ومن عليه
بعد من النبوة ذكر ما من به ايضا على موسى وهرون من ذلك وقوله نزا الكرب العظيم
قتل من الفرق الذي لحق بني اسرائيل وقيل نزا الغرق الذي لحق فرعون وقومه
قال الفراء الضمير لموسى وهرون وحدهما وهذا على ان الاثنين جمع دليله قوله

وابنيهما

وانيناهما وهديناهما وقبلنا لصبر لموسى وهرون وقومهما والكتاب المستبين التوراة
يقال استبان كذا اي صار بينا واستبانه فلان مثل تبين الشيء بنفسه وتبينه فلان
والصراط المستقيم الدين القيم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام وتركنا عليهما
في الاخرين سريدا لنا الجميل سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما
من عبادنا المومنين تقدم قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين الياس نبي من
بني اسرائيل وروي عن ابن مسعود قال ان ادريس هو يعقوب والياس هو ادريس وقيل
وان ادريس وقاله عكرمة وقال هو في مصحف عبد الله وان ادريس لمن المرسلين
وانفرد بهذا القول وقال ابن عباس هو ذو الكفل وقال ابن اسحق وغيره بعث
في بني اسرائيل بعد يوشع كانت ابن يوفنا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل الذي عظمت الرحمة
في بني اسرائيل ونسوا ما عهد الله وعبدوا الاوثان من دونه بعث الله عليهم الياس
نبيا وبقيه البيع وامن به فما عتا عليه بنو اسرائيل دعا ربه ان يريحه منهم فقيل
له اخرج يوم كذا وكذا الى موضع كذا فما استقبلك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج
ومعه اليسع فتقابل اليه الياس ما تامرني فقذف اليه مكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك
علامة استخلافه اياه عن بني اسرائيل وكان ذلك اخر العهد وقطع الله عن الياس لذة
المطعم والمشرب وكساه الريش وقبسه النور وطار مع الملائكة فكان اذا سمع بملك
سماوي ارضي قال ابن قتيبة وذلك ان الله تعالى قال لالياس سلني اعطك قال
ترفعني الملك وتوحش عني مرارة الموت فصار ليطير مع الملائكة وقال بعضهم
كان قد مرض واحس الموت او خوفا من النار قال لا ولا لشيء من هذا وعزتك انما جزعي
كيف يحمدك الحامدون بعدي ولا احمدك ويذكرك الذاكرون بعدي ولا اذكرك
ويصوم الصائمون ولا اصوم ويصلي المصلون ولا اصلي فقيل له يا الياس وعزتي
لاوحرنك الى وقت لا يذكر فيه ذاكر ليحيى يعني يوم القيامة وقال عبد العزيز
ابن ابي رواد ان الياس والخضر عليهما السلام يصومان شهر رمضان في كل عام بمكة
المقدسة ويوافيان الموسم في كل عام وذكر ابن ابي الدنيا انهما يقولان عند افتتاحهما
ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله ما شاء الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا
الله ما شاء الله ما شاء الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شاء الله ما شاء الله
توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل وقد سمى في الكهف وذكر من طريق مكحول
عن انس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا ببعض الناقة عند الحمة
اذا نحن بصبي يقول اللهم اجعلني من امة محمد المرحومة المغفور لها المتوب عليها
المستجاب لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما بهذا الصوت
فدخلت الجبل فاذا انا برجل ابيض الراس واللحية عليه ثياب بيض طوله اكثر من ثلثمائة
ذراع فلما نظر الي قال انت رسول النبي قلت نعم قال ارجع اليه فاقرئه مني السلام
وقل هذا خوك الياس يريد لقاءك فجئت النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنا
قريبا منه تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتاخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما شيء
من السماء شبه السفرة فاوى فاكلت معهما فاذا فيها كهامة ورمان وكرفس فلما اكلت
منه فتحيت وجاءت سحابة فحملته فاذا انا انظر اليه بينا من سمائه فيها تنوي
به فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي هذا الطعام الذي اكلنا امن اهل السماء
نزل عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم سالت عند فقال ياتيني به جبريل في كل اربعين
يوما اكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم ورمانه من رمان الجنة ولو قبضت ورمانا
لشفاني من كل داء وقال لي اذ قال لقومه يعني لبني اسرائيل الا تتقون يعني الله عز وجل
وتخافون عقابه اتدعون بعلا اسم صنم لهم كانوا يعبدونه وتذرون بذلك سميت مدينتهم
بعلبك قال ثعلب اختلف الناس في قوله جل وعز بهنا بعلا فقالت طائفة
البعل ههنا الصنم وقالت طائفة البعل ههنا ملك وقال ابن اسحق امراة كانوا
يعبدونها والاول اكثر وروى الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس انه قال تدعون بعلا
قال صنما وروى عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس انه قال تدعون بعلا قال
ربا بلغة اليمن والقولان صحيحان ايا تدعون صنما مملوكا ربا فتاركون احسن الخالقين
ايا ربها قال ام تدعون ربا اختلقتموه وتدعون بمعنى تسمون كما قال تعالى ان هي الا اسماء
وقال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي البعل الرب بلغة اليمن وسمع ابن عباس

رجلا من اهل اليمن يسوم ناقة عمي فقال من يعلم هذه ايمن ربها ومنه سمي البعل زوجا
قال ابوذؤيب او دفنا وراب بعلك في الوغا منتقلدا سيفا ورمحا ٥
فقاتل صنم كسره الياس وهرب منهم وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا
وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اهدوه اربع مائة جارية وجعلوهم انبياءه فكان
الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة فلما بعث الله ادريس يحفظونها ويعلمونها
الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت وبينهم بعلبك كما ذكرناه
وتقرؤون الحسن الخالقين اي احسن من قال له خالق وقيل المعنى احسن الصانعين
لان الناس يصنعون ولا يخلقون الله ربكم ورب اباءكم الاولين بالنصب في الاسماء ٥
الثلاثة قرا الربيع ابن خيثم والحسن ابن ابي اسحق ذا ابن وثاب والاعمش وحمزة ٥
والكسائي وبها يذهب ابو عبيد وابو حاتم وحكما ابو عبيد انما على النعت المجاور
وهو غلط وانما هو على البدل ولا يجوز النعت لانه لبس بتخليته وقرا ابن كثير وابو عمر
وعاصم وابو جعفر وشيبة ونافع بالرفع قال ابو حاتم تعني هو الله ربكم
الناس واولى ما قال ان يبتدا ويخبر بغيرها مما رد لاحذف ورايت علي بن سليمان يذهب
الى ان الرفع اولى واحسن لان قبله رايتا فالاستيناف اولى ٥ ابو الاباري من نصب
او رفع لم يقف على احسن المخالفين على تمام الكلام لان الله عز وجل يشركهم عز احسن الخالقين
من الوجهين جميعا قوله تعالى فكذبوه اخبر عن قوم الياس انهم كذبوه فانهم لمحضرون
اي في العذاب الا عباد الله المخلصين اي من قومه فانهم ناجون من العذاب وقرئ ٥
المخلصين وقد تقدم وتركنا عليه في الاخرين تقدم سلام على ال ياسين قرا ابو جعفر
وشيبة ونافع وقرا عكرمة وابو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي سلام على الياسين
وقرا الحسن سلام على الياسين بوصل الالف كانها ياسين دخلت عليها الالف واللام
التي للتعريف والمراد الياس عليه السلام وعليه وقع التسليم ولكنه اسم اعجمي والعرب
تضطرب في هذه الاسماء الاعجمية ويكثر تغييرهم لها قال ابن جني العرب تتلاعب بالاسماء
الاعجمية تلاعبا فياسين والياس واليا سين شيء واحد وقال الزمخشري وكان حمزة اذا وصل
يقف واذا وقف وقف على الياسين وادريسين وادراسين على انها لغات في الياس وادريس
والحاق الزيادة الياء والنون في السريانية معنى النسبة فكان سلام على الياسين فكانه
والله اعلم جعل اسمه وياسين ثم سلم على آله ابوا هذه الاسماء ومن كان على مذهبه وعلم ان
اذا سلم على آله من اجله مهما دخل في السلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
صل على آل ابي اوفى وقال الله عز وجل ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ومن قرا ٥
الياسين فلتعلم فيه غير قول فروى هرون عن ابي اسحق قال الياسين مثل ابراهيم
يذهب الى انه اسم له وابو عبيدة يذهب الى جمع جمع التسليم على انه واهل بيته سلم عليهم
وانشد ٥ قد لبى من نصر الحبيبين قدبي ٥ بقال قدني وقدني لغتان بمعنى حسب
وانا يريد ابا حبيب عبد الله بن الزبير فجمع على ان من كان على مذهبه داخل معه
وغيره ابو عبيدة يرويه الحبيبين على التثنية يريد عبد الله ومصعبا ورايت
علي بن سليمان نشرحه باكثر من هذا قال العرب تسمي قوم الرجل باسم الرجل
الجليل منهم فيقولون المهالبة على انهم سموا كل رجل منهم بالمهلب قال فعلى هذا
سلام على الياسين سمي كل رجل منهم بالياس وقد ذكر سيبويه في كتابه شيئا من هذا
انه ذكر ان العرب تفعل هذا على جملة التسمية فيقولون للاشعرون يريدون به
النسب المهدوي ومن قرا الياسين فهو جمع يدخل فيه الياس فهو جمع الياسي فحذف ياء
النسبة كما حذفت ياء النسبة في الجمع المكسر في نحو المهالبة في جمع مهلبي كذلك حذفت
في المسلم فتقول المهلبون وقد حكى سيبويه الاشعرون والتميرون يريد الاشعريين
والتميريين التسهيلي وهذا لا يصح بل هي لغة في الياس ولو اراد ما قالوه لادخل الالف
واللام كما تدخل في المهالبة والاشعرين فكان يقول سلام على الياسين لان العلم
اذا جمع تنكر حتى يعرف بالالف واللام لا تقول سلام على زيدين بل على الزيدين بالالف
واللام فالياس عليه السلام فيه ثلاث لغات الكسر واحتج ابو عبيدة فقال انه سلام
على الياسين وانه اسمه كما انا اسمه الياس لانه ليس في السورة سلام على احد غيره
من الانبياء صلى الله عليهم وسلم فكما سميا انبيا كذا سمي هود هذا الحجي ج اصله
لابي عمرو وهو غير لازم لانا نبيا نقول اهل اللغة اذا اسلم على آله من اجله فمن

سلام عليه والقول بان اسمه الياسين يحتاج الى دليل وروايته فتدبر وقع في الاسم اشكال قال
الماوردي وقرا الحسن سلام على ياسين باسقاط الالف قبل اللام وفتحه وجمان احدهما
انهم ال محمد قاله ابن عباس والثاني انهم ال الياس فعلى هذا في دخول الزيادة في ياسين
وجمان احدهما انها زيدت لتساوي اياي كما قال في موضع طور سينا وفي موضع اخر
سينين فعلى هذا يكون السلام على اله دونه ويكون الاضافة للتشريف
له الثاني انها وصلت لتجمع فيكون داخلا في جملتهم فيكون السلام عليه وعليهم قال
السهيلي قال بعض المتكلمين في معاني القران ال ياسين ال محمد عليه السلام ونزع
الى قول من قال في تفسير يا سين يا محمد وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة احدها
ان سياقة الكلام في قصة الياسين يلزم ان تكون كما هي في قصة ابراهيم ونوح
وموسى وهرون وان التسليم راجع عليهم والا معنى للجمع عن مقصود الكلام
لقول قيل في تلك الاربعة الاخر بمع ضعف ذلك القول ايضا فان ليس وحم والعم
ونحو ذلك القول فيها واحدا منها هي حروف مقطعة اما ماخوذة من اسماء الله تعالى
كما قال ابن عباس واما من صفات القران واما كما قال الشعبي لله في كل
كتاب سر وسره في القران فواتح القران وايضا فان رسولنا صلى الله عليه
وسلم قال لي خمسة اسماء ولم يذكر فيها يس وايضا فان يس جاءت التلاوة فيها بالسكون
والوقف ولو كان اسما للنبي صلى الله عليه وسلم لقال يا سين بالضم كما قال تعالى
يوسف ايها الصديق واذا بطل هذا القول لما ذكرناه فالياسين هو الياس المذكور
وعليه وقع التسليم وقال ابو عمرو بن العلاء هو مثل ادريس وادراسين وكذلك
هو في مصحف ابن مسعود وان ادريس لمن المرسلين ثم قال سلام على ادراسين انا
كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ
نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم قدم قصة لوط ثم دمرنا الاخرين
اي يا لعقوبة وانكم لتمرون عليهم مصبحين خاطب العرب اي يمرون على منازلهم
واثارهم مصبحين وقت الصباح وبالليل تمرون عليهم ايضا وتم الكلام ثم قال
افلا تعقلون فتعتبرون وتتدبرون قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى
الفلك المشحون الى قوله للبث في بطنه الى يوم يبعثون فبين ان مسائيل الاولى قوله
تعالى وان يونس لمن المرسلين يونس لهوذ والهوذ وهو ابن متى وهو ابو العجوز التي
نزلت عليها الياس فاستخفا عندها من قومه ستة اشهر ويونس صبي يرضع وكان
ام يونس تخدمه بنفسها وتوانسه ولا تدخر عنه كرامة فقدر عليها ثم ان الياس سيم
ضيق البيوت فلحق بالجبال ومات ابن المراة يونس فخرجت في اثر الياس تطوف وراءه في
الجبال حتى وجدته فسالته ان يدعوا الله لعله يحيي لها ولدها فجا الياس الى الميت
بعد اربعة عشر يوما من موته فتوضا وصلى ودعا الله فاحيا الله يونس بن متى بدعوة
الياس عليه السلام ارسله يونس الى اهل نينوى من ارض الموصل وكانوا يعبدون
الاصنام ثم تابوا حسبما تقدم بيانه في سورة يونس ومضى الانبيا قصة يونس
في خروجه مغاضبا واختلف في رسالته هل كانت قبل التقام الحوت اياه او بعده
فقال الطبري عن شهر بن حوشب ان جبريل عليه السلام اتى يونس فقال انطلق
الى اهل نينوى فانذرهم انا العذاب قد حضرهم قال التمس دابة قال الامر اعجل
من ذلك قال التمس جرارا قال الامر اعجل من ذلك قال فغضب فانطلق الى السفينة
فركب فلما ركب احتبست السفينة لانه مذنب ولا تدخر عنه كرامة فقدر عليها ثم ان الياس
بذنبه فتوارى الحوت الى الحوت انا لم نجعل لك ليونس رزقا انما جعلنا لك حوتا وسجدا
قال فالتقمه الحوت من ذلك المكان حتى مر به على الابلة ثم انطلق حتى مر به على دجلة
ثم انطلق حتى القاه في نينوى حدثني الحرث قال حدثنا الحسن قال ثنا ابو
هلال قال حدثنا سهر بن حوشب عن ابن عباس قال انما كانت رسالة يونس
بعد ما نبذه الحوت واستدل هو لا بان الرسول لا يخرج من ارض الموصل وكانوا يعبدون
منه قبل النبوة وقال اخرون كان ذلك منه بعد دعائه من ارسل اليهم اما امره الله
بدعائهم اليه وتبليغه اياهم رسالة ربه ولكنه وعدهم نزول ما كان حذرهم من باس
الله وقت وقته لهم فلما رفعهم اذ لم ينيبوا ولم يراجعوا طاعة الله فلما اظلهم العذاب

العذاب وعشيهم كما قال الله تعالى فلولا كانت قرية تابوا الى الله فرفع الله العذاب عنهم وبلغ
وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذي كان وعدهموه فغضب من ذلك وقال
وعدتهم وعدا فكذب وعدي فذهب مغاضبا به وكره الرجوع اليهم وقد جربوا عليه
الكذب وذاه سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد مضى بيان هذا في الانبياء وهو الصحيح
مما يأتي عند قوله تعالى ولولا ان رسلناه الى مائة الف او يزيدون ولم يصرف يونس
لانه اسم اعجمي ولو كان عربيا لانصرف اذا كان نكرة وله نظائر في القرآن تنفعل
كما انك اذا سميت بيعفور صرفته واذا سميته بيعفل لم تصرفه التاسعة قوله
تعالى اذ ابق قال المبرد اصل ابق تبا محمود منه فلذلك ابق وقال غيره انما قيل
ليونس ابق لانه خرج بغيرا من الله عز وجل مستخفا من الناس الى الفلك المشحون
اي المملوء والفلك يذكر ويونث ويكون واحدا وجمعا وقد تقدم وقال الترمذي
الحكيم سماه ابقا لانه ابق عن العبودية وانما العبودية ترك الهوى وبذل النفس عند
امر الله فلما لم يبذل نفسه عند ما اشتدت عليه العرمة من الملك حسب ما
تقدم بيانه في الانبياء واتبع هواه لزمه اسم الابق وكانت عرمة الملك في امر الله لا
في امر نفسه ويحظ حق الله لا يحظ لنفسه فلهذا سمي يونس فلم الصواب الذي عند الله هو
قتلها ابقا وسليما الثالثة قوله تعالى فساهم قال المبرد فقارع ثم قال واصله
من السهام التي تخال فكان من المدحضين قال من المغلوبين قال الفراء حضت
حجته واحضها الله واصله من الزلق قال الشاعر فتلقنا المدحضين بكل فج
فقد فرت بفتلهم العيون اي المغلوبين الرابعة قوله تعالى فالتقمه الحوت
وهو سليم اي اتى بما يلام عليه فاما الملوم فهو الذي يلام استحق ذلك او لم يستحق
وقيل الملوم المعيب فقال لولا ان الرجل اذا عمل شيئا فضار معيبا بذلك الحمل فلولا ان
من المسبحين قالت الكسائي لم تكسر اذ لدخول اللام لان اللام لم تبت لها الجحاس والاخفش
كما قال انما اللام في جواب لولا فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين للبث في بطنه الى
يوم يبعثون عقوبة له اي يكون بطن الحوت قبره الى يوم القيامة عطا سبعة ايام
واقلقكم انما هو في بطن الحوت فقال السدي والكلبي وقاتل ابن سليمان اربعين
والضحاك عشرين يوما وقاتل ابن جبان ثلاثة ايام وقيل ساعة واحدة الخامسة
ما روى الطبري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اراد الله ذكره خلق يونس في بطن الحوت اوحى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما
ولا تكسر عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع
يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت
انه هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت قال فسمعت الملائكة
تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذلك عبدي يونس
عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد الملك
منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه
في الساحل كما قال الله تعالى وهو سقيم وكان سقمه الذي وصفه به الله تعالى ذكره ان
القاه الحوت على الساحل كالصبي المنفوس فنبت اللحم والعظم وروي ان الحوت
مارمع السفينة فنظر راسه يتنفس حين رأى يونس يسبح لم يزالوا فقدهم حتى انتهوا الى
البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فسلموا ذكره الزمخشري في تفسيره وقال ابن
العربي اخبرني غير واحد من اصحابنا عن امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك ابن عبد
الله ابن يوسف الجويني انه سئل عن الباري في حمله فقال لا هو تعالى عن ذلك قيل
له فما الدليل عليه قال الدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على
يونس ابن متى فقيل له ما وجه الدليل من هذا الخبر فقال لا اخوه حتى ياخذ ضبني هذا
الف دينار يقضي بها دينا قام رجلان فقال احدهما علي فقال لا يتبع بها ثمن لانه
لبث عليه فقال الآخر هي علي فقال ان يونس ابن متى رمى بنفسه في البحر فالتقمه
الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث وناداى لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين كما اخبر الله ولم يكن حمله حتى جلس على الرقوف الاخضر وارتفع قدر
صعدا حتى انتهى الى موضع يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه واوحى اليه

ما اوحى

ما اوحي بالغرب الي ان من يونس في بطن الحوت في ظلمة البحر الساد سنة ذكر الطبري ان يونس
في بطن الحوت عليه السلام لما ركب في السفينة اصاب اهلها عاصف من الريح فقالوا هذه
بخطيئة احدكم فقال يونس وعرف انه صاحب الذنب فقال هذه خطيئتي فالقوني في البحر
وانهم لم يوطنوا عليه حتى اقاضوا سهامهم فساهمهم فكان من المدحضين فقال قد اخبرتكم
ان هذا لامر بين وانهم ابوا ان يلقوه في البحر حتى اعادوا سهامهم الثالثة فكان من
المدحضين فلما راى ذلك القى نفسه في البحر وذلك تحت الليل فابتلعه الحوت وزوى
الله مراكب السفينة تقنع ورفد سارت غير بعيد اذ جاءتهم ريح كادت السفينة ان
تنفرق فاجتمع اهل السفينة فدعوا فقالوا ايقظوا الرجل النائم يدعوا معنا فلعله عسا
الله معهم فدفع الله عنهم تلك الريح ثم انطلق يونس الى مكانه فرقد فجاءت ريح كادت
السفينة ان تنفرق فايقظوه ودعوا الله فارتفعت الريح قال فبينما هم كذلك
اذ رفع حوت عظيم راسه اليهم اراد ان يبتلع السفينة فقال لهم يونس يا قوم هذا
من اجلي فلو طرحتموني في البحر لسلمتم ولذهب الريح عنكم والروع قالوا لا نطرحك حتى
نتساهم فمن وقعت عليه رميناه في البحر قال فتساهموا فوقع على يونس فقال لهم
يا قوم اطرحوني فمن اجلي اصبتم فقالوا لا نفعل حتى نتساهم مرة اخرى ففعلوا فوقع
على يونس فقال لهم يا قوم اطرحوني فمن اجلي اصبتم فذلك قول الله عز وجل فساهم
فكان من المدحضين اي وقع السهم عليه فانطلقوا به الى صدر السفينة ليلقوه في
البحر فاذا الحوت فاتح فاه ثم جاءوا به الى جانب السفينة فاذا بالحوت ثم رجعوا به
الى الجانب الاخر فاذا بالحوت فاتح فاه فلما راى ذلك القى بنفسه فالتقمه الحوت فاوحى
الله تعالى الى الحوت اني لم اجعله لك رزقا ولكن جعلت بطنك له وعاء فمكث في بطن الحوت
اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك كنت من الظالمين فاستجبنا
له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المومنين وقد تقدم وباقي ففي هذا من الفقه ان القرعة
كانت معمولا بها في شرع من قبلنا وجاءت في شرعنا على ما تقدم في ال عمران ببيانه قال ابن
العربي وقد وردت القرعة في الشرع في ثلاثة مواطن الاول كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه الثاني ان النبي
صلى الله عليه وسلم رفع اليه ان رجلا اعتق ستة اعبد لا مال له غيرهم فاقرع بينهم
فاعتق اثنين وارق اربعة الثالث ان رجلين اختصما اليه في مواريث قد درست
فقال اذهبا وتوخيا الحق واستهما ولتحلل كل واحد منكما صاحبه فهذه ثلاثة
مواطن وهي القسم في النكاح والعتق والقسمة وجريان القرعة فيها لترفع الاشكال وسم
والتشهي . واختلف علماؤنا في القرعة بين الزوجات في السفر على قولين الصحيح
منها الاقتراع وبه قال اشهب ومطرف وذلك اذا السفر جميعهن لامكن واختيار
واحدة منهن ايثارا فليس الا القرعة وكذلك في مسيلة الاعبد الستة فان كل اثنين
منها ثلث وهو القدر الذي يجوز له فيه العتق في مرض الموت وتعيينها بالتشهي
لا يجوز شرعا فلم يبق الا القرعة وكذلك التشاجر اذا وقع في اعيان المواريث لم يميز
الحق الا القرعة فصارت اصلا في تعيين المستحق اذا اشكل قال والحق عندي
ان تجري في كل اشكال فوذلك ايبين لها واقوى لفصل الحكم فيها واجلى لرفع الاشكال
عنها ولذلك قلنا ان القرعة بين الزوجات في الطلاق كالقرعة بين الاماء في العتق
السابعة الاقتراع على القاء الادمي في البحر لا يجوز وانما كان ذلك في يونس
وزمانه مقدمة لتحقق برهانه وزيادة في ايمانه فانه لا يجوز لمن كان عاصيا ان يقتل
ولا بريء يجعل في النار والبحر انما تجري عليه الحدود والتقويم على مقدار جنايته وقد
ظن الناس ان البحر اذا هاج على القوم فاضطروا الى تخفيف السفينة ان القرعة تضرب
عليهم فيطرح بعضهم تخفيفا وهذا فاسد فانها لا تخفف برمي نفيس الرجال وانما
ذلك في الاموال ولكنهم يصبرون على قضاء الله عز وجل الثامنة اختلف هل يونس
ان يونس كان من المسبحين وان تسبيحه كان سبب نجاته ولذلك قيل ان العمل
الصالح يرفع صاحبه اذا عثر قال ابن عباس من المسبحين من المصلين
قال قتادة كان يصلي قبل ذلك لتحفظ الله جل وعز فنجاه وقال الربيع ان يونس لولا
انه كان له قبل ذلك عمل صالح للبث في بطن الحوت الى يوم يبعثون قال ومكتوب في الحكمة

ان العمل الصالح يرفع ربه اذا عثر وقال مقاتل من المسبحين من المصلين المطيعين قبل
المعصية وقال وهب من العابدين وقال الحسن ما كان له صلاة في بطن الحوت
ولكنه قدم عملا صالحا في حال الرخاء فذكر الله في حال البلاء واذ العمل الصالح ليرفع عن
صاحبه واذا عثر وجد منكما قلت ومن هذا المعنى قوله صلى الله
عليه وسلم من استطاع منكم ان تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل فليجتهد العبد
ويحرص على خصلة من صالح عمله يخلص فيها بينه وبين ربه ويدخرها اليوم فانته
وفقره وتجاها بجهده وليتزها عن خلقه بصلة البر لفقهها احوج ما كان اليه
وفي رواية البخاري ومسلم من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال بينما ثلثة نفر في رواية فمن كان قبلكم يتماشون اخذهم المطر فاووا
فاووا الى غار في جبل فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل فانطبقت عليهم
فقال بعضهم لبعض انظروا اعملا لا عملتموها صالحة لله فادعوا الله بها لعله يفرجها
عنكم الحديث بكماله وهو مشهور مشهور فتوسل تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة
من يقطين الراوي ان الحوت قذفه بساحل قريب من الموصل وقال ابن مسيط عن
ابي هريرة طرح يونس بالعراء وانبت الله عليه يقطينة فقلنا يا ابا هريرة وما
اليقطينة قال شجرة الدباء خلقها الله له اروته وحشته تاكل من حشائش الارض
او هشائش الارض فتشمخ عليه فتروي من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال حزم به يعني الحوت حتى لفظه البحر فطرحه
مثل الصبي المنفوس لم ينقص من خلقه شيء وقيل اذ يونس لما القاه الحوت على
ساحل البحر انبت الله عليه شجرة من يقطين وهي فيما ذكر شجرة القرع تنقطر
عليه من اللبن حتى رجعت اليه قوته ثم رجع ذات يوم الى الشجرة فوجدها يبست
فحزن وبكا عليها فعوتب فقيل له احزنت على شجرة وبكيت عليها ولم تحزن على
مائة الف او يزيدون من بني اسرائيل من اولاد ابراهيم خليلي اسرع في ابوي العذاب وهو
واردنا اهلاكهم جميعا وقيل هي شجرة التين وقيل شجرة التوت تنقطر بورقها
واستظل باغصانها وافطر على ثمارها واما كثر على انها شجرة اليقطين على ما اتى ثم
ان الله تبارك وتعالى اجتباه فجعله من الصالحين ثم ان يونس اتى قومه وجدهم
ان الله تعالى قد تاب عليهم فمر اليهم حتى لقي راعيا فسأله عن قوم يونس وعن
حالهم وكيف هم فاخبروه انهم بخير وانهم على رجاء ان يرجع اليهم رسولهم
فقال له انا قد لقيت يونس فقال لا استطيع ان ابشاهد فسمى له عشرا من غنمه
فقال لهذه تشهد لك انك لقيت يونس قال وهذه البقعة التي انت فيها
تشهد لك انك لقيت يونس قال وما ذاك قال وهذه الشجرة تشهد لك
انك لقيت يونس وانه رجع الراعي الى قومه فاخبرهم انه قد لقي يونس فكذبوه
وهموا به شرا فقال لا تعجلوا علي حتى اصبح فلما اصبح غدا بهم الى البقعة التي لقي
فيها يونس فاستنطقها فاخبرتهم انه لقي يونس واستنطق الشاة والشجرة
فاخبرتهما انه لقي يونس ثم ان يونس اتاهم بعد ذلك ذكر هذا الخبر وما قبله
الطبري رحمه الله وبعدناه طرحناه وقيل تركناه بالعراء بالصحراء قاله

ابو الاعرابي الاخفش بالقضا ابو عبيدة الواسع من الارض الفراء المكان الخالي
قال وقال ابو عبيدة الصواب وجه الارض وانشد لرجل من خزاعة دفعت رجلا
لا اخاف عثارها وتنبذت بالبلد العرابنيا ثم وحكى الاخفش في قوله
وهو سقيم وسقامي وسقام وقال في هذه السورة فنبذناه بالعراء قال في نون
والقلم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء هو مذموم والجواب ان الله جل وعز
خبرهما انه نبذه بالعراء وهو غير مذموم ولو لا رحمة الله عز وجل لنبذ بالعراء
وهو مذموم قال ابو العباس وقوله وانبتنا عليه شجرة من يقطين يعني عليه اي
عنده كقوله تعالى ولهم علي ذنب اي عندي وقيل عليه بمعنى له شجرة من يقطين
اليقطين شجر الدبا وقيل غيرها ذكره ابن الاعرابي وفي الخبر الدبا والبطيخ من
الجنة وقد ذكرنا في كتاب التذكرة وقال المبرد يقال لكل شجرة لا ساق لها
لغير بشر ورفعها على الارض يقطين نحو الدبا والبطيخ والحنظل فان كان لها ساق فهي
هي شجرة فقط وان كانت قائمة اي بغير ورق تفترش فهي يقينة وجمعها ينم قال الاصمعي
والينم والشجر ليجدان وروي نحوه عن ابن عباس وروي عن الحسن ومقاتل قالوا كل نبت
يمد ويبسط على الارض ولا يبقى على استواء ليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع
والحنظل فهو يقطين وقال سعيد بن جبير هو كل شيء يينع ثم يموت من عامه فيدخل
في هذا الموز قلت وهو مما له ساق الجوهري واليقطين ما لا ساق له كشجرة
القرع ونحوه الزجاج اشتقاق اليقطين من قطن بالمكان اي اقام به فهو يفعيل
وقيل هو اسم اعجمي وقيل انما خص اليقطين بالذكر لانه لا ينزل عليه ذباب وقيل لما
كان ثم يقطين فانبته الله في الحال المتغير وله فائدة اخرى وهي ان يدل على انه كان صغيرا وشاء
لم يكون له ظل الثعلبي كانت تظله فراخ حضرتها فاعجبته فيبست فجعل يحزن عليها
فقيل له يا يونس انت الذي لم تخلق ولم تسق ولم تنبته تحزن على شجرة فانا الذي
خلقت مائة الف من الناس او يزيدون تريد مني ان اسنا صلهم في ساعة واحدة وقد
تابوا وتبت عليهم فاين رحمتي يا يونس انا ارحم الراحمين وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياكل الدبا والقرع وكان يحب
القرع ويقول انها شجرة اخي يونس وقال انس قدم للنبي صلى الله عليه وسلم مرق
فيه دبا وقديد فجعل يتبع الدبا حتى هوالي الصحفة قال انس فلم ازل احب الدبا من
يومئذ خرجه الا بنية في الدعاء وارسلنا الى مائة الف او يزيدون قد تقدم عن
عباس ان رسالة يونس عليه السلام انما كانت بعد ما نبذ بالعراء وشب له
طريق الاعن شهر ابن حوشب عن الحسن واجود سنده اسنادا صحيحا حدثناه علي
ابن الحسين قال ثنا الحسن ابن محمد قال ثنا عمرو الشقري قال ثنا عاصم
اشرايل عن ابي اسحق عن عمرو بن ميمون قال ثنا عبد الله ابن مسعود في بيت
المال عن يونس النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يونس وعد قومه العذاب وخبرهم
ان يأتيهم الى ثلاثة ايام فخرقوا بين كل والدة وولدها وخرجوا فجاروا الى الله
عز وجل واستغفروا فكف الله عز وجل عنهم العذاب وعذا يونس عليه السلام
ينتظر العذاب فلم ير شيئا وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل فخرج يونس مغاضبا
فاتى قوما في سفينة فحملوه وعرفوه فلما دخل السفينة ركدت السفينة
والسفن تسير يمينا وشمالا فقالوا ما لسفينتكم قالوا لا ندري فقال يونس عليه
السلام ان فيها عبدا ابقا من ربه جل وعز وانا لن تسير حتى تلقوه فقالوا لعمرك انت
يا نبي الله فانا لا نلقيك قال فاقترعوا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرع عليهم
يونس فابوا ان يرموه قال فاقترعوا ثلاثا فوقع وقد وكل الله به حوتا
يونس ثلاث سنين او قال ثلاثا فوقع وقد وكل الله به حوتا
فابتلعه وهو يهوي به الى قرار الارض فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا فناداه
في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال ظلمة البحر وظلمة
وظلمة بطن الحوت قال فنبذناه بالعراء وهو سقيم قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي
ليس عليه ريش قال وانبت الله عليه شجرة من يقطين فنبتت فكان يستظل بها
ويصيب منها فيبست فبكى عليها فاوحى الله جل وعز اليه اتبكي على شجرة يبست ولا
تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان تهلكهم قال وخرج رسول يونس فاذا هو بغلام

البيضاوي قال يا غلام من انت قال من قوم يونس قال فاذا جئت اليهم فاخبرهم انك لقنت
يونس قال اذا كنت يونس فقد علمت انه من كذب قتل اذا لم تكن له بينة فمن يشهد لي
قال هذه الشجرة وهي اليقطينة قال فمرهما فقال لهما يونس اذا جاءكما هذا الغلام
فاشهدا له قالتا نعم قال فرجع الغلام الى قومه وكان في مشقة وكان له اخوة
غائبة الملك فقالوا انى لقنت يونس وهو يعلم علمك السلام قال فامر بهما ان تقتل
فقالوا ان له بينة فارسلوا اليه فاتى الشجرة واليقطينة فقال لهما نشدتكما الله
بالله عز وجل اتشهدا لي انى لقنت يونس قالتا نعم قال فرجع الى قومه مسرورا
يقول لو ان له شهدت له الشجرة والارض فاتوا الملك فاخبروه بما راوا قال عند
الله فتناول الملك يد الغلام فاجلسه في مجلسه فقال انت احق بهذا هو
المكان مني قال عبد الله فاقام لهم ذلك الغلام امرهم اربعين سنة قال ابو
جعفر النحاس فقد بين في هذا الحديث ان يونس كان ارسل قبل ان يلتقمه
الحوت بهذا الاسناد الذي لا يوجد بالقناس وفيه ايضا من الغابرة ان قوم يونس
امنوا وندموا قبل ان يروا العذاب لانا قد بينا انه اخبرهم انه يأتيهم العذاب
الى ثلاثة ايام فتفرقوا بين كل والدة وولدها وهذا هو الصحيح في الباب وانه
لم يكن حكم الله عز وجل فيهم كحكمه في غيرهم في قوله عز وجل فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما رأوا باسنا وقوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت الاية وقال بعض العلماء انهم رأوا نبأ العذاب فتابوا
وهذا لا يمتنع وقد تقدم ما للعلماء في هذا في سورة يونس فلينظر هناك قوله
تعالى او يزيدون قد مضى في البقرة مثله واذ في قوله تعالى او اشد قسوة وقال
الفراء او بمعنى بل وقال غيره انما معنى الواو وسنه قول الشاعر فلما استدار رحى
الحرب فينا تمنا رباقا ورزاما اي ورزاما وهذا كقوله
تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقرأ جعفر بن محمد الى مائة الف
ويزيدون بغير همزة فيزيدون في موضع رفع بانه خبر مبتدا محذوف اي هم
يزيدون النحاس ولا يفهم لهذا ان القولان عند البصريين وانكر ان اكون او بمعنى
بل وبمعنى الواو ولا ان بل للاضراب عن الاول والمجاب لما بعده وتعالى اسم جل وعز
عن ذلك او لخروج من شيء الى شيء وليس هذا موضع ذلك والواو معناه خلان معنيا
او فلو كان احدهما بمعنى الآخر لبطلت المعاني ولو جاز ذلك لكان وارسلناه الى
اكثر من مائتي الف احضر وقال المبرد المعنى وارسلناه الى جماعة لو رأيتموهم
لقلتم هم مائة الف او اكثر وانما خوطب العباد على ما يعرفون وقيل هو كما تقول
جاءني زيد او عمرو وانت تقرن من جاء منهما الا انك ابهمت على المخاطب وقال
الزجاج اي او يزيدون في تقديركم قال ابن عباس زادوا عليها ثلاثة الف
عشرين الفا ورواه ابي بن كعب مرفوعا وعن ابن عباس ايضا ثلاثين الفا
الحسن والربيع بضعا وثلاثين الفا وقال مقاتل زهاء سبعين الفا
قالوا فمتعناهم الى حين اي الى منتهى اجالهم فقوله تعالى فاستفتهم الربك البنات
ولهم البنون لما ذكر اخبارا لما مضى لتسلية للنبي صلى الله عليه احتج على كفار قريش
في قولهم ان الملائكة بنات الله فقال فاستفتهم وهو معطوف على مثله في اول
السورة وان نتا عنت بينهم المساواة اي فسل يا محمد اهل مكة الربك البنات
ولهم البنون ذلك ان جهينة وخزاعة وبني سليم وبني سلمة وعدة قبائل زعموا ان الملائكة
بنات الله وهذا سؤال توبيخ ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون اي حاضرون
لخلقنا اياهم اناثا وهذا كما قال جل وعز وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن
اناثا اشهدوا خلقهم قال جل وعز اشهدوا خلقهم ثم قال الا انهم من افكهم وهو قولهم
الكذب ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون في قولهم ان الله ولدا وهو الذي لا يلد ولا يولد
وان نعبد الا مكسورة لانها مبتدأ وخبرها ويجوز ان تكون بدلا مما قبلها مكسورة
فالقتم على ان تكون اما بمعنى حقا والكسر على ان تكون اما بمعنى الا النحاس ويجوز
على ابن سليمان ان يقول يجوز فتحها بعد الا تشبيها باما ما قام الا زيد فلا يجوز الا
كسرها لان بعدها الرفع الرفع وتمام الكلام تكاذبون ثم تبتدئ اصطفى على
معنى التقريع والتوبيخ كما قال ويحكم اصطفى البنات اي اختار البنات وترك

البصريين وقراءة العامة اصطفى بقطع الالف لانها الف الاستفهام دخلت على الف الوصل
فحذفت الفا لوصل وبقيت الف الاستفهام مفتوحة مقطوعة على حالها مثل
اطلع الغيب على ما تقدم وقرأ ابو جعفر وشيبة ونافع وحمزة اصطفى بوصل الالف
على الخبر بغير استفهام واذا ابتدأ كسر الهمزة وزعم ابو حاتم انه لا وجه لها الان
بعدها ما لكم كيف تحكمون فالكلام جار على التوبيخ من جهتين احداهما ان تكون
تبينا وتفسيرا لما قالوه من الكذب وتكون ما لكم كيف تحكمون منقطعا مما قبله
والجهة الثانية انه قد حكى النحويون مسهم الغرا اذا التوبيخ يكون باستفهام
وبغير استفهام كما قال جل وعز اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقيل هو على
اضمار القول اي ويقولون اصطفى البنات او تكون بدلا من قوله ولدا لان ولادة
البنات واتخاذهن اصطفاء لهن فابدل مستقبل الماضي من مستقبل الماضي فلا تقف
على هذا الكاذبون الا تذكرون قال الزجاج لا يجوز ان يكون له ولد ام لكم سلطان مبين
حجة وبرهان فاتوا بكتابكم اي بحجتكم ان كنتم صادقين في قولكم قوله تعالى وجعلوا
بينه وبين الجنة نسبا اكثر اهل التفسير ان الجنة هنا الملائكة روى ابن نجيح عن
مجاهد قال قالوا نعبدهم كما ركب ليس الملائكة بنات الله جل وتعالى فقال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهن قالوا بنات الحسن وقال الله لقد علمت
تلك الجنة لانهم لا يرون وقال انهم لمحضرون يقال لهم الجنة وروي عن
ابن عباس وروي اسرائيل عن السدي عن ابي مالك قال انما قيل لهم جنة لانهم
خزان على الجنان والملائكة كلهم جنة نسبا مصاهرة قال قتادة ولقد علمت
وقالت اليهود لعنهم الله ان الله صاهر الجن فكانت الملائكة من بينهم
وقال مجاهد والسدي وقالت ايضا القدرية ذلك كناية وخبرا عنه قالوا ان ابا بكر
خطب الى سادات الجن فزوجوه من سروات بناتهم فالملائكة بنات الله من سروات
بنات الجن وقال الحسن اشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي
جعلوه قلت قول الحسن في هذا الحسن دليله قوله تعالى الا ان قومكم
يرب العالمين اي في العبادة وقال ابن عباس والضحاك والحسن ايضا هو لهم
ان الله تعالى واتى ابليس خوان تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قوله تعالى ولقد
علمت الجنة اي الملائكة انهم يعني هذا القول لمحضرون في النار قاله قتادة وقال
مجاهد للحساب الشقي الاول او لي لان الاحضار ذكر في هذه السورة ولم يرد
الله به غير العذاب سبحان الله عما يصفون اي تنزيها لله عما يصفون الا عباد الله
المخلصين فانهم ناجون من النار فقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه
بفاتنين الا من هو صال الجحيم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله فانكم وما تعبدون
ما بمعنى الذي وقيل بمعنى المصدر اي فانكم وعبادتكم لهذه الاصنام وقيل اي فانكم
مع ما تعبدون من دون الله تعالى جاء فلان وجاء فلان مع فلان ما انتم عليه
اي على الله بفاتنين بمضلين الا من هو صال الجحيم قيل في تفسير مجيبين فيما علمت انه المعنى
انتم بمضلين احدا الا من قدر الله جل وعز عليه ان يضل وقال الشاعر وقد ينهنه
كيده عليه وكان لنا فاتنا اي مضلا الثانية في هذه الاية رد على القدرية
قال عمرو بن ذر قد ما على عمر بن عبد العزيز فذكر عنده القدر فقال عمر لو ادرك
الله ان لا يعصى ما خلق ابليس وهو راس الخطيئة وان في ذلك لعلما في كتاب الله جل
وعز فمن عرفه وجهله من جهله ثم قرأ انكم وما تعبدون ما انتم عليه
بفاتنين الا من كتب الله جل وعز عليه انه يصلى الجحيم وقال فصلت هذه الاية
بين الناس وفيها من العلم ان الشياطين لا يضلون احدا الا من كتب الله
عليه انه لا يهديني ولو علم الله جل وعز انه يهتدي لحال بينه وبينهم وعلى هذا فقوله
تعالى فاجلب عليهم بخيلك ورجلك اي لست تفضل منهم الي شيء الا اتي شاء فعلى
وقال لبيد ابن ربيعة في تثبيت القدر ما حسن

ان تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن الله ريثي وعجل
احمد الله فلا ند له ... بيديه الخير ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى ... ناعم البال ومن شاء اضل

قال العلماء اهل الحجاز يقولون فتنته واهل نجد يقولون افتنته الثالثة روي

عن الحسن انه قرأ الا من هو صال الجحيم بضم اللام الحاء وحماد عن اهل التفسير يقولون انه لحن لانه لا يجوز هذا قاض المدينة ومن احسن ما قيل فيه ما سمعت علي ابن سليمان يقوله قال هو محمول على المعنى لانه معنى من جماعة فالتقدير صالون تحذف النون للاضافة وحذفت الواو لالتقاء الساكنين وقيل اصله فاعل الا انه قلب من صال الى صايل وحذفت الياء وبقيت اللام فهو مثل تسقاهر في هار ووجه ثالث انه حذف لام صال تخفيفا وتحريك الاعراب على عينه لما حذف من قولهم صالت به حالته واصلها بالتاء من بالى كما قيل من غاى وقطيره فراة من قرا وحتى الجنتين دان وله الجواري المنشآت اجري الاعراب على العين والاصل في قراءة الجماعة صالي بالياء فحذفها الكاتب من الخط لسقوطها في اللفظ فتوهم انه تعالى وما منا الا له مقام معلوم هذا من قول الملائكة تعظيما لله جل وعز وانكارا منهم عبادته من عبدهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون قال ـــ تعالى لهذه الثلاث اذا نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتاخر جبريل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اهنا تفارقني فقال ما استطيع ان اتقدم عن مكاني وانزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم فحذف الموصل وتقديره عند البصريين وما منا ملك الا له مقام معلوم اي مكان معلوم في العبادة قاله ابن مسعود وابن جبير وقال ـــ ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي ويسبح وقالت عائشة قال النبي صلى الله عليه وسلم ما في السماء موضع قدم الا عليه ملك ساجد او قايم وعن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجرون الى الله لوددت اني كنت شجرة تعضد خرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث حسن غريب ويروى عن غير هذا الوجه ابا ذر قال لوددت اني كنت شجرة تعضد ويروى عن ابي ذر موقوفا وقال ـــ قتادة كان يصلي الرجال والنساء جميعا حتى نزلت هذه الاية وما منا الا له مقام معلوم قال فتقدم الرجال وتاخر النساء وانا لنحن الصافون قال ـــ الكلبي صفوفهم كصفوف اهل الدنيا في الارض وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال ـــ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في المسجد فقال الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها فقلنا يا رسول الله كيف تصف الملائكة عند ربها قال يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف وكان عمر يقول اذا قمتم الى الصلاة فاقيموا صفوفكم واستووا فانما يريد الله بكم هدى الملائكة ويقول وانا لنحن الصافون تاخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر وقد مضى في سورة الحجر بيانه وقال ـــ ابو موسى لمن كان الناس يصلون متقدمين فانزل الله تعالى وانا لنحن الصافون فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يصطفوا وقال ـــ السعدي جاء جبريل وملك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ـــ تقوم امتي من ثلثي الليل ونصفه وثلثه فان الملائكة تصلي وتسبح ما في السماء ملك فارغ وقيل اي لنحن الصافون اجنحتنا في الهواء قوفا ننتظر ما يومر به وقيل اي نحن الصافون حول العرش وانا لنحن المسبحون اي المصلون قاله قتادة وقيل اي المنزهون الله عما اضافه اليه المشركون والمراد انهم يحبون ان يعبدوا الله بالتسبيح والصلاة وليسوا معبودين ولا ان الله وقيل وما منا الا له مقام معلوم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم والموسنين للمشركين اي لكل واحد منا ومنكم في الاخرة مقام معلوم وهو مقام الحساب وقيل اي منا من له مقام الخوف ومنا من له مقام الرجاء ومنا من له مقام الاخلاص ومنا من له مقام الشكر الى غير ذلك من المقامات قلت والظاهر ان ذلك راجع الى قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم والله اعلم قوله تعالى وان كانوا ليقولون اي المشركون عادوا الى الاخبار عن المشركين اي كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم اذا تمنوا بالجهل قالوا لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي لو بعث الينا نبي ببيان الشرايع لاتبعناه ولما خففت ان دخلت على الفعل ولزمتها اللام فرقا بين النفي والايجاب والكوفيون يقولون ان بمعنى ما واللام بمعناها وقيل معنى لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الانبياء لكنا عباد الله المخلصين اي لو جاءنا ذكر كما جاء

الاولين لا خلصنا العبادة فكفروا به اي بالذكر والقرآن بقدرة على حذف اي لجاءهم محمد صلى الله عليه
وسلم بالذكر فكفروا به وهذا تعجب منهم اي فقد جاءهم نبي وانزل عليهم كتاب فيه بيان ما يحتاجون
اليه فكفروا وما عرفوا ما قالوا فسوف يعلمون قال الزجاج يعلمون عند نزول العذاب بهم كقوله تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين قال الفراء اي بالسعادة وقيل اراد بالكلمة
قوله جل وعز كتب الله لاغلبن انا ورسلي قال الحسن لم يقتل نبي من اصحاب الشرايع قط احد
انهم لهم المنصورون اي سبق الوعد لنصرهم بالحجة والغلبة، وان جندنا لهم الغالبون
على المعنى ولو كان على اللفظ لكان هم الغالبون مثل لعبدنا ما هنالك مهزوم من الاحزاب وقال
الشعبي جاء هنا على الجمع من اجل ان راس الاية قوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم
حتى حين قال قتادة الى الموت وقال الزجاج الى وقت امروا انه يصلوا اليه وقال ابن عباس
يعني القتل ببدر وقيل يعني فتح مكة وقيل الاية منسوخة بآية السيف وابصرهم فسوف
يبصرون حين لا ينفعهم الابصار وعسى من الله للوجوب وعبر بالابصار عن تقريب الامر
اي عن قريب اذا ابصروا رأوا ما يصيبهم يوم القيامة فسوف يعلمون من فرط تكذيبهم متى هذا العذاب اي لا يستعجلونه فانه واقع بكم
قوله تعالى فاذا نزل بساحتهم اي العذاب قال الزجاج وكان عذابهم يوم القتل ومعنى
بساحتهم اي بدارهم عن السدي وغيره والساحة في اللغة الدار الواسع
الفراء نزل بفنائهم ونزل بهم بفتح السين وضم الحاء وبساحتهم اي بعيس صباح المنذرين اي بيس صباح الذين انذروا
بالعذاب وقيل صباحا اي فساء الصباح صباحهم وخص الصباح بالذكر لان العذاب كان في
بانهم بيته وتمته الحديث الذي رواه انس رضي الله عنه قال لما اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي فقالوا محمد والخميس ورجعوا الى
حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بقوم فساء صباح
المنذرين وهو بين معنى فاذا نزل بساحتهم يرتد النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
سبحان ربك رب العزة عما يصفون فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى سبحان ربك نزه
سبحانه نفسه عما اضاف اليه المشركون رب العزة على البدل ويجوز النصب على المدح
والرفع بمعنى هو رب العزة عما يصفون اي من الصاحبة والولد وقيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء وقد مضى في البقرة
مستوفى الثانية سئل محمد بن يحيون عن معنى رب العزة لم جاز ذلك والعزة من صفات
الذات لا تقال رب العزة ونحوها من صفات ذاته جل وعز فقال العزة تكون
صفة وصفة فعل فصفة الذات كقوله فبالعزة جميعا وصفة الفعل كقوله
رب العزة والمعنى رب العزة التي يتقاذبها الخلق فيما بينهم فهي من خلق الله عز وجل
قال وقد جاء في التفسير ان العزة ههنا يراد بها السلطنة قال وقال بعضهم من حلف
بعزة الله فان اراد عزته التي هي صفته فعليه الكفارة وان اراد التي جعلها الله
بين عباده فلا كفارة الماوردي رب العزة يحتمل وجهين احدهما ان العزة هي
الثاني رب كل شيء مقترن من ملك او متجبر فلا كفارة
اذا نوى بها الحالف الثالث روى من حديث ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول قبل ان يسلم سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى اخر السورة ذكره
الثعلبي قلت قرات على الشيخ الامام المحدث الحافظ ابي الحسن بهبة بن محمد بن محمد بن
عمر بن البكري بالجزيرة قيل له المتصورة من الديار المصرية قال اخبرتنا الحرة ام
المؤيد زينب بنت عبد الرحمن ابن الحسن الشعري بنيسابور في المرة الاولى قالت
انا ابو محمد اسمعيل بن ابي بكر المقاري قال حدثنا ابو الحسن عبد الغافر بن محمد الفا
قال ثنا ابو سهل بشر بن احمد الاسفرايني قال ثنا ابو سليمان داود بن الحسن
البيهقي قال ثنا ابو زكريا يحيى بن يحيى بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري قال ثنا
هشيم عن ابي هرون العبدي عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول في اخر صلاته اذا وحين ينصرف سبحان ربك رب العزة
عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين قال الماوردي روى الشعبي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر
يوم القيامة فليقل اخر مجلسه حين يريد ان يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ذكره الثعلبي من حديث علي رضي الله عنه

مرفوعا الرابعة قوله تعالى وسلام على المرسلين ايما الذين يبلغون عن الله تعالى التوحيد
والرسالة وقال الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين
فانما انا رسول من المرسلين وقيل سبعين وسلام على المرسلين ايما امن لهم من الله
جل وعز لهم يوم القيامة العظمى الاكبر والحمد لله رب العالمين اي على ارسال الانبياء مبشرين ومنذرين
وقيل اي على جميع ما انعم الله به على الخلق اجمعين وقيل على اهلاك المشركين دليله فقطع
دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قلت ——— والكل مراد والحمد لله
يعم وسعني يصفون بكذبون والتعنت بزعمهم يصفون من الكذب

سورة ص مكية في قول الجميع وهي ثمان وثمانون اية

وقيل ثمان وثمانون اية ——— بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قراءة
العامة صن بجزم الدال على الوقف لانه حرف من حروف الهجاء سكن لالتقاء الساكنين والمجرد قرأ ابي ابن
كعب وذو الحسن وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم صاد بكسر الدال بغير تنوين ولقراءته
من وجهان احدهما انه من صادى يصادي اذا عارض ومنه فاتت لا تصدى اي تعرض
والمصادات المعارضة ومنه الصدي وهو ما يعارض الصوت في الاماكن الخالية
فالمعنى صادا القرآن بعملك اي عارضه بعملك وقابله به فاعمل باوامره وانته عن
نواهيه الحسن وهذا المذهب يروى عن الحسن انه فسره قرأته وروايته صحيحة
وعندي ان المعنى اتله وتفرص لقرأته والمذهب الاخر ان تكون الدال مكسورة لالتقاء
الساكنين وقرأ علي ابن بمرصاد بفتح الدال ومثله قول بفتح اخرها وله في ذلك
ثلثة مذاهب احدهن ان يكون بمعنى ائت صادا والثاني ان يكون فتح لالتقاء الساكنين وخالف
الفتح للاتباع ولانه اخف الحركات والثالث ان يكون منصوبا على القسم بغير حرف
كقولك الله لافعلن وقيل نصب على الاغراء وقيل معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها
حتى امنوا به وقرئ ابن ابي اسحق ايضا صاد بكسر الدال والتنوين على ان يكون مخفوضا
على حذف حرف القسم وهذا بعيد وان كان سيبويه قواها لانه مثله ويجوز ان يكون
مشبها بما لا ينصرف من الاسماء وغيرها وقرأ هرون الاعور ومحمد بن السميفع صن
وقف وقف بضم اخرهن لانه المعروف في باب التقاء الساكنين ومثله قط وقبل
وبعد وصاد اذا جعلته اسما للسورة لم ينصرف كما انك اذا سميت رجلا بمد كرلم
ينصرف فان قلت حرف وقالا ابن عباس وجابر بن عبد الله وقد سئلا عن صاد فقالا
لا ندري ما هي وقال عكرمة سئل نافع ابن الازرق ابن عباس عن صاد فقال صاد كان
بحرا بمكة وكانت عليه عروش عروش الرحمن اذا لا ليل ولا نهار وقال سعيد بن جبير
صاد بحر يحيي الله به الموتى بين النفختين وقال الضحاك معناه صدق الله وعده
ان صن قسم اقسم الله به وهو من اسمائه تعالى وقال السدي وروي عن ابن عباس
وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله تعالى صمد وصانع المصنوعات وصادق
الوعد وقال قتادة هو اسم من اسماء الرحمن وعنه اذا اسم من اسماء القرآن وقال
مجاهد هو فاتحة السورة وقيل هو مما استأثر الله تعالى بعلمه وهو معنى القول
الاول وقد تقدم جميع هذا في البقرة قوله تعالى والقرآن خفضوا والقسم واو
بدل من الباء اقسم بالقرآن تنبيها على جلالة قدره فان فيه بيان كل شيء وشفاء لما في
الصدور ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ذي الذكر لخفض النعت وقلة نونه خفضه
الساكن وهو الميم فصل بينه وبين ما عمل فيه ذو وهي على فعل قال ابن عباس ومقاتل يعني ذي
الذكر ذي البيان وقال الضحاك ذي الشرف اي من امن به كان شرفا له في الدارين هم
كما قال تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وايضا القرآن شرين في
نفسه لاعجازه واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره وقيل ذي الذكر اي فيه ذكر ما
يحتاج اليه من امر الدين وقيل ذي الذكر وجواب القسم محذوف واختلف فيه
اي على اي وجه فقيل جواب القسم ص لان معناه حق فهي جواب لقوله والقرآن كما يقول
حقا والله لنزلن بالله وجب والله فيكون الوقف من هذا الوجه على قوله والقرآن ذي
الذكر حسنا وعلى في عزة وشقاق تاما قاله ابن الانباري وحكى معناه الثعلبي عن
الفراء وقيل الجواب بل الذين كفروا في عزة وشقاق لانبل تنفي الامر سبق واثبات لغيره

قال

ق

قال القتبي فكانوا قالوا القرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق عن قبول الحق وعداوة
لمحمد صلى الله عليه وسلم او والقرآن ذي الذكر كما العرب كما يقولون من أنك لساحر كذاب لانهم
لم يوفقوا بالتصديق ذا هم ما تقدم بل هم في تكبر عن قبول الحق ونحو كقوله ق والقرآن المجيد بل
عجبوا وقيل الجواب كم اهلكنا كما قال والقرآن لكم اهلكنا قبلها تا خرتكم حذفت اللام
منها لقوله تعالى والشمس وضحاها ثم قال قد افلح اي لقد افلح قال المهدوي
وهذا مذهب الفراء ابن الانباري ومن هذا الوجه لا يتم الوقف على قوله في عزة وشقاق
وقال الخفش جواب القسم ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ونحو منه قوله تعالى
تالله ان كنا لفي ضلال مبين وقولهم والسما والطارق ان كل نفس الا ابن الانباري وهذا قبيح
لان الكلام قد طال فيما بينهما وكثرة الايات والقصص وقال الكسائي جواب القسم
قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ابن الانباري وهذا اقبح من الاول لان الكلام
اشد طولا فيما بين القسم وجوابه وقيل الجواب قوله اذ هذا الرزقنا ما له من نفاد
وقال قتادة الجواب محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر لتبعثن ونحوه قوله
تعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي في تكبر وامتناع من قبول الحق كما قال جل وعز
واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم والعزة عند العرب الغلبة والقهر يقال
من عز بز يعني من غلب سلب ومنه عزني في الخطاب اراد غلبني وقال خبر يعني على
الطريق بمنكبيه كما ابترك الخليع على القداح • اراد ليغلب وشقاق اي في اظهار خلاف
ومباينة وهو من الشق كان هذا في شق وذلك في شق وقد مضى في الفرقة مستوفى قوله
تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من قوم كانوا امنع من هؤلاء وكم لفظها التكثير ينادوا
فنادوا اي بالاستغاثة والتوبة والنداء رفع الصوت ومنه الخبر الفه على بلال فانه
اندى منك صوتا اي ارفع ولات حين مناص قال الحسن نادوا بالتوبة وليس حين
التوبة ولا حين لنيل العمل الصالح وهذا تفسير منه لقوله جل وعز ولات حين مناص
قال ليس بحين نزو ولا فرار قال ضبط القوم جميعا قال الكلبي كانوا اذا قاتلوا فاضطروا
قال بعضهم لبعض مناص اي علينا بالفرار والهزيمة فلما اتاهم العذاب قالوا مناص
فقال الله جل وعز ولات حين مناص • قال الفراء وعلى هذا القول تقدير فنادوا
مناص فحذف لدلالة الكلام عليه لان الوقت وقت تتادون به وفي هذا نوع
تحكم اذ يبعد ان يقال كل من هلك من الامم كانوا يقولون مناص عند الاضطرار
وقيل معنى ولات حين مناص اي لا خلاص وهو نصب بوقوع لا عليه قال الفشيري وفيه
نظر لانه لا معنى على هذا للواو في ولات حين مناص • وقال الزجاج اي فنادوا حين لا منا
اي ساعة لا منجا ولا فوت فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو وكما يقتضي المال
اذا جعل ابتدا وخبرا مثل قولك للغائب ذاهبا كنا فاذا جعلته مبتدا وخبرا اقتضى الواو
مثل جاءني زيد وهو راكب فاذا جعلته في حين ظرفته لقوله فنادوا والمناص بمعنى التاخر
والفرار والخلاص اي نادوا والطلب الخلاص في وقت لا يكون لهم فيه خلاص قال الفراء
النوصرات الحروف التي لا يوصل بها الفعل

امن ذكر ليلى اذ نأتك تنوص • تقاصر عنا ما يرجى قرينه ينوص

نوصا ومناصا اي فزوري اي تاخري ينوص اذا تقدم قلت فعلى هذا
يكون من الاضداد والنوص الحمار الوحشي واستناصوا اي تاخروا قاله الجوهري وتكلم النحويون
في ولات حين وفي الوقف عليه وكثر فيه ابو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الغرات
وكل ما جاء به الاثبات اتبعوه وقفا لسيبويه لان مشبهة بليس والاسم فيها مضمر
اي ليست احيانا حين مناص وحكى ان من العرب من يرفع بها فيقول ولات حين مناص
وحكى ان الرفع قليل ويكون الخبر محذوفا كما كان الاسم محذوفا في النصب اي ولات
حين مناص لنا والوقوف عليها عند سيبويه بالتا والوقوف عليها عند الفراء ولات بالتا ثم تبتدئ بحين مناص
وهو قول ابن كيسان والزجاج قال ابو الحسن ابن كشاذ والقول كما قال سيبويه
لانه شبهها بليس فكما تقول ليست تقول لات والوقوف عليها عند الكسائي بالهاء
ولاه وهو قول المبرد محمد بن يزيد وحكى عنه علي ابن سليمان ان الخبر في ذلك ابدا
محذوف عليها الهاء لتانيث الكلمة كما تقول ثمه وربه وقال الفشيري وقد
تقول ثمت بمعنى ثم وربت بمعنى رب فانهم زادوا في لاها فقالوا لاه كما قالوا ثم
ثمة ثم عند الوصل صارت تاء وقال الثعلبي وقال اهل ولات حين بفتحها

كانها كلمة واحدة وانما هي لان يدن فيها التاء بحرف بعدها ثم وقف قال ابو زيد الطائي
طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان ليس حين بقاء وقال آخر
تذكر حب ليلى لات حينا واسنى لشيب قد قطع القرينا
ومن العرب من يخفض بها وانشد الفراء فلتعرفن خلائقا مشمولة ولتندمن ولات ساعة مندم
وكان الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والاخفش يذهبون الى ان ولات حين التاء منفصلة من حين ويقفون عليها ولا يبتدئون وكذلك هو في المصاحف بالجر والعتق بقطع التاء من حين والى هذا كان يذهب ابو عبيدة معمر بن المثنى وقال ابو عبيدة القاسم ابن سلام الوقف عندي هذا الحرف ولا والابتداء بحين مناص فتكون التاء مع حين وقال لبعضهم لاتم يبتدئ فيقول حين مناص قال المهدوي وذكر ابن عبيد ان التاء في المصحف متصلة بحين وهو غلط عند النحويين وهو خلاف قول المفسرين ومن حجة ابي عبيد ان قال انا لم نجد العرب تزيد هذه التاء الا في حين وان وثم ولات وانشد لابي وجزة السعدي الفاطفون تحين مامن عاطف
والمطعمون زمان ابن المطعم وانشد لابي زيد الطائي * طلبوا صلحنا ولات اوان
فاجبنا ان ليس حين بقاء * فادخل التاء في اوان قال ابو عبيد ومن ادخالهم
التاء في الان حديث ابن عمر وسأله رجل عن عثمان رضي الله عنه فذكر مناقبه
ثم قال اذهب به تلان تفعل وكذلك قول الشاعر
* فولي فتل يوم رحمانا * وصلينا كما زعمت تلانا * قال ابو عبيد
ثم مع هذا كله اني تعمدت النظر في الذي يقال له الامام مصحف عثمان فوجدت التاء
متصلة مع حين فذكرت ذلك قال ابو جعفر النحاس اما البيت الاول
الذي انشده الاصمعي وجزة فرواه العلماء باللغة على اربعة اوجه كلها على خلاف
ما انشده وراويها ثقة بدان ورواه ابو العباس محمد بن يزيد الفاطفون *
ولات مامن عاطف والرواية الثانية الفاطفون ولات حين تعاطف والرواية
الثالثة رواها ابن كيسان الفاطفونه حين مامن عاطفة جعلها هاء
في الوقف وتاء في الدرج وزعم انها لبيان الحركة شبهت بهاء التانيث * والرواية
الرابعة الفاطفونه حين مامن عاطف * وفي هذه الرواية تقديران احدهما
وهو مذهب اسمعيل بن اسحق ان الهاء في موضع نصب كما تقول العرب زيدا
فاذا كتبت قلت الفارسوه واجاز سيبويه واجازته مثله والتقدير الاخر
الفاطفونه على ان الهاء لبيان الحركة كما تقول ضربنا المسلمونه في الوقف ثم اجرت
في الوصل مجراها في الوقف كما فعلوا هذا في المدينة ما اعتنى بما لتيم هلل عنى
سلطانيه واما البيت الثاني فلا حجة له فيه لانه يوقف ولات او ان غيران فيه
شيا مشكلا لانه يروى ولات او ان بالخفض وانما يقع ما بعد لات مرفوعا او منصوبا
وان كان فقد روي عن اسمعيل بن عمر انه جرا ولات حين مناص فهذا لا يعرف على
الكسر ونصب حين فاما ولات او ان فقد تقدير ان قال الاخفش فيه مضمر اي
ولات حين او ان قال النحاس وهذا القول بين الخطا والتقدير الاخر
عن ابي اسحق قال تقديره ولات اوانا فحذف المضاف اليه فوجب ان لا يعرب
وكسره لالتقاء الساكنين وانشده محمد بن يزيد * ولات اوان بالرفع واما البيت
الثالث فبيت مولد لا يعرف قائله ولا ينصح به حجة على ان محمد بن يزيد رواه كما
زعمت الان وقد ذهب المعنى كما تعمدت الان فاسقط الهمزة من انت والنون
واما احتجاجه بحديث ابن عمر لما ذكر للرجل مناقب عثمان فقال له اذهب بها
تلان الى اصحابك فلا حجة فيه لان المحدث انما يروي هذا على المعنى الدليل
على هذا ان بعضا هكذا روي عن ابن عمر هذا الحديث وقال فيه آذهب فاجتهد
جهدك ورواه اخر اذهب بها الان معك واما احتجاجه بانه وجدها في الامام
بحين فلا حجة فيه لان معنى للامام انه امام المصاحف فان كان مخالفا
لها فليس بامام لها وفي المصاحف كلها ولات فلو لم يكن في هذا الا الاحتجاج
لكان تسفيها وجمع مناص مناوص وتوتر هذا لي ويجوز ان جاء منذر منهم
ان في موضع نصب والمعنى من ان جاءهم فيكون متصلا بقوله في عزة وشقاق
ويجوز في قوله كم اهلكنا من قرن وقيل لا بل هذا ابتداء الكلام اي ومن جملتهم

انهم

انهم اظهروا التعجب من ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر يخبر بالكلام
الموه الذي يخبر به الناس وقيل نزلت بسحره بين الوالد وولده والرجل وزوجته كذاب
اي في دعوى النبوة فقوله تعالى اجعل الهة الها واحدا منصوب لانه اي صيرا
لهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي عجيب وقرأ السلمي عجاب بالتشديد والعجاب
والعجاب لغتان معناهما واحد فرق الخليل بين عجيب وعجاب فقال العجيب
والعجاب الذي يقع نحاه وزاد العجيب قال والطويل الذي فيه طول والطول الذي
قد تناهى وزاد الطول وقال الجوهري العجب الامر الذي يقع منه وكذلك
العجاب بالضم والعجاب بالتشديد اكثر منه وكذلك الاعجوبة وقال مقاتل عجاب
لغة ازد شنوءة وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مرض ابو طالب فجاءت قريش
الى النبي صلى الله عليه وسلم وعندها ابو جهل فقام ابو جهل
كي يبغته قال وشكوه الى ابي طالب فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك فقال يا عم
انما اريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي العجم الجزية اليهم فقال كلمة
واحدة فقال وما هي قال لا اله الا الله قال فقالوا اجعل الالهة الها واحدا
فانزل فيهم القرآن صاد والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق
حتى بلغ ان هذا الا اختلاق خرجه الترمذي ايضا بمعناه وقال هذا حديث
حسن صحيح وقيل لما اسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه شق على قريش
اسلامه فاجتمعوا الى ابي طالب وقالوا اقض بيننا وبين ابن اخيك فارسل ابو
طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء قومك يسألونك ان تسأل ذا السواءة فلا تمل الى كل
الميل على قومك فقال وما ذاك يا عماه قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا ونترك
والهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشرا مثلها فقال النبي
صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقاموا فقالوا اجعل
الالهة الها واحدا انا لنظنك يسير الخلق كلهم اله واحد فانزل الله فيهم هذه الآيات
الى قوله كذبت قبلهم قوم نوح فقوله تعالى وانطلق الملأ منهم اي امشوا
الملأ الاشراف والانطلاق الذهاب بسرعة انما انطلق هؤلاء الكافرون من
عند الرسول عليه السلام بقول بعضهم لبعض لا تسوا ايها امضوا على ما كنتم
عليه ولا تدخلوا في دينه واصبروا على الهتكم وقيل هو اشارة الى مشيهم الى ابي طالب
في مرضه كما سبق وفي رواية محمد بن اسحق انهم ابو جهل بن هشام وشيبة وعتبة
ابنا ربيعة بن عبد شمس وامية بن خلف والعاص ابو قيس وابو حنظلة اسرعوا
الى طالب فقالوا انت سيدنا وانصفنا في انفسنا فاكففنا ابن اخيك وسفهنا
سفهه فقد شتم آلهتنا وطعن في ديننا فارسل ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له ان قومك يزعمون انك تسبهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انما ادعوهم الى كلمة واحدة فقال ابو جهل وعشرا قال تقولوا لا اله الا الله فقاموا
وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا الشيء يراد وانطلق الملأ منهم اي امشوا
والمعنى بان امشوا وقيل ان بمعنى اي وانطلق الملأ منهم اي امشوا وهذا هو
تفسير انطلاقهم لانهم تكلموا بهذا اللفظ وقيل المعنى وانطلق الاشراف
منهم فقالوا للعوام امشوا واصبروا على الهتكم ان هذا
اي هذا الذي جاء به محمد عليه السلام لشيء يراد اي يراد بهذا الارض من زوال ملكنا
قوم وغير تسفيه احلامنا وقيل ان هذا لشيء يراد كلمة تحدث اي ما يريد محمد بما يقوله
الا ان يتخذ له اتباعا فيتحكم فينا بما يريد فاخذوا ان انطلقوا
وقال مقاتل ان عمر لما اسلم وفشى به الاسلام بمكة ذلك على قريش فقالوا ان اسلام
عمر في قوة الاسلام لشيء يراد قوله تعالى ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة
قال ابن عباس يريد النصرانية وقتادة ومقاتل والكلبي والسدي يعنون ملة
عيسى النصرانية وهي اخر الملل والنصارى يجعلون مع الله الها وقال مجاهد
وقتادة ايضا يعنون ملة قريش وقال الحسن ما سمعنا ان هذا يكون
في اخر الزمان وقيل اي ما سمعنا من اهل الكتابين ان محمدا رسول حق ان هذا الا اختلاق
اي كذب وتخرص عن ابن عباس وغيره بما خلق واختلق اي ابتدع وخالق الامر وجل

الخلف من هذا الى ابتدعهم على غير مثال قوله تعالى انزل عليه الذكر من بيننا هو استفهام انكار وا ذكر هنا القرآن انكروا اختصاصه بالوحي من بينهم فقال الله بل هم في شك من ذكري اي من وحيي وهو القرآن اي فتعلموا انهم لم تنزل صدقا فيما بينهم وانما شكوا فيما انزلته عليك هو من عندي ام لا بل لما يذوقوا عذابي اي انما اعترضوا لطول امتهالي ولو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشرك ولما قالوا ذلك ولكن لا ينفع الايمان حينئذ ولما يمنعهم وما اذيقه كقوله عما قليل ليصبحن نادمين قوله تعالى ام عندهم خزائن ربك العزيز الوهاب قيل ام لهم هذا فيسلموا محمدا عليه السلام مما انعم الله عز وجل به عليه من النبوة وام قد تردد بمعنى التقرير اذا كان الكلام متصلا بالكلام قبله كقوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه وقد قيل ان قوله ام عندهم خزائن ربك متصل بقوله وعجبوا ان جاءهم منذر منهم فالمعنى ان الله عز وجل يرسل من يشاء لانه خزائن السموات والارض له ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي فانا دعوا ذلك فليرتقوا في الاسباب اي فليصعدوا الى السموات وليمنعوا الملائكة من انزال الوحي على محمد يقال رقي يرقى ترقيا اذا صعد ورقي يرقى رقيا مثل رمى يرمي رميا من الرقعة وقال الزجاج ابن السبل الاسباب ارق من الشعر واشد من الحديد ولكن لا ترقى والسبب في اللغة كل ما يوصل به الى المطلوب من حبل وغيره وقيل الاسباب السموات التي تنزل الملائكة منها قاله مجاهد وقتادة قال ابن زيد

ولو رام اسباب السماء بسلم . وقيل الاسباب السموات نفسها اي فليصعدوا اسماءها قال السدي في الاسباب في الفضل والدين وقيل اي فليعملوا في اسباب القوة ان ظنوا انها تمنعه وهو معنى قول ابي عبيدة وقيل الاسباب الجبال اي ذو جدوا جبلا او سببا يصعدون فيه الى السماء فليرتقوا وهذا امر توبيخ وتعجيز ثم وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ان ينصره عليهم فقال جند ما هنالك اي جند حقير مهزوم ثما صلة وتقديره وعد نبيه صلى الله عليه وسلم هم جند فجند خبر ابتداء محذوف مهزوم اي مغلوب ليدل قوله انقطعت جحتهم لانهم لا يصلون الى ان يقولوا هذا الا ان يقال لهم ذلك وقيل هم جند من الاحزاب مهزوم متعلق بما قبله اي بدلا الذين في عزة وشقاق وهم جند من الاحزاب مهزوم فلا يهمك عزتهم وشقاقهم فاني اهزم جمعهم واسلب عزهم وهذا تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم وقد فعل بهم هذا في يوم بدر قال قتادة وعدا لله انه سيهزم بهم وهم بمكة فجاءهم يوم بدر وهنالك اشارة لبدر وهو موضع تحزبهم لقتالهم لمحمد وقيل المراد بالاحزاب الذين اتوا المدينة وتحزبوا على النبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى ذلك في الاحزاب والاحزاب الجند كما تقدم جند من قبائل شتى وقيل اراد بالاحزاب القرون الماضية من الكفار اي هو لاء جند على طريقتهم اولئك كقوله تعالى فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني اي على ديني ومذهبي وقال الفراء المعنى هم جند مغلوب اي مهزوم اذا صعدوا في السماء وقال الفتى يعني انهم جند لا محالة مهزوم فلم لا يقدرون على ان يدعوا السبيل لنبيهم ولا لانفسهم شيئا من خزائن رحمة الله ولا ان يملكوا السموات والارض قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الآية ذكرها تعزية لنبيه عليه السلام وتسلية له اي هو لا من قومك يا محمد جند من الاحزاب المتقدمين الذين تحزبوا على انبيائهم وقد كانوا اقوى من هو لا فاهلكوا وذكر الله تعالى القوم بلفظ التانيث واختلف اهل العربية في ذلك على قولين احدهما انه قد يجوز فيه التذكير والتانيث الثاني انه مذكر اللفظ لا يجوز تانيثه الا ان يقع المعنى على العشيرة والقبيلة فيغلب في اللفظ حكم المعنى المضمر تنبيها عليه كقوله تعالى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره ولم يقل ذكرها لانه لما كان الضمير غير مذكر اذكره وان كان اللفظ مقتضيا للتانيث ووصف فرعون بانه ذو الاوتاد وقد اختلف في تاويل ذلك فقال ابن عباس المعنى ذو البناء المحكم وقال الضحاك كان كثير البنيان والبنيان يسمى وتادا وذكر ابن عباس ايضا وقتادة وعطاء انه كان له اوتاد واوتاد وملاعب يلعب له

عليها

علیهما دعن الضحاك الیضاء والعوة والبطش وقال الكلبي ومقاتل كان يعذب الناس بالاوتاد
وكان اذا غضب على احد شده مستلقيا بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب
والحيات حتى يموت وقتله كان لشيخ المعذب بين اربع سواد كل طرف من اطرافه الى شيء
مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت وقيل ذو الاوتاد اي ذو الجنود الكثيرة
فسميت الجنود اوتادا لانهم يقوون امره كما تقوى اوتاد البيت وقال ابن قتيبة العرب
تقول لهم في عزة ثابت الاوتاد وسلطان ثابت الاوتاد يريدون دائما شديدا واصل
هذا ان البيت من بيوت الشعر انما يثبت ويقوم بالاوتاد قال الحارث بن حلزة
عواقبها باثم عليبة في طل سلطان ثابت الاوتاد . وواحد الاوتاد وتد بالكسر
وبالفتح لغة وقال الاصمعي يقال وتد واند كما يقال شغل شاغل والشد
لا فتن على الماء حزيلا واند اذا لم يكن يخلفها المواعد
قال شبه الرجل بالجمل وثمود وقوم لوط واصحاب ليكة اي الغيضة وقد مضى ذكرها
في الشعراء وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بفتح اللام والتاء من غير همز وهما لغتان
وكسر التاء وقد تقدم هذا واولئك الاحزاب اي هم الموصوفون بالقوة والكثرة كقولك
فلان هو الرجل ان كل ما كذب الرسل فحق عقاب اي فنزل بهم العذاب لذلك
التكذيب واثبت بعضهم الياء في عذابي ونكير في الحالين
وتظير لغته ٥ لانه قوله جل وعز وقال الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود فسمى هذه الامم احزابا قوله
تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ينتظر بعضهم بينتظر ومنه انظرونا نقتبس
من نوركم هؤلاء يعني كفار مكة الا صيحة واحدة اي نفخة القيامة ما ينظرون
بعد اذ اصيبوا بيد الا صيحة القيامة تأخذهم وقيل ما ينظرون احيا وهم الان الا الصيحة التي
هي النفخة في الصور كما قال ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون
فلا يستطيعون توصية وهذا اخبار عن قرب القيامة والموت وقيل ما ينتظر
كفار آخر هذه الامة المكذبين بمحمد ﷺ الا صيحة واحدة وهي النفخة وقال
عبد الله بن عمرو لم تكن صيحة في السماء الا بغضب من الله عز وجل على اهل الارض ما لها
من فواق اي من ترداد عن ابن عباس مجاهد ما لها رجوع قتادة من شئونها ما لها من
افاقة وقرأ حمزة والكسائي ما لها من فواق بضم الفاء الباقون بالفتح الجوهري والفواق
ما بين الحلبتين من الوقت لانها تحلب ثم تترك ساعة ثم يرضعها الفصيل لتدر ثم
تحلب تقول ما افاق يرعى ٥ الا قواقا وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة وقوله
تعالى ما لها من فواق بفتح الفاء وضمها من نظرة ولا راحة وافاقت الفيقة
بالكسر اسم الدين الذي يجمع بين الحلبتين صارت الواو ياء بالكسرة ما قبلها قال الاعشى
يصف بعيرة
حتى اذا افيقعة في ضرعها اجتمعت حانت لتوضع ستق النفس ورضعاتك والجمع فيقاء
وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها افاويق حتى ما يدر لها ثعل ٥
والافاويق الفيقاء اذا اجتمع في السحاب من ماء هو ممطرها ساعة بعد ساعة وافاقت الناقة
افاقة اي اجتمعت الفيقة في ضرعها هي نفيق ومفيقة عن ابي عمرو والجمع مفاريق قال
المبرد وابو عبيدة ومعنى هما من فواق بفتح الفاء اي راحة لا يفترون فيها كما يفيق المريض
والمغشي عليه من فواق بضم الفاء من الافاقة وقد تقدم انهما بمعنى وهو ما بين الحلبتين
قلت والمعنى المراد انها ممتدة لا تقطيع فيها وروى ابو هريرة قال
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال ان احدكم يجمع خلقه
في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل
اليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد
فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها
وفي رواية اخرى ان احدكم ليعمل زمانا من دهره او برهة من دهره بعمل اهل النار
ثم ان الله يتداركه برحمته فيدخله الجنة وذكر الحديث خرجه ابو سعيد
وغيره كما ذكرناه في كتاب التذكرة قوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب
قال مجاهد عذابنا وكذا قال قتادة نصيبنا من العذاب الحسن نصيبنا من
الجنة لنستعين به في الدنيا وقاله سعيد بن جبير ومعروف في اللغة ان يقال للنصيب
قط وللكتاب المكتوب بالجائزة قط قال الفراء القط في كلام العرب الحظ والنصيب
ومنه قيل للصك قط وقال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجائزة الجمع

ثم الفواق سكن وشبه بالفواق الذي هو الشرق

القطوط قال الاعشى ولا الملك النعمان يوم لقيته بغسطة يعطى القطوط ويافق
يعني كتب الجوائز ويروى بالنون بدل الباء بغسطة اي بنعمته وحاله الجليلة ويافق يصلح ويتفاد
في جمع قط انفا قطاطة وفي القليل اقط واقطاط ذكره الجماس وقال السدي
سالوا ان يمثل لهم مناذلهم من الجنة ليعلموا حقيقة ما يوعدون به وقال اسمعيل
ابن ابي خالد المعنى عجل لنا ارزاقنا وقيل معناه عجل لنا ما يكفينا من قولهم قطني اي
يكفيني وقيل انهم قالوا ذلك استهزاء لان كتبهم التي يعطونها باعمالهم وشمائلهم
حين تتلى عليهم يوم القيامة وهو قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي
كتابه وراء ظهره واصل القط القطع وهو القطع ومنه قط القلم فالقط اسم للقطعة
من الشيء كالقسم والقسم فاطلق على النصيب والكتاب والرزق لقطعه عن غيره الا انه
في الكتاب اكثر استعمالا واقوى حقيقة قال امية ابن ابي الصلت

قوم لهم ساحة العراق وما تجبى اليه والقط والقلم

قبل يوم الحساب اي قبل ان ننتهي الى الدنيا انه كان لا بد على ما يقولون منه وكل هذا
استعجال منهم فقوله تعالى اصبر على ما يقولون امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر لما
استهزوا به وهذه منسوخة بآية السيف قوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد لما
ذكر من اخبار الكفار وشقاقهم ونفورهم بالهلاك القرون من قبلهم امر نبيه عليه
السلام بالصبر على اذاهم وسلاه بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصصه لانبيا
ليتسلى بصبر من صبر منهم وليعلم ان له في الاخرة اضعاف ما اعطيه داود وغيره من الانبيا
نبيا وقيل لمعنى اصبر على قولهم واذكر لهم اقاصيص الانبيا لتكون برهانا على صحة
نبوتك ذا الايد اي ذا القوة في العبادة وكان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد
الصوم وافضله وكان يصلي نصف الليل وكان لا يفر اذا لاقى العدو وكان قويا
في الدعا الى الله تعالى وقوله عبدنا اظهار لشرفه بهذه الاضافة وتنبيه لاليد
والايد كما تقول العين والعاب قال

لم يكن مبدا ذا ماسلى فاداله ومنه رجل ابدي اي قوي وما ابدا الشيء تقوى قال الشاعر
اذا القوس ونزها ابدري فاصاب الكلى والدري

يقول اذا الله تعالى وتر القوس التي في السحاب رمى كلى الابل واسنمتها بالشحم يعني
من النبات الذي يكون من المطر وقد اناب قال الضحاك اي تواب ومن كثيرة انه كلما
ذكر ذنبه او خطر على باله استغفر منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر
الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل لانه يؤوب اذا رجع كما قال

وكل ذي غيبة يؤوب وغايب الموت لا يؤوب

وكان ذا ورجاعا الى طاعة الله ورضاه في كل امر فهو اهل لان يقتدي به قوله تعالى انا سخرنا
الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى انا سخرنا
الجبال معه قال مقاتل كان داود اذا ذكر الله جل وعز ذكرت الجبال معه وكان
يفقه تسبيح الجبال وقال ابن عباس يسبحن يصلين وانما يكون هذا معجزة اذا
راوه الناس وعرفوه وقال محمد بن اسحق اوتي داود من حسن الصوت ما يكون له
في الجبال دوي حسن وما تصغي لحسنه ويصوت معه بهذا التسبيح الجبال والطير وقيل
وقيل سخرها الله عز وجل لتسير معه فذلك تسبيحها لانها دالة على تنزيه الله عن شبه
المخلوقين وقد مضى القول في هذا في سبا وفي سبحان عند قوله تعالى وان من شيء الا يسبح
بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وان ذلك تسبيح مقال على الصحيح من الاقوال والله اعلم
بالعشي والاشراق الاشراق ابتداء ضوء الشمس بعد طلوعها يقال اشرقنا الشمس اذا طلعت
واشرقت اذا اضاءت فكان داود يسبح اشر صلاة تكون عند طلوع الشمس وعند مرور
الثانية روي عن ابن عباس انه قال كنت ارمي هذه الاية بالعشي والاشراق ولا ادري
ما هي حتى حدثتني ام هانيء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضا
ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هانيء هذه صلاة الاشراق وقال عكرمة قال
ابن عباس كان في نفسي شيء من صلاة الضحى حتى وجدتها في القرآن يسبحن بالعشي والاشراق
قال عكرمة وكان ابن عباس لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد وروي ان كعب
لما حبا دقال لابن عباس اني اجد في كتاب الله صلاة بعد طلوع الشمس هي صلاة
الاوابين فقال ابن عباس وانا اوجد ذلك في القرآن ذلك في قصة داود ليسبحن بالعشي

والاشراق

والهاجرة الثالثة صلاة الضحى ناقلة مستحبة وهي في الغداة بازاء العصر العشي لا ينبغي
ان يصلى الا حتى تبيض الشمس طالعة وبرتفع قدرها وتشرق بنورها كما لا يفعل العصر
اذا اصفرت الشمس وفي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة
الاوابين حين ترمض الفصال والفصال ان جمع فصيل وهو الذي يفطم عن الرضاع
عن الرضاعة من الابل والرمضاء شدة الحر في الارض وخص الفصال هنا بالذكر لانها هي التي
ترمض قبل انتهاء شدة الحر ترحما بها لقلة جلدها وذلك يكون في الضحى وتعدد
تفصيل وهو الوقت المتوسط بين طلوع الشمس وزوالها قال ابو بكر ابن العربي
ومن الناس من يبادر بها قبله ذلك استحبابا لاجل شغله فيجعل عمله لانه يصليها في
الوقت المنهي عنه وبالحق بعمله هو عليه لانها الرابعة روى الترمذي بسنده حديث
انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة
بنى الله له قصرا في الجنة قال حديث غريب وفي صحيح مسلم عن ابي ذر عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال كل سلامى من احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة
صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ
من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على سبحة الضحى غفرت له ذنوبه وان كانت مثل
زبد البحر وفي البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال اوصاني خليلي بثلاث لا ادعهن
حتى اموت صوم ثلاثة ايام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر لفظ البخاري وقال
مسلم وركعتي الضحى وخرجه من حديث ابي الدرداء كما خرجه البخاري من حديث ابي هريرة
وهكذا اكله عطاء ان اول الضحى ركعتان واكثره ثنتا عشرة والله اعلم وامثل السلامى بضم
السين عظام الاصابع والاكف والارجل ثم استعمل في سائر عظام الجسد وما صلد
وروي من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه خلق كل انسان
من بني آدم على ستين وثلاث مائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله و
واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس او شوكة او عظما عن طريق الناس وامر بمعروف
او نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاث مائة سلامي فانه يمشي يومئذ وقد زحزح
نفسه عن النار قال ابو هريرة ورباما قال يمسي كذا اخرجه مسلم وقوله ويجزئ من
ذلك ركعتان اي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الاعضاء ركعتان وذلك ان الصلاة
عمل بجميع اعضاء الجسد فاذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته التي عليه في الاصل
والله اعلم قوله تعالى والطير محشورة معطوف على الجبال قال الشاعر
محشورة الجاز لانه لم يظهرا لفعل قال ابن عباس كان داود عليه السلام اذا سبح
جاوبته الجبال واجتمعت اليه الطير فسبحن معه فاجتماعها اليه حشرها فالمعنى
وسخرنا الطير مجموعة اليه لتسبح لله معه وقيل اوبي وسخرنا الزمخشري لتحشر الطيور
اليه لتسبح معه اوامرنا الملائكة تحشر الطيور كل لداود اواب اي مطيع
اي كنا نعيده ونسبح معه وقيل انها لله عز وجل قوله تعالى وشددنا ملكه اي قويناه
حتى اذا ثبت قيل بالهيبة والقاء الرعب منه في القلوب وقيل بكثرة الجنود وقيل
بالنابيد والنصر وهذا اختيار ابن العربي فلا ينفع الجيش الكثير التفافه على غير
منصور وغير معان وقال ابن عباس رضي الله عنه كان داود اشد ملوك الارض
سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ثلثمائة وثلاثون الف رجل فاذا اصبح قال لهم
فقد داود رضي عنكم بنبي الله والملك عبارة عن كثرة الملك فقد يكون للرجل ملك
ولكن لا يكون ملكا حتى يكثر ذلك فلو ملك الرجل دارا او دارا لم يكن ملكا حتى يكون
له خادم يكفيه مؤنة التصرف في المنافع التي يستفاد لها لضرورية الادمية وقد
مضى هذا المعنى في براءة وحقيقة الملك في النمل مستوفى في قوله تعالى وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب فيه فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وآتيناه الحكمة اي النبوة عن
السدي مجاهد العدل ابو العالية العلم بكتاب الله تعالى قتادة السنة سفيان
العلم والفقه وفصل الخطاب قال ابو عبد الرحمن السلمي قتادة يعني الفصل
في القضاء وهو قول ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل وقال ابن عباس بيان
الكلام علي ابن ابي طالب هو البينة على المدعي واليمين على من انكر وقال شريح والشعبي
وقتادة ايضا وقال ابو موسى الاشعري والشعبي ايضا هو قوله اما بعد وهو اول

من ذهب ج

من تكلم بها وقيل فصل الخطاب البيان للفاصل بين الحق والباطل وقيل هو الايجاز بجمل
المعنى الكثير في اللفظ القليل والمعنى في هذه الاقوال متقارب وقول علي رضي الله عنه
بحمله لان مدار الحكم عليه في القضاء شامل لجميع قول ابي موسى الشاعي قال القاضي
ابو بكر بن العربي فاما علم القضاء فلعمري والاحكام انه نوع من العلم مجرد وفصل منه
موكد عند موقنة الاحكام والعمل بالحلال والحرام فمن الحديث اقضاكم علي واعلمكم بالحلال
والحرام معاذ ابن جبل فقد يكون الرجل بصيرا باحكام الافعال عارفا بالحلال والحرام
ولا يقوم بفصل القضاء يروى ان علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال لما بعثني
رسول الله صلى الله عليه وسلم حفر قوم زبية للاسد فوقع فيها الاسد وازدحم الناس
على الزبية فوقع فيها رجل وتعلق باخر وتعلق الاخر باخر حتى صاروا اربعة فجرحهم
الاسد فيها فهلكوا وحمل القوم السلاح وكادوا يقتتلون فقال فانتم فقلت
اتقتلون ما بني رجل من اجل اربعة انا سر تعالوا اقض بينكم بقضاء فان رضيتموه فهو
قضاء بينكم وان ابيتم رفعتم ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو احق بالقضاء
فجعل للاول ربع الدية وجعل الثاني ثلث الدية وجعل الثالث نصف الدية
وجعل للرابع الدية وجعل الدية على قدر جراحة الزبية على القبائل الاربع فسخط بعضهم
ورضي بعضهم فتم فتوا على رسول صلى الله عليه وسلم فقصوا عليه القصة فقال
انا اقضي بينكم فقام اليه علي فقضى بينهم فاخبروه بما قضى علي فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم القضاء كما قضى علي في روايته فامضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قضاء علي قلت وكذلك يروى في المعرفة بالقضاء ان ابا حنيفة جاءه رجل فقال له
ان ابن ابي ليلى وكان قاضيا بالكوفة جلد امرأة مجنونة فقال لرجل يا ابن الزانيين
جلدتي في المسجد وهي قائمة فقال اخطأ من ستة اوجه قال ابن المنذر وهذا الذي
قاله ابو حنيفة يا لبد منه لا يدركه احد بالرواية الا العلماء فاما قضيته علي فلا يدركها
الشادي ولا يلتقطها الا المتمرن في الاحكام الا الفاكه المتمادي وتحقيقها ان هؤلاء الا
ربعة المتقولون خطأ بالتدافع على المعترف من الحاضرين عليها فلهم الدية على من حضر
على وجه الخطأ بيد ان الاول مقتول بالمدافعة فقتل ثلاثة بالمجاذبة فله الدية
بما قتل وعليه ثلاثة ارباع الدية بالثلاثة الذين قتلهم واما الثاني فله ثلث الدية
وعليه الثلثان بالاثنين الذين قتلهما بالمجاذبة واما الثالث فله نصف الدية
وعليه نصف لانه قتل واحدا بالمجاذبة فوقعت المحاصة وعزم العوا قل هذا التقدير
لعدا القضاء الجاري فيه وهذا من بديع الاستنباط واما ابو حنيفة فانه نظر الى المعاني
المتعلقة بها فاسقط الاول المجنون لا حد عليه لان الجنون يسقط التكليف
وهذا اذا كان القذف في حالة الجنون واما اذا كان بحيث يميز ويفيق اخرى فانه
يحد بالقذف في حالة افاقته الثاني قوله يا ابن الزانيين فجعلها حدين لكل
واحد حدا فانما خطأه ابو حنيفة على مذهبه في ان حد القذف يتداخل لان عنده
حق الله تعالى لحد الخمر والزنا واما الشافعي وما لك فانهما يريان ان الحد بالقذف
حق للادمي فيتعدد بتعدد المقذوف الثالث انه جلد بغير مطالبة المقذوف ولا
يجوز اقامة حد القذف باجماع من الامة الا بعد المطالبة باقامته بينة من يقول
انه حق لله تعالى ومن يقول انه حق للادمي اذ لو كان حقا لله لما وقف على المطالبة كحد
الزنا الرابع انه اوالى بين الحدين ومن وجب عليه حدان لم يوال عليه بينهما بل يحد
لاحدهما ثم يترك حتى يندمل الضرب ثم يقام عليه الحد الاخر الخامس انه حد هاشمي
قابيته ولا يستحق المرأة الا خالسته مستورة قال بعض الناس في ترتيب السادس انه
اقام الحد في المسجد ولا تقام الحدود فيه اجماعا وفي القضاء في المسجد والتعزير
فيه خلاف قال القاضي فهذا هو فصل الخطاب وعلم القضاء الذي وقف الاشارة
اليه على احد التاويلات في الحديث المروي اقضاكم علي واما من قال انه لا يجاب هو
قول للعرب دون العجم ولمحمد صلى الله عليه وسلم دون العرب وقد بين هذا
بقوله واوتيت جوامع الكلم واما من قال انه متقول لما بعد فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول في خطبته اما بعد ويروى انا اول من قالها في الجاهلية سحبان بن
وايل اول من اتى بالبعد واول من تكلم على سجع وعمر مائة وثمانين سنة ولو صح ان
داود قالها لم ندل منه بالعربية على هذا النظر وانما كان نبيا بانه والله اعلم فوله تعالى

وهل

وهل اتاك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب الى قوله وحسن مآب فيه اربع وعشرون مسئلة م
الاولى قوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة لان اصله
المصدر قال الشاعر . وخصم عضاب ينفضون لحاهم كنفض البراديع العراب
الخوالي النحاس ولا خلاف بين اهل التفسير ان البراديع ههنا ملكان وقيل تسوروا هل
وان كانا اثنين حملا على الخصم اذ كان بلفظ الجمع وصار حاله مثل الركب والصحب وتقدير
للاثنين ذوا خصم وللجماعة ذوو خصم ومعنى تسوروا المحراب اتوه من اعلى سوره
يقال تسور الحائط لتسلقه والسور حائط المدينة وهو بغير همز وكذلك السور
جمع سورة مثل بسرة وبسر وهي كل منزلة من البناء ومنه سورة القرآن لانها
منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الاخرى وقد مضى في فاتحة الكتاب بيان هذا
وقوله تعالى .

. الم تر ان الله اعطاك سورة هي كل سلطان دونها يتذبذب .

هي شرف ومنزلة قال السوربا لهمز هو بقية الطعام في الاناء ابن العربي والسور
الوليمة بالفارسي وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب ان
جابرا قد اصنع لكم سورا فحيى هلا بكم والمحراب هنا اشرف قصر لانهم تسوروا عليه فيما
قاله يحيى بن سلام وقال ابو عبيدة اشرف مجلس ومنه محراب المسجد وقد يضاف
المؤنث فيه في غير موضع اذ دخلوا على داود اذ مرتين لانهما فعلان وذم الغراء اذا جاء
بمعنى وقوله اعداء تكون الثانية مع ما بعدها تبيينا لما قبلها المقاس وقيل
ملكين قاله جماعة وعينهما جماعة فقالوا انهما جبريل وميكايل وقيل ملكين
في صورة انسيين بعثهما الله اليه في يوم عبادته فمنعهما الحرس ان يدخلوا فتسوروا
المحراب عليه فاشرفوا وهو في الصلاة اي علوا ونزلوا عليه من فوق المحراب قاله سفيان
الثوري وغيره وسبب ذلك ما حكاه ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ نفسه
اذا ابتلي ان يعتصم فقيل له انك ستبتلى وتعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك
فاخذ الزبور ودخل المحراب ومنع من الدخول عليه فبينما هو يقرأ الزبور اذ جاء طائر
كاحسن ما يكون من الطير فجعل يدرج بين يديه فهم ان يتناول له بيده فاستدرج حتى
وقع في كوة المحراب فدنا منه ليأخذه فانقض فاطلع ليبصر فاشرف على امرأة تغتسل
فلما رأته غطت جسدها بشعرها قال السدي فوقعت في قلبه فقال ابن عباس
وكان زوجها غازيا في سبيل الله وهو اوريا بن حنان فكتب داود الى امير الغزاة ان
يجعل اوريا في حملة التابوت وكان حملة التابوت اذا ان يفتح الله عليهم او يقتلوا
فقدمه فيهم فقتل فلما انقضت عدتها خطبها داود واشترطت عليه ان ولدت له
خلافا ان يكون الخليفة بعده وكتبت عليه بذلك كتابا واشهدت عليه حسين رجلا
من بني اسرائيل فلم يستقر نفسه حتى دخل سليمان وشب وتسور الملكان وكان من
شأنهما ما قص الله في كتابه ذكره الماوردي وغيره ولا يصح قال ابن العربي وهو اسخف
ما روي في ذلك قلت ورواه مرفوعا بمعناه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن يزيد الرقاشي سمع انس بن مالك يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان داود النبي عليه السلام حين نظر الى المرأة فهم بها قطع على بني اسرائيل بعثا
فاوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا وسماه قال فقربه بين
يدي التابوت وكان ذلك التابوت في ذلك الزمان يستنصر به فمن قدم بين يدي
التابوت لم يرجع حتى يقتل ويهزم عند الجيش الذي يقاتله فتقدم فقتل
فذهب المرأة وتزل المكان على داود فنقضا عليه القصة وقال سعيد عن
قتادة كتب اليه اوريا ان ظفرت بحصار ربان مدينة بلقاء ان يأخذوا الخليفة التابوت
وفيه الموت زحفا حمر فتقدم فقتل وقال المغلبي قال رقيم من العلماء انما امتحن
الله داود بالخطبة لانه تمنى يوما على ربه منزلة ابراهيم واسحق ويعقوب وسأله
ان يمتحنه نحوما امتحنهم ويعطيه نحوما اعطاهم وكان داود قد قسم الدهر
ثلاثة ايام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه بعبادة ربه ويوم يخلو فيه
بنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق ويعقوب
فقال يا رب اذا الخير كله قد ذهب به اباي فاوحى الله اليه انهم ابتلوا ببلاء لم
يبتل بمثله غيرهم فصبروا عليها ابتلى ابراهيم بنمرود وبالنار وبذبح ابنه وابتلي

اسحق بالذبح وابتلى يعقوب بالحزن على يوسف وذهاب بصره ولم تبتل انت بشيء من ذلك
فقال داود عليه السلام فابتلني بمثل ما ابتليتهم واعطني مثل ما اعطيتهم
فاوحى الله تعالى اليه انك ستبتلى في شهر كذا في يوم الجمعة فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه
واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور وقد كان اذ نزل له الشيطان في
صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن فوقفت بين رجليه فمد يده ليأخذها
فدفعها لابن له صغير فطارت غير بعيد ولم تؤيسه من نفسها فامتد لها ليأخذها
فتنحت فنهضها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت فنظر داود
ولم يقم في اثرها ليبعث اليها من يأخذها فنظر امرأة في بستان على سطح بركت تغتسل
قال الكلبي وقال السدي تغتسل عريانة على سطح لها فرأى اجمل النساء خلقا
فابصرت ظله فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده اعجابا بها وكان زوجها اوريا
ابن حنان في غزوة مع ايوب ابن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الى ايوب ان ابعث
باوريا الى مكان كذا وكذا او قدمه قبل التابوت وكان من قدم قتل التابوت لا يحل له
ان يرجع وراءه حتى يفتح الله عليه وليستشهد فتقدمه فقتل له وكتب الى داود يخبره
بذلك قال الكلبي وكان اوريا سيف الله في ارضه في زمان داود وكان اذا ضرب
صرخة وكبر كبر جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله وكبرت ملائكة السماء بتكبيره حتى
ينتهي ذلك الى العرش فتكبر ملائكة العرش بتكبيره قال وكان سيوف آل داود هكذا
ثلثة كانت ابن لوقنا في زمن موسى واوريا في زمن داود وحمزة ابن عبد المطلب في
زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كتب ايوب الى داود يخبره ان الله قد فتح على
اوريا كتب داود اليه ان ابعثه في بعث كذا وقدمه قبل التابوت ففتح الله عليه
فقتل في الثالثة شهيدا فتزوج داود تلك المرأة حين انقضت عدتها فهي
ام سليمان ان داود قتل بسبب امتحان داود عليه السلام ان نفسه حدثته
فيها من كل لون حتى وقعت بين رجليه فمد يده ليأخذها انه يطيق قطع يوم بغير
مفارقة شيء قال الحسن اذا وجزأ الدهر اربعة اجزاء جزأ للنساء وجزاء للعبادة
وجزاء لبني اسرائيل يبدأ كرم وتدوبيذ اكرهم ويكونه ويكلمهم ويوم للقضاء
فتذاكروا هل عمر على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمره او دانه لا يطيق ذلك
فاغلق الباب على نفسه يوم عبادته واسرائيل لا يدخل عليه احد واكب على قراءة
الزبور فوقعت حمامة من ذهب بين يديه وذكر نحو ما تقدم قال العلماء
في هذا دليل وهي التاسعة على انه ليس على الحاكم ان ينتصب للناس كل يوم وانه ليس
للانسان ان ينزل وطئ نسائه وان كان مشغولا بالعبادة وقد رخص هذا المعنى
في النساء وحكم كعب بذلك في زمن عمر بحضرة رضي الله عنهما ولم ينكر عليه السلام
لعند الله ابن عمرو ان لزوجك عليك حقا الحديث ايضا ويحتمل ان داود عليه السلام
قال لبني اسرائيل حين استخلف والله لا عدلن بينكم ولم يستثن فابتلي بعمد او قال
ابو بكر الوراق كان داود كثير العبادة فاعجب بعمله وقال هل في الارض احد يعمل
كعملي فاوحى الله الى جبريل قال ان الله تعالى يقول لك عجبت بعبادتك واني
باكل العبادة كما تاكل النار الحطب فلما اعجبت ثانية وكلتك الى نفسك قال
يا رب كلني الى نفسي سنة وقادر ذلك الكثير قال يا رب فكلني الى نفسي شهرا قال
ان ذلك لكثير قال فيوما قال ان ذلك لكثير قال يا رب فكلني الى نفسي ساعة
قال فساكلك بها فوكل الاحراس وللسور للصوف ودخل المحراب ووضع المزبور
بين يديه فبينما هو في عبادته اذ وقع الطائر بين يديه فكان من امر المرأة ما كان
وقال سفين المؤرخ قال داود ذات يوم يا رب ما من يوم الا وبنو داود
قد فيها قائم فاوحى الله يا داود ومن ذلك اومني وعزتي لاكلنك الى نفسك قال
يا رب اعف عني قال اكلك الى نفسك سنة قال لا يعزك قال فشهرا
قال لا يعزك قال فيوما قال لا يعزك قال فساعة قال لا يعزك قال فلحظة فقال له الشيطان
لا يعزك قال كلني الى نفسي لحظة فوكله الله الى نفسه لحظة وقيل
وما قدر لحظة قال كلني الى نفسي لحظة فوكله الله الى نفسه لحظة وقيل
انه بقي في يوم كذا فلما جاء ذلك اليوم حمله لعبادته ودخل الاحراس
الاخراس حوله وكانه قيل اربعة آلاف وقيل ثلاثين الفا وثلاثة وثلاثين

وقال الحسن

الغار وخلى بعبادة ربه وكان لذنبه ربع يديه فلما ان الحاشه فوقعت له فكان من امره
في لحظته مع المراة ما كان وارسل الله جل وعز اليه الملكان ليعيد ولادة سليمان وضربا
المثل بالنعاج فلما سمع المثل ذكر خطيئته فخر ساجدا اربعين ليلة على ما يأتي الثابت
قوله تعالى فتنزع منهم لانهما اتياه ليلا في غير وقت دخول الخصوم وقيد اي لخوفهم
عليه بغير اذنه وقيل لانهم تسوروا عليه المحراب ولم يأتوه من الباب قال ابن العربي
وكان محراب داود عليه السلام من اشرف المنازل بحيث لا يرتقى اليه الا من
يحمله الا ان يقيم الى ما فيها واشرفها بحيث طاقته مع اعوان يكثر عددهم والملائكة
جمع مختلفة الانواع ولو قدرنا انه يوصل اليه من باب المحراب لما قال الله تعالى مخبرا عن
ذلك تسوروا المحراب اذ لا تقال تسوروا المحراب وانما قد لمن طلع من درجها وجاها
من اسفلها الا ان يكون ذلك مجازا واذا شاهدت الكوة بحيث لا يأتيها الا علوا قال
الثعلبي وقد قيل كان المتسوران اخوين من بني اسرائيل لاب وام فلما قضى داود بينهما
بقضيته قال له ملك من الملائكة فهلا قضيت بذلك على نفسك يا داود قال
الثعلبي والاول احسن انهما كانا ملكين بنهما داود مما ثقل قلت على هذا اكثر
اهل التأويل فان قيل فكيف يجوز ان يقول الملكان خصمان بغى بعضنا على بعض
وذلك كذب والملائكة عن مثله منزهة فالجواب عند ائمة الاصول من تدبر الكلام من تقدم
قالا قدرنا كنا خصمين بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق وعلى ذلك يحمل قولهما
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة لان ذلك وان كان بصورة الخبر فالمراد ايراده
على طريق التقدير لينبه داود عليه السلام على ما فعل والله اعلم البراعة اذ قبل
لم فزع داود وهو نبي قد ثبت نفسه بالنبوة واطمأنت بالوحي وتقدمت له الآيات
الا من المنزلة والظهر على يديه من الايات وكان من الشجاعة عند غاية المكان قيل له
ذلك على سبيل الهيبة لما بدا منه الفتنة والاذابة وسها كان يخاف الا يتوب اليه موسى
وهرون عليهما السلام كيف قالا انا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى فقال الله
جل وعز لا تخافا وقالت الرسل للوط لا تخف انا رسل ربك لن يصلوا اليك وكذا
قال الملكان هنا لا تخف قال محمد بن اسحق بعث الله اليه ملكين فجثما امامه
وكانا على صورة الملكان هنا لا تخف وقوله فحاد خلكما على قالا لا تخف نحن خصمان بغى بعضنا
على بعض فجئنا لنقتضي بيننا الخامسة قال ابن العربي فان قيل كيف لم يأمر باخراجهم
اذ قد علم مظلمتهم ولا ادبهم وقد دخلوا عليه بغير اذن فالجواب عليه من اربعة
اوجه الاول انا لم نعلم كيفية شرعه في الحجاب والاذن فيكون الجواب بحسب ذلك لا
حكام وقد كان ذلك في ابتداء شرعنا مهملا عن هذه حتى اوضحها الله بالبيان الثاني
انا لو سلمنا الجواب على احكام الحجاب لاحتمل ان يكون الفزع الطارئ عليه اذهله
عما كان يجب في ذلك له المالك اشار ادان يستوفي كلا منهما الذي دخلا له حتى يعلم
اخر الامر منه ويرى هل يحتمل التفهم بغير اذن ام لا وهل يتمكن بذلك عذر
لهما ام لا يكون لهما عذر فيه فكان من اخر ما له ما الكشف انه بلا ومحنة
وسلا ضربه الله في القصة وادب وقع على دعوى الخصم الرابع انه يحتمل ان يكون
في مسجد ولا اذن في المسجد لاحد ولا حجة فيه على ما قلت وقول
خامس ذكره القشيري وهو انهما قالا لما لم يأذن لنا الوكلون بالحجاب فوصلنا
الى الدخول بالتسور وخفنا ان ينفلت منا امر بيننا فتقضي داود عند رهم واصغوا الى
قولهم الساد سة قوله تعالى في خصمان انه ان قيل كيف قالا خصمان وقد هدد
اذ تسوروا فقيل لان الاثنين جمع قال الخليل كما تقول نحن فعلنا اذ كنتما
اثنين وقال الكسائي جمع لما كان خبرا لما انتقلنا الخبر وجاز المجاطبة خبر
الاثنان عن انفسهما فقال لاخصمان وقال الزجاج المعنى نحن خصمان وقال
غيره القول محذوف اي يقول خصمان بغى بعضنا على بعض قال الكسائي
ولو كان بغى بعضهما على بعض لجاز الماورديه وكانا ملكين ولم يكونا خصمين
ولا باغيين ولا يأتي منهما كذب وتقدير كلامهما ما نقول ان اتانا خصمان
فالا بغى بعضنا على بعض وقيل انما كان من احدهما بغيان من الخصوم بغى بعضنا على
على بعض وعلى هذا يجتمل ان يكون الخصومة بين اثنين ومع كل واحد جمع ويحتمل

ان يكون لكل واحد من هذا الفريق حظ منه مع واحد من الفريق الاخر فحضروا الحظوظ
ولكن ابتدا سلهم اثنان فصرف داود بذكر النكاح الفضة واغنى ذلك عن التعرض
للمحظورات الاخر والسعي الندبي والخروج عن الواجب بقوله بغير الحق اذا افرط وجنح
وتزامى الى ما لا يحتمل ومنه بغت المرأة اذا اتت الفاحشة السابعة قوله تعالى فاحكم
بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر قاله السدي وحكى ابو عبيد سطت عليه واشططت
اي جرت وفي حديث تميم الداري انك لشاطي اي جائر علي في الحكم وقال قتادة لا تمل الاخفش
لا تشرف وقيل لا تفرط والمعنى متقارب والاصل فيه البعد من شط الدار اذا
بعدت شطت الدار تشط وتشط شطا وشطوطا فهي شطوط واشط في القضية
اي جار واشط في السوم واشط اي ابعد واشطوا في طلبي اي امعنوا قال ابو عمرو الشطط
مجاوزة القدر في كل شيء وفي الحديث لها سهم مسلما لا وكس ولا شطط اي لا انقصان
ولا زيادة فالتنزيل لقد قلنا اذا شططا اي جورا من القول وبعدا عن الحق واهدنا
الى سواء الصراط اي ارشدنا اي قصد السبيل الثامنة قوله تعالى ان هذا اخي له تسع
وتسعون نعجة اي قال الملك الذي تكلم عن او ربما ان هذا اخي اي على ديني واشار
الى المدعى عليه وقيل اخي اي صاحبي له تسع وتسعون نعجة وقرأ الحسن
تسع وتسعون نعجة بفتح التاء فيهما وهي لغة شاذة وهي لصحيحة من قراءة الحسن
قاله النحاس والعرب تكني عن المرأة بالنعجة والشاة لما هي عليه من السكون والعجز
وضعف الجانب وقد تكني عنها بالبقرة والحجر والناقة لان الكل مركوب قال ابو فروة

انا ابو لهمي ثلاث هنه ... والغة في البيت صفر هنه
وتجني حمأة وقيهنه ... الا فتى سمح بقدر همنه
طي التقاني الهوى يطوهنه ... ويل الرغيف وبل منهنه

وقال عنترة يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي فتجسسي اخبارها لي واعلمي
قالت رأيت من الاعادي غرة والشاة ممكنة لمن هو مرتم
فكأنما التفت بجيد جداية رشا من الغزلان حر رئتم

وقال آخر فرميت غفلة عينه عن شاته فاصبت حبة قلبها وطحالها

وهذا من احسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء قال الحسين ابن الفضل هذا من الملكين تعريض وتنبيه كقولهم ضرب زيد عمرا وما كان ضرب ولا نعاج على الحقيقة كما انه قال تخر خصمان هذه فالنا وقال ابو جعفر النحاس واحسن ما قيل في هذا ان المعنى يقول خصمان بغى بعضنا على بعض على جهة المثال كما تقول رجل لغيره لامرأته كذا ما يجب عليك فلت وقد قال المزني صاحب الشافعي هذه الرواية وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن شهاب الذي خرجه الموطأ وغيره فقولي يا عبيد ابن زمعة على نحو هذا قال المزني يحتمل هذا الحديث عندي والله اعلم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم اجاب عن المسئلة فاعلمهم بالحكم ان هذا يكون اذا ادعى صاحب فراش وصاحبة زنى لا زنى قيل على عتبة قول اخيه سعد لا ابن زمعة فقول ابنه انه ولد زنا لان كل واحد منهما اخبر عن غيره وقد اجمع المسلمون انه لا يقبل اقرار احد على غيره وقد ذكر الله سبحانه في كتابه مثل ذلك في قصة داود والملائكة اذ دخلوا عليه ففزع منهم قالوا لا تخف ولم يكن خصمين ولا كان لواحد منهم تسع وتسعون نعجة ولكنهم كلموه على المسئلة ليعرف بها ما اراد وا تعريفه فيحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه حكم في هذه القصة على المسئلة وان لم يكن تولى على هذا التأويل في الحديث فانه عندي صحيح والله اعلم التاسعة قال النحاس وفي قراءة ابن مسعود ان هذا اخي كان له تسع وتسعون نعجة انثى وكان هنا سائل فقوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما فاما قوله انثى فمؤنث كبد كما يقال هو رجل ذكر وهو ناكبد وقيل لما كان يقال فقده تاء التأنيث وان كان فيها من الذكور ما شيء يصير جاز ان يقال انثى ليعلم انه لا ذكر فيها وفي التفسير له تسع وتسعون امرأة قال ابن العربي اذا كان جميعهن احرارا فذلك شرعنا وان كن اماء فذلك شرعنا والظاهر ان شرع من تقدم قبلنا لم يكن محصورا العدد وانما الحصر في شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم لضعف الابدان وقلة الاعمار وقال القشيري ويجوز ان يقال لم يكن له هذا العدد بعينه ولكن المقصود ضرب مثل كما

تقول

تقول لو جيئتني مائة مرة لم اقض حاجتك ايي مراد كثيرة قال ابن العربي قال بعض المفسرين
لم يكن لداود مائة امراة وانما ذكر التسعة والتسعين مثلا للمعنى هذا يغني عن الزوجة
وانا مفتقرا اليها وهذا فاسد من وجهين احدهما ان العدول عن الظاهر يصير دليلا لا معنى
ولا دليل يدل عليه ان شرع من قبلنا كان مقصورا من النساء على ما في شرعنا الثاني انه روي في
البخاري وغيره ان سليمان عليه السلام قال لاطوفن الليلة على مائة امراة تلد كل امراة
غلاما يقاتل في سبيل الله ونسي ان يقول ان شاء الله وهذا نص في عشرة فوله تعالى ولي نعجة
واحدة اي امراة قال اكفلنيها اي انزل لي عنها حتى اكفلها وقال ابن عباس اعطنيها وقد تحول
عنها وقال له ابن مسعود وقال ابو الهيثم ضمها الي حتى اكفلها وقال ابن كيسان هو
اجعلها كفلي ونصيبي وعزني في الخطاب غلبني قال الضحاك ان تكلم كان افصح مني وان
جاربك كان ابطش مني يقال عزه يعزه بضم العين في المستقبل عز اغلبه وفي المثل من عز
بز اي من غلب سلب والاسم العزة وهي القوة والغلبة قال فطاه عز هاشوكن فبانت
تجاذبه وقد علق الجناح وفي ابن مسعود وعبيد بن عمير وعزني في الخطاب اي غالبني
من المغالبة وهي المبالغة هذه اي غالبه قال ابن العربي واختلف في سبب الغلبة
فقيل معناه غلبني بيانه وقيل غلبني بسلطانه لانه لما سأله لم يستطع خلافه كان
بيلاد نا امير فيقال له ابن ابي بكر فكلمته في ان يسأل لي رجلا حاجة فقال لي اما علمت ان
طلب السلطان الحاجة عضب لها فقلت اساء اذا كان عدلا فلا فعمدت من فجئته وحفظه
لما تمثل به وفطنته كما عجب من جوابي له واستغربه الحادية عشرة قوله قال لقد ظلمك
سؤال نعجتك الى نعاجه قال الحسن فيقال ان هذه كانت خطبته او ولانه
قال لقد ظلمك من غير تثبت ببينة ولا اقرار من الخصم هل كان هذا كذا ام لم يكن
هذا قول قلت وسيأتي بيان في المسئلة بعد هذا وهو حسن ان شاء الله تعالى
قال ابو جعفر النحاس فما قول العلماء الذين لا يدفع قولهم منهم عبد الله بن مسعود
وابن عباس فانهم قالوا ما نادى داود وصلى الله عليه وسلم ان قال للرجل انزل لي عن
امراتك قال ابو جعفر فعاتبه الله عز وجل على ذلك ونبه عليه ولسي هذا ه
بكبير من المعاصي ومن تخطى الى مثل هذا فانما يأتي بما لا تصح عن عالم ويلحقه فيه اثم عظيم
كذا قال في كتاب اعراب القرآن وقال في كتاب معاني القرآن له يتمثل قال رضي الله
عنه قد جاءت اخبار وقصص في امر داود عليه السلام واوريا واكثرها لا يصح ولا ينبغي
اسناده ولا ينبغي ان يجتر على مثلها الا بعد المعرفة بصحتها واصح ما روي في ذلك ما روى
مسروق عن عبد الله بن مسعود قال ما نادى داود عليه السلام على ان قال اكفلنيها اي
انزل لي عنها وروي انها قال ما نادى داود صلى الله عليه وسلم قال ان قال اكفلنيها اي
تحول لي عنها وضمها الي قال ابو جعفر فهذا اجل ما روي في هذا والمعنى ان داود عليه
السلام سأل اوريا ان تطلق امرأته كما يسأل الرجل الرجل اذ يبيعه جاريته فتبسم
الله جل وعز على ذلك وعاتبه لما كان نبيا وكان له تسع وتسعون انكر عليه ان يتشاغل
بالدنيا بالتزيد منها فما غير هذا فلا ينبغي ان يجترأ عليه قال ابن العربي وانما قول من
انها لما اعجبته امر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله فهذا باطل قطعا فان داود صلى الله
عليه وسلم لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه وانما كان من الامر ان داود قال للبعض
اصحابه انزل عن امرأتك وتحول عنها لي حتى اتزوجها فاتاه الوحي من الله عز وجل بذلك
فقال ابو جعفر فعاتبه الله عز وجل على ذلك ونبه عليه وليس هذا ه
بكبير من المعاصي ومن تخطى الى مثل هذا فانما يأتي بما لا تصح عن عالم ويلحقه فيه اثم عظيم
كذا قال في كتاب اعراب القرآن وقال في كتاب معاني القرآن له يتمثل قال رضي الله
عنه قد جاءت اخبار وقصص في امر داود عليه السلام واوريا واكثرها لا يصح ولا ينبغي
اسناده ولا ينبغي ان يجترأ

سوتتبع مع

نزوجها الانبيا من غير صداق فمن وهب نفسه لهم من النساء فحلال ان يقبله سنة ابدا في الذين خلوا من قبل ان الانبيا صلوات الله عليهم فرض عليهم ما يشقون به في النكاح وغيره وهذا اصح الاقوال له وقد رويا المفسرون ان داود صلى الله عليه وسلم تكح مائة امرأة وهذا لقص القرآن وروى ان سليمان كانت له ثلاث مائة امرأة وسبع مائة جارية فزيدك اعلم وذكر الكيا الطبري في احكامه في قوله تعالى وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب الاية ذكر المحققون الذين يردون تنزيه الانبيا عليهم السلام عن الكبايران داود قد اقدم على خطبة امرأة قد خطبها غيره فيقال هو اوريا فمال القوم الى تنزيه داود عليه السلام عما رموه وقد كان يمكنه ان يعرف ذلك فيتوصل عن هذه المرغبة وعن الخطبة بها فلم يفعل فدل ذلك من حبه المحبب بها اما وصفا وشاهدة على غير لفهم وقد كان لداود عليه السلام من النسا العدد الكثير وذلك الخاطب لا مرأة قد شبهه الله تعالى بمحلي ما فضل بما كان من نعوت الملكين وما اورداه من التمثيل على وجه التعريض لكي يتفهم من ذلك المعنى فيعدل عن هذه الطريقة ويتنزه عن هذه الطريقة الصغيرة الثانية عشرة قوله تعالى لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه مما لتنوع في الثالثة بعد السماع من احد الخصمين وقبل ان يسمع من الاخر نظاهر هذا القول قال ابن العربي وهذا مما لا يجوز عند احد ولا في مكنة من الملل ولا يمكن ذلك للبشر وانما تقدير الكلام ان اخذ الخصمين ادعى والاخر سلم في الدعوى فوقعت نعم ذلك التنوع وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس اليك الخصمين فلا تقض لاحدهما حتى تسمع من الاخر فقيل انه داود عليه السلام لم يقض للاخر حتى اعترف صاحبه بذلك وقيل تقديره لقد ظلمك ان كان كذلك والله اعلم بتعيين ما يمكن من هذه الوجوه قلت ذكر هذين الوجهين التشيري في المارودي وغيرهما قال التشيري وقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك من غير ان يسمع كلام الخصم مشكل فيمكن ان يقال انما قال ذلك بعد سماع الخصم الاخر وبعد اعترافه وقد روي في هذا وان لم تثبت رواية فهو معلوم من قرائن الحال او اراد لقد ظلمك ان كان الامر على ما يقول فسكت بعد ذلك وصبر الى ان يسمع خصمه قال وسحتمل ان يقال كان من شرعهم التعويل على قول المدعي عند سكوت المدعى عليه اذا لم يظهر منه انكار لذلك القول وقال الحليمي لو تعبد الله في كتاب منهاج الدين له وما جاء في سكر النعم المنتظر اذا حضرت او كانت خافية فظهرت السجود لله عز وجل قال والاصل في ذلك قوله عز وجل وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب الى قوله لزلفى وحسن مآب اخبر الله جل وعز عن داود انه سمع قول المتظلم من الخصمين ولم يكن عنده انه سيقال له اذا سمع قول الاخر انما قلنا لك ذلك فكان ظاهر ذلك ان داود رأى في المتكلم منهما بادي الضعف والمهضمة فحمل امره على انه مظلوم كما يقول ومعناه ذلك الى ان لا يسمع الخصم فقال له مستعجلا لقد ظلمك مع امكان ان لو سأله لكان يقول ما قلت ما تقول نعجته ولا سألني لهذا انصرف عني هذه النعجة فلما وجدتها عنده قلت له اردد عليها وما قلت له اكفلنيها وعلم الخصم فعلمت انك مجرب قبل ان تجيء وجاء مستظلما مني قبل ان احضره لنظن انه هو المحق وانني انا الظالم ولما تكلم داود بما حملته العجلة عليه علم ان الله عز وجل خلاه ونفسه في ذلك الوقت وهو الفتنة التي ذكرها وان ذلك لم يكن الا من تقصير منه فاستغفر ربه وسجد لله تعالى شكرا على ان عصمه بانه اقتصر على تعظيم الشكر ولم يزده على ذلك شيا من انتهار او ضرب او غيرهما مما يليق بمن تصور في القلب انه ظالم فغفر الله له ثم اقبل عليه بما عنده فقال يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فان ما اقتصه الله تعالى من هذه الموعظة التي توخاه بها لغفرة الخطيئة انما كانت للتقصير في الحكم والمبادرة الى تظليم من لم يثبت عنده ظلمه وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال سجدها داود شكرا وسجدها النبي صلى الله عليه وسلم اتباعا فمنتهاه السجود للشكر سنة متواترة عن الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين سوالفجنك اي هم بسؤاله نعجتك فاضاف المصدر الى المفعول والفاعل من السؤال وهو كتوله تعالى لا يسأم الانسان من دعا الخير اي من دعائه الخير الثالثة عشرة قوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الخلطاء خلط الشيوع وخلط الاوصاف كالخليطين في الماشية والزرع فيدخل في احدهما اشتراك الشركاء قال

الخلطاء

للخطاء على الشركاء فيه بعد وقد اختلف العلماء في صفة الخطاء فقال اكثر العلماء هو بان يكون واحد
بغتة فيجمعها راع واحد او الدلو والمراح وقال طاوس وعطا لا يكون الخطاء الا الشركاء وهذا
اخلاق الخير وهو من نهيه صلى الله عليه وسلم لا يجمع بين متفرق ولا تفرق بين مجتمع خشية
الصدقة وكانا من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية وروي فانهما يتراادان
العدل ولا موضع لتراد العدل بين الشركاء فاعلمه واحكام الخلطة مذكورة في كتب الفقه
ومالك واصحابه وجمع من العلماء لا يرون على من ليس في حصته ما تجب فيه الزكوة وقال
ربيعة والليث وجمع من العلماء منهم الشافعي اذا كان في جميعهما ما تجب فيها الزكوة
اخذت منهما الزكوة قال مالك واذا اخذ الصدق بهذا تراادوا بينهم للاختلاط
في ذلك ويكون كحكم حاكم اختلف فيه الرابعة عشرة قوله تعالى ليبغي بعضهم على
بعض اي يتعدى ويظلم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم
بعين الصالحين وقليل هم فما زائدة وقيل بمعنى الذي وتقديره وقليل الذين هم وسهم عمر
رضي الله عنه رجلا يقول في دعائه اللهم اجعلني من عبادك القليل فقال له عمر ما هذا الدعا
فقال ارادة قول الله عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم فقال عمر
الناس افقه منك يا عمر الخامسة عشرة قوله تعالى وظن داود انما فتناه اعلم بتليناه
وظن معناه ايقن قال ابو علي والفراء الظن بمعنى اليقين الا ان الفراء رجح بانه لا يجوز
في المعاين ان يكون الظن له بمعنى اليقين والفراء فتناه بتشديد النون دون التاء وقرا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتناه بتشديد التاء والنون على المبالغة وقتادة وعبيد
ابن عمير وابن السميفع فتناه بتخفيفهما ورواه علي ابن نصر عن ابي عمرو والمراد به الملكان
اللذان دخلا على داود عليه السلام السادسة عشرة قال لما قضى داود بينهما في المسجد
نظر احدهما الى صاحبه فضحك فصعدا الى السماء حيال وجهه فعلم داود عليه السلام انما ابتلاه
الله تعالى بذلك ونبهه على ما ابتلاه قلت وليس في القرآن ما يدل على القضاء
في المسجد ولو كان ذلك لا يجوز كما قال الشافعي لما افرهما داود على ذلك وينبغي ان يفرق
الحكم بموضع القضاء وكان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء يقضون في المسجد وقد قال
مالك القضاء في المسجد من الامر القديم يعني في اكثر الامور ولا باس ان يجلس في رحبته
ليصل اليه الضعيف والمشترك والحائض ولا يقيم فيه الحدود ولا باس بخصومة الادب
وقد قال اشهب يقضي في منزله وابن لحب السابعة عشرة قال مالك قال اشهب
رحمه الله وكان الخلفاء يقضون بانفسهم واول من استقضى معاوية قال مالك
وينبغي للقضاة مشاورة العلماء وقال عمر بن عبد العزيز لا استقضي حتى يكون عالما
بآثار من قضى مستشيرا لذوي الرأي حليما ناظرا لما قال ويكون ورعا تاركا لما قال وينبغي
ان يكون متيقظا كثير التحفظ من الحيل وان يكون عالما بالشروط عارفا بما لا بد له
منه من العربية فان الاحكام تختلف باختلاف المعاني والمعاوي والاقرار
والشروط التي تتضمن حقوق المحكوم له وينبغي ان يقول قبل ابجاز الحكم للمطلوب
انعت لي حجتك فان قال لا احكم عليك ولا يقبل منه حجة بعد انفاذ حكمه الا ان يأتي
بما له وجها وبينة واحكام القضاء وآلة القضاة فيما لهم وعليهم مذكورة في غير هذا
الموضع الثامنة عشرة قوله تعالى فاستغفر ربه واختلف المفسرون في
الذنب الذي استغفر منه على اقوال الاول انه نظر الى المرأة حتى سبع منها قال
سعيد بن جبير انما كانت فتنة النظرة قال ابو اسحق ولم يتعمد داود النظر الى
المرأة لكنه عاود النظر اليها فعاتبه الله على الثانية عليها الثاني انه اغار على زوجها
في حملة التابوت الثالث انه نوى ان مات زوجها ان يتزوجها الرابع انه اوما كان
خطب تلك المرأة فلما غاب خطبها داود فزوجت نفسها منه لحلالته فاغتم لذلك اوربا
فعتب الله عليه واذا لم يترك نكاحا لخاطبها وقد كانت عنده تسع وتسعون امرأة
الخامس انه لم يتورع على قتل اوريا كما كان يتورع على من هلك من الجند ثم تزوج امرأته
فعاتبه الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله
تعالى السادس انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع من الاخر قال القاضي ابو الفرج
انما قول من قال انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع من الاخر فلا يجوز على الانبياء وكذلك
من قرض عرضها للقتل واما من قال انه نظر اليها حتى سبع فلا يجوز ذلك عندي

عندي بجلالة نظم لا يليق بالاولياء المتجردين للعبادة فكيف بالانبياء الذين
هم وسائط الله المكاشفون بالغيب وحكى السدي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
قال سمعت رجلا يذكر داود عليه السلام فقال من تلك المرأة فسحرت ما لحدثته
ستين ومائة لان حدا الناس ثمانون وحدا الانبياء ستون ومائة ذكره الماوردي ه
والثعلبي بمعناه قال الثعلبي وقال الحرث الاعور عن علي من حدث بحديث
داود على ما نزويه القصاص جلدته حدين لعظم ما ارتكبت بمن رفع الله
محله وارتضاه من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين قال ابن العربي
وهذا مما لم يصح عن علي فان قيل فما حكمه عندكم قلنا اما من قال ان نبينا زنا
فانه يقتل واما نحن فانا ننزه انبياءنا عن ذلك من النظر والملامسة فهذا اختلف الناس
في ذلك فان صح احد على ذلك قيل له قتلته فانه بنا قض التعزير الماموربه
فاما قولهم انه دفع لجزء على امرأة تغتسل عريانة فلما رأته ارسلت شعرها فستر
جسدها فهذا لا حرج عليه فيه باجماع من الامة لان النظرة الاولى تكشف المنظور
اليه ولا يأثم الناظر بها فاما النظرة الثانية فلا اصل لها واما قولهم انه ان كان
انما تاب لانه تزوجها فلا شيء فيه اذ لم يعزم عليه للموت واما قولهم انه خطب
على خطبة اوريا فباطل يرده القرآن والاثار المفسرة بخلافه وقد روي انه سبب عن
ذلك قال قد يلقى ان تسعة وتسعين امرأة اتت فوقعت فريبا من داود عليه
السلام وهي من ذهب فلما رآها اعجبته فقام ليأخذها فكانت قرب يده ثم
صنع مثل ذلك مرتين ثم طارت واتبعها ببصره فوقعت عينه على تلك المرأة وهي
تغتسل ولها شعر طويل فبلغني انه اقام اربعين ليلة ساجدا حتى نبت العشب من
دموعه تحته قال ابن العربي اما قول المفسرين ان الطير درج عنده فهم باخذه ه
واتباعه فهذا لا ينافي قدح العبادة لانه تمام فعله لا سيما وهو حلال وطلب الحلال
فريضة وانما اتبع الطير لذاته لا لجماله فانه لا متعلق له فيه وانما ذكرهم لحسن
الظاهر خرق في الجهالة اما انه روي انه كان طاووسا من ذهب فاتبعه ليأخذه لانه
من فضل الله سبحانه كما روي في الصحيح ان ايوب عليه السلام كان يغتسل عريانا
فخر عليه رجل من جراد فجعل يجمعه في ثوبه فقال الله تعالى له يا ايوب الم اكن
اغنيتك قال بلى يا رب ولكن لا غنى بي عن بركتك وقال الثعلبي ايضا
ان الله تعالى بعث له صقيرا فطار فوقع على كوة البيت وقال الثعلبي ايضا
وقد تقدم التاسعة عشرة في توبته تعالى وخر راكعا واناب اي خر ساجدا وقد يعبر
عن السجود بالركوع قال الشاعر

فخر صريعا لليدين وللفم ... راكعا وتاب الى الله من كل ذنب قال ابن العربي لا خلاف
بين العلماء ان المراد بالركوع ههنا السجود قال السجود هو الميل والركوع هو الانحناء
واحدهما يدخل على الاخر ولكنه قد يختص كل واحد بهيئته ثم جاء هذا على تسمية احدهما
بالاخر فسمى السجود ركوعا وقال المهدوي وكان ركوعهم سجودا وقال بل كان
سجودهم ركوعا وقال مقاتل فوقع من ركوعه ساجدا لله عز وجل اي لما احسن بالامر
قام الى الصلاة ثم وقع من الركوع الى السجود لاشتمالها جميعا على الانحناء وانا ب
اي تاب من خطيئته ورجع الى الله وقال الحسين ابن الفضل سألني عبد الله بن
طاهر وهو والي على قول الله عز وجل وخر راكعا هل يقال للراكع خر قلت لا قال
فما معنى الاية قلت معناها فخر بعد ان كان راكعا اي سجد الموفية عشرين
واختلف في سجدة داود هل هي من عزائم السجود المامور به في القرآن ام لا فروى
ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر ص والقرآن ذي الذكر
فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم اخر قرأها فتشزن
الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما توبة نبي ولكني رأيتكم تشزنتم
للسجود ونزل وسجد وهذا لفظ ابي داود وفي البخاري وغيره عن ابن عباس
انه قال صريت من عزائم القرآن وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد
فيها وقد روي من طريق عن ابن مسعود انه قال ص توبة نبي ولا تسجد فيها وعن
ابن عباس ايضا توبة نبي ونبيكم ممن امر ان يقتدي به قال ابن العربي والذي عندي
انها ليست موضع سجود ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها فسجدنا بالاقتداء به

وسنن السجود ان داود سجد خاضعا لربه معترفا بذنبه تائبا من خطيئته فاذا
سجدا حد فيها فليسجد بمثله فلعل الله ان يغفر له بجرمة داود الذي اتبعه
وسواء قلنا ان شرع من قبلنا شرع لنا ام لا فان هذا امر مشروع في كل امة لكل احد
والله اعلم الحادية والعشرون قال ابن جواز منداد قوله مخمرا كفا وانا به فيه دلالة
على ان السجود للشكر مفردا لا يجوز لانه ذكر معه الركوع وانما الذي يجوز ان يأتي به مركبا عقيب
شكرا فاما سجدة مفردة فلا دليل ان البشارات كانت تأتي رسول الله صلى الله عليه
وسلم والائمة بعده فلم ينقل عن احد بعده منهم انه سجد شكرا ولو كان ذلك مفعولا لهم
لنقل نقلا مستفاضا لحاجة العامة الى جوازه لكونه قربة قلت وفي سنن
ابن ماجة عن عبد الله ابن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ببشيرا من
ابي جهل وخرج من حديث ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اتاه امر يسره
او بشر به خر ساجدا شكرا لله وهذا قول الامام الشافعي وغيره الثانية والعشرون
روى الترمذي وغيره واللفظ للفقيه ان رجلا من الانصار على عهد رسول الله صلى
الله عليه كان يصلي من الليل يستتر بسجدة وهو يتراءى ان ذلك ذكر فلما بلغ
السجدة سجد وسجدت معه السجدة فسمعها وهي تقول اللهم اعظم لي بهذه السجدة
اجرا وارزقني بها شكرا قلت خرج ابن ماجة في سننه عن ابن عباس قال
عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه رجل فقال اني رايت البارحة فيما يرى النائم كاني
اصلي الى اصل شجرة فقرات السجدة فسجدت السجدة فسجدت بسجودك فسمعتها تقول
اللهم احطط عني بها وزرا واكتب بها اجرا واجعلها لي عندك ذخرا قال ابن عباس
فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا السجدة فسجد فسمعته يقول في سجوده
مثل الذي اخبره الرجل عن قول الشجرة وذكره الثعلبي عن ابي سعيد الخدري قال
قلت يا رسول الله رايتني في النوم فاني تحت شجرة والشجرا تقرا فلما بلغت السجدة
سجدت فيها فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا
وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انت يا ابا سعيد لاحق الله يا رسول الله فقال لقد كنت احق
بالسجود من الشجرة ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم
قال مثل ما قالت الشجرة الثالثة والعشرون قوله تعالى فغفرنا له ذلك
قال ابن الانباري فغفرنا له ذلك تام ثم تبتدي وان له عندنا وقال
القشيري ويجوز الوقف على فغفرنا له ثم تبتدي ذلك وان له عندنا وقال
اي الامر ذلك وقال عطا الخراساني وغيره ان داود سجد اربعين يوما حتى نبت
المرعى حول وجهه وعمر راسه فنودي اجائع فتطعم او عار فتكسى فتجب نحبته هاج
المرعى من حر جوفه فغفر له وستر بها فقال يا رب هذا ذنبي فيما بيني وبينك فد
غفرته وكيف بفلان وكذا لرجل من بني اسرائيل تركت اولاده ايتاما ونساءهم
ارامل قال يا داود لا يجاورني يوم القيامة من ظلم احدا ممن استوهبك منه ثوابه
الجنة قال يا رب هكذا تكون المغفرة التهيئة ثم قال يا داود ارفع راسك فقد
غفرت لك فلم يرفع راسه فاذا به قد نشب في الارض فاتاه جبريل فاقتلعه من وجه الارض كما
يقتلع سمكها رواه الوليد ابن مسلم عن ابن جابر عن عطا قال الوليد واخبرني
ابن الزبير قال فلصق موضع مساجده على الارض من فرقة وجهه فاشار الله قال
الوليد قال ابن لهيعة فكان يقول في سجوده سجد لك هذا السواد مني وهذا الظل
وما بين يدي في روزبة انه سجد اربعين يوما لا يرفع راسه الا للصلاة للملقن
فبكى حتى نبت العشب من دموعه وروي مرفوعا من حديث ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان داود مكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه
على راسه واكلت الارض من جبينه وهو يقول في سجوده يا رب داود زلة
بعد بها ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت
ذنبه حديثا في الخلق من بعده فقال له جبريل بعد اربعين سنة يا داود ان الله قد
غفر لك الذنب الذي همت به وقال وهب ان داود عليه السلام سوف عما اتى فد
عشرة ايام لم يرفع راسه حتى جاءه جبريل فقال له لا ترفع راسك وربك قد غفر
له قال يا رب كيف وانت لا تظلم احدا فقال الله لجبريل اذهب الى داود فه

غيب

فقال له يذهب الى قبر اوريا فيتحلل منه فاتاه فسمعه يقول لذا لك فلبس داود المسوح وجلس
عند قبر اوريا وناداه يا اوريا فقال ليبك من هذا الذي قطع عني لذتي وايقظني فقال
انا احزنك يا داود اسئلك ان تحملني في حل فانا عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة
فانت في حل وقال الحسن وغيره كان داود عليه السلام بعد الخطيئة لا يجالس الا
الخاطئين ويقول لقائلوا الى داود الخطاء ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموعه فيبنيه وكان
يجعل خبز الشعير ليابس في قصعة فلا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر
عليه الرماد والملح فيأكل ويقول هذا هذا اكل الخاطئين وكان قبل الخطيئة ينام
نصف الليل ويقوم ثلثه ثم ينام سدسه بعد الذهر كله وقام الليل كله وقال
يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته مكتوبة في كفه فكان لا يبسط الطعام
ولا شرابا ولا يشم الرياحين ولا يكتحل وان كان ليمر به الجرح ثلثاه ما فاذا تناوله
ابصر خطيئته فمنعه عن شهوته حتى يفيض من دموعه وروى الوليد ابن مسلم
حدثنا ابو عمرو الاوزاعي ان رسول صلى الله عليه وسلم قال انما مثل عيني داود مثل
العين تنظفان ولقد خد الدموع في وجه داود وخد بدا الماء في الارض قال الوليد
وحدثنا عثمان بن ابي العاتكة انه كان من قول داود اذا نعي خلو من الخطيئة شدة قوله
في الخطايين ان كان تقول اللهم لا تغفر للخطايين ثم مار الى ان يقول رب اغفر للخطايين
كي تغفر لداود وسهم سبحان خالق النور اللهي حرجت اسئل اطباء عبادك ان يداووا
خطيئتي فكلهم علمني بدائي الهي الخطيئات الهي خطيئة فرحفت ان تغفل حتى مارها
عن ابنك يوم القيامة اذا لم تغفرها سبحان خالق النور اللهي اذا ذكرت خطيئتي
ضاقت الارض برحبها علي واذا ذكرت رحمتك ارتد الي روحي وفي الخبر ان داود عليه
السلام كان اذا اعلا المنبر رفع بصره فاستقبل بها الناس ليريهم نقص خطيئته
فكان ينادي اللهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الارض برحبها واذا ذكرت رحمتك ارتد لي
روحي رب اغفر للخطايين كي تغفر لداود وسهم وكان يقعد على سبعة امرشة من الليف
ممشوقة بالرماد فكان تتشقق دموعه تحت رجليه حتى تشف تلك الامرشة تلهاوكان
اذا كان يوم نوحه نادى مناديه في الطرق والاسواق والمزدحمة والشعاب وعلى رؤس الجبال
واقواء الحيران الا ان فقيد اليوم حق داود فمن اراد ان يبكي على ذنبه فليات داود فليسمعه
فيهبط السباع من الفيافي والاودية وتزحف الهوام حوله منبره والوحوش والسباع
والطير عكف وبنوا اسرائيل حول منبره فاذا اخذ في الصوت والنوح واثارت الحزقات سوابع
دموعه صارت الجماعة ضجة واحدة نوحا وبكاء حتى يموت حوله منبره لبشر كثير بمثل
ذلك اليوم ومات داود عليه السلام فيما قيل يوم السبت فجاءة اتاه ملك الموت
وهو يصعد في محرابه وينزل فقال له جئت لاقبض روحك فقال دعني حتى انزل
او ارتقي فقال ما لي الى ذلك سبيل فقد نفذ الامر والسهم والسنون والاثار والارزاق فما انت بمؤخر لقبضها اثرا قال فتحمد داود على ما قاه من الروح فقبض
نفسه على ذلك الحال وكان بينه وبين موسى عليهما السلام خمس مائة وتسع وتسعون
سنة وقيل تسع وسبعون وعاش مائة سنة واوصى الى ابنه سليمان بالخلافة المرابطة
والمشورة قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب قال محمد بن كعب
ومحمد بن قيس وان له عندنا لزلفى قربة بعد المغفرة وحسن مآب قالا والله ان
اول من يشرب الكاس يوم القيامة داود وقال مجاهد عن عبد الله بن عمر الزلفى
الدنو من الله عز وجل يوم القيامة وعن مجاهد يبعث داود يوم القيامة وخطيئته
مكتوبة في يده فاذا راى ها ويل يوم القيامة لم يجز منها محرز الا ان يلحقه الرحمة
الله تعالى قال ثم يرى خطيئته فينطلق فيقال له هيهنا ثم يرى فينطلق فيقال له
هيهنا ثم يرى فينطلق فيقال له هيهنا فذلك قوله عز وجل وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب ذكره الترمذي الحكيم قال حدثنا الفضل بن سهل قال حدثنا عبد
الملك ابن الاصبغ قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا ابراهيم بن محمد الفزاري عن
عبد الملك ابن ابي سليمان عن مجاهد فذكره الترمذي ولقد كنت امر زمانا طويلا
بهذه الاية فلا يبكشف لي المراد المعني من قوله ربنا عجل لنا قطنا واسقط الهجيئة
في اللغة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى عليهم فاما من اوتي كتابه بيمينه
وقال لهم انكم ستجدون هذا كله في صحايفكم فقطوا نصيبكم قبل حسابكم فقالوا ربنا عجل لنا

قطنا

قطنا اي صحيفتنا قبل يوم الحساب فاذا سمعتم قالوا اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد يعني قصة خطيئته الى منتهاها فكنت اقول اسره بالصبر على ما قالوا واسره بذكر داود فاي شيء اريد من هذا الذكر وكيف اتصل هذا باذاك فلا اقف على شيء لكن قلبي عليه حتى هدانيه الله يوما فالهمني ان هؤلاء انكروا قولا انهم يعطون كتبهم بشمائلهم فيها ذنوبهم وخطاياهم استهزاء بامر الله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فامر بصبرهم على ما قالوا ان يذكر عبده داود ذا الايد بجميل خطيئته اذ براها منفوشة في كفه فتزلد به ما نزل من الله كان اذا راها اضطرب وامتلأ الفزع من دموعه وكان اذا راها بكاها حتى تنغذ سبعة افرشة من اللبف محشوة بالرماد فاتاها الله بعد المغفرة وبعد تبعة ضمان الخصم واذا الله تبارك وتعالى اشهد بتوهمه منه وهو حبيبه وولبه وصفيه فزوبته لفتنة الخطيئة لصورتها مع هذه المرتبة منعت به قلة اكتيث كان يجل باعداء الله وبعصاة من خلقه واهل حربه لو عجلت لهم صحايفهم فنظروا الى صور تلك الخطايا التي عملوها على عهد الكفر والجحود وما ذا يحل بهم اذا نظروا اليها في تلك الصحايف وقد اعجب الله منهم فقال فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها فداود صلوات الله عليه مع المغفرة والبشرى والعطف لم يقم لرويته صورتها وقد روينا في الحديث اذا راها يوم القيامة منفوشة في كفه قلق حتى تقال له ها هنا ثم يرى فيقلق ثم يقال له ههنا ثم يرى فيقلق حتى تقرب فيتلقفها فيلقن قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فيه حتى ما بدا لاذلي قوله تعالى انا جعلناك خليفة في الارض ملكناك لتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فتخلف من كان قبلك من الانبياء والائمة الصالحين وقد مضى في المقدمة القول في الخليفة واحكام مستوفى والحمد لله الثاني قوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق امر عدل وتذكير بتبعة هذا بما قبله وذلك ان الذي وجب عليه داود طلبه المرأة من زوجها وللبيوذ لك بعد دقيل له بعد هذا فاحكم بين الناس بالعدل ولا تتبع الهوى اي لا تقتدي بهوى الخالف لامر الله فيضلك عن سبيل الله اي عن طريق الجنة ان الذين يضلون عن سبيل الله اي يحيدون عنها ويتركونها لهم عذاب شديد في النار بما نسوا يوم الحساب اي بما تركوا من سلوك طريق الله فقوله لنسوا اي تركوا الايمان به او تركوا العمل به فصاروا كالناسين ثم قيل لهذا داود اكرمه الله بالنبوة وقيل بعد ان تاب عليه وغفر خطيئته الثالثة الاصل في الارض فيه قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وقوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الى غير ذلك وقد تقدم الكلام عليه في المقدمة قال ابن عباس في قوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى يضلك عن سبيل الله فالاية ارتفع لك الخصمان فكان لكل واحد منهما هوى فلا تشتهي في نفسك الحق له ليقلع على صاحبه فان فعلت محوت اسمك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا اهلكوا من قبلك لهذا اعلم بيان وجوب الحكم بالحق وان لا يميل الى احد الخصمين لقرابة او رجا نفع او سبب يقتضي الميل من صحبة او صداقة او غيرهما وقال ابن عباس انما ابتلى سليمان بن داود عليهما السلام لانه تقدم اليه خصمان فهوى ان يكون الحق لاحدهما وقال عبد العزيز بن ابي رواد بلغني انه قاضيا كان في زمن بني اسرائيل بلغ من اجتهاده ان طلب الى ربه ان يجعل بينه وبين اذا هو قضاء بالحق فعرف ذلك فاذا هو قاض عرف ذلك فقيل له ادخل منزلك ثم مد يدك في جدارك ثم انظر حيث تبلغ اصابعك من الجدار فاخطط عندها خطا فاذا انت قمت من مجلس القضاء فارجع الى ذلك الخط فامدد يدك اليه فان زلت يدك عما كنت عليه من الحق فانك ستبلغه وان قصرت عن الحق قصر لك فكان يغدو الى القضاء وهو مجتهد فكان لا يقضي الا بحق واذا قام من مجلسه وفرغ لم يزق طعاما ولا شرابا ولم يفض الى اهله سنين من الاشهر حتى يأتي ذلك الخط فاذا بلغه حمد الله واثنى عليه كل ما اخذ الله من اهل وطعم او سئل فلما كان ذات يوم وهو في مجلس القضاء اقبل اليه رجلان يريد انه فوقع في نفسه انهما يريدان ان يختصما اليه وكان احدهما له صديقا وخدن فتحرك قلبه عليه محبة وان يكون الحق له فيقضي له فلما ان تكلما راى الحق على صاحبه فقضى عليه فلما قام من مجلسه ذهب

علمام

الى خطه كما كان يذهب كل يوم بمذبره الى الخط فاذا الخط قد فرهن واستمر الى الستف واذا
هو لا يبلغه فخر ساجدا وهو يقول يارب سالم اتعمده ولم ارده فبينما فقيل له اتحسب
ان الله تعالى لم يطلع على خيانة قلبك حيث اجبت ان يكون الحق لمحمد فيقتل فتقضي له به
فترد نفوا حبسته ولكن الله قد رد الحق الى اهله وانت كاره ذلك وقد ليث قال يقدم
الى عمر بن الخطاب خصمان فاقامهما فاقامهما ثم عادا فاقامهما ثم عادا فصل بينهما
فقيل له في ذلك فقال تقدما الي فوجدت لاحدهما ما لم اجد لصاحبه فكرهت ان افصل
بينهما على ذلك ثم عادا فوجدت بعض ذلك ثم عادا فقد ذهب ذلك فصلت بينهما
وقال الشعبي كان بين عمر وابي حصومة فتقاضيا الى زيد بن ثابت فلما دخلا عليه
اشار لعمر الى وسادته فقال لعمر هذا اول جورك اجلسني وايا ه مجلسا واحدا فجلسا
بين يديه الخامسة هذه لانه يمنع من حكم الحاكم بعلمه لان الحكام لو مكنوا ان يحكموا
بعلمهم لنبا احدهم اذا اراد ان يحفظ قلبه ويعمل عدوه الا ادعى عليه فيما هكم به ونحو
ذلك روي ان جماعة من الصحابة منهم ابو بكر قال لو رايت رجلا على حد من حدود الله
تعالى اخذته حتى يشهد على ذلك غيري وروي اذا مرأة جاءت الى عمر فقالت له احكم
لي على فلان بكذا فقال لعلك تقلم ما يحدثه فقال لها ان اردت ان اشهد لك قمت واما
الحكم فلا وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين
وشاهد وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اشترى فرسا فجحده البايع فلم يحكم عليه
بعلمه وقال من يشهد لي فقام خزيمة فشهد لهم حزم الحديث ابو داود وغيره وقد
مضى في البقرة قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا اي هزلا ولعبا
اي ما خلقناهما الا لامر صحيح وهو الدلالة على قدرتنا ذلك ظن الذين كفروا ايحسبان
الذين كفروا ان الله خلقهما باطلا فويل للذين كفروا من النار ثم وبخهم فقال ام نجعل
الذين امنوا وعملوا الصالحات والميم صلة تقديره انجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الارض فكان في هذا رد على المرجئة لانهم يقولون يجوز ان يكون المفسد
كالصالح او ارفع درجة منه وبعده ايضا ام نجعل المتقين كالفجار ام نجعل
اصحاب محمد عليه السلام كالكفار قال ابن عباس وقيل هو عام في المسلمين المتقين
والفجار الكافرين وهو احسن وهو رد على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع
والعاصي لا شيء واحد قوله تعالى كتاب انزلناه اليك يا محمد ليدبروا
اياته ليتدبروا افادت الآية في هذا الدليل على وجوب معرفة معاني القرآن
ودليل على ان التدبر افضل من الهذ اذ لا يصح التدبر مع الهذ على ما بيناه في كتاب
التذكار وقال الحسن تدبر اياته اتباعها وقراءة العامة ليدبروا وقرأ ابو
جعفر رشيد ليدبروا بتاء وتخفيف الدال وهي قراءة علي رضي الله عنه والاصل التدبر
فحذف احدى التاءين تخفيفا وليتذكر اولوا الالباب اي اصحاب العقول واحدها لب وقد
جمع على الب كما جمع بوس على ابوس ونعم على انعم قال ابو طالب
ان قلبي لبه مشرف الالب ، وربما اظهروا التضعيف ضرورة كقول الشاعر
اليكم ذوي آل النبي تطلعت نوازع من قلبي ظماء والب قوله تعالى ووهبنا
لداود سليمان نعم العبد انه اواب لما ذكر داود ذكر سليمان واواب معناه مطيع
اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد يعني الخيل جمع جواد للفرس واذا كان سديد
المضمار قيل للانسان جواد اذا كان كثير العطية عزيز الفقد قيل فرس اجواد وخيل
جياد وجاد الرجل يجود جودا فهو جواد وقوم جواد مثل قذال وقذل وانما سكنت
الواو لانها حرف علة واجاد وجود اذا كثر الفقد فيه وكذلك امرأة جود وثوب
جود مثل ثوار وثور قال الشاعر ،
صناع يا شفاها حصان لشكرها جواد بفوت البطن والعرق زاخر
وتفتح سينا عقبة جواد ومقبلين جواد ومقبلا جياد وجاد الفرس اذا صار
رائعا يجود جودة بالضم فهو جواد للذكر والانثى من خيل جياد واجياد وجاد
وقيل انها الطوال الاعناق مأخوذ من الجيد وهو العنق لان طوال الاعناق في الخيل
من صفات فرهها وفي الصافنات ايضا وجهان احدهما ان صفونها قيامها قال
الفتيبي والعرب الصافن في كلام العرب الواقف من الخيل او غيرها ومنه ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سره ان يقوم له الرجال صفونا فليتبوا مقعده

من النار ايد يمون له الغلام حكاه فطرب ابن قتيبة فقال
لنا فتية سضر ونبنينا بها عتاق المهاري والجياد الصوافن
وهذا قول قتادة ح الثاني ان صفونها رفع احدي اليدين على طرف الحافر حتى تقوم
على ثلاث كما قال الشاعر
الف الصفون فما يزال كانه ما يقوم على الثلاث كسير
وقال عمرو بن كلثوم تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا
وهذا قول مجاهد قال الكلبي فخر سليمان اهلك مشق وتصيبين فاصاب
منهم الف فرس وقال مقاتل ورث سليمان عليه السلام من ابيه داود الف فرس وكان
البوه اصابها من العمالقة وقال الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة
وقال الضحاك انما كانت خيلا اخرجت لسليمان من البحر منقوشة ذات اجنحة ابن
زيد اخرج الشيطان لسليمان الخيل من البحر وكانت لها اجنحة وكذلك علي رضي الله عنه
كانت عشرين فرسا ذوات اجنحة وقيل كانت مائة فرس وفي الخبر عن ابراهيم التيمي انها
كانت عشرين الفا قال الله اعلم فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي يعني بالخير الخيل
والعرب تسميها كذلك وتعاقب بين الراء واللام فتقول انملت العين وانمدت وختلت
وخترت اذا خدعت قال الفراء الخير في كلام العرب والخيل واحد الجاحظ
الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة فكانما سميت خيرا لهذا وفي الحديث لما وفد زيد
الخيل على النبي صلى الله عليه وسلم قال له انت زيد الخير وهو زيد بن مهلهل الشاعر
وقيل انما سميت خيرا لما فيها من المنافع وفي الخبر اذا الله تعالى عرض على ادم جميع الدواب
وقيل له اختر منها واحدا فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك فصار اسم الخير من
هذا الوجه وسمي خيلا لانها موسومة بالعز وسمي فرسا لانه يفترس مسافات الجو
افتراس الاسد وثباتا ويقطعها كالانتهام يبد به على كل شيء خطاء تناولا وسمي عربيا
لانه جيء به من بعد ادم لاسمعيل جزاء من دعوة ابراهيم واسمعيل عربي فصارت له
خيلة من الله فسمي عربيا وحبب مفعول ثان قوله اني احببت حب الخير وغيره
لتقديره مصدرا اضيف الى المفعول اي احببت الخير حبا فالهاني عن ذكر ربي وقيل اذ معنى
احببت قعدت وتاخرت من قولهم احب البعير اذا برك وتاخر احب فلان اي طاطا
راسه قال ابو زيد تقول بعير محب وقد احب احبابا وهو اذ يصيبه مرض او
كسر فلا يبرح فكانه حتى يبرأ او يموت وقال يعقوب يقال ايضا للبعير الحسير محبب
والمعنى قعدت عن ذكر ربي وحبب على هذا مفعول له وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب
التبيان احببت بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذا حبا حتى توارت بالحجاب
يعني الشمس كناية عن غير مذكور مثل قوله تعالى ما ترك عليها من دابة اي على ظهر
الارض وتقول العرب هاجت باردة ايها هاجت الريح باردة وقال الله تعالى حتى اذا بلغت
الحلقوم اي بلغت النفس الحلقوم وقال تعالى انها ترمي بشرر كالقصر ولم يتقدم للنار
ذكر وقال الزجاج انما يجوز الاضمار اذا جرى ذكر الشيء او دليل الذكر وقد جرى ههنا
الدليل وهو قوله بالعشي والعشي بعد الزوال والتواري الاستتار عن الابصار والحجاب
جبل احاط بالخلائق قاله قتادة وكعب وقيل هو جبل قاف وقيل جبل دون
قاف والحجاب الليل سمي حجابا لانه يستر ما فيه وقيل حتى توارت اي الخيل في المكان
وذلك ان سليمان كان له ميدان تجري فيه الخيل حتى توارت عنه وتغيب
عن بصره في المسافة لان الشمس لم يجر لها ذكر وذكر الحسن ان سليمان عليه السلام
كان في صلاة فجيء اليه بخيل لتعرض عليه فرغتمت فاشار بيده لانه كان في صلاة حتى توارت
الخيل وسترها جدار او اصطبلات فلما فرغ من صلاته قال ردوها علي فطفق
مسحا اي فاقبل يمسحها مسحا وفي معناه قولان احدهما انه اقبل يمسح سوقها واعناقها
بيده اكراما منه لها ويجري ان الخيل لا يفعل بها ان يفعل مثل هذا بخيله وقال قائل
هذا لغو كيف يقتلها وفي ذلك افساد المال واتلافه من لا ذنب له وقيل المسح
ههنا هو القطع اذن له في قتلها قال الكلبي ومقاتل صلى سليمان الصلاة
الاولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه وكانت الف فرس فرض عليه منها تسع مائة
فشغلته لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة وقال لقد شغلتني
ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم فقال ردوها علي فردت فعقرها بالسيف تقربا لله وفي

منها ما يخ فما في ايدي الناس من الخيل الا نعناف اليوم فمن نسل تلك الخيل قال الفقيه
وقيل ما كان في ذلك الوقت صلاة ظهر ولا صلاة عصر بل كانت الصلاة نافلة
تشغل عنها وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا فلم يذكره احد منهن الفرض
او النفل وظنوا انه عزم بها فتذكر سليمان تلك الصلاة الفائتة وقال على سبيل
التلهف اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اي عن الصلاة وامر بردها فاقبل
يعرقبها ويضرب عراقيبها واعناقها ولم يكن في تلك الحالة افراسا ذبح لها
جائزا اذا كانت مأكولة بل عاقب نفسه حتى لا تشغله الخيل بعد ذلك عن الصلاة
وتعلم عرقبها اليد بحبسها بالعرقبة عن الفرار ثم ذبحها في الحال ليتصدق
او لان ذلك كان مباحا في شرعه فاتلفها لما شغلته عن ذكر الله حتى يقطع عن نفسه
ما يشغله عن الله فاثنى الله عليه بما ان وبين انه اثابه بان سخر له الريح فكان يقطع
عليها من المسافة في يوم ما يقطع غيره على الخيل في شهر بين غزو ورواحا وقد قتل
اذا لها في قوله ردوها علي الشمس لا للخيل قال ابن عباس سئلت عليا عن هذه الآية
فقال ما بلغك فيها فقلت سمعت كعبا يقول ان سليمان لما اشتغل بعرض الافراس
حتى توارت الشمس بالحجاب وفاتته الصلاة قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي
اي اثرت حب الخير عن ذكر ربي الى ان ردوها علي فعقرها فراس وكانت اربعة عشر فضرب
سوقها واعناقها بالسيف وان الله سلبه ملكه اربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل فقال
ابن ابي طالب كذب كعب لكن سليمان اشتغل بعرض الافراس للجهاد حتى توارت اي
غربت الشمس بالحجاب فقال بامر الملائكة الموكلين بالشمس ردوها يعني الشمس
فردوها حتى صلى العصر في وقتها وان انبياء الله لا يظلمون لانهم معصومون قلت
الاكثرون التفسير ان الذي توارت بالحجاب هي الشمس وتركناه لدلالة السامع عليها
بما ذكر مما يرتبط بها ويتعلق بذكرها حسب ما تقدم بيانه وكثيرا ما يضمرون
الشمس قال لبيد

حتى اذا الفتيان ابي كافر واجز عرقوبا ان الشغور ظلامها

والهاء في ردوها للخيل وسمحها قال الزهري وابن كيسان كان يمسح سوقها واعناقها
ويكشف الغبار عنها حبا لها وقال الحسن وقتادة وابن عباس وفي الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم رؤي وهو يمسح فرسه بردائه وقال اني عوتبت الليلة في الخيل هو
خرجه الموطأ عن يحيى بن سعيد مرسلا وهو في غير الموطأ مسندا متصلا عن مالك عن
يحيى ابن سعيد عن انس وقد تقصى في الاستقال قوله عليه السلام وامسحوا برؤوسكم
واكفالها وذوي ابن وهب عن مالك انه مسح اعناقها وسوقها بالسيوف قلت
وقد استدل الطبلي وغيره من الصوفية في تقطيع ثيابهم وتخريقها بفعل سليمان
هذا وهو استدلال فاسد لانه لا يجوز ان ينسب الى نبي معصوم انه فعل الفساد والمفسرون
اختلفوا في معنى لا يتم منهم من قال مسح على اعناقها وسوقها اكراما وقال انت
في سبيل هذا اشتلاع ومنهم من قال عرقبها ثم ذبحها واكل لحمها جائز
وقد تقصى في النحل بيانه وعلى هذا فما فعل شيئا عليه فيه جناح فاما افساد ثوب بصحيح
لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن العجائب ان يكون في شريعة سليمان جواز ما فعل ولا يكون
في شرعنا وقد قيل انما فعل بالخيل ما فعل بابا حة الله جل وعز له ذلك وقد قال ان
مسحها بالهاء وسمها بالكي وحملها في سبيل الله فالله اعلم وقد ضعف هذا القول
من حيث ان السوق لا تنبت بحمل الوسم بحال وقد يقال الكي على الساق علاط وعلى
العنق وتاق والذي في الصحاح للجوهري غلط البعير غلطا كواه في عنقه لسمة
العلاط والعلاطان جانبا العنق قلت ومن قال اذا لها في ردوها ترجع
الشمس فذلك من معجزاته وقد اتفق مثل ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم خرج
الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فارد عليه الشمس
قالت اسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها بعد ما غربت طلعت على الجبال والارض وذلك
بالصهباء في خيبر قال الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات قلت
وضعف ابو الفرج الجوزي هذا الحديث فقال وعلو الرافضة في حب علي عليه السلام

حلهم

حملهم على ان وضعوا احاديث كثيرة فيما يله منها ان الشمس غابت فقالت عليا عليه السلام
الصرفوها عنا لنراها من حيث الفعل محال ومن حيث المعنى فان الوقت قد
فات وهو دها طلوع مستجد ولا يرد الوقت ك ومن قال ان الهاء تعود الى الخيل وانها
كانت تتبعد عن عين سليمان في السباق ففيه دليل على المسابقة بالخيل وهو امر مشروع
وقد مضى القول فيه في يوسف قوله تعالى ولقد فتنا سليمان الاية قيل فتن سليمان بعد
ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة ذكره الزمخشري وفتنا ابتليناه
وعاقبناه وسبب ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اختصم الى سليمان ه
عليه السلام رجلان احدهما من البحر اذة امرأة سليمان كان بحبها فنوى ان يقع ه
الغضا لهم ثم قضى بينهما بالحق فاصابه الذي اصابه عقوبة كذلك الهوى
وقال سعيد بن المسيب ان سليمان عليه السلام احتجب عن الناس ثلاثة ايام
لا يقضي بين احد ولا ينصف مظلوما من ظالم فاوحى الله تعالى اليه ايم استخلفتك
لتحتجب عن عبادي ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم وقال شمر بن حوشب
ووهب ابن منبه ان سليمان سبا بنت حلك عذراء في البحر في جزيرة من جزائر البحر فتبالد
لها مردة البحر فاقتتلت عليها فحبسها وهي تعرض عنه لا تنظر اليه الا شرا ولا تكلمه الا زورا
وكان لا يرقى لها دمع حزنا على ابيها وكانت في غاية من الجمال ثم انها سألته ان يصنع لها تمثالا
على صورة ابيها حتى تنظر اليه فامر فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجدن معها جوارها
وصار صنما معبودا في داره وهو لا يعلم حتى مضت اربعون صباحا وفشا خبره في بني
اسرائيل وعلم به سليمان فكسره وحرقه ثم ذراه في البحر وقيل ان سليمان لما اصاب
ابنة ملك صيدون واسمها جرادة فيما ذكر الزمخشري احب حبا لم تقر من عليها الا
سلام فاشت فخوفها فقالت اقتلني ولا اسلم فتزوجها وهي مشركة فكانت تعبد صنما
لها من ياقوت اربعين يوما في خفية من سليمان الى ان اسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه
اربعين يوما وقال لعقب الاحبار انما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه وقال الحسن
انه قارب بعض نسائه في شيء مما حجبوا وغيره وقيل انه امر لا يجوز امرأة الا من بني اسرائيل
تزوج امرأة من عشيرتهم فعوقب عن ذلك فالله اعلم قوله تعالى والقينا على
كرسيه جسدا قيل شيطان في قول اكثر اهل التفسير القى الله شبه سليمان عليه او تنة
صخر ابن عمير وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر سليمان ببناء بيت المقدس فصورت
الجان له ما صنعت بالحديد فاخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة والرخام وغيرها
ولا يقوت قال ابن عباس يقطعون به الحجارة والرخام كان ماردا لا يقوم
عليه جميع الشياطين ولم يزل يختلها حتى ظفر بخاتم سليمان ابن داود وكان سليمان لا يدخل
الكنيف بخاتمه فلما صخر في صورة سليمان حتى اخذ الخاتم من امرأة من نساء سليمان
او دنا له فقال لها اعرفني قالت شمر وهب وقال ابن عباس وابن جبير ه
اسمها جرادة فقام اربعين يوما على ملك سليمان وسليمان هارب حتى رد الله عليه
الخاتم والملك وقال سعيد بن المسيب كان سليمان قد وضع خاتمه تحت فراشه فاتى
الشيطان من تحته وقال مجاهد اخذه الشيطان من يد سليمان لان سليمان سأل
الشياطين وكان اسمه اصف كيف تضلون الناس فقال له الشيطان اعطني خاتمك حتى
اخبرك فاعطاه خاتمه فلما اخذ الشيطان الخاتم جلس على كرسي سليمان شبه صورة
داخلا على نسائه بيضم بغير الحق وبأمر بغير الصواب واختلف في اقامته لسليمان
فحكى عن ابن عباس ووهب ابن منبه انه كان بائتيهن في حيضهن وقال مجاهد منع
سليمان من اتيانهن وزال ملك سليمان فجعل هارون يفتي الناس ويجلس سموك الصيادين
بالاجر واذا اخبروا الناس انه سليمان اكذبوه قال قتادة ثم ان سليمان بعد ان استكر
بنو اسرائيل حكم الشيطان اخذ حوتا من صياد قيل انه استطعمها وقال ابن عباس
اخذها اجرة في حمل حوت وقيل ان سليمان صادها فلما شق بطنها وجد خاتمه فيها وذلك
بعد اربعين يوما من زوال ملكه وهي عدد الايام التي عبد الصنم في داره وانما وجد
الخاتم في بطن الحوت لان الشيطان الذي اخذه القاه في البحر وقال علي بن ابي طالب
بينما سليمان على شاطئ البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط منه في البحر وكان ملكه في خاتمه
وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان عليه
السلام لا اله الا الله محمد رسول الله وحكي يحيى بن ابي عمرو السيباني ان سليمان وجد خاتمه

يقسطلان فمشى منها الى بيت المقدس نواضعا لله تعالى قال ابن عباس وغيره ثم ان سليمان
لما رد الله عليه ملكه اخذ صخرا الذي اخذ خاتمه ونقر له صخرة وادخله فيها ووسد عليه
باخرى واوثقها بالحديد والرصاص وختم عليها بخاتمه والقاها في البحر وقال
هذا تحبسك الى يوم القيامة وقال علي رضي الله عنه لما اخذ سليمان الخاتم
امتلأت البيد السباطين والجن والانس والطير والوحش والريح وهرب السباطين
الذي خلف في اهله فاتى جزيرة في البحر فبعث اليه السباطين فقالوا لا نقدر
عليه ولكنه يزيد علينا في الجزيرة في كل سبعة ايام يوما ولا نقدر عليه حتى لسكر
قال فترح سليمان منها وجعل فيها خمرا فمنا يوم ورده فاذا هو بالخمر فقال
والله انك لشراب طيب الا انك لا اراك تطيبين الحلم وتزيدين الجاهل جهلا ثم عطش
عطشا شديدا ثم اتاها فقال مثل مقالته ثم شربها فغلبت على عقله فاوره
الخاتم فقال سمعا وطاعة فاخذ بيد سليمان فاوثقه وبعث به الى جبل فذكروا ان جبل
الدخان فقال ان الدخان الذي ترون من نفسه واما الذي يخرج من الجبل من
بوله وقال مجاهد اسم ذلك الشيطان اصف وقال السدي اسمه حبقيق
فالله اعلم وقد ضعف هذا القول من حيث ان الشيطان لا يتصور بصورة الانبيا
ثم ان الحال ان يلتبس على اهل مملكة سليمان الشيطان بسليمان حتى يظنوا انهم
مع نبيهم في حق وهم مع الشيطان في باطل وقيل ان الجد ولد ولد لسليمان وابن
لما ولد اجتمعت الشياطين وقالوا لعضهم تعيضوا ان عاش ولد ابن لم تتفق مما نحن
فيه من البلاء والسخرة فتنا لوا فقتلوا ولده او كيدوه فعلم سليمان بذلك فامر الريح
حتى حملته الى السحاب وعذا ابنه في السحاب خوفا من مضرة الشياطين فما قدر الله
يخوفه من الشياطين فلم يشعر الا وقد وقع على كرسيه ميتا قال معناه الجسد فهو
الجسد الذي قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا وحكى النقاش وغيره
ان اكثر ما وطئ سليمان جواريه طلبا للولد فولد له نصف انسان ميتا وكان الجسد
الملقى على كرسيه جاءت به القابلة فالقته هناك وفي صحيح البخاري ومسلم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة
على تسعين امراة كلهن ياتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شا
الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق
رجل والذي نفس محمد بيده قلو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا
اجمعون وقال ان الجسد هو اصف ابن برخيا الصديق كان سليمان وذلك
ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاعاده الى يده فسقط فايقن
بالفتنة فقال له اصف انك مفتون ولذلك لا يتماسك الخاتم في يدك فمر الى الله تعالى
فيما من ذلك وانا اقوم مقامك في ملكك الى ان يتوب الله عليك ولذلك من حيث افتتنت
اربعين صباحا فقد سليمان هذا بالى ربه واخذ اصف الخاتم فوضعه في يده فثبته
وكان عنده علم من الكتاب وانما اصف في ملك سليمان وعمالة يسير ليسير
ويعمل بعمله الى ان رجع سليمان الى ستر له تائبا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه
فاقام اصف من مجلسه وجلس على كرسيه وعاد الخاتم وقيل ان الجسد سليمان
نفسه وذلك انه مرض مرضا شديدا حتى صار جسدا وقد يوصف به المريض
المضنى فيقال كالجسد الملقى صفة كرسي سليمان وملكه روي عن ابن عباس
قال كان سليمان يوضع له ستمائة كرسي ثم يجمع شراف الناس فيجلسون محاذيه ثم ياتي
اشراف الجن فيجلسون محاذيلي الانس ثم يدعوا الطير فتظلهم ثم يدعوا الريح فتقلهم
وتسير بالغداة الواحدة مسيرة شهر وقال وهب وكعب وغيرهما ان سليمان
علنيا السلام لما سلك بعد ابيه امر بان تخاذ كرسي ليجلس عليه للقضاء وامر ان يتمثل
بين يديه صور الاسد والنسور والعقبان وامر ان يعمل من نبات
الفيلق مفضضة بالدر واليا قوت والزبرجد والابريسم يتخيل الذهب فخت باربع
نخلات من ذهب شماريخها اليا قوت الاحمر والزمرد الاخضر على راس نخلتين منهما
طاوس من ذهب وعلى راس نخلتين اخريين من ذهب بعضها مقابل بعض
وجعلوا من جنبتي الكرسي سدتين من ذهب على راس كل واحد منهما عمود من الزمرد
الاخضر وقد عقدوا على النخلات اشجار كروم من الذهب الاحمر واتخذوا اعناقيدها

من اليا قوت

من ابنيا. هوت الاحمر بحبت اظل عرش الكروم النخل والكرسي وكان سليمان عليه السلام اذا اراد
صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيسمد يرا لكرسي كله بما فيه دوران الرحى المسرعة
وتنشر تلك النسور والطواويس اجنحتها ويبسط الاسد ان ايديهما ويفرش الارض
باذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعد لها سليمان فاذا استوى باعلاه اخذ النسران
اللذان على النخلة من تاج سليمان فوضعاه على راسه ثم يسمد يرا لكرسي بما فيه
وتدور رقبة النسران والطاووسان والاسدان ما يليان يرد سهما الى سليمان ثم
ينفضان عليه من اجوافهن المسك والعنبر ثم تناول كل حمامة من ذهب قائمة على عمود
من اعمدة الجواهر فوق الكرسي النورة فينفخها سليمان عليه السلام ويغردها
على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء فاذا قالوا ويجلس عظماء بني اسرائيل على كراسي الذهب
المنضدة بالجواهر وهي الى الكرسي عن يمينه عن يجينه ويجلس عظماء الجن على كراسي
الفضة عن يساره وهي الى الكرسي ثم يجيء بهم الطير فتظلهم وينتقدم الناس لفصل
القضاء فاذا انقدت الشهود للشهادات دار الكرسي بما فيه وعليه دوران الرحى
المسرعة ويبسط الاسدان ايديهما ويفرشان الارض باذنابهما وتنشر النسران
والطاووسان اجنحتهما فتقوم الشهود فلا يشهدون الا بالحق وقيل اذ الذي كان
يدور بذلك الكرسي تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم ما عمله له صخر الجني
فاذا احدث بدوزا ثم تلك النسور والاسد والطواويس التي في اسفل الكرسي الى اعلاه
دون بعده فاذا وقفن وقفن كلهن واقفات على راس سليمان وهو جالس ثم ينفضن
جميعا على راسه ما في اجوافهن من المسك والعنبر فلما توفي سليمان لبث بخت نصر
فاخذ الكرسي فحمله الى انطاكية فاراد ان يصعد اليه ولم يكن له علم كيف يصعد عليه
فلما وضع رجله ضرب الاسد رجله فكسرها وكان سليمان اذا صعد وضع قدميه جميعا
ومات بخت نصر وحمل الكرسي الى بيت المقدس فلم يستطع قط ملك ان يجلس عليه ولكن
لم يدر احد بما فيه امره ولعله رفع قوله تعالى ثم اناب اي رجع الى الله وتاب
وقد تقدم قوله تعالى قال رب اغفر لي اي اغفر لي ذنبي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي يقال كيف اقدم سليمان على طلب الدنيا مع ذهابها من الله تعالى وبغضه
فيها وحقارتها لديه فالجواب ان ذلك محمود عند العلماء اذا اختص
الله تعالى رسوله بسياسة ملكه وترتيب منازل خلقه واقامة حدوده والمحافظة على
رسومه وتعظيم شعائره وظهور عبادته ولزوم طاعته وتعظيم قانون الحكم النافذ
عليهم منه وتخصيص الموعود في انه يعلم ما لا يعلم احد من خلقه حتى صرح بذلك
للبكتة فقال اني اعلم ما لا تعلمون وحوى سليمان عليه السلام ان يكون سواله
طلبا للنفس لانه لهو ولا نبيا ان يهد خلق الله فيها وانما سال مملكتها لله كما سال نوح
دمارها وهلاكها فكانا محمودين مجابين الى ذلك فاجيب نوح فاهلك من عليها واعلى
سليمان المملكة وقد قيل ان ذلك كان بامر من الله جل وعز على الصفة علم الله انه
لا يضبطه الا هو وحده دون سائر عباده او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي
لاحد من بعدي وهذا فيه نظر والاول اصح ثم قال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك
بغير حساب قال الحسن ما سن احدا الا وله عليه تبعة في نفسه غير سليمان بن داود فانه
قال هذا عطاؤنا الى بقية قلت وهذا يرده ما روي في الصحيحين ان اول الانبياء دخولا الجنة
سليمان ابن داود عليه السلام لما كان ملكه في الدنيا وفي بعض الاخبار يدخل الجنة بعد
الانبياء باربعين خريفا ذكره صاحب الفردوس وهو حديث لا اصل له لانه سبحانه
اذا كان عطاؤه لا تبعة فيه لانه من طريق المنة فكيف تكون اخر الانبياء دخولا الجنة
وهو سبحانه يقول وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وفي الصحيح لكل نبي دعوة
مستجابة فتعجل كل نبي دعوته الحديث وقد تقدم فيجعل له من قبل السوال الحاجة
مقضية فلذلك لم تكن عليه تبعة وبعض قوله لا ينبغي لاحد من بعدي اي ان يسال
فكانه تعالى منع السوال بعده حتى لا يتعلق به امل لاحد ولم ليس يمنع الاجابة وقيل
ان سواله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ليكون معجزة له وكرامة من الله ظاهرة في خلق
السموات والارض فان الانبياء عليهم السلام لهم تنافس في المعجز عنده فكل يحب ان
تكون له خصوصية ليبتدر بها على سائر عنده ولهذا لما اخفى النبي صلى الله عليه
وسلم العفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته واسكنه الله منه اراد ربط ثم تذكر

قوله اما قيل سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده خاسيا فلو اعطي
احد بعيده سئله ذهبت الخصوصية فكانه كره صلى الله عليه وسلم ان يزاحم في تلك
الخصوصية بعيدا فعلم ان شيء هو الذي خصوبه من سخرة الشياطين وانه اجيب الى ان لا
يكون لاحد بعده والله اعلم قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اي لينة
مع قوتها وشدتها حتى لا تقهر باحد وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه وكذا موكبه
وكان موكبه فيما روي فرسخا في فرسخ مائة درجة بعضها فوق بعض في كل درجة صف
من الناس وهو في اعلى درجة مع حواريه وحشمه وخدمه صلوات الله وسلامه عليه
وذكر ابو نعيم الحافظ قال حدثنا احمد بن جعفر قال سمعت عبد الله بن احمد
ابن حنبل قال سمعت احمد بن محمد بن ايوب قال سمعت ابو بكر بن عياش عن ادريس
ابن وهب ابن منبه قال حدثني ابي قال كان لسليمان بن داود عليه السلام الف
بيت اعلاه قوارير واسفله حديد وفي كل ربيع يوم سادس تجيء الريح تنظر اليه
الحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه الحراث فالقته
في اذن سليمان قال فنزل حتى اتى الحراث فقال اني سمعت قولك واني ساستيك لكيلا
يبلغ تتمنى ما لا تقدر عليه فتسبحة واحدة يقبلها الله منك لخير مما اوتي آل داود
فقال الحراث اذهب الله همك كما اذهبت همي حيث اصاب ايي اراد فاز
بمراده والصواب تفوز اصاب الصواب واخطا الجواب اي اراد الصواب واخطا الجواب
قاله ابن الاعرابي وقال الشاعر

اصاب الكلام فلم يستطع ... فاخطا الجواب لذي المعضلة

وقيل اصاب اراد بلغة حمير وقال هو بلسان مجرد وقيل حيث اصاب حيث ما قصد
وهو ما خوذ من اصابة السهم الغرض المقصود والشياطين كل بناء وغواص ومن لم
له الشياطين وما سخرت لاحد قبله كل بناء بدل من الشياطين اي كل منهم فهم يبنون
له ما يشا قال

الا سليمان اذ قال الجليل له ... قم في البرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم ... يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وغواص يعني في البحر ليستخرجون له الدر فسليمان اول من استخرج له اللولو من البحر
واخرين مقرنين في الاصفاد اي وسخرنا له مردة الشياطين حتى قرنهم في سلاسل
الحديد وقيود الحديد قاله قتادة والسدي في الاغلال ابن عباس في وثاق وسنه قول
الشاعر فابوا بالنهاب وبالسبايا ... واوبنا بالملوك مصفدينا

قال يحيى بن سلام ولم يكن يقدر لذلك الا بكفارهم فاذا امنوا اطلقهم ليسخرهم هذا عطاؤنا
الاشارة هذا الى الملك اي هذا الملك عطاؤنا فاعط من شئت او امنع من شئت لا حساب
عليك عن الحسن والضحاك وغيرهما قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه فيها
تبعة الا سليمان عليه السلام فانه الله تعالى يقول هذا عطاؤنا او امسك بغير
حساب وقال قتادة الاشارة في قوله تعالى بقوله هذا عطاؤنا الى ما اعطيه من
القوة على الجماع وكانت له ثلاثمائة امراة وسبعمائة سرية وكان في ظهره مائة
رجل رواه عكرمة عن ابن عباس ومسناه في البخاري وعلى هذا فامنن من المني يقال
امنى يمنى ومنى يمني لغتان فاذا امرت من امنى قلت امن وتقول من منى يمني
في الامر من فاذا جئت بنون الفعل نونت الخفيفة قلت امنن ومن ذهب
به الى المنة قال من عليه فاذا اخرجه مخرج الامر ابرز النونين لانه كان مضاعفا
فقال امنن فيروى في الخبر انه سخر له الشياطين فمن شاء من عليه بالعتق والتخلية
وان شا امسكه وقاله قتادة والسدي وعلى هذا روي عكرمة عن ابن عباس اي
جامع من شئت من نسائك واترك جامع من شئت منهن لا حساب عليك وانه له
عندنا لزلفى وحسن مآب اي القربة عليه في الدنيا وله عندنا في الاخرة قربة
وحسن مرجع قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب
وعذاب وقرا علي بن عمران بكسر الهمزة اي قال انه قال القراء اجمعت
القراء على ان قرا بنصب بضم النون والتخفيف الا الحسن وهذا غلط وبعده منا
قصد وغلط ايضا لانه قال جميعهم القراء على هذا وحكى بعده انهم ذكروا عن يزيد

يزيد بن القعقاع انه قرا بنصب بفتح النون والصاد فغلط على ابي جعفر وانما قرا ابو جعفر بنصب بضم النون والصاد كذا حكاه ابو عبيد وغيره وهو مروي عن الحسن فاما بنصب فقراءة عاصم الجحدري ويعقوب الحضرمي وقد روي ايضا هذه القراءة عن الحسن وقد حكي لنصب بفتح النون وسكون الصاد عن ابي جعفر وهكذا اكثر ما في المحويين بمعنى النصب فنصب ونصب كحزن وحزن وقد يجوز ان يكون نصب جمع نصب كوثن ووثن ويجوز ان يكون نصب بمعنى نصب حذفت منه الضمة فاما وشاح في النصب فقيل انه جمع نصاب وقال ابو عبيده وغيره النصب الشر والبلاء والنصب والاعياء وقد قيل في معنى الذي مس الشيطان بنصب وعذاب اي بما يلحقه من وسوسته لا غير والله اعلم ذكره النحاس وقيل اذا النصب ما اصابه في بدنه والعذاب ما اصاب به في ماله وقال المفسرون ان ايوب كان رومية من البثنية وكنيته ابو عبد الله في قول الواقدي اصطفاه الله بالنبوة واتاه جملة من الثروة في انواع الاموال والاولاد وكان شاكرا لانعم الله مواسيا لعباده لله براً رحيما ولم يوس به الا ثلاثة نفر وكان لابليس موقف من السماء السابعة في يوم من ايام فوقف به ابليس على عماداته فقال الله له او قيل له عنه افدرت من عبدي ايوب على شيء وقد ابتليته بالمال والعافية فلو ابتليته بالبلاء والفقر ونزعت منه ما اعطيته لحاد عن حالة ولخرج عن طاعتك قال الله قد سلطتك على اهله وماله فانحط عدو الله فجمع عفاريت الجن فاعلمهم وقال قائل منهم اكون اعضاء فيه نبينا زاهلك ماله فكان فجاء ايوب في صورة قيم ماله فاعلمه بما جرى فقال الحمد لله هو اعطاه وهو منعه ثم جاء قصره باهله وولده فاحتمل العفاريت نواحيه حتى القاه على اهله ثم جاء اليهم واعلمه فالقى التراب على راسه وصعد ابليس الى السماء فسبقته توبة ايوب قال يا رب سلطتني على بدنه قال قد سلطتك على بدنه الا على لسانه وقلبه وبصره فنفخ في جسده فنخة استعل قصار في جسده اثاليل فحك باظفاره حتى دميت ثم بالفخار حتى تساقط لحمه وقال عند ذلك سمي الشيطان ولم يخلص الى شيء من حشوة البطن لانه لما بقا للنفس والاهل قوي بالاكل ويشرب فمكث كذلك ثلاث سنين فلما غلبه ايوب اعترض لامراته في هيئة اعظم من هيئة بني ادم في القدر والجمال وقال لها انا الاله الارض وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت ولو سجدت لي سجدة واحدة لرددت عليه حاله وماله وهم عندي وعرض لها في بطن الوادي بذلك كله في صورته ثم اظهره لها فاخبرت ايوب فاقسم ان شفيها ان عافاه الله وذكروا كلاما كثيرا طويلا في مراجعته لربه وتبرمه من البلاء الذي نزل به وان الفقرا للائة الذين امنوا به نهوه عن ذلك واعترضوا عليه وقيل استغاث به مظلوم فلم ينصره فابتلي من سبب ذلك وقيل استضاف يوما الناس فمنع فقيرا الدخول فابتلي بذلك وقيل كان ايوب يغيروا ملكا وكان له غنم في ولايته فدا هقه لاجلها بترك غزوة فابتلي وقيل كان الناس يتعدون امراته ويقولون تختلف لعدوهم وكانوا يستغنون ربها فلهذا قال مسني الشيطان وامراته لبابيت ليعقوب وكان ايوب في زمان يعقوب وكانت امه ابنة لوط وقيل كانت زوجة ايوب رحمة ابنة افرايثم ابن يوسف بن يعقوب عليهم السلام ذكرا لقولين الطبري رحمه الله قال ابن العربي ما ذكره المفسرون من ان ابليس كان له مكان في السما السابعة يوم من الما فتقول يا اهل الارض اهبط منها بلعنة وسخط الى الارض فكيف يرقا الى محل الرضا ويجول في مقامات الانبيا ويخترق السموات العلى ويعلوا الى السابعة الى منازل الانبياء فيقف فوقف الخليل اذ هذا الخطب من الجهالة عظيم واما قولهم ان الله تعالى قال هل قدرت من عبدي ايوب على شيء قبا طل قطعا لان الله عز وجل لا يكلم الكفار الذين هم من جند ابليس المعلوم تكليف يكلم من تولى ضلالهم واما قولهم ان الله قال قد سلطتك على ماله وولده فذلك ممكن في الغيرة ولكنه بعيد في هذه القصة وكذلك قولهم انه نفخ في جسده حين سلطه عليه فهذا بعد وابا دي سبحانه قادر على ان يخلق ذلك كله من غير ان يكون للشيطان فيه كسب حتى تقول لعنة الله عليه عيني يا لمكن من الانبياء في اموالهم واهليهم وانفسهم

واما قولهم انه قال لزوجته انا الاله الارض ولو تركت ذكر اسمه وسجدت انت لي لما فتنته فاعلموا انكم لتعلمون انه لو عرض لاحدكم ربه لم يقل هذا الكلام جاز عندكم الاهانة في الارض وانه ليسجد له وانه يعافى من البلاء فكيف اذا لتتريب زوجة نبي ولو كانت زوجة سوء دنيء وقدم نبوته في فاسق ذلك عندها واما تصوره الاموال والاهل في دار المراة فذلك مما لا يقدر عليه ابليس بحال ولا هو في طوق السحر فيقال انه من جنس ولو تصور لعلمت المراة انه ساحر كما تعلمه نحن وهي فوق نا في المعرفة بذلك فانه لم يحيل من ما ذا فطن من السحر وحديثه وجربت بعض الناس وتصويره قال القاضي والذي حرأهم على ذلك وتدرجوا به الى ذكر هذا قوله تعالى اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فلما رأوه قد شكى مس الشيطان اضافوا اليه من رأيهم ما سبق من التفسيرين هذا لا قول ولسنا لامرنا نحموا الافضلى كلها خيرها وشرها في ايماننا وكفرها وطاعتها ومعصيتها خالقها هو الله لا شريك له في خلقه ولا في خلق شيء منها ولكن الشر لا ينسب اليه ذكرا وان كان موجودا منه خلقا او ابتداء وتحميدا علمناه وكان من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لربه به قوله من جملته والخير في يديك والشر ليس اليك على هذا المعنى ومنه قول ابراهيم واذا مرضت فهو يشفين وقال الفتى الكليم وما انسانيه الا الشيطان واما قولهم انه استغاث به مظلوم فلم ينصره فمن اين صحت هذا النقل ولا يخلوا ان يكون قادرا على نصره فلا يحل لاحد تركه فيلام على ان يقضي وهو منزه عن ذلك او كان عاجزا فلا شيء عليه في ذلك وكذلك قولهم انه منع قتله اذ لو كان اذ علم به فهو باطل عليه وان لم يعلم فلا شيء عليه فيه واما قولهم انه داهن ولكن فداء ودفع الكافر والظالم عن النفس والمال جائز فمعلوم بحمد الله قال ابن العربي القاضي ابو بكر رضي الله عنه ولم يصح عن ايوب في امره الا ما اخبرنا الله عنه في كتابه في اثنتين الاولى في قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر والثانية في قوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب واما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح عندنا ذكره بحرف واحد الا قوله بينا ايوب يغتسل اذ خر عليه رجل من جراد من ذهب الحديث واذا لم يصح عنه فيه قرآن ولا سنة الا ما ذكرناه فمن اين يوصل الى ما توهب خبره ام على اي لسان سمعه والاسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات فاعرض عن سطورها بصرك واصمم عن سماعها فانها لا تعطيك فكرك الا خبالا ولا تزيد خزادك الا اخبالا وفي الصحيحين واللفظ للبخاري ان ابن عباس قال يا معشر المسلمين تسئلون اهل الكتاب وكتابكم الذي انزل على نبيكم احدث الاخبار بالله تقرؤنه لم يحرف ولم يبدل وقد حدثكم ان اهل الكتاب قد بدلوا من كتاب الله وغيروا وكتبوا بايديهم الكتب فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسئلتهم فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسئلكم عن الذي انزل عليكم وقد انكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الموطا على عمر قراءته التوراة

اركض برجلك الركض الرفع بالرجل يقال ركض الدابة وركض بها برجله وقال المبرد الركض التحريك ولهذا قال الاصمعي يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك راكبها رجليه ولا فعل لها في ذلك وحكى سيبويه ركضت الدابة فركضت مثل جمعت العظم فجبر وحزنته فحزن وفي الكلام اضمار اي قلنا له اركض قاله الكسائي وهذا لما اتاه الله هذا مغتسل بارد وشراب اي فركض فنبعت عين ماء فاغتسل به فذهب الداء من ظاهره ثم شرب منه فذهب الداء من باطنه وقال قتادة هما عينان بارض الشام يقال لها الحابية فاغتسل من احداهما فاذهب الله تعالى ظاهر داء به وشرب من الاخرى فاذهب الله تعالى باطن داء به وكفوه عن الحسن وقاتل قال مقاتل نبعت عين حارة واغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين اخرى فشرب منها فعوفي داخل جوفه فلم يبق من داء في جسده والمغتسل الماء الذي يغتسل به قاله الفتيبي وقيل انه الموضع الذي يغتسل فيه قاله مقاتل الجوهري واغتسلت بالماء والغسول الماء الذي يغتسل به وكذلك المغتسل تقول هذا مغتسل بارد وشراب لهم والمغتسل ايضا الذي يغتسل فيه والمغتسل بكسر السين وفتحها

مثل الموك والجمع المفاسك واختلف لم يقم ايوب في البلاء فقال ابن عباس سبع سنين
وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال وهب ابن منبه اصابه البلاء
سبع سنين ونزك يوسف في السجن بضع سنين وعذب بخت نصر وهو في السباع سبع
سنين ذكره ابو نعيم وقيل عشر سنين وقيل ثمان عشر سنة رواه انس مرفوعا فيما
ذكره الماوردي قلت وذكره ابن المبارك اخبرنا يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن
شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب وما اصابه من البلاء وذكر ان
البلاء الذي اصابه كان به ثمان عشرة سنة وذكر الحديث الكثير وقيل
اربعين سنة وهبنا له اهله وشلهم معهم تقدم في الانبياء الكلام
عليه رحمة منا اي نعمة منا وذكرى لاولي الالباب اي عبرة لذوي العقول
وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فيه سبع مسائل الاولى كان ايوب حلف في مرضه
ان يضرب امرأته مائة جلدة وفي سبب ذلك اربعة اقوال احدها ما حكاه ابن عباس
ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة ايوب فقال اداويه على ان اذا برئ
قال انت شفيتني لا اريد جزاء سواه قالت نعم فاشارت على ايوب بذلك فحلف ليضربنها
وقال وجعل ذلك الشيطان الثاني ما حكاه سعيد بن المسيب انها جاءت بزيادة على
ما كانت تأتيه من الخبز فحلف ليضربنها المائة الثالث ما حكاه يحيى
ابن سلام وغيره ان الشيطان اغواها ان تحمل ايوب على ان يذبح سخلة تقرب الى
وانه بيرا فذكرت ذلك له فحلف ليضربنها ان عوفي مائة وقيل باعت ذوابتها
برغيفين اذ لم تجد شيئا تحمله الى ايوب وكان ايوب يتعلق بها اذا اراد القيام فلهذا
حلف ليضربنها فلما شفاه الله امره ان يأخذ ضغثا فيضربه فاخذ مائة شمراخ قدر مائة فحلف
ليضربنها ضربة واحدة وقيل لضغث قبضة مختلطة الرطب باليابس وقال ابن عباس
انما اتكأ النخل الجامع لشماريخه الثمانية تضمنت هذه الاية جواز ضرب الرجل امرأته تأديبا
وذلك انها امرأة ايوب اخطأت فحلف ليضربنها مائة فامره الله تعالى ان يضربها لئلا يفعل
من مثل فعلها النخل وهذا لا يجوز في الحدود انما امر الله بذلك ليبلغ بضربها اثر الرفق حد
الادب وذلك انه ليس للزوج ان يضرب اثر الرفق حد الاب ولهذا قال عليه السلام
واضربوهن ضربا غير مبرح على ما تقدم في النساء بيانه الثانية واختلف العلماء
في هذا الحكم هو عام او خاص بايوب وحده فروي عن مجاهد انه عام للناس ذكره ابن
العربي وحكى عنه القشيري ان ذلك خاص بايوب وحكى المهدوي عن عطاء بن ابي رباح
انه ذهب الى ان ذلك حكم باق وانه اذا ضرب بمائة قضيب ونحوه ضربة واحدة بر به
وروي نحوه عن الشافعي وروي نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المقعد الذي حملت
منه الوليدة وامر ان يضرب بعثكول فيه مائة شمراخ ضربة واحدة وقال القشيري
وقيل لعطاء هل يعمل بهذا اليوم فقال لما انزل الله تعالى ان الله ليعمل به ويتبع ابن العربي
وروي عن عطاء انه لايوب خاص وكذلك روى ابو ربيعة عن ابن القاسم عن مالك
من حلف ليضربن عبده مائة فجمعها فضربه ضربة واحدة لم يبر قال بعض علمائنا يريد به
مالك بقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ان ذلك منوط لشريعتنا قال
ابو المنذر وقد روينا عن علي انه جلد الوليد بن عقبة ليسوط له طرفان اربعين جلدة وانكر
عاكد هذا وتلا قول الله عز وجل فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وهذا مذهب اصحاب
الراي وانما حجة الشافعي لقوله بحديث وقد تكلم في اسناده والله اعلم قلت
الحديث الذي احتج به الشافعي خرجه ابو داود في سننه قال ثنا احمد بن سعيد الهمداني
قال ثنا ابن وهب قال اخبرني يونس عن ابن شهاب قال اخبرني ابو امامة بن
سهل بن حنيف انه اخبره بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انه اتى
رجل منهم حتى اضنى فقاد جلده على عظم فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها
فوقع عليها فلما دخل عليه اصحابه قوموه فيجلد ونه اخبروهم بذلك وقالوا استفت لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني قد وقعت على جارية دخلت علي فذكروا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا باحد من الناس من الضر مثل الذي هو به لو
حملناه اليك لتفسخت عظامه ما هو الا جلد على عظم فامر رسول الله صلى الله عليه
ان ياخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة قال الشافعي اذا حلف ليضربن
فلانا مائة جلدة او ضربا ولم تقل ضربا شديدا ولم ينو ذلك بقلبه يكفيه مثل هذا الضرب

المذكور في الآية لا يحنث قال ابن المنذر واذا حلف الرجل ليضربن عبده مائة فضربه
ضربا خفيفا فهو بار عند الشافع وابي ثور واصحاب الرأي وقال مالك ليس
الضرب الا الضرب الذي يؤلم الرابعة قوله تعالى ولا تحنث دليل دليل على ان له
ان يستثنى في اليمين لا يرفع حكمها اذا كان مقترنا وقد سبق القول في المائدة قيل انه
في مصحف حفصة اذا لم يبر بها وعند الكوفيين الواو مقحمة اي فاضرب ولا تحنث الخامسة
قال ابن العربي قوله تعالى فاضرب به ولا تحنث يدل على امرين احدهما ان يكون ابو
لم يكن في شرعهم كفارة وانما كان البر والحنث والثاني اذ يكون صدر منه نذر لا يمكن
واذا كان النذر معينا فلا كفارة عند مالك وابي حنيفة وقال الشافع في كل نذر
كفارة قلت قوله اذ لم يكن في شرعهم كفارة قليس بصحيح فان ايوب عليه
السلام لما بقي البلاء ثمان عشرة سنة كما في حديث بن شهاب قال له صاحبه لقد اذنب
ذنبا ما اظن احدا بلغه فقال ايوب صلى الله عليه وسلم ما ادري ما تقولان غير ان
ربي عز وجل يعلم اني كنت امر على الرجلين يتنازعان فاكره ان يحلف بالله او على الغفر فيقترفان
فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم ارادة ان لا يأثم احد ايذكره ولا يذكره الا لحق فنادى
ربه اني لمسني الضر وانت ارحم الراحمين وذكر الحديث فقد افاد ان هذا الحديث ان الكفارة
كانت في شرع ايوب وان من كفر عن غيره بغير اذنه فقد قام بالواجب عنه وسقطت عنه
الكفارة السادسة استدل بعض جهال المتزهدة وطعام المتصوفة بقوله
لا يوب اركض برجلك على جواز الرقص فقال ابو الفرج الجوزي وهذا احتجاج بارد لانه
لو كان امر بضرب الرجل فرحا كان لهم فيه شبهة وانما امر بضرب الرجل لينبع الماء قال
ابن عقيل اين الدلالة في مسئلتي امر عند كشف البلاء ان يضرب برجله الارض لينبع الماء
اعجازا من الرقص ليجاز اذ يكون تحريك رجل قد تخلها تحكم البهائم دلالة على جواز
الرقص في الاسلام جازاذ يجعل قوله سبحانه لموسى اضرب بعصاك الحجر دلالة على ضرب
الدف والقضبان فعوذ بالله من التلاعب بالشرع وقد احتج بعض قاصريهم بان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني وانا منك فجعل وقال لجعفر اشبهت خلقي
وخلقي فجعل وقال لزيد انت اخونا ومولانا فجعل ومنهم من احتج بان الحبشة زفنت
والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليهم والجواب اما الجعل فهو نوع من المشي يفعل عند
الفرح فانه هو الرقص وكذلك زفن الحبشة نوع من المشي يفعل عند القتال للحرب
الثالثة قوله تعالى انا وجدناه صابرا اي على البلاء ﴿ نعم العبد انه اواب اي تواب
رجاع منيب وسيل سفيان عن عبد بن ابتلي احدهما فصبر وانعم على الاخر فشكر فقال
كلاهما سواء لان الله تعالى اثنى على عبدين احدهما صابر والاخر شاكر ثناء واحدا فقال
في وصف ايوب نعم العبد انه اواب وقال في وصف سليمان نعم العبد انه اواب
قلت وقد رد هذا الكلام مذاهب العتوت واستدل لقصة ايوب في تفضيله
الفقر على الغنى وذكر كلاما كثيرا اشبه بكلام حمد وقد ذكرناه في تفسير هذا الموضع من
كتاب منهج العباد ومحجة السالكين الزهاد وخفي عليه ان ايوب عليه السلام كان احد
الاغنياء من الانبياء قبل البلاء وبعده وانما ابتلي بذهاب ماله وولده وعظم الداء في جسده
وكذلك الانبياء صلوات الله وسلامه صبروا على ما به امتحنوا وفتنوا فايوب عليه
السلام دخل في البلاء على صفة تخرج منه كما دخل فيه وما تغير منه حال ولا انتقال
فقد اجتمع في ايوب في المعنى المقصود وهو عدم التغير الذي يفضل فيه بعض الناس
بعضا وبهذا الاعتبار تكون المعنى الشاكر والفقير الصابر سواء وهو كما قال
سفيان والله اعلم وفي حديث ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ايوب
خرج لما كان يخرج اليه من حاجته فاوحى الله تعالى اليه اركض برجلك هذا
مغتسل بارد وشراب فاغتسل فاعاد الله لحمه وشعره وبشره على احسن ما كان
ثم شرب فاذهب الله كل ما كان في جوفه من الم او ضعف وانزل عليه ثوبين من
السماء بيضاوين فائتزر باحدهما وارتدى بالاخر ثم اقبل يمشي الى منزله ورات
على امرأته فانكرته حتى لقيته وهي لا تعرفه فسلمت عليه وقالت اي يرحمك الله
هل رايت هذا الرجل المبتلى قال فمن هو قالت نبي الله ايوب اما والله ما رايت
احدا قط اشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني انا ايوب واخذ ضغثا فضربها
فزعم ابن شهاب لذلك الضغث كان بمثل ما وراء الله اليه اهله ومثلهم معهم ﴿

فاقبلت

فاقبلت سحابة حتى جاءت الى ابن زيد بعيره وفطانيه فسجدت فيه وقالت اللهم
قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وقرا ابن عباس عبدنا
باسناد صحيح رواه ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عنه وهي قراءة مجاهد وحميد
وابن محيصن وابن كثير قيل هذه القراءة يكون ابراهيم بدلا من عبدنا واسحق ويعقوب
عطف والقراءة بالجمع اظهر وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم ويكون ابراهيم وما بعده على البدل
او البيان وشرح هذا من العربية انك اذا قلت رايت اصحابنا زيدا وعمرا وخالدا
فزيد وعمرو وخالد افترقوا وحدة بدل وهو صاحبنا وزيد وعمرو عطف عليه صاحبنا
وليسا بداخلين في المصاحبة البدلية غير هذا اذ فتعلم ان قوله واسحق ويعقوب
داخل في العبودية وقرا سعيد بن جبير الابتهج من قال انا الذبيح اسحق لا اسمعيل وهو
الصحيح على ما ذكرناه في كتاب الاعلام بمولد النبي عليه السلام * اولي الايدي
والابصار قال الحاسبي اما الابصار فمتفق على تاويلها انها البصائر في الدين
والعلم واما الايدي فمختلف في تاويلها فاهل التفسير يقولون انها القوة في الدين
وقوم يقولون الايدي جمع يد وهي النعمة اي هم اصحاب النعم اي الذين انعم الله عز
وجل عليهم وقيل هم اصحاب النعم والله اعلم حسنوا وقدموا خيرا وهذا اختيار
الطبري وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اي الذين اصطفاهم من العباد ناسا واختارهم
لرسالته ومصطفين جمع مصطفى وقد يضاف في النكرة عند قولهم ان الله اصطفى لكم الدين
والاخيار جمع خير وخير الاعمش وقرا لرازق والحسن وعيسى الثقفي اولي الايدي بغير
ياء الوصل والوقف على معنى اولي القوة في طاعة الله ويجوز ان يكون كمن قرا الجامة
وحذفت الياء تخفيفا قوله تعالى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قراءة النخعية
بخالصة منونة وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا نافع وشيبة وابو جعفر
وهشام عن ابن عامر بخالصة ذكرى الدار بالاضافة فمن نون خالصة فذكرى
الدار بدل منها التقدير انا اخلصناهم بان يذكروا الدار الاخرة ويتاهبوا لها ويرغبوا
ويرغبوا الناس ويجوز ان يكون خالصة مصدر الخلص وذكرى في موضع رفع بانها فاعلة
والمعنى خلصناهم فاذ خلصت لهم ذكرى الدار اي تذكير الدار الاخرة ويجوز ان
يكون خالصة مصدرا لاخلصت فحذفت الزيادة فيكون ذكرى على هذا في موضع نصب التقدير
بان اخلصوا ذكرى الدار ويجوز ان يراد بها الدنيا اي ليذكروا الدنيا ويزهدوا فيها
ويتخلص لهم بالثنا الحسن عليهم كما قال واجعل لي لسان صدق عليا ويجوز ان يراد بها
الدار الاخرة وتذكيرها لخلوص ما وسن اضاف خالصة الى الدار فهي مصدر اي باخلاصهم
ذكرى الدار ويجوز ان يكون المصدر مضافا الى الفاعل والخالصة مصدر بمعنى الخلوص اي
بان خلصت لهم ذكرى الدار وهي الدار الاخرة او الدنيا على ما تقدم وقال ابن زيد
معنى خلصناهم اي يذكرون الاخرة اي يذكرون الاخرة ويرغبون فيها ويزهدون في الدنيا
وقال مجاهد المعنى انا اخلصناهم بان ذكرنا الجنة لهم قوله تعالى واذكر اسمعيل
واليسع وذا الكفل يعني ذكرا لسبع في الانعام وذا الكفل في الانبياء وكل من الاخيار
اي من اختير للنبوة هذا ذكر ممن لهذا ذكر جميل في الدنيا وشرف يذكرون به في الدنيا
حسن المرجع في القيامة ثم بين ذلك بقوله تعالى جنات عدن والعدن في اللغة الاقامة
تقال عدن بالمكان اذا اقام وقال عبد الله بن عمرو خيمة عدن قصر في الجنة له خمسة
الاف باب على كل باب خمسة الاف خيمة لابد خله الا نبي او شهيد مفتحة لهم
الابواب رفعت الابواب لانها اسم لما لم يسم فاعله قال الزجاج اي مفتحة لهم
الابواب منها وقال الفراء مفتحة لهم ابوابها واذا قال الفراء مفتحة لهم الابواب
بالنصب قال الفراء اي مفتحة الابواب ثم جيء بالتنوين فنصبت والتقدير هو
وسيبويه • وناخذ بعده بذناب علش احب الظهر ليس له سنام
وانما قال مفتحة ولم يقل مفتوحة لانهم تفتح لهم بالامر لا بالمس قال الحسن
تكلم الفتحى فتفتح انفسها وتنغلق وقيل تفتح لهم الملائكة الابواب قوله تعالى
متكئين فيها هو حال قدمت على العامل فيها وهو فكهين يدعون فيها اي يدعون في
الجنان متكئين فيها بنا كهة كثيرة اتى بالوان الفواكه وشراب اي وشراب كثير
فحذف لدلالة الكلام عليه قوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن
لا ينظرن الى غيرهم وقد مضى في الصافات اتراب اي على سن واحد وميلاد امراة هـ

صديقي صح

واحدة قد نشاوين في الحسن والشباب بنات ثلاث وثلاثين سنة قال ابن عباس يريد الادميات والنواب جمع نزب وهو نعت لفاعلات لان فاعلات نكرة وان كان مضافا الى معرفة والدليل على ذلك ان الالف واللام يدخلان كما قال

من النفر الات الطرف لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثر لا

قوله تعالى هذا ما توعدون ليوم الحساب اي هذا الجزاء الذي وعدتم به وقراءة العامة بالتاء على ما تقدم وقرأ اليماني الموصوف وقرأ ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب بالياء على الخبر وهي قراءة السلمي واختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله تعالى وان للمتقين فهو خبر ليوم الحساب اي في يوم الحساب قال الاعشى المميمين ما لهم لزمان السوء حتى لها افاق افاقوا اي في زمان السوء **قوله تعالى** ان هذا لرزقنا ما له من نفاد دليل على ان نعيم الجنة دايم لا ينقطع كما قال الملاحدة غير محمود وقال لهم اجر غير ممنون **قوله تعالى** هذا وان للطاغين لشر مآب لما ذكر ما للمتقين ذكر ما للطاغين قال الزجاج هذا خبر ابتدا محذوف اي هذا الامر هذا فيوقف على هذا قال ابن الانباري هذا وقف حسن ثم تبتدي وان للظالمين وهو الذي كذبوا الرسل لشر مآب اي منقلب يصيرون اليه ثم بين ذلك بقوله جهنم يصلونها فبئس المهاد اي بئس ما مهدوا لانفسهم او بئس الفراش لهم وسئ مهاد الصبي وقيل فيه حذف اي بئس موضع المهاد وقيل اي هذا الذي وصفت لهم فليذوقوه ثم قال وان للطاغين لشر مرجع فيوقف على هذا ايضا **قوله تعالى** هذا فليذوقوه حميم وغساق هذا في موضع رفع بالابتداء وخبره حميم على التقديم والتاخير اي هذا حميم وغساق فليذوقوه ولا يوقف على فليذوقوه ويجوز ان يكون هذا في موضع رفع بالابتداء وفليذوقوه في موضع الخبر وقلت انما التنبيه الذي في هذا فيوقف على فليذوقوه ويرتفع حميم على تقدير هذا حميم قال النحاس ويجوز ان يكون المعنى الامر هذا وحميم وغساق اذا لم تجعلهما خبرا ورفعتهما على معنى حميم وغساق والمرتفع بمعنى مستقر وغساق والشرحتى اذا ما الصبح في غلس وغودر البقل ملوي ومحصود وقال اخر

لها متاعهم وا عوان عدون لها قتب وغرب اذا ما افرغ النحفا

ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب باضمار فعل يفسره فليذوقوه كما تقول زيدا اضربه والنصب في هذا اولى فيوقف على فليذوقوه ويبتدئ حميم وغساق على تقدير هذا حميم وغساق وقراءة اهل المدينة واهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين في وغساق وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وغساق بالتشديد وهما لغتان بمعنى واحد في قول الاخفش وقيل معناهما واحد مختلف فمن خفف فهو اسم مثل عذاب وجواب وصواب ومن شدد قال هو اسم فاعل من قولك غسقت عينه تغسق غسقا وغسقا وغاسق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرق بحره وقال مجاهد وقتادة هو البارد الذي ينتن بحره وقال غيرهما انه يحرق ببرده كما يحرق الحميم بحره وقال عبد الله بن عمرو هو قيح غليظ لو وقع منه شئ بالمشرق لانتن من في المغرب ولو وقع شئ منه في المغرب لانتن من في المشرق وقال قتادة هو ما يسيل في فروج الزناة ومن نتن الحوم المكتوفة وجلودهم من العذاب والقيح والنتن وقال مسلم بن كيسان هو عصارة اهل النار وهذا القول اشبه باللغة يقال غسقت الجرح اغسق غسقا اذا خرج منه شئ اصفر قال الشاعر

اذا ما تذكرت الحياة وطيبها اليّ جرى دمع من الليل غاسق

اي بارد ويقال ليل غاسق لانه ابرد من النهار قال السري الغساق الذي يسيل من اعينهم دموعهم ليبلغوا مع الحميم وقال ابن زيد الحميم دموع اعينهم يجمع في حياض النار فيسقونه والصديد الذي يخرج من جلودهم والحار على هذا وغساق حتى يكون مثل سيال وقال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذي حمة من عقرب وحية وقيل هو ما خوذ من الظلمة والسواد والعشق اول ظلمة الليل وقد غسق الليل يغسق اذا اظلم وفي الترمذي

من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان دلوا من غساق يهراق في
الدنيا لانتن اهل الدنيا قلت وهذا اشبه على الاشتقاق / الاول كما بينا والله
يحتمل ان يكون الغساق مع سيلان اسود مظلما فيصح الاشتقاق والله اعلم
قوله تعالى وآخر من شكله ازواج • قرا ابو عمرو وآخر جمع اخرى مثل الكبرى والكبر
الباقون وآخر مفرد مذكر وانكر ابو عمرو وآخر لقوله تعالى ازواج اي
لا يجيء بواحد عن جماعة وانكر عاصم الجحدري وآخر قال ولو كانت وآخر لكانت
من شكلها وكلا الردين لا يلزم والقراءتان صحيحتان وآخر اي وعذاب
آخر سوى الحميم والغساق من شكله قال قتادة من نحوه قال ابن مسعود
هو الزمهرير والتنغ وآخر بالابتداء وازواج مبتدا ثان ومن شكله خبره
والجملة خبر آخر ويجوز ان يكون وآخر مبتدا والخبر مضمر دل عليه هذا فليذوقوه
حميم وغساق لان فيه دليلا على انه لهم فكأنه قال ولهم آخر ويكون من شكله
ازواج صفة لآخر فالمبتدا مختص بالصفة وازواج مرتفع بالظرف ومن قرا
وآخر اراد نوعا من العذاب اخر ومن جمع وهو يريد الزمهرير فعلى ان جعل
الزمهرير اجناسا فجمع لاختلاف الاجناس او على ان خعل لكل جزء منه زمهرير ثم
جمع كما قالوا شابت مفارقه او على ان جمع لما في الكلام من الدلالة على جواز الجمع لانه
جعل الزمهرير الذي هو نهاية البرد بازاء الجمع في قوله هذا فليذوقوه حميم وغساق
والضمير في شكله يجوز ان يعود على الحميم او الغساق او على معنى واخر من شكل
ما ذكرنا ويدفع آخر على قراءة الجمع بالابتداء ومن شكله صفة له وقيه ذكر يعود
على المبتدا وازواج خبر المبتدا ولا يجوز ان يحمل على تقدير ولهم اخر ومن شكله
صفة لآخر وازواج مرتفعة بالظرف كما جاز في الافراد لان الصفة لا ضمير
فيها من حيث ارتفع ازواج بالظرف ولا ضمير في الظرف والهاء في شكله لا تعود
على آخر لانه جمع والضمير مفرد قال ابو بكر الوان من العذاب يقال للشكل بالفتح للمثل وبالكسر الذل **قوله تعالى** هذا
فوج مقتحم قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار تهافت في اثرهم اتباعهم
الاشياع قالت الخزنة للقادة هذا فوج مقتحم معكم فقالت القادة لا مرحبا بهم
اي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة ومنه رحبة المسجد وغيره وهو الذي
يذهب الدعاء فلذلك نصب قال النابغة

لا مرحبا بغد ولا اهلا به ، اذا كان تفريق الاحبة في غد

قال ابو عبيدة لا يقولون لا لك مرحبا اي لا رحبت عليك الارض ولا اتسعت
انهم صالوا النار فقيل هو من قول القادة اي انهم صالوا النار كما صليناها
وقيل هو من قول الملائكة متصل بقولهم هذا فوج مقتحم معكم قالوا انتم
لا مرحبا بكم هو من قول الاتباع وحكى النقاش ان الفوج الاول قادة المشركين وملوكهم
يوم بدر والفوج الثاني اتباعهم ببدر والظاهر هو من الاتباع انها قالته في كل تابع ومتبوع
انتم قدمتموه لنا اي دعوتمونا الى العصيان فبئس القرار لنا ولكم
قالوا لهم / الاتباع ربنا من قدم لنا هذا قال القرار من سوغ لنا هذا او سنه
وقال غيره من قدم لنا هذا العذاب بدعائه الينا فضاعفه وقال
ابن مسعود معنى عذابا ضعفا في النار الحيات والزقاعي وتنكير هذه / الاية قول
ربنا هو لاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار **قوله تعالى** وقالوا يعني كبار
المشركين ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال ابن عباس يريدون بلالا
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقولون ابو جهل ابن بلال ابن صهيب ابن عمار او لبلال
في العز والشرف اسما لاني جهل مسكين اسلم ابنه عكرمة وبنته جويرية واسلمت
امه واسلم اخوه وكفر هو قال ويقولون ايضا الارض شرقا وغربا
ووضع رجلي سنه اسود مظلم • اتخذناهم سخريا قال مجاهد اتخذناهم
سخريا في الدنيا فاخطانا ام زاغت عنهم / الابصار فلم نعلم مكانهم قال الحسن كل ذلك
قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم في الدنيا حقرتهم لهم وقبل
معنى ام زاغت عنهم / الابصار اي اهم معنا في النار فلا نراهم وكان ابن كثير وابو
وابو عمرو وحمزة والكسائي يقرؤن من الاشرار اتخذناهم بحذف / الالف في

في الوصل وكانا ابو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن كثير وان اتخذناهم بقطع الالف على الاستفهام وسقطت الف الوصل لان قبلها مستغنى عنها فمن قرأ بحذف الالف لم يقف على الاستفهام لان اتخذناهم حال وقال الحسن بن عرفة السجستاني هو نعت لرجال قال ابن الانباري وهذا خطأ لان النعت لا يكون ماضيا ولا مستقبلا ومن قرأ اتخذناهم بقطع الف وقف على الاستفهام قال الفراء والاستفهام ههنا معناه التوبيخ والنفي اي ما زاغت عنهم الابصار اذ قرأت بالاستفهام كانت ام المنقطعة واذا قرأت بغير استفهام فهي وقرأ ابو جعفر ونافع وشيبة والمفضل وهبيرة ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي سخريا بضم السين الباقون بالكسر قال ابو عبيدة من كسر حمله من الهزء ومن ضم جعله من التسخير وقد تقدم اذ ذلك لحق تخاصم اهل النار خبران وتخاصم خبر مبتدا محذوف تقديره هو تخاصم ويجوز ان يكون بدلا من حق ويجوز ان يكون خبر بعد خبر ويجوز ان يكون بدلا من ذلك على الموضع اي تخاصم اهل النار في النار لحق يعني قولهم لا مرحبا بهم الاية وشبهه من قول اهل النار قوله تعالى قل انما انا منذر اي مخوف عقاب الله لمن عصاه وقد تقدم وما من اله اي معبود الا الله الواحد القهار الذي لا شريك له رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار بالرفع على النعت وان نصبت الاول نصبته ويجوز رفع الاول ونصب ما بعده على المدح والعزيز معناه المنيع الذي لا مثل له الغفار الستار لذنوب خلقه قوله تعالى قل هو نبأ عظيم اي وقل لهم يا محمد هو نبأ عظيم اي ما انذركم به من الحساب والثواب والعقاب خبر عظيم القدر فلا ينبغي ان تستخف به قال معناه قتادة نظيره قوله تعالى عم يتساءلون عن النبإ العظيم ثم قال وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني القرآن الذي انبأتكم به خبر جبريل وقيل عظيم المنفعة انتم عنه معرضون قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون الملا الاعلى هم الملائكة في قول ابن عباس والسدي اختصموا في امر ادم حين خلق فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وقال ابليس انا خير وفي هذا بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبر عن قصة ادم وغيره وذلك لا يتصور الا بنبأ بين الا الهي فقد قامت المعجزة على صدقه فما بالهم اعرضوا عن تدبر القرآن ليعرفوا صدقه ولهذا وصل قوله بقوله قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون وقول ثان رواه ابو الشهب عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال يا محمد فيم اختصم الملا الاعلى قلت لا ادري ثلاث واثنتان قال وما الكفارات قلت المشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في السبرات والتعقب في المساجد انتظار الصلوات بعد الصلوات قال وما الدرجات قلت افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام خرجه الترمذي بمعناه عن ابن عباس وقال فيه حديث غريب وعن معاذ ابن جبل ايضا وقال حديث حسن صحيح وقد كتبناه بكماله في الكتاب الاسنى في اسماء الله الحسنى واوضحنا اشكاله والحمد لله وقد مضى في لبس القول في المشي الى المساجد وان الخطا تكفر السيئات وترفع الدرجات وقيل الملا الاعلى الملائكة والضمير في يختصمون لقريش بمعنى قول من قال منهم الملائكة بنات الله وقيل الملا الاعلى ههنا قريش بمعنى اختصامهم فيما بينهم سرا فاطلع الله نبيه على ذلك قال ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين ان يوحى الا لانذار وقرأ ابو جعفر ابن القعقاع الا انما بكسر الهمزة لان الوحي قول كأنه قال قل لهم انما انت نذير مبين ومن فتح جعلها في موضع رفع لانها اسم ما لم يسم فاعله قال المعنى كأنك قلت ما يوحى الي الا الانذار للناس ويجوز ان يكون في موضع نصب بمعنى الا لانما قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اذ من صلة يختصمون المعنى ما كان لي من علم بالملا الاعلى حين يختصمون حين قال ربك للملائكة اني خالق بشرا

من طين

من طين وقيل اذ قال بدل من اذ يختصمون ويختصمون يتعلق بمحذوف لان
المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلا وقت اختصامهم فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي اي من الروح الذي املكه ولا يملكه غيري فهذا معنى الاضافة وقد مضى
هذا المعنى مجردا في النساء في قوله فيعيسى وروح منه فقعوا له ساجدين
تضمن على الحال وهذا سجود تحية لا سجود عبادة وقد مضى في البقرة فسجد
الملائكة كلهم اجمعون اي امتثلوا الامر وسجدوا له خضوعا له وتعظيما له
لم يتعظيمه الا ابليس انف من السجود له جهلا بان السجود له طاعة لله ولا نفه
من طاعة الله استكبارا وكفر ولذلك كان من الكافرين باستكباره عن امر ربه
وقد مضى هذا الكلام في البقرة مستوفى في قوله تعالى قال يا ابليس ما منعك
ان تسجد اي ما صدك ان تسجد لما خلقت بيدي اضاف خلقه الى
نفسه تكريما له وان كان خالق كل شيء وهذا كما اضاف اليه نفسه الروح والبيت
والناقة والمساجد فخاطب الخلق بما يعقلونه في تفاضلهم فان الرجل منا
لا يباشر شيأ بيده الا على سبيل الاعتظام والتكرم فذكر اليد ههنا بمعنى هذا قاله
مجاهد اليد ههنا بمعنى التاكيد والصلة مجازة لما خلقت انا كقوله جل وعز ذلك
على ان لله بمعنى القدرة والقوة وانهما صفتان من صفات ذاته تعالى
وقيل اراد بها اليد التي ذكرها الله في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان يدان ويدل
على ان الخلق لا يقع الا بالقدرة الاجماع وقال الشاعر

تحملت من دلها ما ليس يحمله ولا للجبال الراسيات يدان

وقيل لما خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة استكبرت اي عن السجود وقيل
اما كنت من العالين اي من المتكبرين على ربك وقرأ محمد بن صالح عن شبل
عن ابن كثير واهل مكة بمدي استكبرت على قول الالف على الخبر وتكون ام منقطعة
بمعنى بل هل لم يقولون افتراه وشبهه وقد استفهم ام معادلة لهمزة الاستفهام
وهو تقرير وتوبيخ اي استكبرت بنفسك حين ابيت عن السجود لادم ام كنت
من القوم الذين يتكبرون فتكبرت لهذا قوله تعالى قال انا خير
منه قال الفراء من العرب من يقول انا خير منه واشر وهذا هو الاصل الا انه
حذف منه لكثرة الاستعمال خلقتني من نار وخلقته من طين
فضل النار على الطين وهذا جهل منه لان الجواهر متماثلة
فقياس فاخطا القياس وقد مضى في الاعراف بيانه قال
فاخرج منها اي من الجنة فانك رجيم اي مرجوم بالكواكب والشهب وان عليك لعنتي اي طردي وابعادي من رحمتي

الى يوم الدين تغريب باصراره على الكفر لان اللعن منقطع
حينئذ ثم يدخلونه النار فيظهر تحقيق اللعن قال ربت
فانظرني الى يوم يبعثون وهي النفخة الاخيرة اراد الملعون الا
يموت فلم يجب الى ذلك واخره الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم
موت الخلق فاخر اليه تمادوا به قال لاغوينهم اجمعين
لما اظهره بسبب ادم حلف بعزة الله انه يضل بني ادم بتزيين الشهوات واذخال
الشبه عليهم فمعنى لاغوينهم لاستدعينهم الى المعاصي وقد علم انه لا يضل الا
الا بالوسوسة ولا يفسد الا من كان لا يصلح لولم يوسوسه ولهذا قال الا عبادك
منهم المخلصين الذين اخلصهم لعبادتك وعصمتهم مني وقد مضى في الحجر بيانه
قوله تعالى قال فالحق والحق اقول هذه قراءة اهل الحرمين واهل
البصرة والكسائي وقرا ابن عباس ومجاهد وعاصم والاعمش وحمزه برفع
الاول واجاز الفراء الخفض ولا اختلاف في الثاني انه منصوب بالقول
ونصب الاول على الاغراء فاتبعوا الحق واستمعوا الحق والثاني بالقاع القول
عليه وقيل هو بمعنى احق الحق اي افعله قال ابو علي الحق الاول
منصوب بفعل مضمر اي يحق الله الحق او على القسم وحذف حرف الجر كما تقول
الله لافعلن ومجازه قال فبالحق وهو الله تعالى اقسم بنفسه والحق
اقول جملة اعترضت بين القسم والمقسم عليه وهي توكيد العصمة واذا جعل
الحق منصوبا بافعل وقل كان لاملان على ارادة القسم وقد اجاز الفراء وابو عبيد
ان يكون الحق منصوبا بمعنى لاملان جهنم وذلك ممتزج عندهم من النحويين
خطا لا يجوز زيدا الاضربن لان ما بعد اللام مقطوع مما قبلها فلا يعمل فيه والتقدير
على قولهما لاملان جهنم حقا ومن رفع الحق رفعه بالابتداء اي فانا الحق او الحق مني برويا
جميعا عن مجاهد ويجوز ان يكون التقدير بهذا الحق وقول ثالث على مذهب سيبويه والفراء
ان معنى فالحق لاملان جهنم معنى فالحق اني املا جهنم وفي الخفض قولان وهي قراءة ابي السميفع
وطلحة بن مصرف احدهما انه محلوف وحرف القسم هذا قول الفراء قال كما تقول الله عز وجل لافعلن وقد اجاز مثل
هذا سيبويه وغلطه فيه ابو العباس ولم يجز الخفض لان حرف الخفض لا تضمر والقول الاخر ان تكون الباء بدلا من واو القسم
كما انشدوا فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا لاملان جهنم منك ابيض من نفسك ومن تشكك من بني ادم اجمعين
قوله قل ما اسالكم عليه من اجر اي من جعل على تبليغ الوحي وكنى به عن غير مذكور وقيل هو راجع الى قوله هذا وانزل عليه الذكر
من بيننا وما انا من المتكلفين اي لا اتكلف ولا اتخرص ما لم اومر به وروي مسروق قال عبد الله بن مسعود قال
من سئل عما لا يعلم فليقل لا اعلم فان قول لا اعلم علم وقد قال جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه
من اجر وما انا من المتكلفين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا
ينال له ويقول ما لا يعلم وروي ابو داود قطني من حديث نافع عن ابن عمر انا اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره
الليلا فمر فاذا رجل جالس على قارعة الطريق فقال له عمر ما صاحب المقراة او لغت السباع الليلة في مقراتك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم يا صاحب المقراة لم تخبره هذا استكلف لما ما حملت في بطوننا ولنا ما بقي شراب وطهور وفي
الموطا عن يحيى ابن عبد الرحمن بن حاطب ان عمر بن الخطاب حرج في ركب فيهم
عمرو بن العاص حتى وردا حوضا فقال عمرو بن العاص لصاحب الحوض يا صاحب
الحوض هل ترد حوضك السباع فقال عمر بن الخطاب يا صاحب
الحوض لا تخبرنا فانا نرد على السباع وترد علينا وقد مضى القول في البيان
في سورة الفرقان انه هو الاذكر بيانه القرآن للثقلين من الجن والانس ولتعلمن
نبأه بعد حين اي نبأ الذكر وهو القرآن انه حق بعد حين قال قتادة بعد الموت وقال
وقال الزجاج وقال ابن عباس وعكرمة وابن زيد بعني يوم القيامة وقال الفراء بعد الموت
وقبله اي ليظهرن لكم حقيقة ما اقوله بعد حين اي المستانف اذا اخذتكم سيوف المسلمين قال
السدي وذلك يوم بدر وكاد الحسن يقول يا ابن ادم عند الموت يا تيك الخبر اليقين وسبيل هكرمته
بمن حلف ليصدقن كذا الى حين قال ان من الحين ما لا يدركه كقوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين ومنه ما
يدركه كقوله تعالى توتي اكلها كل حين باذن ربها يريد مرام النخل الى طلوع اشهر وقد مضى القول في هذا في البقرة ابدا

هيم والله

سورة الزمر

سورة الزمر وتقال الغرف

قال وهب بن منبه من احب ان يعرف فضل الله عز وجل في خلقه فليقرا سورة الغرف وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقال ابن عباس الا ايتين نزلتا بالمدينة احداهما قل الله نزل احسن الحديث الا يه والاخرى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقال اخرون الا سبع ايات من قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى اخر السبع نزلت في وحشي واصحابه على ما يأتي وروى الترمذي عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يبتدا رحتى ينزل الزمر وبين اسرائيل وهي خمس وسبعون اية وقيل ثنتان وسبعون * بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تنزيل الكتاب تنزيل رفع بالابتداء وخبره من الله العزيز الحكيم ويجوز ان يكون مرفوعا بمعنى هذا تنزيل قاله الفراء وأجاز أيضا ان يكون * والفراء ايضا تنزيل بالنصب على انه مفعول به قال اتلوا الكتاب تنزيل الكتاب وقال الفراء هو على الاغراء مثل قولك كتاب الله عليكم اي الزموا والكتاب القرآن سمي بذلك لانه مكتوب قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي هذا تنزيل الكتاب من الله وقد انزلناه بالحق اي ان تصدق وليس بباطل وهزل فاعبد الله مخلصا له فيه سبيلتان الاولى مخلصا على الحال اي موحدا لا تشرك به شيئا له الدين اي الطاعة وقيل العبادة وهو مفعول به الا لله الدين الخالص اي الذي لا يشوبه شيء وفي حديث الحسن عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله اني اتصدق بالشيء واريد به وجه الله وثناء الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئا شورك فيه ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لله الدين الخالص وقد مضى هذا المعنى في البقرة والنساء والكهف مستوفى في الثابتة قال ابن العربي هذه الاية دليل على وجوب النية التي لصحة في كل عمل واعظم الوضوء الذي هو شطر الايمان خلافا لابي حنيفة والوليد بن مسلم عن مالك الذين يقولون ان الوضوء يكفي من غير نية وما كان ليكون من الايمان شطرا ولا يخرج الخطايا من بين الاظافر والشعر بغير نية قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء يعني الاصنام والخبر محذوف اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال قتادة وكانوا اذا قيل لهم من ربكم وخالقكم ومن خلق السموات والارض والرزق من السماء قالوا الله فيقال لهم ما معنى عبادتكم الاصنام قالوا ليقربونا الى الله زلفى وبشفعوا لنا عنده قال الكلبي جواب هذا الكلام في الاحقاف فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الفة الاية والزلفى القربة اي ليقربونا اليه تقريبا فموضع زلفى موضع المصدر وفي قراءة ابن مسعود وابي عباس وسعيد بن جبير والذين اتخذوا من دونه اولياء قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي حرف ابي والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدكم الا لتقربونا الى الله زلفى ذكره النحاس قال والحكاية في هذه الاية ان الله يحكم بينهم ايي بين اهل الاديان يوم القيامة فيما هم فيه كلهم يستحق ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار من سبق له القضاء بالكفر لم يعتقد ان لله ولدا ان يهدي وهو دين الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا فهذا رد على القدرية وغيرهم على ما تقدم قوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء ابي لو اراد ان يتبنى احدا من خلقه لاتخذ هذا ما جعله عز وجل انهم سموا ان تتخذ بمعنى ان تتبنى له من الولد هو الله الواحد القهار قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق اي هو الفاعل لهذا على الكمال المستغني عن الصاحبة والولد ومن كان هكذا فحقه ان يفرد بالعبادة لا ان يشرك به وبنى هذا على ان له ان يتعبد العباد بما شاء وقد فعل قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال الضحاك ابو بقي هذا على هذا وهذا على هذا وهذا على معنى التكوير في اللغة وهو طرح الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع اي الق بعضه على بعض ومنه كور العمامة وقد روي عن ابن عباس نحو هذا ابي معنى الاية قال ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل وهو معنى قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقيل تكوير الليل على النهار تغشيه اياه حتى يذهب ضوءه ويغشى النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة وهو معنى قوله تعالى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا وتسخير الشمس والقمر اي بالطلوع والغروب لمنافع العباد كل يجري لاجل مسمى اي دائبين فلكه الى ان تنصرم الدنيا وهو يوم القيامة حتى ننظر السماء وننتثر الكواكب وقيل الاجل المسمى هو الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر الى المنازل المرتبة لغروبها وطلوعها قال الكلبي يسيران الى اقصى منازلهما ثم يرجعان الى ادنى منازلهما لا يجاوزانه وقد تقدم بيان هذا في سورة يس وهو العزيز الغفار لانتقامه ايمن تنتهكوا فاني انا العزيز

الغالب الغفار ايها الناس انزل ذنوب خلقه برحمته قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة يعني
ادم عليه السلام ثم جعل منها زوجها يعني حوا ليحصل التناسل وقد مضى هذا في الاعراف
وبمعنى هذا وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اخبر عن الازواج بالنزول لانها تكونت بالنبات
والنبات بالماء المنزل وهذا يسمى النزل بالمنزل ومثله قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا يواري
وقيل انزل انشأ وخلق وقال سعيد بن جبير خلق وقيل ان الله خلق هذه الانعام
في الجنة ثم انزلها الى الارض كما قيل في قوله تعالى وانزلنا الحديد يعني بامر شديد فان
ادم لما هبط الى الارض انزل معه الحديد وقيل انزل لكم من الانعام اي اعطاكم وقيل جعل
الخلق انزالا لان الخلق انما يكون بامر ينزل من السماء فالمعنى خلق لكم كذا امره النازل
قاله قتادة من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضان اثنين ومن المعز اثنين كل واحد
زوج وقد تقدم هذا يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق قال قتادة والسدي
نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسا ابن زيد خلقا خلقا في بطون امهاتكم من
بعد خلقكم في ظهر ادم وقيل خلقا في ظهر اب ثم خلقا في بطن ام ثم خلقا بعد الوضع
ذكره الماوردي في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة قال ابن عباس
وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والضحاك وقال ابن جبير ظلمة المشيمة وظلمة الرحم وظلمة البطن
والقول الاول اصح فقيل ظلمة طلب الرجل وظلمة بطن المرأة وظلمة الرحم وهذا مذهب ابي عبيدة
ابي لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوق ذلكم الله ربكم ابي الذي سبق هذه الاشياء فصرفكم الة
الا هو فاني تصرفون ابي كيف تنقلبون وتنصرفون عن عبادة الله الى عبادة غيره
وقرا حمزة امهاتكم بكسر الهمزة والميم والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم الباقون بضم الهمزة
وفتح الميم قوله تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم شرط وجوابه ولا يرضى لعباده
الا الكفر ابي ان يكفروا ابي لا يحب ذلك منهم وقال ابن عباس والسدي معناه لا يرضى لعباده المؤمنين
الكفر وهم الذين قال الله فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكقوله ثبت تشرب
فيها عبد الله ابي المؤمنون وهذا على قول من لا يفرق بين الرضى والارادة وقيل لا يرضى الكفر
وان اراده قال الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويراد منه كفره ولا يحب فهو مريد كون
ما لا يرضاه ومن اراد الله عز وجل خلق ابليس وهو لا يرضاه فالارادة غير الرضا وهذا
مذهب اهل السنة قوله تعالى وان تشكروا يرضاه لكم ابي يرضى الشكر لكم لان تشكروا
يدل عليه وقد مضى القول في الشكر في البقرة وغيرها ويرضى بمعنى يثيب ويثني فالرضى
على هذا اسم لثوابه فيكون صفة فعل لمن شكر ستم لا نريد بكم واما ثاوه فهو صفة
ذات مريدة يا اسكان في الها فنافع ابو جعفر وابو بكر وشيبة وحمزة عن عاصم
واتبع الضمة ابن ذكوان وابن كثير وابن محيصن والكسائي بخلف وورش عن نافع واختلس
ابو عمرو ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم
بذات الصدور تقدم في يونس موضع قوله تعالى واذا مس الانسان يعني الكافر الضر
ابي الشدة من الفقر والبلاء دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه بجهده مطيعا له
مستغيثا به في ازالة تلك الشدة عنه ثم اذا خوله نعمة منه ابي اعطاه وملكه اياها لم
خوله الله الشيء ابي ملكه اياه وكان ابو محمد بن اللبان يقول

* هنالك ان يستخولوا المال يخولوا * وان يسألوا يعطوا وان ييسروا يغلوا *

* وصول الرجل حشمه الواحد خايل * وقال ابو النجم *

* اعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول *

نسيه ما كانت يدعوا اليه من قبل ابي نسي ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضر
عنه فما على هذا الوجه لله جل وعز وقد يكون بمعنى الذي وقيل بمعنى من كقوله تعالى وما
انتم عابدون ما اعبد والمعنى واحد وقيل نسي الدعاء الذي كان يتضرع به ابي الله خل
وعز ابي ترك كون الدعاء منه ابي لله فما والفعل على هذا القول مصدر وجعل لله
الندا ابي اوثانا واصناما وقال السدي يعني الذين اتخذوا من الرجال يعتقدون عليهم في جميع
امورهم ليضل عن سبيل الله ابي ليقتدي به الجهال قل تمتع بكفرك قليلا ابي قل لهذا
الانسان تمتع وهو امر تهديد به فمتاع الدنيا قليل انك من اصحاب النار ابي مصيرك الى النار
قوله تعالى ام من هو قانت ان الليل بين تعالى ان المؤمن ليس كالكافر الذي
مضى ذكره وقرا الحسن وابو عمرو وعاصم والكسائي امن بالتشديد ونافع وابن كثير
ويحيى بن وثاب والاعمش وحمزة امن بالتخفيف على معنى الذي الكافر قال يا متن

هو قانت قال الفراء الالف بمنزلة يا تقول يا زيد اقبل وازيد اقبل وحكى ذلك بعض
وجميع النحويين كما قال اوس بن حجر
* انى لبيب لستم بيد الابد الها بمصفد * وقال الخر فهود الرمث اذا راى بجزوء
هجت للعين عبرة فاهراقها بدفقا وبتر فترف *
فالتقدير على هذا افمن هو قانت يحتمل بكفرك فليلا انك من اصحاب النار ام من هو قانت انك
من اصحاب الجنة كما يقال في الكلام فلان لا يصلي وهو يصوم فيا من يصلي ويصوم ابشر
فحذف لدلالة الكلام عليه ويحتمل ان الالف في ام من الف الاستفهام ايضا من هو قانت ان
الليل افضل ام من جعل لله اندادا والتقدير الذي هو قانت خير ومن شدد اسن
فالمعنى العاصون المتقدم ذكرهم خير ام من هو قانت فالجملة التي عادلت ام محذوفة
والاصل ام من قانت فحذفت الميم التخاس وام بمعنى بل من بمعنى الذي والتقدير ام الذي
هو قانت افضل ممن ذكر وفي قانت اربعة اوجه احدها انه المطيع قاله ابن مسعود
الثاني انه الخاشع في صلاته قاله ابو شهاب الثالث انه القائم في صلاته قاله يحيى بن سلام
الرابع انه الدائم لربه وقولي ابن مسعود يجمع ذلك ورويه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال كل قنوت في القرآن فهو طاعة لله عز وجل ورويه عن جابر عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه سيل اي الصلاة افضل فقال طول القنوت وقاله جماعة من اهل
العلم على انه طول القيام ورويه عبيد الله عن نافع عن ابن عمر سيل عن القنوت
فقال ما اعرف القنوت الا طول القيام وقراءة القرآن وقال ابي هند من القنوت طول الركوع
وغض البصر وكانت العلماء اذا وقفوا في الصلاة غضوا ابصارهم وخشعوا ولم يلتفتوا
في صلاتهم ولم يعبثوا ولم يذكروا شيئا من امر الدنيا الا شيئين قال النخاس اصل هذا
ان القنوت الطاعة فكل ما قيل من قنوت فهو طاعة لله جل وعز فهذه الاقاويل كلها داخلة
في الطاعة وما هو اكثر منها كما قال نافع قال لي ابن عمر فنمت اصلي فغت اصلي وكان على
ثوب خلق فدعاني فقال لي ارايت لو وجهتك في حاجة اكنت تمضي هكذا فقلت
كنت اذن بئس فتاي الله احق ان يتزين له واختلف في تبيين القانت فهذا ذكر يحيى
ابن سلام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس في رواية الضحاك عنه هو
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال ابن عمر هو عثمان رضي الله عنه فقال منذ اذ انه عمار بن
ياسر الكلبي وصهيب وابو ذر رواية مسعود وعن الكلبي ايضا انه مدرسل فيمن كان على
هذه الحال ان الليل قال الحسن ساعاته وله واوسطه واجزاؤه وعن ابن عباس ان الليل جوف
الليل قال ابن عباس ما احب ان لي الدهر الا ساعة واحدة قلبره الله من ظلمة الليل ساجدا
وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه وقيل ما بين المغرب والعشاء وقول الحسن عام لم يحذر الاخرة
قال سعيد بن جبير ابو عذاب الاخرة ويرجو رحمة ربه ابو نعيم الجنة وعن الحسن انه سيل
عن رجل بلغه دين في المعاصي ويرجو المغفرة هذا مستهين ولا يقف على قوله ويرجو رحمة ربه من
حقف امن هو قانت على معنى التداء فقوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون كذا لا يستطيع المطيع والعاصي وقال عنه الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم
ويعملون به فاما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم انما يتذكر اولوا الالباب
اي اصحاب العقول من المؤمنين قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم اي فلا يعمل لعباد
المؤمنين اتقوا ربكم اي اتقوا معاصيه والتاء مبدلة من الواو وقد تقدم وقال ابن عباس
يريد جعفر بن ابي طالب والذين معه الى الحبشة ثم قال للذين احسنوا في هذه الدنيا
حسنة يعني بالحسنة الاولى الطاعة وما لهم فيها الثواب في الجنة وقيل المعنى للذين احسنوا
في الدنيا حسنة فيكون زيادة على ثواب الاخرة والحسنة الزائدة في الدنيا الصحة والعافية
والظفر والغنيمة قال القشيري والاول اصح لان الكافر قد ينال نعم الدنيا قلت وبنالها معه
المؤمن وبزاد المحسنة اذا شكر تلك النعم وقد تكون الحسنة في الدنيا الثناء الحسن وفي الاخرة الجزاء
وارض الله واسعة فهاجروا فيها ولا تقيموا مع من يعمل بالمعاصي وقد مضى القول في هذا مستوفى
في النساء وقيل المراد ارض الجنة رغبهم في سعتها وسعة نعيمها كما قال وجنة عرضها السموات
والارض والجنة قد تسمى ارضا قال الله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض
تتبوا من الجنة حيث نشاء والاول اظهر فهذا امر بالهجرة ايذارحلوا من مكة الى حبشة تامنون
الماوردي ويحتمل ان يريد بسعة الارض سعة الرزق لانه يرزق من الارض فيكون معناه
ورزق الله واسع وهو اشبه لانه اخرج سعتها مخرج الامتنان قلت فتكون الاية دليلا على

الانتقال من الارض الخالية الى الارض الداحية كما قال سفينة الشوربجي كنت في موضع نملا فبنجرابك
حتى ابدرهم انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب اي بغير تقدير وقيل يزاد على الثواب
لانه لو اعطي لعبد رضا عمله لكان بحساب وقيل بغير حساب اي بغير متابعة ولا مطالبة كما
ينتفع المطالبة بغير الدين والصابرون هنا الصائمون دليله قوله عليه السلام مجزاعن الله
عز وجل عن الصوم لي وانا اجزي به قال اهل العلم كل اجر يكال كيلا ويوزن وزنا الا الصوم فانه
يحثى حثوا ويغرف غرفا وحكي عن علي رضي الله عنه وقال مالك بن انس في قوله تعالى انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فاذا هو الصبر على في بع الدنيا واحزانها ولا شك ان كل
من سلم فيها اصابه وترك ما نهي عنه فلا ستدار لاجره وقال قتادة لا والله ما هناك لا مكيال
ولا ميزان حدثني انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تنصب الموازين فيوتى باهل
الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين وكذلك الصلاة والحج ويوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم
ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر بغير حساب قال الله تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما
يذهب به اهل البلاء من الفضل وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال سمعت جدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة نكثر من اعمد الناس وعليكما الفتوح تكتنفاني
الناس فتبين ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى فيوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان
ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب ولفظ صابر يمدح به وانما هو لمن صبر عن المعاصي واذا اردت ان تعلم
عمل المصيبة قلت صابر على كذا قاله النحاس فقد سقط في المقدمة مستوفى قوله تعالى
قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين تقدم في الزمر وامرت لان اكون اول
المسلمين من هذه الامة وكذلك كان فانه اول من خلع دين ابيه وخلع الاصنام وحطمها
واسلم لله وامتثل ما امر به صلى الله عليه وسلم واللام في قوله لان اكون صلة اتى به قاله
الجرجاني وغيره وقيل لام الجلد وفي الكلام حذف اي امرت بالعبادة لان اكون قوله تعالى
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يريد عذاب يوم القيامة وقاله حين دعاه قومه
الى دين ابائه قاله اكثر المفسرين وقال ابو حمزة الثمالي وابن المسيب هذه الاية منسوخة بقوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فكانت هذه الاية من قبل ان يغفر ذنب
النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى قل الله اعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه امر تهديد ووعيد وتوبيخ كقوله تعالى اعملوا
ما شئتم وقيل منسوخة باية السيف قال ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيامة قال مجاهد ابن جبير عن ابن عباس ليس من احد الا وقد خلق الله عز وجل
له زوجة في الجنة فان دخل النار خسر نفسه واهله فذلك الخسران المبين وروي عن ابن عباس ان من عمل
بطاعة الله كان له ذلك المنزل والاهل الذي كان له قبل ذلك وهو قوله تعالى اولئك هم الوارثون
قوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل سبحانه ما تحتهم ظللا لانها تظل
من تحتهم وهذه الاية نظير قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم
العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ذلك يخوف الله به عباده قال ابن عباس اولياء
يا عباد فاتقون اي يا اوليائي فخافون وقيل هو عام في المومن والكافر وقيل خاص بالكفار
قوله والذين اجتنبوا الطاغوت اي بعيد وها قال الاخفش الطاغوت جمع وزنه ان يكون
واحدة مونثة وقد تقدم ايضا عند ذكر من الطاغوت وكانوا منها على جانب فلم يعبد وها
قاله مجاهد وابن زيد هو الشيطان وقاله القرظي والسدي هو الاوثان وقيل انه الكاهن
وقيل انه اسم اعجمي مثل طالوت وجالوت وهاروت وماروت وقيل انه اسم عربي مشتق
من الطغيان وان في موضع نصب بدلا من الطاغوت تقديره والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت
وان يوبوا الى الله ايه رجعوا الى عبادة ربهم وطاعته لهم البشرى في الحياة الدنيا بالجنة في
العقبى روي انها نزلت في عثمان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد
وطلحة والزبير رضي الله عنهم فاجتنبوا عبادة الاوثان وقيل نزلت في عمرو بن
نفيل وابي ذر وغيرهما ممن وحد الله تعالى قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قال ابن عباس هو الرجل
يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به وقيل يستمعون

القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون القرآن والقول الرسول فيتبعون احسنه
اي محكمه فيعملون به وقيل يسمعون عن ما ونذر خيفيا فيا خذ ون بالعزم دون الرخص وقيل
يستمعون العفو بر الواجبة لهم والعفو فيا خذون بالعفو وقيل ان احسن القول يعني من جعل
الاية فيمن وحد الله فيدخل الاسلام ٢ الا الله وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت في زيد بن
عمرو بن نفيل وابي ذر الغفاري ربيع وسلمان الفارسي اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها
في جاهليتهم واتبعوا احسن ما صار من القول اليهم اولئك الذين هداهم الله اي لما يرضاه
واولئك هم اولوا الالباب اي الذين استقبلوا بعقولهم ٥ قوله تعالى افمن حق عليه كلمة
العذاب افانت تنقذ من في النار كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قومه
وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الاية قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده
ومن تخلف من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان وكرر الاستفهام في قوله
افانت تاكيدا لطول الكلام وكذا قال سيبويه في قول الله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم
ترابا وعظاما انكم مخرجون على ما تقدم والمعنى افمن حقت عليه كلمة العذاب
فانت تنقذه والكلام شرط وجوابه وجب ولا يستغنى عليه لدليل على التوقيف والتقدير
وقال الفراء المعنى افانت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب والمعنى واحد وقيل ان في
الكلام حذفا والتقدير افمن حق عليه كلمة العذاب يخرج منه وما بعده مستانف
وقال افمن حق عليه وقال في موضع اخر حقت كلمة العذاب لان الفعل اذا تقدم ورفع
بينه وبين المرفوع به حائل جاز التذكير والتانيث على ان التانيث هنا ليس بحقيقي
بل الكلمة في معنى الكلام والقول ايه افمن حق عليه قول العذاب ٥ قوله تعالى لكن
الذين اتقوا ربهم لما بين ان للكفار ظلالا من النار من فوقهم ومن تحتهم بين ان للمتقين
غرفا فوقها غرف لان الجنة درجات بعضها فوق بعض ولكن ليس للاسفل اركان لانه
لم يبن لغير له ما بنى لنفسه بل هو لنزل فصفة الجنة فقط تحقيقا لقوله الا ولئك
جاين زيد لكن عمرو لم يات غرف مبنية قال ابن عباس من زبرجد وياقوت تجري
من تحتها الانهار اي في جنات لا سباب النزهة وعد الله نصب على المصدر لان معنى
لهم غرف وعدهم الله ذلك وعدا ويجوز الرفع بمعنى ذلك وعد لا يخلف الله الميعاد
اي ما وعد المتقين ٥ قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما اي ماء المطر
فاصاب الخلق والتمييز بين المؤمن والكافر وتعرفا در على ذلك كما انزقا در على انزال
الماء من السحاب انزل من السما اي من السحاب ما اي المطر فسلكه اي ادخله في الارض
واسكنه فيها كما قال واسكناه في الارض ينابيع جمع ينبوع وهو مفعول من ينبع ينبع
وينبع ويتبع بالرفع والنصب والخفض التي ٥ وحكى لنا ابن كيسان في قول الشاعر
• ينباع من ذفري غضوب جسرة • ان حتنا ينبع ماشيع الفتخة فصارت
الف ينبوعا خرج والينبوع عين الما والجمع الينابيع وقد مضى في سبحان ثم يخرج
به زرعا اي بذلك الما الخارج من ينابيع الارض زرعا هو للحنطة اي مختلفا زرعه
شتى لها الوان مختلفة حمرة وصفرة وزرقة وخضرة وتواتا قال الشعبي والضحاك
كله في الارض فمن السما تنزل انما ينزل من السما الى الصخرة ثم تقسم منها العيون
والركايا ثم يهيج اي يبس فتراه اي بعد خضرته مصفرا قال المبرد قال الاصمعي
يقال هاج النبت اذا دب بنبته وولي قال وكذلك هاج البقل وكذلك قال
غير الاصمعي وقال الجوهري هاج النبت هيجا اي يبس وارض هائجة يبس بقلها
واصفر والهاج حب الزرع النبت ابيته واهاجنا الارض اي وجدنا بها هائجا النبات
وهاج هائجه اي ثار رعضه وقد اه هائجه اي سكنت فورته ثم يجعله حطاما اي فتاتا
مكسرا من تحطم العود اذا تفتت من اليبس والمعنى ان من قدر على هذا اقدر على
الاعادة وقيل هو مثل ضربه الله للقرآن والصدور فمن في الارض اي انزل من السما قرآن
فسلكه في قلوب المؤمنين ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اي دينا مختلفا بعضه افضل
من بعض فما صار للمؤمن فيزداد ايمانا ويقينا وما صار للكافر في قلبه مرضا فانه يهيج كما يهيج
الزرع وقيل هو مثل ضربه الله للدنيا اي كما ينبت البقل الاخضر فيصفر كذلك الدنيا تبهج
ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب ٥ قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام شرح فتح
ووسع قال ابن عباس وسع صدره للاسلام حتى ثبت فيه وقال السدي وسع صدره
بالاسلام للخروج به والطمأنينة اليه فهل هذا يجوز ان يكون هذا الشرح الا بعد الاسلام

وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون الشرح قبل الاسلام فهو على نور من ربه اي على هدى من ربه
لمن طبع على قلبه واشباهه ودل على هذا المحذوف قوله فويل للقاسية قلوبهم قال المبرد
يقال له قسا القلب اذا صلب وكذلك عتا وعسا فهو رتبة لها وقلب قاس ابي صلب لا يرق ولا يلين
والمراد بمن شرح الله صدره بضعفا بني ذكرا المعشرون على وحمزة رضي الله عنهما وحكي
انشق ان الله عمر بن الخطاب وقال منقاتل عمار بن ياسر وعنه ايضا والكلبي رسول
الله صلى الله عليه وسلم والاية على هذا من شرح الله صدره للحق للايمان فيه ورويه مرفوعة عن
ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على
نور من ربه كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفتح قلنا يا رسول
الله وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت
قبل نزوله وخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابن عمر ان رجلا قال يا رسول
الله اي المومنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا واذا دخل النور
في القلب انفسح واستوسع قالوا فما ايه ذلك يا بني الله قال الانابة الى دار الخلود
والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت فذكر صلى الله عليه وسلم
خصالا اثلثة ولاشك ان من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الايمان فالانابة الى
هي اعمال البر لان دار الخلود انما وضعت جزاء الاعمال البر الذي كيف ذكره الله تعالى في
مواضع في تنزيله ثم قال يقال ذلك جزاي كنتم تعملون فالجنة جزاء الاعمال فاذا اراد
انكماش العبد فيها عمل البر فهو انابته الى دار الخلود واذا جد حرصه عن الدنيا ولهيها
عن طلبها واقبل على ما يقربه منها فاكتفى بيسيره فقد تجافى عن دار الغرور واذا
احكم اموره بالتفكر بيقين ناظرا في كل امر واقفا عند ما يثبت حذرا ينوزع
عما يريبه الى ما لا يريبه فقد استعد للموت فهذه علامتهم في الظاهر وان صار هكذا
لدونية الموت وزهونية صرف الاخرة عن الدنيا وزهونية الدنيا الفا دار الغرور وان
صارت له هذه الزهونية بالنور الذي ولج القلب وقوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر
الله قيل المراد ابو لهب وولده وقيل من ذكر الله ان قلوبهم لا تزداد منه الا بعدا من سماع
ذكره وقيل ان من يجعل عن ذكر الله وقيل ذكر الله وهذا اختيار الطبري وعن
ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اطلبوا الخرائج من
السمي فاني جعلت فيهم رحمتي واطلبوا القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم
سخطي وقال مالك ابن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب
الله على قوم لا نزع الرحمة من قلوبهم قوله تعالى الله نزل احسن الحديث فيه ثلاث مسايل
الاول قوله تعالى في احسن الحديث يعني القرآن لما قد يتبين احسنه بين ان احسن
ما يسمع ما انزل الله وهو القرآن قال سعد بن ابي وقاص قال اهلي برسول الله صلى
الله عليه وسلم لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث قالوا لو قصصت
علينا فنزل نحن نقص عليك احسن القصص قالوا لو ذكرتنا فنزل الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت والحديث ما يحدث به المحدث
وسبب القرآن حديث الا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث بها اهله ونزله
وهو كقوله منابه حديث بعد ثلاثين سنة وقوله افمن هذا الحديث تعجبون وقوله
انتم يا هذا الحديث تكذبون اسف وقوله ومن اصدق من الله حديثا وقوله
قد زين ومن يكذب ببعض الحديث قال الفشيري ونوهم منزع ان الحديث من الحدوث فيدل
على ان كلامه محدث وهو وهم لانه اتى بلفظ الحديث على ما في قوله ما ياتيهم من ذكر
من ربهم محدث وقد قالوا ان الحدوث يرجع الى التلاوة لا الى المتلو وهو كالذكر المذكور
اذا ذكرنا اسما الرب تنزلي كتابه نصب على البدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون
حالا منه منتشبها بيشبه بعضه بعضا في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضا ليس فيه
تناقض ولا اختلاف فقال تنتشبه بعضه بعضا في الآي والحروف وقيل يشبه
كتب الله المنزلة على انبيائه بما يتضمن من امر ونهي وترغيب وترهيب وان كان اعم
واعجز ثم وصفه فقال مثاني تثنى فيه القصص والمواعظ والاحكام وثنى للتلاوة
فلا يمل تقشعر تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله اي عند اية الرحمة وقيل الى العمل بكتاب الله والتصديق به

وقيل

وقيل ابو ذكر الله بين الاسلام مسئلة عن اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرئ عليهم القرآن لكما تغشاهم الله تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم فقيل لها فاذا ناسا اليوم اذا قرئ عليهم القرآن خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقال سعيد بن عبد الرحمن الجمحي مرابن عمر برجل من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قال نوا انه اذا قرئ عليه القرآن وسمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر ان لنخشى الله وما نسقط ثم قال ان الشيطان ليدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال عمر بن عبد العزيز ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسط رجليه ثم يقرأ عليه القرآن مداوله اية اخرة فان رضي بنفسه فهو صادق وقال ابو عمران الجوني وعظ موسى عليه السلام بني اسرائيل فاشتد بوم فشق رجل قميصه فاوحى الله الي موسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه فاني لا احب المزين تبشر لي عن قلبه مسئلة قال زيد بن اسلم قرأ ابي بن كعب عند النبي صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتموا الذي عند الرقة فانها رحمة وعن العباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقشعر جلد المومن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اقشعر جلد عبد من خشية الله الا حرمه الله على النار وعن شهر بن حوشب عن ام الدرداء قالت اما الوجل في قلب الرجل كما تحات الشجرة اما تجد الاقشعريرة قلت بلى قالت فادع الله فان الدعاء عند ذلك مستجاب وعن ثابت البناني قال قال فلان ابن ٢ علم متى يستجاب لي قالوا ومن ابن نعلم ذلك قال اذا اقشعر جلدك ووجل قلبك وفاضت عيناك فذلك حين يستجاب لك قال اقشعر جلد الرجل اقشعرارا فهو مقشعر والجمع قشاعر فتحذف الميم لانها زائدة يقال اخذته قشعريرة قال امرئ القيس

فبت اكابد ليلا تمام والقلب من خشيته مقشعر

وقيل ان القرآن لما كان بين عجائز الجزالة والبلاغة فكانوا اذا راوا عجز هم عن معارضته اقشعرت الجلود منه ايمطا ساله وتعجب من حسن نظمه وتقبيح لما فيه وهو كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فالتصدع قريب من الاقشعرار والخشوع قريبا من قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ومعنى لين القلب رقته وطمانينته وسكونه ذلك هدى الله ابي القرآن هديا الله وقيل ابي الذي وهبه الله لهوله من خشية عذابه ورجاء ثوابه هدى الله ومن يضلل الله فما له من هاد ابي من خذله فلا مرشد له وهو رد على القدرية وغيرهم وقد صح معنى هذا كله مستوفى في غير موضع والحمد لله ووقف ابن كثير وابن محيصن على قوله هاد في الموضعين بالياء الباقون بغير ياء قوله تعالى امن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة قال عطا وابن زيد يدمى به مكتوفا في النار فاول شيء يمس منه النار وجهه وقال مجاهد يجر على وجهه في النار وقال ابن زيد تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون وقال الكافر يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه وقيل عنقه صخرة عظيمة كالجبل العظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه فتحرقها وهي على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من اجل الاغلال والحجر خلفه وقال الاخفش ابي امن يتقي بوجهه سوء العذاب افضل ام من يسعد محذوف قال ابن عباس يلقى في النار رجلا ام من يامن يوم القيامة وقيل للظالمين ابي وتقول الخزنة للكافرين ذوقوا ما كنتم تكسبون ابي جزاء كسبكم من المعاصي ومثله قوله ما كنتم تعملون لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقوله تعالى كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا تقدم معناه وقال المبرد يقال لكل ما نال الجارحة من شيء قد ذاقته ابي وصل اليها كما تصل الحرارة والمرارة الى الذائق فلما قال الذائق لها قال وقيل الخزي المكروه والخزاية من الاستحياء والعذاب الاخرة اكبر ابي مما اصابهم في الدنيا لو كانوا يعلمون قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ابي من كل مثل يحتاجون اليه مثل قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل ابي ما ذكرنا لكم فيه مثل قوله

من اهلاك الامم الس لغة مثل لهو لعلهم بتذكرون قرآنا عربيا نصب
على الحال قال الاخفش لان قوله جعل وعز من هذا القرآن معرفة وقال علي بن
سليمان عربيا نصب على الحال وقرآنا تؤطئة للحال لكما تقول سررت بزيد رجلا
صالحا فتزيلك صالحا هو المنصوب على الحال وقال الزجاج عربيا منصوب على
الحال وقرآنا توكيد عزيز يعوج النحاس احسن ما يذهب فيه قول الضحاك قال غير
مختلف وهو قول ابن عباس ذكره الثعلبي وقال عثمان بن عفان غير متضاد
وقال مجاهد غير ذي لبس وقال بكر بن عبد الله المزني غير ذي لحن وقيل غير
ذي شك قاله السدي في ذكر الماوردي قال

" وقرآنا كريما غير ذي عوج " من الآلاء وقول غير مكذوب "
لعلهم يتقون الكفر والكذب قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
قال الكسائي نصب رجلا لانه نزجمة للمثل وتفسيره وان شئت نصبته بنزع الخافض
اي ضرب الله مثلا برجل فيه شركاء متشاكسون قال الفراء يختلفون وقال
المبرد ايضا متنازعون من شكس يشكس شكسا فهو شكس مثل عسر يعسر
عسرا فهو عسر يقال رجل شكس وشرس وضبس ويقال رجل ضبس
وضبيس ايضا شرس عسر شكس قاله الجوهري الزمخشري والشاكس
والمتشاكس حسن الاختلاف يقال تشاكست احواله وتشاكست اسنانه ويقال
شاكسني فلان ايضا ماكسني وشاحسني في حقي قال الجوهري رجل شكس بالتحريك
ايضا صعب الخلق قال الراجز

" شكس عبوس عنس عندد " وقوم شكس مثل رجل صدف
وقوم صدف وقد شكس بالكسر شكاسة وحكى الفراء رجل شكس وهو
العتيد الس وهذا مثل ضربه الله لعبدة الهة كثيرة ورجلا سلما لرجل ايضا خالصا لسيد
واحد وهو مثل من يعبد الله وحده هل يستويان مثلا هذا الذي يخدم جماعة
شركاء اخلاقهم مختلفة وبيانهم متباينة لا يثبت رجل الا جيره واستخدمه
مهو يبغي منهم الغنى والنصب والتعب العظيم وهو مع ذلك كله لا يرضى واحدا منهم
يخدمه لكثرة المختلفين من رغبته والذي يخدم واحدا لا يتزعه فيه احد اذا
اطاعه وحده عرف ذلك له وان اخطأ صفح عن خطاياه فايهما اقل تعبا او
على هدى مستقيم وقرأ اهل الكوفة واهل المدينة ورجلا سلما وقرأ ابن عباس
ومجاهد والحسن وابو رجاء الجحدري وابو عمرو وابن كثير ويعقوب ورجلا سالما له
واختاره ابو عبيد لصحة التفسير فيه قال ان السالم الذي لا ضد له والسلم
ضد الحرب ولا موضع للحرب هنا النحاس وهذا الاحتجاج لا يلزم لان الحرف اذا
كان له معنيان لم يجز الا على احدهما فهذا وان كان السلم ضد الحرب فله موضع اخر
كما يقال لك فيّ هذا المنزل شركا حصا رسلما لك ويلزمه ايضا في سالم ما الزم
غيره لانه يقال شيء سالم ايضا وحكى ابو حاتم قرأة اهل المدينة سلما قال وهذا لا يثبت وقرأ سعيد بن جبير
وعكرمة وابو العالية ونصر سلما بكسر السين وسكون اللام وسلما وسلما مصدران
والتقدير ورجلا ذا سلم فحذف المضاف ومثلا صفة على التمييز والمعنى هل
تستويان صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر من التمييز على الواحد لبيان الجنس
الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون الحق فيتبعوه قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
وقرأ ابن محيصن وابن ابي عبلة وعيسى ابن عمر وابن ابي اسحاق انك ميت
وانهم ميتون وهو قراءة حسنة وبها قرأ عبد الله بن الزبير النحاس ومثل هذه
الاسماء تختلف في التثقيل والتخفيف وماتت في المستقبل كثير في كلام العرب ومثله ما كان مريضا
وانه لمارض من هذا الطعام وقال الحسين والفراء والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت
ويموت والميت بالتخفيف من فارقته الروح فلذلك لم تخفف هنا قال قتادة ذكر لنبي
ان النبي صلى الله عليه وسلم نعيت اليكم انفسكم قيل ثابت البناني نعي رجل
الى صلة بن اشيم اخاه فوافقه باكلة فقال اذهب فكلها فقد نعي الي اخي منذ خيبر قال
وكيف وانا اراك بالمجر قال ان الله تعالى نعاه الي فقال انك ميت وانهم ميتون
وهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اخبره بموته وموتهم فاحتمل حسنة اوجه احدها

ان يكون

ان يكون ذلك مختصا ببرامن الاحزاب الثالث بيان ان تذكره حسن على الجملة الثالث ان يذكره توطئة
للموت الذي ليس بعده اختلفوا في موته كما اختلفت الامم في عيسى حتى ان عمر رضي الله عنه لما انكر
موته احتج ابو بكر رضي الله عنه بهذه الاية فاسمع الخامس ليعلم ان الله تعالى قد سوى
فيه بين خلقه في نقاضلهم في جميع لتكثر فيه الصلوة وتقل فيه الحسنة ثم انكم يوم
القيمة عند ربكم تختصمون بين تخاصم الكافر والموت والظالم والمظلوم قاله ابن عباس
وغيره وفي حضر فيه طول ان الخصومة تبلغ يوم القيمة الى ان يحاج الروح الجسد وقال
الزبير لما نزلت هذه الاية قلنا يا رسول الله اتكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا من الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى الى كل ذي حق حقه قال الزبير والله ان الامر
لشديد وقال ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا وهو نرى هذه الاية نزلت فينا
وفي اهل الكتاب بين ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فقلنا وكيف نختصم وبيننا واحد
ونبينا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفنا انها فينا نزلت
وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ودينا واحد ونبينا واحد فما هذه
الخصومة فلما كان يوم صفين ورشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا
وقال ابراهيم التيمي لما نزلت هذه الاية جعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقولون ما خصومتنا بيننا فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا بيننا
وقيل تختصم هم ربهم الله تعالى فينتصر من حسنات للظالم بقدر مظلمته ويزدها
في حسناته من وجيبة له وهذا عام في جميع المظالم كما في حديث ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا
متاع قال ان المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلاة وصيام وزكاة وياتي قد شتم
هذا وضرب هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا
من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم
طرح في النار خرجه مسلم وقد يعضد هذا المعنى ما ورد في آل محمد وفي النهاية عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت له عند اخيه مظلمة من عرضه او شيء
فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر
مظلمته وان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه وفي الحديث المسند اول
ما تنقع الخصومات في الدنيا ومن ذكرنا هذا الباب كله في التذكرة مستوفى في قوله تعالى
ومن اظلم ايها احد اظلم من كذب على الله فزعم ان له ولدا وشريكا وكذب بالصدق
بعين الغرانيين بين جهنم استفهام تقرير مثوى للكافرين اي مقاما للجاحدين
وهو مشتق من ثويه بالمكان اذا اقام به يثوي ثواء وثويا مثل مضى مضاء ومضيا ولو
كان من اثويه لكان مثوى وهذا يدل على ان ثويا هي اللغة الفصيحة وحكى ابو
عبيد اثويه وانشد قول الاعشى

٭ اثويه وقصر ليله ليزودا فمضت ٭ واخلف من قتيلة موعدا ٭

والاصمعي لا يعرف الا اثويه وتيه وتيه البيت اثويه ٭ والثوب جيزه يتعدى ولا يتعدى قوله
والذي جاء بالصدق في موضع رفع بالابتداء وخبره اولئك هم المتقون واختلف في الذي جاء
بالصدق وصدق به فقال علي رضي الله عنه الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم
وصدق به ابو بكر رضي الله عنه وقال ابن عباس هذا النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه
السدي الذي جاء بالصدق جبريل عليه السلام والذي صدق به محمد صلى الله عليه وسلم
وقال ابن زيد ومقاتل والكلبي الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم وصدق
به المومنون واستدلوا على ذلك بقوله اولئك هم المتقون كما قال هدى للمتقين وقال
النخعي وسعيد هذا الذي جاء بالصدق وصدق به المومنون الذين يجيئون بالقرآن يوم القيمة
فيقولون هذا الذي اعطيتنا قد اتبعنا ما فيه فيكون الذي على هذا بمعنى جمع كما يكون
من بمعنى جمع وقيل بل حذفت منه النون لطول الاسم وتاوله الشعبي على انه واحد
وقال الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا اخبره عن نفسه كما يقال
لمن يعظم نفسه مثلوا وزيد مثلوا كذا او كذا وقيل ان ذلك عام في كل من دعا الى توحيد
الله عز وجل قاله ابن عباس وغيره واختاره الطبري وفي قراءة ابن مسعود والذي
جاء بالصدق وصدق به متقال علي رضي الله عنه الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم
وصدق به ابو بكر رضي الله عنه وقال ذهب

وقد معنى الجزاء الكلام فى الذى فانه يكون واحدا ويكون جمعا لهم ما يشاءون عند ربهم
ايه من النعيم فى الجنة كما ينبغى لكرام عند ربه ايه بين لكم من ذلكم جزاء المحسنين الثانى فى
الدنيا والثواب فى الاخرة قوله تعالى ليكفر الله عنهم ايه صدقوا ليكفر الله عنهم أسوأ الذى
عملوا ايه يكفرهم ولا يؤاخذهم بما عملوا قبل الاسلام ويجزيهم اجرهم ايه بثبتهم على
الطاعات فى الدنيا بأحسن الذى كانوا يعملون وهى الجنة قوله تعالى ألم يعلم الله و
بكاف عبده حذفت الياء من كاف لسكونها وسكون التنوين بعدها وكان الاصل الا ان
تحذف فى الوقف لزوال التنوين الا انها حذفت ليعلم انها كذلك فى الوصل ومن العرب من
يثبتها فى الوقف على الاصل فينقول كافى وقراءة حمزة عبده تا لتوحيد يعنى محمدا صلى
الله عليه وسلم بكفيه الله وعبدة المشركين وكيدهم وقراءة حمزة والكسائى بعباده وهى
الانبياء والمومنون بهم واختارها ابو عبيد قراءة العامة لقوله عنه ويخوفونك
بالذين من دونه ويحتمل ان يكون العبد لفظ الجنس كقوله عز من قائل ان الانسان
لفى خسر وعلى هذا تكون القراءة الاولى راجعة الى الثانية والكاف نبى شر الاصنام
فانهم كانوا يخوفون المومنين بالاصنام حتى قال ابراهيم عليه السلام وكيف اخاف ما
اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله وقال الزجاج ان الله كاف عبده المومن وعبده الكافر
هذا بالثواب وهذا بالعقاب قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا
النبى صلى الله عليه وسلم معرة الاوثان فقالوا انك تعيب الهتنا لتكفن عن ذكرها لتخبلنك
او تصيبك بسوء وقال قتادة مشى خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها بالفاس فقال
له سادنها احذرك يا خالد فانها لها شدة لا يقوم لها شئ فعدا خالد الى العزى فهشم
انفها حتى كسرها بالفاس وخوف بعضهم خالدا بخويف النبى صلى الله عليه وسلم لانه الذى
وجه خالدا وبعد فى الاية تخويف بعضهم النبى صلى الله عليه وسلم بكثرة جمعهم وقوتهم كما قال
ام يقولون نحن جميع منتصر ومن يضلل الله فما له من هاد تقدم ومن يهد الله فما له من مضل
السبيل الله بعز يزد بانتقام ايمن عاداه وعادى رسله قوله تعالى ولئن سألتهم
ايه ولئن سألتهم يا محمد من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع عبادتهم الاوثان
مقرون بان الخالق هو الله واذا كان الله هو الخالق فكيف يخوفونك بالهتهم التى هى مخلوقة
لله تعالى وانت رسول الله الذى خلقها وخلق السموات والارض قل افرايتم ايه قل لهم يا محمد
بعد اعترافهم بهذا افرايتم ان اراد بى الله بضر بشدة وبلاء هل هن كاشفات ضره بضعف هذه
الاصنام او اراد بى برحمة سقم ورخاء هل هن ممسكات رحمته فما متاعل فسكت لهم النبى صلى
الله عليه وسلم فسكتوا وقال بعضهم قالوا لا ندفع شيئا قدره الله ولكنها تشفع فنزلت قل حسبى الله
وذلك الجواب لدلالة الكلام عليه يعنى فيقولون فقل حسبى الله اذا عليه توكلت اى اعتمدت
وعليه فليتوكل كل المتوكلون يعتمد المعتمدون وقد تقدم الكلام فى التوكل وقرأ ابن كثير
والكوفيون ما عدا عاصما كاشفات ضره بغير تنوين وقرأ ابو عمرو وشيبة ويعقوب المعروف من قراءة
الحسن وعاصم هل هن كاشفات ضره ممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وهو اختيار ابى
عبيد وابى حاتم لانها اسم فاعل فى معنى الاستقبال واذا كانت كذلك كان التنوين اجود قال
الشاعر * الفاجرون غميرا عن نبيهم * بالفيلق يوم غمير ظالم عاد *
ولو كان ماضيا لم يجز فيه التنوين وحذف التنوين على التخفيف فاذا حذفت النون لم يبق
بين الاسمين حاجز فتحققت الاضافة وحذف التنوين كثير فى كلام العرب مرجو دفى
قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة وقال انا مرسلوا الناقة قال ببعوضة وما فوقها وما دونها

يقبضها عن التصرف مع بقاء ارواحها في اجسادها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى
وهي التي لم تمت فيطلقها بالتصرف الى اجل مسمى قاله ابن عباس وقال الفراء الممسكة
التي لم تمت في منامها عند انقضاء اجلها قال وقد يكون نوم فيها نوم فيكون التقدير على هذا
والتي لم تمت وهي نائمة نومها وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان ارواح الاحياء والاموات
تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها فاذا اراد جميعها الرجوع الى الاجساد امسك الله
ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها وقال سعيد بن جبير ان الله
يقبض ارواح الاموات اذا ماتوا وارواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ما شاء الله ان تتعارف
فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى فيعيدها قال علي رضي الله عنه في رواية
التي تهم وهي في السما فتبدأ ارسالها الى جسدها فتهي الروح الصاعدة وما ارتد بعد ارسالها
وقد استقرارها في جسدها تلقيها الشيطان وتخيل اليها احلاما فتهي الروح الكاذبة
وقال ابن زيد النوم وفاة والموت وفاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال كما تنامون
فكذلك تموتون وكما تستيقظون فكذلك تبعثون وقال تعالى النوم اخو الموت ورويا مرفوعا
من حديث جابر بن عبد الله قيل يا رسول الله اينام اهل الجنة قال لا النوم اخو الموت
والجنة لا موت فيها خرجه الدارقطني وقال ابن عباس بين ابن ادم نفس وروح بينهما مثل
شعاع الشمس فالنفس التي بها التقلب والتمييز والروح التي بها النفس والتحريك فاذا
نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وهذا قول ابن الانباري والزجاج قال
المنتصر بن ابو نصر وبين هذا بعد اذ المفهوم من الاية ان النفس المقبوضة هي الحالة
في شيء واحد ولهذا قال فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى فاذا
يقبض الله الروح في حالتين في حالة النوم وحالة الموت فما قبضه في حال النوم فمعناه
انه يمنعه عن التصرف فكانه شيء معترض وما قبضه في حال الموت فهو يمسكه
ولا يرسله الى يوم القيمة وقوله ويرسل الاخرى اي يؤخر الى اجل مسمى فاذا
كان قبض النوم في الاية من حال النوم بازالة الحس وخلق الغفلة والافة في محل الادراك
وقبضها في حالة الموت بخلق الموت وازالة الحس بالكلية فيمسك التي قضى عليها الموت
بان لا يخلق فيها الادراك كبدء وقد خلق فيها الموت ويرسل الاخرى بان يعيد اليها الاحساس
الى بنية وقد اختلف الناس من هذه الاية في النفس والروح هل هما شيء واحد او
شيئان على ما ذكرنا والاظهر انهما شيء واحد وهو الذي تدل عليه الاثار والصحاح على ما ذكرناه
في هذا الباب من ذلك حديث ام سلمة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي
سلمة وقد شق بصره فاغمضه ثم قال ان الروح اذا قبض تبعه البصر وحديث ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تروا الانسان اذا مات شخص بصره قالوا
بلى قال فذلك حين يتبع بصره نفسه خرجهما مسلم وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
تحضر الملئكة فاذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد
الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال
يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السما وذكر الحديث وانه صحيح خرجه
ابن ماجة وقد ذكرناه في التذكرة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال اذا خرجت روح
المرء من بين ملتقى عنقه وكتفيه عرجت بها وذكر الحديث وقال بلال في حديث الوادي اخذ
بنفس رسول الله الذي اخذ بنفسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال
في حديث زيد بن اسلم في حديث الوادي يا ايها الناس ان الله قبض ارواحنا ولو شاء
ردها الى اجسادها حين غفلتم عنها والصحيح فيه انه جسم لطيف مشابك للاجسام
المحسوسة يجذب ويخرج وفي اكتابه يلف ويدرج وبه الى السما يعرج لا يموت ولا يفنى
وهو مما له اول وليس له اخر ويقرب بيانه وتبيينه وانه دوري طيب وخبيث كما
في حديث ابي هريرة وهذه صفة الاجسام لا صفة الاعراض وقد ذكرنا الاخبار بهذه
كلها في كتاب التذكرة باحوال الموتى وامور الاخرة فان قيل فلو لا اذا بلغت الحلقوم
بقي النفس عند خروجها من الجسد وهذه صفة الجسم والله اعلم الرابعة خرج
البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اوى
احدكم الى فراشه فلينفض داخلة ازاره فليضفض بها فراشه وليسم الله فانه لا يعلم
ما خلفه بعده على فراشه فاذا اراد ان يضطجع فليضطجع على شقه الايمن وليقل
سبحانك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها وقال

البخاري وابن ماجة والترمذي فارحمها بدل فامسكها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به
عبادك الصالحين زاد الترمذي واذا استيقظ فليقل الحمد لله الذي عافاني في جسدي
ورد علي روحي واذن لي بذكره واخرج البخاري من حديث قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول اللهم باسمك امرت
واحيي واذا استيقظ قال الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور قوله تعالى
فيمسك التي قضى عليها الموت هذه قراءة العامة على انه سبحانه الفاعل الموت حقيقة اي قضى
الله عليها وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله في اول الاية الله يتوفى الانفس فهو يقبض على
وهذه الاية عمش ويحيى ابن وثاب وحمزة والكسائي قضى عليها الموت على ما لم يسم فاعله
النحاس والمعنى واحد غير ان العزة الاولى ابين وانبه تنبيه الكلام لانهم قد اجمعوا
على ويرسل وتم بقدرته ويرسل وفي الاية تنبيه على عظيم قدرته وانفراده بالوهية
وانه يفعل ما يشاء ويحيي ويميت لا يقدر على ذلك سواه ان في ذلك لايات لقوم
يتفكرون في قبض الله نفس الميت والنائم وارساله نفس النائم وحبسه نفس الميت لقوم يتفكرون
وقال الاصمعي سمعت معتمرا يقول روح الانسان مثل كبة العزل فترسل الروح فتمتد ثم
تمتد ثم تنظر بقية فتتصل فتدخل فمعنى الاية انه يرسل من الروح شيئا فشيئا حتى يعم العروق ومفاصلها
في البدن متصل كما يخرج منها انفسا لا حتى فاذا استيقظ المرء جذب مفاصل روحه ما انبسط
منها فعاد وقيل غير هذا وفي التنزيل ويسيلونك عن الروح قل الروح من امر ربي اي
لا يعلم حقيقته الا الله وقد تقدم في سبحان قوله تعالى لم اتخذوا من دون الله شفعاء
ابل اتخذوا بين الاصنام وفي الكلام ما يتضمن ام ابان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
ام يتفكرون ولكنهم اتخذوا الهتهم شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ابقال لهم يا محمد
اتتخذونهم شفعاء وان كانوا لا يملكون شيئا من الشفاعة ولا يعقلون لانفسهم جمادات
وهذا انكار عليهم انكارا وقل لله الشفاعة نفي ان الشفاعة عنه لله وحده كما قال
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فلا شافع الا من شفا عنه ولا يشفعون الا لمن ارتضى
صيغ نصب على الحال فان قيل جميعا انما يكون للاثنين فما عدا فالشفاعة عنه واحدة
فالجواب ان الشفاعة مصدر والمصدر يؤدي عن الاثنين والجميع له ملك السموات والارض
ثم اليه ترجعون قوله تعالى واذا ذكر الله وحده نصب على المصدر عند الخليل وسيبويه
وعلى الحال عند يونس اشمأزت قال المبرد انقبضت وهو قول ابن عباس وقال قتادة نفرت واستكبرت وكفرت ونفصت وقال المورج انكرت واصل
الاشمئزاز النفور والازورار قال محمد بن كناسة اذا محض النقاء فيها اشمأزت وولته
عشوزنة زبونا نصب على الحال وقال ابو زيد اشمأز الرجل زعر من الفزع ونفر
المستعور وكانت المشركون اذا قيل لهم لا اله الا الله نفروا وكفروا واذا ذكر الذين من
دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون اي يظهر في وجوههم البشر والسرور قوله تعالى قل اللهم
فاطر السموات والارض نصب لانه نداء مضاف وكذا عالم الغيب ولا يجوز عند سيبويه ان يكون
نعتا انت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون وفي صحيح مسلم عن ابي سلمة بن عبد
الرحمن بن عوف قال سألت عائشة ام المؤمنين بأي شيء كان النبي صلى الله عليه وسلم
يستفتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب
جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت
تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي
من تشاء الى صراط مستقيم ولما بلغ الربيع بن خثيم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما
قرأ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك في
ما كانوا فيه يختلفون وقال سعيد بن جبير ان لا عرف موضع اينة سائرا نقاضا حد قط
منا لله شيئا الا اعطاه اياه قوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض انت
تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا اي كفروا
واشركوا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب اي من شر عذاب
ذلك اليوم وقد مضى هذا في آل عمران والرعد وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
من اجل ما رويه فيه ما رواه منصور عن مجاهد قال عملوا اعمالا لو ظهروا انها حسنات

فاذا هي بيات وقال السدي وقتيل عملوا اعمالا لا تنوهموا انهم ينجون منها قبل الموت
فادركهم الموت قبل ان ينيبوا وقد كانوا ظنوا انهم يجزون بالتوبة ويجوز ان يكونوا
توهموا انه يغفر لهم من غير توبة فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من دخول النار
وقال سفيان الثوري في هذه الآية ويل لاهل الرياء هذه اثنتهم وقصتهم
وقال عكرمة ابن عمار جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعا شديدا فقيل له ما هذا
الجزع قال اخاف ان يبدو لي من الله ما لم يكونوا يحتسبون فان اخشى
ان يبدو لي ما لم اكن احتسب وبدا لهم اي ظهر لهم سيئات ما كسبوا اي عقاب ما كسبوا
من الكفر والمعاصي وحاق بهم اي احاط بهم ونزل ما كانوا به يستهزؤون قوله تعالى
فاذا مس الانسان ضر دعانا قبل انفا نزلت في ابي حذيفة بن المغيرة ثم اذا
خولناه نعمة منا قال اعطيناه على علم عندي بوجوه المكاسب وعندي فضل علي علم
علي خير عندي وقيل على علم مني الله يفضلني وقال الحسن على علم ابي يعلم علمني الله
اياه وقيل المعنى انه قال قد علمت ان اذا اتيت هذا في الدنيا ان لي عند الله منزلة
فقال الله بل هي فتنة اي بل النعم التي اوتيها فتنة يختبر بها قال الفراء انث هي
لانها بمنزلة الفتنة ولو كان بل تصوفتنة لجاز التخفيف بل عطيته فتنة ولكن
اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون ان اعطاهم المال اختبار قوله تعالى قد قالها الذين من قبلهم
اي بمثل الكلمة الذين من قبلهم يعني الكفار قبلهم كقارون ونمرود حيث قال انما
اوتيته على علم عندي فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما لجمعهم اياه لم تغن عنهم اموالهم
ولا اولادهم من عذاب شيء وقيل اي في الذي اعطيناهم اموالهم فما استغنوا بها فاصابهم بيات
ما كسبوا اي جزاء اعمالهم وقد يسمى جزاء السيئة سيئة والذين ظلموا اي اشركوا من
هؤلاء الامة سيصيبهم سيئات ما كسبوا اي جزاء اعمالهم بالجوع والسيف وما هم بمعجزين اي فائتين
الله ولا سابقيه وقد تقدم قوله تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون حض المؤمن بالذكر لانه هو الذي ينتفع
الايات وينتفع بها ويعلم ان سعة الرزق قد يكون مكرا واستدراجا وتقتيره
رفعة واعظاما قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا منوه بالمنكبرين قال عمر فكتبتها بيدي ثم بعثتها
الى هشام فقال هشام فلما قدمت علي خرجت بها الى ذي طوى فقلت اللهم فهمنيها
فعرفت انها نزلت فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان فيمن من المشركين قتلوا فاكثروا
وزنوا فاكثروا فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم او بعثوا اليه ايما تدعونا اليه لحسن
او تخبرنا ان لما توبة فانزل الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
ذكره البخاري بمعناه وقد مضى في اخر الفرقان وعن ابن عباس ايضا نزلت في اهل
مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له وكيف
هاجر وسلم وقد عبدنا مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله فانزل الله بعده
الا من وقيل نزلت في قوم من المسلمين اسرفوا على انفسهم في المعاصي وخافوا ان لا يقبل
منهم لما نزل بهم ما نزل فيهم في الجاهلية وقال ابن عباس ايضا ونحوا نزلت في وحشي
قاتل حمزة لما ذكرت ان الله لا يقبل اسلامه رواه ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس
قال ان وحشي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتبنك مستجيرا فاجرني حتى
اسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت احب ان اراك عني غير هذا
فما الذي اتيتني مستجيرا فانت في جواري حتى تسمع كلام الله قال فاني اشركت بالله
وقتلت النفس التي حرم الله وزنيت فهل يقبل الله مني توبة فقلت رسول الله صلى الله

حتى انزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا
يزنون الى اخر الاية فقتلوها عليه فقال ربه شرطا فلعلي لا اعمل صالحا انا في جوارك
حتى اسمع كلام الله فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
فدعا به فقتلها عليه فقال فلعلي من لا يشا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال لم الان لا اربه شرطا
فاسلم ورويه حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن اسما انها سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا ابالي انه هو الغفور الرحيم وفي مصحف ابن مسعود
ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشا قال ابو جعفر النحاس وهذان القرانان على
التفسير اي يغفر الله لمن يشا وقد تعرف الله جل وعز من شا ان يغفر له وهو التايب
او من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة ودل على انه يريد التايب ما بعده وانيبوا الى ربكم
قال التايب مغفور له ذنوبه جميعا يدل على ذلك وابي لمغفار لمن تاب فهذا لا اشكال
فيه وقال علي ابن ابي طالب ما في القران اية اوسع من هذه الاية قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقد مضى هذا في سبحان وقال
عبد الله بن عمرو هذه ارجى اية من القران فرد عليهم ابن عباس وقال ارجى اية في
القران قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقد مضى في الرعد وقريء
لا تقنطوا بكسر النون وفتحها وقد مضى في الحجر بيانه قوله تعالى وانيبوا الى ربكم
اي ارجعوا اليه بالطاعة لما بين ان من تاب من الشرك يغفر له امر بالتوبة والرجوع
اليه والانابة الرجوع الى الله بالاخلاص واسلموا له اي اخضعوا له واطيعوا من قبل ان ياتيكم
العذاب في الدنيا ثم لا تنصرون اي لا تمنعون من عذابه ورويه من حديث جابر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من السعادة ان يطيل الله عمر المرء في طاعة الله ويرزقه
الانابة وان من الشقوة ان يعمل المرء ويجب بعمله قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم
من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون احسن ما انزل هو القران
وكله حسن والمعنى ما قاله الحسن التزموا طاعته واجتنبوا معصيته وقال السدي
الاحسن ما امر الله به في كتابه وقال ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه الى
عالمه وقيل انزل الله كتبا التوراة والانجيل والزبور ثم انزل القران واسرع انبعاء فهو الحسن
وهو المعجز وقيل هذا احسن لانه ناسخ قاض على جميع الكتب وجميع الكتب منسوخة
وقيل يعني العفو لان الله تعالى خير نبيه عليه السلام بين العفو والقصاص وقيل ما علم
الله النبي عليه السلام وليس بقران فهو حسن وما اوحي اليه من القران فهو الاحسن
وقيل احسن ما انزل اليكم من اخبار الامم الماضية قوله تعالى ان تقول نفس يا حسرتا
ان في موضع نصب اي كراهة ان تقول وعند الكوفيين لئلا تقول وعند البصريين حذرا
ان تقول وقيل ابيح من قبل ان تقول نفس لانه قال قبل هذا من قبل ان ياتيكم العذاب
الزمخشري فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر
ويجوز ان يريد نفسا متميزة من الانفس اما بالجاحد في الكفر شديدا وتعذيب عظيم
ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى

ورب سنيح ان هممت بجوه ... اتاني كذيم ينقض الراس مقصما

وهو يريد امرا جما من الكرام بنظرونه كذيما واحدا وينظره رب بلد قطعت
ورب بطل قارعت ولا يقصد الا التكثير يا حسرتا والاصل يا حسرتي فابدل من الياء
الفا لانها اخف وامكن في الاستغاثة ثم همد الصوت وربما الحقوا بها الفا انشد الفراء

يا مرحبا بحمارنا جيده ... اذا اتى قربته لم ساينه

وربما الحقوا بها الفا بعد الالف لتدل على الاضافة وكذلك قرأها ابو جعفر يا حسرتاي
والحسرة الندامة على ما فرط في جنب الله قال الحسن في طاعة الله وقال السدي في ذكر الله جل وعز قال ابن عباس والعجلي الفراق والبعد وقال ابو عبيدة في جنب الله اي
في ثواب الله وقال الفراء الجنب القرب والجوار يقال فلان يعيش في جنب فلان
اي في جواره ومنه والصاحب بالجنب اي على ما فرطت في طلب جواره وقربه
وهو الجنة فقال الزجاج اي على ما فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي
دعا الى اليه والجنب يشبه السبب والطريق اي الشيء جنبا تقول لجزعت في جنبك

عضصا ابدا لاجلك وبسببك ولاجل مرضاتك وقيل من جنب الله ابعدني الجانب الذي يوديه الي رضي الله عن وجل وثوابه والعرب تسمي الجانب جنبا قال الشاعر ٠

٠ فتسم تجهر دالذاك القلب ٠ للناس جنب والامير جنب ٠

٠ يعني الناس من جانب والامير من جانب ٠٠ وقال ابن عرفة ابي تذكرت من امر الله تعالي في جنب عاشق يقال ما فعلت في جنب حاجتي قالت كثير ٠

٠ الا تتقين الله في جنب عاشق لكم كبد حري عليك متقطع ٠ وكذا قال مجاهد ابي ضيعت من امر الله ويروي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ما جلس رجل مجلسا ولا مشي ممشي ولا اضطجع مضطجعا لم يذكر الله عز وجل فيه الا كان عليه ترة يوم القيمة ابي حسرة خرجه ابو داود بمعناه وقال ابو تميم التيمي من الحسرات يوم القيامة ان يري الرجل ماله الذي ان ٠ الله في الدنيا يوم القيمة في ميزان غيره قد ورثه وعمل فيه بالحق كان له اجره وعلي الاخر وزره ومن الحسرات ان يري الرجل عبده الذي حوله الله اياه في الدنيا اقرب منزلة منه الله عز وجل او يري رجلا يعرفه امين في الدنيا قد ابعد يوم القيمة وعمي هو وان كنت لمن الساخرين ابي وما كنت الا من المستهزئين بالقرآن وبالرسول في الدين وبأولياء الله قال فتاده لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتي سخر من اهلها ومحل ان كنت النصب علي الحال كانه قال فرطت وانا ساخر ابو فرطت في حال سخريتي وفيه وما كنت الا في سخرية ولعب وباطل ان كان سعي في عبادة غير الله تعالي فولم تقل او تقول لهذه النفس لو ان الله هداني ابي ارشدني الي دينه لكنت من المتقين ابي الشرك والمعاصي وهذا القول لو ان الله هداني لا هتدي ثم قال صدق وهو قريب من احتجاج المشركين فيما اخبر الرب عز وجل عنهم في قوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا فهي كلمة حق اريد بها باطل كما قال علي رضي الله عنه لما قال قائل من الخوارج لا حكم الا لله او تقول يعني هذه النفس حين تري العذاب لو ان لي كرة ابي رجعة فاكون نصب علي جواب التمني وان شئت كان معطوفا علي كرة لان معناه ان اكر كما قال الشاعر ٠

٠ للبس عباءة وتقر عيني احب الي من لبس الشفوف ٠

وانشد الفراء لك منها غير ذكري وحشية وتقبل عن ركبانها ابن يمموا فنصب وتقبل علي موضع الذكري لان معني الكلام غالك منها الا ان تذكر ٠

٠ ومنه لبس عباءة ابي لان لبس عباءة وتقر عينه وقال ابو صالح كان رجل عالم في بني اسرايل وجد رقعة ان العبد ليعمل الزمان الطويل بطاعة الله فيختم له عمله بجد اهل النار فيدخل النار وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بمعصية الله ثم يختم له عمله بجد رجل من اهل الجنة فيدخل الجنة فقال ولا بي شيء اتعب نفسي فترك عمله واخذ في الفسوق والمعصية وقال له ابليس لك عمر طويل فتمتع في الدنيا ثم تتوب فاخذ في الفسوق وانفق ماله في الفجور فاتاه ملك الموت في الذي كان فقال يا حسرتا علي ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان فندم حين لا ينفعه الندم فانزل الله حسرة في القرآن وقال قتادة هو اصناف صنف منهم قال يا حسرتا علي ما فرطت في جنب الله وصنف منهم قال لو ان الله هداني لكنت من المتقين وقال لو ان لي كرة فاكون من المحسنين فقال الله تعالي ردا لكلا منهم بل قد جاءتك ايتي قال الزجاج هذا جواب النفي وتسبيبي في الكلام لفظ النفي ولكن معني لو ان الله هداني ما هداني وكان هذا القائل قال ما هديت فيقال بلي قد جاءتك طرق الهدي فكنت بحيث لو اردت ان تؤمن امكنك ان تؤمن ايتي اي القرآن وقيل عني بالايات المعجزات ابي وضح الدليل فانكرته وكذبته واستكبرت ابي تكبرت عن الايمان وكنت من الكافرين وقال استكبرت وكنت وهو خطاب الذكران النفس تقع علي الذكر والانثي يقال ثلثة انفس وقال المبرد تقول العرب نفس واحد ابي انسان واحد وروي الربيع بن انس عن ام سلمة عن النبي صلي الله عليه وسلم قرا فقد جاءتك ايتي وكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين وقرا الاعمش بلي قد جاءتك ايتي وهذا ابدل علي التذكير والربيع بن انس لم يلحق ام سلمة الا ان القراءة جايزة لان النفس تقع للمذكر والمونث وقد انكر هذه القراءة بعضهم وقال تجيء اذا كسرالت ان يقول وكنت من الكوافر او من الكافرات قال النحاس وهذا لا يلزم الا الذي ان قبله ان تقول نفس ثم قال وان كنت من الساخرين

ولم يذل من السواخر ولا من الساخرات والتقدير في العربية على كسر التا واشكبرت
وكنت من الجميع الساخرين او من الناس الساخرين او من القوم الساخرين قوله
تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ايما احاط بهم
من غضب الله وتقتدر وقال الاخفش ترى يصير عاملا في قوله وجوههم مسودة انما
هو بيان او خبر الزمخشري جملة في موضع الحال ان كانت ترى من رؤية البصر ومفعول
ثان ان كانت من رؤية القلب الذين جهنم مثوى للمتكبرين وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم معنى الكبر فقال عليه السلام سفه الحق وغمط الناس اي
احتقارهم وقد مضى في البقرة وغيرها وفي حديث عبد الله ابن عمرو عن النبي
صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة كالذر يطحنهم الصف رحتى يوتى
بهم الى سجن جهنم قوله تعالى ويبقي الله الذين اتقوا وفتح ويبقي اي النشر
والمعاصي بمفازتهم على التوحيد قراءة العامة لانها مصدر وقرا الكوفيون بمفازاتهم
وصوب ابو عبيد لما تقول بسعادتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير هذه الاية من
حديث ابي هريرة قال يحشر الله عز وجل كل امرء عمله فيكون عمل المؤمن معه في احسن صورة
واطيب ريح فكلما كان رعب او خوف قال له لا تذع فما انت بالمراد به ولا انت بالمعني
به فاذا كثر ذلك عليه قال فما احسنك فمن انت فيقول انا فرقتني ان عملك الصالح حملني
على ثقلي فوالله لاحملنك ولا دفعن عنك فهي التي قال ويبقي الله الذين اتقوا بمفازتهم
لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل اي حافظ وقائم
به وقد تقدم قوله تعالى له مقاليد السموات والارض واحدها مقليد وقيل
مقلاد واكثر ما يستعمل فيه القليل والمقاليد المفاتيح عن ابن عباس وغيره وقال
السدي خزائن السموات والارض قال غيره خزائن السموات المطر وخزائن الارض
النبات وفيه لغة اخرى اقاليد وعليه يكون واحدها اقليد قال الجوهري والاقليد
المفتاح والمقلد مفتاح كالمغلق وربما يقلد به الكلاكي يقلد به القفل اذا جعل صيلا
وهي يقفل والجمع المقاليد واقفل البحر على خلق كثير اي غمرهم كانه اغلق عليهم وخرج
النيسابوري عن ابن عمران عثمان بن عفان رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما سالني عنها احد لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده استغفر
الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والاخر والظاهر والباطن
يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ذكره الثعلبي في تفسيره وزاد من
قالها اذا اصبح او امسى عشر مرات اعطاه الله ستة خصال اولها يحرس من
ابليس والثانية يحصر له اثنا عشر الف ملك والثالثة يعطي قنطارا من الاجر
والرابعة ترفع له درجة والخامسة يزوجه الله من الحور العين والسادسة يكون
له من الاجر كمن قرا التوراة والانجيل والزبور وله ايضا من الاجر كمن
حج واعتمر فتقبلت حجته وعمرته وان مات من ليلته او يومه مات شهيدا وروى البخاري
الحارث عن علي قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير المقاليد فقال
يا علي لقد سالتني عن عظيم المقاليد هو ان تقول عشرا اذا اصبحت وعشرا اذا امسيت
لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله ولا قوة الا بالله العلي
والاخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من
قالها عشرا اذا اصبح وعشرا اذا امسى اعطاه الله خصالا ستا اولها يحرسه من
الشيطان وجنوده فلا يكون لهم عليه سلطان والثانية يعطي قنطارا في الجنة هو
اثقل من ميزانه من جبل احد والثالثة ترفع له درجة لا ينالها الا الابرار
والرابعة يزوجه الله من الحور العين والخامسة يشهد له اثنا عشر الف ملك انه
يكتبون لها في ورق منشور ويشهدون له بها يوم القيمة والسادسة يكون له من
الاجر كمن قرا التوراة والانجيل والزبور والفرقان وكمن حج واعتمر فتقبل الله
حجته وعمرته وان مات من يومه او ليلته او شهره طبع بطابع الشهداء وقيل
المقاليد الطاعة يقال الغني لي فلان بالمقاليد اي الطاعة مني بامره فمعنى
الاية له الطاعة من في السموات والارض فتولى تعالى والذين كفروا بايات
الله اي بالقران والتوحيد والدلالات اولئك هم الخاسرون تقدم قوله تعالى قل

افغير

أخبرنا الله تعالى مروبن العبد وذلك حين دعوا النبي صلى الله عليه وسلم الى ما هم عليه من عبادة الاصنام وقالوا هو دين اباءك وخير نصب يا عبد على تقدير اعبد غير الله فيما تأمرونا بغير الله تعالى اعبده لان ان تنصب وان والفعل مصدر وهي بدل من غير التقدير انا مروبن بعبادة غير الله وقرأ نافع تأمرونا بنون واحدة مخففة وفتح الياء وهذا ابن عامر تأمرونني بنونين مخففتين على الاصل والاكثر بنون واحدة مشددة على الادغام واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانها وقعت في مصحف عثمان بنون واحدة وقرأ نافع على حذف النون الثانية وانما كانت المحذوفة الثانية لان التكرير والثقيل يقع بها وايضا حذف الاولى لا يجوز لانها دلالة الرفع وقد قضى بالادغام بيانه عند قوله تعالى أتحاجوني اعبدايه ان اعبد فلما حذف ان رفع ما بعدها قاله الكسائي وعنه قوله تعالى

* الا لله الدين الخالص اخلص الوعد * والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ اعبد بالنصب قوله تعالى ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك فان في الكلام تقديما وتأخيرا والتقدير ولقد اوحي اليك لئن اشركت واوحي الى الذين من قبلك كذلك وقيل هو على ما يقال منا قلت اليه اوحي اليك والى الانبياء قبلك بالتوحيد محذوف ثم قال لئن اشركت يا محمد ليحبطن عملك وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل الخطاب له والمراد امته اذ قد علم الله انه لا يشرك ولا يقع منه اشراك والاحباط الابطال والمحو قال القتيبي فمن ارتد لم تحبط طاعاته التي بقيت ولكن احباط الردة العمل شرط بالموافاة على الكفر ولهذا قال من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فالمطلق ههنا محمول على المقيد ولهذا قلت من حج ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام لا يجب عليه اعادة الحج قلت هذا مذهب الشافعي وعند مالك تجب عليه الاعادة وقد مضى في البقرة بيان هذا مستوفى قوله تعالى بل الله فاعبد الخاسرين * كتب بعض اصحاب ابي اسحاق لفظ اسم الله عز وجل منصوب بأعبد قال ولا اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين قال النحاس وقال الفراء يكون منصوبا باضمار فعل وحكاه المهدوي عن الكسائي ونحا نحوه الزجاج انه قال للمجازاة وقال الا خفش هي زائدة وقال ابن عباس فاعبد فوحد وقال غيره بل الله فاطع وكن من الشاكرين لنعمه بخلاف المشركين قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره قال المبرد وما عظموه حق عظمته من قولك فلان عظيم القدر قال النحاس والمعنى على هذا وما عظموه حق عظمته اذ عبدوا معه غيره وقيل ما وصفوا خالق الاشياء وما لكوها ثم اخبر عن قدرته وعظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ثم نزه نفسه عن ان يكون ذلك بجارحة فقال سبحانه وتعالى عما يشركون وفي التنزيل به عن عبد الله قال جاء يهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات على اصبع والخلائق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال وما قدروا الله حق قدره قال هذا حديث حسن صحيح رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي التنزيل به عن عائشة انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه قالت قلت فاين الناس يومئذ يا رسول الله قال على جسر جهنم قلت فما يكون للمؤمن على هذا قال على الصراط يا عائشة قال حديث حسن صحيح فقوله والارض جميعا قبضته ويقبض الله الارض عبارة عن قدرته واحاطته بجميع مخلوقاته ثم يقال ما فلان الا قبضتي بمعنى ما فلان الا في قدرتي والناس يقولون الاشياء في قبضته بريدون في ملكه وقدرته وقد يكون معنى القبض والطي اخذ الشيء واذهابه فقوله جل وعز والارض جميعا قبضته يحتمل ان يكون المراد به والارض جميعا ذات قبضة فاينة يوم القيمة والمراد بالارض الارضون السبع بشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات مطويات وان المرض موضع تحتهم هو منتقص للمبالغة وقوله والسموات مطويات بيمينه لتبيين يريد به طيا بعلاج وانتقاب وانما المراد بذلك العناية

والذهاب بقال فذا نظر به عنا ما كنت منه وحبنا عنه وانطوى عنا دهر بمعنى المض
والذهاب واليمين من كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة والملك ومنه قوله تعالى
او ما ملكت ايمانكم يعبر به عن الملك وقال لاخذنا منه باليمين اي بالقوة والقدرة اي
لاخذنا منه قوة وقدرة قال الشاعر

* والمرء باليمين القوة والشدة *
* اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين * وقال اخر *
* ولما ابت الشمس اشرق نورها تنا ولت منها حاجتين بيمين فثلثت شمسا
ثم غارت بعده وكان على الايات عذابين واما صفر يوم القيمة بالذكر وان
كانت قد نشرت ملة لكل شئ ايضا لان الدنيا وهي تنقطع ذلك اليوم كما قال والامر يومئذ
لله وقال ملك يوم الدين حسب ما تقدم في الفاتحة ولذلك قال في الحديث ثم يقول
انا الملك اين ملوك الارض وقد زدنا هذا الباب في التذكرة بيانا وتكلمنا على ذكر
السثلى في حديث ابن عمر قوله ثم يطوي الارض بشماله قوله تعالى ونفخ في الصور
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم
قيام ينظرون بين ما يكون بعد قبض الارض وطي السما وهو النفخ في الصور وانما هو
نفختان يموت الخلق في الاولى منها ويحيون في الثانية وقد مضى الكلام في هذا
في النمل والانعام ايضا والذي ينفخ في الصور وانما هو نفختان يموت الخلق في الاولى
منها هو اسرافيل عليه السلام وقد قيل ان يكون معه جبريل لحديث ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبي الصور بايديهما او في ايديهما
قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران خرجه ابن ماجة في السنن وفي كتاب ابي داود
عن ابي سعيد الخدري قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور وقال
عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل واختلف في المستثنى من هم فقيل هم الشهدا
متقلدين اسيافهم حول العرش وروي مرفوعا من حديث ابي هريرة فيما ذكر الغزنوي
من حديث عبد الله بن عمرو بن ذكر الثعلبي وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وملك
الموت عليه السلام وروي من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم تلى ونفخ
في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فقال لوايا بني
الله من هم الذين استثنى الله تعالى فقال هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك
الموت فيقول الله لملك الموت يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو اعلم فيقول
يا رب بقي جبريل وميكائيل واسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله
تعالى خذ نفس اسرافيل وميكائيل فتخر ان ميتتان كالطود العظيمين
فيقول من يا ملك الموت فيموت فيقول الله تعالى لجبريل يا جبريل من بقي
فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل
الميت الفاني فيقول الله تعالى يا جبريل لابد من موتك فيقع ساجدا يخفق
بجناحيه ينزه ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان فضل خلقه على فضل ميكائيل كالطود العظيم على الظربة
من الظراب ذكره الثعلبي وذكره النحاس ايضا من حديث محمد بن اسحاق عن
يزيد الرقاشي عن انس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله جل وعز
فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال جبريل وميكائيل وحملة
العرش وملك الموت واسرافيل وفي هذا الخبر ان احدهم موت جبريل صلى الله
عليه وسلم وحديث ابي هريرة في الشهداء اصح على ما تقدم في النمل وقال الحسن
هو رضوان والحور وملك والزبانية وقيل غلمان رب العالمين وحبتهما وقال
الحسن هو الله الواحد القهار وما بدع احدا من اهل السما والارض الا اذاقه
الموت وقال قتادة الله اعلم بذلك وقيل الاستثناء في قوله الا من شاء الله
يرجع الى من مات قبل النفخة الاولى ايا يموت من في السموات والارض الا من
سبق موته لانهم كانوا قد ماتوا وفي الصحيحين وابن ماجة واللفظ له عن ابي
هريرة قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على
البشر فرفع رجل من الانصار يده فلطمه قال نقول هذا وفينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال الله عز

رجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فاكون اول من رفع راسه فاذا انا بموسى اخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري رفع راسه قبلي او كان ممن استثنى الله ومن قال انا جزم بن بريش بن منبه فقد كذب وخرجه الترمذي ايضا وقال فيه حديث حسن صحيح قال القشيري ومن حمل الاستثناء على موسى والشهداء فهو لانهم ماتوا غير انهم احياء عند الله فيجوز ان تكون الصعقة بزوال العقل دون زوال الحياة فيجوز ان تكون بالموت ولا يبعد ان يكون الموت والحياة فكل ذلك مما يجوز عليه العقل والامر في وقوعه موقوف على خبر صدق قلت جاء في بعض طرق ابي هريرة انه عليه السلام قال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري هل كان فيمن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثنى الله خرجه مسلم وفي حديث ابي سعيد الخدري والافاقة انما تكون عن غشية وزوال العقل لا عن موت برد الحياة والله اعلم **قوله تعالى** فاذا هم قيام ينظرون ايفاذا الامرات من اهل الارض والسماء احيا بعثوا من قبورهم واعيدت اليهم ابدانهم وارواحهم فقاموا ينظرون ماذا يؤمرون وقيل قيام على ارجلهم ينظرون الى البعث الذي وعدوا به وقيل جعد الانظار بمعنى الانتظار اي ينتظرون ماذا يفعل بهم واجاز الكسائي قياما بالنصب كما جاء في زيد جالسا قوله تعالى وانارت الارض بنور ربها واشرقت اضاءت يقال اشرقت الشمس اذا اضاءت وشرقت اذا طلعت ومعنى بنور ربها بعدل ربها قاله الحسن وغيره قال الضحاك بحكم ربها والمعنى واحد اي ازال واضاءت بعدل الله وقضائه بالحق بين عباده والظلم ظلمات والعدل نور وقيل ان الله يخلق نورا يوم القيامة يلبسه وجه الارض فتشرق الارض به وقال ابن عباس النور المذكور ههنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه الله فتضيء به الارض وروي ان الارض يومئذ من فضة تشرق بنور الله جبن بان الفعل للقضاء والمعنى انها اشرقت بنور خلقه الله تعالى فاضافت النور اليه على حد اضافة الملك الى المالك وقيل انه اليوم الذي يقضي فيه بين خلقه لانها لا تضاء لا ليل فيه وقاله ابن عباس وعبيد بن عمير واشرقت الارض على مالم يسم فاعله وتقي قراءة على التفسير وقد ضل قوم فقهمنا فتوهموا ان الله عز وجل من جنس النور والضياء المحسوسين وهو سفاه عن مباينة المحسوسات بل هو منور السموات والارض فمنه كل نور خلقا وانشاء وقال ابو جعفر النحاس وقوله جل وعز واشرقت الارض بنور ربها يبين هذا الحديث المرفوع من طرق كثيرة صحاح ينظرون الى الله جل وعز لا تضامون في رؤيته وهو يراه على اربعة اوجه لا تضامون ولا تضارون ولا تضامون ولا تضارون فمعنى تضامون لا تتحكم ضم كما تتحكم في الدنيا في النظر الى الملوك ولا تضارون لا يتحكم ضير ولا تضامون لا ينضم بعضكم الى بعض ليسلم ان يريه ولا تضارون لا يخالف بعضكم بعضا فيضار ضرر مضارة وضرارا ابو حاتم لغته قوله تعالى ووضع الكتاب قال ابن عباس يعني اللوح المحفوظ وقال غيره يعني الكتب والصحف التي فيها اعمال بني ادم فاخذ بيمينه واخذ بشماله وجيء بالنبيين اي جيء بهم فيسئلوا عما اجابت به امتهم والشهداء الذين يشهدون على الامم من امة محمد صلى الله عليه وسلم لما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقيل المراد بالشهداء الذين استشهد وا في سبيل الله فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله قاله السدي وقال ابن زيد هم الحفظة الذين يشهدون على الناس باعمالهم قال الله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فالسائق يسوقها الى الحساب والشهيد يشهد عليها وهو الملك الموكل بالانسان على ما بانيا به في قول وقيض بينهم بالحق اي بالصدق والعدل وهم لا يظلمون قال سعيد بن جبير لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم ووفيت كل نفس ما عملت من خير او شر وهو اعلم بما يفعلون في الدنيا ولا حاجة به الى الكتاب ولا الى الشاهد ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود الزاما للحجة قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا هذا ابيان توفية كل نفس عملها فيساق الكافر الى النار والمؤمن الى الجنة والزمر الجماعات واحدتها زمرة كظلمة وعرفة وقال الاخفش وابو عبيدة زمر جاءت متفرقة بعضها اثر بعض قال الشاعر

* ونذيب الناس الى منزلة زمرة تتلوها بعد زمرة *

وقال احر حتى احزالت زمر بعد زمر وقيل دفعا وزجرا بصوت كصوت المزمار
حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها جواب اذا وهي سبعة ابواب وقد مضى في الحجر وقال
لهم خزنتها واحدهم خازن تحوسا دن وسندنه يقولون لهم تقريعا وتوبيخا الم
يأتكم رسل منكم ايه من انفسكم يتلون عليكم اياته ربكم ايه الكتب المنزلة على الانبيا وينذرونكم
ايه يخوفونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ايه قد جاءتنا وهذا اعتراف منهم بقيام الحجة عليهم
ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم ايه يقال لهم ادخلوا جهنم وقد مضى الكلام في ابوابها قال
وهب نستقبلهم الزبانية بمفاتيح من نار يدفعونهم بها معهم فانه ليقع في الدفعة الواحدة
الى النار بعدد ربيعة ومضر فيسمع شهيق المتكبرين تتقدم بهيابذ قوله تعالى وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا يعني من اكرمه الله بالشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم ممن
اتقى الله تعالى وعمل بطاعته وقال في حق الفريقين وسيق بلفظ واحد فسوق اهل
النار طردهم اليها بالخزي والهوان كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان
اذا سيقوا الى الحبس او القتل وسوق اهل الجنة سوق مراكبهم الى دار الكرامة والرضوان
لانه لابد لهم الا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك
فتلك ما بين السوقين حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها قيل الواو تقولها للعطف
عطف على جملة والجواب محذوف قال المبرد اي سعدوا وفتحت وحذف الجواب بليغ
في كلام العرب وانشد
قالوا لها نفس تموت جميعة وكذا نفس بشاطئ الانهار
فحذف جواب لو والتقدير لكان اروح وقال الزجاج حتى اذا جاءوها دخلوها
وهو قريب من الاول وقيل الواو زايدة قاله الكوفيون وهو خطا عند البصريين وقد قيل
ان زيادة الواو دليل على ان الابواب فتحت لهم قبل ان ياتوا لكرامتهم على الله تعالى
والتقدير حتى اذا جاءوها وابوابها مفتحة بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب
وحذف الواو التي فتحة اهل النار لانهم وبخوا على ذلك وفتحت بعد وقوفهم اذلالا لهم
وتعذيبا لهم ذكره المهدوي وحكي مثله الكيا الطبري قال الكيا وفي اثبات
الواو في الثاني وحذفها من الاول فقد تكلم فيه بعض اهل العلم يقول لا اعلم ان بيت الله
احد وهو ان لما قال الله جل وعز في اهل النار حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها دل بهذا
على انها كانت مفتحة قبل ان يجيبوها والله اعلم وقيل ابها واو الثمانية وذلك من عادة
قريش انهم يعدون من الواحد فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية فاذا بلغوا السبعة قالوا
وثمانية قاله ابو بكر ابن عباش قال الله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام وقال
ان يبوت العابدون ثم قال في الثالث منوالثا مضوت عن المنكر وقال ويقولون سبعة وثامنهم
وقال شيبان راعيكم وقد مضى القول في هذا في براءة مستوفى وفي الكهف ايضا وقد
استدل بهذا من قال ان ابواب الجنة ثمانية وذكروا حديث عمر بن الخطاب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد يتوضا فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء خرجه
مسلم وغيره وقد خرج الترمذي حديث عمر هذا وقال فيه فتح له من ابواب الجنة الثمانية
ابواب يزيد الفتحة زيادة من وهو يدل على ان ابوابها اكثر من ثمانية وقد ذكرنا ذلك في
كتاب التذكرة وانتهى عددها الى ثلثمائة عشر باب وذكرنا هناك منظم ابوابها وسعتها
حسب ما ورد في الحديث من ذلك فمن اراده وقف عليه هناك وقال لهم خزنتها فتح الواو
ملغاة تقديره حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم اي في
الدنيا قال معمر بطاب عمله وقيل بالعمل الصالح حكاه الثعالبي والمعنى واحد
وقال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم
من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان او محمد سلام
عليكم بمعنى النجاة طبتم فادخلوها خالدين قلت خرج البخاري حديث القنطرة هذا في
جامعه من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس المومنون
من النار على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت
بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده
لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا وحكى الثعالبي ان على باب الجنة

بشجرة ينبع من ساقها عينان تيثرب المومنون من احداهما فتطهر اجوافهم وذلك قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يغتسلون من الاخرى فتطيب ابشارهم فتعدهما بقول لهم حزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وهذا ابرد في معناه عن علي رضي الله عنه وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ايا ادخلوا الجنة قالوا هذا واورثنا الارض اي ارض الجنة قبالة بهم ورثوا الارض التي كانت تكون لاهل النار لو كانوا مومنين قاله ابو العالية وابو صالح وقتادة والسدي واكثر المفسرين وقيل انها ارض الدنيا على التقدير وان كان غير جائز قوله تعالى فنعم اجر العاملين قيل هو من قولهم ابي نعم الثواب هذا وقيل هو من قول الله تعالى ايي نعم ثواب المحسنين هذا الذي اعطيتهم قوله تعالى وترى الملئكة يا محمد حافين ايي محدقين من حول العرش في ذلك اليوم يسبحون بحمد ربهم مثلدين بذكره لا مستعبدين به اي يصلون حول العرش شكرا لربهم والحافون اخذ من حانت الشيء وناحيه قال الاخفش واحدهم حاف وقال الفراء واحده اذا لا يقع لهم الاسم الا مجتمعين ودخلت من على حول لانه ظرف والفعل يتعدى الى الظرف بحرف وبغير حرف وقالت الاخفش من زايده اي حافين حول العرش وهو كقولك ما جاءني من احد فمن توكيد الثعلبي والعرب تدخل ايا نا في التسبيح وتحذفها احيانا فيقولون سبح بحمد ربك وسبح حمد الله قال الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال وسبح بسم ربك العظيم وقضي بينهم بالحق بين اهل الجنة والنار وقيل قضي بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين امهم بالحق والعدل وقيل الحمد لله رب العالمين ابي يقول المومنون الحمد لله على ما اثابنا من نعمه واحسانه ونصرنا على من ظلمنا وقال قتادة في هذه الاية افتتح الله اول الخلق بالحمد لله فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور وختم بالحمد فقال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فلزم الاقتداء به والاخذ في كل امر بحمده وحسن ثنائه وقيل ان تنزل الحمد لله رب العالمين من تنزل الملائكة فعلى هذا يكون حمدهم لله تعالى على عدله وقضائه ورويه من حديث ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر احزاب سورة الزمر فحرك المنبر مرتين

سورة غافر وهي سورة المومن وتسمى سورة الطول وهي مكية

في قول الحسن وعطا وعكرمة وجابر وعن الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك فانها نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة الا اربعين منها نزلت بالمدينة وهي ان الذين يجادلون في ايات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون اية وقيل ثنتان وثمانون اية وفي مسند الدارمي قال حدثنا جعفر بن عون عن مسعر عن سعد بن ابراهيم قال كن الحواميم يسمين العرائس ورويه من حديث انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحواميم ديباج القران ورويه عن ابن مسعود نحوه قال الجوهري وابو عبيد وال حم سور في القران قال ابن مسعود الحم ديباج القران قال العراني نحو قولك ال فلان وال فلانة كانه نسب السورة كلها الي حم قال الكميت

* وجدنا لكم في ال حم اية * تاولها منا تقي ومعرب *

قال ابو عبيد هكذا رواها الاموي بالزاي وكان ابو عمرو يرويها بالراء ما نقول العامة الحواميم فليس من كلام العرب وقال ابو عبيدة الحواميم سور في القران على غير قياس وانشد وبالحواميم التي قد سبعت قال والاولى ان يجمع بذوات حم وفي الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء ثمرة وان ثمرة القران ذوات حم هن رضوان جنات محفوفات منجاة وذات فمن احب ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل الحواميم في القران مثل الجبرات من الثياب ذكرهما الثعلبي وقال ابو عبيد وحدثني حجاج بن محمد عن ابن عيينة عن ابن خثيم قال راى رجل سبع جوار حسنا في منزلتي فقال لمن انتن بارك الله فيكن فقلن نحن لمن قرا ان نحن الا حم * بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم اختلف في معناه فقال عكرمة قال النبي صلى الله عليه وسلم حم اسم من اسماء الله تعالى وهي مفاتيح حزا بين ربكم وقال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه الروح من حروف الرحمن منطقة وعنه ايضا اسم من اسمي الله تعالى اختم به وقال قتادة انه اسم من اسمي القران مجاهد فواتح السور وقال عطا الخراساني الحا افتتاح اسمه حميد وحليم وحنان وحكيم والميم افتتاح اسمه ملك ومجيد ورحمان ومنكر ومصور بدل

عليه ما روي انس اناعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم ماحم فانا لا نعرفها في لساننا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى وانكم وقرا فاتحة سورة وقال الضحاك والكسائي معناه
قضي ما هو كائن كانه اراد الاشارة الى انقضي حم لانها تصير حم بضم الحا وتشديد الميم
ايذا فقضي وقع قال كعب بن مالك فلما التقينا هم ودارت بنا الرحا وليس لا مرحمه
الله دافع وعنه ايضا ان المعنى حم امر الله ايذا فذهب كما قال الشاعر
* قد حمّ يومي فسرّ قوم * قوم بهم غفلة ونوم * ومنه سميت الحمّى لانها
تعذب من المسية والمعنى المراد فذ بنصره لاوليائه وانتقامه من اعدائه يوم
بدر وقيل حروف تهجي قاله الجرجاني ولهذا تقرا ساكنة الحروف فخرجت تخرج
التهجي واذا سميت سورة بشيء من هذه الحروف اعربت فتقول هذا حم فتنصب
قال الشاعر * يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلى حم قبل التقدم *
وقرا عيسى بن عمر الثقفي حم بفتح الميم على معنى اقرا حم او اتل الم كنيت
وابن ابي اسحاق وابو السمال بكسرها والامالة والكسرة لالتقاء الساكنين او على
وجه القسم وقرا ابو جعفر يقطعون الى من الميم الباقون بالوصل وكذلك في حم عسق
وقرا ابو عمرو وابو بكر وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان بالامالة في الحا وروي
عن ابي عمرو بين اللفظين وهي قراءة نافع وابي جعفر وشيبة الباقون بالفتح
مشبعا قوله تعالى تنزيل الكتاب ابتدا والخبر من الله العزيز العليم ويجوز ان
يكون تنزيل خبر لمبتدا محذوف اي هذا تنزيل الكتاب ويجوز ان يكون حم مبتدا
وتنزيل خبره والمعنى ان القران انزله الله وليس منقولا ولا مما يجوز ان يكذب به
قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قال الفراء جعلتها كالنعت
للمعرفة وهي نكرة وقال الزجاج هي خفض على البدل المخاس وتحقيق الكلام في هذا
والتلخيص ان غافر الذنب وقابل التوب يجوز ان يكونا معرفتين على الفعل الماضي
فيكونا نعتين ويجوز ان يكونا للمستقبل والحال فيكونا نكرتين ولا يجوز ان يكونا نعتين
على هذا ولكن يكون خفضهما على البدل ويجوز النصب على الحال فانا شديد العقاب
فهو نكرة ويكون خفضه على البدل قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله
وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا اله الا الله وقال ثابت
البناني كنت ابي سراد ق مصعب بن الزبير فمر بنا الدواب قال فاستفتحت
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم فمر علي رجل على دابة فلما قلت غافر الذنب
قال قل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي فلما قلت قابل التوب قال قل يا قابل التوب
تقبل توبتي فلما قلت شديد العقاب قال قل يا شديد العقاب اصفح عني فلما
قلت ذي الطول قال قل يا ذا الطول طل علي بخير فحمت البيت فاخذ بعضادتي فالتفت
يمينا وشمالا فلم ار شيئا وقالوا هذا الاشارة غافر الذنب فضلا وقابل التوب
وعدا شديد العقاب نعمة لا اله الا هو اليه المصير فردا ورويه عن عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه اقتفر رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له تتبع من فقد الشراب
فغث له عمر لكانه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد اليك الله الذي لا اله
الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير وختم الكتاب
وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى يخنقه صاحبا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة قيل
انه الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني وعيده
فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال
هكذا افاضوا اذا رابتم احدكم قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له ان يتوب عليه ولا
تكونوا عونا للشيطان عليه والتوب يجوز ان يكون مصدرا لتاب يتوب توبا وتوبا ويحتمل
ان يكون جمع توبة كحوض وحياض وعزبة وعزب ومنه قوله فتخب ساعة وتسهب
ساعة ويجوز ان يكون التوب بمعنى التوبة قال ابو العباس والذي يسبق الى قلبي
ان يكون مصدرا ايضا يقبل هذا الفعل كما تقول قال قولا واذا كان جمعا فمعناه تقبل
التوبات ذي الطول بمعنى البدل ويحل النعت لانه معرفة واصل الطول الانعام والفضل
يقال له منه اللهم طل علينا اي انعم وتفضل قال ابن عباس ذي الطول ذي النعم
وقال مجاهد ذي الغنى والسعة ومنه قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا اي

غنى

عني وسعة وعن ابن عباس ايضا ذي الطول ذي الغنى عن من ينزل لا اله الا الله وقال عكرمة ذي الطول ذي المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال منه طال عليه ويطول عليه اذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذي الطول ذي التفضل قال الماوردي والفرق بين المن والتفضل ان المن عفو عن ذنب والتفضل احسان غير مستحق والطول ما خوذ من الطول كانه طال بالنعمة على غيره وقيل انه طالت مدة انعامه لا اله الا هو اليه المصير اي المرجع قوله تعالى ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا الجدل سجاية تحمل المجادلين في ايات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والتعقد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فما الجدال فيها لايضاح سلتنسخها وحل مشكلها ومنها دحته اهل العلم في استنباط معانيها وردائق الذي بها ومنها في عظم حرمها وفي سبيل الله وقد مضى هذا المعنى في السورة عند قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه مستوفى فلا يغررك وخربه فلا يغرك تقلبهم ايم نضرتهم في البلاد قال ابن عباس بيده تجارتهم من مكة الى الشام والى اليمن وقيل لا يغررك ما هم فيه من الخير والسعة في الرزق فانه متاع قليل في الدنيا وقال الزجاج لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وقال ابو العالية ابتلاهم بالشدة فقاتلوا الذين يجادلون في القرآن قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا معنى قوله وان الذين اختلفوا في الكتاب اي شقاق بعيد قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد يعني بنو الجماعة ايم كذبت الرسل والاحزاب من بعدهم ايم والامم الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب بخروجها وهمت بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليتخذوه ايم ليحبسوه ويعذبوه وقال قتادة والسدي ليقتلوه واخذه بمعنى اهلاك كقوله فاخذتهم فكيف كان نكير والعرب تنبي الآية سير الاخيذة لانه ما شد للقتل وانشد فطرب قول الشاعر

فما ان اخذوني تقتلوني ... ومن اخذ فليس الى خلود

وفي وقت اخذهم لرسولهم قولان احدهما عند دعائهم لهم الثاني عند نزول العذاب بهم وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ايبيزيلوا ومنه مكان دحض اي مزلقة والباطل داحض لانه يزلق ويزل فلا يستقر قال يحيى بن سلام جادلوا الانبياء بالشرك ليبطلوا به الايمان فاخذتهم ايم بالعذاب فكيف كان عقاب ايم عاقبة الامم المكذبة بانبيائهم وحدوه حق قوله تعالى وكذلك حقت ايم وجبت ولزمتهم ما خوذ من الحق لانه اللازم كلمة ربك هذه قراءة العامة على التوحيد وقرأ ابن عامر كلمات جمعا على الذين كفروا انهم قال الاخفش ايم لانهم وبانهم قال الزجاج ويجوز انهم بكسر الهمزة اجاب الشرط ايم المعذبون بها وتم الكلام ثم ابتدا فقال انهم الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم يا ايها الذين امنوا اذا نودوا للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين

٤٧٣

يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء ويهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب ايم وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا انهم اصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم

وقد مضى هذا المعنى في السورة عند قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه مستوفى فلا يغررك وخربه فلا يغرك تقلبهم اي نضرتهم في البلاد قال ابن عباس بيده تجارتهم من مكة الى الشام والى اليمن وقيل لا يغررك ما هم فيه من الخير والسعة في الرزق فانه متاع قليل في الدنيا وقال الزجاج لا يغررك سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وقال ابو العالية ابتلاهم بالشدة فقاتلوا الذين يجادلون في القرآن قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا معنى قوله وان الذين اختلفوا في الكتاب اي شقاق بعيد قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد يعني بنو الجماعة ايم كذبت الرسل والاحزاب من بعدهم ايم والامم الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب بخروجها وهمت بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه ايم ليحبسوه ويعذبوه وقال قتادة والسدي ليقتلوه واخذه بمعنى اهلاك كقوله فاخذتهم فكيف كان نكير والعرب تنبي الآية سير الاخيذة لانه ما شد للقتل وانشد فطرب قول الشاعر

فما ان اخذوني تقتلوني ... ومن اخذ فليس الى خلود

وفي وقت اخذهم لرسولهم قولان احدهما عند دعائهم لهم الثاني عند نزول العذاب بهم وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ايبيزيلوا ومنه مكان دحض اي مزلقة والباطل داحض لانه يزلق ويزل فلا يستقر قال يحيى بن سلام جادلوا الانبياء بالشرك ليبطلوا به الايمان فاخذتهم ايم بالعذاب فكيف كان عقاب ايم عاقبة الامم المكذبة بانبيائهم وحدوه حق قوله تعالى وكذلك حقت ايم وجبت ولزمتهم ما خوذ من الحق لانه اللازم كلمة ربك هذه قراءة العامة على التوحيد وقرأ ابن عامر كلمات جمعا على الذين كفروا انهم قال الاخفش ايم لانهم وبانهم قال الزجاج ويجوز انهم بكسر الهمزة اجاب الشرط ايم المعذبون بها وتم الكلام ثم ابتدا فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم يا ايها الذين امنوا اذا نودوا للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين

يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وقوله تعالى ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء ويهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير

ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبع مائة عام ذكره البيهقي وقد مضى في البقرة في اية الكرسي
عظم العرش وانه اعظم المخلوقات وروى شعبة بن يزيد عن خالد بن سعدان عن كعب
الاحبار انه قال لما خلق الله تعالى العرش قال لن يخلق الله خلقا اعظم مني فاهتز
فطوقه الله بحية له سبعون الف جناح في الجناح سبعون الف ريشة في ريشة سبعون
الف وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان يخرج من افواهها من
كل من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصى والتراب وعدد ايام الدنيا
وعدد الملائكة اجمعين فالثوب الحبة بالعرش فالعرش الى نصف الحبة وهي ملتوية به
وفي الحبة بحر بين السماء والارض بينه وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة
حجاب نور وحجاب ظلمة ربنا اي يقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت
رحمتك وعلمك كل شيء فلما نقل العلم عن الرحمة والعلم نصب على التمييز فاغفر
للذين تابوا اي من الشرك والمعاصي واتبعوا سبيلك الى دين الاسلام وقهم عذاب
الجحيم اي اصرفه عنهم لا يصل اليهم قال ابراهيم النخعي كان اصحاب عبد الله يقولون الملئكة
خير من ابناء الكوافهم يستغفرون لمن في الارض وابناء الكوا يشهد عليهم بالكفر قال ابراهيم
وكانوا يقولون لا يجيبون الاستغفار من احد من اهل القبلة فقال مطرف بن عبد الله
وجدنا افضل عباد الله الملائكة ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشيطان
وتلى هذه الاية فقال يحيى بن معاذ الرازي لا محابي بن هذه الاية انهم وصفوها في العالم جنة
ارضي منها ان ملكا واحدا لو سأل الله ان يغفر لجميع المؤمنين لغفر لهم كيف وجميع الملائكة
وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين وقال خلف بن هشام البزار الغاربي كنت اقرأ على
سليم بن عيسى فلما بلغت ويستغفرون للذين امنوا بكى ثم قال يا خلف ما اكرم المؤمن
على الله تعالى بملائكته والملائكة يستغفرون له قوله تعالى فاغفر للذين تابوا وادخلهم جنات
عدن يروى ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار ما جنات عدن قال قصور من
ذهب في الجنة يدخلها النبيون والصديقون والشهداء ائمة العدل التي وعدتهم
التي في محل نصب نعت للجنات ومن صلح من في محل نصب عطف على الهاء والميم
في قوله وادخلهم ومن صلح بالايمان من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وقد مضى في الرعد
نظير هذه الاية قال سعيد بن جبير يدخل الرجل الجنة فيقول اين ابي واين امي واين ولدي وولد ولده واين زوجاتي فيقال انهم لم يعملوا كعملك فيقول يا رب كنت
اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة ثم تلى الذين يحملون العرش ومن حوله الى قوله ومن صلح
من ابائهم وازواجهم وذرياتهم ويغربه من هذه الاية قوله والذين امنوا واتبعتهم
ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قوله وقهم السيئات قال قنة اي وقهم ما
يسوءهم وقيل التقدير وقهم عذاب السيئات وقوا مرمن وقاه الله يقيه وقاية
بالكسر ايضا فقد ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اي بدخول الجنة وذلك الفوز
العظيم التجاة الكبيرة قوله تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر
من مقتكم انفسكم قال الاخفش لمقت فقده لام الابتداء ومقت بعدينا دون لان
معناه يقال لهم والنداء قول وقال غيره المعنى يقال لهم لمقت الله اياكم في الدنيا
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم بعضكم بعضا يوم القيامة ان بعضهم
عادى بعضا ومقته يوم القيامة فاذ عمنا عند ذلك وضجوا وطلبوا الخروج من النار
وقال الحلبي يقول كل انسان من اهل النار لنفسه مقتك بالنفس فتقول الملائكة لهم
وهم في النار لمقت الله اياكم اذ انتم في الدنيا وقد بعثت اليكم الرسل فلم تزعموا اشد
من مقتكم انفسكم اليوم وقال الحسن يقطعون كتابهم فاذا نظروا الى سيئاتهم مقتوا
انفسهم فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر
من مقتكم انفسكم اليوم وقال عطاء ومجاهد وقال ثعلب ذلك المعنى لمقت الله لكم
اذ تدعون الى الايمان اكبر من مقتكم انفسكم اذ عاينتم النار فان قيل كيف يصح ان
يمقتوا انفسهم فعنه وجهان احدهما انهم احلوها بالذنوب محل الممقوت الثاني
انهم لما صاروا الى حال زال عنهم الهوى وعلموا ان نفوسهم هي التي اوبقتهم في المعاصي
مقتوها وقال محمد ابن كعب القرظي ان اهل النار لما يئسوا مما عند الخزنة وقالوا
مالكم انكم ماكثون على ما بكم قال بعضهم لبعض يا هؤلاء قد نزل بكم من البلاء والعذاب
ما قد ترون فهلم فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر اهل الطاعة على طاعة الله

منعهم الصبر اذ صبروا فما جعلوا بهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا
سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص اي من ملجا فقال ابليس عند ذلك
ان الله وعدكم وعد الحق فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الي قوله ما انا
بمصرخكم وما انتم بمصرخي يقول بمغيثكم شيء الي كفرت بما اشركتموني من قبل فلما
سمعوا منه ذلك قالوا فنرد ولم نعبد الله اكبر من عبادتكم انفسكم اذ تدعون الي الايمان
فتكفرون الي قوله فهل الي خروج من سبيل قال فمن يدعو معه ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ذكره ابن المبارك قوله تعالى
قالوا ربنا امتنا اثنتين اختلفوا اهل النار ويدل في معنى قولهم ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والضحاك كانوا امواتا
في اصلاب ابائهم ثم احياهم ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها في الدنيا ثم احياهم للبعث
والجنة فهذه ثنتا حياتان وثنتا موتتان وهو كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احيوا في قبورهم
للمسالة ثم اميتوا ثم احيوا في الآخرة وانما صار لفظ الموت لا ينطلق في
العرف على النطفة واستدل العلماء من هذه الاية على اثبات سؤال القبر ولو كان الثواب
والعقاب للروح دون الجسد في معنى الاحياء والاماتة والروح عند من يقصر احكام
الآخرة على الارواح لا تموت ولا تقبر ولا تفسد وهو حي لنفسه لا يطرق اليه موت
ولا تغيير ولا فناء وقال ابن زيد في قوله ربنا امتنا اثنتين الآية قال خلقهم في ظهر آدم
واستخرجهم واخذ عليهم الميثاق ثم اماتهم ثم احياهم في الدنيا ثم اماتهم
وقد مضى هذا في البقرة فما عرفت يا قوم ربنا امتنا اثنتين لا يستقيم الاعتراف وندما
حين لا ينفع الندم فهل الي خروج من سبيل اي هل لنا الي الدنيا لنعمل بطاعتك نظيره
قول اهل سرد من سبيل اي هل لنا الي الدنيا وقولها رجعنا نعمل صالحا ونحو هذا
لا دلالة قوله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فالحكم لله العلي الكبير
الامر لكم او ذلكم العذاب الذي انتم فيه بكفركم وبان الكلام متروك تقديره فاجيبوا
بان لا سبيل الي الرد وذلك لانكم اذا دعي الله اي وحده الله وحده كفرتم وانكرتم
ان تكون الالوهية له خاصة واذا يشرك به مشرك صدقتموه واغتم بقوله قال
الشعبي وسمعت بعض العلماء يقول وان يشرك به بعد الرد الي الدنيا لو كان ترددا
فقد فاز المشرك بنظيره ولورد والعاد لما نهوا عنه فالحكم لله العلي الكبير عن ان
يكون له صاحبة او ولد قوله تعالى هو الذي يريكم اي تراه دلائل توحيده وقدرته
وينزل لكم من السماء رزقا جمع بين اظهار الايات وانتزال الرزق لان بالايات قوام الاديان
وبالرزق قوام الابدان وهذه الآيات هي السموات والارضون وما فيهما وما بينهما من الشمس
والقمر والنجوم والرياح والسحاب والمطر وانواعها والعيون والجبال والاشجار وانواع
قوم هلكوا ولم يتذكروا الا من يتيب اي ما يتعظ بهذه الآيات فيوحد الله الا من يتيب اي
يرجع الي طاعة الله فاعبدوا الله اي اعبدوه مخلصين له الدين اي العبادة وفتح
الطاء غافر ولوكره الكافرون عبادة الله فلا تقنطوا وانتم عنه قوله تعالى رفيع
الدرجات ذو العرش على اي رفيع قال الاخفش ويجوز نصبه على المدح ومعنى
رفيع الدرجات ابو رفيع الصفات وقال ابن عباس والكلبي وسعيد بن جبير
رفيع السموات السبع وقال يحيى بن سلام هو رفعه درجات اوليائه في الجنة قد
ارتفع على هذا بمعنى رافع فعيل بمعنى فاعل وهو على القول الاول من صفات
الذات وصفاته الذاتية لا ارتفع قدرا منه وهو المستحق لدرجات المدح والثناء وهي
صفاته وابوابه لا مستحق لها غيره قاله الحليمي وقد ذكرناه في الكتاب الاسنى
والله ذو العرش اي خالقه ومالكه لانه محتاج اليه وقيل هو من قولهم ثل
عرش فلان اي زال ملكه وعزه فمعنى سبحان ذو العرش نفى زوال ملكه وسلطانه
وقد بيناه في الاسنى في شرح اسم الله الحسنى يلقي الروح ابو الوحي والنبوة على
من يشاء من عباده وسمي ذلك روحا لان الناس يحيون به اي يحيون من موت
الكفر كما يحيى الابدان بالارواح وقال ابن زيد الروح القرآن قال الله تعالى
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل الروح جبريل قال الله تعالى نزل به الروح
الامين على قلبك وقال نزله روح القدس من ربك بالحق من امره اي من قوله

وقيل من قضائه وقيل من يمين الب ايي با مره عليي من يشا من عباده وهم الانبيا لبشاط
هوان يكو نوا انبيا وليس لاحد منهم مشيئة لينذر يوم التلاق اي انما يبعث الرسول
لانذار يوم البعث فقوله لينذر يرجع الي الرسل وقيل اي لينذر الله يبعثه الرسل الي
الخلايق يوم التلاق وهذا ابن عباس والحسن وابن زايد السميفع لتنذر بالتا خطابا
للنبي صلى الله عليه وسلم يوم التلاق قال ابن عباس وقتا وة يوم يلتقي اهل السمى
واهل الارض وقال قتا دة ايضا وابو العالية وقت تل يلتقي فيه الخلق والخالق
وقيل العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم وقيل يلتقي كل انسان جزا عمله
وقيل يلتقي الاولون والاخرون على صعيد واحد روي معنا ه عن ابن عباس وكله
صحيح المعنى يوم هم بارزون يكون بدلا من يوم الاول وقيل هم في موضع رفع بالابتدا وبارزون
خبره والجملة في موضع خفض بالاضافة فلذلك حذفت التنوين من يوم وانما يكونت
هذا عند سيبويه اذا كان الظرف بمعنى اذ تقول لغيتك يوم زيدا صبرقان كان بمعنى
اذ لم يجز كسرات الف اليوم من يوم اذ صبرقان خارجون من قبورهم لا يستترهم
شي لان الارض يومئذ قاع صفصف لا عوج فيها ولا امتا على ما تقدم في طه بيانه
لا يخفى على الله منهم شي فيقال ان هذا هو العامل في يوم هم بارزون اي لا يخفى عليه
شي منهم وحدثا عما لهم يوم هم بارزون لمن الملك اليوم وذلك عند فنا الخلق قال
الحسن هو السايل تعالى وهو المجيب لانه يقول ذلك حين لا احد يجيبه فيجيب نفسه
لمن الملك فينزل لله الواحد القهار الذي تشخص فيه ابصار الخلايق كما قال ابو وايل
عن ابن مسعود قال يحشر الناس على ارض بيضا مثل الفضة لم يعص الله جل وعز
عليها قط يسرمنا دي ينا دي لمن الملك اليوم فينزل العبا دمنهم وكافرهم لله الواحد
القهار فيقول المومنون هذا سرورا ونلذذا ويقول الكافر هذا رغما وانقيادا وخضوعا
فاما ان يكون هذا والخلق غير موجودين فبعيد لانه لا فايدة فيه والقول الصحيح عن
ابن مسعود وليس هو مما يوخذ بالقيا س والاباطيل وبل قلت والقول الاول ظاهر
جيد الان المقصود اظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعاوي المدعين والتشاي
المنتسبين اذ قد ذهب كل ملك وملكه ومتكبر وملكه وانقطعت بينهم ودعاويهم
ودل على هذا قوله الحق عند قبض الارواح وطي السما ان الملك اين ملوك الارض
كما تقدم في حديث ابي هريرة وفي حديث ابن عمر يطوي الارض تبقى له ثم يقول
انا الملك اين الجبارون اين المتكبرون وعند قوله سبحانه لمن الملك اليوم هو انقطاع
زمن الدنيا وبعده يكون البعث والنشور قال محمد بن كعب قوله سبحانه لمن الملك اليوم بين
النفختين حين فني الخلايق وبقي الخالق فلا يدعي غير نفسه مالكا ولا مملوكا فيقول لمن
الملك اليوم فلا يجيبه احد لان الخلق اموات فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار
لانه بقي وحده وقهر خلقه وقيل انه يبادي منا دي فيقول لمن الملك اليوم فيجيب اهل
الجنة لله الواحد القهار والله اعلم قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت
اي يقال لهم اذا اقروا بالملك لله وحده اليوم تجزى كل نفس بما كسبت من خير وشر
لا ظلم اليوم اي لا ينقص احدشيا مما عمله ان الله سريع الحساب اي لا يحتاج الى تفكر وعقد
يد كما يفعله الحساب لانه العالم الذي لا يعزب عن علمه شي فلا يوخر جزا احد للاشتغال
بغيره وكما يرزقهم في ساعة واحدة كذلك في ساعة واحدة وقد مضى في هذه اللمعة
في السورة ومن الخبر لا ينتصف النهار حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار
قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة اي يوم القيمة سميت بذلك لانها قريبة اذ كل
ما هو ات قريب وازف فلان اي قرب يزف ازفا قال الليث يقال

• ازف الترحل بمعنى ان ركابنا لما تزل برحالنا وكان قد • اي قرب •
• وتقول هذه الايام ازفة اي قربت الساعة •
وكان بعضهم يمثل ويقول •
• ازف الرحيل وليس لي من زاد غير الذنوب لشقوتي وبكاء •
اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين على الحال وهو محمول على المعنى •
قال الزجاج المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم
واجاز الفراء ان يكون التقدير وانذرهم كاظمين واجاز رفع كاظمين على الابتدا
وقد قيل ان المراد بيوم الازفة يوم حصول المنية قاله قطرب وكذا اذ القلوب

لدى

لدبي الحناجر عند حضور المنية والاول اظهر قال قتادة وقعت قلوبهم الحناجر من الخوف
فهي لا تخرج ولا تعود في امكنتها وقد لا يكون الا يوم القيمة كما قال وافيدتهم هواء
وقيل هذا احيا وعن انها بنزع الجزع كما قال وبلغت القلوب الحناجر واصف اليوم الى الازفة
على تقدير يوم القيمة الازفة او يوم المجادلة الازفة وعند الكوفيين هو منتصب اضافة
الشيء الى نفسه مثل مسجد الجامع وصلاة الاولى والظالمين من حميم اي من قريب ينفع
وشفيع يطاع فيشفع فيهم فنفي لله تعالى بعلم خائنة الاعين قال المورج منه تقدم
وتاخير اي يعلم الاعين الخائنة وقال ابن عباس هو الرجل يكون جالسا مع القوم
فتمر المراة فيسارقهم النظر اليها ومنه هو الرجل ينظر الى المراة فاذا نظر اليه احد به
غض بصره فاذا راى منهم غفلة نظر وان رآه قد نظر فاذا نظروا اليه احد به غض بصره فاذا
رآه قد غض بصره فاذا راى منهم غفلة نظر وان رآه قد نظر فاذا نظروا اليه احد به غض بصره فاذا
هو يسارقه النظر الاعين الى ما نهى الله عنه وقال قتادة هو الغمزة بعينه وايماضه
فيما لا يحب الله تعالى وقال الحسن كهو قول الاشياء ما رابك وقد رابه ورابك وما رابك
وقال السدي انه الرجل بالعين وقال سفيان هي النظرة بعد النظرة وقال الفراء خائنة
الاعين النظرة الثانية وما تخفي الصدور النظرة الاولى وقال ابن عباس وما تخفي
الصدور ايهما هل يذنب بها لو خلا بها ام لا وقيل وما تخفي الصدور تكنه وتضمره ولما
جيء بعبد الله بن ابي سرح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمأن اهل مكة
وطلب له الامان عثمان رضي الله عنه جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم حوله ما صمت
الا ليقوم اليه بعضهم فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا اومات الي يا رسول الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكون له خائنة اعين والله يقضي بالحق الا يجازيه
من غض بصره عن المحارم ومن نظر اليها ومن عزم على مواقعة الفواحش اذا قدر
عليها والذين تدعون من دونه يعني الاوثان لا يقضون لانفسهم بشيء ولا تقدر عليه
وقيل تملك وقراءة العامة بالياء على الخبر عن الظالم وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم
وقرأ نافع وشيبة وعاصم تدعون بالتاء ان الله هو السميع البصير فيجازيه قاصله
ويجوز ان تكون في موضع رفع بالابتداء وما بعدها خبرها والجملة خبر ان فعوله تعالى
اولم يسيروا في الارض فينظروا اين موضع جزم عطف على يسيروا ويجوز ان يكون في
موضع نصب على اذ جواب والجزم والنصب في التثنية والجمع واحد كيف كان خائنة
اسم كان والخبر في كيف وراق في موضع خفض معطوف على اللفظ ويجوز ان يكون
في موضع رفع على الموضع فرفعه وخفضه واحد الا ان الياء تحذف وتبقى الكسرة
دالة عليها وقد مضى الكلام في معنى هذه الاية في غير موضع فاغنى عن الاعادة
قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وقد مضى التفسير الاية المذكورة في قوله تعالى
ولقد اتينا موسى تسع اياة بينات وقد مضى تعيينها وسلطان مبين ابين بحجة بينة
واضحة ويقال ذكر وبين وقيل اراد بالسلطان التوراة الى فرعون وهامان وقارون
خصهم بالذكر لان مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم فمن فرعون الملك وهامان
الوزير وقارون صاحب الاموال والكنوز فجمعه الله معهما لان عمله في الكفر والتكذيب
كما عما تهما فقالوا ساحر كذاب لما عجزوا عن معارضته حملوا المعجزات على السحر
فقوله تعالى فلما جاءهم بالحق من عندنا وهي المعجزة الظاهرة قالوا اقتلوا ابناء
الذين امنوا معه قال قتادة هذا القتل غير القتل الاول لان فرعون كان قد امسك
عن قتل الولدان وقتله ولادة موسى فلما بعث الله موسى اعاد القتل على بني اسرائيل
عقوبة لهم فيمتنع الاستدلال بمن ولد لا يمان وليد يكثر جمعهم فيعتضد وا بالذكور من اولادهم
فشغلهم الله عن ذلك بما انزل عليهم من انواع العذاب نحو الضفادع والقمل والدم
والطوفان الى ان هزجوا سنة مضرفا عزفهم الله وهذا معنى قوله تعالى وما كيد فرعون
الا في ضلال اي في خسران وهلاك وان الناس لا يمتنعون من الايمان وان فعل بهم
مثل هذا فكيف يذهب بالطلا قوله تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع
ربه اقتل جزم لانه جواب الامر وليدع جزم لانه امر وذروني ليست بجحد ولم وان
كان امرا ولكن لفظه لفظ المجزوم وهو مبني وقيل هذا بدل على انه قيل لفرعون
ان تخاف ان يدعوا عليك فيجاب فقال وليدع ربه أيمه لا يهمل لكم ما يذكر من ربه
فانه لا حقيقة له وانا ربكم الا على ايذاء خاف ان يبدل دينكم او ان يعبادتكم اي عبادة ربهم

وان يظهر في الارض الفساد ان لم يبدل دينكم فانه يظهر الفساد اي يقع بين الناس بسبب الخلاف
وقراءة المدنيين وابي عبد الرحمن السلمي وابن عامر وابي عمرو وان يظهر في الارض الفساد
وقراءة الكوفيين وان يظهر بفتح الياء الفساد بالرفع وكذلك هي في مصاحف الكوفيين
او بالف واليه يذهب ابو عبيد قال لان عنده زيادة حرف وبينه فصل ولان او تكون بمعنى
الواو والى حين وهذا عندهذا في التحويين لا يجوز ان تكون بمعنى الواو ولان في ذلك
بطلان المعاني ولوجاز ان تكون بمعنى الواو لما احتيج الى هذا ههنا لان معنى الواو
اذا خلت الامرين جميعا ومعنى او احد الامرين ايها اني اخاف ان يبدل دينكم فان
اعوزه ذلك اظهر في الارض الفساد فنزله تعالى وقال موسى اني عذت بربي
وربكم لما هدده فرعون بالقتل استعاذ موسى بالله من كل متكبر اي معتظم عن الايمان
بالله وصفته انه لا يؤمن بيوم الحساب فقوله تعالى وقال رجل مؤمن من ال فرعون،
يكتم ايمانه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وقال رجل مؤمن ذكر بعض المفسرين ان اسم
هذا الرجل حبيب وقيل شمعان بالشين المعجمة قال السهيلي وهو مع ما قبله وهن،
تاريخ الطبري رحمه الله اسمه حزبيل حزقيل ذكره الثعلبي عن ابن عباس واكثر
العلماء المفسرين واسمه سمعان او حبيب وقيل حزبيل او حزبيل واختلف هل كان
اسرائيليا او قبطيا فقال الحسن وغيره كان قبطيا ويقال انه كان ابن عم فرعون قاله
السدي قال وهو الذي جاء مع موسى عليه السلام ولهذا قال من ال فرعون وهو المراد
بقوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملا يأتمرون بك وفي هذا استمالة للنبي صلى الله عليه وسلم ان لا يتعجب من
مشركي قومه وكان هذا الرجل له وجاهة عند فرعون فلهذا لم يتعرض له بسوء
وقيل كان هذا الرجل من بني اسرائيل يكتم ايمانه من ال فرعون عن السوء ايضا
فيقع الكلام على هذا التقديم والتاخير والتقدير وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون
فمن جعل الرجل قبطيا فمن متعلقة بمحذوف صفة لرجل التقدير وقال رجل مؤمن
منسوب من آل فرعون ومن جعله اسرائيليا فمن متعلقة بيكتم في موضع نصب ثان
ليكتم التشبيري ومن جعله اسرائيليا فانه بعد ان بين لهم امرهم قال لهم
قال الله تعالى ولا يكتمون الله حديثا وايضا ما كان فرعون يحتمل من بني اسرائيل
مثل هذا القول الذي بينه قوله تعالى اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله الا ان
يقول ومن اجل ان يقول ربي الله فان في موضع نصب بنزع الخافض وقد جاءكم بالبينات
يعني الايات التسع من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه ولم يكن عليه ذلك لشك منه في رسالته
وصدقه ولكنه تلطف في الاستكفاف واستنزل الامر من الاذى ولو كان وان يكن
بالنون جاز ولكن حذفت النون لكثرة الاستعمال على قول سيبويه ولانها نون
الاعراب على قول ابي العباس وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ابى ان
لم يصبكم الا بعض الذي يعدكم به فهلكتم ومذهب ابي عبيدة ان معنى بعض الذي
يعدكم كل الذي يعدكم وانشد قول لبيد

« تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها »

بعض بمعنى كل كان البعض اذا اصابهم الكل لا محالة لدخوله في الوعيد وهذا
من فنون الكلام من الوعظ وذكر الموارد يعني ان البعض قد يستعمل في موضع الكل
تلطفا في الخطاب وتوسعا في الكلام كما قاله الشاعر

« قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل »

وقيل ايضا قال ذلك لانه خذرهم انواعا من العذاب كل نوع منها مهلك فكانه خذرهم
ان يصيبهم بعض تلك الانواع وقيل وعدهم موسى بعذاب الدنيا وبعذاب الاخرة
ان كفروا فالمعنى يصيبكم احد العذابين واقبل اليه يصيبكم هذا العذاب الذي يقوله
في الدنيا وهو بعض الوعد ثم ابتدأ فقال العذاب في الاخرة ايضا وقيل وعدهم
العذاب ان كفروا والثواب ان اسلموا فاذا كفروا فيصيبهم بعض ما وعدوا ان الله
لا يهدي من هو مسرف كذاب على نفسه على ربه اشارة الى موسى ويكون هذا
من قول المؤمن وقيل مسرف في عباده كذاب في ادعائه اشارة الى فرعون ويكون
هذا من قول الله تعالى ثم قوله تعالى يا قوم لكم اليوم ظاهرين قال الفراء ابو بكر بن العربي

أظن بعضهم ان المكلف اذا كتم ايمانه ولم يلفظ بلسانه انه لا يكون مؤمنا باعتقاده وقد
قال مالك ان الرجل اذا تزوج بقلبه طلاق زوجته انه يلزمه فكما يكون مؤمنا بقلبه وكافرا
بقلبه فجعل مدار الايمان على القلب وانت قد علمت ان لكل لكن ليس على الاطلاق وقد بينا ذلك في اصول
الفقه لكن بينا ان المكلف اذا نوى الكفر بقلبه كان كافرا وان لم يلفظ بلسانه واما اذا نوى
الايمان بقلبه فلا يكون مؤمنا لجاز حينئذ ان يتلفظ بلسانه ولا يمنعه التقية والخوف من
ان يتلفظ بلسانه بينه وبين الله تعالى انى يمنعه التقية من ان يسمعه غيره
وليس من شرط الايمان ان يسمعه غيره حتى يسقط عنه التكليف وانما يشترط سماع الغير
له ليكف عن نفسه وماله الرابعة روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن
العاص اخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ بمنكب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فاقبل
ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم لفظ البخاري ورواه الترمذي الحكيم
وغيرهما في الاصول من حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال اجتمعت
قريش بعد وفاة ابي طالب بثلاث فقالوا قد علمتم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقبل هذا بجاهه وهذا بثلثه في شتم النبي صلى الله عليه وسلم يومه فلم
يفجأه يومئذ احد الا ابو بكر وله صغيرتان فاقبل بهما واويقتل داود يقول يا علي
صوتك ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وانه لرسول الله فتطمئن
احدى صغيرتي ابي بكر يومئذ فقال علي والله لبوم ابي بكر خير من مؤمن آل
فرعون ان ذلك رجل كتم ايمانه فانشأ يحتج عليه الله في كتابه وهذا ابو بكر اظهر ايمانه
وبذل ماله ودمه لله عز وجل قلت قول علي رضي الله عنه ان ذلك رجل كتم ايمانه
يريد به في اول امره بخلاف الصديق فانه اظهر ايمانه ولم يكتمه اولا فاما قول ان مضرج
بان مؤمن آل فرعون اظهر ايمانه لما اراد ان يقتل موسى عليه السلام على ما بيناه في
وفي نوادر الاصول ايضا عن اسمى بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالوا لها ما اشد شيء
رأيت المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان المشركون
يقولون في المسجد وبيدي اكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقولون في الفهم فيقال لهم
كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فتناولوا بيديهم جميعا وكانوا اذا سألوه عن
شيء صدقهم فقالوا الست تقول كذا في الهتنا قال بلى قال فتشبثوا به بأجمعهم فان
المضرج الى ابي بكر فقال له ادرك صاحبك فخرج من عندنا وان له غدائر فدخل
المسجد وهو يقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على ابي بكر فرجع الينا وان بكر يخمل
لا يمس شيئا من غدائره الا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام اكراما
قوله تعالى يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين هذا من قول مؤمن آل فرعون دون قوله يا قوم فانه
علم انه فطن ولذلك اخذ منهم الى نفسه فقال يا قوم ليكونوا اقرب الى قبول وعظه لكم
الملك فاشكروا الله على ذلك ظاهرين في الارض اي غالبين وهو نصب على الحال
اي بين حال ظهوركم والمراد بالارض ارض مصر في قول السدي وغيره كقوله وكذلك مكنا
ليوسف في الارض اي في ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي من عذاب الله
تخذيرا لهم من ان كان موسى صادقا فذكر وحذر فعلم فرعون ظهور حجته فقال
ما اريكم الا ما ارى قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ما اشير عليكم الا بما اريه لنفسي وما
اهديكم الا سبيل الرشاد في تكذيب موسى والايمان بما جاء به فرعون حقا وقال الذي آمن يا قوم
زادهم في الوعظ اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب يعني ايام العذاب التي عذب
فيها المستكبرون على الانبياء المذكورون فيما بعد قوله تعالى ويا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد زاد في الوعظ والتخويف وافصح عن ايمانه اما يستسلم موطنا نفسه
على القتل او واثقا بانهم لا يقصدونه بسوء وقد وقاه الله شرهم بقوله الحق فوقاه الله
سيئات ما مكروا وقراءة العامة التناد بتشديد الدال وهو يوم القيامة قال امية بن ابي الصلت
وبث الخلق فيها اذ دحاها فهم سكانها حتى التناد ويسمى بذلك لما يقاسي الناس بعضهم بعضا

حين ويا اصحاب الاعراف رجالا يعرفون بسيماهم وينادون اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء وينادي المنادي ايضا
بالشقوة والسعادة الا ان فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا الا ان فلان
ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وهذا عند وزن الاعمال وتنادي الملائكة
اصحاب الجنة ان تملكوا الجنة او تتنعموا بما كنتم تعملون وينادي حين يذبح الموت يا اهل الجنة
خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت وينادي كل قوم بما سواهم الى غير ذلك من الندا وقرا
الحسن وابن السميفع وشيبة وعيسى بن عمر كثيرا وجاهد النداء بالهاء في الوصل والوقف
على الاصل وقرا ابن عباس والضحاك وعكرمة يوم التنادي بتشديد الدال قال بعض اهل
العربية هذا لحن لانه مسند بنفسه اذا سمع على وجهها وبابها كما قال الشاعر

وبرك هجود قد اثار رقادها ... سبى بعضب كالغدير مجرد

قال فلا معنى لهذا في القيامة قال ابو جعفر النحاس وهذا غلط والقراءة به جيدة على
معنى يوم التنادي فرقا في ذلك اذا سمعوا بزفير جهنم ندموا هربا فلا يأتون قطرا من اقطار
الارض الا وجدوا صفوفا من الملائكة ينتظرون الى المكان الذي كانوا فيه
فذلك قوله يوم التناد وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض الاية وقوله والملك على ارجائها ذكره ابن المبارك بمعناه قال واخبرنا عبد
الوهاب بن يزيد بن جابر قال حدثنا عبد الجبار بن عبيد الله بن سلمان في قوله ان
اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم تستجيب لهم اعينهم بالدمع فتبكون حتى
تنفد الدمع ثم تستجيب لهم اعينهم بالدم فتبكون حتى ينفد الدم ثم تستجيب لهم اعينهم
بالقيح قال يرسل عليهم من الله امر فيقولون مدبرين ثم تستجيب لهم اعينهم بالقيح فتبكون
القيح حتى ينفد القيح فتفقوا اعينهم كالخرق في الطين وقيل ان هذا يكون عند نفخ اسرافيل
عليه السلام في الصور نفخة الفزع ذكره علي بن معبد والطبري وغيرهما من حديث
ابي هريرة وفيه فتكون الارض كالسفينة في البحر تضربها الامواج فتميد الناس
على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل ما في بطونها وتشيب الولدان وتتطاير
الشيب طين هارب فتلقاها الملبكة تضرب وجوهها ويوجه الناس محمد بن كعب بن اهم
بعضهم بعضا وهي التي ينزل الله تعالى بها يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من
الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد الحديث بكماله وقد ذكرناه في كتاب التذكرة
وتكلمنا عليه هناك وروى علي بن نصر عن ابي عمرو باسكان الدال من التناد في
الوصل خاصة وروى ابو عمر عن عبد الوارث زيادة الياء في الوصل خاصة وهو
مذهب ورش والمشهور عن ابن عمرو حذفها في الحالين وكذلك قرا سائر السبعة سوى
ورش على ما ذكرنا عنه وسويه ابن كثير على ما تقدم وقيل سمي يوم القيامة يوم التناد لان
الكافرين ينادي فيه بالويل والثبور والحسرة قاله ابن جريج وقيل فيه اضافة ايا ان اخاف عليكم
عذاب يوم التناد فالله اعلم يوم تولون مدبرين حال من البدل من يوم التناد ومن يضلل الله
فما له من هاد اي من خلق الله في قلبه الضلال فلا هادي له وقال قوم ان احدهما موسى الثاني
موسى آل فرعون وهو الاظهر والله اعلم قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
قيل ان هذا من قول موسى وقيل هو من تمام وعظ موسى آل فرعون ذكرهم فيما صنعوا على
الاباء واراد بيوسف بن يعقوب جاءهم بالبينات ارباب متفرقة حتى اذا هلك
الفهاء قال ابن جريج هو يوسف بن يعقوب بعثه الله تعالى رسولا الى القبط بعد
موت الملك من قبل موسى بالبينات وهي الرويا وقال ابن عباس هو يوسف ابن افرائيم
ابن يوسف بن يعقوب اقام فيهم بنيا عشر بن سنة وحكى النقاش ان الله تعالى بعث
اليهم رسولا من الجن يقال له يوسف وقال وهب بن منبه ان فرعون موسى هو فرعون
يوسف عمر وعيره يقول هو احد الحاسن ولبيب في الاية ما يدل على انه هو لانه اذا اتى
بالبينات بنى لمن معه ولمن بعده فقد جاءهم جميعا بها وعليهم ان يعتقدوه بها فما زلتم
في شك مما جاءكم به ابا اسلافكم كانوا في شك حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا اي من يدعي الرسالة كذلك يضل الله اي مثل ذلك الضلال يضل الله من هو مسرف
مرتاب شاك في وحدانية الله تعالى قوله تعالى الذين يجادلون في ايات الله اي
في حجج الله وبراهينه بغير سلطان اتاهم بغير حجة ويرهان والذين في موضع نصب على البدل من من
وقال الزجاج اي كذلك يضل الله الذين يجادلون في ايات الله فالذين نصب قال ويجوز ان

يكون

يكون رفعا على معنى هم الذين او على الابتداء والخبر كبر مقتا ثم قيل هذا من كلام موسى الى فرعون وقيل ابتداء خطاب من الله تعالى مقتا على البيان اى كبر جدالهم مقتا كقولك كبرت كلمة ومقت الله تعالى لهم ولعنه اياهم واحلاله العذاب بهم كذلك اى مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك يطبع الله يختم على كل قلب متكبر جبار حتى لا يقبل الرشاد ولا يقبل الحق وقرأ العامة على كل قلب متكبر بالاضافة قلب الى المتكبر واختاره ابو حاتم وابو عبيد عن الكلام محذوف والمعنى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فحذف كل الثانية لتقدم ما يدل عليه واذا لم يقدر حذف كل لم يستقم المعنى لانه يصير معناه انه يطبع على جميع قلبه وليس المعنى عليه وانما المعنى انه يطبع على قلوب المتكبرين الجبارين فلا يقبل قلبا وما يدل على حذف كل قول ابي داود

* الكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا *

بريد وكل نار وقرأ ابن مسعود على قلب كل متكبر فهذه قراءة على التفسير والاضافة وقرأ ابو عمرو وابن محيصن وابن ذكوان عن اهل الشام قلب منون على ان متكبرا نعت للقلب فكني بالقلب عن الجملة لان القلب هو الذي يتكبر ويتجبر لا عضو يتخ له ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد الا وهي القلب ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر فحمل الصفة لصاحب القلب قوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لما قال موسى فرعون ما قال وخاف فرعون ان يتمكن كلام هذا المؤمن في قلوب القوم او هم انه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد فان بان له صوابه لم يخفه عنهم وان لم يصح تبينهم على دينهم فامر وزيره هامان ببناء الصرح وقد مضى في القصص ابلغ الاسباب اسبابا السموات فبدل من الاول واسباب السموات ابوابها في قول قتادة والزهري والسدي والاخفش وانشد

* ومن هاب اسباب المنايا ينلنه * ولو رام اسباب السما بسلم *

وقال ابو صالح اسباب السموات طرقها وقيل الامور التي يستمسك بها السموات وكرر اسبابا تفخيما لان الثاني اذا ابهم ثم اوضح كان تفخيما لشانه فاطلع الى الاه موسى فانظر اليه نظر مشرف عليه توهم انه جسم لخويرا لا ساكن وكان فرعون يدعي الالهية ويدري تخفيقها بالمجلوس حين كان مشرف وقراءة العامة فاطلع بالرفع نسقا على قوله ابلغ وقرأ الاعرج والسلمي وعيسى وحفص فاطلع بالنصب قال ابو عبيد على جواب لعل بالفا التحاس ومعنى النصب خلاف معنى الرفع لان معنى النصب مني بلغت الاسباب اطلعت ومعنى الرفع لعلي ابلغ الاسباب ثم لعلي اطلع بعد ذلك الا ان ثم اشد تراخيا من الفا وابن لا اظنه كاذبا اي وانه لا اظن موسى كاذبا في ادعاء الالهية وبين وان افعل ما افعل لاراحة العلة وهذا يوجب شك فرعون في امر الله وقيل ان الظن بمعنى اليقين اي وانا اتيقن انه كاذب وانما اقول ما اقول لازالة الشبهة عمن لا يتيقن ما اتيقنه قوله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله اي كما فعل هذه المنة لموسى وانا به زين له الشيطان او زين الله سوء عمله ايا الشرك والتكذيب وصد عن السبيل قراءة الكوفيين وصد على ما لم يسم فاعله وهما حسنا وابو عبيد هما بمعنى واحد وصد بكسر الصاد ثلاث كسرات الدال على اصلها والصاد وهي قراءة يحيى بن وثاب وعلقمة وقراءة ابن ابي اسحاق وعبد الرحمن بن ابي بكرة وصد عن السبيل بالرفع والتنوين الباقون وصد بفتح الصاد والدال ابي صد فرعون الناس عن السبيل وما كيده فرعون الا في تباب اي من خسران وضلال ومنه تبت يدا ابي لهب وقوله وما زادوهم غير تتبيب حين موضع غير تخسير فهذا الله صرحه وعرفه هو وقومه على ما تقدم قوله تعالى وقال الذي امن يا قوم اتبعون هذا من تمام ما قاله موسى من ال فرعون ابا افتدوا بي في الدين اهدكم سبيل الرشاد ابي طريق الهدى وهو الجنة وقيل من قول موسى وقرأ معاذ بن جبل الرشاد بتشديد الشين وهو لحن عند اكثر اهل العربية لانه انما يقال ارشد يرشد ولا يكون فعال من افعل انما يكون من الثلاثي فان اردت المبالغة من الرباعي قلت مفعال قال النحاس يجوز ان يكون رشاد بمعنى يرشد فيجيء على هذا فعالا ويجوز ان يكون رشادا بمعنى الرشد ولكن كما يقال لاك من الالوكة فهو بمعنى ولبيب جاز عليه فيجوز ان يكون رشاد من رشد يرشد ابو صاحب رشاد كما قال

٥٠ كليبي لهم يا اسمة ناصب ٥ الزمخشري ٥ وفتح الرشاد وقال من ارشد بالكسر كفلام ،
او من رشد بالفتح كنصر وقيل من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك لان فعالا من افعل
لم يجئ الا في عدة احرف كخور دراك وسآر وقضاء وجبار ٥ ولا يقع القياس على القليل ويجوز
ان يكون نسبته الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل وقرئ في المصحف اتبغون
بغير ياء وقرأها يعقوب وابن كثير بالاثبات في الوصل والوقف وحذفها ابو عمرو ونافع
في الوقف واثبتوها في الوصل الا ورشا حذفها في الحالين وكذلك الياءون لانها وقعت في
المصحف بغير ياء ومن اثبتها فعلى الاصل قوله تعالى ٥ يقوم انما هذه الحياة الدنيا
متاع ايه يتمتع به قليلا ثم تنقطع وتزول وان الاخرة هي دار القرار التي لا تستقر
والخلود ومراده بالدار الاخرة الجنة والنار لانها لا يفنيان بين ذلك بقوله من عمل سيئة يعني
الشرك فلا يجزى الا مثلها وهو العذاب ٥ ومن عمل صالحا قال ابن عباس يعني لا اله الا الله
وهو موحد مصدق بقلبه لله وللانبياء وليكبر يدخلون الجنة يطعمون فيها بغير حساب ٥ وهي
وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن وابي عمرو ويعقوب وابي بكر عن عاصم يدل عليه يدرؤن
بها بغير حساب الباقون يدخلون بفتح الياء قوله تعالى ٥ ويقوم مالي ادعوكم الى النجاة
ايه الى طريق الايمان المؤصل الى الجنات وتدعونني الى النار بين ان حالها كضدها من قوله
وما اهديكم الا سبيل الرشاد سبيل التي عاقبتها النار وكانوا دعوه الى ان تركه ولهذا قال
تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وهو مدعوكم وانا ادعوكم الى العزيز
لا جرم تقدم الكلام فيه ومعناه حقا ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة قال
الزجاج ليس له استجابة دعوة تنفع وقال غيره ليس له دعوة توجب له الالوهية
في الدنيا ولا في الاخرة وقال الكلبي ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الاخرة وكان مدعوهم
اولا ان دعوا الناس الى عبادة الاصنام ثم دعاهم الى عبادة البشر فكانت تعبد ما كانت ٥
شابة فاذا هرمت امرت بحبها ثم دعي بها حذيم لتعبد ثم لما طال عليه الزمان قال انا
ربكم الاعلى وان المسرفين هم الحباب الذي قالت فيه ٥ وابن سيرين يعني المشركين وقال
مجاهد والشعبي هم السفهاء لسفكون الدماء بغير حقها وقال عكرمة الجبارون ٥
والمتكبرون وقيل هم الذين نقدوا احدا الله وهذا جامع لما ذكروا في المواضع في موضع نصب
باسقاط حرف الجر وعلى ما حكاه سيبويه عن الخليل من ان لا جرم رد الكلام لجوز ان يكون
موضعه ان رفعا على تقدير وجب ان ما تدعونني اليه كانه وجب بطلان ما تدعونني اليه
والمرد الى الله وكون المسرفين اصحاب النار قوله تعالى ٥ فستذكرون ما اقول لكم تهديد
ووعيد وما يجوز ان تكون بمعنى الذي اي الذي اقوله لكم ويجوز ان تكون مصدرية اي فستذكرون
قولي لكم اذا حل بكم العذاب وافوض امري الى الله اي توكل عليه واسلم امري اليه وقيل هذا
بدل على انهم ارادوا قتله وقال مقاتل ذهب هذا المؤمن الى الجبل فلم يقدروا عليه وقد قتل
آل فرعون موسى والاظهر انه مؤمن آل فرعون وهو قول ابن عباس قوله تعالى ٥ فوقاه الله
سيئات ما مكروا به من الحاق انواع العذاب به فطلبوه فما وجدوه لانه فوض امره الى الله قال
قتادة كان متطببا فنجاه الله مع بني اسرائيل قالها على هذا المؤمن آل فرعون وقيل انها
لموسى على ما تقدم من الخلاف وحاق بآل فرعون سوء العذاب قال الكسائي يقال حاق بحيق
حيقا وضوقا اذا نزل ولزم ثم بين العذاب فقال النار يعرضون عليها وفيه بشارة اوجه يكون
رفعا على البدل من سوء ويجوز ان يكون بمعنى هو النار ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء وقال
العذاب يكون مرفوعا بالعايد على معنى النار عليها يعرضون فهذه اربعة اوجه في الرفع واجاز
العذاب النصب على ان يجعلها عايدا وقيل ما يفعل بهم واجاز الاخفش الخفض على البدل من
العذاب والجمهور على ان هذا العرض في البرزخ واحتج بعض اهل العلم في تثبيت
عذاب القبر بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ما دامت الدنيا لذلك قال مجاهد
وعكرمة وقتادة ومحمد بن كعب كلهم قال هذه الاية تدل على عذاب القبر في الدنيا
واما يقوله عن عذاب الاخرة يوم القيامة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وفي الحديث
عذاب ابن مسعود ان ارواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار
بالغداة والعشي فيقال لهذه داركم وعنه ايضا ان ارواحهم في جوف طير سود تغدو
على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها وروى شعبة عن يعلى عن عطاء قال
سمعت ميمون بن مهران يقول كان ابو هريرة اذا اصبح بنا ديه اصبحنا والحمد لله وعرض
آل فرعون على النار غدوا مسيئا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار فلا

يسمع ابا هريرة احد الا تعوذ بالله من النار ومن حديث حفص بن حميد بن جبير بن نافع عن ابن
عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر اذا مات عرض على النار بالغداة
والعشي ثم تلى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وان المؤمن اذا مات يعرض روحه على
الجنة بالغداة والعشي وخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة
وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيمة قال
الغزالي الغداة والعشي يمتد ذلك في الدنيا وهو قول مجاهد قال مجاهد وابو ذلك
ايام الدنيا وقال حماد بن محمد الانصاري قال رجل للاوزاعي رأيت طيورا تخرج من البحر ناحية
المغرب بيضا صغارا فوجا فوجا لا يبلغ عددها الا الله فاذا كان العشي رجعت مثلها
سودا قال تلك الطيور في حواصلها ارواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع
اليها وكأنها قد احترقت ريشها وصارت سودا فينبت عليها من الليل ريشها بيضا وتتناثر
السود ثم تغدو فتعرض على النار غدوا وعشيا ثم ترجع اليها وكذلك دأبها ما كانت
في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وهو الذي
قال الاوزاعي بلغنا انهم ألف ألف وستمائة ألف وعددا معه جعل ظرفا على السعة
وعشيا عطف عليه وتم الكلام ثم تبتدئ ويوم تقوم الساعة على ان تنصب بما تعطفهم
ادخلوا او يجوز ان يكون منصوبا بيعرضون تقديره يعرضون على النار في الدنيا ويوم تقوم
الساعة فلا يرتفع عليه وقرأ نافع واهل المدينة وحمزة والكسائي ادخلوا بقطع الالف وكسر الخاء
من ادخل وهي اختيار ابي عبيد امر الله الملائكة ان يدخلوهم ودليله ان ربيعرضون
عليها البكرة والعشي ادخلوا يوصل الالف وضم الخاء من دخل اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون
اشد العذاب وهو اختيار ابي حاتم قال في القراءة الاولى مفعول اول واشد مفعول
ثان لحذف الجر وفي القراءة الثانية منصوب لانه نداء مضاف وآل فرعون من كان على
دينه وعلى مذهبه واذا كان من كان على دينه ومذهبه في اشد العذاب كان اقرب
الى ذلك وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد يولد مؤمنا ويحيى
مؤمنا ويموت مؤمنا منهم يحيى بن زكريا ولد مؤمنا وحيي مؤمنا ومات مؤمنا وان
العبد يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ذكره النحاس وجعل العذاب في الآية تقديما وتأخيرا
كأنه ادخلوا آل فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فجعل العرض
في الآخرة وهو خلاف ما ذهب اليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه على ما تقدم
قال الله اعلم قوله تعالى واذ يتحاجون في النار اي يختصمون فيها فيقول الضعفاء للذين
استكبروا من الاتباع دلالة على انهم كانوا لهم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار اي جزءا من العذاب والبعض يكون واحدا
ويكون جمعا في قول البصريين واحده تابع وقال الفراء الكوفة هو جمع لا واحد له كالمصدر فلذلك
لم يجمع ولم يقل اتباع فقال الذين استكبروا ان كل فيها اي في جهنم قال الاخفش كل مرفوع
بالابتداء وجاز الكسائي والفراء كلا فيها بالنصب على النعت وان كيد للضمير في انا وكذلك
قرأ ابن السميفع وعيسى بن عمر والكوفيون يسمون التأكيد نعتا ومنع ذلك سيبويه
قال لان كلا لا تنعت ولا ينعت بها ولا يجوز البدل فيه لان المضمر عن نفسه لا يبدل منه غيره
وقال معناه المبرد قال لا يجوز ان يبدل من المضمر نعت لانه متى طرح لا يبدل من المحذوف
من المحذوف لانه لا يشكل لان فيبدل منهما هذا نص كلامه ان الله قد حكم بين العباد اي لا واحد
احد بذنب غيره فكل منا كافر فقوله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم وهم الزبانية
العرب من يقول الذون على ان جمع مسلم مقرب ومن قال الذين في الرفع قال ه كما كان في الواحد
مبنيا وقال الاخفش حمت الزبانية الذين يأتيهم خمسة عشر فتيني على الخزنة خزنة جهنم
خزنة جمع خازن وبنا دعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب يخفف جواب
مجزوم وان كان بالفاء كان منصوبا الان الاكثر في كلام العرب في جواب الامر وما اشبهه ان
يكون بغير فاء وعلى هذا جاء القرآن بأفصح اللغات كما قال فقاتلنكم من ذكر يحبب
ومنزل قال محمد بن كعب القرظي بلغني او ذكر لي ان اهل النار استغاثوا بالخزنة فقال
الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فسألوا
يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب فردت عليهم اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا
وما دعاء الكافرين الا في ضلال الخبر بطوله وفي الحديث عن ابي الدرداء خرجه الترمذي وغيره قال

يلقى على النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون منه فيغاثون بالضريع
لا يسمن ولا يغني من جوع فلا يغني عنهم شيئا فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة
فيغصون به فيذكرون انهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصص بالماء فيستغيثون بالشراب فيرفع
لهم الحميم بالكلاليب فاذا دنا من وجوههم شواها فاذا وقع في بطونهم قطع امعاءهم وما في
بطونهم فيستغيثون بالملائكة يقولون ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبونهم
الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ضياع
وتبار فوكه تعالى انا لننصر رسلنا وتجوز حذف الهاء لثقلها فيقال رسلنا والمراد
موسى عليه السلام والذين امنوا في موضع نصب عطف على الرسل والمراد المؤمن الذي وعظ
وقيل هو عام في الرسل والمؤمنين ونصرهم بالحجج واظلاحها في قول ابي العالية
وقيل بالانتقام من اعدائهم قال السدي ما قتل قوم قط نبيا او نبوا احدا من دعاة
الحق من المؤمنين الا بعث الله عز وجل من ينتقم لهم فقاتلوا منصورون فيها وان قتلوا
فوكه تعالى ويوم يقوم الاشهاد يعني يوم القيامة قال زيد بن اسلم الاشهاد
اربعة الملائكة والنبيون والمؤمنون والاشهاد وقال مجاهد والسدي الاشهاد
الملائكة تشهد للانبياء بالابلاغ وعلى الامم بالتكذيب وقال قتادة الملائكة والانبياء
ثم قيل الاشهاد جمع شهيد مثل شريف واشراف وقال الزجاج الاشهاد جمع شاهد
مثل صاحب واصحاب الخاص ليس باب في عل ان يجمع على افعال ولا يقاس عليه ولكن
ما جاء منه سمعوا ادبه على ما يسمع وكان على حذف الزايد واجاز الاخفش والفراء
ويوم تقوم الاشهاد دالت على ثابت الجماعة وفي الحديث عن ابي الدرداء وبعض
المحدثين يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه المسلم كان حقا على
الله عز وجل ان يرد عنه نار جهنم ثم تلى انا لننصر رسلنا والذين امنوا وعنه عليه
الصلاة والسلام انه قال من حمى مؤمنا من منافق يغتابه بعث الله عز وجل ملكا
يحمي لحمه يوم القيامة من النار ومن ذكر مسلما بشيء يشينه به وقفه الله عز وجل
على جسر جهنم حتى يخرج مما قال يوم يدل من يوم الاول لا ينفع الظالمين معذرتهم
قرأ نافع والكوفيون بالياء لان التانيث ليس بحقيقي ولهم اللعنة ولهم سوء الدار اللعنة البعد
من رحمة الله وسوء الدار جهنم فوله تعالى ولقد اتينا موسى الهدى هذا دخل
في نصرة الرسل في الدنيا والاخرة ايا اتيناه التوراة والنبوة وسميت التوراة هدى
لما فيها من الهدى والنور وفي التنزيل انا انزلنا التورية فيها هدى ونور واورثنا
بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة جعلناها لهم ميراث هدى بدل من الكتاب
ويجوز بمعنى هو هدى يعني ذلك الكتاب وذكرى لاولي الالباب اي موعظة لاهل
العقول فوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق ايه فاصبر يا محمد على اذى المشركين
كما صبر من قبلك ان وعد الله حق بنصرك واظهارك كما نصرت موسى وبني اسرائيل
وقال الكلبي نسخ هذا بايات السيف واستغفر لذنبك قيل لذنب امتك حذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وقيل لذنب نفسك على من يجوز الصغائر على الانبياء
ومن قال لا يجوز قال هذا تعبد للنبي صلى الله عليه وسلم بالدعاء كما قال وانت
ما وعدتنا والعمل بهذه زيادة الدرجات وان يصير الدعاء سنة لمن بعده ويقال له
فاستغفر الله من ذنب صدر منك قبل النبوة وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار يعني
صلاة العصر وصلاة الفجر قاله الحسن وقتادة وقيل هي صلاة كانت بمكة قبل ان تفرض
الصلوات الخمس ركعتان غدوة وركعتان عشية عن الحسن ايضا ذكره الماوردي
فيكون هذا منسوخا والله اعلم وقوله لذنب ربك ايه بالشكر له والثناء عليه وقيل وسبح
بحمد ربك ايه اشتغل بالتسبيح في الصلاة وخارجا منها لتشتغل بذلك عن استعجال
النصر فوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان
ايه حجة اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال الزجاج المعنى ما في صدورهم
الا كبر ما هم بالغي ازالتهم عنه فحذفه على الحذف وقال غيره المعنى ما هم بالغي الكبر
على غيرهم فحذف لان هؤلاء قوم رأوا انهم ان اتبعوا النبي صلى الله عليه وسلم قل ارتفاعهم
ونقصت احوالهم وانهم يرتفعون اذا لم يكونوا تبعا فاعلم الله عز وجل انهم
لا يبلغوا الارتفاع الذي املوه بالتكذيب والمراد المشركون وقيل اليهود فالاية
مدنية على هذا كما تقدم اول السورة والمعنى ان تعظموا عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم

وقالوا

وقالوا ان الدجال سيخرج عن قريب فيرد الملك الينا وتسير معه الابل وهو اية من
اياة الله منزلة الاية فيهم قاله ابو العالية وعبيده وقد تقدم في اكل عمدان انه يخرج
ويطيء البلاد كلها الا مكة والمدينة وقد ذكرنا خبره مستوفى في كتاب التذكرة وهو
يهودي واسمه صاف ويكنى ابا يوسف وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهذا احسن لانه يعم وقال مجي لقد سمعناه في صدورهم عظمة ما تقرب لغيها والمعنى واحد
وقيل المراد بالكبر الامر الكبير اي يطلبون النبوة او امرا كبيرا يتطاولون به اليك من القتل
ونحوه ولا يبلغون ذلك او يتمنون موتك فقيل ان يتم دينك ولا يبلغونه قوله تعالى
فاستعذ بالله فيه من فتنة الدجال على قول من قال ان الاية نزلت في اليهود وعلى
القول الاخر من نشر الكفار وقيل من مثل ما ابتلوا به من الكفر والكبر انه هو السميع
البصير هو يكون فاصلا ويكون مبتدا وما بعده خبره والجملة خبر ان على ما تقدم انتهى
قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس مبتدا وخبره قال ابو العالية
اي اعظم من خلق الدجال حين عظمته اليهود وقال يحيى بن سلام هو احتجاج على
منكري البعث ايهما اكبر من اعادة خلق الناس فلم ينكروا ان يحتجوا عنها ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ذلك قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير اي الموحد
والكافر والضال والمهتدي والذين امنوا وعملوا الصالحات اي فلا يستوي العامل
للصالحات ولا المسيء الذي يعمل السيئات قليلا ما يتذكرون قراءة العامة بالياء على الخبر
واختاره ابو عبيد وابو حاتم لاجل ما قبله من الخبر وما بعده وقرا الكوفيون بالتاء على
الخطاب قوله تعالى ان الساعة لاتية هذه لام التاكيد حذفت من خبر ان وسبيلها
ان تكون في اول الكلام لانها تزحلق عن موضعها كذا قال سيبويه
تقول ان عمرا لخارج وانما اخرت عن موضعها ليلا يجمع بينها وبين ان لانهما بمعنى
واحد ولا يجمع بين ان وان عند البصريين واجاز هشام ان ان زيدا
منطلق حق فان حذفت حق لم يجز عند احد من النحويين علمته قاله الناس
لا ريب فيها لا شك ولا مرية ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا يصدقون بها وعندها
يتبين فرق ما بين الطائع والعاصي قوله تعالى وقال ربكم ادعوني استجب لكم الاية
روى النعمان بن بشير قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الدعاء هو العبادة ثم قرا وقال
ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح فدل هذا على ان الدعاء هو العبادة وكذا قال
اكثر المفسرين وان المعنى وحدوني واعبدوني اتقبل عبادتكم واغفر لكم وقيل هو الذكر
والدعاء والسؤال قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ليسيل احدكم ربه حاجته كلها
حتى يسال شسع نعله اذا انقطع ويقال الدعاء هو ترك الذنوب وحكي قتادة ان كعب
الاحبار قال اعطيت هذه الامة ثلث لم تعطهن امة قبلهم الا نبي كان اذا ارسل بني قيل
انت شاهد على امتك وقال تعالى لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان
يقال للنبي ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين
من حرج وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم ادعني استجب لك وقال لهذه الامة
ادعوني استجب لكم قلت مثل هذا لا يقال من جهة الراي وقد جا مرفوعا رواه
عن ليث عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اعطيت امتي ثلثا لم تعط الا الانبيا كان الله تعالى اذا بعث النبي قال ادعني
استجب لك وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم وكان الله اذا بعث النبي قال له ما جعل
عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله
اذا بعث النبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة شهداء على الناس ذكره
الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وكان خالد الربعي يقول عجبت لهذه الامة قبلها
ادعوني استجب لكم امرهم بالدعاء ووعدهم الاجابة ولم يبن بينهما شرط قال له قائل
مثل ماذا قال مثل قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات فههنا شرط
وقوله وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق فليس فيه شرط العمل ومثل قوله ادعوا الله
مخلصين له الدين فههنا شرط وقوله تعالى ادعوني استجب لكم فليس فيه شرط وكانت
الامة تنازع اني انبيائها في حوائجهم حتى شبهوا الانبيا لهم ذلك وقد قيل ان هذا من
باب المطلق والمقيد على ما تقدم في البقرة في بيان ان استجب لكم ان شئت كقوله

فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقد تكون الاستجابة في غير عين المطلوب على حديث
ابي سعيد الخدري يعني على ما تقدم في البقرة ببيانه فتنبه له هناك وهذا ابن كثير
وابن محيصن ورويس عن يعقوب وعباس عن ابي عمرو وابو بكر والمفضل عن عاصم
سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء على ما لم يسم فاعله الباقون يدخلون بفتح الياء وضم الخاء
ومعنى داخرين صاغرين اذلاء وقد تقدم قوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه جعل هنا بمعنى خلق والعرب تفرق بين جعل اذا كانت بمعنى خلق
وبين جعل بمعنى خلق والتعريف فلا تعديها الا الى مفعول واحد واذا لم تكن بمعنى خلق
عدتها الى مفعولين نحو قوله انا جعلناه قرآنا عربيا وقد مضى هذا المعنى في غير موضع
والنهار مبصرا اي مضيئا لتبصروا فيه حوائجكم وتتصرفوا في طلب معايشكم ان الله لذو
فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضله واتعامه عليهم قوله تعالى ذلكم
الله ربكم خالق كل شيء بين الدلالة على وحدانيته وقدرته لا اله الا هو فانى تؤفكون اي
كيف تنقلبون وتنصرفون عن الايمان بعد ان تبينت لكم دلائله كذلك اي كما صرفتم عن
الحق مع قيام الدليل عليه كذلك يصرف عن الحق الذي هو كائن ان كان آيات الله يجحدون
قوله تعالى الله الذي جعل لكم الارض قرارا زاد في تأكيد التعريف والدليل ايضا
جعل لكم الارض مستقرا لكم في حياتكم وبعد الموت والتي ما تقدم وصوركم فاحسن
صوركم اي خلقكم في احسن صورة وقد ابو رزين والاشهب العقيلي صوركم بكسر
الصاد وقال الجوهري والصور بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة وينشد هذا
البيت على هذه اللغة بعض الخوارج اشبهت من بقر الخلصا اعينها وهذا احسن
من صيرانها صورا وقد جمعها الشاعر بقوله
اذ الاح الصور ذكرت ليلى واذكرها اذا نفخ الصوار
والصيار لغة فيه ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين قال
الفراء هو خبر وفيه اضمار اسرايي ادعوه واحدوه وقد مضى هذا كله مستوفى في البقرة
وغيرها وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليتقل الحمد لله رب العالمين قوله
تعالى قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي امره
بمخالفتهم لما جاءته البينات من ربه ذكر توحيده وامرت ان اسلم اذل واخضع
لرب العالمين وكانوا يدعونه الى دين ابائه فامر ان يقول هذا قوله تعالى هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا وقد تقدم هذا
ثم لتبلغوا اشدكم وهي حالة اجتماع القوة وتمام العقل وقد مضى في الانعام بيانه ثم
لتكونوا شيوخا بضم الشين غير ابن ذكوان ونافع وابن محيصن وحفص وهشام ويعقوب وابو
عمرو على الاصل لانه جمع مثل كعب وقلوب ورأس ورؤوس وقرأ الباقون بكسر
الشين لمراعاة الياء وكلاهما جمع كثرة وقد العدد القليل اشياخ والاصل اشيخ مثل غلس
وافلس الا ان الحركة في اي شيبة وغا شيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد
منكم واقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس وفي الصحاح جمع الشيخ شيوخ واشياخ وشيخة
وشيخان وشيخة ومشايخ وشيوخا والمراد شيخة قال حميد كانها شيخة رقوب وقد
اشاخ الرجل يشيخ شيخا بالتحريك على اصله وشيخوخة واصل اي مشيكة فسكنت لانه
ليس في الكلام فعلول وشيخ تشييخا اي تشاخ ودعوته تشييخا للتبجيل وتصغير الشيخ
شييخ وشييخ ايضا بكسر الشين ولا تقل شويخ النحاس وان اضطر شاعر جاز ان
يقول اشيخ مثل عين واعين الا انه حسن في عين لانها مؤنثة والشيخ من جاوز اربعين
سنة ومنكم من يتوفى من قبل فاد بجا هدايا من قبل ان يكون شيخا وتبلغوا اجلا مسمى قال بجاهد
اذا خرج سقطا ولتبلغوا اجلا مسمى قال بجاهد الموت للكل واللام لام العاقبة ولعلكم تعقلون
ذلك فتعلموا ان لا اله غيره نزل تعالى هو الذي يحيي ويميت زاد في التمهيد اي هو الذي
يقدر على الاحياء والاماتة فاذا اقضى امرا اي اراد فعله قال له كن فيكون ونصب فيكون ابن
عامر على جواب الامر وقد مضى في البقرة القول فيه قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون
في اياب الله اني يصرفون قال ابن زيد هم المشركون بدليل قوله الذين كذبوا بالكتاب
وبما ارسلنا به رسلنا وقال اكثر المفسرين نزلت في القدرية قاله ابن سيرين ان لم
تكن هذه الآية نزلت في القدرية فما ادري فيمن نزلت وقال ابو قبيل لا احسب الممكن بين
بالقدر الا الذين يجادلون الذين امنوا وقال عقبة بن عامر قال النبي صلى الله عليه وسلم

نزلت هذه الاية في المقدم ذكره المهدوي بقوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم اي عن قريب يعلمون بطلان ما هم فيه اذا دخلوا النار وعلت ايديهم اي اعناقهم قال النبي لو ان غلا من اغلال جهنم وضع على جبل لوهصده حتى يبلغ الماء الاسود والسلاسل بالرفع قراءة العامة عطفا على الاغلال قال ابو حاتم يسحبون مستانف على هذه القراءة وقال غيره هو في موضع نصب على الحال والتقدير اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل مسحوبين وقرأ ابن عباس وابو الجوزاء وعكرمة وابن مسعود والسلاسل بالنصب يسحبون بفتح الباء والتقدير في هذه القراءة ويسحبون السلاسل قال ابن عباس اذا كانوا في الحر ونفي فيهوا اشد عليهم وحكي عن بعضهم والسلاسل بالجر ووجهه ان يحمل على المعنى لان المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل قاله الفراء وقال الزجاج ومن قرأ والسلاسل يسحبون بالخفض فالمعنى عنده وفي السلاسل يسحبون قال ابن الانباري والخفض على هذا المعنى يجوز لانك اذا قلت زيد في الدار لم يجز ان تضمر في فتقول زيدا الدار ولكن الخفض جايز على معنى اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل فتخفض السلاسل على النسق على الت وعلى الاغلال لان الاغلال في نا وعلى خفض كما تقول خاصم عبد الله زيدا العاقلين فتنصب العاقلين وتجوز رفعهما لان احدهما اذا خاصم صاحبه فقد خاصمه صاحبه انشد الفراء

" فدسالم الحيات منه القدما الافعوات والشجاع الشجعما "

فنصب الافعوات على الاتباع للحيات اذا سالمت القدم فقد سالمتها القدم فمن نصب السلاسل او خفضها لم يقف عليها والحميم المتناهي في الحر وقيل الصديد المغلي يسجرون اي يطرحون فيها فيكونون وقودا لها

اشار بهذا الى القضاء بينهم بالحق وحضرهنالك المبطلون الذين يتبعون الباطل والشرك
قوله تعالى الله الذي جعل لكم الانعام قال ابو اسحاق الزجاج الانعام ههنا الابل لتركبوا
منها ومنها تاكلون فخص من منع اكل الخيل واباح اكل الجمال بان الله عز وجل قال في الانعام
ومنها تاكلون وقال في الخيل والبغال والحمير لتركبوها ولم يذكر اباحة اكلها وقد
عفى هذا في النحل مستقصى في قوله تعالى ولكم فيها منافع في الوبر والصوف والشعر والنسل
والذبح والسمن والجبن وغير ذلك ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم اي لتحمل الاثقال
والاسفار وقد مضى في النحل بيان هذا كله فلا معنى لاعادته ثم قال وعليها وبعلى الانعام
في البر وعلى الفلك في البحر تحملون ويريكم ايآته اي ايات الدالة على وحدانيته وقدرته
فاي ذكر في ايات الله تنكرون نصب اي بتنكرون لان الاستفهام له صدر الكلام فلا
يعمل فيه ما قبله ولو كان مع الفعل هكذا لكان الاختيار في اي الرفع ولو كان الاستفهام بالالف
او هل وكان بعدها اسم بعده فعل معه هما لكان الاختيار النصب اي اذا كنتم لا تنكرون
ان هذه الاشياء من الله فلم تنكرون قدرته على البعث والنشور قوله تعالى افلم يسيروا
في الارض حتى ينظروا هذه الآثار الامم الخالية كانوا اكثر منهم عددا واشد قوة فما
اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من الاموال والاولاد وما دالوا به من الاولاد والاتباع وعلى
هذا ما للمجد ابيه فلم يغن عنهم ذلك شيئا وقيل ما للاستفهام اي اي شيء اغنى عنهم كسبهم
حين هلكوا ولم ينصرف اكثر لانه على وزن الفعل وزعم الكوفيون ان كل ما لا ينصرف
فانه يجوز ان ينصرف الا افعل من كذا فانه لا يجوز صرفه بوجه في معرفة ولا غيره
اذا كانت معه من قال ابو العباس ولو كانت من الممانعة لمن صرفه لوجب ان لا يقال
مررت بخير منك وشر من عمرو قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم بالبينات اي
بالايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم في معناه ثلثة اقوال قال مجاهد
ان الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا لن نعلم نحن اعلم منهم لن نعذب ولن
نبعث وقيل فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا يعني يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
وقيل الذين فرحوا الرسل لما كذبهم قومهم اعلمهم الله عز وجل انه مهلك الكافرين
وسخيهم والمومنين فنجيهم فرحوا بما عندهم من العلم بنجاة المومنين وصاق بهم اي
بالكفار ما كانوا به يستهزءون اي بعقاب استهزائهم بما جاءتهم به الرسل فقوله تعالى
فلما راوا باسنا اي عاينوا العذاب قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
اشركت بهم في العبودية فلم ينفعهم ايمانهم بالله عند معاينة العذاب وحين راوا الناس
سنة الله مصدر لان العرب تقول سن يسن سنا وسنة ايمن سنة الله عز وجل في الكفار
انه لا ينفعهم الايمان اذا راوا العذاب وقد مضى هذا مبينا في النساء ويونس وان التوبة
لا تقبل بعد رويته العذاب وحصول العلم الضروري وقيل ايمن احذروا يا اهل مكة سنة
الله في اهلاك الكفرة سنة منصوب على التحذير والاغراء وخسر هنالك الكافرون قال
الزجاج وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك الا انه بين لنا الخسران لما راوا العذاب
وقيل فيه تقديم وتاخير ايلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وخسر هنالك الكافرون
لتستفاد به جمع الكافرين فسنة نصب بنزع الخافض اي كسنة الله في الامم كلها انتهى والله اعلم
سورة فصلت مكية في قول الجميع وهي اربع وخمسون اية
وقيل ثلاث وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم
قال الزجاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب فصلت اياته وقد قال قوم البصريين وقال
الفراء يجوز ان يكون رفعه على اضمار هذا ويجوز ان يقال كتاب بدل من قوله تنزيل
وقيل نعت لقوله تنزيل وقيل خبر اي هذه حم لمن تقول كتاب اي هو كتاب فحم خبر
الابتداء مضمرا هو حم وقوله تنزيل مبتدا اخبر وقوله كتاب خبره فصلت اياته بينت
وفسرت قال قتادة بينا حلاله من حرامه وطاعته من معصيته الحسن بالوعد والوعيد
سجنات بالثواب والعقاب وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها
من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل اي بت عدت من البلد قرانا عربيا في نفسه
وهو قال الاخفش هو نصب على المدح وقيل على اضمار فعل اي اذكر قرانا عربيا
وقيل على اعادة الفعل اي فصلت قرانا عربيا وقيل على الحال اي فصلت اياته
في حال كونه قرانا عربيا وقيل لما شغل التفصيل بالاياة حيث صارت بمنزلة الفاعل
انتصب القران لوقوع البيان عليه وقيل على القطع لقوم يعلمون قال الضحاك اي

ان القرآن منزل من عند الله وقال يحيى هذا يعلمون انه الله واحد في التوراة والانجيل
وقبل يعلمون العربية فيجيزون من مثله ولو كان عزعن ما علموه قلت هذا الحرف
والسورة نزلت تقريبا وتوبيخا لقريش في ايحاء القرآن بشيرا ونذيرا حالان من
الآيات والعامل فيه فصلت وقبلهما نعتان للقرآن بشيرا لاولياء الله نذيرا
لاعدائه وقرئ بشير ونذير برفعهما للكتاب او خبر مبتدا محذوف فاعرض اكثرهم يعني
اهل مكة فهم لا يسمعون سماع منتفعون به روي ان الوليد بن حرملة قال وقال الملا
من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمسنا رجلا عالما بالشعر والكهانة
والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الكهانة
والشعر والسحر وعلمت من ذلك علما لا يخفى علي ان كان كذلك فقالوا ايته
يا ابا الوليد فاتاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فلم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا وتسفه احلامنا وتذم ديننا فان كنت انما تريد بذلك مالا جمعنا لك اليك اموالنا فكنت اكثرنا مالا وان كنت تريد الباءة زوجناك عشر نسوة من ايما بنات قريش شئت وان كنت تريد الملك ملكناك علينا لا نقطع امرا دونك وان كان هذا الذي بك رئيا تراه من الجن قد غلب عليك بذلنا لك من اموالنا في الطلب حتى تبرأ او يعذر فيك والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال قد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال استمع مني قال اسمع بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت ايا ته قرانا عربيا لقوم يعلمون الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوثب عتبة ووضع على فم النبي صلى الله عليه وسلم
وناشده الله والرحم ليسكتن ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش لما راه ابو جهل وقال
اصبوت اليه محمد اما اعجبك طعامه فقام عتبة واشتم ان لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد
كلمني بكلام ما سمعت اذنه من اكثر قريش مالا ولكني لما انتصت عليه الصاعقة اخبرني بشيء والله
ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ثم تلى ما سمع منه الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود
فامسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب
فوالله لقد خفت ان ينزل بكم العذاب بين الصاعقة وقد روي هذا الخبر ابو بكر
الانباري باسناده الذي له عن محمد بن كعب القرظي وان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ حم فصلت حتى انتهى الى السجدة فسجد وعتبة مصغ يستمع فلما عتمد على يديه من ورائه
ظهره فلما قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم القراءة قال له يا ابا الوليد قد سمعت الذي
قرأت عليك فانت وذاك فانصرف عتبة الى قريش فقال بعضهم لبعض فقالوا والله لقد جاءكم
ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فقالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال والله لقد سمعت
كلاما من محمد ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة فاطيعوني
في هذه وخلوا بين هذا الرجل وشانه فاعتزلوه فوالله ليكونن لما سمعت من كلامه
نبا فان اصابته العرب كفيتموه بايديكم فان كان ملكا كان ملكه ملككم وكنتم اسعد الناس
به وان ملكه ملككم وشرفه شرفكم فقالوا هيهات سحرك يا ابا الوليد وقال هذا
رايي لكم فاصنعوا ما بدا لكم فقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف في اكنة مما يدعونا اليه الاكنة
جمع كنان وهو الغطاء وقد مضى في البقرة قال مجاهد الكنان للقلب كالجعبة للنبل
وفي اذاننا وقر اي صمم فكلا لا يسمع كلامك وقلوبنا مستورة عن فهمه وفي بيننا
وبينك حجاب اي خلاف في الدين لانهم يعبدون الاصنام وهو يعبد الله عز وجل قال معناه
العزاء وغيره وقيل ستر اي فاعمل على دينك وقيل ان ابا جهل استهزأ بالنبي صلى الله عليه وسلم
وقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه حكاه النقاش وذكره الغزنوي في الحجاب
هنا الثوب فاعمل انت على دينك ونحن على ديننا

ايه من شركهم وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال ابن عباس لا يشهدون ان لا اله الا
الله وهي زكاة الانفس وقال قتادة لا يقرون بالزكاة انها واجبة وقال الضحاك
وصف انهم لا يبغضون قوت ولا يبخلون في الطاعة فذمهم بالشح الذي هو ابخل منه العقلاء
وفيه دلالة على ان الكافر يعذب بكفره مع منع وجوب الزكاة عليه وقال الفراء وغيره
كان المشركون يبخلون المسلمين في وبير قوت البعير ويطعمونهم لحمه وا ذلك على
منا من محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت فيهم هذه الآية وهم بالآخرة هم كافرون فلهذا
لا يبخلون في الطاعة ولا يبخلون ولا يبخلون والزمخشري قال قلت لم خصص
من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة قلت لان احب شيء الى
الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثبات
الاذعان بما هو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثبات
الاذعان به الى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا
من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويوطنونها على ثبات انها ان نفقوا لاموال وما خدع
المولفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبتهم وبانت شكيمتهم واهل الردة بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نشطوا هدوا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحروب وجوهدوا
وفيه بعث للموسرين على اداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من
اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع ماخوذ من منت الحبل اذا قطعته ومنه
قوله ذي به الاجبع * * ابن لبمرك ما ابى بدبه * ملق على الصديق ولا خبر بمنون *
وقال اخر * فتربع خلفها من الرجع والوقع منيخ كانه اقصاد *
* يعني بالمنين المنقطع الضعيف * وعن ابن عباس ايضا ومقاتل
غير منقوص ومنه المنون لانها تنقص من الانسان ابو قوتنة وقاله قطرب وانشد
قول زهير * فضل الجواد على البخيل الطاعم يعطي بذلك ممنونا ولا مرفاه *
قال الجوهري * والمن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم اجر غير ممنون *
وقال لبيد * عيشا كواسب لا يمن طعامها * وقال مجاهد غير ممنون غير محسوب
وقيل غير ممنون عليهم به قال السدي لذلك في الرزق والصحة اذا اصنعوا
من الطاعة كتب لهم من الاجر كصحة ما كانوا يعملون منه قوله تعالى قل اينكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين اي كم بعد هذين الشيئين بين بين واينكم بالف بين هذين
وهو استفهام معناه التوبيخ امره بتوبيخهم والتعجيب من فعلهم اي لم تكفرون بالله
وهو خالق السموات والارض في يومين الاحد والاثنين وتجعلون له اندادا اي اضدادا
وشركا ذلك رب العالمين وجعل فيها اي في الارض رواسي من فوقها يعني الجبال
قال وهب لما خلق الله الارض مادت تحتي وجداتها فقال لجبريل تبتها يا جبريل فنزل
فاسكها فغلبته الرياح فقال يا رب انا اعلم لقد علمت فيها فتبتها بالجبال وارسابها وبارك
فيها بما خلق فيها من المنافع قال السدي اي اخرج فيها شجرها وقدر فيها اقواتها قال السدي
والحسن ارزاق اهلها ومصالحهم وقال قتادة وهي هذه خلق فيها انهارها واشجارها
ودوابها في يوم الثلثاء والاربعاء وقال عكرمة والضحاك معنى قدر فيها اقواتها اي ارزاق
اهلها وما يصلح لمعايشهم من التي راق والاشجار والمنافع في كل بلدة ما لم تجعله
في الاخرى ليتعيش بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد قال عكرمة من حق
انه في بعض البلاد لبنا يبوت الذهب بالملح مثلا بمثل وقال مجاهد والضحاك السابرية
من ستة ايام والطيبة سواء لمن اراد والخبر الذي بعده من اليمن في اربعة ايام يعني من نتمة
اربعة ايام ومثاله قولك لقيت زيدا خرجت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام والى الكوفة
في خمسة عشر يوما اي في نتمة خمسة عشر يوما قال معناه ابن الانباري وغيره سواء
للسائلين قال الحسن المعنى في اربعة ايام مستوية تامة كقوله في الكلام تقديم
وتاخير والمعنى وقدر فيها اقواتها سواء للسائلين حين سالوا واختاره الطبري وقال الحسن
البصري ويعقوب الحضرمي سواء للسائلين بالجر وعن ابن السميفع سواء بالرفع
فالنصب على المصدر سوى بمعنى استوى اي استوت استواء وقيل على الحال والقطع
والجر على النعت لايام او لاربعة ايام مستوية تامة والرفع على الابتداء
والخبر للسائلين او على تقدير هذه سواء للسائلين وقال اهل المعاني معنى سواء
للسائلين وليراك السائلين ايي خلق الارض وما فيها لمن سال ولمن لم يسال ويعطي من سال ومن لا يسال

قوله تعالى

قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان ابى عمد الى خلقها وقصد تسويتها والاستواء من صفة الافعال على اكثر الاقوال يدل عليه قوله تعالى ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وقد مضى القول فيه كذلك ورد ابو صالح عن ابن عباس في قوله ثم استوى الى السماء يعني صعد امره الى السماء وقاله الحسن ومن قال انه صفة ذاتية زايدة قال استوى في الازل بصفاته وشعر ترجع الى نقل السماء من صفة الدخان الى حالة الكثافة وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس على ما مضى في البقرة عن ابن مسعود وغيره فقال لها وللارض ايتيا طوعا اوكرها اي حين ما خلقت فيكما من المنافع والمصالح واخرجا ها لخلقي قال ابن عباس قال الله تنقاد طلعي شمسك وقمرك وكواكبك واجري ربحك وسقي بكل وفاق للارض شقي انهارك واخرجي ثمارك طايعتين او كارهتين وفي الكلام حذف اي ايتيا امركما طايعين وقيل معنى هذا الامر التسخير ايكونا فكانتا كما قال تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون معنى هذا قال ذلك فقيل خلقهما وعلى القول الاول قال ذلك بعد خلقهما وهو قول الجمهور وفي قوله تعالى لهما وجهان احدهما انه قول تكلم به الثاني انها قدرة منه ظهرت لهما فقام مقام الكلام في بلوغ المراد ذكره الماوردي قالتا اتينا طايعين فيه ايضا وجهان احدهما انه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا واجابا فقام مقام قولهما ومنه قول الراجز

* امتلأ الحوض وقال قطني * مهلا رويدا قد ملأت بطني *

يعني ظهر ذلك فيه وقال اكثر اهل العلم بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما اراد تعالى قال ابو نصر السكسكي فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء ما يحيى لها فوضع الله تعالى فيه حرمه وقال طايعين ولم يقل طايعتين على اللفظ ولا طايعات على المعنى لانهما سموات وارضون لانه اخبر عنهما وعمن فيهما وقيل لما وصفهما بالعقل والاجابة وذلك من صفات من يعقل اجراهما في الكناية مجرى من يعقل ومثله رايتهم لي ساجدين وقد تقدم وفي حديث ان موسى عليه السلام قال يا رب لو ان السموات والارض حين قلت لهما ايتيا طوعا اوكرها عصتاك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما قال يا رب وابن تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال يا رب وابن ذلك المرج قال علم من علمي ذكره الثعلبي وقرا ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ايتيا بالمد والفتح وكذلك قوله ايتيا طايعين على معنى اعطيتا الطاعة من انفسكما قالتا اعطينا طايعين فحذف المفعول جميعا ويجوز وقفا حسن ان يكون ايتيا فاعلتا فحذف مفعول واحد ومن قرا ايتيا فالمعنى جيئا بما عليكما مما تقدم به بيانه في غير ما موضع والحمد لله قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين ايام الملهن وقيل احكمهن كما قال وعلمها مسرودتان فقضاهما داود وضع السوابغ تبع في يومين سوى الاربعة الايام التي خلق فيها الارض فوضع خلق السموات والارض في ستة ايام كما قال تعالى في خلق السموات والارض في ستة ايام على ما تقدم في الاعراف بيانه قال مجاهد ويوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون وعن عبد الله بن سلام قال خلق الله الارض في يومين وقدر فيها اقواتها في يومين وخلق السموات في يومين خلق الارض في يوم الاحد والاثنين وقدر فيها اقواتها في يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات في يوم الخميس ويوم الجمعة واخر ساعة في يوم الجمعة خلق الله ادم في عجل وهي التي تقوم فيها الساعة وما خلق الله من دابة الا وهي تفزع من يوم الجمعة الا الانس والثقلين تمام هذا اهل التفسير ما رواه مسلم من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت الحديث وقد تكلمنا على اسناده في اول سورة الاعراف وارسى في كل سماء امرها قال قتادة والسدي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وافلاكها وخلق في كل سماء خلقها من الملايكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والسلوج وقيل قول ابن عباس قال والله في كل سماء بيت حج اليه وتطوف به الملايكة بحذاء الكعبة والذي في السماء الدنيا هو البيت المعمور وقيل اوحى الله في كل سماء ابيها اوحى فيها ما اراده وما امر به فيها وزلا بها قد يكون امر القوله بان ربك اوحى لها وقوله واذا وحيت الى الحواريين ايا امرتهم وهو امر تكوين وزينا السماء الدنيا بمصابيح ابو بكواكب نيقن وقيل بالكواكب مختصة بالسماء الدنيا

رحفظا اي حفظنا بها حفظا اياه من الشياطين الذين يسترقون السمع وهذا الحفظ
بالكواكب التي يرجم بها الشياطين على ما تقدم في الحجر بيانه وظاهر هذه الاية يدل
على ان الارض خلقت قبل السما وقال في اية اخرى ءانتم اشد خلقا ام السما بنيها ثم قال والارض
بعد ذلك دحاها وهذا يدل على خلق السما اولا وقاله فلزم خلقت الارض قبل السما
فاما قوله والارض بعد ذلك دحاها فالمراد به غير الخلق فالله خلق الارض ثم خلق
السموات ثم دحا الارض اي مدها وبسطها قاله ابن عباس وقد بين هذا المعنى
مجودا في البقرة والحمد لله ذلكم تقدير العزيز العليم قوله تعالى فان اعرضوا فقل
كقد رتكم شيئا بما يحل عليهم اليه يا محمد من الايمان فقد انذرتكم صاعقة مثل
صاعقة عاد وثمود اي خوفتكم هلاكا مثل هلاك عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل
من بين ايديهم ومن خلفهم يعني من ارسل اليهم والي من قبلهم الا تعبدوا الا الله موضع
ان نصب باسقاط الخافض اي بان لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة برد
الرسل فانا بما ارسلتم به كافرون من الانذار والبشير فبعد هذا استهزأ منهم وقيل
اقرار منهم بارسالهم ثم بعده جحود وعناد فقوله تعالى فاما عاد فاستكبروا
في الارض بغير الحق عبادة الله هود ومن امن معه بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة
اغتروا باجسامهم حين شاهدوهم بالعذاب وقالوا لن نقدر علينا في دفع العذاب
عن انفسنا بفضل قوتنا وذلك انهم كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد
مضى في الاعراف عن ابن عباس ان اطولهم كان مائة ذراع وافصرهم كان ستين ذراعا
فقال الله تعالى رادا عليهم اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وقدرة
وانما يقدر العبد بقدرة الله فالله اقدر اذا وكانوا بايتنا يجحدون اي بمعجزاتنا
يكفرون فقوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا صرصرا هذا تفسير لما عقبه ألتي
ارسلها عليهم ابو عبيدة ريحا ذات برد شديد قاله البرد وشدة الصوت والهبوب ويقال
اصلها صرر من الصر فابدلوا من احد الرائين الوسطى فاللام كقولهم كبكبوا اصله
كببوا وكفكف الثوب اصله يكفف ابو عبيدة معنى صرصر شديدة عاصفة له
عكرمة وسعيد بن جبير شديدة البرد والشدة فطرب قول الخنساء
* * المطعمون اذا هبت بصرصرة * والحاملون اذا استودوا على الناس *
استودوا اذا اسبلوا الدبر يعني هذا الشديد السموم وروي معمر عن قتادة قال
باردة وقال عطاء ان صرصرا ما خوذ من صر والصر من كلام العرب البرد
كما قال لها عاد كقرون النساء ركبت في يوم نحس وصر وقال السدي الشديدة
الصوت ومنه صر القلم والباب يصر صريرا اي صوت ويقال درهم ضرب
وصريف لله به صوت اذا نفذ قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصر
وهو البرد ويجوز ان يكون من صرير الباب ومن الصرة وهي الصيحة ومنه
قاتيلت امراته في صره وصرصر اسم نهر بالعراق في ايام نحسات اي مشومات قاله
مجاهد وقتادة كن اخر شوال من يوم الاربعا الى يوم الاربعا وذلك يسع لبال
وثمان ليال ايام حسوما قال ابن عباس ما عذب قوم الا في يوم الاربعا وقيل نحسات
باردات حكاه النقاش وقيل سابعات عن ابن عباس وعطية العوفي كن شداد
وقيل داب غبار وحكاه بن عيسى ومنه قوله الراجز قد اغتدي قبل طلوع الشمس
للصيد في يوم قليل النحس قال الضحاك وغيره امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين
ودرت الدباح عليهم من غير مطر وخرج منهم قوم الى مكة يستغيثون بها لعاد
وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلا او جهد طلبوا الى الله تعالى الفرج
منه وكانت طلبتهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام مكة مسلمهم وكافرهم
فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلمتهم متفقة بمكة عارفة صرشها ومكانها
من الله تعالى وقال جابر بن عبد الله والنبي اذا اراد الله بقوم خيرا ارسل الله
عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح واذا اراد الله بقوم شرا حبس عنهم المطر
وسلط عليهم كثرة الرياح وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو نحسات باسكان الحاء
على انه جمع نحس الذي هو مصدر وصف به الانثى تقول نحسات بكسر الحا اي ذوات نحس
ومما يدل على ان النحس مصدر قولهم يوم نحس مستمر ولو كان صفة لم يضف اليوم اليه
وبهذا كان يحتج ابو عمرو على قراءة من قرا نحسات ورده ابو حاتم واختاره ابو عبيد القراءة

الث بنية وقال لا بيع حجة ابي عمرو لانه اضاف اليوم الى الخمس فاسكن وان كان يكون
حجة لوزن اليوم ونعت واسكن فقال في يوم نحس وهذا لم يقرا به احد نعلمه
وقال المهدوي ولم يسمع في نحس الا الاسكان قال الحوفي هذي وقري في قوله في يوم نحس
ايضا قال ثعلب ٥ ابلغ حراما ولحانا ان اخوتهم طيا وسعدا قوم نصرهم نحس ٥
ومنه قبل ايام نحسات لتذيقهم اي لكي نذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا بالريح
العقيم ولعذاب الاخرة اخزى اي اعظم واشد وهم لا ينصرون قوله تعالى واما ثمود
فهديناهم اي بينا لهم الهدى والضلال عن ابن عباس وغيره وقرا الحسن وابن ابي
اسحاق وغيرهما واما ثمود بالنصب وقد مضى الكلام فيه في الاعراف فاستحبوا العمى على
الهدى اي اختاروا الكفر على الايمان وقال ابو ثعالبة اختاروا العمى على البيان
السدي اختاروا المعصية على الطاعة وقد تقدم صاعقة العذاب الموت الصرت
بالضم الهوان وصوت ابن خنزلة بن مدركة بن الياس بن مضر اصوكت نه واسد ٥
وانما اسنخف به والاسم الهوان والهوان واضيفت الصاعقة الى العذاب لان
الصاعقة اسم للسبب المهلك فكانه قال مهلك العذاب اي العذاب المهلك والهون
وان كان مصدرا فمعناه الاهانة والاهانة عذاب فجاز ان يجعل احدهما وصفا للاخر
فكانه قال صاعقة الهون وهو كقولك عندي علم اليقين وعندي العلم اليقين ويجوز
ان يكون الهون اسما مثل الدون يقال لعذاب هون ابي مهين كما قال ما لبثوا ان ٥
العذاب المهين وقيل ان صاعقة العذاب ذي الهون بما كانوا يكسبون من قد
نكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة على ما تقدم ونجينا الذين امنوا بتعيين صالحا ومن
امن به اي ميزناهم على الكفار فلم يحل لهم ما حل بالكفار وهكذا يا محمد يفعل
بمومني قومك وكفارهم قوله تعالى ويوم نحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون
قراءة نافع نحشر بالنون اعداء بالنصب الى قوله نحشر بيا مضمومة اعداء بالرفع ومنا هما
بينن واعداء الله الذين كذبوا رسله وخالفوا امره فهم يوزعون يساقون يدفعون
الى جهنم قال قتادة والسدي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا قال ابو الاحوص
فاذا تكاملت العدة بدي بالاكابر فالاكابر وقد مضى في النمل الكلام في يوزعون
مستوفى في قوله تعالى حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون الجلود يعني بها الجلود عبر بها في قول اكثر المفسرين
وقال السدي وعبيد الله بن ابي جعفر والفراء الادبار الجلود التذوج واستشهد بقول
الاعور الشني وابن حوية ٥

٥ المرء يبقى للسلامة حسه اوسالم من قد بشق جلده وابيض راسه ٥

وقال جلودهم كنى بها عن فروجهم وقالوا لجلود ذكرتم لم تشهدتم علينا وانما
كنا نجادل عنكم قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء لما حاطت وحرطبت قو
احربت سحريت من يعقل وهو خلقكم اول مرة اي ركب الحياة فيكم بعد ان كنتم
نطفا فمن قدر على ان ينطق الجلود وغيرها من الاعضاء قبل وهو خلقكم
اول مرة ابتدا الكلام من الله والتي يرجعون وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله ورسوله
اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول
فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا قال يقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام
الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله قال ثم
يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وفي حديث
ابي هريرة ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي
يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه
بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه خرجه
ايضا مسلم قوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا
يكون هذا من قول الجوارح لهم ويجوز ان يكون من قول الله عز وجل او الملكين
وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال اجتمع عند البيت ثلاثة ختن قرشيان وثقفي
او ثقفيان وقرشي قليل فقه قلوبهم كثير شحم بطونهم فقال احدهم اترون
الله يسمع ما يقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الاخر

ان كان يسمع اذا جهرنا منه يسمع اذا اخفينا فانزل الله عز وجل وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم الآية خرجه الترمذي فقال اختصم عند البيت
ثلاثة نفر ثم ذكر بلفظه حرفا حرفا وقال حديث حسن صحيح حدثنا هناد قال
حدثنا ابو معوية عن الاعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله
كنت مستترا بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فتذاكروا
وحدثناه تقفي او تقفيان او تقفي وحدثناه قتيبة ان تكلموا بكلام لم اسمعه فقال احدهم
ترون الله يسمع كلامنا هذا فقال الآخر ان رفعنا اصواتنا سمعه واذا لم نرفع اصواتنا
لم يسمعه فقال الآخر ان سمع منه شيئا سمعه كله فقال عبد الله فذكرت ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم الى قوله فاصبحتم من الخاسرين قال هذا حديث حسن قال الثعلبي
والتقفي عندنا ليل وحدثناه ربيعة وصفوان ابنا سليم وسعيد بن يستترون يستخفون
من انفسكم حذار ان تشهد عليكم الجوارح عليكم لان الاستتار لا يمكنه ان يخفي من نفسه
عمله فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية وقيل الاستتار بمعنى الاتقاء اي ما كنتم تتقون
في الدنيا ان يشهد جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة
وقال مسلم بن يسار ما ظننت ان احدا ينكر هذا وقال قتادة وما كنتم تستترون اي تظنون ان يشهد عليكم
سمعكم بان تقول سمعت الحق وما وعيت وسمعت ما لا يجوز من المعاصي ولا ابصاركم
فتقول رايت اية الله وما اعتبرت ونظرت فيما لا يجوز ولا جلودكم تتقدم ولكن ظننتم ان
الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من اعمالكم فجازاكم على ذلك حتى شهدت عليكم جوارحكم باعمالكم
روى بهز بن حكيم عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان تشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم قال يجاء يوم القيامة فتمتلئ افواههم فتكلم فخذهم
عن الاستنان فتشهد وكفتهم قال عبد الله بن محمد الاعلى الشامي

* قد حسن المرء ينقص والذنوب تزيد * ويقال تحمد الفتى فيعود *
* هل يستطيع مجود ذنب واحد * رجل جوارحه عليه شهود *
* والمرء يسبل عن سبته فيشينه * تقليلها وعن المماتة يحيد *

وعن مقاتل بن حيان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على ابن
آدم الا يناديه يا ابن آدم ان خلقت جديد وانا فيما يعمل عليك شهيد فاعمل في خيرا
اشهد لك به عند القيامة فانك لو قد مضيت لم ترني ابدا ويقول الليل مثل ذلك ذكره ابو
نعيم الحافظ وقد ذكرناه في كتاب التذكرة في باب شهادة الارض والبقاع والايام
والليالي وقال محمد بن سيرين قاضي

* مضى امسك الذي شهد احمدا * وبورك هذا الغد الشاهده *
* فان تك بالامس اقترفت اساءة * فثنى باحسان وانت حميده *
* ولا تزجر الطير منك ان تعد لعل غدا ان لا تزال فقيده *

قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم اي اهلككم فاوردكم النار
قال قتادة الظن هنا بمعنى العلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم
الا وهو يحسن الظن بالله فان قوما اساؤا الظن بربهم فاهلكهم فذلك قوله وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال الحسن البصري ان قوما اهلكتهم الامانى حتى خرجوا من الدنيا
وما لهم حسنة وتقول احدهم اني احسن الظن بربي وكذب ولو احسن الظن لاحسن العمل
وقال ابو بكر الوراق قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وفاك
فتاذة من استطاع منكم ان يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل فان الظن اثنان
ظن ينجي وظن يردي وقال عدا به الخطاب في هذه الآية كفار قوم كانوا يدفنون
المعاصي ولا يتوبون منها وينكرون على المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس ثم قرأ
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين فقوله تعالى فان يصبروا
فالنار مثوى لكم اي فان يصبروا في الدنيا على اعمال اهل النار فالنار مثوى لهم لا مخرج
لهم اصبروا على النار على ما تقدم وان يستعتبوا في الدنيا وهم مبتلون على كفرهم فما
هم من المعتبين وقيل المعنى فان يصبروا في النار او يجزعوا فالنار مثوى لهم اي لا محيص
لهم عنها ودل على الجزع قوله ان يستعتبوا لان المستعتب جزع والمعنى المتغرل فما تنهاه
قال التابعة فان اك مظلوما فعبدا ظلمته وان تك داعيتي فمثلك يعتب اي مثلك

من قبل العلم والمراجعة اذا سئل قال الخليل العتب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة
اذا سئل يقول عاتبته معاتبة وبينهم اعتبوه يتعتبون به يقال اذا لقي بعضهم
بعضا العتاب واعتبني فلان اذا عاد الى مسرتي راجعا عن الاساءة والاسم منه العتبى
وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضي العاتب واستعتبه واعتب بمعنى واستعتب
ايضا طلب ان يعتب يقول استعتبته فاعتبني ان استرضيته فارضاني فمعنى وان
يستعتبوا ان يطلبوا الرضى لم يستعتبهم ذلك بل لا بد لهم من الثواب وقرئ التماشير فان
يستقيلوا ربهم فما هم من القائلين وقرأ عبيد بن عمير والوالبي وان يستعتبوا
بفتح الياء الثانية وضم التاء على الفعل المجهول فما هم من المعتبين بكسر التاء اي ان
الله لهم ورد هم الى الدنيا لم يجدوا بدا من عتبه لما سبق لهم في علم الله من الشقاء قال الله تعالى
ولو ردوا لعادوا الى ما نهوا عنه ذكره الهروي وقال الكلبي يقال لاعتبه اذا عصيت
واعتب اذا رضي قوله تعالى فبغضنا لهم قرناء قال الفراء اي هيأنا لهم شياطين
وقيل سلطنا عليهم قرناء يزينون لهم المعاصي وهو الاقتران من الجن والشياطين
ومنه قول الاسدي يصف ابلا سمينا لهم قرنا العشرية ونبغي لهم فيض الله لي رزقا اي ابلا حسنة
كما كنت اطلبه والتقييض الابدال ومنه المثل بيضة قايض الرجل من بيضه اي
ما وضته بمتاع وهما قيضان كما تقول تبعان فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا
فحسنوه لهم حتى اتروه على الاخرة وما خلفهم حسنوا لهم من بعد ما تهم ودعوهم
الى التكذيب بها وامور الاخرة نحو مجاهد وقيل المعنى فبغضنا لهم قرناء السوء فزينوا
لهم اعمالهم في الدنيا والمعنى فذرنا عليهم ان ذلك سيكون وحكمنا به عليهم وقيل
المعنى اعوضناهم الى الافتراق اي اخرجنا التقدير الى التيسير لينال منه والتعتيب
التعثير ليستقيد به عثرت بعضهم لبعض المعاصي وليس قوله وما خلفهم عطفا
على ما بين ايديهم بل المعنى واستوجبوا ما خلفهم فعلى هذا الاضمار قال ابن عباس
ما بين ايديهم فكذبوا بهم بامور الاخرة وما خلفهم التشويق والترغيب في الدنيا
الزجاج ما بين ايديهم ما عملوه وما خلفهم ما عزموا على ان يعملوه وقد تقدم قول
مجاهد وقيل المعنى لهم مثل ما تقدم من المعاصي وما خلفهم ما يجدد بعدهم وصف
عليهم السفول في اسم ابليس وجب عليهم من العذاب ما وجب على الامم الذين من قبلهم
الذين كفروا بالكفر بهم وقيل في جملة هم داخلون مع الامم الكافرة قبلهم
فيما دخلوا فيه وقيل في اسم في جملة امم ومثله منزل الشاعر

* ان تك عني الضيفنة ما فوكا * فقد اضربت قد انكوا *

يريد فانت في جملة اضربت لست في ذلك وحدك وبحق في جملة اسم انهم كانوا خاسرين
اي لهم في الدنيا وانفسهم وأهليهم يوم القيامة نحو سواء بنا وقال الذين كفروا
لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لما اخبر تعالى عن كفر قوم هود وصالح وغيرهم
اخبر عن مشركي قريش وانهم كذبوا بالقرآن فقالوا لا تسمعوا وقيل لا تستمعوا انظروا
يقال سمعت لكذا اذا اطمأنك والغوا فيه قال ابن عباس قال ابو جهل اذا قرأ محمد
فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول وقيل انهم فعلوا ذلك لما اعجزهم القرآن وقال
مجاهد اللغو والغوا فيه بالمكاء والتصفيق والتخليط في المنطق حتى يصير لغوا وقال
النحاس اكثروا الكلام ليخلط عليه ما يقول وقال ابو العالية وابن عباس ايضا لعلكم
فيه وعيبوه لعلكم تعلون محمدا على قراءته فلا يظهر ولا يستبين القلوب ونحو هذا عيسى ابن
عمر والجحدري وابن ابي اسحاق وابن حبوة وبكر بن حبيب السهمي والغوا بضم الغين
وهي لغة من لغا يلغو وحكاه الجوهري عن يعقوب وقال الهروي وقوله والغوا فيه فقيل
عارضوه بكلام لا يفهم بئس للعرف الغواة الغين ولغى يلغى ثلث لغات وقد مضى
معنى السفه في البقرة وهو ما لا يعلم له حقيقة ولا تحصيل قوله تعالى فليذيقن
الذين كفروا عذابا شديدا قد تقدم ان الذوق يكون بحاسة ومعنى والعذاب
الشديد ما يتوالى فلا ينقطع وقيل هو العذاب في جميع اجزائهم ولنجزينهم
اسوأ الذين كانوا يعملون اي ولنجزينهم في الاخرة جزاء سيئ اعمالهم التي عملوها في
الدنيا واسوأ الاعمال الشرك فقوله تعالى ذلك جزاء اعداء الله النار اي ذلك العذاب
الشديد ثم بين بقوله النار وقال ابن عباس ذلك جزاء اعداء الله النار دار الخلد تدوم
بالدار ثمن ألف زوهو حي زائد به وذلك ابتداء وجزاء الجزء والنار بدل من جزاء وجز

مبتدا مضمر والجملة في موضع ببيان للجملة الاولى في قوله تعالى وقالت الذين كفروا يعني في النار ذكره بلفظ الماضي والمراد المستقبل ربنا أرنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعني ابليس وابن ادم الذي قتل اخاه عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ويشهد لهذا القول الحديث والمرفوع ما من مسلم يقتل ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمه لانه اول من سن القتل خرجه الترمذي وقيل هو يعني الخبيث وبني على التثنية لاختلاف الجنسين بجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين من النار واذلك حين تشفعوا منهم بان يجعلوهم تحت اقدامهم لتكون من الاسفلين في النار وهو الدرك الاسفل سألوا ان يضعف الله عذاب من كان سببا لضلالهم من الجن والانس وقرا ابن محيصن والسوسي عن ابي عمرو وابن عامر وابو بكر والمفضل ارنا بالكسر البزي وعن ابي عمرو ايضا باختلاس الهمزة واسكان الراء وقد تقدم في الاعراف قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية قال عطا عن ابن عباس نزلت هذه الآية في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان المشركين قالوا ربنا الله والملائكة بناته ونحن نعبدهم فلم يستقيموا وقال ابو بكر ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله فاستقام ومضى الترمذي عن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قد قالت الناس كفرا كثيرهم فمن مات على هذا منهم مات على ما يسره فقال حديث غريب وبكر روى في هذه الآية عن النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وعلي معنى استقاموا مضى صحيح مسلم عن سفيان ابن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك في رواية غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم زاد الترمذي قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه وقال هذا وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ثم استقاموا لم يشركوا بالله شيئا وروي عنه الاسود بن هلال انه قال لا تجاوزوا في هاتين الآيتين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقال استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا ايمانهم بخطيئة فقال ابو بكر لقد حملتموها على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى الهة غيره ولم يلبسوا ايمانهم بشرك اولئك لهم الامن وهم مهتدون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر وهو يخطب ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقال استقاموا والله على الطريقة لطاعة ثم لم يروغوا روغان الثعالب وقال عثمان رضي الله عنه ثم اخلصوا العمل لله وقال علي رضي الله عنه ثم ادوا الفرائض واقوال الثلاثة بمعنى واحد قال ابن زيد وقتادة استقاموا على الطاعة لله الحسن استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى ماتوا وقال سفيان الثوري عملوا على وفق ما قالوا وقال الربيع اخلصوا ما سرهم الله وقال الفضل بن عياض ختموا له بالشهادة وقيل استقاموا سرا كما استقاموا جهرا وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وقال انس لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم هم امتي ورب الكعبة وقال الامام ابن فورك السنة سنة الطلب مثل استقيموا ايها الناس الى الله ان يثبتهم على الكتاب وكان الحسن اذا قرا هذه الآية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة قلت وهذه الاحوال وان تداخلت فتلخيصها اعتدلوا على طاعة الله عقدا وقولا وفعلا ودوموا على ذلك تتنزل عليهم الملائكة قال ابن زيد وعند الموت وقال مجاهد وقتادة اذا قاموا من قبورهم للبعث وقال ابن عباس هي بشرى تكون لهم عند الملائكة في الآخرة وقال وكيع وبن زيد البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث ابو العالية قولا ايمان لا تخافوا فيما ذهب الجاء قال مجاهد لا تخافوا الموت ولا تحزنوا عليه اولادكم فان الله خليفتكم عليهم وقال عطاء بن ابي رباح لا تخافوا فوات ثوابكم فانه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم وقال عكرمة لا تخافوا فواتا مما تستقبلون ولا تحزنوا على ما خلفتم وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون

نحن نصركم

قوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة اي نتولى امركم الملائكة الذين ينتزل عليهم البشارة نحن اولياؤكم قال سعيد بن جبير نحن حفظنا وكم الذين كنا معكم في الدنيا فذلك يوم القيمة قال قوا لا تخافوا ولكم حتى تدخلكم الجنة وقال السدي اي نحن الحفظة لاعمالكم في الدنيا واولياؤكم في الاخرة ويجوز ان يكون هذا من قول الله تعالى والله ولي المؤمنين ومولاهم ولكم فيها ما تشتهي انفسكم اي من الملاذ ولكم فيها ما تدعون مشتق من الدعاء وتمنون نزلا اي رزقا وضيافة وقد تقدم في آل عمران وهو منصوب على المصدر اي انزلناه نزلا وقيل على الحال وقيل هو جمع نازل اي لكم ما تدعون نازلين فيكون حالا من الضمير المرفوع او من المجرور في لكم قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا الخ نزل في المؤذنين وقيل نزل في الصحابة والمعنى اي كلام احسن من الاذان ومن احسن قولا من المؤذن الداعي الى الله وطاعته وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن سيرين والسدي وابن زيد والحسن هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا تلا هذه الآية يقول هذا رسول الله هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا والله احب اهل الارض الى الله من دعوته ودعا الناس الى ما جاء به اليه وقالت عائشة رضي الله عنها وعكرمة وقتيبة بن ابي جازم ومجاهد نزلت في المؤذنين قال فضيل بن رقيه كنت سوذنا لاصحاب عبد الله بن مسعود فقال لي عاصم بن بهدلة اذا اذنت فقل الله اكبر لا اله الا الله فقلت وانا من المسلمين ثم قرأ هذه الآية قال ابن العربي والاول اصح لان الآية مكية والاذان مدني فما تتعلق منها بالمعنى لانه كان المقصود وقت النزول وبه حدثني ابو بكر الصديق حين قال في النبي صلى الله عليه وسلم وقد حققه المسلمون بقتلهم رجلا ان يقول ربي الله ويجتمع كل كلام حسن منه ذكر التوحيد والاعمال الصالحة قلت وقول ثالث وهو احسنها قال الحسن هذه الآية عامة في كل من دعا الى الله وكذا قال ابن ابي حازم قال نزلت في كل مؤمن قال وسمعت رجلا من المسلمين قال لابن العربي وما تقدم يدل على الاسلام لكن لما كان الدعاء يقول والسيف يكون للاعتقاد ويكون للحجة وكان العمل يدل والاخلاص دل على انه لا بد من النصرتين الاعتقاد والعمل في ذلك وان العمل لوجهه سبيلة لما قال تعالى وقال انني من المسلمين ولم يقل له ينبغي ان تشتهي الله كان في ذلك رد عمل من تقول ان مسلم ان شاء الله قوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة قال الفراء صلة اي ولا تستوي الحسنة والسيئة وانشد ما كانت بدون رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر وعمر اراد ابو بكر وعمر ابي لا يستوي ما انت عليه من التوحيد وما المشركون عليه من الشرك قال ابن عباس الحسنة لا اله الا الله والسيئة الشرك وقيل الحسنة الطاعة والسيئة الشرك وهو الاول بعينه وقيل الحسنة المداراة والسيئة الغلظة وقيل الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقال الضحاك الحسنة العلم والسيئة الجهل وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحسنة حب الرسول والسيئة بغضهم قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن نسخت بالسيف وهي المستحب من ذلك حسن العشرة والاحتمال والاغضاء قال ابن عباس امر ان يدفع بحلمه جهل من يجهل عليه ومنه ايضا هو الرجل يسب الرجل فيقول ان كنت صادقا فيما قلت علي فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك وكذلك يروى في الاثر ان ابا بكر رضي الله عنه قال ذلك لرجل نال منه وقال يحيى بن سلام هي احسن بيعين السلام اذا لقي من يبغضه فقال له عطاء وقول ثالث ذكره القاضي ابو بكر بن العربي في الاحكام وهو المصافحة وفي الاثر تصافحوا يذهب الغل وبه مالك المصافحة وقد اجتمع مع سفيان فتذاكرا فيها فقال سفيان قد صافحني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفت الخير في وجهه ومن اخلاق هذه الجبلة فقال له مالك ذلك خاص فقال له سفيان ما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم بخصلة وما عمه بغيرها والمصافحة ثابتة فلا وجه لانكاره وقد روي فتاة قال قلت

لانس هل كانت المصافحة في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وهذا
حديث صحيح وفي الائر من تمام المحبة الاخذ باليد ومن حديث محمد ابن اسحاق وهو امام
متقدم عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فقرع الباب فقام اليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم عريانا يجر ثوبه والله ما رأيته عريانا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبله قلت
قد روينا عن مالك جواز المصافحة وعليها جماعة العلماء وقد مضى ذلك في يوسف وذكرنا
هناك حديث البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
مسلمين يلتقيان فيتصافحان فيحمدان الله ويستغفرانه الا غفر لهما
ذنوبهما بينهما فرأى ضغائن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ابي
قريبه صديقه قال مقاتل نزلت في ابي سفيان بن حرب كان مؤذيا للنبي
صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بعد ان كان عدوا بالمصاهرة التي وقعت
بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فصار وليا في الاسلام خيبا القرابة
وقيل هذه الاية نزلت في ابي جهل بن هشام وكان يؤذي النبي صلى الله عليه
وسلم فامره الله تعالى بالصبر عليه والصفح عنه ذكره الماوردي والاول
ذكره الثعلبي والقشيري وهو اظهر لقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وقيل كان هذا قبل الامر بالقتال قال ابن عباس هذا امر الله في
هذه الاية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعل
الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان وصفح لهم عدوهم وروي ان رجلا شتم
عليا ابن ابي طالب فتاداه يا فتى دع شاتمك واله عنه يرحمك الرحمن ويغضب
الشيطان ويب فتى شاتمك كلمونني الاحمق بمثل السكوت عنه واسكتوا ولكف
عن شتم اللئيم تكرما احتراله من شتمه حين يشتم وقالوا خير وما

* وما شتمني احد ابي سفينة اذا سب الكريم من الجواب
* مشاركة السفيه بلا جواب اشد على السفيه من السباب
وقال محمود الوراق *
* ما لزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان كثرت مني لدي الجرائم
* وما الناس الا واحد من ثلثة شريف ومشروف ومثل مقاوم
* فاما الذي فوقي فاعرف قدره واتبع فيه الحق والحق لازم
* واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لامني لائم
* واما الذي مثلي فان زلة او هفى تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

وما بلغنا هما بعين هذه الخصلة الكريمة والخصلة الشريفة الا الذين صبروا
لكظم الغيظ واحتملوا الاذى وما بلغنا هما الا بحظ عظيم انيل وافر من
الخير قال ابن عباس قال لي هذا الحظ العظيم الجنة قال الحسن والله ما عظم حظ
فط دون الجنة وقيل لكاتبه ما بلغنا هما بمر الجنة ابى ما بلغنا هما الا الصابرون
والمعنى متقارب قوله تعالى وامانينزغنك من الشيطان نزغ تقدم في آخر
الاعراف مستوفى فاستعذ بالله من كيده وسوسته انه هو السميع لاستعاذتك العليم
بما ضمائرك وانواعك قوله تعالى ومن اياته سلامانه الدالة على وحدانيته وقدرته
الليل والنهار والشمس والقمر وقد مضى في غير موضع ثم نهى عن السجود لها لانها
وان كانت مخلوقة فليس ذلك لفضيلة لها في انفسها فيستحق بها العبادة
بل الله الذي خلقها فهو الله وحده لا شريك له فاعبدوه واسجدوا له والله الذي
خلقهن وصورهن ومسخرهن فلكنا بنا نرجع الى الشمس والقمر والليل والنهار وقيل
للشمس والقمر خاصة لان الايتين جمع وقيل الضمير عائد على معنى الايات ان كنتم
اياه تعبدون وانما اتى على جمع التكسير ولم يجز على طريق التغليب للمذكر
والمونث لانه شيء لا يعقل قال استكبروا يعني الكفار عن السجود لله في لدينه
عند ربك من الملئكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون اي لا يملون عبادته
قال ابن عباس ست ثكالى الحياة ومن تحتهن حوت لا ان لك بسام مسبلة هذه
الاية اية سجدة بلا خلاف واختلفوا في موضع السجود منها فقال مالك موضعه ان كنتم
اياه تعبدون لانه منتهى الامر وكان علي وابن مسعود وغيرهم يسجدون عند

قوله

قوله يسجدون وقال ابن وهب والشافعي موضعه وهم لا يسأمون الا تمام الكلام
وغاية العبادة والامتثال وبه قال ابو حنيفة وكان ابن عباس يسجد عند قوله
يسأمون وقال ابن عمر السجدة بالاضرة منها وكذلك يروى عن مسروق وابي عبد
الرحمن السلمي وابراهيم النخعي وابي صالح وزيد بن وثاب وطلحة ورسد الناس
والحسن بن سيرين وكان ابو وايل وقتادة وبكر بن عبد الله يسجدون عند قوله
يسأمون قال ابن العربي والامر فيه سهيلة ذكر ابن حوار منداد ان هذه
الاية نظمت صلاة كسوف الشمس والقمر لان الحرب كانت تشتمل ان الشمس
والقمر لا ينكسفان الا لموت عظيم فصلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف
فعلت صلاة الكسوف ثابتة في الصحاح البخاري ومسلم وغيرهما واختلفوا في كيفيتها
اختلافا كثيرا لاختلاف الاثار وحسبك ما في صحيح مسلم من ذلك وهو العمدة في الباب
والله الموفق للصواب قوله تعالى ومن اياته انكم ترى الارض خاشعة الخطاب
لكل عاقل ايها ومن اياته الدالة على انه يحيي الموتى انكم ترى الارض خاشعة اي يابسة
جدبة هذا وصف الارض بالمنظر فاذا انبتت
« وربا دلكحل العين لا يابسة ولا يحدم الحوض الثلم خاشع »
والارض الخاشعة العبرا التي لا نبت ولا بناء وخاشعة اي معتبرة لا منزل بها ومكان
خاشع فاذا انزلت عليها الماء اهتزت اي بالنبات قاله مجاهد
« يقال اهتز الانسان اي تحرك ومنه هذا كفصل السيف يهتز للهناء »
« اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا » وربت اي انتفخت وعلت قبل ان
تنبت قاله مجاهد اي تضعدت عند النبات بعد موتها وعلى هذا التقديم
يكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره ربت واهتزت والاهتزاز والربو
يكون ان تبدو الحزوج من الارض وقد يكون ذلك بعد خروج النبات الى وجه الارض
فيوصف ارتفاعها ويقال للموضع المرتفع ربوة وربيوة للنبات يتحرك للبروز
ثم يزداد في جسمه بالكبر طولا وعرضا وقال ابو جعفر وخالد ورباب وصفناه عظمت
من الربيئة فقد اهتزت اي استبشرت بالمطر وربت اي انتفخت بالنبات
والارض اذا انشقت بالنبات وصفت بالضحك فيجوز وصفها بالاستبشار ايضا
ويجوز ان يقال الربو والاهتزاز واحد وهي حاله خروج النبات وقد مضى هذا
المعنى في الحج ان ذلك للحي الموتى وهو على كل شيء قدير تقدم من غير موضع
قوله تعالى ان الذين يلحدون في اياتنا اي يميلون عن الحق في اذلتنا
والالحاد الميل والعدول ومنه اللحد في القبر لانه امال الى ناحية ويقال
الحد في دين الله اي حاد عنه وعدل ولحد لغة فيه وهذا يرجع الى الدين قالوا
لا يسمى لهذا القرآن والقرائن وهم الذين الحدوا في اياته وما قالوا عن الحق
فقالوا ليس القرآن من عند الله او هو شعر او سحر فالاياة في القرآن
القرآن قال مجاهد يلحدون في اياتنا اي يعدلون والحاد القرآن بالمكاء
والتصدية واللغو والعث وقال ابن عباس هو تبديل الكلام ووضعه في غير
موضعه وقال قتادة يلحدون في اياتنا يكذبون في اياتنا وقال السدي يعاندون
وشبه قوله وقال ابن زيد يشركون ويكذبون والمعنى متقاربة وقال مقاتل
نزلت في ابي جهل وقيل الاياة المعجزات وهو يرجع الى الاول قال القرآن
معجزا ممن يلقي اليه على وجهه وهو ابو جهل في قول ابن عباس وغيره
صبرا من ساب أمنا يوم القيامة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم قاله مقاتل وقيل
عثمان وقيل عمار بن ياسر وقيل حمزة وقيل عمر بن الخطاب وقيل ابو سلمة
ابن عبد الاسد المخزومي وقيل المراد من قال انها على العموم فالذي يلقى في النار
الكافر والذي يأتي امنا يوم القيامة المؤمن قاله ابن عباس اعملوا ما شئتم امر تهديد
انه بعد ما علمتم انها لا يتأتى منكم الا وجه القرآن انتم تعلمون بصير بجميع
ما تعملون وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم الذكر فيهما
القرآن في قول الجميع لان قبله ذكر ما يحتاج اليه من الاحكام والخبر محذوف هالكون
او معذبون وقيل الخبر اولئك ينادون من مكان بعيد واعترض قوله ما يقال لك ثم رجع
الى الذكر فقال ولو جعلناه قرآنا اعجميا ثم قال اولئك ينادون والاول الاختيار قال النحاس

عند النحويين جميعا فيما علمت وانه لكتاب عزيز ابي عزيز على الله تعالى قال ابن عباس
وعنه عزيز من عند الله وقيل كريم على الله وقيل عزيز اي اعزه الله فلا يتطرق
اليه باطل وقيل ينبغي ان يجد ويجل وان لا يلغى فيه وقيل عزيز من الشيطان
ان يبدله قاله السدي وقتادة منع من الشيطان والباطل
السدي عزيز مخلوق فلا مثل له وقال ابن عباس ايضا ابي ممتنع عن الناس
ان يأتوا بمثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ابي لا يكذب بشيء مما
انزل الله من قبل ولا ينزل بعده كتاب يبطله وينسخه قاله الكلبي وقال السدي
وقتادة لا يأتيه الباطل يعني الشيطان من بين يديه ومن خلفه لا يستطيع ان
ان يغير ولا يبدل ولا ينتقص وقال سعيد بن جبير لا يأتيه التكذيب من بين يديه
ولا من خلفه ابن جبير لا يأتيه الباطل فيما اخبر عما مضى ولا فيما اخبر عما يكون
وعن ابن عباس من بين يديه من الله تعالى ولا من خلفه يزيد من جبريل صلى الله
عليه وسلم ولا من محمد تنزيل من حكيم حميد بن عباس حكيم في خلقه حميد اليهم
قتادة حكيم في امره حميد اليه خلقه قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد
والتكذيب الا ما قد قيل للرسل من قبلك بعزيمته وسلبه ان ربك لذو مغفرة
لك ولاصحابك وذو عقاب اليم يديه لاعدائك وجميع وقيل اي ما يقال لك من
اخلاص التعبد لله الا ما قد اوحي اليه من قبلك ولا خلاف بين الشرائع في التعلق
بالتوحيد وهو كقوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن
عملك ايجب لم لئن عرفهم اليه ما دعوا اليه جميع الانبياء قبله معنى لانكارهم عليك وقيل نفوذ
استغنائهم اليه اي شيء يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل ان ربك كلام
مبتدأ وما قبله كلام تم اذا كان الخبر مضمرا وقيل هو متصل بما يقال لك ان
ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم اي انما امرت بالانذار والتبشير قوله تعالى
ولو جعلناه قرآنا اعجميا فيه ثلاث مسائل الاولى قوله ولو جعلناه قرآنا اعجميا
اي بلغة غير العرب لقالوا فصلت اياته اي بينت بلغتنا فنتبعه على ما ننتهم
الاعجمية فبين انه انزله بلسانهم لتقوم به معنى الاعجاز اذ هم اعلم الناس بأحكام
الكلام نظما ونثرا واذا عجزوا عن معارضته كان من ادل الدليل على انه من عند الله
ولو كان بلسان العجم لقالوا لا علم لنا بهذا اللسان الثانية واذا ثبت هذا وجب
دليل على ان القرآن عربي وانه نزل بلغة العرب وانه ليس اعجميا وانما ذا انتقل
عنها ابو عزها لم يكن قرآنا الثالثة قوله تعالى اعجمي وعربي قرأ ابو بكر وحمزة
والكسائي آأعجمي وعربي بهمزتين محققتين والعجمي الذي ليس من العرب كان فصيحا
او غير فصيح والاعجمي الذي لا يفصح كان من العرب او من العجم فالاعجم ضد الفصيح وهو
الذي لا يبين كلامه وصف ذلك للحيوانات غير الناطقة بعجم ومنه صلاة النهار عجماء اي لا يجهر فيها
بالقراءة فكانت السنة ان الاعجم اذا كان الرجل العجمي الذي ليس من العرب قد يكون فصيحا
بالعربية والعربي قد يكون غير فصيح لغة ابو الاعجمي اكد في البيان والمعنى اقرأت
اعجمي وبني عربي وهو استفهام انكار وقرأ الحسن وابو العالية ونصر ابن عاصم والمغيرة
ويعقوب عن ابن عامر اعجمي بهمزة واحدة على الخبر والمعنى لولا فصلت اياته فكان منها
عربي يفهمه العرب واعجمي يفهمه العجم وروي سعيد ابن جبير قال قالت قريش لو
انزل القرآن اعجميا وعربيا فيكون بعض اياته عجميا وبعضها عربيا فنزلت اتباعا
وانزلنا القرآن من كل لغة فمنه السجيل وفي ريشه واهلها سمك كبدا بطن وظهر
ومنه الفردوس ربه وكذلك القسطاس ونداء هذا الحجاز وابو عمرو بن ذكوان
وحفص على الاستفهام الا انهم لينوا الهمزة على اصولهم والقراءة الصحيحة قراءة الاستفهام
والله اعلم قوله تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء اعلم الله ان القرآن
هدى وشفاء لكل من اخبر من الشك والريب والاوجاع والذين لا يؤمنون في اذانهم
وقر اي صمم عن سماع القرآن ولهذا تواصوا بالعزلة ونظير هذه الاية وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقد مضى مستوفى وقراءة
العامة هنا على المصدر وقرأ ابن عباس وعبد الله بن الزبير وعمرو بن العاص وابو
وعوبة وسليمان ابن قتة وهو عليهم بضم الميم اي لا تبين لهم واختار ابو عبيد
القراءة الاولى لاجماع الناس فيها وقوله اولا هدى وشفاء ولو كان هاديا وشافيا

كان الكسر في عمي اجود ليكون نعتا مثلها تقدير ه والذين لا يؤمنون في تركه فتوله
بمنزلة من في اذانهم وهو يعني الغران عليهم ذو اعمى لانهم لا يفقهون فحذف المضاف
وقيل المعنى والوقر عليهم عمى اولئك بنا دون من مكان بعيد يقول ذلك لمن لا يفهم
من التمثيل وحكي اهل اللغة انه يقال للذي يفهم انت تسمع من قريب ويقال
للذي لا يفهم انت تنادي من بعيد ابو كاندين دي من موضع بعيد منه فهو لا يسمع النداء
ولا يفهمه وقال الضحاك بئس دون يوم القيامة ما قبح اسماعهم من مكان بعيد ه
فيكون ذلك اشد لتوبيخهم وفضيحتهم وقيل اي من لم يتدبر القران صار كالاعمى
الاصم فهو بنا دي من مكان بعيد فيتفطن صوت المنادي عنه وهو لا يسمع وقال
علي رضي الله عنه وجه هذا بي بعيد من قلوبهم وفي التفسير كانهم دون من
السماء فلا يسمعون وحكي معناه الفراء وقيل هذا بي بعيد من افهامهم وفي التفسير كانهم دون من
يعني التوراة فاختلفت فيه اي امن به قوم وكذب به قوم والكناية ترجع الى الكتاب
وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنك اختلاف قومك في كتابك فقد
اختلف من قبلهم في كتابهم وقيل الكناية ترجع الى موسى ولولا كلمة سبقت من ربك
اي في امهالهم لقضي بينهم اي بتعجيل العذاب وانهم لفي شك منه من القرآن
مريب اي شديد الريبة وقد تقدم وقال الكلبي في هذه الاية لولا ان الله اخر عذاب
هذه الامة الى يوم القيامة لانتاهم العذاب كما فعل بغيرهم من الامم وقيل لولا خبر
العذاب لما يخرج منا صلابهم من المؤمنين فوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه شرط
وجزاء وكذا من اساء فعليها والله حل وعز مستغن عن طاعة العباد فمن اطاع فلثواب
له ومن اساء فالعقاب عليه وما ربك بظلام للعبيد نفي الظلم عن نفسه جل وعز
قليله وكثيره واذا انتفت المبالغة انتفى غيره دليله قوله ان الله لا يظلم الناس شيئا
وروي ابو العدول الثقات والائمة الاثبات عن الزاهد العدل عن الارض عن
امين السما عن الرب جل جلاله يا عبادي ابن حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم
محرما فلا تظالموا الحديث وايضا فهو الحكيم المالك وما يفعله الملك في ملكه لا اعتراض
عليه اذ له التصرف في ملكه بما يريد فوله تعالى اليه يرد علم الساعة اي حين
وقتها وذلك انهم قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخبرنا متى تقوم الساعة فنزلت وما يخرج
من ثمرات من زايده ابيه وما يخرج ثمره من اكمامها اي من اوعيتها فالاكمام ه
اوعية الثمرة واحدها كم وهي كل ظرف لمال وغيره ولذلك سمي قشر الطلع اعني
كفراه الذي ينشق عن الثمرة كما قال ابن عباس لكم الكفرى قبل ان تنشق فاذا
انشقت فليست بكم وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الرحمن وقرأ نافع وابن عامر
وحفص من ثمرات على الجمع الباقون ثمرة على التوحيد والمراد الجمع لقوله وما
يحمل من انثى والمراد الجمع يقول اليه يرد علم الساعة كما يرد اليه علم الثمار والنتاج
ويوم ينادي يعني الله المشركين اين شركائي الذين زعمتم في الدنيا انها الهة
تشفع يعني في قولها المشركين فيحتمل ان يريد جميع العابد والمعبود
فالوا اذنا كما اسمعناك واعلمناك ما منا اليوم من شهيد اي يعلمك
ما منا احد يشهد بان لك شريكا لما عاينوا القيمة تبرؤا من الاصنام وتبرأت الاصنام
منهم كما تقدم في غير موضع وضل عنهم اي بطل عنهم ما كانوا يدعون من قبل في الدنيا
وظنوا اي ايقنوا وعلموا ما لهم من محيص اي فرار عن النار وما هنا وليس باسم فلذلك
لم يعمل فيه الظن وجعل العقل ملغى تقديره وظنوا انهم ما لهم محيص ولا مهرب حاص
يحيص حيصا ومحيصا اذا هرب وقيل ان الظن هنا هو الذي بمعنى الرأي اي هم
الا مسلمون في انهم اصحاب النار ولكن يطمعون ان يجوزوها وليس ببعيد ان يكون
لهم ظن ورجاء اليوان يوبخوا قوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير
اي لا يمل من دعاء ربه بالخير وهو المال والصحة والسلطان والرزق الواسع
والانسان هاهنا يراد به الكافر قتل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وشيبة
ابني ربيعة وامية بن خلف وفي قراءة عبد الله لا يسأم الانسان من دعاء المال
وان مسه الشر الفقر والمرض فيؤس من روح الله فيقنط من رحمته وقيل يؤوس
من اجابة الدعا فيقنط هو الظن بربه وقيل يؤوس اي يئوس من زوال ما به من المكروه

تنوط ابي بطن انه يوم والمعنى متقارب قوله تعالى ولين اذقناه
رحمة منا عافيته ورخاء وغنا من بعد ضرا مسته ضر وسقم وشدة وفقر ليقولن
هذا لي اي هذا شيء استحقه على الله لرضاه بعملي وغيره النعمة حتى واحسانا على
الله تعالى ولم يعلم ان ابتلاه بالنعمة والمحنة ليبتين شكره وصبره وقال ابن عباس
هذا لي اي هذا من عندي وما اظن الساعة قائمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى اي الجنة واللام للتاكيد يعني الاماني بما عمل قال الحسن ابن محمد بن علي
ابن ابي طالب للكافر امنيتين اما في الدنيا فينزل لين رجعت الى ربي ان لي عنده
للحسنى واما في الاخرة فينزل يا ليتني لم نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من
المومنين ويا ليتني كنت تراب فلنبينن الذين كفروا بما عملوا اي ليخبرنهم فسم فسم
الله عليه ولنذيقنهم من عذاب غليظ شديد قوله تعالى واذا انعمنا
على الانسان يريد الكافر اعرض ونا بجانبه وقال ابن عباس يريد عتبة بن
ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن خلف اعرضوا عن الاسلام ونا بعدوا عنه
ومعنى ناى جانبه ابعد ونا عن الانقياد الى الحق وتكبر على اولياء الله وقيل ناى بعد
تقول ناسه وناى عنه تباعدت عنه وناى به ما ناى به
ابعدته فبعدونا وابنا عدوا والمسايي الموضع البعيد قال النابغة
فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المسايي عنك واسع
وقرا يزيد بن القعقاع فاناي بجانبه بالالف قبل الهمزة فيجوز ان يكون
من ناى اذا نهض ويجوز ان يكون على قلب الهمزة بعين الاول واذا مسه
الشر اي اصابه المكروه فذو دعا عريض كثير والعرب تستعمل الطول والعرض في
الكثرة يقال اطال فلان في الكلام واعرض في الدعاء اذا اكثر وقال ابن عباس فذو
دعا عريض فذو يصبح واشعاره والكافر يعرف ربه في البلاء ولا يعرفه في الرخاء
قوله تعالى قل ارايتم اي قل لهم يا محمد ارايتم يا معشر المشركين ان كان
هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به من اضل اي فلا احد اضل اي لا احد
اضل منكم فوضع شقاقكم وعداوتكم وقيل قوله ان كان من عند الله يرجع الى
الكتاب المذكور في قوله انبنا موسى الكتاب والاول اظهر وهو قول ابن عباس
قوله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق اي علامات وحدانيتنا وقدرتنا
في الافاق يعني خراب منازل الامم الخالية وفي انفسهم بالبلايا والامراض
وقال ابن زيد في الافاق افاق السماء وفي انفسهم حوادث الارض وقال مجاهد
في الافاق فتح العرب بنبيه الله جل وعز لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء
من بعده وظهور دينه في افاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي ناحية
المغرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر لاحد ممن كان قبلهم من
ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتقليب قلوبهم على كبيرهم وتسليط ضعفائهم
على اغنيائهم واصابير على اديانهم امر اخبار رجمة عن المغيبات وقد للعادات
وفي انفسهم فتح مكة وهذا اختيار الطبري وقال المنهال ابن عمرو والسدي
وقال قتادة والضحاك يعني الافاق وقائع الله في الامم وفي انفسهم يوم بدر وقال
عطاء وابن زيد ايضا في الافاق بعني افاق السموات والارض من الشمس والقمر
والنجوم والليل والنهار والرياح والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات
والاشجار والجبال والبحار وغيره وفي الصحاح الافاق النواحي واحدها افق
وافق مثل عسر وعسر ورجل افيق بفتح الهمزة والف اذا كان من افاق الارض
حكاه ابو نصر وبعضهم يقول افق بضمها وهو الغياس وانشد عن الجوهري

• احذنا باقاق السما عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع •

وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغائط والبول فان الرجل
يشرب وباكله من مكان واحد فيتميز ذلك في مكانين وبديع صنعة الله وحكمته في
تبيينه اللبن بين الفرث والدم ما ينظر بنفي من السما الى الارض مسيرة خمسمائة عام وفي
اذنه التي يفرق بها بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه
وقيل في انفسهم من كونهم نطفا الى غير ذلك من انتقال احوالهم كما تقدم في
المومنين بيانه وقيل المعنى سيرون ما اخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن

واخبار

ولجاء الغيوث حين يتبين لهم انه الحق فيه اربعة اوجه احدها انه القرآن والثاني الاسلام جاءهم به الرسول ودعاهم اليه والثالث ان ما يبعثهم الله ويفعله من ذلك نفس الحق والرابع ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الرسول الحق اولم يكف بربك بن موضع رفع بانه فاعل يكفي والباء بدل من ربك فهو رفع ان قدرته بدلا على الموضع وجران قدرته بدلا على اللفظ ويجوز ان يكون نصبا بتقدير حذف اللام والمعنى اولم لم يكفهم ربك ما دلهم عليه من توحيده لانه على كل شئ شهيد واذا شهد وجاز اعليه وقبل المعنى اولم يكف بربك بن صحابتك الكفار وقبل المعنى اولم يكف ربك يا محمد انه على كل شئ شهيد اعمال الكفار وقبل اولم يكف بربك شاهدا على ان القرآن من عند الله وقبل اولم يكف من ربك انه على كل شئ مما يفعله العبد شهيد والشهيد بمعنى العالم او هو من الشهادة التي هي الحضور لانهم في مدينة في شك من لقاء ربهم في الاخرة وقال السدي اي من البعث الا انه بكل شئ محيط اي احاط علمه بكل شئ قاله السدي وقال الكلبي احاطت قدرته بكل شئ وقال الخطابي هو الذي احاطت قدرته بجميع خلقه وهو الذي احاط بكل شئ علما واحصى كل شئ عددا وهذا الاسم اكثر ما يجيء في معرض الوعيد وحقيقته الاحاطة بكل شئ واشتمال المحاط به واصله محيط فقلبت حركة الياء الى ما قبلها فسكنت يقال منه احاط يحيط احاطة وحيطه ومن ذلك حائط الدار يحوطها اهلها واحاطت الخيل بفلات اذا اخذه اخذا حاضرا من كل جهة ومنه قوله تعالى واحيط بثمره

٤٢ سورة الشورى مكية في قول الحسن وعكرمة

وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اربع ايات منها نزلت بالمدينة قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى الى اخرها وهي ثلاث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قرأ نافع حم عسق قال عبد الله بن الحسن بن المفضل لم يقطع حم من عسق ولم يقطع كهيعص والمر والمص فقال لانهم عسق بين سورا ولها حم بعدت حائرة نظائرها قبلها وبعدها فكانت حم مبتدا وعسق خبره ولانها عدت اثنين وعدت احرفها اللواتي كنت حملة اية واحدة وقيل ان الحروف المعجمة كلها في المعنى واحد من حيث انها اسماء البيان وفاتحة الكلام ذكره ابو الجرجاني وكتب حم عسق منفصلا وكهيعص متصلا لانه قبل حم اي حم ما يعهد كائنا فصلوا بين ما يبتدع وبين ما لا يبتدع ثم لو وصل هذا ووصل الحاء حكاه العنبري وعن قتادة ابن مسعود وابن عباس حم عسق قال ابن عباس وكان علي رضي الله عنه يعرف العنبر بها وقال ارطاه ابن المنذر قال رجل لابن عباس وعنده حذيفة ابن اليمان اخبرني عن تفسير قوله تعالى حم عسق فاعرض عنه حتى اعاد ثلاثا فاعرض عنه فقال لحذيفة ابن اليمان انا اينك بها قد عرفت لم تذكرنا نزلت في رجل من اهل بيته يقال له عبد الاله او عبد الله ينزل على نهر من انهار المشرق بين عليه مدينتين بشط النهر بينهما شقاق فاذا اراد الله زوال ملكهم وانقطاع دولتهم بعث على احداهما نارا فتصبح سوداء مظلمة فتحترق بكمالها كانها لم تكن مكانها فتصبح صاحبتها مغتبطة كيف قلبت فيها هو الا ليلة حتى يومها حتى تجتمع فيها كلها جبابرتها وعتاتها ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله حم عسق اي عز بمن مضى من عز ما شاء الله وفتنة وقضاهم همزع عدا منه بين السكون في واقع في هاتين المدينتين ونظير هذا التفسير ما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين مدينة بين دجلة وجيل وسطربل والصداة تجتمع فيها جبابرة الارض تحيي اليها الخراسان تخسف بها وفي رواية تاهلها فتهي اسرع ذهابا في الارض من الوتد الجيد في الارض الرخوة وقتادة ابن عباس حم عسق بنير غين وكذلك هو في مصحف عبد الله ابن مسعود حكاه الطبري ورويس نافع عن ابن عباس الحاء حكمه والميم مجده والعين علمه والسين سناه والقاف قدرته اقسم الله بها وعن محمد ابن كعب اقسم الله بحكمه ومجده وعلوه وسناه ومجده ان لا يعذب من عاذ بلا اله الا الله مخلصا من قلبه وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير الحاء من الرحمن

والميم من المجيد والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القادر وقال مجاهد
فواتح السور وقال عبد الله بن بريدة انها اسم الجبل المحيط بالدنيا وذكر الثعلبي واللفظ
للثعلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عرفت الكآبة في وجهه
فقيل له يا رسول الله ما احزنك قال احدثت بعدا يا ينزل بامتي من خسف وقذف فنار
تحشرهم ونار تقيل فيهم في البحر وايات تتتابعات متصلات بنزول عيسى وخروج
الدجال والله اعلم وقيل هذا من ثناء النبي صلى الله عليه وسلم قال هو صفة المورود
والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناه المشهود والقاف فناءه
في المقام المحمود وقد بين في الكراسة من الملك الممجود وقال ابن عباس ليس من نبي
صاحب كتاب الا وقد اوحي اليهم عسق فلذلك قال نوحي اليك والى الذين من
قبلك المهدوي وقد جاء في الخبر ان معنى حم عسق معناه اوحيت الى الانبياء
المتقدمين وقرا ابن محيصن وابن كثير ومحبوب عن يحيى بفتح الحاء على ما لم يسم
فاعله وروي عن ابن عمر فيكون الذي والمجرور في موضع رفع لقيامه مقام الفاعل
ويجوز ان يكون اسم مالم يسم فاعله مضمرا اي يوحي اليك القرآن التي تضمنته
هذه السورة ويكون اسم الله مرفوع بما رفعل التقدير يوحيه الله اليك
كقراءة ابن عامر وابي بكر يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال اي يسبحه رجال
وانتصب يسبحون بفعل يزيد صارع بخصومه واشعث من طوحته الطوايح
فتقدير ليبك يزيد يبكيه صارع بخصومه ومن يبغي ان يكيد فالمعني يبكيه صارع ويجوز ان
يكون مبتدا والخبر محذوف كأنه قيل الله يوحيه او على تقدير اضمار مبتدا اي
الموحي الله او يكون مبتدا والخبر العزيز الحكيم وقرا الف فوت يوحي اليك بكسر
الحاء ورفع الاسم على انه الفاعل له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم
تقدم من غير موضع * قوله تكاد السموات فقرا الجماعة بالتاء وقد
تقدم وانث وذكر والكناية بالياء ينفطرن فقرا نافع وغيره بالتاء والتشديد
في الطاء وهي قراءة العامة وقرا ابو عمرو وابو بكر والمفضل وابو عبيد ينفطرن
من الانفطار كقوله تعالى اذا السما انفطرت وقد مضى في سورة مريم بيان
هذا وقال ابن عباس يكاد السموات ينفطرن اي تكاد كل واحدة منهما ينفطر
فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا وقال الضحاك والسدي ينفطرن
اي ينشققن من عظمة الله وجلاله فوقهن وقيل فوقهن فوق الارض
من خشية الله اوكد مما يعقل فوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم
اي ينزهونه عما لا يجوز في وصفه ومما لا يليق بجلاله وقيل يتعجبون من جرأة
المشركين فيذكر التسبيح في موضع التعجب وعن علي رضي الله عنه ان تسبيحهم
تعجب مما يرون من تبديل خلق الله وقال ابن عباس تسبيحهم خضوع
طايرون من عظمة الله ومعنى بحمد ربهم بامر ربهم قاله السدي ويستغفرون لمن
في الارض قاله الضحاك لمن في الارض من المومنين وقال السدي يبدا بنفسه في سورة المومن
ويستغفرون للذين امنوا وعلى هذا تكون الملائكة هنا حملة العرش وقيل
جميع ملائكة السما وهو الظاهر من قول الكلبي وقال وهب بن منبه هو منسوخ
بقوله ويستغفرون للذين امنوا قال المهدوي والصحيح انه ليس بمنسوخ لانه خبر وهو
خاص للمومنين وقال ابو الحسن الماوردي عن الكلبي ان الملائكة لما رات الملكين
الذين بابل عصيا واوشكا ان يدخلا النار ظهر وهزبا الى ادريس وقص
عليه ابو نوح عليهما السلام وسلامه ان يدعوا لهما فسمعت الملائكة بحمد ربهم واستغفرت
لبني ادم قال ابو الحسن بن الحصار وغلط بعض من جهل ان هذه الآية نزلت بسبب
هاروت وماروت وانها منسوخة بالآية التي في المومن وما علموا ان حملة العرش يخصوصون
بالاستغفار للمومنين خاصة وانه ملائكة اخر يستغفرون لمن في الارض الماوردي
وفي استغفارهم لهم قولان احدهما من الذنوب والخطايا وحفظا هر قول من قال
انهم انما طلب الرزق لهم والسعة عليهم قاله الكلبي قلت وهو اظهر لان الارض تعم
الكافر وغيره وعلى قول من قال لا يدخل فيه الكافر وقد روي هذا الباب
خبر رواه عاصم الاحول عن ابي عثمان عن سلمان قال ان العبد اذا كان يذكر الله
في السراء فنزلت به الضراء قالت الملائكة صوت معروف من ادمي ضعيف كان

يذكر الله في السرا فنزلت به الضرا فبتضرعون له فاذا كان لا يذكر الله في السرا فنزلت به الضرا قالت الملايكة صوت منكر من ادمي كان لا يذكر الله في السرا فنزلت به الضرا فلا تستضرعون له وهذا يدل على ان الاية في الذكر لله في السرا والضرا فهي خاصة ببعض من في الارض من المومنين والله اعلم ويحتمل ان يقصد بها الاستفزاز طبع الحلم والغفران في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم والاناة بهم بالانتقام فيكون عاما قاله الزمخشري وقال مطرف وحدنا الصمد معبود الله الملايكة وحدنا اعبث معبود الله لعبادة الله التي طبعت وقد تقدم الا ان الله هو الغفور الرحيم قال بعض العلما ذهب وعظم جل وعز في الابتدا والخطب وبشر في الانتها قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء تقدم اضمارها يعبدونها الله حفيظ عليهم اي يحفظ اعمالهم ليجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل وقد وه منسوخة باية السيف وفي الخبر اطلت السما وحق لها ان تطا اي صوتت من ثقل سكانها لكثرتهم فيها مع كثرتهم لا يفترون من عبادة الله وهو الكفر ويشركون به قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا اي فكما اوحينا اليك واليه من قبلك هذه المعاني فكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا بينا بلغة العرب وقيل اي انزلنا عليك قرانا عربيا بلسان قومك كما ارسلنا كل رسول بلسان قومه والمعنى واحد لتنذر ام القرى يعني مكة وقيل لمكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها ومن حولها منها بدا الخلق وتنذر يوم الجمع اي يوم الجمع وهو يوم القيمة لا ريب فيه لا شك فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ابتدا وجاز الكسر بالنصب على تقدير لتنذر فريقا في الجنة وفريقا في السعير قوله تعالى ولو شا الله لجعلهم امة واحدة قال الضحاك اهل دين واحد اهل ضلالة واهل هدى ولكن يدخل من يشا في رحمته قال انس ابن مالك في الاسلام والكفار الموت رفع عملي الابتدا والخبر ما لهم من الله من ولي ولا نصير عطف على اللفظ ويجوز ولا نصيرا بالرفع على الموضع ومن ابتدا زايدة قوله تعالى ام اتخذوا من دونه اولياء يعني اصناما فالله هو الولي اي او لبئس ايها المحمد ، ودل من ابتدا على كل شي قدير وغيره من الاولياء لا يقدر على شي انتهى قوله تعالى وما اختلفتم فيه من شي حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمومنين ايه وما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين من امر الدين فتنازلوا فيه حكمه الى الله اليكم وقد حكم ان الذين هو الاسلام لا غيره واسوة الشرايع انما تتلقى من الله ذلكم الله ربي اي الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده وبيده احيا واماتة قل لهم يا محمد ذلكم الله الذي يحيي ويميت ويحكم بين عباده المختلفين هو ربي عليه توكلت اعتمدت واليه انيب ارجع قوله تعالى فاطر السموات والارض بالرفع على النعت لاسم الله او على تقدير هو فاطر ويجوز النصب على النداء والجر على البدل من الهاء في عليه والفاطر المبدع والخالق وقد تقدم جعل لكم من انفسكم ازواجا قيل معناه اناثا وانما قال من انفسكم لانه خلق حوا من ضلع ادم وقال مجاهد نسلا بعد نسل ومن الانعام ازواجا يعني السنة التي ذكرها في الانعام ذكر الابل والبقر والضان والمعز وانشا منها فذروكم فيه ايه يخلقكم وينشيكم فيه ايه في الرحم وقيل في البطن وقال الفراء يذروكم فيه يكثركم به ايه يكثركم بخلقكم ازواجا ايه حلايل لا نعم يسبب النسل وقيل ان الهاء فيه للجعل ودل عليه جعل فكانه قال يخلقكم ويكثركم في الجعل ان فتنيه يذروكم فيه ايه في الزوج ايه يخلقكم في بطون الامهات وقال ويكون في الرحم وعنه بعد لان الرحم مونثة ولم يتقدم لها ذكر ليس كمثله شي وهو السميع البصير قيل ان الكاف زايدة للتوكيد ايه ليس مثله شي قال ، وقمدانت كمثل بوقفين ، فادخل على الكاف كما فان كيدا للتشبيه وهو قول ثعلب ايه ليس مثله شي نحو قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به وفي حرف ابن مسعود فان امنوا بما امنتم به فقد اهتدوا قال اوس بن حجر وقتلى كمثل جذوع النخيل يغشاهم

مظر صنهم ابو الجزوع والذي يعتمد في هذا الباب ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه
وملكوته وصف اسمي به وعبد صفاته لا يشبه شيا من مخلوقاته ولا يشبه به واما
جاء ما اطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ
صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق اذ صفاتهم لا ينفك ممن
الاعراض والاعراض وهو منزه في منزه عن ذلك بل لم يزل باسمائه ونعوته
ما سيأتي في الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى وكمن في هذا قوله الحق ليس
كمثله شيء وقد قال بعض المحققين التوحيد اثبات ذات غير متشبهة
للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد الواسطي رحمه الله بيانا فقال
ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة
مرادفة اللفظ وجملة الذات المقدسة ان تكون له صفة حمد لله كما استحال
ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة
والجماعة رضي الله عنهم قوله تعالى له مقاليد السموات والارض تقدم في
الزمر بيانه التي س الذي بيده المفاتيح يقال للمفتاح اقليد
وجمعه على غير قياس كمحاسن والواحد حسن ببسط الرزق لمن يشاء ويقدر
انه بكل شيء عليم تقدما بيضاوي غير موضح قوله تعالى شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا فيه مسائل ا الاولى قوله تعالى شرع لكم من الدين اي الذي
له مقاليد السموات والارض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وابراهيم
وموسى وعيسى ثم بين ذلك بقوله تعالى ان اقيموا الدين ونصه توحيد الله
وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل بإقامته
مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالهم فانها مختلفة
منسوخة وقال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقد تقدم القول فيه
ومعنى شرع ابان نهج واوضح وبين المسالك وقد شرع لهم شرع شرعا اي سن والشارع
الطريق الاعظم وشرع المنزل اذا كان على طريق نافذ وشرعت الابل اذا اوردتها
من الشريعة وشرعت الادم اذا سلختها وقال لبيد يعقوب اذا شققت ما بين
الرجلين قال وسمعته من ام الهيثم السكرية وشرعت في هذا الامر شروعا
اي خضت ان اقيموا الدين ابدل من محل رفع على تقدير والذي وجب به نوحا ان
اقيموا الدين ونزلت على هذا الوجه على عيسى وقيل هو شعب ابي شرع لكم
اتقاسمة الدين وقيل هو خبر بدا من الهاء في به كانه قال به اقيموا الدين ولا يوقف
على عيسى على هذين الوجهين ويجوز ان تكون مستأنفة مثل ان اشأ افلا
يكون لها محل من الاعراب الثاني بنه قال القاضي ابو بكر بن العربي ثبت
في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة الكبير
المشهور ولكن ائتوا نوحا فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فيأتون
نوحا فيقولون له انت اول رسول بعثه الله الى اهل الارض وهذا صحيح لا اشكال
فيه كما ان ادم اول رسول نبي بغير اشكال الا ان ادم لم تكن معه انبوة ولم يفرض
له الفرائض ولا شرعت له المحارم وانما كان ينبه على بعض الامور واقتصارا
على ضرورات المعاش واحدا بوظائف الحياة والتفاوت المدا الى نوح
فبعثه الله بتحريم الامهات والبنات والاخوات ووظف عليه الواجبات
واوضح له الاديان في الديانات ولم يزل ذلك تتأكد بالرسل وبيننا صريحا الى نبينا
صلوات الله عليهم واحدا بعد واحد وشريعته اثر شريعته حتى ختمها الله
بخير الملل على لسان اكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان المعنى
اوصيناك يا محمد ونوحا دينا واحدا يعني به الاصول التي لا تختلف فيها الشرائع
وهي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله بجماع الاعمال
والزلف اليه بما يرد القلب والجارحة اليه فالصدق والوفاء بالعهد واداء الامانة
وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذاية للخلق كف ما تصرفت من
والاعتداء على الحيوان كبقاء دار حاقتني من الديانات وما يقود بحرم المروات
فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة معتقده لم تختلف على السنة الانبياء وان
اختلفت اعدادهم وذلك قوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه

ايا اجعلوه نابيا مريبه دايما مستمرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب من الخلق
من وفا بذلك ومنهم من نكث ومن نكث فانما ينكث على نفسه واختلفت الشرايع
وكل هذا جرى بحسب ما اراده الله مما اقتضت المصلحة واوجبت الحكمة وضعه في
الازمنة على الامم والله اعلم قال ابن عباس يعني قريشا الا من بعد ما جاءهم العلم
محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يتمنون ان يبعث اليهم نبي وليه قوله تعالى
في سورة فاطر واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وقال
في سورة البقرة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به على ما تقدم بيانه هناك وقيل
انهم الاحبار المنتقدمون كانوا فيهم اختلفوا لما طال بهم المدى فامن قوم وكفر
قوم وقال ابن عباس ابغى يعني هذا الكتاب دليله في سورة المنافقين وما
تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فالمشركون قالوا
لم نحصل بالنبوة واليهود حسدوه لما بعث وكذا النصارى تفانوا بينهم ايا بعضا من
بعضهم على بعض طلبا للرياسة فليس تعرفهم لعفوهم في البيان والحجج ولكن
للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العقاب
عن كفرة الى اجل مسمى قبل لعجلة لقوله تعالى بل الساعة موعدهم وقيل
الى الاجل الذي قضى فيه بعد بينهم ايهم يبين من كفر
بنزول العذاب وان الذين اورثوا الكتاب يعني اليهود والنصارى من بعدهم
اي من بعد المختلفين في الحق لفي شك من الذي اوحي به الانبيا والكتاب يعني
التوراة والانجيل وقيل ان الذين اوتوا الكتاب قد تبين من بعدهم
اليهود والنصارى لفي شك من القرآن او من محمد وقال مجاهد يعني من بعدهم
من قتلهم يعني من قتل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى قوله تعالى
فلذلك فادع واستقم لما كان يكون الشك لليهود والنصارى او لقريش
قبل له فلذلك فادع اليه فتبين شكهم فادعهم الى الله اي الى ذلك الدين
الذي شرعه الله للانبيا ووصاهم به فاللام بمعنى الى كقوله تعالى باان ربك اوحى
لها اي اليها وذلك بمعنى هذا وقد تقدم اول السورة والمعنى فلهذا القرآن
فادع وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم
اليه فلذلك فادع وقيل ان اللام تعلى ما بعدها والمعنى من اجل ذلك الذي تقدم
ذكره فادع واستقم قال ابن عباس اي ابه استقم على امر الله وقال سفيان
اي استقم على القرآن وقال الفراء كما تبلغ الرسالة ولا تتبع اهواء هم
اي لا تنتظر ابا جهل من حالفك وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت
لاعدل بينكم ايها ان اعدل لقوله تعالى بل امرت ان اسلم لرب العالمين وقيل
بمعنى لام كي اي لكي اعدل قال ابن عباس وابو العالية لاسوي بينكم في الدين
فاومن بكل كتاب وبكل رسول وقال غيرهما لاعدل في جميع الاحوال وقيل
هذا العدل هو العدل في الاحكام وقيل في التبليغ الله ربنا وربكم لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم قال ابن عباس ونسخ قوله الخطاب لليهود ايلتا
ديننا ولكم دينكم قال ثم نسخت بقوله فاقتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم
الاخر الاية قال مجاهد وبينه لا حجة بيننا وبينكم لا خصومة بيننا وبينكم وقيل

ليس بمنسوخ لان الراهبين قد ظهرت الحجج قد قامت فلم يبق الا الفساد وبعد الفساد
لا حجة ولا جدال قال الذين يريدون ان يكون معنى لا حجة بيننا وبينكم على ذلك
القول لم يرد من ان يحتج عليكم ويبقائكم ثم نسخ هذا لكن ان قاتله لو قال من قبل
ان تحول القبلة لا يصلي الى الكعبة ثم حول الناس بعد لجاز ان يقال نسخ
ذلك الله يجمع بيننا يريد يوم القيامة واليه المصير اي فهو يحكم بيننا اذا صرنا
اليه وحاربه كلابي كان عليه وقيل ان هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة
وشيبة بن ربيعة وقد سبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع عن
دعوته وديننا الى دين قريش على ان يعطيه الوليد نصف ماله ويزوجه
شيبة ابنته قوله تعالى والذين يحاجون في الله رجع الى المشركين
من بعد ما استجيب له قال مجاهد من بعد ما اسلمت الناس قال وهو لاء قد
يروا ان الى هلاكهم يعودوا وقال قتادة الذين يحاجون من الله اليهود حين
والضلالة وهي حجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وكانوا
يريدون بانفسهم الفضيلة بانهم اهل كتاب وانهم ولد الانبياء وكان المشركون
يقولون ايانا الغرض فيكم خيرنا واحسن ندبا فقال الله تعالى والذين
يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم اي باطلة
لها كالشيء الذي يزل عن موضعه والداحض له يجوز ان يكون لله عز وجل اي
من بعد ما وحدوا الله واقروا له بالوحدانية ويجوز ان يكون للنبي صلى الله
عليه وسلم اي من بعد ما استجيب لمحمد صلى الله عليه وسلم في دعوته من انقلاب
ونصر الله المؤمنين فقال دحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها الله والادحاض
الازلاق ومكان دحض ودحض ايضا بالتحريك اي زلق ودحضت رجله يدحض
دحضا زلقت ودحضت الشمس عن كبد السماء زالت وعليهم غضب يريد
في الدنيا ولهم عذاب شديد يريد في الآخرة عذاب دائم قوله تعالى الله
الذي انزل الكتاب بالحق انزلت وسايرا لكتب المنزلة بالحق اي بالصدق
والميزان اي العدل قاله ابن عباس واكثر المفسرين والعدل يسمى ميزانا لان
الميزان آلة الانصاف والعدل وقيل الميزات ما بين في الكتب مما يجب
على كل انسان ان يعمل به وقال قتادة الميزات العدل فيما امر به ونهى عنه
وهذه الاقوال متقاربة المعنى وقيل هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى
المعصية بالعقاب وقيل انزل الميزان نفسه الذي يوزن به انزله من السماء
وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتناجش قال الله تعالى لقد
ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالقسط قال مجاهد هو الذي يوزن به ومعنى انزل الكتاب هو الهام منه
للخلق ان يعملوه ويعملوا وقيل الميزات محمد صلى الله عليه وسلم يعني بينكم
بكتاب الله وما يدريك لعل الساعة قريب فلم يخبرهم بقصد على العمل بالكتاب
والعدل والسوية فالعمل بالشرايع قبل ان تاتي اليوم الذي يكون فيه
المحاسبة ووزن الاعمال فيجازى فيه المحسن والمسيء لمن طمع فلعل الساعة قريب
ايه منك وانت لا تدري وقال قتادة قريب لم نقل قريبة لان ما بينها بمنزلة شيء
كان وقت قال له الزجاج والمعنى لعل البعث او لعل مجيء الساعة قريب وقال
الكسائي قريب نعت بنعت المذكر والمؤنث والجمع بمعنى ولفظ واحد قال
الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الشاعر

« وكنا قربنا والدنا ربيبه ، فلما وصلنا نصبه ايمنهم عبنا »

قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يعني على طريق الاستهزاء
منهم انها غير آتية او انها ما للضعفة انها لا تكون والذين امنوا مشفقون
منها اي خائفون وجلون لاستقصارهم انفسهم مع الجهد في الطاعة كما قال
والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ويعلمون انها الحق
اي التي لا شك فيها الا ان الذين يمارون في الساعة اي يشكون وفي جور
من ذهاب الساعة لفي ضلال بعيد اي عن الحق وطريق الاعتبار اذ لو تذكروا
لعلموا ان الذي اتى بهم من تراب ثم من نطفة الى ان بلغوا ما بلغوا قادر على

ان بيعتهم فتوكه تعالى الله لطيف بعباده قال ابن عباس حضن بهم وقال عكرمة
بال بهم وقال السدي رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر وألطف جرحيث
لم يقتلهم جوعا بما صبهم وقال الغزنطي لطيف بهم في الغرض والمعيشة قال
• عدا عمد سوق الخلق للخلق مرفقا • بيسر يلهم فيه الجليل ولطفه •
وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين يلطف بهم في الرزق من وجهين احدهما
انه جعل رزقك من الطيبات وانك لو انه لم يرد منه الينا مرة واحدة فتبذره وقال
الحسن بن الفضل لطيف بهم في القبلات وتقبيله وتقبيره وقال الجنيد لطيف
بأوليائه حتى عرفوه ولو لطف بأعدائه لما جحدوه وقال محمد بن علي الكتاني
اللطيف بمن لجأ اليه من عباده اذا أيسهم من الخلق توكل عليه ورجع اليه فحينئذ
يقبله ويقبل عليه وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يطلع
على القبور الدارس فينقر لجل وعز اصحبت اثارهم واضمحلت صورهم وبقي
عليهم العذاب وانا اللطيف وانا ارحم الراحمين خففوا عنهم العذاب فيخفف
عنهم العذاب قال ابو علي الثقفي رضي الله عنه اسرى امرأة بالقبور
• كانني اخو فطنة والموت فيه لخبيث •
• ومن شق فاه الله قد رزقه ورب عن علي اليه لطيف •
وقيل اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب وعلى
هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يا من اظهر الجميل وستر القبيح وقيل
هو الذي يقبل القليل ويعطي الجزيل وقيل هو الذي يحب الكثير ويرضى
اليسير وقيل هو الذي لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذي
يبذل لعبده السنة مؤقت المهمة ويكلفه الطاعة فوق الطاقة قال الله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وانبع عليكم نعمه ظاهره وباطنه وقال وما جعل
عليكم في الدين من حرج يريد الله ان يخفف عنكم وقيل هو الذي يعين على الخدمة
ويكثر المدحة وقيل هو الذي لا يحاسب من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو
الذي لا يرد مسألته ولا يوئس أمله وقيل هو الذي يعين من يعصوا على ان يتوبوا وقيل هو الذي
يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذي أوقد في اسرار العارفين من المشاهدة
سراجا وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجا واجزل لهم من سحائب بره ما شاجا
وقد مضى بيان الاسم مستقصى في اسمائه والجنيد ايضا وقد ذكرنا جميع هذا في الكتاب
الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى عند اسمه اللطيف والحمد لله يرزق من يشاء
ويحرم من يشاء وفي تفضيل قوم بالمال حكمة يحتاج البعض الى البعض كما
قال ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فكان هذا لطفا بالعباد وايضا ليمتحن
الغني بالفقير والفقير بالغني كما قال وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون
على ما تقدم بيانه وهو الغني بالعزيز قوله تعالى من كان يريد حرث
الاخرة نزد له في حرثه الحرث العمل والكسب ومنه قول عبد الله بن عمرو احرث
لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا ومنه سمي الرجل
حارثا والمعنى ايه من طلب بما رزقناه حرث الاخرة فاديه حقوق الله واتفق
في اعمال الدين فانا نعطيه ثواب ذلك للواحد عشرا الى سبع مائة فما كثر ومن
كان يريد حرث الدنيا اتيه طلب بالمال الذي اتاه الله ربح سنة الدنيا والتوصل
الى المحظورات فانا لا نحرمه الرزق اصلا ولكنه لا حظ له في الاخرة من ماله
قال الله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا
له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فاولئك كان سعيهم مشكورا وقيل نزد له في حرثه نوفقه للعبادة ونسهلها
عليه وقيل حرث الاخرة الطاعة اي من اطاعه فله الثواب وقيل نزد له في
حرثه اي نعطه الدنيا مع الاخرة وقيل اراد في الغزو اي من اراد بغزوه
الاخرة اوتي الثواب ومن اراد بغزوه الغنيمة اوتي منها قال العتبي
والظاهر ان الآية في الكافر يوسع له في الدنيا اي لا ينبغي له ان يغتر بذلك
لان النبي لا يتبعني وقال قتادة ان الله يعطي على نية الاخرة ما شاء من
امر الدنيا ولا يعطي على نية الدنيا الا الدنيا وقال ايضا يقول الله تعالى من عمل

الاخرة نزدله في عمله واعطيناه من الدنيا ما كتبنا له ومن اثر دنيا ه عما اخرته لم يجعل له نصيبا في الاخرة الا النار ولم يصب من الدنيا الا رزقا قد قسمنا ه له لا بد ان كان تقيا ه مع ايمان واد غير ابينا ورد به جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال وقوله عز وجل من كان يريد حرث الاخرة من كان من الابرار يريد بعمله الصالح ثواب الاخرة نزد له في حرثه ايمن حسنة نزد ومن كان يريد حرث الدنيا ايمن كان من الفجار يريد بعمله الحسن الدنيا نؤته منها ثم نسخ ذلك في سبحان من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والصواب ان هذا لبس بنسخ لان هذا خبر والاول كلها ارادة الله عز وجل الا ترى انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت وقد قال قد ذكرنا ما تقدم ذكره وتقريبه لك ان لا نسخ وقد ذكرنا في حدود ان هذا من باب المطلق والمقيد وان الشيخ لا يدخلان في الاخبار والله المستعان مسئلة هذه الاية تبطل مذهب ابي حنيفة في قوله من نوضا بنبذ انه يجزيه عن فريضة الوضوء المشروط عليه فان فريضة الوضوء من حدث الاخرة والنبذ من حدث الدنيا فلا يجزيه احدهما على الاخر ولا يجزيه بينة عنه بظاهر هذه الاية قال ابن العربي قوله تعالى ام لهم شركاء ام لهم والميم صلة والهمزة للتعريج وهذا متصل بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان كانوا لا يوصفون به فتحمل لهم الهمة شرعوا لهم الشرك الذي لم يأذن به الله فاذا استحال هذا في الله لم يشرع الشرك ممن اذن بدينونة به ولولا كلمة الفصل يوم القيمة حيث قال بل الساعة موعدهم لقضي بينهم في الدنيا وقد حل القاتم بالعقوبة واثاب الطائع وان الظالمين لهم عذاب اليم في الدنيا القتل والاسر والقهر وفي الاخرة عذاب النار وقد ابن كثير بفتح الهمزة على العطف على ولولا كلمة والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجواب لولا جايز ويجوز ان يكون موضع ان رفعا على تقدير وجب ان الظالمين لهم عذاب اليم فيكون منقطعا مما قبله وقراءة الكسر في جملة قوله تعالى مشفقين ايمن يعني مما كسبوا ايمن جزاء ما كسبوا والظالمون بمعنى الكافرون بدليل التقسيم بين المومن والكافر وصفوا فيهم ايمن نازلة بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات الروضة الموضع الكثير الخضرة وقد مضى في الروم لهم ما يشاءون عندربهم ايمن من النعيم والثواب الجزيل ذلك هو الفضل الكبير ايمن لا يوصف ولا يهتدي العقول الى كنه صفته لان الحق اذا قال كبيرا فمن ذا الذي يقدر قدره فوله تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا قد يبشر يبشر من بشره يبشر من المبشرة ويبشر من بشره وفيه حذف ايمن يبشر الله عباده المومنين ليتعملوا السرور ويزدادوا وجدا في الطاعة فوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى معنى ان الاولى قد لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى ايمن قل يا محمد لا اسالكم على تبليغ الرسالة جعلا الا المودة في القربى قال الزجاج الا المودة استثناء ليس من الاول ايمن لا يجوز ان تودوني لقرابتي فتحفظوني والخطاب لقريش خاصة قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابو مالك والشعبي وغيرهم قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الاية فكتبت الى ابن عباس سئلت له عنها فكتب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اوسط الناس في قريش فليس بطن من بطونهم الا وقد ولده فقال الله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى الا ان تودوني لقرابتي مني ايمن تراعوا ما بيني وبينكم فتقدموني في القربى هنا قرابة الرحم كانه قال انتم قرابتي ان لم تتبعوني للنبوة قال عكرمة وكانت قريش تفصل رحامها فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قطعته فقال صلوني كما كنتم تفعلون فالمعنى على هذا قل لا اسالكم عليه اجرا لكن اذكركم قرابتي منكم انه استثناء ليس من الاول ذكره النحاس وفي البخاري عن طاوس عن ابن عباس انه سيل عن قوله تعالى الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى محمد فقال ابن عباس عجلت

علمت ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة
فقال الا ان فصلوا ما بينكم من القرابة فهذا قول وقيل العذاب فقرابة الرسول
صلى الله عليه وسلم ايه فقال لا اسألكم اجرا الا ان تودوا قرابتي واهل بيتي كما امرتكم
باعطائهم تدركهم العذاب وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي
وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس لما انزل الله عز وجل قل لا اسألكم عليه
اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين تودهم قال علي وفاطمة
وابناهما وبذل عليه ايضا ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الى النبي صلى الله
عليه وسلم حسد الناس الي فقال اما ترضى ان تكون رابع اربعة اول من يدخل
الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف
ازواجنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتي واذاني
في عمرتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجزه عليها فانا
اجازيه عليها عند اذا القيتني يوم القيامة وقال الحسن وقتادة المعنى الا ان
يتودد والي الله ويتقرب اليه بطاعته فالقربى على هذا بمعنى القربة يقال
قربة وقربى بمعنى كالزلفى والزلفة وروي منزمة بن سويد عن ابن ابي نجيح
عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قل لا اسألكم عليه ما
اليكم به اجرا الا ان تواددوا وتقربوا اليه بالطاعة وروي منصور وعثمان
عن الحسن قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال يتودد الى الله
عز وجل ويتقرب منه بطاعته وقال قوم الآية منسوخة وانما نزلت بمكة
فكان المشركون يؤذون رسول الله فنزلت هذه الآية واسرهم الله بمودة نبيه
صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلم هاجروا منه الانتصار ونصروه واراد
الله ان يلحقه باخوانه من الانبياء حيث قالوا وما اسألكم عليه من اجر ان اجري
الا على رب العالمين فانزل الله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على
الله فنسخت هذه الآية وبقوله قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين
وقوله ام تسألهم خرجا فخراج ربك خير وقوله ام تسألهم اجرا فهم من مغرم
مثقلون قاله السدي والحسن ابن الفضل ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
قال الثعلبي ولبس بالقوي وكيف قيل يقول من يقول ان التقرب الى الله بطاعته
ومودة نبيه صلى الله عليه وسلم واهل بيته منسوخا وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا ومن مات على حب آل محمد
جعل الله زواره قبره الملبكة والرحمة ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة
مكتوبا بين عينيه ايس من رحمة الله ومن مات على بغض آل محمد لم يرح
رائحة الجنة ومن مات على بغض آل بيتي فلا يصيب لهم من شفاعتي قلت وذكر
هذا الخبر الزمخشري في تفسيره بأطول من هذا فقال وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا ومن مات على حب آل
محمد مات مستكمل الايمان الا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت
بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن
مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة الا ومن مات على حب
آل محمد مات على السنة والجماعة الا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة
مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله الا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا
الا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة قال النحاس ومن ذهب عكرمة
اليه بمنسوخة قال كانوا يصلون ارحامهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
قطعوه فقال قل لا اسألكم عليه اجرا الا ان تودوني وتحفظوني لقرابتي وبالأولى
قلت وهذا هو معنى قول ابن عباس في البخاري والشعبي عنه بعينه وعليه لا نسخ
قال النحاس ونزل الحسن حسن ويدل على صحة الحديث المسند عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما حدثت احمد بن محمد الازدي قال انا الربيع بن سليمان المرادي
قال انا اسد بن موسى قال انا قزعة وعطاء بن يزيد البصري قال حدثنا
عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا اسألكم على ما ابتليكم به من البلية ت والهدية اجرا الا ان تواددوا الله عز وجل

وان تتقنز بوا اليه فيطا عنه فهذا المبين عند الله عز وجل فقال هذا ولكن اقالت
الانبياء صلى الله عليهم قبله ان اجرى الا على الله الثانية واختلفوا في سبب
نزولها فقال ابن عباس لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانت تنوبه
نوائب وحقوق لا يسعها الا مال في يديه فقالت الانصار ان هذا الرجل هداكم الله
به وهو ابن اختكم وتنوبه نوائب وحقوق يسعها ما في يديه فنجمع له فتعطوا ثم ائتوه
به فنزلت وقال الحسن نزلت حين نثت خرزات الانصار وانما جروت فقالت الانصار
نحن فعلنا وخرزات المهاجروت بقيا بتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
روى مقسم عن ابن عباس قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة
فقال للانصار الم تكونوا اذلا فاعزكم الله بي الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي
الم تكونوا حابيت فاسكم الله بي الا تجيبون يعلم فقالوا بم نجيبك قال
تقولون الم يطردك قومك فاويناك الم نكذبك فنزمك فصدقناك فعد دعلهم
قال فجثوا على ركبهم فقالوا الغنيمة واموالك فنزلت قل لا اسئلكم عليه اجرا
الا المودة في القربى وقال المشركون لعل محمدا ينبغي طاه فطلب
اجرا فنزلت هذه الاية ليجمعهم على مودته وسودة انذر بابه قال الثعلبي وهذا
اشبه بالاية لان السورة مكية قوله تعالى ومن يقترف حسنة اي يكتسب
والاقتراف الاكتساب وهو ما جوذ من قولهم رجل قرفه اذا كان سيئا وقد مضى
في الانعام القول فيه وقال ابن عباس ومن يقترف حسنة قال المودة لال محمد صلى
الله عليه وسلم نزلت فيها حسنا ايضا عن له الحسنة بعشرا ستثنها فضل محمد ان
الله غفور شكور قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي
غفور لذنوب ال محمد عليه السلام شكور لحسناتهم قوله تعالى ام يقولون
افترى على الله كذبا بالميم صلة والتقدير يقولون افتراه واتصل الكلام بما
قبل الا ان الله تعالى لما قال وقل اسئلكم اجرا ثم ذكر الله من كتابه الذي نزله الكتاب
بالحق قال انما ما لك بت ام يقولون افترى على الله كذبا بل هو كفر وتكذيب قالوا
ان محمدا اختلق الكذب فان يشا الله يختم على قلبك شرط وجوابه قال قتادة
يطبع على قلبك فينسيك القرآن فاخبرهم الله تعالى انه يعلم محمدا ما اخبرهم
به بل هذه الاية ليست بجواب لقولهم افترى محمد ما اخبرهم
به بل هذه الاية ليست بجواب لقولهم افترى محمد ما اخبرهم
اذا تم حتم ابدا على قلبك مستعمل من قولهم ختمت على قلبك وقيل
المعنى لو حدثت نفسك ان يفتري على الله كذبا لطبع على قلبك قاله ابن عيسى
وقيل ان يشا الله يختم على قلوب الكفار وعلى السنتهم وعاجلهم بالعقاب
والخطاب والمراد الكفار ذكره الفشيري ثم ابتدا فقال ويمح الله الباطل
قال ابن الانباري يختم على قلبك تام وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير
مجازه والله يمح الباطل يمحذف منه الواو وهذا المصحف وهو في موضع رفع كما
حذفت من قوله سندع الزبانية ويدع الانسان والابة عطف على قوله يختم
على قلبك وقال الزجاج قوله ام يقولون افترى على الله كذبا بالتمام وقوله ويمح
الله الباطل اعتراض عليه منكر ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم ايه لو كان
ما اتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في المفترين ويحق الحق ايه الاسلام
فبينه بكلماته ايه بما انزله من القرآن انه عليم بذات الصدور عام ايه بما في
قلوب العباد وقيل خاص والمعنى انك لو حدثت نفسك ان يفتري على الله
كذبا لعلمه وطبع على قلبك فوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده
قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في
القربى قال قوم في نفوسهم ما يريد الا ان يجئنا على اقاربه من بعده فاخبر
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد اتهموه فانزل ام يقولون افترى على
الله كذبا الاية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد انك صادق ونتوب
فنزلت وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال ابن عباس اي من اوليائه واهل
طاعته والاية عامة وقد مضى الكلام في معنى التوبة واحكامها ومعنى هذا النزل
اي براءة ويعفو عن السيئات اي عن الشرك قبل الاسلام ويعلم ما تفعلون
اي من الخير والشر وقرا حمزة والكسائي وحفص وخلف بالتاء على الخطاب

وهي قراءة ابن مسعود وابي بن كعب وبها قرأ ابو عبيد وابو حاتم
لانه بين جنس بن الاول وهو الذي يقبل التوبة عن عباده والثاني ويستجيب الذين
امنوا وعملوا الصالحات فوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين
في موضع نصب اي ويستجيب الذين امنوا اي يقبل عباده من اخلص له بقلبه واطاع
ربه وقيل يشفعهم بعضهم لبعض فيما ادخلوه وقيل وتجيب دعاء المومنين بعضهم
لبعض فيما نابهم اجاب واستجاب بمعنى وقد مضى في البقرة وقال ابن عباس ويستجيب
الذين امنوا وعملوا الصالحات بشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال
بشفعهم في اخوان اخوانهم وقال المبرد معنى ويستجيب الذين امنوا وليستدع
الذين امنوا الاجابة هكذا حقيقته معنى استفعل قال الزجاج في موضع رفع والكافرون
لهم عذاب شديد فوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
فيه مسئلتان الاولى في نزولها قيل انها نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا
سعة الرزق وقال خباب بن الارت فينا نزلت نظرنا الى اموال بني
النضير وقريظة وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت ولو بسط معناه وسع ويبسط
الشيء بنشره ويا لصاد ايضا ليغوا في الارض طغوا وبغوا وقال ابن عباس قد
يعيبهم طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركب بعد مركب وملبس
بعد ملبس وقيل اذا دلوا عطاهم الكثير لطلبوا ما هو اكثر منه لقوله لو كان
لابن ادم واديان من ذهب لابتغى اليهما ثالثا وهذا هو البغي وهو معنى قول
ابن عباس وقيل لو جعلناهم سواء في المال لما انقاد بعضهم لبعض ولتطلب
الصانع وقيل اراد بالرزق المطر الذي هو سبب الرزق ابو لو دام المطر لتشاغلوا
به عن الدنيا فيقتص تارة ليقصروا وبسط اخرى ليشكروا وقيل كانوا اذا
اصبر الغلاء بعضهم على بعض فلا يبعد حمل البغي على هذا الذي مختبر ليغوا من
البغي وهو الظلم ابو لبغي هذا على ذلك لان المعنى مبطره ماشره وكفى بقارون
عبرة ومنه قوله عليه السلام اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها
ولبعض العرب وقد جعل الوسمي نبتا بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا يعني
انهم اصبحوا قد تنوا انفسهم بالبغي والتعادي او من البغي وهو المدح والكبر اي
لتكبروا في الارض وعلوا ما ينفع الكبر من السلو فيها والتمادي ولكن ينزل بقدر
ما يشاء اي ينزل ارزاقهم بقدر ما يشاء لكفاية بينهم وقال مقاتل ينزل بقدر ما يشاء
يجعل من يشاء غنيا ومن يشاء فقيرا الثالثة قال علماؤنا افعال الرب
سبحانه لا تخلو ان تحض مصالح وان لم يجب على الله الاستصلاح فقد علم من حاله
عبده انه لو بسط عليه فاده ذلك الى التمادي فقتر ويحميه عنه الدنيا مصلحة له
فليس ضيق الرزق هوانا ولا سعته الرزق فضيلة وقد اعطى اقواما ومنع عليه بالنهم
يبتلون بالتمادي ولو فعل بهم خلاف ما فعل لكانوا اقرب الى الصلاح والامر
على الجملة مفوض الى مشيئته ولا يمكن التزام مذهب الاستصلاح في كل فعل من
افعاله تعالى وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك
وتعالى قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاسرع شيء الى نصرة
اوليائي وانا غضب لهم كما يغضب الليث الحرد وما تردد في شيء انا فاعله
ترددي في قبض روح عبدي المومن يكره الموت وانا اكره مساءته ولا بد منه
وما تقرب الي عبدي المومن بمثل اداء ما افترضت عليه وما يزال عبدي المومن
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا
ومويدا ان سالني اعطيته وان دعاني اجبته وان من عبادي المومنين من يسالني
الباب من العبادة وانا علم ان لو اعطيته اياه لدخله العجب فافسده وان من
عبادي المومنين من لا يصلحه الا الغنى ولو افتقرته لافسده الفقر وان من
عبادي المومنين من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده الغنى وانا ادبر
عبادي لعلمي بقلوبهم فاني عليم خبير قال اليس اللهم ان من عبادك المومنين
الذين لا يصلحهم الا الغنى فلا تفقرني برحمتك قوله تعالى وهو الذي ينزل
الغيث من بعد ما قنطوا قرا ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد وابو عمرو ويعقوب
وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي ينزل مخففا الباقون بالتشديد وقرا

ابا وثاب ايضا والاعمش وعنهما قنطوا بكسر النون وقد تقدم جميع هذا في الغين
المطر وسمي الغيث غيثا لانه يغيث الخلق وقد غاث الغيث الارض اي اصابها
وغاث الله البلاد يغيثها غيثا وغيثت الارض فهي مغاثة ومغيثة
ومعترة وعن الاصمعي قال مطرت بعض قبايل العرب وقد سطروا منذ ثلثة عجوزا
منهم انكم المطرتم قالت غثنا ما شئنا غث اي مطرنا وقال ذو الرمة
قاتل الله امة بخيلات ما اعصرها قلت لها كيف كان المطر عندكم فقالت غيث
ما شيبا ذكر الاول الثعلبي والثاني الجوهري وروى سمي السحاب والنبات غيثا
والغنوط الايس قال لقيت ذة وعميرة قالت ذة ذكرنا ان رجلا قال لعمر
ابن الخطاب يا امير المومنين قنط المطر فقل الغيث وقنط الناس فقال مطرتم اية
شاء الله ثم قرا وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا والغيث ما كان نافعا في وقته
والمطر قد يكون نافعا وضارا في وقته وغير وقته قاله الماوردي وسمي رحمة
لنزول المطر وهو قول السدي وقيل ظهور الشمس بعد المطر ذكره المهدوي وقال
مقاتل نزلت في حبس المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا ثم انزل الله
المطر وقيل نزلت في الاعرابي سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المطر
يوم الجمعة في خبر الاستسقاء ذكره الغتيبي بالله اعلم وهو الولي الحميد الودود
بنصر اوليائه الحمد المحمود بكل لسان قوله تعالى له ومن اياته خلق السموات
والارض اي علامات الدالة على قدرته وما بث فيهما من دابة قال مجاهد هذه
هذه الملايكة والناس وقد قال تعالى ويخلق ما لا يعلمون وقال الفراء اراد ما بث
في الارض دون السماء لقوله يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح
دون العذب وقال ابو علي تقديره وما بث في احدهما فحذف المضاف وقوله
يخرج من احدهما وهو على جمعهم اي يوم القيمة اذا شاء فدبر قوله تعالى وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فما نافع وبن عامر مما كسبت بغير فا الباقون
فبما بالفا واختاره ابو عبيد وابو حاتم الزيادة في الحرف والاحرف قال المهدوي
ان قدرت ان ما الموصولة جاز حذف الفا وابقاء ها والا بقيت احسن وان
قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه واجازه الاخفش واحتج بقوله
تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون والمصيبة هنا الحدود على المعاصي قاله
الحسن وقال الضحاك ما نعلم رجل الفزان ثم تنبه الا بذنب قال الله تعالى وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم قال واي مصيبة اعظم من ان الفزان
ذكره ابن المبارك عن عبد العزيز بن ابي رواد قال ابو عبيد اثر هذا على الترك
فاما الذي هو داء في الاوراك الفزان حريص على حفظه الا ان النبات
يغلبه فليس من ذلك في شي وما يحقق ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
ينهى النفي من الفزان حتى يذكره من ذلك حديث عائشة عن النبي صلى الله
عليه وسلم سمع قراءة رجل في المسجد فقال رحمه الله لقد اذكرني اية كنت
انسيتها من سورة كذا وكذا وقيل ما بمعنى الذي والعايد الذي اصابكم
فبما بسبب ما كسبت ايديكم وقال علي رضي الله عنه نظر هذه الاية ارجى اية في كتاب
الله عز وجل واذا كان يكفر عني بالمصايب ويعفو عن كثير فما بقي بعد
كثير وعفوه وقد روي هذا المعنى مرفوعا عن رضي الله عنه قال علي
ابن ابي طالب الا اخبركم باقصل اية في كتاب الله حدثت بها النبي صلى الله عليه
وسلم ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم الاية ما على ما اصابكم من مرض او
عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة
في الاخرة وما عفى عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعاقب به بعد عفوه وقال
الحسن لما نزلت فقده الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق
ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفوا الله عنه اكثر وقال الحسن دخلت
على عمران بن حصين فقال رجل لا بد ان اسالك عما اريبك من الوجع فقال
عمران يا اخي لا تفعل فوالله اني لاحب الوجع ومن احبه كان احب الناس الى
الله قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير فهذا
مما كسبت يديه وعفو ربي عما بقي اكثر وقال سره الحمد اين رايت على ظهر كف

شرح

شرح فرحه فقلت يا ابا ميه ما هذا فقال هذا من كتب ابيكم ويعفو عن كثير
وقال ابن عوف ان محمد بن سيرين لما ركبه الدين اعتم لذلك فقال اني لا اعرف
هذا الغم هذا بذنب اصبته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري قيل
لابي سليمان الداراني ما بال العقلاء ازالوا اللوم عمن اساء اليهم قال لانهم علموا
ان العقوبة لي انما ابتلاهم بذنوبهم قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فمن كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير وقال عكرمة ما من نكبة اصابت عبدا الا موقوف الا
بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها او بنكال درجة لم يكن يبلغها الا بها وروي
ان رجلا قال لموسى يا موسى سل الله لي حاجة تعضها لي حتى اعلم بها فعلم
موسى فلما نزل اذا هو بالرجل قد مرق النسيع لحمه وعصله فقال موسى ما لك
هذا يا رب فقال الله تعالى له يا موسى انه سبقت لي درجة علمت انه لم يبلغها بعمله فاصبته
بما نزبه لاجعلها وسيلة له الى بلوغ تلك الدرجة وكان ابو سليمان الداراني اذا ذكر هذا
الحديث يقول لعسى ذنب كان فرط مني ليبلغني تلك الدرجة بلا بلوى ولكنه يفعل
ما شاء قلت ونظير هذه الاية في المعنى قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به وقد مضى
القول فيه قال علي رضي الله عنه وهذا في حق المؤمنين فاما الكافر فعقوبته شوكة ابي
الاخرة وقيل هذا خطاب للكفار وكان اذا اصابهم شيء قالوا هذا شؤم محمد
فرد عليهم وقال بل ذلك بشؤم كفرهم والاول اكثر واظهر واشهر وقال ثابت البناني
انه كان بين اساعات الاذى بذهبين ساعات الخطايا فمنها فوات احدهما
انتفاض صفة في الباطن ان يكون عقوبة لهم وفي الاطفال ان يكون مثوبة لهم الثاني
انها عقوبة على الباطن في انفسهم والاطفال في غيرهم من والد ووالده ويعفو
عن كثيرا يعني عن كثير من المعاصي ان لا يكون عليها حدود وهو مقتضى فضل الحسنات
وقيل ذلك يعفو عن كثير من العقاب ان لا يعجل عليهم بالعقوبة وما انتم بمعجزين في
الارض اي بفائتين الله اي ان يعجزوه حتى يفوتوه وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير تقدم ذكره غير موضع قوله تعالى ومن اياته الجواري في البحر كالاعلام
اي ومن علاماته الدالة على قدرته السفن الجارية في البحر كالجبال في عظمها اعلام
والاعلام الجبال واحد الجواري جارية قال الله تعالى ان لما طغى الماء حملناكم في الجارية
سميت جارية لانها تجري في الماء والجارية هي المرأة الشابة سميت بذلك لانها تجري
في ما الشباب وقال بعضهم الاعلام الخصوص واحدها علم ذكره الثعلبي وذكر
انه ورد به عنه انها الجبال وقال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم مرتفع
قال الحسن تذهب احداها فتحتاه
وان يشأ يسكن الرياح فيظللن رواكد على ظهره ايه
ان يشأ يسكن الريح كذا قرأ اهل المدينة الرياح بالجمع فيظللن راكد على ظهره ايه
فتتقي السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري ركدا لما ركد اسكن وكذلك الريح
والشمس اذا قام قائم الظهيرة وكل ثابت في مكان فهو راكد وركد
الميزان استوى وركد الغرم هدوا والمراكد المواضع التي يركض فيها الاشياء
وعبره وقراءة فيظللن بكسر اللام على ان يكون لغة مثل ظللت اظل وفتح
اللام هي اللغة المشهورة ان في ذلك لايات ابي دلالات وعلامات لكل صبار
شكور اي صابر على البلوى شكور على النعمى قال قطرب نعم العبد الصبار الشكور
الذي اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر قال كعب بن عبد الله فكم من منعم عليه غير شاكر
وكم من مبتلى غير صابر قوله تعالى او يوبقهن بما كسبوا اي وان يشأ يجعل
الرياح عواصف فتوبق السفن اي تعرقهن بذنوب اهلها وقيل يوبق اهل
السفن ويعف عن كثير من اهلها فلا يعرقهم معها حكاه الماوردي وقيل ويعفو
عن كثير من الذنوب فينجيهم الله من الهلاك قال الفشيري والقراءة العامة
ويعفو بالجزم وفيها اشكال لانا المعنى ان يشأ يسكن الريح فتبقى تلك السفن رواكد
ويهلكها بذنوب اهلها فلا يجتمع شرط ينتفي عن هذا لانه يصير المعنى ان يشأ
ينفي والمعنى ذلك بدا المعنى الاخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو
اذا عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم ويعفوا
بالرفع وهي جيدة في المعنى ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص

يعني الكفار اذا توسطوا البحر وعتيتهم الرياح من كل مكان او تيتب السفن واكد
علموا انهم لا سلبي لهم سوى الله ولا دافع لهم ان اراد الله اهلاكهم فيخلصون له العبادة
وقد مضى هذا المعنى في غير موضع ومضى القول في ركوب البحر في النعرة وغيرها بعين
عن اعادته وقرانا فتح وابن عامر ويعلم بالرفع الباقون بالنصب فالرفع على الاستيناف
بعد الشرط والجزاء كقوله في سورة التوبة ويخزهم وينصركم عليهم ثم قال ويتوب الله
على من يشاء رفعا وتنظيره في الكلام ان تاتني انكرمك ويطلق عبد الله او على انه جزم اتبعا
لحذف الفاء والنصب على الصرف كقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين صرف من حال الجزم الى النصب استخفافا كراهية التوالي الحركات كقوله
النابغة ٥ فان يهلك ابو قابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام ٥
٥ ويمسك بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام ٥
وهذا معنى قول الفراء قال ولو جزم ويعلم جاز وقال الزجاج نصب على اضمار
ان لان قبله جزما يقول ما اصنع اصنع مثله واكرمك وان يشتم فلت واكرمك بالجزم وفي
بعض المصاحف وليعلم وهذا يدل على ان النصب بمعنى وليعلم او ان يعلم وقال
ابو علي المبرد النصب باضمار ان يجعل الاول في تقدير المصدر اي ويكون
منه عفو وان يعلم فلما حمله على الاسم اضمر ان كما يقول ان يأتني ويعطيني اكرمك
فتنصب بعطيني اي ان يكن منك ايتاء وان تعطيني ومعنى من يحيص اي من
فرار ومهرب قاله فطرب السدي من ملجأ وقد تأخوذ من قولهم حاص فرسه
البعير حيصة اذا رمى به ومنه قولهم فلان يحيص عن الحق اي يميل عنه قوله تعالى
فما اوتيتم من شيء يريد من العرض والسعة في الدنيا فمتاع اي فانما هو متاع ايام
قلائل تنقضي وتذهب فلا يبقى ات يبقى حتى يرى والخطاب للمشركين وما عند الله خير
وابقى يريد من الثواب على الطاعة للذين امنوا وصدقوا ووحدوا وعلى ربهم
يتوكلون نزلت في ابي بكر الصديق حين انفق جميع ماله في طاعة الله فلامه الناس
وجاء في الحديث انه انفق ثمانين الفا قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون وان منه مبتدأ الاول قوله تعالى الذين هم
يجتنبون في موضع جر معطوف على قوله خير وابقى للذين امنوا اي وهو للذين يجتنبون
كبائر الاثم وقد مضى القول في الكبائر في النساء وقرا حمزة والكسائي كبير الاثم والواحد
قد يراد به الجمع عند الاضافة كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكما جاء في
الحديث مئت العراق درهمها ومقفيزها الباقون بالجمع هنا وفي النجم والفواحش قال
السدي يعني الزنا وقاله ابن عباس وقال كبير الاثم الشرك وقال قوم كبائر الاثم
ما يختم الصغائر مغفورة عند اجتنابها والفواحش داخلة في الكبائر ولكنها تكون
افحش واشنع كالقتل بالنسبة الى الجرح والزنا بالنسبة الى المراودة وقيل الفواحش
والكبائر بمعنى واحد فكرر لتعدد اللفظ اي يجتنبون المعاصي لانها كبائر وفواحش وقال
مقاتل الفواحش موجبات الحدود الثانية قوله تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون
ابو بكر وروت ويحلمون عن ظلمهم فنزلت في عمر حين شتم بمكة وقيل في ابي بكر
حين لامه الناس على انفاق ماله كله وحين شتم فحلم وعن علي رضي الله عنه قال
اجتمع عندي ابو بكر مالا مرة فتصدق ببركله في سبيل الخير ثلاثة المشركون وخطاه الكافرون
فنزلت وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى
ربهم يتوكلون الى قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال ابن عباس شتم رجل من المشركين
ابا بكر فلم يرد عليه شيئا فنزلت وهذه من محاسن الاخلاق يشفقون على ظالمهم
ويصفحون لمن جهل عليهم يطلبون بذلك ثواب الله تعالى وعفوه لقوله تعالى في آل
عمران والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس وهو ان يتناول الرجل فتكظم غيظك
عنه وانشد بعضهم ابن عفوت لظالمي ظلمي ورهبت ذاك له على علمي ما زال
يظلمني وارحمه حتى بكيت له من الظلم قوله تعالى والذين استجابوا لربهم واقاموا
الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون فيه ثلاث مسائل الاولى قوله
تعالى والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة قال عبد الرحمن بن زيد هم الانصار
بالمدينة استجابوا الى الايمان بالرسول حين انعقد اليهم اثنا عشر نقيبا منهم
قبل الهجرة واقاموا الصلاة اي ادوها لمواقيتها بشروطها وهي التي الثانية

قوله تعالى

قوله تعالى وامرهم شورى بينهم اى يتشاورون فى الامور والشورى مصدر شاورته مثل المشورة والمذكرى ونحوه وكانت الانصار قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم اليهم اذا اراد وا امرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به فقال والذين استجابوا لربهم الآية وهم الذين آووا النبى فى امورهم مقتفون لا يختلفون ومدحوا بائتلاف كلمتهم قال الحسن ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امورهم وقال الضحاك معناه تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد النقباء اليهم حين اجتمع رايهم فى دار ابى ايوب على الايمان به والنصرة له وقبل تشاورهم فى بعوثهم ثلاثة بيت ثم يعضهم بعضا دون بعض وقال ابن العربى الشورى الحة للجماعة ومساعدة العقوب وسبيل الى الصواب وما تشاور قوم قط الا هدوا وقال الحكيم اذا بلغ الرايى المشورة فاستغن برايك لبس او مشورة حازم اذا بلغ الرايى المشورة فاستغن برايك ولا تجعل الشورى عليك غضا منه مكان الحوائج نافع للعقوا دم ممدوح الله المشاورة فى الامور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه فى الامور المتعلقة بمصالح الحروب وذلك فى الاراء كثيرة ولم يكن تشاورهم فى الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام من العرض والندب والمكروه والمباح والحرام فاما الصحابة بعد استيثاق الله تعالى به عليهم فكانوا يتشاورون فى الاحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة واول ما تشاوروا فيه الصحابة الخلافة فان النبى صلى الله عليه وسلم لم ينص عليها حتى كان فيها بين ابى بكر والانصار ما سبق بيانه فقال عمر رضى الله عنه ندعى لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ونشتوروا فى اهل الردة فاستقر رايهم ابو بكر على القتال وهو ونشاوروا فى الحد وميراثه وفى حد الخمر وعدده ونشاوروا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحروب حتى تشاوروا عام الخندق حين وفد عليه مسلمة الكذاب فقال له الخندق مثلها ومثله من بينها من الناس من عدد المسلمين مثل طائر له رئيس وله جناحان ورجلان فان كسر احد الجناحين رهطت الرجلان والراس وان كسر الجناح الاخر نهضت الرجلان والراس وان شدخ الراس ذهب الرجلان والجناحان والراس كسرى والجناح الواحد قيصر والاخر فارس فمر المسلمين فليغزوا الى كسرى وذكر الحديث فقال بعض العقلاء ما احتاط قط اداخر بين امرين ورشد فى مشورة فعقلت الذين يزون فان اصبت فهم المصيبون وان اخطات فهم المخطيون الثالثة وقد مضى فى الاعداد ما تضمنته الشورى من الاحكام عند قوله تعالى وشاورهم فى الامر والمشورة بركة والمشورة الشورى وكذلك المشورة بضم الشين تقول منه شاورته فى الامر واستشرته بمعنى وروى الترمذى عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاءكم وامركم شورى بينكم وظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وامركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها قال حديث غريب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حدثت عن عمر انه قال ما ندمت على شىء ندمى على ثلاث قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون الى قوله لمن عزم الامور. منها احدى عشرة مسيلمة الا ربى قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغى اى اصابهم المشركين قال ابن عباس وذلك ان المشركين بغوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه واخرجوهم من مكة فاذن لهم تعالى بالخروج ومكن لهم فى الارض ونصرهم على من بغى عليهم وذلك قوله فى سورة الحج اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين اخرجوا الآيات كلها وقيل نصر عام فى بغى كل باغ من كان وبغيره اى اذا لم ظلم من ظالم لم يستسلموا للظلم ونصروه اشارة الى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وان منه الحدود قال ابن العربى ذكر الله الانتصار فى البغى فى معرض المدح وذكر العفو عن الجرم فى موضع اخر فى معرض المدح فاحتمل ان يكون احدهما ناقضا للاخر واحتمل ان يكون ذلك راجعا الى حالتين احداهما ان يكون الباغى معلنا فى الجهور وفى الجمهور موذيا للصغير والكبير فيكون الانتقام منه افضل وفى مثله قال ابراهيم النخعى كانوا يكرهون ان يدنوا انفسهم فيجترىء عليهم الفساق الثانية ان يكون الغلبة او نفع ذلك ممن يعرف بالذل ويسبيل

المغفرة فالعفو عن افضل وفي مثله نزلت وان تعفوا اقرب للتقوى وقوله ممن
تصدق به فهو كفارة له وقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم قلت وهذا
حسن وهكذا ذكر الكيا الطبري من احكامه قال قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي
هم ينتصرون يدل ظاهره على ان الانتصار في هذا الموضع افضل لانه يحتمل انه قرنه الى
ذكر الاستيفاء بالله سبحانه وتعالى من القيام بالصلاة وهو محمول على ما ذكرا ليراهيم النخعي انهم
كانوا يكرهون للمؤمنين ان يذلوا انفسهم فيحرجهم عليهم الخناق فوصفهم بالتي تقدم
واصر على ذلك والموضع الماموربه بالعفو اذا كان الجاني نادما متلصا وقد قال
تعالى فمن تاب من بعد ظلمه وانتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ويقتضي ذلك ان حظ
الانتصار والاستيفاء وقد عقبه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وهو
محمول على الغفران عن غير المصر فاما المصر على البغي والظلم فالافضل الانتقام
منه بدلالة الاية وقيل ايضا ان اصابهم البغي تناصروا عليه حتى يذلوه عنهم
ويبيد خضرته قال ابن بحر وهو راجع الى القوم على ما ذكرنا الثالثة قوله تعالى
وجزاء سيئة سيئة مثلها قال علماؤنا جعل الله المؤمنين صنفين صنفا يعفون عن
الظالم فيما بدا كرهم في قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنفا ينتصرون من
ظالمهم ثم بين حد الانتصار وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فينتصر ممن ظلمه من غير
ان يتعدى قال مقاتل وهشام بن حجيرة هذا مكيهم في المجروح ينتقم من الجارح
بالقصاص دون غيره من سب او شتم وقاله الشافعي وابو حنيفة وسفيان
قال سفيان وكان ابن شبرمة يقول ليس بمكة مثل هشام وتاول الشافعي في
هذه الاية ان للانسان ان ياخذ من مال من جانه مثل ما جانه من غير علمه و
استشهد في ذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم لهند زوج ابي سفيان خذي
من ماله ما يكفيك وولدك فاجاز لها اخذ ذلك بغيرا ذنه وقد مضى الكلام في هذا
مستوفى في البقرة وقال ابن ابي نجيح انه محمول على المقابلة في الجراح واذا قال
اخزاه الله او لعنه الله يقول مثله ولا يتقاول القذف ولا الكذب بمكذب وقاله
السدي انما مدح الله من انتصر ممن بغي عليه من غير اعتداء لان الزيادة على مقدار
ما فعل به بغي كما كانت العرب تفعله وسمى الجزاء سيئة لانه في مقابلتها قال وقد تكون
هذا في مال او بدن وهذا الاقتصاص سواء بمثل ذلك ايضا وقد مضى هذا كله مستوفى
في البقرة الثانية قوله تعالى فمن عفا واصلح قال ابن عباس من ترك القصاص
واصلح بينه وبين الظالم بالعفو اجره على الله ابان الله ناصره على ذلك
قال مقاتل وكان العفو من الاعمال الصالحة وقد مضى في ال عمران في هذا ما
فيه كفاية والحمد لله وذكر ابو نعيم الحافظ عن علي بن الحسين رضي الله عنهم قال اذا
كان يوم القيامة نادى مناد ايكم اهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال انطلقوا
الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون الى اين تنطلقون الى الجنة قالوا قبل الحساب
قالوا نعم قالوا من انتم قالوا اهل الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا اذا جهل
علينا حلمنا واذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا غفرنا قال ادخلوا الجنة فنعم اجر
العاملين وذكر الحديث انه لا يحب الظالمين ابن من بدانا بالظلم قاله سعيد
ابن جبير وقيل لا يحب من يبتدئ في الاقتصاص ويجاوز الحد قاله ابن عيسى الرابعة
قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه ابو المسلم اذا انتصر من الكافر فلا سبيل الى لومه
بل يجب على ذلك مع الكافر ولا لوم ان انتصر المظلوم من المسلم فالانتصار من الكافر
حتم ومن المسلم مباح والعفو مندوب الخامسة في قوله تعالى ولمن انتصر
بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل دليل على ان لمن ان يستوفي ذلك بنفسه وهذا
ينقسم ثلاثة اقسام احدها ان يكون قصاصا في بدن يستخدم ادمي فلا
حرج عليه ان استوفاه من غير عدوان وثبت حقه عند الحكام لكن يزجره
الامام في تعديه بالقصاص لما فيه من الجراءة على سفك الدم وان كان حقه
غير ثابت عند الحاكم فليس عليه فيما بينه وبين الله حرج وهو في الظاهر مطالب
بفعله سواء حده ومعاقب والقسم الثاني ان يكون حد الله تعالى لا حق
لادمي فيه كحد الزنا وقطع السرقة فان لم يثبت ذلك عند حاكم احد به وعوقب

عليه وان ثبت عند حاكم نظر فان كان قطعا في سرقة سقط به الحد لزوال العضو المستحق قطعه ولم يجب عليه في ذلك حق لان التعذير ادب وان كان جلدا لم يسقط به الحد لتعلقه به حتى يستوفي محله فان مات فيه كان هدرا لحكم الشرع الثالث ان يكون حقا في مال فيجوز لصاحبه ان يقاتل على حقه حتى يصل اليه ان كان هو عالما به وان كان غير عالم نظر فان امكنه الوصول اليه عند المطالبة لم يكن له الاستسرار باخذه وان كان لا يصل اليه بالمطالبة بجحود من هو عليه من عدم بينة تشهد له فهي جواز استسراره باخذه من ذهب احدهما جواز اذنه وهو قول مالك والثاني في المنع وهو قول ابي حنيفة السادسة قوله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي بعد ما اثم عليهم في قول اكثر العلماء وقال ابن جبير تجني اي يظلمون بالشرك المخالف لدينهم ويبغون في الارض بغير الحق اي بالتغوش والاسواق في قول الاكثرين وقال مقاتل بغيهم علمهم بالحاجة وقال ابو مالك هو ما يرجيه كفار مكة ان يكون بمكة غير الاسلام دينا هو وعلى هذا الحد قال ابن زيد ان هذا كله منسوخ بالجهاد وان هذا للمشركين هو خاصة وقوله قتادة انه عام وكذا يدل ظاهر الكلام وقد بيناه والحمد لله الثالثة قال ابن العربي هذه الاية هي مقابلة الاية المتقدمة في براءة وهي قوله ما على المحسنين من سبيل كما بغى الله السبيل على من احسن فكذلك نفاها عن من ظلم واستفتح في بيان العشرين الثالثة واختلف علماؤنا في السلطان يقع على اهل بلد ما لا سبيل ما يأخذهم به ويجدونه على فدية اموالهم فهل لمن قدر على الخلاص من ذلك ان يفعل وهو اذا الخلاص احد سببا باهل البلد بتمام ما جعل عليهم فقيل لا وهو قول محمد بن علمائنا وقيل نعم له ذلك بان ياخذ على الخلاص وهو قوله ذهب ابو جعفر احمد بن نصر الداودي شارح المالكي قال ويدل عليه قول مالك في الساعي يأخذ من احد غنم الخلط شاة وليس في حيها نصاب انها مظلمة عن من اخذت له لا يرجع على احد بشيء قال وليست احاديث محمد عن سحنون ان الظلم لا سوء فيه ولا يلزم احدا ان يبوح نفسه بظلم يخافه ان يضاف الظلم على غيره والله سبحانه يقول انما السبيل على الذين يظلمون الناس الآية وقد اختلف العلماء في التحليل فكان ابن المسيب لا يحلل احدا من عرض ولا مال وكان سليمان بن يسار ومحمد بن سيرين يحللان من العرض والمال وبرأيهما مالك التحليل من المال دون العرض وروي عن ابن القاسم وعن مالك وسئل عن قول سعيد بن المسيب لا احلل احدا فقال ذلك يختلف فقلت له يا ابا عبد الله الرجل يسلف الرجل فيهلك ولا وفاء له فقال اريد ان يحلله وهو افضل عندي قال الله تعالى في يقول الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فقيل له الرجل يظلم الرجل فقال لا اريد ذلك هو الذي عندي خلاف للاول يقول الله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويقول تعالى في ما على المحسنين من سبيل فلا اريد ان يجعله من ظلمه في حل قال ابن العربي قضى ربنا في المسئلة ثلاثة اقوال احدها لا يحلله يحال قال له سعيد بن المسيب الثاني يحلله قاله محمد بن سيرين الثالث ان كان ما لا حلله وان كان ظلما لم يحلله وهو قول مالك وجه الاول ان لا يحلل ما حرم الله فيكون كالتبديل لحكم الله ووجه الثاني انه خفف عنه ان يسقط دمه وعرضه ووجه الثالث الذي اختاره مالك هو ان الرجل غلب على اداحقك فمن الرفق به ان يحلله وان كان ظلما فمن الحق ان لا يتركك ليلا يعتدي لظلمه ويستشري في اخلاقهم الدنيئة وفي صحيح مسلم حديث ابي اليسر الطويل وفيه انه قال للغريم اما اخرج اليه فقد علمت اني اتيت فخرج فقال ما حملك على ان اختبأت مني قال والله اني احدثك ثم لا اكذبك خشيت والله اني احدثك فاكذبك وان اعدك فاخلفك وكنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا والله معسرا قال قلت الله قال الله قال فاني بصحيفة تحتي فمحاها فقال ان وجدت قضاء فاقض والا فانت في حل وذكر الحديث قال ابن العربي وهذا في الحي الذي لا بد له من حياة الادمي لسلامة الذمة ورجح التحليل بكيف ما بلغت الدية لا سيما لمن ولا دمه سعة الماشية قال بعض العلماء ان من ظلم واحدا له

له مال فان ماله ثواب ما احتبس عنه الى موته ثم رجع الثواب للذي ورثته ثم كذلك الى آخرهم
لان المال بصير بعده للوارث قال ابو جعفر الداودي المالكي هذا اصح في النظر
وعلى هذا القول مات الظالم قبل ان يظلمه ولم يترك شيئا او لزمه لم يعلم وارثه فيه بظلم
لم ينتقل تبعة المظلوم الى ورثة الظالم لانه لم يبق للظالم ما يتوجه ورثة المظلوم
قوله تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور اي صبر على الاذى وغفر ترك الانتصار لوجه الله تعالى
وهذا فيمن ظلم مسلما ويحكى ان رجلا سب رجلا في مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب
يكظم ويعرض ويمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله
وفهمها اذ صنيعها الى حلوم وبالجملة العفو مندوب اليه ثم قد ينعكس الامر في
بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه كما تقدم وذلك اذا احتيج الى كف
زيادة الجاني وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه ونصه
ان زينب شتمت عائشة رضي الله عنها بحضرته فكان بينهما فلانتهي فقال
لعائشة دونك فانتصري خرجه مسلم في صحيحه بمعناه وقيل صبر عن المعاصي
وستر عن المساوي وبالجملة فذلك لمن عزم الامور اي من حزائم الله التي امر بها وقيل
من عزائم الصواب التي وفق لها وذكر الكلبي والعزاز ان هذه الآية نزلت في ابي
بكر الصديق رضي الله عنه حين شتم ثلاث ايات قبلها وقد عمه بعض الانصار فرد عليه
ثم اسمك وهي المدنيات من هذه السورة وقيل هذه الآية في المشركين
وكان هذا في ابتداء الاسلام قبل الامر بالقتال ثم نسخها اية القتال وهو قول
ابن زيد وقد تقدم في تفسير ابن عباس ولما انتصر بعد ظلمه بريد حمزة وعبيدة
وعليا وجميع المهاجرين رضوان الله عليهم اجمعين فاولئك ما عليهم من سبيل يريد
حمزة بن عبد المطلب وعبيدة وعليا رضوان الله عليهم اجمعين انما السبيل على
الذين يظلمون الناس يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة
وابا جهل والاسود وكل من قاتل من المشركين يوم بدر ويبغون في الارض
يريد بالظلم الكفر اولئك لهم عذاب اليم يريد وجيع ولمن صبر وغفر يريد
ابا بكر وعمر وابا عبيدة بن الجراح ومصعب بن عمير وجميع اهل بدر رضوان الله
عليهم اجمعين ان ذلك لمن عزم الامور حين قتلوا القدامى صبروا على الاذى انتهى
قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده هذا حتم اعلم
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما دعاه اليه من الايمان بالله والمودة في القربى
ولم يصدقه في السبت وان متاع الدنيا قليل ايمن اضله الله عن هداه
الاية فلا يهدونه هاد قوله تعالى وتراهم يعرضون عليها اي على النار
لانها اعدت لهم فكني عن العذاب المذكور بحرف التانيث لان ذلك العذاب هو
النار وان سبب جهنم ولو ابهم اللفظ لقال عليه ثم قيلهم المشركون جميعا يعرضون
على جهنم عند انطلاقهم اليها قاله الاكثرون وقيل اذ قرعوت خصوصا لتحشر
ارواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح فهو عرضهم عليها قاله ابن
مسعود وقيل انهم المشركين تعرض عليهم ذنوبهم في قبورهم ويعرضون على
العذاب في قبورهم وهذا معنى قول ابي الحجاج خاشعين من الذل ذهب بعضهم
العذاب على الوقف على خاشعين وقوله من الذل متعلق بينظرون وقيل هو متعلق
بخاشعين والخشوع الانكسار والتواضع ومعنى ينظرون من طرف خفي ابي
لا يديمون النظر رفعا لما لا فهم ناكسوا الرؤوس والعرب تصف الذليل
بغض الطرف كما يتغلبون في صفة حديد النظر اذا لم تنهم بريبة فيكون عليه منها
بعضاضة وقال بعضهم من طرف خفي ابي ذليل قال وانما ينظرون مغلوبين لانهم
لا يبصرون عمدا وعين الغلب طرف خفي وقال قتادة والسدي والغرطي وسعيد
ابن جبير يسارقون النظر في شدة الخوف وقيل المعنى ينظرون من عين ضعيفة
النظر وقال ثعلب سمعت من يمني ابا ايوب ينظرون بطرف خفي ابي ضعيف من
الذل والخوف ونحوه عن الاخفش وقال ابن عباس بطرف دابر ذليل وقيل ابي
يغرعون ان ينظروا اليها بجميع ابصارهم لما يرون من اهوالها فالعذاب
الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة ابي يقول
الموحدون في الجنة لما عاينوا ما حل بالكفار ان الخسران في الحقيقة ما صار اليه

هوله فانهم خسروا انفسهم لانهم في العذاب المخلد وخسروا اهليهم لان الاهل ان كانوا
في النار فلا انتفاع بهم وان كان في الجنة فتحصيل بيته وبينهم وتبديل حسرات الاهل انهم
لو امنوا لكان لهم اهل في الجنة ما الحور العين وفي سنن ابن ماجة عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل
في النار فاذا مات الرجل ودخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى اولئك
هم الوارثون وقد تقدم وفي مسند الدارمي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من احد يدخله الله الجنة الا زوجه الله اثنتين وسبعين زوجة
من الحور العين وسبعين من ميراثه من اهل النار ما منهن واحدة الا ولها قبل منهن
وذكر لا يبقى قال عطاء بن خالد من ميراثه من اهل النار يعني رجالا دخلوا
النار فورثت اهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون الا ان الظالمين في
عذاب مقيم ابد دائم لا ينقطع ثم يجوز ان يكون هذا من قول المؤمنين ويجوز
ان يكون ابتداء من الله تعالى في قوله تعالى وما كان لهم من اولياء ابو اعوان
وانصارا ينصرونهم من دون الله اي من عذابه ومن يضلل الله فما له من سبيل اي
طريق يضل به الى الحق في الدنيا والجنة في الاخرة لانه قد سدت عليه طريق النجاة
في قوله تعالى استجيبوا لربكم ابو اجيبوه الى ما دعاكم اليه من الايمان به والطاعة
استجيبوا واجاب بمعنى وقد تقدم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله هو يوم
القيامة ما لكم من ملجا ابو لا تجدون ملجا تلجؤون اليه من عذاب الله ولا
ابو من ملجا ينجيكم من العذاب وما لكم من نكير ابو منا صر ينصركم قال
مجاهد ونقير النكير بمعنى المنكر كاليم بمعنى المولم ابو لا تجدون يوم يذ منكرا
لما ينزل بكم من العذاب حكاه ابن ابي حاتم وقال الكلبي الزجاج معناه
انهم لا ينكرون ان ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها وقيل انكار على ما ينزل
بكم من العذاب والنكير والانكار بمعنى المنكر فوله تعالى فان اعرضوا
عن الايمان فما ارسلناك عليهم حفيظا ابو حافظا لاعمالهم حتى يجازيهم عليها
وقيل موكلا بهم لا تنتصر لهم دون ان يؤمنوا ابو ليس ذلك اليك انما عليك
ان تبلغ الا البلاغ وقيل نسخ هذا بآية القتال وان اذقنا الانسان ان الكافر
منا رحمة رخاء وصحة فرح بها وان تصبهم سيئة بلاء وشدة فان الانسان كفور
ابو لما تقدم من النعمة فنقدما لمصايب وسمي النعم فوله تعالى لله ملك السموات
والارض يخلق ما يشاء الاية ربح مسائل الاولى قوله تعالى لله ملك السموات والارض
ابتداء وخبر يخلق ما يشاء الخلق يهب لمن يشاء ان تاث ويهب لمن يشاء الذكور
قال ابو عبيدة وابو مالك وجماعة والحسن والضحاك يهب لمن يشاء ان تاث لا ذكور
معهن ويهب لمن يشاء ذكورا لا اناث معهم وادخل الالف واللام على الذكور
دون الاناث لانهم اشرف منهم بسمة التذكير وقال واثلة بن الاسقع
ان من يمن المراة تبكير بها ان تنثى قبل الذكر وذلك ان الله تعالى قال يهب لمن
يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور فبدا بالاناث او بذ وجهم ذكرانا واناثا
قال يحيى بن سلام هو ان تلد بواء غلاما وجارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية
وقال محمد بن الحنفية هو ان تلد بواء غلاما وجارية او بذ وجهم ذكرانا واناثا
قال العتبي التزويج بهن هو الجمع بين البنين والبنات تقول العرب
زوجت ابلي اذا جمعت بين الصغار والكبار وتجعل من يشاء عقيما ابو لا يولد
لها قال رجل عقم وامراة عقم وعقمت المراة يعقم عقما مثل هدر يهدر
وعقمت يعقم مثل عظم يعظم واصله القطع ومنه الملك العقيم اي يقطع فيه
الارحام بالقتل والعقوق خوفا على الملك ونكح عقيم ابو لا يلقح سمي بذلك
ولا عجوزة ويوم القيمة يوم عقيم لانه لا يوم بعده وبقال للسنة عقيم وعقم قال
الشاعر
* عقم النساء فما يلدن شبهه ان النساء بمثله عقم *
وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت في الانبياء خصوصا وان عم حكمها وهب
للوط اناث ليس معهن ذكر ووهب لابراهيم الذكور ليس معهم انثى وهب
ووهب لا يسمعل واحي في الذكور والاناث وجعل يحيى وعيسى عقيمين ونحوه

عن ابن عباس واسحاق بن بشر قال اسحاق نزلت في الانبياء ثم عمت يهب لمن يشاء
اناثا يعني لوطا عليه السلام لم يولد له ذكرا وامنا ولد له اثنتان ويهب
لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم عليه السلام لم يولد له انثى بل ولد له ثمانية ذكور
او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني ادم كانت حواء تلد له في كل بطن توءمين
ذكرا وانثى ويزوج الذكر من هذا البطن من الانثى من البطن الاخر حتى احكم
الله له المحذوم في شرح نوح عليه الصلاة والسلام وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم
كانت له ذكور وانات من الاولاد القاسم والطيب والطاهر وعبد الله وزينب
وام كلثوم ورقية وفاطمة وكلهم من خديجة رضي الله عنها وابراهيم وهو من مارية
القبطية وكذلك قسم الله الخلق من لدن ادم الى ان تقوم الساعة على
هذا التقدير المحدود بحكمته البالغة ومشيته النافذة يهب النسل ويتم دين
الخلق ويبعد الوعد ويحق الامر وتخرب الدنيا وياخذ الجنة وجهنم ما يملا كلتا
واحدة ويبقى في الحديث ان النار لن تمتلئ حتى يضع الجبار رجله قدمه فتقول
قط قط واما الجنة فيبقى منها فينشئ الله لها خلقا اخر الثلثة قال ابن
العربي ان الله تعالى يعلم قدرته وشديد قوته يخلق الخلق ابتداء من غير
شيء وتعظيم لطفه وبالغ حكمته يخلق شيء من شيء لا عن حاجة فانه قدوس
عن الحاجات سلام عن الافات كما قاله الغزالي وسلام السلام فخلق ادم من الارض
وخلق حوا من ادم وخلق المشيمة من بينهما منهما مرتبا على الوطي كما يتب
على الحمل مجردا في الجنين بالوضع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سبق
ماء الرجل ماء المرأة اذكرت واذا سبق ماء المرأة ماء الرجل انثى وكذلك في الصحيح
ايضا اذا علا ماء الرجل ماء المرأة اشبه الرجل اعمامه واذا علا ماء المرأة
ماء الرجل اشبه اخواله قلت هذا معنى حديث عائشة لا لفظه خرجه مسلم
من حديث عروة بن الزبير عنها ان امرأة قالت لرسول الله صلى الله عليه
وسلم هل تغتسل المرأة اذا احتلمت وابصرت الماء فقال لها نعم فقالت عائشة
تربت يداك وانت قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها وهل
يكون الشبه الا من قبل ذلك اذا علا ماؤها ماء الرجل اشبه الرجل اخواله واذا
علا ماء الرجل ماء المرأة اشبه اعمامه فقال عملوني فعلي مقتضى هذا الحديث ان
العلو يقتضي الشبه وقد جاء في حديث ثوبان خرجه مسلم ايضا ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لليهودية ما الرجل ابيض وما المرأة اصفر فاذا اجتمعا
فعلا منى الرجل منى المرأة اذكر باذن الله واذا علا منى المرأة منى الرجل لم يكن
باذن الله الحديث فجعل في هذا الحديث ايضا العلو يقتضي الذكورة والانوثة
فعلى مقتضى الحديثين يلزم اقتران الشبه للاخوال والانوثة لانهما معلولان لعلة
واحدة وليس الامر كذلك بل الوجود بخلاف ذلك لانا نجد الشبه للاخوال
والذكورة والشبه للاعمام والانوثة منتفيتان وبلا احد الحديثين والذي يتبين
تا وبلا الذي جاء حديث ثوبان فيقال ان ذلك العلو معناه سبق الماء الى
الرحم ووجهه ان العلو لما كان معناه الغلبة من قولهم سما بفتى فلان فسمقته
اي علبته ومنه قوله تعالى وما نحن بمسبوقين اي بمغلوبين قل علمه علا ويؤيد
هذا التاويل قوله في الحديث اذا سبق ماء الرجل ماء المرأة اذكرت واذا سبق
ماء المرأة ماء الرجل اشبه وقد جاء في حديث ثوبان خرجه مسلم ايضا ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لليهودية ما الرجل ابيض وما المرأة اصفر فاذا اجتمعا
فعلا منى الرجل منى المرأة اذكرت

الكلام وبه تنتفي المعارضة عن الاحاديث المتقدمة في الخامس العلم الثالثة قال
علماؤنا كانت الخلقة مستمرة ذكرا وانثى لان وقوع في الحي هذه الاولى الخنثى
فانه يعرض المخرج وسدها عادة بالضرب فلم يدر ما يتبول منه وارخاء عضو
عنه فلما جن عليه الليل ينكر موضعه واتصل عليه مضجعه وجعل يتقلى ويتقلب
ويجيء له الاقلاء وبه ذهب ابو ان انكرت حادثة حالة فقلت لك ما بكاء قال
لها سهرت لا مرضت بل قلم ادر ما اقول فيه فقالت لها رجل له ذكر
وفرج كيف يكون حاله في الميراث قالت له الا مه ورثه من حيث يبول فعقلها
واصبح مفوضها عليهم وانقلبوا بها راضية وجا الاسلام على ذلك فلم ينزل الامر عهد
علي رضي الله عنه فقضى فيها وقد روى العرصيون عن الكلبي عن ابي صالح عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن مولود له قبل وذكر من
اين يورث قال من حيث يبول وروى انه ابن يخنثى من الانصار وقال ورثوه
من اول ما يبول وكذا روى محمد بن الحنفية عن علي ونحوه عن ابن عباس وبه
قال ابن المسيب وابو حنيفة وابو يوسف ومحمد وحكاه المزني عن الشافعي
وقال ستر لا دلالة في البول فانه خرج البول منها جميعا قال ابو يوسف يحكم
بالاكثر وانكره ابو حنيفة وقال اكيله ولم يجعل اصحاب الشافعي للكثرة حكما
وحكي عن علي والحسن انه قال نعد اضلاعه فان المرأة تزيد على الرجل
بضلع واحد وقد مضى ما للعلماء في هذا في ابتدا المواريث في السنا بحمد والحمد لله
الرابعة قال الفارسي ابو بكر بن العربي وقد انكر قوم من رؤس العوام
وجود الخنثى لاوهم ان الله تعالى خلق الخلق ذكرا وانثى قلت هذا جهل بالسنة
وعناوة عن مقطع العضاهة وتصور عن معرفة سنة العدة اما قدرة الله
سبحانه فنافذ واسع عليم واما ظاهر العادات فلا يخفى وجود الانثى لان الله تعالى
قال لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا فهذا عموم مدح فلا يجوز تخصيصه
لان العدة تقتضيه واما قوله يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور او
بين وجهين ذكرانا واناثا ويجعل من يشا عقيما فهذا اخبار عن الغالب والموجود
وسكت عن الخنثى لدخوله بحكم عدم الكلام الاول والوجود يشهد له والعيان
يكذبه منكره وقد كان بعزاز من رباط ابي سعيد على الامام الشهيد من بلاد
العرب لبيس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربما اعلم بوضع طول الصحبة
فقلت لها عن سؤالك وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وما كان لبشر ان
يكلمه الله الا وحيا سبب ذلك ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا يكلمك الله
وينظر اليه ان كنت نبيا كما كلم موسى وينظر اليه فانا لن نؤمن بك حتى نعقل ذلك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى لن ينظر اليه فنزلت قوله الا وحيا ذكر النقائض
والواحدية والتقابل وحيا فاما في هذا بيت بيت في قلبه فيكون الهاما ومنه قوله
عليه السلام ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها
واجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم او من وراء حجاب
كما كلم موسى او يرسل رسولا كما ارسل جبريل عليه السلام وقبل الا وحيا روى
ايدها في منامه قاله محمد بن جرير واو من وراء حجاب قال ابن جبير كما كلم موسى
او يرسل رسولا قال ابن جبير هو جبريل فيوحي باذنه ما يشا وهذا الوحي من الرسل
خطاب منهم للانبيا يسمعونه نطقا ويرونه عيانا وهكذا كانت حال جبريل عليه
السلام اذا نزل بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ما نزل جبريل
عليه السلام على نبي قط الا رآه محمد وعيسى وموسى وزكريا عليهم السلام
فاما غيرهم فكان وحيا الهاما في المنام وقيل الوحي ان يرسل جبريل او من وراء حجاب
كما كلم موسى او يرسل رسولا الى الناس كافة وقرا الزهري وشيبة ونافع او
يرسل رسولا فيوحي برفع الفعلين الباقون بنصبهما فالرفع على الاستئناف
اي وهو يرسل وقيل يرسل بالرفع في موضع الحال والتقدير الا موحيا او مرسلا
ومن نصبه عطفوه على محل الوحي لان معناه وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
ان يوحي او يرسل ويجوز ان يكون النصب على تقدير حرف الجر من ان المصدرة

ويكون في موضع الحال التقديرا وبان يرسل رسولا ولا يجوز ان يعطف او يرسل بالفعل
يعني ان سكلم لغة والمعنى لانه يصير ما كان لبشر ان يرسله او ان يرسل اليه رسولا
وقوله ارسل الرسل من البشر وارسل اليهم الف بينه احتج بهذه الاية من راى
منهم حلف ان لا يكلم رجلا فارسل اليه رسولا انه حانث لان المرسل قد سمى
فيها سكلما للمرسل اليه الا ان ينوي الحالف المواجهة بالخطاب قال ابن المنذر واختلفوا
في الرجل يحلف ان لا يكلم فلانا فكتب اليه كتابا او ارسل اليه رسولا فقالت
الشافعية ارسوله ليس بكلام وقال الشافعي لا يمين ان يحنث وقال النخعي والحكم
في الكتاب يحنث وقال مالك يحنث في الكتاب والرسول وقال من الرسول
اسهل من الكتاب وقال ابو عبيد الكلام مرسوم الخط والاشارة وقال ابو ثور
لا يحنث في الكتاب قال ابن المنذر لا يحنث في الكتاب والرسول قلت وهو
قول مالك قال ابو عمر ومن حلف ان لا يكلم رجلا فسلم عليه عامدا وساهيا او
سلم على جماعة هو فيهم فقد حنث في ذلك كله عند مالك وان ارسل اليه رسولا
او سلم عليه في الصلاة لم يحنث قلت يحنث في الرسول الا ان ينوي المشافهة
للاية وهو قول مالك وابن الماجشون وقد مضى في اول سورة من هذا المعنى
عن علمائنا مستوفى والحمد لله قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من
امرنا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك اي وكما اوحينا
الى الانبياء من قبلك اوحينا اليك روحا اي نبوة قاله ابن عباس
والحسن وقتادة رحمة من عندنا وقيل السدي وحيا وقيل الكلبي كتابا الربيع
هو جبريل والضحاك هو القرآن وهو قول مالك بن دينار وسماه روحا
لان فيه حياة من موت الجهل وجعله من امره بمعنى انه لم يكن على مثاله
من النظم المعجز والتأليف المعجب ويمكن ان يجعل قوله وبسبلونك عن الروح
على القرآن ايضا قل الروح من امر ربي اي به يسئلونك من اين لك هذا القرآن
قيل انه من اسرار الله انزله على معجزا ذكره الغزنوي وقال مالك بن دينار يا اهل
السراق ما وجدتم القرآن في قلوبكم فان القرآن ربيع القلوب كما ان الغيث ربيع
الارض الثالثة بينة ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي لم تكن تعرف الطريق الى
الايمان وظاهر هذا يدل على انه ما كان قبل الاربعين متصفا بالايمان قال الغزنوي
وهو من موجبات العقول والذي صار اليه المعظم الله ما بعث نبيا الا كان موصوفا به قبل
السبعة وبيع بحكم الا ان يثبت ذلك بنص قاطع به قال القاضي ابو العقل عياض
واما عصمتهم من هذا القدر قبل النبوة فلا شك فيه عند الجلة والصواب انهم معصومون
قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته وفي شيء من ذلك وقد تقدم الاجماع
والادلة على عصمة الانبياء ينتزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد
والايمان بل على اشراق انوار المعارف وتحقيق الطاف السعادة ومشاهدة
سيرهم منذ صباهم الى بعثتهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى وسليمان
وغيرهم عليهم السلام قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى
العلم بكتاب الله في حال صباه قال سعيد كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان
لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى
بعيسى وهما ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه وهو في
بطن امه وكانت امر يحيى تقول لمريم اني اجد في بطني يسجد لما في بطنك تحيته
له وقد نص الله على كلام يحيى لامه عند ولادتها اياه بقوله لا تحزني على خراة
من قدرا من تحتها وعلى قول من قال ان المتكلم عيسى ونص على كلامه في مهده
قال ابن عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال فنفهمنا هاهنا ان كلا
انبأ حكما وعلما وقد ذكر من حكم سبحانه وهو صبي يلعب في قصة المرحومة
وفي قصة الصبي ما افتدى به ابوه داود وحكى الطبري ان محمدا حين اوتي
الملك اثنا عشر عاما وكذلك قصة موسى عليه السلام مع فرعون واخذه بلحيته
وهو طفل وقال المعتزلي في قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي
هديناه صغيرا قالوا حجتهم هذه وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابدا خلقه
وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله اليه جبريل يامره عن الله تعالى بي

يعرفه

يعرفه بقلبه وينكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل
ان الذي ابراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاءه
اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين وان استدلاله ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس
كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل اوحى الله الى يوسف عليه السلام وهو صبي
عند ماهم اخوته به ان يرفي الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا
الآية الى غير ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امه بنت ونعب احزنت
ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا
راسه الى السما وقال في حديث صلى الله عليه وسلم بعضت الى الوثن وبعض
الي الشعر ولم ابعض بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم
لم اعد ثم يمكن الامر لهم وبنزاد وقد تعالى الله عليهم وتشرف انوار المعارف في
قلوبهم حتى بلغوا الغاية وبلغوا اصطفا الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل
الخصال الشريفة النهاية دون مباشرة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده
واستوى اتيناه حكما وعلما قال القاضي ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا
نبي واصطفي من عرف بكفر واشراك قبل ذلك منتقد هذا الباب النقل وقد استدل
بعضهم بان القلوب تنفر عما كانت هذه سبيله قال القاضي واني اقول ان
قريشا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعيرتنا والامم انبياءها بكل
ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته البينة الرواة ولم يجد في شيء من
ذلك معتبر الواحد منهم بدفضه الهتهم وتفريقه بذمه ينزك ما كانت قد جبلتهم
عليه ولو كان هذا الكان لهم بذلك مباديء ويتلونه في معجزاته محتجين
ولكان توبيخهم له بتضليلهم عما كان عليه قبل اقطع واقطع في الحجة من توبيخه
بتضليلهم عن تركه الهتهم وما كان يعيد ابا وهم من قبل فبقي اطناب قومه على الاعراض
عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا
عن تخويل القبلة وقالوا ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم الثالثة
وتكلم المسلمون في نبينا صلى الله عليه وسلم فهل كان متعبدا بدين قبل الوحي امر انتهاكم
عن منع ذلك مطلقا واحالته عقلا قالوا لانه بعيد ان يكون متبوعا من عرف تابعا
وبنوا هذا على الخسيس والنفيس وقالت فرقة احتذيا بالوقف في امره عليه
السلام ونزل قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يجد الوجهين منها النقل ولا استناد
عندهما الى احدهما طريق النقل وهذا مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة
انه كان متعبدا بشرع من قبله وعلى ما يرشح اختلف نصوصه في التعيين فذهبت
طائفة الى انه كان على دين عيسى فانه نا سخ لجميع الاديان والملل قبله فلا
يجوز ان تكون النبي على دين منسوخ وذهبت طائفة الى انه كان على دين ابراهيم
لانه من ولده وهو ابو الانبياء وذهب طائفة الى انه كان على دين موسى لانه اقدم
الاديان وذهبت المعتزلة الى انه لا بد ان يكون على دين ولكن عين الدين غير
معلوم عنده وقد ابطل هذه الاقوال كلها ائمتنا اذ نفوا قوال متعارضة وليس فيها
دلالة قاطعة وان كان العقل يجوز ذلك كله والذي يقطع به انه عليه السلام لم يكن
متعبدا الى واحد من الانبياء بعينه يقتضي ان يكون واحد منا منه ومخاطبا بكل
شريعة بل شريعته مستقلة بنفسها مستمدة من عند الله الحاكم جل وعز وانه صلى الله
عليه وسلم كان موحدا بالله عز وجل ولا سجد لصنم ولا اشرك بالله ولا زنا ولا شرب
الخمر ولا شهد لسامر ولا حضر حلف المطيبين بل نزهه الله وصانه عن
ذلك فان قيل فقد روى عثمان بن ابي شيبة حدثنا يسنده عن جابر ان النبي صلى
الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما
يقول لصاحبه اذهب حتى نقوم خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده بالاسلام
الاصنام فلم يشهدهم بعد قالجواب ان هذا حديث انكره الامام احمد بن حنبل جدا
وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع وقال الدارقطني ان عثمان وهم في اسناده
والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي
صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في قصته
لحيرا عند استخلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لغته بالشر من شعر

مع عمه ابي طالب وهو صبي وراى بيد علامات النبوة فاخبره بذلك فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم لا تسبلني بها فوالله ما ابغضت شيا قط بغضها فقال له بحيرا
فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته
عليه السلام وتوفيق الله اياه له انه كان قبل نبوته يجانف المشركين في وقوفهم
بمزدلفة في الحج وكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام
فان قيل فقد قال الله تعالى فاتبعوا ملة ابراهيم وقال
شرع لكم من الدين الا به وهذا يقتضي ان يكون متعبدا بشرع فالجواب ان ذلك
فيما لا يختلف فيه الشرائع من التوحيد واقامة الدين على ما تقدم بيانه في غير
موضع وفي هذه السورة عند قوله شرع لكم من الدين والحمد لله الرابعة اذا تقرر
هذا فاعلم ان العلماء اختلفوا في قبل نزوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
فقالت جماعة معنى الايمان في هذه الاية شرايع الايمان ومعالمه ذكره الثعلبي
وقيل نفى قبل هذا الشرع اي كنت غافلا عن هذه الشرايع قبل ويجوز اطلاق
لفظ الايمان على نفي قبل الشرع ذكره الغزنوي وقيل ما كنت تدري قبل الوحي
ان سفراء القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان ونحوه عن ابي العالية وقال
بكر القشيري ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام قال وكان قبل هو مما
يوحيه ثم نزلت الفرايض التي لم يكن تدريها قبل فزاد التكليف ايضا وهذه
الاقوال الاربعة متقاربة وقال ابن عزيز معنى عن الايمان الصلاة لقوله تعالى وما
كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص
وقال الحسين بن الفضل اي ما كنت تدري ما الكتاب ولا اهل الايمان وهو من باب
حذف المضاف اي سنة الدين يومن ابو طالب او العباس او غيرهما وقيل ما كنت تدري
في اذ كنت في المهد وقبل البلوغ وحكى الماوردي نحوه عن علي بن عيسى قال ما كنت
تدري ما الكتاب لولا الرسالة ولا الايمان لولا البلوغ وقيل ما كنت تدري ما الكتاب لولا
انعامنا عليك ولا الايمان لولا هدايتنا لك وهو محتمل وفي هذا الايمان وجهان احدهما
انه الايمان بالله وهذا اظهر بعد نبوته وقبل نبوته اثبت انه دين الاسلام
وهذا لا تعرفه الا بعد النبوة قلت الصحيح ان صلى الله عليه وسلم كان مومنا
بالله عز وجل من حين نشا الى حين بلوغه على ما تقدم وقيل ما كنت تدري ما
الكتاب ولا الايمان اي كنت مستورا ميتا بعد فتور الكتاب ولا الايمان حتى
يكون تداخل ما جيئتهم به ممن كان يعلم ذلك منهم وهو لقوله تعالى وما كنت
تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون رويه معناه عن
ابن عباس والضحاك بين الايمان اسند بما القرآن وقيل الوجه ان جعلنا هذا الوحي
نورا يهدي به من نشاء ممن اختاره للنبوة كقوله تعالى يختص برحمته من يشاء وهو
الكتاب لان الفعل من كثرة اسمائه بمنزلة الفعل من الاسم الواحد الا ترى انك تقول
انبا لك واديارك فتجمعني فتوحد وهما اثنان وانك لتهدي بالايمان تدعوا وترشد الى
صراط مستقيم دين فتوحيد وهما اثنان وقال علي الى كتاب مستقيم وقرا عاصم الجحدري
وحوشب وانك لتهدي بميم مسمى الفاعل من اهدى يهدي فتوحد لتهدي مسمى
الفاعل من هدى يهدي فتراه ابي وانك لتدعوا قال النحاس وهذا لا يقرا به لانه مخالف
للسواد ولا يجعل على ما كان مثله على انه من قاله على جهة التفسير كما قال
وانك لتهدي بمعنى ابي لتدعوا وروي بمعنى فتاه في قوله تعالى وانك لتهدي
الى صراط مستقيم قال وكله قوم فهاد صراط الله بدل من الاول بدل المعرفة من
النكرة قال عكرمة هو القرآن وقيل الاسلام ورواه انباس بن سمعان عن النبي صلى
الله عليه وسلم الذي له ملك السموات وملك الارض ملكا وعبدا وخلق الا الى انه
لنفسيرا الامور وعبدنا البعث والجزا قال سهل بن ابي الجعد احترق مصحف فلم يبق
الا قوله الا الى الله تصير الامور وعرق مصحف فاسمي كله الا قوله الا الى الله تصير
الامور سورة الزخرف مكية باجماع وقال مقاتل الا قوله واسال
من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى حم والكتاب المبين تقدم الكلام فيه وفي حم قسم والكتاب
المبين قسم ثان والله ان يقسم بما شا والجواب ان جعلناه وقال ابن الانباري

من جبل

من جعل جواب والكتاب هم كما يقول نزل الله وجيء والله وقف على الكتاب المبين
ومن جعل جواب القسم ان جعلناه لم يقف على الكتاب المبين ومعنى جعلناه اي
سميناه ووصفناه ولذلك عقد به اي معقولين كقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة
وقال السدي بما انزلناه وقرأ ابن مجاهد قلنا ه الزجاج وسيبويه الثوري بينا ه
عربيا اي انزل بلسان العرب لان كل نبي انزل كتابه بلسان قومه قال سفيان
الثوري وغيره وقال سفيان لان لسان اهل السما عربي وقيل المراد بالكتاب
جميع الكتب المنزلة على الانبياء لان الكتاب اسم جنس وكانه اقسم بجميع ما انزل من
الكتب انه جعل القرآن عربيا والكتاب يرجع الى قوله جعلناه يرجع الى القرآن وان
لم يجر له ذكر في هذه السورة لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر لعلكم
تعقلون اي تفهمون احكامه ومعانيه فعلى هذا القول يكون خاصا للعرب
دون العجم قاله ابن عيسى وقال ابن زيد المعنى لعلكم تتفكرون فعلى هذا يكون
خطابا للعرب والعجم ونعت الكتاب بالمبين لان الله بين فيه احكامه وفرائضه
على ما تقدم في غير موضع قوله تعالى وانه في ام الكتاب يعني القرآن في
اللوح المحفوظ لعلي حكيم اي رفيع بحكمه لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض
الله تعالى انه لقرآن كريم في كتاب مكنون وقال تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح
محفوظ وقال ابن جريج المراد بقوله وانه اعمال الخلق من ايمان وكفر وطاعة
ومعصية لعلي اي رفيع عن ان يناله حكيم اي محفوظ من بعض او يعتبر
وقال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق
فالكتاب عنده ثم قرأ وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم وكسر الهمزة من ام
الكتاب حمزة والكسائي وضم الباقون وقد تقدم قوله تعالى افنضرب
عنكم الذكر بمعنى القرآن عن الحسن وغيره وقيل المراد بالذكر العذاب اي
افنضرب عنكم العذاب ولا نعذبكم على اسرافكم وكفركم قاله مجاهد وابو صالح
والسدي ورواه العوفي عن ابن عباس وقال ابن عباس احسبتم ان يصفح عنكم
العذاب ولم يفعلوا ما امرتم به وعنه ايضا ان المعنى انكذبون بالقرآن ولا
نعاقبكم وقال السدي ايضا المعنى افنترككم اهملكم ولا يأمركم ولا ينهاكم وقال
قتادة المعنى افنهلككم فلا يأمركم ولا ينهاكم وعنه ايضا امنمسك عن انزال
القرآن من قبل انكم لا تؤمنون فلا ينزله عليكم وقاله ابن زيد قال قتادة والله
لو كان هذا القرآن رفع حين رد ولكن الله كرره
عليهم برحمته وقال الكسائي افنطوي عنكم الذكر طيا فلا يعظكم ولا يؤمركم وقيل
الذكر التذكر فكانه قال انزل لتذكيركم لان كنتم قوما مسرفين في قراءة من فتح ا
ومن كسرها جعلها للشرط وما قبلها جواب لها لانها لم تعمل في التعط ونظيره
وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين وقيد الجواب بعدوف دل عليه ما تقدم
كما تقول انت ظالم ان فعلت ومعنى الكسر عند الزجاج الحال لان في الكلام معنى
التقدير والتوبيخ ومعنى صفحا اعراضا يقال صفحت عن فلان اذا اعرضت
عن ذنبه وقد ضربت عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته والاصل فيه صفحة العنق
يقال اعرضت عنه اي ولبته صفحة عنقي قال الشاعر

• صفحا فما بلتك الا نعيله • فبئس مدلها وبئس الوصل ملت •

وانتصب صفحا على المصدر لان معنى افنضرب افنصفح وقيل التقدير افنضرب
عنكم الذكر صافحين ثم لجا فلان مثلا ومعنى مسرفين مشركين واختار ابو
عبيدة الفتح في ان وهي قراءة ابن كثير وابي عمرو وعاصم وابن عامر قال
لان الله تعالى قد عاتبهم على ما كان منهم وعلمه قبل ذلك من فعلهم فقوله تعالى
وكم ارسلنا من نبي في الاولين كم بمعنى خبرية والمراد بها التكثير والمعنى ما اكثر
ما ارسلنا من الانبياء كما قال لم تزكوا من جنات وعيون اي ما اكثر ما تركوا وما
بانيهم من نبي اي لم تكن تاتيهم نبي الا كانوا به يستهزؤن كما استهزا قومك يا محمد
به صلى الله عليه وسلم وسلاه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي قوة واشد
منهم قوة والكناية في منهم يرجع الى المشركين المخاطبين بقوله افنضرب عنكم الذكر
صفحا فمكنى عنهم بعد ان خاطبهم واشد نصب على الحال وقيل هو مفعول ابا

فقد اهلكنا اقوى من هؤلاء المشركين في ابدانهم وانت عاد ومعن مثل الاولين ابي
عشرتهم ممن قبلنا دة وقيل صفة الاولين تخبرهم بانهم اهلكوا على كفرهم حكاه
الفراش والمهدوي والمثل الوصف والخبر قوله تعالى ولئن سألتهم يعني
المشركين من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم فاقروا بانه الخالق
والايجاد ثم عبدوا معه غيره جهلا منهم وقد مضى في غير موضع قوله تعالى
الذي جعل لكم الارض مهادا وصف نفسه سبحانه بكمال القدرة وهذا ابتداء اخبار
عنه عن نفسه ولو كان هذا اخبارا عن فعل الكفار لقال الذي جعلت لنا الارض مهادا
فراشا وبساطا وقد تقدم وقرا الكوفيون مهدا وجعل لكم فيها ايي معايش وقيل طرقا
لتسلكوا منها الى حيث اردتم لعلكم تهتدون فتتفقوا بمقدورا له على قدرته وقيل
لعلكم تهتدون في اسفاركم قال ابن عيسى وقيل لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم قاله سعيد
ابن جبير وقيل يهتدون الى معاشكم قوله تعالى والذي نزل من السماء ما بقدر
قال ابن عباس ايه لاكما انزل على قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم بل هو بقدر
لا طوفان معرق ولا قحط عن الحاجة حتى يكون معاشا لكم ولانعامكم فانشرنا
اي احيينا به اي بالمكان بلدة ميتا اي مقفرة من النبات كذلك تخرجون اي من
قبوركم لان من قدر على هذا قدر على ذلك وقد مضى في الاعراف بحمد الله والجمهور
ابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وابن ذكوان عن ابن عامر تخرجون بفتح
الباء وضم الراء اي قوتم على الفعل المجهول قوله تعالى والذي خلق الازواج
كلها فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى والذي خلق الازواج اي والله الذي خلق
الازواج قال سعيد بن جبير اي الاصناف كلها وقال الحسن الثلج والصيف
والليل والنهار والسموات والارض والشمس والقمر والجنة والنار وقيل ارواح
الحيوان من ذكر وانثى قال ابن عيسى وقيل اراد ارواح النبات كما قال تعالى
وانبتنا عليه فيها من كل زوج بهيج ومن كل شيء خلقنا زوجين وقيل ما يقلب فيه الانسان
من خير وشر وايمان وكفر ونفع وضر وفقد وغنى وصحة وسقم قلت وهذا هو
القول بالعموم وجمعها بعمومه وجعل لكم من الفلك السفن والانعام الابل ما يركبون
في البر والبحر لتستووا على ظهوره ذكر الحسنة لانه رده الى ما في قوله ما يركبون قاله
ابو عبيدة وقال الفراء ضاف الظهور الى واحد لان المراد به الجنس فصار الواحد
في معنى الجمع بمنزلة الجنس وبالجنس فلذلك ذكر وجمع الظهور ايه على ظهور هذا
الجنس التي ذكرت قال سعيد ابن جبير الانعام هنا الابل والبقر وقال ابو
عبيدة هذا الابل وحدها وهو الصحيح لقوله عليه السلام بينما رجل راكب بقرة اذ قالت
له لم اخلق لهذا انما خلقت للحرث فقال النبي صلى الله عليه وسلم امنت بذلك
انا وابو بكر وعمر وما هما ثم قال وقد مضى هذا في اول سورة النحل مستوفى والحمد لله
الثانية قوله تعالى لتستووا على ظهوره يعني به الابل خاصة به لبيد لما ذكرناه
ولان الفلك انما يتركب بطونها ولكنه ذكرهما جميعا في اول الاية وعطف احدهما
على احدهما ويحتمل ان يجعل ظاهرهما باطنها لان الماء حمزة وسره وباطنها
ظاهرا لانه اذا تكشف للظاهرين وظهر للمبصرين الثالثة قوله تعالى ثم
تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اي ركبتم عليه وذكر النعمة هو الحمد لله على
تسخير ذلك لنا من البر والبحر وقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا
المركب وفي قراءة علي بن ابي طالب سبحانك من سخرتنا هذا وما كنا له
مقرنين اي مطيقين في قول ابن عباس والكلبي وقال الاخفش وابو عبيدة
مقرنين ضابطين وقيل مماثلين في الابدان والقوة من قولهم هو قرن قلانة
اذا كان مثله في القوة ويقال فلان مقرن لفلان اي ضابط له وافترنت
كذا اي اطقته واقترن له اي اطاقه وقرب عليه كانه صار له قرنا قال الله تعالى
وما كنا له مقرنين اي مطيقين وانشد فطرب قول عمرو بن معديكرب

لقد علم القبائل ما عقيل لنا في النائبات بمقرنينا

وقال اخر ركبتم صعبتي اشرا وحيفا ولستم للصعبات بمقرنينا

والمقرن ايضا الذي غلبته صنعته فيكون له ابلا او غنما ولا معين له عليها
او يكون يسيء ابله ولا زاجر له بل ودها قاله ابن السكيت وهذا اصله قولان

احدهما انه ماخوذ من الاقتران يقال اقترن بفترث اقترانا اذا اطاقا واقترنت كذا
اذا اطعته وحكمته كانه جعله في قرن وهو الحبل فاوثقه به وشده والثاني
انه ماخوذ من المقارنة وهو ان يقترن بعضها ببعض في السير يقول قرنت كذا بكذا
اذا ربطته به وجعلته قرينة الخامسة علمت الله سبحانه ما نقول اذا ركبت الدواب
وعرفنا من اية اخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول اذا ركبنا السفن وهي
قوله تعالى وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فكم
من راكب دابة عثرت به او شمست او سحمت او طاح من ظهرها فهلكت وكم من راكبين
في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كانت الركوب مباشرة امر محظور وامصالا
ما تسبب من اسباب التلف امرك لا ينسى عند اتصاله به توسه وانه هالك
لا محالة فتنقلب الى الله عز وجل عز منقلب من فقها بره ولا يبدع ذكر ذلك بقلبه
وليس ذلك حين يكون مستبعدا للتقي الله بالصلاح من نفسه والحذر من ان يكون
ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه حكي سليمان بن بيسار ان
قوما كانوا في سفر وكانوا اذا ركبوا قالوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين وكان فيهم رجل على ناقة له وارم وهي التي لا تتحرك هزالا فقال
اما انا فاني لهذه لمقرن قال فتهيأت به فدفعت عنقه ورديف ان اعرابيا ركب
مقودا وقال اني لمقرن له مركبتي به الغدو حتى صرعته فاندقت عنقه ذكر
الاول الما ورديفه والثاني ابن العربي قال وهما ينبغي لعبد ان يدع قول هذا
وليس بواجب ذكره بالسان فيقول متى ما ركبت وخاصة في السفر اذا يذكر سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انت الصاحب
في السفر والخليفة في الاهل والمال اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنقلب
والحور بعد الكور وسوء المنظر في الاهل والمال وبعني بالحور بعد الكور نقصان امر الرجل
بعد اجتماعه وقال محمد بن دينار ركبت مع ابي جعفر ابي ارض له وعورها بطء فقال لها
مدركه فركب على جمل صعب فقلت لابي جعفر ما نخاف ان يصرعك فقال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال على منبر كل بعير شيطان اذا ركبتموها فاذكروا اسم الله
كما امركم ثم استهنوها لانفسكم فانما يحمل الله وقال علي بن ربيعة شهدت علي بن
ابي طالب ركب دابة يوما فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى على الدابة
قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
ثم قال الحمد لله والله اكبر ثلاث اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت له ما اضحك قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
صنع كما صنعت وقال كما قلت ثم ضحك فقلت له ما يضحك يا رسول الله قال ان عبدا
قال يعجب لعبد ان يقول اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب
الا انت يعلم انه لا يغفر الذنوب غيره خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وابو
عبد الله محمد بن حزام مسندا وفي احكامه وذكر الثعلبي نحوه مختصرا عن علي
رضي الله عنه ولفظه عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله في الركاب
قال بسم الله فاذا استوى قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون واذا نزل من الفلك والانعام
فنزلوا اللهم انزلنا منزلا مباركا وانت خير المنزلين وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد
قال من ركب ولم يقل سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال له الشيطان
تعست فان لم يحسن قال له تمنه ذكره النحاس وبتعيينه بالله من شر من يقول
لعنا به تفاؤلوا سيره على الجبل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع
انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يشربون حتى يحمل طلاهم وهم على ظهور
الدواب او في بطون السفن وهي بجريها بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمثلون
الا واسره الزمخشري ولقد بلغني ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب الخمر
من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بسيره
ولا احسن بحركة بين فعلوا ولبئس الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الاية
خوفه تعالى وجعلوا له من عباده حزوا به عدلا عن قتادة بينما عبد
من دون الله عز وجل الزجاج والمبرد الجزء فاعت البنات عجب المومنين

من جهلهم اذ افتروا بان خالق السموات والارض هو الله ثم جعلوا له شركا وولدا ولم
يعلموا ان من قدر على من خلق السموات والارض لا يحتاج الى شيء يعتضد به او يتخذ منه
به لان هذا من صفات النقص قال الماوردي والجزء عند اهل العربية البنات يقال
قد اجزأت المرأة اذا ولدت البنات قال الشاعر
* اجزأت حرة يوما فلا عجب قد تجزم البرة المذكارها *
الزمخشري ومن بديع التفاسير تفسير الحرباناث وادعى ان الحرف لغة العرب
اسم للاناث وما قالوا كذب على العرب ووضع مستحدث مختول ولم ينتفعهم ذلك
حتى استغنوا منه باحرات المرأة ثم بنوا بنتا
* ان احرات حمده بوما فلا عجب قد تجزم البرة الاوس بجزيه *
وانما قالوا وجعلوا له من عباده جزءا متصلا بقوله ولئن سألتهم من خالق السموات
والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا فوصفوه
بصفات المخلوقين وسموه من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات فجعلوهم
جزأه وبعضا كما يكون الولد بضعة من والده وجزأه وقد جعل جزءا بضمتين
ان الانسان بين الكافر لكفور مبين قال الحسن بعد المصايب وسبق النعم
مبين مظهر الكفر قوله تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات الميم صلة تفيد توكيد الحد
مما يخلق بنات كما زعمتم ان الملائكة بنات الله فلفظه لفظ الاستفهام ومعناه
التوبيخ واصفاكم بالبنين يقال اصفيته بكذا اي اثره به واصفيته الود اخلصته
له وصافيته وبصافين بخلا لصنا عجب من اضافتهم الى الله اخس البنات
مع اختيارهم لانفسهم البنين وهو مقدس عن ان يكون له ولد ان يوهم جاهل
انه اتخذ لنفسه ولدا فجعله لاصنافه الى ارفع الجنسين ولم جعل لانفسهم اسرف
الجنسين وله الاجنس وهذا كما قالت بنو اكلم الذكر ولد الانثى تلك اذا قسمة ضيزى انتهى
قوله تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بانه ولدت له بنت ظل وجهه
اي صار وجهه مسودا فبدل بظلات مثله الذي ضربه وقيل بما يشبهه من
الانثى دليله في سورة النحل واذا بشر احدهم بالانثى ومن حالهم ان احدهم اذا قيل
له قد ولدت لك انثى اغتم وازبد وجهه تغيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب
وعن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فوجم البيت الذي فيه المرأة فقالت
* ما لابي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا *
* غضبان ان لا تلد البنينا وايمنا حق لما اعطينا *
وقرأ مسودا ومسوادا وعلى قراءة الجمع تكون وجوههم اسم ظل ومسودا خبره ويجوز
ان يكون في ظل ضمير عابد على احد وهو اسمها ووجهه بدل من الضمير ومسودا
خبر ظل ويجوز ان يكون رفع وجهه بالابتداء ويرفع مسودا على انه خبره وفي ظل
اسمها والجملة خبر هذا وهو كظيم اي حزين قاله قتادة وقيل مكروب قاله
عكرمة وقيل ساكت قاله ابن ابي حاتم وذلك لفساد مثله وبطلان حجته ومن اجاز
ان تكون الملائكة بنات الله فقد جعل الملائكة شبها لله لان الولد من جنس الوالد
وشبهه ومن اسود وجهه بما يضاف اليه مما ابرجن اولى من ان يسود وجهه واضافة
مثل ذلك اليه من هو اجل منه فكيف ابى الله عز وجل وقد مضى في النحل معنى هذه الاية
ما فيه كفاية قوله تعالى او من ينشؤا في الحلية فيه مسألتان الاولى قوله تعالى
او من ينشؤا ابو يديه ويثبت والنشوء التربية يقال نشأت في بني فلان ننشأ ونشوا
اذا نشيت فيهم ونشئ وأنشئ معين وقرأ ابن عباس والضحاك وقتادة وابو رجاء
وحمزة والكسائي وخلف ينشؤا بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين ابو يديب
وبكر في الحلية واختاره ابو عبيدة لان الاسناد فيها اعلى وقرأ الباقون ينشأ
ينشأ بفتح الياء واسكان النون واختاره ابو حاتم ابو يدرج وينبت واصله بمعنى
نشأ ابو ارتفع قاله الفراء وبه فينشأ متعد وينشأ لازم النشأة فوله تعالى
في الحلية ابو جمع الزينة قال ابن عباس وغيره هي الجواري لان النساء
الرجال قال قد رخص للنساء في الذهب والحرير وقرأ هذه الاية قال
الكيا فيه دلالة على اباحة الحلي للنساء والاجماع منعقد عليه والاخبار فيه
لا تحصى قلت روى عن ابي هريرة انه كان يقول لابنته يا بنية اياك والتحلي

بالذهب

بالذهب فانه اخاف عليك الذهب قوله تعالى ومن ينشؤا في الحلية وهو في الخصام غير مبين
ابو من المبي دلة والاد لا بالحجة قال قتادة ما شكلت امراة ولها حجة الا جعلتها
على نفسها وفي مصحف عبد الله وهو في الكلام غير مبين ومعنى الاية انكاف الى
الله من هذا وصفه ايه لا يجوز ذلك وقيد المنشا في الحلية اضامهم التي صاغوها
من ذهب وفضة وحليها قاله ابن زيد والضحاك ويكون معنى وهو في الخصام غير
مبين على هذا القول ايه ناكث عن الجواب ومن في محل نصب ايه اتخذ والله من
بينا وافي الحلية ويجوز ان يكون رفعا على الابتدا والخبر مضمر قاله الفراء
وتقديره او من كان على هذه الحالة يستحق العبادة وان شئت قلت ضمن ردا
ابو اول الكلام وهو قوله بما ضرب او على ساحق قوله مما يخلق بنات وكون البدل
في هذين الموضعين ضعيفا لكون الف الاستفهام حايلة بين البدل والمبدل منه وجعلوا
الملايكة الذين هم عند الرحمن اناثا قرا الكوفيون عبادا بالجمع واختاره ابو عبيد لان
الاناث وبنها اعلا ولان الله تعالى انكذبهم في قولهم انهم بنات الله فاخبرهم انهم
عبيد وانتهم ليسوا بينه وبينهم نسب وعن ابن عباس انه قرا عباد الرحمن فقال سعيد بن جبير
ان في مصحف عبد الله حتى فقال ابن عباس واكتبها عباد الرحمن وتصديق هذه القراة
قوله تعالى بل عباد مكرمون وقوله تعالى ان الذين يدعون من دون الله
عبادا مثالكم وقرا الباقون عند الرحمن بنون ساكنة واختاره ابو حاتم وتصديق
هذه القراة ان الذين عند ربك وقوله وله من في السموات ومن في الارض ومن
عنده والمقصود ايضاح كذبهم وتبيان جهلهم في نسبة الاولاد اليه سبحانه ثم
في تحكمهم باناث الملايكة ان اشهدوا خلقهم وهم بنات الله وذكر العباد مدح لهم ايه كيف
عبدوا من هو من وهاينة العباده ثم كيف حكموا بانهم اناث من غير دليل
والجعل هنا بمعنى القول والحكم تقول جعلت زيدا اعلم الناس ايه حكمت له
بذلك اشهدوا خلقهم ايه احضروا حاله خلقهم حتى حكموا بانهم اناث وقيل ان
النبي صلى الله عليه وسلم سالهم وقال ما يدريكم انهم اناث فقالوا سمعنا ذلك
من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا في قولهم اناث فقال الله تعالى سنكتب
شهادتهم ويسالون ايه يسالون عنها في الاخرة وقرا نافع اوشهدوا بهمزة
استفهام داخلة على همزة مضمومة مسهلة ولا بد سوى ما رويه المسيبي عنه انه
يمد ورويه المفضل عن عاصم مثل ذلك وتختلف الهمزتين والباقون اشهدوا بهمزة
واحدة للاستفهام ورويه عن الزهري اشهدوا خلقهم على الخبر بكتب قراة
العامة بضم الياء لفعل المجهول شهادتهم رفعا وقرا السلمي وابن السميفع وغيره
عن حفص سكنت نون شهادتهم بضم بتسمية الفاعل وعن ابي رجا ستكتب
شهادتهم بالجمع قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن بمعنى قال المشركون بمعنى على
طريق الاستهزا والسخرية لو شاء الرحمن بمعنى زعمكم ما عبدناهم هذه الملايكة وهذا
منهم كلمة حق اريد بها باطل وكل شي بارادة الله وارادته بخلقه ولكنه لا يحمله فلا
يمكن الاحتجاج بها وخلاف المعلوم والمراد معتقدوه وان لم يقع ولو عبدوا الله
بدل الاصنام لعلمنا ان الله اراد منهم ما حصل منهم وقد مضى هذا القول في الانعام
عند قوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا وفي نفس انظر من لو شاء
الله اطعمه وقوله ما لهم بذلك من علم مردود الى قوله وجعلوا الملايكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا ايه ما لهم بقولهم الملايكة بنات الله من علم قاله قتادة ومقاتل
والكلبي وقال مجاهد وابن جريج يعني الاوثان ايه ما لهم بعبادة الاوثان من علم
من صلة ان هم الا يخرصون ايه يحدسون ويكذبون فلذلك عذرهم في عبادة غير الله
عز وجل وقال في ضمن كلامهم ان الله امرنا بهذا او يضن ذلك منا ولهذا لم ينههنا
ولم يبعث الينا بالعقوبة قوله تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله هذا استفهام انكار لقولهم
اشهدوا خلقهم والمعنى احضروا خلقهم ام اتيناهم كتابا من قبله ايه من قبل القران
بما ادعوه فهم به مستمسكون يعملون بما فيه قوله تعالى بل قالوا انا وجدنا
اباءنا على امة فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى على امة ايه على طريقة ومذهب
قاله عمر بن عبد العزيز وكان يقتدا فهو ويجاهد وقتادة على امة بكسر الالف
والامة الطريقة وقال الجوهري والامة بالكسر النعمة والامة ايضا لغة في الامة

وهي الطريقة والدين عن ابي عبيد قال عدي بن زيد في النعمة ثم لبعد الفلاح والملك والامة وارثهم نهن كالعيونه عن عبر الجوهري وقال قتادة وعطية عملي امة على دين وسنه قول قيس بن الخطيم

كنا على امة ابائنا ويعدي الاخرين الاولين قال الجوهري

والامة الطريقة والدين يقال فلان لا امة له اي لا دين له وهل سمي قال الشاعر

وهل بيتوي ذا امة وكفور وقال بعضهم وتطرب على دين على ملة وفي بعض المصاحف قالوا ان وجدنا على امة وهذه قراءة شاذة وحكي عن العرا على ملة على فتحة على اشتقاقه واستشهد قول النابغة

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة وهل امن ذوامة وهو طايع

الا ان حقا كل ما هتدون ابي بهتدون بهم وفي الايتراء خرى مقتدون ابي يقتدي بهم والمعنى واحد قال قتادة مقتدون متبعون وفي هذا دليل على ابطال التقليد لانه اتاهم على تقليد اباءهم وتركهم التظر فيما دعاهم اليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد مضى القول في هذا في البقرة مستوفى وحكي من قال ان هذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة وابي سفيان وابي جهل وعتبة واشباههم من قريش ابي ولما قال هرة فقد قال من قبلهم ايضا يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ونظيره ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك والمترف المنعم والمراد هنا الملوك والجبابرة قوله تعالى قل اولو جيتكم ابي قل يا محمد لقومك اولبس قد جيتكم من عند الله بادى بدي بارشد مما وجدتم عليه اباكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون بعين بكله ما ارسل به الرسل فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولفظه لفظ الجمع لان تكذيبه تكذيب لمن سواه وقدري قل وقال اجيتكم وجيتاكم بعين اتتبعوت اباكم ولو جيتكم بدين اهدى من دين اباكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اي لا ينفك عنه وان جيتنا بما هو اهدى وقد مضى في البقرة القول في التقليد وذمه فلا معنى لاعادته قوله تعالى فانتقمنا منهم بالخسف والقتل والمسخ فانظر كيف كان عاقبة المكذبين اخبرا من كذب الرسل وقراءة العامة قل اولو جيتكم وقرا ابن عامر وحفص قال اولو على الخبر عن المبتدا انه قال لهم هذه المقالة وقرا ابو جعفر قل اولو جيتكم بنون ولا خلاف على ان المحاطبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جميع الرسل فقوله تعالى واذ قال ابي ذكرهم اذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون البراء يشتمل للواحد فما فوقه فلا يثني ولا يجمع ولا يؤنث لانه مصدر وضع موضع النعت لانك لما ابراء ان والبراءون لان المعنى ذوا البراءة وذوو البراء قال الجوهري وتبرات من كذا وان منه بدا وخلا منه لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر في الاصل مثل سمع سمى عاقا قلت ان بريء منه وخلي يثنى ويجمع وانثى وقلت في الجمع يخص منه بدا مثل فقيه وفقها وبرا ايضا مثل كريم وكرام وابرا مثل شريف واشراف وابريا مثل نصيب وانصبا وبرون وامرأة بريء وهما برييان ونحن بريئات وبرايا ورجل بريء وبرا مثل عجيب وعجاب والبرا بالفتح اول ليله من الشهر سميت بذلك لتبريء القمر من الشمس الا الذي فطرني استثناء متصل لانهم عبدوا الله مع الهتهم قال قتادة فكانوا يقولون الله رب مع عبادة الاوثان ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن الذي فطرني فهو يهدين قال ذلك ثقة بالله وتنبيها لقومه ان الهدايا من ربه قوله تعالى فجعلها كلمة باقية فيه ثلث مسايل الاولى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الضمير في جعلها عايد على قوله الا الذي فطرني وضمير الفاعل في جعلها لله عز وجل اي وجعل الله هذه الكلمة والملة باقية في عقبه في عقب ابراهيم وولده وولد ولده اي انهم توارثوا البراءة عن عبادة غير الله فاوفى بعضهم بعضا في ذلك والعقب من بقي بعده وقال السدي يعني الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس قوله في عقبه اي في خلقه وفي الكلام تقديم وتاخير والمعنى فانه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها كلمة باقية في عقبه ابي قاله لهم ذلك لعلهم ينتبهون عن عبادة غير الله قاله مجاهد وقال ذلك الكلمة لا اله الا الله قال قتادة هذه لا يزال من عقبه من يعبد الله الى يوم القيمة وقال الضحاك الكلمة لا تعبدوا

الا الله

الا الله عكرمة الاسلام لقوله تعالى هو سماكم المسلمين من قبل العرطبي وجعل وصيته
ابراهيم التي وصى بها بنيه وهو قوله يا بني ان الله اصطفى لكم الدين الايه المذكورة
في البقرة كلمة باقية في ذريته وبنيه وقال ابن زيد الكلمة قوله اسلمت لرب
العالمين وقد هو سماكم المسلمين من قبله وفي هذا الكلمة النبوة قال ابن العربي
ولم تزل النبوة باقية في ذرية ابراهيم والتوحيد هم اصله وغيرهم منه تبع لهم
الثالثة قال ابن العربي اني كانت لابراهيم في الاعقاب موصولة يدعونه الى
المحابين احداهما في قوله ابني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال
عهدي الظالمين فقد قال نعم الامة ظلم منهم فلا عهد لهم فيها قوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام وقيل بل الاول قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين
فكل امة تعظم نسوه وغيرهم من يجتمع معه في سام الى نوح الثالثة قال ابن
العربي حرى ذكر العقب هاهنا موصولا في المعنى وذلك مما يدخل في الاحكام
ونزيت عليه بمقود العمري والتخيس قال النبي صلى الله عليه وسلم ايما رجل
اعمر عمري له ولعقبه فانها للذي اعطيها لا ترجع الى الذي اعطاها لانه اعطا
عطا وقعت فيه المواريث وهي تذ دخل احد عشر لفظ الملفظ الاول الولد
وهو عند الاطلاق عبارة عن من وجد من الرجل واسرائه في الاناث والذكور
وعن ولد الذكور دون الاناث لغة وشرعا ولذلك وقع الميراث على الولد
العين وولد الذكور من العين دون ولد الاناث لانه من قوم اخرين ولذلك
لم يدخلوا في الجنس لهذا اللفظ قال له مالك في المجموعة وغيرها قلت هذا
مذهب مالك وجميع اصحابه المتقدمين ومن حجتهم على ذلك الاجماع على ان
ولد البنات لا ميراث لهم مع قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم وقد ذهب
جماعة من العلماء الى ان ولد البنات من الاولاد والاعقاب بيد خلوت في
الاجناس من يقول المحبس حبست على ولدي او على عقبي وهذا اختيار ابن
عبد البر وغيره واحتجوا بقول الله جل وعز حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
قالوا فلما حرم البنات حرمت بذلك بنات البنات باجماع علم انها بنات ووجب ان
يدخل في حبس ابيها اذ حبس على ولده او عقبه وقد مضى هذا المعنى في الانعام
مستوفى في اللفظ الثاني من البيوع قال ابن القاسم هذا احبس على ابني فلان ينقدي الولد
المعين ولا ينقد ولو قال ولدي لصلبي وتقدم في كل من ولد وان قال على
بني دخل فيه الذكور والاناث قال مالك من تصدق على ابنيه وبني ابنيه فمات
بنات بنيه ثم تزوجن من ذلك رديه بعيبي بعد ابن القاسم فبن حبس على بناته فمات
بنات بنيه ثم خلعن من ذلك مع بنات صلبه والد بعد على ما ذكرنا عن اصحابه ان ولد البنات
لا يدخلون في البنين فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحسن ابني
ابنتي ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
قلت هذا شيء وانما اشار به الى قشر بينه وتقدم له الانتزاع انه يجوز
نفيه عنه فيقول الرجل في ولد بنته ليس ابني ولو كان حقيقة ما جاز نفيه
عنه لان الحقيقة لا ينفى عن مستحقها الا انتزاع انه ينتسب الى ابيه دون
امه وكذلك قيل في عبد الله ابن عباس انه نقاسي ولبس بهلالي وان كانت
امه هلالية قلت هذا الاستدراك غير صحيح بل هو ولد على الحقيقة في اللغة
الوجود معنى الولادة بينه وان اهل العلم قد اجمعوا على تحريم بنت البنت من قول
الله تعالى حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وقال تعالى ومن ذريته داود وسليمان
الى قوله من الصالحين فجعل عيسى من ذريته وهو ابن ابنته على ما تقدم بيانه
هناك فان قيل فقد قال الشاعر

* بنونا بنو ابنائنا وبناتنا بنوهن ابناء الرجال الاباعد *

قيل لهم هذا الدليل عليه لان معنى قوله انما هو ولد بنيه الذكران هم الذين لهم حكم
بنيه في الموارثة والنسبة وان ولد بناته ليس لهم حكم بناته في ذلك اذ ينتسبون الى غيره
فاخبر بافتراقهم بالحكم مع اجتماعهم في النسبة ولم ينف عن ولد البنات اسم الولد
لانه ابنا وقد يقول الرجل في ولده ليس هو ابني اذا لم يطيعني ويجري لي حقا ولا
يريد بذلك نفي اسم الولد عنه وانما يريد ان يثبت عنه حكمه ومن استدل لهذا البيت

على ان ولد البنت لا يسمى ولدا فقد افسد معناه وابطل فائدته وما دل على فساده ما لا
يصح اذ لا يمكن ان يسمى ولد الابن في اللسان العربي ابنا ولا يسمى ولد الابن ابنا من
اجل ان معنى الولادة التي اشتق منها اسم الولد هي ابين واقرب لان ولد الابنه هو
ولدها بحقيقة الولادة وولد الابن انما هو ولده بي له سما كان سبب الولادة ولم يخرج
مالك رحمه الله اولاد البنات من جنس من جنس على ولده من اجل ان اسم الولد غير
واقع عليه عنده في اللسان وانما اخرجهم منه فنيا سما على الوارثة وقد مضى
هذا في الاقسام والحمد لله للفظ الثالث الذرية وهي ماخوذة من ذرء الله الخلق
منه دخل فيه ولد البنات لقوله ومن ذريته داود وسليمان الى ان قال وذكريا
ويحيى وعيسى وانما كان من ذريته من قبل امه وقد مضى في البقرة اشتقاق
الذرية وفي الانعام الكلام على ومن ذريته اهيز فلا معنى لاعادة اللفظ الرابع
العقب وتقول اللغة عبارة عن شيء بعد شيء كان من جنسه او من غير جنسه يقال
اعقب الله خيرا بعد الشدة بالرخاء واعقب الشيب السواد وعقب يعقب
عقوبا وعقبا اذا جاء شيء بعد شيء ولهذا قيل لولد الرجل عقبه والعقاب من
النساء التي تلد ذكرا بعد انثى فعكذ ابدا او عقب الرجل ولده وولد ولده الباقون بعده
والعاقبة الولد قال يعقوب في الغرات وجمعها كلها بالهاء في عقبه وقيل بل
الورثة كلهم عقب والعاقبة الولد ولذلك فسره مجاهد فقال وقال ابن زيد
هاهنا هم الذرية وقال ابن شهاب هم الولد وولد الولد وقيل عنى به ما تقدم
من السبب وبين الصحاح والعقب بكسر القاف موخر القدم وبقي مؤنثة
وعقب الرجل ايضا ولده وولد ولده وفيه لغتان عقب وعقب بالتسكين وهي
ايضا مؤنثة عن اللحياني وعقب فلان مكان ابيه عاقبه اي خلفه وهو اسم جاء
بمعنى المصدر لقوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة ولا فرق عند احد من العلماء
بين لفظ العقب والولد في المعنى واختلف في الذرية والنسل فقيل انهما بمنزلة
الولد والعقب لا يدخل ولد البنات فيها على مذهب مالك وقيل انهم يدخلون فيها وقد
مضى الكلام في الذرية هذا وفي الاقسام اللفظ الخامس نسلي وهو عند علمائنا
كقوله ولدي وولد ولدي فانه يدخل فيه ولد البنات ويجب ان يدخلوا لان النسل
بمعنى خرج وولد البنات قد خرجوا منه بوجه ولم يقترن به ما يخصه كما اقترن
بقوله لم عقبي ماتت نسلوا وقال بعض علمائنا ان النسل بمنزلة الولد والعقب لا يدخل
فيه ولد البنات الا ان يقول المحبس نسلي ونسل نسلي كما اذا قال عقبي وعقب
عقبي واما اذا قال ولدي او عقبي مفردا فلا يدخل فيه البنات اللفظ السادس الاهل
وهم الاهل وهو اللفظ السابع قال ابن القاسم هما سواء وهم العصبة والاخوة والبنات
والحمات ولا يدخل فيه الخالات واصل اهل الاجتماع يقال مكان اهل اذا كان فيه حي من
وذلك بالعصبة ومن دخل في العقد والعصبة مشتقة منه وهي احفر بيرون حديث
الافك يا رسول الله اهلك ولا نعلم الا خيرا يعني عائشة ولكن لا يدخل فيه الزوج باجماع
وان كانت اصل النسل لكن سورتها ليس ببينة اذ قد ينفصل ربطها ويدخل بالطلاق
وقد قال مالك الى عهد كله نفي وليس من هذا الباب وان اراد ان الايمان اخص من
العقد بها فاشتملت عليه الدعوة وقصد بالرحمة وقد قال ابو اسحاق التونسي يدخل
في الاهل من كان من جهة الابوين فوفى الاشتقاق حقه وعدل عن العرف
ومطلق الاستعمال وهذه المعاني انما ينبغي على الحقيقة او على العرف المستعمل عند
الاطلاق فهذا ان لفظات اللفظ الثامن من فزارته فيه اربعة اقوال الاول قال مالك
في كتاب محمد وابن عبدوس ابتهم الاقرب فالاقرب بالاجتهاد ولا يدخل بنو ولد
البنات ولا ولد الخالات الثاني يدخل فيه اقاربه من قبل ابيه وامه قاله ابن
ابن زياد الثالث قال اشهب يدخل فيه كل رحم من الرجال والنساء الرابع قال ابن كنانة
يدخل فيه الاعمام والعمات والاخوال والخالات وبنات الاخت وقد قال ابن عباس
في تفسير قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال الا ان تصلوا
قرابة ما بيني وبينكم وقال لم يكن بطن من قريش الا كانت بينه وبين النبي صلى
الله عليه وسلم قرابة فهذا يضبطه والله اعلم اللفظ التاسع العشيرة ويضبطه
الحديث الصحيح ان شاء الله تعالى لما انزل وانذر عشيرتك الاقربين دعا النبي صلى

الله عليه وسلم بطون قريش وسماهم كما تقدم ذكره وهم العشيرة الاقربون وسوائهم
عشيرة من الاطلاق واللفظ تحمل على الاخص الاقرب باكاجتهم ذكما تقدم من قوله
تعالى بن اللفظ العاشر القوم يحمل ذلك على الرجال خاصة من العصبة دون
النساء والقوم يشمل الرجال والنساء وان كان الشاعر قد قال ه

ه وما ادري وسوف اخال ادري اقوم الحصن ام نساء ه

ولكنه اراد ان الرجل اذا دعي قومه للنصرة عمن الرجال واذا دعاهم للحرمة
دخل فيه الرجال والنساء فتعم الصفة وتخصه الغريزة اللفظ الحادي عشر
المرابي قال مالك يدخل فيه موالي ابيه وابنه مع موالي ابيه وقال ابن وهب يدخل فيه
اولاد موالي قال ابن العربي والذي يتحصل منه انه يدخل فيه من يرثه بالولاء
قال وبهذه حصول الكلام واصوله المرتبطة بظاهر القرآن والسنة المبينة له
والتتريع والتتميم فذكت بالمسايل والله اعلم قوله تعالى بل متعنا هؤلاء وآباءهم
بل متعنا هؤلاء وآباءهم في الدنيا بالمهل حتى جاءهم الحق ابي محمد صلى الله عليه
وسلم بالتوحيد والاسلام الذي هو اصل دين ابراهيم وبقي الكلمة التي تفاها الله
في عقبه ورسول مبين ابي بين لهم بأسهم اليه حاجة ولما جاءهم الحق يعني القرآن قالوا
هذا سحر وانا به كافرون جاحدون وقالوا لولا نزل ابي هذا القرآن
على رجل وغريبي على رجل بسكون الجيم من القريتين عظيم ابي من احدى القريتين
كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ابي من احدهما او على احد رجلين من
القريتين الغريبتين ك مكة والطايف والرجلان الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن
عمر بن مخزوم عم ابي جهل والذي من الطايف ابو مسعود عروة بن مسعود الثقفي
قاله قتادة وقيل عمير بن عبد يا ليل الثقفي من الطايف وعتبة بن ربيعة
من مكة وهو قول مجاهد وعن ابن عباس ان عظيم الطايف حبيب بن عمرو الثقفي
وقال السدي كنانة بن عبد بن عمرو ورويان الوليد ابن المغيرة وكان يسمى
ريحانة قريش كان يقول لو كان ما يقول محمد حقا لنزل علي او على ابي مسعود فقال
الله تعالى ابهم يقتسمون رحمة ربك يعني النبوة فيضعونها حيث شاؤا ولكن قسمنا بينهم
معيشتهم في الحياة الدنيا ابي افقرنا خولنا فاذا لم يكن امر الدنيا اليهم فكيف يفوض
امر النبوة اليهم قال قتادة سعاه ضعيف الغرة قليل الحيلة يعني اللسان وهو
معتز عليه وقرا ابن عباس ومجاهد وبنو محيصن في رواية عنه معاشتهم وقيل ابي
نحن اعطينا عظيم القريتين ما اعطينا لاكرامنا علي وانا قادر على نزع النبوة عنهما
فابي فضل وقدر لهما ورفعت بعضهم فوق بعض درجات ابي فاغنينا بعضهم فمن فاضل
ومفضول ورييس ومرؤوس قاله مقاتل وقيل بالحرية والرق فبعضهم مالك وبعضهم
مملوك وقيل بالغنى والفقر فبعضهم غني وبعضهم فقير وقيل بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال السدي وابن زيد حولا وخدما يسخر
الاغنياء الفقراء فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض وقال قتادة والضحاك يعني ليملك بعضهم
بعضا وقيل هو من السخرية اي ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يعني لاستهزاء بعضهم ببعض بالفقر قال
ابن عباس سخرت به وسخرت منه وضحكت منه وضحكت به وهزئت منه وبه كله بمعنى
والاسم السخرية بالضم والسخري بالضم والكسر وكلاهما قرئ به في السبع
سخريا قال ابن محيصن ومجاهد فما تنهم فما استخروا برحمة ربك خير مما يجمعون ابي افضل
مما يجمعون من الدنيا ثم قيل الرحمة النبوة وقيل الجنة وقيل تمام القرآن بفضل خير من كثرة
المال وقيل ما يتفضل به عليهم خير مما يجمعون بينهم عليه من اعراضهم قوله تعالى
ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
فيه خمس مسايل الاولى قال العلماء ذكر حقارة الدنيا وقلة خطرها وانها عنده من
الهوان بحيث كان يجعل بيوت الكفرة ودرجها ذهبا وفضة لولا غلبة حب الدنيا
على القلوب فيجعل ذلك على الكفر قال الحسن المعنى لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب
حبهم الى الدنيا وبذلكم الاخرة اعطيناهم في الدنيا ما وصفنا هوان الدنيا عند
الله جل وعز وعلا وعلى هذا اكثر المفسرون ابن عباس والسدي وعندهم وقالوا
ابن زيد لولا ان تكون الناس امة واحدة في طلب الدنيا واخذنا رهم على الاخرة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وقال السدي المعنى لولا ان يكون

في الكفار يعني ويعتبر في المسلمين مثل ذلك لا يعطيان الكفار من الدنيا هذا لهوانها الثانية
قرأ ابن عباس وابو عمرو سقف بفتح السين واسكان القاف على الواحد ومعناه الجمع اعتبارا
بقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وقرأ الباقون بضم السين والقاف على الجمع مثل
رهن ورهن قال ابو عبيد ولا ثالث لهما وقيل هو جمع سقيف مثل كثيب وكثب ورغيف
ورغف قاله الفراء وقيل هو جمع سقوف فيكون جمع الجمع سقف وسقف مثل رهن ورهن
ثم جعلوا فعولا كانه اسم واحد فجمعوه على فعل وروي عن عيسى هو سقفا باسكان
القاف وقيل اللام في ليبيوتهم بمعنى على بيوتهم اي يعلى وقيل بدل كما يقول فعلت
هذا لزيد لكرامته قال الله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس كذلك قال لهن
لجعلن لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم الثالثة قوله تعالى ومعارج يعني الدرج قاله
ابن عباس وهو قول الجمهور واحدها معراج والمعراج السلم ومنه ليلة المعراج والجمع
معاريج ومعارج مثل مفاتيح ومفاتح لغتان ومعاريج قرأ ابن ذكوان العطاردي
وطلحة بن مصرف وهو المرافي والسلامي قال الاخفش ان شئت جعلت الواحد معرج
ومعرج مثل مرقاة ومرقاة عليها يظهرون اي يعلى المعارج بالتاء وبغير تاء ويقال
على البيت اي علوت سطحه وهذا لانك من علا بيتا وارتفع عليه ظهر لك ظهر ويقال
ظهرت على الشيء اي علمته وظهرت على العدو اي غلبته واتينا بعده بني جعدة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله
علون السماء عزة ومهابة وان لترجوا فوق ذلك مظهرا اي مصعدا
فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابي ابن قال ابي الجنة قال اجل ان شاء
الله قال الحسن والله لقد مالت الدنيا باكثر اهلها مما فعل ذلك فكيف لو فعل قوله
الرابعة استدل بعض العلماء بهذه الاية على ان السقف لا حق فيه لرب العلو لان الله
تعالى جعل السقوف للبيوت كما جعل الابواب لها وهذا مذهب مالك رحمه الله تعالى
قال ابن العربي وذلك لان البيت عبارة عن قاعة وحدار وسقف وباب فمن له البيت
فله اركانه ولا خلاف ان العلو له الى السماء واختلفوا في السفل فمنهم من قال هو له
ومنهم من قال ليس له بل باطن الارض شيء وفي هذا المذهب الفوا ان وقد بين حديث
الاسرائيلي الصحيح فيما تقدم ان رجلا باع من رجل دارا فبنى ها فوجد فيها حمرة من
ذهب فقال له انما اشتريت الدار دون الحمرة وقال البايع انما بعتك الدار
بما فيها وكلهما تدافعها فقضى بينهما النبي صلى الله عليه وسلم ان يزوج احدهما ولده من
بنت الاخر ويكون المال لهما والصحيح ان العلو والسفل لا الا ان يخرج عنهما بالبيع فاذا
باع احدهما احد الموضعين فله منه ما ينتفع به وباقيه للمبتاع منه الخ مسئلة من احكام
العلو والسفل اذا كان العلو والسفل لرجلين فينقل السفل او يريد صاحبه هدمه
فذكر سحنون عن اشهب انه قال اذا اراد صاحب السفل ان يهدم او اراد صاحب العلو
ان يبني علوه فليس لصاحب السفل ان يهدم الا من ضرورة ويكون هدمه له ارفق
لصاحب العلو لئلا يهدم بانهدامه العلو وليس لرب العلو ان يبني على علوه شيئا
لم يكن قبل ذلك الا الشيء الخفيف الذي لا يضر بصاحب السفل ولو انكسرت خشبة
من سقف العلو ادخل مكانها خشبة سالمة لكن الثقل منها ويخاف ضررها على
صاحب السفل قال اشهب وباب الدار على صاحب السفل قال ولو انهدم السفل
اجبر صاحب على بنائه وليس على صاحب العلو ان يبني السفل فان ابى صاحب
السفل من البناء فقيل له بع من يبني وروى ابن القاسم عن مالك في السفل
لرجل والعلو لاخر فهدم السفل فان صاحب على رب السفل وعلى تعليق العلو
حتى يصلح سفله لان عليه ان يعمد على بنيان او على تعليق ولذلك لو كان على
العلو عمد فتعليق العلو الثاني على صاحب الاوسط وقد قيل ان تعليق العلو
الثاني على رب العلو حتى يبني الاسفل وحديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على
سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا
من الماء مروا على من فوقهم قالوا لو اننا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا
فان يتركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا
اصل هذا الباب وهو صحيح لمالك واشهب وفيه دليل على ان صاحب السفل ليس

لهان

له ان يحدث على صاحب العلو ما يضر به وانه ان احدث عليه ضررا لزمه اصلاحه دون
صاحب العلو وان لصاحب العلو منعه من الضرر لقوله صلى الله عليه وسلم
فان احدوا على ايديهم كفوا وخوا جميعا ولا يجوز لاحد الا على به الظالم او منعه
ممنوع من احداث ما لا يجوز له في السنة وفيه دليل على استحقاق المنكر
متروك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد مضى في الانتصار وفيه دليل على جواز الفرعة
واستعمالها وقد مضى في ال عمران قتاملا في موضعه بحده مبينا والحمد لله النهي
قوله تعالى ولبيوتهم ابوابا اي وجعلنا لبيوتهم وقيل لبيوتهم بدل من قوله
من قوله لمن يكفر بالرحمن ابوابا من فضة وسررا كذلك وهو جمع السرير وقيل جمع
الاسرة والاسرة جمع السرير فيكون جمع الجمع يتكئون عليها ورجل نكاة مثال لهمزة
كثير الانكار والنكاة ايضا ما ينكا عليه وانكا على الشيء فهو منكي والموضع منكا وطعنه
حتى انكاه على افعله اي الثلاثي وتوكأت على العصا واصل الباب
في جميع ذلك وا ويفعل به ما فعل بالتؤدة والتخمة وزخرفا الزخرف من الذهب
عن ابن عباس وغيره نظيره او يكون لك بيت من زخرف وقد تقدم وقال
ابن زيد هو ما يحدثه الناس فيهم من الاصباغ والالوان شيء وقال الحسن النقوش
واصله الزينة فيقال زخرفت الدار اي زينتها وتزخرف فلان اي تزين وانتصب
زخرفا على معنى وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا وقيل ينزع الخافض والمعنى فجعلنا
لهم سقفا وابوابا وسررا من فضة ومن ذهب فلما حذف من قال وزخرفا فنصب
وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا هذا قراءة عاصم وحمزة وهشام عن ابن عامر وان كلا
ذلك لما متاع الحياة الدنيا بالتشديد الباقون بالتخفيف وقد ذكر هذا وروي عن
ابي رجب كسر اللام من لما فان عنده بمنزلة الذي والعايد عليها محذوف والتقدير
وان كلا ذلك للذي هو متاع الحياة الدنيا وحذف الضمير هاهنا لحذفه في قراءة
من قرأ مثلا ما بعوضة فما فوقها وعما على الذي احسن ابو الفتح بيني ان تكون كل
على هذه القراءة منصوبة لان ان تخفف من الثقيلة ويقع اذا خففت وتبطل عملها
لزمتها اللام في احد الكلامين للفرق بينها وبين ان التي بمعنى ما كقوله تعالى ان زيد
لقائم وان هند لمنطلقة والاجود عندي ان لا يكون للتخفيف بدليل قوله تعالى وخاف
عبيد الكافرين بالكلية ولا يضعف ولا يضعف شيء من ذلك وفي صحيح الترمذي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وعن سهل
ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ما في الباب عن ابي هريرة وقال حديث
حسن غريب وانشدوا

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن ... اذا لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الانبياء كرامة ... وقد سبقت فيها بطون البهائم

وقال آخر

تمتع من الايام ان كنت حازما ... فانك فيها بين ناه وواصد
اذا انعمت الدنيا على المرء دينه ... فما فاته منها فليس بضائر
فلا تنتف الدنيا جناح بعوضة ... ولا تزدرن رفقا من جناح لطائر
فلم يرض بالدنيا ثوابا لمحسن ... ولا رضي الدنيا عقابا لكافر

وقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال
ابن عباس وعكرمة ومن يعش يعم السين وعماه يعمى يقال منه عشي يعشى
عشا اذا اعمي ورجل اعمى وامرأة عشواء اذا كان لا يبصر ومنه قول الاعشى

رأت رجلا عاري الواقدين ومختلف الخلق اعمى صدبدا

وقوله ان رأت رجلا اعمى اضربه رب المنون ودهر معند خبل
الب منون بالضم من عمي يعشى اذا الحقه ما يلحق الاعشى
وقال الخليل العشو هو النظر ببصر ضعيف واستشهد احدهم بانه يعشو
الى ضوء نار عندها خير وقال نعم الفتى يعشو الى ضوء ناره اذا التبح
حطب والمكان حدب الجوهري والعشا معصور مصدر الاعشى وهو الذي

لا ينصرفا لليل وبصيرا لها رجالمراة عشوا وامرات ان عشوا وان واعشاه الله فعشي ه
بالكسر يعشي عشا وهما يعيشان ولم يقولوا يعيشوان لان الواو لما صارت في الواحد
بالكسرة وما قبلها تركت في السنه على حالها وتقاضي اذا راي من نفسه انه اعشى والسنه
اني اعشى اعشوه واني العيشة عشوا والعشوا الناقة البين كانيصرا ما هي بحيث يبد نها
كلال شي وركب فلان العشواء اذا احبط امره على غير بصيره وفلان حايط خبط عشوا
وهذه الايه سهل يقول اول السوره انضرب عنكم الذكر صفحا ايم نواصلكم الذكر فمن
يعشى عن ذلك الذكر لا اعرض عنه الي اقاويل المخلين واباطيلهم نقيض له شيطانا
اي نسبب له شيطانا نحيزا له على كفره فهو له قرين قيل في الدنيا نمنعه من الحلال ويبعثه
على الحرام وينهاه عن الطاعة ويامره بالمعصيه وفي الخبر ان الكافر اذا خرج من قبره
يشفع بشيطان لا يفارقه حتى يدخلا النار وان المومن يشفع بملك حتى يعتق الله
بين خلقه ذكره المهدوي وقال الفشيري وهو الصحيح فهو له قرين في الدنيا والاخره
وقال ابو الهيثم والازهري عشرت اني كذا اي فصدته وعشوت عن كذا اني اعرضت
عنه لينزق بين اني وعن مثل ملت اليه وملت عنه ولذا قلت ذو يعشى يعرض
وهو قول الفراء التي تين وهو غير معروف في اللغة وقال الفرطبي لو لم يظهره والمعنى
واحد وقال ابو عبيدة والاحفش نظلم غيه وانكر العتبي عشوت بمعنى اعرضت
قال وانما الصواب نفاشيت والقول قول ابي الهيثم والازهري وكذلك قال جميع
اهل المعرفة وقرا السلمي وابن السميفع وابن يعقوب وعصمه عن عاصم وعن الاعمش فيقيض
بالياء لذكر الرحمن او لانه يقيض له الرحمن شيطانا اليا فوت بالثوت وعن ابن عباس
نقيض له شيطان فهو له قرين ابي ملازم وصاحب قيل نهوكنايه عن الشيطان
على ما تقدم وقيل عنى بالتعرض عن القران ايه هو قرين وللشيطان وانهم ليصدونهم
عن السبيل ايه وان الشيطان ليصدونهم عن سبيل الهدي وذكر بلفظ الجمع لان من
في قوله ومن يعشى في معنى الجمع ويحسبون ايه ويحسب الكفار انهم مهتدون ه
فيطيعونهم حتى اذا جانا على التوحيد قرا ابو عمرو وحمزة والكسايي وحفص يعني
الكافر يوم القيمة اليا فرد جانا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة
واحدة فيقول الكافر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين اي مشرق الشتا ومشرق
الصيف كما قال تعالى رب المشرقين ورب المغربين ونحوه قول متاخر وتراءا الجمعان
وان كان ظاهرها الافراد فالمعنى لهما جميعا لانه قد عرف ذلك بما بعده كما قال
وعين لها حدوره بدره شقت ماينهما من احره
قال متاخر بيني وبينك بعد المشرقين اي بعد مشرق اطول يوم في السنة الى مشرق اقصر
يوم في السنة وكذلك قال بعد المشرقين وقال الفراء اذ المشرق والمغرب فغلب اسم
احدهما كما يقال القمران للشمس والقمر والعمران لابي بكر وعمر والخفان لاهل الكوفة
والبصره والعصران للغداه والعصر وقال الشاعر
• احدنا اشاق اليهم ايكم لنا قمراها والنجوم الطوالع •
وانشد ابو عبيدة لجرير بن عاكان يدعى رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر وعمر •
وانشد سيبويه لمذري من نصر الخبيين قد بدد عبد الله ومقعصا ابني الزبير وابي
ابو حبيب عبد الله فتيس الغزيت الى فتيس الصاحب انث لانه اورده الى النار •
قال ابو سعيد الخدري اذا ادخل الكافر روح بنر يئة من الشياطين فلا يفارقه
حتى يصيره الى النار فتقول له تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اذ بدل من اليوم
اي يقول الله للكافر لن ينفعكم اليوم اذ شركتم في الدنيا هذا الكلام وهو قول الكافر
يا ليتني بيني وبينك بعد المشرقين اي لا ينفع الندامة اليوم انكم بالكسر في العذاب
مشتركون وقرا ابن عامر بالفتح على قراءة ابن عامر خلاف عنه انهم اليوم فوت بالفتح وهي في موضع رفع
تقديره ولن ينفعكم اليوم اشتراكهم في العذاب لان كل واحد تفيه الاخر منه
اعلم الله تعالى انه منع اهل النار التي لكم يبني اهل المصايب في الدنيا وذلك ان
الناس يسيرون وجه اهل الدين فيقول احدهم لي في البلا والمصيبة اسوة فينبغي
ذلك من حذيفة كما قالت الخنسا
• ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي •
• وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتاسي •

فاذا كان

فاذا كان في الآخرة فلم ينفعهم الناس بشفاعتهم بالعذاب وقال معاتل لن ينفعكم
الاعتذار والندم اليوم كما ان ضرركم وانتم في العذاب مشتركون كما اشركتم في الكفر
قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي يا محمد ومن كان في ضلال مبين اي
ليس لك ذلك فلا يضيق صدرك ان كذبوا فيه بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وفيه رد
على القدرية وغيرهم وان الهدى والرشد والحدى في القلب خلق الله يضل من يشاء
ويهدي من يشاء قوله تعالى فاما نذهبن بك نريد نخرجنك من مكة فاما ذهب فرتبة
فانا عليهم مقتدرون او نرينك الذي وعدناهم وهو الانتقام منهم في حياتك فانا عليهم
مقتدرون قال ابن عباس فاراه الله ذلك يوم بدر ويقولون اكثر المفسرين وقال
الحسن وقتادة هي في اهل الاسلام يريد ما كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الغنى
ويدل عليه هذا آتوفينك وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم فتنة شديدة
فاكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به قبل ان تنقرض عيشته
واسبغ النعمة بعده وليس من نبي الا وقد اراه الله فتنة امته ورويه ان النبي صلى الله عليه
وسلم اري ما اعطيت امته من بعده فما زال منقبضا ما انبسط ضاحكا حتى لقي الله عز وجل
وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بامة خيرا قبض نبيها
قبلها فجعله لها فرطا وسلفا واذا اراد الله بامة عذابا عذبها ونبيها حي لتقر عينه
لما كذبوه وعصوا امره فنزله قوله تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك بيد القرآن
وان كذب به من كذب فانك على صراط مستقيم يوصلك الى الله ورضاه وثوابه
وانه لذكر لك ولقومك يعني القرآن شرف لك ولقومك من قريش اذ نزله
بلغتهم وعلى رجل منهم تظهره لغة انزلت اليكم كتابا بلغتكم ذكركم ايها شرفكم فالقرآن
نزل بلسان قريش واناهم حاطبه فاحتاج اهل اللغات كلها الى لسان قريش كلهم
من امن منهم بذلك فصاروا عيالا عليهم لان اهل كل لغة احتاجوا الى ان يأخذوا من لغتهم
حتى يقفوا على المعنى الذي عني به عن الامر والنهي وجميع ما فيه من امره فشرفوا
بذلك على سائر اهل اللغات ولذلك سمي عربيا وقيل بيان لك ولقومك
يعني الخلافة فما فضائل قريش لا تكون في غيرهم قال النبي صلى الله عليه وسلم الناس
تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى
هو قول الرجل حدثني ابي عن امه عن مكحول بن اسنن بن ذكر الماوردي والثعلبي وغيرهما
قال ابن العربي ولم اجد في الاسلام هذه الزنية لاحد لا يفخر ادفان بني التميمي بنبي
يقولون حدثني ابي قال حدثني ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك صرفت انظارهم
وعظم الناس شأنهم وتمنت الخلافة بهم ورأيت بمدينة السلام ابني ابي بكر بن رزق الله
ابن عبد الوهاب ابا الفرج بن عبد العزيز بن الحرث بن اسد بن النبيث بن اسود
ابن سفيان بن يزيد بن الكميت بن عبد الله التميمي وكانا يفخران سمعنا ابا رزق
الله يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت
ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي عن علي بن ابي طالب يقول
وقد سئل عن الخنثى المشكل فقال الخنثى الذي يقبل على من اعرض عنه والمشكل
الذي يبدو له الشكل قبل السؤال والفقيه يسمى عليا الكميت بن عبد الله حبرهم الاعلى
والاقوى ان يكون المراد بقوله وانه لذكر لك ولقومك يعني القرآن مطلبه اتبعي الكلام
والبه يرجع المصير والله اعلم قال الماوردي ولقومك فيهم قولان احدهما من اتبعك من
امتك قاله قتادة وذكره الثعلبي عن ابن عباس الثاني لقومك من قريش فيقال له
من هذا فيقال من العرب فيقال من اي العرب فيقال من قريش قاله مجاهد قلت
والصحيح انه شرف لمن عمل به كان من قريش او من غيرهم روى عن ابن عباس قال قال
نبي الله صلى الله عليه وسلم من سرته ان يدعو الله دعا فاطمة فقال يا فاطمة استريه
نفسك من الله فاني لا اغني عنك من الله شيئا وقال مثل ذلك لسوتيه وقال مثل ذلك
لعترته ثم قال لبني الله صلى الله عليه وسلم ما بنو هاشم باولى الناس بي اني ان اولي
الناس بي المتقون ولا قريش باولى الناس بي اني ان اولي الناس بي المتقون
ولا الانصار باولى الناس بي اني ان اولي الناس بي المتقون ولا الموالي باولى الناس
بي ان اولي الناس بي المتقون انما انتم من رجل وامرأة وانتم كحام النساع ليس

لا احد على احد فضل الا بالتقوى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليتهين اقوام يفتخرون بنعم من نعم جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان
التي يدفع النتن بانوفها كلهم بنو ادم وادم من تراب ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية
وفخرها يا ايها الناس انما هو مؤمن تقي وفاجر شقي خرجه الطبري وسيأتي لهذا مزيد بيان في
الحجرات ان شاء الله تعالى وسوف نتبين لون عند الشكر عليه ف له مقاتل والفرا
وقال ابن جرير ابو يسألون انت ومن معك على ما اتاك حقيق بين لون عما علمتم فيه
والمعنى منتقا رب قوله تعالى واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون قال ابن عباس وبن زيد لما اسري برسول الله صلى الله عليه
وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو مسجد بيت المقدس نبعث الله له آدم ومن
ولد من المرسلين وجبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم فاذن جبريل صلى الله عليه وسلم
ثم اقام الصلاة ثم قال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له جبريل عليه السلام سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
الهة يعبدون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسأل قد اكتفيت قال ابن
عباس ومن هنا سبعين نبيا منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فلم يسألهم لانه كان
اعلم بالله منهم فيما روى ابن عباس وصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة
صفوف المرسلين ثلاثة صفوف واربعون اربعة وكان يلي ظهر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابراهيم خليل الله وعلى يمينه اسمعيل وعلى يساره اسحاق ثم موسى ثم سائر المرسلين
فاسهم ركعتين فلما انفتل قام فقال ان ربي اوحى الي ان اسألكم هل ارسل احدا منكم
يدعوا الى عبادة بغير الله فقالوا نشهد انا نشهد انا ارسلنا اجمعين بهذه ان
لا اله الا الله وان كل ما يعبد من دونه باطل هالك خاتم النبيين وسيد المرسلين قد انتهت
ذلك لك يا محمد انا نؤمن لانبي بعدك الى يوم القيمة الا عيسى بن مريم فانه ما مر ان يتبع
اثرك وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا قال يعني ليلة
اسري به وقال الوليد بن مسلم في قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا
قال سألت عن ذلك جنيد بن عمرو فحدثني عن قتادة قال سألهم ليلة اسري به يعني
الانبياء وبني آدم ومالك خازن النار فلت هذا هو الصحيح في تفسير هذه الآية ومن
الذين قبلك رسلنا على هذا القول عبر بها بدلا وقال المبرد وجماعة من العلماء ان المعنى
واسأل امم من ارسلنا من قبلك من رسلنا وروي عن قتادة ابن مسعود واسأل الذين
ارسلنا اليهم قبلك رسلنا وهذه قراءة معسرة فمن على هذا زايدة وهو قول كما قد
والسدي وقتادة وعطا والحسن وابن عباس ايضا ابي وسل موسى اهل الكتابين
التوراة والانجيل وقيل المعنى سلنا يا محمد عن الانبياء الذين ارسلنا قبلك فحذفت
عن الوقت على رسلنا على هذا ثم ابتدأ بالاستفهام على طريق الانكار وقيل
المعنى واسأل تباع من ارسلنا من قبلك من رسلنا فحذف المضاف والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد امته اجعلنا من دون الرحمن الهة تعبدون اخبر عن
الالهة كما اخبر عن من يعقل لما تعبدون ولم يقل تعبد ولا تعبدون لان الالهة
جرت عندهم مجرى من يعقل فاجريه الخبر عنهم مجرى الخبر عن من يعقل وبين
هذا الامر بسؤال ان اليهود والمشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبك به
نقائص فان كان قبلك فاسره الله بسؤال الانبياء فعلى جهة التوقيف والتقرير لا انه
كان في شك منه واختلف اهل التأويل في سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لهم فعلى قولين
احدهما انه سألهم فقالت الرسل بعثت بالتوحيد فقالوا له ائتنا بآية ان كنت نبيا
سبب لهم التعجيب بالله عز وجل حتى ان زيدا ان سيكابل قال لجبريل هل سألك محمد
عن ذلك فقال جبريل هو اشد ايمانا واعظم يقينا من ان يسأل عن ذلك وقد تقدم
هذا المعنى في الروايتين حسب ما ذكرناه قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى
بآياتنا وسلطان مبين لما اعلم النبي صلى الله عليه وسلم انه مستقم له من عدوه واقام
الحجة باستشهاد النبيين الانبياء واتفاق الكلمة على التوحيد اكد ذلك بقصة موسى وفرعون
وما كان من فرعون من التكذيب وما نزل به وبقومه من الاعراف في التكذيب انذارا لنا
موسى بالمعجزات وهي التسع آيات فكذب فجعلت العاقبة الجميلة له فكذلك انت
ومعين يفجعرت استهزاء وسخريته فوهما انت عنهم ان تلك الآيات سحر وتخيل وانهم

قادرون عليها وعلى ولده وما تدبرهم من ابنة لا هي اكبر من اختها ابن كانت إياة موسى من كبار الآيات وكانت كل واحدة اعظم مما قبلها وقيل الا هي اكبر من اختها لان الاولى تقتضي علما والثانية تقتضي علما فتضم الثانية الى الاولى فيزداد الوضوح وعين الاحرة المشار اليها والمناسبة كما يقال لهذه صاحبتها هذه ابي بقية قريبات في المعنى واخذنا هم بالعذاب ابي عاملي نكذ بهم تلك الآيات وهو كقولك اوليتك ابي ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع وكانت هذه الآيات الاخيرة عذابا لهم وآيات لموسى لعلمهم بها حين من كفرهم وقالوا يا ايتنا الساحر لما عاينوا العذاب فقالوا يا ايتنا الساحر نادوه بما كانوا يدعونه به من قبل ذلك على سبيل التعظيم حسب عادتهم وقيل كانوا يسمون العلماء سحرة فنادوه بذلك على سبيل التعظيم قال ابن عباس يا ايتنا الساحر يا ايها العالم وكان الساحر فيهم عظيما يوقرونه ولم يكن السحر صفة ذم وقيل يا ايها الذي غلب بسحره بقال سحرته فسحرته اي غلبته بالسحر كقول العرب خصمته فخصمته وفاضلته ففضلته ونحوها ويحتمل ان يكون ارادوا به الساحر على الحقيقة على معنى الاستهزاء فلم يسلموا على ذلك رجاء ان يؤمنوا وقرا ابن عامر وابو جعفر ويعقوب وشيبة الها الساحر بغير الف والها مضمومة وعليها ان الها خلطت بما قبلها والزمت ضم الباء التي وجب النداء المفرد وانشد الفراء

يا ايها القلب اللجوج الذي اقصر عن نصف الحسان النعس

فضم الها خلا على ضم الباء وقد مضى في النور معنى هذا ووقف ابو عمرو وابن ابي اسحاق ويحيى والكسائي انها بالالف على الاصل الساكن بغير الف لانها كذلك وقعت في المصحف ادع لنا ربك بما عهد عندك ايبما اخبرنا عن عهده اليك انا ان امنا كشف عنا فسله يكشف عنا انا لمهتدون انا ابقينا بك ان لم تكشف عنا العذاب ان يؤمنوا فكشفنا اذا هم ينكثون ابقينا بنقضهم العهد الذي جعله على انفسهم فلم يؤمنوا وقيل قولهم انا لمهتدون اخبار منهم عن انفسهم بالايمان فلما كشف عنهم العذاب ارتدوا فقوله تعالى ونادى فرعون في قومه قيل لما رأوا تلك الآيات خافوا ميل القوم اليه فجمع قومه فقال فنادى بمعنى قال قاله ابو مالك فيجوز ان يكون عنده عظم القبط فدفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه فيجمع القبط وكان يؤدبهم بينهم وقيل انه امر منادية في قومه قاله ابن جريج قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي بعيني الف ارالنيل ومعظمها اربعة نهر طولون والمعلى وشهر طوبوت وشهر دمياط ونهر تنيس قال قتادة كانت جنانا وانهارا تجري من تحت قصوره وقيل من تحت سريره وقيل من تحتي اي تحت امري وقدرتي من غير صانع وقيل كان اذا امسك عنا نزا مسك النيل عن الجري قال العتبي ويجوز ظهور حرف العادة على مدعي الربوبية اذ لا حاجة بها تميز الا له من غير الآلهة اي فعل خارق للعادة وقيل معين وقوله انها لي جنتي ابو العوام والحيا يزيد يسيرون تحتي لواي قاله الضحاك وقيل اراد بالانهار الاموال وعبر عنها بالانهار لكثرتها وظهورها وقوله تجري من تحتي اي امرتها على من ينبغي لان التسخير غيب والعذرة في الاموال دون الانهار افلا تبصرون عظمتي وقوتي وضعف موسى وقيل قدرتي عليكم تفقتكم وعجز موسى والواو في وهذه يجوز ان تكون بمعاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها ويجوز ان تكون واو الحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدأ وفتح الياء من يحيى اهل المدينة والبصري وابو عمرو واسكن الباقون وعن الرشيد انه لما قرأها قال لا ولينها اصغر عبيدي قرأها الخصيب وكان على وضوء وعن عبد الله ابن طاهر انه ولها فخرج اليه فلما شافهه وقع عليها ببصره قال انقدني البصري الذي اختبرها فرعون حتى قال البيهقي ملك مصر والله لكي عندي اقل من ان اسلبها شيئا مما انا فيه صرح بحاله فقال له ام انا خير قال ابو عبيدة والسدي ام بمعنى بل ولبيت فحرف عطف على قوله اكثر المفسرين والمعنى قال فرعون لقومه بل انا خير من هذا الذي هو مهين ابدا لا عزله فهو يشتهي نفسه من حاجته لحقارته وضعفه ولا يكاد يبين ببين ما كان في لسانه من العقدة على ما تقدم مرفيطه وقال العذاري امر وجهان ان يثبت

جملتها من الاشتغال الذي هو تمام لا تصال بكلام قبله وان تثبت جملتها منقطعة على ما قبلها
انبئس لابي مالك مصر وقبله بعضهم ابيدك ورويه ابو زيد عن العرب انهم يجيلون امر ائذة
والمعنى انا جئتك من هذا الذي هو معين وقال الاخفش في الكلام حذف والمعنى افلا
تنصرون ام تنصرون كما قال ٭
٭ ان ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النقا انت ام ام سالم ٭
اي انت احسن ام ام سالم ثم ابتدا فقال انا جئتك وقال الخليل ويبين به المعنى افلا تبصرون
ام انتم بصر فعطف تمام على فلا تبصرون اي اتعمى انا جئتك ام انا جئتك وانتم تبصرون وذلك انهم
اذا قالوا له انت جئت منه كما نرى عنده بصر اورويه عن عيسى الثقفي ويقرب الحضرمي ٭
انهى وقف على ام على ان يكون التقدير افلا تبصرون فحذف تبصرون الثاني وقيل
من وقف على ام جعلها ثانية وكانه وقف على تبصرون من قوله افلا تبصرون عند الخليل
وسيبويه لان ام تقتضي الابصار بعدها فعلها وقال غيرهم الوقف على قوله افلا تبصرون ولا يتم
الكلام على تبصرون ثم ابتدا ام انا خير بمعنى بل انا خير اشد الغرا ٭ ٭
٭ بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها ام انت في العين املح ٭
ممتاه بل انت املح وذكر الغرا ان بعض الغرا قد ام انا خير وسيبين هذا السبب
حدا ورويه عن حي هذا ثم وقف على ام ثم يبتدي انا خير وقد ذكر قول ثعلب
قبلا ان هذا الذي عليه اسوره من ذهب انما قال ذلك لانه كان عادة الوقت وتاتي
اهل الشرف وقد احفص اسوره جمع سوار كما رواحره وقد ايب اسوره جمع
اسوار وابن مسعود اساوره جمع الاسوره فهو جمع الجمع ويجوز
ان يكون اساوره جمعا سوار والحقت الهاء في الجمع عوضا عن الياء فهو مثل زنا دقة
وزناد وهو سطار قة وسطارق وشبهه وقال ابو محمد بن العلا واحد الاساوره والاساور
اسوار وهي لغة في تسوار قال حي بعد كانوا اذا سود رجلا سوروه بسوارين وطوقوه
بطوق ذهب عاله مهيبا دنه فقال فرعون هذا الغرب مربي عليه اساوره
من ذهب ان كان صادقا وجاءه الملبكه معه بين يعني متتابعين في قول قتاده ومجاهد
يمشون معا ابن عباس بيا ونوه على من خالفه والمعنى فهلا جاءه الملائكة التي يزعم
انها عنده يبشرونهم وينصرونهم على امره ونهيه فيكون ذلك اذهب في القلوب
فاوهم قومه ان رسل الله ينبغي ان يكونوا كرسل الملوك في الشاهد ولم يعلم ان رسل الله
انما ابدوا بالجنود السماوية وكل عاقل يعلم ان حفظ الله موسى مع تفرده وحدته من
فرعون مع كثرة اتباعه وامداد موسى بالعصا واليد البيضا كان ابلغ من ان يكون له اسوره
او ملائكة يكونون معه اعوان في قول متقابل او دليلا على صدقه في قول الكلبي وليس
يلزم هذا لان الاعجاز كان وقد كان في الجايز ان يكذب الله تعالى الملائكة كما كذب بعظهور
الاوثان وذكر فرعون الملائكة حكاية عن لفظ موسى لانه لا بد من ان الملبكة من لا يعرف
قوله تعالى فاستخف قومه قال ابن الاعرابي المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه
لخفة احلامهم وقلة عقولهم يقال استخف الفرح ابي ان عجم واستخف ابو حمله على
الجهل ومنه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقيل استفزهم بالقول فاطاعوه على
التكذيب وقيل استخف قومه اي وجدهم خفاف العقول وهذا لا بد على انه لا يجب
ان يطيعوه فلا بد من اضمار بعيد تقديره وجدهم خفاف العقول فدعاهم الى الغواية
فاطاعوه وقيل استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه يقال استخفه خلاف استثقله
واستخف به ايها انهم كانوا قوما فاسقين ابي خارجين عن طاعة الله قوله تعالى
فلما اسفونا انتقمنا منهم روي السفي عن ابن عباس ابي اغاظونا واغضبونا وروي
عنه عن ابي طلحة ابي اسخطونا قال الماوردي ومعناهما مختلف والفرق بينهما ان السخط
اظهار الكراهة والغضب اراده الانتقام التقشعريه والاسف حزن يعقب الغضب
والغضب من الله اما ارادة العقوبة فتكون من صفات الذات واما عين العقوبة فتكون
من صفات الفعل وهو معنى قول الماوردي وقال محمد بن ذر يا اهل المعاصي الله لا تغتروا
بطول حلم الله عنكم واحذروا اسفه فانه قال فلما اسفونا انتقمنا منهم وقيل اسفونا
اغضبونا رسلنا واولياءنا المومنين بخوا السحره وبني اسرايل وهو كقوله تعالى يوذون
الله ويحاربون الله اي اولياءه ورسله قوله تعالى فجعلناهم سلفا اي جعلناهم
قوم فرعون سلفا قال ابو عبيدة سلفا لمن عمل عملهم ومثلا لمن يعمل عملهم وقال ابن عباد

سلفا اخبار الامم محمد صلى الله عليه وسلم ومثلا اي عبرة لهم وعنه ايضا سلفا لكفار
قومك يتقدمونهم الى النار ومنادة سلفا الى النار ومثلا عظة تليا بين يديهم والسلف
المتقدم يقال سلف يسلف سلفا مثل طلب يطلب اي تقدم ومضى وسلف له عمل صالح
اي تقدم والقوم السلاف المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقرأ العامة سلفا بفتح
السين واللام جمع سالف كخادم وخدم وراصد ورصد وحارس وحرس وقرا حمزة والكسائي
سلفا بضم السين واللام قال الفراء هو جمع سلفة كخرسرير وسرر وقال ابو حاتم هو
جمع سلف كخشب وخشب وسقر وسقر ومعناهما واحد وقرا علي وابن مسعود وعلقمة
وابو وايل والنخعي وحميد بن قيس سلفا بضم السين وفتح اللام جمع سلفة اي فرقة متقدمة
قال المورخ والنضر بن شميل سلفا جمع سلفة كقربة وقرب وطرفه وطرف وظلمه
وظلم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون لما قال
تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون
تعلق المشركون بامر عيسى وقالوا ما يريد محمد الا ان يتخذه الهكما اتخذت النصارى
عيسى بن مريم الهافانزله الله تعالى ذكره وخبره عنهم فقال ان قريشا قالت ان محمدا يريد
ان نعبده كما عبد قوم عيسى فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن عباس اراد به مناظره
عبد الله بن الزبعرى بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بن شان عيسى وان النصارى بهذا
المثل هو عبد الله بن الزبعرى السهمي حاله كفره لما قالت لقريش ان محمدا يتلوا
ايكم وما يعبدون من دون الله حصب جهنم الاية قال لو حضرت لرددت عليه قالوا
وما كنت تقول له قال كنت اقول له هذا المسيح يعبده النصارى واليهود يعبد عزير فيما
افنهما من حصب جهنم فعجبت قريش من مخاصمته وراوا انه قد خصم وذلك معنى قوله
يصدون فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون ولما ضرب
ابن الزبعرى الاية ما اعترض عليه لانه ظن ما تعبد قط ولم يقل ومن تعبدون ولكن اراد
الاصنام ونحوها مما لا يعقل ولم يرد المسيح ولا الملائكة وان كانوا معبودين فقد مضى هذا
في اخر سورة الانبياء وروى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش
يا معشر قريش لا خير في احد يعبد من دون الله قالوا اليس يزعم ان عيسى كان عبدا نبيا
وعبدا صالحا فان كان كما يزعم فقد كان يعبد من دون الله فانزل الله تعالى ولما ضرب
ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون ابو يعقوب فيهما الا بل عند حمد الاشقال فذان فتح
وابن بما مروا لكسائي يصدون بضم الصاد ومعناه يعرضون قاله النخعي وكسر الباقون
قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون ويعيشون ويعيشون ومعناه يضجون
قال الجوهري وصد يصد صدودا اي ضج وقيل انه بالضم من الصدود والصوالاعراض
وبالكسر من الضجيج قال قطرب قال ابو عبيدة لو كانت من الصدود عن الحق لكانت
اذا قومك عنه يصدون الفراء سواء منه وعنه وقال ابن المسيب يصدون يضجون
الضحاك يعجبون ابن عباس يضحكون ابو عبيدة من ضم فمعناه يعدلون فيكون المعنى
من اجل الميل يعدلون وبالجملة يصدون عن دين ومن كسر فمعناه يضجون فمن متصلة
بيصدون والمعنى يعجبون منه قوله تعالى وقالوا ءالهتنا خير ام هو ابن الزبعرى
خير ام عيسى قاله السدي وقال خاصموه وقالوا ان كل من عبد من دون الله في النار
فنحن نرضى ان يكون الهتنا مع عيسى والملائكة وعزير فانزل الله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون الاية وقال قتادة ام هو يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم وفي قراءة ابن مسعود الهتنا خير ام هذا وهو يقوي قول قتادة فيها بقيتها ما
تقدير ان الهتهم خير وقرا الكوفيون وبيعقوب الهتنا بتحقيق الهمزة ولين الباقون
وقد تقدم ما ضربوه لك الا جدلا اصلا ابو حنيفة بين ما ضربوه لك هذا المثل الا ارادة
الجدل لانهم علموا ان المراد بحصب جهنم ما اتخذوه من الموات بل هم قوم خصومة بجدل
بل بباطل وفي صحيح الترمذي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل
قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الاية ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصومة قوله تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه
اي ما عيسى الا عبد انعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلا لبني اسرائيل اي اية وعبرة يستدل
بها على قدرة الله تعالى فان عيسى كان من غير اب ثم جعل اليه من احيا الموتى وابرا
الاكمه والابرص والاسقام كلها مما لم يجعل لغيره في زمانه حتى ان بني اسرائيل كانوا يومئذ

خير الخلق واحبه الى الله عز وجل والناس دونهم لبيب احد عند الله عز وجل مثلهم وقيل
المراد بالعبد المنعم عليه محمد صلى الله عليه وسلم والاول اظهر ولو نشاء لجعلنا منكم ايه
بدلا منكم ملائكة يكونون خلفا عنكم قاله السدي ونحوه عن مجاهد قال ملائكة يعمرون
الارض بدلا منكم وقال الزجاج ان من قدر يكون للبدل لبدل لهذه الاية قلت قد تقدم
هذا المعنى في بناه وغيرها وقيل لو نشاء لجعلنا من الانس ملائكة وان لم نجز العادة بذلك
والجواهر جنس واحد والاختلاف بالاوصاف والمعنى لو نشاء لاسكنا الارض الملائكة
وليس في اسكانهاان دهم انسي سرف حتى يعيد وا او يقال لهم بنات الله ومعنى يخلفون
يجلف بعضهم بعضا قاله ابن عباس قوله تعالى وانه لعلم الساعة قال الحسن وقتادة
وسعيد بن جبير يعني بدا القرآن لانه بدا عمل فذكر بمجيء الساعة وادبه تعلم الساعة
وادهوانها واخوانها وقال ابن عباس وهي بعد والضحاك والسدي وقتادة ايضا انه
خروج عيسى عليه السلام وذلك من اعلام الساعة لان الله ينزله من السما فبذلك تعلم
الساعة كما ان خروج الدجال من اعلام الساعة وهذا ابن عباس وابو هريرة وقتادة
ومالك ابن دينار والضحاك وانه لعلم للساعة بفتح العين واللام ابو امامة وقد روي
عن عكرمة وانه للعلم بلا مين وذلك خلاف المصاحف وعن عبد الله ابن مسعود قال
لما كان ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
فتذاكروا الساعة فبدؤا بابراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم ثم سألوا موسى
فلم يكن عندهم منها علم فرد الحديث الى عيسى بن مريم قال قد عهد الي فيما دون وجبتها
فاما وجبتها فلا يعلمها الا الله عز وجل فذكر خروج الدجال قال فانزل فاقتله وذكر
الحديث خرجه ابن ماجة في سننه وفي صحيح مسلم فبينما هو يعني المسيح الدجال اذ بعث
الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين واضعا
كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل
لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه حين ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله
الحديث وذكر الثعلبي والزمخشري وغيرهما من حديث ابي نضرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ينزل عيسى بن مريم عليه السلام على سنة من الارض المقدسة فقال له اخنس
بن مضرنيت وشعر راسه دهين وبيده حربة يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس
والناس في صلاة العصر والامام يؤم بهم فيتاخر الامام فيتقدم عيسى ويصلي خلفه
على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع
والكنائس ويقتل النصارى الا من امن به وروى خالد عن الحسن قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الانبيا اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد وان
اولى الناس بعيسى ابن مريم انه ليس بيني وبينه بني وانه اول نازل فيكسر الصليب
ويقتل الخنزير ويضع الجزية وذكر الثعلبي عن علي الاسلام قال الماوردي وحكى ابن عيسى عن
قوم انهم قالوا اذا انزل عيسى رفع التكليف فلا يكون رسولا الى ذلك الزمان بيانا مرهم عن الله
تعالى وبينهم وهذا قول مردود لثلاثة امور منها الحديث والآية تقتضي
التكليف فيها والاخبار بالمعروف والنهي عن المنكر وليس يستنكر ان يكون امر الله
تعالى له مقصورا على تاييد الاسلام والامر به والدعا اليه قلت ثبت في صحيح مسلم
وابن ماجة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن
عيسى بن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية
وليتركن القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون
الى المال فلا يقبله احد وفيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا انزل
ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذئب تدري ما امكم منكم
قلت يخبرني قال فامكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال علما وان
رحمهما الله يحملهم هذا النص على انه ينزل محمديا لدين النبي صلى الله عليه وسلم الذي
درس منه ولا يشرع مبتدا والتكليف باق على ما بينه وقد وفي كتاب الله تعالى
وقيل وانه لعلم للساعة اي وان احياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث المرتى
قاله ابن اسحاق قلت ويحتمل ان يكون المعنى وانه وان محمدا صلى الله عليه وسلم لعلم
للساعة بدليل قوله عليه السلام بعثت انا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى
خرجه البخاري ومسلم وقال الحسن اول اشراطها محمد صلى الله عليه وسلم

فلا يحزنن بها فلا يشكون فيها يعني الساعة قاله يحيى بن سلام وقال السدي فلا يكذبون بها وآمنوا بي دلوها قالها كائنة لا محالة واتبعون ايها على التوحيد وفيما ابلغكم عن الله هذا صراط مستقيم اي طريق قويم الى الله ابو الحسن واثبت الياء يعقوب في مثله في الحالين ولد تكد واطيعون وابو عمرو واسمعيل عن نافع الوصل دون الوقف وحذف الباقون في الحالين ولا يصدنكم الشيطان اي لا يعرضوا بوساوسه وشبه الكفار المجادلين فان شرايع الانبياء لم تختلف في التوحيد وما فيها جروا به من علم الساعة وغيرها اي نصصته من جنة اوتيتموها عدو مبين تقدم في البقرة وغيرها انتهى قوله تعالى ولما جاء عيسى بالبينات قال ابن عباس يريد ايات الموتى وابراء الاسقام والخلق الطير وانما يريد وغيرها والاصح وبكثير من الغيب وقال قتادة البينات هنا الانجيل قال قد جئتكم بالحكمة اي النبوة قاله السدي ابن عباس علم بما يؤديه الى الجهل ويكف عن الصغح وقيل الانجيل ذكره الثعلبي والماوردي ولابين لكم بعض الذي اختلفتم فيه من احكام التوراة عملي مذر ما سلوه ويجوز ان يختلفوا في اشياء غير ذلك لم يسألوه عنها وقيل ان بني اسرايل اختلفوا بعد موت موسى في اشياء من امر دينهم واشياء من امر دنياهم فبين لهم امر دينهم ومذهب ابي عبيدة ان البعض بمعنى الكل ومنه قوله تعالى يصبكم بعض الذي يعدكم وانشد الاخفش قول لبيد

• • تراك امكنة اذا لم ارضها او تعتلق بعض النفوس حمامها •

والموت لا تعليق بعض النفوس دون بعض ويقال للمسنة علوق وعلاقة قال المفضل البكري •

• وسايلة بثعلبة بن سير وقد علقت ثعلبة العلوق •

وقال مقاتل هو كقوله ولاحل لكم بعض الطعام الذي حرم عليكم يعني ما احل في الانجيل مما كان محرما في التوراة كلحم الابل والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت فاتقوا الله التي انتهكتم بالشرك وانتقبد والا الله وحده فكيف يجوز ان يكون الها وابن الاه واطيعون فيما ادعوكم اليه من التوحيد وغيره ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي عبادة الله صراط مستقيم وما سواه معوج لا يؤدي سالكه الى الحق قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم قال قتادة يعني ما بينهم وفيه قولان احدهما انهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى خالف بعضهم بعضا قاله مجاهد والسدي الثاني فرق النصارى من الملكية والنسطورية واليعقوبية اختلفوا في عيسى فقالت النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله وقالت الملايكية ثالث ثلثة اخذهم الله قاله الثعلبي وقاتل وقد مضى هذا في سورة مريم فويل للذين ظلموا انهم كفروا واشركوا كما في سورة مريم من عذاب يوم اليم هو عذاب يوم القيامة وقيل هو يوم بدر هل ينظرون يريد الاحزاب لا ينظرون الا الساعة يريد القيمة ان يأتيهم بغتة اي فجاءة وهم لا يشعرون بقربها وقد مضى في غير موضع وقيل المعنى لا ينتظر مشركو العرب الا الساعة ويكون الاحزاب على هذا الذين يعذبوا على النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوه من المشركين ويتصل هذا بقوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا بقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو اي اعداء يتبرأ بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا الا المتقين فانهم اخلاء في الدين والاخرة قال مسنده وابن عباس وكما هذا وغيرهما وحكى الثعلبي ان هذه الاية نزلت في امية ابن خلف الجمحي وعقبة ابن ابي معيط كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد صبأ عقبة بن ابي معيط فقال له اميه وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا ولم تبتزل في وجهه ففعل عقبة ذلك فقدر النبي صلى الله عليه وسلم قتله فقتله يوم بدر صبرا وقتل امية في المعركة وفيهم نزلت هذه الاية فقال كانت خليلان مومنان وخليلان كافران فمات احد المومنين فقال يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك وكان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا يضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما اكرمتني فاذا مات خليله المومن جمع الله بينهما فيقول الله تعالى لشن كل واحد منكما على صاحبه فيقول يا رب انه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك فيقول الله تعالى لشن هذا الخليل ونعم

الاخ وهم الصاحب كان فلان وبموت احدا لكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان
بينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني
اني غير ملاقيك فاسالك يا رب ان لا يهده بعدي وان يضله كما اضللتني وان
رقصته كما اكرمتني فاذا مات خليله الكافر قال الله لهما لشتمن كل واحد منكما على
صاحبه فيقول يا رب انه كان يامرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويامرني بالكفر
وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك فاسالك ان تضاعف عليه العذاب
فيقول الله تعالى بيس الصاحب والاخ والخليل كنت فيلعن كل واحد منهما صاحبه
قلت والاية عامة في كل مومن ومتقي وكافر ومصل فقوله تعالى يا عبادي
لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون قال مقاتل ورواه المعتمد عن سيلمان عن
ابيه بنا دتهم مناد من العرصات يا عبادي لاخوف عليكم اليوم فترفع اهل العرصة
رؤسهم فيقول المنادي الذين امنوا بايتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان
رؤسهم غير المسلمين وذكر المحاسبي في الرعاية وقد روي في هذا الحديث ان
المنادي ينادي يوم القيامة يا عبادي لاخوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
فيرفع الخلائق رؤسهم فينتزع تحت عبادالله ثم ينادي الثانية الذين امنوا بايتنا
وكانوا مسلمين فينكس الكفار رؤسهم ويبقى الموحدون رافعوا رؤسهم ثم ينادي
الثالثة الذين امنوا وكانوا يتقون فينكس اهل الكبائر رؤسهم ويبقى اهل التقوى
رافعي رؤسهم وقد ازال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم لانه اكرم الاكرمين
لا يخذل وليه ولا يسلمه عند الهلكة وقرئ يا عبادي فوقه تعالى الذين
امنوا قال الزجاج الذين نصب على النعت لعبادي لان عبادي منادى مضاف
وقيل الذين امنوا ابتداء وخبره محذوف تقديره هم الذين امنوا والذين امنوا يقال
لهم ادخلوا الجنة وقرا ابوبكر ورزين حبيس يا عبادي بفتح الياء وانبانها في الحالين
ولذلك اثبتها نافع وابن عامر وابو جعفر ويعقوب وبيس ساكنة في الحالين وحذفها الباقون
في الحالين لانها وقعت مبنية في مصاحف اهل الشام لاعبيد ادخلوا الجنة اي يقال
لهم ادخلوا الجنة او يا عبادي الذين ادخلوا الجنة انتم وازواجكم المسلمات في الدنيا
وقيل قد باركم من المومنين وقيل زوجاتهم من الحور العين تحبرون تكرمون قاله ابن
عباس والكراهة في المنزلة الحسن يغبطون والغبرة في اللون قتادة ينعمون
والنعيم في البدن مجاهد يسرون والسرور في العين ابن ابي نجيح تعجبون والعجب
فيما هنالك درك ما تشتهيه يحيى بن ابي كثير هو الثمر ذا لتفكه والتلذذ وقد مضى هذا
في الدخان قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب فيه اربع مسائل
الاولى قوله تعالى يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب اي لهم في الجنة اطعمة واشربة
يطاف بها عليهم في صحاف من ذهب واكواب ولم يذكر اواني الطعمة والاشربة لانه تعلم
انه لا معنى للاطافة بالصحاف والاكواب عليهم من غير ان يكون فيها شيء وذكر الذهب
في الصحاف واستغنى به عن الاعادة في الاكواب لقوله تعالى والذاكرين الله كثيرا
والذاكرات وفي الصحيحين عن حذيفة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في انية الذهب والفضة ولا تاكلوا في صحافها
فانها لهم في الدنيا ولكم في الاخرة وقد مضى في سورة الحج ان هذا كله في الدنيا
او لبس الحرير في الدنيا وليست حرم ذلك في الاخرة تحريما مؤبدا والله تعالى اعلم
وقال المفسرون يطوف على اهل الجنة مائة الف غلام بصفين
الف صحفة من ذهب يهدي عليه بها في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها
تاكل من اخرها كما تاكل من اولها وتجد طعم اخرها كما تجد طعم اولها كما يشتهيه
بعضهم بعضا ويراح عليه مثلها ويطوف على ارفعهم درجة كل يوم سبعون مائة الف
غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبتها
تاكل من اخرها كما تاكل من اولها وتجد طعم اخرها كما تجد طعم اولها لا يشتهيه
بعضهم بعضا واكواب اي ويطاف عليهم باكواب كما قال تعالى ويطاف عليهم
بانية من فضة واكواب وذكر ابن المبارك قال اخبرنا معمر عن رجل عن
ابي قلابة قال يوتى بالطعام والشراب فاذا اكاف ان اخذ ذلك اونوا الشراب
اليطهر فتنظر لذلك بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم اطيب من ريح المسك

ثم

ثم ذكر اشرابا طهورا وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان اهل الجنة يا كلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ويتغوطون
قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير
كما يلهمون النفس اخرجه الائمة من حديث ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الذي يشرب في اناء الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم وقال لا تشربوا
في اناء الذهب والفضة ولا تاكلوا في صحافها وهذا يقتضي التحريم ولا خلاف في ذلك
واختلف الناس في استعمالها في غير ذلك قال ابن العربي والصحيح انه لا يجوز للرجال
استعمالها في شيء لقوله صلى الله عليه وسلم في الذهب والحرير هذان حرام لذكور
امتي حل لاناثها والنهي عن الاكل والشرب منهما يدل على تحريم استعمالها لانه نوع
من الانتفاع فلم يجز اصله الاكل والشرب فان العلة في ذلك استعمال المراة حزه وذلك
يستوي فيه الاكل والشرب وسيد اجزاء الانتفاع ولانه صلى الله عليه وسلم قال
هي لهم في الدنيا ولنا في الاخرة فلم يجعل لنا فيها حظا في الدنيا فكذا اذا
كان الاناء مضببا بهما او بنحو حلقة منهما فقال مالك لا تعجبني ان تشرب فيه وكذلك
المراة تكون فيه الحلقة من الفضة ولا تعجبني ان تتطرف فيها وجهه وقد كان عند انس
اناء مضبب بفضة وقال لقد سقيت فيه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن سيرين
كانت فيه حلقة حديد فاراد انس ان يجعل فيه حلقة فضة فقال ابو طلحة لا اغير
شيئا صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه الرابعة اذا لم يجز استعمالها
لم يجز اقتناؤها لان ما لا يجوز استعماله لا يجوز اقتناؤه كالصنم والطنبور وقد كنت
قديما اظن انه يلزم الغرم في قيمتها لمن كسرها وتوهمني فاسد فان كسرها واجب فلا
يمنع لعينها ولا يجوز تقويمها في الحال وعلى هذا الالتفات اليه قوله تعالى
يطاف عليهم بصحاف قال الجوهري الصحفة كالقصعة والجمع صحاف قال الكسائي ياعظم القصاع الجفنة
ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تسع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة
ثم الصحيفة تشبع الرجل والصحيفة الكتاب والجمع صحف صحائف قوله تعالى
واكواب قال الجوهري الكوب كوز لا عروة له والجمع اكواب قال الاعشى يصف الخمر
• صريعة طيب طعمها ريد بين كوب ودن • وقال اخر •
• متكا يصفق ابوابه يسعى عليه العبد بالكوب • وقال قتادة الكوب
المدور القصير العنق الغضير العروة والابريق المستطيل الطويل العروة انتهى
وقال الاخفش الاكواب الاباريق التي لا خراطيم لها وقال قطرب •
• هي الاباريق التي ليست لها عرى • وقال مجاهد هذا لها الاية المذورة الافواه •
السدي هي التي لا اذان لها ابن عزيز اكواب اباريق لا عرى لها ولا خراطيم •
واحدها كوب قلت وهو معنى قول مجاهد والسدي وهو مذهب اهل اللغة
انها التي لا اذان لها ولا عرى قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
روى الترمذي عن سلمان بن بريدة عن ابيه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله هل في الجنة من خيل فقال ان ادخلك الله الجنة فلا تشاء ان تحمل
فيها فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت وقال وسال رجل فقال يا رسول الله
هل في الجنة ابل فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة
فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك وذكر اهل المدينة وابن عامر في اهل الشام
وفيها ما تشتهيه الانفس الباقون تشتهي الانفس اي تشتهيه الانفس تقول الذ به
ضربت زيدا اي الذ به ضربته زيد وتلذ الاعين تقول لذ الشيء يلذ لذاذا ولذاذة ولذذت
بالشيء الذ بالكسر في الماضي والفتح في المستقبل لذاذا ولذاذة اي وجدته
لذيذا والتذذت به وتلذذت به بمعنى اي في الجنة ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فكان
حسن المنظر وقال سعيد بن جبير وتلذ الاعين لتطرالي الله عز وجل كما في الخبر
اسالك لذة النظر الى وجهك والشوق فيها خالدون باقون دائمون لا يموتون ابدا ولا تظعنون
لتفضت قوله تعالى وتلك الجنة اي يقال لهم هذه الجنة تلك الجنة التي كانت بوصف
لكم في الدنيا وقال ابن كيسان اشار تعالى الى الجنة بتلك والى جهنم بهذه ليخوف
بعضهم ويؤكد التحذير وجعلها بالاشارة القريبة كما يحاضره التي ينظر اليها
التي اورثتموها بما كنتم تعملون قال ابن عباس خلق الله لكل نفس جنة وبارا فالمؤمن

يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة الكافر وقد تقدم هذا مرفوعا في قد افلح المومنون
من حديث ابي هريرة وفي الاعراف ايضا قوله تعالى لكم فيها فاكهة كثيرة
منها تاكلون الفاكهة معروفة واجناسها الفواكه والفاكهين الذين يتبعها
وقال ابن عباس هي الثمار كلها رطبها ويابسها اي لهم في الجنة سوى الطعام
والشراب فاكهة كثيرة تاكلون منها قوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم
خالدون لما ذكر احوال اهل الجنة ذكر احوال اهل النار ايضا بين فضل المطيع
على العاصي لا يفتر عنهم اي لا يخفف عنهم ذلك العذاب وهم فيه مبلسون اي ايسون
من الرحمة وقيل ساكتون ساكنون يائسون وقد مضى في الانعام وما ظلمناهم بالعذاب
ولكن كانوا هم الظالمين انفسهم بالشرك وبجحود ولكن كانوا هم الظالمون بالدفع
على الابتداء والخبر والجملة خبر كان قوله تعالى ونادوا يا مالك وهو خازن جهنم
خلقه لغضبه اذا زجر الناس زجرة اكل بعضها بعضا وقرا علي وابن مسعود رضي
الله عنهما ونادوا يا مال باللام خاصته يعني رخم الاسم وحذف الكاف والترخيم الحذف
ومنه ترخيم الاسم في النداء وهو ان يحذف من اخره حرف او اكثر فيقول في مالك
يا مال وفي حارث يا حار وفي فاطمة يا فاطم وفي عايشة يا عايش وفي مروان
يا مرو وهكذا قال يا حار لا ازين منكم بدا لقيه ثم بلغنها سوقة قتلي ولا ملك
وقال امري القيس ايضا

احارثي بدمنة اربك وميضه كلمع اليدين في حبي ومكلل

وقال افاطم مهلا بعض التدلل وان كنت قد ازمعت صرمي فاجملي

وقال اخره يا مروان سطيني محبرته بدجوا الحبا وربها لم ييئس

وفي صحيح الحديث انه قيل لهم فقلم ولكن في اخر الاسم المرخم وجهان احدهما ان
يبقيه على ما كان عليه قبل الحذف والاجزاء بنيه على الضم مثل يا زيد كانك
انزلته منزلته ولم تداع المحذوف وذكر ابو بكر الانباري قال حدثنا محمد بن
يحيى المروزي قال يا محمد وهو ابن سعدان قال يا حجاج عن شعبة عن الحكم بن
عيينة عن مجاهد قال كنا لا ندري ما الزخرف حتى وجدناه في قراءة عبد الله بيت
من ذهب وكنا لا ندري ونادوا يا مالك بفتح اللام وكسرها حتى وجدنا في قراءة
عبد الله ونادوا يا مال على الترخيم قال ابو بكر لا يعمل على هذا الحديث لانه مقطوع
لا يقبل مثله في الروايات عن الرسول عليه السلام وكنت بالله احق ان يحتاط له
وينفي عنه الباطل قلت وفي صحيح البخاري عن صفوان بن يعلى عن ابيه قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
بالثاء الكاف وقال محمد بن كعب القرظي يلقنون اذكروا ان اهل النار استغاثوا
بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما من العذاب حتى سالوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب فردت
عليهم اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين
الا في ضلال قال فلما يئسوا منها عند الخزنة نادوا مالكا وهو على باب جهنم
في وسطها وهم سود مرتفعون عليها ملايكة العذاب فهو يدبر امرها كما يدبر
اهل النار فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك قال فسكت عنهم
لا يجيبهم ثم اتاهم بعد ثمانين سنة قال انكم ماكثون ثلاثين سنة ثلاث بعدد كل يوم والشهر ثلاثون يوما
واليوم كالف سنة مما تعدون ثم لحظ اليهم بعد الثمانين فقال انكم ماكثون
وذكر الحديث ذكره ابن المبارك وفي حديث ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال فيقولون ادعوا ما لكا فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك فقال انكم ماكثون
قال الاعمش نبئت ان بين دعايهم وبين اجابة مالك اياهم الف عام خرجه
الترمذي وقال ابن عباس يقولون ذلك فلا يجيبهم الف سنة ثم يقول انكم ماكثون
وقال مجاهد ونوف البكالي بين ايديهم حوايا بينه ابا هم مايتي سنة وقال
عبد الله بن عمرو اربعون سنة ذكره ابن المبارك قوله تعالى لقد
جيناكم بالحق يحتمل ان يكون هذا من قول مالك لهم ايضا انكم ماكثون في النار
لقد جيناكم في الدنيا بالحق فلم تقبلوا ويحتمل ان يكون من كلام الله لهم اليوم
اي بينا لكم الادلة وارسلنا اليكم الرسل ولكن اكثركم قال ابن عباس ولكن اكثركم

اي ولكن كلكم وحيد اراد بالكثرة الرؤساء والقادة منهم واما الاتباع فما كان لهم اثر في
الحق اي للاسلام ودين الله كما زعموه فنزله فخائب امر ايؤسوا اصرفانا بيؤس قال
مقاتل نزلت في تدبيرهم بالمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة حتى استقر
امرهم على ما اشار به ابو جهل عليهم ان يأخذ من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتله فيضعف
المطالبة به فنزلت فقده الآية وسل الله جميعهم ببدر امروا احكموا ه
والابرام الاحكام ابرمت الشيء احكمته وابرم القتال اذا احكم الفتل وهو الفتل
الثاني والاول من سجيل كما قال من سجيل ومبرم فالمعنى ام احكموا كيدا فانا
محكمون لهم كيدا فاين تذهبون عن هذه ام اجمعوا على التكذيب فانا هو
مجموت عليهم الجزاء بل يمكث الكلبي ام قضوا امرا فانا قاضون عليهم بالعذاب وام
بمعنى بل وقيل ام ابرموا عطف على قوله احملنا من دون الرحمن الهة تعبدون
وقيل اي ولقد جيئناكم بالحق فلم تسمعوا ام سمعوا فاعرضوا لانهم في انفسهم ابرموا
امرا امتنعوا به العقاب قوله تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم
اي ما يسرونه في انفسهم وبينا جوده بينهم بل نسمع ونعلم ورسلنا لديهم ه
يكتبون اي الحفظة عندهم يكتبون عليهم وروي ان هذه انزل من ثلاثة نفر كانوا
بين الكعبة واستارها فقال احدهم ان الله يسمع كلامنا فقال الثاني اذا جهرتم
سمع واذا اسررتم لم يسمع وقال الثالث ان كان يسمع اذا اعلنتم فهو يسمع اذا
اسررتم قاله محمد بن كعب القرظي وقد مضى هذا المعنى عند ابن مسعود في سورة
فصلت قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اختلف
في معناه فقال ابن عباس والحسن والسدي المعنى ما كان للرحمن ولد فانا
بمعنى ما ويكون الكلام على هذا تاما ثم يبتدئ فانا اول العابدين ايه الموحدين
من اهل مكة على انه لا ولد له والوقف على العابدين تام وقيل المعنى قل يا محمد
ان ثبت له ولد فانا اول من يعبد ولده ولكن يستحيل ان يكون له ولد وهو كما
يقول لمن يناظره ان ثبت ما قلت بالدليل فانا اول من يعتقده وهذا مبالغة في ه
الانصاف وايراد الدليل الى اعتقاده وهذا التفات في الكلام كقوله فانا اول العابدين
لعلي هديكم او في ضلال مبين والمعنى على هذا انا اول العابدين لذلك الولد
لان تعظيم الولد تعظيم للوالد وقال بمجاهد المعنى ان كان للرحمن ولد فانا اول من عبده
وحده على انه لا ولد له وقال السدي ايضا المعنى لو كان له ولد لكنت اول من عبده على
ان له ولدا ولكن لا ينبغي ذلك قال المهدوي وهذه للشرط فان على هذه الاقوال للشرط
وهو الاجود وهو اختيار الطبري لان كونها بمعنى ما ينوقهم منه ان المعنى لم يكن
له في ما مضى وقيل ان معنى العابدين الآيسين وقال بعض العلماء لو كان كذلك لكان
العابدين ولذلك قرأ ابو عبد الرحمن النجاني فانا اول العبدين بغير الف يقال
عبد يعبد عبد ابالكسر اذا انف وعصب فهو عبد والاسم العبدة مثل الآنفة
عن ابي زيد قاله الفرزدق ه

ه اولئك اجلابي فجئني بمثلهم واعبد ان اجمعوا كليب ودارم ه وينشد ايضا ه

ه اولئك اناس لو نهجوني هجوتهم واعبد ان يهجى كليب بدارم ه

قال الجوهري وقال ابو عمرو وقوله تعالى فانا اول العابدين من الانفة والغضب
وقال الكسائي والعنبري حكاه الماوردي عنهما وقال الهروي وقوله
تعالى فانا اول العابدين قيل تقول من عبد يعبد وقيل تقول من عبد يعبد اي صار
لا يأنف وقال ابن عرفة ان قال عبد يعبد فهو عبد وقل ما يقال عابد فالقول
عابد بالتقليل من الفعل ولا الشاذ ولكن المعنى فانا اول من يعبد الله عز وجل
على انه واحد لا ولد له وروي انا امرأة دخلت على زوجها فولدت منه لستة
اشهر فذكر ذلك لعثمان فامر برجمها فقال له علي قال الله تعالى وحمله وفصاله
ثلاثون شهرا وقال وفصاله في عامين فوالله ما عسى عثمان ان يبعث
اليها نزد قال عبد الله بن وهب يعني ما استنكف ولا انف وقال ابن الاعرابي
اول العابدين اي الغضاب الآنفين وقيل فانا اول العابدين ابا ان اول
من يعبد ه على الوحدانية مخالف لكم ابو عبيد معناه الجاحدين ويحكى عبدت
حقي اي جحدني وفرا العدد الكوفة الاعاصا ولد بضم الواو وسكون اللام الباقون

وعاصم ولد وقد تقدم سبحان رب السموات والارض اي تنزيها له وتقديسا تنزه
نفسه عن كل ما يقتضي الحدوث وامر النبي صلى الله عليه وسلم بالتنزيه مما يصفون
اي مما يقولون من الكذب ثم قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا يعني كفار مكة
حين كذبوا بالعذاب الآخرة اي اتركهم في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا
يومهم الذي يوعدون اما العذاب في الدنيا وفي الآخرة وقبل ان هذا منسوخ بآية
السيف وقيل هو محكم وانما اخرج مخرج التهديد وقرا ابن محيصن وحميد
وابن القعقاع وابن السميفع حتى يلقوا بفتح الياء وسكون اللام من غير الف وفتح
الفاء هنا وفي الطور وفي المعارج الذي توعدون كلاهما قوله تعالى وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله هذا انكار لهم في ان لله شريكا وولدا اي هو المستحق
للعبادة في السماء والارض وقال محمد رضي الله عنه وغيره المعنى وهو الذي في السماء اله
في الارض وله تلك فزادوا للمعنى انه يعبد فيهما وروي انه قرا هو الذي هو وانت مسعود وغيرهما وهو
الذي في السماء الله وفي الارض الله وهذا خلاف المصحف والاولى رفع على ان خبر مبتدا
محذوف اي وهو الذي في السماء هو قاله ابو علي وحسن حذفه لطول الكلام وقيل
هو بمعنى على كقوله تعالى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل ابو البقاء
القادر على السماء والارض وهو العليم الحكيم تقدم قوله تعالى وتبارك الذي
له ملك السموات والارض وما بينهما تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وعنده علم
الساعة اي وقت قيامها والياء بعد حرف المد ابن كثير وحمزة والكسائي والباقون بحذفها
بالياء الياقوت بالباء وكان ابن محيصن وحميد ويعقوب وابن ابي اسحاق يفتحون
اوله على اصولهم وضم الباقون قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه
الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون بدل منه مستثنى من الاولى قوله تعالى الا من
شهد بالحق من في موضع الخفض بإزاء الذين يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والمعنى
ولا يملك هؤلاء الشفاعة الا لمن شهد بالحق وآمن على علم وبصيرة قاله سعيد
ابن جبير وغيره قال وشهادة الحق لا اله الا الله وقيل من في محل رفع ابو ولا يملك
الذين يدعون من دونه الشفاعة بمعنى الالهة في قول قتادة ابو لا يشفعون لعابديهم
الا من شهد بالحق يعني عزيرا وعيسى والملائكة فانهم يشهدون بالحق وانه لا اله
وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به وقيل انها نزلت بسبب ان النضر بن الحارث وفرات
قد بيش قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة وهم احق بالشفاعة منه
فانزل الله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الآية شهد بالحق ابو اعتقدوا ان
الملائكة او الاصنام او الجن او السبطين تشفع لهم ولا تشفع احد يوم القيامة الا من
شهد بالحق يعني المومنين اذا اذن لهم قال ابن عباس الا من شهد بالحق انبي شهد
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقيل ابو لا يملك هؤلاء العابدون من دون الله
ان يشفع لهم احد الا من شهد بالحق وان من شهد بالحق يشفع له ولا يشفع لمشرك
والا يعني لكن ابو لانها لا المشركين الشفاعة تنال لكن تنال الشفاعة من شهد بالحق
فهو استثنا منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله
الملائكة ويقال شفعته وشفعت له مثل كلمته وكلمت له وقد حقق في البقرة معنى
الشفاعة واشتقاقها فلا معنى لاعادتها وقيل الا من شهد الحق الآية تشهد له
الملائكة انه كان على الحق في الدنيا مع علمهم بذلك منه بان يكون الله اخبرهم ان كان
على الحق في الدنيا مع علمهم بذلك به او بان شاهدوه على الايمان انتا نبذ
قوله تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون بدل على معنيين احدهما ان الشهادة
بالحق غير نافعة الا مع العلم وان التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقال والثاني
ان شرط سبب الشهادة ان في الحقوق وغيرها ان يكون الشاهد عالما بما يشهد به ونحوه
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايت مثل الشمس فاشهد والا فدع وقد
مضى في البقرة قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله الآية قد بينا ان
خلقهم بعد ان لم يكونوا شيئا فاين يوفكون اي كيف يقلبون عن عبادته ويصرفون
عنها حتى اشركوا به غيره وعاشقتا عنهم له يقال افكه يافكه افكا اي قلبه عن
وصفه نحو الشيء ومنه قوله تعالى قالوا اجئتنا لتافكنا عما وجدنا عليه ابانا
وقيل ابو لئن سالت الملائكة وعيسى من خلقهم لقالوا الله فاين يوفكون اي فاين

يوفكون

بوحك هو ردّ في ادعائهم الوحدانية لهم قوله فتعالى وقتله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون
قتل فيه ثلاثة قرات الجر والنصب والرفع فاما الجر فهي قراءة عاصم وحمزة ويعقوب البصري
بالنصب واما الرفع فهي قراءة الاعرج وشيبة وابي جعفر ومسلم بن جندب فمن
جر جعله على معنى وعنده علم الساعة وعلم قتله ومن نصب فعلى معنى
وعنده علم الساعة ويعلم قتله وهذا اختيار الزجاج وقال الفراء والاخفش
يجوز ان يكون قتله عطفا على قوله انا لا نسمع سرهم ونجواهم قال ابن الانباري
سألت ابا العباس احمد بن يحيى المبرد بأي شيء تنتصب العلل فقال اضيد على وعنده
علم الساعة ويعلم قتله فمن هذا الوجه لا يحسن الوقف على يحسبون ولا على يعلنون
ويحسن الوقف على يكتبون واجاز الفراء والاخفش نصب القتل على معنى
لا يسمع سرهم ونجواهم وقتله كما ذكرنا عنهما فمن هذا الوجه لا يحسن الوقف على
يكتبون واجاز الاخفش والفراء ايضا ان ينصب على المصدر كانه قال وقال قتله
وشكيه بشكواه الى الله عز وجل كما قال كعب بن زهير
فما تمشي الوشاة حتى بها وقتلهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول
اراد يقتولون قتلهم ومن رفع قتله فالتقدير عندي قتله اوقتله مسموع وقتله بهذا
القول الذي اختاره حكاه الذي قاله ليس بمعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع ساعدا المعظم وافقوبي من ذلك وأوجه
ان يكون الخبر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله
وايمانه ويمين الله ولعمرك ويكون قولهم ان نقول فمن هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه
قال واقسم بقتله يا رب اوقتله يا رب اقسمي ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وقال
ابن الانباري ربي يجوز في العربية وقتله بالرفع على ان يرفعه ان هؤلاء قوم
لا يؤمنون المتهدد به او يكون على تقدير وقتله قتله يا رب فحذف قتله الاول
الذي هو خبر وموضع يا رب نصب بالخبر المضمر ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع حذف
بعض الموصول وبقي بعضه لان حذف الفعول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور والله
في قتله لعيسى وقتل لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد جربه ذكره اذ قال قلت كان
للرحمن ولد فانا اول العابدين يفتح الباء والفعل مصدر كالقتل ومعنى الخبر
يعني عن قتله وقال ويقال قلت قولا وقتلا وقالة وفي العنا ومن اصدق من
الله قيلا قوله تعالى فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون قال قتادة هذه
امره بالصفح عنهم ثم امره بقتالهم فصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون منسوخ بآية السيف وحكم عن
ابن عباس قال فاصفح عنهم ايها الرجل من عنهم وقل سلام اي معروفا ايها القول للمشركين اهل
مكة فسوف يعلمون ثم نسخ هذا في سورة براءة لقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم الآية وقيل بقي حكمه لم ينسخ وقراءة العامة فسوف يعلمون بالتاء على انه من خطاب
حبر من الله لنبيه بالتهديد وقرأ ابن عامر يعلمون بالتا على انه من خطاب
النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين بالتهديد وسلام رفع بما ضمر عليكم قاله الفراء ومعناه
الامر بتوديعهم بالسلام ولم يجعله تحية لهم حكاه النقاش عن ورد بن شعيب ابن الحجاب
انه عرفه بذلك جبريل السلام عليهم والله اعلم

سورة الدخان مكية بالاتفاق

الا قوله ان كاشفوا العذاب قليلا وهي سبع وخمسون ابرو قيل تسع وفي مسند
الداربي عن ابي رافع قال من قرأ الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وتزوج
من الحور العين رفعه الثعلبي من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ الدخان في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له وفي لفظ اخر عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الدخان في ليلة الجمعة اصبح مستغفر
له سبعون الف ملك وعن ابي امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم والكتاب المبين ان جعلت حم جواب القسم تم الكلام عند قوله المبين
ثم ابتدأ بما انزلت وان جعلت ان كنا منذرين جواب القسم الذي هو الكتاب

وقفت على سند ربيد وابتدات فيها بعرف كله امر حكيم وقبل الجواب انا انزلناه وانكره
بعض النحويين من حيث كان صفة للمقسم به ولا يكون صفة المقسم به جواب للمقسم
والهاء في انزلناه للقران ومن قال اقسم بسائر الكتب يقوله انا انزلناه كني به عن
غير القران على ما تقدم بيانه في اول الزخرف والليلة المباركة ليلة النصف
وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة
الصك وليلة الغفران وصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات والخيرات
والثواب وروينا قتادة عن واثلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف
ابراهيم في اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لاثنتي عشرة من رمضان وانزل
الانجيل لثمان عشرة من رمضان وانزل القران لاربع وعشرين مضت من
رمضان ثم انزل القران كله الى السماء الدنيا في هذه الليلة ثم انزل نجما نجما في
سائر الايام على حسب اتناف الاسباب وقيل كان ابتداء الانزال في هذه الليلة
وقال عكرمة الليلة المباركة هاهنا ليلة النصف من شعبان والاول اصح لقوله
تعالى انا انزلناه في ليلة القدر قال قتادة وابن زيد انزل الله القران كله
في ليلة القدر من ام الكتاب الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم انزله الله على
نبيه صلى الله عليه وسلم في الجوابي والايام في ثلاث وعشرين سنة وهذا المعنى
مذهب في السيرة عند قوله شهر رمضان الذي انزل فيه القران وبابي ان شاء الله قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم قال ابن عباس يحكم الله
امر الدنيا الى قابل في ليلة القدر ما كان من حياة او موت او رزق وقال قتادة
ومجاهد والحسن وغيرهم وقيل الا الشقاوة والسعادة قال قتادة قاتله
يحج قال المهدوي ومعنى هذا القول امر الله عز وجل الملائكة بما تكون في ذلك العام
ولم يزل ذلك في علمه عز وجل وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها
امر السنة وينسخ فيها الاحياء من الاموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم احد ولا ينقص
منهم احد وروينا عن ابن المبيرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يقطع الاجال
من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كانت ليلة النصف من شعبان فتروا
ليلتها وصوموا نهارها فان الله ينزل لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول
الا مستغفر فاغفر له الا مبتلى فاعافيه الا مسترزق فارزقه الا كذا الا كذا حتى
يطلع الفجر ذكره الثعلبي وخرج الترمذي بمعناه عن عائشة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء
الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب وفي الباب عن ابي بكر الصديق
قال ابو عيسى حديث عائشة لا يعرفه مرفوعا الا من حديث الحجاج ابن ارطاة
عن يحيى بن ابي كثير عن عروة عن عائشة وسمعت محمدا يضعف هذا الحديث
وقال يحيى بن ابي كثير لم يسمع من عروة والحجاج بن ارطاة لم يسمع من يحيى بن ابي
كثير قلت وقد ذكر حديث عائشة مطولا صاحب كتاب السر وسنحه وان الله
الذي يفرق كل امر حكيم لليلة النصف من شعبان وانما تسمى ليلة البراءة وقد ذكرنا
قوله والرد عليه في غير هذا الموضع وان الصحيح انما هي ليلة القدر وعلى ما بيناه
روى حماد بن سلمة قال اخبرنا ربيعة بن كلثوم قال سئل رجل الحسن وانا عنده
فقال يا ابا سعيد ارايت ليلة القدر اهي كل رمضان فقال ايه والذي لا اله
الا هو انها في كل رمضان انها الليلة التي يفرق فيها كل امر حكيم فيها يقضي الله
كل خلق واجله ورزقه وعمله الى مثلها وقال ابن عباس يكتب من كل الم ذلك الكتاب في
ليلة القدر ما يكون من السنة الى مثلها من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحج يقال يحج فلان
ويحج فلان وقال في هذه الاية ان الله ليرى الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه
في الموتى وهذه الاية حكم السنة انما هي للملائكة الموكلين بسبب الخلق
وقد ذكرنا هذا المعنى انفا وقال القاضي ابو بكر ابن العربي وجمهور العلماء
على انها ليلة القدر ومنهم من قال انها ليلة النصف من شعبان وهو باطل لان
الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع شهر رمضان الذي انزل فيه القران
فنص على ان مبتدا نزوله رمضان ثم عين من زمانه الليل فصار هذا نيزله

في

في ليلة مباركة فمن زعم انه في غيره فقد اعظم الفرية على الله وليس في ليلة النصف
من شعبان حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها فلا يلتفتوا اليها
الزمخشري وقبل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع
التراخي في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل
وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب الدين
وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعند بعضهم تبقى كل عامل بركات
اعماله فيبقى على السنة الخلق صدره وعلى قلوبهم هيبته ليفرق بالتشديد
ويفرق كل بني نة للعامل ونصب كله والفارق الله جل وعز وقد ازيد من على رضي
الله عنهما يفرق بالتون كل امر حكم كل سنة ذي حكمة ابرام ينفذ على ما يقتضيه
الحكمة قوله تعالى امرا من عندنا قال الشعبي هو الامر وهو القرآن انزله الله
من عنده وقال ابن عباس يحيي هو ما قضاه الله في الليلة المباركة من احوال عباده
وهو مصدر في موضع الحال وكذلك رحمة من ربك وهي عند الاخفش حالان تقديرهما
انزلناه امرين به وراحمين للمرسلين امرا في موضع المصدر والتقدير انزلناه انزالا
الفراء والزجاج امرا نصبه بيفرق مثل قولك يفرق فرقا من عندنا فرق فهو مصدر
مثل قولك نضرب ضربا وقيل يفرق بدل على يفرق من هو مصدر عمل فيه ما قبله انا كنا
مرسلين رحمة منصوبة بمرسلين والرحمة النبي صلى الله عليه وسلم والزجاج رحمة مفعول
من اجله اي ارسلناه للرحمة وقيل هي بدل من قوله امرا وقيل هي مصدر الزمخشري
امرا نصب على الاختصاص حصل كل امر حكم فيها بان وصفه الحكيم بهذا وهو حاله
وكتب في ما بينه بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكذلك
اقتضاه علمنا وتدبيرنا وقرأ زيد بن علي امر من عندنا على تقدير امر وهي بمصدر
انتصب بعامل الاختصاص وقرأ الحسن رحمه على تلك هي رحمة وهي بمصدر انتصب بما
بانه مفعول له قوله تعالى رب السموات والارض قرأ الكوفيون برفع رب بالجر الباقون
بالرفع رد اعلى قوله انه هو السميع العليم وان شئت على الابتداء والخبر الا هو
او يكون خبرا بعد خبر وقد تقدم بيانه رب السموات والارض والجر على البدل
من ربك وكذلك ربكم ورب اباءكم الاولين بالجر فيهما رواه البيزيدي عن الكسائي
الباقون بالرفع على الاستئناف ثم يحتمل ان يكون هذا الخطاب مع المعترف بان
الله خلق السموات والارض ان كنتم موقنين به فاعلموا ان له ان يرسل الرسل
وينزل الكتب ويحتمل ان يكون الخطاب مع من لا يعترف انه الخالق ان ينبغي ان
يعترف انه الخالق وانه الذي يحيي ويميت وقيل الموقف هاهنا هو الذي يدبر
البشر ويطلبهم كما ينزله فلان يتعذ ابي هو جدا وبينهما ابوه يدبر بنيه صدا له
الا هو يحيي ويميت ابي هو خالق العالم فلا يجوز ان يشرك به غيره ممن لا يقدر على
خلق شيء ويصوبني ويميت ابي يحيي الاموات ويميت الاحياء ربكم ورب اباءكم الاولين
ابي مالكم ومالك من يقدم منكم واتقوا ان تكذبوا به بحيث لا ينزل بكم العذاب بل هم في شك
يلعبون ابي ليسوا على يقين مني يظهر له من الايمان والاقرار فيقولهم ان الله
خالقهم وانا ينزل لو نشر لتقليد الآباء لهم من غير علم وهم في شك وان يوقنوا انهم
موقنون منهم يلبسون في دينهم ما يبين لهم من عنزحة وهم قبل يلبسون يصنعون اب
النبي صلى الله عليه وسلم الا منزا استهزا وقيل لم نزل غرضه عن المواعظ لا تعب وهو
كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يريد بما فتنته قوله تعالى فارتقب
يوم تاتي السماء بدخان مبين ارتقب منه وانتظر يا محمد يوما والكفار يوم تاتي
السماء بدخان مبين قال قتادة وقيل معناه احفظ قولهم هذا ليشهد عليهم
يوم تاتي السماء بدخان مبين ولذلك سهل الحافظ رفيا وفي الدخان اقوال الثلاثة الاول
الاولى انه من اشراط الساعة لم يجيء بعد وانه يمكث في الارض اربعون يوما يملا ما بين
السماء والارض فاما المؤمن فيصيبه مثل الزكام واما الكافر والفاجر فيدخل في انوفهم
فيثقب مسامعهم ويفتق انفاسهم وهو مذاب رجفهم يوم القيامة وممن قال
ان الدخان لم يات بعد علي وابن عباس وابن عمر وابو هريرة وزيد بن علي
والحسن وابن ابي مليكة وغيرهم ورويه ابو سعيد الخدري مرفوعا انه دخان

ليهيج بالناس يوم القيمة يأخذ المؤمن منه كالزكمة ويبقى الكافر حتى يخرج من كل
مسمعة منه ذكره الماوردي وفي صحيح مسلم عن ابي الطفيل عن حذيفة عن
ابي اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر
فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر
ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى
ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف
بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس
الى محشرهم في رواية عن حذيفة ان الساعة لا تكون حتى تكون عشر ايات خسف
بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة
الارض ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن
ترحل الناس وخرجه الثعلبي ايضا عن حذيفة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اول الآيات خروجا الدجال ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج
من قعر عدن اليمن تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم حيث باتوا وتقيل
معهم اذا قالوا وتصبح معهم اذا اصبحوا وتمسي معهم اذا امسوا قلت يا نبي
الله وما الدجال قال يفتح الايمان وتقيت يوم ثاني السبع بدخان مبين ما بين
المشرق والمغرب تمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام
واما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من فمه ومنخره وعينه
واذنيه ودبره وهذا اقول القول الثاني ان الدخان ما اصاب خدش من الجوع
بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الرجل يرى بينه وبين السماء دخانا
قال ابن مسعود قال وقد كشفه الله عنهم ولو كان يوم القيمة لم يكشفه عنهم والحديث
عند هذا في صحيح البخاري ومسلم والترمذي قال البخاري حدثني يحيى قال
حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله ان كان
هذا الا قد سبق لما استعصت على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين
كسنين يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء
فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب يوم
تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم قال فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت قال
لمضر انك لجريء فاستسقى فسقوا فنزلت انكم عائدون فلما اصابهم الرفاهية
عادوا الى حالتهم حين اصابتهم الرفاهية فانزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة
الكبرى انا منتقمون قال يعني يوم بدر قال ابو عبيدة والدخان الجدب الذي
سمي دخانا ليس الارض منه حتى تنتفع منها كالدخان الذي قال انه
يوم فتح مكة لما حبست السماء القطرة قاله عبد الرحمن الاعرج يغشى الناس من ضعف
الصفة للدخان فان كان قد مضى على ما قال ابن مسعود فهو خاص بالمشركين
من اهل مكة ان كان من اشراط الساعة فهو عام على ما تقدم وقد يقال الجوع
اليم ايضا يقولون الله لهم هذا عذاب اليم فمن قال ان الدخان قد مضى يقوله
هذا عذاب اليم حكاية حال ماضية ومن جعله مستقبلا فهو حكاية حال
آتية وقيل هذا يعين ذلك وقيل ايضا تقول الناس كذلك الدخان فهذا عذاب
اليم وقيل هذا حين رغبت وتوالامر كما تقول هذا السائل عذاب قد نزل تعالى
ربنا اكشف عنا العذاب اي يقولون ذلك اكشف عنا العذاب فانا مؤمنون
اي بهذا بك ان كشفته عنا قيل ان قد بقيا لنوا النبي صلى الله عليه وسلم
وقالوا ان كشف الله عنا العذاب اسلمنا ثم يعودوا هذا القول قال فتلك ذه
العذاب يعني الدخان وقيل الجوع حكاه الثعلبي قلت وليست قصة
فان الدخان لم يكن الا من الجوع الذي اصابهم على ما تقدم وقد يقال الجوع
والقحط الدخان لبس الارض في سنة الجدب وانتفاع الغبار بسبب قلة
الامطار ولهذا يقال لسنة الجدب السنة وقيل ان العذاب هنا القتل قال
الماوردي وهذا الوجه لا يمكن ان يكون في احد من اهل مكة ولم
يكن معه في بلاد السلم بحيث ان مقتول فحكيناه قوله تعالى ان

لهم الذكرى اى من اين يكون لهم التذكر والاتعاظ عند حلول العذاب وقد جاءهم
رسول مبين يبين لهم الحق والذكرى واحد قاله البلخى ربه ثم تولوا عنه
اى اعرضوا قال ابن عباس من اين يتعظون والله ليجدنهم مذا لا تنعظه
والتذكر بعد نزوله عن محمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم اياه وقيل اى
اين ينفعهم قولهم اين هو ومتى يقع ظهور العذاب عنا وبعد ظهور اعلام
الساعة فقد صارت المعارف ضرورية وهذا اذا جعلت الدخان انه مر تقدمه
وقالوا معلم مجنون اى يعلمه بشر وعلمه الكهنة والشياطين ثم بعد مجنون
وليس برسول قوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اى وقت قليلا وعد
ان يكشف عنهم ذلك العذاب قليلا اى وقتا قليلا رمان قليل ليعلم انهم لا يمرتدون
يعنى لهم بل يعودون اى الكفر سيد كشفه قال له ابن مسعود قتل كشف ذلك عنهم
يا ستسقى النبى صلى الله عليه وسلم عاد وا الى تكذيبه ومن قال ان الدخان
منتظر قال اشار بقوله انا الى ما يكون من العرجون ايته وايته من اباته قيام
الساعة ثم من قضى عليه بالكفر يبشر على كفره ومن قال قوله انا كاشفوا العذاب
قال اى لو كشفنا عنهم العذاب بعد ثم الى الكفر وقيل معنى انكم عائدون
الينا اى ميتون بعد الموت وقيل المعنى انكم الينا راجعون ان لم يؤمنوا
قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يوم يحمل
على ما دل عليه منتقمون اى ينتقم منهم يوم نبطش واعيد بعض النحويين
بسبب ان ما بعد ان لا يفسر ما قبلها وقيل ان العامل فيه منتقمون وقصر
بعيد ايضا لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وما يحسن تعلق بقوله عائدون
وما ينزل ان كاشفوا العذاب اذ ليس للمعنى عليه ويكون نصبه باضمار فعل
كانه قال اذكر يوم او اذكر ويجوز ان يكون المعنى انكم عائدون فاذا عدتم انتقم منكم
يوم نبطش البطشة الكبرى ويقال اوصل هذا بقصة فرعون فانهم وعدوا موسى
الا يؤمنوا ان كشف عنهم العذاب ثم لم يؤمنوا حين نزع فنوا وقيل ان كاشفوا العذاب
قليلا انكم عائدون كلام تام ثم ابتدا يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون
اى ينتقم من ضيع الكتب وقيل المعنى وارتقب الدخان وارتقب يوم نبطش
فحذف الواو والعطف كما تقول انت ظالم ان عاقبت والبطشة الكبرى
من قول ابن مسعود يوم بدر وهو قوله ابن عباس وابى بن كعب ومجاهد
والضحاك وقيل عذاب جهنم يوم القيامة قاله الحسن وعكرمة وابن عباس ايضا
واختاره الزجاج وقيل دخان يقع في الدنيا اوجوع او قحط يقع قبل يوم القيامة
المراد به وقيل انها قيام الساعة لانها خاتمة بطشات تقع في الدنيا ويقال
انتقم الله منه اى عاقبه والاسم منه النقمة والجمع نقمات وقيل النقمة
والنكال بمعنى العقوبة بعد المعصية لانها من النعاقب والنقمة قد تكون قبلها قاله
ابن عباس وقيل النقوبة ما تقدرت والانتقام مبهم بعد قوله تعالى
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اى ابتليناهم وسمى هذه الفتنة والابتلاء الامر
بالطاعة والمعنى عاملناهم معاملة المختبر ليتبين لنا حال المدعوين رسول كريم وفتناهم
اى عرفناهم ان النعمة كانت بسبب الرسل فالوا وما تزيب ومعنى كريم ان
كريم في قومه وقيل كريم الاخلاق بالتجاوز والصفح وقال المبرد كريم على ربه
اذا احتكم بلبوه واسماع الكلام قوله تعالى ان ادوا الى عباد الله قال
ابن عباس المعنى حاجهم فقال لهم انتم عبيد الله فاطلقهم من العذاب فعبد الله على هذا مفعول
وقيل المعنى ارسلوا الى عباد الله واطلقوهم من العذاب فعبد الله على هذا مفعول
ثان اى ادوا الى عباد الله الطاعة وقيل المعنى ادوا الى سمعكم حتى ابلغكم رسالة ربى اتى لكم رسول امين ابا
على الوحى فقيل انتفى وقيل اتى على ما اسمع دينه منكم فلا اخون فيه وان لا
تقبلوا على الله اى لا تتكبروا عليه ولا تتقوا عن طاعته وقال قتادة لا تعلوا
على الله ابن عباس لا تتكبروا على الله والفرق بين البغى والافتراء ان البغى بالفعل
والافتراء بالقول وقال ابن جريج لا تتظموا على الله بجبابرة مسلام لاستكبروا على

عب والعدو والعرف بين التعظم والاستكبار ان التعظم يطاول المتعظم والاستكبار
يرفع المحتقر ذكره الماوردي ان انكم بسلطان مبين قال قتادة بعذر بين
وقال يحيى بن سلام حجة بينة والمعنى واحد ايه برهان بين قوله تعالى وان
عدتم عدنا وربكم ان تذهبون كانهم لما عدوا بالقتل فاستجاروا بالله قال قتادة
رجعوا بالخيانة وقال ابن عباس يشتمون فيقولوا ساحر كذاب واظهر الدال
من عدتم نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب وادغم الباقون والادغام طلبا
للتخفيف والاظهار على الاصل ثم قيل ان عدتم بالقتل بنبي ما مضى بان الله وعده فقال
فلا يصلون اليكم وقيل ان عدتم لنقول نشد نكد بالله وانتصب عليكم بالله اي
اعتنم قوله تعالى وان لم تنتهوا اي ايمان لم تقصد فتوبوا ولم تنتهوا بالله لاجل
برهانين فاللام بمعنى لام اجل وقيل اي وان لم تنتهوا كقولهم ما انت لوط اي به
فاعتزلوني اي دعوني كفافا لا لي ولا علي قاله مقاتل وقيل اي كونوا بمعزل مني
وانا بمعزل منكم الى ان يحكم الله بيننا وقيل فخلوا سبيلي وكفوا عن اذاي والعين
منقلبة قوله تعالى فدعا ربه بيد حذف اي فكفروا فدعا ربه ان هؤلاء
قوم مجرمون اي مشركون فاسر بعبادي ليلا من اطلاق بني
اسرائيل ومنه الاية قوله تعالى فاسر بعبادي ليلا فيه مسلكان
الاول قوله تعالى فاسر بعبادي ليلا فاجنبا دهما واوحينا اليه ان اسر
بعبادي اي بمن امن بالله من بني اسرائيل ليلا اي قبل الصباح انكم متبعون
مقتا اقفاكم اي فاسر وصل الالف وكذلك ابن كثير من سرى الباقون فاسر به
بقطع من اسرى وقد تقدم وسنقدم خروج قد تحرث وراء موسى من البقرة
والاعراف وطه والشعراء وبقيته وانجز انقاذه وانجاء موسى فلا معنى للاعادة
قوله تعالى الت اية امر موسى عليه السلام بالخروج ليلا وسير الليل
في الغالب ان يكون بمن خوف والخوف يكون وجهين اما من العدو فيتخذ
الليل سيرا مستمرا وهو من انشاء الله تعالى واما من خوف المتبعة على الدواب
والاتيان بحراد حدب يتخذ السرب مصلحة من ذلك وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يسري ويدلج ويترفق ويستعمل صلب الحاجة وما يقتضيه المصلحة وفي
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها
من الارض واذا سافرتم في السنة فبادروا بها نقيها وقد مضى في اول النحل قوله
تعالى واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون قال ابن عباس رهوا اي
طريقا وقال له كعب والحسن وعن ابن عباس ايضا سمتا اليبس والربيع سهلا
عكرمة يبسا لقوله تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقيل ممتزقا يحاذيه
منفرجا وعنه يابسا وعنه ساكنا رهوا المعروف في اللغة وقال قتادة ذا الفرق
وقال عبد بن حميد منفرجا وقال ابن عرفة وهما بمعنى ان ابي معنى واحد وان
اختلف لفظهما لانه اذا سكن حرده انفرج ولذلك كان البحر ساكن جريه
وانفراج لموسى عليه السلام والرهو عند العرب الساكن يقال جاء الخيل
رهوا اي ساكنة قال ذو الخيل تمزع رهوا في اعنتها كل لطير تسجوا من النشوب
ذي النزد الجرنفوي ويقال افعل ذلك رهوا اي ساكنا على هينتك وعيش
راه اي ساكن راغد وحمس راه اذا كان سهلا وزها البحر اي سكن وقال ابو
عبيدة رهابين رجليه بدور هوا اي فتح ومنه قوله تعالى واترك البحر رهوا والرهو
السير السهل يقال جاءت الخيل رهوا قال ابن الاعرابي رهاسر فيه في السير
ابو رفيق قال الفراء في لغة الركاب
" " يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الادبار شكل
والرهو والرهوة المكان المرتفع والمنخفض ايضا يجتمع فيه الماء وهو من الاضداد
وقال ابو عبيدة الرهو الجوبة يكون في حلة القوم يسيل فيها ماء المطر وعنه
وفي الحديث انه قضى ان لا شفعة في منى ولا طريق ولا مسقية ولا ركي ولا رهو
والجمع رهاء والرهو المراح والرابسة الهن حكاه النضر بن شميل والرهو ضرب
من الطير ويقال رهو الكوفي قال الجوهري ويجوز ان يكون رهوا من نعت موسى
عليه السلام وقاله الفشيري ابو سعد ساكت على هينتك قال هو من نعت

موسى

موسى عليه السلام وقومه من سفت البحر وعلى الاول هو من سعت البحر اذا ركبه
سالكا كما هو فدا يبتوق فلا يامره بالانضمام حتى يدخل فرعون وقومه قال
قتادة اراد موسى ان يضرب البحر لما فطعه بعصاه حتى يلتئم وخاف ان يتبعه
فرعون فقيل له هدا وقيل ليس الرهو من السكون بل هو من الفرجة بين
الشيئين يقال رهوا بين الرخلين اى مفرج مفعول رهوا اى مفرجا وقال
الليث الرهو مشى فى سكون يقال رهابهم اراهوا فهو راه وعشى راه وادع خافض
واصله ذلك مصدر اى سكنت بعيرشدة وقد ذكرناه انفا انهم اى ان فرعون
وقومه جند مغرقون اخبر موسى بذلك ليسكن قلبه فقوله تعالى كم تركوا من
جنات وعيون وزروع ومقام كريم للتكثير وكم مضى الكلام فى نظيره هذه
الاية فى الشعراء منونين ونعمة كانوا منها فاكهين بالفتح التنعم يقال دنا عمه
الله وناعمه فتنعم واسداه منعمه ومنا عمه بمعنى والنعمة بالكسر اليد والصنيعة
والمنة وبها انعم به عليك وكذلك النعمى فاذا فتحت النون مددت وقلت النعماء
والنعيم مثله وقلات واسع النعمة واسع المال جميعه عن الجوهرى وقال ابن عباس
المراد بالنعمة بنو مصر ابن تصيفة الغيوم بن نزيا دارض مصر لكثرة خيرها
وفيها كانوا فيه من السعة والدعة وقد يقال نعمة ونعمة بفتح النون وكسرها
حكاه الما وردى وقال وبين النعمة بينهما وجهان احدهما انه بكسر النون فى الملك
وبفتحها فى البدن والدين قاله المنضر بن شميل الثانى انها بالكسر من
المنة وهو الافضال والعطية وبالفتح من النعيم وهو سعة العيش والراحة
قال ابن زيا دقلت هذا النعمة هو الذى وقع فى الصحاح وقد ذكرناه وقرا
ابو رجا والحسن وابو الاشهب والاعرج وابو جعفر وشيبة فكهين بغير الف
ومعناه اشرين بطرين قال الجوهرى فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كانت
طيب النفس مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر وتفكه بنعمه كانوا فيها فاكهين
ابا اشرين وفاكهين ابى ناعمين القشيرى فاكهين لاهين مازحين يقال
انك لفاكه اى مزاح وفيه فكاهة اى مسرح الثعلبى وقيل هما لغتان كالحاذر
والحذر والفاره والعره وقيل الفاكه هو المتنعم بانواع الله وكما
يتمتع الاكل بانواع الفاكهة والفاكهة فضل على القوت الذى لابد منه
قوله تعالى كذلك واورثناها قوما اخرين قال الزجاج ايا الامر كذلك
فتوقف على كذلك وقيل الكاف فى موضع نصب على تقدير يفعل معلا كذلك
عن يزيد الفلاكى وكذلك وقال الكلبى كذلك افعل بمن عصانى وقيل كذلك كان
امرهم فهلكوا واورثناها قوما اخرين بعين بنى اسرايل منكرهم الله تعالى الارض
مصر بعد الهلاك كانوا فيها مستعبدين فصار والها وارثين توصرفا لك اليهم كوصول
الميراث ونظيره واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها التى باركنا فيها قوله تعالى فما بكت عليهم السما والارض ابى لكفرهم
وما كانوا منظرين ابى موخرين بالغرق وكانت العرب تقول عند موت السيد
منهم بكت له السما والارض ابى عمت مصيبته الارجا حتى بكته السما والارض والنجم
والبرق يلمع فى غمامه وقال احمد
والشمس طالعة ليست بكا سفة تبكى عليه بجوم الليل والقمر
وقال الحارصية ان شجرا لحابور مالك مورق كانك لم تجزع على بن طريف
وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة فى وجوب الجزع والبكا عليه
والمعنى انهم هلكوا فلم تعظم مصيبتهم ولم يوجد لهم فقد وقيل فى الكلام اضمار اى
باكين عليهم اهل السما والارض من الملايكة لقوله تعالى فما بكت عليهم السما والارض
بهلاكهم قال له الحسن وروى يزيد الرقاشى عن الحسن بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مومن الا وله فى السما بابان باب ينزل
منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله فاذا مات فقدا ه فبكيا عليه وتلا
فما بكت عليهم السما والارض يعنى انهم لم يعملوا على الارض عملا صالحا تبكى عليهم
لاجله ولا صعد لهم الى السما عمل صالح فتبكى فقد ذلك وقال بحياحه
ان السما والارض تبكيان على المومن اربعين صباحا

قال ابو يحيى فعجبت من قوله فقلت العجب وما للارض لا تبكي على عبد يعبد لله
بالركوع والسجود وما للسما لا تبكي على عبد كان للتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي
النحل وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما انه تبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله
من السما وتقدم به الاية عن علي فقد اخبر بكت عليهم مصاعد عملهم من السما ومواضع
عبادتهم من الارض وهو سبب قوله سعيد بن جبير وقد بكا السما والارض ثلاثة اوجه
احدها انه كالمعروف من بكا الحيوان وشبه ان تكون قول سعيد وقال شريح
الحضرمي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود كما بدا فطوبى
للغرباء يوم السبت من قبيل من نعم يا رسول الله قال الذين اذا فسد الناس صلحوا بهم
قال الاعمش به على مومن وما مات مومن فتح عن بزغاب يعني بوابه الا بكت عليه السما
والارض ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السما والارض ثم قال
انهما لا يبكيان على الكافر قلت وذكر لي نعيم جنده محمد بن نعيم قال حدثنا ابو
شعيب الحراني قال حدثنا يحيى بن عبد الله قال حدثنا الاوزاعي قال حدثني
عطا الخراساني قال ما عبد الله بسجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت
له يوم القيامة وبكت عليه يوم تموت وقيل بكا ودمها حمرة اطرافها قاله علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه وعطا والسدي والترمذي محمد بن علي وحكاه عن الحسن
قال السدي لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنه بكت عليه السما وبكا ودمها حمرتها
وحكى حريز عن يزيد عن ابي بابا قال لما قتل الحسين بن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه احمرت افق السما اربعة اشهر قال يزيد واحمرارها بكا ودمها وقال
محمد بن سيرين اخبرونا ان الحمرة التي في الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي
رضي الله عنه وقال سيار في الغالب مطرنا دما يوم قتل الحسين قلت روى
الدارقطني من حديث مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشفق الحمرة وعن عبادة بن الصامت وشداد بن اوس قالا
الشفق شفقان الحمرة والبياض فاذا غابت الحمرة صحت الصلاة وعن ابي هريرة
قال الشفق الحمرة وهذه ابدا هكذا بن سيرين وقد تقدم في سبحان عن قرة بن
خالد قال ما بكت السما على احد الا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي وحمرتها
بكا ودمها وقال محمد بن علي الترمذي اليكا ادرا الشيء فاذا ادرت النبي بها قبل
بكت واذا ادرت السما بنجومها قبل بكت واذا ادرت الارض بعمرها قبل بكت لان
المومن نور ومعه نور الله فالارض مصيبته بنوره وان غاب عن عشيرته فاذا فقدت
نور المومن اغبرت فدرت باغبرارها لانها كانت تبكيه بخطاياه اهل الشرك وان
صارت مصيبته بنور المومن فاذا قبض المومن منها ذرت بحمرتها وقال انس لما
كان اليوم الذي دخل النبي صلى الله عليه وسلم فيه المدينة اضاء كل شيء فلما كان اليوم
الذي قبض فيه اظلم كل شيء وما نفضنا عن دفنه ما بعطت ايدينا منه حتى انكرنا قلوبنا
واما بكا السما فحمرتها كما قال الحسن وقال النضر بن عاصم ان اول الايات حمرة تظهر
وان ذلك لدنو الساعة منه ربا ليكا كحلاياها من اول المومنين وقيل بكا ودمها امارة
يظهر منها بدل على حزن واسف قلت والاظهر القول الاول اذ لا استحالة في ذلك
واذا كانت السموات والارض تسبح وتسمع وتتكلم كما بينا في سبحان وتتم وجه
فصلت فكذلك تبكي مع ما جا من الخبر في ذلك والله اعلم قوله تعالى ولقد
نجينا بني اسرايل من العذاب المهين يعني ما كانت القبط تفعل بهم من سوء
من قتل الابنا واستخدام النسا واستعبادهم اياهم وتكليفهم الاعمال الشاقة من
فرعون بدل من العذاب المهين وقيل يتعلق من بقوله من العذاب لانه قد وصف
وهو لا يبعد بعدا لوصف بمجرد القول وقيل ابي بخبيثاهم من العذاب ومن فرعون
انه كان غالبا من المسرفين اي جبارا من المشركين وليس بهذا اعلو مدح بل هو
علو في الاسراف كقوله ان فرعون علا في الارض وقيل بهذا العلو هو الترفع على
عباد الله قوله تعالى ولقد اخترناهم يعني بني اسرايل على علم منا بهم
لكثرة الانبيا منهم على العالمين اي عالمي زمانهم بدليل قوله لهذه الامة كنتم
خير امة اخرجت للناس وهذا قول قتادة وغيره وقيل على كل العالمين
بما جعل فيهم من الانبيا وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه ابن عيسى والزمخشري

وغيرهما

وغيرهما ويكون قوله كنتم حيرا من ابي بعد بني اسرايل والله اعلم وقيل يرجع هذا الاخبار
الى تخليصهم من الغرق وانجائهم الى ارض بعد من فرعون فرلسه تعالى وانجيناهم من
الايات التي من جملتها ما شبه بلا مين قال منها وذاك الايات التي وقعت من
فرعون وقلق البحر لهم وظل الغمام عليهم وانزال المن والسلوى ويكون هذا الخطاب
متوجها الى بني اسرايل وقيل انها العصا واليد وشبه ان يكون قول العدا ويكون
الخطاب متوجها الى قوم فرعون وقول ثالث انه الشر الذي كفهم عنه والخير الذي
امرهم به قاله عبد الرحمن بن زايد ويكون الخطاب متوجها الى الغريقين معا من قوم فرعون
وبني اسرايل فمن قال لهلا مبين اربعة اوجه احدها ظاهره قاله الحسن وقتادة كما
قال تعالى وليبلي المومنين منه بلاء حسنا وقال زهير قال بلاها حينا لبلا الذي بتلوا
الثاني عذاب شديد قاله العدا الثالث اختبار وتمييز به المومن من الكافر قاله
عبد الرحمن بن زيد قوله ومنه ايضا ابتلاهم بالحسنات والشدائد لعلهم يرجعون
فتنة قوله تعالى ان هو الا تتولن بمين كفار قريش ان هي الا موتتنا الاولى
ابتداء وحصر مثل ان هي الا فتنتك ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين اي بمعرفين
قالوا ائتنا بابينا ان كنتم صادقين استدلوا لله المرجئ فبشروا وقد تقدم والمنشور والمبعوث
قيل ان قايل هذا من كفار قريش ابو جهل قال يا محمد ان كنت صادقا في قولك
فابعث لنا رجلين من اباينا احدهما قصي بن كلاب فانه كان رجلا صادقا لنسالهما
احق ما تقول بعد الموت وهذا القول من ابي جهل من اضعف الشبهات لان الاعادة
اسهل من الابتداء لان التكليف فكانه قال ان كنت صادقا في اعادتنا للجزاء فعدهم
للتكليف وهو لقول قايل لو قال ان كان شيا بعدنا قوم من الانبيا فلم لا يرجع
من مضى من الاباء حكاه الماوردي ثم قيل قالوا ذلك تهكما بالنبي صلى الله
عليه وسلم وحده لقوله رب ارجعون قاله العدا وقيل سخروا طلبه لهم وتباعده
قوله تعالى اهم خير ام قوم تبع هذا استفهام انكار اي ليسوا خيرا من قوم تبع والامم المهلكة واذا هلكنا
في هذا القول العذاب اي ليسوا خيرا من قوم تبع والامم المهلكة واذا هلكنا
اولئك فكذا نهلك وقيل المعنى اهم اظهر نعمة واكثر اموالا ام قوم تبع وقيل انهم عن
واشد وتبع ام قوم تبع وليس المراد بتبع رجلا واحدا بل المراد به ملوك اليمن
وكانوا يسمون ملوكهم الذين بعد تبع لقب لكل ملك منهم كالخليفة للمسلمين وكسرى
للفرس وقيصر للروم وقال ابو عبيدة سمي كل واحد منهم تبعا انه يتبع صاحبه قال
الجوهري والذين بعده ملوك اليمن واحدهم تبع والتبع ايضا الظل وقال
• • تردي النساء حضيره وتثيفه • ورد الغطاء اذا الشمال التبع •
والتبع ايضا ضرب من الطير وقال السهيلي
• • تبع اسم لكل ملك ملك اليمن والتبعر وحضرموت وان ملك اليمن وحدها
لم يقال لها تبع قال المسعودي فمن الذين بعد الحبشة الاسو وهو ابرهة
ذي المنار وابرهة ذو المنار وحمدوذ والارعاد وشمر ملك الذي بنى سمرقند وافريقيس بن قيس الذي ساق البربر الى افريقيه من ارض
كنعان وبه سميت افريقيه والظاهر من الاخبار ان الله سبحانه انما اراد واحدا
من هذا ولا وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم اشد من معرفة غيره ولذلك قال عليه
السلام ولا ادري ايتبع لعين امر هو اسم قال قد روي انه قال لا تسبوا تبعا فانه كان
مومنا وهذا يدلك على انه كان واحدا بعينه وقد روي ان الله سبحانه انما ارادوا واحدا
البيت بعد ما اراد غزوه وبعد ما غزا المدينة واراد حملها ثم انصرف عنها لما اخبر انها
مهاجر نبي اسمه احمد وقال شعرا ودعه عند اهلها فكانوا يتوارثونه كابرا
عن كابر الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فادوه اليه وقيل كان الكتاب
والشعر عند ابي ايوب خالد بن زيد وفيه شهدت على احمد انه رسول
من الله باري النسم
• • فلو مد عمر ابي بمدة لكنت وزيرا له وابن عمم •
وذكر الزجاج وابن ابي الدنيا والزمخشري وغيرهم انه حمير قبر بصنعاء
ويقال ساحه حمير في الاسلام فوجدوا مدات صحاح وعنده
رقيمها لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر حبا وليس وبي

ايضا حيا وبحاضر وبهو ويب ايضا هذا انبر رضوى وتبرحنا ابينا بتبع ماتا دهما
بتبعدان لا اله الا الله ولا تشركا به شيا وعلى ذلك ماتا الصالحون قبلهما قلت
وروى ابن اسحاق وغيره انه كان في الكتاب الذي كتبه ما يصدق بي امنت
بك وبكتبك الذي انزل عليك وان علي دينك وسنتك وامنت بربك ورب كل شيء
وامنت بكل ما جاء من ربك من شرايع الاسلام فان ادركتك فيها ونعمت وان لم
ادركك فاشفع لي ولا تنسني يوم القيمة فاني من امتك الاولين وانا بعثتك قبل
مبعثك وانا علي صلتك وصلة ابيك ابراهيم عليه السلام ثم ختم الكتاب بما
ويعسن عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب على عنوانه الى محمد بن عبد الله
نبي الله ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع
الاول وقد ذكرنا تبعا حبره واوله في اللمع السولوية في شرح العشر البيات
السنوية للعارابي رحمه الله وكان من اليوم الذي مات فيه تبع الى اليوم الذي
بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة لا يزيد ولا ينقص واختلف هل
كان نبيا او ملكا فقال ابن عباس كان تبع نبيا وقال كعب كان تبع
ملكا من الملوك وكان قومه كهانا وكان فيهم قوم من اهل الكتاب فامر الغريقين
ان يقترب كل فريق منهم قربانا فتقبل قربان اهل الكتاب فاسلم
وقال هما بيثة رضي الله عنها لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وحكى قتادة
ان تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيوش حتى غير الحمرة وابنى سمرقند فهدمها
حكاه الماوردي وحكى الثعلبي عن قتادة انه تبع الحميري وكان سار بالجيوش
حتى عمر الحمرة وبنى سمرقند وفليل وهدم البلاد وقال الكلبي تبع هو
ابو كرب اسعد بن ملكيكرب وانما سمي تبعا لانه تبع من قبله وقال سعيد
ابن جبير هو الذي كسى البيت الحبرات وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه
وضرب لهم بقريش مثلا لقربهم من دارهم وعظمهم في نفوسهم فلما اهلكهم
الله تعالى ومن قبلهم لانهم كانوا قوما كفرة كان من احدهم اذا صح فحص
البيد وقلة العدد اجرى له الهلاك وافتخر اهل اليمن بهذه الاية اذ جعل الله
قوم تبع خيرا من قريش وقيل سموا ولهم تبعا لانه اتبع قرن الشمس وسار
في الشرق مع العساكر فولى نفرا والذين من قبلهم اهلكناهم الذين في موضع
رفع عطف على قوم تبع اهلكناهم صلته ويكون من قبلهم متعلقا به ويجوز ان
يكون من قبلهم صلة الذين ويكون في الطرف عايد الى الموصول واذا كان كذلك
كان اهلكناهم على احد امرين اما ان يقدر رمعه قد فيكون في موضع الحال
او يقدر حذف موصوف كانه قال قوم اهلكناهم والتقدير انا لا نستبيح ون
انا اذا اقدرنا على اهلاك هؤلاء المذكورين قدرنا على اهلاك المشركين ويجوز
ان يكون والذين من قبلهم ابتدا خبره اهلكناهم ويجوز ان يكون الذين في
موضع جر عطف على بيع كانه قال قوم تبع المهلكين من قبلهم ويجوز ان يكون
في موضع نصب بامر يفسره اهلكناهم فوله تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين اي ما قلين فيه مقاتل ولا قصين وهو قول الكلبي
ما خلقت هذا الا بالحق اي الا بالامر الحق فيه مقاتل وقيل الا للحق فيه الكلبي
والحسن وقيل للاقامة الحق واظهاره من توحيد الله والتزام طاعته وقد مضى قول
المسيح في الانبياء ولكن اكثرهم يعني اكثر الناس لا يعلمون ذلك قوله تعالى
ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم الفصل هو يوم القيمة وسمي بذلك لان الله
يفصل فيه بين خلقه دليله قوله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة
يفصل بينكم ونظيره ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فيوم الفصل
ميقات الكل كما قال تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين كان ميقاتا اي
الوقت المجعول لتميز المسيء من المحسن والفصل بينهما قريب في الجنة وفريق
في السعير وهذا غاية في التحذير والوعيد والاخلاق بين العدل في رفع
ميقاتهم عليه انه حبران واسمها يوم الفصل واجب ذلك الكسائي والفراء نصب
ميقاتهم بقوله ويوم الفصل ظرف في موضع خبر ان اي ان ميقاتهم يوم الفصل
قوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يوم بدل من يوم الاول والمولى الولي

وهو

وهو ابن العم حالف صراي لابيه فهو ابن عم عن ابن عمه ولا قريب عن قريبه ولا صديق
عن صديقه ولا هم يبصرون اي لا يبصرا لموت الكافر لغرابته وتبطر صديق عن صديقه
لشدة الامر وانشوا يوما تراه صعود اتخذ بالنفس عن نفس يثنى لابه الا من رحم الله من
رفع على البدل من المضمر في ينصرون كانه قيل لا يهتم احد الا قلان او على الابتدا
والخبر مضمر كانه قال الا من رحم الله فمغفور له او يشفع عنه ويشفع ويبصرا وعلى البدل
من موالي الاول كانه قال لا يغني الا من رحم الله وهو عند الكسائي والفراء نصب على
الاستثناء المنقطع اي لكن من رحم لا يبتغي لهم ما يبتغي جوز فيه الي من يشفيهم من المخلوقين
ويجوز ان يكون استثناء متصلا اي لا يغني قريب عن قريب الا لمؤمنين قادر بوذت
لهم في شفاعة بعضهم لبعض انه هو العزيز الرحيم ابي المنتقم من اعدائه الرحيم
باوليائه كما قال شديد العقاب ذي الطول مغفر الذنب لوعيد قوله
تعالى ان شجرة الزقوم كما في كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليه
يا لها الاصرفا واحدا في سورة الدخان ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ان له
ابن الاثير ربيع والاثيم الفاجر قال له ابو الدرداء ولذلك قيل هو ابن مسعود وقال له
هشام بن الحرث كان ابو الدرداء يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل
يقول طعام اليتيم فلما لم يفهم قال له طعام الفاجر قال ابو بكر الانباري حدثني
ابي قال حدثنا نصر قال حدثنا ابو عبيد قال حدثنا نعيم بن حماد عن عبد
العزيز بن محمد عن ابن عجلان عن عمرو بن عبد الله عن عتبة بن مسعود
قال علم عبد الله بن مسعود رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فقال الرجل
طعام اليتيم فاعاد عبد الله الصواب واعاد الرجل الخطا فلما رأى عبد الله
ان لسان الرجل ما يستقيم عن الصواب قال له اما يحسن ان يقول طعام الفاجر
قال بلى قال فمثل ذلك فعلموه فيه هذا الجهال من اهل السبع انه يجوز ابدال الحرف
من الحرف ان بينهما ذكرا ان كان من عند الله تقريب للمتعلم وتوطئة
منه له للرجوع الى الصواب واستحق له الحق والتكلم بالحرف على انزال الله وخلائق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري وبهذا استدل على ان ابدال
كلمة مكان كلمة جايز اذا كانت مرادفة معناها ومنه اجاز ابو حنيفة القراءة
بالفارسية على شريطة وهو ان يؤدي الفارسي معاني على كما لها من غير ان
يخرم منها شيئا قلت وهذه الشريطة تشهد انها اجازه لان في كلام
العرب حشرصا في القران الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واسلوبه
من لطايف المعاني والاغراض ما لا ينتقل بادايه لسان من فارسيه وغيرها وما
كان ابو حنيفة رحمه الله يجسر الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقيق وتبصر
وروي عن علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في
انكار القراءة بالفارسية وشجرة الزقوم الشجرة التي خلقها الله في جهنم وسماها
الشجرة الملعونة في القرآن لما وقع اليهم في كلوا منها فتلبيت بطونهم ثم
يعلي الى الحلاقيم وشبه ما يصير منها الى بطونهم بالمهل وهو الخاثر المذاب وقراءة
العامة تغلي بالتاء حملا على الشجرة وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم ويروى
عن يعقوب بالياء حملا على الطعام وهو في المعنى الشجرة ولا يحمل على المهل
لانه ذكر للتشبيه والاثيم الاثم من اثم ياثم اثما قاله الفتيبي وابن عيينة وقيل
هو المشرك المكتسب للاثم قاله يحيى بن سلام وفي الصحاح وقد اثم الرجل بالكسر
اثما وماثم اذا وقع في الاثم فهو اثم واثيم واثور ليس فيه طعام الاثيم ابو جهل
الاثيم الفاجر وهو ابو جهل وذلك انه قال يعدنا محمد ان في جهنم الزقوم
وانما هو التمر بالزبد والتمر خير من الله خلاف ما قاله وحكى الثعلبي عن
مجاهد ان شجرة الزقوم ابو جهل قلت وهذا يصح هذا عن مجاهد وهو مردود
بما ذكرنا في هذه الشجرة في سورة والصافات وسيجيء ايضا قوله
تعالى في خذوه فاعتلوه اي يقال للزبانية خذوه ليعني الاثيم فاعتلوه
اي صروه وسوقوه والعتل ان يأخذ بتلابيب الرجل فيعتله اي يجره
اليك ليذهب به الى حبس او يليه عتلت الرجل اعتله واعتله عتلا اذا
جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر وقال نصف فرسا نعرعنا نزعا

وسمي بعثله وفيه لغتان عثله وعثه باللام والثاء جميعا قال ابن السكيت وفداء
الكوفيون وابو عمرو عثلوه بالكسر وضم الباء فوت اي سكوا الجحيم وسط الجحيم ثم صبوا
فوق راسه من عذاب الجحيم قال مقاتل يضرب مالك خازن النار رضربة على راس
ابي جهل بمقمع من حديد فسفت راسه عن دماغه فتحرق دماغه على جسده
ثم يصب الملك فيه ماء حميما فذلك حين حره فنفع في بطنه فينقول الملك ذق العذاب
وتطيره نصب من فوق رؤسهم الحميم قوله تعالى ذق انك انت العزيز
الكريم قال ابن الانباري اجمعت العوام على كسر ان وروي عن الحسن عن
علي رحمه الله ذق انك بفتح ان وبعض بترا الكسائي ممن كسر ان وقف على
ذق ومن فتحها لم يقف على ذق لان المعنى ذق لانك وبانك انت العزيز
الكريم قال قتادة نزلت في ابي جهل وكان قد قال ما بين هاتين اعمر بين وادي مكة
فلذلك قيل له ذق انك انت العزيز الكريم وقال عكرمة لما لقي النبي صلى الله
عليه وسلم وابو جهل قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان اقول لك
اولى لك فاولى يا ابا جهل شيء تكرهه فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا
ان لمن اعز هذا الوادي واكرمه على قومه فقتله الله يوم بدر وانزل الله ونزلت
هذه الاية اي يقول له الملك ذق انك انت العزيز الكريم يزعمك وقتل هو
على سبيل الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والاهانة والتنقيص يقال له
انك انت الذليل المهان وهو كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد يعنون
السفيه الجاهل وقد مر احد الثلاثيات على ما تقدم وهذا قول سعيد بن جبير
ان هذا ما كنتم به تمترون اي يقول لهم الملائكة ان هذا ما كنتم به تشكون فيه
في الدنيا قوله تعالى ان المتقين في مقام امين لما ذكر مستقر الكافرين
وتعذيبهم ذكر منزل المؤمنين ونعيمهم وقرأ نافع وابن عامر في مقام بضم الميم
الباقون بالفتح قال الكسائي المقام المكان والمقام الاقامة يقال
• سمعت الديار مقامها ومحلها • قال الجوهري •
واما المقام والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الاقامة وقد يكون بمعنى
موضع القيام لانك اذا جعلته من قام يقوم مفتوح وان جعلته من اقام يقيم
فمضموم لان الفعل اذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم لانه مشبه ببناء
الاربعة نحو مدحرج ومدحرج وقيل المقام بالفتح المشهد والمجلس
وبالضم يمكن ان يراد به المكان ويمكن ان يكون مصدرا ويقيد بما يضيف المقام اليه في
موضع اقامة امين يومن فيه من الآفات في جنات وعيون بدل من مقام امين
يلبسون من سندس واستبرق متقابلين اي لا ينظر بعضهم قفا بعض متواجهين
يدورون بهم بمجلسهم حيث داروا والسندس ما رق من الديباج والاستبرق ما
غلظ منه وقد مضى في الكهف قوله تعالى كذلك اي الامر كذلك الذي
ذكرناه فعلنا ذلك وقيل اي كما ادخلناهم الجنة وفعلنا بهم ما تقدم
ذكره كذلك الزمناهم بان زوجناهم حورا عينا وقد مضى الكلام في العين في
والصافات والحور البيض في قول قتادة والعامة جمع حوراء والحوراء البيضاء
البتة بياض بياضها من ورائها وبياض الناظر وجهه في كمية كالمرأة مزرقة
الجلد وبضاضة البشرة وصفاء اللون ودليل هذا القول قول ابن مسعود
ابن مسعود بعيسى عين وذكر ابو بكر الانباري باسناده انا احمد بن الحسين قال
حدثنا حسين قال انا عمار بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا
في ام الدخان بعيسى عين ناية وقرن طلع المرت ناية الموتة الاولى والعين
البيض ومنه قيل للابل البيض نجب واحدها بعيرا عيس وناقة عيساء قال
امرؤ القيس • ببرحن الى صوت اذا ما سمعنه كما يبرعت عيط الى صوت انيسها •
يعني البقر وقد مضى الحسان الباقيات البياض بحسن وذكر ابن المبارك اخبرنا
معمر عن ابن اسحاق عن عمر بن ميمون الاودي عن ابن مسعود قال ان المراة
من الحور العين لترى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة
كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء وقال مجاهد اذا مسست الحور
حورا لا تشتهي بجارية الطرف في حسنهن وبياضهن وصفاء لونهن وقيل انما قيل لهن

حور

حور لحورا عينها والحور شدة بياض العين في شدة سوادها امرأة حوراء بينة الحور
نقيض احورت عينه احورارا واحورا الشيء ابيض قال الاصمعي
• ما ادري بما الحور بين العين • وقال ابو عمرو الحورات
سود العين كلها مثل اعين الضبا والبقر قال وليس في بني ادم حور وانما قيل
للنساء حور العين لانهن يشبهن بالضبا والبقر وقال العجاج •
• باعين محورات بيض بعين الاعين النقيات البياض الشديدات •
• سواد الحدق والعين جمع عيناء وهي الواسعة العظيمة العينين •
وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مهور الحور
العين قبضات التمر وخلق الحسن وعن ابي فراصة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اخراج النساء من المسجد مهور الحور العين وعن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال كنس المساجد مهور العين ذكره الثعلبي رحمه الله وقد انزلنا لهذا
المعنى بابا مفردا في كتاب التذكرة والحمد لله واختلف ايما افضل في الجنة بنات
الادميات ام الحور فذكر ابن المبارك قال واخبرنا رشيد بن سعد ابن انعم عن حيان
ابن ابي جبلة قال ان نساء الادميات من دخل منهم الجنة فعملن على الحور العين
بما عملن في الدنيا ورفعهن مرفوعا ان الادميات افضل من الحور العين بسبعين
الف صنف وقيل ان الحور العين افضل لقوله عليه السلام في دعائه وابدله زوجا
خيرا من زوجه والله اعلم وقرأ عكرمة بحور عين مضاف والاضافة والتنوين
في حور عين سواء قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة امنين قال قتادة امنين
من الموت والوصب والشقاء وقيل امنين من انقطاع ما هم فيه من النعيم او من
ان يبدلهم من الكرامة اذا اوكدوه فقد تقدم الا بمعنى ولا تذوق فيها الموت الا الموتة الاولى
ايجاب لا بد وتذوق فيها الموت البتة لانهم حكى لذوق فيها ثم قال الا الموتة الاولى على
الاستثناء المنقطع اي لكن الموتة الاولى قد ذاقوها في الدنيا وانشد سيبويه •
• من كان اسرع في هرف فانا فلبونه جربت منها واعدت •
ثم استثنى ما ليس من الاول فقال الا كما شربه التي صنتم كالفضل في غلوا ثمنه
المستثنى وقيل الا ان بمعنى بعد كقولك ما كلمت رجلا اليوم الا رجلا عندك اي بعد رجل عندك
وقيل الا يمين سوى اي سوى الموتة التي ماتوها في الدنيا كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم من النساء الا ما قد سلف وهو كما يقول ما ذقت اليوم طعاما سوى ما اكلت امس
وقال العتبي لا الموتة الاولى معناه ان المؤمن اذا اشرف على الموت استقبلته
ملائكة الرحمة ويلقى الروح والريحان وكان موته في الجنة لانقضاء ما سبق
منها واستثنا صحيح والموت عرض لا يذاق ولكن جيء كالطعام الذي يكره ذوقه
فاستعير منه لفظ الذوق ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك اي فعل ذلك
بهم تفضلا منه عليهم فضلا مصدر عمل فيه يدعون وقيل العامل فيه ووقاهم
وقيل فعل مضمر وقيل معنى الكلام الذي قبله لانه تفضل منه عليهم اذ وفقهم
في الدنيا لاعمال يدخلون بها الجنة ذلك فصل لفوز العظيم اي السعادة والربح
العظيم والنجاة العظيمة وقيل هو من قولك فاز بكذا اي نال وظفر به فوله
تعالى فانما يسرناه بلسانك يعني القرآن اي سهلناه بلغتك وعلى من يقرؤه
لعلهم يتذكرون ينتفعون وينزجرون وتنذر به ولقد يسرنا القرآن للذكر
مهل من صدر فختم السورة بالحث على اتباع القرآن لان مكيا صدر بها
كما قال في فاتحة السورة انا انزلناه في ليلة مباركة انا انزلناه في ليلة القدر
على ما تقدم فارتقب انهم مرتقبون اي انتظر ما وعدتك من النصر عليهم انهم
منتظرون بك الموت حكاه النقاش وقيل انتظر الفتح من ربك انهم منتظرون
بك عجلهم فهلاكك وقيل انتظر ان يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك ريب
الحدثان والمعنى متقارب وقيل ارتقب ما وعدتك من العذاب فانهم كالمنتظرون
لما وعدتهم من العقاب وقيل ارتقب يوم القيامة فانه يوم الفصل وان لم يعتقدوا
وفتح القبة حيلوا كالمرتقبين لان عاقبتهم ذلك •

• سورة الجاثية مكية كلها في قول الحسن وجابر وعكرمة

وقال ابن عباس وقتادة الا ايه نسخ قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام
الله نزلت بالمدينة بين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ذكره الماوردي وقال
المهدوي والنحاس عن ابن عباس انها نزلت بين عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه وشيخ من المشركين بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش به فانزل الله
عز وجل قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ثم نسخت بقوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم فالسورة كلها مكية على هذا من غير خلاف وهي
سبع وثلثون اية وقيل ست وثلثون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم مبتدا وتنزيل خبره وقال بعضهم
حم اسم السورة وتنزيل الكتاب مبتدا وخبره من الله والكتاب القرآن
والعزيز المنيع الحكيم من قضاه وقد تقدم جميع هذا قوله تعالى ان في خلق
السموات والارض الاية في خلقهما لايات للمصدقين وفي خلقكم وما يبث من دابة
ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق
يعني المطر فاحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح ايات لقوم يعقلون
تقدم جميعه مستوفى في البقرة وبعدها وقراءة العامة وما يبث من دابة ايات
ونصر بن الرياح ايات بالرفع فيهما وقد احمزة والكسائي بكسرات فيهما واختلاف
من الاول اندا لنصب على اسم ان وخبرها في السموات ووجه الكسر في ايات
الثاني من العطف على ما عملت فيه التقدير ان في خلقكم وما يبث من دابة
ايات فما ما الثانية قيل ان وجه النصب فيه تكرير ايات لما طال الكلام
كما يتردد ضربت زيدا زيدا وقيل انه على الحمل على ما عملت فيه ان على تقدير
حذف من التقدير وفي اختلاف الليل والنهار ايات فحذف في التقدم ذكرها
والتقدير في الحذف

اكل امرئ تحسبين امرا ونار توقد بالليل نارا

فحذف كل المضاف الى النار المجرورة لتقدم ذكرها وقيل هو من باب العطف
على عاملين ولا يجوز سيبويه واجازه الاخفش وهي ثمة من الكوفيين فعطف
اختلاف على قوله وفي خلقكم ثم قال وتصريف الرياح ايات فيحتاج الى العطف
على عاملين والعطف على عاملين فتح من اجل ان حروف العطف تنوب مناب
العامل فلم يقو ان تثبت مناب عاملين مختلفين اذ لو ناب مناب رافع وناصب
لكان رافعا ناصبا في حال واما قراءة الرفع فحملا على موضع ات مع ما عملت فيه
وقد التزم سيبويه في ذلك ايضا العطف على عاملين لا يعطف على واختلاف
على وفي خلقكم ويعطف ايات على موضع ايات الاول ولكنه معتذر على تكرير في ويجوز
ان يرفع على القطع بما قبله فيرتفع بالابتداء وما قبله خبره ويكون عطف جملة على
جملة وعلى القراءة برفع اختلاف وايات جميعا وجعل الاختلاف هو الايات انتهى
قوله تعالى تلك ايات الله اي هذه ايات الله اي حجته وبراهينه الدالة على
وحدانيته وقدرته نتلوها عليك بالحق اي بالصدق الذي لا باطل فيه ولا كذب فبأي
باب بعد الله ونبيه بعد قراءة ابن كثير وابي عمرو وحفص وحمزة والكسائي بالياء
على الخبر وقرأ ابن محيصن وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بالتاء على
الخطاب من قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم ويل واد في جهنم يتوعد من تتلى
الاستدلال بايات الله والافاك الكذاب والافك الكذب اثيم اي مرتكب للاثم والمراد
بما روي النضر بن الحارث وعن ابن عباس انه الحارث بن كلدة وحكى الثعلبي
انه ابو جهل واصابر يستمع ايات الله تتلى عليه يعني القرآن ثم يصر مستكبرا اي
اي يقيم على كفره متعظما في نفسه ما خوذ من صر صرة الصرة اذا شدها قال
معناه ابن عباس وغيره وقيل اصله الحمار على الغائر وهو ان يجني عليها صارا
اذنيه وان من كان مختفيه من الثقيل كان لم يسمعها والضمير ضمان الشان
كما في قوله كان طبيه بعطران ناصر المسلم ومحل الجملة النصب اي تصر مسلما عن
السماع وقد تقدم في اول لقمان في معنى هذه الاية وتقدم معنى
مبشرة بعذاب اليم في البقرة قوله تعالى واذا علم من اياتنا شيئا اتخذها
هزوا الخوض قوله في الذين آية الزيد والشعر وقوله في خزنة جهنم ان كانوا سمعه

عشر قانا الفاظهم وحدي اولئك لهم عذاب من رجز اليم من ورائهم جهنم اي
من ورآء امامهم جنة من التقدير بالتذكير عن الحق جهنم قال ابن عباس من ورائهم
جهنم اي امامهم نظيره من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد اي من امامه قال الشنفرى
ورائي ان لا حت مينتي ادب سيء الولد ان ارغبت كاسر ولا يغنيني عنهم ما كسبوا شيا اي
من المال والولد نظيره لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا اي من المال والولد
ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء يعبدون الاصنام لهم عذاب عظيم اي دايم مر اليم
قوله تعالى هذا هدى ابتدا وخبر يعني القرآن وقال ابن عباس يعني كل
ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا بايات ربهم اي جحدوا دلايله لهم عذاب
من رجز اليم الرجز العذاب اي لهم عذاب من عذاب اليم دنيء فنزل تقاتلي قاتلنا
على الذين ظلموا رجزا من السما اي عذابا وقيل الرجز القذر مثل الرجس وهو
كقوله تعالى فاجتنبوا من ماء صديد اي لهم عذاب من يخرج الشراب القذر روحم الدما
من الرجز اثنين مخبيين حسبك وقع وقرا ابن كثير وابن محيصن وحفص اليم بالرفع
على معنى لهم عذاب اليم من رجز اليا فوت بالخفض نعتا للرجز فوه تعالى
الله الذي سخر لكم البحر لتجري فيه السفن فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
ذكر كمال قدرته وتمام نعمته على عباده وبين انه خلق ما خلق لمنافعهم وسخر لكم
ما في السموات وما في الارض جميعا منه يعني ان ذلك فعله وخلقه واحسانه منه
وانعامه وقرا ابن عباس والمجدري بكسر الميم وتشديد
النون وتنوين الها منصوبا على المصدر قال ابو عمرو وكذلك سمعت مسلمة يقرؤها
منه اي تفضلا وكرما وعن مسلمة بن محارب ايضا جميعا منه على اضافة الميم
الى الها الكناية وهو عند ابي حاتم جزا بتدا بمعنى وقع ابي ذلك وتقوم منه وقراءة
الجماعة ظاهره ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فولد سيف قل للذين
امنوا يغفروا لهم على جواب قل تشبيها بالشرط والجزا كقولك قم نصب
جزما وقيل هو على حذف اللام وقيل على معنى قل لهم اغفروا يغفروا فهو جواب
امر محذوف دل الكلام عليه قال ابن عيينة واختاره ابن العربي ونزلت
الاية لسبب ان رجلا من قريش شتم عمر ابن الخطاب فهم ان يبطش به قال
ابن العربي وهذا لم يصح وذكر الواحدي والثعلبي وغيرهما عن ابن عباس ان
الاية نزلت في عمر بن عبد الله بن ابي بن غزوة بني المصطلق فانهم نزلوا على
بير فقال لهم المريسيع فارسل عبد الله غلامه ليستقي وابطا عليه فقال ما حبسك
قال غلام عمر ابن الخطاب قعد على فم البير فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب
النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر وملا لمولاه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل
هولا الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ عمر بن الله عنه قوله فاشتمل على سيفه يريد
التوجه اليه ليقتله فانزل الله هذه الاية بعد ه رواية عطا عن ابن عباس وروى
عنه سيمون بن مهران قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال
يهودي يا محمد ما نرى ربنا الا فقيرا يستقرض اموالنا فاشتمل عمر بن الخطاب
على سيفه وخرج في طلبه فجا جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان ربك يقول لك قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله واعلم
ان عمر قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم في طلبه فلما جا قال يا عمر ضع سيفك قال يا رسول الله صدقت اشهد
انك ارسلت بالحق قال ربك يقول للذين قل امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام
الله قال لا جرم والذي بعثك بالحق لا يبدي الغضب في وجهي قلت وما ذكرة
المهدوي والنحاس فهو رواية الضحاك عن ابن عباس وهو قول الغرطي والسدي
وعليه يتوجه النسخ في الاية وعلى ان الاية نزلت بالمدينة او في غزوة بني المصطلق
فليست بمنسوخة ومعنى يغفروا يعفوا ويتجاوزوا ومعنى لا يرجون ايام الله
لا يرجون ثوابه وقيل لا يخافون بامس الله ونقمه وقيل الرجا بمعنى الخوف
كقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون له عظمه والمعنى لا يتحشون مثل
عذاب الايام التي نبه ولا يام يعبر بها عن الوقايع وقيل لا يأملون نصر الله لاولياءه

وايقاعه بما عدا به وقيد المعنى لان فوق البعث ليجزي فزما ما كانوا يكسبون قراءة
العامة ليجزي بالياء على معنى ليجزي الله وقرا حمزة والكسائي وابن عامر لنجزي
بالنون على التعظيم وقرا ابو جعفر والاعرج وشيبة ليجزي بيا مضمومة وفتح الزاي
على العفل المجهول فزما بالنصب قال ابو عمرو وهذا الحسن ظاهر وقال الكسائي معنى
ليجزي الجزاء فوما نظيره ولذلك سجي الموصيت على قراءة ابن عامر وابي بكر في سوره
الانبياء قال الشاعر ٥

٥ ولو ولدت قفيره جرو وكلب لسب ذلك الجرو الكلابا اي لسب السب ٥

قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون
تقدم قوله تعالى ولقد اتينا بني اسرايل الكتاب يعني التوراة والحكم
والنبوة الحكم الفهم في الكتاب ومنه الحكم على الناس والقضاء والنبوة يعني
الانبياء من وقت يوسف عليه السلام الى زمن عيسى عليه السلام ورزقناهم
من الطيبات الحلال من الاقوات والثمار والاطعمة التي كانت بالشام وقيل
يعني المن والسلوى وفضلناهم على العالمين اي عالمي زمانهم على ما تقدم
في الدخان بيانه والبينات هم بيانات من الامر قال ابن عباس يعني امر النبي صلى
الله عليه وسلم وشواهد نبوته بما نرى بها حين من تقاسته الى يثرب ونصره اهل يثرب
وقيل بينات الامر سوابغ واضحات من الحلال والحرام ومعجزات فما اختلفوا الا
من بعد ما جاءهم العلم بدا بغيا بينهم وقيل بغى بعضهم وكفر بعضهم حكاه النقاش
وقيل من بعد ما جاءهم العلم بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم قاله مقاتل والضحاك
وقيل معنى بغيا بينهم على بعض تطلب الفضل والرياسة وقيل الانبياء لكنه اشتركوا عصرين يا محمد قد جاءهم البينات ولكن امرضوا عنها للمنافسة
في الرياسة ان ربك يقضي بينهم اي يحكم ويفصل يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون
في الدين قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
الاولى قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة من الامر في اللغة المذهب والملة ويقال
لمشرعة الماء وهي مورد الشاربة شريعة قصد الشارع لانه طريق الى المقصد
فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين والجمع الشرايع والشرايع في الدين
والمذاهب التي شرعها الله لخلقه فمعنى جعلناك على شريعة من الامر اي على
منهاج واضح من امر الدين يسوع بك الى الحق وقال ابن عباس على شريعة على
دين ايمان على هدى من الامر وارادة الشريعة الامر والنهي والحدود والفرايض
من تنزل السنة لانها طريق الى الحق الكلبي لانه سنن لطريقه من قبله من
الانبياء ابن زيد الدين لانه طريق النجاة قال ابن العربي والامر يرد في
اللغة بمعنيين احدهما معنى الشان لقوله وما امر فرعون وما امر فرعون
برشيد والثاني احد اقسام الكلام الذي يقتضي به النهي وكلاهما يصح ان يكون
مرادا هاهنا وتقديره ثم جعلناك على شريعة من الدين وهي ملة الاسلام
كما قال تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين
ولا خلاف ان الله تعالى لم يجمع بين الشرايع في التوحيد والمكارم والمصالح
وانما خالف بينها في الفروع حسب ما علمه سبحانه وتعالى قال ابن العربي
ظن بعض من يتكلم في العلم ان هذه الاية دليل على ان شرع من قبلنا ليس
بشرع لنا ان الله تعالى افرد النبي صلى الله عليه وسلم وامته في هذه الاية
بشريعة وانكر ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته منفردان بشريعة وانما الخلاف
فيما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه من شرع من قبلنا في معرض المدح والثناء
هل يلزم اتباعنا عن امر قوله تعالى ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني المشركين
وقال ابن عباس قريظة والنضير وعنه نزلت لما دعته قريش الى دين
ابايه قوله تعالى انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا اي ان اتبعت اهواءهم
لابد ان يموتوا عنك من عذاب الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ايما صيدقا
وانصارا واحباء قال ابن عباس يريد ان المنافقين اولياء اليهود والله ولي

المتقين

المتقين ايينا صرهم وميزهم والمتقون ههنا الذين اتقوا الشرك والمعاصي قوله
تعالى هذا بصائر الناس ابتداء وخبر اي هذا القرآن الذي انزلت عليك براهين
ودلايل ومعالم للناس من الحدود والاحكام وغير ذلك من بصائر اي هذه
الايات وهدى اي رشد وطريق تؤدي الى الجنة لمن اهتدى به ورحمة في الاخرة
لقوم يؤمنون قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات اي اكتسبوها
والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وقد تقدم في المائدة ان تجعلهم كالذين
امنوا وعملوا الصالحات قال الكلبي الذين اجترحوا عتبة وشيبة ابنا ربيعة
والوليد بن عتبة والذين امنوا علي وحمزة وعبيدة بن الحرث رضي الله عنهم
حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم وقيل نزلت في قوم من المشركين قالوا
انهم يعطون في الاخرة خيرا مما يعطاه المؤمن كما اخبر الرب عنهم في قوله لئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وقوله ام حسبت انفسهم معطوف على همزة الانكار
والعدل العرب يجوز ان تحذف من غير عطف اذا كان متوسطا للخطاب وقوم
يقولون هيناها رايه والله ولي المتقين اينعلم المشركون ذلك ام حسبوا ان نسوي
بينهم وقيل هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان وقراءة العامة
سواء بالرفع على انه خبر الابتداء مقدم اي محياهم ومماتهم سواء والضمير في محياهم
ومماتهم يعود على الكفار اي محيا هم محيا نهم سواء ومماتهم لذلك وقرا حمزة والكسائي
والاعمش سواء بالنصب واختاره ابو عبيد قال معناه يجعلهم سواء وقرا الاعمش ايضا
ومحيي ابن عمر ومماتهم بالنصب على معنى سواء في محياهم ومماتهم فلما اسقط
الخافض انتصب ويجوز ان يكون محياهم ومماتهم بدلا من الهاء والميم في نجعلهم
المعنى ان نجعل محياهم ومماتهم مستوا كمحيا الذين امنوا ومماتهم ويجوز ان
يكون الضمير في محياهم ومماتهم للكفار والمؤمنين جميعا قال محيا هؤلاء
يموتون مؤمنا ويبعث مؤمنا والكافر يموت كافرا ويبعث كافرا وذكر ابن المبارك
اخبرنا شعبة عن عمرو بن مره عن ابي الضحى عن مسروق قال قال رجل مت
الهلكة هذا مقام تميم الداري رايته ذات ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح
يقرا اية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات الاية كلها وقال بشير بن عقبة
الربيع ابن خيثم ذات ليلة مقام يصلي فمر بهذه الاية فمكث ليلة حتى اصبح
لم يجد فيها بكا شديدا وقال ابراهيم بن الاشعث كثيرا مما رايت الفضيل بن عياض
يتردد من اول الليل الى اخره هذه الاية وشبهها ثم يقول ليت شعري ما من
ابن العربيين انت وكانت هذه الاية تنتهي جبلان العابدين لانها محكمة قوله
تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق اي بالحكمة ليدل بها على توحيده
وليجزي كل نفس بما كسبت اي جزاء عملها وهم لا يظلمون قوله تعالى افرايت من اتخذ
الهه هواه قال ابن عباس والحسن وقتادة وذلك الكافر اتخذ دينه ما تهواه فلا
يهوى شيئا الا ركبه وقال عكرمة افرايت من جعل الهه الذي يعبده ما تهواه
ويستحسنه فاذا استحسن شيئا عبده وقال مجاهد قال سعيد بن جبير كان احدهم
يعبد الحجر فاذا رأى ما هو احسن منه رمى به وعبد الاخر وقال مقاتل نزلت
في الحارث بن قيس السهمي احد المستهزئين لانه كان يعبد ما تهواه نفسه وقال
سفيان بن عيينة انما عبد الحجارة لان البيت حجارة وقيل المعنى افرايت من
يتخذ الهواه وسجوده تعبيرا لذوي العقول من هذا الجهل وقال الحسن بن الفضل
في هذه الاية تقديم وتاخير مجازه افرايت من اتخذ هواه الهه وقال
الشعبي انما سمي الكافر الها لانه يعبد به صاحبه في النار وقال ابن عباس ما ذكر الله تعالى
في القرآن الا وهو ذامه قال الله تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال تعالى واتبع
هواه وكان امره فرطا وقال تعالى ولا تتبع الذين ظلموا اهواهم بغير علم فمن يهدي
من اضل الله وقال تعالى ومن اضل ممن ابتغى هواه بغير هدى من الله وقال تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال عبد
الله عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه
تبعا لما جيت به وقال ابو امامة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما عبد

لحنا اسمى اله ابغض ابى الله من الهوى وقال شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على
الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة
واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك ودع عنك امر العامة وقال
صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات وثلث منجيات فالمهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه والمنجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في
الغنى والفقر والعدل في الرضى والغضب وقال ابو الدرداء رضي الله عنه اذا
اصبح الرجل اجمع هواه وعمله وعلمه فان كان عمله تبعا لهواه فبؤسه يوم سوداء
عمله تبعا لعلمه فبؤسه يوم صالح وقال الاصمعي سمعت رجلا يقول
ان الهوان هو الهوى فقلت اسمه فاذا هويت فقد لغيت هوانا
وسئل ابن المقنع عن الهوى فقال هوان شرفت نونه فنظم شاعر فقال

نون الهوان من الهوى مسروقة فاذا هويت فقد لغيت هوانا

وقال آخر

ان الهوى لهو الهوان بعينه فاذا هويت فقد لغيت هوانا
واذا هويت فقد تعبدك الهوى فاصبح لحبك كل من كانا

ولعبد الله بن المبارك ومن البلايا للبلا علامة ان لا يريك لك عن هواك نزوع
الحب عبد النفس في شهواتها والحر يشبع تارة ويجوع

ولابن دريد رضي الله عنه

واذا طلبتك النفس يوما بشهوة وكان اليها للخلاف طريق
فدعها وخالف ما هويت فانما هواك عدو والخلاف صديق

ولابي عبيد الطوسي

والنفس ان اعطيتها منالها فاعزه تخوضها الى ما هاكا

وقال احمد بن ابي الحواري

مررت ببرقة فوجدته نحيفا فقلت له انت عليل
قال نعم قلت مذ كم قال مذ عرفت نفسي قلت فتداوى قال فداعيي الدوا
وقد عزمت على الكي قلت وما الكي قال حسم لثغة الهوى

وقال سهل بن عبد الله التستري

هواك داوك فان حاك لثغة فتداول

وقال وهب اذا اشكلت في امر دين ولم تدر خيرهما فانظر ابعدهما من هواك
فاتهم والعلم في هذا الباب فيما روى الهوى وسمى لغته كتب واسوانا اشرنا الى
ما فيه كفاية منه وحسبك بقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن
الهوى فان الجنة هي المأوى فقوله تعالى واضله الله على علم قد علم
منه وقيد اضله عن الثواب على علم منه فانه لا يستحقه وقال ابن عباس اي على
علم قد سبق عنده انه سيضل من نزل على علم منه انه ضال والمعنى متقارب
وقيل على علم من عابد الصنم انه لا ينفع ولا يضر منه فقيل على علم يجوز ان يكون
حالا من الفاعل بمعنى المفعول فيكون المعنى اضله وهو عالم بانه ضال وختم على سمعه
حتى لا يصير الرشد وقرأ حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين من غير الف وقد
مضى في البقرة وقال الشاعر

اما والذي ان عندله يمين ومالك ايد بها اليمين
لئن كنت البستني عشوة لقد كنت اصفيتك الودا حينا

فمن بعد من بعد الهدى بعد ان اضله الله اضلالا كروت بتعظوت وبعر فوت
انه قادر على ما يشاء وفقدنا الايه تدل على القدرة والامامية ومن سلك قد
سبيلهم في الاعتقاد اذهبي مصرحة بمنعهم الهداية ثم قيل وختم على سمعه
وقلبه انه خارج مخرج الخبر عن احوالهم وقيل انه خارج مخرج الدعاء بذلك
عليهم كما تقدم في اول البقرة وحكى ابن جريج انها نزلت في الحارث بن نفيل
من العماليق وحكى الثعالبي انها نزلت في الحرث بن نوفل بن عبد مناف

وقال

وقال منا تلد حين نزلت في ابي جهل وذلك ان طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد
ابن المغيرة فتحدثا في شان النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل والله اني
لاعلم انه لصادق فقال له ومه وما ذاك يمنعك ذلك قال يا ابا عبد شمس كنا سميه في
صباه الصادق الامين فلما تم عقله وكمل رشده سميناه الكذاب الخائن والله اني لاعلم
انه لصادق فقال له الوليد فما يمنعك ان تصدقه وتؤمن به قال سنتحدث عني بنات قريش
اني هذا اتبعت سيم ابي طالب من اجل كسيره واللات والعزى ان اتبعته ابدا فانزلت
وختم على قلبه وسمعه فزاله تعالى قالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى
هذا الكافر منهم للاخبار والتكذيب للبعث وابطال للجزاء وسيف نموت ونحيا كما
نموت نحن ونحيى اولادنا قاله السكلبي وقتادة ونحيى بضم النون وفتح الميم
بعضنا ويحيى بعضنا وقيل فيه تقديم وتاخير ايحيى ونموت وهي قراءة
ابن مسعود وما يهلكنا الا الدهر قال مجاهد بفتح السين واللام وقال قتادة اي
الحين والمعنى واحد وقد يجيء الزمن بمعنى الدهر وقال ابو عبيدة كان اهل الجاهلية يقولون
الدهر هو الذي يهلكنا ويحيينا ويميتنا فنزلت هذه الاية وقال
وما يهلكنا الا المرت واستشهد بقول ابي ذؤيب

"امن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع"

وقالت عكرمة وما يهلكنا الا الله ، وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم كان اهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا الا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا
ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر فقال الله تعالى يؤذيني ابن ادم

يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار فاذا شئت قبضتهما
فقال الله في اخره نحو لفظه وخرجه مسلم ايضا وابو داود وفي الطبراني
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم يا خيبة
الدهر فان الله هو الدهر وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الدهر من اسماء الله
وقاله من لم يجعله من العلماء اسما انما خرج ردا على العرب كما اخبر الله عنهم في هذه
الاية انهم كانوا اذا اصابهم ضر وضنك او مكروه نسبوا ذلك الى الدهر فنقيل لهم على ذلك
لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي ان الله هو الفاعل لهذه الامور التي تضيفونها
الى الدهر فيرجع السب اليه سبحانه فنهوا عن ذلك ودل على صحة هذا ما ذكرناه من
حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى
يؤذيني ابن ادم الحديث ولهذا حسن من قال وهو ابو علي الثقفي

يا عاتب الدهر اذا بدا له لا تظلم الدهر على عذره
الدهر ما مر له امره ينتهي الدهر الى امره
كم كافر سوا له وجهه بزكا اذا صح فا على كفره
وهو من ليس له درهم يزداد ايمانا على فقره

وروي ان سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيرا ما يذكر الدهر فوجه اليه ابوه فقال له
ابالك يا بني وذكر الدهر واستشهد

في الدهر ما لحاني لشيء لحسه ولا جالب البلوى فلا استشم الدهرا
ولكن متى ما ينتضت الله باعثا على معشر يجعل منابسيرهم عسرا

وقالت ابو عبيدة ناظرت بعض الملحدة فقال لا ازاه يقول قال الله هو الدهر
فقلت وهل كان احد يدعي الله في اثر الدهر بل كانوا يقولون كما قال الاعشى

ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا مهلا
اسئل شانه بالوفا ولا بعد ولي الملامة الرجلا

قال ابو عبيد ومن شان العرب ان يذموا الدهر عند المصايب والنوايب حتى ذكروه
في اشعارهم وشبهوا الاحداث اليه قال عدي بن زيد

رمتني بنات الدهر من حيث لا ادري فكيف بمن يرمي ويسهد يرام
فلو انها نبل اذا لاتقيتها ولكنني ارمى بغير سهام

على الراحلين مرة وعلى العصى ابو ثلثا بعد فقد فما بيا
وشله كثير في الشعر ينسبون ذلك الى الدهر ويضيفونه اليه والله سبحانه انما عذلا رب سوآه وما لهم
بذلك من علم انما هو عن راية ابية قالوا ما كنا شاكين ان قولهم لا يظنون انما

ما لهم الا يتكلمون بالظن وكان المشركون اصنافا منهم هود ومنهم من كان ينكر الصانع
وينكر البعث ومنهم من كان يشك في البعث ولا يقطع بانكاره وحدث في الاسلام
اقوام ليس يمكنهم انكار البعث خوفا من المسلمين فيتأولون ويرون البتة موت
البدن ويرون الثواب والعقاب بالجسمانيات تصح للارواح بزعمهم فشر هؤلاء اضر
من شر جميع الكفار لانهم هؤلاء يلبسون تمويها الحق وبغير تلبسهم الظاهر والمشرك
المحض يشركه بحذره المسلم وقيل يموت ويحيا اثارنا فهذه حياة الذكر وقيل
انه رد الى البنت سخ ايه يموت الرجل فيجعل روحه في موات فتحيا به قوله تعالى
واذا تتلى عليهم ايانا بينات ايه واضحات على نفوا المشركين ايانا المنزلة في جواز
البعث لم تكن ثم دفع الاان قالوا ايتوا بابائنا حجتهم حيث كان والاتم الاان قل ائتوا
ايتوا بابائنا الموتى شاهدين لهم عن صدق ما يقولون فرد الله عليهم بقوله قل الله
يحييكم بعد كونكم نطفا امواتا ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة منه كما احياكم في
الدنيا ولكن منه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله يعيدهم كما بدأهم الذي يحشرهم
فان قلت لم سمي قوله حجة وليس بحجة قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته
وسماه حجة سمي فتها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانهم في حسبانهم وتقديرهم
حجة او لانه ورد على اسلوب قوله تحيته بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا هاتين
بحجة والمراد نفي ان يكون لهم حجة البتة فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم
جوابا لقولهم ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وجحدوا
ان ما قالوه قوله مبكت الزموا ما هم مقرون به من ان الله عز وجل هو الذي يحييهم
ثم يميتهم وجر الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان استصغوا واصغوا الى داعي
الحق وتصور بحصولهم الى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الانبعاث
ايضا منهم وكان الصوت شاهدا عليه قوله تعالى ولله ملك السموات والارض الآية ملكا
ويوم تقوم الساعة يوم يبعث الخلق للجزاء منصوب بيخسر ويوم مبتدأ
ثكر بدلان كيد او بدل وقيل ان التقدير ولله الملك يوم تقوم الساعة والعامل في يومئذ
يخسر ومعنى يخسر يحشر والمعنى يحشرون منازلهم في الجنة فوق ما في النار وتزيد
كل امة جاثية اي من هول ذلك اليوم والامة هنا اهل كل ملة ومن الى بنا وبلاك
خمس الاول قال ابن عباس هو مستوفره وقال سعيد بن المسيب قدر الذي لا يغيب الارض
منه الا ركبتاه واطراف انامله الضحاك ذلك عند الحساب الثاني بجثمة قاله ابن عباس
المعنى المعني وتزيد اهل كل دين بجثمتين الثالث مميزة قاله عكرمة الراجح خاضعة
بلغة تميم قاله مورخ الخامس باركة على الركب قاله الحسن والحشر الجلوس
على الركب حين ركبتيه يحشرا ذا حشى حشوا وحشيا على فعول وفعيل
وقد حشي بن مزيم والحمد لله واصل الحشر الجمع عن مقاتل كل شيء قال طرفة نصف قرين
بيديه حشر يبث من تذاب عليهما صفي يحم صفحه مصدم ثم قيل لهذا حاص بالكفار
قاله يحيى بن سلام وقيل انه عام للمؤمن والكافر انتظارا للحساب وقد روى سفيان
ابن عيينة عن عمرو عن عبد الله ان ناسا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قال كانكم
اراكم باركوم حاثين دون جهنم ذكره الماوردي وقال سيلقى ان في يوم القيامة
لساعة ثم عشر ساعات يخبر ان من فيها حثاة على ركبهم حتى ان ابراهيم عليه السلام
لينادي يا رب لا اسالك اليوم الا نفسي كذا منذ عصيتني اني كنت بها قال يحيى بن سلام الحسنى
وقيل اني كنت بها الذي كانت بنت سخ لها فيه ما عملت من خير وشر قاله مقاتل
وهو معنى قول مجاهد وقيل كتابها ما كتبت الملائكة عليها وقيل كتابها المنزل عليها
لينظر هل عملوا ما فيه وقيل الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ وترى يستنسخ
الحضري كل امة بالنصب بدلا من كل الاولى ما في الثانية من الاستدراك الذي
ليس في الاولى اذ ليس في حشو كل شيء ما حال سرح الحشر كما في الثانية من ذكر السبب
الداعي اليه وانتصبوا بدعا وهو الذي كنت بها وقيل انتصب باعمال يدين مضمرا والوقف
على الانبذا اليوم يجزون ما كنتم تعملون من خيرا وشر قوله تعالى
هذا كتابنا قيل من قول الله لهم وقيل من قول الملائكة ينطق عليكم بالحق
اي بشهد وهو استعارة يقال نطق الكتاب بكذا اي بين وقيل انهم تستنسخ
يقولون فيذكرهم الكتبة ما عملوا فكانه ينطق عليهم دليله قوله يا ويلتنا مال

هذا الكتاب ٢ بما دون هكذا ٢ الا كبيرة الا احصاها في المومنين ولدينا كتاب ينطق بالحق
وهم ٢ يظلمون وقد تقدم وينطق في موضع الحال من الكتاب او من ذا او حيزت ان
كنا ٢ او تكون كنا سبنا بدلا من هذا او ينطق الخبر ان كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
ابن ما سنسخ ما كنتم تعملون قال علي رضي الله عنه ان لله ملائكة ينزلون كل
يوم بشي يكتبون منه اعمال بني ادم وقال ابن عباس ان الله وكل ملائكة مطهرين ينسخون
من ام الكتاب في رمضان كل ما يكون من اعمال بني ادم فيما رضوت حفظه الله على العباد
كل خميس وليلة وما جاء به الحفظة من اعمال العباد مرافقا لما في كتاب بهم الذين استحقوا
من ذلك الكتاب ٢ زيادة بينه ٢ ونقصانا قال ابن عباس وهل تكون النسخ الا من كتاب
الحسنات بينسخ ما كتبته الحفظة على بني ادم ٢ ان الحفظة ترفع الى الخزنة صحائف
اعمال وقيد بتمام الحفظة كله يوم ما كتبوا على العبد يوم اذا عاد والى مكانهم نسخ منه
الحسنات والسيئات ولا تخرج المناجات الى النسخة الثانية وقيد ان الملائكة اذا رفعت
اعمال العباد الى الله عز وجل اصربات تثبت عندها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط
من جملتها ما لا ثواب فيه ولا عقاب فقوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ابي الجنة ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا
افلم تكن اياتي تتلى عليكم ابي يقال لهم ذلك وقيل اسقطها من قوله فكنتم قوما مجرمين ابي
فيها وكنتم قوما مجرمين ابي مشركين بكسبون المعاصي بقال فلان حريمة اهله
اذا كان كاسبهم فالمجرم من اكتسب نفسه المعاصي وقد قال سبحانه افنجعل المسلمين
كالمجرمين فالمجرم ضد المسلم فمعنى المذنب بالكفر اما قوله تعالى واذا قيل ان
وعد الله حق ابي البعث كائن والساعة لا ريب فيها وقرا حمزة والساعة بالنصب
عطفا على وعد الله وقد الباقون بالرفع على الابتداء والعطف على موضع ان وعد الله ولا يحسن
على الضمير الذي في المصدر لانه غير موكد والضمير المرفوع انما يعطف عليه بعد ما تكيد
في الكلام فلما لم يوجد ما الساعة تمنة هذا فهي حق ام باطلا ان نظن الا ظنا نقتدي به عند
المبرد ان نحن الا نظن ظنا وقيل التقدير ان نظن الا انكم تظنون ظنا وقيل ابي وقلتم
وقلتم ان نظن الا ظنا وقيل التقدير ان نظن الا انكم تظنون ظنا وقيل ابي وقلتم ان
نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ان الساعة اتية قوله تعالى وبدا لهم سيات
ما عملوا وحاق بهم ابي نزل بهم واحاط ما كانوا به يستهزؤن من عذاب الله قوله تعالى
وقيل اليوم ننساكم ابي نترككم في النار كما نسيتم لقاء يومكم هذا ابي تركتم العمل وماواكم
النار ابي مسكنكم ومستقركم وما لكم من ناصرين من يمنعكم قوله تعالى ذلكم
بانكم اتخذتم ايات الله هزوا بمعنى الاستهزاء وغرتكم الحياة الدنيا ابي خدعتكم
بالباطل وزخرفها وظننتم ان ليس ثم بعث فاليوم لا يخرجون منها
ابي من النار ولا هم يستعتبون يسترضون وقد تقدم وقرا حمزة والكسائي فاليوم
لا يخرجون منها بفتح الياء وضم الراء على فعل الله تعالى كما اراد وان يخرجوا منها اعيدوا
فيها الباقون بضم الياء وفتح الراء على فعل الفاعل ربنا اخرجنا منه ونحوه قوله تعالى
فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وقرا مجاهد وحميد وابن محيصن رب
السموات ورب الارض رب العالمين بالرفع فيها كلها على معنى هو رب وله الكبرياء
ابي العظمة والجلال والبقاء والسلطان والقدرة والكمال في السموات والارض
وهو العزيز الحكيم

سورة الاحقاف مكية في قول جميعهم وهي اربع وثلثون ايه

وقيل خمس بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تقدم ما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق تقدم ايضا واجل مسمى بيني القيمة في قول ابن عباس وغيره
وهو الاجل الذي ينتهي اليه السموات والارض وقيل انه لاجل المقدور لكل
مخلوق والذين كفروا عما انذروا حوفوه معرضون هولون لا يفرون غير مستعدين
له ويجوز ان يكون ما مصدرية ابي عن انذارهم ذلك اليوم قوله تعالى قل
ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض الى قوله صادقين فيه
خمس مسايل الاولى قوله تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون الله ابي ما تعبدون
من الاصنام والاوثان من دون الله اروني ماذا خلقوا ابي هل خلقوا شيئا من الارض

ام لهم شرك ايه نصيب في السموات ايم في خلق السموات ام اتيناهم بكتاب من قبل
هذا القرآن الذي تتلقفون في اوائله من علم فراءة الجن اوائله
بالف بعد الف قال ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم هو خط كان لحظه
العرب هذا الارض ذكره المسعودي قال كان نبي من الانبياء ولم يبق ومن يشبه الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك
ولم يبق ايضا قلت فهو ثابت من حديث معاوية بن الحكم السلمي خرجه مسلم في
واسند البيهقي عن حدثنا محمد بن احمد بن يعرف بالخدري قال حدثنا ابن قال حدثنا
يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري عن صفوان بن سليم عن ابي سلمة عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل او اثارة من علم قال
الخط وهذا صحيح قال ابن العربي واختلفوا فيه وليه منهم من قال جاء
لنا هذا الضرب لان بعض الانبياء كان يخطه ومنهم من قال جاء للنهي عنه لانه صلى
الله عليه وسلم قال فمن وافق خطه فذاك والسبيل الى معرفة طريق النبي
المتقدم مفقود فذا السبيل الى المعدوم

* لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع *

وحققته عند اربابه بجمع اجزاء صور الكواكب فتدل ما يخرج منها على ما تدل
عليه تلك الكواكب من سعد او نحس يجدونهم مطابقا بينا على ظن وتخلف
يا مرعاب قد درست طريقته وفات تحقيقه وقد سهلت الشريعة عنه واخبرت
ان ذلك مما اختص الله به وقطعه عن الخلق وان كانت لهم قبل ذلك اسباب
يتخلفون بها عن درك الاشياء المغيبة فان الله قد رفع تلك الاسباب وطمس تلك
الابواب وانفرد بنفسه بعلم الغيب فلا يجوز لنا ان نتعرض في ذلك ولا يحل لنا قصد غيره
وطلبه عنا لو لم يكن فيه نهي قاطع وقد ورد النهي فطلبه معصية او كتعاطي قصد
الطالب قلت ما اختاره هو قول الخطابي قد صح واتفق حفظه فذاك هذا يحتمل
الوحي اذ كان على نبوته وقد انقطعت فنهينا عن التعاطي لذلك قال
القاضي عياض هذا الاظهر من اللفظ خلاف هذا وتقويب حظ من يوافق
حظه لكن حتى ان نعلم الموافقة والشرع منع من التعرض وادعاء الغيب جملة
فان معناه ان من وافق حظه فذاك الذي يجيء ان اصابته لا انه يريد اباحة
ذلك لنا عملا بما تاوله بعضهم وحكي مكي في تفسير قوله كان نبي من
الانبياء يخط باصبعه السبابة والوسطى من الرسل ثم يحدث وقال ابن عباس
في تفسير قوله ومن الرجال يخطون هو الخط الذي يخطه الحازي يخطه خطوطا
فيقول اقعد حتى احط لك وبين يدي الجارية غلام معه ميل ثم يأتي الى
ارض رخوة فيخط ثم يستدخل خطوطا صغيرة ليلا يلحقها العدد ثم يرجع فيمحو
على مهل خطين خطين فان بقي خطان فهو علامة وان بقي خط فهو علامة
الخيبة قال ابن العربي ان الله سبحانه لم يبق من الاسباب الدالة على الغيب التي
اذن في التعلق بها والاستدلال منها الا الرؤيا فانه اذن فيها واخبر انها جزء من
النبوة وكذلك الفال واما الطيرة والزجر فانه نهى عنهما والفال هو الاستدلال
بما يسمع من الكلام على ما يريده من الامر اذا كان حسنا فاما سمع منكرا وفاء
منهم تنظير امره الشرع بان يفرح بالفال ويمضي على امره مسرورا واذا سمع
المكروه اعرض عنه ولم يرجع لاجله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا طير
الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك وقد روي بعض الادباء فاعل الفال والزجر
والكهان كلهم مضللون ودون الغيب اقفال فهذا الكلام صحيح الا في الفال
فان الشرع استثناه وامر به فلا تقبل من هذا الشاعر

* ما سطره فيه فانه الكلام بجهله وصاحب الشرع اعلم واصدق واحلم *

قلت قد مضى بين الطيرة والفال وبين الفرق بينهما ما يكفي في المائدة وغيرها
ومضى في الانعام ان الله سبحانه استاثر بعلم الغيوب وان احدا لا يعلم من ذلك
الا ما اعلمه الله او يحصل بعلم ذلك دلالة عادية يعلم بها ما يكون على حسب
العادة فقد تخلف مثال له اذا راى بحدة فلا اظلمت فانه يعلم انها ستمطر واذا
راها قد تنا تر طلعها علم انها لا تمطر وقد يجوز ان يأتي عليها افة تمنع تمطيرها

فلا

فلا تشتر كما انه جايز ان يكون النخلة التي قد تنا تر طلعها بطلع الله فيها طلعا ثانيا
فتشتمر وكما انه جايز ايضا ان لا يبلي شهر شهر ولا يوم يوم ان اراد الله افنا العالم
ذلك الوقت الى غير ذلك مما تقدم في الايمان مر بيانه الرابعة قال ابن حواد مداد قوله
تعالى واثاره ما عن علم يريد الخط وقد كان سالك يحكم بالخط اذا عرف الشاهد خطه
واذا عرف الحاكم خطه او خط من كتب اليه حكم به ثم رجع عن ذلك حين ظهر في الناس
ما ظهر من الحسل والمرود وقد روي عنه انه قال لجدت الناس مجورا فيجدث
لهم اقضيه فاذا اذا شهد الشهود على الخط المحكوم به مثل ان يشهدوا ان هذا
خط الحاكم وكتابه اشهدنا على ما فيه وان لم يعلموا ما في الكتاب وذلك الوصية
او خط الرجل باعتراف منه لغيره يشهدون انه خطه ونحو ذلك فلا يختلف
مذهبه انه يحكم به وقيل اواثاره ما عن علم او غيبه من علم قاله ابن عباس والكلبي
وابو بكر وابن عباس وعبيدهم وفي الصحاح اواثاره ما عن علم يغيبه منه وكذلك الاثره
بالتحريك وتقول سمعت الابل على اثاره ابه بفتحتين شحم كان فيه ذلك واستشهد الماوردي
والثعلبي بقول الراجز وذات اثاره اكلت عليها نيا فاني اكمنه فصاراه وقال
الهروية والاثاره والاثر البقيه يقال ما تم عين ولا اثر وقال ميمون بن مهران
وابو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة اواثاره من علم خاصة من علم وقال
مجاهد رواية نشاورونها ممن كان قبلكم وقال عكرمة ومقاتل رواية عن
الانبيا وقال الغرطبي وهو الاستنباط الحسن المبين بشيا واويستخرج وقال
الزجاج اواثاره ايه علامة والاثاره مصدر كالنسخة والنسخة عند واصل
الكلمة من الاثر وهي الرواية يقول اثرت الحديث اثره واثارة فانا اثر
اذا ذكرته عن غيرك ومنه قيل حديث ماثور نقله خلف عن خلف قال الاعشى

* * ان الذي فيه تمارينا للسامع والاشره *

ويروى بين وقد يجي اواثره بضم الهمزة وسكون الثا ويجوز ان يكون معناه
بقيه من علم ويجوز ان يكون معناه سبب ما ثورا من كتب الاولين والماثور
ما يتحدث به ما صح سنده عن يحدث به وقرا السلمي والحسن وابو رجا بفتح الهمزة
واثا من غير الف ايه خاصة من علم او سمعوها اواثر ثموها على غيركم وروي
عن الحسن ايضا وطايفة اثره بغير الف ساكنة الثا ذكر الاول الثعلبي
والثاني الماوردي وحكى الثعلبي عن عكرمة او ميراث من علم ان كنتم صادقين
الخامسة قوله تعالى أئتوني بكتاب من قبل هذا اواثاره من علم فيه بيان
مسالك الادلة وسبيلها والمقصود وهو قوله تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون
الله ارونيه ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات وهو احتجاج بدليل
العقل في ان الجماد لا يصح ان يدعى من دون الله فانه لا يضر ولا ينفع ثم قال ايتوني
بكتاب من قبل هذا فيه بيان ادلة السمع اواثاره من علم قوله تعالى ومن اضل
ممن يدعوا من دون الله ايه لا احد اضل واجهل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب
له الى يوم القيمة وهي الاوثان وهم عن دعايهم غافلون بعيث لا يسمعون ولا
يفهمون فاحتجها او فيها جماد يحتج ذكورها بني آدم اذ قد مثلتها عبدتها بالملوك
والامرا الذين يحتمل قوله تعالى واذا حشر الناس كانوا لهم اعدا
ايه وهو لا المعبودون اعدا الكافرين يوم القيمة منه فما الملايكة اعدا الكفار والجن
ما شك طين يرون غدا من عبدتهم ويلعنونهم بعضهم بعضا ويجوز ان تكون الاصنام
للكفار الذين عبدوها اعدا على تقدير خلق الحيوة لها دليله قوله تعالى ايه بنزان
السبك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل عبادا وا معبودا لانهم لانهم كانوا يعبدونهم فهلا كونهم
ويجحدوا المعبودون عبادتهم وهو قوله وكانوا بعبادتهم كافرين قوله تعالى
واذا تتلى عليهم ايانا بينات يعني القرآن قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا
سحر مبين قوله تعالى ام يقولون افتراه الميم صلة التقدير ايقولون

افتراه ابو بقوله محمد وهو اضراب عن ذكر شبههم الايات سحرا ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجيب كأنه قال ادع بعد اذ سمع قولهم المستنكر المقتضي منه العجب وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ومعنى قدر على الله ولوقدر عليه دون امة العرب لكانت قد رتبه معجزة لخرقها العادة فلا يكون مفتريا والمعجز للحق والمراد بالايات قيل ان افتريته على سبيل الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اي لا يقدر ان يملي ان يدفعوا عني عذاب الله فكيف افتريه على الله لا حكم فهو اعلم بما يفيضون فيه ابو يقولون عن سعي فيه وقيل جعلوه خوضا فيه من التكذيب والافاضة في الشيء الخوض فيه والاندفاع افاضوا في الحديث اي اندفعوا فيه وافاض البعير ابو دفع جرته من كرشه فاخرجها ومنه قول الشاعر

* وافضن بعد كظومهن بجرة وافاض الناس من عرفات ابي سيبويه *

اذ دفعوا وكل دفعة افاضة كفى بربي شهيدا نصب على التمييز بيني وبينكم ابو هو يعلم صدقي وانكم مبطلون وهو للمتوبة لمن تاب الرحيم بعبادة المؤمنين في قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل اي اول من ارسل فقد كان قبلي رسل عن ابن عباس ومجاهد والبدع الاول وقد ابدعكرمة ومجاهد بدعا بفتح الدال على تقدير حذف المضاف والمعنى ما كنت صاحب بدع وقيل بدع وبديع بمعنى مثل نضف ونضيف وابدع الشاعر

* حيا بالبديع وشي بديع بالكسر اي مبتدع وقيل بديع وبديع وفلان بدع * في هذا الامر اي بديع وقوم ابداع عن الاخفش وانشد فطرب فزل عن يديه * ابن زيد * وقلا ادري من احداث يعني بي رجالا حدثت من بعد نوح بما اعلم ما يفعل بي وبكم بل يوم القيمة ولما نزلت فرح المشركون واليهود والمنافقون وقالوا كيف تتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا والله لا نفضل نحن عليه ولا انه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه لا خبره الذي بعث ما يفعل به فنزلت ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فسخت هذه الاية وارغم الله انف الكفار وقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله لقد بين الله ما يفعل بك فقلنا شعرى ما يفعل بنا فنزلت ليدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار الاية ونزلت وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا انا له اشتى وابن عباس فتنا ذه والحسن وعكرمة والضحاك وقالت ام العلاء امراة من الانصار اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان بن مظعون فمرض عندنا حتى اذا توفي وجعناه ابيا ثنا فكفن في فقلت رحمة الله عليك ابا السائب اني اشهد ان الله اكرمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله اكرمه فقلت بابي انت وامي يا رسول الله فمن قالها يغفر له ومالي الا خيرا فوالله لا ازكي بعده احدا ابدا ذكره الثعلبي وقالت ما قالت هذا حين لم تعلم بغفران ذنبه فانما عقد الله له ذنبه في غزوة الحديبية فنزل سورة بالفتح بشيرة قلت حديث ام العلاء اخرجه البخاري وزوائده فيه وما ادري ما يفعل به ليس فيه بي ولا بكم وروى الصحيح ان شاء الله على ما بينته بيانه والاية ليست بمنسوخة لانها خبر قال النحاس يحال ان يكون في هذا نسخ ولا منسوخ من جهتين احدهما انه خبر والاخر انه من اول السورة الى هذا الموضع خطاب للمشركين واحتجاج عليهم وتوبيخ لهم فوجب ان يكون هذا ايضا خطابا للمشركين كما كان قبله وما بعده ومحال ان يقول صلى الله عليه وسلم للمشركين ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة ثم ينزل صلى الله عليه وسلم من اول سبعة الى وفانه محال ان مات على الكفر مخلد في النار ومن مات على الايمان واتبعه واطاعه فهو في الجنة فقد راى صلى الله عليه وسلم ما يفعل به ويفعل في الاخرة وليس يجوز ان يقال لهم ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة فيقولوا كيف يتبعك وانت لا تدري ما يصير الى خفض ودعه اي الى عفو وعذاب والصحيح في الاية قول الحسن كما

قدمه

قدم علي محمد بن جعفر بن حفص عنه يوسف بن موسى قال كدثنا وكيع قال
حدثنا ابو بكر الهذلي عن الحسن وما ادريه ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا قال ابو جعفر
وهذا اصح قول واحسنه ما يدريه صلى الله عليه وسلم ما يلحقه وايا هم من مرض وصحة
ورخص وغلا وغنى وفقر ومثله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني
السوء ان انا الا نذير وبشير وذكر الواحدي وغيره عن الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رايته في
المنام انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر وما فقصها على اصحابه فاستبشروا
بذلك وروايتها فرح بها من اذى المشركين انهم مكثوا بعدها يسيرا وقالوا
ذلك فقالوا يا رسول الله متى نهاجر الى الارض التي رايت فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله تعالى وما ادريه ما يفعل بي ولا بكم يعني لا ادري اخرج
الى الموضع الذي رايته في منامي ام لا ثم قال اني هوشي رايته في منامي فما اتبع
الا ما يوحى الي ايه لم يوح الي ما اخبركم به ثم قال للمشركين بعقبي ذلك الامنع في
الارض وقيل المعنى ادريه ما يفترض علي وعليكم من العزائم والحدود والطريق ان
يكون المعنى ما ادريه ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا اتموتون ام يكفرون ام يجلون
بالعذاب ام يرجمون قلت وهذا معنى قول الحسن والسدي وغيرهما قال الحسن
ما ادريه ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا اما في الاخرة فقد علم انه في الجنة حين
اخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال ما ادريه ما يفعل في الدنيا اخرج كما خرجت
الانبيا او اقتل كما قتلت الانبيا قبلي ولا ادريه ما يفعل بكم ايستني المصدقة ام المكذبة
ام اسخني الممسخة بالحجارة من السما قذفا او يخسف بها خسفا ثم نزلت هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله بشرى بيظهر دينه على
الاديان ثم قال في امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فاخبره الله تعالى بما يفتح
به وما ستفتح على هذه الامة والحمد لله وقال الضحاك ايضا ما ادريه ما يفعل بي ولا بكم
اي ما يؤمر به وينهى عنه وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول للمؤمنين
ما ادريه ما يفعل بي ولا بكم في القيمة ثم بين الله تعالى ذلك في قوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وبين في بعد ذلك حال المؤمنين ثم بين
حال الكافرين قلت وهذا معنى القول الاول الا انه اطلق فيه النفي بمعنى
البيان والله اعلم ان يقول ذلك للمؤمنين والصحيح ما ذكرناه عن الحسن وغيره
وما يفعل يجوز ان يكون موصولة وان تكون استفهامية مرفوعة ان اتبع
الا ما يوحى الي ان انا الا نذير مبين وقد يوحي ايه الله عز وجل فقدم في غير
موضع قوله قل ارايتم ان كان من عند الله يعني القرآن وكفرتم به
وقال الشعبي المراد محمد صلى الله عليه وسلم وشهد شاهد من بني اسرائيل
قال ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة وهي قد هو عبد الله بن سلام
شهد على اليهود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكور في التوراة وانه
نبي من عند الله وفي الترمذي عنه ونزلت في ايات من كتاب الله تنزلت
في وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي
القوم الظالمين وقد تقدم في اخر سورة الرعد وقال مسروق فهو موسى في
التوراة ابن سلام لانه اسلم بالمدينة والسورة مكية وقال وقوله وكفرتم به
حي طنبة لقريش الشعبي فهو من امن من بني اسرائيل كموسى والتوراة لان
ابن سلام انما اسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين والسورة
مكية قال الشعبي ايه ومن قال التي تقدمه موسى قال السورة مكية واسلم
ابن سلام قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بعامين ويجوز ان تكون الاية نزلت
بالمدينة وتوضع في سورة مكية فان الاية كانت تنزل فيقول النبي صلى الله عليه
وسلم ضعوها في سورة كذا والاية في محاجة المشركين ووجه الحجة انهم كانوا
يراجعون اليهود في اشيا ايثبتها دتهم لهم وشهادة نبيهم لي من اوضح الحجج ويبعد
ان تكون السورة في محاجة اليهود ولما جا ابن سلام مسلما من قبل ان تقدم
اليهود يا سلامة قال يا رسول الله اجعلني حكما بينك وبين اليهود فان لهم عندنا

ايه رجل فيكم قالوا سيدنا وعالمنا فقال انه قد امن بي فاس واالقول فيه
الحديث وقد تقدم قال ابن عباس رضيت اليهود بحكم بن سلام وقالت للنبي
صلى الله عليه وسلم ان يشهد لك امثالك فنقبل فشهد ثم اسلم على مثله ابى على
مثل ما جيتم به فشهد موسى على التوراة وعيسى على الفرقان وقال الجرجاني مثل صلة
وشهد شاهد عليه من عند الله قال ابن ابي هذا الشاهد واستكبرتم انتم عن الايمان
وجواب ان كان محذوف تقديره قد امن ابو مسلم قاله الزجاج وتنبيه قد امن واستكبرتم
اليس قد ظلمتم بينه ان الله لا يهدي القوم الظالمين وتنبيه قد امن واستكبرتم اغير مؤمنون
عذاب الله وارايتم لفظ مرجزع للسؤال والاستفهام ولذلك لا يقتضي مفعولا وحكى
الفراء وعيزة ان في الانباء تقديما وتاخيرا وتقديره قل ارايتم ان كان من عند
الله وشهد شاهد من بني اسرائيل قد امن به وكفرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اختلف
في سبب نزولها على اقوال احدها ان ابا ذر الغفاري رب دعاه النبي صلى الله
عليه وسلم الى الاسلام بمكة فاجاب واسلم رهطه فاتاه زعيمهم فاسلم بعد دعائهم
الزعيم فاسلموا بقي ذلك قريش فقالوا لغطفان واخلفنا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
فنزلت بهذه الاية قاله ابو المتوكل الثاني ان زنيرة اسلمت فعيب بصرها فقالوا
لها اصابك اللات والعزى بمد الله عليها بصرها فقال عظماء قريش لو كان ما جاء
به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فانزل الله عز وجل هذه الاية قاله عروة بن الزبير
الثالث ان الذين كفروا هم بنو عامر وغطفان وتميم واسد وحنظلة واشجع
قالوا لمن اسلم من غفار واسلم وجهينة ومزينة وخزاعة لو كان ما جاء به محمد خيرا
ما سبقتنا اليه رعاة البهم اذ تخلفوا عن منهم قاله الكلبي والزجاج وحكاه القشيري
عن ابن عباس وقال قتادة نزلت في مشركي قريش وقالوا لو كان ما يدعونا اليه
محمد خيرا ما سبقنا اليه بلال وصهيب وعمار وفلان وفلان وهو القول الرابع
الخامس ان الذين كفروا من اليهود قالوا للذين امنوا من اسلافهم كعبد الله بن سلام
واصحابه لو كان دين محمد حقا ما سبقونا اليه قاله اكثر المفسرين حكاه الثعلبي وقال
مسروق ان الكفار قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليهود فنزلت هذه الاية وهذه
المعارضة من الكفار في قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه من اكبر المعارضات بانتقالها عليهم
لعلمهم من خالفهم حينئذ بقال لهم لو كان ما اثرتم عليه خيرا ما عدلنا عنه ولو كان تكذيبكم للرسول
خيرا ما سبقتمونا اليه ذكره الماوردي ثم قال قولهم ما سبقونا اليه يحتمل ان يكون من
قول الكفار لبعضهم المؤمنين ويحتمل ان يكون على الخروج من الخطاب الى الغيبة
كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها فلم يهتدوا بالقرآن
يعني الايمان وقيل القرآن وقيل محمد صلى الله عليه وسلم فسيقولون هذا افك
قديم اي لما لم يصيبوا الهدى بالقرآن ولا من جاء به عادوه ونسبوه الى الكذب وقالوا هذا
افك قديم ومثله بدكتبر ابا لم يحيطوا بعلمه قوله تعالى من قبله اي ومن قبل
القرآن كتاب موسى ابو التوراة اماما يقتدى به ورحمة من الله وفي الكلام حذف
حذف انه فلم يهتدوا به وذلك انه كان في التوراة بعث النبي صلى الله عليه وسلم
والايمان به فتركوا ذلك واما نصب على الحال لان المعنى وتقدم كتاب
موسى اماما ورحمة معطوف عليه وقيل انتصب باضمار فعل اي انزلناه اماما ورحمة
وقال الاخفش على القطع لان كتاب موسى معرفة بلا اضافة لان النكرة اذا
اعيدت اضيفت او ادخل عليها الف ولام صارت معرفة وهذا كتاب يعني
القرآن مصدق يعني التوراة ولما قبله من الكتب وقيل مصدق للنبي صلى الله
عليه وسلم لسانا عربيا منصوب على الحال اي مصدقا لما قبله عربي ولسان
توطئة للحال ايذانا كيد الكلام جاء زيد رجلا صالحا فبين كرر رجلا تاكيدا وقيل
ينتصب باضمار فعل تقديره وهذا كتاب مصدق اعني لسانا عربيا وقيل ينتصب
باسقاط حرف الخفض تقديره بلسان عربي وقيل ان لسانا منصوب والمراد به النبي
صلى الله عليه وسلم اي وهذا كتاب مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم لانه
معجزته والتقدير مصدق ذا لسان عربي فالسان منصوب بمصدق وهو
النبي صلى الله عليه وسلم وبعيد ان يكون اللسان القرآن لان المعنى يكون

يصدق

يصدق نفسه لينذر الذين ظلموا قرأ العامة فينذر بالياء خبرا عن الكتاب اي
لينذر الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية وقيل هو خبر عن الرسول صلى الله
عليه وسلم وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر والبزي بالتاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم
على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انما انت منذر وبشير للمحسنين
ببشرى هي رفع رفع اي وهو بشرى وقيل عطف على الكتاب اي وهذا كتاب
مصدق وبشرى ويجوز ان يكون منصوبا باسقاط حرف الخفض اي لينذر الذين
ظلموا وللبشرى قلى حذف الى فقد نصب وقيل على المصدر اي وبشر المحسنين بشرى
قلى حبل مكان وبيشر بشرى او بشارة نصب كما تقول انبتك زورك وكرامة
لك وفضلا لحسنك بعين زورك واكرمك وافضل حسنك فبصب الكرامة بفعل مضمر
قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تقدم معناها وقال
ابن عباس نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه والاية نعم حرا نصب على
المصدر قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى قوله والمسلمين
فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا بين
الاختلاف حال الانسان حتى ابويه فقد يطيعهما وقد يخالفهما ايه فلا يستدل
بهذا في حق النبي صلى الله عليه وسلم ونومه حتى يستحب له البعض ويكفر البعض
فهذا وجه النظر لا الكلام بعضه ببعض قال له القشيري الثانية قوله حسنا
قرأ العامة حسنا وكذا هو في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام وقرأ ابن
عباس والكوفيون احسانا وحجتهم قوله تعالى في سورة الانعام وبالوالدين
وبذوا الوالدين احسانا وكذا هو في مصاحف الكوفة وحجة القراءة الاولى قوله تعالى
في العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيها والحسن خلاف
القبيح والاحسان خلاف الاساءة والتوصية الامر وقد مضى القول في هذا وفيمن
نزلت الثالثة قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها اي بكره ومشقة
وقرأ العامة بفتح الكاف واختاره ابو عبيد قال وكذلك لفظ الكره في كل القرآن
بالفتح الا التي في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم ان ذلك اسم وهذه
كلها مصادر وقرأ الكوفيون كرها بالضم فيهما الفتاء مثل الضعف والضعف
والشهد والشهد قاله الكسائي وكذلك هو عند جميع البصريين وقال الكسائي ايضا
والفراء بين الضعف بينهما ان الكره بالضم ما حمل الانسان على نفسه والفتح ما حمل
على غيره اي قهرا وغصبا ولهذا قال بعض اهل العربية ان كرها بفتح الكاف
لحن الرابعة قوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا قال ابن عباس اذا
حملت تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين شهرا وان حملت ستة اشهر ارضعت
اربعة وعشرين شهرا وروي ان عثمان اتي بامراة قد ولدت لستة اشهر فاراد
ان يقضي عليها بالحد فقال له علي رضي الله عنه ليس ذلك عليها قال الله تعالى
وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين فالرضاع اربعة وعشرون شهرا والحمل ستة اشهر فرجع عثمان عن قوله
ولم يجد ها وقد مضى في البقرة وقيل لم يعد ثلثة اشهر في ابتداء الحمل لان الولد
فيها نطفة وعلقة ومضغة فلا يكون له ثقل يحس وهو معنى قوله تعالى ثقلت
حملا خفيفا فمرت به والتصاقل المظام وقد تقدم في لغات الكلام فيه،
وقرأ الحسن وبشر وعمرو وحمله بفتح الحاء وسكون الميم وروي ان الآية
نزلت في ابي بكر الصديق وكان حمله وفصاله ثلثين شهرا حملته امه ستة اشهر
وارضعته اخرى وعشرين شهرا وفي الكلام حذف ايه ومدة حمله ومدة فصاله
ثلثون شهرا وقوله هذا الاضمار نصب ثلثون على الظرف وسير المعنى انتهى
قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس ثمان عشرة سنة وقال في رواية
عطاء عنه ان ابا بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة
والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم ببدو الشام للتجارة فنزلوا
منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها وصعد ابو بكر الى راهب
هناك فسأله عن الدين فقال له الراهب من الرهط الذي في ظل الشجرة فقال
ذلك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال هذا والله نبي وما استظل احد

تختها لبعد عهبي فوقع في قلب ابي بكر اليقين والتصديق وكان لا يجاري رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اشاره وحضره فلما بني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ابن اربعين سنة صدق ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه ثم اسلم
وثلثين سنة فلما بلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي
وعلى والدي الاية وقال الشعبي وبن زيد الاشد الحلم وقال الحسن فعربلوغ
الاربعين وحسن منتهى الحجة عليه وثقه صحيح في الانعام الكلام في الاية وقال السدي
والضحاك نزلت في سعد بن ابي وقاص وثقه تقدم وقال الحسن فهي مرسلة نزلت
على العموم والله اعلم السادسة قال رب اوزعني ايه الهمني ان اشكر في موضع
نصب على المصدر اي ان اشكر نعمتك علي ما انعمت به علي من الهداية وعلى والدي
بالتمكن والشفقة حين ربياني صغيرا وقيل انعمت علي بالصحة والعافية وعلى
والدي بالعتق والنزوة وقال رضي الله عنه هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين ابواه غيره فاوصاه
الله بهما ولزم ذلك من بعده ووالده هو ابو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو
ابن كعب بن سعد ابن تيم وامه امراة الخير واسمها سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب
ابن سعد وام ابيه ام قحافة فسلمة بالياء المعجمة باثنتين من تحتها وام ابي بكر
اسمها قتيلة بالياء المهملة باثنتين من فوقها بنت عبد العزى وان اعمل صالحا
ترضاه قال ابن عباس فما جاء الله عز وجل بشيء من الموحدين بعد بوئ من
الله منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يدع ما من الخير الا عاونه الله عليه وفي
الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم
اليوم صائما قال ابو بكر انا قال فمن تبع منكم اليوم جنازة قال ابو بكر انا قال فمن اطعم
منكم اليوم مسكينا قال ابو بكر انا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن
في امرء الا دخل الجنة السابعة قوله تعالى واصلح لي في ذريتي ابي اصلح ذريته
حتى لحين قال ابن عباس فلم يبق له ولد ولا والد ولا والدة الا اسلموا لله وحده
ولم يكن لاحد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اسلم هو واباه وابناه وبناته
كلهم الا ابو بكر وقال سهل بن عبد الله المعنى اجعلهم لي خلفا صدق ولك عبيدا
حق وقال ابو عثمان اجعلهم ابرارا بي مطيعين لك فقال ابن عطاء منهم بصالح
اعمال يرضى بها عنهم وقال محمد ابن علي لا يجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم
سبيلا وقال مالك بن مغول اشتكى ابو معشر ابنه الى طلحة بن مصرف فقال له
استعن عليه بهذه الاية وتلى ربنا اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى
والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي ان بنت اليك واني من المسلمين
ابو بنت اليك قال ابن عباس رضي الله عنه عن الاثر الذي كنت عليه وابن من المسلمين
ايا المخلصين بالتوحيد قوله تعالى اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما
عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم قراءة العامة بضم الياء وفتحها ونتقبل ويتجاوز
بالنون فيهما الله عز وجل وقرا حفص وحمزة والكسائي بفتح الياء فيهما ايه يتقبل ويتجاوز
على ولفظه الاية تدل على ان الاية قبلها ووجبت الاستثناء الى آخرها مركبة نزلت
على العموم ويقوي قول الحسن ومعنى نتقبل عنهم ايه نتقبل منهم الحسنات
ويتجاوز عن السيئات قال زيد بن اسلم وبلغنا انهم اسلموا قبل حسناتهم
وغفرت سيئاتهم وتقبل الاحسن ما تقطن التراب من الطاعات وليس في الحسن
المباح ثواب ولا عقاب في اصحاب الجنة في بمعنى مع اي مع اصحاب الجنة تقول
اكرمك واحسن اليك في جميع اهل البلد اي مع جميعهم وعد الصدق نصبه لانه مصدر
مؤكد لما قبله اي وعدهم الله ذلك الا يتقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم
وعد الصدق وتضمن باب اضافة الشيء الى نفسه لان الصدق هو ذلك الوعد
الذي وعده الله وهو كقولك لفي اليقين وهذا عند الكوفيين فاما عند البصريين
فتقديره وعد الكلام الصدق والكتاب الصدق فحذف الموصوف وقد مضى
في مريم والذين كانوا يوعدون في الدنيا على السنة الرسل وذلك الجنة
فقوله تعالى والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج اي ان ابعث وقد

خلت

حكاية القرون من قبيلة قرآنا نافع وحفص وغيرهما اف بكسر ميم مئونة وقرأ ابن كثير وابن
محيصن والمتصل عن عاصم اف بالفتح من غير تنوين الباقون بالكسر غير منون وكلها
لغات وقد مضى في بني اسرائيل وقرأ العامة احد ابني بنوني تخفيف وفتح فاه
اهل المدينة ومكة واسكن الباقون وقرأ ابو جعفر والمغيرة وهشام أتعدانني بنون
واحدة مشددة وكذلك هي في مصاحف اهل الشام والعامة على ادغام الالف وفتح الدال
من ان اخرج وقرأ الحسن ونصر وابو العالية والاعمش وابو عمر بفتح الالف وضم الدال
قاله ابن عباس والسدي وابو العالية وهي قد نزلت في عبد الله بن ابي بكر رضي الله
عنهما وكان قد عرضوا ابواه الى الاسلام فيعرضهما بما اخبر الله عز وجل وقال قتادة والسدي
ايضا هو عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه وبعد انه بالبعث فرد عليهما بما حكاه الله
عز وجل عنه وكان هذا منه قبل اسلامه وروي ان عائشة رضي الله عنها انكرت
ان يكون نزلت في عبد الرحمن وقال الحسن وقتادة ايضا هي نعت عبد كافر عاق
لوالديه وقال الزجاج كيف يقال نزلت في عبد الرحمن قبل اسلامه والله عز وجل
يقول اولئك الذين حق عليهم القول اي العذاب ومن ضرورة عدم الايمان
وعبد الرحمن مؤمن فالصحيح انها نزلت في عبد كافر عاق لوالديه
وقال محمد بن زياد كنت عند معاوية ابي مروان حين تبايع الناس لابنه فقال
عبد الرحمن بن ابي بكر لقد جئتم بها قيصرية كلما مات قيصر قام قيصر
هو الذي يقول الله فيه والذي قال لوالديه اف لكما اتعداني فقال والله ما هو به
ولو شئت لسميت ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة
الله قال المهدوي ومن جعل الآية في عبد الرحمن كان قوله بعد ذلك اولئك الذين
حق عليهم القول يراد به من اعتقد ما تقدم ذكره قول الابن خاصة واضرابه عام
وقيل ان عبد الرحمن لما قال وقد خلت القرون من قبلي قال مع ذلك فاءت
عبد الله بن جدعان وابن عثمان بن عمرو وبن عامر بن كعب ومشايخ قريش
حتى اتنا لهم عيانا يتولون مقوله اولئك الذين حق عليهم القول يرجع الى اولئك
الامم قلت قد مضى من خبر عبد الرحمن بن ابي بكر في سورة الانعام عند قوله أحياء
بعد موتنا ابو الهدى ما يدل على نزول هذه الآية اذا كان كافرا وعند اسلامه وفضله
بعض الناس المراد بقوله اولئك الذين حق عليهم القول وهما يعني والديه بستغيثان
الله أبيه بيد تحرات الله بالهدايا وبستغيثان الله من كفره فلما صدق الخبر وصل
المعقل فشب وقبل الاستغاثة الدعاء فلا حاجة الى ما قال الفراء اجاب الله دعاءه
وعوافه وليك ان ابي صدق بالبعث ان وعد الله حق ابو صدق لا خلف فيه
فيقول ما هذا الا ما يقوله والذه الا اساطير الاولين ابو اجاذبتهم وما سطروه هما
لا اصل له اولئك الذين حق عليهم القول يعني الذين اشار اليهم ابن ابي بكر في قوله
اجيبوا الى مشايخ قريش وهم المعنيون بقوله وقد خلت القرون من قبلي
فاما ابن ابي بكر عبد الله او عبد الرحمن فقد اجاب الله دعاء ابويه في قوله واصلح
لي في ذريتي على ما تقدم ومعنى حق عليهم القول اي وجب عليهم العذاب
وقضي كلمة الله هزا في الجن والانس ونصبا في النار ولا اباك في ابراهيم ما امر فقد
خلت تقدمت ومضت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين لانهم الكافرة
كانوا خاسرين لاعمالهم ابو ضائع نصيبهم وخسروا الجنة وقوله ولكل
درجات اي ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والانس مراتب
عند الله يوم القيامة باعمالهم قال ابن زيد درجات اهل النار في هذه الآية دركات
سفلا ودرج اهل الجنة علو ولبيرفيهم اعمالهم فقرأ ابن كثير وابن محيصن وعاصم
وابو عمرو ويعقوب بالياء لذكر الله تعالى وقوله تعالى ان وعد الله حق واختاره
ابو حاتم التاء فوق بالتوحيد على قوله تعالى ورحيبا الآية بالتاء يعود الضمير وهو
اختيار ابي عبيد وهم لا يظلمون ابو لا يزاد على ما سبق ولا ينقص من حسن
قوله تعالى ويوم يعرض ابو اذكرهم يا محمد يوم يعرض الذين كفروا على النار
ابو يكشف الغطاء فيقربون من النار وينظرون اليها اذهبتم طيباتكم ابو
يقال لهم اذهبتم فالقول مضمر وقرأ الحسن ونصر وابو العالية ويعقوب وابن كثير
الا اذهبتم بهمزتين مخففتين واختاره ابو حاتم ومدا ابو جعفر ونافع اذهبتم بهمزة

بهمزة واحدة مطولة على استفهام الباقون بهمزة واحدة من غير مد على الخبر فكلها
لغات فصيحة ومعناها التوبيخ والعرب توبخ بالاستفهام ويغير الاستفهام وقد
تقدم واختار ابو عبيد ترك الاستفهام لان قراءة اكثر ائمة السنة نافع وعاصم وابو
عمرو وحمزة والكسائي بحذف الاستفهام شيبة والزهري وابن محيصن والمغيرة
ابن ابي شهاب وعيسى بن الحارث والاعمش ويحيى بن وثاب وغيرهم فهذه عشرون
صلة اثنا عشر وترك الاستفهام احسن لان اثباته توهم انهم لم يفعلوا ذلك كما يقول
ان ظلمتك بدينار انا لم اظلمك في اثباته حسن ايضا يقول التابل ذهبت فعلت كذا
وبخ ويقول اذهبت فعلت كل ذلك جايز ومعنى اذهبتم طيباتكم ايها تمتعتم
بالطيبات في الدنيا واستمتعتم الشهوات واللذات بعين المعاصي فاليوم تجزون
عذاب الهون اي عذاب الهوان والخضوع قال مجاهد الهون الهوان صاده
بلغة قريش بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق اي تشتغلون على اهلها بغير
استحقاق وبما كنتم تفسقون في افعالكم بغيا وظلما وقيل اذهبتم طيباتكم
ايها صرتم بكم في الكفر والمعاجي قال ابن عمر الطيبات الشباب والقوة ما خوذ
من مزلم ذهب اطيابه بانه وقوته قال الماوردي وروي وحدث الضحاك قال ابن
قلت القول الاول اظهر وروى الحسن عن الاحنف بن قيس انه سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول لا ابالي بخفض العيش ولو شئت لجعلت اكبادا وصلاب وصنا
وصلائق ولكني استبقي حسناتي فان الله عز وجل وصف اقواما فقال اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وقال ابو عبيد في حديث عمر لو شئت لدعوت
بصلائق وصناب وكراكر واسنمة وفي بعض الحديث وافلاذ قال ابو عمرو وغيره
الصلا بالكسر والمد الشواء سمين بن لك لانه يصلى بالنار والصلا ايضا صلا النار فانه
فتحت الصاد قصرت وقلت صلا النار والصلا ايضا صلا الذراع الاصبع المتحدة من الجزل والزبيب
قال ابو عمرو ولهذا قيل للبرذون صابي انما شبه لونه بذلك قال والصلائق
بالسين هو ما سلق من البقول وغيرها وقال غيره هي الصلائق بالصاد قال الجعدي
تكلفني معيشة آل زيد ومن لي بالصلائق والصناب
والصلايق الخبز الرقاق العريض وقد مضى هذا المعنى في الاعراف واما الكراكر
فكراكر الابل واحدتها كركرة وهي معروفة نقل الجوهري عن ابي عبيد وفي الصحاح
والكركرة رحى رور البعير وقيل احد بيداليه الثلاث المخمس والكركرة ايضا الجماعة
من الناس وابو مالك عمرو بن كركرة رجل من علماء اللغة قال ابو عبيد واما
الافلاذ فانا واحدها فلذ وهي القطعة من الكبد قال اعشى باهلة
بكف حره فلذ ان الم بها من الشوا ويروى سرمد الغمر
وقال فتادة ذكر لنا ان عمر رضي الله عنه قال لو شئت كنت اطيبكم طعاما
والبسكم لباسا ولكني استبقي طيباتي للاخرة ولما فتح عمر الشام صنع له طعام
لم ير قط مثله قال هذا لنا فما لمحمد واصحابه الذين ماتوا ما شبعوا من خبز
الشعير فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاعولوا ورقت عينا عمر بالدموع وقال
لئن كانت حظنا من الدنيا هذا الطعام وذهبوا هم بحظهم بالجنة فلنعم ما يتونا
توبا سعيدا وفي صحيح مسلم وغيره ان عمر رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله
عليه وسلم في مشربة حيث تقاضر نساءه قال فالتفت فلم ار شيا يرد البصر الا
اهبا جلودا ممطوبة قد سطع ريحها فقلت يا رسول الله انك رسول الله وخيرته
وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير قال فاستوى جالسا وقال افي شك
انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا فقلت
استغفر لي فقال اللهم اغفر له وقال حفص بن ابي العاص كنت اعد به عمر
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخمر والذيت والخل والخمر واللبن والخبز والعنديد واقل
ذلك اللحم الغريض وكان يقول لا يجعلوا الدقيق فانه طعام كله فجي بخبز متقلع
مخلط فجعل يأكل ويقول كلوا فجعلت لا ان كل فقال ما لكم لا تاكلون فقلت
والله يا امير المومنين نرجع اليه ظعام اليس من طعامك هذا فقال يا ابن العاص
اما تراني في عالم ان لو امرت بعناق سمينة فتلقي عنها شعرها ثم تخرج في
مصلبة كلها كذا وكذا اما تراني باني عالم ان لو امرت بصاع او صاعين من زبيب

فاجعله في سقاية السبي عجبه من الماء فيصبح كانه دم فقلت يا امير المومنين
احادما سمعت العتبي قال اجل والله الذي لا اله الا هو لو لا ان اخاف ان يبيض
صبيانين يوم الغنيمة لشا ركتاهم في العتبي ولكني سمعت الله يقول لقوم اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان
بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون اي تتعظمون عن طاعة
الله وعلى عباد الله تخرجون عن طاعة الله وقال جابر اشتهى اهلي لحما فاشتريته
لهم فمررت بهما بن الخطاب فقال ما هذا يا جابر فاخبرته فقال اوكلما اشتهى
احدكم شيا جعله في بطنه اما يخشى ان يكون من اهل هذه الاية اذهبتم طيباتكم
الاية قال ابن العربي وهذا عتاب منه له على التوسع باتباع الكم والخروج
عن حلف الحر والمافات نقاطي الطيبات من الحلال بستشرب بها الطباع
وتستمر بها العادة فاذا افقدتها استوصلت في تحصيلها بالشبهات حتى يقع
في الحرام المحض بغلبة العادة واستشراء الهوى على النفس الامارة بالسوء فاحذر
ايها المرء من اوله وحماه من ابتدائه ايرك كما تفعله مثله والذي يضبط هذا الباب ويحفظ قانونه
على المرء ان ياكل ما وجد طيبا كان اوفقرا ولا يتكلف الطيب ويتخذه عادة وقد
كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيع اذا وجد وتصبر اذا عدم وياكل الحلوى اذا اقدر
عليها ويشتري العسل اذا التمسه له وياكل اللحم اذا اتيسر ولا يعتمده اصلا ولا
يجعله دينا ومعيشة النبي صلى الله عليه وسلم معلومة وطريقة الصحابة منقولة
فاما البر عند استيلاء الحرام وفساد الخطام فالخلاص عسير والله يهب الاخلاص
ويبين على الاخلاص برحمته وفيرات التوبيخ واقع على ترك الشكر لا على تناول
الطيبات المحللة وهو حسن فان تناول الطيبات الحلال ماذون فيه فاذا ترك
الشكر عليه وانتقاذ به على ما لا يحل له نقد اذهبه والله اعلم قوله تعالى
واذكر اخا عاد هود بن عبد الله بن رباح عليه السلام كان اخوهم من الكتب لا من
النسب اذ انذر قومه بالاحقاف ايا اذكر لهم لا المشركين قصته عاد لبيتر وابقا
وتبدا سيره بان يتذكر في نفسه قصة هود ليقتدي به ويهون عليه تكذيب قومه
له والاحقاف ديار عاد وهي الرمال العظام بين عمان الى حضرموت والاحقاف جمع حقف
انهر والهلال الارض تعضل متونهم والاحقاف جمع حقف وهو ما استطال من الرمال
العظام واعوج ولم يبلغ ان يكون جبلا والجمع حقف واحقاف واحقوقف الرمل
والهلال ايه اعوج وقيل الحقف جمع حقف والاحقاف جمع الجمع يقال حقف احقاف
قال الاعشى بات ايه انطاه حقف احقاف ايه رمل مستطيل مشرف
والفعل منه احقوقف قال العجاج
طي الليالي زلفا فزلفا سماوة الهلال حتى احقوقفا
ايه انحنى واستدار وقال امرء القيس
كحقف العبي يمشي الوليد ان فوقه ما احتبى من لبد مس رسهاله
وقيل اربد بالاحقاف ها هنا مختلف فيه فقال ابن زيد هي رمال
مشرفة مستطيلة كهيئة الجبال ولم تبلغ ان تكون جبالا وشاهد ما ذكرناه
وقال قتادة هي جبال مشرفة بالشجر والشجر قريب من عدن وعنه ايضا
ذكر لنا ان عادا كانوا احياء باليمن اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها
الشحر وقال مجاهد هي ارض من حضرموت تسمى بالاحقاف وقال ابن عباس
والضحاك الاحقاف جبل بالشام وعن ابن عباس ايضا واد بين عمان ومهره
وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهره والبه
تنسب الابل المهرية فيقال ابل مهرية ومهاري وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع
فاذا هاج العود رجعوا اليه منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقال الكلبي احقاف
الجبل ما انعطف عنه الحازمات العرف كان ينعطف اما من الارض ويبقى اثره ورويه
الضحاك عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال حبتر واد بين الشام
وواد به ادم بارض الهند وشر واد بين الناس واديا بالاحقاف وواد بحضرموت
يدعى برهوت تلقى فيه ارواح الكفار وحبتر بئر في الناس بئر زمزم وشر بئر
في الناس بئر برهوت وهو في ذلك الوادي الذي بحضرموت وقد خلت النذر التي

صفت الرسل من بين يديه ومن خلفه اي ومن بعده قال الفراء ومن
قرأ انا ابن مسعود من بين يديه ومن بعده الا تعبدوا الا الله هذا من قول المرسل فهو كلام
معترض ثم قال هود اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ونبه ان لا تعبدوا الا الله من
كلام هود والله اعلم فقولهم قالوا اجئتنا لتأفكنا اي لتصرفنا عن الهتنا فكنا عن الهتنا في
احدها لتزيلها عن عبادتها بالافك الذي تصرفنا عن الهتنا بالمنع فأتنا
بما تعدنا كما قال عمرو بن اد سه

* ان تك عن احسن الصنيعة مأفكا فكل امرئ مستن *

* فقد افكوا *

لم يوفق للاحسان فانت في قوم فتصرفوا فأتنا بما تعدنا هذا بدل على ان الوعد قد
يوضع موضع الوعيد ان كنت من الصادقين انكر بني قال انما العلم عند الله
عند الله لا عندي وابلغكم ما ارسلت به عن ربكم ولكني اراكم قوما تجهلون في سؤالكم
استعجال العذاب فلما راوه عارضا قال المبرد الضمير في راوه يعود الى بعض مذكور
وبينه قوله عارضا فالضمير يعود الى السحاب اي فلما رأوا السحاب عارضا فعارضا
نصب على التكرير يسمى بذلك لانه يبدو ثم يعرض السحاب وقيل نصب على الحال
وقيل يرجع الضمير الى قوله فأتنا بما تعدنا فلما راوه حسبوه سحابا تمطرهم
وكان المطر قد ابطأ عنهم فلما راوه مستقبل اوديتهم استبشروا وكانت قد جاهم من
وادي برهوت العادة ان ما جاء منه يكون ممطرا قاله ابن عباس وغيره قال الجوهري
والعارض السحاب يعرض في الافق ومنه قوله تعالى هذا عارض ممطرنا اي ممطر
لنا لانه معرفة لا يجوز ان يكون صفة لعارض وصوبكره والعرب انما تفعل مثل
هذا في الاسم المشتقة من الافعال دون غيرها قال حريز

* يا ربة عابطنا لو كان يطلبكم لاقى مباعدة منكم وحرمانا *

ولا يجوز ان يقال هذا رجل عملا منا وقال اعرابي بعد المغرب صايمه لست
بصومه وقايمه لن تغره بجعله نعتا للنكرة واضافته الى المعرفة تلت قوله لا يجوز
ان يكون صفة لعارض خلاف قول النحويين والاضافة فيه غير محضة لانفصال معنى
اضافة لفظية لا حقيقية لانها لم تفد الاول تعريفا بل الاسم نكرة على حاله فلذلك
جرى نعتا على النكرة هذا قول النحويين في الاية والبيت نعت النكرة نكرة ورب
لانه دخل الا على النكرة بل هو اي قال هود لهم والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود
بل هو اي قال هود لهم والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرب قل بل
ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله قل بل هو ما استعجلتم به يعني قولهم فأتنا
بما تعدنا ثم بين ما هو فقال ريح فيها عذاب اليم والريح التي عدلوا بها شاهت
من ذلك السحاب الذي راوه وخرج هود من بين اظهرهم فجعلت تحمل الفساطيط
وتحمل الضعينة فترفعها كأنها جراده ثم يضرب بها الصخور قال ابن عباس

* اول ما راوا العارض قاموا يمدون ايديهم * فاول ما عرفوا انه عذاب

راوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والنواشي تطير بهم الريح ما بين السماء
والارض مثل الدبى فدخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب
وصرعتهم واسرعت الريح فاماتت عليهم الرجال فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية
ايام حسوما ولهم انين ثم اسرعت الريح فكشفت عنهم الرمال واحملتهم فرمتهم
في البحر فهي التي قال الله تعالى تدمر كل شيء بامر ربها اي بكل شيء مرت به من
رجال عاد وما نزل بها قال ابن عباس ابى كل شيء بعث اليه والتدمير الهلاك
وكذلك الدمار وقرئ تدمر كل شيء من دمر دمارا يقال دمره تدميرا ودمارا
ودمر عليه بمعنى ودمر تدمر دمرا دخل من غير اذن وفي الحديث من بسق
طرفه استتبه ان فقئت دمر خفت الميم وتدمر بلد بالشام ومربوع تدمريه
اذا كان صغيرا فصيرا بامر ربها باذن ربها وفي البخاري عن عائشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى
ارى منه لهواته انما كان يتبسم قال وكان اذا راى غيما او ريحا عرف في وجهه
الكراهية قالت يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجاء ان يكون فيه المطر
واراك اذا رايته عرف في وجهك الكراهية فقال يا عائشة ما يؤمنني ان يكون
فيه عذاب عذب قوم بالريح وقد راى قوم العذاب فقالوا هذا عارض

ممطرنا اخرجه مسلم والترمذي وقال فيه حديث حسن وفي صحيح مسلم عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد
بالدبور وذكر المؤدب ان الله بل هذا عارض ممطرنا من قوم عاد بكر بن معاوية
ولما رأوه استبشروا به قال ابن لاريه سمي بامرء الايدع من عاد احدا فذكر محمد بن
مسير ان عادا كانت تابهم بالرجل الغائب حتى يقدم فيه بن اديهم قال ابن اسحاق
واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه منها الا ما يلين
على شاتهم وتلتذ الانفس به وانها لتمر من عاد بالظعن بين السما والارض
وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا وحكى الكلبي ان شاتهم قال في ذلك

• فدعا هود عليهم دعوة اصبحوا همودا • عصفت ريح عليهم فتركت
عادا جمودا سخرت بسبع ليال لم تدع من الارض عودا • وعمر هود في قومه
مائتين وخمسين سنة فاصبحوا لا تزيد الا مساكنهم فزاحم وحمزة لا يزيد الا
مساكنهم بالياء مثل يعمر مسبي الفاعل وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابن كثير انه
قرأ به قد روى ذلك عن ابي بكر عن عاصم الباقون تزيد بالتاء مفتوحة
مساكنهم قال المهدوي ومن قرأ بالياء يعمر مسبي الفاعل فعلى لفظ الظاهر
الذي هو المساكن المؤنثة وهو قليل لا يستعمل الا في الشعر وقال ابو حاتم
لا يستقيم هذا في اللغة الا ان يكون فيها اضمار كما تقول في الكلام لا يزيد الشر
الا تزيين ولا يجوز لا تزيد الا تزين وقال سيبويه معناه لا تزيد اشخاصهم الا
مساكنهم واختاره ابو عبيد وابو حاتم قراءة عاصم وحمزة وقال الكسائي معناه
لا تزيد شيء الا مساكنهم فهو مجهول على المعنى كما يقول ما قام الا هند والمعنى ما قام
احد الا هند وقال الفراء الا يزيد الناس لانهم كانوا تحت الرمل وانما يزيد
مساكنهم لانها قائمة كذلك يجزي القوم المجرمين اي مثل هذا الجزاء المشوبة
بالعذاب فيها المشركين فولد شعيب ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قيل ان
زائدة وتقديره ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وهذا قول المبرد واختاره الاخفش

• يدعي المرء ما ان لم تراه وتعرض دون ادناه الخطوب •

وقال آخر •

• ثم ان طنا حبن ولكن منانا ما وعد وله اخربنا •

ونقل ما بمعنى الذي وان بمعنى ما والتقدير ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه
قاله المبرد ونقل شرطية وجوابها مصدر محذوف وتقديره ولقد مكناهم فيما ان مكناكم
فيه كان تمكينكم اكثر وعتادكم اشد وتم الكلام ثم ابتدأ فقال وجعلنا لهم سمعا وابصارا
وافئدة يعني قلوبا يعقلون بها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء
من عذاب الله اذ كانوا يجحدون يكذبون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به
يستهزؤون فوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى يريد حجر ثمود
وقرى قوم لوط ونحوها مما كان بجا وسدوم والحجاز وكانت اخبارهم متواترة عندهم
وصرفنا الآيات يعني الحجج والدلالات وانواع البينات والعظات او بينا لها لاهل
تلك القرى لعلهم يرجعون فلم يرجعوا فقيل او صرفنا آيات القدرة من الوعد
والوعيد والقصص والامر لعلهم يرجعون فوله تعالى فلولا
نصرهم فلولا بمعنى هلا اي لا نصرهم الهتهم التي يتقربوا بها بزعمهم الى الله ان
ليشفع لهم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومنعتهم من الهلاك والوانع
بهم قال الكسائي الغربان كل يتقرب به الى الله تعالى من طاعة وقربة
والجمع قرابين كالرهبان والرهابين واحد مفعول الخذ الراجع الى الذين
المحذوف والثاني الهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا
والهة بدلا منه لعنى قال الزمخشري وقرأ قتادة بضم الراء فضلوا عنهم
اي فهلكوا وقيل بل ضلوا عنهم اي ضلت عنهم الهتهم لانها لم يصبها ما اصابهم
اذهبي جاد وقيل ضلوا عنهم اي تركوا الاصنام ونفروا منها وذلك افكهم اي
والالهة التي ضلت عنهم افكهم بن قولهم انها تقربهم الى الله زلفى وقراءة
العامة افكهم بكسر الهمزة وسكون الفاء اي كذبهم والافك الكذب وكذلك
الافيكة والجمع الافائك ورجل افاك اي كذاب وقال ابن عباس ومجاهد

وبين الزبير وذلك افكهم بفتح الهمزة واللف والكاف على الفعل اي ذلك القول
صرفهم عن التوحيد والافك بالفتح مصدر قولك افكه بافكه افكا اي قلبه
وصرفه عن الشيء وقرا عكرمة افكهم بتشديد الف على التكثير
قال ابو حاتم يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعيم وذكر المهدوي عن ابن عباس
ايضا افكهم بالمد وكسر الف فجائز ان يكون افعلهم ابه اصارهم الى الافك وجاز
ان يكون فاعلهم كما دعهم وذبيل قراءة العامة افكهم قوله وما كانوا يفترون
اي يكذبون وقبيل افكهم مثل افكهم الافك والافك كالحذر والحذر قال المهدوي
قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن هذا توبيخ لمشركي قريش
ايبان الجن سمعوا القرآن فامنوا به وعلموا انه من عند الله وانتم معرضون
مصرون على الكفر ومعنى صرفنا وجهنا اليك وبعثنا وذلك انهم صرفوا عن
استراق السمع بحرس الشهب على ما بيانى ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه
الا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال المفسرون ابن عباس وسعيد بن جبير
ومجاهد وغيرهم لما مات ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم وحده الى
الطايف يلتمس من ثقيف النصره فقصد عبد يا ليل ومسعودا وحبيبا وهم
اخوة بنو اعمرو بن عمير وعندهم امراة من قريش من بني جمح فدعاهم الى
الايمان وسالهم ان ينصروه على قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة
ان كان الله ارسلك وقال الاخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث
والله لا اكلمك كلمة ابدا ان الله ارسلك كما تقول فانت اعظم خطرا من ان ارد عليك
الكلام وان كنت تكذب فما ينبغي لي ان اكلمك ثم اعرفا له سفهاهم وعمدوا لهم
يسبونه ويضحكون به حتى اجتمع عليه الناس والحوه الى حايط لعتبة وشيبة
ابني ربيعة فقال للجمحية ما ذا لقيت من احمايك قال اللهم ان اشكوا اليك ضعف
قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين
وانت ربي لمن تكلني لعبد يتجهمني ام الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك غضب
علي فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي اعوذ بنور وجهك من ان ينزل بي غضبك
او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فرحمها ابنا
ربيعة وقالا لغلام لهما نصراني يقال له عداس خذ قطفا من العنب وضعه
في هذا الطبق ثم ضعه بين يدي هذا الرجل فلما وضعه بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له النبي بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال
والله ان هذا الكلام ما تقوله اهل هذه البلدة فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك قال انا نصراني من اهل نينوى
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى
فقال وما يدريك ما يونس بن متى قال ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب
عداس حتى قبل راس النبي صلى الله عليه وسلم ويديه ورجليه فقال له ابنا
ربيعة لم فعلت هكذا فقال يا سيدي ما في الارض خير من هذا اخبرني بامر
ما يعلمه الا نبي ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم حتى بنيس من حرض فنفض
حتى اذا كان ببطن نخلة قام من الليل يصلي فمر به نفر من جن اهل نصيبين وكان
سبب ذلك ان الجن كانوا يستمعون السمع فلما حدث الرمي بالشهب قال
ابليس ان هذا الذي حدث في السما لشيء حدث في الارض فبعث سراياه ليعرف
الخبر اولهم ركب نصيبين وهم اشراف الجن الى تهامة فلما بلغوا بطن نخلة
سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة وبنبلوا القرآن
فاستمعوا له وقالوا انصتوا وقالت طايفة بل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يبدو
الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويخبرا عليهم القرآن فصرف الله عز وجل اليه نفرا
من الجن من نينوى بعد جمعهم له فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني اريد ان اقرا
القرآن على الجن الليلة فاي كم يتبعني فاطرقوا ثم قال الثانية فاطرقوا ثم قال
الثالثة فاطرقوا فقال ابن مسعودا نا يا رسول الله فقال ابن مسعود ولم يحضر
معه احد غيره فانطلقت حتى اذا كنت باعلى مكة دخل النبي صلى الله عليه وسلم

شعب بيننا له شعب الجمون وخطبي خطا وامرني ان اجلس به وقال لا تخرج منه
حتى اعود اليك ثم انطلق حتى غاب فاقتنع الغنم ان فجعلت اربد امثال السعو
تقوم وبمشي حتى رفرفها وسمعت لغطا وعمهمة حتى خفت على النبي صلى الله
عليه وسلم وعشيته اسوده كثيره حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم طفقوا
يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين فقذع النبي
صلى الله عليه وسلم مع الفجر فقال امنت قلت لا والله ولقد هممت مرارا ان
ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا قال
لو خرجت لم امن عليك ان يخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قال نعم رايت
رجالا سودا مستثفرين ثيابا بيضا قال اولئك جن نصيبين ستة نوتين المتاع
والزاد فمنعتهم بكلة عظم حايل وروثه وبعره فقلت لوابي رسول الله تقذرهف
الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان نستنجي بالعظم والروث قلت يا نبي
الله وما تغني ذلك عنهم قال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا
روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكل فقلت يا رسول الله لقد سمعت لغطا شديدا
فقال ان الجن تذاكرت قتيل بينهم فتكلموا الي فقضيت بينهم بالحق ثم انصرفت
النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتاني فقال هل عجلت شيئا فقلت يا نبي الله سمعي لداوه
فيها نبيذ تمر فصببت على يده شيئا فقال تمرة طيبة وماء طهور وربما
معناه سعيد عن قتادة وشعبة ايضا عن ابن مسعود وليس في حديث سعيد
نبيذ التمر ورويه عن ابي عوانة عن المغيرة بن ان ابن مسعود ابصر رجلا فقال له ما
هو فقالوا الزط قال ما رايت شبههم الا الجن ليلة الجن فكانوا مستغربين
ينبغ بعضهم بعضا وذكر الدارقطني عن عبد الله بن لهيعة حدثني قيس ابن
الحجاج عن حنش عن ابن عباس عن ابن مسعود انه وفي النبي صلى الله عليه
وسلم ليلة الجن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعندك ما يا ابن مسعود
قال معي نبيذ في اداوة فقال النبي صلى الله عليه وسلم صب علي منه فتوضأ
فقال هو شراب وطهور فتذكرت ابن لهيعة وتوضيفه الحديث قال الدارقطني
وقيل ان ابن مسعود لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن كذلك
رواه علقمة بن قيس وابو عبيدة بن عبد الله وغيرهما عنه انه قال لم اشهد ليلة
الجن حدثنا ابو محمد بن صاعد قال حدثنا ابو الاشعث قال حدثنا سيار بن المعتمل
داود بن ابي هند عن عامر عن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود
اشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منكم ليلة الجن داعي الجن قال لا قال
الدارقطني هذا اسناد صحيح لا يختلف في عدالة رواته وعن محمد بن سيرين قال
قلت لابي عبيدة حضر عبد الله ابن مسعود ليلة الجن قال لا وقال ابن عباس كان
الجن سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم النبي صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم
وقال زر بن حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وقال قتادة انهم من اهل نينوى
وقال محمد بن سعد هم من اهل حران وقال عكرمة منهم من جزيرة الموصل وقيل انهم كانوا
سبعة ثلاثة من اهل نجران واربعة من اهل نصيبين وروى ابن ابي الدنيا ان النبي
صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وذكر فيه نصيبين فقال رفعت اليه حين رايته
فقد عمرت الله ان يكثر مطرها وينفق نجرها وان تعذر نهرها وقال الشهيلي
وليس لكانوا سبعة وكانوا بصورا فاسلموا وكذلك روا انزل من بعد موسى وقيل
في اسمائهم شاصر وماصر ومنشي وماشي والاحنف وذكر صورة الخمسة بن دريد
ومنهم عمرو بن جابر ذكره ابن سلام من طريق ابي اسحاق السبيعي عن اشياخه
عن ابن مسعود انه كان فيمن نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يمشون
مدبرين لهم اعصار ثم جاء اعصار اعظم منه فاذا حية تنثل فقد رجلنا فاتى رداءه
فنشفه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأة اتانا تسالنا اليكم
دفن عمرو بن جابر فقلنا ما نذريه ما عمرو بن جابر فقالت ان كنتم ابتغيتم
الاجر فقد وجدتموه ان منعة الجن اقتتلوا مع المؤمنين فقتل عمرو وهو الحية
التي رايتم وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم
ثم ولوا اليهم منذرين وذكر ابن سلام رواية اخرى ان الذي كفنه هو صفوان

ابن المعطل قلت وذكر هذا الخبر الثعلبي بنحوه فقال ثابت بن قطنة جاء ناس الى ابن
مسعود فقالوا ان كنا في سفر فرأينا حية منتصبة في دابتها فاخذ بعار جل
منا فواريناها فجاء هم ناس فقالوا ايكم دفن عدا فقالوا وما عمدنا فقالوا الحية
التي دفنتم في مكان كذا وما انه كان من النفر الذين سمعوا القرآن من النبي صلى
الله عليه وسلم وكان بين جيش من الجن سلمين وكافرين فقتل فذهذا
الخبر ان ابن مسعود لم يكن في سفر ولا حضر الدفن فالله اعلم وذكر ابن ابي الدنيا
عن رجل من الثابعين ان حية دخلت عليه في حياة تلهت عطشا
فنشطها ثم انها ماتت فدفنها فاتي من الليل فسلم عليه وشكر واخبر ان
تلك الحية كانت رجلا من جن نصيبين اسمه زوبعة قال السهيلي وبلغنا في فضائل
عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه فيما حدث به ابو بكر ابن ظفر الاشبيلي
ان عمر ابن عبد العزيز كان يمشي بارض فلاة فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من
ردائه ودفنها فاذا ملك ينزل يشرف اسمه لسمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لستموت بارض فلاة فيكفنك رجل صالح فقال ومن انت يرحمك الله
فقال رجل من الجن زلة بن اسمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق قد مات وقد قتلت عمامة رضي الله عنها
حية رأتها في حجرتها تستمع وعائشة تقرأ فاثبت في المصحف فتقبل لها انك
قتلت رجلا مؤمنا من الجن الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
لو كان مؤمنا ما دخل على حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقبل لها ما دخل
عليك الا وانت مستتبة وهاج لا يستمع الذكر فاصبحت عائشة قد عمه واشتد
رقابا في عتقهم قال السهيلي وقد ذكرنا من اسمى نصر الجن ما حضرنا فان كانوا
سبعة فالاصحب منهم وصف احدهم ولبيب باسم علم فان الاسماء التي ذكرنا لها
اسف شيئا لا حنف والله اعلم قلت وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ
دمشق في ترجمة الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو ان اسم ابليس قبل انه من موسين الجن ومن لعن النبي صلى
الله عليه وسلم وعلمه سورة اذا وقعت والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت
والحمد والمعوذتين وذكر انه حضر قتل هابيل وشرك في دمه وهو غلام يدا عوام
وانه لعن نوحا وتاب على يديه وهودا وصالحا ويعقوب ويوسف وايوب وشعيب بن
عمران وعيسى بن مريم عليهم السلام وقد ذكر الماوردي اسماءهم عن مجاهد فقال
هتيم وسمي ومنشي وشاصر وماصر والارد وابيان والاحقم وذكرها ابو عمرو عثمان
ابن احمد المعروف بابن السماك قال حدثنا محمد بن البراق قال حدثنا الزبير بن بكار
قال كان حمزة بن عتبة بن ابي لهب يسمى حين نصيبين الذين وفدوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيقول لحسا وسمى وشاصر وماصر والاحقم والارد وابيان
فوفد شعاب فلما حضروه ابى حضروا النبي صلى الله عليه وسلم وهو مع
ابي بكر وعمر بن الخطاب وقيل لما حضروا القرآن واستمعوه قالوا انصتوا اي قال
بعضهم لبعض اسكتوا لاستماع القرآن قاله ابن مسعود فصاروا على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا فقالوا اصه
وكانوا سبعة احدهم زوبعة فانزل الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن
يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين
يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم الى قوله اولياء اولئك
في ضلال مبين وقيل انصتوا لسماع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
متقارب فلما قضى ونزا الاحقب بن حميد وحبيب بن عبد الله بن الزبير فلما قضى
بفتح القاف والضاد بين النبي صلى الله عليه وسلم قيل الصلاة وذلك
انهم حذروا حين حرست السماء من استراق السمع ليستكثروا مما اوجب ذلك
فجاوا واد بين نخلة والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بين صلاة الفجر وكانوا
سبعة فسمعوه وانصرفوا الى قومهم منذرين ولم يعلم بهم النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويقرأ
عليهم القرآن فصرف الله اليه نفرا من الجن ليستمعوا منه وينذروا قومهم

فلما

فلما تلي عليهم القرآن وفرغ انصرفوا با مره قاصدين من وراهم من قومهم منذرين لهم بما لقنة القرآن وتحذرين اياهم با س الله ان لم يؤمنوا وهذا ايدل على انهم اصغوا با لنبي صلى الله عليه وسلم وانه ارسلهم ويدل على هذا قولهم يا قومنا اجيبوا داعي الله وا منوا به ولولا ذلك لما انذروا قومهم وقد تقدم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم حملهم رسلا الى قومهم فعلى هذا البلاغ الجن بلغت وقد قدم هذا المعنى مسنوفين وفي صحيح مسلم ما يدل على ذلك على ما بانت بيانه في قول اوحي الي وفي صحيح مسلم عن سعيد قال سمعت ابي قال سالت مسروقا من اذن النبي صلى الله عليه وسلم استماع الجن القرآن فقالوا حدثني ابوك يعني بن مسعود انه اذنت بهم شجرة قوله تعالى يا قومنا ان سمعنا كتابا انزل من بعد موسى اي القرآن وكانوا مؤمنين بموسى قال عطا كانوا يهودا فسمعوا ولذلك قالوا انزل من بعد موسى وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت با مر عيسى فلذلك قالت من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني ما قبله من التوراة يهدي الى الحق وفي الحق والى طريق مستقيم دين الله الذي امرهم يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على انه كان مبعوثا الى الجن والانس قال مقاتل ولم يبعث الله نبيا الى الجن والانس قبل محمد صلى الله عليه وسلم قلت يدل على قول ما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلوة صلى حيث كان ونصرت بالرعب يسير بين يدي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة قال بجا فقد الاحمر والاسود الجن والانس وفي روايتين من حديث ابي هريرة وبعثت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وامنا به ايه بالله اعني وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقد به ايه بالله لقوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم قال ابن عباس فاشجع لهم من قومهم سبعين رجلا فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقوه بالبطحاء فقرا عليهم القرآن وامرهم ونهاهم مسئلة هذه الاية يدل على ان الجن كالانس في الامر والنهي والثواب والعقاب وقال الحسن ليس لمؤمني الجن ثواب غير انجاتهم من النار يدل عليه قوله عز وجل يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وبه قال ابو حنيفة قال ليس ثواب الجن الا ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وقال اخرون انهم كما يعاقبون من الاساءة يجازون من الاحسان مثل الانس واليه ذهب مالك والشافعي وابن ابي ليلى وقد قال الضحاك الجن يدخلون الجنة ويا كلون ويشربون قال القشيري والصحيح ان هذا مما لم يقطع فيه بشيء والعلم عند الله قلت قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا يدل على انهم يثابون ويدخلون الجنة لانه قال في اول الاية يا معشر الجن والانس الم يا تكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي الى ان قال ولكل درجات مما عملوا وسياتي لهذا في سورة الرحمن مزيد بيان ان شاء الله تعالى قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا يفوت الله ولا يسبقه وليس له من دونه اولياء اي انصار تمنعه من عذاب الله اولئك في ضلال مبين قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الرؤية هنا بمعنى العلم وان واسمها وخبرها سدت مسد مفعول الرؤية ولم يعي بخلقهن بقدرة على ان يحيي الموتى احتجاج على منكري البعث ومعنى لم يعي لم يعجز ويضعف عن ابداعهن يقال عييت بامره وعييت بامري اذا لم يهتد لوجهه واعياني هو واقدا لحسن ولم يقل بكسر العين واسكان الياء وهو شاذ قليل لم يات اعتلال العين ولم يعي بكسر العين وتصحيح اللام الا في اسم قليلة نحو عايه وايه ولم يات في الفعل سوى بيت انشده الكسائي

وكانها بين النساء سبيكة ... تمشي بيتها فتعيا

قال ابو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتوكيد كالباء في قوله وكفى بالله شهيدا وقوله سمنت بالدهن وقال الكسائي والفراء والزجاج الباء منه خلت الاستفهام

والمجد في اول الكلام قال الزجاج والعرب تدخلها مع المجد تقول ما ظننت ان زيدا يقايم
ولا يقول ظننت ان زيدا يقايم ولقد حول ما دحول ان للتركيب والتقدير ليس
الله بغافل ردكفو لرغفلي او لسبب الذي خلق السموات والارض ستة ايام وقرا ابن
مسعود والاعرج والمجدري وابن ابي اسحاق ويعقوب بقدر واختاره ابو حاتم لان
دحول اليه في صبر ان فسلح واختاره ابو عبيد قراءة العامة لانها في قراءة عبد الله
خلق السموات والارض في ربعين يوما قرا سعد خاي وبعدهم بعيرض الذين كفروا
على ان راي ذكرهم بيوم بعير صوت ونبأ لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا فيقول
لهم المنذر فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بسبركم مسوته ثابت
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل قال ابن عباس جدوا الحزم والصبر
قال مجاهد هم ستة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وهم اصحاب الشرايع
وقال ابو العالية ان اولي العزم نوح وهود وابراهيم فامر الله نبيه
نبينا صلى الله عليه وسلم ان يكون رابعهم وقال السدي انهم ستة ابراهيم
وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين
وقيل نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على
السنق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على
اذا قومه وابراهيم صبر على النار واسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر
على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر على البير والسجن وايوب
صبر على الصبر وقال ابن جريج ان منهم اسمعيل ويعقوب وايوب
وليس منهم بر نس ولا سليمان ولا ادم وقال الشعبي والكلبي وهي هذه
ايضا نهم الذين اصروا بالقتال فاظهروا الكآبة شغله وجاهدوا الكفرة
وقيل هم بخلاف الرسل المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر ابراهيم
واسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون
وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوط واختاره
الحسن بن الفضل لقوله في عقبه اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقال ابن عباس ايضا كل الرسل كانوا اولي عزم واختار علي بن سهل
الطبري قال لانا دخلت من للتخيس لا للتبعيض كما تقول اعتزلت اردية
من البز والكعبة من الخزاب اصبر كما صبر الرسل وقيل كل الانبيا اولوا العزم
الا يونس ابن متى الا تري ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي ان يكون
مثله لحقنه ومحنته ظهرت منه حين ولي مغاضبا لقومه فالتقمه الله بثلاث
سلط الله عليه الغم الذي حتى اعار واعلى اهله وماله وسلط الذئب على
ولده فاكله وسلط عليه الحوت ثلاثة قاله ابو القاسم الحكيم وقال
بعضهم العلما اولوا العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرايل بالشام
فعصوهم فاوحى الله الى الانبيا اني مرسل عذابي الى عصاة بني اسرايل
فشق ذلك على المرسلين فاوحى الله اليهم اختاروا اما ان انتقم
انزلت بكم العذاب واخبث بني اسرايل وان شئتم اخبثكم وانزلت
العذاب ببني اسرايل فتشاوروا بينهم فاجتمع رايهم على ان ينتزل بهم العذاب
ويحيى الله بني اسرايل فاحيى الله بني اسرايل وانزل بهم وذلك العذاب
وذلك انه سلط عليهم ملوك الارض فمنهم من نشرب بالمناشير ومنهم من سلخ
جلده راسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب حتى مات ومنهم من حرق
بالنار فالله اعلم وقال الحسن اولوا العزم اربعة ابراهيم وموسى وداود
وعيسى فاما ابراهيم فقيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ثم ابتلي
في ماله وولده ووطنه ونفسه فوجدوه صابرا وافيا في جميع ما ابتلي به
واما موسى لعزمه حين قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي
سيهدين واما داود عليه السلام فانه خطا خطيئة فنبه عليها فقام يبكي
اربعين سنة حتى نبت من دموعه شجرة فقعد تحت ظلها واما عيسى فعزمته
انه لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبر فاعبروها ولا تعمروها فكان

الله تعالى لنبيه لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر اي كما صبر اولو العزم من الرسل مثل صبر ابراهيم واسماعيل ويعقوب مثل صبر موسى وعيسى ولا تستعجل لهم مثل استعجال نوح وداود وزكريا مثل زهد عيسى ثم قيل هو منسوخ بآية السيف وقيل محكمة والاظهر انها منسوخة لان السورة مكية وذكر مقاتل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاراد الله تعالى ان يصبر على ما اصابه كما صبر اولوا العزم من الرسل فشهدا عليه ونثبتنا له والله اعلم ولا تستعجل لهم قال مقاتل لا تدع عليهم وقيل في اهلاك العذاب يوم فان اسيدعا عاتهم يوم القيمة ومعنى الاستعجال محذوف وهو العذاب كانهم يوم يرون ما يوعدون قال يحيى من العذاب الذي من الآخرة لم يلبثوا في الدنيا حين جاءهم العذاب وهو معتبض قول يحيى وقال الكلبي في قبورهم حين يبعثون للحساب الا ساعة من نهار يعني في حسبان يوم القيمة وقيل تشاهدهم فتقول ما عاينوا من العذاب اطول لبثهم في الدنيا ثم قال بلاغ اي هذا القرآن بلاغ قاله الحسن فيلاغ رفع على اضمار مبتدا دليله قوله تعالى في هذا بلاغ للناس وليبذروا به وقيل ان في هذا البلاغ لقوما عابدين والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل اي ان في ذلك للبث بلاغ قاله ابن عيسى فيوقف على هذا قلي بلاغ وعلى بها وكذا ابو حاتم ان بعضهم وقف على ولا تستعجل ثم ابتدا لهم على معنى لهم بلاغ قال ابن الانباري وهذا خطا لانك قد فصلت بين البلاغ وبين اللام وهي لام متعلقة بشيء لبين منها ويجوز في العربية بلاغ ويلاغ النصب على معنى الاساعة بلاغا على المصدر او على النعت للساعة والخفض على معنى الاساعة بلاغها على المصدر او على من نهار وبلاغ وبالنصب قرا عيسى بن عمر والحسن وروي عن بعض القراء بلغ على الامر فعلى هذه القراءة تكون الوقف من نهار ثم يبتدي بلغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن امر الله قال ابن عباس وعيزه وقتاده ابن مجيصن فهل يهلك الا القوم على اسناد الفعل الى القوم وقال ابن عباس اذا عمر على المراة ولدها فانكبت هلكت هذه الآيتين والكلمتين في صحيفة ثم تغسل وتشرق منها وهي بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله العظيم الحليم الكريم سبحان الله رب السموات والارض رب العرش العظيم كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون صدق الله العظيم وعن فتادة لا يهلك الله الا هالك مشرك وقبل هذه اقوى.

انه من الدحا

" سورة القتال وهي مدنية في قول ابن عباس رضي الله عنه " ذكره النحاس وقال الماوردي في قول الجميع الا ابن عباس رضي الله عنه فانها فانها الا اية منها نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر الى البيت وهو يبكي حزنا عليه فنزل عليه وكابت من قرية هي اشد قوة من قريتك التي وقال الثعلبي انها مكية وحكاه ابن قتيبة الله عن الضحاك وسعيد ابن جبير وهي ست وثلثون وقيل ثمان " بسم الله الرحمن الرحيم " قوله تعالى " ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم قال ابن عباس ومجاهد هم اهل مكة كفروا بتوحيد الله وصدوا انفسهم والمومنين عن دين الله وهو الاسلام بنهيهم عن الدخول فيه وقال السدي وقال الضحاك عن سبيل الله عن بيت الله تمنعون صدهم ومعنى اضل اعمالهم ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وحيلهم الذي ابدوه عليهم وقاله الضحاك وقيل ابطل ما عملوا في كفرهم بي كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام فكاك الاسير وفك الاعناف وحفظ الجوار وقال ابن عباس نزلت في المطعمين ببدر وهم اثنا عشر رجلا ابو جهل والحرث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو البختر

ابن خلف وسببه وسببه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود
وحكيم بن حزام والحرث بن عامر بن نوفل فقول نفاق والذين امنوا هو
وعملوا الصالحات واستوا بما نزل على محمد قال ابن عباس وشاهد فهم الانصار
وقال مجاهد انها نزلت خاصة في ناس من قريش وقتل هما عما ثمانون فيمن
كفروا من وسبعين اصل اعمالهم ابطلها وقيل اصلحهم من القديم كما صرفهم عنه من
التوفيق وعملوا الصالحات من قال انهم الانصار وهي المواساة في مساكنهم
واموالهم ومن قال انهم من قريش هي الهجرة ومن قال بالعموم قال الصالحات
جميع الاعمال التي يرجى الله تعالى بها واستوا بما نزل على محمد لم يخافوا في شيء فالم
سبحانه التوراة وقيل صدقوا بمحمد فيما جاء به وهو الحق من ربهم يريد ان
ايمانهم هو الحق من ربهم وقيل صدقوا بمحمد لانه ايمان الاسلام
منزل منهم بنسخ به ما قبله كفر عنهم بما منهم اي ما مضى من سيئاتهم فتقبل الايمان
واصلح بالهم اي شأنهم عن مجاهد وغيره وقال قتادة حالهم ابن عباس
امورهم والثالثة متقاربة وهي متأولة على اصلاح ما فعلت بدنيا هم
وحكي الفراش ان المعنى اصلح بالهم ومنه قول الشاعر

فان تقتلي بالود اقتل بمثله وان تدبري اذهب الى حالنا بالي

وهو على هذا التأويل يحمول على اصلاح دينهم والبال كالمصدر ولا تصرف
منه فعل ولا يجمعه العرب الا في ضرورة الشعر فيقولون فيه بالات البرد
فد يكون البال في موضع اخذ بمعنى القلب يقال ما يخطر فلان على بالي اي
على قلبي الجوهري والبال رجاء النفس يقال فلان رخي البال والبال الحال
يقال ما بالك وقد لهم ليس هذا من باب اي سما ابالية والبال الخوت العظيم
من حيتان البحر وليس بعربي والبالة وعاء الطيب فارسي معرب واصله
بالفارسية ببله قاله ابو دوبيب

كان عليها بالة لطيبها فاضمحل الذائبان الخ

قوله تعالى ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق
من ربهم ذلك بين موضع رفع اي الامر ذلك او ذلك الاضلال والهدى المتقدم
ذكرهما سببه هذا اي الكافر اتبع الباطل والمؤمن اتبع الحق والباطل
الشرك والحق التوحيد والايمان كذلك يضرب الله للناس امثالهم اي كهذا
البيان الذي بين بين الله تلك امثال الحسنات والسيئات والضمير في امثالهم
يرجع الى الذين كفروا والذين امنوا قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا
فضرب الرقاب لما سيق بين الفريقين امر بحربهم اذا لقيهم وقال ابن عباس
الكفار المشركون عبدة الاوثان وقيل كل من خالف دين الاسلام من مشرك
او كتابي اذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة ذكره الماوردي واختاره ابن العربي
وقال وهو الصحيح لعموم الآية فيه فضرب الرقاب مصدر قال الزجاج اي
فاضربوا الرقاب ضربا وخص الرقاب بالذكر لان القتل اكثر ما يكون بها وقيل
يضرب على الاعناق قاله ابو عبيدة وهو كقولك يا نفس صبرا وقيل التقدير
قصد واضرب الرقاب وقال فضرب الرقاب ولم يقل فاقتلوهم لان في العبارة
بضرب الرقاب من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير
القتل بأشنع صورة وهو جز العنق واطارة العضو الذي هو رأس البدن
وعلوه وأوجه اعضائه الشابهة قوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم
القتل وقد مضى في الانفال عند قوله تعالى حتى يثخن في الارض فشدوا الوثاق
اي اذا اسرتموهم والوثاق اسم من الايثاق وقد يكون مصدرا يقال اوثقته
ايثاقا ووثاقا واما الوثاق بالكسر فهو اسم الشيء الذي يوثق به كالرباط قاله
الفتشري وقال الجوهري واوثقته في الوثاق اي شددته وقال تعالى
فشدوا الوثاق والوثاق بكسر الواو لغة فيه وانما امر بشد الوثاق
لئلا يفلتوا في ما منا عليهم او فداء فمن عبر فيه بالفداء فلم يذكر القتل
فاكتفى بما تقدم من القتل في صدر الكلام ومنا وفداء نصبا باضمار
فعل وقريء فداء بالقصر مع فتح الفاء فاما ان يمنوا عليهم منا واما

ان تفادوهم فداروه عن بعضهم انه قال كنت واقفا على راس الحجاج حين اتي ب
بالاسرى من اصحاب عبد الرحمن بن الاشعث وهم اربعة الاف وثمانمائة فقتل
منهم نحو من ثلاثة الاف حتى قدم اليه رجل من كنده فقال يا حجاج لا جزاك
الله عن الشيوخ والكهول خيرا قال ولم ذلك قال لان الله تعالى قال يا ايها الذين امنوا
اذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى
تضع الحرب اوزارها فوالله ما مننت ولا فديت وقد قال
شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الاخلاق

ولا تقتل الاسرى ولكن بفكهم اذا اعدل الاعناق حمل المغارم

فقال الحجاج ان لهذا الخبيث اما كان فيهم من يحسن مثل هذا الكلام خلوا سبيل
من بقي محمد بن سعد عن نفسه الاسرى وهم رهاء الف فقتل ذلك الرجل
الثانية واختلف العلماء في هذه الاية على خمسة اقوال الاول انها
منسوخة وهي من اهل الاوثان لا يجوز ان يفادوا ولا يمن عليهم والناسخ لها
عندهم وقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله واما تثقفنهم في
الحرب فشردبهم من خلفهم وقوله وقاتلوا المشركين كافة الاية قاله قتادة
والضحاك والسدي وابن جريج والعوفي عن ابن عباس وقاله كثير من الكوفيين
وقال عبد الكريم الجوزي كنت الى ابي بكر في اسير اسر فذكروا انه ليمنعوه يقتدا
كذا وكذا فقال اقتلوه فقتل رجل من المشركين احب الي من كذا وكذا الثاني انها
في الكفار جميعا وهي منسوخة على قول جماعة من العلماء واهل النظر منهم قتادة
وسعيد فقالوا اذا اسر المشرك لم يجز ان يمن عليه ولا ان يفادي به فرد الى المشركين
ولا يجوز ان يفادي عندهم الا بامرأة لانها لا تعدو والناسخ لها فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم اذا كانت هذه اخر ما نزلت بالتوقيف فوجب ان
تقتل كل مشرك الا من قامت الدلالة على تركه من النساء والصبيان وهذا يوجد
من الجزية وهو المشهور من مذهب ابي حنيفة ان يعود واخذ للمسلمين ذكر
عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة قال ما منا بعد واما فداء قال نسختها فشردبهم
من خلفهم وقال مجاهد نسختها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهو قول
الحكم الثالث انها ناسخة قاله الضحاك وعبيدة ورواه الثوري عن جويبر عن
الضحاك فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم قال نسختها قال ما منا بعد واما فداء
وقال ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء قال ما منا بعد واما فداء فلا يقتل المشرك
ولكن يمن عليه ويفادى به كما قال الله جل وعز قال لا اشعث كان الحسن يكره
ان يقتل الاسير ويقول قال ما منا بعد واما فداء وقال الحسن انتضى في الاية تقديم
ومن اصر فكانه قال فضرب الرقاب حتى تضعوا الحرب اوزارها ثم قال حتى اذا
اثخنتموهم فشدوا الوثاق وزعم ان النبي للامام اذا احصد البيرين بيديه
ان يقتله لكنه بالخيار بين ثلاثة منازل اما ان يمن او يفادي به او يسترق الرابع
قول سعيد بن جبير لا يكون فداء ولا اسر الا بعد الاثخان والقتل بالسيف
لقوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض فاذا اسر بعد ذلك
فللامام ان يحكم بما راه من قتل او غيره الى ان يعلم ان الاسر حكمه والامام مخير في كل
حال رواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقاله كثير من العلماء منهم ابن عمر والحسن
وعطاء وهو مذهب مالك والشافعي والثوري والاوزاعي وابي عبيد وغيرهم
وهو الاصح لان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين قتلوا بعد
قتل النبي صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث يوم بدر صبرا
وفادى بنا سارية يوم بدر ومن على ثمامة بن اثال الحنفي وهو اسير في يده
واخذ من سلمة بن الاكوع جارية فنفذ بها اناسا من المسلمين وهبط عليه
السلام فلزم من اهل مكة فاخذ هو النبي صلى الله عليه وسلم ومن عليهم وقد
من على سبي هوازن وهذا كله ثابت في الصحيح وقد مضى جميعه في الاشتقاق
وعمر رضي قال النبي ما ترى في هذا ان الايتين محكمتان معمول بهما وهو قول
حسن لان النسخ انما يكون لشيء قاطع فاذا امكن العمل بالايتين فلا معنى للقول
بالنسخ اذا كان يجوز ان يقع التعبد اذ التقيا الذين كفروا فقتلتموهم فاذا كان

الاسر جاز القتل والاسترقاق والمفاداة والمن عليهم بما فيه الصلاح للمسلمين
وهذا القول يروى عن اهل المدينة والشافعي وابي عبيد وحكاه الطحاوي مذهبا
عن ابي حنيفة والمشهور عنه ما قدمناه وبالله عز وجل التوفيق الرابعة قوله
تعالى حتى تضع الحرب اوزارها قال مجاهد وابن جبير هو خروج عيسى عليه السلام
وعن مجاهد ايضا ان المعنى حتى لا يكون دين الا دين الاسلام فيسلم كل يهودي
ونصراني وصاحب ملة وانما من الشاة من الذئب وحكاه عن الحسن والكلبي والفراء
والكسائي حتى يسلم الخلق وقال الفراء حتى يؤمنوا وقد ذهب الكفر وقال الكلبي حتى
يظهر الاسلام على الدين كله وقال الحسن حتى لا تعبدوا الا الله وقيل معنى الاوزار
السلاح فالمعنى شدوا الوثاق في حتى تأسروا وتضعوا السلاح وقيل معناه
حتى تضع الحرب اي الاعداء اوزارهم اي آثامهم وهو سلاحهم بالهزيمة او المراد عنه
ويقال للكراع اوزار قال الاعشى

• واعددت للحرب اوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا •

• ومن نسج داود يحدي بها على اثر الحي عيرا فعيرا • وقيل حتى تضع الحرب
اوزارها اي اثقالها والوزر الثقل ومنه وزير الملك لانه يتحمل عنه الاثقال
واثقالها السلاح لثقل حملها قال ابن العربي قال الحسن وعطا في الاية تقديم
وتأخير المعنى فضرب الرقاب حتى تضع الحرب اوزارها فاذا اثخنتموهم فشدوا
الوثاق فليس للامام ان يقتل الاسير وقد روي عن الحجاج انه دفع اسيرا الى عبد
الله بن عمر ليقتله فاتى به فقال ليس بهذا امرنا الله وقرأ حتى اذا اثخنتموهم فشدوا
الوثاق فقلنا فقد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعله وليس في تقصير الله
لكم والعدا منع من غيره فقد بين الله في الدين حكم الحد وبين النبي صلى الله عليه
وسلم حكم الرجم ولعل ابن عمر كره ذلك من يد الحجاج فما عند ربك قال ورب اعلم
قوله تعالى ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم ذلك في موضع رفع على ما تقدم ايها الامر
ذلك الذي ذكرت ونبأت وقيل هو منصوب على معنى افعلوا ذلك ويجوز ان يكون
مبتدأ المعنى حكم الكفار وهي كالمة يستعملها الفقيه عند الخروج من كلام الى كلام
وهو كما قال هذا وان للظالمين لشرب سوء اي هذا حق وان اعز فكم ان للظالمين
كذا وسعيا لا ينفر منهم اي اهلكهم بغير قتال وقال ابن عباس لاهلكهم بحند من
الملائكة ولكن ليبلو بعضكم ببعض اي ليبلوكم بالحرب ليبلو ويختبر بعضكم ببعض فيعلم
المجاهد والصابر منكم في السورة نفسها والذين قتلوا في سبيل الله يريد
قتلا احد من المؤمنين فان نفضل اعمالهم فنزاة الغامة قاتلوا وهو اختيار ابي
عبيد وقرأ ابو عمرو وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء وكذلك قرأ الحسن الا انه
شد دالت على التكثير وقرأ الجحدري وعيسى بن عمر وابو جعفر قتلوا بفتح
القاف والتاء من غير الف يعني الذين قتلوا المشركين قال قتادة ذكر لنا ان
هذه الاية نزلت يوم احد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب وقد فشت
فيهم الجراحات والقتل وقد نادى المشركون اعل هبل وقد ذهب المسلمون الله اعلا
واجل فقال المشركون يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال النبي صلى الله عليه
وسلم قولوا لا سواء قتلانا احياء عند ربهم يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون
فقال المشركون ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال المسلمون الله مولانا ولا مولى
لكم وقد تقدم ذكر ذلك في العمدات فرد الله تعالى شهدتهم قال الفراء
قراءة ابي عمرو قتلوا بعيده تقول تعالى شهدتهم ويقبلها لهم والمقتول لا يوصف بهذا
قال غيره لا يكون المعنى سيهديهم الى الجنة او يهديهم من بقي منهم اي يجعل لهم الهدى به
وقال ابن زياد يهديهم الى حاجتهم منكر ونكير في القبر قال ابو المعالي وقد تزداد الهدايتر
والمراد بها ارشاد المؤمنين الى مسالك الجنان والتعرف المفضية اليها من ذلك قوله
تعالى في صفة المي هدى فلن يضل اعمالهم سيهديهم ومنه قوله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم اليها وقد تقدم وقد جعلهم الجنة عرفها لهم
اي اذا دخلوها يقال لهم تنكبوا الى منازلكم فهم اعرف بمنازلهم من اهل الجنة
اذا انصرفوا الى منازلهم قال معناه مجاهد واكثر المفسرين وفي البخاري ما يدل
على صحة هذا القول عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى اذا اهذبوا
ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة
بمنزله كانت في الدنيا وقيل عرفها لهم اي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال قال الحسن
وصف الله تعالى لهم الجنة في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها وقيل فيه حذف اي
عرف طرقها ومساكنها وتسويتها لهم فحذف المضاف وقيل هذا التعريف دليل وهو الملك
الموكل بعمل العمد يمشي بين يديه ويتقدم العبد حتى يأتي العبد منزله ويعرفه الملك جميع ما
جعل له في الجنة وحديث ابي سعيد الخدري يرده وقال ابن عباس عرفها لهم اي طيبها
لهم وانواع الملاذ ما حرد من العرف وهو الرائحة الطيبة وطعام معرف اي مطيب تقول
العرب عرفت اللحم اذا طيبته بالملح والابزار وقال الشاعر "حتى طب رحلا ومدخه
عرفت كاتب عرفته اللطايم يقول كما عرفت الابل وهو السعر والسعار والنشره
الابل وهو فحيص لا لمي له يلبسه الناس وقيل هو من وضع الطعام بعضه على بعض
من كثرة ثم يقال حر نار معرف اي بعضه على بعض وهو من العرف المتتابع كعرف
الفرس وقيل عرفها لهم اي وقتهم للطاعة حتى استوجبوا الجنة وقيل عرف لهم
اسمى انواعها طيها واكرامهم فيها وقيل عرف المطيعين انواعهم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دين الله ينصركم على الكفار
نظيره ولينصرن الله من ينصره وقد تقدم وقال قطرب ان تنصروا نبي الله ينصركم
الله والمعنى واحد ويثبت اقدامكم اي عند القتال وقيل عملي الاسلام وقيل على الصراط
وقيل المراد بتثبيت القلوب لا من يكون بتثبيت الاقدام محبوبة عن النصر والمعونة
في مواطن الحرب وقد مضى في الانفال لهذا المعنى وقال هنا كما اذ يوحي ربك الى الملايكة انى
معكم فثبتوا الذين امنوا فثبت هناك واسطة ونفاها هنا فكقوله شيء في قل يتوفاكم
ملك الموت ثم انتم بقوله عز وجل هو الذي خلقكم ثم يميتكم الذي خلق الموت والحياة
ومثله كثير ما لنا عمل الا الله وحده قوله تعالى والذين كفروا يحتمل الرفع على
الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعسهم الذين كفروا فتعسا لهم نصب
على المصدر كسقيا لك قاله الفراء مثل سقيا لهم ورعيا وهو يختص لهذا قال
الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وفيه كثرة اقوال بعد الهم قال ابن
عباس وابن جبير الشاني حزنا لهم قاله السدي الثالث بعدا لهم قاله ابن زيد
الرابع شتما لهم من الله قاله الحسن الخامس هلاكا لهم قاله ثعلب السادس حسه لهم
قاله الضحاك البضا الثامن شرا لهم قال ثعلب التاسع سقوه لهم قال ابو العالية
وقيل التعس الانحطاط والعثار قال ابن السكيت التعس ان يعثر على وجهه
والنكس ان يجر على راسه قال والتعس ايضا الهلاك قال الجوهري واصله الكب
وهو ضد الانتعاش وقد تعس بفتح العين تتعس تعسا والعسه الله قال يجمع
ابن هلال يقول ٭ وقد افردتها من حلتها تعست كما التعستني بالجمع قول كعب
قال لعا لعثارا ايا لزمه الله هلاكا قال العشيري وصوب قوم تعس بكسر العين
قلت ومنه قول ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد
الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط لم يرض خرجه
البخاري في بعض طرق هذا الحديث تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش خرجه
ابن ماجه قوله تعالى فاحبط اعمالهم ابطلها لانها كانت في طاعة الشيطان
ودخلت الفاء في قوله فتعسا لهم لاجل الابهام الذي في الدين وجاء واحبط اعمالهم على
الخبر حملا على لفظ الذي لانه خبر في اللفظ فدخول الفاء حملا على المعنى واحبط حملا
على اللفظ قوله تعالى ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اي ذلك الاضلال والاتعاس
بانهم كرهوا ما انزل الله من الكتب والشرايع فاحبط اعمالهم اي مالهم من صوم
الصدقة في المسجد وقرى الضيف واصناف القرب ولا يقبل الله العمل
الا من مومن وقيل احبط اعمالهم اي عبادة الصنم قوله تعالى افلم يسيروا
في الارض بين اخوال المومن والكافر سهما على وجوه الايمان ثم وصل نفسه
بالنظر اي لم يسيروا فيها ولا في ارض عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم لتعتبر بهم
فينظروا ليتلوهم كيف كان اخذا مرا لكافرين قبلهم ودمر الله عليهم اي اهلكهم
وانتصابهم بفعل دل عليه ذكره قد جرا مرد مر عليه بمعنى ثم يراجع متروكي هكذا قال

وللكافرين امثالها اي امثال هذه العقبة يعني القتل يوم بدر وقال الزجاج والطبري الهاء
تعود على العاقبة اي وللكافرين من قريش امثال عاقبة تكذيبهم الاسم الساعة ان لم
يؤمنوا قوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا يعني ان الكافرين لا مولى لهم اي وليهم
وناصرهم وبين حرف بن مسعود ذلك بان الله ولي الذين امنوا فالمولى الناصر هاهنا
قاله ابن عباس وغيره قال سعدت كلا العرجين بحسب الله مولى المحق فتخلعها
واما سهما فانه نزلت يوم احد والنبي صلى الله عليه وسلم في الشعب اذ صاح المشركون
يوم يوم لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا
ولا مولى لهم وقد تقدم وان الكافرين لا مولى لهم اي لا ينصرهم احد من الله قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من
تحتها الانهار تقدم في غير موضع والذين كفروا يتمتعون في الدنيا كانهم انعام
ليس لهم هم الا بطونهم ومذهبهم سافلون عما في عدهم وقيل المؤمن في الدنيا يتزود
والكافر في سرب والكافر يتمتع والنار مثوى لهم اي مقام ومنزل قوله تعالى وكاين من قرية
وكاين من قرية تقدم الكلام في كاين في ال عمران وهي هنا بمعنى كم اي وكم من
قرية واشتد الاجتثاث قول لبيد وكاين رايتا من ملوك وسوقه وستاع فيد
للاسير المكبل فيكون معناه وكم من اهل قرية هي اشد من قريتك التي اخرجتك
اي اخرجك اهلها قال اصرهم قال فنتا فاه وابن عباس لما خرج النبي صلى الله
عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال اللهم انك احب البلاد الى
الله وانك احب البلاد الي ولولا المشركون اخرجوني لما

قلت اخرجه الثعلبي فقوله تعالى افمن كان على بينة من ربه اي
تقرير ومعنى على بينة اي على بيان وبيقين قاله ابن عباس ابو العالية
ومحمد صلى الله عليه وسلم والبينة زين له سوء عمله اي عبادة
الاصنام وهواه وجهله والكفار اتبعوا اهواء المزينين من جهة الله خلق
ويجوز ان يكون من جهة الشيطان دعا وسوسة ويجوز ان يكون من
الكافر اي زين لنفسه سوء عمله واصر على الكفر وقيل سوء على لفظ من واتبعوا
على معناه قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون الى قال جل وعز ان الله
يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات وصف تلك الجنات اي صفة الجنة
الممدة للمتقين وقد مضى الكلام في هذا في الرعد وقد اعلى ابن ابي طالب
مثال الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن اي غير متغير
الرائحة والاسن من الماء مثل الاجن وقد اسن الماء يأسن واسن اسونا اذا تغيرت
رائحته وكذا اجن الماء ويقال بالكسر فيهما اسن واجن ياسن ويأجن اجنا
واجونا قال الزجاج يقال اسن الرجل يأسن بفتح السين بالكسر اسنا اذا دخل في البئر
فاصابته ريح منتنة من ريح البئر او غير ذلك فغشي عليه او دار رأسه قال ويقال قد
انتن البئر منتنا من يوم الدرج عبد الله بن الاسن وبروى السوسن
وياسن الماء يغيرا بو زيد يسن علي يأسن اسنا مثل واسط ابو عمرو ياسن الرجل
اياه اذا خلافه وقال اللحياني اذا انزع اليه في الشيء وقراءة العامة اسن بالمد
وقد ابن كثير وحميد اسن بالقصر وهما لغتان مثل حاذر وحذر وقال الاخفش
اسن للحال واسن مثل فاعل يراد به الاستقبال وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي لم
يحمض يطول المقام كما يتغير ألبان الدنيا اليه الحموضة وانهار من خمر لذة للشاربين
اي لم يدنسها الارجل ولم يدنقها الايدي كخمر الدنيا وهي لذيذة الطعم طيبة الشرب
لا تكدعها الشاربون يقال سرات لذ والذيذ سعي واستلذه عنده لذيذ
وانهار من عسل مصفى العسل ما يسيل من نحت النحل مصفى اي من الشمع
والعذرة خلقه الله لذلك لم يطبخ تعالى ذكره ولا دنسه النحل وفي الترمذي
عن حكيم بن معوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة
بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار قال حديث حسن
صحيح وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة وقال كعب نهر
دجلة نهر من الجنة والفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر

عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر والعسل يذكر ويؤنث وقال
ابن عباس من عسل مصفى ابيض لم يخرج من بطون النحل ولهم فيها من كل الثمرات
من زبادة لذات كبد وسغدة من ربهم ايكفر بوهم كمن هو خالد في النار قال الفراء
المعنى أفمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد في النار وقال الزجاج أيؤمن كان
على نبيئة من ربه كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار
فقوله كمن بدل من قوله أفمن زين له سوء عمله وقال ابن كيسان مثل هذه الجنة
التي فيها الذي روى الانهار كمثل النار التي فيها الجحيم والزقوم ومثل اهل الجنة في النعيم
المقيم كمثل اهل النار في العذاب المقيم وسقوا ماء حميما أي حار شديد الغليان
اذا دنا منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم
واخرجها من دبارهم والامعاء جمع مثل التشبيه سبعة وهو جميع ما في البطن
من الحيوان متل كله تعالى ومنهم من يستمع اليك اي من قبل الذين يستمعون
ويأكلون كما تأكل الانعام ومنهم بن لهم سوء عملهم مثل يستمع اليك ونظم المنافقون
عبد الله بن ابي بن سلول ورفاعة بن التابوت وزيد بن الصلت والحرث بن
عمرو ومالك بن دخشم كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة فاذا سمعوا ذكر المنافقين
فيها اعرضوا عنه فاذا خرجوا سألوا عنه قاله الكلبي وسفيان وقتيل كانوا
يحضرون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين المؤمنين فيستمعون منه
ما يقول فيعيه المؤمن ولا يعيه الكافر فاذا خرجوا من عندك اي اذا قاموا
مجلسك قالوا للذين اوتوا العلم قال عكرمة هو عبد الله بن العباس قال
ابن عباس كنت من يسأل اي كنت من الذين اوتوا العلم وفي رواية عن ابن
عباس انه يريد عبد الله بن مسعود ولذا قال لعبد الله بن بريدة هو عبد الله
ابن مسعود وقال القاسم بن عبد الرحمن هو ابو الدرداء وقال ابن زيد انهم
النبي ﷺ اذا قال انفا اي الآن على جهة الاستهزاء ايان لم التفت الى منزلة
والف نيرا دبها الساعة اتيقي امتزبا وقاتك من قولك استأنفت الشيء اذا
ابتدأته بر ومنه امرأة نوفاء وروضة انف اي لم يرعها احد وكأس انف اي لم
يشرب منها شيء كأنه استؤنف منه شرب وقال الشاعر ويحرم
سرحتهم علينا ويأكل جارهم انف القصاع وقال آخر

• ان الشواء الشبل والدعف والعنه الحنث والكأس للانف •

للطا عنين الخيل والخيل حنف وقال امرؤ القيس قد غدا يحملني انف
اي من اوله وانف كل شيء اوله وقال قتادة في صفة المنافقين الناس رجلان
رجل يعقل عن الله فانتفع بما سمع ورجل لم يعقل ولم ينتفع بما سمع وكان يقال
الناس ثلاثة سامع عامل وسامع عاقل وسامع عاقل تارك قوله تعالى
اولئك الذين طبع الله على قلوبهم فلم يؤمنوا واتبعوا اهواءهم في الكفر والذين اهتدوا
اي للايمان زادهم الله هدى وقيل زادهم النبي صلى الله عليه وسلم هدى وقيل
ما يستفيدون من العبرات هدى اي يتضاعف بقينهم وقال السدي زادهم اعراض
المنافقين واستهزاءهم هدى وقيل زادهم نزول الناسخ هدى وبين الهدى
الذي زادهم اربعة اقوال احدها زادهم علما قاله الربيع بن انس انهم علموا
ما سمعوا وعلموا بما عملوا قاله الضحاك الثاني زادهم بصيرة في دينهم وتصديقا
لنبيهم قاله الكلبي الرابع شرح صدورهم بما فهم عليه من الايمان قاله قتادة
اي الهمهم اياها وقيل فيه حسنات وجزاء احدها اياهم الحسنى قاله الربيع الثاني
ثواب تقواهم في الآخرة قاله السدي الثالث وفقهم للعمل الذي فرض عليهم
قاله مقاتل الرابع بين لهم ما يتقون قاله ابن زيد والسدي ايضا الخامس
انه تذكرة المنسوخ والعمل بالناسخ قاله عطية الماوردي وتحتمل سادسا انه
تذكرة الرخص والاخذ بالعزائم وندبهم وامتثالهم بدل توانيهم وقال عكرمة
هذه نزلت فينا امن من اهل الكتاب فقوله تعالى هل ينظرون الا الساعة
ان تأتيهم بغتة اي مجيئة وبغتا وعيد للكافرين فقد جاء اشراطها اي امارتها
وعلاماتها وكانوا قد قرؤا في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخر الانبياء فبعثه
من اشراطها ودلتهم قاله الضحاك والحسن وفي الصحيح بعثت انا والساعة كهاتين

وهم السابعة والوسطى لفظ مسلم وخرجه البخاري والترمذي وابن ماجة ويروى بعثت انا والساعة كفرسي رهان وقيل اشراط الساعة اسبابها التي تقع دون عظمها ومنه قيل للحدث من الناس الشرط وقيل بعثت علامات الساعة اشتقاق الخمر والرخاء قاله الحسن ايضا وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقد استدل على هذا الباب من كتب بالتذكرة مستوفى والحمد لله واحد الاشراط شرط واصله الاعلام ومنه قيل للشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها ومنه الشرط في البيع وغيره قال ابن زيد الاسود

فان كنت قد ارعنك بالصرم بيننا ... فقد جعلت اشراط اولها تبدو

ويقال اشرط فلان نفسه في عمل كذا اي اعلمها وجعلها له قال اوس ابن حجر يصف رجلا يدلي بحبل من راس جبل ابو بنيه ليقطعها يتخذ منها قوسا فاشرط نفسه فيها ونفر عصم والنفي باب له وتوكلا ان بانتهم بغتة ان بدل الاشتمال من الساعة لخوفهم ان تطوهم من قولهم رجال هوامتون وشماهوم متوقدي بغتة باذن حدسه وبغي عن بينة لم تزد في المصادر اخواتها وهي مروية عن ابي عمرو الذي يختاره ما اخوفني ان يكون غلطه من الراوي عن ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كفرحة الحسن وروى ابو جعفر الرواسي وغيره عن اهل مكة ان تاتيهم بغتة قال المهدوي ومن قرا ان باتيهم بغتة كان الوقف على ليست عنه ثم استانف فعل الشرط وما يحتمله الكلام من الشك مردود الى الخلق كانه قال ان سكوا اني سمعا فقد جاء اشراطها فاني لهم اذا جاءتهم ذكرا لهم ابتداء واني لهم الخبر والضمير المرفوع في جاءتهم الساعة التقدير قد جاءت ابن لهم التذكر اذا جاءتهم الساعة قال معناه قتادة وغيره وقيل فكيف لهم بالتنفعة اذا جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة قاله ابن زيد وفي الذكرى وجهان احدهما يذكرهم بما عملوه من خير او شر الثاني يعود عليهم بسماعهم شيئا او تخويفا روى ابان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احسنوا اسماءكم فانكم تدعون بها يوم القيمة ثم اتى بوزك يا فلان فمن اتى بوزك ذكره الماوردي قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله قال الماوردي وفيه وجهان كان الرسول عالما بالله تعالى اوجه يعني اعلم ان الله اعلمك ان لا اله الا الله الثاني ما علمته استدلالا فاعلمه خبرا يقينيا الثالث يعني فاذكران لا اله الا الله فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه عنه وعن سعيد بن جبير انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله حبيبه ابرقا علم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامره بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله وعواقب سغفره وقال اعلموا انما اموالكم فتنة ثم قال فاحذروهم وقال تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد قوله تعالى واستغفر لذنبك يحتمل وجهين احدهما يعني استغفر الله ايها تنع منك ذنب الثاني استغفر الله ليعصمك من الذنوب وقيل لما ذكر له حال الكافرين والمومنين امره بالثبات على الايمان ايها اثبت على ما انت عليه من التوحيد والاخلاص والحذر مما يحتاج معه الى استغفار وقيل الخطاب له والمراد به الامة وعلى هذا القول يجب الابد استغفار الانبياء لجميع المسلمين وقيل كان عليه السلام يضيق صدره من كفر الكفار والمنافقين فنزلت الاية ايها فاعلم انه لا كاشف يكشف ما بك الا الله فلا تعلق قلبك باحد سواه وقيل امر بالاستغفار ليتقيد به الامة وللمومنين والمومنات ايها ولذنوبهم وهذا امر بالشفاعة

وروى مسلم عن عاصم الاحول عن عبد الله سرجس المخزومي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واكلت من طعامه فقلت يا رسول الله غفر الله لك فقال له صاحبي وقد استغفر لك النبي صلى الله عليه وسلم فقال نعم ولكم ثم تلا هذه الاية واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات ثم تخوف فنظر الى خاتم النبوة بين كتفيه جمع حلاة كانه ثالث الليل والله يعلم متقلبكم ومثواكم فيه خمسة اقوال احدها يعلم اعمالكم حين تصدفكم واقفا منكم الثاني متقلبكم في اعمالكم نهارا ومثواكم في ليلكم نياما وقيل متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الاخرة قاله ابن عباس والضحاك وقال عكرمة متقلبكم في اصلاب الاباء الى ارحام الامهات ومثواكم حيث سكم في الارض وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر الى بطن ومثواكم في القبور قلت

والعدم

والنوم يا بني على هذا الكل فلا يخفى عليه سبحانه شيء من حركات بني آدم وسكناتهم وكذا جميع
وجميع خلقه فهو عالم بجميع ذلك قبل كونه جملة وتفصيلا اولي واحري سبحانه وتعالى (الا هو هذا
قوله تعالى ويقول الذين امنوا ايي المؤمنون المخلصون لو انزلت سورة اشتاق
للوحي وحرص على الجهاد وثوابه ومن لوا هملا لذلك فاذا انزلت سورة محكمة لا نسخ
فيها قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد وهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين
وعن قتادة عبد الله فاذا انزلت سورة محدثة اي محدثة النزول وذكر فيها القتال
اي فرض فيها الجهاد وندب فاذا انزلت سورة وذكر فيها القتال على البدن للغازي والمقيم
القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق ينظرون اليك نظر المغشي
عليه من الموت اي نظرهم مبني على ما طبع بالحديد وجحد يشخص بصره عند
الموت وذلك لجبنهم عن القتال جزعا وهلعا ولمثلهم في الرعب الكفار سائنهي
قوله تعالى فاولي لهم طاعة وقول معروف اولي لهم قال الجوهري وقولهم
اولي لك فقد دنوت وشك قال الشاعر

* فاولي ثم اولي وهل للدهر يعلب من مرد * قال الاصمعي معناه
قاربه ما يهلكه اي نزل به وانشد

* فاديب بين هادبيت منها واولي ان يذيد على الثلاثة *

اي فقارب ان يزيد قال ثعلب ولم يقل احد في اولي احسن مما قال الاصمعي وقال
المبرد يقال لمن نهض بالحطب ثم اقلت اولي لك اي قاربت الحطب كما روي ان
عمر ابي كان سوالي رعي الصيد فثقلت منه فيقول اولي لك ثم رعي صيدا فقاربه
ثم اقلت منه فقال لئن كان اولي بطعم الغنوم صيدهم ولكن اولي بترك القوم
جوعا وقيل هو كقول الرجل لصاحبه يا محروم ابعدك الله فكانك قال الجوع جانبي هو
ما خوذ من الويل فهوا فعل ولكن فيه قلب وهوات عينه لمعتل وفتح ما قبل اللام
وتذبيم الكلام على قوله فاولي لهم قال قتادة ذهب كانه قال الخير لهم وقيل ولهم
المكروه ثم قال طاعة وقول معروف ابي طاعة وقول معروف امثل واحسن وهو
قول سيبويه والخليل وقيل ان التقدير امرنا بطاعة وقول معروف فحذف المبتدا هو
فتو فتت تحلي فاولي لهم وكذا من قرأ يقولون منا طاعة وقيل ان الاية الثانية
منفصلة بالاول واللام في قوله لهم معنى الباء اي بالطاعة اولي والبق بهم واحق لهم
من ترك استفت لامر الله وهي قراءة ابي يقولون طاعة وقيل ان طاعة نعت
لسورة محكمة تقديره فاذا انزلت سورة ذات طاعة فلا يوقف على هذا فاولي
لهم وقال ابن عباس ان قولهم طاعة اخبار من الله عز وجل عن المنافقين والمعنى
لهم طاعة وقول معروف قبل وجوب الفرائض بعض عليهم فاذا انزلت الفرائض
شق عليهم نزولها فيوقف على هذا فاولي قوله تعالى فاذا عزم الامر اي
جد القتال وجب فرض القتال كرهوه فكرهوه جواب اذا وهو محذوف وقيل
المعنى فاذا عزم الحرب الامر فلو صدقوا الله ايمانهم والجهاد لكان خيرا لهم منه
المصنع والمعنى لفعة قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض
وتقطعوا ارحامكم فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم اختلف
في معنى ان توليتم فقيل هو من الولاية قال ابو العالية المعنى فهل عسيتم ان توليتم
الحكم فجعلتم حكاما ان تفسدوا في الارض بالظلم وقال ابن جريج المعنى فهل عسيتم
ان توليتم امر الامة ان تفسدوا في الارض بالظلم وقال ابن جريج المعنى فهل عسيتم
ان توليتم عن الظلم ان تفسدوا في الارض بالمعاصي وقطع الارحام وقال كعب المعنى
فهل عسيتم ان توليتم الامران يقتتل بعضكم بعض وقيل معناه الاعراض عن الشيء قال
قتادة اي فهل عسيتم ان توليتم عن كتاب الله ان تفسدوا في الارض بسفك الدماء
الحرام وتقطعوا ارحامكم وقيل فهل عسيتم ايها المنافقون ان اعرضتم عن القتال
وفارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض فتعودوا الى جاهليتكم وقرئ بفتح السين
وكسرها وقد مضى في البقرة مستوفى القول فيه وقال بكر المزني انها نزلت
في الحرورية والخوارج وفيه بعد والاظهر انه انما عنى بها المنافقون وقال
ابن حيان قتيبة ونحوه قال المسيب بن شريك والسدي قالا نزلت في بني
امية وبني هاشم وقيل هذا التأويل ما روي عبد الله بن مغفل قال

سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض ثم قال
فهم هذا الحي من قريش اخذ الله عليهم ان ولوا الناس لم يفسدوا في الارض ولا
تقطعوا ارحامهم وقدا بعلي بن ابي طالب ان توليتم ان تفسدوا في الارض بضم الياء
والواو وكسر اللام وهي قراءة ابن ابي اسحاق ورواها رويس عن يعقوب بقول
ان وليتكم ولاه حادثه خرجتم معهم في الفتنة وجاز بتمومهم وتقطعوا ارحامكم بالبغي
والظلم والقتل وقدا بعتوب وسلام وعيسى وابو حاتم وتقطعوا بفتح التاء
وتخفيف القاف من القطع اعتبارا بقوله تعالى وتقطعون ما امر الله به ان يوصل
وروي هذه القراءة هارون عن ابي عمرو وقدا لحسن وتقطعوا مفتوحة
الحروف مشددة اعتبارا بها بقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم الباقون وتقطعوا
بضم التاء مشددة السطا من التقطيع على التكثير وهو اختيار ابي عبيد وتقدم
ذكر عسيتم في البقرة وقال الزجاج في قراءة نافع لوحا رهذا الى رعب بالكسر
قال الجوهري ويقال عسيت ان افعل ذلك وعسيت بالكسر وقدي فهل عسيتم
بالكسر قلت ويدل على هذا انها لغتان وقد صح ان الغول فيه في البقرة
مستوفى اولئك الذين لعنهم الله اي طردهم وابعدهم من رحمته فاصمهم عن الحق
واعمى ابصارهم اي قلوبهم عن الخير فانتج الاخبار بات من فعل ذلك حتى عليه
لينتبه وسلبه لانتفاع سمعه وبصره حتى لا ينتفع بالحق وان سمعه فجعله كالبهيمة
التي لا تعقل وقال مقاتل عسيتم ثم قال اولئك الذين لعنهم الله فرجع من الخطاب
الى الغيبة تعليما لعادة العرب في ذلك التفاتا بنبه قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن
اي يتفهمونه فيتعلمون ما اعد الله للذين لم يتولوا غير الاسلام ام على قلوب اقفالها
اي بل على قلوب اقفال اقفلها الله عز وجل عليهم فهم لا يعقلون وهذا ابرد على العذرية
والاستئناف بهم وفي حديث مرفوع ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ان على
كل قفل الحديد حتى يكرن الله بفتحه واصل القفل التمس والصلابة ومنه لباس
من السحر القفل والقفيل مثله والقفيل ايضا بيت والقفيل الصوت قال الراجز
* لما ان ك يا بسة قد شيت قمت اليه بالقفيل صربا كيف تومت شيخك الاربا *
القذب بكسر القاف المس عن الاصمعي واقفله الصمم اي ابيه قال الخشني
والجوهري فالا فعال هاهنا اشارة الى ارتياح القلب وخلوه عن الايمان اي
لا يدخل قلوبهم الايمان ولا يخرج منها الكفر لان الله تعالى طبع على قلوبهم وقال
على قلوب لانه قال على قلوبهم كما يدل ظاهر على هذه الجملة والمراد على قلوب
قوم لا قلوب من كانوا بهذه الصفة اقتالها التي لا تتدبر في صحيح مسلم عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ
منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العايذ من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل
من وصلك واقطع من قطعك قالت بلي قال فذلك لك ثم قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم اقرؤا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا
ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن
ام على قلوب اقفالها وظاهر الآية انها خطاب لجميع الكفار وقال قتادة وغيره
معنى الآية فلعلكم ان وقعت عليكم ان اعرضتم عن الايمان ان تعودوا الى الفساد
في الارض تسفك الدماء قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله
تعالى الم يسفكوا الدماء الحرام ويقطعوا الارحام وعصوا الرحمن فالرحم على هذا
رحم دين الاسلام والايمان التي قدسماها الله اخوة بقوله تعالى انما المؤمنون اخوة
وعلى قول العذراء الآية نزلت في بني هاشم وبني امية والمراد من اضر منهم نفاق
فاشار بتقطع الرحم الى ما كان بينهم وبين النبي صلي الله عليه وسلم من العداوة
نكبة بهم النبي صلي الله عليه وسلم وذلك يوجب القتال وبالجملة فالرحم على
وجهين عامة وخاصة فالعامة رحم الدين ويجب مواصلتها بملازمة الايمان
والمحبة لاهله ونصرتهم والنصيحة وترك مضارتهم والعدل بينهم والنصفة في
معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة كتعريض المرض وحقوق الموتى من غسلهم
والصلاة عليهم ودفنهم وغير ذلك المستريحة لهم واما الرحم الخاصة وهي رحم القرابة
في طي الرجل ابيه وامه فيجب لهم الحقوق الخاصة وزيادة كالنفقة وتعقد

اموالهم وتذكر النفقة على من تنفق عليهم في اوقات ضرورتهم ويتأكد حقوقهم حتى قيل
الرحم المماسة حتى اذا اجتمع الحقوق لديه بالاقرب فالاقرب وقال بعض
اهل العلم ان الرحم التي يجب صلتها هي كل رحم محرم وعليه فلا يجب في بني الاعمام
وبني الاخوال وعلى هذا بنى كل رحم ممن يطلق عليه ذلك من ذوي الارحام في المواريث
محرما كان او غير محرم فيخرج في هذا ان رحم الام التي لا تتوارث بها لا تجب صلتهم
ولا يحرم قطعهم وهذا ليس بصحيح والصواب ان كلا ما شمله ونعم الرحم تجب
صلتها على كل حال فنرسه ودسه على ما ذكرناه اولا والله اعلم وقد روى ابو
داود الطيالسي في مسنده قال حدثنا شعبة قال اخبرني محمد بن الجبار قال سمعت
محمد بن كعب القرظي يحدث عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الرحم تكلمت يوم القيمة تحت العرش بتقول يا رب قطعت يا رب
ظلمت يا رب اسيء الي فسحها ربها الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك
وفي صحيح مسلم عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة
قاطع قال ابن عمر قال سفيان يعني قاطع رحم رواه البخاري الرابعة قوله
عليه السلام ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم خلق بمعنى اختزع واصله
التقدير كما تقدم والخلق ههنا بمعنى المخلوق ومنه قوله فذلي هذا خلق
الله اي مخلوقه ومعنى فرغ منهم كمل خلقهم لانه استقل بهم ثم فرغ من
شغله بهم اذ ليس فعله بمباشرة ولا مماسة له ولا خلقه بالة ولا مجل وله تعالى
عن ذلك وقوله قامت الرحم فقالت يجعل على احد وجهين احدهما ان يكون
الله اقام من يتكلم عن الرحم من الملائكة فينقل ذلك وكالة وكله بهذه العبادة
من يصل عنها ويكتب ثواب من وصلها ومؤاخذة من قطعها كما وكل الله سائر
الاعمال كراما كاتبين ومثل هذه اوقات الصلوات ملائكة مختلفين وان نسبها
ان ذلك على صفة التقدير والتمثيل المفهم للاعجاب وشدة الاهتمام فكانه قال لو كانت
الرحم ممن يعقل وتتكلم لقالت هذا الكلام كما قال لقد انزلنا هذا القرآن
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم قال وتلك الامثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون وقوله قالت هذا من مرا لعابد بذلك من التغليظ مقصود
هذا الكلام الاهتمام بتأكيد امر صلة الرحم وان الله سبحانه قد نزلها بمنزلة من استجار
به فاجاره وادخله في ذمته وضمانه واذا كان كذلك فحاذر الله غير عجز ولا مهمة
غير مفوض ولذلك قال بحاطب للرحم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من
قطعك وهذا كما قال عليه السلام من صلى الصبح فهو في ذمة الله تعالى فلا
يطلبنكم الله في ذمته بشيء فانه من يطلبه يدركه ثم يكبه في النار
على وجهه فقوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم قال فتنة لهم كفار
اهل الكتاب كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما عرفوا نعته عندهم قاله ابن جريج
وقال ابن عباس والضحاك والسدي لهم المنا فقون فعدوا عن القتال بعد ما علموه
من العزائم الشيطان سول لهم ابتدأ من لهم خطاياهم قاله الحسن واملى لهم اي مد
لهم الشيطان في الامل وعدهم طول العمر عن الحسن ايضا وقال ابن الذي املى لهم فاعمل
محمد في اجالهم حتى الله عز وجل لهم العمر والمفضل وقال الكلبي وسهل ثم ان
معنى املى لهم اسهلهم فعلى هذا يكون الله تعالى املى لهم بالامهال في عذابهم
وقرأ ابو محمد ويعقوب بن ابي اسحاق وعيسى بن عمر وابو جعفر وشيبة واملى لهم بضم
الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله ولذلك قرأ ابن هرمز ومجاهد
والجحدري ويعقوب كره انهم سكنوا الياء على وجه الخبر من الله تعالى عن نفسه
انه يفعل ذلك بهم كانه قال وانا املى لهم واختاره ابو حاتم قال لان فتح الهمزة
توهم ان الشيطان يملي لهم وليس كذلك فلوجه اعدل الي الضم قال المهدوي ومن
قرأ واملى لهم فالفاعل اسم الله تعالى وقيل الشيطان واختار ابو عبيد قراءة
العامة قال لان المعنى معلوم لقوله لتوفتوا به ورسوله ويعزروه ويوقروه
ويسبحوه رد التسبيح على اسم الله والتوقير والتعزير على اسم الرسول انتهى
قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لما يعني ذلك الاملاء لهم حتى بلغ مدى الكفر بانهم
قالوا لبني المنافقين واليهود للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم

من بعض الامراء من بخا لفة محمد والنطا هر على عداوته والقعود عن الجهاد معه
وتوهين امره في السر وهم انما قالوا ذلك سرا فاجراه الله بنيته وقراءة العامة على
اسرارهم بفتح الهمزة جمع سر وهو احد راجع عيب وارب حائر وقرا الكوفيون
وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم اسرارهم بكسر الهمزة على
المصدر نحو قوله تقاتلهم واسرت لهم اسرارا جمع لاختلاف ضروب السر وهو
قولهم نفاق فكيف انى فكيف يكون حالهم اذا توفتهم الملائكة يضربون ابي
ضاربين فهو في موضع الحال ومعنى الكلام التخويف والتهديد اي كيف ضربهم العذاب
فالي انقضاء العمر وقد مضى في الانفال والنحل وقال ابن عباس لا تتوفى احدا على معصية
الا بضرب شديد لوجهه وقفاه وقيل ذلك عند القتال نصرة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يضرب الملائكة وجوههم عند الطلب وادبارهم عند الهرب وذلك في القتال
عند سوقهم الى النار قوله تعالى ذلك اي ذلك جزاؤهم بانهم اتبعوا ما اسخط
الله قال ابن عباس يعني كتمانهم ما في التوراة من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وان
صلته على المنافقين وهو اشارة الى ما ظهروا عليه من الكفر وكرهوا رضوانه بعيب
الايمان فاحبط اعمالهم اي ما عملوه من صدقة وصلة الرحم وبعز ذلك على ما تقدم
قوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض نفاق وشك يعني المنافقين
ان لن يخرج الله اضغانهم الاضغان ما تضمن من المكروه واختلف في معناه فقال
السدي بغضهم وقال لابن عباس حسدهم وقال قطرب عداوتهم وانشد قول الشاعر
قل لابن هند ما اردت بمنطق شاك الصديق وسيد الاضغان وقيل احقادهم
واحدها ضغن قال وذبه ضغن كغفت النفس عنه وقد تقدم وقال عمرو بن كلثوم
وان الضغن بعد الضغن يبدو عليك ويخرج الداء الدفين قال
الجوهري الضغن والضغينة الحقد وقد ضغن عليه بالكسر ضغنا وبقينا عز التوم
واضطغنوا البطنوا على الاحقاد واصطغنت الضبي اذا احتضنت صغنك
وانشد الاحمر كانه مضطغن صبيا ابو حامله في حجره وقال ابن مقبل
• • اذا اصطغنت سلاحي عند مصرعها ومرفق كدرياش السيف اذ شغبا •
ونرس ما عن لا يعطى ما عنده من الحرب الا بالضرب والمعنى ام حسبوا ان لن يظهر الله
عداوتهم وحقدهم لاهل الاسلام ولو نشاء لاريناكهم اي كعرفناكهم قال ابن عباس وقد
عرفهم انهم في سورة براءة تقول العرب سارمك ما اضمر ابي بك على ومنه قوله
تعالى لي بما اراك الله اي بما اعلمك فلعرفتهم بسيماهم ابي بعلامتهم قال انس ما خفي
على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية احد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم
وقد كنا في غزاة وفيها سبعة من المنافقين يشكونهم الناس فاصبحوا ذات ليلة
وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق قد لك بسيماهم وقال ابن زيد قد
الله اظهر نبيهم وامرهم ان يخرجوا من المسجد وابوا الا ان يتمسكوا بلا اله الا الله فحقنت
دماهم وانكحوا بها ولتعرفنهم في لحن القول اي في فحواه ومعناه ومنه قول الشاعر
• وخير الكلام ما كان لحنا اي ما عرف بالمعنى ولم يصرح به ماخوذ من اللحن في
الاعراب وهو الذهاب عن الصواب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم
تختصمون اليه ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض اي اذهب بها عن الصواب
لفوتر عن تقريب الكلام ابو زيد لحنت له بالفتح الحن لحنا اذا قلت له قولا يفهمه
عنك ويخفى على غيره ولحنه هو عني بالكسر يلحنه لحنا اي فهمه والحنة انا اباه
ولاحنت الناس قلت ظنهم قال العراريه
• وحديث الذه هو مما سعت الحاضرون بوزن ورنا •
سقطت رابع ولتعرفنهم وجبر الحديث ما كان لحنا بديد انها تتكلم وهو بديد
بميزه ويعرض في حديثها مزيلة عن جهته من قطنها وذكائها وقد قال تعالى
ولتعرفنهم في لحن القول وقال العمال الكلابي الاسدي •
• ولقد وجدت لكم لكيما تفهموا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب •
وقال مرداد الاسدي ولحنت لحنا فيه غشوره ابني صدوك بيرحين البوشاة
الاحاديا قال الكلبي فلم يتكلم بعد نزولها منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم
الا عرفه وقيل كانت المنافقون يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم بكلام تواضعوا

فبي بينهم والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ذلك ويأخذ بالظاهر لم تعبدهم الله
تعالى عليه فكانت بعد هذه الغزوة المنافقين اذ سمع كلامهم قال انس فلم يخف
منا فق بعد هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفه الله ذلك بوحي
او بعلامة عرفها بتعريف الله اياه والله يعلم اعمالكم ايها يخفى عليه شيء منها قوله
تعالى ولنبلونكم اي نعاملكم بالشرايع وان علمنا عواقب الامور وقبل لنعلم ذلك منكم
من ملة المختبرين حتى يعلم المجاهدين منكم والصابرين عليه قال ابن عباس حتى
يعلم حتى يتميز وقال علي رضي الله عنه حتى يعلم حتى نريه وقد مضى في البقرة وقراءة
العامة بالنون في نبلونكم ويعلم وبتبلوا وقرا ابو بكر عن عاصم بالياء فيهن وروى
روس عن يعقوب اسكان الواو من يبلوا على القطع مما قبل ونصب الباقون
ردا على قوله حتى يعلم وهذا العلم هو العلم الذي يتعلق به الجزاء لانه انما يجازيهم بما علم
لا بعلمه القديم منهم فتا ويله حتى نعلم المجاهدين منكم شهادة لانهم اذا امروا ليعلم
بشهد منهم ما عملوا في الجزاء بالثواب والعقاب تتعلق علمي علم الشهادة ونبلوا
اخباركم بحسرها وتظهرها قال ابراهيم الاشعث كان الفضل ابن عياض اذا قرا
هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبتلينا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا
قوله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يرجع الى المنافقين واليهود
اليهود وقال ابن عباس هم المطعون يوم بدر بسطيرها ان الذين يتعمدون امر العلم
ليصدوا عن سبيل الله الآية وشاقوا الرسول اي عادوه وخالفوه من بعد ما تبين
لهم الهدى اي علموا انه نبي بالحجج والآيات لن يضروا الله شيئا بكفرهم وسيحبط
اعمالهم اي ثواب ما عملوه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا
الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول لما بين حال الكفار امر المومنين بلزوم الطاعة في اوامره والرسول
في سنته ولا تبطلوا اعمالكم اي حسناتكم بالمعاصي قال الحسن وقال الزهري بالكبائر
ابو جريج بالرياء والسمعة وقال مقاتل والكلبي بالمن وهو خطاب لمن كان يمن
على النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه وكله منتقارب وقول الحسن يجمعه وفيه
اشارة الى ان الكبائر تحبط الطاعات والمعاصي تخرج عن الايمان الثانية
احبط عملهم ونا وغيرهم بهذه الآية على ان التحلل من التطوع صلاة كان او صوما
بعد التلبس به لا يجوز لان فيه ابطال العمل وقد نهى الله عنه وقال من احياء ذلك
وهو الامام الشافعي رضي الله عنه المراد بذلك ابطال ثواب العمل المعروف فمنهم الرجل
عن احباط ثوابه فاما اذا كان نفلا فلا لانه ليس واجبا عليه فان زعموا ان ر
اللفظ عام فلا يمتنع جواز تخصيصه ووجه تخصيصه ان النفل تطوع والتطوع
يقبض تخييرا وعن ابي العالية كانوا يرون انه لا يضر مع الاسلام ذنب حتى نزلت
هذه الآية فخافوا الكبائر ان تحبط الاعمال وقال مقاتل يقول الله تعالى اذا
عصيتم الرسول فقد ابطلتم اعمالكم قوله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار لن يغفر الله لهم بين ان الاصرار على الكفر
يوجب الخلود في النار وقد مضى في البقرة الكلام فيه وقيل ان المراد بالآية اصحاب
القليب وحكمها عام قوله تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم فيه ثلاث
مسائل الاولى قوله تعالى فلا تهنوا وتدعوا اي تضعفوا عن القتال والوهن
الضعف وقد وهن الانسان وهنه غيره بتعدية ولا تتعدية فاك ابن السكيت بموهون
مقتروه ونصف ايضا بالكسر ونصف اي ضعف وقد يجيء فيما وقعوا بضم الهاء وكسرها وقد
مضى في آل عمران الثانية قوله تعالى وتدعوا الى السلم اي الصلح واسم الاعلون اي
واسم اعلم بالله منهم وقيل واسم الاعلون في الحجة وقيل المعين واسم الغالبون لانكم
مومنون وانتم تغلبونهم في انظار بعض الاحوال وقال قتادة لا تكونوا اول الطائفتين
صرعت الى صاحبها الثالثة واختلف العلماء في حكمها فقيل انها ناسخة لقوله
تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها لان الله تعالى منع من الميل الى الصلح اذا لم يكن
بالمسلمين حاجة الى الصلح وقيل منسوخة بقوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح
لها وهي محكمة والآيتان نزلتا في وقتين مختلفي الحال وقيل ان قوله وان جنحوا للسلم
فاجنح لها مخصوص في قوم باعيانهم والاخرى عامة فلا يجوز مهادنة الكفار الا عند

الضرورة وذلك اذا عجزنا عن مقاومتهم لضعف المسلمين وقد مضى هذا المعنى
مستوفى والله معكم اي بالنصر والمعونة مثل وان الله لمع المحسنين ولن يتركم اعمالكم اي
لن ينقصكم عن ابن عباس وغيره ومنه المذكور الذي قيل له هل قام يدرك بدعه
يقول منه وتره يتره وتارة وتره ومنه قوله تعالى عليه السلام من فاتته صلاة العصر
فكأنما وتر اهله وماله اي ذهب بهما وكذلك وتره حقه اي نقصه وقوله لن يتركم
اعمالكم ابه لن ينقصكم في اعمالكم كما يقول دخلت البيت واتت تزيد في البيت قاله
الجوهري العدا ولن يتركم هو مشتق من الوتر وهو الرجل وقيل هو مشتق من
الوتر وهو الفرد فكان المعنى ولن يفردكم ببير ثواب قوله تعالى انما الحياة
الدنيا لعب ولهب تقدم في الانعام وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم شرط وجوابه
ولا يسئلكم اموالكم ابه لا يأمركم باخراج جميعها في الزكاة بل امركم باخراج البعض
قاله ابن عبينة وعنه وقيل لا يسئلكم اموالكم لتنفعوا ولحاجته منه اليها انما يأمركم
بالانفاق في سبيله ليرجع ثوابه اليكم وقيل لا يبتكم اموالكم لتنفقوه وانتم يسألكم
اموالكم لانه اسلكم لها وهو المنعم بها عطاياها وقيل لا يبتكم بحمد اموالكم اجرا على
تبليغ الرسالة لنظيره قل لا اسألكم عليه شيئا اجرا الا ان يبتلكم بها فيحملكم على بذلكم
يقال احفى بالمسئلة والحف والحف بمعنى واحد والحفي المستقصي في السؤال وكذلك
الاحف الاستقصاء في الكلام والمنازعة ومنه احفى سار بزاي استقصى في احده
يحملوا ويخرج اضغانكم ابه يخرج البخل اضغانكم قال قتادة فقد علم الله في سؤال
المال خروج الاضغان وعنه ابن عباس ومجاهد وابن محيصن وحميد ويخرج بنصب
مفتوحة وراء مضمومة اضغانكم بالرفع للكوفيين وروى الوليد عن يعقوب الحضرمي
ويخرج بالنون وابو محمد بن عبد الوارث عن ابي عمرو يجترح بالدغم في الجيم
على القطع والاستئناف والمشهور عنه ويخرج كسائر العرا وعطف على ما تقدم
قوله تعالى ها انتم هؤلاء تدعون اي ها انتم هؤلاء المؤمنون تدعون لتنفقوا
في سبيل الله اي في الجهاد وطريق الخير فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه
ابه على نفسه ابه بمنعها الاجر والثواب والله الغني ابه انه ليس يحتاج الى
اموالكم وانتم الفقراء اليها وان تتولوا تستبدل قوما غيركم ابه اطوع لله منكم روى
الترمذي عن ابي هريرة قال تلي رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية وان
تتولوا تستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قال واومأ بيده لبنا قال فضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه هذا
وقومه قال حديث غريب في اسناده مقال وقد روى عبد الله بن جعفر بن
نجيح والد علي بن المديني ايضا هذا الحديث عن العلا بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة قال قال اناس منا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان
سلمان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخذ سلمان قال هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان
منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة
هم فارس والروم قال المحاسبي فلا احد بعد العرب من جميع اجناس
الاعاجم حسن دين ولا كانت اسلما منهم الا الفرس وقبائلهم اليمن وهم الانصار
قاله شرحبيل بن عبيد وكذا قال ابن عباس هم الانصار وعنه انهم الملائكة
وعنده هم التابعون وقال مجاهد انهم من شاء من سائر الناس ثم لا يكونوا
امثالكم قال الطبري ابه في البخل بالانفاق في سبيل الله وحكي عن ابي
موسى الاشعري انه لما نزلت هذه الاية فرح بها رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال هي احب الي من الدنيا

سورة الفتح مدنية باجماع وهي تسع وعشرون اية

ونزلت بين مكة والمدينة في شان الحديبية روى محمد بن اسحاق
عن الزهري عن عروة بن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم فالا نزلت
سورة الفتح بين مكة والمدينة في شان الحديبية من اولها الى اخرها وفي
الصحيحين عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأله فلم يجبه فقال لعمر ابن الخطاب ثكلتك
ام عمر ثكلتك يا عمر سرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث مرات كل ذلك لم يجبك فقال
عمر فحركت بعيري ثم تقدمت امام الناس وخفت ان ينزل في قرآن فما سمعت
ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت ان يكون نزل في قرآن فجئت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة
لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا لفظ البخاري
وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح وفي صحيح مسلم عن قتادة ان انسا
ابن مالك حدثهم قال لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر ضرب نعمته عليك ويهدك صراطا مستقيما الى قوله
فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم منه لطفهم الحزن والكآبة وقد نحروا الهدي
بالحديبية فقال لقد انزلت علي آية هي احب الي من الدنيا جميعا وقال
عطاء عن ابن عباس ان اليهود شمتوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين
لما نزل قوله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقالوا كيف نتبع رجلا لا يدري
ما يفعل به فاشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى انا
فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر نحوه قال
مقاتل بن سليمان لما نزل قوله تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم فرح
المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع رجلا ما يدري ما يفعل به ولا باصحابه
فنزل بعد ما رجع من الحديبية انا فتحنا لك فتحا مبينا اي قضينا لك قضاء مبينا
وهذه الاية تلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي سورة ما يسرني
بها حمر النعم وقال المسعودي بلغني انه من قرأ سورة الفتح في اول ليلة من
رمضان في صلاة التطوع حفظه الله ذلك العام

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا اختلف في هذا الفتح ما هو فقيل البخاري حدثني محمد ابن بشار قال حدثنا غندر قال حدثنا شعبة قال سمعت قتادة عن انس ان فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية وقال جابر ما كنا نعد فتح مكة الا يوم الحديبية وقال انتم تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا نعد مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر وقال الضحاك انا فتحنا لك فتحا مبينا بعثير فتحا له وكان الصلح من الفتح وقال مجاهد هو ما سخره بالحديبية من حلقه راسه وكان فتح الحديبية انه عظمه بدح ما وصفح فيها قدر ما لك حتى شرب جميع من كان معه وقال موسى بن عقبة قال رجل منصرفهم من الحديبية ما هذا الفتح لقد صدونا عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم الفتح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألونكم القضية ويدعوا اليكم بعد الاباء وقد رأوا منكم ما كرهوا وقال الشعبي في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال هو فتح الحديبية لقد اصاب فيها ما لم يصب في غزوة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ونشر بيعة الرضوان واطعموا بخيل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المسلمون بظهور اهل الكتاب على المجوس وقاله الزهري لقد كان الحديبية اعظم الفتوح وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى الف واربع مائة فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم في بعض وخلا بعضهم ببعض وسمعوا بعضهم من بعض ما اراد بالاسلام الا تمكن منه فما مضت تلك السنتان الا والمسلمون فتحوا اليهم مكة في عشرة الاف وقال مجاهد ايضا والعرنيون هو فتح خيبر والاول اكثر وخيبر انما كانت وعدا وعدوه على ما بانى ببيانه في قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم وقوله وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وقال مجمع بن حارثة وكان احد القراء الذين قرؤوا القرآن شهدنا الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض

ما بال الناس قالوا ارجعي الى ابيك النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجت فرجعت فاذا نبي
الله صلى الله عليه وسلم عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس عنده قال النبي صلى الله عليه وسلم
انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر ابن الخطاب او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي
نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل فيها احد الا من شهد
الحديبية وقيل ان قوله تعالى فتحا يدل على ان مكة فتحت عنوة لان اسم الفتح
لا يقع مطلقا الا على ما فتح عنوة هذا هو حقيقة الاسم وقد يقال فتح البلد لا يقع
مطلقا الا على ما فتح عنوة صلحا فلا يفهم الصلح الا بان يقترن بالفتح قضاء والفتح
في الصلح مجازا والاجماع دال على انها فتحت عنوة وقد مضى القول فيها وباقي
قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ابن الانباري فتحنا
مبينا علمنا ان قوله ليغفر لك الله ما تقدم متعلق بالفتح كانه قال انا فتحنا
لك فتحا مبينا لكي يجمع الله لك مع الفتح المغفرة فيجمع الله لك به ما تقر به عينك
من الدنيا والاخرة وقال ابو حاتم السجستاني هو لام العشم وهذا خطا لان لام العشم
لا تنصب بها ولو جاز هذا لقلنا زيدين قيل لتقوم زيدا لزيد بن فان قلت
كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة قلت لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور
الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل
يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك خير الدارين وعواقب العاجل والاجل
ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهد وتعب سببا للمغفرات والثواب وبين
الزمخشري بمن استدل الاولون بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر مرجعه هذا الحديبية قلت لما نبي صلى الله عليه وسلم لقد نزلت
علي اية احب الي مما على وجه الارض ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم قالوا هنيئا
مريئا لك يا رسول الله لقد بين الله لك ماذا يفعل بك فما يفعل بنا فنزلت ليدخل
المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وما بعدها قال حديث
حسن صحيح وفيه عن مجمع بن حارثة وا ختلف اهل التاويل في معنى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك فقيل الرسالة وما تأخر عصمة قاله ابن بكير وغيره قال الطبري وسفيان
الثوري قال الطبري هو راجع الى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس
يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تأخر عصمة بعدها وقال الطبري وقت نزول هذه الاية
وقال سفيان الثوري ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك ما عملت في الجاهلية فتبدات
بوحي اليك وما تأخر كل شيء لم يعمل وقاله الواحدي وقد مضى الكلام في حرف
النصف بما يملى الاية في سورة البقرة فهذا اقول وقيل ما تقدم قبل الفتح وما تأخر
بعد الفتح وقيل ما تقدم قبل نزول هذه الاية وما تأخر بعدها وقال عطاء الخراساني
ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابيك ادم وحوى وما تأخر من ذنوب امتك وقيل
من ذنب ابيك ابراهيم وما تأخر من ذنوب النبيين وقيل ما تقدم من ذنب يوم
بدر وما تأخر من ذنب يوم خيبر وذلك ان الذنب المتقدم يوم بدر انه حمل يدعو
ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض ابدا وحمل يردد نحوا
من هذا القول فعلمت فاوحى الله اليه من اين يعلم اني لو اهلكت هذه العصابة لا عبد
ابدا فكان ذنبه المتقدم واما الذنب المتاخر فيوم حنين لما انهزم الناس
قال له العباس وابن عمه ابي سفيان ثابتا ولا بن كث من حصى الوادي فثار وملا يده
فاخذه بيده ورمى به في وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه فما بقي منهم احد الا امتلات
عيناه رملا وحصبا ثم ناديت اصحابه فرجعوا فقال لهم عند رجوعهم لولم ارمهم لم ينهزموا فانزل الله عز وجل
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فكان هذا هو الذنب المتاخر وقال ابو علي
الرودباري يقول لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك فوله تعالى
ويتم نعمته عليك قال ابن عباس في الجنة وقيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح مكة
والطايف وخيبر وقيل بخضوع من استكبر وطاعة من عتر ويهديك صراطا
مستقيما اي يثبتك على الهدى الى ان تصيبك اليه وينصرك الله نصرا عزيزا اي
غالبا منيعا لا يتبعه ذل فوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب

المومنين

المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم السكينة للسكون والطمانينة قال ابن عباس كل
سكينة في القرآن هي الطمانينة الا التي تقدم في البقرة وتقدم معنى زيادة
الايمان في العمران وقال ابن عباس بيت النبي صلى الله عليه وسلم تشهدا ان
لا اله الا الله فلما صدقوه فيها زادهم الصلاة فلما صدقوه زادهم الزكاة فلما صدقوه
زادهم الصيام فلما صدقوه زادهم الحج ثم اكمل لهم دينهم فذلك قوله تعالى ليزدادوا
ايمانا مع ايمانهم اي تصديقا ببشرايع الايمان مع تصديقهم بالايمان وقال الربيع بن انس
خشية مع خشيتهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم ولله جنود السموات والارض قال
ابن عباس يديد الملايكة والجن والانس طين والانس وكان الله عليما باحوال خلقه
حكيما فيما يديده قوله تعالى ليدخل المومنين والمومنات جنات اي انزل السكينة
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ثم مع ذلك الزيادة ليدخلهم فعلم الحكمة وقيل اللام في
ليدخل يتعلق بما يتعلق به اللام في قوله ليغفر لك الله وكان ذلك ايجاب ذلك الوعد
من دخول مكة وغفران الذنوب عند الله فوزا عظيما اي بخلاه من كل غم وظفرا
بكل مطلوب وقيل لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر حرفا لواهب لك يا رسول الله فما ذا لنا فنزل ليدخل المومنين
والمومنات جنات ولما قدا وتيم نعمته عليك فما لواهب لك فنزلت واتممت عليكم
نعمتي فلما قال ويهديك صراطا مستقيما نزل لئن حق الامة ويهدي بكم صراطا مستقيما
ولما قال وينصرك الله نصرا عزيزا نزل وكان حقا علينا نصر المومنين وهو كقوله
تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
ثم قال هو الذي يصلي عليكم ذكره للتشريف قوله تعالى ويعذب المنافقين
والمنافقات والمشركين والمشركات ايذانا بجعل الهموم الهم يجب على كافة المسلمين
ان ينتسلط النبي صلى الله عليه وسلم فيلاوا سرا واستئرافا الظانين بالله
ظن السوء يعني ظنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يرجع الى المدينة ولا احد من اصحابه
حتى صرح الى الحديبية وان المشركين تستاصلونهم كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب
الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا وقال الخليل وسيبويه السوء هنا الفساد عليهم دايرة
السوء اي الدوايا بالقتل والسبي والاسر دون الاخرة بكفرهم وقرا ابن كثير وابو عمرو دايرة
السوء بالضم وفتح الباقون قال الجوهري ساءه يسوءه سوءا بالفتح وساءة ومساءة
نقيض سره والاسم الاسوء بالضم وقد يجيء عليهم دايرة السوء بفتح السين منه والشر هنا
فتح فهو من المساءة وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله
جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما تقدم في غير موضع جميعه والحمد لله
وقيل لما جرى صلح الحديبية قال ابن ابي ابطن مكة اذا صالح اهل مكة وفتحها
الا يبقى له عدو فمن فارس ولله جنود السموات الملايكة وجنود الارض المومنون
واعاد ذكر الذي بمعنى ذكر المشركين من قريش وهذا اعقب ذكر المنافقين وسايد المشركين
والمراد في الموضعين التخويف والتهديد فلو ازداد هلاك المشركين والمنافقين لم يعجزه
ذلك ولكن يوخرهم الى اجل مسمى قوله تعالى ان ارسلناك شاهدا قال قتادة
على امتك بالبلاغ وقيل شاهدا عليهم باعمالهم من طاعة او معصية وقيل مبينا لهم ما ارسلناك
به اليهم وقيل شاهدا عليهم يوم القيمة فهو شاهد لهم اليوم والشهيد عليهم يوم القيمة
وقد مضى في النساء عن سعيد بن جبير هذا المعنى مبينا ومبشرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا
من النار لمن عصاه قائم قتادة ونذيرا وقد مضى في البقرة اشتقاق البشارة والنذارة
ومعناهما وانتصب شاهدا ومبشرا ونذيرا على الحال المقدرة حكى سيبويه مررت برجل
معه صقر صايدا به ابدا غدا لمعنى انا ارسلناك مقدرين هذه الاشياء لكم اليوم والشهيد عليهم يوم القيمة
لتقبل عمران ايها عند! ليومنوا بالله ورسوله قرا ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو وليومنوا
بالياء وكذلك ليعزروه ويوقروه ويسبحوه كله بالياء على الخبر واختاره ابو عبيد
لذكر المومنين قبله وبعده فاما قبله فقوله ليدخل واما بعده فغفر لهم ان الذين
يبايعونك الاية فتون بالت على الخطاب واختاره ابو حاتم ويعزروه الهاء يعظموه
ويفخموه قاله الحسن والكلبي والتعزير التعظيم والتوقير قال قتادة ينصروه
ويمنعوا منه ومنه التعزير في الحدود انه مانع قال القطامي

« الا انكرتني ليتني سفاهة » تعزب والمورود يثقله العزر »

وقال ابن عباس وعكرمة تنفوا تلوث معه بالسيف وقال بعض اهل اللغة تطعنوه وتوقروه
اي تسودوه قاله السدي وقيل تعظموه والتوقير التعظيم والتزيين ايضا والهاء فيها للنبي صلى
الله عليه وسلم وقف تام ثم ابتدأ بي وتسبحوه اي تسبحوا الله بكرة واصيلا اي عشي
وقيل الضمائر كلها لله تعالى فعلى هذا يكون تاويل يعزروه ويوقروه اي تنصروا له
صحة الربوبية وتتقوا عنه ان يكون له ولد او شريك واختار هذا القول الفراء
والاول قول الضحاك وعليه يكون بعض الكلام راجعا الى الله سبحانه وتعالى وهو وتسبحوه
من غير خلاف وبعضه راجعا الى رسوله صلى الله عليه وسلم وهو يعزروه ويوقروه اي
تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية وفي يسبحوه وجهان احدهما تسبحوا بالتزيه
له سبحانه من كل قبيح والثاني تصلوا له التي فيها التسبيح بكرة واصيلا اي غدوة
وعشيا وقد مضى القول فيه وقال الشاعر يعيرها

ان البيت اكرم اهله واجلس في افنائه بالاصائل

قوله تعالى ان الذين يبايعونك بالحديبية يا محمد انما يبايعون الله يعني
ان بيعتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم انما هي بيعة الله كما قال من يطع الرسول فقد اطاع
الله وهذه البيعة هي بيعة الرضوان على ما بايني بيانها في هذه السورة ان شاء الله
تعالى يد الله فوق ايديهم قيل المعنى يده في الثواب فوق ايديهم في الوفاء وقيل
الملك عليهم بالهداية فوق ايديهم في الطاعة وقال الكلبي نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا
من البيعة وقال ابن كيسان قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم فمن نكث
بعد البيعة فما ينكث على نفسه انما يرجع ضرب النكث عليه لا يضر نفسه في العواقب
والزمها العقاب ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه وقيل في ابتداء نزول هذه الآية
اجرا عظيما يعني الجنة وقرأ حفص والزهري عليه الله بضم الهاء وكسرها الباقون
وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر فسنؤتيه بالنون واختاره العزاوابو حاتم وقرأ
الباقون بالياء وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لقرب اسم الله منه قوله تعالى
سيقول لك المخلفون من الاعراب قال مجاهد وابن عباس يعني اعراب غفار ومزينة
وجهينة واسلم واشجع والديل وهم الاعراب الذين كانوا حول المدينة تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اراد السير الى مكة عام الفتح بعد ان
كان استنفرهم ليخرجوا معه حذرا من قريش واحرم بعمرة وساق معه الهدي
ليعلم الناس انه لا يريد حربا فبيتتهم قلوا عنه واعتلوا بالشغل فنزلت وانما قال لك
المخلفون لان الله خلفهم عن صحبة نبيه والمخلف المتروك وقد مضى في براءة شغلتنا
اموالنا واهلونا اي ليس لنا من يقوم بها فاستغفر لنا جوابا لطلبهم الاستغفار
واعتقادهم بخلاف ظاهرهم فعرفهم الله تعالى بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم وهذا نعوا النفاق المحض قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا
حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد هنا فقط ايا حد يضركم وقال ابن عباس الضر بالضم
الاب والزمانة بالفتح وهو مصدر ضر ينضر ضرا وبالضم اسم لما ينال الانسان من الهزال
وسوء الحال والمصدر يودي عن المرأة واكثر واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال
لانه قابل النفع والمنفعة اراد بكم نفعا اي نصرا وغنيمة وهذا رد عليهم
حين ظنوا ان التخلف عن الرسول صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر ويحصل لهم
النفع قوله تعالى وظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم
ابدا وذلك انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة رأس لا يرجعون ابدا زين ذلك في قلوبكم
في قلوبكم وهذا التزيين من الشيطان او خلق الله ذلك في قلوبهم وظننتم ظن
السوء ان الله لا ينصر رسوله وكنتم قوما بورا اي هلكى قاله مجاهد وقتادة
فاسدين لا يصلحون لشيء من الخير قال الجوهري البور الرجل الفاسد الهالك
الذي لا خير فيه قال عبد الله بن الزبعري السهمي

يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ انا بور

والمرأة بور ايضا حكاه ابو عبيد وقوم بور هلكى قال الله تعالى وكنتم قوما بورا
وهو جمع لا يثنى مثل حائل وحول وقد بار يبور بورا وبوارا اي هلك وابار الله الهالك وقيل
بورا اشرارا قاله ابن بحر وقال حسان بن ثابت

ينبع الطول من نذك القلوب وقد يهدي لاله سبيل المعصر البوري

ابو الهالك قوله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وعيد لهم وبيان انهم

كفروا

كفروا بالنفاق فقوله تعالى ولله ملك السموات والارض ايهو غني عن عباده
وانما ابتلاهم بالتكليف ليثيب مطيعا ويعاقب من كفر وعصى فقوله تعالى سيقول
المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر لان الله عز وجل
وعدا هل الحديبية فتح خيبر وانا لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر ومن لم يذهب منهم
عنها بعيرا بعد عهد الله فقسمها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من حضر قال
ابن اسحاق وكان المشركون للقسمة بخيبر جماعة من بني غفار الانصار من بني سلمة مزينة بن
ثابت سابقي الحاج ركانا حاضرين فاسمعهم ذلك ليتبعكم ايهو دعوتنا تقول ذلك ايهو دعوة
وهو يريد به ايهو بعد واصله وذلك ريد فحذف لوسعه لسعة وقد اثبت صدره لا وذره
ولا واذره ولكن تركه وهجرنا ركن قال بجاد قد تخلفوا عن الخروج الى مكة فلما خرج
النبي صلى الله عليه وسلم واحدقوا وجه بهم قالوا لو اذ رونا نتبعكم فيقاتل معكم
يريدون ان يبدلوا كلام الله اي يغيروا قال ابن زيد هو قوله تعالى فان رجعك الله
للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا الاية والذكر هذا القول الطبري
وحجته سبب ان غزوة تبوك كانت بعد فتح خيبر وبعد فتح مكة وفيها المعنى يريدون
ان يغيروا وعد الله الذي وعد لاهل الحديبية وذلك ان الله تعالى جعل لهم عنائم
خيبر عوضا من فتح مكة اذ رجعوا من الحديبية على صلح قال ابو محمد وقد وقتادة
واختاره الطبري وعليه عامة اهل التاويل وقرا حمزة والكسائي كلم بسكون اللام
على الافراد وكسر اللام جمع كلمة كخرسلمه وسلم البقرة كلام على المصدر واختاره ابو عبيد
وابو حاتم اعتبارا بقوله تعالى ان اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي والكلام
ما استقل بنفسه من الجمل قال الجوهري الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير
والكلم لا يكون اقل من ثلاث كلمات لانه جمع كلمة مثل نبقة ونبق ولهذا قال سيبويه هذا
باب علم ما الكلم من العربية ولم يقل ما الكلام لانه اراد ثلاثة اشياء الاسم والفعل
والحرف التي لا يكون الاجمع وترك ما يمكن ان يقع على الواحد والجماعة وتميم تقول
هي كلمة بكسر الكاف وقد مضى في براءة القول فيها كذلكم قال الله من قبل اي من قبل رجوعنا
من الحديبية ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة فسيقولون بل تحسدوننا ان
نصيب معكم من المغانم وقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خرجتم لم اصحبكم
الا انه لا سهم لكم فقالوا هذا حسد منا لنا فقال المسلمون قد اخبرنا الله في الحديبية بما سيقولونه
وهو قوله تعالى فسيقولون بل تحسدوننا فقال الله تعالى بل كانوا لا يفقهون
الا قليلا يعني لا يعلمون الا امر الدنيا وقيل لا يفقهون من امر الدين الا قليلا يعني وهو
من ترك النفاق قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم
اولي باس شديد فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب
ستدعون ابهو قل لهوة الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم اولي باس شديد
قال ابن عباس وعطاء بن ابي رباح ومجاهد وابن ابي ليلى وعطاء الخراساني هم فارس
وقال كعب والحسن وعبد الرحمن بن ابي ليلى الروم وعن الحسن ايضا فارس والروم
وقال ابن جبير هوازن وثقيف وقال مكحول هوازن وقال قتادة هو هوازن وغطفان
يوم حنين وقال الزهري وعكرمة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة وقال رافع
ابن خديج والله لقد كنا نقرا هذه الاية فيما مضى ستدعون اولي باس شديد فلا نعلم
من هم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابو هريرة
لم ان لك نقرؤها الا بعد وظن بعضهم ان الاية لم تزد وهي الثابتة في هذا الاية دليل على صحة
امامة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة وعمر دعاهم
الى قتال فارس والروم وما قول عكرمة وقتادة ان ذلك في هوازن وغطفان
يوم حنين فلا لانه يمتنع ان يكون الداعي لهم الرسول عليه السلام لانه قال لن تخرجوا
معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فدل على ان المراد بالداعي لهم الرسول عليه
السلام لانه قال لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فدل على ان المراد
بالداعي غير النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انه لم يدع هوازن بعد النبي
صلى الله عليه وسلم الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما الزمخشري فان صح ذلك عن قتادة
فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب
في الدين او عاجلا فنزل بكم ما هو كائن الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم

الا منظر عين اصيب لهم في المغنم والله اعلم الثالثة قوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون
هذا حكم من لا تؤخذ منه الجزية وهو معطوف على تقاتلونهم اي تكون احد الامرين
اما القتال واما الاسلام لا ثالث لهما وفي حرف ابي او يسلموا بمعنى حتى يسلموا كما
تقول كلما او يشبع اي حتى يشبع قال فقلت له لانك عجمي انما يجاول ملكا او تموت
فتعذر او قال الزجاج قال او يسلمون لان المعنى اوهم يسلمون من غير فتال وهذا في
قتال المشركين لا في اهل الكتاب الرابعة قوله تعالى فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا
حسنا الغنيمة والنصر في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما تولتم من قبل يعذبكم
عذابا اليما وهو عذاب النار قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج
الاية قال ابن عباس لما نزلت وان تتولوا كما تولتم من قبل يعذبكم عذابا اليما
قال اهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فنزلت ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج
حرج ولا على المريض حرج ابيح لهم في التخلف عن الجهاد لما لهم وزمانتهم
وضعفهم وقد مضى في براءة وغيرها الكلام فيه مبين والعرج ان يعرض للرجل
واحده واذا كانت كذلك لحق الرجلين اولى ان يؤثر وقال مقاتل منعهم اهل الزمانة
الذين تخلفوا عن الحديبية وقد عذرهم ابي من شاء ان يسير معكم الى خيبر فليفعل ومن يطع الله ورسوله فيما امره به يدخله جنات تجري من تحتها الانهار
منازل نافع وابن عامر يدخله بالنون على التعظيم الباقون بالياء واختاره ابو عبيد
وابو حاتم لتقدم اسم الله تعالى اوله ومن يتول يعذبه عذابا اليما قوله
تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وهذه بيعة الرضوان
وكانت بالحديبية وهذا خبر الحديبية على اختصار وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
اقام منصرفه من غزوة بني المصطلق في شوال وخرج في ذي القعدة معتمرا
واستنفر الاعراب الذين حول المدينة فتباطأ عنه اكثرهم وخرج صلى الله عليه وسلم
بمن معه من المهاجرين والانصار ومن اتبعه من العرب وجميعهم نحو الف واربعمائة
وقيل الف وخمس مائة وقيل غير هذا على ما يأتي وساق الهدي معه فاحرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس انه لم يخرج للقتال فلما بلغ قريبا من عسفان خرج
خدراش اسمه صاحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام ودخول
مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه دون ذلك وقد سواحل الدين الوليد في خيل الى
كراع الغميم فلما رد الخبر بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعسفان
وكان المخبر له بشر بن سفيان الكعبي فسلك طريقا يخرج به في ظهورهم وخرج
الى الحديبية من اسفل مكة وكان دليله فيهم رجل من اسلم فلما بلغ ذلك خيل قريش
البيح حتى لقد جرت ابي قريش تقلبهم بذلك فلما وصل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الحديبية بركت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال الناس خلأت خلأت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها
حابس الفيل عن مكة لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة رحم
الا اعطيتهم اياها ثم نزل صلى الله عليه وسلم هناك فقيل يا رسول الله ليس
بهذا الوادي ماء فاخرج عليه السلام سهما من كنانته فاعطاه رجلا من اصحابه
فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه فجاش بالماء الروي حتى كفى
جميع الجيش وقيل ان الذي نزل بالسهم في القليب البراء بن عازب ثم جرت السفراء
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش وطال التراجع والتراع
الى ان جاءه سهيل بن عمرو الفاتح مرة فاقتضاه على ان يتصرف عليه السلام
عامه ذلك فاذا كان من قابل ابي معتمرا ودخل هو واصحابه مكة بسلاح
راكبي السيوف في قربها فيقيم بها ثلثا ويخرج وعلى ان يكون بينه
وبينهم صلح عشرة اعوام تندر فيها الناس ويأمن بعضهم بعضا وعلى ان
من جاء من الكفار الى المسلمين مسلما من رجل او امراة رد الى الكفار ومن
جاء من المسلمين الى الكفار لم يردوه الى المسلمين فعظم ذلك على
المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اعلم لما علمه الله من انه سيجعل للمسلمين فرجا فقال لاصحابه اصبروا فان
الله يجعل هذا الصلح سببا الى ظهور دينه فاستسلم الناس الى قوله هذا بعد

نقاتلهم

نفا رسنهم وابي سهل بن عمرو ان يكتب في صدر صحيفة الصلح من محمد رسول الله
وقال له لو صدقناك بذلك ما دفعناك عما نزيد فقال عليه ان يكتب باسمك اللهم
فابي علي ان يمحوه بيده محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلي
الله عليه وسلم اعرضه علي فاشار اليه فمحاه صلي الله عليه وسلم بيده واصر ان يكتب
من محمد بن عبد الله وابي ابو جندل بن سهل يومئذ ان تركت به الصلح وهو يرسف
في قيوده فرده رسول الله صلي الله عليه وسلم الي ابيه فعظم ذلك علي المسلمين
فاخبرهم صلي الله عليه وسلم واخبر ابا جندل ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا وكان
رسول الله صلي الله عليه وسلم قبل الصلح قد بعث عثمان بن عفان الي مكة
رسولا فيما خبر الي رسول الله صلي الله عليه وسلم بان اهل مكة قتلوه فدعا
رسول الله صلي الله عليه وسلم صحابه الي المبايعة له علي الحرب والقتال
لاهل مكة فزعم انه بايعهم علي الموت وروي انه بايعهم عشرات لا يفروا وهي
بيعة الرضوان تحت الشجرة التي اخبر الله تعالي انه رضي عن المبايعين لرسول
الله صلي الله عليه وسلم تحتها واخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم انهم لا يدخلون
النار وضرب رسول الله صلي الله عليه وسلم بيمينه علي شماله لعثمان فهو لعثمان
شهد لها وذكر وكيع عن اسمعيل بن ابي خالد عن الشعبي قال اول من بايع
رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الحديبية ابو سنان الاسدي وابن خليج
مسلم عن ابي الزبير عن جابر قال كنا يوم الحديبية الفا واربعمائة فبايعناه
وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة قال بايعناه علي ان لا نفر ولم
نبايعه علي الموت وعند ابن مسلم عن جابر بن سبيل كم كنتم يوم الحديبية قال
كنا اربع عشر مائة فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة قد
فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختبا تحت بطن بعيره وعن سالم بن
ابي الجعد قال قلت لجابر بن عبد الله عن اصحاب الشجرة فقال لو كنا مائة الف
لكفانا كنا الف وخمسمائة وفي رواية كنا خمس عشرة وعن عبد الله بن ابي اوفي
قال كان اصحاب الشجرة الفا فخرشلمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين وعن يزيد
ابن ابي عبيد قال قلت لسلمة علي اي شي بايعتم رسول الله صلي الله عليه
وسلم يوم الحديبية قال علي الموت وعن البراء بن عازب قال لبثت علي
رضي الله عنه الصلح بين المشركين وبين النبي صلي الله عليه وسلم يوم الحديبية
وكتب هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا لو انكنا
رسول الله فلو يعلم انك رسول الله لم نقاتلك فقال النبي صلي الله عليه
وسلم لعلي امحه فقال ما انا بالذي امحاه فمحاه النبي صلي الله عليه وسلم
بيده وكان فيما اشترطوا ان يدخلوا مكة فيقيموا فيها ثلثة ولا يدخلها السلاح
الا جلبان السلاح الغراب وما فيه وعن انس ان قريشا صالحوا النبي صلي
الله عليه وسلم فيهم سهيل بن عمرو فقال النبي صلي الله عليه وسلم لعلي
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو ما نعرف بسم الله الرحمن
ما نعرف الا باسمك اللهم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم فقال اكتب
من محمد رسول الله قالوا لو علمنا انك رسوله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم
ابيك فقال النبي صلي الله عليه وسلم اكتب من محمد بن عبد الله قاشترطوا
علي النبي صلي الله عليه وسلم ان من جاء منكم لم نرده علينا ومن جاءنا منا
رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله اتكتب هذا قال نعم انه من جاء منا
اليهم فابعده الله ومن جاء منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وعن ابي وايل
قال قام سهل بن حنيف يوم صفين فقال يا ايها الناس اتهموا انفسكم لقد
كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو نري قتالا لقاتلنا
وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله صلي الله عليه وسلم وبين المشركين
فجاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال
فقال يا رسول الله الست علي حق ونهم علي باطل قال بلي قال اليس
قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلي قال فعلام نعطي الدنية في ديننا
ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولن

بضيعتي الله ابدا فقال فانطلق عمر فلم يصبر منقبضا فاتا ابا بكر فقال يا ابا بكر الستا على
حق وهم على باطل قال بلى قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال يا بن الخطاب
انه رسول الله ولن يضيعه الله ابدا قال فنزل القرآن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالفتح فارسل الى عمر فاتاه اياه فقال يا رسول الله اوفتح هو
قال نعم فطابت نفسه ورجع فوله تعالى فعلم ما في قلوبهم من الصدق
والوفا قاله القرا وقال ابن حبيب وقضاه هذا الرضى بما في البيعة على ان لا يفروا
وقال مقاتل من كراهة البيعة على ان يقتلوا معه على الموت فانزل السكينة
عليهم حتى بايعوا وقيل فعلم ما في قلوبهم من الكابة بصد المشركين اياهم وتخلف
رد النبي صلى الله عليه وسلم عنهم اذا راى انه يدخل الكعبة حتى قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عنهم اذا راى انه يدخل الكعبة حتى قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم عنهم اذا راى انه يدخل الكعبة حتى قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما دلك رويا منام وقال الصديق لم يكن فيها الدخول في هذا العام
والسكينة الطمانينة وسكون النفس الى صدق الوعد وقيل الصبر وانا بهم
فتحا قريبا قال قتادة وابن ابي ليلى فتح خيبر وقيل فتح مكة وقربه وان لهم
مغانم كثيرة تاخذونها بعيني اموال خيبر وكانت خيبر ذات عقار واموال وكانت
بين الحديبية ومكة حتى ثم على هذا ابدل من فتحا قريبا والواو مقحمة وقيل
وعد ثم فارس والروم وقوله تعالى وعدكم مغانم كثيرة تاخذونها
قال ابن عباس وعجل هذا يعني المغانم التي تكون الى يوم القيمة وقال ابن زيد
هي مغانم خيبر فعجل لكم ايه خيبر قاله مجاهد وقال ابن عباس عجل لكم صلح
الحديبية وكف ايدي الناس عنكم بيني اهل مكة لغيهم عنكم بالصلح وقال قتادة
كف ايدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الحديبية
وخيبر وهو اختيار الطبري لان كف ايدي المشركين بالحديبية مذكور في قوله
وهو الذي كف ايديهم عنكم وقال ابن عباس من كف ايدي الناس عنكم يعني
عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النصري ومن كان معهم اوخاز
ليضروا اهل خيبر والنبي صلى الله عليه وسلم وصرفهم فالغى الله عز وجل
في قلوبهم الرعب وكفهم عنهم والتكون اية للمومنين ايه ولتكون نفوسهم
وسلاحكم اية للمومنين فيعلموا ان الله يعصمهم وينصرهم وقيل اية ولتكون
كف ايديهم عنكم اية للمومنين على صدقك حيث وعدتهم ان يفيئوها واتوا
في ولتكون محنة لهذا الكوفيين وقال البصريون عاطفة على محذوف وكف
ايديهم عنكم لتشكروه ولتكون اية للمومنين ويهديكم صراطا مستقيما اي يزيدكم
هديه او يثبتكم عليها بهذا يرفوله تعالى واخرى اخرى معطوفة على
هذه اية تحتمل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله
بها قال ابن عباس هي الفتوح التي فتحت على المسلمين كازضا فارس والروم
وجميع ما فتحه المسلمون وهو قول الحسن ومقاتل وابن ابي ليلى وعن ابن عباس
ايضا والضحاك وابن زيد وابن ابي اسحاق هي خيبر وعدها الله نبيه فيدا ان
يفتحها ولم يكونوا يرجونها حتى اخبرهم الله بها وعن الحسن ايضا وقتادة
هو فتح مكة وقال عكرمة حنين لانه قال لم تقدروا عليها وهذا بدل على
ان تقدم محاولة لها وفوات درك المطلوب في الحال كما كان في مكة قاله العشيرة
وقال مجاهد هي ما يكون الى يوم القيمة ومعنى قد احاط الله بها ايعدها لكم
فهو كالشيء الذي احيط به لتحقق حوانه فهو محصور لا يفوت فانتم وان لم تقدروا
عليها في الحال فهو محبوسة عليكم لا تفوتكم وقيل احاط الله بها علما انها ستكون
لكم كما قال وان الله قد احاط بكل شيء علما وقيل حفظها الله عليكم ليكون فتحها
لكم وكان الله على كل شيء قديرا قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا
الادبار قال قتادة بعين كفار قريش في الحديبية فقبل ولو اقاتلكم غطفان
وحاشد والذين ارادوا نصرة اهل خيبر اكانت الدابرة عليهم ثم لا يجدون وليا ولا

نصيرا

نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل يعني طريق الله وعادته السالفة نظر اولياءه على اعدايه وانتصب سنة الله اي كسنة الله والسنة الطريقة والسيرة قال فلا يجوز عن من سنة انك سيرتها فاولى راض سنة من سيرها والسنة ايضا ضرب من ثمر المدينة ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة وهي الحديبية من بعد ان اظفركم عليهم روى يزيد بن هرون قال انبا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم مسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذناهم سلما فاستحييناهم وانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القرآن فبيت كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثار رجال وهو هنا فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فهل جئتم في عهد احد وفهل جعل لكم احد اما ان قالوا اللهم لا نخلي سبيلهم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم الاية وذكر هشام عن وكيع وكانت قريش فدعت منهم بضعة وسبعين رجلا او ثمانين رجلا للايقاع بالمسلمين وانتهزا الغرصة في اطرافهم فغطن المسلمون لهم فاخذوهم اسرى وكان ذلك والسهم ممسكون بينهم في الصلح فاطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الذين يسعون العتق ومنهم معاوية وابوه وقال يحيى هذا قبل النبي صلى الله عليه وسلم مستهلا اذ اخذ اصحابه بالسنتهم من الحرم فاتين فارسلهم النبي صلى الله عليه وسلم فذلك الاظفر ببطن مكة وقال ثنا ده ذكر لنا ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لهم الرميم اطلع السيف من الحديبية من ماء المشركون بسهم فقتلوه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا فاتوا باثني عشر فارسا من الكفار فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل لكم علي دمنة قالوا ما لنا ولا لاحد بسلهم فخلت وقال ابن اسحاق والكلبي فهم الذين كف الله ايديهم عنا المسلمين حتى وفي الصلح وكانوا خرجوا باجمعهم وقصدوا المسلمين وكف ايدي المسلمين عنهم وقد تقدم الخبر في ذلك لدى ابو الوليد كان في خيل المشركين قال الفشيري فهذه روايتنا والصحيح انه كان في النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت وقد قال سلمة بن الاكوع كانوا في امر الصلح اذا قبل ابو سفيان فاذا الوادي يسير بالجيال والسلاح قال فجئت لنتف من المشركين اصوفتهم مسلحين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فاتيت بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر قال في الطريق يا رسول الله ما ابن قوما حرما وليه سلاح ولا كراع فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من الطريق فاذا فيه سلاح وكراع كان فيها واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عكرمة بن ابي جهل خرج اليكم في خمسمائة فارس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد هذا ابن عمك اتاك في خمسمائة فقال خالد انا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله فخرج وسعه خيل وهزم الكفار ودفعهم الى حوابط مكة وهذه الرواية اصح وكان بينهم قتال بالحجارة وهذا يدل والظفر قبل اراد بكف اليد انه شرط في الصلح ان من جاء منهم فهو رد عليهم فخرج اقوام من مكة مسلمون وخافوا ان يرجعهم الرسول عليهم السلام الى المشركون فلحقوا بالساحل ومنهم ابو بصير وجعلوا يغيرون على الكفار وياخذون عيرهم حتى جاء كتاب قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اضمهم اليك حتى لا من قتل وقيل هم عطفان واسد منع المسلمين من يهود خيبر لانهم كانوا حلفاءهم فمنعهم الله عن ذلك فهو كف اليد بسطن مكة فيه قولان احدهما بيد بمكة الثاني الحديبية لان بعضها مضاف الى الحرم قال الماوردي وفي قوله من بعد ان اظفركم عليهم بفتح مكة وتكون هذه نزلت بعد فتح مكة وفيها دليل على ان مكة فتحت صلحا لقوله عز وجل كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم قلت الصحيح ان هذه الاية نزلت في الحديبية قبل فتح مكة حسب ما قدمناه عند قوله تعالى ويل من اللمزة نزلت بعين وروى النسائي قال حدثنا عبيد بن حميد قال حدثني سليمان بن حرب قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان ثمانين فطعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الصبح وهم بريدون ان يقتلوه فاخذ فاخذناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم

عنكم وايديكم عنهم الاية قال ابو عبيد هذا حديث حسن صحيح وقد تقدموا ما فتح مكة فالذي تنزل عليه الاحبار انها انما فتحت عنوة وقد مضى القول في ذلك في الحج وغيرها وكان الله بما يعملون بصيرا قوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى في هم الذين كفروا يعني قريشا منعوكم دخول المسجد عام الحديبية حين احرم النبي صلى الله عليه وسلم ليحل بعمرة ومنعوا الهدي وصيروه عن ان يبلغ محله وقد اكانوا لا يعتقدون نذرا ولكنه حملته الانفة ودعتهم حمية الجاهلية الى ان يفعلوا ما لا يعتقدون نذرا حتى فوجئهم الله على ذلك ونوعدهم عليه ودخل الامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا ووعده الثانية قوله تعالى والهدي معكوفا اي محبوسا وقيل واقفا وقال عمرو بن العلا يجمعها الحي هدي عكفا اي حبس ودفقه يعكفه ويعكفه عكفا ومنه قوله تعالى والهدي معكوفا بنا لما عكفك عن كذا ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس ان يبلغ محله اي محجره قاله الفراء وقال الشافعي رضي الله عنه الحرم وكذا قال ابو حنيفة رضي الله عنه الحصر محل هدي الحرم والمحل بكسر الحاء ثانية الشيء وبالفتح هو الموضع الذي يحل فيه النسك وكان الهدي سبعين بدنة وكان الله يفضله جعل ذلك الموضع له محلا وقد اختلف العلماء في هذا ما تقدم بيانه في البقرة عند قوله تعالى فان احصرتم والصحيح ما ذكرناه وفي صحيح مسلم عن ابي الزبير عن جابر بن عبد الله قال نحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وعند قال اشتركنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج والعمرة كل سبعة في بدنة فقال رجل لجابر اما يشتركون في البدنة ما يشتركون في الجزور قال ما هي الا من البدن وحضر جابر الحديبية قال ونحرنا يومئذ سبعين بدنة اشتركنا كل سبعة في بدنة وفي البخاري عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه وحلق راسه بالحديبية الذي حلق راسه خراش بن امية بن ابي الحيص الخزاعي وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين ان يحروا ويحلوا فتثاقلوا عنه فوقف كاتب منهم احمق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ام سلمة لو خرجت لم تحرت لتحروا فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم هديه وحلق فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه ودعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة ورأيت كعب بن عجرة والقمل يسقط على وجهه فقال ابو دلك هوامك قال نعم فامره ان يحلق وهو بالحديبية خرجه البخاري والدارقطني وقد مضى في البقرة الثالثة قوله تعالى والهدي والهدي الهدي وقد مضى في البقرة ايضا وهو معطوف على الكاف والميم من صدوكم ومعكوفا حال وموضع ان من قوله ان يبلغ محله نصب على تقدير الحمل على صدوكم اي صدوكم وصدوا على ان يبلغ ويجوز ان يكون مفعولا له كانه قال وصدوا الهدي كراهية ان يبلغ محله ابو علي لا يصح حمله على العطف لان لا نعلم عكفت جا متعديا وبحي معكوف فالاية يجوز ان يكون محمولا على المعنى كانه لما كان جنسا حمل المعنى على ذلك كما حمل الرفث على معنى الافضاء بالي فان حمل على ذلك كان موضعه نصبا على قياس قول سيبويه وجرا على قياس قول الخليل ويكون مفعولا له كانه قال يحبونكم كراهة ان يبلغ محله ويجوز تقدير الجر في ان لان عن تقدمت كانه قال وصدوكم عن المسجد الحرام وصد والهدي عن ان يبلغ محله ومثل ما حكاه سيبويه عن يونس مررت برجل ان زيد وان عمرو فاضمر الجار لتقدم ذكره قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون يعني المستضعفين من المؤمنين بمكة وسط الكفار كسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة وابي جندل بن سهيل واشباههم لم تعلموهم ايها تعرفوهم وقيل لم تعلموهم انهم مؤمنون ان تطئوهم بالقتل والايقاع بهم بغتة وطيت القوم ايا وطئت بهم وان يجوز ان يكون رفعا على البدل من رجال ونساء كانه قال ولولا وطيكم رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ويجوز ان يكون نصبا على البدل من الهاء والميم من تعلموهم فيكون التقدير لم تعلموا وطأهم وتعرفوا الوجهين بدل الاشتمال ولم تعلموهم صفة لرجال ونساء وجواب لولا محذوف والتقدير ولولا ان تطئوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم لاذن الله لكم في دخول مكة ولتسلطكم عليهم ولكنا منعنا من كان فيها بكم ايمانه خوفا وقال السخاك لولا من في اصلاب الكفار وارحامهن كيلا يهلك من

رجال

رجال مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطئوهم فتهلكوهم بايديكم وابادتهم فتهلك ابنادهم الثانية
قوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم المعرة العيب وهي مفعلة من العر وهو الجرب ايمة يقول المشركون قد قتلوا اهل دينهم وقيل المعنى يصيبكم من قتلهم ما يلزمكم
من اجله كفارة قتل الخطأ ان الله تعالى انما اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب
اذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم بايمانه الكفارة دون الدية في قوله فان كان من قوم عدو لكم
وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة قاله الكلبي ومقاتل وغيرهما وقد مضى في النساء القول
فيه وقال ابن زيد معرة اثم وقاله البصريون ابدا يحاف عن لزوم الدية فتجب شدة وقيل
ثم الثانية قوله تعالى بغير علم تقييد للصحابة واعتذار عن صنيعهم الكن ثمة
من العقوبة عن المعصية والعصمة عن التعذيب حتى لو انهم اصابوا من ذلك احدا لكان
عن غير قصد وهذا كما وصفت الملئكة عن جند سليمان في قولها لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون فقوله تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء او تزيلوا منه
اربع مسائل الاولى قوله تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء اللام في ليدخل متعلقة
بمحذوف اي لو قتلوهم لادخلهم الله في رحمته وتجوز ان يتعلق بالايمان ولا يحمل على
مؤمنين دون مؤمنات ولا على مؤمنات دون مؤمنين لان الجميع يدخلون في الرحمة
وقيل المعنى لو ميز الله لكم من قتال المشركين لسلم بعد الصلح من قضى ان يسلم من
اهل مكة وكذلك كان اسلم الكثير منهم وحسن اسلامه ودخلوا في رحمة الله جنة الثانية
قوله تعالى لو تزيلوا اي تميزوا قاله العتبي وقيل لو تفرقوا قاله الكلبي وقيل
لو زال المؤمنون من بين اظهرهم لكفن ولعذب الكفن ربا لسيفان له الضحاك ولكن
الله بيد فع بالمؤمنين عن الكفن وقال علي رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه
وسلم عن هذه الاية لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا فقال لهم المشركون من اجداد بني
الله ومن كان بعدهم وفي عصرهم كان في اصلاب بعضهم فتزم مؤمنون فلو تزيلوا المؤمنون
عن اصلاب الكافرين لعذب الله تعالى الكافرين عذابا اليما الثالثة هذه الاية
دليل على مداراة الكافرين حرمه المؤمن اذا لا يمكن اذابة الكافر الا باذابة المؤمن قال
ابو بكر بن العربي قلت لابن القاسم ارايت لو ان عوما من المشركين في حصن من حصونهم حصرهم
اهل الاسلام وبينهم قوم من المسلمين اسارى في ايديهم اترى هذا الحصن اما قال سمعت
مالكا وسئل عن قوم من المشركين في مراكبهم اسارى في مراكبهم مالك وسعهم الاسارى
في مراكبهم قال مالك لا ارى ذلك لقوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا الذين
كفروا منهم عذابا اليما وذلك لو تزيلوا كان بمسلم لم يجز رميه وان فعل ذلك فعلوا ثلث
احد من المسلمين فعليه الدية والكفارة فان لم يعلموا انهم صلوا فليس لهم ان يرموا فان فعلوا وصاروا قتلة خطأ والدية تخفيفا عواقلهم فان لم يعلموا
فلهم ان يرموا واذا ابيحوا القتل لم تجز ان يبقى عليهم فيها تنبيه قال ابن العربي وقد قال
بعض علمائنا لو تزيلوا عن بطون النساء واصلاب الرجال وهذا ضعيف لان من في الصلب
او في البطن لا يوطأ ولا يصيب منه سعدة وقد صح فقال ولو لا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لم تعلموهم ان تطئوهم وذلك لا ينطلق على من في بطن المرأة وصلب الرجال وانما
ينطلق على مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة وابي جندل بن
سهيل وكذلك قال مالك وقد حاصرنا مدينة الروم فحيس عنهم الماء فكانوا ينزلون الاسارى
ليستقون لهم الماء فلا يقدر احد على رميهم بالنبل فيحصل لهم الماء فيبيحنا رنا وقد جوز
ابو حنيفة واصحابه رمي الترس الذي في حصون المشركين وان كان فيهم اسارى من المسلمين
واطفالهم ولو تترس كافر بولد مسلم رمي المشرك وان اصيب احد من المسلمين فلا دية فيه ولا
كفارة وقال الثوري فيه الكفارة ولا دية وقال الشافعي بقولنا وهذا ظن بعيد فان التوصل
الى المباح بالحضور لا يجوز بسبب يروح المسلم فلا قول الاحناف له عاملك رضي الله عنه والله
اعلم قلت قد يجوز التترس ولا يكون فيه اختلاف ان شاء الله وذلك اذا كانت المصلحة
ضرورية كلية قطعية فمعنى كونها ضرورية انها لا تحصل الوصول الى الكفار الا بقتل الترس
ومعنى انها كلية انها قاطعة لكل الامة حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين فان لم
يفعل فتل الكفار الترس واستولوا على كل الامة ومعنى كونها قطعية ان تلك المصلحة
حاصلة من قتل الترس قطعا قال علماؤنا وهذه المصلحة تفيد ه القيود لا ينبغي ان يختلف
في اعتبارها لان الغرض ان الترس مقتول قطعا فما ما بايدي العدو فتحصل المفسدة العظيمة

التي هي استيلاء العدو على كل المسلمين فيهلك العدو ويجتاح المسلمون اجمعون وبين بقوله لا يقتل الترس في هذه الصورة بوجه لانه يلزم منه ذهاب الترس والاسلام والمسلمين لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة نبه الى ما يحصل منها عدما او كالعدم والله اعلم الرابعة فيه انه لو تزيلوا لاذاب غيره فاذا تزايلوا وصوتل تزيلوا بالمعنى والتزايل التباين وتزيلوا انفعلوا من زلت وقيل في تقبيلوا العذبنا الذين كفروا قيل اللام جواب لكلامين احدهما لو زايلوا والثاني لو تزيلوا وقيل لو لا جواب محذوف وقد تقدم ولو تزيلوا ابتداء كلام قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية العامل فيه اذ قوله تعالى لعذبنا اي لعذبناهم اذ دخلوا هذا او مفعل مضمر تقديره واذكروا الحمية فعليه وجهان الاول تعلق لحميت عن كذا حميته بالتشديد وحميته اذا انفت منه واذا خلك عاروا نفه ان تفعله ومنه قول المتلمس الا انني منهم وعرضي عرضهم كذا الراس يحمي انفه ان يهشما ابو بكر قال الزهري حميتهم انفتهم من اقرار النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم ومنعهم لها من دخول مكة وكانه الذي امتنع من كتابة بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله سهيل بن عمرو على ما تقدم وقال ابن بحر حميتهم عصبيتهم لالهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله والانفة من ان يعبد واغيرها وقيل حمية الجاهلية انهم قالوا قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا واللات والعزى لا ندخلها ابدا فانزل الله سكينته اي الطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المومنين وقيل بثبتهم على الرضى والتسليم ولم يدخل قلوبهم ما دخل قلوبكم من الحمية والزمهم كلمة التقوى قيل لا اله الا الله وروي مرفوعا من حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول علي وابن عمر وابن عباس وعمرو ابن ميمون ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك وسلمة بن كهيل وعبيد بن عمير وطلحة بن مصرف والربيع والسدي وابن زيد قاله عطاء الخراساني وزاد محمد رسول الله وعن علي وابن عمر ايضا هي لا اله الا الله والله اكبر وقال عطاء بن ابي رباح ومجاهد ايضا هي لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال الزهري بسم الله الرحمن الرحيم يعني ان المشركين لم يقروا بهذه الكلمة فخص الله بها المومنين وكلمة التقوى هي التي نهى بها عن الشرك وعن مجاهد ايضا ان كلمة التقوى الاخلاص وكانوا احق بها واهلها ابو هريرة احق بها من كان بمكة ان الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيه وكان الله بكل شيء عليما قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق الاية قال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام انه يدخل مكة على هذه الصفة فلما صالح قريشا بالحديبية ان يرجع من العام المقبل حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يدخل مكة فلما لم يدخلها في ذلك العام وان رويا صلى الله عليه وسلم حق وقيل ان ابا بكر هو الذي قال ان المنام لم يكن موقتا بوقت وانه سيدخل وروي ان الرويا كانت بالحديبية ورويا الانبياء حق والرويا احد وجوه الوحي ابن كيسان انه حكاية ما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في منامه فخوطب في منامه بما جرت به العادة فاخبر الله تعالى رسوله انه قال ذلك ولكنه استثنى ان دب بادب الله تعالى حيث قال الله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل اخبرهم طيف الله للعباد يجب ان يقولوه كما قال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل استثنى بما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون قاله ثعلب وقيل كان الله علم انه يموت بعض هؤلاء الذين كانوا معه بالحديبية فوقع الاستثناء لهذا المعنى قاله الحسين بن الفضل وقيل الاستثناء من امنين وذلك راجع الى مخاطبة العباد وعلى ما جرت به العادة وقيل معنى ان شاء الله ان امرهم الله بالدخول وقيل ان سهل الله وقيل ان شاء الله اي كما شاء الله وقال ابو عبيدة ان بمعنى اذ اي اذ شاء الله كقوله تعالى اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين اي اذ كنتم ويبعد ان اذ في الماضي من الفعل واذا في المستقبل فوعدهم دخول المسجد الحرام وعلقه بشرط المشيئة وذلك عام الحديبية فاخبرهم بذلك فاستشرفوا ثم ناخر ذلك العام الذي طمعوا فيه منهم ذلك واسد عليهم وصالحهم ورجع بهم اذن الله في العام المقبل فانزل الله لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وتحقيقه له في المنام لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله فحكى في التنزيل ما قيل له في

المنام

المتاع فليس هذا شكا كما زعم بعضهم ان الاستثناء يدل على الشك والله تعالى لا يشك
ولئن سلمنا تحقيق فكيف يكون شكا فان بمعنى اذا مثل اي من العدو ومحلقين
رؤسكم ومقصرين والتخليق والتقصير جميعا للرجال ولذلك غلب المذكر على المؤنث
والحلق افضل ولسبب للنساء التقصير وتقدم البحث في هذا في البقرة وفي
الصحيح ان معاوية اخذ من شعر النبي صلى الله عليه وسلم على المروة بمشقص
وهذا كان في العمرة لا في الحج لان النبي صلى الله عليه وسلم حلق في حجته لا يخالف
حال من المحلقين والمقصرين والتقدير غير خائفين فعلم ما لم تعلموا اي فعلم ما
بين ذلك صلح الدخول من الخير والصلاح ما لم يعلموه وذلك انه عليه السلام لما رجع من
منها الى خيبر فافتتحها ورجع من حال خيبر واخذ من الغنوة والقوة اضعاف
ما كان فيه في ذلك العام وانقبل الى مكة على هيبته وقوته وعدده وضعاف ذلك وقال
الكلبي اي علم ان دخولها الى سنته ولم تعلموه انتم وقيل علم ان بمكة رجالا مؤمنين ونساء
مؤمنات لم تعلموهم فجعل من دون ذلك فتحا قريبا اي من دون رؤيا النبي صلى
الله عليه وسلم فتح خيبر قاله ابن زيد والكلبي وقيل فتح مكة وقال ابي فهو
صلح الحديبية وقاله اكثر المفسرين قال الزهري ما فتح الله في الاسلام كان اعظم
من صلح الحديبية لانه انما كان القتال حيث يلتقي الناس فلما كانت الهدنة ووضعت
الحرب اوزارها وامن الناس بعضهم بعضا فالتقوا وتفاوضوا الحديث
والمناظرة فلم يكلم احدا بالاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه فلقد دخل في تلك
السنتين في الاسلام مثل ما كان في الاسلام قبل ذلك واكثر بذلك على ذلك انهم
كانوا ستمائة بوم الحديبية الفا واربع مائة وكانوا بعد ثمان الحديبية سنة ثمان
عشرة الفا قوله تعالى هو الذي ارسل رسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اي يغلبه على كل الاديان فالدين اسم يعني
المصدر ويستوي فيه لفظ الواحد والجمع منه وقيل اي ليظهر رسوله على الدين الذي
هو شرعه بالحجة ثم باليد والسيف وتنسخ ما عداه وكفى بالله شهيدا تشهيد انصب
على التمييز والباء زائدة اي كفى الله شهيدا انه صلى الله عليه وسلم وشهد له
تبيين صحة نبوته بالمعجزات وقيل شهيدا على ما ارسل به ان الكفار لا بد ان يكفروا
بعد اما صالح عليه محمد رسول الله قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا الى اخر السورة فيه خمس مسائل
الاولى قوله تعالى محمد رسول الله مبتدا وخبر وقيل محمد مبتدا ورسول
الله نعته والذين معه عطف على المبتدا والخبر فيما بعده فلا يوقف على هذا التقدير
على رسول الله وعلى الاول يوقف على رسول الله لان صفات تمدح غلب السلام تريد
على ما وصف بها فيكون محمد مبتدا ورسول الله الخبر والذين معه ابتداء ثان
واشداء خبره ورحماء خبر ثان وكون الصفات في جملة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
هو الاشبه قال ابن عباس اهل الحديبية اشداء على الكفار اي غلاظ عليهم كالاسد
على فريسته وقيل المراد بالذين معه جميع المؤمنين رحماء بينهم اي يرحم بعضهم بعضا
وقيل المراد بالذين معه جميع المؤمنين رحماء بينهم اي يرحم بعضهم بعضا وقيل بقي طفوت
سنة ولون وترا الحسن اشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب على الحال كانه قال والذين
معه في حال شدتهم على الكفار ورحمتهم بينهم تراهم ركعا سجدا اخبار عن كثيرة
صلاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي يطلبون الجنة ورضى الله تعالى انهم
الثابتة بينهم في وجوههم من اثر السجود السمى العلامة وفيها لغتان
المد والقصر اي لاحت علامات التهجد بالليل واما رائحة السهر وفي سنن ابن ماجة
قال حدثنا اسمعيل بن محمد الطلحي قال حدثنا يحيى بن موسى ابو يزيد عن شريك
عن الاعمش عن ابي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقال ابن العربي ودسه قوم في حديث
النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الغلط وليس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه ذكر
بحرف وقد روي وذهب محمد مالك بسيماهم في وجوههم من اثر السجود وذلك مما يتعلق
بوجوههم من الارض عند السجود وبه قال سعيد بن جبير وفي الحديث الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم صلى صبيحة احدى وعشرين من رمضان وقد وكف المسجد

وكان علي عن يشرفا فصرف النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته وعلى جبهته وارنبته
اثر الماء والطين وقال الحسن هو بيا من يكون في الوجه يوم القيمة وقال سعيد بن جبير ايضا
ورواه السري عن ابن عباس قال الزهري وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حديث ابي هريرة وفيه حتى يفرغ الله من القضاء بين العباد واراد ان يخرج برحمته
من اراد من النار امر الملائكة ان يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن اراد
ان يرحمه ممن يقول لا اله الا الله يعرفونهم باثر السجود تاكل النار ابن ادم الا اثر السجود
حرم الله على النار ان تاكل اثر السجود وقال شهر بن حوشب يكون موضع السجود
من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقال ابن عباس ومجاهد السيما في الدنيا وهو
السمت الحسن وعن مجاهد ايضا هو الخشوع والتواضع قال منصور سالت مجاهدا
عن قوله تعالى سيماهم في وجوههم ما هو اثر السجود بين عيني الرجل قال لا ولكنهم يكونون
بين عيني الرجل مثل ركبة العنز وهو اسمن قلنا من الخشوع ولكنه نور في وجوههم
من الخشوع وقال ابن جريج هو الوقار والسمت وقال شمر بن عطية هو صفرة
الوجه من قيام الليل قال الحسن اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال الضحاك
انه ليس بالذي في وجوهكم ولكنه الصفرة وقال سفيان الثوري يصلون بالليل
فاذا اصبحوا رايت ذلك في وجوههم بيانه قوله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته
بالليل حسن وجهه بالنهار وقد مضى القول فيه انفا وقال عطا الخراساني دخل في
هذه الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس فقوله تعالى ذلك مثلهم في التوراة
ومثلهم في الانجيل قال الفراء فيه وجهان ان شئت قلت المعنى ذلك مثلهم في
التوراة وفي الانجيل ايضا كمثلهم في الفرقان فيكون الوقف على الانجيل وان
شئت قلت تمام الكلام ذلك مثلهم في التوراة ثم ابتدا فقال ومثلهم في الانجيل
وكذا قال ابن عباس وغيره هما مثلان احدهما في التوراة والاخر في الانجيل فتوقف
على هذا على التوراة وقال مجاهد هو مثل واحد يعني ان هذه صفتهم في التوراة
والانجيل فلا يوقف على التوراة على هذا او يوقف على الانجيل ويبتدئ كزرع
اخرج شطأه على معنى وهم كزرع وشطأه بيض فراخه واولاده قاله ابن زيد
وغيره وقال مقاتل فصوبيت واحدا ذا اخرج ما بعده فقد شطأه قال الجوهري
شطأ الزرع والنبات فراخه والجمع اشطاء وقد اشطأ الزرع اخرج شطأه والنبات
فراخه قال الاخفش في قوله اخرج شطأه ابو طرفه وحكاه الثعلبي عن الكسائي
وقال الفراء اشطأ الزرع فهو مشطئ اذا اخرج فاك الشاعر

* اخرج الشطأ على وجه البرية ومن الاشجار افنان الشرى *

الزجاج اخرج شطأه ابدا بنا نزونبل ان الشطأ شوك السنبل والعرب ايضا
سمته السفا والسجيم قال قطرب وتبلا انه السنبل فيخرج من الحبة عشر
سنبلات وتسع وثمان قالوا الفراء حكاه الماوردي وقرا ابن كثير وابن ذكوان
شطأه بفتح الطا واسكن الباقون وقرا ابن عامر ونصر بن عاصم وابن وثاب شطأه
مثل عطاه وقرا المجحدري وابن ابي اسحاق شطه بغير همز وكلها لغات فيها
وهذا مثل ضربه الله تعالى لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني انهم يكونون
قليلا ثم يزدادون ويكثرون فكان النبي صلى الله عليه وسلم حين بدا بالدعاء الى دينه
ضعيفا وحيدا لواحد بعد الواحد حتى قوي امره كالزرع ينبت واحدا بعد البذر
ضعيف منبوذ حالا بعد حال حتى يغلظ ويتنه وافراخه فكان هذا امثل
مثلا واوضح بيانا وقال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب
انه سيخرج من قوم يبيتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
فازره ايده فقواه واعانه وشده ابو عبيدة اشطأ الزرع وقيل بالعكس ابو عبيدة الزرع
الشطأ وقراءة العامة ازره بالمد وقرا ابن ذكوان وابو جعفر وحميد بن قيس
فازره مقصورة مثل فعل والمعروف المد قال امرؤ القيس بمحنية قد ازر السفال
منتها مجد جيوش غانمين وحث فاستوى على سوقه على عوده الذي يقوم عليه
فيكون سوقا وسوق جمع الساق يعجب الزراع ايضا يعجب هذا الزرع زراعه
وتم مثلهم بينا فالزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطأ اصحابه كانوا قليلا فكثروا
وضعف فقووا قاله الضحاك وغيره لتغيظ بهم الكفار اللام متعلقة بمحذوف ابو عبيدة

الله

الله هذا المجد صلى الله عليه وسلم ليغيظ بهم الكفار الرابعة قوله تعالى ومحمد الله الذين
امنوا منهم ومحمد الله هؤلاء الذين مع محمد وهم المؤمنون الذين اعمالهم صالحة مغفرة واجرا
عظيما اي ثوابا لا ينقطع وهو الجنة وليست من في قوله منهم مبعضة لتقوم من الصحابة
دون قوم ولكنها جاءت لجنسه مثل قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لا تقصد
للتبعيض لكنه يذهب الى الجنس اي فاجتنبوا الرجس الاوثان اذا كان الرجس
ينقع من اجتناس شتى مثل الزنا والربا وشرب الخمر والكذب فادخل من بعيد بها
الجنس وكذا منهم اي من هذا الجنس وقد يخصص اصحاب محمد بوعد المغفرة تفضيلا
لهم وان وعد جميع المؤمنين المغفرة وبدا الاية جوابا اخر وهو ان من موكدة للكلام
والمعنى وعدهم الله كلهم مغفرة واجرا عظيما مجزيا بجزيل العدل فقطعت من الثوب
قميصا يريد فقطعت الثوب كله قميصا ومن لم ينقص بنا وشفاء هذا هذا من القرآن
وينزل من القرآن ما هو شفاء ومنزل القرآن شفاء لان كل حرف منه يشفي
ولبعض الشفاء مختصا به بعضه دون بعض على ان من اللغويين من ينزل من بجنسه
تقديره ينزل الشفاء من جنس القرآن ومن جهة القرآن ومن ناحية القرآن
قال ولم تصيرا من اطرد من دمنة لم نكلم اراد من ناحية ام اوفى دمنة ام من حل بها
دمنة وقال الاخر اخر بما نثت بعطفها وتثنيها يثني الظلام منه الغرقد الزفر
فمن لم يقض شيئا اذا كان المقصد يثني الظلام لانه ثوقل زفر والثوقل الكثير العطف
والدفر حمل الانقال والموت بحث الناس الخامسة روى ابو عروة الزبيري
من ولد الزبير كنت عند مالك ابن انس فذكروا رجلا ينتقص اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقرا مالك هذه الاية محمد رسول الله والذين معه حتى بلغ يعجب الزراع
ليغيظ بهم الكفار فقال مالك من اصحاب اصبح من الناس في قلبه غيظ على احد
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية ذكره الخطيب
ابو بكر قلت لقد احسن مالك في ما قاله واصاب بين ان دليله من نقص واحدا منهم
او طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وابطل شريعة المسلمين قال
الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار الاية وقال لقد رضي الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الى غير ذلك من الايات التي نطقت الثناء عليهم والشهادة
لهم بالصدق والفلاح قال الله تعالى في رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال للفقراء
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله وايدهم
المفلحون وهذا كله مع علمه بان ذلك وشيك الحال امرهم وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وقال لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق
مثل احد ذهبا لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه خرجه الشيخان ربيع في حديث اخر فلو ان
احدكم انفق ما في الارض لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه قال ابو عبيد معناه لم يدرك
مد احدهم اذا تصدق به ولا نصف المد فالنصيف هو الدقيق وكذلك يقال للنشر عشير
وللخمس خميس وللسبع سبيع وللسدس سديس وللربع ربيع ولم يقل العرب للثلث ثليث
وفي البزار عن جابر مرفوعا يحبني ان الله اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي من اصحابي اربعة بعيني ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابي وقال في اصحابي
كلهم خير وربيع عموم بعد خصوص بعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل
اختار ني واختار لي اصحابا فجعل لي منهم وزرا واختانا واصهارا فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين فلا يقبل الله منه يوم القيمة صرفا ولا عدلا والاحاديث بهذا
المعنى كثير فحذار من الوقوع في احد منهم كما فعل من طعن في الدين فقال ان المعوذتين ليستا
من القرآن وما صح حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تثبيتها ودخولها في جملة
التنزيل الا عن عقبة بن عامر وعقبة بن عامر ضعيف لم يوافقه غيره عليها فروايته مطرحة
وهذا رد لما ذكرناه من الكتاب والسنة وابطال ما نقلته لنا البحائر من الملحدة فان عقبة
ابن عامر بن عبس الجهني ممن روى لنا الشريعة في الصحيحين البخاري ومسلم وغيرهما فهو
ممن مدحهم الله ووصفهم واثنى عليهم ووعدهم مغفرة واجرا عظيما فمن نسبه او واحدا من
البحائر الى كذب فهو خارج عن الشريعة مبطل للقرآن طاعن على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومبطل الحق واحدا منهم تكذيبا فقد سب لانه اعار ولا عيب تجد الكفر بالله اعظم
من الكذب وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابه فالكذب لاصغدهم

ولا صبر فيهم داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم والزمها كل من سب
واحدا ممن اهل به او طعن عليه وعن محمد بن حبيب قال حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت
مسيلمة فتنازعوا الحضور وعلت اصواتهم فاصبخ بعضهم يحدث بزوبه عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فدفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائل منهم لا يقبل
هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ابا هريرة متهم فيما يرويه وصرخوا
بتكذيبه ورابني الرشيد فذهبت لخوضهم وتصفحوا فقلت ان الحديث صحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو هريرة صحيح النقل فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم
وغيره فنظر الي الرشيد نظر مغضب وقمت من المجلس فانصرفت الى منزلي فلم البث حتى
قتل صاحب البريد بالباب فدخل فقال احب امير المومنين اجابه مقتول ولحظ وتكفنا
فقلت اللهم انك تعلم اني دفعت عن صاحب نبيك واحللت نبيك ان يطعن على امي به
فسلمني منه فدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب حاسرا عن ذراعيه
بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصر بي قال لي يا محمد بن حبيب اتتلفاني من الردة
والدفع ربما تلفنيني به فقلت يا امير المومنين ان الذي قلته وجادلت عنه فيه ازراء
على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان اخبار كذابين قالشر بعد بطلة والفرايض
والاحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود وغير مقبول فرجع
الى نفسه ثم قال احييتني يا عمر بن حبيب احياك الله وامر لي بعشرة الاف قلت
قالهي بنا كلهم محدود اولياء الله تعالى واصفياؤه وخيرته من خلقه بعدا نبيائه ورسله هذا
مذهب اهل السنة والذي عليه الجماعة منا بحمد الله الا من وخذ ذهبت شرذمة لا مبالاة
بهم ان حال الصحابة كحال غيرهم فيلزم البحث عن عدالتهم ومنهم من فرق بين حالهم في بداية
الامر فقال انهم كانوا على العدالة اذ ذاك ثم تغيرت بهم الاحوال فظهر من بعضهم الحرب وسفك الدم
فلا بد من البحث وهذا مردود فان حب الصحابة وفضائلهم كعلي وطلحة
والزبير وجدهم رضي الله عنهم من اثبتي الله عليهم ورضي عنهم وارضاهم ووعدهم
بقوله تعالى بمغفرة واجر عظيم وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة باخبار الرسول
لهم الغنية مع علمهم بكثير من الفتن والامور التي ستقع عليهم بعد بموتهم باخباره لهم وذلك
غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم اذ كانت تلك الامور مبنية على الاجتهاد وكل مجتهد
مصيب وسيأتي الكلام في تلك الامور في سورة الحجرات مبينة ان شاء الله تعالى انتهى

تفسير الحجرات مدنية باجماع وهي ثمان عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله فيه ثلاث مسايل الاولى قالت العلماء كانت العرب جفاة وسوء ادب
في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلقيبه الناسب فاسورة في الامر بمكارم الاخلاق
ومراعاة الاداب وقرا الضحاك ويعقوب الحضرمي لا تقدموا بفتح التاء والدال من
التقدم الى قصوف تقدموا بضم التاء وكسر الدال التقدم ومعناهما ناصرا لا تفعلوا
قولا ولا فعلا بين يدي الله وقول رسوله وفعل رسوله وفعله فيما يسعه ان تاخذوه عنه
من امر الدين والدنيا ومن تقدم قوله او فعله على الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قدمه
على الله تعالى لان الرسول صلى الله عليه وسلم انما يروي عن الله عز وجل الثانية واختلفوا
في سبب نزولها على اقوال سنة الاول ما ذكره الواحدي من حديث ابن جريج قال حدثني ابن ابي
مليكة ان عبد الله بن الزبير اخبره انه قدم ركب من بني تميم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ابو بكر امر القعقاع بن معبد وقال عمر امر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر
ما اردت الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت
في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله الى منزله ولو انهم صبروا حتى يخرج
اليهم رواه البخاري عن الحسن بن محمد بن الصباح ذكره المهدوي ايضا الثاني فيما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستخلف على المدينة رجلا اما معي الى خيبر فاشار عليه
عمر برجل اخر فنزل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ذكره المهدوي
ايضا الثالث ما ذكره الماوردي عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم انفذ اربعة وعشرين رجلا من اهل مكة الى بني عامر فقتلوهم الى ثلاثة نجوا
منهم مسلمين وانكفوا الى المدينة فلقوا رجلين من بني سليم فسالوهما عن نسبهما فقالا من بني عامر
لانهم اخوة من بني سليم فقتلوهما فيما نفر من بني سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا

ان بينك وبينك عهدا وقد قتل منا رجلان فوداهما النبي صلى الله عليه وسلم بمائة بعير ونزلت
عليه هذه الآية بين قتلهم الرجلين وقال قتادة ان ناسا كانوا يقولون لو انزل في كذا لوانزل
في كذا فنزلت هذه الآية ابن عباس نهوا ان يتكلموا بين يديه بكلام حتى بعد ان تفقهوا
على الله ورسوله حتى يقضي الله على لسان رسوله ذكره البخاري ايضا الحسن نزلت في قوم
ذبحوا قبل ان يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان يعيدوا الذبح بن جريج
لا تقدموا اعمالكم الطاعات قبل وقتها الذي امر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
قلت هذه الاقوال الحسنة التي حكاه ذكرها القاضي ابو بكر بن العربي وسردها
قبله الماوردي قال القاضي كلها صحيحة تندرج تحت العموم فالله اعلم ما كان السبب
الخاص منها ولعلها نزلت دون سبب والله اعلم قلت اذا قلنا انها
نزلت في تقديم الطاعات على اوقاتها فهو صحيح لان كل عبادة موقتة بميقات
لا يجوز تقديمها عليه كالصلاة والصوم والحج وذلك ان العلماء اختلفوا في الزكاة
لما كانت عبادة مالية وكانت مطلوبة للمعين منهوم وهو سيد جملة الفقراء والات
النبي صلى الله عليه وسلم استعمل من العباس صدقة عامين ولما جاء من جمع صدقة
الفطر قبل يوم الفطر حتى يعطي لمستحقها يوم الوجوب وهو يوم الفطر فقتضى
ذلك كله جواز تقديمها اليوم والاثنين فان جاء اليوم والشهر فقد تقرر الشهاب
تبين انها صدقة تطوع وقال اشهب لا يجوز تقديمها على الحول لحظه كالصلاة
ولانه طرد الاصل في العبادات فرايت انها احدى دعائم الاسلام فوقاتها حقها
في النظام وحسن الترتيب وراء سائر علمنا ان التقديم اليسير فيها جائز لانه
ممنوع منه في الشرع بخلاف الكثير وما قاله اشهب احق فان مفارقة اليسير
الكثير من اصول الشريعة صحيح ولكنه لعاب يختص باليسير دون الكثير فاما
تقديم كله كما قال ابو حنيفة والشافعي واما حفظ العبادة على مستحقيها كما قاله
اشهب الثالث لشذوذه قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الآية قال ابن عباس انها نزلت في ثابت بن قيس وابي بكر وعمر الاقتداء به وذلك قال النبي صلى
الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة
رضي الله عنها فقلت له ان ابا بكر رجل اسيف وانه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء
فمر عمر فليصل بالناس فقال له صلى الله عليه وسلم انكن لانتن صواحب يوسف
مروا ابا بكر فليصل بالناس فقيل لصواحب يوسف ما عنى بقوله انكن لانتن صواحب يوسف
الى عذاقي يزدري اصبغ سمعت ابن القاسم يقول هذه الآية وهو ما طل منهم فان ما قلت
دلالة فليس في فعله تقديم بين يديه وقد قامت دلالة الكتاب والسنة على وجوب
القول بالقول بالقياس في فروع الشرع فليس اذا تقدم بين يديه واتقوا الله
بيقين في التقدم المنهي عنه ان الله سميع لقولكم عليم بفعلكم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض بيد
حسن صحيح غريب والترمذي عن ابن ابي مليكة قال حدثني عبد
الله بن الزبير ان الاقرع بن حابس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر
يا رسول الله استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبي
صلى الله عليه وسلم حتى ارتفعت اصواتهما فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافي فقال
ما اردت خلافك فنزلت هذه الآية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي قال فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبي صلى الله عليه وسلم بسمع كلامه
حتى يستفهمه قال وما ذكر ابن الزبير حدثه بيقين ابو بكر قال هذا حديث غريب حسن
وقد رواه بعضهم عن ابن ابي مليكة مرسلا لم يذكر فيه عن عبد الله بن الزبير قلت فظهر
النبي ربيعة قال عن ابن ابي مليكة كاد الخيران يهلكا ابو بكر وعمر رفعا اصواتهما عند النبي
صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فاشار احدهما الاقرع بن حابس احد
بني مجاشع واشار الآخر برجل آخر فقال له ما اردت الا خلافي فقال ابو بكر لعمر ما اردت
الا خلافي فقال ما اردت فارتفعت اصواتهما في ذلك فانزل الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية فقال ابن الزبير فكان عمر يسمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن النبي يعني ابا
بكر الصديق وذكر المروذي عن علي رضي الله عنه نزل قوله لا ترفعوا اصواتكم

فوق صوت النبي فينا لما ارتفعت اصواتنا انا وجعفر وزيد بن حارثة لما جاء زيد من مكة فخفض بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر لان خالتها عنده وقد تقدم هذا الحديث في اكمال عمدة وفي الصحيحين عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال رجل يا رسول الله انا اعلم لك علمه فاتاه فوجده جالسا في بيته منكسا راسه فقال ما شانك فقال بشر كان يرتفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو من اهل النار فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره انه قال كذا وكذا فقال موسى فرجع اليه المرة الاخرة ببشارة عظيمة فقال اذهب اليه فقل له انك لست من اهل النار ولكنك من اهل الجنة فلما البخاري ربي ولفظ مسلم وثابت هذا احد ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي يكنى ابا محمد وقيل ابا عبد الرحمن فقتل له يوم اليمامة ثلاثة من الولد محمد ويحيى وعبد الله وكان خطيبا بليغا معروفا بذلك كان يقال له خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال لحسان شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم وفد بني تميم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا المفاخرة قام خطيبهم فافتخر ثم قام ثابت بن قيس فخطب خطبة بليغة حيزله فغلبهم وقام شاعرهم وهو الاقرع بن حابس فانشد

- انباءك كما يعرف الناس فضلنا اذا خاض غمرات من ذكر المكارم
- وان رؤس الناس من كل معشر وان ليسوا بنا ارض الحجاز كدارم
- واناالنا المرباع في كل غارة تكون بنجد او بارض تهامها

فقام حسان فقال

- بني دارم لا تفخروا ان فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم
- هلمتم علينا تفخرون وانتم لنا صول من بين طبر وحاذم

فلما ابيات لها فقال لواحد خطيبهم لخطب من خطيبنا وشاعرهم اشعر من شاعرنا فارتفعت اصواتهم فانزل الله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول وقال عطاء الخراساني حدثتني ابنة ثابت بن قيس قالت لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية دخل ابي بيتها وطفق يبكي فافتقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله لها خبره فقال ان رجلي اشتد بها الصوت اخاف ان يكون حبط عملي فقال عليه السلام لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير فلما انزل الله ان الله لا يحب كل مختال فخور فاغلق بابه وطفق يبكي ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فاخبره فقال يا رسول الله اني احب الجمال واحب ان اسود قومي فقال لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى مسيلمة فلما التقوا انكشفوا فقال لسالم وكانت مولى ابي حذيفة ما عهدك اكنت تقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين كل واحد منهما حفرة وقاتلا حتى قتلا وعلى ثابت يومئذ درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينا رجل من المسلمين نائم اتاه ثابت في منامه فقال له اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت امس مر بي رجل من المسلمين فاخذ درعي ومنزله في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفن على الدرع ببرمة وفوق البرمة رحل فات حتى تاتي خالدا فمره ان يبعث الى درعي فيأخذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ابي بكر فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق وفلانة فاتي الرجل خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتى بها واتى ابا بكر برؤيا، فاجاز وصيته قال ولا نعلم احدا اجيزت وصيته بعد موته غير ثابت رحمه الله ذكره ابو عمر في الاستيعاب الثابتة قوله تعالى ولا تجهروا له بالقول ابو لا تحبط طيبوه يا محمد ويا احمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله توقيرا له وقيل كانوا ينادون اصواتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم لبعد بيوتهم صفة المسلمين منهم المسلمون عن ذلك وقيل لا تجهروا اذا اتى لا تجهروا عليه كما يقال لسقط كبعد ان ملي فيه تجهر بعضكم لبعض وفي هذا دليل انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى يسوغ لهم ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر المفوت بان تكلموه بما شئتم من غير ان تجهروا بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة وجلاله مقدارها والحفاظ على توقيرها وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ايه من اجل ان تحبط اي تبطل هذا قول البصريين وقال الكوفيون اي لئلا تحبط اعمالكم ان تكلموه معنى الاية الامر بتعظيم

رسوله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره وخفض الصوت عنده وعند مخاطبته اي اذا
نطق وتطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي تبلغه بصوته وان ينقصوا منها
بحيث يكون كلامه غالب كلامكم وصهره بالجهر كجهركم حتى تكون مرتبته عليكم لا بحث
وسنا يقتضيه واضعه وامتيازه عن جهوركم لئلا يلزم ان تقولوا اصرتم بلفظكم وتجهروا منطقه
بصوتكم وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا وقد كره بعض العلما رفع صوته عند قبره صلى الله
عليه وسلم وكره بعض العلما رفع الصوت في مجالس العلم تشريفا لعلم اذ ورثه الانبيا الزاينة
قال القاضي ابو بكر بن العربي حرمة النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا وكلامه
الماثور بعد موته في الدقة مثل كلامه المسموع من لفظه فاذا كلامه وجب على كل
حاضر ان لا يرفع صوته عليه ولا يجهر عنده كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه بهز وقد
بين الله سبحانه علة دوام الحرمة المذكورة على مرور الازمنة بقوله لئلا تحبط اعمالكم
الغران فاستمعوا له وانصتوا وكلامه صلى الله عليه وسلم من الوحي وله من الحكمة مثل ما للقران
الا ما في مستثناه يبانها في كتب الفقه الخامس وليس الغرض برفع الصوت والجهر
ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون هم منزهون عن الغرض
صوت هو بين فظهر ان المسموع من جهره بيز مناسب لما يهاب به العظما ويوقر الكبرا
فيتكلف الغض منه ورده الوجه بميله الى ما يستحسن به المامور به من التشهير به
والتوقير ولم يبين دلالة النهي ايضا رفع الصوت الذي لا ينادى به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب او في دلة مما نادوا ارتقاب عمدا وما اشبه
ذلك ففي الحديث انه قال عليه الصلاة والسلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم
الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا فيروى ان غارة
انتهبت يوما فصاح العباس باصباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وبه يقرن نابغة
بني جعده رجز ابي عزة السابق اذا اشتق ان يختلط بالغنم

• • زعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيشتق مزاره السبع فيرجوه
السبع وقد قال الزجاج ان يحبط اعمالكم التقدير لان تحبط اي فتحبط اعمالكم
فاللام المقدرة لام الصيرورة وليس فعله ان تحبط اعمالكم بموجب ان يكفر الانسان
وهو لا يعلم فكما لا يكون الكافر موسوما الا باختياره الايمان على الكفر كذلك لا يكون الكافر كافرا
من حيث لا يعلم قوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي يخفظون اصواتهم
عنده اذا تكلموا احلالا له قال ابو هريرة لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم قال ابو بكر رضي الله عنه
والله لا ارفع صوتي الا كاخي السرار وعن ابي سلمة لما نزلت قال ابو بكر والذي يستك
بالحق لا اكلمك بعد هذا الا كاخي السرار وقال عبد الله بن الزبير لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم
ما حدث عمر عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع كلاما حتى يستفهمه مما خفض
فنزلت ان الذين يغضون اصواتهم الى قوله للتقوى قال الغزالي اخلصها للتقوى وقال
الاخفش اي اخلصها للتقوى وقال ابن عباس امتحن الله قلوبهم للتقوى طهرهم من كل
قبيح وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى وقال عمر رضي الله عنه اذهب عن قلوبهم
الشهوات والاستمتاع افتعال من محنت الاتم محنا حتى اوسعته فمعنى امتحن الله
قلوبهم للتقوى وسعها وشرحها للتقوى وعلى الاقوال المتقدمة امتحن قلوبهم فاخلصها
كقولك امتحنت الفضة اي اختبرتها حتى خلصت في الكلام حذف يدل عليه الكلام
وهو الاخلاص وقال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وامتحنته •

• انت ربا يا دبا كالها قد محنت واضطربت اطوارها •

لهم مغفرة واجر عظيم • فوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
قال مجاهد وعيينة نزلت في اعراب بني تميم قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم
فدخلوا المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء حجرتان اخرج الينا فان ثنا
مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا فقاموا النداء اذاهم لهم وكان النبي صلى الله
عليه وسلم نائما فانكر ذلك وروي ان الذي ناداه الاقرع بن حابس والذي نزلت فيه في
زبرقان وذمي شين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الله عز وجل ذكره الترمذي عن البرا
ابن عازب ايضا وروي زيد بن ارقم قال ان ناسا من النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
انطلق بنا الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا
نعيش في ظله فانوا النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه وهو في حجرته يا محمد يا محمد

فانزل الله تعالى في هذه الآية قيل انهم كانوا من بني تميم قال مقاتل كانوا تسعة نفر فيهم بن عاصم والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وسويد بن هاشم وخالد بن مالك وعطارد ابن حاجب والقعقاع بن معبد ووكيع بن وكيع وعيينة بن حصن وهو الاحمق المطاع وكان من الجرارين يجر عشرة آلاف فتى وابى تتبعه وكان اسمه حذيفة وسمي عيينة لشركان في عينيه ذكر عبد الرزاق عن عيينة هذا انه الذي نزلت فيه ولا انطح من انطقنا فلسنا نحن ذكرنا وقد مضى في اخر الاعراف من قوله لتم رضي الله عنه ما يدل كتابه ذكره البخاري وردي انهم وفدوا وقت الظهيرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ وخرج ونزلت وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس فتنة للاعور الدجال لدعوت الله عليهم ان يهلكهم والحجرات جمع حجرة كالغرفات جمع غرفة والظلمات جمع ظلمة وقيل الحجرات جمع الحجر والحجر جمع حجره فهو جمع الجمع وحكي لغتان ضم الجيم وفتحها قال ولا ثالثا ديا ركبتان على صوطئ تخلط الجد بالهزل والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وفي فعله بمعنى مفعوله وندا ابو جعفر بن القعقاع الحجرات بفتح الجيم وسكنها بالتخفيف وقرئ بها الحجرات بضمتين وقرئ بها الحجرات بضم الجيم وكسر التاء واصل الكلمة المنع وكل ما منعت ان توصل اليه فقد حجرت عنه ومنه يحتمل ان يكون الله ذم بعض من الجملة فلهذا قال اكثرهم لا يعقلون ابن ان الذين ينادونك من جملة قوم الغائب علمهم الجهل فوله تعالى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم في دينهم ودنياهم وكان صلى الله عليه وسلم لا يحجب عن الناس الا في اوقات يشتغل بها بمهمات نفسه فكان ازعاجهم في تلك الحالة سوء ادب وقيل كانوا جاءوا شفعاء في اسر ربيبة عيينة فمنعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفاداه على النصف ولو صبروا لاعتقت جميعهم بغير فداء والله غفور رحيم فوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة الاية سبب سابق الاولى قيل نزلت هذه الاية في الوليد بن عقبة بن ابي معيط وسبب ذلك ما رواه سعيد عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق فلما ابصروه اقبلوا نحوه فهابهم فرجع وانبأه ان القوم منعوا صدقاتهم وهموا بقتله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وامره ان يتثبت ولا يعجل فانطلق خالد حتى اتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاءوا اخبروه انهم متمسكون بالاسلام وسمعوا اذانهم وصلاتهم فلما اصبحوا اتاهم خالد وراى منهم ما ذكروه فعاد الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية فكانت بيانا من الله والعجلة من الشيطان وفي رواية النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني المصطلق بعد اسلامهم فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره ان القوم قد منعوا الزكاة وهموا بقتله وصدقاتهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعثهم فبينما هم كذلك اذ قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا اليه لنكرمه ونؤدي اليه ما قبلنا من الصدقة فاستمر راجعا وبلغنا انه بدا عمر لرسول الله انا خرجنا لنقتله والله ما خرجنا لذلك فانزل الله هذه الاية وسمي الوليد فاسقا ابو كاذبا قال ابن زيد ومقاتل وسهل بن عبد الله الفاسق الكذاب وقال ابو الحسن الوراق هو العالم بالكذب وقال ابن طاهر الذي لا يستحي من الله وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبت الباقون فتبينوا من التبين ان تصيبوا اي كراهة ان تصيبوا قوما في محل نصب بنزع الخافض فتصبحوا نادمين على العجلة وتدل الاية على ان خبر الفاسق مقبول خبر الواحد اذا كان عدلا لانه امر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق ومن تتبع قصته بطل قول من احتج بها على ان خبر الواحد ليس بحجة والفسق قرينة تبطله وقد استثنى الاجماع من جملة ذلك ما يتعلق بالدعوى والجحود واثبات حق مقصود على الغير مثل ان نقول هذا عندي بما انه يقبل قوله وكذلك يقبل قول من شهد جرح الكافر وكذلك اذا اقر لغيره بحق على نفسه فلا يبطل اجماعا واما في الانتشاء على غيره فقال الشافعي وغيره لا يكون وليا في النكاح وقال ابو حنيفة ومالك يكون وليا لانه يلي ماله فيلي نفسها كالعدل وهو ان كان فاسقا في دينه الا ان غيرته موفرة وبها يحمي الحريم وقد يبذل المال ويصون الحرمة واذا ولي المال فالنكاح اولى

الشافعي فقال ابن العربي ومن العجب ان يجوز الشافعي وينظراوه اما من الفاسق ومن ابو ثمن
على حبة ما يصح ان يوصى على قنطار ذهب وهذا ان كان اصله ان الولاة الذين كانوا يصلون
بالناس لما فسدت اديانهم ولم يمكن ترك الصلاة وراءهم واستطيعت انا نتهم صلى معهم
وراءهم قال ومشى في الصلاة احسن ما يفعل الناس فاذا احسنوا فاحسن واذا اساءوا فاجتنب
اساءتهم ثم كان من الناس اذا صلى منهم يعيد اعادوا الصلاة لله ومنهم من كان يجعلها صلاته
ويجري به الاعادة فاقول فلا ينبغي لاحد ان يترك الصلاة خلف من ابرمني من الائمة ولكن يعيد سرا
في نفسه ولا يوثر ذلك عند عبرة الرابعة واما احكامه ان كان واليا ينفذ منها ما وافق الحق
ويرد ما خالفه ولا ينقض حكمه الذي امضاه بحال فلا تلتفتوا الي شيء ذكرته من القول من رواية او
قول بحكم فان الكلام كثير والحق ظاهر الخامسة لا خلاف في انه يصح ان يكون رسولا عن
غيره في قبول بيعة او شيء يوصله او اذن بعمله اذا لم يخرج عن حق المرسل والمبلغ فان
تعلق به حق لغيرهما لم يقبل قوله وهذا اجازة للضرورة الداعية اليه فانه لو لم يتصرف
بين الخلق في هذه المعاني الا العدول لم يجد منها شيء لعدمهم في ذلك والله اعلم السادسة
وفي الاية دليل على رد قول من قال ان المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحة لان الله
تعالى امر بالتثبت قبل القبول ولا معنى للتثبت بعد انعقاد الحكم فان حكم الحاكم قبل التثبت
فقد اصاب المحكوم عليه بجهالة السابعة خان قوم يغلب على الظن لم يكن ذلك عملا
بجهالة كالقضاء بالشاهدين العدلين وقبول قول العالم المجتهد وامثال العمل بالجهالة كقبول قول
من لا يحصل غلبة الظن بقوله ذكر هذه المسألة القشيري والتي قبلها المهدوي قوله
تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله فلا تكذبوا فان الله يعلم انباءكم فتتقحموا لو يطيعكم في كثير
من الامر لعنتكم ومشقة واثم فانه لو فعل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة اليه لكان خطأ
ولعنت من اراد ايقاع الهلاك بأولئك القوم لعداوة كانت بينه وبينهم وسعى طاعة الرسول
لهم الايتمار بما مرهم فيما يبلغونه عن الناس والسماع منهم والعنت الاثم يقال عنت الرجل
والعنت ايضا العجز والزنا كما في سورة النساء والعنت ايضا الوقوع في امر شاق وقد مضى
في اجر براءة القول في عنت ثم باكثر من هذا ولكن الله حبب اليكم الايمان هذا خطاب للمؤمنين
المخلصين الذين لا يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجترؤون بالباطل ايجعل الايمان احب
الاديان اليكم وزينه بتوفيقه في قلوبكم اي فعلكم حتى اخترتموه وفي هذا رد على
القدرية والامامية وغيرهم حسب ما تقدم في غير موضع فهو سبحانه المنفرد بخلق ذوات
الخلق وخلق افعالهم وصفاتهم واختلافاتهم وانهم لا شريك له وكره اليكم الكفر
والفسوق قال ابن عباس يريد به الكذب خاصة وقاله ابن زيد وقتادة كل خروج عن الطاعة
مشتق من فسقة الرطبة خرجت من قشرها والفأرة من جحرها وقد مضى في البقرة
القول فيه مستوفى والعصيان جمع المعاصي ثم انتقل من الخطاب الى الخبر فقال اولئك هم الراشدون
بعني الذين رغبهم الله فجعلت اليهم الايمان وكره اليهم الكفر اي متى عندهم هم الراشدون كقوله
وما اوتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون قال النابغة

« يا دار ميه بالعلياء فالسند ٭ اقوت وطال عليها سالف الامد »

والرشد الاستقامة على طريق الحق يقال فيه من الرشاد وهي الصخرة قال ابو الوازع
كل صخرة رشاده وانشده « وعمر مخلد وسوئلت صلبين العنوة من ظهر الرشاد »
فضلا من الله ونعمة اي فضل ذلك نكم فضلا اي لفضله والنعمة فهو مفعول له والله عليم
حكيم عليم بمن يصلحكم حكيم في تدبيركم قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما الاية عشر مسائل الاولى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا
فاصلحوا بينهما روى المعتمر بن سليمان عن انس بن مالك قال قلت يا بني الله لو اتيت عبد الله
ابن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون
وهي ارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني لعمر الله لقد اذاني نتن
حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل
من قومه وغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انه انزل
فيهم هذه الاية قال ابن هشام وتلت فيه الاوس والخزرج وقال مجاهد تقاتل حيان من
الانصار بالعصي والنعال فنزلت الاية ومثله عن سعيد بن جبير ان الاوس والخزرج كان
بينهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال بالسعف والنعال ونحوه فانزل الله
هذه الاية فيهم وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مداراة في حق بينهما فقال

احد نفر لاخذ شيء منكم ممنوة لكثرة عشيرته ودعاه الاخر الي ان يحاكمه الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم فابي ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتي تواثبوا وتنادوا ولبعضهم بعضا
بالايدي والنعال والسيوف فنزلت هذه الاية وقال الكلبي نزلت في حرب سمير وحاطب
وكان سمير قتل حاطبا فاقتتل الاوس والخزرج حتي ان هم النبي صلي الله عليه وسلم فنزلت
وامر الله نبيه والمومنين ان يصلحوا بينهما وقال السدي كانت امراة من الانصار يقال لها ام
زيد تحت رجل من عبز الانصار وبينهما ضغائن من زوجها اراد ت ان تزور قومها فحبسها زوجها
وصيلها في علية لا يدخل عليها احد من اهلها في قومها فانزلوها ليبطلوا بها فخرج الرجل
فاستغاث اهلها في وابن عمها ليخلوا بين المراة واهلها فتنادوا واقتتلوا واتناول
الايدي والنعال والبغي يقع علي الرجل الواحد والجمع والاثنين فهو مما حمل علي المعني دون
اللفظ لان البغيين في معني القوم والناس وقرا ابن عباس وابن قتادة عبد الله حتي تفيئوا الي امر الله
فان فاءا فاخذ ما بينهما بالقسط وقرا ابن ابي عبلة اقتتلا علي لفظ الطائفتين وقد سمي
الله احد البراة القتول فيه وقال ابن عباس في قوله عز وجل وليشهد عذابهما طائفة من المومنين
قال الواحد فما فوقه والطائفة من الشيء القطعة منه فاصلحوا بينهما بالدعا الي كتاب الله لهما
او عليهما فان بغت احداهما علي الاخري تعدت ولم تجب الي حكم الله وكتابه والبغي النطاول
والعدوان وقاتلوا التي تبغي حتي تفيء الي امر الله اي ترجع الي كتابه فان فاءت واصلحوا
بينهما بالعدل اي احملوها علي الانصاف واقسطوا ايها الناس قاتلوا وقيل اقسطوا
اي اعدلوا ان الله يحب المقسطين اي العادلين المحقين الشافية لا يجلبوا الفتنة
من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا علي سبيل البغي منهما جميعا او لا فان كان الاول
فالواجب ان كلما اصاب بعضهم بعضا بصلح ذات البين ونبغوا المقاتلة والمواثبة فان
لم يبغ جدا ولم يبطلي وان بغا علي البغي صبر الي ان قاتلتهما واما ان كان الثاني وهو
ان يكون احداهما باغية علي الاخري فالواجب ان يقاتل فيه البغي الي ان
تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينهما وبين المبغي عليها بالقسط والعدل فان التهم
القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة
الشبهة بالحجة البينة والبراهين الناطقة علي ان الحق فان ركبت منهم العجاج ولم
تعمل علي شيء كلما هديت اليه وتحققت به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقت
بالفئة الباغية والله اعلم الثالثة في هذه الاية دليل علي وجوب قتال الفئة
الباغية المعلوم بغيها علي الامام وعلي احد من المسلمين وعلي فساد قول من قال منع
من قتال المومنين واصبح بقوله عليه السلام قتال المومن كفر ولو كان قتال المومن
الباغي كفرا لكان الله تعالي قد امر بالكفر تعالي الله عن ذلك وقد قاتل الصديق
رضي الله عنه من تمسك بالاسلام وامتنع من الزكاة وامر ان لا يتبع مولي ولا يجهز علي
جريح ولم يحل اموالهم بخلاف الواجب في الكفار وقال الطبري لو كان الواجب في
كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه وترك المنازلة لما اقيم حد ولا ابطل
باطل ولوجد اهل النفاق والفجور سبيلا الي استحلال كل ما حرم الله عليهم من اموال المسلمين
وسبي نسائهم وسفك دمائهم بان يتجزبوا عليهم ويكثف المسلمون ايديهم عنهم وذلك مما لم ينزل
الله عليه السلام خذوا علي ايدي سفهائكم الرابعة قال السدي حتي ابو بكر ان العوان
هذه الاية اصل في قتال البغاة والسنة في حرب المشركين وعلي هذا عمل الصحابة والتابعين
من اهل الملة واراها عني النبي صلي الله عليه وسلم بقوله لعمار تقتل عمارا الفئة الباغية
الباغية وقوله صلي الله عليه وسلم في شان الخوارج يخرجون علي حين فرقة او
علي حين فرقة فقتلهم اولي الطائفتين بالحق وكان الذين قتلهم علي بن ابي طالب ومن كان معه فتقدير
وبيت بد لبيد الذي ان علي رضي الله عنه كان امام وان كل من خرج عليه باغ وان
قتله واجب حتي يفيء الي الحق ويبقي داعيا الي الصلح لان عثمان رضي الله عنه قتل والصحابة
بدا سنة دمه لانه منع من قتال من ثار عليه وقال لا اكون اول من خلف رسول الله
صلي الله عليه وسلم بقتال في امته فصبر علي البلاء واستسلم للمحنة وفدا بنفسه
الامة حتي لم يمكن منزك الناس سدي فعرضت عمليات في الصحابة الذين ذكرهم في الشوري
وندا منعوها وكان علي احق بها واهلها فقتلها خوطه علي الامة ان تسفك دماءها
بالنهارج والباطل او يسرف امرها الي ما لا يتحصل قديما لتغير الدين وانتقض عهود

الاسلام

الاسلام فلما بويع له طلب اهل الشام من شرط البيعة التمكن من قتلة عثمان واخذ الثوار منهم فقال لهم علي عليه السلام ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا اليه فقالوا لا نبايع بيعة وقتلة عثمان ملء سمعك وبصرك فكان علي في ذلك اشد رأيا واصوب فيلا لان علي لو نفاطل القوم منهم لتغصبت لهم قتال وصارت حربا ثالثة فانتظر بهم ان تنتشر الامور وتنعقد البيعة ويمنع الطلب من الاولياء في مجلس الحكم فيجري القضاء بالحق ولا خلاف بين الامة انه يجوز للامام حين القضاء اذا رأى ذلك اجابة المستحق او تشتيت الكلمة وكذلك حربه لطلحة والزبير فانهما ما خلعا عليا من ولايته ولا اعترضا عليه في دين ولكن رأوا ان اليد انما تثقل اصحاب عثمان وفي قلوبهم قول في سبب الحرب الواقع بينهم وقال جملة من اهل العلم ان الوقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة منهم على الحرب بل فجأة وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن نفسه لظنه ان الفريق الاخر قد عدر به لان الامر كان انتظم بينهم وتم الصلح واستقر على الرضا فيما فعلته عثمان رضي الله عنه من التمكين منهم والاحاطة بهم فاجتمعوا وثبتوا وردوا واختلفوا ثم انتشروا فرأوهم على ان يغترفوا فريقين ويتوادوا لحرب سخرة في العسكرين وتختلف السهام بينهم ويصح العزيز الذي في عسكر علي عند طلحة والزبير والعزيز الذي في عسكر طلحة والزبير عند علي فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشبت الحرب فكان كل فريق واحسا فكر به عند نفسه وما ظن من الاشاطة بدمه وهذا اصوب من هذين الفريقين وطاعة لله تعالى اذ دفع القتال والامتناع منهما على هذه السبيل وهذا هو الصحيح المشهور والله اعلم الحادية عشرة قوله تعالى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله امر بالقتال وهو مفروض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن البعض الباقين ولذلك تخلف قوم من الصحابة رضي الله عنهم عن هذه المقاتلة كسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم وصوب ذلك علي بن ابي طالب لهم واعتذر اليه كل واحد منهم بعذر فمنه منهم ومن سعد انه قال لعلي ما منعك ان تكون معنا فقال له العيب ابن عمنا فتبين ان لست على كل دركن فيما فعل رأيا كان تصرفا بحكم الاجتهاد دوامي لا يمتنع الشرع والله اعلم الثانية عشرة قوله تعالى فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل من العدل في صلحهم ان لا يطلبوا بدماء حربهم بينهم من دم ولا مال فانه تلف على تأويل وبذل من طلبهم تتغير لهم عن الصلح واشتراط في البغي وهذا الصلح في الصلح وقد قال كثير من الائمة ان حكم الله تعالى في حرب الصحابة الفريقين منهم احكام فقال اهل الكلام وبالجملة اذا كان احكام فقد اهل الشرك قد عرفت على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله السابقة اذا خرجت على الامام العدل خارجة بغير حجة لهم في قتالهم الامام بل المسلمين كلهم مندوبون الى ان يبعثوا اليهم من ينهاهم عن ذلك ويدعوهم الى الطاعة والدخول في الجماعة فان ابوا من الرجوع والصلح قوتلوا ولا يقتل اسيرهم ولا يتبع مدبرهم ولا يذفف على جريحهم ولا تسبى ذراريهم ولا اموالهم واذا اقتتل العادل والباغي فالباغي عن العادل وهو وليهم بتوارث ولا يرث قاتل عمدا على حال وقد قيل ان العادل يرث الباغي في قتال العدل على الاطلاق وما استهلك البغاة والخوارج من دم او مال لم يضمنوا به واخذ به ابو حنيفة بضمنون وللشافعي قولان وجه قول ابي حنيفة انه اتلاف بعدوان فيلزم الضمان والمعول في ذلك عندنا ان الصحابة رضي الله عنهم لما حروبهم لم يتبعوا مدبرا ولا ذففوا على جريح ولا قتلوا اسيرا ولا ضمنوا نفسا ولا اموالا فعلم ان ذلك ليس بمباح وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله انذر كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم فقال له لم يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يتبع هاربها ولا يقسم فيئها فما سوى ذلك فانما رد بعينه فهذا كله بين خرج بغي وبلا فسوغ له وذكر الزمخشري في تفسيره ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد التوبة ما اتلفت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رضي الله عنه فان كان بينهم ابناء الضمان يلزمهم اذا افاءت وما قبل الجمع والتحيز واين تنقرف عند وضع الحرب اوزارها ما ضمنت عند الجميع بمجرد الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب بمجرد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهان يحمل على كون الفئة الباغية

قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الغنائم بين وسئل الاحناف دون ضمان الجمال لسبب بين الطائفتين الما مور به من اعمال العدل وسماعاة القسط قال الزمخشري فان قلت فلم قرن بالاصلاح التابين العدل دون الاول قلت لان المراد بالاقتتال بين اولاد الاباعد ان يقتتلا بالعصبية اوالكبر على سبيل الحمية وابتغاء الرياسة كان فالذي يجب على المسلمين ان يأخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدماء داة الحق والمراعظ التي فيه وبقي الشبهة الا اذا اصمت عينيه لجنب المقاتلة سواء كان القتال بتاويل وليس كذلك اذا بغت احداهما فالضمان منبه على الوجهين المذكورين الثاني سعنه ولو تقابلوا على بلد فاخذوا الصدقات وافاموا الحدود وحكموا فيهم باحكام لم تنقض عليهم الصدقات ولا الحدود ولا تنقض من احكامهم الا ما كان خلاف الكتاب والسنة او الاجماع كما تنقض احكام اهل العدل والسنة قال مطرف وابن الماجشون وقالا ابن القاسم لا تجوز شهادتهم وروي عن اصبغ انه جائز وروي عنه ايضا لا يجوز كقول ابن القاسم وبه قال ابو حنيفة لانه محل بغير حق ممن لا تجوز توليته فلم يجز كما لم يكن تواتنة والحدة لما فاته من ان الصحابة رضي الله عنهم لما انجلت الفتنة وارتفع الخلاف بالهدنة والصلح لم يتغير حكم احد منهم في حكم قال القاضي ابو بكر بن العربي الذي عندي ان ذلك لا يصلح لان الفتنة لما انجلت كان الامام علي ولم يكن لهن لك من يعترضه والله اعلم العاشرة لا يجوز ان يهيب ابو احد من الصحابة حظا مقطوع به انه كان لهم اجتهاد واجبا فعلوه واراد والله عز وجل وهم كلهم لنا ائمة وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم وان لا نذكرهم الا بحسن الذكر لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم وان الله غفر لهم واخبر الله بالرضى عنهم هذا مع ما قد ورد من الاخبار من طرق مختلفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان طلحة شهيد يمشي على وجه الارض فلو كان ما خرج اليه من الحرب معصية لم يكن بالقتل فيهم شهيدا وكذلك لو كان ما خرج اليه خطا في التاويل وتقصيرا في الواجب عليه لان الشهادة لا تكون الا بتعمد في طاعة فوجب حمل امرهم على ما يليق وما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من الاخبار عن علي بان قاتل الزبير في النار ومن قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر قاتل ابن صفية بالنار واذا كان كذلك فقد ثبت ان طلحة والزبير غير عاصين ولا اثمين بالقتال لان ذلك لو كان كذلك لم تنل النبي صلى الله عليه وسلم من طلحة شهيد ولم يجز ان قاتل الزبير في النار وكذلك من قعد عن الحرب خطي في التاويل فيه الله في الاجتهاد واذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراءة منهم وتفسيقهم وابطال فضائلهم وجهادهم وعظيم غنائهم في الدين وقد سئل بعضهم عن الدماء التي اريقت فيما بينهم فقال تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون وسئل بعضهم عنها ايضا فقال تلك دماء طهر الله منها يدي فلا احضب بها لساني يعني في التخوض في حظ والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبا فيه وقال ابن عون كنا ومن اصحابنا من قال ان سبيل ما جرت بين الصحابة من المنازعات كسبيل ما جرت بين اخوة يوسف ثم ان اخوة يوسف لم يجز جواز ذلك عند احد للانبياء والنبوة فكذلك الامر فيما جرى بين الصحابة وقال المحاسبي فاما الدماء فقد اشكل علينا القول فيها باختلاف منهم وقد سئل البصري عن قتالهم فقال قتال شهدوه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعلموا وجهلنا واجتمعوا ما تبعنا واختلفوا ما قلنا فهو قفنا قال المحاسبي فنحن نقول كما قال الحسن ونعلم ان القوم كانوا اعلم بما دخلوا فيه منا ونتبع ما اجتمعوا عليه ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رايا منا ونعلم انهم اجتهدوا واراد والله عز وجل اذ كانوا غير متهمين في الدين ونسال الله تعالى حسن التوفيق قوله تعالى انما المومنون اخوة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله انما المومنون اخوة ابين في الدين والحرمة في النسب ولهذا قبل اخوة الدين انبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بما لعنة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمعنى لعنة النسب وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وفي رواية لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض بيع وكونوا عباد الله اخوان المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه لفظ مسلم في خبر الصحيحين عن ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم

المسلم

المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يبغضه ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم رواه مسلم من حديث ابي هريرة وفي رواية له التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وفي رواية له لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه التقوى ها هنا ويشير الى صدره وفي رواية له لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وفي رواية له لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض

ابيض ومثلها الب وسدلت طرفها خلفها فكانت تجرها فقالت عائشة لحفصة رضي الله
عنها انظري ما تجر خلفها كانه لسان كلب وهذه كانت سخريتها وقال اسامة بن زيد
نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم تعيرن ام سلمة بالقصر وبقال نزلت في عائشة
اشارت بيدها اليها ام سلمة يا بني الله انها لقصيرة وقال عكرمة عن ابن عباس انت
صفية بنت حيي بن اخطب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال صلى الله عليه وسلم هلا
قلت ان ابي هارون واني عمي موسى وان زوجي محمد فانزل الله هذه الاية الرابعة
في صحيح الترمذي عن عائشة قالت حكيت للنبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال ما يسرني
اني حكيت رجلا وان لي كذا وكذا قالت فقلت يا رسول الله ان صفية امراة وقالت
بيدها هكذا اي بعيرة انها قصيرة فقال لقد مزجت بكلمة لو مزج بها البحر لمزج وفي
البخاري ومسلم عن عبد الله بن زمعة قال سمعني النبي صلى الله عليه وسلم ان يضحك الرجل مما
يخرج من بطنه وقال لم يضرب احدكم امراته ضرب العبد ثم لعله يجامعها وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم
واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم وهذا حديث عظيم ينبغي عليه ان لا يقطع
بعيب احد لما يرى عليه من صور انواع الطاعة او المعصية لعله فلعل من يواظب على الاعمال
الظاهرة يعلم الله من قلبه وصفا من سوء لا تنفع معه تلك الاعمال ولعل من راى على
تقريط او معصية يعلم الله من قلبه وصفا محمودا يغفر له بسببه فالاعمال امارات ظنية
لا ادلة قطعية وينبغي عليها عدم العلم في تعظيم من راى عليه افعالا صالحة وعدم
الاحتقار لمسلم راى عليه افعالا سيئة بل يحتقر ويذم تلك الحالة السيئة لا تلك الذات
المسمية فتدبر هذا فانه نظر دقيق وبالله التوفيق قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم
انفسكم فيه ثلاث مسايل الاولى قوله ولا تلمزوا الا لمز العيب وقد مضى بيانه عند
قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات وقال الطبري يعيبه الا لمز باليد والعين واللسان
والاشارة والهمز لا يكون الا باللسان وهذه الاية مثل قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم
اي لا يقتل بعضكم بعضا لان المومنين كنفس واحدة فكانه يقتل احدهم قاتل نفسه
وكقوله تعالى فسلموا على انفسكم تحية من عند الله يعني ليسلم بعضكم على بعض والمعنى
لا يعب بعضكم بعضا وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن سيرين لا يطعن بعضكم
على بعض وقال الضحاك لا يطعن بعضكم بعضا وقيل ولا تلمزوا انفسكم اي لا تفعلوا ما
يلمزكم به غيركم وفي قوله انفسكم تنبيه على ان العاقل لا يعيب نفسه فلا ينبغي ان يعيب غيره لانه كنفسه قال صلى الله عليه وسلم
المومنون كرجل واحد ان اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والمرض قال بكر بن
عبد الله المزني اذا اردت ان تنظر العيوب جمة فانظر عيوبك عيبا عيبا فانه انما يعيب
الناس بفضل ما فيه من العيب وقال صلى الله عليه وسلم يعيب احدكم القذاة في عين
اخيه وينسى الجذع في عينه وقيل من سعادة المرء ان يشتغل بعيوب نفسه عن
عيوب غيره قال الشاعر
" المرء ان كان عاقلا ورعا اشغله عن عيوب الناس كلهم ورعه
كما السقيم المريض يشغله عن وجع الناس كلهم وجعه وقال اخر
" لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا فيكشف الله سترا من مساويكم
" واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ولا تعب احدا منهم بما فيكم "
الثانية قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب النبز بالتحريك اللقب والجمع الانباز
والنبز بالتسكين المصدر تقول نبزه ينبزه بنزا اي لقبه وفلان نبيذ بالصبا اي يلقبهم
شدد للكثرة وبقال النبز والنزب لقب السوء وتنابزوا بالالقاب اي لقب بعضهم
بعضا وفي الترمذي عن ابي جبيرة ابن الضحاك قال كان الرجل منا يكون له الاسمين
والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب
قال هذا حديث حسن وابو جبيرة هو اخو ثابت بن الضحاك بن خليفة الانصاري
وابو زيد سعد بن الربيع صاحب الصرويه تفقه وفي مصنف ابي داود عنه قال فينا
نزلت هذه الاية في بني سلمة ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم الفسوق بعد
الايمان قال فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا رجل له اسمان او ثلاثة
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه
يغضب من هذا الاسم فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب فهذا قول ثان

قال

قال الحسن وهي هذه كان الرجل يهودي بعد اسلامه بكفره يا يهودي يا نصراني فنزلت وروي
عن قتادة وابي العالية وعكرمة وقال قتادة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق
وقاله هي هذه والحسن ايضا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ابو بئس ان يسمى الرجل كافرا
او فاسقا او زانيا بعد اسلام وتوبته قال ابن زيد وقيل المعنى لا ان من لقب اخاه
او سخر منه منهوفا فسق وفي الصحيح من قال لاخيه كافر فقد باء بها احدهما ان كان كما
قال والا رجعت عليه فمن فعل ما نهى الله عنه من السخرية واللمز والنبز فذلك فسوق
وذلك لا يجوز وقد روي ان ابا ذر رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم
فنازعه رجل فقال له يا ابن اليهودية فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى
هاهنا من احمر ولا اسود ما انت بافضل منه بيني الا ان تتقي ربك وان بزوا لا لقاب
وقال ابن عباس النبز بالالقاب ان يكون الرجل قد عمل السيات ثم تاب فنهى
الله ان يعير بما سلف يدل عليه ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من عير
مؤمنا بذنب تاب منه كان حقا على الله ان يبتليه به ويفضحه به في الدنيا والاخرة
الثالثة ومن مستثنى ما غلب عليه لاشتهاره كالاعرج والاصم والاعمش ولم يكن
له منه كسب يجب في نفسه من عليه مجوزته الاسم وانفق على تولير الله العنة قال
ابن العربي وقد ورد لعمر والله من ذلك في كتبهم ما لا ارضاه في صالح جزره كانه
صحف فلقب بها وكذلك قولهم في محمد بن سيلمان الحضرمي مطين لانه وقع في الطين وهو
ذلك مما غلب على المحدثين ولا اراه سايغا في الدين وقد كان موسى بن علي بن رباح
المصري يقول لا احل احد صغرا سم ابي وكان الغالب على اسمه التصغير بضم العين والذي
يضبط هذا كله ما يكرهه الانسان اذا نودي به فلا يجوز لاحد الا بذا به انتهى
قلت وعلى هذا المعنى نزجم البخاري رحمه الله في كتاب الادب من الجامع الصحيح في
باب ما يجوز من ذكر الناس كالحزفولهم الطويل والقصير لابداد به شين الرجل قال
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول ذو اليدين قال عبد الله بن حزازمتذا ذنفت
لا يرد النهي من تلقيب الانسان بما يكره ويجوز تلقيبه بما حب ابو ذر يه ان النبي صلى
الله عليه وسلم لقب عمر الفاروق وابا بكرا الصديق وعثمان ذا النورين وحنظلة
ذا الشهادتين وابا هريرة وذا الشمالين واشباه ذلك الزمخشري وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء ان يسمي باحب اسمايه اليه
ولهذا كانت الكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضي الله عنه اسمعوا الكنى فانها
امنة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزه باسد الله وخالد
بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من يسمى له لقب ولم تزل هذه الالقاب
الحسنة بين الامم كلها من العرب والعجم بتجريها في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير وقال
الماوردي فاما ما يستحب الالقاب به ويستحسن فلا يكره وقد وصف رسول الله صلى الله
عليه وسلم عددا من اصحابه بصفات صارت لهم من اجل الالقاب قلت فاما ما يكون ظاهرها
الكراهة اذا اريد بها الصفة لا التعيب فذلك كثير وقد سئل ابن المبارك عن الرجل يقول
حميد الطويل وسليمان الاعمش وحميد الاعرج ومروان الاصغر فقال اذا اردت صفته
ولم ترد عيبه فلا باس وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال رايت الاصلع يعني
عمر يقول المجبر في روايته الاصيلع قوله تعالى ومن لم يتب اليه منكم هذه الالقاب
التي يتأذى بها المسمون فيكذبهم الظالمون لانفسهم بارتكابه هذه المناهي
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن الى قوله ان الله تواب رحيم
فيه تسع مسايل الاولى في قوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن قيل انها نزلت في رجلين
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اغتاب احدهما صاحبه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان اذا اراد سفرا قرع الرجل المحتاج الى الرجلين الموسرين فيخدمهما فقرع سلمان الى
رجلين فيتقدم سلمان الى المنزل فتغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئا فلما لم يجدا
طعاما قالا له انطلق فاطلب لنا من النبي صلى الله عليه وسلم طعاما واداما فذهب
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذهب الى اسامة بن زيد فقل له ان كان عندك فضل
من طعام فليبطكه وكان اسامة خازن النبي صلى الله عليه وسلم فذهب اليه فقال
اسامة ما عندي شيء فرجع اليهما فاخبرهما فقالا قد كان عنده ولكنه بخل ثم بعث
سليمان الى طايفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فقالوا لو بعثت سلمان الى بير سميحة

لفظ رماه ثم انطلق بحيث لم يعلم عنه اين ذهب فاتاها النبي صلى الله عليه وسلم
فقال سالي اريد حضرة اللحم فاخبرها كذلك فقالا يا نبي الله والله ما اكلنا من يومنا هذا
لحما ولا غيره فقال ولكني ظننت ان كلالحم سيلتوى وانا منه فنزلت يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اسم ذكره الشعبي ايوب لا تظنوا ايها الخبر شوا اذا كنتم تعلمون
من ظاهرا مرهم الخبر اثبت بينة ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا لفظ البخاري فقال علماؤنا فالظن هنا ومن الاية
هو التهمة ومحل التحذير والنهي انما هو توهمه لا سبب لها يوجبه من يتهم بالفاحشة
او بشرب الخمر مثلا ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة
قوله بعد هذا ولا تحسسوا وذلك انه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء فيريد ان يتجسس خبر
ذلك ويبحث عنه وينبصر ويتسمع ليتحقق ما وقع له من تلك التهمة فنهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك وان شئت قلت والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها مما سواها ان كل ما لم
تعرف له اسباب صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون
به ممن شوهد منه الستر والصلاح وادبنته منه الامارات الظاهرة فظن السوء به
والحيانة محرم بخلاف من اشتهر بالناس يتعاطى الريبة والمجاهرة بالخبائث وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن
كنت في زمن الظن بالناس فيه حرام وانت اليوم في زمن اعملوا سكت وظن بالناس ما شئت
الثالثة للظن ظاهرا ان حالة تعرف وتقتضي بوجه من وجوه الادلة فيجوز الحكم
بها واكثر احكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالبينات وخبر الواحد وغير ذلك من قيم
المتلفات وارش الجنايات والحالة الثالثة ان يقع في النفس شيء من غير دلالة فلا يكون
ذلك اولى من ضده وهذا هو الشك فلا يجوز الحكم وهو المنهي عنه على ما قدرناه انفا وقد
انكرت جماعة من المبتدعة تعبد الله بالظن وجواز العمل به تحكما في الدين ودعوى بالمعقول
وليس بين ذلك اصل يعول عليه فان الله تعالى لم يذم جميعه وانما ورد الذم في بعضه
وهي التي تعلقوا بحديث ابي هريرة رضي الله عنه اياكم والظن وهذا الحجة فيه لان الظن
في الشريعة قسمان محمود ومذموم فالمحمود منه ما سلم منه دين الظان والمظنون به
عند بقرعه والمذموم ضده بدلالة قوله تعالى ان بعض الظن اثم وقوله ولولا اذ سمعتموه
ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا وقوله وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال
صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم مادحا اخاه فليقل احسبه كذا ولا ازكي على الله احدا
وقال اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ واذا تطيرت فامض خرجه ابو داود واكثر
العلماء على ان الظن القبيح بمن ظاهره العدالة قاله المهدوي الرابعة قوله تعالى
ولا تجسسوا وقرا ابو حيوة والحسن بخلاف وعيسى ولا تحسسوا بالحاء واختلف هل هما
بمعنى واحد او بمعنيين فقال الاخفش ليس بينهما احدهما من الاخر لان التجسس
البحث عما يكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الاخبار والبحث عنها وقيل ان التجسس بالجيم
هو البحث ومنه قيل رجل جاسوس اذا كان يبحث عن الامور وبالحاء هو ما ادرك الانسان
ببعض حواسه وقول ثان في الفرق انه بالحاء تطلب لنفسه وبالجيم ان يكون رسولا
لغيره قاله ثعلب وللاول اعرف حسست الاخبار وتحسستها ابو تصفحت عنها ومنه قيل
للجاسوس وسمعي الله خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين ابو لا يبحث احدكم عن
عيب اخيه حتى يطلع عليه لعل ان ستره الله وفي كتاب ابي داود عن معاوية قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم
او كدت ان تفسدهم فقال ابو الدرداء كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفعه الله بها وعن المقدام بن معدي كرب عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الامير اذا ابتغى الريبة في الناس افسدهم وعن زيد بن وهب قال اتي ابن مسعود
فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن
ان يظهر لنا شيء نأخذ به وعن ابي برزة الاسلمي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر
من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من
اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته قال عبد الرحمن بن عوف
خرجت ليلة مع عمر بن الخطاب بالمدينة اذ تبين لنا سراج في بيت بابه يخاف على قوم لهم

اصوات مرتفعة ولغط فقال عمر فقال هذا بيت ربيعة بن خلف وهم الان سكارى
فما ترى قلت ارى انك قد اتيت ما نهى الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد
تجسسنا فانصرف وتركهم وقال ابو قلابة حدث عمر بن الخطاب ان ابا محجن
الثقفي شرب الخمر مع اصحاب له في بيت فانطلق عمر حتى دخل عليه فاذا ليس عنده
الا رجل فقال ابو محجن ان هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فخرج عمر
وتركه وقال زيد بن اسلم خرج عمر وعبد الرحمن بن عوف ان اذ تبينت لهما
نارا فاستأذنا ففتح الباب فاذا رجل وامرأة يغني وعلى بطن الرجل قدح فقال
عمر وانت بهذا يا فلان فقال وانت بهذا يا امير المؤمنين قال عمر
فمن هذه منك قال امرأتي كما في القدح قال ما زلال فقال للمرأة وما الذي
تغنين فقالت

نطاول هذا الليل واسود جانبه ٭ وارقني ان لا خليل الاعبه ٭
٭ فوالله لولا الله انى اراقبه ٭ لزعزع من هذا السرير جوانبه ٭
٭ ولكن عقلي والحياء يكفني ٭ واكرم بعلي ان تنال مراتبه ٭

ثم قال الرجل ما بهذا امرنا امير المؤمنين قال الله تعالى ولا تجسسوا قال
صدقت فلت لا يعلم من هذا الخبر ان المرأة كانت غير زوجة الرجل لان عمر لا يقر
على الزنا وانما غنت بتلك الابيات تذكارا لزوجها وانها قالتها في معيبة عنها
والله اعلم وقال عمرو بن دينار كان رجل من اهل المدينة له اخت فاشتكت
فكان يعودها فمات فدفنها فكانها الذي نزل في قبرها فسقط من كمه
كيس فيه دنانير فاستعان ببعض اهله فنبشوا قبرها فاخذ الكيس ثم قال
لا سدن حتى انظر ما الحال اخبني اليه فكشف عنها فاذا القبر مشتعل نارا فجاء
الى امه فقال اخبريني ما كان عمل اختي فقالت قد ماتت اختك فما سؤالك
عن عملها فلم يزل بها حتى قالت له كان عملها انها كانت تؤخر الصلاة
عن مواقيتها وكانت اذا اتاها الجيران قامت الى بيوتهم فالت اذنها ابواهم
فتجسس عليهم وتخرج اسرارهم فقال لها هلكت الخامسة
قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا اي عز وجل عن الغيبة وهو ان تذكر الرجل بما
فيه فان ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان مثبت معناه في صحيح مسلم عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا
الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال افرايت ان كان في اخي ما اقول قال
ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وقال اغتابه اغتيابا
اذا وقع فيه والاسم الغيبة وهو ذكر العيب بظهر الغيب قال الحسن العيب ثلاثة اوجه
كلها في كتاب الله تعالى الغيبة والافك والبهتان فاما الغيبة فهو ان تقول في
اخيك ما هو فيه واما الافك فان تقول فيه ما بلغك عنه واما البهتان فانك
تقول فيه ما ليس فيه وعن شعبة قال مالي معاوية يعني ابن قرة لو مر بك رجل
اقطع فقلت هذا اقطع كان غيبة قال شعبة فذكرته لابي اسحق فقال صدق وروى
ابو هريرة ان الاسلمي ماعزا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه
باربع فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع نبي الله رجلين من اصحابه يقول
احدهما للاخر انظر الى هذا الذي ستر الله عليه فلم تزعه نفسه حتى رجم رجم
الكلب فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال اين فلان
وفلان فقالا نحن ذا يا رسول الله قال انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار فقالا يا نبي الله
ومن يأكل من هذا قال فما نلتما من عرض اخيكما اشد من الاكل منه والذي نفسي
بيده انهما الان لفيها في انهار الجنة ينغمس فيها انغماسا قوله تعالى ايحب
احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا مثل الله الغيبة باكل الميتة لان الميت لا يعلم باكل
لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه وقال ابن عباس انما ضرب الله هذا المثل
للغيبة لان اكل لحم الميت حرام مستقذر وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح
في النفوس وقال قتادة كما يمتنع احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا كذلك يجب ان
يمتنع من غيبته حيا واستعمل اكل اللحم مكان الغيبة لان عادة العرب بذلك جارية
قال الشاعر

فان اكلوا لحمي وقرت لحومهم وان هرموا مجدي بنيت لهم مجدا
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما صام من ظل يأكل لحوم الناس فشبه الوقيعة في الناس
بأكل لحومهم فمن تنقص مسلما او سلد عرضه فهو كاكل لحمه ميتا وفي كتاب ابي داود عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم
فقلت من هؤلاء يا جبريل فقال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم
وعن المسور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اكل برجل مسلم اكلة فان الله
يطعمه مثلها من جهنم ومن كسى ثوبا برجل مسلم فان الله يكسوه مثله من جهنم
ومن اقام برجل مقام سمعة ورياء فان الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيمة
وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه
لا تغتابوا المسلمين وقوله للرجلين ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما وقال ابو
قلابة الرياشي سمعت ابا عاصم قال ما اغتبت احدا منذ عرفت ما في
الغيبة وكان ميمون بن سيار لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب عنده فان انتهى
والا قام وذكر المغلبي من حديث ابي هريرة قال قام رجل من عند النبي صلى
الله عليه وسلم فرأوا في قيامه عجزا فقالوا يا رسول الله ما اعجز فلانا فقال
اكلتم لحم اخيكم واغتبتموه وعن سفيان الثوري قال ادنى الغيبة ان يقول
ان فلانا جعد قططا الا انه يكره ذلك وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه اياكم وذكر الناس فانه داء وعليكم بذكر الله فانه شفاء وسمع علي بن الحسين
رضي الله عنهما رجلا يغتاب احدا فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب
الناس ويقال لعمرو بن عبيد لقد وقع فيك فلان حتى رحمناك قال اياه فارحموه
وقال رجل للحسن يعني انك تغتابني قال فلم يبلغ من قدرك
عندي ان احملك على حسناتي السابغة ذهب قوم الى ان الغيبة لا تكون الا
في الدين ولا تكون في الخلقة والحسب وقالوا ذلك فعل الله به وذهب آخرون الى
عكس هذا فقالوا لا تكون الغيبة الا في الخلق والخلق والحسب والغيبة
في الخلق اشد لان من عيب صنعة فانما عيب صانعها وهذا كله مردود اما الاول
فبرده حديث عائشة حين قالت في صفية انها امرأة فصيرة فقال لها
النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته خرجه ابو داود وقال
فيه الترمذي حديث حسن صحيح وما كان في معناه حسبما تقدم واجماع العلماء قديما على
ان ذلك غيبة ان اريد به العيب واما الثاني فمردود ايضا عند جميع العلماء لان العلماء
من اول الدهر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين بعدهم لم تكن
الغيبة عندهم في شيء اعظم من الغيبة في الدين لان عيب الدين اعظم العيب
فكل مؤمن يكره ان يذكر في دينه اشد مما يكره في بدنه وكفى ردا لمن كان هذا القول
قوله عليه الصلاة والسلام اذا قلت في اخيك ما يكره فقد اغتبته الحديث
فمن زعم ان ذلك ليس بغيبة فقد رد ما قال النبي صلى الله عليه وسلم نصا وكفى
بعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم دماؤكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام وذلك عام
للدين والدنيا وقول النبي صلى الله عليه وسلم من كانت عنده لاخيه مظلمة في عرضه
وماله فليتحلله منه فلم يخص من ذلك شيئا دون شيء فتعارض ما قال
النبي صلى الله عليه وسلم انتهى لا خلاف ان الغيبة من الكبائر وان على من
اغتاب احدا التوبة الى الله عز وجل وهل يستحل المغتاب اختلف فيه فقالت فرقة
ليس عليه استحلاله وانما هي خطيئة بينه وبين ربه واجتنب بانه ياخذ من ماله ولا اصاب
من بدنه ما ينقصه فليس ذلك مظلمة يستحلها منه وانما المظلمة ما يكون منه البدل
والعوض في المال والبدن وقالت فرقة هي مظلمة وكفارتها الاستغفار لصاحبها
الذي اغتابه واحتجت بحديث يروى عن الحسن قال كفارة الغيبة ان
تستغفر لمن اغتبته وقالت فرقة هي مظلمة وعليه الاستحلال منها واحتجت
بقول النبي صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال
فليتحلل منه من قبل ان يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته
فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيد على سيئاته خرجه البخاري

من

من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه
من عرضه او شيء فليتحلله من اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل
صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل
عليه وقد تقدم هذا المعنى في سورة ال عمران عند قوله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء وقد روي من حديث عايشة ان امراة دخلت
عليها فلما قامت قالت امراة ما اطول ذيلها فقالت لها عايشة لقد اغتبتيها
فاستحليها قلت الاثار عن النبي صلى الله عليه وسلم انها مظلمة يجب على المغتاب
استحلالها واما قول من قال انما الغيبة في البدن والمال فقد اجمعت العلماء
على ان على القاذف للمقذوف مظلمة باجزه بالحد حتى يقيمه عليه وذلك بين في البدن
ولا في المال ففي ذلك دليل على ان الظلم في العرض والبدن والمال وقد قال الله تعالى
في القاذف فان لم ياتوا باربعة شهداء الى قوله فاولئك هم الفاسقون
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حبست موءدا مما لبس فيه حبسه
الله في طينة الخبال وذلك كله في غير المال والبدن واما من قال انها مظلمة وكفارة
المظلمة ان يستغفر لصاحبها لان قولهم مظلمة تثبت ظلامة صاحبها المظلوم فاذا
تثبت الظلامة لم يبرئها عن الظالم الا احلال المظلوم له واما قول الحسن وليس
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من كانت لاخيه مظلمة في عرض او مال فليتحلله
منه وقد ذهب بعضهم الى ترك التحلل لمن سأله ورأى انه لا يحل له ما حرم الله عليه
منهم سعيد بن المسيب قال لا احلل من ظلمني وقيل لابن سيرين يا ابا بكر هذا
رجل سألك ان يحلله من مظلمة هب لك عنده فقال اني لم احرمها عليه فاحلها ان الله
حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله عليه ابدا وجرا النبي صلى الله عليه
وسلم يدل على التحلل وهو الحد واليمين والتحليل يدل على الرحمة وهو من وجه
وقد قال تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله الثامنة ليس من هذا الباب
غيبة الفاسق المعلن به المجاهر قال في الخبر من القى جلباب الحياء فلا غيبة له وقال
صلى الله عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس والغيبة اذا في المرء
الذي ستر نفسه وروي عن الحسن انه قال ثلاثة ليس لهم حرمة صاحب الهوى والفاسق
المعلن والامام الجائر وقال الحسن لما مات الحجاج اللهم انت امته فاقطع عنا سنته
وفي رواية سيئة فانه انا احيفس اعيمش يعد بدقصيرة البنان والله ما عرق
فيها عبد في سبيل الله برجل حسنة ويخطر في مشيته ويصعد المنبر فيحمد حتى يفوته
الصلاة لا سن الله تبقق ولا سن الناس يستحي فوق ازاره وتحته مايتة الف
او يزيدون لا يقول له قائل الصلاة ايها الرجل ثم يقول الحسن هيهات تحال دون
ذلك السيف والسوط وروي الربيع بن صبيح عن الحسن قال ليس لاهل البدع غيبة
وكذلك قول القاضي نستعين به على اخراجك ممن ظلمك فتقول فلان ظلمني او غصبني
او خانني او ضربني او قرفني او اساء الي ليس بغيبة وعلى الامة على ذلك باجماع
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لصاحب الحق مقالا وقال مطل الغني
ظلم وقال ان الواجد يحل عرضه وعقوبته ومن ذلك الاستفتاء كقول هند للنبي صلى الله
عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي اخذ من
غير علمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فخذي بالشح والظلم لها وولدها ولم
يرها مغتابة لانها لم تعر عليها بل اجابها عليه بالغيبة لها وكذلك اذا كان في ذكره بالسوء
فائدة كقوله صلى الله عليه وسلم اما معاوية فصعلوك لا مال له واما ابو جهم
فلا يضع العصا عن عاتقه فهذا جائز وكان مقصوده ان لا تنكح فاطمة بنت قيس بهما
قال جميعة المحاسبي رحمه الله العاشرة قوله تعالى ميتا وقرئ ميتا وهو نصب
على الحال من اللحم ويجوز ان ينصب على الاخ ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب
اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله تعالى فكرهتموه وفيه وجهان احدهما فكرهتم
اكل الميتة فكذلك فاكرهوا الغيبة روي معناه عن مجاهد والثاني فكرهتم ان يغتابكم
الناس فاكرهوا غيبة الناس وقال الفراء اي فكرهتموه فلا تفعلوه وقيل
لفظه ومعناه خبر اي اكرهوا واتقوا الله عليه وقيل عطف على قوله اجتنبوا ولا تجسسوا
ان الله تواب رحيم قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى فيه سبع مسائل

الاولى قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني ادم وحوى ونزلت
الاية في ابي هند ذكره ابو داود في المراسيل حدثني عمرو بن عثمان وكثير بن عبيد قال
حدثنا شعبة بن الوليد حدثني الزهري قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزوج
بناتنا موالينا فانزل الله عز وجل انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا الاية
قال الزهري نزلت في ابي هند خاصة وقيل انها نزلت في ثابت
بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا يا رسول الله فقال النبي
صلى الله عليه وسلم وجوه القوم فنظر فقال ما رايت قال فما رايت ابيض واسود واحمر فقال
انك لا تفضلهم الا بالتقوى فنزلت في ثابت هذه الاية ونزلت في الرجل الذي لم
يتفسح له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس الاية قاله ابن عباس
لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة
فاذن فقال عتاب بن اسيد بن ابي العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لا يرى
هذا اليوم وقال الحارث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا
وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول
شيئا الخاف ان يخبره رب السماء فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما قالوا
فدعاهم وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله تعالى هذه الاية زجرهم عن التفاخر
بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء فان المدار على التقوى اي
الجميع من ادم وحوا واما الفضل بالتقوى وفي الترمذي عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم خطب بمكة فقال يا ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم عيبة
الجاهلية وتعاظمها بابائها فالناس رجلان رجل بر تقي كريم على الله وفاجر شقي هين
على الله والناس بنو ادم وخلق الله ادم من تراب قال الله تعالى يا ايها الناس
انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله
اتقاكم ان الله عليم خبير خرجه من حديث عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني
وهو ضعيف ضعفه يحيى بن معين وغيره وقد خرج الطبري في كتاب اداب النفوس
وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثنا اسمعيل قال حدثنا سعيد الجريري عن ابي
نضرة قال حدثني او حدثنا من حد مشهد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى
في وسط ايام التشريق وهو على بعير فقال يا ايها الناس الا ان ربكم واحد وان اباكم
واحد الا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على احمر ولا احمر
على اسود الا بالتقوى الا هل بلغت قالوا نعم قال ليبلغ الشاهد الغائب وفيه
عن ابي مليكة ما لك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا
ينظر الى احسابكم ولا الى اجسامكم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فمن كان له قلب
صالح تحنن الله عليه وانما انتم بنو ادم واحبكم اليه اتقاكم ولعلي رضي الله عنه في هذا

المعنى وهو مشهور من شعره

الناس في جهة التمثيل اكفاء ... ابوهم ادم والام حواء
نفس كنفس وارواح مشاكلة ... واعظم خلقت فيهم واعضاء
فان يكن لهم من اصلهم حسب ... يفاخرون فالطين والماء
ما الفضل الا لاهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... ولجاهلون لاهل العلم اعداء

التابينة بين الله سبحانه وتعالى في هذه الاية انه خلق الخلق من الذكر والانثى وكذلك
في اول سورة النساء ولو شاء لخلقه دونهما كخلقه لادم او دون ذلك كخلقه لعيسى عليه
السلام او دون انثى كخلقه لادم من احدى الجهتين وهذا الجائز في القدرة ولم يرد به
الوجود وقد جاء ان ادم خلقت حوا من ضلع انتزعها من اضلاعه فلعله هذا القسم قاله
ابن العربي التالية ... خلق الله الخلق بين الذكر والانثى انسانا واصهارا
وقبايل وشعوبا وخلق لهم منها التعارف وجعل لهم منها التواصل للحكمة التي قدرها
وهو اعلم بها فصار كل واحد يجوز نسبه فاذا انتفاء رجل عنه استوجب الحد بقذفه مثل ان
ينفيه عن رهطه وحسبه بقوله للعربي يا عجمي وللعجمي يا عربي ونحو ذلك مما يقع به

النبي حقيقة انثى الرابعة ذهب قوم من الاوايل الى ان الجنين انما يكون من ماء الرجل وحده وبين بي في رحم الام وبينما من الدم الذي يكون فيه واحتجوا بقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وقوله ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين وقوله الم يك نطفة من منى تمنى قال على ان الخلق من ماء واحد والصحيح ان الخلق انما يكون من ماء الرجل والمراة لهذه الاية فانها نص لا يحتمل التاويل وقوله تعالى خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترايب والمراد منه اصلاب الرجال وترايب النساء على ما يأتي بيانه واما ما احتجوا به فليس فيه اكثر من ان الله تعالى ذكر خلق الانسان من الماء والسلالة والنطفة ولم يضف الى احدا لابوين دون الاخر فدل على ان السلالة لهما والنطفة منهما بدلالة ما ذكرنا وبان المراة تمنى كما يمنى الرجل وعند ذلك يكون الشبه حسبما تقدم بيانه في اخر الشورى وقد قال في قصة نوح فالتقى الماء على امر قد قدر وانما اراد ماء السماء وماء الارض لان الالتقاء لا يكون الا من اثنين فلا بد ان يكون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من ماء مهين وقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين ويريد ما ابن واما علم الخامسة قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الشعوب رؤس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج واحدها شعب بفتح الشين سمي به لتشعبهم واجتماعهم كشعب اغصان الشجرة والشعب من الاضداد ينال شعبته اذا جمعته ومنه المشعب بكسر الميم وهو الاشفى لانه يشعب به ويجمع قال

فكان علجن الجنين ومنتفه ... بمدرته كانه دلق مشعب

وشعبته اذا فرقته ومنه سميت المنية شعوب لانها مفرقة واما الشعب بالكسر فهو الطريق في الجبل والجمع الشعاب قال الجوهري الشعب ما تشعب من قبايل العرب والعجم والجمع والشعوب والشعوبية فرقة لا يفضل العرب على العجم واما الذي في الحديث ان رجلا من الشعوب اسلم فانه يعني من العجم والشعب والقبيلة العظيمة وهو ابو القبائل الذي ينسبونه اليه اي يجمعهم ويضمهم قال ابن عباس الشعوب الجمهور مثل مضر والقبائل الافخاذ وقال المجاهر الشعوب البعيد من النسب والقبايل دون ذلك وعنه ايضا ان الشعوب النسب الاقرب وقاله قتادة ذكر الاول عنه المهدوي والثاني الماوردي قال الشاعر

رايت سعودا من شعوب كثيرة ... فلم ار سعدا مثل سعد بن مالك

وقال اخر

قبايل من شعوب ليس فيهم ... كريم قد يعد ولا نجيب

وقيل ان الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبائل من ربيعة ومضر وسايز عدنان وقيل ان الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب وقال ابن عباس في رواية اخرى الشعوب الموالي والقبايل العرب قال السيري وعلى هذا فالشعوب من لا يعرف له اصل نسب كالهند والجيل والترك والقبائل من العرب الماوردي ويحتمل ان الشعوب هم المضافون الى النواحي والشعاب والقبائل هم المشتركون في الانساب قال الشاعر

وتفرقوا شعبا بكل جزيرة ... فيها امير المومنين ومنبر

وحكى ابو عبيد عن الكلبي عن ابيه الشعب اكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة ثم العشيرة وقد نظمها بعض الادبا فقال

افضد الشعب فهو اكرم حي ... عدد في الجوائم القبيله
ثم تتلوها العمارة ثم البطن ... والفخذ بعدها والفصيله
ثم من بعدها العشيرة لكن ... هي في جنب ما ذكرنا قليله

وقال اخر

قبيلة قبلها شعب وبعدها ... عمارة ثم بطن تلوه فخذ
وبيس يوجي الفتى الافصلة ... ولا سواد لهم ما لم تقد

السادسة قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم تقدم في سورة الاعراف عند قوله تعالى والله لذكر لك ولقومك وفي هذه الاية ما يدل على ان التقوى هي المرعي عند الله تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب وقرئ ان بالفتح وفي الترمذي

عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحسب المال والكرم التقوى
قال هذا حديث غريب صحيح وذلك يرجع الى قوله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وقد جاء منصوصا عنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يكون
اكرم عند الله فليتق الله والتقوى معناه مراعاة حدود الله تعالى امرا
ونهيا والاتصاف بما امرك ان تتصف به والتنزه عما نهاك عنه وقد مضى هذا
في غير موضع وفي الخبر من رواية ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى يقول يوم القيمة اني جعلت نسبا فجعلتم اكرمكم اتقاكم
وابيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان وانا اليوم ارفع نسبي واضع انسابكم ابن
المتقون ابن المتقون وروى الطبري من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان اولياي المتقون يوم القيمة وان كان نسب اقرب
من نسب يأتي الناس بالاعمال ويأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم يقولون
يا محمد فاقول هكذا وهكذا واعرض في كل عطفيه وفي صحيح مسلم من حديث
عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
جهارا غير سرا ان آل ابي ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين وعن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل من اكرم الناس فقال يوسف
ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرمهم على
الله اتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسالك فقال عن معادن العرب تسالوني
في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا واشاروا
ما يصنع العبد بعز الغنى والعز كل العز للمتقي
من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي
اسانيده ذكر الطبري حدثني عمر بن محمد قال حدثنا عبيد بن اسحاق
العطار قال حدثنا مندل بن علي عن نور بن يزيد عن سالم بن ابي الجعد قال
تزوج رجل من الانصار امرأة وطعن عليها في حسبها فقال الرجل اني لم اتزوجها لحسبها
انما تزوجتها لدينها وخلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يضرك ان لا يكون من آل
حاجب بن زرارة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى جاء
بالاسلام فرفع به الخسيسة واتم به النا قصة واذهب به اللوم فلا لوم على مسلم
انما اللوم لوم الجاهلية وقال النبي صلى الله عليه اني لارجو ان اكون
اخشاكم لله واعلمكم بما اتقى ولذلك كان اكرم للبشر على الله تعالى قال
ابن العربي هذا الذي خط مالك في الكفاءة في النكاح روى عبد الله عن مالك يتزوج
الموالي العربية واحتج بهذه الاية وقالوا ابو حنيفة والشافعي بل ابى الحسب والمال
وفي الصحيح عن عائشة ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وكان ممن شهد بدرا مع النبي
صلى الله عليه وسلم تبنى سالما وانكحه هند ابنة اخيه الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى
لامرأة من الانصار وصباعة بنت الزبير كانت تحت بلال وزينب بنت جحش
كانت تحت زيد بن حارثة فدل على جواز نكاح الموالي العربية وانما تراعى الكفاءة
في الدين والدليل عليه ايضا ما روى سهل بن سعد في صحيح البخاري ان النبي صلى الله
عليه وسلم مر عليه رجل فقال ما تقولون في هذا فقالوا انه حري ان خطب ان ينكح
وان شفع ان يشفع وان قال ان يسمع قال ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين
فقال ما تقولون في هذا فقالوا انه حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع
ان لا يشفع وان قال لا يسمع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا خير
من ملء الارض مثل ذاك وقال صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لمالها وجمالها
ودينها وفي رواية ولحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك وخطب
سلمان الى ابي بكر ابنته فاجابه وخطب الى عمر ابنته فالتوى عليه ثم سأله
ان ينكحها فلم يفعل سلمان وخطب بلال بنت ابي بكر فابى اخوتها فقال بلال يا رسول
الله ما ذا لقيت من بني ابي بكر خطبت اليهم اختهم فمنعوني واذوني فغضب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اجل بلال فبلغهم الخبر فاتوا اختهم فقالوا ما اذا لقينا
من سببك فقالت اختهم امري بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجوها
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في ابي هند حين حجمه ابو طيبة انكحوا يا هند

وانكحوا

وانكحوا اليه وهو مولى بني بياضة وروى الدارقطني من حديث الزهري عن عروة
عن عائشة ان ابا هند مولى بني بياضة كان حجاما فحجم النبي صلى الله عليه وسلم
من سره ان ينظر الى من ضوأ الله الايمان في قلبه فلينظر الى ابي هند وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انكحوا وانكحوا اليه قال القشيري ابو نصر وقد
يعتبر النسب في الكفاءة في النكاح وهو الاتصال بشجرة النبوة او بالعلماء ورثة
الانبياء او بالمرموقين في الزهد والصلاح والتقى افضل من الفاجر النسيب فان كانا
تقيين فحينئذ يقدم النسيب منهما كما يقدم الشيخ على الشاب في الصلاة اذا
استويا في التقوى قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
نزلت في اعراب بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة
جدبة واظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر وافسدوا طرق المدينة
بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فاعطنا من الصدقة
وجعلوا المنون عليه فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية وقال ابن عباس نزلت
في اعراب اراد وا ان يسلموا باسم الهجرة قبل ان يهاجروا فاعلم الله ان لهم
اسما الاعراب لا اسما المهاجرين وقال السدي نزلت في الاعراب المذكورين
في سورة الفتح اعراب من مزينة وجهينة واسلم وغفار والديل واشجع قالوا
امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استقروا الى المدينة تخلفوا فنزلت
وبالجملة فالاية خاصة لبعض الاعراب لان منهم من يؤمن بالله واليوم الاخر كما وصف
الله تعالى ومعنى ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا خوف القتل والسبي وهذه صفة
المنافقين لانهم سلموا في ظاهر امرهم ولم تؤمن قلوبهم وحقيقة الايمان التصديق
بالقلب واما الاسلام فقبول من اتى به النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر وذلك
لحقن الدم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله يعني ان تخلصوا
الايمان في قلوبكم وان تطيعوا الله ورسوله يعني ان تخلصوا الايمان لا يالتكم اي
لا ينقصكم من اعمالكم شيئا لانه بليته ويلوته نقصه وقرا ابو عمرو لا يالتكم بالهمز
من الت يالت التا وهي لغة اختيارا ابي حاتم اعتبارا بقوله وما التناهم من عملهم من
شيء قال الشاعر

ابلغ بني ثعل عني بغلغلة ... جهد الرسالة لا التا ولا كذبا
واختار الاولى ابو عبيد قال رويدة ... وليلة ذات ندى سريته ... ولم يلتني عن سراها ليت

اي يمنعني عن سراها مانع وكذلك الايلة عن وجهه فعل وافعل بمعنى ويقال
ايضا ما الانه عن عمله شيئا اي ما نقصه مثل الله قاله الفراء وانشد

ويأكلن ما اعتى الولي فلم يلت ... كان نحافات اليها المزارعا

قوله فلم يلت اي لم ينقص منه شيئا واعتى بمعنى اتت يقال ما اعتبت الارض
شيئا اي ما انبتت والولي المطر بعد الوسمي وليا لانه يلي الوسمي ولم يقل لا يلتكم
لان طاعة الله طاعة الرسول قوله تعالى انما المؤمنون الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا اي صدقوا ولم يشكوا وحققوا ذلك بالجهاد والاعمال
الصالحة اولئك هم الصادقون في ايمانهم لان من اسلم خوف القتل ورجا الكسب
فلما نزلت حلف الاعراب انهم مؤمنون في السر والعلانية وكذبوا فنزلت قل
اتعلمون الله بدينكم اي الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله
بكل شيء عليم قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا اشارة الى قولهم جيناك بالاثقال
والعيال وان في موضع نصب على تقدير لان اسلموا فلا تمنوا على اسلامكم اي
باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين ان كنتم مؤمنين
وقرا عاصم ان هداكم بالكسر وفيه بعد لقوله ان كنتم صادقين ولا يقال يمن عليكم
ان يهديكم ان صدقتم والقراءة الظاهرة ان هداكم وهذا لا يدل على انهم كانوا مؤمنين
لان تقدير الكلام ان امنتم فذلك منة الله عليكم ان الله يعلم غيب السموات والارض
والله بصير بما تعملون قرا ابن كثير وابن محيصن بالياء على الخبر والباقون
قالت الاعراب الباء تؤذن بالتاء على الخطاب

سورة ق مكية كلها وهي خمس واربعون اية مكية

كذلك قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر قال ابن عباس وقتادة الا اية
وهي قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من
لغوب وفي صحيح مسلم عن ام هشام بنت حارثة بن النعمان قالت لقد كان تنورنا
وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد اسنتين او سنة او بعض سنة وما
اخذت ق والقرآن المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها
كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب الناس وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
سأل ابا واقد الليثي ما كان يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاضحى
والفطر فقال كان يقرأ فيهما بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة
وانشق القمر وعن جابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الفجر بقاف
والقرآن المجيد وكانت صلاته بعد تخفيف

بسم الله الرحمن الرحيم

والقرآن المجيد الى قوله فبصرك اليوم حديد قوله تعالى ق والقرآن
المجيد قرأ العامة قاف بالجزم وقرأ الحسن وابن ابي اسحق ونصر بن عاصم
ق بكسر القاف لالتقاء الكسر اخوا الجزم فلما سكن اخره حركوه بحركة الخفض وقرأ
عيسى الثقفي بفتح القاف حركة الى اخف الحركات وقرأ هارون ومحمد بن السميفع
ق بالضم لانه في غالب الامر حركة البناء نحو منذ وقط وقبل وبعد واختلف في معنى
ق ما هو فقال يزيد وعكرمة والضحاك هو جبل محيط بالسماء والارض من زمردة
خضراء اخضرت السماء منه وعليه طرف السماء والسماء عليه مقببة وما اصاب الناس
من زمرد كان مما نسا قطع من ذلك الجبل ورواه ابو الجوزاء عن عبد الله بن عباس قال
القرآن كان يجب على هذا ان يظهر الاعراب في ق لانه اسم وليس بهجاء قال ونعل القاف
وحدها اذكرت من اسمه كقول القائل قلت لها قفي فقالت وا ايانا
واقفة وهذا وجه حسن وقد تقدم اول البقرة وقال وهب اشرف ذو القرنين
على جبل ق فرأى تحته جبالا صغارا فقال له ما انت قال انا ق قال فما هذه
الجبال حولك قال هي عروقي وما من مدينة الا وفيها عرق من عروقي فاذا اراد
الله ان يزلزل مدينة امرني فحركت عرقي في ذلك فتزلزلت تلك الارض فقال له
يا ق اخبرني بشيء من عظمة الله قال ان شأن ربنا لعظيم وان وراءي
ارضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج تحطم بعضها بعضا لولا
هي لاحترقت من حر جهنم قال زدني قال ادبر جبريل عليه السلام واقف يسبح
يدبج الله تعالى خلق الله من كل رعدة مائة الف ملك فاولئك الملائكة
وقوفا يبن يدي الله تعالى منكسرة رؤسهم فاذا اذن الله لهم في الكلام قالوا
لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن وقال صوابا يعني قول لا اله الا الله وقال الزجاج قوله ق اي
قضى الامر كما قيل في حم اي حم الامر وقال ابن عباس ق اسم من اسماء الله
تعالى اقسم به وعظمه ايضا الله اسم من اسماء القرآن وهو قول قتادة وقال
القرطبي افتتاح اسماء الله عز وجل قدير وقاهر وقريب وفاض وقابض وقال
الشعبي فاتحة السورة وقال ابو بكر الوراق معناه قف عند امرنا ونهينا
ولا تعدهما وقال محمد بن عاصم الانطاكي هو قرب قرب الله من عباده ببيانه
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال ابن عطاء اقسم الله بقوة قلب حبيبه محمد
صلى الله عليه وسلم حيث عمل الخطاب ولم يؤثر ذلك فيه لعلو حاله والقرآن
المجيد اي الرفيع القدر وقيل الكريم قاله الحسن وقيل الكثير ما خوذ من
كرم المنزلة لا من كثرة العدد من قولهم كبير فلان في النفوس وسنة فول
العرب في المثل السائر لها في كل شجر نار واستمجد المدح والعقار اي استكثر هذا
النوعان من النار فزاد اعلى سائر الشجر قاله ابن بحر وجواب القسم قيل هو قد
علمنا ما تنقص الارض منهم على ارادة اللام اي لقد علمنا قيل هو ان في ذلك لذكرى

وهو اختيار الترمذي محمد بن علي قال بي قسم باسم هو اعظم الاسما التي خرجت
الي العباد وهو القدرة واقسم ايضا بالقران المجيد ثم افيض ما خرج من القدرة
من خلق السموات والارضين وارزاق العباد وخلق الادميين وصفة يوم
القيامة والجنة والنار ثم قال ان في ذلك لذكري لمن كان له قلب فوقع القسم
على هذه الكلمة كانه قال ـــــ ق اي بالقدرة والقران المجيد اقسمت ان فيما
اقتصصت في هذه الصورة لذكري لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وقال
ابن كيسان جوابه ما يلفظ من قول وقال اهل الكوفة جواب هذا القسم بل عجبوا
ان جاءهم وقال الاخفش جوابه محذوف كانه قال بي والقران المجيد لتبعثن يدل
عليه اذا متنا وكنا ترابا قوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم اي في موضع نصب على
تقدير لان جاءهم منذر منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير للكفار وقيل
للمؤمنين والكفار جميعا ميز بينهم بقوله تعالى فقال الكافرون ولم يقل فقالوا
بل فضح حالهم ووصفهم بالكفر كما يقول جاءني فلان فاساء الي المكروه وقال
لي الناس انت كذا وكذا هذا شيء عجيب ـــــ الامر الذي يتعجب منه وكذلك
العجاب بالضم والعجاب بالتشديد اكثر منه وكذلك العجوبة وقال ـــــ
قتادة عجبهم ان دعوا الى اله واحد وقيل من انذارهم بالبعث والنشور والذي
نص عليه القران اولي قوله تعالى اذا متنا وكنا ترابا نبعث فيه اضمار ذلك رجع
بعيد الرجع الرد اي هو رد بعيد اي محال يقال رجعته ارجعه رجعا ورجع
هو يرجع رجوعا وفيه اضمار احتراز اي وقالوا انبعث اذا متنا وذكر البعث
وان لم يجد هنا فقد جرى في مواضع والقران كالسورة الواحدة وايضا ذكر
البعث منطوت تحت قوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم لانه انما ينذر بالعقاب والحساب
في الاخرة قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض اي ما تاكل من اجسادهم فلا يضل
عنا شيء حتى تتعذر علينا الاعادة وفي التنزيل قال فما بال القرون الاولى قال ـــــ
علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وفي الصحيحين كل ابن ادم يبلى كل التراب
الا عجب الذنب الذنب منه خلق وفيه يركب وقد تقدم وثبت ان الانبياء والاولياء
والشهداء لا تاكل الارض اجسادهم حرم الله على الارض ان تاكل اجسادهم وقد
بينا هذا في كتاب التذكرة وتقدم ايضا في هذا الكتاب وقال السدي النقص هنا
الموت يقول قد علمنا منهم من يموت ومنهم من يبقى لان من مات دفن فكانت
الارض تنقص من الناس وعن ابن عباس هو من يدخل في الاسلام من المشركين
وعندنا كتاب حفيظ اي لعدتهم واسمائهم فهو فعيل بمعنى فاعل وقيل اللوح
المحفوظ اي محفوظ من الشياطين او محفوظا فيه كل شيء وقيل الكتاب ـــــ
عبارة عن العلم والاحصاء كما تقول ـــــ كتبت عليك هذا اي احفظته
وهذا ترك الظاهر من غير ضرورة وقيل اي وعندنا كتاب حفيظ لاعمال بني ادم
نحاسبهم عليها قوله تعالى بل كذبوا بالحق اي بالقران في قول الجميع حكاه الماوردي
وقال الثعلبي بالحق القران وقيل الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم
فهم في امر مريج اي مختلط يقولون مرة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن قال ـــــ
الضحاك وابن زيد وقال ـــــ قتادة مختلف الحسن ملبس والمعنى متقارب
وقال ابو هريرة فاسد ومنه مرجت امانات الناس اي فسدت ومرج الدين
والامر اختلط قال ـــــ ابو داود مرج الدين فاعددت له مشرف الحارك محبوك
الكتد وقال ابن عباس المريج الامر المنكر وقال عنه عمران بن ابي عطا مريج مختلط
وانشد ـــــ
فجالت والتمست به كساها فخر كانه خوط مريج
الخوط الغصن وقال عنه العوفي امر ضلالة وهو قولهم ساحر شاعر مجنون كاهن
وقيل متغير واصل المرج الاضطراب والقلق يقال مرج امر الناس ومرج الدين
ومرج الخاتم في اصبعي اذا قلق من الهزال وفي الحديث كيف بك يا عبد الله اذا كنت
في قوم قد مرجت عهودهم وامانتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشبك بين
اصابعه خرجه ابو داود وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قوله تعالى افلم ينظروا الى
السماء فوقهم كيف بنيناها نظر اعتبار وتفكر وان الذي قدر على ايجادها قادر على

الاعادة كيف بنيناها فرفعناها بلاعمد وزينا ها بالنجوم وما لها من فروج جمع فرج
وهو الشق ومنه قولهم امرأة الفتير سند به فرجا من دبر وقال الكسائي ليس
فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق والارض مددناها والقينا فيها رواسي تقدم
في الرعد بيانه وانبتنا فيها من كل زوج اي من كل نوع من النبات بهيج اي حسن
يسر الناظرين وقد تقدم في الحج تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة لنستدل على كمال قدرتنا
وقال ابو حاتم نصب على المصدر بمعنى جعلنا ذلك تبصرة وتنبيها على قدرتنا وذكرى
معطوف عليه لكل عبد منيب راجع الى الجاعة ممكن في قدرته قوله تعالى ونزلنا من
السماء ماء اي من السحاب مباركا اي كثيرا لبركته فانبتنا به جنات وحب الحصيد
التقدير وجب انبت الحصيد وهو كل ما يحصد هذا قول البصريين وقال
الكوفيون هو من باب اضافة الشيء الى نفسه كما يقال مسجد الجامع وربيع الاول
وحق اليقين وحبل الوريد ونحوها قالوا الغرض والاصل الحب الحصيد فحذفت الالف
واللام واضيف المنعوت الى النعت وقال الضحاك يحب الحصيد البر والشعير
وقيل كل حب يحصد ويدخر وينبت والنخل باسقات تضب على الحال راجع الى
قوله وحب الحصيد وباسقات طوال قاله مجاهد وعكرمة وقتادة وقال
عبد الله بن شداد يسوقها استقامتها في الطول وقال سعيد بن جبير مستويات وقال
الحسن وعكرمة ايضا والفراء متراكبات يقال للسنباة اذا سبقت ودرت والى
الشاعر

فلما تركنا الدار ظلت مبيضة ... يقران فيها الباسقات المواقر

والاول في اللغة اشهر واكثر يسوق النخل سوقا اذا طال قال

لنا خمر وليست خمر كرم ... ولكن من نتاج الباسقات

كرام في اسماذهبن طولا ... وفات ثمارها ايدي الجنات

ويقال بسق فلان على اصحابه اي علاهم واسبقت الناقة اذا وقع في ضرعها اللبا
قبل النتاج فهي مسبق وتوقب هيا سبق وقال قطبة بن مالك سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقرأ باسقات بالصاد ذكره الثعلبي قلت الذي في صحيح مسلم عن قطبة
بن مالك قال صليت وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ والقرآن
المجيد حتى قرأ والنخل باسقات قال فحفظت ازدادها ولا ادري ما قال
الا انه يجوز ابدال الصاد من السين لاجل القاف كما طلع نضيد الطلع هو اول
ما يخرج من ثمرة النخل يقال طلع الطلع طلوعا واطلعت النخلة وطلعها اكفراها
قال ابن بشتق نضيد اي متراكب قد نضد بعضه على بعض وفي البخاري النضير
الكفرا ما دام في اكمامه ومعناه منضود بعضه على بعض فاذا خرج من اكمامه
فليس بنضيد رزقا للعباد اي رزقناهم رزقا او على معنى انبتناها رزقا لان
الانبات في معنى الرزق اي او رزقناهم رزقا او على معنى انبتناها رزقا
لان الانبات له او على معمول له اي انبتناها لرزقهم والرزق ما كان مرغبا
للانتفاع به وقد تقدم القول فيه واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج اي
من القبور اي كما احيى الله هذه الارض الميتة فكذلك احيا بعد موتكم والكاف
في محل رفع على الابتداء وقد مضى هذا المعنى في غير موضع وقال ميتا لان
المقصود المكان ولو قال ميتة لجاز قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح اي كما كذبت
هؤلاء فكذلك كذب اولئك فحل بهم العقاب ذكرهم بنا على من كان قبلهم
من المكذبين وخوفهم ما اخذهم وقد ذكرنا قصصهم في غير موضع عند ذكرهم
كل كذب الرسل من هذه الامم المكذبة فحق وعيد اي فحق عليهم وعيدي وعقابي
انتهى قوله تعالى افعيينا بالخلق الاول اي فعجزنا به فنعيا بالبعث وهذا
توبيخ لمنكري البعث وجواب قولهم ذلك رجع بعيد يقال عييت بالامر
اذا لم يعرف وجهه بل هم في لبس من خلق جديد اي في حيرة من البعث فمنهم
مصدق ومنهم مكذب يقال لبس عليه الامر يلبس لبسا قوله تعالى
ولقد خلقنا الانسان يعني الناس وقيل ادم ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما
يختلج في سره وقلبه وضميره وفي هذا زجر عن المعاصي التي يستخفى بها ومن قال
ان المراد بالانسان ادم فالذي وسوست به نفسه هو الاكل من الشجرة ثم هو
عام لولده والوسوسة حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي قال الاعشى

• • يسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت • كما استعان بريح عشرق زجل •

وقد مضى في الاعراف ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو حبل الحاتق وهو هناك من ناحية حلقه الى عاتقه وهما وريدان من عن يمين وشمال روي معناه عن ابن عباس وغيره وهو المعروف في اللغة والحبل هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين وقال الحسن الوريد المتين وهو عرق متعلق بالقلب وهذا تمثيل للقرب اي نحن اقرب اليه من حبل وريده الذي هو منه وليس على وجه قرب المسافة وقيل اي ونحن اعلم به من حبل وريده مع استيلاء علمه عليه ونحن اعلم بما توسوس به نفسه اقرب اليه من حبل وريده مع استيلاء علمه عليه ونحن اعلم بما توسوس به نفسه اقرب اليه من حبل وريده الذي هو من نفسه لانه عرق مخالط القلب فعلم ان اقرب اليه من علم القلب روي معناه عن مقاتل قال الوريد عرق مخالط القلب وهذا القرب قرب العلم والقدرة وابعاض الانسان اذ يجب لبعضه ولا يجب علم الله شيء قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد اي نحن اقرب اليه من حبل وريده حين يتلقى المتلقيان عنه وهما الملكان الموكلان به اي نحن اعلم باحواله فلا يحتاج الى ملك يخبر ولكنهما وكلا به الزاما للحجة وتوكيدا للامر عليه وقال الحسن ومجاهد وقتادة المتلقيان ملكان يلتقيان ملك احدهما عن يمينه يكتب حسناته والاخر عن شماله يكتب سيئاته وقال الحسن حتى اذا مات طويت صحيفة عمله وقيل له يوم القيامة اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك وقال مجاهد وكل الله تعالى بالانسان مع علمه باحواله ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان اثره الزاما للحجة احدهما عن يمينه يكتب الحسنات والاخر عن شماله يكتب السيئات فذكر قوله عن اليمين قعيد وقال سفيان يلقى ان كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا اذنب قال لا تعجل لعله يستغفر الله وروي معناه من حديث ابي امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وروي من حديث علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان منكما ملا يكتك علي تنبيتك لسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك فلا تستحي من الله ولا منهما وقال الضحاك مجلسهما تحت الشعر على الحنك ورواه عوف عن الحسن قال وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته وانما قال قعيد ولم يقل قعيدان وهما اثنان لان المراد عن اليمين قعيد فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قاله سيبويه ومنه قول الشاعر

• • عن ما عدنا وانت بما عندك راض • والامر مختلف وقال المرقش

• • اني ضمنت لمن اتاني ما جني • وابى وكان وكنت غير غدور •

ولم يقل راضيان ولا عدوريك ومذهب المبرد ان الذي في التلاوة يجري على الاثنين والجمع ولا حذف في الكلام وقعيد بمعنى قاعد كاسميع والعليم والقدير والسميد وقيل قعيد بمعنى متقاعد مثل اكيل وشريب بمعنى هو اكل منك وقال الجوهري فعيل وفعول مما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع لقوله تعالى انا رسول رب العالمين وقوله والملائكة بعد ذلك ظهير وقال الشاعر في الجمع اسرة الغلبي اليمانين كلني اليماه وخبر الرسول اعلمهم بنواجي الخير والمراد بالقعيد هنا الملازم الثابت لا ضد القائم قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اي ما يتكلم من شيء الا كتب عليه ما يحمد من لفظ الطعام وهو اخراجه من الفم في الترتيب ثلاثة اوجه احدها انه المنبع للامور الثاني انه الحافظ قاله السدي الثالث انه الشاهد قاله الضحاك وفي العتيد وجهان احدهما انه الحاضر الذي لا يغيب الثاني انه الحافظ المعد اما للحفظة واما

الشهادة قال الجوهري العتيد الحاضر المهيا وقد عتده تعتيدا واعتده اعتادا اي
اعده ليوم ومنه قوله تعالى واعتدت لهن متكا وفرس عتد وعتد بفتح التاء
وكسرها المعد للجري قلت وكله يرجع الى معنى الحضور ومنه قول الشاعر
* لئن كنت معنيا في العيان محببا * فذكرك عندي في العوار عتيد *
قال ابن الجوزا وجاهد يكتب على الانسان كل شئ حتى الانين في مرضه وقال
عكرمة لا يكتب عليه الا ما يوجر به او يوزر عليه وقيل يكتب كل ما يتكلم به
فاذا كان اخر النهار يمحى عنه ما كان مباحا نحو انطلق فاقعد كلما لا يتعلق
به اجر ولا وزر والله اعلم وروي عن ابي هريرة وانس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما من حافظين يرفعان الى الله ما حفظا فيرى الله في اول
الصحيفة خيرا وفي اخرها خيرا الا قال لملائكته اشهدوا اني قد غفرت
لعبدي ما بين طرفي الصحيفة وقال علي رضي الله عنه ان لله
ملائكة محمر صحف بيض املوا ما في ولهاء اخرها خيرا يغفر لكم ما بين
ذلك وخرج ابو نعيم الحافظ حدثنا ابو طاهر محمد بن الفضل بن محمد
ابن اسحاق بن خزيمة قال ناجدي محمد بن اسحق حدثنا محمد
ابن موسى الحرشي قال حدثنا اسمعيل بن عبد الله قال سمعت الاعمش
يحدث عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الحافظين اذا انتهيا الى العبد او الامة معهما كتاب مختوم فيكتبان
ما يلفظ العبد او الامة فاذا اراد ان يمضيا قال احدهما للاخر
فك الكتاب المختوم الذي معك فيفكه فاذا فيه ما كتب سواء فذلك
قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد غريب من حديث الاعمش
عن زيد لم يروه عنه الا اسمعيل وروي من حديث انس ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه عمله فاذا مات قالا ربنا
قد مات فلان فاذن لنا ان نصعد الى السماء فيقول الله تعالى ان سمواتي مملوة
من ملائكتي يسبحوني فيقولان ربنا فنتهم في الارض فيقول الله تعالى ان
ارضي مملوة من خلقي يسبحوني فيقولان يا رب فاين نكون فيقول الله تعالى
قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني وسبحاني واذكراني واكتبا ذلك لعبدي
الى اليوم القيامة قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق اي غمرته وشدته
فالانسان ما دام حيا يكتب عليه اقواله وافعاله ليحاسب عليها ثم يجيء الموت
وهو ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله تعالى وعده واوعده
وقيل الحق هو الموت سمي حقا لاستحقاقه واما لانتقاله الى دار الحق
تعالى هذا يكون في الكلام تقديم وتاخير وتقديره وجاءت سكرة الحق بالموت وكذلك
في قراءة ابي بكر ابن مسعود رضي الله عنهما لان السكرة هي الحق فاضيفت اليه
نفسها لاختلاف اللفظين وقيل يجوز ان يكون الحق هو الموت والمعنى وجاءت
سكرة الموت بالموت ذكره المهدوي وقد زعم من طعن على القرآن فقال
خالف المصحف كما خالف ابو بكر الصديق فقرا وجاءت سكرة الموت بالحق واحتج
عليهم ان ابا بكر روي عنه روايتان احدهما موافقة المصحف فعليهما العمل والاخرى
من فوضة يجري مجرى البيان سندان كان قالها او الغلط من بعض من نقل
الحديث قال ابو بكر الانباري حدثنا اسمعيل ابن اسحاق القاضي حدثنا علي
بن عبد الله حدثنا جرير عن منصور عن ابي وايل عن مسروق قال لما حضر ابو بكر ارسل
الى عايشة فلما دخلت عليه قالت هذا كما قال الشاعر
* اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر * فقال لها ابو بكر ما قلت
الا كما قال الله وجاءت سكرة الموت بالحق ذكره ما كيني من سجيد وذكر الحديث
والسكرة واحدة السكرات وفي الحديث عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت بين يديه ركوة او علبة فيها ماء فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه
ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول في الرفيق
الاعلى حتى قبض ومالت يده خرجه البخاري وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان العبد الصالح ليعالج الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها

على بعض

على بعض يقول السلام عليك تفارقني وافارقك الى يوم القيمة وقال عيسى يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون عليكم هذه السكرة يعني سكرات الموت ورد في الخبر ان الموت اشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض فذلك ما كنت منه تحيد اي يقال لمن جاءه سكرة الموت ذلك ما كنت منه تفر وتميل عنه يقال حاد عن الشيء يحيد حيودا وحيدة وحيودة مال عنه وعدل واصله حيدودة بتحريك الياء فسكنت لانه ليس في الكلام فعلول غير صعفوق ونقول في الاخبار عن نفسك تحدث عن الشيء احيد حيدا ومحيدا اذا مللت عنه قال ابو طرفة

انا ممنوردميت الوفا فهنة ... وحدت كما حاد البعير عن الدحض

قوله تعالى ونفخ في الصور هي النفخة الاخيرة يبعث ذلك يوم الوعيد الذي وعده الله لكفار اي يعذبهم فيه وقد مضى الكلام في النفخ في الصور مستوفى انتهى قوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد اختلف في السائق والشهيد فقال ابن عباس السائق من الملائكة والشهيد من نفسه وقال الضحاك السائق من الملائكة والشهيد من انفسهم الايدي والارجل رواه العوفي عن ابن عباس وقال ابو هريرة السائق الملك والشهيد العمل وقال الحسن وقتادة المعنى سائق يسوقها وشاهد يشهد عليها بعملها وقال ابن اسلم السائق قرينها من الشياطين سمي سائقا لانها يتبعها وان لم يحثها وقال مجاهد السائق والشهيد ملكان وعن عثمان بن عفان رضي الله عنهما انه قال وهو على المنبر وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملك يسوقها الى امر الله وشهيد ملك يشهد عليها بعملها قلت هذا اصح فان في حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن ادم لفي غفلة مما خلق له ان الا الله غير اذا اراد خلقه قال للملك اكتب رزقه واثره واجله واكتب شقيا او سعيدا ثم ينفخ ذلك الملك ويبعث الله ملكا اخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فاذا جاء الموت ارتفع ذلك الملكان ثم جاءه ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فاذا ادخل حفرته رد الروح في جسده ثم ينفخ ملك الموت ثم جاءه ملكا القبر فامتحنه ثم ينفخان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتظما كتابا معقودا في عنقه ثم حضر معه واحد سائق والاخر شهيد ثم قال الله عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم امرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم خرجه ابو نعيم الحافظ من حديث غريب من حديث جعفر وحديث جابر تفرد به عنه جابر الجعفي وعنه المفضل ثم في الاية قولان احدهما انها عامة في المسلم والكافر وهو قول الجمهور الثاني انها خاصة في الكافر قاله الضحاك قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قال ابن زيد المراد به النبي صلى الله عليه وسلم اي لقد كنت يا محمد في غفلة من الرسالة في قريش في جاهليتهم وقال ابن عباس والضحاك ان المراد به المشركون اي كانوا في غفلة من عواقب امورهم وقال اكثر المفسرين المراد به البر والفاجر وهو اختيار الطبري وقيل اي لقد كنت ايها الناس في غفلة عن ان كل نفس معها سائق وشهيد لانه يعرض الا بالمنصوص من الالهية فكشفنا عنك غطاءك اي عماك وفيه اربعة اوجه احدها اذا كان في بطن امه قوله قاله السدي الثاني اذا كان في القبر فنشر وهذا قول ابن عباس الثالث وقت العرض في القيامة قاله مجاهد الرابع انه نزول الوحي وتحمل الرسالة وهذا معنى قول ابن زيد فبصرك اليوم حديد فقيل يراد به بصر القلب كما يقال هو بصير بالفقه فبصرنا القلب بصيرته يبصرها سواء الافكار ونتائج الاعتبار كما تبصر العين ما قابلها من الاشخاص والاجسام وقيل المراد ببصر العين وهو الظاهر اي بصر عينك اليوم حديد اي قوي نافذ بعد ما كان محجوبا

عنك قال مجاهد فبصرك اليوم حديد حتى نظرك الى لسان ميزانك حتى توزن حسناتك
وسيئاتك وقاله الضحاك وقيل يعني ما يصير اليه من ثواب وعقاب وهو معنى
قول ابن عباس وقيل يعني ان الكافر يخرج وبصره حديد ثم يرزق ويعمى وقرئ
لقد كنت فبصرك بالكسر على خطاب النفس

قوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدي عتيد الى آخر السورة

قوله تعالى وقال قرينه يعني الملك الموكل به في قول الحسن وقتادة
والضحاك هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي من كتاب عمله معد محفوظ وقال
مجاهد يقول هذا الذي وكلتني به من بني آدم قد احضرته واحضرت ديوان
عمله وقيل المعنى هذا ما عندي من العذاب حاضر وعن مجاهد ايضا قرينه
الذي قبض له من الشياطين وقال ابن زيد في رواية ابن وهب
عنه ان قرينه من الانس فيقول الله تعالى لقرينه القيا في جهنم
قال الاخفش والخليل هذا كلام العرب الصحيح ان يخاطبا الواحد بلفظ الاثنين
فيقول ويكل الى حلاها وارحلاها وخذاه واطلقاه للواحد قال الفراء يقول
للواحد قوما عنا واصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه ورفقته
في سفره اثنان فخرج كلام الرجل على صاحبيه ومنه قولهم للواحد في السفر
خليلي ثم يقول لصاح قال امرؤ القيس

خليلي من ابي على ام جندب ... نقض لبانات الفؤاد المعذب

وقال آخر

فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ... بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقال آخر

قفا ان تزجرا ان يا ابن عفان انزجر ... وان تدعوا بي احم عرضا ممنعا

وقيل جائز ذلك لان العربين يقع على الاثنين وقال المازني قوله
القيا يدل على ان الق الق وقال المبرد هي تثنية على التوكيد المعنى الق الق فخاب
الق ثم كانت النكرة ويجوز ان يكون القيا تثنية على خطاب الحفيظة من قول
الله تعالى يخاطب به الملكين وقيل هو مخاطبة السائق والحافظ وقيل ان الاصل
القفي بالنون الخفيفة في الوقف فالعامة على الوقف وقرأ الحسن القيين
بالنون الخفيفة نحو قوله وليكونا من الصاغرين وقوله لنسفعا بالناصية
في جهنم كل كفار عنيد اي معاند قاله مجاهد وعكرمة وقال بعضهم العنيد المعرض
عن الحق يقال عند يعند بالكسر عنودا اي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند
وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف ممناع للخير يعني الزكاة المفروضة وكل حق واجب
معتد في منطقه وسيرته وامره ظالم مريب شاك في التوحيد قاله الحسن وقتادة
يقال ارابني الرجل فهو مريب اذا اجابا لريبة وهو المشكك يدل عليه قوله تعالى الذي
جعل مع الله الها آخر وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وارد بقوله ممناع للخير انه كان
يمنع بني اخيه الاسلام عند مريبه الذي جعل مع الله الها آخر فالقياه في العذاب
الشديد تاكيد للامر الاول قال قرينه ربنا ما اطغيته يعني الشيطان الذي
قيض لهذا الكافر العنيد تبرا منه وكذب به ولكن كان في ضلال بعيد عن الحق
وكان طاغيا باختياره انما دعوته فاستجاب لي وقرينه هناك هو شيطانه
بغير اختلاف حكاه المهدوي وحكاه النحلبي وقال النحلبي ابن عباس ومقاتل
قرينه الملك وذلك ان الوليد بن المغيرة يقول للملك الذي كان يكتب سيئاته
رب انه اعجلني فيقول الملك ربنا ما اطغيته اي ما اعجلته وقال
سعيد بن جبير يقول الكافر رب انه زاد علي في الكتابة فتقول الملك ربنا ما
اطغيته اما ما ازدت عليه في الكتابة فحينئذ يقول الله تعالى لا تختصموا لدي
يعني الكافر وقرناءهم من الشياطين قال النحاس وهذا يدل
على ان القرين الشيطان وقد قدمت القيا بالوعيد اي ارسلت ارسل وقيل
هذا خطاب لكل من اخضم وقيل هو لاثنين وجاء بلفظ الجمع ما يبدل القول
لدي قيل هو قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
وقيل هو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وقال الفراء اي ما يكذب عندي

ميا ج

ا اي ما

اي ما يزاد في القول ولا ينقص لعلي بالغيب وما انا بظلام للعبيد اي ما انا بمعذب
من لم تجر عليه قلم ابن عباس وقد مضى القول في معناه في الحج وغيرها قوله تعالى
يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قرأ نافع وابو بكر يوم يقول
بالياء اعتبارا بقوله لا تختصموا الباقون بالنون على الخطاب من الله تعالى
وهون للتعظيم وقرأ الحسن يوم اقول وعن ابن مسعود وغيره يوم يقال
وانتصب يوم على معنى ما يبدل القول لدي يوم وقيل بفعل مقدر معناه
واذكرهم يوم يقول لجهنم هل امتلأت لما سبق من وعده اياها لانه يملأها
وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره والتحقيق لوعده والتقريع لاعدائه
والتنبيه لجميع عباده وتقول هل من مزيد اي ما بقي في موضع للزيادة كقوله عليه
الصلاة والسلام هل ترك لنا عقيل من ربع او منزل اي ما ترك فمعنى الكلام الجحد ويحتمل
ان يكون استفهاما بمعنى الاستزادة في هذا من مزيد فاراد وانما صلح هذين الوجهين
لان في الاستفهام ضربا من الجحد وقيل ليس ثم قول وانما هو على طريق
المثل اي انها فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة بذلك كما قال الشاعر

• امتلأ الحوض وقال قطني • مهلا رويدا قد ملأت بطني •

وهذا تفسير مجاهد وغيره اي هل بقي من مستزيد قد امتلأت وقيل ينطق الله
النار حتى تقول هذا كما تنطق الجوارح وهذا اصح على ما بيناه في سورة
الفرقان وفي صحيح مسلم والبخاري والترمذي عن انس بن مالك عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى
يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك فينزوي بعضها الى
بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل فينشئ
الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة لفظ مسلم وفي رواية له من حديث ابي
هريرة فاما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله يقول لها قط قط فهنالك
تمتلئ وينزوي بعضها الى بعض فلا يظلم الله من خلقه احدا واما الجنة
فان الله ينشئ لها خلقا آخر قال علماؤنا رحمهم الله اما معنى الغدم هذا
قوم يقدمهم الله الى النار قد سبق في علمه انهم من اهل النار وكذلك الرجل وهو العدد
الكثير من الناس وغيرهم يقال رايت رجلا من الناس ورجلا من جراد قال
الشاعر

• مر بنا رجل من النار جراد • وانزوى بعضهم الى بعض ارجل •
• فنأيد من لحم وعكل وحمير • علجا ثم نزار بالعداوة اجمل •

ويبين هذا المعنى ما روي عن ابن مسعود انه قال في النار بيت ولا سلسلة
ولا مغلق ولا تابوت الا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه
الذي قد عرف اسمه وصفته فاذا استوفى ما امر به وما ينتظره ولم يبق
منهم احد قالت الخزنة قط قط حسبنا حسبنا اكتفينا وحينئذ تنزوي جهنم
على من فيها وتنطوي اذ الم يبق احد ينتظر فعبر عن ذلك الجمع المنتظر
بالرجل والغدم ويشهد لهذا التاويل قوله في بعض الحديث ولا يزال
في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة وقد رددنا هذا المعنى
بيانا وحمدناه في كتاب الاسماء والصفات من كتاب الاسماء قال
النضر بن شميل في قوله تعالى عليه الصلاة والسلام حتى يضع الجبار قدمه
اي من سبق في علمه انه من اهل النار قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين
غير بعيد اي قريب منهم قيل هذا قبل الدخول في الدنيا اي قريب من قلوبهم
حتى قيل لهم اجتنبوا المعاصي وقيل بعد الدخول قربت لهم مواضعهم
فيها فلا تبعد غير بعيد اي منهم وهذا تاكيد هذا ما توعدون اي ويقال
لهم هذا الجزاء الذي وعدتم في الدنيا على السنة الرسل وقراءة العامة توعدون
بالتاء على الخطاب وقرأ ابن كثير ثابت على الخبر لانه اتى بعد ذكر المتقين
لكل اواب حفيظ اواب اي رجاع الى الله عن المعاصي بالذنب ثم يرجع ويذنب
ثم يرجع هكذا قاله الضحاك وغيره وقال ابن عباس وعطا الاواب
المسبح من قوله يا جبال اوبي معه وقال الحكم بن عيينة هو الذاكر

سبحانه وتعالى في الخلوة وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه في الخلوة فيستغفر
الله منها وهو قول ابن مسعود وقال عبيد بن عمير هو الذي لا يجلس مجلسا
حتى يستغفر الله فيه وعنه قال كنا نحدث ان الاواب الحفيظ الذي اذا قام
من مجلسه قال سبحان ربي وبحمده اللهم اني استغفرك مما اصبت في مجلسي
هذا وفي الحديث من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك لا اله
الا انت استغفرك واتوب اليك غفر له ما كان في ذلك المجلس وهكذا كان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول وقال بعض العلماء انا احب ان اقول استغفرك
واسئلك التوبة ولا احب ان اقول واتوب اليك الا على حقيقته قلت
هذا استحسان واتباع الحديث اولى وقال ابو بكر الوراق هو المتوكل
على الله في السراء والضراء وقال القاسم هو الذي لا يشتغل الا بالله عز وجل حفيظ
قال ابن عباس هو الذي حفظ ذنوبه حتى رجع عنها وقال
قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته وائتمنه عليه وعن ابن عباس
ايضا هو الحافظ لامر الله مجاهد هو الحافظ لحق الله تعالى بالاعتراف وللنعم
بالشكر وقال الضحاك هو الحافظ لوصية الله تعالى بالقبول وروي مكحول
عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على اربع كلمات
من اول النهار وكان اواباً حفيظاً ذكره الماوردي قوله تعالى من خشي الرحمن
بالغيب من في محل خفض على البدل من قوله لكل اواب او في موضع الصفة
لاواب ويجوز الرفع على الاستئناف والخبر ادخلوها على تقدير حذف جواب
الشرط والتقدير فيقال لهم ادخلوها والخشية بالغيب ان يخافه ولم يره
وقال الضحاك واسدي بعيني في الخلوة حتى لا يراه احد وقال الحسن اذا ارخى
الستر واغلق الباب وجانب المعيب منيب مقبل على الطاعة وقيل مخلص
وقال ابو بكر الوراق علامة المنيب ان يكون عارفا بجهله موالبا متواضعا
لجلاله ذاكرا لهوى نفسه قلت ويحتمل ان يكون القلب المنيب القلب
السليم كما قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم على ما تقدم ادخلوها اي يقال
لاهل هذه الصفات ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود اي بسلامة من العذاب
وقيل بسلام منى ادسوملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعيم وقال
ادخلوها وفي اول الكلام منى خشي لان من يكون بمعنى الجمع قوله تعالى
لهم ما يشاؤن فيها يعني ما اشتهتى انفسهم وتلذ اعينهم ولدينا مزيد من النعم
مما لم يخطر على بال ولم تر العين ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقد ورد ذلك في اخبار مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين
احسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله الكريم وذلك ابن المبارك ويحيى بن سلام
قالا اخبرنا السعودي عن المنهال عن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد الله عن ابن مسعود
قال تشارعوا الى الجمعة فان الله تبارك وتعالى يبرز لاهل الجنة في كل يوم جمعة
في كثيب من كافور ابيض فيكونون منه في القرب قال ابن المبارك على قدر
تشارعهم الى الجمعة في الدنيا وقال يحيى بن سلام كمسارعتهم الى الجمع في الدنيا
وزاد فيحدث الله لهم من الكرامة شيئا لم يكونوا راوه قبل ذلك قال
يحيى وسمعت غير السعودي يزيد فيه وهو قوله تعالى ولدينا مزيد
قلت قوله في كثيب يريد اهل الجنة اي وهم على كثيب كما في مرسل الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة ينظرون الى ربهم في كل يوم
جمعة على كثيب من كافور الحديث وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقيل
ان المزيد ما يزوجون به من الحور العين رواه ابو سعيد الخدري قوله تعالى
وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي كم اهلكنا يا محمد قبل قومك من امتهم اشد منهم
بطشا وقوة فنقبوا في البلاد اي ساروا فيها طلبا للهرب وقيل انزوا في البلاد
قاله ابن عباس وقال مجاهد ضربوا وطافوا وقال النضر بن شميل
دوروا وقال قتادة طوفوا وقال المورخ تباعدوا ومنه

قول امرئ القيس

وقد نقبت في الآفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالاياب

ثم قيل طافوا في اقاصي البلاد طلبا للنجاة وهل وجدوا من الموت قال

* * الحارث بن حلزة * * * * *

* * نقبوا في البلاد من حذر الموت * وجالوا في الارض كل مجال * *

وقرا الحسن وابو العالية فنقبوا بفتح القاف وتخفيفها والنقب هو الخرق والدخول في الشيء وقيل النقب الطريق في الجبل وكذا المنقب والمنقبة عن ابن السكيت ونقب الجدار نقبا واسم ذلك النقبة نقب ايضا وجمع النقب النقوب اي خرقوا البلاد وساروا في نقوبها وقيل انروا فيها كما ينقب الحديد فيما ينقب وقرا السلمي وعيسى بن عمر فنقبوا بكسر القاف والتهديد بد على الامر بالتهديد والوعيد اي طوفوا البلاد وسيروا فيها فانظروا هل من الموت محيص ومهرب ذكره الثعلبي وحكى الطبرسي فنقبوا بكسر القاف مع التخفيف اي بكروا السير فيها حتى نفذت دوابهم الجوهري ونقب البعير بالكسر اذا رقت اخفافه وانقب الرجل اذا انقب بعيره ونقب الخف الملبوس اي تخرق والمحيص مصدر حاص عنه يحيص عنه حيصا وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا اي عدل وحاد يقال ما عنه محيص اي محيد ومهرب والاخباص مثله يقال للاولياء حاصوا عن العدو والاعداء انهزموا قوله تعالى ان في ذلك لذكرى اي فيما ذكرناه في هذه السورة تذكرة وهي عظة لمن كان له قلب اي عقل يتدبر به فكنى بالقلب عن العقل لانه موضعه قال معناه مجاهد وغيره وقيل لمن كان له حياة ونفس مميزة فعبر عن النفس الحية بالقلب لانه وطنها ومعدن حياتها كما قال

* امرؤ القيس * اعذل مني ان حبك قاتلي * وانك مهما تامري القلب يفعله *

وفي التنزيل لينذر من كان حيا وقال يحيى بن معاذ القلب قلبان قلب محتشى باشتغال الدنيا حتى اذا حضر امر من امور الاخرة لم يدر ما يصنع وقلب قد احتشى باحوال الاخرة حتى اذا حضر امر من امور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب عقله في الاخرة او القى السمع اي استمع القول يقول الرجل القى اليك سمعك اي استمع ومعنى في طه كبقية الاستماع وتمرته وهو شهيد اي شاهد القلب قال الزجاج اي هو قلب حاضر فيما يسمع وقال سفيان اي لا يكون حاضرا وقلبه غائب ثم قيل الاية لاهل الكتاب قاله مجاهد وقتادة وقال الحسن انها في اليهود والنصارى خاصة وقال محمد بن كعب وابو صالح انها في اهل القرآن خاصة قوله عز وجل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب تقدم في الاعراف وغيرها واللغوب التعب والاعياء يقال منه لغب يلغب بالضم لغوبا ولغب بالكسر يلغب لغوبا لغة صفيفة فيه والغين ابدا اي ابغينه قال قتادة والكلبي هذه الاية نزلت في يهود المدينة زعموا ان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت فجعلوه راحة فاكذبهم الله في ذلك فقوله تعالى فاصبر على ما يقولون وسح فيه حض مسايل الاولى قوله تعالى فاصبر على ما يقولون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره بالصبر على ما يقوله المشركون اي هون امرهم عليك ونزلت قبل الامر بالقتال فهي منسوخة وقيل هو ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم وامته وقيل معناه فاصبر على ما يقوله اليهود من قولهم ان الله استراح يوم السبت الثانية قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس الاية قيل انه يراد به الصلوات الخمس قال ابو صالح قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب صلاة العصر ورواه جرير بن عبد الله مرفوعا قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال اما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني العصر والفجر ثم قرا جرير وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب متفق عليه واللفظ لمسلم وقال ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني العشاءين وقيل المراد تسبيحه بالقول تنزيها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قاله عطا الخراساني وابو الاحوص وقال بعض

العلما

في قوله قبل طلوع الشمس قال ركعتي الفجر وقبل الغروب الركعتين قبل المغرب وقال
عتامة بن عبد الله بن انس كان ذو الالباب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
يصلون الركعتين قبل المغرب وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال كنا بالمدينة
فاذا اذن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السواري فركعوا ركعتين حتى ان الرجل
ليدخل المسجد فيحسب ان الصلاة قد صليت من كثرة من يصليهما وقال قتادة
ما ادركت من يصلي الركعتين قبل المغرب الا شابا ابابرزة الاسلمي انتهى
قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود فيه اربعة اقوال الاول
هو تسبيح الله تعالى في الليل قاله ابو الاحوص انتهى انها صلاة الليل كله قاله
مجاهد الثالث انها ركعتا الفجر قاله ابن عباس الرابع انها صلاة العشاء
الاخيرة قاله ابن زيد قال ابن العربي من قال انه التسبيح في الليل فيعضده
الصحيح من نهار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم واما من قال انها الصلاة بالليل قال الصلاة
سميت تسبيحا لما فيها من تسبيح الله ومنه سبحة الضحى واما من قال انها صلاة
الفجر والعشا وضحه الرابع قوله تعالى وادبار السجود قال عمر وعلي وابو هريرة
والحسين بن علي والحسن البصري والنخعي والشعبي والاوزاعي والزهري
ادبار السجود الركعتين بعد المغرب وادبار السجود وذكره الثعلبي ولفظ الماوردي
وروي عن ابن عباس قال بت ليلة عند النبي صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين
قبل الفجر ثم خرج الى الصلاة فقال يا ابن عباس ركعتان قبل الفجر ادبار النجوم
وركعتان بعد المغرب ادبار السجود وقال انس قال النبي صلى الله عليه
وسلم من صلى ركعتين بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلاته في عليين قال
اسي بقرأتي الركعة الاولى قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد
قال مقاتل وقتها ما لم يغب الشفق وعن ابن عباس ايضا هو الوتر
وقال ابن زيد هو النوافل بعد الصلوات ركعتان بعد كل صلاة مكتوبة
قال النحاس والظاهر يدل على هذا الا ان الاولى اتباع الاكثر وهو صحيح عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقال ابو الاحوص هو التسبيح في ادبار السجود
قال ابن العربي وهو الاقوى في النظر وفي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي
لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وقيل انه منسوخ بالفرائض ولا يجب على
احد الا خمس صلوات تمثل ذلك الجماعة الخامسة قرأ نافع وابن كثير وحمزة وادبار
بكسر الهمزة على المصدر من ادبر اسي ادبارا اذا ولى الباقون بفتحها جمع دبر وهي قراءة
علي وابن عباس واسنا لها الطنب والطنب او دبر كعنق واعناق وقد استعملوه
ظرفا نحو جئتك في دبر الصلاة وفي ادبار الصلوات ولا خلاف في احرو الطور
وادبار النجوم انه بالكسر مصدر وهو ذهاب ضوءها اذا طلع الفجر الثاني وهو
البياض المستطيل من سواد الليل قوله عز وجل واستمع يوم ينادي المنادي
من مكان قريب معمول الاستماع محذوف اي استمع النداء او الصوت او الصيحة
وهي صيحة القيامة وهي النفخة الثانية والمنادي جبريل وقيل اسرافيل الرحمن
وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي فينادي بالحشر وقيل هلموا الى الحساب
والنداء على هذا الى المحشر وقيل واستمع نداء الكفار بالويل والثبور من مكان
قريب اي يسمع الجميع ولا يبعد احد عن ذلك النداء قال عكرمة ينادي منادي
الرحمن فكانما ينادي في اذانهم وقيل المكان القريب صخرة بيت المقدس وقيل
انها وسط الارض واقرب الارض الى السماء باثني عشر ميلا وقال كعب بثمانية
عشر ميلا ذكره الاول والزمخشري الثاني الماوردي فيقف جبريل واسرافيل
على الصخرة فينادي بالحشر ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة وباعظاما
تخرة وبالاكفانا الخابية وبالذلوبا خاوية وبالابدانا فاسدة وباعبوناسا ئلة
قوموا لعرض رب العالمين قال قتادة اسرافيل هو صاحب الصور يوم ينفخ

الصيحة

الصيحة بالحق يعني صيحة البعث ومعنى الخروج الاجتماع الى الحساب ذلك يوم
الخروج اي يوم الخروج من القبور انا نحن نحيي ونميت الاحيا اثبت هنا الحقيقة
وهي يوم تشقق الارض عنهم سراعا الى المنادي صاحب الصور الى بيت المقدس
ذلك حشر علينا يسير اي هين وسهل وقرا الكوفيون تشقق بتخفيف
الشين على حذف احدى التاءين الاولى الباقون بادغام التاء في الشين واثبت
ابن محيصن وابن كثير ويعقوب يا المنادي في الحالين على الاصل واثبتها نافع
وابو عمرو في الاصل لا غير وحذف الباقون في الحالين قلت وقد زادت السنة
هذه الاية بيانا فروى الترمذي عن معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث ذكره قال واشار بيده الى الشام فقال
ههنا الى هاهنا تحشرون ركبانا ومشاة ويجرون على وجوههم يوم القيامة
على افواههم الدوابر توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله وانه
اول ما يقرب عن احدكم فخذه في رواية اخرى فخذه وكفه وخرج على بن
معبد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره
يقول يعني الله تعالى لاسرافيل اتفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الارواح كامثال
الخيل فتملأ ما بين السما والارض فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي
ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح في الارض الى الاجساد ثم تدخل
في الحيتان ثم تمشي الى الاجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الارض عنكم
وانا اول من تنشق الارض عنه فتخرجون منها سراعا كلكم ابنا ثلاث وثلاثين
والسن بومئذ باسرائيلية وذكر الحديث وقد ذكرناه وغيره في التذكرة
مستوفى في قوله تعالى نحن اعلم بما يقولون اي من تكذيبك وشتمك
وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام فتكون الاية منسوخة
بالامر بالقتال والجبار من الجبرية والتسلط ولا يقال الجبار بمعنى مجبر كما لا
يقال خراج بمعنى مخرج حكاه الفشيري الخاسر وقيل معنى جبار لست تجبرهم
وهو خطا لا يكون فعال من افعل وحكى الثعلبي وقالت تعلب تقول احرف
فقالت بمعنى افعل وهي شاذة جبار بمعنى مجبر ودراك بمعنى مدرك
وسراع بمعنى مسرع وبكي بمعنى مبكي وعدا بمعنى معدي وقد قرئ وما اهدلم
الا سبيل الرشاد بفتح الدال والشين بمعنى المرشد وهو موسى وقيل هو الله
وكذلك قرئ واما السفينة فكانت لمساكين بمعنى مسكينة قال ابو حامد الحافظ
يجي تقول العرب سيف سفاط بمعنى مسقط وقيل جبار بمعنى مسيطر كما في
التفاسير لست عليهم بمسيطر وقال الزجاج سمعت من العرب من يقول
جبره على الامر اي قهره فالجبار من هذه اللغة بمعنى القهر صحيح وقيل
الجبار من قولهم جبرته على الامر اي اجبرته وهي لغة كنانية وهما لغتان
الجوهري واجبرته على الامر اكرهته عليه واجبرته ايضا نسبته الى الكفر كما
تقول اكفرته نسبته الى الكفر فذكرنا القرآن من يخاف وعيد اي ما اعددته
لمن عصاني من العذاب فالوعيد العذاب والوعد الثواب قال الشاعر

* وابي وان اوعدته ووعدته * لمخلف ميعادي ومنجز موعدي

وكان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك وانبئ
اليا في وعيدي يعقوب في الحالين واثبتهما ورش في الوصل دون الوقف
وحذفا الباقون في الحالين والله اعلم بالصواب

سورة والذاريات مكية في قول الجميع

وهي ستون بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا الى قوله
انه هو الحكيم العليم قوله تعالى والذاريات ذروا قال ابو بكر الانباري حدثنا عبد
الله بن ناجية نا يعقوب بن ابراهيم حدثنا الجعيد بن عبد الرحمن بن يزيد بن
خصيف عن السايب بن يزيد بن رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني مررت برجل يسأله عن
تفسير مشكل القرآن فقال عمر اللهم امكني منه فدخل الرجل على عمر يوما وهو لابس
ثيابا وعمامة وعمر يقرأ القرآن فلما دخل فرغ قام اليه الرجل فقال يا امير المومنين

ما الذاريات ذروا فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يخلده ثم قال ابسوه ثيابا فاحملوه
على قتب وابلغوا به حيه ثم ليقم خطيبا فليقل ان ضبيعا طلب العلم فاخطاه فلم يزل
وضيعا في قومه بعد ان كان سيدا فيهم وعن عامر ابن واثلة ان ابن الكواء سأل
عليا رضي الله عنه فقال يا امير المومنين ما الذاريات ذروا فقال له ويلك سل تفقها
ولا تسأل تعنتا والذاريات ذروا الرياح فالحاملات وقرا السحاب فالجاريات يسرا
السفن فالمقسمات امرا الملايكة وروى الحارث عن علي والذاريات ذروا قال
الرياح فالحاملات وقرا قال السحاب تحمل الماء كما تحمل ذوات الاربع الوقر
فالجاريات يسرا قال السفن وقوله فالمقسمات امرا قال الملايكة تاتي بامر الله
مختلف جبريل بالغلظة وميكائيل صاحب الرحمة وملك الموت باتي بالموت وقال
عمر او قيل باتي بامر مختلف من الخصب والجدب والمطر والموت والحوادث ويقال
ذرت الريح التراب تذره ذروا وذريته تذريه ذريا ثم قيل والذاريات وما بعده
اقسام واذا اقسم الرب بشيء اثبت لمشروط وقيل المعنى ورب الذاريات والجواب
انما توعدون اي الذي توعدونه من الخير والشر والثواب والعقاب لصادق لاكذب
فيه ومعنى لصادق لصدق وقع الاسم موقع المصدر وان الدين لواقع يعني الجزاء
نازل بكم ثم ابتدا فقسما اخر فقال والسماء ذات الحبك انكم لفي قول مختلف وقيل
ان الذاريات النساء الولودات لان في ذرايتهن ذروا الخلق لانهن تذرين الاولاد فصرن
ذاريات واقسم بعض لما في ذرايتهن من حجة عباده الصالحين وخص النساء بذلك دون
الرجال فلاجتماع الذرويين فيهن خصص بالذكر الثاني ان الحمل فيهن اطول زمان
وهن بالمباشرة اقرب عهدا فالحاملات السحاب وقيل الحاملات من النساء اذا ثقلن
بالحمل والوقر والوقر بكسر الواو ثقل الحمل على ظهر او في بطن يقال جمل وقر
او قر بعير واكثر ما يستعمل الوقر في حمل البغال والحمار والوسق في حمل البعير وهذه
امراة موقرة بفتح القاف اذا حملت حملا ثقيلا واوقرت النخلة كثر حملها يقال
نخلة موقرة وموقر وموقرة وحكي موقر وهو على غير القياس لان الفعل
للنخلة وانما قيل موقر بكسر القاف على قول امراة حامل لان حمل الشجر مشبه
بحمل النساء فلهذا موقرة بالفتح شاذ وقد روي في قول لبيد يصف نخيلا

* عصب كوارع في حليج معلم * غلبت فنتها موقر مكوم *

والجمع مواقر فاما الوقر بالفتح فهو ثقل الاذن وقد وقرت اذنه توقر وقرا اي صمت
والقياس مصدر الفعل بالتحريك لانه جا بالشكلين وقد تقدم في الانعام القول فيه فالجاريات
يسرا السفن تجري بالرياح يسرا اي حيث سيرت وقيل السحاب وفي جريها يسرا على
هذا القول وجهان احدهما اي حيث سيرها الله تعالى من البلاد والبقاع الثاني
هو سهولة تسييرها وذلك معروف في عنا الحرب كما قال الاعشى

* كان مشيتها من بيت جارتها * مشي السحابة لا ريب ولا عجل *

قوله تعالى والسماء ذات الحبك قيل المراد بالسماء ههنا السحاب التي تظل الارض وقيل
السماء المرفوعة ابن عمر هي السماء السابعة ذكره المهدوي والثعلبي والماوردي
وغيرهم وفي الحبك اقوال سبعة الاول قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والربيع ذات
الخلق المستوي الحسن وقاله عكرمة قال المرتاد في النساج اذا شبح الثوب فاجاد
نسجه يقال منه حبك الثوب بالكسر حبكا اي اجاد نسجه قال ابن الاعرابي
كل شيء احكمته فقد حبكته الثاني ذوات الزينة قاله الحسن وسعيد
بن جبير وعن الحسن ايضا ذات النجوم وهو الثالث والرابع قال الضحاك
ذات الطرائق يقال لما قواه من الماء والرمل اذا اصابته الريح حبك ونحوه قول
الفراء قال الحبك تكسر كل شيء كالرمل اذا مرت به الريح الساكنة والماء القائم اذا مرت
به الريح ودرع الحديد لها حبك والشعر الجعد يكنى حبك وفي الحديث الرجال
ان شعر حبك حبك قال زهير

* كان مكلل باصول النخ تنسجه * ريح خريق لضاحيه ما به حبك *

ولكنها تبعد من العبادة فلا يرونها الخامس قالت السدة قاله ابن زيد وقرا
وبنينا فوقكم سبعا شدادا والمحبوك الشديد من الفرس وغيره قال امرو القيس

* قد عد عبد بجلني في نفره * لاحق الاطلين محبوك مممده *

اخر من الدين فاعتدت له • سترق الجارك محبوك الكتد •
وفي الحديث ان عائشة رضي الله عنها تحتبك تحت الدرع في الصلاة اي تشد الازار
وتحكمه اسادس ذات الصفاقة قال الخصيف ومنه ثوب ضيق ووجد مضيق بين الصفاقة
السابع ان المراد بالطرق المسحورة التي في السماء سميت بذلك لانها كالمحور والحبك
جمع حبال قال ـــــــ الراجز
• كانما كلمها الحوك طبقسه في وشمها حبال ـــ •
والحبال والحبكة الطريقة • في الرمل ونحوه وجمع الحبل الحبك وجمع الحبكة حبائك
والحبكة سلك الحبكة وهي الحبة من السويق عن الجوهري وعن الحسن في قول ذات
الحبك والحبك والحبال والحبل كالجماعة وروي عن عكرمة وابن محلز الحبل والحبك
واحدتها حبيكة والحبك مخفف منه والحبل حبكة ومن قرا الحبك فالواحدة حبكة
كبوق وبرقة او حبكة كطلمة وطلم ومن قرا الحبك فهو كابل واطل والحبل مخفف
ومن قرا الحبك فهو شاذ ليس في كلام العرب فعل وهو محمول على نداخل اللغات
كانه كسر الحاء ليكسر ما بعدها ثم نضم الحبك فضم الباء قال ـــ حبيه المهدوي في قوله تعالى
انكم لفي قول مختلف هذا جواب القسم الذي هو والسما اي انكم يا اهل مكة في قول
مختلف في محمد والقرآن فمن مصدق ومكذب وقيل نزلت في المقتسمين وقيل
اختلافهم في قولهم ساحر بل شاعر بل افتراه بل هو مجنون بل هو كاهن بل هو اساطير
الاولين وقيل اختلافهم ان منهم من يخشى الحشر ومنهم من شك فيه وقيل
المراد عبدة الاوثان والاوثان صنام يقرون بان الله خالقهم ويجحدون
غيره قوله تعالى يؤفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان بمحمد والقرآن من صرف
عن الحسن وغيره وقيل المعنى يصرف عن الايمان من اراده من قولهم هو سحر وكهانة
واساطير الاولين وقيل المعنى يصرف عن ذلك الاختلاف من عصمه الله
افكه بالفتح افكا اي قلبه وصرفه عن الشيء ومنه قوله تعالى قالوا اجئتنا لتافكنا
وقال مجاهد معنى يؤفك عنه من افك يؤفن عنه من افن والافن فساد العقل
الزمخشري وقرئ يؤفن عنه من افراي يحرم ومن حرم من افن الضرع اذا نهكه
حلبا وقال قطرب يخدع عنه من خدع وقال ـــ ابن يدي يدفع عنه
من دفع والمعنى واحد وكله راجع الى معنى الصرف قوله تعالى قتل الخراصون في التفسير
لعن الكذابون وقال ابن عباس اي قتل المرتابون يعني الكهنة وقال الحسن
هم الذين لسنا نبعث ومعنى قتل اي هولاء ممن يجب ان يدعى عليهم بالقتل
على ايدي المومنين وقال الفراء معنى قتل لعن قال والخراصون الكذابون الذين
يتخرصون بما لا يعلمون فيقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم مجنون كذاب شاعر
ساحر وهذا دعاء عليهم لان من لعنه الله بمنزلة المقتول لهلاك قال ابن الانباري علمنا
الدعاء عليهم اي قولوا قتل الخراصون وهو جمع خارص والخرص الكذب والخراص الكذاب
وقد خرص يخرص بالضم خرصا اي كذب يقال خرص واخترص وخلق واختلق وشبك واشتبك
وسرح واسترح وبان بمعنى كذب حكاه النحاس والخرص ايضا حزر ما كان في النخل من
الرطب تمرا وقد خرصت النخل والاسم الخرص بالكسر يقال كم خرص نخلك والخرص
بخرصها فهو مشترك واصل الخرص القطع على ما تقدم بيانه في الانعام ومنه الخرص
للخياط لانه يقطع به الماء والخرص حبة الغرط اذا كانت مؤدة لانقطاعها عن اخوتها
والخرص العود لانقطاعه عن نظايره بطيب رائحته والخرص الذي به جوع وبرد لانه
منقطع بها الخرص الرجل بالكسر فهو خرص والخرص بالضم والكسر الحلقة من الذهب
او الفضة والجمع الخرصان ويدخل في الخرص قول المنجمين وكل من يدعي الخرص والتخمين
وقال ابن عباس هم المقتسمون الذين اقتسموا عقاب مكة واقتسموا القول في نبي الله
صلى الله عليه وسلم ليصدوا الناس عن الايمان له قوله تعالى الذين هم في غمرة ساهون
الغمرة ستر الشيء وغطاه ومنه غمرات الموت ساهون اي لاهون غافلون عن امر
الاخرة قوله تعالى يسالون ايان يوم الدين اي متى يوم الحساب يقولون ذلك
استهزاء وشكا في القيامة يومهم على النار يفتنون نصب يوم على تقدير الجزاء اي
يحرقون وهو من قولهم فتنت الذهب اي احرقته لتختبره واصل الفتنة الاختبار
وقيل انه مبني لاضافته الى غير متمكن وموضعه نصب على التقدير المتقدم

او رفع على البدل من يوم الدين وقال الزجاج يقول يجيني يوم انت قائم ويوم انت تقوم وان شئت فتحت وهو في موضع رفع فانما انتصب لهذا وهو في المعنى رفع وقال ابن عباس يفتنون يعذبون ومنه قول الشاعر

كل امرئ من عذابه ابنه مظلهده ببطن مكة مقهور ومفتون

قوله تعالى ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم ذوقوا عذابكم قاله ابن زيد مجاهد حريقكم ابن عباس اي لكذبكم يعني جزاء العذاب عذابكم الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا وقال هذا ولم يقل هذه لان الفتنة هنا بمعنى العذاب قوله تعالى ان المتقين في جنات وعيون لما ذكر مآل الكفار ذكر مآل المؤمنين اي في بساتين بهما عيون على نهاية ما ينتزه به آخذين نصب على الحال ما اتاهم ربهم اي اعطاهم من الثواب وانواع الكرامات قاله الضحاك وقال ابن عباس وسعيد بن جبير اخذين ما اتاهم ربهم اي عاملين بالفرايض انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخولهم الجنة في الدنيا محسنين بالفرايض وقال ابن عباس المعنى كانوا قبل ان يفرض عليهم الفرايض محسنين في اعمالهم قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون الى قوله والمحروم فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون معنى يهجعون ينامون والمجموع النوم ليلا والنهجاع النومة الخفيفة قال ابو قيس بن الاسلت

قد حضبت البيضة رأسي فما اطعم نوما غير تهجاع

وقال عمرو بن معدي كرب يشبب اخته وكان اسرها الصمت

ابو دريد بن الصمة امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي هجوع

يقال هجع يهجع هجوعا وهجع يهجع هجوعا بالعين المعجمة اذا نام قاله الجوهري واختلف فيما قبل صلة زايدة قال ابراهيم النخعي والتقدير كانوا قليلا من الليل يهجعون اي ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره قال عطا وهذا لما امروا بقيام الليل وكان ابو ذر يجتذم باخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت الرخصة فقام الليل الا قليلا الاية وقيل ليس ما صلة بل الوقف عند قوله قليلا ثم يبتدي بما من الليل ما يهجعون لما النفي وهو تاتي النوم عنهم البتة قال الحسن كانوا لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا فجدوا الى السحر وروي عن يعقوب الحضرمي انه قال اختلفوا في تفسير هذه الاية فقال بعضهم كانوا قليلا حتى اتاه كان عدد هم يسيرا ثم ابتدا فقال من الليل ما يهجعون قال ابن الانباري وهذا فاسد لان الاية انما تدل على قلة عددهم وبعد فلو ابتدا من الليل ما يهجعون على معنى من الليل يهجعون لم يكن في هذا مدح لهم لان الناس كلهم يهجعون من الليل الا ان يجعل ما جحدا قلت وعلى ما تاوله بعض الناس وهو قول الضحاك من ان عددهم كان يسيرا يكون الكلام محتملا بما قبل من قوله انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي كان المحسنون قليلا ثم استانف فقال من الليل ما يهجعون وهو قوله الضحاك وعلى تاويل الاول والثاني يكون كانوا من الليل خطابا مستانفا بعد تمام ما تقدمه ويكون الوقف على ما يهجعون وكذلك ان جعلت قليلا خبر كان ونرفع ما بعنى قليل كانه قال كانوا قليلا من الليل هجوعهم ما يهجعون ان تكون ما نافية ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون واقعا على البدل من اسم كان التقدير كان هجوعهم قليلا من الليل وانتصاب قوله قليلا اذ قدرت ما زايدة كان قوله قليلا خبر كان ولم يجز نصبه بيهجعون لانه اذا قدر نصبه بيهجعون مع تقدير ما مصدرا قلت الصلة على الموصول وقال انس وقتادة في تاويل الاية اي كانوا يصلون بين العشاءين وقال وهب وقال مجاهد نزلت في الانصار كانوا يصلون العشاءين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بمضون الى قباء وقال محمد بن علي بن الحسين كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة قال الحسن كانه عرض هجوعهم قليلا في جنب يقظتهم للصلاة وقال ابن ابن عباس ومطرف قل ليلة لا تاتي عليهم الا يصلون فيها اما من اولها واما من واما من وسطها اثنانية روي عن بعض المتهجدين انه اتاه ات في منامه فانتبه وكيف نام عين قدمره ولم تدر في اي المجالس تنزل

وروي عن رجل من الازد انه قال كنت لا انام الليل فنمت في اخر الليل فاذا انا

بينا بين احسن ما رايت ومعهم احلال نوقفا على كل مضل وكسوه حلة ثم اتمنوا الى انبيام
فلم يكسوهم فقلت لما اكسوا حتى من حللكما هذه فقالا لجا نها بستحلة ثياب
انما هو رضوان الله جل على كل مضل وبروي عن ابي خلاد انه قال حدثني صاحب
لي قال بينما انا نايم ذات ليلة اذ مثلت لي القيامة فنظرت الى اقوام
من اخواني قد اضاءت وجوههم واشرقت الوانهم وعليهم الحلل من دون الحلايف
فقلت ما بال هولاء مكتسون والناس عراة وجوههم مشرقة ووجوه الناس
مغبرة فقال لي قايل الذين رايتهم مكتسون فهم المصلون بين الاذان
والاقامة والذين وجوههم مشرقة فاصحاب السهر والتهجد قال ورايت اقواما
على خلاف فقلت ما بال هولاء كما نا والناس مشاة حفاة فقالوا لي هولاء الذين
قاموا على قرابهم تقربا الى الله تعالى فاحظاهم الله بذلك جزاء الثواب قال
فصحت في منامي واها للعابدين ما اشرف مقامهم ثم استيقظت من منامي
وانا خايف التالثة قوله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون مدح ثان اي
يستغفرون من ذنوبهم قاله الحسن والسحر وقت يرجى فيه اجابة الدعاء وقد
مضى في ال عمران القول فيه وقال ابن عمر ومجاهد اي يصلون وقت السحر
يسمي الصلاة استغفارا وقال الحسن في قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
صدر الصلاة من اول الليل الى السحر ثم استغفروا في اسحر ابن وهب هي في
الانصار يعني انهم كانوا يجدون من قبا فيصلون في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب قالوا كانوا يتصحون الناس من
الانصار بالدلاء على النمار ثم يهجعون قليلا ثم يصلون اخر الليل الضحاك صلاة
العتمة وقال الاحنف بن قيس عرضت عملي على اعمال اهل الجنة فاذا قوم قد
باينوا بونا بعيدا لا تبلغ اعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وعرضت عملي
على اعمال اهل النار فاذا قوم لا خير فيهم يكذبون بكتاب الله وبرسوله وبالبعث
بعد الموت فوجدنا خير نا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الرابعة
قوله تعالى وفي اموالهم حق للسابل والمحروم مدح ثالث قال محمد بن
سيرين وقتادة الحق هنا هو الزكاة المفروضة وقيل انه حق سوى الزكاة يصل به
او يقوي به ضيفا او يحمل به كلا او يحمي به محروما وقال ابن عباس لان
السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة ابن العربي والاقوى في هذه الاية انها الزكاة
لقوله تعالى في سورة سال سايل وفي اموالهم حق معلوم للسايل والمحروم والحق
المعلوم هو الزكاة التي بين الشرع قدرها وجنسها ووقتها فاما غيرها فمن يقول
به فليس بمعلوم لانه غير مقدور ولا مجنس ولا موقت الخامسة قوله تعالى للسايل
والمحروم السايل الذي يسال الناس لفاقته قاله ابن عباس وسعيد بن المسيب
المحروم المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم وقالت عايشة رضي الله عنها
المحروم المحارف الذي لا يتيسر له مكسبه يقال رجل محارف بفتح الراء اي محدود
محروف وهو خلاف قولك مبارك وقد حورف كسبا فلان اذا اشكل عليه في
معاشه كانه سيل برزقه عنه وقال قتادة والزهري المحروم المتعفف الذي لا
يسال الناس شيئا ولا يعلم بحاجته وقال الحسن ومحمد ابن الحنفية المحروم الذي
يجي بعد الغنيمة وليس له فيها سهم روي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فاصابوا
وغنموا فجاء قوم بعد ما فرغوا فنزلت هذه الاية وقال عكرمة المحروم الذي لا يبقى
له مال وقال زيد بن اسلم هو الذي اصيب ثمره او زرعه او نسل ما شيته وقال
الغزنوي المحروم الذي لا يبقى له مال وقال زيد بن اسلم هو الذي اصابته الحاجة
ثم قرا انا لمغرمون بل نحن محرومون نظيره في قصة اصحاب الجنة حيث قالوا بل نحن محرومون
وقال ابو قلابة كان رجل من اصحاب اليمامة له مال في السبيل فذهب بماله فقال
رجل من اصحابه هذا المحروم فانتموا له وقيل انه الذي يطلب الدنيا ولا يرزق
وهو مروي عن ابن عباس ايضا وقال عبد الرحمن بن حميد المحروم المملوك وقيل
انه الكلب وروي عن عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة فجا كلب فانتزع عمر
رحمه الله كشف ساقه فرمى بها اليه وقال يقولون انه المحروم وقيل انه من وجبت
نفقته في مال غيره وروي ابن وهب عن مالك انه الذي يجرم الرزق وهذا قول

حسن فانه يعم جميع الاقوال وقال الشعبي لي اليوم سبعين سنة
منذ احتلمت اسأل عن المحروم وما انا اليوم باعلم مني فيه يومئذ رواه شعبة عن عاصم
الاحول عن الشعبي واصله في اللغة الممنوع من الحرمان وهو المنع قال علقمة
وطعم الغنم يوم الغنم مطعمة ٭ انا نوجه والمحروم محروم
وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للاغنياء من الفقراء
يقولون ربنا ظلمونا حقوقنا التي فرضت لنا عليهم فيقول الله تعالى وعزتي
وجلالي لافرنبكم ولابعدنهم ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اموالهم
حق معلوم للسائل والمحروم ذكره الثعلبي قوله تعالى وفي الارض
ايات للموقنين لما ذكر امر المربين ذكر ان في الارض علامات تدل على قدرته
على البعث والنشور فمنها عود النبات بعد ان صار هشيما ومنها انه قدر الاقوات
فيها قوام الحيوانات ومنها سيرهم في البلدات التي يشاهدون فيها اثار الهلاك
النازل بالامم المكذبة والموقنون هم العارفون وحد اليقين بهم وصدق نبوة نبيهم
خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بتلك الايات وفي انفسكم افلا تبصرون
قيل التقدير وفي انفسكم ايات للموقنين وقال قتادة
المعنى من سار في الارض ابصر ايات وعبرا ومن تفكر في نفسه علم ان الله ابدعه
الذي يتبرز ومجاهد المراد سبيل الخلا والبول وقال السايب بن شريك يأكل
ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين ولو شرب لبنا محضا لخرج منه الماء ومنه
الغائط فتلك الاية في النفس وقال ابن زيد المعنى ان خلقكم من تراب
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ثم اذا انتم بشر تنتشرون المهدوي وفي انفسكم
اي في حياتكم وموتكم وفيما يدخل ويخرج من طعامكم الحسن في الكبر بعد الشباب
والضعف بعد القوة والشيب بعد السواد وقيل المعنى وفي خلق انفسكم من نطفة
وعلقة ومضغة ولحم وعظم الى نفخ الروح وفي اختلاف الالسنة والالوان والصور
الى غير ذلك من الايات الباطنة والظاهرة وحسبك بالقلوب وما ذكر فيها من
العقول وخصت به من انواع المعاني والفنون وبالالسن والنطق ومخارج الحروف
والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأويلها لما خلقت له وما تتوخى في الاعضاء
من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا خباشيء منها لجاء العجز واذا استرخى اناح
الذل فتبارك الله احسن الخالقين اي لا تبصرون بعين بصر القلب لتعرفوا كمال قدرته
وقيل انه توبيخ العاجز وحرمان الحازم قلت كل ما ذكر مراد في الاعتبار وقد قدمنا
في اول التوحيد من سورة البقرة ان ما في بدن الانسان الذي هو العالم الصغير شيء لا
وله نظير في العالم الكبير وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر قوله تعالى
وفي السماء رزقكم وما توعدون قال سعيد بن جبير والضحاك الرزق هنا ما ينزل من
السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيى به الخلق وعن الحسن انه كان اذا رأى
السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمون بخطاياكم وقال
اهل المعاني وفي السماء رزقكم معناه وفي المطر رزقكم سمي المطر سماء لانه عن السماء ينزل
قال اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا
وقال ابن كيسان يعني وعلى رب السماء رزقكم نظيره وما من دابة في
الارض الا على الله رزقها وقال سفيان وهي التوراة وفي السماء رزقكم
اي عند الله في السماء رزقكم وقيل المعنى وفي السماء تقدير رزقكم وما تنبتون
لكم مكتوب في ام الكتاب وعن سفيان قال قرأ واصل الاحدب وفي السماء
رزقكم فقال الا ارى رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فرحل حربته فمكث ثلاثا لا
يصيب شيئا فاذا هو في اثر الثالثة بدوحلة رطب وكان له اخ احسن بينة منه فرحل
معه وصارتا ذوحلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى توفى الله بينهما بالموت
وقرأ ابن محيصن ومجاهد وفي السماء رازقكم بالالف فكذلك في اخرها ان الله هو الرزاق
وما توعدون قال مجاهد يعني من خير وشر وقال غيره من خير خاصة وقيل الجنة عن
سفيان بن عيينة الضحاك وما توعدون من امر الساعة وقاله الربيع قوله تعالى
فورب السماء والارض انه لحق اكد ما اخبر به من البعث وما خلق في السماء من الرزق
واقسم عليه بانه لحق ثم اكده بقوله مثل ما انكم تنطقون وخص النطق من بين سائر

الحواشي

وق

الحواشي لان ما سواه من الحواس يدخله البهيمة كالذئب يبرق في المرآة واستحالة الذ
عنه غلبة الصغر ونحوها والذوق والطيبين في الاذنين والنطق سالم من ذلك ولا
يعترض بالصمم لانه لا يكون الا بعد حصول الكلام من الناطق غير مشوب بما يشكل به
وقال بعض الحكماء ان كل انسان ينطق بنفسه ولا يمكنه ان ينطق بلسان غيره فكذلك
كل انسان يأكل رزقه ولا يمكنه ان يأكل رزق غيره فكذلك كل انسان يأكل رزقه ولا يمكنه
ان يأكل رزق غيره وقال الحسن بلغني ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اقواما
اقسم لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه قال الله تعالى فورب السماء والارض انه لحق وقال
الاصمعي اقبلت ذات مرة من مسجد البصرة اذ طلع اعرابي جلف جاف على قعود له
متقلدا سيفه وبيده قوسه فدنا وسلم وقال ممن الرجل قلت من اصمع قال انت
الاصمعي قلت نعم قال ومن اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال
وللرحمن كلام يتلوه الادميون قلت نعم قال فاتل علي منه شيئا فقرات والذاريات
ذروا الى قوله وفي السماء رزقكم وما توعدون لمثل نفسي ولمثلها تم حجت
مع الوسيل فبينما انا اطوف بصوت رقيق فالتفت فاذا انا بالاعرابي فالحل فقرات
مصفر فسلم علي واخذ بيدي وقال اتل علي كلام الرحمن واجلسني من وراء المقام
والذاريات حتى وصلت الى قوله وفي السماء رزقكم فقال الاعرابي لعمري وجدت
ما وعدنا الرحمن خلفا قال وهل غير هذا قلت نعم يقول الله تبارك وتعالى فورب
السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون قال فصاح الاعرابي وقال
يا سبحان الله من الذي اغضب الجليل حتى حلف المربوب قوله حتى الجوه الى اليمين
فعالها ثلاثا وخرجت بها نفسه وقال يزيد بن مرثد ان رجلا جاع بمكان ليس فيه
شيء فقال اللهم رزقك الذي وعدتني فاتني به فشبع وروي من غير طعام ولا شراب
وعن ابي سعيد الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم
فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت اسنده الثعلبي وفي سنن ابن ماجة عن حبيبة
وسوابي خالد قالا دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعالج شاة فاعنا
عليه فقال لا تبيتا من الرزق ما تفرزن روسكما فان الانسان تلده امه
احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله ودوكب ان قوما من الاعراب زوعوا
زرعا فاصابتهم حاجة فخرجوا لاجله فخرجت عليهم اعرابية فقالت مالي اراكم
قد نكستم رؤسكم وضاقت صدوركم هو ربنا والعالم بنا ارتفعنا عليه بانتينا به
من حيث شائم انشات تقول

لو كان في مخرق في البحر راسية ... صما طماطمة ملس نواحيها
رزق لنفس يراها الله لانفلقت ... حتى يودي اليها كل ما فيها
او كان بين طباق السبع مسلكها ... لسهل الله في المرقى مراقيها
حتى تنال الذي في اللوح خطلها ... ان لم تنله والا سوف ياتيها

قلت وفي هذا المعنى قصة الاسرى حين ارسلوا رسولهم الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقالوا ليس الاشتريون باهون على الله من الرواب وقد ذكرناه في
سورة هود وقال لقمان يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او
في السموات او في الارض يات بها الله وقد مضى في لقمان وقد استوفينا هذا الباب في كتاب
قمع الحرص بالزهد والقناعة وهذا هو التوكل الحقيقي الذي لا يشوبه شيء وهو فراغ
القلب مع الرب رزقنا الله اياه ولا احالنا الى احد سواه بمنه وكرمه قوله تعالى
مثل ما انكم تنطقون قراءة العامة مثل بالنصب اي كمثل ما انكم فهو منصوب
على تقدير حرف الكاف كمثل نطقكم وما زايدة قاله بعض الكوفيين وقال الزجاج
والفراء يجوز ان ينتصب على التوكيد اي لحق حقا مثل ما انكم تنطقون فكانه نعت لمصدر
محذوف وقول سيبويه انه مبني لانه اضيف الى غير متمكن وما زايدة للتوكيد
المازني مثل مع ما بعده بمنزلة شيء واحد فبني على الفتح لذلك واختاره ابو عبيدة وابو حاتم
قال ولان من العرب من يجعل مثلا منصوبا ابدا فيقول قد لقي رجل مثلك ومررت
برجل مثلك نصب وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي والاعمش مثل بالرفع على انه صفة
لحق لانكرة وان اضيف الى معرفة اذ لا يختص بالاضافة لكثرة الاشياء التي يتبع بعدها
المماثل بين المتماثلين مثل مضاف الى انكم وما زايدة ولا تكون ما مع ما بعدها بمنزلة

المصدر اذ لا فعل معها يكون معه مصدرا ويجوز ان يكون بدلا من الحق قوله تعالى آتاك
حديث ضيف ابراهيم المكرمين ذكر قصة ابراهيم عليه السلام ليبين بها انه اهلك المكذب
بايانه كما فعل بقوم لوط هذا اتاك اي الربا تلك وقيل هل بمعنى قد كقوله هل اتى على الانسان
حين من الدهر وقد مضى الكلام في ضيف ابراهيم في هود والحجر المكرمين اي عند الله
دليله قوله تعالى بل عباد مكرمون قال ابن عباس بريد جبريل وميكائيل واسرافيل
زاد عثمان بن عطيف ورفائيل عليهم السلام وقال محمد بن كعب كان جبريل
ومعه تسعة وقال عطا وجماعتهم اثنا عشر ثلاثة جبريل وميكائيل ومعهما ملك آخر قال
ابن عباس سماهم مكرمين لانهم غير مدعوين وقال مجاهد سماهم مكرمين لخدمة
ابراهيم اياهم بنفسه قال عبد الوهاب قال علي بن عياض عندي
هريسة فما رأيك فيما قلت ما احسن رأيك فيهما قال للمغني بنا فدخلت الدار
فنادى الغلام فاذا هو غايب فقام الى الباب ومعه المنفعة والطست وعلى عاتقه المنديل
فقلت انا لله وانا اليه راجعون لو علمت يا ابا الحسن ما ان الامر هكذا قال هون عليك
فان ذلك عندي مكرم والمكرم انما يخدم بالنفس انظر الى قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف
ابراهيم المكرمين قوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام اي
عليكم سلام ويكون بمعنى امري سلاما ورد بي لكم سلام وقرأ اهل الكوفة الا عاصما
سلم بكسر السين قوم منكرون اي انتم قوم منكرون عرفا لا نعرفكم وقيل لان ابراهيم
على غير صورة البشر وعلى غير صور الملائكة الذين كانوا يعرفونهم فنكرهم فقال
قوم منكرون وقيل انكرهم لانهم دخلوا عليه من غير استيذان وقال
ابو العالية انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض وقيل خافهم فقال
انكرتكم اذا خفتكم قال الشاعر

فانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا

قوله تعالى فراغ الى اهله قال الزجاج اي عدل الى اهله وقد مضى في الصافات ويقال
راغ وان تاغ بمعنى سرب وذا فعل هذا يكون راغ واراغ لغتان بمعنى فجاء بعجل سمين
اي حاصبة بعجل قد شواه لهم كما في هود لما لبث ان جاء بعجل حنيذ ويقال
انه اراهم انطلق الى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا على ما يريد ان يتحفه لهم من
الطعام قوله تعالى فقربه اليهم يعني العجل فقالوا لا نأكل قال قتادة كان عامة
ماله اذ ذاك البقر واختار لهم سمينا زيادة في اكرامهم وقيل العجل يعني الغلام
الشاة ذكره الفراء وفي الصحاح العجل ولد البقرة والعجول للانثى ذات عجل وعجل
قبيلة من ربيعة قوله تعالى فاوجس منهم خيفة اي اوجس في نفسه منهم خوفا
وقيل امن لما لم يتحرموا بطعامه ومن اخلاق الناس ان من تحرم بطعام انسان امنه
وقال عمرو بن دينار قالت الملائكة لا نأكل الا بثمن قال كلوا واد وا ثمنه قالوا وما ثمنه
قال تسمون الله اذا اكلتم وتحمدونه اذا فرغتم فنظر بعضهم الى بعض وقال
لهذا اتخذ الله ابراهيم خليلا وقد تقدم هذا في هود ولما رأوا ما بابراهيم من الخوف قالوا لا تخف
واعلموه انهم ملائكة الله ورسله وبشروه بغلام عليم اي يولد يعلم له من سارة زوجته
وقيل لما اخبروه انهم ملائكة لم يهبهم فدعوا الله فاحيا العجل الذي قربه اليهم
وروي عوف بن ابي جميلة ان جبريل مسح العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه
وام العجل في الدار ومعنى عليم اي يكون بعد بلوغه من اولي العلم بالله وبدينه والجمهور
على ان المبشر به هو اسحق وقال مجاهد وحده هو اسمعيل وليس بشيء فان الله تعالى يقول
لبشرناه باسحاق وهذا نص قوله تعالى فاقبلت امرأته في صرة اي في صيحة وصخبة
عن ابن عباس وغيره ومنه اخذ صرير الباب وهو صوته وقال عكرمة وقتادة
انها الرنة والنأوة ولم يكن هذا الا قبال من مكان الى مكان قال الفراء انما هو
كقولك اقبل يشتمني اي اخذ في شتمي وقيل اقبلت في صرة اي في جماعة من الناس يسمع
كلام الملائكة قال الجوهري الصرة الصيحة والضجة والصرة الجماعة والصرة الشدة من
كرب وغيره قال

امرو القيس

فالحقه بالهاديات ودونه جواركما في صرة لم تزيل

يحتمل هذا البيت الوجوه الثلاثة وصرة الغيظ اي شدة جرمه فلما سمعت سارة البشارة
صكت وجهها اي ضربت بيدها على وجهها على عادة النساء عند التعجب قال سيبويه

النوري وغيره وقال ابن عباس سكت وجهها الطمثة واصل الصك الضرب صكه اي ضرب به
• • قال • الراجز • •
• • ياكرا وناصك فاكبانا • قال الاموي كبنى البطي
اذا لطا بالارض واكبات انقبض وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عقيم الرحاح
وقالت ان عجوز عقيم فكيف الركا قالت يا ويلتا الد وانا عجوز قال كذلك اي
اي كما قلنا لك واخبرناك قال ربك فلا تشكي فيه وكان بين البشارة والولادة سنة
وكانت سارة لم تلد قبل ذلك تولدت وهي بنت تسع وتسعين سنة وابراهيم يومئذ
ابن مائة سنة وقد مضى هذا كله في الحكيم العليم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه تولد
تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الى قوله
تعالى الى قوم كافرين كفروا من يوم مم الذي يوعدون قوله تعالى قال
فما خطبكم اي شانكم وقصتكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين
يريد قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين اي لنرجمهم بها مسومة اي معلمة قيل
كانت مخططة بسواد وبياض وقيل بسواد وحمرة وقيل على كل حجر اسم من يهلك به
وقيل عليها امثال الخواتيم وقد مضى هذا كله في هود فجعلت الحجارة تتبع مسافريهم
وتسقط في منازلهم فلم يفلت منهم احد عند ربك اي عند ذلك وقد اعدها لرجم من قضى
برجمه قيل كانت حطبوخة طبخ الاجر قاله ابن زيد وهو معنى قوله تعالى حجارة
من سجيل على ما تقدم بيانه في هود وقيل هي الحجارة التي نراها واصلها طين وانما
تصير حجارة باحراق الشمس اياها على مد الدهور وانما قال من طين لبعد لم انها
ليست حجارة المداني هي الرد وحكاه الطبري قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من
المؤمنين اي لما اردنا اهلاك قوم لوط اخرجنا من كان في قومه من المؤمنين لئلا يهلك
المؤمنون وذلك قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يعني لوطا
وبنتيه وفيه اضمار اي فما وجدنا فيها غير اهل بيت وقد يقال بيت شريف براد
بالاهل وقوله فيها كناية عن القرية ولم يتقدم لها ذكر لان المعنى مفهوم
وايضا فقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم مجرمين يدل على القرية لان القوم انما يسكنون
قرية وقيل الضمير فيها للجماعة والمؤمنون والمسلمون ههنا سواء فجنس
اللفظ لبلا يتكرر كما قال اما اشكوا بثي وحزني الى الله وقيل الايمان تصديق القلب
والاسلام الانقياد بالظاهر فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا فسماهم في الاية الاولى
مؤمنين لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم وقد مضى الكلام في هذا المعنى في البقرة وغيرها
وقوله قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا الاية يدل على الفرق بين الايمان
والاسلام وهو مقتضى قول جبريل عليه السلام في صحيح مسلم وغيره وقد بيناه في غير
موضع قوله تعالى وتركنا فيها اية اي عبرة وعلامة لاهل ذلك ومن بعدهم لنظيره
ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون ثم قيل الاية المتروكة نفس القرية الخربة
وقيل الحجارة المنضودة التي رموا بها هي الاية للذين يخافون لانهم هم المنتفعون
قوله تعالى وفي موسى اي وتركنا ايضا في قصة موسى اية وقال الفراء هو معطوف
على قوله وفي الارض اليات وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين اي بحجة
بينة وهي العصا وقيل اي بالمعجزات من العصا وغيرها قوله تعالى فتولى بركنه يعني
فرعون اعرض عن الايمان بركنه اي بجموعه واجناده قاله ابن زيد وهو معنى قول
مجاهد وسنه قوله تعالى او اوي الى ركن شديد اي المنعة والعشيرة وقال ابن عباس
وقتادة تقويه وسنه قول عنترة
• • اما وهي مراس الحرب ركني • ولكن ما يقام من زمالي • •
وقيل بنفسه قال الاخفش يجانبه كقوله تعالى اعرض ونأى بجانبه وقال
المورج للجوهري وركن الشيء جانبه الاقوى وهو باوي الى ركن شديد اي بعز ومنعة
العشير والركن جانب البدن وهذا عبارة عن المبالغة في الاعراض عن الشيء وقال
ساحر او مجنون او بمعنى الواو لانهم قد قالوا هما جميعا قاله المورج والفراء
• • واشد قول بيت جرير • •
• • الغلبه الفوارس او رياحا عدلت بهم طهيه والخشابا • •
وقد يوضع او بمعنى الواو كقوله تعالى فلا تطع منهم اثما او كفورا والواو بمعنى او كقوله

تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وقد تقدم جميع هذا فاخذناه
وجنوده لكفرهم وتوليهم عن الايمان فسيدناهم اي طرحناهم في اليم وهو مليم
يعني فرعون لانه اتى ما يلام عليه قوله تعالى وفي عاد اي تركنا في عاد اية لمن تامل
اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهي التي لا تلقح سحابا ولا شجرا ولا رحمة فيها ولا بركة
ولا منفعة ومنه امراة عقيم لا تحمل ولا تلد ثم قيل هي الجنوب روي ابن ابي
ذيب عن الحرث بن عبد الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الريح العقيم الجنوب
وروي ابن ابي وقال مقاتل هي الدبور كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت
بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقال ابن عباس هي النكباء وقال عبيد بن عمير مسكنها
الارض الرابعة وما فتح على عاد منها الا كقدر مخرج الثور وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد
انها الصبا والله اعلم قوله تعالى ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم اي
كالشيء الهشيم يقال للنبت اذا يبس وتفتت رميم وهشيم قال ابن
عباس كالشيء الهالك ابا بي وقال مجاهد ومنه قول الشاعر

• • • •

والنور والظلام والسهل والجبل والجن والانس والشر والخير والذكرة والانثى وكالاشيا
المختلفة الالوان من المطعوم والاراييح والاصوات اي جعلناها هكذا دلالة على
قدرتنا ومن قدر على هذا قدر على الاعادة وقيل ومن كل شئ خلقنا زوجين لتعلموا
ان خالق الارواح فرد لا يقدر في صفته حركة ولا سكون ولا ضياء ولا ظلام ولا تعدد ولا
قيام ولا ابتدا ولا انتها وهو عز وجل وتر ليس كمثله شئ لعلكم تذكرون قوله
تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين لما تقدم من تكذيبهم لانبيائهم
واهلا لهم لذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لهم يا محمد اني قال
لقومك ففروا الى الله اي فروا من معاصيه الى طاعته وقال ابن عباس ففروا
الى الله بالتوبة من ذنوبكم وعنه ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال
محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ففروا الى الله اي احزموا الى مكة
وقال الحسين بن الفضل احترزوا من كل شئ دون الله ممن فر الى غيره لم
يمتنع وقال ابو بكر الوراق ففروا من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن وقال
الجنيد الشيطان داع الى الباطل ففروا الى الله يمنعكم منه وقال ذو النون المصري
ففروا من الجهل الى العلم ومن الكفر الى الشكر وقال عمرو بن عثمان ففروا
من تفسيكم الى ربكم وقال ايضا ففروا الى ما سبق لكم من الله ولا يعتمدوا
على حركاتكم وقال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه
نذير مبين اي انذركم عقابه على الكفر والمعصية قوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها
اخر امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول لهذا الناس وهو النذير وقيل هو خطاب
من الله للخلق اني لكم منه اي من محمد وسيوفه نذير اي انذركم بأسه وسيفه
ان اشركتم به وكله قاله ابن عباس قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول
هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي كما كذلك قومك وقالوا ساحر او مجنون كذب
من قبلهم وقالوا مثل قولهم والكاف من كذلك يجوز ان يكون نصبا على تقدير
انذركم انذارا كابرار من تقدمني من الرسل الذين انذروا قومهم او رفعا على تقدير
الامر كذلك اي كالاول والاول تخويف لمن عصاه من الموحدين والثاني
لمن شرك به من الملحدين والتمام على قوله كذلك عن يعقوب وغيره قوله تعالى
اتواصوا به اي اوصى اولهم اخرهم بالتكذيب ويواطئوا عليه والالف للتوبيخ
والتعجيب لهم قوم طاغون اي لم يرض بعضهم بعضا بل جمعهم الطغيان وهو مجاوزة
الحد في الكفر قوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم واصفح فما انت بملوم عند
الله لانك ادبت ما عليك من التبليغ الرسالة ثم نسخ هذا بقوله تعالى وذكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين وقيل نسخ بآية السيف والاول قول الضحاك قال لانه
قد امر بالاقبال عليهم بالموعظة وقال مجاهد فتول عنهم فاعرض عنهم فما انت
بملوم اي ليس بلومك ربك على تقصير كان منك وذكر اي بالعظة فان العظة
تنفع المؤمنين قتادة وذكر بالقرآن فان القرآن يتعظ به المؤمنون وقيل ذكرهم
بالعقوبة وايام الله وخص المؤمنين لانهم المنتفعون قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون قيل ان هذا خاص ليتم سبق في علم الله انه يعبده
فجا بلفظ العموم ومعناه الخصوص لمعبدي وما خلقت اهل السعادة من الجن
والانس الا ليوحدون قال القشيري والآية دخلها التخصيص على القطع لان المجانين
والصبيان ما امروا بالعبادة حتى يمتثلا اراد منهم العبادة وقد قال ولقد
ذرانا لجهنم لا يكون من خلق للعبادة فالآية محمولة على المؤمنين منهم وهو كقوله
تعالى قالت الاعراب امنا وانما قال قوم منهم ذكره الضحاك والكلبي والفراء
والنقاش وقراءة عبد الله وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون
وقال علي رضي الله عنه اي وما خلقت الجن والانس الا لامرهم بالعبادة واعتمد
الزجاج على هذا القول ويدل عليه قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا
فان قيل كيف كفروا وقد خلقتهم للاقرار والتذلل للاخرة ومشيئته قيل له
للوا لقضائه عليهم لان عصاه جار عليهم لا يقدرون على الامتناع منه وانما
خالفته من كفر في العمل بما امره به فاما التذلل لقضائه فانه غير ممتنع منه وقيل
الا ليعبدون الا ليقروا بالعبادة طوعا او كرها رواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس

والكره ما يرى فيهم من اثر الصنعة مجاهدا لا يبعد قوله الثعلبي وهذا قول حسن لانه لو لم يجعلهم لما عرف وجوده وتوحيده ودليل هذا التأويل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وما اشبه هذا من الايات وعن مجاهد ايضا الا لامرهم وانهاهم وبدين اسلم هو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة فخلق السعدا من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقيا منهم للمعصية وعن الكلبي ايضا الا ليعبدون الا ليوحدون فاما المومن فيوحد في الشدة والرجا تول عليه قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين الاية وقال عكرمة الا ليعبدون فابيت الكابد واعاقب الجاحد وقيل المعنى الا لاستعبدهم والمعنى متقارب يقول عبد بين العبودة والعبودية واصل العبودية الخضوع والذل والتعبيد التذليل يقال طريق معبد قال

• وطئا وصما فوق مدرعة معبد • والتعبيد الاستعباد وهو ان يتخذه عبدا وكذلك الاعتباد والعبادة الطاعة والتعبد التنسك لمعنى ليعبدون ليذلوا ويخضعوا ويعبدوا وما اريد منهم من رزق من صلة اي رزق بل انا الرزاق والمعطي وقال ابن عباس وابو الجوزا اي ما اريد ان يرزقوا انفسهم ولا ان يطعموها وقيل المعنى ما اريد ان يرزقوا عبادي ولا ان يطعموهم ان الله هو الرزاق وقرا ابن محيصن وغيره الرزاق ذو القوة المتين اي الشديد القوي وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب والنخعي المتين بالجر على النعت للقوة الباقون بالرفع للنعت على الرازق او ذو من قوله ذو القوة او يكون خبر ابتدا محذوف او نعتا لاسم ان على الموضع او خبرا بعد خبر قال الفرا كان حقه المسد فذكره لانه ذهب بها الى الشيء المبرم المحكم المفتل يقال حبل متين واشد الفوا

• لكلهن قد لبست ثوبا حتى اكتسى الراس فن اعدا شيبا •
• من ربطه والبهمة المعصبا • • • • • •

فذكر المعصب لان البهمة صنف من الشباب ومن هذا الباب فمن جاءه موعظة اي وعظ ولفظ الذين ظلموا الصياح اي الصياح والصوت قوله تعالى فان للذين ظلموا اي كفروا من اهل مكة ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم اي نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الامم الماضية قال ابن الاعرابي يقال يوم ذنوب اي طويل الشر لا ينقضي واصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة وكانوا يسيقون الماء فيقتسمون ذلك على الانصبا المقدرة فقيل للذنوب يصيب الكفار من الامم الماضية قال ابن الاعرابي يقال يوم ذنوب اي طويل الشر لا ينقضي واصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة وكانوا يسيقون الماء فيقتسمون ذلك على الانصبا المقدرة فقيل الذنوب يصيب من هذا ان قال الراجز

• لنا ذنوب ولكم ذنوب • فان ابيتم فلنا القليب •
• وقال علقمة •
• وفي كل يوم قد حبطت بنعمة • فحق لشاس من نداك ذنوب •

وقال اخر لعمرك والمنايا طارقات • لكل بني اب منها ذنوب •

الجوهري والذنوب الفرس الطويل الذنب والذنوب النصيب والذنوب لحم اسفل المتن والذنوب الدلو الملاى ما قال ابن السكيت فيهما ما قربت من الملء ويونث ويذكر ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب وللجمع ادنى العدد اذنبة والكثير ذنائب مثل قلوص وقلائص ولا يستعجلون اي فلا يستعجلوا نزول العذاب بهم لانهم قالوا يا محمد ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فنزل بهم يوم بدر ما حقق الله تعالى به وعده وعجل به انتقامه ثم لهم في الاخرة العذاب الدايم والخزي القايم الذي لا انقطاع له ولا انفاد ولا غاية له ولا اباد

سورة والطور

مكية في قول الجميع وهي ثمان واربعون اية روي الائمة عن جبير ابن مطعم قال سمعت
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور متفق عليه بسم الله
الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والطور الطور الجبل الذي كلم الله عليه موسى
عليه السلام اقسم الله به تشريفا وتكريما وتذكيرا لما فيه من الايات وهو احد
جبال الجنة روي اسمعيل بن اسحق قال ابا اسمعيل بن ابي اويس حدثنا كثير
بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن ابيه عن جده انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اربعة اجبل من جبال الجنة واربعة انهار من انهار الجنة واربعة
ملاحم من املاحم الجنة قيل ثمن الاجبل قال ـــــ جبل احد يحبنا ونحبه
والطور جبل من جبال الجنة ولبنان جبل من جبال الجنة وذكر الحديث
وقد استوفيناه في كتاب التذكرة قال مجاهد هو بالسريانية والمراد به طور
سبنا وللاخر طور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هو جبل
بمدين واسمه زهر قاله الجوهري والزبير الجبل الذي كلم الله عليه موسى
عليه السلام قلت ومدين بالارض المقدسة عليه السلام وقيل الطور كل جبل
انبت وما لا ينبت فليس بطور قاله ابن عباس وقد مضى في النمل مستوفى
قوله تعالى وكتاب مسطور اي مكتوب يعني القرآن يقرؤه المؤمنون من
المصاحف ويقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ كما قال تعالى انه لقرآن كريم في
كتاب مكنون وقيل يعني سائر الكتب المنزلة على الانبياء وكان كل كتاب
في رق ينشره اهله لقراءته فقال ـــــ الكلبي هو ما كتب الله لموسى بيده
من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقال القرا هو صحايف الاعمال
فمن اخذ كتابه بيمينه واخذ كتابه بشماله نظره ويخرج له يوم القيامة
كتابا يلقاه منشورا وقوله واذا الصحف نشرت وقيل انه الكتاب
الذي كتبه الله فيه سلا يكتب في اسما يقرون فيه ما كان وما يكون وقيل المراد ما كتب
الله في قلوب الانبياء من المومنين بانه اولئك كتب في قلوبهم الايمان قلت
وفي هذا القول يجوز لانه عبر بالقلوب عن الرق قال المبرد الرق ما رقق من الجلد
والمنشور المبسوط وكذا قال ـــــ الجوهري في الصحاح قال والرق بالفتح
ما يكتب عليه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى في رق منشور والرق ايضا ما عظم
من السلاحف قال ابو عبيد وجمعه رقوق والمعنى المراد ما قاله القرا والله اعلم وكل صحيفة
تسمى رقا لرقة حواشيها ومنه قول ـــــ المتلمس

* فكائنا هجي من نقادم عهدها * رق ابيح كتابها مسطور *

والرق بالكسر فهو المملوك يقال عبد مرقوق وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الرق
بالفتح ما بين المشرق والمغرب قوله تعالى والبيت المعمور قال علي وابن عباس
وغيرهما هو بيت في السما حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم يخرجون
منه فلا يعودون اليه قال علي رضي الله عنه هو في السما السادسة وقيل في السماء
الرابعة روي انس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال ـــــ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتيت في السما الرابعة فاستفتح لنا البيت المعمور فاذا هو جبال
تكبته لو خر عليها يدخل كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا فيه ذكره
الماوردي وحكى القشيري عن ابن عباس انه في السماء الدنيا وقال ابو بكر بن الانباري
سئل ابن الكوا عليا رضي الله عنه قال في البيت المعمور قال بيت فوق سبع سموات
تحت العرش يقال له الضراح وكذا في الصحاح والضراح بالضم بيت في السماء وهو البيت
المعمور عن ابن عباس وعمرانه كثرة عابديه من الملائكة وقال الحميدي وجه عنه
حد العرش والصحيح في مسلم عن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في حديث الاسرا ثم رفع لي البيت المعمور فقلت يا جبريل ما هذا قال هذا البيت المعمور
يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا اليه اخر ما عليهم وذكر
الحديث وفي حديث ثابت عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتيت
بالبراق الحديث وفيه ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام
فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قال
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا

ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه
وعن ابن ابي قال الله في السموات والارضين خمسة عشر بيتا سبعة في السموات
وسبعة في الارضين والكعبة وكلها مقابلة للكعبة وقال الحسن
البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام الذي هو معمور من الناس يعمره الله في كل
سنة ستمائة الف فان عجزوا اتمهم الله بالملائكة وهو اول
بيت وضعه الله للعبادة في الارض وقال الربيع بن انس ان البيت المعمور
كان في الارض موضع الكعبة في زمان ادم عليه السلام فلما كان زمان نوح
امرهم ان يحجوه فاتوا عليه وعصى فلما طغى الماء رفع فجعل بحذائه في السماء
الدنيا فيعمر كل يوم الف ملك ثم لا يرجعون اليه حتى ينفخ في الصور قال
نبوا الله عز وجل لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين
والقائمين والركع السجود والسقف المرفوع يعني السماء سماها سقفا
لانها للارض كالسقف للبيت بيانه وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال
ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة والبحر المسجور قال مجاهد الموقد وقال
جائي البحار ان البحر يسجر يوم القيامة فيكون نارا وقال قتادة
المملوء واشد العذابين

للسمر بن بوكب اذا شاط الح مسجوره بزيت حولها النبع والسماسما

يريد وعلا يطالع عينا مسجورة مملوءة يجوز ان يكون المملوء نارا فيكون كالقول
المتقدم وكذا قال الضحاك وسمر بن عطية ومحمد بن كعب والاخفش
انه الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور ومنه قيل للسمر مسجر ودليل هذا التاويل
قوله تعالى واذا البحار سجرت اي اوقدت سجرت التنور اسجره سجرا اذا سجرته
اي احميته وقال سعيد بن المسيب قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود اين جهنم
قال البحر قال ما اراك الا صادقا وتلا هذه الاية والبحر المسجور واذا البحار
سجرت مخففة وقال عبد الله بن عمر لا يتوضا بماء البحر لانه طبق جهنم
وقال كعب يسجر البحر غدا فيرد ادنار جهنم فهذا قول وقال ابن عباس المسجور
الذي ذهب ماؤه وقاله ابو العالية وروى عطية وذو الرمة الشاعر عن
ابن عباس قالت خرجت امه لبيتغي فقالت ان الحوض مسجور اي دارع
قال ابن ابي داود ليس لذي الرمة حديث الا هذا وقيل المسجور اي المحبور
دليله قوله تعالى واذا البحار فجرت اي يسيغها الارض فلا يبقى فيها ماء وقول
ثالث قاله علي رضي الله عنه وعكرمة قال ابو مكين سالت عكرمة عن البحر المسجور
فقال هو بحر دون العرش وقال علي تحت العرش فيه اطيط يقال له بحر الحيوان
يمطر العباد منه بعد النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم وقال
الربيع بن انس المسجور والمختلط العذب بالمالح قلت واليه يرجع معنى
من قال من احد النارين اي من حر عذبها في ملحها والله اعلم وسياتي وروى علي بن
ابي طلحة عن ابن عباس قال المسجور المحبوس ان عذاب لواقع هذا جواب
القسم اي واقع بالمشركين قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاسال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اساري بدر وانا يومئذ في صلاة المغرب والطور الى قوله
ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي فاسلمت خوفا من نزول
العذاب وما كنت اظن ان اقوم مقامي حتى يقع بي العذاب وقال
هشام بن حسان انطلقت انا ومالك بن دينار الى الحسن وعنده رجل يقرا الطور
حتى بلغ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فبكى الحسن وبكى اصحابه وجعل مالك
يضطرب حتى غشي عليه ولما ولى بكاء القضاة جاء اليه رجلان يختصمان فتوجهت
الى احدهما اليمين فرغب الى الصلح بينهما والله يعطي خصمه من عنده عوضا من يمينه
فابى الا اليمين فاحلفه باول والطور الى ان قال له قل ان عذاب ربك لواقع ان
كنت كاذبا فقالها فكسر من حينئذ قوله تعالى يوم تمور السماء مورا العامل في يوم
قوله واقع اي يقع العذاب بهم يوم القيامة وهو اليوم الذي يمور فيه اهل السماء
قال اهل اللغة مار الشيء يمور موارا اذا تحرك وجاء وذهب كما يكفاه النخلة العبد
انه اي الطويله والتمور مثله قال الضحاك يموج بعضها في بعض

مجاهد

مجاهد تدور ورا ابو عبيدة والاخفش كفا واشد الاعشى

كان مسيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل

وقيل يجري جريا وسهولة قول جرير

وما زالت القتلى تمور دماؤها تدخله حتى ما دخلها اسكل

وقال ابن عباس تمور السماء يومئذ بما فيها وتضطرب وقيل

تدور اهلها فيها وتموج بعضهم في بعض والمور ايضا الطريق ومنه قولهم

طرقة فوق مور معبد والمور الموج وناقة موارة اليه اي سريعة

والبعير والمور الموج يمور عصداه اذا تردد في عرض جنبه قال الشاعر

على طهر موار الملاط حصدان

الملاط الجنب وقولهم لا ادري اعار امر مار اي اتى عورا ودار فرجع الي بخد والمور بالضم

الغبار بالريح وقيل ان السماء هنا الفلك ومورها اضطراب نظمها واختلاف

سيره قاله ابن مجاهد وتسير الجبال سيرا قال مقاتل تسير عن اماكنها حتى تستوي

بالارض وقيل تسير كسير السحاب اليوم في الدنيا بياسه وتري الجبال تحسبها جامدة

وهي تمر مر السحاب وقد مضي هذا المعني في الكهف فويل يومئذ للمكذبين

ويل كلمة يقال للهالك وانما دخلت اللام في الكلام معني الجزاء والذين

هم في خوض يلعبون اي في تردد في الباطل وهو خوضهم في امر محمد بالتكذيب وقيل

في خوض يلعبون في اسباب الدنيا يلعبون لا يذكرون حسابا ولا جزاء وقد مضي

في براءة قوله تعالى يوم يدعون يوم يدل من يومئذ ويدعون معناه يدفعون الي

جهنم بسده وعنف يقال دعه اي دفعته ومنه قوله تعالى فذلك

الذي يدع اليتيم وفي التفسير ان خزنة جهنم يغلون ايديهم الي اعناقهم

ويجمعون نواصيهم الي اقدامهم يوم يدفعونهم في النار دفعا علي وجوههم وزجا

في اعناقهم حتي يردوا الي النار وقرا ابو رجا العطاردي وابن السميفع يدعون

الي نار جهنم دعا بالتخفيف من الادعاء فاذا دنوا من النار قالت لهم الخزنة هذه النار

التي كنتم بها تكذبون في الدنيا فقوله تعالى افسحر هذا استفهام معناه التوبيخ

والتقريع اي يقال لهم افسحر هذا الذي تنزوه الان ام انتم جعلتم الدرية للكبار

كان قولهم بايمان حالا من الهاء علي القول الثالث عن ابن عباس ان المراد بالذين

امنوا المهاجرون والانصار والذرية التابعون وفي رواية عنه ان كان الابا ارفع

درجة رفع الله الابنا الي الابا وان كان الابنا ارفع درجة رفع الله الابا الي الابنا

فالابا داخلون في اسم الذرية كقوله تعالى وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك

المشحون وعن ابن عباس ايضا بن فحه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا دخل

اهل الجنة الجنة سال احدهم عن ابويه وعن زوجته وولده فيقال انهم لم يدركوا ما

ادركت فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به وقالت خديجة

سالت النبي صلي الله عليه وسلم عن ولدين لي ماتا في الجاهلية فقال لي هما في النار

فلما راي الكراهية في وجهي قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله

فولدي منك قال في الجنة ثم قال ان المؤمنين واولادهم في الجنة والمشركون

واولادهم في النار ثم قرا والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم الاية وما التناهم من

عملهم من شئ اي ما انقصنا الابنا من ثواب اعمالهم لتقر اعمارهم اوما انقصنا

الابا من ثواب اعمالهم شيئا بالحاق الذريات بهم والها والميم راجعتان الي قوله

تعالى والذين امنوا وقال ابن زيد المعني واتبعناهم ذرياتهم بايمان

الحقنا بالذرية ابناهم الصغار الذين لم يبلغوا العمل فالها والميم علي هذا

القول للذرية وقاله ابن كثير وما التناهم بكسر اللام وفتح الباقون وعن ابن هرمز

من التناهم بالمد قال ابن الاعرابي الته يالته والله لوليما تلانا ولا ته

يليته وليسه ليتا كلها اذا انقصته وفي الصحاح ولا ته عن وجهه وليته وليسه

اي حبسه عن وجهه وصرفه وكذلك الاية عن وجهه وكلوكه وتليته فعل وافعل

بمعني ويقال ايضا الاية من عمله اي ما انقصته مثل البه وقد مضي في الحجرات كل

امرئ بما كسب رهين قيل يرجع الي اهل الجنة اي يتيمهم ولهذا قال كل نفس

بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين وقيل هو عام لكل انسان من مؤمن بعمله

فلا ينقص احد من ثواب عمله فما الزيادة على ثواب العمل فمعنى تفضل من الله ويحتمل ان يكون هذا في الذرية الذين لم يبلغوا فلا يلحقون اباهم المومنين بل يكونون مومنين بكفرهم قوله تعالى وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي اكثرنا لهم في ذلك زيادة من الله امرهم بها غير الذي كان لهم قوله تعالى يتنازعون فيها كاسا اي يتناولها بعضهم من بعض وهو المومن وزوجاته وخدمه في الجنة والكاس انا الخمر وكل اناء مملوء من شراب وغيره فاذا فرغ لم يسم كاسا وشاهد هذا التنازع والكاس في اللغة قول الاخطل

وساربٍ مزّح في الكاس نازعني لا بالحصور ولا فيها بسوّار
نازعته طيب الراح السمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري
وقال امرؤ القيس

فلما تنازعنا الحديث واسمحت هصرت بغصن ذي شماريخ ميال

وقد مضى هذا في الصافات لا لغو فيها اي في الكاس اي لا يجري بينهم لغو ولا تاثيم ولا ما فيه اثم والتاثيم بفعيل من الاثم اي تلك الكاس لا تجعلهم اثمين لانه مبيح لهم وقيل لا لغو فيها اي في الجنة قال ابن عطا اي لغو يكون في مجلس محله جنة عدن وسقاتهم الملائكة وستورهم على ذكر الله وريحانهم وتحيتهم من عند الله والوان اصناف الله ولا تاثيم اي ولا كذب قاله ابن عباس والضحاك يعني لا يكذب بعضهم بعضا وقرا ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو لا لغو ولا تاثيم بفتح اخره الباقون بالرفع والتنوين وقد مضى هذا في البقرة عند قوله ولا خلة ولا شفاعة والحمد لله قوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم اي بالفواكه والتحف والطعام والشراب دليله يطاف عليهم بصحاف من ذهب يطاف عليهم بكاس من معين ثم قيل هم لاطفال من اولاد هم الذين سبقوهم فاثر الله تعالى بهم اعينهم وقيل انهم من اخدمهم الله تعالى اياهم من اولاد غيرهم وقيل هم غلمان خلقوا في الجنة قال الكلبي لا يكبرون ابدا كانهم في الحسن والبياض لؤلؤ مكنون في الصدف والمكنون المصون وقوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون قيل هم اولاد المشركين وهم خدم اهل الجنة وليس في الجنة نصب ولا حاجة الى خدمة ولكنه اخبرنا بهم على غاية النعيم وعن عائشة رضي الله عنها ان نبي الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من يبادر الخادم من خدمه فيجيبه الف كلهم لبيك لبيك وعن عبد الله بن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف كلهم غلام كل غلام على عمل ليس على صاحبه وعن الحسن انهم قالوا يا رسول الله اذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف يكون المخدوم قال بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين اصغر الكواكب قال الكسائي كننت الشيء سترته وصنته من الشمس واكننته في نفسي اسررته وقال ابو زيد كننته واكننته بمعنى في الكن وفي النفس جميعا يقول كننت العلم واكننته فهو مكنون ومكن وكننت الجارية واكننتها فهي مكنونة ومكنة قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابن عباس اذا بعثوا من قبورهم سال بعضهم بعضا وقيل في الجنة يتساءلون اي يتذاكرون فيما كانوا فيه من الدنيا من التعب والخوف من العاقبة ويحمدون الله على زوال الحزن عنهم وقيل يقول بعضهم لبعض بما صرت في هذه المنزلة الرفيعة قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين اي قال كل مسئول منهم لسائله انا كنا قبل اي في الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم قال الحسن السموم اسم من اسماء النار وطبقة من طبقاتها وقيل هو النار كما تقول جهنم وقيل اي عذاب نار السموم والسموم الريح الحارة بالليل يقال منه سمت يوما فهو مسموم والجمع سما ثم قال ابو عبيدة السموم بالنهار وقد يكون بالليل والحرور بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح الارض الحر والشمس اكثر قال الراجز

اليوم يوم نارز سمومه ... من جزع اليوم فلا لومه

قوله تعالى انا كنا من قبل ندعوه اي في الدنيا بان يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا

وقيل

وقيل يريد عوه بعبده الله هو البر الرحيم قرا نافع والكسائي انه بفتح الهمزة اي لانه البار قون
بالكسر على الابتدا والبر اللطيف قاله ابن عباس وعنه ايضا الصادق فيما وعد
وقاله ابن جريج قوله تعالى فذكر اي فذكر يا محمد قومك بالقران فما انت بنعمة
ربك يعني برسالة ربك بكاهن يبتدئ القول وتخبر بما يكون من غير وحي ولا مجنون
وهذا رد لقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم عتبة بن ابي معيط قال انه مجنون
وشيبة بن ابي ربيعة قال ساحر وغيرهما قال كاهن فاكذبهم الله ورد عليهم ثم
قيل ان معنى ما انت بنعمة ربك القسم اي ونعمة الله ما انت بكاهن ولا مجنون
وقيل ليس قسما وانما هو كما تقول ما انت بحمد الله جاهلا اي فزيدك الله من
ذلك قوله تعالى ام يقولون شاعر اي بل انقول عندنا شاعر قال سيبويه حوطب
الجهاد بما جرى في كلامهم قال ابو جعفر النحاس وهذا كلام حسن الا انه غير مبين
ولا مستروح بل يريد سيبويه ان ام في كلام العرب لخروج من حديث الى حديث
• • • كما قال • • •

قول الله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفي حديث ابن
عمر فزجره النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال مه قال العاقل من يحمل بطاعة الله
ذكره الترمذي الحكيم ابو عبد الله باسناده ام يقولون تقوله اي افتعله
واختراه يعني القرآن والتقول تكلف القول وانما يستعمل في الكذب
في غالب الامر ويقال قولني ما لم اقل اي ادعيته علي ويقول
عليه اي كذب عليه واقبل عليه بحكم قال

• • ومنزل في دار صدق وعسطه • وما اقبال من حكم علي طبيب •

قام الاولى للانكار والثانية للايجاب اي ليس كما يقولون بل لا يؤمنون
بحدا واستكبارا بل يأتوا بحديث مثله اي بقرآن يشبهه من تلقاء انفسهم
ان كانوا صادقين في ان محمدا افتراه وفسر الجذري فليأتوا بحديث
مثله بالاضافة والهاء في مثله للنبي صلى الله عليه وسلم واضيف الحديث
الذي يراد به القرآن اليه لانه المبعوث به والهاء على قراءة الجماعة
للقرآن قوله تعالى ام خلقوا من غير شيء ام صلة زائدة والتقدير اخلقوا
من غير شيء قال ابن عباس من غير رب خلقهم وقدرهم وقيل
من غير ام ولا اب فهم كالجماد لا يعقلون ولا يقوم لهم عليه حجة لبسوا كذلك
بل قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة قاله ابن عطاء وقال
ابن كيسان ام خلقوا عبثا وتركوا سدى من غير شيء اي لغير شيء ثم بمعنى الهمزة
هم الخالقون اي اتقولون ايهم خلقوا انفسهم فلا يأمرون لامر الله تعالى
وهم لا يقولون ذلك واذا اقروا ثم حالتا غيرهم فهو الذي يتبعهم من الاقرار
له بالعبادة دون الاصنام ومن الاقرار بانه قادر على البعث ام خلقوا
السموات والارض اي ليس الامر كذلك فانهم لم يخلقوا شيئا بل لا يوقنون بالحق ام
عندهم خزائن ربك اي ام عندهم ذلك فيستغنون عن الله ويعرضوا عن امره
قال ابن عباس خزائن ربك المطر والرزق وقيل مفاتيح الرحمة وقال
عكرمة النبوة اي اعندهم مفاتيح ربك بالرسالة لتصنعوها حيث
شاءوا وضرب المثل بالخزائن لان الخزائن تبنى لها لجمع انواع تختلفة
من الذخائر ومقدرات الرتب كالخزائن التي فيها من كل الاجناس فلانها بنت
له ام هم المصيطرون قال ابن عباس المسلطون الجبارون
وعنه ايضا المتطلون وقاله الضحاك وعن ابن عباس ايضا اهم المتولون
عطاء ام هم ارباب قاهرون قال عطاء يقال تسيطرت علي اي احدثني حولا
لك وقاله ابو عبيد وفي الصحاح والمسيطر والمصيطر المسلط على الشيء لشرف
عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب مسطر
والذي يفعل مسطر ومسيطر يقال سطرت علينا ابن كرام هم المصيطرون
اي اهم الحفظة ماخوذ من تسطير الكتاب الذي يحفظ ما كتب فيه فصار
المسيطر هنا حافظ ما كتبه الله في اللوح المحفوظ وفيه ثلاث لغات الصاد وبها
قرأ العامة والسين وهي قراءة ابن محيصن وحميد ومجاهد وقنبل وهشام وابي
حيوة وباشمام الصاد الزاي وهي قراءة حمزة كما تقدم في الصراط قوله تعالى
ام لهم سلم اي ادعون ان لهم مرتقا الى السماء ومصعدا وسببا يسمعون
فيه اي عليه الاخبار ويصلون به الى علم الغيب كما يصل اليه محمد صلى الله عليه
وسلم بطريقا لوحي فليأت مستمعهم بسلطان مبين اي بحجة وبينة
ان هذا الذي هم عليه حق والسلام والحد السلاليم الذي يرتقى عليها
وربما سمي العرر بذلك قال ابو الرئيس التغلبي يصف ناقته •

، مطارة قلب ان سمى الرجل وبها يسلم عرر في مناخ ناعلم ،
، وقال • رهير • ،
، ومن هاب اسباب المنية يلقها ولو رام اسباب السما سلم •
، وقال • اخر • ،
، تحسبت لي دنيا وما ان حبيته ليجعلني عبدا الى الدهر سلما •
• وقال • ابن مقبل في الجمع • ،

لا يجرز

لا يجوز المرا بها البلاد ولا ينبغي له في السموات السلاليم
الاجا النواجي مثل الارحا واحدتها نجي ورجي مقصور ويروي اعنا البلاد
والاعنا ايضا الجوانب والنواجي واحدها عنو بالكسر وقال ابن الاعرابي
واحدها عنى مقصور وحانا اعنا من الناس واحدهم عنو بالكسر وهم من قيامهم
شتى يستحون فيه اي عليه كقوله تعالى في جذوع النخل اي الهم جبريل الذي ياتي
النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي قوله تعالى ام له البنات ولكم البنون
سفه احلامهم توبيخا لهم وتقريعا اي يضفون الي الله البنات مع انفتكم منهم
ومن كان عقله هكذا لا يستبعد منه انكار البعث ام تسالهم اجرا اي على تبليغ
الرسالة فهم من مغرم اي من الغرم الذي تظلهم به مثقلون فهم عن اداء
ما كلفتهم به ن ام عندهم الغيب فهم يكتبون للناس ما ارادوه من علم الغيوب
وقيل ام عندهم علم ما غاب عن الناس حتى علموا ان ما اخبرهم به الرسول
صلى الله عليه وسلم من امر الغيامة والجنة والنار والبعث باطل وقال
قتادة لما قالوا تربصوا به ريب المنون قال الله تعالى ام عندهم الغيب حتى علموا
متى تموت محمد وابي ما يؤول اليه وقال ابن عباس ام عندهم
اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويحرون الناس بما فيه وقال
الفتبي يكتبون يحكمون والكتاب الحكم ومنه قوله تعالى كتب ربكم اي حكم وقوله
عليه السلام لاحكمن بينكما بكتاب الله اي بحكم الله قوله تعالى ام
امروا بل يريدون كيدا الذين كفروا هم المكيدون ام لهم اله غير الله
الممكور بهم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وذلك انهم قتلوا ببدر لم لهم الله
عز وجل الله خلق ورزق ويمنع سبحان الله تنزه تنسر عن ان يكون له شريك وقال
الخليل كل ما في سورة والطور من ام وكلمة استفهام وليس بعطف قوله
تعالى وان يروا كسفا من السما ساقطا قال ذلك جوابا لقولهم فاسقط
علينا كسفا من السماء وقولهم او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا فاعلم
انه لو فعل ذلك لقالوا سحاب مركوم اي بعضه فوق بعض سقط علينا وليس سما
وهذا فعل المعاند او فعل من استولى عليه التقليد وكان في المشركين الفسمان
والكسفان جمع كسفة وهي القطعة من الشيء يقال اعطني كسفة من ثوبك
ويقال في جمعها ايضا كسف ويقال الكسف والكسفة واحد
وقال الاخفش من قرا كسفا من السما جعله واحدا ومن قرا كسفا
جعله جمعا وقد تقدم القول في هذا في سبحان وغيرها والحمد لله قوله تعالى فذرهم
منسوخ باية السيف حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يعني القيامة قرا
وقرا ابن عامر وعاصم بضمها قال الفراء هما لغتان صعق وصعق مثل سعد
وسعد قال قتادة يوم يموتون وقيل هو يوم بدر وقيل عند النفخة الاولى
وقيل يوم القيامة تاتيهم فيه من العذاب ما يذهل عقولهم وقيل يصعقون
بضم الياء من اصعقه الله قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم
شيئا اي ما كادوا به النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا ولا هم ينصرون
من الله ويوم منصوب على البدل من يومهم الذي فيه يصعقون قوله تعالى
وان للذين ظلموا اي كفروا عذابا دون ذلك قبل قتل موتهم ابن زيد مصايب
الدنيا من الاوجاع والاسقام والبلايا وذهاب الاموال والاولاد مجاهد
هو الجوع والجدب سبع سنين ابن عباس هو القتل وعنه عذاب القبر وقال العبرا
ابن عازب وعلي رضي الله عنه عذوب بمعنى عبر وقيل عذابا انتصب من عذاب
الاخرة ولكن اكثرهم لا يعلمون ما يصيرون اليه قوله تعالى واصبر
لحكم ربك فانك باعيننا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى واصبر لحكم ربك قيل
لقضا ربك بما حملك من رسالته وقيل لبلاءه بما ابتلاك به من قومك
ثم نسخ باية السيف الثانية قوله تعالى فانك باعيننا اي بمراى منا تطر
منا يوكب ويسمع ما يقول ونعمل وقيل بحيث نراك وتحفظك وتحوطك
وتحرسك وترعاك والمعنى واحد ومنه قوله تعالى لموسى ولتصنع على عيني
اي بحفظي وحراستي وقد تقدم قوله تعالى وسبح بحمد ربك

حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم فسر مسيلمات الاولي بقوله تعالى وسبح بحمد
ربك حين تقوم اختلف في تاويل قوله تعالى حين تقوم فقال عوف بن مالك وابن
مسعود وعطا وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وابو الاحوص حين تنهض الى
حين تقوم من مجلسه فتقول سبحان الله وبحمده او سبحانك اللهم
وبحمدك فان كان المجلس خيرا اردت به خيرا وان كان غير ذلك كان كفارة
له ودليل هذا التاويل ما خرجه الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه
سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما
كان في مجلسه ذلك قال حديث حسن صحيح غريب وقال محمد بن كعب والضحاك
والربيع المعنى حين تقوم الى الصلاة قال الضحاك تقول الله اكبر كبيرا والحمد لله بكرة واصيلا
قال الكلبي الطوبى وهذا فيه بعد لان قوله حين تقوم لا يدل على التسبيح
بعد التكبير فان التكبير هو الذي يكون بعد القيام والتسبيح يكون وراء ذلك فدل
ان المراد بحين تقوم من كل مكان كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وقال
ابو الجوزا وحسان بن عطية المعنى حين تقوم من منامك قال حسان لتكون
مفتتحا لعمله بذكر الله وقال الكلبي واذكروا الله بالليل حين يقوم من فراشك
الى ان يدخل الصلاة وهي صلاة الفجر وفي هذا روايات مختلفة صحاح منها
حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير الحمد لله وسبحان الله
والحمد لله واكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي
ودعا استجيب له فان توضا قبلت صلاته واخرجه البخاري بمعناه وهو صوت
وبعضهم يقول هو صوت الرجل من النوم اذا هب من نومه مع صوت ومنه عار
الطليم لهم عرارا كما قالوا رمز للنعام برمز رماز عن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يقول اذا قام الى الصلاة من جوف الليل لك الحمد انت نور
السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت رب السموات والارض ومن فيهن انت الحق
وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون
حق ومحمد حق اللهم لك اسلمت وعليك توكلت وبك امنت واليك انبت وبك
خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت واعلنت انت
المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ولا اله غيرك متفق عليه وعن ابن عباس ايضا
انه عليه السلام كان اذا استيقظ من النوم مسح النوم عن وجهه ثم قرا العشر الايات
الاواخر من سورة ال عمران وقال زيد بن اسلم المعنى حين تقوم من نوم
الليلة لصلاة الظهر قال ابن العربي اما نوم القائلة فليس فيه اثر وهو يلحق
بنوم الليل وقال الضحاك انه التسبيح في الصلاة اذا قام اليها
الماوردي وفي هذا التسبيح قولان احدهما وهو قوله سبحانك ربي العظيم
في الركوع وسبحان ربي الاعلى في السجود الثاني انه التوجيه في الصلاة يقول
سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك قال
ابن العربي من قال انه يستبيح الصلاة فهو افضله والاثار في ذلك كثير
واعظمها ما ثبت عن علي بن ابي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان اذا قام الى الصلاة قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
وقد ذكرناه وغيره في اخر سورة الانعام وفي البخاري عن ابي بكر الصديق قال
قلت يا رسول الله علمني دعاء ادعو به في صلاتي فقال قل اللهم اني ظلمت
نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك
وارحمني انك انت الغفور الرحيم الثانية قوله تعالى ومن الليل
فسبحه وادبار النجوم تقدم في ق مستوفى عند قوله تعالى ومن الليل
فسبحه وادبار السجود واما ادبار النجوم فقال علي وابن عباس وجابر وانس
هي ركعتي الفجر قال بعض العلما الاية على هذا القول على الندب وجعلها
منسوخة بالصلوات الخمس وعن الضحاك وابن زيد ان قوله وادبار النجوم
يريد به صلاة الصبح وهو اختيار الطبري وعن ابن عباس انه التسبيح في ادبار

٢ التصلوات وبكسر الهمزة في ادبار النجوم قرا الغرا السجدة على المصدر حسب
ما بيناه في ق وقرا سالم بن ابي الجعد ومحمد بن السميفع وادبار بالفتح ومثله
روي عن يعقوب وسلام وايوب وهو جمع دبر ودبر الامر ودبره آخره وروي
الترمذي من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتين قبل الفجر وادبار السجود الركعتين
بعد المغرب قال الحديث غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه من حديث محمد بن
فضيل عن رشدين وسالت محمد بن اسمعيل عن محمد ورشدين كريب ايهما اوثق
فقال ما اقربهما ومحمد عندي ارجح قال وسالت عبد الله بن عبد الرحمن عن هذا
فقال ما اقربهما ورشدين كريب ارجحهما عندي قال الترمذي والقول
عندي ما قالا ابو محمد ورشدين عندي ارجح من محمد واقدم وقد ادرك
رشدين ابن عباس ورواه وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها قالت
لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل اشد معاهدة منه على
ركعتي الفجر وعنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما
فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة والنجم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية
وهو قوله تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم وهي احدى وستون
اية وقيل اثنتان وستون اية وقيل اسورة مدنية والصحيح انها مكية ابن مسعود
رضي الله قال هي اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وفي البخاري عن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون
والمشركون والجن والانس وعن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سورة
النجم وسجدها فما بقي احد من القوم الا سجد فاخذ رجل من القوم كفا من حصى
او تراب فرفعه الى وجهه وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل
كافرا متفق عليه الوجل بقتل الهوامية بن خلف وفي الصحيحين عن زيد بن ثابت
انه قرا على النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم اذا هوى فلم يسجد وقد
مضى في اخر الاعراف في هذا والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

والنجم اذا هوى قال ابن عباس ومجاهد معنى والنجم اذا هوى اذا طلع والثريا اذا استقلت
مع الفجر والعرب تسمي الثريا وان كانت في العدد نجوما يقال انها سبعة انجم ستة
ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به ابصارهم وفي السنن للقاضي عياض ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا احد عشر نجما وعن مجاهد ايضا اذا المعنى والقرآن
اذا نزل لانه كان ينزل نجوما وقاله الفراء وعنه ايضا يعني نجوم السماء كلها حين
تغرب وهو قول الحسن قال اقسم الله بالنجم اذا غار وليس يمتنع ان يعبر
عنها بلفظ واحد وسماه جمع كقول الراعي

* فباتت بعد النجم في مستحيره صريع ما يذب الا كلين هموعا *

وقال عمرو بن ابي ربيعة

* احسن النجم في السماء الثريا واكرمه في الارض ابن النساء *

وقال الحسن ايضا المراد بالنجم النجوم اذا انقضت يوم القيامة وقال
السدي ان النجم هنا الزهرة لان قوما من العرب كانوا يعبدونها وقيل المراد به
النجوم التي يرجم بها الشياطين وسببه ان الله تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله
عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب قبل مولده فزعر اكابر العرب منها وفزعوا
الى كاهن كان لهم ضرير كان يحفرهم بالحوادث فسالوه عنها فقال
انظروا البروج الاثني عشر فان انقض منها شيء فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض
منها شيء فسيحدث في الدنيا امر عظيم فاستشعروا ذلك فلما بعث رسول الله

صلى الله عليه وسلم كان هو الامر العظيم الذي استشعروه فانزل الله تعالى والنجم
اذا هوى اي ذلك النجم الذي هوى هوي لهذه النوبة التي حدثت وقيل النجم
هنا البيت الذي له سناق وهوي اي سقط على الارض وقال جعفر بن محمد بن علي
بن الحسين والنجم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اذا هوى اذا نزل من السماء ليلة
المعراج وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لابن محمدا فلاودمنه فاتاه فقال
يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال
ما كان اعناك يا ابن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى
الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال ان هذه ارض مسبعة فقال
ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اغيثونا يا معشر قريش هذه هذه الليلة
فاني اخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا احمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء
الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان
من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع واصل
النجم الطلوع يقال نجم النبت ونجم فلان ببلدكذا اي رجع وخرج على السلطان
والهوي الرجوع والسقوط يقال هوي يهوي هويا مثل مضى يمضي مضيا قال
رهير نشجع بها الامة اعز وهي بهوي هوي الدلو اسلمها الرشا
" " وقال اخر " "
بينما نحن بالمذاكب فالقاع سراعا والعيس تهوي هويا
" " خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنا ما استطف مضيا
الاصمعي هوي بالفتح يهوي هويا اذا سقط الى اسفل قال وكذلك الهوي في السير
اذا مضى فيه وهوي والهوي لغتان بمعنى وقد جمعهما الشاعر في قوله
ومنزله لولا اي تحت كلهوي باجرامه من قله السهل منهوي
ويقال في الحب هوي بالكسر يهوي هوي اي اي احب قوله تعالى
ما ضل صاحبكم هذا جواب القسم اي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن الحق وما حاد
عنه وما غوي الغي ضد الرشد اي ما صار غاويا وقيل اي ما تكلم بالباطل وقيل
اي ما خاب مما طلب والغي الخيبة قال الشاعر
من يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
اي من خاب في طلبه لامه الناس فيجوز ان يكون هذا اخبارا عما بعد الوحي ويجوز
ان يكون اخبارا عن احواله على التعميم اي كان ابرا موحدا لله وهو الصحيح على ما بيناه
في السور في عند قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان قوله تعالى
وما ينطق عن الهوي ان هو الا وحي يوحى فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وما ينطق
عن الهوي قال قتادة اي وما ينطق بالقرآن عن هواه ان هو الا وحي يوحى اليه وقيل
عن الهوي اي بالهوي قال ابو عبيدة كقوله تعالى سل به خبيرا اي فسل عنه الخامس
قول قتادة اولي ويكون عن على بابها اي ما يخرج نطقه عن رأيه انما هو بوحي من الله
عز وجل لان بعده ان هو الا وحي يوحى الثانية قد يحتج بهذه الاية من لا يجوز
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في الحوادث وفيها ايضا دلالة على السنة
كالوحي المنزل في العمل وقد تقدم في مقدمة الكتاب حديث المقدام بن معدي في ذلك
ولله الحمد قال السجستاني ان سمعت ابدلت ان هو الا وحي يوحى من ما ضل
صاحبكم قال ابن الانباري وهذا غلط لان ان الخفيفة لا تكون مبدلة من ما الدليل
على هذا انك لا تقول والله ما قمت اذا بالقاعدة قوله تعالى علمه شديد
القوي يعني جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين سوي الحسن فانه قال
هو الله جل وعز ويكون قوله تعالى ذو مرة على قول الحسن تمام الكلام وسماه ذو
قوة والقوة من صفات الله تعالى واصله من شده من الحبل كانه استمر به الفتل
حتى بلغ الى غايته ما تضعف معها الحيل ثم قال فاستوي وهو بالافق
الاعلى اي استوي جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا على العطف على المضمر

المرفوع بحو واكرم العرب اذا اراد وا العطف في مثل هذا الموضع اظهروا كنا به وفلان وذ
• • واشتر العرا • • •
• • المرئ ان اسع نصلب عوده • ولا يستوي والحروع المتقصف • •
اي لا يستوي هو والحروع ونظيرها ابراكنا نمرابها وابا ونا والمعنى اذا كنا مرابا
نحن وابا ونا ومعنى الآية استوى جبريل هو ومحمد بالافق الاعلى
واجاز العطف على الضمير ليدل انه لم يتكرر وانكر ذلك الزجاج الا في ضرورة الشعر
وقيل المعنى فاستوى جبريل بالافق الاعلى وهو اجود واذا كان المستوي
جبريل فمعنى ذو مرة في وصفه ذو منظر حسن قاله ابن عباس وقال قتادة وخلق
طويل حسن وقيل معناه ذو صحة جسم وسلامة من الآفات ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي وذو امر القيس
• • وكنت فيهم ابرا ذا حيله يحكم المره ما مون العقد • •
وقد قيل ذو مرة ذو قوة وقال الكلبي وكانت شدة جبريل عليه السلام ان
اقتلع مدائن قوم لوط من الماء الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السماء
حتى سمع اهل السماء نباح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها وكان من شدته ايضا
انه انصرا بليس تكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة
فنفخه بجناحه لنحو الثناه باقصى جبل بالهند وكان من شدته صيحته بثمود هبوطه
في عددهم وكانوا تعدلوا صبحوا جاثمين حامدين وكان من شدته هبوطه من السماء
على الانبياء وصعوده اليها في اسرع من الطرف قال الشاعر فطرب يتول
العرب لكل جزل الراي حسن العقل ذو مرة وقال الشاعر
• • فوكلت قبل لقائكم مرة عبدي لكل مخاصم مراده • • •
وكانت حواله رايه وحصافة عقله ان الله ايتمنه الجميع رسله وجبه قال
الجوهري والمرة احد الطبايع الاربع والمرة القوة وشدة العقل ايضا ورجل مرير
اي قوي ذو مرة قال الشاعر تزي الرجل النحيف فتزدريه وحشو ثيابه
اسد مريره وقال لقيط • • • • • •
• • حتى استمرت على شزر مريرته مرا لعزيمة لا ريا ولا ضرعا • •
وقال مجاهد وقتادة ذو مرة ذو قوة ومنه قول خفاف بن زوبعة
• • اني امرؤ ذو مرة فاستغني في ما ينوب من الخطوب صليب • • •
فالقوة يكون من صفة الله عز وجل ومن صفة المخلوق فاستوى يعني جبريل
على ما بيننا اي ارتفع وعلا الى مكانه في السما بعد ان علم محمدا صلى الله عليه و
سلم قاله سعيد بن المسيب وابن جبير وقيل فاستوى اي قام في صورته التي
خلقه الله عليها لانه كان باتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما ياتي
الانبيا فيسا له النبي صلى الله عليه وسلم في ان يريه نفسه النبي جبريل الله عليهما
فاراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فاما في الارض ففي الافق الاعلى
وكان النبي صلى الله عليه وسلم بحرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الارض الى
المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل اليه في صورة الادميين
وضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فلما افاق النبي صلى الله عليه
وسلم قال يا جبريل ما ظننت ان الله خلق خلقا احدا على مثل هذه
الصورة فقال يا محمد انا نشرت جناحين من اجنحتي وان لي ستمايه جناح سعة
كل جناح ما بين المشرقين والمغربين فقال ان هذا لعظيم فقال وما انا في جنب ما خلق
الله الا يسيرا ولقد خلق الله اسرافيل له ستمايه جناح كل جناح منها قد رجميع
اجنحتي وانه ليضال احيانا من مخافة الله حتى يكون بقدر الوصع يعني العصفور
الصغير دليله قوله تعالى ولقد راه بالافق المبين واما في السما فعند السدرة
المنتهى ولم يره احد من الانبياء على تلك الصورة الا النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ثالث ان معنى واستوى اي استوى القران على صدره
وفيه على هذا وجهان احدهما في صدر جبريل حين نزل به عليه السلام
الثاني في صدر محمد صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه وقول رابع ان معنى
فاستوى فاعتدل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وفيه على هذا وجهان

احدهما فاعتذر في قوله الثاني في رسالته ذكرهما المأوردي فلم يعد
وعلي الاول يكون تمام الكلام ذو مرة وعلي الثاني يشديدا للتوكيد وقول
خامس انه معناه فاز ارتفع وفيه علي هذا وجهان احدهما انه جبريل
عليه السلام ارتفع علي مكانه علي ما انفا الثاني انه النبي صلي الله
عليه وسلم وقول سادس فاستوي نجي الله عز وجل
اي استوي علي العرش علي قول الحسن وقد مضي القول فيه في الاعراف
قوله تعالي وهو بالافق الاعلي جملة في موضع الحال والمعني
فاستوي عاليا اي استوي جبريل عاليا علي صورته ولم يكن النبي صلي الله
عليه وسلم قبل ذلك يراه عليها حتي سأله اياها علي ما ذكرنا
والافق ناحية السماء وجمعه افاق وقال قتادة هو الموضع الذي يأتي منه
الشمس وكذا قال سفيان هو الموضع الذي يطلع منه الشمس ونحوه عن
مجاهد ويقال افق وافق مثل عسر وعسر وقد مضي في حم السجدة
وعن ابن افق بالضم اي رافع وكذلك الانثي قال الشاعر

ارحل لمثلي واجود بلي ويجمل سكني افق كمثله

وقيل هو اي والنبي صلي الله عليه وسلم بالافق الاعلي يعني ليلة الاسراء وهذا ضعيف لانه يقال
استوي هو وفلان ولا يقال استوي وفلان الا في ضرورة الشعر
والصحيح استوي جبريل عليه السلام وجبريل بالافق الاعلي علي صورته
الاصلية لانه كان يتمثل للنبي صلي الله عليه وسلم في صورة رجل فاحب النبي
صلي الله عليه وسلم ان يراه علي صورته الحقيقية فاستوي في افق
المشرق لمثل الافق قوله تعالي ثم دنا فتدلي اي دنا جبريل بعد
استوائه بالافق الاعلي من الارض فتدلي فنزل علي النبي صلي الله عليه وسلم
بالوحي المعني انه لما راي النبي صلي الله عليه وسلم من عظمته ما راي
وهاله ذلك رده الله الي صورة آدمي حتي قرب من النبي صلي الله عليه
وسلم بالوحي وذلك قوله تعالي فاوحي الي عبده ما اوحي الله الي جبريل وكان
جبريل قاب قوسين او ادني قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وغيرهم
وعن ابن عباس ايضا في قوله تعالي ثم دنا فتدلي ان معناه ان الله تعالي
دنا من محمد صلي الله عليه وسلم وروي نحوه انس بن مالك عن النبي صلي الله
عليه وسلم والمعني دنا منه امره وحكمه واصل التدلي النزول الي الشيء حتي يقرب
منه ووضع موضع القرب قال لبيد

تدلي عليه قاهل وعلي الارض عنانا سه الطفل

وذهب الفراء الي ان الثاني في فتدلي بمعني الواو والتقدير ثم تدلي جبريل عليه
السلام ولكنه جائز اذا كان معني الفعلين واحدا او كالواحد كقولك انما انت
فقلت فقرب فدنا ودنا قرب وسعي فاساء واساء شتمني لان الشتم والاساءة
شيء واحد وكذلك قوله تعالي اقتربت الساعة وانشق القمر المعني واذا علم
انشق القمر واقتربت الساعة وقال الحربي في الكلام تقديم وتاخير
اي تدلي فدني لان التدلي سبب الدنو وقال ابن الانباري ثم تدلي جبريل
اي نزل من السماء فدني من محمد وقال ابن عباس تدلي الرفرف لمحمد صلي الله عليه
وسلم ليلة المعراج جلس عليه ثم رفع فدنا من ربه وتنيا في ومن قال المعني فا
استوي جبريل ومحمد بالافق الاعلي فدنا محمد من ربه دنو كرامة فتدلي
اي هوي للسجود وهذا قول الضحاك المشبه وقيل علي هذا تدلي مثل
بطئ بمعني بطئ وهذا بعيد لان الدلالة عليه مرصي في صفة المعبودية قوله
تعالي فكان قاب قوسين او ادني اي كان محمد من ربه او من جبريل قاب
قوسين او قدر قوسين عرفا قال ابن عباس وعطاء والفراء
والزمخشري فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت
تقديره وكان مقدار مسافة قربه مثل قاب فحذف هذه المضافات
كما قال ابو علي في قوله

وقد جعلتني من حزيمة اصبعا اي ذا مقدار مسافة اصبع

او ادنى اى على تقدير كم لقوله او يزيدون وفى الصحاح ويقول بينهما قاب قوسين وقيب قوس وقاب قوس وقيد قوس وقدر قوس وقرأ على بن زيد بن على قاد وقرئ قيد وقرد ذكره الزمخشرى والقاب ما بين المقبض والسية ولكل قوس قابان وقال بعضهم فى قوله تعالى قاب قوسين اراد قابى قوس فثناه وفى الحديث لقاب قوس احدكم فى الجنة وهو خير قدره خير من الدنيا وما فيها والقوس السوط وفى الحديث الصحيح عن ابى هريرة قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ولقاب قوس احدكم فى الجنة خير من الدنيا وما فيها وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف وفى القاب والله اعلم قال ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب الى الله من الله والى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى وانما دنو النبى صلى الله عليه وسلم وقربه منه ايانه عظيم منزلته وتشريف رتبته واشرافه على انوار معرفته ومشاهدة اسرار عجيب وقدرته ومن الله تعالى له مره وبا نعم وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول من قوله عليه السلام ينزل ربنا الى السماء الدنيا على احد الوجوه ينزول احسان وقبول واحسان قال ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب الناصبى وقوله وكان قاب قوسين او ادنى ثم جعل الضمير عايدا الى الله لا الى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضا المطالب واظهار السنى وانا له المنزلة والرتبة من الله تعالى ويتاول فيه ما يتاول فى قوله عليه السلام من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وتنجيل المامول وقد قيل ثم دنا جبريل من ربه فكان قاب قوسين او ادنى قاله مجاهد تدل عليه ما روى فى الحديث ان اقرب الملايكة من الله جبريل عليه السلام وقيل او بمعنى الواو اى قاب قوسين وادنى وقيل بمعنى بل اى بل ادنى وقال سعيد بن المسيب القاب صدر القوس الذى فيه حيث يشد عليه السيا الذى يجمع بينكبه صاحبه ولكل قوس قابان واحد قاصر ان جبريل قرب من محمد كقرب قاب قوسين وقال سعيد بن جبير وعطا وابو اسحاق الهمدانى وابو وايل شقيق بن سلمة فكان قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شئ وهو لغة بعض الحجازيين وقيل هى لغة ازد سنوة ايضا وقال الكسائى قوله فكان قاب قوسين او ادنى اراد قوسا واحدا اكتفى بالشائع

ومهمهين قذفين مرتين ٭ قطعتها بالسمت لا بالسمتين

اراد مهمها واحدا والقوس يذكر ويونث ممن انث قال تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس وفى المثل هو من جير قويس سهما والجمع قسى واقواس وقياس وانشد ابو عبيدة

٭ ونزل الاساور والقياسا ٭

والقوس ايضا نقنقة التمر فى الحلة اى الوعا والقوس برج فى السماء فاما القوس بالضم فصوم معه الراهب قال الشاعر وذكر امراة لا تستقيني وذي المسحين فى القوس قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى تفخيم للوحى الذى اوحى اليه وتقدم معنى الوحى وهو لغة الشئ بسرعة ومنه الوحا الوحا والمعنى فاوحى الله تعالى الى عبده محمد ما اوحى وقيل المعنى فاوحى الله الى عبده جبريل ما اوحى وقيل المعنى فاوحى صره الى عبد الله محمد ما اوحى اليه ربه قاله الربيع والحسن وابن زيد وقتادة قال قتادة اوحى الله الى جبريل واوحى جبريل الى محمد وقيل هذا الوحى هل هو مبهم لا يطلع عليه نحن ونعتد بالايمان به على الجملة او هو معلوم مفسر قولان للشافعى قال سعيد بن جبير قال اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى الله اليه ان الجنة حرام على الانبيا حتى تدخلها محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى اى لم يكذب محمد ليلة المعراج وذلك ان الله

انه اي جعل بصره في فواده حتى راى به تعالى وجعل تلك رؤية وقيل كانت رؤيا حقيقة
بالبصر والاول مروي عن ابن عباس في صحيح مسلم انه راه بقلبه وهو قول ابي ذر وجماعة
من الصحابة والتابعين قول انس وجماعة ومروي عن ابن عباس ايضا انه قال
ان الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
ايضا انما نحن بنو هاشم عند قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ومروي
عن محمد بن كعب قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ربك قال
رايته بفوادي مرتين ثم قرا ما كذب الفواد ما راى وقول ثالث انه راى حلا لله
وعظمته قاله الحسن ومروي ابو العالية قال سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل رايت ربك نهرا ورايت ورا النهر حجابا ورايت ورا الحجاب نورا ثم
اربعين ذلك وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت
ربك قال نورا اني اراه المعنى عليني من النور ونحوي منه ما منعني من ارويته
ودل على هذه الرواية الاخرى قال رايت نورا وقال ابن مسعود راى
جبريل على صورته مرتين ومروي هشام عن ابن عامر واهل الشام ما كذب
بالتشديد اي ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ما راى بعينيه تلك
الليلة على صدقه ما مفعول بغير حذف حرف مقدر لانه يتعدى بتشديد الغير
حرف ويجوز ان يكون ما بمعنى الذي والعايد محذوف ويجوز ان يكون مع
الفعل مصدرا اي ما كذب فواد محمد فيما راى فاسقط
حرف الصفة قال حسان

لو كنت صادقة الذي حدثتني ... لحقا لحرث بن هشام

اي في الذي حدثتني ويجوز ان يكون مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون
بمعنى الذي اي ما كذب فواد محمد الذي راى قوله تعالى افتمارونه
على ما يرى قرا حمزة والكسائي افتمرونه بفتح التا بغير الف على معنى افتجحدونه
واختاره ابو عبيد لانه قال لم تماروه وانما جحدوه فقال تمراه حقه
اي جحده ومريته انا قال الشاعر

لئن هجوت اخا صدق ومكرمة ... لقد مريت اخا ما كان يمريكا

اي جحدته وقال المبرد لقال مراه على حقه وعلى حقه اذا منعه
منه ودفعه قال وسئل علي عيسى عن قول بعض العرب رضي الله عليك
اي عنك وقرا الاعرج ومجاهد افتمرونه بضم التا من غير الف من مريت
اي يريبونه ويشككونه الباقون افتمارونه بالف اي تجادلونه وتدافعونه
حتى اكه راي الله والمعنيان متداخلان لان مجادلتهم جحود او قيل ان الجحود
كان دايما منهم وهذا جحد جديد قالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا
عن عيرنا التي في طريق الشام على ما تقدم قوله تعالى ولقد راه نزلة
اخرى مصدر في موضع الحال كانه قال ولقد راه نازلا نزلة اخرى
قال ابن عباس راى محمد ربه مرة اخرى بقلبه روى مسلم عن ابي
العالية عنه قال ما كذب الفواد ما راى ولقد نزلة اخرى قال
راه بفواده مرتين فقوله نزلة اخرى يعود الى محمد فانه كان له صعود ونزول
مرارا بحسب اعداد الصلوات المفروضة وكل عرجة نزلة وعلى هذا قوله
عند سدرة المنتهى اي دنا محمد عند السدرة المنتهى وفي بعض تلك النزلات
وقال ابن مسعود وابو هريرة في تفسير قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى
انه جبريل ثبت هذا ايضا في صحيح مسلم وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله
عليه وسلم رايت جبريل بالافق الاعلى له ستمائة جناح ينثر من ريشه
الدر والياقوت ذكره المهدوي قوله تعالى عند سدرة المنتهى عند
من صلة راه على ما بيناه والسدر شجر النبق وهي في السماء السادسة
وجا في السابعة والحديث بهذا في صحيح مسلم الاول رواه مرة عن
عبد الله قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى
سدرة المنتهى وهي في السما السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض
فيقبض منها واليه ينتهي ما يهبط به من الارض فيقبض منها واليه ينتهي

ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من
ذهب قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا اعطى الصلوات الخمس واعطى
خواتم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا المقحمات الحديث الثاني
رواه قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما رفعت لي سدرة
المنتهى فاذا اسما الله الابعة تسعى تمثل قلال هجر ورقها مثل اذان الفيلة يخرج
من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان قلت ياجبريل ما هذا قال
اما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات لعنط الدار قطني
والنبق بكسر الباء اسم لواحدة بنقه ويقال نبق بفتح النون وسكون
الباء ذكرهما يعقوب في الاصلاح وهي لغة المصريين والاول افصح وهي التي
ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن اسما بنت ابي بكر
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر له سدرة المنتهى
قال يسير الراكب في ظل الغصن منها مائة سنة او يستظل بظلها
مائة راكب شك يحيى فيها فراش الذهب كانه ثمرها الجراد قال
ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح قلت وكذا لفظ مسلم من حديث ثابت
عن انس ثم ذهب الى السدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها واختلف لم سميت السدرة المنتهى على اقوال ثمانية
الاول ما تقدم عن ابن مسعود ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد
من تحتها الثاني انه ينتهي علم الانبياء اليها ويعزب علمهم عما وراءها قاله ابن
عباس الثالث ان الاعمال ينتهي اليها ويقبض منها قاله الضحاك
الرابع لانتهاء الملائكة والانبياء اليها ووقوفهم عندها قاله كعب الخامس سميت
سدرة المنتهى لانها ينتهي اليها ارواح الشهداء قاله الربيع بن انس السادس
يأوي اليها ارواح المؤمنين قاله قتادة السابع لانه ينتهي اليها كل من كان على
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهاجه قاله علي رضي الله عنه والربيع بن انس
ايضا الثامن هي شجرة على رؤس حملة العرش اليها ينتهي علم الخلائق
قاله كعب قلت يزيد والله اعلم ان ارتفاعها واعالي اغصانها لما ورت
رؤس حملة العرش دليله ما تقدم من ان اصلها في السماء واعلاها في سماء السابعة
ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤس حملة العرش والله اعلم انما سميت بذلك لان من رفع اليها فقد انتهى به في الكرامة وعن ابي هريرة لما اسري
برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى السدرة المنتهى فقيل له هذه سدرة المنتهى
ينتهي اليها كل احد خلا من امتك على سنتك فاذا هي شجرة يخرج من اصلها انهار
من ماء غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار
من عسل مصفى واذا هي شجرة يسير الراكب المسرع في ظلها مائة عام لا يقطعها
والورقة منها تغطي الامة كلها ذكره الثعلبي قوله تعالى عندها جنة المأوى
تعريف موضع جنة المأوى وانها عند سدرة المنتهى وقرأ علي وابو هريرة وانس
وابو سبرة الجهني وعبد الله بن الزبير ومجاهد عندها جنة المأوى بعني جنة
المبيت قال مجاهد يريد اخيرا والها النبي صلى الله عليه وسلم وقال
الاخفش ادركهما تقول حسدا للبيل اي سيره وادركه وقراه الحاكم جنة المأوى
قال الحسن هي التي يصير اليها المتقون وقيل انها جنة تصير اليها ارواح الشهداء
قاله ابن عباس وهي عن يمين العرش وقيل الجنة التي اوى اليها ادم عليه
السلام الى ان اخرج منها وهي في السما السابعة وقيل ان ارواح
المؤمنين كلهم في جنة المأوى وانما قيل لها جنة المأوى لانها يأوي اليها ارواح
المؤمنين وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتسمون بطيب ريحها وقيل
لان جبريل وميكائيل يأويان اليها والله اعلم قوله تعالى اذ يغشى
السدرة ما يغشى قال ابن عباس والضحاك وابن مسعود واصحابه فراش من
ذهب ورواه مرفوعا ابن مسعود وابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم
في صحيح مسلم عن ابن مسعود وقال الحسن غشيها نور رب العالمين

ما ستار قال فراش من ذهب وقيل جراد من ذهب وقيل نور من الله حتى ما يستطيع احد ان ينظر
اليها وقال الربيع بن انس غشيها نور الرب والملائكة تقع عليها كما تقع الغربان
على الشجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت السدرة يغشاها فراش من
ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قائما يسبح وذلك قوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى ذكره المهدوي والثعلبي وقال انس بن مالك يغشى السدرة
ما يغشى قال جراد من ذهب وقد رواه مرفوعا وقال مجاهد انه رفرف اخضر
وعنه عليه السلام يغشى رفرف من طير خضر وعن ابن عباس غشيها رب
العزة اي امره كما في صحيح مسلم مرفوعا فلما غشيها من امر الله تعالى ما غشى وقيل
هو تعظيم الامر كانه قال اذ يغشى السدرة ما اعلم الله به من دلائل ملكوته وهكذا
قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وقوله والمؤتفكة اهوى فغشاها ما غشى ومثله
الحاقة ما الحاقة وقال الماوردي في معاني القرآن له فان قيل لم اختصت السدرة
لهذا الامر دون غيرها من الشجر قيل لان السدرة يجتمع بها ثلاثة اوصاف ظل مديد
وطعام لذيذ ورايحة ذكية فشابهت الايمان الذي يجمع قولا وعملا ونيتة
فظلها من الايمان بمنزلة العمل لحاورها وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورايحتها
بمنزلة القول لظهوره وقد روى ابو داود في سننه قال حدثنا نصر بن علي
قال حدثنا ابو اسامة عن ابن جريج عن عثمان بن ابي سليمان عن سعيد
ابن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن حبشي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قطع سدرة صوب الله راسه في النار رسل ابو داود عن معنى هذا
الحديث فقال هذا الحديث مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن
السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله راسه في النار
قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى قال ابن عباس اي ما عدل بصره يمينا
ولا شمالا ولا تجاوز الحد الذي راى وقيل ما لحا وزما امر به وقيل لم يمد بصره
الى غير ما راى من الايات وهذا وصف ادب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام
اي اذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا لقوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى
قال ابن عباس راى رفرفا سد الافق وذكر البيهقي عن عبد الله قال لقد راى
من ايات ربه الكبرى قال راى رفرفا سد ما بين السماء وعنه قال راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم جبريل عليه السلام في حلة رفرف اخضر قد ملا ما بين السموات والارض
قال البيهقي قوله في الحديث راى رفرفا يريد جبريل عليه السلام في صورته
على رفرف والرفرف البساط ويقال فراش ويقال بل هو ثوب كان لباسا له فقد روي
انه راه في حلة رفرف قلت خرجه الترمذي عن عبد الله قال ما كذب الفواد
ما راى قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حلة من رفرف قد ملا ما بين
السماء والارض قال هذا حديث حسن صحيح قلت وقد روي عن ابن عباس في قوله
تعالى دنى فتدلى انه على التقديم والتاخير اي تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من ربه قال فارفني جبريل وانقطعت
عني الاصوات وسمعت كلام ربي فعلى هذا الرفرف ما يقعد ويجلس عليه كالبساط
وغيره وهو بالمعنى الاول جبريل قال عبد الرحمن بن زيد ومقاتل بن حيان
راى جبريل في صورته التي يكون فيها في السموات وكذلك في صحيح مسلم عن عبد الله
قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال سدد ما تقول راى جبريل عليه السلام في صورته
له ستمائة جناح فلا يبعد مع هذا ان يكون في حلة رفرف وعلى رفرف والله اعلم
وقال الضحاك راى سدرة المنتهى وعن ابن مسعود راى ما غشى البصر السدرة من
فراش الذهب حكاه الماوردي وقيل راى المعراج وقيل هو ما راى تلك الليلة
في مسراه في عوده وبدره وهذا احسن دليل لنزوله من ايانتا ومن يجوز ان يكون هو
للتبعيض ويكون الكبرى مفعوله لراى وهي في الاصل صفة للايات ووجدت
لرؤس الايات وايضا يجوز نعت الجماعة بنعت الانثى كقوله وفيها ما رب
الاخرى وقيل الكبرى نعت محذوف اي راى من ايات ربه الاية الكبرى ويجوز ان
يكون من زائدة اي راى ايات ربه الكبرى وقيل فيه تقديم وتاخير اي راى الكبرى

من ايات

من ايات ربه ٭ افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى لما ذكر
الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر من اثار خذلانه ما ذكر حاج المشركين
اذ عبدوا ما لا يعقل وقيل افرايتم هذه الالهة التي يعبدونها اوحين التكلم
بشيء كما اوحي لمحمد وكانت اللات لثقيف والعزى لقريش وهي كنانة ومناة لبني
هاشم هلال وقال ابن هشام وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا فهدمها عام الفتح ثم اتخذوا اللات بالطايف وهي احدث
من مناة وكانت صخرة مربعة وكان سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بنا
وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمي زيد اللات وتيم
اللات وكانت في موضع مسجد الطايف البسرى فلم تزل كذلك الى ان
اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة
فهدمها وحرقها بالنار ثم اتخذوا العزى وهي احدث من اللات اتخذها طائفة
بن سعد وكانت بوادي نخلة الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتا كانوا
يسمعون من الصوت فقال ابن هشام وحدثني ابو عبيدة عن ابي صالح عن
ابن عباس قال كانت العزى شيطانة بايتي ثلاث سمرات ببطن نخلة فلما
افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد صلى الله عليه
فقال انت نخلة فاتك تخذ ثلاث سمرات فاعضد الاولى فاياها فعضدها ثم اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال رايت شيئا قال لا قال فاعضد
الثالثة فاتاها بحسيكة فاقشعر شعرها واضعة يدها على عاتقها بضرب
بها نيابها وخلفها دبيسة السلمي وكان سادنها فقال ٭ ٭ ٭ ٭ ٭
٭ ٭ ٭ ٭

من الاكبر في اللات والعزى في السكوت عليها فاللاه لانها هاء فصارت تاء في
الوصل وهي في تلك اللغة مثل كان من الامر كيت وكيت وكذلك هيهات
في لغة من كسر الا انه يجوز في هيهات ان يكون جماعة ولا يجوز ذلك في اللات
لان الياء لا يزاد في الجماعة الا مع الالف واللام وان حصلت الالف
واللام زايدتين تقي الاسم على حرف واحد قوله تعالى ومناة
الثالثة الاخرى قرا ابن كثير ومحيصن وحميد ومجاهد والسلمي والاعشى
عن ابي بكر ومناءه بالمد والهمز ابيا قون ينزن الهمز لغتان وقيل سمي بذلك
لانهم كانوا يراقون عنده الدماء يتقربون بذلك لانهم كانوا يرفعون عنده
الدماء يتقربون بذلك اليه وبذلك سميت منى لكثرة ما يراق فيها من الدماء وكان
الكسائي وابن كثير وابن محيصن يقفون بالها على الاصل انها قوت
بالتا اتباعا لخط المصحف وفي الصحاح ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة
والها للتانيث ويسكت عليها بالتا وهي لغة والشبه اليها منوي وعبد
مناة بن اد بن طابخة وزيد بن مناه بن تميم بن مره بعدو يقصر قال
هو ابن الحارثي
الاهل اتى اللات بن عبد مناه على الشن يما بينا ابن تميم
الثالثة الاخرى العرب تقول للثالثة الاخرى وانما الاخرى
نعت للثانية واختلفوا في وجهها فقال الخليل انما قال
ذلك لوقاف رؤس الاي كقوله ما ارب اخرى ولم يقل اخر وقال
الحسين بن الفضل في الابتدا تقديم وتاخير كانها اقرا ايتم اللات والعزى
الاخرى ومناة الثالثة وقيل انما قال ومناة الثالثة الاخرى لانها
كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم بعد اللات والعزى في الكلام على
سقر وقد ذكرنا عن ابن هشام ان مناة كانت اولا في التقديم فلذلك
كانت مقدمة عندهم في التعظيم والله اعلم وفي الابتدا حذف دل عليه
الكلام اي اخبرتم هذه الالهة هل نفعت او ضر بحيث يكون مشركا لله
ثم قال على جهة التقريع والتوبيخ الكم الذكر وله الانثى رد اعليهم قولهم
الملايكة بنات الله والاصنام بنات الله قوله تعالى تلك اذا
قسمة بعني هذه التسمية قسمة ضيزى جايرة عن العدل حايدة عن
الصواب مايلة عن الحق يقال ضاز في الحكم اذا جار وضازه حقه يضيزه
ضيزا عن الاخفش اي نقصه وبخسه قال وقد يهمز فيقال قد ضازه
يضازه ضازا وانشد
تخال مضوز وانفك راغم
اوله
فان تناعنا ينتقصك وان تغب فقسمك مضوز وانفك
راغم وقال الكسائي يقال ضاز يضيز وضازا يضوز ضوزا ويقال
يصار ضارا اذا تغدى وظلم وبخس وانتقص قال
صارت بنو اسد بحكمهم اذ يجعلون الراس كالذنب
وقوله تعالى قسمة ضيزى اي جايرة وهي فعلى مثل طوبى وحبلى واما كسرا
الصاد لتسليم الياء لانه ليس في الكلام فعلى صفة وانما هو مبنى للاسما
كالسوى والدملى قال الفراء بعض العرب تقول ضازني وضوزني
بالهمز وحكى ابو حاتم عن ابي زيد انه سمع العرب يهمز ضيزى قال غيره وبها
قرا ابن كثير جعله مصدرا مثل ذكرى وليس بصفة اذ ليس في الصفات فعلى
ولا يكون اصلها فعلى اذ ليس فيها ما توجب فيها ما يوجب القلب
وهي من قولهم ضازه اي ظلمه فالمعنى قسمة ذات ظلم وقد قيل هما لغتان
بمعنى وحكي فيها ايضا سواها ضيزى وضازا وضوزى ومضوزى وقال
المبرد كرهوا ضم الضاد وضيزى وخافوا انقلاب الواو ياء وهي من بنات
الواو فكسروا الضاد لهذه العلة كما قالوا في جمع ابيض بيض والاصل
بوض مثل حمر وصفر وخضر فاما من قال ضاز يضوز فالاسم منه ضوزى مثل
شورى قوله تعالى ان هي الا اسما سميتموها اي ما هي يعني هذه الاوثان
الا اسماء سميتموها يعني حكموها وسميتموها الهة انتم واباؤكم اي قلدتموهم

في ذلك

فى ذلك ما انزل الله بها من سلطان اى ما انزل الله بعبادتها حجة ولا برهانا ان يتبعون
الا الظن عاد من الخطاب الى الخبر اى ما يتبع هؤلاء الا الظن وما تهوى الانفس
اى تميل اليه وقراءة العامة يتبعون بالياء وقرأ عيسى بن عمر وابو عمرو وابن
اسميفع يتبعون بالتاء على الخطاب وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس ولقد
جاءهم من ربهم الهدى اى البيان من جهة الرسول انها لتشفع
بالهة ام للانسان ما تمنى من غير حرا وليس الامر كذلك وقيل ام للانسان
ما تمنى من النبوة ان يكون فيه دون غيره وقيل ام للانسان ما تمنى من
شفاعة الاصنام نزلت فى النضر بن الحرث وقيل الوليد بن المغيرة
وقيل فى سائر الكفار فلله الاخرة والاولى يعطى من يشاء ويمنع من يشاء
لا ما تمنى احد قوله تعالى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا
الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى هذا توبيخ من الله لمن عبد الملائكة
والاصنام وزعم ان ذلك تقربه الى الله فاعلم ان الملائكة مع كثرة عددهم وكرامتهم
على الله لا يشفع الا لمن اذن ان يشفع له قال الاخفش الملك موحد ومعناه
جمع وهو كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وقيل انما ذكر ملكا واحدا
لان كم تدل على الجمع قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة هم الكفار
الذين قالوا الملائكة بنات الله والاصنام بنات الله ليسمون الملائكة
تسمية الانثى اى يعتقدون ان الملائكة اناث وانهم بنات الله وما لهم
بذلك من علم اى انهم لم يشاهدوا خلقة الملائكة ولم يسمعوا ما قالوه
من رسول ولم يروه فى كتاب ان يتبعون اى ما يتبعون الا الظن فى ان الملائكة
بنات الله وانات وان الظن لا يغنى من الحق شيئا قوله تعالى فاعرض
عن من تولى عن ذكرنا يعنى القرآن والايمان وهذا منسوخ بآية السيف
ولم يرد الا الحياة الدنيا نزلت فى النضر وقيل فى الوليد ذلك مبلغهم من العلم
اى انما تنصرون امور دنياهم ويجعلون امر دينهم قال الفراء اصغرهم
وارد ربك بهم اى ذلك قدر عقولهم ونهاية علمهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل
انجعلوا الملائكة والاصنام بنات الله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
اى حاد عن دينه وهو اعلم بمن اهتدى فيجازيكلا بما عمل قوله تعالى ولله ما
فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين اللام متعلقة بالمعنى الذى دل عليه ولله
ما فى السموات وما فى الارض كانه قال هو مالك ذلك ليهدى من يشاء ويضل من
يشاء ليجزى المحسنين باحسانه والمسيئ باساءته وقيل لله ما فى السموات
وما فى الارض ستعرض فى الكلام والمعنى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بمن اهتدى ليجزى وقيل هى لام العاقبة اى ولله ما فى السموات
وما فى الارض اى وعاقبة امر الخلق ان يكون بينهم مسيئ ومحسن فللمسيئ
السوء وهى جهنم وللمحسن الحسنى وهى الجنة قوله تعالى الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى الذين
يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى
الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش هذا نعت للمحسنين اى هم لا يرتكبون
كبائر الاثم وهو الشرك لانه اكبر الاثام وقرأ الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة
والكسائى كبير على التوحيد وفسره ابن عباس بالشرك والفواحش الزنا
وقال مقاتل كبائر كل ذنب ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد وقد مضى فى
اكسا القول فى هذا ثم استثنى استثناء منقطعا وهى المسئلة الثانية فقال
الا اللمم وهى الصغائر الذى لا يسلم من الوقوع فيها الا من عصمه الله وحفظه وقد
اختلف فى معناه فقال ابو هريرة وابن عباس والشعبى اللمم كل ما دون الزنا
وذكر مقاتل بن سليمان ان هذه الاية نزلت فى رجل كان يسمى بنبهان اليمار كان
لا يحانوت ببيع فيه تمرا فجاءه امرأة تشترى منه تمرا فقال لها ان دخل الدكان
ما هو خير من هذا فلما دخلت راودها فابت وانصرفت فندم نبهان فاتى رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما من شئ يصنعه الرجل
الا وقد فعلته الا الجماع فقال لعل زوجها غاز فنزلت هذه الاية وقد مضى فى اخر

هود وكذا قال ابن مسعود وابو سعيد الخدري وحذيفة ومسروق ان اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة والنظرة ونحو ذلك الرجلين المشي وانما يصدق ذلك او يكذبه العوج فان تقدم كان زنا وان تاخر كان لمما وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه والمعنى ان المعصية العظيمة والزنا التام الموجب للحد في الزنا والعقوبة في الاخرة هو العوج وغيره لحظ من الاثم والله اعلم وفي رواية ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه على الزنا مدرك ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه خرجه مسلم وقد ذكره الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس ايضا فذكر فيه الاذن واليد والرجل ولم يذكر فيه بعد العين واللسان وزنا الشفتين القبلة فهذا قول وقال ابن عباس ايضا هو الرجل يلم بالذنب ثم يتوب قال الم يسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول

ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما

رواه عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال النحاس هذا اصح ما قيل فيه ولجلها اسنادا وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله عز وجل الا اللمم قال هو ان يلم بالذنب ثم لا يعاوده قال الشاعر

ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما

وكذا قال مجاهد والحسن هو الذنب يأتي الذنب ثم لا يعاوده وعن الزهري قال اللهم ان يزني ثم يتوب فلا يعود وان يسرق او يشرب الخمر ثم يتوب فلا يعود ودليل هذا التأويل قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله الاية كما قال غفرت اللهم ان ذنبي واسع المغفرة فهذا على هذا التأويل يكون الا اللهم استثناء منفصلا قال عبد الله ابن عمرو بن العاصي اللمم ما دون الشرك وقيل اللمم الذنب بين الحدين وهو ما لم يأت عليه حد في الدنيا ولا يوعد عليه بعذاب في الاخرة كنحو الصلوات الخمس قاله ابن زيد وعكرمة والضحاك وقتادة ورواه العوفي والحكم ابن عيينة عن ابن عباس وقال الكلبي اللمم عن وجهين كل ذنب لم يذكر الله عز وجل عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي يكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش والوجه الاخر هو الذنب العظيم يلم به الانسان المرة بعد المرة فيتوب منه وعن ابن عباس ايضا وابو هريرة وزيد بن ثابت هو ما سلف في الجاهلية فلا يواخذهم به وذلك المشركين قالوا للمسلمين انا كنتم بالامس يعملون معنا فنزلت وقاله زيد بن اسلم وهو كقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقيل اللمم هو ان يأتي بذنب ثم لا يكن له به عادة قاله نفطويه قال والعرب تقول ما بانينا الا الما ما في الحين بعد الحين قال ولا يكون ان يلم ولا يفعل لان العرب لا تقول الم بنا الا اذا فعل الانسان لا اداهم ولم يفعل وفي الصحاح والم الرجل بالذنب اللمم وهو مقاربة المعصية من غير مواقعة وانشد غير الجوهري

يرتب الملم قبل ان يرحل الركب وقبل ان يلبنا لما سلك الثقلب اي

اذهب وقال عطاء بن ابي رباح اللمم عادة النفس الحين بعد الحين وقال سعيد بن المسيب هو الملم على الذنب اي خطر وقال محمد بن الحنفية كل ما همت به من خير او شر فهو لمم ودليل هذا التأويل قوله عليه السلام ان الشيطان لمة وللملك لمة الحديث وقد مضى في البقرة عند قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر وقال ابو اسحاق الزجاج اصل اللمم والالمام ما يجهله الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه يقال الممت به اذا زرته

وانصرفت عنه ويقال ما فعلته الا لمما ولماما اي الحين بعد الحين واغمار بارد
الهام ومنه الهام الخيال قال الاعشى

• • الرحال من قبيل بعد ما وهي حبلها من جبلنا فتضرما •

وقيل الا بمعنى الواو وانكر هذا الفراء وقال المعنى الا التقارب من صغار الذنوب
وقيل اللمم النظرة التي يكون فجاءة قلت هذا فيه بعد اذ هو معفو عنه
ابتداء غير مواخذ به لانه يقع من غير قصد واختيار وقد مضى في النور واللمم
ايضا طرف من الجنون ورجل ملموم اي به لمم ويقال ايضا اصابت فلانا الممة
من الجن وهي المس والتي للقليل قال • فاذا ذاك يا لبيشة لم تكن الا كلمة
حالم عنال انا لله فقوله تعالى ان ربك واسع المغفرة لمن تاب عن ذنبه
واستغفر قاله ابن عباس وقال ابو ميسرة عمرو بن شرحبيل وكان من افاضل اصحاب
ابن مسعود رايت في المنام كاني دخلت الجنة فاذا اقباب مضروبة فقلت لمن هذه
فقالوا لذي الكلاع وحوشب وكانا ممن قتل بعضهم بعضا فقلت وكيف ذلك
قالوا انهما لقيا الله فوجدا ربا واسع المغفرة قال ابو خالد يعني ان ذا الكلاع اعتق اثنى
عشر الف نسمة فقوله تعالى هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض
يعني انا كم ادم من الطين وخرج اللفظ على الجميع قال المزني ابو عبد الله وليس
هو كذلك عندنا بل وقع الاسم على المزبر التي رفعت من الارض وكنا جميعا في تلك
المزبرة التي رفعت من الارض وكنا جميعا في تلك المزبرة وفي تلك الطينة ثم خرجت
من الطينة المياه الى الاصلاب مع درء النفوس على اختلاف هيئتها ثم استخرجها
من صلبه على اختلاف الهيات منهم كالدرسلالا وبعضهم اقوى من بعض ومنهم
سود الحمة وبعضهم اشد سوادا من بعض فكان الانشاء واقعا عليها وعليه
حدثنا عيسى بن حماد المصري قال نا بشر بن بكر قال حدثنا الاوزاعي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض علي الاولون والاخرون
بين يدي حجرتي هذه الليلة فقال قائل يا رسول الله ومن مضى من
الخلق قال نعم عرض علي ادم فمن دونه فهل كان احد قالوا ومن اي اصلاب
الرجال وبطون الامهات قال نعم مثلوا في طينتهم كما علم ادم الاسماء
كلها قلت وقد تقدم في اول الانعام ان كل انسان يخلق من طين البقعة
التي يدفن فيها واذا تم اجتمع جميعه وهو الولد ما دام في البطن
سمي جنينا لاجتنابه واستتاره وقال عمرو بن كلثوم •

هجان اللون لم تقرا جنينا • وقال مكحول

كنا اجنة في بطون امهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي ثم صرنا مراضع
فهلك منا من هلك ثم صرنا فيمن بقي ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا
فيمن بقي ثم صرنا شيوخا فهلك منا من هلك لا ادا لك مما بعد هذا ينتظر
وروى ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن ثابت بن الحرث الانصاري قال
كانت اليهود تقول اذا هلك لهم صبي صغير هو صديق فبلغ النبي صلى الله عليه
وسلم فقال كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن امه الا انه شقي وسعيد
فانزل الله تعالى عند ذلك هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض الى احوالها ونحوه
عن عايشة كانت اليهود بمثله • فلا تزكوا انفسكم اي لا تمدحوها واثنوا عليها
قاله ابن عمر وقتادة وابن زيد وقيل لا تزكوا انفسكم اي لا تطهروها
قاله ابن عمر ومن اتقى اي اخلص العمل وابتغى
عقوبة الله عن الحسن وغيره قال الحسن قد علم الله سبحانه كل نفس ما هي عاملة
وما هي صانعة والى ما هي صائرة وقد مضى في النساء الكلام في معنى هذه الاية
عند قوله تعالى الم تر الى الذين يزكون انفسهم فتامله هناك وقال ابن عباس
ما سمي احد من هذه الامة ازكيه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
ارايت الذي تولى الايات لما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكروا
حد امتهم معنيا بسوء فعله قال مجاهد وابن زيد وقاتل نزلت في الوليد بن
المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض
المشركين وقال له تركت بن الاشياخ وضلالهم وزعمت انهم في النار فقال حسبت
عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيئا مكرما له ورجع الى شركه ان بخل

عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيئا من ماله ورجع الى شركه ان يحمل عذاب الله ففعل
فاعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن الوليد مدح القرآن ثم امسك عنه فنزل
واعطى قليلا واكدى اي من الخير بلسانه واكدى اي قطع ذلك وامسك عنه
وعنه انه اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد الايمان ثم تولى فنزلت افرايت
الذي تولى الاية وقال ابن عباس والسدي والكلبي والمسيب بن شريك نزلت في
عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يتصدق ويتفق في الخير فقال له اخوه من الرضاعة
عبد الله بن ابي سرح ما هذا الذي يصنع يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان
لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضى الله عنه وارجو عفوه فقال له عبد الله
اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك ذنوبك كلها ففعل واعطاه واشهد عليه وامسك
عن بعض ما كان يصنع فانزل الله تعالى افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى فعاد
عثمان الى احسن ذلك واجمله وكره الواحدي والثعلبي وقال السدي ايضا نزلت
في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل بن هشام قال والله ما مر
بحد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى وقال الضحاك هو
النضر بن الحرث اعطى خمس قلائص لعقبة من المهاجرين حتى ارتد عن دينه وضمن
له ان يتحمل عنه ما ثم رجوعه واصل اكدى من الكدية يقال لمن حفر حفرة يسيرة ثم بلغ
الى حجر لا يتهيأ له فيه حفر قد اكدى ثم استعملته العرب لمن اعطى ولو تيمم ولم
طلب شيئا فلم يبلغ اخره قال الخطيبي

• فاعطى قليلا ثم اكدى عطاه • ومن بيدل المعروف في الناس يحمد •

قال الكسائي وغيره اكدى الحافر واحبل اذا بلغ في حفره كديه او حبلا فلا
يمكنه ان يحفر وحفر فاكدى اذا بلغ الى الصلب ويقال كديت اصابعه اذا صلبت
من الحفر وكدت يده اذا كلت فلم يعمل شيئا وكدى المبيت اذا قل ريعه وكدت
الارض تكدو اكدوا فهي كادية اذا ابطأ نباتها عن ابي زيد واكديت الرجل عن
الشيء رددته واكدى الرجل اذا قل خيره وقوله واعطى قليلا واكدى اي قطع
القليل قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى اي اعند هذا المكدي علم ما غاب
عنه من امر العذاب فهو يرى اي يعلم ما غاب عنه من امر الاخرة وما يكون من امره
حتى يضمن حمل العذاب عن غيره وكفى بهذا جهلا وحمقا وهذه الرؤية هي المتعدية
الى مفعولين والمفعولان محذوفان كانه قال فهو الغيب مثل الشهادة قوله
تعالى ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم اي وصحف ابراهيم الذي وفى
كما في سورة الاعلى صحف ابراهيم وموسى اي لا تؤخذ نفس بدلا عن اخرى كما قال
ان لا تزر وازرة وزر اخرى وخص صحف ابراهيم وموسى بالذكر لانه كان ما بين
نوح وابراهيم يأخذ الرجل بجريرة ابيه وابنه قاله الهذيل بن شرحبيل وان هذه
المخففة من الثقيلة وموضعها جر بدل من ما او يكون في موضع رفع على اضمار
هو وقرأ سعيد بن جبير وقتادة وفي خفيفة ومعناها صدقت في قوله وعمله وهي
راجعة الى موسى قراءة الجماعة وفي بالتشديد اي قام بجميع ما فرض عليه فلم يجزم منه
شيئا وقد مضى في البقرة عند قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية
الاتمام وقال ابن كيسان الوراق قام بشرط ما ادعي وذلك ان الله تعالى قال له
اسلم قال اسلمت لرب العالمين فطالبه الله بصحة دعواه فطالبه في ماله وولده
ونفسه فوجده وافيا فذلك قوله تعالى وابراهيم الذي وفى اي دعي الاسلام
ثم صحح دعواه وقبل وفي عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار رواه الهيثم عن ابي
امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى سمرة بن سعد السماعيدي عن ابيه انه
اخبرهم لم سمي الله خليله ابراهيم الذي وفى لانه كان يقول كلما اصبح وامسى فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون الاية ورواه سمرة بن سعد عن انس عن ابيه عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقبل وفى اي وفى ما ارسل به وهو قوله ان لا تزر وازرة وزر
اخرى قال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الوصل بذنب غيره ويأخذون
الولي بالولي في العمد والجراح فيقتل الرجل بابيه وابنه واخيه وعمه وابن عمه
وقريبه وزوجته وزوجها وعبده فبلغهم ابراهيم عليه السلام عن الله تبارك وتعالى

ان لا تزر

ان لا تزر وازرة وزر اخرى وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير في قوله تعالى
ومن عمل بما امر به وبلغ رسالات ربه وهذا حسن لانه عام وكذا قال
مجاهد وفي بما امر به بما فرض عليه وقال ابو مالك الغفاري قوله تعالى ان لا تزر
وازرة وزر اخرى الى قوله تعالى فبأي الاء ربك تتمارى ان لا تزر وازرة وزر
اخرى في صحف ابراهيم وموسى وقد مضى في اخر الانعام القول في ولا تزر وازرة وزر
اخرى مستوفى في قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى روي عن ابن عباس
انها منسوخة بقوله تعالى والذين امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم
ذريتهم فيحصل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان ابيه ويشفع الله تعالى
الاباء في الابناء والابناء في الاباء يدل على ذلك قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا فرضه وقال اكثر اهل التأويل هي محكمة ولا ينفع احدا عمل احد ولجمع
انه لا يصلي احد عن احد ولم يجزم مالك الصيام والصدقة والحج عن الميت الا انه
قال اذا اوصى بالحج وما ان جاز ان يحج عنه واجاز الشافعي الصيام وغيره الحج التطوع
عن الميت وروي ان عائشة رضي الله عنها اعتكفت عن احد ابويها عبد الرحمن واعتقت
عنه وروي ان سعد بن عبادة قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت
افا تصدق عنها قال نعم قال فاي الصدقة افضل قال سقي الماء وقد مضى
جميع هذا مستوفى في البقرة وال عمران والاعراف وقد قيل ان الله عز وجل انما قال
وان ليس للانسان الا ما سعى فاذا تصدق عنه غيره فليس يجب له شيء الا ان
الله عز وجل يتفضل عليه بما لم يجب له كما يتفضل على الاطفال بادخالهم
الجنة بغير عمل وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان الا ما سعى يعني
الكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره قلت وكثير من الاحاديث
تدل على هذا القول وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره وقد تقدم
كثير منها لمن تاملها وليس في الصدقة اختلاف كذا في صدر كتاب مسلم عن عبد
الله بن المبارك وفي الصحيح اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث وفيه
او ولد صالح يدعو له وهذا كله بفضل من الله عز وجل كما ان زيادة الاضعاف
فضلا منه كتب لهم بالحسنة الواحدة عشر الى سبعمائة ضعف الى الف الف حسنة
كما قيل لابي هريرة اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى
ليجزي على الحسنة الواحدة الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي
على الحسنة الواحدة الفي الف حسنة فهذا بفضل وطريق الجدل ان ليس للانسان
الا ما سعى قلت ويحتمل ان يكون قوله وان ليس للانسان الا ما سعى خاص
في السيئة بدليل ما في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى اذا هم بحسنة عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة
فان عملها كتبتها عشر حسنات الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها
لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة وقال ابو بكر الوراق الا ما سعى
الا ما ينوي بيانه قوله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس يوم القيمة
على نياتهم قوله تعالى وان سعيه سوف يرى اي سوف يريه الله جزاءه
يوم القيامة ثم يجزاه اي يجزاه الجزاء الاوفى قال الاخفش يقال
جزيته الجزاء وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما قال الشاعر

* ان اجز علقمة بن سعد سعيه * لم اجزه بلاء يوم واحد *

يجمع بين اللغتين قوله تعالى وان الى ربك المنتهى اي المرجع والمرد والمصير
كيما قف ويتيب وقيل منه ابتدا المنتهى واليه انتهاؤها الامان وعن ابي بن كعب
قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب
وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الله تعالى وانتم قلت
ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا
من خلق كذا حتى يقول له من خلق الله ربك بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته
وقد تقدم في اخر الاعراف ولقد احسن من قال

* ولا تفكرن في ذي العلى عز وجهه * فانك ان تردى ان تعلت وتخذل *
* ودونك في مصنوعاته فاعتبرها * وقل مثل ما قال الخليل المبجل *

وانه هو اضحك وابكى وانه هو اماث واحيى وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشاة الاخرى وانه هو اغنى واقنى
ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه فلا فاعل الا هو وفي صحيح مسلم
عن عايشة قالت لا والله ما قاله له رسول الله صلى الله عليه وسلم قط اذ المبت
يعذب ببكا احد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكا اهله عذابا وان الله لهو
اضحك وابكى وما تزر وازرة وزر اخرى وعنها قالت مر النبي صلى الله عليه وسلم
على قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا فنزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو اضحك وابكى فرجع
اليهم فقال ما لخطوت اربعين خطوة حتى اتاني جبريل فقال انت هولاء فعل لم
ان الله يقول هو اضحك وابكى اي قضى اسباب الضحك والبكا وقال عطا بن
ابي مسلم يعني افرح واحزن لان الفرح محلب الضحك والحزن محلب البكا وقيل
لعمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال والله والايمان
اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ونزتقدم هذا المعنى في النمل وبراءة
قال الحسن اضحك اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وقيل اضحك من
شا في الدنيا بان سره وابكى من شا بان غمه الضحاك اضحك الارض بالنبات
وابكى السما بالمطر وقال ذو النون اضحك قلوب المؤمنين والعارفين
بشمس معرفته وابكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة نكرته ومعصيته
وقال سهل بن عبد الله اضحك المطيعين بالرحمة وابكى العاصين بالسخط
وقال محمد بن علي الترمذي اضحك المؤمن في الاخرة وانكاره في الدنيا
وقال هشام بن عبد الله اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم وانشد

• • اسن يضحك والاحشا تحترق • وانما ضحكها زور ومختلق •
• • يا رب باك بعين لا دموع لها • ورب ضاحك سن ما به رمق •

وقيل ان الله خص الانسان بالضحك والبكا من بين سائر الحيوان
وليس في سائر الحيوان من يضحك وسلى غير الانسان وقد قيل ان الفرد وحده
يضحك ويبلى غير الانسان وقد قيل ان الفرد وحده يضحك ولا يبكى وان الابل
وحدها تبكي ولا تضحك وقال يوسف بن الحسين سئل طاهر المقدسي هل
تضحك الملايكة فقال ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت
جهنم وانه هو اماث واحيى اي قضى اسبابه الموت والحياة وقيل خلق
الموت والحيا كما قال هو الذي خلق الموت قاله ابن بحر وقيل اماث الكافر
بالكفر واحيا المؤمن بالايمان قال الله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه الاية
وقال الحسن مما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله على ما تقدم
واليه يرجع قول عطا اماث بعدله واحيا بفضله وقول من قال اماث
بالمنع والبخل واحيا بالجود والبذل وقيل اماث النطفة واحيا النسمة
وقيل اماث الاباء واحيا الابنا وقيل يريد بالحيا ان الخصب وبالموت الجدب
وقيل انام وايقظ وقيل اماث في الدنيا واحيا بالبعث وانه خلق الزوجين
اي الذكور والاناث من اولاد ادم ولم يزد ادم وحوا لانهما ما خلقا من نطفة
والنطفة الماء ايما اختا سميل وانما ذكرا له رب الشعرى وان كان ربا
لغيره لان العرب كانت تعبده فاعلمهم الله عز وجل ان الشعرى مربوب وليس
برب واختلف فيمن كان يعبده فقال السدي كانت تعبده حمير وخزاعة وقال
غيره اول من عبده ابو كبشة احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته
وبذلك كانوا مشركي قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة
حين دعا الى الله وخالف اديانهم وقالوا ما لقينا من ابن ابي كبشة وقال
ابو سفيان يوم الفتح وقد وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم تمر عليه لقد امر امر ابن ابي كبشة وقد كان من لا يعبد الشعرى
من العرب ويعظمها ويعتقد تاثيرها في العالم قال الشاعر

• • مضى الدهر والا ترتجي الدهر عوده • واعجب ما ارها الشعرى العبوره •

وقيل ان العرب تقول في حروفها ان سميلا والشعرى كانا زوجين فاحدر

سميل

سهيل فصار ريحا بايا فاتبعته السعري العبور فحرقت المجره فسميت العبور واقامت
العيصا لانها اخفى من الاخريين ﴿ وانه اهلك عادا الاولى لانهم كانوا من قبل ثمود
وقيل ثمود من نسل عاد قال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانها اول امة اهلكت
بعد نوح عليه السلام وقال ابن اسحاق هما عادان فالاولى اهلكت بالريح
الصرصر ثم كانت الاخرة فاهلكت بصيحة وقيل عاد الاولى هو عاد بن
ارم بن اوص بن سام بن نوح وعاد الاخيرة من ولد عاد الاولى والمعنى متقارب
وقيل ان عادا الاخرة الجبارون وهم قوم هود وقراة العامة عادا الاولى بتبيان
والتنوين والهمز وقرا نافع وابن محيصن وابو عمرو عادا لولى بنقل حركة
الهمزة على اللام وادغام التنوين فيها الا ان قالون والمسيبي يظهرون
الهمزة ساكنة وعليها ابو قورة واوا على اصلها والعرب تقلب هذا التقلب
فيقولون هم لان عنا وصم لا بيتين اي فم الاثنين وصم الاثنين وثمود اما ابقى
فما ابقى ثمودهم
قوم صالح اهلكوا بالصيحة فما ابقى ثمودا وثمود قد تعذر وانتصب على العطف على
عاد وقوم نوح من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى وذلك لطول مدة
قوم نوح فيهم حتى كان الرجل فيهم ياخذ بيد ابنه فينطلق به الى نوح فيقول
احذر هذا فانه كذاب ابي وان ابي قد نهاني عن هذا وقال لي مثل ما قلت لك فيموت
الكبير على الكفر وينشا الصغير على وصية ابيه وقيل الكناية ترجع الى كل من ذكر
من عاد وثمود وقوم نوح اي كانوا اكثر من مشركي العرب واطغى فيكون بيانا
ويعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وكانه يقول له فاصبر انت ايضا فالعاقبة
الحميدة لك والموتفكة اهوى يعني مدائن قوم لوط ائتفكت به اي انقلبت وصار
عاليها سافلها يقال فكته اي قلبته وصرفته اهوى اي خسف بهم بعد رفعهم
الى السماء رفعها جبريل ثم اهوى بها الى الارض قال المبرد جعلها يهوي ويقال
هوى بالفتح يهوي هويا اي يسقط واهوى اي اسقط تغشاها ما غشى اي
اي البسها ما البسها من الحجارة قال الله تعالى فجعل عاليها سافلها وامطرنا
عليها حجارة من سجيل وقيل الكناية ترجع الى جميع هذه الامم اي غشاها من
العذاب ما غشى وانهم لان كلا منهم اهلك بضرب غير ما اهلك الاخر وقيل هذا
تعظيم الامر فاي الاء ربك تتمارى اي فباي نعم ربك سبحانه يشك والمخاطبة
للانسان المكذب والالاء النعم واحدها الى والى والي وقرا يعقوب تتمارى بادغام
التاء الاخرى والتشديد قوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى قال ابن جريج
ومحمد بن كعب يريد ان محمدا صلى الله عليه وسلم نذير الحق الذي انذر قبله الانبيا
قبله فان اطعتموه الحتم والاحل بكم ما حل بمكذبي الرسل السالفة وقال
قتادة يريد القران والله نذير بما انذرت به الكتب الاولى وقيل اي هذا
الذي اخبرنا به من اخبار الامم الذي هلكوا بحوف لهذه الامة من ان ينزل
بهم ما نزل باولئك من النذر اي مثل النذر والنذير في قول يعني الانذار هو
كالنكير بمعنى الانكار اي هذا انذاركم وقال ابو مالك هذا الذي انذركم
به من وقائع الامم الخالية هو في صحف ابراهيم وموسى وقال السدي اخبرني
ابو صالح قال هذه الحروف التي ذكرها الله تعالى من قوله عز وجل ام لم ينبا
بما في صحف ابراهيم وموسى وقال السدي اخبرني ابو صالح قال هذه الحروف
التي ذكر الله تعالى من قوله عز وجل ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى
الى قوله هذا نذير من النذر الاولى كل هذه في صحف ابراهيم وموسى قوله
تعالى ازفت الازفة اي قربت الساعة ودنت القيمة وسماها ازفة
لقرب قيامها عنده كما قال ونراه قريبا وقيل سماها ازفة
لدنوها من الناس وقربها منهم يستعدوا لها لان كل ما هو ات قريب
قال ﻫ ازف الرحل عيران ركابنا لم تزل بنا وكان قد ﻫ
وفي الصحاح ازف الرحل يازف ازفا اي اعد وسد قوله تعالى ازفة الازفة
يعني القيمة وازف الرجل اي عجل فهو ازف على فاعل والمتازف المعتصر
وهو المندائي قال ابو زيد قلت لاعرابي ما المحسطى قال
المبكاني قلت فما المكبدائي قال المتازف قلت ما المتازف قال انت

احمد وتركني ومر ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها من دون الله من
يوخرها او يقدمها وقيل كاشفة اي انكشافا اي لا يكشف عنها ولا يبديها
الا الله تعالى كاشفة اسم بمعنى المصدر والهاء فيه كالهاء في العافية والعاقبة
والراهبة والنافية كقولهم ما لفلان من باقية اي بقاء وقيل اي لا احد
يرد ذلك اجلى القيامة اذا اقامت لا يكشفها احد من الهتهم ولا يحتمهم
عن الله وقد سميت القيامة غاشية فاذا كانت غاشية كان ردها كشفا
فالكاشفة على هذا نعت موثث محذوف اي نفس كاشفة او فرقة كاشفة
او حال كاشفة وقيل ان كاشفة بمعنى كاشف والهاء للمبالغة مثل راوية
قوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون يعني القرآن وهذا استفهام توبيخ
اي تعجبون تكذيبا به وتضحكون استهزاء ولا تبكون انزجارا وخوفا من
الوعيد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم مازح بعد هذه الاية فما ضحك
الا تبسما وقال ابو هريرة لما نزلت افمن هذا الحديث تعجبون قال اهل الصفة
انا لله وانا اليه راجعون ثم بكوا حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع
النبي صلى الله عليه وسلم بكاءهم بكا معهم فبكينا لبكائه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على
معصية الله ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم والى بقوم يذنبون ويستغفرون
فيغفر لهم ويرحمهم انه هو الغفور الرحيم قال ابو جعفر نزل جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل يبكي فقال له من هذا فقال
هذا فلان فقال جبريل انما نزلت اعمال بني ادم كلها لا البكاء ان الله تعالى
ليطفي بالدمعة الجوار من جهنم قوله تعالى وانتم سامدون اي لاهون معرضون
عن ابن عباس رواه الوالبي والعوفي عنه وقال عكرمة عنه هو الغناء بلغة
حمير يقال سمد لنا اي غن لنا وكانوا اذا سمعوا القرآن تلهى لعبوا ولعبوا
حتى لا يسمعوا وقال الضحاك سامدون شامخون منكرون وفي الصحاح سمد
سمودا رفع راسه منكرا وكل رافع راسه فهو سامد قال

• • سوامد الليل حفاف الارواد • يقول ليس في بطونها علف • •

وقال ابن الاعرابي سمدت سمودا علوت وسمدت الابل في سيرها
حثثت والسمود اللهو والسامد اللاهي يقال للعبيثة اسمدي بنا اي العبي الغنا
وشمد الارض ان يجعل فيها السماد وهو سرجين ورماد وشمد الراس
استيصال شعره لغة في الشميد واسماد الرجل بالمزاسميدا دام اي راي ورم غضا
وروي عن علي رضي الله عنه ان معنى سامدون اي يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين
الصلاة وقال الحسن وا قعون للصلاة قبل وقوف الامام ومنه ما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه خرج والناس ينتظرونه قياما فقال ما لي اراكم سامدون حكاه
الماوردي وذكر المهدوي عن علي انه خرج الى الصلاة فراى الناس قياما فقال
ما لهم سامدون قال المهدوي والمعروف في اللغة سمد يسمد سمودا اذا لهى واعرض
وقال المبرد سامدون حامدون قال الشاعر • • • • •

• اني الحديثات تشوه الحرب بعد ارسمدت له سمودا • • •

وقال صالح ابو الخليل لما قرا النبي صلى الله عليه وسلم افمن هذا الحديث
تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون ثم برصاحكا او متبسما حتى مات
صلى الله عليه وسلم ذكره النحاس قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا قيل
المراد سجود تلاوة القرآن وهو قول ابن مسعود وبه قال الشافعي وابو
حنيفة وقد تقدم في اول السورة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم سجد فيها وسجد معه المشركون وقيل انما سجد معه المشركون وقيل انما
سجد معه المشركون لانهم سمعوا اصوات الشياطين في اثناء قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى وانه قال تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى كذا في رواية
سعيد بن جبير ترتجى وفي رواية ابي العالية وشفاعتهن يرتضى وستاتي لذلك
المشركون وظنوا انه من قول محمد صلى الله عليه وسلم على ما تقدم بيانه في الحج فلما بلغ

الجهور بالحبشة من كان بها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجعوا ظنا منهم ان اهل مكة اسلموا فكان اهل مكة اشد عليهم واخذوا في بعدهم الى ان كشف الله عنهم وقيل المراد سجود الغرض في الصلاة وهو قول ابن عمر كان لا يراها من عزائم السجود وبه قال مالك وروى ابي بن كعب كان اخر فعل النبي صلى الله عليه وسلم ترك السجود في المفصل والاول اصح وقد مضى القول اخرا الاعراف مبينا والحمد لله

سورة القمر مكية

في قول الجمهور وقال مقاتل مكية الا ثلاث ايات من قوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر الى قوله تعالى والساعة ادهى وامر ولا نقع على ما ياتي وهي خمس وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر اقتربت اي قربت مثل ازفت الازفة على ما بيناه وقفى بالاضافة الى ما مضى قربه لانه قد مضى اكثر الدنيا كما روي فتادة عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت الشمس تغيب فقال ما بقي من دنياكم فيما مضى الا مثل ما بقي في هذا اليوم فيما مضى وما بقي من الشمس لا يسير او قال كعب ووهب الدنيا سبعة الاف سنة منها خمسة الاف وستمائة سنة ذكره النحاس ثم قال تعالى وانشق القمر اي وقد انشق القمر وكذا قراءة حذيفة اقتربت الساعة وقد انشق بزبادة قد وعلى هذا الجمهور من العلماء بث ذلك في الصحيح البخاري وغيره من حديث ابن مسعود وابن عمر وانس وجبير بن مطعم وابن عباس رضي الله عنهم وعن انس قال سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فانشق القمر بمكة مرتين فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب قال ابو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح ولفظ البخاري عن انس قال انشق القمر فرقتين وقال قوم لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر اي اقترب قيام الساعة وانشقاق القمر ان الساعة اذا قامت انشقت السماء بما فيها من القمر وغيره وكذا قال المشير كي وقال قوم وذكر الماوردي ان هذا هو قول الجمهور قال لانه اذا انشق ما بقي احد الا راه لانهما اية والناس في الايات سواء وقال الحسن اقتربت الساعة فاذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية وقيل وانشق القمر اي وضح الامر وظهر والعرب تضرب بالقمر مثلا بهما وصح قال اتموا بني امي صدور مطيكم فانني الى سواكم لاميل فقد جمعت الحلطان والليل مقمر وشدت لطيات مطايا واحمر وقيل انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في انتهائها كما يسمى الصبح فلقا لانفلاق الظلمة عنه بطلوعه في انتهائها كما يسمى الصبح فلقا لانفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن انفلاق بانشقاقه كما قال الناشئ

ق

فلما ادبروا ولهم دوي دعانا عند شق الصبح داع

قلت فيثبت بمثل هذا ان القمر انشق بمكة وهو ظاهر التنزيل ولا يلزم ان يستوي الناس فيها لانها اية ليلية وانما كانت باستدعاء النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى عند الحدي قروي ان حمزة بن عبد المطلب حين اسلم غضبا من سب ابي جهل لرسول الله صلى الله عليه وسلم طلب ان يريه اية يزداد بها يقينا في ايمانه وقد تقدم في الصحيح ان اهل مكة هم الذين سالوا وطلبوا ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر فلقتين كما في حديث ابن مسعود وغيره وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم صلى الله عليه وسلم وقيل هو على التقديم والتاخير وتقديره انشق القمر واقتربت الساعة قاله ابن كيسان وقد مضى عن العرا ان العطف اذا كانا متغايرا بالمعنى فذلك ان يؤخر وتقدم عنه قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا هذا يدل على انهم راوا انشقاق القمر قال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين نصف على ابي قبيس ونصف على فتنعان

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت يومئذ قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسار
فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما قالوا وانشق القمر فرقتين
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناديهم المشركين يا فلان يا فلان اشهدوا وفي حديث
ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يناديهم المشركين
يا فلان يا فلان فقالت قريش هذا من سحر ابن ابي كبشة سحركم فسلوا السفار
فسألوهم فقالوا قد رأينا القمر انشق فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر
وان يروا يعرضوا اي وان يروا اية تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم اعرضوا
وعن الايمان ويقولوا سحر مستمر اي ذاهب من قولهم مر الشيء واستمر اذا ذهب
قاله ابن قتادة ومجاهد والفراء والكسائي وابو عبيدة واختاره النحاس
وقال ابو العالية والضحاك محكم قوي شديد وهو من المرة وهي القوة كما قال الفقيه

* حتى استمرت على شزر مريرته * مر الحنين يمة لا رتا ولا ضرعا *

وقال الاخفش هو ما خوذ من امرار الحبل وهو شده فتله وقيل معناه من
المرارة يقال امر الشيء صار مرا وكذلك مر البني بالفتح مرارة فهو مر وامره غيره ومره
وقال الربيع مستمر يا قديما ماض ابو عبيدة باطل وقيل دائم قال

* وليس على شيء قويم بمستمر * اي بدائم وقيل يشبه بعضه بعضا اي لم يستمر
انما ادعاه محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الوجه فلا يأتي شيء له حقيقة بل
الجميع تخيلات وقيل معناه قد مر من الارض الى السماء وكذبوا بالبينا واتبعوا
اهواءهم اي مثلا لانفسهم واختيارا لهم وكل امر مستقر اي يستقر لكل عامل
عمله فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر بفتح القاف اي لكل شيء وقت
ينتهي فيه من غير تقدم وتاخر وقد روي عن جعفر بن ثعلب بكسر القاف اي لكل امر مستقر
بكسر القاف والواجعله نعتا لامر وكل على هذا يجوز ان يرتفع بالابتداء والخبر محذوف
كانه قال وكل امر مستقر في ام كاين ويجوز ان يرتفع بالعطف على الساعة المعنى
اقتربت الساعة وكل امر مستقر اي اقترب استقرار الامور يوم القيامة
ومن رفعه جعله نعتا عن كل قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء اي من بعض
الانبا فذكر سبحانه من ذلك فاعلم انهم محتاجون اليه وان لهم فيه شفاء
وكان هناك امور اكبر من ذلك وانما انبض عليها ما علم ان بنا اليه الحاجة
وسكت عما سوى ذلك وذلك قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء اي جاء
هؤلاء الكفار من اخبار الامم الماضية ما فيه مزدجر اي ما يزجرهم عن
الكفر لو عملوه واصله مزتجر فقلت التاء الا ان الساكن قبلها حرف مهموس والزاي
حرف مجهور فابدل من التاء الا توافقها في المخرج وتوافق الزاي في الجهر ومزدجر
من الزجر وهو الانتهاء يقال زجره وازدجره فالزجر وازدجر وزجرته انا فانزجر
اي كففته وكف كما قال

* فاصبح ما تطلب الغانيات مزدجرا عن هواه ازدجارا *

وقرئ مزتجر بقلب التاء الافتعال دالا وادغام الزاي فيها حكاه الزمخشري حكمة
بالغة بمعنى القرآن وهو بدل من ما من قوله ما فيه مزدجر ويجوز ان يكون خبرا مبتدا
محذوف اي هو حكمة فما تغني النذر اذ كذبوا وخالفوا كما قال فما تغني الآيات
والنذر عن قوم لا يؤمنون ما نافية اي ليست تغني عنهم النذر ويجوز ان يكون
استفهاما بمعنى التوبيخ اي فاي شيء تغني النذر عنهم وهم موصوفون عنها
والنذر عن قوم لا يؤمنون كما تغني اي ليست تغني عنهم يجوز ان يكون بمعنى الانذار
ويجوز ان يكون جمع نذير قوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم قيل هذا منسوخ
بآية السيف وقيل هو تمام الكلام ثم قال يوم يدع الداعي العامل في يوم
يخرجون من الاجداث او خشعا او فعل مضمر تقديره واذكر يوم وقيل على
حذف حرف الجر وما عملت فيه من جواب الامر تقديره واذكر فتول عنهم فانهم
يوم يدع الداعي وقيل اي تول عنهم يا محمد فقد امنت الجحد وانصرهم يوم يدع
الداعي وقيل اعرض عنهم يوم القيامة ولا تسأل عنهم ولا عن احوالهم فانهم
يدعون الى شيء نكر وبالهم عذاب شديد وهو كما يقول لا تسأل ما جرى
على فلان اذا اخبرته بامر عظيم وقيل وكل امر مستقر يوم يدع الداعي وقرا

ابن كثير نكرا باسكان الكاف وضمها الباقون وهما لغتان كنصر وعسر ونكر ونكر
وسعل وسعل ومعناه الامر الفظيع العظيم وهو يوم القيامة والداعي هو
اسرافيل عليه السلام وقد روي عن مجاهد وقتادة انهما قرا الى شئ نكر
بكسر الكاف وفتح الراء على الفعل المجهول خشعا ابصارهم الخشوع في البصر
الخضوع والذلة واضاف الخشوع الى الابصار لان اثر الذل والعز يتبين
في ناظر الانسان قال الله تعالى ينظرون من طرف خفي ويقال خشع وخشع
اذا ذل وخضع ببصره اي غضه وقرا حمزة والكسائي وابو عمر وخاشعا
بالالف ويجوز في اضمار الفاعلين اذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو خاشعا
ابصارهم والتانيث نحو خاشعة ابصارهم ويجوز الجمع نحو خاشعا ابصارهم
قال ـــــ وساب حسن اوجههم من ابا دين بزار بن سعد ـــــ
وخشعا جمع خاشع والنصب فيه على الحال من الها والميم في عنهم فيقف الوقف
فهذا التقدير على عنهم ويجوز ان يكون حالا من المضمر في يخرجون فيوقف
على عنهم ويقرا خشع ابصارهم على الابتدا والخبر ومحل الجملة النصب
على الحال كقوله ـــــ
ـــــ حاصراه الجود والكرم ـــــ يخرجون من الاجداث اي القبور واحدها
جدث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداعي وقال في موضع يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث فهما صفتان في وقتين مختلفين احدهما عند الخروج من
القبور يخرجون فوجين لا يهتدون اين يتوجهون فيدخل بعضهم في بعض
فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها فاذا سمعوا
المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر لان الجراد له وجه يقصدها ومهطعين
معناه مسرعين قال ابو عبيدة ومنه قول الشاعر ـــــ
ـــــ يدخلن دارهم ولغدارهم يدخلن مهطعين الى السماع ـــــ
الضحاك مقبلين قتادة عامدين ابن عباس ناظرين عكرمة فاتحين اذا انهمر
الى الصوت والمعنى متقارب يقال هطع الرجل يهطع هطوعا اذا اقبل على الشئ ببصره
لا يقلع عنه واهطع اذا مد عنقه وصوب راسه قال الشاعر ـــــ
ـــــ تعدو بي عمرو بن سعد وقد اري عمرو بن سعد لي مطيع ومهطع ـــــ
ويقال مهطع في عنقه تصويب خلقه واهطع في عدوه اي اسرع ـــــ يقول الكافرون
هذا يوم عسر يعني يوم القيامة لما بالهم من الشدة قوله تعالى كذبت
قبلهم قوم نوح ذكر جملا من وقائع الامم الماضية تاسيسا للنبي صلى الله عليه
وسلم وتعريفه له قبلهم اي قبل قومك فكذبوا عبدنا يعني نوحا الزمخشري
فان قلت ما معنى فكذبوا عبدنا اي كذبوه نكذيبا على عقب نكذيب
كلما مضى منهم من قرن مكذب بعده قرن مكذب او كذبت قبلهم قوم نوح
الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل حاصرين للنبوة راسا
كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا مجنون اي هو مجنون وازدجر اي زجر
عن دعوي النبوة بالسب والوعيد بالقتل وقيل وانما قال وازدجر بلفظ
ما لم يسم فاعله لانه ابين انه فرعا ربه ـــــ اي دعى عليهم حينئذ نوح وقال
رب اني مغلوب اي غلبوني بتمردهم فانتصر لي وقيل ان الانبياء كانوا
لا يدعون على قومهم بالهلاك الا باذن الله عز وجل لهم كنحو ـــــ ففتحنا
ابواب السماء اي فاجبنا دعاه وامرناه باتخاذ السفينة وفتحنا ابواب
السما بماء منهمر اي كثير قاله السدي قال الشاعر ـــــ
ـــــ اعيني جودا بالدموع الهوامر على خير بادٍ من معد وحاضر ـــــ
وقيل انه المنصب المدفق ومنه قول امرئ القيس يصف عبابا ـــــ
ـــــ راح تمريه الصبا ثم انحى فيه شؤبوب جنوب منهمر ـــــ
والمنهمر الصب وقد همر الماء والدمع يهمره همرا وهمر ايضا اذا كثر الكلام واسرع
وهمر له من ماله اي اعطاه قال ابن عباس ففتحنا ابواب السما بماء من غير
سحاب لم يقلع اربعين يوما وقرا ابن عامر ويعقوب ففتحنا مشددة
على التكثير ابو بكر ففتحنا مخففا ثم قيل انه فتح وسمة مسالكها وقيل

انه المحرة وهي سرج السماء ومنها فتحت بما منهم قاله علي رضي الله عنه وفجرنا الارض
عيونا قال عبيد ابن عمير اوحى الله الى الارض ان يخرج ما فيها فسخرت بالعيون
وان عين تاخرت عضب عليها فجعل ماءها ملحا احاحا الى يوم القيامة فالتقى الماء
اي ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر اي على مقدار لم يزد احدهما على الاخر
حكاه ابن قتيبة اي كان ماء السماء والارض سواء وقيل قدر بمعنى قضي عليهم
قال قتادة قدر لهما اذ كفروا ان يغرقوا وقال محمد بن كعب كاتب الاقوات
قبل الاجساد وكان القدر قبل البلاء وفي هذه الاية وقال التقى الماء والانثما
انما يكون في اثنين فصاعدا لانه لما يكون جمعا واحدا وقيل لانهما لما اجتمعا
صارا ماء واحدا وقرا الجحدري فالتقى الماء ان وقرا الحسن فالتقى الماوان وهما
خلاف المرسوم التفسير كبير وفي بعض المصاحف فالتقى الماوان وهي لغة طيء
وقيل كان ماء السماء باردا مثل الثلج وماء الارض مثل الحميم وحملناه على ذات
الواح ودسر اي على سفينة ذات الواح ودسر قال قتادة يعني المسامير
التي دسرت بها السفينة اي شدت وقاله الغرطي وابن زيد وابن جبير
ورواه الوالبي عن ابن عباس وقال الحسن وسمر بن حوشب
وعكرمة هي صدر السفينة التي تضرب بها الموج سميت بذلك لانها تدسر
الماء اي ترفعه والدسر الدفع والمخر ورواه العوفي عن ابن عباس قال الدسر
كلكل السفينة وقال الليث الدسار حبيط كيف يشد به الواح السفينة
ويقال هي المسامير وقال تعالى على ذات الواح ودسر ودسر ايضا مثل عسر
وبسر والدسر الدفع قال ابن عباس في الحبر هو شئ يدسره البحر
دسرا اي يدفعه ودسره بالرمح ورجل مدسر ه مخري باعيننا تمراي منا وقيل
باسرنا وقيل بحفظ منا وكلاءة وقد مضى في هود ومنه قولك الناس للمودع عين
الله عليك اي حفظه وكلاءه وقيل بوحينا وقيل بالاعين التابعة من الارض
وقيل باعين او نبيا من الملايكة الموكلين بحفظها وكل ما خلق الله تعالى ان يمكن
ان يعبأ فيه وقيل اي بمرأى منا وتبيانا كما في الخبر مرض عين من عيوننا
ثم بعده جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك ثوابا وجزاء لنوح على صبره على اذى
قومه وهو المكفور به في اللام في لمن لام المفعول له وقيل كفرا اي جحدا فمن كنا يبنه
عن نوح وقيل كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب اي عقابا لكفرهم بالله وقرا
يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفا بمعنى
كان الغرق جزاء وعقابا لمن كفر بالله وما نجا من الغرق غير نوح بن عمر كان
الماء لا يجرنه وسبب ذلك ان نوحا احتاج الى خشبة الساج لبنا السفينة فلم
يمكنه نعلها فحمل نوح تلك الخشبة اليه من الشام فشكر الله له ذلك ونجاه من
الغرق ولقد تركنا ها اية يريد بهذه الفعلة عبرة وقيل اراد السفينة تركها
اية لمن بعد قوم نوح يعتبرون بها فلا يكذبون الرسل قال قتادة ابقاها الله
بالجودي عبرة واية حتى نظرت اليها اوائل هذه الامة وكم من سفينة كانت
بعدها فصارت رمادا فهل من مدكر مفتعل من الذكر مع قلب حاء مفتعل واصله
مدتكر مفتعل من الذكر فثقلت على الالسنة فقلبت الدال الساكنة الى الجيم
في الجبر وادغمت الدال فيها فكيف كان عذابي ونذر انذاري قال الفراء الانذار
والنذر مصدران وقيل بدر جمع نذير ونذير بمعنى الانذار كنكير بمعنى الانكار
ولقد يسرنا القرآن للذكر اي سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من مدكر
فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر
ناقته السفر اذا رحلها وسير فرسه للغزو اذا اسرجه والجمه قال
* * * وقمت اليه بالجام ميسرا هنالك يجزيني الذي كنت اصنع
وقال سعيد بن جبير ليس من كتب الله كتاب يقرا كله ظاهرا الا القرآن
قال غيره ولم يكن هذا النبي اسرائيل ولم يكونوا يقرون التوراة الا نظرا غير
موسى وهارون ويوشع بن نون وعزير صلوات الله عليهم اجمعين ومن اجل
ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبه حين احرقت على ما تقدم
في سورة براءة فيسر الله تعالى على هذه الامة حفظ كلامه ليذكروا ما فيه اي

اي يشتغلوا الذكور والاشتمال هو ان يسجع فيهم ذلك حتى يصركالذات كالتركيب فيهم
فهل من مدكر فاركب تغروه قال ابو بكر الوراق وابن شنوذ به فهل من طالب خير
وعلم تعان عليه وكرر في هذه السورة لتسليه والافهام وقيل ان الله تعالى
انتص في هذه السورة على هذه الامة انبا الامم وقصص المرسلين وما عاملتهم
به الامم وما كان عقبى امورهم وامور المرسلين فكان في كل قصة وساذكر للمستمع
ان لو اذكروا فاكرر هذه الكلمة عند كل قصة من انبا الامم بقوله هل من مدكر لان
الله كلمة استفهام يهتدي اليها فهم التي ركبت في اجوافهم وجعلها حجة عليهم فاللام
من هل للاستغراق والها للاستخراج **قوله تعالى** كذبت عاد هم قوم هود فكيف
كان عذابي ونذر وتعت بدري في هذه السورة في ستة اماكن بحذوفة الياء
في جميع المصاحف وقراها يعقوب مثبتة في الحالين وورش في الوصل لاغير وحذف
الباقون والاخلاف في حذف الياء من قوله فما يغني النذر والواو من قوله يدع
فاما الياء من الداعي الاول فاثبتها في الحالين ابن محيصن وحميد ويعقوب
والبزي واثبتها ورش وابو عمرو في الوصل وحذف الباقون واما الداع الثاني
فاثبتها يعقوب وابن محيصن وابن كثير في الحالين واثبتها ابو عمرو ونافع
في الوصل وحذفها الباقون انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي يوم شديد البرد
قاله قتادة والضحاك وقيل شديد الصوت وقد مضى في حم السجدة في يوم نحس
اي في يوم كان مستمرا عليهم وقال ابن عباس اي في يوم كانوا يتشاءمون به الزجاج
قيل يوم الاربعا ابن عباس كان اخر اربعا في الشهر افتى كبيرهم وصغيرهم وقراء
هارون الاعور نحس بكسر الحاء وقد مضى القول في حم السجدة في ايام نحسات في يوم
نحس مستمر اي دايم الشوم استمر عليهم نحوسه واستمر به العذاب الى الهلاك
وقيل استمر بهم الى نار جهنم وقال الضحاك كان مرا عليهم وكذا حكى الكسائي ان
قوما قالوا هو من المرارة ويقال مر الشيء وامر اي كان كالشيء المر تكرهه النفوس
وقد قال قد ذاقوا والذي يذاق قد يكون مرا وقيل هو من المرة بمعنى القوة اي في
يوم نحس مستمر مستحكم الشوم كالشيء المحكم فتله الذي لا يطاق بعضه قال قيل فاذا
كان يوم الاربعا يوم نحس مستمر فكيف تستجاب فيه الدعا وقد جا ان النبي صلى
الله عليه وسلم استجيب له فيه فيما بين الظهر والعصر وقد مضى في البقرة في
حديث بذلك فالجواب والله اعلم ما جا في خبر يروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اتاني جبريل فقال ان الله يامرك ان يمضي باليمين مع الشهادة
وقال يوم الاربعا يوم نحس ومعلوم انه لم يرد بذلك انه نحس على المصلحين بل
اراد انه نحس على الفجار والمفسدين كما كانت الايام النحسات في القران نحسات
على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم والمومنين به منهم واذا كان كذلك لم يبعد ان يجعل
الظالم من اول يوم الاربعا الى ان تزول الشمس فاذا ابتدا النهار ولم يحدث وجد المجيب
دعا المظلوم عليه وكان اليوم نحسا على الظالم اودعا النبي صلى الله عليه وسلم على
الكفار وقول جابر في حديثه لم ينزل بنا من غيظ اشارة الى هذا والله اعلم
قوله تعالى تنزع الناس في موضع الصفة للريح اي تقلعهم من مواضعهم
قيل قلعتهم من تحت اقدامهم اقتلاع النخلة من اصلها وقال مجاهد كانت تقلعهم
من الارض فتزجيهم على رؤسهم فتدق اعناقهم وتبين رؤسهم من اجسادهم
وقيل تنزع الناس من البيوت وقال محمد بن كعب عن ابيه قال النبي صلى الله
عليه وسلم انتزعت الريح الناس من قبورهم وقيل حفروا حفرة ودخلوها
فكانت الريح تنزعهم منها وتكسرهم وتبقي تلك الحفر كانها اصول النخل تذهلك
صاكان منها تستقي مواضعها منقعر وبروي ان سبعة منهم حفروا احفرا واحفرا
وقاموا فيها لرد الريح قال ابن اسحاق لما هلجت الريح قام نفر من عاد
يسجة سمي لنا منهم ستة من الدعاد واسمها منهم عمرو بن الحلي والحرث بن شداد
والهلقام واسا بقن وحلحان بن سعد فاولجوا العيال في شعب بني جبلين ثم
اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عمن في الشعب من العيال فجعلت تحملهم
رحلا رحلا فتقالت امراة من عاد

• • ذهب الدهر بعمرو بن حلى والهنيات • ثم بالحرث والهلقام طلاع الثنات

والذي سد مهب الريح ايام الملمات الطريق في الكلام حذف والمعنى تنزع الناس
منتزعهم كانهم اعجاز نخل منقعر فالكاف في موضع نصب بالحذف والمعنى
تنزع الناس مشبهين اعجاز نخل والتشبيه قيل انه للحفر التي كانوا فيها والاعجاز
جمع عجز وهو موخر الشيء وكانت عاد موصوفين بطول القامة فشبهوا بالنخل
انكبت لوجوهها وقال اعجاز نخل منقعر للفظ النخل وهو مع الجمع الذي يذكر
ويونث والمنقعر المنقلع من اصله قعرت الشجرة قعرا قلعتها من اصلها وانقعرت
الكساية قعرت البير حتى انتهيت الى قعرها وكذلك الاناء اذا اشربت ما فيه حتى انتهى
الى قعره قال وانقعرت البير جعلت لها قعرا وكذلك وقال ابو بكر بن الانباري
سئل المبرد حضرة اسمعيل القاضي عن الف مسئلة هذه من جملتها فقيل له ما الفرق
بين قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة وجائت الريح عاصف وقولهم كانهم اعجاز نخل
خاوية واعجاز نخل منقعر فقال كلما ورد عليك من هذا الباب فان شئت رددته
الى اللفظ ذكرا وان شئت رددته الى المعنى باسما وقيل ان البحل والبخيل بمعنى
تذكر وتونث كما ذكرنا فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القران للذكر تقدم من
مذكور تقدم **قوله تعالى** كذبت ثمود بالنذر هم قوم صالح كذبوا الرسل وسميم
اوكذبوا بالايات التي هي النذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه وقرا ابو الاشهب وابن السميفع وابو سماك العدوي ابشر بالرفع واحد
كذلك رفع بالابتدا والخبر نتبعه الباقون بالنصب على معنى اتبع منا بشرا
واحدا نتبعه وقرا ابو السماك ابشر بالرفع منا واحدا بالنصب رفع ابشر
باضمار فعل يدل عليه الفعل كانه قال انتبتنا بشر منا وقوله واحدا يجوز ان يكون
حالا من المضمر في منا والناصب لها الظرف والتقدير انبيا بشرا كائن منا منذرا
لانا ضرلها انا اذا لفي ضلال وسعر اي ذهاب عن الصواب وسعر اي جنون
من قولهم ناقة مسعورة اي كانها من نشاطها مجنونة ذكره ابن عباس
قال الشاعر يصف ناقة

• • • •

غدا قال ـــــ للموت فيها سهام غير مخطئة من لم يكن ميتا في اليوم مات غدا
• • وقال ـــــ ابو الطماح • • •
الاعلل اني قبل نوح النوائح • وقبل اضطراب النفس بين الحوائج
• وقبل غد يا لهف نفسي على غد • اذا راح اصحابي وبنت برائحي •
• • انما زاد وقت الموت عندي ولم يرد غدا بعيده • • •
من الكذاب الاشر قرا ابو قلابة الاشر بفتح الشين وتشديد الراء انه على الاصل قال
ابو حاتم لا نكاد العرب تحدث بالاشر والاخير الا في ضرورة الشعر كقول رؤبة
• • • بلال اخير الناس وابن الاخير ويقولون هو خير قومه وهو شر الناس
قال ـــــ الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وقال فستعلمون من هو شر
مكانا وعن ابي حياة فتح السين وتخفيف الراء وعن مجاهد وسعيد بن جبير ضم
الشين والراء والتخفيف قال ـــــ الخاسر وهو معنى الاشر ومثله رجل حذر وحذر
قوله تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اي مخرجوها من الهضبة التي
سالوا فروج ان صالحا صلى ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التي عينوها من
سنامها فخرجت ناقة عشراء جوفاء فتنة لهم اي اختبارا وهو مفعول له فارتقبهم
اي انتظرها يصنعون واصطبر اي اصبر على اذاهم واصل الطا في اصطبر تا
تحركت طا لتكون موافقة للصاد في الاطباق وبينهم اي اخبرهم ان الماء قسمة
بينهم اي بين الثمود وبين الناقة لها يوم ولكم يوم كما قال لك لها شرب
ولكم شرب يوم معلوم قال ابن عباس كان يوم شربهم لا تشرب الناقة شيئا من
الماء وتسقيهم لبنا وكانوا في نعيم واذا كان يوم الناقة شربت الماء كله فلم
يبق لهم شيئا وانما قال وبينهم لان العرب اذا اخبروا عن بني ادم مع البهايم
غلبوا بني ادم وروى ابو الزبير عن جابر قال لما نزلت الحجر في معرى رسول
الله صلى الله عليه وسلم تبوك قال ايها الناس لا تسئلوا عن الايات
هؤلاء قوم صالح سالوا نبيهم ان يبعث لهم ناقة فبعث الله عز وجل اليهم الناقة
فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون منها مثل الذي
كانوا يشربون منها يوم عمها وهو معنى قوله تعالى وبينهم ان الماء قسمة بينهم
كل شرب محتضر اشرب بالكسر الحظ الماء وفي المثل آخرها اقلها شربا واصله من
سقي الابل لان آخرها يرد وقد يزف الحوض ومعنى محتضر اي يحضره من هو لك
فالناقة تحضر الماء يوم ورودها ويغيب عنهم يوم ورودهم قاله مقاتل
وقال مجاهد ان ثمود يحضرون الماء يوم غيبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم
ورودها فيحتلبون **قوله تعالى** انا مرسلوا الناقة فتنة لهم اي مخرجوها من
الهضبة التي سالوا فروج ان صالحا صلى ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التي
فناداه واصاحبهم يعني بالحظ على عقرها فتعاطى عقرها فعقرها ومعنى تعاطى تناول
الفعل من قولهم عطوت اي تناولت ومنه قول حسان
• • كلتاهما حلب العصير عاطني بزجاجة ارخاهما للمفصل • • •
قال ـــــ محمد بن اسحق فكمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به
عظم ساقها ثم سل عليها بالسيف فكسر عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة
حدر سقبها من بطنها ثم خرها واطلق سقبها حتى اتى صخرة في راس جبل ورغا ثلاثة
لاذ بها فاتاهم صالح عليه السلام فلما راى الناقة قد عقرت بكى وقال تمتعوا
حرمة الله فاشربوا بعذاب الله وقد مضى في الاعراف بيان هذا المعنى قال
ابن عباس وكان الذي عقرها احمر ازرق اشقر اكسف اقفى ويقال في اسمه قدار
ابن سالف قال الاعوة الاودي
• • • • • • • • • • • •
او مثل لقدار حين تابعه على الغواية اقوام تحدبادوا •
والعرب تسمي الحمار قدارا لشبهها بقدار ابن سالف مشوم ثمود قال مهلهل
• انا نضرب بالسيوف رؤسهم ضرب القدار نصعد القدام •
• وذكره زهير فقال ـــــ
• نسح لكم علمان اشاكلهم كاحمر عاد ثم يوضع فيعطف •
يريد الحرب فكني بثمود وسعاد **قوله تعالى** ـــــ انا ارسلنا عليهم صيحة

واحدة يريد صيحة جبريل وقد مضى في هود فكانوا كهشيم المحتظر وقرا الحسن وقتادة
وابو العالية المحتظر بفتح الظا اراد والحظيرة الباقون بالكسر اراد واصاحب
الحظيرة وفي الصحاح والمحتضر الذي يجعل الحظيرة وقرئ كهشيم المحتظر فمن كسره
جعله الفاعل ومن فتح جعله المفعول به ويقال للرجل القليل الخير انه لمنكر
الحظيرة قال ابو عبيدة اراه سمي ما هو له حظيرة لانه حظرها عنده ومنعها وهي
فعيلة بمعنى مفعولة المهدوي من فتح الظا من المحتظر فهو مصدر والمعنى كهشيم
الاحتظار ويجوز ان يكون المحتظر هو الشجر المتخذ منه الحظيرة قال ابن عباس المحتظر
هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك فما سقط من ذلك وداسته الغنم
فهو الهشيم قال

• • • •

وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل اعلاها اسفلها وبكرة هنا نكرة فلذلك
صرفت فذوقوا عذابي ونذر جمع العذاب الذي نزل بهم من طمس الاعين
غير العذاب الذي اهلكوا به فلذلك حسن التنكير ولقد يسرنا القرآن للذكر
فهل من مدكر قوله تعالى ولقد جاء آل فرعون النذر يعني القبط والنذر موسى
وهارون وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين كذبوا بآياتنا معجزاتنا الدالة على توحيدنا
ونبوة انسانا وهي العصا واليد والتسعين والطمس والطوفان والجراد والقمل و
الضفادع والدم الانذار فاخذناهم اخذ عزيز اي غالب في انتقامه مقتدر
اي قادر على ما اراد قوله تعالى اكفاركم خير من اولائكم خاطب العرب
وقيل كفار امة محمد وهو استفهام انكار ومعناه النفي اي ليس كفاركم خير من كفار
من تقدم من الامم الذين اهلكوا بكفرهم ام لكم براءة في الزبر اي في الكتب المنزلة
على الانبياء بالسلامة من العقوبة وقال ابن عباس ام لكم في اللوح براءة من
العذاب ام تقولون نحن جميع منتصر بنا نتباعا لرؤسا لاي قرد الله عليهم فقال
سيهزم الجمع اي جمع كفار مكة وقد كان ذلك يوم بدر وغيره وقراءة العامة
سيهزم بالياء على ما لم يسم فاعله الجمع بالرفع وقرا رويس عن يعقوب سيهزم
الجمع بالنون وكسر الزاي الجمع نصبا ويولون الدبر قراءة العامة بالياء على الخبر
عنهم وقرا عيسى وابن ابي اسحق ورويس عن يعقوب وتولون بالتاء على
الخطاب والدبر اسم جنس كالدرهم والدينار فوجد والمراد الجمع لاجل رؤس
الاي وقال مقاتل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر فيقدم من الصف وقالوا
نحن ينتظر اليوم من محمد واصحابه فانزل الله تعالى نحن جميع منتصر سيهزم
الجمع ويولون الدبر وقال سعيد بن جبير قال سعد بن ابي وقاص لما نزل قوله تعالى
سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي الجمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت
النبي صلى الله عليه وسلم يثب في الدروع ويقول الدعمان قريبا حاد وجاد
رسولك بحرها وصلها فاجمهم العداه ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت
تاويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب فكان
كما اخبر قال ابن عباس كان بين نزول هذه الاية ويوم بدر سبع سنين قال الاية
على هذا مكية وفي البخاري عن عائشة ام المومنين قالت لقد انزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة واني لجارية العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى
وامر وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم وهو في قبة له يوم بدر انشدك
عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال
حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك وهو في الدرع فخرج وهو يقول بل
الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر بل الساعة نرددهم من الصف وقالوا
الساعة ادهى وامراي ادهي وامر نيما لحقهم يوم بدر وادهى من الداهية وهي الامر العظيم
يقال دهاها امر كذا اي اصابه دهوا ودها وقال ابن السكيت دهته داهية
دهوا ودهيا وهي توكيد لها قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر قيه
اربع مسايل الاولى قوله تعالى ان المجرمين في ضلال صده عن الحق وسعر
اي احتراق وقيل جنون على ما تقدم في هذه السورة يوم يسحبون في النار على
وجوههم ذوقوا مس سقر في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال جاء مشركوا قريش تخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على
وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر خرجه الترمذي ايضا
وقال حديث حسن صحيح وروي مسلم عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز
وهذا ابطال لمذاهب القدرية ذوقوا اي يقال لهم ذوقوا ومسها ما يوخذ
من اللهب عند الوقوع فيها وسقر اسم من اسماء جهنم مونث لا ينصرف لانه
اسم مونث معرفة وكذلك لظى وجهنم وقال عطا سقر اطبق السادس
من النار وقال قطرب سقر من صقر به الشمس وصقربه لوحيه ويوم مصقر
ومستقر شديد الحر قوله تعالى انا كل شيء قراءة العامة كل بالنصب
وقرا السماك كل بالرفع على الابتدا ومن نصب فباضمار فعل وهو اختيار

الكوفيين لان ان يطلب الفعل تميي به اولي وانتصب اذ لعموم المخلوقات لله تعالى
لانك لو حذفت خلقناه للمفسر واظهرت الاول لصار انا خلقنا كل شئ بقدر ولا تصح
كون خلقناه صفة لشئ لان الصفة لا يعمل فيما قبل الموصوف ولا يكون تفسير الشيء
يعمل فيما قبله الثالثة الذي عليه اهل السنة ان الله سبحانه قدر الاشياء اي علم
مقاديرها واحوالها وارادها قبل ايجادها ثم اوجد منها ما سبق في علمه ان يوجد
على ما سبق في علمه فلا حدث شئ في العالم العلوي والسفلي الا وهو صادر عن الله
تعالى وقدرته وارادته وخلقه وان العبد ليس لهم فيها الا نوع اكتساب
ومحاولة ونسبة واضافة وان ذلك كله انما حصل لهم بتيسير الله وبقدرة الله
وتوفيقه والهامه سبحانه لا اله الا هو ولا خالق غيره كما نص عليه القرآن والسنة
لا كما قالت القدرية وغيرهم من ان الاعمال لهيا والآجال سدى غيرنا قال ابو ذر رض
وقد حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاعمال لهيا والآجال بيد
غيرنا فنزلت هذه الآيات الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر فقالوا يا محمد لكذب
علينا الذنب ويعذبنا فقال انتم خصما الله يوم القيمة الرابعة روى ابو
الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مجوس
هذه الامة المكذبون بقدر الله ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم
وان لقيتموهم فلا تسلموا عليهم خرجه ابن ماجة في سننه وخرج ايضا صنفان من امتي
ليس لهم في الاسلام نصيب اهل الارجاء والقدر واسند الخاص وحدثنا ابراهيم
بن شريك الكوفي قال حدثنا عقبة بن مكرم الضبي حدثنا يونس بن بكير عن سعيد
بن ميسرة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية الذين يقولون
الخير والشر بايديهم ليس لهم من شفاعتي نصيب ولا امتي منهم ولا هم مني وفي
صحيح مسلم ان ابن عمر تبرأ منهم ولا يتبرأ الا من كافر ثم اكد بقوله والذي يحلف
به ابن عمر لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر
وهذا مثل قوله تعالى في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله
ورسوله وهذا واضح وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بالقدر
يذهب الهم والحزن **قوله تعالى** وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر اي قضائي
في خلقي امر من لمح البصر واللمح النظر بالعجلة يقال لمحه الموسى ببصره وفي الصحاح لمحه
والمحه اذا ابصره بنظر خفيف والاسم اللمحة ولمح البرق والنجم لمعا اي لمع **قوله**
تعالى ولقد اهلكنا اشياعكم اي اسلافكم في الكفر من الامم الخالية وقيل
اتباعكم واعوانكم فهل من مدكر اي من يتذكر **قوله تعالى** وكل شئ فعلوه في
الزبر اي ما فعلته الامم قبلهم من خير او شر كان مكتوبا عليهم وهذا بيان
قوله انا كل شئ خلقناه بقدر في الزبر اي في اللوح المحفوظ وقيل في كتب الحفظة
وقيل في ام الكتاب وكبير مستطر اي كل ذنب صغير وكبير مكتوب على عامله
قبل ان يحدثوه يجاز وامكتوب اذا فعلوه سطر يسطر سطرا كتب واسطر
مثله **قوله تعالى** ان المتقين في جنات ونهر لما وصف الكفار وصف المومنين
ايضا ونهر يعني انهار الماء والخمر واللبن قاله ابن جريج ووحد لانه راس الاية
لم الواحد قد يعني عن الجمع وقيل في نهر في ضياء وسعة ومنه انهرت الدم قال الشاعر

• • • • • ملكت بها كفي فانهرت فتقها يريح فياح من دوناها واراها

وقرا ابو مجلز وابو نهيك والاعرج وطلحة بن مصرف وقتادة ونهر بضمتين
كانه جمع نهار لا بيلم كسحاب وسحب قال الفراء انشد في بعض العرب

• • • • • انا نكل لما بي نهره متجاريب الصبح فلا انتظره

• • • • • اي صاحب النهار وقال الاخر

• • • • • لولا الثريد ان هلكنا بالضمر نريد لبل ونريد بالنهر

في مقعد صدق اي مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وهو الجنة عند مليك مقتدر
اي يقدر على ما يشاء وعندها هنا عند الكرامة والزلفة والمكانة والرتبة
والكرامة والمنزلة قال الصادق مدح الله المكان الصدق فلا يقعد فيه الا اهل
الصدق وقرا عثمان البتي في مقاعد صدق بالجمع والمقاعد مواضع قعود الناس

ای الامر واحد ح

ح الاسواق

في الاسواق وغيرها قال عبد الله بن بريدة ان اهل الجنة يدخلون كل يوم على الجبار تبارك وتعالى فيقرؤن القرآن على ربهم تبارك وتعالى وقد جلس كل انسان في منزله الذي هو مجلسه على منابر من الدر والياقوت والزبرجد والذهب والفضة يقدر اعمالهم فلا يقرأ عينهم قط كما يقر بذلك ولم يسمعوا لسيا اعظم ولا احسن منه لم يبصروا الى منازلهم فتزيره اعينهم الى مثلها من الغد وقال يونس بن يزيد عن خالد بن معدان بلغنا ان الملائكة يأتون المومنين يوم الجمعة فيقولون يا ولينا الله انطلقوا فيقولون الى اين فيقولون الى الجنة فيقول المومنون انكم لتذهبون بنا الى غير جنتنا فيقولون فما لعملكم فيقولون فتعرض صدق عند مليك مقتدر وقد روي هذا الخبر على الخصوص بهذا المعنى وفي الخبر ان طائفة من العتقاء بالله عز وجل تزفها الملائكة الى الجنة والناس في الحساب فيقولون للملائكة الى اين تحملوننا فيقولون الى الجنة فيقولون انكم لتحملوننا الى غير جنتنا فيقولون وما بغيتكم فيقولون المقعد الصدق مع الحبيب كما في متعد صدق عند مليك مقتدر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرحمن مكية كلها

في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس الا اية منها وهي قوله تعالى يسئله من في السموات والارض الاية وهي ست وسبعون اية وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها والقول الاول اصح لما روي عن عروة بن الزبير قال اول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قط فمن رجل يسمعوه فقال ابن مسعود انا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا عشيرة يمنعونه فاتى عمر فقام عند المقام فقال بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن ثم تمادى رافعا بها صوته وقريش في اندية لها فتاملوا وقالوا لما تقول ام ابن عبد فقالوا هو يقول الذي يزعم محمد انه انزل عليه ثم ضربوه حتى اثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرأ سورة الرحمن وسر النفر من الجن فامنوا به وفي الترمذي عن جابر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن فكانوا منكم مردودا كنت كلما اتيت على قوله فبأي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قال حديث غريب وفي هذا دليل على انها مكية والله اعلم وروي ان قيس بن عاصم المنقري قال للنبي صلى الله عليه وسلم انزل علي مما انزل عليك فاقرأ عليه سورة الرحمن فقالوا اعدها فاعادها ثلاثا فقال والله ان له لطلاوة وعليه لحلاوة واسفله لمغدق واعلاه مثمر وما يقول هذا بشر وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وروي عن ابي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الرحمن قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور اذا جمعت كن اسما من اسماء الله الرحمن والرحوم والرؤوف فيكون بمجموع هذه الرحمن علم القرآن اي علمه نبيه صلى الله عليه وسلم حين اداه الى جميع الناس ونزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو من اليمامة يعني مسيلمة فانزل الله تعالى الرحمن علم القرآن وقال الزجاج معنى علم القرآن اي سهل لانه يذكر ويقرأ كما قال ولقد يسرنا القرآن للذكر وقيل جعله علامة لما يعيد الناس به خلق الانسان قال ابن عباس وقتادة والحسن يعني ادم عليه السلام علمه البيان اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وعن

ابن عباس ايضا وابن كيسان الانسان هنا يراد به محمد صلى الله عليه وسلم والبيان
بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون انه بين
عن الاولين والاخرين وبوم الدين وقال الضحاك البيان الخير والشر وقال
الربيع ابن انس هو ما ينفعه مما يضره وقاله قتادة وقيل الانسان يراد به
جميع الناس فهو اسم للجنس والبيان على هذا الكلام والفهم وهو مما فضل به
الانسان على سايرالحيوان وقال السدي علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون
به وقال عان الكتابة والخط بالقلم نظيره علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم الشمس والقمر بحسبان اي بتجريان بحسبان منازل لا يعدوانها ولا
تخيد ان عنها وقال ابن زيد وابن كيسان يعني ان بهما يحسب الاوقات
والاحمال والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم تدر احد كيف
يحسب سنا وكان الدهر كله ليلا او نهارا وقال السدي بحسبان تقدير
احالهما اي تجري باحال كاحوال الناس فاذا احالها هلكا نظيره
كل يجري لاجل مسمى وقال الضحاك بعدد يعرفه حساب الحساب الرجحي
فطرها بدوران فلك مثل الثقب والحسبان قد يكون مصدر حسبته احسبه
بالضم حسبا وحسبانا وحسابا مثل الغفران والكفران والرجحان وحسابة
ايضا اي عددته قال الاخفش ويكون جماعة الحساب مثل شهاب وشهبان
والحسبان ايضا بالضم العذاب والسهام المصيبة وقد مضى في الكهف
الواحدة حسبانة والحسبانة ايضا الوسادة الصغيرة يقول منه حسبته
اذا وسدته قال

• لتوبيت عبد بحسب اي اي غير موسد يعني غير مكرم ولا مكفي

والنجم والشجر يسجدان قال ابن عباس وغيره النجم من لا
ساق له والشجر ما له ساق وانشد ابن عباس قول صفوان بن اسر التميمي

• تعد النجم والشجر عضاهة ونبتا بينهم خبط وائل •

• وقال زهير بن ابي سلمى •

• مكلل بأصول النجم تنسجه ديم الحبوب لصابي ماؤه خصل •

والنسائي النجم من نجم الشيء بالضم نجوما اذا طلع وسجودهما سجود
ظلالهما قاله الضحاك وقال الفراء سجودهما ايمانهما بالعشيات اذا
طلعت ثم تميلان معهما حتى يتكسر الفيء وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما
كما قال سفيا ظلاله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السماء وسجوده في
قول مجاهد دوران ظله وهو اختيار الطبري حكاه المهدوي وقيل سجود النجم
افوله وسجود الشجر امكان الاجتناء منها ولا حكاه الماوردي وقيل اي جميع ذلك
مسخر لله فلا تعبدوا النجم كما عند قوم من الصابئين النجوم وعند كثير من
العجم الشمس والسجود الخضوع والمعنى به اثار الحدوث حكاه القشيري النحاس
اصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من الموات
كلها استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذا ويكون
من سجوده الصلاة وانشد محمد بن يزيد في النجم يعني النجوم

• فبات بجدا النجم في مستحيره سريع بايدي الاكلين جمودها •

والسماء رفعها وقرا ابو السماك والسما بالرفع على الابتدا واختار ذلك
لما عطف على الجملة التي هي والنجم والشجر يسجدان فجعل المعطوف مركبا
من ابتدا وخبر كالمعطوف عليه الباقون بالنصب على اضمار فعل يدل
عليه ما بعده ووضع الميزان اي العدل عن مجاهد وقتادة والسدي
اي وضع في الارض العدل الذي امر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان
كذا اي الغ على هذا الميزان القران لان فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول
الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة ايضا والضحاك هو الميزان ذو
اللسان الذي يوزن به ليتنصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى
الامر بالعدل يدل عليه قوله واقيموا الوزن بالقسط والقسط العدل وقيل
هو الحكم وقيل اراد وضع الميزان في الاخرة لوزن الاعمال واصل ميزان موزان

وقد مضى في الاعراف القول فيه ان لا تطغوا موضع ان يجوز ان يكون نصبا على
تقدير حذف حرف الجر كانه قال لئلا تطغوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا ويجوز
ان لا يكون لان موضع من الاعراب فيكون بمعنى اي وتطغوا على هذا التقدير
مجرورا كقوله وانطلق الملا منهم ان امشوا اي امشوا والطغيان مجاوزة الحد
فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذي يوزن
به قال طغيانه التبخس قال ابن عباس اي لا تجوروا من وزنتم له وعنه
انه قال يا معشر الموالي وليتم امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان
ومن قال انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع الميزان
وامركم ان لا تطغوا فيه واقيموا الوزن بالقسط اي افعلوه مستقيما بالعدل
وقال ابو الدرداء اقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقال ابن عيينة
الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية وقيل
هو كقولك اقام الصلاة اي ائتى بها في وقتها واقام الناس اسواقهم اي اتوا
بها في وقتها اي لا يدعوا التعامل بالوزن بالعدل ولا تخسروا الميزان لا تنقصوا
الكيل والوزن وهذا كقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان وقال
قتادة في هذه الآية اعدل يا ابن ادم كما تحب ان يعدل عليك واوف كما تحب
ان يوفى لك فان العدل صلاح للناس وقيل المعنى لا تخسروا ميزان حسناتكم
يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم وكرر الميزان لاختلاف وجوه الاي وقيل
التكرير للامر بايفاء الوزن ورعاية العدل فيه وقراءة العامة تخسروا بضم التاء
وكسر السين وقرا بلال بن ابي بردة وابان بن عثمان تخسروا بفتح الياء والسين
وهما لغتان يقال خسرت الميزان وخسرته كاجبرته وجبرته وقيل تخسروا بفتح الياء
والسين محمول على تقدير حذف الجار اي لا تخسروا في الميزان والارض وضعها
للانام الانام الناس عن ابن عباس الجن والانس الضحاك كل ما دب
على الارض وهذا عام فيها فاكهة اي ما يتفكه به الانسان من الوان الثمار
والنخل ذات الاكمام جمع كم بالكسر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة
وعاء الطلع وعطا التنور والجمع كمام واكمه واكمام والاكمام ايضا وكم
العسيل اذا اسفق عليه فسترحتى يقوى قال الحجاج بل لو شمدت الناس
ادثكموا بعثة لو لم يفرح عمرا • وثلوا اي اعمي عليهم وعطوا واكمت وكمت
اي اخرجت كمامها والكمام بالكسر والكمامة ايضا ما لكم به فم البعير لئلا
يعض تقول منه بعير مكموم اي مجموم وكمت التي عطبته والكمر ما ستر
شيئا وعطاه ومنه كمر القميص بالضم والجمع كمام وكمه مثل حب وحبب والكمه
العنكبوت المدورة لانها تغطي الراس قال

• • • •

تقول العرب لورق الزرع العصف والعصفة والجل بكسر الجيم قال علقمة بن عبدة
يسقي مذانيب قد مالت عصفتها اجد ودها من اتي الماء معلوم
وفي الصحاح والجل بالكسر نصيب الزرع اذا حصد والريحان الرزق عن ابن عباس
ومجاهد الضحاك هي لغة حمير وعن ابن عباس ايضا والضحاك وقتادة انه الريحان
الذي يشم وقاله ابن زيد وعن ابن عباس ايضا انه حضرة الزرع وقال
سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفراء العصف المأكول من
الزرع والريحان ما لا يؤكل وقال الكلبي ان العصف الورق الذي لا يؤكل
والريحان هو الحب المأكول وقيل الريحان كل بقل طيب الريح سمي ريحانا
لان الانسان يراح لها رائحة طيبة اي يشم فهو فعلان من الرائحة
واصل الياء في الكلمة واو قلبت ياء للفرق بينها وبين الروحان وهو كل شيء
له روح وقال ابن الاعرابي يقال شيء روحاني وريحاني اي له روح ويجوز ان
يكون على وزن ريعان فاصله روحان فابدل من الواو ياء وادغم لهن ولين
ثم الرمز التخفيف لطوله والمد الاهتزاز والحركة وفي الصحاح والريحان بقل معروف
والريحان الرزق تقول خرجت اسعى ريحان الله قال النمر بن تولب

• • • • • • • • • سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درر • • • • • • • • •

وفي الحديث الولد من ريحان الله وقولهم سبحان الله وريحانه نصبوها
على المصدر يريدون تنزيها له واسترزاقا واما قوله والحب ذو العصف والريحان
فالعصف سوق الزرع والريحان ورقه عن الفراء وقراءة العامة والحب ذو
العصف ذو الريحان بالرفع منهما كلها على العطف على الفاكهة ونصبهما كلها ابن
عامر وابو جعفر والمعنى عطفا على الارض وقيل باضمار فعل اي وخلق
الحب ذا العصف والريحان ومن هذا الوجه حسن الوقف على ذات الاكمام
وجر حمزة والكسائي الريحان عطفا على العصف اي فيها الحب ذا العصف
والريحان ولا يمتنع ذلك على قول من جعل الريحان الرزق فيكون كانه قال
والحب ذا الرزق من حيث كان العصف ورقا لان العصف رزق البهائم
والريحان رزق الناس ولا شبهة فيه في قول من قال انه الريحان المشموم
فبأي الاء ربكما تكذبان خطاب للانس والجن لان الانام واقع عليهما وهذا قول
الجمهور يدل عليه حديث جابر المذكور اول السورة خرجه الترمذي وفيه
للجن احسن منكم ردا وقيل لما قال خلق الانسان وخلق الجان دل ذلك على
انه ما تقدم وما تاخر لهما قال سنفرغ لكم ايها الثقلان وهو خطاب للانس
والجن وقد قال في هذه السورة يا معشر الجن والانس وقال الحجاج
خاطب الجن مع الانس وان لم يتقدم للجن ذكر كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب
وقيل ذكر الجن فيما سبق نزوله من القرآن والقرآن كالسورة الواحدة فاذا ثبت
انهم يكلفون كالانس خوطب الجنان بهذه الآيات وقيل الخطاب للانس على عادة
العرب في الخطاب للواحد بلفظ الاثنين حسب ما تقدم من القول في القيا
في جهنم وكذا قولهم • قفا نبك وخليلي مراي • فاما ما بعد خلق الانسان
وخلق الجان فانه خطاب للانس والجن والصحيح قول الجمهور لقوله والارض
وضعها للانام والانام النعم وهو قول جميع المفسرين واحدها الا والامثل
معا وعصا والي وقالي اربع لغات حكاها النحاس قال وفي واحد انا القبل
ثلاث يقصر منها المفتوحة الالف الساكنة اللام وقد مضى في الاعراف والنجم
وقال ابن زيد انها القدرة وتقدير الكلام فباي قدرة ربكما تكذبان وقاله
الكلبي واختاره الترمذي محمد بن علي وقال هذه السورة من
بين السورة علم القرآن والعالم امام الجند والجند تبع وانما صارت
علما لانها سورة صفة للملك والقدرة فقال الرحمن علم القرآن فافتتح السورة
باسم الرحمن من بين الاسماء لعلم العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا من افعاله
ومن ملكه وقدرته خرج اليهم من الرحمة والنعمى من دعا نبيه فقال
الرحمن علم القرآن ثم ذكر الانسان فقال خلق الانسان ثم ما ذكر مما صنع به
وما من عليه به ثم ذكر حسبان الشمس والقمر وسجود الاشياء ما لهم وسجودهم وذلك

وذكر رفع السما ووضع الميزان للايام تخاطب هذين الثقلين الجن والانس حين
راوا ما خرج من القدرة والملك ترحما نسبه التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة
الي ذلك فاشركوا به الاوثان وكل معبود يجدوه من دونه وجحدوا الرحمة التي
خرجت هذه الاشياء بها اليهم فقال سايلا لهم فباي الاربكما تكذبان فباي قدرة
ربكما تكذبان فايما كان تكذيبهم ايهم جعلوا له في هذه الاشياء التي خرجت من ملكه و
قدرته شريكا يملك معه وبعد معد فوصفه لك تكذبهم ثم ذكر خلق الانسان
من صلصال وذكر خلق الجان من مارج من نار سرسالهم فقال فباي الاء
ربكما تكذبان فانه في كل خلق بعد خلق قدرة بعد قدرة فالتكرير في هذه الآية
للتاكيد والمبالغة في التقرير وايجاد الحجة عليهم بما وقفهم على خلق خلق وقال
القتبي ان الله تعالى عدد في هذه السورة نعماه وذكر خلقه الاه لما سبق كل جملة
وصفها بهذه وجعلها فاصلة بين كل نعتين ليبنبههم على النعم ويقررهم
بها كما تقول لمن سابغ فيه احسانك وهو يكفره ويبكرها لم تكن فقيرا
واغنيتك افتنكر هذا لم تكن خاملا فعززناك افتنكر هذا لم تكن راجلا فحملناك
افتنكر هذا والتكرير حسن في مثل هذا قال

كم نعمة كانت لكم كم وكم • ثم قال لا تقتلي سلما ان

كنت مسلمة اياك من دمه ابا لك ابا لك • وقال اخر

لا يقطعن الصديق ما طرفت عيناك من قولكا شح اشر •

ولا يلومن من زياره وره وزره وزر وزر وقال

الحسين بن الفضل التكرير طردا للغفلة وتاكيدا للحجة **قوله تعالى** خلق الانسان
لما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير من السماء والارض وما فيهما من الدلالات على
وحدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال خلق الانسان اي باتفاق اهل
التاويل يعني ادم من صلصال الطين اليابس الذي يسمع لصلصلة شبههم به في الجفاف
الذي طبخ وقيل الطين خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من صل اللحم واصل اذا بين
وقد مضى في الحجر وقال هنا من صلصال كالفخار وقال هناك من صلصال من حماء مسنون
وقال انا خلقناهم من طين لازب وقال كمثل ادم خلقه من تراب وذلك متفق المعنى
وذلك انه اخذ من تراب الارض فجعله فصار طينا ثم انتقل فصار كالحما المسنون
ثم انتقل فصار صلصالا كالفخار وخلق الجان من مارج من نار قال الحسن
الجان ابليس وهو ابو الجن كما ان ادم ابو البشر وقال خلق الله الجان من خالص النار وعنه
ايضا من لسانها الذي يكون في طرفها اذا التهبت وقال ابو عبيدة المارج الشعلة الساطعة
ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس ايضا اللهب الذي يعلو النار فيختلط
بعضه ببعض احمر واصفر واخضر ونحوه عن مجاهد وكل متقارب المعنى وقيل المارج
كل مرسل غير ممنوع ونحوه قول المبرد قال المبرد المارج الهارب المرسل واصله من
مرج اذا اضطرب واختلط ويروى ان الله تعالى خلق نارين فمرج احداهما بالاخرى
فاكلت احداهما الاخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس قال القتيبي والمارج
هنا للغة المرسل او المختلط وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله ماء دافق وعيشة راضية
والمعنى ذو مرج وقال الجوهري في الصحاح ومارج من نار لا دخان لها خلق منها
الجان فباي الاربكما تكذبان **قوله تعالى** رب المشرقين ورب المغربين اي هو
رب المشرقين وفي الصافات رب المشارق والمغارب وقد مضى الكلام فيه
هناك **قوله تعالى** مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان مرج اي
خلى وارسل واهمل يقال مرج الناس السلطان اي اهملهم واصل المرج الاهمال
كما يمرج الدابة في المرعى ويقال مرج خلط وقال الاخفش ويقول قوم امرج البحرين
مثل مخرج نعل وافعل يجيء البحرين قال ابن عباس بحر السما وبحر الارض وقاله
سعيد ابن جبير يلتقيان في كل عام وقيل يلتقيان طرفاهما وقال الحسن وقتادة
بحر فارس وبحر الروم وقال ابن جريج انه البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر
المشرق والمغرب يلتقي طرفاهما وقيل بحر الدلو والمرجان بينهما برزخ حاجز
فعلى القول الاول ما بين السماء والارض قاله الضحاك وعلى القول الثاني الارض
التي بينهما وهي الحجاز قاله الحسن وقتادة وعلى غيرهما من الاقوال المتقدمة الا الاخير

على ما تقدم في الفرقان وفي الخبر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى كلم ابا صاحبة الغرية فقال اني حامل فيك عبادا لي يسبحوني ويكبروني ويهللوني
فكيف انت لهم قالت يا رب اعرفهم يا رب قال فابي احلهم على بركي واجعل
لباسك في نواحك ثم كلم ابا احبة الشرعية فقال اني حامل فيك عبادا لي يسبحوني
ويكبروني ويهللوني ويمجدوني فكيف انت لهم قالت اسبحك معهم اذا سبحوك
واكبرك معهم اذا كبروك واهللك معهم اذا هللوك وامجدك معهم اذا مجدوك
فاباهما الله الحلية وجعل بينهما برزخا وحول احدهما اجاجا ونفى الاخر على
حالته عذبا فرانا ذكر هذا الخبر الترمذي الحكيم ابو عبد الله قال حدثنا صالح بن محمد
قال حدثنا القسم العمري قال عن سهيل عن ابيه عن ابي هريرة لا يبغيان قال
ثنتانة لا يبغيان على الناس فتعرفا ثم جعل بينهما وبين الناس التنس
وعنه ايضا ومجاهد لا يبغي احدهما على الاخر فيحلبه ابن زيد المعنى لا يبغيان
لا يلتقيا وتقديرا لكلام مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما
لا يبغيان اي يلتقيان وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخرة اي بينهما مدة
قدرها الله تعالى وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان فاذا اذن الله في انقضاء
الدنيا صار البحر سبتا واحدا وهو كقوله تعالى واذا البحار فجرت وقال اسمعيل
بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة
قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي يخرج لكم من الماء اللؤلؤ والمرجان
كما يخرج من الترابين الحب والعصف والريحان وقرا نافع وابو عمرو بضم الياء
وفتح الراء على الفعل المجهول الباقون يخرج بفتح الياء وضم الراء ان اللؤلؤ
هو الخارج وقال منهما وانما يخرج من الملح لا العذب لان المرجان يجمع الجنسين
لم يخبر عن احدهما كقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم وانما
الرسل من الانس دون الجن قاله الكلبي وغيره وقال الزجاج قد ذكرهما الله تعالى
فاذا خرج من احدهما شيء فقد خرج منهما وهو كقوله تعالى الم تر وكيف خلق
الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا والقمر في السماء الدنيا وكم
احمل ذكر السبع وكان ما في احداهن فيهن وقال ابو علي الفارسي
هذا من باب حذف المضاف اي من احدهما كقوله تعالى على رجل من القريتين
عظيم اي من احدى القريتين وقال الاخفش سعيد زعم قوم انه يخرج اللؤلؤ
من العذب وقيل هما بحران يخرج من احدهما اللؤلؤ ومن الاخر المرجان ابن عباس
هما بحر السماء والارض فاذا وقع ما السماء في صدف البحر انعقد اللؤلؤ فصار
خارجا منهما وقاله الطبري قال الثعلبي وقد ذكر لي ان نواة كانت في جوف صدفة
فاصابته القطرة بعض النواة ولم يصب البعض فكان حيث اصاب القطرة
من النواة لؤلؤة وسائرها نواة وقيل ان العذب والملح قد يلتقيان فيكون
العذب كالنكاح للملح فينسب اليهما كما ينسب الولد الى الذكر والانثى وانث
ولده الانثى وكذلك قيل انه لا يخرج اللؤلؤ الا من موضع يلتقي فيه العذب
والملح ثم قيل المرجان عظام اللؤلؤ وكباره قاله علي وابن عباس رضي
الله عنهما واللؤلؤ صغاره وعنهما ايضا بالعكس ان اللؤلؤ كبار اللؤلؤ والمرجان
صغاره قاله الضحاك وقتادة وقال ابن مسعود وابو مالك المرجان الخرز الاحمر
قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت قرأ العامة المنشئات بفتح الشين
قال قتادة اي المخلوقات للجري ماخوذ من الانشاء وقال مجاهد
هي السفن التي رفع قلعها قال واذا لم يرفع قلعها فليست بمنشأة وقال
الاخفش انها المجريات وفي الحديث ان عليا رضي الله عنه رأى سفنا مقلعة
فقال وله الجوار المنشآت ما قتلت عثمان ولا مالات في قتله وقرأ حمزة وابو
بكر عن عاصم باختلاف عنه المنشأت بكسر الشين اي المنشآت السير
اضيف الفعل اليها على المجاز والاتساع وقيل الرافعات للشرع اي القلع
ومن فتح الشين قال المرفوعات الشرع كالاعلام اي كالجبال والعلم الجبل
الطويل قال ——— اذا قطعنا علم بدا علم ● كالسفن في البحر كالجبال
في ابرة وقد مضى في الشورى بيانه وقرأ يعقوب الجواري بيا في الوقف

وحذف الياقوت **قوله تعالى** كل من عليها فان الضمير في عليها للارض وقد جرى ذكرها في اول السورة في قوله تعالى والارض وضعها للانام وقد يقال هو اكرم من عليها يعني الارض وان لم يجر لها ذكر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قالت الملائكة هلك اهل الارض فنزل كل شئ هالك الا وجهه فاثبت الملائكة بالهلاك وقالم متماثل ووجه النعمة في فناء الخلق التسوية بينهم في الموت ومع الموت يستوي الاقدام وقيل وجه النعمة ان الموت سبب المصل الى دار الجزاء والثواب ويبقى وجه ربك ويبقى الله فالوجه عبارة عن وجوده ودائمه سبحانه قال الشاعر

قضى على خلقه المنايا وكل شئ سواه فان

وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا ابن فورك وابو المعالي وغيرهم وقال ابن عباس الوجه عبارة عنه كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال ابو المعالي واما الوجه فالمراد به عند معظم اهل السنة وجود الباري تعالى وهو الذي ارتضاه شيخنا ومن الدليل على ذلك قوله تعالى ويبقى وجه ربك والموصوف بالبقاء عند تعرض الخلق للفناء وجود الباري تعالى وقد مضى في البقرة القول في هذا عند قوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله وذكرنا في الكتاب الاسني مستوفى قال القشيري قال قوم هو صفة زايدة على الذات لا تكيف يحصل بها الاقبال على من اراد الرب تخصيصه بالاكرام والصحيح ان يقال وجهه وجوده ودائمه يقال هذا وجه الامر ووجه الصواب وعين الصواب وقيل اي يبقى الظاهر بادلته الظهور الانسان بوجهه التي يتقرب بها الى الله ذو الجلال اسم من جل والاكرام اي هو اهل لان يكرم عما لا يليق به من الشرك كما يقول انما اكرمك عن هذا ومنه اكرام الانبياء والاولياء وقد اثبتنا على هذين الاسمين لغة ومعنى في الكتاب الاسني مستوفى وروي انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الطوا بيا ذا الجلال والاكرام وروي انه من قول ابن مسعود ومعناه الزموا ذلك في الدعا قال ابو عبيد الالطاط الالزام ولزوم الشئ والمساره عليه ويقال الالطاط الالحاح وعن سعيد المقبري ان رجلا الح فجعل يقول اللهم يا ذا الجلال والاكرام اللهم يا ذا الجلال والاكرام فقال له عبد الله بن عامر استجيب لك فسمعت لما حاجتك **قوله تعالى** يسئله من في السموات والارض قال المحيي يسئله من في السموات الرحمة ومن في الارض الرزق وقال ابن عباس وابو صالح اهل السموات يسئلونه المغفرة ولا يسئلونه الرزق واهل الارض يسئلونهما جميعا وقال ابن جريج وسئلته الملائكة الرزق لاهل الارض فكانت المسئلتان جميعا من اهل السماء واهل الارض لاهل الارض وفي الحديث ان من الملائكة ملكا له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان وهو سئل الله الرزق لبني ادم ووجه كوجه الاسد وهو يسئل الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسئل الرزق للبهايم ووجه كوجه النسر وهو يسئل الرزق للطيور وقال ابن عطا انهم سألوه القوة على العبادة كل يوم هو في شان هذا الكلام مبتدا وانتصب كل يوم ظرفا لقوله في شان اوظرفا للسوال ثم يبتدئ هو في شان وروى ابو الورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو في شان قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع اقواما ويضع اخرين وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل قال كل يوم هو في شان قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا ويقبل من شاء انه يحيي ويميت ويعز ويذل ويرزق ويمنع وقيل اراد شانه في توفي الدنيا والاخرة قال ابن عمر الدهر كله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخرة يوم القيمة فشانه سبحانه في ايام الدنيا الابتلا والاختبار بالامر والنهي والاحيا والاماتة والاعطا والمنع وشانه يوم القيامة الجزا والحساب والثواب والعقاب وقيل المراد بذلك الاخبار عن شانه في كل يوم من ايام الدنيا وهو الظاهر والشان في اللغة الخطب العظيم والجمع الشؤون والمراد بالبيان هاهنا الجمع كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا وقال الكلبي بيانه سوق المقادير الى المواقيت وقال عمرو بن ميمون في قوله تعالى كل يوم هو في شان من شانه ان يحيي حيا ويقر في الارحام ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويسالم بعض الاسراء

وزيره عن قوله كل يوم هو في شان فلم يجرق معناها واستمهله الى الغد فانصرف
كئيبا الى منزله فقال له علام له اسود ما شانك فاخبره فقال عد الي الامير فاني
اسرها له فدعاه فقال ايها الامير شانه ان يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل ويخرج الميت من الحي ويخرج الحي من الميت ويشفي سقيما ويسقم سليما
ويبتلي معافا ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا
فقال له فرجت عني فرج الله عنك ثم امر بخلع ثياب الوزير وكساها الغلام فقال
يا مولاي هذا من شان الله تعالى وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل
وقال له اشكلت علي ثلاث ايات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين
وقد صح ان الندم توبة وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف
وقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في
هذه الامة تخصيصا يصلح بيارهم فيها الاصم وقيل ان ندم قابيل لم يكن الى قبل
هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما
سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الغا واما قوله كل يوم هو في شان فانما سوون
بينهما لا سوون بينهما فقام عبد الله وقبل راسه ثم حراحه
سنفرغ لكم ايها الثقلان يقال فرغت من الشغل افرغ فرغا وفراغا وتفرغت
لكذا واستفرغت مجهودي في كذا اي بذلته وليس بالله تعالى شغل يفرغ به وانما
المعنى سنقصد لمجازاتكم ومحاسبتكم وهذا وعيد وتهديد لهم كما تقول الغابل
لمن يريد تهديده اذا تفرغ لك ايها اقصد قصدك ومرع بمعنى قصد وانشد
ابن الانباري في مثل هذا الحرير

الان وقد فرغت لي غير فهد حين كنت لها عذابا

يريد وقد قصدت وقال ايضا انشده الفراء

فرغت الى العبد المعيد في الحمل

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا اهل الجباجب هذا
مذمم تبايع بني عمه على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا ازعر من الكعبة
العقبة اما والله يا عدو الله اي افرغ لك الان امرك وهذا اختيار الفتبي و
الكسائي وغيرهما وقيل ان الله تعالى وعد على التعويب واوعد على التجويز ثم قال
سنفرغ لكم مما وعدناكم ويوصل الى ما وعدناه اتتم ذلك وانفرغ منه قال
الحسن ومقاتل وابن زيد وقرا عبد الله وابي سنفرغ اليكم وقرا الاعمش وابرهيم
سنفرغ لكم بضم الياء وفتح الغين العجمة على ما لم يسم فاعله وقرا ابن شهاب والاعمش سنفرغ
بفتح النون والراء قال الكسائي هي لغة تميم يقولون فرغ يفرغ وحكى ايضا فرغ
يفرغ ورواها هبيرة عن حفص عن عاصم وروى الجعفي عن ابي عمرو سنفرغ بفتح
الراء والياء وروبت عن ابي هرمز وروي عن عيسى الثقفي سنفرغ بكسر النون
وفتح الراء وقرا حمزة والكسائي سنفرغ بالياء والياقون بالنون وهي لغة تهامية
والثقلان الجن والانس سميا بذلك لعظم شانهما بالاضافة الى ما في الارض من غيرهما
بسبب التكليف وقيل سموا بذلك لانهم ثقل على الارض احيا واموانا قال الله
تعالى واخرجت الارض اثقالها ومنه قولهم اعطه بثقله اي وزنه وقال
اهل المعاني كل شيء له قدر ووزن يبقى فيه فهو ثقل ومنه قيل للبعض
الحمام ثقلان واحده وصايده يفرح به اذا اظفر به وقال جعفر الصادق
سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقال سنفرغ لكم ايها المجموع ثم قال ايها الثقلان
لانهما فريقان وكل فريق جمع وكذا قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم
ولم يقل ان استطعتما لانهما فريقان في حال الجمع لقوله تعالى فاذا هم فريقان
يختصمون وهذان خصمان اختصموا في ربهم ولو قال سنفرغ لكما وقال ان استطعتما
لجاز وقرا اهل الشام انه الثقلان بضم الهاء الباقون بفتحها وقد تقدم هذه الاية
في هذه السورة والاحقاف وقل اوحي الي دليل على ان الجن مخاطبون مامورون
منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء مؤمنهم كمؤمنهم وكافرهم ككافرهم
لا فرق بينهما وبينهم في شيء من ذلك **قوله تعالى** يا معشر الجن والانس ان
ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض الاية ذكر ابن المبارك

واخبرنا جويبر عن الضحاك قال اذا كان يوم القيامة امر الله سماء الدنيا فسقفت باهلها فتكون الملايكة عليها حافاتها حتى يامرهم الرب فينزلون بالارض يحيطون بالارض ومن فيها ثم يامر اسماء التي تليها فيكون صفا في جوف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم السماء الرابعة ثم السماء الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فينزل الملك الاعلى في ظلل من الغمام وملكه وحبيبه السري جهنم ويسحبون زفيرها وشهيقها فلا يانون قطرا من اقطارها الا وجدوا صفوفا من الملايكة فذلك قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان والسلطان الحرور وقال الضحاك ايضا بينما الناس في اسواقهم انشقت السماء وتزلزلت الملايكة بمهرب الجن والانس فتخرق بهم الملايكة فذلك قوله لا تنفذون الا بسلطان ذكره النحاس قلت

على هذا يكون في الدنيا وعلى ما ذكر ابن المبارك يكون في الاخرة وعن الضحاك ايضا ان استطعتم ان تهربوا من الموت فاهربوا وقال ابن عباس ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات ومن في الارض فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان اي بيينة من الله تعالى وعنه ايضا ان معنى لا تنفذون الا بسلطان من سلطاني وقدرتي عليكم قتادة لا تنفذون لا بملك وليس لكم ملك وقيل لا تنفذون الا الى سلطان الله بمعنى اللام كقوله تعالى وقد احسن بي اي الي قال الشاعر

• • اسي بنا او اصبحي لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلب وتقلي • • •

وقوله فانفذوا امر تعجيز **قوله تعالى** يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس اي لو خرجتم ارسل عليكما شواظ واحدكما العذاب المانع من المقصود وقيل ليس هذا متعلقا بما قبله بل اخبار انه يعاقب العصاة عذابا بالنار وقيل اي يا ايها الثقلان يرسل عليكما شواظ من نار والشواظ في قول ابن عباس وغيره اللهب الذي لا دخان له والنحاس الدخان الذي لا لهب له ومنه قول امنة بنت ابي الصلت يهجو حسان بن ثابت كذا وقع في تفسير الثعلبي والماوردي ابن ابي الصلت وفي الصحاح وابو قيس والابتر لابن الانباري اسمه ابن خلف

الا من مبلغ حسانا عني مغلغلة تقر عيني عطاط
البيت بوك فينا كان فينا لدى الغيضات همل في الخماط
عاسا بطلا تشذ كبرا وبغيا دسالهب الشواظ
فاجابه حسان فقال
هجوتك فاختضعت لها بذل بما فيه ياح كالشواظ وقال رويه
ان لهم من وقعنا انتباطا ونار حرب يسر سبر الشواظا

وقال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقاله سعيد بن جبير وقد قيل ان الشواظ النار والدخان جميعا قاله ابو عمرو وحكاه عن الاخفش عن العرب وقرا ابن كثير شواظ بكسر الشين الباقون بالضم وهما لغتان مثل صوار وصوار لقطيع البقر ونحاس قراءة العامة ونحاس بالرفع عطف على شواظ وقرا ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وابو عمرو ونحاس بالخفض عطفا على نار والدخان جميعا فالجر في نحاس على هذا بين فاما الجر على قول من جعل الشواظ اللهب لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا على تقدير حذف موصوف كانه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فشيء معطوف على شواظ ومن نحاس جملة هي صفة لشيء وحذف شيء وحذفت من لتقدم ذكرها في من نار كما حذفت على من قولهم علي من ينزل انزل عليه فيكون نحاس على هذا محرورا بمن المحذوفة وعن مجاهد وحميد وعكرمة وابي العالية ونحاس بكسر النون لغتان كالشواظ والشواظ والنحاس بالكسر ايضا الطبيعة والاصل يقال فلان كريم النحاس والنحاس ايضا بالضم اي كريم النجار وعن مسلم بن جندب ونحس بالرفع وعن حنظلة ابن مرة بن النعمان الانصاري ونحس بالجر عطف على نار ويجوز ان يكون ونحاس بالكسر جمع نحس كصعب وصعاب ونحس بالرفع عطف على شواظ وعن الحسن ونحس بالضم فيمن جمع نحس ويجوز ان تكون اصله ويجوز فقصر بحذف واوه حسب ما تقدم

عند قوله تعالى وبالنجم هم يهتدون وعن عبد الرحمن بن ابي بكرة ونحس بفتح النون
وضم الحاء وشد السين من حس يحس حسا اذا استاصل ومنه قوله تعالى اذ تحسونهم
باذنه والمعنى تقتل بالعذاب وعلى القراءة الاولى ونحاس فهو الصفر المذاب
يصب على رؤسهم قاله مجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس وعن ابن عباس ايضا
وسعيد بن جبير ان النحاس الدخان الذي لا لهب له وهو قول الخليل والنحاس
وهو معروف في كلام العرب قال النابغة بني جعده

يضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيها نحاسا

قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول السليط دهن السمسم بالشام ولا دخان
فيه قال مقاتل هي خمسة انهار من صفو مذاب تجري من تحت العرش وتهران على
النهار وقال ابن مسعود النحاس الممل وقال الضحاك هو درديء الزيت المغلي
وقال الكسائي هو النار الذي له ريح شديدة فلا تنتصران ايها لا
تنصر بعضكم بعضا يعني الجن والانس **قوله تعالى** فاذا انشقت السماء الاية
انصدعت يوم القيامة فكانت وردة كالدهان الدهان الدهن عن مجاهد والضحاك
وغيرهم والمعنى انها صارت في صفاء الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال
سعيد بن جبير وقتادة المعنى فكانت حمراء وقيل المعنى تتصدع في حمرة الورد وحمرة
الدهن اي بلون مع الانشقاق حتى يصير حمراء من حرارة نار جهنم ويصير مثل
الدهن لرقتها وذوبانها وقيل الدهان الجلد الاحمر الصرف ذكره ابو عبيد
والفراء اي يصير السماء حمراء كالادم لسرعة حوالتها وابن عباس المعنى فكانت
كالفرس الورد يقال للكميت ورد اذا كان يتلون بالوان مختلفة قال
ابن عباس الفرس الورد في الربيع كميت اصفر وفي اول الشتا كميت احمر اذا
اشتد الشتا كان كميتا اغبر وقال الفراء اراد الفرس الوردة تكون في الربيع ورده الى
الصفرة فاذا اشتد البرد كانت ورده حمرا فاذا كان بعد ذلك كانت وردة الى
الغبرة فشبه تلون السما بتلون الورد من الجبل وقال الحسن كالدهان اي كصب
الدهن فانك اذا صببته ترى فيه الوانا وقال زيد بن اسلم المعنى انها تصير كمكر
الزيت وقيل المعنى انها تمور وتجيء وقال الزجاج اصل الواو والراء والدال
للمجيء والاتيان وهذا قريب مما قدمنا من ان الفرس الورده تتغير الوانها
وقال قتادة انها اليوم خضرا وسيكون لها لون احمر حكاه الثعلبي وقال
الماوردي وزعم المتقدمون ان اصل السما الحمرة وانما لكثرة الكواكب وبعد
المسافة يرى بهذا اللون الازرق وشبهوا ذلك بزرقة العين هي حمرة في الحمرة
الدم وتزرق بالحايل زرقا فان كان هذا صحيحا فان السما تغيرها من البواطر
وارتفاع الحواجز يرى حمرا لانه اصل لونها والله اعلم **قوله تعالى** فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان هذا مثل قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
وان القيامة مواطن لطول ذلك اليوم يسأل في بعض ولا يسأل في بعض وهذا
قول عكرمة وقيل المعنى لا يسألون اذا استغرقوا في النار قال الحسن وقتادة
لا يسألون عن ذنوبهم لان الله حفظها عليهم وكتبتها الملائكة رواه العوفي عن
ابن عباس وعن الحسن ومجاهد ايضا المعنى لا يسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم
بسيماهم دليله ما بعده وقاله مجاهد عن ابن عباس وعنه ايضا في قوله تعالى
فوربك لنسئلنهم اجمعين وقوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
ولا يسألهم ليعرف ذلك منهم لانه اعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم ليعلموها سوال
توبيخ وقال ابو العالية لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة كانت المسئلة
قبل ثم ختم على افواه القوم وتكلمت الجوارح فشهدت عليهم وفي حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قال فيلقى العبد فيقول اي فل الم اكرمك واسودك
وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول افظننت
انك ملاقي فيقول اي انساك كما ينسى ثم يلقى الثانية فيقول له ويقول هو مثل
ذلك بعينه ثم يلقى الثالثة فيقول له مثل ذلك فيقول له يا رب امنت بك وبكتابك
وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ها هنا
اذا ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك فيفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي

تختم

تختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من
نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه وقد مضى هذا الحديث في آخر السجدة
قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال الحسن سواد الوجه وزرقة الاعين قاله
الله تعالى ويحشر المجرمين يوم نذ زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فيؤخذ
بالنواصي والاقدام اي يأخذ الملائكة بنواصيهم اي بشعور مقدم رؤسهم واقدامهم
فيلقونهم في النار والنواصي جمع ناصية وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه
في سلسلة من وراء ظهره وعنه يؤخذ برجلي الرجل بينهما وبين ناصيته حتى يلقى
ظهره ثم يلقى في النار وقيل يفعل ذلك به ليكون اشد لعذابه واكبر لتشويهه وقيل
تسحبهم الملائكة الى النار تارة بأخذ ناصيته ويجرون على وجهه وتارة بأخذ بعد يديه
وتسحبه على راسه **قوله تعالى** هذه جهنم اي يقال لهم هذه النار التي كنتم
بها تكذبون يطوفون بينها وبين حميم آن قال قتادة يطوفون مرة بين الحميم ومرة
بين الجحيم والجحيم النار والحميم الشراب وفي قوله تعالى ان لذيه اوجه احدها انه الذي
قد انتهى حره وحميه قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ومنه قول النابغة
الذبياني وخضب لحيته عذرت وحانت بأحمر من نجيع الجوف آن
قال قتادة اذا طبخ منذ خلق الله السموات والارض تقول اذا استغاثوا من النار رجل
عباءتهم ذلك وقال كعب ان وادي من اودية جهنم يجتمع فيه صديد اهل النار
فتقيموا باعمالهم فيه حتى يحلئ اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم
خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله يطوفون بينها وبين حميم وعن كعب ايضا
انه الحاضر وقال مجاهد ايضا انه الذي قد آن شربه وبلغ غايته والنعمة فيما وصف
من هول القيامة وعقاب المجرمين وما في ذلك من الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه على ساب من الليل نظر فاذا السماء
فكانت وردة كالدهان فوقف الساب وحملقته العبرة وجعل يقول وبي من يوم يتشقق
فيه السماء وبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتى مثلها قوا الذي نفسي بيده
لقد ذلت ملائكة السماء من بكائك **قوله تعالى** ولمن خاف مقام ربه جنتان فيه
مسئلتان الاولى لما ذكر احوال اهل النار ذكر ما اعد للابرار والمعنى خاف مقامه
بين يدي ربه للحساب فترك المعصية لمقام مصدر بمعنى القيام وقيل خاف قيام
ربه عليه اي اشرافه واطلاعه عليه ببيانه افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت
وقال مجاهد وابراهيم النخعي هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه ه
قوله تعالى هذه الآية تدل على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت
طالق انه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالى وحياء منه وقال سفيان
الثوري وافتى به وقال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته
وقال ابن عباس من خاف مقام ربه بعد اداء الفرايض وقيل المقام الموضع اي خاف
مقامه بين يدي ربه للحساب كما تقدم ويجوز ان يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله
تعالى وهو كالاجل في قولك فاذا اجلهم وقوله في موضع اخر ان اجل الله اذا جاء
لا يؤخر جنتان اي لمن خاف جنتان على حدة فلكل خايف جنتان وقيل جنتان للجنسين
جميع الخايفين والاول اظهر وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الجنتان بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة ماية عام في وسط كل
بستان دار من نور في كل نور وليس منها شيء الا بحيرنه وحصره قوارها تابت وشجرها
ثابت ذكره المهدوي والثعلبي ايضا من حديث ابي هريرة وقيل ان الجنتين جنته
التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدي الجنتين منزله والاخري منزل ازواجه كما يفعل رؤسا الدنيا
وقيل ان احدي الجنتين اسافل القصور والاخري اعاليها وقال مقاتل هما جنة عدن وجنة النعيم
وقال الفراء انما هي جنة واحدة فثنى رؤس الايي واكرا لتثنى هذا وقال لا يجوز ان يقال
خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر لمراعاة رؤس الايي وايضا قال ذواتا
افنان وقال ابو جعفر النحاس قال الفراء وقد يكون جنة فسمى في الشعر وهذا القول
من اعظم الغلط على كتاب الله تعالى يقول الله عز وجل جنتان ويصفهما بقوله
فيهما فيدع الظاهر ويقول يجوز ان يكون جنة ويجيء بالشعر وقيل انما كان اثنتين
ليتضاعف لهما السرور بالنظر من جهة الي جهة وقيل نزلت في ابي بكر الصديق

رضي الله عنه خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين ارتفعت والنار حين ابرزت
قاله عطا وابن شوذب وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فاعجبه
فسال عنه فاخبر انه من غير حل فاستقاه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه
فقال رحمك الله لقد انزلت فيك ايه وتلى عليه هذه الآية **قوله تعالى** ذواتا
افنان قال ابن عباس وعبرة اي ذواتا الوان من الفاكهة الواحد فن وقال مجاهد
الافنان الاغصان واحدها فنن قال النابغة

• حمامة نجدية ارهمزيلا معجة على فنن يعنى • وقال اخر يصف طائرا
ما ان على عضرباني دري فنن بردد الحمامات الوان
• اراد بالحمون الحمامات وقال اخر
ماهاج شوقك من هدير حمامة تدعو على فنن الغصون حماما
• تدعو الما وحين صاد وصار بادا محلتين من الصفور خطاما
والفنن جمعه افنان ثم الافانين وقال نصر جي
• لها نعام من افانين الشجر وسحره قبا اي ذات افنان وقيل ايضا على
غير قياس والحديث اهل الجنة مرد محلون اولوا افانين بيد اولوا فنن
وهو جمع افنان وافنان جمع فنن من السعر نسبه بالغصن ذكره الهروي وقيل
ذواتا افنان اي ذواتا سعة وفضل على سواها قاله قتادة وعن مجاهد
ايضا وعكرمة ان الافنان ظل الاغصان على الحيطان **قول تعالى**
فيهما عينان تجريان اي في كل واحدة منهما عينان جاريتان قال ابن عباس
تجريان ما بالزيادة والكرامة من الله تعالى على اهل الجنة وعن ابن
عباس ايضا تجريان بالماء الزلال احدى العينين التسنيم والاخرى
السلسبيل وعنه ايضا عينان مثل الدنيا اضعافا مضاعفة حسا وهما
اليا قوت الاحمر والزبرجد الاخضر وذواتيهما الكافور وهما المسك
الادفر فحافاتهما الزعفران وقال عطية احداهما من ماء غير اسن والاخرى
من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك وقال ابو بكر
الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من
مخافة الله تعالى **قوله تعالى** فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان
وكلاهما وكلاهما حلو ليست لذة قال ابن عباس ما في الدنيا حلوه ولا مره الا و
هي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو وقيل صفة زوجان رطب ويابس لا يقصر
هذا عن ذلك في الفضل والطيب وقيل اراد تفضيل هاتين الجنتين على الجنتين
اللتين دونهما في انه ذكرها هنا عينين وذكر ثم عينين جاريتين وذكر ثم
عينين نضاختين بالماء والنضخ دون الجري فكانه قال في تلك الجنتين
من كل فاكهة نوع وفي هذه الجنة من كل فاكهة نوعان **قوله تعالى** متكئين
على فرش هو نصب على الحال والفرش جمع فراش وقرا ابو حيوة فرش
باسكان الراء لتماثل جمع بطانة وهي التي تحت الظهارة والاستبرق
ما غلظ من الديباج وخشن اي اذا كانت البطانة التي تلي الارض هكذا
فما ظنك بالظهارة قاله ابن مسعود وابو هريرة وقيل لسعيد بن جبير
البطائن من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال الله فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما وصف الله تعالى لكم
بطائنها لتهتدي اليه ابصاركم فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله وفي الخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نور بين لا وعن الحسن
بطائنها من استبرق وظواهرها من نور خامد وعن الحسن ايضا البطائن
هي الظواهر وهو قول الفراء وروي عن قتادة والعرب تقول للبطن ظهرا
فيقولون هذا بطن السماء وظهر الارض وقال الفراء قد يكون البطانة
الظاهرة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول
هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء لظاهرها الذي نراه وانكر ابن قتيبة
وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين واذا ولي كل واحد
منهما قوم كالحائط بينك وبين قوم وعلى ذلك امر السماء وجنى الجنتين

دان الحنا ما يجتنى من السجر فقال انا نا حماه طيبه لكل ما يجتني و مر حتى على فعيل جيء
جني وقال الشاعر وقال الشاعر

هذا حماي وجباره فيما ذكر جاد به الي فيه

دان قريب قال ابن عباس لا تروا الشجرة حتى يجيئها ولي الله ان شا الله قايما وقاعدا
وان شا مضطجعا لا يرد به بعد ولا سوك فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فيهن قاصرات الطرف
في الجنتين المذكورتين قال الزجاج وانما قال فيهن لانه عنى الجنتين وما اعد لصاحبيه
من النعم وقيل فيهن يعود على الفرش التي بطايمنا من استبرق اي في هذه الفرش
قاصرات الطرف اي نسا قاصرات الطرف قصرن اعينهن على ازواجهن فلا يبغين
غيرهم وقد مضى في الصفات وجه الطرف مع الاضافة الى الجمع لانه في معنى المصدر
من طرفت عينه يطرف طرفا ثم سميت العين بذلك فاذ يعبر عن الواحد والجمع كقولهم
قوم عدل وصوم انتا نية قوله تعالى لم يطمثهن اي لم يصبهن بالجماع قبل ازواجهن
هؤلاء احرا لغرا والطمث الافتضاض وهو النكاح باليد منه طمثها يطمثها ويطمثها
طمثا اذا افتضها ومنه قيل للمراة طامث اي حايض وغير الغرا يجا لغة في هذا ويقوله
طمثها بمعنى وطمثها على اي الوجوه كان الا ان الغرا اعرف واشهر وقرا الكسايي لم
يطمثهن بضم الميم يقال طمثت المراة تطمث بالضم حاضت وطمثت بالكسر لغة فيه
طامث وقال الفرزدق دفعن الي لم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض النعام
وقيل لم يطمثهن اي لم يمسسهن قال ابو عمرو الطمث المس وذلك في كل شي يمس ويقال
للمربع ما طمث طا المربع قتلنا احر وما طمث هذه الناقة حمل اي ما مسها عقال
وقال المبرد اي لم يدللهن انس ولا جان والطمث الدليل وقرا الحسن جان بالهمز وهي
التا لغة في هذه الايته دليل على ان الجن تعشى كالانس وتدخل الجنة ويكون لهم
فيها جنات قال ضمرة للمومنين منهم ارواح من الحور فالانتساب للانس والجيناث
للجن وقيل اي اذ لم يطمث ما يحب الله للمومنين من الجن في الجنة من الحور العين
في الحسنات حسن ولم يطمث ما يحب الله للمومنين من الانس في الجنة من الحور العين
من الانسيات انس وذلك ان الجن لا تطا نسات ادم في الدنيا ذكره الشعبي قلت
قد مضى في النمل القول في هذا وفي سبحان وانه جايز ان تطا بيات ادم وقد قال
مجاهد اذا جامع الرجل ولم يسم لطوي الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله
تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان وذلك بان الله تعالى وصف الحور العين بانه
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان يعلمك ان نسا الادميات قد يطمثهن الجان وان
الحور العين قد تزوجن من هذا العيب وتزهن والطمث الجماع ذكره الترمذي الحكيم
وذكر المهدوي ايضا والثعلبي وغيرهما قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان
روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة
من نسا اهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك
بان الله عز وجل يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت
فيه سلكا ثم استصفيته لرايته ويروى موقوفا وقال عمرو بن ميمون ان المراة
من الحور العين ليلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء ذلك كما يرى الشراب
الاحمر في الزجاجة البيضا وقال الحسن هي في صفا الياقوت وبياض المرجان
قوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان هل في الكلام على اربعة اوجه
يكون بمعنى قد كقوله هل اتى وهل اتاك وبمعنى الاستفهام لقوله تعالى فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا وبمعنى الامر لقوله تعالى فهل انتم منتهون وبمعنى ما في
الجحد كقوله فهل على الرسول الا البلاغ المبين وهل جزاء الاحسان الا الاحسان
قال عكرمة اي هل جزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة ابن عباس اي ما جزاء
من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة وقيل اي
هل جزاء من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة قاله ابن زيد
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال
هل تدرون ما ذا قال ربكم هل جزا من انعمت عليه الا ان يوحدا الا الجنة وروي
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقال يقول الله هل جزاء

من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وخطيرة قدسي برحتي
وقال الصادق هل جزاء من احسنت اليه في الازل الا احتفظ الاحسان
عليه في الابد وقال محمد بن الحنفية والحسن هي مستحل للبر والفاجر
اي مرسله عليه الفاجر في الدنيا والبر في الاخرة **قوله تعالى** ومن
دونهما جنتان اي ولمن دون الجنتين الاولتين جنتان اخريان قال
ابن عباس ومن دونهما في الدرج ابن زيد ومن دونهما المفضل ابن عباس والجنات
لمن خاف مقام ربه فيكون في الاولتين الحل والشجر وفي الاخريين الزرع وانبات
وما انبسط الماء وردي ويحتمل ان يكون ومن دونهما جنتان لاتباعه لتصور
منزلتهم عن منزلتهم احداهما للحور العين والاخرى للولدان الملحقين ليتميز فيهما
الذكور من الاناث وقال ابن عباس هما ارتج جنتان منهما للسابقين المقربين
فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما
فاكهة ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان وقال ابن زيد ان الاولتين من
ذهب للمقربين والاخريين من ورق لاصحاب اليمين قلت الى هذا ذهب الحليمي
ابو عبد الله الحسن ابن الحسين في كتاب منهاج الدين له واحتج بما رواه سعيد
ابن جبير عن ابن عباس ولمن خاف مقام ربه جنتان الى قوله مدهامتان قال
ذانك للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين وعن ابي موسى الاشعري نحو ذلك
ولما وصف الله الحسنى اشار الى الفرق بينهما فقال في الاولتين فيهما عينان
تجريان وفي الاخريين نضاختان اي فوارتان ولكنهما لستا كالجاريتين لان
النضخ دون الجري وقال في الاولتين فيهما من كل فاكهة زوجان نعم ولم يخص
وفي الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان ولم يقل من كل فاكهة وقال في
الاولتين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وهو الديباج وفي الاخريين
متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان والعبقري الوشي ولا شك ان الديباج اعلا
من الوشي والرفرف كسر الحبا ولا شك ان العرش المعدة للائكة عليها افضل من فضل
الحبا وقال في الاولتين في صفة الحور العين كانهن الياقوت والمرجان وفي الاخريين
فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان وقال في الاولتين
ذواتا افنان وفي الاخريين مدهامتان اي خضراوان كانهما من شدة خضرتهما
سوداوان ووصف الاولتين بكثرة الافنان والاخرة بالخضرة وحدها وفي هذا
كله تحقيق للمعنى الذي قصدنا بقوله ومن دونهما جنتان ولعل ما لم يذكر من تفاوت
ما بينهما اكثر مما ذكر قال قيل كيف لم يذكر اهل هاتين الجنتين كما ذكر اهل الجنتين هم
الاولتين قيل الجنتان الاربع لمن خاف مقام ربه لان الجانبين لهم مراتب فالجنتان
الاوليان لاعلى العباد درجة في الخوف من الله تعالى والجنتان الاخريان لمن فضرت
حوله في الخوف من الله تعالى والجنتان الاخريان لمن تخصرت مذهب الضحاك ان
الجنتين الاوليين من ذهب وفضة والاخريين من ياقوت وزمرد وهما افضل من
الاوليين وقوله ومن دونهما اي ومن امامهما من قبلهما والى هذا القول ذهب ابو
عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال ومعنى ومن دونهما جنتان
اي دون هذا الى العرش اي اقرب وادنى الى العرش واخذ تفضيلهما على الاوليين
بما سنذكره عنه وقال مقابل الجنتان الاوليان عدن وجنة النعيم
والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى **قوله تعالى** مدهامتان اي
خضراوان من الري قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد مسودتان والدهمة
في اللغة السواد يقال فرس ادهم وبعير ادهم وناقة دهماء اي اشتدت وزفته
حتى ذهب البياض الذي فيه فان زاد على ذلك حتى اشتد السواد فهو حوت وادهم
الفرس اذهامها اي صار ادهم وادهمها الليل ادهاما اي اسود قال الله تعالى
مدهامتان اي سوداوان من شدة الخضرة من الري والعرب تقول لكل اخضر
اسود وقال لبيد يرثي قتلى هوازن

• • • وجاؤا به في هودج ووراءه كتاب حضر في نسيج السنور •

السنور لبوس من قد كالدرع وسميت قرية العراق سوادا لكثرة خضرتها ويقال
لليل المظلم احضر ويقال اتاكم الله حضراهم اي سوادهم **قوله تعالى**

فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء عن ابن عباس والنضح بالخاء اكثر من النضح
بالخاء وعنه ان المعنى نضاختان بالخير والبركة وقاله للحسن ومجاهد وابن مسعود
وابن عباس ايضا وانس ينضح علي اوليا الله بالمسك والعنبر والكافور في دور
اهل الجنة كما ينضح رش المطر وقال سعيد بن جبير بانواع الفواكه والما الترمذي
قالوا ان الفواكه في النعيم والحوار المرتبات والرواب المسرجات والبنات الملويات
قال الترمذي وهذا يدل على ان النضح اكثر من الجري وقيل ينبعان ثم يجريان قوله
تعالى فيهما فاكهة ونخل فيه مسئلتان الاولى قال بعض العلما ليس الرمان في النخل
من الفاكهة لان الشئ لا يعطف على نفسه انما يعطف على غيره وهذا ظاهر الكلام
وقال الجمهور هما من الفاكهة وانما اعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما وحسن موقعهما
في الفاكهة كقوله تعالى حفظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله من
كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال وقد تقدم وقيل انما كررهما لان
النخل والرمان كانا عندهما في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان
كالثمرات فكان بكر عرضهما عندهم لحاجتهم اليهما وكانت الفواكه عندهم من الوان
الثمار التي يجيبون بها فانما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لهوهما وكررهما عندهم
من المدينة الى مكة الى ما لاها من ارض اليمن فاخرجهما في الذكر من الفواكه وافرد
الفواكه على حدتهما وقيل افرد بالذكر لان النخل ثمرتها فاكهة وطعام والرمان فاكهة
ودواء فلم يجعلها للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله وهي المسئلة الثانية اذا حلف
ان لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفاه صاحباه والناس قال ابن
عباس والرمانة في الجنة مثل جلد البعير المقتب وذكر ابن المبارك قال اخبرنا سفيان
عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها
ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال
والدلا اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واليك من الزبد ليس فيه عجم قال
وحدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة قال نخل الجنة نضيد من اصلها الى
فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وان ماءها ليجري
في غير اخدود والعنقود اثنى عشر ذراعا قوله تعالى فيهن خيرات حسان
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى فيهن خيرات حسان فيه مسئلتان الاولى قوله
تعالى يعني النسا الواحدة خيرة على سبيل ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات
تخفيف كميت وكيس المبارك اخبرنا الاوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن
عامر قال لو ان خيرة من خيرات حسان اطلعت من السما لاضات لها ولملئت
ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف بكسر الحاء خمر من الدنيا وما فيها حسان
اي حسان الخلق واذا قال الله تعالى حسان فمن ذا الذي يقدر ان يصف
حسنهن وقال الزهري وقتادة خيرات الاخلاق حسان الوجوه وروي ذلك عن النبي
صلى الله عليه وسلم من حديث ام سلمة وقال ابو صالح لا تمر عداري الكار وقراء
قتادة وابن السميقع وابو رجا العطاردي وبكر بن حبيب السهمي خيرات بالتشديد
على الاصل وقد قيل ان خيرات جمع خيرة والمعنى ذوات خير وقيل محارات
قال الترمذي فالخيرة ما اختارهن الله تعالى لخلقهن باختياره فاختيار الله
لا يشبه اختيار الادميين ثم قال حسان فوصفهن بالحسن فاذا وصف خالقهن
الحسن سبا بالحسن فانظر ما هنالك وفي الاوليين ذكرنا عين قاصرات الطرف
وكاعب ابا قوت والمرجان فانظر كم بين الخيرة وهي مختارة الله وبين قاصرات
الطرف وفي الحديث ان الحور العين ياخذ بعضهن بايدي بعض ويتغنين باصوات
لم يسمع الخلائق باحسن منها ولا تميلها نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن المقيمات
فلا نضعن ابدا ونحن خيرات حسان حبيبات لازواج كرام خرجه الترمذي بمعناه
من حديث علي رضي الله عنه وقالت عايشة رضي الله عنها ان الحور العين اذا اخذن
هذه المقالة اجابهن المومنات من نساء اهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن
ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عايشة رضي الله عنها فعليهن والله التالية
واختلف ايما اكثر حسنا وافرجها الحور ام الادميات فقيل الحور لما ذكر من صفتهن
في القرآن والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعايه على الميت وابدله زوجا

خيرا من زوجه وفيل الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف روي مرفوعا وذكر
ابن المبارك واخبونا رشدين عن ابن انعم عن حسان بن ابي جبلة انا نساء الدنيا
من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا وقد قيل ان الحور العين المذكورة
في القرآن هن المومنات من ازواج النبيين والمومنين خلقهن في الاخرة على احسن صورة
قال الحسن البصري والمشهور ان الحور العين لسن من نساء اهل الدنيا انما هن مخلوقات
في الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نساء اهل الدنيا مطموثات
ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اقل ساكني الجنة نسا فلا يحتمل كل واحد منهم امراة
ووحد الحور العين لجماعتهم فثبت ان من غير نساء الدنيا قوله تعالى حور مقصورات
في الخيام حور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سواد العين وقد تقدم
معنى مقصورات محبوسات مستورات في الخيام في الجنان لسن بالطوافات في الطرق قاله ابن
عباس وقال عمر رضي الله عنه الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس وقال هو فرسخ اي
فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب وقال الترمذي الحكيم ابو عبد الله في قوله
تعالى حور مقصورات في الخيام بلغنا في الرواية ان سحابة مطرت من العرش فخلقن
من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الانهار سعتها اربعون
ميلا وليس لها باب حتى اذا دخل ولي الله بالخيمة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم
ولي الله ان ابصار المخلوقين من الملايكة والخدم لم يأخذها فهي مقصورة قد قصرها
عن ابصار المخلوقين والله اعلم وقال في الاوليين هن قاصرات الطرف قصرن طرفهن
عن الازواج ولم يذكر انهن مقصورات فدل على ان المقصورات اعلى وافضل وقال
مجاهد مقصورات قد قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلا منهم وفي الصحاح وقصرت
الشيء على كذا اذا لم يجاوز به الى غيره وامراة قصيرة وقصورة اي مقصورة في
البيت لا يترك ان يخرج قال ـــــــ كثير ـــــــ

• • وانت التي حببت كل قصيرة الي وما تدري بذاك القصائر •
• • عنيت قصيرات الحجال ولم ارد قصار الخطى شر النسا الحمايز •

وانشده الفراء قصوره ذكره ابن السكيت وروي انس قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم مررت ليلة اسري بي في الجنة بنهر حافاته قباب المرجان فنوديت منه السلام
عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل من هولاء قال هولاء حواريك من الحور العين استاذن
ربهن في ان يسلمن عليك فاذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ابدا ازواج رجال
كرام ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم حور مقصورات في الخيام اي محبوسات حبس
صيانة وكرامة وروي ان اسما بنت عبيد الاشهلية انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت انا معشر النسا محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحوامل اولادكم فهل
لنا اجر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا احسنتن بعل ازواجكن وطلبتهن
مرضاتهن تولة نعالب لم يطمثهن اي لم يمسسهن على ما تقدم قيل وقراه
العامة يطمثهن بكسر الميم وقرا ابو حيوة الشامي وطلحة بن مصرف والاعرج والشنبوذي
عن الكسائي بضم الميم في الحرفين وكان الكسائي يكسر احداهما ويضم الاخرى ويخير
في ذلك فاذا ضم الاولى كسر الثانية واذا كسر الاولى رفع الاخرة وهي قراة ابي
اسحق كنت اصلي خلف اصحابه علي فيرفعون الميم وكنت اصلي خلف اصحاب عبد الله
فيكسرونها فاستعمل الكسائي الاثرين وهما لغتان طمث وطمث مثل يعرشون ويعكفون
ومن ضم فللجمع بين اللغتين ومن كسر فلانها اللغة السايرة وانما اعاد قوله لم يطمثهن
لئلا يتوهم ان صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة الحور القاصرات الطرف يقول
اذا صرن كانت لهم الخيام في تلك الحال قوله تعالى متكئين على رفرف
خضر الرفرف المحابس وقال ابن عباس الرفرف فضول العرش والبسط
وعنه ايضا الرفرف المحابس يتكئون على فضولها وقال قتادة وثاب
الحسن والغرابي هي البسط وقال ابن عيينة هي الوسايد وقال ابن كيسان هي
المرافق وقاله للحسن ايضا وقال ابو عبيدة هي حاشية الثوب وقال
الليث ضرب من الثياب الخضر يبسط وقيل العرش المرتفع وقيل كل ثوب
عريض عند العرب فهو رفرف قال ابن مقبل

• • وانا لبزالون نعسى بحالنا سوافط من اصناف ربط ورفرف •

وهذه اقوال متقاربة وفي الصحاح والرفرف ساف حصر ينسج منها المحابس الواحدة رفرفة
وقال سعيد بن جبير وابن عباس ايضا الرفرف رياض الجنة واستفاق الرفرف من
رفرف يرفرف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر لتحريك جناحه في الهواء وبه سموا الطلس
رفرافا بذلك لانه يرفرف بجناحه ثم يعدو او رفرف الطائر ايضا اذا حرك جناحه
حول الشيء يريد ان يقع عليه والرفرف ايضا كسر الحبا وجوانب الحبا وجوانب
الدرع وما يبدي منها الواحدة ورفرف في الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه
وسلم فرفرف الرفرف مراسا وجهة كانه ورقد اي رفع طرف الغسطاط وقيل
اصل الرفرف من رف البيت يرف اذا صار عصابة صغيرا حكاه الثعلبي وقاله الغنبي
يقال للشيء اذا اكثرها وه من النحمة والمضاضة حتى يكاد يهتز في يرف رفيفا
حكاه الهروي وقد قيل ان الرفرف شيء اذا استوى عليه صاحبه رفرف به واهوى
به كالمرجان يمينا وشمالا اورفعا وخفضا بيان لرد به مع انه يستقر قاله الزمخشري الحكيم
في نوادر الاصول وقد ذكرناه في التذكرة قال الزمخشري فالرفرف اعظم خطرا من العرش
فذكر في الاولين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر
فالرفرف هو مستقر الولي على شيء اذا استوى عليه الولي رفرف به اي طار به هكذا
وهكذا لحبيك ما يريد كالمرجاح واصله من رفرف بين به عز وجل وروي لنا في
حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ السدرة المنتهى جاءه الرفرف فتناوله
من جبريل وطار به الى سيد العرش فذكر انه طار بي حتى ما يرفعني حتى وقف بي على
ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به حفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل صلوات
الله عليه وسلم وجبريل يبلي ويرفع صوته بالتهليل فالرفرف خادم من الخدم يبين يدي
الله تعالى له خواص الامور في محل الذكر والقرب كما ان البراق دابة يركبها الانبياء مخصوصة
بذلك في ارضه فهذا الرفرف الذي سخره لاهل الجنتين الدانيتين هو مما يحل
متكاوهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار وشطوطها حيث شاء الى خيام
اروحها الحرات الحسان ثم قال وعبقري حسان والعبقريات معروشة ببسط فاذا
قال لحالق النقوش لها حسان لما ظنك بتلك الحبا قرو عبقري حسان وقراعتمان
رضي الله عنه والجدري والحسن وغيرهم متكئين على رفارف بالجمع غير مصروف وكذلك
وعباقري حسان جمع رفرف وعبقري ورفرف اسم للجمع وعبقري واحد يدل على الجمع المنسوب
الى عبقر وقد قيل ان واحد رفرف وعبقري رفرفة وعبقرية والرفارف والعباقري جمع
الجمع والعبقري الطنافس التي لها خمل منها قاله الفراء وقال الزجاج عن ابن عباس
وغيره الحسان هي البسط مجاهد الديباج الغبني كل ثوب وشي عند العرب عبقري قال
ابو عبيد هو منسوب الى ارض يعمل فيها الوشي فنسب اليها كل وشي هو جيد

* قال ذو الرمة *

* حتى كان رياض الحزن اليسها * من وشي عبقر تحليل وتجديد *

ويقال عبقر قرية بناحية اليمن يبسط فيها بسط منقوشة وقال
ابن الانباري الاصل فيه ان عبقر قرية يسكنها الجن ينسب اليها كل فائق جليل وقال
الخليل كل جليل نافس فاضل وفاخر من الرجال والنساء وغيرهم عند العرب عبقري
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريا من الناس يفري
فريه وقال ابو عمرو ابن العلا وقد سئل عن قوله عليه السلام فلم ار عبقريا يفري فريه قال

* رئيس قوم وحلاحلهم وقال * ذهير *

* تخبل عليها جنة عبقرية * جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا *

وقال الجوهري العبقري ضرب من برود اليمن قال لبيد

* كهول وشبان كجنة عبقري * ثم نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه
وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري وهو واحد وجمع وفي الحديث انه كان يجلس على
عبقري وهو هذه البسط التي فيها الاصباغ والنقوش حتى قالوا عظم عبقري وهذا
عبقري قوم للرجل القوي وفي الحديث فلم ار عبقريا يفري فريه ثم خاطبهم الله تعالى
بما يعارفونه فقال عبقري حسان وقراءة بعضهم عبقاري وهو خطا لان المنسوب لا يجمع
على نسبته وقال قطرب ليس بمنسوب هو مثل كرسي وكراسي وحتى وحاني وروي
ابو بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان

ذكره الثعلبي وضم الصاد من حضر قليل تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم ذي الجلال اي العظمة وقد تقدم والاكرام وقرا
ابن عامر ذو والجلال بالواو وجعله وصفا للاسم وذلك يقويه لكون الاسم هو المسمى تباورت
ذي الجلال جعلوا ذي صفة لربك وكانه ربي به الاسم الذي به افتتح السورة
فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض
وصنعه وانه كل يوم هو في شان وصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة واهوالها
وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في آخر الصفة تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله حرج لكم
من رحمتي لمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السما والارض والخلق والخليقة والجنة والنار
فهذا كله لكم من اسم الرحمن لمدح اسمه ثم قال ذي الجلال والاكرام حيل بين
ذاته كن هو في افعاله ولم يختلف القراء في احر النعت على الوجه بالرفع في اول السورة
وهو يدل على ان المراد به وجه الله تعالى الذي يلقى المومنون عند ما ينظرون اليه
فسيبشرون بحسن الجزا وجميل اللقا وحسن العطا

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الواقعة مكية

في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة
وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي مكية الا اربع ايات
منها اثنتان انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفر
وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين نزلتا في سفر الى المدينة وهي سبع وتسعون
اية قال مسروق من اراد ان يعلم نبا الاولين والاخرين ونبا اهل الجنة ونبا اهل
النار ونبا اهل الدنيا ونبا اهل الاخرة فليقرا سورة الواقعة وذكر ابو عمر بن عبد البر
في التمهيد والد علي ان عثمان دخل على ابن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال
له ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو لك الطبيب
قال الطبيب امرضني قال افلا ندعو لك بعطائك قال لا حاجة لي فيه حبستم
عني في حياته وبذلتم لي عند مماتي قال تكون لبناتك من بعدك قال افتخشى على بناتي
الفاقة من بعدي اني امرتهن ان يقرا سورة الواقعة كل ليلة فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من قرا سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا وقعت الواقعة اي قامت القيامة والمراد النفخة الاخيرة وسميت
واقعة لانها تقع عن قريب وقيل لكثرة ما تقع فيها من الشدائد وفيه اضمار اي اذكر
اذا وقعت الواقعة وقال الجرجاني اذا اصله اي وقعت الواقعة كقوله اقترب
الساعة واني امرء هو كما يقال قد جا الصوم اي دنا واقترب وعلى الاول اذا للوقت
والجواب قوله فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة ليس لوقعتها كاذبة الكاذبة مصدر بمعنى الكذب
والعرب قد يضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا يسمع فيها لاغية اي لغو والمعنى
ليس لها كذب قاله الكسائي ومنه قولهم العاقبة عاية بالله اي معاذ الله
وكم من قائم قايما اي قم قياما وبعض نسا العرب ترفض بينما قمن قائما قمن
اصبت عندا يما وقيل الكاذبة صفة والموصوف محذوف اي ليس لوقعتها
حال كاذبة او نفس كاذبة اي كل من يخبر عن وقعتها صادق وقال
الزجاج ليس لوقعتها كاذبة اي لا ترد ها شيء ونحو قول الحسن وقتادة وقال
النوري لوقعتها احد يكذب بها وقال الكسائي ايضا ليس لها تكذيب اذ ينبغي
ان لا يكذب بها احد وقيل ان قيامها جد لا هزل فيه خافضة رافعة قال عكرمة
وحفاظ تلو السدي خفضت الصوت فاسمعت من دنا ورفعت الصوت وعن السدي خفضت
المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت اقواما من عذاب الله ورفعت اقواما
الى طاعة الله وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خفضت اعدا الله في النار
ورفعت اولبا الله في الجنة محمد بن كعب خفضت اقواما كانوا في الدنيا مرفوعين

ورفعت

ورفعت اقواما كانوا في الدنيا مخفوضين وقال ابن عطا خفضت اقواما بالعدل ورفعت اخريين
بالفضل والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب
سبحانه الخفض والرفع للتشبيه توسعا ومجازا على عادة العرب في اضافتهما للفعل
الى النخل والرمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل يقولون ليل نائم ونهار صائم و في
التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع على الحقيقة انما هو الله وحده
فمن رفع اولياءه الى اعلى الدرجات وجعل اعداءه في اسفل الدارك وقرا
الحسن وعيسى الثقفي خافضة رافعة بالنصب الباقون بالرفع على اضمار مبتدا
ومن نصب فعلى الحال وهو عند الفراء على اضمار فعل والمعنى اذا وقعت الواقعة
ليس لوقعتها كاذبة وقعت خافضة رافعة والقيامة لا شك في وقوعها وانها
ترفع اقواما وتضع اخريين عليها بينا ه قوله تعالى اذا رجت الارض
رجا اي زلزلت وحركت عن مجاهد وغيره يقال رجته يرجه رجا اي حركه وزلزله
وناقة رجاء عظيمة السنام والرجوحة الاضطراب واذ اج البحر وغيره اذا اضطربت
امواجه وفي الحديث من ركب البحر حين يرج فلا ذمة له يعني اذا اضطربت
امواجه وقال الكلبي وذلك ان الله تعالى اذا اوحى اليها اضطربت فرقا من الله
تعالى قال المعمرون يرج كما يرج الصبي في المهد رجتي يهدم كل ما عليها
ويكسر كل شيء عليها من الجبال وغيرها وعن ابن عباس الرجة الزلزلة الشديدة
يسمع لها صوت وموضع اذا نصب على البدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة
رافعة اي يخفض ويرفع وقت رج الارض وبس الجبال لان عند ذلك يتخفض
ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض وقيل اي وقعت الواقعة اذا رجت الارض قاله
الزجاج والفراء وقيل اذكر اذا رجت الارض رجا مصدر وهو دليل على تكرار الزلزلة
قوله تعالى وبست الجبال بسا اي فتت عن ابن عباس مجاهد كما تبس الدقيق
اي تلت والبسيسة السويق او الدقيق تلت بالسمن او بالزيت ثم يوكل ولا
يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز

* لا تخبزا خبزا وبسا بسا * ولا تطيلا بمناخ حسا *

وذكر ابو عبيدة انه من غلظات اراد ان يخبر فخاف ان يعجل عن ذلك فاكله عجينا والمعنى
انها خلطت فصارت كالدقيق الملتوت سقي من الماء اي يصير الجبال ترابا تختلط
البعض بالبعض وقال الحسن بست قلعت من اصلها فذهبت بطيرها ينسفها
ربي نسفا وقال عطية بسطت كالرمل والتراب وقيل البس السوق اي سيقت
الجبال قال ابو زيد البس السوق وقد بسست الابل اسمها بسا بالضم
وقال ابو عبيد بسست الابل وابسست لحنا ذا اذا زجرتها وقلت بس بس
وفي الحديث يخرج قوم من المدينة الى اليمن والشام والعراق يبسون والمدينة
خير لهم لو كانوا يعلمون ومنه الحديث الآخر جاكم اهل اليمن يبسون عباء لانهم والزجر
تقول جئت به من حيث احسسته وبسك من جئت بالغة مسيرك وقال
مجاهد سألت سيلا عكر منذ هدرت هدرا محمد بن كعب سيرت سيرا ومنه قول
الاعلب العجلي وقال الحسن قطعت قطعا والمعنى متقارب

* فكانت هباء منبثا وقال علي رضي الله عنه الهبا المنبث الرهج الذي
يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب فجعل الله تعالى اعمالهم كذلك وقال مجاهد الهبا
هو الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وروي نحوه عن ابن عباس وعنه ايضا
هو ما ينطاير من النار اذا اصطرمت تطير منه شرر فاذا وقع لم يكن شيئا وقال
عطية وقد مضى في الفرقان عند قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وقراه العامة منبثا بالتا المثلثة اي متفرقا من قوله تعالى وبث فيها من
كل دابة اي فرق وبسر وقرا مسروق والنخعي وابو حيوة منبثا بالباء الموحدة اي
منقطعا من قولهم بتك الله اي قطعه ومنه البتات قوله تعالى وكنتم ازواجا
ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوج ثم بين من هم فقال
فاصحاب الميمنة واصحاب المشامة والسابقون فاصحاب الميمنة هم الذين يوخذ بهم
ذات اليمين الى الجنة واصحاب المشامة الذين يوخذ بهم ذات الشمال الى النار
قال السدي والمشامة المبيرة وكذلك الشامة يقال فعد فلان شامه ويقال

يا فلان شايم باصحابك اي حدعهم شامتاي ذات الشمال والعرب تقول لليد الشمال
الشومي وللجانب الشمال الاشائم وكذلك يقال لما جاء عن ايمن اليمن ولما جاء عن
الشمال الشوم وقال ابن عباس والسدي اصحاب الميمنة هم الذين
كانوا عن يمين ادم حين اخرجت الذرية من صلبه فقال اسلم هؤلاء في الجنة
ولا ابالي وقال زيد بن اسلم هم الذين احدوا من شق ادم الايمن وقال
عطاء ومحمد بن كعب اصحاب الميمنة من اوتي كتابه بيمينه واصحاب المشامة
من اوتي كتابه بشماله وقال ابن جريج اصحاب الميمنة هم اهل الحسنات
واصحاب المشامة هم اهل السيئات وقال الحسن والربيع اصحاب الميمنة المباينون
على انفسهم بالاعمال الصالحة واصحاب المشامة المشائيم على انفسهم بالاعمال
القبيحة وفي صحيح مسلم من حديث الاسراء عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال فلما علونا السما الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة فاذا
نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح
والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم عليه السلام
وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة والاسودة
التي عن شماله اهل النار وذكر الحديث قال المبرد اصحاب الميمنة اصحاب
التقدم واصحاب المشامة اصحاب التاخر والعرب تقول اجعلني في يمينك
ولا تجعلني في شمالك اي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتاخرين وانكروا
في ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة للتعظيم والتعجب لقوله تعالى الحاقة
ما الحاقة والقارعة ما القارعة كما يقال زيد ما زيد وفي حديث ام زرع مالك
وما مالك والمقصود بكثير ما لاصحاب الميمنة من الثواب ولاصحاب الشمال من
العقاب وقيل اصحاب رفع بالابتدا والخبر ما اصحاب الميمنة كانه قيل فاصحاب
الميمنة ما هم المعنى اعجب شيء هم وقيل يجوز ان يكون ما توكيدا والمعنى فالذين يولدون
كتابهم بايمانهم هم اصحاب التقدم وعلو المنزلة قوله تعالى والسابقون
السابقون روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السابقون الذين اذا اعطوا
الحق قبلوه واذا سالوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لانفسهم ذكره المهدوي وقال
محمد بن كعب القرظي انهم الانبيا الحسن وقتادة السابقون الى الاعمال من كل امة
ونحوه عن عكرمة ومحمد بن سيرين هم الذين صلوا القبلتين ودليله قوله تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار وقال مجاهد وغيره هم السابقون الى الجهاد واولى الناس
دوحا الى الصلاة وقال علي رضي الله عنه هم السابقون اليه اصلوات الخمس الضحاك
الى الجهاد سعيد بن جبير الى التوبة واعمال البر قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم
ثم اثنى عليهم فقال اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون وقيل اعلم اربعة
منهم سابق امة موسى وهو حزقيل مومن ال فرعون وسابق امة عيسى وهو حبيب النجار
صاحب انطاكية وسابق امة محمد صلى الله عليه وسلم وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
قاله ابن عباس حكاه الماوردي وقال سمط بن عجلان الناس ثلثة فرجل ابتكر
للخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل
ابتكر عمره بالذنوب ثم طول المهلة ثم رجع بتوبته حتى ختم له بها فهذا من اصحاب اليمين
ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من اصحاب الشمال وقيل هم
كل من سبق الى شيء من اشيا الصلاح ثم قيل السابقون رفع بالابتدا والثاني توكيد له
والخبر اولئك المقربون وقال الزجاج السابقون رفع بالابتدا والثاني خبره
والمعنى السابقون الى طاعة الله هم السابقون الى رحمة الله اولئك المقربون من صفتهم
وقيل اذا خرج رجل من السابقين المقربين من منزلته في الجنة كان له صنو يعرف به من
دونه قوله تعالى ثلة من الاولين اي جماعة من الامم الماضية وقليل من الاخرين
اي ممن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا منهم بكرمك وسموا قليلا بالاضافة
الى من كان قبلهم لان الانبيا المتقدمين كثروا فكثر السابقون الى الايمان بهم فزاد واياما
عدد من سبق لبي النضر بق من امتنا وقيل لما نزل هذا شق على اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فنزل ثلة من الاولين وثلة من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارجو ان يكونوا ربع اهل الجنة بل ثلث اهل الجنة بل نصف اهل الجنة وبقاسمونهم في النصف

الثاني

الثاني ورواه ابو هريرة ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث
عبد الله بن مسعود وكانه اراد انها مستوخذ والاشبه انها محكمة لانها خبر ولا تنسخ
ذلك في جماعتين مختلفتين قال الحسن سابقوا من مضى اكثر من سابقينا فلذلك
قال وقليل من الاخرين وقال في اصحاب اليمين وهم سوى السابقين ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان يكون امتي شطر
اهل الجنة ثم تلى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال ابو بكر رضي الله عنه كلا
الثلثين من امة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في اول امته ومنهم من هو في اخرها
وهو مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله وقيل ثلة من الاولين اي من اولا هذه الامة وقليل من الاخرين سارع
في الطاعة حتى يلحق درجة الاولين ولهذا قال عليه السلام خيركم قرني ثم سوى
في اصحاب اليمين بين الاولين والاخرين والله من دلت الشيء اذا قطعته فمعنى
ثلة كمعنى فوقه قاله الزجاج قوله تعالى على سرر موضونة اي السابقون
في الجنة على سرر اي مجالسهم على سرر جمع سرير موضونة قال ابن عباس منسوجة
بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس ايضا موضونة
مصفوفة كما قال في موضع اخر على سرر مصفوفة وعنه ايضا وعن مجاهد مرمولة
بالذهب وفي التفاسير موضونة اي منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر
والياقوت والزبرجد والوضن الشبك المضاعف والنضد يقال وضن فلان
الحجر والاجر بعضه فوق بعض وهو موضون ودرع موضونة اي محكمة في النسج مثل
مرقومة قال الاعشى
ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي عيرا فعيرا ن وقال ايضا
ويبضا كالنهي موضونة لها قونس فوق جنب الدرك
والسرير الموضون الذي سطحه بمنزلة الملسوج ومنه الوضين بطان من سيور ينسج
فتدخل بعضه في بعض ومنه قوله
اليك يعدوا كلها نلما وضينها منكبين عليها اي على سرر متقابلين اي
لا ترى بعضهم قفا بعض بل الدور بهم الاسرة وهذا في المومن وزوجته واهل بيته يكونون
متقابلين قاله مجاهد وغيره وقال الكلبي طول كل سرير ثلاث مائة ذراع فاذا اراد
العبد ان يجلس عليها تواضعت واذا جلس عليها ارتفعت قوله تعالى يطوف
عليهم ولدان مخلدون اي غلمان لا يموتون قاله مجاهد الحسن والكلبي لا يهرمون ولا
يتغيرون ومنه قول امرء القيس
وهل ينعمن الا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت باوجال
وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون فقال للقرط الجلد والجماعة الحلي الحلد
وقيل مسورون ونحوه عن الفراء قال الشاعر
ومخلدات بالنحور كانما اعجاز هن اقاوز الكثبان
وقيل مقرطقون يعني ممططون من المناطق وقال عكرمة مخلدون منعوتون وقيل
على سن واحد انشاهم الله لاهل الجنة يطوفون عليهم من كما شاء من غير ولادة وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن البصري الولدان هاهنا ولدان المشركين
الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي اطفال المشركين
هم خدم اهل الجنة قال الحسن لم يكن لهم حسنات يجزون بها ولا سيئات يعاقبون عليها
فوصفوا هذا الوضع والمقصود ان اهل الجنة على اتم السرور والنعمة والنعمة انما تتم
اليوم باحداق الخدم والولدان بالانسان باكواب واباريق اكواب جمع كوب وقد
مضى في الزخرف وهي الاباريق التي لا عرى لها ولا خراطيم والاباريق التي لها عرى
وخراطيم واحدها ابريق سمي بذلك لانه يبرق لونه من صفائه وكاس من معين
مضى في الصافات القول فيه والمعين الجاري من خمر او ماء غير ان المراد به في هذا
الموضع الخمر الجارية من العيون وقيل الطاهرة للعيون فيكون معين مفعول من
المعاينة وقيل هو فعيل من العن وهو الكثرة وبين انها ليست كخمر الدنيا التي
يستخرج بعصر وتكلف ومعالجة فقوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون
اي لا تصدع رؤسهم من شربها اي انها لذة بلا اذى بخلاف شراب الدنيا ولا ينزفون

تقدم في الصافات انهم لا يسكرون فيذهب عقولهم وقد مجاهد يصدعون بمعنى لا ينصدعون
اي لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون وقرا اهل الكوفة ينزفون بكسر الزاي اي لا ينفد
شرابهم ولا يفنى خمرهم ومنه قول الشاعر

* لعمري لبن انزفتم او صحوتم لبئس الندى كنتم الى اجرا *

وروى الضحاك عن ابن عباس قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول
وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال فقال لا فيها غول وهم عنها
ينزفون اي يتخبرون ما سكارى والكسر بها وقيل فاكهة متخيرة مرضية والتخير والاختيار
ولحم طير مما يشتهون روى الترمذي عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر اعطانيه الله تعالى يعني في الجنة اشد بياضا من
اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزر قال عمر ان هذه لناعمة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلها انعم منها قال هذا حديث حسن خرجه الثعلبي
من حديث ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة طيرا امثال اعناق
البخت يصطف على يد ولي الله فيقول احدها يا ولي الله رعيت في مروج تحت
العرش وسريت من عيون التسنيم فكلني فلا يزلن ينتثرن بين يديه حتى يختار
على قلبه اكل احدها فيخر بين يديه على الوان مختلفة فيأكل منه ما اراد فاذا شبع
يجمع عظامه فطار يرعى في الجنة حيث شاء فقال عمر يا نبي الله انها لناعمة فقال اكلها
انعم منها وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لطيرا
في الطاير منها سبعون الف ريشة يقع في صحفة الرجل من اهل الجنة ثم ينتفض فيخرج
من كل ريشة طعام ابرد من الثلج والبرد واليذ من الزبد واعذب من الشهد ليس فيه لون
يشبه صاحبه فيأكل منه ما اراد ثم يذهب فيطير فوقه ثلاثة وحور عين كامثال
بالرفع والنصب والجر فمن جر وهو حمزة والكسائي وغيرهما جاز ان يكون معطوفا
على باكواب وهو محمول على المعنى لان المعنى يتنعمون باكواب وفاكهة ولحم وحور قاله الزجاج
وجاز ان يكون معطوفا على جنات ابي هم في جنات النعيم وفي حور على تقدير حذف
المضاف كانه قال وفي معاشرة حور العين الحور على الاتباع واللفظ وان اختلفا في المعنى
لان الحور لا يطاف بهن قال الشاعر

* اذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا *

والعين لا يزج وانما تكحل وقال اخر

* ورايت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا *

وقال قطرب هو معطوف على الاكواب والاباريق من غير حمل على المعنى قال ولا ينكر ان يطاف
عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذة ومن نصب وهو النخعي والاشهب العقيلي وعيسى
ابن عمر الثقفي وهو كذلك في مصحف ابي فهو على تقدير اضمار فعل كانه قال ويزوجون
حورا عينا والحمل في النصب على المعنى ايضا حسن لان معنى يطاف عليهم به نعطونه
ومن رفع وهم الجمهور وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم فعلى معنى وعندهم حور عين
لانه لا يطاف عليهم بالحور العين وقال الكسائي ومن قال وحور عين بالرفع وعلل بانه
لا يطاف بهن يلزمه ذلك في فاكهة ولحم لانه لا يطاف به وليس يطاف الا بالخمر وحدها
وقال الاخفش يجوز ان يكون محمولا على المعنى لان المعنى لهم اكواب ولهم
حور عين وجاز ان يكون معطوفا على جنات ثلة وثلة ابتدا وخبر على سرر موصونة وكذلك
وحور عين وابتدا بالنكرة لتخصيصها بالصفة كامثال اي مثل امثال اللؤلؤ المكنون
اي الذي لم تمسه الايدي ولم يقع عليه الغبار فهو اشد ما يكون صفاء وتلالا وابى هن
في تناول اجسادهن في الحسن من جميع جوابهن كما قال الشاعر

* كانما خلقت في قشر لوزة * فكل اكنافها وجه لمرصاده *

جزاء بما كانوا يعملون اي ثوابا وقد نصبه على المفعول له ويجوز ان يكون على المصدر لان معنى
يطوف عليهم ولدان يخدمون وقد مضى القول في الحور العين في الطور وغيرها وقال
انس قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله الحور العين من الزعفران وقال
خالد بن الوليد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل من اهل الجنة ليمسك
التفاحة من تفاح الجنة فتنفلق في يده فيخرج منها حورا لو نظرت الشمس لاخجلت
الشمس من حسنها من غير ان ينقص من التفاحة فقال له رجل يا ابا سليمان ان هذا لعجب

ولا ينقص من التفاحة قال نعم كالسراج الذي يوقد منه سراج آخر ولا ينقص والله علي
ما يشاء قد يروى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال خلق الله الحور العين من اصابع
رجليها الى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها الى ثديها من المسك الاذفر ومن ثديها
الى عنقها من العنبر الاشهب ومن عنقها الى راسها من الكافور الابيض عليها سبعون
الف حلة من ستفابق الثوان بتلالاء وجهها نورا ساطعا كما يتلالاء الشمس لاهل الدنيا
واذا اقبلت نرى كبدها من رقة ساقها وجلدها في راسها سبعون الف ذوابة من المسك
الاذفر لكل ذوابة منها ضفيرة ترفع ذيلها وهي تنادي هذا ثواب الاولياء جزاء بما كانوا
يعملون قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما قال ابن عباس باطلا ولا كذبا
واللغو ما يلغى من الكلام والتاثيم مصدر اثمته اي قلت له اثمت محمد بن
كعب ولا تاثيما اي لا ايا ثم بعضهم بعضا مجاهد لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما شتما
ولا ما ثما الا قيلا سلاما سلاما قيلا منصوب بيسمعون او استثنا منقطع اي
لكن يقولون قولا او يسمعون قيلا وسلاما منصوبان بالقول اي الا انهم يقولون
الخير او على المصدر اي الا ان يقول بعضهم لبعض سلاما او يكون وصفا لقيل واسلاما
الثاني بدل من الاول والمعنى الا قيلا سلم فيه من اللغو فيجوز الرفع على تقدير سلام
عليكم قال ابن عباس اي يحيي بعضهم بعضا وقيل تحييهم الملايكة او يحييهم ربهم
جل وعز وعلا قوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين رجع الى ما ذكر
اصحاب اليمين وهم انسا يقرون على ما تقدم والتكرير لعظم شان النعيم الذي هو فيه
من سدر مخضود اي في نبق قد خضد شوكه اي قطع قال ابن عباس وغيره وذكر
ابن المبارك اخبرنا صفوان عن سليم بن عامر قال كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يقولون انه لينفعنا الاعراب ومسايلهم قال اقبل اعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد
ذكر الله في القرآن شجرة موذية وما كنت ارى في الجنة شجرة موذية تؤذي صاحبها
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السدر فان له شوكا موذيا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوليس يقول سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة وانها
لتنبت ثمرا يفتق من الثمرة منها على اثنين وسبعين لونا طعام ما فيه لون يشبه الاخر
وقال ابو العالية والضحاك نظر المسلمون الى وج وهو واد بالطايف مخصب فاعجبهم سدره
فقالوا يا ليت لنا مثل هذه فنزلت قال امية بن ابي الصلت نصف الجنة ان الحدايق في
الجنان ظليلة فيها الكواعب سدرها مخضود وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان
في سدر مخضود هو الموقر حملا وهو قول يشبه ما ذكرنا في الخبر سعيد بن جبير ثمرها اعظم
من القلال وقد مضى هذا في سورة النجم عند قوله سدرة المنتهى وان ثمرها مثل قلال
هجر من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وطلح منضود الطلح
شجر الموز واحدة طلحة قاله اكثر المفسرين علي وابن عباس وغيره قال الحسن ليس
هو موز ولكنه طل بارد رطب الغرا وابو عبيدة شجر عظام لها شوك قال بعض
* الحدله وهو الجعد *
* سرها دلها وقالا غدا تين الطلح والاجبالا *
قال الطلح كل شجر عظيم كبير الشوك الزجاج يجوز ان يكون في الجنة وقد ازيل شوكه
وقال الزجاج ايضا لشجرها غيلان نور طيب جدا فحوطبوا ووعدوا ما يحبون
مثله الا ان فضله على ما في الدنيا كفضل سدرها في الجنة على ما في الدنيا وقال
السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمرا حلى من العسل وقرا علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وطلع منضود بالعين وتلى هذه الاية طلعها هظيم وهو خلاف المصحف
في رواية انه قال قرأ بين يديه وطلح منضود فقال ما شان الطلح انما هو وطلع منضود
ثم قال لها اطلع نضيد فقيل له اخطا نحويها فقال لا ينبغي ان يهاج القراء ولا يحول
فقد اختار هذه القراءة ولم يرتبها في المصحف لمخالفتها ما رسمه مجمع عليه قاله
النقاش واسنده ابو بكر الانباري قال حدثنا ابي قال حدثنا الحسن بن عرفة قال
حدثنا عبيد بن يونس عن مجالد عن الحسن بن سعد عن قيس بن عبد قال
قرات على علي او قرئ عند علي شك مجالد وطلح منضود فقال علي رضي الله عنه
ما بال الطلح اما تقرا وطلح منضود نضيد فقال يا امير المومنين ايحكها من المصحف
فقال لا يهاج القرآن اليوم قال ابو بكر ومعنى هذا انه رجع الى ما في المصحف وعلم انه هو

الصواب وابطل الذي كان فرط من قوله والمنضود المتراكب الذي قد نضد اوله واخره
بالحمل لسوق يا رداه بل هو مرضوض والمنضد المرصوص قال النابغة
حلت سبيل ابي كان يحسده وقعته الي السحقين فالنضده وقال
مسروق اشجار الجنة من عروقها الي اغصانها نضيدة بمركله كل ما اكل ثمره عاد مكانها
احسن قوله تعالي لا مقطوعة ولا ممنوعة وظل ممدود دايم باق لا يزول ولا ينسخه الشمس كقوله
تعالي الم تر الي ربك كيف مد الظل وذلك بالغداة وذلك ما بين الاسفار الي طلوع
الشمس حسب ما تقدم بيانه فقال والجنة ظل لا شمس معه قال الوبيع بن انس يعني
ظل العرش وقال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة وقال ابو عبيدة يقول
للدهر الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع ممدود قال لبيد

* غلب العزا وكان غير مغلب دهرا طويلا دايما ممدودا *

وفي صحيح الترمذي وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم وفي الجنة
شجرة يسير الراكب في ظلها ماية عام لا يقطعها واقرؤا ان شيتم وظل ممدود وماء
مسكوب اي جار لا ينقطع واصل السكب الصب يقال سكبه سكبا والسكوب
الصبابه يقال سكب سكوبا واسكب انسكابا اي وماء مسكوب يجري بالليل
والنهار في غير اخدود ولا ينقطع عنهم وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد
حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الي الماء الا بالدلو والرشا
فوعدوا في الجنة خلاف ذلك ووصف لهم اسباب اشرها المعروفة في الدنيا وهي
الاشجار وظلالها والمياه والانهار واطرادها قوله تعالي وفاكهة
كثيرة اي ليست بالقليلة العزيزة كما كانت في بلادهم لا مقطوعة اي في
وقت من الاوقات كانقطاع فواكه الصيف في الشتاء ولا ممنوعة اي لا يمنع
من ارادها بشوك ولا بعد ولا حايط بل اذا اشتهاها العبد تناوله بفيها
قال الله تعالي وذللت قطوفها تذليلا وقيل ليست مقطوعة بالازمان
ولا ممنوعة بالاثمان قوله تعالي وفرش مرفوعة روي الترمذي عن
ابي سعيد عن النبي صلي الله عليه وسلم في قوله تعالي وفرش مرفوعة قال
ارتفاعها كما بين السماء والارض مسيرة خمس مايتة عام سنة قال حديث
غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقال بعض اهل العلم في تفسير هذا
الخبر العرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والارض وقيل ان العرش
هنا كناية عن النساء اللواتي في الجنة ولم يتقدم لهن ذكر ولكن قوله عز وجل
وفرش مرفوعة دال لانها محل النساء فالمعني ونساء مرتفعات الاقدار في
الحسن وكما لهن دليله قوله تعالي انا انشاناهن اي خلقناهن خلقا وابتدانهن
ابداعا والعرب تقول المراة فراشا ولباسا وازارا وقد قال تعالي هن لباس لكم
ثم قيل علي هذا هن الحور العين اي خلقناهن من غير ولادة وقيل المراد نساء بني
ادم اي خلقناهن خلقا جديدا وهو الاعادة اعدناهن الي حال الشباب وكمال
الجمال والمعني انشانا العجوز والصبية انشاء واحدا واصمت ولم يتقدم ذكرهن
لانهن قد دخلن في اصحاب اليمين ولان العرش كناية عن النساء كما تقدم وروي
عن النبي صلي الله عليه وسلم في قوله تعالي انا انشاناهن انشاء قال هن
العجائز الشمط عمشا رمضا جعلهن الله بعد الكبر ابكارا عربا اترابا علي ميلاد واحد في الاستواء اسنده الخطابي
عن انس قال حدثنا احمد بن عمرو قال حدثنا محمد بن علي قال حدثنا ابو عاصم عن موسي
ابن عبيدة عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك رفعه انا انشاناهن انشاء قال هن
العجائز العمش الرمض كن في الدنيا عمشا رمضا وقال المسيب بن شريك قال النبي صلي
الله عليه وسلم في قوله تعالي انا انشاناهن انشاء جعلناهن ابكارا عربا اترابا قال
هن عجائز الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما
سمعت عايشة ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلي الله عليه وسلم ليس هناك وجع
عربا جمع عروب قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما العرب العواشق الازواجهن وعن
ابن عباس ايضا انهن العروب المغنة عكرمة الضحاك ابن زيد بلغة اهل المدينة

ومنه قول لبيد ٭ وفي الخبا عروب غير فاحشة ربا الروادف تعسى صوها البصرا
وهي اشكلة بلغة اهل مكة وعن زيد بن اسلم ايضا الحسنة الكلام وعن عكرمة
ايضا وقتادة المتجبات الى ازواجهن واشتقاقه من اعرب اذا ابين فالعروب
بينة محبتها لزوجها سكل وعج وحسن كلام وقيل انها الحسنة التعقل ليكون اكد
اسما عاد وروى محمد بن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عربا قال كلامهن عربي وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم عربا باسكان الراء وضم الباقون
وهما لغتان في جمع فعول اترابا على ميلاد واحد وسن واحد ثلاث وثلاثين سنة
يقال في النساء اتراب وفي الرجال اقران وكانت العرب تميل الى من جاوزت حد الصبي
من النساء وانحطت عن الكبر وقيل اترابا امثالا واشكالا قاله مجاهد والسدي اتراب
في الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد لاصحاب اليمين قيل الحور العين للسابقين
والاتراب العرب لاصحاب اليمين قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
رجع الكلام الى قوله تعالى واصحاب اليمين اي هم ثلة من الاولين وثلة من الاخرين
وقد مضى الكلام في معناه قال ابو العالية ومجاهد وعطا بن ابي رباح والضحاك
ثلة من الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين يعني من هذه الامة
من اخرها يدل عليه ما روي عن ابن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة
من الاخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي وقال الواحدي اصحاب
الجنة صنفان نصف من الامم الماضية ونصف من هذه الامة وهذا بردة ما رواه ابن
ماجة في سننه والترمذي في جامعه عن بريدة بن حصيب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة
واربعون من سائر الامم قال ابو عيسى هذا حديث حسن وثلة رفع على الابتدا او على حذف
خبر حرف الصفة ومجازه لاصحاب اليمين ثلتان ثلة من هولاء وثلة من هولاء والاولون
الامم الماضية والاخرون هذه الامة على القول الثاني قوله تعالى واصحاب
الشمال ما اصحاب الشمال ذكر منازل اهل النار وسماهم اصحاب الشمال لانهم ياخذون
كتبهم بشمايلهم ثم عظم ذكرهم في العلا والعذاب فقال ما اصحاب الشمال في سموم
والسموم الريح الحارة التي يدخل في مسام البدن والمراد هنا حر النار ولهبها وحميم اي
ماء حر قد انتهى حره اذا احرقت النار اكبادهم واجسادهم نزعوا الى الحميم كالذي
يفزع الى النار الى الماء ليطفئ به الحر فيجده هما حارا في نهاية الحرارة والعليان
وقد مضى في القتال وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وظل من يحموم اي يفزعون من
السموم الى الظل كما يفزع اهل الدنيا فيجدونه ظلا من يحموم اي من دخان جهنم اسود
شديد السواد عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وكذلك اليحموم في اللغة الشديد
السواد وهو مفعول من الحم وهو السحم المسود باحتراق النار وقيل هو ماخوذ من الحمم
وهو الفحم وقال الضحاك النار سودا واهلها سود وكل ما فيها اسود وعن الضحاك
ايضا قال النار سودا وقال ابن زيد اليحموم جبل في جهنم يستغيث اليه اهل النار
لا بارد ولا حار لانه من دخان ستير جهنم ولا كريم ثم عذب عن الضحاك وقال سعيد
بن المسيب ولا حسن منظره وكل ما لا خير فيه فليس بكريم وقيل وظل من يحموم اي من
النار يعذبون بها لقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل انهم كانوا
قبل ذلك مترفين اي انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا في الدنيا منعمين بالحرام
والمترف المنعم عن ابن عباس وغيره وقال السدي مترفين اي مشركين وكانوا
يصرون على الحنث العظيم اي يقيمون على الشرك عن الحسن والضحاك وابن زيد
وقال قتادة ومجاهد الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه الشعبي هي اليمين الغموس
وهي من الكبائر يقال حنث في يمينه اي لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون
ان لا يبعث وان الاصنام انداد لله فذلك حنثهم قال الله تبارك وتعالى مخبرا
عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وفي الخبر كان يحنث في
حرا اي يفعل ما يسقط عن نفسه الحنث وهو الذنب وكانوا يقولون ايد منتاهذا
استبعاد منهم لامر البعث وتكذيب له فقال الله تعالى لهم قل يا محمد ان الاولين
من اباءكم والاخرين منكم لمجموعون الى ميقات يوم معلوم يريد يوم القيمة
ومعنى الكلام القسم ودخول اللام في قوله تعالى لمجموعون هو دليل القسم في المعنى

اي انكم لمجموعون الي ميقات يوم معلوم بربد يوم النبا منه ومعنى الكلام القسم ودخول
اللام في قوله تعالي لمجموعون هو دليل القسم في المعنى اي انكم لمجموعون قسما حقا خلاف
قسمكم الباطل ثم انكم ايها الضالون عن الهدي المكذبون بالبعث لاكلون من شجر من
زقوم وهو شجر كريه المنظر كريه المطعم وهي التي ذكرت في والصافات فمالئون
منها اي من الشجرة لان المقصود من الشجرة شجرة ويجوز ان يكون من الاولي
زايدة ويجوز ان يكون المفعول محذوفا كانه قال لاياكلون من شجر من زقوم طعامها
وقوله من زقوم صفة لشجر والصفة اذا قدرت الجار زايدا نصبت على المعنى او جر
على اللفظ فان قدرت المفعول محذوفا لم يكن الصفة الا في موضع جزم قوله
تعالي فشاربون عليه اي على الزقوم او على الاكل او على الشجر لانه يذكر ويونث
من الحميم من الماء المحالي الذي قد اشتد حره يقال انه وهو صديد اهل النار اي يودعهم
حرما ياكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشا فيشربون ما يطمئون انه يزيل العطش
فيجدونه حميما معذبا قوله تعالي فشاربون شرب الهيم قرا ابو عمرة وعاصم شرب
بضم الشين الباقون بفتحها لغتان جيدتان تقول العرب شربت شربا
وشربا بضمتين قال ابو زيد سمعت العرب تقول بضم الشين وفتحها
وكسرها والفتح هو المصدر الصحيح لان كل مصدر من ذوات الثلاثة واصله فعل الا
ترى انك ترده الي المرة الواحدة فتقول فعلة نحو شربة وبالضم الاسم وقيل ان الفتح
والاسم مصدران فالشرب كالاكل والشرب كالذكر والشرب بالكسر المشروب
كالطحن للمطحون والهيم الابل العطاش التي لاتروي لداء يصيبها عن ابن عباس
وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم وقال عكرمة ايضا هي الابل المراض الضحاك
الهيم الابل يصيبها داء يعطش منه عطشا شديدا واحدها اهيم والانثى هيما ويقال
لذلك الداء الهيام قال قيس بن الملوح

* يقال به داء الهيام اصابه * وقد علمت نفسي مكان شفائيا *

وقوم هيم ايضا اي عطاش وقدها مواهيما ومن العرب من يقول في الابل هايم وهايمة
والجمع هيم قال لبيد

* اجرب معارفها شعث واضطلاح من المهري هيم *

وقال الضحاك والاخفش وابن عيينة وابن كيسان الهيم الارض السهلة
ذات الرمل وروي ايضا عن ابن عباس فيشربون شرب الرمال التي لاتروي بالماء
الممدوي ويقال لكل ما لايروي من الابل والرمل اهيم وهيما وفي الصحاح والهيام بالضم
اشد العطش والهيام كالجنون من العشق والهيام داء ياخذ من الابل يهيم في الارض
لاتنجع يقال ناقة هيما وهيماء ايضا المعازة لاماء بها والهيام بالفتح الرمل الذي
لايتماسك ان يسيل من اليد للينه والجمع هيم مثل قذال وقذك والهيام بالكسر
الابل العطاش الواحد هيمان وناقة هيماء مثل عطشان وعطشى قوله تعالي
هذا نزلهم يوم الدين اي رزقهم الذي يعد لهم كالنزل الذي يعد للاضياف
تكرمة لهم وفيه تهكم كما في قوله تعالي فبشرهم بعذاب اليم وكقول

* ابي السعر الصبي * وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا *

وقرا ابو نهشل بن حبيب وعباس عن ابي عمرو هذا نزلهم باسكان الزاي وقد مضى
في اخر عمران القول فيه يوم الدين يوم الجزا يعني في جملتهم قوله تعالي
نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالبعث لان الاعادة كالابتداء وقيل المعنى
نحن خلقناكم رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم تؤمنوا قوله تعالي
افرايتم ما تمنون اي ما تصبونه من المني في ارحام النساء ثم تخلقونه تصورون
منه الانسان ام نحن الخالقون المقدرون المصورون وهذا احتجاج عليهم وبيان
للاية الاولي اي اذا اقررتم بانا خلقناكم لاعبثا فاعترفوا بالبعث وقرا ابو
السماك ومحمد بن السميفع واشهب العقيلي تمنون بفتح التا وهما لغتان ومنى
وامنى ومذي وامذي ومذى يمنى ويمنى ويمذي الماوردي ويحتمل ان يختلف
معناهما عندي فيكون امنى اذا انزل عن جماع ومنى اذا انزل عن احتلام وفي
تسمية المني منيا وجهان احدهما لامتنانه وهو ارافته التابي لتقديره ومنه المنا

الذي يوزن به لانه مقدار لذلك كذلك المعنى مقدار صحيح لتصوير الخلقة قوله
تعالى نحن قدرنا بينكم الموت احتجاج ايضا اي الكريم يقدر على الامانة تقدر
على الخلق واذا اقدر على الخلق قدر على البعث وقرا نافع مجاهد وحميد وابن محيصن
وابن كثير قدرنا بالتخفيف الدال الباقون بالتشديد قال الضحاك اي سوينا
بين السما واهل الارض وقيل قضينا وقيل كتبنا والمعنى متقارب ولا احد يفوق
عن الله جل وعز وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم اي ان اردنا ان نبدل
امثالكم اي ان اردنا ان نبدل امثالكم اي اذا اردنا ان نبدل امثالكم لم يسبقنا احد
اي لم يغلبنا وبمسبوقين معناه بمغلوبين وقال الطبري المعنى نحن قدرنا بينكم
الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم باخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين في
اجالكم اي لا يتقدم متاخر ولا يتاخر متقدم ونشئكم فيما لا تعلمون من الصور والهيئات
قال الحسن اي يجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بالقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث
على غير صوركم في الدنيا فيجعل المومن ببياض الوجه ويبيض الكافر بسواد وجهه سعيد
بن المسيب قوله فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كانها الخطاطيف
وبرهوت واد في اليمن وقال مجاهد معنى فيما لا تعلمون في اي خلق شاء والمعنى ينشئكم
في عالم فيما لا تعلمون وفي مكان لا تعلمون قوله ولقد علمتم النشاة الاولى اي
اذ خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيئا عن مجاهد وغيره
قتادة والضحاك يعني خلق ادم عليه السلام فلولا تذكرون اي فهلا تتذكرون
وفي الخبر عجب الله من الكذب بالنشاة الاخرة وهو يرى النشاة الاولى
وعجب للمصدق بالنشاة الاخرة وهو يسعى لدار الغرور وقرا العامة النشاة بالقصر
وقرا مجاهد والحسن وابن كثير وابو عمر والنشاة بالمد وقد مضى في العنكبوت
بيانه قوله تعالى افرايتم ما تحرثون هذه محنة اخرى اي اخبروني عما تحرثون
من ارضكم فتطرحون فيها البذر ثم تسقونه وتحصلونه زرعا فيكون فيه
السنبل والحب ام نحن نفعل ذلك واعلمكم البذر وشق الارض فاذا اقررتم
بان اخراج السنبله من الحب ليس اليكم فكيف تنكرون اخراج الاموات من
الارض واعادتهم واصلا في الحرث ايلام والزرع الى الله تعالى لان الحرث فعلهم
وحرثهم على تخييرهم وكذلك ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت فان الزارع هو الله قال
ابو هريرة الم تسمعوا قوله تعالى انتم تزرعونه ام نحن الزارعون والمستحب
لكل من بذر البذر في الارض ان يقول بعد الاستعاذة افرايتم ما تحرثون الا بك
ثم يقول بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره
وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول امان
لذلك الزرع من جميع الافات الدود والجراد وغير ذلك سمعناه من ثقة وجرب
فوجد كذلك ومعنى انتم تزرعونه اي تحملونه وقد يقال فلان زراع كما يقال
حراث اي يعمل ما يوول الى ان يكون زرعا وفي التنزيل تعجب الزراع وقد
بطلان لفظ الزرع على يد الارض وذكرنا ما يجوز اذا لم يكن فيه تعليم
ارشاد وادب لا يمنى خطر وايجاب ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم
عبدي وامتي وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وقد مضى في يوسف
القول فيه وقد بالغ بعض العلما فقال لا تقولن حرثت فاصبت بل تقول
اعانني الله فحرثت واعطاني بفضله ما اصبت قال الماوردي ويتضمن
هذه الاية امرين احدهما الامتنان عليهم بل انبت زرعهم حتى عاشوا به
ليتركوه على نعمه عليهم الثاني البرهان الموجب للاعتبار لانه لما انبت زرعهم
لجدنا لا شيء بدره وانتقاله الى اسوا حاله من العفن والتربب حتى صار زرعا
اخضر ثم تويب مشتدا اصفر فما كان عليه فهو باعادة من اماته احق عليه
واقدر وفي هذا البرهان معتبر لذوي الفطر السليمة ثم قال لو نشا لجعلناه حطاما
اي متكسرا يعني الزرع والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا
غذا فنبه بذلك ايضا على موبين احدهما ما اولاهم به من النعم في زرعهم اذ لم
يجعله حطاما ليتركوه التاني ليعتبروا بذلك في انفسهم كما انه يجعل الزرع حطاما

اذا سا كذلك يهلكهم اذا شا ينتغطوا ينتزجروا فظلتم تفكهون اي تعجبون درها بها
ويندمون مما حل بكم قاله الحسن وقتادة وغيرهما وفي الصحاح وتفكه اي تعجب ويقال
بندم قال تعالى فظلتم تفكهون اي تعجبون درها بها ويندمون مما حل بكم قاله الحسن
وقتادة وغيرهما وفي الصحاح وتفكه اي تعجب ويقال تندم قال تعالى فظلتم تفكهون
اي تندمون وتفكهت بالشئ اي تمتعت به وقال يمان تندمون على نعمنا تكثر
دليله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وقال ـــــ على مدة تالاومون
ويندمون على ما سلف منكم من معصية الله التي اوجبت عقوبتكم حتى بالعلم في درعكم
ابن كيسان تحزنون والمعنى متقارب وفيه لغتان تفكهون وتفكنون قاله الفراء والزجاج
لغتان عكل وفي الصحاح التفكن التندم على ما فات وقيل التفكه التظلم فيما لا يعنيك
ومنه قيل للمزاح بالعسكر فهو فكه اذا كان طيب النفس مراحا وقراءة العامة فظلتم
بفتح الظاء وفي عبد الله فظللتم بكسر الظاء ورواها هارون عن حسين عن ابي بكر
عن فتح على الاصل والاصل ظللتم فحذف اللام الاولى تخفيفا ومن كسر نقل كسرة
اللام الاولى الى الظاء ثم حذفها انا لمغرمون قرا ابو بكر والمفضل أينا بهمزتين
على الاستفهام ورواه عاصم عن رزين حبيش الباقون بهمزة واحدة على الخبر اي
يقولون انا لمغرمون اي معذبون عن ابن عباس وقتادة قالوا الغرام العذاب

* ومنه قول ابن المحلم *

* ونعب بان الحفظ مني شجيه وان فوادي مبتلى بك مغرم *

وقال ـــــ مجاهد وعكرمة لموله بنا ومنه قول المزرد بن ضرار

* سلا عن تذكره لكما وكان رهينا بها مغرما *

يقال اغرم ولان بخلانة اي اولع بها ومنه الغرام وهو الشر اللازم وقال ـــــ
مجاهد ايضا لملقون شرا وقال ـــــ مقاتل بن حيان ممسكون الخاسر لمغرمون
ملحوذ من الغرام وهو الهلاك كما قال ـــــ

* يوم النسار ويوم الجفار كان عذابا وكان غراما *

الضحاك وابن كيسان هو من الغرم والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض اي غرمنا
الحب الذي بذرناه وقال ـــــ مرة للمراني لمحاسبون بل نحن محرومون اي
حرمنا ما طلبنا من الربح والمحروم المحدود الممنوع من الرزق والمحروم ضد المرزوق
وهو المحارف في قول قتادة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بارض الانصار
فقال ـــــ ما يمنعكم من الحرث فقالوا الحرث ثم قال ـــــ لا تفعلوا فان
الله تعالى يقول انا الزراع ان شئت زرعت بالماء وان شئت زرعت بالريح
وان شئت زرعت بالبرد ثم تلى أفرايتم ما تحرثون انتم تزرعونه ام نحن الزارعون
قلت في هذا الخبر والحديث الذي قبله ما يقبح قول من ادخل الزارع في اسماء الله
سبحانه واياه الجمهور من العلماء وقد ذكرنا ذلك في الكتاب الاسنى في شرح اسماء
الله الحسنى قوله تعالى ـــــ افرايتم الماء الذي تشربون لتحيوا به انفسكم وتشكلوا
به عطشكم لان الشراب انما يكون تبعا للمطعوم ولهذا جا الطعام مقدما في الآية قبل
الاتري انك تستقي ضيفك لجدران تطعمه الزمخشري ولو عكست لعدت تحت قول
ابي العلا اذا استقيت صاق الناس محضا سقوا اصنافهم شيما زلالا
وسقى بعض العرب فقال انا لا اشربه ب الا بمثله قوله تعالى ـــــ انتم انزلتموه
من المزن اي السحاب الواحدة مزنة قال الشاعر

* نحن كالمزن ما في ضحايا كها هر ولا فينا بعد خيل *

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما ان المزن السحاب وعن ابن عباس ايضا
والثوري المزن السما والسحاب وفي الصحاح ابو زيد المزنة السحابة البيضا والجمع
مزن والمزنة المطرة قال ـــــ

* لو ان ام عمرو اعطت مزنة وعفرا لطاف الكباس يقنع *

ام نحن المنزلون اي فاذا عرفتم بانى انزلته فلم لا تشكرونني باخلاص العبادة لي
ولم تكفرون فذري على الاعادة لو نشا جعلناه اجاجا اي ملحا شديد الملوحة
قاله ابن عباس الحسن مرا فعالم يبتغون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما فلولا اي
فهلا تشكرون الذي صنع ذلك بكم ثم قال ـــــ افرايتم النار التي تورون

اي الجروي

اخروني عن النار التي تورون منها تطمرونها بالقدح من الشجر الاخضر الرطب انتم انشاتم
شجرتها يعني التي تكون منها الزند وهي المرخ والعفار ومنه قولهم في كل شجر
نارواسه سمجد المرخ والعفار اي استكثروا منه كانهما اخذا من النار ما هو جسمها
ويقال لانهما يسرعان الوري يقال اوريت النار اذا قدحتها وورى الزند يري
بالكسر فيهما ام نحن المنشئون اي المخترعون الخالقون اي فاذا عرفتم قدرتي
فاشكروني ولا تكذبوا قدرتي على البعث قوله تعالى نحن جعلناها تذكرة
يعني نار الدنيا موعظة لنار الكبري قاله قتادة مجاهد تبصرة لدنا من الظلام
وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ناركم هذه التي توقدونها بني
ادم جزء من سبعين جزا من نار جهنم قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية قال
فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزا كلهن مثل حرها ومتاعا للمقوين قال
ابن عباس اي منفعة للمسافرين سموا بذلك ليزولهم القوا وهو القفر
التي لا شئ فيها وكذلك القوي والقوا بالمد والقصر ومنزل قوالا يبس به يقال
اقوت الدار وقويت ايضا اي خلت من سكانها قال النابغة

• يا دار مية بالعلياء فالسند • اقوت وطال عليها سالف الابد •

وقال عنترة

• حييت من طلل تقادم عهده • اقوي واقفر بعد ام الهيثم •

ويقال اقوي اي قوي اصحابه واقوي اذا سافر اي نزل القوا والقي
وقال مجاهد للمقوين للمستمتعين بها من الناس اجمعين في الطبخ والخبز
والاصطلاء والاستضاء ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله منها وقال
ابن زيد للجايعين في اصطلاح طعامهم يقال اقويت منذ كذا اي ما اكلت شيئا
وفلان القوا ذا بات جايعا على غير طعم قال الشاعر

• واني لاختار القوا طاوي الحشا • على قطع من ان يقال لئيم •

وقال الربيع والسدي للمنزلين المقوين الذين لا زاد معهم يعني نارا يوقدون
يجتبرون بها ورواه العوفي عن ابن عباس وقال قطرب المقوي من الاضداد
يكون بمعنى الفقر ويكون بمعنى الغنى يقال اقوي الرجل اذا لم يكن معه زاد واقوي
اذا قويت دوابه وكراعه المهد وجب والآية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر
والمقيم والغني والفقير وحكى الثعلبي ان اكثر المفسرين على القول الاول القفر بي
وخص المسافر بالانتفاع بها لان انتفاعه بها اكثر من منتفعة المقيم لان اهل البادية
لا بد لهم من النار يوقدونها لهرب منهم السباع وفي كثير من حوايجهم قوله
تعالى فسبح باسم ربك العظيم اي نزه الله عما اضافه اليه المشركون من
الاضداد والانداد والعجز عن البعث قوله تعالى فلا اقسم بمواقع
النجوم فيه سبع مسائل الاولي قوله تعالى فلا اقسم لاصله في قول اكثر المفسرين
والمعنى فاقسم بدليل قوله تعالى وانه لقسم قال الفراهي نفي والمعني ليس الامر
كما يقولون ثم استانف اقسم وقد يقول الرجل لا والله ما كان كذا فلا يريد به
نفي اليمين بل يريد به نفي كلام تقدمه اي ليس الامر كما ذكرت بل هو كذا وقيل
لا بمعني الا للتنبيه كما قال

• الا عم صباحا ايها الطلل البالي • وبنه بهذا على فضيلة القرآن ليصدر
بروه وانه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا وقرا الحسن وحميد وعيسى
بن عمر فلا اقسم بغير الف بعد اللام على التحقيق وهو فعل حال وتقدير مبتدا
محذوفا التقدير فلانا اقسم بذلك ولو اريد به الاستقبال للزمت النون وقد
حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال وهو شاذ التابية قوله
تعالى مواقع النجوم مساقطها ومغايبها في قول قتادة وغيره عطا ابن ابي رباح
مناز لها الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة الضحاك هي الانوا التي كانت
الجاهلية تقول اذا مطروا في الوا مطرنا بنوكذا الماوردي ويكون قوله تعالى
فلا اقسم مستعملا على حقيقته من نفي القسم القشيري هو قسم وسه ان يقسم بما
يريد وليس لنا ان نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة قلت يدل على
هذا قراة الحسن فلا اقسم وما اقسم به سبحانه من مخلوقاته في غير موضع

من كتابه وقال ابن عباس المراد بمواقع النجوم بزول القرآن نجوما انزله الله تعالى
من اللوح المحفوظ في السماء العليا الي السفرة الكاتبين فنجم السفرة علي جبريل
عشرين ليلة ونجم جبريل علي محمد صلي الله عليه وسلم عشرين سنة فهو تنزيله
علي الاحداث من امته حكاه الماوردي عن ابن عباس والسري وقال ابو بكر الانباري
حدثنا اسمعيل بن اسحاق القاضي قال حدثنا حجاج بن المنهال قال حدثنا همام
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزل القرآن جملة واحدة الي سما
ثم نزل الي الارض نجوما وفرق بعد ذلك خمس ايات خمس ايات واقل واكثر
لذلك قول الله تعالي فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه
لقرآن كريم وحكي الفراء عن ابن مسعود ان مواقع النجوم هو محكم القرآن وقرا
حمزة عن الكسائي بموقع علي التوحيد وهي قراءة عبد الله بن مسعود والنخعي
والاعمش وابن محيصن وروبس عن يعقوب الباقون عن الجمع لان المراد
ولانه اسم جنس تودى فيه الواحد عن الجمع ومن جمع فلاختلاف انواعه الثالثة
قوله تعالي وانه لقرآن كريم ثم قيل الها يعود علي القرآن اي ان القرآن لقسم
عظيم قاله ابن عباس وغيره وقيل اي ما اقسم الله به عظيم انه لقرآن كريم
ذكر المقسم عليه اي اقسم بمواقع النجوم ان هذا القرآن قرآن ليس بسحر ولا
كهانة وليس بشعر بل هو قرآن كريم محمود جعله الله معجزة لنبيه وهو كريم
علي المؤمنين لانه كلام ربهم ورحمة ووحيه وقيل كريم اي غير مخلوق وقيل
كريم لما فيه من كريم الاخلاق ومعالي الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم
قارئه الرابعة قوله تعالي في كتاب مكنون مصون عند الله تعالي وقيل مكنون
محفوظ عن الباطل والكتاب هنا كتاب في السماء قاله ابن عباس وقال
جابر بن زيد وابن عباس ايضا هو اللوح المحفوظ عكرمة التوراة والانجيل
فيهما ذكر القرآن ومن ينزل عليه السري الزبور مجاهد وقتادة هو المصحف
الذي في ايدينا الخامسة قوله تعالي لا يمسه الا المطهرون اختلف
في معني لا يمسه هل هو حقيقة في المس باليد او معنى وكذا اختلف في
المطهرون من هم فقال ابن عباس وسعيد بن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من
الذنوب وهم الملائكة وكذا قال ابو العالية وابن زيد انهم
الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني آدم فجبريل
الذي نزل به مطهر والرسل الذين يحملونه بذلك مطهرون الكلبي هم السفرة
الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو مخصوصا اختاره مالك حيث قال
احسن ما سمعت في قوله تعالي لا يمسه الا المطهرون انما بمنزلة الآية التي في عبس
وتولي فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة
يريد ان المطهرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة عبس وقيل
معني لا يمسه لا ينزل به الا المطهرون الا الرسل من الملائكة علي الرسل من الانبيا
وقيل لا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب المكنون الا الملائكة المطهرون
قيل ان اسرافيل هو الموكل بذلك حكاه الشبري ابن العربي وهذا باطل
لان الملائكة لا بيان لهم في وقت ولا اتصال لهم بحال ولو كان المراد به ذلك
لكان الاستثنا فيه مجال واما من قال انه الذكر بايدي الملائكة في المصحف
فهو قول محتمل وهو الذي اختاره مالك وقيل المراد بالكتاب المصحف
الذي بايدينا وهو الاظهر وقد روي عن مالك وغيره عمرو بن حزم الذي
كتبه له رسول الله صلي الله عليه وسلم وسحفه من محمد النبي الي شرحبيل بن
عبد كلال والحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال ذي رعين
ومعافر وهمدان اما بعد وكان في كتابه الا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن
عمر قال النبي صلي الله عليه وسلم لا تمس القرآن الا وانت طاهر وقالت اخت
عمر لعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعا بالصحيفة لا يمسه الا المطهرون
فقام واغتسل واسلم وقد مضى في اول سورة طه وعلي هذا المعنى قال قتادة
وغيره لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والاخباس الكلبي من الشرك الربيع
بن انس من الذنوب والخطايا وقيل معني لا يمسه لا يقرؤه الا المطهرون

الا الموحدون

الا الموحدون قال محمد ابن فضيل وعبده قال عكرمة كان ابن عباس ينهى ان يمكن احد
من اليهود والنصارى من قراءة القرآن وقال لا اعلم لا يجد طعمه وينفعه وتركته
الا المطهرون اي المؤمنون بالقرآن ابن العربي وهو اختيار البخاري قال
النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمن رضي بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقال الحسين بن الفضل لا يعرف تفسيره
وتأويله الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقال ابو بكر الوراق لا يعرف
لا بوقف للعمل به الا السعداء وقيل المعنى لا يمس ثوابه الا المؤمنون ورواه
معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قيل طاهرا لا يمس خبر عن المسراي لا
يمسه الا المطهرون شرعا ان وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع وهذا
اختيار القاضي ابو بكر بن العربي وابطل ان يكون لفظه لفظ الخبر ومعناه
الامر وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة الممدوح يجوز ان يكون ضمة
السين ضمة اعراب ويجوز ان يكون بناء ويكون ضمه ضمة السين بنا والفعل
مجزوم السادسة واختلف العلما في مس المصحف على غير وضوء فالجمهور على
المنع من مسه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن
مسعود وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وعطا والزهري والنخعي والحكم
وحماد وجماعة من الفقها منهم مالك والشافعي واختلفت الرواية عن ابي
حنيفة فروي عنه ان يمسه المحدث وقد روي هذا عن جماعة من السلف
منهم ابن عباس والشعبي وغيرهما وروي عنه انه يمس طاهره وحواشيه
وهو الامكتوب فيه واما الكتاب فلا يمسه الا طاهرا ابن العربي وهذا ان سلمه
مما يقوي الحجة عليه لان حريم الممنوع ممنوع وقد اكتبه النبي صلى الله عليه
وسلم لعمرو بن حزم اقوى دليل عليه وقال مالك لا يحمله غير طاهر بعلاقة
ولا على وسادة وقال ابو حنيفة لا باس بذلك ولم يمنع من حمله بعلاقة
او مسه حائل وقد روي عن الحكم وحماد وداود بن علي انه لا باس
بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا او محدثا الا ان داود قال لا يجوز للمشرك
حمله واحتجوا في اباحة ذلك بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى قيصر وهو موضع ضرورة
فلا حجة فيه وفي مس الصبيان اياه على وجهين احدهما المنع اعتبارا بالبالغ و
الثاني الجواز لانه وان كانت لها طهارة الا انها رتبة ليست بكاملة لان
الصبية لا تضبط منه واذا جاز ان يحمله على غير طهارة كاملة جاز ان يحمله محدثا
الرابعة قوله تعالى تنزيل من رب العالمين اي منزل كقولهم ضرب الامير وسح
اليمن وقيل تنزيل صفة لقوله تعالى انه لقرآن كريم وقيل اي هو تنزيل فهو
تعالى انبهذا الحديث انتم مدهنون يعني القرآن اسم مدهنون اي مكذبون
قاله ابن عباس وعطا وغيرهما والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه يبيته
بالدهن في سهولة ظاهره وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كاذبون نظيره
ودوا لو تدهن فيدهنون وقال المورج الدهن المنافق الذي يلين كلامه لصاحبه كفره
والادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق واصله اللين وان يسير خلاف
ما يظهر قال ابو قيس بن الاسلت

* الحزم والقوة حيث من الادهان والعجز والهارع *

وادهن وداهن واحد وقال الضحاك مدهنون معرضون عما هم
عليه المشركون الكفار على الكفر يزيد ابن كيسان المدهن الذي لا يعقل ما خلق الله عليه
ويدفعه بالعلل وقال بعض اللغويين مدهنون بمعنى تكذبون للحرم في
قبول القرآن قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال ابن عباس
تجعلون شكركم التكذيب وذكر الهيثم بن عدي ان من لغة ازد شنوة ما رزق
فلان اي ما شكره وانما صح ان يوضع اسم الرزق مكان شكره لان شكر الرزق
يقتضي الزيادة منه فيكون الشكر رزقا على هذا المعنى فقيل وتجعلون
رزقكم منه فيكون الشكر رزقا على هذا المعنى تقديره وتجعلون رزقكم اي شكر
رزقكم الذي لو وجد منكم لعاد رزقا لكم انكم تكذبون بالرزق اي تضعون الكذب
مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية اي لهم

يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصلون ويصفقون فكانت العبادة والصلاة فيه
بيان ان ما اصابه العباد والصلاة فيه بيان ان ما اصابه العباد من حر فلا ينبغي
ان يروه من قبيل الوسائط التي جرت العادة بان يكون اسبابا بل ينبغي ان يراه
من قبل الله تعالى ثم يقابله بشكر ان كان نعما وصبر ان كان مكروها لعبد الله
وبدلال وروي عن علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون حقيقة وعن ابن عباس ان المراد به الاستسقاء بالانواء وهو
قول العرب مطرنا بنوكذا ورواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه
وسلم وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد النبي
صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله
وقال بعضهم لقد صدق نوكذا وكذا قال فنزلت هذه الآية فلا اقسم بمواقع
النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم خرج في صحراء ايتم ان دعوت
الله لكم فسقيتم لعلكم تقولون هذا المطر بنوكذا فقالوا يا رسول الله ما هذا
بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطرنا النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برحل يعرف لقدح له وهو يقول
سقينا بنوكذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
بالنعمة ويقولون سقينا بنوكذا اكقولك جعلت احسابي اليك اساءة منك اليه
وجعلت الحامي اليك ان اتخذ تقي عدوا وفي الموطا عن زيد بن خالد الجهني انه
قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على
اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال اتدرون ماذا قال
ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر
فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي كافر بالكواكب واما من
قال مطرنا بنوكذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكواكب قال الشافعي لا احب
لاحد ان يقول مطرنا بنوكذا وان كان النوء عند الوقت المخلوق لا يضر
ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيئا من المطر والذي احب ان يقول مطرنا وقت
كذا كما تقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا بنوكذا وهو يريد ان النوء انزل الماء
كما بعض اهل الشرك من الجاهلية بقوله فهو كافر حلال دمه ان لم يتب وقال
ابو عمر بن عبد البر واما قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله سبحانه اصبح
من عبادي مومن بي وكافر فمعناه عندي على وجهين اما احدهما فان المعتقد
بان النوء هي الموجب لنزول الماء وهو المنشئ للسحاب دون الله عز وجل
فذلك كافر كفرا صراحا يجب استتابته عليه وقتله لينزه الاسلام ورده
الغران والوجه الثاني ان نعتقد ان النوء ينزل الله به الماء وانه سبب الماء على
ما قدره الله وسبق في علمه فهذا وان كان وجها مباحا فان فيه ايضا كفر
بنعمة الله عز وجل وجهل بلطيف حكمته لانه ينزل الماء متى شاء مرة بنوء
كذا ومرة دون النوء وكثيرا ما يخوب النوء ولا ينزل معه شيء من الماء وذلك
من الله تعالى لا من النوء وكذلك كان ابو هريرة يقول اذا اصبح وقد
مطر مطرنا بنوء العشر ثم بنوء ما يفتح الله للناس من رحمته فلا ممسك
لها قال ابو عمر وهذا عندي نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
مطرنا بفضل الله ورحمته ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه للعباس بن عبد المطلب حتى استسقي به يا عم رسول
الله كم بقي من نوء الثريا فقال العباس الحلم ايزعموا انها تؤوض
في الافق سبعا بعد سقوطها لما مضت سامعة حتى مطروا فقال عمر الحمد
لله هذا بفضل الله ورحمته فكان عمر رضي الله عنه قد علم ان نوء الثريا وقت
يرجى فيه المطر ويؤمل فسأله عنه اخرج ام بقيت منه بقية وروى
سفيان بن عيينة عن اسمعيل بن امية ان النبي صلى الله عليه وسلم
سمع رجلا في بعض اسفاره يقول مطرنا ببعض عثانين الاسد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كذبت بل هو سقيا الله عز وجل فقال سفيان عثانين الاسد

الذراع والجمة وقراءة العامة بكذبون من التكذيب وقرأ المفضل عن عاصم وحمى بن وثاب يكذبون بفتح الباء مخففا ومعناه ما قدمناه من قول من قال اعم قولهم مطرنا بنوكذا وتثبت من حديث انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لن يزلن في امتي من امر الجاهلية لا يتركونهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم اي فهلا اذا بلغت النفس او الروح الحلقوم ولم يتقدم لهما ذكر لان المعنى معروف قال حاتم اماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وفي حديث ان ملك الموت له اعوان ينتظعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهي بها الى الحلقوم فسموها ملك الموت وانتم حينئذ تنظرون اسوء و سلطاني وقيل تنظرون الى الميت لا يقدرون له على شيء وقال ابن عباس يريد من حضر من اهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه ثم قيل هو رد عليهم في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اي فهلا ردوا الروح او احد منهم اذا بلغت الحلقوم وقيل المعنى فهلا اذا بلغت الحلقوم نفس احدكم مع حرصكم على امتداد عمره وحكم ذلك فيه وهذا رد قولهم نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وقيل هو خطاب لمن هو في النزع اي ان لم يكن ما ائتمن الله فهلا حفظت على نفسك الروح ونحن اقرب اليه منكم اي بالقدرة والعلم والرؤية قال عامر بن الطفيل لعبد قيس ما نظرت اني شيء الا رأيت الله تعالى اقرب مني وقيل اراد ورسلنا الذين يتولون قبضه اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اي فهلا كنتم غير محاسبين ولا محزيين باعمالكم ومنه قوله تعالى انا لمدينون اي محزيون محاسبون وقد تقدم وقيل غير مملوكين ولا مقهورين قال الفراء وغيره دنته ملكته ومنه قول الشاعر

لقد دست امرأ بيمينك حتى تركتكم اوقى من الطين

يعني ملكت وداسه اي اذله واستعبده يقال دنته فدان وقد مضى في الفاتحة القول في هذا عند قوله يوم الدين ترجعونها ان كنتم صادقين يرجع الروح الى الجسد ان كنتم صادقين اي ولن يرجعونها فبطل زعمكم انكم غير مملوكين ولا محاسبين وترجعونها جواب لقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا ان كنتم غير مدينين اعتراض بجواب واحد قاله الفراء ربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ومنه قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اصبا بجواب واحد وهما شرطان وقيل احدهما كالدلالة الاخر عليه وقيل فيه تقديم وتأخير مجازهما فلولا وهلا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ترددون نفس هذا الميت الى جسده اذا بلغت الحلقوم ثم انتم تنشأون فاما ان كان من المقربين ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند البعث وبين درجاتهم فقال فاما ان كان هذا المتوفى من المقربين وهم السابقون فروح وريحان وجنة نعيم وقراءة العامة فروح بفتح الراء ومعناه عند ابن عباس وغيره فرح من الدنيا وقال الحسن الروح الرحمة الضحاك الروح الاستراحة الغنوي المعنى له في القبر طيب نسيم وقال ابو العباس بن عطا الروح النظر الى وجه الله تعالى والريحان الاستماع لكلامه ووجه وجنة نعيم هوان لا يحجب عنهما عن الله تعالى وقرأ الحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدري ورويس وزيد عن يعقوب فروح بضم الراء وروي عن ابن عباس قال الحسن الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقالت عائشة رضي الله عنها قرأ النبي صلى الله عليه وسلم فروح بضم الراء ومعناه فمنه له وحياة في الجنة وهذا هو الروح والريحان وقال مجاهد وسعيد بن جبير اي رزق قال مقاتل هو الرزق بلغة حمير يقال خرجت اطلب ريحان الله اي رزق الله قال المرار بن سلامة العجلي

سلام الاله وريحانه ورحمته وسماده

وقال قتادة انه لجنة الضحاك الرحمة وقيل هو الريحان المعروف الذي يشم قاله الحسن وقتادة ايضا الربيع بن خثيم هذا هو عند الموت والجنة محبوره له الى ان يبعث انو الحوزا هذا عند قبض روحه يتلقى سماط الريحان ابو العالية لا يفارق احد من المقربين روحا في الدنيا حتى يؤتى بقضبان من ريحان فيشمها ثم

ثم تقبض روحه فيما واصل ريحان واشتقاقه تقدم في اول سورة الرحمن فتامله وقد سرد
الثعلبي في الروح والريحان اقوالا كثيرة سوى ما ذكرنا من ارادها وحرها هناك
فتعرف واما ان كان من اصحاب اليمين اي ان كان هذا المتوفى من اصحاب اليمين اي
ليست ترى منهم الا ما تحب من السلامة فاليمين لم فانهم يسلمون من عذاب الله وقيل
المعنى سلام لك منهم اي انت سالم من الاغتمام لهم والمعنى واحد وقيل اي ان اصحاب
اليمين يدعون لك يا محمد ان يصلي الله عليك ويسلم وقيل المعنى يسلمون عليك
يا محمد وقيل معناه سلمت انها العبد مما تكره فانك من اصحاب اليمين فخذ فانك وقيل
انه تحيا بالسلام اكراما وعلى هذا في محل السلام ثلاثة اقوال احدها عند قبض روحه في الدنيا
يسلم عليه ملك الموت قاله الضحاك وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن
قال ربك يقرئك السلام وقد مضى هذا في سورة النحل عند قوله تعالى الذين تتوفاهم
الملائكة طيبين الثاني عند مسائلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند
بعثه في القيامة يسلم عليه الملائكة قبل وصوله اليها قلت وقد يحتمل ان يسلم عليه
الملائكة قبل وصوله اليها قلت وقد يحتمل ان يسلم عليه في المواطن الثلاث ويكون
ذلك اكراما بعد اكرام والله اعلم وجواب ان عند المبرد محذوف والتقدير
منهما لكن من شيء فسلام لك من اصحاب اليمين ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك
لك من اصحاب اليمين فحذف جواب الشرط لدلالة ما تقدم عليه كما حذف الجواب في
نحو قولك انت ظالم ان فعلت لدلالة ما تقدم عليه ومذهب الاخفش ان الفاء جواب
اما وان ومعنى ذلك ان الفاء جواب اما وقد سدت مسد جواب ان على التقدير
المتقدم والفاء جواب لما على هذا الحد ومعنى اما عند الزجاج الخروج من شيء الى
شيء اي دع ما كنا فيه وخذ في غيره قوله تعالى واما ان كان من المكذبين
اي المبعدين الضالين عن الهدى وطريق الحق فنزل من حميم اي فلهم رزق من حميم
كما قال ثم انكم ايها الضالون المكذبون لاكلون اي ان قال ثم ان لهم عليها
لشوبا من الحميم وتصلية جحيم ادخال في النار وقيل اقامة في الجحيم ومقاساة لا
نواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه اي جعله يصلاها والمصدر هنا يضاف
الى المفعول كما يقال للان اعطاها اي يعطى المال وقرئ وتصلية بكسر التاء اي ثم
وينزل من تصلية بجحيم ثم ادغم ابو عمرو التاء في جيم وهو بعيد ان هذا لهو حق اليقين
اي هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه وجاز اضافة الحق الى اليقين وهما واحد
لاختلاف لفظهما قال المبرد وهو كقولك عين اليقين ومحض اليقين فهو من باب
اضافة الشيء الى نفسه عند الكوفيين وعند البصريين بمعنى حق الامر اليقين او
الحق اليقين وقيل هو توكيد وقيل اصل اليقين ان يكون لغتا فاضيف المنعوت
الى لغته كما يضاف الشيء والمجاز كقوله ولدار الاخرة وقال قتادة في هذه الاية
ان الله ليس بتارك احدا من الناس حتى يقفه على اليقين من هذا القرآن فاما
المؤمن فايقن في الدنيا فينفعه ذلك اليوم اليقين واما الكافر فايقن يوم القيامة
حين لا ينفعه اليقين فسبح باسم ربك العظيم اي نزه الله تعالى عن السوء والبراءة
اي سبح ربك والاسم المسمى وقيل فسبح اي فصل بذكر ربك وامره وقيل فاذكر اسم
ربك العظيم وسبحه وعن عقبة ابن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال
النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال
النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم خرجه ابو داود

سورة الحديد مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

في قول الجميع وهي تسع وعشرون اية عن العرباض ابن سارية ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقرأ بالمسبحات قبل ان ينام وقد يقول ان فيهن اية افضل من الف اية
يعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى سبح لله ما في السموات
والارض اي مجد الله ونزهه من السوء وقال ابن عباس صلى لله ما في السموات
مما خلق من الملائكة والارض من شيء فيه روح او لا روح فيه وقيل هو تسبيح الدلالة
وانكر الزجاج هذا وقال لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور اثار الصنعة لكانت

مفهومه فلم قال ولكن لا يفقهون تسبيحهم وانما هو تسبيح دلاله فاي تخصيص لداود قلت
وما ذكره هو الصحيح وقد مضى بيانه والقول فيه في سبحان عند قوله تعالى وان من
شئ الا يسبح بحمده وهو العزيز الحكيم قوله تعالى له ملك السموات والارض
اي انفرد بذلك والملك عبارة عن الملك وتفرد الامر فهو سبحانه المالك القادر
القاهر وقيل اراد خزائن المطر والسحاب وسائر الرزق يحيي ويميت يحيي الاحياء
في الدنيا ويحيي الاموات للبعث وقيل يحيي النطف وهي موات ويميت الاحياء وموضع
يحيي ويميت رفع على محيي وهو يحيي ويميت ويجوز ان يكون نصبا بمعنى له ملك السموات
والارض محييا ومميتا على الحال من الجرور في له والجار عاملا فيها وهو على كل شئ قدير لا يعجزه
شئ قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن اختلف في معاني هذه
الاسماء وقد بيناها في الكتاب الاسنى وقد شرحهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
شرحا لغنى عن قول كل قائل فقال في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة اللهم انت الاول
فليس قبلك شئ وانت الاخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ
وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر يعني بالظاهر
العالي وبالباطن العالم والله اعلم وهو بكل شئ عليم مما كان ويكون لا يخفى عليه شئ
قوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
تقدم في سورة الاعراف مستوفى قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض اي يدخل
فيها من مطر وغيره وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السماء من رزق ومطر
وما يعرج فيها تصعد فيها من الملائكة واعمال العباد وهو معكم يعني بقدرته وسلطانه
وعلمه اينما كنتم والله بما تعملون بصير يبصر اعمالكم ويراها فلا يخفى عليه شئ منها
وقد جمع في هذه الاية بين استوائه على العرش وبين وهو معكم والاحاديث الظاهرية
بذا قاض على انه لا بد من التاويل والاعتراض عن التاويل اعتراف بالنقاص وقد
قال الامام ابو المعالي ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء لم يكن باقرب الى الله
عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت وقد تقدم قوله تعالى
له ملك السموات والارض هذا التكرير لتاكيد اي هو المعبود على الحقيقة والي الله
ترجع الامور اي امور الخلائق في الاخرة وقرا الحسن والاعمش ويعقوب وابن عامر
وابو حياة وابن محيصن وحميد والاعمش وحمزة والكسائي وخلف ترجع بفتح التاء
وكسر الجيم ابيا قون ترجع قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
تقدم في ال عمران وهو عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه الضمائر ومن كان بهذه
الصفة فلا يجوز ان يعبد من سواه قوله تعالى امنوا بالله ورسوله اي
صدقوا ان الله واحد وان محمدا رسوله وانفقوا تصدقوا وقيل انفقوا في سبيل الله وقيل
المراد الزكاة المفروضة وقيل غيرها من وجوه الطاعات وما تقرب به مما جعلكم
مستخلفين فيه دليل على ان اصل الملك لله سبحانه وان العبد ليس له فيها الا التصرف
الذي يرضي الله فيثبت على ذلك بالجنة فمن انفق منها في حقوق الله وهانت
عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه كان له
الثواب العظيم الجزيل والاجر وقال الحسن مستخلفين فيه نودا اليكم اياه عمن كان
قبلكم وهذا يدل على انها لميت باموالكم في الحقيقة وما انتم فيه الا بمنزلة النواب
والوكلاء فاغتنموا الفرصة فيها بادروا الحتف قبل ان يزال عنكم الى من بعدكم
فالذين امنوا منكم وانفقوا في سبيل الله لهم اجر كبير وهو الجنة قوله تعالى
وما لكم لا تؤمنون بالله استفهام يراد به التوبيخ اي اي عذر لكم في ان لا تؤمنوا وقد
ارحت الحال والرسول يدعوكم بين يدي هذا انه لاحكم قبيل ورود الشرائع وقوا ابو عمرو
وقد اخذ ميثاقكم فاعل جاهد هو الميثاق الاول الذي كان وهو في ظهر ادم بان الله
ربكم لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم بان ركب فيكم العقول واقام عليكم الحجج والدلائل
التي تدعوا الى الايمان بعد الرسول ان كنتم مومنين اي اذا كنتم وقيل ان كنتم مومنين
بالحج والدليل وقيل اي ان كنتم مومنين بحق يوما من الايام فالان فقد صحت براهينه
وقيل ان كنتم مومنين بان الله خلقكم وكانوا يعترفون بهذا وقيل هذا خطاب لقوم
امنوا واخذ النبي صلى الله عليه وسلم ميثاقهم فاريد وا وقوله ان كنتم مومنين اي ان
كنتم تفون بشرائط الايمان قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده اياته بينات

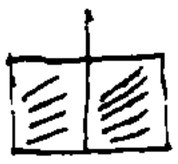
يريد الغزوات وقيل الحجرات اي لزمكم الايمان بمحمد لما معه من المعجزات والقرآن
اكبرها واعظمها ليحجركم اي بالقرآن وقيل بالرسول وقيل بالدعوة من الظلمات
وهو الشرك والكفر الى النور وهو الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم قوله تعالى
ومالكم ان لا تنفقوا في سبيل الله فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى ومالكم ان لا تنفقوا
في سبيل الله اي اي شيء يمنعكم من الانفاق في سبيل الله وفيما تقرب من ربكم
وانتم تموتون وتخلفون اموالكم وهي صائرة الى الله فمعنى الكلام التوبيخ على عدم
الانفاق ولله ميراث السموات والارض اي انما راجعان اليه بالفرائض من قبيلهما
كرجوع الميراث الى المستحق له الثانية قوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من
قبل الفتح وقاتل اكثر المفسرين على ان المراد بالفتح فتح مكة وقال الشعبي والزهري
هو فتح الحديبية وقال قتادة كان قبالان احدهما افضل من الاخر وبعد ما
احداهما افضل من الاخر كان القتال والنفقة قبل فتح مكة افضل من القتال
والنفقة بعد ذلك وفي الكلام حذف اي لا يستوي من انفق من قبل الفتح وقاتل
ومن انفق من بعد الفتح وقاتل فحذف لدلالة الكلام عليه وانما كانت النفقة قبل
الفتح اعظم لان حاجة الناس كانت اكثر لضعف الاسلام وفعل ذلك كان على النفقتين
حينئذ اشق والاجر على قدر النصب والله اعلم قوله تعالى روي انتهب
عن مالك قال ينبغي ان يقدم اهل الفضل والعلم وقد قال الله تعالى لا يستوي
منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل وقال الكلبي نزلت في ابي بكر فهما دليل
واضح على تفضيل ابي بكر وتقديمه لانه اول من اسلم وعن ابن مسعود اول
من اظهر الاسلام سبعة النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر ولانه اول
من انفق على نبي الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر قال كنت عند النبي صلى
الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال
يا نبي الله ما لي ارى ابا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال قال انفق
ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى يقول لك اقرأ على ابي بكر السلام ويقول لك
انت راض في فقرك ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي انا عن ربي لراض اني عن
ربي لراض قال فان الله يقول لك قد رضيت عنك كما انت عني راضي فبكى
ابو بكر فقال جبريل والذي بعثك بالحق نبيا ما تخللت حملة العرش بالذي
من تخلل صاحبك هذا يا محمد ولهذا قدمه الصحابة على انفسهم واقروا له بالتقدم
والسبق وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سبق النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ابو
بكر وثلث عمر فلا ادري برجل الاحد ثم حد المفتري ثمانين جلدة وطرح الشهادة
فقال المتقدمون من الصحابة اكثر مما نالت من بعدهم وكانت بصائرهم ايضا اثقب
الرابعة التقدم والتأخر قد يكون في احكام الدنيا فاما في احكام الدين فقالت
عائشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم
واعظم الناس مرتبة الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل
بالناس الحديث وقال يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله وقال وليؤمكم
اكبركم من حديث مالك بن الحويرث وقد تقدم وفهم منه البخاري وغيره من العلماء
انه اراد اكبر المنزلة كما ان قال صلى الله عليه وسلم الولاء لكبره ولم يعين كبر السن وقد قال
مالك وغيره ان للسن حقا وراعاه الشافعي وابو حنيفة وهو احق بالمراعاة لانه
اذا اجتمع العلم والسن في جنب قدم السن الحلم واما احكام الدنيا فهي مرتبة على
احكام الدين فمن قدم في الدنيا وفي الابار ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف
لعالمنا حقه ومن الحديث الثابت في الافراد ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله
له عند سنه من يكرمه وانشدوا

ياغائبا للشيوخ من اشر داخله الصبي ومن درج
اذكره اذكر اذا شئت ان يعينهم جدك واذكر ابالك يا بن اخ
ولعلم بان الشاب منسلخ عنك وما وزره بمنسلخ من لابس الشيوخ
لا بلغت بوسابه سنه الى الشيخ الخامسة وكلا وعد الله الحسنى اي المتقدمون
المتناهون والمتأخرون اللاحقون وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات
وقرا ابن عامر وكل بالرفع وكذلك هو بالرفع في مصاحف اهل الشام الباقون

وكلا

وكلا بالنصب على ما في مصاحفهم من نصب فعلى اتباع الفعل عليه اي وعد الله كلا الحسنى
ومن رفع فلان المعطوف اذا التزم ضعف عمل الفعل والها محذوف تقديره من وعده •
من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب الى الانفاق في سبيل الله وقد مضى في البقرة
القول فيه والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا قد اقرض كما قال —— •
• واذا اجوزيت قرضا فاجزه انما يجزي العلى بمثل الجمل •
وسماه قرضا لان القرض اخرج لاسترداد البدل اي من ذا الذي ينفق في سبيل الله حتى
يبذل الله له الاضعاف الكثيرة قال الكلبي قرضا اي صدقة حسنا او محتسبا من قلبه
بلا من ولا اذى فيضعفه له ما شاء ومن سبع الى سبع مائة الى ما شاء الله من الاضعاف
وقيل القرض الحسن هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر رواه سفيان
عن ابي حيان وقال زيد بن اسلم هو النفقة على الاهل الحسنى التطوع بالعبادات وقيل
انه عمل الخير والعرب تقول لي عندك فلان قرض صدق وقرض سوء التشبيه والقرض
الحسن ان يكون المتصدق صادق النية طيب النفس يبتغي به وجه الله دون الرياء
والسمعة وان يكون من الحلال ومن القرض الحسن ان لا يتبعه اذى الرد فيخرجه لقوله
تعالى ولا يتيمموا الخبيث منه تنفقون وان يتصدق في حال تامل الحياة فان النبي صلى
الله عليه وسلم عن افضل الصدقة فقال ان تعطيه وانت صحيح سحيح تامل العيش ولا
تمهل حتى اذا بلغت التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا وان يخفي صدقته لقوله
تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وان لا يمن لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى وان يستحقر كثيرا ما يعطي لان الرياء قليله والله يكون من احبها له
لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان يكون كثيرا لقوله صلى الله عليه
وسلم افضل الصدقات اعلاها ثمنا وانفسها عند اهلها فيضاعفه له قرا ابن
كثير وابن عامر فيضعفه باسقاط الالف الا ان ابن عامر ويعقوب نصبوا الفاء
وقرا نافع واهل الكوفة فيضاعفه بالالف وتخفيف العين الا ان عاصما نصب الفاء
ورفعها الباقون عطفا على يقرض وبالنصب جوابا على الاستفهام وقد مضى في البقرة
القول في هذا مستوفى وله اجر كريم يعني الجنة قوله تعالى يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات العامل في يوم وله اجر كريم وفي الكلام حذف اي وله اجر كريم في يوم ترى
المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم اي يمضي على الصراط في قول الحسن وهو الضياء الذي
يمرون فيه بين ايديهم اي اقدامهم وبايمانهم قال قتادة يؤتى المؤمن نوره على قدر
ايمانه منهم من يضيء نوره كالنخلة ومنهم من يضيء نوره كالرجل القائم ادناهم نورا من نوره على ابهام رجله يطفئ مرة ويوقد اخرى
وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان من المؤمنين من يضيء
نوره كما بين المدينة وعدن ابين من ذي اليمن او صنعاء ودون ذلك حتى لا يكون منهم من لا
يضيء نوره الا موضع قدميه قال الحسن ليستضيئوا به على الصراط كما تقدم
وقال مقاتل يكون دليلا لهم الى الجنة قوله تعالى بشراكم اليوم جنات تجري
من تحتها الانهار التقدير يقال لهم بشراكم اليوم دخول جنات ولا بد من تقدير
حذف المضاف لان البشرى حدث والجنة عين فلا يكون هي هي تجري من تحتها
الانهار اي من تحتهم كما قال لبيد
فيها اثال من الدخول المحذوف التقدير بشراكم اليوم دخول جنات تجري من تحتها الانهار
معدين الخلود فيها ولا يكون الحال من بشراكم لان فيه فصلا بين الصلة والموصول
ويجوز ان يكون مما دل عليه البشرى كانه قال يبشرون خالدين ويجوز ان يكون
الظرف الذي هو اليوم خبرا عن بشراكم وجنات بدل من البشرى على تقدير حذف

المضاف كما تقدم وخالدين حال حسب ما تقدم وجاز الفراء نصب جنات على الحال على ان يكون
اليوم خبرا عن بشراكم وهو بعيد اذ ليس في جنات معنى الفعل واجاز ان يكون بشراكم
نصبا على معنى يبشرهم بشراكم وينصب جنات بالبشرى وفيه تفرقة بين الصلة
والموصول بقوله عز وجل يوم يقول المنافقون العامل في يوم ذلك الفوز العظيم
وقيل هو بدل من اليوم الاول انظرونا قراءة العامة توصل الالف مضمومة الطاء من
نظر والنظر الانتظار اي انتظرونا وقرأ الاعمش وحمزة ويحيى بن وثاب انظرونا بقطع
الالف وبكسر الطاء من الانظار اي امهلونا واخرونا انظرته اخرته واستنظرته
اي استمهلته وقال الفراء تقول العرب انظرني اي انتظرني وانشد
* لعمرو بن كلثوم *
* اباهند فلا يعجل علينا * وانظرنا نخبرك اليقينا *
اي انتظرنا نقتبس من نوركم اي نستضيء من نوركم قال ابن عباس وابو امامة
يعشى الناس يوم القيمة ظلمة قال الماوردي الصحيح بعد فصل القضاء ثم
يعطون نورا يمشون فيه قال المفسرون يعطي الله المؤمنين يوم القيمة
نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا حتى يتعلق
لهم دليله قوله تعالى وهو خادعهم وقيل انما يعطون النور لان جميعهم اهل دعوة
دون الكافر ثم تسلب المنافق نوره لنفاقه قاله ابن عباس وقال ابو امامة
يعطى المؤمن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور وقال الكلبي بل
يستضيء المنافقون بنور المؤمنين فلا يعطون النور بنيانهم يمشون الى بعث
الله رجاء ظلمة فاطفأ ذلك نور المنافقين فذلك قوله تعالى ربنا اتمم لنا
نورنا بقوله حسبه ان لا يسلبوه كما سلبه المنافقون فاذا بقي المنافقون
في الظلمة لا يبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم
قيل ارجعوا اي قالت لهم الملائكة ارجعوا وقيل بل هو قول المؤمنين لهم
ارجعوا وراءكم الى الموضع الذي اخذنا منه النور فالتمسوا هناك لانفسكم نورا
فانكم لا يقتبسون من نورنا فهناك رجعوا والتمسوا في طلب النور وضرب بينهم بسور
وقيل اي هلا طلبتم النور من الدنيا بان تؤمنوا بسور اي سورا والباء صلة
قاله الكسائي والسور حاجز بين الجنة والنار وروي ان ذلك السور بيت
المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم باطنه فيه الرحمة يعني ما يلي منه المؤمنين
وظاهره من قبله العذاب يعني ما يلي المنافقين قال كعب الاحبار
هو الباب الذي سمت المقدس المعروف بباب الرحمة وقال عبد الله بن
عمرو انه سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب
يعني جهنم ونحوه عن ابن عباس وقال زياد بن ابي سوداء قام عبادة بن
الصامت على سور بيت المقدس الشرقي فبكا وقال من ها هنا اخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جهنم وقال قتادة هو حائط بين الجنة والنار
باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم وقال
مجاهد انه حجاب كما في الاعراف وقد مضى القول فيه وقد قيل ان الرحمة التي في
باطنه نور المؤمنين والظاهر الذي في ظاهره ظلمة المنافقين قوله تعالى
ينادونهم اي ينادي المنافقون المؤمنين الم نكن معكم في الدنيا يعني نصلي
مثل ما يصلون ونغزو امثل ما يغزون ونفعل مثل ما تفعلون قالوا بلى اي
يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم اي استعملتموها
في الفتنة وقال مجاهد اهلكتموها بالنفاق وقيل بالمعاصي قال ابو
سفيان وقيل بالشهوات واللذات رواه ابو غبراء الحماني وارتبتم اي ترصصتم
بالنبي صلى الله عليه وسلم الموت وبالمؤمنين الدوائر فقيل تربصتم بالتوبة
وارتبتم اي شككتم في التوحيد والنبوة وغرتكم الاماني الاباطيل وقيل طول
الامل وقيل هو ما كانوا يتمنونه من ضعف المؤمنين وتزول الدوائر بهم
وقال قتادة الاماني هنا خدع الشيطان وقيل الدنيا قاله عبد الله بن عباس
وقال ابو سنان هو قولهم سيغفر لنا وقال بلال بن سعد ذكرك حسناتك
وسيئاتك ستسائك غره حتى جاء امر الله يعني الموت وقيل نصرة نبيه صلى



اسعليه وسلم وقال قتادة الغا دكم في النار وغروكم اي حدلكم بالله الغرور
اي الشيطان قاله عكرمة وقيل الدنيا قاله الضحاك وقال بعض العلما
ان للبا في بالماضي معتبرا وللاخر بالاول مزدجرا والسعيد من لا يعتبر بالطمع ولا يتركن
الي الحرع ومن ذكر المنيه ينتهي لاسيه ومن اطال الامل ينتهي العمل وعفل عن الاجل
وجاء الغرور على لفظ المبالغة بالكسر وقرا ابو حيوة ومحمد بن السميفع وسماك ومحمد
ابن حرب الغرور بضم الغين وهو الاباطيل وهو مصدر وعن ابن عباس ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم خط لنا خطوطا وخط في وسط خطا خارجا عنه وخط عن يمينه و
يساره خطوطا صغارا فقال هذا ابن ادم وهذا اجله محيط به وهذا امله قد جاوز اجله
وهذه الخطوط الصغار الاعراض فاذا اخطاه هذا نهشه هذا وان اخطاه هذا نهشه
هذا قوله تعالى فاليوم لا يوخذ منكم فدية انها المنافقون ولا من الذين
كفروا اي منكم من النجاة وقراة العامة يوخذ بالبا لان التانيث غير حقي ولانه قد
فصل بينهما وبين الفعل وقرا ابن عامر ويعقوب لا توخذ بالتا واختاره ابو حاتم
لتانيث الحدية والاول اختيار ابي عبيد اي لا تقبل منكم بدل ولا عوض ولا نفس
مناء واكم النار اي مقامكم ومنزلكم هي مولاكم اي اولي بكم والمولى من يتولى مصالح
الانسان ثم استعمل فيمن كان حلا زما للشيء وقيل اي النار تملك امرهم بمعنى
ان الله ركب فيها الحياة والعقل بمعنى يتميز عطا على الكفار ولهذا خطوبت في قوله
يوم نقول لجهنم هل امتلات وبيس المصير اي بيست مرجعا ومصيرا
الم يان للذين امنوا اي تعرب وحين قال الشاء عبر
الم يان للذين لجوا قبل ان اترك الجهلا وان يجدث السبيت المبين لذا عقلا
وما ضيه اني بالقصر يابى ويقال آن لك بالمد ان تفعل كذا سن انا اي حان مثل
اني لك وهو مقلوب منه وانشد ابن السكيت
الم يان لي ان تجلى عمايتي واقصر عن ليلى فدا بي ليا
يجمع بين اللغتين وقرا الحسن المايان واصلها المزيدت فيها فهي يعي كقول القائل
ولم يعي كقوله التابل ولم يعي كقوله كان كذا وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما كان
بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله الا اربع سنين قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة
تقول عاتبته معاتبة ان تخشع ان يلين قلوبهم لذكر الله وما نزل
من الحق روي ان المزاح والضحك كثر في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما تزوجوا
بالمدينة فنزلت الاية فلما نزلت هذه الاية قال عليه السلام ان الله يستبطيكم
بالخشوع فقالوا عند ذلك خشعنا وقال ابن عباس ان الله استبطا قلوب المومنين
فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران وقيل نزلت في المنافقين بعد
الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان ان يحدثهم بعجايب التوراة فنزلت الله نزل
احسن الحديث الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم
ان هذا القصص احسن من غيره وانفع فكفوا عن سلمان عما سالوه مثل الاول
فنزلت الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فعلى هذا التاويل
يكون الذين امنوا في العلانية باللسان قال السدي الم يان للذين امنوا باظاهر
واسروا الكفر ان تخشع قلوبهم لذكر الله وقيل نزلت في المومنين قال سعد
قيل يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت نحن نقص عليك فقالوا بعد زمان
لو حدثتنا فنزل الله نزل احسن الحديث فقالوا بعد مدة لو ذكرتنا فانزل الله الم
يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ونحوه عن ابن
مسعود وقال ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الا اربع سنين فجعل
يبطر بعضنا الى بعض ويقول ما حدثنا فالحسن يسبطرهم وهو
احب خلقه اليه وقال هذا خطاب لمن امن بموسى وعيسى دون محمد عليه
السلام لانه قال بعقيب هذا والذين امنوا باسور سوله اي الم يان للذين امنوا
بالتوراة والانجيل ان تلين قلوبهم للقران وان يكونوا كالمتقدمي قومهم موسى وعيسى
اذ طال عليهم الامد بينهم وبين نبيهم فقست قلوبهم فزله تعالى
ولا تكونوا اي وان لا تكونوا فهو منصوب عطفا على ان تخشع وقيل مجرور على

النبي بحاره ولا تلوين ودليل هذا التاويل رواية رويس عن يعقوب ولا تكونوا بالتاء
وهي قراءة عيسى وابن اسحق تقول لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى اعطوا التوراة
والانجيل فطالت الازمان عليهم قال ابن مسعود ان بني اسرائيل لما طال
عليهم الامد قست قلوبهم فاختلفوا كتابا من عند انفسهم استحلته انفسهم
وكان الحق يجول بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم
كانهم لا يعلمون ثم قال اعرضوا هذا الكتاب على بني اسرائيل فان تابعوكم فاتركوهم
والا فاقتلوهم ثم اصطلحوا على ان يرسلوه الى عالم من علمائهم وقالوا ان هو لنا بعدنا
لم نجالفنا احد وان ابى قتلناه فلا يختلف علينا بعده احد فارسلوه اليه فكتب
كتاب الله في ورقة في قرن وعلقها على عنقه ثم ليس عليه سلاحه واتاهم فعرضوا
عليه كتابهم وقالوا انؤمن بهذا فضرب بيده على صدره وقال امنت بهذا يعني
المعلق على صدره فافترقت بنو اسرائيل على بضع وسبعين ملة وخير ملكهم
اصحاب ذي القرنين قال عبد الله ومن يعش منكم فسيرى منكرا وحسب احدكم
اذا راى المنكر لا يستطيع ان يغيره ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وقال مقاتل
بن حيان يعني مومني اهل الكتاب طال عليهم الامد واستنبطوا بعث النبي صلى الله
عليه وسلم فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون يعني الذين ابتدعوا الرهبانية
اصحاب الصوامع وقيل من لا يعلم ما يلزمه من الفقه ويخالف من يعلم وقيل هو
من لا يؤمن في علم الله تعالى نبتت طائفة منهم على دين عيسى حتى بعث النبي صلى
الله عليه وسلم فامنوا به وطائفة رجعوا عن دين عيسى وهم الذين سبقهم
الله وقال محمد بن كعب كانت الصحابة بمكة محدثين فلما هاجروا اصابوا الرخاء
والنعمة فعبروا وعملوا كما تؤتيه فقست قلوبهم فوعظهم الله تعالى فاتوا وذكر ابن
المبارك اخبرنا مالك بن انس قال بلغني ان عيسى عليه السلام قال
لقومه لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فان القلب القاسي بعيد
من الله ولكن لا تعلمون ولا تنظروا في ذنوب الناس كانكم ارباب وانظروا فيها
كانكم عبيد فانما الناس رجلان معافى ومبتلى فارحموا اهل
البلاء واحمدوا الله على العافية وهذه الآية تعريض للذين امنوا كانت سببا
لتوبة الفضيل بن عياض وابن المبارك رحمهما الله ذكر ابو المطرف عبد الرحمن بن مروان
القلانسي قال حدثنا ابو محمد الحسن بن رشيق قال حدثنا علي بن يعقوب
الوراق قال حدثنا ابراهيم بن هشام قال حدثنا زكريا بن ابي زائدة
قال حدثنا اللث بن الحوشب قال حدثنا الحسن بن ذاهر قال
سئل عبد الله بن المبارك عن بر وزهده قال كنت يوما مع اخواني في بستان لنا
وذلك حين حملت الثمار من الوان الفواكه فاكلنا وشربنا حتى الليل فمنا وكنت مولعا
بضرب العود والطنبور فنمت في بعض الليل فضربت بصوت يقال له راسين السحر وارادني
بعيني وطار بي فوق فوق راسي على شجرة والعود بيدي ولا احسن الى ما يريد
فاذا به ينطق كما ينطق الانسان يعني الذي بيده وهو يقول الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلى والله وكسرت العود
وصرفت من كان عندي فكاين هذا اول وهدي وتسمع وبلغنا عن الشعر
الذي اراد ابن المبارك ان يضرب به ان يضرب به العود الم يان لي منك ان
ترحما وبعض العواذل راللوما وبرثي لصب بكم مغرم اقام على هجركم
عامدا تنبيت اذا جنه ليله براعي الكواكب والانجما • وماذا على الصبي
لو انه احل من الوصل ما حرما واما الفضيل بن عياض فكان سبب
توبته انه عشق جارية فواعدته ليله فبينما هو يتوقى الجدران اليها
اذ سمع قارئا يقرا الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فرجع
القهقرى وهو يقول بلى والله قد آن فاواه الليل الى خربة وفيها
جماعة من السائلة وبعضهم يقول لبعض ان فضيلا يقطع الطريق فقال
الفضيل اوايحي بالليل اسعى في معاصي الله وقوما من المسلمين يخافوني
اللهم اني قد تبت اليك وجعلت توبتي اليك جوار بيتك الحرام فرئي
تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها الخربة بعد موتها بالمطر

وقال

وقال صالح المري المعنى تلين القلوب بعد قسوتها وقال جعفر بن محمد يحييها بالعدل بعد الجور وقيل المعنى فكذلك يحيي الكافر بالهدي الى الايمان بعد موته بالكفر والضلالة وقيل كذلك يحيي الموتى من الامم ويميز بين الخاسع قلبه وبين القاسي قلبه فذ بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اي لعبا الله الارض بعد موتها دليل على قدرة الله وانه يحيي الموتى ان المصدقين والمصدقات قرا ابن كثير وابو بكر عن عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق اي المتصدقين بما انزل الله تعالى الباقون بالتشديد اي ان المتصدقين والمصدقات وادغمت التا في الصاد وكذلك هي في مصحف ابي وهو حث على الصدقات ولهذا قال واقرضوا الله قرضا حسنا بالصدقة والنفقة في سبيل الله قال الحسن كل ما في القران من القرض الحسن هو التطوع وقيل هو العمل الصالح من الصدقة وغيرها يحتسبها صادقا وانما عطف بالفعل على الاسم لان ذلك الاسم في تقدير الفعل اي ان الذين صدقوا وافرضوا ايضا عن لهم اجرهم مثلاه وقرا العامة بفتح العين على ما لم يسم فاعله وقرا الاعمش يضاعفه بكسر العين وزيادة ها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بتشديد العين وقفها وله اجر كريم يعني الجنة قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون والشهدا عند ربهم لهم اجرهم ونورهم اختلف في الشهداء اهل منقطع مما قبله او متصل به فقال مجاهد وزيد بن اسلم ان الشهدا والصديقين هم المومنون والله متصل وروي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم فالابو قف على هذا على والصديقون وهذا قول ابن مسعود في تاويل الاية قال العنبري قال الله تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فالصديقون هم الذين يتلون الانبيا والشهداء هم الذين يتلون الصديقين والصالحون يتلون الشهداء ويجوز ان يكون هذه الاية في حملة من صدق بالرسل اعني والذين امنوا بالله ورسوله اولئك هم الصديقون والشهدا ويكون المعنى بالشهدا من شهد لله بالوحدانية فيكون صديقا فوق صديق في الدرجات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنات العلى كما يرى الكوكب الدري احدكم الكوكب الذي في افق السماء وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وروي عن ابن عباس وسروق ان الشهدا غير الصديقين فالشهدا على هذا منفصل مما قبله والوقف على قوله الصديقون حسن والمعنى والشهدا عند ربهم لهم اجرانفسهم ونورانفسهم وقيل هم قولان احدهما انهم الرسل يشهدون على امهم بالتصديق والتكذيب قاله الكلبي دليله قوله تعالى وجئنا بك على هولاء شهيدا الثاني انهم امم الرسل يشهدون يوم القيامة وفيما يشهدون به قولان احدهما انهم يشهدون على انفسهم بما عملوا من طاعة ومعصية وهذا معنى قول مجاهد الثاني يشهدون لانبيائهم بتبليغهم الرسالة الى امهم قاله الكلبي وقال مقاتل قولا بالثا انهم الذين في سبيل الله تعالى ونحوه عن ابن عباس ايضا فان اراد شهدا المومنين والواو والابتدا والصديقون على هذا القول منقطوع من الشهداء وقد اختلف في تعيينهم فقال الضحاك هم ثمانية نفر ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتابعهم عمر بن الخطاب الخفه الله بهم لما صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل بن حيان الصديقون هم الذين امنوا بالرسل ولم يكذبوهم طرفة عين مثل مومن ال فرعون وصاحب ال يس وابي بكر الصديق وصاحب اصحاب الاخدود وقوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بايتنا اي بالرسل والمعجزات اولئك اصحاب الجحيم فلا اجر لهم ولا نور ثم قال تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الاية وجه الاتصال ان الانسان قد يترك الجهاد خوفا على نفسه من القتل وخوفا من لزوم المومن فبين ان الحياة الدنيا منقضية فلا ينبغي ان يترك امر الله خوفا محافظة على ما لا يبقى وما صله وتقديره اعلموا ان الحياة الدنيا لعب باطل ولهو فرح ثم ينقضي وقال قتادة لعب ولهو اكل وشرب وقيل اللعب على المعهود من اسمه قال مجاهد كل لعب لهو وقد مضى هذا المعنى في الانعام وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة اي شغل عنها وقيل اللعب الافعال واللهو النساء وزينة الدنيا ما يتزين به والكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للاخرة وكذلك من تزين في

غير طاعة الله وتفاخر بينكم اي يفخر بعضكم على بعض بها وقيل بالحلمة والقوة وقيل
بالانساب على عادة العرب بالمفاخرة بالاباء وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي احد على احد وصح عنه عليه السلام
انه قال اربع في امتي من امر الجاهلية لا تتركونهن الفخر في الاحساب الحديث وقد تقدم جميع
وتكاثر في الاموال والاولاد لان عادة الجاهلية ان تتكاثر بالاباء والاموال
وتكاثر المؤمنين بالايمان والطاعة قال بعض المتاخرين لعب كلعب الصبيان
ولهو كلهو الصبيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران وتكاثر كتكاثر الدهقان
وقيل المعنى ان الدنيا كهذه الاشياء في الزوال والفناء وعن علي رضي الله عنه انه قال
لقمان لابنه يحزن على الدنيا لان الدنيا تشبه اشياء ماكول ومشروب وملبوس ومشموم
ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهي بزقة ذبابه واكثر شرابها الماء وينتوبه
فيه جميع الحيوان وافضل لباسها الديباج وهو نسج دودة وافضل مشمومها المسك
وهو دم فارة وافضل مركوبها الفرس وعليها يقتتل الرجال واما المنكوح فالنساء
فهو مثال والله ان المراة لتزين احسنها برد ابهها فيعجبها ثم ضرب الله مثلا لها بالزرع
في عيث فقال كمثل غيث اي مطر اعجب الكفار نباته الكفار هنا الزراع لانهم يغطون
البذر والمعنى ان الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين اليه لحضرته بكثرة
الامطار ثم لا تلبث ان تصير هشيما كان لم تكن واذا اعجب الزراع فهو عما يسره
ما يبتهج ويسر وقد مضى هذا المثل في يونس والكهف وقيل الكفار هنا الكافرون بالله
عز وجل لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا من المؤمنين وهذا قول حسن فان الاصل الاعجاب
لهم وبهم وسببهم يظهر وهو التعظيم للدنيا وما فيها وفي الموحدين من ذلك فروع يحدث
من شمولهم ويقل عندهم وتزق اذا ذكروا الاخرة وموضع الكاف رفع على الصفة ثم تهيج
اي يجف بعد خضرته فتراه مصفرا اي متغيرا عما كان عليه من النضرة لم يكون حطاما اي
فتاتا ورسا فيذهب بعد حسنه كذلك دنيا الكافرين وفي الاخرة عذاب شديد اي
للكفار والوقف عليه حسن ولهما ومغفرة من الله ورضوان اي للمؤمنين قال الفراء
وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة تقديره اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على
شديد ومغفرة من الله ورضوان اي للمؤمنين قال الفراء وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة
تقديره اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور وهذا تاكيد ما سبق اي لغير الكفار واما المؤمن فالدنيا له متاع بلاغ
الى الجنة وقيل العمل للحياة الدنيا متاع الغرور تقديره في العمل للدنيا وترغيبا للعمل
في الاخرة قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وقيل سارعوا بالتوبة
لانها تؤدي الى المغفرة قاله الكلبي وقيل التكبيرة الاولى مع الامام قاله مكحول وقيل
الصف الاول وجنة عرضها كعرض السموات والارض لو وصل بعضها ببعض قال
الحسن يعني جميع السموات والارض مبسوطات كل واحدة الى صاحبتها وقيل
يريد لرجل واحد اي لكل واحد جنة واحدة من الجنات والعرض اقل من الطول
ومن عادة العرب انها تعبر عن الشيء بعرضه دون طوله قال

* * كان بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل * *

وقد مضى هذا كله في العمران وقال طارق بن شهاب قال قوم من اهل الخبرة لعمر رضي
الله عنه ارايت قول الله عز وجل وجنة عرضها كعرض السماء والارض فاين النار
فقال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولى وجاء النهار اين يكون الليل فقالوا لقد تزعت بما
في التوراة مثله اعدت للذين امنوا بالله ورسله شرط للايمان لا غير وفيه وقد قيد
شرط الايمان هنا فزاد عليه فقال اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء
والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ان
الجنة لا تنال ولا يدخل الا برحمة الله وفضله وقد مضى هذا في الاعراف وغيرها
والله ذو الفضل العظيم قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض
قال مقاتل القحط وقلة النبات والثمار وقيل الجوائح في الزرع ولا في انفسكم بالاوصاب
والاسقام قاله قتادة وقيل اقامة الحدود قاله ابن حبان وقيل
ضيق المعاش وهذا معنى رواه ابن جريج الا في كتاب من قبل ان نبرأها الضمير في
نبرأها عائد على النفوس او الارض او المصايب او الجميع وقال ابن عباس من قبل

ان يخلق المصيبة وقال سعيد بن جبير من قبل ان يخلق الارض والنفوس ان ذلك على الله يسير اي خلق ذلك وحفظ جميعه على الله يسير هين قال الربيع بن صالح لما اخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت فقال ما يبكيك قلت ابكي لما روي اركب بك ولما تذهب اليه قال فلا تبك فانه كان في علم الله ان يكون ام تسمع قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك الاية وقال ابن عباس لما خلق الله القلم قال له اكتب فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وقيل وقد تركت لهذه الاية جماعة من الفضلاء الرواة في امراضهم فلم يستمعلوه لمدبريهم وتوكلا عليه وقالوا قد علم الله ايام المرض وايام السقم وايام الصحة فلم حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما قدروا قال الله سبحانه ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها وقد قيل ان هذه الاية تصل بما قبل وهو ان الله سبحانه هون عليهم ما يصيبهم في الجهاد من ذهاب المحافظة على الاموال فقتل وجرح وبين ان ما حل بهم عن الجهاد من المحافظة على الاموال وما يفتح به من خسرانها الكل مكتوب مقدر لا مدفع له وانما على المرء امتثال الامر بما امر بهم فقال هذا لكي لا تاسوا على ما فاتكم من الرزق وذلك انهم اذا علموا ان الرزق قد فرغ منه لم تاسوا على ما فاتهم منه وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجد احدكم طعم الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه ثم قرأ لكيلا تاسوا على ما فاتكم اي كي لا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا فانه لا يقدر لكم ولو قدر لكم لم يفتكم ولا تفرحوا بما اتاكم اي من الدنيا قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير من العافية والخصب وروي عكرمة عن ابن عباس ليس من احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المومن يجعل مصيبته صبرا ونعمته شكرا والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى بهما الى ما لا يجوز قال الله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور اي متكبر بما اوتي من الدنيا فخور به على الناس وقراه العامة اتاكم بمد الالف اي اعطاكم من الدنيا واختاره ابو حاتم وقراه ابو العالية اتيكم اي جاكم وهو معادل لفاتكم ولهذا لم يقل اعطاكم قال جعفر ابن محمد يا ابن ادم ما لك تاسى على مفقود لا يرده عليك الفوت او تفرح بموجود لا يسوقه الى يديك الموت وقيل لرجل حكيم ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفائت لا يبكى بالعزم والآتي لا يستدام بالحزم قال ابن عباس في هذا المعنى الدنيا مقبل ومدبر فما اقبل فلا ترجه له وما ادبر فلا تاس عليه والمرجل وقيل المختال الذي ينظر الى نفسه والفخور الذي ينظر الى الناس بعين الاستكبار وكلاهما شر خفي والفخور بمنزلة المرأة تشد خلاقها يجتمع فيها الزين ويمنعهم المشرب ان ذلك معتاد وليس كذلك فالذلك الذي يرى من نفسه حالا وزينة وهو مع ذلك مدع فهو الفخور فقوله تعالى الذين يبخلون اي لا يحب المختالين الذين يبخلون فالذين في موضع خفض نعتا للمختال وقيل رفع بالابتداء اي الذين يبخلون فالله غني عنهم فقيل اراد ردع اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يومن به الناس فيذهب ما كلتهم قاله السدي والكلبي وقال سعيد بن جبير الذين يبخلون يعني بالعلم ويامرون الناس بالبخل بان لا يعلموا الناس شيئا ربن ابن اسلم البخل بالحق الله عز وجل وقيل انه للبخل بالصدقة والحقوق قاله عامر بن عبد الله الاشعري وقال طاوس اياكم البخل بما في ايديكم وهذه الاقوال الثلاثة متقاربة المعنى وفرق اصحاب الخواطر بين البخل والسخاء فقالوا احدهما ان البخيل الذي يلتذ به بالامساك والسخي الذي يلتذ بالعطاء الثاني ان البخيل الذي يعطى عند السوال والسخي الذي يعطى بغير سوال ومن تولى اي عن الايمان فان الله غني عنه ويجوز ان يكون لما حث على الصدقة اعلمهم ان الذين يبخلون بها ويامرون الناس بالبخل بها فان الله غني عنهم وقراه العامة بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرا انس وعبيد بن عمير ويحيى بن يعمر ومجاهد وحميد ابن محيصن وحمزة والكسائي بالبخل بفتحتين وهما لغتان الانصار وقرا ابو العالية

وابن السميقع البخل بفتح الباء وسكون الخاء وعن نصر بن عاصم البخل بضمتين وكلها لغات مشهورة وقد تقدم الفرق بين البخل والشح في اخوات عمران وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغني الحميد بحذف هو والباقون هو الغني على ان يكون فصلا ويجوز ان يكون مبتدا والمعنى جبره والجملة خبران ومن حذفها في الاحسن ان يكون فصلا لان حذف الفصل اسهل من حذف المبتدا قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالمعجزات البينة والشرايع الطاهرة وقيل الاخلاص لله تعالى في العبادة واقام الصلاة وايتاء الزكاة الى ذلك دعت الرسل نوح من دونهم الى محمد صلى الله عليه وسلم وانزلنا معهم الكتاب اي الكتب اي اوحيت اليهم جنسها كان قبلهم والميزان قال ابن زيد هو ما يوزن به ويتحامل ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل في معاملاتهم وقوله بالقسط بدل على انه اراد الميزان المعروف وقال قوم اراد به العدل قال القشيري واذا حملناه فحمل على الميزان المعروف فالمعنى انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان وهو من باب اعلفتها تبنا وماء باردا ويدل على هذا قوله والسماء رفعها ووضع الميزان ثم قال واقيموا الوزن بالقسط وقد مضى القول فيه وانزلنا الحديد فيه باس شديد روي عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى انزل اربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وروي عكرمة عن ابن عباس قال ثلثة اشياء نزلت مع ادم عليه السلام الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج وعصى موسى وكانت من اس الجنة طولها عشر اذرع مع طول موسى والحديد انزل معه ثلثة اشياء السندان والكلبتان والمنفخة وهي المطرقة ذكره الماوردي وقال الثعلبي قال ابن عباس نزل ادم من الجنة ومعه من الحديد خمسة اشياء من آلة الحداد السندان والكلبتان والمنفخة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري قال والمنفعة ما حدد به يقال وقعت الحديدة انعلها اي حددتها وفي الصحاح والمنفعة الموضع الذي يأتيه الباري فيقع عليه وخشبة المقصار التي تدق عليها والمطرقة والمسن الطويل وروي ان الحديد انزل في يوم الثلثا فيه باس شديد اي لهراق الدماء ولذلك ما نهي عن القصد والحجامة يوم الثلثا لانه يوم جرى فيه الدم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في يوم الثلثا ساعة لا يرقا فيها الدم وقيل انزلنا الحديد اي انشانا ه وخلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وهذا قول الحسن فيكون من الارض غير منزل من السماء وقال اهل المعاني اي اخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته يوجيه فيه باس شديد يعني سلاح والكراع والجنة وقيل اي ان فيه من حشمة القتل خوف شديد ومنافع للناس قال مجاهد يعني جنة وقيل يعني انتفاع الناس بالمعاون من الحديد مثل التكين والفاس ونحوه وليعلم الله من ينصره اي انزل الحديد ليعلم من ينصره وقيل هو عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط اي ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم الكتاب وهذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق وليري الله من ينصر دينه وينصر رسله بالغيب اي وهم لا يرونهم ان الله قوي عزيز قوي في اخذه عزيز اي منيع غالب وقد تقدم وقيل بالغيب بالاخلاص قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم فضل ما احمل من ارسال الرسل بالكتب واخبر انه ارسل نوحا وابراهيم وجعل النبوة في نسلهم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي جعلنا بعض ذريتهما الانبيا وبعضهم اصحاب يتلون الكتب المنزلة من السماء التوراة والانجيل والزبور والفرقان وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم فمنهم ممتد اي من ذريتهما ممتدون وكثير منهم فاسقون كافرون خارجون عن الطاعة قوله تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ثم قفينا اي اتبعنا على اثارهم اي على اثار الذرية وقيل على اثار نوح وابراهيم برسلنا موسى والياس وداود ويونس وغيرهم وقفينا بعيسى بن مريم فهو من ذرية ابراهيم من جهة امه وانيناه الانجيل وهو الكتاب المنزل عليه وقد تقدم اشتقاقه في اول سورة آل عمران الثانية قوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه يعني الحواريين واتباعهم رافة ورحمة

اي مودة فكان يواد بعضهم بعضا وقيل هذا اشارة الى انهم امروا في الانجيل وبرل
ابذا الناس والان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود الذين نتست قلوبهم وحرفوا
الكلم عن مواضعه والرافة اللين والرحمة الشفقة وقيل الرافة بحسب الكل والرحمة
بحال البعل وقيل الرافة اشد الرحمة وتم الكلام ثم قال ورهبانية ابتدعوها اي هن
قبل انفسهم والاحسن ان يكون الرهبانية منصوبة باضمار فعل قال ابو علي وابتدعوها
رهبانية ابتدعوها وقال الزجاج اي ابتدعوها رهبانية كما تقول رايت
زيدا وعمرا كلمت وقيل انه معطوف على الرافة والرحمة والمعنى على هذا ان الله اعطاهم
اياها فغيروا وابتدعوا فيها قال الماوردي وفيها قراءتان احدها بفتح الراو هي
الخوف من الرهب الثانية بضم الراو هي منسوبة الى الرهبان وذلك لانهم حملوا
على انفسهم المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والنكاح والتخلف بالكهوف
والصوامع وذلك ان ملوكهم عبروا وبدلوا وبقي نفر قليل فرهبوا وبثبتوا قال
الضحاك انهم لوكا بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلاثمائة سنة فانكروها
عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم فقال يوم لغوا بعدهم نحن اذا انهيناهم قبلونا
فليس بيننا المقام بينهم فاعتزلوا الناس واخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية
التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ الصوامع وفي حديث مرفوع هي لحوقهم بالبراري
والجبال ما كتبناها عليهم اي ما فرضناها عليهم ولا امرناهم بها قاله ابن زيد
وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله اي ما امرناهم الا بما يرضى الله قاله ابن مسلم وقال
وقال الزجاج ما كتبناها عليهم معناه ما يكتب عليهم شيا البتة ويكون الا ابتغاء
رضوان الله بدلا من الهاو الالف في كتبناها هو المعنى ما كتبناها عليهم الا ابتغاء
رضوان الله وقيل الا ابتغاء استثناء منقطع والتقدير ما كتبناها عليهم لكن
ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اي ما قاموا بها حق القيام وهذا
خصوص لان الذين لم يرعوها بعض القوم وانما شبهوا بالترهيب الى طلب الرياء
على الناس واكل اموالهم كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
لياكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وهذا في قوم اداهم الترهيب
الى طلب الرياسة في اخر الامر وروى سفيان الثوري عن عطا بن السايب عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها قال كانت ملوك
بعد عيسى بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مومنون يقرون التوراة والانجيل
ويدعون الى دين الله فقال الناس لملوكهم لو قتلت هذه الطائفة فقال المومنون
نحن نكفيكم انفسنا فطايفة قالت ابنوا لنا اسطوانة ارتقوا فيها واعطونا شيا
نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم وقالت طايفة دعونا نهيم في الارض ونسيح
ونشرب كما تشرب الوحوش في البرية فان قدرتم علينا فاقتلونا وطايفة قالت
ابنوا لنا دورا في الغياضي ونحتفر الابار ونحرث البقول فلا نرونا وليس احد
من اولئك الاولهيم منهم فعملوا فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من
بعدهم ممن قد غير الكتاب فقالوا لو اشيخ وتنعبد كما تعبد اولئك وهم على شركهم
لا علم لهم بالايمان من تقدم من الذين اقتدوا بهم فذلك قوله تعالى ورهبانية
ابتدعوها اولا الصالحون فما رعوها المتاخرون فانبذا الذين امنوا منهم اجرهم
يعني الذين ابتدعوها اولا رعوها وكثير منهم فاسقون يعني المتاخرين لم
فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل جاوا من الكهوف
والصوامع والعراق فامنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه الله
هذه الايات الى قوله كل محدث بدعة ينبغي لمن ابتدع حدثا ان يدوم عليه
ولا يعدل عنه الى ضده فيدخل في الابتداء عن ابي امامة الباهلي واسمه صدي بن
عجلان قال احدثتم فلم يكتب عليكم الصيام
فدوموا على القيام اذا فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بني اسرايل ابتدعوا
بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها
فعابهم الله تعالى ورهبانية ابتدعوا ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله
فما رعوها حق رعايتها الرابعة وفي الاية دليل على العزلة عن الناس
في الصوامع والبيوت وذلك مندوب اليه عند فساد الزمان وتغير الاحوال

والاصرقاد قدمضى بيانه هذا في سورة الكهف مستوفى والحمد لله وفي مسند احمد بن حنبل
من حديث ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سرية من سراياه قال فمر رجل بغار فيه شيء من ماء ونصيب ما حوله ما حوله من البقل
ويحلى من الدنيا قال لو اني اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان اذن
لي فعلت والا لم افعل فاتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما تسوغ من
الماء والعسل فحدثتني نفسي بان اقيم فيه واخلا من الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اني لم ابعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس
محمد بيده لغدوة او روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في
الصف خير من صلاته ستين سنة وروى الكوفيون عن ابن مسعود قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل تدري اي الناس اعلم قال قلت الله ورسوله اعلم قال اعلم
الناس ابصرهم بالحق اذا اختلف واذا كان مقصرا في العمل وان كان يزحف على استه
هل تدري من اين احدث بنو اسرائيل الرباسة طهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون
بمعاصي الله فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلث مرات فلم يبق
منهم الا القليل فقالوا ان اثبتنا لم يبق للدين احد يدعوا اليه فيعالوا يتفرق في
الارض الى ان يبعث الله النبي الامي الذي وعدنا عيسى يعون محمد صلى الله عليه
وسلم فيعروا في غبر ان الحمال واحتوا رهبانية فمنهم من يمسك بدينه
ومنهم من كفر وتكلى ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ما رهبانية امتي الصيام
والجهاد والصوم والصلاة والحج والعمرة والتكبير على التلاع يا ابن مسعود اختلف
من كان قبلكم على احدى وسبعين فرقة فنجا منها فرقة وهلك سائرهم واختلف
من كان قبلكم من النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فنجا منهم ثلاثة
وهلك سائرها فرقة وارت الملوك وقبايلهم على دين الله ودين عيسى عليه
السلام حتى قتلوا وفرقة لم يكن لهم طاقة بمواراة الملوك اقاموا بين ظهراني قومهم
يدعوهم الى دين الله ودين عيسى بن مريم فاحرهم الملوك وقتلتهم وقطعتهم بالمناشير وفرقة لم يكن لهم طاقة بمواراة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهراني قومهم
يدعوهم الى دينهم ودين عيسى فتبتلوا في الجبال وترهبوا فيها وهي التي قال الله
تعالى ورهبانية ابتدعوها الاية فمن امن بي واتبعني وصدقني فقد رعاها حق
رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الفاسقون يعني الذين تهودوا وتنصروا
وقيل هو لاء الذين ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فلم يؤمنوا به فاولئك هم الفاسقون
وفي الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي ان الاولين اصروا على الكفر ايضا فلا
تعجب من اهل عصرك ان اصروا على الكفر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
اي امنوا بموسى وعيسى اتقوا الله وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين
من رحمته اي مثلين من الاجر على ايمانهم بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا تاويل
قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقد تقدم القول فيه والكفل الحظ والنصيب
وقد مضى في النساء وهو في الاصل كساء يكتفل به الراكب يحفظه من السقوط قاله ابن جرير
ونحوه قال الازهري اشتقاقه من الكسا الذي حوله راكب البعير على سنامه اذا اردف
فيه فه يئلا يسقط فتاويله يؤتكم نصيبين يحفظا لكم من هلكة المعاصي كما يحفظ الكفل
الراكب وقال ابو موسى الاشعري كفلين ضعفين بلسان الحبشة وعن ابن زيد
كفلين اجرا الدنيا والاخرة وقيل لما نزلت اولئك يؤتون اجرهم مرتين عاصروا
ومحمد منوا اهل الكتاب على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية
وقد استدل بعض العلما بهذه الاية على ان الحسنة ان ما لها من الاجر مثل واحد
فقال الحسنة اسم عام يطلق على كل نوع من الاعمال ويطلق على عمومه فاذا
اطلقت الحسنة على نوع واحد فليس له عليها من الثواب الا مثل واحد واذا
اطلقت على نوعين كان الثواب عليها مثلين بدليل هذه الاية فانه قال
كفلين من رحمته والكفل النصيب كالمثل فجعل لمن اتقى الله وامن برسوله نصيبين
نصيبا لتقوى الله ونصيبا لايمانه برسوله فدل على ان الحسنة التي جعل لها عشر
هي التي جمعت عشرة انواع من الحسنات وهو الايمان الذي جمع الله في صفته
عشرة انواع من الحسنات ولقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الاية وكانت

هذه

هذه الانواع العشرة هي اليها ثوابها امثالها فيكون لكل نوع منها مثل وهذا تاويل
فاسد لخروجه عن عموم الظاهر في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها عما لا
يحتمله تخصيص العموم لان ما جمع عشر حسنات فليس بخبر عن كل حسنة الا بمثلها وبطل
ان يكون خبرا الحسنة عشر امثالها والاخبار ورد عليه وقد تقوم ذكرها ولو كان كما ذكر
لما كان بين السيئة والحسنة فرق ويجعل لكم نورا تمشون به اي بيانا وهدى عن
مجاهد وقال ابن عباس هو القرآن وقيل ضياء تمسون به في الآخرة على الصراط وفي الغيامة
الى الجنة وقيل تمشون به في الناس يدعونهم الى الاسلام فتكونوا وسلفا دين
الاسلام لا يزول عنكم رياسة كنتم فيها وذلك انهم خافوا ان يزول رياستهم
لو امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما كانت دعوتهم احرر سوة تسيره من الصفة
بتحريف احكام الله لا الرياسة الخبيثة في الدين ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور
رحيم قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وان لا صلة زائدة مؤكدة
قاله الاخفش وقال الفراء معناه لان يعلم ولا صلة زائدة في كل كلام دخل عليه
جحد قال قتادة حينئذ اهل الكتاب المسلمين فنزلت ليلا يعلم اهل الكتاب
اي لان يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد
الله وقال مجاهد قالت اليهود بينك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل
فلما خرج من العرب كفروا فنزلت لئلا يعلم اي ليعلم اهل الكتاب لا يقدرون
يعني انهم لا يقدرون كقوله تعالى لا نرضع اليمم قولا وعن الحسن لئلا يعلم اهل
الكتاب وروي ذلك عن مجاهد وروي فطرب بكسر اللام واسكان الباء وفتح
لام الجر لغة معروفة ووجه اسكان الباء ان همزة ان حذفت فصارت لن فاجتمعت
النون في اللام فصار للا فلما اجتمعت اللامات ابدل الوسطى منهما باء كما قالوا
في اما اما وكذلك القول في قراءة من قرأ لئلا بكسر اللام الا انه ابقى اللام على
اللغة المشهورة فيها فهو اقوى من هذه الجهة وعن ابن مسعود لكي لا يعلم
وعن حطان بن عبد الله لان يعلم وعن عكرمة ليعلم وهو خلاف المرسوم ومن
فضل الله قبل الاسلام وقبل الثواب وقال الكلبي من رزق الله وقيل نعم
الله التي لا تحصى وان الفضل بيد الله ليس بايديهم فيصرفوا النبوة عن محمد
صلى الله عليه وسلم الى من يحبون وقيل وان الفضل بيد الله اي هو له يؤتيه
من يشاء وفي البخاري حدثنا الحكم ابن نافع قال حدثنا شعيب عن الزهري
قال اخبرني سالم بن عبد الله ان عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم
كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اعطي اهل التوراة فعملوا بها حتى انتصف
النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا اعطوا اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى
صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القرآن فعملتم به حتى
غربت الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين قال اهل التوراة ربنا هؤلاء
اقل عملا واكثر اجرا قال هل ظلمتكم من اجركم من شيء قالوا لا قال فذلك فضلي
اوتيه من شاء في رواية فغضب اليهود والنصارى وقالوا ربنا

سورة المجادلة

مدنية في قول الجميع الا رواية عن عطاء ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال
الكلبي نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
نزلت بمكة وهي ثنتان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قد سمع الله
قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله فيها مسألتان الاولى قوله تعالى قد سمع الله
قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله التي استتكت هي خولة بنت ثعلبة وقيل
سمها خملة وخولة اصح وزوجها اوس بن الصامت وقد مر بها عمر رضي الله عنه
في خلافته والناس معه على حمار وقد اسر فيه طويلا ووعظته وقالت يا عمر
قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه
من ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف سمع

كلامها فقيل له يا امير المومنين انتهك لهذا العجوز هذا الوقف فقال والله لو حبستني من اول النهار الى اخره لازلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات اسمع رب العالمين قولها ولا يسمع عمر وقالت عايشة تبارك الذي وسع سمعه كل شئ اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكو اليك ما برحت حتى نزل جبريل بهذه الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله خرجه ابن ماجة في السنن والذي في البخاري من هذا عن عايشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة تشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في ناحية البيت ما اسمع ما تقول فانزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله وقال الماوردي هي خولة بنت وقيل بنت خويلد وليس هذا بمختلف لان احدهما ابوها والاخر جدها فنسبت الى كل واحد منهما وزوجها اوس بن الصامت وقال الثعلبي قال ابن عباس هي خولة بنت خويلد الخزرجية كانت تحت اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فاعجبه امرها فلما انصرفت ارادها فابت فغضب عليها فظاهر منها وكان امر به لم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي كظهر امي وكان الايلاء والظهار من الطلاق في الجاهلية فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا ثم قالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وابن عمي وقد نفضت له بطني فقال حرمت عليه فما زالت تراجعه وبراجعها حتى نزلت عليه الايات وروى الحسن انها قالت يا رسول الله اوحي اليك في كل شئ وطوى عنك هذا فقال هو ما قلت لك فقالت الى الله اشكوا لا الى رسوله فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الآيات وروى الدارقطني من حديث قتادة ان انس بن مالك حدثه قال ان اوس بن الصامت ظاهر من امراته خولة بنت ثعلبة فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ظاهر حين كبرت سني ورق عظمي فانزل الله تعالى ايات الظهار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاوس اعتق رقبة قال اني بذلك يداك قال فصم شهرين متتابعين قال اما اني اذا اخطاني ان اكل في اليوم بكل بصري قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان يعينني بعون وصلة منك قال فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له والله غفور رحيم قالوا قال وكانوا يرون ان عنده مثلها وذلك ستين مسكينا وفي الترمذي وسنن ابن ماجة ان سلمة بن صخر البياضي ظاهر من امراته وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اعتق رقبة قال فضربت صخرة عنقي بيدي فقلت لا والذي بعثك بالحق ما اصبحت املك غيرها قال فصم شهرين قلت يا رسول الله وهل اصابني الا في الصيام قال فاطعم ستين مسكينا الحديث وذكر ابن العربي في احكامه روي ان خولة بنت الربيع ظاهر منها زوجها فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحرمت عليه قالت فشكوا الى الله حاجتي وعايشة تغسل شق رأسه الايمن ثم تحولت الى الشق الاخر وقد نزل عليه الوحي فذهبت ان تعود فقال عايشة اسكتي فانه قد نزل له الوحي فلما نزل الغراث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها اعتق رقبة قال لا اجد فقال فصم شهرين متتابعين قال ان لم اكل في اليوم ثلاث مرات خفت ان تعشوا بصري قال فاطعم ستين مسكينا قال فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر قال ابو جعفر النحاس اهل التفسير على انها خولة وان زوجها اوس بن الصامت واختلفوا في نسبها فقال بعضهم هي انصارية وهي بنت ثعلبة وقال بعضهم هي ابنة صامت وقال بعضهم هي امة كانت لعبد الله بن ابي وهي التي انزل الله فيها

ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لانه يكره بها على الزنا وقيل هي ابنة
حكيم قال النحاس وليس هذا بمتناقض يجوز ان تنسب مرة الى ابيها ومرة الى
امها ومرة الى جدها ويجوز ان يكون امه كانت لعبد الله بن ابي فعمل لها انصاريته
بالولاء لانه كان في عداد الانصار وان كان من المنافقين انتا نبئ قرئ قد
سمع الله بالادغام وقد سمع بالاظهار والاصل في اسماع ادراك المسموعات وهو
اختيار الشيخ ابي الحسن وقال ابن فورك الصحيح انه ادراك المسموع وقال
الحاكم ابو عبد الله في معنى السميع انه المدرك الاصوات التي يدركونها المخلوقون
باداتهم من غير ان يكون له اذن وذلك راجع الى ان الاصوات التي يدركونها المخلوقون
باداتهم من غير ان يكون له اذن وذلك راجع الى ان الاصوات لا يخفى عليه وان كان
غير موصوف بالحس المركب في الاذن كالاصم من الناس لما لم يكن اهلا لادراك
الصوت والسمع والبصر صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة فهما من صفات
الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما وشكى واشتكي بمعنى واحد وقرئ
تحاورك اي تراجعك الكلام وتجادلك اي تسايلك قوله تعالى الذين يظهرون
فيه ثلاث وعشرون مسئلة الاولى قوله تعالى الذين يظهرون قرا ابن عامر وحمزة
والكسائي وخلف تظاهرون بفتح التا وتشديد الطا والف وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو ويعقوب تظهرون بحذف الالف وتشديد الها والطا وفتح الياء
وقرا ابو العالية وعاصم ورزين حبيش تظاهرون بضم التا وتخفيف الطا والف
وكسر الها وقد تقدم هذا في الاحزاب وفي قراءة ابي يتظاهرون وهو معنى قراءة
ابن عامر وحمزة وذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والادمية انما تركب بظهر
ولكن كني عنه بالظهر لان ما تركب من غير الادميات فانما تركب ظهره فكني
بالظهر عن الركوب ويقال نزل عن امراته اي طلقها كانه نزل عن مركوبه الى ان
على محرمة لاجل ركوبك انتا نبئة حقيقة الظهار وتشبيه ظهر بظهر والوجه
الحكم منه تشبيه ظهر محل بظهر محرم ولهذا اجمع الفقها على ان من قال لزوجته انت
علي كظهر امي انه مظاهر واكثرهم على انه ان قال انت علي كظهر ابنتي او اختي
وغير ذلك من ذوات المحارم انه مظاهر وهو مذهب مالك وابي حنيفة
وغيرهما واختلف فيه عن الشافعي رضي الله عنه فروي عنه نحو قول مالك لانه
شبه امراته بظهر محرم عليه مؤبدا كلام وروي عنه ابو ثور ان الظهار لا يكون
الا بالام وحرمها وهو مذهب قتادة والشعبي والاول قول الحسن والنخعي و
الزهري والاوزاعي والثوري انتا لثة اصل الظهار ان يقول الرجل
لامراته انت علي كظهر امي وانما ذكر الله تعالى الظهر كناية عن الظهر وستر
فان قال انت علي كامي ولم يذكر الظهر او قال انت علي مثل امي فان اراد
الظهار فله نيته وان اراد الطلاق كان مطلقا البتة عند مالك وان لم يكن له
نية فهي طلاق ولا ظهار كان مظاهرا ولا ينصرف صريح الظهار بالنية الى الطلاق
كما لا ينصرف صريح الطلاق وكناية الظهار خاصة ينصرف بالنية الى الطلاق البتة
الرابعة الفاظ الظهار ضربان صريح وكناية فالصريح ان يقول انت
علي كظهر امي وكذلك انت علي كبطن امي او كراسها او فرجها ونحوه وكذلك
فرجك او راسك او ظهرك او بطنك او رجلك علي كظهر امي فهو مظاهر مثل
قوله يدك او رجلك او راسك او فرجك طالق يطلق عليه وقال الشافعي اني
احرمه تحريما لا يكون ظهارا وهذا ضعيف منه لانه قد وافقنا على انه يصح اضافة
الطلاق اليه خلافا لابي حنيفة فصح اضافة الظهار اليه ومتى شبهها باحد
او باحدي جدائه من قبل ابيه وامه فهو ظهار بدلالة الخلاف وان شبهها بغيرهن
من ذوات المحارم التي لا يحل له بحال كالبنت والاخت والعمة والخالة
مظاهرا عند اكثر الفقهاء وعند الامام الشافعي رضي الله عنه على الصحيح من
المذهب على ما ذكرنا والكناية ان يقول انت علي كامي او مثل امي فانه يعتبر
فيه النية فان اراد الظهار كان ظهارا وان لم ينو الظهار لم يكن مظاهرا عند الشافعي
وابي حنيفة وقد تقدم مذهب مالك في ذلك والدليل عليه انه اطلق تشبيه
امراته بامه لكان ظهارا اصله اذا ذكر الظهر وهذا قوي فان معنى اللفظ

فيه موجود واللفظ بمعناه ولم يلزم حكم الظهر للظهر وانما الزمه بمعناه وهو
التحريم قاله ابن العربي الخامسة اذا شبه جملة اهله بعضو من اعضاء امه
كان ظهارا خلافا لابي حنيفة في قوله انه ان شبهها بعضو يحل له النظر اليه
لم يكن مظاهرا وهذا لا يصح لان النظر اليه على طريق الاستمتاع لا يحل له وفيه
التشبيه واياه قصد المظاهر وقد قال الامام الشافعي رضي الله عنه في قوله
انه لا يكون ظهارا الا في الظهر وحده وهذا فاسد لان كل عضو منها محرم فكان
التشبيه به ظهارا كالظهر ولان المظاهر انما يقصد تشبيه المحلل بالمحرم فلزم
على المعنى الساد سة ان شبه امرأته باجنبية فان ذكر الظهر كان
ظهارا حملا على الاول وان لم يذكر الظهر فاختلف فيه علماؤنا فمنهم من قال
يكون ظهارا ومنهم من قال يكون طلاقا وقال ابو حنيفة ومالك في لا يكون شيئا قال
ابن العربي وهذا فاسد لانه شبه محللا من المرأة بمحرم فكان معبدا بجملة كالظهر
والامهات بعضها عندنا وعندهم بالفاظها وهذا نقض للاصل منهم قلت الخلاف
في الظهار بالاجنبية قوي عند مالك واصحابه منهم من لا يوجب الظهار الا بذوات
المحارم خاصة ولا توجب الظهار بغيرهن شيئا ومنهم من يجعله في الاجنبية طلاقا وهو عند
مالك اذا قال كظهر ابني او غلامي او كظهر زيد او كظهر اجنبية ظهار لا يحل له وطئها
في حين يمينه وقد روي عنه ايضا ان الظهار بغير ذوات المحارم ليس بشيء كما قال
ابو حنيفة والشافعي وقال الاوزاعي لو قال لها انت كظهر فلان رجل فمتى يمين يكفرها
السابعة اذا قال انت علي كظهر امي كان ظهارا ولم يكن طلاقا لان قوله انت حرام يحتمل
التحريم بالطلاق فهي مطلقة ويحتمل التحريم بالظهار فلما صرح به كان تفسيرا لاحد الاحتمالين
فقضي به فيه الثامنة الظهار لازم في كل زوجة يدخول بها على اي الاحوال كانت من كل زوج يجوز
طلاقه وكذلك عند ما لك من يجوز له وطئها من اماء اذا ظاهر منهن لزمه الظهار وقال ابو حنيفة
والشافعي لا يلزم قال القاضي ابو بكر ابن العربي وهي مسئلة عسيرة تجد اعلينا لان
مالكنا يقول اذا قال لامته انت علي حرام لا يلزم فكيف يبطل فيها صريح التحريم ونحن
كذا بيناه لكن تدخل الامة في عموم قوله من نسائكم لانه اراد من محللاتكم والمعنى فيه
انه لفظ يتعلق بالبضع دون رفع العقد فصح في الامة اصله الحلف بالله تعالى
التاسعة ويلزم الظهار قبل النكاح اذا بالغ الذي ظاهر منها عند مالك ولا يلزم عند
الشافعي وابي حنيفة لقوله تعالى من نسائكم وهذه ليست من نسائه وقد
مضى اصل هذه المسئلة في سورة براءة عند قوله ومنهم من عاهد الله الاية العاشرة
الذمي لا يلزم ظهاره وبه قال ابو حنيفة وقال الشافعي يصح ظهار الذمي و
دليلنا قوله تعالى منكم اي من المسلمين وهذا يقتضي خروج الذمي من الخطاب
فان قيل فهذا استدلال بدليل الخطاب قلنا هو استدلال بالاسباق
والمعنى فان انكحة الكفار فاسدة مستحقة الفسخ فلا يتعلق بها حكم طلاق
ولا ظهار وذلك لقوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم واذا خلت الانكحة عن
شروط الصحة فهي فاسدة ولا ظهار في النكاح الفاسد بحال الحادية
عشرة قوله تعالى منكم يقتضي صحة ظهار العبد خلافا لمن منعه وحكاه التلمساني
عن مالك لانه من جملة المسلمين واحكام النكاح في حقه باسنا وان تعذر عليه
عليه العتق والاطعام فانه قادر على الصيام الثانية عشرة قال مالك
ليس على النساء ظهار انما قال الله تعالى والذين يظهرون منكم من نسائهم ولم
يقل اللاتي يظهرن منكن من ازواجهن انما الظهار على الرجال قاله ابن العربي
هكذا روي عن القاسم وسالم ويحيى بن سعيد وربيعة وابي الزناد وهو صحيح
معنى لان الحل والعقد في النكاح بيد الرجال ليس بيد المرأة منه شيء هذا اجماع
قال ابو عمر ليس على النساء ظهار في قول جمهور العلماء قال الحسن بن
زياد هي مظاهرة وقال الثوري وابو حنيفة ومحمد ليس ظهارا والمرأة من الرجل
شيء قبل النكاح كان او بعده وقال الشافعي لا ظهار للمرأة من الرجل وقال
الاوزاعي اذا قالت المرأة لزوجها انت علي كظهر فلانة فهي يمين تكفرها وكذلك
قال اسحق قال لا تكون امرأة مظاهرة من رجل ولكن عليها يمين تكفرها وقال
الزهري اري ان تكفر كفارة الظهار ولا حول قولها هذا بينها وبين زوجها

ان يصيبها

ن نضيبها رواه عنه معمر وابن جريج عن عطاء لو حرمت ما احل الله عليها كفارة يمين وهو
قول ابي يوسف وقال محمد بن الحسن لا شيء عليها الى الثلثة عشرة من به لم والتظمت
لبعض الاوقات الكلم لزمه ظهارة لما روي في الحديث الخولة بنت ثعلبة وكانت
زوجها اوس بن الصامت وكان به لم فصار به بعض لممه فظاهر من امراته الى اربعة
عشرة من غضب وظاهر من امراته اوطلق لم يسقط غضبه حكمه وفي بعض طرق هذا
الحديث قال ابو يوسف بن عبد الله بن سلام حدثتني خولة امراة اوس بن الصامت
قالت كان بيني وبينه شيء فدخل علي فراجعته فظاهر مني والغضب لغو لا يرفع
حكما ولا يغير شرعا وكذلك السكران وهي الخامسة عشرة يلزمه
حكم الظهار والطلاق في حال سكره اذا عقل قوله ونظم كلامه لقوله تعالى حتى تعلموا
ما تقولون على ما تقدم في النسابيا نه السادسة عشرة ولا تقرب اعلاظهر
امراته ولا يباشرها ولا يبيت لازمها بشيء حتى يكفر خلافا للشافعي في احد قوليه
لان قوله انت علي كظهر امي يقتضي تحريم كل استمتاع بلفظه ومعناه فان وطئها
قبل ان يكفر وهي السابعة عشرة امسك واستغفر الله تعالى واعتزلها
عنها حتى يكفر كفارة واحدة وقال مجاهد وغيره عليه كفارتان روى سعيد عن
قتادة ومطر عن رجا بن حيوة عن قبيصة بن ذويب عن عمرو بن العاصي في المظاهر
اذا وطئ قبل ان يكفر عليه كفارتان ومعمر عن قتادة قال قال قبيصة
ابن ذويب عليه كفارتان وروى جماعة من الائمة منهم ابن ماجة والنسائي
عن ابن عباس ان رجلا ظاهر من امراته فغشيها قبل ان يكفر فاتى النبي صلى الله عليه
وسلم فذكر ذلك له فقال ما حملك على ذلك فقال يا رسول الله رايت بياض
خلخالها في ضوء القمر فلم املك نفسي ان وقعت عليها فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وامره ان لا يقربها حتى يكفر وروى ابن ماجة والدارقطني عن سلمان عن
يسار عن سلمة بن صخر انه ظاهر في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقع بامراته
قبل ان يكفرها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فامره ان يكفر تكفيرا
واحدا الثامنة عشر اذا نظاهر من اربع نسوة في كلمة واحدة كقوله انتن علي كظهر
امي كان ظهارا واحدا مظاهرا من كل واحدة منهن ولم يحزله وطئ احداهن واحرامه
كفارة واحدة قال الشافعي يلزمه اربع كفارات وليس في الاية دليل على شيء من ذلك
لان لفظ الجمع انما وقع في عامة المؤمنين والمعمول على المحيي وقد روى الدارقطني عن
ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب يقول اذا كان تحت الرجل اربع نسوة فظاهر منهن
يجزيه كفارة واحدة قال فظاهر منهن واحدة بعد اخرى لزمه في كل واحدة منهن
كفارة وهذا اجماع التاسعة عشرة وان قال لاربع نسوة انتن وجنكن او انتن
علي كظهر امي فسوج احداهن لم يقربها حتى يكفر قد سقط عنه اليمين في سائرهن
وقد قيل لانها البراتي حتى يكفر والاول هو الاظهر الموفية عشرين وان قال
لامراته انت علي كظهر امي وانت طالق البتة لزمه الطلاق والظهار معا ولم يكفر
حتى ينكحها بعد زوج ولا يطأها حتى يكفر فان قال لها انت طالق البتة وانت علي
كظهر امي لزمه الطلاق ولم يلزمها الظهار لان المبتوتة لا يلحقها طلاق
الحادية والعشرون قال بعض اهل العلم لا يصح ظهار غير المدخول بها وقال
المزني لا يصح الظهار من المطلقة الرجعية وهذا لبس بشيء لان احكام الزوجية
في الموضعين ثابتة ولا يلحقها الطلاق كذلك يلحقها الظهار قياسا ونظرا والله
اعلم الثانية والعشرون ما هن امهاتهم اي ما نساؤهم بامهاتهم
وقراءة العامة امهاتهم بخفض التاء على لغة اهل الحجاز لغولها هذا بشرا ه
وقرا ابو عمرو السلمي وغيرهما امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقال الفراء اهل
نجد وبنو تميم يقولون هذا بشر وما هن امهاتهم بالرفع ان امهاتهم الا اللاتي
ولدنهم اي ما امهاتهم الا الوالدات وفي المثل ولدك من دمى عقبيك وتقدم
في اللاتي في الاحزاب الثالثة والعشرون قوله تعالى وانهم ليقولون منكرا
من القول وزورا اي فظيعا من القول لا يعرف في الشرع والزور الكذب وان
الله لعفو غفورا ذكر اكفارا عليهم مخلصة لهم من هذا القول المنكر
والذين يظهرون من نسائهم فيه ثلاث عشرة مسئلة

الاولي قوله تعالي والذين يظهرون من نسائهم هذا ابتدا والخبر فتحرير رقبة وحذف عليهم لدلالة الكلام عليه اي فعليهم تحرير رقبة وقيل اي فكفارتهم عتق رقبة والمجتمع عليه عند العلما في الظهار قول الرجل انت علي كظهر امي وهو قول المنكر والزور الزي عفى الله بقوله وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ومن قال هذا القول حرم عليه وطي امراته فمتى عاد لما قال لزمه الظهار لقوله عز وجل والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة وهذا يدل علي ان كفارة الظهار لا يلزم بالقول لحاصة حتى ينضم اليها العود وهذا حرف مشكل اختلف الناس فيه علي اقوال سبعة الاول انه العزم علي الوطي وهو مشهور وقول العراقيين ابي حنيفة واصحابه وروي عن مالك فان عزم علي الوطي ولم يكن عودا وان لم يعزم لم يكن عودا الثاني العزم علي الامساك بعد التظاهر منها قاله مالك الثالث العزم عليهما وهو قول مالك في موطئه قال مالك في قول الله عز وجل والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا قال سمعت ان تفسير ذلك ان يظاهر الرجل من امراته ثم يجمع علي اصابتها وامساكها فان اجمع علي ذلك فقد وجبت عليه الكفارة وان طلقها ولم يجمع بعد تظاهره منها علي امساكها واصابتها ولا كفارة عليه قال مالك وان تزوجها بعد ذلك لم يمسها حتى يكفر كفارة المظاهر القول الرابع انه الوطء نفسه فان لم يطأ لم يكن عودا قاله الحسن ومالك ايضا الخامس قال الامام الشافعي هو ان يمسكها زوجها بعد تظاهره مع القدرة علي الطلاق لانه بتظاهره قصد التحريم فان وصل به الطلاق فقد جري علي خلاف ما ابتداه من ابقاع التحريم ولا كفارة عليه وان سكت عن الطلاق فقد عاد الي ما كان عليه فيجب عليه الكفارة السادس ان الظهار يوجب تحريما لا يرفعه الا الكفارة ومعني العود عند القائلين بهذا انه لا يتتبع وطيا الا الكفارة ومعني العود عند الخائضين بهذا انه لا يتتبع وطيا بعدها قاله ابو حنيفة واصحابه والليث بن سعد السابع هو تكرير الظهار بلفظه وهذا قول اهل الظاهر الباقين للقياس قالوا الذاكر للفظ الظهار فهو العود وان لم يكرر فليس بعود ويسند ذلك ان بكير بن الاشج وابي العالية وابي حنيفة ايضا وهو قول العراقيين قال ابو العالية وظاهر الايات يشهد له لانه قال ثم يعودون لما قالوا اي الي قول ما قالوا وروي علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله عز وجل والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا هو ان يقول لها انت علي كظهر امي فاذا قال لها كذلك فليست تحل له حتى يكفر كفارة الظهار قال ابن العربي فاما القول بانه العود الي لفظ الظهار فهو باطل قطعا لا تصح عن بكر وانما يشبهه ان يكون من جملة ارداود واشياعه وقد رويت قصص المتظاهرين وليس في ذكر الكفارة عليهم ذكر بعود القول منهم وايضا فان المعني ينقضه لان الله تعالي وصفه بانه منكر من القول وزور فكيف يقال اذا اعدت القول المحرم والسبب المحظور وجبت عليه الكفارة وهذا لا يعقل الا تركيا ان كل سبب يوجب الكفارة لا يشترط فيه الاعادة من قتال ووطي في صوم او غيره قلت قوله يشبهه ان يكون من جملة ارداود واشياعه حمل منه عليه وقد قال يقول داود ومن ذكرناه عنهم واما قول الشافعي بانه ترك الطلاق مع القدرة عليه فينقضه ثلاثة امور امهات الاول انه قال ثم وهذا بظاهره يقتضي التراخي الثاني ان قوله ثم يعودون يقتضي وجود فعل من جهته ومرور الزمان ليس بفعل منه الثالث ان الطلاق الرجعي لا ينافي العزم علي الملك فلم يسقط حكم الظهار كالايلاء فان قيل فاذا راها كالام لم يمسكها اذ لا يصح امساك الام بالنكاح وهذه عمدة اهل ما وراء النهر قلنا اذا عزم علي خلاف ما قال وراها خلاف الام كفر وعاد الي اهله وتحقيق هذا القول ان العزم قول نفسي وهذا حد قال قولا اقتضي التحليل وهو النكاح وقال قولا اقتضي التحريم وهو الظهار ثم عاد لما قال وهو التحليل ولا يصح ان يكون منه ابتداء عقد لان العقد باق فلم يبق الا انه قول عزم يخالف ما اعتقده وقاله في نفسه من الظهار الذي اخبر عنه بقوله انت علي كظهر امي واذا كان كذلك كفر وعاد الي اهله من قبل ان يتماسا وهذا تفسير بالغ اثنا عشر قال بعض اهل التاويل الايتين بينهما تقديم

وتاخير والمعيبي والذين يظهرون من نسايهم ثم يعودون الي ما كانوا عليه
من الجماع فتحرير رقبة من اجل ما قالوا فالجار في قوله لما قالوا متعلق بالمحذوف الذي
هو خبر الابتداء وهو عليهم قاله الاخفش وقال الزجاج المعيبي ثم يعودون
الي ارادة الجماع من اجل ما قالوا وقيل المعيبي الذين يظهرون من نسايهم في الجاهلية
ثم يعودون لما كانوا قالوه في الجاهلية في الاسلام فكفارة من عاد ان تحرير رقبة
اللام بمعنى عن والمعيبي ثم يرجعون عن ما قالوا ويريدون الوطء وقال
الاخفش لما قالوا والي ما قالوا واحد واللام والي بمعنا فتبان قال
الحرالة الذي يهم انا لهذا وقال واهد وهم الجهراط الجحيم وقال بان ربك
اوحي لها وقال داود الي نوح الثالثة قوله تعالي فتحرير رقبة اي فعليه اعتاق
رقبة يقال حررته اي جعلته حرا ثم هذه الرقبة يجب ان يكون كاملة سليمة من كل عيب
ومن كل لها اسلامها عند مالك والشافعي كالرقبة في كفارة القتل وعند ابي حنيفة واصحابه
تجزي الكافرة ومن فيها شعبة رق كالمكاتبة وغيرها الواجب فان اعتق
نصفي عبدين فلا تجزيه عندنا ولا عند ابي حنيفة وقال الشافعي يجزيه لان نصف
العبدين في معني العبد الواحد ولان الكفارة بالعتق طريقها المال فجاز ان يدخلها
التبعيض والتجزي كالاطعام ودليلهما قوله تعالي فتحرير رقبة وهذا الاسم عبارة
عن شخص واحد وبعض الرقبة ليس رقبة وليس ذلك مما يدخله التمليك لان العبادة
المتعلقة بالرقبة لا تقوم النصف من رقبتين مقامها اصله اذا اشترك رجلان في
اضحيتين ولانه لو امر رجلين رجلين ان يجامعه جميعا لم يجز ان يجامع واحد منهما
نصفها لذلك هذا ولانه لو اوصي بان يشتري رقبة تعتق عنه لم يجز ان يعتق عنه
نصف عبدين كذلك في مسئلتنا وبهذا يبطل دليلهم والاطعام وغيره لا يجزي
في الكفارة عندنا الخامسة قوله تعالي من قبل ان يتماسا ان يجامعها فلا يجوز
للمظاهر الوطء قبل التكفير فان جامعها قبل التكفير اثم وعصي ولا يسقط عنه
التكفير اثم وعصي وحكي عن مجاهد انه اذا وطيء قبل ان يشرع في التكفير لزمته
كفارة اخري وعن غيره ان الكفارة الواجبة بالظهار يسقط عنه ولا يلزمه
شيء اصلا لان الله سبحانه اوجب الكفارة وامر بها قبل المسيس واذا لم يرها
حتي مس فقد فات وقتها والصحيح ثبوت الكفارة لانه بوطيء اذنب اثما
فلم يكن ذلك مسقطا للكفارة ويأتي بها قضاء كما اخر الصلاة عن وقتها وفي
حديث اوس بن الصامت لما اخبر النبي صلي الله عليه وسلم بانه وطيء امرأته امره
بالكفارة وهذا نص وسواء كانت كفارة بالعتق او الصوم او الاطعام وقال
ابو حنيفة ان كانت كفارته بالاطعام جاز ان يطعم فاما غير الوطء من القبلة
والمباشرة والتلذذ فلا يحرم في قول اكثر العلماء وقاله الحسن وسفيان وهو الصحيح
من مذهب الشافعي وقيل ذلك محرم وكل معاني المسيس وهو قول مالك واحد
قولي الشافعي وقد تقدم السادسة قوله تعالي ذلكم توعظون به اي تؤمرون
به وانتم بما كنتم تعملون خبير من التكفير وغيره السابعة من لم يجد الرقبة ولا ثمنها
او كان مالكا لها الا انه شديد الحاجة اليها لخدمته او كان مالكا لثمنها الا انه يحتاج
اليه لنفقته او كان له مسكن ليس له غيره ولا يجد شيئا سواه فله ان يصوم عند
الشافعي وقال ابو حنيفة لا تصوم وعليه العتق ولو كان محتاجا الي ذلك وقال
مالك من له دار وخادم لزمه العتق فان عجز عن الرقبة وهي التامة هنا فعليه
صوم شهرين متتابعين فان افطر في اثنائهما بغير عذر استأنفهما وان افطر
لعذر من سفر او مرض فقيل يبني قاله ابن المسيب والحسن وعطا ابن ابي رباح
وعمرو بن دينار والشعبي وهو احد قولي الشافعي وهو الصحيح من مذهبه وقال
مالك انه اذا مرض في صيام كفارة الظهار بني اذا صح ومذهب ابي حنيفة انه يبتدئ
وهو احد قولي الشافعي الثاسعة اذا ابتدأ الصيام ثم وجد الرقبة اتم الصيام
واجزاه عند مالك والشافعي لانه بذلك امر حين دخل فيه وهدم الصوم ويعتق
عند ابي حنيفة واصحابه قياسا علي الصغيرة المعتدة بالشهور ترى الدم قبل انقضائها
فانها تستانف الحيض اجماعا من العلماء واذا ابتدأ سفرا في صيامه ابتدأ الصيام
عند مالك والشافعي وابي حنيفة لقوله متتابعين وبيني في قول الحسن البصري

لانه عذر العاشرة وان وطئ المظاهر في خلال الشهرين نهارا بطل التتابع في
قول الشافعي وليلا فلا يبطل لانه محل للصوم وقال مالك وابو حنيفة يبطل بكل
حال ووجب عليه ابتدا الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا وهذا الشرط عائد
الى جملة الشهرين والى تعاصيهما فاذا وطئ قبل تعصيهما فليس هو الصيام المامور
به فلزمه استيناف كما لو قال لصل قبل ان تكلم زيدا فكلم زيدا في الصلاة او قال صل
قبل ان تصوم يوما فافطره في الصلاة او قال لصل قبل ان تصوم زيدا فافطره في الصلاة
لزمه استيناف هما لان هذه الصلاة ليست هي الصلاة المامور بها كذلك هذا والله اعلم
الحادية عشرة ومن تظاهر لمرضه طولا لا يرجى برؤه كان بمنزلة العاجز من كبر ونحوه
له العدول عن الصيام الى الاطعام ولو كان مرضه مما يرجى برؤه واشتدت حاجته
الى وطئ امرأته كان الاختيار له ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام ولو كفر
بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام لجزاه اذا ابتدأ عشرة ومن تظاهر
وهو معسر ثم ايسر لم يجزه الصوم وان تظاهر وهو موسر ثم اعسر قبل ان يكفر
صام وانما ينتظر الى حاله يوم يكفر ولو جامعها في عدمه وعسره فلم يصم حتى ايسر
لزمه العتق ولو ابتدأ بالصوم ثم ايسر فان كان مضى في صومه صدرا صالحا نحو الجمعة
وشبهها مما يعد به وان كان اليوم واليومين ونحوها ترك الصوم وعاد الى العتق
وليس ذلك بواجب عليه الا ترى انه غير واجب على من طرأ الماء عليه وهو قد دخل
بالتيمم في الصلاة ان ينقطع ويبتدئ الطهارة عند مالك الثالثة عشرة
ولو اعتق رقبتين عن كفارة في ظهار او قتل او فطر في رمضان واشرك بينهما في كل
واحدة منهما لم يجزه وهو بمنزلة من اعتق رقبة واحدة من كفارتين وكذلك لو صام
عنهما اربعة اشهر حتى يصوم عن كل واحدة شهرين وقد قيل ان ذلك يجزيه ولو ظاهر
من امرأتين له فاعتق رقبة عن احداهما بغير عينها لم يجز له وطئ واحدة منهما
حتى يكفر الكفارة الاخرى ولو عين احداهما اجاز له ان يطأها قبل ان يكفر الكفارة
عن الاخرى ولو ظاهر من اربع نسوة فاعتق عنهن ثلاث رقاب وصام شهرين
لم يجزه العتق ولا الصيام لانه انما صام عن كل واحدة خمسة عشر يوما فان كفر عنهن
بالاطعام جاز ان يطعم عنهن ما يتي مسكين فان لم يقدر تركت بحالها في العتق والصيام
لان صيام الشهرين لا يتعرف والاطعام يتعرف فصل وفيه ست مسايل
المسالة الاولى ذكر الله عز وجل الكفارة هنا مرتبة فلا سبيل الى الصيام الا عند العجز عن
الرقبة وكذلك لا سبيل الى الاطعام الا عند عدم الاستطاعة على الصيام فمن لم يطق
الصيام وجب عليه اطعام ستين مسكينا لان لكل مسكين مدا ان بمد النبي صلى الله عليه
وسلم وان اطعم مدا بمد هشام وهو مدان الا ثلث او اطعم مدا ونصفا بمد النبي صلى الله
عليه وسلم اجزاه قال ابو عمر بن عبد البر وافضل من ذلك مدان بمد النبي صلى الله
عليه وسلم لان الله عز وجل لم يقل في كفارة الظهار من اوسط ما تطعمون ولا حب
قصد الشبع قال ابن العربي وقال مالك في رواية ابن القاسم وابن عبد الحكم
مد بمد هشام وهو الشبع هاهنا لان الله تعالى اطلق الطعام ولم يذكر الوسط وقال
في رواية اشهب مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم قيل له افلا يكون ثلث مد هشام قال
لي ومدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم احب الي وكذلك قال عنه ابن القاسم
ايضا قلت وهي رواية ابن وهب ومطرف عن مالك انه يعطي مدين لكل مسكين
بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ومذهب الثوري
وغيره مد واحد لكل مسكين لا يلزمه اكثر من ذلك لانه تكفير بالاطعام فلم يلزمه صرف
زيادته على المد اصله كفارة الافطار واليمين ودليلنا قوله تعالى فاطعام ستين مسكينا
واطلاق الاطعام يتناول الشبع وذلك لا يحصل بالعادة بمد واحد الا بزيادة عليه
وكذلك قال اشهب قلت لمالك اختلف الشبع عندنا وعندكم قال نعم
الشبع عندنا مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم اكثر لان النبي صلى الله عليه
وسلم دعا لنا بالبركة فيما تم تاكلون اكثر مما تاكل وقال ابو الحسن القابسي
انما اخذ اهل المدينة بمد هشام في كفارة الظهار لتغليظها على المتظاهرين الذين
سمى الله عليهم انهم يقولون منكرا من القول وزورا قال ابن العربي وقع الكلام
هاهنا في مد هشام كما ترون وودت ان يمضي الزمان ذكره ويمحى من الكتب

رسمه فان المدينة التي نزل بها واستقر الرسول ووضع عندهم الظهار وقيل لهم فيه فاطعام
ستين مسكينا فهموا وعرفوا المراد به انه السبع وقدره معروف عندهم متقرر لديهم وقد ورد ذلك
بسبع في الاحصار كثيرا واستمرت الحال على ذلك ايام الخلفاء الراشدين المهديين حتى نهج
السلطان في اذن هشام فراي ان هدا النبي صلى الله عليه وسلم لا يتبعه ولا مثله في حواشيه
وظن انه سهل له ان يتخذ مدا يكون فيه مجهلة رطلين وحمل الناس عليه فاذا ابتل عاد
نحو الثلاثة الارطال فغير السنة وادهب محل البركة فقال صلى الله عليه وسلم حين دعا
لاهل المدينة بان يبقى لهم البركة في مدهم وصاعهم مثل ما بارك الله لابرهيم بمكة
فكانت البركة تجري بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مده فسعى الشيطان
له في ذلك الاهشام فكان من حق العلماء ان يلفوا ذكره ويمحوا رسمه اذ لم يجبروا
امره واما ان يحملوا على ذكره في الاحكام ويجعلوه معتبرا لما ذكر الله تعالى ورسوله
فجد ان كان معتبرا عند الصحابة الذين نزل عليهم فخطب جسيم ولذلك كانت رواية
شعب في ذكر مدين بمد النبي صلى الله عليه وسلم في كفارة الظهار اجب البنا من الرواية
يا ايها بمد هشام الاتري كيف بنى مالك على هذا الحكم بقوله عندنا الشبع بمد
النبي صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لنا
بالبركة وبهذا نقول فان العبادة اذا ادیت بالسنة فان كانت في البدن كانت
اسرع الى القبول وان كانت في المال كانت قليلها اثقل في الميزان واترك في يد
الاخذ واطيب في سدقه واقل اثمه في بطنه واكرا فامنه لقلبه والله الموفق فلا رب
غيره الثانية ولا حزبي عند مالك والشافعي ان يطعم اقل من ستين مسكينا
واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد اجزاه الثالثة قال القاضي ابو بكر
بن الحزبي من غريب الامر ان ابا حنيفة رحمه الله قال الحجى على الحر باطل واحتج
بقوله تعالى فتحرير رقبة ولم يفرق بين الرشيد والسفيه وهذا منه فقه ضعيف
لا يناسب قدره فان هذه الائمة عامة وقد كان الحجر في اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قائما والنظر يقتضيه ومن كان عليه حجر الصغر والولاية وبلغ سفيها
قد نهى عن دفع المال اليه كيف يتعذ فعله والخاصر يقضي على العام فيه الرابعة
وحكم الظهار عند بعض العلماء اسهل لما كانوا عليه من كون الظهار طلاقا وقد روجع
معنى ذلك عن ابن عباس وابي قلابة وغيرهما الخامسة قوله تعالى ذلك لتؤمنوا
بالله ورسوله اي ذلك الذي وصفنا من التغليظ في الكفارة لتؤمنوا اي لتصدقوا
ان الله امر به وقد استدل بعض العلماء على ان هذه الكفارة ايمان بان الله سبحانه
لما ذكرها اوجبها قال ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله اي لتكونوا مصدقين مطيعين
لله تعالى واقفين عند حدوده لا تتعدوها وسمى التكفير لانه طاعة ومراعاة للحد
ايمانا سمعت ان كل ما اشبهه هو ايمان فان قيل معنى قوله ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله
اي لئلا يعود والظهار الذي هو منكر من القول وزور فيقال له قد يجوز ان يكون هذا
مقصودا والاول مقصودا فيكون المعنى ذلك لئلا يعودوا فيقولوا المكر والزور بل
تدعوهما طاعة لله سبحانه اذ قد كان قد حرمهما ويجتنبوا المظاهر منها الى ان يكفروا
اذ كان الله تعالى منع من مسيسها ويكفروا اذ كان الله امر بالكفارة والزم اخراجها
منكم فيكونوا بهذا كله مؤمنين بالله ورسوله لانها حدود يحفظونها وطاعات
تؤدونها والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ايمان بالله التوفيق
السادسة قوله تعالى وتلك حدود الله اي بين معصيته وطاعته لمعصيته
الظهار وطاعته لتحصيته الظهار وطاعته الكفارة وللكافرين عذاب اليم
اي بمن لم يصدق باحكام الله عذاب جهنم قوله تعالى ان الذين يحادون
الله ورسوله لما ذكر المؤمنين الواقفين عند حدوده ذكر المحادين المخالفين لها والمحادة
المحاداة والمخالفة في الحدود وهو مثل قوله تعالى ان الذين يشاقون الله ورسوله وهل
يحادون الله اي اولياء الله كما في الخبر من اهان لي وليا فقد ارزني بالحرب بالمحاربة
وقال الزجاج المحاداة ان يكون في حد يخالف حد صاحبك واصلها المباعدة ومنه الحديد
ومنه الحراد للثوب كتبوا قال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال قتادة اخزوا
كما اخزي الذين من قبلهم وقال ابن زيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال
الفراء غيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر وقيل المراد المشركون وقيل

المنافقون كما كبت الذين من قبلهم وقيل كبتوا اي سيكبتون وهو بشارة من الله تعالى
للمؤمنين بالنصر واخرج الكلام مخرج الماضي تعزيبا للمخبر عنه وقيل هي بلغة مدج
وقد انزلنا اياة بينات بيمن حاد الله ورسوله من الذين من قبلهم فيما فعلنا
بهم وللكافرين عذاب مهين قوله تعالى يوم تصب بعذاب مهين او بفعل
مضمر تقديره واذكر تعظيما لليوم يبعثهم الله جميعا اي الرجال والنساء يبعثهم
من قبورهم في حالة واحدة فينبئهم اي يخبرهم بما عملوا في الدنيا احصاه الله
عليهم في صحايف اعمالهم ونسوه هم حتى ذكرهم به في صحايفهم ليكون ابلغ في الحجة
عليهم والله على كل شئ شهيد مطلع وناظر لا يخفى عليه شئ قوله تعالى الم تر
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه سر ولا علانية ما يكون من
نجوى قرئ الهامة بالياء لاجل الحائل بينهما وقرا ابو جعفر بن القعقاع والاعرج
وابو حياة وعيسى ما يكون بالياء لتانيث الفعل والنجوى السرار وهو مصدر
والمصدر قد يوقف به يقال هم قوم نجوى اي ذو نجوى ومنه قوله تعالى واذ هم
نجوى وقوله ثلثة خفض باضافة النجوى اليها قال الفراء ثلاثة نعت للنجوى
اذا خفضت واذا شئت اضفت نجوى اليها ولو نصبت على اضمار فعل جاز وهي في
قراءة ابن ابي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى
يدل عليه قاله الزمخشري ويجوز رفع ثلاثة على البدل من موضع نجوى ثم
قيل كل سر نجوى وقيل النجوى ما يكون من حلوه ثلاثة يسرون شيئا ويتناجون
به واسرارهم كان بين اثنين لاهورابعهم يعلم ويسمع نجواهم بدل عليه افتتاح
الاية بالعلم ثم ختمها بالعلم وقيل النجوى من النجوة وهو ما ارتفع من الارض فكانه
لما تناجيا بينا جيان ويحلوان سرهما كانهما لما ارتفع من الارض وما لما تناجيا
بينا جيان ويحلوان سرهما كانهما لما ارتفع من الارض عما يتصل به والمعنى ان سمع
الله محيط بكل كلام وقد سمع مجادلة المراة التي ظاهر منها زوجها ولا ادنى من
ذلك ولا اكبر قرا سلام ويعقوب وابو العالية ونصر وعيسى بالرفع على موضع
من نجوى قبل دخول من لان تقديره ما يكون نجوى ثلاثة ويجوز ان يكون
مرفوعا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع
القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتدا كقولك لا حول ولا قوة الا بالله
وقد مضى في البقرة بيان هذا مستوفى وقرا الزهري وعكرمة اكبر بالباء
والعامة بالتا وفتح الرا على اللفظ وموضعها جر وقال الفراء في قوله ما يكون
من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم قال المعنى غير
مصمود والعدد غير مقصود لانه تعالى انما قصد وهو اعلم انه مع كل عدد
قل او كثر يعلم ما يقولون سرا وجهرا ولا يخفى عليه خافية فمن اجل ذلك اكتفى
بذكر بعض العدد دون بعض وقيل معنى ذلك ان الله معهم لعلمه حيث كانوا
من غير زوال ولا انتقال ونزل ذلك في قوم من المنافقين كانوا عملوا شيا سرا
واعلم الله انه لا يخفى عليه ذلك قاله ابن عباس وقال قتادة ومجاهد نزلت
في اليهود ثم ينبئهم بخبرهم بما عملوا من خير وشر يوم القيمة ان الله بكل شئ
عليم قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى قيل انه هذا في اليهود والمنافقين
حسب ما قدمناه وقيل في المسلمين قال ابن عباس نزلت في اليهود
والمنافقين كانوا يتناجون بينهما سهم ويتظرون للمؤمنين وينغامزون
باعينهم فيقول المؤمنون لعلهم بلغهم عن اخواننا وقرابتنا من المهاجرين والانصار
قتل او مصيبة اوهزيمة وسوء ذلك فكرهت سكواهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت وقال مقاتل كان بين النبي
صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم رجل من المؤمنين تناجوا بينهم
حتى يظن المؤمن شرا فيمر على طريقه فنهاهم الله فلم ينتهوا فنزلت وذكر
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كان الرجل ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيسار له
الحاجة وبناجيه والارض يومئذ حرب فيتوهمون انه بناجيه في حرب او
بلية او امر بهم فيفزعون لذلك فنزلت الثانية روى ابو سعيد الخدري

قال كنا

قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الذي
لم تزالوا تعوم البحر فقلنا يتحدث الى الله يا رسول الله انا كنا نحدث المسيح يعني
الدجال فزوامنه فقال الا اخبركم بما هو اخوف عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال
الشرك الخفي ان يقوم الرجل يصلي لمكان رجل لما يرى من نظر رجل اه وقرا حمزة وخلف ورويس
عن يعقوب وينتجون في وزن يفتعلون وهي قراءة عبد الله واصحابه وقرا الباقون
وينتاجون في وزن يتفاعلون واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله اذا انتاجتم
وتناجوا النجاس وحكى سيبويه ان تفاعلوا وافتعلوا بابنيان بمعنى واحد نحو تخاصموا
واختصموا وبقاتلوا واقتتلوا فعلى هذا يتناجون وينتجون واحد ومعنى بالاثم
والعدوان اي الكذب والظلم ومعصية الرسول اي مخالفته وقرا الضحاك
ومجاهد وحميد ومعصيات الرسول بالجمع الثالثة قوله تعالى واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله لا خلاف بين النقلة ان المراد بهذا اليهود كانوا يأتون النبي
صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك يريدون بذلك السلام ظاهرا وهم
يعنون الموت باطنا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم وفي رواية اخرى
وعليكم قال ابن العربي وهو مشكل وكانوا يقولون لو كان محمد نبيا لدعا
الله بسببه والاستخفاف به وجهلوا ان الباري تعالى حليم لا يعاجل من سبه
فكيف من سب نبيه وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا احد اصبر على الاذى
من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم فانزل الله هذا كشفا
لسرايرهم وفضحا لمواطنهم ومعجزة لرسوله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت عن قتادة
عن انس ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه فقال
السام عليكم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتدرون ما قال هذا قالوا
الله ورسوله اعلم قال قال كذا وكذا ردوه علي فردوه قال قلت السام عليكم
قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب
فقولوا عليك ما قلت وانزل الله تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله قلت
خرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وثبت عن عائشة انها قالت
جاء اناس من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقلت السام
عليكم وغضب الله عليكم ولعنكم فقال عليه السلام مه يا عائشة فان الله لا يحب
الفحش ولا التفحش فقلت يا رسول الله الست ترى ما يقولون فقال الست ترى
ارد عليهم ما يقولون اقول عليكم ونزلت هذه الاية بما لم يحيك به الله
اي بان الله سلم عليكم وهم يقولون السام عليك والسام الموت خرجه البخاري
ومسلم بمعناه وفي الصحيحين من حديث انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم كذا الروايتين وعليكم بالواو ونكتفي
عليها لان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه ان يدخل معهم
بما دعوا به علينا من الموت او من سامه ديننا وهو الملال يقال سئم يسأم سأما
امه وساما فقال بعضهم الواو زايدة كما زيدت في قول الشاعر

. . . . . فلما احرنا ساحة الحي وانحى

اي لما احرنا انحنى فزاد الواو وقال بعضهم هي للاستيناف كانه قال
والسام عليكم وقال بعضهم علي بابها من العطف فلا نضرنا ذلك لانا نحاسب عليهم
ولا يحاسبون علينا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم روى ابن الزبير انه
سمع جابر بن عبد الله يقول سلم ناس من يهود على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا السام عليك يا ابا القاسم قال وعليكم فقالت عائشة وغضب
الم تسمع ما قالوا قال بلى فقد سمعت فرددت عليهم وانا نحاسب عليهم ولا يحاسبون
علينا خرجه مسلم ورواية الواو وحسن معيني وانبانها اصح رواية واشهر
وقد اختلف في رد السلام على اهل الذمة هل هو واجب كالرد على المسلمين او ليس
ذهب ابن عباس والشعبي وقتادة للامر بذلك وذهب مالك فيما روي
عنه اشهب وابن وهب الى ان ذلك ليس بواجب فان رددت فقل عليك
وقد اختار ابن عطاء وس ان تقول في الرد عليهم علاك السلام اي ارتفع عنك
واختار بعض اصحابنا السلام بكسر السين بمعنى الحجارة وما قاله مالك اولى اتباعا

والله اعلم

روي مسروق عن عائشة رضي الله عنها قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم ناس من اليهود
فقالوا السام عليك يا ابا القاسم قال وعليكم قالت عائشة من اليهود بل عليكم السام
واللعام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة لا تكوني فاحشة فقالت
ما سمعت ما قالوا فقال اولیس قد رددت عليهم الذي قالوا قلت وعليكم في رواية
قال فغلظت بهم عائشة فسبتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا عائشة
فان الله لا يحب الفحش والتفحش وزاد فانزل الله تعالى واذا جاؤك حيوك
بما لم يحيك به الله اي اخر الابد واللام بتخفيف الدال واليم هو العيب ومنه المثل
لا تعدم الحسناء ذاما اي عيبا ويهمز ولا يهمز يقال ذامه يذيمه ذاما مثل ذاب عليه
ذوابا والمفعول مذيم ومذيموما ومذموما مدحورا ويقال ذامه يذوم ومذمه يذمه
كذامه يذوم ومنه قوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول
قالوا لو كان محمد نبيا لعذبنا الله بما نقول فهلا يعذبنا الله وقيل قالوا
الله يردعلينا ونقول وعليكم السلام والسام الموت فلو كان نبيا لاستجيب
له فينا ومنا وهذا موضح تعجب منه فانهم كانوا اهل كتاب وكانوا يعلمون
ان الانبياء قد يغضبون فلا يعاجل من يغضبهم بالعذاب حسبهم جهنم
اي كافيهم جهنم عقابا وعذابا وبئس المصير اي المرجع قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا تناجيتم معنى للمومنين ان يتناجوا فيما بينهم كفعل المنافقين واليهود
فقال يا ايها امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا هذه قراءة الجماعة وقرئ يحيى بن
وثاب وعاصم وروي عن يعقوب بتخوا من الانتجاء بالاثم والعدوان ومعصية
الرسول وتناجوا بالبر اي بالطاعة والتقوى اي بالعفاف عما نهى الله عنه
وقيل الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين امنوا بموسى اتقوا الله الذي اليه تحشرون تجمعون في الاخرة قوله تعالى
انما النجوى من الشيطان فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى انما النجوى من
الشيطان اي من تزيين الشيطان ليحزن الذين امنوا اذ توهموا ان المسلمين
اصيبوا في سرايا اوادرا واجتماعهم على مكايدة المسلمين وربما كانوا يناجون
النبي صلى الله عليه وسلم فيظن المسلمون انهم يتناجون عند النبي صلى
الله عليه وسلم وليس بضارهم اي التناجي شيئا الا باذن الله اي بمشيئته
وقيل بعلمه وعن ابن عباس بامره وعلى الله فليتوكل المومنون اي يكلوا امرهم
اليه ويثقوا بجميع شوونهم الى عونه ويستعيذون به من الشيطان ومن كل
شر فهو الذي سلط الشيطان على الوساوس لا للعبد ولا لغيره ولو شاء لصرفه عنه
الثالثة في الصحيحين عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان
ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد وعن عبد الله ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما يختلطوا بالناس
من اجل ان يحزنه فبين في هذا الحديث غاية المنع وهي ان يجد الثالث
من يتحدث معه كما يفعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث مع رجل في اخر بين
ان يناجيه فلم يناجه حتى دعا رابعا فقال له ولاولاد تناجوا او يناجي الرجل الطالب
للمناجاة خرجه الموطا وفيه ايضا التنبيه على التعليل من قوله من اجل ان يحزنه
اي يقع في نفسه حزن لاجله وذلك بان يقدر في نفسه ان الحديث عنه بما يكره
او انه لم يروه اهلا لشركه في حديثهم الى غير ذلك من الخيالات الشيطانية
واحاديثه النفس وحاصل ذلك كله من تعداد وحده واذا كان معه غيره امن
ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجى اربعة دون واحد ولا عشرة
ولا الف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير امكن واوقع
فيكون بالمنع اولى واما خص الثلاثة بالذكر لانه اول عدد يتاتى فيه ذلك
المعنى وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال وابيه ذهب ابن عمر ومالك
والجمهور وسواء كان التناجي في مندوب او مباح او واجب فان الحزن يمنع به
وقد ذهب بعض الناس ان ذلك كان في اول الاسلام لان ذلك كان في حال
المنافقين يتناجون دون المومنين فلما فشى الاسلام سقط ذلك
وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفي الموضع التي لا يامن الرجل فيها صاحبه فاما

اي تناجيتم

ج

في

في الحضر وبين الحمارة ولانه حدس يعينه بخلاف السفر فانه مظنة الاقتتال
وعدم الغوث والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا
في المجلس فافسحوا يفسح الله لكم واذا الى قوله بما تعملون خبير فيها مسئلتان
الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس لما بين ان اليهود
يحبونه بما لم يجيبه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب في
مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يصغوا عليه المجلس وامر المسلمين
بالتعطف والتالف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا من الاستماع لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والنظر اليه قال قتادة ومجاهد كانوا يتنافسون في مجالس النبي صلى الله
عليه وسلم فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقال الضحاك وقال ابن عباس المراد بذلك
مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن ويزيد بن ابي حبيب كان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا قاتل المشركين ساح اصحابه على الصف الاول فلا
يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله مقاعد
للقتال وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفة وكان في المكان
ضيق وذلك في يوم الجمعة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم اهل بدر من المهاجرين
والانصار فجاء ناس من اهل بدر فيهم ثابت بن قيس ابن شماس وقد سبقوا في
المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع
لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله
من غير اهل بدر قم انت يا فلان وانت يا فلان بعدد القائمين من اهل بدر فشق
ذلك على من اقيم وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقام
المنافقون وتكلموا بان قالوا ما انصف هؤلاء وقد اجلسوا القرب من نبيهم وسبقوا الى
المكان فانزل الله عز وجل هذه الاية اي توسعوا وفسح فلان لاخيه في مجلسه يفسح
فسحا اي اوسع له وسند تولهم يلزم فسح ذلك في كذا افسحه وفسح يفسح مثل منح يمنح
اي وسع في المجلس وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم كرامة اي صار واسعا
وسنه مكان فسيح الناية قرا السلمي ورزين حبيس وعاصم في المجلس وقرا قتادة
ودا ود ابن ابي هند والحسن باختلاف عنه اذا قيل لكم تفسحوا تفسحوا
في المجلس فمن جمع قال ان قوله تفسحوا يقتضي ان لكل واحد مجلسا ويجوز ان يراد مجلس
النبي صلى الله عليه وسلم وجمع لان لكل جالس مجلسا وكذلك اذا اريد به الحرب وكذلك
يجوز ان يراد به الجمع على مذهب الحسن كقولهم كثر الدينار والدرهم قلت الصحيح
في الاية انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للخير والاخر كان مجلس حرب او ذكر
ومجلس يوم الجمعة وان كان كل واحد احق بمكانه الذي سبق اليه ولكن يوسع
لاخيه اذا لم يتاذ في بذلك فيخرج الصف عن موضعه وفي البخاري ومسلم عن ابن عمر
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس
فيه وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه
اخر ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر يكره ان يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس
مكانه لفظ البخاري الثالثة اذا قعد واحد من الناس في موضع من المسجد لا يجوز لغيره
ان يقيمه حتى يقعد مكانه لما روي مسلم عن ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده ولكن يقول
افسحوا فيروع القاعد في المكان اذا قام حتى يقعد عليه موضعه نظرا ان كان
الموضع الذي قام اليه مثل الاول في سماع كلام الامام لم يكره له ذلك وان كان ابعد
بعد من الامام كره له ذلك لان فيه تفويت حظه فرع اذا امر انسان انسانا ان يبكر
الى الجامع فيحاجز له مكانا ليقعد فيه لا يكره فاذا جاء الامر يقوم من الموضع لما روي
ان ابن سيرين كان يرسل غلامه الى مجلس له في يوم الجمعة ليجلس فيه فاذا جاء
قام له منه فرع وهذا من ارسل بساطه او سجادته فيبسط له في موضع
من المسجد الرابعة روي مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا قام احدكم وفي حديث ابي عوانة من قام من مجلسه
ثم رجع اليه فهو احق به قال علماؤنا هذا يدل على صحة القول بوجوب
اختصاص الجالس بموضعه الى ان يقوم منه لانه اذا كان اولى به بعد

تيامر قبله احرى واولى وقد قيل ان ذلك على الندب لانه موضع غير متملك
لاحد لاقبل الجلوس ولا بعده وهذا فيه نظر وهو انه يقال سلمنا انه
غير متملك لكنه يختص به الى ان يفرغ عرضه منه فصار كانه يملك منفعته
اذ قد منع غيره من ان يزاحمه عليه والله اعلم الخامسة قوله تعالى يفسح الله
لكم اي في قبوركم وقيل في قلوبكم وقيل يوسع عليكم في الدنيا والاخرة واذا قيل
انشزوا فانشزوا قرا نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما وكسرها قرا
الباقون وهما لغتان مثل يعكفون ويعرشون والمعنى انهضوا الى الصلاة والجهاد
وعمل الخير قاله اكثر المفسرين وقال ——— جاهدوا والضحاك اذا نودي
للصلاة فقوموا اليها وذلك انهم جاؤا لابيا ولوا عن الصلاة فنزلت وقال ———
الحسن ومجاهد ايضا اي انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد هذا في بعث
النبي صلى الله عليه وسلم كان كل رجل منهم يحب ان يكون احد من عمده النبي صلى الله
عليه وسلم فقال الله تعالى واذا قيل لكم انشزوا عن النبي صلى الله عليه وسلم
فانشزوا فان له حوائج فلا يمكنوا وقال قتادة المعنى لجيبوا اذا دعيتم
الى امر معروف وهذا هو الصحيح لانه يعم والنشز الارتفاع ماخوذ من نشز
الارض وهو ارتفاعها يقال نشز ينشز ويشز اذا نهض من موضعه اي ارتفع
منه وامراة ناشز منحية عن زوجها واصل هذا من النشز وهو ما ارتفع من
الارض ومعنى ذكره الخازن انساد سدة قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات اي في الثواب في الاخرة وفي الكرامة في الدنيا
فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم على من ليس بعالم وقال ابن مسعود
مدح الله العلماء في هذه الاية والمعنى انه يرفع الذين اوتوا العلم على الذين امنوا
ولم يوتوا العلم درجات اي درجات في دينهم اذا فعلوا ما امروا به وقيل كان اهل القرن
يكرهون ان يزاحمهم من ليس من القرن فيستقون الى مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم فالخطاب لهم وراى عليه السلام رجلا من الاعنيا بعض توبه نفورا
من بعض الفقرا اذا ان يجلس اليه فقال يا فلان احسنت ان تبجل غناك
به وفقره اليك وبين في هذه الاية ان الرفعة عند الله تعالى بالعلم والايمان
لا بالسبق الى صدور المجالس وقيل اراد بالذين اوتوا العلم الذين قرؤا القران
وقال يحيى بن يحيى عن مالك يرفع الله الذين امنوا منكم الصحابة والذين
اوتوا العلم درجات يرفع بها العالم والطالب للحق قلت ——— والعموم اوقع
في المسئلة واولى بمعنى الاية فيرفع المرء بايمانه اولا ثم يحلمه ثانيا وفي الصحيح
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس على اصحاب النبي
فكلموه في ذلك فدعاه ودعاهم وسالهم عن تفسير اذا جا نصر الله والفتح فسكتوا
فقال ابن عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه اياه فقال عمر
ما اعلم منها الا ما تعلم وفي البخاري عن عبد الله بن عباس قال قدم عيينة
بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن اخيه الحر بن قيس بن حصن
وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان القرا اصحاب مجلس عمر ومشاورته
كهولا كانوا او شبانا الحديث وقد مضى في اخر الاعراف وفي صحيح مسلم ان نافع
بن عبد الحرث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت
على اهل الوادي فقال ابن ابزى قال ومن ابزى ابن اترك قال مولى من موالينا
قال فاستخلفت عليهم مولى قال انه قارئ لكتاب الله وانه عالم بالفرايض
قال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع
به اخرين وقد مضى اول الكتاب ومضى القول في فضل العلم والعلما في غير موضع
في هذا الكتاب والحمد لله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين العالم
والعابد مايه درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه
عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيمة ثلاثة الانبيا ثم العلما
ثم الشهدا فاعطم بمنزلة زهي واسط بين النبوة والشهادة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس جنود سليمان عليه السلام بين

العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه يايها
الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول ودلالة مسائل الاولي قوله تعالي يا يها الذين
امنوا اذا ناجيتم الرسول سار ثم قال ابن عباس نزلت بسبب ان المسلمين
كانوا يكثرون المسائل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي سعوا عليه
فاراد الله عز وجل ان يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك كف كثير
من الناس يوم وسع الله عليهم بالايات التي بعدها وقال الحسن نزلت
بسبب ان قوما من المسلمين كانوا يسخلون النبي صلي الله عليه بيناجونه فظن بعض
قوم من المسلمين انهم بيتغصوعهم في النجوي فشق عليهم ذلك فامرهم الله تعالي
بالصدقة عند النجوي ليقطعهم عن استحلاله وقال زيد بن اسلم نزلت بسبب
ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلي الله عليه وسلم ويقولون انه اذن
يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع احدا منا حاجته فكان ذلك يشق علي المسلمين
لان الشيطان كان داعيا في انفسهم انهم داخوه بان جموعا جمعت لقتاله قال فانزل الله
تبارك وتعالي يا يها الذين امنوا اذا ناجيتم فلا يتناجوا بالاثم والعدوان و
معصية الرسول الاية فلم ينتهوا فانزل الله تعالي هذه الاية فانتهي اهل الباطل
عن النجوي لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك علي اهل الايمان
وامتنعوا عن النجوي لضعف مقدوره كثير منهم عن الصدقة فخفف الله تعالي
عليهم بما بعد الاية التالية قال ابن العربي وفي هذا الخبر عن زيد ما يدل
علي ان الاحكام لا تترتب بحسب المصالح فان الله تعالي قال ذلك خير لكم
واطهر ثم نسخه مع كونه خيرا واطهر وهذا رد علي المعتزلة عظيم في التزام المصالح
لكن روي الحديث عن زيد ابن عبد الرحمن وقد ضعفه العلما والاسر في قوله
تعالي ذلك خير لكم واطهر يضر متواتر في الرد علي المعتزلة والله اعلم التالية
روي الترمذي عن علي بن علقمة الاهاري عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت يا يها
الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة سالته قال لي
النبي صلي الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا تطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال
انك لزهيد فنزلت اشفقتم
ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الاية قال فبي خفف الله عن هذه
الامة قال ابو عيسي هذا حديث حسن من هذا الوجه ومعني قوله شعيرة
يريد وزن شعير ذهب قال ابن العربي وهذا يدل علي مسئلتين حسنتين
اصوليتين الاولي نسخ العبادة قبل فعلها والثانية النظر في المقدرات بالعقول
خلافا لابي حنيفة قلت الظاهر ان النسخ انما وقع بعد فعل الصدقة وقد
روي عن مجاهد ان اول من تصدق في ذلك علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وامر النبي صلي الله عليه وسلم روي انه يصدق دينارا وذكر الثعلبي وغيره
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال في كتاب الله اية ما عمل بها احد
قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي يا يها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا
بين يدي نجواكم صدقة كان لي دينار فبعته فكنت اذا ناجيت الرسول
تصدقت بدرهم حتي نفد فنسخت بالاية الاخري اشفقتم ان تقدموا بين يدي
نجواكم صدقات وكذلك قال ابن عباس نسخها الله بالاية التي بعدها وقال ابن عمر
لقد كانت لعلي بن ابي طالب ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر
النعم تزوجه فاطمة واعطاه الراية يوم خيبر واية النجوي ذلكم خير لكم من امسكها
واطهر لقلوبكم من المعاصي فان لم تجدوا بعني الفقرا فان الله غفور رحيم
قوله تعالي اشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فيه مسئلتان
الاولي قال ابن عباس اشفقتم اي اجلتم بالصدقة وقيل خفتم وبخلتم بالصدقة
والاشفاق من المكروه اي خفتم وبخلتم بالصدقة وشق عليكم ان تقدموا بين
يدي يديكم صدقات قال مقاتل ابن حيان انما كان ذلك عشر
ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كان ذلك الا ليلة واحدة وقال ابن عباس
ما بقي الا ساعة من النهار حتي نسخ وقال قتادة هكذا فاسه اعلم الثانية
قوله تعالي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم اي نسخ ذلك الحكم وهذا لخطاب

من وجد ما يتصدق به فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فنسخت فرضية الزكاة هذه
الصدقة وهذا يدل على جواز النسخ قبل العمل وما روي عن علي ضعيف لان الله
تعالى قال فاذ لم تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بعدي والله اعلم
واطيعوا الله في فرايضه ورسوله في سننه والله خبير بما تعملون قوله تعالى
الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم قال قتادة هم المنافقون تولوا
اليهود دماهم منكم ولا منهم يقول ليس المنافقون من اليهود ولا من المسلمين
بل هم مذبذبين بين ذلك وكانوا يحملون اخبار المسلمين اليهم قال
السدي ومقاتل نزلت في عبد الله بن ابي ونبتل المنافقين كان احدهم
جالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حجره من حجره اذ قال ادخل الان عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر
بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان اسمر ازرق قصير اخفش العين
فقال عليه السلام له علام تشتمني انت واصحابك يحلف بالله ما فعل
ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما
سبوه فنزلت هذه الايات وقال معناه ابن عباس روي عكرمة عنه قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة فدكاد الظل ينقلص عنه
اذ قال تحكم الساعة رجل ينظر اليكم نظر شيطان فنحن على ذلك اذ اقبل
رجل ازلف فدعا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني انت واصحابك
قال دعني احملك بهم فمر برجالهم فجاءهم فحلفوا جميعا انه كان من ذلك شيء فانزل
الله عز وجل يجمعهم يبعثهم الله جميعا الى قوله هم الخاسرون واليهود مذكورون
في القرآن فغضب الله عليهم اعد الله لهم اي لهؤلاء المنافقين عذابا شديدا
في جهنم وهو الدرك الاسفل من النار انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئست الاعمال
اعمالهم اتخذوا ايمانهم جنة فستجنون بها من القتل وقرا الحسن وابو العالية
ايمانهم بكسر الهمزة هنا وفي المنافقين اي اقرارهم الذي وقوه جنة وامنت استنهم
من خوف القتل وكفوت قلوبهم فلهم عذاب مهين في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار
والصد المنع عكي عن سبيل الله اي عن الاسلام وقيل في قتالهم بالكفر بما
اظهروه من النفاق وقيل اي بالقتال الراجيف وبسط المسلمين عن الجهاد
وتخويفهم قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي يدفع
من عذابه شيئا قال مقاتل قال المنافقون ان محمدا يزعم انه ينصر
يوم القيامة لقد سقينا اذا قوالله ليبصرن يوم القيامة بانفسنا واموالنا
واولادنا ان كانت قيامة فنزلت الاية قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا
اي لهم عذاب مهين يوم يبعثهم فيحلفون لكم كما يحلفون لكم اليوم وهذا امر عجيب
وهو ما لطمتهم باليمين غدا وقد صارت المعارف ضرورية وقال ابن عباس
هو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون انهم على شيء بانكارهم وحلفهم
وقال ابن زيد ظنوا انهم ينفعهم في الاخرة وقيل يحسبون في الدنيا انهم
على شيء لانهم في الاخرة يعلمون الحق باضطرار والاول اظهر وعن ابن عباس
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ينادي مناد يوم القيامة اين خصما الله فيقوم
القدرية مسودة وجوههم مزرقة اعينهم مايلا شدقهم يسيل لعابهم فيقولون
والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا وثنا ولا اتخذنا من دونك
الها قال ابن عباس صدقوا والله انا هم اشرك من حيث لا يعلمون
ثم تلى ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون هم والله القدرية ثلثا
قوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان اي غلب والمتعلي اي بوسوسته
في الدنيا وقيل قوي عليهم وقال المفضل احاط بهم ويجمل رابعا اي جمعهم وضمهم
يقال احوذ الشيء اي جمعه وضم بعضه الى بعض واذا جمعهم فقد علت وقوي عليهم
واحاط بهم فانساهم ذكر الله اي اوامره في العمل بطاعته وقيل زواجره
في النهي عن معصيته والنسيان اولئك حزب الشيطان اي طاعته ورهطه الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون في بيعتهم لانهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدى
بالضلالة قوله تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله تقدم اول

السورة

السورة اولئك في الاذلين اي من جملة الاذلا لا اذل منهم كتب الله لاغلبن اي قضى الله ذلك وقيل كتب في اللوح المحفوظ عن قتادة انا اكتب بمعنى قال انا توكيد ورسلي من بعث منهم بالحرب فان الرسول غالب بالحرب ومن بعث منهم بالحجة فانه غالب بالحجة قال مقاتل قال المومنون لان فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولها لنرجون ان يظهرنا الله على فارس والروم فقال عبد الله ابن ابي بن سلول ايطمع اصحاب محمد ان يظهروا على فارس والروم كمجض القرى التي عليهم والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا من ان يظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلي نظيره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون قوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله نزلت في ابي عبيدة بن الجراح قتل ابا عبد الله بن الجراح يوم احد وقتل يوم بدر كان الجراح ينصدي لابي عبيدة وابي عبيدة يحيد عنه فلما اكثر قصد اليه ابو عبيدة فقتله فاتى الله تعالى حين قتل اباه لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله الاية قال الواقدي وكذلك يقول اهل الشام ولقد سالت رجالا من بني الحرث بن فهر فقالوا لم نزل نرى ابوه من قبل الاسلام او ابناهم يعني ابا بكر دعا ابنه عبد الله يوم البراز يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة السمع والبصر او اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او عشيرتهم يعني عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعليا وحمزة قتلا عتبة وشيبة والوليد يوم بدر وقيل ان الاية نزلت في حاطب بن ابي بلتعة لما كتب الى اهل مكة يسير النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ما ياتي بيانه اول سورة الممتحنة ان شا الله تعالى فبين ان الايمان يفسد موالاة الكفار وان كل قوا اني اريد ان اثبته استدل مالك رحمه الله من هذه الاية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال اسمعت عن مالك لا يجالس القدرية وعاداهم في الله لقول الله عز وجل لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله قلت وفي معنى اهل القدر جميع اهل الظلم والعدوان وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر قوله تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي خلق في قلوبهم التصديق يعني من لم يوال من حاد الله ورسوله وقيل كتب اثبت قاله الربيع بن انس وقيل جعل كقوله تعالى فاكتبنا مع الشاهدين اي اجعلنا وقوله فسا كتبها للذين يتقون وقيل كتب اي جمع ومنه الكتيبة اي لم يكونوا ممن يقول يومن ببعض ونكفر ببعض وقراة العامة بفتح الكاف من كتب ونصب النون من الايمان بمعنى كتب الله وهو احود لقوله تعالى وايدهم بروح منه ويدخلهم وقرا ابو

المعالية وزر بن حبيش والمفضل عن عاصم كتب على عالم بيم فاعله الايمان برفع النون
وقرأ زر بن حبيش وعشيرا تهم بالف وكسر التاء على الجمع ورواها الاعشى عن ابي بكر عن
عاصم وقيل كتب في قلوبهم اي على قلوبهم كقوله في جذوع النخل وخص القلوب
بالذكر لانها موضع الايمان وايدهم قواهم ونصرهم بروح القدس منه قال الحسن نصر
منه وقال الربيع بن انس بالقرآن ومحمد وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة
من الله وقال بعضهم ايدهم بجبريل عليه السلام ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها رضي الله عنهم اي بقبول اعمالهم ورضوا عنه فرحوا بما اعطاهم اولئك حزب الله
الا ان حزب الله هم المفلحون قال سعيد بن ابي سعيد الجرجاني عن بعض شيخته
قال داود عليه السلام الهي من خير ذلك وحول عرشك فاوحى الله اليه يا داود الخاشعة
ابصارهم الباكية قلوبهم السليمة اكفهم اولئك حزبي وحول عرشي

سورة الحشر مدنية

هي قول الجميع وهي اربع وعشرون اية روى ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر لم يبق شيء من الجنة والنار
والعرش والكرسي والسموات والارض والهوام والريح والسحاب والطير
والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر والملائكة الا صلوا عليه واستغفروا
له فان مات في يومه او ليلته مات شهيدا اخرجه الثعلبي وخرج العقيلي
عن يزيد الرقاشي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ حم سورة الحشر لو انزلنا هذا القرآن على جبل الى اخرها مات من ليلته
مات شهيدا وروى الترمذي عن معقل بن يسار قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث ايات من اخر سورة الحشر وكل الله به سبعين
الف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسي
فكذلك قال الحديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم تقدم هو
الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم فيه ثلاث مسائل
الاولى قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من
ديارهم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر
قال قل سورة النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون
عليه السلام نزلوا المدينة في فن بني اسرائيل انتظارا لمحمد صلى الله عليه
وسلم فكان من امرهم ما قص الله عليه الثانية قوله تعالى
لاول الحشر الحشر الجمع وهو على اربعة اوجه حشران في الدنيا وحشران في
الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا
من ديارهم لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء
وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا
وكان اول حشر حشروا في الدنيا الى الشام قال ابن عباس
وعكرمة من شك ان الحشر في الشام فليقرأ هذه الاية وان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر
قال قتادة هذا اول المحشر قال ابن عباس هم اول من حشر من اهل
الكتاب واخرج من داره وقيل انهم اخرجوا الى خيبر وان معنى لاول الحشر
اخراجهم من حصونهم الى خيبر واخره اخراج عمر رضي الله عنه اياهم
من خيبر الى بجد واذرعات وقيل سمل وارحا وذلك بكفرهم ونقض
عهدهم واما الحشر الثاني فحشرهم يوم القيامة قال قتادة تأتي نار
تحشرهم من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث
قالوا وتأكل منهم من تخلف وهذا ثابت في الصحيح
وقد ذكرناه في كتاب التذكرة ونحوه روى ابن وهب عن مالك قال قلت

لمالك

لمالك هو حلاد هم من ديارهم فقال لي الحشر يوم النبا منحشر اليهود قال
واجلي رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى خيبر حين سئلوا عن
المال فكتموه فاستحلهم بذلك قال ابن العربي للحشر اول ووسط
وللفرقا الاول اجلا بني النضير والاوسط اجلا خيبر والاخر حشر يوم القيمة
وعن الحسن هم بنو قريظة وخالفهم بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ماتوا
ولكنهم قتلوا حكاه الثعلبي الثالثة قال الكيا الطبري ومصلحة
اهل الحرب على الجلا من ديارهم من غير شئ لا يجوز لان فلا بد من قتالهم
او سبيهم او ضرب الجزية عليهم قوله عز وجل ما ظننتم ان يخرجوا
يريد لعظم امرا ليهود ومنعهم وقوتهم في صدور المسلمين واجتماع كلمتهم
كلمتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم قيل هي الوطيح والسطاه واسلالم
والكتيبة من الله اي من امره وكانوا اهل حلقة اي سلاح كثيرة وقصود
سيبعة فلم يمنعهم شئا منها فاتاهم الله اي امره وعذابه من حيث
لم يحتسبوا اي لم يظنوا ويقال من حيث لم يحتسبوا بقتل الكعبا وكعب بن
الاشرف وكان الذي قتله محمد بن مسلمة وابو نايلة سلكان ابن سلامة
بن وقش وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة وعباد بن بشر بن وقش
والحرث بن اوس بن معاذ وابا عبسي بن جبر مشهور في السيرة وفي
الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالرعب بين يدي مسيرة
شهر فكيف لا ينصر به مسيرة ميل من المدينة الى محلة بني النضير
وهذه خصيصى لمحمد صلى الله عليه وسلم دون غيره قوله تعالى
يخربون بيوتهم بايديهم قراءة العامة بالتخفيف من اخرب اي يهدمون
وقرا السلمي والحسن ونصر بن عاصم وابو العالية وابو قتادة وابو عمرو
يخربون بالتشديد من التخريب قال ابو عمرو انما اخترت التشديد لان
الاخراب ترك الشيء خرابا بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خرابا
وانما خربوها بالهدم بدليله قوله بايديهم وايدي المؤمنين وقال
الاخفش التخريب والاخراب بمعنى واحد والتشديد للمعنى التكثير وحكي
سيبويه ان معني فعلت وافعلت بنيا قبان بحوا سه وخربته وانزحته
وافزحته وفزحته واختار ابو عبيد وابو حاتم الاولى قال
قتادة والضحاك كل المؤمنين يخربون من خارج ليدخلوا واليهود من داخل
لتبنوا به ما خرب من حصنهم فروي انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي صلى الله عليه
وسلم عنيي ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي نعت
اسمه في التوراة لا يرد له راية فلم هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا
فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليهم قريشا عند
الكعبة فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة ثم صبحهم
بالكتاب فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فبادا
بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتهيؤا
للخروج فدس اليهم عبد الله ابن ابي المنافق واصحابه لا تخرجوا من الحصن
فان قاتلوكم نحن معكم لا نخذلكم وان اخرجتم لنخرجن معكم فتربصوا على
الا زقة وحصنوها احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب
وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلا على ما بانى
بيانه قال الزهري وابن زيد وعروة بن زيد لما صالحهم النبي صلى
الله عليه وسلم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا يخربون الحسر او العمود
فينهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على ابلهم كانوا يخربون الخشبة او العمود
فينهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وعن
ابن زيد ايضا كانوا يخربونها لئلا يسكنها المسلمون بعدهم وقال
ابن عباس كانوا كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع موضع
القتال وهم ينقبون دورهم من ادبارها التي بعدها ليتحصنوا فيها

ويرمون بالتي اخرجوا منها المسلمين وقيل ليسد وا بها ارفيهم وقال عكرمة بايديهم
في اخراب دورهم وما فيها ليلا يأخذه المسلمون وبايدي المومنين في اخراب
ظاهرها ليصلوا بذلك اليهم قال عكرمة كانت منازلهم من حرف فخسروا المسلمين ان
يسكنوها فخربوها من داخل وخربها المسلمون من خارج وقيل يخربون بيوتهم
بنقض المواعده وايدي المومنين بالمقابلة قاله الزهري ايضا وقال ابو
عمرو بن العلا بايديهم في تركهم لها وبايدي المومنين في اجلائهم عنها قال
ابن العربي الاثنان ولا فساد اذا كان بالهدم كان تحقيقا واذا كان
بسبب العهد كان مجازا الا ان قول الزهري في المجاز امثل من قول ابي عمرو
بن العلا قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار اي ايها ذوي
العقول والالباب وقيل يا من عاين ذلك ببصره فهو جمع للبصر ومن
جملة الاعتبار هنا انهم اعتصموا بالحصون من الله فانزل الله
سبحانه ومن وجوهه انه سلط عليهم من كان ينصرهم ومن وجوهه
ايضا انهم هدموا اموالهم بايديهم ومن لم يعتبر بغيره اعتبر في
نفسه وفي الامثال الصحيحة السعيد من وعظ بغيره قوله تعالى
ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي لولا انه قضى انه سيجليهم عن ديارهم
وانهم يتفرقون مدة فيومن بعضهم ويولد لهم ممن يومن بعدهم في الدنيا
بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة والجلاء مفارقة الوطن يقال
جلا بنفسه جلاء واجلاه غيره اجلاء والفرق بين الجلاء والاخراج وان
كان معناهما في الابعاد واحدا من وجهين احدهما ان الجلاء ما كان
مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع بقاء الاهل والولد الثاني
ان الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج قد يكون لواحد ولجماعة قاله
الماوردي قوله تعالى ذلك اي ذلك الجلاء بانهم شاقوا الله اي
عادوه وخالفوا امره ومن يشاقق الله باظهار التضعيف كالتي في
الانفال وادغم الباقون قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها
قائمة على اصولها فباذن الله ويخزي الفاسقين فيه خمس مسائل
قوله تعالى قوله تعالى ما في محل نصب بقطعتم كانه قال
اي شيء قطعتم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه حصون
بني النضير وهي على ميلين من المدينة حتى نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم
احد امر بقطع نخيلهم واحراقها واختلفوا في عدد ذلك فقال قتادة
والضحاك انهم قطعوا من نخيلهم واحرقوا ستة نخلات وقال محمد بن اسحق
انهم قطعوا نخلة واحرقوا نخلة وكان ذلك عن اقرار رسول الله صلى الله
عليه وسلم او بامره اما لاصغائهم بها او لسعة المكان بقطعها فشق
ذلك عليهم فقالوا وهم يهود اهل الكتاب يا محمد لست تزعم انك
نبي افمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر وهل وجدت فيما انزل الله
عليك اباحة الفساد في الارض فشق ذلك على النبي صلى الله عليه
وسلم ووجد المسلمون في انفسهم حتى اختلفوا فقال بعضهم لا
تقطعوا مما افاء الله علينا وقال بعضهم اقطعوا لتغيظهم بذلك فانزلت
الآية مصدقة من نهى عن القطع وتحليل من قطع من الاثم واخبر ان قطعه
وتركه باذن الله وقال شاعرهم سمال اليهودي في ذلك

- اسنا ورثنا الكتاب الحكيم على عهد موسى ولم نصدف
- وانتم رعاة شاء جاف يسيل بها سهله والاحف
- تؤون الرعاية لما كلكم لدى كل دهر لكم محصف
- فيا ايها الشاهدون انتهوا عن الظلم والنطق المؤتف
- لعل الليالي وصرف الدهور تديل من العادل المنصف
- بقتل النضير ولحلائها وعقر النخيل ولم تحطف
- فاجابه حسان بن ثابت
- تعاورتم معشر نضروا قريشا وليس لهم بلدتهم نصير

هم اولوا الكتاب فضيعوه وهم عمي عن التوراة نور
كفرتم بالقرآن وقد اسلم بتصديق الذي قال النذير
وهان علي سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

واجابه ابو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب

ادام الله ذلك من صنيع وحرق في نواحيها السعير
سيعلم ابنا منها بزه ويعلم ايا ارضنا تضير
فلو كان النخيل بها كاباء لقاتلوا او استقام لكم فسيروا

الثانية كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في ربيع الاول اول السنة الرابعة من الهجرة وحاصرهم في الحصون وامر بقطع النخيل واحراقها وحينئذ نزل تحريم الخمر ودس عبد الله بن ابي بن سلول ومن معه من المنافقين الى بني النضير اثبتوا معكم وان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فاعتزوا بذلك فلما جاءتهم الخبيثة خذلوهم واسلموهم فالتوا بايديهم وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكف عن دمائهم وتحليهم على ان لهم ما حملت الابل من اموالهم الا السلاح واخذوا كذلك الى خيبر ومنهم من صار الى الشام وكان ممن صار منهم الى خيبر اكابرهم كحيي بن اخطب وسلام بن ابي الحقيق وكنانة بن الربيع فاقاتت لهم خيبر الاولى اول السنة الرابعة من الهجرة وخصوا منه في الحصون وامكن من قطع النخيل واحراقها وحينئذ نزل تحريم الخمر ودس عبد الله بن ابي بن سلول ومن معه من المنافقين الى بني النضير انا معكم وان قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فاعتزوا بذلك فلما جاءتهم الخبيثة خذلوهم واسلموهم فالتوا بايديهم وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكف عن دمائهم وتحليهم على ان لهم ما حملت الابل من اموالهم الى السلاح واخذوا كذلك الى خيبر الثالثة ثبت في صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير وحرق ولها يقول حسان

وهان علي سراة بني لؤي حريق بالبويرة مستطير

وفي ذلك نزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها الاية واختلف الناس في تخريب دار الحدو وحرقها وقطع ثمارها على قولين الاول ان ذلك قاله في المدونة التي ان علم المسلمون ان ذلك لهم لم يفعلوا وان يئسوا فعلوا قاله مالك في الواضحة وعليه يدل اطراد اصحاب الشافعي ابن العربي والصحيح وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نخل بني النضير له ولكنه قطع وحرق ليكون ذلك نكاية لهم ووهنا فيهم حتى يخرجوا عنها والثاني بعض المال لصلاح بالمسلمين جائزة شرعا مقصوده عقلا الرابعة قال الماوردي انتفى هذه الايات دليلا على ان كل مجتهد مصيب وقاله الكيا الطبري قال وان كان الاجتهاد سعد في مثله وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم ولا يشك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ذلك وسلم تثقفوا الحلم من تقريره فقط قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا اجتهاد مع حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما نزل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا بعموم الاية للكفار ودخولا في الاذن للكل بما يقتضي عليهم بالاجتياح والسواد وذلك قوله تعالى ولينزي الفاسقين الخامسة واختلف في اللينة ما هي على اقوال عشرة الاول النخل كلها الا العجوة قاله الزهري ومالك وسعيد ابن جبير وعكرمة والخليل وعن ابن عباس ومجاهد والحسن انها النخل كلها ولم يستثنوا عجوة ولا غيرها وعن ابن عباس ايضا انها الوان من النخل وعن الفراء انها كرام النخل وعن ابي عبيدة انها جميع الوان النخل العجوة والبرني وقال جعفر بن محمد انها العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانا في سفينة نوح عليه السلام في السفينة والعتيق النخل وكانت العجوة اصل الاشجار كلها فلذلك سمي عليها ليهود قطعها حكاه الماوردي وقيل هي ضرب من النخل يقال لثمره اللون ثمره اجود التمر وهو شديد الصفرة ترى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس

النخلة سميا احب اليهم من وصيف وقيل هي النخلة الغربية من الارض
وقيل هي النخلة الغربية من الارض واشعر الاخفش
قد سجا بي الحمام حين يغني ... بفراق الاحباب من فوق لينه
وقيل ان اللينة الفسيلة لانها لين من النخلة ومنه قول الشاعر
عرسوا لينها بجري معين ... ثم حفوا النخيل بالاكام
وقيل ان اللينة الاشجار كلها لينها بالجاه قال ذو الرمة
طراق الخوافي واقع فوق لينه ... بداليله في ريشه يترفرف
والقولان الماشرانها الدقل قاله الاصمعي قال واهل المدينة
يقولون لا تسمح المواهد حتى توجد الالوان يعنون الدقل قال ابن العربي
والصحيح ما قاله الزهري ومالك لوجهين احدهما انهما اعرف ببلدهما
واشجارهما الثاني ان الاشتقاق يعضده واهل اللغة يصححونه قال
اللينة وزنها لونة واعتلت على اصولهم قالت الي لينة يقولون
فاذا دخلت الهاء كسرت اولها كترك الصور بفتح التاء وبكسرها لاجل الهاء
وقيل لينة اصلها لونة فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وجمع اللينة لين
وقيل لبان قال امرؤ القيس يصف عنق فرسه
وسالف كسحوق اللبان اصرم فيها المؤيد السعره
وقال الاخفش انما سميت لينة اشتقاقا من اللون لا من اللين
المهدوي واختلف في اشتقاقها فقيل هي من اللون واصله لونة وقيل اصلها
لينة من لان يلين وقرا عبد الله ما قطعتم من لينة ولا تركتموها قوما
على اصولها قائمة على سوقها وقرا الاعمش ما قطعتم من لينة ولا تركتم
قوما على اصولها قائمة اي قائمة على سوقها وقرا الاعمش ما قطعتم
من لينة او تركتموها قوما على اصولها المعنى لم يقطعوها وقرئ قوما
على اصلها وفيه وجهان احدهما انه جمع اصل كرهن ورهن الثاني
الكتفي فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على اصولها دهابا الى لفظ
ما فباذن الله اي بامره وليخزي الفاسقين اي ليذل اليهود والكفار به
ونسبه وكتبه تقوله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم هذه
الى والتي بعدها الى شديد العقاب فيه عشر مسائل الاولى
قوله تعالى وما افاء الله يعني رده الله على رسوله من اموال بني النضير مما اوجفتم
عليه اوضعتم عليه والايجاف الاضاع في السير وهو الاسراع يقال وجف
الفرس اذا اسرع واوجفته انا اي حركته والقربة ومنه قول تميم
بن مقبل سرا وبدا بالبيض الحديث صفاتها عن الركب احسابا اذا
الركب اوجفوا والركاب الابل واحدها راحلة تقول لم يقطعوا اليها
سفرا ولا غنيتم بها حربا ولا مسفة وانما كانت من المدينة الى ميلين قاله
العلماء فمشوا اليها مشيا ولم يركبوا خيلا ولا ابلا الا النبي صلى الله عليه وسلم
فانه ركب حمارا وقيل حمارا محطوما تليف فاقتطعها صلحا واحلاهم ولحداموالهم
فسال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يقسم لهم فنزل ما افاء الله على رسوله
منهم مما اوجفتم عليه الاية فجعل اموال بني النضير خاصة للنبي صلى الله عليه
وسلم يضعها حيث شاء فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين
قال الواقدي ورواه ابن وهب عن مالك ولم يعط الانصار منها
شيئا الا ثلاثة نفر محتاجين منهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل
ابن حنيف والحرث بن الصمة وقيل انما اعطى رجلين سهلا وابا دجانة
ويقال سعد بن معاذ وسيف بن الحنيف وكان سيف بن الحنيف وكان سيف
له ذكر عندهم فسال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يقسم لهم فنزلت
ما افاء الله على رسوله منهم مما اوجفتم عليه الاية فجعل اموال بني النضير خاصة
للنبي صلى الله عليه وسلم يضعها حيث شاء فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم
بين المهاجرين قال الواقدي ورواه ابن وهب عن مالك ولم يعط الانصار
منها شيئا الا ثلاثة نفر محتاجين منهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن

حنيف والحرث بن الصمة وقيل انما اعطى رجلين سهلا واذا دجانه وقيل
سعد بن معاذ وسيف بن الحقيق وكان سيف بن الحقيق وكان سيف لم
له ذكر عندهم ولم يسلم من بني النضير الا رجلان سفيان بن عمير وسعد
ابن عمير وسعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاهما وفي صحيح مسلم عن عمر
قال كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون
عليه بخيل ولا ركاب فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق
على اهله نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله وقال
العباس لعمر رضي الله عنهما اقض بيني وبين هذا الكاذب الاثم الغادر الخائن
يعني عليا رضي الله عنه فيما افاء الله على رسوله من اموال بني النضير فقال عمر
انتهلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قال عمر ان الله
عز وجل كان خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره
قال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ما ادري هل قرا الاية
التي قبلها ام لا فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بني النضير
فوالله ما استاثرها عليكم ولا اخذها دونكم حتى بقي هذا المال وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ياخذ منه نفقة سنة ثم يجعل ما بقي اسوة المال
الحديث بطوله خرجه مسلم وقيل لما ترك بنو النضير ديارهم واموالهم
طلب المسلمون ان يكون لهم فيها حظ كما لغنائهم فبين الله تعالى انما فيئ وكان
وحرك ثم بعض القتال لانهم حوصروا اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على
الجلاء ولم يكن قتال على التحقيق بل جرى مجاري القتال وجرى الحصار وخص
وخص الله تلك الاموال برسوله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد اعلمهم الله
تعالى وذكرهم انه انما نصر رسوله ونصرهم بغير كراع ولا عدة ولكن الله يسلط
رسله على من يشاء اي من اعدائه وهذا بيان ان تلك الاموال كانت خاصة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم دون اصحابه انتهى قوله تعالى ما افاء
الله على رسوله من اهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وهما بالمدينة
وفدك وهي على ثلاثة ايام من المدينة وخيبر وقرى عرينة وسمع جعلها الله عز
لرسوله وبين ان في ذلك المال الذي خصه به الرسول عليه السلام سهما بالغنيمة
الرسول نظرا منه لعياله وقد تكلم العلماء في هذه الاية والتي قبلها هل معناهما
واحد مختلف والاية التي في الانفال تعالى قوم من العلماء ان قوله ما افاء
الله على رسوله من اهل القرى منسوخ بما في سورة الانفال من كون الخمس لمن سمي له
والاخماس الاربعة لمن قاتل وكان في اول الاسلام لتقسم الغنيمة على هذه الاصناف
ولا يكون لمن قاتل عليها شيء وهذا قول يزيد بن رومان وقتادة وغيرهما وحكوه
عن مالك وقال قوم انما عنهم تصلح من غير ايجاف بخيل ولا ركاب فيكون لمن سمي
الله فيه والاولى للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة اذا اخذ منها حاجته كان الباقي
في مصالح المسلمين وقال بعضهم الاولى للنبي صلى الله عليه وسلم والثانية هي الحربة
والرماح للاصناف المذكورة فيه ست مسائل والثالثة الغنيمة في سورة الانفال
للغانمين وقال قوم منهم الشافعي ان معنى الاثنين واحوى انما حصل من اموال
الكفار بغير قتال فقسم على خمسة اسهم اربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
الخمس الباقي على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا وسهم
لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب لانهم منعوا الصدقة فجعل لهم
حق في الفيئ وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل واما بعد وفاة
النبي صلى الله عليه وسلم فصرف عند الشافعي في قول الى المجاهدين المتصدين للقتال
في الثغور لانهم الذين يقومون مقام الرسول عليه السلام وفي قول اخر له يصرف الى
مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر ونحو ذلك لانها امور
وهذا في اربعة اخماس الفيء فاما السهم الذي كان له من خمس الفيء والغنيمة
فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال عليه
السلام ليس لي من غنائمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم وقد مضى القول فيه في سورة
الانفال وكذلك ما خلفه من المال غير موروث بل هو صدقة يصرف عنه الى مصالح

المسلمين كما قال عليه السلام انا لا نورث ما تركنا صدقة وقيل كان ماله الذي لنبيه صلى الله عليه
وسلم لقوله تعالى ما افاء الله على رسوله فاضافه اليه غير انه كان لا ينتائل مالا انما كان
ياخذ نفقة عياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين قال القاضي ابو بكر بن العربي
لا اشكال انها ثلاثة معان في ثلاث ايات الا الاية الاولى وهي قوله تعالى هو الذي
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ثم قال تعالى وما
افاء الله على رسوله منهم يعني من اهل الكتاب معطوفا عليهم فما اوجفتم عليه من خيل
ولا ركاب يريد كما بينا لا حق لكم فيه ولذلك قال عمر انها كانت خالصة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني يعني النضير وما كان مثلها فقده ابه واحدة وهو معنى
منخذ الاية الثانية قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
فلله وللرسول وهذا كلام مبتدا غير الاول لمستحق غير الاول
وسمى الاية الثالثة اية العظيمة ولا شك انه معنى اخر يستحق
بان المستحق اخر بيان الاية الاولى والاية استركنا في ان كل واحدة منهما تضمنت
شيا افاء الله على رسوله واقتضت الاية الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت
اية الانفال انه حاصل بقتال وعرت الاية الثالثة وهي قوله تعالى ما افاء
الله على رسوله من اهل القرى عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال فنشا
الخلاف من هاهنا فمن طايفة قالت هي ملحقة بالاولى وهو مال الصلح كله ونحوه
ومن طايفة قالت هي ملحقة بالثانية وهي اية الانفال والذين قالوا انها
ملحقة باية الانفال اختلفوا هل هي منسوخة كما تقدم او محكمة والحاقها بسهادة
الله واقتضت الاية الاولى انه حاصل بغير قتال واقتضت انه الانفال
انه حاصل بقتال وعرت الاية الثالثة وهي قوله تعالى ما افاء الله على رسوله
من اهل القرى عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال فنشا الخلاف من هاهنا
فمن طايفة قالت هي ملحقة بالاولى وهو مال الصلح كله ونحوه ومن طايفة قالت
هي ملحقة بالثانية وهي اية الانفال والذين قالوا انها ملحقة باية الانفال
اختلفوا هل هي منسوخة كما تقدم او محكمة والحاقها بسهادة الله بالتي
قبلها اولى لان فيه تحديد فايدة ومعنى وسقوط احتمال الحرف من الاية فصلا عن
الاية على فايدة متجددة اولى من حمله على فايدة معاده وروى ابن وهب عن مالك
في قوله تعالى ما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب هي النضير لم يكن فيها خمس
ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب كانت صافية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقسمها بين المهاجرين وثلثة من الانصار حسب ما تقدم وقوله
ما افاء الله على رسوله من اهل القرى هي قريظة وكانت قريظة والنضير
في يوم واحد قال ابن العربي قول مالك ان الاية التاسعة في بني قريظة
اشارة الى ان معناها يعود الى اية الانفال وبحقها النسخ وهو اقوى من
من القول بالاحكام ونحن لاختيار الما قسمنا وبينا ان الاية الثانية لها معنى
متجدد حسب ما دللنا عليه والله اعلم قلت ما اختاره حسن وقد
قيل ان سورة الحشر لزلت بعد الانفال لان المحال ان ينسخ المتقدم المتاخر قال
ابن ابي نجيح المال ثلاثة مغنم او فيء او صدقة وليس منه درهم الا وقد بين
الله موضعه وهذا اشبه الثالثة الاموال التي للايتام والولاة فيها مدخل
ثلاثة اضرب ما اخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات
والزكاة والثاني الغنايم وهو ما يحصل في ايدي المسلمين من اموال
الكافرين بالحرب والقهر والغلبة والثالث الفيء وهو ما رجع للمسلمين
من اموال الكافرين عفوا صفوا من غير قتال ولا ايجاف كالصلح والجزية
والخراج والعشور الماخوذة من تجار الكفار وسئل ان يهرب المشركين ويتركوا
اموالهم او يموت منهم احد في دار الاسلام لا وارث له فاما الصدقة فمصرفها
الفقراء والمساكين والعاملون عليها حسب ما ذكره الله وقد مضى في براءة
واما الغنايم فكانت في صدر الاسلام للنبي صلى الله عليه وسلم يضع فيها ما شاء
كما قال في الانفال لله والرسول ثم نسخ بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء
الاية وقد مضى في الانفال بيانه ثم نسخ بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الاية

وفرمضي

وقد مضى في الانفال بيانه في ما التي تقسمته وقسمة الخمس سواء والامر عند مالك فيها
الى الامام فان راى حسبما لنوازل نزول بالمسلمين فعل وان راى قسمها اوقسمة
احدهما قسمه كله بين الناس وبسوى فيه بين عربهم ومولاهم ويبدا بالفقرا
من رجال اونساء حتى تغنوا ويعطوا والغني من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العبيد سهمهم على ما يراه الامام وليس لهم حد معلوم واختلف في اعطا الغني
منهم واكثر الناس على اعطايه لانه حق لهم وقال مالك لا يعطى منه غير فقرائهم
لانه جعل لهم عوضا من الصدقة وقال الشافعي ان ما حصل من اموال الكفار بغير
قتال كان يقسم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما عشرون
عشرون للنبي صلى الله عليه وسلم يجعل فيها ما شا والخمس يقسم عليه خمس الغنيمة
قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي وهذا قول ما سبقه به احد علمناه بل
كان ذلك خالصا له كما ثبت في الصحيح عن عمر مسا للايمان ولو كان هذا لكان قوله
خالصة لك من دون المومنين يدل على حور الموهوبة لغيره وان قوله خالصة
يوم الغنيمة يجوز ان يشركهم فيها غيرهم وقد مضى قول الشافعي موعبا في ذلك
والحمد لله ومذهب الشافعي رضي الله عنه ان سبيل خمس الخمس الغنيمة وان
اربعة اخماسها كانت للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بعده لمصالح المسلمين وله
قول اخر انها بعده للمرصدين لقتال بعده خاصة كما تقدم الرابعة
قال علماونا ويقسم كل ما في البلد الذي جبي فيه ولا ينقل عن ذلك البلد الذي
جبي فيه حتى يقسموا ثم ينقل الى الاقرب من غيرهم الا ان يترك بغير البلد الذي
جبي فيه فاقة شديدة فينقل ذلك الى اهل الفاقة حيث كانوا كما فعل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في اعوام الرمادة وكانت خمسة اعوام او سنة وقد قيل عامين
وقيل عام فيه استد الطاعون مع الجوع وان لم يكن ما وصفنا ورا الاسلام
انصاف الفي او وفقد نوايب المسلمين ويعطى منه المعوس ويبدا بمن ابوه فقير
والى حلال للاغنيا ويسوي بين الناس فيه الا ان يوثر اهل الحاجة والفاقة
والتفضيل فيه انما يكون على قدر الحاجة ويعطون منه الغرما ما يودون به
ديونهم ويعطى منه الجايزة والصلة ان كان ذلك اهلا ويرزق القضاة والحكام
ومن فيه منفعة للمسلمين واولادهم بتوفر الحظ منهم اعظمهم للمسلمين نفعا ومن
احرز من الفي شيا في الديوان كان عليه ان يحرز اذا عري والتفضيل فيه انما يكون
على قدر الحاجة ويعطون منه الغرما ما يودون به ديونهم ويعطى منه الجايزة
والصلة ان كان ذلك اهلا ويرزق القضاة والحكام ومن فيه منفعة للمسلمين
واولادهم بتوفر الحظ منهم اعظمهم للمسلمين نفعا ومن احرز من الفي شيا في الديوان
ان كان عليه ان يحرز اذا عري الخامسة قوله تعالى كي لا يكون دولة قرا
العامة يكون بالياء دولة بالنصب اي كيلا يكون الفي دولة وقرا ابن
ابو جعفر والاعرج وهشام بن عامر وابو حيوة تكون بالتا دولة بالرفع اي كيلا
يقع دولة فكان تامة ودولة رفع على اسم كان ولا خبر له ويجوز ان يكون ناقصة
وخبرها بين الاغنيا منكم واذا كانت تامة فقوله بين الاغنيا منكم متعلق
بدوله على معنى تداول بين الاغنيا ويجوز ان يكون بين الاغنيا منكم وصفا
لدوله وقرا ابن عامر دولة بضم الدال وقراها السلمي وابو حيوة بالنصب
قال عيسى ابن عمر ويونس والاصمعي هما لغتان بمعنى واحد وقال
ابو عمرو بن العلا الدولة بالفتح الظفر في الحرب وغيره وهي المصدر وبالضم
اسم الشي الذي يتداول بتقسيم الرؤسا والاغنيا والاقويا سهم دون
الفقرا والضعفا وهو المرباع ثم يصطفي ايضا منها بعد المرتاع ما شاء وفيها
قال شاعرهم لك المرباع منها والصفايا ٭ ٭ ٭ ٭
يقول ليلا يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية فجعل الله هذا لرسوله صلى الله عليه
وسلم يقسمه في المواضع التي امر بها ليس فيها حيف فاذا اجاخمس وقع بين
المسلمين جميعا ٭ السادسة قوله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه اي ما اعطاكم من مال الغنيمة وما نهاكم عنه من الاخذ والغلول فانتهوا
قاله الحسن وغيره السدي ما اعطاكم من مال الفي فاقبلوه وما منعكم منه

منه فلا تطلبوه وقال ابن جريج ما اتاكم من طاعتي فاعملوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه الما وردني وقيل انه محمول على العموم في جميع اوامره ونواهيه لانها مر الا بصلاح ولا ينهي الا عن فساد قلت هذا معنى القول الذي قبله فهي ثلثة اقوال السابعة قال المهدوي في قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا يوجب ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى والايذا وان كانت في الظاهر بجميع اوامره عليه السلام ونواهيه داخل فيها وقال الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القران صعب مستصعب عسير على من تركه يسير على من اتبعه وطلبه وحدثني صعب مستصعب وهو الحكم لمن استمسك بحدثي وحفظه بجامع القران ومن تهاون بالقران وحدثني حمر الدنيا والاخرة وامرتم ان تاخذوا بقولي وتسمعوا امري وتتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران ومن استهزا بقولي فقد استهزا بالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الثامنة قال عبد الله بن عوف ابن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اتقرا علي هذا ايذ من كتاب الله قال نعم ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبيد الله بن محمد بن هارون الحربي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عما شئتم اخبركم من كتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا التاسعة قال عبد الرحمن ابن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اتقرا علي هذا ايذ من كتاب الله قال نعم ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبيد الله بن محمد بن هارون الحربي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عما شئتم اخبركم من كتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابا بكر وعمر حدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ايه امر بقتل الزنبور قال علماؤنا وهذا الجواب في نهاية الحسن افتى بجواز قتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدي فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاقتدا به والله سبحانه امر بقبول ما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم فجاز قتله ستنبط من الكتاب والسنة وقد مضى هذا المعنى في قول عكرمة حتى سيل عن امهات الاولاد قال هن احرار في سورة النساء عند قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد فقال لها ام يعقوب فجاءت فقالت انه بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال ومالي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت لقد قرات ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لئن كنت قرانيه لقد وجدتيه اما قرات وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهي عنه الحديث وقد مضى القول فيه في النساء مستوفى والحمد لله التاسعة قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وان جاء بلفظ الايذا وهي المناولة فان معناه الامر بدليل قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فقابله بالنهي ولا يعادل النهي الا بالامر والدليل على فهم ذلك ما ذكرناه قبل مع قوله عليه السلام اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وحكى الكلبي انها نزلت في درع سرقت من بني اسد فقال لهاام يعقوب فجاءت فقالت

فيما ظهر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اموال المشركين يا رسول الله خذ
صفيك والربع ودعنا والبافي ففعل كذا يفعل في الجاهلية واشدوه ٠
٠ ذلك المرباع منها والصفايا ٠ وحكمك والسبسبطر والعتول ٠
فانزل الله تعالى هذه الاية العاشرة قوله تعالى واتقوا الله اي عذابه
ان الله شديد لمن عصاه وقيل اتقوا الله في اوامره ونواهيه فلا تضيعوها
ان الله شديد العقاب لمن خالف امره قوله تعالى للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم اي الفيء والغنايم للفقراء المهاجرين
وقيل لم يكونوا دولة بين الاغنياء ولكن يكون للفقراء وقيل هم
بيان لقوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فلما ذكر واهم
باصنافهم قيل المال لهؤلاء انهم فقراء مهاجرون وقد اخرجوا
من ديارهم فهم احق الناس به ولكن الله يسلط رسله على من يشا للفقراء
المهاجرين لكي لا يكون المال دولة للاغنيا من بني الدنيا وقيل والله شديد
العقاب للفقراء من اجلهم ودخل في هؤلاء الفقراء المتقدم ذكرهم في قوله
تعالى ولذي القربى واليتامى وقيل هو عطف على ما مضى ولم يات
بواو العطف كقوله هذا المال لزيد لبكر لفلان لفلان والمهاجرون هنا من
هاجر الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قتادة هؤلاء المهاجرون الذين تركوا
الديار والاموال والاهلين والاوطان حبا لله ولرسوله حتى ان الرجل
منهم كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يخد الحفيرة
في المستنامالد ثار على ظهرها وقال عبد الرحمن بن ابزى وسعيد بن جبير كان
كان ناس من المهاجرين لاحدهم العبد والزوجة والدار والناقة يحج عليها
ويغزو افشبههم الله الى الفقر وجعل لهم سهما في الزكاة ومعنى اخرجوا من ديارهم
اي اخرجهم كفار مكة اي اخرجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فلاحدهم
العبد والزوجة والدار والناقة يحج عليها ويغزو افشبههم الله الى الفقر وجعل
لهم سهما في الزكاة ومعنى اخرجوا من ديارهم اي اخرجهم كفار مكة اي اخرجوهم
الى الخروج وكانوا مائة رجل يبتغون فضلا من الله اي غنيمة في الدنيا
ورضوانا في الاخرة اي سرور انهم وينصرون الله ورسوله في الجهاد في سبيل
الله اولئك هم الصادقون في علم ذلك وروي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه خطب بالجابية فقال من اراد ان يسال عن الفرائض فليات
زيد بن ثابت ومن اراد ان يسال عن الفقه فليات معاذ بن جبل ومن
اراد ان يسال عن المال فلياتني فان الله تعالى جعلني له خازنا وقاسما الاواني
نادبا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ثم عطيهم ثم بالمهاجرين الاولين
انا واصحابي اخرجنا من مكة من ديارنا واموالنا قوله تعالى والذين
تبوؤا الدار والايمان من قبلهم فيه احد عشر مسئلة الاولى قوله تعالى
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم لا خلاف ان الذين تبوؤا الدار هم الانصار
الذين استوطنوا المدينة قبل المهاجرين اليها والايمان نصب بفعل غير
تبوؤا لان السرور انما يكون في الاماكن ومن قبلهم من صلة تبوؤا والمعنى والذين
تبوؤا الدار من قبل المهاجرين واعتقدوا الايمان او لخلصوه لان الايمان
ليس بمكان تبوؤا كقوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاءكم اي وادعوا شركاءكم
ذكره ابو علي والزمخشري وغيرهما ويكون من باب قوله اعلفها تبنا وماء باردا
ويجوز حمله على حذف المضاف كانه قال تبوؤا الدار ومواضع الايمان ويجوز حمله
على ما دل عليه تبوؤا الايمان على طريق المثل كما يقال تبوأ من بني فلان الصمم
وتبوأ التمكن والاستقرار وليس يريد ان الانصار اسبق قبل المهاجرين
بل اراد اسبقوا قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم اليهم الثانية واختلف
ايضا هل هذه الاية مقطوعة مما قبلها او معطوفة فتاول قوم انها معطوفة
على قوله للفقراء المهاجرين وان الايات التي في الحشر كلها معطوف بعضها على بعض
ولونا ملوا ذلك وانصفوا لوجدوه واختلف ايضا هل هذه الاية مقطوعة مما قبلها
او معطوفة فتاول قوم انها معطوفة على قوله للفقراء المهاجرين وان الاية

التي في الحشر كلها معطوف بعضها على بعض ولو تاملوا ذلك وانصفوا لوجدوه على خلاف ما ذهبوا اليه لان الله تعالى يقول هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا الى قوله الى الفاسقين فاخبر عن بني النضير وبني قينقاع ثم قال وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء فاخبر ان ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم لانه لم يوجف عليه حين خلوه وما تقدم فيهم من القتال وقطع شجرهم فعدوا كانوا رجعوا عنه وانقطع ذلك الامر فقال ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذا كلام غير معطوف على الاول وكذا والذين تبوؤا الدار ابتدا كلام في مدح الانصار والثنا عليهم فانهم سلموا ذلك الفيء للمهاجرين وكانه قال الفيء للمهاجرين الفقراء والانصار يحبون لهم لم يجدوهم على ما صنعا لهم من الفيء ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذا كلام غير معطوف على الاول وكذا والذين تبوؤا الدار ابتدا كلام في مدح الانصار والثنا عليهم فانهم سلموا ذلك الفيء للمهاجرين وكانه قال الفيء للمهاجرين الفقراء والانصار يحبون لهم لم يجدوهم على ما صنعا لهم من الفيء وكذا والذين جاوا من بعدهم ابتدا كلام والخبر يقولون ربنا اغفر لنا قال اسمعيل بن اسحق ان قوله والذين تبوؤا الدار والذين جاوا معطوف على ما قبل وانهم شركا في الفيء اي هذا المال للمهاجرين والذين تبوؤا الدار وقال مالك بن اوس قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآيات انما الصدقات للفقراء فقال هذه لهولاء ثم قرا واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه فقال هذه لهولاء ثم قرا ما افاء الله على رسوله حتى بلغ للفقراء المهاجرين والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاوا من بعدهم ثم قال لئن عشت لنا بين الراعي وهو بسرو وحمير بصنعاء ليبلغن فيهما جبينه وقيل انها دعا انها مهاجرين والانصار واستشارهم فيما فتح الله عليه من ذلك وقال لهم تشيروا الامر وتدبروه ثم اغدوا علي فغكر في ليلته فتبين له ان هذه الآيات في ذلك انزلت فلما غدوا عليه قال مررت البارحة بالآيات التي في سورة الحشر وتلى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى قوله للفقراء المهاجرين فلما بلغ قوله اولئك هم الصادقون قال ما هي لهولاء فقط وتلى والذين جاوا من بعدهم الى قوله رؤف رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك الثالثة روى مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر قال لولا من يأتي من آخر الناس ما فتحت قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وفي الروايات المستفيضة من الطرف الكثيرة ان عمر ابقى سواد العراق ومصر وما ظهر عليه من الغنائم ليكون في اعطيات المقاتلة وارزاق الحشوة والذراري وان الزبير وبلالا وغيرهما من الصحابة ارادوه على قسم ما فتح الله عليهم فكره ذلك منهم واختلف فيما فعل من ذلك فقيل انه استطاب انفس اهل الجيش فمن رضي له بترك حصته بغير ثمن يبقيه للمسلمين فله ومن ابى اعطاه ثمن حظه فمن قال انا ابقي الارض بعد استطابة انفس القوم جعل فعله كفعل النبي صلى الله عليه وسلم لانه قسم خيبر لان استقراه اياها ومن ترك عن طيب نفسه بمنزلة قسمها وقيل انه انقاها بغير شيء اعطاه اهل الجيوش وقيل انه تاول في ذلك قول الله سبحانه للفقراء المهاجرين الى قوله ربنا انك رؤف رحيم على ما تقدم والله اعلم بالصواب واختلف العلماء في قسمة العقار فقال مالك للامام ان يوقفها لمصالح المسلمين وقال ابو حنيفة الامام مخير بين ان يقسمها او يجعلها وقفا لمصالح المسلمين وقال الشافعي ليس للامام حبسها عنهم بغير رضاهم بل يقسمها عليهم كسائر الاموال فمن طاب نفسا عن حقه للامام ان يجعلها وقفا عليهم فلو من لم يطب نفسه فهو احق بماله وعمر رضي الله عنه استطاب نفوس الغانمين واشتراها منهم قلت وعلى هذا يكون قوله والذين جاوا من بعدهم معطوفا على ما قبله وانهم تبوؤا بالدعاء للاولين والثنا عليهم الخامسة قال ابن وهب سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الاقاليم فقال ان المدينة تبوئ بالايمان كما تبوئ والهجرة

وان

وان غيرها من الغرب اقتتحت بالسيف ثم قرا والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم
يحبون من هاجر اليهم الا بينة وقد مضى الكلام في هذا وفي فضل الصلاة في المسجدين
مسجد الحرام ومسجد المدينة ولا معنى للاعادة السادسة قوله تعالى
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا يعني لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا من مال
الفيء وغيره كذلك قال الناس وفيه تقدير حذف مضاف تبين المعنى اي حاجة من تقدما واوتوا
وكل ما يجد الانسان في صدره مما يحتاج الى ازالته فهو حاجة وكان المهاجرون في دور
الانصار فلما غنم عليه السلام اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين
في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في الاموال ثم قال ان احببتم قسمت ما افاء الله
علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما كانوا عليه من السكنى
في مساكنكم عبادة وسعد بن معاذ يقسمه بين المهاجرين ويكونون في دوركم كما كانوا
وتاركون الانصار رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المهاجرين ولم يعط الانصار شيئا الا ثلاثة الذين ذكرناهم ويحتمل ان يريد به
ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اذا كانوا قليلا يتمنون به ويرضون عنه وقد كانوا
على هذه الحالة حين حياة النبي صلى الله عليه وسلم دائما كانوا عليه بعد موته صلى الله عليه
وسلم وقال ستترون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض السابعة
قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة في الترمذي عن ابي هريرة
ان رجلا اتاه ضيف فلم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته نومي
الصبية واطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية ويؤثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة قال هذا حديث حسن صحيح خرجه مسلم ايضا وخرج
عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل
الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق الا ما لي الا ما فارسل الى اخرى فقالت
مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك لا والذي بعثك بالحق ما عندنا الا الماء فقال
من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق
به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء فقالت لا الا قوت صبياني قال
فعللهم بشيء فاذا دخل ضيفنا فاطفئي السراج واريه انا ناكل فاذا هوى ليأكل فقومي
الى السراج حتى تطفئيه قالت فقعدوا واكل الضيف فلما اصبح غدا على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال قد عجب الله من صنيعكما الليلة بضيفكما وفي رواية عن ابي هريرة
قال اتى رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم ليضيفه فلم يكن عنده ما يضيفه فقال
الا رجل يضيف هذا رحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فانطلق به
الى رحله وساق الحديث بنحو الذي قبله وذكر فيه نزول الآية وذكر المهدوي
عن ابي هريرة ان هذا نزل في ثابت بن قيس ورجل من الانصار نزلا به ثابت
يقال لها ابو المتوكل فلم يكن عند ابي المتوكل الا قوته وقوت صبيانه فقال
لامرأته اطفئي السراج ونومي الصبية وقدم ما كان عنده الى ضيفه وكذا ذكر النحاس
قال ابو هريرة نزل برجل من الانصار يقال له ابو المتوكل تابت بن قيس ضيف
ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال لامرأته اطفئي السراج ونومي الصبية
فنزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الى قوله فاولئك هم
المفلحون وقيل ان فاعل ذلك ابو طلحة وذكر الطبري ابو نصر عبد الرحيم بن عبد
الكريم وقال ابن عمر اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثنا به فلم يزل
يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات حتى رجعت الى الاول فنزلت
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ذكره الثعلبي عن انس قال اهدي
لرجل من الصحابة راس شاة وكان محمودا فوجه به الى جاره فعدا على سبعة انفس
في سبعة ابيات ثم عاد الى الاول فنزلت ويؤثرون على انفسهم الآية
وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم بني النضير ان
شئتم قسمت للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان
شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم من الغنيمة شيئا فقالت الانصار بل

بل يقسم لاخواننا من ديارنا واموالنا ويؤثرهم بالغنيمة فنزلت ويؤثرون على انفسهم
الاية والاول اصح وفي الصحيحين عن انس ان الرجل كان يجعل للنبي صلى الله عليه
وسلم النخلات من ارضه حتى فتحت عليه قريظة والنضير فجعل يعود له ما
يرد عليه ما كان اعطاه لفظ مسلم وقال الزهري عن انس بذلك والمهاجرون لما قدموا
المهاجرون من مكة المدينة قدموا وليس بايديهم شيء وكان الانصار اهل الارض
والعقار فقاسمهم الانصار على ان اعطوهم انصاف ما رامواهم كل عام ويكفونهم
العمل والمونة وكانت ام انس بن مالك بن عجي ام سليم وكانت اعطت ام انس رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعذاقا لها فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن
مولاته ام اسامة بن زيد قال ابن شهاب فاخبرني انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال اهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون
الى الانصار منائحهم التي منحوهم من ثمارهم قال فرد رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى امي عذاقها واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن مكانهن
من حائطه اخرجه مسلم ايضا التاسعة الايثار هو تقديم الغير على النفس
وحظوظها الدنيا ويه وعند في الحظوظ الدينية وذلك ينشأ عن قوة اليقين
وكيد المحبة والصبر على المشقة يقال اوثره بكذا اي خصصته به وفصلته
ومفعول الايثار محذوف اي يؤثرونهم على انفسهم اي باموالهم ومنازلهم
لا عن عجز بل مع احتياجهم اليها حسب ما تقدم بيانه وفي الموطا مالك انه بلغه
عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان مسكينا سالها وهي صائمة وليس
في بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها اعطه اياه فقالت ليس لك ما
تفطر من بن عليه فقالت اعطه اياه فعلت فلما امسينا اهدي لنا اهل بيت
او انسان ما كان يهدي لنا شاة وكفتها فدعتني عائشة فقالت كلي من هذا فهذا خير
من قرصك قال عياض هذا من المال الرابح والفعل الزاكي عند الله يجعل منه ما شاء
ولا ينقص ذلك مما يخرج عنه ومن ترك شيئا لله لم يجده فقده وعائشة رضي
الله عنها في فعلها هذا من الدين ابقى الله عليهم بايمانهم يؤثرون على انفسهم مع
ما فيهم من الخصاصة وان من تامل ذلك فقد وفى شح نفسه واعلم فلا حال لاختياره
بعده ومعنى شاة وكفتها فان العرب او بعض العرب او بعض وجوههم كان هذا
من طعامهم يانون الى الشاة او الحروف اذا سلخوه عطوه كله يجيئون البر وكفتوه
به ثم علقوه في التنور فلا يخرج من ودكه شيء الا في ذلك الكفن وذلك من طيب
الطعام عندهم وروي النسائي عن نافع ان ابن عمر اشتكى واشتهى عنبا فتذري
له عنقود بدرهم فجاء مسكين فسال فقال اعطوه اياه فخالف انسان فاشتراه
بدرهم ثم جاء به الى ابن عمر فجاء المسكين فسال فقال اعطوه اياه ثم خالف انسان
فاشتراه بدرهم ثم جاء به اليه فاراد السائل ان يرجع فمنع ولو علم ابن عمر انه ذلك
العنقود ما ذاقه لان ما خرج لله لا يعود فيه وذكر ابن المبارك قال
اخبرنا محمد بن مطرف قال ابو حازم عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن
مالك الداري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه احدا دينارا فجعلها
في صرة ثم قال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تلكا ساعة
في البيت حتى تنظر الى ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه فقال ما يقول
لك امير المومنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال
تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفدها
ترجع الغلام الى عمر فاخبره فوجده قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل وقال اذهب بها الى
معاذ بن جبل وتلكا في البيت ساعة حتى ينظر ما يصنع فذهب بها اليه فقال
يقول لك امير المومنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله وقال
يا جارية اذهبي بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطلعت امراة معاذ وقالت
ونحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق في الخرقة الا دينار فدحا بها اليها فرجع
الغلام الى عمر فاخبره بذلك فسر بذلك عمر وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه
عن عائشة في اعطاء معاوية اياها وكان عشرة الاف وكان المنكدر دخل عليها . . . .
. . . . فان قيل وردت اخبار صحيحة في النهي عن التصدق بجميع ما يملكه

المر فضل له اما كره ذلك في حق من لا يوثق منه الصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للمسئلة
اذا فقد ما يتعقد فاما الانصار الذين اثنى الله عليهم بالايثار على انفسهم فلم يكونوا
بهذه الصفة بل كانوا كما قال الله تعالى والصابرين في البأساء والضراء
وحين البأس فكان الايثار افضل فيهم من الامساك والامساك لمن يصبر ويتوقى
للمسئلة اولى من الايثار وروي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماه بها وقال يأتي احدكم بجميع ما
يملكه فيتصدق به ثم يقعد يسكف الناس اغنا نسعد الايثار
بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال السائرة
والجود بالنفس اقصى غاية الجود
ومن عبارات الصوفية الرشيد في حد المحبة انها الايثار لا تزيد ان امرأة
لم تزل لما تتاهب في حبها ليوسف اثر به على نفسها فقالت انا راودته
عن نفسه وافضل الجود بالنفس الجود على ما به رسول الله صلى الله عليه وسلم نفى
الصحيح ان ابا طلحة ترس على النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وكان النبي صلى
الله عليه وسلم يوم احد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتطلع لمرمى القوم فيقول
له ابو طلحة لا يشرف يا رسول الله لا يصيبوك نحري دون نحرك
وفي بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكت وقال حديقة العدوي انطلقت
يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وانا اقول ان كان به رمق
سقيته فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار برأسه ان نعم فاذا رجل يقول اه اه فاشار
الي ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فاشار
ان نعم فسمع اخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئته فاذا هو قد
مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات
وقال ابو زيد البسطامي ما علبني احد ما علبني شاب من اهل بلخ قدم علينا
حاجا فقال لي يا زيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا
صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا
شكرنا واذا وجدنا اثرنا وسئل ذو النون المصري ما حد الزاهد المشرح صدره قال
ثلاث تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند الفقر وحكي عن ابي الحسن الانطاكي
انه اجتمع عنده ثلاثة وثلاثون رجلا يقري الرجل ومعهم ارغفة معدودة لا يشبع
جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام
بحاله لم ياكل احدهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه المعاشرة قوله تعالى
ولو كان بهم خصاصة الخصاصة الحاجة التي يختل بها الحال واصلها من الانتصاب
وهو الانفراد يقال لمن افرد بالحاجة انه لخصاصة ولو كان بهم فاقة وحاجة
ومنه قول الشاعر
ها ان ربيع اذا يكون خصاصة عاش السقيم به واثر المقتر
الحادية عشر قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الشح
والشح والشحة قال عمرو بن كلثوم
ترى اللحز الشحيح اذا امرت عليه لماله فيها مهينا
وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص تقول
شححت بالكسر تشح وشححت ايضا بالضم تشح ورجل شحيح وقوم شحاح وشحة والمراد
بالاية الشح بالزكاة وما ليس بمفروض من صلة ذوي الارحام والضيافة وما اشاكل
ذلك فليس بشحيح ولا بخيل من انفق في ذلك وان امسك على نفسه ومن وسع
على نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكرناه من الزكوات والطاعات فلم يوق
شح نفسه وروي الاسود عن ابن مسعود ان رجلا اتاه فقال له اني اخاف ان اكون
قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وانا رجل شحيح لا اكاد ان اخرج من يدي شيئا فقال ابن مسعود ليس
ذلك الشح الذي ذكره الله في القرآن انما الشح الذي ذكر الله عز وجل في القرآن
ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشيء البخل فالفرق رضي الله عنه
بين الشح والبخل وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يديه والشح ان

يشح بما في ايدي الناس يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام لا يمنع ابن جبير
الشح منع الزكاة وادخار الحرام ابن عيينة الشح الظلم الدليل ترك الفرايض واتباع
المحارم ابن عباس من اتبع هواه ولو تعلل الاعمال فذلك الشحيح ابن زيد من لم
ياخذ شيا نهاه الله عنه ولم يدعه الشك ... امره الله به فقد وقاه
الله شح نفسه وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم برئ من الشح من ادى
الزكاة وقرى الضيف واعطى في النائبة وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها وسوا سها وقال
ابو الهياج الاسدي رايت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد
على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازني ولم
افعل ذلك فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف قلت بدل على هذا قوله
صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيمة واتقوا الشح فان
الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقد
بينا له في اخر العمران وقال كسري لاصحابه اي شيء اضر بابن ادم قالوا
الفقر قال كسري الشح اضر من الفقير اذا وجد سبع والشحيح اذا وجد لم يسبع
ابدا وقوله تعالى والذين جاوا من بعدهم فيه اربع مسائل الاولى قوله
تعالى والذين جاوا من بعدهم يعني من التابعين ومن دخل في الاسلام الى
يوم القيامة قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة اقسام المهاجرون والذين تبوءوا
الدار والايمان من قبلهم والذين جاوا من بعدهم فاجتهدان لا تخرج من هذه المنازل
وقال بعضهم كن شمسا فان لم تستطع فكن قمرا فان لم تستطع فكن كوكبا
مضيا فان لم تستطع فكن كوكبا صغيرا ومن جملة النور لا تنقطع ومعنى هذا كن مهاجريا
فان قلت لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل كاعمالهم فان لم تستطع فاحبهم
واستغفر لهم كما امرك الله وروي مصعب بن سعد قال الناس على ثلاث منازل فمضت
منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم عليه ان تكونوا بهذه المنزلة اني بثت وعن جعفر
بن محمد بن علي عن ابيه عن جده علي بن حسين رضي الله عنهم انه جاءه رجل فقال
له يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول في عثمان فقال له يا اخي
انت من قوم قال الله فيهم للفقراء المهاجرين الاية قال لا قال فانت من
يوم قال الله فيهم والذين تبوءوا الدار والايمان الاية قال لا قال
فوالله لين لم يكن من اهل الاية الثالثة ليخرجن من الاسلام وهي قوله
تعالى والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الاية وقد قيل ان محمد بن علي بن الحسين عن ابيه ان نفرا من اهل
العراق جاؤا ابيه فسبوا ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ثم عثمان رضي الله عنه
فانكر وافقال لهم امن المهاجرين الاولين انتم قالوا لا قال افمن الذين تبوءوا
الدار والايمان من قبلهم قالوا لا فقد تبرا تم من هذين الفريقين انا اشهد انكم
لستم من الذين قال عز وجل والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا قوموا
فعل الله بكم وفعل ذكره النحاس الثانية هذه الاية دليل على صحة
الصحابة لانه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما اقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار
لهم وادان من سبهم او احدا منهم او اعتقد فيه سواء الله لا حق له في الفيء روي
ذلك عن مالك وغيره قال مالك من كان يبغض احدا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في فيء المسلمين ثم قرا والذين
جاوا من بعدهم الاية الثالثة هذه الاية تدل على ان الصحيح من اقوال
العلما قسمة المنقول واما العقار والارض فهي للمسلمين اجمعين كما فعل عمر
رضي الله عنه الا ان يجتمع الولاة فيبتدا امرا فيمضي عليه فيه لاختلاف الناس
عليه واذ هذه الاية عاضدة بذلك لان الله تعالى اخبر عن الفيء وجعله لثلاثة
طوائف المهاجرين والانصار وهم معلومون والذين جاوا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهي عامة لجميع التابعين
لا تتبين بعدهم الى يوم الدين وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم خرج الي المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مومنين وانا ان شا الله بكم
لاحقون وددت اني رايت اخواننا فقالوا يا رسول الله السنا باخوانك قال
بل انتم اصحابي الذين لم ياتوا بعد وانا فرطهم علي الحوض فبين صلى الله عليه وسلم
ان اخوانهم كل من ياتي بعدهم لا كما قال السدي والكلبي انهم الذين هاجروا بعد
ذلك وعن الحسن ايضا والذين جاوا من بعدهم من قصد الى النبي صلى الله عليه
وسلم الي المدينة بعد انقطاع الهجرة او اريد قوله تعالى ربنا اغفر لنا
نصب في موضع الحال اي قائلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان فيه وجهان احدهما امروا ان يستغفروا لمن سبق هذه الامة
من مومني اهل الكتاب قالت عايشة رضي الله عنها فامروا ان يستغفروا
لهم فسبوهم الثاني ان يستغفروا للسابقين الاولين من المهاجرين
والانصار قال ابن عباس امر الله تعالى بالاستغفار لاصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وهو يعلم انهم سيفتتنون وقالت عايشة امروا بالاستغفار لاصحاب
محمد فسبيتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه
الامة حتى يلعن اخرها اولها وقال ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اذا رايتم الذين يسبون اصحابي فقولوا لعن الله اشركم وقال
العوام بن حوشب ادركت هذه الامة يقولون اذكروا محاسن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تالف عليهم القلوب ولا تذكروا مساوي
بينهم فيجترئوا انتا سوا عليهم وقال الشعبي تفاضلت اليهود
والنصارى على الرافضة فقالت سئلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب
موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب عيسى وسئلت الرافضة
من شر منكم قالوا اصحاب محمد امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم
مسلول الي يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم
كلمة كلما اوقدوا نار للحرب اطفاها الله بسفك دمايهم واذا خاض جمعهم اعاذنا
الله واياكم من الاهواء المضلة ولا يجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ايجعلوا وحدا
ربنا انك رؤف رحيم قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم نتعجب من اغترار
اليهود بما وعدهم المنافقون من النصر معهم مع علمهم بانهم لا يعتقدون
دينا ولا كتابا ومن جملة المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول وعبد الله بن
نبتل ورفاعة بن زيد وقيل رفاعة بن تابوت واوس بن قيظي كانوا من
الانصار ولكنهم نافقوا قالوا لليهود قريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن
معكم وقيل هو من قول بني النضير لقريظة وقوله لا نطيع فيكم احدا ابدا يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم لا نطيعه في قتالكم وفي الاية دليل على صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم من جهة علم الغيب لانهم خرجوا فلم يخرجوا وقوتلوا فلم
ينصروهم كما قال والله يشهد اي في قولهم وفعلهم قوله تعالى
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولون
الادبار ثم اي منهزمين ثم لا ينصرون قيل معنى لا ينصرونهم طايعين ولئن نصروهم
مكرهين ليولون الادبار وقيل معنى لا ينصرونهم لانهزامهم على نصرهم هذا
على نصرهم هذا على ان الضميرين مختلفان وقيل انهما مختلفان والمعنى
لئن اخرج اليهود لا يخرجون معهم المنافقون ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
ولئن نصروهم اي ولئن نصر اليهود المنافقين ليولن الادبار وقيل لئن
اخرجوا لا يخرجون معهم اي علم الله منهم انهم لا يخرجون ان اخرجوا ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم اي علم الله منهم ذلك ثم قال ليولن الادبار فاخبر عما قد اخبر
انه لا يكون لو كان وهو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل معنى ولئن
نصروهم ولو سلمنا ان ينصروهم رعبا ذلك لهم ليولن الادبار
قوله تعالى لانتم يا معشر المسلمين اشد رهبة اي خوفا وخشية في صدورهم
من الله يعني في صدور بني النضير وقيل في صدور المنافقين ويحتمل ان يرجع
الى الفريقين اي يخافون منكم اكثر مما يخافون من ربهم ذلك الخوف ذلك بانهم

قوم لا يفقهون اي لا يفقهون قدر عظمته وقدرته قوله تعالى
لا يقاتلونكم يعني جميعا يعني اليهود الا في قرى محصنة اي بالحيطان والدور
يطلقون انها تمنعكم منهم او من وراء جدار اي من خلف حيطان يستترون بها
بالجيتهم ودهيتهم وقراءة العامة جدر على الجمع وهو اختيار ابي عبيد والفراء
حاتم لانها تطير قوله تعالى في قرى محصنة وذلك جمع وقرا ابن عباس ومجاهد
عن الجميع وروي عن بعض المكيين جدر بفتح الجيم واسكان الدال وهي لغة
في الجدار ويجوز ان يكون معناه من وراء حيطانهم وسورهم يقال احدر النخل اذا طلعت
رؤوسها اول الربيع والحدرست والحدته جدره وقرئ حذر بضم
الجيم واسكان الدال جمع الجدار ويجوز ان يكون الالف في الواحد كالف كتاب
وفي الجمع كالف طراف ومثله ذا قد هجان ونوق هجان لانك تقول
في التثنية هجانات فصار لفظ الواحد والجمع مشتبهين في اللفظ مختلفين في
المعنى قاله ابن جني قوله تعالى باسهم بينهم شديد يعني عداوة
بعضهم لبعض وقال مجاهد باسهم بينهم شديد اي بالكلام والوعيد يفعلون
كذا وقال السدي المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد
وقيل باسهم بينهم شديد اي اذا لم يقاتلوا عدوا شهروا انفسهم الى الشر
والبأس ولكن اذا لقوا العدو انهزموا تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى يعني اليهود
والمنافقين قاله مجاهد وعنه ايضا يعني المنافقين واليهود هم المشركون
واهل الكتاب وقال قتادة تحسبهم جميعا اي مجتمعين على امر واحد ورأي
وقلوبهم شتى متفرقة فاهل الباطل مختلفة اراؤهم مختلفة شهاداتهم
مختلفة اهواؤهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وعن مجاهد ايضا اراد ان دين
المنافقين مخالف لدين اليهود وهذا للتوبيخ لنفس المؤمنين عليهم وقال
الشاعر الى الله اشكو بالمدينة حاجة وبالشام اخرى كيف يلتقيان
وفي قراءة ابن مسعود وقلوبهم اشد بسببا اي اشد اختلافا ذلك بانهم
قوم لا يعقلون اي ذلك لقسوة والكفر بانهم لا عقل لهم يعقلون به امر الله
قوله تعالى كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم قال
ابن عباس يعني بدر فيما ذاقوا من القتل قريبا من زمانهم قبل بني النضير وقال قتادة يعني
بني النضير امكن الله منهم قبل قريظة مجاهد يعني كفار قريش يوم بدر
وقيل عام في كل من انتقم منه على كفره قبل بني النضير من نوح الى محمد
صلى الله عليه وسلم ومعنى وبال جزاء كفرهم ومن قال هم بنو قريظة جعل وبال
امرهم نزولهم على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية وهو
قول الضحاك ومن قال المراد بهم النضير سكنوا وكانت وقعة بدر قبل غزوة
بني النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا وقد قال قوم غزوة بني النضير
قبل وقعة احد ولهم عذاب اليم اي في الاخرة قوله تعالى كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر هذا ضرب مثل للمنافقين واليهود في خذلانهم وعدم
الوفاء في نصرتهم وحذف حرف العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لان حذف حرف العطف
كثير كما تقول انت عاقل انت كريم انت عالم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الانسان الذي قال له الشيطان اكفر راهب توكت عنده امرأة اصابها لمم
ليداوونها فتزين له الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل الشيطان
قومها على موضعها فجاؤا فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاء الشيطان فوعده ان ينجيه
النجاة منهم ويجعله فسلم منه فاسلم ذكره القاضي ابراهيم سعيد وعلي بن المديني
عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة
الزرقي ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر حبرا مطولا ابن عباس وهب بن منبه
ولفظهما مختلف قال ابن عباس في قوله كمثل الشيطان كان راهبا في الفترة يقال له برصيصا
قد تعبد في صومعته سبعين سنة لم يطأ الا فيها طرفة عين حتى اعيا ابليس فجمع ابليس
مردة الشياطين فقال الا احد منكم من يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو
صاحب الانبياء وهو الذي قصد النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل ليوسوس
اليه على وجه الوحي فدخل جبريل بينهما ثم دفعه بيده حتى وقع بافصى الهند

فزدد

فذلك قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين قال انا اكفيكه فانطلق فتزيا بزي
الرهبان وحلق وسط راسه حتى اتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا يعمل
من صلاته الا في كل عشرة ايام يوما ولا يفطر الا في كل عشرة ايام وكان يواصل العشرة
الايام والعشرين والاكثر فلما راى الابيض انه لا حسد افضل على العبادة في اصل
صومعته العمل من صلاته راى الابيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة
الرهبان فغدم حبر لم يجبه فقال له هل لك حاجة فقال ان اكون معك فاتاديب
باداب واقتبس من عملك وتجتمع بي العبادة فقال اني في شغل عنك
ثم اقبل على صلاته واقبل الابيض على الصلاة فلما راى برصيصا شدة اجتهاده
وعبادته قال ما حاجتك فقال ان تاذن لي وارتفع اليك ورعا مدة
الى الماتين فلما راى برصيصا اجتهاده تعاصرت ابيه نفسه ثم قال الابيض
عند ذلك دعوات يستغني بسببها السقيم والمبتلى والمجنون فعلمه اياها فجا الى
ابليس ثم قال وقد واسد اهلكت الرجل ثم تعرض لرجل فخنقه ثم قال لاهله وقد
تصور في صورة ان بصاحبكم جنونا فاطبه قالوا نعم قال فاني لا اقوى على
جبيته ولكن اذهبوا به الى برصيصا فان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به
اعطى واذا دعي به اجاب فجاوه بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان ثم جعل الابيض
يعمل بالناس ذلك ويرشدهم الى برصيصا فيعافون فانطلق الى جارية من بنات
الملوك بين ثلاثة اخوة وكان ابوهم ملكا فمات واستخلف اخاه وكان عمها ملكا
في بني اسرائيل فاخذها وخنقها ثم جا اليهم في صورة رجل سنطبب لمعالجتها فقال
ان شيطانها مارد لا يطاق ولكن اذهبوا بها الى برصيصا فدعوها عنده فاذا جا
شيطانها دعا لها فبرئت فقالوا لا نجتمعها الا هذا فانوا بها صومعته في جانب
صومعته ثم صنعوها فيها وقولوا له هي امانة عندك فاحتسب فيها فسالوه ذلك
فابى فبنوا صومعة وضعوا فيها الجارية فلما انتصف من صلاته عا بالجارية
وما بها من الجمال فاسقطها في يده فجاها الشيطان فخنقها فانتصل من صلاته
ودعا لها فذهب الشيطان ثم اقبل على صلاته فجاها الشيطان وخنقها وكان يكشف
عنها ويتعرض لها برصيصا ثم جاه الشيطان فقال ويحك واقعها فاخذ مثلها ثم
تتوب بعد ذلك فلم يزل به حتى واقعها فحملت وظهر حملها فقال الشيطان ويحك
قد افتضحت فهل لك ان تقتلها ثم تتوب فلا تفتضح فاذا جاوك فسالوك فقل جاها
شيطانها فجا فذهب بها فقتلها ليلا واخذ الشيطان طرف ثوبها حتى بقي خلجا من
التراب ورجع برصيصا الى صلاته ثم جا الشيطان الى اخوتها في المنام فقال ان
برصيصا فعل باختكم كذا وكذا وقتلها ودفنها في جبل كذا وكذا فاستعظموا ذلك
فقالوا لبرصيصا ما فعلت اختنا فقال ذهب بها شيطانها فصدقوه وانصرفوا
ثم جاهم الشيطان في المنام فقال انها مرغونة في موضع كذا وكذا وان طرفا منها
خارج من التراب فانطلقوا فوجدوها فقدموا صومعته وانزلوه وخنقوه وحملوه
الى الملك فاقر على نفسه فامر بقتله فلما صلب قال الشيطان انا صاحبك الذي علمتك الدعوات اما اتقيت الله اما استحييت وانت اعبد بني
اسرائيل ثم لدر بكفك صبيحك حتى فضحت نفسك واقررت عليها وفضحت
اشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرائك بعدك
قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة واحدة واعيك منهم واخذ بابصارهم
قال وما ذاك قال تسجد لي سجدة تطيعني قال انا افعل فسجد له من دون الله فقال
يا برصيصا هذا اردت منك كان عاقبة امرك ان كفرت بربك اني بريء منك اني اخاف
الله رب العالمين وقال وهب بن منبه ان عابدا كان في بني اسرائيل
وكان من اعبد اهل زمانه وكان في زمانه ثلاثة اخوة لهم اخت وكانت بكرا ليست
لهم اخت غيرها فخرج العبد على بلا بنهم فلا بد روا عند من يخلفون اختهم ولا من
يامنون عليها ولا عند من يضعونها قال فجمع رايهم على ان يجعلوها عند عابد
بني اسرائيل وكان ثقة في انفسهم فاتوه فسالوه ان يجعلوها عنده فتكون في كنفه
وجواره الى ان يجعلوا من غزاهم فابى ذلك عليهم وتعوذ بالله منهم ومن اجمعهم
قال فلم يزالوا به حتى اطعمهم فقال انزلوها في بيت حذا صومعتي قال فانزلوها

في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا يترل اليها الطعام
من صومعته فيضعه عند باب الصومعة ثم يغلق بابه ويصعد في صومعته ثم يامرها
فتخرج من بيتها فتاخذ ما وضع لها من الطعام قال فتلطف له الشيطان
فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه ان يراها
احد فيعلقها فلم يزل به حتى مشى بطعامها حتى وضعه على باب بيتها ولا يكلمها
قال فلبث بذلك زمانا حتى جاء ابليس فرغبه في الخير والاجر وقال له لو كنت
تمشي اليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان اعظم لاجرك قال فلم يزل به حتى
مشى اليها بطعامها فوضعه في بيتها قال فلبث ذلك زمانا ثم جاءه ابليس فرغبه
في الخير وعظم عليه وقال لو كنت تكلمها وتحدثها فتانس بك لجد بيتك فانها
قد استوحشت وحشة شديدة فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع عليها من
فوق صومعته ثم اتاه ابليس بعد ذلك فقال لو كنت تنزل اليها فتقعد على باب
صومعتك وتحدثها وتقعد على باب بيتها كان انس لها فلم يزل به حتى انزله
فاجلس على باب صومعته يحدثها وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب
بيتها فلبثا زمانا يتحدثان ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع
بها وقال لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريبا من باب بيتها كان انس لها
فلم يزل به حتى فعل قال فلبثا زمانا ثم جاءه ابليس فرغبه في الخير وفيما له من
الثواب فيما يصنع بها وقال له لو دنوت من باب بيتها فحدثتها ولم تخرج
من بيتها تفعل فكان ينزل من صومعته فيقعد على باب بيتها فيحدثها فلبثا بذلك
حينا ثم جاءه ابليس فقال لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تتوزوحنا لاحد
كان احسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهاره كله فاذا امسى صعد في
صومعته فلما ثم اتاه ابليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على
فخذها يقبلها فلم يزل به ابليس يحسنها في عينيه ويسهل له حتى وقع عليها فاحبلها
فولدت له غلاما فجاء ابليس فقال له اراك قد اتيت اخا هذه الجارية وقد ولدت منك كيف
تصنع لا امن عليك ان تفتضح او يفتضحوك فاعمد الى ابنها فاذبحه وادفنه فانها
ستكتم عليك مخافة ان تفتضح او يطلعوا على ما صنعت بها فعل فقال انراها انكم اخوتها
ما صنعت بها وقتلت ابنها فاخذها فاذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها
والقاها في الحفيرة مع ابنها واطبق عليها صخرة عظيمة وسوى عليها التراب
وصعد الى صومعته يتعبد بذلك ما شاء الله ان يمكث حتى قتل اخوتها من الغزو
فجاءوه فسالوه عنها فنعاها لهم وترحم عليها وبكاها لهم وقالت كانت خير امة وهذا
قبرها فانظروا ايه فاتى اخوتها القبر فبكوا اختهم وترحموا عليها واقاموا على قبرها
اياما ثم انصرفوا الى اهاليهم فلما جن عليهم الليل واخذوا مضاجعهم اتاهم الشيطان
في النوم في صورة رجل مسافر فبدا باكبرهم فساله عن اختهم فاخبره بقتل العابد
وموتها وترحمه عليها وكيف اراهم موضع قبرها فكذبه الشيطان وقال لم يصدقكم
امر اختكم انه قد احبل اختكم وولدت منه غلاما فذبحه وذبحها معه خوفا ان تفتضح
والقاهما في حفيرة اخرى خلف الباب الذي كانت قبر عن يمين من دخله فانطلقوا
فادخلوا البيت الذي كانت قبر عن يمين من دخله فانكم ستجدونهما هنالك جميعا
كما اخبرتكم قال وانا في الاوسط في منامه فقال له مثل ذلك ثم اتى اصغرهم فقال له
مثل ذلك فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين مما راى كل واحد منهم فاقبل
بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رايت عجبا فاخبر بعضهم بعضا
بما راى قال كبيرهم هذا حلم ليس بشئ فامضوا بنا ودعوا هذا قال صغيرهم
لا امضي حتى ابتي ذلك المكان فانظر فيه فانطلقوا جميعا حتى دخلوا البيت
الذي كانت قبر فيه اختهم فحفروا الباب وحفروا الموضع الذي وصف لهم في منامهم
فوجدوا اختهم وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم فسالوا عنها العابد فصدق
قول ابليس فيما صنع بهما فاستخدوا عليه ملكهم فانزل من صومعته فقدموه
ليصلب فلما اوثقوه على الخشبة اتاه الشيطان فقال له فزعمت انك صاحبك
الذي فتنتك في المراة حتى اذ بحتها واحبلتها وذبحتها وابنها فان انت اطعتني
اليوم وكفرت بالله الذي خلقك خلصتك مما انت فيه قال فكفر العابد بالله

ساب
احتفرها

فلما كفر

فلما كفر خلى عنه الشيطان بينه وبين اصحابه فصلبوه فقال فيه نزلت هذه الاية
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله
رب العالمين الى قوله جزاء الظالمين قال ابن عباس فضرب الله مثلا
للمنافقين مع اليهود وذلك ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجلي
بني النضير من المدينة فدس اليهم المنافقون لا تخرجوا من دياركم فانا لكم
كنا معكم وان اخرجوكم كنا معكم في اربوا النبي صلى الله عليه وسلم فخذلهم المنافقون
ونبروا منكم كما تبرا الشيطان من برصيصا العابد فكان الرهبان بعد ذلك لا يمسون
الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق والفجور والاحبار فوسموهم بالمنتان
والتبيح حتى كان اسم جريح الراهب وسماه الله فانبسطت بعده الرهبان وظهروا
للناس وقيل المعنى مثل المنافقين في غدرهم ببني النضير كمثل ابليس اذ قال
لكفار قريش لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الاية وقال مجاهد
المراد بالانسان ها هنا جميع الناس في غرور الشيطان اياهم ومعنى قوله
تعالى فكان عاقبتهما اي عاقبة الشيطان والكافر ابي كافر قول الشيطان اني اخاف
الله رب العالمين حقيقة انما هو على وجه التبرء من الانسان فهو تاكيد لقوله
اني بريء منك وقرئ انهما من اني نافع وابن كثير وابو عمرو واسكن الباقون
فكان عاقبتهما اي عاقبة الشيطان وذلك الانسان انهما في النار خالدين
فيها نصب على الحال والتثنية ظاهره فيمن جعل الاية في الراهب والشيطان
ومن جعلها في الجنس فالمعنى فكان عاقبة الفريقين او الصنفين ونصب عاقبتهما
على انه خبر كان والاسم انهما في النار وقرا الحسن فكان عاقبتهما بالرفع على
الضد من ذلك وقرا الاعمش خالدان بالرفع وذلك بخلاف المرسوم ورفعه
على انه خبر ان والظرف ملغى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله اي في
اوامره ونواهيه وادائه فرائضه ولجتناب معاصيه ولتنظر نفس ما قدمت
لغد يعني يوم القيمة والقريب يكنى عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد بينهما
على ان الساعة قريب كما يقال وان عدا للناظرين قريب
وقال الحسن وقتادة قرب الساعة حتى جعلها لغدا ولا شك ان كل آت
قريب والموت لا محالة آت ومعنى ما قدمت يعني من خير او شر واتقوا الله
اعادها تكريرا لقوله اتقوا الله اجل اجل ارم وقيل التقوى الاولى التوبة فيما
مضى من الذنوب والثانية ابقاء المحاصي في المستقبل ان الله خبير بما تعملون
قال سعيد بن جبير اي بما يكون منكم قوله تعالى ولا تكونوا كالذين
نسوا الله اي امره فانساهم انفسهم ان يعملوا الخير قاله ابن حيان وقيل
نسوا حق الله فانساهم حق انفسهم قاله سفيان وقيل نسوا الله بترك شكره
وتعظيمه فانساهم انفسهم اي بالعذاب ان يذكروا بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى
وقال سهل بن عبد الله نسوا الله عند الذنوب فانساهم انفسهم عند التوبة
وتسبب تعالى بالفعل اليه تفسير في انساهم اذا كان ذلك بسبب امره ونهيه الذي
تركوه وقيل معنى وجدهم تاركين امره ونهيه كقولك اجمدت الرجل اذا وجدته
محمودا وقيل نسوا الله في الرخاء فانساهم انفسهم في الشدايد اولئك هم الفاسقون
قال ابن جبير العاصون وقال ابن زيد الكاذبون واصل الفسق الخروج اي الذين
خرجوا عن طاعة الله قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اي في
الفضل والرتبة اصحاب وان تغيرها من القريب الجنة هم الفائزون اي المقربون
المكرمون وقيل الناجون من النار وقد مضى الكلام في معنى هذه الاية
المائدة عند قوله تعالى لا يستوي الخبيث والطيب وفي سورة السجدة افمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وفي سورة ص ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار فكل معنى للاعادة والحمد
لله قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل تامل مواعظ القرآن
وبين الله لاعدل في ترك التدبر فانه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب
العقل فيها لانقادت لمواعظه ولرايتها على جلالتها ورزانتها خاشعة متصدعة
اي متشققة من خشية الله والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق وقيل

حاشما الله بما كلفه من طاعته متضدعا من خشيته ان يعصيه فيما قبله وقيل هو على
وجه المثل للكفار بقوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس اي انه لو انزل
هذا القرآن على جبل لخشع لوعده وتضدع لوعيده وانتم ايها المتهاونون باوامره
لا ترعبون في وعده ولا ترهبون من وعيده وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم اي لو انزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت ولتضدع من نزوله عليه
ولو انزلناه عليك لرعبناك له فيكون ذلك امرا عليه ان ينتهه لما لم يثبت
عليه الجبال وقيل انه خطاب للامة وان الله تعالى لو انزل هذا القرآن الجبال
لتضدعت من خشية الله والانسان اقل قوة واكثر بنانا فهو بان يقوم بحقه ان
اطاع ويقدر على رده ان عصى لانه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب
قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة قال
ابن عباس عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون وقال سعيد عالم الاخرة
والدنيا وقيل الغيب ما لم يعلم العباد ولا عاينوه والشهادة ما علموا وشاهدوا
هو الرحمن الرحيم تقدم قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن اي المنزه عن كل نقص والطاهر عن كل عيب والقدس بالتحريك
اسطل بلغة اهل الحجاز لانه يتطهر به ومنه القادوس لواحد الاواني التي
يستخرج بها الماء من البير بالسانه وكان سيبويه يقول قدوس وسبوح
بفتحهما وحكى ابو حاتم عن يعقوب انه سمع عند الكسائي اعرابيا فصيحا
يكنى ابا الدنيا يقول القدوس بفتح القاف قال ثعلب كل اسم على فعول فهو
مفتوح الاول مثل سفود وكلوب وبنور وسمور وشموط الا سبوح والقدوس
فان الضم فيها اكثر وقد يفتحان وكذلك الذروح بالضم وقد يفتح السلام
اي ذو السلامة من النقايص وقال ابن العربي اتفق العلماء رحمة الله عليهم
ان معنى قولنا في الله السلام انه تقدير ذو السلامة ثم اختلفوا في تقدير
برحمه الله على ثلاثة اقوال الاول معناه الذي سلم من كل عيب ونقص
من كل نقص الثاني معناه ذو السلامة اي المسلم على عباده في الجنة كما قال
سلام قولا من رب رحيم الثالث معناه الذي سلم الخلق من ظلمه قلت وهذا
قول الخطابي وعليه والذي قبله يكون صفة فعل وعلى الاول صفة ذات
والنقايص يكون صفة ذات وقيل السلام معناه الذي سلم عباده المؤمن
اي المصدق لرسله باظهار معجزاته عليهم ومصدق المؤمنين ما وعدهم
من الثواب ومصدق الكافرين ما وعدهم من العقاب وقيل المؤمن
الذي يؤمن اولياءه من عذابه ويؤمن عباده من ظلمه يقال امنه من
الامان الذي هو ضد الخوف كما قال وامنهم من خوف فهو مؤمن قال
ابن بحر والمؤمن الحامي دار الطير بمسحها وكما سكن بين
القتل والسعد وقال مجاهد المؤمن الذي وحد نفسه بقوله شهد
الله انه لا اله الا هو وقال ابن عباس اذا كان يوم القيامة اخرج
اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى اذا لم
يبق غيرهما ممن يوافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لهما فيهم انتم المسلمون وانا
السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار بركة هذا الاسمين لك
المهيمن العزيز تقدم الكلام في المهيمن في المايدة وفي العزيز في غير موضع
الجبار قال ابن عباس هو العظيم وجبروت الله عظمته وهو على القول بصفة ذات
من قولهم نخلة جبار قال امرؤ القيس

• • سوامق جبار اثيث فروعه • وعالين قنوانا من البسر احمرا •

يعني النخل الذي فاتت اليد فكان هذا الاسم بدلا على عظمة الله وتقدسه
عن ان يناله النقايص وصفات الحدث وقيل هو من الجبر وهو الاصلاح يقال
جبرت العظم فجبر اذا اصلحته بعد الكسر وهو فعال بمعنى مفعول من جبر اذا اصلح الكسير
واغنى الفقير وقال الفراء هو من اخبره على الاسر اي قهره قال ولم اسمع فعالا
من فعل الا في جبار ودراك من ادرك وقيل الجبار الذي لا يطاق سطوته
المتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده وقيل المتكبر عن كل سوء المتعظم عما لا

يليق به من صفات الحدث والذم واصل الكبر والكبريا الامتناع وقلة الانقياد
قال حميد بن ثور ...
عفت مثل ما يعفوا لفصيل فاصبحت بها كبريا الصعب وهي ذلول
والكبر في صفات الله مدح وفي صفات المخلوقين ذم وفي الصحيح عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى
انه قال الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته
ثم قذفته في النار وقيل المتكبر تعالى وقيل معناه الكبير لانه اجل ان يتكلف
كبرا وقد يقال بظلم بمعنى ظلم ويتيم بمعنى شتم واستقر بمعنى قر فكذلك
المتكبر بمعنى الكبير وليس كما يوصف به المخلوق اذا وصف بتفعل اذا شب
الى ما لم يكن منه تنزه نفسه فقال سبحان الله اي تنزيها لجلاله وعظمته
سبحان الله عما يشركون قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور الخالق
هنا المقدر والبارئ المبدئ المخترع والمصور مصور الصور ومركبها على هيئات
مختلفة فالتصوير مرتب على الخلق والبرايه وتابع لهما ومعنى التصوير التخطيط
والتشكيل وخلق الله الانسان في ارحام الامهات ثلاثا خلقه جعله علقة
ثم مضغة ثم جعله صورة وهو التشكيل الذي يكون بها صورة وهيئة يوقف
بها ويتميز عن غيره بسمتها فتبارك الله احسن الخالقين وقال
النابغة الخالق البارئ المصور في الارحام ماء حتى تصيرها وقد
جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير وليس كذلك وانما التصوير اخرا
والتقدير اولا والبرايه بينهما ومنه قوله الحق واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير وقال زهير
ولانت تخلق ما بنيت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري
يقول تقدر ما تقدر ثم يفري به اي ينصبه على وفق تقديرك وغيرك
يقدر ما لا يتم له ولا يبلغ فيه مراده اما لقصوره في تصوير تقديره او لعجزه
عن تمام مراده وقد اتينا على جميع هذا كله في الكتاب الاسنى في شرح اسماء
الله الحسنى والحمد لله وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قال البارئ المصور
ونصب الرائي الذي يوقع المصور اي ثم ما تصورت قبائل الهيئات ذكره
الزمخشري له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم تقدم الكلام فيه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سألت خليلي
ابا القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال
يا ابا هريرة عليك باخر سورة الحشر فاكثر قراءتها فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت
عليه فاعاد علي وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الايات
وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر غفر
الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وعن ابي امامة قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم من قرا اخر سورة الحشر في ليل او نهار فقبضه الله في تلك الليلة
او ذلك اليوم فقد اوجب الله له الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الممتحنة

مدنية في قول الجميع وهي ثلاث عشرة ايه الممتحنة بكسر الحا اي المختبره اضيف
الفعل اليها مجازا كما سميت سورة براءة المبعثرة والفاضحة لما كشفت من عيوب
المنافقين ومن قال في هذه السورة الممتحنة بفتح الحاء فانه اضافها الى المراة
التي نزلت فيها وهي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قال الله تعالى فامتحنوهن
الله اعلم بايمانهن الاية وهي امراة عبد الرحمن بن عوف ولدت له ابراهيم بن
عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء عدوي اخرا لي مفعول
وهما عدوا واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زي المصدر اوقع

على الجماعة اتفاقا على الواحد وفي هذه الاية سبع مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا اعدوي وعدوكم روي الايمة واللفظ لمسلم عن علي رضي الله
عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى
تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا فاذا
نحن بالمراة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب
او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة
يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما هذا يا حاطب قال لا تعجل علي يا رسول الله اني كنت امرا ملصقا في قريش
قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من انفسها وكان ممن معك من المهاجرين
لهم قرابات يحمون بها اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم ان اتخذ
عندهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر
بعد الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر دعني اضرب عنق
هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء قيل اسم المراة سارة من موالي قريش وكان في الكتاب اما بعد
فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم
بالله لو لم يسر اليكم الا وحده لاظفره الله بكم وانجز له موعده فيكم فان الله وليه
وناصره ذكره بعض المفسرين وذكر الثعلبي والبغوي ان حاطب بن ابي
بلتعة كان رجلا من اهل اليمن وكان له حلف بمكة في بني اسد بن عبد العزى
وهط الزبير بن العوام وقيل كان حليفا للزبير فقدمت من مكة سارة مولاة
ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف الى المدينة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يتجهز لفتح مكة وقيل كان هذا من الحديبية فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجرة جئت يا سارة فقالت لا قال اسلمة جئت قالت
لا فقال ما جاء بك قالت الاهل والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهبت
الموالي يعني قتلوا يوم بدر وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني
وتكسوني فقال عليه السلام فاين انت عن شباب اهل مكة وكانت مغنية فقالت
ما طلب مني شيء بعد وقعة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد
المطلب وبني المطلب على اعطائها فكسوها وحملوها واعطوها وخرجت الى مكة
واتاها حاطب وقال اعطيك عشرة دنانير وبردا على ان تبلغي هذا الكتاب اهل
مكة وكتب في الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم
خرجت سارة ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاخبر عليا
والزبير والمقداد وفي رواية ارسل عليا وعمار بن ياسر وفي رواية عليا وعمارا وعمر
والزبير وطلحة والمقداد وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى
تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها
وخلوا سبيلها فان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فادركوها في ذلك المكان فقال
ابن الكتاب فحلفت ما معها كتاب فقتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا
بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا
والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات الجد اخرجته من ذوابتها وفي رواية
من حجزتها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل
الى حاطب فقال هل تعرف الكتاب قال نعم وذكر الحديث نحو ما تقدم وروي
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي احدهم
الثالثة السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وقد مضى ذلك في غير
موضع من ذلك قوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء ومثله كثير وذكر ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين امنوا عشى
عليه من الفرح بخطاب الايمان الثالثة قوله تعالى تلقون اليهم بالمودة

يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اما صاحبكم فقد صدق وهذا نص في سلامة فؤاده وخلوص اعتقاده وانما جاء بالمودة زايدة كما تقول قرات السورة وقرات بالسورة ودببت اليه ما في نفسي وعما في نفسي ويجوز ان يكون تابتة على ان مفعول يلقون محذوف معناه يلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك تسرون اليهم بالمودة اي بسبب المودة وقال الفراء تلقون اليهم بالمودة من صلته او بيا ودخول الباء في المودة وخروجها سواء ويجوز ان يتعلق بلا يتخذوا حالا من ضميره وبا وبيا صفة له ويجوز ان يكون استينافا فا ومعنى تلقون اليهم بالمودة تخبرونهم بسر اير المسلمين وتنصحون لهم وقاله الزجاج الرابعة من كبر تطلعه على عورات المسلمين ويثبه عليهم ويعرف عدوهم بلصارهم لم يكن لهم بذلك كافرا اذا كان فعله لغرض دنيوي واعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم ينو الردة عن الدين الخامسة اذا قلنا لا يكون بذلك كافرا فهل يقتل بذلك حدا اختلف فيه الناس فقال مالك وابن القاسم واشهب يقتل في ذلك الامام وقال عبد الملك اذا كانت عادته تلك قتل لانه جاسوس وقد قال مالك يقتل الجاسوس وهو صحيح لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض ولعل ابن الماجشون انما اراد التكرار في هذا الان حاطب احد في اول فعله والله اعلم السادسة فان كان الجاسوس كافرا فقال الاوزاعي يكون ناقضا لعهده وقال اصبغ الجاسوس الحربي يقتل والجاسوس المسلم والذمي يجاف بان لا ان تظاهرا عن الاسلام فيقتلا وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم انى بعين للمشركين اسمه فرات بن حبان فامر به ان يقتل فصاح يا معشر الانصار اقتلوا انا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فخلى سبيله ثم قال ان منكم من اكله الى ايمانه منهم فرات بن حبان وقوله وقد كفروا حال اما من لا يتخذوا واما من يلقون اليهم لا يتولوهم او تزادوهم وهذه حالهم وقرا الجحدري لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم من الحق السابعة قوله تعالى يخرجون الرسول واياكم استينافا في كلام كانه تفسير لكفرهم وعتوهم او حال كفروا واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل ليخرجون المعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لان تؤمنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب ممن اخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ان كنتم خرجتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي تلقون اليهم بالمودة وقيل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي شرط وجوابه مقدم المعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وتضيب جهادا وابتغاء لانه مفعول له وقوله تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون ومبين عنه والافعال تبدل من الافعال كما قال تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما

• يضاعف له العذاب وانشد سيبويه •

• • متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا •

وقيل هو على تقدير انتم تسرون اليهم بالمودة فيكون استينافا وهذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل على فضله وكرامته وبصحبته لرسوله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب كما قال

• • اعاتب ذا المودة من صديقي اذا ما رابني منه اجتناب •

• • اذا ذهب العتاب فليس وده ويبقى الود ما بقي العتاب •

ومعنى بالمودة اي بالنصيحة في الكتاب اليهم وانما ابرة كما ذكرنا او نائبة عن ابرة قوله تعالى وانا اعلم بما اخفيتم انتم وما اعلنتم اظهرتم وانا في بما ابرة تقال علمت كذا وعلمت بكذا وقيل وانا اعلم من كل احد بما تخفون وما تعلنون فحذف من كل احد بما يخفون وما يعلنون لدلالة اعلم وافضل

من غيره وقال ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم في صدوركم مما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار
والتوحيد ومن يفعله منكم اي من يسرايمهم وتكاتبهم سركم فقد ضل سواء السبيل
اي اخطا قصد الطريق قوله تعالى ان يثقفوكم يلقوكم وبصادفوكم
وسمه المثاقفة اي طلب مصادفة العرة في المسابقة وشبهها وقيل يثقفوكم
يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء
اي بالضرب والقتل واستيهم بالسوء وودوا لو تكفرون بمحمد فلا ينبغي صنعهم
فانهم لا ينبغي صنعكم قوله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم
لما اعتذر حاطب بان له ارحاما واولادا فيما بينهم بين الله جل وعز ان الاهل
والاولاد لا ينفعون شيئا يوم القيمة ان عصى من اجل ذلك يفصل بينكم فتدخل
المومنين الجنة ويدخل الكافر بين النار وفي يفصل قراءات سبع قرا عاصم
يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرا حمزة والكسائي يفصل بضم الياء
وفتح الفا وكسر الصاد مشددا وقرا الحسن وابن عامر يفصل كذلك مشددا
الا انه على ما لم يسم فاعله وقرا طلحة والنخعي بالنون وكسر الصاد مشددة
وروي عن علقمة كذلك بالنون مخففة وقرا قتادة وابو حياة يفصل بضم
الياء وكسر الصاد مخففا من الفصل وقرا الباقون نونا مضمومة وتخفيف
الفا وفتح الصاد على الفعل المجهول واختاره ابو عبيد ممن خفف لقوله
وهو خير الفاصلين وقوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين ومن شدد فلان
ذلك ابين في الفعل الكثير المكرر المتردد ومن اتى به على ما لم يسم فاعله
فلان الفاعل معروف ومن ابى به سمى الفاعل رد الضمير الى الله تعالى ومن
قرا بالنون فعلى التعظيم والله بما تعملون بصير قوله تعالى قد
كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه لما نهي عن موالاة الكفار
ذكر قصة ابراهيم والذين سرته التبري من الكفار اي فاقتدوا به وائتموا الا
في استغفاره لابيه والاسوة والاسوة ما يتاسى به مثل القدوة والقدوة
ويقال هو اسوتك اي مثلك وانت مثله وقرا عاصم اسوة بضم
الهمزة لغتان والذين معه يعني اصحاب ابراهيم من المومنين وقال
ابن زيدهم الانبياء اذ قالوا لقومهم الكفار انا برءاء منكم ومما تعبدون من
دون الله ايها الاصنام وبراء جمع بريء مثل شريف وشركا وظريف
وظرفا وقراة العامة على وزن فعلا وقرا عيسى بن عمر وابن ابي اسحق
براء بكسر الباء على وزن فعال مثل قصير وقصار وطويل وطوال وظريف
وظراف ويجوز ترك الهمزة حتى تقول برا ووثن وقرا ابرا على الوصف بالمصدر
وقرئ برا على ابدال الضم من الكسر كرجال ورباب والابتداء في الامر
بالاقتداء بابراهيم عليه السلام في فعله وذلك يصح ان شرع من قبلنا شرع
لنا فيما اخبر الله ورسوله كفرنا بكم اي بما امنتم به من الاوثان وقيل اي
بافعالكم وكذبناها وانكرنا ان يكونوا على حق وبدا بيننا وبينكم العداوة
والبغضاء ابدا اي هذا ديننا سجيتنا ما دمتم على كفركم حتى تومنوا بالله وحده
حينئذ ينقلب المعاداة موالاة الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلا
تتاسوا به في الاستغفار فيستغفرون للمشركين فانه كان عن موعدة منه
له قاله قتادة ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثنا ان ابراهيم هجر قومه
وباعدهم الا في الاستغفار لابيه لم يبن عذره في سورة التوبة ومعنى هذا
دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سايرالانبيا لانا حين امرنا
به امرنا امرا مطلقا في قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
وحين امرنا بالاقتداء بابراهيم امرنا استثنى بعض افعاله وقيل
هو استثناء منقطع اي ولكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك انما جرى
لانه ظن انه اسلم فلما بان انه لم يسلم تبرا منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن
يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم تولوا وهم وما املك لك
من الله من شئ هذا من قول ابراهيم لابيه ما ادفع عنك من عذاب الله شيئا
ان اشركت به ربنا عليك توكلنا هذا من دعا ابراهيم واصحابه وقيل علم المومنين

ان يقولوا

ان تقولوا هذا ان تبروا من الكفار وتوكلوا على الله فقولوا ربنا عليك توكلنا اي اعتمدنا
واليك انبنا اي رجعنا واليك المصير الرجوع في الاخرة ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا اي لا تظهرهم واعدونا علينا فتظنوا انهم على حق فتفتنوا بذلك وقيل
لا تسلطهم علينا فتفتنونا وتعذبونا واغفر لنا ربنا انك انت العزيز
الحكيم لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم ومن معه من
الانبيا والاولياء اسوة حسنة في التبرء من الكفار وكرر للتاكيد وقيل تم الكلام
الثاني بعد الاول عده وسا اكثر المكررات في القرآن على هذا الوجه ومن تبرك
اي عن الاسلام وتولاه هذه فان الله هو الغني اي من يتعبدهم لحاجتهم اليهم
الحميد في نفسه وصفاته كما نزلت عادى المسلمون اقرباءهم من المشركين
يتم الله سبحانه وحده المومنين في ذلك فنزلت عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة وذلك بان يسلم الكافر وقد اسلم قوم منهم بعد فتح مكة وحالطهم المسلمون كابي
سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وقيل المودة تزوج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان فلما بلغ ذلك عمر كلم
ابا سفيان واستزخت شكيمته في العداوة قال ابن عباس كانت المودة بعد
الفتح تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت تحت
عبد الله بن جحش وكانت هي وزوجها من مهاجرة الحبشة فلما زوجها فسمر
وسالها ان تتنصر يعد على دينه فابت وصبرت على دينها ومات زوجها على
النصرانية فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي يخطبها فقال
النجاشي لاصحابه من اولاكم بها قالوا خالد بن سعيد بن العاص قال فزوجها
من سكم تفعل وامهرها النجاشي من عنده اربع مائة دينار وقيل خطبها
النبي صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن عفان فلما زوجه اياها بعث الى
النجاشي فيها فساق عنه المهر وبعث بها اليه فقال ابو سفيان وهو مشرك
لما بلغه تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته ذلك الفحل لا يجدع انفه
لا بئسما كره الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم بقي فيه ثلاث
مسايل الاولى هذه الاية رخصة من الله تعالى في صلة الدين لم يعادوا المومنين
ولم يقاتلوهم قال ابن زيد كان هذا في اول الاسلام عند الموادعة وترك
الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسختها فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وقتل هذا الحكم لعله وهو الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم
يتلى وقيل هي مخصوصة في خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينه
عهد لم ينقضه قاله الحسن الكلبي هم خزاعة وبنو الحرث بن عبد مناف
وقاله ابو صالح وقال هم خزاعة وبنو الحرث وقال مجاهد هي مخصوصة في
الدين امنوا ولم يهاجروا وقيل يعني به النساء والصبيان لانهم ممن لا يقاتل
قاله الله في نزهم حكاه بعض المفسرين وقال اكثر اهل التاويل هي محكمة
واحتجوا بان اسمها بنت ابي بكر سالت النبي صلى الله عليه وسلم هل تصل امها
حين قدمت عليها مشركة فقال نعم خرجه البخاري ومسلم وقيل ان الاية
فيها نزلت روي عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق طلق
امراته قتيلة في الجاهلية وهي اسما بنت ابي بكر فقدمت عليهم المدينة
التي كانت فيها المهادنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش
فاهدت لابنة اسما بنت ابي بكر ضبابا واقطا فكرهت ان تقبل منها حتى اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لا ينهاكم الله
عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ذكره الخبر الماوردي وغيره وخرجه
ابو داود الطيالسي في مسنده الثانية ان تبروهم وتقسطوا اليهم
في موضع جر على البدل من الذين اي لا ينهاكم الله ان تبروا الذين لم يقاتلوكم
وهم خزاعة صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه
احدا كما مر تبرهم والوفا لهم الى اجلهم حكاه الفراء وتقسطوا اليهم اي
تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل فان العدل
واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابو العربي الثالثة قال القاضي

ابوبكر في كتابه الاحكام له استدل به بعض من تحقد عليه الحناصر على وجوب
نفقة الابن المسلم على ابيه الكافر وهذه وهلة عظيمة ان الاذن في الشئ او نزك
النهي عنه لا يدل على وجوبه وانما يعطيك الاباحة خاصة وقد بينا ان اسمعيل
بن اسحق القاضي دخل عليه ذمي فاكرمه واخر عليه الحاضرون في ذلك فتلى
هذه الاية عليهم قوله تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين
اي جاهروكم على الدين واخرجوكم من دياركم وهم عثمانية اهل ملة وظاهروا اي
عاونوا على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ان في موضع جر على البدل
على ما تقدم في ان تبروهم ومن يتولهم اي يتخذهم اولياء وانصارا واحبابا فاولئك
هم الظالمون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات
فامتحنوهن فيه ست عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا جاءكم المومنات تملما امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة
المسلمين عن بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان انتاكح من اوكد اسباب الموالاة
فبين من احكام مهاجرة النساء قال ابن عباس جرى الصلح مع مشركي قريش
عام الحديبية على من اتاه من اهل مكة رده اليهم فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية
بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية بعد فاقبل زوجها
وكان كافرا وهو صيفي بن الراهب وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد رد علي
امراتي فانك شرطت ذلك وهذا طبيعة الكتاب لم يحكم بعد فانزل الله تعالى
هذه الاية وقيل جاءت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط فجاء اهلها يسالون رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يردوها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاصي فمها
اخواها عمارة والوليد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوتها وحبسها
فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال عليه السلام كان
الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى هذه الاية وعن عروة قال
كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ان لا ياتيك
منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا فجاءت المومنات فانزل الله تعالى في المومنات ما انزل
يوجي ابي ان الشرط في رد النساء نسخ بذلك وقيل ان التي جاءت اميمة بنت بشر كانت
عند ثابت بن الشماخ ففرت منه وهو يومئذ كافر فتزوجها سهل بن حنيف
فولدت له عبد الله قاله زيد بن حبيب كذا في الماوردي اميمة بنت بشر كانت عند
ثابت بن الشماخ ففرت منه وهو يومئذ كافر فتزوجها سهل بن حنيف فولدت عبد
الله قاله زيد بن حبيب كذا في الماوردي اميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن
الشماخ وقال المهدوي وروي ان وهب عن خالد ان هذه الاية نزلت في اميمة بنت
بشر من بني عمرو بن عوف وهي امراة حسان بن الرحاح وتزوجها بعده فجر بها
سهل بن حنيف وقال مقاتل انها سبيعة زوجة صفيح صفي بن الراهب شرك
من اهل مكة والاكثر من اهل العلم انها ام كلثوم بنت عقبة التابعة واختلف
اهل العلم هل دخل النساء في عقد المهادنة لفظا او عموما فقالت طايفة منهم
لو كان شرط رد هن في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله لفظهن من العقد
ونسخ منه ومعناه في الرجال على ما كان وهذا يدل على ان النبي صلى الله عليه
وسلم ان يجتهد راية في الاحكام ولكن لا يقره الله على خطا وقالت طايفة
من اهل العلم لم يشترط رد هن في العقد لفظا وانما اطلق العقد في رد من اسلم
فكان ظاهر العموم استثناء عليهن من الرجال فبين الله تعالى خروجهن من
عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لاسر بن احدهما امتحن ذوات فروج بحر
من عليهم الثاني انهن ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن على
شركها فمردودة عليهم الثالث قوله تعالى فامتحنوهن فدل انه كان
من اراد منهن اضرار زوجها سابقا جرى بين محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتحانهن واختلف فيما كان يمتحنهن به على
ثلاثة اقوال الاول قال عمر وابن عباس كانت المحنة ان يستحلفها بالله
انها ما هاجرت من بغض زوجها ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس دنيا
ولا عشقا لرجل منا بل حبا لله ورسوله فاذا حلفت بالله الذي لا اله الا هو

على ذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها وما انفق عليها ولم
يردها وذلك قوله فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن
حل لهم ولا هم يحلون لهن الثاني ان المحنة كانت ان تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله قاله ابن عباس ايضا الثالث ما بينه في السورة بعد من
قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات قالت عايشة رضي الله عنها ما كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمتحن الا بالاية التي قال الله اذا جاءك المومنات
يبايعنك رواه معمر عن الزهري عن عايشة خرجه الترمذي وقال هذا حديث
حسن صحيح المرابع هذا اكثر العلما على ان هذا ناسخ لما كان عليه السلام
عاهد عليه قريشا من انه كان يرد اليهم من جاء منهم مسلما فنسخ من ذلك
النساء وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقران وقال بعض
العلما كله منسوخ في الرجال والنساء ولا يجوز ان يعاد الى الامام العدو على ان يرد
اليهم من جاء منهم مسلما لان اقامة المسلم بارض المشرك لا يجوز وهذا مذهب
الكوفيين وعقدا لصلح على ذلك جايز عندهم وقد نسخ الكوفيون لما
ذهبوا اليه من ذلك حديث اسمعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم
عن خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى قوم من خثعم
فاعتصموا بالسجود فقتلهم فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف
الدية وقال انا بريء من كل مسلم اقام مع مشرك في دار الحرب لا يتراءى
نارهما قالوا فهذا ناسخ لرد المسلمين الى المشركين اذ كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد برئ ممن اقام معهم في دار الحرب ومذهب مالك والشافعي ان هذا
الحكم غير منسوخ قال الشافعي وليس لاحد هذا العقد الا الخليفة او رجل
يامره لانه تولي الاموال كلها فمن عقد غير الخليفة هذا الامر فهو مردود
الخامسة قوله تعالى الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم وانتم
اعلم بايمانهن لانه متولي السرايرفان علمتموهن مومنات قبل الامتحان فلا ترجعوهن
الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن اي لم يجز ان تكون موسنة لكافر ولا نكاح
مومن لمشركة وهذا ادل دليل على ان الذي اوجب فرقة المسلم من زوجته اسلامها
لا هجرتها وقال ابو حنيفة الذي فرق بينهما هو اختلاف الدارين
والبه اشارة في مذهب مالك بل عبارة والصحيح الاول لان الله تعالى قال
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فبين ان العلة عدم الحل بالاسلام وليس
باختلاف الدار والله اعلم وقال ابو عمر لا فرق بين الدارين في الكتاب
ولا في السنة ولا في القياس وانما المراعاة في ذلك البيان وباختلافهما يقع الحكم
وباجتماعهما لا بالدار والله المستعان السادسة قوله تعالى وآتوهم ما انفقوا
امر الله تعالى اذا مسكت المراة المسلمة ان ترد على زوجها ما انفق وذلك من
الوفا بالعهد لانه لما منع من اهله بحرمة الاسلام امر برد المال حتى لا يقع
عليهم خسران من الجهتين الزوجة والمال السابعة ولا غرم الا اذا طالب
الزوج الكافر فاذا حصر وطالب منعناها وغرمنا فان كانت ماتت قبل
حصول حصور الزوج لم يغرم المهر اذا لم يتحقق المنع وان كان المسمى خمرا او خنزيرا
لم تغرم شيا لانه لا قيمة له والشافعي في هذه الاية قولان احدهما انها
منسوخ قال الشافعي واذا جاءت المراة الحرة من اهل العهدة مسلمة
مهاجرة من الحرب الى الامام في دار الاسلام او دار الحرب ممن طلبها من
ولي سوي زوجها منع منها بلا عوض واذا طلبها زوجها لنفسه او غيره بوكالة
ففيه قولا احدهما يعطى العوض والقول الثاني ما قال الله عز وجل وفيه
قول اخر انه لا يعطى الزوج المشرك الذي جات زوجته مسلمة العوض
فان شرط الامام رد النسا كان الشرط
ورسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لا نرد النسا كان شرط من شرط رد النسا منسوخا وليس عليه
عوض لان الشرط المشروط المنسوخ باطل ولا عوض للباطل انتا منه
امر الله سبحانه برد مثل ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب بهذا الامام
ينفذ مما بين يديه من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف وقال مقاتل

برد المهر الذي يتزوجها من المسلمين فان لم يتزوجها من المسلمين احد فليس لزوجها
الكافر شئ وقال قتادة الحكم في رد الصداق انما هو في نساء اهل العهد فاما من
لا عهد بينه وبين المسلمين فلا يرد عليهم الصداق والامر كما قال رحمه الله التاسعة
قوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن بعني اذا اسلمن وانقضت عدتهن لما
ثبت من نكاح المشركة والمعتدة فان اسلمت قبل الدخول ثبت النكاح في الحال
ولها التزوج العاشرة قوله تعالى اذا اتيتموهن اجورهن اباح نكاحها
بشرط المهر لان الاسلام فرق بينهما وبين زوجها الكافر الحادية عشرة
قوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر قراءة العامة بالتخفيف وهو
اختيار ابي عبيد لقوله تعالى فامسكوهن بمعروف وقرا الحسن وابو العالية
وابو عمرو ولا تمسكوا مشددة من التمسك يقال مسك يمسك تمسكا بمعنى امسك
يمسك وقرئ ولا تمسكوا بنصب التاء اي لا يتمسكوا والعصم جمع العصمة
وهو ما اعتصم به والمراد بالعصمة النكاح تقول من كانت له امراة كافرة
عكم فلا تعد بها فليست له امراة فقد انقضت عصمتها لاختلاف الدارين
وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر فكانت الكفار يزوجون
المسلمات والمسلمون يزوجون المشركات ثم نسخ ذلك في هذه الاية فطلق
عمر بن الخطاب حينئذ امراتين له بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية
فتزوجها معاوية من ابي سفيان وهما على شركهما بمكة وام كلثوم بنت عمرو
الخزاعية ام عبد الله بن المغيرة فتزوجها ابو جهم بن حذافة وهما على شركهما
فلما ولي عمر قال ابو سفيان لمعاوية طلق قريبة لعلا لعمري عمر سلبه في بيتك
فابى معاوية من ذلك وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروى بنت ربيعة
بن الحارث بن المطلب ففرق الاسلام بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد
بن العاص فكانت ممن قرا الى النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الكفار فحبسها
وزوجها خالدا وزوج عليه السلام زينب ابنته وكانت كافرة من ابي العاص
بن الربيع ثم اسلمت واسلم زوجها بعدها ذكر عبد الرزاق عن ابن جريج عن
رجل عن ابن شهاب قال اسلمت زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وهاجرت
بعد النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة الاولى وزوجها ابو العاص بن الربيع بن
عبد العزى بمكة مشرك الحديث وفيه انه اسلم بعدها وكذلك قال الشعبي وكانت
زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع فاسلمت ثم
لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى زوجها المدينة فاسلم فردها عليه
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح
الاول ولم يحدث شيئا قال محمد بن عمر في حديثه بعد ست سنين قال الحسن
بن علي بعد سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلوا من وجهين اما ان لم
تحض حتى اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقول الله عز وجل ويعولتهن
احق بردهن في ذلك بعني في عدتهن وهذا مما لا اختلاف فيه بين العلماء انه لا يبين
بها الا دم وقال ابن شهاب الزهري رحمه الله في قصة زينب هذه كان قبل
ان تنزل الفرائض وقال قتادة كان هذا قبل ان ينزل سورة براءة بقطع الموارث
بينهم وبين المشركين والله اعلم الثانية عشر قوله تعالى بعصم
الكوافر المراد بالكوافر هنا عبدة الاوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها فهي خاصة
في الكوافر من غير اهل الكتاب وقيل بل هي عامة نسخ منها نساء اهل الكتاب
ولو كانت الى ظاهر الاية لم يحل كافر بوجه وعلى القول الاول فاذا
اسلم وثني او مجوسي ولم يسلم امراته فرق بينهما وهذا قول بعض اهل العلم
ومنهم من قال ينتظرها تمام العدة ثمن قال يفرق بينهما في الوقت
ولا ينتظر تمام العدة اذا اعرض عليها الاسلام ولم يسلم مالك بن انس وهو قول
الحسن وطاوس ومجاهد وعطا وعكرمة وقتادة والحكم واحتجوا بقوله
تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال الزهري ينتظرها العدة وهو
قول الشافعي واحمد واحتجوا بان ابا سفيان بن حرب اسلم قبل هند بنت
عتبة امراته وكان اسلامه عام الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة

معنيه على كفرها فاحدث بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت بعده بايام فا
يستقر اعلى نكاحهما لان عدتها لم يكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام اسلم
قبل امراته ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله
تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر لان نساء المومنين محرمات على الكفار كما ان المسلمين
لا يحل لهن الكوافر والوثنيات ولا المجوسيات السنة اذا مراد الله من قوله هذا لا تحل
لا يحل بعضهم لبعض الا ان يسلم الثاني منهما في العدة واما الكوفيون سفيان
وابو حنيفة واصحابه فانهم قالوا في الكافرين الذميين اذا اسلمت المراة
عرض على الزوج الاسلام فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كان احرسي
تحت امراته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب او في دار
الاسلام وان كان احدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقضت
العصمة بينهما فراي هو الدار وليس بشيء وقد تقدم الثالثة
عشرة هذا الاختلاف انما هو في المدخول بها فان كانت غير مدخول بها فلا
فلا نعلم اختلافا في انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة عليها وكذا نقول
مالك في المراة ترتد وزوجها مسلم انقطعت العصمة بينهما وجملة
بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصري والحسن بن صالح بن حي ومذهب
الشافعي واحمد انه ينتظر بها تمام العدة الرابعة عشرة فان
كان الزوج والزوجة نصرانيين فاسلمت الزوجة فيه ايضا اختلاف ومذهب
مالك والشافعي واحمد الوقوف الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذلك
الوثني تسلم زوجته انه ان اسلم في عدتها فهو احق بزوجيتها لما اسلما في عدتهما
على حديث ابن شهاب ذكره مالك في الموطا قال ابن شهاب كان بين اسلام
امراته نحو من شهر قال ابن شهاب ولم يبلغنا ان امراة هاجرت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها
بينها وبين زوجها الا ان تقدم زوجها مهاجرا قبل ان ينقضي عدتها ومن
العلماء من قال ينفسخ النكاح بينهما قال زيد بن علقمة اسلم حدي ولم تسلم
جدتي فتفرق بينهما عمر رضي الله عنه وهو قول طاوس وجماعة غيره منهم
عطا والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل عليها الا بخطبة الخامسة عشرة
قوله تعالى واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا قال المفسرون كان من
من ذهب من المسلمات من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها وبقال
للمسلمين اذا جاء احد من الكفار من مسلمة مهاجرة ودوا الى الكفار مهرها
وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين وكان هذا حكم الله محضوصا بذلك الزمان
في تلك النازلة خاصة باجماع الامة قاله ابن العربي السادسة عشرة
قوله تعالى ذلكم حكم الله يحكم بينكم اي ما ذكر من هذه الاية والله عليم حكيم
تقدم في غير موضع قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم
الى الكفار فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم
في الجنوان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله وكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزل
قوله وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا روى الزهري عن عروة عن عايشة رضي الله عنها قالت حكم الله
عز وجل بينهم فقال جل ثناؤه واسئلوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ان كتب
اليهم المسلمون فدحكم الله عز وجل بيننا بانه ان جاءكم امراة منا ان توجهوا اليها
بصداقها وان جاءتنا امراة منكم وجمنا اليكم بصداقها فكتبوا اليهم اما نحن فلا
نعلم كلم عندنا شيء فان كان لنا عندكم شيء توجهوا به فانزل الله عز وجل وان
فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل
ما انفقوا وقال ابن عباس في قوله تعالى ذلكم حكم الله اي بين المسلمين والكفار
من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم على بعض قال الزهري ولولا
العهد لامسك النساء ولم يرد اليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد انما امروا
ان يعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني الصدقات عنى عامة
في جميع الكفار وقال قتادة ايضا وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار الذين

ليس بينكم وبينهم عهد فانوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا وتم نسخ هذا في
سورة براءة وقال الزهري انقطع هذا يوم الفتح وقال سفيان الثوري
لا يعمل بهذا اليوم وقال قوم هو ثابت الحكم الا ان ايمانا جاء العشر في الثانية
قوله فعاقبتم قراءة العامة فعاقبتم وقرا علمة والنخعي وحميد فعقبتم مشددة
خفيفة بغير الف وقرا مسروق وشقيق بن سلمة فعقبتم بكسر القاف خفيفة
وقال غنيم وكلها لغات بمعنى واحد يقال عاقب وعقب واعقب وتعقب وا
عتقب وتعاقب اذا عنم وقال الفتبي فعاقبتم فغزوتم فعاقبتم عزوا
بعد غزو وقال ابن جرير فعاقبتم المرتدة بالقتل فلزوجها مهرها من غنايم
المسلمين الثالثة قوله تعالى فانوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا
قال ابن عباس تقول ان لحقت امراة مومنة بكفار اهل مكة وليس بينكم
وبينهم عهد ولها زوج مسلم بمكم بعدهم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من
الغنيمة قبل ان يخمس وقال الزهري يعطى من مال الفيء وعنه يعطى من صداق
من لحق بنا وقبل ابي ان امتنعوا من ان يغرموا مهر هذه المراة التي ذهبت
اليهم فابتدوا العهد اليهم حتى اذا ظفروا فخذوا ذلك منهم قال الاعمش هي
منسوخة وقال عطا بل حكمها باق وقد تقدم جميع هذا التفسير في الابتداء
فيام الحكم ابي سفيان ارتدت وتركت زوجها عياض بن غنم الفهري الفرشي
ولم تزل امراة من قريش غيرها ثم عادت الى الاسلام وحكى الثعلبي عن ابن
عباس هي ست نسوة رجعن عن الاسلام ولحقن بالمشركين من نساء المومنين
المهاجرين ام الحكم بنت ابي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهري
وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب
فلما هاجر عمر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان
وعبدة بنت عبد العزى كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول
كانت تحت عمر ابن الخطاب وشهبة بنت غيلان فاعطاهم النبي صلى الله عليه
وسلم مهور نسائهم من الغنيمة واتقوا الله الذي انتم به
قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك الآية اول مسايل الاولى قوله
تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك لما فتح رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة جاءته نساء اهل مكة يبايعنه فامره ان ياخذ عليهن ان لا يشركن وفي
صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان
المومنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن بقول الله تعالى
يا ايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن
ولا يزنين الآية الى آخر الآية قالت عايشة فمن اقر بهذا من المومنات فقد اقر
بالمحنة وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم يد امراة قط غير انه بايعهن بالكلام قالت عايشة والله
ما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما امره الله عز وجل وما
مست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول لهن اذا اخذ
عليهن قد بايعتكن كلاما وروي انه عليه السلام بايع النساء وبين يديه وايديهن ثوب
وكان يشترط عليهن وقيل لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه
يجعل يشترط على النساء البيعة وعمر يصافحهن قلت وروي انه كلفنا مراة وقعت على
الصفا فنا يجتمعن ابن العربي وذلك ضعيف وانما ينبغي التاويل على ما في الصحيح
وقالت ام عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار في بيت
ثم ارسل الينا عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام
فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيئا
الآية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت ومددنا ايدينا من داخل البيت ثم قال
اللهم اشهد وروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده فيه ثم امر النساء فغمسن
ايديهن فيه الثالثة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال على ان لا تشركن

بالله شيئا

بالله شيأ فقالت هند بنت هند وفي سمعه خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم
ان لا يبر قسمه بحمزة يوم احد والله انك لتاخذ علينا امرا ما اباك اخذته
على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ولا تشركن فقالت ابا سفيان رجل شحيح وان اصبت من ماله قوتنا
فقال ابو سفيان هو لك حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال
انت هند فقالت عفا الله عما سلف ثم قال ولا يزنين فقالت
هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن اي لا تهيجن الموءدات و لا
يسقطن الاجنة فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا يوم بدر فانتم
وهم اعلم فضحك عمر حتى استلقى وكان حنظلة بن ابي سفيان وهو بكرها
قتل يوم بدر ثم قال ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن
قيد معبي بين ايديهن لستهن بالتهمة ومعبي بين ارجلهن فروجهن وقيل ما كان
بين ايديهن من قبله او حسه وبين ارجلهن الجماع وقيل المعبي لا يلحقن برجال من
ولدا من غيرهن وهذا قول الجمهور وكانت المراة تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول
هذا ولدي منك وكان هذا من البهتان والافتراء وقيل ما بين يديها ورجليها
كناية عن الولد لان بطنها الذي يحمل فيه بين يديها وفرجها الذي تلد منه
بين رجليها وهذا عام في الاتيان بولد والحاقه بالزوج وان سبق المعبي
عن الزنا وروي انه لما سمعت ذلك قالت والله ان البهتان لامر قبيح
ما بامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال ولا يعصينك في معروف قال
قتادة لا تنحن ولا تخلوا امراه ممن لا تحل له بمحرم وقال سعيد بن المسيب
ومحمد بن السايب وزيد بن اسلم وهو ان لا تحسن وجها ولا تشقق جيبا
ولا يدعن ويلا ولا تشرن شعرا ولا تجدن الرجال الا ذا محرم وروت عائشة
ام عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذلك في النوح وهو قول ابن عباس وروي
سمر بن حوشب عن ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعصينك في معروف
قال هو النوح وقال مصعب بن نوح ادركت عجوزا ممن بايع النبي صلى الله عليه
وسلم فحدثتني عنه صلى الله عليه وسلم في قوله ولا يعصينك في معروف قال
النوح وفي صحيح مسلم عن ام عطية لما نزلت هذه الاية يبايعنك على ان لا يشركن
بالله شيئا ولا يعصينك في معروف قال كانت منا النياحة قالت فقلت
يا رسول الله الا ال بني فلان فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من
ان اسعدهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ال فلان وعنها
قالت اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيعة ان لا ننوح فما وفت
منا امراة الا خمس ام سليم وام العلا وابنة ابي سبرة امراة معاذ او ابنة
ابي سبرة وامراة معاذ وقيل ان المعروف ها هنا الطاعة لله ولرسوله
قاله ميمون بن مهران وقال بكر بن عبد الله المزني لا يعصينك في كل امر فيه
رشد عن الكلبي هو عام في كل معروف امر الله عز وجل ورسوله به وروي ان هند
قالت عند ذلك ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء البتة
ذكر الله عز وجل هذه الاية ورسوله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خصالا
ستا صرح فيها باركان الدين ولم يذكر اركان الامر وهي ست
ايضا الشهادتان والصلاة والصيام والزكاة والحج والاغتسال من
الجنابة وذلك لان النهي دايم في كل الازمان وكل الاحوال فكذلك النهي
على شرائط الدايم اكد وقيل ان هذه المناهي كانت في النساء كثير من تركبها
ولا يحترزن عنها لشرف الحسب فخصت بالذكر لهذا ويجوز منه قوله عليه
السلام لوفد عبد القيس وانهاكم عن الدبا والحنتم والنقير والمزفت تنبيها
على ترك المعصية في شرب الخمر دون سايرالمعاصي لانها كانت شهوتهم
وعادتهم واذا ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك سايرها
المعاصي لانها كانت شهوتهم وعادتهم فيها لا شهوة له الرابعة لما قال
النبي صلى الله عليه وسلم في البيعة ولا يسرقن قالت هند يا رسول الله ه

ان ابا سفيان رجل شحيح فهل علي حرج ان اخذ من ماله سرا يكفيني وولدي قال لا الا
بالمعروف فخشيت هند ان يقتصر علي ما يعطيها فيضيع او ياخذ اكثر من
ذلك فيكون سارقه بالله للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه
وسلم لا اري لا احرج عليك فيما اخذت بالمعروف يعني من غير استطالة
ابي اكبر من الحاجة قال ابن العربي وهذا انما هو فيما يجوز به
عنها في حجاب ولا بضبط عليه بعمل ما به اذا هتكت لزوجة واخذت منه
كانت سارقه بعصى بها ويقطع يدها الخامسة قال عبادة بن الصامت
اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخذ علي النساء ان لا نشركوا
بالله شيئا ولا نسرقوا ولا نزنوا ولا نقتلوا اولادكم ولا يعضه بعضكم
بعضا ولا يعصوا في معروف امركم به معنى بعضه سحروا لعصر السحر
ولهذا قال ابن بحر وغيره في قوله تعالى ولا يأتين ببهتان انه السحر وقال
الضحاك وهذا نهي عن البهتان ان لا يعضهن رجلا ولا امرأة ببهتان
اي تسحروا الله بفترينه بين ايديهن وارجلهن والجمهور علي ان معنى ببهتان
يولد بفترينه بين ايديهن ما التقطنه لقيطا وارجلهن ما ولدنه من زنى وقد
تقدم السادسة قوله تعالى ولا يعصينك في معروف في البخاري عن
ابن عباس في قوله تعالى ولا يعصينك في معروف قال انما هو شرط شرطه
الله للنساء واختلف في معناه علي ما ذكرنا والصحيح انه عام في جميع ما يامر
به النبي صلى الله عليه وسلم وينهى عنه فيدخل فيه النوح وتحريق الثياب
وجز الشعر والحلوة بغير محرم الي غير ذلك وهذه كلها كبائر ومن افعال
الجاهلية وفي صحيح مسلم عن ابي مالك الاشعري ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اربع في امتي من امر الجاهلية فذكر منها النياحة وروي يحيى بن
ابي كثير عن ابي سلمة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه النوائح يجعلن يوم القيمة صفين صفا عن اليمين وصفا عن
اليسار ينبحن كما ينبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين الف سنة
ثم يؤمر بهن الي النار وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلي
الملائكة علي نائحة ولا مزنة وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه
سمع نائحة فاتاها فضربها بالدرة حتى وقع خمارها عن رأسها فقال يا امير
المؤمنين امرأة امرأة قد وقع خمارها فقال انها لا حرمة لها
اسند جبير البغلبي رحمه الله واما تخصيص قوله بمعروف مع قوله ولا
يعصينك فيه قولان احدهما ان تفسير المعنى علي التاكيد كما قال
تعالى قل رب احكم بالحق لانه لو قال احكم لكفى انتهى انه شرط المعروف
في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يكون تنبيها علي غيره اولي بذلك
والزم له ما بقي فلا اشكال السابعة روي البخاري عن عبادة بن
الصامت قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال تبايعوني علي ان لا
تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا اية النساء واكبر لفظ سفيان فتلا
علي الاية من وفي منكم فاجره علي الله ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب
في الدنيا فهو كفارة ومن اصاب من ذلك شيئا ستره الله فهو الي الله ان شاء عذبه وان
شاء غفر له سمعا وفي الصحيحين عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصلها قبل
الخطبة ثم يخطب فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فكاني انظر اليه حين يجلس
الرجال بيده ثم اقبل يشقهم حتى اتى النساء مع بلال فقال يا ايها
النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك علي ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن حتى فرغ من الاية كلها ثم قال حين فرغ انتن علي ذلك
فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا ندري الحسن منهن
قال فتصدق فبسط بلال ثوبه فجعل يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب
بلال لفظ البخاري الثامنة قال المهدوي اجمع المسلمون علي انه ليس

للامام

للامام ان يشترط عليهم غير هذا والامر بذلك نزب الدار كان على امام المسلمين اقامة
المحنة قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني
اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المومنين كانوا يخبرون اليهود باخبار المومنين
ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن ذلك وقد يئسوا من الاخرة
يعني اليهود قاله ابن زيد وقيل هم المنافقون وقال الحسن هم اليهود والنصارى
قال ابن مسعود معناه انهم تركوا العمل للاخرة ورضوا الدنيا وقيل المعنى يئسوا
من ثواب الاخرة قاله مجاهد ومعنى كما يئس الكفار اي الاحياء من الكفار من
اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم قاله الحسن وقتادة وقال ابن عرفة هم الذين
قالوا وما هم لكنا الا الدهر وقال مجاهد المعنى كما يئس الكفار الذين في القبور
ان يرجعوا الى الدنيا وقيل ان الله تعالى ختم السورة بما ابداها من ترك موالاة الكفار
وهي خطاب لحاطب بن ابي بلتعة وغيره قال ابن عباس يا ايها الذين امنوا
لا تتولوا اي لا تتوالوهم ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب بن ابي
بلتعة يريد ان كفار قريش قد يئسوا من خير الدنيا كما يئس الكفار والمقبورون
من حظ يكون لهم في الاخرة من رحمة الله تعالى وقال القاسم بن ابي بزة في قوله
الله تعالى قد يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور قال من مات
من الكفار يئس من الخير والله اعلم

سورة الصف مدنية

في قول الجميع بما ذكرنا ورد ي وقيل انها مكية وذكره النحاس عن ابن عباس وهي
اربعة عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
تقدم **قوله تعالى** يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فيه خمس مسائل
الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى الدارمي
ابو محمد في مسنده اخبرنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن ابي كثير عن
ابي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفرا من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملنا
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم
تقولون ما لا تفعلون حتى ختمها قال عبد الله فقراها علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى ختمها قال يحيى فقراها علينا يحيى فقراها علينا الاوزاعي
فقراها علينا محمد فقراها علينا الدارمي . . . . وقال ابن عباس قال
عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه فلما انزل الجهاد كرهوه
وقال الكلبي قال المومنون يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله لسارعنا
اليها فنزلت هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فسكتوا ما لبثوا
لو نعلم ما هي لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله عليها بقوله
تومنون بالله واليوم الاخر وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم الاية
فابتلوا يوم احد ففروا فنزلت تعيرهم بترك الوفا وقال محمد بن كعب
لما اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهدا بدر قالت الصحابة اللهم
اشهدنا حتى نغنيا قتالا لنتزع فيه وسمنا فنروا يوم احد فعير الله بذلك
وقال قتادة والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وابلينا ولم
نفعلوا وقال اسمعيل صهيب كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر وانكاهم فقتله
فقال رجل يا نبي الله اني قتلت فلانا فقرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف يا صهيب اما اخبرت رسول الله صلى
الله عليه وسلم انك قتلت فلانا فاتى فلانا انتحل قتله فاخبره فقال
اكذلك يا ابا يحيى قال نعم والله يا رسول الله فنزلت الاية في المنتحل وقال
ابن زيد نزلت في المنافقين يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

انحرجتم وقاتلتكم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا لكم واعنهم وخلفوا التانية
هذه الاية توجب على كل من الزم نفسه عملا قلبه طاعة الله تعالى بها وفي صحيح مسلم
عن ابي موسى انه بعث الى قراء اهل البصرة فدخل عليه ثلاث مائة رجل فقرؤا
فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا تطولن عليكم الاعمار فتقسوا
قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وانا كنا نقرا سورة نشبهها في الطول والشدة
ببراءة فانسيتها غير اني قد حفظت منها لو كان لابن ادم واديان من مال
لابتغى واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب وكنا نقرا سورة نحن
كنا نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير اني حفظت منها يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسئلون عنها
يوم القيامة قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين اما قوله يا ايها
الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فبانت في الدين لفظا ومعنى في هذه
السورة واما قوله شهادة في اعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة فمعنى ثالث
في الدين فان من التزم شيئا لزمه شرعا والملتزم على قسمين احدهما النذر
وهو على قسمين نذر تقرب مبتدأ كقوله لله علي صلاة وصوم ونحوه من القرب
فهذا يلزم الوفاء به اجماعا ونذر مباح وهو ما علق بشرط وهبة كقوله ان كفاني
الله شر كذا فعلي صدقة فاختلف العلماء فيه فقال مالك وابو حنيفة يلزمه
الوفاء به وقال الشافعي في احد اقواله انه لا يلزمه الوفاء به وعموم الاية
حجة لنا لانها عطفتها بنتا ول دم من قال لا يفعله علي اي وجه كان من مطلق
ومقيد بشرط وقد قال اصحابه ان النذر انما يكون بما القصد منه القربة
مما هو من جنس القربة لكنه لم يقصد به القربة وانما قصد منع نفسه عن فعل
الاقدام على فعل قلنا القرب الشرعية مسقطات وكلف وان كانت قربات
وهذا تكلف الزام هذه القربة بمستحب لجلب نفع او دفع ضر فلم يخرج عن سنن
التكليف ولا زالت عن قصد التقرب قال ابن العربي فان كان القول مجردا
فلا يخلو ان يكون مشروطا بسبب كقوله ان تزوجت اعبك بعبدا او اتبعت
جاريتك كذا اعطيتك دينارا فهذا لازم اجماعا من القربة وان كان وعدا مجردا
فقيل يلزم بتعلقه ويلغو بسبب الاية فانه روي انهم كانوا يقولون لو نعلم
اي الاعمال افضل او احب الى الله لعملناه فانزل الله تعالى هذه الاية وهو حديث
لا باس به وقد روي عن مجاهد ان عبد الله بن رواحة لما سمعها قال لا ازال محبسا
في سبيل الله حتى اعمل والصحيح عندي ان الوعد يجب الوفاء به على كل حال الا لعذر
قلت قال مالك فما العذر مثل ان يسال الرجل الرجل ان يبيت له الجمل
فيقول له نعم ثم يبدو له ان لا يفعل مما اري ذلك يلزمه وقال ابن القاسم
اذا وعد الغرماء فقال اسمحكم اني قد وهبت لم من اين لو دي اليكم
فانه هذا يلزمه واما ان يقول نعم انا افعل ثم يبدو له فلا ارى عليه ذلك قلت
اي لا يقضى عليه بذلك فاما في مكارم الاخلاق وحسن المروة فنعم وقد اثنى الله
على من صدق وعده ووفى بنذره فقال والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال
واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وقد تقدم بيانه التاسعة
قال مقاتل ثلاث ايات منعتني ان اقرض على الناس انا مرون الناس بالبر و
تنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ويا ايها الذين امنوا لم
تقولون ما لا تفعلون وخرج ابو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسري
بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت قلت
من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون ما لا يفعلون ويتلون
كتاب الله ولا يعملون وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل
له حدثنا فسكت ثم قال انا مرونني ان اقول ما لا افعل فما استجل مقت الله
الواقعة قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على جهة التوبيخ والانكار
عن ان تقول الانسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله اما في الماضي فيكون كذبا
واما في المستقبل يكون خلفا وكلاهما مذموم وقد تاول سفيان بن عيينة قوله

لم تقولون

لم تقولون ما ليس الامر فيه اليكم قل انذروت هل تفعلون او لا تفعلون فعلى هذا يكون
الكلام محمولا على ظاهره في انكار القول الخامس قوله تعالى كبر مقتا
عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون قد يحتج به في وجوب الوفا في الجهاد والغضب
على لحد قولي الشافعي وان وقع بالابتدا وما قبلها الخبر وكانه قال
قولكم ما لا تفعلون مذموم ويجوز ان يكون خبر ابتدا محذوف الكسائي ان يجي
موضع رفع لان كبر فعل بمنزلة بئس رجلا لعمرو مقتا نصب بالتمييز المعنى كبر
قولهم ما لا تفعلون مقتا وقيل هو حال والمقت والمقانة مصدران يقال
رجل مقيت وممقوت اذا مرجبه الناس قوله تعالى ان الله يحب
الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص فيه ثلاث مسايل الاولى
قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يصفون صفا والمفعول
مضمر اي يصفون انفسهم صفا كانهم بنيان مرصوص قال الفراء مرصوص بالرصاص
وقال المبرد هو من رصصت البنا اذا الاممت بينه وقاربت حتى تصير كقطعة
واحدة وقيل هو من الرصيص وهو انضمام الانسان بعضها الى بعض والتراص
التلاصق ومنه وتراصوا في الصف ومعنى الاية يحب من ثبت في الجهاد في سبيله
ويلزم منه كبوت الباقي قال سعيد بن جبير هذا تعليم من الله للمومنين
كيف يكونون عند قتالهم عدوهم الثانية وقد استدل بعض اهل التاويل
بهذا على ان قتال الراجل افضل من قتال الفارس لان الفرسان لا يصطفون
على هذه الصفة المهدوي وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس في الاجر
والغنيمة ولا يخرج الفرسان من معنى الاية لان معناه السات الثالثة
لا يجوز الخروج عن الصف الا لحاجة تعرض للانسان او في رسالة يرسلها
الامام او مسعفة يطمئن المقام كفوصه بتحيز ولا خلاف فيها وفي الخروج عن الصف للمبارزة
خلاف مذهبي قولين احدهما انه لا باس بذلك ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا
على القتال وقال اصحابنا الابيز احوط لذلك لان فيه ريا وخروجا الى ما نهي
الله عنه من لقا العدو وانما يكون المبادرة اذا طلبها الكافر كما كانت في حروب
النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وفي غزوة خيبر وعليه خرج السلف وقد مضى
القول مستوفى في هذا في البقرة عند قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ه
قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني لما ذكر امر الجهاد
بين ان موسى وعيسى امرا بالتوحيد وجاهدوا في سبيل الله وحل العقاب
بمن خالفهما اي واذكر لقومك يا محمد هذه القصة قوله تعالى لم تؤذونني
وذلك ان بعضهم رموه بالادرة حسب ما تقدم في اخر سورة الاحزاب ومن الاذى
ما ذكر في قصة قارون انه دس الى امراة بجوز لتدعي على موسى الفجور ومن
الاذى قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقوله فاذهب انت وربك فقاتلا وقولهم
انك قتلت هرون وقد تقدم هذا وقد تعلمون اني رسول الله اليكم والرسول
يحترم ويعظم ودخلت قد على تعلمون لتاكيد كانه قال وتعلمون علما يقينيا
لا شبهة لكم فيه فلما زاغوا اي مالوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي اماله وقيل
لما زاغوا عن الطاعة ازاغ الله قلوبهم عن الهداية وقيل فلما زاغوا عن الايمان
ازاغ الله قلوبهم عن الثواب وقيل لما تركوا ما امروا به من احترام الرسول صلى
الله عليه وسلم وطاعة الرب خلق الله في ايمانهم قلوبهم الضلالة عقوبة لهم
على فعلهم قوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم اي واذكر لهم هذه
القصة ايضا وقال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له
فيهم فيكونوا قومه اني رسول الله اليكم اي بالانجيل مصدقا لما بين يدي من
التوراة لان في التوراة صفتي واني لم اتكم بشيء يخالف التوراة فيلزمكم اتباعي ومبشرا
برسول مصدقا ومبشرا نصب على الحال والعامل فيها معنى الارسال واليكم صلة
للرسول يا تي من بعدي اسمه احمد قرا نافع وابن كثير وابو عمرو من بعدي بفتح
الياء وهي قراة السلمي وزر بن حبيش وابو بكر عن عاصم واختاره ابو حاتم لانه
اسم مثل الكاف من بعدك والتا من تحت الباقون بالاسكان وقري من بعد اسمه
احمد الباء من الحرف واحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم وهو اسم علم منقول

من صفة لا من فعل فبذلك الصفة افعل التي يراد بها التفضيل فمعنى احمد اي احمد الحامدين
لربه والانبياء صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله ونبينا احمدهم حمدا واما
محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد
هو الذي حمد مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه
سماه قبل ان يسمى به نفسه فهذا اعلم من اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه
فهو محمود في الدنيا لما هدي اليه ويتبع به من العلم والحكمة وهو محمود في الاخرة
والشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان
احمد يحمد ربه فتلك اشرفه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد فذكره
عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك امة
احمد فقال اللهم اجعلني منهم من امة احمد فبأحمد ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان
حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك
الشفاعة بحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع
بحمد على شفاعته وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسمي في التوراة
احيد لاني احمد امتي عن النار واسمي في الزبور الماحي لمحي الله بي عبدة الاوثان
واسمي في الانجيل احمد وفي القرآن محمد لاني محمود في اهل السماء والارض وفي الصحيح
بخمسة اسماء انا محمد واحمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد تقدم فلما جاءهم بالبينات
قبل عيسى وقبل محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا سحر مبين قرأ الكسائي
وحمزة ساحر نعتا للرجل وروي انها قراءة بن مسعود انبأتون سحر نعت
لما جاء به الرسول قوله تعالى ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن افترى
على الله الكذب تقدم في غير موضع وهو بدعي الى الاسلام هذا نجيب ممن
كفر بعيسى ومحمد بعد المعجزات التي ظهرت لهما وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى
بفتح الباء والدال وشدها وكسر العين اي يسمى ويدعى ويسمى سوا والله
لا يهدي القوم الظالمين اي من كان في حكمه انه يختم له بالضلالة قوله
تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم الاطفاء هو الاخماد مستعملان في النار
ويستعملان فيما جرى مجراها من الصبا والظهور ويغترف الاطفاء والاخماد
انما يستعمل في الكثير دون القليل فيقال اطفأت السراج ولا يقال اخمدت
السراج وفي نور الله هنا خمسة اقاويل احدها انه القرآن يريدون ابطاله و
تكذيبه بالقول قاله ابن عباس وابن زيد الثاني انه الاسلام يريدون دفعه
بالكلام قاله السدي الثالث انه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالاراجيف
قاله ابن عباس وابن زيد الثاني انه الاسلام يريدون دفعه بالكلام قاله السدي
الثالث انه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالاراجيف قاله الضحاك الرابع
حجج الله ودلايله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم قاله ابن جريج الخامس
انه مثل مضروب اي من اراد اطفاء نور الله بفيه وحده مستحيلا ممتنعا كذلك
من اراد ابطال الحق حكاه ابن عيسى وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطا
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم بطا عليه الوحي اربعين يوما فقال
كعب بن الاشرف يا معشر يهود ابشروا فقد اطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل
عليه وما كان لسم امره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
هذه الآية وانصل الوحي بعدها حكاه جميعه الماوردي رحمه الله والله متم
نوره اي باظهاره في الآفاق وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم
والله متم نوره بالاضافة على نية الانفصال كقوله تعالى كل نفس ذائقة
الموت وشبهه حسب ما تقدم بيانه في آل عمران الباقون متم نوره لا يشتبه
فيما يستقبل فعل وكره الكافرون من سائر الاصناف قوله تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي محمدا بالحق والرشاد ليظهره على الدين كله
اي بالحج ومن الظهور العلو باليد في القتال وليس المراد بالظهور ان لا يبقى
دين الا دياث بل المراد بكون اهل الاسلام عالين عالمين ومن
الاظهار ان لا يبقى دين سوى دين الاسلام في آخر الزمان قال مجاهد

ذلك

ذلك اذا انزل الله عيسى لم يكن في الارض دين الا دين الاسلام وقال ابو هريرة ليظهره
على الدين كله بخروج عيسى وحينئذ لا يبقى كافر الا اسلم وفي صحيح مسلم عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن ابن مريم
حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن
القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى
المال فلا يقبله احد وفيل ليظهره اي ليطلع محمدا على سائر الاديان حتى يكون
عالما بها عارفا بوجوه بطلانها وما حرفوا وغيروا منها على الدين اي على الاديان
لان الدين مصدر يعبر عنه عن الجمع قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تبين مسايل قوله تعالى قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة قال مقاتل نزلت في عثمان بن
مظعون وذلك انه قال يا رسول الله لو ادبت بي فطلعت حوله وذهب
واحتصيت وحرمت اللحم ولا ذاق بليل ابدا ولا افطر نهارا ابدا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان من سنتي النكاح ولا رهبانية في الاسلام ان رهبانية
امتي الجهاد في سبيل الله وحصالها امتي الصوم ولا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم ومن سنتي انام وافوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتي فليس مني فقال عثمان
والله لوددت يا نبي الله ان التجارات احب الي الله فاخبرنيها فنزلت وقيل ادلكم
اي سادلكم والتجارة الجهاد فقال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة الاية وهذا خطاب لجميع المومنين وقيل لاهل الكتاب
الثانية قوله تنجيكم اي يخلصكم من عذاب اليم اي مولم وقد تقدم وقرا
العامة تنجيكم باسكان النون من الاحاد وقرا الحسن وابن عامر وابو حياة
تنجيكم مشددا من التنجية ثم بين التجارة وهي المسالة الثالثة
فقال تومنون بالله ورسوله وتجاهدون الكفار في سبيله الله باموالكم
وانفسكم ذكر الاموال اولا لانها التي سارعوا بها الى انفاقها دلكم اي هذا لتعلموا
خير لكم من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون ويومنون عند المبرد والزجاج
معنى امنوا ليذلك جازيغفر لكم مجزوما على الله جواب الامر وفي قراءة عبد الله
امنوا بالله وقال الفوا يغفر لكم جواب الاستفهام وهذا ايضا يصح
على الحمل على المعنى وذلك ان يكون تومنون وتجاهدون عطف بيان على قوله
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم كان التجارة لما لم تكن مما هي مبينة بالايمان
والجهاد حملي هما في المعنى لكانه قال هل تومنون بالله وتجاهدون
يغفر لكم قال المبرد وبي فان لم يقدر هذا التقدير لم يصح المسئلة لان التقدير بتصدان تلتم
يغفر لكم والغفران انما يقع بالقبول والايمان لا بالدلال قال الزجاج ليس اداد لهم على
ما يفعلهم غفرانهم انما يغفر لهم اذا جاهدوا وامنوا وقرا زيد بن علي تومنون وتجاهدون
على اضمار لام الامر كقوله

* خير بعد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من شئ تبالا *

اراد ليعد وادغم بعضهم فقال يغفر لكم والاحسن ترك الادغام في اللام لانها لاقوي
لا يدغم في الاضعف الزمخشري وجه قول الفراء ان متعلق الدلالة هو التجارة
والتجارة مفسرة بالايمان فكانه قيل هذا تحرون بالايمان والجهاد يغفر لكم
الرابعة قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن خرج ابو الحسن الاحري
عن الحسن قال سالت عمران بن حصين وابا هريرة عن تفسير هذه الاية ومساكن
طيبة فقالا على الخبر سالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها
فقال قصر من لولوة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار
سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون
فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امراة من الحور العين في كل بيت سبعون
مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا وصيفة
يعطي الله تبارك وتعالى المومن من القوة في غداة واحدة ما ياتي على ذلك
كله في جنات عدن اي انما من ذلك الفوز العظيم اي السعادة الدايمة الكبيرة
واصل الفوز الظفر بالمطلوب الخامسة قوله تعالى واخرى تحبونها قال

الاخفش والفراء اخرى معطوفة على تجارة مبنية في محل خفض وقيل محلها رفع اي ولكم خصلة اخرى او تجارة اخرى تحبونها نصر من الله اي هو نصر من الله فبصير على هذا تفسير واخرى وقيل رفع على البدل من اخرى اي ولكم نصر من الله وفتح قريب اي عاجلة في عاجل الدنيا قبل فتح مكة وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم وبشر المؤمنين رضي الله عنهم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله اكد امر الجهاد اي كونوا حواري بينكم ليظهركم الله على من حاربكم كما اظهر حواري عيسى على من حاربهم وقرا ابن كثير وابو عمرو ونافع انصار الله بالتنوين فالوا الان معناه ابتنوا وكونوا اعوانا لله بالسيف على اعدائه وقرا الباقون من اهل البصرة والكوفة والشام انصار الله بلا تنوين وحذفوا لام الاضافة من اسم الله تعالى واختاره ابو عبيد لقوله نحن انصار الله ولم يقولوا ومعناه كونوا انصار * دين الله ثم قيل في الكلام اضمار اي قل لهم يا محمد كونوا انصار الله وقيل هو ابتداء خطاب من الله اي كونوا انصارا كما فعل اصحاب عيسى فكانوا بحمد الله انصارا وكانوا حواريين والحواريون خواص خواص الرسل قال معمر كان ذلك بحمد الله اي بنصره وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقبلهم من قريش وسماهم قتادة ابو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وابو عبيدة واسمه عامر وعثمان بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب ولم يذكر فيهم سعيدا وذكر جعفر ابن ابي طالب رضي الله عنهم اجمعين كما قال عيسى بن مريم للحواريين وهم اصفياؤه اثنا عشر رجلا وقد مضت اسماؤهم في آل عمران وهم اول من امن به من بني اسرائيل قاله ابن عباس وقال مقاتل قال الله تعالى اذا دخلتم القرية فانتم النهر الذي عليه العضاه دون فسلهم النصر فاتاهم عيسى وقال من انصاري الى الله فقالوا نحن نتصرك فصدقوه ونصروه ومعنى من انصاري الى الله اي من انصاري هما يقرب الى الله وقد مضى هذا في آل عمران فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة وافترقوا بعد رفعه الى السماء على ما تقدم في آل عمران ببيانه فايدنا الذين امنوا على عدوهم الذين كفروا بعيسى فاصبحوا ظاهرين غالبين قال ابن عباس ايد الله الذين امنوا في زمن عيسى باطهار محمد على دين الكفار وقال مجاهد ايدوا في زمانهم على من كفر بعيسى وقيل ايدنا الان المسلمين على الفرقتين الضالتين من قال كان الله فارتفع ومن قال كان ابن فرفعه الله اليه لان عيسى لم يقاتل احدا ولم يكن في دينه اصحابه قتال وقال زيد بن علي وقتادة فاصبحوا ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما روي انتم تحلمون ان عيسى كان يتيما وانه لا يتيم وان عيسى كان يأكل وانه لا يأكل وقيل نزلت هذه الآية في رسل عيسى صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق وكان الذي بعثهم عيسى من الحواريين والاتباع فطرس وبولس ابو روميه وابداريس ومتى الى الارض التي ياكل اهلها الناس ويوناس الى ارض بابل من ارض المشرق وفيلبس الى قرطاجنة وهي افريقية ويحنس ابو اقسوس قرية اصحاب الكهف ويعقوس الى ارويه سلم وهي بيت المقدس وابرسلمي الى الاعرابيه وهي ارض الحجاز ويمن الى ارض البربر وعمودا وبودس الى الاسكندرية وماحولها فايدهم الله بالحجة ظاهرين اي عالين من قولك ظهرت على الحائط اي علوت عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجمعة مدنية في قول الجميع

وهي احدى عشرة اية وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وعنه قال

قال

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون يوم القيمة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتينا من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فالسبت لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى ٭

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم تقدم الكلام فيه وقرأ ابو العالية ونصر بن عاصم الملك القدوس العزيز الحكيم كلها وتعاهو الملك قوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم قال ابن عباس الاميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا اهل كتاب وقيل الاميون الذين لا يكتبون وكذلك كانت قريش وروي منصور عن ابرهيم قال الامي الذي لا يقرأ ولا يكتب وقد مضى في البقرة رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فيهم قراته وقد ولدوه قال ابن اسحق لابي لهب قال الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم لنصر انبيهم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان اميا لم يقرا من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم قال الماوردي فان قيل ما وجه احدها لموافقته ما تقدمت بشارة الانبيا التاني ليشاكل قوله لاحقين بهم ثالثون اقرب الى موافقتهم الثالث ليسقي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا اليه من الكتب التي قراها والحكم التي تلاها قلت وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته قوله تعالى يتلوا عليهم اياته يعني القرآن ويزكيهم اي يحملهم اي يحملهم الكيا الغلاب بالايمان قاله ابن عباس وقيل يطهرهم من دنس الكفر والذنوب قاله ابن جريج ومقاتل وقال السدي ياخذ زكاة اموالهم ويعلمهم الكتاب يعني القرآن والحكمة السنة قاله الحسن وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لان الخط بالقلم انما كان في العرب بالشرع لما امروا بتعلمه بالخط وقال مالك بن انس الحكمة الفقه في الدين وقد مضى القول في هذا في البقرة وان كانوا من قبل اي من قبله وقيل انه يرسل اليهم لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن الحق قوله تعالى واخرين منهم هو عطف على الاميين اي بعث في الاميين وبعث في اخرين منهم ويجوز ان يكون منصوبا بالعطف على الهاء والميم في ويعلمهم ويزكيهم اي يعلمهم ويعلم اخرين من المومنين لان التعليم اذا اتنا سوق الى اخر الزمان كان كله مستقبلا الى قوله اوله فكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه لما يلحقوا بهم اي لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير هم العجم وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ انزلت عليه سورة الجمعة ثم قال واخرين منهم قال من هولا يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سالة مرتا او مرتين او ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال لو كان الايمان عند الثريا لذهب به رجل من هولا او في رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس او قال من ابنا فارس حتى يتناوله لفظ مسلم وقال عكرمة هم التابعون مجاهدهم الناس كلهم يعني من دخل بعد العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان قالا هم من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم اتى يوم القيامة وروي سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب امتي رجالا ونساء يدخلون الجنة بغير حساب ثم بكى واخرين منهم لما يلحقوا بهم والقول الاول اثبت وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وابنتي الملقى غنما سودا ثم التفتها غنما عفرا فقال يا بني اسلموا فالعرب واما السود فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعني جبريل عليه السلام رواه ابن ابي ليلى عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه قوله تعالى ذلك فضل الله يوتيه من يشاء قال ابن عباس حبب

الحق العجم بقريش وقيل يعني الاسلام فضل الله به من يشا قاله الكلبي وقيل
يعني الوحي والنبوة قاله مقاتل وقوله ثم يجعله الله المال ينفق في الطاعة وهو معنى
قول ابي صالح وقد روى مسلم عن ابي هريرة ان فقراء المهاجرين
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى
والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم
ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون
احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون
وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع
فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل
الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله
يؤتيه من يشا وقوله خامسا ام انقياد الناس الى تصديق النبي صلى الله عليه
وسلم ودخولهم في دينه ونظيرته قوله تعالى مثل الذين حملوا
التوراة ضرب مثلا لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه
وسلم حملوا التوراة اي كلفوا العمل بها عن ابن عباس وقال الجبائي
هو من الحمالة بمعنى الكفالة اي ضمنوا احكام التوراة كمثل الحمار يحمل اسفارا
هي جمع سفر وهو الكتاب الكبير لانه يسفر عن المعنى اذا قرئ قال يعقوب
ابن مهران الحمار لا تدري اسفر على ظهره ام زبل فهكذا اليهود وفي هذا تنبيه
من الله تعالى لمن حمل الكتاب اي يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم
ما لحق هؤلاء قال الشاعر

• زوامل للاسفار لا علم عندهم • يجيدها الا كعلم الاباعر •
• لعمرك ما تدري البعير اذا غدا • باوساقه ارواح ما في الغرائر •

وقال يحيى بن معاذ كتب احدهم الحديث ولا يفهم ولا يتدبر فاذا سئل
احدهم عن المسئلة جلس كانه مكاتب وقال الشاعر

• ان الرواة على جهل بما حملوا • مثل الحمار عليها يحمل الودعا •
• لا الودع ينفعه حمل الحمار له • ولا الحمار يحمل الودع ينتفعا •

وقال منذر بن سعد البلوطي رحمه الله فلحسن الخلق

• اتق بما شئت لحدا بصارا • ودم استظهارا لخذ حمارا •
• تحمل ما وضعت من استظهار • مثله كمثل الحمار •
• تحمل استظهاره وما درى • ان كان فيها صوابا او خطا •
• ان سئلوا قالوا اكذار وبنا • ما انا كذبنا ولا اعتدينا •
• كبيرهم يصغر عند الخلق • لانه قلد اهل الجهل •

ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما شبههم والتوراة في ايديهم وهم لا يعملون بها والحمار
يحمل كتبا وليس له الا تعب الحمل من غير فايدة وتحمل في موضع تنصب على الحال
ايضا حالا ويجوز ان يكون في موضع جر على الوصف لان الحمار كالنكرة تحالة
ولغة من علق اللئيم يسبني بنصب مثل القوم المثل الذي ضربناه لهم
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والذي هدى القوم الظالمين اي من سبق في علم الله يكون
كافرا قوله تعالى يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من
دون الناس لما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه قال
الله تعالى ان كنتم اولياء لله من دون الناس فللاولياء عند الله الكرامة فتمنوا الموت
لتصيروا عند الله الى ما تصير اليه اولياء الله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت
ايديهم اي اسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فلم تمنوه ما تعرفان
في ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية وفي حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما نزلت هذه الاية والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي
الا مات وفي هذا اخبار عن الغيب ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى
معنى هذه الاية في البقرة في قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه

فانه

فانه ملاقيكم قال الزجاج لايقال ان زيدا منطلق وهاهنا قال فانه ملاقيكم لما بقي
معنى الذي من الشرط والجزاء اي ان فررتم منه فانه ملاقيكم ويكون ما لغوا
في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه قال زهير

ومن هاب اسباب المنايا يبلنه ولو رام اسبابا اليها سلم

ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الذي تفرون منه ثم يبتدئ فانه ملاقيكم كما قال الراجز

وكفى بالموت فاعلم واعظا لمن الموت عليه قد قدر
فاذكروا الموت وحاذروه ان في الموت لذوي اللب عبر
كل شيء سوف يلقى حتفه في مقام او على ظهر سفر
والمنايا حوله تزصدره ليس يخليه من الموت الحذر

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فيه ثلاث عشر
مسئلة الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة
قرا عبد الله بن الزبير والاعمش وغيرهما باسكان الميم على التخفيف وهما لغتان
وجمعها جمع وجمعان قال الفراء يقال الجمعة بسكون الميم والجمعة بضم
الميم فيكون صفة لليوم اي يجمع الناس كما يقال ضحكة الذي يضحك وقال ابن عباس
نزل القرآن بالتثقيل والتخفيم فاقرؤها جمعة يعني بضم الميم وقال الفراء وابو عبيد
والتخفيف احسن واقيس تقول عرفه وعرف وطرفه وطرف وبحر وبحر وفتح
الميم لغة بني عقيل وقيل انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم وعن سلمان ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال انما سميت جمعة لان آدم خلق فيها وقيل لان الله
فرغ فيها من خلق كل شيء فاجتمعت فيها جميع المخلوقات وقيل لتجمع الجماعات
فيها وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة ومن بعضي في اي في يوم كقوله تعالى
اروني ما ذا خلقوا من الارض اي في الارض الثانية قال ابو سلمة اول
ما قال اما بعد كعب بن لوي وكان اول من سمى الجمعة وكان يقال ليوم الجمعة
العروبة وقيل اول من سماها جمعة الانصار قال ابن سيرين جمع اهل
المدينة من قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل ان ينزل الجمعة وهم
الذين سموها الجمعة وذلك انهم قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام
يوم وهو السبت وللنصارى يوم مثل ذلك فيجيئون فيجتمعون حتى نجعل يوما نجتمع
نذكر الله عليه ونصلي ونسبحه ونحمده كما قالوا فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد
للنصارى فاجعلوا يوم العروبة فاجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ
اسعد صلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا لذلك
لهم اسعد شاة فتعشوا وتغدوا منها لقلتهم فهذه اول جمعة في الاسلام قال
وروي انهم كانوا اثني عشر رجلا على ما ياتي وجاء في هذه الرواية ان الذي جمع بهم
وصلى اسعد بن زرارة وكذا في حديث عبد الرحمن بن كعب انهما لك عن ابيه
كعب على ما ياتي وقال البيهقي وروينا عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب
الزهري ان مصعب بن عمير كان اول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل ان يقدمها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيهقي يحتمل ان يكون مصعب جمع بهم
يعني انه اسعد بن زرارة فاضافه كعب اليه والله اعلم واما اول جمعة جمعها النبي
صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير والتواريخ قدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقبا على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثنتي عشرة
ليلة خلت من ربيع الاول حتى اشتد الضحى ومن ذلك السنة بعد النار زرع
فاقام بقبا الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته
الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واديهم فاتخذ القوم في ذلك الموضع مسجدا
فجمع بهم وخطب وهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده واستعينه
واستغفره واستشهد به وامن به ولا اكفره واعادي من يكفر به واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق
والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع
من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه خير

ما اوصي به المسلم المسلم ان يخصه على الاخرة وان يامره بتقوا الله واحذره واما الحذر
من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عنوان صدق على
ما يصعون من الاخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره في السر والعلانية
لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حتى يسر
المرا بي ما قدم وما كان عما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم
الله نفسه والله رؤف بالعباد هو الذي صدق قوله واخر وعده لا خلف لذلك فانه
يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله
في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق
الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه
وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة فخذوا بحظكم ولا
تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا
ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله
حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من
حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اذكروا ذكر الله تعالى واعملوا
لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس
ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملكون منه ما يملك من الناس
ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واول جمعة جمعت
بعدها بقرية يقال لها جواثي من قرى البحرين وقد قيل ان اول من سماها الجمعة
كعب بن لوي بن غالب لاجتماع قريش فيها الى كعب على ما تقدم والله اعلم
الثالثة خاطب الله المومنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما
فقال يا ايها الذين امنوا ثم خصهم بالنداء وان كان قد دخل في عموم قوله تعالى واذا
نادتم الى الصلاة لتاكيد فرضه وقال بعض العلماء كون الصلاة
الجمعة هاهنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ قال ابن العربي وعند بعض الله معلوم
من نفس اللفظ بكم وهو قوله من يوم الجمعة وذلك يفيده لان النداء الذي
يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة فاما غيرها فهو عام في سائر الايام ولو لم
يكن المراد به نداء الجمعة لما كان بتخصيصه بها واضافته اليها معنى ولا فائدة الرابعة
قد تقدم حكم الاذان في سورة المايدة مستوفى وقد كان الاذان على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر الصلوات موذن واحد اذا جلس النبي صلى
الله عليه وسلم على المنبر وكذلك كان يفعل ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة ثم زاد عثمان
على المنبر اذانا ثانيا على داره التي تسمى الزوراء حين كثر الناس بالمدينة فاذا
سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان على المنبر اذن موذن النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يخطب عثمان خرجه ابن ماجة في سننه من حديث محمد بن اسحق عن الزهري
عن السايب بن يزيد قال ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا موذن واحد
اذا خرج اذن واذا نزل اقام وابو بكر وعمر كذلك فلما كان عثمان وكثر الناس
واذا المنار الثالث على دار في السوق يقال لها الزوراء فاذا خرج اذن واذا نزل اقام
خرجه البخاري من طريق معناه وفي بعضها ان الاذان الثاني يوم الجمعة امر به
عثمان بن عفان حين كثر اهل المسجد وكان المنادي يوم الجمعة حين يجلس
الامام وقال الماوردي فاما الاذان الاول فمحدث فعله عثمان بن عفان
لتتاهب الناس لحضور الجمعة عند اتساع المدينة وكثرة اهلها وقد كان عمر
رضي الله عنه امر ان يوذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس عن بيعهم فاذا
فاذا اجتمعوا اذن على المسجد فجعله عثمان رضي الله عنه اذانين في المسجد قال
ابن العربي وفي الحديث الصحيح ان الاذان كما كان على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم واحدا فلما كان زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه في
الحديث فانا لانه اضافه الى الاقامة كما قال عليه السلام بين كل اذانين
صلاة لمن شاء يعني الاذان والاقامة ويقوم الناس اذا اذن اصلى فجعلوا
الموذنين ثلاثة فكاذوها ثم جمعوهم في وقت واحد وكاذوها على وهم
ورايتهم يوذنون بمدينة السلام بعد اذان المنارتين بدعا لاخت المنبر

في جماعة

في جماعة كما كانوا يفعلون عندنا في الدول الماضية وكل ذلك محدث الخامسة قوله
تعالى فاسعوا إلى ذكر الله اختلف في معنى السعي هنا على ثلاثة أقوال أولها القصد
قال الحسن والله ما هو سعي على الأقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية الثاني
انه العمل كقوله ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله تعالى أن
سعيكم لشتى وقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وهذا قول الجمهور
وقال ـــــ دهير سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم وقال أيضا
سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما ينزل ما بين العشيرة بالدم
أي فاعملوا على المضي إلى ذكر الله واشتغلوا بأسبابه من الغسل والتطهر والتوجه
إليه الثالث إذا أريد به السعي على الأقدام وذلك فضل وليس بشرط ففي البخاري
أن أبا عبيس بن صبر واسمه عبد الرحمن وكان من كبار الصحابة سعى إلى الجمعة
راجلا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه
في سبيل الله حرمه الله على النار ويحتمل ظاهره رابعا وهو الحرج والاشتداد
قال ابن العربي وهو الذي أنكره الصحابة الأعلمون والفقهاء لا تحرمون كما قرأه
فامضوا إلى ذكر الله فرارا عن طريق الحرج والاشتداد الذي يدل عليه
الظاهر وقراءة ابن مسعود كذلك وقال لو قرأت فامضوا لمضيت حتى يسقط
ردائي وقرأ ابن شهاب فامضوا إلى ذكر الله سالكا تلك السبيل وهو كله
تفسير منهم لا قراءة قرآن منزل لوجاز قراءة القرآن بالتفسير في معرض
التفسير قال أبو بكر الأنباري وقد احتج من خالف المصحف بقراءة عمر وابن
مسعود وإن حرمه الحر قال الزجاج عمر رضي الله عنه وسعى قطعة منها لما سمع
إلى ذكر الله قال له عمر من أقرأك هذا أبي قال إذا أقرؤنا للمنسوخ ثم قرأ
عمر فامضوا إلى ذكر الله حدثناه ادريس قال حدثنا حلف قال حدثنا هشيم
عن المغيرة عن إبرهيم عن حرشه فذكره وحدثنا محمد بن يحيى قال أخبرنا محمد
وهو ابن سعد قال حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه
قال ما سمعت عمر يقرأ قط إلا فامضوا لذكر الله وأخبرنا ادريس قال حدثنا
خلف قال حدثنا هشيم عن المغيرة عن إبراهيم أن عبد الله بن مسعود قرأ
فامضوا إلى ذكر الله وقال لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي
قال أبو بكر فاحتج عليه بأن الأمة أجمعت علي فاسعوا برواية ذلك عن أبيه
رب العالمين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فأما عبد الله بن مسعود فما
صح عنه فامضوا لأنه أسند غير متصل لأن إبراهيم النخعي لم يسمع من عبد
الله بن مسعود شيئا وإنما ورد فامضوا عن عمر رحمه الله فإذا انفرد أحد بما
يخالف الأسد والجماعة كان ذلك شبيها بما شذ والعرب مجمعة على أن السعي يأتي
بمعنى المضي غير أنه لا يخلوا من الجد والانكماش قال الزهير
سعى ساعيا غيظ بن مرة بعد ما ينزل ما بين العشيرة بالدم
إذا دب السعي المضي جدوا بكماش ولم يقصد للعدو والإسراع في الخطو وقال
الفراء وأبو عبيدة معنى السعي في الآية المضي واحتج الفراء بقولهم هو يسعى في
البلاد يطلب فضل الله معناه يمضي ويجد ويجتهد واحتج أبو عبيدة بقول
الشاعر
اسعى على جل بني مالك كل امرئ في شانه ساعي
فهل يحتمل السعي في هذا البيت الا مذهب المضي بالانكماش ومحال أن يجيء هذا
المعنى على ابن مسعود على فصاحته وإتقان عربيته قلت ومما يدل
على أن ليس المراد هنا العدو قوله عليه السلام إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها
تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة قال الحسن أما والله ما هو بالسعي
على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا عليهم السكينة والوقار
ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقال قتادة السعي الذي نهيتم بقلبك وعملك
وهذا الحسن فإنه جمع الأقوال الثلاثة وفي الآية الاغتسال للجمعة والطيب
والتزين باللباس أحاديث مذكورة في كتب الحديث السادسة قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا خطاب للمكلفين بالإجماع ويخرج منه المرضى والزمنى

والمسافرون والعبيد والنساء بالدليل والعيان ٥ والشيخ الذي لا يمشي لانتفائه عند
ابي حنيفة روي ابو الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
كان يؤمن بالله واليوم الاخر فعليه الجمعة يوم الجمعة الا مريض او مسافر
او امراة او صبي او مملوك فمن استغنى بلهو او تجارة استغنى الله عز وجل عنه
والله غني حميد خرجه الدارقطني وقال علماؤنا رحمة الله عليهم ولا يتخلف
احد من الجمعة ممن عليه اتيانها الا بجد لا يمكنه معه الاتيان اليها مثل المريض
الحابس او خوف الزيارة في المرض او خوف جور السلطان عليه في مال او بدن
دون القضاء عليه بحق والمطر الوابل مع الوحل عذر ان لم ينقطع ولم ير به مالك
عذرا له حكاه المهدوي ولم يختلف عنه متخلف عالي ولي جميع له قد حضرته
الوفاة ولم يكن عنده من يقوم باسره رجحان يكون في سعيه وقد فعل ذلك
ابن عمر وسن تخلف عنها لغير عذر تصلى قبل الامام اعاد ولا يجزيه ان يصلي
قبله وهو في تخلفه عنها مع امكانه لذلك عاص لله يجعله السابعة
قوله تعالى اذا نودي يختص بوجوب الجمعة القريب الذي يسمع النداء اما
البعيد الدار الذي لا يسمع النداء فلا يدخل تحت الخطاب واختلف الناس فيمن
يأتي الجمعة من الداني والقاصي فقال ابن عمر واختلف الناس فيمن يأتي
الجمعة من الداني والقاصي فقال ابن عمر وابو هريرة وانس تجب الجمعة
على من كان في المصر على ستة اميال وقال مالك والليث ثلاثة اميال
وقال الشافعي اعتبارا بسماع المؤذن ان يكون المؤذن صيتا والاصوات
هادئة والريح ساكنة وهو قدر المؤذن عند سور البلد وفي الصحيح عن عائشة
ان الناس كانوا ينتابون يوم الجمعة من منازلهم ومن العوالي فيأتون في الغبار
يصيبهم الغبار فيخرج منهم الريح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو اغتسلتم ليومكم هذا قال علماؤنا والصوت اذا كان رفيعا والناس في هدو
قاصي سماع الصوت ثلاثة اميال والعوالي من المدينة اقربها على ثلاثة
اميال وقال احمد بن حنبل واسحق تجب الجمعة على من سمع النداء وري الدارقطني
من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انما الجمعة على من سمع النداء وقال ابو حنيفة واصحابه تجب على
من في المصر سمع النداء ولم يسمعه ولا تجب على من هو خارج المصر وان سمع النداء
حتى سئل هل تجب الجمعة على اهل زيارة بينها وبين الكوفة ميل فقال لا
وروي عن ربيعة ايضا انها تجب على من سمع النداء وخرج من بيته ما شيا
ادرك الصلاة وقد روي عن الزهري انها تجب عليه اذا سمع الاذان التي منه
قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله دليل
على ان الجمعة لا تجب الا بالنداء والنداء لا يكون الا بدخول الوقت بدليل قوله
عليه السلام اذا حضرت الصلاة فاذنا ثم اقيما وليؤمكما اكبركما فاله مالك
ابن الحويرث وصاحبه وفي البخاري عن انس ابن مالك ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس وقد روي عن ابي بكر الصديق واحمد
ابن حنبل انها تصلى قبل الزوال وتمسك احمد في ذلك بحديث سلمة بن
الاكوع قال كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ننصرف وليس للحيطان
ظل وبحديث ابن عمر قال ما كنا نقيل ولا نتغدى الا بعد الجمعة ومثله عن سهل
خرجه مسلم وحديث سلمة محمول على انه كثير رواه هشام ابن عبد الملك عن
يعلى بن الحرث عن اياس بن سلمة بن الاكوع عن ابيه ورواه وكيع عن يعلى
عن اياس بن سلمة بن الاكوع عن ابيه ورواه وكيع عن يعلى عن اياس عن
ابيه قال كنا نجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ثم يرجع نسمع
الفيء وهذا مذهب الجمهور من السلف والخلف وقيلا ساعة على صلاة الظهر وحديث
ابن عمر وسلمة دليل على انهم كانوا يبكرون الى الجمعة تبكيرا كبيرا عند الغداة او قبلها
فلا يبتنا ولون ذلك الا بعد انقضاء الصلاة وقد رأى مالك ان التبكير بالجمعة
انما يكون قرب الزوال يسيرا وتأول قول النبي صلى الله عليه وسلم من راح
في الساعة فكأنما قرب بدنة الحديث بكماله انه كله في ساعة واحدة

وحمله

وحمله سائر العلماء على ساير ساعات النهار الزمانية الاثنى عشر ساعة المسوية او
المختلفة بحسب زيادة اليوم وهو الزمانية الاثنى عشر النهار ونقصانه ابن العربي
وهو اصح لحديث ابن عمر رضي الله عنه ما كانوا يصلون ولا ينصرفون الا بعد الجمعة لكثرة
الناس التاسعة فرض الله تعالى الجمعة الى الجمعة عن كل مسلم ردا على من يقول انما
فرض على اكفاية ونقل عن بعض الشافعية ونقل عن مالك ولم يحقق انها سنة وجمهور
الامة والائمة انها فرض على الاعيان لقول الله سبحانه فاذا نودي للصلاة من يوم
الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وسب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن
من الغافلين وهذا حجة واضحة في وجوب الجمعة وفرضيتها وفي سنن ابن ماجة
عن ابي جعد الضمري وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله على قلبه اسناد صحيح وحديث
جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا
من غير ضرورة طبع الله على قلبه ابن العربي وسب عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم الا عاشرة او جب الله السعي
الى الجمعة مطلقا من غير شرط الوضوء بالقرآن والسنة في جميع الصلوات لقوله
عز وجل اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية وقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يقبل الله صلاة بغير طهور واعرب طائفة فقالت ان غسل الجمعة
نقض ابن العربي وهذا باطل لما روى الشيباني وابو داود في سننهما قال من
توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل وفي صحيح مسلم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ يوم الجمعة
فاحسن الوضوء ثم راح الى الجمعة فاسمع وانصت غفر له ما بينه الجمعة الى
الجمعة وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصا فقد لغى وهذا نص وفي الموطأ
ان رجلا دخل يوم الجمعة وعمر بن الخطاب يخطب الحديث الى ان قال ما زدت
على ان توضأت قال عمر والوضوء ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يامر بالغسل فاقتضى عمر بالغسل ولم يامره عمر بالرجوع تدل على انه محمول
على الاستحباب فلم يكن وقد تلبس بالفرض وهو الحضور والانصات للخطبة
ان يرجع عنه الى السنة وذلك بمحضر من الصحابة وكبار المهاجرين حوالي عمر
رضي الله عنه وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الحادية عشرة لا تسقط
الجمعة لكونها يوم عيد خلافا لاحمد بن حنبل قال اذا اجتمع عيد وجمعة سقط
فرض الجمعة لتقدم العيد عليها واشتغال الناس به عنها وتعلق في ذلك بما روي
ان عثمان رضي الله عنه اذن يوم عيد لاهل العوالي ان يتخلفوا عن الجمعة وقول
الواحد من الصحابة ليس بحجة اذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه والامر بالسعي
متوجه يوم العيد كتوجهه في ساير الايام وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك
الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرا
بهما ايضا في الصلاتين اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة
الثانية عشرة قوله تعالى الى ذكر الله اي الصلاة وقيل الخطبة والمواعظ قاله
سعيد بن جبير ابن العربي والصحيح انه واجب في الجميع واوله الخطبة وبه قال
علماؤنا الا عند الملك بن الماجشون فانه راها سنة والدليل على وجوبها انه
يحرم البيع ولولا وجوبها ما حرمته لان المستحب لا يحرم المباح واذا قلنا ان
المراد بالذكر الصلاة فالخطبة من الصلاة والعيد يكون ذكر الله تعالى
بفعلها يكون سبحانه بفعله الزمخشري فان قلت كيف يفسر ذكر الله
بالخطبة وفيها غير ذلك قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وائمة المسلمين والمواعظ والتذكير
فهو في حكم ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقائهم والثناء عليهم
والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان ومن ذكر الله عز وجل
منه عند صلاة الجمعة وحرمة في وقتها على من كان مخاطبا بفرضها والبيع

لايخلو من شرا فاكتفى بذكر احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم
باسكم وخص البيع لانه اكثر ما يستعمل به اصحاب الاسواق ومن لايجب عليه
حضور الجمعة فلا ينهى عن البيع والشرا في وقت التحريم قولان انه من بعد
الزوال الى الفراغ منها قاله الضحاك والحسن وعطا التابعي من وقت اذان
الخطبة الى وقت الصلاة قاله الشافعي ومذهب مالك ان يترك البيع اذا نودي
للصلاة ويفسخ عقده ما وقع من ذلك من البيع في ذلك الوقت ولا يفسخ العقد
والنكاح والطلاق وغيره اذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع
قالوا وكذلك الشركة والهبة والصدقة بادر لا يفسخ ابن العربي والصحيح فسخ
الجميع لان البيع انما منع منه للاشتغال به فكل امر يشغل عن الجمعة من العقود
كلها فهو حرام سرا عا مفسوخ ردعا المهدوي وراى بعض العلما البيع في الوقت
المذكور جايزا وتاول النهي ندبا واستدل بقوله تعالى ذلكم خير لكم قلت وهذا
مذهب الشافعي فان البيع ينعقد عنده ولا يفسخ وقال الزمخشري في تفسيره
ان عامة العلما على ان ذلك لا يؤدي فساد البيع قالوا الا ان البيع لم يحرم لعينه
ولكن لما فيه عن الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض المغصوبة والثوب
المغصوب والوضوا بما مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد علت والصحيح
انعقاده وورد لقوله عليه السلام كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد اي مردود
والله اعلم قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض
هذا امر اباحة كقوله له تعالى واذا حللتم فاصطادوا والقول اذا فرغتم من
الصلاة فانتشروا في الارض للتجارة والتصرف في حوايجكم وابتغوا من فضل
الله اي من رزقه وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة انصرف فوقف
على باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت
كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين وقال جعفر
ابن محمد في قوله وابتغوا من فضل الله انه العمل يوم السبت وعن الحسن
بن سعد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن ابن عباس لم
يعن به امر دنيا انما هو عيادة المريض وحضور الجنايز وزيارة
الاخ في الله تعا . . . . . قوله تعالى واذكروا الله كثيرا
اي بالطاعة واللسان وبالشكر على ما به انعم عليكم من التوفيق لاداء فرايضه
لعلكم تفلحون اي تنجحوا قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله فمن اطاع فقد
ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثيرا التسبيح وقد مضى هذا مرفوعا في
البقرة قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما
نبه سبع عشرة مسيلة الاولى قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا
انفضوا اليها في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يخطب قايما يوم الجمعة فجات عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق
الا اثنى عشر رجلا في رواية انا فيهم فانزلت هذه الاية التي في الجمعة واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما في رواية ابي بكر وعمر رضي الله عنهما
وقد ذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم بما دحية بن خليفة الكلبي من الشام عند
مجاعة وغلا سعر وكان محمد جميع ما يحتاج الناس من بر ودقيق وغيره فنزلت
عند احجار الزيت وضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فخرج الناس الا اثنا
عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وقال الكلبي وكانوا في خطبة الجمعة فانفضوا اليه
وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال وحكاه الثعلبي عن ابن
عباس وذكر الدارقطني من حديث جابر بن عبد الله قال بينما رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ اقبلت عير تحمل الطعام حتى نزلت
بالبقيع فالتفتوا اليها وانفضوا اليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس معهم الا اربعين رجلا انا فيهم قال وانزل الله تعالى على النبي صلى
الله عليه وسلم واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما قال
الدارقطني لم يقل في هذا الاسناد الا اربعين رجلا غير علي بن عاصم عن
حصين وخالفه اصحاب حصين فقالوا لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم

الا اثنى

الا اثنا عشر رجلا وروي عنه عليه السلام انه قال والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا
لاضرم الله عليهم الوادي نارا ذكره ابن مخشري وروي في حديث مرسل اسما
الاثني عشر رجلا رواه اسد بن عمرو والد اسد بن موسى بن اسد وفيه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعلي وعثمان وطلحة والزبير
وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح
وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود في احدى الروايتين وفي الرواية
الاخرى عمار بن ياسر قلت يذكر جابر وقد ذكر مسلم انه كان فيهم والد رفطني
ايضا فيكونون ثلاثة عشر وان كان عبد الله بن مسعود فيهم فهم اربعة عشر
وقد ذكر ابو داود في مراسيله الذين ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة
وقد كانوا حلفوا لعصام ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمود بن خالد
قال ثنا الوليد قال اخبرني ابو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين
حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل
فقال ان دحية ابن خليفة قدم بتجارته وكان دحية اذا قدم تلقاه اهله
بالزاف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه لبس في ترك الخطبة شيء فانزل الله
عز وجل واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم
الخطبة يوم الجمعة واخر الصلاة فكان لا يخرج احدا لا ترعاني او احد ان
بعد النبي حتى بينا ذات يوم النبي صلى الله عليه وسلم يشير بيده باصبعه
التي تلي الابهام فما ذاك ان النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير بيده فكان من
المنافقين من ثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن
رجل من المسلمين قام المنافق فيشير الي حتى مسيرا به حتى يخرج فانزل
الله تعالى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الاية قال اسمعيل
وهذا الخبر وان لم يثقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم وقال قتادة وبلغنا
انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة غير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم
الجمعة وقيل انجرهم لغدوم دحية الكلبي بتجارته ونظرهم اليه الغير
بهم لهو ولا فائدة فيه الا انه كان مما لا اثم فيه لو وقع على غير ذلك الوجه ولكنه
لما انضل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن
حضرته عظم وكثر ونزل فيه القرآن وتحميته باسم اللهو ما انزل وجاء عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل ما يلهو به باطل الا رمية بقوسه الحديث
وقد مضى في سورة الانفال ولله الحمد وقال جابر بن عبد الله كانت الحوارك
اذا الحق يمرون بالمزامير والطبل فانفضوا اليها فنزلت وانما رد الكناية
الى التجارة لانها اهم وقرأ طلحة بن مصرف واذا راوا التجارة واللهو
انفضوا اليها وقيل المعنى واذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه
وقيل المعنى واذا راوا التجارة انفضوا اليها فحذف لدلالة الكلام قال الحسن ما عندنا
وانت بما عندك راض والرأي مختلف وقيل الاجود في العربية ان يجعل
الراجع في الذكر الاخر من الاسمين الثانية واختلف العلماء في العدد الذي
تنعقد بهم الجمعة ما ثنين وقال الليث وابو يوسف بثلاثة وقال سفيان
الثوري وابو حنيفة باربعة وقال ربيعة باثني عشر رجلا وذكر الحداد ابو
بكر احمد بن سليمان قال انا ابو خالد يزيد بن الهيثم بن طهمان الدقاق حدثنا
صبيح بن دينار قال حدثنا المعافى بن عمران قال انا معقل بن عبيد الله عن الزهري
بسنده الى مصعب بن عمير ان نبي الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى المدينة وانه
نزل في دار سعد بن معاذ فجمع بهم وهم اثنا عشر رجلا فذبح لهم يومئذ شاة
وقال الامام الشافعي باربعين رجلا قال ابو اسحق الشيرازي في كتابه
التنبيه على مذهب الشافعي ان يقام باربعين رجلا احرارا بالغين
عقلا معينين في المواضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة
وان يكونوا حاضرين من اول الخطبة الى ان يقام الجمعة وجبت عليهم

الجمعة وهال احمد واسحاق الي هذا القول ولم يشترط هذه الشروط وقال مالك اذا
كانت قرية فيها سوق ومسجد فعليهم الجمعة من غير اعتبار عدد وكتب
عمر بن عبد العزيز الي قرية اجتمع فيها ثلاثون بيتا فعليهم الجمعة وقال ابو حنيفة
لا تجب الجمعة علي اهل السواد والقرى لا يجوز لهم اقامتها فيها واشترط
في وجوب الجمعة وانعقادها المصر الجامع والسلطان الظاهر والسوق
القائمة والنهر الجاري واحتج بحديث علي لا جمعة ولا تشريق الا في مصر
جامع ووقفه بعضهم وهذا يرده حديث ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت
بعد جمعة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بجواثى من البحرين وجمعة الامام انسا في حديث جابر المذكور
الذي خرجه الدارقطني وفي سنن ابن ماجة والدارقطني ايضا ودلائل النبوة
للبيهقي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد ابي حين ذهب
بصره فاذا خرجت به الي الجمعة فسمع الاذان صلى علي ابي امامة واستغفر
له قال فكنت كذلك حينا لا يسمع الاذان بالجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابه
استغفارك لابي امامة كلما سمعت اذان الجمعة ما هو قال اي بني هو
اول من جمع بالمدينة في هزم من حرة بني بياضة فقال لها نقيع الخضمات
قال قلت كم انتم يومئذ قال اربعون رجلا وقال جابر بن عبد الله
مضت السنة ان في كل ثلثة اهلم وفي كل اربعين فما فوق ذلك جمعة واضحى وفطر
وذلك انهم جماعة خرجه الدارقطني رحمه الله وروي ابو بكر احمد بن سليمان النطاد
قري علي عبد الملك بن محمد الرقاشي وانا اسمع حدثني رجا بن سلمة قال حدثنا
روح ابن عطية الثقفي قال حدثني الزهري عن ابي سلمة قال قلت لابي هريرة
علي لم يجب الجمعة من رجل قال لما بلغ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسين جمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فزري علي عبد الملك بن وانا اسمع
قال حدثنا رجا بن سلمة قال حدثنا عباد بن عباد المهلبي عن جعفر بن الزبير
عن القاسم عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجب
الجمعة علي خمسين رجلا ولا تجب علي من دون ذلك قال ابن المنذر وكتب عمر
بن عبد العزيز انما قريه اجتمع فيها خمسون رجلا فليصلون الجمعة وروي
الزهري عن ام عبد الله الدوسية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الجمعة واجبة في كل قرية وان لم يكن فيها الا اربعة يعني بالقري المدائن لا يصح
هذا عن الزهري في رواية الجمعة واجبة علي اهل كل قرية وان لم يكونوا الا
ثلاثة رابعهم امامهم لا يصح سماعه من الدوسية والحكم متروك الثالثة
وتصح الجمعة بغير اذن الامام وحضوره وقال ابو حنيفة من شرطها الامام
خليفته ودليلنا ان الوليد بن عقبة وابي الكوفة اياما يوما فصلى ابن مسعود
بالناس من غير اذنه وروي ان عليا اصلى الجمعة يوم حصر عثمان ولم ينقل
انه استاذنه وروي ان سعيد بن العاصي والي المدينة لما خرج من المدينة
صلى ابو موسي بالناس الجمعة من غير استيذان وقال مالك ان لله فرائض
في ارضه لا يضيعها وليها والي اولها الرابعة قال علماؤنا من شرط اداتها
المسجد المسقف قال ابن العربي ولا اعلم وجهه قلت وجهه قوله تعالي وطهر
بيتي وقوله في بيوت اذن الله ان ترفع وحقيقة البيت ان يكون ذا حيطان
وسقف هذا العرف وانما اعلم الخامسة قوله تعالي وتركوك قائما شرط في قيام
الخطيب علي المنبر اذا خطب قال علقمة سئل عبد الله اكان النبي صلى الله عليه وسلم
يخطب قائما او قاعدا فقال اما تقرا وتركوك قائما وفي صحيح مسلم عن كعب
ابن عجرة انه دخل المسجد وعبد الرحمن ابن ام الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا
الي هذا الخبيث يخطب قاعدا وقال الله عز وجل واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها وتركوك قائما وخرج عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب فمن نبأك انه كان يخطب جالسا فقد
كذب فقد والله صليت معه اكثر من الفي صلاة وعلي هذا جمهور الفقهاء والائمة
العلماء وقال ابو حنيفة ليس القيام بشرط فيها وروي ان اول من خطب
قاعدا معاوية وخطب عثمان قائما حتى رئي مخطب قاعدا وقد قيل

ان معاوية لما خطب قاعدا لسنة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما
ثم يقعد ثم يقوم ولا يتكلم في قعدته رواه جابر بن سمرة ورواه ابن عمر في كتاب
البخاري الساد سنة والخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها وهو قول
جمهور العلماء وقال الحسن هي مستحبة وكذا قال ابن الماجشون انها سنة
ولبست بفرض وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر
فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من صلاة الظهر والدليل على وجوبها
قوله تعالى وتركوك قائما وهذا ذم والواجب الذي يذم تاركه شرعا ثم
قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يصلها الا خطبة السابعة ويخطب متوكئا على
قوس او عصي رواه في سنن ابن ماجة قال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا عبد
الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد قال حدثني ابي عن ابيه عن جده ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب
في الجمعة خطب على عصي التامسة وسلم اذا صعد المنبر على الناس
عند الشافعي وغيره ولم يره مالك وقد روى ابن ماجة من حديث جابر
ابن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا صعد المنبر سلم الناس سعد
فان خطب على غير طهارة الخطبة كلها او بعضها اساء عند مالك ولا اعادة عليه
اذا صلى طاهرا ولبسا فهي قولان في ايجاب الطهارة شرطها في الجديد
ولم يشترطها في القديم وهو قول ابي حنيفة العاشرة قال ما يجزئ
في الخطبة ان يحمد الله تعالى ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي
بتقوى الله ويقرا اية من القرآن وجب في اثنتيه اربع كالاولى
الا ان الواجب بدلا من قراءة الاية في الاولى الدعاء قال المازري لفظها
وقال ابو حنيفة لو اقتصر على التحميد او التسبيح او التكبير اجزاه وعن
عثمان رضي الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد والمنجى عليه فقال ان ابا
بكر وعمر كانا لا يجلسان في هذا المقام مقامي هذا واظنكم الى امام فقال
الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل فصلى وكان ذلك بحضرة الصحابة
فلم ينكر عليه احد وقال ابو يوسف ومحمد الواجب ما تناوله اسم خطبة وهو
قول الشافعي وقال ابو عمر بن عبد البر وهذا اصح ما قيل في ذلك الحادية
عشرة في صحيح مسلم عن يعلى بن امية انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقرا على المنبر ونادوا يا مالك وفيه عن عمرة بنت عبد الرحمن عن اخت
لعمرة قالت ما اخذت ق والقرآن المجيد الا من في رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الجمعة وهو يقرا بها على المنبر في كل جمعة وقد مضى في اول ق
وفي مراسيل ابي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى الله عليه
وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة
من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نسال الله ربنا
ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه قائما
نحن به وله وعنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
اذا خطب كلما هويت قريب لا بعد لما هو اتٍ لا يعجل الله لعجلة احد ولا تخش
الا من الناس ما شاء الله لا ما شاء الناس يريد الله امرا ويريد الناس
امرا ما شاء الله كان لا ما شاء الناس ولوكره الناس لا مبعد لما قرب الله
ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شيء الا باذن الله جل وعز وقال جابر كان
النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب فيقول بعد ان يحمد الله ويصلي
على انبيائه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية
فانتهوا الى نهايتكم ان العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى ما الله
قاض فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله صانع فيه فليأخذ العبد من نفسه
لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت
والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا دار الا الجنة

او النار اقول قولي هذا واستغفروا الله لي ولكم وقد تقدم ما خطب به عليه السلام
او الجمعة عند قدومه المدينة الثانية عشرة السكوت للخطبة واجب على من
سمعها وجوب سنة والسنة ان يسكت لها من سمع ومن لم يسمع وهما ان شاء
الله تعالى في الاجر سواء ومن تكلم حينئذ فقد لغا ولا يفسد صلاته بذلك وفي
الصحيح عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك
انصت يوم الجمعة والامام يخطب فقد لغوت الزمخشري واذا قال المنصت
لصاحبه صه فقد لغا افلا يكون الخطيب العالي في ذلك عاليا نعوذ بالله من
غربة الاسلام ونكد الايام التالية عشرة ويستقبل الناس الامام اذا
صعد المنبر لما رواه ابو داود مرسلا عن ابان ابن عبد الله قال كنت مع
عدي بن ثابت يوم الجمعة فلما صح الامام او قال صعد المنبر استقبله وقال
هكذا اصحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون برسول الله صلى الله
عليه وسلم خرجه ابن ماجة عن عدي بن ثابت عن ابيه فزاد في الاسناد
عن ابيه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام على المنبر استقبل اصحابه
بوجوههم قال ابن ماجة ارجو ان يكون متصلا قلت وخرج ابو نعيم الحافظ
قال حدثنا محمد بن معمر قال حدثنا عبد الله بن محمد ناجية قال حدثنا عباد بن يعقوب
قال حدثنا محمد بن الفضل الحراساني عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد
الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا
تفرد به محمد بن الفضل ابن عطية عن منصور الرابعة عشرة ولا يركع من دخل
المسجد والامام يخطب عند مالك رحمه الله وهو قول ابن شهاب وغيره
وفي الموطا عنه عن ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام
وهذا مرسل وفي صحيح مسلم من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما وهذا
نص في الركوع وبه يقول الشافعي وغيره الخامسة عشرة ابن عون عن
ابن سيرين قال كانوا يكرهون الكلام والامام يخطب ويقولون فيه قولا شديدا قال
ابن عون ثم لقيني بعد ذلك فقال تورك ما يقولون قال يقولون مثل مثل سورته
اجمعوا ثم قال هل تدري ما اجمعوا لم يسم شيئا وعن سمرة بن جندب ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا نعس احدكم فليتحول الى مقعد صاحبه ويتحول صاحبه الى مقعده الثامنة
عشرة يذكر فيها من فضل الجمعة وفضيلتها ما لم يذكره روى الائمة عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيها ساعة لا يوافقها عبد
مسلم وهو يصلي يسأل الله عز وجل شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها وفي
صحيح مسلم من حديث ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
هي ما بين ان يجلس الامام الى ان يقضي الصلاة وروي من حديث انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم اطلع علينا ذات يوم فلما خرج قلنا احتبست قال ذاك
انا ان جبريل اتاني بكهيئة المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء قلت ما هذه يا جبريل
قال هذه الجمعة يعرضها ربك ولاهتك وقد ارادوها اليهود والنصارى فاخطوها
وهداكم الله لها قلت يا جبريل ما هذه النكتة السوداء قال هذه الساعة التي في
يوم الجمعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه اياه او ادخر له
مثله يوم القيامة او صرف عنه من السوء مثله والله خير الايام عند الله اهل
الجنة يسمونه يوم المزيد وذكر الحديث وذكر ابن المبارك ويحيى بن سلام
قال حدثنا المسعودي عن المنهال ابن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد الله بن
عتبة عن ابن مسعود قال سارعوا الى الجمعة فان الله تبارك وتعالى يبرز لاهل
الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور ابيض فيكونون منه في القرب قال ابن
المبارك على قدر تسارعهم الى الجمعة في الدنيا وقال يحيى بن سلام لمسارعتهم
الى الجمع في الدنيا وزاد فتخرج لهم من الكرامة ما لم يكونوا راوه قبل ذلك
قال يحيى وسمعت يزيد بن ميسرة وهو قوله تعالى ولدينا مزيد قلت قوله في كثيب
يريد اهل الجنة اي وهم على كثيب كما روي في الحسن قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اهل الجنة ينظرون الى ربهم في كل جمعة على كثيب من

كافور

كانوا لا يرى طرفاه وفيه نهر جار حافتاه المسك عليه حواريون القران باحسن
اصوات سمعها الاولون والاخرون فاذا انصرفوا الى منازلهم احد كل رجل بيده
ما شاء منهن ثم يمرون على قناطر من لولو الى منازلهم فلولا ان الله يهديهم
الى منازلهم ما اهتدوا اليها لما جدك الله لهم في كل جمعة ذكره يحيى بن سلام
وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي تحت العرش سبعين مدينة
فوردنيا كم هذه سبعين مرة مملوة من الملايكة يسبحون الله ويقدسونه
يقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة اللهم اغفر لمن اغتسل يوم
الجمعة ذكره الثعلبي وخرج القاضي الشريف ابو الحسن علي بن عبد الله
بن ابراهيم الهاشمي العلوي من ولد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس
رضي الله عنه باسناد صحيح عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبعث الايام يوم القيمة على هيئتها
ويبعث الجمعة زهراء منيرة اهلها محفون بها كالعروس تهدى الى كريمتها
يضيء لهم يمشون في ضوئها الوانهم كالثلج بياضا وريحهم يسطع كالمسك
يخوضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان ما يطرفون تعجبا يدخلون الجنة
لا يخالطهم احد الا المؤذنون المحتسبون وفي سنن ابن ماجة عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة الى الجمعة كفارة ما بينهما ما لم
تعس الكبائر خرجه مسلم بمعناه وعن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر
ومشى ولم يركب ودنا من الامام فاستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة
اجر صيامها وقيامها

وعن جابر بن عبد الله قال
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس توبوا قبل ان تموتوا
وبادروا الاعمال الصالحة قبل ان تشغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم
بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتوجروا
واعلموا ان الله قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا في شهري هذا من عامي هذا
الى يوم القيمة فمن تركها في حياتي او بعد مماتي وله امام عادل او جائر استخفافا بها
او جحودا لها فلا جمع الله شمله ولا بارك له في امره الا ولا صلاة
له ولا زكاة له ولا حج له ولا صوم له ولا بر له حتى يتوب فمن تاب تاب الله عليه
الا لا يؤمن امرأة ولا يؤم اعرابي مهاجرا ولا يؤم فاجر مؤمنا الا ان يقهره
سلطان يخاف سيفه او سوطه وقال ميمون بن ابي شبيب اردت الجمعة
مع الحجاج فتهيأت للذهاب ثم قلت لابني اذهب انظر هل خلف هذا الفاجر فقلت
مره اذهب ومره لا اذهب ثم اجمع رأيي على الذهاب فناداني مناد من جانب
البيت يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى
ذكر الله وذروا البيع الى قوله تعالى قل ما عند الله
خير من اللهو ومن التجارة فيه وجهان احدهما ما عند الله من ثواب صلاتكم
خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم الثاني ما عند الله من رزقكم الذي
قسمه لكم خير مما اصبتموه من لهوكم وتجارتكم وقرأ ابو رجا العطاردي قل
ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة للذين امنوا والله خير الرازقين
اي خير من رزق واعطى لمن ابتغى طلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما
عنده من خير الدنيا والاخرة

سورة المنافقين

مدنية في قول الجميع وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله * روى البخاري عن زيد
ابن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي بن سلول يقول لا تنفقوا على
على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز
منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل

رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا لما صدقهم
رسول الله صلى وكذبني فاصابهم هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل
الله عز وجل اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من
عند رسول الله الى قوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك يخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن
صحيح وفي الترمذي عن زيد بن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان معنا اناس من الاعراب فكنا نبدر الماء وكان الاعراب يسبقونا
فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه
حتى يجيء اصحابه فجاء رجل من الانصار اعرابيا فاراد ان يرد فاتمته لسرعة
فانه ان يدعه فانتزع حجرا فقاض الماء فرفع الاعرابي خشبة فضرب بها
راس الانصاري فشجه فاتى عبد الله بن ابي ثم قال لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا يعني الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله اذا انفضوا من عند محمد فاتوا محمدا
بالطعام فيا كل هو ومن عنده ثم قال لاصحابه لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
منكم الاذل فقال زيد وانا ردف عمي فسمعت عبد الله بن ابي فاخبرت عمي فانطلق
فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحلف وجحد فقال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني فقال فجاء عمي الي
وقال ما اردت الا ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك والمسلمون
فمقال فوقع من الهم ما لم يقع علي احد قال فبينما انا اسير مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرخفقت برأسي من الهم اذا اتاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك اذني وضحك في وجهي فما كان يسرني
ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلت ما قال شيئا الا انه ضحك في وجهي وعرك اذني
فقال ابشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لابي بكر فلما اصبحنا غدا
رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال ابو عيسى هذا حديث
حسن صحيح وسئل حذيفة اليماني عن المنافق فقال الذي يصف الاسلام
ولا يعمل به وهم اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم
كانوا يكتمونه وهم اليوم يظهرونه وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا اؤتمن خان وعن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت
فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا
عاهد غدر واذا خاصم فجر اخبر عليه السلام ان من جمع هذه الخصال
كان منافقا وخبره صدق وروي عن الحسن انه ذكر له هذا الحديث فقال
ان بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وائتمنوا فخانوا انما هذا
القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتحذير لهم
ان يبتلوا واهله الخصال سعينا ان يقضي عنهم اي النفاق وليس المعنى
ان من نزلت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتياد انه منافق
وقد مضى في سورة براءة القول في هذا مستوفى والحمد لله وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم المؤمن اذا حدث صدق واذا وعد انجز واذا اؤتمن وفى
والمحبي المؤمن الكامل اذا حدث صدق والله اعلم قوله تعالى
قالوا نشهد انك لرسول الله قيل المعنى نشهد بحلف فعبر عن الحلف بالشهادة لان كل واحد من الحلف والشهادة اثبات لامر مغيب وسيأتي قول
• قيس بن دحية • واشهد عند الله اني احبها • فهذا لها عندي
فما عذرها لبا • ويحتمل ان يكون ذلك محمولا على ظاهره انهم يشهدون ان محمدا
رسول الله اعترافا بالايمان وبتيقنا للنفاق عن انفسهم وقولا الشهد
والله يعلم انك لرسوله كما قالوا بالسنتهم والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

ابي حنيفا

اي فيما اظهروه من شهاداتهم وحلفهم باسمتهم وقال الفراء الله يشهد ان المنافقين لكاذبون بضمايرهم فالتكذيب راجع الى الضمايير وهذا يدل على ان الايمان تصديق القلب وعلى ان الكلام الحقيقي كلام القلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب وقد مضى هذا المعنى في اول سورة البقرة مستوفى وقيل اكذبهم الله في ايمانهم وهو قوله يحلفون بالله انهم لمنكم **قوله تعالى** اتخذوا ايمانهم جنة فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة اي سترة وليس يرجع الى قوله يشهد انك لرسول الله وانما يرجع الى سبب الاية التي نزلت عليه حسب ما ذكره البخاري والترمذي عن ابن ابي انه حلف ما قال وقد قال وقال الضحاك ويحيى حلفهم بالله انهم لمنكم وقيل يحيى بايمانهم ما اخبر الرب عنهم في سورة براءة اذ قال يحلفون بالله ما قالوا الثانية من قال اقسمت او شهدت او عزمت او حلفت فقال في ذلك كله بالله فلا حلاف انها يمين وكذلك عند مالك واصحابه ان قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله اذا اراد بالله وان لم يرد بالله فليس بيمين وحكاه الكيا عن الشافعي قال الشافعي اذا قال اشهد بالله ونوى به اليمين كان يمينا وقال ابو حنيفة واصحابه لو قال اشهد بالله لو كان كذا كان يمينا ولو قال اشهد لقد كان كذا دون النية كان يمينا لهذه الاية لان الله تعالى ذكر منهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الشافعي لا يكون ذلك يمينا وان نوى اليمين لان قوله اتخذوا ايمانهم لبس يرجع الى قولهم قالوا نشهد وانما يرجع الى ما في سراة قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا الثالثة قصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا وهو من الصدود اي صرفوا عن اقامة حكم الله عليهم من القتل والسبي واخذ الاموال فهو من الصد او منعوا الناس عن الجهاد بان يخذلوا او يغتروهم بهم عن غيرهم وقيل قصدوا المشركين عن الدخول في الاسلام بان يقولوا ما نحن كافرون بهم ولو كان محمد نبيا حقا لعرف هذا منا ولجعلنا نكالا فبين الله تعالى ان حالهم لا يخفى عليه ولكن حكمه ان من اظهر الايمان جرى عليه في الظاهر حكم الايمان انهم ساء ما كانوا يعملون اي بئست اعمالهم الخبيثة من نفاقهم وايمانهم الكاذبة وصدهم عن سبيل الله اعمالا قوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا هذا اعلام من الله تعالى بان المنافق كافر اي قرارا بالسان ثم كفروا بالقلب وقيل نزلت الاية في قوم امنوا ثم ارتدوا فطبع على قلوبهم اي ختم عليها بالكفر فهم لا يفقهون الايمان ولا الخير وقرا زيد بن علي فطبع الله على قلوبهم قوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم اي هياتهم ومناظرهم وان يقولوا تسمع لقولهم يعني عبد الله بن ابي وسيما حسيما صحيحا مبيحا دل السان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم مقالته وصفه الله بتمام الصورة وحسن الابانة وقال الكلبي المراد ابن ابي وجد بن قيس ومعتب بن قشير كانت لهم اجسام وفصاحة ففي صحيح مسلم وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شئ كانهم خشب مسندة الى الحايط لا يسمعون ولا يعقلون اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام وقيل شبههم بالخشب التي قد نا كلت في مسنده بخيرها لا يعلم ما في بطنها وقرا قتيبة وابو عمرو والكسائي خشب باسكان الشين وهي قراءة البراء بن عازب واختيار ابي عبيد لانن واحدتها خشبة كما تقول بدنة وبدن وليس في الكلام فعله جمع على فعل ويلزم من قولها ان يكون البدن فيقرا والبدن وذكر الترمذي انه حماع الخشب كقوله عز وجل وحدائق غلبا واحدتها حدبعه علماء وقرا الباقون بالتثقيل وهي رواية البزي عن ابن كثير وعباس عن ابي عمرو واكثر الرواية عن عاصم واختاره ابو حاتم كانه جمع خشاب وخشب نحو ثمرة وثمار وثمر وان شئت جمعت خشبات على خشب كما قالوا بدنة وبدن وقد قرئ عن ابن المسيب فتح الخاء والشين في خشب قال سيبويه خشبة وخشب مثل بدنة وبدن قال ومثله نعمة واسد واسد ووثن ووثن وبقرا خشب وهو جمع الجمع خشبة وخشاب وخشب مثل ثمرة

وثمار وعمروا الاسناد الامالة تقول اسندت الشيء املته ومسنده لكثير اي
استندوا الي الايمان لحقن دمائهم قوله تعالى يحسبون كل صيحة
عليهم هم العدو اي كل اهل صيحة هم العدو فهم العدو وفي موضع المفعول
الثاني على ان الكلام لا ضمير فيه يصفهم بالجبن والجور وقال متمم واسدي
اذا نادي مناد في العسكر ان انقلبت دابه او سقطت ضالة ظنوا انهم هم
المرادون مما في قلوبهم من الرعب كما قال الشاعر وهو الاخطل

• ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا •

وقيل يحسبون كل صيحة عليهم كلام ضمير فيه لا يفتقر الي ما بعد وتقديره يحسبون
كل صيحة عليهم انهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم لان الله تعالى لما ذكر
استئناف خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال هم العدو وهذا معنى قول
الضحاك وقيل يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد انها عليهم وان النبي صلى
الله عليه وسلم قد امر فيها بقتلهم فهم ابدا وجلون من ان ينزل الله فيهم امرا
يفتح به دمائهم ويهتك به استارهم وفي هذا المعنى قال الشاعر

• تلوا انما عصفورة لحبتهما مسومة تدعو عبيدا وارنما •

ثم وصفهم الله تعالى بقوله هم العدو فاحذرهم حكاه عبد الرحمن بن ابي حاتم
وفي قوله تعالى فاحذرهم وجهان احدهما فاحذر ان يبقى بقولهم او تميل
الي كلامهم الثاني فاحذرهم لئلا يظنهم لاعدائك وتحذر بهم لاصحابك قاتلهم
الله اي لعنهم الله قاله ابن عباس وابو مالك وهي كلمة ذم وتوبيخ وقد
تقول العرب قاتله الله ما اشجره فيضعونه موضع التعجب وقيل معنى
قاتلهم الله اي احلهم محل من قاتله عدو قاهر لان الله تعالى قاهر لكل
معاند حكاه ابن عيسى انى يؤفكون اي يكذبون قاله ابن عباس قتادة
معناه يعدلون عن الحق الحسن معناه يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف
تضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك وهو الصرف وابي
بمعنى كيف وقد تقدم قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم
رسول الله لما نزل القرآن بصفتهم مشى اليهم عشائرهم وقالوا افتضحتم
بالنفاق فتوبوا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من النفاق واطلبوا
ان يستغفر لكم فلووا رؤسهم اي حركوها استهزاء وايا قاله ابن عباس وعنه
انه كان لعبد الله بن ابي موقف في كل سنة يحض على طاعة الله وطاعة رسوله
فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم عليك غضبان
فانه يستغفر لك فابي وقال لا اذهب اليه وسبب نزول هذه الايات
ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق على ما يقال له المريسيع من
ناحية قرب الي الساحل فازدحم اجير لعمر يقال له جهجاه مع حليف لعبد
الله بن ابي يقال له سنان على الماء المشترك فضرب جهجاه يا للمهاجرين وصرخ
سنان يا للانصار فلطم جهجاه سنانا فقال عبد الله بن ابي اوقد فعلوها والله
ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا
الي المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني ابنا الاذل يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم ثم قال لقومه كفوا طعامكم عن هذا الرجل ولا تنفقوا عليه حتى
ينفضوا فقال زيد بن ارقم وهو من رهط عبد الله انت والله الذليل المنتقص
في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين
والله لا احبك بعد كلامك هذا ابدا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب
فاخبر زيد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فاقسم بالله ما فعل وما قال فعذره
النبي صلى الله عليه وسلم فقال زيد فوجدت في نفسي ولا مني الناس فنزلت
سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله فقيل لعبد الله قد نزلت
فيك ايات شديدة فاذهب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك فالوى
برأسه فنزلت الايات خرجه البخاري ومسلم والترمذي بمعناه وقد تقدم اول
السورة وقيل يستغفر لكم فسيتبينكم من النفاق لان التوبة استغفار وانتم
يصدون وهم مستكبرون اي يعرضون عن الرسول متكبرين عن الايمان

وقرا نافع لوو بالتخفيف وشدد الباقون واختاره ابو رجاء بيد وقال هو فعل
لجماعة الناس وغلط في هذا لانه نزلت في عبد الله بن ابي لما قيل له تعال
يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرك راسه استهزاء فان قيل
كيف اخبر عنه بفعل الجماعة قيل له العرب تفعل هذا اذا كنت عن لا نسبات
• اشار سيبويه لحسان • • • • • •
• • ظننتم بان يخفى الذي صنعتم • وفينا رسول عنده الوحي واضع • •
وانما خاطب حسان ابن الابرق في سنة سرقه بمكة وقصته مشهوره وقد
يجوز ان تخبر عنه وعن من فعل فعله وعن كان ابن ابي لما لوى راسه امر
نبوي ان اوهن تقرا منت وان اعطا زكاة ما بي فقد اعطيت مما بقي الا ان
اسجد لمحمد قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم يعني كل ذلك سواء لا يتبع
استغفارك شيئا لان الله لا يغفر لهم نظيره سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم
لا يومنون سواء عليهما وعظت ام لم تكن من الواعظين وقد تقدم ان الله لا يهدي
القوم الفاسقين اي من سبق في علم الله انه يموت فاسقا قوله تعالى
هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله ذكرنا سبب النزول
فيما تقدم وابن ابي قال لا تنفقوا على من عند محمد حتى ينفضوا حتى يفتقروا عنه
فاعلمهم الله سبحانه ان خزاين السموات والارض له يغلق كيف شاء قال
رجل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال ولله خزاين السموات والارض وقال
الجنيد خزاين السموات الغيوب وخزاين الارض القلوب فهو علام الغيوب
ومقلب القلوب وكان المسبلي يقول ولله خزاين السموات والارض فاين تذهبون
ولكن المنافقين لا يفقهون انه اذا اراد امرا يسره قوله تعالى يقولون
قوله تعالى يقولون لين رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل القائل ابن
ابي كما تقدم وقيل انه لما قال ليخرجن الاعز منها الاذل ورجع الى المدينة لم
يلبث الا اياما يسيرة حتى مات فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم
والبسه قميصه فنزلت هذه الاية لن يغفر الله لهم وقد مضى بيان هذا
كله في سورة براءة مستوفى وروي ان عبد الله بن ابي بن سلول قال لابيه
والذي لا اله الا هو لا يدخل المدينة حتى يقول ان رسول هو الاعز وانا الاذل
فقاله توهموا ان العزة بكثرة الاموال والاتباع فبين الله ان العزة والمنعة
والقوة لله قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن
ذكر الله حذر المومنين لخلائق المنافقين ان لا تشتغلوا باموالكم كما تحل المنافقون
اذ قالوا للنبي باموالهم لا يشتغلوا على من عند رسول الله عن ذكر الله اي عن الحج
والزكاة وقيل عن قراءة القرآن وقيل عن ادامة الذكر وقيل عن الصلوات
الخمس قاله الضحاك وقال الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل
هو خطاب للمنافقين اي امنتم بالقول فامنوا بالقلب ومن يفعل ذلك
اي من يشتغل بالمال والولد عن طاعة الله فاولئك هم الخاسرون قوله
تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيه اربع مسائل الاولى
قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت يدل على وجوب
تعجيل اداء الزكاة ولا يجوز تاخيرها اصلا وكذلك سائر العبادات اذا تعينت وقتها
الثانية قوله تعالى فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب سال الرجعة الى
الدنيا ليعمل صالحا وروى الترمذي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس
قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه او تجب عليه زكاة فلم يفعل سال الرجعة
عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله انما سالت الرجعة الكفار فقال
سابتلوا عليك بذلك قرانا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم
من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق
واكون من الصالحين الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكاة قال الزاد
والراحلة اذا بلغ المال مايتين فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة
قلت ذكره الحليمي ابو عبد الله الحسين بن الحسين في كتاب منهاج الدين مرفوعا

فقال وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عنده مال يبلغه الحج الحديث فذكره وقد تقدم في آل عمران لفظه الثالثة قال ابن العربي اخذ ابن عباس بعموم الآية في انفاق الواجب خاصة دون النفل فاما تفسيره بالزكاة فصحيح كله عموما وتقديرا بالما ينبغي واما الخروج في الحج فعليه اشكال لانا ان قلنا ان الحج على التراخي ففي المصيبة في الموت قبل الحج خلاف بين العلماء فلا يخرج الا بدليل عليه وان قلنا ان الحج على الفور فالآية في العموم صحيح لان من وجب عليه الحج فلم يوده لقي من الله ما يود انه رجع لما يجب عما نزل من العبادات واما تقديرا لامر بالزاد والراحلة ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء وليس لكلام ابن عباس فيه مدخل لاجل الرجعة والوعيد لا مدخل في المسائل المختلف فيها ولا المختلف عليها وانما تدخل في المتفق عليه والصحيح يتناوله من الواجب من الانفاق كيف يتصرف بالاجماع او بنص القرآن لاجل ان ما عدا ذلك لا يتطرق اليه تحقيق الوعيد الرابعة قوله تعالى لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون وقيل لاصله فيكون الكلام بمعنى التمني فاصدق نصب على جواب التمني بالفاء واكون عطف على فاصدق وهي قراءة ابي عمرو وابن محيصن ومجاهد وقرأ الباقون واكن بالجزم عطفا على موضع الفاء لان قوله فاصدق لو لم يكن الفا لكان مجزوما اي اصدق ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون بجزم قال ابن عباس هذه الآية اشد ما شدد على اهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع في الدنيا والتاخير فيها احد له عند الله خير في الآخرة قلت الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة والله خبير بما تعملون من خير وشر وقراءة العامة بالتاء على الخطاب وقرأ ابو بكر عن عاصم والسلمي بالياء على الخبر عن من مات وقال هذه المفاعلة

سورة التغابن مدنية

في قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي هي مكية ومدنية وهي ثمان عشرة آية وعن ابن عباس ان سورة التغابن نزلت بمكة الا ايات من آخرها نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الى آخر السورة وعن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وفي يمينه ملك واسمه ملكتوب بخمس آيات من سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير تقدم في غير موضع قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن قال ابن عباس ان الله خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا ويعيدهم في القيامة مؤمنا وكافرا وروى ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيئا مما يكون فقال يولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مؤمنا ويعيش مؤمنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مؤمنا وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله ذرعون في بطن امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا في بطن امه مؤمنا وفي الصحيح من حديث ابن مسعود وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها خرجه البخاري والترمذي وليس فيه ذكر الباع وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة قال

علما وتاويا لمعنى تعلق العلم الازلي بكل معلوم يجري ما علم واراد وحكم تقديره
ايمان شخص على عموم الاحوال وتدبيره الى وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل
في الكلام محذوف تمنكم مومن ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف لما في الكلام من الدلالة
عليه قاله الحسن وقال غيره لاحذف فيه لان المقصود ذكر الطرفين وقال جماعة
من اهل العلم ان الله خلق الخلق ثم كفروا وامنوا قالوا ونمام الكلام هو الذي
خلقكم ثم وصفكم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن كقوله تعالى والله خلق كل دابة
من ماء فمنهم من يمشي على بطنه الآية قال والله خلقهم والمشي فعلهم واختاره
الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مومنين وكافرين وصفهم لجعلهم في قوله فمنكم
كافر ومنكم مومن واحتجوا بقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه الحديث وقد مضى في سورة الروم مستوفى قال
الضحاك فمنكم كافر في السر مومن في العلانية كالمنافقين ومنكم مومن في السر
كافر في العلانية كعمار وورد وقال عطاء بن ابي رباح فمنكم كافر بالله مومن
بالكواكب ومنكم مومن بالله كافر بالكوكب يعني في شان الانواء وقال الزجاج
وهو احسن الاقوال والذي عليه الائمة والجمهور من الامة ان الله خلق الكافر
وكفره فعل له وكسب مع ان الله خالق الكفر وخلق المومن وايمانه فعل له وكسب
مع ان الله تعالى خالق الايمان والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله اياه
لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من كل واحد
منهما غير الذي قدر عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور عجز ووجود
خلاف المعلوم عجز جهل ولا يليقان بالله تعالى وفي هذا سلامة من الحدوث القدم
كما قال الشاعر

يا ناظرا في الدين ما الامر لا قدر صح ولا خير

وقال سبلان قدم اعرابي البصرة فقيل له ما تقول في القدر فقال
امر تعالت فيه الظنون واختلف فيه المختلفون فالواجب ان يزد ما اشكل
علينا من حكمه الى ما سبق من علمه قوله تعالى هو الذي خلق السموات
والارض بالحق تقدم في غير موضع اي خلقها حقا يقينا لا ريب فيه وقيل لتبقى
على الدوام اي خلقها للحق وهو ان يجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى وصوركم فاحسن صوركم يعني ادم عليه السلام خلقه
بيده كرامة له قال مقاتل الا بني جميع الخلائق وقد مضى معنى التصوير وانه
التخطيط والتشكيل فان قيل كيف احسن صورهم قيل له جعلهم احسن
الحيوان كله وابهاه صورة بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على
خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب
قال الله عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم على ما بانى في بيانه ان
شاء الله تعالى واليه المصير اي المرجع فيجازي كلا بعمله قوله تعالى
يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات
الصدور تقدم في غير موضع فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء
قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل الخطاب لقريش اي الخبر
يا تكم خبر كفار الامم الماضية فذاقوا وبال امرهم اي عوقبوا ولهم في الاخرة
عذاب اليم اي موجع وقد تقدم قوله تعالى ذلك اي هذا العذاب لهم
بكفرهم بالرسل تاتيهم البينات اي بالدلايل الواضحة فقالوا ابشر يهدوننا
انكروا ان يكون الرسول من البشر وارتفع ابشر على الابتداء وقيل باضمار فعل
والجمع على معنى بشر ولهذا قال يهدوننا ولم يقل يهدينا وقد ياتي
الواحد بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس وواحده انسان لا واحد له من لفظه
وقد ياتي الجمع بمعنى الواحد نحو قوله تعالى ما هذا بشرا فكفروا اي بهذا القول
اذ قالوه استضعارا ولم يعلموا ان الله يبعث من يشاء من عباده وقيل
كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان واعرضوا عن الايمان والموعظة واستغنى
الله اي بسلطانه عن طاعة عباده قاله مقاتل وقيل استغنى الله بما اظهره
لهم من البرهان واوضح لهم من البيان عن زيادة تدعوا الى الرشد

ونعود الى الهداية قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا اي ظنوا والزعم هو القول
بالظن وقال سترح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا قيل نزلت في العاص بن
وائل السهمي مع خباب حسب ما تقدم بيانه في آخر سورة مريم ثم عمت كل كافر
قل يا محمد بلى وربي لتبعثن اي لتخرجن من قبوركم احياء ثم لتنبؤن لتخبرن
بما عملتم اي بأعمالكم وذلك على الله يسير اذ الاعادة من الابتدا قوله تعالى
فآمنوا بالله ورسوله امرهم بالايمان بعد ان عرفهم قيام الساعة والنور
الذي انزلناه هو القرآن وهو نور يهدي به من ظلمة الضلال والله بما تعملون
خبير قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فيه ثلاث مسائل
الاولى قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع العامل في يوم لينبؤن او خبير لما فيه
من معنى الوعيد كانه قال والله مجازيكم يوم يجمعكم او باضمار اذكروا والتغبين
النقص يقال غبنه اذا اخذ الشئ غبنا بسكون الباء وقرأ نصر وابن ابي اسحق والجحدري
وابو عمرو وسلام يجمعكم بالنون اعتبارا بقوله والنور الذي انزلنا ويوم
الجمع يوم يجمع الله الاولين والآخرين والانس والجن واهل السماء واهل الارض
وقيل هو يوم يجمع الله فيه بين كل عبد وعمله وقيل لانه يجمع فيه بين الظالم
والمظلوم وقيل لانه يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل لانه يجمع فيه بين ثواب
اهل الطاعات وعقاب اهل المعاصي وذلك يوم التغابن اي يوم القيمة
قال وما ارتجى بالعيش في دار فرقة الا انما الراحات يوم التغابن
وسمي يوم القيامة يوم التغابن لانه غبن فيه اهل الجنة اهل النار اي ان
اهل النار اي انه اهل الجنة اخذوا الجنة واخذ اهل النار النار على طريق المبادلة
فوقع الغبن لاجل مبادلتهم الخير بالشر والجبر بالردى والنعيم بالعذاب
يقال غبنت فلانا اذا بايعته او شاريته فكان النقص عليه والغبن لك وكذا
اهل الجنة واهل النار في ما يأتي بيانه ويقال غبنت الثوب وخبنته
اذا طال عن مقدارك فحططت منه شيأ فهو نقصان ايضا والمغابن ما انثنى
من الحلق نحو الابطين والفخذين قال المعروف ان المغبون من غبن اهله
ومنازله في الجنة ويظهر بهذا غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن
بتقصيره في الاحسان وتضييعه الايام قال الزجاج ويعرف من ارتفعت
منزلته في الجنة ممن كان دون منزلته الثانية قال قيل فما معاملة
وقعت بينهما حتى يقع التغابن فيها قيل له هو تمثيل للعين في الشراء والبيع
كما قال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وما ذكر ان الكفار اشتروا
الضلالة بالهدى وما رجوا في تجارتهم بل خسروا وذكر ايضا انهم غبنوا وذلك
ان اهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا واشتري اهل النار الدنيا بترك
الآخرة وهذا نوع مبادلة لانه اشتراء وبيع وقد فرق الله سبحانه الخليقة
فريقين فريقا للجنة وفريقا للنار فقد يسبق الخذلان على العبد كما بيناه
في هذه السورة وغيرها فيكون من اهل النار فيحصل الموفق على منزل المخذول
ومنزل الموفق النار فيكون كانه وقع المبادلة فحصل التغابن والامثال
موضوعة للبيان في حكم اللغة والقرآن وذلك كله مجموع من نثر الاشارات
وفرجات متفرقة في هذا الكتاب وقد يخبر عن هذا المعادل بالوراثة كما
بيناه في قراءة المؤمنون والله اعلم وقد يقع التغابن في غير هذا الاجبار
لنهايته وقال الحسن وقتادة بتغابن التغابن في ثلاثة اصناف
رجل علم علما فعلمه وصنعه هو ولم يعمل به فشقي به وعلم من يعلمه فنجا به ورجل
اكتسب مالا من وجوه فسئل عنها وسئل عليه وفرط في طاعة ربه بسببه ولم
يعمل فيه خيرا وتركه لوارث لاحساب عليه فيه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة
الله ورجل كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربه فسعد وعمل وعمل السيد
بطاعة ربه فشقي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
يضم الرجل والمرأة يوم القيمة بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا فيما
انتما بعاملين فيقول الرجل يا رب اوجب لفتنتها علي فتعسفتها من

حلال وحرام

حلال وحرام وهولاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي مال اوفى به فتقول المراة يارب
وما عسى ان اقول اكسبته حراما واكلته حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له
بذلك فيبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى قد صدقت فيومر به الى النار ويومر
بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة فتقول له عند ذلك سعدنا
بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن فذلك يوم التغابن الثالثة
قال ابن المرابطي استدل علماؤنا بقوله ذلك يوم التغابن على انه لا يجوز
الغبن في المعاملة الربوية لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيامة
فقال ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد انه لا غبن في الدنيا فكل
من اطلع على غبن في مبيع فانه مردود اذا ازاد على الثلث واختاره البغداديون
واحتجوا عليه بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم لحبان منقذ اذا بايعت
فقل لا خلابة ولك الخيار ثلثا وهذا فيه نظر طويل بيناه في مسايل الخلاف
بلكنه ان الغبن في الدنيا ممنوع باجماع في حكم الدين اذ هو من باب الجراح المحرم
شرعا في كل ملة لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه لاحد فعفي في البيوع
اذ لو حكمنا برده ما تقرر بيع ابدا لانه لا يخلوا منه حتى اذا كان كثيرا امكن الاحتراز
منه وجب الرد به والفرق بين القليل والكثير اصل في الشريعة معلوم فقد
علمونا ذلك لهذا الحد اد واه في الوصية وغيرها ويكون معنى الاية
على هذا ذلك يوم التغابن الحاير مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن
الذي لا يستدرك ابدا لان تغابن الدنيا يستدرك بوجهين اما برد في بعض
الاحوال واما بتزيح في بيع اخر وسلعة اخرى فاما من خسر الجنة فلا درك له
ابدا وقد قال بعض علماء الصوفية ان الله كتب الغبن على الخلق اجمعين
فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفاء للعمل حتى يحصل له استيفاء
الثواب وفي الاثر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله احدا الا نادما انه
كان محسنا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد قوله تعالى
ومن يؤمن بالله يهد قلبه يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها انهار
خالدين فيها وابدا قون بالياء قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا
بايتنا يعني القران اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير لما ذكر
ما للمومنين ذكر ما للكفار كما تقدم في غير موضع قوله تعالى ما اصاب
من مصيبة الا باذن الله اي بارادته وقضائه وقال ابن عباس ما سالله
وقيل لا يحلم الله وقيل سبب نزولها ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون
حقا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا فبين الرب تعالى ان ما اصاب من
مصيبة في نفس او مال او قول او فعل يقتضيهما او يوجب عقابا عاجلا او اجلا
فبعلم الله وقضائه قوله تعالى ومن يؤمن بالله اي يصدق ويعلم انه
لا يعلم يصيبه مصيبة الا باذن الله يهد قلبه للصبر والرضى وقيل تثبته على
الايمان وقال ابو عثمان الحيري من صح ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة
وقيل ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند المصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون
قال ابن جبير وقال ابن عباس هو ان يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم انه ما اصا
لم يكن ليخطئه وان ما اخطاه لم يكن ليصيبه وقال الكلبي هو اذا ابتلي صبر
واذا انعم عليه شكر واذا ظلم غفر واذا اذنب تاب قلبه اي سبيل الثواب والجنة
وقراه العامة يهد بفتح الياء وكسر الدال لذكر اسم الله اولا وقرا السلمي وقتادة
يهد قلبه بضم الياء وفتح الدال على الفعل المجهول ورفع الباء لانه اسم فعل
لم يسم فاعله وقرا طلحة بن مصرف والاعمش يهد بنون على التعظيم قلبه
بالنصب وقرا عكرمة يهد بهداء قلبه بهمزة ساكنة ورفع الباء اي يسكن ويطمئن
وقرا مثله مالك بن دينار الا انه لين الهمزة والله بكل شئ عليم لا يخفى عليه
شئ منكم فاحذروه وسلم لامره ولكن اهتموا بما امركم به قوله تعالى واطيعوا الله
واطيعوا الرسول اي هو فوا على انفسكم المصايب واشتغلوا بطاعة الله واعملوا
بكتابه واطيعوا الرسول في العمل بسنته فان تولتم عن الطاعة فليس على
الرسول الا التبليغ الله لا اله الا هو اي لا معبود سواه ولا خالق غيره فعليه فتوكلوا

ديون

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي
شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم حفا اهله وولده فتولت ذكره النحاس وحكاه
الطبري عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الايات
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وولد وكان اذا اراد الخير
لم يكونا اليه ورققوه فقالوا اليهن بدعنا فرق فيقيم فنزلت يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الاية كلها بالمدينة في عوف بن مالك وبقية
الاية الى اخر السورة بالمدينة وروى الترمذي عن ابن عباس وساله رجل
عن هذه الاية يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة واراد وان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
الاية قال هذا حديث حسن صحيح التابيذ قال القاضي ابو بكر
ابن العربي هذا تبيين وجه العداوة قال العدو لم يكن عدوا بدايته انما كان
عدوا بفعله فاذا فعل الروح والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من
الحيلولة بين العبد وبين الطاعة وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشيطان قعد لابن ادم في طريق الاسلام
فقال له اتؤمن وتذر دينك ودين اباءك وامن ثم قعد له على طريق الهجرة
فقال له اتهاجر وتترك اهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق
الجهاد فقال له اتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساؤك وتقسم مالك فخالفه
فقتل فحق على الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين احدهما يكون
بالوسوسة والثاني بان يحمل ما يريد من ذلك الروح والولد والصاحب قال الله
تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى
عليه السلام من احد اهلا ومالا وولدا كان لدنيا عبدا وفي صحيح الحديث بيان
ادنى من ذلك في حال العبد قال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة تعس وانتكس واذا
شيك فلا انتقش ولا دناءة اعظم من عبادة الدنيا ولا همة احسن من همة
ترتفع بنور تجديد التالشة كما ان الرجل يكون له مال وولده وزوجته
عدو اكذلك المراة يكون لها زوجها وولدها عدو ابهذا المعنى بعينه وعموم قوله
من ازواجكم يدخل فيه الذكر والانثى لدخولهما في كل اية والله اعلم الرابعة
قوله تعالى فاحذروهم معناه على التسلم والحذر على النفس يكون لوجهين
اما لضرر في البدن واما لضرر في الدين وضرر البدن يتعلق بالدنيا وضرر
الدين يتعلق بالاخرة فحذر الله سبحانه العبد من ذلك وابدره الخامسة
قوله تعالى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم روى الطبري
عن عكرمة في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم قال كان الرجل يريد ان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول له
اهله وابن تذهب وتدعنا فالفاذا اسلم وتفقه قال لارجعن الى الذين كانوا
يثبطون عن هذا الامر فلافعلن ولافعلن قال فانزل الله عز وجل وان تعفوا وتصفحوا
وتغفروا فان الله غفور رحيم وقال مجاهد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من
ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال ما عادوهم في الدنيا ولكن حملهم
مودتهم لهم على ان احدوا لهم الحرام فاعطوهم اياهم والاية عامة في كل معصية
يرتكبها الانسان بسبب الاهل والولد وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم
قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء واختبار يحملكم على كسب الحرام
ومنع حق الله تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله وفي الحديث يوتى برجل يوم
القيمة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف لعيالك سوس الطاعات

وقال

وقال التبني فسه اي اعرام يقال فس الرجل بالمراة اي شعف بها وقيل فسه محنه ومنه
قول الشاعر لقد فس الناس في دينهم وخلي ابن عفان شرا طويلا
وقال ابن مسعود لا تقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع
الي مال واهل وولد الا وهو مشتمل علي فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات
الفتن وقال الحسن في قوله تعالي ان من ازواجكم اولادكم من للتبعيض لان كلهم ليسوا
باعدا ولم يذكر من في قوله تعالي انما اموالكم واولادكم فتنة لانها لا تخلوا من
الفتنة واشتغال القلب بها وروي الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة
عن ابيه قال رايت النبي صلي الله عليه وسلم يخطب فجا الحسن والحسين
عليهما السلام عليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلي
الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم
واولادكم فتنة نظرت الي هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتي قطعت
خطبتي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته والله عنده اجر عظيم يعني الجنة فهي الغاية
ولا اجر اعظم منها لقول المفسرين وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي يقول لاهل الجنة
يا اهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك فيقولون هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضي
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقولون الا اعطيكم افضل من ذلك
قالوا يا ربنا واي شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم
بعده ابدا وقد تقدم ولا شك في ان الرضي غاية الاماني وانشد
الصوفية في تحقيق ذلك

* امتحن الله به خلقه * فالنار والجنة في فتنته *
* فجره اعظم من ناره * ووصله اطيب من جنته *

قوله تعالي فاتقوا الله ما استطعتم * فيه خمس مسايل الاولي قوله تعالي
فاتقوا الله ما استطعتم ذهب جماعة من اهل العلم منهم قتادة والربيع بن انس واشهب
وابن زيد ذكره الطبري وحدثني يونس بن عبد الاعلي قال انا ابن وهب
قال قال ابن زيد في قوله تعالي يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال
جا امر شديد قال من يجري قدرهذا او يبلغه فلما عرف الله انه قد اشتد ذلك
عليهم نسخها عنهم وجا بهذه الاية الاخري فقال اتقوا الله ما استطعتم وقيل
هي محكمة لا نسخ فيها قال ابن عباس قوله تعالي اتقوا الله حق تقاته انها لم
ينسخ ولكن حق تقاته ان يجاهد في الله حق جهاده ولا تاخذهم في الله لومة لائم
ويقوموا لله بالقسط ولو علي انفسهم وابائهم وابنائهم وقد تقدم الثانية
فان قيل فاذا كانت هذه الاية محكمة غير منسوخة فما وجه قوله في سورة التغابن
فاتقوا الله ما استطعتم وكيف يجوز اجتماع الامر بالتقا الله حق تقاته والامر
بالتقايه ما استطعنا والامر بالغاية علي التفاوت ايجاب الغرائب بغير خصوص ولا
وصل بشرط والامر بالتقايه ما امر بالتقايه بشرط فقل له قوله اتقوا الله ما استطعتم
بمعزل مما دل عليه قوله تعالي اتقوا الله حق تقاته وانما معني قوله اتقوا الله ما
ما استطعتم فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما جعل فتنة لكم من اموالكم
واولادكم ان تقلبكم فتنتكم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من ارض
الكفر الي ارض الاسلام فينزلوا الهجرة ما استطعتم بعني وانتم للهجرة مستطيعون
وذلك ان الله جل ثناوه قد كان عذر من لم يقدر علي الهجرة بتركها بقوله تعالي
ان الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم الي قوله فاولئك عسي الله ان يعفو
عنهم فاخبر انه قد عذر عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في
ذلك الشرك فكذلك معني قوله ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الي دار الاسلام
ان يتركوها لفتنة اموالكم واولادكم ومما يدل علي صحة هذا ان قوله تعالي واتقوا
الله ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الي دار الاسلام ان تتركوها عقب
قوله تعالي يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
ولا خلاف بين السلف من اهل العلم بنا وبل القران ان هذه الايات نزلت

سبب قوم كفار ناخروا عن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام بسبب اولادهم
اياهم عن ذلك حسب ما تقدم وهذا كله لاختيار الطبري وقيل فاتقوا الله ما
استطعتم فما نطوع فيه من قلة او صدقة فانه لما نزلت قوله اتقوا الله حق
تقاته اشتد ذلك على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت جباههم
فانزل الله تعالى تخفيفا عنهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى قاله
ابن جبير قال الماوردي ويحتمل ان لم يثبت هذا النقل ان المكره على المعصية
غير مواخذ بها لانه لا يستطيع ابقاءها الثالثة قوله تعالى واسمعوا واطيعوا
اي اسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وقالا
مقاتل اسمعوا اي اصغوا الى ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الاصل في السماع
واطيعوا الرسول فيما امركم او نهاكم قال قتادة علمنا بويع النبي صلى الله عليه
وسلم على السمع والطاعة وقيل واسمعوا اي اقبلوا ما تسمعون وعبر عنه
بالسماع لانه فايدته قلت وقد تعلل في هذه الايام الحجاج حين تلاها وقصرها
على عبد الملك بن مروان فقال فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا هي لعبد
الملك بن مروان امير الله وخليفته لسمعها مسورة والله لو امرت رجلا
ان يخرج من باب المسجد فخرج من غيره لحل لي دمه وكذب في تاويلها بل هي
للنبي صلى الله عليه وسلم او لائمة الاولى الامر من بعده دليله قوله تعالى اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الرابعة قوله تعالى وانفقوا قيل هي
الزكاة قاله ابن عباس وقيل هو النفقة في النفل وقال الضحاك
هو النفقة في الجهاد وقال الحسن هو نفقة الرجل لنفسه قال ابن العربي واما
وقع قايل هذا القول لانفسكم وخفي عليه ان نفقة الفرض والنفل في
الصدقة على نفسه قال الله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم
فلها وكل ما يفعله الانسان من خير او شر فانما هو لنفسه وان اساتم فلها
وكل ما يفعله الانسان من خير فانما هو لنفسه والصحيح انها عامة وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل عندي دينار قال انفقه على نفسك قال
عندي اخر قال انفقه على عيالك قال عندي اخر قال انفقه على ولدك قال
عندي اخر قال تصدق به فبدا بالنفس والاهل والولد وجعل الصدقة
بعد ذلك وهو الاصل في الشرع الخامسة قوله تعالى خيرا لانفسكم خيرا نصب
بفعل مضمر عند سيبويه دل عليه وانفقوا كانه قال ائتوا الى الانفاق
خيرا لانفسكم او قدموا خيرا لانفسكم من اموالكم وهو عند الكسائي والفراء
نعت لمصدر اي انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم وهو عند ابي عبيدة خبر كان
مضمرة اي يكن خيرا لكم ومن جعل الخير المال فهو منصوب بانفقوا قوله
تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون تقدم الكلام عليه وكذا ان تقرضوا
الله قرضا حسنا يضاعفه لكم تقدم الكلام عليه وكذا ان تقرضوا الله ايضا فيه في البقرة
والحليم الذي لا يعجل قوله تعالى عالم الغيب والشهادة اي ما غاب وحضر
وهو العزيز الحكيم العزيز الغالب اي القاهر الغالب فهو من صفات الافعال
ومنه قوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم اي من الله القاهر المحكم خالق
الاشياء وقال الخطابي وقد يكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عزيز بكسر العين
يعز بفتحها وفي معنى العزيز على هذا الله لا يعادله شيء والله لا مثل له وقوله عالم
الحكيم في تدبير خلقه وقال ابن الانباري الحكيم اي المحكم لخلق الاشياء وصرف
عن مفعل الى فعيل ومنه قوله عز وجل الر تلك ايات الكتاب الحكيم معناه
المحكم فصرف عن مفعل الى فعيل والله اعلم

سورة الطلاق مدنية

في قول الجميع وهي احدى عشرة اية وقيل اثنتي عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن الى قوله بحدث بعد
ذلك امرا فيه اربع عشرة مسيلة الاولى قوله تعالى يا ايها النبي الخطاب

للنبي

النبي صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجماعة تعظيما وتفخيما وفي سنن ابن
ماجة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وروى قتادة عن انس قال
طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة رضي الله عنها فانت اهلها فانزل
الله تعالى عليه يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وقيل لمراجعها
فانها صوامة وهي من ازواجك في الجنة ذكره الماوردي والثعلبي
والثعلبي زاد الثعلبي ونزل في خروجها الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن
من بيوتهن وقال الكلبي سبب نزول هذه الاية ان عصب رسول الله صلى
الله عليه وسلم على حفصة لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعايشة فطلقها
تطليقة فنزلت الاية وقال السدي نزلت في عبد الله ابن عمر طلق امراته
حايضا تطليقة واحدة فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراجعها
ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض ثم تطهر فان اراد ان يطلقها فليطلقها حين تطهر
من قبل ان يجامعها تلك العدة التي امر الله تعالى ان يطلق لها النساء وقد
قيل ان رجلا لاعلوا امثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاصي
وعمرو بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فنزلت الاية فيهم قال ابن العربي
وهذا كله وان لم يكن صحيحا فالقول الاول امثل والاصح فيه انه بيان لشرع
مبتدا وقد قيل انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وظاهر بين
اللفظين من حاضر وغايب وذلك لغة فصيحة كما قال اذكنتم في الفلك وجرين
بهم بريح طيبة تفكروه يا ايها النبي قل لهم اذا طلقتم النسا فطلقوهن
لعدتهن وهذا هو قولهم ان الخطاب له وحده والمعنى له وللمومنين
واذا اراد الله تعالى الخطاب للمومنين لاطمه بقوله يا ايها النبي فاذا كان
الخطاب باللفظ والمعنى جميعا قال يا ايها الرسول قلت ويدل على صحة
هذا القول نزول العدة في اسما بنت يزيد بن السكن الانصارية وفي كتاب
ابي داود عنها انها طلقت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن
للمطلقة عدة فانزل الله سبحانه حينئذ طلقتن اسما بالعدة للطلاق
فكانت اول من انزل فيها العدة للطلاق وقيل المراد به هنا النبي صلى الله
عليه وسلم تعظيما له ثم ابتدا فقال اذا طلقتم النساء كقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الاية فذكرا المومنين على تقديم و
لكن عمهم ما اختتح فقال انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الاية
الثانية روى الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز منه العرش وعن ابي
موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النسا الا من ريبة فان
الله عز وجل لا يحب الذواقين ولا الذواقات وعن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما حلق بالطلاق ولا استحلف به الا منافق اسد جميع
الثعلبي رحمه الله في كتابه وروى الدارقطني قال حدثنا ابو العباس محمد بن
موسى بن الوليد الوليدي ويعقوب بن ابراهيم قالا حدثنا الحسن بن عرفة قال حدثنا اسمعيل
ابن عياش عن حميد بن مالك اللخمي عن مكحول عن معاذ بن جبل قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى شيئا على وجه الارض احب
اليه من العتاق ولا خلق الله تعالى شيئا ابغض اليه من الطلاق فاذا قال
الرجل لمملوكه انت حر ان شا الله فهو حر ولا استثنا له وان قال الرجل لامراته
انت طالق ان شا الله فله استثناوه ولا طلاق عليه حدثنا محمد بن موسى
ابن علي قال حدثنا حميد بن الربيع قال حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا
اسمعيل بن عياش باسناده نحو ما قال حميد قال لي يزيد بن هارون سر دني
سر دني الان صار حديثا حدثنا عثمان بن احمد الدقاق قال حدثنا اسحق
ابن ابراهيم بن سنين قال حدثنا عمر بن هشام بن ابراهيم بن خالد قال
حدثنا حميد بن مالك اللخمي قال حدثنا مكحول عن مالك ابن يخامر عن معاذ بن

جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق
ثم طلق والشيء فله شبهاء قال واختلفوا في الاستثناء في الطلاق والعتق فقالت
طايفة ذلك جايز وروينا هذا القول عن طاوس وبه قال حماد الكوفي والشافعي
وابو ثور واصحاب الراي ولا يجوز الاستثناء في الطلاق في قول مالك والاوزاعي
وهذا قول قتادة في الطلاق خاصة قال ابن المنذر وبالقول الاول اقول
الثالثة روى الدارقطني من حديث عبد الرزاق اخبرني عمي وهب بن نافع
قال سمعت عكرمة يحدث عن ابن عباس يقول الطلاق على اربعة وجوه
وجهان حلال وجهان حرام فاما الحلال فان يطلقها طاهرا عن غير
جماع وان يطلق حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها وهي حايض او
يطلقها حين يجامعها لا يدري اشتمل الرحم على ولد ام لا الرابعة قوله
تعالى فطلقوهن لعدتهن في كتاب ابي داود عن اسماء بنت يزيد بن السكن
الانصارية انها طلقت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقة
عدة فانزل الله تعالى حين طلقت اسماء العدة للطلاق فكانت اول من انزل
فيها العدة للطلاق وقد تقدم الخامسة قوله تعالى لعدتهن يقتضي انهن
اللتي دخلن بهن الازواج لان غير المدخول بهن حرمت بقوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من
عدة تعتدونها السادسة من طلق في طهر لم يجامع فيه تقدر طلاقه واصاب
السنة وان طلقها حايضا تقدر طلاقه واخطا السنة وقال سعيد بن المسيب في
احد قوليه لا يقع الطلاق في الحيض لانه خلاف السنة وابه ذهبت الشيعة وفي الصحيحين
واللفظ للدارقطني عن عبد الله بن عمر قال طلقت امراتي وهي حايض فذكر ذلك عمر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليراجعها ثم يمسكها حتى تحيض حيضة مستقبلة
سوى حيضتها التي طلقها فيها فان بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا من حيضتها
قبل ان يمسها فتلك الطلاق والعدة كما امر الله وكان عبد الله ابن عمر طلقها تطليقة
فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله بن عمر كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابي واحدة وهذا نص وهو يرد على الشيعة قولهم الشافعي عن
عبد الله بن مسعود قال طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر تطليقة فاذا كان الخبر
ذلك تملك العدة التي امر الله بها رواه الدارقطني عن الاعمش عن ابي عن الاسود
عن عبد الله قال علمانا طلاق السنة ما جمع شروطا سبعة وهو ان يطلقها وهي من
تحيض طاهرا لم يمسها في ذلك الطهر ولا يتبعه طلاق في حيض ولا يتبعه طلاق في
طهر تلوه وخلا عن العوض وهذه الشروط السبعة من حديث ابن عمر المتقدم وقال
الشافعي طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر خاصة ولو طلقها ثلاثا في طهر لم يكن
بدعة وقال ابو حنيفة طلاق السنة ان يطلقها في كل طهر طلقة وقال الشعبي
يجوز ان يطلقها في طهر جامعها فيه علما وانا قالوا يطلقها واحدة في طهر لم يمس فيه
ولا سعر طلاق في عدة ولا يكون الطهر ما يلي الحيض فقع فيه الطلاق لقوله النبي صلى الله
عليه وسلم مره فليراجعها ثم ليمسكها ثم تطهر ثم ان شاء امسك وان شاء طلق فتلك
العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء وتعلق الامام الشافعي بظاهر قوله
تعالى فطلقوهن لعدتهن وهذا عام في كل طلاق كان واحدة او اثنتين او اكثر
وانما راعى الله سبحانه الزمان في هذه الايه ولم يعتبر العدد وكذلك حديث
ابن عمر لان النبي صلى الله عليه وسلم علله الوقت لا العدد قال ابن العربي
وهذه غفلة عن الحديث الصحيح فانه قال مره فليراجعها وهذا يدفع الثلاث
وفي الحديث انه قال ارايت لو طلقها ثلاثا قال حرمت عليك وبانت منك بمعصية
وقال ابو حنيفة ظاهر الايه يدل على ان الطلاق الثلاث والواحدة سواء وهذا
مذهب الشافعي لولا قوله بعد ذلك لا يدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا
وهذا يبطل دخوله الثلاث تحت الايه وكذلك قال اكثر العلما وهو يدفع
لهم واما مالك فلم يخف عليه اطلاق الايه كما قالوا ولكن الحديث فسرها
كما قلنا واما قول الشافعي انه يجوز طلاق في طهر جامعها فيه فتردد حديث
ابن عمر بنصه وسناه اما نصه فقد قدمناه واما معناه فقال لما امتنع

ثم ضبط فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

من طلاق الحايض لعدم الاعتداد به فالطهر المجامع فيه اولى بالمنع لانه يسقط الاعتداد به محا فتدبر ثم اعلم ان الحنفي لما احتج بالحيض الثاني له قلت وقد احتج الشافعي في طلاق الثلاث وبكلمة واحدة بما رواه الدارقطني عن سلمة بن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه ان عبد الرحمن بن عوف طلق امرأته بماضر بنت الاصبغ الكلبية وهي ام ابي سلمة ثلاث تطليقات في كلمة واحدة فلم يبلغنا ان احدا من اصحابه عاب ذلك قال وحدثنا سلمة بن ابي سلمة عن ابيه ان حفص بن المغيرة طلق امرأته فاطمة بنت قيس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات في كلمة فابانها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه واحتج ايضا بحديث عويمر العجلاني لما لاعن قال يا رسول الله هي طالق ثلاثا فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقد افصل عما وراء عن هذا احسن انفصال نماه في غير هذا الموضع وقد ذكرناه في كتاب المنتقى من شرح موطا مالك بن انس وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين انه من طلق السنة في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلاث لم يقع وسموه بمن وكل بطلاق السنة فخالف امر التاسنة قال الزجاجي اللام في قوله تعالى لعدتهن بمعنى في كقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول الحشر فقوله لعدتهن اي في عدتهن اي في الزمان الذي يصلح لعدتهن وحصل الاجماع على ان الطلاق في الحيض ممنوع وفي الطهر ماذون فيه ففيه دليل على ان القرء هو الطهر وقد مضى القول فيه في البقرة فان قيل سحنى فطلقوهن لعدتهن اي في قبل عدتهن او المعنى عدتهن وهي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال ابن عمر في صحيح مسلم وغيره فصول العدة في اخر الطهر حتى يكون القرء الحيض قيل له هذا هو الدليل الواضح لمالك ومن قال بقوله على ان الاقراء هي الاطهار ولو كان كما قال الحنفي ومن تبعه لوجب ان يقال ان من طلق في اول الطهر لا يكون مطلقا لقبل الحيض لان الحيض لم يقبل بعد وايضا اقبال الحيض يكون بدخول الحيض وبانقضاء الطهر لا يتحقق اقبال الحيض ولو كان اقبال الشيء ادباره لكان الصايم مفطرا قبل مغيب الشمس اذ الليل يكون مقبلا في ادبار النهار وقبل انقضاء الليل ثم اذا طلق في اخر الطهر فبقية الطهر قرء ولان بعض القرء يسمى قرءا كقوله تعالى الحج اشهر معلومات يعني شوال وذا القعدة وبعض ذي الحجة لقوله فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر وهو يسير في بعض اليوم الثاني وقد مضى هذا الكلام في البقرة مستوفى والله اعلم انتا سعة قوله تعالى واحصوا العدة يعني في المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها ولله الله براجعها فيما دون الثلاث قبل انقضاء العدة ويكون بعدها كاحد الخطاب ولا يحل له في الثلاث الا بعد زوج الثالثة عشرة قوله تعالى واحصوا العدة معناه احفظوها اي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى اذا انقضى المشروط منه وهو الثلاثة قرء في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء حملن للازواج وهذا يدل على ان العدة هي الاطهار وليست بالحيض ويوكده ويفسره قراءة النبي صلى الله عليه وسلم لقبل عدتهن وحمل النسي لعضر لغة وحقيقة مجازا في استقبالها فانه يكون غيره الحادية عشرة من المخاطب بالامر الاحصاء وفيه ثلاثة اقوال احدها انهم الازواج الثاني انهم الزوجات الثالث انهم المسلمون ابن العربي والصحيح ان المخاطب بهذا الامر الازواج لان الضمائر كلها من طلقتم واحصوا ولا تخرجوهن على نظام واحد ترجع الى الازواج ولكن الزوجات داخلة فيه بالالحاق بالزوج لان الزوج يحمى ليراجع وينفق او يقطع ويمسك او يخرج ويلحق نسبه او ينتفي وهذه كلها امور مشتركة بينه وبين المراة وتنفرد المراة دونه فغيرذلك وكذلك الحاكم يفتقر الى الاحصاء للعدة للتزوج عليها وفصل الخصومة عند المنازعة فيها وهذه فوايد الاحصاء المامور به الثانية عشرة قوله تعالى واتقوا الله ربكم اي لا تعصوه لا تخرجوهن من بيوتهن اي ليس للزوج ان يخرجها من مسكن النكاح ما دامت في العدة ولا يجوز لها الخروج ايضا لحق الزوج الا لضرورة

ا د

ظاهرة فان خرجت اعتت ولا تنقطع العدة والرجعية والمبتوتة في هذا سواء وهذا
لصيانة ماء الرجل وهذا معنى اضافة البيوت اليهن كقوله واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله والحكمة وقوله تعالى وقرن في بيوتكن فهو اضافة اسكان
ولبس اضافة تمليك وقوله لا تخرجوهن يقتضي ان يكون حقا على الازواج و
يقتضي قوله ولا يخرجن انه حق على الزوجات وفي صحيح مسلم الحديث عن جابر
ابن عبد الله قال طلقت خالتي فارادت ان تجد نخلها فزجرها رجل ان تخرج
فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال بلى فجدي نخلك فانك عسى ان تصدقي
او تفعلي معروفا فاخرجه مسلم ففي هذا الحديث دليل لمالك والشافعي وابن حنبل
والليث على قولهم ان المعتدة تخرج بالنهار وفي حوائجها واما تلزم منزلها بالليل
وسواء عند مالك كانت رجعية او بائنة وقال الشافعي في
الرجعية لا تخرج ليلا ولا نهارا والحديث يرد عليه وفي الصحيحين ان ابا حفص
ابن عمرو خرج معه علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى اليمن فارسل الى امرأته
فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها وامر لها الحرث بن هشام
وعياش بن ابي ربيعة بنفقة فقالا لها والله ما لك من نفقة الا ان تكوني
حاملا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولهما فقال لا نفقة لك
فاستاذنته في الانتقال فاذن لها فقالت اين يا رسول الله فقال ابن ام مكتوم
فكان اعمى يضع ثيابه عنده ولا يراها فلما مضت عدتها الكحها اسامة بن
زيد فارسل اليهما مروان قبيصة بن ذويب يسئلها عن الحديث فحدثته
فقال مروان لم يسمع بهذا الحديث الا من امراة سنأخذ بالعصمة
التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة بيني وبينكم القرآن قال الله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن قال هذا لمن كانت
له رجعة فاي امر يحدث بعد الثلاث فكيف يقولون لا نفقة لها اذا لم
تكن حاملا فعلام تحبسونها لفظ مسلم فبين ان الآية في تحريم الاخراج والخروج
انما هو في الرجعية وكذلك استدلت فاطمة بان الآية التي بعدها انما تضمنت
النهي عن خروج المطلقة الرجعية لانها تصدق ان يحدث لمطلقها رأي في
ارتجاعها ما دامت في عدتها فكانها تحت نظر الزوج في كل وقت واما
البائن فليس لها شيء من ذلك ويجوز لها ان تخرج اذا دعتها الى ذلك حاجة او
خافت عورة منزلها كما اباح لها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وفي مسلم قالت
فاطمة يا رسول الله زوجي يريد ان يشتي ثلاثا وانا اخاف ان يقتحم علي قال
فامرها فتحولت وفي البخاري عن عائشة انها كانت في مكان وحش فخيف
على ناحيتها فلذلك رخص النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كله يرد على
الكوفي قوله وفي حديث فاطمة ان زوجها ارسل اليها بتطليقة كانت بقيت
من طلاقها فهو حجة لمالك وحجة على الشافعي واصح من حديث سلمة بن ابي
سلمة عن ابيه ان حفص بن المغيرة طلق امراته ثلاثا لتطليقات في كلمة على ما تقدم
الثالثة عشرة قوله تعالى الا ان يأتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس وابن
عمر والحسن والشعبي ومجاهد هو الزنا فتخرج ويقام عليها الحد وعن ابن عباس ايضا
والشافعي انه الذي على احمائها فتحل لهم اخراجها وروي عن سعيد بن المسيب انه
قال في فاطمة تلك امراة استطالت على احمائها بلسانها فامرها عليه السلام ان
تنتقل وفي كتاب ابي داود قال سعيد تلك امراة فسئ الخلق لسنة وصعب
على بدي ابن ام مكتوم الاعمى قال عكرمة في مصحف ابي الا ان يفحشن عليكم
ويقوي هذا ان محمد بن ابراهيم بن الحرث روى ان عائشة قالت لفاطمة
بنت قيس الا تتقي الله فانك تعلمين لما خرجت وعن ابن عباس ايضا الفاحشة
كل معصية كالزنا والسرقة والبذاء على الاهل وهو اختيار الطبري وعن
ابن عمر ايضا والسدي الفاحشة خروجها من بيتها قبل انقضاء عدتها وتقدير الآية
الا ان يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن من بيوتهن بغير حق اي لو خرجت
كانت عاصية وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك ان يطلقها على النشوز
فيتحول عن بيته قال ابن العربي اما من قال انه الخروج للزنا فلا وجه له

لان

لان ذلك الخروج هو خروج القتل والاعدام وليس ذلك بمستثنى في حلال
ولا حرام واما من قال انه ابدا فهو مغتر في حديث فاطمة بنت قيس واما من
قال انه كل معصية فوهم لان العصية ونحوها من المعاصي لا يبيح الاخراج
ولا الخروج واما من قال انه الخروج لغير حق فهو صحيح وتقدير الكلام لا يخرجوهن
من بيوتهن ولا يخرجن شرعا الا ان يخرجن تعديا الرابعة عشرة قوله تعالى
وتلك حدود الله اي هذه الاحكام التي بينها احكام الله على العباد وقد منع من
التجاوز عنها فمن تجاوز فقد ظلم نفسه واوردها مورد الهلاك لا تدري لعل
الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدث الله ان يقلبه من بعضها الى بحتها
ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم فيراجعها وقال
جميع المفسرين اراد بالامر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى القول التحريض على طلاق
الواحدة والملي من الثلاث فانه اذا طلق ثلثا اضر بنفسه عند الندم على
الفراق والرغبة في الارتجاع فلا يجد عند الرجعة سبيلا وقال مقاتل لعل
ذلك اي بعد طلقة او طلقتين امرا اي المراجعة من غير خلاف قوله تعالى
فاذا بلغن اجلهن اي قاربن انقضاء العدة كقوله تعالى اذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف اي قاربن من انقضاء الاجل فامسكوهن
بمعروف يعني المراجعة بالمعروف اي بالرغبة من غير قصد المضارة في
الرجعة تطويلا لعدتها كما تقدم في البقرة او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن
حتى ينقضي عدتهن بملكهن انفسهن وفي قوله فاذا بلغن اجلهن ما يوجب
ان يكون القول قول المرأة في انقضاء العدة اذا ادعت ذلك على ما بيناه
في سورة البقرة عند قوله تعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن
ان كن يؤمن بالله قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم فيه ست مسائل الاولى قوله
تعالى واشهدوا الامر بالاشهاد على الطلاق وقيل على الرجعة والظاهر رجوعه
الى الرجعة لا الى الطلاق فان راجع من غير اشهاد فهي صحة الرجعة قولان
للعلماء وقيل المعنى واشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد
مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله تعالى اذا دنا يعتم وعند الشافعي
واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد
وان لا يتهم في امساكها وليلا يموت احدهما فيدعي الباقي بقاء الزوجية
فترث الثانية الاشهاد وعند اكثر العلماء على الرجعة ندب واذا جامع او قبل او باشر
يريد بذلك الرجعة فليس براجع وقال ابو حنيفة واصحابه اذا قبل او باشر
او لمس بشهوة فهو رجعة قالوا والنظر الى الفرج رجعة وقال الشافعي
وابو ثور اذا تكلم بالرجعة فهي رجعة وقد قيل وطئه مراجعة على كل حال
نواها او لم ينوها وروي ذلك عن طائفة من اصحاب مالك وابه ذهب الليث
وكان مالك يقول اذا وطئ ولم ينو الرجعة فهي وطئ فاسد ولا يعود لوطئها
حتى يستبرئها من مائه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الاولى وليس له رجعة
في هذا الاستبراء الثالثة وجب الاشهاد في الرجعة احمد بن حنبل في احد قوليه
والشافعي كذلك لظاهر الامر وقال مالك وابو حنيفة واحمد والشافعي
كذلك لظاهر الامر في القول الاخر ان الرجعة لا تفتقر الى القبول فلم تفتقر
الى الاشهاد كسائر الحقوق وخصوصا حل الظهار بالكفارة قال ابن العربي
وركنه اصحاب الشافعي على وجوب الاشهاد في الرجعة انه لا يصح ان يقول
كنت راجعتك امس وانا اشهد اليوم على الاقرار بالرجعة ومن شرط الرجعة
الاشهاد تعبد ونحن لا نسلمه فيها ولا في النكاح بان يقول انه موضوع ها
للتوثق وذلك موجود في الاقرار كما هو موجود في الانشاء الرابعة من
ادعى بعد انقضاء العدة انه راجع امرأته في العدة فان صدقته جاز وان
لم تصدقه لم يضر جهلها بذلك وكانت زوجته وان كان قد تزوجت ولم يدخل
بها تم اقام الاول البينة على رجعتها فمن مالك في ذلك روايتان احدهما
ان الاول احق بها والاخرى ان الثاني احق بها قد دخل بها او لا سبيل للاول
عليها الخامسة قوله تعالى ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وعن

قتادة من احراركم وذلك بوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون
الاناث لان ذوي مذكور وكذلك قال علما وتا لا مدخل للنساء فيما عدى الاموال
وقد مضى ذلك في سورة البقرة السادسة قوله تعالى واقيموا الشهادة لله
اي تقربا الى الله في اقامة الشهادة على وجهها اذا استت الحاجة اليها من غير
تبديل ولا تغيير وقد مضى في سورة البقرة معناه عند قوله تعالى واقوم للشهادة
قوله تعالى ذلكم يوعظ به اي بوضح به من كان يومن بالله واليوم الاخر
فاما غير المومن فلا ينتفع بهذه المواعظ قوله تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن من طلق ثلاثا او الفا فهل له
مخرج فتلاها وقال انه عباس والشعبي والضحاك هذا في الطلاق خاصة
اي من طلق كما امره الله يكن له مخرج في الرجعة في العدة وان يكون كاحد
الخطاب بعد العدة ومن ابن عباس ايضا يجعل له مخرجا ينجو من كل كرب
في الدنيا والاخرة وقيل المخرج هو ان يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح
وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار
الى الجنة وقال الحسن مخرجا مما على الله عنه وقال ابو العالية مخرجا من كل شدة
الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس الحسين بن الفضل
ومن يتق الله في اداء الفرايض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب
من حيث لا يحتسب ان يبارك له فيما اتاه وقال اسمعيل بن عبد الله ومن يتق
الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من
حيث لا يحتسب وقيل ومن يتق الله في الرزق يقطع العلائق يجعل له مخرجا
بالكفاية وقال عمر بن عثمان الصدفي ومن يتق الله فيقف عند حدوده
ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام الى الحلال ومن الضيق الى السعة ومن
النار الى الجنة ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو وقال ابن عتيبة
هو البركة في الرزق وقال ابو سعيد الخدري ومن يتوكل من حوله وقوته بالرجوع الى
السيد يجعل له مخرجا مما كلفه بالمعونة وتا ول ابن مسعود ومسروق الاية على العموم
وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ثما زال يكررها ويعيدها
وقال ابن عباس ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدايد يوم القيمة وقال
اكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وروي
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال جا عوف بن مالك الاشجعي الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ابني اسره العدو وجزعت الام وعن
جابر بن عبد الله نزلت في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى
سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه الفاقة وقال ان العدو
اسر ابني وجزعت الام فما تامرني فقال عليه السلام اتق الله واصبروا مرك
واياها ان تستكثروا من قول لاحول ولا قوة الا بالله فعاد الى بيته وقال لامراته
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان استكثر من قول لاحول ولا قوة الا
بالله فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان من قول لاحول ولا قوة الا بالله فغفلت
نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى
ابيه وهي اربعة الاف شاة فنزلت الاية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك
الاغنام له في رواية الله جاء وقد اصاب ابلا من العدو فكانت نهبا قال الكلبي
اصاب خمسين بعيرا في رواية فاقبلت ابله من الاسر وركب ناقة لبعض وهم
في طريقه فسرح نحوهم فاساقه وقال ما قتل اصاب غنما ومتاعا فسال النبي
صلى الله عليه وسلم اجل لي اكل مما اتى به ابني قال نعم ونزلت ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروي الحسن عن عمران بن الحصين
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مونة ورزقه
من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال الزجاج اي
اذا ابقى وابثر الحلال والعسر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا صنعة

ورزقه

ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي من فوض اليه امره كفاه ما اهمه وقيل اي من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه كفاه فيما يطيبه في الاخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل ان الله بالغ امره قال مسروق يعني قاض امره فيمن يتوكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه كفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا وقراه العامة بالغ منونا امره نصبا وقراعاصم بالغ امره بالاضافة وحذف التنوين استخفافا وقرا المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال وقرا داود بن ابي هند بالغ امره بالتنوين ورفع الراء قال الفراء اي امره بالغ وقيل امره سر تنفع بالغ والمفعول محذوف والتقدير بالغ امره وقيل امره سر تنفع بالغ والمفعول محذوف والتقدير بالغ امره ما اراد قد جعل الله لكل شئ قدرا اي لكل شئ من الشدة والرخا حالا ينتهي اليه وقيل تقديرا وقال السدي هو قدر الحيض في الاجل والعدة وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال اصحاب النبي صلى الله عليه فنحن اذا توكلنا عليه يرسل ما كان لنا ولا يخطئه فنزلت ان الله بالغ امره اي فيكم وعليكم فقد قال الربيع بن خثيم ان الله تعالى قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه اجابه وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل عليه فهو حسبه وان يقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني قوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لما بين امر الطلاق والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا تري الدم وقال ابو عثمان عمر بن سالم لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن سنا الصغار والكبار وذوات الحمل فنزلت واللائي يئسن الاية وقال مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال جلاد بن النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني قعدن عن المحيض وقيل ان معاذ بن جبل سال عن هذه الاية الكبيرة التي يئست فنزلت الاية والله اعلم وقال مجاهد الاية واردة في المستحاضة لا تدري دم حيض هو او دم علة الثانية قوله تعالى ان ارتبتم اي شككتم وقيل تيقنتم وهو من الاضداد يكون يقينا وشكا كالظن واختيار الطبري ان يكون المعنى ان شككتم فلم تدروا ما الحكم فيهن وقال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن تحيض مثلها فعدتها ثلاثة اشهر وفي هذا دليل لنا اذا شككنا هل بلغت سن اليأس لم يقل عدتها ثلثة اشهر والمعتبر في تبيين اليأس في قول اقصى عادة امراة في العالم وفي قول غالب العشيرة نساء عشيرة المراة وقال مجاهد قوله ان ارتبتم للمخاطبين يعني ان لم تعلموا عدة اليائسة والتي لم تحض فالعدة هذه وقيل المعنى ان ارتبتم ان الدم الذي يظهر منها من اجل كبر او من المحيض المذكور او من الاستحاضة فالعدة ثلاثة اشهر وقال عكرمة وقتادة من الريبة المراة المستحاضة التي لا يستبين لها الحيض في اول الشهر مرارا وفي الاشهر مرة وقيل انه متصل باول السورة والمعنى لا تخرجوهن من بيوتهن ان ارتبتم في انقضاء العدة وهو اصح ما قيل فيه الثالثة المرتابة في عدتها لا تنكح حتى تستبري نفسها من ريبتها ولا تخرج من العدة الا بارتفاع الريبة وقد قيل المرتابة التي يرفعها حيضتها وهي لا تدري ما يرفعها انها

تنتظر سنة من يوم طلقها زوجها منه تسعة اشهر استبرا وثلاثة عدة فان طلقها
لخاصت حيضة او حيضتين ثم ارتفع عنها لعمر باس منها انتظرت تسعة اشهر ثم ثلاثة
من يوم طهرت ثم حصنتها ثم حلت للازواج وهذا قاله الشافعي بالعراق فعلى قياس
هذا القول يقيم الحرة المتوفى عنها زوجها المستبرائه بعد التسعة اشهر اربعة
اشهر وعشرا والامة شهرين وخمس ليال بعد التسعة الاشهر وروي عن
الشافعي ايضا ان اقرارها على ما كانت حتى تبلغ سن اليائسات وهو قول النخعي
والثوري وغيرهما وحكاه ابو عبيد عن اهل العراق فان كانت المراة شابة وهي
المسئلة الرابعة اسبري بما هل هي حامل ام لا فان استبان حملها فاحملها
وصعروان لم يستبن فقال مالك عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة وهذه
قال احمد واسحاق وروه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره واهل العراق
يرون ان عدتها ثلاث حيض بعد ما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها وان
مكثت عشرين سنة الى ان تبلغ من الكبر مبلغا تيئس فيه من الحيض فيكون
عدتها بعد الاياس ثلاثة اشهر قال الثعلبي وهذا الاصلح من مذهب الشافعي
وعليه جمهور العلما وروي ذلك عن ابن مسعود واصحابه قال الكيا يروهو الحق
لان الله تعالى جعل عدة الايسة ثلاثة اشهر والمرتابة ليست ايسة الخامسة
واما من تاخر حيضها لمرض فقال مالك وابن القاسم وعبد الله بن اصبغ بعد
تسعة اشهر ثم ثلاثة وقال الشعبي هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض او بالسنة
وقد طلق حسان بن سفذا امراته وهي ترضع فمكثت سنة لا تحيض لاجل الرضاع
ثم مرض حسان فخاف ان يرثه فخاصمها الى عثمان وعنده علي وزيد فقالا نرى ان
ترثه لانها لبست من القواعد ولا من الصغار فمات حسان فورثته واعتدت عدة
الوفاة الا سادسة ولو تاخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فانها تنتظر سنة لاحيض
فيها ستة اشهر ثم ثلاثة على ما ذكرنا ما لم ترتب بحمل فان ارتابت بحمل اقامت
اربعة اعوام او سبعة على اختلاف الروايات عن علمائنا ومشهورها خمسة اعوام
فان تجاوزتها حلت وقال الشعبي لا تحل ابدا حتى تنقطع عنها الريبة قال
ابن العربي وهو الصحيح لانه اذا جاز ان يبقى الولد في بطنها خمسة اعوام جاز ان
يبقى عشرة واكثر من ذلك وقد روي عن مالك مثله السابعة واما التي جهل
حيضها بالاستحاضة فيها ثلثة اقوال قال ابن المسيب تعتد سنة وهو قول
الليث قال الليث عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها اذا كانت مستحاضة سنة
وهو مشهور قول علمائنا سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها وميزت ذلك
او لم تميزه عدتها ذلك كله عند مالك في تخصيل مذهبه سنة منها تسعة اشهر
استبرا وثلاثة عدة وقال الشافعي في احد اقواله عدتها ثلاثة اشهر
وهو قول جماعة من التابعين والمتاخرين من المغاربة ابن العربي وهو الصحيح
عندي وقال ابو عمر المستحاضة اذا كان دمها ينفصل فعلمت اقبال حيضتها وادبارها
اعتدت ثلاثة قروء وهذا اصح في النظر واثبت في القياس والا ترقبونه تعالى
والدم يحيض يعني الصفرة فعدتها ثلاثة اشهر فاضمر الخبر انما كانت عدتها
بالاشهر لعدم الاقراء فيها عادة والاحكام انما اجراها الله تعالى على العادات
فهي تعتد بالاشهر فاذا رات الدم في زمن احتمال له عند النسا انتقلت الى الدم
لوجود الاصل واذا وجد الاصل لم يبق للبدل حكم كما ان المسنة اذا اعتدت بالدم
ثم ارتفع عادت الى الاشهر وهذا اجماع قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن ووضع الحمل وان كان ظاهرا في المطلقة لانه عليها عطف واليها رجع عقيب
الكلام فانه في المتوفى عنها زوجها كذلك لعموم الايه وحديث سبيعة وقد مضى
في البقرة القول فيه مستوفى الثانية اذا وضعت المراة ما وضعت من علقة او مضغة
حلت وقال الشافعي وابو حنيفة لا تحل الا ما يكون ولدا وقد مضى القول فيه في سورة
البقرة وسورة الرعد والحمد لله تعالى ومن يتق الله يجعل له من امره
يسرا قال الضحاك اي من يتقه في طلاق السنة يجعل له من امره يسرا في الرجعة
ومن ائل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من امره يسرا في توفيقه للطاعة

ذكره

ذلك امر الله اي الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم وبينه لكم ومن يتق
الله اي يعمل بطاعته يكفر عنه بسبب اتقائه من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة
ويعظم له اجرا اي في الاخرة قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم
فيها اربع مسائل الاولى قوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم قال
الشهب عن مالك يخرج عنها اذا طلقها وتركها في المنزل لقوله تعالى اسكنوهن
فلو كانت معها ما قال اسكنوهن وقال ابن نافع قال مالك في قول الله تعالى
اسكنوهن من حيث سكنتم يعني المطلقات اللاتي بن من ازواجهن فلا رجعة
لهم عليهن وليست حاملا فلها السكنى ولا نفقة لها ولا كسوة لانها بائن
منه لا يتوارثان ولا رجعة له عليها وان كانت حاملا فلها الكسوة والنفقة
والمسكن حتى تنقضي عدتها فاما من لم يبن منهن فانهن نساؤهم يتوارثون
ولا يخرجن الا ان يأذن لهن ازواجهم ماكن في عدتهن ولم يؤمروا بالسكنى لهن
لان ذلك لازم لازواجهن مع نفقتهن وكسوتهن حوامل كن او غير حوامل وانما
امره الله بالسكنى للاتي بن من ازواجهن قال الله تعالى وان كن اولات حمل
فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فجعل عز وجل للحوامل اللاتي قد بن من ازواجهن
السكنى والنفقة ابن العربي وبسط ذلك وتحقيقه ان الله سبحانه لما ذكر السكنى
اطلقه لكن مطلقه فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان المطلقة البائن لا
نفقة لها وهي مسئلة عظمى فلنمهدنا سبيلها تراثا وسنة ومعنى في مسايل الخلاف
وهذا احدها من القرائن قلت اختلف العلما في المطلقة ثلاثا على ثلاثة اقوال
فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى ولا نفقة لها ومذهب ابي حنيفة واصحابه
ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحاق وابي ثور ان لا نفقة ولا سكنى
لحديث فاطمة بنت قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي اخو زوجي
فقلت ان زوجي طلقني وان هذا يزعم ان لا بيس لي سكنى ولا نفقة قال بل سكنى ولك
النفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة
على من له عليها الرجعة فلما قدمت الكوفة طلحني الاسود بن يزيد لسلني عن
ذلك فاتيته وان اصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة خرجه الدارقطني
ولفظ مسلم عنها انه طلقها زوجها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت انفق
عليها نفقة دون فلما راث ذلك قال والله لاعلمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان كان لي نفقة اخذت الذي يصلحني وان لم يكن لي نفقة لم اخذ شيئا فاتت فذكرت
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا نفقة لك ولا سكنى وذكر الدارقطني عن
الاسود قال عمر لما بلغه قول فاطمة بنت قيس لا يجيز في المسلمين قول امراة و
كان يجعل للمطلقة ثلاثا السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لعبني الاسود
ابن زيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر
كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع عن شئ حدثتني فاطمة بنت قيس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما احسن هذا وقد قال قتادة وابن
ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك
امرا وقوله اسكنوهن راجع الى ما قبله وهي المطلقة والرجعية والله اعلم لان السكنى
تابع للنفقة وجارية مجراها فلما لم يجب للمبتوتة النفقة قوله تعالى ولا تضاروهن
لتضيقوا عليهن وترك النفقة من اكبر الاضرار وفي انكار عمر على فاطمة قولها
قولها ما ينبغي هذا ولانها معتدة تستحق السكنى عن طلاق فكانت النفقة
كالرجعية ولانها محبوسة عليه لحقه فاشبهت الزوجة كالرجعية ودليل
مالك قوله تعالى ذكر المطلقة الرجعية واحكامها اول الاية الى قوله ذوي
عدل منكم ثم ذكر بعد ذلك حكم جميع المطلقات كلهن من تعديد الاشهر وغير
ذلك وهو عام في كل مطلقة فرجع ما بعد ذلك من الاحكام الى كل مطلقة
الثانية قوله تعالى من وجدكم اي من سعتكم يقال وجدت في المال اجد
وجدا وجدة والوجد الغنى والمقدرة وقراة العامة بضم الواو وقرا الاعرج
والزهري بفتحها ويعقوب بكسرها وكلها لغات فيها الثالثة قوله تعالى
ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال مجاهد في الممسكن مقابل في البقعة

وهو قول ابي حنيفة وعن ابي الضحى هو ان يطلقها فاذا بقي يوما من عدتها راجعها
ثم طلقها الرابعة قوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن
لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ثلثا او اقل منهن
حتى يضع حملها فاما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن مسعود
وشريح والنخعي وحماد وابن ابي ليلى وسفيان واصحابه ينفق عليها من
جميع المال حتى تضع وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك
والشافعي وابو حنيفة واصحابه لا ينفق عليها الا من نصيبها وقد مضى في البقرة
بيانه قوله تعالى فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى
فان ارضعن لكم يعني المطلقات اولادكم منهن فعلى الاب ان يعطوهن اجرة
رضاعهن وللرجل ان يستاجر امرأته للرضاع كما يستاجر اجنبية ولا يجوز
عند ابي حنيفة واصحابه الاستيجار اذا كان الولد من ماله ويجوز عند الشافعي
وتقدم القول في الرضاع في البقرة مستوفى والحمد لله الثانية قوله تعالى
وائتمروا بينكم بمعروف هو خطاب للازواج والزوجات اي وليفعل بعضكم من بعض
ما امره به من المعروف الجميل والحمل منها ارضاع الولد من غير اجرة والجميل منه
توفير الاجرة عليها للارضاع وقيل ائتمروا في رضاع الولد فيما بينكم بمعروف حتى لا
يلحق الولد اضرار وقيل هو الكسوة والدثار وقيل معناه لا تضاروا والدة بولدها
ولا مولود له بولده الثالثة قوله تعالى وان تعاسرتم اي في اجرة الرضاع
فابى الزوج ان يعطي الام رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها ولتسترضع
مرضعا غيرها وقيل معناه وان تضايقتم وتشاكستم فلتسترضع لولده غيرها
وهو جبر في معنى الامر وقال الضحاك ان ابت الام ان ترضع استؤجر لولده
اجنبي فان لم تقبل اجرت امه على الرضاع بالاجر وقد اختلف العلماء فيمن يجب
عليه رضاع الولد على ثلاثة اقوال فقال علماؤنا رضاع الولد على الزوجة ما دامت
الزوجية لائمة فيها وموضعها على الاب رضاعه بوسعه في ماله الرابعة قال
ابو حنيفة لا يجب على الام بحال الثالث يجب عليهما في كل حال الرابعة فان
طلقها فلا يلزمها رضاعه الا ان يكون عند قابل ثدي غيرها فيلزمها حينئذ
الارضاع وان اختلفا في الاجر فان دعت الى اجر مثلها وامتنع الاب الا ترضعا
فالام اولى باجر المثل اذا لم يجد الاب متبرعا وان دعا الاب الى اجر المثل او
امتنعت الام لتطلب شططا فالاب اولى به فان اعسر الاب باجرتها احرت
حبرا برضاع ولدها قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فيه اربع
مسايل الاولى قوله تعالى لينفق اي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده
الصغير على قدر وسعه حتى يوسع عليهما اذا كان موسعا عليه ومن كان فقيرا
فعلى قدر ذلك ليقدر النفقة بحسب الحالة من المنفق عليه والمنفق عليه
بالاجتهاد على مجرى العادة فينظر الحاكم الى قدر حاجة المنفق عليه ثم ينظر
الى حالة المنفق ردها الى قدر احدهما لا وقال الامام الشافعي رضي الله عنه واصحابه
النفقة مقدرة محدودة ولا اجتهاد للحاكم ولا مدخل فيهما وتقديرها هو بحال
الزوج وحده من يسره وعسره ولا معتبر بحالها وكفايتها قالوا فيجب لابنة
الحلفة ما يجب لابنة الحارس فان كان الزوج موسرا لزمه مدان وان كان
متوسطا مد ونصف وان كان معسرا مد واستدلوا بقوله تعالى لينفق ذو
سعة من سعته الاية فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر دونهما ولان
الاعتبار بكفايتها لا سبيل الى علمه للحاكم ولا لغيره فيؤدي الى الخصومة
لان الزوج يزعم انها تلتمس فوق كفايتها وهي تزعم ان الذي تطلبه
قدر كفايتها فجعلنا ها مقدرة قطعا للخصومة والاصل في هذا عندهم قوله تعالى
لينفق ذو سعة من سعته كما ذكرنا وقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره والجواب ان هذه الاية لا تعطي اكثر من فرق بين الغني والفقير وانهما
يختلفان ليسر الزوج وعسره وهذا مسلم فاما انه لا اعتبار بحال الزوجة على وجه
فليس فيه وقد قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وذلك
يقتضي تعلق المعروف في حقهما لانه لم يخص في ذلك واحدا منهما وليس من المعروف

ان يكون

ان يكون كفاية الغنية مثل نفقة الفقيرة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهند
خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ولحاظها على الكفاية حين علم من حال
ابي سفيان الواجب عليه بطلعها ولم يقل لها لا اعتبار دكفايتك وان الواجب
لك شئ معتد وبل قال ردها الى ما يعلمه من قدر كفايتها ولم يعلقه بمقدار معلوم
ثم ذكر ما ذكروه من التحديد يحتاج الى توقيف والاية لا تقتضيه الثانية
روي ان عمر رضي الله عنه فرض للمقول مائة درهم وفرض له عثمان خمسون
درهما ابن العربي واحتمل ان يكون هذا الاختلاف بحسب اختلاف السنين او
بحسب العدم في التعسير لهما القوت والملبس وقد روي محمد بن هلال المزني
قال حدثني ابي وجدتي انها كانت تزد على عثمان فقعرها فقال لاهله مالي لا اراك
فلانة فقالت امرأته يا امير المومنين مرت الليلة فبعث اليها بخمسين درهما و
شقيقة سلاسم قال هذا عطا ابنك وهذه كسوته فاذا اسرت به سنة
رحمناه الى مائة وقد اتى علي رضي الله عنه بمنبوذ فرض له مائة قال ابن العربي
هذا الفرض قبل العطاء مما اختلف فيه العلماء منهم من راه مستحبا لانه داخل في حكم
ابويه ومنهم من راه واجبا لما تجرد من حاجته وعرض من مونته وبه اقول ولكن يختلف
قدره بحاله عند الولادة وبحاله عند العطاء وقد روي سفيان بن وهب ان عمر احد
المدي بيد والقسط بيد فقال اني فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر مدي حنطة
وقسطي خل وقسطي زيت زاد غيره وقال انا قد اجزبنا لكم اعطيا تكم وارزاقكم
في كل شهر فمن انتقصها فعمل الله به كذا وكذا فدعا عليه قال ابو الدرداء لم سنه
راشر به محمد بيه سنها عمر في امة محمد صلى الله عليه وسلم والمد والقسط كيلان
حاميان في الطعام والادام وقد درسنا فيما عرفنا خرفا ما المدي فدرس الى ان
الكيلجة واما القسط فدرس الى انه كيل ولكن التقدير فيه عندنا رمحان في
الطعام وعمان في الادام واما الكسوة فبتقدر العادة قميص وسراويل وجبة
في الشتا وكساء وازار وحصير وهذا الاصل ويتزيد بحسب الاحوال والعادة الثالثة
هذه الاية اصل في وجوب النفقة للولد دون الام خلافا لمحمد بن الموازان تقول
انها على الابوين على قدر الميراث ابن العربي ولعل محمدا اراد انها على الاب
عند عدم الاب وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لك المراة
انفق علي والا طلقني وتقول لك العبد انفق علي واستعملني ويقول لك
ابنك انفق علي الي من تكلني فعندها خذ التراث والسنة وتوارد في سرعة
واحدة الرابعة قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها اي لا يكلف
الله الفقير مثل ما تكلف الغني سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد الضيق
غنى وبعد الشدة سعة قوله تعالى وكاين من قرية لما ذكر الاحكام
ذكر وحذر مخالفة الامر وذكر عتو قوم وحلول العذاب بهم وقد مضى القول
في كاين في العمران والحمد لله عتت عن امر ربها اي عصت يعني القرية
والمراد اهلها فحاسبناها حسابا شديدا اي جازيناها بالعذاب في الدنيا و
عذبناها عذابا نكرا في الاخرة وقيل في الكلام تقديم فعذبناها عذابا نكرا
في الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف وسائر المصائب وحاسبناها
في الاخرة حسابا شديدا والنكر المنكر وقرئ مخففا ومثقلا وقد مضى في سورة
الكهف فذاقت وبال امرها اي عاقبت كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي
هلاكا في الدنيا بما ذكرنا والاخرة بجهنم وجيء بلفظ الماضي كقوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة وناديا اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده
متحقق في الحقيقة وما هو كاين فكان قد فاتقوا الله يا اولي الالباب اي العقول
الذين امنوا بدل من اولي الالباب او بعت لهم اي يا اولي الالباب الذين امنتم
يا ايها اتقوا الله الذي انزل عليكم القران اي حافوه واعملوا بما فيه واجتنبوا
عن معاصيه وقد تقدم رسولا قال الزجاج انزال الذكر دليل على ارسال
اي انزل اليكم قرانا وارسل رسولا وقيل ان المعنى قد انزل الله اليكم صاحب ذكر
رسولا فرسولا بدل او نعت للذكر على تقدير حذف المضاف وقيل ان رسولا معمول للذكر
لانه مصدر والتقدير وقد انزل الله اليكم ذكر رسولا بدل من ذكرا على ان يكون

رسولا بدل من ذكر علي ان يكون رسولا بمعنى رسالة او علي ان يكون علي بابه ويكون
محمولا على المعنى كانه قال قد اظهر الله لكم ذكرا رسولا فيكون من باب بدل
الشيء من الشيء وهو يجوز ان ينتصب رسولا على الاغراء اي كانه قال اتبعوا
رسولا على الاغراء اي كانه قال اتبعوا رسولا وقيل الذكر هنا الشرف نحو قوله تعالى
لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك ثم بين
هذا الشرف فقال رسولا والاكثر على ان المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه
وسلم وقال الكلبي هو جبريل فيكونا جميعا منزلين يتلوا عليكم آيات الله
بعث الرسول وآيات الله القرآن مبينات قراءة العامة بفتح الياء اي بينها
الله لكم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بكسرها اي تتبين لكم ما
تحتاجون اليه من الاحكام والاولى قراءة ابن عباس واختيار ابي عبيد وابي
حاتم لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي ممن سبق له ذلك في علم الله من الظلمات اي من الكفر الى النور الهدى
والايمان قال ابن عباس نزلت في مومني اهل الكتاب واضاف الاخراج الى
الرسول لان الايمان يحصل عنه بطاعته قوله تعالى ومن يومن بالله ويعمل
صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار قرأ نافع وابن عامر بالنون والباقون
بالتاء قد احسن الله له رزقا اي وسع له في الجنات قوله تعالى الله الذي خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن دل على كمال قدرته وانه يقدر على البعث
والمحاسبة ولا خلاف في السماوات انهما سبع بعضها فوق بعض دل على ذلك حديث
الاسرا وغيره ثم قال ومن الارض مثلهن يعني سبعا واختلف فيهن على قولين
احدهما وهو قول الجمهور انهما سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض
مسافة كما بين السماء والسماء وفي كل ارض سكان من خلق الله وقال الضحاك ومن
الارض مثلهن اي سبعا من الارضين ولكنها مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف
السموات والاول اصح لانه الاظهر والدال عليه في الترمذي والنسائي وغيرهما وقد مضى ذلك
سببا في البقرة وقد خرج ابو نعيم قال حدثنا محمد بن علي بن حبش قال نا اسمعيل
بن اسحق السراج ح وحدثنا ابو محمد بن حيان قال حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجيه
قال حدثنا سويد ابن سعيد قال حدثنا حفص بن ميسرة عن موسى بن عقبة عن
عطا بن ابي مروان عن ابيه ان كعبا حلف له بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه
ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرفع يديه يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات
السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن
ورب الرياح وما ادرين انا نسئلك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك
من شرها وشر اهلها وشر ما فيها قال ابو نعيم هذا حديث ثابت من حديث
موسى بن عقبة تفرد به عن عطا ورواه عنه ابن ابي الزناد وغيره
وفي صحيح مسلم عن سعيد بن يزيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
من اخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيامة من سبع ارضين
ومثله حديث عائشة وابي بن منهما حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا ياخذ احد شبرا من الارض بغير حقه الا طوقه الله ايه سبع ارضين يوم
القيامة قال الماوردي وعلى انها سبع ارضين بعضها فوق بعض مختص دعوة اهل
الاسلام باهل الارض الحلبا ولا يلزم فيمن عمرها من الارضين وان كان فيها من
يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السما واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما
انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضيا منها وهذا قول
من جعل الارض مبسوطة والقول الثاني انهم لا يشاهدون السما فان الله تعالى
خلق لكل سماء لعمر ضيا يستمد وه وهذا قول من جعل الارض كالكرة وفي الآية
قول ثالث حكاه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة
ليس بعضها فوق بعض يفرق بينهن ويظل جميعهم السما فهذا ان لم يكن لاحد
من اهل الارض وصول الى ارض اخرى احتمل ان تكون دعوة الاسلام باهل هذه
الارض وان كان بقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان يبلغهم دعوة
الاسلام عند امكانه الوصول اليهم لان فضل البحار اذا امكن سلوكها

لايمنع من لزوم ما علم حكمه واحتمل ان لا يلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم
لكان النص بها واردا لكان النبي صلى الله عليه وسلم بها مامورا والله اعلم
وما استأثر بعلمه وصوابه ما استبد به على خلقه ثم قال يتنزل الامر بينهن
قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن
بين كل سماءين ارض وامر والامر هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعليه فيكون
بينهن اشارة الى بين هذه الارض العليا التي هي ادناها وبين السماء
السابعة التي هي اعلاها وقيل الامر القضاء والقدر وهو قول الاكثرين
وعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى
التي هي اعضاها ومن السما السابعة التي هي اعلاها وقيل يتنزل الامر
بينهن من حياة بعض وموت بعض وغنا قوم وفقر قوم هو ما ادبر فيهن
من عجيب تدبيره فينتزل المطر ويخرج النبات وما في الليل والنهار
والصيف والشتا وخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهياتها فيتعلم
من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على مجال اللغة واتساعها كما يقال
للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوه لتعلموا ان الله على كل شي قدير
يعني ان احدا من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه اقدر ومن
العفو والانتقام امكن وان استوعب كل ذلك في مقدوره ومكنته وان الله
قد احاط بكل شي علما فلا يخرج شي من علمه وقدرته ونصب علما على المصدر
المؤكد لان احاط بمعنى علم وقيل بمعنى وان الله احاط احاطة علما

سورة التحريم مدنية

في قول الجميع وهي ثنتا عشرة اية وتسمى سورة النبي

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك فيه خمس مسايل الاولى
قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك ثبت في صحيح مسلم عن عايشة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب ابنة جحش
فيشرب عندها عسلا فالاتفقوا انا وحفصة ان ايتنا ما دخل النبي صلى الله
عليه وسلم فليقل اني اجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك
فقال بل شربت عسلا عند زينب ولن اعود له فنزل لم تحرم ما احل الله لك الى قوله
ان تتوبا الى عايشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت
عسلا وعنها ايضا فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل وكان
اذا صلى العصر دار على نسايه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها
اكثر مما كان يحتبس فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة من
عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له
له فذكرت لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولي له
يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لك ما نتقولي ما هذه الريح وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك
سقتني حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحلة العرفط وسافول لك ذلك
وقولي انت يا صفية فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والذي لا اله الا هو
لقد كدت ان اباديه بالذي قلت وانه لعلى الباب خوفا منك فلما دنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح
قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط فلما دخل على قلت
له مثل ذلك فلما دخل على صفية قالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة
قالت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة
سبحان الله لقد حرمناه قالت قلت لها اسكتي فهذه الروايات التي شرب
عندها العسل حفصة وفي الادبي زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن

عباس انه شربه عند سودة وقد قيل انما هي ام سلمة رواه اسباط عن السدي
وقال عطا ابن ابي مسلم ابن العربي وهذا كله جهل او تصور بغير علم فقال
باقي بلسانه حسدا او غيره لمن شرب ذلك عندها انا نجد منك ريح المغافير
وانما عير بعلة او صغر مغفرة الرائحة فيها خلاوة واحده معفور وحرست
اكلت والعرفط له ريح كريح الخمر وكان عليه السلام يجب ان توجد منه
الريح الطيبة او يجدها ويكره الريح الخبيثة لما جاء الملك فهذا قول
واخر انه اراد بذلك المراة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم
يقبلها لاجل ازواجه قاله ابن عباس وعكرمة والمراة ام شريك وقول
ثالث ان الذي حرم ماريه القبطية وكان قد اهداها له المقوقس ملك
الاسكندرية قال ابو اسحاق هي من كورة انصنا من بلد
بقيا لها حصن فواقعها في بيت حفصة روى الدارقطني عن ابن عباس عن عمر
رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بام ولده ماريه
في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت له تدخلها بيتي ما صنعت
بي هذا من بين نسائك الا من هوانك علي فقال لها لا تذكري هذا لعائشة
هي علي حرام ان قربتها فقالت حفصة كيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف
لها ان يطيعها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكري به لاحد فذكرته
لعائشة قالا لا تدخل على نسائه شهرا فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة
فانزل الله عز وجل لم تحرم ما احل الله لك الا يمينا التابثة اصح هذه الاقوال
اولها واضعفها اوسطها قال ابن العربي اما ضعفه في السند
فلعدم صحة رواته واما ضعفه في معناه فلان ردا النبي صلى الله عليه وسلم للموهوبة
ليس تحريما لها الا ان من رد هن من وهب له لم تحرم عليه انما حقيقة التحريم
بعد التحليل واما من روى انه حرم ماريه القبطية فهو اشد في السند
واقرب الى المعنى لكنه لم يذكر في الصحيح وروى مرسلا وقد روى ابن وهب
عن مالك عن زيد بن اسلم قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ابراهيم
فقال انت علي حرام والله لانبئك فانزل الله عز وجل في ذلك يا ايها النبي
لم تحرم ما احل الله لك وروى اشهب عن
مالك قال راجعن عمر امراة له من الانصار فاستعر من ذلك وقال
ما كان النساء هكذا قالت بلى وقد كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تراجعنه
فاخذته بعلة خرج الى حفصة فقال لها اتراجعين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت نعم ولو اعلم انك تكره ما فعلت فلما بلغ عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم هجر نساءه قال رغم انف حفصة وانما الصحيح انه كان
في العسل وانه شربه عند زينب وتظاهرت عليه عائشة وحفصة فيه
وجرى ما جرى فحلف ما يشربه واسر ذلك ونزلت الآية في الجمع
الثالثة قوله تعالى لم تحرم ان كان النبي صلى الله عليه وسلم حرم ولم يحلف
فليس ذلك بيمين عندنا ولا يجوز قول الرجل هذا علي حرام شتا حاسي
الزوجة وقال ابو حنيفة اذا طلق حمل على المأكول والمشروب دون الملبوس
وكانت يمينا توجب الكفارة وقال زفر هو يمين في الكل حتى في الحرملة
والسكون وعدل المخالف على ان النبي صلى الله عليه وسلم حرم العسل فلزمته
الكفارة وقد قال الله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فسماه يمينا ودليلنا
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا
وقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل
الله اذن لكم ام على الله تفترون فذم الله المحرم الحلال ولم يوجب
عليه كفارة قال الزجاج ليس لاحد ان يحرم ما احل الله ولم يجعل للنبي صلى
الله عليه وسلم ان يحرم الا ما حرم الله عليه فمن قال لزوجته او امته انت
علي حرام فان لم ينو طلاقا ولا ظهارا فهذا اللفظ يوجب عليه كفارة اليمين
ولو خاطب بهذا اللفظ جميعا من الزوجات والاماء عليه كفارة واحدة ولو
حرم على نفسه طعاما او شيئا اخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي

ومالك ويجب بذلك كفارة عند ابن مسعود والثوري وابي حنيفة الرابعة
واختلف العلما في الرجل يقول لزوجته انت علي حرام * فعلى ثمانية عشر قولا
احدها لاشي عليه وبه قال الشعبي ومسروق وزمعة وابو سلمة واصبغ
وهو عندهم كتخريم الما والطعام قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما احل الله وقال تعالى
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ومالم يحرمه
الله فليس لاحد ان يحرمه ولان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما امتنع من
مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فنزل
له لم تحرم ما احل الله لك ان لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم عليه
وكفره وتاسعها انها يمين يكفرها قاله ابو بكر الصديق وعمر ابن الخطاب
وعبد الله بن مسعود وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم والاوزاعي
وهو مقتضى الاية قال سعيد بن جبير عن ابن عباس اذا حرم الرجل عليه
امراته فانما هي يمين يكفرها وقال ابن عباس لقد كان لكم في رسول الله
فقال الله تعالى لم تحرم ما احل الله لك الى قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
فكفر يمينه وصير الحرام يمينا خرجه الدارقطني * وثالثها انها تجب فيها
كفارة وليست بيمين قاله ابن مسعود وابن عباس ايضا في احد روايتيه
والشافعي في احد قوليه وفي هذا القول نظر والاية ترده عليهما بانها
* ورابعها هي ظهار فقط كفارة الظهار قاله عثمان واحمد بن حنبل واسحق
* وخامسها انه ان نوى الظهار وهو ينوي انها محرمة كفر بكفارة الظهار
كان ظهارا وان نوى تحريم عينها عليه بغير طلاق كفر يمينا مطلقا وجبت
كفارة يمين وان لم ينو فعليه كفارة يمين قاله الشافعي * وسادسها
انها طلقة رجعية قاله عمر بن الخطاب والزهري وعبد العزيز بن ابي
سلمة والمجشون * وسابعها انها طلقة بائنة قاله حماد بن ابي سليمان
وزيد بن اسلم وزيد بن ثابت ورواه ابن حوار منداد عن مالك * و
ثامنها انها ثلاث تطليقات قاله علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت
ايضا وابو هريرة * وتاسعها هي في المدخول بها ثلاث وينوى في غير
المدخول بها قاله علي بن زيد والحسن والحكم وهو مشهور مذهب مالك
* وعاشرها هي ثلاث ولا ينوى بحال ولا في محل وان لم يدخل قاله عبد
الملك في المبسوط وبه قال ابن ابي ليلى * وحادي عشرها هي التي لم
يدخل بها واحدة وفي التي دخل بها ثلاث قاله ابو مصعب ومحمد بن عبد
الحكم * وثاني عشرها انه ان نوى الطلاق والظهار كان ما نوى فان نوى
الطلاق فواحدة بائنة الا ان ينوي ثلثة فان نوى اثنتين فواحدة فان لم
ينو شيئا كانت يمينا وكان الرجل موليا من امراته قاله ابو حنيفة واصحابه
وتمثله قال زفر الا انه قال اذا نوى اثنتين لزمتاه وثالث عشرها انه
انه لا ينفعه نية الظهار وانما يكون طلاقا قاله ابن القاسم * ورابع عشرها
قال يحيى بن عمر يكون طلاقا فان ارتجعها لم يجزله وطئها حتى تكفر كفارة
الظهار وخامس عشرها ان نوى الطلاق لما اراد من اعداده وان نوى
واحدة فهي رجعية وهو قول الشافعي رضي الله عنه وروي مثله
عن ابي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة والتابعين * وسادس عشرها ان
نوى ثلاثا فثلاثا وان نوى واحدة فواحدة وان نوى يمينا فهو يمين وان لم
ينو شيئا فلا شيء عليه وهو قول سفيان وبمثله قال الاوزاعي وابو ثور الا
انهما قالا ان لم ينو شيئا فهي واحدة * وسابع عشرها له نصه ولا يكون
اقل من واحدة قاله ابن شهاب وان لم ينو شيئا لم يكن شيئا قال
ابن العربي ورايت لسعيد بن جبير وهو الثامن عشر ان عليه عتق رقبة
وان لم يجعلها ظهارا ولست اعلم لما وجها ولا يبعد في المحالات عندي
قلت فرذكره الدارقطني في سننه عن ابن عباس قال حدثنا الحسن

بن اسمعيل قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا روح قال نا سفيان الثوري
عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني
جعلت امراتي علي حراما فقال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا يا ايها النبي
لم تحرم ما احل الله لك عليك اغلظ الكفارات عتق رقبة و ذكر قال جماعة
من اهل التفسير انه لما نزلت هذه الآية كفر عن يمينه بعتق رقبة وعاد الى
جاريته صلى الله عليه وسلم قاله زيد بن اسلم وغيره الخامسة قال
علماؤنا سبب الاختلاف في هذا الباب انه ليس في كتاب الله ولا في
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نص ولا ظاهر صحيح يعتمد عليه في هذه
المسئلة تعادها العلما لذلك فيمن متمسك بالبراءة الاصلية فقال
حكم فلا يلزم بها شئ واما من قال انها يمين فقال سماها
الله يمينا واما من قال انجب بها كفارة وليست بيمين فسياه على احد
امرين احدهما انه ظن ان الله اوجب الكفارة فيها ولم يكن بمينا والثاني
ان معنى اليمين عنده التحريم فوقعت الكفارة على المعنى واما من قال
انها طلقة رجعية فانه حمل اللفظ على اقل وجوهه والرجعية محرمة الوطء
وكذلك فهم اللفظ عليه وهذا يلزم مالكا لقوله ان الرجعية محرمة الوطء
وكذلك وجه من قال انها ثلاث محمله على اكثر معناه وهو الطلاق الثلاث
واما من قال انه ظهار فلانه اقل درجات التحريم فانه يحرم لا يرفع النكاح
واما من قال انه طلقة بائنة فعوله على ان الطلاق الرجعي لا يحرم المطلقة
وان الطلاق البائن يحرمها واما قول يحيى بن عمر فانه احتاط بان جعله
طلاقا لكما ارتجعها احتاط بان يلزمه الكفارة بعد العربي وهذا لا يصح
فانه جمع بين المتضادين فلانه لا يجتمع ظهار ولا طلاق في معنى لفظ واحد فلا
وجه للاحتياط فيما لا يصح اجتماعه في الدليل واما من قال انه ينوي في التحريم
لم يدخل بها فلان الواحدة تبينها وتحريمها شرعا اجماعا وكذلك قال من لم يحكم
باعتبار بينة ان الواحدة يكفي قبل الدخول في التحريم بالاجماع فيكفي اخذا بالاقل
المتفق عليه واما من قال انه ثلاث فيهما ثلاثة احذا بالحكم بالاعظم فلانه
لو صرح بالثلاث لنفذت في التي لم يدخل بها تفردها في التي دخل بها ومن
الواجب ان يكون المعنى مثله وهو التحريم والله اعلم وهذا كله في الزوجة
واما في الامة فلا يلزم فيها شئ واما من ذلك الان فوجب به العتق
عندهما لك وذهب عامة العلما الى ان عليه كفارة يمين ابن العربي والصحيح
انها طلقة واحدة لانه لو ذكر الطلاق لكان اخله وهو الواحد الا ان يريد به
كذلك اذا ذكر التحريم ويكون قوله الا ان تقيده بالاكثر مثل ان يقول
انت علي حرام الا بعد زوج قلت اكثر المفسرين على انها نزلت في حفصة
لما خلا النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها بجاريته ذكره الثعلبي وعلى هذا
فكانه قال لا تحرم عليك ما حرمته ولكن عليك كفارة يمين وان كان في
تحريم العسل والجارية ايضا فكانه قال لم تحرم عليك ما حرمته
ولكن ضممت الى التحريم يمينا فكفر عن اليمين وهذا صحيح فان النبي صلى
الله عليه وسلم حرم ثم حلف كما ذكره الدارقطني وذكر البخاري معناه
في قصة العسل عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يشرب عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواصيت
انا وحفصة على ايتنا دخل عليها فلتقل اكلت مغافير اني لاجد
منك ريح مغافير قال لا ولكني شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت
لا تخبري احدا بشئ لك بذلك مرضاتي ازواجه يعني بقوله ولن اعود
له على جهة التحريم وبقوله حلفت اي بالله يدل ان الله تعالى انزل
عند ذلك معاتبته على ذلك وحوالته على كفارة اليمين بقوله يا ايها
النبي لم تحرم ما احل الله لك يعني العسل المحرم بقوله لن اعود له
تبتغي مرضاتي ازواجك اي تفعل ذلك طلبا لرضاهن والله غفور
رحيم غفور لما اوجب المعاتبة رحيم برفع المؤاخذة وقد قيل ان ذلك

كان

كان ذنبا من الصغاير والصحيح ان معاتبته على ترك الاولى وانه لم يكن له
صغيرة ولا كبيرة قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فيه
ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم تحليل
اليمين كفارتها اذا حنثتم استباحة المحلوف عليه وهو قوله تعالى
في سورة المايدة فكفارته اطعام عشرة مساكين ويتصل من هذا ان من حرم
شيئا من المأكول او المشروب لم يحرم عليه عندنا لان الكفارة للايمان
لا للتحريم على ما بيناه وابو حنيفة يراه يمينا في كل شئ ويعتبر الانتفاع
بالمقصود فيما حرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى
وطئها او زوجته فعلى لا يلمسها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار
فظاهر وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين او ثلاثا
وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في ابطال
الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينووا لا
على ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن في الكفارة وحنث وان نوى
الطلاق فهو رجعي عنده على ما تقدم بيانه فان حلف ان لا ياكله ويسر
بالكفارة الثانية فان حرم امته او زوجته فكفارة يمين كما في
صحيح مسلم عن ابن عباس قال اذا حرم الرجل عليه امرأته فهي يمين
يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الثالثة قيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وعن الحسن لم يكفر لان النبي
صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكفارة
اليمين في هذه السورة انما امر به الامة والاول اصح وان المراد
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ان الامة يقتدي به في ذلك وقد
قدمنا عن زيد بن اسلم انه عليه السلام كفر بعتق رقبة وعن مقاتل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم ماريته والله
اعلم وقيل اي قد فرض الله لكم تحليل ملك اليمين فيما في قوله
تعالى في ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له في النساء المحللات
اي حلد لكم ملك الايمان فلم يحرم ماريته على نفسك مع تحليل الله له
اياها لك وقيل تحلة اليمين الاستثناء اي فرض الله لكم الاستثناء
المخرج عن اليمين ثم عند قوم يجوز الاستثناء من الايمان متى شاء وان تخلل
مدة وعند المعظم لا يجوز الا متصلا فكانه قال استثنى بعد
هذا فيما تحلف عليه وتحلة اليمين تحليلها بالكفارة والاصل تحللة فادغمت
وتجعل من مصادر فعل كالتوصية والتسمية فالتحلة تحليل اليمين عند
والكفارة حل وقيل التحلة الكفارة اي انها تحل للحالف ما حرم على نفسه
اي اذا كفر صار كمن لم يحلف والله مولاكم وليكم وناصركم بازالة
الخطر فيما تخرصونه على انفسكم وبالترخيص لكم في تحليل ايمانكم بالكفارة
وبالثواب على ما يخرجونه من الكفارة قوله تعالى واذ اسر النبي
الى بعض ازواجه حديثا اي واذكر اذ اسر الى حفصة حديثا يعني تحريم
ماريته على نفسه واستكتمها اياها ذلك وقال الكلبي اسر
اليها ان اباك وابا عايشة يكونان خليفتي على امتي من بعدي وقاله
ابن عباس قال اسر امر الخلافة بعده الى حفصة فذكرته حفصة
روي الدارقطني في سننه عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في
قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا قال اطلعني
حفصة على ابني صلى الله عليه وسلم مع ام ابراهيم فقال لا تخبري عايشة
قال فما اطلعت حفصة فاخبرت عايشة فاظهره الله عليه فعرف بعضه
واعرض عن بعض قال اعرض عن قولها ان اباك وابا هما يكونان بعدي
كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشرف ذلك في الناس فلما نبأت
به اي اخبرت عايشة فاظهره الله عليه فعرف بعضه واعرض عن بعض
قال اعرض عن قولها ان اباك فاه كانت بينهما وكانتا متظاهرتين

على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم واظهره الله عليه اي اطلعه الله على
انها قد نبأت به وقرأ طلحة بن مصرف فما انبأت به وهما لغتان نبأ وانبأ
ومعنى عرف بعضه واعرض عن بعض نكرها قاله السدي وقال الحسن
ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال
مقاتل يعني اخبرها ببعض ما قالت لعايشة وهو حديث ام ولده ولم
يخبرها ببعض وهو قول حفصة لعايشة ان ابا بكر وعمر سيملكان بعده وقراءة
العامة عرف مشددا ومعناه ما ذكرناه واختاره ابو عبيد وابو حاتم
يدل عليه قوله تعالى واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولو كانت مخففة
لقال في صدره وانكر بعضها وقرأ علي وطلحة بن مصرف وابو عبد
الرحمن السلمي والحسن وقتادة والكلبي والكسائي والاعشى عن ابي
بكر عوف مخففة قال عطاء كان ابو عبد الرحمن السلمي اذا قرأ عليه عرف
مشددة حصبه بالحجارة قال الفراء الغرا تاويل قوله عز وجل عرف
بعضه بالتخفيف اي غضب فيه وجازى عليه وهو كقولك لمن اساء اليك
لاعرفن لك ما فعلت اي لاجازينك عليه وجازاها النبي صلى الله عليه
وسلم بان طلقها طلقة واحدة فقال عمر لو كان في آل الخطاب
خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل بمراجعتها
وستفع فيها واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم شهرا وقعد في مشربة
ماريه ام ابراهيم حتى نزلت اية التخيير فبدا بعايشة فخيرها فاختارته
بطلاقها حتى قال له جبريل لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من
نسايك في الجنة فلم تطلقها فلما نبأها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله
عليه قالت له من انبأك هذا يا رسول الله عني وظنت ان عايشة اخبرته
فقال عليه السلام نبأني العليم الخبير اي الذي لا يخفى عليه شيء وهذا
سد مسد مفعولي انبأ وانبأ الاولى يتعدى الى مفعول وانبأ الثاني
يتعدى الى مفعول واحد لان نبأ وانبأ اذا لم يدخلا على الابتداء والخبر جاز ان
يكتفى فيهما بمفعول واحد وبمفعولين فاذا دخلا على الابتداء والخبر تعدي
كل واحد منهما الى ثلاثة مفعولين ولم يجز الاقتصار على الاثنين دون
الثالث لان الثالث هو خبر المبتدا في الاصل فلا يقتصر دونه كما لا يقتصر
على المبتدا دون الخبر فوله تعالى ان تتوبا الى الله يعني حفصة
وعايشة خاطبهما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عني عن الحق
وهو ايثاركما ما كره النبي صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته
واجتنابه العسل وكان عليه السلام يحب العسل والنساء قال
ابن زيد مالت قلوبهما بالسرها ان يجتمعن عند ام ولده فسرهما ما كره رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل فقد مالت قلوبكما الى التوبة وقال
فقد صغت قلوبكما ولم يقل فقد صغا قلباهما ومن شان العرب اذ ذكروا
الاثنين من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل وقد مضى هذا المعنى في سورة المايدة
في قوله تعالى فاقطعوا ايديهما وقيل كما ابيت فيه الاضافة فيه مع التثنية
كلفظ الجمع الذي به لانه امكن واخف وليس قوله فقد صغت قلوبكما جزاء
للشرط لان هذا الصغو كان سابقا لجواب الشرط محذوف للعلم به اي ان
تتوبا كان خيرا لكما اذا صغت قلوبكما فوله لها لي وان تظاهرا عليه
اي يتظاهرا ويتعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعصية والايذاء
وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مكثت سنتين وانا اريد ان اسال عمر
ابن الخطاب عن ابنتي ما استطيع ان اسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت
معه فلما رجع فكنا ببعض الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت
حتى فرغ ثم سرت معه فلما رجع قلت يا امير المومنين من اللتان تظاهرتا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ازواجه فقال تلك حفصة وعايشة
قال فقلت له والله ان كنت لاسالك عن هذا منذ سنة فما استطيع هيبة

لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم مسألني عنه فان كنت اعلمه اخبرتك وذكر الحديث
قال الله هو مولاه اي وليه وناصره فلا يضره ذلك التظاهر منهما وجبريل وصالح المؤمنين
قال عكرمة وسعيد بن جبير ابو بكر وعمر لانهما انوعا بنته وحفصة وقد كانا عونا له
علمهما وقيل صالح المؤمنين علي رضي الله عنه وقيل جميع المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله
تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر قاله الطبري وقيل صالح المؤمنين هم الانبيا
قاله العلا بن زياد وقتادة وسفيان وقال ابن زيد هم الملائكة السدي هم
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل صالح المؤمنين ليس لفظ الواحد انما هو
صالحوا المؤمنين واضاف الصالحين الى المؤمنين وفي صحيح مسلم عن ابن عباس
قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما اعتزل نبي الله صلى الله عليه وسلم
نساءه قال دخلت المسجد فاذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول
الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل ان يومرن بالحجاب فقال عمر فقلت لاعلمن
ذلك اليوم قال فدخلت على عائشة فقلت يا ابنة ابي بكر قد بلغ من شانك
ان تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مالي وما لك يا ابن الخطاب
عليك بعسيبك قال فدخلت على حفصة بنت عمر فقلت لها يا حفصة اقد
بلغ من شانك ان تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لقد علمت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك ولولا انا لطلقك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فبكت اشد البكا فقلت لها اين رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت هو في خزانته في المشربة فدخلت فاذا انا برباح رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاعد على اسكفة المشربة مدل رجليه على نعر من خشب وهو جذع
يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر فناديت برباح استاذن لي
عندك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر رباح الى الغرفة ثم نظر الي
فلم يقل شيئا ثم رفعت صوتي فقلت يا رباح استاذن لي عندك على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى اظن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ظن اني جئت من اجل حفصة والله لئن امرني رسول الله صلى الله عليه
وسلم بضرب عنقها لاضربن عنقها ورفعت صوتي فاومأ الي ان ارقه
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير فجلست
فادنى علي ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر في جنب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا انا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثله قرظا في ناحية الغرفة
واذا افيق معلق قال فابدرت عيناي قال فما يبكيك يا ابن الخطاب
قلت يا نبي الله ما لي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزانتك
لا اري فيها الا ما ارى وذلك كسرى وقيصر في الثمار والانهار وانت رسول
الله وصفوته وهذه خزانتك قال يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لهم
الدنيا ولنا الاخرة قال بلى قال ودخلت عليه حين دخلت وانا ارى في وجهه
الغضب فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من شان النساء فان كنت طلقتهن
فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر معك والمؤمنون
وقل ما تكلمت واحمد الله بكلام الا رجوت ان يكون الله عز وجل ان يصدق قولي
وانزلت هذه الاية عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الى
وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد
ذلك ظهير وكانت عائشة وحفصة تظاهران على نساء رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا قال قلت يا رسول الله اني دخلت المسجد
والمسلمون ينكتون بالحصى يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فلم ازل احدثه حتى
تحسر الغضب عن وجهه وحتى كشر فضحك وكان من احسن الناس ثغرا ثم نزل
نبي الله صلى الله عليه وسلم ونزلت فنزلت ان سنت بالجذع ونزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانما يمشي على الارض ما يمسه بيده فقلت يا رسول
الله انما كنت في الغرفة تسعا وعشرين قال ان الشهر يكون تسعا وعشرين

غلام ٣٩

ثم مت على باب المسجد فنادیت باعلی صوتی لم یطلقک رسول الله صلی الله علیه وسلم
لنساه ونزلت هذه الایة واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو
ردوه الی الرسول والی اولی الامر منهم لعلمه الذین یستنبطونه منهم فکنت
انا استنبطت ذلک الامر وانزل الله تعالی ایة التخییر قوله تعالی وجبریل
علیه لغات وقد تقدمت فی سورة البقرة ویجوز ان یکون معطوفا علی مولاه والمعنی
الله ولیه وجبریل ولیه فلا یوقف علی مولاه ویوقف علی جبریل ویکون
وصالح المومنین مبتدا والملائکة معطوفا علیه والخبر ظهیر وهو بمعنی الجمع
وصالح المومنین ابو بکر قاله المسیب بن شریک وقال سعید بن جبیر عمر وقال
عکرمة ابو بکر وعمر وروی شقیق عن عبد الله عن النبی صلی الله علیه وسلم فی قوله
تعالی فان الله هو مولاه وجبریل وصالح المومنین قال ان صالح المومنین
ابو بکر وعمر رضی الله عنهما وقیل هو علی رضی الله عنه عن اسما بنت عمیس قالت
سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول وصالح المومنین علی بن ابی طالب وقیل
غیر هذا مما تقدم القول فیه ویجوز ان یکون وجبریل مبتدا وما بعده معطوفا علیه
والخبر ظهیر وهو بمعنی الجمع ایضا فتوقف علی هذا مولاه ویجوز ان یکون جبریل وصالح
المومنین معطوفا علی مولاه فیوقف علی المومنین ویکون والملائکة بعد ذلک وظهیر
ابتدا وخبر ومعنی ظهیر اعوان وهو فی معنی ظهر کقوله تعالی وحسن اولئک رفیقا وقال
ابو علی وحاتم فعیل للکثرة کقوله ولا یسئل حمیم حمیما یبصرونهم وقیل کان الظاهر
منهما فی التحکم علی النبی صلی الله علیه وسلم فی النفقة ولهذا الامن تظاهرا واعتزلهن
وفی صحیح مسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بکر یستاذن علی النبی صلی الله علیه
وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم یوذن لاحد منهم قال فاذن لابی بکر فدخل ثم
اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبی صلی الله علیه وسلم جالسا حوله نساوه
واجما ساکتا قال فلاقولن شیئا اضحک النبی صلی الله علیه وسلم فقال یا رسول
الله لو رایت بنت خارجة سالتنی النفقة فقمت الیها فوجات عنقها فضحک رسول
الله صلی الله علیه وسلم وقال هن حولی کما تری یسالنی النفقة فقام ابو بکر الی
عنقها وجاعنقها وقام عمر الی حفصة وجاعنقها کلاهما یقول تسالن رسول الله صلی
الله وسلم مالیس عنده فقلن والله لا نسئل رسول الله صلی الله علیه وسلم شیئا ابدا
لیس عنده ثم اعتزلهن رسول الله صلی الله علیه وسلم شهرا او تسعا وعشرین ثم نزلت
هذه الایة یا ایها النبی قل لازواجک حتی بلغ للمحسنات منکن اجرا عظیما الحدیث
وقد ذکرناه فی سورة الاحزاب قوله تعالی عسی ربه ان طلقکن قد تقدم
فی الصحیح ان هذه الایة نزلت علی لسان عمر رضی الله عنه ثم قیل کل عسی فی القرآن
واجب الا هذا وقیل هو واجب ولکن الله جل ثناوه علقه بشرط وهو التطلیق
ولم یطلقهن ان یبدله ازواجا خیرا منکن لا لکن لو کن خیرا منهن ما طلقکن رسول
الله صلی الله علیه وسلم قال معناه السدی وقیل هذا وعد من الله تعالی لرسوله
صلی الله علیه وسلم لو طلقهن فی الدنیا ان یبدله ازواجا خیرا منهن وقرئ
ان یبدله بالتشدید والتخفیف والتبدیل والابدال بمعنی کالتنزیل والانزال
والله کان عالما بانه کان لا یطلقهن ولکنه اخبر عن قدرته علی انه ان طلقهن
ابدله خیرا منهن ثم نفی بقوله تعالی وان تتولوا یستبدل قوما
غیرکم وهو اخبار عن القدرة وتخویف لهم لان احدا من فی الوجود من خیر من اصحاب
محمد صلی الله علیه وسلم قوله تعالی مسلمات یعنی مخلصات قاله سعید
بن جبیر واصل معناه مسلمات لامر الله تعالی وامر رسوله مومنات مصدقات
بما امرن به ونهین عنه قانتات مطیعات والقنوت الطاعة وقد تقدم
بالسات ای من ذنوبهن قاله السدی وقیل راجعات الی امر رسول الله صلی
الله علیه وسلم تارکات لهوی انفسهن عابدات ای کثیرات العبادة لله تعالی
وقاله ابن عباس ای کثیرات العبادة لله تعالی وقال ابن عباس کل عبادة فی
القرآن فهو للتوحید سائحات صائمات قاله ابن عباس والحسن وابن جبیر
وقال زید بن اسلم وابنه عبد الرحمن وعمان مهاجرات قال زید ولیس فی
امة محمد صلی الله علیه وسلم سیاحة الا الهجرة والسیاحة الجولان فی

الارض وقال الفراء والقتبي وغيرهما سمي الصايم سايحا لان السايح لا زاد معه
وانما ياكل من حيث يجد الطعام وقيل ذاهبات في طاعة الله من ساح الماء
اذا ذهب وقد مضى في سورة براءة والحمد لله ثيبات وابكارا اي منهن ثيب
ومنهن بكر وقيل انما سميت ذا رقها وقيل لانها تاتي الى بيت ابويها وهذا
اصح لان ليس كل ثيب يعود الى زوج واما البكر فهي العذرا سميت بكرا على اول حالتها التي خلقت بها وقال الكلبي اراد بالثيب مثل اسية امراة فرعون وبالبكر
مثل مريم ابنة عمران قلت وهذا انما يمشى على قول من قال ان التبديل وقع
من الله لنبيه لو طلقهن في الدنيا زوجه في الاخرة خيرا منهن والله اعلم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا فيه مسئلة
واحدة وهي الامر بوقاية الانسان نفسه واهله النار قال الضحاك معناه
قوا انفسكم واهلوكم قلينفوا انفسهم نارا وروي علي بن ابي طلحة عن ابن
عباس قوا انفسكم وامروا اهليكم بالذكر والدعا حتى يقيكم الله بهم وقال
علي رضي الله عنه وقتادة ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم
بوصيتكم ابن العربي وهو الصحيح والفقه الذي يعطيه العطف الذي
يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل كقوله

" " اعلفتها تبنا وماء باردا وكقوله " "

" " وابن زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا " "

فعلى الرجل ان يصلح اهل نفسه بالطاعة ويصلح اهله صلاح الراعي للرعية فان في صحيح
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسيول عن رعيته فالامام
الذي على الناس راع وهو مسيول عنهم والرجل راع على اهل بيته وهو
مسيول عنهم وعن هذا قال الحسن في هذه الاية بامرهم وبنهاهم قال بعض العلما
لما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى ليس
عليكم جناح ان تاكلوا من بيوتكم فلم يفرد وا بالذكر افراد سايرا لقرابات فيتعلم
الحلال والحرام ويجتنب المعاصي والايتام الى غير ذلك من الاحكام وقال عليه
السلام خير ما نحل الوالد ان يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ وقال
عليه السلام ما نحل ولد ولدا افضل من ادب حسن وقد روي عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم مروا ابناكم بالصلاة لسبع واضربوهم
عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع خرجه جماعة من اهل الحديث وهذا لفظ
ابي داود وخرج ايضا عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مروا الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوهم
عليها وكذلك يجبرا هله بوقت الصلاة ووجوب الصيام ووجوب الفطر اذا
وجبت مستندا في ذلك الى رؤية الهلال وقد روي مسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا اوتر يقول قومي فاوتري يا عايشة وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال رحم الله امراء قام من الليل فصلى وايقظ اهله فان لم تقم
رش على وجهها بالماء وسنذكر قوله عليه السلام انقطع اصواحب الحجر ويدخل
هذا في عموم قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وذكر القشيري ان
عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية يا رسول الله يقي انفسنا فكيف
لنا باهلنا فقال تنهوهم عما نهاكم الله وتامروهم بما امرالله وقال
مقاتل ذلك حق عليه في نفسه وولده واهله وعبيده واما به قال
الكيا فعلينا تعليم اولادنا واهلينا الدين والخير وما لا نستغني عنه من
الادب وهو قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ونحو قوله لنبي
صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين وفي الحديث مروهم بالصلاة
وهم ابنا سبع وقودها الناس والحجارة تقدم في سورة البقرة القول
فيه عليها ملايكة غلاظ شداد يعني الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون اذا
استرحموا خلقوا من الغضب وجبلوا على العذاب الخلق كما جبل بنو ادم على
اكل الطعام والشراب شدادا اي شدادا الابدان وقيل غلاظ الاقوال
شدادا الافعال وقيل غلاظ في اخذهم اهل النار شداد عليهم يقولون يقال

شديد على فلان اي قوي عليهم بعذابهم بانواع العذاب وقيل اراد بالملائكة خزنة
اجسامهم وبالشدة القوة قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة
سنة وقوة الواحد منهم ان يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة سبعين الفا فيسقطون
في قعر جهنم وذكر ابن وهب قال وحدثنا عبد الرحمن ابن زيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب
قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم اي لا يخالفونه في امره من زيادة او
نقصان ويفعلون ما يؤمرون اي في وقته فلا يؤخرونه ولا يقدمونه وقيل
اي لا يمتنعون في امتثال امر الله كما ان سرور اهل الجنة في الكون في الجنة ذكر
بعض المعتزلة وعمدهم انه يستحيل التكليف غدا ولا يخفى معتقد اهل الحق في ان
الله يكلف العبد اليوم وغدا ولا سكر التكليف غدا في حق الملائكة وسيأتي
بعض ما يتعلق بهذا قوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم قال عذركم
لا ينفع وهذا النهي لتحقيق اليأس انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا ونظيره
قوله اليوم لا ينفع الذين كفروا معذرتهم ولا هم يستعتبون وقد تقدم قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله امر بالتوبة وهي فرض على الاعيان
في كل الاحوال وفي كل الازمان وقد تقدم بيانها والقول فيها في النساء وغيرها
توبة نصوحا اختلفت عبارة العلماء وارباب القلوب في التوبة النصوح على ثلاثة
وعشرين قولا فقيل هي التي لا عودة فيها بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع
روي عن عمر وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم
ورفعه معاذ الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة النصوح الصادقة
الناصحة وقيل الخالصة يقال نصح اي اخلص له القول وقال الحسن
النصوح ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقيل هي
التي لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها وقيل هي التي لا يثق بقبولها ويكون على
وجل منها وقيل هي التي لا يحتاج معها الى توبة وقال الكلبي التوبة
النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالقلب والاضمار
على ان لا يعود وقال سعيد بن جبير هي التوبة المقبولة ولا تقبل ما لم يكن
فيها ثلاثة شروط خوف ان لا تقبل ورجاء ان تقبل وادمان الطاعات
وقال سعيد بن المسيب توبة تنصحون بها انفسكم وقال الغزالي يجمعها اربعة
اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان
ومهاجرة سيء الاخلاق وقال سفيان الثوري علامة التوبة اربعة الحلم
والذل والحلم والغربة وقال الفضيل بن عياض هو ان يكون الذنب بين
عينيه فلا يزال كأنه ينظر اليه ونحوه عن ابن السماك ان يبقى الذنب
الذي اقلعت فيه الحياء من الله امام عينك وسعد لمسطرك وقال
ابو بكر الوراق هو ان يضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق عليك نفسك
كالثلاثة الذين خلفوا وقال ابو بكر الواسطي هو توبة لا لعقد عوض لان من
اذنب في الربا لرفاهيته لتنسم ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الاخرة فتوبته
على حفظ نفسه لا لله وقال ابو بكر الدقاق المصري التوبة النصوح هي
رد المظالم واستحلال الخصوم وادمان الطاعات وقال ذو النون
هو ان يكون ذنبه وجاه بلا تفكر كما كنت له عند المعصية تفكر بلا وجع وقال ذو النون
علامة التوبة النصوح ثلاث قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام وقال
الشقيق هو ان يكره صاحبها لتنسم الملامة ولا ينفك من الندامة ليبخع من
افاتها بالسلامة وقال سري السقطي لا تصح التوبة النصوح الا بنصيحة
النفس والمؤمنين لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقال
الجنيد التوبة النصوح هو ان ينسى الذنب فلا يذكره ابدا لان من صحت
توبته صار محبا لله ومن احب الله نسي ما دون الله وقال ابو الدرداء
هو ان يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح وقال فتح الموصلي
علامتها ثلاث مخالفة الهوى وكثرة البكاء ومكابدة الجوع والظمأ وقال سهل

ابن عبد الله التستري هي التوبة لاهل السنة والجماعة لان المبتدع لا توبة له بدليل
قوله صلى الله عليه وسلم حجب الله كل صاحب بدعة ان يتوب وعن حذيفة يحسب
الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه واصل التوبة النصوح من الخلوص
يقال هذا عسل ناصح اذا خلص من الشمع وقيل هي ماخوذة من النصاحة وهي
الخياطة وفي اخذها منها وجهان احدهما لانها توبة قد احكمت طاعته واوثقها
كما يحكم الخياط الثوب بخياطته والثاني لانها قد جمعت بينه وبين
اولياء الله والصفة بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض
وقراءة العامة نصوحا بفتح النون على نعت التوبة مثل امراة صبورا اي
توبة بالغة في النصح وقرا الحسن وخارجة وابو بكر عن عاصم بالضم وتاويله
على هذه القراءة توبة ذات نصح لانفسكم وقيل يجوز ان يكون مصدرا يقال نصح نصاحة
ونصوحا جمع يصح وان يكون مصدرا يقال نصح ونصوحا وقد يتفق فعال وفعول
في المصادر نحو الذهاب والذهوب وقال المبرد اذا توبة ذات نصح يقال نصحت نصحا ونصاحة
ونصوحا التاسعة في الاشياء التي يكتب منها وكيف التوبة منها قال العلماء الذنب
الذي يكون التوبة منه لا يخلو اما ان تكون حقا لله او للادميين فان كان
حقا لله كترك صلاة فان التوبة لا تصح منها حتى يقضي الى الندم قضاء ما فات
منها وهكذا ان كان ترك صوم او تعريط في الزكاة وان كان ذلك قتل نفس
بغير حق فليكن من القصاص ان كان عليه وكان مطلوبا به وان كان غير قادر
يوجب الحد فيبدل لظهره للجلد ان كان مطلوبا به فان عفا عنه كفاه الندم
والعزم على ترك العود بالاخلاص وكذلك ان عفا عنه في القتل بمال فعليه
ان يؤديه ان كان واجدا له قال الله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان وان كان ذلك حدا من حدود الله مما كان فانه
اذا تاب الى الله تعالى بان تندم الصحيح سقط عنه وقد نص الله تعالى على
سقوط الحد عن المحاربين اذا تابوا قبل ان يقدر عليهم حسب ما تقدم بيانه
وكذلك السراق والشراب والزناة اذا اصلحوا وتابوا وعرف ذلك منهم
ثم رفعوا الى الامام فلا ينبغي له ان يحدهم وان رفعوا اليه فقالوا انا لم
نتركوا وهم في هذه الحال كالمحاربين اذا علموا هذا مذهب الشافعي فان كان
الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة منه الا برده الى صاحبه والخروج عنه
عينا كان او غيره ان كان قادرا عليه فان لم يكن قادرا فالعزم ان يؤديه
اذا قدر في اعجل وقت واسرعوا وان كان اضر بواحد من المسلمين
وذلك الواحد لا يسعه او لا يدرك من ابن اتي فان يزيل ذلك الضرر
عنه ثم يبقى له ان يعفو عنه ويستغفر له فاذا عفا سقط الذنب عنه وان ارسل اليه
من سله ذلك فقضاه ذلك المظلوم عن ظالمه فعرف بعينه او لم يعرفه فذلك صحيح وان
سار رجل الى رجل بان نزعه بغير حق وغمه او لطمه او صفعه بغير حق او ضرب
مبسوطه فالمه ثم جاه مستغفيا نادما على ما كان منه عازما على ان لا يعود
فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفا عنه سقط الذنب عنه وهكذا ان كان
شتمه فيستغفر لاحد فيه قوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم عسى من
الله واجبة وهو معنى قوله عليه السلام التائب من الذنب كمن لا ذنب
له وان في موضع نصب على الخبرية قوله
تعالى ويدخلكم جنات معطوف على يكفر وقرا ابن ابي عبلة ويدخلكم
مجزوما عطفا على محل كفر عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفيره
سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي العامل
في يوم ويدخلكم او فعل مضمر ومعنى يخزي هنا يعذب اي لا يعذبه ولا يعذب
الذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم تقدم في سورة الحديد
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير قال ابن عباس
ومجاهد وغيرهما هذا دعا المومنين حين اطفا الله نور المنافقين حسب
ما تقدم بيانه في سورة الحديد قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم فيه مسئلة واحدة وهو التشديد في دين الله

فامره ان يجاهد الكفار بالسيف والمواعظ الحسنة والدعا الى الله والمنافقين
بالغلظة والقامة الحجة وان يعرفهم احوالهم في الاخرة وانهم لا نور لهم يجوزون
به الصراط مع المومنين وقال الحسن اي جاهدهم بالقامة الحدود عليهم
فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود وكانت الحدود تقام عليهم وماواهم
جهنم يرجع الى الصنفين وبئس المصير اي المرجع قوله تعالى ضرب الله
مثلا للذين كفروا امرات نوح وامراة لوط ضرب اسهذا المثل تنبيها على انه
لا ينفع احد في الاخرة عن قريب ولا بسبب اذا افترق بينهما الدين وكان اسم
امراة نوح والهة واسم امراة لوط والغة قاله مقاتل وقال الضحاك عن عايشة
رضي الله عنها ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان اسم
امراة نوح واعلة وامراة لوط والهة فخانتاهما قال عكرمة
والضحاك بالكفر وقال سليمان بن رقيبة عن ابن عباس كانت امراة نوح تقول
للناس انه مجنون وكانت امراة لوط تخبر باضيافه فوعنه ما نعت امراة
نبي قط وهذا اجماع من المفسرين فيما ذكر الشعبي انما كانتا خانتا بينهما في الدين
وكانتا مسرتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما انهما اذا اوحي اليهما
شيا افشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امراة لوط اذا انزل
به ضيف دخنت لتعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال
فلم يغنيا عنهما من الله شيا اي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله عن
زوجتيهما لما عصتا شيا من عذاب الله تنبيها بذلك على ان العذاب يدفع
بالطاعة لا بالوسيلة ويقال ان كفار مكة استهزوا وقالوا ان محمدا صلى الله
عليه وسلم يشفع لنا فبين الله تعالى ان شفاعته لا تنفع كفار مكة وان
كانوا اقربا كما لا تنفع شفاعة نوح لامراته وشفاعة لوط لامراته مع قربهما
لها لكفرهما وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين في الاخرة كما يقال لكفار مكة
وغيرهم ثم قيل يجوز ان يكون امراة نوح بدلا من قوله مثلا على تقدير حذف
المضاف اي ضرب الله مثلا حال امراة نوح ويجوز ان يكونا مفعولين قوله تعالى
وضرب الله مثلا للذين امنوا امرات فرعون واسمها اسية بنت مزاحم قال يحيى بن
سلام قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا مثل ضربه الله لخدر به عايشة وحفصة
في المحالفين حين تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب لهما مثلا
بامراة فرعون ومريم امراة عمران ترغيبا في التمسك بالطاعة والثبات
على الدين وقيل هذا حث المومنين على الصبر في الشدة اي لا يكونوا في الصبر
عند الشدة اضعف من امراة فرعون حين صبرت على اذى فرعون
وكانت اسية امنت بموسى وقيل هي عمة موسى امنت به فقالت
ابو العالية اطلع فرعون على ايمان امراته فخرج الى الملا فقال لهم ما تعلمون
من اسية ابنة مزاحم فاثنوا عليها فقال لهم انها لغير ربها غيري فقالوا له
اقتلها فاوتد لها اوتادا وشد يديها ورجليها فقالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ووافق ذلك حضور فرعون فضحكت حين رات بيتها في الجنة
فقال فرعون الا تعجبون من جنونها انا اعذبها وهي تضحك فقبض روحها
وقال سلمان الفارسي فيما روي عنه عثمان الهدبي كانت تعذب بالشمس
فاذا اذاها حر الشمس اظلتها الملايكة باجنحتها وقيل سمر يديها ورجليها
في الشمس ووضع على ظهرها رحا فاطلعها الله ورات مكانها في الجنة وقيل
لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة ببنى وقيل انه
من درة وعن الحسن ولما قالت ونجني نجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة
فهي تاكل وتشرب وتتنعم ومعنى من فرعون وعمله يعني باعمال الكفر ويقال
من عمله من عذابه وظلمه وسماته وقال ابن عباس الجماع ونجني من
القوم الظالمين قال الكلبي اهل مصر مقابل القبط قال
الحسن وابن كيسان نجاها الله اكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي فيها تاكل وتشرب
قوله تعالى ومريم ابنة عمران اي واذكر مريم وقيل هو عطف
على امراة فرعون المعنى وضرب الله مثلا لمريم ابنة عمران وصبرها على اذى اليهود

التي احصنت فرجها اي عن الفواحش وقال ـــــ المعبر ون انما اراد هنا الجيب لانه قال فنفخنا فيه من روحنا وجبريل عليه السلام انما نفخ في جيبها ولم ينفخ في فرجها وهي قراءة ابي فنفخنا في جيبها من روحنا وكل حرف في القرآن يسمى فرجا ومنه قوله تعالى وما لها من فروج ويحتمل ان يكون احصنت فرجها ونفخ الروح في جيبها ومعنى فنفخنا ارسلنا جبريل فنفخ في جيبها من روحنا اي روحا من ارواحنا وهو روح عيسى وقد مضى في آخر سورة النساء بيانه مستوفى والحمد لله وصدقت بكلمات ربها قراءة العامة وصدقت بالتشديد وقرأ حميد الاعرج وصدقت بالتخفيف بكلمات ربها قول جبريل لها انما انا رسول ربك الآية وقال ـــــ مقاتل يعني بالكلمات عيسى وآدم وعيسى كلمة الله وقد تقدم وقرأ الحسن وابو العالية بكلمة ربها وكتابه وقرأ ابو عمرو وحفص عن عاصم وكتبه جمعا وعن ابي رجاء وكتبه بخفف التاء والباقون بكتابه على التوحيد والكتاب يراد به الجنس فيكون في معنى كل كتاب انزل الله تعالى وكانت من القانتين اي من المطيعين وقيل من المصلين بين المغرب والعشا وانما لم يقل من القانتات لانه اراد وكانت من القوم القانتين ويجوز ان يرجع هذا الى اصل بينهما فانهم كانوا مطيعين وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ـــــ لخديجة وهي جود بنفسها انكرهين ما قد نزل بك ولقد جعل الله في الكره خيرا فاذا قد مت على ضرائك فاقرئيها مني السلام مريم بنت عمران واسية بنت مزاحم وكلثوما قال ـــــ حليمة بنت عمران اخت موسى بن عمران فقالت بالروا والبنين يا رسول الله وزوى قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ـــــ حسبك من نساء العالمين اربع مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امرأة فرعون بنت مزاحم وقد مضى في سورة العمران الكلام في هذا مستوفى والحمد لله

كتاب الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الملك مكية

في قول الجميع وتسمى الواقية والمنجية

وهي ثلاثون اية روى الترمذي عن ابن عباس قال ضرب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباء على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وانا لا احسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر قال الحديث حسن غريب وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وددت ان تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مومن ذكره الثعلبي وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون اية شفعت لرجل حتى اخرجته من النار ويوم القيمة وادخلته الجنة وهي سورة تبارك اخرجه الترمذي بمعناه وقال فيه حديث حسن وقال ابن مسعود اذا وضع الميت في قبره اتيت من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل فانه كان يقوم بسورة الملك على قدميه ثم اوتي من قبل راسه فيقول سائر ليس لكم عليه سبيل انه كان يقرأ في سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد اكثر واطيب وروي انه من قرأها كل ليلة لم تضره الفتن

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

تبارك الذي بيده الملك تفاعل من البركة وقد تقدم وقال الحسن تقدس وقيل دام فهو الدائم الذي لا اول لوجوده ولا اخر لدوامه الذي بيده

الملك اي ملك السموات والارض في الدنيا والاخرة وقال ابن عباس بيده الملك
يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي ويميت ويغني ويفقر ويعطي ويمنع وقال
محمد بن اسحاق له ملك النبوة التي اعز بها من اتبعه وذل بها من خالفه وهو
على كل شئ قدير من الخاص والنقام قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة قيل معناه
خلقكم للموت والحياة يعني للموت في الدنيا والحياة في الاخرة فقدم الموت على
الحياة لان الموت الى القهر اقرب كما قدم الاناث على البنين فقال يهب
لمن يشاء اناثا وقيل قدمه لانه اقدم لان الاشياء في الابتداء كانت في حكم
الموت كالنطف والتراب ونحوه قال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله تعالى اذل بني ادم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار
موت وجعل الاخرة دار جزاء ثم دار بقاء وعن ابي الدرداء ان النبي الله صلى
الله عليه وسلم قال لولا ثلث ما طاطا ابن ادم راسه الفقر والمرض والموت
وانه مع ذلك لوثاب المسئلة الثانية الموت والحياة قدم الموت
على الحياة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه
فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الايه اهم الموت ليس لعدم محض
ولا لفناء صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن مع قدرة وحلوله
بينهما وتبدل حال وانتقال من دار الى دار والحياة عكس ذلك وحكي عن ابن
عباس والكلبي ومقاتل ان الموت والحياة جسمان فجعل الموت في هيئة
كبش لا يمر بشئ ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحياة في صورة فرس انثى بلقاء
وهي التي كان جبريل والانبياء عليهم السلام يركبونها فلا تمر بشئ ولا تجد ريحها
الا حيي ولا تطأ على شئ الا حيي وهي
التي اخذ السامري من اثرها فالقاه على العجل فحيي حكاه الثعلبي والتشريع
عن ابن عباس والما ورديي معزيا عن مقاتل والكلبي قلت وفي التنزيل قل
يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ثم
توفته رسلنا ثم قال الله يتوفى الانفس حين موتها قالوسائط ملائكة مكرمون
صلوات الله عليهم وهو سبحانه المميت على الحقيقة اما انه عدل الموت بالكبش في الاخرة
ويذبح على الصراط حسب ما ورد به الخبر الصحيح وما ذكر عن ابن عباس يحتاج
الى خبر صحيح يقطع العذر والله اعلم وعن مقاتل ايضا خلق الله الموت لعنى
النطفة والمضغة والعلقة وخلق الحياة يعني خلق انسانا ونفخ فيه الروح
فصار انسانا قلت وهذا قول حسن يدل عليه قوله تعالى ليبلوكم
ايكم احسن عملا وتقدم القول فيه في سورة الكهف وقال السدي في الذي
خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا اي اكثركم للموت ذكرا واحسنكم استعدادا
وله اشد خوفا وحذرا وقال ابن عمر قلي النبي صلى الله عليه وسلم تبارك الذي
بيده الملك حتى بلغ ايكم احسن عملا فقال اورع عن محارم الله واسرع في طاعة
الله وقيل معنى ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر اي ليبلوا العبد بموت من
يعز عليه لتثيبين صبره وبالحياة ليبتين شكره وقيل خلق الله الموت للحياة
للبعث والجزا وخلق الحياة واللام في ليبلوكم يتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت
ذكره الزجاج وقال الزجاج والفراء ايضا لم تقع ابلوك على اي لان فيما يبدو
البلوى واي اضمار فعل كما تقول بلوتكم لينظر ايكم اطوع وسئله قوله تعالى
سلهم ايهم بذلك زعيم اي سلهم ثم انظر ايهم قائم بالابتداء واحسن كذلك
زعيم اي سلهم خبره والمعنى ليبلوكم فيعلم او فينظر احسن عملا وهو العزيز
في انتقامه ممن عصاه الغفور لمن تاب اليه قوله تعالى الذي خلق
سبع سموات طباقا اي بعضها فوق بعض والمطر قي منها اطرافها كذا روي
عن ابن عباس وطباقا نعت لسبع فهو وصف بالمصدر وقيل مصدر بمعنى
المطابقة اي خلق سبع سموات وطبقها تطبيقا او مطابقة او على معنى
طوبقت طباقا وقال سيبويه نصب طباقا لانه مفعول ثان تقديره فيكون
خلق بمعنى جعل وصير وطباق جمع طبق مثل جمل وجمال وقيل جمع طبقة

وقال

وقال ابان بن ثعلب سمعت بعض الاعراب يذم رجلا فقال شوه طباق وخرق عبر
باق ويجوز في غير القرآن سبع سموات طباق والخفض على لغة لسماوات
ونظيره سبع سنبلات خضر ما نزي في خلق الرحمن من تفاوت قرأ حمزة والكسائي
من تفوت بالف مشددة وهي قراءة ابن مسعود واصحابه ممن اتبا قون من
تفاوت بالف وهما لغتان مثل التعاهد والتعهد والتحمل والتحامل والتظهر
والتظاهر وتصغر وتصاغر وبضاعف ويضعف وتباعد وتبعد كله بمعنى واختار
ابو عبيد من تفوت واحتج بحديث عبد الرحمن بن ابي بكرة مبلى يتفوت عليه
في شانه الخاسي هذا امر مرد ود على ابي عبيد لان تفوت يتفاوت بهم
وتفاوت في الاية استئنافه كما يقال تباين يقال تفاوت الامر اذا تباين او تباعد
اي فات بعضها بعضا الا نزي ان قبله قوله تعالى الذي خلق سبع سموات
طباقا فاد المعنى ما نزي في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل
هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلفت صورة وصفاته وقيل
المراد بذلك السموات خاصة اي ما نزي في خلق السموات من عيب واصله
من الفوت وهو ان يفوتك شيء منها فيتم الخلل لقلة استوايها بدل على قول
ابن عباس من تفرق وقال ابو عبيدة يقال تفوت الشيء اذا زال فات ثم
امرنا ان ننظر وا في خلقه لنعتبر وا به فيتفكروا في قدرته تعالى فارجع البصر
هل نزي من فطور اي اردد طرفك الى السماء ويقال قلت البصر في السماء
ويقال اجتهد بالنظر الى السماء والمعنى متقارب وانما قال فارجع بالعطف
وليس قبله فعل مذكور لانه قال ما نزي والمعنى انظر ثم ارجع البصر هل نزى من
فطور قاله قتادة والفطور الشقوق عن مجاهد والضحاك وقال قتادة من خلل
السرج من حروف ابن عباس من وهن واصله من التفطر والانفطار وهو
الانشقاق قال الشاعر،

• تبا لكم بلا عمد سما وربها ما فيها فطور،
• وقال اخر ،
• شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتام الفطور،
• تعلل حب لم يبلغ شرابه ولا سكر ولم يبلغ سرور •

قوله لحاسما ارجع البصر كرتين كرتين في موضع المصدر لان معناه رجعتين
اي مرة بعد اخرى وانما امر بالنظر مرتين لان الانسان اذا نظر في الشيء مرة
لا يرى عيبه ما لم ينظر اليه مرة اخرى فاخبر الله تعالى انه وان نظر
الى السماء مرتين لا يرى فيها عيبا بل يخبر بالنظر اليها فذلك قوله
ينقلب اليك البصر خاسئا اي خاسئا صاغرا منقطعا عن ان يرى شيئا من
ذلك يقال خسأت الكلب اي ابعدته وطردته وخسأ الكلب ينخسئ يتعدى
ولا يتعدى واخسأ الكلب ايضا وخسأ بصره خسا وخسوا اي سد ومنه قوله
تعالى ينقلب اليك البصر خاسئا وقال ابن عباس الخاسي الذي لم ير ما يهوى
وهو حسير اي كليل لا يبلغ ما يريد في الاعياء وهو معنى قول من جعل من الحسور الذي هو
الاعياء ويجوز ان يكون مفعولا من حسره بعد الشيء وهو معنى قول ابن عباس
• ومنه قول الشاعر •
• من مد طرفا الى فوق غايته ارتد حسان منه الطرف محسورا
يقال حسره بصره فحسر حسورا اي كل وانقطع نظره من طول مدي وما اشبه
ذلك فهو حسير ومحسور ايضا قال
• نظرت اليها بالمحصب من منى فعاد اليه الطرف وهو حسير •
• وقال اخر يصف ناقة •
تشطرها نظر العيون محسور نصب تشطرها على الظرف اي نحوها قال اخر
والخيل تعدو ما يزال حادها نعارضا لطريق شطرها
• وقيل انه الصادم ومنه قول الشاعر •
• ما زلت اليوم على شق جلى بابه العين تولى بحسر •
والمراد بكرتين هاهنا التكثير والدليل على ذلك ينقلب اليك البصر خاسئا وهو

حسير وذلك دليل على كرة الناظر قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح جمع
مصباح وهو السراج وسميا الكواكب مصابيح وهو السراج وسمى الكواكب مصابيح لاضائها
وجعلناها رجوما اي جعلنا شهبها لحذف المضاف لدليله الا من خطف الخطفة فاتبعه
شهاب ثاقب وعلى هذا فالمصابيح لا يزول ولا يرجم بها وقيل ان الضمير راجع الى
المصابيح على ان الرجم من انفس الكواكب ولا سبيل الكوكب نفسه انما ينفصل
منه شئ يرجم به من غير ان ينقص ضوءه ولا صورته قاله ابو علي جوابا لمن قال
كيف يكون زينة وهي رجوم لا يبقى قال المهدوي وهذا على ان يكون الاستراق
من الهوي الذي هو دون مواضع الكواكب الثابتة واسئل من قول ابي علي
ان يقول هي زينة قبل ان يرجم بها الشياطين والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به
ما يرجم به قال قتادة خلق الله تعالى النجوم لثلاث زينة السماء
ورجوما للشياطين وعلامات يهتدي بها في البر والبحر والاوقات فمن تاول
غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم وقال محمد بن كعب والله ما لاحد
من اهل الارض في اسمائهم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة
واعتدنا لهم عذاب السعير اي اعتدنا للشياطين اشد الحريق يقال
سعرت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقتيل وللذين كفروا بربهم
عذاب جهنم وبئس المصير قوله تعالى اذا القوا فيها يعني الكفار
سمعوا لها شهيقا اي صوتا قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند القائ الكفار
فيها تشهق اليها شهقة البغلة للشعير ثم تفور فورة لا يبقى احد الا خاف
وقيل الشهيق من الكفار عند القائهم في النار قاله عطا والشهيق في الصدر
والزفير في الحلق وقد مضى في سورة هود وهي تفور اي تغلي وسنه قول
حسان تركتم قدركم لا شئ فيها وقدر القوم حامية تفور
قال مجاهد تفور بهم كما تفور الحب القليل في الما الكثير وقال ابن عباس تغلي بهم
على الرجل وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب كما تقول قلان تفور غيظا قوله
تعالى تكاد تميز من الغيظ يعني يتقطع وينفصل بعضهم من بعض قاله سعيد بن جبير
وقال ابن عباس والضحاك وابن زيد يتفرق من الغيظ من شدة الغيظ على اعداء
الله وقيل من الغيظ من الغلمان واصل تميز يتميز كما التي فيها فوج اي جماعة من
الكفار سالهم خزنتها على جهة التوبيخ والتقريع الم يأتكم نذير اي رسول في الدنيا اي
ينذركم هذا اليوم حتى تجدوا قالوا بلى قد جاءنا نذير اي انذرنا وخوفنا فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شئ اي على السنتكم انتم يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اي اعترفوا
بتكذيب الرسل ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار لو كنا نسمع من النذر يعني النذر
لرسل ما جاءوا به او نعقل عنهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله او لو كنا
نسمع سماع من يعي وتفكر او نعقل عقل من يميز وينظر ودل هذا على ان الكافر لم يعط
من العقل شيئا وقد مضى في الطور بيانه والحمد لله ما كنا في اصحاب السعير يعني ما كنا
من اهل النار وعن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لقد
ندم الناجون يوم القيمة قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فقال الله
تعالى فاعترفوا بذنبهم اي بتكذيبهم الرسل والذنب هاهنا بمعنى الجمع لان غيره
معنى العقل يقال خرج عطا الناس اي اعطيتهم فسحقا لاصحاب السعير اي بعدا
لهم من رحمة الله وقال سعيد بن جبير وابو صالح هو واد في جهنم يقال له السحق
وقرا ابو جعفر والكسائي وابو جعفر فسحقا بضم الحاء وروي عن علي الباقون
باسكانها وهما لغتان مثل السحت والرعب الرجاج وهو منصوب على المصدر اي ب
اسحقهم الله سحقا اي باعدهم بعدا قال امرو القيس
يجول باطراف البلاد معزبا ويسحق رجع الصدا كل مسحق
وقال ابو علي القياس اسحاقا في المصدر على الحذف كما قيل وان اهلك فذلك
كان قد نزل اي تقديره وقيل ان قوله تعالى انتم الا في ضلال كبير من قول
خزنة جهنم لاهلها قوله تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب نظيره
من خشي الرحمن بالغيب وقد مضى الكلام فيه اي يخافون الله ويخافون عذابه الذي
هو بالغيب وقد مضى الكلام فيه اي يخافون الله هو عذاب يوم القيامة لهم مغفرة

لذنوبهم

لذ نوبهم واجر كبير وهو الجنة قوله تعالى واسروا قولكم او اجهروا به اللفظ عام لغط
الامور والمراد به الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم في امر محمد او جهرتم به فانه عليم بذات
الصدور لجنى بما في القلوب من خير او شر ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون
من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا
قولكم كي لا يسمع رب محمد فنزلت واسروا قولكم او اجهروا به يعني واسروا قولكم
في محمد وقيل في سائر الاقوال او اجهروا به اعلنوه انه عليم بذات الصدور ذات
الصدور ما فيها كما يسمى ولد المرأة وهو حين ذا بطنها ثم قال الا يعلم من خلق يعني
الا يعلم سر من خلق السر يقول انا خلقت السر في القلب افلا يكون عالما بما في القلوب
وقال اهل المعاني ان سبب جعلت من اسماء الخالق جل وعز ويكون المعنى الا يعلم الخالق خلقه
وان شئت جعلته اسما للمخلوق والمعنى الا يعلم الله من خلق ولابد ان يكون الخالق عالما
بما خلق وما يخلقه فالما بث اسكت بينما رجل واقف بالليل في معسكر كبير وقد عصفت
الريح فوقع في نفس الرجل انزي الله يعلم ما يسقط من هذا الورق فسمع من جانب
العسكر بصوت عظيم الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وقال الاستاذ ابو
اسحق الاسفرائيني من اسماء صفات الذات ما هو للعلم منها العليم ومعناه
نعتهم جميع المعلومات ومنها الخبير ويختص بان يعلم ما يكون قبل ان يكون ومنها الحكيم
ويختص بان يعلم دقائق الاوصاف ومنها السميع ويختص بان يعلم الهاتف
والحاضر ومعناه ان لا يغيب عنه شئ ومنها الحافظ ويختص بانه لا ينسى ومنها
المحصي ويختص بانه لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واستداد الريح وتساقط
الاوراق فيعلم عند ذلك اجر الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق
وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير قوله تعالى هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا اي سهلة لتتصرفوا عليها والذلول المنقاد الذي يدل لك والمصدر
الذل وهو اللين والانقياد اي كم يجعل الارض بحيث يمنع المشي فيها بالحزونة
والغلظ وقيل ان سبحانه بالجبال ليثبت الارض باهلها ولو كانت تتكفأ مما عليها لما كانت
منقادة لنا وقيل اشار الى التمكن من الزرع والغرس وسبق العيون والانهار
وحفر الابار فاستوائي مناكبها هو امر بالحفر وقيل فيه اظهار الامتنان وبيان
هو خبر بلفظ الامر اي كلوا من مناكبها وجوانبها واكنافها وجبالها وقال
ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب في مناكبها في جبالها وروى ابن بشير بن
كعب كانت له سرية فقال لها ان اخوتيني ما مناكب الارض كانت حرة فقالت
مناكبها جبالها فصارت حرة فاراد ان يتزوجها فسأل ابا الدرداء فقال
دع ما يريبك الى ما لا يريبك مجاهد في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجاجها
وقاله السدي والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه واصل الكلمة
الجانب ومنه منكب الرجل والريح انكبا وينكب فلان عن فلان يقولوا امشوا
حيث اردتم فقد جعلها لكم ذلولا لا تمشع وحكى قتادة عن ابي الحلد ان الارض اربعة
وعشرون الفا فرسخ فالسودان اثنى عشر الفا والروم منها ثمانية الاف وللفرس
اربعة الاف وللعرب الف وكلوا من رزقه اي مما احله لكم وقاله الحسن وقيل
مما انبته لكم واليه النشور المرجع وقيل معناه ان الذي خلق السماوات
فيها والارض ذلولا قادر على ان يميتكم بمنع المشي فيها بالحزونة
والغلظ ثم قال تعالى ءامنتم من في السماء
قال ابن عباس امنتم عذابه من في السماء قال ابن عباس ان عظيموه وقيل
تعذيبه امنتم من في السماء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته وخص السماء لان
عم ملكه تنبيها على ان الاله الذي ننعقد قدرته في السماء لا من يعظمونه في الارض
وقيل هو اشارة الى ان الملائكة وقيل الى جبريل وهو الملك الموكل قلت ويحتمل ان
يكون المعنى امنتم خالق من في السماء ان يخسف بكم الارض كما خسف بقارون
فاذا هي تمور اي تذهب وتجيء والمور الاضطراب بالذهاب والمجيء
قال الشاعر
رمين فاقصدن القلوب ولن ترى ... دما ما ترى الا حوى في الحيازم
جمع حيزوم وهو وسط الصدر واذا خسف بانسان ذاب به الارض فهو
المور وقال المحققون استم من فوق السماء كقوله فسيحوا في الارض اي

توقها بالمماسة والتغيير لكن بالقهر والتدبير وقيل معناه امنتم من علي السماء
كقوله تعالى لاصلبنكم في جذوع النخل اي عليها ومعناه انه مدبرها ومالكها كما يقال
فلان على العراق والحجاز اي واليها وامرها والاخبار في هذا الباب صحيحة
كثيرة منتشرة مشهورة الى العلو لا يدفعها الا ملحد وجاحد ومعاند والمراد
بها توقيره وتنزيهه عن السفل والنقص ووصفه بالعلو والعظمة لا بالامكان
والجهات والحدود لانها صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعا الى السماء
لان السما مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من
الملايكة واليها يرفع اعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله الكعبة
قبلة للصلاة ولانه خلف الامكنة وهو غير محتاج اليها وكان في ازلة قبل
خلق المكان والزمان ولامكان له ولا زمان وهو الان على ما عليه كان وقرا قنبل
عن ابن كثير النشور وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا وتخفيف الثانية وقرا الكوفيون
والبصريون واهل الشام سوى ابي عمرو وهشام بالتحقيق في الهمزتين وخفف
الباقون وقد تقدم جميعه قوله تعالى ا امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
اي حجارة من السما كما ارسلنا على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة و
حصبا وقيل سحاب فيها حجارة فستعلمون كيف نذير اي انذاري وقيل النذير
بمعنى المنذر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اي فستعلمون صدقه وعاقبة
تكذيبكم قوله تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم يعني كفار الامم كقوم
نوح وعاد وثمود وقوم لوط واصحاب مدين واصحاب الرس وقوم فرعون
فكيف كان نكير اي انكاري وقد تقدم واثبت ورش الياء في نذري ونكير
في الوصل واثبتها يعقوب في الحالين وحذف الباقون اتباعا للمصحف
قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات اي كاذلال الارض للماشي
ذلل الهوي للطير صافات اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانهن
لانهن اذا بسطنها صففن قواه صفا ويقبضن اي يضربن بها حسوسا
قال ابو جعفر النحاس يقال للطائر اذا بسط جناحيه صافي واذا ضمهما
قاصا باجنحته قابض يقبضهما كما قال ابو خراش ه

• يبادر جنح الليل مهوما وانما خفق الجناح بالتبسط والقبض •

وقيل ويقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران وهو معطوف
على صافات عطف المضارع على اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل على
• المضارع في قول الشاعر •

• يا ذا بعثتها تقضب البا ثر تقصد في اسوقها وجايز •

ما يمسكهن اي ما يمسك الطير في الجو وهي نظيرا لا الله عز وجل انه بكل شي بصير
قوله تعالى امن هذا الذي هو جند لكم قال ابن عباس حزب ومنعة
لكم يبصركم من دون الرحمن يدفع عنكم ما اراد بكم ان عصموه ولفظ الجند يجرو لذلك
قال هذا الذي هو جند لكم فهو استفهام انكار لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون
الرحمن اي من سوي الرحمن ان الكافرون الا في غرور من الشيطان يغرهم بان لا عذاب
ولا حساب قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم اي يعطيكم منافع الدنيا وقيل
المطر من اهتكم ان امسك يعني الله تعالى رزقه بل لجوا اي استمروا واصروا في عتو
اي طغيان ونفور عن الحق قوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه ضرب
مثلا للمومن والكافر مكبا اي منكسرا راسه لا ينظر امامه ولا يمينه ولا شماله فهو لا
يامن من العثور والانكباب على وجهه كمن يمشي سويا معتدلا باطرا ما بين يديه
وعن يمينه وعن شماله قال ابن عباس هذا في الدنيا ويجوز ان يريد به الاعمى الذي
لا يهتدي الى الطريق فيتعسف فلا يزال منكسر على وجهه والله ليس كالرجل السوي
الصحيح البصر الماشي في الطريق المهتدي له وقال قتادة هو الكافر اكب على معاصي
الله في الدنيا فحشره الله يوم القيمة على وجهه اما جهل وبالذي يمشي سويا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قال
عكرمة وقيل هو عام في الكافر والمومن اي ان الكافر لا يزال يمشي على حتف هو
ام على باطل اي هذا الكافر اهدي او المسلم الذي يمشي سويا معتدلا

لابصر

لا يبصر الطريق وهو على طريق مستقيم وهو الاسلام ويقال اكب الرجل على وجهه مما لا يتعدي بالالف فما ذا التعدي قيل كبه الله لوجهه بغير الف قوله تعالى قل هو الذي انشاكم امر نبيه ان يجرفهم فنبه شركهم مع اعترافهم بان الله خلقهم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة يعني القلوب قليلا ما تشكرون اي لا تشكرون هذه النعم ولا توحدون الله تعالى يقول قل ما افعله كذا اي لا افعله قوله تعالى قل هو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم في الارض قال ابن عباس وقيل نشركم فيها وقرئكم على ظهرها قال ابن سيرة واليه تحشرون حتى يجازي كلا بعمله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي متى يوم القيامة ومتى حتى العذاب الذي تعدونا به وهذا استهزاء منهم وقد تقدم قوله تعالى قل انما العلم عند الله اي قل لهم يا محمد علم وقت قيام الساعة عند الله فلا يعلمه غيره نظيره قل انما علمها عند ربي الآية وانما انا لكم نذير مبين اي محذر وعالم لكم قوله تعالى فلما راوه زلفة مصدر بمعنى مزدلفا اي قريبا قاله مجاهد الحسن عيانا واكثر المفسرين على ان المعنى فلما راوه يعني العذاب وهو عذاب الآخرة وقال مجاهد يعني عذاب بدر وقيل اي راوا ما يوعدون وعدوا من الحشر قريبا منهم ودل عليه تحشرون وقال ابن عباس لما راوا علموا ان الذي قريبا ست وجوههم الذين كفروا اي ساءت بها السوء وقال تبين فيها السوء اي ساءهم ذلك العذاب وظهر على وجوههم سيء يدل على كفرهم كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وقرا نافع وابن محيصن وابن عامر والكسائي سيئت باشمام الضم وكسر الباقون بغير اشمام طلبا للخفة ومن ضم لاحظ الاصل وقيل اي هذا الذي كنتم به تدعون قال الفراء يدعون يفتعلون من الدعاء وهو قول اكثر العلماء اي تتمنون وتسئلون وقال ابن عباس يكذبون وتاويله هذا الذي كنتم من اجله يدعون الاباطيل والاحاديث قاله الزجاج وقراءة العامة تدعون بالتشديد وتاويله ما ذكرناه وقرا قتادة وابن ابي اسحق والضحاك ويعقوب يدعون بخفة قال قتادة وابن ابي اسحق والضحاك ويعقوب يدعون بخفة قال قتادة وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية قال ابو العباس يدعون يستعجلون يقال دعوت بكذا اذا طلبته وادعيت افتعلت منه الخاسر يدعون ويدعون يعجبني ولا يعجبني قوله تعالى قل ارايتم قرروا وعدي واعذري الان في افتعل معنى بعد سمي وغل ينفع بالقليل والكثير قوله تعالى قل ارايتم ان اهلكني الله اي قل لهم يا محمد لمشركي مكة وكانوا يتمنون موت محمد صلى الله عليه وسلم كما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون اراتيم ان متنا او رحمنا او اخرت اجالنا فمن يجيركم من عذاب الله فلا حاجة لكم الى التربص بنا فلا سبيل الى استعجال قيام الساعة واسكن ابقى فاهلكني ابن محيصن والمسيبي وشيبة والاعمش وحمزة وفتحها ابو عمرو وكلهم فتح الباقي ومن معه لا اهل الكوفة فانهم سكنوها وفتحها حفص كالجماعة قوله تعالى قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون قراءة الكسائي بالياء على الخبر ورواه عن علي ابو عمرو بالتاء على الخطاب وهو تهديد لهم ويقال لم اخر مفعول امنا وقدم مفعول توكلنا فيقال لوقوع امنا الفرق بينا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال عليه توكلنا خصوصا لم تتكل على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قاله الزمخشري قوله تعالى قل ارايتم يا معشر قريش ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا ذاهبا في الارض لا ينال الا لو كان ماؤهم من بئر بني بهو زمزم وبئر ممون فمن ياتيكم بماء معين اي جار قاله قتادة والضحاك فلا يدلهم من ان يقولوا لا ياتينا به الا الله فقل لهم فلم تشركون به من لا يقدر على ان ياتيكم بقال غار الماء يغور غورا اي يغيب والغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغة كما تقول رجل عدل ورضي وفرس مصي في سورة الكهف ومضى القول في المعين في سورة المومنين والحمد لله وعن ابن عباس بماء معين اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معن الماء اي كثر فهو على هذا فعيل وعن ابن عباس ايضا ان المعنى فمن ياتيكم بماء عذب

سورة ن مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة من اولها الى قوله

تعالى سنسمه على الخرطوم مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى اكبر لو كانوا يعلمون مدني
ومن بعد ذلك الى قوله يكتبون مكي ومن بعد ذلك الى قوله تعالى من الصالحين مدني
وما فيهما مكي قاله الماوردي وهي ثنتان وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ن والقلم ادغم النون الثانية من هجائها ابو عمرو وابو بكر والمفضل
وهبيرة وورش وابن عيصن وابن عامر والكسائي ويعقوب والباقون بالاظهار وقرا
عيسى بن عمر بفتحهما كانه اضمر فعلا وقرا ابن عباس ونصر وابن ابي اسحاق بكسرها على اضمار
حرف القسم وقرأها رؤبة ومحمد بن السميقع بضمها على الندا واختلف في تاويله فروى
معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ن لوح من نور وروى
ثابت البناني ان ن الدواة وقاله الحسن وقتادة وروى الوليد بن مسلم حدثنا مالك عن
انس عن عمي مولى ابي بكر عن ابي صالح السمان عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله
تعالى ن والقلم وما يسطرون ثم قال له اكتب قال وما اكتب
قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من عمل او اجل او رزق او اثر فجرى
القلم بما هو كائن الى يوم القيمة قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيمة
ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولا يغصبنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته وعن مجاهد قال ن الحوت الذي
تحت الارض السابعة قال والقلم الذي كتب به الذكر وكذا قال مقاتل وعزرة الهمداني
وعطا الخراساني والسدي والكلبي ان النون هو الحوت الذي عليه الارضون ورواه
الوطبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن ثم رفع
بخار الماء فخلق منه السماء ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فمادت الى الارض
واثبتت بالجبال وان الجبال لتفخر على الارض ثم تلا ابن عباس ن والقلم الاية وقال
الكلبي ومقاتل اسم البهموت قال الراجز

• مالي اراكم كلكم سكونا والله ربي خلق البهموتا •

وقال ابو اليقظان والواقدي لوبا وقال كعب لوتوبا وقال بلهوت
ثم قال ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارضون والسموات
فوسوس في قلبه وقال انتدري ما على ظهرك بالوبا من الدواب والشجر
والارضين لو لفظتهم الفتهم عن ظهرك اجمع فهم لوبا ان يجعل ذلك فنعت الله
اليه دابة دخلت منخره ووصلت الى دماغه فضج الحوت الى الله منها فاذن لها
فخرجت قال كعب فوالله انه لينتظر اليها وينتظر اليه انهم بشيء من ذلك عادت
كما كانت وقال الضحاك عن ابن عباس ان نون اخر حرف من حروف الرحمن
قال الرحيم والرحمن تعالى مقطعه وقال ابن زيد هو قسم اقسم الله تعالى به وقال
ابن كيسان هو فاتحة السورة وقيل اسم السورة وقال عطا وابو العالية
هو افتتاح اسمه نصير وتوبة ناصر وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى
به بنصره المومنين وهو حق تاييد قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين وقال
جعفر الصادق هو نهر من انهار الجنة يقال له نون وقيل هو الحوت من حروف
المعجم لانه لو كان غير ذلك لكان معربا وهذا اختيار الفشيري ابو نصر عبد الرحيم
في تفسيره قال لان ن حرف لم تعرب فلو كان كلمة تامة اعرب كما اعرب العلم
فهو اذا حرف هجاء كما في سايرمقاطع السور وعلى هذا قيل هو اسم للسورة اي
هذه سورة ن ثم قال والقلم اقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان وهو
واقع على كل قلم مما يكتب به من في السما ومن في الارض وسنه قول

• ابي الغطمش القيسي •

• اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم •
• كفى قلم الكتاب عزا ورفعة مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم •

ولسرا في تفضيل العلم في تفضيل العلم اثبات كبيرة مما ذكرناه اعلاها وقال
ابن عباس هذا قسم بالقلم الذي خلقه الله فامره فجرى بكل ما هو كائن الى

يوم

يوم القيامة قال وهو قلم من نور كما بين السما والارض ويقال خلق الله القلم ثم نظر اليه فاستق نصفين فقال اجر فقال يارب بما اجري فقال بما هو كائن الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ وقال الوليد بن عبادة بن الصامت اوصاني ابي عند موته فقال يا بني اتق الله واعلم انك لن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده والقدر خيره وشره سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فقال رب وما اكتب فقال اكتب القدر فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كائن الى الابد وقال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب ما هو كائن فكتب فيما كتب نبذ ابي لهب وقال قتادة العلم نعمة من الله تعالى على عباده قال عبيده خلق الله القلم الاول فكتب ما يكون في الذكر ووضعه عنده ثم خلق القلم انتا بي ليكتب به على الارض على ما بانى ببيانه في سورة اقرا باسم ربك قوله تعالى وما يسطرون اي وما يكتبون بريد الملائكة يكتبون اعمال بني ادم قاله ابن عباس وقيل وما يكتبون الناس وما يتعاهدون به وقال ابن عباس معناه وما يسطرون وما يعلمون وما هو صوله او مصدر بمعنى اي ومسطورانهم او وسطوهم ويراد به كل من يسطر او الحفظة على الخلق فما انت بنعمة ربك بمجنون هذا جواب القسم وهو نفي وكان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم انه مجنون به شيطان وهو قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فانزل الله تعالى رداعليهم وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك بمجنون اي برحمة ربك والرحمة ها هنا النبوة وجملة ما انت النعمة ها هنا قسم وتقديره ما انت ونعمة ربك بمجنون لان الواو والباء من حروف القسم وقيل هو كما تقول ما انت بمجنون والحمد لله ومنه قول لبيد

* واغفر ذنبي في الدنيا بعفد عشيرتي * وفاء رفقني حاربا زيد نافع *

* اي وهو الرب وقال الناغة *

* لم يجزموا حسن الجوار ولم طمحت عليك بدا بني مدكار *

اي هو باق وثابت في نعمة ربك متعلقة بمجنون منفيا كما يتعلق الباء مسما في قولك انت بنعمة الله عاذل ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون مسمى عليك بذلك وان لك لاجرا اي ثوابا على ما تحملت من اعباء النبوة غير محنون اي غير مقطوع ولا منقوص يقال مننت الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين قال الشاعر

* عيسا كواسب لا يمن طعامها * اي لا يقطع وقال مجاهد غير ممنون غير محسوب الحسن غير ممنوع ان عين مكدرا بالمن الضحاك اجرا بغير عمل وقيل غير مقدر وهو التفضيل لان الجزا مقدر والتفضيل غير مقدر ذكره الماوردي وهو معنى قول مجاهد قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس ومجاهد على خلق على دين عظيم من الاديان ليس دين احب الى الله ولا ارضى عنده منه وفي صحيح مسلم عن عائشة ان خلقه كان القرآن وقال علي رضي الله عنه وعطية هو ادب القرآن وقيل هو رفقه بامته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان يامر به من امر الله وينتهي عنه مما نهى الله وقيل اي انك على طبع كريم الماوردي وهو الطاهر وحقيقة الخلق في اللغة هو ما يحذر به الانسان نفسه من الادب يسمى خلقا لانه يصير كالخلقة فيه فاما ما طبع عليه من الادب فهو الخيم فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي وقد اوضح الاعشى ذلك في شعره فقال واذا اذوا لفضول ظن على الموالي وعادت بخيمها الاخلاق اي رجعت الاخلاق الى طباعها قلت ما ذكرته عائشة في صحيح مسلم اصح الاقوال وسيلت ايضا عن خلقه عليه السلام فقرات قد افلح المومنون الى عشر ايات وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من الصحابة

ولامن اهل بيته الاقال لبيك ولسعديك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم
يذكر خلقه محمودا الا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال الجنيد
سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه يدل عليه قوله عليه السلام ان الله بعثني
لاتمم مكارم الاخلاق وقيل لانه امتثل تاديب الله تعالى اياه بقوله تعالى
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقد روي عنه عليه السلام انه
قال ادبني ربي ادبا حسنا اذ قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين
فلما قبلت ذلك منه قال انك لعلى خلق عظيم انتهى روى الترمذي عن ابي
ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن قال حديث حسن صحيح وعن ابي
الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما شيء اثقل في ميزان المومن يوم القيمة
من حسن الخلق فان الله تعالى يبغض الفاحش البذي قال حسن صحيح
وعنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من شيء يوضع في الميزان افضل
من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم
قال حديث غريب من هذا الوجه وعن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسئل عن اكثر
ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال حديث حسن صحيح وعن عبد الله بن
المبارك انه وصف حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى
وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي واقربكم مني
مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الي وابعدكم مني يوم القيامة
احاسنكم اخلاقا الكرازون المتشدقون والمتفيهقون قال المتكبرون قال وفي
الباب عن ابي هريرة هذا حديث حسن صحيح قوله تعالى فستبصر
ويبصرون قال ابن عباس معناه فستعلم وتعلمون يوم القيمة وقيل فستري
ويرون يوم القيمة حتى يتبين الحق والباطل بايكم المفتون الباء زايدة اي
فستبصر ويبصرون ايكم المفتون اي الذي فتن بالجنون كقوله تعالى تنبت
بالدهن وتنبت بعبادة الله وهذا قول قتادة وابي عبيد والاخفش وقال
الزجاج حتى ينوجعلة اصحاب الفيل يضرب بالسيف ويرجوا بالفرج
وقيل الباء ليست بزايدة والمعنى بايكم المفتون اي الفتنة وهو مصدر على وزن
المفعول ويكون معناه المفتون كما قالوا ما لفلان معقول ولا مجلود ولا
حلاده وقال الحسن والضحاك وابن عباس وقال الراجز

حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا

اي عقلا وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى بايكم فتنة المفتون وقال
الفراء الباء بمعنى في اي فستبصر ويبصرون في اي الفريقين المجنون اما الفرقة
التي فيها من المومنين ام بالفرقة الاخرى والمفتون المجنون الذي فتنه الشيطان
وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار اي حميته ومنه
قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ومعظم السورة نزلت
في الوليد بن المغيرة وابي جهل وقيل المفتون وهو الشيطان لانه مفتون في دينه
وكانوا يقولون ان به شيطانا وعنوا بالجنون هذا فقال الله ستعلمون عذابانهم
الشيطان الذي يحصل منه من مسه الجنون واختلال العقل ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله اي ان الله هو العالم بمن حاد عن دينه وهو اعلم بالمهتدين
اي الذين هم على الهدى فيجازي كلا بعمله قوله تعالى فلا تطع المكذبين
نهاه عن مداهنة المشركين وكانوا يدعونه الى ان يتكلف عنهم ليكف عنهم فبين
الله تعالى ان مما بلغهم كفر وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت
تركن اليهم شيئا وقليلا اي فلا تطع المكذبين فيما دعوك اليهم شيئا قليلا وقيل
اي فلا تطع المكذبين فيما دعوك اليهم من دينهم الخبيث نزلت في مشركي قريش
حين دعوه الى دين اباءه قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون
قال ابن عباس وعطية والضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم
وعن ابن عباس ايضا ودوا لو ترخص لهم فيرخصوا لك وقال الفراء الكلبي

لرتلين

لو تلين فيلينون لك والادهان التليين لمن لا ينبغي له التليين قاله الفراء وقال مجاهد المعنى ودوا لو كنت انيما وتركت الحق فيما لهم وقال الربيع ابن انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتادة ودوا لو تذهب عن هذا الامر فيذهنوا معك الحسن ودوا لو تضايقهم في دينك فيضايقونك في دينهم وعنه ايضا او دوا لو تنقض بعض امرك فتفضون بعض امرهم ابن اسلم لو تثنا فتق وتراي فيثنا فعون ويراون وقيل ودوا لو تضعف فيضعفون قاله ابو جعفر وقيل ودوا لو تذهن في دينك فيداهنون قاله الفتبي وعنه طلبوا منك ان تعبد الهتهم مدة وتعبد الهمرة فهذه اثنا عشر قولا ابن العربي ذكر المفسرون فيها نحو عشرة اقوال دعاوي على اللغة والمعنى اميلها قوله ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون قلت ان تما الكل صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى فان الادهان اللين والمصانعة وقيل مجاملة العدو ومما داته وقيل المقاربة في الكلام والتليين في القول قال الشاعر

* لبعض الغشم احزم في امور تنوبك من مداهنة العدو *

وقال المفضل النفاق وترك المناصحة فمتى على هذا الوجه مذموم وعلى الوجه الاول غير مذموم وكل حتى منها لم يكن قال المبرد يقال ادهن في دينه وداهن في امره اي خان فيه واطرحك في ما يضم وقال قوم ذاهبت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت قاله الجوهري وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت فيداهنون نسقه على العطف ولو جاء بجواب التمني لقال فيداهنوا وانما اراد ان يميز الوجه الذي فيفعلون مثل تحلك عطفا لاجرا عليه ولا مكافاة وانما هو تمثيل ينتظر قوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين يعني الاخنس بن شريق في قول الشعبي والسدي وابن اسحق وقيل الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن بن الاسود قاله مجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف الله يعطيه ان رجع عن دينه فقال فقاتل وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين الضعيف القلب عن مجاهد ابن عباس الكذاب والكذب مهين وقيل المكثار في الشر قاله الحسن وقتادة وقال الكلبي المهين الفاجر العاجز وقيل معناه الحقير عند الله وقال ابن سحنون ابن ابي زيد المهين الرضيع لاكثاره في الشر او التمييز وهو فعيل بمعنى مفعل والمعنى هاز قال ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم والهامز باللسان وقال الحسن هو الذي يهمز اصحابه في المجلس لقوله تعالى همزه وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم واللماز الذي يلمزهم في مغيبهم قاله ابو العالية وعطاء بن ابي رباح والحسن ايضا وقال مقاتل ضمن هذا الكلام ان الهمز الذي يغتاب بالغيبة واللمز الذي يغتاب في الوجه وقال مره هما سواء هو العيب الطعان للمرء اذا غاب ونحوه عن ابن عباس وقتادة قال الشاعر

* تذلي لودا ذا لا يثبتني كذبها وان اعيب وانت الهامز اللمزه *

مشاء بنميم اي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم ونما ونميمة اي مشى وسعى بالفساد وعن صحيح مسلم عن حذيفة بلغه ان رجلا ينم الحديث فقال حذيفة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة نمام وقال الشاعر

* ومولى كبيت النمل لا خير عنده لمولاه الا تبيعنده نمم *

قال الفراء هما الختات وقيل النميم جمع نميمة مثل اكيل للمكيل اي ينقل في وجوهه وقال ابن عباس يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا ننفعه بشيء ابدا معتد اي على الناس في الظلم متجاوز للحد صاحب باطل اثيم اي ذنب اثم ومعناه ما تقدم فهو فعيل بمعنى فعول مثل بجدر ذلك زنيم الختل الجافي الشديد

في كفره وقال الكلبي والفراء الشديد الخصومة بالباطل وقيل انه الذي يعتل
الناس ويجرهم الى حبس او عذاب ماخوذ من العتل وهو ومنه قوله تعالى خذوه
فاعتلوه وفي الصحاح وعتلت الرجل اعتله واعتله اذا حدرته جذبا عنيفا
ورجل معتل بالكسر وقال نصف فرسا بقرعه قرعا ولسا بعتله قال
ابن السكيت عتله وعسر باللام والنون جميعا والعتل الغليظ الجافي والعتل
ايضا الريح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل اي سريع الى الشر وبقال
لا اعتل معك اي لا برح مكانك وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب
النؤي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة يدفع الملك من اوليك
في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا وقال علي بن ابي طالب العتل الفاحش
اللئيم الخلق وقال مجمر هو الفاحش اللئيم وقال الشاعر

• • • يعتل من لوحالب زنيم عير ذي نجدة وعير كرم • • • • •

وفي صحيح مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قالوا كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله
لابره الا اخبركم باهل النار قالوا بلى قال كل عتل جواظ مستكبر في رواية
عن كل جواظ زنيم متكبر الجواظ قيل هو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال
وذكر الماوردي عن سمير بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ورواه ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل
الزنيم فقال رجل ما الجواظ واما الجعظري واما العتل الزنيم فقال صلى
الله عليه وسلم الجواظ الذي جمع ومنع والجعظري الغليظ والعتل الزنيم الشرير
الخلق الرجيب الجوف المصمم الاكول الشروب الواحد للطعام الطلوم للناس
وذكره البغوي عن شداد بن اوس لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل
زنيم سمعتهن من النبي صلى الله عليه وسلم قلت وما الجواظ قال
كل جماع مناع قلت وما الجعظري قال الفظ الغليظ قلت وما
وما العتل الزنيم قال الرجيب الجوف الوسيع الحلق الاكول الشروب العسوم
الطلوم قلت فهذا التفسير من النبي صلى الله عليه وسلم فدار في على اقوال
المفسرين ووقع في كتاب ابي داود في تفسير الجواظ انه الفظ الغليظ ذكره
من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري قال الجواظ الفظ الغليظ فهذه
التفسيران مرفوعان حسب ما ذكرناه اولا وقد قيل انه الجافي القلب وعن زيد
ابن اسلم في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
تبكي السما من رجل اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا بعضا فكان
للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وتبكي السما من البتج الزاني ما نكاد الارض
تقله والزنيم الملصق بالقوم الوجي عن ابن عباس وغيره وقال الشاعر

• • زنيم تداعاه الرجال زيادة كزيد في عرض الاديم اكارعه • • • • •

وعن ابن عباس ايضا الله رجل من قريش كانت له زنمة كزنمة الشاة وروي
عنه ابن جبير انه الذي يعرف بالشر كما يعرف الشاة بزنمتها وقال عكرمة هو
اللئيم الذي يعرف للؤمه كما يعرف الشاة بزنمتها وقيل انه الذي يعرف
بالابنه وهو مروي عن ابن عباس ايضا وعنه الله الظلوم فهذه ستة اقوال
وقال مجاهد زنيم كانت له ستة اصابع في يده في كل ابهام له اصبع زائدة وعنه
ايضا وسعيد بن المسيب وعكرمة هو ولد الزنا الملصق في النسب بالقوم وكان
الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده

• • قال الشاعر • • • • •

• • زنيم ليس يعرف من ابوه بغي الام ذو حسب لئيم • • • • •
• • • • وقال حسان • • • • • • • • • • • • • •

وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد • • • •

قلت وهذا هو القول الاول بعينه وعن علي رضي الله عنه انه الذي لا اصل له
والمعنى واحد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده

ولا ولد ولده وقال عبد الله ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يجيئون يوم القيامة في صور القردة والخنازير وقالت ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما يزال امتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا او شك ان يعمهم الله بعقاب وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا فحط المطر قلت اما الحديث الاول والثاني فلم اظفر لهما باسناد يصح واما حديث ميمونة وما قاله عكرمة ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث خرجه البخاري وكره الخبث ظهور الزنا واولاد الزنا كذا فسره العلما وقول عكرمة فحط المطر تبين لما يكون به الهلاك وهذا احتجاج ابي توقيف وهو اعلم من ابن قاله ومعظم المفسرين على ان هذا نزل في الوليد بن المغيرة وكان معظم اهل مكة حسادا تلاثة ايام و ينادي الا لا يقربن احد تحت نرمدا لا يدخلن احد بكراع الا ومن اراد الحسن بجد فليات الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الجحد الواحدة عشرين الفا ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقال محمد بن اسحق نزلت في الاحنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما وقال ابن عباس في هذه الاية لعت فلم يعرف حتى فقئ فعرف وكان له زنمة في عنقه يعرف بها وقال مرة الهمداني انما ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة قوله تعالى ان كان ذا مال وبنين قرا ابو جعفر وابن عامر وابو حيوة والمغيرة والاعرج ان كان بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام وقرا المفضل وابو بكر وحمزة ان كان بهمزتين محققتين وقرا الباقون بهمزة واحدة على الخبر من قرا بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ وحسن له ان يقف على زنيم ويبتدي ان كان على معنى الان كان ذا مال وبنين تقول اذا تتلى عليه اياتنا اساطير الاولين ويجوز ان يكون التقدير لان كان ذا مال وبنين تقول اذا تتلى عليه اياتنا اساطير الاولين ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليهما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرا ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال وبنين ودل على هذا المعنى اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ولا يعمل في ان تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا يضاف الى الجمل التي بعدها ولا تعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزا ولا يعمل فيما قبل الجزا وحكم العامل ان يكون قبل المعمول فيه وقيل وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير معناه ما موخرا في حال ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن قرا بلا استفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان وبان كان فان متعلقة بما قبلها قال غيره يجوز ان يتعلق بقوله مشاء بنميم والتقدير عيتي بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان يتعلق بمثل او اساطير الاولين اباطيلهم وترهاتهم وحرافيهم وقد تقدم قوله تعالى سنسمه على الخرطوم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى سنسمه قال ابن عباس معنى سنسمه سيحطمه بالسيف قال وقد حطم الزبير يوم بدر بالسيف فلم يزل محطوما الى ان مات وقال قتادة سنسمه يوم القيمة على انفه سمة يعرف بها بقال وسمه يسمه وسما وسمه ذا اثر فيه نسمة وكي وقد قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهذه علامة ظاهرة وقال تعالى وحشر المجرمين يومئذ زرقا وهذه علامة لحرب ظاهرة فافادت هذه الاية علامة ثالثة وهي الوسم على الانف بالنار وهذه لقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على انفه وسواده وجهه في الاخرة فتعرف بسواد وجهه

والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع موضع السفه وخراطيم الغنم سادا تمم
قال الفراء وان كان الخرطوم لم يخص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض
الشئ يعبر به عن الكل وقال الطبري بنبوا امره بنبيا ثا واضحا حتى نعرفوه
فلا يخفى عليهم كما لا يخفى السمة على الخراطيم وقيل المعنى سنلحق به عارا وسبة
حتى يكون كمن وسم على انفه قال الفتيبي تقول العرب للرجل يسب سبة سوء
تبقى ناقته قد وسم موسم سوء اي الصق به عار لا يفارقه كما ان السمة لا يمحى اثارها
قال جرير

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وعلى البعيث جدعت انف الاخطل

اراد بالهجاء وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا نعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر عيوب
احد ما بلغ منه في الحقه به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم
على الخرطوم وقيل هو ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه واهله وماله من سوء وذل
وصغار قاله ابن بحر واستشهد بقول الاعشى

نذرعما وما يعنيك واعمد لغيره
ستعرف واعلب الفدن من انت واسم

وقال المطرز بن سميل المعيني مسحده على
شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم قال الشاعر

يظل يومك في لعو وفي طرب وانت بالليل شراب الخراطيم

وقال اخر

ممسيا خرطوما عقارا فرعاء وقال اخر

انا حاضر من لا يزال يعرف دناه ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

الثانية قال ابن العربي كان الوسم في الوجه لذي المعصية قديما عند الناس
حتى انه روي كما تقدم ان اليهود لما اهملوا رجم الزاني اعتاضوا منه بالضرب
وتحميم الوجه وهذا وضع باطل ومن الوسم الصحيح في الوجه ورايت العلماء
في تسويد وجه شاهد الزور علامة على فتح المعصية وبريد المن يتعاطاها
عن ان يجيء بجنبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته فقد كان عزيزا
يقول الحق وقد صار صعبا بالمعصية واعظم الاهانة الوجه وكذلك كانت
الاستهانة في طاعة الله عز وجل سببا لحره الابد والتحريم له على النار فان الله
قد حرم على النار ان ياكل من ابن ادم اثر السجود حسب ما ثبت في الصحيح قوله
تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله
تعالى انا بلوناهم يريد اهل مكة والابتلاء الاختبار والمعنى اعطيناهم الاموال
ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا عادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم بالجوع
والقحط كما بلونا اهل الجنة المعروف خبرها عندهم وذلك انهم كانوا بارض اليمن بالقرب
منهم على فراسخ من صنعا ويقال بفرسخين كانت لرجل يودي حق الله منها فلما مات
صارت الى ولده فقعدوا للناس خبرها وحلوا بحق الله منها فاهلكها الله من حيث تمكنهم دفع
ما حل بها قال الكلبي كان بينهم وبين صنعا فرسخان فابتلاهم الله بان احرق جنتهم وقيل
هي جنة نصران وصوران على فراسخ من صنعا وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه
السلام تيسير وكانوا محلافا فكانوا يجدون التمر للامن لحل المساكين وكانوا اذا حصدوا
زرعهم وقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فغدوا عليها قادرين فلما اقتلعت من
اصلها فاصبحت كالصريم اي كالليل ويقال ايضا للنهار صريم فان كان اراد الليل
فلاسود ادموضعها وكانهم وجدوا موضعها حماه وان كان اراد بالصريم اليها فللاحاب
السحر والزرع وبقاء الارض منه وكان الطايف الذي طاف عليها جبريل عليه
السلام فاقتلعها فيقال انه طاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطايف
اليوم ولذلك سميت الطايف وليس بارض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والاعناب
غيرها وقال الكلبي في المجم سميت الطايف لان رجلا من الصدف يقال له
الدمون بنى حايطا وقال قد نبيت لكم طايفا حول بلدكم فسميت الطايف والله اعلم
الثانية قال بعض العلماء على من حصد زرعا وجد ثمره ان ينوا سى منها من حضره
وذلك ان معنى قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده والله غير الزكاة على ما تقدم في الانعام
بيانه قال بعضهم وعليه ترك ما اخطاه المحصادون وكان بعض العمار يحرمون
اقواتهم من هذا وروي عجيب انه نهى عن الحصاد بالليل فقيل انه لما يتعطى المساكين

في ذلك من الرفق وتناول من قال هذه الآية التي في سورة ن والقلم وقبل انما نهى عن ذلك
خشية الحمالات وهو ام الا قلت الاول اصح والثاني حسن وانما قلنا ان الاول
اصح لان المعقوبة كانت بسبب ما اراده من منع المساكين كما ذكره الله تعالى روى
اسباط عن السدي قال كان قوم باليمن وكان ابوهم رجل صالح وكان اذا بلغ ثمار
اتاه المساكين فلم يمنعهم من دخولها وان يأكلوا منها ويتزودوا فلما مات قال
بنوه بعضهم لبعض علي ما يعطي اموالنا هؤلاء المساكين تعالوا فلنغدو عليها قبل
ان يعلم المساكين ولم يستثنوا فانطلقوا وبعضهم يقول لبعض حتما لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين فذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين يعني حلفوا فيما بينهم ليصرمنها
مصبحين يعني لجدنها وقت الصبح قبل ان يخرج المساكين ولا يستثنون يعني لم
يقولوا ان شاء الله وقال ابن عباس كانت تلك الجنة دون صنعا بفرسخين غرسها
رجل من اهل الصلاح وكان له ثلاثة بنون وكان للمساكين فهو ايضا للمساكين فاذا
حصدوا زرعهم فكل شيء بعداه المحل فهو للمساكين فاذا درسوا كان لهم كل شيء انتثر
فكان ابوهم يتصدق منها على المساكين وكان يعيش في ذلك في حياة اسمهم الساعي
والادامل والمساكين فلما مات ابوهم فعلوا ما ذكر الله عنهم فقالوا اقل المال
وكثر العيال فتحالفوا بينهم ليغدون عدوه قبل خروج الناس ثم ليصرمنها ولا
تعرف المساكين وهو قوله اذ اقسموا اي حلفوا ليصرمنها ليقطعن ثمرتها
اذا اصبحوا سدفة من الليل لملا يبصرنه المساكين لهم والصرم القطع يقال
صرم الحرث عن النخلة واصرم النخل اي حان وقت صرامه مثل ارطب المهر واحصد
الزرع اي فتنادوا مصبحين ينادي بعضهم بعضا ان اغدوا على حرثكم ان كنتم
صارمين عازمين على الصرام والجد اذ قال قتادة حاصدين زرعكم وقال
الكلبي ما كان في جنتهم من زرع ولا نخيل قال مجاهد كانوا نصارى وليقولوا
ان شاء الله وقال ابو صالح كان استثناؤهم قولهم سبحان الله ربنا وقيل
معنى ولا يستثنون اي ولا يستثنون حق المساكين قاله عكرمة فجاءوها سدا
فراوا الجنة مسودة فدطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون قيل الطائف
جبريل عليه السلام على تقدم ذكره وقال ابن عباس امر من ربك
ابن خرج عنق من نار خرج من وادي جهنم والطائف لا يكون الا بالليل قال الفراء
التالية قلت في هذه الآية دليل على ان العزم مما يواخذ به الانسان لانهم عزموا
على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم وتظهر هذه الآية قوله تعالى ومن يرد فيه
بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل
فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقد مضى مبينا في سورة ال
عمران عند قوله تعالى ولم يصروا على ما فعلوا قوله تعالى فاصبحت
كالصريم اي كالليل المظلم عن ابن عباس وغيرهما والفراء وغيرهما قال الشاعر

* * تطاول لما ان لك الجون اليهم فاصبح عنهم * * *

اي احترقت فصارت كالليل الاسود وعن ابن عباس ايضا كالرماد الاسود
قال والصريم الرماد الاسود قال والصريم بمعنى المصروم اي المقطوع ما فيه وقال
الحسن صرم عنها الخير اي قطع فالصريم معقول ايضا وقال المبرد اي كالتي
انصرمت من معظم الرمل يقال للصريم وصارم مذ وصارم فالرملة لا يثبت شيء
به وقال الاخفش اي كالصبح انصرم من الليل وقال المبرد اي كانها فلا شيء فيها
وقال سمي الصريم الليل والصريم النهار اي ينصرم هذا عن ذاك وذاك عن هذا وقيل
سمي الليل صريما لانه ينقطع تعطيلا عن التصرف ولهذا فعيل يكون بمعنى فاعل قال
القشيري وفي هذا نظر لان النهار يسمى صريما ولا ينقطع عن تصرف فقوله تعالى
فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتسارون اي يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم
به احد قاله عطا وقتادة وهو من خفت يخفت اذا سكن والمربيين كما قال دريد
بن الصمة وانجى من اهلك سلالا ولم امت خفاتا وكلا ظننت لي عوميي *
وقيل يخفون انفسهم من الناس حتى لا يروهم وكانوا بوهم كبيرا لفقراء
والمساكين يتحضوا وقتا الحصاد والصرام * وغدوا على حرد قادرين

اي على قصد وقدرة في انفسهم ويظنون انهم تمكنوا من مرادهم قال معناه ابن عباس
وغيره والحرد القصد حرد يحرد بالكسر حردا قصد يقول حردت حردك اي قصدت
قصدك ومنه قول الراجز
* اقبل سيل جاء من عند الله يحرد حرد الجنة المغله *
وقال قتادة وجاهد على حرد اي على الحنق على حاجته وفاقته وقال
ابو عبيدة والفتبي على حرد على منع من قولهم حاردت الابل حرادا اي قلت
البانها والحرود من النوق القليلة اللبن وحاردت السنة قل مطرها وحرها
وقال وسفيان على حرد على غضب والحرد الغضب قال ابو نصر
احمد بن حاتم الاصمعي وهو يحيث وانشد
* اذا جياد الخيل جاءت تردي مملوءة من غضب وحرد *
وقال ابن السكيت وقد تحرك تقول منه حرد بالكسر حردا فهو حارد
وحردان ومنه قيل اسد حارد وليث حوارد وقيل على حرد على انفراد يقال
حرد يحرد حرودا اي بعد عن قومه ونزل منفردا ولم يخالطهم وقال
ابو زيد رجل حريد من قوم حردا وقد حرد يحرد حرودا اذا انزل قومه ويقول
عنهم وكوكب حريد اي منفرد عن الكواكب قال الاصمعي رجل حريد اي فريد
وحيد قال والمجرد للمنفرد في لغة هذيل وانشد لابي ذؤيب كانه
كوكب في الموت معجرد * ورواه ابو عمرو بالجيم وفسره منفرد قال وهو سهيل
وقال الازهري حردا اسم قريتهم السدير اسم جنسهم وفيه لغتان
حرد وحرد وقراة العامة بالاسكان وقرا ابو العالية وابن السميفع بالفتح
وهما لغتان ومعنى قادرين قد قدروا امرهم وبنوا عليه قاله الفراء وقال
قتادة قادرين على حبتهم عند انفسهم وقال الشعبي قادرين يعني على
المساكين وقيل معناه من الوجود اي منعوا وهم واجدون قوله تعالى
فلما راوها قالوا انا لضالون اي لما راوها محترقة لا شيء فيها فلما رات
كالليل الاسود ينظرون اليها كالرماد انكروها وشكوا فيها وقال بعضهم
لبعض انا لضالون عن الثواب في عدونا على بنية منع المساكين فلذلك عوقبنا
بل نحن محرومون اي حرمنا حقنا بما صنعنا روى اسباط عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاصي ان العبد ليذنب فيحرم
به رزقا كان هيئ له ثم قال فطاف عليها طائف من ربك الاية بين قوله تعالى
قال اوسطهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا
تستثنون وكان استثناؤهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا يدل على ان
هذا الاوسط كان امرهم بالاستثناء فلم يطيعوه قال ابو صالح كان استثناؤهم
تسبيحا لله تعالى لهم هلا تسبحون الله اي يقولوا سبحان الله ونشكره
على ما اعطاكم قال النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد
التسبيح في موضع ان شاء الله لان المعنى تنزيه الله ان يكون الا بمشيته
وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من حيث بيتكم كان اوسطهم
قال لهم حين عزموا على ذلك وذكرهم انتقامه من المجرمين قالوا سبحان
ربنا اعترفوا بالمعصية ونزهوا الله عن ان يكون ظالما فيما فعل وقال
ابن عباس في قولهم سبحان ربنا اي استغفروا الله من ذنبنا انا كنا ظالمين
لانفسنا في منعنا المساكين قال فقال بعضهم على بعض ويلنا ويلا وموت
اي يا يوم هذا هذا في القسم ومنع المساكين ويقول بل انت اشرت علينا
بهذا قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا المساكين اي عاصين بمنع
حق الفقراء وترك الاستثناء وقال ابن كيسان طغيانا كم الله فلم يشكروها كما شكروا
اباونا من قبل عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها يعني غدوا وقالوا ان ابدلنا
الله خيرا منها ليضعن كما صنعت اباونا فدعوا الله وتضرعوا فابدلهم
الله من ليلتهم منها ما هو خير منها وامر جبريل ان يقتلع تلك الجنة
المحترقة فيجعلها بمرعى من ارض الشام وناحية من ارض الشام خضرة فجعلها
مكانها وقال ابن مسعود ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم

فابدلهم الجنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل العنقود منها عنقودا واحدا
وقال ابي ابو خالد دخلت الجنة فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود
القائم وقال الحسن قول اهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادري ايمانا
كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين وسئل قتادة عن اسما الجنة
اهم من اهل الجنة ام من اهل النار قال لقد كلفتني نعبا والمحظم يقولون
انهم تابوا واخلصوا حكاه الفشيري وقراة العامة بدلنا بالتخفيف وقرا
اهل المدينة وابو عمرو بالتشديد وهما لغتان وقيل التبديل بتغير
الشئ او بتغير حاله وعين الشئ قائم والابدال رفع الشئ ووضع اخر مكانه
وقد مضى في سورة النساء القول في هذا قوله تعالى كذلك العذاب
اي عذاب الدنيا وهلاك الاموال عن ابن زيد وقيل ان هذا وعظ لاهل مكة
بالرجوع الى الله لما ابلاهم بالجدب لدعا النبي صلى الله عليه وسلم اي كفعلنا
بهم نفعل بمن بعدكم حدودنا في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون
وقال ابن عباس هذا مثل لاهل مكة حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلن
محمدا واصحابه وليرجعوا الى مكة حين يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر ويضرب
القيان على رؤسهم فاخلف الله ظنهم فقتلوا واسروا وانهزموا كما هل هذه
الجنة لما خرجوا عازمين على الصرام لحانوا مع قيل ان الحق الذي منعه
هل الجنة المساكين يحتمل انه كان واجبا عليهم ويحتمل انه كان تطوعا والاول
اظهر والله اعلم وقيل السورة مكية وبعد جعل الاية على ما اصاب
اهل مكة من القحط وعلى هذا قوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون
ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم تقدم القول فيه اي ان للمتقين في الاخرة جنات ليس فيها
الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا وكانت
بساتين قريش بالروث والزبل وقوت حظهم من الدنيا فحلل حظوظ المسلمين
منها فاذا سمعوا بحديث الاخرة وما وعد الله المومنين قالوا ان صح انا
نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا
والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا والمعنى واعصى امرهم ان نسوي بينهم
ونجعل المسلمين كالمجرمين اي كالكفار وقال ابن عباس وغيره قالت
كفار مكة ان نعطى في الاخرة خيرا مما يعطون فنزلت فنجعل المسلمين كالمجرمين
ثم وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون ان لكم من الخير ما للمسلمين ام لكم كتاب فيه تدرسون
اي الكم كتاب تجدون فيه المطيع كالعاصي ان لكم فيه لما تخيرون تختارون
وبيتهمون والمعنى ان لكم بالفتح ولكنه كسر لدخول اللام يقول علمت
انك عاقل بالفتح وعلمت انك لعاقل بالكسر فالعامل في ان لكم لما تخيرون
يدرسون في المعنى ومنعت اللام من فتح ان وقيل تم الكلام عند قوله
تدرسون ثم ابتدأ فقال ان لكم فيه لما تخيرون اي ان لكم في هذا الكتاب
اذا ما تخيرون اي ليس لكم ذلك وانما هو في قيد الاولى والثانية
ولجمعة الى الكتاب ثم زاد في التوبيخ فقال ام لكم ايمان اي عهود ومواثيق
عليها بالغة موكدة والبالغة المؤكدة لله تعالى اي ام لكم عهود على الله
استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنة ان لكم لما تحكمون كسرت ان لدخول
اللام في الخبر وهو من صلة ايمان والموضع النصب ولكن كسرت لاجل
اللام يقول حلفت انك لكذا وقيل تم الكلام عند قوله الى يوم القيمة
ثم ان لكم لكذا وقيل تم الكلام عند قوله الى يوم القيامة ثم قال
ان لكم لما تحكمون اذا اي ليس الامر كذلك وقرا ابن هرمز ان لكم فيه
لما تخيرون ان لكم لما تحكمون بالاستفهام فيهما جميعا وقراء
الحسن البصري بالعتب بالنصب على الحال اما من الضمير في لكم لانه
خبر عن ايمان فيه ضمير منه واما من الضمير في علينا ان قدرت علينا
وصفا للايمان لا متعلقا بنفس الايمان لان فيه ضميرا منه كما يكون اذا كان
خبرا ويجوز ان يكون حالا من ايمان وان كانت نكرة كما جاز وانتصب
حقا على الحال من متاع في قوله متاعا بالمعروف حقا على المتقين والعامة

بالغتر بالرفع نعت لايمان قوله تعالى سلهم ايهم بذلك زعيم اي سل
يا محمد هؤلاء المتقولين علي ايهم كفيل بما تقدم ذكره بما تقدم للمسلمين والزعيم الكفيل
والضمين قاله ابن عباس وقتادة وقال ابن كيسان الزعيم هنا القائم بالحجة
والدعوى وقال الحسن الزعيم الرسول ام لهم شركاء اي الهم شركاء
والميم صلة شركا اي شهداء لهم انهم شركاؤهم يشهدون على ما زعموا ان كانوا
صادقين في دعواهم وقيل فليأتوا بشركائهم ان املكهم فهو امر معناه التعجيز
قوله تعالى يوم يكشف عن ساق يجوز ان يكون العامل في يوم فليأتوا
شركاءهم يوم يكشف عن ساق لسمع الشركا لهم ويجوز ان ينصب باضمار فعل
اي اذكر يوم يكشف عن ساق فتوقف على صادقين ولا يوقف عليه على التقدير
الاول وقرئ يوم يكشف بالنون وقرا ابن عباس يوم يكشف عن ساق
ساما مسمى الفاعل اي يكشف الشدة او القيامة عن ساقها كقولهم سمرت
الحرب عن ساقها قال الشاعر

فتى الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال آخر

قد كشفت عن ساقها فجدوا وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال آخر

عجبت من نفسي ومن اشفاقها ومن طراد الطير عن ارزاقها
في سنة قد كشفت عن ساقها حمرا تبز اللحم عن عراقها

وقال آخر

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

وعن ابن عباس ايضا والحسن وابي العالية يكشف ساعة مسمى الفاعل وهذه
القراءة راجعة الى معنى يكشف وكانه قال يوم يكشف القيامة عن شدته
وقرئ يوم يكشف بالتاء مضمومة وكسر السين من اكسف اذا دخل في الكشف
ومنه اكسف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت سفعته الحلبا وذكر
ابن المبارك قال ابو اسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى يوم
يكشف عن ساق قال كرب وشدة حدثنا ابن حريج عن مجاهد قال شدة الامر
وحده وقال مجاهد قال ابن عباس هي اشد ساعة في القيامة وقال ابو
عبيدة اذا اشتد امر الحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه ان من
وقع في شيء يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه واستعير الساق والكشف عنها
في موضع الشدة وقيل ساق الشيء اصله الذي هو قوامه كساق الشجرة
وساق الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فيظهر حقائق الامور
واصلها وقيل ساق الشيء اصله الذي هو قوامه كساق الشجرة وساق
الانسان اي يوم يكشف عن اصل الامر فيظهر حقائق الامور واصلها
وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق العرش وقيل يريد وقت
اقتراب الاجل وضعف البدن اي يكشف المريض عن ساقه ليبصر ضعفه
وتدعوه الموذنون الى الصلاة فلا يمكنه ان يقوم ويخر فاما ما روي
ان الله عز وجل يكشف عن ساقه وانه عز وجل يتعالى عن الاعضاء
والتبعيض وان يكشف ويتغطى ومعناه اي يكشف عن العظيم من
امره وقيل يكشف عن نوره عز وجل وروى ابو موسى عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله عن ساق قال يكشف عن نور عظيم
يخرون له سجدا وقال ابو الليث السمرقندي في تفسيره حدثنا
الخليل بن احمد قال وحدثنا ابن منيع قال ناهدبة قال
حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن ابي بردة
عن ابي موسى قال حدثني ابي قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون
ويبقى اهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون
ان لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم نره قال وتعرفونه وكم اذا رايتموه فيقولون

نعم

ثم يقال ليفترقوه ولم تروه فقالوا انه لاشبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون
الى الله تعالى فيخرون له سجدا ويبقى ويبقى اقوام ظهرهم مثل صياصي
البقر فينظرون الى الله تعالى يريدون السجود فلا يستطيعون فذلك
قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ويقول
الله تعالى عبادي ارفعوا رؤوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من
اليهود والنصارى في النار قال ابو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن
له تلث مرات فقال عمر ما سمعت في اهل التوحيد حديثا هو احب الي الله
من هذا وقال قيس بن السكن حدثني عبد الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب
فقال اذا كان يوم القيمة قام الناس لرب العالمين اربعين عاما ساخصة
ابصارهم ولا ينظر اليهم اربعين عاما عراة بيادي مناديها الناس الا بس
عدلا من ربكم الذي خلقكم وصوركم واماتكم واحياكم ثم عندكم غيره ان تولى
كل يوم ما تولوا قالوا نعم قال فيرفع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون
الله فيتبعونها حتى يقذفهم في النار فتبقى المسلمون والمنافقون فيقال
لهم الا تذهبون فقد ذهب الناس فيقولون حتى ياتينا ربنا فيقال لهم
اوتعرفونه فيقولون ان اعترف لنا عرفناه فذلك قال فعند ذلك
يكشف عن ساق ويتجلى لهم فيخر من كان يعبده مخلصا سجدا ويبقى
المنافقون لا يستطيعون كان في ظهورهم السفافيد يذهب الى النار
ويدخل هو الجنة فذلك قوله تعالى ويدعون الى السجود فلا
يستطيعون خاشعة ابصارهم اي ذليلة متواضعة ويضعها على الحال
تزهقهم ذلة وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم ووجوههم اشد بياضا
من الثلج وتسود وجوه الكافرين والمنافقين حتى يرجع اسر سوادا من
النار قلت معنى حديث ابي موسى وابن مسعود ثابت في صحيح مسلم
من حديث ابي سعيد الخدري وغيره قوله تعالى وقد كانوا يدعون
الى السجود اي في الدنيا معافون اصحا قال ابراهيم النخعي اي يدعون بالاذان
والاقامة متفاوتون وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على الفلاح
فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون
عن الجماعات وقيل اي بالتكليف الموجه عليهم في الشرع والمعنى متقارب
وقد مضى في سورة البقرة وجوب صلاة الجماعة وكان الربيع ابن خثيم
فالج فكان يهادى بين الرجلين الى المسجد فقيل يا ابا يزيد لو صليت
في بيتك لكانت لك رخصة فقال من سمع حي على الفلاح فليجب ولو
حبوا وقيل لسعيد بن المسيب ان طارقا يريد قتلك فعيب فقال
احمق لا يقدر الله على فقيل له اجلس في بيتك فقال اسمع حي على
الفلاح فلا اصب قوله تعالى وذرني اي دعني وسل يكذب من مفعول
معه او معطوف على ضمير المتكلم بهذا الحديث يعني القرآن قاله السدي
وقيل يوم القيمة وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانا انتقم منهم
وانتقم منهم ثم قال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون معناه سنأخذهم
على غفلة وهم لا يعرفون فعذبوا يوم بدر وقال سفيان الثوري يسبغ
عليهم النعم ويسلبهم الشكر وقال الحسن كلما جدد خطيئة جددنا لهم نعمة
فيه وكلما جددوا توبة جددنا عليه وكلما جددوا استغفارا جددنا لهم مغفرة
وقيل هو ان نأخذهم قليلا قليلا ولا نأخذهم دفعة وفي حديث ان رجلا من بني اسرائيل
قال يا رب كم اعصيك وانت لا تخافني فاوحى الله الى نبي زمانهم ان قل له
كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر ان جمود عينيك وقساوة قلبك
استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة واصله التنقل
من حال الى حال كالتدرج ومنه قيل درجة وهي منزلة بعد منزلة واستدرجه
بمعنى ادناه منه على التدريج فيتدرج هو واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم
المدة والملاوة المدة من الدهر واملى له اي اطال الله له والملوان

الليل والنهار وقيل واملي لهم اي لا اعاجلهم بالموت والمعنى ولحروف مضى
في الاعراف بيان هذا ان كيدي متين اي ان عذابي لقوي شديد فلا يفوتني
احد قوله تعالى ام تسئلهم اجرا عاد الكلام الى ما تقدم من قوله تعالى
ام لهم شركاء ام اي بل يمنعهم منهم توا باعلى ما تدعوهم اليه من الايمان
بالله فهم من غرامة ذلك مثقلون لما يشق عليهم من بذل المال اي ليس عليهم
كلفة بل يسئلون مبتاعتك على خزائن الارض ويبذلون الى جنات النعيم قوله
تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون اي علم ما غاب عنهم فهم يكتبون
وقيل ينزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون وعن ابن عباس الغيب
هنا اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه تخاصمونك به ويكتبون انهم
افضل منكم ولهم لا يجاوبون وقيل يكتبون يحكمون لانفسهم بما يريدون
قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك والحكم هنا القضاء وقيل
اصبر على ما حكم به عليك ربك من تبليغ الرسالة وقال
ابن جرير اصبر لنصر ربك قال قتادة لا تعجل ولا تغاضب فلا بد من نصرك
وقيل انه منسوخ بآية السيف ولا تكن لصاحب الحوت يعني يونس عليه
السلام اي لا تكن مثله في الغضب والضجر والعجلة قال قتادة ان الله تعالى
عرف نبيه صلى الله عليه وسلم وامره بالصبر ولا تعجل كما عجل صاحب
الحوت وقد مضى خبره في سورة يونس والانبياء فلا معنى للاعادة اذ نادى
اي حين دعا من بطن الحوت فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين وهو مكظوم اي مملوء غما وقيل كربا الاول قول ابن عباس
ومجاهد والثاني قول عطاء والثالث قال الماوردي والفرق بينهما ان
الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل مكظوم محبوس والكظم الحبس
ومنه قولهم فلان كظيم اي حبس غيظه قاله ابن بحر وقيل انه الملوء
بكظمه وهو مجرى النفس قاله المبرد وقد مضى هذا وغيره في سورة يوسف
قوله تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه قراءة العامة تداركه وقراءة
هرمز والحسن تداركه بتشديد الدال وهو مضارع ادغمت التاء منه في الدال
وهو على تقدير حكاية الحال كانه قال لولا ان كان يقال فيه تداركه
نعمة ابن عباس وابن مسعود تداركته وهو خلاف المرسوم وتداركه
فعل ماض مذكر حمل على معنى النعمة لان تانيث النعمة غير حقيقي وتداركته
على لفظها واختلف في معنى النعمة هنا فقيل النبوة قاله الضحاك
وقيل عبادته التي سلفت قاله ابن جبير وقيل نداؤه لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين قاله ابن زيد وقيل نعمة الله عليه اخراجه
من بطن الحوت قاله ابن بحر وقيل اي رحمة من ربه غرحمه وتاب عليه
لنبذ بالعراء وهو مذموم اي لنبذ مذموما ولكنه نبذ سقيما غير مذموم
ومعنى مذموم في قول ابن عباس مليم وقال بكر بن عبد الله مرتب وقيل
مذموم في قول ابن عباس مليم وقال بكر بن عبد الله مذموم
مستوحش من كل خير والعراء الارض الواسعة الفضاء التي ليس بها جبل ولا شجر يستتر
وقيل لولا فضل الله عليه لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم بعد الغيمة
مذموما يدل عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون
فاجتباه ربه اي اصطفاه واختاره فجعله من الصالحين قال ابن عباس رد الله
الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقيل نبوته وجعله من الصالحين بان ارسله
الى مائة الف او يزيدون قوله تعالى وان يكاد الذين كفروا ان هي المخففة
من الثقيلة لما نزلت تلك اخبر بشدة عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ازادوا
ان يصيبوه بالعين تنظر اليه قوم من قريش وقالوا ما رايا مثله ولا مثل
حجته وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان البقرة السمينة او الناقة السمينة
تمر بهم فيعاينها ثم يقولون ياجارية خذي المكتل والدرهم فائتينا بلحم
هذه الناقة فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر وقال الكلبي كان رجل من العرب
يمكث لا ياكل شيئا يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الابل والغنم

يقول لم اركا اليوم ابلا وغنما احسن من هذه مما يذهب الليل حتى يسقط منها اربعة
هالكة فسأل الكفار هذا الرجل اصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم
بذلك فامرا لنبي صلى الله عليه وسلم وانشد

* لو كان قومك كجسبو نك سيدا او حال ذلك سيد معيون *

فحصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت وان يكاد الذين كفروا وذكر
نحوه الماوردي وان العرب كانت اذا اراد احدهم ان يصيب احدا يعيي في نفسه
وماله جوع ثلثة ايام ثم يتعرض لنفسه وماله فيقول ما رايت اقوي
منه ولا اشجع ولا اكرم منه ولا احسن تنصيبه لعنه فيهلك هو وماله فانزل
الله تعالى هذه الاية قال النقاش وفي هذا نظر لان الاصابة بالعين انما يكون
مع الاستحسان والاعجاب لا مع الكراهة والبغض ولهذا قال ويقولون انه
لمجنون اي ينسبونك الى الجنون اذا راوك يتلو القران قلت اقوال
المفسرين والمعنى يدل على ما ذكرنا وان مرادهم بالنظر اليه قتله
ولا يمنع كراهة التي من ان يصاب بالعين عدا وحنق يهلك وقرا ابن عباس
وابن مسعود والاعمش وابو وايل ومجاهد ليزهقونك اي ليهلكونك
وهذه قراءة على التفسير من زهقت نفسه وازهقها وقرا اهل المدينة ليزلقونك
بفتح الياء وضمها الباقون وهما لغتان بمعنى يقال زلقته يزلقه وازلقه
يزلقه ازلاقا اذا اخاه وابعده وزلق راسه يزلقه زلقا اذا حلقه وكذلك
ازلقه وزلقه تزليقا ورجل زلق وزملق مثال هدبد وزمالق وزملق
بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع حكاه الجوهري وغيره
ومعنى الكلمة ادا التنحية والازالة ودل لا يكون في حق النبي صلى الله
عليه وسلم الا بهلاكه وموته قال الهروي اراد ليمتانونك بعيونهم
فيزيلوك عن مقامك الذي اقامك الله فيه عداوة للذي قال ابن
عباس يعدونك بابصارهم يقال زلق السهم وزهق اذا نفذ وهو قول
مجاهد اي يعدونك من شدة نظرهم وقال الكلبي يصرعونك وعنه ايضا
والسدي وسعيد بن جبير يصرعونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة
وقال العوفي يرمونك وقال الموج يزيلونك وقال النضر بن شميل والخشن
يغتمونك وقال عبد العزيز بن يحيى ينظرون اليك بطرف اسزرا
بتخديق شديد وقال زيد ليمتسونك وقال جعفر الصادق لما طولك
وقال الحسن وابن كيسان ليقتلونك وهذا كما قال صرعني نظره
وقتلني بعينه قال الشاعر

ترمينك من لفة العيون بطرفها * وبكل عين نصاب نبل الراميه

وقال اخر

يتعارضون اذا التقوا في مجلس * نظر السريك موالي الاقدام

وقيل المعنى انهم ينظرون اليك بالعداوة حتى كادوا يسقطونك وهذا
كله راجع الى ما ذكرنا وان المعنى الجامع يصيبونك بالعين والله اعلم وما هو
الا ذكر للعالمين اي وما القران الا ذكر للعالمين وقيل اي وما محمد الا ذكر
يتذكرون به وقيل معناه شرف اي القران كما قال وانه لذكر لك
ولقومك والنبي صلى الله عليه وسلم شرف للعالمين ايضا شرف وابا تباعه
والايمان به صلى الله عليه وسلم

سورة الحاقة

مكية في قول الجميع وهي احدى وخمسون اية وروي ابو الزاهرية قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا احدى عشر اية من سورة الحاقة اجير
من فتنة الدجال ومن قراها كانت له يوم القيامة من فوق راسه الى قدميه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الحاقة ما الحاقة يريد يوم القيمة سميت بذلك لان الامور
تحق فيها قال الطبري كانه جعل من باب ليل نائم وقيل سميت حاقة لانها

اختلف لاقوام الجنة واختلف لاقوام النار وقيل سميت بذلك لان فيها نضر كل انسان
حقيقيا بحزاعمله وقال الازهري يقال حاقفته فحققته احقه اي عالجته
فحلبته فالقيامة حاقة لانها تحق على كل محق في دين الله بالباطل اي كل مخاصم
وفي الصحاح وحاقه اي خاصمه وادعى كل واحد منهما الحق فاداعليه قيل
حقه ويقال للرجل اذا خاصم في صغار الاشياء انه لبزلق الحقاق ويقال
ما له فيه حق ولا احقاق اي خصومة والتحاق الخصام للتخاصم والاحتقاف
التخاصم والحاقة والحقة والحق ثلاث لغات بمعنى قاول الكسائي والمبرد
الحاقة يوم الحق ويقول العرب لما عرف الحق هي هرب والحاقة الاولى رفع بالابتدا
والخبر المبتدا الثاني وخبره وهو الحاقة لان معناها عاما هي والفظ استفهام
ومعناه التعظيم والتفخيم لشانها كما تقول زيد على التعظيم لشانه وما ادراك ما الحاقة
استفهام ايضا اي اي شيء اعلمك ما ذلك اليوم قال النبي صلى الله عليه وسلم كان عالما
بالقيامة ولكن بالصفة فقيل تفخيما لشانها وما ادراك ما هي كتابك لست
لعلمها اذا لم يعاينها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شيء في القرآن وما ادراك
فقد ادراه اياه وعلمه وكل شيء قال وما يدريك فهو مما لم يعلمه وقال
سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل شيء قيل
وما يدريك فان لم يخبر به نحو قوله تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة ذكر
من كذب بالقيامة والقارعة القيامة سميت بذلك لانها تقرع الناس بالهول
يقال اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله وشدائده ونعوذ بالله من قوارع الدهر
وقوارعه وقوارض لسانه جمع تارضة وهي الكلمة الموذية وقوارع القرآن
الايات التي يقرؤها الانسان اذا فزع من الجن والانس نحو اية الكرسي كانها
تقرع الشيطان وقيل القارعة ماخوذة من القرعة في رفع قوم وحط آخرين
قاله المبرد وقيل عنى بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا كان سببهم
بذلك فيكذبوه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز
قاله محمد بن اسحاق وهو وادي القرى فكانوا عربا واما عاد قوم هود وكانت
منازلهم بالاحقاف والاحقاف الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن كلها
وكانوا عربا ذوي خلق وبسطة ذكره محمد بن اسحق وقد تقدم قوله تعالى
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فبراجمها راي بالفعلة الطاغية وقال
قتادة اي بالصيحة الطاغية المجاوزة للحد اي لحد الصحة من الهول كما قال
انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر والطغيان مجاوزة الحد
ومنه انا لما طغى الماء اي جاوز الحد وقال الكلبي بالطاغية بالصاعقة وقال
مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان هي مصدر كالكاذبة والعاقبة
اي اهلكوا بطغيانهم وكفرهم وقيل ان الطاغية عاقر الناقة قال ابن زيد اي
اهلكوا بما اقدم عليه طاغيتهم من عقر الناقة وكان واحدا واما هلك الجميع
لانهم رضوا بفعله وبالوه وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية
وعلامة ونسابة قوله تعالى واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي باردة يحرق
ببردها كاحراق النار ملخوذ من الصر وهو البرد قاله الضحاك وقيل لها الشديدة
الصوت وقال مجاهد الشديدة السموم عاتية اي عتت على خزانها فلم يطيقوا
ولم يطيقوها لشدة هبوبها عصيت لعصف الله وقيل عتت على عاد وهم
وروى سفيان الثوري عن موسى بن المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن
عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ارسل الله من نسمة من ريح الا بمكيال
ولا قطرة من ماء الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح قال الماء يوم نوح طغى على الخزان
فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا انا لما طغى الماء الاية والريح لما كان يوم عاد
عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم
اي ارسلها وسلطها عليهم والتسخير الاستعمال الشيء بالاقتدار سبع ليال وثمانية
ايام حسوما اي متتابعة لا تفتر ولا تنقطع عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما
قال الفراء الحسوم التتابع من حسم الدواء وهو الكي لان صاحبه يكوى بالمكواة ثم يتابع
ذلك عليه قال عبد العزيز بن رواد الكلابي • فغرق بين بيتهم رماد يتابع

فيه

يبدا عوام حسوم وقال المبرد هو من قولك حسمت الشئ اذا قطعته وفصلته
عن غيره وقيل الحسم القطع والاستيصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم العدو
عما يريده من بلوغ عداوته قال حسام اذا ما قمت معتضدا به كفى العود
منه البدء ليس بمعضد والمعنى انها حسمتهم حتى قطعتهم واذهبتهم فهى القاطعة
بعذابه الاستيصال قال ابن زيد حسمتهم فلم يبق منهم احدا وعنه انها حسمت
الليالي والايام حتى استوفيتها لانها بدات ان طلوع الشمس من اول يوم مرو
وانقطعت غروب الشمس من اخر يوم وقال الليث للحسوم الشوم يقال
هذه ليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها وقاله ابن الصحاح وقال عكرمة
والربيع بن انس متتابعة دليله قوله تعالى في ايام نحسات عطية العوفي
حسوما اي حسمت الخير عن اهلها واختلف في اولها فقيل غداة يوم الاحد
قاله السدي وقيل غداة يوم الجمعة قاله الربيع بن انس وقيل غداة يوم
الاربعاء قال يحيى بن سلام ووهب بن منبه قال وهب وهذه الايام التي تسميها العرب
ايام العجوز كانت برد وبرج ريح شديدة وكان اولها يوم الاربعاء واخرها يوم الاربعاء
ونسبت الى العجوز لان عجوزا من عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم
الثامن وقيل سميت ايام العجوز لانها وقعت في عجز الشتاء وهي في اداري من
الشهر امر يانيين ولها اسامي مشهورة وفيها يقول الشاعر وهو ابن احمر
كسبع الشتا بسبعة غير ايام سهلتنا من الشهر فاذ انقضت ايامها وهي صن
صن وصنبر مع الوتيرة ويامر واخيه مؤتمر ومعلل ومطفئ الجمر
ذهب الشتا موليا عجلا وانبرى من الغبر
وحسوما نصب على الحال وقيل على المصدر قال الزجاج اي تحسمهم حسوما
اي تقتلهم وهو مصدر مؤكد ويجوز ان يكون مفعولا اي سخرها عليهم هذه المدة
للاستيصال اي لقطعهم واستيصالهم ويجوز ان يكون جمع حاسم وقرا السدي حسوما
بالفتح طلا من الريح اي سخرها عليهم سبتا صلة فوله تعالى فترى القوم
فيها صرعى اي في تلك الليالي والايام صرعى جمع صريع بمعنى موتى وقيل
فيها اي في الريح كانهم اعجاز نخل خاوية اي بالية قاله ابو الطفيل وقيل خالية
الاجواف لا شئ فيها والنخل يذكر ويؤنث وقد قال تعالى في مواضع اخر كانهم
اعجاز نخل منقعر فيحتمل انهم شبهوا بالنخل التي صرعت من اصلها وهو لحبار
على عظم اجسامهم ويحتمل ان يكون المراد به الاصول دون الجذوع اي ان الريح
قد قطعتهم حتى صاروا كاصول النخل الخالية الجوف وقال ابن عباس كانت
الريح تدخل في افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحسوم من ادبارهم فصاروا كالنخل
الخاوية وقال يحيى بن سلام انما قال خاوية لان ابدانهم خرجت من ارواحهم
مثل النخل الخاوية ويحتمل ان يكون المعنى كانهم اعجاز نخل خاوية عن اصولها
من البقاع كما قال تعالى تلك بيوتهم خاوية اي خربة لا سكان فيها
ويحتمل الخاوية بمعنى البالية كما ذكرنا لانها اذا بليت خرت اجوافها فشبههم بعد ان
هلكوا بالنخل الخاوية قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية اي من بقاء او نفس
باقية وقيل من بقية وقيل من بقاء فاعلة بمعنى المصدر كالعافية والعاقبة ويجوز ان
يكون اسما اي هل ترى لهم احدا باقيا وقال ابن جريج كانوا سبع ليال وثمانية
ايام احياء في عذاب الله من الريح فلما امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم
الريح فالقتهم في البحر فذلك قوله عز وجل هل ترى لهم من باقية وقوله تعالى
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قوله تعالى وجاء فرعون ومن قبله قرا
ابو عمرو والكسائي ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء اي ومن معه وتبعه
من جنوده واختاره ابو عبيد اعتبارا بقراءة عبد الله وابي ومن معه
وقرا ابو موسى الاشعري ومن تلقاه الباقون قبله بفتح القاف وسكون
الباء اي ومن تقدمه من القرون الخالية والاثم الخاطئة والمؤتفكات
اي اهل قرى لوط وقراه العامة بالالف وقرا الحسن والجحدري والمؤتفكة
على التوحيد قال قتادة انما سميت قرى لوط مؤتفكات لانها انقلبت
بهم اي انقلبت وذكر الطبري عن محمد بن كعب القرظي قال لما خسف قرية

صعدة وصعده وعمره ودوما وسدوم وهي العزيزة العظمى بالخاطئة اي بالعملة
الخاطئة وهي المعصية والكفر وقال مجاهد بالخطايا التي كانوا يعملونها وقال
الجرجاني اي بالخطأ العظيم والخاطئة مصدر قوله تعالى فعصوا رسول ربهم
قال الكلبي هو موسى وقيل هو لوط لانه اقرب وقيل رسول بمعنى رسالة وقد
تعبر عن الرسالة بالرسول قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول

واخذهم اخذة رابية اي عالية زايدة على الاخذات وعلى عذابه الامم ومنه
الربا اذا اخذ في الذهب والفضة اكثر مما اعطى يقال ربا الشيء يربو اي زاد
وتضاعف وقال مجاهد شديدة كانه اراد زايدة في الشدة انا لما طغى الماء اي ارتفع وعلا وقال علي رضي الله عنه طغى على خزانه من الملائكة
عصاة ربه فلم يقدروا على حبسه قال قتادة زاد على كل شيء خمسة عشر
ذراعا وقال ابن عباس طغى الماء زمن نوح على خزانه فلم يكن عليهم فلم يقدروا
ان يخرج منه الا بقدر ما يخرج من الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم
وقوله مضى مرفوعا اول السورة والمقصود من قصص هذه الامم عن الاقتدا
بهم في معصية الرسول ثم منى عليهم بان حملهم ذرية من نجا من الغرق بقوله حملناكم
اي حملنا اباكم وانتم في اصلابهم في الجارية اي في السفن الجارية والحمل
في الجارية نوح واولاده وكل من على وجه الارض من نسل اولئك لجعلها لكم
تذكرة يعني سفينة نوح عليه السلام جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الامة
حتى ادركها اوايلهم في قول قتادة قال ابن جريج كانت الواحا على الجودي والمعنى
ابقينا لكم تلك الخشبات حتى يذكروا ما حل بقوم نوح وانجى الله اباكم وكلم
من سفينة هلكت وصارت ترابا ولم يبق منها وقيل ليجعل تلك العملة من اغراق
قوم نوح وانجاء من امن به موعظة لكم ولهذا قال تعالى وتعيها اذن واعية
اي يحفظها ويسمعها اذن حافظة لما جاء من عند الله والسفينة لا توصف بهذا
قال الزجاج ويقال اي وعيت كذا اي حفظته في نفسي اعيه وعيا ووعيت
العلم ووعيت ما قلت كل هذا عيي واوعيت المتاع في الوعي قال الزجاج يقال لكل
ما امن غيرك نفسك اوعيته بالالف ولما حفظته في نفسك وعيته بغير الف
وقرأ طلحة وحميد والاعرج وتعيها باسكان العين تشبيها بقولهم ارنا واختلف
فيها عن عاصم وابن كثير الباقون بكسر العين ونظير قوله تعالى وتعيها اذن واعية
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال قتادة الاذن الواعية اذن عقلت
عن الله وانتفعت بما سمعت من كتاب الله عز وجل وروي مكحول ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الاية سالت ربي ان يجعلها اذنك يا علي
قال مكحول فكان علي رضي الله عنه يقول ما سمعت من رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا قط فنسيته الا وحفظته ذكره الماوردي وعن الحسن نحوه ذكره
الثعلبي وقال لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل
اذنك يا علي قال علي فوالله ما نسيت شيئا بعد وما كان لي ان انسى وقال
ابو برزة الاسلمي قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي ان الله تعالى امرني
ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وان تعي وحق علي الله ان تعي فنزلت هذه
فاذا نفخ في الصور لنفخة واحدة قال ابن عباس هي النفخة الاولى لقيام الساعة
فلا يبقى حي الا مات وجاز تذكير نفخ لان تانيث النفخة غير حقيقي وقيل
ان هذه النفخة هي الاخيرة وقال نفخة واحدة اي لا ثنى قال الاخفش وقع الفعل
من النفخة اولم يكن قبلها اسم مرفوع فقيل نفخة ويجوز نفخة نصبا على المصدر
وبها قرأ ابو السماك ويقال انتصر على الاخبار عن الفعل كما تقول ضرب ضربا
وقال الزجاج في الصور يوم مقام ما لم يسم فاعله قوله تعالى وحملت
الارض والجبال فراه العامة بتخفيف الميم اي رفعت من اماكنها فدكتا اي
فبثتا وكسرتا دكة واحدة لا يجوز في دكة الا النصب لارتفاع الصيرورة في
دكتا وقال المبرد يقال دككت لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض
كالجملة الواحدة ومثله اذا السموات والارض كانتا رتقا ولم يقل كن وهذا

كالزلزلة كما قال تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وقيل دكتا اي بسطتا بسطة
واحدة ومنه ادك سنام البعير اذا انغرس في ظهره وقد مضى في سورة الاعراف
القول فيه وقرا عبد الحميد عن ابن عامر وحملت الارض والجبال بالتشديد
على اسناد الفعل الى المفعول الثاني كانه في الاصل وحملت فدرتنا او مكنا
من حملها بمكنتنا الارض والجبال ثم اسند الفعل الى المفعول الثاني فصار له ولوحي
بالمفعول الاول للاسناد الفعل اليه فكانه وحملت قدرتنا الارض وقد يجوز بناءه
للثاني على وجه القلب فيقال حملت الارض الملك كقولك لبس زيد
الحمر والبست الجبة زيدا قوله تعالى فيومئذ وقعت الواقعة
اي قامت القيامة وانشقت السماء اي تصدعت وتفطرت وقيل بسبب
نزول ما فيها من الملائكة دليله قوله تعالى ويوم تشقق السما بالغمام
ونزل الملائكة تنزيلا وقد تقدم في يومئذ واهية اي ضعيفة يقال
وهي البيتهي وهيا وهو واه اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اي ضعيف
فقيل انها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف في الوهي ويكون ذلك لنزول
الملائكة كما ذكرنا وقيل لهول يوم القيامة وقيل واهية اي متخرقة قاله ابن
سحره ماخوذ من قولهم وهي السقا اذا خرق ومن امثالهم

• • • حتى يسيل من وهي سقاوه • ومن هريق بالقلاه ماوه • •

اي كل ضعيف العقل لا يحفظ نفسه والملك يعني الملائكة اسم للجنس على ارجائها
اي اطرافها حتى يسبق لان السماء كانهم عن ابن عباس الماوردي ولعله قول
مجاهد وقتادة وحكاه الثعلبي عن الضحاك قال على اطرافها مما لم ينشق منها
بين بان السماء مكان الملائكة فاذا انشقت صاروا في اطرافها وقال سعيد
ابن جبير المعنى والملك على حافات الدنيا اي ينزلون الى الارض وجوسون اطرافها
وقيل اذا صارت السماء قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التي لبست مستقرة
في انفسها وقيل اكناس اذا رواحهم هاتهم فيذوا طابر الابل فلا يا توت
قطرا من اقطار الارض الا راوا ملائكة يرجعون من حيث جاؤا وقيل على
ارجائها ينتظرون ما يومرون به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل
الجنة من التحية والاكرام وهذا كله راجع الى معنى قول ابن جبير ويدل عليه
نزول الملائكة تنزيلا وقوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان اي لا تقدرون على ما يبتغيه هناك ولا رجا النواحي والاقطار
بلغة هذيل ولحدها وهي متصورة وسنة رحوان مثل عصي وعصوان قال
الشاعر

• • • فلا توعدني بالرحوان اني اظل القوم من بعدي مكاني • •

ويقال ذلك لكل غرابيب والغير قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله
وقال ابن زيد هم ثمانية املاك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية
الاف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم
القيامة ايدهم الله باربعة اخرين فكانوا ثمانية ذكره الثعلبي وخرجه الماوردي
عن ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم يحمله اليوم اربعة وهم يوم القيامة
ثمانية وقال العباس بن عبد الملك ثمانية املاك على صورة الاوعال ورواه
عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث ان لكل ملك منهم اربعة اوجه وجه رجل
ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر ولكل وجه منها بسال الله الرزق لذلك
الجنس ولما انشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم قول امية بن ابي الصلت

• • • رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للاخرى وليث مرصد • • •
• • والشمس تطلع كل اخر ليلة حمرا يصبح لونها يتورد •
• • ليست بطالعة لهم في رسلها الا معذبة او الا تخلد • •

قال النبي صلى الله عليه وسلم صدق وفي الجبان فوق السماء السابعة ثمانية
اوعال بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين السماء الى السماء وفوق ظهورهن
العرش ذكره السنتري وخرجه الترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب
وقد مضى في سورة البقرة بكماله وذكر نحوه الثعلبي ولفظه وفي حديث مرفوع

مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على صورة الاوعال ما بين اظلافهم الى ركبهم
مسيرة سبعين عاما للطائر المسرع وفي تفسير الكلبي ثمانية اجزاء من تسعة
اجزاء من الملائكة وعنه ثمانية اجزاء من عشرة اجزاء من الملائكة ثم ذكر عدد الملائكة
بما يطول ذكره حكى الاول عنه الثعلبي والثاني الخشيري قال
الخشيري قال الماوردي ثمانية اجزاء من سبعة وهم الكروبيون والمعبر ينزل
بالعرش ثم اضافة العرش الى الله تعالى كاضافة البيت وليس السقف
السكن كذلك العرش ومعنى فوقهم اي فوق رؤسهم قال السدي
العرش تحمله الملائكة للحملة فوقهم ولا يحمل حملة العرش الا الله تعالى وقيل
فوقهم اي ان حملة العرش فوق الملائكة الذين في السماء على ارجائها
وقيل فوقهم اي فوق اهل القيمة قوله تعالى يومئذ تعرضون
اي على الله ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا يعلم به ما لم
يكن عالما به بل معناه الحساب وتقرير الاعمال عليهم للجزاء وروى
الحسن عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض
الناس يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما
الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله خرجه
الترمذي قال ولا يصح من قبل ان الحسن لا يسمع من ابي هريرة لا يخفى منكم
خافية اي هو عالم بكل شيء من اعمالكم قاله ابن سجرة وقيل لا يخفى عليه انسان
اي لا يبقى انسان لا يحاسب وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لا يخفى
المؤمن من الكافر ولا البر من الفاجر وقيل لا يستتر منكم عورة كما قال النبي صلى
الله عليه وسلم عيبة الناس حماة عراة وقرأ الكوفيون الا عاصما لا يخفى بالياء
لان تانيث الخافية غير حقيقي بحر قوله تعالى واخذ الذين ظلموا الصيحة واختاره
ابو عبيد لانه قد حال بين الفعل وبين الاسم المؤنث الجار والمجرور والباقون
بالتاء واختاره ابو حاتم لتانيث الخافية قوله تعالى فاما من اوتي كتابه
بيمينه اعطى الكتاب باليمين دليل على النجاة وقال ابن عباس اول من
يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس
قيل له فاين ابو بكر فقال هيهات هيهات رفعته الملائكة الى الجنة
ذكره الثعلبي وقد ذكرناه مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه
في كتاب التذكرة والحمد لله فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اي يقول ذلك
ثقة بالاسلام وسرورا لانه لان اليمين عند العرب من دلائل الفرح والشمال
من دلائل الغم قال الشاعر

* اثبتني اي عسى يديك حملتني فافرح لمصرتي في شمالك *

ومعنى هاؤم تعالوا قاله ابن زيد قال مقاتل هلم وقيل اي خذوا ومنه الجزء في الربا
الاهاء وها اي بقول كل واحد لصاحبه خذ قال ابن السكيت والكسائي
العرب تقول ها انا رجل اقرا وللاثنين ها وما رجلان وها وهم ما رجال وللمرأة
ها بكسر الهمزة وها وها ون اي تقول كل واحد لصاحبه خذ قال ابن السكيت والكسائي
العرب تقول ها انا رجل اقرا وللاثنين ها وما رجلان وها وهم ما رجال وللمرأة
ها بكسر الهمزة وها وها ون والاصل ها كفا بدلت الهمزة من الكاف وقيل
انها وهم كلمة وضعت لاجابة الداعي عند النشاط والفرح وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نادى اعرابي بصوت عال فاجابه النبي صلى الله
عليه وسلم ها وهم بطوله بصوته وكتابيه منصوب بها وهم عند الكوفيين
وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين والاصل كتابي فادخل الها
ليبين فتحة الياء وكان الها للوقف وكذلك في اخوانه حسابيه وماليه وسلطانيه
وفي الحاقة عشر ماهيه وقراءة العامة بالها في الحالين في الوقف والوصل مما لا تحذف
وتثبت في المصحف بالها فلا ينبغي ان يتجاوز الوقف عليها
لتوافق اللغة في الحاق الها في السكت وبما توافق الخط وقرا ابن محيصن و
حميد ومجاهد ويعقوب بحذف الها في الوصل واثباتها في الوقف فيهما
جمع بينهم حمزة في ماليه وسلطانيه وماهيه في الحاقة وجملة هذه

الحرمي سبعة واختار ابو حاتم قراءة يعقوب ومن تبعه انباعا للغة ومن قرا هن
في الوصل بالها فهو على نية الوقف • اني ظننت اني • ايقنت وعلمت عن
ابن عباس وغيره وقيل ايي اني ظننت ان يواخذني الله بسيئاتي عدتني
فلذ يفضل علي يعفوه ولم يواخذني بها قال الضحاك كل ظن في القران من
المومن فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد ظن الاخرة تثبين وظن
الدنيا شك وقال الحسن في هذه الاية ان المومن احسن الظن بربه واحسن
العمل وان المنافق اساء به الظن فاساء العمل اني ملاق حسابيه اي
في الاخرة ولما انكر البعث يعني انه ما يجازا لا يخوفه من يوم الحساب
لانه يتيقن ان الله يحاسبه فجعل للاخرة فهو في عيشة راضية اي في عيش يرضاه
لا مكروه فيه وقال ابو عبيدة والفراء راضية اي مرضية كقولك ماء دافق
اي مدفوق وقيل ذات رضى اي يرضي بها صاحبها مثل لابن وتامر لصاحب
اللبن والتمر وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم يعيشون فلا
يموتون ابدا ويصحون فلا يمرضون ابدا ويبقون فلا يبرؤن ناسا ابدا ويبقون
فلا يهرمون ابدا في جنة عالية اي عظيمة في السقوس قطوفها دانية اي قريبة
التناول يتناولها القائم والقاعد والمضطجع على ما ياتي بيانه في سورة
الانسان والقطوف جمع قطف بكسر القاف وهو ما يقطف من الثمار والقطف
بالفتح المصدر والقطاف بالفتح والكسر وقت القطف كلوا واشربوا
اي يقال لهم ذلك هنيئا لا تكدير فيه ولا تنغيص بما اسلفتم قدمتم من
الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي في الدنيا وقال كلوا بعد قوله
فهو في عيشة راضية لقوله فاما من اوتي ومن يتضمن معنى الجمع وذكر الضحاك
ان هذه الاية نزلت في ابي سلمة عبد الله ابن عبد الاسد المخزومي وقاله مقاتل
والاية التي تليها في اخيه الاسود بن عبد الاسد في قول ابن عباس والضحاك
ايضا قال الثعلبي ويكون هذا الرجل واخوه سبب نزول هذه الايات ونعم
المعنى جميع اهل الشقاوة والسعادة يدل عليه قوله تعالى كلوا واشربوا وقد
قيل ان المراد بذلك كل من كان متبوعا في الخير والشر فاذا كان الرجل
راسا في الخير يدعوا اليه ويامر به ويكثر شيعته عليه دعا باسمه واسم ابيه
فيتقدم حتى اذا دنا اخرج له كتاب ابيض لمع ابيض في باطنه السيئات
وفي ظاهره الحسنات فيبدا بالسيئات فينظر فيها فيشفق ويصفر وجهه
ويتغير لونه فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك وقد غفرت
لك فيفرح عند ذلك فرحا شديدا ثم يقلب كتابه فينظر الى حسناته فلا يزداد الا
فرحا حتى اذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد ضوعفت لك ثم
تبيض وجهه ويوتى بتاج فيوضع على راسه ويكسى حلتين ويحلى كل مفصل
منه ويطول ستين ذراعا وهي قامة ادم عليه السلام ويقال له انطلق
الى اصحابك فبشرهم واخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فاذا ادبر
قال ها وما اقرا كتابيه اني ظننت الى ملاق حسابيه قال
الله تعالى فهو في عيشة راضية اي مرضية قد رضيها في جنة عالية
في السما قطوفها ثمارها وعنا قدها دانية اذ بنت منهم فيقول لاصحابه
هل تعرفوني فيقولون قد عمرتك كرامة الله من انت فتقول انا فلان
بن فلانة ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
اي قدمتم في ايام الدنيا واذا كان الرجل راسا في الشر يدعوا اليه ويامر به
ويكثر شيعته عليه يودع باسمه واسم ابيه فيتقدم الى حسناته فيخرج له كتاب
اسود بخيط اسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات فيبدا بالحسنات
فينظر فيها ويظن انه ستنجو فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك
وقد ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن ويغتم من الخير ثم يقرا
كتابه فينظر سيئاته فلا يزداد الا حزنا ولا يزداد وجهه الا سوادا فاذا
بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك وقد ضوعفت عليك اي ثم
يضاعف عليه العذاب ليس المعنى انه يزداد عليه ما لم يعمل قال

تبعظم للنار وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسي سربال القطران وتغال
له انطلق الى اصحابك فاخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول
يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية يتمنى
الموت ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه تفسير ابن عباس هلكت عن حجتي
وهو قول مجاهد وعكرمة والسدي وقاله الضحاك وقال ابن زيد يعني سلطانيه
الذي في الدنيا الذي هو الملك وكان هذا الرجل مطاعا في اصحابه قال الله تعالى
خذوه فغلوه قيل يبتدر اثنا عشر الف ملك ليجر به الى عنقه وهو قوله تعالى
فغلوه اي شدوه بالاغلال الى الجحيم صلوه اي اجعلوه يصلى الجحيم ثم في سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا الله اعلم باي ذراع قاله الحسن وقال ابن عباس
سبعون ذراعا بذراع الملك وقال لو ان كل ذراع سبعون باعا وكل باع الى
ما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال مقاتل لو ان حلقة منها
وضعت على ذروة جبل لذابت به كما يذوب الرصاص وقال كعب لو ان حلقة
من السلسلة التي قال الله تعالى ذرعها سبعون ذراعا ان حلقة منها
مثل جميع حديد الدنيا فاسلكوه قال سفيان بلغنا انها تدخل في دبره حتى
تخرج من فيه وقال مقاتل والمحي ثم اسلكوا فيه سلسلة وقيل تدخل عنقه
ثم يجر بها وها في الجبر انها تدخل من دبره ويخرج من منخريه وفي خبر اخر
يدخل من فيه ويخرج من دبره فينادي اصحابه هل تعرفوني فيقولون
لا فلبرى ما بك من الخزي حين انت تنادي اصحابه فلانا لكل انسان
منكم مثل هذا قلت وهذا التفسير اصح مما قيل في هذه الاية ويدل عليه قوله
تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم ومن وفي الباب حديث ابي هريرة
بمعناه خرجه الترمذي وقد ذكرناه في سورة سبحان فتامله هناك
انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين اي على الاطعام
كما يوضع العطاء موضع الاعطاء قال الشاعر

* اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرباعا *

اراد بعد اعطائك بين انه على ترك الاطعام وعلى الاطعام وعلى الامر بالفعل
كما عذب بسبب الكفر والحض التحريض واصل طعام ان يكون منصوبا بالمصدر
والمقدر والطعام عبارة عن العين واضيف المسكين الذي بينهما وسن اعمال
الطعام كما يعمل الاطعام موضع المسكين نصب والتقدير على اطعام المطعم
المسكين فحذف الفاعل واضيف المصدر الى المفعول قوله تعالى فليس له
اليوم ها هنا حميم خبر ليس قوله له ولا يكون الخبر قوله ها هنا لان المعنى بصير
ليس ها هنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لان ثم طعام غيره وها هنا متعلق
بما في له من معنى الفعل والحميم ها هنا القريب اي ليس له قريب يرق له و
يدفع عنه وهو ماخوذ من الحميم وهو الماء الحار كانه الصديق الذي يهم برق
ويحترق قلبه له والغسلين فعلين من الغسل فكانه يغسل من آثامهم وهو صديد
اهل النار اسابيل من خروحمم وقرحهم عن ابن عباس وقال الضحاك
والربيع بن انس هو شجر باكله اهل النار وقال قتادة هو شر الطعام
واشنعه ابن زيد لا يعلم ما هو وما الزقوم وقال في موضع اخر ليس لهم
طعام الا من ضريع ويجوز ان يكون الضريع من الغسلين وقيل في الكلام
تقديم وتاخير والمعنى فليس له اليوم ها هنا حميم الا من غسلين ويكون ويكون
الماء الحار ولا طعام اي وليس لهم طعام يبتغونه به لا ياكله الا الخاطئون
اي المذنبون وقال ابن عباس يعني المشركون وقرئ الخاطئون بابدال
الهمزة با والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطوا
وروي عنه ابوا الاسود الدؤلي ما الخاطون انما الخاطئون ما الصابون
انما هو الصابون ويجوز ان يراد به الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون
حدود الله عز وجل قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
المعنى اقسم بالاشياء كلها ما يرى منها وما لا يرى ولا اصله وقيل ورود
الكلام سبق اي ليس الامر كما تقوله المشركون وقال مقاتل سبب ذلك

ان الوليد

ان الوليد بن المغيرة قال ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عتبة كاهن
فقال الله تعالى فلا اقسم اي اقسم وقيل لا ها هنا نفي للقسم اي لا احتاج في هذا
الى القسم لوضوح الحق في هذا وعلى هذا فجوابه كجواب القسم انه يعني القرآن
لقول رسول كريم هو جبريل قاله الحسن والكلبي ومقاتل دليله وانه لقول
رسول كريم ذي قوة وقال الكلبي ايضا والنبي الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم
لقوله وما هو بقول شاعر وليس القرآن من قول الرسول صلى الله عليه
وسلم انما هو من قول الله تعالى ونسبت القول اليه لانه بالله ومبلغ
والعامل به كقولنا هذا قول مالك قوله تعالى وما هو بقول شاعر لانه
مباين لصنوف الشعر كلها ولا يقول كاهن لانه ورد نسب الشياطين وسيهم
فلا ينزلون سماء لي من سيهم وما زائدة في قوله قليلا ما يؤمنون وقليلا
ما يذكرون والمعنى قليل لا يؤمنون وقليل يذكرون وذلك القليل
من ايمانهم هو انهم اذا سئلوا من خلقهم قالوا الله ولا يجوز ان يكون ما مع الفعل
مصدرا او بمنصب قليل بما بعد ما لما تبين من تقديم الصلة على الموصول
لان ما عمل فيه المصدر من في صلة المصدر وقرا ابن محيصن وابن كثير وابن
عامر ويعقوب ما يؤمنون و يذكرون بالياء التحتانية لان الخطاب
قبله وبعده اما قبله فقوله بصروت واما بعده فما منكم الاية قوله تعالى
تنزيل اي هو تنزيل من رب العالمين وهو عطف على قوله انه لقول
رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين قوله تعالى ولو تقول علينا بعض
الاقاويل ليقول اي بكلف وابتي بقول من قبل نفسه وقوتي ولو تقول علينا لبعض
المفعول لاخذنا منه باليمين اي بالقوة والقدرة اي لاخذناه بالقوة
ومن صلة زايدة وعبر عن القوة والقدرة باليمين لان قوة كل شيء في مناسبه
قاله القتبي وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشماخ
• • اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين •
• • اي بالقوة وقال اخر •
ولما رايت الشمس اشرق نورها تنا ولت منها حاجتي بيميني •
وقال السدي والحكم باليمين بالحق قال
• تلقاها عرابة باليمين • اي بالاستحقاق وقال الحسن لقطعنا
يده اليمين وقيل المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف قاله نفطويه وقال
ابو جعفر الطبري ان هذا الكلام خرج مخرج الادلال على عادة الناس في
الاخذ بيد من يعاقب كما تقول السلطان لمن يريد هوانه خذوا بيده
اي لامرنا بالاخذ بيده وبالعناية به ثم لقطعنا منه الوتين يعني نياط
القلب اي لاهلكناه وهو عرق يتعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه
قاله ابن عباس وقال اكثر الناس قال
• • اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاسرعي ودم الوتين •
وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو الفؤاد فاذا انقطع بطل
الفؤاد ومات صاحبه والموتور الذي قطع وتينه وقال محمد بن كعب ثم
انه القلب ومراقه وما يليه وقال الكلبي انه عرق بين العلباء والحلقوم
والعلباء عصب العنق وهما علباوان ونبتهما ببيت الرقبة وقال عكرمة
ان الوتين اذا قطع لا ان جاع عرق ولا ان سمع عرق قوله تعالى فما منكم
من احد عنه حاجزين ما نفي واحد في معنى الجمع فلذلك نعته بالجمع اي فما
منكم يحجزون عنه لا يعرف بين احد من رسله هذا جمع لان من لا يتبع الا على
اثنين فما زاد قال النبي صلى الله عليه وسلم لم يجل الغنايم لاحد سود الرؤس
فتلكم لفظة واحد ومعناه الجمع وان زائدة والحجز المنع وحاجزين يجوز
ان يكون صفة لاحد على المعنى كما ذكرنا فيكون في موضع جر والخبر منكم ويجوز
ان يكون منصوبا على انه خبر ومنكم ملغاة ويكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع
الفصل به من انتصاب الخبر في هذا كما لم يمتنع العمل به في ان زيدا الراغب
قوله تعالى وانه يعني القرآن لتذكرة للمتقين اي الخائفين اي يخشون

الله ونظيره فيه هدى للمتقين على ما بيناه اول سورة البقرة وقيل المراد
محمد صلى الله عليه وسلم اي هو تذكرة ورحمة قوله تعالى وانا لنعلم
ان منكم مكذبين قاله الربيع بالقرآن وانه لحسرة يعني التكذيب
والحسرة الندامة وقيل وان القرآن لحسرة على الكافرين يوم القيمة
اذا راوا ثواب من امن به وقيل هي حسرهم في الدنيا حيث لم يقدروا على
معارضته عند تحديهم ان ياتوا بسورة مثله وانه لحق اليقين يعني ان القرآن
العظيم تنزيل من الله عز وجل فهو لحق اليقين وقيل اي حقا يقينا ليكون
ذلك حسرة عليهم يوم القيامة فعلى هذا وانه لحسرة اي وانه لتحسر
فهو مصدر بمعنى التحسر ويجوز تذكيره وقال ابن عباس انما هو
كقولك لعين اليقين وعين اليقين ولو كان اليقين لغتنا لم يجز اضافة
اليه كما تقول هذا رجل الطريق وقيل اضافه الى نفسه لاختلاف اللفظين
فسبح باسم ربك العظيم اي نزه ربك قاله ابن عباس وقيل اي نزه
الله عن السوء والثناء بضد

تفسير سورة المعارج

وهي مكية باتفاق وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سال سائل قرا نافع وابن عامر سال سايل بغير همز الباقون
بالهمز فمن همز فهو من السوال والباء يجوز ان يكون زايدة ويجوز ان يكون
بمعنى عن والسوال بمعنى الدعاء اي دعا داع بالعذاب عن ابن عباس وغيره
يقال دعا علي فلان بالويل ودعا عليه بالعذاب ويقال دعوت زيدا
اي التمست احضاره اي التمس ملتمس العذاب عذابا للكافرين
وهو واقع بهم لا محالة يوم القيمة وعلى هذا فالباء زائدة كقوله تعالى تنبت
بالدهن وقوله وهزي اليك بجذع النخلة تساقط اي تساقط عليك رطبا
وقع العذاب الكافرين اي على الكافرين وهو النضر بن الحرث حيث قال اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم فنزل سواله وقيل يوم بدر صبرا هو وعقبة ابن ابي معيط ولم يقتل
صبرا هو وعقبة ابن ابي معيط ولم يقتل صبرا غيرهما قاله ابن عباس ومجاهد
وقيل ان السايل هنا هو الحرث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه
نزول النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه
ركب ناقته فجاء حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان نشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلي خمسا فقبلناه
منك وان نزكي اموالنا فقبلناه منك وان نصوم شهر رمضان فقبلناه
منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض بهذا حتى فضلت ابن عمك علينا
فهذا شيء منك ام من الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والله الذي لا اله
الا هو ما هو الا من الله فولى الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد
حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الى
ناقته حتى رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزل
سال سايل بعذاب واقع الاية وقيل ان السايل هنا ابو جهل وهو القائل
لذلك فيما قاله الربيع وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح
عليه السلام سال العذاب على الكافرين وقيل هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي ودعا عليه بالعقاب وطلب ان يوقعه الله بالكفار وهو
واقع بهم لا محالة واعلم ان الكلام الى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا اي لا تستعجل فانه قريب واذا كانت الساعة عني عن وهو قول
قتادة فكان سايل سال له عن العذاب بمن يقع او متى يقع قال الله تعالى
فاسئل به خبيرا اي عنه وقال علمه

قال

• • فان تسلوني بالنساء فاني بصير بادوائها وبالنساطيب •
اي عن النساء وبالنساطيب حرجنا نسأل عن فلان وبفلان عما معنى سالوا بمن
يقع العذاب فقال اسأل كافر بهذا قال ابو علي وغيره واذا كان من السؤال
فاصله ان يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما واذا اقتصر على احدهما
واذا اقتصر على احدهما جاز ان يتعدى اليه بحرف جر فيكون التقدير يسأل سائل
النبي صلى الله عليه وسلم او المسلمين بعذاب او عن عذاب ومن قرأ بغير همز
فله وجهان احدهما ان له لغة في السؤال وهي لغة قريش تقول العرب سأل يسأل
مثل خاف يخاف وحاق يحيق والثاني ان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن
عباس سال سيل قال عبد الرحمن بن زيد سال واد من اودية جهنم جعلنا
يقال له سائل وهو قول زيد بن ثابت قال الثعلبي والاول احسن كقول
الاعشى في تخفيف الهمزة سالتاني الطلاق اذ رأياني قل مالي قد جئتماني بسكر
وفي الصحاح قال الاخفش خرجنا نسأل عن فلان وعلان وقد خفف همزته فيقال
سال يسال وموضع سال امتناعا ما صدية لم يستثن وحوامي الموت تعشاه
الهدوي ومن قرأ سال جاز ان يكون خفف الهمزة بابدالها الفا وهو البدل
على غير قياس وجاز ان يكون الالف منقلبة عن واو على لغة من قال سلت
اسال لغة احد في المحاس حكى سيبويه سلت اسال مثل خفت اخاف
بمعنى سألت وانشد
• • سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب
ويقال هما بنسا ولان المهدوي وجاز ان يكون مبدلا من يا من سال يسال ويجوز
ان يكون سائل واد في جهنم فهمزه سائل على القول الاول اصلية وعلى الثاني بدل
من واو وعلى الثالث بدل من ياء للتشبيه وسائل ممنوع لانه ان كان من سال يسال
فهو ممنوع وان كان من غير الهمز كان ممنوعا ايضا لخوف فايل وخايف لان العين
اعتل في الفعل واعتل في اسم الفاعل ايضا ولم يكن الاعتلال بالحذف لخوف الالتباس
فكان بالقلب الى الهمز ولذ تخفيف الهمزة حتى تكون بين بين واقع اي يقع بالكفار
بين الله من الله ذي المعارج وقال الحسن انزل الله تعالى سال سايل بعذاب
واقع فقال لمن هو فقال للكافرين فاللام في للكافرين متعلقة بواقع وقال
الفراء التقدير بعذاب للكافرين فاللام في للكافرين واقع فالواقع من نعت العذاب
فاللام دخلت للعذاب لا للواقع اي هذا العذاب للكافرين في الاخرة لا
يدفعه عنهم احد وقيل ان اللام بمعنى على والمعنى واقع على الكافرين وروي
انها في قراءة ابي كذلك وقيل بمعنى عن اي ليس له دافع عن الكافرين من الله
اي ذلك العذاب من الله ذي المعارج اي ذي العلو والدرجات الفواصل والنعم
قاله ابن عباس وقتادة والمعارج مراتب الملائكة في الصعود على السلم وقيل ذي العظمة
والعلي وقال مجاهد هي سماوات السماء وقيل هي معارج الملائكة لانها الملائكة
تعرج الى السماء فوصف نفسه بذلك وقيل المعارج الفواضل اي الله ذو الفواضل
اي جعل لاوليائه في الجنة غرفا وقرأ عبد الله ذي المعارج بالياء يقال معرج
ومعراج ومعارج ومعاريج مثل مفتاح ومفاتيح والمعارج الدرجات ومنه
ومعارج عليها يظهرون تعرج الملائكة والروح اليه اي تصعد في المعارج التي
جعلها الله لهم وقرأ ابن مسعود واصحابه والسلمي والكسائي يعرج بالياء
على ارادة الجمع ولقوله ذكروا الملائكة ولانثوهم وقرأ الباقون بالتاء على
ارادة الجماعة والروح جبريل عليه السلام قاله ابن عباس دليله قوله تعالى
نزل به الروح الامين وقيل هو ملك اخو عظيم الخلقة وقال ابو صالح انه خلق
من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس وقال قتيبة انه ذو بهاء
اله روح الميت حين تعضى اليه اي الى المكان الذي هو محلهم وهو في السماء
لانها محل بره وكرامته وقيل هو كقول ابراهيم اي داهب الى ربي اي الى
الموضع الذي امرني به وقيل اليه اي على عرشه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة قال وهب والكلبي ومحمد بن اسحق اي عروج الملائكة الى المكان
الذي هو محلهم في وقت كان مقداره الف سنة في سورة السجدة فقال في يوم

كان مقداره خمسين الف سنة من منتهى امره من اسفل الارضين الى منتهى امره
من فوق السموات خمسون الف سنة وقوله تعالى في الم تنزيل في يوم كان مقداره
الف سنة يعني بذلك نزول الامر من سما الدنيا الى الارض ومن الارض الى السماء في
يوم واحد فذلك مقدار الف سنة لان ما بين السماء الى الارض مسير خمس
مائة عام وعن مجاهد ايضا والحكم وعكرمة هو مدة عمر الدنيا من اول ما خلقت
الى اخر ما بقي خمسون الف سنة لا ندري لحوكم مضى ولا كم بقي اعلم وقيل
المراد يوم القيامة اي مقدار الحكم فيه لو تولاه مخلوق خمسون الف سنة قاله
عكرمة ايضا والكلبي ومحمد بن كعب يقول وانا افرغ منه في ساعة وقال
الحسن هو يوم القيامة لا نهاد له فالمراد موقفهم للحساب فهو خمسين الف
سنة من سني الدنيا ثم حينئذ يستقر اهل الدارين في الدارين وقال عثمان هو
يوم القيمة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وقال ابن عباس هو يوم القيمة
جعله الله على الكافرين مقدار خمسين الف سنة ثم يدخلون النار للاستقرار
قلت وهذا القول احسن ما قيل في الآية ان شاء الله بدليل ما رواه قاسم
بن اصبغ من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول هذا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف عليه
من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا واستدل النحاس على صحة هذا القول بما رواه
سهل عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما من رجل لم يود زكاة ماله الا جعل شجاعا من نار يكوى به جبهته وظهره
وجنباه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى الله بين الناس قال
فهذا يدل على انه يوم القيمة وقال ابراهيم التيمي ما قدر ذلك اليوم على المؤمن
الا قدر ما بين الظهر والعصر وروي هذا المعنى مرفوعا من حديث معاذ عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين
ولذلك سمي يقينا سريع الحساب واسرع الحاسبين ذكره الماوردي وقيل
بل يكون الفراغ ليصف يوم كقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن
مقيلا وهذا على قدر فهم الخلائق والا فلا يشغله شان عن شان وكما يرزقهم
في ساعة كذلك يحاسبهم في لحظة قال الله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
وعن ابن عباس ايضا انه سئل عن هذه الآية وعن قوله تعالى في يوم كان مقداره
الف سنة فقال ايام سماها الله تعالى هو اعلم بها كيف يكون واكره ان اقول عنها
ما لا اعلم وقيل معنى ذكر خمسين الف سنة تمثيل وهو تقريب طول مدة
الحساب في الموقف وما يلقى الناس فيه من الشدائد والعرب تصف ايام الشدة
بالطول وايام الفرج بالقصر قال الشاعر

* ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق واصطفاق المزاهر *

وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى سال سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له
دافع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة تعرج الملائكة والروح اليه وهذا
القول هو معنى ما اخترناه والموقف الا له قوله تعالى فاصبر
صبرا جميلا عتبي اذي قومك والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير
الله وقيل هو ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا تدري من هو والمعنى متقارب
وقال ابن زيد هي منسوخة بآية السيف انهم يرونه بعيدا يريد اهل مكة
يرون العذاب بالنار بعيدا اي غير كائن ونراه قريبا لان ما هو آت فهو قريب
وقال الاعمش يرون البعث بعيدا لانهم لا يومنون به كانهم يستبعدونه على جهة
الاحالة كما تقول لمن يناظره هذا بعيد لا يكون وقيل يرون لهذا اليوم بعيدا ونراه
اي نعلمه لان الرويئة انما تتعلق بالموجود وهو كقول الشافعي نراه في هذه
المسئلة كذا وكذا قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل العامل في يوم الواقع
تقديره يقع بهم العذاب يوم وقيل نراه او يبصرونهم او يكون بدلا من قريب
والمهل دردي الزيت وعكره في قول ابن عباس وغيره وقال ابن مسعود ما اذيب
من الرصاص والنحاس والفضة وقال مجاهد كالمهل كقيح من دم وصديد

وقر

وقد مضى في سورة الرحمان والكهف القول فيه وتكون الجبال كالعهن اي
كالصوف المصبوغ ولا يقال للصوف عهنا الا ان يكون مصبوغا وقال
الحسن تكون الجبال كالعهن وهو الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف ومنه
قول زهير كان فتات العهن في كل منزل نزلن به حب الفنى لم يحطم
الفتاه القطع والعهن الصوف الاحمر واحده عهنة وقيل العهن الصوف
الاحمر واحده عهنة وقيل العهن الصوف ذوالالوان فشبه الجبال به في ألوانها
الوانا والمعنى انها تلين بعد الشدة وتبقوف بعد الاجتماع وقيل ولا
ما بتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم رملا منفوشا ثم هباء منبثا ولا يسال
حميم حميما اي عن شانه لشغل كل انسان بنفسه قاله قتادة كما قال لكل امرئ
منهم يومئذ شان يغنيه وقيل لا يسال حميم عن حميم فحذف الجار ووصل الفعل
وقراءة العامة تسل بفتح الياء وقرا شيبة والبزي عن عاصم ولا يسال بالضم
على ما لم يسم فاعله اي لا يسال حميم عن حميمه ولا ذو قرابة عن قرابته بل كل انسان
يسئل عن عمله نظيره كل نفس بما كسبت رهينة قوله تعالى يبصرونهم
اي يرونهم وليس في القيامة مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس
فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته وعشيرته فلا يسأله ولا يكلمه لاشتغالهم
بانفسهم وقال ابن عباس يتعارفون ساعة ثم يتعارفون بعد ذلك الساعة وفي
بعض الاخبار ان اهل العرصة يفزعون من المحاسبة فيقول بعضهم لبعض
ابن عباس ايضا يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض
فالضمير في يبصرونهم على هذا للكفار والهاء والميم للذين يأتون يوم القيامة
يبصر الله المؤمنين للكفار في يوم القيامة فالضمير في يبصرونهم للمؤمنين
والهاء والميم للكفار ابن زيد المعنى يبصر الله الكفار في النار الذين اضلوهم في الدنيا
فالضمير في يبصرونهم للتابعين والهاء والميم للمتبوعين وقيل انه يبصر المظلوم
ظالمه والمقتول قاتله وقيل يبصرونهم يرجع الى الملائكة اي يعرفون احوال الناس
فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم ثم الكلام عند قولهم يبصرونهم ثم قال
يود المجرم اي يتمنى الكافر لو يفتدي من عذاب يومئذ يعني من عذاب جهنم بالغرم من
كان عليه في الدنيا من اقاربه فلا يقدر ثم ذكرهم فقال ببنيه وصاحبته زوجته
واخيه وفصيلته اي عشيرته التي تنصره قاله مجاهد وابن زيد وقال مالك امه التي
تربيه قاله مجاهد وابن زيد حكاه الماوردي ورواه عنه اشهب وقال ابو عبيدة
الفصيلة دون القبيلة وقال ثعلب هم اباؤه الادنون وقال المبرد الفصيلة
الخطة من اعضاء الجسد وهي دون القبيلة وسميت عشيرة الرجل فصيلة تشبيها
بالبعض منه وقد مضى في سورة الحجرات القول في القبيلة وغيرها وهنا مسئلة
وهي اذا حبس على فصيلته او اوصى لها فمن ادعى العموم حمله على العشيرة ومن ادعى الخصوص
حمله على الاباء الادنين فالادنى والاول اكثر في الظن والله اعلم ومعنى تؤويه تضمه
وتؤمنه من خوف ان كان به ومن في الارض جميعا اي يود لو فدي بهم لافتدي ثم
ينجيه اي يخلصه ذلك الفداء فلا بد من هذا الاضمار كقوله والله لفسق اي وان اكله
لفسق وقيل يود المجرم ليقتضي جوابا بالفا وكقوله ودوا لو تدهن فيدهنون والجواب
في هذه الاية ثم ينجيه لانها من حروف العطف اي يود المجرم لو يفتدي فينجيه الافتداء
قوله تعالى كلا تقدم القول في كلا وانما تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهي هنا
تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه وان كانت بمعنى لا كان
تمام الكلام عليها اي ليس ينجيه من عذاب الله الافتداء ثم قال انها لظى اي في جهنم
فتلظى واشتقاق لظى من التلظي والتظاء النار لهيبها انتهابها وتلظيها ذلهبها
وقيل كان اصلها لظظا اي دامت لدوام عذابها فقلبت احرف الطابق الف
فبقيت لظى وقيل هي الدركة الثانية من طبقات جهنم وهي اسم مؤنث
معرفة فلا تنصرف * نزاعة للشوى * قرا ابو جعفر وشيبة ونافع وعاصم
في رواية ابي بكر عنه والاعمش وابو عمرو وحمزة والكسائي نزاعة بالرفع وروي
ابو عمرو وعن عاصم نزاعة بالنصب فمن رفع فله خمسة اوجه احدها ان يجعل
لظى خبر ان ويرفع نزاعة باضمار هي فمن هذا الوجه يحسن الوقف على لظى والوجه

الثاني ان يكون لظي ونزاعة خبران لان كما تقول انه خلق يحاصم والوجه الثالث
ان يكون نزاعة بدلا من لظي ولظي خبران والوجه الرابع ان يكون نزاعة بدلا من لظي
ولظي خبران والوجه الرابع ان يكون لظي ونزاعة خبران لان كما تقول انه خلق يحاصم بدلا من
اسم ان ونزاعة خبران والوجه الخامس ان يكون الضمير في انها للقصة ولظي مبتدا
ونزاعة خبر المبتدا والجملة خبر ان المعنى ان القصة والخبر لظي نزاعة للشوا ومن نصب
نزاعة حسن له ان يقف على لظي وينصب نزاعة على القطع من لظي اذ كانت
نكرة متصلة بمعرفة ويجوز نصبها على الحال الموكدة كما قال وهو الحق
مصدقا ويجوز ان ينصب على معنى انها تتلظى نزاعة اليه في حال نزعها
للشوي والعامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى التلظي ويجوز ان يكون
حالا على انه حال لمكان بين بخبرها ويجوز نصبها على المنع كما تقول مررت بزيد
العاقل الفاضل فهذه خمسة اوجه للنصب ايضا والشوي جمع شواه وهي
" " جلدة الراس قال الاعشى " " "
" قالت قبيلة ما له قد حللت سبا سوا به " " "
" وقال اخر " " "
لاصبحت هذك الحوادث هذه لها فشواه الراس باد فتيرها
الفتير السبيب وفي الصحاح والشوي جمع شواه وهي جلدة الراس والشوا المداف
والرجلان والراس من الادميين وكل ما ليس مقتلا يقال رماه فاشواه اذا لم
ينصب المقتل قال الهذلي
" فان من القول التي لا سوي لها اذا زل عن ظهر اللسان انملها
يقول ان من القول كلما لا سوي له ولكن يعمل قال الاعشى
" قالت قبيلة ما له قد حللت سبا شواته
قال ابو عبيدة انشدها ابو الخطاب الاخفش ابا عمرو بن العلا فقال له صحفت
انما هو سرابه فسكت ابو الخطاب ثم قال لنا بل هو صحف انما هو شوايه
وشوي الفرس قوائمه لانه يقال عبل الشوي ولا يكون هذا للراس لانهم
وصفوا الخيل باسالة الخدين وعتق الوجه وهو دقة والشوارد الى المال
والشوي هو النبي الهين اليسير وقال ثابت البناني والحسن نزاعة
للشوي اي لمكارم وجها ابو العالية لمحاسن وجهه عبادة لمكارم خلقته ولطائف
وقال الضحاك نزاعة للحم والجلد عن العظم حتى لا يترك منه شيئا
وقال الكسائي هي المفاصل وقال بعض الائمة هي القوائم والخلود قال
امرو القيس " سليم الشظا عبل الشوي شنج النسا له لحدا ب مسرواتة
على لقا له " وقال ابو صالح اطراف اليدين والرجلين قال الشاعر "
" اذا نظرت عرفت الحر منها وعبسما ولم تعرف شواها "
يعني اطرافها وقال الحسن ايضا الشوا الهام " تدعوا من ادبر وتولى
اي تدعو لظى من ادبر عن الدنيا عن طاعة الله وتولى عن الايمان ودعاؤها ان
تقول يا مشرك اليّ يا كافر وقال ابن عباس تدعوا الكافرين
والمنافقين باسمايهم بلسان فصيح الي يا كافر الي يا منافق ثم تلتقطهم
كما يلتقط الطير الحب وقال ثعلب تدعوا اي تهلك تقول العرب دعاك الله اي
اهلكك وقال الخليل انه ليس كما تدعا نعا لوا ولكن دعوتها اياهم يمكنها من تعذيبهم
وقيل الداعي خزنة جهنم اضيف دعاؤهم اليها وقيل هو ضرب مثل اي ان مصير
من ادبر وتولى اليها كانها الداعية لهم ومثله قول الشاعر "
" ولقد هبطنا الوادين فوادنا تدعوا لا بنس بها العصيص الاثكم "
العصيص الاكم الذي به وهو لا تدعوا نما طسة بن علية فدعا اليه قلت
القول الاول هو الحقيقة حسب ما تقدم بيانه في القرآن والاخبار الصحيحة
التشبيب ودعاؤها لخلق الحياة فيها حتى تدعوا رحوارق العادة عدا كثيرة
وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعايه ومنع منه حق الله تعالى فكان
جموعا منوعا قال الحكم كان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله
تعالى يقول وجمع فاوعى قوله ص ان الانسان خلق هلوعا يعني

الكافر

الكافر عن الضحاك والهلع في اللغة اشد الحرص واسوا الجزع والفحش وكذلك قال
قتادة ومجاهد وغيرهما وقد هلع بالكسر فهو هلع وهلوع على التكثير والمعنى انه لا يصبر
في خير ولا شر حتى يفعل بهما ما لا ينبغي عكرمة هو الضجور الضحاك هو الذي لا يشبع
والمنوع هو الذي اصاب المال منه حق الله تعالى وقال ابن كيسان خلق الله الانسان
يحب ما يسره ويرضيه ويجرب مما يكرهه ويسخط عليه ثم تعبده الله بالتقاف
ما يحب والصبر على ما يكره وقال ابو عبيدة الهلوع الذي اذا مسه الخير
لم يشكر واذا مسه الضر لم يصبر وقاله ثعلب وقال ثعلب ايضا قد فسر الله الهلوع
هو الذي اذا ناله الشر اظهر شدة الجزع واذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس وقال
النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطى العبد شح هالع وجبن خالع والعرب تقول
ناقة هلواع اذا كانت سريعة السير خفيفة قال
شكا عيلة اذا استدبر تها حرج اذا استقبلتها هلوع
وجزوعا ومنوعا بيان لهلوع على ان ينوبي بهما التقديم قيل اذا وقيل هو خبر
كان مضمرة تقديرها كان الا المصلين دل على ان ما قبله في الكفار فالانسان اسم
جنس بدليل الاستثنا الذي يعقبه كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين
امنوا قال النخعي المراد بالمصلين الذين يدوون المكتوبة ابن مسعود هم الذين
يصلونها لوقتها فاما تركها فكفر وقيل هم الصحابة وقيل هم المومنون
عامتهم يغلبون فرط الجزع بعضهم ببعض وبعضهم الذين هم على صلاتهم
دائمون اي على مواقيتها وقال عقبة ابن عامر هم الذين اذا صلوا
لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدايم الساكن ومنه نهي عن البول في الماء الدايم
اي الساكن وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع قتادة
وابن سيرين وقال مجاهد سوى الزكاة وقال علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس صلة رحم وحمل كل والاول اصح لانه وصف الحق بانه
معلوم وسوى الزكاة ليس بمعلوم انما هو على قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر
للسايل والمحروم تقدم في والذاريات والذين يصدقون بيوم الدين اي
بيوم الجزا وهو يوم القيمة وقد مضى في سورة الفاتحة العوامل
فيه والذين هم من عذاب ربهم مشركون ايطمعون ان عذاب ربهم
غير مامون قال ابن عباس لمن اشرك او كذب اساه وقيل لا مامنه احد بل
الواجب على كل احد ان يخافه ويشفق منه والذين هم لفروجهم حافظون
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك
فاولئك هم العادون تقدم القول فيه في سورة قد افلح المومنون
والذين لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم ايضا والذين هم بشهاداتهم
قايمون على من كان من قريب او بعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها
ولا يغيرونها وقد مضى القول في الشهادة واحكامها في سورة البقرة وقال
ابن عباس بشهاداتهم ان الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وقرى لاماناتهم على التوحيد وهي قراة ابن كثير وابن محيصن فالامانة
اسم جنس فيدخل فيها امانات الدين فان الشرايع امانات ايتمن الله عليها
عباده ويدخل فيها امانات الناس من الودايع وقد مضى هذا كله مستوفى
في سورة النسا وقرا ابن عباس الدوري عن ابي عمرو ويعقوب بشهاداتهم
جميعا الباقون بشهادتهم على التوحيد لانها تودي عن الجميع والمصدر قد
يفرد وان اضيف لجمع كقوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير وقال
الفراء ويدل على انها بشهادتهم توحيدا قوله تعالى واقيموا الشهادة
لله والذين هم على صلاتهم يحافظون قال قتادة على وضوها
وركوعها وسجودها وقال ابن جريج التطوع وقد مضى في سورة
المومنين فالدوام خلاف المحافظة فداومهم عليها ان يحافظوا على ادايها لا
يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشئ من الشواغل ومحافظتهم عليها ان يراعوا
اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويراعوا اركانها ويكملوها بسننها وادابها
ويحفظونها من الاحتباط بافتراض القايم فالدوام يرجع الى نفس الصلوات

والمحافظة الى احوالها او لئك في جنات مكرمون اي كرمهم الله فيها بانواع الكرامات
قوله تعالى مال الذين كفروا قبلك مهطعين قال الاخفش مسرعين قال
• • بمكة اهلها ولغة اذا هم اليه مهطعين الي السماع • • •
والمعنى ما بالهم يسرعون اليك ويجلسون حواليك ولا يعلمون بما امرهم
وقيل اي ما بالهم مسرعين في التكذيب لك وقيل ايش اي ما بال الذين
كفروا يسرعون الي السماع منك ليعيبوك ويستهزؤا بك وقال عطية مهطعين
مهرعين الكلبي ناظرين اليك تعجبا وقال قتادة عامدين والمعنى متقارب
اي ما بالهم مسرعين ما دي اعناقهم مدمني النظر اليك وذلك من نظر
العدو وهو منصوب على الحال نزلت في جمع من المنافقين المستهزئين كانوا
يجلسون منه عليه السلام ولا يؤمنون وقبلك يحول عن اليمين وعن الشمال
عزين اي يمينك النبي صلى الله عليه وسلم وشماله خلقا خلقا وجماعات
والعزين جماعات في تفرقة قاله ابو عبيدة ومنه حديث النبي صلى الله عليه
وسلم انه خرج على اصحابه فراهم حلقا حلقا فقال مالي اراكم عزين الا تصفون
كما يصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف يصف الملائكة عند ربها قال
يتمون الصف الاول ويتراصون في الصف الاول وقد خرجه مسلم وغيره
• • وقال الشاعر •
• نزانا عنده والليل داج على ابوابه حلقا عزينا • • •
• • وقال الراعي •
خليفة الرحمن ان عشيرتي • امسى سراتهم اليك عزينا •
• اي متفرقين وقال اخر •
• كان الحماحم من وقعهن صياطيل يهوين شتا عزينا •
• وقال اخر •
• فلما ان اتين علي اصاح صرخن حصاه استابا عزينا
• وقال المكعبر •
• ونحن وجدك باع تركنا كتائب جندل بستي عزينا
• • وقال عنيره • • •
• • وقرن قد تركن لذي علي عليه الطير كالعضب العزين
واحد عزين عزة جمع بالواو والنون ليكون ذلك عوضا من الحذف منها واصلها
عزهة فاعتلت كما اعتلت سنة يمن جعل اصلها سنهة وقيل اصلها عزوة
من عزاه يعزوه اذا اضافه اليه غيره وكل واحدة من الجماعات مضافة الى الاخرى
والمحذوف منها الواو وفي الصحاح والعزة العزوة من الناس والهاء عوض
من الواو والجمع عزي كقلة وعزون وعزون ايضا بالضم ولعرب يقولوا اعزاه
كما قالوا ابناك قال الاصمعي يقال في الدار عزون اي اصنافا
من الناس وعن اليمين وعن الشمال متعلق بمهطعين ويجوز ان يتعلق
بعزين على حد قولك احدثه عن ربه • ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة
نعيم قال المفسرون كان المشركون يجتمعون حول رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويسمعون كلامه فيكذبونه ويكذبون عليه ويستهزؤن
باصحابه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم ولئن اعطوا منها
شيئا لنعطين اكثر منه فنزلت ايطمع كل امرئ الاية وقبل كان المستهزؤن
خمسة ارهط وقرا الحسن وطلحة بن مصرف والاعمش ان يدخل بفتح الياء وضم
الخاء مسمى الفاعل ورواه المفضل عن عاصم الباقون ان يدخل على الفعل
المجهول كلا لا يدخلونها ثم ابتدأ فقال انا خلقناهم مما يعلمون
اي انهم يعلمون انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق
سائر جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما يستوجب
بالايمان والعمل الصالح وحمد الله تعالى وقيل كانوا يستهزؤن بفقراء
المسلمين ويتكثرون عليهم فقال انا خلقناهم مما يعلمون من المذر
فلا يليق بهم هذا التكبر وقال قتادة في الاية انما خلقت يا بن ادم من قذر

فاتق

وابن الله وروي ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب بن ابي صفرة
سخر في مطرف خروجه خرفقال له يا عبد الله ما هذه المشية
التي يبغضها الله فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله فقال
له انخر فتى فقال نعم اولك نظم هذره واخرك جيفة نتنة وانت تحمل العذرة
فنهى المهلب وترك مشيته ونظم الكلام محمود الوراق فقال عجبت من عجب
بصورته وكانه نسي الاصل نطفة مذرة وهو غدا بعد حسن صورته نتن
في اللحد جيفة قذرة * وقال اخر *

* هل في ابن ادم غير الراس مكرمة وهو محشو من الاوساخ مضروب *
* انف يسيل واذن ريحها سهك والعين مرمصة والرجل ملعوب *
* يا ابن التراب ومأكول التراب غدا اقصر فانك مأكول ومشروب *

وقيل معناه من اجل ما يحملون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب
كقول الشاعر وهو الاعشى *

* ارحلت من ليلى ابتكارا وسطت على ذي هوى ان يزارا *

اي من اجل ليلى قوله تعالى فلا اقسم اي اقسم والاصل بر
المشارق والمغارب هي مشارق الشمس ومغاربها وقد مضى الكلام
فيهما وقرا ابو جعفر وابن محيصن وحميد برب المشرق والمغرب على التوحيد
انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم يقول نقدر على اهلاكهم والذهاب
بهم والمجيء بخير منهم في الفضل والطوع والمال وما نحن بمسبوقين
اي لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا امر نريده قوله تعالى فذرهم يخوضوا
ويلعبوا اي اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم على جهة
الوعيد واشتغل انت بما امرت به ولا يظن عليك شركهم فان لهم
يوما يلقون فيه ما وعدوا قرا ابن محيصن ومجاهد وحميد حتى يلقوا
يومهم وهذه الاية منسوخة باية السيف قوله تعالى يوم يخرجون
من الاجداث يوم بدل من يوم هم الذي قبله وقراة العامة يخرجون
بفتح الياء وضم الراء على انه مسمى الفاعل وقرا السلمي والمغيرة والاعشى عن عاصم
يخرجون بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول والاجداث القبور واحدها
جدث وقد مضى في سورة يس وسراعا يسمون الصيحة الاخرة الى احابة
الداعي وهو نصب على الحال كانهم الى نصب يوفضون قراة العامة بنصب
النون وجزم الصاد وقرا ابن عامر وحفص بضم النون والصاد وقرا عمرو
بن ميمون وابو رجا وغيرهما بضم النون واسكان الصاد والنصب والنصب
لغتان مثل الضعف والضعف الجوهري والنصب ما نصب فعبد من دون
الله وكذلك النصب بالضم وقد تحرك قال الاعشى *

* وذا النصب المنصوب لا تنسكنه والله ربك فاعبدا *

اراد فاعبدوه فوقف بالالف هل تقول كما تقول رايت زيدا والجمع الانصاب
وقوله وذا النصب يعني اياك وذا النصب والنصب الشر والبلاء ومنه
قوله تعالى يمسني الشيطان بنصب وعذاب وقال الاخفش والفرا النصب
جمع النصب مثل رهن ورهن والانصاب جمع النصب فهو جمع الجمع
وقيل النصب جمع نصاب وهو حجر او صنم يذبح عليه ومنه قوله تعالى
وما ذبح على النصب وقد قيل نصب ونصب بمعنى واحد كما قيل عمر
وعمر وعمر وذكره النحاس وقال ابن عباس الى نصب الى غاية وهي
التي ينصب اليها بصرك وقال الكلبي الى شيء منصوب علم او رايه وقال
الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها
من دون الله اي لا يلوي احدهم على احد هم يوفضون يسرعون
والايفاض الاسراع قال الشاعر *

* توارس دهمان تحت الحديد كالجن يوفض من عبقر *

موضع يزعم العرب انه من ارض الجن * قال لبيد *

كهولى وشبان كجنة عبقر * وقال الليث وفض الابل يفضي وفضا

واوفضوا استوفض بمعنى اسرع قوله تعالى خاشعة ابصارهم اي ذليلة
خاضعة لا يرفعون لما ينوفعونه من عذاب الله ترهقهم ذلة اي يغشاهم
الهوان قال قتادة هو سواد الوجوه والرهق الغشيان ومنه غلام
مراهق اذا غشي الاحتلام رهقا بالكسر يرهق رهقا اي غشيه ومنه قوله
تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون
اي يوعدونه في الدنيا ان لهم فيه العذاب واخرج الخبر بلفظ الملتبي لان
ما وعد الله به نبيكم لا محالة

سورة نوح عليه السلام مكية

وهي مئة وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
انا ارسلنا نوحا الى قومه قد مضى القول في ان نوحا عليه السلام
اول رسول ارسل في سورة الاعراف ورواه قتادة عن ابن عباس عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اول نبي ارسل نوح وارسل الى جميع اهل الارض فلذلك
لما كفروا اغرق الله اهل الارض جميعا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن
خنوخ وهو ادريس بن برد بن مهلائيل بن قينان بن شيث بن
ادم عليه السلام قال وهب وكلهم سومنون ارسل الى قومه وهو ابن خمسين
سنة وقال ابن عباس اربعين سنة وقال عبد الله بن شداد في سورة العنكبوت
في القول فيه والحمد لله ان انذر قومك موضع ان نصب باسقاط الخافض
وقيل موضعها جر لغوة حذفتها مع ان ويجوز ان يجعل المفسرة فلا يكون
لها موضع من الاعراب لان في الارسال معنى الامر فلا حاجة الى اضمار القول
وقرا عبد الله انذر قومك بغير ان بمعنى قلنا له انذر قومك وقد تقدم معنى
الانذار في اول البقرة من قبل ان يأتيهم عذاب اليم قال ابن عباس
يعني عذاب النار في الاخرة وقال الكلبي هو ما نزل عليهم من الطوفان وقيل
ايجاب انذارهم العذاب على الجملة ان لم يؤمنوا وكان بوحي قومه
وبعذابهم فلا يدري فيهم مجيبا وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه رب
اغفر لقومي لا يعلمون وقد مضى هذا مستوفى في سورة العنكبوت
قوله تعالى قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي محوف منذر اي مظهر
لكم بلساني الذي تفقهون اني اعبدوا الله واتقوه وان المغفرة على ما تقدم
في ان انذر اعبدوا اي وحدوا واتقوا خالفوا واطيعوا فيما امركم به فاني
رسول الله اليكم يغفر لكم من ذنوبكم جزم بحذف حرف الامر وشرطه
زايدة ومعنى الكلام يغفر لكم ذنوبكم قاله السدي وقيل لا يصح كونها زايدة
لان من لا يزاد في الواجب وانما هي للتبعيض وهو بعض الذنوب وما لا يتعلق
بحقوق المخلوقين وقيل هي لبيان الجنس وغير بعد اذ لم يتقدم جنس
يليق بهم وقال الحسن بن مسلم المعنى يخرجكم من ذنوبكم اي سحرة
لمعنى يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها ويؤخركم الى اجل مسمى قال
ابن عباس اجله بقي في اعماركم ومعناه ان الله تعالى كان قضى قبل خلقهم
انهم ان امنوا بارك في اعمارهم وان لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب وقال
مقاتل يؤخركم الى اجل مسمى منتهى اجالكم في غابر فلا يعاقبكم بالقحط وغيره
والمعنى على هذا يؤخركم من العقوبات وابتدا بذكر الى اجالكم وقال
الزجاج اي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير مبتلين المستاصلين بالعذاب
وعلى هذا قيل اجل مسمى عندكم تعرفونه لا يمسكم غرقا ولا حرقا ولا قتلا
ذكره الفراء على القول الاول اجل مسمى عند الله ان اجل الله اذا جاء
لا يؤخر لعذاب كان او بغيره علق واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذي
انشاه وقد يضاف الى النوم تعالى فاذا اجلهم لانه مضروب لهم ولو بمعنى
الى اي ان كنتم تعلمون وقال الحسن معناه لو كنتم تعلمون ان اجل
الله اذا جاء لا يؤخر لم تعالى قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
اي سرا وجهارا وقيل اي واصلت الدعاء فلم يزدهم الا فرارا اي تباعدا من

الايمان وقراه العامة بفتحها ايما من دعاي واسكنها الكوفيون ويعقوب والدوري
عن ابي عمرو فلم تزدهم دعائي الا ايي كلما دعوتهم اي الى سبب المغفرة وهي
الايمان بك والطاعة لك جعلوا اصابعهم في اذانهم اي لئلا يسمعوا دعائي
واستغشوا ثيابهم اي غطوا بها وجوههم لئلا يروني قال ابن عباس
جعلوا ثيابهم على رؤسهم لئلا يسمعوا كلامي فاستغشاء الثياب زيادة في سد
الاذان حتى لا يسمعوا او لتتكرهم انفسهم حتى يسكت او ليعرفوه اعراضهم
عنه وقيل هو كناية عن العداوة ويقال لبس فلان ثياب العداوة واصروا
على الكفر فلم يتوبوا واستكبروا عن قبول الحق لا يعظم قالوا انؤمن لك
واتبعك الارذلون استكبارا تفخيما فوله تعالى ثم اني دعوتهم
جهارا اي مظهرا لهم الدعوة وهو منصوب بدعوتهم نصب المصدر
لان الدعاء احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها
احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم حاضر تهم ويجوز ان يكون صفة
لمصدر دعاء اي دعاء جهارا اي مجاهرا به ويكون مصدرا في موضع الحال
اي دعوتهم مجاهرا لهم بالدعوة ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا
اي لم يبق مجهودا وقال مجاهد معناه صحت واسررت لهم اسرارا بالدعاء
وعن بعضهم من بعض وقيل اسررت لهم اسمهم في منازلهم وكل هذا من
نوح عليه السلام مبالغة في الدعاء وتلطف في الاستدعاء وفتح ابو عمرو انى
اعلنت الحرميون وابو عمرو واسكن الباقون قوله تعالى فقلت استغفروا
ربكم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم اي سلوه
المغفرة من ذنوبكم انسالغة باخلاص الايمان انه كان غفارا وهذا شد
ترغيب في التوبة وقد روي حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال الاستغفار محاه للذنوب وقال العضيل يقول يرسل السماء
عليكم مدرارا اي يرسل ما السماء فغيه اضمار وقيل السما المطر اي يرسل
المطر قال الشاعر

• اذا سقط السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا •

ومدرارا اي غيثا كثيرا وجزم يرسل جوابا للامر وقال مقاتل لما كذبوا نوحا
رماناطويل الحبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسايهم اربعين سنة فهلكت
مواشيهم وزروعهم فصاروا الى نوح عليه السلام واستغاثوا به فقال
استغفروا ربكم انه كان غفارا اي لم يزل كذلك لمن اناب اليه ثم قال
ترغيبا في الايمان يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا قال قتادة علم نبي الله صلى الله عليه
وسلم انهم اهل حرص على الدنيا فقال هلموا الى الطاعة الله فان طاعة الله تدرك
الدنيا والاخرة انتا نشة في هذه الاية والتي في هود دليل على ان الاستغفار
يستنزل به الرزق والامطار قال الشعبي خرج عمر يستسقي فلم يزد على
الاستغفار حتى رجع فامطروا فقالوا ما رايناك استسقيت فقال لقد
طلبت المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ثم قرا فقال استغفروا ربكم
انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا وقال الاوزاعي خرج الناس يه
يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله واثنى عليه ثم قال اللهم انا سمعناك
تقول ما على المحسنين من سبيل وقد قرفنا بالاساءة فهل يكون مغفرتك الا لمثلنا
اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم فسقوا وقال
ابن صبيح شكا رجل الى الحسن الجدوبة فقال له استغفر الله وشكا
اخر اليه الفقر فقال له استغفر الله وقال اخر ادع الله لي ان
ان يرزقني ولدا فقال له استغفر الله وشكا اليه اخر جفاف بساتينه
فقال له استغفر الله فقلنا له في ذلك فقال ما قلت شيئا ان الله تعالى
يقول في سورة نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقد مضى
في سورة ال عمران كيفية الاستغفار وان ذلك يكون عن اخلاص

والقلاع من الذنوب وهو الاصل في الاجابة قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا قيل الرجاء هنا بمعنى الخوف اي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على اخذكم بالعقوبة اي اي عذر لكم في ترك الخوف من الله وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطا ابن ابي رباح ما لكم لا ترجون لله ثوابا ولا تخافون له عقابا وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس ما لكم لا تخشون لله عقابا وترجون منه ثوابا وقال الوالبي والعوفي عنه ما لكم لا تعلمون لله عظمة وقال ابن عباس ايضا ومجاهد ما لكم لا ترون لله وقال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة ومضر يقولون لم ارج لزيدا الا والوقار العظمة والتوقير التعظيم وقال قتادة ما لكم لا توحدون لله عاقبة كان المعنى ما لكم لا ترجون لله عاقبة الايمان وقال ابن كيسان ما لكم لا ترجون في عبادة الله وطاعته ان يثيبكم على توقيركم خيرا وقال ابن زيد ما لكم لا ترون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا وتشكرون له نعمة وقال ما لكم لا توحدون الله لا من عظمه فقد وحده وقيل الوقار الثبات لله عز وجل ومنه قوله تعالى وقرن في بيوتكن اي اثبتن ومعناه ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى وانه الهكم لا اله لكم سواه قال ابن جرير دلهم على ذلك فقال وقد خلقكم اطوارا اي جعل لكم في انفسكم انه يدل على توحيده قال ابن عباس اطوارا يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة اي طورا بعد طور اي تمام الخلق كما ذكر في سورة المؤمنين والطور في اللغة المرة اي من فعل هذا وقدر عليه فهو حقيق ان يعظموه وقيل اطوارا اصنافا ثم شبابا ثم شيوخا وضعفا ثم اقويا وقيل اطوارا اي انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل ان الاطوار اختلافهم في الاخلاق والافعال قوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ذكر لهم دليلا اخر اي الم تعلموا ان الله قدر على هذا فهو الذي يجب ان يعبد ومعنى طباقا بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على الاخرى كالقباب قاله ابن عباس والسدي وقال الحسن خلق الله سبع سموات طباقا بعضها سبع ارضين بين كل ارض وارض وسماء وسماء خلق زاهر وقوله الم تروا على جهة الاخبار لا المعاينة كما تقول الم تر كيف صنعي بفلان كذا وطباقا نصب على انه مصدر مطابقة طباقا او حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات واقام طباقا مقامه * وجعل القمر فيهن نورا اي في سماء الدنيا كما يقال اتاني بنو تميم واتيت بني تميم والمراد بعضهم قاله الاخفش وقال ابن كيسان اذا كان في احداهن فهو فيهن بمعنى معهن وقاله الكلبي اي خلق الشمس والقمر مع خلق السموات والارض وقاله جلة اهل العلم في قول امرئ القيس

* * * وهل يعمن من كان احدث عهده * ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال *

في بعض مع النحاس وسالت الحسن بن كيسان عن هذه الاية فقال جواب النحويين انه اذا جعله في احداهن فقد جعله فيهن كما تقول اعطني الثياب المعلمة وان كنت انما اعلمت احداها وجواب الحر انه يروى ان وجه القمر داخل السماء واذا كان في داخلها فهو متصل بالسموات ومعنى نورا لاهل الارض قاله السدي وقال عطا نورا لاهل السماء والارض وقال ابن عباس وابن عمر وجهه بضيء لاهل الارض وجعل الشمس سراجا يعني مصباحا لاهل الارض ليتوصلوا الى التصرف لمعايشهم وفي اضائتها لاهل السماء القولان الاولان حكاه الماوردي وحكى الثعلبي عن ابن عباس ان الشمس وجهه في السموات وقفاه في الارض وقيل على العكس وقيل لعبد الله ابن عمرو مال الشمس تغلبنا احيانا وتغرب علينا احيانا فقال انها في الصيف في الرابعة وفي الشتاء السماء السابعة عند عرش الرحمن ولو كانت في السماء الدنيا لما قام لها شيء قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا يعني ادم عليه السلام خلقه من اديم الارض كلها قاله ابن جريج وقد مضى في سورة البقرة والانعام بيان ذلك وقال خالد بن معدان خلق الانسان من طين ثم تابين القلوب في الشتاء ونباتا مصدر على غير المصدر لان مصدر انبت انباتا فجعل الاسم الذي

هو النبات

هو النبات في موضع المصدر وقد مضى بيانه في سورة العمران وغيرها وقيل
هو مصدر يحمول على المعنى لان معنى انبتكم جعلكم تنبتون نباتا قاله الخليل
والزجاج وقيل اي انبت لكم من الارض النبات فنباتا على هذا نصب على
المفعول الصريح والاول اظهر قاله ابن جرا نبتهم في الارض بالكبر بعد الصغر و
بالطول بعد القصر ثم يعيدكم فيها اي عند موتكم بالدفن ويخرجكم اخراجا
بالنشور للبعث يوم القيامة قوله تعالى والله جعل لكم الارض بساطا
لتسلكوا منها سبلا فجاجا السبل الطرق والفجاج جمع فج وهي الطريق الواسعة
قاله الفراء وقيل الفج المسلك بين الجبلين وقد مضى في سورة الانبيا وانج هـ
قوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني شكا هم الى الله تعالى وانهم عصوه
ولم يتبعوه فيما امرهم به من الايمان لبث فيهم ما اخبر الله تعالى الف سنة
الا خمسين عاما داعيا لهم وهم على كفرهم وعصيانهم قال ابن عباس رضا
نوح الابنا بعد الابا قائمي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون ثم دعا
عليهم بعد الاياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر الناس وفشوا
قال الحسن كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين حكاه الماوردي واتبعوا
من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني كبراهم واغنياهم الذين لم يزدهم
كفرهم واموالهم واولادهم الا ضلالا في الدنيا وهلاكا في الاخرة وقرا اهل
المدينة والشام وعاصم وولده بفتح الواو واللام الباقون ولده بضم
الواو وسكون اللام وهي لغة في الولد ويجوز ان يكون جمعا للولد فاند
واحد وجمع وقد تقدم قوله تعالى ومكروا مكرا كبارا اي كبيرا عظيما
يقال كبر وكبار مثل عجيب وعجاب وعجابة بمعنى ومثله طويل وطوال وطوالة
ويقال رجل حسن وحسان وجميل وجمال وقرا للقرا ان ووضا للوضا وانشد
ابن السكيت * بيضا بصفاد القلوب بالحسن قلب المسلم القراء *
وقال اخر * والمرء يلحقه لعمرك الذي حلف الكريم وليس بالوضا *
وقال المبرد كبارا للتشديد للمبالغة وقرا ابن محيصن وحميد ومجاهد
كبارا بالتخفيف واختلف في مكرهم ما هو فقيل هو تخويفهم سفلتهم
على قتل نوح وقيل هو تعريفهم الناس بما اوتوا من الدنيا والولد حتى قالت
الضعفة لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه لله
من الصلحية والولد وقيل مكرهم وكفرهم وقال مقاتل هو قولهم لاتباعهم
لاتذرن الهتكم ولاتذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقوله تعالى
وقالوا لاتذرن الهتكم الاية قال ابن عباس وغيره هي اصنام وصور كان قوم نوح
يعبدونها ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم تعبدها
غيرهم وكانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فلذلك خصوها بالذكر بعد
قوله تعالى لاتذرن الهتكم قالت العرب لاولادهم وقومهم لاتذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ثم عاد بالذكر بعد ذلك الى قوم نوح
عليه السلام وعلى هذا القول الاول الكلام كله مسبوق في قوم نوح وقال
عروة بن الزبير وغيره اشتكى ادم عليه السلام وعنده بنوه ود وسواع ويغوث
ويعوق ونسر وكان ود اكبرهم وامرهم به فقال محمد بن كعب كان لادم خمسين
ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه
فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه فقالوا افعل فصوره في المسجد
من صفر ورصاص ثم مات اخر فصوروه حتى ماتوا كلهم وصورهم وتقصت
الاشيا كما ينتقص اليوم الى ان تركوا عبادة الله بعد حين فقال لهم الشيطان
ما لكم لاتعبدون شيا قالوا وما نعبد قال الهتكم والهة ابائكم الا ترون انها
في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث الله نوحا فقالوا لاتذرن الهتكم
ولاتذرن ودا ولا سواعا الاية وقال محمد بن كعب ايضا ومحمد بن قيس
كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح وكان لهم نبي يقتدون بهم فلما ماتوا
زين لهم ابليس ان تصوروا صورهم لتتذكروا بها اجتهادهم ولتسلوا
بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا وجا اخرون قالوا لابيت مشركي هذه

الصور ما كان اباؤنا يصنعون بها فجاءهم الشيطان فقال كان اباؤكم يعبدونها
فرحمهم وسقيهم المطر فعبدوها فاذا اعبادة الاوثان فى ذلك الوقت
قلت ويعدا المعنى فسر ما جاء فى صحيح مسلم من حديث عائشة ان ام حبيبة
وام سلمة ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة تسمى ماريه فيها تصاوير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك اذا كان فيهم
الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار
الخلق عند الله يوم القيمة وذكر الثعلبى عن ابن عباس قال هذه الاصنام اسما
رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا فى
مجالسهم التى كانوا فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا
فلم تعبد حتى اذا هلك اولئك ونسخ العلم عبدت من دون الله وذكر ايضا عن
ابن عباس ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد ادم عليه السلام بالهند
يمنع الكافرين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هؤلاء يفخرون عليكم
ويزعمون انهم بنو ادم دونكم وانما هو جسد والما صوركم مثله تطوفون فصور
لهم هذه الاصنام الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كانوا باعلى الطوفان دفنها
الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب
قال الماوردى فاما ود فانهم اول صنم معبود سمى وداً لودهم له وكان بعد
نوح لهذيل وهذا الجندل فى قول ابن عباس وعطاء مقاتل وفيه يقول شاعرهم

• حيال ود فانا لا نحل لنا النسا وان الدين قد عزما •

واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر فى قولهم واما يغوث لبنى عطيف من مراد
فالحرف فى سبا فى قول قتادة وقال المبرد يجوز لمراد ثم لغطفان الثعلبى واتخذت
اعلى واهم وهما من طى ولهم خرش من مدحج يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا
ثم ان بنى اجيا اراد وا انتزعه من النعم فحزوا به الى الحصين اخى بنى كعب بن الحرث
ابن خزاعة وقال ابو عثمان المهدى رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا
يسيرون معهم ولا يحملونه حتى يكون هو الذى ينزل فاذا نزل نزل وقالوا قد
رضى لكم المنزل فيقيم عليه بنا ويرتحلون حوله واما يعوق فكان لهمدان
بالجوف فى قول عكرمة وقتادة وعطا ذكره الماوردى وقال الثعلبى
واما يعوق فكان لكهلان من سبائهم توارثه بنوا لاكبر حتى صار فى همدان وفيه
يقول مالك بن عطا الهمدانى •

• يرتجى الناس فى الدنيا ويبرك ولا يبرى يعوق ولا يرتش •

واما نسر فكان لذى الكلاع من حمير فى قول قتادة ونحوه عن مقاتل قال مقاتل
كان ودعلى صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد
ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير فالله اعلم
وقرأ نافع ولا تذرن ودا بضم الواو وفتحها ابو غوث قال اللبث
ودا بفتح الواو صنم كان لقوم نوح وودا بالضم صنم لقريش وبه سمى عمرو بن ود وفى
الصحاح والود بالفتح الوتد فى لغة اهل نجد كانهم سكنوا التا وادغموها فى الدال
والود فى قول امرئ القيس ( )

• يظهر الود اذا ما سجرت وتواريه اذا ما بعتكر •

قال ابن دريد هو اسم جبل وود صنم كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب
وكان بدومة الجندل ومنه سموا عبد ود وقال لا تذرن الهتكم ثم قال ولا
تذرون ودا ولا سواعا الاية خصصهما بالذكر كقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وقد اضلوا كثيرا وهذا من قول نوح اى اضل كبارهم كثيرا
من اتباعهم فهو عطف على قوله ومكروا مكرا كبارا وقيل ان الاصنام اضلوا
كثيرا اى ضل بسببها كثير نظيره قول ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس
واجرى عليهم وصف ما يعقل لاعتقاد الكفار فيهم ذلك ولا تزد الظالمين الا
ضلالا اى عذابا قاله ابن جرير واستشهد بقوله تعالى ان المجرمين فى ضلال
وسعر وقيل الا حسرانا وقيل الا فتنة بالمال والولد وهو محتمل لقوله تعالى
مما خطاياهم اغرقوا فادخلوا ماصلة موكدة والمعنى من خطاياهم وقال الفراء المعنى من اجل

خطاياهم

خطايا هم على جمع التكسير الواحدة خطية وكان الاصل خطاي على فعايل فلما اجتمعت
الهمزتان قلبت الثانية ياء لان قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع بفيل وهو
معتل مع ذلك فقلبت ايضا الفا ثم قلبت الهمزة الاولى بالحقايها بين
الالفين الباقيتين خطيا تهم على جمع السلامة قال ابو عمرو قوم كفروا الا سنة
فلم يكن لهم الا خطيئة ثم يريد ان الخطايا اكثر من الخطيئات وقال قوم خطايا وخطيئة
واحد جمعان مستعملان فى القلة والكثرة واستدلوا بقوله تعالى ما نفدت كلمات
الله ٭ قال اسامة اخبرنا الحمنات الغنوى عن باضحى واسيافنا تقطر من
نجدة دما وقوى خطيا تهم وخطيا تهم فقلب الهمزة يا وادغامها وعن
الجحدري وعمرو بن عبيد والاعمش وابو حيوة واسحب العقيلى خطيتهم على
التوحيد والمراد الشرك فادخلوا نارا اى بعد اغراقهم قال النسترى وهذا يدل
على عذاب القبر ومنكر ونكير يقولون صادوا مستحقين دخول النار وعرضت عليهم
امكنتهم من النار كما قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقيل اسرعوا الى
ما فى الخبر من قوله البحر نار فى نار وروى ابو روق عن الضحاك فى قوله تعالى اغرقوا
فادخلوا نارا قال يعنى عذبوا بالنار فى الدنيا مع الغرق فى حالة واحدة كما تراهم يغرقون
فى جانب ويحترقون فى الماء فى جانب ذكره الثعلبى انشدنا ابو القاسم الحبيبى قال
انشدنا ابو سعيد احمد بن محمد بن زنجى قال انشدنى ابو بكر الانبارى لخلق مجتمع طورا
ومفترق لا تعجبن لاضداد اجتمعت فالسم يجمع بين الماء والنار فلم يجدوا لهم
من دون الله انصارا اى من يدفع عنهم العذاب قوله تعالى وقال نوح رب
لا تذر على الارض من الكافرين دیارا فيما ربع مسايل الاولى قوله تعالى وقال نوح
رب لا تذر على الارض من الكافرين دیارا دعا عليهم حين يئس من ايمانهم اياه وقال
قتادة دعا عليهم بعد ما اوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فاجاب
الله دعوته واغرقهم وهذا كقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب
وهازم الاحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعايه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا
على كتفه ثم بنوح فقال لحذرهذا فانه يضلك فقال يا ابت انزلنى فانزله فوماه فشجه
فحينئذ غضب ودعا عليهم وقال محمد بن كعب وسفيان والربيع وعطية وابن زيد
انما قال هذا حين اخبر الله كل مومن من اصلابهم وارحام نسايهم اعقم ارحام النساء
واصلاب الرجال قبل العذاب بسبعين سنة وقيل باربعين قال قتادة ولم يكن فيهم
صبى وقت العذاب وقال الحسن وابو العالية لو اهلك الله اطفالهم معهم كان عذابا من الله
لهم وعدلا فيهم ولكن الله اهلك اطفالهم وذريتهم بغير عذاب ثم اهلكهم بالعذاب
بدليل قوله تعالى وقوم نوح لما كذبوا الرسل قوله تعالى قال ابن العربى دعا نوح على
الكافرين اجمعين ودعا النبى صلى الله عليه وسلم على من يجرب على المومنين واتب
عليهم وكان هذا اصلا فى الدعا على الكافرين فى الجملة فاما كافر معين لم يعلم
خاتمته فلا يدعى عليه لان مآله عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة
بالسعادة وانما خص النبى صلى الله عليه وسلم بالدعا عتبة وشيبة واصحابه بعلمه
بمآلهم وما كشف له من الغطا عن حالهم والله اعلم الثالثة قال ابن العربى
ان قيل لم جعل دعوته على قومه سببا للوقعة على طلب الساعة للخلق من الله فى
الاخرة قلنا قال الناس فى ذلك جميعا احدها ان ذلك الدعوة كانت مشتملة
على غضب وقسوة والساعة تكون على رضى ورقة فخاف ان يجانب بها وتبال
دعوة على الكفار بالامس ويشفع لهم اليوم الثانى انه دعا غضبا بغير نص ولا اذن
صريح فى ذلك فخاف الدرك فيه الى يوم القيمة كما قال موسى عليه السلام انى قتلت
نفسا لم اومر بقتلها قال وبهذا اقول قلت وان كان لم يومر بالدعا
نصا فقد قيل له انه لن يومن من قومك الا من قد امن فاعلم عواقبهم ودعا بالهلاك
كما دعا نبينا عليه السلام على شيبة وعتبة ونصرانهم فقال اللهم عليك
بهم لما علم عواقبهم وعلى هذا يكون فيه معنى الامر بالدعا والله اعلم الرابعة
قوله تعالى دیارا اى من يسكن الديار قاله السدى واصله ديوار على فيعال
من داريدور فقلبت الواو ياء وادغمت احداهما فى الاخرى مثل الغيام اصله
غيوام ولو كان فعالا لكان دوارا قال الغنيمى اصله من الدار صاحب الدار

قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي دعا لنفسه ولوالديه وكانا مومنين وهو لا يدرك من مومن ولا مومنة وشمخ ابنت انوش ذكره التشيري والثعلبي وحكى الماوردي في اسم امه سحا وقال سعيد بن جبير اراد بوالديه اباه وحده وقرا سعيد بن جبير ولوالديه بكسر اللام على الواحد قال الكلبي كان بينه وبين ادم عشرة اباء كلهم مومن وقال ابن عباس لم يكن لنوح والد بينه وبين ادم عليهم السلام ولمن دخل بيتي مومنا اي مسجدي ومصلاي مصليا مصدقا بالله وكان اما يدخل بيوت الانبياء من امتهم فجعل المسجد سببا للدعا في المغفرة ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم الملايكة تصلي على احدكم ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه ما لم يحدث فيه يقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه الحديث وقد تقدم وهذا قول ابن عباس بيتي مسجدي حكاه الثعلبي وقاله الضحاك وعن ابن عباس ايضا اي ولمن دخل ديني فالبيت بمعنى الدين حكاه التشيري وقاله حوشب وعن ابن عباس ايضا صدقني الداخل الي منزلي حكاه الماوردي وقيل اراد داري وقيل سفينتي والمومنين والمومنات عامة الى يوم القيمة قاله الضحاك وقال الكلبي من امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والاول الاظهر ولا تزد الظالمين الا تبارا اي الكافرين نهي عامة في كل كافر ومشرك وقيل اراد مشركي قومه والتبار الهلاك وقيل الخسران حكاهما السدي وصله قوله تعالى ان هو لا مثير ما هم فيه وقيل التبار الدمار والمعنى واحد

سورة الجن مكية في قول الجميع

وهي ثمانون وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى قل اوحي الي اي قل يا محمد لامتك اوحي الي على لسان جبريل انه استمع الي نفر من الجن وما كان عليه السلام عالما به قبل ان اوحي اليه هكذا قال ابن عباس وغيره على ما ياتي وقرا ابن ابي عبلة وحي على الاصل يقال اوحى اليه ووحي تقلبت الواو همزة ومنه قوله تعالى واذا الرسل اقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المضمومة ايضا كاشاح واساده واعاء اخيه ونحوه الثابتة واختلف هل راهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا فظاهر القران يدل على انه لم يرهم لقوله استمع وقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال ما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن وما راهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طايفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك الا من شي حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة وهو بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القران استمعوا له فقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن زاد الترمذي عن ابن عباس قال فحول الجن لتفهمهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال لما اراد ان يصلي باصحابه يصلون لصلاته ويسجدون معه فتعجبوا من طواعية اصحابه قالوا لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا هذا حديث حسن صحيح ففي هذا الحديث دليل على انه عليه السلام ان الجن كانوا مع الشياطين حين يحسوا الخبر بسبب الشياطين لما رموا بالشهب وكان المرمون بالشهب من الجن ايضا وقيل لهم شياطين كما قال شياطين الجن والانس فان الشياطين كل متمرد وخارج من طاعة الله وفي الترمذي عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الى الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها

سمعا فاما الكلمة فمشكوك باطلا فمالجث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا
ذلك لابليس ولم يكن النجوم يرمي بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الامر الامن
امر فمن حدث في الارض فبعث فرجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي
بين جبلين اراه قال بمكة فاتوه فاخبروه فقالوا هذا الحدث الذي حدث في الارض
هذا حديث حسن صحيح فدل هذا الحديث على ان الجن رموا بالشهب الشياطين
وفي رواية السدي انهم لما رموا اتوا ابليس فاخبروه بما كان من امرهم فقال
ائتوني من كل ارض بقبضة من تراب اشمها فاتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث
نفرا من الجن قيل كانوا سبعة وقيل تسعة منهم زوبعة وروى عاصم عن زر
قال قدم رهط بمكة زوبعة واصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا
انا بي بلغني انهم من بني الشياطين وهم اكثر الجن عددا واقواهم شوكة وهم
عامة جنود ابليس وروى ايضا عن عاصم عن زر انهم كانوا سبعة ثلاثة من اهل
حران واربعة من اهل نصيبين وحكى جويبر عن الضحاك انهم كانوا تسعة من اهل
نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق وقيل ان الجن الذين اتوه بخلة جن بيزوبك
وقد مضى بيان هذا في سورة الاحقاف قال عكرمة والسورة التي كان يقرؤها رسول
الله صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك وقد مضى في سورة الاحقاف النفر من
باسم النفر من الجن فلا معنى لاعادة ذلك وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى
الجن وهو ببيت روى عامر الشعبي قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود
يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال علقمة انا سألت ابن مسعود
فقلت هل شهد احد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قالا ولكنا
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقدناه فالتمسناه في الاودية
والشعاب فقلنا استطير او اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبح
اذا هو جاء من قبل حرا فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك
فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم
القرآن فانطلق بنا فاراني آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد وكانوا من حمض
الحوبرة فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه تقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة
علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام
اخوانكم من الجن قال ابن الجوزي وابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهد
وابن عباس سمع وليس الخبر كالمعاينة وقد قيل ان الجن اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم دفعتين احداهما بمكة فهي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي
التي ذكرها ابن عباس قال البيهقي الذي حكاه عبد الله بن عباس انما هو
في اول ما سمعت الجن القرآن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت حاله في ذلك
الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه ثم اتاه داعي الجن مرة اخرى فذهب
معه وقرأ عليهم القرآن كما حكاه عبد الله بن مسعود قال البيهقي والاحاديث
الصحاح تدل على ان ابن مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وانما
سار سعد حين انطلق به وبغيره برئة آثار الجن وآثار نيرانهم قال وقد روي
من غير وجه انه كان معه ليلة وقد مضى هذا المعنى في سورة الاحقاف والحمد
لله روى عن ابن عباس عن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اتلو
القرآن على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال الثانية ثم قال الثالثة فقال
عبد الله بن مسعود انا فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم اذهب معك يا رسول الله فانطلق
فانطلق حتى جا الحجون فاخذ عليه اهوال الجن عجدرون الحجارة بافواههم يعشون
يثورون في وجوههم كما تثور الغسوة في وجوهها حتى عشوه فلما راه فغرت فاه وما
الي بيده ان اجلس فتلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ويضعفوا بالارض حتى
ما اراهم فلما انجلى الي قال اردت ان يا تيني قلت نعم يا رسول الله قال
ما كان ذلك لك هؤلاء الجن كانوا يستمعون القرآن ثم ولوا الى قومهم
منذرين فسألوني الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن احدكم
بعظم ولا ببعر قال عكرمة وكانوا اثنى عشر الفا من جزيرة الموصل
وفي رواية انطلق بي عليه السلام حتى اذا جئنا المسجد الذي عند

حائط عوف حط بي خطا ثلاثة ثم نفر منهم فقال اصحابنا كانهم رجال الرطل وكانت وجوههم
المكاكي فقالوا ما انت فلك اداسي فقالوا لمن تشهد لك على ذلك قلت هذه الشجرة
فقالي يا شجرة فجاءت تخر عروقها فقاومتها حتى انتصبت بين يديه فقال
على ماذا تشهد بي قالت اشهد انك رسول الله فرجعت كما جاءت تخر عروقها
الجارة لها فقاومتها حتى عادت كما كانت فمر رويفع انه عليه السلام لما فرغ وضع
راسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الا ان
عجي اداوه فيها نبيذ فقال اهل هو الا تمر وما فتوضا منه الثالثة فرمضي
الكلام على الماء في سورة الحجر وما يستنجى به في سورة براءة فلا معنى للاعادة الرابعة
واختلف اهل العلم في اصل الجن فروى اسمعيل عن الحسن البصري ان الجن ولد
ابليس والانس ولد ادم ومن هولاء مؤمنون وكافرون وهم شركاء في الثواب
والعقاب فمن كان من هولاء وهولاء مومنا فهو ولي لله ومن كان من هولاء وهولاء
كافرا فهو شيطان وروى الضحاك عن ابن عباس ان الجن ولد الجان وليسوا
شياطين وهم يموتون ومنهم المومن ومنهم الكافر والشياطين هم ولد ابليس
لا يموتون الا مع ابليس واختلفوا في هو مني الجن الجنة على حسب الاختلاف في اسلامهم
فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية لا من ذرية ابليس فلهم فيه قولان احدهما
وهو قول الحسن يدخلونها الثاني وهو رواية مجاهد لا يدخلونها وان صيروا
الى النار حكاه الماوردي وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله تعالى لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان بيان انهم يدخلونها الخامسة قال البيهقي
في روايته وسالوه الجان وكانوا من جن الجزيرة تعال لكم كل عظم دليل على انعم
ياكلون ويطعمون وخذا نكرجاعة من كفرة الاطباء والفلاسفة الجن وقالوا
انهم بسائط ولا تصح طماعهم اجتراء على الله وافتراء والقران والسنة يردعليهم
وليس في المخلوقات بسيط مركب مردوح انما الواحد الواحد سبحانه وغيره مركب
ليس بواحد كيف ما يصرفه حاله وليس يمتنع ان يراهم النبي صلى الله عليه وسلم
في صورهم تركب الملائكة واكثرها يتصورون كما في صور الحيات تفي الموطا ان رجلا
حدث عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نا نصف النهار ان يرجع
الى اهله وفيه فاذا حية عظيمة منطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانظمها
وذكر الحديث وفي الصحيح انه عليه السلام قال ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم
منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وقال اذهبوا
فادفنوا صلكم وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة بيان الخروج عليهن وقال
ذهب قوم الى ان ذلك مخصوص بالمدينة لقوله في الصحيح ان بالمدينة
جنا قد اسلموا وهذا العظم يحيض بها فيختص بحكمها قلنا هذا يدل على ان غيرها
من البيوت مثلها لانه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم مخصوصا بها وانما علل
بالاسلام وذلك عام في غيرها الا ترى قوله في الحديث مخبرا عن الجن الذي لقيهم وكانوا
من جن الجزيرة وهذا بين يعضده قوله وهي عن عوامر البيوت وهذا عام وقد مضى في
سورة البقرة القول في هذا فلا معنى للاعادة قوله تعالى قالوا انا سمعنا قرانا
عجبا في عظم بركته في فصاحة كلامه وقيل عجبا في بلاغة مواعظه وقيل عجبا في عظم بركته
وقيل قرانا عزيزا لا يوجد مثله وقيل بيانا عظيما يهدي الى الرشد اي الى مراشد
الامور وقيل الى معرفة الله تعالى ويهدي في موضع الصفة اي هاديا فامنا
به اي فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله ولن نشرك بربنا احدا اي لا نرجع
الى ابليس ولا نطيعه لانه الذي كان يحثهم لما قالوه بالخير لم يرمي الجن بالشهب
وقيل لا نتخذ مع الله الها لانه المنفرد بالربوبية وفي هذا تعجيب المومنين بذهاب
شركي قومهم عما ادركته الجن بتدبرها القران وقوله تعالى استمع نفر من الجن
اي لما سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم علموا ان ما يقروه كلام الله وانه بذكر المستمع
اليه لدلالة الحال عليه والنفر الرهط قال الخليل ما بين ثلاثة الى
عشرة وقرا عيسى الثقفي يهدي الى الرشد بفتح الراء والشين قوله تعالى
والله تعالى جد ربنا كان علقمة ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي وابن عامر وخلف
وحفص وانسلي يضمون الجيم في جميع السورة في اثنى عشر موضعا وهو الله تعالى

وانه كان يقول وانا ظننا وانه كان رجال من انس فزادوهم رهقا وانا لمسنا السماء وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض وانا لما سمعنا الهدى آمنا به وانا منا المسلمون عطفا على قوله تعالى انه استمع وانه استمع لا يجوز فيه الا الفتح لانها في موضع اسم فاعل او حي فما بعده معطوف عليه ويجعل محمولا على لفظها في مناسبته اي وانه تعالى جد ربنا وجاز ذلك وهو مضاف مجرور كثيرة تعرف الجار مع ان وقيل المعنى تعالى تصديقنا انه جد ربنا وقرأ الباقون كلهم بالكسر وهو الصواب واختاره ابو عبيد وابو حاتم عطفا على قوله فقالوا انا سمعنا لانه كله من كلام الجن واما قوله تعالى وانه كان رجال فانهما فتحا تلك الهمزة لوقوع وهو قوله تعالى جد ربنا وانه كان يقول وانه كان رجال قالا لانه من الوحي وكسر اما نفي لانه من كلام الجن واما قوله تعالى وانه لما قام عبد الله فكلهم فتحوا الا ابا عمارة شيبة وزر بن حبيش وابو بكر والمفضل عن عاصم فانهم كسروا لا غير ولا خلاف ان فتح همزة انه لمستمع نفر وان لو استقاموا وان المساجد لله وان قد اوحي لمعنى واحد وكذلك لا خلاف في كسرها بعد القول نحو قوله فقالوا انا سمعنا وقال انما ادعوا ربي وقل ان ادري وقل اني لا املك وكذلك لا خلاف في كسرها ان بعد الجزاء نحو قوله تعالى قال له ناره جهنم وانه يسلك من يدخل يده لانه موضع ابتداء قوله تعالى جد ربنا الجد في اللغة العظمة والجلال ومنه قول انس كان الرجل اذا حظ البقرة والعمر ان جد في عيوننا اي عظم وجل معنى جد ربنا اي عظمته وجلاله قاله عكرمة ومجاهد وقتادة وعن مجاهد ايضا ذكره وقال انس بن مالك والحسن وعكرمة ايضا عناه ومنه قيل للحظ جد وجل لحد وداي محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيد والجليل اي ذا الغنا منك انما ينفعه الطاعة وقال ابن عباس قدرته الضحاك فعله وقال الغرطبي والضحاك ايضا الاوه ونعمته على خلقه وقال ابو عبيدة والاخفش ملكه وسلطانه وقال السدي امره وقال الثوري امره وقال السدي امره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا اي تعالى ربنا وقيل انهم عنوا بذلك الجد الذي هو اب الاب ويكون هذا من قول الحسن وقال محمد بن علي بن الحسين وابن جعفر الصادق والربيع ليس لله تعالى جد وانما قالته الجن للجهالة فلم يواخذوا به قال القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد في حق الله تعالى اذا لم يجز لما ذكر في القرآن بجز لما ذكر في القرآن عبر انه لفظ الجد موهم فتجنبه اولي وقرأ عكرمة جد بكسر الجيم على ضد الهزل وكذلك قرأ ابو حيوة ومحمد بن السميقع ويروي عن ابن السميقع ايضا وانه تعالى الاسمه جدي ربنا وهو الجدوي والمنفعة وقرأ عكرمة ايضا جدا بالتنوين ربنا بالرفع على انه مرفوع تعالى وجدا منصوب على التمييز وعن عكرمة ايضا جد بالتنوين والرفع ربنا بالرفع على تقدير تعالى جد جد ربنا فجد الثاني بدل من الاول وجد مضاف اليه مقامه ومعنى الآية وانه تعالى جلال ربنا ان يتخذ ولدا وصاحبة لاستيناس بها والحاجة اليها والرب تعالى عن ذلك كما تعالى على الانداد والنظراء قوله تعالى وانه كان يقول سفيها على الله شططا اي في اتهه للامرا والحديث وفي كان اسمها وما بعدها الخبر ويجوز ان يكون كان زائدة والسفيه هنا ابليس في قول مجاهد وابن جريج وقتادة ورواه ابو بردة بن ابي موسى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المشركون من الجن قال قتادة عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الانس والشطط والاشتطاط الجور والكفر وقال ابو مالك هو الجور الكلبي هو الكذب واصله البعد فيعبر عن الجور لبعده من الحق وعن الكذب لبعده عن الصدق وقال الشاعر

• • بانت حال حكموا فيك فاشتطوا وماذا الا صبك نهلك الوخط •

قوله تعالى وانا ظننا اي حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلما رصدناهم في ان لله صاحبة وولدا حتى سمعنا القرآن وتبينا انه وقرا يعقوب والجحدري وابن ابي اسحق ان لن تقول وقيل انقطع الاخبار عن الجن هاهنا فقال الله وانه كان رجال من الانس لمن فتح وجعله من قول الجن ردها الى قوله انه استمع ومن كسر جعلها مبتدا من قول الله عز وجل والمراد به ما كانوا

بفعلونه من قول الرجل اذا نزل بواد اعوذ بالله سيد هذا الوادي من شر سفهاء
قومه فبقيت في جواره حتى تصبح قاله الحسن وابن زيد وغيرهما وقال مقاتل كان اول من
يعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بني حنيفة فساد ذلك في العرب فلما جاء الاسلام
عاذوا بالله وتركوهم وقال كرام بن ابي السايب خرجت مع ابي الى المدينة
اول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاوانا المبيت الى راعي غنم فلما انتصف
الليل جاء الذيب فحمل حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي جارك فنادى
منادي يا سرحان فابتي الحمل بيتر وانزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان
رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزاد وهم رهقا اي زاد الجن الانس
رهقا اي حطئة وانما قالوا ابن عباس ومجاهد وقتادة والرهق الاثم في كلام
العرب وعسان المحارم ورجل رهق اذا كان كذلك ومنه قوله تعالى وترهقهم
ذلة وكما قال الاعشى

* لا شيء ينقضي من دونه رهقا هل يستغني عاشق ما لم يصب رهقا *

يعني اثما واضيف الزيادة الى الجن اذ كانوا سببا لها وقال مجاهد ايضا زادوهم
اي الانس زادوهم اي الانس زادوهم رهقا طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت
الجن وقال ابو العالية والربيع وابن زيد اراد الانس بهذا نفرا وحرقاس
الجن وقال سعيد بن جبير كفرا ولا خفا ان الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة
بالله كفر وشرك وقيل لا تنطلق لفظ الرجال فالمعنى وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن وكان الرجل من الانس يقول مثلا اعوذ بعزيز هذا
الوادي من جن هذا الوادي قال الشعبي وفي هذا لهم اذ لا يبعد اطلاق
لفظ الرجال على الجن ثم قال تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا
هذا من قول الله تعالى للانس اي وان الجن ظنوا ان لن يبعث الله الخلق
كما ظننتم الكلبي المعنى ظنتي الجن كما ظننتم الانس ان لن يبعث الله رسولا الى
خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا توكيد للحجة على قريش اي عليكم اذا امن هؤلاء الجن
بمحمد فانتم احق بذلك ثم قال تعالى وانا لمسنا السماء هذا من قول الجن اي طلبنا
خبرها كما جرت عادتنا فوجدناها ملئت حرسا شديدا اي حفظة يعني
الملائكة والحرس جمع حارس وشهبا جمع شهاب وهو انقضاض الكوكب
المحرقة لهم عن استراق السمع وقد مضى القول فيه في سورة الحجر والصافات
ووجه جمعه ان لعدد شديدا الى معدودين فالاول لها والالف والتاء
في موضع المفعول الثاني ويجوز ان يتعدى الى مفعول واحد ويكون ملئت في
موضع الحال على اضمار قد وحرسا نصب على المفعول الثاني بملئت شديدا من نعت
الحرس اي ملئت ملائكة شدادا ووجد الشديد على لفظ الحرس وهو
كما يقال السلف اسلاف وجمع السلف اسلاف وجمع الحرس احراس قال
تحاورن احراسا واهوال معشر ويجوز ان يكون حرسا مصدرا على معنى
حرست حراسة شديدة وانا لفوله تعالى وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا منها اي من السماء يعني
ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك ليستمعوا من الملائكة اخبار السماء حتى
يلقوها الى الكهنة على ما تقدم بيانه فحرسها الله تعالى حين بعث رسوله
بالشهب المحرقة فقالت الجن حينئذ فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا
يعني بالشهاب الكوكب المحرق وقد تقدم بيان ذلك ويقال لم يكن
انقضاض الكوكب الا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي ثبت
واختلف السلف هل كانت الشياطين تقذف قبل المبعث او كان ذلك
امرا حدث لمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال الكلبي وقالت
قوم لم يكن يحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث
محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة والشهب
قلت ورواه عطية العوفي عن ابن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله بن عمر
لما كان اليوم الذي بعث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين
ورموا بالشهب وقال عبد الملك ابن شابور لم يكن السماء تحرس في الفترة

بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمس مائة عام وانما كان من اجل بعثة النبي صلى الله
عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست بالملائكة
والشهب قلت ورواه عطية العوفي عن ابن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله
ابن عمر لما كان اليوم الذي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين
ورموا بالشهب وقال عبد الملك بن شابور لم تكن السماء حرست في الفترة بين
عيسى ومحمد عليهما السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء
ورميت الشياطين بالشهب ومنعت عن الدنو من السماء قال الشاعر بن جبير
كانت الشياطين في الفترة تسمع فلا ترمى فلما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم رميت بالشهب ونحوه عن ابي بن كعب قال لم يرم بنجم منذ رفع عيسى
حتى بعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بها وقيل كان ذلك قبل المبعث
وانما زادت بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا اجاله وهو معنى قوله
تعالى فلو ملئت حرسا شديدا وشهبا اي زيد في حرسها وقال اوس بن حجر وهو
جاهلي فانقض كالدري ينبعه يقع تثور حاله طينا وهذا قول الاكثرين
وقد انكر الخليل هذا البيت وقال كل شعر روي فيه فهو مصنوع وان الرمي لم
يكن قبل المبعث والقول بالرمي اصح لقوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا
وشهبا ولهذا الخبر عن الجن لقد زيد في حرس السماء حتى امتلأت منها ومنهم
ولما روي ابن عباس قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من اصحابه
اذ رمي بنجم فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول
يموت عظيم او يولد عظيم فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترمي لموت احد ولا لحياته
ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا في السماء سبح حملة العرش ثم سبح اهل
كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء وتستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا
قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سماء حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء ويخطف
الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وهذا يدل على ان الرجم
كان قبل المبعث وروي الزهري نحوه عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب
عن ابن عباس وفي اخره قال الزهري اكان رمي في الجاهلية قال نعم قلت
افرايت قوله سبحانه وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له
شهابا رصدا قال غلظت وشددا مرها حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم
ونحوه قال الفتيبي قال ابن قتيبة نكاد ولكن استدت الحراسة بعد المبعث
وكانوا من قبل يسترقون ويرمون في بعض الاحوال فلما بعث محمد صلى الله عليه
وسلم سمعت من ذلك اضعافا وقد تقدم بيان هذا في سورة والصافات
عند قوله ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب قال الخليل فلو كانت
قال فابل كيف بعوض الجن لاحراق نفسها بسبب سماع خبر بعد ان صار ذلك معلوما
لهم فالجواب ان الله تعالى ليشغلهم بذلك حتى تعظم المحنة كما ليشغل ابليس في كل
وقت انه لا يسلم وان الله تعالى قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين
ولولا هذا لما تحقق التكليف والرصد قبيل من الملائكة ورصدا من الملائكة
والرصد الحافظ للشيء والجمع ارصاد وفي غير هذا الموضع يجوز ان يكون جمعا والحرس
والراجم مراصد وقيل الرصد هو الشهاب اي شهابا قد ارصد له ليرجم به فهو فعل
بمعنى مفعول كالخبط والنفض قوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن
في الارض اي بهذا الحرس الذي حرست به السماء ام اراد بهم ربهم رشدا اي
خيرا قال ابن زيد قال ابليس لا ندري هل اراد الله بهذا المنع ان ينزل على اهل
الارض عذابا او يرسل اليهم رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان
يستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم اي لا ندري اشر اريد بمن في الارض
بارسال محمد اليهم فانهم يكذبونه ويقتلونه ينتقم بهم كما هلك من كذب
من الامم ام اراد ان يؤمنوا فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان
وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراءته
علموا انهم منعوا من السماء حراسة للوحي وقيل لا بل هذا قول قالوه لقومهم
بعد ان انصرفوا اليهم منذرين اي لما امنوا اشفقوا ان لا يؤمن كثير

من اهل الارض فقالوا انا لا ندري اشر اهل الارض بما امنا به او يريد بهم ربهم
وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك هذا من قول الجن
اي قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم وانا كنا قبل سماع القرآن منا الصالحون ومنا الكافرون وقيل
ومنا دون ذلك اي بعض دون الصالحين في الصلاح وهو اشبه من حمله
على الايمان والشرك كالطرائق قددا اي فرقا شتى قاله السدي
والضحاك اديانا مختلفة قتادة اهواء شتى بينه ومنه قول الشاعر
الخائض الباسط الهادي بطاعته في فتنة الناس اذ اهواؤهم قدد
والمعنى اي لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين منهم كفار ومنهم
مومنون عيونا صلحا وقال ابن المسيب كنا مسلمين ونصارى ومجوسا
قال السدي في قوله تعالى طرائق قددا قال في الجن مسلم قدري
ومرجئ وحوارج ورافضة وشيعة وسنية وقال قوم اي وانا بعد
استماع القرآن مختلفون منا المومنون ومنا الكافرون اي وهمتنا
الصالحون ومنا موسنون لم يبتنا هوا في الصلاح والاول احسن لانه كان
في الجن من امن بموسى وعيسى وقد اخبر الله عنهم قالوا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه وهذا يدل على ايمان
قوم منهم بالتوراة وكان هذا اصل اختلافهم فدعا من دعاهم الى الايمان
وايضا لا قاهرة في قولهم نحن الان منقسمون الى مومن والى كافر
والطرائق جمع طريقة وهي مذهب الرجل اي كنا فرقا مختلفة ويقال
القوم على طرائق اي على مذاهب شتى والقدد جمع القدة وهو الطرائق
وهو تاكيد لها واحدها قدة يقال لكل طريقة قدة واصلها من قد السوط
وهو قطعها قال لبيد يرثي اخاه زيدا

* لم تبلغ العين تمتها يوم تمشي الجياد بالمقدد *

* * * وقال اخر *

ولقد قلت وزيد حاسر يوم وكب خيل عمرو قددا *

والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ما له قد ولا قحف
انا من جلد والقحف انا من خشب قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز
الله في الارض الظن هنا بمعنى العلم واليقين وهو خلاف الظن في قوله
تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن وانهم ظنوا كما ظننتم اي
علمتم بالاستدلال والتفكر في ايات الله انا في قبضته وسلطانه لن
يفوته بهرب ولا غيره وهرب مصدر في موضع الحال اي هاربين
قوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى يعني القرآن امنا به وبالله و
صدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم على رسالته وكان صلى الله عليه وسلم
مبعوثا الى الجن والانس قال الحسن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
الى الانس والجن ولم يبعث الله تعالى قط رسولا من الجن ولا من
اهل البادية ولا من النساء وذلك قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى وقد تقدم هذا المعنى
وفي الصحيح بعث الى الاسود والاحمر اي الجن والانس فمن يومن
بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس لا يخاف ان ينقص من حسناته
ولا ان يزاد في سيئاته لان البخس النقصان والرهق العدوان وغشيان
المحارم قال الاعشى

* * * * لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشفي عاشق مالم يصب رهقا *

العاشق المحب وقد ومقه بمقه بالكسر اي فهو وامق وهذا قول
الله تعالى عن الجن لقوة ايمانهم وصحة اسلامهم وقراءة العامة
فلا يخاف رفعا على تقدير فانه لا يخاف وقرا الاعمش ويحيى وابراهيم
فلا يخف جزما على جواب الشرط والفا الثانية قوله تعالى وانا منا
المسلمون وهنا الفاسطون اي وانا بعد اسماع القرآن مختلفون

ومنا من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل
لانه عادل الى الحق فالبط الجائر واقسط اذا عدل قال الشاعر
قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمرا وهم قسطوا على النعمان ٥
ومن اسلموا فاولئك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه ومنه
تحرى القبلة واما القاسطون اي الجائرون عن طريق الحق والايمان فكانوا
لجهنم حطبا اي وقودا وقوله فكانوا اي في علم الله تعالى قوله تعالى
وان لو استقاموا على الطريقة هذا من قول الله تعالى اي لو من هؤلاء الكفار
لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في الرزق وهذا محمول على الوحي اي
اوحي الي لو استقاموا ذكر ابن بحر كل ما في هذه السورة من ان المكسورة
المثقلة فهي حكاية لقول الجن الذين استمعوا القرآن فرجعوا الى قومهم
منذرين وكل ما ذكر فيها من ان المفتوحة المخففة فهي وحي الى الرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ابن الانباري ومن كسر الحروف وفتح وان لو
استقاموا اضمر يمينا تاويلها والله ان لو استقاموا على الطريقة
كما يقال في الكلام والله ان لو قمت لقمت ووالله لو قمت وقمت قال
الشاعر اما والله ان لو كنت حرا ولا بالحر انت ولا العتيق ٥ ومن
فتح ما قبل المخففة يسقطها اعني المخففة على وحي الي انه وان لو استقاموا
وعلى هذا يه وان لو استقاموا ويجوز لمن كسر الحروف كلها الى ان المخففة
ان يعطف المخففة على اوحي الي او على منابه ويستغني عن اضمار اليمين
وقرأ لها منه بكسر الواو ومن لولا لنتنا الساكنين وقرا ابن وثاب
والاعمش بضم الواو وما عدوا اي واسعا كثيرا وكانوا قد حبس عنهم
المطر سبع سنين يقال عدقت العين بالفتح تعدق عدقه اذا كثر ماؤها وقيل
المراد الخلق كلهم اي لو استقاموا على الطريقة طريقة الحق والايمان
والهدى وكانوا موسعين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا اي كثيرا لنختبرهم
فيه اي لنختبر هم كيف شكرهم فيه على ذلك النعم وقال عمر في هذه الاية
ابى ما كان المال والبن ما كان المال كانت الغنيمة تعني لاعطيناهم
لوسعنا عليهم في الدنيا وضرب الماء الخدق الكثير لذلك مثلا لان الخير
والرزق كله بالمطر يكون فاقيم مقامه كقوله تعالى ولو ان اهل القرى
امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقوله تعالى ولو انهم
اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن
تحت ارجلهم اي بالمطر والله اعلم وقال سعيد بن المسيب وعطاء بن ابي
رباح والضحاك وقتادة ومقاتل وعطية وعبيد بن عمير والحسن كانت
والله اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين لفتحت
عليهم كنوز كسرى وقيصر والمقوقس والنجاشي ولعنوا بها فوثبوا
بامامهم فقتلوه يعني عثمان وقال الكلبي وغيره وان لو استقاموا
على الطريقة التي هم عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا لا وسعنا ارزاقهم
مكرا منا واستدراجا لهم حتى يفتنوا بها فنعذبهم بها وهذا قول قاله الربيع
وابن اسلم وزيد بن اسلم وابنه والكلبي والثمالي وسفيان بن رباب وابن كيسان
وابو جلزة واستدلوا بقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب
كل شيء الاية وقوله تعالى ولولا ان يكون طريقة الهدى ولان الاستقامة
لا يكون الا مع الهدى وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا
قالوا وما زهرة الدنيا قال بركات الارض وذكر الحديث وقال عليه السلام
فوالله ما الفقر اخشى عليكم ان يبسط عليكم الدنيا فتنافسوها كما بنافسوها
فيهلككم كما اهلكتهم قوله تعالى ومن يعرض عن ذكر ربه يعني القرآن
قاله ابن زيد وفي اعراضه عنه وجهان احدهما عن العمل ان قيل انها
في اهل الكفر الثاني عن الحق ان قيل انها في المؤمنين وقيل ومن يعرض عن
ذكر ربه اي لم يشكر نعمه يسلكه عذابا صعدا قرا الكوفيون وعباس عن ابي

عمرو يسلكه بالباء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لذكر اسم الله اولا فقال ومن
يعرض عن ذكر ربه الباء تؤدي نسلكه بالنون وروي عن مسلم بن جندب
ضم النون وكسر اللام وكذلك قرأ طلحة والاعرج وهما لغتان سلكه واسلكه
بمعنى ابي ندخله عذابا صعدا ابي شاقا شديدا قال ابن عباس هو
جبل في جهنم الحدري كلما جعلوا عليه ابر يصعد ذابت وعن ابن عباس ان
المصيبة مسمى من العذاب وذلك معلوم في اللغة ان الصعد المشقة
يقول تصعدني الامر اذا شق عليك وهذه قول عمر ما تصعدني شيء ما
يصعدني خطبة النكاح اي ما شق علي وعذاب صعد اي شديد والصعيد
مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد
المعذب ان يعلوه ويغلبه فلا يطيقه وقال ابو عبيد الصعد مصدر
اي عذابا ذا صعد والمشي في الصعود يشق والصعود العقبة الكؤود وقال
عكرمة هو صخرة ملساء في جهنم تكلف صعودها فاذا انتهى الى اعلاها حدر
الى جهنم وقال الكلبي يكلف الوليد المغيرة ان يصعد جبلا في النار
من صخرة ملساء يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ
اعلاها ولا يبلغ في اربعين سنة فاذا بلغ اعلاها احدر الى اسفلها ثم يكلف
ايضا صعودها فذلك ابدا ابدا وهو قوله تعالى سارهقه صعودا قوله تعالى
وان المساجد لله فيه ست مسائل الاولى وان المساجد لله ان بالفتح قيل
هو مردود الى قوله تعالى قل اوحي الي اي اوحي الي ان المساجد لله وقال
الخليل اي ولان المساجد لله وقال الخليل والمراد البيوت التي بينتها
اهل الملل للعبادة وقال سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا ان ياتي
المساجد ونحن من محل الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت وان المساجد لله
اي بنيت لذكر الله تعالى وطاعته وقال الحسن اراد بها كل البقاع لان الارض
كلها مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم يقول ابن ما كنتم فصلوا فاين ما صليتم
فهو في مسجد وفي الصحيح وجعلت لي الارض كلها مسجدا وطهورا وقال
سعيد بن المسيب وطاؤس ابن حبيب اراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد
عليها العبد وهي القدمان والركبتان واليدان والوجه تقول هذه الاعضاء
انعم الله بها عليك فلا يسجد لغيره بها فيجحد نعمة الله قال
عطاء مساجدك اعضاؤك التي امرت ان يسجد عليها لا يذللها لغير
خالقها وفي الصحيح عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
امرت ان اسجد على سبعة اعظم الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين
والركبتين واطراف القدمين وقال العباس قال النبي صلى الله عليه
وسلم اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وقيل المساجد هي الصلوات
اي لان السجود لله قاله الحسن ايضا فان جعلت المساجد المواضع فواحدها
مسجد بكسر الجيم ويقال بالفتح حكاه الفراء وان جعلها الاعضاء فواحدها
مسجد بفتح الجيم وقيل هو جمع مسجد وهو السجود يقال سجد يسجد سجودا
ومسجدا كما تقول ضربت في الارض ضربا ومضربا بالفتح اذا سرت في ابتغاء
الرزق وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبلة وسميت مكة
المساجد لان كل بقعة يسجد اليها والقول الاول اظهر هذه الاقوال
ان سمى الله تعالى له اضافة تشريف وتكريم ثم خص بالذكر منها البيت
العتيق فقال وطهر بيتي وقال عليه السلام لا تفعل المطي الا الى ثلاثة
مساجد الحديث خرجه الائمة وقد مضى الكلام فيه وقال
عليه السلام صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد
الحرام قال ابن العربي وقد روي من طريق لا باس بها ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد
الحرام فان صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي هذا ولو صح هذا لكان
نصا قلت هو صحيح ينقل العدل عن العدل حسب ما بيناه في سورة ابراهيم
الثالثة المساجد وان كانت لله ملكا ونشريفا فانها قد بقيت الى

غيره

غيره تعريفا فيقال مسجد فلان وفي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سابق
بين الخيل التي اضمرت من الحفياء وامدها ثنية الوداع وسابق بين الخيل التي لم تضمر
من البيضة الى مسجد بني زريق ويكون هذه الاضافة كحكم المحلية كانها في قبلتهم
وقد تكون بتخميسهم ولا خلاف بين الامة في تخميس المساجد والتناطر والمعابر
وان اختلفوا في تخميس غير ذلك الا انهم مجمعون ان المساجد لا يذكر فيها الا
الله فانه يجوز القسمة فيها للاموال ويجوز وضع الصدقات بينها على سهم الاشتراك
بين المساكين فكل من جاء اكل ويجوز حبس المعتوه فيها وربط الاسير والنوم فيه
وسكنى المريض فيه وسكنى المريض فيه ونحو ابواب للحارة اليه وانشاد الشعر
فيه اذا عري عن الباطل وقد مضى هذا كله مبينا في سورة براءة والنور وغيرها
الخامسة قوله تعالى فلا تدعوا مع الله احدا هذا توبيخ للمشركين في دعواهم
مع الله غيرهم في المسجد الحرام وقال مجاهد كانت اليهود والنصارى اذا
دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فامرالله نبيه والمؤمنين ان يخلصوا
لله الوحدة اذا دخلوا المساجد كلها نقول فلا تشركوا بها صنما وغيره مما تعبد
وقيل المعنى افردوا المساجد لذكر الله ولا يتخذوها هزوا او مجرا ومجلسا ولا
طريقا ولا يجعلوا لغير الله فيها نصيبا وفي الصحيح من التشرضالة فقولوا لا ردها
الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد مضى في سورة النور ما فيه
كفاية من احكام المساجد والحمد لله السلام سمعت ووي الضحاك عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل
مزور حق وانت خير مزور فاسئلك برحمتك ان يجعلك رقبتي من النار واذا
خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صبت على الخير صبا ولا يبزع عني
صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدرا واجعل لي في الاخرة حدا قوله
تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه يحتمل الفتح اي اوحي الي انه ويجوز
الكسر على الاستيناف وعبد الله هذا محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي
ببطن نخلة وبقية القراءة حسب ما تقدم اول السورة يدعوه اي لعبده وقال
ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا الى الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا
قال الزبير بن العوام هم الجن حين استمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه
وسلم اي كاد بعضهم يركب بعضا ازدحاما ويبتطون حرصا على سماع القرآن
وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله الضحاك ابن عباس رضي الله عنه في سماع الذكر
وروي برد عن مكحول ان الجن بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه
الليلة وكانوا سبعين الفا وروى عوام بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن
عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما رأوا
من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وائتمامهم به في الركوع والسجود
وقيل المعنى كادوا المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي صلى الله عليه
وسلم وقال الحسن وقتادة وابن زيد بعني لما قام عبد الله يدعوه بالدعوة به
تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره ويتم
نوره واختار الطبري ان يكون المعنى كادت العرب يجتمعون على النبي صلى
الله عليه وسلم ويتظاهرون على اطفاء النور الذي جاء به وقال
مجاهد قوله لبدا اجماعات وهو من تلبد الشيء على الشيء اي يجمع وسمي اللبد
الذي يفرش لتراكم صوفه وكل شيء الصقته الصقا شديدا فقد لبدته
وجمع اللبد لبده مثل قربه وقرب ويقال للشعر الذي على ظهر الاسد
لبده وجمعها لبد قال زهير

* لذي اشد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم *

ويقال للجراد الكبير لبد وفيه اربع لغات وقراءات فتح الباء وكسر
اللام وهي قراءة العامة وضم اللام وفتح الباء وهي قراءة مجاهد وابن محيصن
وهشام عن اهل الشام واحدتها لبدة بضم اللام والباء وهي قراءة ابي حياة
ومحمد بن السميقع وابي الاشهب العقيلي والجحدري واحدها لبد مثل سقف

وسقف ودهن ودهن بضم اللام وشد الباء وفتحها وهي قراءة ابي الحسن والبي العالية والاعمش والجحدري ايضا واحرها لا بد مثل راكع وركع وساجد وسجد وقيل لبد بضم اللام وفتح الباء الشيء الدايم ومنه قيل للسرلغان لبد لدوامه وبقايه قال النابغة

احمى عليه الذي اخصا على لبده ... العشرى وقري لبدا

بضم اللام والباء وهو جمع لبد وهو الحوالق الصغير وفي الصحاح اهلكت مالا لبدا اي جما ويقال ايضا الناس لبداي مجتمعون والبد ايضا الذي لا يبسا فر ولا يبرح قال الشاعر

من امرء ذي سماح لا يزال له ... برا يعيا بها الحاضر البد

ويروي البد قال ابو عبيد وهو اشبه ولبد اجر سورا لعمن وهو يصرف لانه ليس بمعدول وتزعم العرب ان لقمان هو الذي نعته عاد في وفدها الحرم ليستشفي لها فلما اهلكوا اخر لقمان بين نسر نعرات سمر من اظب عفر في حسل لا يمسها القطر وبقا سبعة اسر كلما هلك سر حلف بعده نسر لما اختار النسور وكان اخر نسوره يسمى لبدا وقد ذكرته اسمرا قال النابغة

اصبحت حلا وامسى اهلها احتملوا ... احمى عليها الذي احمى على لبد

واللبيد الحوالق الصغير يقال لبدت الكرية جعلها في لبيد ولبيد اسم شاعر من بني عامر قوله تعالى قال انما ادعوا ربي الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا وكذا قراءة الكوفيين الا قال علي الجرمي وقراءة عاصم وحمزة قل على الامر وسبب نزولها ان كفار قريش قالوا له انك جئت بامر عظيم وقد عادت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نحميك فنزلت قوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر ان ادفع ضركم ضرا ولا ان اسوق لكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى اي انما علي التبليغ وقيل الضر العذاب والرشد النعيم وهو الاول لنعمه وقيل الضر الموت والرشد الحياة قوله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد اي لا يدفع عذابه عني احد ان استحفظته وهذا لانهم قالوا اترك ما يدعوا اليه ونحن نحرسك وروي ابو الجوزاء عن ابن مسعود قال انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى اتى الحجون فخط لي خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيدهم يقال له وردان انا ارحلهم عنك فقال اني لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي قال ويحتمل معنيين احدهما لن يجيرني مع اجارة الله الثاني لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي قال ويحتمل معنيين احدهما لن يجيرني مع اجارة الله احد الثاني لن يجيرني مما قدره الله تعالى علي احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي ملجا الحا اليه قاله قتادة وعنه نصيرا وهو قول السدي حرز الكلبي مدخلا في الارض مثل السرب وقيل ولا مولا وقيل مهربا ولا مسلكا فحكاه ابن سخره والمعنى واحد ومنه قول الشاعر

بالخف نغشى ولهف غير محدثه ... عني ولا من قضا الله ملتحد

الا بلاغا من الله ورسالاته فان فيه الايمان والنجاة قال الحسن وقال قتادة الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بتوفيق الله واما الكفر والايمان فلا املكهما فعلى هذا يكون مردودا الى قوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا املك الا ان ابلغكم اي لكن ابلغكم ما ارسلت به قال الفراء وقال الزجاج هو منصوب على البدل في قوله ملتحدا اي ولن اجد من دونه ملتحدا الا ان ابلغ ما بانبيني من الله ورسالاته اي ومن رسالاته التي امرني بتبليغها او الا ان ابلغ عن الله واعمل برسالاته فاحرز نفسي بما امر به عمري وقيل هو مصدر ولا يحتمل لم وان تشرط والمعنى لن اجد من دونه ملتحدا اي ان لم ابلغ رسالات ربي بلاغا قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله في التوحيد والعبادة فان له نار جهنم كسرت

ان لان ما بعدما الجزا موضع ابتدا وقد تقدم خالدين فيها نصب على الحال
وجمع لان المعنى كل من فعل ذلك فوحدا اولا للفظ من ثم جمع للمعنى حتى اذا
راوما يوعدون فيها ابدا دليل على ان العصيان هنا هو الشرك وقيل
هو المعاصي غير الشرك ويكون معنى خالدين فيها ابدا الا ان اعفو ويجتمعهم شفاعة
ولا محالة اذا خرجوا من الدنيا على الايمان يجتمع العفو وقد مضى هذا مبينا
في سورة النسا وغيرها قوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون حتى هنا مبتدا
ايجيء اذا ارادما يوعدون من عذاب الاخرة وما يوعدون من عذاب
الدنيا وهو القتل يبدر يبيعلون من اضعف ناصرا هم ام الموحدون
واقل عددا معطوف قوله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون يعني
قيام الساعة وقيل عذاب الدنيا اي لا ادري فان يعني ما اولا ادري
لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعة الا الله فهو غيب
لا اعلم منه الا ما عرفنيه الله تعالى وما في قوله ما توعدون يجوز ان يكون
مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون بمعنى الذي ولقدر حرف العائد اي يجعل
له ربي امدا اي غاية وامدا وقراة العامة باسكان الياء من ربي وقراء
الحرميان وابو عمرو بالفتح قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على
غيبه احدا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى عالم الغيب عالم رفعا
نعتا لقوله ربي وقيل اي هو عالم الغيب والغيب ما غاب عن العباد
وقد تقدم بيانه في اول سورة البقرة فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على ما يشاء من غيبه لان الرسل
يوحى اليهم بالمعجزات ومنها الاخبار عن بعض الغائبات وفي التنزيل
وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم وقال ابن جبير الا من ارتضى
من رسول هو جبريل عليه السلام وفيه بعد والاولى ان يكون المعنى
اي لا يظهر على غيبه الا من ارتضى اي اصطفى للنبوة فانه يطلعه
على ما يشا من غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته الثانية قال
القاضي انما خص سبحانه بعلم الغيب واستاثره دون خلقه كان فيه
دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل
فاودعهم ما شا من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلاله
صادقة على نبوتهم وليس النجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر
في الكتف ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشا من غيبه
بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدثه وتخمينه وكذبه وقال بعض العلماء
وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها الف انسان على
اختلاف احوالهم وتباين رتبهم فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل
والغني والفقير والكبير مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات
بروجهم فحكم الغرق في ساعة واحدة فان قال نحدس انما اغرقهم
الطالع الذي ركبوا فيه ويكون على مقتضى ذلك ان هذا الطالع ابطل احكام
تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقتضيه طالعه
المخصوص فلا فائدة اذا في عمل المواليد ولا دلالة فيها على شقي ولا سعيد
ولم يبق الا معاندة القران الكريم وفيه استدلال دسه على هذا التنجيم ولقد

• احسن الشاعر حيث قال •

حكم المنجم ان طالع مولدي يمضي عليه ثمانية الغرقه •
• قل للمنجم صحة الطوفان هل دل الجميع بكوكب الغرق •

وقيل لامير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما اراد لقا
الخوارج اتلقاهم والقمر في العقرب فقال علي رضي الله عنه لما اراد فاتهم
تزهم وكان ذلك في اخر الشهر فانظروا الي هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها
من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم والاحكام لكل جاهل بحقيق احكام
النجوم وقال له مسعر بن عوف يا امير المومنين لا تسر في هذه الساعة
وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار فقال له علي ولم فقال اذ ذاك

ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب الناس اصحابك بلاء وضر شديد
وان سرت في الساعة التي امرتك بها ظهرت وظفرت واصبت ما طلبت
فقال علي رضي الله عنه ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده
في كلام طويل يحتج فيه بايات من التنزيل في صدق ذلك في هذا القول
لم امن عليه ان يكون ممن اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك
ولا خير الا خيرك ثم قال للمتكلم لكذبك وخالفك وسير في الساعة التي نهانا
عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى
به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكاهن والكاهن في النار والمنجم كالساحر
والساحر كالكافر والكافر في النار والله لبئس بلغني انك تنظر في النجوم
وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطاء ما كان
لي سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم
وهي وقعة النهروان الثانية في الصحيح لمسلم ثم قال لو سرنا في الساعة
التي امرنا بها المنجم وظفرنا وظهرنا لقال وايل سار في الساعة التي
امر بها المنجم فكان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده فتح الله
علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان ثم قال يا ايها الناس توكلوا
على الله وثقوا به فانه يكفي ممن سواه فانه يسلك من بين يديه ومن
خلفه رصدا يعني ملائكة يحفظونه عن ان يقرب منه شيطان فيحفظه
الوحي من استراق الشياطين والقائهم الى الكهنة وقال الضحاك
ما بعث الله نبيا الا ومعه ملائكة يحفظونه ويحرسونه من الشياطين
ان يتشبهوا بصورة الملك فاذا جاء شيطان في صورة الملك قالوا
هذا شيطان فاحذره وان جاء الملك قالوا هذا رسول ربك وقال
ابن عباس وابن زيد رصدا اي حفظة يحفظونه من النبي صلى الله عليه
وسلم من امامه ووراءه من الجن والشياطين قال قتادة وسعيد بن
المسيب هم اربعة من الملائكة حفظة قال الفراء المراد جبريل كان اذا
نزل بالرسالة نزلت معهم ملائكة يحفظونه من ان يستمع الجن الوحي
فيلقونه الى كهنتهم ويسبقوا به الرسول وقال السدي رصدا
اي حفظة يحفظون الوحي فاذا جاء من عند الله قالوا هو من عند الله وما القاه
الشيطان قالوا انه من الشيطان ورصدا نصب على المفعول وفي الصحاح
والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه الواحد والجمع والمونث
وربما قالوا ارصاد والراصد للشيء الرقيب له يقال رصده يرصده رصدا
ورصدا والرصد الرفث والمرصد موضع الرصد قوله تعالى ليعلم
ان قد قال قتادة وغيره اي ليعلم محمد ان الرسل قبله قد بلغوا الرسالة
كما بلغ هو الرسالة وفيه حذف يتعلق به اللام اي اخبرناه بحفظنا الوحي
ليعلم ان الرسل قبله كانوا على مثل حاله من التبليغ بالحق والصدق وقيل
ليعلم محمد ان قد ابلغ جبريل ومن معه ابيه رسالة ربه قاله ابن جبير قال
ولم ينزل الوحي الا ومعه اربعة حفظة من الملائكة عليهم السلام وقيل اي
ليعلم الرسل ان الملائكة بلغوا رسالات ربهم وقيل ليعلم الرسول انه رسول
كان ان الرسل سواه بلغوا وقيل اي ليعلم ابليس ان الرسل قد ابلغوا
رسالات ربهم سليمة من تخليطه واستراق اصحابه وقال ابن قتيبة
اي ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل عليهم ولم يكتموا هم المبلغين
باستراق السمع عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان المرسلين
قد بلغوا رسالات ربهم وقراءة الجماعة ليعلم بفتح الياء وتأويل ما ذكرناه
وقرا ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب بضم الياء اي ليعلم الناس
ان الرسل قد ابلغوا وقال الزجاج اي ليعلم الله ان رسله قد بلغوا
رسالات ربهم بفتح الياء كقوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين والمعنى اي ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا وقد احاط
بما لديهم اي احاط علمه بما عندهم اي بما عند الرسل وما عند الملائكة

وقال

وقال ابن جبير المعنى لتعلم الرسل ان ربهم قد احاط بما لديهم فتبلغوا رسالاته واحصى كل شئ عددا اى احاط بعدد كل شئ وعرفه وعلمه ولم يخف عليه منه شئ وعددا نصب على الحال اى احصى كل شئ فى حال العدد وان شئت على المصدر اى احصى وعد كل شئ عددا فيكون مصدرا لفعل محذوف فهو سبحانه المحصى المحيط العالم الحافظ لكل شئ وقد بينا جميعه فى الكتاب الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المزمل مكية كلها

فى قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا ثلثين منها واصبر على ما يقولون والتى تليها ذكره الماوردى وقال الثعلبى قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى الجى اخر السورة فانه نزل بالمدينة وهى تسع وعشرون اية والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها المزمل فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها المزمل قال الاخفش سعيد المزمل المحمل المتزمل فادغمت التاء فى الزاى وكذلك المدثر وقرا ابى بن كعب على الاصل المتزمل والمتدثر وفى اصل المزمل قولان احدهما انه المتحمل يقال ذمل البيتى اذا حمله ومنه الزاملة لحمل العوائل الثانى ان المزمل هو الملتفف يقال تزمل وتدثر بثوبه اذا تغطى وزمل غيره اذا غطاه وكل شئ لف فقد زمل ودثر قال امرؤ القيس

كبير اناس فى بجاد مزمل

الثانية قوله تعالى يا ايها المزمل هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه ثلثة اقوال الاول قول عكرمة يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم بالرسالة وعنه يا ايها الذى زمل هذا الامر اى حمله ثم فتر وكان يقرا يا ايها المزمل بتخفيف الزاى وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول وكذلك المدثر والمعنى المتزمل نفسه والذى زمله غيره الثانى يا ايها المزمل بالقرآن قاله ابن عباس الثالث بثيابه قاله قتادة وغيره قال النخعى كان متزملا بقطيفة عاباية بمرط طوله اربعة عشر ذراعا نصفه على واياه ونصفه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى والله ما كان خزا ولا قز ولا صوفا ولا اعرابيا ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبر ذكره الثعلبى قلت وهذا القول من عائشة يدل على ان السورة مدنية فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعرف بها الا بالمدينة وما ذكر من انها مكية لا يصح والله اعلم وقال الضحاك تزمل بثيابه لمنامه وقيل بلغه من المشركين سوء قول فيه فاشتد عليه فتزمل فى ثيابه وقد لو تزملت يا ايها المزمل ويا ايها المدثر وقيل كان هذا فى ابتداء ما اوحى الله اليه فانه لما سمع صوت الملك ونظر اليه احدثه الرعبة فاتى اهله وقال زملونى دثرونى روى معناه عن ابن عباس وقال الحكما انما خاطبه بالمزمل والمدثر فى اول الامر لانه لم يكن بعد ادبر شيا من سلغ الرسالة قال ابن العربى واختلف فى تا ويل يا ايها المزمل فمنهم من حمله على حقيقته قيل له يا من تلفف فى ثيابه او فى قطيفته قاله ابو هريم وقتادة ومنهم من حمله على المجاز كانه قيل له يا من تزمل هو بالنبوة قال عكرمة وانما يسوغ هذا التغيير لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول الذى لم يسم فاعله واما وهو تلفظ الفاعل فهو قلت قد بينا انه على حذف المفعول وقراتها هى صحيحة معنى قال واما من قال انه زمل القرآن فهو صحيح فى المجاز لكنه قد منا لا يحتاج اليه الثالث قال السهيلى لعبس المزمل باسم من اسماء النبى صلى الله عليه وسلم يعرف به كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه فى اسمائه عليه السلام وانما المزمل اسم مشتق من حالة التى كان عليها حين الخطاب وكذلك

المدثر وفي خطابه ملاطفة المخاطبة وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حاليه
التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين هاجت فاطمة رضي الله
عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم ابا تراب اشعارا له
انه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة قم فما نوما
وكان نائما ملاطفة له واشعارا لترك العتب والامر يقول الله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل قم الليل فبه تانيس وملاطفة لبيتشوا
به غير عاتب عليه والعائد التانيبة التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه
الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك
فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل وانصف بتلك الصفة الرابعة
قوله تعالى نصف الليل قراءة العامة بكسر الميم لالتقاء الساكنين وقرا
ابو السماك بضم الميم اتباعا لضمة القاف وحكي الفتح لخفته قال
عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هربا من التقاء الساكنين فبايي
حركة تحركت فقد وقع الغرض وهو من الافعال القاصرة الغير المتعدية الى
مفعول فاما ظرفي الزمان والمكان فسابغ عليه الا ان ظرفي المكان لا يتعديان
اليه لا تقول قمت الدار حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار وقد قيل
ان قم هنا معناه صل عبر به والتعبير له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال
الخامسة الليل حد الليل من غروب الشمس الى طلوع الفجر وقد تقدم
بيانه في سورة البقرة واختلف هل كان قيامه فرضا وحتما او كان ندبا
وحضا والدليل يقتضي ان قيامه كان حتما وفرضا وذلك ان الندب والحض
لا يقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصا به وقتا دون
وقت وايضا فان مجاء التوقيف بذلك من عائشة وغيرها على ما ياتي ولخلق
ايضا هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده او عليه وعلى من
كان قبله من الانبياء او عليه وعلى امته بلاثة اقوال الاول قول سعيد
بن جبير لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس فان كان قيام الليل فريضة
على النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء الثالث قول عائشة وابن عباس
ايضا وهو الصحيح كما في صحيح مسلم عن زرارة ان سعد بن هشام بن عامر اراد ان
يغزو في سبيل الله الحديث وفيه فقلت لعائشة انبئيني عن قيام
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا يا ايها المزمل قلت بلى
قالت فان الله عز وجل افترض قيام الليل في هذه السورة فقام
نبي الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا وامسك الله عز وجل خاتمتها اثني
عشر شهرا في السماء حتى انزل الله عز وجل في اخر هذه السورة التخفيف
فصار قيام الليل تطوعا بعد مفروضه وذكر الحديث وذكر وكيع وبعلي
قال احدثنا مسعر عن سماك الحنفي قال سمعت ابن عباس يقول لما نزلت
يا ايها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل اخرها وكان
بين اولها واخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير مكث النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت بعد عشر سنين ان ربك يعلم
انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فخفف الله عنهم السادسة قوله تعالى الا
قليلا استثنا من الليل اي صل الليل كله الا يسيرا منه لان قيامه جميعه على الدوام
غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد والقليل من الستة يروى
المختار والسدس وقال الكلبي وقاتل الثلث ثم قال تعالى نصفه
او انقص منه قليلا فكان ذلك تخييرا اذ لم يكن زمان القيام محدودا فقام
الناس حتى ورمت اقدامهم ثم نسخ ذلك بقوله تعالى علم ان لن تحصوه وقال
الاخفش نصفه اي او نصفه يقال اعطه درهما درهمين ثلثة بريد او درهمين
او ثلاثة وقال الزجاج نصفه بدل من الليل والا قليلا استثنا من النصف
والضمير في منه وعليه للنصف المعبر عنه بنصف الليل او انقص من النصف قليلا
اي الثلث او زد عليه قليلا الى الثلثين فكانه قال قم ثلثي الليل او نصفه
او ثلثه وقيل ان نصفه بدل من قوله قليلا وكان تخييرا بين ثلاث

بين قيام

بين قيام النصف بتمامه وبين الناقص منه وبين قيام الزائد عليه كان تقدير
الكلام ثم الليل الا نصفا او اقل من نصفا او اكثر من نصفه وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله عز وجل
الى السما الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الاول فيقول انا الملك
من ذا الذي يدعوني فاستجيب له من ذا الذي يسالني فاعطيه
من ذا الذي يستغفرني فاغفر له ولا يزال كذلك حتى يضي الفجر ونحوه
عن ابي هريرة وابي سعيد جميعا وهو يدل على ترجيح قيام ثلثي الليل وفي
صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
مضى شطر الليل او ثلثاه ينزل الله الحديث رواه من طريقين عن ابي هريرة
هكذا على الشك وقد جا في كتاب النسائي عن ابي هريرة وابي سعيد رضي
الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي
شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من داع يستجاب ابو محمد عبد الحق تبين
هذا الحديث مع صحته معنى النزول وان ذلك يكون عند نصف الليل وخرج
ابن ماجة من حديث ابن شهاب عن ابي سلمة وابي عبد الله الاغر عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله ربنا تبارك
وتعالى كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخر كل ليلة فيقول من يسالني فاعطيه
من يدعوني فاستجيب له من يستغفرني فاغفر له حتى يطلع الفجر فكانوا هم
يستحبون صلاة اخر الليل على اوله قال علماؤنا وهذا الترتيب انتظم الحديث
والقران فانهما سيصران من مشكاة واحدة وفي الموطا وغيره من حديث
ابن عباس بن عبد طالب بيتوتتي اذا انتصف الليل او قبله بقليل
او بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام الى شن
معلق فتوضا وضوءا خفيفا وذكر الحديث السابعة اختلف
العلما في الناسخ للامر بقيام الليل وعن ابن عباس وعايشة ان الناسخ
قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى اخر السورة
وقيل قوله تعالى علم ان لن تحصوه وعن ابن عباس ايضا هو منسوخ بقوله
علم ان سيكون منكم مرضى وعن عايشة ايضا والشافعي ومقاتل وابن
كيسان هو منسوخ بالصلوات الخمس وقيل الناسخ لذلك قوله تعالى
فاقروا ما تيسر منه قال ابو عبد الرحمن السلمي لما نزلت يا ايها المزمل قاموا
حتى ورمت اقدامهم وسوقهم ثم نزل قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه
قال بعض العلما وهو فرض نسخ به فرض كان على النبي صلى الله عليه
وسلم خاصة لفضله كما قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فجعلت
القول الاول لجميع هذه الاقوال وقد قال تعالى واقيموا الصلاة
فدخل فيها قول من قال ان الناسخ الصلوات الخمس وقد ذهب الحسن
وابن سيرين الى ان صلاة الليل فريضة على كل مسلم ولو على قدر حلب
شاة وعن الحسن ايضا انه قال في هذه الاية الحمد لله تطوع بعد
الفريضة وهو الصحيح ان شا الله لما جاء في قيامه من الترغيب والتفضيل
في القران والسنة وعن عايشة رضي الله عنها قالت كنت اجعل للنبي
صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فلما راي
جماعتهم كره ذلك وخشي ان يكتب عليهم قيام الليل فدخل البيت فجعل
فجعلوا يتحينون ويثقلون فخرج اليهم فقال يا ايها الناس اكلفوا من الاعمال
ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وان خير العمل
ما دوم عليه وان قل فنزلت يا ايها المزمل فكتب عليهم وانزل
بمنزلة الفريضة حتى ان كان احدهم ليربط الحبل فيتعلق به فكثوا ثمانية
اشهر فرحمهم الله وانزل ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل فردهم
الله الى الفريضة ووضع عنهم قيام الليل الا ما تطوعوا به قلت
حديث عايشة هذا ذكره العقيلي ومعناه ثابت في الصحيح الى قوله وان قل وباقيه
يدل على ان قوله تعالى يا ايها المزمل نزلت بالمدينة وانهم مكثوا ثمانية اشهر يقومون

وقد تقدم عنها في صحيح مسلم حولا وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو ستة عشر
شهرا ولم يذكر غيره عنها وذكر عن ابن عباس انه كان بين اول المزمل واخرها
سنة قال فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرض عليه وفي سنخه
عنه قولان احدهما انه كان فرضه اي ان فرضه الله تعالى الثاني انه نسخ
عنه كما نسخ عن امته وفي مرة فرضه اي ان نسخ فولان احدهما المدة المفروضة
على امته وفي مرة فرضه اي ان نسخ قولان احدهما المدة المفروضة على امته
في القولين الماضيين يريد قول ابن عباس حولا وقول عايشة سنة عشر
شهرا الثاني انها عشر سنين الجي ان خفف عنه بالنسخ زيادة في التكليف
لمره بفعل الرسالة قالها ابن جبير قلت هذا خلاف ما ذكره الثعلبي
عن سعيد بن جبير حسب ما تقدم فتامله وسيأتي لهذه المسئلة زيادة
بيان اخر السورة ان شاء الله تعالى الثامنة قوله تعالى ورتل القرآن
ترتيلا اي لا تعجل بقراءة القرآن بل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني وقال
الضحاك اقرأه حرفا حرفا وقال مجاهد احب الناس في القراءة اعقلهم عنه
والترتيل التبيين والتنسيق وحسن النظام ومنه ثغر رتل ورتل بكسر
العين وفتحها اذا كان حسن التنضيد وقد تقدم بيانه في مقدمة الكتاب
وروى الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ ويبكي فقال
لم تسمعوا الى قول الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا هذا الترتيل وسمع علقمة
رجلا يقرأ القرآن قراءة حسنة فقال رتل القرآن فداه ابي وامي وقال
ابو بكر بن طاهر وره في لطائف خطابه وطالب نفسك بالقيام باحكامه
وتملك بهمم معانيه وسرك بالاقبال عليه وروى عبد الله بن عمرو قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم يوتى بقارئ القرآن يوم القيمة فيوقف في اول
درج الجنة ويقال له اقرأ وارتق كلما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند اخر اية
تقرؤها خرجه ابو داود وقد تقدم في اول الكتاب وروى انس ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يمد صوته بالقراءة هذا قوله تعالى انا سنلقي
عليك قولا ثقيلا هو متصل بما فرض من قيام الليل اي سنلقي عليك بافتراض
صلاة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن امر بقيام اكثره
لم يتهيأ له ذلك الا بحمل شديد على النفس ومجاهدة للشيطان فهو امر ثقيل
يثقل على العهد وقيل اي سنوحي اليك القرآن وهو قول ثقيل يثقل
الحمل بثقله قال قتادة ثقيل والله فرائضه وحدوده مجاهد حلاله
وحرامه الحسن العمل به ابو العالية تثقيلا بالوعد والوعيد والحلال
والحرام محمد بن كعب تثقيلا على المنافقين وثقيل على الكفار لما فيه من
الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وكشف الفتهم والكشف عما اخفوه
اهل الكتاب السدي ثقيل بمعنى كريم ماخوذ من قولهم ثلاث تثقيل على
كرم على العرا تثقيلا ورتلناه بينا بالتخفيف السفساف لانه كلام ربنا وقال
الحسين ابن الفضل ثقيلا لاجل الاقلب موبد بالتوفيق ونفس مزينة
بالتوحيد وقال ابن زيد هو الله ثقيل مبارك كما تثقل في الدنيا يثقل في
الاخرة في الميزان يوم القيامة وقيل ثقيلا اي ثابتا كثبوت الثقيل
في محله ويكون معناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه ابدا وقيل هو
القرآن نفسه كما جاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه
وهو على ناقته وضعت حرانها يعني صدرها على الارض فما يستطيع ان
يتحرك حتى يسري عنه وفي الموطا وغيره انه عليه السلام سئل كيف
يأتيك الوحي فقال احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشده فيفصم
عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل الملك رجلا فاعي ما يقول
قالت عايشة رضي الله عنها ولقد رايته ينزل عليه في اليوم الشديد
البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا قال ابن العربي وهذا
اولى لانه الحقيقة وقد جاء ما اجعل عليكم في الدين من حرج وقال
عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة وقيل القول في هذه السورة

هو قول

هو قول لا اله الا الله اي في الخبر لا اله الا الله مخففة على اللسان ثقيلة في الميزان
ذكره العشيري قوله تعالى ان ناشئة الليل فيه خمس مسائل الاولى قوله
تعالى ان ناشئة الليل قال العلما ناشئة الليل اي اوقاته وساعاته لان
اوقاته وساعاته لا ذا اوقاته ينشا ولا فاعل لا يقال لنشا الشيء ينشا اذا
ابتدا او قيل شيئا بعد شيء فهو ناشئ وانشاه فنشا ومنه نشات السحابة
اذا ابتدت وانشاها الله فناشئة فاعلة من نشات بالشيء مهني راشه ومنه
قوله تعالى او من ينشاؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والمراد ان ساعات
الليل الناشئة في اكتفى بالوصف عن الاسم اثبت للحفظ ساعة لان كل ساعة
تحدث وقيل الناشئة مصدر بمعنى الخاطئة والكاذبة اي ان نشاه الليل هي
اشد وطاء وقيل ان ناشئة الليل قيام الليل قال ابن مسعود الحبشة يقولون
نشا اي قام فالعلم اراد ان الكلمة عربية ولكنها سايغة في كلام الحبشة غالبة
في كلامهم والاسن في القران ما ليس من لغة العرب وقد تقدم بيان هذا
في مقدمة الكتاب مستوفى الثانية بين تعالى في هذه الاية فضل صلاة الليل
على صلاة النهار وان الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما امكن
اعظم للاجر واجلب للثواب واختلف العلما في المراد بناشئة الليل فقال
ابن عمر وانس بن مالك هو ما بين المغرب والعشا تمسكا بان لفظ نشا يعطي
الابتدا فكان بالاولوية احق ومنه قول الشاعر

ولولان نفسا تصاب لقلب بنفسي لشا الصفاره

وكان علي بن الحسن يصلي بين المغرب والعشا ويقول هذا ناشئة الليل وقال
عطا وعكرمة انه بدو الليل وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لانه
ينشا بعد النهار وهو الذي اختاره مالك بن انس ابن العربي وهو الذي
يعطيه لفظ وتقضيه اللغة وقالت عايشة وابن عباس رضي الله عنهم
ايضا ومجاهد انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم ومن قام اول
الليل بعد النوم فما قام ناشئة وقال سليمان وابن كيسان هو القيام
من آخر الليل وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل وذلك ان الانسان
اذا قام لا يدري متى يبتدي فيه وفي الصحاح وناشئة الليل اول ساعة
وقال القتبي انه ساعات الليل لانها تنشا ساعة بعد ساعة وعن الحسن
ومجاهد هي ما بعد العشا الاخرة الى الصبح وعن الحسن ايضا ما كان بعد العشا
فهو ناشئة وبقيال ما ينشا في الليل من الطاعات حكاه الجوهري الثالثة
قوله تعالى هي اشد وطاء قرا ابو العالية وابو عمرو وابن ابي اسحق ومجاهد
وحميد وابن محيصن وابن عامر والمغيرة وابو حياة وطا بكسر الواو وفتح
الطا والمد واختاره ابو عبيد الباقون وطاء بفتح الواو وسكون الطاء
مقصورة واختاره ابو حاتم من قولك اشتدت على القوم وطاه سلطانهم
اي ثقل عليهم ما حملهم من الموت ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد
وطاتك على مضر فالمعنى انه اثقل على المصلي من ساعات النهار وذلك ان
الليل وقت منام وتودع واحمام فمن شغله بالعادة فقد يحمل المشقة العظيمة
ومن مد فهو مصدر واطات وطاء ومواطاه اي وافقته قال ابن زيد واطاته
على الامر مواطاه اذا وافقته من الوفاق وفلان يواطي اسمه اسمي وتواطوا
عليه اي توافقوا فالمعنى اشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان
لانقطاع الاصوات والحركات قاله مجاهد وابن ابي مليكة وغيرهما وقال
ابن عباس معناه اي يواطي السمع قال الله تعالى ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا وقيل المعنى استدعاء للتفرغ في التفكر
والتدبر والوطا خلاف العطا وقيل استد وطاء بسكون الطا وفتح الواو اي
اشد تبانا من النهار لان الليل يخلوا فيه الانسان بما يعمله فيكون ذلك اثبت
للعمل وابقى لما تعلمه ويشغل القلب والوطا الثبات يقول وطات الارض تطا
وقال الاخفش اشد قياما للقرا انبت قراة وقياما وعنه اشد وطا اي اثبت
للعمل وادوم لمن اراد الاستكثار من العبادة والليل وقت طلوع فراغ عن

استمرال المعاش فعبادته تدوم ولا تنقطع وقال الكلبي اشد وطاء اي اثقل نشاطا للمصلي لانه في زمان راحته وقال عبادة اشد واحفظ واثبت للقراءة الرابعة قوله تعالى واقوم قيلا • اي القراءة بالليل اقوم سمتا بالنهار اي اشد استقامة واستمرارا على الصواب لان الاصوات هادئة هادئ بها والدنيا ساكنة ساكتة فلا يضطرب على المصلي ما يقرره قال قتادة ومجاهد اي اصوب للقراءة واثبت للقول لانه زمان التفهم وقال ابو علي اقوم قيلا اي اشد استقامة لفراغ البال بالليل وقيل اي اعجل اجابة للدعا حكاه ابن سجره وقال عكرمة عبادة الليل اتم نشاطا واتم اخلاصا واكثر بركة وعن زيد بن اسلم احدر ان يفقه في القرآن وعن الاعمش قال اقرا انس بن مالك ان ناشئة الليل هي اشد وطاء واصوب قيلا نقيل له واقوم قيلا فقال اصوب واقوم واهيا سواء قال ابو بكر الانباري وقد ترامى ببعض هؤلاء الرافضة الى ان قال ان من قرا حرفا يوافق معنى حرف من القرآن فهو مصيب اذا لم يخالفه ولم يات بغير ما اراد الله وقصد له واحتجوا بقول ابن مسعود هذا وهذا قول لا يسوغ عليه ولا ينتحل قائله لانه لو قرئ بالظاء يخالف الظاء القرآن اذا اعاربت معانيهما واشتملت على معانيها الجاز ان يقرا في موضع الحمد لله رب العالمين الشكر لله رب الجارية لمخلوقين ويسمع الامر في هذا حتى يبطل لظنه جميع القرآن ويكون التالي له مفتريا على الله جل وعز كاذبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حجة لهم في قول ابن مسعود نزل القرآن على سبعة احرف انما هو كقول احدهم هلم وتعال واقبل لان هذا الحديث يوجب ان القراءات المأثورة المنقولة بالاسانيد الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اختلفت الفاظها انتقضت معانيها كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم وتعال واقبل فاما ما لم يقرا به النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وبايعوهم رضي الله عنهم فانه من اورد حرفا منه في القرآن بهت ومان وخرج عن مذاهب الصواب قال ابو بكر والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الصلة لا تصح مذهبه اهل العلم لانه مبني على رواية الاعمش عن انس فهو منقطع ليس بمتصل لتوحد به من قبل ان الاعمش راى انسا ولم يسمع منه الخامسة قوله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا قراءة العامة بالحاء غير معجمة اي تصرفا في حوائجك واشغالا واوادا براودها بها وسبحا والسبح الجري والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد الجري قال امرؤ القيس •

• اذا ما السابحات على الونا اثرن غبارا بالكديد المركل •

وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا للحاجات بالنهار وقيل ان لك في النهار سبحا اي نوما والسبح النوم ذكر الجلسي وعن ابن عباس وعطا سبحا طويلا يعني فراغا طويلا ليومك وراحتك فاجعل ناشئة الليل لعبادتك وقال الزجاج ان فاتك في الليل شيء فلك في النهار فراغ للاستدراك وقرا يحيى وابن يعمر وابو وايل سبخا بالحا المعجمة قال المهدوي ومعناه النوم ويجوز ذلك عن العارس بهذه القراءة وقيل معناه الخفة والسعة والاسترخاء ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة وقد دعت على سارق رداءها لا تسبخي بدعائك عليه اي لا تخففي عنه باثمه قال الشاعر •

• سبخ عليك الهم واعلم بانه اذا افترا الرحمن شيا فكابن •

الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمى اي خففها وسبخ الحر فتر وخفف والسبخ اليوم الشديد والسبخ ايضا يوسع القطن والكتان والصوف وسعدتها يقال للمراة سبخي قطنك والتسبيخ من القطن ما تسبخ بعد الحرف اي يلف ليغزله المراة والقطعة منه سبيخة وكذلك من الصوف والوبر ويقال لقطع القطن سبائخ قال الاخطل يصف العساس والكلاب •

• فارسلوهن يدرين الزاب كما يدري سبائخ قطن بيد اوتار •

وقال تقلب السبح بالحا التردد والاضطراب والسبح السكون ومنه

قول

قول النبي صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم فبردوها بالماء اي سكنوها وقال
ابو عمر والسخ اللوم والتراخ قلت فعلى هذا يكون من الاضداد ويكون
بمعنى السخ بالخاء غير المعجمة قوله تعالى واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا
فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى واذكر اسم ربك اي ادعه باسمائه الحسنى
ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة وقيل اقصد بعملك وجه ربك وقال
سهل اقرا بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك يوصلك بركه قرائتها الى
ربك ويقطعك عما تهواه وقيل واذكر اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر على
طاعته وتعدك عن معصيته وقال الكلبي صل لربك اي بالنهار
قلت وهذا احسن فانه لما ذكر الليل ذكر النهار اذ هو قسيمه وقد قال
تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
على ما تعلم الثانية قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا التبتل الانقطاع
الى عبادة الله عز وجل اي انقطع بعبادتك اليه ولا تشرك به غيره يقال
تبتل الشيء اي قطعته ومنه قولهم طلقها بتلة بتلة وهذه صدقة بتلة بتلة
اي بائنة منقطعة عن صاحبها اي قطع ملكه عنها بالكلية ومنه مريم البتول
لانقطاعها الى الله تعالى ويقال للراهب متبتل لانقطاعه عن الناس وانفراده
بالعبادة قال

يضئ الظلام بالعشاء كأنها منارة ممسى راهب متبتل

وفي الحديث النهي عن التبتل وهو الانقطاع عن الناس والجماعات
وقيل ان اصله عند العرب التفرد قاله ابن عرفة والاول اقوى
لما ذكرنا ويقال كيف قال تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل له لان معنى تبتل
تبتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة الحق الفواصل آية ثلاثة قد مضى
في المائدة في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم كراهة لمن تبتل وانقطع وسلك سبيل الرهبانية بما فيه
كفاية قال ابن العربي واما اليوم فقد مرحت عهود الناس وخفت
اماناتهم واستولى الحرام على الحلال فالعزلة خير من الخلطة والهرب
خير من التماهل ولكن محلي الآية انقطع عن الاوثان والاصنام وعن
عبادة غير الله وكذلك قال مجاهد معناه اخلص له العبادة ولم يرد التبتل
فصار التبتل مأمورا به في القرآن منهي عنه في السنة وسبق الامر
غير منعلق النهي فلا تناقض واما بعث ليبين للناس ما نزل
اليهم فالتبتل المأمور به الانقطاع الى الله باخلاص العبادة كما قال وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك
النصارى في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند فساد الزمان
يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر تعرمد بنية
من الفتن قوله تعالى رب المشرق والمغرب قرا اهل الحرميين وابن
عبيص ومجاهد وابو عمرو وابن ابي اسحق وحفص رب بالرفع على الابتداء والخبر
لا اله الا هو وقيل على اضمار هو الباقون رب بالخفض على نعت الرب تعالى
في قوله واذكر اسم ربك رب المشرق ومن علم انه رب المشارق والمغارب
انقطع بحوله واسلمه اليه فاتخذه وكيلا اي قائما بامورك وقيل كفيلا بما وعدك
قوله تعالى واصبر على ما يقولون اي من الاذى والسب والاستهزاء
ولا يجزع من قولهم ولا يمتنع من دعائهم واهجرهم هجرا جميلا اي لا تتعرض
لهم ولا تستقل مكافاتهم كان في ذلك ترك الدعاء الى الله وكان هذا قبل
الامر بالقتال ثم امر بقتالهم وقتلهم فنسخت اية القتال ما كان قبلها
من الترك قاله قتادة وغيره وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه وتضحك
اليهم وان قلوبنا لتلعنهم قوله تعالى وذرني والمكذبين
اي ارض لي بعقابهم نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم
ذكرهم في الانفال وقال يحيى بن سلام اسمهم بنو المغيرة وقال سعيد بن
جبير اجترت اسمهم اثنى عشر رجلا اولي النعمة اي اولي الغنى والترفه والدنيا

الدنيا

ومعلهم قليلا يعني الى مدة اجالهم قالت عايشة رضي الله عنها لما نزلت
هذه الاية لم يكن الا يسيرا حتى وقعت وقعة بدر وقيل ومعلهم قليلا مدة الدنيا
قوله تعالى ان لدينا انكالا وجحيما الانكال القيود عن الحسن ومجاهد
وغيرهما واحدها نكل وهو ما منع الانسان من الحركة وقيل سمي بكلا لانه يتكل
به قال الشعبي انزوت ان الله تعالى جعل الانكال في رجل اهل النار خشية
ان يهربوا لاوالله كلهم اذا ارادوا ان يرتفعوا استثقلت بهم وقال
الكلبي الانكال الاغلال والاول اعرف في اللغة ومنه قول الحساء
• • دعاك فقطعت انكاله وفزكن قبلك لا تقطع •
وقيل انه انواع العذاب الشديد قاله مقاتل وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله يحب النكل على النكل بالتحريك قاله الجوهري قيل
وما النكل قال الرجل القوي المجرب على العرس القوي المجرب ذكره الماوردي
قال ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته وكذلك النكل وكل عذاب قوي فاشتد
والجحيم النار المؤججة وطعاما ذا غصة اي غير سايغ يأخذ بالحلق لا هو نازل
ولا خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع قاله ابن عباس وعنه ايضا
انه شوك يدخل الحلق فلا يدخل ولا يخرج وقال الزجاج اي طعامهم الضريع
كما قال ليس لهم طعام الا من ضريع وهو شوك كالوسيج وقال مجاهد هو كالزقوم
كما قال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والمعنى واحد وقال حمران بن اعين
قرا النبي صلى الله عليه وسلم ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة
فصعق وقال جليد بن حسان امسي الحسن عندنا صايما فاتيته
بطعام فعرضت له هذه الاية ان لدينا انكالا وجحيما فقال ارفع الطعام فلما
كانت الثالثة اتيته بطعام فعرضت له هذه الاية فقال ارفعوه وسئله
في الثالثة فانطلق ابنه الى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكا فجاؤهم
فجاءوه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق والغصة الشجى وهو ما
يتشبث في الحلق من عظم او غيره وجمعها غصص والغصص بالفتح مصدر
قولك غصصت يا رجل بفتح فانت غاص بالطعام وغصان واغصصته
انا والمنزل غاص بالقوم اي ممتلئ بهم قوله تعالى يوم ترجف الارض
والجبال اي تتحرك وتضطرب بمن عليها وانتصب يوم على الظرف اي
يتكلون ويعذبون يوم ترجف الارض وقيل بنزع الخافض يعني هذه العقوبة
في يوم ترجف الارض والجبال وقيل العامل ذرني اي وذرني والمكذبين
يوم ترجف الارض وكانت الجبال اي وتكون والكثيب الرمل المجتمع قال
حسان • عرفت ديار زينب بالكثيب كخط الوحي في الورق القشيب •
والمهيل الذي يرجف الارض قال الضحاك والكلبي المهيل الذي اذا وطئته
بالقدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهال وقال ابن عباس مهيلا اي
رملا سايلا متناثرا واصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب
اهيله اهالة وهيلا اذا صببته فالمهيل والمهيول ومكيل ومكيول ومديب
ومديوث ومحين ومعيون قال الشاعر •
• فان كان قومك يحسبونك سيدا ولطال انك سيد مغبون •
وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انهم شكوا اليه الحر وقالوا انكيظ
ام نميلوث قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واهيلت
الرقيق لغة في هلت فهو مهال ومهيل وانما حذفنا الواو لان اليا تثقل
فيها الضمة فحذفت فسكنت هي والواو فحذفت الواو لالتقا الساكنين
قوله تعالى انا ارسلنا اليكم رسولا يعني النبي صلى الله عليه وسلم
ارسله الى قريش كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى فعصى فرعون
الرسول اي كذب به ولم يؤمن قال مقاتل ذكر موسى وفرعون لان اهل
مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون
ازدرى موسى لانه ربا وتشا فيهم كما قال تعالى الم نربك فينا
وليدا قال الممدوح ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره

وكذلك اختير في اول الكتب سلام عليكم وفي اخرها السلام عليكم وبلا تشديد اوطب
وبيل اي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قال الاخفش
وقال الزجاج اي تثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وخيل بهلكا قال
• اكلت بعيك اكل الضب حتى وجدت مرارة الكلا والوبيل •
واستوبل فلان كذا اي لم يجد عاقبته وماء وبيل اي وخيم غير مرو وكلا مستوبل
وطعام وبيل ومستوبل اي اذا لم تمرء ولم يستمر قال زهير
• • تعصوا مسايا نبيهم ثم اصدروا الى كلا مستوبل متوخم
• • وفي التنزيل الحسنا •
• • لقد اكلت جميلة يوم لاقت فوارس مالك اكلا وبيلا
• والوبيل ايضا العصا الضخمة قال
• • لو اصبح في يمنى يدي رماحها وفي كفي الاخرى وبيل يخادره •
وكذلك الوبيل بكسر الباء والموبل ايضا الحرمة من الحرمل من الحطب وكذلك الوبيل
قال طرفة عنيلة تسبح كالوبيل المبرد فكيف تتقون ان
كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا هو تقريع وتوبيخ اي كيف تتقون العذاب
ان كفرتم وفيه تقديم وتاخير اي كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم
وكذا قراءة عبد الله وعطية قال الحسن اي باي صلاة تتقون العذاب
اي يوم تتقون العذاب وفيه اضمار اي كيف تتقون عذاب يوم
وقال قتادة والله ما تبقى من كفر بالله ذلك اليوم شيئ ويوما مفعول
بتتقون على هذه القراءة وليس بظرف وان قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم
مفعول كفرتم وقال بعض المعتزلين وهو امام على قوله ان كفرتم والابتداء
يوما يذهب الى ان اليوم مفعول تجعلون والجعل لله عز وجل كما انه قال يجعل
الله الولدان شيبا في يوم ابن الانباري وهذا لا يصح لان اليوم هو الذي يفعل
هذا من شدة هوله المهد وبه والضمير في يجعل يجوز ان يكون لله عز وجل ويجوز
ان يكون لليوم واذا كان لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح ذلك اذا كان
الضمير لله عز وجل الا مع تقدير حذف كانه قال يوما يجعل الله الولدان فيه
شيبا ابن الانباري وسئل من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علقت
بكفرتم احتاج الى صفة كفرتم بيوم فان احتج محتج بان الصفة قد تحذف
وتنصب ما بعدها احتجنا عليه بقراءة عبد الله فكيف تتقون يوما قلت
هذه القراءة لم تسمع متواترة وانما جاءت على وجه التفسير واذا كان الكفر
بمعنى الجحود فيوما مفعول صريح من غير صفة ولا حذف فكيف تتقون انتم و
تخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجراوغ ابو الهيثم فكيف تتقون بكسر
النون والولدان الصبيان وقال السدي هم اولاد الزنا وقيل اولاد المشركين
والعموم اصح ان يشيب فيه الصغير من غير كبر وذلك حين يقال لادم قم
فابعث بعث النار على ما تقدم في اول سورة الحج قال الفسوي ثم اهل
الجنة بغير اسراحوا لهم واوصافهم على ما يريد وقيل هذا ضرب مثل لشدة
ذلك اليوم وهو مجاز لان يوم القيمة لا يكون فيه ولدان ولكن معناه ان هيبة
ذلك اليوم بحال لو كان فيه صبي لشاب رأسه من الهيبة وبقال
هذا وقت الفزع قبل ان ينفخ في الصور نفخة الصعق والله اعلم الرمخشري
وتزعم في بعض الكتب ان رجلا اسمه يحيم الشعر لحماك العراب وهو اصبح
وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة تقال اربت الغلام اذا ابيض الشعر
في المنام ورايت الناس يتعادون في السلاسل الى النار فمن هو ذلك اصبحت كما
ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه الى الشيخوخة
والشيب **قوله تعالى** السما منفطر به اي منشقة لشدته ومعنى به اي فيه
اي في ذلك اليوم لهوله هذا لحسن ما قبل فيه ويقال متفطر به انثى لا يوجد به الى
انفطارها لعظمته عليها وحسبتها من وقوعه كقوله تعالى ثقلت في السموات
والارض ويجيل به اي لذلك اليوم يقال جعلت كذا تجرمتك اي لحرمتك والباء
واللام وفي متقارب في مثل هذا الموضع قال الله تعالى ونضع الموازين القسط

ليوم القيمة اي في يوم القيامة وقيل به اي بالاسراء السماء منفطر به بما يجعل
الولدان شيبا وقيل منفطر بامره اي بامره وقال ابو عمرو بن العلاء لم
يقل منفطره لان مجازها السقف تقول هذا سماء البيت قال الشاعر
• فلو رفع السماء الينا قومنا لطنا بالسماء وبالسحاب •
وفي التنزيل وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال الفراء السماء تذكر وتؤنث وقال
ابو علي هو من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر وقال
ابو علي ايضا السماء انفطار كقولهم امرأة مرضع اي ذات ارضاع فجرى مجرى
السبب كان وعده اي بالقيامة والحساب والجزاء مفعولا كائنا لا شك فيه ولا خلف
وقال الفراء كان وعده بان يظهر دينه على الدين كله قوله تعالى ان هذه تذكرة يريد
هذه السورة او الايات عظة وقيل ايات القرآن اذ هو كالسورة الواحدة فمن شاء
اتخذ اليه ربه اي سبيلا اراد والي رحمته فليرغب فقد امكن له لانه اظهر له الحق والدلائل
ثم قيل نسخت بآية السيف وكذلك قوله تعالى فمن شاء ذكره قال الثعلبي والآية
الله غير منسوخ ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل الى آخر السورة
فيه ثلاث عشرة مسئلة الاولى ان ربك يعلم انك تقوم هذه الآية تفسير
لقوله تعالى قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه
كما تقدم وهي الناسخة لفرضية صلاة الليل كما تقدم مبينا بصلى آي
اقل وقرأ ابن السميفع وابو حيوة وهشام عن اهل الشام ثلثي
بإسكان اللام ونصفه وثلثه بالخفض فراه العامة عطفا
ثلثي المعنى ويقوم ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه وثلثه واختاره ابو
عبيد وابو حاتم لقوله تعالى علم ان لن تحصوه فكيف يقومون نصفه
او ثلثه وهم لا يحصونه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه
بالنصب عطفا على ادنى التقدير تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
وثلثه قال الفراء وهو اشبه بالصواب لانه قال اقل من الثلثين الثلث
وعلى هذه القراءة يجمل انهم كانوا يصيبون الثلث والنصف لحد القيام
عليهم فيأتيه بذلك القدر وكانوا يزيدون وفي الزيادة اصابة المقصود
فاما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبون ويقصرون منه ويحتمل
انهم امروا بقيام نصف الليل ورخص لهم في الزيادة والنقصان وكانوا يتفاوتون
في الزيادة الى قريب من الثلثين وفي النصف الى الثلث ويحتمل انهم قدروا لهم
النصف وانقص الى الثلث والزيادة الى الثلثين وكان فيهم من يحيي ذلك
وفيهم من يترك ذلك الى ان نسخ عنهم وقال قوم انما افترض عليهم الوسط
فكانوا يتفاوتون من الربع وهذا القول حكم التاسعة قوله تعالى والله
يقدر الليل والنهار اي يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها وانتم تقلبون
بالتحرك والاجتهاد الذي يقع فيه الخطأ علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا
معرفة حقائق ذلك والقيام به وقيل ان لن تطيقوا قيام الليل والاول
اصح فان قيام الليل ما فرض كله فقال معناه كل وغيره لما نزلت فاقرءوا
ما تيسر الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه شق ذلك عليهم وكان
الرجل منهم يظل الليل من ثلثه يقوم حتى يصبح مخافة ان لا يجيء والتقدير
اقدامهم وانتفخت الوانهم فرحمهم الله وخفف عنهم فقال تعالى علم ان لن
تحصوه وان مخففة من الثقيلة اي علم انكم لن تحصوه لانكم اذا زدتم ثقل عليكم
واختتم الى تكليف ما ليس فرضا وان نقصتم تتوقى ذلك عليكم الثالثة
قوله تعالى فتاب عليكم اي عاد عليكم بالعفو وهذا يدل على انه كان فيهم
من ترك بعض ما امر وقيل اي فتاب عليكم من فرض القيام ان عجزتم واصل
التوبة الرجوع كما تقدم في المعنى رجع لكم من التثقيل الى التخفيف ومن عسر الى يسر
وان امروا بحفظ الاوقات على طريق التحري فخفف عنهم ذلك التحري
وقيل معنى والله يقدر الليل والنهار وخلقهما مقدرين لقوله تعالى وخلق
كل شيء فقدره تقديرا ابن العربي تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم وانما يربط الله
به ما يشاء من وظائف التكليف الرابعة قوله تعالى فاقرءوا ما

تتيسر من القرآن فيه قولان احدهما ان المراد نفس القراءة اي فاقرؤا فيما تواصلونه
بالليل ما خف عليكم قاله الشعبي ما يتهيأ الحسن من قرأ ما يتهيأ يتهيأ في ليلة
لم يحاجه القرآن قال كعب من قرأ في ليلة مائة آية كتب من العابدين ومن
قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بالف آية كتب من المصطفين حرجه
ابو داود الطيالسي في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو قد ذكرناه في مقدمة الكتاب
والحمد لله القول الثاني فاقرؤا ما تيسر منه اي فصلوا ما تيسر عليكم والصلاة
تسمى قرآنا كقوله تعالى وقرآن الفجر اي صلاة الفجر ابن العربي والاول اصح لانه عن
الصلاة اخبر والها يرجع القول قلت الاول اصح حملا للخطاب على
ظاهر اللفظ والقول الثاني انما ذكره من تسمية الشيء ببعض ما هو اعماله الخامسة
قال بعضهم لعلها قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه نسخ قيام الليل ونصفه والنقصان
من النصف والزيادة عليه ثم احتمل قول عز وجل فاقرؤا ما تيسر منه معنيين
احدهما ان يكون فرضا منسوخا ان يصل بغيره كما ان يصل به غيره وذلك لقوله تعالى
ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فاحتمل قوله
تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي بتهجد بغير الذي فرض عليه مما تيسر
منه قال الشافعي وكان الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين
فوجدنا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب من الصلاة الا
الخمس الا دسته قال الشعبي ابو نصر والمشهور ان نسخ قيام الليل كان
في حق الامة وثبتت العزيمة في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ التقدير
بمقدار وبقي اصل الوجوب كقوله تعالى فما استيسر من الهدي فالهدي لابد
منه لذلك ثم لم يكن بد من صلاة الليل ولكن فرض قدره ابى اختيارا لمصلي وعلى هذا
فقد قال قوم فرض قيام الليل بالتقليل باق وهو قيام مذهب الحسن وقال قوم نسخ
بالكلية فلا تجب صلاة الليل وهو مذهب الشافعي ولعل العزيمة التي ثبتت
في حق النبي صلى الله عليه وسلم هي هذه وهو قيامه ومقدار مفوض الى خيرته
واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه معناه
اقرؤا ان تيسر لكم ذلك وصلوا ان شئتم وصار قوم الى ان النسخ بالكلية تقرر
في حق النبي صلى الله عليه وسلم ايضا كانت صلاة الليل واجبة عليه
وقوله تا فلة لك محمول على حقيقة النفل ومن قال نسخ المقدار وبقي اصل
وجوب قيام الليل ثم نسخ هذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلاة
كقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس وقوله تعالى فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وما في الخبر من ان الزيادة على الصلوات الخمس تطوع
وقيل وقع النسخ بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة كما ان فريضة الصلاة وان خوطب بها النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل كانت عامة له ولغيره وقد
قيل ان فريضة قيام الليل امتدت الى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة لقوله
تعالى علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل
الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وانما فرض القتال بالمدينة فعلى هذا
بيان المواقيت جرى بمكة فقيام الليل نسخ بقوله ومن الليل فتهجد به
نافلة لك وقال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
نسخ قول الله ان ربك يعلم انك تقوم وجوب صلاة الليل السابقة قول الله
تعالى ان سيكون منكم مرضى لاية بين سبحانه علة تخفيف قيام الليل فان
المكلف منهم المريض ويشق عليهم قيام الليل والمجاهد كذلك تخفف الله عن
الكل لاجل هؤلاء وان في ان سيكون تخفيفا من التثقيلة اي علم ان سيكون
التاسنه سوى الله تعالى في هذه الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين
المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان والافضال فكان هذا دليلا
على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جميعه مع الجهاد في سبيل الله وروى
ابراهيم عن علقمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب
طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة

الشهيدا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهدا وقرا واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب الي من الموت بين شعبي رجل ابتغي من فضل الله ضاربا في الارض وقال طاوس الساعي على الارملة والمسلمين كالمجاهد في سبيل وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله بيع الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق سعة في السعر فقال له التجار للوكيل ان اخرته جمعة ربحت فيه اضعافه فاخره جمعة فلم يرح فيه اسنانه فكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام ربا هذا اتاكما فتعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وقد جنبت علينا جناية فاذا اتاك كتابي هذا فخذ المال وتصدق به على فقراء البصرة ولبئس الجوامن الاحتكار كذا قال الاعلى ولاجل ويروى ان غلاما من اهل مكة كان لاتراب المسجد فاتقذره ابن عمر فمشى الى بيته فقالت امه هو على طعيم له يبيعه فلقيه فقال له يا بني مالك وللطعام فهلا ابلا فصلا بغرا فحلا غنما ان صاحب الطعام يجب المحل وصاحب الماشية يجب الميت الثامنة قوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه اي صلوا ما امكن فاوجب الله من صلاة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك بايجابه الصلوات الخمس على تقدم قال ابن العربي وقد قال قوم اذ فرض قيام الليل سن في ركعتين من هذه الاية قاله البخاري وغيره وعقد بابا وذكر فيه حديث لعقد الشيطان على قافية راس احدكم ثلاث عقد بضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فاذا استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان توضا انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وذكر حديث سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرويا قال اما الذي يبلغ راسه بالحجر فانه ياخذ القرآن ويرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وحيث عبد الله بن مسعود قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نيام الليل كله فقال ذلك رجل بال الشيطان في اذنه قال ابن العربي وهذه احاديث متناقضة مطلق الصلوات المكتوبة فتحمل المطلق على المقيد لاحتمالها قال عبد الله بن عمرو قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ولو كان فرضا ما امره النبي صلى الله عليه وسلم ولا اخر عمل هذا الخبر عنه بل كان يذمه على ما يدل عليه الزم وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر قال كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم اذا راى رويا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم وكنت غلاما شابا عزبا وكنت انام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايت في النوم كان ملكين اخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البير واذا لها قرنان واذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت اقول اعوذ بالله من النار قال ولقينا ملك فقال لي لم ترع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان بعد لا ينام من الليل الا قليلا لوكان فلو كان لترك القيام متعصبة لما قال له الملك لم ترع الحاسرة اذا ثبت ان قيام الليل ليس بفرض وان قوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن فاقرؤا ما تيسر منه محمول على ظاهره من القراءة في الصلاة فقال مالك والشافعي فاتحة الكتاب لا تجزئ الحدر عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدره ابو حنيفة باية واحدة من اي القرآن كانت وعنه ثلاث ايات لانها اقل سورة ذكر القول الاول الماوردي والثاني ابن العربي والصحيح ما ذهب اليه مالك والشافعي على ما بيناه في سورة الفاتحة اول الكتاب والحمد لله وقيل المراد قراءة القرآن في غير الصلاة قال الماوردي فعلى هذا يكون مطلق هذا الامر محمولا على الوجوب او على الاستحباب دون الوجوب وهذا قول الاكثرين ٢

لانه

ذلك لوجب عليه ان يقرأه لوجب عليه ان يحفظه التالي الله محمول على الوجوب ليقف بقرائته على اعجازه ودلايل التوحيد منه ان يحفظه لان حفظ القرآن من اقرب المستحبة الواجبة فقد مر ما تضمنه هذا الامر من القراءة خمس اقاويل احدها جميع القرآن لان الله تعالى يسره على عباده وقاله الضحاك الثاني ثلث القرآن حكاه جويبر الثالث مائتا ايه قاله السدي الرابع مائة ايه قاله ابن عباس الخامس ثلاث ايات قاله ابو خالد الكناني الحادية عشر قوله تعالى واقيموا الصلاة يعني المفروضة وقال الحارث الحكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل صدقة التطوع وقيل كل افعال الخير وقال ابن عباس طاعة الله والاخلاص له الثانية عشرة قوله تعالى وافرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصا من المال الطيب وقد مضى في سورة الحديد بيانه وقال زيد بن اسلم القرض الحسن النفقة على الاهل وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله الثالثة عشرة

• • وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله تقدم في سورة البقرة وروي عن عمر بن الخطاب انه اتخذ حيسا يعني تمرا بلبن فجاءه مسكين فاخذه ودفع اليه فقال بعضهم ما يدري هذا المسكين بدرك ما هو فيه كانه تاول وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا اي مما تركتم وخلفتم ومن السحر والتقصير واعظم اجرا قال ابو هريرة الجنة وجملة ان يكون اعظم اجرا لاعطائه بالحسنة عشرا ونصب خيرا واعظم على المفعول الثاني لتجدوه وهو فصل عند البصريين وعماد في قول الكوفيين لا محل له في الاعراب واجرا تمييز واستغفروا الله اي سلوه المغفرة لذنوبكم انه غفور رحيم لما كان قبل التوبة رحيم لكم بعدها قاله سعيد بن جبير والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

• • سورة المدثر مكية

• • في قول الجميع وهي ست وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم • قوله تعالى

يا ايها المدثر فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها المدثر اي يا ذا الذي قد تدثر بثيابه اي تغشى فيها ونام واصل التدثر فادغمت التاء في الدال لقاربهما وقد قرا ابي المتدثر على الاصل وقال معظم هذه السورة في الوليد بن المغيرة وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه فبينا انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاءني حراء جالسا على كرسي بين السماء والارض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئثت منه فرقا فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر في رواية قبل ان تفرض الصلاة وهي الاوثان قال ثم تتابع الوحي خرجه الترمذي ايضا وقال حديث حسن صحيح قال مسلم وحدثنا زهير بن حرب قال حدثنا الوليد بن مسلم قال حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى يقول سالت ابا سلمة اي القرآن انزل قبل قال يا ايها المدثر فقلت اواقرا فقال جابر احدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم ار احدا ثم نوديت فنظرت فلم ار احدا ثم نوديت فرفعت راسي فاذا هو على العرش في الهوي يعني جبريل صلى الله عليه وسلم فاخذتني رجفة شديدة فاتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني فصبوا علي ماء فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر خرجه البخاري وقال فيه فاتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء باردا فدثروني وصبوا علي

ما باردا فنزلت يا يها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر
ولا تمنن تستكثر ابن العربي وقد قال بعض المفسرين ان جبريل عاتب النبي صلى
الله عليه وسلم من غيبته امر فرجع الى منزله مغموما فغلق واضطجع فنزلت
يا يها المدثر وهذا باطل قال القشيري ابو نصر وقيل بلغه قول كفار مكة انك
ساحر يوجد من ذلك غما وحرفتر بثيابه فقال الله تعالى قم فانذر اي
لا تفكر في قولهم وبلغهم الرسالة وقيل اجتمع ابو لهب وابو سفيان والوليد
ابن المغيرة والنضر بن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وايل ومطعم بن عدي
وقالوا قد اجتمعت وفود العرب في ايام الحج وهم يتسالون عن امر محمد وقد اختلفتم
في الاخبار عنه فمن قائل يقول مجنون واخر كاهن واخر يقول شاعر ويعلم
العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فسموا محمدا باسم واحد يجتمعون عليه
وسمته العرب به فقام فقام منهم رجل فقال ساعر فقال الوليد سمعت
كلام ابن الابرص وامية بن ابي الصلت وما يشبه كلام محمد كلام واحد منهما
فقالوا كاهن فقال الكاهن يصدق ويكذب وما كذب محمد قط فقام اخر فقال
مجنون فقال الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل وقالوا ما لك يا ابا عبد شمس
هذه قريش تجمع شيئا يعطونكه زعموا انك قد احفظت وصبأت فقال الوليد ما لي
الى ذلك حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت ما يكون من اساحر فقبل نفرق
بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المراة وزوجها فقلت انه ساحر شاع
هذا في الناس وصاحوا يقولون ان محمدا ساحر ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة ونزلت يا يها المدثر اي بالنبوة وانتفاؤها ابن
العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد وعلى انها اول القرآن لم يكن
يمكن منها بعد ان كانت تاليا ما نزل انتابيذ قوله تعالى قم فانذر يا يها المدثر
ملاطفة في الخطاب بيبي الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصيغة
ولم يقل يا محمد ويا فلان لشعرا لدين والملاطفة من ربه كما تقدم في سورة المزمل
وسئله قول النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل اذ ناداه في المسجد قم يا ابا تراب
وكان خرج مغاضبا لفاطمة رضي الله تعالى عنها فسقط رداه واصابه تراب
خرجه مسلم وسئله قوله عليه الصلاة والسلام لحذيفة ليلة الخندق قم يا نومان
وقد تقدم الثالثة قوله تعالى قم فانذر اي خوف اهل مكة
وحذرهم العذاب ان لم يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته لانه يتقدم من
الرسالة وقيل هو دعاؤهم الى التوحيد لانه المقصود بها وقال الغزالي ثم فصل
وامر بالصلاة الرابعة قوله تعالى وربك فكبر اي سيدك ومالكك
ومصلح امرك فعظم وصغره بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد او في حديث اغتسل
قالوا ثم يفتتح الصلاة فنزلت وربك فكبر اي وصغر بانه اكبر قال
ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي لعمومه تكبير الصلاة فانه مراد فيه
تكبير التقريب والتنزيه لخلع الانداد والاصنام دونه ولا تتخذ وليا غيره ولا تعبد
سواه ولا تزجي لغيره فعل الاله ولا تعد الا منه وقد روي ان ابا سفيان قال يوم
احد اعتدل عتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد صار هذا
اللفظ يعرف الشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة وذكر تقول الله اكبر
يصل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق في موارده منها
قول تحريمها التكبير وتحليلها السلام والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي لعمومه
ومن موارده اوقات الاهلال بالذبائح تخليصا له من الشرك واعلاما باسمه بالنسك
واعراضا لما شرع لامر اسفك قلت قد تقدم في اول سورة البقرة ان هذا اللفظ
الله اكبر هو المتعبد به في الصلاة المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي التفسير
انه لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر
فكبرت خديجة وعلمت انه الوحي من الله تعالى ذكره العشر الخامسة
الثانية في قوله تعالى ثم كبر دخلت على معنى جواب الجزاء كما دخلت في فانذر وثم فكبر
وربك قاله الزجاج وقال ابن جني هو كقولك زيدا فاضرب اي زيدا اضرب
قال القاضي ابو بكر السادسة قوله تعالى وثيابك فطهر فيه عشر اقوال

احدها

احدها ان المراد بالثياب العمل الثاني الثالث النفس الرابع الجسم الخامس لاهل
السماء الخلق السابع الدين الثامن الثياب الملبوسات على الظاهر فمن ذهب الى القول
الاول قال تاويل لابيك وعملك فاصلح قاله مجاهد وابن زيد وروي منصور عن ابي
رزين قال يقول وعملك فاصلح قال واذا كان الرجل حبيث العمل قالوا ان فلانا لخبيث
الثياب واذا كان حسن العمل قالوا ان فلانا لطاهر الثياب ونحوه عن السدي

• • • وسنه قول الشاعر • • •

• لاهم ان عامر بن جهم • اودع حجانى ثياب وسم •

ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء في ثوبه الذي مات
فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي ومن ذهب الى القول الثاني قال
تاويل لابيك وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وله قول امرئ القيس

• • فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي • اي قلبي من قلبك قال الماوردي ولهم
في تاويل لابيك وجهان احدهما معناه وقلبك فطهر من الغدر اي لا تغدر
تكون دنس الثياب وهذا مروي عن ابن عباس واستشهد بقول غيلان بن
سلمة الثقفي • ثياب بني عوف طهارى نقية • واوجههم عند المشاهد غران •

ومن ذهب الى القول الثالث قال تاويل لابيك ونفسك فطهر اي من الذنوب
والعرب تكني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس ومنه قول عنترة

• وسكلت بالرمح الطويل ثيابه • ليس الكريم على القنا بمحرم •

• • • وقال امرؤ القيس

• فسلي ثيابي من ثيابك تنسلي • وقال شاب بلى غوف •

• • • وثيابك نفسك فاوجهم عند المشاهد غران •

اي انفس بلى غوي ومن ذهب الى القول الرابع قال تاويل لابيك وجسمك فطهر
عن المعاصي الظاهرة ومما جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالثياب
قول ذكرت ابلا ذموها بالثياب خفاف فلم يركبوا لها شحما الا لتعام المعزاء
اي ركبوها فرموها بالضعف ومن ذهب الى القول الخامس قال تاويل لابيك واهلك
فطهر من الخطايا بالوعظ والتاديب والعرب تسمي الاهل ثوبا ولباسا وازارا
قال الله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن الماوردي ولهم في تاويل لابيك
وجهان احدهما معناه وثيابك فطهر باختيار المومنات / لعفايف التاسع /
الاستمتاع بمن في الفيء دون الدبر في الطهر الحيض حكاه بحر ومن ذهب الى
القول السادس قال تاويل لابيك وخلقك فحسن والقرطبي لان خلق الانسان
مشتمل على احواله اشتمال ثيابه على نفسه وقال الشاعر

• ويحيى لا يلام بسوء خلق • ويحيى ظاهرا لا ثوب حر •

اي حسن الاخلاق ومن ذهب الى القول السابع قال تاويل لابيك ودينك فطهر
وفي الصحيحين عنه عليه السلام قال ورايت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ
الثدي ومنها ما دون ذلك ورايت عمر بن الخطاب وعليه ازار يجره قالوا يا رسول
الله فما اولت ذلك قال الدين ورويه ابن وهب عن مالك انه قال ما يعجبني
ان اقرا القرآن الا في الصلاة في المساجد لاني الطرق قال الله تعالى وثيابك
فطهر يريد ما لك انه كني عن الثياب بالدين وقد روي عبد الله بن نافع
عن ابي بكر بن عبد العزيز عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن مالك بن انس
في قوله تعالى وثيابك فطهر اي لا تلبسها على عدة ومنه قول ابي كبير الهذلي

• • ثياب بني عوف طهارى نقية • واوجههم عند المشاهد غران •

يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدناءة ويعني بغرة وجوههم تنزيههم عن المحرمات
او حالهم في الخلقة او كلها قاله ابن العربي وقال سفيان بن عيينة لا تلبس
ثيابك على كذب ولا جور ولا غدر ولا اثم قاله عكرمة ومنه قول الشاعر

• • اودم جاني ثياب في وسم • اب قد نسمها بالمعاصي

• • • وقال الشاعر

• • دقاق النعال طيب حجراتهم • يبيتون بالريحان يوم السباسب •

ومن ذهب الى القول الثامن قال ان المراد بها الثياب الملبوسات قالهم في تاويله

عملك هذه من الله عليك اجعل الله لك سبيلا الى عبادته الخامس قال
الحسن لا تمنن على الله بعملك فتكثره السادس لا تمنن بالسنة والقرآن على
الناس فتاخذ منهم اجرا تستكثر به السابع قال الغزنوي لا تعط مالك
مصانعة قال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطية فاعطها لوجه الله تعالى
لا تقل دعوت فلم يستجب لي الثامن لا تعط طاعة ولا تطلب ثوابها ولكن
اصبر حتى يكون الله يثيبك عليها العاشر لا تفعل الخير لترى لله الناس
النتيجة هذه الاقوال وان كانت مرادة فاظهرها قول ابن عباس لا تعط
لتاخذ اكثر مما اعطيت من المال يقال بعت فلانا كذا اي اعطيته ويقال
العطية المن فكان امر بان يكون عطاياه لله لا لارتقاب ثواب من المخلوق
عليها لانه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا ولهذا قال مالي مما افاء الله عليكم
الا الخمس والخمس مردود عليكم وكان ما يفضل من نفقة عياله وفا الى مصالح
المسلمين ولهذا لم يورث لانه كان لا يملك لنفسه الادخار والاقتناء وقد
عصمه الله تعالى عن الرغبة في شيء من الدنيا ولهذا حرمت عليه الصدقة
واثبت له الهدية فكان يقبلها ويثيب عليها وقال لو دعيت الى ذراع
لاجبت ولو اهدي الي كراع لقبلت ابن العربي فكان يقبلها وسنة ولا يستكثرها
شرعا واذا كان لا يعطي عطية يستكثرها فالاعتبار والاولى بالاجتناب
لانها باب من ابواب المذلة وذلك من قول من قال ان معناه لا تعطي عطية
تنتظر ثوابها قال الانتظار تعلق بالاطماع وذلك كره بحكم الامتناع وقد
قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وذلك جائز لسائر الخلق لانه من متاع
الدنيا وطلب الكسب والتكاثر بها واما من قال اراد به العمل لا تمنن علي الله
بعملك فتستكثره فهو صحيح قال ابن ادم لو اطاع الله عمره من عنبر فتور لما بلغ
لبعر الله بعض الشكر الثالثة قوله تعالى ولا تمنن قراه العامة بالظهار
التضعيف وقرا ابو سماك الحدوي واشهب العقيلي والحسن ولا تمنن مدغمة
مفتوحة تستكثر قراة العامة بالرفع وهي في محل الحال تقول جا زيد يركض
اي راكضا اي لا تعط شيئا مقدارا ان تاخذ بدله ما هو اكثر منه وقوله
الحسن بالجزم على جواب النهي وهو رديء لانه ليس بجواب ويجوز ان يكون
بدلا من تمنن كانه قال ولا تستكثر وانكره ابو حاتم وقال لان المن
ليس بالاستكثار يتبدل منه ويحتمل ان يكون تخفيفا لعضد او ان يعتبر
حال الوقف وقرا الاعمش وحيي تستكثر بالنصب توهم لام كي كانه قال
ولا تمنن تستكثر وقيل هو باضمار ان كقوله

• • • • الا ايهذا الزاجري احضر الوغا •

وبوجهه قراة ابن مسعود ولا تمنن تستكثر قال الكسائي فاذا حذف ان رفع
وكان المعنى واحدا وقد يكون لمن يعني النعماء على النعم عليه بالنعم فيرجع
الى القول وبعضده قوله تعالى لا يتطاولوا صيد فانكم بالمن والاذى وقد
يكون مرادا في هذه الاية والله اعلم قوله تعالى ولربك فاصبر
اي ولسيدك وما لكك فاصبر على اداء فرايضه وعبادته وقال مجاهد
على ما اوذيت وقال ابن زيد حملك امر اعظم الجبابرة العرب والعجم فاصبر
على النفخ وقرا ابو سماك الحدوي واشهب العقيلي والحسن ولا تمنن مدغمة
مفتوحة تستكثر قراة العامة بالرفع وهي في محل الحال تقول جا زيد يركض
اي راكضا اي لا تعط شيئا مقدارا ان تاخذ بدله ما هو اكثر منه وقوله
الحسن بالجزم على جواب النهي وهو رديء لانه ليس بجواب ويجوز ان يكون
بدلا من تمنن كانه قال ولا تستكثر وانكره ابو حاتم وقال لان المن
ليس بالاستكثار يتبدل منه ويحتمل ان يكون تخفيفا لعضد او ان يعتبر
حال الوقف وقرا الاعمش وحيي تستكثر بالنصب توهم لام كي كانه قال
ولا تمنن تستكثر وقيل هو باضمار ان كقوله

• • • • الا ايهذا الزاجري احضر الوغا •

وبوجهه قراة ابن مسعود ولا تمنن تستكثر قال الكسائي فاذا حذف ان رفع
وكان المعنى واحدا وقد يكون لمن يعني النعماء على النعم عليه بالنعم فيرجع
الى القول وبعضده قوله تعالى لا يتطاولوا صيد فانكم بالمن والاذى وقد
يكون مرادا في هذه الاية والله اعلم قوله تعالى ولربك فاصبر
اي ولسيدك وما لكك فاصبر على اداء فرايضه وعبادته وقال مجاهد
على ما اوذيت وقال ابن زيد حملك امر اعظم الجبابرة العرب والعجم فاصبر
عليه لله وقيل فاصبر على البلوى لانه يمتحن اولياءه واصفياءه وقيل على
اوامره ونواهيه وقيل على فراق الاهل والاوطان قوله تعالى فاذا
نقر في الناقور اذا نفخ في الصور والناقور فاعول من النقر كانه الذي من شانه
ان ينقر فيه للتصويت والنقر في كلام العرب التصويت ومنه قول
امرئ القيس • احفظ بالنقر لما علونه • ويرفع طرفا غير جاف ممضيض •
وهم يقولون نقر باسم الرجل اذا دعاه فحسبما له بدعائه وقال
مجاهد وغيره هو كهيئة البوق ويعني به النفخة الثانية وقيل الاولى لانها
اول الشدة الهائلة العامة وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في النحل
والانعام وفي كتاب التذكرة والحمد لله وعن ابي حباب قال امشار

اربعة اوجه احدها هنا ه وثيابك فانق ومنه قول امرء القيس ٠

ثياب بني عوف طهارى نقية ٠ الثاني وثيابك فشمر وتصدر
فان تقصير الثياب ابعد من النجاسة فاذا انجرت على الارض لم يؤمن ان
يصيبها ما ينجسها قاله الزجاج وطاوس الثالث وثيابك فطهر من النجاسة
بالماء قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء الرابع لا تلبس ثيابك الا من
كسب حلال لتكون مطهرة من الحرام وعن ابن عباس لا تكن ثيابك التي تلبس
من مكسب غير طاهر قال ابن العربي وذكر بعض ما ذكرناه ليس بممتنع ان يحمل الآية
على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز واذا حملناها على الثياب المعلومة
الطاهرة فهي تتناول معنيين احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت
تدنست ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لغلام من الانصار وقد رآه
اذياله مسترخيا ارفع ازارك فانه اتقى وابقى قال النبي صلى الله عليه
وسلم في الصحيح ازرة المؤمن الى انصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين
الكعبين ما كان اسفل من ذلك ففي النار فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم
الغاية في لباس الازار الكعب ونوعد ما تحته بالنار وما زال رجالة يرسلون
اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذا محال الا الكبر وغاية
العجب من يجعل الله محمد غيره ولا الحق به سواه قال النبي صلى الله
عليه وسلم لا ينظر الله الى من يجر ثوبه خيلاء ولفظ الصحيح من جر ازاره خيلاء
لم ينظر الله اليه يوم القيمة قال ابو بكر يا رسول الله ان احد شقي ازاري
يسترخي الا اني اتعاهد ذلك منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست من تصنعه
خيلاء فعم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي واستثنى الصديق فاراد الائمة
وبالحاق انفسهم بالرفعا وليس ذلك لهم والمعنى الثاني غسلها عن
النجاسة وهو ظاهر منها صحيح فيها المندوب وبه استدل بعض العلماء على
وجوب طهارة الثوب قال ابن سيرين وابن زيدة لا تصل الا في ثوب
طاهر واحتج بها الشافعي على وجوب طهارة الثوب ولبست عند مالك
واهل المدينة بفرض وكذلك طهارة البدن ويدل على ذلك الاجماع على جواز
الصلاة بالاستجمار من غير غسل وقد مضى هذا المعنى في سورة براءة مستوفى
قوله تعالى والرجز فاهجر قال مجاهد وعكرمة يعني الاوثان دليله قوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقاله ابن عباس وابن زيد وعن ابن
عباس ايضا والماتم فاهجر اي فاترك وكذا روي مغيرة عن ابراهيم
النخعي قال الرجز الاثم وقال قتادة الرجز اساءة وقيل الرجز العذاب
اعتقادا للغيب وقيل الرجز العذاب على تقدير حذف المضاف
المعنى وعمل الرجز فاهجرا والعمل المودي الى العذاب واصل الرجز العذاب
قال الله تعالى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقال تعالى فارسلنا
عليهم رجزا من السما فسميت الاوثان رجزا لانها تودي الى العذاب وقراءة
العامة الرجز بكسر الراء وقرا الحسن وعكرمة ومجاهد وابن محيصن وحفص
عن عاصم والرجز بضم الراء هما لغتان مثل الركز والذكر وقال ابو
العالية والربيع والكسائي الرجز بالضم الصنم وبالكسر النجاسة والمعصية
وقال الكسائي ايضا بالضم الوثن وبالكسر العذاب وقال السدي
الرجز بضم الراء الوعيد قوله تعالى ولا تمنن تستكثر فيه عشرة وبلاث
الاول لا تمنن على ما تتحمل من اثقال النبوة كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب
الغير التابع لا تعط عطية تلتمس بها افضل منها قاله ابن عباس وعكرمة
وقتادة قال الضحاك هذا حرمه الله تعالى على رسوله صلى الله
عليه وسلم لانه مامور باشرف الاداب واجل الاخلاق واباحه لامته
وقال مجاهد الثالث عن مجاهد ايضا لا تضعف ان تستكثر من الخير
من قولك جبل مهتضم اذا كان ضعيفا ويدل له قراءة ابن مسعود ولا تمنن
تستكثر من الخير الرابع عن مجاهد ايضا والربيع لا تعظم عملك في عينك
ان تستكثر من الخير فانه مما انعم الله عليك قال ابن كيسان لا تستكثر

ه زرارة بن اوفى فلما بلغ فاذا انقر فى الناقور خر ميتا فذلك يومئذ يوم عسير
على الكافرين اى فذلك اليوم يوم شديد على الكافرين ايى على من كفر بالله
وبانبيائه صلى الله عليهم غير يسير اى غير سهل ولا هين وذلك ان عقد ضعر
لا تحمل الا الى عقدة اشد منها بخلاف الموحدين المذنبين فانهم
تحمل الى ما هو اخف حتى يدخلوا الجنة برحمة الله تعالى ويومئذ نصب على تقدير
فذلك يوم مئذ يوم عسير وقيل بدل من اسم اشارة فذلك الثانى يوم مئذ يوم عسير وقيل
وقيل يجوز ان يكون رفعا الا انه بنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن قوله تعالى
ذرنى ومن خلقت وحيدا ذرنى اى دعنى وهى كلمة وعيد وتهديد ومن خلقت
اى دعنى والذى خلقته وحيدا او وحيدا على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف
اى خلقته وحده لا مال له ولا ولد ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته والمعنى رد
على الله الوليد بن المغيرة المخزومى وان كان الناس خلقوا مثل خلقه فانما خص
بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة واذا الرسول عليه السلام وكان يسمى الوحيد
فى قومه قال ابن عباس كان الوليد يقول انا الوحيد بن الوحيد ليس لى فى العرب
نظير ولابى المغيرة نظير وكان يسمى الوحيد فقال الله تعالى ذرنى ومن خلقت
بن عمه وحيدا الا ان الله صدقه بانه الوحيد وقال قوم ان قوله تعالى وحيدا
يرجع الى الرب تعالى على معنيين احدهما ذرنى وحدى معه فانا اخبرك
فى الانتقام منه عن كل منتقم والثانى ان افردت بخلقه ولم يشركنى فيه
احد وان اهلكه ولا احتاج الى ان اصرف فى اهلاكه فوحيدا على هذا حال من ضمير
الفاعل وهى التاء فى خلقت والاول قول مجاهد اى خلقته وحيدا على هذا يرجع
الى الوليد اى لم يكن شيئا فملكته وقيل اراد بذلك ليدل له على انه يبعث وحيدا
كما خلق وحيدا وقيل الوحيد الذى لا يعتنى ابوه وكان الوليد كذلك فانه دعى
كما ذكرنا فى قوله عتل بعد ذلك زنيم وهو فى صغار الوليد ايضا قوله تعالى
وجعلت له مالا ممدودا اى بسطت له فى عطيته ما لا ممدودا وهو ما كان للوليد
بين مكة والطائف من الابل والحجور والنعم والجنان والعبيد والجوارى كذا كان ابن
عباس يقول وكان مجاهد عليه الف دينار وقال سعيد بن جبير وابن عباس ايضا
وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثورى وقتادة اربعة الاف دينار
الثورى ايضا الف دينار وقيل كان له بستان لا ينقطع خيره ستا ولا صيفا
وقال عمر رضى الله عنه وجعلت له مالا ممدودا عليه شهر بشهر النعمان بن سالم
ايضا بالتشديد والاظهر انه اشارة الى ماله مما لا ينقطع زرقه بل يتوالى كالزرع والضرع
والتجارة قوله تعالى وبنين شهودا اى حضورا لا يغيبون عنه فى سفر قال
مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقيل اثنى عشر قاله السدى والضحاك قال الضحاك
سبعة ولدوا بمكة وثلاثة ولدوا بالطائف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة
عشر ولدا معه كانوا سبعة كلهم رجال اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد
الوليد قال فلما نزلت الوليد بعد نزول هذه الاية فى نقصان من ماله وولده
حتى هلك وقيل شهودا اى قد صاروا مثله فى شهود ما كان يشهده والقيام
بما كان يباشره والاول قول السدى اى حاضرين بمكة لا يظعنون عنه
فى تجارة ولا يغيبون قوله تعالى ومهدت له تمهيدا اى بسطت له ما
كما ذكرنا فى قوله عتل بعد ذلك زنيم وهو فى صغار الوليد ايضا قوله تعالى
وجعلت له مالا ممدودا اى خولته فاعطيته ما لا ممدودا وهو ما كان للوليد
بين مكة والطائف من الابل والحجور والنعم والجنان والعبيد والجوارى كذا كان ابن
عباس يقول وكان مجاهد عليه الف دينار وقال سعيد بن جبير وابن عباس ايضا
وقال قتادة ستة الاف دينار وقال سفيان الثورى وقتادة اربعة الاف دينار
الثورى ايضا الف دينار وقيل كان له بستان لا ينقطع خيره ستا ولا صيفا
وقال عمر رضى الله عنه وجعلت له مالا ممدودا عليه شهر بشهر النعمان بن سالم
ايضا بالتشديد والاظهر انه اشارة الى ماله مما لا ينقطع زرقه بل يتوالى كالزرع والضرع
والتجارة قوله تعالى وبنين شهودا اى حضورا لا يغيبون عنه فى سفر قال
مجاهد وقتادة كانوا عشرة وقيل اثنى عشر قاله السدى والضحاك قال الضحاك
سبعة ولدوا بمكة وثلاثة ولدوا بالطائف وقال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة
عشر ولدا معه كانوا سبعة كلهم رجال اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد
الوليد قال فلما نزلت الوليد بعد نزول هذه الاية فى نقصان من ماله وولده
حتى هلك وقيل شهودا اى قد صاروا مثله فى شهود ما كان يشهده والقيام
بما كان يباشره والاول قول السدى اى حاضرين بمكة لا يظعنون عنه
فى تجارة ولا يغيبون قوله تعالى ومهدت له تمهيدا اى بسطت له ما
فى العيش بسطا حتى اقام ببلده مطمئنا متنعما يرجع الى رأيه والتمهيد
عند العرب التوطئة والتهيئة ومنه مهد الصبى وقال ابن عباس ومهدت
له تمهيدا اى وسعت له ما بين اليمن الى الشام وقاله مجاهد وعن مجاهد
ايضا فى مهدت له تمهيدا انه المال وبعضه فوق بعض كما يمهد الفراش قوله
تعالى ثم يطمع ان ازيد اى ثم ان الوليد يطمع بعد هذا كله ان ازيده فى المال
والولد كلا اى ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم وقال الحسن وغيره اى ثم يطمع
ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا لما خلقت الجنة الا لى
فقال الله تعالى ردا عليه تكذيبا له كلا اى ليست الزيادة فلم يزل النقصان فى ماله
وولده حتى هلك وثم فى قوله تعالى جعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون وذلك كما تقول اعطيتك ثم انت تجحدنى كالمتعجب من ذلك

وقيل

وقيل يطمع ان اترك ذلك في عنيد وذلك انه كان يقول لمحمد امبتورا ابي ابتر ومنقطع ذكره بموته وكان يظن ان مال رزق لا ينقطع بموته وقيل ابي ثم انه انصره على كفره وكلا قطع للرجاء مما كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويكون ابتداء انه يعني الوليد بن المغيرة عنيدا فعيل من جالس وهو جليس قاله مجاهد وعند بعند بالكسر اي يخالف ورد الحق وصرف فهو عنيد وعاند والعاند البعير الذي يجود عن الطريق ويعدل عن القصد والجمع عند مثل راكع وركع ابو عبيدة واشد قول الحارثي

• اذا ركبت فاحملاني وسطا اني كبير لا اطيق العندا •

• وقال ابو صالح عنيدا معناه مباعدا قال الشاعر •

• ارنا على حال تفرق بيننا نؤي عريذا ان العراق عنود •

قتادة جاحدا مقاتل معرضا ابن عباس جحودا وقيل انه المهاجر بعدا وانه وعن مجاهد ايضا قال مجانبا للحق مخالفا له معرضا عنه والمعنى كله متقارب والعرب تقول عند الرجل اذا عتا وجاوز قدره والعنود من الابل الذي لا يخالط الابل. انما هو في ناحية ورجل عنود اذا كان يجل وحده لا يخالط الناس والعنز من البقر وعرق عاند اذا الم بفؤاده كل هذا قياس واحد وقد مضى في سورة ابراهيم وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف ثم قال **سأرهقه** صعودا اي سأكلفه وكان ابن عباس يقول سأغيه والادهان في كلام العرب ان يحمل الانسان على الشيء صعودا الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي كذلك فيه ابدا رواه ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجه الترمذي وقال فيه حديث غريب وروي عطية عن ابي سعيد قال صخرة في جهنم اذا وضعوا ايديهم عليها ذابت واذا رفعوها عادت فذاك قيل لغ اعلاها في اربعين سنة يجذب امامه سلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى اذا بلغ اعلاها رمي بها الى اسفلها فذلك دابه ابدا وقد مضى هذا المعنى في سورة قل اوحي وفي التفسير انه صخرة ملساء يكلف صعودها فاذا صار في اعلاها خرر في جهنم فيقوم بهوي الف عام من قبل ان يبلغ قرارها جهنم يحترق في كل يوم سبعين مرة ثم يعاد خلقا جديدا وقال ابن عباس سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيه ونحوه عن الحسن وقتادة وقيل انه تضاعف نفسه للنزع وان لم يبلغه موت ليعذب من داخل جسده كما يعذب من خارجه **قوله تعالى** انه فكر وقدر يعني الوليد فكر في شأن النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر اي هذا الكلام في نفسه والعرب تقول قدرت الشيء اذا هيأته وذلك انه لما تلا عليهم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله ابيه المصير سمع الوليد بعضها فمال الى ابي جهل فقال والله لقد سمعت منه كلاما لا هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له الحلاوة وعليه الطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى عليه وما يقول هذا بشر فعابت قريش صبأ الوليد ليصبون قريش كلها وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق اليه حزينا فقال له مالي اراك حزينا فقال له ومالي لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبرسنك وبزعمون انك رسب كلام محمد وندخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لنتال من فضل طعامهما فغضب الوليد وتكبر وقال ما احتاج الى كسر محمد وصاحبه فانتم تعرفون فقر مالي والدات والحرث مالي حاجة الى ذلك وانما انتم تزعمون ان محمدا يجنون فهل رأيتموه قط يجن قالوا لا والله قال فتزعمون انه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط وقد رأينا الكهنة اسحارا وحالها فهل رأيتموه كذلك قالوا لا قال وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه قط نطق بشعر قط قالوا لا والله قال فتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه كذبا قط قالوا لا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الامين من كثرة صدقه فغالت قريش للوليد فما هو فكر في نفسه ثم نظر ثم عبس فقال ما هذا الا سحر ما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده وموالية فما ذلك قوله تعالى انه فكر في امر محمد والقرآن وقدر في نفسه ما ذا يمكنه ان يقول فيهما فقتل اي لعن وكان بعض اهل التأويل يقول معناها قهر وغلب وكل بذلك ومقتل قال

• • وما درفت عبدك الا لتعذبي • بسميك بي اعشار قلب مقتل •

وقال الزهري عذب وهو من باب الدعا كيف قدر فقال ناس كيف للتعجيب كما يقال للرجل تتعجب
من صنيعه كيف فعلت هذا وذلك قوله انظر وقيل قتل بضرب من العقوبة بعد
ثم قتل لضرب آخر من العقوبة كيف قدر اي على اي حال قدر ثم نظر يا بي بسى
شيء يرد الحق ويدفعه ثم عبس اي قطب بين عينيه في وجوه المومنين وذلك انه لما
حمل قرشيا على ما حملهم عليه من القول في محمد صلى الله عليه وسلم يا له ساحر من على جماعة
من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس في وجوههم وقيل عبس ولبس على النبي
صلى الله عليه وسلم دعاه والعبس مصدر عبس مخفف العبس عبسا وعبوسا
اذا قطب والعبس ما يتعلق باذناب الابل من البعار وابوالها قال ابو النجم
• • • • • كان في اذنابهن الشول من عبس الصيف قرون الابل • • • •
وبسر اي كلح وجهه وتغير لونه قاله قتادة والسدي ومنه قول بسر بن ابي حازم •
• • • صبحنا غيما غدان العجان • سميدعا ملمومة باسره •
• • • • وقال • • • •

البشر اي لاهلها قال الاخفش وانشد

• • سقتني على لوح من الماشرية سقاها به الله الزهام الغواديا •

يعني باللوح شدة العطش والياح اي عطش والزهام جمع زهمة بالكسر وهي المطرة الضعيفة وازهمت السحابة انت بالزهام وقال ابن عباس لواحة اي تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام الحسن تلوح لهم جهنم حتى يرونها عيانا تظهر وبرز الجحيم للغاوين وفي البشر وجهان احدهما انها الانس من اهل النار قاله الاخفش والاكرون التالي انه جمع بسرة وهي جلدة الانسان الظاهرة قاله مجاهد وقتادة وجمع البشر البشار وهذا على التفسير الاول واما على تفسير ابن عباس فلا استفهام فيها لان الناس لا الخلود لانهم من لاح الشيء يلوح اذا لمع قوله تعالى عليها تسعة عشرهم خزنتها مالك وثمانية عشر ملكا ويحتمل ان يكون التسعة عشر نقيبا ويحتمل ان يكون تسعة عشر ملكا باعيانهم وعلى هذا اكثر المفسرين الثعلبي ولا ينكر هذا فاذا كان مدبر واحد يقبض ارواح جميع الخلائق كان احرى ان يكون تسعة على عذاب بعض الخلائق وقال ابن جريج نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال كان اعينهم البرق وكان افواههم الصياصي يجرون اشعارهم لاحدهم من القوة مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرميهم في النار ويرمي فوقهم الجبل قلت وذكر ابن المبارك قال حدثنا حماد بن سلمة عن الازرق بن قيس عن رجل من بني تميم قال كنا عند ابي العوام فقرا هذه الآية وما ادراك ما سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر فقال ما تسعة عشر الف ملك او تسعة عشر ملكا قال قلت لا بل تسعة عشر ملكا قال وابي تعلم ذلك فقلت لقول الله عز وجل وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا قال صدقت هم تسعة عشر ملكا بيد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوي بها في النار سبعين الفا وعن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر فيها من ربيعة ومضر وخرج الترمذي عن عبد الله قال قال ناس من اليهود لاناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قالوا لا ندري حتى نسأله فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب اصحابك اليوم فقال وماذا غلبوا قال سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال فماذا قالوا لا ندري حتى نسأل نبينا لانهم قد سألوا نبيهم فقالوا ارنا الله جهرة على باعياد الله اني سائلهم عن تربة الجنة وهي الدرمك قالوا يا ابا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة قالوا نعم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا ثم قالوا اخبرنا يا ابا القاسم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الخبز من الدرمك قال ابو عيسى هذا حديث انما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجاهد عن الشعبي عن جابر وذكر ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب وقال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم ان يضرب المنسم فيدفع تلك الضربة سبعين الفا الى قعر جهنم قلت والصحيح ان شاء الله تعالى انهم لا تسعة عشرهم الرؤساء والنقباء واما جملتهم بالعبارة عنهم كما قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤتى جهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وقال ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزل عليهم تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهم اي العدد والشجعان فيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اي لم نجعلهم رجالا يطاقون

مثالبتهم ويقال جعلهم ملايكة لانهم خلاف جزالمعذبين من الجن والانس فلا يأخذهم
ما يأخذ المجانين من الرافة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله
وبالغضب لله فهو من هوادتهم ولانهم اشد الخلق باسا واقواهم بطشا وما جعلنا
عدتهم الا فتنة اي بلية وروي عن ابن عباس من غير وجه قال ضلالة الذين
كفروا يريد اباجهل ودوره وقيل الاعذاب كما قال يوم هم على النار يفتنون
ذوقوا فتنتكم اي جعلنا ذلك سبب كفرهم وسبب العذاب وفي تسعة عشر
سبع قرا ات قراة العامة تسعة عشر وقرا ابو جعفر بن القعقاع وطلحة بن سليمان
تسعة عشر باسكان العين وعن ابن عباس تسعة عشر بضم الها وعن انس بن
مالك تسعة وعشرة ذكرها المهدوي وعنه ايضا تسعة وعشر ذكرها المهدوي
وقال من قرا تسعة عشرا سكن العين للتوالي الحركات ومن قرا تسعة وعشر
جاء به الاصل قبل التركيب وعطف عشرا على تسعة وحذف التنوين لكثرة الاستعمال
واسكن الواو من عشر على نية السكوت عليها ومن قرا تسعة عشر وكانه من التداخل
كانه اراد العطف وترك التركيب فرفعها التابيك ثم راجع البنا واسكن واما
تسعة اعشر فغير معروف وقد ذكرها ابو حاتم وكذلك تسعة وعشر لانها
محمولة على تسعة اعشر والواو بدل من الهمزة وليس كذلك عند النحويين الزمخشري
وقرا تسعة اعشر جمع عشر مثل يمين وايمن قوله تعالى ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب اي ليوقن الذين اعطوا التوراة والانجيل اي عدد خزنة جهنم
موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم ثم انه
يزيد الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام ويجتمل ان يريد الكل ويزداد الذين
امنوا ايمانا بذلك لانهم كلما صدقوا بما في كتاب الله امنوا ثم ازدادوا ايمانا لانه قد تقدم
بعدد خزنة جهنم ولا يرتاب اي ولا يشك الذين امنوا ونوا اي اعطوا الكتاب
والمنوث اي المصدقون من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في ان عدد خزنة جهنم
تسعة عشر وليقول الذين في قلوبهم مرض اي في صدورهم شك ونفاق من منافقي
اهل المدينة الذين يكونون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ولم يكن بمكة نفاق وانما
يتم بالمدينة وقيل المعنى اي وليقول المنافقون الذين يكونون يتجمون في مستقبل
الزمان بعد الهجرة والكافرون اي اليهود والنصارى ماذا اراد الله بهذا مثلا
يعني بعدد خزنة جهنم وقال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة
نفاق فالمرض في هذه الاية الخلاف والكافرون اي مشركو العرب وعلى القول الاول
اكثر المفسرون ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم
مشاكين وبعضهم قاطعين بالكذب وقوله تعالى اخبارا عنهم ماذا اراد الله بهذا
مثلا العدد الذي ذكره حديثا اي ما هذا في الحديث قال اللبيث المثل الحديث
ومنه سئل الجنة الذي وعد المتقون اي حديثها والخبر عنها كذلك يضل
الله اباجهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم يضل اي يعمي ويجزي من يشا ويهدي
من يشا ويهدي اي ويرشد من يشا كارشاد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل كذلك يضل الله عن الجنة من يشا ويهدي الى الجنة من يشا وما يعلم جنود ربك الا هو
اي وما تدري عدد ملايكة ربك الذين خلقهم لتعذيب اهل النار الا هو الا انه
جل ثناوه وهذا جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد من الجنود الا تسعة عشر
وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم عنا يهم حين قالوا جبريل يجلس عنده
ما بني ملك فقال ان ربك يامرك وكذا وكذا فخشي النبي صلى الله عليه وسلم
ان يكون سبطانا فقال يا جبريل انطلق فقال هو ملك وما كل ملايكة ربك اعرف
وقال الاوزاعي قال موسى يا رب من في السما قال ملايكتي قال كم عدتهم
يا رب قال اثنى عشر سبطا قال كم عدة كل سبط قال عدد التراب ذكرهما الثعلبي
وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا قوله تعالى وما هي الا ذكرى
للبشر يعني الدلالة والعبر وقيل وما هي اي وما هذه النار التي هي سقر
الا ذكرى اي موعظة للبشر اي للخلق وقيل نار الدنيا تذكرة لنار الاخرة
قاله الزجاج وقيل اي ما هذه العدة الا ذكرى للبشر اي ليتذكروا ويعلموا

كما لخزنة

كما قدرنا الله فانه لا يحتاج الى اعوان وانصار بالكناية على هذا في قوله تعالى وما هي يرجع الى الجنود لانه اقرب مذكور كلا والقمر فال العكبري كلا اصلية للقسم التقدير براي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذين التقديرين على كلا ولجاز الطبري في الوقف عليها وجعلها ردا للذين زعموا انهم معاد ثوت خزنة جهنم اي ليس الامر يقول من زعم هذا ومخزنة النار ثم اقسم على ذلك جل وعز بالقمر وما بعده فقال والليل اذا دبر اي ولي وكذلك دبر وقرا نافع وحمزة وحفص اذا دبرا لباقون اذا بالالف ودبر بغير الف وهما لغتان بمعنى يقال دبر وادبر وكذلك اقبل الليل وقبل وقد قالوا امسى الدابر والمدبر قال صخر بن عمرو بن عثمان السلمي ولقد قتلتكم ثنا وموحدا وتركت مرة مثل امس الدابر ويروى المدبر وهذا قول الفراء والاخفش قال بعض اهل اللغة دبر الليل اذا مضى وادبر اخذ في الادبار وقال مجاهد سالت ابن عباس عن قوله تعالى والليل اذا ادبر بالعين وكذلك في مصحف عبد الله وامر بالعين وقال فظرب من قرا دبر فجبني اقبل من قول العرب دبر فلان اذا جاء من خلفي قال ابو عمرو وهي لغة قريش وقال ابن عباس في رواية عنه الصواب ادبرا نما يدبر ظهر البعير ولختار ابو عبيد دبر قال لا اكره موافقة الحروف الذي يليه الا فراه يقول والصبح اذا اسفر فكيف يكون احدهما اذا والاخر اذا وليس في القرآن قسم تعقبه اذا وانما تعقبه اذا وهي اسفرضاء وقراة العامة اسفر بالالف وقرا ابن السميفع سفروها لغتان يقال سفر وجه فلان واسفر اذا ضاء وفي الحديث اسفروا بالفجر فانه اعظم للاجر اي صلوا صلاة الصبح مسفرين ويقال طولوها الى الاسفار والاسفار الاضاءة واسفر وجهه حسنا اي اشرق وسفرت المراة كشفت عن وجهها فهي سافر وزيجوز ان يكون سفر الظلام اي كشفه كما يسفر البيت اي يكشف ومنه السفير لما يسقط من ورق الشجر وحات يقال انما سمي سفيرا لان الريح تسفره اي تكنسه والسفرة المكنسة مسالة استدل بها الحنفي بهذه الاية على الاسفار بالصبح قوله انها لاحدى الكبر جواب القسم اي ان هذه النار لاحدى الكبر اي لاحدى الدواهي وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسماء النار وروي عن ابن عباس انها اي تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر اي لكبيرة من الكبائر وقيل ان قيام الساعة لاحدى الكبر والكبر هي العظائم من العقوبات قال الراجز

• يا ابن العلي نزلت لاحدى الكبر داهية الدهر وهما العنبر •

ولحرة الكبر كبري مثل الصغرى والصغرى والعظمى والعظم وقراة العامة لاحدى وهو اسم بني اسرائيل بيت وليس مبنيا على المذكر نحو عقبى واحزى والنون الف قطع لا يذهب في الوصل وروي جرير بن حازم عن ابن كثير انها لحدى الكبر بحذف الهمزة نذيرا للبشر برفع النار اي ان هذه النار الموصوفة نذيرا للبشر فهو نصب على الحال من المضمر في انها قاله الزجاج وذكر ان معنى العذاب او اراد ذات انذار على معنى النفس كقولهم امراة طالق وطاهر وقال الخليل النذير مصدر كالنكير ولذلك يوصف به المونث وقال الحسن والله ما انذر الخلائق بشيء اذهى منها وقيل المراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم اي قم نذيرا للبشر اي نحوفا لهم فعرفوا حال من قم في اول السورة حين قال قم فانذر قال ابو علي الفارسي وابن زيد وروي عن ابن عباس وانكره الفراء ابن الانباري وقال بعض المفسرين معناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر وهذا قبيح لان الكلام فرط التحام بينهما وقيل هو من صفة الله تعالى روي ابو معاوية الضرير حدثنا اسماعيل بن سميع عن ابي رزين نذيرا للبشر قال يقول الله عز وجل انا لكم منها نذيرا تقولها ونذيرا على هذا نصب على الحال اي وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة منذرا بذلك البشر وقيل هو حال من هو في قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وقيل هو في موضع المصدر كانه قال انذر انذارا للبشر قال الفراء يجوز ان يكون النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا للبشر قال الفراء يجوز ان يكون النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا لهم وكقوله تعالى فكيف كان نذير اي انذاري فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة اي قم فانذر انذارا

وقيل هو منصوب باضمار فعل وقرا ابن ابي عبلة نذير بالرفع على اضمار هو وقيل
اي ان القران نذير للبشر لما تضمنه من الوعد والوعيد قوله تعالى لمن
يشاء منكم ان يتقدم او يتاخر اللام متعلقة بنذيرا اي نذيرا لمن شاء منكم ان يتقدم
الى الخير والطاعة او يتاخر الى الشر والمعصية نظيره ولقد علمنا المتقدمين منكم
اي في الخير ولقد علمنا المستاخرين عنه قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان
خرج مخرج الخبر كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقال
بعض اهل التاويل معنا لمن شاء الله ان يتقدم) ويتاخر فالمشيئة متصلة
بالسجل تناوه والتقدم الايمان والتاخر الكفر وكان ابن عباس يقول
هذا تهديد واعلام ان من تقدم الى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم حوزب بثواب لا ينقطع ومن تاخر عن الطاعة وكذب محمدا صلى الله عليه
وسلم عوقب عقابا لا ينقطع وقال السدي لمن شاء منكم ان يتقدم الى النار
المتقدم ذكرها او يتاخر عنها الى الجنة قوله تعالى كل نفس بما كسبت
رهينة اي مرتهنة بكسبها ماخوذة بعملها اما خلصها واما اوبقها وكسبت
رهينة تانيث رهين في قوله تعالى كل امرء بما كسب رهين انما ذكر النفس لانه
لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المونث والمذكر
وانما هو اسم اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت
رهين ومنه بيت الحماسة * ابعد الذي بالنعف كعب لو يكب *
رهينة رمس ذي بواب وجندل * كانه قال رهين رمس والمعنى كل نفس معين
بكسبها عبد الله غير محكوك الا ان اصحاب اليمين فانهم لا يرهنون بذنوبهم
واختلف في تعيينهم فقال ابن عباس الملايكة علي بن ابي طالب اولاد المسلمين
لم يكسبوا ان يرتهنوا بكسبهم الصبيان الذين سبقت لهم من الله الحسنى ونحوه عن
ابن جريج قال كل نفس بعملها محاسبة الا اصحاب اليمين وهم اهل الجنة فانهم
لا يحاسبون وكذا قال مقاتل ايضا هم اصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين ادم يوم
الميثاق حين قال الله لهم هولاء في الجنة ولا ابالي وقال الحسن وابن كيسان
هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم وعن ابي ايوب
عن ابن عباس قال هم المسلمون وقيل الا اصحاب الحق واهل الايمان وقيل
هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقال ابو جعفر الداعي نحو وشيعتنا اصحاب
اليمين وكل من ابغضنا اهل البيت فهم المرتهنون وقال الحكم هم الذين اختارهم
الله لخاصته فلم يدخلوا في الرهن لانهم خدام الله وصفوته وكسبهم لم يضرهم
وقال القاسم كل نفس ماخوذة بكسبها من خير او شر الا من اعتمد على الفضل والرحمة
دون الكسب والحرمة وكل من اعتمد على الكسب فهو مرهون وكل من اعتمل
على الفضل فهو غير مرهون به في جنات اي في بساتين يتساءلون اي يسالون عن المجرمين
اي المشركين ما سلككم اي ادخلكم في سقر كما تقول سلكت الخيط في كذا اذا ادخلته
فيه قال الكلبي يتساءل الرجل من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه ويقول
له يا فلان وفي قراءة عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلكك في سقر وعنه قرا عمر بن
الخطاب يا فلان ما سلكك في سقر وهي قراءة علي للتفسير لا انها قران كما زعم من طعن
في القران قاله ابو بكر الانباري وقيل ان المومنين يسالون الملايكة عن
اقربائهم فتسال الملايكة المشركين فيقولون لهم ما سلككم في سقر قال
الفراء في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين الولدان لانهم لا يجرمون الذين قالوا لم
نك من المصلين يعني اهل النار اي المومنين الذين يصلون ولم نك نطعم المسكين
اي لم نك نتصدق وكنا نخوض مع الخايضين اي في امر محمد صلى الله عليه
وسلم وهو قولهم لعن الله كاهنا مجنونا شاعرا ساحرا وقال الرجل وذا اي وكنا نكذب
مع المكذبين وقال قتادة كلما جوبي عاد عوينا معه وقيل معناه وكنا اتباعا
ولم نكن متبوعين وكذا نكذب بيوم الدين اي لم نكن نصدق بيوم القيامة
يوم الجزاء والحكم قوله تعالى حتى اتانا اليقين اجمعوا ونزل بنا الموت
وسمي قوله تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قوله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين وذلك ان قوما من اهل

التوحيد عذبوا بذنوبهم ثم شفع فيهم فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة فاخرجوا
من النار وليس للكفار شفيع يشفع فيهم وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
يشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى او عيسى
ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملايكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء
ويبقى قوم في جهنم فيقال ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم
المسكين الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقال عبد الله بن مسعود فهؤلاء
الذين يبقون في جهنم وقد ذكرنا اسناده في كتاب التذكرة قوله تعالى فما لهم
عن التذكرة معرضين اي فما لاهل قد اعرضوا ولو عاجتهم به وفي تفسير مقاتل
الاعراض عن القرآن من وجهين احدهما الجحود والانكار والوجه الاخر ترك العمل
بما فيه ومعرضين نصب على الحال من الهاء والميم في لهم وفي اللام لتبيين الفعل فانتصب
الحال عليه معنى الفعل كانهم اي كان هؤلاء الكفار في انفارهم من محمد صلى الله عليه
وسلم حمر مستنفرة قال ابن عباس اراد الحمر الوحشية وقرأ نافع وابن عامر بفتح الباء
اي منفرة مذعورة واختاره ابو عبيد وابو حاتم الباقون بالكسر اي نافرة تقال
نفرت واستنفرت بمعنى مثل عجب واستعجب وسخرت واستخرت وانشد الفراء
• • امسلحا زلما نة مستنفر في اثر اخرة عمرت لعرب •
• • • نفرت من قسورة اي نفرت من قسورة اي من رماة يرمون بها
وقال بعض اهل اللغة ان القسورة الرامي وجمعه القسورة وكذا قال
سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وابو كبشة القسورة هم
الرماة والصيادون ورواه عطا عن ابن عباس ايضا ابن عرفة من السرعة يعني
النفار اي انه يفزعها السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع وروى ابو حمزة عن ابن عباس
قال ما اعلم القسورة جمع الرجال كأبيت كوفي الجزيرة احوالها الجن واهل القسورة
وعنه وكزا الناس اي جنبهم وصوائفهم وعنه ايضا فرت من قسورة اي من حبالة
الصيادين وعنه ايضا القسورة بلسان العرب الاسد وبلسان الحبشة الرماة وبلسان
فارس مسير وبلسان النبط ارماوقال ابن الاعرابي القسورة اول الليل اي فرت
من ظلمة الليل وقال عكرمة ايضا وقيل اول سواد الليل ولا يقال لاخر سواد الليل
قسورة وقال زيد بن اسلم من رجال قويا لا قويا وكل شديد عند العرب فهو
قسورة قسورة وقسور قال لبيد بن ربيعة
• • • اذا ما هتفنا بمنعة في ندينا اتانا الرجال العابدون القساور •
قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة اي يعطى كتبا مفتوحة
وذلك ان ابا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد اتينا بكتب من رب العالمين اي قد
ارسلت الينا محمدا صلى الله عليه وسلم مطرة لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه وقال ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند كل رجل
منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار قال مطر الوراق اراد وا ان كان ان يعطوا
اراد وا ان يعطوا بغير عمل وقال الكلبي قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل
كان يصبح عند راس مكتوبا ذنبه وكفارته فاتنا مثل ذلك وقال مجاهد اراد وا
ان ينزل على كل واحد منهم كتاب فيه من الله عز وجل الى فلان بن فلان وقيل المعنى
ان يذكر بذكر جميل فحملت الكتب موضع الذكر مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب
الانسان رقمت عليه فما بالنا لا نرى ذلك اي ليس يكون ذلك وقيل حقا
والاول اجود لانه رد لقولهم بل لا يخافون الاخرة اي لا عطيهم ما يتمنون لانهم لا يخافون
الاخرة اعقودا بالدنيا وقرا سعيد بن جبير صحفا منشرة بسكون الحاء والنون واما
تسكين الحاء فتخفيف واما تسكين النون فشاذ انما يقال نشرت الثوب
وشيئه ولا يقال انشرت ويجوز ان يكون سنة الصحيفة بالميت كانها ميتة
بطيها فاذا نشرت حسنت فجاء على انشر الله الميت كاشيرا حيا الميت ينشر
الثوب فقيل نشر الله الميت فنهى لغة فيه قوله تعالى كلا انها تذكرة
اي حقا ان القرآن عظة فمن شاء ذكره اي اتعظ به وما يذكرون اي وما يتعظون
من الاان يشاء الله اي ليس يقدرون على الاتعاظ والتذكير الا بمشيئة الله
ذلك لهم وقراة العامة بالياء واختاره ابو عبيد بقوله تعالى

كلا بل لا يخافون الاخرة وقرا نافع ويعقوب واختاره ابو حاتم لانه اعم وانفقوا على تخفيفها هو اهل التقوى واهل المغفرة في الترمذي وسنن ابن ماجة عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الاية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال قال الله تبارك وتعالى انا ابقى من اتقى فلم يجعل معي الها فانا اهل ان اغفر له لفظ الترمذي وقال فيه حديث حسن غريب وفي بعض التفاسير فانا اهل المغفرة لمن تاب اليه من الذنوب الكبائر واهل المغفرة ايضا للذنوب الصغائر واجتناب الذنوب الكبائر وقال محمد اهل نصرانا اهل ان يبعتني عبدي وان لم يفعل كنت اهلا ان اغفر له

سورة القيامة مكية

وهي تسع وثلاثون اية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لا اقسم بيوم القيامة قيل ان لا صلة وجاز وقوعها في اول السورة لان القرآن يتصل بعضه ببعض فهي في حكم كلام واحد ولهذا قد يذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة اخرى كقوله تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة اخرى وما انت بنعمة ربك بمجنون ومعنى الكلام اقسم بيوم القيامة قاله ابن عباس وابن جبير وابو عبيدة وسئل قول الشاعر

لا تذكرن ليلى ما عشت فانني ... واكادهم القلب لا ينقطع

وحكى ابو الهيثم السمرقندي اجمع المفسرون على ان معنى لا اقسم اقسم واختلفوا في تفسيره فقال بعضهم لا زيادة في الكلام للتوكيد ويجري في كلام العرب زيادة لا كما قال في اية اخرى قال ما منعك ان لا تسجد وقال بعضهم لا رد لكلامهم حيث انكروا البعث فقال ليس الامر كما ذكرتم ثم قلت هذا قول الفراء وكثير من النحويين يقولون لا صلة ان هذا لحق ثم يجعل صلة لا هذا لو كان كذلك يقرأ فيه حرف من غير لا حرف فيه ولكن القرآن جاء بالرد على الذين انكروا البعث والجنة والنار فجاء الاقسام بالرد عليهم وذلك كقولهم لا والله لا افعل فلا رد لكلام قد مضى وذلك كقولك لا والله ان القيامة الحق كأنك اكذبت قوما انكروه وانشد قول الفراء الاسري الغنيس

فلا وابيك ابنة العامري ... لا ندعي القوم اني افر

وقال عوسجة بن سلمى

الا ارتني امامة ببعلها ... لجزتني فلا ذك ما انا لجي

وفائدتها توكيد القسم في الرد قال الفراء وكان من لا يعرف هذه اللغة هذا قسم بغير الف كأنها لام توكيد دخلت على قسم وهو صواب لان العرب تقول لا قسم بالله وهي قراءة الحسن وابن كثير والزهري وابن زهير بيوم القيمة اي بيوم تقوم الناس فيه لربهم ولله عز وجل ان يقسم بما شاء ولا اقسم بالنفس اللوامة لاخلاق في هذا بين الفراء والله سبحانه انما اقسم بيوم القيمة تعظيما لشانه وعلى قراءة ابن كثيرا قسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وقيل ولا اقسم بالنفس اللوامة واخروا ابتدا قسم بالنفس اللوامة قال الثعلبي والصحيح انه قسم بهما جميعا ومعنى بالنفس اللوامة اي بنفس المؤمن الذي تراه لا يلوم نفسه تقول ما اردت بكلامي هذا الا تراه الا وهو يعاتب نفسه قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم قال الحسن هي والله نفس المؤمن وما ترى المؤمن الا يلوم نفسه ما اردت بكلامي هذا الا ترى انا ما اردت تخويف نفس الفاجر لا يحاسب نفسه وقال مجاهد هي التي تلوم على ما فات وتندم فتلوم نفسها على السوء ولم فعلته وعلى الخير لم لا يستكثر منه وقيل انها ذات اللوم وقيل انها تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها فعلى هذه الوجوه تكون اللوامة بمعنى اللائمة وهو صفة المدح وعلى هذا يجب القسم بها لما يظهر حسنا وفي بعض التفاسير ان ادم عليه السلام انه لم يزل الا يلوم نفسه على معصيته التي اخرج بها من الجنة وقيل اللوامة بمعنى الملومة المذمومة عن ابن عباس ايضا فهي صفة ذم وهو قول من نفى ان يكون قسما اذ ليس للعاصي خطر يقسم به فهي كثيرة اللوم وقال مقاتل هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الاخرة

على ما فرط في جنب الله وقال الغرا ليس من نفس محسنة او مسيئة الا وهي تلوم
نفسها فالمحسن يلوم نفسه ان لو كان ازداد احسانا والمسيئ يلوم نفسه الا ان يكون
ارعوى من اساءته قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه نبعثها
خلقا جديدا بعد ان صارت رفاتا قال الزجاج اقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة
ليجمعن العظام للبعث فهو جواب القسم وقال النحاس جواب القسم محذوف اي ليبعثن
ودل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه للاحياء والبعث والا لبعث
والانسان هنا الكافر الكذب بالبعث والاية نزلت في عدي بن ربيعة قال
للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني عن يوم القيامة متى يكون وكيف امرها وحالها
فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينت ذلك اليوم اصدقتك
يا محمد ولم اراجع منه او نجمع الله العظام ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة والاخنس بن شريق وقيل نزلت
في عدو الله ابي جهل حين قال انكر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه
كلها لان العظام قالب الخلق بلى وقف حسن ثم يبتدئ قادرين قادرين حال
من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرناه من التقدير وقيل المعنى بل نقدر
قادرين قال الفراء قادرين بنصب على الخروج من نجمع اي نقدر ونقوي قادرين
على اكثر من ذلك وقال ايضا بصلح نصبه على التكثير اي بلى نجمعها قادرين وقيل
المضمر كنا قادرين في الابتداء وقد اعترف به المشركون وقرا ابن ابي عبلة
وابن السميفع بلى قادرين بناء ويل قادرين على ان نسوي بنانه قال الشاعر
* نحسب رخصا كان بنانه علم يكاد من اللطافة يعقد * وقال عنترة
* واذ الموت طوع يدي اذ ما وصلت بنانها بالهند واتا *
فنبه بالبنان على بقية الاعضاء وايضا فانها اصغر العظام فخصها بالذكر
قال الفتيبي والزجاج وزعم ان الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام
فقال الله تعالى بلى قادرين على ان نجعل البنان على صغرها ونولف بينها حتى
يستوي ومن قدر على هذا فهو على جميع الكفار اقدر وقال ابن عباس و
عامة المفسرين على ان نسوي بنانه ان نجعل اصابع يديه ورجليه شيئا واحدا
كخف البعير وكحافر الحمار وكظلف الخنزير ولا يمكنه ان يعمل به شيئا ولكنا فرقنا
اصابعه حتى ياخذ بها ما شاء وكان الحسن يقول جعل الاصابع فانت تبسطهن
وتقبضهن ولو شاء الله جمعهن فلم تبق الارض الا لفيك وقيل اي يقدر
ان يجيد الانسان في هيئة البهائم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى
وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون قلت والتاويل
الاول اشبه بسياق الاية والله اعلم وقوله تعالى بل يريد الانسان ليفجر
امامه قال ابن عباس يعني الكافر يكذب بما امامه من البعث والحساب
وقال عبد الرحمن بن زيد ودليله سبجل ايان يوم القيامة اي يسال متى يكون
على وجه الانكار والتكذيب ولكن يا تم ما يبين يديه ومما يدل على ان الفجور التكذيب
ما ذكره الفتيبي وغيره ان اعرابيا قصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسكى اليه
نقب ابله ودبرها وساله ان يحملهم على غيرها فلم يحمله فقال الا ارابي اقسم
بالله ليخضخضن عمر ما مشمها من نقب ولادبرا غمر اللهم ان كان فجر يعني ان كان
كذبني فيما ذكرت وعن ابن عباس ايضا يعجل المعصية وسوف التوبة وفي بعض
الحديث قال يقول سوف اتوب ولا يتوب فهو قد اخلف فكذب وهذا قول
مجاهد والحسن وعكرمة والسدي وسعيد بن جبير يقول سوف اتوب سوف
اتوب حتى يباغته الموت وقبل ان يعزم على المعصية ابدا وان كان لا يعيش الا
مدة قليلة فانها على هذه الاقوال للانسان وقيل لها يوم القيمة والمعنى
بل يريد الانسان ليكفر بالحق بين يدي القيمة والفجور اصله الميل عن الحق
يسال ايان يوم القيمة اي متى يوم القيامة فولم تعالى فاذا برق البصر
قرا نافع وابان عن عاصم برق بفتح الراء معناه لمع بصره من شدة شخوصه
فتواه لا يطرف قال مجاهد وغيره هذا عند الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة
وقال غيره معنى الجواب عما ساله عنه الانسان كانه قال يوم القيمة اذا برق البصر

وخسف القمر والباقون بالكسر برق ومعناه تحير ولم يطرف قال ابو عمرو والزجاج وغيرهما
قال ذو الرمة * ولون لقمان الحكيم لغرضت لعينيه في سامر كان يبرق * * * *
القراء والخليل يبرق بالكسر فزع وسمك وتحير والعرب تقول للانسان المتحير المبهوت
قد برق فهو برق قال الفراء فتفسك بابح ولا تفتح ولوا الكلوم ولا تبرق *
اي لا تفزع في كرة الكلام التي بك وقيل برق يبرق بالفتح شق عينيه وفتحهما
قاله ابو عبيدة وانشد قول الكلابي *
* لما رأتني ابن عمير راعها * اعطيته عساصما بارق *
اي فتح عينيه وقيل ان كسر الراء وفتحها لغتان بمعنى قوله تعالى وخسف القمر
اي بخلاف الاخرة لانه لا يعود ضوءه ويحتمل ان يكون بمعنى عالبا ومنه قوله تعالى
فخسفنا به وبداره الارض وقرا ابن ابي اسحق وعيسى والاعرج وخسف القمر
بضم الخاء وكسر السين بدل عليه وجمع الشمس والقمر وقال ابو حاتم محمد بن ادريس
اذا ذهب بعضه فهو الكسوف واذا ذهب كله فهو الخسوف وجمع الشمس والقمر
اي جمع بينهما في ذهاب ضوئهما فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه
قاله الفراء والزجاج قال الفراء ولم يقل جمعت لان المعنى جمع بينهما وقال ابو عبيدة
هو على تغليب الذكر * وقال الكسائي هو محمول على المعنى كانه قال الضوءان
ابن المبرد الشاهد عليه حقيقي وقال ابن عباس وابن مسعود جمع بينهما اي
قرن بينهما في طلوعهما في المغرب اسود بن مكور بن مطاعين مقربين كانهما ثوران
عقيران وقد مضى الحديث بهذا المعنى في اخر سورة الانعام وفي قراءة عبد الله وجمع بين
الشمس والقمر وقال عطا بن يسار يجمع بينهما يوم القيمة ثم يقذفان في البحر
فيكونان نار الله الكبرى وقال علي وابن عباس يجعلان في الجب وقد يجمعان في نار
جهنم لانهما قد عبدا من دون الله ولان كون النار عذابا لهما لانهما جماد وانما يفعل
ذلك بهما زيادة في تنكيت الكافرين وحسرتهم وفي مسند ابي داود الطيالسي عن
يزيد الرقاشي عن انس بن مالك يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران عقيران في النار وقيل هذا الجمع انهما يجتمعان
ولا يغرقان ويقربان من الناس تبلغهم العرق لشدة الحر فكان المعنى يجمع حرهما
عليهم وقيل يجمع الشمس والقمر فلا يكون ثم ليل ولا نهار وقوله تعالى
يقول الانسان يومئذ اين المفر يقول ابن ادم وبقال ابو جهل اي اين المهرب * قال
الشاعر اي المعقل والكباش تنتطح واي كبش حاد عنها ينتطح الماوردي
ويحتمل وجهان احدهما ان يكون من الكافر حاضرا في عرصة الدنيا دون المؤمن لنقلة
المؤمن ببشرى ربه الثاني ان يكون من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة
لهول ما شاهدا منها وقراءة العامة بفتح الفاء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانه
مصدر وقرا ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة بكسر الفاء مع فتح الميم قال
الكسائي هما لغتان مثل مدب ومدب ومجح وعن ابي هريرة لا مهرب بكسر الميم
وفتح الفاء المدوي من فتح الميم والفاء من المفر فهو مصدر بمعنى الفرار ومن فتح الميم
وكسر الفاء هو الموضع الذي يفر اليه ومن كسر الميم وفتح الفاء للاني هو الانسان الجيد الفرار
فالمعنى اين الانسان الجيد الفرار وايي تنجو من ذلك قال التيمي المؤلف اسد ومنه
قول امرء القيس مكر مفر مقبل مدبر معا * يريد انه حسن الكر والفر اجيد كلا اي لا
مفر وكلا رد وهو من الله ثم فسر هذا الرد فقال لا وزر اي لا ملجا من النار وكان
ابن المفر يقول لا حصن وكان الحسن يقول لا حصن وكان الحسن يقول لا جبل وابن
عباس يقول لا ملجا وابن جبير لا محيص ولا سعة والمعنى في ذلك كله واحد والوزر في اللغة
ما يلجا اليه من حصن او جبل او غيرهما قال الشاعر *
* لعمري ما للفتى من وزره * من الموت يدركه والكبر *
قال السدي كانوا في الدنيا اذا ذعروا تحصنوا في الجبال فقال الله لا وزر بعضكم يومئذ
مني قال طرفة * ولقد نعلم بكر انا فاضلوا الرأي وفي الروع وزراء * اي ملجا للخائف
ويؤوي وقوله الى ربك يومئذ المستقر اي المنتهى قاله قتادة نظيره وان الى ربك
المنتهى وقال ابن مسعود الى ربك المصير والمرجع وقيل اي المستقر في الاخرة
حيث لعزه الله انه هو الحاكم بينهم وقيل ان كلا بينما في قول الانسان لنفسه اذا علم انه ليس

له مقر وقال لنفسه كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ثم قال تعالى ينبأ الانسان يخبر ابن آدم
بما كان اول وفاجرا يوم القيامة بما قدم واخر اي بما اسلف من عمل سيئ او صالح او اخر
من سنة سيئة او صالحة يعمل بها بغيره قاله ابن عباس وابن مسعود وروي منصور
عن مجاهد بنبأ باول عمله واخره وقاله النخعي وقال ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية
واخر من الطاعة وهو قول قتادة وقال زيد بما قدم من امواله لنفسه وما اخر
خلف للورثة وقال الضحاك ينبأ بما قدم من فرض واخر من فرض قال الفشيري وهذا
الانباء يكون في القيامة عند وزن الاعمال ويجوز ان يكون عنه الموت قال
الشيخ المولف رحمه الله والاول اظهر لما خرجه ابن ماجة في سننه من حديث الزهري
حدثني ابو عبد الله الاغر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما يلحق المومن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا
تركه او مصحفا ورثه او مسجدا بناه او بيتا لابن السبيل بناه او نهرا اجراه او
صدقة اخرجها من ماله في صحته يلحقه من بعد موته وخرج ابو نعيم الحافظ بمعناه
من حديث قتادة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع
تجري اجره للعلم بعد موته وهو في قبره من علم علما واجرى نهرا او حفر بئرا
او غرس نخلا او بنى مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا يستغفر له بعد موته
وهو في قبره نص ان ذلك لا يكون عند الموت وانما يجري جميع ذلك عند وزن عمله
وان كان يبشر بذلك في قبره ودل على هذا ايضا قوله الحق ويعلمون انا لهم
وانتم الامح انتالهم وقوله ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وهذا لا يكون الا في
الاخرة بعد وزن الاعمال والله اعلم وفي الصحيح من سن في الاسلام سنة حسنة
كان له اجرها واجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن
سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان
ينقص من اوزارهم شيء قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة قال
الاخفش جعله هو البصيرة كما تقول للرجل انت حجته على نفسك وقال ابن
عباس بصيرة اي تشاهد وتشهد جوارحه عليه بما انبطش بها ورجله
بما مشى عليها وعينه بما ابصر بها والبصيرة الشاهد وانشد الفراء للمسلمة

* كان على ذي العقل عينا بصيرة * يحفظه او منظر هو ناظره *
* يحاذر الناس حتى ما يحيف بهم * من الخوف لا يخفى عليهم سرائره *

ودليل هذا التاويل من التنزيل قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يعملون وحاتا يثبت البصيرة لان المراد بالانسان هنا الجوارح لانها شاهدة
على نفسها لا يمكنها نسادفكانه قال بل الجوارح على نفس الانسان بصيرة قال معناه
العيني وغيره وناس يقولون هذه الهاء في قوله بصيرة هي التي تسميها اهل الاعراب
هاء المبالغة كالهاء في قولهم راوية وعلامة اراوه وهو قول ابي عبيدة وقيل المراد
بالبصيرة الكاتبان ان يكتبا ما يكون منه من خير او شر يدل عليه قوله تعالى
ولو القى معاذيره يعني جعل المعاذير الستور وهو قول السدي والضحاك وقال
بعض اهل التفسير المعنى بل الانسان في نفسه بصيرة اي شاهد فحذف
حرف الجر ويجوز ان يكون بصيرة نعتا لاسم مونث فيكون تقديره بل الانسان
على نفسه عين بصيرة اي ذي بصيرة يعيب غيره جاهل بعيوب نفسه ولو القى
معاذيره اي ولو ارخى ستوره والستر بلغة اهل اليمن معذار قاله الضحاك

* * * قال الشاعر * * *

* ولا كفاشت لمنزل ساعة * واطبن عليها بالمعاذير *

قال الزجاج المعاذير الستور والواحد معذار اي وان ارخى ستوره ليخفي ما
يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه وقيل اي ولو اعتذر وجادل فقال لم افعل
شيئا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه فتهوا ان اعتذر وجادل
عن نفسه فعليه شاهد لا يكذب عذره قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد
الرحمن بن زيد وابو العالية وعطاء والفراء والسدي ايضا ومقاتل قال
مقاتل اي لو ادلى بعذر او حجة لم ينفعه ذلك نظيره قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم وقوله فلا يومن لهم فيعتذرون فالمعاذير على هذا ما خوذ من

العذر قال الشاعر

وايال والامر الذي ان توسعت ... مراده ضاقت عليك المصادر
فما حسن ان يعذر المرء نفسه ... وليس له من سائر الناس عاذر

واعذر رجل ابا ابراهيم النخعي فقال له قد عذرتك غير معتذر اذ المعاذير تشوبها الكذب وقال ابن عباس ولو التقى معاذيره اي لو تجرد من ثيابه حكاه الماوردي قال الشيخ المولف رحمه الله والظاهر انه الادلا بالحجة والاعتذار من الذنب ومنه قول النابغة

ها ان ذي عذرة ان لا تكن نفعت ... فان صاحبها مشارك النكد

الحرمان الحرمان وضبغة الحال والدليل على هذا قوله تعالى في الكفار والله ربنا ما كنا مشركين وقوله في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وفي الصحيح انه يقول يا رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع الحديث وقد تقدم في حم السجدة وغيرها والمعاذير جمع معذرة ويقال عذرة فيما صنع اعذره عذرا وعذرا والاسم المعذرة والعذر

قال الشاعر

الى حدث لا عذر لي لمحدود ... وكذلك المعذرة

وهي مثل الركبة والحلية قال النابغة

ها ان ما عذرة ان لا تكن نفعت ... فان صاحبها قد تاه في البلد

وتضمنت خمس مسائل الاولى قال القاضي ابو بكر بن العربي قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره فيها دليل على اقرار المرء على نفسه بقول اقرار المرء على نفسه لانها شاهدة منه عليها قال الله سبحانه وتعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون ولا خلاف فيه لانه اخبار على وجه تنتفي التهمة عنه لان الفاعل لا يكذب على نفسه وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقال تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا وهي الآثار كثير قال النبي صلى الله عليه وسلم واغد يا انيس على امرأة هذا فان اعترفت فارجمها فما اقرار المرء على الغير كوارث او دين وهي المسالة الثانية فقال مالك الامر المجتمع عندنا في الرجل يملك ولد بنين فيقول احدهم لقد اقر ابي ان فلانا ابنه ان ذلك السبب لا يثبت الا بشهادة انسان واحد ولا يجوز اقرار الذي اقر على نفسه في حصته من مال ابيه بخطي الذي شهد له لقد اقر الذي بصبيه من المال الذي في يده قال مالك وتفسير ذلك ان يملك الرجل ويترك ابنين ويترك سمائة دينار ثم يشهد احدهما بان اباه الهالك اقر ان فلانا ابنه فيكون على الذي شهد للذي استلحق مائة دينار وذلك نصف ميراث المستلحق لو الحق وان اقر له الاخر لخرج المائة الاخرى فاستكمل حقه وثبت نسبه وهو ايضا بمنزلة المرأة تقر بالدين على ابيها او على زوجها او ينكر ذلك الورثة فعليها ان تدفع الى الذي اقرت له لقد الذي بصبيها من ذلك الدين لو ثبت على ذلك كلهم ان كانت امرأة ورثت الثمن فدفعت الى الغريم ثمن دينه وان كانت ابنة ورثت النصف ودفعت الى الغريم نصف دينه على حساب هذا تدفع اليه من اقر له من النساء التاء لانه لا يصح الاقرار الا من مكلف لكن يشترط ان لا يكون محجورا عليه لان الحجر يسقط قوله اذا كان الحق لنفسه فان كان الحق غيره كالمرض كان منه ساقطا ومنه جاء وبيانه في مسائل العقود والعبد حالتان في الاقرار احدهما في ابتدائه والاخلاف فيه على الوجه المتقدم والثاني في انتهائه وذلك مثل ايمان الاقرار وله صور كثيرة وانما نها ستة الصور الاولى ان يقول عندي شيء قال الشافعي لو فسره بثمرة او كسرة قبل منه والذي يقتضيه اصولنا انه لا يقبل الا بما لو قدر فاذا فسره به قبل منه

ولو حلف عليه الصورة الثانية ان يفسر هذا بخمر وخنزير او ما لا يكون مالا في الشريعة
لم يقبل بالاتفاق ولو ساعده المقر له الصورة الثالثة ان يفسره فاختلف
فيه مثل جلد الميتة او خنزير او كلب فان الحاكم يحكم عليه في ذلك بما لا يراه
من ردوا مضى فان رده لم يحكم عليه بحكم اخر غيره بشيء لان الحكم قد نفذ بابطاله
وقال بعض اصحاب الشافعي يلزم الخمر والخنزير وهو قول باطل وقالوا ابو حنيفة
اذا قال علي شيء لم يقبل تفسيره الا بمكيل او موزون لانه لا يثبت في الذمة
الا هما وهذا ضعيف فان غيرهما يثبت في الذمة اذا وجب اجماعا الصورة الرابعة
اذا قال له عندي مال قبل لفسيره بما لا يكون مالا في العادة كالدرهم والدرهمين
ما لم يجر من قرينة الحال ما يحكم عليه بالزمه الصورة الخامسة ان يقول له عندي
مال كثير او عظيم فان الشافعي يقبل في الحبة وقال ابو حنيفة لا يقبل الا في نصاب
الزكاة وقال ـــــ عظيما وثانيا في ذلك اقوالا مختلفة منها نصاب السرقة
والزكاة والدية واقله عندي نصاب السرقة لانه لا مال اعظم عصوا المسلم الا في مال
عظيم وبه قال اكثر الحنفية ومن يجب فينجب لقول البيت بن سعد انه لا يقبل
في اقل من اثنين وسبعين درهما فقيل له ومن اين يقول ذلك قال لان الله تعالى
قال لقد نصركم الله في مواطن كثيرة وغزواته وسرايا ه كانت ثمانين وسبعين
وهذا لا يصح لانه اطرح حسنا منها وكان حقه ان يقول في احد وسبعين وقتال
تعالى اذكروا الله اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال الاخير في كثير من نحواهم وقال ـــــ
والتهم كثيرا الصورة السادسة اذا قال له عندي عشرة او مائة الف ـــــ
فانه يفسرها بما يشاء ويقبل منه فان قال الف درهم او مائة وعبدا ومائة
وخمسون درهما فانه يفسر المبهم ويقبل منه وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة
ان عطف على العدد المبهم مكيلا او موزونا كان تفسيرا كقوله مائة وخمسون
درهما لان الدرهم تفسير للخمسين والخمسون تفسير للمائة وقال ابن حران والا
صطخري من اصحاب الشافعي الدرهم لا يكون تفسيرا في المائة والخمسين لا لخمسين
خاصة ويفسر معو المائة بما شاء المسئلة الرابعة قوله تعالى ولو انفق ما في الارض
ومعناه لو اعتذر بعد الاقرار لم يقبل منه وقد اختلف العلماء فيمن رجع بعد ما اقر
في الحدود التي هي خالص حق الله فقال اكثرهم منهم الشافعي وابو حنيفة يقبل
رجوعه هو الاقرار وقال ابن مالك في احد قوليه وقال في القول الاخر لا يقبل
الا ان يذكر لرجوعه وجها صحيحا والصحيح جواز الرجوع مطلقا لما روي الائمة
منهم البخاري ومسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم رد المقر بالزنا عذارا اربعا
كل مرة تعرض عنه ولما شهد على نفسه اربع مرات دعاه النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ـــــ انك جنون قال قال لا قال فان احصنت قال ـــــ
نعم وفي حديث البخاري لعلك قبلت او غمزت او نظرت وفي النسائي وابو
داود حتى قال في الخامسة اميكنه قال نعم قال فعاجه ذلك منك في ذلك
منها قال نعم كما يغيب المرود في المكحلة والرشا في البير قال نعم قال هل تدري
ما الزنا قال نعم اتيت منها حراما مثل ما يأتي الرجل اهله حلالا قال ـــــ
فما تريد بهذا القول قال اريد ان تطهرني قال فامر به فرجم فقال الترمذي
وابو داود فلما مس الحجارة يستمل بضربه رجل للحي عمل وضربه الناس حتى
مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وقال ابو داود والنسائي
لبيتثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بك لعلك فلا وهذا كله يطرق الرجوع ويصرح
بقوله وفي قوله عليه السلام لعلك قبلت لعلك او غمزت اشارة الى قول مالك
انه يقبل رجوعه اذا ذكر وجها الخامسة وهذا في الحر المالك لامر نفسه
واما العبد فان اقراره لا يخلوا من احد قسمين اما ان يقر على بدنه اي على
ما في يده ودمه فان اقر على ما في بدنه فيما عقوبته من القتل فما دونه لحد
ذلك عليه وقال محمد بن الحسن لا يقبل ذلك منه لان بدنه مستغرق الحق
السيد وفي اقراره اتلاف حقوق السيد في بدنه ودليلنا قوله صلى الله عليه
وسلم من هذه القاذورة شيئا فليستتر بستر الله فانه من يبد لنا صفحته
نقم عليه الحد المعنى ان جلا العقوبة اصل الخلقة وهي الادمية في الادمية

ولاحق للسيد فيها وانما حقه في الوصف والمبيع وهي المائة الطارئة عليه للاتربي
انه لو اقر بمال لم يقبل حتى قال ابو حنيفة انه لو قال سرقت هذه السلعة انه لم
يقطع بيده وباخذها المقر له وقال العلما وهذا السلعة للسيد ويتبع العبد
بقيمتها اذا عتق لان مال العبد للسيد ويتبع العبد بقيمتها اذا عتق لان مال
العبد للسيد اجماعا فلا يقبل اقراره عليه لا سيما وابو حنيفة يقول
ان العبد لا ملك له ولا يصح ان يملك ولا يملك وبحق وان قلنا انه يصح تملكه
ولكن جميع ما جمع في يده لسيده باجماع على القولين والله اعلم قوله تعالى لا
تحرك به لسانك لتعجل به في الترمذي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه القرآن يحرك لسانه يريد ان يحفظه
فانزل الله تبارك وتعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به قال وكان يحرك لسانه
به شفتيه وحرك سفيان شفتيه قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح
ولفظ مسلم عن ابن جبير عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من
التنزيل شدة كان يحرك شفتيه قال فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل
به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع
قرآنه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا اتاه جبريل عليه السلام استمع واذا انطلق عليه جبريل عليه
السلام قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما اقرأه خرجه البخاري ايضا ونظير هذه
الآية قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقد تقدم
وقال عامر الشعبي انما كان يعجل بذكره اذا انزل عليه من حبه له وحلاوته
في لسانه فنهي عن ذلك حتى يجتمع لان بعضه مرتبط ببعض وقيل كان عليه السلام
اذا انزل الوحي حرك لسانه مع الوحي مخافة ان ينساه فنزلت ولا تعجل بالقرآن
من قبل ان يقضى اليك وحيه ونزل سنقرئك فلا تنسى فنزل لا تحرك به لسانك
قال ابن عباس وقرآنه اي وقراءته عليك والقرآن في قول الفراء مصدر ان
وقال قتادة فاتبع قرآنه اي اتبع شرايعه واحكامه وقوله ثم ان علينا بيانه
اي تبيين ما فيه من الحدود والحلال والحرام قاله قتادة وقيل ثم ان علينا بيان ما
فيه من الوعد والوعيد وتحقيقهما وقيل ان علينا ان نبينه بلسانك كلا قال
ابن عباس اي ان اباجهل لا يوفق بتفسير القرآن وبيانه وقيل اي كلا لا يصلون
ولا يزكون بل يريد كفار مكة بل تحبون اي بل تحبون يا كفار اهل مكة العاجلة اي
الدار الدنيا والحياة فيها وتذرون اي تدعون الآخرة والعمل لها وفي بعض
التفسير قال الآخرة الجنة وقرأ اهل المدينة والكوفيون بل تحبون وتذرون
بالتاء فيهما على الخطاب واختاره ابو عبيد قال ولولا الكراهة لخالف هؤلا القرا
لقراءتهم بالياء ليبلغ الانسان قبل ذلك الباقون بالياء على الخبر وهو اختيار
ابي حاتم لمن قرأ بالتاء فردا على قوله يبتئ الانسان وهو يعني الناس ومن
قرأ بالتاء معناه انه واجههم بالتقريع لان ذلك ابلغ في المقصود نظيره ان هؤلا
يحبون العاجلة ويذرون الآخرة وراءهم يوما ثقيلا قوله تعالى وجوه
يومئذ ناضرة اي ربها ناظرة الاولى من النضرة التي هي الحسن والنعمة والثاني
من النظر اي وجوه المؤمنين مشرقة حسنة ناعمة يقال نضرهم الله ينضرهم
نضرة ونضارة وهو الاشراق والعبش والحسن ومنه الحديث نضر الله امرأ سمع
مقالتي الى ربها الخالق لها ومالكها ناظرة اي تنتظر ثوابه ربها على هذا جمهور
العلما وفي الباب حديث صهيب خرجه مسلم وقد مضى في يونس عند قوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى وزيادة فكان ابن عمر يقول اكرم اهل الجنة على الله من
ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلى هذه الآية وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة
وروى يزيد الضبي عن عكرمة قال تنتظر الى ربها نظرا وكان الحسن
يقول نضرت وجوههم ونظرت الى ربهم وقيل ان النظر هنا انتظار ما لهم
عند الله من الثواب وروي عن ابن عمر ومجاهد وقال عكرمة تنتظر امر ربها
حكاه الماوردي عن ابن عمر وعكرمة وليس معروفا الا عن مجاهد وحده
واحتجوا بقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهذا القول ضعيف

حدا خارج عن مقتضى ظاهرا لأبدا والاخبار وفي الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى خيامه وازواجه
وخدمه وسرره مسيرة الف سنة صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر
الى خياهه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قال هذا حديث غريب وقد روى
عن ابن عباس ولم يرفعه وفي صحيح مسلم عن ابي بكر بن عبد الله بن قيس عن
ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان
من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم عز وجل الا رداء
الكبرياء على وجهه في جنة عدن وروى جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا كما
ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل
طلوع الشمس وصلاة عند غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب متفق وخرجه ابضا ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
صحيح وخرج ابو داود عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا
نرى الله جل وعز مخليا به يوم القيامة قال نعم يا ابا رزين ان ذلك في خلقه
قال يا ابا رزين ان ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر
مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر
فالله اجل واعظم وفي كتاب النسائي عن صهيب قال فيكشف الحجاب
فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم من النظر ولا اقر لاعينهم
وفي التفسير لابي اسحق الثعلبي عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يتجلى ربنا عز وجل حتى ننظر الى وجهه فيخرون له سجدا
فيقول ارفعوا رؤسكم فليس هذا يوم عبادة قال الثعلبي وقول مجاهد
انهما يعني تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شيء من خلقه فتاويل مدخول
لان العرب اذا ارادت بالنظر الانتظار قالوا انظرنه ثم قال لهم اي هل ينظرون
الا الساعة هل ينظرون الا تاويله وما ينظرون الا صيحة واحدة واذا ارادت به
التفكر والتدبير قالوا انظرت فيه فلم اما اذا كان النظر معدونا بذكر الي وذكر
الوجه فلا يكون الا بمعنى الرؤية والعيان وقال الازهري ان قول مجاهد تنتظر
ثواب ربها خطا لانه لا يقال نظرت الي كذا بمعنى الانتظار وان قول القائل نظرت
الي فلان ليس الا رؤية عين كذلك تقوله العرب لانهم يقولون نظرت اليه
اذا اردت به وانظر العين فاذا اردوا الانتظار قالوا انظرته قال

فانكما ان تنتظراني ساعة * من الدهر تنفعني لدى ام جندب

لما اردوا الانتظار قال تنتظراني ولم يقل ينظران الي واذا اردوا انظر العين
قالوا انظرت اليه * * قال

نظرت اليها والنجوم كانها * مصابيح رهبان تشب لقفال

* * وقال اخر

نظرت بالحصب من مني ولي * نظرة لولا الحزن عادم

* * وقال اخر

انى اليك لما دعوت لناظر * نظر المغير الى الغني الراغب

اي اني انظر اليك بذل لان نظر الذل والخضوع ارق لقلب فاما ما استدلوا
به من قوله تعالى لا تدركه الابصار فانما ذلك في الدنيا وقد مضى القول فيه
في موضعه مستوفى وقال عطية العوفي ينظرون الى الله لا يحيط ابصارهم
به من عظمته ونظر محيط بهم نظيره قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار قال القشيري ابو نصر وقيل لي واحد الا لا اي لغم مستنظرة وهذا
ايضا باطل لان واحدا لا لا يكتب بالالف لا بالياء ثم الا لا نعم الرفع وهم في
الجنة لا ينظرون رفع نعم عنهم والمنتظر للشيء متنغص العيش فلا يوصف
اهل الجنة بذلك وقيد اضاف النظر الى الوجه وهو كقوله تجري من تحتها الانهار
والماء يجري في النهر لان النهر قد يذكر الوجه بمعنى العين قال الله تعالى فالقوه
على وجه ابي يات بصيرا اي على عينه ثم لا يبعد قلت العادة عداحتى

خلف الرؤية والنظر في الوجه وهو كقوله افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا على صراط مستقيم وقيل كقوله افمن يمشي مكبا على وجهه فتعثر يا رسول الله كيف يمشون في النار على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم ووجوه يومئذ باسرة اي وجوه الكفار يوم القيمة كالحة كاسفة غابسة وفي الصحيح وبسر الفعل الماضي وابسرها اذا ضربها من غير صنعة وبسر الرجل وجهه بسورا اذا كلح يقال عبس وبسر وقال السدي باسرة اي متغيرة والمعنى واحد نظن ان يفعل بها فاقرة اي توقن وتعلم والفاقرة الداهية والامر العظيم يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار ظهره قال معناه مجاهد وغيره وقال قتادة الفاقرة البئس الشديد الهلال ابن عباس وابن زيد دخول النار والمعنى متقارب واصلها وسم على انف البعير يجدد له او نار حتى يخلص الى العظم قاله الاصمعي يقال فقرت انف البعير اذا حززته بحد بيده ثم جعلت على الحز الحرير وعلبة وتر ملوي اي لتذله بذلك وتروعه ومنه قولهم قد عمل به الفاقرة وقال النابغة

بالي فؤاد لا يزال مقابلي ... وضربة فاس فوق راسي فاقره

اي كاسرة فقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي كلا ردع وزجر اي بعيد ان يؤمن الكافر يوم القيمة ثم استانف فقال اذا بلغت التراقي اي النفس والروح التراقي فاخبر عما لم يجز له ذكر لعلم المخاطبة به كقوله حتى توارت بالحجاب وقوله فطولى اذا بلغت الحلقوم وقد تقدم وقيل كلا معناه حقا اي حقا ان المساق الى الله اذا بلغت التراقي اي اذا ارتفعت النفس الى التراقي وكان ابن عباس الى الله اذا بلغت التراقي اي اذا ارتفعت النفس الى التراقي وكان ابن عباس يقول اذا بلغت نفس الكافر والتراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر وهو مقدم الحلق من على الصدر وهو موضع الحرص قال دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنها ... وقد بلغت نفوسهم التراقي

ولم يكن عن الاشفاق على الموت ببلوغ النفس التراقي والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت قوله تعالى وقيل من راق اختلف فيه فقيل من الرقية عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما روى سماك عن عكرمة قال من راق برقي اي يشفي وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس اي هل من طبيب يشفيه وقال ابو قلابة وقتادة وقال الشاعر

هل للفتى من بنات الدهر من واق ... ام هل له من حمام الموت من راق

وكان هذا على وجه الاستبعاد والياس من اي من قدر ان يرقي من الموت وعن ابن عباس ايضا والى الجواز اي من رقي يرقي اذا صعد والمعنى من يرقى بروحه الى السماء ملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب وقيل ان ملك الموت يقول من راق اي من يرقي بهذه النفس وذلك ان نفس الكافر تنكره الملائكة فربها تقول ملك الموت يا فلان اصعدها وطهر عاصم وقوم النون في قوله من راق واللام في قوله بل ران ليلا يشبه سواق وهو تابع المزنة وبران في تثنية البر والصحيح ترك الاظهار وكسرة القاف في من راق وفتحة النون في بل ران تكفي في زوال اللبس وامثلهما ذكر مصدر الوقف على من وبل ظاهرهما قاله الفشيري وظن اي ايقن الانسان انه الفراق اي فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك عين عاين الملائكة وقال الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم ... رعيناه وان كانوا غضابا

والتفت الساق بالساق اي وانصلت الشدة بالشدة شدة اخر الدنيا بشدة اول الاخرة قاله ابن عباس والحسن وغيرهما وقال الشعبي وغيره المعنى التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة امارايته اذا اشرف على الموت يضرب برجله على الاخرى وقال سعيد بن المسيب والحسن ايضا هما مساق الانسان اذا التفت في اكفانه وقال زيد بن اسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الحسن ايضا ماتت رجلاه وبيست ساقاه فلا يحملانه ولقد كان عليهما جوالا قال المحاسبي القول الاول احسنها روي عن ابن ابي طلحة

عن ابن عباس والتفت الساق بالساق قال اخر يوم من الدنيا واول يوم من
الاخرة فتلتقي الشدة بالشدة الامن رحم الله اي شدة كرب الموت بشدة
هول المطلع والدليل على هذا قوله الى ربك يومئذ المساق وقال مجاهد
بلا بلا يقول تتابعت عليه الشدايد وقال الضحاك وابن زيد اجتمع عليه
امران شديدان الناس يجهزون جسده والملايكة يجهزون روحه والعرب
لا تذكر المساق الا في المحن والشدايد المظام ومنه قولهم قامت الحرب
على ساق وقامت الحرب على ساق وقال وقامت الحرب بنا على ساقي وقد
مضى هذا المعنى في اخر سورة نون وقال قوم الكافر لعذابه روحه عند
خروج نفسه فهذه الساق الاولى ثم يكون بعدها ساق البعث وشدايده
الى ربك اي الى خالقك يومئذ اي يوم القيامة المساق اي المرجع وفي بعض
التفاسير قال يسوقه ملكه الذي كان يحفظ عليه المساق والمساق المصدر
من ساق يسوق كالمقال من قال يقول قوله تعالى فلا صدق ولا صلى
اي لم يصدق ابو جهل ولم يصل وقيل يرجع هذا الى الانسان في اول السورة
وهو اسم جنس والاول قول ابن عباس اي لم يصدق بالرسالة ولا صلى دعا
لربه وصلى على رسوله وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله ولا صلى فيه
وقيل فلا صدق بماله ذخرا عند الله ولا صلى الصلوات التي امر الله بها
وقيل فلا اسس بقلبه ولا عمل ببدنه قال الكسائي لا بمعنى لم وكفه بصوت
بغيره تقول العرب لا عبد الله خارج ولا فلان ولا تقول سرق رجل لا يحسن
حتى يقال ولا احمل وقوله فلا اقتحم العقبة ليس من هذا المعنى لان معناه افلا اقتحم
فحذف الف الاستفهام وقال الحسن فلا صدق اي لم يصدق كقوله فلا اقتحم اي فهلا
اقتحم فحذف الف الاستفهام وقال الاخفش فلا صدق اي لم يصدق في كتوله فلا اقتحم
اي لم يقتحم ولم يشترط ان يعقبه بشيء اخر والعرب لا ذهب اي لم يذهب فحذف
الثاني بنفي الماضي كما ينفي المستقبل ومنه قول

* نحن بما عندنا وانت بما * عندك راض والرأي مختلف

فلا هو بداها ولم يتقدم قوله تعالى * ولكن كذب وتولى اي كذب بالقرآن
وتولى عن الايمان ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر افتخارا بذلك قال المجاهد
وقتادة مجلها المراد به ابو جهل وقيل يتمطا من المطا وهو الظهر والمعنى يلوي
مطاه وقيل اصله يتمطط وهو المتمدد من التكسل والتثاقل فهو يتثاقل عن
الداعي الى الحق فابدل من الطاء كراهة التضعيف والتمطي يدل على قلة الالتراث
وهو التمدد كما ذكرنا يعد ظهره ويليه في التشجير والمطيط المد الحاتر من اسفل
الحوض لانه يتمطط وفي خبر اذا مشيت امتي المطيطا وخدمتهم ابنا فارس والروم
كان باسمهم يتمخم والمطيطا التبختر وهذا البيت في المشي قول اولى لك
فاولى تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد وهو وعيد اربعة لا يعدكا روي
انها نزلت في ابي جهل الجاهل بربه فقال فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى
اي لا صدق رسول الله ولا وقف بين يدي فصلى ولكن كذب رسولي وتولى
عن التصلية بين يدي فصلى ولكن كذب رسولي بترك التصديق خصلة و
التكذيب خصلة وترك الصلوات خصلة والتولي عن الله تعالى فجا الوعيد
اربع كلمات لترك الخصال الاربع والله اعلم لا يقال فان قوله ثم ذهب الى اهله
بعد خصلة خامسة فانا نقول ذلك كانت عادته كانت عادته قبل التكذيب
والتولي فاخبر عنها في المكذبين في قول قتادة على ما نذكره وقيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد ذات يوم فاستقبله ابو جهل على باب
المسجد مما يلي باب بني مخزوم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
فهزه مرة او مرتين ثم قال له اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتهددني فوالله اني
لاعز اهل الوادي واكرمه ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لابي جهل

* وهي كلمة وعيد قال الشاعر *

* فاولى ثم اولى وهل لمدرجلب من مرد * قال قتادة اقبل ابو جهل
ابن هشام يتبختر فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقال اولى لك فاولى
ثم اولى لك فاولى فقال لا تستطيع انت ولا ربك لي شيئا لاني اعز من بين ظهريها

فلما كان يوم بدر اشرف على المسلمين فقال لا يعبد الله بعد هذا اليوم ابدا فضرب الله عنقه وقتله شر قتلة وقيل معناه الويل لك ومنه قول الخنساء

همت بنفسي كل الهموم فاولى لنفسي اولى لها

الا له الحالة والا له الاسر ايضا الذي يحل عليه الميت وهذا على ان الويل قيل هو من المقلوب كانه قال اويل ثم اطرح الحرف المعتل والمعنى الويل لك حيا والويل لك ميتا والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تزحل النار

وهذا النكر بركما قال

ذلك الويلا ... انك مرحل

اي لك الويل ثم الويل وضعف هذا القول وقيل معناه الدم لك اولى من تركه الا انه كرر للمبالغة لكل مرقوق وقيل المعنى انك اولى واجدر بهذا القول وقال ابو العباس احمد بن يحيى قال الاصمعي اولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك واصله من الولي وهو القرب قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اي يقربون منكم فانشد الاصمعي

واولى ان يكون له الولا ... وما يلد يكون له

وانشد ايضا

اولى لمن هاجت له اذ تكمدا

اي قد دنا صاحبها المكمد وكان ابو العباس يستحسن قول الاصمعي ويقول ليس احد يفسر كتفسير الاصمعي ويقول ليس احد يعرف كلام العرب يقول اولى لك كدت تملك ثم اقلت وكان تقديره اولى لك واولى بك الهلكة ثم ابدل وقيل قال ولا تكون اولى افعل منك وتكون خبر مبتدا محذوف كانه قال الوعيد اولى له من غيره لان ابا زيد قد حكى اولاة الا اذا اوعدوا فدخول علامة التانيث دليل على انه ليس كذلك وقد يخبر عن اولى ولم يتصرف على عمالك التي الاولى ثم على التاسي والتالي والرابع كما تقدم فتحو له ما هي اجيب الانسان اي يظن ابن ادم ان يترك في قبره بذلك ابدا لا يبعث وقال الشاعر

فاقسم بالمسجد اليمين ... ما تركك الله سدى

قوله تعالى الم يك نطفة من مني تمنى اي من قطرة ما تمنى في الرحم اي تراق فيه ولذلك سميت منى لما يراق فيها من الدماء وقد تقدم والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء اذا قطر اي الم يكن ماء قليلا في صلب الرجل وترايب المراة وقرا حفص من منى يمنى بيا وهي قراءة بن محيصن ومجاهد ويعقوب وعباس عن ابي عمرو واختاره ابو عبيد لاجل المني الباقون بالتا لاجل النطفة واختاره ابو حاتم ثم كان علقة اي وما بعد النطفة نبه بهذا كله على جيفة قدرة ثم قال فخلق اي قدر فسوى اي سواه تسوية وعدله تعديل جعل الروح فيه فجعل منه اي من الانسان وقيل من المني الذكر والانثى اي الرجل والمراة وقد احتج بهذا من راى اسقاط الحسن وقد مضى في سورة الشورى ان هذه الاية وقربتها انما خوجتا مخرج الغالب وقد مضى في اول سورة النساء ايضا القول فيه وذكرنا في اية المواريث حكم ولا معنى لاعادته اليس ذلك بقادر اليس قادرا على خلق هذه الاجسام من قطرة من ماء بقادر على ان يحيي الموتى اي على ان يعيد هذه الاجسام كجبها للسعي لعد البلى وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرا احدكم والتين فانتهى الى اخرها فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرا لا اقسم بيوم القيمة فانتهى الى اخرها فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرا عم يتساءلون فانتهى الى اخرها فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين واذا قرا والمرسلات فبلغ ان يقول فبايي حديث بعده يومنون فليقل امنا بالله وقال ابن عباس من قرا سبح اسم ربك الاعلى اما ما كان او غيره فليقل سبحان ربي الاعلى ومن قرا لا اقسم بيوم القيمة الى اخرها فليقل سبحانك اللهم وبحمدك اما ما كان او غيره ذكره الثعلبي من حديث ابي اسحق السبيعي عن سعيد بن جبير

سورة الانسان مكية

هي قول ابن عباس ومقاتل والكلبي وقال الجمهور مدنية وقيل منها مكي من قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الى اخر السورة وما تقدمه مدني وهي احدى وثلاثون اية وذكر ابن وهب قال وحدثنا ابن زيد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرا هل اتى على الانسان حين من الدهر وقد انزلت

عليه

عليه وعنده رجل اسود كان يسئل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عمر بن الخطاب
حسبك لا تشغل علي النبي صلى الله عليه وسلم قال دعه يا ابن الخطاب قال
نزلت عليه هذه السورة وهو عنده فما قرأها عليه وبلغه صفة الجنة فرفرفت
خرجت نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج نفس صاحبكم او صاحبكم
استوق الى الجنة وروي عن ابن عكرمة خلاف هذا المقط وسيأتي وقال الشريك
ان هذه السورة نزلت عن علي رضي الله عنه والمقصود من السورة عام وهكذا
القول في كل ما يقال انه نزل بسبب كذا وكذا لسم الله الرحمن
الرحيم قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا
مذكورا هل بمعنى قد قاله الكسائي والفراء وابو عبيدة وقد حكي عن سيبويه
هل بمعنى قد قال الفراء هل تكون جحدا وتكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول
هل اعطيتك تقديره قد اعطيتك والجحد ان يقول هل يقدر احد على
مثل هذا وقيل هي بمنزلة الاستفهام والمعنى اتى والانسان هنا ادم عليه
السلام قال قتادة والنووي وعكرمة والسدي وروي عن ابن عباس
حين من الدهر قال ابن عباس في رواية ابي صالح اربعون سنة مرت به قبل
ان تنتقى فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطايف وعن ابن عباس ايضا في رواية
الضحاك كان خلق من طين واقام اربعين سنة ثم حمأ مسنون اربعين
سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وستين سنة ثم نفخ فيه
الروح وقيل الخبر المذكور فيها هنا لا يعرف مقداره عن ابن عباس ايضا حكاه
الماوردي لم يكن شيئا مذكورا قال الضحاك عن ابن عباس لا في السماء ولا في
الارض وقيل اي كان جسدا مصورا تراها وطينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدري
ما اشبه ولا ما يراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قاله الفراء وقطرب
وثعلب وقال يحيى بن سلام لم يكن شيئا مذكورا في الخلق وان كان عند الله شيئا
مذكورا وقيل ليس هذا الذكر بمعنى الاختبار قبل اختبار الرب عز وجل عن الكافر
تذمم بله هذا الذكر بمعنى الخطر والشرف والقدر وانه لذكر لك ولقومك
اي قدر اتى على الانسان حين لم يكن له قدر عند الخليقة ثم لما عرف الله الملائكة
انه جعل ادم خليفة وحمله الامانة التي عجز عنها السموات والارض والجبال
ظهر فضله على الكل فصار مذكورا للخلق وان كان مذكورا لله وحكى محمد بن
الجهم عن الفراء لم يكن شيئا مذكورا قال كان شيئا ولم يكن مذكورا وقال قوم
النفي يرجع الى الشيء اي قد مضى مدة من الدهر وادم لم يكن شيئا يذكر في الخليقة
لانه اخس ما خلق من اصناف الخليقة والمعدوم ليس بشيء يأتي عليه حين والمعنى
قد مضت ازمنة وما كان ادم شيئا ولا مخلوقا ولا مذكورا لاحد من الخليقة
وهذا معنى قول قتادة ومقاتل قال قتادة اتى على خلق الانسان حين شيئا لا يعلم
من خليقة الله تتاوه وخليقة كانت بعد الانسان وقال مقاتل في الكلام
تقديم وتاخير وتقديره هل اتى حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا لانه خلقه
ليعذب الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوانا وقد قيل الانسان في قوله
تعالى هل اتى على الانسان عني به الجنس من ذرية آدم وان الحين ستة
اشهر مدة حمل الانسان في بطن امه لم يكن شيئا مذكورا واذا كانت علقة
ومضغة لانه في هذه الحالة جماد لا خطر له وقال ابو بكر رضي الله عنه لما قرأ
هذه الاية ليتها تمت فلا تبتلى اي ليت المدة التي انت على ادم لم يكن
شيئا مذكورا اتم على ذلك فلم يذكر ولا يبتلى اولاده سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه رجلا يقرأ هل اتى على الانسان حين من الدهر الى قوله مذكورا
فقال ليتها تمت قوله تعالى انا خلقنا الانسان اي ابن ادم من غير
خلاف من نطفة اي ما ينطف وهو المني وكل ما خليل في وعاء فهو نطفة كقول

* عبد الله بن رواحة يصف بحارب تغسر *

* ما بي اكلي نكرهن الجنة هل انت الا نطفة في نسمة *

وجمعها نطف ونطاف واشتاج اختلاط واحدها شيج وشيج مثل حدث وحديث

* قال رؤبة *

يطرحن كل معجل مشاج * لم يكن رجله في دم مشاج *

ويقال مشجت هذا اي خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط وقال المبرد واحد الامشاج مشج يقال مشج يمشج اذا خلط وهو هذا اختلاط النطفة بالدم * قال الشماخ *

طوت احشاء مريجة لوقت * على مشيج سلالة مهين *

وقال الفراء مشاج اختلاط ماء الرجل وماء المرأة والدم والعلقة ويقال للشيء من هذا اذا خلط مشيج كقوله خليط وممشوج كقوله مخلوط وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال الامشاج الحمرة في البياض والبياض في الحمرة وهذا القول يختاره كثير من اهل اللغة قال الهذلي *

كان الوشي والموشين منه * خلاف السعل يسبط به مشيج *

وعن ابن عباس ايضا مختلط ماء الرجل وهو ابيض غليظ بماء المرأة وهو اصفر رقيق فيخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فهو من ماء المرأة وقد روي هذا مرفوعا ذكره البزار وروي عن ابن مسعود امشاجها عروق المضغة وعنه ماء الرجل وماء المرأة وهما لونان وقال مجاهد نطفة الرجل بيضا وحمرا ونطفة المرأة خضرا وصفرا وقال ابن عباس خلق في الرحم خلق من تراب ثم من ماء الفتح والرحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم ونحوه قال قتادة هي اطوار نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما ثم نكسوا قال في صور المومنين لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وقال ابن السكيت الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من انواع تخلق الانسان منها ذا طبايع مختلفة وقال اهل المعاني الامشاج ما جمع في معنى الواحد لانه نعت للنطفة كما يقال برمة اعشار وثوب اخلاق وروي عن ابي ايوب الانصاري قال جاء حبر من اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني عن ماء الرجل وماء المرأة فقال ماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فاذا علا ماء المرأة انثت واذا علا ماء الرجل ذكرت فقال للحبر اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وقد مضى هذا مستوفى في سورة الشوري نبتليه اي نختبره وقيل نقدر فيه الابتلاء وهو الاختبار وفيما يخبر به وجهان احدهما نختبره بالخير والشر قاله الكلبي الثاني نختبر شكره في الصبر وصبره في الضراء قاله الحسن وقيل نبتليه بتكليفه وفيه ايضا وجهان احدهما العمل بعد الخلق قاله مقاتل الثاني الذي يكون به مامورا بالطاعة ومنهيا عن المعصية لما مضى وروي عن ابن عباس نبتليه بظرفه خلقا بعد خلق لنبتليه بالخير والشر وحكى محمد بن الجهم عن الفراء قال المعنى والله اعلم جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهي مقدمة معناها التاخير لان الابتلاء لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل جعلناه سميعا بصيرا ليبصر به العمى قوله تعالى انا هديناه السبيل اي بينا له وعرفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر بيعث الرسل فامن او كفر قوله وهديناه النجدين وقال مجاهد اي بينا له السبيل الى الشقاوة والسعادة وقال الضحاك وابو صالح والسدي السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منا فجره ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكل خلقه اما شاكرا واما كفورا اي انما فعلنا فقد بينا له قال الكوفيون انها هنا جزاء وما زائدة اي بينا له الطريق شكرا وكفرا واختاره الفراء ولم يجزه البصريون اذ لا تدخل ان للجزاء على الاسماء الا ان يضم اليها فعل وقيل اي هديناه الرشد اي بينا له سبيل التوحيد بنصب الادلة عليه ثم ان خلقنا له الهداية اهتدى وامن وان خذلناه كفر وهو كما يقول نصحت لك ان شئت فاقبل وان شئت فاترك اي فان شئت فتخذ الهدى وكذا اما شاكرا والله اعلم ويقال هديته السبيل والى السبيل وقد تقدم في الفاتحة وهيرها وجمع بين الشاكر والكفور ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة لمعنى المبالغة في الشكر واثباتا لها في الكفر لان شكر الله تعالى يودي فانتفت عنه المبالغة ولم تنتف عن الكفر المبالغة فقل شكره لكرة النعم عليه وكرة كفره وان قل مع

الاحسان اليه حكاه الماوردي قوله تعالى انا اعتدنا للكافرين سلاسلا واغلالا وسعيرا بين حال الفريقين وانه تعبد العقلا وكلفهم وملكهم مما امرهم فمن كفر فله العقاب ومن جد وشكر فله الثواب والسلاسل القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعا تقدم معنى في الحاقة وقرا نافع والكسائي وابو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر سلاسلا منونا للبا قون بغير تنوين ووقف هشام وابن كثير وحمزة بغير الف البا قون بغير الف فاما قوارير الاولى فنونه نافع وابن كثير والكسائي وابو بكر عن عاصم ولم ينون البا قون ووقف يعقوب وحمزة بغير الف والبا قون بالالف واما قوارير الثانية فنون ايضا نافع والكسائي وابو بكر ولم ينون البا قون فمن نون فرها بالالف ومن لم ينون اسقط منها الالف واختار ابو عبيد التنوين في الثلاثة والوقف بالالف اتباعا لخط المصحف قال ابن ابي مريم في مصحف عثمان سلاسلا بالالف وقوارير الاولى بالالف وكانت الثانية مكتوبة بالالف فحكمت قرايتك اثرها هنالك بينا فمن صرف فله اربع حجج احدها ان الاخفش حكى عن العرب صرف جميع ما لا ينصرف الا افعل منك وكذا قال الكسائي والعرا هو لغة من بجر الاسما كلها الا قولهم هو اطرف منك فانهم لا يجرونه وانشد ابن الانباري في ذلك قول عمرو بن كلثوم

وكان سيوفنا فينا وفيهم ... مخاريق بايدي لاعبينا

وقال الآخر

وجرى اسار دعوت لحتفها ... معالق منشابه اعلامها

وقال الآخر

نهلا وذوكوم يعني على الذري ... سمح كبرك رغايب عثانها

يعرف مخاريق ومعالق ورغايب وسبيلها ان لا تصرف والحجة الثانية ان يقول لو بنيت قوارير الاول لانه راس اية وروس الاي جاءت على التنوين كقوله جل وعز مذكورا سميعا بصيرا فتنونا الاول لتوقف بين روس الاي وتنونا الثاني على الجوار للاول والحجة الرابعة اتباع المصاحف وذلك انهما جميعا في مصاحف مكة والمدينة والكوفة بالالف وقد احتج من لم ير صرفهن بان قال ان جمع بعد الالف منه ثلاثة احرف او حرفان او حرف مشدد لا يعرف في معرفة ولا نكرة فالذي بعد الالف منه ثلاثة احرف او حرفان او حرف مشدد لا يعرف في معرفة ولا نكرة فالذي بعد الالف منه حرفان فوالله عز وجل لعدمت صوامع لان بعد الالف حرفين ولذلك موسم ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا والذي بعد الالف منه حرف مشدد سعاب ودواب وقال خلف سمعت يحيى بن ادم يحتج على ابن ادريس قال في المصاحف الاولى الحرف الاول والثاني بغير الف فهذا يحده لمذهب حمزة وقال خلف رايت في مصحف يشبه ابي قراة ابن مسعود الاول بالالف والثاني بغير الف واما افعل منك فلا يقول احد من العرب في شعر ولا في غيره هو افعل منك منونا لان من تقوم مقام الاضافة فلا يجمع بين تنوين واضافة في حرف لانهما دليلان من دليل الاسما ولا يجمع بين الدليلين قال الفرا وغيره

واعلم ان الاجمع غل بها ايديهم الى اعناقهم وعن جبير بن نفير عن ابي الدرداء كان يقول لما رفعوا هذه الايدي الى الله جل ثناوه قبل ان تغل بالاغلال وقال الحسن ان الاغلال لم تجعل في اعناق اهل النار لانهم اعجزوا الرب سبحانه ولكن اذا طفا وسعيرا تقدم القول فيه قوله تعالى ان الابرار يشربون من كاس الابرار اهل الصدق واحدهم بر وهو من امتثل امر الله وقيل البر الموحد والابرار جمع بار مثل شاهد واشهاد وقيل جمع بر مثل نمر ونمار وفي الصحيح وجمع البر الابرار وجمع البر البرده وفلان يبر خالقه ويبر ربه اي يطيعه والامراة برة بولدها وروي ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله جل ثناوه الابرار لانهم برروا الاباء كما ان لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا وقال الحسن البر الذي لا يودي الزور وقال قتادة الابرار الذين يودون حق الله ويوفون بالنذر وفي الحديث الابرار الذين لا يولدون احدا يشربون من كاس اي من اناء فيه الشراب قال ابن عباس يريد الخمر والكاس

في اللغة الا فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا قال عمرو بن كلثوم

* وصفقت الكاس عنا ام عمرو * وكان الكاس لجراها اليمينا *

قال الاصمعي يقال صبيت عنا الهدية او ما كان من معروف يصبت صبا بمعنى كفقت قال الجوهري كان مزاجها اي شربها وخلطها فان كان سببه من بيت ناس يكون مزاجها عسل وماء ومنه مزاج البدن وما يمازجه من الصفراء والسودا والحرارة والبرودة كافورا قال ابن عباس هو اسم عين ماني الجنة يمالك لها الكافور اي يمازجها ما هذا العين التي تسمى كافورا وقال السعيد عن قتادة تمزج لهم بالكافور وختم بالمسك وقال مجاهد وقال عكرمة مزاجها طهرها وقيل ان ما الكافور في ريحها لا في طعمها وقيل اراد الكافور في بياضه وطيب برده لان الكافور لا يشرب كقوله حتى اذا جعله نارا اي كالنار وقال ابن كيسان طيب بالمسك والكافور والزنجبيل وقال مقاتل ليس بكافور الدنيا ولكن سمي باسم ما عندكم حتى تقدير لها القلوب وقوله كان مزاجه كان زايدة اي من كاس مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله قال الفراء ان الكافور اسم العين ما في الجنة فعينا بدل من الكافور على هذا وقيل بدل من كاس على الموضع وقيل هي حال من المضمر في مزاجها وقيل نصب على المدح كما يذكر الرجل فيقول العاقل اللبيب اي ذكر ثم العاقل اللبيب فهو نصب باضمار اعني وقيل يشربون عينا وقال الزجاج المعنى من عين ويقال كافورا فورا والكافور ايضا وعاطلع النخل وكذلك

* الكفري قال الاصمعي واما قول الراعي *

* نكسر المفارق واللبات ذا ارج * من قصب سلف الكافور داج *

قال الضبي الذي يكون منه السمك انما يرعى سيل الطيب فجعله كافورا يشرب بها قال الفراء يشرب بها ويشرب بها سواء في المعنى وكان يشرب بها ابين وفي بها وينتفع بها وانشد

* سرين بها الجرثم ترفعت * متى لجج خضر لهن نئيج *

وقال شمله يتكلم بكلام حسن ويتكلم كلاما حسنا وقيل المعنى يشربها والباء زايدة وقيل الباء بدل من تقديره يشرب منها قاله الفتيبي يفجرونها تفجيرا فيقال ان الرجل منهم ليمشي في بيوتاته ويصعد الى قصوره وبيده قضيب يشير به الى الماء فيجري معه حيث ما اراد في منازله على متون الارض في غير اخدود ويتبعه حيث ما صعد من اعلا قصوره وذلك قوله عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يقودونها حيث شاؤا وتتبعهم حيث ما نزلوا من معهم وروى ابو معاذ قال عن صالح بن سعيد عن ابي سلمة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش احداهما التي ذكر الله يفجرونها تفجيرا والاخرى تضاختان من فوق العرش احداهما التي ذكر الله سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال والتسنيم للمقربين خاصة شربا لهم يمزج الابرار منه التسنيم شربا لهم واما الزنجبيل والسلسبيل فللابرار ومنها مزاج هكذا ذكره في التنزيل وكف عن ذكر ذلك لمن هي يشرب مما كان للابرار من مزاج فهو للمقربين صرف ومما كان للابرار صرف فهو لسايرين الجنة مزاج والابرار هم الصادقون

قوله تعالى يوفون بالنذر اي لا يخلفون اذا نذروا وقال معمر عن قتادة بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير من الواجبات وقال مجاهد وعلى هذا يوفون اذا نذروا في الله جل ثناؤه وقال الفراء والزجاجي وفي الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا والعرب قد تنزيل مرة كان وتحذف احرى وان النذر حقيقته ما اوجب المكلف على نفسه من شيء يفعله وان سبب قلت في حده النذر هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لم يوجبه امر يلزمه وقال الكلبي يوفون بالنذر اي يتمون العهود والمعنى واحد وقد قال الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم اي اعمال نسكهم التي الزموها انفسهم باحرامهم بالحج وهذا قول قتادة واذا النذر يندرج فيه ما التزمه المرء بايمانه من امتثال امر الله تعالى قال الفشيري وروي

اسهب عن مالك انه قال يوفون بالنذر هو نذر العتق والصيام والصلاة وروى
عنه ابو بكر بن الحويز قال قال مالك يوفون بالنذر قال النذر هو اليمين
قوله تعالى ويخافون اى يحذرون يوما اى يوم القيمة كان شره مستطيرا
اى عاليا ذاهبا فاشيا وهو فى اللغة معتد والعرب تقول استطار الصدع فى
القارورة والزجاجة واستطال اذا امتد قال الاعشى
" تبانت وقد اسارت فى العواد صدعا على نائها مستطيرا "
ويقال استطار الحريق اذا انتشر واستطار الفجر اذا انتشر الضوء
" " " قال حسان " " " "
" " وهان على سراة بنى لوى حريق بالبويرة مستطير "
وكان قتادة يقول استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملا السموات والارض وكان
مثل كان شره فاشيا فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وغورت الملائكة
وفى الارض سفطت الجبال وغارت المياه قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه
قال ابن عباس ومجاهد على قلته وجهدهم اياه وشهوتهم له وقال
الدارا بى على حب الله وقال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام
وكان الربيع بن خيثم اذا جاءه السائل قال اطعموه سكر قال الربيع يجب
الشكر مسكينا اى اذا مسكنه وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هو الطواف
بسكك مالك وبنيها اى من يتامى المسلمين وروى منصور عن الحسن
ان يتيما كان يجفى طعامها ابن حر قد عاد ان يوم بطعامه فطلب اليتيم فلم
يجده وجاء بعد ما قرا ابن عمر من طعامه فلم يجد الطعام فدعا له بسويق وعسل
فقال وتلك هذا والله ما عشت قال الحسن وابن عمر والله ما عين
واسيرا اى الذى يوسر فيحبس وروى ابو صالح عن ابن عباس قال
الاسير من اهل الشرك يكون فى ايديهم وقال قتادة وروى ابن ابى نجيح
عن مجاهد قال الاسير هو المحبوس وكذا قال سعيد بن جبير وعطا هو
المسلم يحبس بحق وعن سعيد بن جبير مثل قول قتادة وابن عباس قال
قتادة لقد امر الله بالاسرا ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ لاهل
الشرك واحق المسلم احق ان تطعمه وقال عكرمة الاسير العبد وقال ابو حمزة
اليمانى فى الاسير المراة يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام استوصوا بالنسا
خيرا فانهن عوان عندكم اى اسيرات وقال ابو سعيد الخدرى قرا
النبى صلى الله عليه وسلم ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا
فقال المسكين الفقير واليتيم الذى لا ابا له والاسير المملوك والمسجون
ذكره الثعلبى وقيل نسخ طعام المسكين اية الصدقات وطعام الاسير
الاية قاله سعيد بن جبير وقال غيره بل هو ثابت المحكم واطعام اليتيم والمسكين
على التطوع واطعام الاسير الحفظ نفسه الى ان يجيء فيه الامام الماورد ى
ويحتمل ان يريد بالاسير الناقص العقل لانه فى امر حيله وجنونه واسر
الشرك ليقف على راى الامام وهذا بر واحسان وعن عطا قال
الاسير من اهل القبلة وغيرهم قال الشيخ المولف رحمه الله عام يجمع
جميع الاقوال ويكون اطعام الاسير الشرك قربة الى الله تعالى غير انه من صدقة
التطوع فاما المفروضة فلا والله اعلم ومعنى القول فى المسكين فى اليتيم والا
واشتقاق ذلك من اللغة فى اليتيم والحمد لله قوله تعالى انما نطعمكم
لوجه الله اى يقولون بالسنتهم للمسكين واليتيم والاسير انما نطعمكم
فى الله جل ثناوه فوعا من عذابه وطمعا فى ثوابه لا نريد منكم جزاء اى مكافاة
ولا شكورا اى ولا ان تثنوا علينا بذلك قاله ابن عباس كذلك كانت
نياتهم فى الذى ابلغ فيه اطعموا وعن سالم عن مجاهد قال اما انهم ما يكلموا به ولكن
علمه الله جل ثناوه منهم فاثنى به عليهم ليرغب فى ذلك راغب وقال
سعيد بن جبير حكاه عنه الثعلبى وقيل ان هذه الاية نزلت فى مطعم بن ورقا
الانصارى نذر نذرا فوفى به وقيل نزلت فيمن كفل اسرى بدر وهم
سبعة من المهاجرين ابو بكر وعمر وعلى والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد

سير

وابو عبيدة رضي الله عنهم ذكره الماوردي وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار اطعم
في يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا وقال ابو حمزة الثمالي يعني ان رجلا قال
يا رسول الله الجمني فاني والله بجهود فقال والذي نفسي بيده ما عندي
ما اطعمك ولكن اطلب فاتي رجلا من الانصار وهو يعني مع امراته فسأله
واخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقالت المراة اطعم فاني بجهود فقال
والله ما معي اطعمك ولكن اطلب فجاء الانصاري فطلب فقالت المراة
اطعمه واسقه فنزلت ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ذكره
الثعلبي وقال الكرماني للتفسير نزلت في علي وفاطمة رضي الله عنهما
وجارية لهما اسمها فضة قال الشيخ رحمه الله والصحيح انها نزلت
في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنة تفي عامة وقد ذكر الفراش والثعلبي والقشيري
وغيرهم واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديث لا يصح ولا يثبت
رواه لبيث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله جل وعز يوفون بالنذر ويخافون
كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا قال
مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادهما
عموم العرب فقالوا يا ابا الحسن ورواه جابر الجعفي في سر مولى علي قال
مرض قال مرض الحسن والحسين حتى عادهما اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله عنه يا ابا الحسن رجع الحديث الى حديث
لبيث بن ابي سليم لو نذرت عن ولدك نذرا وكل نذر لبس له وفا فليس
بشيء فقال علي ان برا ولدي صمت لله ثلاثة ايام شكرا وقالت فاطمة
مثل ذلك وفي حديث الجعفي فقال الحسن والحسين علينا فالبس الغلامان
العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فانطلق علي الى شمعون بن جبار
اليهودي وكان يهوديا فاستقرض منه ثلاثة اصع من شعير فجاء به فوضعه
ناحية البيت فقامت فاطمة الى صاع فطحنته واخبزته وصلى علي مع النبي صلى
الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه وفي حديث
الجعفي فقامت الجارية الى صاع من شعير فخبزت منه خمسة اقراص لكل واحد
منهم قرص فلما مضى صيامهم الاول وضع بين ايديهم الخبز والملح الحديث اذا
اتاهم مسكين فوقف بالباب وقال السلام عليكم اهل بيت محمد وفي حديث
الجعفي انا مسكين من مساكين امة محمد وانا والله جايع اطعموني اطعمكم الله على
موائد الجنة فسمعه علي فانشا يقول

يا فاطم ذات السداد واليقين ... يا بنت خير الناس اجمعين
اما ترين الباب بالمسكين ... قد قام ما بيننا له حبس
يشكوا الى الله وبتكين ... يبكوا الينا الله حزين
كل امرء بكسبه رهين ... وفاعل الخير سيستبين
موعدنا جنة عليين ... حرمها الله على الضنين
والبخيل موقف مهين ... تغدي به النار الى سجين
شرابهم الحميم والغسلين ... من يفعل الخير يعم سمين

فانشات فاطمة رضي الله عنها تقول

امرك يا ابن عم سمع وطاعة ... ما بي من لوم ولا بضاعة
عدلت في الخير لصاعة ... سأطعم لا فمنه ساعة
ارجوا ان اتبعت من مجاعة ... ان الحق الاطيبا والجاعة
... ... وادخل الجنة بي شفاعة

فاطعموهم الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح فلما ان كان
في اليوم الثاني قامت الى الصاع فطحنته واخبزته وصلى علي مع النبي صلى
الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين ايديهم فوقف بالباب يتيم فقال
السلام عليك اهل بيت محمد يتيم من اولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة
اطعموني اطعمكم الله على موائد الجنة فسمعه علي فانشا يقول

فاطمة بنت النبي الكريم ٭ بنت نبي لبس بالزنيم
قد اتى الله بذي البتيم ٭ من يرحم اليوم يكن رحيم
و يدخل الجنة اي سليم ٭ قد حرم الجنة للئيم
ان لا يجز الصراط المستقيم ٭ يزل في النار الي الجحيم
شرابه الحديد والحميم

وانشأت تقول فاطمة

ساطعم ولا ابالي ٭ واوتر الله علي عيالي
اسولجبا عا وهم اشبالي ٭ اصرهما يقتل في القتال
تكوبلا تقتل باغتيالي ٭ يا ويل للقاتل مع وبالي
يهوي في النار رسفا لحي ٭ وفي يديه الغل والاغلال
تكوله زادت علي الاثقال ٭ قاصموه القاصم

ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح فلما كانت في اليوم الثالث قامت الي الصاع الباقي فطحنته واختبزته وصلي علي مع النبي صلي الله عليه وسلم ثم اتي المنزل فوضع الطعام بين يديه اذا اتاهم اسير محمد فسمعه علي وانشأ يقول

فاطمة يا بنت النبي احمد ٭ بنت نبي سيد مسود
سماه الله وهو محمد ٭ قد اتانا اسير بني اعبد
هذا اسير لنبي المجد ٭ يبقل في علة مقيد
يشكوا الينا الجوع قد تعرد ٭ من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد ٭ ما يزرع الزارع سوف يحصد
اعطيه ليلا تحمليه انكد ٭ وانشأت فاطمة تقول
لم يبق مما جاء غير صاع ٭ قد رهنت كفي مع الذراع
ابني والله هما جميعا ٭ يا رب لا تركهما ضياعا
ابوهما للخير هو صناع ٭ يصنع المعروف ما استطاعا
عبل الذراعين شديد الباع ٭ وما علي راسي من قناع
الا قناع نسجته نساع

فاعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة ايام ولياليها لم يذوقوا شيئا الا الماء القراح فلما ان كان اليوم الرابع وقد مضي الله النذر اخذ بيده اليمني الحسن وبيده اليسري الحسين واقبلوا نحو رسول الله صلي الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فلما نظرهم رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يا ابا الحسن ما اشد ما يسوءني ما ارا كم انطلق بنا الي ابنتي فاطمة فانطلقوا اليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع فلما ان راها رسول الله صلي الله عليه وسلم وعرق الجوع في وجهها بكي وقال واغوثاه بالله اهل بيت محمد يموتون جوعا فهبط جبريل وقال السلام يقرئك السلام يا محمد خذه هنيئا في اهل بيتك قال وما اخذ يا جبريل فاقرأه هل اتي علي الانسان حين من الدهر الي قوله ويطعمون الطعام علي حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قال الترمذي الحكيم في نوادر الاصول فهذا الحديث موزون قد يطرق فيه صاحبه حتي يشبهه علي المتعمين فالجاهل بهذا الحديث بعض شعثيه تلهمنا ان لا يكون بهذه الصفة ولا يعلم ان صاحب هذا الفعل مذموم قال الله تعالي في تنزيله يسالونك ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك وجرت الاخبار عن رسول الله صلي الله عليه وسلم متواترة بان خير الصدقة ما كان علي ظهر غني وابدا بنفسك ثم بمن تعول واثر عن الله علي الازواج نفقة اهاليهم واولادهم وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم كفي بالمرء اثما ان يضيع من يقوت افيحسب عاقل ان عليا جهل هذا الامر حتي اجهد صبيانا صغارا من ابناء حتي اوشك علي جوع ثلاثة ايام وليالهن حتي تضرر من الجوع وغارت العيون منهم لخلا الجوانح حتي ابكي رسول الله صلي الله عليه وسلم ما هم من الجهد انه اثر علي نفسه هذا السايل فهل كان محذورا له ان يجعل اهله علي تلك وهب ان اهله سمحت بذلك لعلي

فهل جاز له ان يجعل على الطعام ثلاثة ايام بليالي من ما يروج مثل هذا على حمقا جاهل
انى الله لقلوب منتبهة ان تظن لعلي مثل هذا ولبست سعرج في خطه هذه الابيات
كل بيت عن علي وفاطمة واجابه كل فاحد منهما صاحبه حتى اداه الى هول الرواة فهذا
او اشباهه من احاديث اهل السجون فيما ارى بلغني ان قوما يجلدون في السجون
فيبقون بلا حيلة فيكتبون احاديث اهل السجون فيما ارى كذا في السمر واشباهه
ومثل هذه الاحاديث مشتعلة فاذا صارت الى الجهلة رموا بها ويتوهلوا من
شتى الاولة افتة وهكيدة وافتة الدين وكبره اكثر قوله لحديث انا لخاق من
ربنا يوما عبوسا قطريرا عبوسا من صفة اليوم اي يوما تعبس فيه الوجوه من هوله
وشدته قالمعنى تخاف يوما ذا عبوس وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ
حتى يسيل من عينيه عرق كالقطران وعن ابن عباس العبوس الضيق والقطرير
الطويل قال الشاعر

* * * شديد العبوس قطريرا وقيل القطرير الشديد *

* * تقول العرب يوم قطرير وقماطر وعصيب بمعنى وانشد الفرا

* * * بني عمنا هل تذكرون بلادنا عليكم اذا ما كان يوم قماطر *

بضم القاف وقماطر اذا اشتد وقال الاخفش القطرير اشد ما يكون من الايام واطوله
* * في البلا قال الشاعر

* * * فقوا امر اذا ما الحرب طار غبارها ولج بها اليوم العبوس القماطر *

وقال الكسائي يقال قمطر اليوم وازمهر قمطرار وازمهرارا وهو الازمهرير
والقطرير ويوم قمطرار اذا كان صعبا شديدا قال الهذلي

* * * بنو الحرب اوفيتم لهم مقمطرة * ومن بلغ منها ذلك اليوم يعرب *

وقال ابن العبوس بالسنتين والقطرير بالجبهة والحاجبين فجعلها في
صفات الوجه التغير من شدة ذلك اليوم وانشد ابن الاعرابي

* * * يغدو على الصيد يعود منكسر * يقطر عينا * ويكفهر *

وقال ابو عبيد يقال رجل قطرير اي منقبض حاجبي العينين وقال الزجاج يقال قمطرت
الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وهما نقباها في شقة من القطر وجعل الميم
من بدله قال اسد بن ياعصة

* * * واصطلت الحرب في كل يوم ما سر الشر قطريرا لقباح *

قوله تعالى فوقاهم الله شر اي دفع عنهم ذلك اليوم اي بأسه وشدته وعذابه
ولقاهم اي اتاهم واعطاهم حتى لقوه اي راوه نضرة اي حسنا وسرورا اي عبورا قال الحسن
ومجاهد نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم وفي النضرة ثلاثة اوجه انها البياض
والنقا قاله الضحاك ابن ابي الحسن والنعمة قاله ابن جبير الثالث انها الرائحة
قاله ابن زيد قوله تعالى وجزاهم بما صبروا على الفقر وقال الغزنوي على
الصوم وقال عطا على الجوع ثلاثة ايام وهي ايام النذر وقيل يصبرهم على طاعة
الله وحبرهم على معصية الله ومحارمه وما صدرت منه وهذا على ان الآية
نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلهم وروي عمران رسول الله صلى الله عليه
وسلم سئل عن الصبر فقال الصبر اربعة او لها الصبر عند المصيبة الاولى
والصبر على اداء الفرائض والصبر على اجتناب محارم الله والصبر على المصائب
جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير اي يسمى حرير الدنيا وذلك
الذي في الاخرة ما شاء الله عز وجل من الفضل وقد تقدم ان من لبس الحرير في الدنيا
لم يلبسه في الاخرة وانما البس من لبسه في الجنة عوضا عن جهنم انعمهم
في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها قوله تعالى متكئين فيها اي في الجنة
ونصب متكئين على الهاء والميم في جزاهم والعامل فيها جزاء ولا يعمل فيما
اي في الجنة ونصب صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا والا تكاء في الاخرة
وقال الفراء ان شئت جعلت متكئين تابعا كانه قال جزاهم جهنم متكئين فيها
على الارائك السرر في الحجال وقد تقدم وجاء عن العرب اسمها يحتوي على
صفات احدها الاريكة لا تكون الا في حجلة على سرير ومنها السجيل وهي الدلو
الممتلئ ماء اذا صرفت لم يسم سجلا وكذلك الثوب لا يسمى ثوبا حتى

تملا

تملؤا الكاس لا تسمي كاسا حتى ينزع من الخمر وكذلك الطبق الذي يهدي عليه المهدية
يهدا فاذا كان فارغا قبل طبق او خوان قال ذو الرمة
حدود حفت في السير حتى كانها بها شرث بالمعراس الارايك
اي الفرش على السرر لا يرون فيها سمسما ولا زمهريرا اي لا يرون في الجنة شدة
حر كحر الشمس ولا زمهريرا اي ولا برد امفرطا قال الاعشى
سنمة طفلة كالمها لم ترى شمسا ولا زمهريرا
وعن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار
الى ربها عز وجل قالت يا رب ما كل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتا ونفسا
في الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون من الحر
من الصيف في سمومها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هواء يسبح
لا حر ولا برد والسجسج الظل الممتد كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقال
مرة الهمداني الزمهرير البرد القاطع وقال مقاتل بن حيان هو شئ مثل رؤس
الابر ينزل من السما في عامة البرد وقال ابن مسعود هو لون من العذاب وهو
البرد الشديد حتى ان اهل النار اذا القوا فيه سألوا الله ان يعذبهم بالنار الف
سنة اهون عليهم من عذاب الزمهرير يوما واحدا قال ابو النجم
او كنتم جا كنت زمهريرا ... وقال ثعلب
الزمهرير القمر بلغة طي قال شاعرهم
وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما ظهر
ويروى ما ظهر اي لم يطلع القمر فيها يعني لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا
كقمر الدنيا اي انهم في ضياء مستديم لا ليل فيه ولا نهار لان ضوء النهار
بالشمس وضوء الليل بالقمر وقد مضى هذا موجودا في سورة مريم عند قوله
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال ابن عباس بينما اهل الجنة في الجنة راوا نورا
ظنوه شمسا قد اشرفت بذلك النور الجنة فيقولون قد الا يرون فيها شمسا ولا
زمهريرا فما هذا هذا النور فيقول لهم رضوان لبيت عندهم شمس ولا قمر ولكن
هذه فاطمة وعلي ضحكا فاشرقت الجنان من نور ضحكهما وبهما انزل الله هل اتى
على الانسان حين من الدهر وانشد اذا هوى لحتفي انزل عنه
هل اتى ذاك على الوصي وابن عم المصطفى
ودانية عليهم ظلالها اي ظلال الاشجار في الجنة قريبة من الابرار
تغشاهم ظلالة زيادة في تنعيمهم وان كان لا شمس ثم ان استظلوا ذهب
الغضة وان كانوا لا وسخ ولا شعث ثم وتقال ارتفاع الاشجار في الجنة مقدار
مائة عام فاذا اشتهى ولي الله ثمارها دانت حتى تناولها قائمة دانية
دانية على الحال عطفا على متكئين كما تقول في الدار عبد الله متكئا او مرسلة
عليه الجمال وقيل انتصب نعتا للجنة اي وجزاهم جنة وحريرا دانية فهي صفة
الموصوف بحذوف وقيل على موضع لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ويرون
دانية وقيل على المدح اي دنت دانية قاله الفراء والظلال مرفوعة بدانية
ولو قرئ برفع دانية على ان يكون الظلال مبتدأة ودانية الخبر لجاز وتكون
الجملة في موضع الحال من الهاء والميم في جزاهم وقد قرئ بذلك وفي قراءة عبد
الله ودانيا عليهم لتقدم الفعل وفي حرف ابي ودان رفع على الاستيناف
وذللت اي سخرت لهم قطوفها اي ثمارها تذليلا اي تسخيرا فيتناولها
القائم والقاعد والمضطجع لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك قاله قتادة
وقال ابن مجاهد ان اقام احد انتفعت له وان جلس تذللت عليه وان اضطجع
دنت منه فاكل منها وعنه ايضا ارض الجنة من ورق وترابها الزعفران وطينها مسك
اذفر واصول شجرها ذهب وورق وانيابها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت
والمرجان ذلك كله من اكل منها قائما لم تؤذه وقال ابن عباس اذا هم ان يتناول
من ثمارها تذللت اليد حتى يتناول منها ما يريد وتذليل القطوف تسهيل التناول
والقطوف الثمار الواحد قطف بكسر القاف سمي به لانه يقطف كما سمي الجبى لانه يجبى
تذليلا تاكيد لما وصف به من الذل كقوله تعالى ونزلناه تنزيلا وكلم الله موسى

كلما الماء وردي ويحتمل ان يكون تذليل قطوفها اي تيسر لهم من اكلها وتخلصها من نواها قلت وفي هذا بعد فقد روى ابن المبارك قال اخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وليفها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها امثال القلال والدلا اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والبن من الزبد ليس فيه عجم قال ابو جعفر النحاس ويقال المذلل الذي قرب للجاني رواه ويقال المذلل المستوي لان اهل الحجاز يقولون ذلك علم اي سوه ويقال المذلل القريب المتناول ومن قولهم حائط ذليل اي قصير قال ابو جعفر وهذه الاقوال التي حكيناها ذكرها اهل العلم باللغة وقالوها في قول امرئ القيس * وسايق كابنوب السقي المذلل * قوله تعالى ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب اي تدور على هؤلاء الابرار الجنة فاذا ارادوا الشراب باتية من فضة قال ابن عباس ليس في الدنيا شئ مما في الجنة الا الاسماء اي ما في الجنة اشرف واعلى وانقى ثم لم يشبه الا لوان الذهبية بل المعنى يسقون في اواني الفضة ويسقون في اواني الذهب وقد يقال يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب وقيل بله يذكر الفضة على الذهب كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي والبرد فلم يذكر احدهما على الثاني والاكواب الكيزان العظام التي لا اذان لها ولا عرى الواحد منها كوب قال عمرو بن كلثوم *

* سلبنا بطرف انوابه * يسقى عليه العبد بالكوب *

وقد مضى في الزخرف كانت قوارير قوارير من فضة اي في صفا القوارير وبياض الفضة وصفاوها صفا الزجاج وهي من فضة وقيل ارض الجنة من فضة والاواني تتخذ من تربة الارض التي هي منها ذكره ابن عباس وقال ليس في الجنة شئ الا قد اعطيتم في الدنيا يشبهه الا القوارير من فضة وقال لو اخذت فضة من فضة الدنيا فضربت حتى يعملها مثل جناح الذباب لم تر من ورايها الماء ولكن قوارير الجنة مثل الفضة في صفا القوارير والكاعب قدروها تقديرا تقرؤه العامة بفتح القاف والدال اي قدروها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما الوانها على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان الكلبي وذلك الذي اسمي والعين قدرتها الملائكة التي تطوف عليهم وعن ابن عباس ايضا قدروها على ملئ الكف لا ينبو ولا ينقص حتى لا يوذيهم بثقل او بافراط سقي وقيل ان الشاربين قدروا لها مقادير في انفسهم على ما اشتهوا او قدروا وقرا عبيد بن عمير والشعبي وابن سيرين قدروها بضم القاف وكسر الدال جعلت لهم قدرا ارادتهم وذكر هذه القراءة المهدوي عن علي وابن عباس رضي الله عنهم وقال ومن قرا قدروها فهو راجع الى معنى القراءة الاخرى وكان الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر والمعنى قدرت عليهم والشد سيبويه *

* البث حب العراق الدهر كله * والحب ياكله في القرية السوس *

وذهب الى ان المعنى على حب العراقي وقيل هذا التقدير هو ان الاقداح تطير فتقرفا بمقدار شملوة الشارب وذلك قوله تعالى قدروها تقديرا اي لا يفضل عن الذي ولا ينقص منه فقد الهت الاقداح معرفة مقدار ذي المشتهى حتى يعرف بذلك المقدار ذكر هذا القول الزهدي الحكيم في نوادر الاصول قوله تعالى ويسقون فيها كاسا وهي الخمر في الاناكان مزاجها زنجبيلا كان اصله مزاجها من زاجها زنجبيل وكان في حكم الله زنجبيلا وكانت العرب تستلذ من الشراب ما يمزج الزنجبيل الطيب رائحته لانه يحدو اللسان ويهضم الماكول فرغبوا في نعم الاخرة بما اعتقدوه نعما يتلذذ والطيب وقال المسيب بن علس يصف ثغر المراة *

* وكان طعم الزنجبيل به * اذا ذقته وسلافة الخمر *

ويروى الكرم وقال آخر *

* كان نحبا من الزنجبيل * بان بعنها واما مشارا *

وبخوه قول الاعشى *

* كان القرنفل والزنجبيل * بانا بعنها واما مسنورا *

وقال مجاهد الزنجبيل اسم للعنبر التي منها مزاج شراب الابرار وكذا قال قتادة والزنجبيل اسم العنبر التي يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر

اهل الجنة وقيل هي عين في الجنة يوجد فيها طعم الزنجبيل وقيل ان فيه معنى الشراب
ممزوج بالزنجبيل والمعنى كان فيها زنجبيلا عينا بدل من كاس ويجوز ان ينتصب
باضمار فعل اي يسقون عينا ويجوز نصبه باسقاط الخافض اي من عين على ما تقدم
في قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله فيها اي في الجنة تسمى سلسبيلا لسلسبيل
الشراب اللذيذ وهو فعبيل من السلال لان تقول العرب هذا شراب سلسل وسلسال
وسلسل وسلسبيل بمعنى اي طيبه الطعام لذيذة وفي الصحاح وتسلسل الماء
في الحلق جرى وسلسلته انا صببته فيه وماء سلسل سهل الدخول في الحلق لعذوبته
وصفايه والسلاسل بالضم مثله وقال الزجاج السلسبيل في اللغة اسم لما كان في غاية
السلاسة فكان العين سميت بصفتها وعن مجاهد قال سلسبيلا حديدة الجرية
تسيل في حلوقهم انسلالا ونحوه عن ابن عباس انها الحديدة الجرية ذكره الماوردي

• • ومنه قول حسان بن ثابت • • • •

• • يسقون من ورد البريص عليهم • كاسا يصفق بالرحيق السلسل •

وقال ابو العالية ومقاتل انما سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي
منازلهم من اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنة وقال قتادة سلسبيل
منا قدما وهاجبك شاوا ونحوه عن عكرمة وقال الثعالبي اي تلذ عين شاربيه
تسلسل اليها وروي هنا عن علي رضي الله عنه وقال ابن عباس هذا عن
علي رضي الله عنه وقوله تسمى اي انها مركوزة عند الملائكة وعند الابرار
واهل الجنة بهذا الاسم وصرف سلسبيل لانه رأس اية لله الطنونا والسبيل
قوله تعالى ويطوف عليهم ولدان مخلدون يعني من الذي يطوف عليهم من الاية
اي يخدمهم ولدان فانهم احف من الخدمة ثم قال مخلدون اي باقون على ما هم
عليه من الشباب والعضاضة والحسن لا يهرمون ولا يتغيرون فلا يكونون على حال
سن واحد على ما هم من الازمنة وقيل مخلدون لا يموتون وقيل مسورون
معترطون اي محلون والحلية التحلية وقد تقدم هذا اذا رايتهم حسبتهم لولوا منثورا
اي ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء الوانهم لولوا منثورا في عرصة المجلس واللولو
اذا سقط كان احسن منه منظوما وعن المامون انه رئيت له مرآة بنت الحسن
بن سهل على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه لسقط واللؤلؤ
فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن النظر وقال لله در ابي نواس
حيث يقول

• • كانه ابصر هذا حيث يقول • • • •

• • كان مصرعه وكبريه من نواقعها • حصباء در على ارض من ذهب وقيل
انما شبههم بالمنثور لانهم سراع في الخدمة كخلال الحور العين اذا شبههم باللؤلؤ المكنون
المخزون لانهن لا عمل لهن بالخدمة قوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا
كبيرا ثم طرق هنا لاهل الجنة والتقابل في ثم متعلق رايت اي واذا رايت ببصرك ثم قال
الفراء الكلام ما مضمرة اي واذا رايت ما ثم لقوله تعالى لقد تقطع بينكم
اي ما بينكم وقال الزجاج ما موصولة بثم على ما ذكره الفراء ولا يجوز اسقاط
الموصول وترك الصلة ولكن رايت يتعدى بحرف الى ثم والمعنى اذا رايت
ببصرك ثم وبعيني ثم الجنة وقد ذكر الفراء هذا ايضا والنعيم سابغ ما يتنعم به والملك
الكبير واستئذان الملائكة عليهم قاله الشعبي وغيره قال الكلبي هو ان يأتي الرسول
من عند الله بكرامته من الكسوة والطعام والشراب والتحف لولي الله وهو في
منزله فيستأذن عليه ذلك الملك العظيم وقاله مقاتل بن سليمان الكبير هو ان
يكون لاحد سبعون حاجبا دون حاجب فبينما ولي الله فيما هو فيه من اللذة والسرور
اذ يستأذن عليه ملك من عند الله قد ارسله الله بكتاب وهدية وتحفة من رب
العالمين لم يرها ذلك الولي في الجنة قط فيقول للحاجب الخارج استأذن على ولي
الله فان معي كتابا وهدية من رب العالمين فيقول ذلك الحاجب الذي يليه
هذا رسول من رب العالمين معه هدية وكتاب يستأذن على ولي الله فيستأذن كذلك
حتى يبلغ الى الحاجب الذي يلي ولي الله فيقول له يا ولي الله هذا رسول من رب
العالمين يستأذن عليك معه كتاب وتحفة من رب العالمين تأذن له فيقول
نعم فاذنوا له فيقول ذلك الحاجب الذي يليه للاخر كذلك حتى يبلغ الحاجب الاخر

فيقول له نعم ايها الملك فاذا ذلك فيدخل فيسلم عليك ويقول السلام يقرؤك السلام
وهذه تحفة وهذا كتاب من رب العالمين اليك فاذا هو مكتوب عليه من الحي الذي لا يموت
الى الحي الذي يموت فيفتحه فاذا فيه سلام عبدي وولي ورحمتي وبركاتي يا ولي الله
اما ان لك ان تشتاق الى رويتي فيسجنه الشوق فيركب البراق فيطير به البراق شوقا
الى زيارة علام الغيوب فيطيرهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وقال سفيان الثوري بلغنا ان الملك الكبير تسلم الملائكة عليهم دليله قوله
تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقيل
الملك الكبير كون التيجان على رؤسهم كما يكون على رأس ملك من الملوك وقال الترمذي
الحكيم يعني ملك التكوين اذا اراد واشيئا قال له كن وقال ابو بكر الوراق ملك
لا ينقضي هلك وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك الكبير هو ادناهم منزلة
ينظر في ملكه مسيرة الفي عام يرى اقصاه كما يرى ادناه قال وان افضلهم لمنزلة
من ينظر في وجه ربه تعالى كل يوم مرتين قوله تعالى عاليهم ثياب سندس
خضر واستبرق قرأ نافع وابن محيصن عاليهم ساكنة الياء واجازه ابو عبيد اعتبارا
بقراءة ابن مسعود وابن دثاب وغيرهما عاليهم وبتفسير ابن عباس اما ترى الرجل
عليه ثياب يعلوها افضل منها الفرا وهو مرفوع بالابتداء وخبره ثياب سندس
واسم الفاعل يراد به الجمع ويجوز في قول الاخفش ان يكون افراده على انه فعل
متقدم وثياب سرتفعة به وسدت مسد الخبر والاضافة قيد في تقدير الانفصال
لانه لم يضف وابتدي به لانه لحصر بالاضافة وقرأ الباقون عاليهم بالنصب
قال الفراء هو كقوله رد قهم والعرب تقول قومك داخل الدار فينصبون داخل
على الظرف لانه محل وانكر الزجاج هذا وقال هو مما لا يعرفه في الظروف ولو كان ظرفا
لم يجز سكان الياء ولكنه نصب على الحال من سببين احدهما الهاء والميم في قوله
يطوف عليهم في هذا الحال والثاني ان يكون حالا من الولدان اي اذا رأيتهم حسبتهم
لؤلؤا منثورا في حال علوا لثياب ابدانهم وقال ابو علي العامل في الحال اما لقاهم
نضرة وسرورا وما جزاهم بما صبروا وقال ويجوز ان يكون اسم فاعل ظرفا كقولك
هو ناحية من الدار وعلى ان عاليا لما كان بمعنى فوق اجري مجراه يجعل ظرفا وقرأ
ابن محيصن وابن كثير وابو بكر عن عاصم خضر بالجر على نعت السندس واستبرق
بالرفع نعتا على الثياب ومعناه عليهم سندس واستبرق وقرأ ابن عامر وابو عمرو
ويعقوب خضر رفعا نعت للثياب والستبرق بالخفض نعتا للسندس واختاره
ابو عبيد وابو حاتم لجودة معناه لان الخضر احسن ما كانت نعتا للثياب فهي مرفوعة
واحسن ما عطف على الاستبرق على السندس عطف جنس الى جنس والمعنى
عليهم ثياب خضر من سندس واستبرق اي من هذين النوعين وقرأ نافع وحفص
كلاهما بالرفع ويكون خضر نعتا للثياب لانها جميعا بلفظ الجمع واستبرق عطفا
على الثياب وقرأ الاعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي كلاهما بالخفض ويكون
قوله خضر نعت للمصدر للسندس والسندس اسم جنس واجاز الاخفش وصف
اسم الجنس بالجمع على استفتاح كما يقول اهلك الناس الدنيا والصفر والدرهم
البيض ولكنه مستتبعة في الكلام والمعنى على هذه القراءة عاليهم ثياب
سندس خضر وثياب استبرق وكلهم صرف الاستبرق الا ابن محيصن فانه فتحه ولم
يصرفه فقرأ والستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة
يدخله حرف التعريف يقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد جعل علما لهذا
الضرب من الثياب وقرئ والستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه سمي باستفعل من
البريق وليس بصحيح ايضا لانه عربي مشهور بقربية وان اهله استبرق والسندس
ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقد تقدم قوله تعالى وحلوا اعطف
عالي ويطوف اساور من فضة وفي سورة فاطر ويحلون من اساور من ذهب وفي الحج من
اساور من ذهب وفي الحج من اساور من ذهب ولؤلؤ فقيل على الرجال الفضة وعلى النساء
الذهب وقيل تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في بعضهم
سوارات من ذهب وسوارات من فضة وسوارات من لولؤ ليجتمع لهم محاسن الجنة
قال سعيد بن المسيب وقيل اي لكل قوم ما تميل اليه نفوسهم وتشتهيه ربهم شرابا

طهورا قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال اذا توجه
اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة تخرج من تحت ساقها عينان تبشر بان من احدهما
فيجري عليهم بنضرة النعيم فلا تغير اشعارهم ولا تشعث اشعارهم
ابدا ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم من الاذى ثم تستقبلهم حوريه
الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال النخعي وابو
قلابة هو هذا اذا شربوه بعد اكلهم لهرهم وصار ما اكلوه وشربوه رشحا مسكا
وضمرت بطونهم وقال مقاتل هو من غيرهما على باب الجنة تنبع من ساق شجرة
من شرب منها نسي الله ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه
من اذى وقذر وهذا معنى ما روي عن علي الا انه في قول مقاتل عين واحدة
وعليه فيكون فعيلا فعولا لتمام الفاصلة ولا يكون في حجة النخعي انه بمعنى الطاهر وقد
مضى بيانه في سورة الفرقان والحمد لله وقال الطيبي الحال صفت خلق سمل
ابن عبد الله الغنم فقرا وسقاهم ربهم شرابا طهورا وجعل يحرك شفتيه
وكأنه يمص شيئا فما فرغ قيل له الشراب لم يغبر فقال والله لم نجد لذته عند
قراءته كلذته عند شربه لما قرأته فوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء اي يقال
لهم اذا هذا جزاؤكم ثوابا وكان سعيكم اي عملكم مشكورا اي من قبل الله وشكره
للعبد قبول طاعته وتثابه عليه وانا بنه اياه وروي سعيد عن قتادة قال
عفر لهم الذنب وشكر لهم الحسن وقال مجاهد مشكورا اي مقبولا والمعنى بتقبل
قليله ويثيب عليه اذا قبل العمل شكره واذا شكره اثاب عليه الجزيل اذ هو سبحانه
ذو الفضل العظيم روي عن ابن عمر ان رجلا حبشيا قال يا رسول الله فضلتم علينا
بالصور والالوان والنبوة افرايت اذا امنت بما امنت به وعملت بما عملته الا يبقى
انا معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده انه ليرى بياض الاسود في الجنة
وضياءه مسيرة الف عام ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال
لا اله الا الله كان له بها عند الله عهد ومن قال سبحان الله والحمد لله كان له
عند الله مائة حسنة واربعة وعشرون الف حسنة فقال رجل كيف نهلك بعدها
يا رسول الله فقال ان الرجل ليأتي يوم القيمة بالعمل لو وضعه على جبل لاثقله
فتجيء النعمة من نعم الله فحكا برد ان فيستغرق ذلك كله الا ان يلطف الله برحمته
قال ثم نزلت هل اتى على الانسان حين من الدهر الى قوله وملكا كبيرا قال
الحبشي يا رسول الله وان عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم نعم فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر فلقد رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرته ويقول ان هذا كان لكم جزاء وكان
سعيكم مشكورا قلت يا رسول الله وما هو قال والذي نفسي بيده لغدا وغد الله
ثم قال عبدي لا يبضن وجهك ولا ثيابك من الجنة حيث شئت فنعم اجر العاملين
قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ما افتر بته ولا اجتلبته من عند
ولا من تلقاء نفسك كما تدعي المشركين ووجه ايصال هذه الآية بما قبل انه سبحانه
انه لما ذكر اصناف الوعد والوعيد بين ان هذا الكتاب يتضمن ما بالناس
حاجة اليه فليس بسحر ولا كهانة ولا شعر وانه حق وقال ابن عباس انزل
القرآن منفرقا آية آية ولم ينزل جملة واحدة فلذلك قال نزلناه تنزيلا وقد مضى
القول في هذا مبينا والحمد لله قوله تعالى فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك
وروي الضحاك عن ابن عباس قال اصبر على اذى المشركين هكذا قضيت
ثم نسخ بآية القتال وقيل اي اصبر بما حكم به عليك من الطاعات وانتظر
حكم اذاه عدك الله بنصرك عليهم ولا تستعجل فانه كائن لا محالة ولا تطع منهم اثما
اي آثما او كفورا اي لا تطع الكفار فروي معمر عن قتادة قال قال ابو جهل
ان رايت محمدا يصلي لاطان على عنقه فانزل الله عز وجل لا تطع منهم اثما
او كفورا وقال انزلت في عتبة بن ربيعة والوليد ابن المغيرة فكانا اتيا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزوج على ان يترك ذكر
النبوة فنهيا نزلت ولا تطع منهم اثما او كفورا قال مقاتل الذي عرض التزوج
عتبة بن ربيعة قال ان بناتي من اجمل بنات قريش فانا ازوجك ابنتي من غير مهر

بعده

وارجع عن هذا الامر وقالوا الوليد ان كنت صنعت ما صنعت من اجل المال فانا هـ
اعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الامر فنزلت ثم قال او في قوله تعالى
اثما او كفورا فاوقد دلت على ان كل واحد منهما اهل ان يعصى كما انك اذا قلت لا
تخالف الحسن او ابن سيرين او اتبع الحسن او ابن سيرين فقد قلت هذا اذ
تتبعهما وكل واحد منهما اهل لان يتبع قاله الزجاج وقال الفراء وهما بمنزلة لا
كانه قال ولا كفورا قال الشاعر

* لو وجدت كلبي كما وجدت * ولا وجد عجوز اصلما ربع *

* او وجد شيخ اصل باقيه * تؤسوى في الجمع ما لدفع *

اراد والا وجد سح وقيل الاثم المنافق والكفور الكافر الذي يظهر الكفر
اي لا تطع منهم اثما ولا كفورا وهو قريب من قولك الفراء قوله تعالى
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي صل لربك اول النهار واخره ففي اوله صلاة الصبح
وفي اخره صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء
الاخرة وسبحه ليلا طويلا يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب وقال
ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القرآن فهو صلاة وقيل هو الذكر المطلق
سواء كان في الصلاة وفي غيرها وقال ابن زيد هو ندب في سورة المزمل
وقال ابن حبيب حسن وجمع الاصل الاصائل والاصل كقولك سفاين وسفن
قال * ولا بالحسن منها اذ دنا الاصل * وقال
في الاصابيل وهي جمع الجمع * اعمري لانت البيت اكرم اهله * وانعد في افنا بديا الاصائل
وقد مضى هذا في اخر الاعراف مستوفى وخلت من على الظرف للتبعيض كما دخلت
على المفعول في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم قوله تعالى ان هؤلاء يحبون
العاجلة توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة الدنيا ويذرون اي ويدعون
وراءهم اي بين ايديهم يوما ثقيلا اي عسيرا شديدا كما قال ثقلت في السموات
والارض اي يتركون الايمان بيوم القيمة وقيل وراءهم اي خلفهم اي ويذرون
الاخرة خلف ظهورهم فلا يعملون لها وقيل نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول صلى
الله عليه وسلم وصفة نعوته وختم العاجلة احرصها الدنيا على ما كتموه وقيل اراد المنافقون
لاستبطائهم الكفر وطلب الدنيا والاية نعم واليوم الثقيل يوم القيمة وانما سمي ثقيلا
لشدائده واهواله وقيل للفضاء فيه بين عباده قوله تعالى نحن خلقناهم اي من طين
وشددنا اسرهم اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وغيرهم والاسر
الخلق قال ابو عبيد يقال فرس شديد الاسر اي الخلق وقيل اسره الله جل ثناؤه اذا
شدد خلقه قال لبيد ساهم الوجه شديد اسره مشرف الحارك محبول الكسد وقال الاخطل
من كل مجتنب شديد اسره سلس القياد مجاله مختالا وقال ابو هريرة والحسن والربيع شددنا
مفاصلهم واوصالها بعضها الى بعض بالعروق والعصب وقال مجاهد في تفسير الاسير هو
الذي اذا خرج الغائط والبول تقبض الموضع وقال ابن زيد الاسر القوة وقال الاخفش
يصف فرسا يعني باوطفة شدادا اسرها ثم السابك لا تفي بالجدة والاشتقاق
من الاسار وهو القد الذي يشد به الاقتاب يقال اسرت القتب اسرا اي شددته ورجل
ويقال ما احسن اسر قبته اي شده ورجله ومنه قوله حذه باسرع اذا اراد ان يقولوا
هو لك كله فانعم اراد وا تخليمه وشده لم ينقض ولم ينتقص منه شيئا ومنه الاسير لانه كان
يشد بالاسار والكلام يخرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها بالمعصية
اي سويناه خلقا واحكمته بالقوى ثم انت تكفرني واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا قال
ابن عباس يقول لو شئنا لاهلكناهم وجئنا باطوع منهم وعنه ايضا لغيرت
محاسنهم التي بها صح الصور واتقنها كذلك روى الضحاك عنه والاول رواه عنه ابو صالح
قوله تعالى ان هذه اي السورة تذكرة اي موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي سبيلا
وقيل وجهة وطريقا الى الخير والجنة وما تشاؤون اي الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل
الى الله الا ان يشاء الله فالجواب الامر ابيح بجانبه لبس ايهم وانه لا يتقدم مشيئة احد
ولا يتقدم اي ان يتقدم مشيئته وقرا ابن كثير وابو عمرو وما يشاءون بالياء على معنى
الخبر عنهم والباقون بالتاء على معنى المخاطبة سبحانه وتعالى وقيل ان الاية الاولى
مشوخة بالثانية والاشبه انه ليس للنسخ بل هو سير ان ذلك لا يكون الا بمشيئة

قال

قال الثواوما تشاؤن الا ان يشا الله جواب لقوله فمن شا اتخذ الى ربه سبيلا ثم اخبرهم ان الامر
بسبب اليهم فقال وما تشاؤن ذلك السبيل الا ان يشا الله لكم انه كان عليما باعمالكم حكيما فى امره
ونهيه كلم وقد مضى فى غير موضع يدخل من يشاء فى رحمته اى يدخله الجنة راحما له والظالمين
اى ويعذب الظالمين فنصبه باضمار ويعذب قال الزجاج نصب الظالمين لان قبله منصوبا
اى يدخل من يشا فى رحمته والظالمين ارتفع لانه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فى المعنى
فلم يجز العطف على المنصوب فجعله فارتفع بالابتدا وههنا قوله اعد لهم عذابا اليما
بدل على يعذب فجاز النصب وقرا ابان بن عثمان والظالمون رفعا بالابتدا والخبر اعد
لهم عذابا اليما اى مولما موجعا وقد تقدم هذا فى سورة البقرة سورة المرسلات
مكية سكية فى قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها
وهى قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون مدنية وقال ابن مسعود نزلت والمرسلات
عرفا على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه بشعب حنين او بنا الى غار بحنين فنزلت
فبينا نحن نتلقاها منه وان فاه لرطب بها اذ وثبت فيه فوسا علينا لنقتلها فذهب
فقال النبى صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم وعن كريب مولى ابن عباس قال
قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتنى ام الفضيل امراة العباس فبكت وقالت والله يا بنى
الله لقد ذكرتنى بقراتك هذه السورة انها لاخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها
فى صلاة المغرب وهى حسنة اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والمرسلات عرفا جمهور
المفسرين على ان المرسلات الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هى الملائكة ارسلت بالمعروف
من امر الله تعالى ونهيه فالخير والوحى وهو قول ابى هريرة ومقاتل وابو صالح والكلبى
وقيل هم الانبيا ارسلوا بلا اله الا الله قاله ابن عباس وقال ابو صالح انهم الرسل يرسل
بما يعرفون به من المعجزات وعن ابن عباس وابن مسعود انها الرياح قال الله تعالى وارسلنا
الرياح وقال ويرسل الرياح ومعنى عرفا يتبع بعضها بعضا يعرف التقدير تتوالى
الهب والناس اليك فلان عرف واحدا اذا توجهوا اليه فاكرموا وهو نصب على الحال من المرسلات
اى الرياح الذى ارسلت متتابعة ويجوز ان تكون مصدرا اى ذات عرف ويجوز ان يكون
النصب على تقدير حذف الجر كانه قال فالموسلات بالعرف والمراد الملائكة او الملائكة
والرسل وقيل يحتمل ان يكون المراد بالمرسلات السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما
ارسلت فيه هى ارسلت اليه وقيل انها الزواجر والمواعظ وعرفا على هذا التابعة بعضها
كعرف الفرس قاله ابن مسعود وقيل جاريات قال الحسن يعنى فى القلوب وقيل معروفات
فى العقول فالعاصفات عصف الرياح بخير لقتلاف قاله المهدوى وعن ابن مسعود هى الرياح الهوج
وهو ورق الزرع وعظامه كما قال تعالى او يرسل عليكم قاصفا وقيل انها صفات الملائكة
الموكلون بالرياح يعصفون بها وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصفا بالشئ
اى ابادة واهلكه وناقة عصوف اى تعصف براكبها فتمضى كانها تاخذ فى السير عصفا وعصفا الرجل
بالقوم اى ذهب بهم وقيل يحتمل انها الايات المهلكة كالزلازل والصعق والتاثيرات يبشر
الملائكة الموكلون بالسحاب ينشرونها وقال ابن مسعود ومجاهد هى الرياح يرسلها الله
تعالى نشرا بين يدى رحمته اى يبشر السحاب للغيث وروى ذلك عن ابى صالح وعنه ايضا
الامطار لانها تنشر النبات والناشرات الاحيا يقال نشر الله الميت وانشره اى احياه وروى
عنه السدى انها الملائكة تنشر كتب الله عز وجل وروى الضحاك عن ابن عباس قال
يريد ما ينشر من الكتب واعمال بنى ادم والصحف انها الصحف تنشر على السعيد اعمال العباد وقال
الربيع انها البعث للقيمة تنشر فيه الارواح قال والناشرات بالواو ولا وجه لاختلاف نظم اخو
فالفارقات فرقا الملائكة تنزل بالفرق بين الحق والباطل قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك
وابو صالح وروى الضحاك عن ابن عباس قال ما تفرق الملائكة من الاوقات والاوراق والاجال
وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد قال الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبدده وعن
ابن مسعود وسعيد عن قتادة قال الفارقات فرقا الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل
والحرام والحلال وقاله الحسن وابن كيسان وقيل يعنى الرسل فرقوا بين ما امر الله ونهى عنه
اى بينوا ذلك وقيل السحابات الماطرة تنشيها فالقات الفارق وهى الحوامل التى تحمل
وتندى الارض حتى تضع وتوقر فوارق وفرق فشبهوا السحابة التى تنفرج من السحاب بمندف
الناقة قال ذو الرمة او مرتة فارق علواء رهبا سوع المرق والظل ما يجلو فالملقيات
ذكر الملائكة باجماع اى تلقى كتب الله عز وجل الى الانبيا عليهم السلام قاله المهدوى وعنه

طل

وقيل هو جبريل وسمي باسم الجمع لانه كان ينزل بها وقيل المراد الرسل يلقون الي امتهم ما انزل
الله عليهم قاله قطرب وقرا ابن عباس فالملقيات بالتشديد مع فتح القاف وهو كقوله تعالى والذي
تلقى القرآن علما او نذرا اي يلقى الوحي اعذارا من الله وانذارا الى خلقه من عذابه قاله
الفراء وروي عن ابي صالح قال يعني الرسل يعذرون وينذرون وروي سعيد عن قتادة عذرا قال
عند الله جل ثناؤه الى خلقه ونذرا للمؤمنين ينتعفون به ويحذرون به وروي الضحاك عن ابن
عباس عذرا ما يلقيه الله جل ثناؤه من تنا ذا وليا يه وهي التوبة ونذرا سدرا حرا وقرا
ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص ونذرا باسكان الذال وجميع السبعة على اسكان ذال
عذرا سوا ما رواه النخعي والاعمش عن ابي بكر عن عاصم انه ضم الذال وروي ذلك عن ابن عباس
والحسن وغيرهما وقرا ابراهيم التيمي وقتادة عذرا ونذرا بالواو والعاطفة ولم يجعلا بينهما
الفا وهما منصوبان على العمل له اي للاعذار والانذار وقيل على المفعول به وقيل على البدل من
ذكرا اي فالملقيات عذرا ونذرا وقال ابو علي يجوز ان يكون العذر والنذر بالتثقيل جمع عاذر
وناذر كقوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى فيكون نصبا على الحال من الالقا اي ملعونا الذكر
في حال العذري والانذار ويكون مفعول الذاكرا اي فالملقيات بذكر عذرا او نذرا وقال المبرد
هما بالتثقيل جمع والجمع لواحد عذير ونذير انما توعدون لواقع هذا جواب ما تقدم من القسم
اي ما توعدون من امر القيمة لواقع بكم ونازل عليكم ثم بين وقت وقوعه فقال واذا النجوم
طمست اي ذهب ضوءها ومحي نورها كطمس الكتاب يقال طمس المشئ اذا درس وطمس فهو
مطموس والريح تطمس الاثار فتكون الريح طامسة والامر طامس يعني مطموس واذا السما فرجت
اي فتحت وشقت ومنه قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا وروي الضحاك عن ابن عباس فاذا
فرجت للسما واذا الجبال نسفت اي ذهب بها كلها سرعة يقال نسفت الشئ وانسفته اذا اخذته
كله بسرعة وكان ابن عباس والكلبي يقولان سويت بالارض والعرب تقول قريش سوف اذا كان
بوخر الحاء بمر فتحه قال البشره للحاء بمر فتحها ونسفت الناقة الكلا اذا رعته وقال
المبرد نسفت قلعته من موضعها يقول الرجل للرجل لنقلع رجليه من الارض انسفت رجلاه وقيل
انسف تفريق الاجزا حتى تذروها الرياح ومنه نسفت الطعام لانه يحرك حتى يذهب الريح بعض
ما فيه من التبن واذا الرسل اقتت اي جمعت لوقتها يوم القيامة والوقت الاجل الذي يكون
عنده الشئ الموخر اليه فالمعنى جعل لها وقت واجل للفصل والقضا بينهم وبين الامم كما قال
يوم يجمع الله الرسل وقيل هذا في الدنيا اي جمعت الرسل لميقاتها الذي ضرب لها في انزال العقاب
بمكذبهم بان الكفار يمهلون وانما نزول الشكوك يوم القيامة والاول احسن لان التوقيت
معناه شئ يقع يوم القيامة كالطمس ونسف الجبال وتشقيق السماء ولا يليق به الثابت
قبل يوم القيامة قالا ابو علي اي يجعل يوم القيامة قال ابو علي اي يجعل يوم الدين والفصل لها
وقتا وقيل اقتت وعدت ولحلت وقيل اقتت اي ارسلت لاوقات معلومات على ما علم الله
واراد والهمزة في اقتت بدل من الواو قاله الفراء والزجاج قال الفراء كل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة
جاز ان يبدل منها همزة تقول صبلي القوم احدانا نزيد وحدانا ويقولون هذه وجوه حسان وهذا
لان ضمة الواو ثقيلة ولم يجز البدل في قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم لان الضمة غير لازمة وقرا
ابو عمرو وحميد والحسن ونصر عن عاصم ومجاهد ووقت بالواو وتشديد القاف على الاصل قال
ابو عمرو وانما يقرا اقتت من قال في وجوه اوجه وقرا ابو خضر وشيبة والاعرج وقتت بالواو
وتخفيف القاف وهو فعلت من الوقت ومنه كتابا موقوتا وعن الحسن ايضا وقتت بواوين
وهو من الوقت ايضا مثل عروت ولولت الواو في هاتين الزائتين انما الخالص تخريجي
وابو بكر وخالد بن الياس وسلام اقتت بالهمز والتخفيف لانها مكتوبة في المصحف بالالف اي يوم
احلت اي اخرجت وهذا التعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على التعظيم اي يوم الفصل احلت وروي
سعيد عن قتادة قال يفصل فيه بين الناس باعمالهم الى الجنة او الى النار وفي الحديث اذا حشر الناس
يوم القيامة قاموا اربعين عاما عراة رؤسهم الشمس شاخصة ابصارهم الى السما ينتظرون الفصل
وما ادراك ما يوم الفصل اتبع التعظيم تعظيما وما اعلمك يوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين اي
عذاب وخزي لمن كذب بالله وبرسله وكتبه وبيوم الفصل هو وعيد وكرره في هذه السورة
عند كل ابتدا من كذب لانه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم قال الكل مكذب بشئ عذاب سوى تكذيبه
بشئ اخر وربما شئ كذب به وهو اعظم جرما من تكذيبه بغيره لانه اقبح في تكذيبه واعظم
في الرد على الله وانما يقسم له على الشئ بل على قدر ذلك وعلى قدر خانه وهو قوله جزاوفاقا
وروي عن النعمان بن بشير قال ويل وادي في جهنم فيه الوان العذاب وخاله ابن عباس

وحمزة غيره قال ابن عباس وغيره قال ابن اذا اخذت جهنم احرمن جمرة فالقي عليها فتاكل بعضها بعضا وروي ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت عليّ جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي انه يجمع ما يسيل من قيح اهل النار فيدفعهم واما بسيل يتحيّ ينتقل من الارض او يقطر وقد علم العباد في الدنيا ما استنقع فيها من مياه الادناس والاقذار والنفسالات من الجيف وما الحمامات فذكران ذلك الوادي مستنقع صديد اهل الكفر والشرك لتعلم العقول انه لا يتبيّ اقذر منه قذارة ولا انتن منه نتنا ولا اشد منه مرارة ولا اشد سوادا منه ثم وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يضمن من العذاب وانه اعظم واد في جهنم فذكر الله تعالى في وعيده في هذه السورة فقوله تعالى الم نهلك الاولين اخبرك عن اهلاك الكفار من الامم الماضين من لدن ادم الى محمد صلى الله عليهم ثم نتبعهم الاخرين اي نلحق الاولين بالاخرين كذلك نفعل بالمجرمين اي بمثل ما فعلناه بمن تقدم نفعل بمشركي قريش اما بالسيف واما بالهلاك وقراة العامة ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وقرا الاعمش نتبعهم بالرفع وقرا الاعمش نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك الاولين المرسلين ثم استانف بقوله كذلك نفعل بالمجرمين يريد من يهلك فيما بعد ويجوز ان يكون الاسكان تخفيفا من نتبعهم لتوالي الحركات وروي عن الاسكان هو التخفيف وفي قراة ابن مسعود ثم نتبعهم والكاف من كذلك في موضع نصب اي مثل ذلك الهلاك نفعله بكل مشرك ثم قيل معناه التهويل كهلاكهم في الدنيا اعتبارا وقيل هو اخبار بعذابهم في الاخرة قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وقد تقدم وهذه الاية اصل لمن قال ان خلق الجنين انما هو من ماء الرجل وحده وقد مضى القول فيه فجعلناه في قرار مكين اي في مكين حريز وهو الرحم الى قدر معلوم قال مجاهد الى ان تصوره قيل الى وقت الولادة فقدرنا قرا نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد وخفف الباقون وهي لغتان بمعنى قاله الكسائي والفراء والتنبيي فقدرنا بمعنى فقدرنا مشددة لما تقوله قدرت كذا وقدرته ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الهلال اذا غم عليكم فاقدروا له اي قدروا له السير والمنازل وقال محمد بن الجهم عن الفراء فقدرنا قال وذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه وتخفيفها قال ولا يبعد ان يكون المعنى في التشديد واحد لان العرب تقول قدر عليه الموت وقدر قال الله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قرا بالتخفيف والشدّ وقدر عليه رزقه وقدر قال واخبر الذين خفروا فقالوا كذلك لكاتب ثم نعم القادرون قال الفراء يجمع الوجهين قال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا

• • قال الاعشى • • •

• وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا •

وروي عن عكرمة فقدرنا مخففة من القدرة وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم والكسائي لقوله فنعم القادرون ومن شدد فهو من التقدير اي فقدرنا الشقي والسعيد فنعم المقدرون رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى قدرنا قصيرا وطويلا ونحوه عن ابن عباس قدرنا سكتنا المهدوي وهذا التفسير اشبه بقراة التخفيف قلت هو صحيح قال عكرمة هو الذي قرا فقدرنا مخففا قال معناه فملكنا فنعم الملكون فاحادث الكلمتان معنيين متقابلين اي قدرنا وقت الولادة واحوال النطفة في التنقيل من حالة الى حالة حتى صارت بشرا سويا او الشقي والسعيد او الطويل والقصير كله على قراة التشديد وقيل هما بمعنى كما ذكرنا قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا اي ضامة تضم الاحياء على ظهورها والاموات في بطنها وهذا يدل على وجوب مواراة الميت ودفنه ودفن شعره وما يزيل عنه وهو قوله عليه السلام قصوا اظفاركم وادفنوا قلاماتكم وقد مضى في البقرة بيانه يقال كفت الشيء اكفته اذا جمعته وضممته والكفت الضم والجمع وانشد سيبويه

• • • • • كرام حين سكت الاداعي الى الجار من الضيح •

وقال ابو عبيد كفاتا اوعية ويقال للحي كفت وكفيته لانه يجري الدين وسمه قال

• فانت اليوم فوق الارض حيا وانت غدا تضم في الكفات

وخرج الشعبي في جنازة فنظر الى الجبانة فقال هذه كفات الاموات ثم نظر الى البيوت وقال هذه كفات الاحياء وروي عن ربيعة في السباتي قال يقطع يده فقيل له قلت

ذلك قال الله عز وجل يقول الم نجعل الارض كفاتا احيا وامواتا فالارض حرز وقد
مضى هذا في سورة المايدة وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانه مقبرة تضم
الموتى فالارض تضم الاحيا الى مساكنهم والاموات في قبورهم وايضا استقرار الناس
على وجه الارض ثم اضطجاعهم عليها انضمام منهم اليها وقيل كفات للاحيا بحيي
دفن ما يخرج من الانسان من الفضلات في الارض الا لاضم في كون الناس عليها والضم
يشير الى الاختلاف من جميع الوجوه وقال الاخفش وابو عبيدة ومجاهد في احد قوليه
الاحيا والاموات ترجع الى الارض منقسمة الى حي وهو الذي ينبت والى ميت وهو الذي
لا ينبت وقال الفراء انتصب احيا واموات بوقوع الكفات عليه اي الم نجعل الارض
كفاتا احيا واموات فاذا لوقت نصبت كقوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة
يتيما وقيل نصب على الحال من الارض اي منها كذا ومنها كذا وقال
الاخفش كفاتا جمع كافت والارض يراد بها الجمع فنعت بالجمع وقال الخليل التكفيت
تصليب الشيء ظهرا لبطن او بطنا لظهر وقيل تكفت القوم الى منازلهم اي انقلبوا فمعنى
الكفات انهم ينصرفون على ظهرها ويتقلبون اليها ويدفنون فيها وجعلنا فيها
اي في الارض رواسي شامخات يعني الجبال والرواسي الثوابت والشامخات
الطوال ومنه يقال شمخ بانفه اذا رفعه كبرا قال والخيلنا كم ماء فراتا اي جعلنا لكم
سقيا والفرات الماء العذب يشرب ويسقى به الزرع اي خلقنا الجبال وانزلنا
الماء الفرات وهذه الامور اعجب من البعث وفي الحديث قال ابو هريرة في الارض
في الجنة الفرات والصحوة ونهر الاردن وفي صحيح مسلم سيحان وجيحان والنيل
والفرات كل من انهار الجنة قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي يقال
للكفار سيروا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها انطلقوا
الى ظل اي دخان ذي ثلاث شعب كذلك بيان الدخان العظيم اذا ارتفع يتشعب
يعني الدخان الذي يرتفع ثم وصف الظل فقال لا ظليل اي ليس
كالظل الذي يتقي حر الشمس ولا يغني من اللهب اي لا يدفع من لهب جهنم شيأ واللهب
ما يعلو على النار اذا اضرمت من احمر واصفر واخضر وقيل ان الشعب الثلاث هي
الصريخ والزقوم والغسلين فالها الضحاك وقيل اللهب ثم الشرر ثم الدخان لانها ثلاثة
احوال هي غاية او صاف النار اذا اضرمت واشتدت وقيل عنق يخرج من النار فيتشعب ثلاثة
شعب فاما النور فيقف على رؤوس المؤمنين واما الدخان فيقف على رؤوس الكافرين
وقيل هو السرادق الذي هو لسان من نار يحيط بهم ثم يتشعب منه ثلاثة شعب
فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم الى النار وقيل هو الظل من يحموم كما قال تعالى في سموم وحميم
وظل من يحموم لا بارد ولا كريم على ما تقدم وفي الحديث ان الشمس تدنو من رؤوس الخلائق
وليس عليهم يومئذ لباس ولا لهم اكفان فتلحقهم الشمس وتأخذ بانفاسهم ومن
ذلك اليوم ثم يجيء الله برحمته من يشاء الى ظل من ظله فهنالك يقولون من انذرهم
علينا وقال ان عذاب السموم ويقال للكفار يوم القيامة انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله
وعقابه انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب تكون اولياء الله جل ثناؤه في ظل عرشه او حيث شاء
من الظل الى ان يفرغ من الحساب ثم يؤمر بكل فريق الى مستقره من الجنة والنار ثم وصف
النار فقال انها ترمي بشرر كالقصر الشرر واحده شررة والشرار واحده شرارة
وهو ما تطاير من النار في كل جهة واصله من شررت الثوب اي بسطته للشمس ليجف
والقصر البناء العالي وقراءة العامة كالقصر باسكان الصاد اي الحصون والمدائن في العظم
وهو واحد القصور قاله ابن عباس وابن مسعود وهو في معنى الجمع على طريق الجنس وقيل
القصر جمع قصرة ساكنة الصاد مثل حمرة وحمر وتمرة وتمر والقصر بالواحدة من جزل الحطب
الغليظ وفي البخاري عن ابن عباس ايضا ترمي بشرر كالقصر قال كنا نرفع الخشب
بقصر ثلاثة اذرع او اقل فنرفعه للشتاء فسميه القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك
هي اصول الشجر والنخل العظام اذا وقع وقطع وقيل اعناقه وقرأ ابن عباس ومجاهد
وحميد والسلمي كالقصر بفتح الصاد اراد اعناق النخل والقصر العنق جمع قصرة وقصرات ثم
وقال قتادة اعناق الابل وقرأ سعيد بن جبير بكسر القاف وفتح الصاد وهو ايضا
جمع قصرة مثل بدرة وبدر وقصعة وقصع وحلقة وحلق الحلق الحديد وقال ابو حاتم
ولعله لغة كما قالوا حاجة وحوج وقيل القصر الحبل فسميه الشرر بالقصر في تعاديه ثم

شبهه في لونه بالجمالات الصفر وهي الابل السود والعرب تسمي السود من الابل بالصفر
" " " قال الشاعر " "
" " تلك خيلي وتلك ركابي " هن صفر اولادها كالزبيب "
اي هن سود وانما سميت السود من الابل صفرا لانه يشرب سوادها شيء من صفرة
كما قيل لبيض الطبا الادهمات يبلطها بعلو اكدرة والشرر اذا تطاير وسقط وفيه
بقية من لون النار استعير شيء بالابل السود لما يسوبها من صفرة وفي شعر عمر ابن حماد
الخارجي " رغبتهم بها على صونها وهيهم " بمثل الجمال الصفر زاعدا السوا "
وضعف ابو بكر هذا القول قال وهذا القول محال في اللغة ان يكون شيء يشوبه شيء قليل
فنسب كله اليه ذكر الشاعر به فالعجب لمن قال هذا وقد قال الله تعالى
جمالات صفر فلم يجعل شيئا من هذا في اللغة ووجهه عندنا ان النار خلقت من السود
فهي لها رهيبة فلما خلق الله جهنم وهي هو ضع النار حسا ذلك الموضع بتلك النار وبعث
اليها سلطانه وغضبه فاسودت حتى سلطانه وازدادت حدة وصارت اشد سوادا
من النار ومن كل شيء سوادا فاذا كان يوم القيمة وجيء بجهنم في الموقف رمت بشررها على اهل
الموقف غضبا لغضب الله والشرر هو اسود لانه من نار سوداء فاذا رمته النار بشررها
تلك الجمالات صفر لاعدائه فهو سواد من سواد النار لا يصل ذلك الى المومنين الموحدين لانهم
في سرادق الرحمة فراحاط بهم في الموقف وهو الغمام الذي ياتي فيه الرب تبارك وتعالى
بجاء يوم ذلك الربي فاذا جاء بنوه نزع الله ذلك السلطان والغضب عنه وراى الجبل
منه حتى يزوها صفرا لجبال الموحدون امنهم في رحمة الله لا في سلطانه وغضبه وكان ابن عباس
يقول الجمالات الصفر جبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الرجال
ذكره البخاري وكان يقرؤها جمالات بضم الجيم ولذلك قرا مجاهد وحميد جمالات
بضم الجيم وهي الجبال الغلاظ وهي قلوس السفينة اي حبالها وواحد القلوس قلس وعن
ابن عباس ايضا وعلي انها قطع النحاس والمعروف في الحبل الغليظ حمل بتشديد الميم
كما تقدم في الاعراف وجمالات بضم الجيم جمع جمالة بكسر الجيم موحدا كانه جمع جمل نحو جحاز
وقرا يعقوب وابن ابي اسحق وعيسى والجحدري جمالة بضم الجيم موحدا وهي التي العظيم
المجموع بعضه الى بعض نحو حجر وحجارة وذكر وذكارة وقرا حفص وحمزة والكسائي جمال كاحبال
رجل ورجال ورجالات وقيل شبهها بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لتتابع بعضها
بعضا والقصر واحد القصار وقصر الظلام اختلاطه وتجاله ابيته قصرات بما انهو مشترك
قال كانهن قصرات مما تيح راهب يهودون روي بالسليط ذبالها قوله تعالى
مسئلة في هذه الايات دليل على جواز ادخار الحطب والغنم وان لم يكن من السوق فانه
مصالح المرء ومعاني معارفه وذلك مما يقتضي النظر اي يكسبه في غير وقت حاجته للكون
ارخص وحاله وجوده اهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخر القوت في غير وقت عموم
وجوده من كسبه وما يله وكل شيء يحمل عليه وقد بين ابن عباس هذا
بقوله كنا نعمل الى الحنطة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخره
للنساء وكنا نسميه القصر وهذا اصح ما قيل في ذلك والله اعلم وقوله
تعالى هذا يوم لا ينطقون اي لا يتكلمون ولا يوذن لهم فيعتذرون اي يوم القيمة
له مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت اي لا يتكلمون فيها ولا يوذن لهم في الاعتذار
والنصب عن عكرمة عن ابن عباس قال سالته ابن الازرق عن قوله تعالى هذا يوم
لا ينطقون ولا تسمع الا همسا وقد قال واقبل بعضهم على بعض
يتساءلون فقال له ان الله عز وجل يقول وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
قال لكل مقدار من هذه الايام لونا من هذه الالوان وقيل لا ينطقون بحجة نافعة ومن نطق
بما لا ينفع ولا يفيد فكانه ما نطق قال الحسن لا ينطقون بحجة وان كانوا ينطقون وقيل
ان هذا وقت جوابهم لحسوا فيها ولا يكلمون وقد تقدم وقال ابو عثمان اسكتتهم رويدا
الهيبة وحسا انه يوسر وقال الجنيد اي عذر لمن اعرض عمن منعه وجوده وكثر
بادبه ونعمه وقوم بالرفع قراة العامة على الابتدا والخبر اي تقول الملائكة هذا يوم
لا ينطقون ومعنى ايوح الساعة والوقت وروي يحيى بن سلمان عن ابي بكر عن عاصم
هذا يوم لا ينطقون بالنصب وروي عن ابي هرمز وغيره فجاز ان يكون سببا لاضافة
اي الفعل وموضعه رفع وهذا مذهب الكوفيين وجاز ان يكون سببا لاضافة

الى الفصل وموضعه رفع وهذا مذهب الكوفيين ويجوز ان يكون في موضع نصب على ان
يكون ههنا معرب قال الفراء في قوله ولا بوذن لهم فيعتذرون الفاسق اي عطف
على يؤذن واخرذلك لان اواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذلم لم يوافق
الاياته وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب وكله صواب ومسلة من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه بالنصب والرفع قوله تعالى هذا يوم
الفصل يجوز ان يكون لهم هذا يوم الفصل فيه بين الخلائق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم
والاولين وقال ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا والذين كذبوا النبيين من قبله
رواه عنه الضحاك فان كان لكم كيد اي حيلة في الخلاص من العذاب فكيدون اي
فاحتالوا لانفسكم وقاوموني ولن تجدوا ذلك وقيل فان كان لكم كيد اي قدرة على
حرب فحاربون محمدا صلى الله عليه وسلم وحاربوني في اليوم حاربوني وقيل اي انكم
كنتم في الدنيا تعملون بالمعاصي وقد عجزتم الان عنها وعن الدفع عن انفسكم
وقيل انه من تحول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود فكيدوني جميعا ثم
لا تنظرون قوله تعالى ان المتقين في ظلال وعيون اخبر بما يصيرا اليه
المتقون عدا المراد بالظلال ظلال الاشجار وظلال القصور فكان الظل في الجنة
اثلاث وفي سورة يس وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون وفواكه
مما يشتهون اي يتمنون وقراءة العامة ظلال وقراءة الاعرج والزهري وطلحة
ظلل جمع ظلة يعني في الجنة كلوا واشربوا اي يقال لهم عدا بدل مما نال
للمشركين فان كان لكم كيد فكيدوني فكلوا واشربوا في الحال من مصيرا المتقين في الظرف
الذي هو في ظلال اي هم متقرون في ظلال مقولا لهم ذلك الكذلك نجزي
المحسنين اي نثيب الذين احسنوا في تصديقهم محمدا صلى الله عليه وسلم واعمالهم
في الدنيا قوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا هذا مردود الى ما تقدم قبل المتقين
وهو وعيد وتهديد وهو حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم
في حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون اي كافرون وقيل
مكتبون فعلا يضركم في الاخرة من الشرك والمعاصي قوله تعالى واذا
قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قيل لهؤلاء المشركين اركعوا اي صلوا لا يركعون
لا يصلون قاله مجاهد وقال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة فقيل
ذلك عليهم قال مقاتل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسلموا وامرهم بالصلاة
فقالوا لا ننحني فانها مسبة علينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين
ليس فيه ركوع ولا سجود يذكر ان مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر
فجلس ولم يركع فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام فركع ولم يجاوز بما يراه
مذهبا فقيل له في ذلك فقال حسبك ان اكون من الذين اذا قيل لهم
اركعوا لا يركعون وقال ابن عباس انما يقال لهم هنا في الاخرة حين يدعون
الى السجود فلا يستطيعون قتادة هذا في الدنيا ابن العربي في هذه الاية حجة
على وجوب الركوع وانه ركن في الصلاة وقد انعقد الاجماع عليه ولن قوم ان
هذا انما يكون في القيامة ولبسته بدار تكليف فيتوجه فيها امر يكون عليه ويل وعقاب
وانما يدعون الى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا من يسجد له يكن من السجود
ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا وقيل اي واذا قيل لم يخضعوا
لله لا يخضعون فهو عام في الصلاة وغيرها وانما ذكر الصلاة لانها اصل هم
الشرائع بعد التوحيد وقبل الامر بالصلاة امر بالايمان لانها لا تصح من غير
ايمان قوله تعالى فبأي حديث بعده يؤمنون اي ان لم يصدقوا بالقرآن
الذي هو المعجز والدلالة على صدق الرسول عليه السلام فبأي شيء يصدقون
وكرر ويل يومئذ للمكذبين لمعنى تكرار التعجيب والوعيد وقيل ليس بتكرار
لانه اراد بكل قول منه غير الذي اراده بالاخر كانه ذكر شيئا فقال ويل لمن
يكذب بهذا ثم ذكر شيئا اخر فقال ويل لمن يكذب بهذا ثم كذلك الى اخرها

سورة عم مكية وتسمى سورة النبأ

وهي اربعون او احدى واربعون اية

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى عم يتساءلون

عم لفظ الاستفهام ولذلك سقط منها الف التمييز الجر من الاستفهام ولذلك سقطت منها الف التمييز فيهم وبم اذا استفهمت والمعنى عن اي شئ يسئل بعضهم بعضا وقال الزجاج اصل عم عن ما فادغمت النون في الميم لان الميم تشاركها في الغنة والضمير في يتساءلون لقريش وقيل عم بمعنى لم فلم يتردد المشركون ويختصمون فيه فقال الله تعالى عن النبأ العظيم اي يسألون عن النبأ العظيم وليس يتساءلون الذي في التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون عن النبأ العظيم كقولك كم مالك اثلاثون ام اربعون فوجب لما ذكرناه من امتناع تعلقه بيتساءلون الذي في التلاوة وانما يتعلق بيتساءلون اخر مضمر وحسن ذلك التقديم بيتساءلون قاله المهدوي وذكر بعض اهل العلم ان الاستفهام في قوله عن مكرر لانه مضمر كانه قال عم يتساءلون عن النبأ العظيم فعلى هذا يكون متصلا بالاية الاولى والنبأ العظيم اي الخبر الكثير الذين هم فيه مختلفون اي يخالف فيه بعضهم بعضا فيصدق واحد ويكذب الاخر وروي ابو صالح عن ابن عباس قال هو القرآن دليله قوله قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون وروي سعيد عن قتادة قال هو البعث بعد الموت صار الناس فيه رجلين مصدق ومكذب وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم وروي الضحاك عن ابن عباس قال وذلك ان اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء كثيرة فاخبره الله جل ثناؤه باختلافهم ثم هددهم فقال كلا سيعلمون اي سيعلمون عاقبة القرآن وسيعلمون البعث هو حق ام باطل وكلا ردع لهم في تكاذبهم البعث وتكذيبهم القرآن فيوقف عليها ويجوز ان يكون بمعنى حقا او لا فيبتدأ بها والاظهر ان سؤالهم انما كان عن البعث قال بعض علماءنا والذي يدل عليه قوله عز وجل ان يوم الفصل كان ميقاتا يدل على انهم كانوا يتساءلون عن البعث ثم كلا سيعلمون ايضا يعلمون صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن وما ذكره لهم من البعث بعد الموت وقال الضحاك كلا سيعلمون يعني الكافرين عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلمون يعني المؤمنين عاقبة تصديقهم وقيل بالعكس ايضا وقال الحسن هو وعيد بعد وعيد وقراءة العامة فيهما بالياء على الخبر لقوله تعالى يتساءلون وقوله هم فيه مختلفون وقرأ الحسن وابو العالية ومالك بن دينار بالتاء فيهما قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا لهم على قدرته على البعث اي قد رتنا على اتخاذ هذه الامور اعظم من قدرتنا على الاعادة والمهاد الوطاء والفراش وقد قال الذي جعل لكم الارض فراشا وقرأ مهادا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما مهد له فيتم عليه والجبال اوتادا اي لتسكن ولا تكفأ ولا تميل باهلها وخلقناكم ازواجا اصنافا ذكرانا واناثا وقيل الوانا وقيل يدخل في هذا من قبيح وحسن وطويل وقصير مختلف الاحوال فيقع الاعتبار فيشكر الفاضل ويصبر المفضول وجعلنا نومكم سباتا معناه صيرنا ولذلك تعدت الى مفعولين سباتا المفعول الثاني اي راحة لابدانكم يوم السبت اي يوم الراحة اي قيل لبني اسرائيل استريحوا في هذا اليوم فلا تعملوا فيه شيئا وانكروا ان الاشارة هذا وقال لا يقال للراحة سبات وقيل اصله التمدد ويدخل فيه قالوا سبت المرأة شعرها اذا حللته وارسلته فالسبات كالممدود ورجل سبوت للحلق اي ممدود واذا اراد الرجل يستريح تمدد فسبت الراحة سبتا وقيل اصله القطع يقال سبت شعره سبتا حلقه وكانه اذا نام انقطع عن الناس وعن الاشتغال فالسبات يشبه الموت الا انه لم تفارقه الروح وقيل سير سبت اي سهل لين قال الشاعر

* ومطوية الاقراب اما نهارها * فسبت واما ليلها فذهيل *

وجعلنا الليل لباسا اي لتلبسكم ظلمته وتغشاكم قاله الطبري وقال ابن جبير والسدي اي سكنا لكم وجعلنا النهار معاشا فيه اضمار اي وقت معاش اي مبصرا لطلب المعاش وهو كل ما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك فعاشا على هذا اسم

مان

ليكون الثاني هو الاول ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف و
بنينا فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات محكمات اي محكمة الخلق ومتينة البنيان
وجعلنا سراجا وهاجا اي وقادا وهي الشمس وجعلنا هنا بمعنى خلق لانها تعدت لمفعول
واحد الوهاج الذي له وهج فقال وهج يهج وهجا ووهيجا ووهجانا ويقال للجوزة اذا اكلا
بوهج فقال ابن عباس وهاجا مثيرا سئلا وانزلنا من المعصرات ما ثجاجا قال
مجاهد وقتادة المعصرات الرياح وقاله ابن عباس كانها تعصر السحاب وعن ابن عباس
ايضا انها السحاب وقال سعيد بن جبير وابو العالية والضحاك اي السحاب التي تعصر
بالماء ولم تمطر بعد كالمرأة المعصر الذي قد دنا حيضها ولم يحض قال
• كاخفي دون من كنت اتقي ثلاث شخوص كالعتاب ومقصد •
وقال آخر
• وذو شركاء لاخوان يزبنه ذهاب الصبا والمعصرات الروائح •
فالرياح تسمى معصرات يقال اعصرت الريح تعصر اعصارا اذا اثارت الهجاج وهي السماء
الغبراء وهذه الاقوال صحاح يقال للرياح التي تاتي بالمطر معصرات والرياح كلقح السحاب
فيكون المطر نازلا من الريح التي تاتي بالمطر على هذا ويجوز ان تكون الاقوال واحدة
ويكون المعنى وانزلنا من ذوات الرياح المعصرات ماء ثجاجا واصح الاقوال ان المعصرات
السحاب كذا المعروف ان العين منها ولو كانت ولو كان بالمعصرات فكان الريح اولى وفي
الصحاح والمعصرات السحاب يعتصر بالمطر وعصر القوم اي مطروا ومنه قرأ بعضهم
وفيه يعصرون والمعصر الجارية اول ما ادركت وحاضت يقال قد اعصرت كانها دخلت
عصر شبابها او بلغته قال الراجز
• جارية يستوقف راكباه تمشي الهوينا ساقطا خمارها •
وقد اعصرت او قد دنا اعصارها • والجمع معاصير ويقال هي التي قاربت الحيض لانه
الاعصار في الجارية كالمراهقة في الغلام سمعته من ابي الغوث الاعرابي قال غيره
والمعصر السحابة التي كان لها ان تمطر يقال اهذا الزرع فهو يجزا اي صار الى ان يجز وكذلك
السحاب اذا صار الى ان يمطر فقد اعصر وقال المبرد يقال سحاب معصر اي ممسك
للماء ويعتصر منه شئ بعد شئ ومنه العصر بالتحريك للملجا الذي يلجا اليه والمعصرة بالضم ايضا الملجا
وقد مضى هذا المعنى في سورة يوسف والحرس والنشر ابو زيد حرست الجارية تحرس حراسة
ولقد كان عصر المنجوم • ومنه المعصر للجارية التي قربت من البلوغ يقال لها معصر لانها
تحسن في البيت فيكون البيت لها عصرا وفي عبارة ابن عباس وعكرمة وانزلنا بالمعصرات
والذي في الصحاح من المعصرات قال ابي بن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن اسلم ومقاتل بن حيان
من المعصرات اي من السموات ماء ثجاجا صبابا متتابعا عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما يقال ثجه يثجه
فانثج اي صبه ثجا وقد ثج الدم يثج ثجوجا وكذلك الماء فهو لازم ومتعد والثجاج في الاية المنصب
وقال الزجاج اي الصباب وهو متعد كانه يثج بنفسه اي يصب وقال عبيد بن الابرص فثج
اعلاه ثم ارتج اسفله وصاق ذرعا بحمل الماء فاضاح وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن
الحج المبرور فقال الحج والثج فالثج رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة الدماء وذبح الهدايا وقال ابو زيد ثججت
كثيرا والمعنى واحد قوله تعالى لنخرج به حبا كالحنطة والشعير وغير ذلك ونباتا من الابه وهو ما ياكله
الدواب من الحشيش وجنات اي بساتين الفافا اي ملتفة بعضها ببعض لتشعب اغصانها ولا واحد لها
كالاداوع والاحاف وقيل واحدها الالف لف بالكسر ذكره الكسائي قال جنة لف وعشب لف وذراع لف
بيض زهر وعنه ايضا وابو عبيدة لغيف كثير ملتف واشراف وقيل هو جمع الجمع حكاه الكسائي يقال جنة لفاء
وبيت لف والجمع لف بضم اللام مثل حمر ثم جمع اللف الفافة الزمخشري
ولو قيل ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان وجيها ويقال شجرة لفاء وشجر لف
وامراة لفاء اي غليظة الساق مجتمعة اللحم وقيل التقدير ويخرج به جنات الفافا
فحذف لدلالة الكلام عليه ثم هذا الالتفاف والانضمام معناه ان الاشجار في البساتين
تكون متقاربة الاغصان من كل شجرة متقاربة •
• قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا •
اي وقتا او مجمعا وميعادا للاولين والاخرين لما وعد الله من الجزاء والثواب
وسمي يوم الفصل لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه قوله تعالى يوم ينفخ في الصور
اي للبعث فتاتون اي الى موضع العرض افواجا اي امم كل امة امامهم وقيل

ا ي بذلك الماء

زمرا وجماعات الواحد فوج ونصب يوم بدا من اليوم الاول وروي في حديث معاذ بن جبل قلت يا رسول
الله ارايت قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ
ابن جبل لقد سالت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه باكيا ثم قال حشر عشرة اصناف من امتي اشتاتا قد
ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير
وبعضهم منكسين ارجلهم اعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم عمي
فهم لا يعقلون يمضغون السنتهم فهي مدلات على صدورهم يسيل القيح من افواههم لعابا يتقذرهم
اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبين على جذوع من النار وبعضهم اشد نتنا
من الجيف وبعضهم يلبسون جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم فاما الذين على صورة
القردة فالقتات من الناس يعني النمام فاما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت والحوار
والمكس واما المنكسون رؤسهم وارجلهم ووجوههم فاكلة الربا والعمي من يجور في الحكم والصم البكم
الذين يعجبون باعمالهم والذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم فعلهم
والمقطعة ايديهم وارجلهم فالذين يوذون الجيران والمصلبين على جذوع من النار فالسعاة
بالناس الى السلطان والذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يمتنعون بالشهوات ومنعون
حق الله من اموالهم والذين يلبسون الجلابيب فاهل الكبر والفخر والخيلاء قوله تعالى
وفتحت السماء فكانت ابوابا اي لنزول الملائكة كما قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة
تنزيلا وقيل تفطرت فكانت قطعا كالابواب فانتصاب الابواب على هذا التاويل بحذف
الكاف وقيل التقدير فكانت ذوات ابواب لانها تصير كلها ابوابا وقيل ابوابها طرقها وقيل
بخل وبنا ثر حتى يصير فيها ابوابا وقيل اذ لكل عبد بابان في السماء بابا لعمله وبابا لرزقه
فاذا قامت القيامة انفتحت الابواب وفي حديث الاسراء ثم عرج الى السماء فاستفتح جبريل
فقيل من هذا قال جبريل قال ومن معه قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا وسيرت الجبال فكانت سرابا اي شيئا كما ان السراب كذلك يظنه الراي
ماء وليس بماء وقيل سيرت نسفت من اصولها وقيل ازيلت عن مواضعها قوله تعالى
ان جهنم كانت مرصادا معفال من الرصد والرصد كل شيء كان امامك قال الحسن
ان على النار رصدا لا يدخل احد الجنة حتى يجتاز عليه فمن جاز جاز ومنكم من يحبس ثم يجوز
حبس وعن سفيان رضي الله عنه قال عليها ثلاث قناطر وقيل مرصادا ذات ارصاد
على العباد اي ترصد من يمر بها وقال مقاتل مجلسا وقتل طريقا وممرا فلا سبيل
لاحد الى الجنة حتى يقطع جهنم وفي الصحاح والمرصاد الطريق وذكر القتيبي ان المرصاد
المكان الذي يرصد فيه الواحد العدو ونحو المصار للموضع الذي يضمر فيه الخيل اي
يعدونه معدة لهم فالمرصاد بمعنى المحل فالملائكة يرصدون الكفار حتى يمروا بجهنم
وذكر الماوردي عن ابي سنان انها بمعنى راصدة تحادثهم بافعالهم وفي الصحاح الراصد
الشيء الراقب له تقول رصده يرصده رصدا ورصدا والرصد الترقب والمرصد موضع
الرصد الاصمعي رصدته ارصده ترقبته وارصدته اعددت له والكسائي مثله
قلت فجهنم معدة متوصدة متفعل من الرصد وهو الترقب اي معطلة لمن
ياتي بالمرصاد مفعال من ابنية المبالغة كالمعطار والعمار فكانه يكثر من جهنم انتظار
الكفار للطاغين ما بد لمن قوله مرصادا والمآب المرجع اي مرجعا يرجعون اليها
يقال اب يوب اوبة اذا رجع وقال قتادة ماوى ومنزلا والمراد بالطاغين من طغى في دينه
بالكفر او في دنياه بالظلم قوله تعالى لابثين فيها احقابا اي ماكثين في النار
ما دامت الاحقاب الدهر والحقبة بالكسر وهي لا تنقطع فكلما مضى حقب جاء حقب
بضمتين الدهر والاحقاب والجمع حقب قال منعم بن نويرة التميمي

وكل اكرومانة حذيمة ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا ... لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنة وقيل اكثر من ذلك وقيل على ما ياتي والجمع
حقاب والمعنى في الاية فيها احقاب الاخرة التي هم فيها لا تحذف الاخرة لدلالة الكلام
عليه اذ في الكلام ذكر الاخرة وهو كما يقال ايام الاخرة اي ايام بعد ايام الى غير نهاية
وانما كان يدل على التوقيت لو قال خمسة احقاب او عشرة ونحوه وذكر الاحقاب لانها
كانت بعد شيء عندهم فتكلم بما تذهب اليه اذهانهم ويعرفونه وهي كناية عن التابيد اي
يمكثون فيها ابدا وقيل ذكر الاحقاب دون الايام لان الاحقاب اهول في القلوب وادل على الخلود

والمعنى متقارب وهذا الخلود في حق المشركين وعلى الآية على العصاة الذين يخرجون من النار بعد احقاب وقيل الاحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق فاذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العقاب ولهذا قال لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا اسم فاعل من لبث وبقوبيا ان المصدر منه اللبث بالاسكان كالشرب وقرأ حمزة والكسائي لبثين بغير الف وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيدة وهما لغتان يقال رجل لابث ولبث مثل طمع وطامع ونوم ونائم وهو يقال هو لبث بمكان كذا اي قد صار اللبث شأنه فشبه به ما هو خلقة في الانسان بخوخذره وقد ان باب فعل انما يكون خلقة في الشيء في الاغلب وليس كذلك اسم الفاعل من لبث والحقب ثمانون سنة في قول ابن عمر وابن عباس وابي هريرة والسنة ثلثمائة يوم وستون يوما واليوم الف سنة من ايام الدنيا قاله ابن عباس وروي عن ابن عمر هذا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة والسنة ثلثمائة يوم وستون يوما فكل يوم مثل الدنيا وعن ابن عمر الحقب اربعون سنة السدي سبعون سنة وقيل انه الف شهر رواه ابو امامة مرفوعا بشير بن كعب ثلثمائة سنة لحسن الاحقاب لا يدري احدكم هي ولكن ذكروا انها مائة حقب والحقب الواحد منها سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحقب الواحد ثلاثون الف سنة ذكره المهدوي والاول الماوردي وقال قطرب هو الدهر الطويل الغير المحدود وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها احقابا الحقب بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة مما تعدون فلا يتكلن احد على ان يخرج من النار ذكره الثعلبي القرطبي الاحقاب ثلاثة واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم الف سنة قلت هذا اقوال متعارضة والتحديد في الآية للخلود يحتاج الى توقيف يقطع العذر وليس ذلك ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم والله اعلم ما ذكرناه اولا اي لابثين فيها زمانا ودهورا كلما مضى زمن يعقبه زمن ودهر يعقبه دهر هكذا ابدا الابدين من غير انقطاع وقال ابن كيسان معنى لابثين فيها احقابا لا غاية لها ولا انتهاء كانه قال ابدا وقال ابن زيد ومقاتل انها منسوخة بقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل قلت وهذا بعيد لانه خبر وقال تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط على ما تقدم هذا في حق الكفار واما العصاة الموعدون فصحيح وكون النسخ بمعنى التخصيص والله اعلم وقيل المعنى لابثين فيها احقابا في الارض اذ قد تقدم ذكرها ويكون الضمير في لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا لجهنم وقيل واحد الاحقاب حقب وحقبة قال

فان تسألي عنا حقبة لا يلمنا ... فانك مما احدث الحرب

وقال المكيت من لا بعد حقبه وحقب قوله لغاب لا يذوقون فيها بردا اي في الاحقاب بردا ولا شرابا البرد النوم في قول ابي عبيدة قال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم ... وان شئت لم اطعم لقاحا ولا بردا

وقاله مجاهد والسدي والكسائي والفضل ابن خالد وابو معاذ النحوي وانشد قول الكندي

ابردت من اسماء قبل تصدني ... عنها وعن تقبيلها البرد

يعني النوم والعرب تقول منع البرد والمبرد يعني اذهب البرد النوم قلت وقد جاء الحديث انه عليه الصلاة والسلام سئل هل في الجنة نوم فقال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها فكذلك النوم وقد قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا وقال ابن عباس البرد برد الشراب وعنه ايضا البرد النوم والشراب الماء وقال الزجاج اي لا يذوقون برد ريح ولا ظل نوم فجعل البرد يرد كل شيء له راحة وهذا البرد ينفعهم فاما الزمهرير فيؤذيهم يتأذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله اعلم به وقال الحسن وعطا وابن زيد بردا اي روحا وراحة وقال الشاعر

فلا القل من برد الضحى يستطيعه ... ولا القي اوقات الهاجرة رق

وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا جملة في موضع الحال من الطاغين او نعت للاحقاب والاحقاب ظرف زمان والعامل فيه لابثين او لبثين على تقدير فعل الا حميما وغساقا استثنا منقطع في قول من جعل البرد النوم ومن جعله من النزود كانه بدل منه والحميم الماء الحار قاله ابن عبيد وقال ابن زيد الحميم دموع اعينهم تجمع في حياض ثم يسقونه قال

النحاس اصل الحميم الماء الحار ومنه اشتق الحمام ومنه الحمي ومنه وظل من يحموم انما يراد به النهاية في الحر والعذاب صديد اهل النار وقيحهم وقتل الزهري وعثرا حمزة والكسائي بتشديد السين وقد مضى في ص القول فيه جزاء وفاقا في موافقا لاعمالهم عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما فالوفاق بمعنى الموافقة كالقتال بمعنى المقاتلة وجزاء نصب على المصدر اي جازيناهم جزاء وفق اعمالهم قاله الفراء والاخفش وقال الفراء ايضا هو جمع الموفاق والوفق والوفق وقال مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار وقال الحسن وعكرمة كافق اعمالهم سيئة فاتاهم الله ما يسوءهم انهم كانوا لا يرجون اي لا يخافون حسابا اي محاسبة على اعمالهم وقيل معناه لا يرجون ثواب حساب الزجاج اي انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم وكذبوا بايانا اي بما جاءت به الانبياء وقيل مما انزلنا من الكتب وقراءة العامة كذابا بتشديد الذال وكسر الكاف على كذب اي كذبوا تكذيبا كبيرا قال الفراء لغة يمانية فصيحة يقولون كذبت كذابا وحرفت الممخص خراقا وكل فعل في وزن فعل جمع فصاره فقال تشدد في لغتهم وانشد بعض الكلابيين

* لقد طال ما بتطيني عن صحابتي * وعن حاجة قضاوها في شقائيا *

وقرا علي رضي الله عنه كذابا بالتخفيف وهو مصدر ايضا قال ابو علي التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة لقوله الا عنى

* قصدتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه *

ابو الفتح جاء جميعا مصدر كذب وكذب جميعا الزمخشري كذابا بالتخفيف مصدر كذب بدليل قوله * قصدتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذا به *

وهو مثل قوله انبتكم في الارض نباتا يعني وكذبوا بايانا كذابا فكذبوا كذابا او يقصد بكذبوا انه يتضمن معنى كذبوا الآن كل مكذب ما حق كاذب انهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمين عندهم كاذبين فنصبهم لكاذبة وقرا ابن عمر كذابا بضم الكاف والتشديد جمع كاذب قاله ابو حاتم ونصبه على الحال الزمخشري وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد المبالغ في الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وحال فيجعل صفة المصدر وكذبوا اي تكذيبا كذابا مصرحا به وفي الصحاح وقوله وكذبوا بايانا تكذابا وهو احد مصادر المشدد لان مصدره قد يجيء على تفعيل مثل التكليم وعلى تفعال مثل كذاب وعلى تفعله مثل توصية وعلى تفعيل مثل ومزقناهم كل ممزق وكل شيء احصيناه كتابا كل نصب باضمار فعل يدل عليه احصيناه اي واحصينا كل شيء احصيناه وقرا ابو السماك وكل شيء بالرفع على الابتداء كتابا نصب على المصدر لان المعنى احصينا كتبنا اي كتبناه كتابا ثم قيل اراد به العلم فان ما كتب كان العبد من النسيان وقيل اي كتبناه في اللوح المحفوظ لشرف الملائكة وقيل اراد ما كتب على العباد من اعمالهم فهذه كتابه صدرت عن الملائكة الموكلين بالعباد بامر الله تعالى اياهم بالكتابة دليله قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا قال ابو برزة سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن اشد اية في القرآن فقال قوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا اي كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها وكلما خبت زدناهم سعيرا قوله تعالى ان للمتقين مفازا ذكر جزاء من اتقى مخالفة امر الله مفازا موضع نجوة وخلاص مما فيه من اهل النار وكذلك قبل الغلاة اذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا بالخلاص منها حدائق واعنابا هذا تفسير العوز وقيل ان للمتقين مفازا ان للمتقين حدائق جمع حديقة وهي البستان المحوط عليه يقال احدق به اي اطاف به والاعناب جمع عنب اي بروم اعناب محذوف وكواعب ابكارا كواعب جمع كاعبة وهي التي تهد يقال كعبت الجارية تكعب كعوبا وكعبت تكعيبا ونهدت تنهد نهودا وقال الضحاك الكعوب العذارى ومنه قول ابن هاضم

* وكم من حصان قد حويتا كرعية * ومن كاعب لم تدر ما السول بيضها *

والاتراب الاقران في السن وقد مضى في سورة الواقعة لواحد ثرب وكاسا دهاقا قال الحسن وقتادة وابن زيد وابن عباس ممتلئة يقال ادهقت الكاس اي ملاتها وكاس دهاق اي مملوءة قال

* * * لما استقى صرفا سقاني لسانه * من مائه بكاسه الرهائي * * وقال حذاش
ابن زهير * اتانا عمر بيني قرانا * فاترعنا لم سكادها قلا *
وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وابن عباس ايضا متابعة يتبع بعضها بعضا ومن ادهقت
الجام اذا ملاها وهو شدة تلازم دخول بعضها في بعض فالمتابع كالمتداخل وعن عكرمة ايضا وزيد بن
اسلم ضافيه قال الشاعر *
* * * يا بني العواد اجب قونا * من الصادي لي الكاس الدهاق *
وهو جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس الخمر فالتقدير وخمرات دهاق
اي عصيرة وصفيقة قاله القشيري وفي الصحاح وادهقت الماء اي اترعته فراغا شديدا قال
ابو عمرو الدهق بالتحريك ضرب من العذاب وهو بالفارسية اسكنجة المرود والمدهوق المعذب
بجميع العذاب الذي ارجفه فيه ابن الاعرابي دهقت الشيء كسرته وقطعته ولذلك رعد فيه
واشتد الحجر بن خالد *
* * * تذهدق بضع اللحم للباع والندي * وبعضهم يتجلي يوم مراجله *
ودهمصه بزيادة الميم مثله وقال الاصمعي الدهمسة لين الطعام وطيبه ورقته وكذلك
كل شيء لين ومنه حديث عمران بدهمسني لعقلت ولكن الله عاف قوما فقال اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم به قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا
اللغو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ومنه حديث اذا قلت لصاحبك انصت يوم
الجمعة والامام يخطب فقد لغوت وذلك ان اهل الجنة اذا سمعوا لم تتغير عقولهم ولم
يتكلموا للغو بحلان اهل الدنيا ولا كذابا تقدم اي لا يكذب بعضهم بعضا ولا يسمعون كذابا
وقرا الكسائي كذابا بالتخفيف من كاذبت كذابا اي لا يتكاذبون في الجنة وقيل هما مصدران
للتكذيب وانما حققهما هنا لان ليست بمقيد بفعل يصدر مصدرا له للتكذيب
وشدد قوله تعالى وكذبوا بآياتنا كذابا ان كذبوا يفيد المصدر بالكذب جزاء من ربك
نصب على المصدر لان المعنى جزاهم بما تقدم ذكره جزاء وكذلك عطاء لان المعنى اعطاهم
وجازاهم واحد اي اعطاهم عطاء حسنا اي كثيرا قاله قتادة يقال اعطاني فلانا اي كثرت
له العطاء حتى قال حسبي قال *
* * * ويقفي ولد الحي ان كان جايعا * وحسبه ان كان ليس بجايع *
وقال القتيبي وترى اصل هذا اي يعطيه حتى يقول حسبي قال الزجاج وحسابا اي
ما يكفيهم وقال الاخفش يقال احسبني كذا اي كفاني وقال الكلبي حاسبهم فاعطاهم بالحسنة
عشرا مجاهد حسابا لما عملوا فاحساب يعني العدل بقدر ما وجب لسعي وعد الرب فانه وعد
للحسنة عشرا ووعد لقوم سبعمائة ضعف وقد وعد لقوله جزاء بما كانوا يعملون وللاستقدار
كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقرا ابو هاشم عطاء حسابا بفتح الحاء
وتشديد السين على وزن فعال اي كفاء قال الاصمعي تقول العرب احسبت الرجل بالتشديد
اذا اكرمته واتشدا العرا قول الشاعر * اذا انا صيغة يحسبه *
وقرا ابن عباس حسانا بالنون قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما
الرحمن قرا ابن عباس ونافع وابو عمرو وابن كثير وزيد عن يعقوب والمفضل عن عاصم
رب بالرفع على الاستيناف الرحمن خبرا ومعنى هو رب السموات ويكون الرحمن مبتدا ثانيا
وقرا ابن عامر ويعقوب وابن محيصن كلاهما بالخفض نعتا لقوله تعالى جزاء من ربك اي جزاء
من ربك رب السموات الرحمن وابن عباس وعاصم وحمزة والكسائي رب السموات خفضا
على النعت الرحمن رفعا على الابتداء اي هو الرحمن واختاره ابو عبيد قال هذا اعدل الوجهين
رب لقربه من قوله من ربك فيكون نعتا وفتح الرحمن لتجره منه على الاستيناف
وخبره لا يكون منه خطابا بالشفاعة الا باذنه وقيل الخطاب الكلام اي لا يملكون
ان يسألوا الا فيما اذن لهم فيه وقال الكسائي لا يملكون منه خطابا ان يخاطبون الرب
سبحانه الا باذنه دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد الكفار اي لا يملكون منه خطابا
كما اهل المومنون فيشفعون قلت بعد ان يؤذن لهم لقوله تعالى من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا
قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا يوم نصب على الظرف اي يوم لا
يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح واختلف في الروح على اقوال ثمانية الاول انه ملك من

الملائكة ما خلق الله مخلوقا بعد العرش اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا فيكون عظم خلقه مثل صفوفهم ويخرج منه عن ابن مسعود قال الروح ملك اعظم من السموات السبع ومن الارضين السبع ومن الجبال وهو من جبال السما الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملك فيجي يوم القيامة وحده صفا وسائر الملائكة صفا الثاني انه جبريل عليه السلام قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن عباس انه عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل كل يوم فيه سبحا فيغتسل فيزداد نورا على نوره وجمالا الى جماله وعظما على عظمته ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشة سبعون الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الفا البيت المعمور والكعبة سبعون الفا لا يعودون اليه الى يوم القيمة فتقوم الساعة وقاد وهب بن منبه جبريل واقف بين يدي الله تعالى تزعد قرايصه خلق الله تعالى من كل رعدة الف ملك فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكسون رؤسهم فاذا اذن لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله الثالث روي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح في هذه الاية جند من جنود الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وايدي وارجل ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال هؤلا جند وهؤلا جند وهذا قول ابي صالح ومجاهد وعلى هذا هم خلق على صورة بني ادم كالناس وليسوا بناس الرابع انهم اشرف الملائكة قاله مقاتل بن حيان الخامس حفظة على الملائكة قاله ابن ابي نجيح السادس انهم بنو ادم قاله الحسن وقتادة فالمعنى ذو الروح وقال الصوفي والقرطبي هذا ما كان يكتمه ابن عباس قال الروح خلق من خلق الله على صورة بني ادم وما تنزل ملك من السما الا ومعه واحد من الروح السابع من ارواح بني ادم تقوم صفا وتقوم الملائكة صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد الى العباد قاله عطية الثامن انه القرآن قاله زيد بن اسلم وقرا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وصفا مصدر اي يقومون صفوفا والمصدر مبني على الواحد والجمع كالعدل والصوم ويقال ليوم العيد يوم الصف وقال في موضع اخر وجاء ربك والملك صفا صفا هذا يدل على الصفوف وهذا حين العرف والحساب قال معناه القتيبي وغيره وقيل يقوم الروح صفا والملائكة صفا فهم صفان وقيل يقوم الكل صفا واحدا لا يتكلمون اي لا يسمعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال صوابا يعني حقا قاله الضحاك ومجاهد وقالا ابو صالح لا اله الا الله وروي الضحاك عن ابن عباس قال يشفعون لمن قال لا اله الا الله وقال الصواب السداد من القول والفعل وهو من اصاب يصيب اصابة كالجواب من اجاب يجيب وقيل لا يتكلمون يعني الملائكة والروح الذي قاموا صفا لا يتكلمون هيبة واجلالا الا من اذن له الرب في الشفاعة وهم قد قالوا صوابا وانهم يوحدون الله تعالى ويسبحونه وقال الحسن ان الروح يقول يوم القيامة لا يدخل احد الجنة الا برحمة ولا النار الا بالعمل فهو معنى قوله تعالى وقال صوابا قوله تعالى ذلك اليوم الحق اي الكائن الواقع فمن شا اتخذ الى ربه مابا اي مرجعا بالعمل الصالح كانه اذا عمل خيرا رده الى الله عز وجل واذا عمل شرا باعده منه وينظر الى هذا المعنى قوله عليه السلام والخير كله بيديك والشر ليس اليك وقال قتادة ملجا سبيلا قوله تعالى انا انذرناكم عذابا قريبا يخاطب كفار قريش ومشركي العرب انهم قالوا لا نبعث والعذاب عذاب الاخرة وكل ما هو ات فهو قريب وقد قال تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها قال معناه الكلي وغيره وقال قتادة عقوبة الدنيا لانها اقرب العذابين قال مقاتل في قتل قريش ببدر والاظهر انه عذاب الاخرة وهو الموت والقيامة لان من مات فقد قامت قيامته وان كان من اهل الجنة راى مقعده من الجنة وان كان من اهل النار راى مكانه من النار راى الجزي والهوان ولهذا قال يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي يراه وقيل ينظر الى ما قدم فحذف الى والمرء ههنا المومن في قوله اكحسن اي يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا ولما قال ويقول الكافر علم انه اراد بالمرء المومن وقيل المراد ههنا ابن ابي خلف وعقبة ابن ابي معيط ويقول الكافر ابو جهل وقيل هو عام في كل احد وانسان يردي في ذلك اليوم جزا من كسب وقال مقاتل نزلت قوله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة بن عبد اسد المخزومي ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في احيه الاسود ابن عبد

الاسد وقال الثعلبي سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول الكافر ههنا ابليس وذلك بانه عاب
ادم بانه قال خلق من تراب وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيمة ما فيه ادم و بنوه
من الثواب والراحة والرحمة وراي ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه يكون بمكان
ادم ويقول يا ليتني كنت ترابا قال ورايته في بعض التفاسير المشهورة ابو نصر وقيل اي
يقول ابليس يا ليتني خلقت من التراب ولم اقل انا خير من ادم وعن ابن عمر اذا كان يوم القيمة
مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يوضع القصاص بين البهائم حتى تقص
للشاة الجماء من الشاة القرناء للطحتها فاذا فرغ من القصاص بينها قيل كوني ترابا فعند ذلك
يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ونحوه عن ابي هريرة وعبد الله ابن عمرو ابن العاص رضي الله
عنهم اجمعين وقد ذكرناه في كتاب التذكرة باحوال الموتى وامور الاخرة والحمد لله ذكر
ابو جعفر النحاس حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال حدثنا سلمة بن شبب قال حدثنا عبد
الرزاق قال حدثنا معمر قال اخبرني جعفر بن برقان الحريري عن يزيد بن الاصم عن ابي
هريرة قال ان الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطاير وانسان ثم قال للبهائم والطير
كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال قوم يا ليتني كنت ترابا اي لم
ابعث كما قال يا ليتني لم اوت كتابيه وقال ابو الزناد اقضي بين الناس وامر باهل الجنة
الى الجنة واهل النار قيل لسابر الايام ولموحي الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند
ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا وقال ليت بني ابي سليم مومنوا الجن
يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد مومنوا الجن حول
الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها وهذا اصح وقد مضى في سورة الرحمن بيان هذا والعلم
مكلفون بثاباون وبعقابون فيهم كبني ادم والله اعلم بالصواب

سورة النازعات مكية باجماع وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى

والنازعات غرقا اقسم سبحانه بعبده الاشيا التي ذكرها على القيامة حق والنازعات
الملايكة التي تنزع ارواح الكفار قاله علي رضي الله عنه وكذا قال ابن مسعود وابن عباس
ومسروق ومجاهد هي الملايكة تنزع نفوس بني ادم قال ابن مسعود يريد النفس الكافر
ينزعها ملك الموت من احسادهم من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول العروق نزعا
كالسفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها اي يجعلها في اجسادهم ثم ينزعها فهذا
عمله بالكفار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم قذف
بها في النار وقيل يرمي الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وقال السدي والنازعات
هي النفوس حين تغرق في الصدور ومجاهد هو الموت ينزع النفوس الحسن وقتادة هي
النجوم تنزع من افق الى افق اي تذهب من قولهم نزع اليه اي ذهب اي من قولهم نزعت
الحبل اي جرت عرقا اي تغرق وتغيب وتطلع من افق اخر وقاله ابو عبيدة وابن كيسان
والاخفش وقيل النازعات النفس تنزع بالسهام قاله عطا وعكرمه وغرقا تمعني اغراقا
واغراق النازع في القوس اي تبلغ غاية المد حتى ينتهي الى النصل يقال اغرق في النزع
ايا استوفى مدها وذلك بان تنتهي الى العقب الذي عند النصل المعروف عليه
عليه والاستغراق الاستيعاب ويقال لشعر البيضة الداخله غرقي وقيل هم العراة
الرماة قلت وهو الذي قبله سواء انه اذا اقسم بالسبي فالمراد النازعون تعظيما
له وهو مثل قوله تعالى والعاديات ضبحا والله اعلم واراد بالاغراق المبالغة
في النزع وهو شايع في جميع وجوه تاويلها وقيل هي الوحش تنزع من الكلا وينغرحكاه
يحيى بن سلام ومعنى غرقا اي ابعادا في النزع قوله تعالى والناشطات نشطا
قال ابن عباس يعني الملايكة تنشط نفس المومن فتقبضها كما ينشط العقال من يد
البعير اذا حل عنه وحكي هذا القول الغزنوي قال والذي سمعت من العرب اذ يقولوا
انشطت وكانما انشط من عقال وربطها ناشط والرابط الناشط واذا رفعت الحبل
في يد البعير فقد نشطه فانت ناشط واذا حللته فقد انشطه وانت منشط وعن
ابن عباس ايضا هي انفس المومنين عند الموت تنشط للخروج وذلك انه ما من مومن
الا ويعرض عليه اهله من قبل ان يموت فيري فيها مما اعده الله من ازواجه واهله من الحور العين

فهم يدعونه اليها فنفسه اليهم نشطه اي يخرج فانيهم وعنه ايضا قال نفس الكفار والمنافقين
تنشط كما تنشط العقد الذي يعقب به السرج والنشط الحزب بعرعد وعنه الا سولة
عقدة يسهل انحلالها اذا جذبت مثل عقدة التكل وقال ابو زيد نشط الحبل انشطه
نشطا عقدته انشوطة وانشطته اي احللته وانشطت الحبل اي مددته حتى يحل
وقال الفراء انشط العقال اي حله ونشط اي ربط الحبل في يديه وقال الليث انشطته
بانشوطة وانشوطتين اي اوثقته وانشطت بعقال او ثقته وانشطت العقال اي
مددت انشوطته فانحلت قال ويقال نشط بمعنى انشط لغتان بمعنى وعليه يصح قول
ابن عباس المذكور اولا وعنه ايضا وعن علي رضي الله عنهما هي الملائكة تنشط ارواح الكفار
ما بين الجلد والاظفار حتى يخرجها من اجوافهم نشاطا بالكرب والغم كما ينشط سفود
الحديد وهو من انشبط بمعنى اجذب يقال نشطت الدار انشطها بالكسر وانشطها بالضم
اي نزعتها قال الاصمعي هو انشاط اي فزيعة العصفور يخرج الدلو منها بجذبة واحدة ويقال نشوطا
وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى ينشط كثيرا وقال مجاهد هو الموت ينشط نفس الانسان
السدية هي النفوس حين تنشط من القدمين وقيل النازعات ايدي الغواة وانفسهم
ينزع انفسهم باعمارة النار وعن عطا ايضا وقتادة والحسن والاحقش هي النجوم تنشط من
افق الى افق اي تذهب وكذا في الصحاح والناشطات نشطا يعني النجوم من برزخ الى برزخ
كالثور الناشط من بلد الى بلد والهموم تنشط بصاحبها قال هميان بن قحافة

* * امست همومي تنشط المناشطا * الشام لي طورا وطورا واسطا * *

ابو عبيدة وعطا ايضا الناشطات هي الوحش حين تنشط من بلد الى بلد كأن الهموم تنشط
الانسان من بلد الى بلد وانشد قول هميان * * امست همومي البيت * *
وقيل والنازعات للكافرين والناشطات للمؤمنين فالملائكة يجذبون روح المؤمن برفق
والنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق وقيل هما جميعا للكفار والايات بعدها للمؤمنين
عند فراق الدنيا قوله تعالى والسابحات سبحا قال علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبح
بارواح المؤمنين الكلبي هي الملائكة تقبض ارواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء احيانا يغمس
واحيانا يرتفع سيلونها سلا رفيقا سهولة ثم يدعونها حتى يستريح وقال مجاهد وابو صالح
هي الملائكة يقولون من السما مسرعين لامر الله تعالى كما يقال للفرس الجواد سابح اذا
اسرع في جريه وعن مجاهد ايضا الملائكة تسبح في نفس بني ادم وقيل هي الخيل العراة قال
عنترة والخيل تعلم حين يسبح في احياس الموت سبحا وقال امرؤ القيس

* * سبح اذا ما السابحات على الوناء انزلن عنا زايا بالكديد الموكل * *

قتادة والحسن هي النجوم تسبح افلاكها وكذا الشمس والقمر قال الله كل في فلك يسبحون
عطاهي السفن تسبح في الماء ابن عباس السابحات ارواح المؤمنين تسبح شوقا الى لقاء الله
ورحمته حين تخرج قوله تعالى فالسابقات سبقا قال علي رضي الله عنه هي الملائكة
تسبق الشياطين بالوحي الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال مسروق ومجاهد وعن
مجاهد ايضا وابي روق هي الملائكة سبقت ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقيل تسبق بني
ادم الى العمل الصالح فتكتبه وعن مجاهد ايضا الموت يسبق الانسان مقاتل هي الملائكة
تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة ابن مسعود هي نفس المؤمن تسبق الى الملائكة الذين
يقبضونها وقال حامد السرور شوقا الى لقاء الله ورحمته ونحوه عن الربيع قال هي النفس
تسبق بالخروج عند الموت وقال قتادة والحسن ومعمر هي النجوم تسبق بعضها بالسير
عطا هي الخيل التي تسبق الى الجهاد وقيل يحتمل ان تكون السابقات ما سبق من الارواح الى
الاجساد الى جنة او نار حكاه الماوردي وقال الجرجاني ذكر فاسابقات بالفاء لانها مشتقة
من الذي قبلها اي والذي يسبحن فيسبق يقول فذهب فهذا يوجب ان يكون القيام سببا
للذهاب ولو قلت قام فذهب لم يكن القيام سببا للذهاب قوله تعالى فالمدبرات
امرا قال القشيري اجمعوا على ان المراد الملائكة قال فيه الماوردي قولان احدهما الملائكة
قاله الجمهور والقول الثاني هي الكواكب السبعة حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل
وفي تدبيرها الامر وجهان احدهما بسيرها طلوعها وافولها الثاني تدبير بما قضاه الله فيها
من تقلب الاحوال وحكى هذا القول ايضا في تفسيره والله تعالى خلق كثيرا من تدبير امر
العالم بحركات النجوم فاضيف التدبير اليها وان كان من الله كما يسمى الشيء باسم ما يجاور او على

ان المراد بالمدبرات الملائكة فتدبيرها نزولها بالحلال والحرام ونفوذه قال ابن عباس وقتادة
وغيرهم وهو اي الله جل ثناؤه ولكن لما نزلت الملائكة به سمي بذلك كما قال عز وجل نزل به
الروح الامين وكما قال فانه نزله على قلبك يعني جبريل نزله على قلب محمد صلى الله عليه وسلم
والله عز وجل هو الذي انزله وروي عطاء عن ابن عباس المدبرات امر الملائكة وكلت بتدبير
احوال اهل الارض في الرياح والامطار وغير ذلك قال عبد الرحمن بن سابط يدبر امر
الدنيا الى اربعة جبريل وميكائيل وملك الموت واسمه عزرائيل واسرافيل فاما جبريل
فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض
النفس في البر والبحر واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم وليس من الملائكة اقرب
من اسرافيل وبينه وبين الصريخ مسيرة خمسمائة عام وقيل اي وكلوا بامور عرفهم الله
به ومن اول السورة الى ههنا اقسم الله به وله ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لنا ذلك
الا به عز وجل وجواب القسم مضمر كانه قال والنازعات وكذا وكذا لتبعثن ولتحاسبن ايها
لمعرفة السامعين بالمعنى كقاله الفراء ويدل عليه قوله تعالى ايذا كنا عظاما نخرة ائنا لمبعوثون
كانه الجواب لقولهم ايذا كنا عظاما نخرة نبعث فاكتفى بقوله ايذا كنا عظاما نخرة قال
قوم وقع القسم على قوله ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وهذا اختيار الترمذي محمد بن علي اي
فيما اقتصصت من ذكر يوم القيمة وذكر موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى ولكن وقع القسم على
ما في السورة مذكورا بارزا ظاهرا حريا وامنا من ان يوتى ببعض ليس مذكورا فيها قال
ابن الانباري هذا قبيح لان الكلام قد قطع فيما بينهما وقيل جواب القسم هل اتاك حديث
موسى لان المعنى قد اتاك وقيل الجواب يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات
غرقا وقال السجستاني يجوز ان يكون هذا من التقديم والتاخير كانه قال اذهم بالساهرة
والنازعات ابن الانباري وهذا خطا لان الفاء يفتتح بها الكلام والاول اوجه وقيل انما وقع القسم
على ان قلوب اهل النار ترجف وابصارهم تخشع فانتصاب يوم ترجف الراجفة على هذا المعنى ولكن
لم يقع عليه قال الزجاج اي قلوب للراجفة يوم ترجف وقيل انتصب باضمار اذكر وترجف
اي تضطرب والراجفة المضربة كذا قال عبد الرحمن بن زيد قال هي الارض والرادفة
الساعة مجاهد الراجفة الزلزلة تتبعها الرادفة الصيحة وعنه ايضا وابن عباس
والحسن وقتادة هما الصيحتان اي النفختان اما الاولى فيميت كل شيء باذن الله تعالى
واما الثانية فيحيي كل شيء باذن الله تعالى وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال بينهما اربعون سنة قال مجاهد ايضا الرادفة حين تنشق السماء فتجعل الارض واجبالها
تندك دكة واحدة وذلك بعد الزلزلة وقيل الراجفة تحرك الارض والرادفة زلزلة اخرى
بعين الارض والله اعلم وقد مضى في اخر النمل ما فيه كفاية في النفخ في الصور واصل الرجفة الحركة
قال تعالى يوم ترجف الارض ولتبت الرجفة ههنا من الحركة فقط بل من قولهم رجف الرعد
يرجف رجفا ورجيفا اي اظهر الصوت والحركة ومنه سميت الاراجيف اضطراب الاصوات
واقاصيص الناس قال

ابا الاراجيف يا ابن اللوم توعدني ... وفي الاراجيف خلت اللوم والخورا

وعن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها
الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قلوب يومئذ واجفة اي
خائفة وجلة قاله ابن عباس وعليه عامة المفسرين وقال السدي زايدة عن اعمش نظيره
اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وقال المورج قلقة مستوفزة مرتكضة فزعا ساكنة
وقال المبرد مضطربة والمعنى متقارب والمراد قلوب الكفار يقال وجف القلب يجف وجفا
اذا خفق كما يقال وجف يجف وجفا ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو والايجاف حمل
الدابة على السير السريع قال بدل بعد حرة مربعا وبعد طول النفس الوجيفا وقلوب رفع
بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبر هل ومثل قوله ولعبد مومن خير من مشرك
ومعنى خاشعة منكسرة ذليلة من هول ما ترى نظيره خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة والمعنى
ابصار اصحابها فحذف المضاف يقولون اي يقول هولاء المكذبون المنكرون للبعث اذا
قيل لهم انكم مبعوثون قال منكرين منجبين انرد بعد موتنا الى اول الامر مفقودا احياء كما
كنا بعد البلى وهو كقولهم ايذا لمبعوثون خلقا جديدا يقال رجع فلان في حافرته وعلى
حافرته اي رجع من حيث جاء قال قتادة وانشد ابن الاعرابي

اخافوه على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار *
يقول ارجع الى ما كنت عليه في شبابي من العدل والصبي بعد ان شيب وصلعت وقيل رجع على حافرته اي الطريق الذي جاء منه وقولهم في المثل النقد عند الحافرة اي عند اول ما التقوا وقيل الحافرة المعاودة اي انبا لمردودون الى الدنيا فنصير احياكما كنا قال الشاعر

* البيت لا انسالكوا قاعلموا * حتى يرد الناس في الحافرة *

وقيل الحافرة الارض التي تحفرها قبورهم فهي بمعنى المحفورة كقوله تعالى ما دافق وعيشة راضية والمعنى انبا لمردودون في الحافرة في قبورنا احياقاله مجاهد والخليل والفراء وقيل سميت الارض حافرة لانها مستقر الحوافر كما سميت القدم راضة لانها على الارض والمعنى اذا لراجعون بعد الموت لفي الارض فنمشي على اقدامنا وقال ابن زيد الحافرة النار وقال ابن عباس الحافرة في كلام العرب الدنيا وقرا ابو حيوة الحفرة بغير الف مقصورة من الحافرة وقيل الحفرة الارض المنتنة باجسادموتاها من قولهم حفرت اسنانه اذا ركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها يقال في اسنانه حفر وقد حفرت مثال نصب وتعب وهي ارد اللغتين قاله في الصحاح ايذا كنا عظاما نخرة وكذا قرا الجمهور من اهل المدينة ومكة والشام والبصرة واختاره ابو عبيد لان الاثار التي يذكر فيها العظام نظمنا فيها قرا نبا نخرة لا ناخرة وقرا عمرو ابن عبيد الله وابن مسعود وابن الزبير وحمزة والكسائي وابوبكر ناخرة بالف واختاره الفراء والطبري وابو معاذ النحوي وفواق ناقة رويتان في الصحاح والناخرة من العظام التي تدخل الريح فيه ثم يخرج منه ولها صفير ما ناخرة لها احد حكاه يعقوب عن الباهلي وقال عمرو بن العلا الناخرة التي تنخر بعد اي لم تبل والبدان تنخر وقيل الناخرة المجوفة وقيل هما لغتان بمعنى كذلك تقول العرب نخر الشيء فهو ناخر ونخر وفره وفاره قال الشاعر

* يذب بها الشيخ الذي كان ناديا * يدن على عوج له نخرات *

عوج يعني قوائم وفي بعض التفسير ناخرة بالالف باكية ونخرة يخرقها الريح اي تمر فيها على سكر الاذ قال من بعد ما كنت عظاما ناخرة وقال بعضهم الناخرة التي اكلت الحرقها وبقيت اوساطها والنخرة التي افسدت كلها وقال مجاهد نخرة اي مدفونة قال عظاما ورفاتا ونخرة الريح بالضم شدة هبوبها والنخرة ايضا والنخرة مثال الهمزة مقدم الف الفرس والحمار والنخوز بوقال هشم نخرته اي انفه قالوا اذا كره خاسرة اي رجعة خائبة كاذبة باطلة اي لسنا كاسبة قاله الحسن وغيره الربيع بن انس خاسرة على من كذبها وقيل اي هي كرة خسران والمعنى اهلها خاسرون كما يقال بخسارة راجعة اي تربح صاحبها والشيء اخسر من كرة يقتضي المصير الى النار وقال قتادة ومحمد بن كعب اي لئن رجعنا احيا بعد الموت لنخسرن بالنار وانما قالوا هذا لانهم اعيدوا بالنار وانكروا الرجوع يقال كره وكرر نفسه بتعدي ولا بتعدي والكرة المرة والجمع الكرات فانما هي زجرة واحدة فاذاهم اي احياء بعد ان اجمعون بالساهرة اي على وجه الارض بعد ما كانوا في بطنها قال الفرا سميت هذا الاسم لان فيها سمرا حيوان وسمرهم والعرب تسمي الفلاة وجه الارض ساهرة بمعنى ذات سمر لانه يسهر فيها خوفا منها فوصفها بصفة ما فيها واسند ابن عباس والمفسرون بقول امية بن ابي الصلت

* وفيها لحم ساهرة وبحر * وما ارواءها لهم مقيم *
* لغربها قدام حاجاتها الا ساورة * ولا هولتك ارجل يا دره *
* فانما قصر ثرب الساهرة * ثم بعد بعدها في الحافرة *
* من بعد ما كانت عظاما ناخره * فاذاهي بالساهره *

وفي الصحاح يقال الساهور لحل الساهرة وهي وجه الارض ومنه قوله فاذاهم بالساهرة وقال ابو كثير الهذلي انشد شعر

* يريدون ساهرة كان جبينها * وجيمها اسفا دليل مظلم *

ويقال الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه اذا كسف وانشد ايضا قول امية بن ابي الصلت

* قمروسا هور سيل ونجد * وانشد والاخفش في وصف امراة *
* كانها عرق سام عند ضاربه * او شقة خرجت من جوف ساهور *

يريد شقة القمر وقيل الساهرة هي الارض البيضا ورويي الضحاك عن ابن عباس قال ارض من فضة لم يعص الله جل ثناؤه عليها قط خلقها حينئذ وقيل ارض جردها يوم القيمة وقيل عليها اخلائين وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري والزهري الساهرة ارض الشام وذهب بن منبه جبل بيت المقدس عثمان بن ابي العاتكة اسم مكان من الارض بعينه

بالشام وهو السبخ الذي بين جبل ارحا وجبل حبان بمدرة الله كيف شاء قتادة في جهنم اي يوقفون بارض القيامة فيدوم السهر حينئذ ويقال الساهرة الارض البيضا المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وهي ضدها نائمة قال لها شعث بن قيس انشد بقوله شعره

* وساهرة تضحي السراب بمحلاه لافطارها قد جئتها متلثما *

اوكان ساكنها نيام خوف الملكة قوله تعالى هل اتاك حديث موسى اي قد جاءك وبلغك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي ان فرعون كان اقوى من كفار عصرك ثم اخذناه وكذلك هو او قيل هل بمعنى ما اي اتاك ولكني اخبرتك به فانه فيه عبرة لمن يخشى وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير موضع ما فيه كفاية وفي طوى ثلاث قرا ابن محيصن وابن عامر والكوفيون طوى مونثا واختاره ابو عبيد لخفة الاسم الباقون بغير تنوين لانه معدول عن عامر وقم قال الفراء طوى بين واد بين المدينة وهم قال وهو معدول عن طاو كما عدل عمر من عامر وقرا الحسن وعكرمة طوى بكسر الطا وروي عن ابي عمرو على معنى المقدس بعد مرة قاله الزجاج وانشده

* اعاذل ان اللوم في غير كنهه * علي طوى من حبك المتردد *

اي هو يوم مكرر علي وهل بضم الطا وكسرها لغتان وقد مضى في طه القول فيه اذهب الي فرعون اي فاداه ربه اذهب فحذف لان المناقول فكانه قال له ربه اذهب الي فرعون انه طغى اي جاوز القدر في العصيان وروي عن الحسن ايضا قال كان من اهل اصبهان يقال له ذو طمر طوله اربعة اشبار فقيل هل لك الي ان تزكى اي تسلم فتطهر من الذنوب وروي الضحاك عن ابن عباس قال هل لك الي ان تشهد ان لا اله الا الله واهديك الي ربك وارشدك الي طاعة ربك فتخشى اي فتخافه وتتقيه وقرا نافع وابن كثير تزكى بتشديد الزاي على ادغام الباقي الزاي لان اصله يتزكى الباقون تزكى بتخفيف الزاي على معنى طرح التا وقال ابو عمرو تزكى بتشديد الصدقة وتزكى تكون مزكيا مومنا وانما دعى فرعون ليكون زكيا مومنا قال فلهذا اخترنا التخفيف وقال ضحر بن جويرية لما بعث الله موسى الي فرعون قال له اذهب الي فرعون الي قوله واهديك الي ربك فتخشى ولن تفعل فقال يا رب وكيف اذهب اليه وقد علمت انه لا يفعل فاوحى الله اليه ان امضي الي ما امرتك به فان في السما اثني عشر ملكا يطلبون علم القدر فلن يبلغوه ولن يدركوه فاراه الاية الكبرى اي العلامة العظمى وهي المعجزة وقيل العصا وقيل اليد البيضا تتوقد كالشمس وروي الضحاك عن ابن عباس الاية الكبرى قال العصي اكسن يده وعصاه وقيل فلق البحر وقيل الي انه اشار له الي جميع اياته ومعجزاته فكذب اي كذب بني الله موسى وعصى اي عصى ربه عز وجل ثم ادبر يسعى اي ثم ولى مدبرا معرضا عن الايمان يسعى هاربا من الحية فحشر اي جمع اصحابه ليمنعوه منها وقيل جمع جنوده للقتال والمحاربة والسعي للعارضة وقيل حشر الناس للحضور فنادى اي قال لهم بصوت عال انا ربكم الاعلى اي لا رب لكم فوقي وروي ان ابليس قال ويحك لما تغرقني قال لا وكيف خلقتني الست القائل انا ربكم الاعلى ذكره الثعلبي في كتاب العرايس وقال غطا كان صنع له اصناما صغارا وامرهم بعبادته وقال انا رب اصنامكم وقيل ارادة القادة والسادة هو ربهم واولياؤهم اسفله وقيل في الكلام تقديم وتاخير فنادى فحشر لان النداء يكون قبل الحشر فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اي نكال قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله بعدا ربكم الاعلى قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وكان بين الكلمتين اربعون سنة قاله ابن عباس والمعنى امهله في الاولى ثم اخذه في الاخرة فعذبه بكلمته وقيل نكال الدنيا هو ان اغرقه ونكال الاخرة العذاب في الاخرة قاله قتادة وغيره وقال مجاهد عذابه اول عمره واخره وقيل الاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عن قتادة ايضا ونكال منصوب على المصدر المؤكد في قول الزجاج لان معنى اخذه الله نكل الله به فاخرج مكان مصدر من معناه لان في اخذه نكالا وقيل نصب بنزع الخافض حرف الصفة فاخذه الله بنكال الاخرة فلما نزع الخافض نصب وقال الفرا اي اخذه الله اخذا نكالا اي للنكال والنكال اسم لما جعل نكالا لغيره اي عقوبة له حتى يعتبر به يقال نكل فلان بفلان اذا عنه عقوبة والكلمة من الاستماع ومنه التنكيل على اليمين والنكل القيد وقد مضى في سورة المزمل والحمد لله ان في ذلك لعبرة اي اعتبارا وعظة لمن يخشى اي يخاف الله عز وجل قوله تعالى ءانتم اشد خلقا يريد اهل مكة اي اخلقكم

بعد الموت اشد من تقديركم ام السما بناها ممن قدر على السما فدر على الاعادة وهكذا كقوله تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله اولس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم فنفى الكلام التقريع والتوبيخ ثم وصف السما فقال بناها اي رفعها فوقكم كالبناء رفع سمكها اي
جعل سقفها في الهوى وسمك الشي سموكا ارتفع وقال الفرا كل شي حمل شيا من البنا وغيره فهو سمك
وبنا مسموك وسام سامك تامك اي عال والسموكان السموات ويقال اسمك في الاديم اي اصعد
في الدرجة فسواها اي خلقها خلقا مستويا لا تفاوت فيه ولا شقوق ولا فطور واغطش ليلها اي
جعله مظلما غطش الليل واغطشه الله كقوله اظلم الليل واظلمه الله والغطش والغبش الظلمة ورجل
اغطش واعمى او شبه به وقد غطش والمراد غطشا ويقال ليلة غطشا وليل اغطش وليلاء غطشا

٢ يمتدي ٦ قال الاعشى

وهي بالليل غطش الفلاة ٭ يونسني صوت قيادها ٭

وقال الاعشى ايضا ٭

٭ عمرت لهم ناقتي سوهنا ٭ وعامرهم مدلهم غطش ٭

يعني فعامرهم ليلهم لانه عمر سوداه واضاف الليل الى السما لان الليل لا يكون بغروب الشمس
والشمس مضافة الى السما فقال وجوم الليل لان ظهورها بالليل واخرج ضحاها اي ابرز نورها وضوها
وشمسها واضاف الضحى الى السما كما اضاف الظلمة لانه فيها سبب الظلام والضيا بغروب الشمس
وطلوعها والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها وهذا يشير الى كون الارض بعد السما وقد مضى القول
فيه في اول البقرة عند قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السما مستوى
والعرب تقول دحوت الشي ادحوه دحوا اذا بسطته ويقال لعنق النعامة ادحي لانه مبسوط
على وجه الارض وقال امية بن ابي الصلت

٭ فبث الخلق فيها اوحاها ٭ ثم فطحها حتى لتنادي ٭

والمنشد المبرد ٭

٭ دحاها فلما راها استوت على الماء ارسى عليها الجبالا ٭

وقيل دحاها سواها ومنه قول زيد بن عمرو ٭

٭ واسلمت وجهي لمن اسلمت ٭ له الارض تحمل صخرا ثقالا ٭

٭ دحاها فلما استوت شدها ٭ بايدي وارسى عليها الجبالا ٭

وعن ابن عباس خلق الله الكعبة ووضعها على الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بالفي
عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وذكر بعض اهل العلم ان بعد في موضع مع كانه قال
والارض مع ذلك دحاها ٦ قال الاعشى بعد ذلك زنيم ومنه قولهم انت احمق وانت بعد هذا
سيئ الخلق قال الشاعر

٭ فقلت لها في اليكم فانني ٭ حرام وابي بعد ذلك نسيبه ٭

اي مع ذلك وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
اي من قبل الفرقان قال ابو كثير الهذلي ٭

٭ حمدت الله بعد عروة ايجاد ٭ جراشي وبعض الشر اهون من بعض ٭

وزعموا ان جراشيا يجاد قبل عروة وقيل دحوها خلقها وسطيحا قاله ابن زيد وقيل دحاها
مهدها للاقوات والمعنى متقارب وقراة العامة والارض بالنصب اي دحى الارض وقرا
الحسن وعمرو بن ميمون والارض بالرفع على الابتدا برجوع الهاء ويقال دحا يدحو ودحا
يدحا دحيا بلحا ويلحفوا فمن قال يدحو قال دحوت ومن قال يدحا قال دحيت اخرج منها
اي اخرج من الارض ماها اي العيون المنفجرة بالماء ومرعاها اي النبات الذي يرعى
وقال القتيبي دل ببسطين على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام من العشب
والشجر والحب والتمر والعصف والحطب والنار والملح لان النار من العيدان
والملح من الماء والجبال ارساها قراة العامة والجبال بالنصب وارسى الجبال ارساها تعبي
انتهاها فيها وقال الحسن وعمرو بن ميمون وعمرو بن عبيد ومضر بن عاصم والجبال
بالرفع على الابتدا ويقال هلا ادخل حرف العطف على اخرج فيقال انه حال باضمار قد لقوله
تعالى حصرت صدورهم متاعا لكم اي منعه لكم ولانعامكم من الابل والبقر والغنم ومتاعا
نصب على المصدر من غير اللفظ لان معنى اخرج منها ماها ومرعاها امتع بذلك وقيل نصب
باسقاط حرف الصفة لتقديره ليتمتعوا به متاعا قوله تعالى فاذا جاءت الطامة
الكبرى اي الداهية العظمى وهي النفخة الثانية يكون معها البعث قاله ابن عباس في رواية

الضحاك عنه وهو قول الحسن وعن ابن عباس ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم كل شيء فتعم ما سواها لعظم هولها اي تغلبه وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القري المبرد الطامة عند العرب الداهية التي يستطاع وانما احدث فيها الحسب من قولهم طم الفرس طميما اذا استفرغ جهده في اجري وطم الماء اذا ملأ النهر كله عرهي ماخوذة من طم السيل الركية اي دفنها والطم الدفن والعلو وقال القاسم بن الوليد الهمداني الطامة الكبرى حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وهو معنى قول مجاهد وقال مجاهد هي الساعة التي يسلم اهل النار الى الزبانية اي الداهية التي طمت وعظمت قال

ان البغاث بارضنا يستنسر ... ولذا الكريم البغض اذهي واطم

يوم يتذكر الانسان ما سعى اي ما عمل من خير وشر وبرزت الجحيم اي ظهرت لمن يري قال ابن عباس يكشف عنها فتنطبق فيراها كل ذي بصر وقيل المراد الكافر لانه الذي يري النار بما فيها من اصناف العذاب وقيل يراها المومن ليعرف قدر النعمة ويصلي الكافر بالنار وجواب فاذا جاءت الطامة محذوف اي اذا جاءت الطامة دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة وقرا مالك بن دينار وبرزت الجحيم بكسرة وغيره لمن يري بالتا اي لمن تراه الجحيم اي لمن تراه انت يا محمد والخطاب له عليه السلام والمراد به الناس قوله تعالى فاما من طغى اي تجاوز الحد في العصيان قيل نزلت في النضر واسمه الحرث وهي عامة في كل كافر اثر الحياة الدنيا على الاخرة وروي عن يحيى بن ابي كثير قال من اخذ من طعام واحد ثلاث تمرات الوان فقد طغى وروي جويبر عن الضحاك قال قال حذيفة اخوف ما اخاف على هذه الامة ان يوتوا ما يرون على ما يعلمون ه ويروي انه وجد في الكتب ان الله جل ثناؤه قال لا يوثر ذي دنيا على اخرته الا اثبت ه عليه همومه وضيعته ثم لم ابال في اي اهلك فان الجحيم هي المأوى اي ماواه والالف واللام بدل من الهاء واما من خاف مقام ربه اي حذر مقامه بين يدي ربه وقال الربيع مقامه يوم الحساب وكان قتادة يقول ان الله عز وجل مقاما قد خانه المومنون وقال مجاهد هو خوفه في الدنيا من الله عز وجل عند مواقعة الذنب فيقلع نظيره ومن خاف مقام ربه جنتان ونهى النفس عن الهوى اي زجرها عن المعاصي والحرام وقال سهل ترك الهوى مفتاح الجنة لقوله عز وجل ونهى النفس عن الهوى قال عبد الله بن مسعود انكم في زمان يقود الحق الهوى وسياتي زمان يقود الهوى الحق فنعوذ بالله من ذلك الزمان فان الجنة هي المأوى المنزل والاتيان ونزلت في مصعب بن عمير فلم يشده في وثاق ولكن وبيتوه عندهم فلما اصبحوا حرثوا مصعب بن عمير حديثه فقال لما هو لي باخ شدوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحاء مالا فاوثقوه حيث ثقبت امه في فدائه واما من خاف مقام ربه فمصعب بن عمير وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين نفرت الناس عنه حتى نفذت المغفر في جوفه وفي السهام فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح الدم عن وجهه قال عند ذلك امسك وقال لاصحابه لقد رايته وعليه بردان ما يقوم ثمنهما وان سراره لفله من ذهب وقيل ان مصعب بن عمير قتل اخاه عامر يوم بدر وعن ابن عباس ايضا قال نزلت هذه الاية في رجلين ابو جهل بن هشام المخزومي ومصعب بن عمير العبدري وقال السدي نزلت هذه الاية واما من خاف مقام ربه في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان ابا بكر كان له غلام يانيه بطعام وكان بسببه من اين اثبت بهذا فاتاه يوما بطعام فلم يساله واكله فقال له غلامه لم لا تسالني اليوم فقال سئمت فمن اين لك هذا الطعام قال تكهنت لقوم في الجاهلية فاعطوني فتقاياه من ساعته وقال يا رب ما بقي في البطن فانت حبسته فنزلت واما من خاف مقام ربه وقال الكلبي نزلت فيمن هم بمعصية وقدر عليها في خلوة ثم تركها من خوف الله وكفه عن ابن عباس يعني من خاف عند المعصية مقامه بين يدي الله فانتهى عنها والله اعلم قوله تعالى يسالونك عن الساعة ايان مرساها قال ابن عباس سال مشركو مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تكون الساعة استهزاء فانزل الله عز وجل الاية قال عروة بن الزبير في قوله فيم انت من ذكراها لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسال عن الساعة حتى نزلت هذه الاية الى ربك منتهاها ومعنى مرساها اي قيامها قال الفراء رسوها قيامها لرسوا السفينة وقال ابو عبيدة اي منتهاها ومرسى السفينة حيث تنتهي وهو قول ابن عباس الربيع بن عباس حتى لمنتهاها والمعنى متقارب وقد مضى في اخر الاعراف بيان ذلك وعن انس ان رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تغضب ربك فيم انت اي شيء انت يا محمد
من ذكر القيامة والسؤال عنها وليس لك السؤال عنها وهذا معنى ما رواه الزهري عن عروة
ابن الزبير قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة حتى نزلت فيم انت من ذكراها
الى ربك منتهاها اي منتهي علمها فكانه عليه السلام لما اكثروا عليه سأل الله ان يعرفه ذلك
فقيل له لا تشتغل ولست في شيء من ذلك ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسئلتهم له
اي فيم انت من ذلك حتى تسأل عنه ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس والذكر
بمعنى الذكرى الى ربك منتهاها اي منتهي علمها فلا يوجد عند غيره وهو كقوله قل انما علمها عند
ربي وقوله ان الله عنده علم الساعة انما انت منذر اي مخوف وخص الانذار لمن يخشى لانهم
المنتفعون به وان كان مبعوثا الى الكل مكلف وهو كقوله انما انت منذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن
بالغيب وقراءة العامة منذر بلا اضافة غير منون طلب التخفيف والا فاصله التنوين
كانه للمستقبل وانما لا يكون في الماضي قال الفراء يجوز التنوين وتركه كقوله بالغ امره
وموهن كيد الكافرين والتنوين الاصل وبه قرأ ابو جعفر وشيبة والاعرج وابن محيصن
وحميد وعباس عن ابي عمرو منذر رسونا وتكون في موضع نصب والمعنى انما ينتفع بانذارك
من يخشى الساعة وقال ابو علي يجوز ان تكون الاضافة للماضي نحو ضارب زيد
امس لانه قد فعل الانذار والاية رد على من قال احوال الاخرة غير محسوسة وانما هي راحة
للروح او تألم من غير حس كانهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة لم يلبثوا في
دنياهم الا عشية او ضحاها اي او قدر الضحى الذي يلي تلك العشية والمراد تقليل
مدة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار وروي الضحاك عن ابن عباس كانهم يوم يرونها
لم يلبثوا الا يوما واحدا وقيل لم يلبثوا في قبورهم الا عشية او ضحاها وذلك انهم استقصروا مدة
لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول وقال الفراء يقول القائل وهل للعشية ضحى وانما الضحى لصدر
النهار ولكن اضيف الضحى الى العشية وهو اليوم الذي يكون فيه على عادات العرب يقولون اتيتك
الغداة او عشيتها واتيتك العشية او غداتها فتكون العشية في معنى اخر النهار والغداة في معنى
اول النهار قال وانشد بعض بني عقيل

يا ويح صحبتها سرا في دارها ... فجر الغادي طرفي نهارها

عشية النهار او سواوها الا عشية الهلال او عشية اسرار العشية فهذا اشد من اتيك
الغداة او عشيتها

سورة عبس مكية في قول الجميع وهي احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى عبس وتولى الى قوله ست مسايل الاولى قوله عبس وتولى اي كلح بوجهه يقال عبس وبسر وقد تقدم وتولى
اي اعرض بوجهه ان جاءه ان في موضع نصب لانه مفعول له المعنى لان جاءه الاعمى اي الذي
لا يبصر نفسه قال اهل التفسير اجمع ان قوما من اشراف قريش كانوا عند النبي صلى الله
عليه وسلم وقد طمع في اسلامهم فاقبل عبد الله بن ام مكتوم فكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يقطع عبد الله عليه كلامه فاعرض عنه فنزلت هذه الاية قال مالك بن
هشام بن عروة حدثه عن عروة انه قال نزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا محمد ارشدني وعند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء
المشركين فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخر ويقول يا فلان هل
ترى بما اقول باسا فيقول لا والذي ما ارى بما تقول باسا فانزل الله عبس وتولى
وفي الترمذي مسندا قال حدثنا سعيد بن يحيى الاموي حدثني ابي قال هذا ما عرضنا
على هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت نزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى
اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله
عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل
على الاخر ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا فيم هذا انزل قال حديث غريب
الثانية لما اية عتاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في اعراضه وتوليه عن عبد
الله بن ام مكتوم ويقال عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم ومهرو
هذا هو ابن قيس بن زايدة بن الاصم وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها وكان قد استشاهد
عنه برجل من عظماء المشركين يقال له الوليد بن المغيرة بن العزى قاله المالكية عن علمائنا
وهو يكنى ابا عبد شمس وقال قتادة هو امية بن خلف وقال عطاء عتبة بن ربيعة سفيان

الثوري كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس الزمخشري كان عند صناديد قريش عتبة
وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد
ابن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجا ان يسلم باسلامهم غيرهم قال علماؤنا اما قوله علمنا يا
انها الوليد بن المغيرة فقد قال الاخوان انه امية بن خلف والعباس وهذا كله باطل
وجهل من المفسرين الذين لم يحققوا الدين وذلك ان امية والوليد كانا بمكة وابن ام
مكتوم بالمدينة ما حضر معهما ولا حضرا معه وكان موتهما كافرين احدهما قبل الهجرة
والاخر ببدر ولم يقصد قط امية المدينة ولا حضر معه معزوا ولا مع احد الثالثة
اقبل ابن ام مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضر من وجوه قريش يدعوهم
الى الله تعالى وقد قوي طمعه في اسلامهم وكان في اسلامهم اسلام من وراءهم من قومهم
فجا ابن ام مكتوم وهو اعمى فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وجعل ينادي
ويكثر النداء ولا يدري انه مشتغل بغيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء انما اتباعه العميان والعبيد
والعبيد فعبس واعرض عنه فنزلت الاية قال الثوري وكان النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ذلك اذا راى ابن ام مكتوم يبسط له رداءه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه
ربي ويقول هل من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين غزاهما قال انس
فرايته يوم القادسية راكبا وعليه درع ومعه راية سوداء قال علماؤنا
ما فعله ابن ام مكتوم قط وكان من سوء الادب لو كان عالما بان النبي صلى الله عليه وسلم مشغول
بغيره وانه يرجو اسلامهم ولكن الله تعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب اهل الصفة
ولتعلم ان المؤمن الفقير خير من الغني وكان النظر الى المؤمن اولى وان كان فقيرا اصلح
واولى من الامر الاخر وهو الاقبال على الاغنياء طمعا في ايمانهم وان كان ذلك يوما من
المصلحة وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى الاية على ما تقدم وقيل
انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف الرجل ثقة بما كان في قلبه ابن ام مكتوم من الايمان
كما قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله في النار على وجهه الخامسة
قال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الى الذي
كان قبله ليقوده ان يكفه فدفعه ابن ام مكتوم والى ان لا يكلم النبي صلى الله عليه وسلم
حتى يعلمه وكان في هذا نوع حق منه ومع هذا انزل الله في حقه على نبيه صلى الله عليه
وسلم عبس وتولى بلفظ الاخبار عن الغايب تعليما له ولم عسبت وتوليت ثم اقبل عليه
بمواجهة الخطاب تانيسا له فقال وما يدريك اي يعلمك لعله يعني ابن ام مكتوم يزكى
بما استدعى منك تعليمه اياه من القران والدين بان يزداد طهارة في دينه وزوال
ظلمة الجهل عنه وقيل الضمير في لعله للكافر يعني انك اذ اطمعت في ان يتزكى بالاسلام
او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ايها طمعت فيه كائن وقرا الحسن
ان جاءه الاعمى بالمد على الاستفهام فان متعلقه بفعل محذوف دل عليه عبس وتولى
التقدير ان جاءه اعرض عنه وتولى فيوقف على هذه القراءة على وتولى ولا يوقف عليه على
قراءة الخبر وهي قراءة العامة السادسة تظير هذه الاية في الخطاب في قوله تعالى
في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وكذلك قوله تعالى في
سورة الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا وما كان مثله والله اعلم
او يذكر او يتعظ بما تقوله فتنفعهم الذكرى اي العظة وقراءة العامة فتنفعه الذكرى
بضم العين عطفا على يزكى وقرا عاصم وابن ابي اسحق وعيسى فتنفعه نصبا وهي قراءة
السلمي وزرين بن حبيش على جواب لعل لانه غير موجب كقوله ابلغ الاسباب ثم قال
فاطلع فقوله تعالى اما من استغنى كاما ذا ثروة ومنى فانت له تصدي اي
تعرض له وتصغي للائمه والتصدي الاصغا قال الشاعر العزا الراعي

* تصدي لوضاح كان جبينه * سراج الدجا يجلى اليه الاساور *

اصله تتصدى من الصدد وهو ما استقبلك وصار فيا لانك تعالج داري صدد
داركم اي قبالتها نصب على الظرف وقيل هو من الصدى وهو العطش اي يتعرض
له كما يتعرض العطشان للماء والمصداة المعارضة وقراءة العامة تصدي بالتخفيف
على طرح التاء الثانية تخفيفا وقرا نافع وابن محيصن بالتشديد على الادغام وما عليك
ان لا يزكى اي لا يهتدي هذا الكافر ولا يومن انما انت رسول ما عليك الا البلاغ قوله

تعالى

تعالى واما من جاءك يطلب العلم الله وهو يخشى يخاف الله فانت عنه تلهى اى تعرض عنه
بوجهك وتشتغل بغيره واصله تتلهى يقال لهيت عن الشئ الهى اى تشاغلت عنه
والتلهى التغافل ولهيت عنه وتلهيت بمعنى قوله تعالى كلا انها تذكرة كلا كلمة ردع
وزجر اى ما الامر كما تفعل مع الشريف اى لا تفعل بعدها مثلها من اقبالك على الغنى واعراضك
عن المؤمن الفقير والذى جرى من النبى صلى الله عليه وسلم كان ترك الاولى كما تقدم
ولو حمل على صغيرة لم يبعد قاله الغزنوى والوقف على كلا عند الوجه جايز ويجوز ان يقف
على تلهى ثم يبتدى كلا على معنى حقا انها اى السورة او ايات القرآن تذكرة اى موعظة وتبصرة
للخلق فمن شاء ذكره اى اتعظ بالقرآن قال ابن جرير انها اى القرآن والقرآن مذكر الا انه
لما جعل القرآن تذكرة اخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكره لجاز كما قال فى موضع اخر كلا انه
تذكرة ويدل على انه اراد القرآن قوله فمن شاء ذكره اى كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير
لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ وروى الضحاك عن ابن عباس فى قوله فمن شاء ذكره
قال دين الله تبارك وتعالى ثم اخبر عن جلالته فقال فى صحف جمع صحيفة مكرمة
اى عند الله قاله السدى الطيبى مكرمة فى الدين لما فيها من العلم والحكمة وقيل مكرمة
لانها تزلت بكرام اخفظه اولانها نازلة من اللوح المحفوظ وقيل مكرمة لانها تزلت من كرام
لان كرامة الكتاب من كرامة صاحبه وقيل المراد كتب الانبيا دليله ان هذا فى الصحف
الاولى صحف ابراهيم وموسى مرفوعة رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة عن درجة عن
السيئ والتناقض مطهرة قال احسن من كل دنس وقيل مصانة عن ان يناله الكفار
وهو معنى قول السدى وعن احسن ايضا مطهرة من ان يتزل على المشركين وقيل اى
القرآن انت الملايكة فى صحف يقرونها فهى مكرمة مرفوعة مطهرة بايدى سفرة
اى الملايكة الذين جعلهم سفرا بينه وبين رسله فهم يورن لم يدنسوا بمعصية وروى
الوصاح عن ابن عباس قال هى مطهرة تجعل التطهير لمن حولها حملها بايدى سفرة قال
كتبه وقال مجاهد ايضا وهم الملايكة الكرام الكاتبون اعمال العباد فى الاسفار التى
هى الكتب واحدهم سافر وجمعه اسفار قال الزجاج وانما قيل للكتاب سفر بكسر
السين وللكاتب سافر لاجل معناه انه يبين الشئ ويوضحه يقال اسفر الصبح اذا اضاء
وسفرت المراة اذا كشفت النقاب عن وجهها قال ومن سفرت بين القوم اسفر سفارة
اصلحت بينهم وقال الفرا وانشد

" فما ادع السفارة بين قومى " ولا امشى بغشران شئيت "

والسفير الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفرا مثل فقيه وفقها ويقال للوارقين سفرا
بلغة النبطية وقال قتادة السفرة هنا هم القرا لانهم يقرون الاسفار وعنه ايضا
كقول ابن عباس وقال وهب بن منبه بايدى سفرة هم اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
سفرة كرام برررة ولكن ليبينوا مراد من هذه الاية ولا قاربوا المراد بل هى لفظة مخصوصة
بالملايكة عند الاكثرين ولا يشاركه فيها سواهم ولا يدخل معهم فى معناها غيرهم وروى فى
الصحيح عن عايشة رضى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذى يقرا القرآن هو حافظ
له مع السفرة الكرام البررة ومثل الذى يقرا وهو يتتعاهده وهو عليه شديد فله اجران
متفق عليه واللفظ للبخارى كرام اى كرام على ربهم قاله الكلبى احسن كرام عن المعاصى
يرفعون انفسهم عنها وروى الضحاك عن ابن عباس فى كرام قال تتكرمون ان يكونوا مع
ابن ادم داخلا بزوجته او تبزر لغايط وقيل اى يوثرون منافع غيرهم على منافع انفسهم
برررة جمع بار مثل كافر وكفرة وساحر وسحرة وفاجر وفجرة يقال بر وبار اذا كان اهلا
للصدق ومنه بر فلان فى يمينه اى صدق وفلان يبر خالقه وبنا برره اى يطيعه ممتثلين
برررة مطيعين لله صادقين فى اعمالهم وقد مضى فى الواقعة قوله انه لقرآن كريم
فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون انهم الكرام البررة فى هذه السورة قوله تعالى
قتل الانسان ما اكفره قتل اى لعن وقيل عذب والانسان الكافر روى الاعمش عن مجاهد
قال ما كان فى القرآن قتل الانسان فانه ما عنى به الكافر وروى الضحاك عن ابن عباس
قال نزلت فى عتبة بن ابى لهب وكان قد امن فلما نزلت والنجم ارتد وقال امنت بالقرآن كله
الا النجم فانزل الله جل ثناوه فيه قتل الانسان اى لعن عتبة حيث كفر بالقرآن ودعى عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلبك اشد الكلاب فذكر دعا النبى
صلى الله عليه وسلم فجعل لمن معه الف دينار ان هو اصبح حيا فجعلوه فى وسط الدفقه وجعلوا

المتاع حوله فبينما هو على ذلك اقبل الاسد فلما دنا من الرجال وثب فاذا هو فوقه فمزقه وقد
كان ابوه ندبه وبكى وقال ما قال محمد شيأ فظ الا كان وروى ابو صالح عن ابن عباس ما اكفره
اى شئ اكفره وقيل ما تعجب وعادة العرب اذا تعجبوا من شئ قالوا قاتله الله ما احسنه
واخزاه الله ما اظلمه والمعنى اعجبوا من كفره الانسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا وقيل ما اكفره
بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه على التعجب ايضا قال ابن جريج اى ما اشد كفره
وقيل ما استفهام اى اى دعاه الى الكفر فهو استفهام توبيخ وما يحتمل التعجب ويحتمل معنى
اى فيكون استفهاما عن اى شئ خلقه اى من اى شئ خلق الله هذا الكافر فينكر اى اعجبوا
لخلقه من نطفة خلقه من ما يسير مهين ثم اراد خلقه فلم يغلط فى نفسه قال الحسن كيف
يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين فقدره اى فى بطن امه كذا روى الضحاك عن ابن
عباس اى قدر يديه ورجليه وعينيه وسائر اعضائه وحسنا وذميما وقصيرا وطويلا
وشقيا وسعيدا وقيل فقدره اى سواه كما قال اكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة
ثم سواك رجلا وقال الذى خلقك فسواك وقيل فقدر اطوارا من حال الى حال نطفة
ثم علقة الى ان خلقه ثم السبيل يسره قال ابن عباس فى رواية عطاء وقتادة والسدى
ومقاتل يسره للخروج من بطن امه مجاهد يسره لطريق الخير والشر اى بين له ذلك دليله
اذا هديناه السبيل وهديناه النجدين قال الحسن وعطا وابن عباس ايضا فى رواية
ابى صالح عنه ومجاهد ايضا قال سبيل الشقا والسعادة ابن الزبعرى سبيل الاسلام وقال
ابو بكر بن طاهر يسر على احد ما خلقه له ثم اماته فاقبره اى جعل له قبرا يوارى فيه اكراما
ولم يجعله مما يلقى على وجه الارض تاكله الطير والعوافى قاله الفرا وقال ابو عبيدة اقبره
جعل له قبرا وامر ان يقبر قال ابو عبيدة ولما قتل عمر بن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت
بنو تميم ودخلوا عليه اقبرنا صالحا فقال دونكموه وقال اقبل ولم يقل قبره لانه ابر هو
الدافن بيده قال الاعشى

* لو اسندت ميتا الى نبر هضاء عاش ولم ينقل الى قابر *

يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره الله اى صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا تقول العرب
ثرمت ذنب البعير وانثره الله وعضبت قرن الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله
اطرده اى صيره طريدا ثم اذا شاء انشره اى احياه بعد موته وقرا العامة انشره بالالف وروى
ابو جعفر عن نافع وشعيب بن ابى حمزة ثم اذا شاء نشره بغير الف لغتان فصيحتان بمعنى فقال
انشر الله الميت فنشر وقال الاعشى

* حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر *

قوله تعالى كلا لما يقض ما امره لم يف بالميثاق الذى اخذ عليه فى صلب ادم ثم قيل
كلا ردعا وزجرا اى ليس الامر كما يقول الكافر فان الكافر اذا اخبر بالنشور قال لعل ربى ردت
الى ربى ان لى عنده للحسنى زعما يقول قد قضيت ما امرت به فقال كلا لما يقض شيأ بل
هو كافر بى وبرسولى وقال الحسن اى حقا لم يقض اى لم يعمل بما امره به وملخص قوله لما عاد الكلام
لقوله فيما رحمة من الله وقوله مما قليل ليصبحن نادمين وقال الامام ابن فورك اى
كلا لما يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان بل امره مما لم يقض له ابن الانبارى الوقف
على كلا قبيح والوقف على امره واشكره جيدا فكلا على هذا يعمل حقا قوله تعالى
فلينظر الانسان الى طعامه لما ذكر جل ثناؤه ابتدا خلق الانسان ذكر ما يسر من رزقه اى
فلينظر كيف خلق الله طعامه الذى هو قوام حياته وكيف هيأله اسباب المعاش ليستعد
للمعاد وروى عن الحسن ومجاهد قال فلينظر الانسان الى طعامه اى مدخله ومخرجه
وروى ابن ابى خيثمة عن الضحاك بن سفيان الكلابى قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ضحاك ما طعامك قلت يا رسول اللحم واللبن قال ثم يصير الى ما ذا قلت الى ما قد علمت
قال فان الله ضرب ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا فان فرحه واصلحه فلينظر الى ما يصير
قال ابو الوليد سالت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلا فينظر ما يخرج منه قال يا تيه الملك
فيقول انظر ما نجلت به الى ما صار قوله تعالى انا صببنا الماصبا قرا العامة
انا بالكسرة على الاستيناف وقرا الكوفيون وروى عن يعقوب انا بفتح الهمزة كان فى
موضع خفض على الترجمة عن الطعام فهذا بدل منه كانه قال فلينظر الانسان الى طعامه
انا صببنا فاخرجنا به الطعام اى الحبوب كذلك كان وقرا بعض القرا الى عمله بمعنى كيف
فمن اخذ بهذه القرا قال الوقف على طعام تام ويقال معنى اى اين الاان فيها كناية عن

لوجوه وما وليها من اي وجه صببنا الماء الكثير
اي ومن اين تلك الضروب من حث لاصورة ولا رب
صببنا الماء صبا يعني العنب والاطار ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها
حبا اي قمحا وشعيرا او سلتا وسائر ما يحصد ويدخر وقضبا وعنبا وهو القت
والعلف سمي بذلك لانه يقضب من النخل ولانه ذكر العنب قبله وعنه ايضا ان القضبة
وهي القت الرطب وقال الخليل القضب القضبة الرطبة وقيل يابسة فاذا يبست
فهو قت قال والقضب اسم يقع على ما يقضب من اغصان الشجر ليجذ منها سهام او
قسي ويقال قضبا يعني جميع ما يقضب مثل القت والكراث وسائر البقول التي تقطع
فينبت اصله وفي الصحاح والقضبة والقضب الرطبة وهي الاشعث بالفارسية والموضع
الذي ينبت فيه مقضوب وزيتونا وهي شجر الزيتون وغلبا يعني النخل وحدائق اي بساتين
واحدها حديقة غلبا عظاما شجرها يقال شجرة غلباء ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت العنق
لا يلتفت الا جميعا قال الحجاج
" " مازلت يوم البين الوي صلبي " والراس حتى صرت مثل الاغلب "
اذا كان بين الغلب اذا كان غليظ الرقبة والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال
عمرو بن معدي كرب
" " يمشي الاغلب الرقاب كانهم " نزل كسين من الكحيل حلالا "
وحديقة غلبا متلفة وحدائق غلب واعناب العشب بلغ والتف البعض بالبعض قال ابن
عباس الغلب جمع اغلب وغلبا هي الغلاظ وعنه ايضا الطوال قتادة وابن زيد الغلب النخل
الكرام وعن ابن زيد وعكرمة عظام الاوساط والجذ وع مجاهد ملتفة وفاكهة اي ما تاكله
الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ وغيرهما وابا هو ما تاكله البهائم من العشب قال
ابن عباس والحسن الاب كلما انبتت الارض مما لا ياكله الناس وما ياكله الادميون هو
الحصد ومنه قول الشاعر في مدح النبي صلى الله عليه وسلم
" " له دعوة ميمونة رتجى الصبا " بنبت الله الحصيد والابا "
" " وقيل انما سمي الاب لانه يوب اي يؤم " وتفتجع الاب والام اخوان قال
" " وجدنا قيسا ونجد دارنا " ولنا الاب به والمكرع
قال الضحاك الاب كل شيء ينبت على وجه الارض وكذا قال ابو رزين هو النبات يدل عليه
قول ابن عباس قال الاب ما ينبت على الارض مما ياكل الناس والانعام وعن ابن عباس ايضا
وابن ابي طلحة الاب الثمار الرطبة قال الضحاك هو التين خاصة وهو يحكي عن ابن عباس
ايضا قال الشاعر
" " مما لهم مرتع للسوام " والاب عندهم يقدر "
الكلبي هو كل نبات سوى الفاكهة وقيل الفاكهة رطب الثمار والاب يابسها وقال ابراهيم
التيمي سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والاب فقال اي سماء تظلني
واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال انبئت سمعت عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قرا هذه الاية ثم قال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده وقال هذا
لعمر الله التكليف وما عليك يا ابن عمر الا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذا
الكتاب وما لا فدعوه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقتم من سبع ورزقتم
من سبع فاسجدوا لله على سبع وانما اراد بقوله خلقتم بعضي من نطفة ثم من علقة الاية
والرزق من سبع وهو قوله وانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله وفاكهة ثم قال وابا وهو
يدل على انه ليس برزق لابن ادم فانه مما يختص به البهائم والله اعلم متاعا لكم ولانعامكم
نصب على المصدر الموكد لان انبات هذه الاشياء متاع لجميع الحيوانات وهذا ضرب مثل
ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم كنبات الزرع بعد ثوره كما يتقدم بيانه في غير
موضع ويتضمن امتنانا عليهم بما انعم به وقد مضى في غير موضع ايضا قوله تعالى
فاذا جاءت الصاخة لما ذكر امر المعاش ذكر امر المعاد ليتزود قاله يا ابا عمار الصاخة
والانفاق مما امتن به عليهم والصاخة الصيحة التي تكون عليها القيامة وهي النفخة
الثانية تصيخ الاسماع من قولك اصاخ الي كذا اذا استمع اليه ومنه الحديث ما من دابة
الا وهي مصيخة يوم القيامة شفقا من الساعة الا الجن والانس وقال الشاعر
" " يصيخ للشاة اسماعه " اصاخة الناشد للمنشد "

قال بعض العلماء وهذا يؤخذ على جهة التسليم للقدماء فاما اللغة فمقتضاها القول الاول وقال الخليل الصاخة صحة الاذن صخا اي تصمها بشدة وقعقع واصل الكلمة في اللغة الصمك الشديد وقيل هي ماخوذة من صخة الحجر اذا صمه قال الراجز

* ياجاري هل لك لن تجاد لي * به خلادة كالصك لا خلا بد *

ومن هذا الباب قول العرب صخهم الصاخة وباقتهم الباقة وهي الداهية الطبري احسبه من صخ فلان فلانا اذا صمه ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم واما المسمعة وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد قال بعض حدثني الزمان اصمك الناعي وان سمعا وقال اخر

* اصمني سوءتم ايام مرقتم * فهل سمعتم بسمع تورث الصمما *

ولعمر الله صحة القيمة مسمعة يقصم عن الدنيا ويسمع افوه الاخرة

قوله تعالى يوم يفر المرء اي يهرب اي يجي الصاخة في هذا اليوم الذي يهرب فيه من اخيه اي من مواساة اخيه ومكالمته لانه لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بنفسه كما قال بعده لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله عن غيره وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم اياه لما بينهم من الساعاة وقيل ليلا يروا ما هو فيه من الشدة وقيل لعله انهم لا يتفرغون له وقيل لا يشتغل هم عنهم شيئا كما قال يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا وقال عبد الله بن طاهر الابهري يفر منهم لما يبين له من عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئا سوى ربه تعالى وصاحبته اي زوجته وبنيه اي اولاده وذكر الضحاك عن ابن عباس قال يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه وابراهيم عليه السلام من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط من امرته وادم من سواه بنيه قال الحسن اول من يفر يوم القيامة من ابيه ابراهيم واول من يفر من ابنه نوح واول من يفر من امرأته لوط قال فيروز ان هذه الاية نزلت فيهم وهذا اقرار النبوة قوله تعالى لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت تسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيمة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال يا عائشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض خرجه الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر بعضنا او يرى عورتنا بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه قال حديث صحيح وقراة العامة بالعين المعجمة اي حال يشغله عن الاقرباء وقرا ابن حميصن وحميد بالقاف بمعرفه ويصده عن قرابته ومنه يقال اعن عني وجهك اي اصرفه واعن عني السفيهة قال حفاف سبعينك حرب بني مالك عن الفحش والجهل في المجهل قوله تعالى ووجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة مضيئة قد علمت ما لها من النور والغيم وهي وجوه المومنين ضاحكة اي مسرورة فرحة مستبشرة اي بما اتاها الله من الكرامة وقال عطا اخبرني من سمعه من طوله ما اغبرت في سبيل الله جل ثناؤه ذكره ابو الليث حدثنا الضحاك من آثار الوضوء عن ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار يقال اسفر الصبح اذا اضاء ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار ودخان ترهقها اي تغشاها قترة اي كسوف وسواد كذا قال ابن عباس وعنه ايضا ذلة وشدة والقتر في كلام العرب الغبار جمع القترة عن ابي عبيدة وانشد الفراء

* موج يرد الملك يتبعه * موج ترى فوقه الرايات والقترا *

وفي الخبر ان البحر يم اذا صارت ترابا يوم القيمة حول ذلك التراب في وجوه الكفار وقال زيد بن اسلم القترة ارتفعت الى السماء والغبرة ما اعطت الى الارض والغبار والغبرة ولهذا اولئك هم الكفرة جمع كافر الفجرة جمع فاجر وهو الكاذب المفتري على الله وقيل الفاسق يفجر فجورا اي فسق وفجر اي كذب واصله الميل والفاجر المايل وقد مضى بيانه والكلام فيه والحمد لله سورة التكوير مكية في قول الجميع وهي تسع وعشرون اية

وفي الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة فليقرا اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت قال هذا حديث حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا الشمس كورت قال ابن عباس تكوير ها ذهاب ضوءها وقال قتادة ومجاهد ويروى عن ابن عباس ايضا سعيد بن جبير عورت

وعبيد كورت مثل تكويرها العمامة تلف فمحي وقال الربيع بن خثيم كورت رمي بها ومنه كورت
تكويرا سيقط قال الشيخ المولف رحمه الله واصل التكوير الجمع ماخوذ من كار العمامة
على راسه يكورها اي يلفها وجمعها فهي منكورة بمعنى مرمية بها فالله اعلم وعن ابن عباس
كورت فكست واذا النجوم انكدرت اي تناثرت وقال ابو عبيدة انصبت كما ينصب
العقاب اذا كسرت قال الحجاج يصف صقرا

ابيض خبر بان قطاه فانكدر ٭ تقضي المبازي اذ البازي كبر

وروي ابو صالح عن ابن عباس قال لا يبقى في السما بومئذ نجم الا سقط في الارض حتى يبعث
اهل الارضين السبع فما لفت واصاب اهلها يعني الارض وروي الضحاك عن ابن عباس
قال تناثرت وذلك انها قناديل معلقة بين السما والارض بسلاسل من نور وتلك
السلاسل بايدي ملايكة من نور فاذا جاءت النفخة الاولى مات من في السموات ومن في الارض
فتناثرت تلك الكواكب وتناثرت السلاسل من ايدي الملايكة لانه مات من كان يمسكها
ويحتمل ان يكون انكدارها طمس انارها وسميت النجوم بخوما لظهورها في السما بضوئها
وعن ابن عباس ايضا انكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن اماكنها فالمعنى متقارب
واذا الجبال سيرت يعني قلعت من الارض وسيرت في الهوي وهو مثل قوله ويوم
نسير الجبال وترى الارض بارزة وقيل نسيرها اي نحولها من منازلها الجبال فتكون
كثيبا مهيلا اي رملا سايلا وتكون كالعهن وتكون هبا منثورا وتكون سرابا مثل
السراب الذي ليس بشي وعادت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقد
تقدم في غير موضع واذا العشار عطلت اي الناقة الحوامل التي في بطونها اولادها الواحدة
عشرا وهي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد
ما تضع ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشي باسمه المتقدم وان كان قد جاوز ذلك
يقال الرجل لفرسه وقد فرحها توا مهري يسميه بمتقدم اسمه قال عنترة

لا تذكري مهري وما اطعمته ٭ فيكون جلدك مثل جلد الاجرب

وقال ايضا

وحملت مهري وسطها فحمضها ٭ وانما خص العشار بالذكر لانها اعز ما تكون
على العرب وليس يعطلها اهلها الا حال القيامة وهذا على وجه المثل ان هول يوم القيامة
بحال لو كان للرجل ناقة عشرا ولكن اراد به المثل ان هول يوم القيامة بحال لو كان
للرجل ناقة عشرا لعطلها واشتغل بنفسه وقيل انهم اذا قاموا من قبورهم ونشاهد
بعضهم بعضا وراوا الوحوش والدواب محشورة وفيها اعشارهم التي كانت انفس
مالهم لم يعبوا بها ولم يهمهم امرها وخوطبت العرب بامر العشار لان مالها وعيشها اكثر
من الابل وروي الضحاك عن ابن عباس عطلت عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وقال الاعشى

هو الواهب الماية لمصطفاة ٭ اما مخاضا واما عشارا

وقال اخر

وما يقنع الزوار ما لا تذورهم ٭ اذا سرحت سول له وعشار

يقال ناقة عشرا وناقتان عشرا او لوقت عشراوات بيدلو هن من همزة التانيث
واذا قد عشرت الناقة تعشيرا اي صارت عشرا وقيل العشار السحاب لعطل مما هو
يكون فيه فهو الما فلا يمطر والعرب تشبه السحاب بالحامل وقيل العشار الديار تعطل
فلا تسكن وقيل الارض التي تقوت زرعها لعطل فلا تزرع والاول اشهر وعليه من الناس
الاكثر واذا الوحوش حشرت اي جمعت واحشر الجمع عن الحسن وقتادة وغيرهما
وقال ابن عباس حشرها موتها رواه عنه عكرمة وحشر كل شي الموت غير الجن
والانس فانهما يوافيان يوم القيامة وعن ابن عباس ايضا قال يحشر كل شي حتى
الذباب قال ابن عباس يحشر الوحوش عدا ايه تجمع حتى يقتص لبعضها من بعض
حتى يقتص للجما من القرنا ثم قال لها موتي فتموت مما رده عنه عكرمة وقد بيناه في كتاب
التذكرة مستوفى ومعنى في سورة الانعام بعضه اي ان الوحوش اذا كانت هذه حالها
فكيف بني ادم وقيل عني بهذا اي انها مع نفورها اليوم من الناس وتنددها في الصحارى
تنضم غدا الى الناس من اهوال ذلك اليوم قال معناه ابن ابي ابن كعب واذا البحار
سجرت اي ملئت من الما والعرب تقول سجرت الحوض اسجره سجرا اذا ملاته وهو
مسجور والمسجور والمساجر في اللغة الملان وروي الربيع بن خثيم سجرت فاضت وملئت

فيفضي بعضها الى بعض فيصير شيئا واحدا وهو معنى قول الحسن وقيل ارسل عذبها على ما لها وما لها
على عذبها حتى امتلأت عن الضحاك ومجاهد اي فجرت فصارت بحرا واحدا القشيري وذلك بان
يرفع الله الحاجز الذي ذكره في قوله بينهما برزخ لا يبغيان فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت
مياه البحار فعمت الارض كلها وصارت البحار بحرا واحدا وقيل صارت بحرا واحدا من حميم
اهل النار وعن الحسن ايضا وقتادة وابن حبان تيبس فلا يبقى من مائها قطرة القشيري وهو
متى سجرت التنور اسجره اذا احميته وما سلط عليه الفساد شف ما فيه من الرطوبة وتشير
الجبال حينئذ وتصير الجبال الارض كلها شيئا واحدا بان يملا مكان البحار سراب الجبال
وقال النحاس وقد تكون الاقوال متفقة يبس من الماء بعد ان يفيض بعضها الى بعض فتقلب
نارا قال الشيخ المولف رحمه الله ثم تشير الجبال حينئذ كما ذكر القشيري والله اعلم وقال
ابن زيد وشمر وعطية وسفيان ووهب وابي وعلي ابن ابي طالب وابن عباس في رواية
الضحاك عنه اوقدت فصارت نارا قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر
ثم يبعث عليها ريحا دبورا فينفخه حتى يصير نارا وكذا في بعض الحديث فامر الله جل ثناؤه
الشمس والقمر والنجوم فيبترن في البحر ثم يبعث الله جل ثناؤه الدبور فيسجرها نارا
فتلك نار الله الكبرى التي يعذب بها الكفار قال القشيري فتبين تفسير قول ابن عباس
سجرت او قدت يحتمل ان تكون جهنم في قعور من البحار فمي الان غير محوجة لقوام الدنيا فاذا
انقضت الدنيا سجرت فصارت كلها نارا يدخلها الله اهلها ويحتمل ان تكون تحت البحر
نارا ثم يوقد الله البحر كله ويصير نارا وفي الخبر البحر نار في نار وقال دحاوية بن سعيد بحر
الروم وسط الارض اسفله اباره مطبقة بنجاس يسجر يوم القيامة وقد تكون الشمس في
البحر فيكون البحر نارا بحر الشمس ثم جميع ما في هذه الايات يجوز ان يكون يوم القيامة
وما بعد هذه الايات فيكون في يوم القيامة قال الشيخ المولف رحمه الله روي عن عبد
الله بن عمرو لا يتوضا بما البحر لانه طبق جهنم وقال ابي بن كعب ست ايات من قبل يوم
القيامة بينما الناس في اسواقهم ذهب ضوء الشمس وبدت النجوم فتحيروا ودهشوا
فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واحترقت فصارت
هباء منثورا ففزع الانس الى الجن والجن الى الانس واختلطت الدواب والوحوش والهوام
والطير وماج بعضها في بعض فذلك قوله واذا الوحوش حشرت ثم قالت الجن للانس نحن
ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحار فاذا هي نار تاجج فبينما هم كذلك انصدعت الارض صدعة
واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم
ريح فاماتتهم وقيل معنى سجرت هو حمرة مائها حتى تصير كالدم ماخوذ من قولهم عين
سجراء اي حمراء وقرا ابن كثير سجرت وابو عمرو ايضا اخبارا عن حالها مرة واحدة وقرا الباقون
بالتشديد اخبارا عن حالها في تكوير ذلك منها مرة بعد اخرى قوله تعالى
واذا النفوس زوجت قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم واذا النفوس
زوجت قال يقرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله وقال عمر بن الخطاب يقرن الفاجر
مع الفاجر ويقرن الصالح مع الصالح وقال ابن عباس ذلك حين تكون الناس ازواجا
ثلاثة السابقون زوج يعني صنفا واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج وعنه
ايضا قال زوجت نفوس المومنين بالحور العين وقرن الكفار بالشياطين وكذلك المنافقون
وعنه ايضا قرن شكل بشكله من اهل الجنة واهل النار فيضم المبرز في الطاعة الى مثله
والمتوسط الى مثله واهل المعصية الى مثله فالتزويج ان يقرن الشيء بمثله والمعنى واذا
النفوس قرنت الى اشكالها في الجنة والنار وقيل يضم كل رجل الى من كان يلزمه من ملك
وسلطان كما قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال عبد الرحمن بن زيد جعلوا ازواجا
على اشاة اعمالهم ليس بتزويج اصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والسابقون
زوج وقد قال جل ثناؤه احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي اشكالهم وقال عكرمة واذا
النفوس زوجت قرنت الارواح بالاجساد اي ردت اليها وقال الحسن اتحق كل امرء شيعته
اليهود باليهود والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس وكل من كان يعبد شيئا من
دون الله يلحق بعضهم ببعض المنافقون بالمنافقين والمومنون بالمومنين وقيل يقرن
الغاوي بمن اغواه من شيطان او انس على جهة البغض والعداوة ويقرن المطيع بمن دعاه
الى الطاعة من الانبياء والمومنين وقيل قرنت النفوس باعمالها فصارت لاختصاصها به كالتزويج
قوله تعالى واذا الموودة سئلت باي ذنب قتلت الموودة المقتولة وهي الجارية

تدفن وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيوودها اي يثقلها حتى تموت ومنه قوله تعالى ولا يؤوده حفظهما اي لا يثقله وقال منهم بن نويرة

* وموؤدة مقبورة في مفازة * بها هو سومه لم يمهد *

وكانوا يدفنون من احيا لخصلتين لحدهما كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فاكفوا البنات به الثانية مخافة الحاجة والاملاق واما خوفا من السبي والاسترقاق وقد مضى في سورة النحل هذا المعنى عند قوله ام يدسه في التراب ستوفى وقد كان ذو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتى افتخر به الفرزدق فقال

* ومنا الذي منع الوائدات * واحيا الوئيد فلم يوأد *

يعني جده صعصعة كان منشد هن في ايامهن فجا الاسلام وقد احيا سبعين موودة وقال ابن عباس كانت المراة في الجاهلية اذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على رأسها فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردمت التراب عليها وان ولدت غلاما حبسته ومنه قول الراجز

* سمية اذا ولدت تموت * والقبر صهر ما من رميته *

الرميت القبور والرميت مثال الفسيق او قرن الرميت وفلان ازمت الناس اي اوفزهم وما اشد قزمتهم عن الفرا وقال قتادة كانت الجاهلية تقتل احدهم ابنته ويغزوا كلبه فعاتبهم الله على ذلك وتواعدهم بقوله واذا الموودة سئلت وقال عمر في قوله تعالى واذا الموودة سئلت قال جا قيس بن عاصم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني وادت ثماني بنات كن في الجاهلية قال فاعتق كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله اني صاحب ابل قال فاهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وقوله ان سئلت سوال توبيخ لقاتليها كما يقال للطفل اذا ضرب لم ضربت وماذنبك قال احسن اراد الله ان يوبخ قاتلها فقتلت بغير ذنب وقال زيد بن اسلم باي ذنب ضربت وكانوا يئدون وقال بعض اهل العلم في قوله سئلت قال طلبت كانه يريد كما يطلب يوم القيامة قال وهو كقوله وكان عهد الله مسئولا اي مطلوبا فكانها طلبت منهم فقتل ابن اولادكم وقرا الضحاك وابو الضحى وجابر بن زيد وابو صالح واذا الموودة سلبت فتعلق الجارية بامها فتقول باي ذنب قتلتني فلا يكون له عذر قاله ابن عباس وكان يقرا وان الموودة سلبت وكذلك هو في مصحف ابي وروي عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة التي تقتل ولدها تاتي يوم القيامة متعلقا ولدها بثديها ملطخا بدمايه فيقول يا رب هذه او هذه قتلتني والقول الاول عليه الجمهور وهو مثل قوله تعالى لعيسى ا انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله توبيخ والتشكيت لهم فكذلك سوال الموودة توبيخ لوليها وهو ابلغ من سوالها عن قتلها لان هذا مما لا يصلح الا بذنب فباي ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب لها كان اعظم في البلية وظهور الحجة عليه قاتلها والله اعلم وروي قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بذنب

قوله تعالى واذا الصحف نشرت اي فتحت بعد ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل اهلها من خير او شر تطوى بالموت وتنشر بالقيمة فيقف كل انسان في صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وروي عن مرثد بن وداعة قال اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المومن في يده في جنة عاليه الى قوله الخالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم الى قوله لا بارد ولا كريم وروي عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة فقلت يا رسول الله كيف بالنسا قال شغل الناس يا ام سلمة فتشوا ما شغلهم قال نشرا الصحف فيها فتا قيل الدرو مثا قيل الخردل وقد مضى في قوله الى سوار العدوي

* فما نشر قان وطية اما ما جبت * يا ابن ادم فصحيفتك المنشورة *
* فاعمل فيها ما شئت فاذا مت * طوبى اذا بعثت نشرت *
* اقرا كتابك كفى بنفسك * اليوم عليك حسيبا *

وقال مقاتل اذا ماتت المرا طويت صحيفتها فاذا كان يوم القيمة نشرت اقرا كتابك وقال عمر رضي الله عنه انه كان اذا قرا ها قال لبيك سياتي الاجر يوم القيمة وقرا نافع وابن عاصم وابو عمرو وشرت مخففا على نشرها مرة واحدة لقيام الحجة الباقون بالتشديد على تكرار النشر للمبالغة في تفريع العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرار ذلك من الانسان وللملائكة

الشهداء عليه قوله تعالى واذا السما كشطت الكشط قلع عن شدة النزاق فالسما تكشط كما تكشط الجلد عن الكبش وغيره والكشط لغة فيه وفي قراءة عبد الله واذا السما فشطت وكشطت البعير كشطا نزعت جلده وقوله سلحته اذا ضربه لا تقول في البعير الا كشطته او جلدته والكشط اي ذهب فالسما تنزع من مكانها كما تنزع الغطا عن الشي وقيل تطوى كما قال يوم نطوي السما كطي السجل للكتاب فكان المعنى قلعت فطويت والله اعلم قوله تعالى واذا الجحيم سعرت او قدت فاضرمت للكفار وزيد في اجيجها يقال سعرت النار واسعرتها وقراءة العامة بالتخفيف من السعير وقرا نافع وابن ذكوان وورش بالتشديد اي قدت مرة بعد مرة قال قتادة سعرها غضب الله وخطايا بني ادم وفي الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وروي مرفوعا قوله تعالى واذا الجنة ازلفت اي دنت وقربت من المتقين قال الحسن انهم يقربون منها حتى لا تزول عن موضعها فكان عبد الرحمن بن زيد يقول زينت وازلفني في كلام العرب القربة قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين وتزلف فلانة تقرب قوله تعالى علمت نفس ما احضرت يعني ما عملت من خير وشر وهذا جواب اذا الشمس كورت وما بعدها قال عمر رضي الله عنه بهذا احري الحديث وروي عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما قرا فلما بلغا علمت نفس ما احضرت قالا لهذا اجريت القصة والمعنى على هذا اذا الشمس كورت وكانت هذه الاشياء علمت نفس ما احضرت من عملها وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ما بينه وبينه ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا شيا قدمه وينظر ا سا منه فلا يرى الا شيا قدمه وينظر امامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل وقال احسن اذا الشمس كورت الى قوله علمت نفس ما احضرت وقوله واذا الجنة ازلفت اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الاخرة وقد بينا الستة الاولى في حديث ابي بن كعب قوله تعالى فلا اقسم اي اقسم وزائدة كما تقدم بالخنس الجوار الكنس هي الكواكب الخمسة الدراري زحل والمشتري وعطارد والمريخ والزهرة فيما ذكر اهل النفاسير والله اعلم وهو مروي عن علي كرم الله وجهه وفي تخصيصها بالذكر من بين سايرالنجوم وجهان احدهما انها تستقبل الشمس قاله بكر بن عبد المزني الثاني انها تقطع المجرة قاله ابن عباس وقال الحسن وقتادة هي النجوم التي تخفى بالنهار وان اغربت وقاله علي رضي الله عنه قال هي النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وتكنس في وقت عزوبها اي تتاخر عن العين كالظباء فالاول في الصحاح والحسن الكواكب كلها تخنس في المغيب ولا تكنس الا واحدا وقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة وقال الفراء في قوله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس اي النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد لانها تخنس في مجراها وتكنس اي تستتر كما تكنس الظباء في المغار وهي الكناس وقال سميت خنسا لانها تخرها لانها الكواكب المتحيرة التي توجع وتستقيم يقال خنس عنه يخنس بالضم خنوسا تاخر واخنسه غيره اذا اخلفه ومضى عنه والكنس تاخرها اذا غابت عن الوجه مع ارتفاع قليل في الاربعة والرجل اخنس والمراة خنساء والنعت كلها خنس وقد روي عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى فلا اقسم بالخنس هي بقر الوحش روى هشام عن زكريا عن ابي اسحاق عن ابي ميسرة عمرو بن شرجيل قال قال لي عبد الله بن مسعود اكم قوم عرب فما الخنس قلت هي بقر الوحش قال وانا ارى ذلك وقال ابو هيم وجابر بن عبد الله وروي عن ابن عباس انما اقسم بالله ببقر الوحش وروي عنه عكرمة قال الخنس الظبا والكنس الضباء فيه خنس اذا راين الانسان خنس وانقبضن وتاخرن وقد ظن كنا مهن الغشيري وقيل على هذا الجنس من الخنس في النجوم لذكر الليل والصبح بعد هذا وذكر النجوم التي بذلك قال الشيخ الموفق رحمه الله الله سبحانه ان يقسم بما شا من مخلوقاته من حيوان وجماد وان لم يعلم وجه الحكمة في ذلك وقد جا عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله صحابيان والنخعي انهما بقر الوحش وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انهما الظبا وعن الحجاج بن منذر قال سالت جابر بن زيد عن الجوار الكنس فقال الظبا والبقر فلا يبعد ان يكون المراد النجوم وقد قيل انها الملايكة حكاه الماوردي والكنس الغيب ما غاب من الكناس وهو كناس الوحش الذي تختفي فيه قال اوس بن حجر

الم تر ان الله انزل مونة * وعفو الفما في الكناس تمتع وقال
طرفة * كنا كناسي صالة تكنفا * واطم فتي تحت صلب موتد *
وقيل الكنوس ان تاوي اليها الوحوش والظبا قال الاعشى
* فلما اتيتا الحي اقلع انس * فلما تلفتنا تحت المكانس وترب *
يقال قلع النهار وارتفع واقلعت المربوة من كناسها اي سميت بجيدها وقال امرؤ القيس
* تغني قليلا ثم اني طلوفه * مثير التراب عن منيب ومكنس *
والكنس جمع كانس وكانسة وكذا الخنس جمع خانس وخانسة والجواري جمع جارية من جرى يجري
والليل اذا عسعس قال الفرا اجمع المفسرون على معنى عسعس ادبر حكاه الجوهري وقال بعض
اصحابنا انه دنا من اوله واظلم وكذلك السحاب اذا دانى من الارض المهدوي والليل اذا عسعس
ادبر بظلامه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وروي عنهما ايضا وعن الحسن وغيره قيل بظلا
زيد بن اسلم عسعس ذهب الغرا العرب تقول عسعس الليل وسعسع اذا لم يبق منه
الا اليسير الخليل وغيره عسعس الليل اذا اقبل وادبر المبرد هو من الاضداد والمعنى
يرجعان الى شيء واحد وهو ابتدا الظلام في اوله وادباره في آخره قال علقمة بن قرط
* حتى اذا اصبح له تنفسا * وانجاب عنه ليله وعسعسا *
وقال رؤبة * حتى اذا ما ادبر ما اسعسعا * من بعد ما كان فتى مرعرعا *
وهذه حجة الغرا وقال امرؤ القيس
* عسعس حتى لو تنشا اذا وفى * لكان من ناره مقتبس *
فهذا يدل على الدنو وقال الحسن ومجاهد عسعس اظلم قال الشاعر
* حتى اذا ما ليلهن عسعسا * ركبن من حد الظلام عندسا *
الماوردي واصل العس الامتلا ومنه قيل للقدح الكبير عسي لامتلايه واطلق على
ظلامه لاستكمال امتلايه واما قول امرئ القيس الماعلى الربع القديم فنسعسا
فموضع بالبادية وعسعس ايضا اسم رجل قال الراجز
* وعسعس نعم الفتا نبياه *
اي نعمه ويقال للذيب العسعس والعساس لانه يعسي الليل قال ابو عمرو
والتعسعس الشم واشتد تمخر الذيب اذا تعسعسا والتنعسعس ايضا طلب
الصيد قوله تعالى والصبح اذا تنفس اي امتد حتى يصير نهارا واضحا يقال
للنهار اذا زاد تعسعس وكذلك الموج اذا انتفخ الماء ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف
وقيل اذا تنفس اي انشق واتفلق ومنه تنفست الغوس اذا تصعدت انه لقول رسول
كريم هذا جواب القسم والرسول الكريم جبريل قاله الحسن وقتادة والضحاك والمعنى انه
لقول رسول عن الله كريم على الله واضاف الكلام الى جبريل عليه السلام لما اداه عنه
بقوله تنزيل من رب العالمين ليعلم اهل التحقيق في التصديق ان الكلام لله عز وجل وقيل
هو محمد عليه الصلاة والسلام ذي قوة من جعل جبريل تقوته ظاهره فروي الضحاك
عن ابن عباس قال من قوته قلعه بابن قوم لوط بقوادم جناحه عند ذي العرش اي
عند الله جل ثناؤه مكين اي ذي منزلة ومكانة فروي عن ابي صالح قال يدخل سبعين
سرادقا بغير اذن مطاع ثم اي في السموات قال ابن عباس من طاعة الملائكة جبريل انه
لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان
افتح له ففتح ودخل واراي ما فيها وقال لمالك خازن النار افتح له جهنم حتى ينظر اليها فاعطا
وفتح له امين اي مؤتمن على الوحي الذي يوحى به ومن قال ان المراد محمد صلى الله عليه وسلم
فالمعنى ذي قوة على تبليغ الوحي مطاع اي يطيعه من اطاع الله عز وجل وما صاحبكم يعني
ايها محمد صلى الله عليه وسلم بمجنون حتى تهم في قوله وهو جواب القسم وقيل اراد النبي صلى
صلى الله عليه وسلم ان يرى جبريل في الصورة التي يكون بها عند ربه جل وعز فقال ما ذاك
الا اذن له الرب جل ثناؤه فاتاه وقد سد الافق فلما نظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم
خر مغشيا عليه فقال المشركون انه مجنون فنزلت انه لقول رسول كريم وما صاحبكم
بمجنون وانما راى جبريل على صورته فافاقه ورد عليه ما يحتمل نبيته فخر مغشيا
عليه قوله تعالى ولقد راه بالافق المبين اي بالاجياد جبريل في صورته له ستمائة
جناح بالافق المبين اي مطلع الشمس من قبل المشرق لان هذا الافق اذا كان منه مطلع
الشمس فهو مبين اي من جهة ترى الاشيا وقيل الافق المبين اقطار السموات ونواحيها

قال الشاعر

* هل احذنا يا فاق السما عليكم * لنا مرها والنجوم الطوالع *

الما وردي فيه هذا فيه ثلاثة اقاول احدها انه راه في افق السما الشرقي قاله سفيان
الثاني في افق السما الغربي حكاه ابن شجره الثالث انه راه في احياز وهو مشرق مكة
قاله مجاهد وحكي الثعلبي عن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل اني احب
ان اراك في صورتك التي تكون فيها السما قال لن تقدر على ذلك بالحدي تسعين واعده فجرج
النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو قد اقبل بجبله وكل كلة من جبال عرفات قد ملا ما بين
المشرق والمغرب ورا سله في السما ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم
خر مغشيا عليه فحول جبريل في صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف ولو
رايت اسرافيل ورا سه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش على
كاهله وانه ليتضاءل احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع يعني العصفور حتى
ما يحمل العرش ربك الا عظمته وقيل ان محمدا عليه السلام راي ربه عز وجل بالافق المبين وهو
معنى قول ابن عباس ومسعود وقد مضى القول في هذا وفي النجم مستوفى فتامله هناك
وفي المبين قولان احدهما انه صفة الافق قاله الربيع الثاني انه صفة لمن راه قاله مجاهد
وهو على الغيب بضنين بالضاد قراءة ابن كثير وابي عمرو والكسائي اي ببخيل والظنة التهمة
قال الشاعر

* اما ركاب الله لا عن سامة * هجرت ولكن الضنين ضنين *

واختار ابو عبيد قال لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه والاكثر من كلام العرب ما هو بكيرا
ولا يقولون ما هو على كذا انما يقولون ما انت على هذا بخيل وقراء الباقون بضنين بالضاد اي بمتهم من ضننت بالشيء اضن ضنا فروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا نتهمك عليكم
بما يعلم انك تكتم كلام الله واحكامه وقال الشاعر

* اجود بمكنون الحديث وانني * سؤول عمن سالني لضنين *

والغيب القرآن وخبر السما هذا صفة محمد عليه السلام وقيل صفة جبريل وقيل بضنين
بضعيف حكاه المبرد والمبرد يقال ضنين اي ضعيف وبير ضنون اذا كانت قليلة المأ
قال الاعشى ايضا

* ما جعل الجد الضنين الذي * جد صروف الليالي المأطر *
* مثل العراقي اذا ما طما * يقذف بالبوصي والماهر *

والضنون الدين الذي لا يدري المقضيه اخذه ام لا ومنه حديث علي عليه السلام في الرجل
يكون له الدين الضنون قال يزكيه لما مضى فيقضيه وان كان صادقا والضنون الرجل السيء
الخلق وهو لفظ مشترك وما هو بقول اي القرآن بقول شيطان رجيم اي مرجوم ملعون
كما قالت قريش قال عطا يريد بالشيطان الابيض الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة
جبريل بدين اي بعبيسه فاين تذهبون قال قتادة قال ابن تقدلون عن هذا القول
وعن طاعته كذا روي معمر عن قتادة اي اين تذهبون عن كتابي وطاعتي قال الزجاج اي
طريقة تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينته لكم وقيل اين تذهبون اين تذهب
اليه قال سمعناه في هذه الاحرف الثلاثة واستدني بعض بني عقيل

* تصيح بنا حنيفة اذ رانتاه * اي الارض تذهب بالصباح *

يريد الى اي ارض تذهب فحذف الي وقال الجنيد معنى الاية مقرون بآية اخرى وهو قوله
وان من شيء الا عندنا خزائنه المعنى اي طريق تسلكون ابين من الطريق الذي بينه
الله لكم وقد امضى قول الزجاج ان هو يعني القرآن الا ذكر للعالمين اي موعظة وذكر
وان بعض ما وقيل ما محمد الا ذكر لمن شاء منكم ان يستقيم قال ابو جهل الامر الينا ان شئنا
استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا هو العذر وهو راس العذر فنزلت وما تشاؤن
الا ان يشا الله رب العالمين فيكون بهذا انه لا يصل العبد الا خير الا بتوفيق الله ولا شر
الا بخذلانه وقال الحسن والله ما شاءت العرب الا الاسلام حتى شا الله وقال وهب بن
منبه قرات في سبعين وثمانين كتابا ما انزل الله على الانبيا من اصل الى نفسه شيا من
المشية فقد كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شيء قبلا ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله وقال وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وقال

انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء والاي في هذا كثير وكذلك الاخبار وان الله سبحانه هدي بالاسلام واصل بالكفر كما تقدم في غير موضع والله اعلم بالصواب

سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا السما انفطرت اي تشققت بامر الله تعالى لنزول الملايكة كقوله ويوم تشقق السما بالغمام ونزل الملايكة تنزيلا وقيل تفطرت اي لهيبة الله تعالى والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشي تشقق وسيف فاطر اي فيه شقوق قال من بعض اقوالي عنزة

وسيفي كالعقيق فهو لمعي ... سلاحي لا افل ولا فطور

وقد تقدم في غير موضع واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت نثرت الشي انثره نثرا فانتثر والاسم النثار بالضم ما تناثر من الشي ودر منثور وللكثرة واذا البحار فجرت اي فجر بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا على ما تقدم وقال الحسن فجرت ذهب ماوها وهذه الاشيا بين يدي الساعة على ما تقدم في اذا الشمس كورت واذا القبور بعثرت اي قلبت فاخرج ما فيها من اهلها احيا يقال بعثرت المتاع قلبته ظهرا لبطن وبعثرت الحوض وبحثرته اذا هدمته وجعلت اسفله اعلاه وقال قوم منهم الفرا بعثرت اخرج ما في بطنها من الذهب والفضة وذلك من الساعة ان تخرج الارض ذهبها وفضتها على نفس ما دفنت واخرجت مثل يبنا الانسان يومئذ بما قدم واخر تقدم وهذا جواب اذا السما انفطرت الله تم في قوله الحسن وقع على قوله علمت نفس بقوله اذا ابدت تهذه الامور من اشراط الساعة ختمت الاعمال فعلمت كل نفس ما كسبت قالا ينفعها عمل بعد ذلك وقيل اذا كانت هذه الاشيا قامت القيامة فحوسب كل نفس بما عملت واوتيت كتابها بيمينها او شمالها فتذكرت عند قرائتها جميع اعمالها وقيل هو عبر ويبس وهو الصحيح ان شا الله قوله تعالى يا ايها الانسان خاطب بهذا منكري البعث وقال ابن عباس الانسان هنا الوليد بن المغيرة وقال عكرمة ابي بن خلف وقيل نزلت في ابي الاسد بن كلدة الجمحي عن ابن عباس ايضا ما غرك بربك الكريم اي ما الذي غرك حتى كفرت بربك الكريم اي الحيا وزعنك قال قتادة عن شيطانه المسلط عليه الحسن عن شيطانه اخبيث وقيل حمقه وجهله رواه الحسن عن علي رضي الله عنه وروي غالب الكلبي قال لما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم قال عمر الجهل وقال صالح سمعنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم قال غره جهله وقال عمر رضي الله عنه قالكما قال الله تعالى انه كان ظلوما جهولا وقيل غره عفو الله اذا لم يعاقبه في اول مرة قال ابراهيم بن الاشعث قيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيمة بين يديه فقال له ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال كنت اقول غرني ستورك المرخاة لان الكريم هنا الستار نظمه ابن السماك فقال

يا كاتم الذنب اما تستحي ... والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك امهاله ... وستره طول مساويكا

وقال ذنون المصري شعر

يا من على الجب والتيه ... وغرك طول تمادي به
اهلاك الله فبارزته ... ولم تخف عضب معاصيه

وروي عن علي رضي الله عنه انه صحب غلاما له كرات فلم يتبعه فنظر فاذا هو بالباب فقال مالك لم تجبني فقال ثقتي بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن جوابه فاعتقه وناس يقولون ما غرك ما حذفك وسول لك حتى اصعت علينك وقال ابن مسعود ما منكم من احد الا وسيخلوا الله به يوم القيامة فيقول له يا ابن ادم ما غرك بي يا ابن ادم ماذا عملت فيما علمت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين الذي خلقك اي قدر خلقك فسواك في بطن امك وعدل لك يدين ورجلين وعينين وسايرا عضائك فعدلك اي جعلك معتدلا سويا كما يقال هذا شي فعدل وهذه قرا العامة وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم على الغرا وابو عبيد يدل عليه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقرا الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي فعدلك مخففا اي اماله ومركبك اي في اي صورة شيا اما حسنا واما قبيحا واما طويلا واما قصيرا وقد يجيئ كما قال النبي

صلى الله عليه وسلم ان النطفة اذا استقرت في الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين ادم اما
قرأت هذه الاية في اي صورة ما شاء ركبك قاد ان شاء في صورة انسان وان شاء في صورة حمار وان
شاء انثى وقال مجاهد في اي صورة اي في اي شبه من اب او ام او عم او خال او غيرهما وفي متعلقه
يركبك ولا تخلق بعدة ذلك على قراءة من خفف لانك تقول عدلت اي كذا وانت تقول عدلت
في كذا او لذلك منع القراء التخفيف لانه قدر في متعلقه بعدلك وما يجوز ان تكون صلة تركبه
اي في اي صورة شاء ركبك ويجوز ان تكون شرطية اي ان شاء ركبك في غير صورة الانسان
من صورة قرد او حمار او خنزير فما بمعنى الشرط فالجزاء اي في صورة ما شاء ان يركبك
فيها ركبك قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين يجوز ان يكون كلا بمعنى حقا او الا فينبغي
ان يجوز ان تكون بمعنى لعل ان يكون المعنى ليس الامر على ما تقولون من انكم في عبادتكم
غير الله محقون يدل على ذلك قوله تعالى ما غرك بربك الكريم ولذلك يقول الفراء يصير
المعنى ليس كما غررت به وقيل اي ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث وقيل هو بمعنى
الردع والزجر اي لا تغتر وحكم الله وكرمه فتتركوا التفكر في اياته ابن الانباري الوقف
الجيد على الدين وعلى ركبك والوقف على كلا قبيح بل تكذبون ما اهل مكة بالدين اي بالحساب
وبل لنفي تقدم وتحقيق غيره وانكارهم للبعث كان معلوما وان لم يجر له ذكر في هذه السورة
قوله تعالى وان عليكم لحافظين اي رقباء من الملائكة كراما اي على الله لقوله تعالى كرام
برره وهنا تلاث مسائل الاولى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اكرموا الكرام
الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى حالتين الجنابة والجماع فاذا اغتسل احدكم فليستتر
بحدار او بغيره او ليستتر باخيه وروي عن علي رضي الله عنه قال لا يزال الملك موليا عن العبد ما دام
يناجي الجورة وروي ان العبد اذا دخل الحمام بغير مئزر لعنه الله وملكاه الثانية واختلف
الناس في الكفار هل عليهم حفظة ام فقال بعضهم لان امرهم ظاهر وعملهم واحد قال الله
تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل بل عليهم حفظة لقوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقالوا اما من اوتي كتابه بيمينه وقال
واما من اوتي كتابه وراء ظهره فاخبر ان الكفار يكون لهم كتاب ويكون عليهم حفظة فان قيل
الذي عن يمينه ابدا يكتب والحسنة له فكيف يكتب عن شماله يكون باذن صاحبه
ويكون شاهدا على ذلك وان لم يكتب والله اعلم الثالثة سبيل سفيان كيف يعلم الملائكة
ان العبد قد هم بسيئة وجد واما من ريح النتن وقد مضى في ق عند قوله ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد زيادة بيان لمعنى هذه الاية وقد ذكرنا العلم الكلام عند الغائط
والجماع لمفارقة الملك العبد عند ذلك وقد مضى في اخر ال عمران القول في هذا وعن
الحسن يعلمون لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وقيل يعلمون ما تظهرون منكم دون ما تحدثتم به انفسكم
والله اعلم قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتفسير مثل قوله فريق
في الجنة وفريق في السعير وقال يومئذ يصدعون فاما الذين امنوا الآية يصلونها
اي يصيبهم لهبها وحرها يوم الدين اي يوم الجزاء والحساب وكرر ذكره تعظيما لشانه نحو
قوله تعالى القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة وقال ابن عباس فيما يروي عنه
كل شيء من القرآن من قوله وما ادراك فقد ادراه وكل شيء من قوله وما يدريك فقد
طوي عنه يوم لا تملك نفس قرأ ابن كثير وابو عمرو يوم بالرفع على البدل من يوم الدين
او رد على اليوم الاول فيكون صفة ونعت اليوم الدين ويجوز ان يرفع باضمار هو لياقوت
بالنصب على انه موضع رفع لانه نصب لانه مضاف غير متمكن كما يقول اعجبني يوم يقوم
زيد وانشد المبرد

ومن اي يومي من الموت افر ... ا يوم لم يقدر ام يوم قدر

فاليومان الثنيان مخصوصان بالاضافة على الترجمة عن اليومين الاولين الا انهما نصبا
في اللفظ لانهما اضيفا لغير محض وهذا اختيار الفراء والزجاج وقال قوم اليوم الثاني
منصوب على المحل كانه قال في يوم لا تملك نفس لنفس شيا وقيل معنى ان هذه الاشياء تكون
يوم او على معنى يدانون يوم لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر والامر يومئذ لله لا ينازعه
فيه احد كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم
تمت السورة سورة المطففين مكية في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل
ومدنية في قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهي اول سورة نزلت بالمدينة
وقال ابن عباس وقتادة مدنية الا ثمان ايات من قوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخرها

مكي وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وهي ست وثلاثون اية
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
ويل للمطففين فيه اربع مسايل الاولى روي النسائي عن ابن عباس قال لما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله تعالى
ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك قال العرا فهم اوفى من الناس كيلا الى يومهم
وعن ابن عباس ايضا قال هي اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة
نزل بالمدينة وكان هذا فيهم كانوا اذا اشتروا استوفوا بكيل راجح واذا باعوا بخسر
الكيل والميزان فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم اوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال
قوم نزلت في رجل يعرف بابي جهينة واسمه عمير كان له صاعان يأخذ بواحد ويعطي
باخر قاله ابو هريرة رضي الله عنه الثانية قوله تعالى ويل اي شدة عذاب
في الهوة وقال ابن عباس انه واد في جهنم يسيل فيه صديد اهل النار فهو قوله تعالى
ويل للمطففين اي الذين ينقصون مكيالهم وموازينهم وروي عن ابن عمر قال المطفف
الرجل سينا خبرا لمكيال وهو يعلم انه يحيف في كيله فتوزره عليه وقال احرون التطفيف
في الكيل والوزن والوضوء والصلاة والحديث وفي الموطا قال مالك ويقال لكل شيء وفا
وتطفيف وروي عن سالم بن ابي احمد قال الصلاة بمكيال ممن وفى له ومن طفف فقد
علمتم ما قال الله عز وجل وبل للمطففين الثالثة قال اهل اللغة المطفف ماخوذ
من الطفيف وهو القليل والمطفف هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل
او وزن وقال الزجاج انما قيل للفاعل من هذا مطفف لانه يكاد يسرق من الميزان
والمكيال الا الشيء الصغير الحقير وانما اخذ من طيف الشيء وهو جانبه وطفاف المكوك
وطفافه بالفتح والكسر ما ملا اصباره وكذلك طف المكوك وطفه وفي الحديث كلكم بنوا
ادم طف الصاع لم تملوه وهو اقرب ان يمثلي فلا يفضل والمعنى بعضكم قريب فليس
لاحد على احد فضل الا بالتقوى والطفاف والطفافة بالضم ما فوق المكيال وانا
طفاف اذا بلغ المكيل طفافه تقول منه طففت والتطفيف نقص المكيال وهو ان
تملاه الى اصباره اي جوانبه يقال ادهقت الكاس الى احرارها واضمارها اي الى راسها
وقول ابن عمر حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم سبق اخيل كنت فارسا يومئذ فسبقت
الناس حتى طفف الفرس مسجد بني زريق حتى كاد يساوي المسجد يعني وثب به
الرابعة المطفف هو الذي يخسر في الكيل والوزن وما يوفي حسب ما بيناه
وروي عن القسم عن مالك انه قرا ويل للمطففين فقال لا تطفف ولا تحلب ولكن ارسل
وصب عليه صبا حتى اذا استوى ارسل يده ولم يمسك وقال عبد الملك تلك الماجشون
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسح الطفاف وقال هي البركة في راسه قال وبلغني
ان كيل فرعون كان مسحا بالحديدة قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
قال الفرا اي من الناس يقال اكتلت منك اي استوفيت منك وتقول اكتلت ما عليك
اي اخذت ما عليك وقال الزجاج اي اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل
والمعنى الذين اذا اكتالوا استوفوا احذوا الزيادة واذا اوفوا اوزنوا لغيرهم نقصوا قال
يرضوا للناس ما يرضوا لانفسهم الطبري على معنى عند قوله تعالى واذا كالوهم او
وزنوهم يخسرون فيه مسلتان الاولى قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم
او وزنوا لهم فحذف اللام فتعدى الفعل فنصب ومثله نصحتك ونصحتلك وامرتكم
وامرتك به قاله الاخفش والفرا قال الفرا وسمعت اعرابية تقول
اذا صدر الناس انينا التاجرة فيكيلنا المد والمدين الموسم المقبل
قال وهو من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال الزجاج ويجوز الوقف على كالوا
حتى يصل بهم قال ومن الناس من يجعلها توكيدا ويجيز الوقف على كالوا ووزنوا والاول
الاختيار لانها حرف واحد وهو قول الكسائي قال ابو عبيد وكان عيسى بن عمر يجعلها حرفين
حرفين ويقف على كالوا ووزنوا ثم يعود هم يخسرون قال واحسب قراءة حمزة كذلك
ايضا قال ابو عبيد والاختيار ان يكونا كلمة واحدة من جهتين احداهما الخط وذلك
انهم كتبوها بغير الف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا ووزنوا بالالف والاخرى ان يقال
كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك وهو كلام عربي كما قال صدقتك وصدقت لك
وكسبتك وكسبت لك وكذلك تكيل ونصحتك ونحو ذلك يخسرون اي ينقصون والعرب

تقول اخسرت الميزان وخسرتهم في موضع نصب على قراءة العامة راجع الى الناس
تقديره واذا كالوا الناس اوزنوا لهم يخسرون وفيه وجهان احدهما ان تراد كالوا لهم
اوزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال

* ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

اراد جنيت لك والوجه الاخر ان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
والمضاف هو المكيل والموزون وعن ابن عباس انكم معاشر الاعاجم ولتم امرتين بهما هلك
من كان قبلكم المكيال والميزان وخصص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا
مفرقتين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة يكيلون وعلى القراءة الثانية
هم في موضع رفع بالابتداء اي واذا كالوهم الناس اوزنوا لهم يخسرون ولا يصح ان يكون
الاول ملغاة ليس بمحصور انما كانت تستقيم لو كان بعدها واذا كالوهم ينقصون او وزنوهم
يخسرون الثانية قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم خمس بخمس ما نقض قوم
العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله فشا فيهم الفقر وما ظهرت
الفاحشة فيهم الا فشا فيهم الطاعون ولا طففوا الكيل الا منع منهم النبات واخذوا بالسنين
ولا منعوا الزكاة الا حبس الله عنهم المطر خرجه ابو بكر البزار بمعناه ومالك بن انس ايضا
من حديث ابن عمر وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقال مالك بن دينار دخل على جاري
وقد نزل به الموت فجعل يقول لجبلي من نار جبلي من نار فقلت ما تقول لا مهيم قال
يا ابايحيى كان لي مكيالان اكيل باحدهما واكتال بالاخر فقمت فجعلت اضرب احدهما بالاخر
حتى كسرتهما فقال لي ابايحيى كلما مزبت احدهما بالاخر ازداد عظما فما ترى في وجعه وقال
عكرمة اشهد على كل كيال ووزان فانه في النار قيل له فان اسك كيالا ووزانا فقال
اشهد انه في النار وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول لشقر

* لا تلتمس المروة ممن مروته * في رؤس المكاييل والسنة الموازين *

وروي ذلك عن علي وقال جسر مر علي رضي الله عنه على رجل وهو يزن الزعفران وقال زارجح
ما كفا الميزان ثم قال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره اولا
بالتسوية لمعيارها وبفصل الواجب من الفضل وقال نافع كان ابن عمر يمر بالبايع
فيقول اتق الله واوف الكيل والوزن بالقسط فان المطففين يوم القيمة يوقفون
حتى ان العرق ليلجمهم الى انصاف اذانهم وقد روي ان ابا هريرة قدم المدينة وقد
خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة فقال
ابو هريرة فوجدناه في صلاة الصبح يقرا في الركعة الاولى كهيعص وفي الركعة
الثانية ويل للمطففين قال ابو هريرة فاقول في صلاتي ويل للمطففين لابي فلان كان
له مكيالان اذا اكتال اكتال بالوافي واذا اكال كال بالناقص قوله تعالى
الا يظن اولئك ونكار وتعجب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم
ولا يحسبون تخمينا انهم مبعوثون ممسوئلون عما يفعلون فالظن هنا بمعنى اليقين اي
ليوقن اولئك ولو ايقنوا لما قصروا في الكيل والوزن وقيل الظن بمعنى التردد اي ان
كانوا لا يستيقنون بالبعث فحالهم حالة من يظنه حتى يتدبروا ويحثوا عنه ويا حذوا بالاحوط
ليوم عظيم شانه وهو يوم القيمة قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين
فيه اربع مسايل الاولى العامل في يوم فعل مضمر دل عليه يبعثون والمعنى يبعثون
يوم يقوم الناس لرب العالمين ويجوز ان يكون بدلا من يوم في ليوم عظيم وهو مبني
وقيل هو في موضع خفض لانه اضيف الى غير متمكن وقيل هو منصوب على الظرف اي في يوم
ويقال اقم الي يوم خروج فلان وقيل في الكلام تقديم وتاخير التقدير انهم مبعوثون
يوم يقوم الناس لرب العالمين ليوم عظيم الثانية وعن عبد الله بن مروان
ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال في المطففين اراد بذلك ان المطففين قد توجر
عليهم هذا الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال الناس
بالاكيل والوزن وفي هذا الانكار والتعجب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس
لله خاضعين ووصف ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في القطيعة
وما كان في مثل حاله من اتحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل في كل احد
واعطاء الحق في كل قول وعمل الثالثة قرا ابن عمر ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم
الناس لرب العالمين فبكى حتى سقط وامتنع من قراءة ما بعده ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه

يقول يوم يقوم الناس لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فمنهم من يبلغ
العرق كعبيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه ومنهم من يبلغ صدره ومنهم
من يبلغ اذنيه حتى ان احدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع وروي ناس عن ابن
عباس قال يقومون مقدار ثلاث مائة سنة ويهون على المومنين قدر صلاتهم الفريضة
وروي عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقوم الناس لرب العالمين حتى
ان احدهم ليقوم في رشحه الى انصاف اذنيه وعنه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم يقوم
مائة سنة وعن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا الفقراء كيف انت صانع
في يوم يقوم الناس فيه مقدار ثلاث مائة سنة لرب العالمين لا يأتيهم فيه خبر ولا يؤمر
فيه بامر قال بشير المستعان بالله قلت قد ذكرتا مرفوعا من حديث ابي سعيد انحدرك
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ليخفف عن المومن حتى لهو اخف عليه من صلاته المكتوبة
يصليها في الدنيا في سائل سائل وعن ابن عباس يهون على المومنين قدر صلاتهم الفريضة وقيل ان
ذلك المقام على المومن كغروب الشمس والدليل على هذا من الكتاب قوله ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ثم وصفهم فقال الذين امنوا وكانوا يتقون حملنا الله منهم بفضله وكرمه
وجوده ومنه امين وقيل المراد بالناس جبريل عليه السلام يوم يقوم لرب العالمين قاله
ابن جبير وفيه بعد لما ذكرنا من الاخبار في ذلك وهي صحيحة ثابتة وحسبك بما في صحيحي
مسلم والبخاري والترمذي من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس
لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى نصف اذنيه ثم قيل هذا القيام يوم يقومون
من قبورهم وقيل في الاخرة يحفون عباده في الدنيا وقال يزيد الرشك يقومون بين
يديه للعطاء الرابعة القيام لله رب العالمين سبحانه اكثر بلا اضافة الى عظمته
وحقه فاما قيام الناس بعضهم لبعض فاختلف الناس فيه فمنهم من اجازه ومنهم منعه
وقد روي النبي صلى الله عليه وسلم قام الى جعفر بن ابي طالب واعتنقه وقام طلحة لكعب
ابن مالك يوم تاب عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار حين طلع عليه سعد بن
معاذ قوموا الى سيدكم وقال ايضا من سره ان يمثل الناس له قياما فليتبوأ مقعده من
النار وذلك يرجع الى حال الرجل ونيته فان انتظر ذلك واعتقده لنفسه فهو ممنوع
وان كان على طريق التبشاشة والوصلة فانه جايز وخاصة عند الاسباب كالقدوم من السفر
ونحوه وقد مضى في اخر سورة يوسف شيء من هذا قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين
قال قوم من اهل العلم بالعربية كلا ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من تطفيف
الكيل والميزان او تكذيب الاخرة فليرتدعوا عن ذلك وهي كلمة ردع وزجر ثم استانف
فقال ان كتاب الفجار لفي سجين وقال الحسن كلا معناه حقا وروي ناس عن ابن عباس
كلا ما لا يصدقون ان كتاب الفجار قيل هذا توقف لرب العالمين وفي تفسير مقاتل
ان اعمال الفجار وروي ناس عن ابن عباس قال ان ارواح الفجار واعمالهم لفي سجين وروي
عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال سجين صخرة تحت الارض السابعة تغلي فتجعل كتاب الفجار
تحتها ونحوه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب قال لكعب تحتها ارواح
الكفار تحت حر ابليس وعن كعب ايضا قال سجين صخرة سوداء تحت الارض السابعة مكتوب
فيها اسم كل شيطان يلقى انفس الكفار تحتها وقال سعيد بن جبير سجين تحت خد ابليس
يجيء بسلام حجر اسود تحت الارض نكتب فيها ارواح الكفار وقال عطا الخراساني هي الارض
السابعة السفلى وفيها ابليس وذريته وعن ابن عباس قال ان الكافر يحضره الموت ويحضره
رسل الله فلا يستطيعون لبغض الله وبغضهم اياه ان يوحوه ولا يحملوه حتى يجيء ملك الموت
فاذا جاء لقبض روحه قبضوا نفسه ودفعوه الى ملك العذاب فاروه ما شاء الله ان يروه
ثم الشر ثم هبطوا به الى الارض السابعة وهي سجين وهي تحت سلطان ابليس فاستوا في كتابه
وعن كعب الاحبار في هذه الاية قال ان روح الفاجر اذا قبضت صعد بها الى السماء فتابى السما
ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل في سبع ارضين حتى ينتهي
الى سجين وهو حد ابليس فتخرج لها من سجين في الارض السابعة وقيل هي ضرب مثل واشارة
الى ان الله تعالى يرد اليها ما اتى طغوا عند تنفقهم قال مجاهد المعنى عملهم تحت الارض السابعة
لا يصعد منها شيء قال وسجين صخرة تحت الارض السابعة وروي ابو هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال سجين جب في جهنم وهو مفتوح وقال في العلق انه جب بعيد القعر وقال انس قال
حذيفة السفلى وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وقال عكرمة سجين خسار وضلال

لعولهم طن سقط قدره قد ذلق بالحصيص وقال ابو عبيدة والاخفش والزجاج لفي حبس وضيق شديد
فعيل من السجن كما يقال فسيق وشريب قال ابن مقبل ،

وفتية يضربون البيض صاحبهم ضربا تواصيت به الابطال سجيناه

والمعنى كتابهم في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم ولانه يحال من الاعراض عنه والابعاد له
محل الزجر والهوان وقيل اصله سجيل فابدلت اللام نونا وقد تقدم ذلك ابن اسلم سجين الارض
السابعة وسجين السماء الدنيا القشيري سجين موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هود فلا يظهر
بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون وهذا دليل على حدث اعمالهم تحقيرا لها واياها ولهذا قال في
كتاب الابرار سبحانه المقربون وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما كتب لقلة ما يعمل
انت وقومك ثم فسره له فقال كتاب مرقوم اي مكتوب كالرقم في الثوب لا ينسى ولا يمحى وقال
قتادة رقم لهم بشر لا يزاد فيهم احد ولا ينقص منهم احد وقال الضحاك مرقوم مختوم بلغة حمير
واصل الرقم الكتابة قال

ويوما توافينا بوجه مسافر ورقم في قسماته ليس يبرح

وليس في قوله وما ادراك ما سجين ما يدل على ان لفظ سجين ليس عربيا كما لا يدل في قوله القارعة
ما القارعة وما ادراك ما القارعة بل هو تعظيم لامر سجين وقد مضى في مقدمة الكتاب والحمد
لله انه ليس في القرآن عجمي وويل يومئذ للمكذبين اي شدة وعذاب يوم القيامة للذين
ثم بين امرهم فقال الذين يكذبون بيوم الدين اي بيوم الحساب والجزاء والفصل بين العباد
وما يكذب به الا كل معتد اثيم اي فاجر جائر عن الحق معتد عن الخلق في معاملتهم وعلى نفسه
وهو اثيم في ترك امر الله وقيل هذا في الوليد بن المغيرة وابي جهل ونظرائهم لقوله تعالى
اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وقرأ العامة تتلى بتاءين وقرأ ابو حياة وابو سماك
وابن ابي عبلة العقيلي والسلمي اذا تتلى بالياء واساطير الاولين احاديثهم واباطيلهم التي كتبوها
وزخرفوها واحدها اسطور واسطاره وقد تقدم قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون كلا ردع وزجر اي ليس هو اساطير الاولين وقال الحسن معناه حقا ران
على قلوبهم وفي الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطا
خطيئة نكت في قلبه نكتة سوداء فاذا نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه فان عاد زيد
فيها حتى تعلوا على قلبه وهو الران الذي ذكره الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
هذا حديث صحيح حسن وكذا قال المفسرون هو الذنب حتى يسود القلب وقال مجاهد
هو الرجل يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه حتى
يغشى الذنب قلبه فقال مجاهد هي مثل الاية التي في سورة البقرة بلى من كسب سيئة
الاية ونحوه عن الفراء قال يقول كثرت المعاصي منهم والذنوب فاحاطت بقلوبهم فذلك
الرين عليها وروي مجاهد ايضا قال القلب من الكف ويضع كفه فاذا اذنب انقبض وضم
اصبعه فاذا اذنب الذنب انقبض وضم اخرى حتى ضم اصابعه كلها حتى يطبع على قلبه
قال وكانوا يرون ان ذلك الرين ثم قرأ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ومثله
عن حذيفة رضي الله عنه سواء وقال بكر بن عبد الله اذا اذنب صار في قلبه كرحزة الابرة
ثم اذا اذنب ثانيا صار كذلك ثم اذا كثرت الذنوب صار القلب كالمغل وكالغربال لا يقي
خيرا ولا يثبت فيه صلاح وقد بينا في البقرة القول في هذا المعنى بالاخبار الثابتة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا معنى لاعادتها وقد روى عبد الغني بن سعيد عن موسى
ابن عبد الرحمن بن ابي حريح عن عطاء عن ابن عباس وعن موسى عن مقاتل عن الضحاك عن
ابن عباس شيئا الله اعلم بصحته قال هو الران الذي يكون على القلبين والساقين والقدم
وهو الذي يلبس في الحرب قال وقال آخرون الران احاطة الذي يحيط بقلب الرجل وهذا
ما لا يضمن عهدة صحته والله اعلم فاما عامة اهل التفسير فعلى ما قدمنا ذكره قبل هذا
وكذلك اهل اللغة عليه يقال ران على قلبه ذنبه يرين رينا وريونا اي غلب قال
ابو عبيدة في قوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اي غلب وقال ابو عبيد كلما غلبك
فهو ران بل وبرانك وران عليك وقال الشاعر

ولم ران من ذنب على قلب فاجر فتاب من الذنب الذي ران بالخلي

ورايت الخمر على عقله اي غلبته وران عليه النعاس اذا غطاه ومنه قول عمر

في الاسيفع اسيفع جهينة فاصبح قد رين به الا يبايع

اي غلبته الذنوب وكان يران ومنه قول الراعي يريد يصف رجلا سكر

فقال

نقالب ثم لمارايت به الخمر وان لا ترنيه يا نقا يصف رجلا سرب الخمر فقو له رانت به الخموا ي غلبته
على عقله وقلبه وقال الاموي تدري ان القوم فيهم مريبون اذا هلكت مواشيهم اي هزلت وهذا من
الامر الذي اتاهم مما يظنهم ولا سيتطيعون احتماله قال ابو زيد يقال بالرجل قد رين بالرجل رينا
اذا وقع فيما لا سيتطيع الخروج منه ولا قبل له به وقال ابو معاذ النحوي الرين ان سيود القلب
من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهذا اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع الزجاج
الرين هو كالصدا يغشي القلب كالغيم الرقيق ومثله الغين يقال عمى على قلبه اي غطي والغين
شجر يلتف الواحدة غينا اي حمراء الورق ملتفة الاغصان وقد تقدم قو له انما
احاطت الذنب بالقلب وذكر الثعلبي عن ابن عباس وان على قلوبهم اي غطى عليها وقيل غطى عليها
وقيل غطى عليها وهذا هو الصحيح عنه ان شا الله تعالى وقرا حمزة والكسائي والاعمش وابو بكر
والمفضل ران بالامالة لان فا الفعل الراو عينه الف منقلبة من يا فحسنت الامالة لذلك
ومن فتح فعلى الاصل لان باب فا الفعل من فعل الفتح مثل كال وباع ونحوه واختاره ابو عبيد
وابو حاتم ووقف حمزة بلى ثم يبتدي ران وتعلم من الام لا سكت قو له تعالى
كلا انهم اي حقا انهم يعني الكفار عن ربهم يومئذ اي يوم القيامة لمحجوبون وقيل كلا زجر وردع
اي ليس كما يقولون بل انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الزجاج في هذه الاية دليل على ان
الله عز وجل يرى في القيامة ولولا ذلك ما كان في هذه الاية فائدة ولا حسنت منزلة الكفار
بانهم محجوبون قال الله جل ثناؤه وجوه يومئذ ناظرة اي رعا ناظرة فاعلم الله جل ثناؤه
ان للمومنين ينظرون اليه واعلم ان الكفار يحجبون عنه وقال مالك بن انس في هذه الاية
لما حجب اعداؤه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقال الشافعي لما حجب قوما بالسخط
دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم قال اما والله لولم يوقن محمد بن ادريس انه يرى ربه
في المعاد لما عبده في الدنيا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن نوره توحيده
كذلك يحجبهم في الاخرة عن رويته وقال مجاهد في قو له تعالى لمحجوبون اي عن كرامته ورحمته
ممنوعون وقال قتادة هوان الله لا ينظر اليهم برحمته ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وعلى
الاول الجمهور عن رويته فلا يرونه ثم انهم لصالوا الجحيم اي ملازموها ومحترقون بها
غير خارجين منها كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها كلما خبت زدناهم سعيرا
ويقال الجحيم الباب الرابع من النار ثم يقال لهم اي يقول لهم خزنة جهنم هذا الذي
كنتم به تكذبون رسل الله في الدنيا قو له تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين
كلا بمعنى حقا والوقف على تكذبون وقيل اي ليس الامر كما ظنوا بل كتابهم في سجين وكتاب
المومنين في عليين وقال مقاتل كلا اي لا يومنون بالعذاب الذي يصلونه ثم استانف
فقال ان الابرار مرفوع في عليين على قدر مرتبتهم قال ابن عباس اي في الجنة وعنه
ايضا قال اعمالهم في كتاب الله في السما وقال الضحاك ومجاهد وقتادة يعني السما السابعة
فيها ارواح المومنين وروي الاحتج عن الضحاك قال هي سدرة المنتهى ينتهي اليها كل شي
من امر الله لا يعدوها فتقول لربي عبدك فلان وهو اعلم به منهم فيما بينه كتابه من امر
عز وجل مختوم بما له من العذاب وذلك قو له تعالى كلا ان كتاب الابرار وعن كعب
قال ان روح المومن اذا قبضت صعد بها وفتح لها ابواب السما وتلقتها الملايكة بالبشري
ثم يخرجون معها حتى ينتهوا الى العرش فيخرج لهم من تحت العرش رق فيختم فيرقم ويختم فيه
النجاة من الحساب يوم القيمة ويشهده المقربون وقال قتادة ايضا في ظلل يهم فوق السما
السابعة عند قيامة العرش اليمنى وقال البرا بن عازب قال النبي صلى الله عليه وسلم عليون
في السما السابعة تحت العرش وعن ابن عباس ايضا هو لوح من زبرجدة خضرا معلق بالعرش
العرش اعمالهم مكتوب فيه وقال الفرا عليون ارتفاع بعد ارتفاع وقيل عليون اعلا الا
مكنة وقيل معناه علو في علو مضاعف كانه لا غاية له وكذلك جمع بالواو والنون وهي معنى
قول الطبري قال الفرا هو اسم موضع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كذلك عشرون
وثلاثين والعرب اذا اجمعت جمعا ولم يكن له سامن واحدة ولا تثنية قالت في المذكر والمونث
بالنون وقال الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب الجمع كما تقول هذه قنسرين ورايت قنسرين
وقال بوس الجهة واحدها علي وعلية وقال ابو الفتح عليون جمع علي وهو فعيل من العلو
وكان سبيله ان يقال علية لانها من العلو فلما حذفت الياس من علي عرضوا منها الجمع بالواو
والنون كما قالوا في ارضين وقيل ان عليين صفة للملايكة فانهم الملك الاعلى كما يقال
فلان من بني فلان اي هو في جملتهم وعندهم والدليل في الخبر من حديث ابن عمر ان رسول الله

ران ٤

كلا ٥

صلى الله عليه وسلم قال ان اهل عليين ليطرون الى الجنة من كذا فاذا اشرف رجل من اهل عليين
اضاء اهل الطاعة والصدق وفي خبر ان اهل الجنة ليرون عليين كما يرى الكوكب الدري في افق
السماء ويدل على ان عليين اسم للموضع المرتفع ورائي عن ابن عباس في قوله عليين قال اخبروا
ان ارواحهم واعمالهم في السماء السابعة ثم قال وما ادراك ما عليون اي ما الذي اعلمك يا محمد
ان شيء عليون على جهة التعظيم والتفخيم له في المنزلة الرفيعة ثم فسره له فقال يشهده المقربون
وقيل ان كتاب مرقوم ليس تفسيرا لعليين بل تم الكلام عند قوله عليون ثم ابتدأ وقال
كتاب مرقوم اضاء اي بيان مرقوم وهذا اعكس الرقم في كتاب الفجار قاله القشيري وروي
ان الملائكة تصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه
اوحى اليهم انكم احفظة على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه لم يخلص في عمله فاجعلوه
في سجين فوله تعالى يشهده المقربون اي يشهد عمل الابرار مقربو كل سماء من
الملائكة وقال وهب وابن اسحاق المقربون هنا اسرافيل عليه السلام فاذا عمل المؤمن
عملا البر صعدت الملائكة بالصحيفة وله نور يملأ ما بين السموات كنور الشمس في الارض
حتى ينتهي بها الى اسرافيل فيختم عليها ويكتب وهو قوله يشهده المقربون اي يشهد
كتابتهم قوله تعالى ان الابرار اي اهل الصدق والطاعة لفي نعيم اي نعيم والنعمة
بالفتح التنعيم يقال نعمة الله ونعامه فتنعم وامرأة منعمة ومتناعمة يعني اي ان الابرار
في الجنات يتنعمون على الارائك الاسرة في الحجال ينظرون الى ما اعد الله لهم من الكرامات
قاله عكرمة وابن عباس ومجاهد وقال قتادة ينظرون الى اهل النار وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ينظرون الى اعدائهم في النار ذكره المهدوي وقيل على الارائك اقضيته ينظرون
الى وجهه وجلاله قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجته وحضارته
ونوره يقال انظر البنان اذا زهر ونور وقراءة العامة تعرف بفتح التاء والراء وكسر الراء نصب
اي تعرف يا محمد وقرأ ابو جعفر بن القعقاع ويعقوب وشيبة وابن ابي اسحق
تعرف بضم التاء ورفع الراء على الفعل المجهول نضرة رفعا يسقون من رحيق اي من شراب
لا غش فيه قاله الاخفش والزجاج وقيل الرحيق الخمر الصافية وفي الصحاح الرحيق
صفوة الخمر والمعنى واحد الكسائي الرحيق الخمر وجودها وقال مقاتل وغيره هي الخمر
العتيقة البيضاء الصافية من القش النير قال حسان

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى يصفق بالرحيق السلسل

وقال آخر

كان سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء

ختامه مسك اي سبيل الشراب وذكر ما استهى الي من الرحيق السلسل
مختوم ختامه مسك قال مجاهد يختم به اخر جرعة وقيل المعنى اذا شربوا من هذا الرحيق
فغبي ما في الكاس اختم ذلك بخاتم المسك وكان ابن مسعود يقول يجدون عاقبة ذلك
المسك وكوه عن سعيد بن جبير وابرهيم النخعي قالا ختامه آخر طعمه وهو حسن لان
سبيل الشربة ان يكون الكدر في آخرها فوصف شراب اهل الجنة بان رائحة آخره رائحة
المسك وعن مسروق عن عبد الله قال المختوم الممزوج وقيل مختوم اي ختمت ومنعت
من ان يمسها ماس الى ان يفك ختامها الابرار وقرأ علي وعلقمة وشقيق والضحاك وطاوس
والكسائي ختامه بفتح الخاء والتاء والف بينهما قال علقمة اما رايت المرأة تقول للعطار
اجعل خاتمه مسكا تريد آخره والخاتم والختام متقاربان في المعنى الا ان الخاتم الاسم
والختام المصدر قاله الفراء وفي الصحاح والخاتم الطين الذي يختم به وكذا قال مجاهد
وابن زيد ختم اناءه بالمسك بدلا من الطين حكاه المهدوي وقال العوفي دق
وطيب افضل اغلاق الختام وقال الاعشى وايرها وعلاها ختم
اي عليها طينة مختومة مثل نفض بمعنى منفوض وذكر ابن المبارك وابن وهب والفظ
لابن وهب عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى ختامه لبس بخاتم يختم الم ترالى قول
المرأة من ساعتكم اي خلطه من الطيب لكذا وكذا انما ختامه مسك قال شراب ابيض مثل
الفضة يختمون به آخر اشربتهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده فيه ثم اخرجها لم
يبق ذو روح الا وجد ريح طيبه وروي ابو كعب قال قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم
قال عذراء الخمر وقيل مختوم في آنيته وهو غير الذي يجري في الانهار والله اعلم وفي ذلك

اي وفي

اي وفي الذي وصفناه من امر الجنة فليتنافس المتنافسون اي وليرغب الراغبون يقال نفست عليه الشيء انفسه نفاسة اي ظننت به ولم احب ان اصير اليه وقيل النفاسة بمعنى الى اي والى ذلك فليبتدر المتبادرون في العمل نظيره لمثل هذا فليعمل العاملون ومزاجه اي مزاج ذلك الرحيق من تسنيم وهو شراب وهو شراب ينصب عليهم من علو وهو اشرف شراب في الجنة واصل التسنيم في اللغة الارتفاع فهي عين ما تجري من علو الى سفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه وكذلك تسنيم العنق وروي عن عبد الله قال تسنيم عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفا ويمزج منها كاس اصحاب اليمين فتطيب وقال ابن عباس في قوله تعالى ومزاجه من تسنيم قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل التسنيم عين تجري في الهوى بقدرة الله تعالى فتنصب في اواني اهل الجنة على قدر ميلها فاذا امتلات امسك الماء فلا يقع منه قطرة في الارض ولا تحتاجون الى الاستقاء قاله قتادة ابن زيد للعين التي عين تجري من تحت العرش وكذا في مراسيل الحسن وقد ذكرنا في سورة الانسان عينا يشرب بها المقربون اي يشرب منها اهل الجنة حتى عدن وهم افاضل اهل الجنة ومي لغيرهم مزاج وعينا نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال من تسنيم وتسنيم معرفة ليس يعرف له اشتقاق وان جعلته مصدرا مشتقا من السنام وعينا نصب لانه مفعول به لقوله او الطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهذا قول الفراء انه منصوب بتسنيم وعند الاخفش يسقون اي سيقون عينا او من عين وعند المبرد باضمار اعني على المدح كقوله تعالى ان الذين اجرموا وصف احوال الكفار في الدنيا مع المومنين في استهزائهم به والمرادر وساء قريش من اهل الشرك روي ناس عن ابن عباس قال هو الوليد بن المغيرة وعقبة بن ابي معيط والعاص بن وايل والاسود بن عبد يغوث والعاص بن هشام وابو جهل وابن منصور بن اكرث واولئك كانوا من الذين امنوا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم وقيل اي يعيرونهم بالاسلام ويعيبونهم به يقال غمزت الشيء بيدي قال

وكنت اذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها او ثقفتها

وقال عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سجد غمزني فقبضت رجلي اكرمت وقد مضى في النساء وتمزته بعيني وقيل الغمز العيب يقال غمزه اي عابه وما في فلان غمزة اي عيب وقال مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب جاء في نفر من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فلمزهم المنافقون وضحكوا عليهم وتغامزوا واذا انقلبوا اي انصرفوا الى اهلهم اي اصحابهم وذويهم انقلبوا فاكهين اي معجبين منهم وقيل معجبون بما هم عليه من الكفر فيتفكهون بذكر المومنين وقرا التقفاع وحفص والاعرج وابو جعفر فكهين بغير الف قال الفراء هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر وقد تقدم في سورة الدخان والحمد لله وقيل الفكه الاشر البطر والفاكهة الناعم المتنعم واذا راوهم اي راوا هولاء الكفار اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ان هولاء لضالون اي في ابتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما ارسلوا عليهم حافظين لاعمالهم موكلين باحوالهم رقباء عليهم فاليوم الذين امنوا يعني هذا اليوم الذي هو يوم القيامة الذين امنوا محمدا صلى الله عليه وسلم من الكفار يضحكون كما ضحك الكفار منهم في الدنيا نظيره في اخر سورة المومنين وقد تقدم وذكر ابن المبارك اخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون قال ذكر لنا ان نبيكم كان يقول ان بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المومن ان ينظر لي عدو كان له في دار الدنيا اطلع من بعض الكوى قال الله تعالى فاطلع فراه في سواء الجحيم قال ذكر لنا انه اطلع فراى جماجم القوم يغلي وذكر المبارك ايضا اخبرنا الكلبي عن ابي صالح في قوله تعالى الله يستهزئ بهم قال يفتح لاهل النار وهم في النار اخرجوا فتفتح لهم ابواب النار فاذا راوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج فتهوي الى ابوابها فاغلقت دونهم فذلك قوله تعالى يستهزئ بهم ويضحك منهم المومنون حين غلقت دونهم فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وقد مضى هذا في والمطففين وسورة البقرة ومعنى هل ثوب اي هل جوزي سخريتهم في الدنيا بالمومنين اذ افعل بهم ذلك وقيل انه منقطع ينتظرون اي ينتظرون هل جوزي الكفار فيكون بمعنى هل وموضعها نصبا ينتظرون وقيل استيناف لا موضع له

وقيل هو على اضمار القول وقيل يقول بعض المومنين لبعض هل ثوب الكفار اي اثيب ام جوزي وهو من باب ثاب اذا رجع فالثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله وسيتعمل في الخير والشر

سورة الانشقاق مكية في قول الجميع وهي خمس وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا السما انشقت اي انصدعت وتفطرت بالغمام والغمام مثل السحاب الابيض كذا روي الوصاح عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه قال تنشق من المجره وقال المجره باب السما وهذا من اشراط الساعة وعلاماتها واذنت لربها وحقت اي سمعت وحق لها ان تسمع روي معناه عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران اي ما استمع الله لشي قال الشاعر

وضم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

اي سمعوا وقال ابن ام صاحب ان يا اذنوا ربه طاروا له فرحا وما اذنوا ان صلح دفنوا وقيل المعنى وحقق الله عليها الاستماع لامره بالانشقاق قال الضحاك حقت الطاعة وحق لها ان تطيع ربها لانه خلقها يقال فلان محقوق لكذا وطاعة السما ربها لا تمتنع مما اراد الله بها ولا سعد خلق احياة فيها حتى تطيع وتجيب وقال قتادة حق لها ان تفعل ذلك ومنه قول كثير

فان يكن الغاني فاهلا ومرحبا ... وحقت لها الغاني لدينا وقلت

قوله تعالى واذا الارض مدت اي بسطت ودكت جبالها قال النبي صلى الله عليه وسلم تمد مد الاديم العكاظي اذا مد زال كل ابنا فيه وباب واستوى وقاله ابن عباس وابن مسعود ويزاد في سعتها كذا وكذا لوقوف الخلايق عليها للحساب حتى يكون لاحد من البسر الا موضع قدمه لكثرة الخلايق فيها وقد مضى في سورة ابرهيم ان الارض تبدل بارض اخرى وهي الساهره في قول ابن عباس على ما تقدم عنه والقت ما فيها وتخلت اي اخرجت اموانها وتخلت عنهم وقال ابن جبير القت ما في بطنها من الموتى وتخلت ممن على ظهرها من الاحيا وقيل القت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت منهم خلا جوفها فليس في بطنها شي وذلك يودن لعظم الامر كما يلقى الحامل ما في بطنها عند الشدة وقيل تخلت مما في ظهرها من حيالها وبحارها وقيل القت ما استودعت وتخلت مما استحفظت لان الله تعالى استودع عبادة احيا وامواتا واستحفظها بلادة مزارعه واقواتا واذنت لربها وحقت اي وحق لها ان تسمع امره واختلف في جواب اذا فقالت العرا اذنت والواو زايدة وكذلك والقت ابن الانباري قال بعض المفسرين جواب اذا السما انشقت اذنت وزعم ان الواو مقحمة وهذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الا مع حتى اذا كقوله حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها ومع لما كقوله فلما اسلما وتله للجبين ونادينا ه معناه ناديناه والواو لا تقحم مع غيرهذين وقيل اجواب اذا مضمره كانه قال اذا السما انشقت فتاقى الانسان انك كادح وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السما انشقت لاقى الانسان وقيل فيه تقديم وتاخير يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السما انشقت قاله المبرد عنه ايضا الجواب فاما من اوتي كتابه بيمينه وهو قول الكسائي اذا السما انشقت فمنهم من اوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا قال ابو حيان النحاس وهذا اصح ما قيل فيه واحسنه وقيل هو معنى اذكر اذا السما انشقت وقيل اجواب محذوف لعلم المخاطبين بدا اي اذا كانت هذه الاشيا علم المكذبون بالبعث ضلالتهم وحسراتهم وقيل تقدم منهم سوال عن وقت القيامة فقيل لهم اذا ظهرت اشراطها كانت القيمة قرايم عاقة تلزمكم والقران كالاية الواحدة في دلالة البعض على البعض ونحن احسن ان قوله تعالى اذا السما انشقت قسم والجمهور على خلافه قوله من انه خبر وليس بقسم قوله تعالى يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا المراد بالانسان الجنس اي يا ابن ادم وكذا روي سعيد عن قتادة يا ابن ادم ان كدحك لضعيف فمن استطاع ان يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة الا بالله وقيل هو معين قال مقاتل يعني الاسود ابن عبد الاسد وبيا ابي بن خلف وقيل جمع الكفار يعني يا ايها الكفار انك كادح والكدح في كلام العرب العمل والكسب قال ابن مقبل

وما الدهر الا تارتان فمنهما ٭ اموت واخري ابتغ العيش اكدح ٭

وقال اخر ٭

٭ ومضت شاشه كل عيش صالح ٭ وبقيت اكدح للحياة وانصب ٭

اي اعمل وروي الضحاك عن ابن عباس انك كادح راجع الي ربك كدحا اي رجوعا لا محالة فملاقيه اي ملاق ربك وقيل ملاق عملك العبي انك كادح اي عامل ناصب في معيشتك الي لقاء ربك والملاقاه بمعني اللقا اي يلقي ربه بعملك اي تلاقي كتاب عملك لان العمل قد انقضي ولهذا قال فاما من اوتي كتابه بيمينه قوله تعالي فاما من اوتي كتابه بيمينه وهو المومن فسوف يحاسب حسابا يسيرا لمناقشة فيه كذا روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من حديث عايشه رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من حوسب يوم القيمة عذب قالت فقلت يا رسول الله اليس قد قال الله تعالي فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ليس ذلك الحساب انما ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيمة عذب خرجه البخاري ومسلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح وينقلب الي اهله ازواجه في الجنة من الحور العين مسرورا مقتبطا قرير العين ويروي انها نزلت في ابي سلمة بن عبد الاسد وهو اول من هاجر من مكة الي المدينة وقيل الي اهله الذين كانوا له في الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته والاول قول قتادة اي الي اهله الذين قد اوعدهم الله له في الجنة قوله تعالي واما من اوتي كتابه وراء ظهره نزلت في الاسود بن عبد الاسد اخي ابي سلمة قاله ابن عباس ثم هي عامة في كل مومن وكافر قال ابن عباس يمد يده اليمني لياخذ كتابه فيحذ به ملك فيخلع يمينه فياخذه بشماله من وراء ظهره وقال قتادة ومعاذل يفك الواح صدره وعظامه ثم تدخل يده وتخرج من ظهره فيا خذ كتابه كذلك فسوف يدعوا ثبورا اي بالهلاك يقال يا ويلاه يا ثبوراه ويصلي سعيرا اي ويدخل النار حتي يصلي حرها وقال اكرمياني وابن عامر والكسائي وحفص بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام كقوله تعالي ثم الجحيم صلوه وقوله ويصليه جحيم الباقون ويصلي بفتح الياء لخفة الفعل لازم غير متعد كقوله الا من هو صال الجحيم وقوله يصطلي النار الكبري وقوله انهم لصالوا الجحيم وقراه ثالثة رواه ابان عن عاصم وحارجه عن نافع واسماعيل المكي عن ابن كثير ويصلي بضم الياء واسكان الصاد وفتح اللام مخففا كقوله ويصلون بضم الياء وكذلك في الغاشيه قد قري بها ايضا يصلي نارا وهما لغتان صلي يصلي كقوله تزدد وانزل الله كان في اهله اي في الدنيا مسرورا قال ابن زيد وصف الله اهل الجنة بالخافة والحزن والبكا والشفقة في الدنيا فاعقبهم بها النعيم والسرور في الاخرة وقرا قول الله انا كنا قبل في اهلنا مشفقين قال ووصف اهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال انه كان في اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلي اي ان يرجع حيا يبعوثا فيحاسب ثم يثاب او يعاقب ويقال جار يجور اذا رجع قال لبيد ٭

٭ وما المرء الا كالشهاب وضوءه ٭ يحور رمادا بعد اذ هو ساطع ٭

وقال عكرمة وداود بن ابي هند يحور كلمة بالحبشية ومعناها يرجع ويحور ان تنفق الكلمات فانها كلمة اسماف ومنه الحور الحوار في انه يرجع الي البياض وقال ابن عباس ما كنت ادري ما يحور حتي سمعت اعرابيه تدعو ابنة لها حوري حوري اي ارجعي الي فالحور في كلام العرب الرجوع ومنه قوله عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور يعني من الرجوع الي النقصان بعد الزيادة كذلك الحور بالضم وفي المثل حور في محار اي نقصان في نقصان يضرب للرجل اذا كان امره تدبير قال الشاعر ٭ واستحملوا عن خفيف المضع وازدردوا ٭ والدم يسفي وزاد القوم في حور

والحور ايضا الاسم من قولك طحنت الطاحنة فما احارت شيا اي ما ردت شيا من الدقيق والحور ايضا الهلكة قال الراجز ٭

٭ في بير ما حور سري وما شعره ٭

قال ابو عبيده اي في بير حور وما زايدة وروي بعد الكور فقال هو الكتنة فقال له عبد الرزاق وما الكتنة قال الرجل يكون صالحا ثم يتحول رجل سو قال ابو عمرو يقال للرجل اذا شاخ كتن كانه شب الي قومه كنت في شبابك كذا قال ٭

٭ فاصبحت كتنا واصبحت عاجزا ٭ وشر خصال المرء كتنة وعاجز ٭

عجز الرجل اذا لم يفض معتمدا على الارض من الكبر وقال ابن الاعرابي الكنتي هو الذي يقول كنت شابا وكنت شجاعا والكابي هو الذي يقول كان لي مال وكنت اهب وكان لي خيل وكنت اركب قوله تعالى بلى اي ليس الامر كما ظن بل يجوز الينا ويرجع ان ربه كان به بصيرا قبل ان خلقه عالما بان مرجعه اليه وقيل بلى يحور ولن يحوروا ثم استانف فقال ان ربه كان به بصيرا من يوم خلقه الى ان بعثه وقيل اي عالما بما سبق له من الشقاوة والسعادة اي بالحمرة التي تكون عند مغيب الشمس حتى تاتي صلاة العشا قال الشهاب وعبد الله ابن الحكم ويحيى بن يحيى وغيرهم كثير عددهم عن مالك الشفق الاحمر الذي في المغرب فاذا ذهبت الحمرة فقد خرج من وقت المغرب ووجبت صلاة العشا وروي ابن وهب قال اخبرني غير واحد عن علي بن ابي طالب ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وشداد ابن اوس وابي هريرة ان الشفق الاحمر وبه قال مالك بن انس وذكر عن جماعة من الصحابة عمر وبن عمرو بن مسعود وابن عباس وانس وابي قتادة وجابر بن عبد الله وابن الزبير ومن التابعين سعيد بن جبير وابن المسيب وطاوس وعبد الله بن دينار والزهري وقال به من الفقهاء الاوزاعي ومالك والشافعي وابو يوسف وابو ثور وابو عبيد واحمد واسحاق وقيل هو البياض روي ذلك عن ابن عباس وابي هريرة ايضا وعمر بن عبد العزيز والاوزاعي وابي حنيفة في احدى الروايتين عنه وروي اسد بن عمرو انه رجع عنه وروي عن ابن عمر ايضا انه البياض والاختيار الاول لان اكثر الصحابة والتابعين والفقها عليه ولان شواهد كلام العرب والاسحاق والسنة تشهد له قال الفرا سمعت بعض العرب تقول الثوب عليه مصبوغ كانه الشفق وكان احمر هذا شاهد به للحمرة قال الشاعر

• احمر اللون لاحه احمر الشفق •

وقال اخر

• قم يا غلام اخي غير مرتبه على الزمان بكاس حشوها شفق •

ويقال للمغرب الشفق وفي الصحاح بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل الى قريب من العتمة قال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الى هوت العشا الاخرة اذا ذهب قيل غاب الشفق ثم قيل اصل الظلمة من رقة الشي يقال شي شفق اي رقيق كما سمك له لرقته واشفق عليه اي رق قلبه والشفقة الاسم من الشفق على ظهور رقة القلب وكذلك الشفق قال الشاعر

• تمنى حياتي واهوى موتها شفقا • والموت اكرم نزال على الحرم •

فالشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها فكان ذلك من ضوء الشمس وزعم الحكما ان البياض لا يغيب اصلا وقال الخليل صعدت منارة الاسكندرية فرمقت البياض فرايته يتردى من افق الى افق ولم اره يغيب وقال ابن ابي اويس رايته بتمادي الى طلوع الفجر قال علما وناهيك بما لم تجد ووقته سقط اعتبارهم وفي سنن ابي داود عن النعمان بن بشير قال انا اعلمكم بوقت صلاة العشا كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها لسقوط القمر الثالثة وهذا يدلكم يحكم معلق باول الاسم لا يقال فينتقض عليهم بالفجر الاول فانا نقول الفجر الاول لا يتعلق حكم من صلاة ولا امساك لان النبي صلى الله عليه وسلم بين الفجر بقوله وفعله فقال وليس الفجر ان يقول هكذا ورفع يديه الى فوق ولكن الفجر ان يقول هكذا وبسط وقد مضى بيانه في اول اية الصيام في سورة البقرة فلا معنى للاعادة وقال مجاهد الشفق النهار كله الا ترى قال والليل وما وسق وقال عكرمة ما بقي من النهار والشفق ايضا البرد يقال اخذتنا شفقة اي مقلقل قال الكميت ملك اعز من الملوك تحلت للسايلين يراه غيره مستشفق قوله تعالى والليل وما وسق اي جمع وضم ولف واصله من سواد السلطان وغضبه فاولا انه خرج الى العباد من باب الرحمة ما تمالك العباد لجئه ولكن خرج من باب الرحمة فخرج به فسكن الخلق اليه ثم اذعروا واللهوا وانقبضوا ورجع كل الى ماواه فسكن فيه من هوله وحشا وهو قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي بالليل ولتبتغوا من فضله اي بالنهار على ما تقدم فالليل يجمع ويضم ما كان منتشرا بالنهار ويضرفه هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم قال الصابي بن الحرث البرجمي

• فاني واياكم وسوقا اليكمة كقابض ما لم تشحه انامله •

تقول ليس في يدي شي من ذلك كما انه ليس في يد القابض على الماشي ما دام الليل الجبال والاشجار والحجار والارض فاجتمعت له فقد وسقها والوسق تشمل الشي بعضه

الى بعض يقول وسيقه اسقه وسقا ومنه قيل للطعام الكثير المجتمع وسق وهي ستون صاعا
وطعام موسوق اي مجموع وابل مستوسقه اي مجتمع قال الراجز
* ان لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لم يجدن سائقا *
وقال عكرمة وما وسق اي وما سلق من شيء الى حيث يأوي فالوسق بمعنى الطرد ومنه
قيل للطريدة من الابل والغنم والحمر وسيقه قال الشاعر *
* كما قاف اثارا الوسيقه قائف * وعن ابن عباس وما وسق وما حمل وعنه ايضا وما جمع وكل شيء حملته فقد وسقته والعرب تقول ما اوسقت
عيني الماء اي حملته وسقت الناقة تسق وسقا اي حملت واعلقت رحمها على الماء فهي ناقة
واسق ويوق وساق مثل تايم ونيام وصاحب وصحاب قال بشر بن ابي خازم الطعن
بعدوهن حتى تبتة الخيل من الوساق وواسق ايضا واوسقت البعير حملته
حمله واوسقت النخلة كثر حملها وقال بعضهم في الضحاك ومقاتل بن سليمان وحمل من
الظلمة قال مقاتل اوحمل من الكواكب القمر وقال الفرشي ومعنى حمل ضم وجمع والليل يحمل
بظلمته كل شيء فاذا حملها فقد وسقها ويكون هذا القسم قسما بجميع المخلوقات لاشتمال
الليل عليها لقوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقال ابن جبير وما وسق
اي وما عمل فيه يعني التهجد والاستغفار بالاسحار قال الشاعر *
* ويوما ترانا صالحين وتارة * تقوم مناكالواسق المتلبب *
اي كالعامل قوله تعالى والقمر اذا اتسق اي تم واجتمع واستوى قال الحسن
اتسق اي امتلأ واجتمع ابن عباس استوى قتادة استدار الفراء اتساقه امتلاؤه
واستواؤه ليالي البدر وهو افتعال من الوسق الذي هو الجمع يقال وسقته فاتسق
كما يقال وصلته فاتصل ويقال امر فلان متسق اي مجتمع على الصلاح منتظم ويقال
اتسق الشيء اذا تتابع لتركبن طبقا عن طبق قرأ عمرو بن مسعود وابن عباس وابو
العالية ومسروق وابو وائل ومجاهد والنخعي والشعبي وابن كثير وحمزة والكسائي
لتركبن بفتح التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم اي لتركبن يا محمد حالا بعد حال
قاله ابن عباس الشعبي لتركبن يا محمد سماء بعد سماء ودرجة بعد درجة ورتبة بعد
رتبة في القرب من الله تعالى ابن مسعود لتركبن السماء حالا بعد حال يعني حالاتها التي
وصفها الله بها من الانشقاق والطي وكونها مرة كالمهل ومرة كالدهان وعن ابن هبيرة
عن عبد الله طبقا عن طبق قال السماء تقلب حالا بعد حال من كونها نطفة ثم علقة ثم مضغة
ثم حيا وميتا وعنبا وقتيرا فالخطاب للانسان المذكور في قوله تعالى يا ايها الانسان
انك كادح وهو اسم للجنس ومعناه الناس وقرأ الباقون بضم الباء خطابا للناس
واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان المعنى بالناس اشبه به من النبي صلى الله عليه
وسلم لما ذكر قبل هذه الاية فمن اوتي كتابه بيمينه ومن اوتي كتابه بشماله اي لتركبن
حالا بعد حال من شدائد القيامة اولتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب والاخلاف على الانبياء قلت وكله مراد وقد جاءت بذلك احاديث فروى ابو نعيم
الحافظ من حديث محمد بن محمد عن علي عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول ان ابن ادم لفي غفلة مما خلقه الله عز وجل له ان الله لا اله الا هو اذا اراد خلقه قال للملك اكتب رزقه واثره واجله واكتب شقيا او سعيدا ثم
يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا اخر فيحفظه حتى يدركه ثم يبعث الله ملكين يكتبان
حسناته وسيئاته فاذا جاء الموت ارتفع ذلك الملك ثم جاء ملك الموت عليه السلام
فيقبض روحه فاذا ادخل حفرته رد الله الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت
ثم جاء ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة اعطي عليه ملك
الحسنات وملك السيئات فاستظل كتابا موقوفا في عنقه ثم حضر اجله واحد سابق
واخر شهيد ثم قال الله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق فما لهم
بعد حال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افقد امركم امر عظيم فاستجيبوا لله
العظيم فقد استمل هذا الحديث على احوال تلقى من حين خلق الى حين يبعث وكله
شدة بعد شدة وحياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء وفي كل حال من هذه شدائد وقال
صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر

ضب لدخلموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن حوجه البخاري فاما قول المفسرين فقال عكرمة حالا بعد حال فطما بعد رضيع وشيبا بعد شباب قال الشاعر

كذلك المرء ان يسالم اجله ... يركب طبق من بعده طبق

وعن مكحول كل عشرين عاما يجددون امورا لم يكونوا عليه وقال الحسن امرا بعد امر رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وغنى بعد فقر وفقر بعد غنى وصحة بعد سقم وسقم بعد صحة وسعيد بن جبير منزلة بعد منزلة قوم كانوا في الدنيا متصعفين فارتقوا في الاخرة وقوم كانوا في الدنيا مرتفعين فاتضعوا في الاخرة وقيل منزله عن منزلة وطبقا عن طبق وذلك ان من كان على صلاح دعاه الى صلاح فوقه ومن كان على فساد دعاه الى فساد فوقه لان كل شيء يجر الى شكله ابن زيد وليتصيرن من ضيق الدنيا الى ضيق الاخرة وقال ابن عباس الشديد والاهوال الموت ثم البعث ثم العرض والعرب تقول لمن وقع في امر شديد ووقع في بنات طبق واحدي بنات طبق ومنه قيل للداهية الشديد ام طبق واحدي كتاب طبق واصلها من الحيات اذ يقال للحية ام طبق لتطويها والطبق في اللغة الحال كما وصفنا قال الاقرع بن حابس التميمي

اني امرؤ قد حلبت الدهر اشطره ... وساقني طبق منه الى طبق

وهذا ادل دليل على حدث العالم واثبات الصانع قالت الحكماء من كان اليوم على حاله وغدا على حالة اخرى فليعلم ان تدبيره لغير سواه وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل على ان هذا العالم صانعا فقال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وفناء المنية وشيخ العزيمة ويقال انا ناطيق من الناس وطبق بن اجواد اي جماعة وقول العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم

تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق

اي قرن من الناس يكون طباق الارض اي ملؤها والطبق ايضا عظم رقيق يفصل بين القارين ويقال مضى طبق من الليل وطبق من النهار اي معظم منه والطبق واحد الاطباق فهو مشترك وقرئ لتركبن بكسر الباء على خطاب النفس ولتركبن بالياء على لتركبن الانسان وعن طبق بالنصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا الطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين للطبق او مجاوزا او مجاوزه على حسب الهواة قوله تعالى فما لهم لا يومنون يعني اي شيء يمنعهم من الايمان بعد ما وضحت لكم الايات والدلالات وهذا استفهام انكار وقيل تعجيب اي اعجبوا منهم في الايمان مع هذه الايات قوله تعالى واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون اي لا يصلون وفي الصحيح ان ابا هريرة اذا اذا السما انشقت فسجد فيها فلما انصرف اخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها وقد قال مالك انها لم تثبت من عزايم السجود لان المعنى لا يدعون ولا يطيعون في العمل بواجباته ابن العربي لما امرت بالناس تركت قراءتها لاني ان سجدت انكروا وان ركعتها يكون نقصا مني فاحتبتها الا اذا صليت وحدي وهذا تحقيق وعد الصادق بان يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا وقد قال صلى الله عليه وسلم لعايشة لولا حدثان قومك بالكفر لهدمت البيت ولردتها على قواعد ابراهيم ولقد كان شيخنا ابو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع منه وهو مذهب مالك والشافعي وتفعله الشيعة فحضر عندنا يوما في مجلس بن الشواب التغر موضع نذر ربيعي عند صلاة الظهر ودخل المسجد من المجلس المذكور فتقدم الى الصف واناني موجوة قاعدا في طاقات البحر انتهم الريح من شدة الحر ومعني في صف واحد ابو يمنه رييس البحر وقايده مع نفر من اصحابه ننتظر الصلاة ونتطلع على مراكب تحت المنار فلما رفع الشيخ يديه في الركوع وفي رفع الراس منه قال ابو يمنه الا ترون لي هذا المسني كيف دخل مسجدنا فقوموا اليه فاقتلوه وارموا به الى البحر فلا يواكم احد فطار قلبي من بين فوادي وقلت سبحان الله هذا الطرطوشي فعتيه الوقت فقالوا لي ولم يرفع يديه فقلت لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل وهو مذهب مالك في رواية اهل المدينة عنه وحجتهم واسكتهم حتى فرغ من صلاته وقمت معه الى المسكن من المجلس ورآني تغير وجهي فانكره وسالني عنه فاعلمته فضحك وقال ومن اين لي ان اقتل على سنة فقلت له ولا جعل هذا فانك بين قوم ان قمت بها قاموا عليك وربما ذهب دمك فقال دع هذا الكلام وجد في غيره قوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به وقاتل مقاتل نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا اربعة فاسلم اثنان منهم وقيل هو في جميع الكفار والله اعلم بما يوعون اي بما تضمرونه في انفسهم من التكذيب كذا روى الضحاك عن ابن عباس

وقال مجاهد

وقال مجاهد مكتوبون من اعمالهم ابن زيد يحصون من الاعمال الصالحة والسيئة ماخوذ من الوعاء الذي يجمع فيه يقال اوعيت الزاد والمتاع اذا جعلته في الوعاء قال الشاعر

• اكثر ابقي وان طال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد •

ووعاه اي حفظه يقال وعيت الحديث اعيه وعيا فانا واعيه وقد توقدم فبشرهم بعذاب اليم اي موجع في جهنم على تكذيبهم اي اجعل ذلك بمنزلة التبشير الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اي ادوا الفرائض المفروضة عليهم لهم اجر اي ثواب غير ممنون اي غير منقوص ولا مقطوع يقال منّت الحبل ان قطعته وقد تقدم وسأل نافع بن الازرق عن قوله لهم اجر غير ممنون فقال غير مقطوع فقال هل يعرف ذلك العرب قال نعم عرفه اخو سبيع حيث يقول

• فتري خلفهن من سرعة الوجع منسا كانه اهبا •

قال المبرد انما من الغبار لانها تقطعه وراها وكل ضعيف منيّ وممنون وقيل غير ممنون بامن عليهم به وذكر ناس من اهل العلم ان قوله الا الذين امنوا ليس وانما هو معنى الواو كانه قال والذين امنوا وقد مضى في البقرة القول فيه والحمد لله وحده

سورة البروج مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والسماء ذات البروج اقسم الله به جل وعز وفي البروج اقوال احدها ذات النجوم قاله الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك الثاني القصور قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد ايضا قال عكرمة هي قصور السما مجاهد البروج فيها الكرسي الثالث ذات الخلق الحسن قاله المنهال بن عمرو الرابع ذات المنازل قاله ابو عبيدة ويحيى بن سلام وهي اثنا عشر برجا وهي منازل الكواكب والشمس والقمر يسيران في كل برج منها يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوما ثم يستتر ليلتين ومسير الشمس في كل برج منها شهر وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدالي والحوت والبروج في كلام العرب القصور قال الله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة وقد تقدم قوله تعالى واليوم الموعود اي الموعود به وهو قسم اخر وهو يوم القيمة من غير اختلاف بين اهل التأويل قال ابن عباس وعدا هل السما واهل الارض ان يجمعوا فيه وشاهد ومشهود اختلف فيهما فقال علي وابن عباس وابن عمر وابو هريرة رضي الله عنهم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو قول الحسن ورواه ابو هريرة مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه ابو عيسى الترمذي في جامعه وقال هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث موسى بن عبيدة وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وغيره وقد روى شعبة وسفيان الثوري وغير واحد من الائمة عنه قال الفشيري يوم الجمعة يشهد على كل عامل بما عمل فيه فلذلك وكذلك سائر الايام وكل يوم شاهد وكذا كل ليلة وليلة ما رواه ابو نعيم الحافظ عن معاوية بن قرة عن معقل بن سنان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على العبد الا ينادي فيه يا ابن ادم انا خلق جديد وانا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت لم ترني ابدا ويقول الليل مثل ذلك غريب من حديث معاوية تفرد به عنه يزيد العمي ولا اعلمه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا بهذا الاسناد وحكى الفشيري عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى اسرائيل عن ابي اسحاق عن الحرث عن علي رضي الله عنه الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وقاله النخعي وعن علي ايضا المشهود يوم عرفة وقال ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهما المشهود يوم القيمة لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود قلت وعلى هذا اختلف اقوال العلما في الشاهد فقيل الله تعالى عن ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير بيانه وكفى بالله شهيدا قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وقل محمد صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا والحسين بن علي قرا ابن عباس فكيف اذا جينا من كل امة شهيد او جينا بك على هولا شهيدا وقرا الحسن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قلت وافرانا ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل الانبيا يشهدون على امهم لقوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة

استثنا منقطع كانه قال لكن الذين صدقوا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسوله وعملوا الصالحات صحص

بشهيد وقيل آدم وقيل عجيبي بن مريم لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود منه
وعن ابن عباس ايضا ومحمد بن كعب الشاهد الانسان دليله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاتل
اعضاؤه بيانه يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون الحسين بن الفضل
الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم بيانه وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم وقيل الليالي والايام وقد بيناه
قلت وقد يشهد المال على صاحبه والارض بما عمل عليها ففي صحيح مسلم عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن اعطى
منه المسكين واليتيم وابن السبيل وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي
يأخذه بغير حقه كالذي ياكل ولا يشبع ويكون عليهم شهيدا يوم القيمة وفي الترمذي عن
ابي هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها فانكم
تدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان يشهد على كل عبد وامة
بما عمل على ظهرها يقول عمل كذا وكذا كذا وكذا قال فهذه اخبارها قال حديث حسن صحيح
وقيل الشاهد الخلق شهد والله جل وعز بالوحدانية والمشهود له بالتوحيد هو الله
تعالى وقيل المشهود يوم الجمعة كما روي ابو الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكثروا علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وذكر الحديث خرجه ابن ماجه
وغيره قلت وعلى هذا يوم عرفة مشهود لان الملائكة يشهده وتنزل فيه الرحمة وكذا يوم
النحر ان شاء الله وقال ابو بكر العطار الشاهد الحجر الاسود يشهد لمن مسه بصدق واخلاص
ويقين والمشهود الحاج وقيل الشاهد الانبياء والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم بيانه واذ
اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله واخذتم على ذلكم اصري فهذا
قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود اي لعن قال ابن عباس كل شيء في القرآن
قتل فهو لعن وهذا جواب القسم في قول العرا واللام فيه مضمرة كقوله تعالى والشمس
وضحاها ثم قال قد افلح من زكاها اي لقد افلح وفيه تقديم وتاخير اي قتل اصحاب
الاخدود والسماء ذات البروج قاله بنو زريق حتى كاد يساوي المسجد يعني رتب لي
الرمة المطفف هو الذي يبخس في الكيل والوزن وما بوفي حسب ما بيناه
وروي عن القسم عن مالك انه قرا ويل للمطففين فقال لا تطفف ولا تعب ولكن ارسل
وصب عليه صبا حتى اذا استوى ارسل يده ولم يمسك وقال عبد الملك بن الماجشون
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسح الطعام وقال هي البركة في راسه قال
وبلغني ان كيل فرعون كان مسحا بالحديدة قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون قال الفرا اي من الناس يقال اكتلت منك اي استوفيت منك وتقول
اكتلت ما عليك اي اخذت ما عليك وقال الزجاج اي اذا اكتالوا من الناس استوفوا
عليهم من الكيل والمعنى الذين اذا استوفوا اخذوا الزيادة واذا اوفوا او وزنوا
لغيرهم نقصوا قاله ابو حاتم السجستاني ابن الانباري وهذا غلط منه لا يجوز لقائل
ان يقول والده قام زيد على معنى قام زيد والده وقال فوم
جواب القسم ان بطش ربك لشديد وهذا فتيح لان الكلام قد طال بينهما وقيل
ان الذين فتنوا وقيل جواب القسم محذوف اي والسماء ذات البروج لتبعثن وهذا
اختيار ابن الانباري والاخدود الشق العظيم المستطيل في الارض كالخندق
وجمعه اخاديد ومنه اخدا المجاري الدموع والمخدة لان الخد يوضع عليها وتنال
بخدود وجه الارض اذا صارت فيه اخاديد من جراح قال لحرقه
ووجه كان الشمس حلت رداها عليه لفي اللون لم يتخدد
النار ذات الوقود بفتح الواو وضمها العامة وهو الحطب وقرا قتادة وابو رجا
ونصر بن عاصم بضم الواو على المصدر اي ذات الاتقاد والالهاب وقيل ذات الوقود
بابدان الناس وقرا الشهب العقيلي وابو سماك العدوي وابن السميفع النار
ذات الوقود بالرفع فيهما اي احرقتهم النار ذات الوقود اذهم عليها قعود اي
الذين حفروا الاخاديد وقعدوا عليها يلقون فيها المومنين وكانوا يجبرون في
الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت الرواية في حمير بهذه
والمعنى متقارب في صحيح [illegible] ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان ملك فيمن كان قبلكم كان له ساحر فلما كبر قال للملك قد كبرت فابعث

مكرر

الى هنا

لي علما اعلمه

اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه فكان في طريقه اذا سلك راهب فقعد اليه و سمع
منه كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب فقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه
فشكى ذلك الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت
اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو لذلك اذ اتى على دابة عظيمة قد حبست الناس
فقال اليوم اعلم الساحر افضل ام الراهب فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان
امر هذا الراهب احب اليك من امر هذا الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس
فرماها فقتلها و مضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت
اليوم افضل مني وقد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل
علي وكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس سائر الادواء فسمع جليس
للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما هاهنا لك اجمع ان انت شفيتني قال
اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فان امنت بالله دعوت الله فشفاك فامن بالله
فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك
بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك فاخذ * فلم يزل يعذبه حتى
دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما يبرئ
الاكمه والابرص وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله فاخذه فلم يزل
يعذبه حتى دل على الراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعي بالمنشار فوضع
المنشار في مفرق راسه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس فقيل له ارجع عن دينك
فابى فوضع المنشار في مفرق راسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل
له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه قال اذهبوا به
الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه
والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا الجبل فقال اللهم اكفنيهم
بما شئت فرجف
بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له ما فعل اصحابك قال كفانيهم
الله فقال لنفر من اصحابه اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا
البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم
بما شئت فانكفأت بهم السفينة ففرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له ما فعل
اصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك
به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما
من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني به
فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد وصلبه على جذع ثم اخذ
سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب
الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس امنا برب
الغلام فاتى الملك فقيل له رايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد امن الناس
فامر بالاخدود في افواه السكك فخدت واضرم النار وقال من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها
او قل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امراة ومعها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام
يا امه اصبري فانك على الحق خرجه الترمذي بمعناه وفيه وكان على طريق الغلام راهب في
صومعته قال معمر احسب ان اصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين وفيه ان الدابة
التي حبست الناس كانت اسدا وان الغلام دفن قال فيذكر انه اخرج في زمن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وقال حديث حسن
غريب رواه الضحاك عن ابن عباس قال كان ملك بسجستان وفي رعيته رجل له بنو فبعث
اليه ساحرا يعلمهم السحر وكان طريق الفتى على راهب يقرا الانجيل وكان يعجبه ما يسمعه
من الراهب فدخل في دين الراهب فاقبل يوما فاذا حية عظيمة قطعت على الناس طريقهم
فاخذ حجرا فقال اللهم رب السموات والارض وما بينهما فقتلها وذكر نحو ما تقدم
وان الملك لما رماه بالسهم وقتله قال اهل مملكة الملك لا اله الا الله عبد الله
ابن تامر وكان اسم الغلام فغضب الملك وامر فخدت اخاديد وجمع فيها حطب ونار
وعرض اهل مملكته عليها فمن رجع عن التوحيد تركه ومن ثبت على دينه قذفه في
النار وجيء بامراة مرضع فقيل لها ارجعي عن دينك والا قذفناك وولدك قالت
فاستقت وهمت بالرجوع فقال لها الصبي المرضع يا امه امضي على ما انت عليه فانك

غميصة فالقوها وابتهم وروى ابو صالح عن ابن عباس ان النار ارتفعت من الاخدود
فصارت فوق الملك واصحابه اربعين ذراعا فاحرقتهم وقال الضحاك هم قوم من النصارى
كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة اخذهم يوسف بن
شراحيل بن سبع الحميري وكانوا ثيفا وثمانين رجلا وحفر لهم اخدودا وحرقتهم فيه
حكاه الماوردي وحكى الثعلبي عنه ان اصحاب الاخدود من بني اسرايل اخذوا رجالا
ونساء فحذوا لهم الاخاديد ثم اوقدوا فيها النار ثم اقيم المومنون عليها وقيل لهم يكفرون
او تقذفون في النار ويزعمون انه دائبال واصحابه وقال عطية العوفي وروى نحو
هذا عن ابن عباس وقال علي رضي الله عنه ان ملكا سكر فوقع على اخته ثم اراد ان يحمل
ذلك شيء على رعيته فلم يقبلوا فاستارت عليه ان يخطب بان الله عز وجل احل نكاح الاخوات
فلم يسلم منه فاستارت عليه ان يخدلهم الاخاديد ويلقي فيه كل من عصاه ففعل
قال وبقايا هم يكونون الاخوات وهم المجوس وكانوا اهل كتاب وروي عن علي ايضا
ان اصحاب الاخدود كان سبب ان نبيا بعثه الله الى الحبشة فاتبعه ناس فخد لهم قوم
اخدودا فمن اتبع النبي رمي فيها فجاءوا بامراة لها بني رضيع فجزعت فقال لها يا امه اصبري
ولا تجزعي وقال ايوب عن عكرمة قال قتل اصحاب الاخدود قال كانوا من قومك من السحيتان
قال الكلبي هم نصارى نجران اخذوا قوما مومنين فحفروا لهم سبعة اخاديد طول كل
اخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا ثم طرح فيها الحطب واحطب ثم عرض عليها
من ابى قذفوه فيها وقيل هم قوم من النصارى كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين وقال
مقاتل اصحاب الاخدود ثلاثة واحد بنجران والاخر بالشام والاخر بفارس اما الذي بالشام
فانطيانوس الرومي والذي بفارس بخت نصر والذي بارض العرب يوسف بن ذي
نواس فلم ينزل الله في الذي بفارس والشام قرانا في الذي كان بنجران وذلك ان
رجلين مسلمين احدهما مدنية والاخر بنجران اجر احدهما نفسه فجعل يعمل وقرا الانجيل
فرات ابنه المستاجر النور في قراءة الانجيل فاخبرت ابا ها فاسلم وتبعوا سبعة وثمانين
بين رجل وامراة بعد ما رفع عيسى فخد له يوسف بن ذي نواس ابن بيع الحميري اخدودا
واوقد فيه النار وعرضهم على الكفر فمن ابى ان يكفر قذفه في النار وقال من
رجع عن دين عيسى لم يقذف وان امراة معها ولدها صغير لم تتكلم فرحمت فقال لها
ابنها اماه الى اري اما مك نارا لا تطفى فقد فاجمعا انفسهما في النار فجعلها الله
وابنها في الجنة فقذف في يوم واحد سبعة وسبعين انسانا وقال ابن اسحق عن
وهب بن منبه كان رجل من لعاتا دين عيسى بن مريم عليهما السلام يقال له فيميون
وكان رجلا صالحا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا في القرى لا يعرف
بقرية الا مضى عنها وكان ينا يعمل الطين قال محمد بن كعب القرظي وكان اهل
نجران اهل شرك يعبدون الاصنام وكان في قرية من قراها قريبا من نجران
ساحر يعلم غلمان اهل نجران السحر فلما نزلها فيميون بنا بها خيمة بين نجران وبين
تلك القرية التي بها الساحر فجعل اهل نجران يبعثون غلمانهم الى ذلك الساحر
يعلمهم السحر فنبعث اليه الناشر عبد الله بن الناشر وكان من غلمان اهل نجران
وكان عبد الله اذا مر بصاحب الخيمة اعجبه ما يري من امر صلاته وعبادته فجعل
يجلس اليه ويسمع منه حتى اسلم فوحد الله وعبده وجعل يساله عن اسم الله الاعظم
وكان الراهب يعلمه فكتمه اياه وقال يا ابن اخي انك لن تحمله فاخشى ضعفك عنه
وكان ابوه الناشر لا يظن الا انه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما راى عبد
الله ان الراهب قد بخل عليه بتعليم الله الاعظم عمد الى قداح فجمعها ثم لم يبق لله تعالى
اسما يعلمه الا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى اذا احصاها اوقد لها نارا ثم جعل يقذفها
فيه قدحا قدحا حتى اذا مر بالاسم الاعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج
منها لم يضره شيء فاخذه ثم قام الى صاحبه فاخبره انه قد علم الاسم الاعظم الذي كتمه اياه
فقال وما هو قال كذا وكذا قال وكيف علمته فاخبره بما صنع فقال له يا ابن اخي
قد اصبته فامسك على نفسك وما اظن ان تفعل فجعل عبد الله بن الناشر اذا دخل
نجران لم يبق احد به ضر الا قال يا عبد الله وتدخل في دين فادعوا الله لك ان
شفيك فما اتت عليه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعوا الله له فيشفى
حتى اذا لم يبق احد بنجران به من الاتاه فاتبعه على دينه ودعا له فعوفي حتى رفع شانه

الى حكيم

الى ملكهم فدعاه فقال له اشدد على اهل قريتي وخالف دينهم ودين اباي فلا مثلن بك
قال لا تقدر على ذلك فجعل يوسل به الى الجبل الطويل فنطرح ممن راسه فيقع على الارض ليس
به باس وجعل يبعث به الى مياه نجران لا ملقى فيها بتي الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به
باس فلما غلبه قال له عبد الله ابن التامر والله لا تقدر على قتلي على توحيد الله وتؤمن
بما امنت به فانك ان فعلت ذلك سلطت على وقتلتني فوحد الله ذلك الملك وشهد
شهادته ثم ضربه بعصي فشجه شجة صغيرة تبعني لست بكثيرة فقتله وهلك الملك
مكانه واستجمع اهل نجران على دين عبد الله بن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن
مريم من الانجيل وحكمه ثم اصابهم ما اصاب اهل دينهم من الاحداث ممن ذلك
فان اصل النصرانية بنجران فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير يدعوهم
الى اليهودية وخيرهم بين ذلك او القتل فاختاروا القتل فخد لهم الاخدود فحرق
بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم عشرين الفا وقال وهب ابن منبه
اثني عشر الفا وقال الكلبي كان الاخدود تسعين الفا قال وهب لما غلب ارياط
على اليمن خرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق ابن اسحق وذو نواس
هذا اسمه زرعة بن تبان اسعد الحميري وكان ايضا يسمى يوسف وكان له عدا
برمن شعر نؤوس اي تضطرب فسمي ذا نواس وكان قتل هذا يا هل نجران قاول
منهم رجل اسمه دوس ذو ثعلبان فساق الحبشة ليستنصروهم فملكوا اليمن وهلك
ذو نواس في البحر الذي نفسه فيه وفيه يقول عمر بن سعدة كرب ؎

؎ انوعدني كانك ذو رعين ... باتم عيشة او ذو نواس ؎
؎ وكاين كان قبلك من نعيم ... وملك ثابت في الناس راس ؎
؎ قديم عهده من عهد عاد عظيم ... فاقهرا لجبروت قاس ؎
؎ ازال الدهر ملكهم فاضحي ... يفضل من تاسس في اناس ؎

وذو رعين ملك من ملوك حمير ورعين حصن له وهو من ولد الحرث بن عمرو
ابن حمير بن اسامه قال علماؤنا اعلم الله عز وجل المومنين من هذه الامة
ما لقي هذه الامة ما كان تثبيتا لقلوبهم من الشدايد يوسيهم بذلك ويذكرهم النبي
صلى الله عليه وسلم قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من الاذى والالام والمشقات
التي كانوا عليها ليتاسوا بمثل هذا الغلام في صبره وصلبه في الحق وتشكله فيه
وبذله نفسه في حق اظهار دعوته ودخول الناس الدين مع صغر سنه وعظم صبره
وكذلك الراهب صبر على الحق على نشر على المنشار وكذلك كثير ممن
الناس لما امنوا بالله تعالى ورسخ الايمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار
ولم يرجعوا عن دينهم ابن العربي وهذا منسوخ عند ما حسب ما تقدم في
سورة النحل قلت ليس بمنسوخ وان الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب
دينه اولي قال الله تعالى مخبرا عن لقمان يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف
وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وروي ابو سعيد
الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان
جائر خرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وروي بسحر محمد بن سحر
عن امية مولاة النبي صلى الله عليه وسلم قالت كنت اوضي النبي صلى الله عليه
وسلم فاتاه رجل فقال اوصني فقال لا تشرك بالله شيا وان قطعت او حرقت
بالنار الحديث قال علماؤنا وقد امتحن كثير من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بالقتل والصلب والتعذيب الشديد فلم يلتفتوا الى شيء من ذلك ويكفيك
قصة عاصم وخبيب واصحابهما وما لقوا من اكريا من المحن والقتل والاسر
والحرق وغير ذلك وقد مضى في النحل ان ممن قوي في ذلك فتامل هناك
قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود دعا على هؤلاء الكفار بالبعاد من رحمة
الله تعالى وقيل معناه الاخبار عن قتل اولئك المومنين اي انهم قتلوا بالنار
فصبروا وقيل هو اخبار عن اولئك الظالمين فانه روي ان الله قبض ارواح الذين
القوا في الاخدود قبل ان يصلوا الى النار وخرجت النار من الاخدود فاحرقت
الذين هم عليها قعود وقيل ان المومنين نجوا واحرقت النار الذين فعلوا
ذكره النحاس ومعني عليها اي عند ها وعلى بمعني عند وقيل عليها بمعنى ما يدنوا منها

من حافات الاخدود كما قال

وبات على النار الندي والمحلق

والعامل في اذ قيل اي لعنوا في ذلك الوقت وهم على ما يفعلون بالمومنين شهود اي حضور يعني الكفار كانوا تحضرون الكفر على المومنين فمن ابا القوه في النار وفي ذلك وصفهم بالقسوة ثم باكد في ذلك وقيل على عمد مني مع اي وهم مع ما يفعلون بالمومنين شهود قوله تعالى وما نقموا منهم وقرا ابو حياه وما نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وقد مضى في براءة القول فيه اي ما نقم الملك واصحابه من الذين حرقتهم الا ان يومنوا اي الا ان صدقوا بالله العظيم الغالب المنيع الحميد اي المحمود في كل حال الذي له ملك السموات والارض لا شريك له فيهما ولا ند والله على كل شي شهيد اي عالم باعمال خلقه لا يخفى خافية قوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات اي حرقهم بالنار والعرب تقول فتن فلان الدرهم ولدينار اذا ادخله الكور لينظر جودته ودينار مفتون وبسمي الصانع الفتان وكذلك الشيطان وورق فتين اي فضة محرقة ويقال للحمرة فتين اي كانما احرقت حجارتها بالنار وذلك لسوادها ثم لم يتوبوا اي من قبيح صنيعهم مع ما اظهروا لهم الملك الجبار الظالم وقومه من الايات البينات على يدي الغلام فلهم عذاب جهنم لكفرهم ولهم عذاب الحريق اي في الدنيا باحراقهم المومنين بالنار وقد تقدم عن ابن عباس وقتادة ولهم عذاب اي ولهم في الاخرة عذاب زايد على عذاب كفرهم بما احرقوا المومنين وقيل لهم عذاب اليم وعذاب حريق واحريق اسم من اسماء جهنم كالسعير والنار ذكان وانواع ولها اسما وكانوا يعذبون بالزمهرير في جهنم ثم يعذبون بعذاب الحريق فالاول لعذاب يبردها والثاني لعذاب يحرقها ان الذين امنوا اي هولاء الذين كانوا امنوا بالله اي صدقوا به وبرسله وعملوا الصالحات لهم جنات اي بساتين تجري من تحتها الانهار من ماء غير اسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ذلك الفوز الكبير اي العظيم الذي لا فوز يشبهه قوله تعالى ان بطش ربك لشديد اي اخذه الجبابرة والظلمة كقوله جل ثناوه وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد وقد تقدم قال المبرد ان بطش ربك جواب القسم والسماء ذات البروج ان بطش ربك وما بينهما معترض مولد للقسم وكذلك قال الترمذي الحكيم ان القسم واقع على ذكر صفته بالشدة انه هو يبدي ويعيد يعني الخلق عند الكثر العلماء الحكيم الشديد يبدهم عند البعث وروي عكرمة قال عجب الكفار من احياء الله جل ثناوه الاموات وقال ابن عباس يبديه لهم عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيدهم عليهم في الاخرة وهذا اختيار الطبري وهو الغفور الستور لذنوب عباده المومنين بعفوه وهو الودود اي المحب لاوليايه فروى الضحاك عن ابن عباس قال كما يود احدكم اخاه بالبشر والمحبة وعنه ايضا الودود اي المتودد لاوليايه بالمغفرة وقال مجاهد الودود لاوليايه تقول عمني فاعل وقال ابن الزبير الرحيم وحكى المبرد عن اسماعيل ابن اسحاق القاضي انه الودود هو الذي لا ولد له واشد قول الشاعر

وراكب في الروع عريانه ذلول اجناح لقاها ودود

اي لا ولد له يحن اليه ويكون معنى الاية انه يغفر لعباده وليس لهم ولد يغفر لهم من اجله ليكون بالمغفرة متفضلا من غير جزا وقيل الودود بمعنى المودود كركوب وحلوب اي لوده عباده الصالحين ويحبونه ذو العرش المجيد لشديد ولم يمتنع الفصل لانه جار مجرى الصفة في التشديد الباقون بالرفع نعتا لذو وهو الله تعالى واختاره ابو عبيد وابو حاتم لان المجد الغاية في الكرم والفضل والله سبحانه هو الموصوف بذلك وان كان قد وصف عرشه بالكرم في اخر المومنين يقول العرب في كل سحر ثار واسحما كمرح والغفار اي يا مي فيه حتى لعس منهما ومعنى ذو العرش المجيد اي ذو الملك والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه وان لم يكن سرير ويقال نقل عرشه اي ذهب سلطانه وقد مضى بيان ذلك هذا في الاعراف وخاصه في كتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى فعال لما يريد اي لا

يمتنع عليه شيء يريده الزمخشري قال ابتدأ محذوف وانما قيل فعال لانه يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال الفراء فعال وهو نكرة محضة على وجه لا يتبع الاعراب الى المعرفة الودود من اسمائه في المسفر قال دخل ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا الا ندعو لك طبيبا قال قد رآني قال فما قال لك قال اني فعال لما اريد قوله تعالى والله من ورائهم محيط اي يقدر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون والمحاط به كالمحصور وقيل اي والله عالم بهم فهو يجازيهم بل هو قرآن مجيد اي متناه في الشرف والكرم والبركة هو بيان ما بالناس الحاجة اليه من احكام الدين والدنيا كما زعم المشركون وقيل مجيد اي غير مخلوق في لوح محفوظ اي مكتوب في لوح وهو محفوظ عند الله من وصول الشيطان اليه هل اتاك حديث الجنود اي قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لانبيائهم توسيه بذلك وتسليه ثم بينهم فقال فرعون وثمود وهما في موضع جر على البدل من الجنود والمعنى انك قد عرفت ما فعل الله بهم حتى كذبوا انبياءه ورسله بل الذين كفروا في تكذيب لكن كذاب من قبلهم وانما خص فرعون وثمود لان ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وامر فرعون كان مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين في الضلال فدلهما على امثالهما والله اعلم قوله تعالى والله من ورائهم محيط اي قادر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون والمحاط به كالمحصور وقيل الله عالم بهم فهو يجازيهم بل هو قرآن مجيد اي متناه في الشرف والكرم والبركة هو بيان ما بالناس الحاجة اليه من احكام الدين والدنيا كما زعم المشركون وقيل مجيد اي غير مخلوق في لوح محفوظ اي مكتوب في لوح وهو محفوظ عند الله من وصول الشيطان اليه وقيل هو ام الكتاب ومنه انسخ القرآن والكتب وروي الضحاك عن ابن عباس قال اللوح من ياقوتة حمراء اعلاه معقود بالعرش واسفله في صخرة ملك يقال له ماطرون كما بين السماء الى الارض ونور اللوح من نور القلم ونور ينظر الله عز وجل كل يوم ثلثمائة وستين نظرة ليس منها نظرة الا وهو يفعل ما يشاء يرفع وضيعا ويغني فقيرا ويفقر غنيا يحيي ويميت ويفعل ما يشاء لا اله الا هو وقال انس بن مالك ومجاهد ان اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى في جبهة اسرافيل وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقيل اللوح المحفوظ الذي هو صدر المؤمن واكحلقه وبيان امورهم وذكر اجالهم وارزاقهم واعمالهم والاقضية النافذة فيهم وما لدعوات اخرهم وهو ام الكتاب وقال ابن عباس اول شيء كتبه الله تعالى في اللوح المحفوظ اني انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ الها سواي وكتب الحجاج الى محمد بن الحنفية رضي الله عنه يتوعده فكتب له ابن الحنفية يعني ان الله في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة في اللوح المحفوظ يعز من يشاء ويذل ويبتلي ويعافي ويفعل ما يشاء فلعل نظرة منها يبتليك بنقمة فتسفل ولا تسرع وقال بعض المفسرين اللوح سمي يلوح للملائكة فيقرونه وقرأ ابن السميفع وابو حياة قرآن مجيد على الاضافة اي قرآن رب مجيد وقرأ نافع في لوح محفوظ بالرفع نعتا للقرآن اي بل هو قرآن مجيد محفوظ في لوح الباقون بالجر نعتا للوح والقراء متفقون على فتح اللام من لوح الا ما روي عن يحيى بن يعمر فانه قرأ في لوح بضم اللام اي انه يلوح وهو ذو نور وعلو وشرف الزمخشري واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح وفي الصحاح لاح الشيء يلوح لوحا اي لمع ولاح الرجل وغيره ولاح لوحا لواحا عطش والماح مثله واللوح الكتف وكل عظم عريض واللوح الذي يكتب فيه واللوح بالضم الهواء بين السماء والارض

سورة الطارق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تعالى والسماء والطارق فسبحان السماء قسم والطارق قسم والطارق النجم وقد بينه الله تعالى بقوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب واختلف فيه فقيل هو كل الكوكب الذي في السماء السابعة ذكره محمد بن الحسن في تفسيره وذكر له اخبارا والله اعلم بصحتها وقال ابن زيد انما الثريا وعنه ايضا الله عز وجل وقاله قتادة وابن عباس هو عندي وعنه ايضا ومن علي رضي الله عنهما والقراء النجم الثاقب نجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا اخرب النجوم امسكن من السماء هبط وكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء

السابقة لامن سكن غيره وهو حل فهو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وحكى الفراء ثقب الطائر
اذا ارتفع وعلا وروي ابو صالح عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا مع ابي طالب فخطا
خطا فاضلا منها لنعومتي نورا فتفزع ابو طالب وقال اي شئ تخم وهي به وهوا به من ايات الله ففي ابو طالب
ونزل ولسما والطلوق وروي عن ابن عباس ايضا والسما والطارق وما يطرق فيه وعن ابن عباس
وعلا الثاقب الذي يرمي به الشيطان قتادة هو عام في سايرا لنجوم كان طلوعها بليل وكل من
اتاك ليلا فهو طارق قال

* بعثه ومثلك ضلي قد طرقته ومرضع * فالهيتها عن ذي تمايم محول *

وقال ايضا الم بريابي فلما جيئ طارقا * وجئت طبيبا وان لم تطيب *

فالطارق النجم اسم جنس سمي به يطرق بالليل ومنه الحديث نهي النبي صلى الله عليه وسلم ان يطرق
المسافر اهله ليلا اي تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة والعرب تسمي كل قاصد في الليل طارقا
يقال طرق فلان طروقا اذا جا بليل وقد طرق يطرق طروقا فهو طارق وابن الرومي

* يا راقد الليل مسرورا باوله * ان الحوادث قد يطرقن اسحارا *
* لا تفرحن بليل طاب اوله * فرب آخر ليل آجج النارا *

وفي الصحاح والطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح ومنه قول هند

* نحن بنات طارق نمشي على النمارق * اي ان ابانا في الشرف كالنجم المضي *

الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في
الوصول الى الدق وقال قوم انه قد يكون نهارا والعرب تقول اتنك اليوم فتنى اي مرسى
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير
يا رحمن وقال جرير في الطروق

* طرقتك صايدة القلوب وليس ذا * حين الزيارة فارجعي بسلام *

ثم بين فقال وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والثاقب المضي ومنه شهاب ثاقب
يقال ثقب يثقب لغتان وثقا به اذا اضا و ثقوب به ضوؤه والعرب تقول اثقب نارك
اي اضئها قال اذاع به الناس حتى كانه * بعلياء نارا واقدت بثقوب *

وقال مجاهد الثاقب المتوهج السموي والمعظم على ان الطارق والثاقب اسم جنس
اريد به العموم كما ذكرنا عن مجاهد وما ادراك ما الطارق تفخيما لشان هذا المقسم به
وقال سفيان كل ما في القرآن وما ادراك فقد اخبره وكل شي قال فيه وما يدريك
لم يخبره به قوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ قال قتادة حفظه يحفظون
عليك رزقك واجلك وعنه ايضا قال قرينه يحفظ عليه عمله من خير او شر وهذا هو
جواب القسم وقيل الجواب انه على رجعه لقادر في قول الترمذي محمد بن علي وان
مخففة من الثقيلة وما هو كذة اي ان كل نفس لعليها حافظا وقيل المعنى ان كل
نفس الا عليها حافظ يحفظها من الافات حتى يسلمها لما المقادير وقاله الكلبي وقال
ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن ماية وستون ملكا يذبون
عنه ما لم يقدر عليه من ذلك البصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قطعة
العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة لاختطفته الشياطين وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم اي ما كل نفس الا عليها حافظا وهي لغة هزيل يقول
قائلهم نشدتك لما قمت الينا قوله بالتخفيف على انها زايدة هو كذة كما ذكرنا ونظير
هذه الاية قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله
على ما تقدم وقيل الحافظ هو اسم الله سبحانه فلولا حفظه لها لم تبق وقيل الحافظ
عليه عقله يرشده الى مصالحه ويكفه عن مضاره قلت العقل وغيره وسايط والحافظ
بالحقيقة هو الله عز وجل قال الله عز وجل فالله خير حافظا وقال قل من يكلوكم
بالليل والنهار من الرحمن وما كان مثله قوله تعالى فلينظر الانسان اي ابن ادم مم خلق
ووجه الاتصال بما قبله توصية الانسان بالنظر في اول امره وشبيته الاولى حتى يعلم ان من انشاه
قادر على اعادته وجزايه فيعمل ليوم الاعادة ويجتزا ويحملي حافظا لما يسره في عاقبة امره
ومم خلق استفهام اي من اي شي خلق ثم قال خلق وهو جواب الاستفهام من ماء دافق اي من المني والدافق
صب الماء دفقت الماء دفقه اي من المني والدفق صب الماء دفقت الماء دفقه دفقا صببت فهو ماء دافق
اي مدفوق كما قالوا سر كاتم اي مكتوم لانه من قولك دفق الماء اي هاله صب فاعله ويقال دفق الماء يدفق

الله روحه اذا دعي عليه بالموت قال الفراء والاخفش مادا فق اي مصبوب في الرحم الزجاج من ماد يمادي اذا فاق
يقال دارع وفارس وتايل اي دو فرس ودرع ونبل وهذا مذهب سيبويه قال دافق هو الممتدفق
شدة قوة واراد ان ماء الرجل وماء المراة لا ان الانسان مخلوق منهما لكن خلقهما ماء واحدا امتزاجهما
وعن عكرمة عن ابن عباس دافق لزوج يخرج اي هذا الماء من بين الصلب اي الظهر وفيه لغات اربع صلب
وصُلُب وقرئ بهما وصلَب بفتح اللام وصالب على وزن قالب ومنه قول العباس
يغلب من صالب الى رحم موالترايب اي الصدور الواحدة تربيب وهي موضع
القلادة من الصدر قال ممتفعة بيضا غير مغاضة ترايبها مسعوله كالسجنجل والصلب
من الرجل والترايب من المراة قال ابن عباس الترايب موضع القلادة وعنه ما بين ثديها
وقاله عكرمة وروي عنه يعني ترايب المراة اليدين والرجلين والعينين وبه قال
الضحاك وقال سعيد بن جبير هو الجيد مجاهد ما بين المنكبين والصدر وعنه الصدر وعنه
الترائي وعن ابن جبير عن ابن عباس ان الترايب اربعة اضلاع من يمنه الصدر واربعة
اضلاع من يسرة الصدر وقال معمر بن ابي حبيبة المدني الترايب عصارة القلب ومنه يكون
الولد والمشهور من كلام العرب انها عظام الصدر والنحر قال د ونذير الضمة فان تذيروا ثلاثيكم
وان تقبلوا تاخذكم في الترايب وقال اخر وبدت كان ترايب كرها حجرا الغساني ساعد
يتوقد وقال اخر والزعفران على ترايبها شرق به اللبان والنحر وعن عكرمة الترايب
الصدور وانشد نظام در على ترايبها وقال ذو الرمة صرحن به وداعن ترايب حر
اي شفقن ويروي صرحن بالحاء اي العين وفي الصحاح والتربيبة واحد الترايب وهي
عظام الصدر ما بين الترقوة والسدوه قال الشاعر
اشرف بدا بها على التربيب وقال العمري ومن ذهب سن على ترئب
كلون العاج ليس بدي عصوت عن غير الجوهري وفي التفسير خلق من
ماء الرجل الذي يخرج من صلبه العظم والعصب ومن ماء المراة الذي من ترايبها اللحم
والدم وقاله الاعمش وقد تقدم مرفوعا في اول سورة ال عمران والحمد لله وفي الحديث
انا خلقناكم من ذكر وانثى وقد تقدم وقيل ان ماء الرجل يخرج من الدماغ ثم يجتمع
في الاثنين وهذا يعارض قوله من بين الصلب انه ان يترك من الدماغ قائما ممر
بين الصلب والترايب وقال قتادة المعنى ويخرج من صلب الرجل وترايب المراة وحكى
الفراء ان مثل هذا ياتي عن العرب يكون معنى من بين الصلب من الصلب وقال الحسن المعنى
يخرج من صلب الرجل وترايب الرجل ومن صلب المراة وترايب المراة ثم انا نعلم ان
النطفة من جميع اجزاء البدن ولذلك تشبه الرجل والده كبعضا وهذه الحكمة في غسل جميع
الجسد من خروج المني وايضا المكثر من ايلاج يجد وجعا في ظهره وصلبه وليس كذلك
الحلو صلبه مما كان محتنسا من الما وروي اسمعيل بن ابي مكة يخرج من بين الصلب بضم
اللام وروت عن عيسى الثقفي حكاه المهدوي وقال ومن جعل المني يخرج من بين صلب
الرجل وترايبه فالضمير في يخرج للما ومن جعل من صلب الرجل وترايب المراة فالضمير للانسان
وفي الصلب بفتح الصاد واللام انه اي ان الله جل ثناؤه على رجعه اي رد الما في الاحليل لقادر
كذا قال الضحاك ومجاهد وعندي ان المعنى انه على رد الما في الصلب وقاله عكرمة عن الضحاك
ايضا ان المعنى انه على رد الانسان ما كان الى الشباب ومن الشباب الى الكبر وكذا في المهدوي
والماوردي والثعلبي الى الصبا الى النطفة وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الما حتى لا يخرج لقادر
وقتادة والحسن وعكرمة ايضا انه على رد الانسان بعد الموت لقادر وهو اختيار الطبري الثعلبي
وهو الاقوى لقوله تعالى يوم تبلى السرائر الماوردي ويحتمل انه على ان يعيده الى الدنيا بعد فنائه في الاخرة
لان الكفار يسالون الله تعالى فيها الرجوع قوله تعالى يوم تبلى السرائر فيه مسئلتان الاولى قوله على
يوم العامل في يوم في قولين جعلها المعنى انه على بعث الانسان قوله لقادر ولا يعمل فيه رجعه لما فيه من الفرقة
بين الصلة والموصول بخبران وعلى الاقوال الاخر التي في انه على رجعه لقادر يكون العامل في يوم فعل مضمر ولا يعمل
فيه لقادر ان المراد في الدنيا وتبلى ان يمتحن وتختبر قال ابو العول الطهري وتبلى سالهم وانهم صلوا
باكر بحسنا بعد حين ويروي تبلى سالتهم فمن رواه تبلى بالهمز ابا حيله من الاختبار ويكون السائل على هذه
الرواية الكرامة كانه قال لا يعرف لهم فيها كراهة وتبلى بترك قال الزاجر قد كنت تبلى اليوم تردني فاليوم
ابلوله وتبلتني اي اعرقك وتقرحني ومن رواه تبلى بفتح التا فالمعنى انهم لا يضعفون عن الحرب وان تكرر
على الانسان شدتها واصعفته وقيل تبلى السرائر اي تخرج محاسنها وتظهر كل ما اسر به الانسان من خير او شر
واضمره من ايمان او كفر كما قال الا معصومه سبلي لكم من مضمر القلب والحشا سريره ويوم تبلى السرائر الثانية

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايمن الله تعالى خلقه على اربع على الصلاة والزكاة والصيام والعسل وهو السرابر التي يعتبرها الله تعالى عز وجل يوم القيمة ذكره المهدوي وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من حافظ عليهن فهو ولي الله حقا ومن اجلهن فهو عدو الله حقا الصلاة والصوم والغسل من الجنابة ذكره الثعلبي وذكر الماوردي عن يزيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامانة ثلاثة الصلاة والصوم والجنابة استأمن الله عز وجل ابن ادم على الصلاة فان شاء صلى وان لم يصل أستأمن الله ابن ادم على الصوم فان شاء صام وان لم يصم استأمن الله ابن ادم على الجنابة فان شاء اغتسل ولم يغتسل اقروا ان شيم يوم يبلى السرابر وذكره الثعلبي عن عطاء قوله وقال مالك في روايته اسئل عنه وسألته عن قوله يوم تبلى السرابر اتراه من الوضوء من السرابر قال أو قد بلغني ذلك فيما يقول الناس فاما حديث احدث به قلا والصلاة في السرابر والصيام من السرابر ان شاء قال صلى ولم يصل ومن السرابر ما في القلوب يجزي الله به العباد قال ابن العربي قال ابن مسعود ليقفن للسؤال الامانة والوضوء من الامانة والصلاة والزكاة من الامانة والوديعة واشد ذلك الوديعة مثل على هيئتها يوم اخذها فيرمي بها في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها فيجعلها في عنقه فاذا رجا ان يخرج لا زالت فيتبعها فهو لذلك دهرا ابدا هرين وقال ابي بن كعب من الامانة ان ايمنت المرأة على فرجها قال استهب قال لي سفيان في الحيض والحمل ان قالت لم احض وانا حامل صدقت مالم يأت عالم يعرف فيه انها كاذبة وفي الحديث غسل الجنابة من الامانة وقال ابن عمر يبدي الله يوم القيمة كل سر خبي فيكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه والله عالم بكل شيء ولكن يظهر علامات الملائكة والمؤمنين فو لم تعالى فما له اي للانسان من قوة اي منعه بمنعه ولا ناصر يفقره مما نزل به وعن عكرمة فما له من قوة ولا ناصر قال هو لا الملوك فما لهم يوم القيمة من قوة ولا ناصر وقال سفيان القوة العشيرة والناصر الحليف وقيل فما له من قوة في بدنه ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله وهو معنى قول قتادة قوله تعالى والسماء ذات الرجع اي ذات المطر يرجع كل سنة بمطر بعد مطر كذا قال عامة المفسرين وقال اهل اللغة الرجع المطر واتشد والممتحل نصف سفا شبهة بالمحل ابيض كالرجع رسوت اذا ما باح في محفل محلي قال الخليل الرجع المطر نفسه والرجع ايضا نبات الربيع وقيل ذات الرجع اي ذات النفع وقد سمي المطر ايضا اوبا كما سمي رجعا قال زياد سماء اوبي لعلنا الا السحاب والاوب والسبل وقال عبد الرحمن بن زيد الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السماء تطلع من ناحية وتغيب في اخرى وقيل ذات الملائكة لرجوعهم اليها باعمال العباد وهذا قسم والارض ذات الصدع قسم اخر اي تصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار وغيره ثم شققنا الارض شقا الاية والصدع بمعنى الشق لانه يصدع الارض فيصدع به وكانه قال والارض ذات النبات لان النبات صادع للارض وقال مجاهد والارض ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه يصدع وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور انه لقول فصل على هذا وقع القسم اي ان القرآن يفصل بين الحق والباطل وقد تقدم في مقدمة الكتاب ما رواه الحرث عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتاب الله فيه خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وقيل المراد بالقول الفصل ما تقدم من الوعيد في هذه السورة لقوله تعالى انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرابر وما هو بالهزل اي ليس القرآن بالباطل واللعب والهزل ضد الجد وقد هزل يهزل قال الكميت محدثا في كل يوم وبهزل انعم اي ان اعداء الله يكيدون كيدا اي يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا واكيد كيدا اي اجازيهم جزاء كيدهم وقيل هو ما اوقع الله بهم يوم بدر من القتل والاسر وقيل كيد الله استدراجهم من حيث لا يعلمون وقد مضى هذا المعنى في اول البقرة عند قوله تعالى الله يستهزئ بهم ستوفي فمهل الكافرين اي اخرهم ولا تسأل الله تعجيل اهلاكهم وارض بما قدره من امورهم ثم سمخت بآية السيف اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم امهلهم تاكيد ومهل وامهل بمعنى مهل نزلوا وانزل وامهله انظره ومهله تمهيلا والاسم المهلة والاستمهال والتمهل في امره اي اباد والتمهلا اي اعدد وانتصب والامهالا ايضا سكون وفتور ويقال مهلا يا فلان اي رفقا وسكونا رويدا اي قريبا عن ابن عباس قتادة قليلا والتقدير امهلهم امهالا قليلا والرويد في كلام العرب تصغير رود وكذا قال ابو عبيد وانشد

كانها منتل من يمشي على رود

اي على مهل وتصغير رويدا امهلا وتصغير رويدك امهل ان الكاف تدخل اذا كان بمعنى افعل دون غيره وانما حركت الذال لالتقاء الساكنين ونصب نصب المصادر وهو مصغر مامور لانه تصغير الترخيم من ارواد وهو مصدر اراد يريد ولذا اربعة اوجه اسم للفعل وصفته وحال ومصدر فالاسم نحو قولك رويد عمرا اي اراد عمرا يعني امهله والصفة نحو قولك سار رويدا اسيرا رويدا والحال نحو قولك سار القوم رويدا لما اتصل بالمعرفة صار حالا لها والمصدر نحو قولك رويد عمرو بالاضافة لقوله تعالى فضرب الرقاب قال الجوهري والذي في الابنية من هذه الوجوه ان يكون نعتا للمصدر اي امهالا رويدا ويجوز ان يكون للحال امهلهم غير مستعجل سورة الاعلى مكية في قول الجميع وقال الضحاك مدنية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم .قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى سبحان الذي اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى ان يقول عقيبه سبحان ربي الاعلى قاله النبي صلى الله عليه وسلم وقاله جماعة من الصحابة والتابعين لما بابي ورويا حميد بن محمد عن ابيه عن جده قال ان الله تعالى ملكا يقال له قابيل له ثمانية عشر الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمس مائة عام فخطر له خاطر هل يقدر ان يبصر العرش جميعه فزاده الله اجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون الف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمس مائة عام ثم اوحى الله تعالى اليه ايها الملك طر فطار مقدار عشرين الف سنة فلم يبلغ راس قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله له في الاجنحة وامره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف سنة اخرى فلم يصل ايضا فاوحى الله اليه ايها الملك لو طرت الى منتهى الصور مع اجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق عرشي فانزل الله تعالى سبحان فقال الملك سبحان ربي الاعلى فانزل الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم ذكره الثعلبي في كتاب العرائس له وقال ابن عباس والسدي معنى سبح اسم ربك الاعلى اي عظم ربك الاعلى فالاسم صلة تقدمها تعظيم المسمى كما قال لبيد

الى الحول ثم السلام عليكم ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وعما يقوله الملحدون وذكر الطبري ان المعنى نزه اسم ربك علي ان يسمى به احد سواه ونزه تسمية ربك وذكرا ياه ان تذكره الا وانت خاشع معظم وتذكره متحترم وجعلوا الاسم بمعنى التسمية والاولى ان يكون الاسم هو المسمى روى نافع عن ابن عمر لا تقولوا علا اسم الله قان اسم الله هو الاعلى وروى صالح عن ابن عباس صل باسم ربك وروى عن علي رضي الله عنه وابي عباس وابن عمر وابن الزبير وابي موسى وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم انهم كانوا اذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا سبحان ربي الاعلى امتثالا لامره في ابتدائها فتحتارا لاقتدا بهم في قراءتهم الان سبحان ربي الاعلى وكان ابن عمر يقرؤها كذلك وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى قال ابو بكر الانباري حدثني محمد بن شهرمار قال حدثنا حسين بن الاسود قال حدثنا عبد الرحمن بن ابي حماد قال حدثنا علي بن عمر عن ابيه قال قرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه سبح اسم ربك الاعلى ثم قال سبحان ربي الاعلى فلما انقضت الصلاة قيل له يا امير المؤمنين انزل هذا في القرآن قال ما هو قالوا سبحان ربي الاعلى قال لا انما امرنا بشيء فقلناه وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم وهذا كله يدله على ان الاسم هو المسمى لانهم لم يقولوا سبحان اسم ربي وقيل ان اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل عليه السلام وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل يا جبريل اخبرني بثواب من قال سبحان ربي الاعلى في صلاته او في غير صلاته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له مسيرة الف عام من الجنان والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا فوق كل شيء وليس فوقي اشهدوا يا ملائكتي اني قد غفرت له وادخلته الجنة فاذا كان راكبا ناره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فاوقفه بين يدي الله تعالى فيقول يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فاذهب به الى الجنة وقال الحسن سبح اسم ربك الاعلى اي صل لربك الاعلى وقيل اي صل له يا اسما لله لا كما تصيل المشركون باللات والعزى وقيل ارفع صوتك بذكر ربك قال جرير

حيوا بنى فتح الالاه وحوه ... تلب كما سبح الحجيج وكبرا

قوله تعالى الذي خلق فسوى قد تقدم معنى التسوية في الانفطار وغيرها اي سوى ما خلق فلم يكن في خلقه وقال الزجاج اي عدل قامته وعن ابن عباس احسن ما خلق وقال الضحاك خلق آدم فسوى خلقه وقيل خلق في اصلاب الآباء وسوى في ارحام الامهات وقيل خلق الاجساد فسوى الافهام وقيل اي خلق الانسان وهياه للتكليف والذي قدر فهدى قرأ علي رضي الله عنه والكسائي قدر مخففة الدال وشدد الباقون وهما بمعنى واحد اي قدر وفق لكل شكله فهدى اي ارشد قال مجاهد قدر السقاوة والسعادة وهدى للرشد والضلال وعنه ايضا قدر هدى الانسان للسعادة والشقاوة وهدى الانعام لمراعيها

وقيل قدر ارزاقهم وانواعهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم ان كانوا وحشا
وروي عن ابن عباس والسدي ومقاتل والكلبي في قوله وهدى قال عرف خلقه كيف
يأتي الذكر والانثى كما قال في طه اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي الذكر للانثى وقال
عطا جبل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع في الاشياء وهدى
الانسان لوجه استخراجه منها وقيل قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه
اليه وعرفه وجه الانتفاع به يجلي ان الاشي اذا اتت عليها الف سنة لمست
وقد ألهمها الله اذ مسح العين يورق الزاز ناتج العضو يرد اليها بصرها قوما
كانت في بريه بينها وبين الذي مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى
عرضها حتى تجم في بعض البساتين على شجرة الزاز باح لا تخطئها فتحك بها عينها وترجع
باصرة باذن الله تعالى وهدايته الانسان الى ما يحد في مصالحه وما لا يحصر
من حوائجه وادويته في ابواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور
وهوام الارض ثابت واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان
ربي الاعلى وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم بتسعة اشهر واقل واكثر ثم هداه
للخروج من الرحم وقال الفراء اي قدر فهدى واضل فاكتفى بذكر احدهما كقوله
تعالى سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يكون بمعنى دعا الى الايمان كقوله تعالى
وانك لتهدي لتدعوا وقد دعا الكل الى الايمان وقيل فهدى اي دلهم بافعاله
على توحيده لكونه عالما قادرا ولا خلاف ان من شدد الدال من قدر انه من التقدير
كقوله تعالى بقدرة تقديرا ومن خفف فيحتمل ان يكون من التقدير فيكونان
بمعنى ويحتمل ان يكون من القدرة والملك اي ملك الاشياء وهدى من شاء لما
وسمت بعض اتباعي يقول الذي خلق فسوى وقدر فهدى هو تفسير العلو
الذي يليق بجلال الله سبحانه على جميع مخلوقاته قوله تعالى والذي اخرج المرعى
فجعله غثاء احوى والكلا الاخضر قال الشاعر

• وقد بكت المرعى غداة من الثرى • وبقي حرارات السقوس كما هيا

يجعله غثاء احوى الغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش
والنبات والقماش وكذلك الغثي يقال تغثى بالتشديد والجميع الاغثاء قتادة الغثاء
اليابس وبقال للعمل والحشيش اذا انحطم ويبس غثاء وهشيم
ولذلك للذي يكون حول الماء من الماء غثاء كما قال

• كان ذرا راس المحمير عدوه من السيل والاغثاء فلكه مدور •

وحكى اهل اللغة غثاء الوادي والغثي ولذلك الماء اعلاه من الزبد والقماش
سالا ينتفع به والاحوى الاسود اي ان النبات يضرب الى الحوة من شدة الخضرة
كالاسود والحوة السواد لميل في سنبلها حوة لغشى وفي الثاث وفي اثمانها نابت
وفي الصحاح والحوة سمرة اللثة تقال رجل احوى وامرأة حوي وقد حويت
وتعبير احوى اذا خالط خضرته سواد وصفره نضعبي احوى احتوى لغة من
قال اسود ثم قيل يجوز ان يكون احوى حالا من المرعى ويكون المعنى كانه من
خضرته يضرب الى السواد والتقدير اخرج المرعى احوى فجعله غثاء فقال قد حوى
النبت حكاه الكسائي وقال

• وعيث من الوسمي حوتلاعه تنطيه بسهم صلتان •

ويجوز ان يكون احوى صفة لغثاء والمعنى انه صار كذلك بعد خضرة قال
ابو عبيدة تجعله اسود من احتراقه وقدمه والرطب اذا يبس اسود ثم
صار غثاء تذهب به الرياح قال عبد الرحمن بن زيد اخرج المرعى اسود ثم
لما يبس اسود ثم صار غثاء تذهب به الرياح والسيول وهو مثل ضربه الله تعالى
للكفار لذهابه بالرياح بعد خضارته قوله تعالى سنقرئك اي القرآن يا محمد
فتعلمه قلا تنسى اي فتحفظ رواه ابن وهب عن مالك وهذه بشرى من
الله تعالى بشرة بان اعطاه اية بينة وهي ان يقرأ عليه جبريل ما يقرأ
عليه من الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه وعن ابن ابي نجيح
عن مجاهد قال كان يتذكر مخافة ان ينسى فقيل كفيتكه قال
مجاهد والكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل عليه بالوحي

لم يفرغ جبريل من اخرا لاية حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بادرها سحاقة ان
يتساها فقالت ستقرئك فلا تنسى بعد ذلك شا فقد كفيتكه ووجه الاستثنا
على هذا ما قاله الفرا الا ما شا وهو لم يشا ان ينسى شيا كقوله تعالى خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شا الله ولا يشا وبنا لي في الكلام
لاعطينك كل ما سالت الا ما شيت وان لا ان شا ان امسكك والتنه على
ان لا ان شا ان امسكك والتنه على ان لا يعطيه شيا فعلى هذا مجاري
الايمان يستثنى فيها ونسه الحالف التمام وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس
فلم ينس بعد نزول هذه الاية حتى مات الا ما شا الله وعن سعيد عن قتادة
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينسى شيا الا ما شا الله وعلى هذه
الاقوال قبل الا ما شا الله ان ينسى ولكنه لم ينس شيا منه بعد نزول هذه الاية
وقيل الا ما شا الله ان ينسى ثم يذكر بعد ذلك فاذا انت ينسى ولكنه يتذكر ولا
ينسى نسيانا كلنا وقد روي انه اسقط اية في قراته في الصلاة فخشي
ان يكون انها نسخت فساله فقال نسيتها وقيل هو من التسيان اي الا ما
شا الله اي تسهل ثم قيل هذا بمعنى النسخ الا ما شا الله ان ينسخه الاستثنا
فزع من النسخ وقيل ان النسيان بمعنى الترك اي يعصمك من ان تترك
العمل به الا ما شا الله ان يتركه فيسخه اياه فهذا في نسخ العمل والاول في
نسخ القراة قال العرعاني كان يقال لمحاسن الجند اهل البسط
من العلوم وكان يعيشه اي كيسان النحوي وكان رجلا جليلا فقال يوما
ما تقول يا ابا القاسم في قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى فاجابه مسرعا كانه
تقدم له السوال قبل ذلك بيوم وقال لا ينبغي العمل به فقال ابن كيسان
لا تعصص الله قال شكلت من تعيد عن ربه وقوله ولا للنفي لا للنهي وقيل
للنهي وانما اثبتت الفا لان رويس الاي على ذلك والمعنى لا يجعل قراته
وتكراره فتنساه الا ما شا الله ان ينسيكه رفع تلاوته للمصلحة والاول هو المختار
لان الاستثنا من النهي لا يكاد يكون الا موقتا معلوما وايضا فان التاسيس
في جميع المصاحف وعليها العمل وقيل معناه الا ما شا الله ان يوخر انزاله
وقيل المعنى فجعله غثا احوي الا ما شا الله ان ساله بنو ادم والبهايم فانه
لا يعيبه كذلك قوله تعالى انه يعلم الجهر اي الاعلان من القول والعمل وما يخفى
من السر وعن ابن عباس تا في قلبك وتنسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان
الصدقة واخفاها وقيل الجهر ما حفظتم من القران في صدوركم وما يخفى
هو ما نسخ من صدرك ونيسرك معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى
اعتراض ومعنى لليسرى اي للطريقة اليسرى وهو عمل الخير قال ابن عبا
نيسرك لان نعمل خيرا ابن مسعود لليسرى اي للجنة وقيل نوفقك للشريعة
اليسرى وهي الحنيفية السهلة قال سعيد الصحاك وقيل اي يهون عليك الوحي
حتى تحفظه وتعمل به قوله تعالى فذكر اي فعظ قومك يا محمد بالقران ان نفعت
الذكرى اي الموعظة وروي بونس عن الحسن قال تذكره للمومنين وحجة على
الكافر وكان ابن عباس يقول تنفع اولياي ولا تنفع اعدايي وقال الجرجاني
التذكير واجب وان لم ينفع فالمعنى فذكر ان نفعت الذكرى او لم ينفع فحذف
كما قال سراييل تقيكم الحر وقيل انه مخصوص في قوم باعيانهم وقيل ان
بمعنى ما اي فذكر ما نفعت الذكرى فتكون ان بمعنى الشرط لا اذا الذكرى
ناقصة بكل حال قاله ابن جرير وذكر بعض اهل التفسير ان ان بمعنى اذ اي
نفعت لقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم فلم تخبر
تغلبهم الا بعد ايمانهم وقيل بمعنى قد قوله تعالى سيذكر من يخشى اي من
يتقي الله ويخافه فروي ابو صالح عن ابن عباس قال تذكرت في اي ام مكتوم
المعروف وقد يذكر من يزجره الا ان يذكره الحاسي ابلغ من يذكره الراعي
فلذلك علقها بالخشية دون الرجا وان تعلقت بالخشية والرجا وقيل
اي عمم ايتك التذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من يخشى ولكنك
تحصل لك ثواب الدعا حكاه القشيري قوله تعالى ويتجنبها اي ويتجنب

الذكرى ويبعد عنها الاشقى اي الشقي في علم الله وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وهو عتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى اي العظمى وهي السفلى من الطباق النار قاله الفراء وعن الحسن الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا قاله يحيى بن سلام لا يموت فيها ولا يحيى اي لا يموت فيستريح من الذل ولا يحيى حياة تنفع كما قال الشاعر

الا ان نفسي لا تموت فينقضي عناها

ولا يحيى حياة لها طعم وقد مضى في سورة النساء وغيرها حديث ابي سعيد الخدري ان المذنبين اذا دخلوا جهنم والنار الصغرى على قول الفراء احترقوا فيها وماتوا الى ان يشفع فيهم فيخرجه بسلم وقيل اهل الشقاوة يموتون في شقائهم وهذا الوعيد للاشقى وان كان لم يبق لابيلغ هذه المرتبة قوله تعالى قد افلح من تزكى اي صار في البقاء الجنة اي من يظهر من الشرك بالايمان قاله ابن عباس وعطاء وعكرمة وقال الحسن والربيع من كان عمله زاكيا تاميا وقال سمرة عن قتادة تزكى قال بعمل صالح وعنه وعن عطا والى السالبة نزلت في صدقة الفطر وعن ابن سيرين قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى قال قال خرج فصلى بعد ما اتى وقال عكرمة كان الرجل يقول اقدم زكاتي بين يدي صلاتي فقال سفيان قال الله تعالى قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى وروي عن ابي سعيد الخدري وابن عمر ان ذلك في صدقة الفطر وصلاة العيد ولذلك قال ابو العالية وقال ان اهل المدينة لا يرون صدقة افضل منها وسقاية الماء روى كثير بن عبد الله عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قد افلح من تزكى قال اخرج زكاة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال صلاة العيد وقال ابن عباس والضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى اي صلاة العيد وقيل هذا زكاة الاعمال لا زكاة الاموال اي يطهر في اعماله من الرياء والتقصير لان الاكثرات يقال في المال زكى لا يزكى وروى جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قد افلح من تزكى اي من شهد ان لا اله الا الله واخلع الانداد وشهد اني رسول الله وعلى انها عباس تزكى قال لا اله الا الله وروي عنه عطا قال نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه قال كان بالمدينة منافق كانت له نخلة بالمدينة منابله الى دار رجل من الانصار اذا هبت الريح استطلت البسر والرطب الى دار الانصاري فيأكل هو وعياله فخاصمه المنافق فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى المنافق وهو لا يعلم بنفاقه فقال ان اخاك الانصاري ذكر ان بسرك ورطبك يقع الى منزله فيأكل هو وعياله فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة بها قال ابيع عاجلا باجل لا افعل فذكروا ان عثمان بن عفان اعطاه حائطا من نخل مول نخلته فنيه نزلت قد افلح من تزكى ونزلت في المنافق وبينهما الاشقى وذكر الضحاك انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه الثانية فذكرنا القول في زكاة العطر في سورة البقرة مستوفى وقد تقدم ان هذه السورة مكية في قول الجمهور ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر فالتشريق ولا يبعد ان يكون اثني على من يمثل امره في صدقة الفطر وصلاة العيد فيما يامر به في المستقبل الثالثة قوله تعالى وذكر اسم ربه فصلى اي ذكر ربه وروي عطا عن ابن عباس قال يريد ذكر معاده وموقفه بين يدي الله جل ثناؤه فصدقه وصلى له وقيل ذكر اسم ربه التكبير في اول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وبه نحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وفيه حجة لمن قال ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسماء الله عز وجل وهذه مسئلة خلاف بين الفقهاء وقد مضى القول في هذا في اول المفرق وقيل هي تكبيرات العيد قال الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى اي صلاة العيد وقيل وذكر اسم ربه هو ان يذكره بقلبه عند صلاته فيجاف عفانه ويرجو ثوابه ليكون استيفاؤها وخشوعه فيها بحسب خوفه ورجائه

وقبلهوان يفتتح اولكل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم فصلى او وصلى فذكر ولا فرق
بين ان تقول اكرمتني فرويتي وبين ان تقول رويتني فاكرمتني قال ابن عباس
هذا في الصلاة المفروضة وهي الصلوات الخمس وقيل الدعاء في دعائه بخواتيم
الدنيا والاخرة وقبل صلاة العيد قاله ابو سعيد الخدري وابن عمر وغيرهما وقد
تقدم وقيل هو ان يتطوع بصلاة العيد بعد زكاة قاله ابو الاحوص وهو
مقتضى قول عطاء وروي عن عبد الله قال من اقام الصلاة ولم يؤت الزكاة
فلا صلاة له قوله تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا قراءة العامة بل يؤثرون
بالياء بعيد وقم قراءة ابي بل انتم تؤثرون وقرا ابو عمرو ويعقوب عاصم بل يؤثرون
بالياء على الغيبة تقديره بل تؤثرون الاسقوت الحياة الدنيا وعلى الاول
فيكون تاويلها بل تؤثرون ايها الملحون لاسكتا من الدنيا والاسكتار
من الثواب وعن ابن مسعود انه قرا هذه الاية فقال اتدرون لم اثرنا
الحياة الدنيا على الاخرة لان الدنيا حضرت وعجلت لنا طيباتها وطعامها
وشرابها ولذاتها ونكحتها والاخرة غيبت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الاجل
وروي ثابت عن انس قال كنا مع ابي موسى في مسير والناس يتكلمون ويذكرون
الدنيا قال ابو موسى يا انس ان هؤلاء كاد احدهم ينسى الاديم بلسانه
فريا فيقال فلان ذكر ربنا ساعة منه قال يا انس سامر الناس سامرا نهم
قلت الدنيا والشيطان والشهوات قال لا ولكن عجلت الدنيا وغيبت الاخرة
اما والله لوعاينوها ما عدلوا ولا سبيلوا قوله تعالى والاخرة خير وابقى
اي والدار الاخرة اي الجنة خير اي افضل وابقى اي ادوم من الدنيا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يضع احدكم اصبعه في اليم
فلينظر بم يرجع صحيح وقد تقدم وقال مالك بن دينار لو كانت الدنيا من ذهب
يبقى والاخرة من خزف يبقى لكان الواجب ان يؤثر خزفا يبقى على ذهب
يفنى فكيف والاخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى قوله تعالى
ان هذا لفي الصحف الاولى قال قتادة وابن زيد يريد نزلة والاخرة خير وابقى
وقال لاحدثنك كعب كتب الله جل ثناؤه كما تسمعون ان الاخرة خير وابقى من الدنيا
قال الحسن ان هذا لفي الصحف الاولى من قوله قد افلح الى اخر السورة لحديث ابي
ذر يعني ما يأتي وروي عكرمة عن ابن عباس ان هذا لفي الصحف الاولى قال
هذه السورة وقال الضحاك ان هذا القرآن لفي الصحف الاولى اي الكتب
الاولى صحف ابراهيم وموسى يعني الكتب المنزلة عليهما ولم يرد ان هذه الالفاظ
بعينها في تلك الصحف وانما تقع على المعنى اي ان معنى هذا الكلام وارد في تلك
الصحف وروى الاجري من حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف
ابراهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط المبتلي المغرور اني لم ابعثك
لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني
لا اردها ولو كانت من فم كافر وكان فيها امثال وعلى العاقل ان يكون له
ساعات يناجي فيها ربه وساعات يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر
فيها في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب وعلى
العاقل ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد ومرمة لمعاش ولذة في غير
محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه
ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه قال قلت يا رسول الله فما كانت
صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبت
لمن ايقن بالنار كيف يضحك وعجبت لمن رايى الدنيا وتقلبها باهلها ثم اطمان
اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم هو لا يعمل قلت يا رسول الله فهل في ايدي
بني مما كان في يدي ابراهيم وموسى فما انزل الله عليك قال نعم يا اباذر قد افلح من
تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا لفي
الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى

سورة الغاشية مكية

قول الجميع وهي ست وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى هل اتاك حديث
الغاشية هل بمعنى قد كقوله هل اتى على الانسان قاله فطرب اى قد جاءك بالجهد
حديث الغاشية اى القيامة التي تغشى الخلايق باهوالها وافزاعها قاله
اكثر المفسرين وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب الغاشية النار التي تغشى
وجوه الكفار رواه ابو صالح عن ابن عباس ودليله قوله تعالى وتغشى وجوههم
النار وقيل تغشى الخلق وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لانها تغشى
الخلق وقيل الغاشية اهل النار لانهم يغشونها ويقتحمون فيها وقيل معنى
هل اتاك اى هذا لم تكن من علمك ولا من علم قومك قال ابن عباس لم يكن
اياه قبل ذلك على هذا التفصيل المذكور وقيل انها خرجت مخرج الاستفهام
لرسوله ومعناه انه لم يكن اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول
الكلبي قوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة قال ابن عباس
لم يكن اياه حدثتهم فاخبره عنهم فقال وجوه يومئذ اى يوم الغاشية خاشعة
قال سقيا له اى دليله بالعذاب وكل منصاغ ليس بالكثير خاشع لقال
خشع في صلاته اذا لذلك ونكس راسه وخشع الصوت حتى قال الله تعالى
وخشعت الاصوات للرحمن والمراد بالوجوه اصحاب الوجوه وقال قتادة
وابن زيد خاشعة اى في النار والمراد وجوه الكفار كلهم قاله يحيى بن سلام
وقيل اراد وجوه اليهود والنصارى قاله ابن عباس ثم قال عاملة ناصبة
فمعناه في الدنيا لان الاخرة ليست دار عمل فالمعنى وجوه عاملة ناصبة
في الدنيا خاشعة في الاخرة قال اهل اللغة يقال للرجل اذا داب في شيء
قد عمل يعمل عملا ويقال للسحاب اذا دام برقه قد عمل يعمل عملا وذا سحاب
عمل قال الهذلي * حنت نواها كلبل * عمل ثابت طرايا وثاب *
الليل لم يبت ناصبا اى تعبه يقال نصب بالكسر ينصب لغتان اذا تعب
ونصبا ايضا وانصبه غيره فروى الضحاك عن ابن عباس قال هم الذين
انصبوا انفسهم في الدنيا على معصية الله عز وجل وعلى الكفر مثل عبدة
الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله جل ثناؤه
منهم الا ما كان خالصا له وقال سعيد عن قتادة عاملة ناصبة قال تكبرت
في الدنيا عن طاعة الله عز وجل فاعملها الله وانصبها في النار وحر السلاسل
اليتها له وحمل الاغلال والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة قال الحسن وسعيد بن جبير لم تمل له في الدنيا
ولم تنصب له فاعملها وانصبها في جهنم وقال مجاهد تعمل وتنصب في النار
وعن غيره يكلفون ارتقاء جبل من حديد في جهنم فيتصببون فيها اشد ما يكون
من النصب فمعالجة السلاسل والاغلال والخوض في النار كما تخوض الابل
في الوحل وارتقاؤها في صعود من نار وهبوطها في حدود منها الى غير
ذلك مما عذبها وقاله ابن عباس وقرا ابن محيصن وعيسى وحميد ورواها
عبيد عن ابي كثير ناصبة بالنصب على الحال وقيل على الذم الياقوت
بالرفع على الصفة او على اضمار مبتدا فيوقف على خاشعة ومن جعل
المعنى في الاخرة جاز ان يكون خبرا بعد خبر عن وجوه فلا يوقف على خاشعة
وقيل عاملة ناصبة اى عاملة في الدنيا ناصبة في الاخرة خاشعة قال عكرمة
والسدي عملت في الدنيا بالمعاصي وقال سعيد بن اسلم وزيد بن اسلم هم الرهبان
اصحاب الصوامع وقال ابن عباس وقد تقدم في رواية الضحاك عنه وروى
عن الحسن قال لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام اتاه راهب شيخ
كبير متهدل عليه سواد فلما راه عمر بكى فقيل له يا امير المؤمنين ما يبكيك
قال هذا المسكين طلب امرا فلم يبلغه ورجا رجاء فاخطاه وقرا قول الله عز وجل
وجوه يومئذ عاملة ناصبة وعن علي رضي الله عنه انهم اهل حرورا يعني
الحرورية الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تحقرون صلاتكم
مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم واعمالكم مع اعمالهم يمرقون من الدين كما يمرق
السهم من الرمية الحديث قوله تعالى تصلى نارا حامية اى يصيبها صلا وها

وحرها حامية شديدة الحر اي قد اوقدت واحميت المدة ومنه حمي النهار بالكسر
وحمي السور حما فيهما اي اشتد حره وحكى الكسائي وتعقبوه تقتلي بضم التا
الباقون بفتحها وقرئ تصطلي بالتشديد وقد تقدم القول فيها في اذ السما
انشقت الماوردي فان قيل لما معنى صفتها بالحمي وهي لا تكون الا حامية وهو
اقل احوالها فما وجه المبالغة بهذه الصفة اقصة قتل قد اختلف في المراد
بالحامية ها هنا على اربعة اوجه احدها ان المراد بذلك انها دابة الحمى وليست
بنار الدنيا التي ينقطع حميها بانطفائها الثاني ان المراد بالحامية انها حمي من
ارتكاب المحظور اتقه واتقاك المحارم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل
ملك حمي وحمي الله محارمه ومن ترتع حول الحمي يوشك ان يقع فيه الثالث انها
تحمى بنفسها عن ان يطاف بملابستها او ترام بمارستها كما يحمي الاسد عرسه
ومنه قوله النابغة • تقدوا الذباب على من لا كلاب له •
ويبغي صوله المساعد الحامي •
الرابع انها حامية حمي غيظ وغضب مبالغة في شدة الانتقام ولم يرد حمي حر
ذات كما يقال فلان حمي اذا اغتاظ وغضب عند ارادة الانتقام وقد
بين الله تعالى بقوله هذا المعنى فقال تكاد تميز من الغيظ فقوله تعالى تسقى
من عين انية الا انا الذي قد اتى حيره في الاتيا معنى المناجز ومنه اتيت
واديت واتاه يوتيه اتيا اي اخره وحبسه واتياه ومنه يطوفون بينها
وبين حميم ان وفي التفاسير من عين اتيه اي بلغ حرها فلو وقعت قطرة
نقطة منها على جبال الدنيا لذابت وقال الحسن انيه اي جرها ادرك او قد
عليها جهنم منذ خلقت فذهبوا اليها ورد اعطاشا وعن ابن ابي نجيح
عن مجاهد قال بلغت اناها وحر شرابها قوله تعالى ليس لهم الا لاهل النا
طعام الا من ضريع لما ذكر طعامهم وذكر شرابهم قال عكرمة ومجاهد الضريع
نبت ذو شوك لاصق بالارض تسميه قريش الشبرق اذا كان رطبا فاذا يبس
فهو الضريع لا ترعاه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل وهو احد الطعام
واشنعه على هذا اضافة المنسوبين الا ان الضحاك روى عن ابن عباس قال
هي شر من ذي الجر يسمى الضريع من اقوات الانعام لا الناس فاذا وقعت
فيه الابل لم تشبع وهلكت هزلا والصحيح ما قاله الجمهور بيت قاله ابو ذويب
• وحمي الشرق الرماب حتى اذا هدى • وعاد سريعا بان عنه المحابص
وقال المذلي وذكر ابلا وسوء مرعاها • • وحبس من هذم الضريع وكلها حذبا
وامس الدس هرود وقال الخليل الضريع نبات اخضر منتن الريح يرمي به البحر
وقال الوالبي عن ابن عباس هو شجر من نار دلوكا نتج الدنيا لاحرق الارض ومن
عليها وقال سعيد بن جبير هو الحجارة وقال عكرمة والاظهر انه شجر ذو شوك
حسب ما هو في الدنيا وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضريع
يكون في النار شيء الشوك اشد مرارة من الصبر وانتن من الجيفة
واحر من النار سماه الله ضريعا وقال خالد بن زياد سمعت المؤكل بن حمدان يسئل
عن هذه الاية ليس لهم طعام الا من ضريع قال بلغني ان الضريع شجرة من نار
حملها اليتيح والدم اشد مرارة من الصبر تزكم طعامهم وقال الحسن هو بعض
ما اخفاه الله من العذاب وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده
ويذلون ويتضرعون منه الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك لان اكله
يضرع في ان يعفا لكراهته وخشونته قال ابو جعفر النحاس فقد يكون مشتقا
من الضارع وهو الذليل اي ذو ضراعة اي من شربه وكله يلجئه مرعاه
وعن الحسن ايضا هو الزقوم وقيل هو واد في جهنم قال الله اعلم وقد قال الله تعالى في
موضع اخر فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام الا من غسلين فقال هنا
الا من ضريع وهو غير الغسلين ووجه الجمع ان النار دركات فمنهم من طعامه
الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من
شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد قال الكلبي الضريع في درجة ليس
فيها غيره والزقوم في درجة اخرى ويجوز ان يحمل الاتيان على حالتين

كما قال يطوفون بينها وبين حميم اي القتي ويجوز ان يكون الضريع وشجر الزقوم
ينبتن من نار ومن جوهر لانا كل النار وكذلك سلاسل النار واغلالها وعقاربها
وحياتها ولو كانت على نعت ما ينبت على النار قال وانما ولنا الله على الغائب
عنده بالحاضر عندنا لاسما مستقة الدلالة والمعاني مختلفة وكذلك ما في الجنة
من شجرها وفرشها ان يقول ان الذي ينفي الكافور في النار ليدوم عليهم العذاب
ينفي النبات وشجر الزقوم في النار ليعذب بها الكفار وزعم بعضهم ان الضريع
ينبت لا ينبت في النار ولا انهم ما كلون الضريع من اقوات الانعام لان
اقوات الناس واذا وقعت الانعام فيه لم تشبع وهلكوا هزلا فاراد والله ان هؤلاء
يقتاتون ما لا يشبعهم وضرب له الضريع له مثلا انهم يعذبون بالجوع
كما يعذب من قوته الضريع قال الترمذي الحكيم ولهذا انظر شيم من
اهله وتاويله دنى كانه يدل انهم يخبرون في نذرة الله تعالى وان الذي انبت
في هذا التراب هذا الضريع قادر على ان يجعله في حر النار كاجعل لنا في الدنيا
في الشجر الاخضر نارا فلا النار تحرق الشجر ولا رطوبة الماء في الشجر تطفئ النار فقال
الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون وكما قال حين نزلت
وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم قالوا يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم
فقال الذي امشاهم على ارجلهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم على ارجلهم
فلا يجتمع في مثل هذا الاضعيف القلب او نبس قد اخبرنا انه كلما نضجت
جلودهم بدلنا هم جلودا غيرها وقال سرابيلهم من قطران وقال ان لدينا
انكالا اي قيودا وجحيما وطعاما ذا غصة فيل ذا شوك فانما يبتلون عليهم
العذاب بهذه الاشياء قوله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع يعني الضريع
لا يسمن اكله وكيف يسمن من ياكل الشوك قال المفسرون لما نزلت هذه الآية
قال المشركون ان ابلنا لتسمن بالضريع فنزلت لا يسمن ولا يغني من جوع وكذبوا
فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لم تاكله وقيل اشتد غمهم امره فظنوه
كغيره من السنة المنافع لان المضارعة المشابهة فوجدوه لا يشبع ولا يغني من جوع
قوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة اي ذات نعمة وهي وجوه المؤمنين نعمت بما
سعت عاقبة امرها وعملها الصالح لسعيها اي لعملها التي عملته في الدنيا راضية
في الآخرة وقيل راضية المعنى وجوه بوسيد ليفصل بينها وبين الوجوه المتقدمة
والوجوه عبارة عن الانفس في جنة عالية اي مرتفعة لانها فوق السماوات
حسب ما تقدم وقيل عالية القدر لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
وهم فيها خالدون قوله تعالى لا يسمع فيها لاغية اي كلاما ساقطا غير مرضي
وقال لاغية واللغو واللغا واللاغية بمعنى واحد قال

عن اللغا ورفث التكلم

وقال اللغو والاختلاس اي لا يسمع فيها كلمة لغو وفي المراد بها ستة اوجه
احدها يعني كذبا وبهتانا وكفرا بالله تعالى قاله ابن عباس الثاني لا باطل ولا اثم
قاله قتادة الثالث انه الشتم قاله مجاهد الرابع المعصية قاله الحسن الخامس
لا يسمع فيها حالف يحلف بكذب قاله الفراء وقال الكلبي لا يسمع في الجنة حالف
بيمين بر ولا فاجرة السادس لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى لان اهل الجنة لا يتكلمون
الا بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعم الدائم قاله الفراء ايضا وهو احسنها لانه
يعم ما ذكر وقرا ابو عمرو وابن كثير لا يسمع بيا غير مسمى الفاعل وكذلك نافع الا انه
بالتا المضمومة لان اللاغية اسم مونث فاتث الفعل لتانيثه ومن قرا بالياء
فلانه حال من الاسم ويجيء الفعل الجار والمجرور وقرا ابو جعفر بالتا مفتوحة
لاغية نصبا على اسناد ذلك للوجوه اي لا تسمع الوجوه فيها لاغية قوله تعالى
فيها عين جارية اي بها مستدفق وانواع الاشربة الملذيذة على وجه الارض من
غير اخدود وقد تقدم في سورة الانسان ان فيها عيونا تسمى بسلسبيل
والله اعلم فيها سرر مرفوعة اي عالية وروي انها كارتفاعها قدر ما بين
السما والارض ليري ولي الله ملكه حوله واكواب موضوعة اي اباريق واواني قالا بن
هو ما لا عروة وخرطوم والكوب انا كبيس له عروة ولا خرطوم وقد تقدم هذا في سورة

في سورة الزخرف وغيرها ومتارق اي وسايل الواحدة مترقة مصفوفة اي واحدة الى جنب اخرى قال الشاعر

وانا لمجرى الكاس بيني شربنا وبين اناقا بوس فوق المتارق ،

وقال اخر كهول وشبان حسان وجوههم على سرر مصفوفة ومتارق ،

وفي الصحاح المرق والمرقة وسادة صغيرة والذي في المرقة بالكسر لغة حكاها يعقوب وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل مرقة عن ابي عبيد وزراي مبثوثة قال ابو عبيد الزرابي الطنافس التي لها حمل رقيق واحدتها رتبة وقال الكلبي والفراء المبثوثة المبسوطة قاله قتادة وقيل بعضها فوق بعض قاله عكرمة وقيل كثيرة قاله الفراء وقيل متفرقة في المجالس قاله التميمي قلت هذا اصوب فهي كثيرة متفرقة ومنه وبث فيها من كل دابة وقال ابو بكر الانباري وحدثنا احمد بن الحسين قال حدثنا حسين عن عرفة قال حدثنا عمار بن محمد قال سمعت خلف سنفور بن المعتمر يقرأ هذا الآتك حديث الغاشية وقرأتها وزرابي مبثوثة فتكلمت فيها فاعلمني قوله تعالى افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت قال المفسرون لما ذكر الله عز وجل امر الدار التي تعجب المكفار من ذلك وكذبوا وانكروا اقدرتهم الله صنعته وقدرته وانه قادر على كل شيء كما خلق الحيوانات والسما والارض ثم ذكر الابل لانها كثيرة في العرب ولتيسير الصيلة فنبههم جل ثناؤه على عظيم من خلقه فذلله للمستعين يقوده وينيخه وينصبه ويحمل عليه الثقل من الحمل وهو بارك فمنهم من يثقل حمله وليس ذلك في شيء من الحيوان غيره فاراهم عظيما من خلقه يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته وعن بعض الحكما انه حدث عن البعير وتربيع خلقه وقدرته في بلاد لا ابل بها فتفكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحسن ارادتها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش حتى ان اظمأها ليرتفع الى العشر فصاعدا وحملها تزعي كل شيء نابت في البراري والمفاوز ربما لا ترعاه ساير البهايم وقيل لما ذكر السرر المرفوعة قالوا كيف نصعدها فاتزل الله هذه الاية وبين ان الابل تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم فكذلك تلك السرر توطأ من ثم ترتفع قال معناه قتادة وقتاتل وغيرهما وقيل الابل هنا الغطع العظيمة من السحاب قاله الميرد قال المطعلي وقيل في الابل السحاب ولم اجد لذلك اصلا في كتب الاية قلت قد ذكر ابو اسمعيل الوسيط عبد الملك بن قريب قال ابو عمرو من قرأها افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت بالتخفيف عنى به البعير لانه من ذوات الاربع يبرك فيحمل عليه الحمولة وغيرها من ذوات الاربع لا يحمل عليه الا وهو قايم ومن قرأها بالتثقيل فقال الابل عنى بها السحاب التي تحمل الماء للمطر وقال الماوردي في الابل وجهان احدهما وهو اظهرهما واشهرهما انها الابل من النعم الثاني انها السحاب فان كان المراد بها السحاب فلما فيها من الايات الدالة على قدرته والمنافع العامة لجميع خلقه وان كان المراد بها الابل من النعم فلان الابل اجمع للمنافع من سايل الحيوان لان صروبه اربعة حلوبه وركوبه واكوله وحموله والابل تجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها اعم وظهور القدرة فيها اتم وقال الحسن انما خصها بالذكر لانها تاكل النوى والعلف وتحتوي الكثير وقيل الحسن انما عنى بها وقالوا الابل الفيل اعظم في الاعجوبة فقال العرب تشبه الفيل بالفيل ثم هو حيوان لا يوكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يحلب درة وكان شريح يقول اخرجوا بنا في الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت والابل لا واحد لها من لفظها اذا كانت للعرب لا دسين قالتا لها لازم واذا اصفرتها ارخلتها الها فقتلت ابله وغنمه ويحتمل ذلك وربما قالوا للابل ابل بسكون الباء للتخفيف والجمع ابال قوله تعالى والى السما كيف رفعت من الابل بلا عمد وقيل رفعت فلا يناها شيء دانى الخيال كيف نصبت اي نصبت على الارض بحيث لا تزول ودلك ان الارض لما دحيت بادت قارسا تها بالجبال كما قال وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم والى

الارض كيف سطحت اي بسطت ومدت وقال انس صليت خلف علي رضي الله عنه
فترا كيف خلقت ونصبت ورفعت وسطحت بضم التاء اضاف التصيير الى
الله تعالى وبه كان يقرأ محمد بن السميقع وابو العالية والمفعول محذوف والمعنى
خلقها وكذلك سائرها وقرأ الحسن وابو حيوة وابو رجا سطحت بتشديد الطاء
وتسكين التاء وكذلك قرأ الجماعة الا انهم خففوا الطاء وقدم الابل في التذكر
ولو قدم غيرها لجاز قاله القشيري وليس هذا مما يطلب في نوع حكمة وقد قيل
هو اقرب الى الناس في خلق العرب لكثرتها عندهم من اعرف الناس بها وايضا
مرافق الابل من مرافق الحيوانات الاخر هي ماكولة ولبنها مشروب وتقع
للحمل والركوب وقطع المسافات البعيدة عليها والصبر على العطش وقلة
العلف وكثرة الحمل وهي من معظم اموال العرب وكانوا يسيرون على الابل مستوحشين
مستوحشين عن الناس ومن هذا حاله يفكر فيما يحضره فقد ينظر في موكوبه
ثم يمد بصره الى السماء الى الارض فامروا بالتنظر في هذه الاشياء فانها ادل دليل
على الصانع المختار القادر فقوله تعالى فذكر فطنهم بامجد وحوقهم انما انت مذكر
واعطلت عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم ثم نسختها اية السيف وقراها رون
الاعور بمسيطر بفتح الطاء والمسيطرون وهي لغة تميم وفي الصحاح والمسيطر
والمصيطر المسلط على الشيء يسيطر عليه ويتهدد احواله وكتب عمله واصله
من السطر لان معنى السطر ان لا يتجاوز فالكتاب مسطور والذي يفعله
مسطر ومسيطر تعالى تسطرت علينا وقال تعالى لست عليهم بمسيطر وسطره
اي صرعه الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من تولى عن الوعظ والتذكير
فيعذبه الله العذاب الاكبر وهي جهنم الدايم عذابها وانما قال الاكبر لانهم عذبوا
في الدنيا بالجوع والقحط والاسر والقتل ودليل هذا التاويل قراءة ابن مسعود
الا من تولى وكفر فانه يعذبه الله وقيل هو استثناء منقطع والمعنى لست بمسلط
الا على من تولى وكفر فانت عليه بالجهاد والله يعذبه ذلك العذاب الاكبر فلا نسخ
في الاية على هذا التقرير وروي ان عليا اتي برجل ارتد فاستتابه ثلاثة ايام
فلم يتب وذا الى الاسلام فضرب عنقه وقال الا من تولى وكفر وقرا ابن عباس
وقتادة الا على الاستفهام والتنبيه كقول امرء القيس

الا ايها ذا اللائمي احضر الوغى ... وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

والمبتدا محذوف تقديره فهو يعذبه الله لانه لو اريد الجواب
بالفعل الذي بعد الفا لكان الا من تولى وكفر يعذبه الله ان الينا اياب اي
رجوعهم بعد الموت يقال اب يؤوب اي رجع قال عبيد

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

وقرا ابو جعفر اياب بالتشديد قاله ابو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز
مثله في الصيام والقيام وقيل هما لغتان بمعنى الزمخشري وقرا ابو جعفر
المدني اياب بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا من ايبت فيقال من الاوب
او ان يكون اصله اواب ثم قلبت الواو ياء كديوان ثم فعل ما فعل بامثاله

سورة والفجر مكية

وهي تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والفجر اقسم الله بالفجر ولياله عشر والشفع
والوتر والليل اذا يسر اي اذا مضى خمسة واختلفت في الفجر فقال قوم الفجر
هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله علي وابو الزبير وابن عباس
رضي الله عنهم وعن ابن عباس ايضا ان النهار كله وعبر عنه بالفجر لانه اوله
وقال ابن محيصن عن عطية عن ابن عباس يعني فجر المحرم ومثله
ومثله قال واده قال هو فجر اول يوم من المحرم بتفجر السنة وعنه ايضا
صلاة الصبح وروى ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال والفجر يوم
يوم النحر لان الله جل ثناؤه جعل لكل يوم ليلة قبله الا يوم النحر لم يجعل
له ليلة قبله ولا ليلة بعده لان يوم عرفة له ليلتان ليلة قبله وليلة بعده
فمن ادرك الموقف ليلة بعد عرفة فقد ادرك الحج الى طلوع الفجر فجر يوم النحر
وهذا قول مجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك قال انشقاق الفجر من يوم جمع وعن محمد

ابن كعب النزلي والفجر قال اخر ايام العشر اذا رفعت من جمع وقال الضحاك
فجر ذي الحجة لان الله تعالى قرن الايام به فقال وليال عشر اي ليالي عشر من ذي
الحجة وكذا قال مجاهد والسدي والكلبي في قوله وليال عشر هو عشر ذي الحجة
وقاله ابن عباس وقال مسروق هي العشر التي ذكرها الله تعالى في قصة موسى
عليه السلام واتممناها بعشر وهي افضل ايام السنة وروى ابو الزبير عن جابر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والفجر وليال عشر قال عشر الاضحى فهي
ليال عشر على هذا القول لان ليلة يوم النحر داخلة فيه اذ قد خصها الله تعالى
بان جعلها موقتا لمن لم يدرك الوقوف يوم عرفة وانما نكرت ولم يعرف لفضلها
على غيرها فلو عرفت لم يستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير فنكرت ست
بين ما اقسم به للفضيلة التي ليست لغيرها والله اعلم وعن ابن عباس ايضا
هي العشر الاواخر من رمضان وقاله الضحاك وقال ابن عباس ايضا وعمان
والطبري هو العشر الاول من المحرم التي عاشرها يوم عاشورا وعن ابن
عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال ايام عشر قوله تعالى والشفع والوتر
الشفع الاثنين والوتر الفرد واختلفا في ذلك فروي مرفوعا عن عمران
ابن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشفع والوتر الصلاة منها
شفع ومنها وتر وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم والفجر وليال
عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر وهو قول
ابن عباس وعكرمة واختاره النحاس وقال حديث ابي الزبير عن جابر
هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو اصح اسنادا من حديث عمران
ابن الحصين فيوم عرفة وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وعن
ابي ايوب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى والشفع والوتر قال
الشفع يوم عرفة ويوم النحر والوتر ليلة يوم النحر قال الشفع يوم عرفة ويوم
النحر والوتر ليلة يوم النحر وقال مجاهد وابن عباس ايضا الشفع خلقه
قال الله تعالى وخلقناكم ازواجا والوتر هو الله عز وجل قتيل لمجاهد انروية
عن احد منهم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه قال مجاهد
ابن سيرين ومسروق وابو صالح وقتادة قالوا الشفع الخلق قال الله تعالى
ومن كل شيء خلقنا زوجين الكفر والايمان والسعادة والشقاوة والهدى
والضلال والنور والظلمة والليل والنهار والحر والبرد والشمس والقمر والصيف
والشتاء والسماء والارض والجن والانس والوتر هو الله احد عز وجل قال الله
جل ثناؤه قل هو الله احد الله الصمد وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تسع
وتسعين اسما والله وتر يحب الوتر وعن ابن عباس ايضا الشفع صلاة الصبح
والوتر صلاة المغرب وقال ابن انس وابو العالية هي صلاة المغرب والشفع
فيها ركعتان والوتر الثالثة وقال ابن الزبير الشفع يوم الحادي عشر
والثاني عشر والثالث الوتر قال الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه
ومن تاخر فلا اثم عليه والشفع عشر ذي الحجة والوتر ايام منى الثلاثة وهو قول
عطا وقيل ان الشفع والوتر ادم وحوا لان ادم كان فردا فشفع بزوجته
حواء فصارا شفعا بعد وتر رواه ابن ابي نجيح وحكاه العقيلي عن ابن
عباس وفي رواية الشفع ادم وحوا والوتر هو الله تعالى وقيل الشفع والوتر
الخلق لانهم شفع ووتر فكانه اقسم بالخلق وقد يقسم الله تعالى باسمائه
وصفاته لعلمه ويقسم بافعاله لقدرته كما قال وما خلق الذكر والانثى ويقسم
بمخلوقاته لتعجيب صفته كما قال والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار
وما يغشاها والسماء والطارق وقيل الشفع درجات الجنة وهي ثمانية والوتر
دركات النار لانها سبعة وهذا قول الحسن بن الفضل كانه اقسم بالجنة
والنار وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر الكعبة وقال مقاتل بن حيان
الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة
وقال سفيان بن عيينة الوتر هو الله وهو الشفع انبأ لقوله تعالى
ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وقال ابو بكر الوراق تضاد

اوصاف المخلوقين العز والذل والعزة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والحياة والموت والبصر والعمى والسمع والصمم والكلام والخرس والوتر الفراد صفات الله تعالى عز بلا ذل وعزة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وبصر بلا عمى وكلام بلا خرس وسمع بلا صمم وما كما وازلها وقال الحسن المراد بالشفع والوتر العدد كله لان العدد لا يخلو اشفعا وهو او قسام بالحساب وقيل الشفع مسجد مكة والموتر مسجد الحرمات والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع القران بين الحج والعمرة والتمتع بالعمرة الى الحج والوتر الافراد فيه وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر وانثى والوتر الجماد وقيل الشفع ما لمي والوتر ما لا يمي وقيل غير هذا وقرا ابن مسعود وابو عمرو والكسائي وحمزة وخلف الوتر بكسر الواو الباقون بفتح الواو وهما لغتان بمعنى واحد وفي الصحاح الوتر بالكسر الفرد والوتر بفتح الواو الرجل هذه لغة اهل العالية فاما لغة اهل الحجاز فبالضد منهم فاما تميم فبالكسر فيهما قوله تعالى والليل اذا يسري هذا قسم محذوف وتقديره اقسم بالليل على العموم ومعنى يسري اي يسري فيه كما يقال ليل نائم ونهار صائم قال

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى
ونمت وما ليل المطي بنائم

ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار هذا قول اكثر اهل المعاني وهو قول الفراء والاخفش وقال اكثر المفسرين معنى يسري يسار فيذهب وقال قتادة وابو العالية جاء وقيل وروي عن ابراهيم والليل اذا يسري قال اذا استوى وقال عكرمة والكلبي ومجاهد ومحمد بن كعب في قوله والليل هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله وقيل ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب فيها وقيل انه اراد عموم الليل كله قلت وهو الاظهر كما تقدم والله اعلم وقرا ابن كثير وابو عمرو يسري بايثبات الياء في الحالين على الاصل لانها لام الكلمة فثبتت فيها الفا وقرا نافع وابو عمرو باثباتها في الوصل وحذفها في الوقف وروي عن الكسائي قال ابو عبيد كان الكسائي يقول مرة باثبات الياء في الوصل وبحذفها في الوقف اتباعا للمصحف ثم رجع الى حذف الياء في الحالين جميعا لانه رأس اية وهي قراءة اهل الشام والكوفة واحتيار ابي عبيد اتباعا للخط لانها وقعت في المصحف بغير ياء قال الخليل يستقبح اثبات الياء منها اجتزاء بالكسرة قال الفرزدق

فلست بمدرك ما فات مني
بلهف ولا بليت ولا لوانى

تحذف العرب الياء وتكتفي بكسر ما قبلها واشار بعضهم

كفاك كف ما يليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف دما

يقال فلان ما يليق درهما من جوده اي ما يمسكه ولا يلصق به وقال المبرد سالت الاخفش عن العلة في اسقاط الياء فقال لا اجيبك حتى تجيء على باب داري ستة فتب على باب داره ستة فقال الليل لا يسري فيه فهو مصروف وكل ما صرفته عن جهته تحته من اعرابه الا ترى الى قوله تعالى وما كانت امك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفها عن باغية الزمخشري ويا سري يحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وهذه الاسماء كلها محذوفة بالقسم والجواب محذوف وهو لمعذبن يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك الى قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب والانباري هو ان ربك لبالمرصاد وقال مقاتل هل هنا في موضع ان تقديره ان في ذلك قسما لذي حجر فهل بمعنى هذا في موضع جواب القسم وقيل هل بمعنى ما من الاستفهام الذي معناه التقرير كقوله

الم اغم عليك اذ اكتت فتاتهم

وقيل المراد بذلك التوكيد لما اقسم به واقسم عليه والمعنى بل في ذلك لذي حجر والجواب على هذا ان ربك لبالمرصاد او لمعذبن وسمي

لذي حجرا اي لذي لب وعقل قال الشاعر

وكيف يرجى ان تتوب وانما ... يرجى من الصبيات من كان ذا حجر كذا

قال عامة المفسرين الا ان ابا مالك قال لذي حجر لذي سبر من الناس وقال الحسن لذي حلم قال الفرا الكل يرجع الى معنى واحد لذي حجر ولذي عقل ولذي حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل واصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه ومنعها انه لذو حجر ومنه سمي الحجر لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اذا سفه وضبطه عن التصرف ولذلك سمت الحجرة حجرة لامتناع ما فيها وقال الفرا العرب تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من حجرت على الرجل قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك اي مالك وخالقك بعاد ارم قراءة العامة بعاد منون وقرا الحسن وابو العالية بعاد ارم مضافا فمن لم يصرف جعل ارم اسمه ولم يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم وارم اسم قبيلة وجعله بدلا منه او عطف بيان ومن قراه بالاضافة ولم يصرفه جعله اسم امهم او اسم بلدهم وتقديره اهل بعاد اهل ارم وكقوله واسئل القرية ولم تتصرف قبيلة كانت او ارضا بالتعريف والتانيث وقراة العامة ارم بكسر الهمزة وعن الحسن ايضا بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورتكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل ذات العلم وقرئ بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رسما وقرا مجاهد والضحاك وقتادة ارم بفتح الهمزة قال مجاهد من قرا بفتح الهمزة شبههم بالارام التي هي الاعلام واحدها ارم وفي الكلام تقديم وتاخير اي والفجر وكذا وكذا ان ربك لبالمرصاد الم ينته علمك الى ما فعل ربك بعاد وهذه الرويا رويا القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد عام وكان اسم عاد وثمود عندهم مشهورا اذ كانوا في بلاد العرب وحجر ثمود موجود اليوم وامر فرعون كانوا يعلمونه من جيرانهم من اهل الكتاب واستفاضت به الاخبار ورد بلاد فرعون مستقله بارض العرب وقد تقدم هذا المعنى في سورة البروج وغيرها نعيا ذلك بقوم هود وروى شعبة عن ابي هريرة قال ان كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من حجارة ولو اجتمع عليه خمسمائة من هذه الامة لم يستطيعوا ان يقلبوه وان كان احدهم ليدخل قوته في الارض فيدخل فيها ارم قيل هو شداد بن عوف قال ابن اسحاق وروى عن عطا عن ابن عباس وحكي عن ابن اسحاق ايضا قال عاد بن ارم فارم على هذا ابو عاد وعاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وعلى القول الاول هو اسم جد عاد قال ابن اسحاق كان سام بن نوح لما ولد سهم ارم بن سام وارم محمد ابن سام فمن ولد ارم بن سام العمالقة والعرامنة والملوك الظلماة والقصاة وقال مجاهد ارم اسم من الامم وعنه ايضا ان معنى ارم القديمة ورواه ابن ابي نجيح وعن مجاهد ايضا ان معناها الامة وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل هما عادان فالاولى هي ارم قال الله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى فقد انقسب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما ينقال لبني هاشم بنو فلان وبني تيم بنو فلان وارم سمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقاب ... محمد ليل اساء ولم ادرك عادا وقبله ارما

ليل

وقال سهم ارم اليم يجمع عادا وثمود وكان يقال لعاد ارم وعاد ثمود وكانت العربا تنسب الى ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال ابن عباس في رواية عطا كان الرجل منهم طوله خمسمائة ذراع والقصير منهم طوله ثلثمائة ذراع بذراع نفسه وروي عن ابن عباس ايضا ان طول الرجل منهم كان ستون ذراعا ابن العربي وهو باطل لان في الصحيح ان الله خلق ادم طوله ستون ذراعا في الهوا ثم لم تزل الخلق تنقص الى الان وزعم قتادة ان طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا قال ابو عبيدة ذات العماد ذات الطول

يقال رجل عماد اذا كان طويلا وعن ابن عباس ومجاهد وعن قتادة ايضا
كانوا عمادا لقومهم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اي سيدهم وعنه ايضا
قيل لهم ذلك لانهم كانوا ينتقلون بابابهم للاشجاع وكانوا اهل خيام واعمدة
ينتجعون الغيوث ويطلبون الكلاء ثم يرجعون الى منازلهم وقيل ذات
العماد اي ذات الابنية المرفوعة على العمد وكانوا يضربون الاعمدة ثم يبنون
عليها القصور قال ابن زيد ذات العماد يعني احكام البنيان بالعماد وفي الضحاك
والعماد الابنية الرفيعة تذكر وتؤنث قال عمرو بن كلثوم
• • وكنا اذا عم الحي حرب على الاحماء نمنع من يلينا •
والواحدة بعمادة وقيل طويل العماد اذا كان منزله حملا لبيراره والاحقاف
جمع حقف بالتحريك وهو شاخ البيت اذا هي لم يحمل اي حرت على المتاع ويروى
عن الاحقاف اي حرت عن الابل التي تحمل خزني البيت وقال الضحاك كانت
ذات العماد ذات القوة والشدة ساحوذة من قوة الاعمدة دليله قوله
تعالى وقالوا من اشد منا قوة ويروى عوف عن خالد الربعي ارم ذات العماد
قال هي دمشق وهو قول عكرمة وسعيد المقبري ورواه ابن وهب واشهب
عن مالك وقال محمد بن كعب القرظي هي الاسكندرية قوله تعالى التي لم يخلق
مثلها في البلاد الضمير في مثلها يرجع الى القبيلة اي لم يخلق مثل القبيلة
في البلاد قوة وشدة وعظم اجساد وطول عن الحسن وغيره وفي حرف عبد الله
التي لم يخلق مثلهم في البلاد وقيل يرجع الى المدينة والاول اظهر وعليه الاكثر
حسب ما ذكرناه ومن جعل ارم مدينة قدر حذف المضاف كيف فعل ربك بمدينة
عاد ارم او بعاد صاحبة ارم وارم على هذا مؤنثة معرفة واختار ابن العربي
انها دمشق لانه ليس في البلاد مثلها ثم اخذ ينعتها بكثرة مياهها وخيراتها
ثم قال وان في الاسكندرية لعجايب لو لم يكن الا المنار فانها مبنية كلها
والبناء من على العمد ولكن لها امثال قاما ودمشق فلا مثل لها وقد روى
عني عن مالك ان كنانيا وجد بالاسكندرية فلم يدر ما هو فاذا فيه انا
شداد بن عاد الذي رفع العماد بنيتها حتى لا يشيب ولا موت قال مالك
ان كان ليمر بهم مائة سنة لا يرون فيها هبارة وذكر عن ثور بن يزيد انه
قال ان شداد بن عاد وان ارفعت العماد وانا الذي كنزت كنزا على سبعة
اذرع لا يخرجه الا امة محمد صلى الله عليه وسلم وروي انه كان لعاد ابنان
شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلف الامر لشداد فملك
الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض
صحاري عدن في ثلاث مائة سنة وكان عمره تسع مائة سنة وهي مدينة
عظيمة قصورها من الذهب والعقيق واساطينها من الزبرجد والياقوت
وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل
مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما
قدر عليه فبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب
فسأله فقال هي ارم ذات العماد يدخل منها كل من يدخلها من المسلمين في زمانك
احمر اشقر قصير على جمل احمر له ذنب وعلى عنقه حبل فخرج في طلب ابل له ثم التقت
فابصرها بين قلابة فقال هذا والله ذلك وقيل اي لم يخلق مثل ابنية عاد المعروفة
بالعمد فالكناية للعماد والعماد على هذا جمع عمد وقيل ارم الهلاك كعاد ارم
سوا فلان اي هلكوا وقال ابن عباس وقرا الضحاك ارم ذات العماد
اي هلكهم بجملتهم رسيا قوله تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالواد يعني
قوم صالح وجابوا قطعوا ومنه قلان يجوب البلاد اي يقطعها وانما سمي
جيب القميص لانه جيب اي قطع قال الشاعر
• • وكان نزل على ابن الزبير بمكة فكتب له سنين وسقايا يأخذها بالكوفة

فقال راحت رواحا تلوصى وبى حامدة الى الزبير ولم يعرفهم احد اراحت ستين
وسقاء بحقيبتها ما حملت حملها الادنى ولا انزود اما ان رايت قلوصا
قتلها حملت ستين وسقا ولا ماتت به بلدا اى فطمت قال المفسرون اول
من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود فنشوا من المدائن الفا الفا وبنوا مائة
مدينة كلها من الحجارة ومن الدور والمنازل الفى الف وبنوا مائة الف كلها من
الحجارة وقد قال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا امنين وكانوا لقوتهم يخرجون
الصخور وينقبون الجبال ويعملونها بيوتا لانفسهم بالوادى اى بوادى
القرى قاله محمد بن اسحاق وروى ابو الاسود عن ابى نضرة قال لما نزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة تبوك على وادى ثمود وهو على فرس اشقر فقال
اسرعوا السير فانكم فى واد ملعون وقيل الوادى من جبال وكانوا ينقبون
فى تلك الجبال بيوتا وقرا واحواضا وكل منقور فى بين جبال او فلاة وسلكا
للسبل وسقدا فهموا وقوله تعالى وفرعون ذى الاوتاد اى الجنود والعساكر
والجموع والجيوش الذى يسند ملكه قاله ابن عباس وقيل كان يعذب الناس
بالاوتاد ويثبتهم بها الى ان يموتوا بخبر امتهن وعذبوا وهكذا فعل بامرانه
اسية وماشطة ابنة حبب فاقترم فى اخر سورة التحريم وقال عبد الرحمن
ابن زيد كانت له صخرة توضع على البطن ثم ياخذ الاسفان فيوتد اوتادا
الحديد ثم يرسل تلك الصخرة عليه فيشرحه وقد مضى فى سورة ص من ذكر اوتاد
ما فيه كفاية والهدف قوله تعالى الذين طغوا فى البلاد يعنى عادا وثمود
وفرعون اى تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر فى الظلم والعدوان فاكثروا فيها الفساد
اى الجور والاذى والذين طغوا الكفر احسن الوجوه فيه ان يكون فى محل النصب
على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا ومجرورا على وصف المذكورين
عاد وثمود وفرعون فصب عليهم ربك سوط عذاب اى افرغ عليهم والقى بعاد
فصب على قلان خلعه اى القاها عليه قاله النابغة

فصب عليهم الله احسن صبه وكان له بنبى البرية ناصر سوط عذاب
اى نصب عذاب وتقول شدة لان السوط كان عندهم نهاية ما يعذب به قال
الشاعره الم تران الله اظهر دينه وصب على الكفار صوط عذاب وقال الفرا
هى كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب اذا كان عندهم غاية
العذاب وقيل هستاه عذاب مخالط اللحم والدم من قولهم ساط يسوط سوطا
اى خلطه فهو سائط فالسوط خلط الشئ ببعضه ببعض ومنه سمى المسواط
وسوطه اى خلطه واكثر ذلك يقال سوط فلان امورة قال فسطها ذميم الراى
غير موقف فلست على تسويطها بمعان قال ابو زيد يقال اسوا لهم سويطه
بينهم اى مختلطه حكاه عنه يعقوب وقال الزجاج اى جعل سوطهم
الذى ضرب بهم العذاب يقال ساط دابته يسوطها اى صونها بسوطه وعن
عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الاية قال ان عند الله اسواطا
كثيره فاخذهم بسوط منها وقال قتاده كل شئ عذب الله به فهو عذاب قوله تعالى
ان ربك لبالمرصاد اى يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه به قاله الحسن وعكرمه
وقيل اى على طريق الممر لا يفوته احد والمرصد والمرصاد الطريق وقد
مضى فى سورة براءة والحمد لله وروى الضحاك عن ابن عباس قال ان على جسر
جهنم سبع قناطر يسئل الانسان عند اول قنطرة على الايمان فان جاء به تاما جاز
الى القنطرة الثانية ثم يسئل عن الصلاة فان جاء بها جاز الى الثالثة ثم يسئل
عن الزكاة فان جاء بها جاز الى الرابعة ثم يسئل عن صيام شهر رمضان
فان جاء به جاز الى الخامسة ثم يسئل عن الحج والعمرة فان جاء بهما جاز الى السادسة
ثم يسئل عن صلة الرحم فان جاء بها جاز الى السابعة ثم يسئل عن المظالم الا من
كانت له مظلمة قليلات ثم يقتص الله منه ويقتص له من الناس كذلك قوله
عز وجل ان ربك لبالمرصاد وقال الثورى لبالمرصاد يعنى جهنم عليها
ثلاث قناطر فتنظر فيها الرحم وتنظر فيها الامانة وتنظر فيها الرب تبارك
وتعالى قلت اى حكم وارادته وامره والله اعلم وعن ابن عباس ايضا بالمرصا

كر

ده

طغواء

د

بسمع ربي قلت هذا قول حسن يسمع اقوالهم وكلامهم وبربي اي يعلم اعمالهم
واسرارهم فيجازي بكلا يعمله وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال
لبالمرصاد وعن عمر بن عبيد انه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ
هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر قال الزمخشري عرض لي في
هذا الموضع بيت بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلم يدره اي اشكل
قوام كان بين يديه بدق الظلمة بانكاره ويوضع اهل الاهواء باحتجاجه
قوله تعالى فاما الانسان بعيني ابكافر قال ابن عباس يريد عتبة بن ربيعة
واباحذيفة بن المغيرة وقيل امية بن خلف وقيل ابي بن خلف اذا ما ابتلاه
ربه اي امتحنه واختبره بالنعمة وما زايدة صلة فاكرمه بالمال ونعمه
بما اوسع عليه فيقول ربي اكرمني فيفرح بذلك ولا يجهده واما اذا ما ابتلاه
اي امتحنه بالفقر واختبره فقدر اي ضيق عليه رزقه فيأمقدارا لبلغم
فيقول ربي اهانن اي اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا يؤمن بالبعث
انا الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته فاما المؤمن فالكرامة
عنده ان يكرمه الله بطاعته وتوفيقه المودي الى حظ الاخرة وان وسع عليه
في الدنيا حمله شكره قلت الايتان صفة كل كافر وكثير من المسلمين يظن
ان ما اعطاه الله لكرامته وفضيلته عنده وربما يقول لجهله لو لم استحق
هذا لم يعطه الله وكذا ان قتر عليه وظن ذلك لهوانه على الله وقراءة العامة
قدر مخففة الدال وقرا ابن عامر مشددا وهما لغتان والاختيار
التخفيف لقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه قال ابو عمرو وقد راي قتر
وقدر مثل اهوان ويطيب ما يكنيه ولو فصل به ذلك ما قال ربي اهانن
وقرا اهل الحرمين وابو عمرو رب بفتح الباء في الموضعين واسكن الباقون
واثبت البزي وابن محيصن ويعقوب التاء من اكرمن واهانن في الحالين
لانها اسم فلا يحذف واثبتها المدنيون في الوصل دون الوقف اتباعا للمصحف
وحيرا ابو عمرو في اثباتها في الوصل وحذفها لانها راس اية وحذفها في الوقف
لخط المصحف الباقون تحذفها لانها وقعت في الموضعين بغير ياء والسنة
ان لا تخالف خط المصحف لانه اجماع الصحابة قوله تعالى كلا رد اي ليس
الامر كما يظن ليس الغني لعقله ولا الفقر لهوانه وانما الغنى من تغني
وفقني وقال الفراء كلا في هذا الموضع بمعنى لم يكن ينبغي للعبد ان يكون
هكذا ولكن حمله الله عز وجل كلا اني لا اكرم من اكرمت بكثرة الدنيا ولا اهين
من اهنت بقلتها انما اكرم من اكرمت بطاعتي واهين من اهنت بمعصيتي
قوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم احثا رغبة بعضهم من منع اليتيم الميراث
واكله ماله اسرافا وبدارا ان يكبروا وقرا ابو عمرو ويعقوب يكرمون
بالياء ويحضون ويأكلون ويحبون بالياء لانه تقدم ذكر الانسان والمراد
به الجنس فخبر عنه بلفظ الجمع اتبع الغائب الغائب في الاربعة على الخطاب
والمواجهة كانه قال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا وتزدادكم اليتيم يرفعه
على حقه واكل ماله كما ذكرنا قال مقاتل نزلت في قدامة بن مظعون
وكان بتيما في حجر امية بن خلف ولا يحضون على طعام المسكين اي لا يامرون
اهلهم باطعام مسكين كسبهم وقرا الكوفيون ولا يحاضون بغير الف
والخا والالف اي يحض بعضهم بعضا واصله يحاضون فحذف احدى الياءين
لدلالة الكلام عليها وهو اختيار ابي عبيد وروي عن ابراهيم والسلمي
عن الكسائي والتلمي تحاضون بفتح التا وهو تفاعلون من الحض
وهو الحث ويأكلون التراث اي ميراث اليتامى واصله الوراث من ورث
قلبوا الواو تاء كما قالوا في تجاه ولجه وتكاه وتكاءة وتكلان وقد تقدم الكلام
لما اي شديدا قاله السدي وقيل لما جميعا من قولهم لممت الطعام لما
اذا اكلته جميعا قاله الحسن وابو عبيدة واصل اللم في كلام العرب الجمع تقول
لممت الشيء الممه لما جمعته ومنه يقال لم الله شعثه اي جمع ما يفرق من امور
قال النابغة ـ ولست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اي الرجال المهذب ٠

ومنه قولهم ان دراك لموسه اي يتلم الناس وترحمهم وقال المرسان الطائي يمدح
علقمة بن سيف * واحتبى حب الصبي ولمتى لم الهدي الى الكريم الماجد *
وقال الليث اللم الجمع بشديد ومنه حجر ملوم ولمته ملومة فالاكل يلم الثريد
فيجمعه لقمة ثم يأكله وقال مجاهد يسفه سفا وقال الحسن يأكل نصيبه ونصيب
غيره قال الخطبة اذا كان لما يتبع الذم ربه فلا فرس الرحمن تلك الوطاحا
يعني انهم يجمعون في اكلهم بين نصيبهم ونصيب غيرهم وقال ابن زيد هو انه اذا
اكل ماله الم بمال غيره ثم اكله فاكله ولا ينكر فيما اكل من خبيث وطيب قال وكان اهل
الشرك لا يورثون النساء ولا الصبيان بل يأكلون ميراثهم وتراثهم مع تراثهم وقيل
يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الاكل بين حرامه وحلاله
ويجوز ان يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا ممتلا من غير ان يعرف فيه
حتى فيسرف في انفاقه وياكله اكلا واسعا جامعا بين المشتهيات من الاطعمة
والاشربة والفواكه كالبطل المبطالون ويحبون المال حبا جما اي كثيرا حلالا له
وحرامه والجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموما فهو جم وجام ومنه جم الماء في الحوض اذا
اجتمع وكثر وقال الشاعر
ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبدك لا الما والجمه المكان الذي يجتمع
فيه ماؤه والجموم البير الكثيرة الماء والجموم بالضم المصدر يقال جم الماء يجم جموما
اذا كثر في البير واجتمع بعد ما استقي فيها قوله تعالى كلا اي كما هكذا ينبغي ان يكون
الامر فهو رد لاكلهم على الدنيا وجمعهم لها فان من فعل ذلك يندم يوم ينزل
الارض ولا ينفعه الندم والدك الكسر والدق وقد تقدم اي زلزلت الارض وحركت
تحريكا بعد تحريك وقال الزجاج اي زلزلت فدك بعضها بعضا وقال المبرد اي
صيرت كثيبا مهيلا ثم دكت دكا اي لا استام لها والجمع دك وقد مضى
في سورة الاعراف والحاقة القول في هذا ويقولون دك الشيء اي هدم قال هل غير
عارك غارا فما يهدم دكا دكا اي مره بعد مره زلزلت فكسر بعضها بعضا فتكسر
كل شيء على ظهرها وقيل دكت جبالها وانشاوها حتى استوت وقيل دكت استوت
في الانفراش فذهب دورها وقصورها وجبالها وسائر ابنيتها ومنه سمي الدكان
لاستوائه في الانفراش والدك المرتفع من الارض بالنسبة وهو معنى قول
ابن مسعود وابن عباس تمد الارض من الادم فذلك قوله تعالى وجاربك اي امره
وقضاؤه قاله الحسن وهو من باب حذف المضاف وقيل اي جاء يوم القيامة بالايات
العظيمة وهو كقوله تعالى الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام وقيل جيء يومئذ
مجيء له تعظيما لشان تلك الايات ومنه قوله تعالى في الحديث يا ابن ادم مرضت
فلم تعدني واستسقيتك فلم تسقني واستطعمتك فلم تطعمني وقيل وجاربك اي زالت
الشبهة ولكن اليوم وصارت المعارف ضرورية كالمرئيات والشك عند مجيء
الشيء الذي كان يشك فيه وقال اهل الاشارة ظهرت قدرته واستوت والرجل
ثناؤه لا يوصف بالتحول من مكان الى مكان والى له التحول والانتقال
ولا مكان له ولا زمان لانه في جريان الوقت على الشيء فوت الاوقات ومن قامت
الشيء فهو عاجز قوله تعالى والملك اي الملائكة صفا صفا اي صفوفا وجيء يومئذ
بجهنم قال ابن مسعود وقتادة تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد
سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يمين العرش وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ
بسبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها وقال ابو سعيد الخدري
لما نزلت وجيء يومئذ بجهنم فتغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه
حتى اشتد على اصحابه ثم قال اتراني جيء يومئذ كلا اذا دكت الارض دكا دكا الاية
وجيء يومئذ بجهنم قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجيء بها قال
يؤتى بها تقاد بسبعين الف زمام يقود كل زمام سبعون الف ملك فتشرد
شردة لو تركت لاحرقت اهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول مالي ولك يا محمد ان
الله قد حرم لحمك علي فلا يبقى احد الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه
يقول رب امتي امتي فذلك قوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان اي يتيقظ ويتوب وهو الذكرى

ومن همته معظم الدنيا والي له الذكري اي ومن اله الالتفاط والتوبة وقد فرط فيهما في الدنيا وبيان اني اي ومن اين له منفعة الذكري فلا بد من تقدير حذف المضاف والا فليس يوم يتذكر وبين والي له الذكري بيان قاله الزمخشري قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي في حياتي فاللام بمعنى في وقيل اي قدمت عملا صالحا لحياتي اي لحياة لا موت فيها وقيل لحياة اهل النار ليست هينة فكانهم لاحياة لهم فالمعنى يا ليتني قدمت من الخير لحياتي من النار فاكون في من لحياة هينة قوله تعالى فيومئذ لا يعذب عذابه احد والكناية ترجع الى الله تعالى وهو قول ابن عباس والحسن وقرا الكسائي لا يعذب ولا يوثق بفتح الواو والثاء لا يعذب احد في الدنيا كعذاب الكافر يومئذ ولا يوثق كما يوثق الكافر والمراد ابليس لان الدليل قام على انه اشد الناس عذابا لاجل اجرامه فاطلق الكلام لاجل ما صحبه من التغليظ وقيل انه اي ما خلق حكاه الفراء يعني انه لا يعذب بعذاب هذا الكافر المعين احد ولا يوثق بالسلاسل والاغلال كوثاقه احدا لتاهيبه وكبره وعناده وقيل اي لا يعذب مكانه احد فلا يوخذ منه فدا والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق ومنه قول الشاعر

ويعرعطايه المائة الرتاعا

وقيل لا يعذب احد لبيبين بكافر عذاب الكافر واختاره ابو عبيد وابو حاتم بفتح الذال والثاء وتكون الهاء ضمير الكافر لان ذلك معروف انه لا يعذب احد لعذاب الله وقد روي ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا بفتح الذال والثاء وروي ابو ظهران ابا عمرو رجع الى قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو علي يجوز ان يكون الكافر الضمير للكافر على قراءة الجماعة اي لا يعذب احد احدا مثل تعذيب هذا الكافر فيكون الهاء للكافر والمراد باحد الملائكة الذين يتولون تعذيب اهل النار وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة لما ذكر حال من كانت همته الدنيا قابح الله في اعتنائه واثاره ذكر حال من اطمانت نفسه الى الله فسلم لامره فاتكل عليه وقيل هو من قول الملائكة لاولياء الله عز وجل والمطمئنة الساكنة الموقنة ايقنت ان الله ربها فاجيبت لذلك قاله مجاهد وغيره وقال ابن عباس اي المطمئنة بثواب الله وعنه المومنة وقال الحسن المومنة الموقنة وعن مجاهد ايضا الراضية بقضاء الله التي علمت ان ما اخطاها لم يكن ليصيبها وان ما اصابها لم يكن ليخطئها وقال مقاتل الامنة من عذاب الله وفي حرف ابي بن كعب يا ايتها النفس الامنة المطمئنة وقيل التي علمت على يقين بما وعد الله في كتابه وقال ابن كيسان المطمئنة هنا المخلصة وقال ابن عطا العارفة التي لا تصبر عنها طرفة عين وقيل المطمئنة لذكر الله بيانه الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل المطمئنة لانها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع وروى عبيد الله بن بريدة عن ابيه قال يعني نفس حمزة والصحيح انها عامة في كل مسلم مومن مخلص طايع قال الحسن البصري ان الله تعالى اذا اراد ان يقبض روح عبد المومن اطمانت النفس الى الله واطمان الله اليها وقال عمرو سالت عامر اذا توفي المومن ارسل الله عليه ملكين وارسل منهما تحفة من الجنة فيقولان لها اخرجي ايتها النفس المطمئنة راضية مرضية ومرضيا عنها اخرجي الى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كاطيب ريح المسك وجد احد من انفه فيا وجد الا رض وذكر الحديث وقال سعيد بن زيد قال رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم يا ايتها النفس المطمئنة فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك سيقول لها يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس يا لها من طايفة لم يرض بها خلقه طايفة قط فدخل نفسه ثم لم يرض بها خلقه قط فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يدري من قالها يا ايتها المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية وروى الضحاك انها نزلت عن عثمان بن عفان رضي الله عنه حين وقف بئر رومه وقيل نزلت في حنيف بن عدي الذي صلبه اهل مكة وحملوا وجه الى المدينة فجعل الله وجهه نحو القبلة قاله اعلم وقيل الي

الى ربك الى صاحبك وحبيبك قاله ابن عباس وعكرمة وعطا واختاره الطبري
ودليله قراءة ابن عباس وادخلي في عبدي على التوحيد فيا مولاه تعالى الارواح
عند ان ترجع الى الاجساد وقرا ابن مسعود في جسد عبدي وقال الحسن ارجعي
الى ثواب ربك وكرامته وقال ابو صالح المعنى ارجعي الى الله وهذا عند الموت فادخلي
في عبادي في اجساد عبادي دليله قراءة ابن عباس وابن مسعود قال ابن عباس
هذا يوم القيامة وقاله الضحاك والجمهور على ان الجنة هي دار الخلود التي
هي مسكن الانبياء وذوي الصالحين والاخيار ومعنى في عبادي كما قال ولندخلنهم
في الصالحين وقال الاخفش في عبادي اي في جزئي والمعنى واحد اي انتظمي
في سلكهم وادخلي معهم

تفسير سورة البلد مكية
بالاتفاق وهي عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد يجوز ان تكون
لا زايدة كما تقدم في لا اقسم بيوم القيامة قاله الاخفش اي اقسم لا شرقال بهذا
البلد وقد اقسم به في قوله وهذا البلد الامين فكيف يجمع القسم به وقد اقسم به
وقال الشاعر • تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد صميم القلب لا يتقطع
اي يتقطع ودخل حرف لا صلة ومنه قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد
يدل قوله تعالى في ص ما منعك ان تسجد وقرا الحسن والاعمش وابن كثير
لاقسم من غير الف بعد اللام ايتانا واختار الاخفش ايضا ان يكون بمعنى الا
وقيل ليست بنفي القسم وانما هو لتوكيد القسم لا والله لافعلن كذا لا والله ما كان
كذا الا والله لافعلن كذا وقيل هي نفي صحيح والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم
تكن ثمة حرمة وحجة منه حكاه مكي ورواه ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا رد
عليهم وهذا اختيار ابن السري لانه قال واما من قال انها رد فهو قول ليس
بشيء لانه يفتح به المعنى ويتمكن اللفظ والمراد فهو رد لكلام من انكر البعث
ثم ابتدا القسم وقال القشيري قوله لا رد لما توهم الانسان المذكور في هذه
السورة المغرور بالدنيا اي ليس الامر كما يحسبه من انه لم يقدر عليه احد ثم ابتدا
القسم والبلد مكة اجمعوا عليه اي اقسم بالبلد الحرام الذي انت فيه لكرامتك علي
وحي لك وقال الواسطي اي بحلفك بهذا الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبيركلك ميتا
يعني المدينة والاول اصح لان السورة نزلت بمكة بالاتفاق فقوله تعالى وانت حل
بهذا البلد يعني في المستقبل مثل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله
واسع في كلام العرب تقول لمن يعده الاكرام والحباء انت مكرم مجبو وهو في
كلام الله واسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكذلك
دليل قاطع على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة
بالاتفاق مكية قبل الفتح وروي منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت
فيه من شيء فانت في حل وكذا قال ابن عباس احل له يوم دخل مكة ان يقتل
من شاء فقتل ابن خطل ومقيس بن صبابة وغيرهما ولم يحل لاحد من الناس
ان يقتل بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى السدي قال انت في حل
ممن قاتلك ان تقتله وروى ابو صالح عن ابن عباس قال احلت له ساعة
من نهار ثم اطيفت وحرمت الى يوم القيامة وذلك يوم فتح مكة وثبت عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض
فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي
الا ساعة من نهار الحديث وقد تقدم في سورة المائدة ابن زيد لم يكن لها اجر
حل لا غير النبي صلى الله عليه وسلم وقيل وانت ساكن فيه وهو محلل وانت فيه
محسن وانا عنك فيه راض وذكر اهل اللغة انه قال رجل حل وحلال ومحل
ورجل حرام ومحرم وقال قتادة انت به لست بآثم وقيل هو ثناء على النبي
صلى الله عليه وسلم اي انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه معرفة
منه بحق هذا البيت لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله فيه اي اقسم بهذا

جنتي ٢

البيت المعظم الذي قد عرفت حرمته فانت مقيم فيه معظم له غير مرتكب فيه ما يحرم
عليك وقال شرحبيل بن سعد وانت حل بهذا البلد اي حلال ايهم يحرمون
مكة ان يقتلوا بها صيدا او يعضدوا بها شجرة ثم مع هذا يستحلون اخراجك
وقتلك قوله تعالى ووالد وما ولد قال مجاهد وقتادة والضحاك والحسن
وابو صالح ووالد آدم عليه السلام وما ولد اي وما نسل من ولده افسم بهم لانهم
اعجب ما خلق الله تعالى على الارض لما فيهم من الثبات والنطق والتدبير وجه 2
وقتلهم الانبياء والرعاة الى الله وقيل هو قسم بآدم والصالحين من ذريته واما
الصالحون فكانتهم بها يم وقيل اقوا لدابراهيم وما ولد من ذريته قاله ابو عمران
الجوني ثم يحتمل انه يريد جميع ذريته ويحتمل ان يريد المسلمين من ذريته قال القرا
وصح ما للناس لقوله ما طاب لكم وقوله وما خلق الذكر والانثى وهو الخالق
للذكر والانثى وقيل ما مع ما بعدها في معنى المصدر اي ووالد وولادته
لقوله تعالى وانهما وما بناها وقال عكرمة وسعيد بن جبير ووالدي يعني
الذي يولد له وما ولد يعني العاقر الذي لا يولد له وقاله ابن عباس وما
على هذا نفي وهو بعيد ولا يصح الا باضمار الموصول اي ووالد والذي ما ولد
وذلك لا يجوز عند البصريين وقيل هو عموم في كل والد وكل مولود قاله عطية
سمتاه عن ابن عباس ايضا وهو اختيار الطبري الماوردي ويحتمل ان الوالد
النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله عليه الصلاة والسلام
انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاقسم به وبامته بعد ان اقسم ببلده بالامة
في تشريفه عليه السلام قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد الى هنا انتهى القسم وهذا
جوابه ولله ان يقسم بما شاء من مخلوقاته لعظمها كما تقدم والانسان هنا ابن ادم
في كبد اي في شدة وعنا من مكابدة الدنيا ومنه تكبد اللبن غلظ واشتد وامه
اللبن لا تقدم يغلظ ويشتد وتقول كابدت هذا الامر قاسيت شدته قال لبيد

• يا عين هلا تبكيت اربد اذ دعا قرنا فخر صريعا لليدين وللفم •

قال ابن عباس والحسن في كبد اي شدة ونصب وعن ابن عباس ايضا في شدة
من حمله وولادته ورضاعته ونبت اسنانه وغير ذلك من احواله وروى
عكرمة عنه قال منتصبا في بطن امه والكبد الاستواء والاستقامة فهذا امتنا
عليه في الخلقة ولم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بطن امه الا منكبة على وجهها الا
ابن ادم فانه منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما ان كيان
منصبا راسه في بطن امه فلب راسه الى رجلي امه وقال الحسن يكابد تصاريف
الدنيا وشدائد الاخرة وعنه ايضا يكابد التشكر على السراء ويكابد الصبر على
الضراء لانه لا يخلو من احدهما ورواه ابن عمرو قال بيان لم يخلق الله خلقا
يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال علي وما اول ما يكابد
تقطع سرته ثم اذا انفطر فاه وشد رباطا يكابد الضيق والكرب ثم يكابد
الارتضاع ولوفاته صياح ثم يكابد نبت اسنانه وتحرك لسانه ثم يكابد الفطام
ثم يكابد الختان والاوجاع والاحزان ثم يكابد المعلم ومسوليه والمؤدب وسائر
والاساتذة وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعميل فيه والتزويج ثم يكابد
شغل الاولاد والخدم والاحفاد ثم يكابد شغل الدور والقصور ثم الكبر والهرم
وضعف الركبة والقدم ونصاب لكثرة انواعها وتوابيب يطول ايرادها من
صداع الراس ووجع الاضراس ورمتة العينين ثم وعجم الدين ووجع السن
والم الاذن ويكابد محنا من المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يبقى عليه
يوم الا يقاسي فيه شدة ولا يكابد الا مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم مسايلة الملك
وضغطة القبر وظلمته ثم البعث والعرض على الله الى ان يستقر به القرار اما في جنة
واما في نار قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد فلو كان الامر اليه لما اختار
هذه الاحوال فليمثل امره وقال ابن زيد الانسان هنا ادم وقوله في كبد اي
في وسط السما وقال الكلبي ان هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له ابن الاشدين
وكان ياخذ الاديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا
فتحدى عشرة حتى يتمزق ولا يزول قدماه وكان من اعدا النبي صلى الله عليه وسلم

وفيه

وقيل نزلت اجيب ان لن يقدر عليه احد يعني لفوته وروي عن ابن عباس ومعنى
يكبد اي شديد الخلق وكان من اشد رجال قريش وكذلك ركانة ابن هشام بن المطلب
وكانا مثلا في الناس والشدة وقيل في كبد اي حري القلب غليظها الكبد مع ضعف
خلقته ومهانته ما دانه ابن عطاء في ظلمه وجهله الزمدي مصيبا ما يعنيه مشتملا
بما لا يشتهيه قوله تعالى اجيب ان لن يقدر عليه احد اي ايظن ابن ادم ان لن يعيا
الله عز وجل يقول اهلكت اي انفقت مالا لبدا اي كثيرا بعضه على بعض اجيب ايظن
ان لن يره اي لم يعاقبه احد من الله عز وجل ذلك منه وكان كاذبا في قوله انفقت
ولم يكن انفق وروي ابو هريرة قال يوقف العبد فيقال فيما انفقت في المال
الذي رزقتك فيقول انفقته وزكيته فيقال كذبت انما فعلت ذلك ليقال
سخي فقد قيل ذلك ثم يؤمر به الى النار وعن سعيد عن قتادة انكلا تقول
عن مالك من اين جمعت وكيف انفقت وعن ابن عباس قال ابو الاسدين
يقول انفقت في عداوة محمد مالا كثيرا وهو في ذلك كاذب وقال مقاتل نزلت
في الحارث بن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه وسلم فامره ان
يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين
محمد وهذا القول منه يحتمل ان يكون استطالة بما انفق فيكون طغيانا ناتئا
واسما عليه فيكون نوبا منه وقرا ابو جعفر ما لا لبدا بتشديد الباء منونة
على جمع لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وشاهد وشهد ونحوه وقرا مجاهد
وحميد بضم الباء واللام مخففا جمع لبود الباقون بضم اللام وكسرها وفتح الباء
مخففا جمع لبده ولبده وهو ما تلبد بعضه على بعض الكثرة وقد سمي في سورة الجن
الجن فيه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اجيب في الموضعين
وقال الحسن يقول انفقت مالا كثيرا فمن يحاسبني به وعني احبه الم
يعلم ان الله قادر على محاسبته ان الله عز وجل يرى ضيقه ثم عدد عليه
نعمه فقال الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا ينطق به وشفتين يستر بهما
ثغره والمعنى نحن فعلنا ذلك ونحن نقدر على ان نبعثه ونحصي عليه
ما عمله وقال ابو حازم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال يا ابن ادم
ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق
وان نازعك فرجك اتيانما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق
والشفة اصلها شفهة فحذفت منها الهاء وتصغيرها شفيهة والجمع شفاه
ويقال شفهات وشفوات والهاء التي ذهبت واو او ياء نسبها بالسوات وقال
الازهري يقال هذه شفة في الوصل وسفه بالباء والهاء وقال قتادة
ثم الله ظاهره بمعرفك بها حين تنكر قوله تعالى وهديناه النجدين يعني الطريق
طريق الخير وطريق الشر اي بينا لهما ما به يأتيان الرشد وانما سمي الطريق
الطريق في ارتفاع وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وروي
قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا ايها الناس
انما هو النجدان نجد الخير ونجد الشر فلم يجعل نجد الشر احب اليكم من نجد
الخير وروي عن عكرمة قال النجدان الثديان وهو قول سعيد بن المسيب
والضحاك وروي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما لانهما كالطريقين لحياة
المولود ورزقه فالنجد العلو ومنه المنجد لعلو درجته سمي نجدا لارتفاعها
من احتفاظ تهامة فالنجدان الطريقان العاليان قال ابو الهيثم النجد كالكبد
في يقال ان بهم لجارع نجل نجله واخر منهم قاطع النجد كالكبد
في قوله تعالى فلا اقتحم العقبة اي فهلا انفق ماله الذي يزعم انه
انفقه في عداوة فهلا لا اقتحم العقبة اقتحام فيافس ولا اقتحام
الرمي بالسنين في شيء من غير روية وقحم الفارس فرسه اقتحما على وجهه
وارماه وقحم النفس في الشيء ادخاله فيه من غير روية والقحمة بالضم
المهلكة والسنة الشديدة يقال اصابت الاعراب القحمة اذا اصابتهم قحط
فدخلوا الريف والقحمة الطرف وقال العدا والرحاب وذكر لامراة واخرة
والعرب لا تكاد تفرد لا مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى يعتمدوها

بقين

الى كلام الاخر لقوله تعالى فلا صدق ولا صلى ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وانما اقدروها لدلالة اخر الكلام على اول معناه فيجوز ان يكون قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا قائما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن وقيل هو جار مجرى الدعا لقوله لا نجا ولا سلم وما ادراك ما العقبة قال سفيان ابن عيينة كل شئ قال فيه وما يدريك فانه لم يجب به وقال معنى فلا اقتحم العقبة اى فلم يقتحم العقبة كقول زهير

وكان طوى كشحا على مسليه فلا هو ابداها ولم يتقدم

اى لم يبدها ولم يتقدم وكذا قال المبرد وابو علي الاخفش ولم يذكر البخاري عن مجاهد اى فلم يقتحم العقبة في الدنيا فلا يحتاج الى التكرير ثم فسر العقبة وركوبها فقال فك رقبة وكذا اضيف وهو من العرب العاربة وقال ابو زيد وجماعة من المفسرين معنى الكلام الاستفهام الذي معناه الانكار تقديره فلا اقتحم العقبة او هلا اقتحم العقبة بقوله هلا انفق ماله في فك الرقاب واطعام الجيعان فيكون خبرا لله من انفاقه في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قيل اقتحام العقبة هاهنا مثل اى هلا تحمل عظائم الامور في انفاق ماله في طاعة ربه والايمان به وهذا انما يليق بمن لم يحمل قبله اقتحم العقبة بل الزنا اى فلا نجا ولا سلم من لم ينفق ماله في كذا وكذا وقيل سد عظم الذنوب وثقلها وشدتها بعقبة فاذا اعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله مثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب التي تنقره وتؤذيه وتثقله وقال ابن عمر هذه العقبة حيل في جهنم وعن ابي رجا قال بلغنا ان العقبة سبعون درجة الافستة ومهبطها سبعة الافستة وقال الحسن وقتادة هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحمها بطاعة الله وقال مجاهد والضحاك والكلبي هي الصراط يضرب على جهنم لكم السبيل مسيرة ثلاثة الافستة سهلا وصعودا وهبوطا واقتحامه على المومن كما بين صلاة العصر الى العشا وقيل اقتحامه عليه قدرها يصلي صلاة مكتوبة وروي عن ابي الدرداء انه قال ان وراءكم عقبة لا يجاوزها الناس منهم احد حملا وقيل النار يقتحمها من العقبة فروى ابو رجا عن الحسن يلفظ ان كل من سلم يعتق رقبة الا فداه من النار وعن عبد الله ابن عمر قال من اعتق رقبة اعتق الله عز وجل بكل عضو منها عضوا منه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا من اعضائه من النار حتى فرجه بفرجه وفي الترمذي عن ابي امامة وغيره من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما امرء مسلم اعتق امرأ مسلما كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوا منه وايما امرأة مسلمة اعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضوا منها قال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل العقبة خلاصها من هول العرض وقال قتادة وكعب هي اردى الجسر وقال الحسن هي والله عقبة شديدة للمجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه والشيطان واشد بعضهم

اني بليت بارع يعييني بالليل فرتصبو اعيزاكما
بالبيس والدنيا ونفسي والهوا ابدا ارجو بينهن فكا
يارب ساعدني بعفو انني اصبحت لا ارجو لهن سواكا

قوله تعالى وما ادراك ما العقبة فيه حذف اى وما ادراك ما اقتحام العقبة وهذا تعظيم لالتزام امرائهن والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه ما اقتحام العقبة قال الفقيه ابو الليث وجعل العقبة هي عقبة جهنم بعد اذا حد في الدنيا لم يقتحم عقبة جهنم الا ان يحمل على ان المراد هلا صبر نفسه بحيث يمكنه اقتحام عقبة جهنم هذا واختار البخاري قول مجاهد انه لم يقتحم العقبة في الدنيا قال ابن العربي وانما اختار ذلك لاجل انه قال بعد ذلك في الاية الثانية وما ادراك ما العقبة ثم قال في الاية الثالثة فك رقبة وفي الاية الرابعة او اطعم في يوم ذي مسغبة ثم قال في الاية الخامسة يتيما ذا مقربة ثم قال في الاية السادسة او مسكينا ذا متربة فهذه

الاعمال انما يكون في الدنيا المعني فلم يات في الدنيا بما يستحق عليه سكون
المعتبة في الاخرة قوله تعالى فك رقبة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى
فك رقبة فكها خلاصها من الاسر وقيل من الرق وفي الحديث وفك الرقبة
ان تعين في ثمنها من حديث البرا وقد تقدم في سورة براءة والفك هو حل المغلق
والرق قيد ونحوه والمرقوق رقبته لانه بالرق كالاسير الموثوق في رقبته وسمي
عتقها فكا كفكك الاسير من الاسر قال جميل

كم من اسير فككناه بلا ثمن وجر ناصية كنا مواليا

وروي عمرو بن عنبسة عن عامر الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعتق
رقبة مومنة كانت فداه من النار قال الماوردي ويحتمل ثانيا انه اراد فك
رقبته وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وقيل الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا
التاويل وهو ايده بالصواب الثانية قوله تعالى رقبة قال اصبغ الرقبة الكافر
وان الثمن افضل في العتق من الرقبة المومنة الغلية الثمن لقوله صلى الله
عليه وسلم فذكر اي الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها
ابن العربي والمراد في هذا الحديث من المسلمين بدليل قوله عليه الصلاة والسلام
من اعتق امرا مسلما ومن اعتق رقبة مومنة وما ذكره اصبغ وهله وانما نظر
الى نقص المال والنظر الى تحرير المعتق للعبادة وتفريغه للتوحيد والثالثة
العتق والصدقة من افضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق
افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة افضل والاية ادل على قول
ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده فضل
نفقته ايضعه في قرابته او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار
قوله تعالى او اطعم في يوم ذي مسغبة قال في يوم عز فيه الطعام وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من موجبات الرحمة اطعام المسلم السغبان
يتيما ذا مقربة اي قرابة يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي يعلمك ان
الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له افضل من الصدقة على اليتيم الذي يجد
من يكفله واهل اللغة يقولون سمي يتيما لضعفه يقال يتم الرجل يتما اذا ضعف
وذكروا ان اليتيم في الناس من قبل الاب وفي البهائم من قبل الام وقد مضى
وقد مضى في سورة النساء مستوفى وقال بعض اهل اللغة اليتيم الذي يموت
ابوه وقال قيس بن الملوح الى الله اشكو فقد ليلى

كما شكى الله فقد الوالدين يتيما

قوله تعالى او مسكينا ذا متربة اي لاشيء حتى كانه لصق بالتراب من الفقر
ليس له ما وارى الا التراب وقال ابن عباس هو المطروح على الطريق الذي
لا بيت له ومجاهد هو الذي لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة انه
ذو العيال عكرمة المدوس ابوسنان ذو الزمانة ابن جبير الذي ليس له احد
وروي عكرمة عن ابن عباس ذو المتربة البعيد التربة بين الغريب البعيد
عن وطنه وقال ابو حامد الحارس المتربة هنا من التراب وهي شدة الحال
يقال تربت اذا افتقرت قال الهذلي

وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا سفكنا دما اليدين يتربه الحال

وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك بنصب الكاف على الفعل الماضي
رقبة بنصبا لكونها مفعولا او اطعم بفتح الهمزة ونصب الميم من غير الف
على الفعل الماضي ايضا لقوله ثم كان من الذين امنوا وهذا اشكل بفك واطعم
وقرا الباقون فك رفعا على انه مصدر فكت رقبة حفظ بالاضافة او اطعام
بكسر الهمزة والف ورفع الميم وتنوينها على المصدر ايضا واختاره ابو عبيد
وابو حاتم لانه تفسير لقوله تعالى وما ادراك ما العقبة ثم اخبره وقال
فك رقبة او اطعام المعنى اقتحام العقبة فك رقبة او اطعام ومن قرا
بالنصب فهو محمول على المعنى اي ولا فك رقبة ولا اطعم في يوم ذي مسغبة

فكبف بجاوز العقبة وقرا الحسن وابو رجاء امسغبة بالنصب على انه مفعول
اطعام اي اطعموا في يوم ذي مسغبة ويتيما بدل منه والمفعول ذي مسغبة هو صفة
ليوم ويجوز ان تكون قراءة النصب صفة لموضع الجار والمجرور لان قوله في يوم
ظرف منصوب الموضع فيكون وصفا له في المعنى دون اللفظ قوله تعالى
ثم كان من الذين امنوا يعني انه لا يقتحم العقبة حتى فك رقبة او اطعم في يوم ذي
مسغبة حتى يكون من الذين امنوا اي متدرعا باتيانه شرط قبول الطاعات
الايمان بالله تعالى والايمان بعد الاتيان لا ينفع بل يجب ان تكون الطاعة مصحوبة
بالايمان قال الله تعالى في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم
كفروا بالله وبرسوله وقالت عائشة يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية
يصل الرحم ويطعم الطعام وينفك العاني ويعتق الرقاب ويحمل على ابله في سبيل الله فهل
ينفعه ذلك شيئا قال لا انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وقيل
ثم كان نفسا من الذين امنوا اي فعل هذه الاشياء وهو مؤمن ثم بقي على ايمانه
حتى الوفاة نظيره قوله تعالى وان لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى
وقيل المعنى ممن كان من الذين يوصون بالله هذا هو عند الله تعالى وقيل
الى هذه القرب لوجه الله ثم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قال حكيم بن حزام
يا رسول الله انا كنا نحنث باشياء في الجاهلية فهل لنا فيها شيء
فقال عليه الصلاة والسلام اسلمت على ما قدمت من الخير وقيل اللام بمعنى
الواو اي وكان من هذا المعتق الرقبة والمطعم في المسغبة من الذين اوصوا امنوا
وتواصوا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه وعلى
ما اصابهم من البلايا والمصائب وتواصوا بالمرحمة اي بالرحمة على الخلق
قائم اذا افعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين اولئك اصحاب الميمنة
اي الذين يوتون كتبهم بايمانهم قاله محمد بن كعب القرظي وغيره وقال
يحيى بن سلام لانهم ميامين على انفسهم ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم الايمن
وقيل لان منزلتهم عن اليمين قاله سعيد بن مسعود والذين كفروا بايانتا
اي القرآن هم اصحاب المشامة اي يأتون كتبهم بشمائلهم قاله محمد بن كعب
ويحيى بن سلام لانهم متشائمون على انفسهم ابن زيد لانهم اخذوا من شق ادم
الايسر لان منزلتهم عن اليسار قلت ويجمع هذه الاقوال ان يقال ان اصحاب
الميمنة واصحاب الجنة واصحاب الميمنة واصحاب النار قال الله تعالى واصحاب
اليمين ما اصحاب اليمين في سدر مخضود واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال في سموم وحميم وما كان مثله وسمي موصدة اي مطبقة مقفلة
قال

تحن الى احيالها مكة نافتي
ومن دونها ابواب صنعا وموصدة

وقيل مبهمة لا يدري ما داخلها واهل اللغة يقولون اوصدت الباب
واصدته اي اغلقته فمن قال اوصدت فالاسم الوصاد ومن قال اصدت
فالاسم الاصاد وقرا ابو عمرو وحفص ويعقوب والشحري عن الكسائي
موصده بالهمز هنا وفي الهمزة التي تتلوها بلا همز وهما لغتان وعن ابي بكر بن
عياش لنا اسام يهمز موصدة فاشتهي ان اشد اذني اذا اسمعه

تفسير سورة الشمس وهي مكية

باتفاق وهي خمسة عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها قال مجاهد وضحاها
اي وضوءها واشراقها وهو قسم ثان واضاف الضحى الى الشمس لانه انما يكون
بارتفاع الشمس وقد فتاوة تهما وهما السدي حرها وروى الضحاك
عن ابن عباس وضحاها قال حملنها الضوء وجعلها حارة وقال الزجاج
هو انبساطها وقيل ما ظهر بها من كل مخلوق فيكون القسم بها وبمخلوقاتها

الارض

الارض كلها حكاه الا الماوردي والضحى مونثة بقال ارتفعت الضحي فوق الضحوة
وقد تذكر فمن انث ذهب الي انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الي انه اسم عي فعل نحو صرد
وثغن وهو ظرف غير متمكن مثل سحر يقوله المتنبية ضحي وضحي اذا اردت به ضحي
يوم كذا لم تنونه وقال الفراء الضحي هو الها كقول قتادة والمعروف عند العرب
ان الضحي اذا طلعت الشمس وبعيدة ذلك قليلا فاذا زاد فهو الضحا بالمد
ومن قال الضحي النهار كله قد لك لزوال نور الشمس لايكون الا مع حر الشمس
وقد استدل من قال ان الضحي حر الشمس بقوله تعالي ولا تضحي اي يوذيك الحر
وقال المبرد اصل الضحي من الضح وهو نور الشمس والالف مقلوبة من الحا
الثانية بقوله ضحوة وضحوات وضحي قالوا ومن ضحوة مقلوبة علي
الحد الثانية والالف في ضحي مقلوبة عن الواو وقال ابن الهيثم الضح بقتيض
الظل وهو نور الشمس على وجه الارض واصله الضحي فاستثقلوا الياء مع سكون
الواو فقلبوها الفا فقوله تعالي والقمر اذا تلاها اي تتبعها وذلك اذا استطت
روي الهلال يقال تلوت فلانا اذا تبعته قال قتادة اذا كان ليلة الهلال
اذا استطلت الشمس روي الهلال وقال ابن زيد اذا اعرضته الشمس في النصف
الاول من الشهر تلاها القمر بالطلوع وفي اخر الشهر يتلوها بالغروب
القمر تلاها احد منها تذهب الي ان القمر يأخذ من ضوء من ضوء الشمس وقال
قوم والقمر اذا تلاها حين استوي واستدار وكان مثلها في الضيا والنور وقال
الزجاج قوله تعالي والنهار اذا جلاها اي كشفها فقال قوم جلي الظلمة وان لم
يجر لها ذكر كما تقول اصبحت باردة ثم يراصبحت غداتنا باردة وهذا قول
الفراء والكلبي وغيرهما وقال قوم الضمير في جلاها للشمس والمعني انه تبين
بضوءه جرمها ومنه قول قيس بن الخطيم

تجلت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وقيل جلاها اي الارض من حصوانها حتي ظهر لاستارة ليلا وانتشاره نهارا
وقيل جلا الدنيا وقيل الارض وان لم يجر لها ذكر ومثله قوله تعالي حتي توارت
بالحجاب علي ما تقدم انفا قوله تعالي والليل اذا يغشاها اي يغشي الشمس
فيذهب بضوءها عند ستوطها قاله مجاهد وغيره وقيل يعشي الدنيا بالظلم
فتظلم الافاق فالكناية ترجع الي غير مذكور قوله تعالي والسما وما بناها اي
وبنائها لها مصدرية كما قال بما عتوني ربي اي بعقران ربي قاله قتادة واختاره
المبرد وقيل المعني ومن بناها قاله قتادة واختاره المبرد وقيل المعني ومن بناها
قاله الحسن ومجاهد وهو اختيار الطبري اي ومن خلقها ورفعها وهو الله تعالي
وحكي عن اهل الحجاز سبحان ما سبحت له اي سبحان من سبحت له قوله تعالي
والارض وما طحاها اي وطحوها وقيل ومن طحاها علي ما ذكرناه انفا اي
بسطها كذا قال عامة المفسرين مثل دحاها قاله مجاهد والحسن وغيرهما
ضحاها ودحاها واحد اي بسطها من كل جانب والطحو البسط طحا يطحو طحوا
وطحا وطحي يطحي طحيا وطحيت اضطجعت عن ابن عمر وعن ابن عباس طحاها
قسمها وقيل خلقها قال الشاعر

وفاتر ري جيدمه من طحاها ولامن سالف العرق الوتيع

الماوردي ويحتمل انه مما حوت من نبات وعيون وكنوز لانهم حياة لما خلق
عليها ويقال في بعض لغات العرب لاو الغز الطاهي اي المشرف المرتفع قال ابو عمرو طحا الرجل اذا ذهب في الارض يقال ما ادري اين طحا
ويقال طحا به قلبه اذا ذهب به في كل شي قال علقمة

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

قوله تعالي ونفس وما سواها قيل والمعني وبنوتها فما بمعني المصدر وقيل
المعني ومن سواها وهو الله عز وجل ذي النفس قولان احدهما ادم الثاني
كل نفس منفوسة وسوي بمعني هيأ وقال مجاهد سواها سوي خلقها وعدل
وهذه الاسما كلها مجرورة علي القسم اقسم جل ثناؤه بخلقه لما فيه من عجايب الصنعة

ها

الدالة عليه قوله تعالى فالهمها اي عرفها كذا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد اي عرفها
طريق الفجور والتقوى وقال ابن عباس وعن مجاهد ايضا عرفها الطاعة والمعصية
وعن مجاهد مجد بن كعب قال اذا اراد الله عز وجل بعبده خيرا الهمه الخير فعمل به واذا
اراد به السوء الهمه الشر فعمل به وقال الفراء الهمها قال عرفها طريق الخير وطريق
الشر كما قال وهديناه النجدين وروى الضحاك عن ابن عباس قال الهم الفجور
تقواه والهم التاجر فجوره وعن سعيد عن قتادة قال بين لها فجورها وتقواها
والمعنى متقارب وروى عن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالهمها
فجورها وتقواها فقال اللهم ان نفسي تقواها زكها انت خير من زكاها انت
وليها ومولاها رواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا قرا هذه الاية قال اللهم الهمها فجورها وتقواها رفع صوته بها وقال اللهم
ان نفسي تقواها انت وليها ومولاها وانت خير من زكاها وفي صحيح مسلم عن ابي
الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون
فيه اشيء قضي ومضى عليهم من قدر ما سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم
وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم قال فقال افلا تكون
ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسئل
عما يفعل وهم يسالون فقال لي يرحمك الله اني لم ارد بما سالتك اني لاحرز عقلك
ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت
ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق
او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شيء قضي عليهم
ومضى فيهم وتصديق ذلك من كتاب الله وتلا ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها
والفجور والتقوى مصدران في موضع المفعول به قوله تعالى قد افلح من زكاها
هذا جواب القسم لقد افلح قال الزجاج اللام حذفت لان الكلام طال فصار
طوله عوضا منها وقيل الجواب محذوف اي والشمس وكذا لتبعثن المزمخشري
تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما دمدم على ثمود لاجل كذبهم اياه واما قد افلح من زكاها فكلام تابع لقوله
فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء وقيل هو
على التقديم والتاخير بتغيير حذف والمعنى قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها
والشمس وضحاها قد افلح فاز من زكاها اي من زكا الله نفسه بالطاعة وقد خاب
من دساها اي خسرت نفس دساها الله جل ثناؤه بالمعصية وقال ابن عباس
خابت نفس اضلها الله واغواها وقيل افلح من زكا نفسه بطاعة الله وصالح الاعمال
وخاب من دس نفسه في المعاصي قاله قتادة وغيره واصل الزكاة النمو والزيادة
ومنه زكا الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية الشاهد لانه يرفعه
بالتعديل وذكر الجميل وقد تقدم هذا المعنى في سورة البقرة مستوفى فمصطنع
المعروف والمبادر الى اعمال البر يشهر نفسه ويرفعها وكانت اجود العرب تنزل
الربا وارتفاع الارض ليشتهر مكانها بالمعتفين وتوقد النار في السيل للطارقين
وكانت الايام تنزل الاولاج والاطراف والاهضام ليخفى مكانها عن الطالبين
فاولئك رفعوا انفسهم وزكوها وهؤلاء اخفوا انفسهم ودسوها وكذا الفاجر
البراخفى المكان زمر المروءة غامض التحصن نائس الرأس يركب المعاصي
وقيل دساها اغواها قال

* وانت الذي دسيت عمرا فاصبحت حلائله منه ارامل رضعا *

قال اهل اللغة والاصل دسسها من التدسيس وهو اخفاء الشيء فابدلت
سينه يا كما يقال قصيت اظفاري واصله قصصت اظفاري ومثله قولهم
في تقضض تقضي وقال ابن الاعرابي وقد خاب من دساها اي دس نفسه
في جملة الصالحين وليس منهم قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها اي بطغيانها
وهو حد وحدا عن الحد في العصيان قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وعن ابن عباس
بطغواها اي بطغيانها بعذابها الذي وعدت به قال وكان اسم العذاب الذي جاءها

بطغوى لانه طغى عليهم وقال محمد بن كعب بطغواها اي باجمعها وقيل هو مصدر
وهو مجمل هذا المخرج لانه اشكل بروس الاي وقيل الاصل بطغيانها الا ان فعلى
اذا كانت صفة ذوات الياء ابدلت في الاسم واوا ليفصل بين الاسم والوصف
وقراءة العامة بفتح الطاء وقرا الحسن والجحدري وحماد بن سلمة بضم الطاء على
انه مصدر كالرجعى والحسنى وتبعهما بالمصادر وقيل هما لغتان او اتبع اي
بعض اشقاها لعقر الناقة واسمه قدار بن سالف وقد مضى في الاعراف
بيان هذا وهل كان واحدا او جماعة وعن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى
الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي
زمعة وذكر الحديث اخرجه مسلم ايضا وروى الضحاك عن علي ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال انذرك من اشقى الاولين قلت الله ورسوله اعلم
قال فانك قال فقال لهم رسول الله يعني صالحا ناقة الله ناقة مصوب على
التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي والحذار الحذار اي احذروا
ناقة الله اي عقرها وقيل ذروا ناقة الله كما قيل هذه ناقة الله لكم اية
فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وسقياها
اي ذروها وشربها وقد مضى في سورة الشعراء بيانه والحمد لله وايضا في سورة
اقتربت الساعة فانهم لما اقترحوا الناقة واخرجها لهم من الصخرة حملت
لهم شرب يوم من بيرهم ولها شرب يوم معلوم فشق عليهم فكذبوه اي
كذبوا صالحا عليه السلام في قوله انكم تكذبون ان عقرتموها فعقروها
اي عقرها الاشقى واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وقال قتادة ذكر لنا انه
لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان
والعرب تقول هذا افضل الناس وهذان خير الناس وهذه المراة اشقى القوم
فلهذا لم يقل اشقياها قوله تعالى فدمدم عليهم ربهم بذنبهم اي اهلكهم واطبق
عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب والعقوق روى الضحاك عن
ابن عباس قال دمدم عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال
الفراء دمدم اي ارجف وحقيقة الدمدم تضعيف العذاب وتردده ويقال
دمدمت على الشيء اي اطبقت عليه ودمدم عليهم الفراء اي اطبقه وناقة مدمدمة
السنام اذا اكثرت الاطباق قلت دمدمت والدمدمة اهلاك باستيصال
قاله المورج وفي الصحاح ودمدمت الشيء اذا الزقته بالارض وطحطحته
ودمدم الله عليهم اي اهلكهم العشر وقيل دمدمت عليهم التراب اي
سويت عليهم فمعنى قوله فدمدم عليهم اي اهلكهم فجعلهم تحت التراب فسواها
اي سوى عليهم الارض وعلى الاول فسواها اي فسوى الدمدمة والاهلاك
عليه وذلك ان الصيحة اهلكتهم فانت على صغيرهم وكبيرهم وقال ابن الانباري
ومدم اي عضب والدمدمة الكلام الذي يرتج الرجل وقاله بعض اللغويين
الدمدمة تقول العرب ناقة مدمدمة اي سمينة وقيل فسواها اي ضمهم فسوى
الامة في انزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم وضعيفهم وشريفهم ذكرهم وانثاهم
قوله تعالى فلا يخاف عقباها اي فعل الله ذلك بهم غير خائف ان يلحقه بسببه
الدمدمة من احد قاله ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والهاء في عقباها
ترجع الى الفعلة كقوله من اغتسل يوم الجمعة فبها ونعمت اي بالفعلة
والخصلة وقال السدي والضحاك والكلبي ترجع الى العاقر اي لم يخف الذي
عقرها عقبى ما صنع وقاله ابن عباس ايضا وفي الكلام تقديم وتاخير
مجازه اذ عاقبها اهلاك قومه ولا يخشى منه ثأرا يعود عليه مساءتها لانه
قد انذرهم وحباه الله تعالى حين اهلكهم وقرا نافع وابن عامر فلا يخاف وهو
الاجود لان ترجع الى المعنى الاول اي فلا يخاف الله عاقبة اهلاكهم الباقون
بالفا وهي اشبه بالمعنى الثاني ولا يخاف الكافر عاقبة ما صنع وروى ابن
وهب وابن القاسم عن مالك قالا احرج الينا مالك مصحفا لجده زعم انه كتبه

في ايام عثمان بن عفان حين كتب المصاحف وفيه دلالة بالواو وكذا هي في مصاحف اهل مكة والمراتبين بالواو واختاره ابو عبيد وابو حاتم اتباعا للمصحف

تفسير سورة والليل مكية

وقيل مدنية وهي احدى وعشرون اية وثنتان

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والليل اذا يغشى اي يغطي ولم يذكر للعلم به قتيل يغشي النهار وقتيل الارض وقتيل الخلائق وقتيل يغشى كل شيء بظلمته وعن سعيد عن قتادة قال اول ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما والنور نهارا مبصرا فالنهار اذا انجلا اي انكشف ووضح وظهر وبان ضوءه عن ظلمة الليل وما خلق الذكر والانثى قال الحسن معناه والذي خلق الذكر والانثى فاقسم جل وعلا وقيل معناه وخلق الذكر والانثى فما مصدرية على ما تقدم واهل مكة يقولون للرعد سبحان ما سبحت له فاعلى هذا المعنى من وهو قول ابي عبيدة وغيره وقد تقدم وقيل المعنى وما خلق من الذكر والانثى فتكون من مصورة ويكون القسم منه باهل طاعته من اوليائه وانبيائه ويكون قسمه بينهم تكرمة لهم وتشريفا وقال ابو عبيدة وما خلق اي ومن خلق وكذلك قوله والسما وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها ما في هذه المواضع بمعنى من وروي عن ابن مسعود انه كان يقرؤها والنهار اذا تجلى والذكر والانثى ويسقط وما خلق وفي صحيح مسلم عن علقمة قال قدمت الشام فاتاني ابو الدرداء فقال فيكم احد يقرأ على قراءة عبد الله فقلت نعم انا قال فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية والليل اذا يغشى قال سمعته يقول والليل اذا يغشى والذكر والانثى قال انا والله هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها ولكن هؤلاء يريدون ان اقرأ وما خلق فلا اتابعهم قال ابو بكر الانباري وحدثنا محمد بن يحيى المروزي قال حدثنا محمد بن ابو احمد الزبيري قال حدثنا اسرائيل عن ابي اسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال اقرانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انا الرزاق ذو القوة المتين قال ابو بكر كل من هذين الحديثين مرفوع بخلاف الاجماع له وان حمزة وعاصما يرويان عن عبد الله بن مسعود فما عليه جماعة المسلمين والنبأ على سنة يوافقان الاجماع اولى من الاخذ بواحد مما لفظة الاجماع هو الامة وما بينك على رواية واحد اذا حاداه رواية جماعة تخالف احد رواية الجماعة وابطل تفكك الواحد لما يجوز عليه من النسيان والاغفال ولو صح الحديث عن ابي الدرداء وكان اسناده منقولا محروفا ثم كان ابو بكر وعثمان وعلي وسائر الصحابة رضي الله عنهم يخالفونه لكان الحكم للعمل بما رواته الجماعة ورفض ما يجيء به الواحد المنفرد الذي يسرع اليه من النسيان ما لا يسرع الى الجماعة وجميع اهل الملة وفي المراد بالذكر والانثى قولان احدهما ادم وحواء قاله ابن عباس والحسن والكلبي الثاني يعني جميع الذكور والاناث من بني ادم والبهائم لان الله تعالى خلق جميعهم من ذكر وانثى من الادميين دون البهائم لاختصاصهم بولاية الله وطاعته ان سعيكم لشتى هذا جواب القسم والمعنى ان عملكم لمختلف قال عكرمة وسائر المفسرين السعي العمل اما في فكاك نفسه وساع في عطبها يريد عليه قوله عليه الصلاة والسلام الناس غاديان فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وشتى واحدة شتت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه اي ان عملكم لمتباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلالة وبعضه هدى اي فمنكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع وعاص وقيل لشتى اي لمختلف الجزاء منكم شاك بالجنة وسافت بالنار وقيل اي لمختلف الاخلاق فمنكم راحم وقاس وخليم وطائش وجواد وبخيل قوله تعالى فاما من اعطى واتقى الاية فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فاما من اعطى واتقى قال ابن مسعود يعني ابا بكر رضي الله عنه وقاله عامة المفسرين وروي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان ابو بكر

يتق على الاسلام عجائز ونساقا لفقال له ابوه ابوقحافة اي بني لوانك اعتقت
جلدا يمنعونك ويقومون معك فقال يا ابت انما اريد ما اريد رعن ابن عباس
في قوله تعالى فاما من اعطى اي بذل واتقى اي محارم الله التي نهى عنها وصدق
اي بالخلف من الله على عطايه وسنيسره للبسرى وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان
ويقوله احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا
وروي من حديث ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم غربت
شمسه الا بعث الله بجنبيها ملكان ينادي ان باسمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين
اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وانزل الله تعالى في ذلك من القرآن
فاما من اعطى واتقى الاية وقال اهل التفسير فاما من اعطى المسرت
وقال قتادة اعطى الذي عليه وقال الحسن اعطى الصدقة من قبله وصدق
بالحسنى اي بلا اله الا الله قاله الضحاك والسلمي وابن عباس ايضا وقال مجاهد
بالجنة ذليله قوله تعالى للذي احسنوا الحسنى وزيادة الاية وقال قتادة بموعود
الله الذي وعده ان سينجز زيد بن اسلم بالصلاة والزكاة والصوم الحسنى
بالخلف من عطايه وهو اختيار الطبري وتقدم عن ابن عباس وكله متقارب ب
المعنى اذ يرجع كله الى الثواب الذي هو الجنة قوله تعالى وسنيسره لليسرى
اي نرشده لاسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد
ابن اسلم لليسرى الجنة وفي الصحيحين والترمذي عن علي رضي الله عنه
قال كنا في جنازة في البقيع فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجلس وجلسنا معه
ومعه عود ينكت به في الارض فرفع راسه الى السما فقال ما من نفس منفوسة
كتب مدخلها فقال القوم يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فمن كان من
اهل السعادة فانه يعمل لسعادة ومن كان من اهل الشقاوة فانه يعمل
لشقاوة قال بل اعملوا فكل ميسر اما من كان من اهل السعادة فانه
ييسر لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة فانه ييسر لعمل الشقاوة
ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من
بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى لفظ الترمذي وقال
فيه حديث حسن صحيح وسال غلاما ان شابا يلد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اعمل فكل ميسر لما خلق له او قال بما هيئت له الا قلام وجرت به المقادير ام في شيء ابتدا نفا
قال بل شيء قد فرغ منه قال ففيم العمل قال
اعملوا كل ميسر لعمله الذي خلق له قالا فالا ان نجد ونعمل قوله تعالى واما
من بخل واستغنى اي ظن بما عنده فلم يبذل خيرا وقد تقدم بيانه وتمرته
في الدنيا في سورة ال عمران وفي الاخرة ما له النار كما في هذه الاية روى
الضحاك عن ابن عباس فسوف نيسره للعسرى قال نسود احول بينه
وبين الايمان بالله وبرسوله وعنه عن ابن عباس قال نزلت في امية بن خلف
وروي عكرمة عن ابن عباس واما من بخل واستغنى يقول
بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى
اي بالخلف وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد وكذب بالحسنى قال بالجنة
وباسناده اخر عنه بالحسنى بلا اله الا الله وسنيسره اي نسهل طريقه للعسرى
اي للشر وعن ابن مسعود للنار وقيل اي نستعسر عليه اسباب الخير
والصلاح حتى نصعب عليه فعلها وقد تقدم ان الملك ينادي صباح
ومساء اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا رواه ابو الدرداء الثالثة
قال العلماء بهذه الاية ويقوله ومما رزقناهم ينفقون وقوله الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية الى غير ذلك من الايات ان الجود ج
من مكارم الاخلاق والبخل من ارذلها لكن الجواد الذي يعطي في غير
موضع العطا ولا البخيل الذي يمنع في موضع المنع لكن الجواد الذي يعطي
في موضع العطا فكل من استفاد بما يعطي اجرا وحمدا فهو الجواد وكل من استحق
بالمنع ذما وعقابا فهو البخيل ومن لم يستفد بالعطا اجرا ولا حمدا وانما استوجب د

به وما فليس بجواد وانما هو مسرف مذموم وهو من المبذرين الذين هم
اخوان الشياطين واوجب الحجر عليهم وسلم يستوجب بالمنع عفافا ولا ذما
واستوجب به حمدا فهو من اهل الرشد الذين يستحقون القيام على اموالهم
عليهم لحسن تدبيرهم وسداد رايهم الرابعة قال الفراء تقول للقائل كيف قال
فسنيسره للعسرى وهل في العسرى تيسير فيقال في الجواب هذا في اجازته
بمنزلة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم والبشارة في الاصل على السر
والبشارة في الاصل على الفرح
والبشارة اذا اجتمعت في كلامين هذا خير وهذا شر جاز البشارة بهما وكذلك
التيسير في الاصل على المعنى فاذا اجتمع في كلامين هذا خير وهذا شر جاز التيسير
بهما جميعا قال الفراء قوله فسنيسره اي سنهيئه والعرب تقول
قد يسرت الغنم اذا ولدت او هيأت للولادة قال يحيى ابا ابي عمان
وانما يسود ابيا ان يسرت غنماها قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى
اي مات تردى الرجل يتردى ردا اذا هلك قال وصرفت الهوي عنهم من خشية
الردى وقال ابو صالح وزيد بن اسلم اذا تردى اي سقط في جهنم ومنه المتردية
ويقال تردى في البير وتردى اذا سقط في بير او نهر من جبل يقال ما ادري
اين ردي اي ذهب وما يحتمل ان يكون محمدا اي ولا يغني عنه ماله شيا ويحتمل
ان تكون استفهاما معناها التوبيخ اي اي شي يغني عنه اذا هلك ووقع في جهنم
ان علينا للهدى اي ان علينا تبيين طريق الهدى من طريق الضلالة
فالهدى بمعنى بيان الاحكام قاله الزجاج اي على الله البيان
بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقاله قتادة وقال الفراء من سلك
الهدى فعلى الله سبيله لقوله وعلى الله قصد السبيل يقول من اراد الله فهو على
السبيل القاصد وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فترك الاضلال
لقوله بيدك الخير وبيده كل شي او كما قال سرا يعيل تقيلم الحروري تقي البرد عن القوم
ايضا وقيل ان علينا ثواب هداه الذي هديناه وان لنا للاخرة والاولى
الاخرة الجنة والاولى الدنيا وكذا روي عطا عن ابن عباس ابي الدنيا
وروي ابو صالح عن ابن عباس قال ثواب الدنيا والاخرة وهو كقوله تعالى
من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة فمن طلبهما من غير
مالكهما فقد اخطا الطريق قوله تعالى فانذرتكم ابي حذرتكم وخوفتكم نارا تلظى
اي تلهب وتتوقد واصله تتلظى وهي قراءة عبيد بن عمير وحميد بن قيس ويحيى
ابن يعمر ولا يصلاها اي لا يجد صلاها ونقوضها الا الاشقى اي الشقي
الذي كذب نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وتولى اي اعرض عن الايمان وروى
مكحول عن ابي هريرة عن ابي ان يدخل الجنة قال الذي كذب وتولى وقال مالك
بن انس حدثنا عمر بن عبد العزيز المغرب فقرا والليل اذا يغشى فلما بلغ فانذرتكم
نارا تلظى وقع عليه البكا فلم يتم ويتداها من البكا فتركنا وخرا سورة
اخرى وقال الفراء الا الاشقى الا من كان شقيا في علم الله جل ثناؤه وروى
الضحاك عن ابن عباس قال لا يصلاها الا الاشقى امية ونظراؤه الذين كذبوا
محمدا صلى الله عليه وسلم وقال الفراء لم يكن كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة
الله وقال الفراء ردظاهر ولكنه قصر عما امر به من الطاعة فجعل تكذيبا
كما تقول لقي فلان العدو وكذب اذا نكل ورجع عن اتباعه قال
وسمعت ابا ثروان يقول ان بني نمير ليس لحديثهم سكر وبه تقول
اذا لقوا صرفوا العمال ولم يرجعوا
وذلك جل ثناؤه ليس لوقفتها كاذبة تقول هو حق وسمعت سلم بن
الحسن يقول سمعت ابا اسحاق الزجاج يقول هذه الاية من احكمها
قال اهل الارجا باالارجا وها قد زعموا ان لا يدخل النار الا كافر كما قلتم وهذه
نار موصوفة بعينها لا يصلى هذه النار الا الذي كذب وتولى ولاهل النار
منازل فمنها ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والله سبحانه لكل
ما وعد عليه يجيش من العذاب فجايز ان يعذب به وقال جل ثناؤه ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فاثبت المغفرة وكان يغفر

ما دون

فصلين

ما دون ذلك فانزلت لا يصلى له المشرك الآية واردة في الموازنة بين جالتين عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتهما المتقي وجعل مختصا بالمصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الا لتقي وجعل مختصا بالجنة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر الصديق رضي الله عنه قوله تعالى وسيجنبها اي ابو بكر رضي الله عنه يزحزح عن وجود النار ثم وصف الاتقى وقال الذي يؤتي ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا ولا يطلب به نيل زيادة ولا سمعة فلا يستصدق به مستغنيا وجه الله وقال بعض اهل المعاني اراد بقوله الاتقى والاشقى اي التقي والشقي كقول طرفة بمعنى رحاد ان امرؤ وان امت فلك قيل لست فيها باوحد اي اوحد وحيد ويوضع افعل موضع فعيل نحو قولهم الله اكبر بمعنى كبير وهو اهون عليه بمعنى هين قوله تعالى وما لاحد عنده من نعمة تجزى اي ليس يتصدق ليجازي على نعمة وانما يبتغي وجه ربه الاعلى اي المتعال ولسوف يرضى اي بالجزاء روي عطا والضحاك عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد بين الله يحيك ثم قال لابي بكر يا ابا بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب وسعى به الى امية بن خلف فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وما لاحد عنده اي عند ابي بكر من نعمة اي من يد تزمه تجزيه بل ابتغى بما فعل وجه ربه الاعلى وقيل اشتري ابو بكر من امية بن خلف بلالا بريده وعشرة اواق فاعتقه لله فنزلت ان سعيكم لشتى وقال سعيد ابن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر حين قال له ابو بكر اتبعتك فقال لم ابيعه ببساس وكان بساس عبدا لابي بكر صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواش وكان مشركا فحمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون لماله قابي فباعه ابو بكر به فقال المشركون ما فعل ابو بكر ببلال هذا الا ليد كانت لبلال عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع فلذلك نصب كقولك ما في الدار احد الا حمارا ويجوز الرفع وقرا يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول يجوز الرفع في المستثنى والنصب في المتصل بيت ابن ابي حازم

. اصحت خلا قفارا لا انيس بها
. الا الجداء والظلمان تختلف وقول القائل
. وبلدة ليس بها انيس الا السعالي والا الغيس

وفي التنزيل ما فعلوه الا قليل منهم وقد تقدم وجه ربه الاعلى اي رضا ما يقرب منه والاعلى صفة الرب الذي استحق صفات العلو ويجوز ان يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافاة نعمة ولسوف اي سوف يعطيه الجنة ما يرضى وذلك انه يعطيه اصناف ما انفق وروى ابو حيان التيمي عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله ولما اشترا ابو بكر قال له بلا لاهل اشتريتني لنفسك او لله قال لله قال فان الله قد قبل وحمل الله فاعتقه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا يعني بلالا رضي الله عنه وقال عطاء وروي عن ابن عباس ان السورة نزلت في ابي الدحداح في النخلة التي اشتراها بما يظله فيما ذكر الكلبي عن عطا وقال العنبري عن ابن عباس باربعين نخلة ولم يتم الرجل قال عطا كان لرجل من الانصار نخلة يسقط من بلحها في دار جار له فيتناول صبيانه فشكى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبيعها بنخلة في الجنة فابى فلقيه ابو الدحداح فقال هل لك ان تبيعنيها

بكر

له

يحتفي حايط له فقاده لك فاتى ابو الدحداح الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال اشتريها مني بنخلة في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده قاده لك يا رسول
الله فدعا النبي صلى الله عليه وسلم جار الانصاري فقال خذها فذهبت
والليل اذا يغشى الى اخر السورة في بستان ابي الدحداح وصدق
بالحسنى اي بالثواب فسنيسره لليسرى يعني الجنة واما من بخل واستغنى
يعني الانصاري وكذب بالحسنى بالثواب فسنيسره للعسرى يعني جهنم
وما يغني عنه ماله اذا تردى مات الى قوله لا يصلاها الا الاشقى يعني ذلك
الحزرجي وكان ستمائة نخلة فمات على شركه وسيجنبها الاتقى يعني ابا
الدحداح الذي يؤتي ماله يتزكى في ثمر تلك النخلة وما لاحد عنده من نعمة
تجزى يكافيه عليها يعني ابا الدحداح ولسوف يرضى يعني اذا ادخله الله
الجنة ان السورة نزلت في ابي بكر رضي الله عنه روى ذلك عن ابن مسعود
وابن عباس وعبد الله بن الزبير وقد ذكرنا خبرا اخر لابي الدحداح في سورة
البقرة عند قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا

تفسير سورة والضحى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى قابله
يا خليل قد تقدم القول في الضحى والمراد بها النهار لقوله والليل اذا سجى
قابله بالليل وفي سورة الاعراف اوامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
ضحى وهم يلعبون اي نهارا وقال قتادة ومقاتل وجميع الصادق اقسم
بالضحى الذي كلم الله فيه موسى وبليلة المعراج وقيل هي الساعة التي
فيها النشوة سجد ابيانه وان تحيتهم فيها ضحى وقال اهل المعاني فيه وفي
اقبال له فيه اضعاف مجازه ورب الضحى وسجي معناه سكن قاله قتادة ومجاهد
وابن زيد وعكرمة يقال ليلة ساجية يقال لليلي سجوا سجوا اذا سكن
والبحر اذا سجي سكن قال الاعشى

كما ذبنا آل حاسر بحرتين عمكم وبحر ساجي

وقال ابو ذؤيب الهذلي

يا حبذا القمر والليل الساجي وطرف مثل ملاء الساج

وقال اخر ولقد رمقتك يوم رحي ياعبي بنظرة من حلك السرور رسوا
وقال الضحاك سجى غطى كل شئ قال الاصمعي سجو الليل تغطيته النهار
مثل ما يسجي الرجل ثوبه وقال الحسن غشي بظلامه وقاله ابن عباس
وعنه اذا ذهب وعنه ايضا اذا اظلم وقرا سعيد بن جبير اقبل وروي عن قتادة
ايضا وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد سجى استوى والقول الاول اشبه باللغة
سجي سكن اي سكن الناس فيه كما يقال نهار صائم وليل قايم وقيل سكونه استقر
انظلامه واستواؤه ويقال والضحى والليل اذا سجى يعني عبادة الذين يصلون
في وقت الضحى وعبادة الذين يصلون في وقت الليل اذا اظلم ويقال
والضحى يعني النور الذي في قلوب العارفين كهيئة النار فاقسم الله عز وجل
بهذه الاشياء ما ودعك ربك هذا جواب القسم وكان جبريل عليه السلام
ابطأ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون قلاه الله وودعه فنزلت
الاية وقال ابن جريج احتبس عنه الوحي اثنا عشر يوما وقال ابن عباس
خمسة عشر يوما وقيل خمسة وعشرين يوما وقال مقاتل اربعين يوما فقال
المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه ولو كان امره من الله لتابع عليه
ولو كان بمثل ممن كان قبله من الانبياء في البخاري عن جندب بن سفيان
قال اسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امراة
فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منك ليلتين
او ثلاث فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى
وفي الترمذي عن جندب البجلي قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدميت

لا اصبح دميت وفي سبيل الله ما لاقيت قال وانطا عليه جبريل فقال المشركون
قد ودع محمد فانزل الله تبارك وتعالى ما ودعك ربك وما قلى هذا حديث حسن
صحيح لم يذكر الترمذي غير ليلتين اوثلاثا اسقط الترمذي وذكره البخاري
وهو اصح ما قيل في ذلك والله اعلم وقد ذكره الطبري ايضا عن جندب
ابن سفيان البجلي قال رمى النبي صلى الله عليه وسلم في اصبعه بحجر فدميت
فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين اوثلاثا لا يقوم
الليل فقالت له ام جميل امرأة ابي لهب ما ارى شيطانك الا قد تركك لم اره قربك
منذ ليلتين اوثلاث فنزلت والضحى وروى عن ابي عمران الهوني قال ابطا جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم حتى شق عليه فجاءه وهو واضع جبهته على الكعبة
يدعو فكلمه بين كتفيه وانزل عليه ما ودعك ربك وما قلى وقالت خولة وكانت
تخدم النبي صلى الله عليه وسلم ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات
فمكث نبي الله صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث
في بيتي جبريل لا ياتيني قالت خولة فقلت لو هيأت البيت وكنسته فاهويت
بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته خلف الجدار فجاء
نبي الله يرعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة
زملوني فانزل الله هذه السورة والما نزل جبريل ساله النبي صلى الله عليه وسلم
عن التاخر فقال وما علمك انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وقيل لما سالته
اليهود عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف قال سآخبركم غدا ولم يقل
ان شاء الله واحتبس عنه الوحي الى ان تزل جبريل فقوله ولا تقولن لشيء انى
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سيل عنه في هذه القصة نزلت فاوذ
ربك وما قلا وقيل ان المسلمين قالوا يا رسول الله ما لك لا ينزل عليك الوحي
فقال ينزل علي وانتم لا تنقون تواجهكم في رواية براجمكم ولا تقصون اظفاركم
ولا تاخذون من شواربكم فنزل جبريل بهذه السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل وانا كنت اشد اليك شوقا ولكني عبد
مامور ثم انزل عليه وما نتنزل الا بامر ربك وودعك بالتشديد قراءة العامة
من التوديع وذكر كتوديع المفارق وروي عن ابن عباس وابي الزبير
انهما قرءا ه وودعك بالتخفيف ومعناه تركك قال وهم ودعنا ذا لعمر وعامر
فرابين اطراف المعجم واستقبالها قليل منها ذا هو يعوا كذا اي يتركه قال المبرد
مهدي بن زيد لا يكادون يقولون ودع ولا يدع لضعف الواو اذا قدمت واستغنوا
عنها بترك فجلوا قوله تعالى وما قلا اي ما ابغضك ربك منذ احبك وترك الكاف
لانها راس الاية والقلى البغض قال فخفت القاف مدت تقول قلاه يقليه
قلا وقلا كما تقول رايته الضعف افريه قرا وقرا ويقلاه لغة طي وانشد ثعلب
" يا رب ام العمر ولا يقلاها اي لا يبغضها ويقلا ايضا بغض وقال "
" ابنتي يا واحسني لا ملومة لدنا ولا مقلية ان تقلت وقال "
" ان والقين ليس بمقلي الخلا ولا قالي وتا ويل الا يه "
ما ودعك ربك وما قلاك وترك الكاف لا يرد راس اية كما قال الله عز وجل والذاكرات
الله كثيرا والذاكرات اي والذاكرات الله قوله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى اي ما عندي في مرجعك الى
وروى سلمة بن ابي اسحاق وللاخرة خير لك من الاولى اي ما عندي في مرجعك الى
محمد خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا وقال ابن عباس اري النبي صلى
الله عليه وسلم ما يفتح الله على امته بعده فسر بذلك فنزل جبريل بقوله تعالى
وللاخرة خير لك من الاولى وسوف يعطيك ربك فترضى يعني ابن عباس الفتح
في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل الحوض والشفاعة وعن ابن عباس ايضا قال
من لولوء ابيض تربته المسك رفعه الاوزاعي قال حدثنا اسماعيل بن عبد الله بن
عباس عن ابيه قال اري النبي صلى الله عليه وسلم مفتوحا على امته فسر بذلك فانزل
الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى الى قوله وسوف يعطيك ربك فترضى فاعطاه
جل ثناؤه الف قصر في الجنة تربتها المسك في كل قصر ما ينبغي له من الازواج
والخدم وعنه قال رضي محمد ان لا يدخل احد من اهل بيته النار وقاله السدي

عك

كوين

وفضل هي المشاعة في جميع وعن علي رضي الله عنه قال لم يسفكن الله بانتي حتى يقول انه
سخط علي رضيت يا محمد فاقول يا رب رضيت وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو
ابن العاص قرأ النبي صلى الله عليه وسلم تلى قول الله في ابراهيم فمن تبعني فانه مني ومن
عصاني فانك غفور رحيم وقال اللهم فانهم عبادك فرفع يديه وقال اللهم امتي
امتي وبكى فقال الله تعالى لجبريل اذهب محمد وربك اعلم فسأله ما يبكيك فاتى
جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فاخبره فقال الله لجبريل اذهب الى محمد
وقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وقال علي رضي الله عنه لاهل
العراق انكم لتقولون ان ارجى اية في كتاب الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قالوا انا نقول ذلك وقال ولكنا اهل البيت نقول
ان ارجى اية في كتاب الله قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي الحديث لما نزلت
هذه الاية قال النبي صلى الله اذا والله لا ارضى وواحد من امتي في النار وقوله تعالى الم يجدك
يتيما فاوى عد وسيماته منه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقال الم يجدك يتيما
فاوى يتيما لا اب لك قد مات ابوك فاوى اي جعل لك ماوى تاوي اليه عند عمك ابي
طالب وكفيل وقيل لجعفر بن محمد الصادق لم اوتم النبي صلى الله عليه وسلم من ابويه وقال
لئلا يكون لمخلوق عليه حق وعن ما هذا هو من قول العرب درة يتيمة اذا لم يكن لها مثل
الاية الم يجدك وجدا في شرائعك لا نظير لك فاوى الله باصحاب يحفظونك ويحيطون بك
قوله تعالى ووجدك ضالا اي عما فلا بما يراد بك من امر النبوة فهداك اي ارشدك والضلال
هنا بمعنى الغفلة لقوله جل ثناؤه لا يضل ربي ولا ينسى وقال في حق نبيه وان كنت
من قبله لمن الغافلين وقال قوم ضالا لم يكن بدري القرآن والشرائع فهداك الله
الى القرآن وشرائع الاسلام من الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما وهو معنى قوله تعالى
ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فاعلم ما بيناه في سورة الشورى وقال بعضهم ووجدك
ضالا اي من قوم ضلال فهداهم لدينك هذا قول الكلبي والفراء وعن السدي نحوه
اي وجدك فيمن ضل فهداك اليها وقيل ووجدك ضالا عن الهجرة فهداك اليها وقيل ضالا عن
الهجرة اي ناسيا شأن الاستثناء حين
سئلت عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فاذكرك كما قال ان تضل احداهما
ووجدك طالبا للقبلة فهداك اليها بانه فتوجه تلقاء وجهك في السماء الاية
الاية ويكون الضلال بمعنى الغلبة لان الضال لطلب وقيل ووجدك مختبرا عن بيان
ما نزل عليك فهداك اليه فيكون الضلال بمعنى التحير لان الضال متحير وقيل ووجدك
ضابعا في قوم فهدى اليه ويكون الضال بمعنى الضياع ووجدك محبا للهداية
فهداك اليها ويكون الضلال بمعنى المحبة ومنه قوله تعالى قالوا انا لفي ضلالك
القديم اي محبتك قال الشاعر هذا الضلال اشاب مني المفرقا والغا رضيني ولم
اكن متجففا عجبا لعزة اذ اختبار قطعتني لجد الضلال فحملها فتراخلقا وقيل
ضلالا في شعاب مكة فهداك رده كما في حديث عبد المطلب قال ابن عباس صلى النبي صلى
الله عليه وسلم في شعاب مكة فراه ابو جهل منصرفا عن اغنامه فرده الى جده عبد المطلب
فمنا لله عليه بان رده الى جده على يدي عدوه وقال سعيد بن جبير خرج ابي
صلى الله عليه وسلم معه عمه ابو طالب في سفر فاخذ ابليس لعنه الله بزمام
الناقة ليذهب بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة
وقع منها الى بحر ارض الهند ورده الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقال كعب بن جعيمة
لما قضت حق الرضاع جاء بن رسولا الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب
فسمعت عند باب مكة هيبا لك يا بطحاء مكة اليوم يرده اليك الغوي والد بين والبها
والجمال قالت فوضعته لاصلح ثيابي فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم اره فقلت
معشر الناس رأيتم الصبي تنا قالوا لم نر شيأ فصحت واحمداه فاذا شيخ كان ينوكا
على عصي قال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شاء ان يرده عليك فعل ثم طاف الشيخ وقبل
راسه وقال يا رب لم تزل مثلي على قريش وهذه السعدية تزعم انك ابنها فرد
فرده ان شئت فانكب هبل على وجهه وتناقطت الاصنام وقالت اليك عنا ايها

الشيخ فهلا كنا على يديه فالقى الشيخ عصاه فارتعد وقال ان لا يتك ربا لا تضعه
فاطلبه فلما لم نجد له سبيلا فاخبرته قريش ابي عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فاتى
عبد المطلب في الكعبة سجدة وتضرع الي الله ان يرده وقال يارب رد والي لدي
محمدا رده واجعل عنده يوندا يارب

يارب ان محمدا لم يوجد فشمل قومي كلهم تبددا
فسموا مناده يناديني السما سماسر الناس لا تفجعا
قال لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان نجد بوادي تهامة
عند صخرة السمر فصار عبد المطلب هو ورفقته ورقة

ان نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة تلعب بالاغصان وبالورق وقيل
ووجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وانت لا تعرف الطريق فهداك
اي سأل قريش وقال ابو بكر الوراق وغيره ووجدك ضالا تحب ابا طالب فهداك
الي محبة ربك وقال سام بن عبد الله ووجدك ضالا لا تستمسك لا تدري من انت
فعرفك بنفسك وحالك وقال الجنيد ووجدك مسخيرا في بيان الكتاب فعلمك البيان
بيانه للناس ما نزل اليهم الآية لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وقال بعض
المتكلمين اذا وجدت الضرب شجرة مستقرة في قلة من الارض لا تجرم منها سموها
ضالة فتهتدي بها على الطريق فقال الله تعالى لنبيه ووجدك ضالا اي لا احد
على دينك وانت وحيد ليس معك احد فهديت بك الخلق الى ملتك هذه الاقوال
كلها حسان ثم منها ما هو معنوي ومنها ما هو حسي والقول الاخير اعجبها الي
لانه اجمع الاقوال المعنوية وقال قوم انه كان على جملة ما كان القوم عليه لا يظهر
لهم خلافه في ظاهر الحال فاما الشرك فلا يظن به بل كان على مراسم القوم في الظاهر
اربعين سنة وقال الكلبي والسدي هذا في ظاهره اي وجدك كافرا والقوم كفار
فهداك وقد مضى هذا القول والرد عليه في سورة الشورى وقيل وجدك مستورا
باهل الشرك فميزك عنهم وبقال مثل آلما في المذنبين ومنه ابغوا مثلثا في الارض
اي ملتمسا بالتراب عند الدفن حتى كانا لا يتميز من جملته وفي قراءة الحسن ووجدك
ضالا فهدى اي وجدك الضال فاهتدى بك وهذه قراءة على التفسير وقيل ووجدك
ضالا لا يهتدي اليك قومك ولا تعرف قدرك وهدى المسلمين اليك حتى امنوا بك
قوله تعالى ووجدك عائلا اي فقيرا لا مال لك فاغنى اي فاغناك بخديجة رضي الله
عنها فبذلت مالها للنبي صلى الله عليه وسلم فاغناه الله من فضله وقيل
المقتر من عناه ولا يدري المقتر من يعيل وقال مقاتل فرضاك بما اعطاك
من الرزق وقال الكلبي قنعك بالرزق وقال ابن عطا ووجدك فقيرا
النفس فاغنى قليل وقال الاخفش ووجدك ذا عيال دليله فاغنى
دليله فاغنى ومنه قول جرير

الله انزل في الكتاب فريضة فاغناك لابن السبيل وللفقير العابل

وقيل ووجدك فقيرا من الحج والبراهين فاغناك بها وقيل اغناك فاتح
لكنوز الفتوح واقاه عليك من اموال الكفار العنتري في هذا نظر لان
السورة مكية وانما فرض الجهاد بالمدينة وقراءة القائمة عائلا وقرا ابن
السميفع عيلا بالتشديد مثل طيب وطيب قوله تعالى فاما اليتيم فلا
تقهر الى آخر السورة فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر
اي لا تشط عليه بالظلم ادفع اليه حقه واذكريتمك قاله الاخفش وقيل هما
لغتان بمعنى وقرئ بهما فلا تقهر فلا تقتقر وقرا النخعي والاشهب العقيلي
تكهر بالكاف وكذلك هو في مصحف ابن مسعود فعلى هذا يحتمل ان يكون نهيا
عن قهره بظلمه واخذ ماله وخص اليتيم لانه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ
في امره بتغليظة المعقوبة على ظالمه والعرب تعاقب بين الكاف والقاف
النحاس وهذا غلط انما يقال كهره اذا اشتد عليه وغلظ وفي صحيح مسلم
من حديث معاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة يرد السلام قال فما
هو امي ما رايت معلما قبله ولا بعده احسن تعليما منه بعني رسول الله صلى

الله عليه وسلم فوالله ما كهرني ولا ضربني الحديث وقبل المهر الغلبة والكهر الزجر
الثالثة وولت الآية عجيبة اللطف باليتيم وبره والاحسان اليه حتى قال قتادة
كن لليتيم كالاب الرحيم وروي عن ابي هريرة ان رجلا شكى الى النبي صلى الله
عليه وسلم قسوة قلبه فقال ان اردت ان تلين قلبك فامسح راس اليتيم واطعم المسكين
وفي الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا وكافل اليتيم
له ولغيره لهما بين واشار بالسبابة والوسطى وفي حديث ابن عمران رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان اليتيم اذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن
فيقول الله تعالى للملائكة من ذا الذي ابكى هذا اليتيم الذي غيبت اباه في التراب
فتقول الملائكة ربنا انت اعلم فيقول الله تعالى للملائكة يا ملائكتي اشهدوا
اني امنته واسكنته وارضاه الى ارضيته يوم القيامة وكان ابن عمر اذا راى يتيما
مسح براسه واعطاه شيا وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ضم يتيما فكان في نفقته وكفاه مؤنته كان له حجابا من النار يوم القيامة
ومن مسح براس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال الحكم بن عتيبة الا ذلا
اربعة اليتامى والكذاب والمديون واليتيم الثالثة قوله تعالى واما السائل
فلا تنهر اي لا تزجره بخشونة عن اخذ الفضل ولكن رده برفق بقول يسير
او رد جميل واذكر فقرك قاله قتادة وغيره وروي عن ابي هريرة عن
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يمنعن احدكم السائل وان يعطيه اذا سال
ولو راي في يده فاسين من ذهب وقال ابراهيم بن ادهم ثم القوم السوال
محملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يجيء
الى باب احدكم فليقول هل شعث الي الفكم بشئ وروي النبي صلى الله عليه وسلم
رد السائل ولو بظلف محرق او رد جميل فانه ياتيكم من ليس من الانس ولا من
الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله وقيل المراد بالسائل هنا الذي يسئل
عن الدين فلا تنهر بالغلظة والجفوة واجبه برفق ولين قاله سفيان
وقال ابن العربي واما السائل عن الدين فحوايه فرض على العالم على الكفاية
كما عطي السائل ليس واذ كان ابو الدرداء ينتظر اي اصحاب الحديث ويبسط
رداه لهم ويقول مرحبا باحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هرون
العبدي عن ابي سعيد الخدري قال كنا اذا اتينا ابا سعيد يقول مرحبا بوصية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الناس لكم تبع
وان رجالا ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون واذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا
وفي رواية ياتيكم رجال من قبل المشرق فذكره واليتيم والسائل سفويان
بالفعل الذي يقدره وحق المنصوب ان يكون بعد الفعل والتقدير مهما
يكن من شي فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
سئلت ربي مسئلة وددت اني لم اسئلها قلت يا رب اتخذت ابراهيم خليلا
وكلمت موسى تكليما وسخرت مع داود الجبال يسبحن واعطيت فلانا كذا
فقال عز وجل الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عائلا
فاغنيتك الم اشرح لك صدرك الم اوتك ما اوتي احدا قبلك خواتيم سورة
البقرة الم اتخذك خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا قلت بلى يا رب الرابعة
قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ايما انشر عليك ما انعم عليك بالشكر
والثنا والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكرا وروى ابو ابي نجيح عن مجاهد
واما بنعمة ربك تالي بالقرآن وعنه قال بالنبوة اي بلغ ما ارسلت به والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والحكم عام له ولغيره وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما
قال اذا اصبت خيرا او علمت خيرا فحدث به الثقة من اخوانك وعن عمرو بن
ميمون قال اذا لقي الرجل من اخوانه من يثق به يقول له رزقك الله من الصلاة
المباركة كذا وكذا وكان ابو فراس عبيد الله بن غالب اذا اصبح يقول
لقد رزقني الله الباركة كذا فقرات كذا وصليت كذا وذكرت الله كذا وفعلت
كذا فيقال له يا ابا فراس ان شكك لا يقول هذا قال يقول الله تعالى

واما نبغة بن بكر فحدثه ويقولون انتم لا تحدثون بنعمة الله وكفره عن ايوب السختياني
وابي رجاء العطاردي رضي الله عنهم وقال بكر بن عبد الله المزني قال النبي صلى الله عليه وسلم
من اعطي خيرا فلم ير عليه فقد افشى نعمة الله وروى الشعبي عن النعمان
ابن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وتركه كفر والجماعة رحمة هـ
والفرقة عذاب وروى النسائي عن مالك بن نضلة الجشمي قال كنت عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرأى في ثوبي اثر شيء فقال الك مال قلت نعم يا رسول الله من
كل المال قال اذا اتاك الله مالا فلير اثره عليك وروى ابو سعيد الخدري عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يرى انعامه
على عبده فضل يكثر القادري في رواية البزي عن ابن كثير وقد رواه مجاهد عن
ابن عباس عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغ اخر والضحى كبر بين
كل سورة تكبيرة الى ان يختم القرآن ولا يصل اخر السورة بتكبير بل يفصل بينهما
بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم اياما فقال
ناس من المشركين قد ودعه ربه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال الله اكبر قال
قرأت على ابن عباس فاقر به واخبرني به عن ابي عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكبر
في قراءة اليائيين لانتهاء رتبة الى الزيادة في القرآن قلت القرآن ثبت نقلا متواترا
سورة واية وحروفه لا زيادة ولا نقصان والتكبير على هذا ليس بقرآن واذا كانت
بسم الله الرحمن الرحيم المكتوبة في المصحف بخط المصحف ليست بقرآن فكيف بالتكبير
الذي ليس بمكتوب اما انه ثبت سنة بنقل الجماعة الاحاد فاستحبه ابن كثير
لانه اوجبه فحظها من ذكره ذكر الحاكم ابو عبد الله محمد بن عبد الحافظ في كتاب المستدرك
له عن البخاري ومسلم حدثنا ابو يحيى محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ الامام بمكة في المسجد
الحرام قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن علي بن يزيد الصائغ قال حدثنا احمد بن محمد بن القاسم
ابن ابي بزة سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين
فلما بلغت الضحى قال لي كبر عند ختمة كل سورة حتى تختم فاني قرأت على عبد الله بن كثير
فلما بلغت والفجر قال كبر حتى تختم واخبره عبد الله بن كثير انه قرأ على مجاهد واخبره مجاهد
ان ابن عباس امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي بن كعب امره بذلك واخبره ابي
ابن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره بذلك هذا حديث صحيح ولم يخرجاه

تفسير سورة الم نشرح مكية
في قول الجميع وهي ثمان اياة

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك شرح الصدر بفتحه ام الم بفتح صدرك للاسلام
وروى ابو صالح عن ابن عباس قال الم يكن لك فنسلكه وروى الضحاك عن ابن عباس
قالوا يا رسول الله انشرح الصدور قال نعم وتنفسح قالوا يا رسول الله وهل لذلك علامة
قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاعداد للموت قبل نزول
الموت وقد مضى هذا المعنى في الزمر عند قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
وروى عن الحسن قال الم نشرح لك صدرك قال ذلك حكما وعلما وفي الصحيح عن
انس بن مالك عن مالك بن صعصعة رجل من قومه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال فبينما انا عند البيت بين النائم واليقظان اذ سمعت قائلا يقول احد
الثلاثة فاتيت بطست من ذهب فيها ماء زمزم فشرح صدري الى كذا وكذا
قال قتادة قلت لمن كان معنا ما يعني قال الى اسفل بطني قال فاستخرج قلبي فغسل بماء زمزم
ثم اعيد مكانه ثم حشي ايمانا وحكمة وفي الحديث قصة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اتاني ملكان في صدره طائر معهما ماء ثلج فشرح احدهما صدري وفتح الاخر
بمنقاره فغسله وفي حديث اخر اتاني ملك فشق عن قلبي فاستخرج منه
علقة وقال قليل وكيع وغيبا ان بصيرتان واذنان سمعتان انت محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم لسانك صادق ونفسك مطمئنة وخلقك قائم وانت قثم
قال اهل اللغة قوله وكيع اي يحفظ ما يوضع فيه يقال سقا وكيع اي قوي يحفظ

ما فيه واستوكمت معدته اي قويت وقوله فثم اي جامع بقياد رجع فثوم للخبر اي جام
له ومعنى الم نشرح فشرحنا الدليل على ذلك في السبق عليه ووضعنا عنك
وزرك فهذا عطف على انا وصلنا لا على التنزيل لانه لو كان على التنزيل لقال ولضع
عنك وزرك فدل هذا على ان معنى الم نشرح فشرحنا ولم يجد وفي الاستفهام مرفق
من الجحد واذا وقع جحد على جحد رجع الى التحقيق كقوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين
وكذا اليس الله بكاف عبده ومثله قول جرير
بدء عبد الملك بن مروان اليتم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح المعنى انتم كذا
قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عنك ذنبك وقرا ابن عباس وحللنا
وحططنا وقرا ابن مسعود وحللنا عنك وقوله وهذه الاية مثل قوله ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قيل الجميع كان قبل النبوة والوزر الذنب
اي وضعنا عنك ما كنت فيه من امر الجاهلية لانه لا ذنب صلى الله عليه وسلم في كثير من
مذاهب قومه وان لم يكن غير صنما ولا وثنا فقد قتادة والحسن والضحاك
كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ذنوب انقضت فغفر الله له الذي انقض ظهرك
اي اثقله حتى سمع نقيضه اي صوته واهل اللغة يقولون انقض الحمل ظهر الناقة
اذا سمعت له صريرا من شدة قال الحميل وكذلك سمعت نقيض الرحل اي صريره
قال الحميل وحتى تواعت بنا لنقيض حمالة ذهبت تواني زوره ان يحيطا
فالوزر الحمل الثقيل قال المحاسبي يعني ثقل الوزر لو لم يعف الله عنه الذي
انقض ظهرك اي اثقله وواهنه قال وانما وصفت ذنوب الانبياء بهذا الثقل
مع كونها مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم وتحسرهم عليها وقال السدي
ووضعنا عنك وزرك اي وحططنا عنك بقتلك وهي في قراءة عبد الله بن مسعود
وحططنا عنك وفرك وقيل اي حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية قال الحسين
اي اثقل يمين الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك اضافها اليه لاشتمال
قلبه بها وقال عمر العتري بن يحيى خففنا عنك اعباء النبوة والقيام بها حتى
لا يثقل عليك وقيل كان في الابتداء ينقل عليه الوحي حتى كاد يرمي بعض من
شاهق الجبل الى ان جاءه جبريل واراه نفسه وازيل عنه ما كان يخاف من
نقض العقل وقيل عصمناك عن احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوة في الاربعين
حتى نزل عليك الوحي وانت مكلم من الاوثان قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
قال مجاهد يعني بالاذان وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه
اغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه اذا قال في الخمس المؤذن
اشهد ان لا اله الا الله في الخمس اشهد
وروي عن الضحاك عن ابن عباس قال يقول له لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان
والاقامة والتشهد يوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم التشريق
ويوم عرفة وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفي مشارق
الارض ومغاربها ولوان رجلا عبد الله جل ثناؤه وصدق بالجنة والنار وكل شيء
ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافرا وقيل اي اعلينا ذكرك
فذكرتك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وامرتهم بالشهادة بك وبدينك
تظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الارض عند المؤمنين
ونوه في الاخرة ما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات قوله تعالى فان
مع العسر يسرا اي ان مع الضيقة والشدة يسرا اي سعة وغنى ثم كرر فقال ان
ان مع العسر يسرا فقال قوم هذا التكرير تاكيد للكلام كما يقال ارم ارم العجل العجل
قال الله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظيره في تكرار الجواب بلا بلا
لا لا وذلك الاطناب والمبالغة قاله الفراء ومنه قول الشاعر
هممت لنفسي بعض الهموم فاولى لنفسي اولى لها
وقال قوم ان من عادة العرب اذا ذكروا اسما مضمرا ثم كرروه فهو هو واذا

ذكروه

واذا ذكروه ثم كرروه فهو تنبيه وهما اثنان ليكون اقوى للامل وابعث على الصبر قاله ثعلب
وقال ابن عباس تقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين ولن يغلب عسر
يسرين وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الصورة انه لن يغلب عسر
يسرين وقال ابن مسعود والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل
عليه ولن يغلب عسر يسرين وكتب ابو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يذكر له جموعا من الروم وما تخوف وكتب اليه عمر رضي الله عنهما اما بعد فانه مهما ينزل
بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله
تعالى يقول في كتابه يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون وقال قوم منهم الحرجاني هذا قول مدخول لانه يجب على هذا ان يدخل
اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان يكون الفارس ادعى الفارس سيفا ان يكون
الفارس واحدا والسيف اثنان والصحيح ان يقال ان الله بعث نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم مختفيا فعيره المشركون بالفقر حتى قالوا له نجمع لك مالا
فاغتم وظن انهم كذبوه لفقره فسراه الله وعده عليه بقوله ووعده الحق بقوله تعالى
فان مع العسر يسرا اي لا يحزنك ما عيروك به من الفقر فان مع ذلك يسرا عاجلا
في الدنيا فاخبره ما وعده فلم تمض حتى فتح عليه الحجاز واليمن واوسع ذات
يده حتى كان يبتطي الماء من الابل ويهب الهبات العظيمة بعد لاهله قوت
سنة فهذا العقل كله من امر الدنيا وان كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم
فقد يدخل فيه بعض امته ان شاء الله تعالى ثم ابتدأ بفضل اعز من امر
الاخرة وفيه تاسية وتعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مبتدئا ان مع العسر
يسرا فهو على اضمار الدليل على ابتدائه تقديره من فاء واو وغيرهما من حروف
النسق التي تدخل على العطف فهذا وعد عام لجميع المؤمنين لا يحزنهم احر منه
اي ان مع العسر في الدنيا للمؤمنين في الاخرة لا محالة وربما اجتمع يسر الدنيا
ويسر الاخرة والذي في الحقيقة لن يغلب عسر يسرين يعني العسر الواحد لن
يغلبهما وانما يغلب احدهما اذا غلب وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فكائن
لا محالة ولن يغلب شيء ويقال ان مع العسر وهو اخراج اهل مكة النبي
صلى الله عليه وسلم من مكة يسرا وهو دخوله يوم فتح مكة مع عشرة الاف دهم وسلم
ثم عز وشرف قوله تعالى فاذا فرغت فانصب فيه سبلتان الاولى قوله تعالى
فاذا فرغت قال ابن عباس وقتادة فاذا فرغت من صلاتك فانصب اي بالغ
في الدعاء وسله حاجتك وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب
في قيام الليل الطبري اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب اي استغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات وقال الحسن وقتادة ايضا اذا فرغت من جهاد
عدوك فانصب لعبادة ربك وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك
فانصب في صلاتك وكوه عن الجنيد قال الجنيد اذا فرغت من امر
الخلق فاجتهد في عبادة الحق قال ابن العربي وهي المشروعة من قواعده
الاية فانصب بكسر الصاد والهمزة في اوله وقاد بمعناه انصب الامام الذي
يستخلفه وهذا باطل في القراءة باطل في الاجماع لمعنى لان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يستخلف احدا وقرها بعض الجهال فانصب بتشديد النون
بمعناه فاذا فرغت لقوله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب
يمنع احدكم نومه وطعامه فاذا قضى احدكم نهمته فليعجل الى اهله
واشد الناس عذابا واسوأهم مآبا من اخذ فقلى صحيحا
تركب عليه من قتل نفسه قراءة او حديثا فيكون كاذبا على الله كاذبا
على رسوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وروي عن ابي جعفر المنصور
انه قرأ الم نشرح لك بفتح الحاء وهو تبعيد وقد تأولت له على تقدير السكوت
الخفيفة ثم ابدلت النون الفا في الوقف ثم حمل الوصل على الوقف ثم حذفت
الالف واشتد عليه اضرب عنقك اليوم صارفها صرتك السوط قوس
الفرس اراد ضربه وروي عن ابن السماك فاذا فرغت بكسر الواو وهي
لغة تميم ومعناه اي رغب الناس الي فاعنده المثابة قال ابن العربي

روى عن شريح انه مر بقوم يلعبون يوم العيد فقال ما هذا امر الفارغ
وفيه نظر فان الحبشة كانوا يلعبون بالدرق والحراب في المسجد يوم العيد
والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر وهل ابو بكر في بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عند عائشة رضي عنها وعندها جاريتان من جواري الانصار يغنيان
فقال ابو بكر ممزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
رسول الله يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا ويحتمل ان يكون ذلك قبل ان يؤمر النساء
بالحجاب

تفسير سورة التين مكية

في قول الاكثرين وقال ابن عباس وقتادة هي مدنية وهي ثمان او تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والتين والزيتون فيه ثلاث مسائل
الاولى قوله تعالى والتين والزيتون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة
وابراهيم النخعي وعطاء بن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي
تاكلونه وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قال الله تعالى وشجرة تخرج من
طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وقال ابو ذر راعي النبي صلى الله عليه
وسلم سل من تين فقال كلوا واكلهم ثم قال لو قلت ان فاكهة نزلت من
الجنة قلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير
وتنفع من النقرس وعن معاذ انه استاك بغصن زيتون وقال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول السواك الزيتونة من الشجرة المباركة تطيب الفم
وتذهب بالحفر وهي سواكي وسواك الانبياء قبلي وروي عن ابن عباس ايضا
التين مسجد نوح عليه السلام الذي بنى على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس
قاله الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى ابن زيد
التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس قتادة التين الجبل
الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال محمد بن
كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال كعب الاحبار
وقتادة ايضا وعكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس
وهو اختيار الطبري وقال العوام سمعت رجلا من اهل الشام يقول التين
الجبال التي بين هلوان الى همذان والزيتون جبال الشام وقيل هما جبلان
بالشام يقال لهما طورتينا وطورزيت بالسريانية سميا بذلك لانهما سميا بهما
وكذا روي بن هبيرة عن عكرمة قال التين والزيتون جبلان بالشام قال
ذهب الله الى التين عن عرض وهذا اتم ويجوز ان يكون ذلك على حذف مضاف
اي ومنابت التين والزيتون ولكن لا دليل على ذلك من ظاهر التنزيل ولا من لا
يجوز حذف فمن قال المعنى الثاني اصح هذه الاقوال الاول لان الحقيقة
ولا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا بدليل وانما اقسم الله بالتين لانه كان ستر
ادم في الجنة لعقوبته تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة وكان ورق التين
وقيل اقسم بليلة وجد المنة العظمى فيه فانه جميل المنظر طيب المخبر
لنشر الورق سهل الجنى عديم القدر المتفكهة وقد احسن القائل فيما نظر الى
التين في الغصون ضحى ممزق الجلد ما يلي العنق كانه رب فهة صلت فعاد
بعد الحمد بدع الخلق اصغر ما في اليهود اكبره لكن بنادي عليه في الطرق وقال
اخر

التين بعد العنبري كل فاكهة اذا اتى ما لا في غصنه الزاهي

ممن توجه قد سألت خلاونه كانه راكع من خشية التين

واقسم بالزيتون لانه مثل به ابراهيم في قوله تعالى توقد من شجرة مباركة
زيتونة وهو اكثر ادم الشام والمغرب يصطبغون به ويستصبحون به في طيبهم
ويستصبحون به ويداوي به الداء الخوف والقروح والجراحات وفيه منافع
كثيرة وقال عليه السلام كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة
وقد مضى في سورة الموسمين القول فيه الثالثة قال ابن العربي والامتنان
الباري سبحانه وتعظيم المنة في التين وانه مقتات مدخر قلنا يوجب
الزكاة فيه وانما فكر كثير من العلماء من التضحيك بوجوب الزكاة فيه وانما فكر

كثير من العلماء من تقيه جور الولاة فانهم يتحايلون في الاموال الزكاتيه فيأخذون منها
مقوما حسب ما انزل ربه الصادق صلى الله عليه وسلم فكره العلماء ان يجعلوا لهم سبيلا
الى مال احد يتسلطون فيه ولكن ينبغي للمرء ان يخرج عن نفسه ربه باداخفه واقر
قال الشافعي بهذه الملة وغيرها لا زكاة في الزيتون والصحيح وجوب الزكاة فيه
قوله تعالى وطور سينين روي ابو بكر بن عياش عن مجاهد وطور قال جبل بالنبطية
مبارك بالسريانية وعن عكرمة عن ابن عباس قال طور جبل وسينين حسن
وقال قتادة سيناء هو المبارك الحسن وعن عكرمة قال الجبل الذي ناوى
الله جل ثناؤه منه موسى عليه السلام وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل
فيه شجر مثمر مثل وسنابلة النبط وعن عمرو بن ميمون قال صليت
مع عمر بن الخطاب الصبح بمكة فقرأ والتين والزيتون وطور سينين وهذا
البلد قال وهكذا هي في قراءة عبد الله ورفع صوته تقطعي للبيت وقرأ في الركعة
الثانية الم تر كيف فعل ربك وايلاف قريش جمع بينهما ذكره ابن الانباري
العباس وفي قراءة عبد الله سيناء بكسر السين وفي حديث عمر بن ميمون
عن عمر بفتح السين وقال الاخفش طور جبل وسينين حجر واحد نسبته
وقال ابو علي سينين فعليك فكررت اللام التي هي نون فيه كما كررت في دحنل
للمكان الزلق وكريزه للقطعة من التمر وحيزبون للعجوز ولم ينصرف سينين
كما لم ينصرف سيناء لانه جعل اسما للبقعة او ارضا ولو جعل اسما للمكان
او للمنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل
لانه بالشام والارض المقدسة وقد بارك الله فيها كما قال الى المسجد الاقصى
الذي باركنا حوله قوله تعالى وهذا البلد الامين يعني مكة سماه امينا لانه
امن كما قال انا جعلنا حرما امنا والامين بمعنى الامن قاله الفراء وغيره قال
المرتفلي بالاسم نحيك التي حلفت بيتنا لاهون امين
يعني امني وهذا احج من قال انه اراد بالتين دمشق وبالزيتون بيت
المقدس قالتم الله جبل دمشق لانه مسكن عيسى عليه السلام ومكة لانها
دار ابراهيم ودار محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
لقد خلقنا هذا جواب القسم واراد بالانسان الكافر قتل هو الوليد بن المغيرة
وقيل اسيد بن اسيد قلت في منكري البعث وقتيل المراد بالانسان
ادم وذريته في احسن تقويم وهو اعتدال له واستواء شبابه كذا قال عامة المفسرين
وهو احسن ما يكون فيه لانه خلق كل شيء منكبا على وجهه وخلق هو منتصبا
وله لسان ويد واصابع يقبض بها وقال ابو بكر بن طاهر بن نيابا لفضل
سويا للامر بهذيبا للتمييز مريدا للمعاني متناولا ما كوله بيده ابن العربي
ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان قال الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا
مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الرب سبحانه وعنها
عبر بعض العلماء ووقع للبيان بقوله ان الله خلق ادم على صورته يعني على
صفاته التي قدمنا ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن وسنبين كيف تكون للرحمن
صورة مشخصة فلم يبق الا ان يكون معاني وقد اخبرنا المبارك بن عبد الجبار
الازدي قال ابا القاسم يعني ابو القاسم علي بن ابي علي القاضي المحسن
عن ابيه كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما
انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فمضت واختجبت عنه وقالت
طلقتني وبانت بذلك عظيم فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر والمهم
للمنصور جزعا عظيما فاستحضر الفقهاء واستفتاهم فقال جميع من حضر قد
طلقت الا رجلا واحدا من اصحاب ابي حنيفة فانه سالها فقال له المنصور مالك
لا تتكلم فقال له الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين
وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير المومنين
فالانسان احسن الانشاء ولا شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى
الهاشمي الاسرع اتاك الرجل قبل على زوجتك وارسل ابو جعفر المنصور الى زوجة

ان الطيبي وجهك ولا تقصيه فاطلقك فهذا يدلك على ان الانسان احسن خلق الله
باطنا وظاهرا جمادهيئة وبديع تركيب النفس بما فيه والصدر بما جمعه والبطن
بما حواه والعقل وما طواه والكبد وما نطبشاه والرجلان وما احتملتاه ولذلك
قالت الفلاسفة ان العالم الاصغر وكل ما في المخلوقات اجمع فيه الثانية قوله تعالى
ثم رددناه اسفل سافلين اي الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والقصيف
بعد القوة حتى يصير كالصبي في الحال الاول قاله الضحاك والكلبي وغيرهما
وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد ثم رددناه اسفل سافلين الى النار بقيني الكافر
وقاله ابو العالية وقيل لما وصف تلك الصفات الجليلة التي ركب الانسان
عليها طغى وعيا حتى قال انا ربكم الاعلى وحين علم الله هذا من عبده وقضاوه
صادر من عنده اراده استفل سافلين بان جعله مملوا قذرا مسجونا بحاسه واخرجه
على ظاهره اخراجا منكرا ايجادا لاختباره ناره وعلى وجه المنة اخرى حتى اذا اسلم
ولكن من امره رجع الى قدره وقرا عبد الله استفل السافلين قوله تعالى الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات فانه يكتب لهم حسناتهم ويجري عليهم سيئاتهم قاله ابن عباس قال
وهم الذين ادركهم الكبر لا يؤاخذون بما عملوا في كبرهم روى الضحاك عنهم قال
اذا كان العبد في شبابه كثير الصلاة كثير الصيام والصدقة ثم ضعف
عما كان يعمل في شبابه اجرى الله عز وجل له ما كان يعمل في شبابه وفي الحديث قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا سافر العبد او مرض كتب الله له مثل ما كان
يعمل مقيما وقيل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانه لا يحرف ولا يهرم ولا
يذهب عقله من كان عالما عاملا به ومن عاصم وعن عاصم الاحول عن عكرمة
قال من قرا القرآن لم يرد الى ارذل العمر وروى عن ابن عباس عن ابي عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وروي ان العبد
المؤمن اذا مات امر الله ملائكته ان يقعدوا على قبره الى يوم القيامة ويكتب
له ولكن وقال استفل سافلين على الجمع لان الانسان في معنى جمع ولو قال
استفل سافل جاز لان لفظ الانسان واحد يقوله هذا افضل قائم ولا يقوله
غير محمود له رجع اسمه بالتوحيد والجمع كقوله والذي جاء بالصدق وصدق
به اولئك هم المتقون وقوله تعالى واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها
وان تصبهم سيئة وقد قيل ان معنى رددناه اسفل اي رددناه الى الضلال
كما قال تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الا هؤلاء
فلا يردون الى الهرم والاشتغال بمن قال استفل سافلين النار مستفل
ومن قال انه الهرم فهو قولهم اجر غير ممنون قال الضحاك وقيل غير منقطع
قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين قيل الخطاب للكافر توبيخا والزاما للحجة
اي اذا عرفت ايها الانسان ان الله خلقك في احسن تقويم وانه يردك
الى ارذل العمر وينقلك من حال الى حال فما يحملك على ان تكذب بالبعث
والجزاء وقد اخبرك محمد صلى الله عليه وسلم به وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اي استيقن مع ما حالك عند الله عز وجل انه احكم الحاكمين فذي تعناه من
وقال قتادة اليقين والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد هذا البيان
بالدين واختاره الطبري كانه تقدير قال فمن يتقدر على ذلك اي على تكذيبك
بالثواب والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الانسان والذي
والحيوان قال الشاعر

دعا تميما كما كانت اوائلها ... دانت اوائلهم في سالف الزمن

قوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين اي ايس الله اعدل الحاكمين ضيما في كل ما خلق
وقيل باحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلا بين الخلق وفيه تقدير لمن اعترف
من الكفار بقضاء قديم والف الاستفهام اذا وقف على النفي وفي الكلام
معنى التوقيف صار ايجابا كما قال

الستم خير من ركب المطايا ... وقيل فما يكذبك بعد بالدين
اليس الله باحكم الحاكمين منسوخة بآية السيف وقيل نسخ به لانه لا تنافي
بينهما وكان ابن عباس وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما اذا قرا السين

الله ياحكم الحاكمين فالابلى وانا عليه من الشاهدين فيختار ذلك والله اعلم
ورواه الترمذي عن ابي هريرة قال من قرأ والتين فقرأ اليس الله باحكم
الحاكمين فليقل بلى وانا عليه من الشاهدين

تفسير سورة العلق وهي مكية باجماع وهي اول ما نزل من القرآن

في قول ابي موسى وعائشة رضي الله عنهما وهي تسع عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم
قوله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق هذه السورة اول ما نزل من القرآن في قول
معظم المفسرين نزلها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قايم على حراء في
خمس اية من هذه السورة وقيل اول ما نزل يا ايها المدثر قاله جابر بن عبد الله
وقد تقدم وقيل فاتحة الكتاب اول ما نزل قاله ابن مسيره المجالد
وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول ما نزل من القرآن اقرأ قالوا افرأيت
ان جاءك ما يحرم ريكم عليكم والصحيح الاول قالت عايشة اول ما بدي به رسول الله
صلى الله عليه وسلم الرويا الصادقة فجاءه الملك فقال اقرأ باسم ربك الذي
خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم خرجه البخاري وفي الصحيحين
عنها قالت اول ما بدي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة
في النوم فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا
فكان يخلو بغار حرا يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع
الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجيه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك فقال اقرأ
قلت ما انا بقارئ قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
لي اقرأ قلت ما انا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم الحديث بكماله وقال ابو رجا العطاردي
وكان ابو موسى الاشعري يطوف علينا في هذا المسجد مسجد البصرة فيتمرنا
حفظا فيقرئنا القرآن فكاني انظر اليه حين دخل علينا يقضي وعنه احدثنا
بهذه السورة اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وكانت اول سورة
انزلها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وروت عايشة رضي الله عنها انها اول سورة
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها نون والقلم ثم بعدها يا ايها
المدثر ثم بعدها والضحى ذكره الماوردي وعن الزهري اول ما نزلت سورة
اقرأ باسم ربك الى قوله بما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل
يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي فرجع الى خديجة فقال
دثروني وصبوا علي ما يارد انزله يا ايها المدثر وعن اقرأ باسم ربك اذا اقرأ
ما انزل اليك من القرآن فافتتحا باسم ربك وهو ان تذكر التسمية في ابتداء كل
سورة فعلى هذا يكون باسم ربك النصب على الحال وقيل الباء بمعنى على اي اقرأ على
اسم ربك يقال فعلت كذا باسم الله وعلى اسم الله وعلى هذا المعنى وتحذف اي اقرأ
القرآن وافتتحه ببسم الله وقال قوم اسم ربك هو القرآن وهو يقول اقرأ
باسم ربك اي باسم ربك والباء زايدة كقوله تعالى تنبت بالدهن كما قال
وجود المحابر لا يقرأن بالسور اراد لا يقرأن السور
وقيل معنى اقرأ باسم ربك اي اذكر اسمه ابتدا به بيتدي القراءة ببسم الله فقوله تعالى
خلق يعني اي ادم من علق اي من دم جمع علقة والعلقة الدم الجامد
واذا جرى فهو المسفوح وقال من علق فذكره بلفظ الجمع لانه اراد بالانسان
الجمع وكلهم خلقوا من علق يعني النطفة والعلقة وانما من دم رطب سمي بذلك
لانها تعلق ما تمر عليه فاذا جفت لم تكن علقة وقال ابن عباس
تركناه بحرا على يزيد به لما علق الدنيا من وحض الانسان
بالذكر لشرفه له وقيل اراد ان يبين قدرته عليم بدا خلقه من علقة مهينة
حتى صار بشرا سويا وعالما سميعا قوله تعالى اقرأ تاكيد وهو الكلام الثاني
فقال وربك الاكرم اي الكريم وقال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد فلم يعجل
بعقوبتهم والاول اشبه بالمعنى لانه لما ذكر ما تقدم من نعمه دل بها على كرمه وقيل

اقرأ وربك الذي اقرأ يا محمد وربك يعينك ويعلمك وان كنت غير القارئ الاكرم
بمعنى المنجا وزعم جهل العباد قوله تعالى الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة
اي علمك الانسان الخط بالقلم وروى سعيد عن قتادة قال القلم نعمة من الله
عظيمة لولا ذلك لم يقم دين ولا يصلح عيش فذلك عيش كامل كرمه سبحانه بانه علم عباده
ما لم يعلموا وتفضل من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنا
فع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا بسطت
اخبار الاولين ومقالاتهم ولكتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاها ما استقامت امور
الدين والدنيا وسمي قلما لانه يقلم اي يقطع ومنه تقليم الظفر وقال بعض شعراء
المحدثين كسيف القلم فكانه

والخير يخصف راسه ليبيع لو صلح جريده ينصنع
الا الاحظ لبين وبه الى الله الصحابي ترفع

وعن عبد الله ابن عمرو قال يا رسول الله اكتب ما اسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب
قال الله علم بالقلم وروى مجاهد عن ابن عمر قال قال خلق الله عز وجل اربعة اشياء
بيده ثم قال لسائر الحيوان كن فكان القلم واللوح وجنة عدن وادم عليه السلام
وقيل علم بالقلم لانه اول من كتب قاله كعب الاحبار الثاني ادريس وهو اول من
كتب قاله الضحاك الثالث ان ادم اول من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله
سبحانه وتعالى وجمع بذلك نعمة عليه في تعليمه اسكالا لائمة عليم الثاني صح عن
النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة قال لما خلق الله الخلق كتب في كتابه
فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وبلغت عنه عليه الصلاة والسلام
انه قال اول ما خلق الله الدواة فقال له اكتب فكتب ما يكون الى يوم القيامة
فهو عنده في الذكر فوق عرشه وفي الصحيح عن ابن مسعود سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول اذا اراد الله ان يقضي امرا سبعون ليلة بعث الله اليها ملكا
تصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم يقول يا زيد اكرام اتي
يقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب
الملك ثم يخرج الملك ما لصحيفة في يده فلا يزيد على ما امر ولا ينقص وقال
تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين قال علماؤنا قال القلم في الاصل ثلاثة
القلم الاول الذي خلقه الله بيده وامره ان يكتب والقلم الثاني قلم الملائكة
جعلها الله بايديهم يكتبون بها المقادير والكوائن والاعمال والقلم الثالث
اقلام الناس جعلها الله بايديهم يكتبون بها كلامهم ويصلون بها كما علمهم
وفي الكتابة فضائل جمة والكتابة من جملة البيان والبيان مما اختص
به الانسان قال علماؤنا كانت العرب اخل الخلق بمعرفة الكتابة
واقل العرب بمعرفة المصطفى صلى الله عليه وسلم صرف عن علمه ليكون ذلك
ابلغ في الحجة وآكد في المحنة وقد مضى هذا مبينا في سورة العنكبوت وروى
حماد بن سلمة عن الزهري عن عبد الله بن عبد الله الهذلي عن عبد
الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتكلوا عن العرب
ولا تتعلموا من الكتابة قال علماؤنا انما حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك
لانه اسكا بهم الذين نظلمها الى الرجال ويشهد لذلك تخصيص الله من ولا يشهد
ذلك لهم لا يمكن الفهم حتى يشهد على الرجال فتحدث الفتنة والبلاء
فحذرهم ان يجعلوا لهم عرفا وزيادة الى الفتنة وهو كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليس المتشاجران لهما من الا ما هن الرجال والا من الرجال وذلك
انها خلقت من الرجل فهما في الوصل والرجل خلقت فيه الشهوة وخلقت
سكنا له فقد ما مون كل واحد منهما في صاحبه وكذلك القلم الكتابة تكتب
الى من نهوى والكتابة تحبب من المحبوب ما يبطل الشاهد والغائب والخط هو
الذي يبين عن الضمير مما لا ينطق به اللسان وهو ابلغ من اللسان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينقطع عنهن اتباع الفتنة تخصيصا
لهن وطهارة لقلوبهن فقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم قيل الانسان هنا ادم عليه
السلام علم اسما كل شيء حتى قاصعة القرآن في قوله تعالى وعلم ادم الاسماء كلها

لم يبق شيء الا وعلم سبحانه ادم اسمه بكل لغة وذكره ادم للملائكة كما علمه وبذلك
ظهر فضله وتبين نذره وثبتت نبوته وقامت حجة الله على الملائكة ورحمته
واستهلت الامر لمارات من شرف الحادثات من جلائل القدرة وسمعت
من عظيم الامر ثم توارث ذلك ذريته خلفا بعد خلف وتناقلوه قرنا عن قرن
وتنقضي هذه السورة البقرة بحمد الله وقال الانسان هنا الرسول
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل قوله تعالى وعلمك مالم تكن تعلم فالمراد بعلمك المستقبل
فان هذا من اوائل ما نزل وقيل هو عام لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم
لا تعلمون شيئا قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى الى اخر السورة قيل انه نزل في ابي
جهل وقيل نزلت السورة كلها في ابي جهل نهى التي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة
فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في المسجد ويقربا يسمع الرب وعلى هذا
فليست السورة من اوائل ما نزل ويجوز ان يكون خمس ايات من اولها اول
ما نزلت ثم نزلت البقية بشان ابي جهل وامر النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك
الى اول السورة لان تاليف السورة جرى بامر من الله الا ترى انه قوله تعالى واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله اخر ما نزل فبقيه زمان طويل وكلا بمعنى حقا او ليس
قبله شيء والانسان ابو جهل والطغيان مجاوزة الحد في العصيان ان راه اي
لان رأى نفسه استغنى اي صار ذا مال ويسر وقال ابن عباس في رواية
صالح عنه قال لما نزلت هذه الاية وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال يا محمد تزعم
انه من استغنى طغى واني من اكثر هذا الجبل مالا فهبا لنا جبالا مكة ذهبا لعلنا ناخذ منها ونطغى فتدع ديننا
وبيتنا وبيتك فانزل الله هيريل عليه السلام فقال يا محمد خيرهم ذلك فان شاؤا فعلت
لهم ما ارادوه فان لم يسلموا فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب المايدة فعلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان القوم يقتلوه فذلك فكف عنهم ايقا عليهم وقبل ان راه استغنى
والاقصار والاعوان وحذف اللام من قوله ان راه كما يقال انكم لتظلمون ان رايتم
غنائكم وقال الفراء لم يقبل رأى نفسه كما قيل بغده لان رأى من الاشياء
التي يريد اسما وخبرا نحو الظن والحسبان فلا تتصرف فيه على تفعول واحد
والعرب تطرح النفس من هذا الجنس تقول

* رأيتني وحبستني وسطي تراك خارجا وسطك خارجا *

وقرأ مجاهد وحميد وقيل عن ابن كثير ان راه استغنى بقصر الهمزة الباقون
راه بمدها وهو الاختيار وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى اي مرجع من كان هذا وصفه
فيجازيه والرجعى والمرجع والرجوع مصادر يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا وارجي
عليه وزن فعلى قوله تعالى ارايت الذي ينهى وهو ابو جهل عبدا وهو محمد صلى الله
عليه وسلم قال ابو جهل قال ان رايت محمدا يصلي لاطان عنقه قاله ابو هريرة
فانزل الله هذه الايات فجاءه وقيل في الكلام والمعنى امر هذا الناهي عن الصلاة
من العقوبة قوله تعالى ارايت ان كان على الهدى اي ارايت يا ابا جهل ان كان محمد
على هذه الصفة اليس ناهيه عن التقوى والصلاة هانكا قوله تعالى
ارايتم ان كذب وتولى بعني ابا جهل كذب بكتاب الله عز وجل واعرض عن
الايمان وقال الفراء المعنى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى
امريا بالتقوى والناهي مكذب متولى عن الذكر اي فما اعجب هذا ثم قال ويله
الم يعلم ويله ابو جهل بان الله يرى اي يراه ويعلم فعله فهو تقرير وتوبيخ
وقيل كل واحد من ارايت بدل من الاول والم يعلم بان الله يرى الخبر قوله تعالى
كلا لئن لم ينته اي ابو جهل عن اذاك يا محمد لنسفعن اي لناخذن بالناصية
فلنذلنه وقيل لناخذن بناصيته يوم القيامة ونطوي مع قدميه ونطرح في النار
كما قال تعالى فيوخذ بالنواصي والاقدام فالاية وان كانت في ابي جهل فهي عظة للناس
وتهديد لكل من يمنع غيره عن الطاعة واهل اللغة يقولون سفعت بالشيء
اذا قبضت عليه وجررته جذبا شديدا ويقال سفع بناصيته فرسه تقال قوم

* اذا كثر الصياح وساتم من بني ملجم مهرة او سافع *

وقيل هو مأخوذ من سفعة النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تسويد
قال * اتاني سفعا في محرس مرصد ونوى لحدم الحوض اسلم فاشع *

والناصية شعر مقدم الراس وقد يعبر بها عن جملة الانسان كما يقال هذه ناصية
مباركة اشارة الى جميع الانسان وخص الناصية بالذكر على عادة العرب فيما
اردوا الدلالة واهانته اخذ بناصيته وقال المبرد السفع الجر بشدة
او ليجرن بناصيته الى النار وقيل السفع الضرب اي لنلطمن وجهه وكلها متقارب
المعنى او يجمع عليه عند الاخذ ثم يجر الى جهنم ثم قال على البدل ناصية كاذبة خاطئة
هي ناصية ابي جهل كاذبة في قولها خاطية في فعلها والخاطي مقابلة خاطئ والمخطي
غير ماخوذ ووصف الناصية بالكاذبة الخاطية كوصف الوصف بالنطق في قوله
تعالى الى ربها ناظرة وقيل اي صاحبها كاذب خاطئ فقال له بها زبانيه وقيل قائم
اي صف تهيم في مباره قائم في نيله قوله تعالى فليدع ناديه اي اهل مجلسه
وعشيرته فليستنصر بهم سندع الزبانية اي الملائكة الغلاظ الشداد عن
ابن عباس وغيره واحدهم زبني قاله الكسائي الاخفش واما ابو عبيدة زبنه
وقيل زباي وقيل هو اسم للجمع كالابابيل والعباديد وقال قتادة هم الشرط في
كلام العرب وهو ماخوذ من الزبن وهو الدفع ومنه المزابنة في البيع وانما سموا
زبانية لانهم يدفعون بارجلهم كما يدفعون بايديهم حكاه ابو الليث السمرقندي
رحمه الله قال وروي في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة بلغ
الى قوله لنسفعا بالناصية قال ابو جهل انا ادعو قومي حتى يمنعوا عني ربك
فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية فلما سمع ذكر الزبانية رجع فزعا
فقيل له حنيت منه قال لا ولكن رايت عنده فارسا يهددني بالزبانية
فلا ادري ما الزبانية وما الى الفارس فحنيت منه اي باكلني وفي الاخبار ان
الزبانية رووسهم في السما وارجلهم في الارض فيهم يرفعون الكفار في جهنم الى اعلاها
وقيل انهم اعظم الملائكة خلقا واشدهم بطشا والعرب تطلق هذا الاسم على من
اشتد بطشه قال الشاعر

مطاعيم في المضوى مطاعيم في الوغا زبانية غلب عظام حلومها

وعن عكرمة عن ابن عباس سندع الزبانية قال ابو جهل لئن رايت محمدا لاطان
على عنقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن فعل هذا لاخذته الملائكة عيانا
قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب وروي عكرمة عن ابن عباس قال مر ابو جهل
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي عند المقام فقال الم انهك عن هذا يا محمد
فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل باي شيء تهددني يا محمد
والله اني لاكثر اهل الوادي ناديا فانزل الله عز وجل فليدع ناديه سندع الزبانية
قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذ الزبانية العذاب من ساعته هذا حديث
الترمذي بمعناه وقال حديث حسن غريب والنادي في كلام العرب المجلس
الذي يجتمع فيه القوم اي يجتمعون والمراد اهل الناديه كما قال جرير

لهم مجلس صهب السبال اذلة ... سواسية احرارها وعبيدها

وقال زهير وفيهم مقامات حسان وجوههم وفال اخرون

ولست بمحلل التلبيب فيهم ... ولكن ناد قومك يا بن بدر

وقد نادت الرجل ناديه اذا جالسته قال زهير

وجاذا لبيت والرجل النادي امام الحي عند تماسوا

قوله تعالى كلا اي ليس الامر كما يظنه ابو جهل لا تطعه فيما دعاك اليه من ترك
الصلاة واسجد اي صل لله واقترب اي تقرب الى الله جل ثناؤه بالطاعة والعبادة
وقيل المعنى اذا سجدت اقترب من الله بالدعاء روي عطاء عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
البه حاكات جبهته في الارض ساجدا لله قال علماونا واعاذنا الله لانها نهاية
العبودية والذلة ولغاية العزة ولذا العزة التي لا استدارها وكلما بعدت
من صفته قربت من جنته ورضوانه من جواره في داره وفي الحديث الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن ان يستجاب لكم ولقد احسن من قال

واذا تزلت الوثاب نواصلها منا اليك فمزها في زلها

وقال زيد بن اسلم اسجدات يا محمد مصليا واقتربت يا ابا جهل من النار فولك فلا
واسجد هذا السجود يحتمل ان يكون بمعنى السجود في الصلاة ويحتمل ان يكون سجود
التلاوة في هذه السورة قال ابن العربي والظاهر انه سجود الصلاة كقوله
اذا يتلى الذي يبني عبدا اذ اصلي الى قوله كلا لا تطعه واسجد واقترب ولما ثبت
في الصحيح من رواية مسلم وغيره من دلهم عن ابي هريرة انه قال سجدت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في اذا السما انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي خلق سجدتين
فكان هذا ايضا نصا على ان المراد سجود التلاوة وقد روى ابن وهب عن حماد بن زيد
عن عاصم بن بهدلة عن رزين خبيش عن علي بن ابي طالب قال عزائم السجود اربع
الم وحم تنزيل من الرحمن الرحيم والنجم واقرا باسم ربك قال ابن العربي وهذا الاصح
يلزم عليه السجود الثاني من سورة الحج واذا كان مقترنا بالركوع لانه يكون سجوده
اركوعا في موضع الركوع واسجد واي موضع السجود فقد قاله ابن نافع وقد كان مالك يسجد في خاصة نفسه وخاتمة هذه السورة ثم اقرا هذه باسم ربك
وابن وهب يراها من العزائم قلت وقد رويا معا حديث مالك بن انس عن ربيعة
ابن ابي عبد الرحمن عن نافع عن ابن عمر قال لما انزل الله تعالى اقرا باسم ربك
الذي خلق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ اكتبها فاخذ معاذ اللوح
والقلم والدوات وهي الدواة وكتبها معاذ فلما بلغ كلا لا تطعه واسجد واقترب
سجد اللوح وسجد القلم وسجدت الدوات وهم يقولون اللهم ارفع بها ذكرا اللهم احقن
بها وزرا اللهم اعقد بها شيئا قال معاذ سجدت واخر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسجد حتى تم والحمد لله على ما فتح وسخ وله الحمد والمنة

سورة القدر وهي مدنية في قول اكثر المفسرين

ذكره الثعلبي وحكى الماوردي عكسه قلت وهي مدنية في قول الضحاك وذكر
الواقدي انها اول سورة نزلت بالمدينة وهي خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر بعين القرآن
وان لم يجز له ذكر في هذه السورة لان المعنى معلوم والقرآن كله كالسورة الواحدة
وقد قال شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقال ذلك الكتاب المبين انا انزلناه
في ليلة مباركة يريد ليلة القدر وقال الشعبي المعنى انا ابتدانا انزال القرآن
في ليلة القدر وقيل بل نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر
من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا الى بيت العزة واملاه جبريل على السفرة
ثم كان جبريل ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما وكان بين اوله واخره
ثلاث وعشرون سنة قاله ابن عباس وقد تقدم في سورة البقرة وحكى الماوردي
عن ابن عباس قال نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر وفي ليلة مباركة
جملة واحدة من عند الله في اللوح المحفوظ اي السفرة الكرام الكاتبين
في سما الدنيا فنجمه السفرة الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنة ونجمه جبريل
على النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين
جبريل وبين الله واسطة ولا بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم واسطة قوله تعالى
في ليلة القدر قال مجاهد في ليلة الحكم وماذا وان ما ليلة القدر قال
ليلة الحكم والمعنى ليلة التقدير سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها ما يشا
من امره الى مثلها من السنة القابلة من احوال الموت والاجل والرزق وغيره
ويسلمه الى صاحبات الامور وهم اربعة من الملائكة اسرافيل وميكايل وعزرائيل
وجبريل عليهم السلام وعن ابن عباس قال تكتب من ام الكتاب ما يكون
في السنة من رزق او مطر او موت وحياة حتى الحاج قال عكرمة يكتب خلق
بيت الله تعالى في ليلة القدر باسمايهم واسما آبايهم ما يقبل منهم احد ولا يرد
فيهم وقال سعيد بن جبير وقد مضى في اول سورة الدخان هذا المعنى وعن ابن
عباس ايضا ان الله تعالى يوفي الاقتين في ليلة نصف شعبان ويسلمها الى
اربابها في ليلة القدر وانما سميت بذلك لتعظيمها وقدرها وشرفها من قولهم
لفلان قدر اي شرف ومنزلة قاله الزهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعات

عات

فيها قدرا عظيما وثوابا جزيلا وقال ابو بكر الوراق سميت بذلك لان لم يكن له قدر
ولا خطر يصير في هذه الليلة فاقدرا اذا احياها وقيل سميت بذلك لانه انزل فيها
كتابا ذا قدر على رسول ذي قدر على امة ذات قدر وقيل لانه يترتب فيها الخير والبركة
والمغفرة وقال سهل سميت بذلك لان الله تعالى يقدر فيها الرحمة على المومنين
وقال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملائكة كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه
اي ضيق قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر وقال اقرا كلما في القرآن
من قوله تعالى وما ادراك وقد اداه وما كان من قوله وما يدريك فلم يدره
وقال سفيان وقد تقدم ليلة القدر خير من الف شهر فضلها وعظمها وفضلة
الزمان انما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضائل وفي تلك الليلة يقسم الخير
الكثير الذي لا يوجد مثله في الف شهر والله اعلم وقال كثير من المفسرين ان العمل
فيها خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر وقال ابو العالية ليلة القدر
خير من الف شهر وعصمان لا يكون فيه ليلة القدر وقيل عني بالف شهر جميع الدهر
لان العرب تذكر الالف في غاية الاشياء كما قال

* يود احدهم لو يلبس الف سنة *

يعني جميع الدهر وقيل ان العابد كان فيما مضى لا يبعي عابد احتى يعبد الله الف
شهر ثلثا وثمانين سنة واربعة اشهر وجعل الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم
عبادة ليلة خير من الف شهر كانوا يعبدونها وقال ابو بكر الوراق كان ملك
سليمان خمس مائة شهر هو ملك ذي القرنين خمس مائة شهر فصار ملكهما
الف شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقال
ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح
في سبيل الله الف شهر فعجب المسلمون من ذلك فنزلت انا انزلناه الاية خير من
الف شهر التي ليس فيها سلاح في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس ووهب
ابن منبه ان ذلك الرجل كان مسلما وان امه جعلته نذيرا لله وكان من قرية
قوم يعبدون الاصنام وكان مسكن قريبا منهم فجعل يسمع زجرهم وحزهم ويقتل
دبيبي ويجاهد وكان لا يلقاهم الا بالحيا بغير وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فطن
العجز من الحيين فاعذب فيشرب منه وكان قد اعطي قوة من البطش
لا توجد عند غيره ولا عند غيره وكان اسمه شمعون وقال كعب الاحبار وكان رجلا
مذكورا في بني اسرائيل فتفضل جعلة واحدة فاوحى الله الى نبي زمانهم قل لفلان
يتهيا وقال يا رب ايتهي ان اجاهد بمالي وولدي ونفسي فرزقه الله الف ولد
وكان يجهز بجيش تولد معه في عسكره ويخرج مجاهدا في سبيل الله فيقوم شمعون
ويقتل ذلك الولد ثم يجهز اخر في عسكر وكان كل ولد يقتل في الشهر والملك
مع ذلك قائم الليل صائم النهار فقتل الف ولد في الف شهر ثم تقدم فقاتل
فقتل فقال الناس لا احد يدرك منزلة هذا الملك فانزل الله تعالى
ليلة القدر خير من الف شهر من شمعون وذلك الملك في القيام والصيام
والجهاد بالمال والنفس والاولاد في سبيل الله وقال علي وعروة ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم اربعة من بني اسرائيل فقال عبد الله ثمانين سنة لم يعصوا
الله طرفة عين فذكر ايوب وذكر زكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون
فعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل فقال
يا محمد عجبت امتك من عبادة هولاء لم يعصوا الله طرفة عين فقد انزل
الله عليك خيرا من ذلك ثم قرا انا انزلناه في ليلة القدر فسر بذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال مالك في الموطا من رواية ابي القاسم وغيره سمعت
من اثق به يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الامم قبله فكانه
تقاصر اعمار امته ان لا تبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر

وفي الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري
بني امية على منبره فساءه ذلك فنزلت انا اعطيناك الكوثر يعني نهرا في الجنة ونزلت
إنا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف
شهر تترك الملائكة والروح فيها باذن ربهم يملكها بعدي بني امية قال القاسم بن الفضل
الحراني فعددنا فاذا هي الف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص قال الحديث غريب قوله تعالى
تنزل الملائكة اي تهبط من كل سما ومن سدرة المنتهى ومسكن جبريل على وسطها
فينزلون الى الارض ويومئون على كل انسان الى وقت طلوع الفجر فذلك قوله
تعالى تنزل الملائكة والروح اي جبريل عليه السلام وعلى التشبيري ان الروح صف
من الملائكة عظيم واحفظهم على سائرهم وان الملائكة لا يرونهم كما لا يرى بعض الملائكة
وقال مقاتل بعثهم اعوان الملائكة وافربهم من الله تعالى وقيل انهم جند من جند الله
عز وجل من غير الملائكة رواه مجاهد عن ابن عباس مرفوعا ذكره الماوردي
وحكى التشبيري قيل هم صف من خلق الله يأكلون الطعام ولهم ايدي وارجل
وليسوا ملائكة وقيل الروح خلق عظيم يوم صفا والملائكة كلهم صفا وقيل الروح
الرحمة تنزل بها جبريل مع الملائكة في هذه الليلة على اهلها وبسببه تنزل الملائكة
والروح من امره على من يشاء من عباده اي بالرحمة فيها اي في ليلة القدر
باذن ربهم اي بامره من كل امر اي كل امر قدره الله وقضاه في تلك السنة
الى قابل قاله ابن عباس كقوله تعالى يحفظونه من امر الله اي بامر الله وقراءة
العامة تنزل بفتح التاء الا ابن السري شدد التاء وقرا طلحة بن مصرف وابي السميفع
بضم التاء على الفعل المجهول وقرا علي وابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امر
وروي عن ابن عباس عن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة
القدر تنزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم وقاعد
يذكر الله تعالى قوله تعالى سلام قيل ان تمام الكلام من كل امر ثم قال سلام
روي عن نافع وغيره اي ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها حتى يطلع
الفجر اي الى طلوع الفجر قاله الضحاك لا يقدر الله في تلك الليلة الا السلامة
وفي سائر الليالي يقضي مائتان والسلامة وقيل اي هي سلام اي ذات
سلام من ان يوثر فيها شيطان في سوء ومؤنة وكذا قال مجاهد
في ليلة بهالة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيه سوءا ولا اذى وروي مرفوعا
وقال الشعبي هو تسليم الملائكة على اهل المساجد من حين تغيب الشمس
الى ان تطلع يمرون على كل مؤمن ويقولون السلام عليك ايها المؤمن
وقيل يعني سلام الملائكة بعضها على بعض فيها وقال قتادة سلام خير
هي حتى يطلع اي الى مطلع وقرا الكسائي وابو حيوة حتى مطلع بكسر اللام
الباقون بالفتح والفتح والكسر لغتان في المصدر والفتح الاصل
في فعل يفعل نحو المنبل والمحز والكسر على انه مما شذ عن قياسه نحو
المشرق والمغرب والمنبت والمنسك والمحشر والمسقط والمحر حكي في ذلك
كله الفتح والكسر على ان يراد به المصدر لا الاسم وهنا ثلاث مسايل الاولى
في تعيين ليلة القدر وقد اختلف العلماء في ذلك والذي عليه المعظم انها
ليلة سبع وعشرين لحديث زر بن حبيش قال قلت لابي بن كعب ان اخاك عبد الله
ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال يغفر الله لابي
عبد الرحمن لقد علم انها في العشر الاواخر من رمضان وانها ليلة سبع
وعشرين قال فقلت بايّ شيء تقول ذلك يا ابا المنذر قال بالاية التي اخبرنا
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم او بالعلامة ان الشمس تطلع يومئذ لا شعاع
لها قال الترمذي حديث حسن صحيح وخرجه مسلم وقيل هي في شهر رمضان
دون سائر العام قاله ابو هريرة وغيره وقيل هي في السنة كلها فمن علق
طلاق امراته او عتق عبده بليلة القدر ولم يتبع الطلاق والعتق الى مضي
ستة من يوم حلف لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك ولم يثبت اختصاصها
فلا يبقى وقوع الطلاق الا بمضي حول وكذلك العتق وما كان مثله من يمين
او غيره وقال ابن مسعود قال من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال يرحم

اباعبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكن اراد ان لا يتكل الناس وانى
هذا القول وهب ابو حنيفة رضي الله عنه انها في جميع السنة وقيل عنه انها رفعت
بعيني ليلة القدر وانها انما كانت مرة واحدة والصحيح انها باقية وروي عن
ابن مسعود ايضا انها اذا كانت في يوم من هذه السنة كانت في العام المقبل
في يوم اخر والجمهور على انها في كل عام من رمضان ثم قيل انها الليلة الاولى
من الشهر قال ابو رزين العقيلي وقال الحسن وابن اسحاق وعبد الله بن انيس
هي ليلة سبع عشر من رمضان وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر وكانهم
نزعوا بقوله تعالى وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان
وكان ذلك ليلة سبعة عشر وقيل هي الليلة التاسع عشر والصحيح المشهور انها
في العشر الاواخر من رمضان وهو قول مالك والشافعي والاوزاعي وابو ثور
واحمد ثم قال قوم هي الحادي والعشرون وقال الشافعي رضي الله عنه بحديث
الماء والطين رواه ابو سعيد الخدري خرجه مالك وغيره وقيل ليلة الثالث
والعشرين لما رواه ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله اني رايت ليلة القدر
في كبابة تبقى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني ارى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث
وعشرين فمن اراد ان يتحرى ليلة القدر فليتحر ليلة ثلاث وعشرين قال مهر فكان
ايوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا وفي صحيح مسلم النبي صلى الله
عليه وسلم قال اني رايت اني اسجد في صبيحتها في ماء وطين قال عبد الله بن انيس
فرايته صبيحة ليلة ثلاث وعشرين في الماء والطين كما اخبر صلى الله عليه وسلم
وقيل ليلة خمس وعشرين لحديث ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة
رواه مسلم قال مالك يريد بالتاسعة ليلة احدى وعشرين والسابعة
ليلة ثلاث وعشرين والخامسة ليلة خمس وعشرين وقيل ليلة سبع وعشرين
وقد مضى دليله وهو قول علي رضي الله عنه وعائشة ومعاوية وابي بن كعب
وروي ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان مستحريا ليلة القدر
فليتحرها ليلة سبع وعشرين وقال ابي بن كعب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ليلة القدر ليلة سبع وعشرين وقال ابو بكر الوراق ان الله تعالى قسم ليالي
هذا الشهر شهر رمضان على اكمال هذه السورة فلما بلغ السابع والعشرين
اشار اليها فقال هي وانما ليلة القدر كررذكرها ثلاث مرات وهي تسعة
احرف فتحي سبعا وعشرين وقيل ليلة تسع وعشرين لما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ليلة القدر ليلة التاسعة والعشرون او السابعة والعشرون
وان الملائكة في تلك الليلة بعدد الحصى وقد قيل انها في الاشفاع قال
الحسن ارتقبت الشمس ليلة اربع وعشرين سنة فرايت انها تطلع بيضاء
لا شعاع لها يعني من كثرة الانوار في تلك الليلة وقيل انها مستورة في جميع
السنة ليجتهد المرء في احياء جميع الليالي وقيل جميع شهر رمضان ليجتهد
في العمل والعبادة في ليالي رمضان طمعا في ادراكها كما اخفي الصلاة الوسطى
واسمه الاعظم واسماء الحسنى وساعة الاجابة في ساعات الجمعة وساعات
الليل وغفلة الناس ورضاه في الطاعات وقيام الساعة في الاوقات
والقصد الصالح بين المبادرة منه وحكمه الثابتة في علاماتها سمات
الشمس تطلع صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها وقال الحسن قال النبي صلى
الله عليه وسلم في ليلة القدر ان من امارتها ان الليلة سمحة لا حارة ولا باردة
وتطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع وقال عبيد بن عمير كنت ليلة
السابع والعشرين في البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا فسلسلا الثالثة
في كفها لها وحسبك لقوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر وقوله تعالى
تنزل الملائكة والروح فيها وفي الصحيح من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا
بقوله ما تقدم من ذنبه رواه ابو هريرة وقال ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى
منهم جبريل ومعهم الالوية يغرز منها لواء على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء

في المسجد الحرام ولا على طور سيناء ولا تزعوا فيها يوما ولا يوسنة الا تسلموا عليه
الا هم من الخمر وأكل الخنزير والمستضعف بالعصران وفي الحديث ان الشيطان لا يخرج
من هذه الليلة حتى يمسي فيها ولا يستطيع ان يصيب فيها احدا وجبل في هذه
الليلة ولا يتي من النساء ولا يبتدئ فيها سحر ساحر وقال الشعبي وليلها كيومها
ويومها كليلها وقال الفراء لا يقدر الله فيها الشر الا السعادة والنعم
ويقدر في غيرها البلايا والنقم وقد تقدم عن الضحاك وسئله لا يبالي من هذه
الرواية من مرفوع وقد روي في فضل ليلة النصف عن جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من صلى المغرب والعشاء الآخرة من ليلة النصف في جماعة فقد اخذ حظه
من ليلة القدر ذكره الثعلبي في تفسيره وعائشة رضي الله عنها قلت
يا رسول الله ان وافقت ليلة القدر فما اقول قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو
فاعف عني سورة لم يكن وهي مكية

في قول يحيى بن سلام ومقاتل وقول ابن عباس والجمهور وهي ثمان او تسع ايات وقد جا
في فضلها حديث لا يصح رويناه عن عبد الله بن محمد الحضرمي قال قال ابو عبد الرحمن
ابن بشر اذهب الى ابي الهيثم الخشاب فاكتب عنه فانه قد كتب فذهبنا اليه فقال
حدثنا مالك بن انس عن يحيى بن سعد عن سعيد بن المسيب عن ابي الدرداء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في الدين كلهم والعمل لاهل الكتاب
لعملوا الاهل والمال فيعلموها فقال رجل من خثعم عندما فيها من الاجر يا رسول
الله قال لا يخرجها ما فوق ابدا ولا دخل في قلبه شك في الله والملائكة المقربين
بيت وهما ما خلق الله السموات والارض مما يفترون من قرأتها وما من عبد
مثنوها الا بعث الله اليه ملائكة يحفظونه في دبره ودبره ويعطون له بالمغفرة
الا وجه قال الحضرمي فحدثت به ابا عبد الرحمن بن بشر فالبث هذا الحديث عليه
فقال هذا كفانا مؤونة ولا تقرأ بها قال ابن العربي رواه اسحاق بن بشر الكاهلي
عن مالك بن انس عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عن ابي الدرداء عن النبي
صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في الدين كلهم والعمل لاهل والمال ويتعلمونها
هذا حديث باطل وانما الحديث الصحيح ما رواه عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا فقال وسماني
لك قال نعم فبكى قلت هو في الصحيحين وغيرهما من المتقدم قراءة العالم على المتعلم
قال بعضهم انما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على ابي ليعلم الناس التواضع ليقتدوا به في
احسن التعلم والقراءة على من دونه في المنزلة وقيل لان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يقرأه عليه ان ياخذ الفاظه هنيئا كما سمعها
ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي اذ امره رسوله ان يقرأ عليه قال فبكى
الا نبأ بي وحدثنا ابن هشام بن خالد قال حدثنا علي بن حمد قال حدثنا عبيد
عن عاصم عن زر قال قرأ ابن كعب قال لي آدم لو اعطي واديا من مال
لاتمنى ثانيا ولو اعطي وادين لم يسأل لا تمنى بالشام ولا يملأ جوف ابن آدم
الا التراب ويتوب الله على من تاب قال عكرمة نزلت على عامر لم يكن بلا ياء بعد
هذا انما قال ابو بكر هذا باطل عند اهل العلم لان قراءة ابن كثير وابي عمرو وعاصم
بابي بن كعب لا يقرأ انها هذا المذكور في لم يكن مما هو معروف
باحد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من كلام الرسول عليه السلام لا يجيء
عن ربه الا ما في القرآن وما رواه شاذ منها الاجماع انه ليس مما يجب
واحدا مخالفا مذهب الجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
لم يكن الذين كفروا هذه القراءة العامة وعليها المصحف وقرأ ابن مسعود لم يكن المشركون
واهل الكتاب ينتكين وهذه قراءة على التفسير قال ابن الغرابي وهي جائزة في العربية
البيان لا في معرض التلاوة فقد قرئ النبي صلى الله عليه وسلم في رواية الصحيح
فطلقوهن لقبل عدتهن وهو تفسير فان التلاوة هو ما كان في خط المصحف
قوله تعالى من اهل الكتاب قال ابن عباس من اهل مكة يعني اليهود الذين كذبوا
محمدا وهم قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا يعبدون

او المدينة والذين حولها وهم مشركوا قريش منفكين اي منتهين عن كفرهم زايلين
عنه حتى تاتيهم البينة اي اتتهم البينة اي محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الا انتهاء بلوغ
الغاية اي لم يكونوا ليفارقوا انباءهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة فالانفكاك
على هذا بمعنى الانتهاء وقيل منفكين زايلين اي لم نحن عما نحن لنزول
حتى ياتيهم رسول والعرب تقول ما انفككت اعتمل كذا اي ما زلت وما انفك
فلان قائما اي ما زال قائما واصل الفك الفتح ومنه فك الكتاب وفك الخاتم
وفك السالم قال طرفة قالت لا يفتك تهانة الحسب رفيق السفر
بين مهند وقادم اي الرمح

* حراجيج لا ينفك الامتاعة على الخسف او ترمي بها بلدا *

فقوله ما ينفك مساحة قراد الا وقيل منفكين يا رجل اي لم يكونوا لم
يبرحوا ويقال رقوا الدهر حتى تاتيهم البينة وقال ابن كيسان لم يكن اهل
الكتاب حتى بعث محمد وه وتجحدوه وهو قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
ولهذا قال ومن يكفر الذين اوتوا الكتاب الاية وعلى هذا قوله والمشركين
اي ما كانوا يسمون المتقول محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعث فانهم كانوا يسمونه
الامين حتى اتتهم البينة على لسانه وبعث اليهم فجحدوه وقال
بعض النحويين منفكين هاهنا من قولهم انفك صلا المراة عند
الولادة وهو ان يتفصل فلا يلتيم فتهلك المعنى لم يكونوا منفكين ولا هالكين
الا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل واتزال الكتب وقال في المشركين انهم
من اهل الكتاب فمن اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من يقول
عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه ومنهم من قال ثالث ثلاثة وقيل اهل
الكتاب كانوا موحدين ثم كفروا بعد انبيائهم والمشركون ولدوا على الفطرة
فكفروا حين بلغوا فلهذا قال والمشركين وقيل والمشركين وصف اهل
الكتاب ايضا لانهم لم يتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد فالنصارى
مشلثة وعامة اليهود مشبهة والكل مشركون وهو كقولك جاءني العقلاء والعمرقا
وانت تريد اقواما بعينهم فيصلهم بالاسم فايلعني من اهل الكتاب المشركين
وقيل ان الكفر هنا هو الكفر بنبي صلى الله عليه وسلم اي لم يكن الذين كفروا
بمحمد من اليهود والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون الذين هم
عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب منفكين
قال الشريف وفيه بعد لان الظاهر من قوله حتى تاتيهم بينة رسول
من الله ان هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم ويبعد ان يقال لم يكن
الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين حتى ياتيهم محمد الا ان يقال
اراد لم يكن الذين كفروا الان بمحمد قد كانوا من قبل منفكين له فمنتهين
عن هذا الكفر الى ان جاءهم محمد اليهم ويبين لهم الايات فحينئذ
يوسى قوم وقف الاعمش وابراهيم والمشركين رفعا عطفا على الذين واقرا
الاولى الذين لان الرفع يعيد الاستغفار كلهم من غير اهل الكتاب
وفي حرف ابي كما كان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
وفي مصحف ابن مسعود لم يكن المشركون واهل الكتاب منفكين وتقدم
ضم التاء من تاتيهم البينة قل حتى اتتهم والبينة محمد صلى الله عليه وسلم رسول
من الله اي تبيت من الله قل ثلاثة قال الزجاج رسول رفع على البدل
من البينة وقال الفراء اي هو رسول من الله لان البينة قد تذكر فيقال
بينتي فلان ويعنون اي واحد مسور رسولا بالنصب على القطع يتلوا
اي يقرا لبينة فلا يتلوا تلاوة صحفا جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب
مطهرة قال ابن عباس من الشرك والنفاق والضلالة وقال
قتادة من الباطل وقيل من الكذب والشبهات والكفر والمعاصي واحدا
اي تقرا ما يتضمن الصحف من المكتوب ويدل عليه انه كان يتلوا عن ظهر
قلبه لا عن كتاب لانه كان اميا لا يكتب ولا يقرا ومطهرة من نعت الصحف
وهو كقوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة فالمطهرة نعت الصحف والطا

مر

وهو نعت لما في الصحف من القرآن وقيل مطهرة ان ينبغي ان لا يمسها / الا المطهرون
كما قال في سورة الواقعة حسبما تقدم بيانه وقيل الصحف المطهرة هي التي عند الله في ام
الكتاب الذي منه نسخ ما انزل على الانبياء من الكتب كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد
في لوح محفوظ قال الحسن يعني بالصحف المطهرة في السماء فيها كتب قيمة اي مستقيمة
مستوية تحكم في قود الحرب قام يقوم اذا استوى وصح وقال بعض اهل الصحف فكيف
قال صحف فيها كتب فالجواب ان الكتب هنا بمعنى الاحكام قال الله عز وجل كتب الله
لاغلبن انا ورسلي بمعنى حكم وقال صلى الله عليه وسلم والله لاقضين بينكما بحكم الله
ثم قضى بالرجم وليس ذكر الرجم مسطورا في الكتاب فالمعنى لاقضين بينكما بحكم الله
وقال وامّا الولدان فلم تعلم وما ذاك قال الله اذ هو يكتب وقيل الكتب القيمة
هي القرآن فجعله كتبا لانه يشتمل على انواع من البيان قوله تعالى وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى يعني حين اهل الكتاب بالتفريق بينهم
دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين لانهم مقرون
بهم علم فاذا تفرقوا كان غيرهم من لا كتاب له او دخل في هذا الوصف / الا من بعد ما جاءتهم
البينة اي اتتهم البينة الواضحة والمعني به محمد صلى الله عليه وسلم اي بالقرآن
موافقا للذي في ايديهم من الكتاب بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجتمعين
على تبوته فلما بعث محمد وانبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من
امن كقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل البينة
البيان الذي في كتبهم انه نبي مرسل قال العلما من اول السورة الى قوله قيمة
حكمها فيمن امن من اهل الكتاب والمشركين وقوله وما تفرق حكمه فيمن لم يؤمن
من اهل الكتاب بعد قيام الحجج قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين حنفا فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وما امروا اي وما امر هؤلاء الكفار
في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله اي ليوحدوه واللام في ليعبدوا بمعنى ان
كقوله تعالى يريد الله ليبين لكم اي ان يبين ويريدون ليطفيوا نور الله وامرنا
لنسلم وفي حرف عبد الله وما امروا الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين وفيه
دليل على وجوب النية في العبادات قال الاخفش من عمل العمل وهو يعلمه يراد
به وجه الله تعالى لغيره الثانية قوله تعالى حنفا اي مائلين عن الاديان كلها
الى دين الاسلام وكان ابن عباس يقول حنفا على دين ابراهيم عليه السلام ويقال
ويقال الحنيف من اختتن وحج قاله سعيد بن جبير قال اهل اللغة واصلها انه
يجيء الى الاسلام اي ماد اليه الثالثة قوله تعالى ويقيموا الصلاة اي يحدوا
في اوقاتها ويؤتوا الزكاة اي يعطوها عند محلها وذلك دين القيمة اي ذلك الدين
الذي امروا به دين القيمة اي الدين المستقيم وقال الزجاج اي ذلك دين
الملة المستقيمة نعت لموصوف محذوف اويقال دين الامة القيمة بالحق اي الثابتة
بالحق وفي حرف عبد الله وذلك الدين القيم قال الخليل القيمة جمع القيم والقيم
والقائمة واحد وقال الفرا اضاف الدين الى القيمة وهو نعته لاختلاف
اللفظين وعنه ايضا من باب اضافة الشيء الى نفسه ودخلت الهاء للمد
والمبالغة وقيل الهاء راجعة الى الملة او الشريعة وقال مجاهد الاشعث
الطامع في القيمة هاهنا الكتب التي جرى ذكرها والدين معناه قوله تعالى
ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين معطوف على الدين او يكون مجرورا
معطوفا على اهل خالدين في نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية قرأ نافع
وابن ذكوان بالهمز على الاصل في المؤمنين من قولهم برأ الله الخلق وهو البارئ
الخالق وقال من قال ان براها انبأ فوزن بقي همز وشذ ابو عمرو عنه اذا اخذنا
البرية من البرا وهو التراب فاصله غير الهمز نقول منه براه الله يبروه برا اي
خلقه قال القتبي ومن قال البرية من البرا وهو التراب قال لا تدخل الملائكة
تحت هذه اللفظة وقيل البرية من برى القلم اي قدرته فدخل فيه الملائكة
ولكنه قول ضعيف لانه يجيء منه مخلية من همز وقوله شر البرية اي شر
الخليقة فقيل عجلان يكون من على التقديم وقال قوم اي هم شر البرية الذين

كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي زمانكم لا يبعد ان يكون في كفار الامم قبل هذه الامة من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح وكذا خير البرية اما على التقييم او خير بررة عصرهم وقد استدل بقراءة الجمهور من تفضيل بني ادم على الملائكة وقد بسطت في سورة البقرة المولد فيه وقال ابو هريرة رضي الله عنه المومن اكرم على الله عز وجل من بعض الملائكة الذين عنده قوله تعالى جزاؤهم اي ثوابهم عند ربهم اي جنات تجري اي بساتين عدن اي اقامة والمفسرون يقولون جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها تقول عدن المكان يعدن عدونا اقام ومعدن الشيء مركزه ومستقره قال الاعشى وان استظاقرا في حملة يضاقوا الى الراح قد عدنت تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لا يبغون ولا يموتون رضي الله عنهم اي رضي اعمالهم كذا قال ابن عباس ورضوا عنه اي رضوا ثوابه من ثواب الله عز وجل ذلك اي الجنة لمن خشي ربه اي خاف ربه فتناهى عن المعاصي

سورة الزلزلة مدنية

قول ابن عباس وقتادة ومكية بقول ابن مسعود وعطاء وجابر وهي تسع اياب قال العلماء هذه السورة فضلتها كثير ويحتوي على علم روى الترمذي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرا قل هو الله احد عدلت له بثلث القرآن قال حديث غريب وفي الباب عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرا القرآن كله وروي عبد الله بن عمرو بن العاص قال لما نزلت اذا زلزلت بكى ابو بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما انكم تخطيون وتذنبون انه هو الغفور الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها اي حركت من اصلها كذا روي عكرمة عن ابن عباس وكان يقول في النفخة الاولى تزلزل وقال مجاهد كقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ثم تزلزل ثانية فتجيء موتاها وهي الاثقال وذكر المصدر للتاكيد ثم اضيف الى الارض كقوله لاعطينك عطيتك اي اعطيني لك وحسن ذلك لموافقة رؤوس الاي بعدها وقرا ابو نعامة بكسر الزاي من الزلزال وقرا الحجدري وعيسى بن عمر بفتحها وهو مصدر ايضا كالوسواس والقلقال والخزعال وقيل الكسر للمصدر والفتح للاسم قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها قال ابو عبيدة والاخفش اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد اثقالها موتاها يخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للجبان والانس الثقلان وقالت الخنساء

يعني ابن عمرو من آل الشريد حللت به الارض اثقالها

يقول لما قتل عمرو صار حلية لاهل القبور من شرفه وسوددة وذكر بعض اهل العلم قال كانت العرب تقول اذا كان الرجل سخيا كالجدما كان يثقل على ظهر الارض فاماما احفت الارض من ظهرها فقلها وقيل اثقالها كنوزها ومنه الحديث يلقى الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوان من الذهب والفضة قوله تعالى وقال الانسان اي ابن ادم الكافر فروي عن ابن عباس قال هو الاسود بن عبد الاسد وقيل اراد كل انسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الاولى من موتى وكافر وهذا قول من جعلها في الدنيا من اشراط الساعة لانهم لا يعلمون جميعا من اشراط الساعة في ابتداء امرها حتى يتحققوا عمومها فلذلك سال بعضهم بعضا عنها وعلى قول من قال ان المراد بالانسان الكفار خاصة جعلها زلزلة القيامة لان المومن معترف بها فهو لا يسال عنها والكافر جاحد فلذلك سيل عنها ومعنى ما لها زلزلت وقيل ما لها اخرجت اثقالها وهي كلمة تعجب اي لاي شيء زلزلت ويجوز ان يجيء الله الموتى بعد وقوع

النفخة الاولى ثم تتحرك الارض فتخرج الموتى وتدور الزلزلة وتتشقق الارض
عن الموتى احياء يقولون من بعثنا من مرقدنا فيقال بومئذ تحدث اخبارها
اى تخبر الارض بما عمل عليها من خير وشر وتشهد ثم قيل هو من قول الله تعالى
وقيل من قول الانسان يقول لها مالك تحدثين اخبارها بتحديث الله اياها
وفى الترمذى عن ابى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ
تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها
ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا وكذا قالت
فهذه اخبارها قال هذا حديث حسن صحيح غريب قال الماوردى قوله يومئذ تحدث
اخبارها باعمال العباد على ظهرها قاله ابو هريرة ورواه مرفوعا وهو قول
من زعم انها الزلزلة التى تكون امام الساعة التالى تحدث اخبارها بما اخرجت من اثقالها قاله
يحيى بن سلام وهو قول من زعم انها اشراط الساعة قلت وفى هذا المعنى حديث
رواه ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان آخر الزمان
بارض اوبقعة الحاجز الهما حتى اذا بلغ افقى اثره فبصقه الله فتقول الارض
يوم القيامة هذا ما اسودتنى حرجه ابن ماجه فى سننه وقد تقدم الثالث
انها تحدث بقيام الساعة اذا قال الانسان مالها قاله ابن مسعود فتخبر
ان امر الدنيا قد انقضى وامر الاخرة قد اتى فيكون ذلك منها جوابا لهم عن سؤالهم
وتعيد الكافر والمؤمن فى حديثها باخبارها ثلاثة اقاويل احدها ان الله
تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتتكلم بذلك والثانى تحدث بها الكلام الثالث
انه تكون منها بيانا يقوم مقام الكلام الطبرى تبين اخبارها بالرجة والزلزلة
واخراج الموتى بان ربك اوحى لها ان تحدث اخبارها بوحى الله لها اليها
والعرب تضع لام الصفة موضع الى قال المجاج يصف الارض
اوحى لها فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت
وهذا قول ابى عبيدة اوحى لها الى الها وقيل اوحى لها امرها قاله مجاهد
وقال السدى اوحى لها ملكها وقيل يحركها وقيل الميمنى يوم تكون
الزلزلة واخراج الارض اثقالها تحدث الارض اخبارها كان عليها من
الطاعات والمعاصى وما عمل على ظهرها من خير وشر روى ذلك عن الثورى
وغيره يوسف يصدر الناس اشتاتا اى فرقا مختلفة وشتى قيل من موقف
الحساب فريق تأخذ بهم الميمنة وفريق تأخذ بهم الشمال الى النار لقوله
تعالى يومئذ يتفرقون يومئذ يتصدعون وقيل يرجعون عن الحساب
بعد فراغهم من الحساب اشتاتا يعنى فرقا فريقا برا بعملهم انه قال
من احد يوم القيامة الا وسيوم تشهيه فان كان محسنا لم ان ردت
احسانا والكافر غير ذلك يقول لم لا ترغب عن المعاصى وهذا اعظم عقوبة
الثواب والعقاب وكان ابن عباس يقول اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم
اهل الايمان على حدة واهل كل دين على حدة وقيل هذا الصدر انما هو عقب
البعثور يصدرون اشتاتا من القبور فيصدرهم ربهم الى موقف الحساب
ليروا اعمالهم فى كتبهم وليروا جزاء اعمالهم فكانهم وردوا القبور فرقوا انهم صدروا
فيها والوارد الحالى والصادر المنصرف اشتاتا اى يبعثون من اقطار الارض
وفى القول فيه تقديم وتأخير محياه تحدث اخبارها اذ ربك اوحى لها ليريهم
اعمالهم واعترض قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا متفرقين من موقف الحساب
وقراءة العامة ليروا بضم الياء ليريهم الله اعمالهم وقال الحسن والزهرى وقتادة
والاعرج وبصرى عاصم وطلحة بفتحها وروى ذلك عن ابى صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
فيه لدلان متماثل الاولى قوله تعالى لمن تقول يعمل مثقال ذرة خيرا يره كان ابو عباس
يقول من يعمل من الكفار خيرا يره فى الدنيا ولا يثاب عليه فى الاخرة ومن يعمل
مثقال ذرة من شر عوقب عليه فى الاخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال
ذرة من شر من المؤمنين يره فى الدنيا ولا يعاقب عليه فى الاخرة اذا مات ويتجاوز

عنه وان عمل مثقال ذرة من خير يضاعف له في الآخرة ويقتضي
الحديث ان الذرة لا زنة لها وقد تمثل صنوبر بما لله تعالى انه لا يثقل من وزن
ابرة امم صغير ولا كثرة وهو مثل قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقد تقدم
الكلام هناك في الذنوب لا ورد له وذكر بعض اهل التفسير ان الذرات تقرب
الرجل بعيدا على الارض فما علق بها من التراب فهو الذنوب وكيع قال ابن عباس
اذا وضعت يدك على الارض فرفعتها فكل واحد مما يصق به من التراب
وقال محمد بن كعب القرظي ممن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يجزى بها في
الدنيا وفي عنقه وقال اهله وولده هل تجزى من الدنيا وليس له فيها
خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن يزد في عقوبته في الدنيا قال اهله
واهله وولده حتى تجزى من الدنيا وليس له فيها شر وقيل معنى الآية
الا ترى من حربيا قتل كثيرة قاله ابن العربي وفي الموطأ انه سئل
ابو بكر فامسك وقال يا رسول الله انما لا نرى ما عملنا من خير وشر قال ارايت ما تكره
فهو مثاقيل ذر الشر وتدخر لكم مثاقيل ذر الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال
ابو داود ريس ان معاذا قد مات من كتاب الله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم ويعفو عن كثير وقال مقاتل نزلت في رجلين وذلك انهما ترددا يطلبون
الطعام في خيبر كان احدهما تاجرا للسايل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة
والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والنميمة والنظرة ويقول
انما وعد الله النار على الكبائر فنزلت يريهم في القليل من الخير ان يعطوه
فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر وقاله
سعيد بن جبير والامر الصغير في عين صاحبه يوم القيامة اعظم من الجبال
وجميع نجاسته اقل في عينه من كل شيء النابغة قراءة العامة يراه بفتح الياء
فيهما وفتح الحاء وانسلمي وعيسى بن عمر واطلق عن عاصم يره بضم الياء
اي يره الله اياه والاولى الاجتزاء بقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا الآية وسكن الهاء في قوله يره في الموضعين هشام وكذلك رواه الكسائي
عن ابي بكر وابو حياة والمغيرة واختلس يعقوب والزهري وشيبة واشهب
العقيلي وقيل يره اي يكافئه لان عمله قد انقضى وتم فلا يزيد ولا ينقص
الذمن تصدق وكيف انما وزن مثقال ذرة فبراه ٥
ويجازى بفعله الشر شرا وفضل الحسنة ايضا جزاه هكذا قوله تبارك
وتعالى اذا زلزلت وجلت شاوه الثعلبة قال ابن مسعود هذه احكم اية
في القرآن وصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية القابلون بالعموم
ومن لم يقل به روي عن كعب الاحبار رضي الله عنه انه قال لقد انزل الله على
محمد اختصارا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف من يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي
الآية الجامعة الفاذة لما في الصحيح لما سئل عن الحمر وسكت عنها فقال
والجواب فيها واحد لان البغل والحمار لا كرعهما ولا فرقهما ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم ما في الخيل من الاجر الدائم والثواب المستمر سئل انس
عن الحمر لانهم لم يكن عندهم بغل ولا دخل الحجاز شيئا الا بغلة النبي صلى الله
عليه وسلم الدلدل التي اهداها له المقوقس فقاله بالجمع لعموم الآية
دابة الحمار ما قيل كثيرة قاله ابن العربي وفي الموطأ انه سئل
استطعم عائشة ام المؤمنين وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ خبزة
فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويعجب فقالت اتعجب كم ترى في هذه الحبة
من مثقال ذرة وروي عن مصعب بن ابي وقاص انه تصدق بتمرتين فقيل
له اتلتمس بهذا الدنيا مثاقيل الذر وهي تمرتي مثاقيل
ذر كثيرة بقر وروي المطلب بن حنطب ان اعرابيا سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يتلوها فقال يا رسول الله امثقال ذرة قال نعم قال الاعرابي واسوأتاه

مرارا ثم قام وهو ينقوها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل قلب الاعرابي الايمان وقال الحسن قدم صعصعة عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع شقاد ذرة الايات قال لا اتمالى لا اسمع من القرآن غيرها حسبي فقد انتهت الموعظة ذكره الثعلبي وقال المأوردي روي ان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستقريه فقرأ عليه هذه الآية فقال صعصعة حسبي حسبي اذ قلت مثقال ذرة شرا يره وروي مهر من رتبد بن اسلم ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني مما علمك الله فدفعه الى رجل يعلمه فعلمه اذا زلزلت حتى اذا بلغ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال حسبي فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال دعوه فانه قد فقه ويحكى ان اعرابيا اخر خبزة فثقل اقرأ ثم الخبز على الشرقاء الشاعر خذ بطن هرشى او قفاها فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق

سورة والعاديات مكية

وهي مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء ومدنية في قول ابن عباس وانس بن مالك وقتادة وهي احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى والعاديات ضبحا اي الافراس تعدو والذي قاله اهل المغازي واهل اللغة اي تغير في سبيل الله فتضبح قال قتادة تضبح اذا عدت اي تحمحم وقال المؤرج الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدون ابن عباس ليس شي من الدواب تضبح غير الفرس والكلب والثعلب وقيل كانت تكلم ليلا فتشهد ليلا بعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحالة بقوة قال ابن العربي اقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال ليس والقرآن الحكيم واقسم بحياته فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واقسم بخيله وصهيلها وعثارها وقدح حوافرها النار من الحجر فقال والعاديات ضبحا الآيات الخمس وقال اهل اللغة والعدو ذات وثبات واهبة طفرتها عند صدورها العادية بمعنى الخيل وقال اخر

والعاديات اسم حين تضبح في حياض الموت ضبحا

وقال اخر بالتبع اني لدى اي لست تضبح الخيل في سواد العراق قال اهل اللغة واصل الضبح والتضبح للثعالب فاستعير للخيل وهو قول العرب ضبحته النار اذا اغيرت شعره ولم يبالغ فيه وقال الكلبي

فلما ان تهوحا سوادا لهبان ... مهورا ضبحا والضبح لونه

اذا انقير الى السواد قليلا قال

علفتها قبل الضباح لوبي ... وانما تضبح هذه الحيوانات

اذا تغيرت حالتها من نشاط او نصب او وطء ونصب ضبحا على المصدر او على الحال وقيل بمصدر في موضع الحال وقال ابو عبيد ضبحت الخيل ضبحا مثل صبحت وهو التيسير وقال ابو عبيدة الضبح والصبح بمعنى العدو والتيسير وكذا قال المبرد والصبح مد اصابعها في السير وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى ناس من بني كنانة فابطئ عليه خبرها وكان استعمل عليهم المنذر ابن عمرو الانصاري فكان احد النقباء فقالت المنافقون انهم قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم الذين بعث اليهم وممن قال ان المراد بالعاديات الخيل قال ابن عباس وانس والحسن ومجاهد والمراد الخيل تغزو عليها المؤمنون روي في الخبر ان لم يعرف اشجعة فرس الغازي فتنه شعبة من النفاق وقول ثان انها الابل قال مسلم نازعت فيها عكرمة فقال عكرمة قال ابن عباس هي الخيل وقلت قال علي هي الابل الخ ومولاي اعلم من مولاك وقال الشعبي كما راي علي وابن عباس في العاديات فقال علي من الابل بقدوح الخ وقال ابن عباس هي الخيل

فرها

حرمة ح

الاثراء يقول فاتوا به نقفا من نثير الا بجوافرها وهل تقتح الابل فقاد على
ليس كما قلت لقد وايتنا يوم بدر وما معنا الا فرس ابلق للمقداد وفرس
لمرثد بن ابي مرثد ثم قال له علي ايقتي الناس بما لا نقلم والله ان كانت لاول غزوة
في الاسلام وما معنا الا فرسان فرس للمقداد وفرس للزبير فكيف تكون
والعاديات ضبحا انما العاديات الابل من عرفة الى المزدلفة ثم الى المزدلفة
الى عرفة قاله ابن عباس ورجعت الى قول علي وبه قال ابن مسعود وعبد
ابن عمير ومحمد بن كعب والسدي ومنه قول منيه بنت عبد المطلب فلا والعاديات
عيداه جمع بادبها اذا اسطع القريا وسمي الابل والعاديات لانتقالها من
الغدو وهو تباعد الارجل في سرعة المشي وقال اخر
• • راي صاحبي في العاديات تحنة • وابنا لها في الواضعات القوانس •
ومن قال هي الابل فقوله ضبحا بمعنى ضبعا قالها عنده سئل له من الضبع
لانه يقال ضبحت الابل وضبعت اذا تراعتها في السير وقال المبرد الفتح مصدر
اصابها في السير والضبح اكثر ما يستعمل في الخيل والضبع في الابل وقد تدخل الخاص
الضبع ابو صالح الضبع من الخيل الجمة وفي الابل الشعثة وقال عطا ليس شئ من
الدواب يضبح الا الفرس والثعلب والكلب وروي عن ابن عباس وقد تقدم
عن الكوفيين ان اهل اللغة يقولون ضبح الثعلب وضبح في تبريك ايضا قال ابو ذؤيب
• • ولوان ليلة الاخيلة سلمت علي ودوني جندب وصفائح •
• • لسلمت تسليم البشاشة اوزقا الي صدى •
• • من جانب القبر صائح فالموريات قدحا فالقادحات فكرا فالمغيرات صبحا
قال عكرمة وعطا والضحاك هي الخيل حين تورث النار بحوافرها وهي سنابكها
وروي عن ابن عباس وعنه ايضا اورن بحوافرها غبارا فاثرن به نقعا
وهذا كما تقدم سابقا مما روي عنه في قدح النار وانما هذا في الابل وروي
ابو صخر عن مجاهد والعاديات ضبحا فالموريات قدحا قال قال ابن عباس وفي
القتال وهو في الحج ابن السميدع هي الابل تطلع المزدلفة تخرج منها الى منى فاصل القدح
الاستخراج ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الماء الفاسد وقدحت المرخ
الزند واقتدحت المرق من قدرك وزكي قدوح تغرف بالمغرفة ما بقي في اسفل
القدر فيغرف بمجموع المقدحة ما يقدح به النار والمقداح حتى للمقداح هو الحجر
الذي توري النار يقال وري الزند بالفتح يري وريا اذا اخرجت ناره وفيه
اللغة الاخرى وهي ازند بالكسر يري فيهما وقد سمي في سورة الواقعة وقد
حكيا انتصابه بالتصيب به ضبحا وقيل هذه الايمان في الخيل ولكن الواريها
ان فتح الحرب بين امتها وبين عدوهم ومنه يقال للحرب اذا التحمت
حمي الوطيس ومنه قول رقيش كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وروي
معناه عن ابن عباس ايضا وقاله قتادة وعن ابن عباس ايضا ان
المراد بالموريات تقدحها بحوافرها مكر الرجال في الحرب وقاله مجاهد وزيد بن اسلم
والعرب تقول للرجل اذا اراد المكر بصاحبه والله لاكيدنك بكل ما اوري
به زند وعن ابن عباس ايضا هم الذين يغزون فيورون بقعودتهم بالليل
لحاجتهم وطعامهم وعنه ايضا انها اليراني المجاهدين اذا كرت نيرانها ازهاها
وكل من ذلك من المعنى يوقد نيرانا كثيرة لنظهم الفرو كثيرا فهذا اقسام بزند
قادح مجد بي كعب هي النار تجمع وقيل بي افكار الرجل توري نار المكر والحديعة
وقال عكرمة هي السنة الرجال توري النار من عظم ما تكلم به وتظهر بها
من الحق واقامة الدلائل وايضاح الحجة وابطال الباطل وروي ابن جريج عن
بعضهم اي فالمجيات امرا ومحدثات الزند اذا اوري بتلك هذه الاقوال
مجاز وصفه قولهم فلان نوري وناد الضلالة والاول الحقيقة واما الخيل
فمن شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قاله مقاتل العرب تسمي تلك الغارة
التي حياها وكان ابو حباب شجاعا كبيرا من مضر في الجاهلية من اجل الناس
وكان لا يوقد نار الحرب ولا غيره حتى تتام العشرة فيوقدونها يوقدها وحده

اخرى

اجزء فان استيقظ لها احد طفأها كراهية ان ينتفع بها احد فتثبت الدواب
هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها وكذلك اذا رفع السيف على السيفة ما قدحت
نارا فتاك النائمة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بين قتول من قراع الكتائب يعد
السلوج المضاعف سمحه وتوقد بالصفاح نار الحباحب
قوله تعالى فالمغيرات صبحا الخيل تغير على العدو عند الصبح عن ابن عباس واكثر
المفسرين وكانوا اذا اراد والاغارة سروا ليلا وباتوا العدو صبحا لان ذلك وقت
غفلة الناس ومنه قوله تعالى فساء صباح المنذرين وقيل لغرهم اغارة والنار اوصها
على هذا اي علامتة تثيرها بظهور الصبح وقال ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما
هي الابل تدفع بركبانها يوم النحر من منى الى جمع والمزدلفة اذا لا تزفع حتى تقع
وقاله القرظي والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير قوله
تعالى فاثرن به نقعا اعيا تابعين الخيل تثير الغبار بشدة العدو في المكان
الذي اغارت به قال عبد الله بن رواحة

عدمت بنيتي ان لم تروها تثير النقع من كنفي كداء

والكناية في به يرجع الى المكان او الى الموضع الذي يقع فيه الاغارة واذا علم
المعنى جاز ان يكني عما لم يجر له ذكر بها لتضوع كما قال حتى توارت بالحجاب
وقيل فاثرن به اي بالعدو نقعا وقد تقدم ذكر العدو وقيل النقع ما يثيره سوذلقة
الى منى قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انه طريق الوادي ولعله يرجع الى المعنى
المشار من هذا الموضع وفي الصحاح النقع الغبار والجمع نقاع والنقع مجلس
الماء كذلك ما اجتمع فيه والبئر منه وفي الحديث انه نهى ان يمنع نقع البئر والنقع
بالارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء والجمع نقاع والنقع مثل بحور وبحار والبحر
قلت وقد يكون النقع رفع الصوت ومنه حديث عمر رضي الله عنه حين قيل له ان الدماء قد
اجتمعن ببكين على خالد بن الوليد فقال

وما على نسائي بني مغيرة ان يسفكن من دموعهن وهن جلوس
على ابي سليمان ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقال ابو عبيد يعني بالنقع رفع الصوت
على هذا رأيت قول الاكثرين من اهل العلم ومنه قول لبيد

فتنى ينقع صراخ صادق حلبوها ذات حرش وزجل

ويروى حلبوها ايضا بقوله متى حلبوا صراخا اهلبوا الحرب اي جمعوا لها
وقوله تنقع صراخ يعني رفع الصوت وقال الكسائي قوله نقعت انقع نقعا
قال ابو عبيد ذهب بالنقع الى النقيعة وانما النقيعة عند غيره من العلماء
صفة الطعام عند القدوم من سفر لا في المأتم وقال بعضهم يريد عمر بالنقع
ومنع التراب على الراس يذهب الى ان النقع هو الغبار ولا احسب عمر ذهب
الى هذا ولا احد من سفهن وكيف يبلغ حزنه ذا وهو يكره هو الهن النياح فقال
يسفكن من دموعهن وهن جلوس قال بعضهم النقع شق الجيوب
وهو الذي لا ادري ما هو في الحديث ولا اعرفه وليس النقع عندي
في هذا الحديث الا الصوت الشديد واما اللقلقة فنشرة الصوت ولم اسمع
فيه اختلافا وقرا ابو حنيفة فاثرن بالتشديد اي اثرن اثارة وذلك وملن
خفف فهو من اثار اذا حرك ومنه اثاروا الارض قوله تعالى فوسطن به جمعا
معمول توسطن اي فوسطن بركابهن الدرع اي الجمع الذي اغاروا على بهن
وقال ابن مسعود فوسطن به جمعا بيني بمزدلفة وسميت جمعا لاجتماع الناس
بها وبقال وسطن القوم اسطهم وسطا وسطة اي ضرب وسطهم وقرا علي
رضي الله عنه فوسطن بالتشديد وهي قراءة قتادة وابن سيرين وابو رجاء
لغتان بمعنى بقال وسطت القوم بالتشديد والتخفيف وتوسطتهم بمعنى
واحد وقيل تعني التشديد جعلنا الجمع قسمين والتخفيف ضربة وسطا
الجمع ومما يرجح ان الي بمعنى قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود هذا جواب
القسم اي طبع الانسان على كفران النعمة قال ابن عباس وغيره لكنود لكفور
حجود لنعم الله وكذلك قال الحسن وقال بذكر المصائب وينسى النعم
اخذه الشاعر فنظمه

يا ايها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم
الي متى انت وختي متى تشكوا المصيبات وتنسى النعم

وروي ابو امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنود الذي يأكل
وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وروي ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انبئكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من بخل وحده ومنع رفده
وجلد عبده فرحمها الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد روي عن ابن عباس
ايضا انه قال الكنود بلسان كنده وحضرموت العاصي وبلسان ربيعة ومضر
الكفور وبلسان كنانة البخيل الى الملكة وقاله مقاتل وقال الشاعر

* كنود لنفسها الرجال ومن يكن كنودا لنفسها الرجال يبعد *

اي كفور ثم قيل هو الذي يكفر النعمة من نفسه واهوائه وقال الترمذي الذي يرى النعمة
ولا يرى المنعم وقال ذو النون المصري الهلوع والكنود هو الذي منعه السر
جزوع واذا مسه الخير منوع وقيل هو الحقود والحسود وقيل الجهول لقدره
وفي الحكم من جهل قدره هتك ستره تلت هذه الاقوال كلها ترجع الى مرجع الكفران
والجحود وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم معنى الكنود بخصال مذمومة واحوال
غير محمولة قال صح فهو على ما يقال ولا يبقى معه لاحد مقال قوله تعالى وانه على
ذلك لشهيد اي وان الله جل ثناؤه على ذلك من ابن ادم لشهيد كذا روي
مفصولا عن مجاهد وهو قول اكثر المفسرين وهو قول ابن عباس وقال الحسن
وقتادة ومحمد بن كعب وانه اي وان الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع
وروي عن مجاهد ايضا قوله تعالى وانه اي الانسان من غير خلاف لحب الخير
اي المال ومنه قوله تعالى ان ترك خيرا وقال عدي

* ماذا ترجي النفوس من طلب الخير وحب الحياة كاذبها شديد *

اي قوي يذهب المال ويقال لشديد اي بخيل ويقال للبخيل شديد ومتشدد
قال طرفة * اري الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد *
يقال اعتامه واعتماه اي اختاره والفاحش البخيل ايضا ومنه قوله تعالى
وما مركم ما لفحشا اي البخل قال ابن زيد سمى الله المال خيرا وعسى ان يكون شرا
وهذا ما ولكن الناس من بعد ونه خيرا تسمية الله خيرا وسمي الجهاد سوا فقال
تا فتتلوا بنهية من الله وفضل لم يسمهم سوء على ما يسمية الناس قال الفرا
نظم الاية وانه لشديد الحب للخير فلما تقدم الحب قال شديد وحزن من اخره
ذكر الحب لانه فد جري ذكره وقرئ شديد الاي لقوله تعالى في يوم عاصف والعصوف
الريح لا الايام كانه قال في يوم عاصف الريح قوله تعالى افلا يعلم اي ابن آدم اذا
بعثر اي اثير وقلب وبحث فاخرج ما فيها قال ابو عبيدة بعثر المتاع جعل
اسفله اعلاه وعن محمد بن كعب قال ذلك حتى يبعثوا قال الفرا سمعت بعض
العرب بني اسد يقول واجتمع بالحاء مكان العين وحكاها الماوردي عن ابي
سعود ومحا بمعنى وحصل ما في الصدور اي ميز ما فيها من خير وشر وكذا
قال المفسرون وقال ابن عباس ابرز وقرأ عبيد بن عمير وسعيد بن جبير
ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وحصل بفتح الحاء وتخفيف الصاد وفتحها ابن ظهير
ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي عالم لا يخفى عليه منهم خافية وهو عالم بهم في ذلك

اليوم

اليوم وغيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم وقوله اذا بمعنى العامل
في اذ الجزء ولا يعمل فيه خبر لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والعامل يوسيد
خبر وان فصلت اللام الابتداء وانما دخلت في الخبر لرجوك ان على المبتدا
ويروي ان الحجاج قرأ هذه السورة على المنبر بحضرتهم بالفتح وجرى على لسانه
ان ربهم بفتح الا انه لم يستمر بها فتح الخبر بغير لام ولولا اللام لكانت
مفتوحة لوقوع العلم عليها وقرأ ابو السماك انذرتهم بهم يوسد خبره

تفسير سورة القارعة مكية

وهي مكية بالاجماع وهي عشر اياة بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى القارعة
ما القارعة اي القيامة والساعة كذا قال عامة المفسرين وذلك انها تقرع
الخلائق باهوالها وافزاعها واهل اللغة يقولون تقول العرب قرعتهم القارعة
وفترتهم الفاترة اذا وقع بهم امر فظيع قال ابو ذؤيب

وقارعة من الايام مرت وكم بسوكم

ولم توقد لنائبة النذير

وقال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة وهي الشدة
من شدائد الدهر قوله تعالى ما القارعة استفهام اي اي شيء القارعة
وكذا وما ادراك ما القارعة كله استفهام على جهة التفخيم والتعظيم
لشانها كما قال الحاقة ما الحاقة وما ادراك ما الحاقة على ما تقدم
قوله تعالى يوم يكون الناس يوم منصوب على الظرف تقديره
تكون القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث قال قتادة الفراش
الطير الذي يتساقط في النار والسراج الواحدة فراشة وقاله
الوعبيدة وقال الفراء انه الهيج الطائر من يعرض وغيره ومنه
الجراد وتقول هو اطيش من فراشة قال طويس يتعزا طيأ نشف
اطيش من طايرة الفراش وقال اخر

وتركنا اقوام ردت قتلوهم عليهم وكانوا كالفراش من الجهل

وفي صحيح جابر عن مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانتم تمثل رجلا وقد نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها
وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم تقلتون من يدي
وفي الباب عن ابي هريرة والمبثوث المنتشر وقال في موضع اخر
كانهم جراد منتشر فاول حالهم كالفراش لا وجه له يجيء في كل وجه
ثم يكونون كالجراد لانه لها وجها تقصده والمبثوث المتفرق المنتشر
وانما ذكر على اللفظ كقوله تعالى اعجاز نخل من قفر ولو قال
المبثوثة كقوله اعجاز نخل خاوية وقال ابن عباس والفراء كالفراش
المبثوث لنوعا الجراد تركب بعضها بعضا كذلك الناس يكون بعضهم
في بعض اذا بعثوا قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش
اي الصوف الذي ينتفش باليد اي يصير هبأة وتراب كالفراش
في موضع اخر هباء منثورا وانشا والعهن يقولون المهن المصوف
المصبوغ وقد مضى في سورة السائل قوله تعالى فاما من ثقلت موازينه
هو في عيشة راضية قد تقدم الكلام في الميزان في الاعراف والكهف والانبياء
وان له كفة ولسانا توزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات
ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل يزن اعمال بني ادم نعبر عنه بلفظ الجمع
وقيل موازين كما قال

فلكل هاذنة فيها ميزان، وقد ذكرنا فيما تقدم
وذكرناه ايضا في كتاب التذكرة وقيل الموازين الحجج والدلايل قاله
عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر

تركت قتيل قتايلة وامرءه عندي لكل مخاصم ميزانه،

ومعنى عيشة راضية اي عيش مرضي برضاه صاحبه وقيل عيشة راضية

اي فاعله للرضى وهو الذي والانقياد لاهلها فالفضل للعبد لانها اعطيت الرضى من نفسها وهو فالعبدة كلمة تجمع الذم التي في الجنة فهي فاعلة للرضى كالفرش المرفوعة وارتفاعها مقدار مسايرة قائم فاذا اد بي مسها ولي الله انضعت حتى يستوي عليها ثم ارتفعت كهيئتها وشكل السجرة قرونها كذلك ايضا من الارتفاع فاذا اشتهى ولي الله ثمرتها تناولت منه حتى ينتاولها ولي الله قاعدا وقائما وذلك قوله تعالى تطوفها دانية وحيث ما مشى او تنقل من مكان الى مكان جرى معه بها حيث شاء علوا وسفلا وذلك قوله تعالى يجعلونها نضجا فيروى في الخبر انه يشتهي فيجري من غير احمرار حب شاء من تصويره وفي مخالسه دهوة لاشاكلها عيب فاذا عطف الرضا من نفسها فهي فاعلة للرضى وهي ادلت وانقادت دلالا وسماحة وهي قامها واوية تقتني جمالها وسماها اما لانه ياوي اليها كما ياوي الى امه قالة ابن زيد ومنه قول امية بن ابي الصلت

* فالارض معلقتنا وكانت امنا فيها مقابرنا وفيها نولد *

وسميت النار هاوية لانه يهوى فيها مع بعد قعرها ويروى ان الهاوية اسم الباب الاسفل من النار وقادقتادة معنى قامها وية فمصيره الى النار عكرمة لانه يهوى فيها ام راسه الاخنس امه مستقرة والمعنى مستقرب وتار الناعر

* يا عمرو لوقا تلك ارماحنا كنت كمن تهوى به الهاوية *

والهاوية المهواة وتقول هوت امه تهي هاوية اي ثاكلة قال كعب ابن سعد الغنوي

* هوت امه ما بعثت الصبح غاديا *
* وساد ابوها في القبيلة حين يوب *

والمهوى والمهواة مابين الجبلين وتهاوى القوم في المهواة اذا سقط بعضهم في اثر بعض وما ادراك ماهيه الاصل ما هي فرحلت الهاء السكت وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابن محيصن ماهي تار كفرها في الوصل ووقفوا بها وقد مضى في سورة الحاقة بيانه نار حامية اي شديدة الحرارة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نار كم هذه التي يوقد ابن ادم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم قالوا والله انها لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال انما ثقل ميزان من ثقل ميزانه لانه وضع فيه الحق وحق لميزان ان يكون فيه الحق ان يكون ثقيلا وانما خفت ميزان من خف ميزانه لانه وضع فيه الباطل وحق لميزان ان يكون فيه الباطل ان يكون خفيفا وفي الخبر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الموتى ليبلون الرجل عن رجل مات قبله فيقول ذاك مات قبلي امامكم فيقولون لا والله انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية فبئست الام وبئست المربية وقد ذكرنا بكماله في كتاب التذكرة

تفسير سورة التكاثر وهي مكية

وهي مكية في قول جميع المفسرين وروي التحاكم الهاكم مدنية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى الهاكم التكاثر قال

* قال لهيتها عن ذي تمام محول *

اي شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم ودفنتم في المقابر وقيل الهاكم انسالم التكاثر اي فتن الاموال والاولاد قاله ابن عباس والحسن قال قتادة اي التفاخر بالقبايل والعشاير

وقال الضحاك اي الهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة بقال لهيت عن كذا بالكسر الهي لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه والهاه اي شغله ولهاه به يلهيه اي عذله والتكاثر المتكاثر قال مقاتل وقتادة وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان الهاكم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقال ابن زيد نزلت في فخذين من الانصار وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتكاثروا بالناس والاشراف في الاسلام فقال كل حي منهم نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم امرا واكثر عابرا فكثر بنو عبد مناف بسنامهم ثم تكاثروا بالاموات فكثرهم بينهم فنزلت الهاكم التكاثر باحيائكم فلم ترضوا حتى زرتم المقابر فتخرتم بالاموات وروى سعيد عن قتادة قال كانوا يقولون نحن اكثر من بني فلان وهم كل قوم يفاخرون الى امواتهم والله ما زال اولكم لاحقا باخركم حتى صاروا من نزلت في القبور وعن سباع عن قتادة قال نزلت في اهل الكتاب قلت الاية تعم جميع ما ذكر وغيره وفي صحيح مسلم عن مطرف عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ التكاثر قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك يا ابن آدم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فابقيت ما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس وروى البخاري عن ابن شهاب قال لو ان لابن ادم واديا من ذهب واحبان له واديان ولن يملأ فاه الا التراب ويتوب الله على من تاب قال ثابت عن انس كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت الهاكم التكاثر قال ابن الموفق وهذا نص صحيح سليم غاب عن اهل التفسير فجهلوا واجهلوا والحمد لله على المعرفة وقال ابن عباس قرأ النبي صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر قال تكاثر الاموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها في الاوعية الثانية قوله تعالى حتى زرتم المقابر اي حتى اتاكم الموت فصرتم في المقابر وزرا تر جعون منها كرجوع الزائر الى منزله من جنة او نار فقال لمن مات قد زار قبره وقيل الهاكم التكاثر حتى عددتم الاموات محياكم قبل هذا وعبدا اي اشغلتم بمفاخرة الدنيا حتى تزورا المقبور فتزوروا ما تزورها به من عذاب الله عز وجل الثالثة قوله تعالى المقابر جمع مقبرة ومقبرة بفتح الباء وضمها والمقبور جمع القبر قال ابو اهل المقبور اذا اميتوا بوا فوق المقابر بالصخور وانشد ابو الاباهة وحثوا على القبر احثي في المقبور وانشد في الشعر المقبر قال

لكل اناس مقبر بفنائهم ومم بنقصون والمقبور تزيد

وهو المختار والمقبر لسعيد المقبري وكان سكن المقابر وقبرت الميت اقبره قبرا اي دفنته واقبرته اي امرته بان يقبر وقد مضى في سورة عبس القول فيه والحمد لله الرابعة لم يات في التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة وزيارتها من اعظم الدواعي للقلب القاسي لانها تذكر الموت والاخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها ترهد في الدنيا وتذكر الاخرة رواه ابن ماجه واخرجه ابن ماجة وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قالت تذكر الموت وفي الترمذي عن بريدة فانها تذكر الاخرة قال هذا حديث حسن صحيح وفيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور تابع في الباب عن ابن عباس وحسان بن ثابت قال ابو عيسى وهذا حديث حسن صحيح وقد راى بعض اهل العلم ان هذا كان قبل ان يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء وقال بعضهم الكراهة لزيارة القبور للنساء لقلة صبرهن وكثرة جزعهن قلت زيارة القبور للرجال مستثنى عليه عند العلماء مختلف فيه للنساء اما الشاب فحرام عليهن الخروج واما العواتق فيباح لهن ذلك وجاز لجميعهن

ذلك اذا انفردت بالخروج عن الرجال ولا يختلف فيه ان شاء الله وعلى هذا
المعنى يكون قوله زوارات القبور حرام واما موضع او وقت تخشى فيه الفتنة
من اجتماع الرجال والنساء فلا يحل ولا يجوز فيهما فيمنع الرجل حينئذ
ليمتنع فيقع بصره على امرأة فيفتتن وبالعكس فيمنع كل واحد من الرجال
والنساء جائز وزائر ما جور والله اعلم الخامسة قال العلماء ينبغي لمن اراد
علاج قلبه والتفكر في سلاسل القهر الى طاعة ربه ان يكثر من ذكر هادم
اللذات ومفرق الجماعات ومبتر الشهوات والنبات ويواظب على مشاهدة
المحتضرين وزيارة قبور اموات المسلمين فهذه ثلاثة امور ينبغي لمن تساهل
ولزمه ذنبه ان يتعهدها بالتردد اليه ويستصرخ بها على قتل الشيطان
واعوانه قال الله انتفع بالذكرى من ذكر الموت واشتغلت به نفسه قلت قد ان
وان عظم عليه وان اكتئب واستحكمت فيه دواعي الذنب فان مشاهدة المحتضرين
واموات المسلمين تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الاول لان ذكر الموت اهون للقلب
بما اليه المصير وقائم لمقام التحويف والتحذير وفي مشاهدة من احتضر وزيارة
قبر من مات من المسلمين معاينة ومشاهدة فلذلك كان ابلغ من الاول
قال صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة رواه ابن عباس فاما الاعتبار بحال
المحتضرين فغير ممكن في كل الاوقات وقد لا يتفق لمن اراد علاج قلبه من ساعة
من الساعات واما زيارة القبور وتوجهها اسرع والانتفاع بها اسهل
واحد وينبغي لمن عزم على الزيارة ان يتأدب بآدابها ويحضر قلبه في اثنائها ولا يكون
حظه منها التطواف على الاحداث فقط فان هذه حالة تشارك فيها بهيمة
ونعوذ بالله من ذلك بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه
ويقيم الميت بما يتلوا عنده من القرآن والدعاء ويجتنب المشي على المقابر
والمشي عليها وينبغي اذا دخل المقابر واذا وصل الى قبر معينة الذي يقرأ فسلم عليه
ايضا واتاه من تلقاء وجهه لانه في زيارته كمخاطبته حيا ولو خاطبه حيا لكان
لادب استقباله بوجهه فكذلك ههنا ثم يجلس حيث صارت التراب وانقطع
عن الاهل والاحباب بعد ان فاز الجيوش والعساكر وفاز من الاصحاب
والعشائر وجمع الاموال والذخائر بنجاه الموت في وقت لم يحتسبه وهول
لم يرتقبه فلتسأل الزائر حال من مضى من اخوانه وقرنائه الذين بلغوا
الامان وجمعوا الاموال كيف انقطعت آمالهم ولم تغني عنهم اموالهم وتحير
محاسن وجوههم وافترقت في التراب اعضاؤهم وتزمل من بعدهم نساؤهم
وتململ الصبية ايتامهم وافترست غيرهم طريقتهم وتلاشيهم وليتذكر تردد هم
في المآرب وحرصهم على نيل المطالب وانقطاعهم بخلائهم لفوات الاسباب
وركونهم الى الصحة والشباب وليعلم ان سبيلهم الى اللهو واللعب كسبيلهم وغفلتهم
عما بين يديه من الموت الفظيع والهلاك السريع لغفلتهم وانه لا بد صائر الى مصيرهم
وليحضر بقلبه ذكر من كان متردد في اغراضه وكيف تمددت رجلاه وكانت
تتلذذ بالنظر الى ما حوله وقد سالت عيناه وتصولوا بسلاقة نطقه وقد اكل
الدود لسانه وتضحك لموات ة دهره وقد بلي التراب اسنانه وليتحقق ان حاله
وماله كحاله وعند هذا التذكر والاعتبار يترك عنه جميع الاغيار الرئيسوبه
ويقبل على الاعمال الاخروية فيرغب في طاعة مولاه ويلين قلبه
وتخشع جوارحه قوله تعالى كلا قال الفراء اي ليس الامر كما انتم عليه من البقاء
والتكاثر والتمام على هذا كلا سوف تعلمون اي سوف تعلمون عاقبة هذا
ثم كلا سوف تعلمون وعيد بعد وعيد قاله مجاهد ويحتمل ان يكون تكرارا على
وجه التاكيد والتغليظ وهو قول الفراء وقال ابن عباس كلا سوف تعلمون
ما ينزل بكم من العذاب في القبر ثم كلا سوف تعلمون في الاخرة اذا حل بكم العذاب
قال الزجاج في القبر والثاني في الاخرة فالتكرار للمجازاتين وقيل كلا سوف تعلمون
عند المعاينة ان ما وعدتكم البعث ثم كلا سوف تعلمون عند البعث انما وعدتكم
به حق وروي زر بن حبيش عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب القبر

حتى

حتى تلك هذه السورة فاشار الى قوله كلا سوف تعلمون يعني في القبور وقيل كلا سوف
تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاءكم رسلي تنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون اذا دخلتم
قبوركم وطالبكم منكر ونكير وحاط بكم هول السؤال وانقطع منكم الجواب قلت فتضمنت
السورة القول في عذاب القبر وذكرنا في كتاب التذكرة ان الايمان به واجب
والتصديق به لازم جميعا اخبرنا ابو الصادق داود الله تعالى يحيي السيد المكلف
في قبره برد الحياة اليه ويجعل له من العقل في مثل الوقت الذي عاش عليه
فيسئل ما سبيل عنه وما يجيب به ويفهم ما اتاه من ربه وما اعد له في قبره من
كرامة وهوان وهذا مذهب اهل السنة والذي عليه الجماعة من اهل الملة
وقد ذكرناه هناك مستوفى والحمد لله وقيل كلا سوف تعلمون عند النشور انكم
مبعوثون ثم كلا سوف تعلمون في القيامة انكم معذبون وعلى هذا انقسمت احوال
يوم القيامة من بعث وحشر وسؤال وعرض الى غير ذلك من اهوالها واضرابها
واخوانها حسبما ذكرناه في كتاب التذكرة باحوال الموتى والسور الاخرة وقال
الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الصحائف الكفار ثم كلا سوف تعلمون قال الموتى
وكذلك كانت قراءة الاولى بالتاء والثانية بالياء قوله تعالى كلا لو تعلمون علم
اليقين عاد كلا وهو زجر وتنبيه لانه عقب كل واحد بشيء اخر كانه قال
لا تفعلوا فانكم تندمون لا تفعلون فانكم تستوجبون العقاب واضافة
العلم الى اليقين كقوله تعالى ان هذا لهو حق اليقين وقيل اليقين ها هنا
الموت وقال قتادة ومسروق اليقين البعث وجواب لو محذوف اي لو تعلمون
اليوم من البعث ما تعلمون اذا جاءتكم نفخة الصور وانشقت السحاب عن جثتكم
فكيف يكون حشركم لشغلكم ذلك عن التكاثر بالدنيا وقيل كلا لو تعلمون
علم اليقين اي لو قدرتم تطايرت الصحف فمنكم وسعيد قبل ان كلا
في هذه المواضع الثلاثة بمعنى الا قالته ابن ابي حاتم وقال الفراء هي بمعنى
حقا وقد تقدم الكلام فيها مستوفى قوله تعالى لترون الجحيم هذا وعيد
اخر وهو جواب القسم اي لترون الجحيم في الاخرة والخطاب للكفار الذين
وجبت لهم النار وقيل هو عام كما قال وان منكم الا واردها فهي للكفار
دار ولمؤمن ممر وفي الصحيح يمر اولهم كالبرق ثم كالريح ثم كالطير الحديث
وقد مضى في سورة مريم وقرأ الكسائي وابن عامر لترون بضم التاء من اربعة
الاشياء اي يحشرون اليها فتروها على فتح التاء وهي قراءة الجماعة اي لترون
الجحيم بانفسكم على البعد ثم لترونها عين اليقين اي مشاهدة وقيل هو
اخبار عن دوام مقامهم في النار اي رؤية دائمة مستقبلة والخطاب على
هذا للكفار وقيل معنى لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون اليوم في
الدنيا علم اليقين لرأيتم الجحيم بعين فؤادكم وهو ان تتصور لك تارات
القيامة وقطع مسافاتهم ثم لترونها عين اليقين اي عند المعاينة
بعين الرأس فتراها نقيا لا تقتب عن عينك ثم لتسئلن يومئذ عن
النعيم القيم في موقف السؤال والعرض قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن
النعيم روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات يوم وليلة قال او هو اتى ابا بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه
الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي بيده لاخرجني
الذي اخرجكما فقوموا فقاموا معه فاتا رجلا من الانصار فاذا هو ليس
في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا من الماء اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول
الله وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اكرم اضيافا مني قال فانطلق فجاءهم
بعرق فيه بسر ورطب فقالوا كلوا من هذه واخذ المدية فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العرق
وشربوا فلما ان شبعوا وروا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر
والذي نفسي بيده لتسئلن عن نعيم هذا اليوم يوم القيامة اخرجكم الجوع من
بيوتكم ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم خرجه الترمذي وقال

هذا والذي نفسي بيده الذي نسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب
طيب وما بارد دكني الرجل من الانصار ابو الهيثم بن التيهان وذكر
القصة قلت اسم هذا الرجل الانصاري مالك بن التيهان ويكنى ابا
الهيثم وفي هذه القصة يقول عبد الله بن رواحة
يمدح بها اما الهيثم بن ابي التيهان
فلم ار كالاسلام عز الامر ولا مثل
اصبت الاراسي مشعرا
نبي وصديق وفاروق امة
وخير بني حرقوعا وعنصرا
فوافوا الميقات وقد رقصته وكان قضاء الله قدرا مقدرا
الى رحل مجد بتيا في كبوده سموس الضحى جوادا ومحدا ونجدا
وفارس خلق الله في كل غارة اذا السوا القوم الحديد المسمرا
فقدي وحيا ثم ادبى قراهم فلم يتزهم الا سميا مقمرا
وذكر ابو نعيم الحافظ عن ابي عتيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال جرى علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فدعاني فخرجت
اليه ثم مر بابي بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلقت
حتى دخل حائطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط اطعمنا بسرا
فجاء بعرق فوضعه فاكلوا ثم دعا بماء فشرب فقال لتسئلن عن هذا يوم القيامة
قال واخذ عمر العرق فضرب به الارض حتى تناثر البسر لحق وقد رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله انا لمسئولون عن هذا يوم القيامة
قال نعم الا من ثلاث كسرة يسد بها جوعه او ثوب يستر به عورته او حجر
يأوي فيه من الحر والقر واختلف اهل التاويل في النعيم المسئول عنه على اقوال
عشرة اظهرها الامن والصحة قاله ابن مسعود الثاني الصحة والفراغ قاله
سعيد بن جبير وفي البخاري عنه عليه الصلاة والسلام نعمتان مغبون
فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ الثالث الادراك بحواس السمع
والبصر قاله ابن عباس وفي التنزيل ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسئولا وفي الصحيح عن ابي هريرة وابي سعيد قالا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له الم اجعل لك
سمعا وبصرا ومالا وولدا الحديث خرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
الرابع ملاذ المأكول والمشروب قاله جابر بن عبد الله الانصاري في
حديث ابي هريرة يدل عليه الخامس انه الغداء والعشاء قاله الحسن
السادس قول مكحول الشامي انه شبع البطون وبارد الشراب وظلال
المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ورواه زيد بن اسلم عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسئلن يومئذ عن النعيم
يعني عن شبع البطون ذكره الماوردي وقال هذا سؤال يعم المؤمن
والكافر الا ان سؤال المؤمن يسير بان جمع له بين نعيم الدنيا ونعيم
الاخرة وسؤال الكافر تقريع ان فاتك نعيم الدنيا بالكفر والمعصية
وقد قوم هذا السؤال عن كل نعمة انما تكون في حق الكفار فقد روي
انه اما يكون لما نزلت هذه الاية قالوا يا رسول الله اي نعيم نحن اكلة الكمء
في بيت ابي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر قرذب
وماء عذب انحاف علينا ان يكون هذا من النعيم الذي نسئل عنه
فقال عليه الصلاة والسلام ذلك للكفار ثم قرأ وهل نجازي الا الكفور
ذكره القشيري ابو نصر وقال الحسن لا يسئل عن النعيم الا اهل النار قال
القشيري والجمع بين الاخبار ان الكل مسئولون ولكن سؤال الكفار
توبيخ لانه ترك الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف لانه شكر وهذا
النعيم في كل نعمة قلت لهذا قول حسن لان الاستقراء ذكر العرياني

قال حدثنا ورقا عن ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال كل شيء من لذة الدنيا وروى ابو الاحوص عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ليعدد نعمه على العبد يوم القيامة حتى يعدد عليه حتى عن فلانة ان زوجكها فيسميها باسمها فزوجكها وفي الترمذي عن ابي هريرة قال لما نزلت هذه الآية ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الناس يا رسول الله عن اي النعيم نسئل كنا نؤتى بالعراق الاسود والتمر وهاصر رسيوفنا على عواتقنا قال ان ذلك سيكون منكم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يسئل عنه يوم القيامة يعني العبد ان يقال له الم اصح لك جسمك ونروك من الماء البارد قال حديث غريب وروي من حديث ابي عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسئله عن جاهه كما يسئله عن ماله والجاه من نعيم الدنيا لا محالة وقيل قال مالك رحمه الله انه صحة البدن وطيب النفس وهو القول السابع وقيل الامن والعافية وقال سفيان بن عيينة الماء البارد الجوع وستر العورة من خشن الطعام واللباس لا يسئل عنه المرء في القيامة وانما يسئل عن النعيم قال والدليل عليه ان الله اسكن ادم الجنة فقال له ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فكانت هذه الاشياء الاربعة ما يسد به الجوع ويطفئ به العطش وما يستكن به من الحر وما يستر به عورته لادم عليه السلام بالاطلاق لاحساب عليهم فيها لانه لابد له منها قلت ونحو هذا ذكر المفسرون الا انهم زادوا ان من ما لا يسئل عنه العبد لبنا سابغا وريسونة وطعام يتم صلبه وكان يكنه من الحر والبرد قلت وهذا مستنبط من قوله عليه الصلاة والسلام لابن ادم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكن وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء خرجه الترمذي وقال الخليل بن شميل جلف الخبز ليس معه ادام وقال محمد بن كعب النعيم هو الماء العذب يحمد الله عليه وسلم وفي التنزيل لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم وقال الحسن ايضا هو تخفيف الشرائع وتيسير القرآن قال الله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وقال ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت وكل هذه ثم فيسئل العبد عنها هل شكر ذلك ام كفر والاقوال المتقدمة اظهر والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

تفسير سورة والعصر

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى والعصر اي الدهر قاله ابن عباس وغيره فالعصر مثل الدهر ومنه قول الشاعر

سبل الهوى وعر وبحر الهوى عمر ويوم الهوى شهر وشهر الهوى

دهر اي عصر اقسم الله عز وجل به لما فيه من التنبيه بتصرف الاحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع وقيل العصر الليل والنهار قال حميد بن ثور

ولن يلبث العصران يوم وليلة اذا طلبا ان يدركا ما بيتما

والعصر ايضا الغداة والعشي قال

واطلال العصرين حتى تمثلن ويرضى بنصف الدين والانف راغم

يقول جاني اول النهار وعدته آخره وقيل انه العشي دهوما بين زوال الشمس وغروبها قاله الحسن وقتادة ومنه قول الشاعر

ولما بنا عمرو وقد قصر العصر

وفي الدرجة الاولى العشية والاجر وعن قتادة ايضا هو احد ساعات النهار وقيل هو قسم بصلاة العصر وهي الوسطى لانها افضل الصلوات قاله مقاتل يقال اذن للعصر اي لصلاة العصر وصليت العصرا اي صلاة العصر وقد مضى في سورة البقرة بيانه وقيل هو قسم بعصر النبي صلى الله

قوله تعالى ح

ت

عليه وسلم وقتل ومعناه ورب العصر الثانية قال مالك من حلف لا يكلم
الرجل عصرا فلا يكلمه ستة قال ابن العربي انما حملت مالكا يمين الحالف
لا يكلم امراة عصرا على الستة لانه اكثر ما قيل فيه وذلك على اصله
في تغليظ المعنى في الايمان وقال الشافعي ساعة الا ان يكون
له نية وبه اقول الا ان يكون الحالف عربيا فيقال ما اردت
فاذا فسره بما يحتمله قبل منه الا ان يكون الافل ويجيء على مذهب مالك
ان يحلف على ما يغلب والله اعلم قوله تعالى ان الانسان هذا جواب
القسم والمراد به الكافر قاله ابن عباس في رواية ابي صالح وروى الضحاك
عنه قال يريد جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل
والاسود بن عبد المطلب بن اسد بن عبد العزى والاسود بن عبد
يغوث وقيل يعني بالانسان جنس الناس لفي خسر لفي غبن الاشقى
هلكة الممن استوجب العقوبة ومنه قوله تعالى وكان عاقبة امرها خسرا
ابن زيد لفي شر وقيل لفي نقص والمعنى متقارب وروي عن سلام
والعصر بكسر الصاد وقرا الاعرج وطلحة وعيسى الثقفي خسر بضم
السين وروي ذلك عن هارون عن ابي بكر عن عاصم والوجه فيهما الاتباع
وقيل خسر وخسر مثل عسر وعسر وكان عيسى بن عمر يروها والعصر ونوائب
الدهر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى اخر الدهر وقال ابو اسحاق
ان الانسان اذا عمر في الدنيا دهرا لفي نقص وضعف وتراجع الا الموتى
فانه يكتب لهم اجور هم التي كانوا يعملونها في حال حياتهم نظيره قوله
تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين
قال وقراتنا والعصر ان الانسان لفي وانه في اخر الدهر والصحيح
ما عليه الائمة والمصاحف وقد مضى القول في مقدمة الكتاب
على من خالف مصحف عثمان وان هذا ديننا يقوم بقوم يبتلى فتامل
هنالك الا الذين امنوا استثناء من الانسان اذ هو بمعنى الناس على
الصحيح وعملوا الصالحات اي ادوا الفرائض المفترضة عليهم
وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب قرات
على النبي صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا نبي الله قال والعصر
قسم من الله ربكم باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين
امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر
علي رضي الله عنهم اجمعين وهكذا خطب ابن عباس على المنبر مرفوعا عليه ومعنى
تواصوا اي تحاثوا اوصى بعضهم بعضا بالصدق بالحق اي بالتوحيد
اي القرآن وقال السدي الحق هنا الله عز وجل وتواصوا بالصبر
على طاعة الله عز وجل والصبر عن معاصيه وقد تقدم الا الذين امنوا
استثناء من الانسان اذ هو بمعنى الناس على الصحيح وعملوا الصالحات اي ادوا الفرائض
المفترضة عليهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب قرات
على النبي صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا نبي الله قال والعصر
قسم من الله ربكم باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين
امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر
علي رضي الله عنهم اجمعين وهكذا خطب ابن عباس على المنبر مرفوعا عليه
ومعنى تواصوا اي تحاثوا اوصى بعضهم بعضا بالحق اي بالتوحيد اي
القرآن وقال السدي الحق هنا الله عز وجل وتواصوا بالصبر على طاعة الله عز وجل والصبر عن معاصيه وقد تقدم

سورة الهمزة

سورة الهمزة مكية باجماع وهي تسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
ويل لكل همزة قد تقدم القول في الويل في موضع ومعناه الحزي والعذاب والهلكة وقيل
واد في جهنم لكل همزة لمزة قال ابن عباس المشاؤن المفرقون بين / الاحبة الباغون للبراء
العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال النبي صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله تعالى هم
المشاؤون بالنميمة المفسدون بين / الاحبة الباغون للبرآء العيب فعلى هذا هما
مختلفان وقالوا النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما الهمزة الغمان واللمزة هو
الغياب وقال ابو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن ابي رباح الهمزة الذي يغتاب
ويطعن في وجه الرجل واللمزة الذي يغتابه من خلفه اذا لقاه وسبه قول حسان
همزتك فاخضعت بذل نفس معانده ناجح كالشواط واختار هذا القول الخليل
قال ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات وقال ابن قتيبة ضد الكلام الهمز
الذي يغتاب في الوجه وقال قتادة ومجاهد الهمزة الطعان في الناس واللمزة له
الطعان في انسابهم وقال ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس بيده وبضربهم واللمزة الذي
يلمزهم بلسانه وبعينه وقال سفيان الثوري يهمزهم بلسانه ويلمز بعينه وقال
ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه على
جليسه ويشير بعينه وراسه وبحاجبيه وقال مجاهد هما سواء وهو العياب الطعان
للمرء اذا غاب قال زياد / الاعجم فذلك ان يودي اذا لاقيتني كذبا وان يغيب فانت الهامز
اللمزة وقال الحسن اذا غمز سمط تكاثرني وان نفست كنت الهامز اللمزة
السمط البعد والهمزة اسم وضع للمبالغة في هذا المعنى كما يقال سخرة وضحكة للذي
يسخر ويضحك بالناس وقرا ابو جعفر محمد بن علي / الاعرج همزة لمزة بسكون الميم
فيهما قال فصح ذلك عنهما فهي في معنى المفعول وهو الذي ينفر من الناس فيغتاب همزة له
ويضحكوا منه ويجلبهم على العياب وقرا عبد الله بن مسعود وابو وائل / والنخعي /
همش وبل للهمزة اللمزة واصل الهمز الكسر والعض على الشيء ومنه همز الحرف
ونقاد همزات راسه وهمزات الجوز يكسى كسوته وقيل الاعرابي الهمزون اللمازون
فقال انما يهمزها الهمزة قال العجاج ومن هزر راسه تهشما وقيل اصل الهمز
اللمز الدفع والضرب يقال همزه اذا ضربه ودفعه ولذلك همزة همزه اي
دفعه وضربه قال الراجز ٢ البركة
ومن همز ناعزه تركعا على استه زوبعا وزوبعا
القيام على اربع وبركعة تركع اي صرعه فوقع على استه قال في الصحاح والهمزة نزلت
في الاخنس بن شريق فيما روى الضحاك عن ابن عباس وكان يلمز الناس ويغيبهم
محبلين ومدبرين وقال ابن جريج في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلى الله
عليه وسلم من وراية ويقدح فيه وفي دينه وقيل نزلت في ابي بن خلف وقيل في جميل
ابن عامر الثقفي وقيل انها مرسلة على العموم من غير تخصيص وهو قول الاكثرين
قال ابن عباس هذه لكل من كانت هذه صفته وقال الفراء ويجوز
ان يذكر الشيء العام ويقصد به الخاص قصدا لواحد اذا قال لا ازورك ابدا فيقول
من لم يزر ني فلست بزايره يعني ذلك القائل فقوله تعالى الذي جمع مالا وعدده
اي اعده ذخيرة لنوائب الدهر مثل كرم واكرم وقيل احصى عدده قاله السدي وقال
الضحاك اي اعد ماله بيرته من اولاده وقيل اي قارن بعدده وكثره والمقصود الذم
على امساك المال عن سبيل الطاعة كما مر في الخبر وقيل جمع وادخر وقراة الجماعة جمع
مخففة الميم وشدد ها ابن عامر وحمزة والكسائي على التكثير واختاره ابو عبيد
لقوله وعدده وقرا الحسن وعاصم بن ابي عمرو وابو العالية جمع مخفف وعدده
مخففا ايضا فاظهروا التضعيف لانه اصله وهو يفيد لانه رفع في المصحف
بدال بين وقد جاء مثله في الشعر فاظهروا التضعيف خففوه قال

سهلا اماما فذحرت من خلفي الى اجود لامؤام وان ضنو

اراد ظهوا وتحملوا فاظهر التضعيف لكن الشعر موضع ضرورة قال المهدوي
من خفف وعدده ممتو سطوف على المال اي وجمع عدده ولا يكون فعلا على اظهار
التضعيف لان ذلك لا يستعمل الا في الشر فقوله تعالى يحسب اي يظن ان
ماله اخلده اي يبقيه حيا لا يموت قاله السدي وقال عكرمة اي يزيد في عمره
وقيل احياه فيما مضى وهو ماض في معنى المستقبل بيانا لهلك والله فلان وجل

ولا يدخل النار احد يدخل كلا رد لما توهمه الكفار ايلا يخلد ولا يبقى له مال وفسر مضى القول في كلا مستوفى وقال عمر بن عبد الله معلى عفره اذا سمعت الله عز وجل يقول كلا فانه يقول كذبت ليبذن ابي ليطرحن وليلقين وقرا الحسن ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد وحميد وابو حيوة ليبذن بالتشديد هو ماله وعن الحسن ايضا ليبذن به اي ليبذن ماله وعنه ايضا بالنون ليبذن على اخبار الله تعالى عن نفسه ان يبذ صاحب المال وعنه ايضا ليبذن على ان المراد الهمزة وابن الهمزة والمال وجامعه في الحطمة وهي النار لانها سميت بذلك لانها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتمشمه قال الراجز

انا حطمنا بالقضيب مصعبا يوما فكسرا نفه لتصببا

وهي الطبقة السادسة من طبقات جهنم حكاه الماوردي عن الكلبي وحكى الفشيري عنه الحطمة الرجحلة الثانية من درج النار وقال الضحاك هي الدرك الرابع ابن زنبر اسم من اسماء جهنم وما ادراك ما الحطمة على التعظيم لشانها والتفخيم لامرها ثم فسرها فقال نار الله الموقدة التي اوقد عليها الف عام والف عام وهي عنر خاذة اعدها الله للمصطفاة التي تطلع على الافئدة قال محمد بن كعب تاكل النار جميع ما في اجسادهم حتى اذا بلغت الى القلوب وخلصوا خلقا صديدا فرجعت تاكلهم وكذا روي خالد بن ابي عمران عن النبي صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا بلغت افئدتهم انتهت ثم اذا صدروا العذاب وافد الى قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وخص الافئدة لان الالم اذا صار الى القلوب مات صاحبها اي انهم في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال لا يموت فيها ولا يحيى فنبههم اذا احياء في معنى الموات وقيل تطلع على اهل الافئدة اي ليعلموا انفرادها بما لا يستحقه كل واحد منهم من العذاب وذلك اذا استيقنوا انها المتفردة بالاطلاع فلان على كذا اي علمه وقد قالوا لا تقل لي ذهبوا من اذهب ونقول اذا رايتهم من مكان يعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا بعدا فلا يشكوا ان الوعيد بالعلم قوله تعالى انها عليهم موصدة اي مطبقة قاله الحسن والضحاك وقد تقدم في سورة البلد القول فيه وقيل مطبقة ملتفة قريش يقولون اصدت الباب اذا اغلقته قاله مجاهد ومنه قول عبد الله بن قيس بن الرقيات انخ الغمر لود خلنا غزا لا مصفقا موصدا عليه الحجاب في عمد ممددة الفا بمعنى الباء اي موصدة بعمد ممددة قاله ابن مسعود وهي في قراءته في عمد ممددة وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يبعث لهم ملائكة باطباق من نار ويسلط عليهم من نار وعمد من نار فيطبق عليهم بتلك الاطباق وتشد بتلك المسامير وعند ذلك اليئس فلا يبقى فيها خلل تدخل فيه روح ولا يخرج منه غم وبنا فهم الرحمن على عرشه ويبتدئ اهل الجنة بنعيمهم ولا يبقيون بعدها ابدا ويقطع الكلام فيكون كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله تعالى انها عليهم موصدة في عمده ممددة وقال قتادة لعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس ان الله عمد المدة اهل النار فيها وقيل قيود في ارجلهم قاله ابو صالح وقال الفشيري والمعظم على ان العمد اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار وتشد تلك الاطباق بالاوتاد حتى يرجع عليهم غمها وحزنها فلا يدخل عليهم روح وقيل ابواب النار مطبقة عليهم وهم في عمد اي في سلاسل واغلال طوال وهي احكم واسخم من العقوبة وقيل هم في عمد ممددة في عذابها والمهاد ضربون بها وقيل المعنى في دهر ممدود ولا انقطاع له وقرا حمزة والكسائي وابو بكر في عمد بضم العين والميم جمع عمود وكذلك عمد ايضا قال الفراء والعمد والعمد جمعان صحيحان لعمود مثل ديم وادم وايبق وابق ابو عبيدة عمد جمع عماد مثل اهاب واهب واختار ابو عبيد عمد بضمتين وكذلك ابو حاتم اختيارا لقوله تعالى برفع السموات بغير عمد واجمعوا على فتحهما قال الجوهري العمد عمود البيت وجمع القلة اعمدة وجمع الكثرة عمد وعمد وقرئ بهما قوله تعالى في عمد ممددة وقال ابو عبيدة العمد كل مستطيل من الخشب او حديد وهو اهل للبناء مثل العماد عمدت الشيء فانعمد اي اقمته بعماد يعتمد عليه واعمدته جعلت تحته عمدا فتفسير سورة الفيل وهي مكية باجماع وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل بين خمس

مسائل اولى لم تراى الم تخبر وقيل الم تعلم وقال ابن عباس لم تسمع واللفظ استفهام
والمعنى تعجب تروالخطاب للرسول ولكنه عام اى الم تروا ما فعلت باصحاب الفيل اى
قد رايتم ذلك وعرفتم موضع مسى عليكم فما لكم لا تؤمنون وكيف فى موضع نصب بفعل مؤخر
هنا بالم تر كيف من معنى الاستفهام الثانية قوله تعالى باصحاب الفيل معروف والجمع افيال
وفيول وفيلة قال ابن السكيت ولا تقل فيله وصاحبه فيال قال سيبويه يجوز ان يكون
اصل فيل فعل تكسر من اجل الياء كما قالوا ابيض وبيض وقالوا لا تخش هذا لا يكون
فى الواحد انما يكون فى الجمع ورجل فيل الراى اى ضعيف الراى والجمع افيال ورجل فال اى
ضعيف الراى مخطئ الفراسة وقد قالوا الراى بفيل قوله وفتل رايه تفعيلا اى ضعفه
وقيل الراى التالف فعلنا اصحاب الفيل وذلك ان ابرهة بنى الفلس تصيبا
وهى كنيسة لم ير مثلها فى زمانها حتى من الارض وكان نصرانيا ثم كتب للنجاشى انى قد بنيت
لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى اصرف اليها حج
العرب فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة ذلك الى النجاشى غضب رجل من النساء
الى الكنيسة فقعد فيها اى احدث ثم خرج ملحق بارضه فاخبر بذلك ابرهة فقال
من صنع هذا فقيل له صنعه رجل من اهل هذا البيت الذى بمكة لما سمع
قولك اصرف اليه حج العرب غضب فجاء فقعد فيها انما بها لست لك باهل فغضب
ذلك ابرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه وبعث رجلا كان بمكة له الى بنى
كنانة فذلك الرجل قرا ابرهة ذلك فنصبا وحمقام ام الحبشة فتيهان وتجهزت
ثم سارو خرج معه بالفيل وسمعت العرب فاعظموه وفظعوا به واجمادوه حتى
علهم حين سمعوا ابريز يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل من اشراف اهل
اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن حاله من سائر العرب الى حرب ابرهة
وجهاده عن بيت الله تعالى وما يريد من هدمه واخرابه فاجابه من اجابه الى ذلك
ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر واصحابه واخذ له ذو نفر فاتى به اسيرا فلما اراد قتله قال له
ذو نفر ايها الملك لا تقتلنى فعسى ان يكون بقاى معك خيرا فتركه من القيل وحبسه
عنده فى وثاق وكان ابرهة رجلا حليما ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك يريد ما
خرج له حتى اذا كان بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلتى خثعم
شهران وناهس ومن تبعهم من قبائل العرب فقاتله فهزمه ابرهة واخذ له نفيلا
اسيرا فاتى به فلما هم بقتله قال له نفيل ايها الملك لا تقتلنى فانى دليلك بارض العرب
وهذا ان براى لك على قبيلتى خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فخلى سبيله
وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطايف خرج اليه مسعود بن معتب فى رجال من ثقيف
فقالوا له ايها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف
وليس بيتنا هذا البيت الذى تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذى بمكة ونحن
نبعث معك من دلك عليه فتجاوز عنهم وبعثوا معه ابا رغال حتى انزله المغمس
فلما انزله به مات ابو رغال فاقام هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذى يرجم
الناس بالمغمس ومنه يقول الشاعر

* وارجم قبره فى كل عيم كرجم الناس قبر ابى رغال *

فلما نزل ابرهة بالمغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على خيل له
حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموالا اصاب لها مائتى من قريش وغيرهم واصاب فيها مائتى
بعير لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة
وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا انهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك من امره
عن سيد هذا البلد وشريفهم ثم قيل له ان الملك يقول اليك لم ات لحربكم انما جيت لهدم
هذا البيت فان لم تعرضوا له بحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربى فاتنى
به فلما دخل حنايا طرق مكة سال عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب
ابن هاشم فجاه فقال ما اعزه به ابرهة فقال له عبد المطلب والله ما يريد حربنا
وما لنا به بذلك طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله عليه السلام او كما قال
فان يمنعه منه حرمته وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا عنه دفع
فقال له هناطة فانطلق اليه فانه قد امرنى اذا اتيته بل فانطلق معه عبد المطلب

وسلم ليخفى بيته حتى اتى الملك فسأل عن ذي يزن وكان صديقا له حتى دخل عليه
وهو في محبسه فقال له يا ذا يزن وما غناء رجل أسير بيدي ملك منتظر ان يقتله غدوا
وعشيا ما عندي غناء في شيء مما نزل بك الا ان انسانا ساتيس لقبل صديق لي زارني
سل اليه واوصيه بك واعظم عليه حقك واسأله ان يستأذن لك على الملك فتكلمه
بما بدا لك ويشفع لك عنده فتجد ان فرج عليك ذلك فقال حسنا فبعث ذو يزن
اتيس فقال ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس بالسهل
والوحوش في رؤوس الجبال وقد اصاب له الملك ما بني يعبر فاستأذن له عليه وانعم
عنده بما استطعت فقال افعل فكلم اتيس ابرهة فقال له ايها الملك هذا سيد
قريش سائلك ليستأذن عليك وهو صاحب عير مكة في السهل والوحوش في
رؤوس الجبال فاذن له عليك فليكلمك في حاجته قال فاذن له ابرهة وكان عبد
المطلب اوسم الناس واجمله واعظمه فلما ان يجلسه تحته فنزل ابرهة عن سريره
فجلس على بساطه واجلسه معه عليه الى جنبه ثم قال للترجمان قل له حاجتك
فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي ان يرد علي الملك مائتي بعير اصابها لي فلما
قاله له ذلك الترجمان لابرهة قال له لقد كنت اعجبتني حين رأيتك ثم فزهدت
الترجمانه قل له لقد قبل حين كلمني انكلمني في مائتي بعير اصبتها لك وتترك بيتا
هو دينك ودين ابائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه قال له عبد المطلب اني انا رب الابل
وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع مني قال انت وذلك فرد عليه اله واقبل
عبد المطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وامرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف
الجبال والشعاب تخوفا عليهم مغرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب
الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجيشه
فقال عبد المطلب وهو اخذ بحلقة باب الكعبة لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع
حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك ان يدخلوا البلد الحرام ما بدا لك
يقول لاهم اي شيء بدا لك لم يكن ينبغي بدا والحلال جمع حل والمحال القوة وقيل ان عبد
المطلب لما اخذ بحلقة باب الكعبة قال

يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا انهم لن يقهروا قواكا

وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي لاهم احرالا
سود بن مقصود لاحد النجهة فيها التقليب بن حراق سرقا لعبد لجنسها وهي لاب
النظر بد تظنها المطاعام سود فاذا جمعوا ان لا يكون معبود وعبدوا البيت الحرام
المعمود المرونين والمشاعر السود حمر بهم يا رب واتت محمود قال ابن اسحاق ثم
ارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ثم انطلق هو ومن معه من قريش الى شعف
الجبال فتحيزوا فيها منتظرون ما ابرهة فاعلا سلة اذا دخلها فلما اصبح ابرهة
تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبأ جيشه وكان اسم الفيل محمودا وابرهة يجمع لهدم
البيت ثم الانصراف الى اليمن فلما وجهوا الفيل الى مكة اقبل نفيل بن حبيب حتى
قام الى جنب الفيل ثم اخذ باذنه فقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث
جئت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى
اصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقوم فابى فضربوا في راسه بالطورين ليقوم فابى
دخلوا يمانا من لهم في مراقة فزجروه بها ليقوم فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام
يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك وارسل
الله عليهم طيرا ابابيل من البحر امثال الخطاطيف والبلشان مع كل طائر منها
ثلاثة احجار بحجمها حجر في منقاره وحجران في رجليه امثال الحمص والعدس
لا يصيب منهم احدا الا هلك وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون
الطريق التي منها جاؤا يسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن و
قاتل نفيل بن حبيب حين رأى ما انزل بهم من نقمته ان المنزل الا له القاتل
والمسترخم المثلوب لنبيل القاتل وقال ايضا حمدت الله اذ ابصرت طيرا وخفت حجارة
تلقى علينا وكل القوم سبل عن نفيل كان على للحمشان دينا فخرجوا ينسلون
كل طريق ويملكون على كل سهل واصيب ابرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط

امثلة وكلما سقطت منها مثلة اتبعتها منه مدة ثم قيحا ودما حتى فتروا به وصفت
وهو مثل نزع الطائر كما كان حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون وقال
الكلبي ومقاتل بن سليمان نزيد احرها وتنفض بسبب الفيل ثم روى قتيبة من
قريش خرجوا بحارا الى ارض النجاشي فنزلوا فيما ساحل البحر الى بيعة للنصارى يقال
لها النصارى البيكلفا وقد قرأنا والطفاهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح
عاصف على النار فاضطرمت البيعة نارا فاحرقتها فمن هناك الصريم الى النجاشي
فاخبره فاستاط غضبا فاتاه يزهم بن الصباح وحجر بن سراحيل وابو يكسوم
الكنديون وضموا له احراق الكعبة وسبي مكة وكان النجاشي هو الملك وابرهة
صاحب الجيش وابو يكسوم نديم وقيل وزيره وحجر بن سراحيل من قواده وقال
مجاهد ابو يكسوم هو ابرهة بن الصباح تشاوروا معهم الفيل قال الاكثرون
هو فيل واحد وقال الضحاك هي ثمانية فيلة وتزلوا بذي المجاز واستنفروا
سرح مكة وفيها اهل بن عبد المطلب واتى الراعي عبد المطلب فاخبره الخبر فاوصاه
واصحابه ان يتحرزوا في الشعاب ويتحصنوا في رؤس الجبال والشعب فخرج عبد المطلب ونفر معه
يسالونه عن امر الله واختلف ذا النجاشي هل كان معهم فقال قوم كان معهم وقال
الاكثرون لم يكن معهم وحبسه فلما بالطريق فلما قربت من ناحية البحر افلت فقال قوم
عبد المطلب ان هذه الطير غريبة بارضنا ما هي بنجدية ولا تهامية ولا حجازية
وانها اشباه التماسيح وكانوا في منافرها وارجلها حجارة فلما اضلت على القوم
القتها عليهم حتى هلكوا فقال قوم عطاء بن ابي رباح جاءت الطير عشية فحانت
ثم صيحتهم بالغداة فرمتهم وقال الكلبي في منافيرها خطما لخصم الخذف
امام كل فرقة طير يقودها احمر المنافير اسود الراس طويل العنق فلما جاءت
عسكر القوم وتواقعت احالت ما في منافيرها على من تحتها فكتب على كل حجر
اسم صاحبه المقتول به وقيل كان على كل حجر مكتوب من اطاع الله تحماوس من عصاه
عواتم فصاعدا حجارة من حيث جاءت وقال العوفي سالت عنها ابا سعيد
الخدري فقال رجام مكة منها وقيل كان يقع الحجر على بيضة احدهم فتخرقها
وتنفذ رؤسهم وتخرق الفيل والدابة وتضرب الحجر في الارض من سرة وفيه
وكان اصحاب الفيل ستين الفا لم يرجع منهم احد الا اميرهم رجع ومعه سرقة من
الطيفة فلما اخبر وامارا وا اهلكوا قال له الواقدي ابرقة احد النجاشي الذي كان
في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابرهة هو الاشرم سمي بذلك لانه نقا
سع ارياط حتى تراجعا واتفقا على ان يلتقيا بشخصيهما فمن غلب فلما الامر
فتاركه وكان ارتباط جسيما عظيما في يده فضربه ابرهة فشجه شجة منكرة
في الشهر الذي ولد فيه النبي فسمي ابرهة الاشرم وحمل عنوه على ارياط فقتله فاجتمعت الحبشة لابرهة فغضب النجاشي
حلف ليحرقن ثلاثمائة ابرهة وبطارقته فجزا برهة ناصية وسلاسن وداس
تراب ارضه ولعث بهما الى النجاشي وقال انما كان عبدك وانا عبدك وانا اقوم
بامرا لحبشة وقد خرزت راسي وتفيت اليك بتراب ارضي لتطاه وتبرني بيمينك
فرضي عنه النجاشي ثم بنا برهة كنيسة بصنعا لتصرف اليها حج العرب على ما
تقدم الرابعة قال مقاتل كان عام الفيل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين
سنة وقال الكلبي وعبيد بن عمير كانا من قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم
بثلاث وعشرين سنة والصحيح ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ولدت عام الفيل وروي عنه انه قال يوم الفيل حكاه الماوردي في التفسير
له وقال في كتاب اعلام النبوة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي
عشرة ربيع الاول وكان بعد الفيل بخمسين يوما وقائد من شهور الروم
العشرين من الشباط وهي السنة الثانية عشرة من ملك هرمز ابن ابرويز بن
قال وحكى ابو جعفر الطبري ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنتي واربعين
سنة من ملك ابو شروان وقد قيل انه عليه السلام حملت به امه آمنة يوم
عاشوراء المحرم وقيل انه ولد يوم عاشوراء من شهر المحرم حكاه ابن شاهين ابو جعفر

في فضائل يوم عاشوراء وولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان
فكانت مدة حمله ثمانية اشهر كملا وتوفي من اتباع ابن العزي قال ابن وهب
عن مالك ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقال قيس بن مخرمة
ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقد روي الناس عن مالك
من سرة الرجل ان لا يخبر نسبه لانه ان كان صغيرا استحقروه وان كانت
كبيرا اشهرته وهذا قول ضعيف لان مالكا لا يخبر نسب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولكنهم ستروه وهو من اعظم العلما قدره فلا باس بان يخبر الرجل
نسبه كان كبيرا او صغيرا وقال عبد الملك بن مروان العتابي بن اسيد
انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر مني وانا
اولد منه ولد النبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل وانا ادركت سابعة وفاته
اعميين معقدين ليستظهان الناس وقيل ليعض القضاة كم سلمك قال ستين
عتابي ابو اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وكان سنه يومئذ
دون العشرين الخامسة قال علما وناكانت فقدنا القلل فما بعد من معجزات
النبي صلى الله عليه وسلم وان كان قبله وقيل التحدي لانها كانت توكيد الامر
وتمهيد الشانه ولما نزل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السورة كان
بمكة قد كثر ممن شهد تلك الوقعة ولهذا قال الم تر ولم يكن بمكة احد لا وقد راى
قايد الفيل وسايسه اعميين يتكففان الناس وقالت عايشة رضي الله عنها
مع حداثة سنها لقد رايت قايد الفيل وسايسه اعميين يستظهان وقال
ابو صالح راتا في بيت ام هاني بيت ابي طالب نحوا من قفيزين من تلك الحجارة
سودا منقطة محمرة قوله تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل اي في ابطال ونضيع
لانهم ارادوا ان يكيدوا قريشا بالسبي والقتل والبيت بالتخريب والهدم فحكى
عن عبد المطلب انه نعت لابرهة عبد الله على فرسه ينظر ما الغوا من تلك الطير
فاذا القوم مشرحين جميعا فجعل يركض نحو سمعا كاشفا عن فخذه فلما راى ذلك
ابرهة قال ابن هذا قرشي العرب وما كشف عن فخذه الا يسيرا وندبرا فلما دنا من دارهم
بعث يسمهم القوت قالوا ما زال قارها حتى جميعا فخرج عبد المطلب واصحابه
واخذوا اموالهم وكانت اموال بني عبد المطلب بتنا وبهائما بملن وياسنة عبد
المطلب لانه احمل من صغرا وبيضا ثم خرج اهل مكة بعده فتمتعوا وقيل ان
عبد المطلب حفر حفرتين فملا هما من الجواهر والذهب ثم قال لابي شعوذ التقفي
وكان ندمانا لعبد المطلب اختر ايهما شيت ثم اصاب الناس من اموالهم حتى صافق
ذرعا ثقفا لعبد المطلب عند ذلك انت منعت الجليس والمانا لا وفدوا
بمكة الى حسان وفدا حبشيا منهم القتالا وكل امر لهم معضلا لا شكرا وحمدا لملك هو
ذا الحلا لا قال ابن اسحق ولما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا
وقالوا اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مونة عدوهم وقال عبد الله بن عمر بن مخرم في
قصة الفيل انت الخليل رسالم تدلس انت حسبت الفيل بالمفحش من بعدنا هم لبئر
حسبة في هذه المكر كبس وما لهم من فرج ومنفس والمكر كس المنكوس المطروح قوله
تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السما لم تر قبلها ولا
بعدها مثلها وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول انها طير بين السما والارض يقبش ويقبح وعن ابن عباس
كان لهم خرطيم الطير طيم الطير وكف كالف الكلاب وقال عكرمة كانت طيرا خضرا
خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع ولم ير قبل ذلك ولا بعده وقالت عايشة
رضي الله عنها هي اشبه شي بالخطاطيف وقيل بل كانت اشباه الوطاويط
حمرا وسودا وعن سعيد بن جبير ايضا هي طير سود بحرية في مناقيرها واظافيرها
الحجارة وقيل انها العنقا الغرب التي تضرب بها الامثال قاله عكرمة ابابيل
اي مجتمعة وقيل يتبع بعضها بعضا في اثر بعض قاله ابن عباس ومجاهد وقيل
مختلفة مستفرقة تجيء من كل ناحية من ها هنا وها هنا قاله ابن مسعود وابن
زيد والهيثم قال الخليل واحد الابابيل ابول قال مثقفة وحقيقة المعنى انها جاءت
عظاما يقال فلان يوبل على فلان اي يعظم عليه ويكثر وهو مشتق من الابل واختلف

في واحد ابابيل فقال الجوهري قال الاخفش يقال جاءت ابابيل ابابيل اي فرقا وطيرا
قال وهذا يجيء في معنى التكثير وهو من الجمع الذي لا واحد له وقد قال بعضهم واحده
الوكل مثل عجول وقال بعضهم ابيل مثال سكين قال ولم اجد العرب تعرف له
واحدا في غير الصحاح وقيل في واحدته ابال قال رؤبة بن العجاج في الجمع تلعت
طيرتهم ابابيل واسكل كعصف ماكول وقال الاعشى طرقت وحاربوا فصوله على ابابيل
من الطير سعت وقال اخر ترى هم الى الداعي سراعا كانهم ابابيل طير تحت وحن منسحق
قال الفراء لا واحد له من لفظه وزعم الرواسي وكان ثقة انه سمع في واحدها ابالة
مشددا وحكى الفرا ابالة مخففا قال وسمعت بعض العرب يقول صنعت على
ابالة مربد حصنا على خصب قال ولو قال قايدا الذي كان صوابا مثل دينار
ودنانير وقال اسحق بن عبد الله بن الحرث بن نوفل الابابيل ما خوذ من الابل المرسلة
وهي الاقاطيع فوله تعالى ترميهم بحجارة من سجيل قالوا حجارة من طين طبخت بنار
جهنم مكتوب فيها السموم لقوله تعالى لنرسل عليهم حجارة من طين وقال عكرمة
ابن الزبرقان سجيل من السماء وهي الحجارة التي نزلت على قوم لوط وقيل من الحجيم وهي
سجين ثم ابدلت احدى اللامين نونا كما قالوا دلا صلالا ومثلا قال ابن نقيل

صربا نوا طبت بها لا بطا لا سجيلا ٭ وانما هو سجينا وقال الزجاج من
سجيل اي مما كتب عليهم ان يعذبوا به مشتق من السجل وقد مضى القول في سجيل
في هود وستوفى وقال عكرمة كانت ترميهم بحجارة سفعا فاذا اصاب احدهم
حجر منها خرج به الجدري لم ير قبل ذلك اليوم وكان الجدري كالحصبة وقوق العرسل
وقال ابن عباس كان الحجر اذا وقع على احدهم فقطع جلده فكان ذلك اول الجدري
وقرا نافع العامة ترميهم بالتا لتانيث الجماعة الطير وقرا الاعرج وطلحة ترميهم
بالياء اي يرميهم الله دليله قوله تعالى ولكن الله رمى ويجوز ان يكون راجعا الى
الطير لخلوها من علامات التانيث ولانها ليست بحقيقي قوله تعالى فجعلهم
كعصف ماكول اي جعل الله اصحاب الفيل كورق الزرع اذا اكلته الدواب فرمت به
من اسفل تشبيه لقطع اوصالهم بتمزق اجزاء ورق الزرع روي معناه عن ابن زيد وغيره
وقد مضى القول في العصف في سورة الرحمن ومما يدل على انه ورق الزرع قول
علقمة تشتفي منذ ان قد مالت عصيفتها جد ورهاني الى الما مطعوم ومسمم
مثل ما سر اصحاب الفيل ترميهم حجارة من سجيل ولعفت طيرهم ابابيل فصيروا
مثل كعصف ماكول العصف جمع واحدة عصيفة وعصافة وعصيفة واهل
الكاف في كعصف للتشبيه مع مثل قوله تعالى ليس كمثله شي ومعنى ماكول
قد اكلته الدواب وحمد وقال ابن عباس فجعلهم كعصف ماكول
قد رمت به فسرا لبر يعني للخلاف الذي قد حصد المنجل ويروى ان
الحجر كان يقع على احدهم فيخرج كلما في جوفه حتى يخرج من المنطقة اذا خرجت منه الحمة
لما رمت انظر ما الحجارة فاذا هي سدة فكانت لا
تقع على احد الا هلك ولم يسلم منهم الا رجل من كنده فقال

وانك لو ابيت ولو نزالا الذي جنب المغمس ما لقينا
خشيت الله اذ قد بشطيرا وطير سحابه سوتا علينا
وماتت كلهم ندعوا بجد كان لنا على الخبار دينا

ويروى انها لم تصبهم كلهم لكنها اصابت من شاء الله منهم وقد تقدم ان امير لهم
رجع وشر ذمنه لطيفة منه فلما اخبروا بما راوا اهلكوا فالله اعلم وقال ابن
اسحق لما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قدر بيتها وقالوا اهلك الله قاتل
عدونا وكفاهم مؤونة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم وختم ولله الحمد سورة
سورة قريش مكية في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك والكلبي وهي
اربع ايات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى لايلاف قريش ايلافهم
السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى لقول اهلكت اصحاب الفيل لايلاف قريش
اي لتالف قريش اي لشاقق قريش او لكي تامن قريش تتولف وصلتهما وممن
عدي السورتين واحدة ابي بن كعب ولا فصل بينهما في مصحفه وقال سفيان بن عيم

عبينه كان لنا انام لا يفصل بينهما ويقرأهما معًا وقال عمرو بن ميمون الاودي
صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ في الاولى والتين والزيتون
وفي الثانية الم تر ولايلاف قريش وقال لقراءة هذه السورة متصلة بالسورة الاولى
لانه ذكر اهل مكة تعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة ثم قرأ لايلاف قريش
اي فعلنا ذلك باصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك ان قريشا كانت تخرج
في تجارتها فلا تغار عليها ولا تقرب في الجاهلية يقولون هم اهل بيت الله جل وعز
حتى جاء صاحب الفيل لهدم الكعبة ويأخذ حجارتها فيبني بها بيتا في اليمن
يحج الناس اليه فاهلكهم الله جل وعز فذكرهم نعمته اي فعل الله ذلك لايلاف
قريش اي ليالف الخروج ولا يخبرون عليهم وهو معنى قول مجاهد وابن عباس
في رواية سعيد بن جبير عنه ذكره النحاس حدثنا احمد بن شعيب قال اخبرني عمرو بن
علي قال حدثني عمرو بن ابراهيم وكان ثقة من خيار الناس قال حدثني خطاب
ابن جعفر بن ابي المغيرة قال حدثني ابي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله
فليعبدوا لايلاف قريش قال نعمتي على قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف
قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وعلى هذا القول يجوز الوقف على
رؤوس الاي وان لم يكن الكلام تاما على ما بينته اثنا السورة وقيل ليست بمنفصلة
لان بين السورتين لسم الله الرحمن الرحيم وذلك دليل على ان فصل السورة وافتتاح
الاخرى وان اللام متعلقة بقوله تعالى فليعبدوا هو لاربب هذا البيت لايلافهم
رحلة الشتاء والصيف للافتتاح وكذا قال الخليل ليست متصلة تمامه قال الفا
الله قريشا ايلافا فليعبدوا رب هذا البيت وعلى ما بعد الفاء مما قبلها لانها
زايدة عند طائفة كقولك زيدا فاضرب وقيل اللام في قوله تعالى لايلاف قريش
لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش قال
الكسائي والاخفش وقيل بمعنى الى وقرا ابن عامر لايلاف مهموزا مثقلا بلا
ياء وقرا ابو جعفر والاعرج لايلاف بلا همز طلبا للخفة الباقون لايلاف بالياء
مهموزا استنبعا من الفعل الف ايلافا قال المتنبي اذا الشهب تقترت والضاد
لرحلة لايلاف وتقال الفتحة الفاء والالف وقرا ابو جعفر ايضا لاف قريش
وقد جمعها من قال
الجوهري وفلان فراق لف هذا الموضع بالكسر يلف لفا والفعل اياه عنه
وتقول اذا التقت الموضع ايلافا ولذلك التقت الموضعان والفعل والايلاف
فعال وصوزة افعل وفاعل في الماضي والمضارع وقرا عكرمة لليلاف بفتح اللام على
+ امر وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود وفتح لام الامر لغة حكاها ابن مجاهد
وغيره وكذا كان عكرمة يذهب على من يقرا ليلاف قريش وقرا بعض اهل مكة
ايلاف قريش واستشهد بقول ابي طالب يرصد اخاه ابا لهب برسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا يزكنه ما جيت بمعظم وكن رجلا ذا نجدة وعفاف تدود الذي
عن عصبته ها شبثة الاقمهم في الناس حين الالف واما قريش فهم بنوا النضر
ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر فكل من كان من ولد النضر
فهو قرشي دون بني كنانة ومن فوقه وربما قالوا قرشي وهو القياس قال
الشاعر وكل قريش تظهر الارض نورها الى ضرته وان ازدت بها القبيلة
بضرته قال الشاعر وكفى قريشا المعضلات وسادها والقرش
الكسب والقرشة ايضا الجمع وقد كانوا استقرنين في غير الحرم فجمعهم قصي بن
كلاب في الحرم حتى استخدوه مسكنا قال الشاعر ابونا قصي كان يدعى مجمعا به جمع
الله القبايل من فهر وقد قيل ان قريشا بنو فهر ابن مالك بن النضر فمن لم يلده
فهو فليس لقريشي والاول اصح واثبت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ولد النضر بن كنانة لا تبتغوا منا ولا تنتفوا من ابينا قالوا ثلثة ما

الاستسقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم صححه البخاري ومسلم وغيرهما واختلف في تسميتهم قريشا على اقوال احدها لتجمعهم بعد التفرق والتقرش التجمع والاكتساب وقال ابو جلدة اليشكري

اخوه قرسوا الذنوب علينا في حديث من دهرهم وقديم

انا كلون من مكاسبهم والتقرش التكسب وقد قرش يقرش قرشا اذا كسب وجمع وبه سميت قريش الثالث لانهم كانوا يسيرون الحاج عن ذي الحلفة يفتشونهم وذو خلة والقرش التفتيش قال الشاعر ابيا الشتيمة والتقرش فيهم عند عمرو وهل لهن ابا

الرابع ما رويناه عن سعيد بن منصور قال ابن عباس لم سميت قريش قريشا قيل له انك لتجد في البحر سمكة يقال لها القرش تاكل ولا تؤكل وتغلو ولا تعلى والشدة

قوله وقريش هي التي تسكن البحر بما سميت قريش قريشا

تاكل الدث والسمين ولا تترك فيها لذي جناحين ريشا

كذاك في البلاد حتى حين قريش ياكلون البلاد اكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والخموشا

قوله تعالى ايلافهم قرأ مجاهد وحميد الهمز ساكنة اللام بغير ياء وروي نحوه عن ابن كثير وكذلك روت اسما انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كذلك وروي عن ابن عباس وغيره وقرأ ابو جعفر وابو لهيعة عن اهل الشام وابو حيوة الا فهم مهموزا مختلسا بلا ياء وقرأ ابو بكر عن عاصم الا فهم بهمزتين الاولى مكسورة والثانية ساكنة والجمع بين الهمزتين في الكلمتين شاذ الباقون ايلافهم بالمد والهمز وهو الاختيار وهو بدل من الايلاف الاول لبيان وهو مصدر الف اذا جعلته بالفا والف هو الفاعل على ما تقدم ذكره من العلة وما قرأ الفوه من رحلتا الشتاء والصيف روى ابن ابي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف قال لا يشق عليهم رحلة شتاء ولا صيف منه منه على قريش وقال الضحاك وغيره وكان اصحاب الايلاف اربعة اخوة هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف فاما هاشم فانه كان يولف ملك الشام اعطاه حبلا وعهدا ان من تجارته الى الشام واخوة عبد المطلب شمس كان يولف الى الحبشة والمطلب الى اليمن ونوفل الى فارس وهذه الثلاثة يجبرون فكان هؤلاء الاخوة يسمون المجبرين فكان تجار قريش يجتمعون الى ابي امية لجلد هؤلاء الاخوة فلا يتعرض لهم قال الزهري الايلاف شبه الاجارة بالمتاجرة يقال الف يولف والف يولف اذا اجار الجمائل بالمتاجرة يقال الف يعلف والف يولف اذا جاء الجمائل جمع حمولة قال والتاء وبلا فقريشا كانوا سكان الحرم ولم يكن لهم زرع ولا ضرع وكانوا يمتارون في الشام والصيف الشتاء والناس يتخطفون من حولهم فكانوا اذا عرض لهم عارض قالوا نحن اهل حرم الله فلا يتعرض لهم وذكر ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا في تفسيره حدثنا سعد بن محمد عن عمه بكر بن سهل الدمياطي باسناده الى ابن عباس في قوله لايلاف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وذلك ان قريشا كانوا اذا اصابت واحدا منهم مخمصة جاعوا جوعا هو وعياله اليوم فوضع مغروف وضربوا على انفسهم خباء فما حتى كان عمرو ابن مناف وكان سيد في زمانه وله ابن يقال له اسد وكان له تاجر من بني مخذوم يجيبه ويلقب معه فقال له يحق لك ايها المغتقر قال ابن فارس هذه لفظة في هذا الخبر لا ادري ما اصلها ام بالدال فان كانت بالدال فلعلها من العفر وهو التراب وان كانت بالذال فلا ادري ما معناها ونا ويله على ما اظنه ذهابهم الى ذلك الخباء وموتهم واحدا بعد واحد قال فدخل اسد على امه سلمى وذكر ما قاله تاجر قالت فارسلت ام اسد الى اولئك النفر ودقيق فما شووا به الا يسيرا ثم ان تاجرا اتاه ايضا فقال نحن نغتفر فدخل اسد على ابيه سلمى وخبره خبر تاجره فاشتد ذلك على عمرو بن عبد مناف فقام خطيبا في قريش وكانوا يطيعون امره فقال انكم قد احزنتم حزنا تقلون فيه وتكثرون العرب وتذلون وتفقرون العرب والله اهل حرم الله جل وعز واشرف ولد ادم والناس لكم تبع ويكاد هذا الاقتقار يا تي عليكم قالوا نحن لذلك تبع قال فالتمسوا لعبد الرحل لغني اما تراب اسد فاعفوه عن الاعتقار تفعلوا ثم انه

نحر الدين وذبح الكباش والمعز ثم هشم الثريد واطعم الناس فسمي هاشما وفيه قال الشاعر عمرو الذي هشم الثريد لقومه وحالة مكة مسنتون عجاف ثم جمع بني كلاب على رحلتين في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام للتجارات فمات الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى صار فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام وهم على هذا فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز وهو قول شاعرهم

والخالطين فقيرهم لغنيهم حتى يصير فقيرهم كالكافي

قلت لما كان حتى بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ان يكثروا العرب ويعلوا قوله تعالى رحلة الشتاء والصيف رحلتهم منصوب بالمصدر اي ايلافهم رحلتين او بوقوع ايلافهم عليه او على الظرف ولو جعلتها في محل الرفع على معنى رحلة الشتاء والصيف لجاز والاول اولى والرحلة الارتحال وكان احدى الرحلتين الى اليمن في الشتاء لانها بلاد حامية والرحلة الاخرى في الصيف الى الشام لانها بلاد باردة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانوا يشتون بمكة لدفئها ويصيفون بالطائف لهوائها وهذه من جلة النعم ان يكون المقام ناجعا حرتدفع عنهم برد الشتاء وناحية باردة تدفع حر الصيف فذكرهم الله تعالى بهذه النعم وقال الشاعر

يثني بمكة نعمه وصيفها بالطائف وهنا اربع تشابه الاولى اختار القاضي ابو بكر بن العربي وغيره من العلماء ان قوله تعالى لايلاف متعلق بما قبله ولا يجوز ان يكون متعلقا بما بعده وهو قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت قال واذا ثبت انه متعلق بالسورة الاخرى وقد قطع عنه بكلام مستأنف واستئناف بيان وسطر بسم الله الرحمن الرحيم فقد بين جواز الوقف في اقرأ للفراء قبل تمام الكلام وليست المواقف التي تشترع بها القراء شرعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما ارادوا به تعليم الطلبة القارئ فاذا علموها وقفوا حيث شاؤا فاما ان توقف عند انقطاع النفس فلا خلاف فيه ولا بعد ما قبله اذا اعتراك ذلك ولكن ابدا من حيث وقف به نفسك هذا رأيي فيه ولا دليل على ما قاله محال ولكني اعتمد الوقف على التمام كراهية الخروج عنهم قلت ومن الدليل على صحة هذه القراءة النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم وقد مضى في مقدمة الكتاب واجمع المسلمون ان الوقف عند قوله كعصف ماكول للنبي لقبيح وكيف يقال انه قبيح وهذه السورة تقرأ في الركعة الاولى والتي بعدها في الركعة الثانية فيسلمها مع قطع القراءة ان كان وليس احد من العلماء يكره ذلك وما كانت القلة فيرا الا ان قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول انتهاء القياس على ذلك ان لا يمتنع الوقف عند انجاز الايات سواء كان الكلام تاما والغرض ينتهي ولا يتم ولا ينتهي وايضا فان الفواصل حلية وزينة للكلام المنطوق وبولاها لم يتميز المنظوم من المنثور ولا خفاء ان الكلام المنطوق احسن فتثبت بذلك ان الفواصل من محاسن الكلام المنظوم فمن اظهر مواصلة بالموقوف عليها فقد ابدا محاسنه وترك الوقوف يخفي ذلك المحاسن وسم المنظوم بالمنثور وذلك اخلال بحق المغزى الثانية قالوا لك الستة نصف الستة والصيف نصفها ولم ازل اري ربيعة بن ابي عبد الرحمن ومن معه لا يخلون عما بهم حتى تطلع الثريا وهو يوم التاسع عشر من سبتمبر وهو يوم خمسة وعشرين من عدد الروم والفرس وارى طلوع الثريا انذر بخروج البحار وبسير الناس مواشيهم الى مياههم وان طلوع الثريا اول الصيف وبرد الشتاء وهذا ما لا خلاف فيه بين امتحابه عنه وقال عنه اشهب وحده اذا استقلت الثفنة نصف الليل فذاك اول الثريا اول الصيف وجب ان يكون له مطلق الستة اشهر ثم يستقبل الشتاء من بعد ذهاب الصيف ستة اشهر وقد سئل محمد بن عبد الحكم عمن حلف ان لا يكلم امرأته حتى تدخل الشتاء فقال لا يكلمها حتى يمضي سبعة عشر من هتور ولو قال الغرظبا فاذكر هذا عن مجد في بشلش تهو سهوا انما هو لسبعة عشر من بشنس لانك اذا جعلت

المنازل على ما هي عليه من ثلاث عشرة ليلة كل منزل لتعلم ان ما بين نسقة عشر
من هنوز لا تنقض منازله الا بحول نسقة عشر من شمس واسد اعلم الثالث
قال قوم الزمان اربعة اقسام مشتاء وربيع وصيف وخريف وقال قوم هو
شتاء وصيف وقيظ وخريف والذي قاله مالك واصح لان قسمة الله للزمان
قسمين ولم يجعل لهما ثالثا ثالثا الرابعة لما امتن الله عز وجل على قريش برحلتين
شتاء وصيفا على ما تقدم كان فيه دليل على جواز ظرف الرجل في الزمانين بين
محلين يكون حالها في كل زمان انعم من الاخر كالجلوس في المجلس للحري في الصيف
وفي العلي في الشتاء وفي اتخاذ البادهنجات والجلس للمبرد والليل والبايوسة
للدف قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت امرهم تعالى بعبادته وتوحيده
لاجل ايلافهم رحلتين ودخلت لاجل ما في الكلام من معنى الشرط لان المعنى
اما لا فليعبدوا ولايلافهم على معنى نعم الله تعالى عليهم لم يحصى وان لم يعبدوه
كسائر نعمه فليعبدوه لشان هذه الواحدة التي هي نعمه ظاهرة والبيت
الكعبة وفي تعريف نسبه بانه رب هذا البيت وجهان احدهما لانه كانت لهم
اوثان فميز نفسه عنها الثاني لانهم بالمعرفة شرفوا على سائر العرب فذكر
لهم تذكيرا لنعمته وقيل فليعبدوا رب هذا البيت اي يقيموا بمكة رحلة الشتاء
الى اليمن والصيف الى الشام قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع اي لو جوع او منهم
من خوف قال ابن عباس وذلك ان ابراهيم عليه السلام حيث قال
رب اجعل هذا البلد امنا وارزق اهله من الثمرات دعا قال ابن زيد كانت العرب
تغير بعضها على بعض وتسبي بعضها من بعض فامنت فلا يسبى من ذلك الحاج
الحرم وقرا اولم تمكن لهم حربا امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وقيل شق عليهم
السفر في الشتاء والصيف فالقى الله في قلوب الحبشة ان يحملوا اليهم طعاما
في السفن فحملوه فحاقت قريش منهم وظنوا انهم قد نووا حربهم فخرجوا اليهم
بسلاحهم فاذا قد جلبوا اليهم الطعام واعانوهم بالاقوات فكان اهل مكة
يخرجون الى جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام على مسيرة ليلتين وقيل
هذا الطعام هو انهم لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ودعا عليهم قحطوا
احمالها عليهم سنين كسنين يوسف فاشتد الخطب فقالوا يا محمد ادع الله
لنا فانا مؤمنون فدعا فاخصبت بلاله وجرت من بلاد اليمن فحملوا الطعام
الى مكة واخصبت اهلها وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان ومنهم
من خوف اي من خوف الحبشة مع الفيل وقال علي رضي الله عنه وامنهم
من ان من ان يكون الجذام فيهم وقيل اي كفاهم اخذ الاتلاف من الملوك فالله
اعلم واللفظ يعم لفسر سورة الماعون وهي مكية في قول الاكثرين وقال
واحد قول ابن عباس ومدنية في قوله اخرون هو قول قتادة وعكرمة وهي سبع
ايات لسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين
الى اخر السورة فيها ست مسايل الاولى قوله تعالى يكذب بالدين اي بالجزاء
والحساب في الاخرة وقد تقدم في الفاتحة وارايت فيها ثلاث لغات الهمزة الثانية
اذ لا يقال في رايت ريت ولكن الف الاستفهام الهمزة الفا ذكره الزجاج وفي
الكلام حذف والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين اصبت هو ام مخطئ واختلف
فيمن نزل هذا فيه فذكر ابو صالح عن ابن عباس قال نزلت في العاص بن وايل
السهمي وقاله التغلبي وقتادة وروى الضحاك عنه قال نزلت في الوليد بن
المغيرة وقيل في ابي جهل وقال الضحاك في عمرو بن عابد حرك في اي سفيان
وكان ينحر في كل اسبوع جزورا فطلب منه يتيم شيا فنهره وقيل فيه نزلت
فانزل الله هذه السورة وقد مر يدفع كما قال ليوم يدعون الى نار جهنم دعا
وقد تقدم وقال الضحاك عن ابن عباس فذلك الذي يدع اي يدفع
عن حقه قتادة يظلمه ويقهره والمعنى متقارب وقد تقدم في سورة النساء
انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار ويقولون انما يجوز المال من يطيق
بالسنان ويضرب بالحسام وروي عن النبي انه قال من ضم يتيما من المسلمين
حتى يستغني وجبت له الجنة وقد سلف هذا المعنى في غير موضع الثانية

قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين اي لا يامر به من اهل بخله وتكذيبه بالجزا
وهو مثل قوله تعالى في سورة الحاقة ولا يحض على طعام المسكين وقد تقدم
وليس لزم عاما حتى تتناوله من نزله عجزا ولكنهم كانوا يتجلون ويفترون
لانفسهم يقولون نطعم من لو يشا الله اطعمه فنزلت هذه الاية فيهم وتوجه
الذم اليهم فيكون نعيا لكلام لا يعملون به ان قدروا ولا يحثون عليه ان عسروا
الثالثة قوله تعالى للمصلين اي عذاب لهم وقد تقدم في غير موضع الذين هم
عن صلاتهم ساهون قرئ الضحاك عن ابن عباس قال هو المصلي الذي
اذا صلى لم يرج لها ثوابا واذا تركها لم يخش عليها عقابا وعنه ايضا الذي يؤخرها
عن اوقاتها وكذا روي المغيرة عن ابراهيم قال ساهون اضاعة الوقت
وعن ابي العالية لا يصلونها لوقتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها قلت
ويدخل في هذا قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة حسب ما تقدم
بيانه في سورة مريم عليها السلام وروى ابراهيم ايضا انه الذي اذا سجد قال
برأسه هكذا ملتفتا وقال قطرب هو ان لا يقرأ ولا يتدبر السورة فواة عند
الله الذين هم عن صلاتهم ساهون وقال سعيد بن ابي وقاص قال الذين يؤخرون
الصلاة من وقتها تهاونا وعن ابن عباس ايضا هم الذين يتركون الصلاة
سرا ويصلونها علانية واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى لا نية ويدل
على هذا في المنافقين قوله الذين هم يراؤن وقاله ابن وهب عن مالك قال
ابن عباس حدثوني قال في صلاتهم ساهون لكانت في الموحدين وقال عطا الحمد
لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم قال الزمخشري فان قلت اي
فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن انهم
ساهون عنها سهو تزل لها وقلة التفات الساهي دلت فعل المنافقين هو
او الغفلة الشاملين من المسلمين ومعنى في ان السهو يغشرهم فيها فيوسوسة
شيطان او حديث نفس وذلك لان الصلاة يجلو امنه انسان وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم له السهو في صلاته عن كثيره ومن ثم اثبت الشافعي ان سجود السهو
في كتمه بن العربي لان السلام عن السهو محال وقد سمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في صلاته والصحابة وكل من لا سهو له في صلاته فذلك رجل لا يتدبرها
ولا يتمثل قراءتها وانما همه في اعدادها وهذا رجل يأكل الفشور ويرمي اللب
وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليسهو في صلاته الا لتكون له في اعظم سنتها اللهم
الا انه قد نسهو في صلاته من لقتل على وسواس الشيطان اذا قال له اذكر كذا
اذكر كذا المالم يكن يذكر حتى انه لا يدري كم صلى الرابعة قوله تعالى الذين هم
يراؤن اي يرى الناس انه يصلي طاعة وهو يصلي نعمه كالفاسق يرى انه
يصلي طاعة عبادة وهو يصلي ليقال انه يصلي وحقيقة الرياء طلب منافع الدنيا
بالعبادة واصله المنزلة في قلوب الناس واولها تحسين السمت وهو من اجزاء
المؤمن فيريد بذلك الجاه والثناء وثانيها الرياء بالثياب القصار والخشنة
ليأخذ بذلك هيئة الزهد في الدنيا وثالثها الرياء بالقول باطنا والسخط على
الدنيا واظهارا للوعظ والتاسف على ما يفوت من الخير والطاعة ورابعها الرياء
باظهار الصلاة والصدقة وبتحسين الصلاة لاجل رؤية الناس وذلك يطول
وهذا دليله قال ابن العربي قلت قد تقدم في سورة النساء وهود واخر الكهف
المنزل في الرياء واحكامه وحقيقته بما فيه كفاية والحمد لله الخامسة ولا يكون
الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح اذا كان قد نشطه في حق الفرض الاعلان بها
وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا عمه في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعار
الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب ازاحة التهمة بالاظهار وان
كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلزم تركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا
للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء ان تقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى
عليك بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد فوسجد سجدة اشكره

بيع صح

فاما لها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه يوسم فيه الرياء والسمعة
وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة عند قوله ان تبدوا الصدقات وفي غير موضع والحمد
لله على ذلك السادسة قوله تعالى ويمنعون الماعون فيه اثنى عشر قولا الاول انه الزكاة
اي انهم كذا روي الضحاك عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك وقاله
مالك والمراد به المانعون منها وقد روي ابو عمر بن عبد البر عن مالك قال
يلعنون ان قول الله تعالى في تنزيل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم
يراؤن ويمنعون الماعون قال لما قيل اذا صلى صلى رياء واذا فاتته لم يندم عليها
ويمنعون الماعون الزكاة التي فرضها الله عليهم قال ربيع بن انس لو حفنت لهم الصلاة
كما حفنت لهم الزكاة ما صلوا القول الثاني انه الماعون المال بلسان قريش قال ابن
شهاب وسعيد بن المسيب وقول ثالث انه اسم جامع لمنافع البيت كالفاس والقدر
والنار ورضا الشيء ذلك قاله ابن مسعود وروي عن ابن عباس ايضا قال الاعشى
يا هود منه ما عونه اذا ما سماوهم لم هم الرابع ذكر الزجاج وابو عبيد والمبرد
ان الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفاس والقدر والدلو والقراحة
وكل منفعة من قليل وكثير وانشدوا لابنة / الاعشى قالوا والماعون في الاسلام
الطاعة والزكاة وانشدوا قول الراعي

اخليفة الرحمن انا معشر حنفا نجد بكرة واصيلا
عرب نرى لله من اموالنا حق الزكاة منزلا تنزيلا
قوم على الاسلام لما يمنعوا ما عونهم ويضيعوا التهليلا

سمى الزكاة الماعون لانها تعارية روي عن ابن عباس ايضا انها السادسة المعروف كله
الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم قاله محمد بن كعب والكلبي السابع انه الماء والملح
الناس من الماء وحده قال الفراء سمعت بعض العرب يقول الماعون الماء وانشد فيه
بمح صبره الماعون صبا الصبر لسحابة الثامن انه منع الحق قاله عبد الله بن عمر والتاسع
انه المستغل من منافع الاموال ما عون من المعن وهو القليل حكاه الطبري وابن
عباس قال قطرب اصل الماعون من القلة والمعنى لشيء قليل تقول العرب
ما له سعه ولا منعه اي شيء قليل فسمى الله الزكاة والصدقة ونحوه من المعروف
ماعونا لانه قليل من كثير ومن الناس الماعون اصله معونة والالف عوض من الهاء
حكاه الجوهري وابن العربي الماعون مفعول من اعان يعين والعون هو الامداد
بالقوة والاعانة والاشتاب المسيرة للامر المادي عشر انه الطاعة والانقياد
حكى الاخفش عن اعرابي فصيح لو قد نزلنا لصنعت لنا فيل صنيعا يعطيك الماعون
اي ما ذل وانقاد قال الزاجر ربه من بقعا دقحص في البر يخضمن الماعون
وقيل هو ما لا يحل منعه كالماء والملح والنار لان عائشة رضوان الله عليها قالت
قلت يا رسول الله ما الشيء الذي لا يحل منعه قال الماء والنار والملح قلت يا رسول
الله هذا الماء فما بال النار والملح فقال يا عائشة من اعطى نارا فكانما تصدق
بجميع ما طبخ بتلك النار ومن اعطى ملحا فكانما تصدق بجميع ما طيب بذلك الملح ومن
سقى شربة من الماء حيث لا يوجد فكانما احيا نفسا ومن احياها فكانما احيا الناس
جميعا ذكره الثعلبي في تفسيره وخرجه ابن ماجة في سننه وفي اسناده لين وهو القول
الثاني عشر انه قال الماوردي ويحمل انه المعونة بما خف تعلمه وقد تقدم والله اعلم
وقيل لعكرمة مولى ابن عباس من منع شيأ من المتاع كان له الويل فقال لا ولكن
من جمع تلا شهن فذا لويل يعني ترك الصلاة والرياء والبخل بالماعون قلت كونها في
المنافقين اشبه وبهم اخلق لانهم جمعوا الا وصاف الثلاثة ترك الصلاة والرياء
والبخل بالمال قال الله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا وقال ولا ينفقون الا وهم كارهون وقد اخوا لهم
وسعد ان لو حد من مسلم مسكرا فشربه بعضهم فيلحقه جزء من التوبيخ
وذلك في منع الماعون اذا تعين كالصلاة والزكاة والله اعلم بما يكون منعها فيحا
في المروءة في متعارف الضرورة والله اعلم (سورة الكوثر وهي مكية في قول
ابن عباس والضحاك وجابر وعدد آياتها) في قول الحسن وعكرمة وجماهد وقتادة وهي

وهي ثلاث آيات بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فيه مسئلتان الاولى
قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قرأ العامة اعطيناك بالعين وقرأ الحسن وطلحة
بن مصرف انطيناك بالنون ورواية ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي لغة في
العطاء انطيتك اعطيتك والكوثر فوعل من الكثرة مثل النوفل من النفل والجوهر
من الجهر والعرب تسمي كل شيء كثير ا العدد والقدر والخطر كوثرا قال سفيان قيل
لعجوز رجع انها من السفر هم أب أنت قالت بكوثرا عيما لكثير والكوثر من الرجال
السيد الكثير الخير قال الكميت وانت كثيبا بن مروان طيب وكان أبوك ابن العقائل
كوثرا والكوثر العدد الكثير من الاصحاب والاتباع والكوثر من الغبار الكثير وقد
يكوثر قال الشاعر ٭ وقد ثار يقع الموت حتى تكوثرا الثانية واختلف أهل
التأويل في الكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم على ستة عشر قولا الاول انه
نهر في الجنة رواه البخاري عن انس والترمذي ايضا وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وروى
الترمذي ايضا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر
في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك
وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج هذا حديث حسن صحيح الثاني انه حوض
النبي صلى الله عليه وسلم ذا الوقف قاله عطاء وصح في صحيح مسلم عن انس قال بينما
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا
ما اضحكك يا رسول الله قال نزلت انفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر فقلنا
الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي
يوم القيامة انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول انه من امتي فيقال
انك لا تدري ما احدث بعدك والاخبار في حوض الموقف كثيرة ذكرناها في كتاب
التذكرة وان على اركانه الاربعة خلفاؤه الاربعة رضوان الله عليهم وان من بعض
واحدا منهم لم يشمه الاخر وذكرنا هناك من يطرد عنه فيدل الاذان الوقوف على ان لكل
امة حوضا وله هناك ثم يجوز ان يسمى كل النهر والحوض كوثرا لكثرة الواردة والشاربة
عليه السلام هنا ان ويسمى لما فيه من الخير الكثير والماء الكثير الثالث ان الكوثر
والنبوة والكتاب قاله عكرمة الرابع القرآن قاله الحسن الخامس الاسلام حكاه
الماوردي السادس تيسير القرآن وتخفيف الشرايع قاله الحسين بن الفضل السابع
هو كثرة الاصحاب والامة والاتباع قاله ابو بكر بن عياش وحكاه ابن فورك
انه الاشارة قاله لبيان التاسع انه رفعة الذكر حكاه الماوردي والعاشر انه نور في
قلبك دلك على وقطعك عما سواي وعنده هي الشفاعة وهي الحادي عشر وقيل معجزات
الرب هدي نبيا الهدا الاجابة لدعوته حكاه الثعلبي وهو الثاني عشر الثالث
عشر قاله هلال بن يساف هو لا اله الا الله محمد رسول الله وقتال لفقد الدين
وقتل الصلوات الخمس وهو الرابع عشر والخامس عشر وقال ابن اسحق هو
المعظم من الامر وذكر بيت لبيد وصاحب محلوب تجنبا بعقده وعند الرداع
بيت اخل كوكبا ما عظيم قلت اصح هذه الاقوال الاول والثاني لانه ثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه في الكوثر وسمع انس قوما يتذاكرون الحوض فقال
ما كنت ارى ان اعيش حتى ارى اشياخكم يتمارون في الحوض لقد تركت عجائز
خلفي ما تصلي امرأة منهن الا سألت الله ان يسقيها اسد من الحوض النبي صلى الله
عليه وسلم وفي حوضه يقول الشاعر يا صاحب الحوض من بدا ينك وانت حقا
حبيب بارئك وجبيع ثا فضل بعد ذلك في تغبيره فداغطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم زيادة على حوضه صلى الله عليه وسلم لشبهما كثيرا فقوله تعالى فصل
لربك وانحر فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى فصل لربك وانحر اختلف في المعني
المقصود بذلك فروى الضحاك عن ابن عباس قال قتادة وعطاء وعكرمة فصل
لربك يعني صلاة العيد يوم النحر وانحر لنسكك وقال انس كان النبي صلى الله
عليه وسلم ينحر ثم يصلي فامر ان يصلي ثم ينحر وقال سعيد بن جبير انما
نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت فامره الله تعالى

منا مدمج

مني

ان

ان يصلي ويخر اليدين ويتبعث فعقل ذلك قال ابن العربي اذا المراد من قال
اذا المراد بقوله تعالى فصل الصلوات الخمس فلانها اركن العبادات وقاعدة
الاسلام واعظم دعائم الدين واما من قال انها صلاة الصبح لمزدلفة فلانها
مقرونة بالنحر وهو ذلك اليوم ولا صلاة تتبعه قبل النحر وغيرها فخص
من جملة الصلوات لاقترانها بالنحر قلت واما من قال انها صلاة العيد
فذلك بغير مكة اذ لا يسن بمكة صلاة عيد باجماع فيما حكاه ابو عمر قال ابن
العربي فاما قال تعالى فقال اما سمعت فيه شيأ والذي يقع في نفسي ان المراد بذلك
صلاة يوم النحر والنحر بعدها وقال علي رضي الله عنه ومحمد بن كعب الصلاة
اليمنى على اللبة يريد حد النحر في الصلاة وروي عن ابن عباس ايضا وروي عن علي
ايضا انه يرفع يديه في التكبير الى نحره وكذا قال جعفر بن علي فصل لربك وانحر
قال يرفع يديه في التكبير الى نحره وما يكبر للاحرام الى النحر وعن علي رضي الله عنه
قال لما نزلت فصل لربك وانحر قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذه
النحيرة التي امرني الله بها قال ليست بنحيرة ولكنه يأمرك اذا احرمت
الصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا رفعت راسك من الركوع وانا سجدت فانه
صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع وان لكل شيء زينة وان زينة
الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة وعن ابي صالح عن ابن عباس قال استقبل القبلة
بنحرك وقال الفراء والكلبي وابو الاهوص ومنه قول الشاعر

اباحكم ما انت عم مجالد ... وسيد اهل البطح ضربة حازر

قال الفراء سمعت بعض العرب يقول ما زلنا نناحر اي نتقابل بنحورهذا الذي قلنا
وقال ابن الاعرابي هو انتصاب الرجل في الصلاة يقال ناء المحراب من قولهم
مناذلهم سناحزاي تتقابل وروي عن عطاء قال امره ان يتوجه بين السجدتين
حال السجود حتى يبدو نحره وقال محمد بن كعب النحر طول القنوت اعطيناك الكوثر
فصل لربك وانحر يقول اذا سألوا يبخلون لغير الله ويبخلون لغير الله وقد اعطيناك
الكوثر فلا تكن صلاتك ولا نحرك الا لله قال ابن العربي والذي عندي انه لو اراد
عبد ربك وانحر له فلا تكن اعمالك الا لمن خلقك بالكوثر وبالخير ان يكون جميع العمل
يوازي هذه الخصوصية من الكوثر وهو الخير الكثير الذي اعطاكه الله واولى الخير
الذي طبق مسك وعدد انيته نجوم السماء اما ان توازي هذا صلاة ولا نحر البدن
ولا يجمع كثرة وبدنة فذلك بعيد في التقدير والتدبير موازنة هذا
الثواب للعبادة والله اعلم الثانية قد مضى في سورة الصافات ان القول في الاضحية
وفضلها ووقتها بما فلا معنى لاعادة ذلك وذكرنا ايضا في سورة الحج جملة من
احكامها قال ابن العربي ومن عجبت الامران قول الشافعي وبعض العلماء ان من ضحى
قبل الصلاة اجزاه واستدلوا لما يقول في كتابه فصل لربك وانحر فبدأ بالصلاة
قبل النحر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ايضا في البخاري وغيره عن البراء بن
عازب قال اول ما يبدأ به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر من فعل فقد
اصاب سنتنا ومن ذبح قبل فانما هو لحم قدمه لاهله ليس من النسك في
شيء واصحابه بنحر وهذا الموافقة الثالثة واما ما روي عن علي عليه السلام
فصل لربك وانحر قال وضع اليمين على الشمال في الصلاة خرجه الدارقطني
فقد اختلف علماؤنا في ذلك على ثلاثة اقوال لا موضع في فريضة ولا نافلة لان
ذلك من باب الاعتماد ولا يجوز في الفرض ولا يستحب في النفل الثاني لا يفعلها
في الفريضة ويفعلها في النافلة استعانة لانه موضع تخفيف الثالث يفعلها
في الفريضة والنافلة وهو الصحيح لانه ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضع يده اليمنى على اليسرى من حديث وائل بن حجر وغيره قال ابن المنذر وبه
قال مالك واحمد واسحق وحكى ذلك عن الشافعي واستحب ذلك اصحاب الرأي ه

والرفع

وروت جماعة ارسال اليدين ومن رويناذلك عنه ابن الزبير والحسن البصري وابراهيم النخعي ثلث وهو مروي ايضا عن مالك قال ابن عبد البر ارسال اليدين ووضع اليمنى على الشمال كل ذلك من سنة الصلاة البارعة واختلفوا في الموضع الذي توضع عليه اليد فروي عن علي بن ابي طالب انه وضعها على صدره وقال سعيد ابن جبير واحمد بن حنبل فوق السرة وقال لا باس ان كان تحت السرة وقال لطائفة توضع تحت السرة وروي ذلك عن علي وابي هريرة والنخعي وابي مجلز ونبه قال ابو سفيان الثوري واسحق الخامسة اما رفع اليدين في التكبير عند الافتتاح والركوع لا الركوع والسجود فاختلف فروى الدار قطني من حديث جعيل عن الشعبي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه اذا دخل في الصلاة واذا ركع واذا رفع راسه من الركوع واذا لم يجد لم يرفعه عنه عن حميد مرفوعا غير عبد الوهاب الثقفي والصواب من فعل ابن عمر وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى تكونا حذو منكبيه ثم يكبر وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ويفعل ذلك حين يرفع راسه ويقول سمع الله لمن حمده ولا يفعل ذلك حتى يرفع راسه من السجود قال ابن المنذر وهذا قول الليث بن سعد والشافعي واحمد واسحق وابي ثور وحكي ابي وهب عن مالك هذا القول وبه اقول لانه الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة يرفع المصلي يديه حين يفتتح الصلاة ولا يرفع فيما سوى ذلك هذا قول سفيان الثوري واصحاب الراي قلت وهو المشهور من مذهب مالك لحديث ابن مسعود خرجه الدار قطني من حديث اسحق بن اسرايل قال ثنا محمد بن جابر عن حماد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يرفعوا ايديهم الا او لا عند التكبيرة الاولى لافتتاح الصلاة قال اسحق بهذا ناخذ الصلاة قلما قال الدار قطني تفرد به محمد بن جابر وكان ضعيفا عن حماد عن ابراهيم وغير حماد يرويه عن ابراهيم مرسلا عن عبد الله من فعله غير مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصواب وقد روى يزيد بن ابي زياد وعبد الرحمن بن ابي بكر عن ابراهم راى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة رفع يديه حتى يحاذي بهما اذنيه ثم لم يعد بعد الى شيء من ذلك حتى فرغ من الصلاة قال الدار قطني لفظ يزيد في اخر عمره ثم لم يعد فتلقنه وكان قد اختلط في مختصر ما ليس في المختصر عن مالك لا يرفع اليدين في شيء من الصلاة قال ابن القاسم ولم ار مالكا يرفع يديه عند الاحرام قال واجب الي ان ترفع اليدين عند الاحرام قوله تعالى ان شانئك هو الابتر اي مبغضك وهو العاصي بن وائل وكانت العرب تعني من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فيقال ان العاصي وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش ممن كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله وكان ام خديجة فانزل الله جل ثناؤه ان شانئك هو الابتر اي المقطوع ذكره من خير الدنيا والاخرة وقد ذكر بكر بن عبد الله عن ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا ابتر فلان فلما مات ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه فقالوا ابتر محمد فانزل الله جل ثناؤه ان شانئك هو الابتر يعني بذلك ابا جهل وقال شمر بن عطية هو عقبة بن ابي معيط وقيل ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكور ولده قد بتر فلان مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا ابتر محمد وليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت هذه الاية قاله السدي وابن زيد وقيل ان جواب لقريش حين قالوا لكعب يا ابا الاشرف لما قدم مكة نحن اصحاب السقاية والسدانة والحجابة والله وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام

هذا

٢٠٦

هذا المنصبين المبتدرين من قومه قالوا كعب بل انتم خير فنزلت في كعب الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يومنون بالجبت والطاغوت الاية ونزلت في قريش ان شا
هوا الابتر قاله ابن عباس وعكرمة وقال ابن عباس ايضا وعكرمة ايضا
ودعا قريبا الى الاسلام قالوا استرحمك اي خالفنا واقطع عنا فاخبر الله تعالى
رسوله صلى الله عليه وسلم انهم هم المبتورون قاله ايضا عكرمة وشمر بن حوشب
قال اهل اللغة / الابتر من الرجال الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له وكل امر
انقطع من الخير اثره فهو ابتر والبتر القطع بترت الشي بترا قطعته قبل الا
تمام وابتتر / الانقطاع والبائر الشيء القاطع / والابتر المقطوع الذنب يقول
منه بتر بالكسر يبتر فترا وفي الحديث ما هذه البتيرا وحطب زياد حطبته البترا
لانه لم يحمد الله فيها ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ابتر الكتيت / الابتر ان ه
القصير والعبد قال لسميا انترا بن قتلة خبرها وقد ابتره الله اي صيره ابتر ويقال
رجل ابتر بين البهرة للذي يقطع رحمه قال

لعيم تربي انفه خترا ونه على قطع ذي القربى احدا باتر

والبترية فرقة من الزيدية نسبوا الى المغيرة بن زياد بن سعد ولقبه / الابتر وا ما
المنبور فلفظ مشترك قيل هو النخلة التي يقطع فرعه ويبقى اسفلها وينبت
فيها ما صغير اسفل النخلة وقيل هو الرجل الفرد لا ولد له ولا اخ وقيل هو سبعة
الحوض خاصة حكاه ابو عبيد وانشد ما بين صبور الى الاذاء والصبور قصبة
يكون في اداوة من حديد او رصاص يشرب منها على جميعة تفسير سورة الكافرون
وهي مكية في قول ابن مسعود والحسن وعلقمة وعزيزة في احد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك
وهي ست اياة وفي الترمذي من حديث انس انها تعدل ثلث القرآن وفي كتاب
الرد لابن الانباري اخبرنا عبد الله بن ناجية قال ثنا يونس قال ثنا ه
المعنى وابو نعيم عن شوسي بن وردان عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن ورواه سوقون
عن انس بقوله وخرج الحافظ ابو محمد عبد الغني بن سعيد عن ابن عمر قال صلى
صلى الله عليه وسلم بامحابه صلاة الفجر في سفر فقرا قل يا ايها الكافرون
وقل هو الله احد ثم قال اقرات بكم على القرآن وربعه قالوا نعم لقد كنت
عبر كثير المال اذا شافرت الون ادهم هيبه واقلهم زادا فمن قرا هن ضرب
من احسنهم هيئة واكثرهم زادا حتى ارجع من سفري ذلك وقال عروة بن نوفل
الاشجعي قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم او مني قال اقرا عند منامك قل يا ايها
الكافرون فانها براءة من الشرك خرجه ابو بكر الانباري وغيره وقال ابن عباس
للبيس في القرآن اشد غيظا لابليس منها لانها توحيد وبراءة من الشرك وقال
الاصمعي كان يقال لقل قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المستعمتان اي
انهما يبرئان من النفاق وقال ابو عبيدة كما تقشعر الابل من الجرب فيبرسه
وقال ابن السكيت يقال للفرج والجدري اذا يبس وتقشف والمحدث في الابل اذا
فقل فزيوسف جلده وتقشعر جلده نسم الرحمن الرحيم قوله تعالى قل
يا ايها الكافرون الايات ذكر ابن اسحق وغيره عن ابن عباس ان ناسا من
اذا الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن
خلف لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد
ونعبد ما نعبد وتشرك نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي جئت به خيرا مما
مما بايدينا كنا قد شركناك في حظك منه وان كان الذي بايدينا خيرا مما
مما بايدينا كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك منه فانزل الله عز وجل
قل يا ايها الكافرون وقال ابو صالح عن ابن عباس انهم قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لو استلمت لبعض هذه الالهة صدقناك فنزل جبريل على النبي
صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فيسوا منه واذوه واذوا اصحابه والالف
واللام ترجع الى معنى المعهود وان كانت للجنس من حيث كانت صفة لاي لانها
مخاطبة لمن سبق في علم الله ان يموت على كفره فنهي عن الخصوص الذي جا بلفظ
العموم ونحوه عن الماورد بي من لت جوابا وعتابا للكافرين قوما معينين لا جميع

النبي

الكافرين لان منهم من امن فعبد الله ومنهم من مات او قتل على كفره وهم المخاطبون
بهذا العقول ومنهم المذكورون قال ابو بكر الانباري وقد امن طعن في القرآن
قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون وزعم ان ذلك هو الصواب وذلك
افتراء على رب العالمين وتضعيف بين من هذه السورة واسقاط لما قصده الله
من ان ينزل نبيه المشركين لخطابهم ايا هم بهذا الخطاب الذي الزامهم
ما يأنف منه كل ذي لب وحجى وذلك ان الذي يعبر عنه من اللفظ الباطل
قرآنا تشتمل عليه في المعنى وتزيدنا ويلا لتبين عنادهم في باطلهم وتحريفهم
فمن قرأنا قل للذين كفروا يا ايها الكافرون دليل على صحة هذا ان العرب
اذا قال الخاطبة قل لزيد افعل لنا فمعناه قل لزيد يا زيد افعل لنا فقرأنا
على كل ما عندهم وسقط باطلهم احسن لفظ وابلغ معنى اذ كان الرسول عليه
السلام لا يعتمدهم في باطلهم فيقول يا ايها الكافرون وهو يعلم انهم يبغضون
من ان ينسبوا الى الكفر ويدخلوا في جملة اهله الا وهو محرون ممنوع من ان لا
تبسط عليه منهم يد او يقع به في جملتهم اذية فمن لم يقل قل يا ايها الكافرون
كما انزلها الله فقد اسقط اية لرسول الله صلى الله عليه وسلم سلما هل الاسلام
واد لا لنبارعوا الى مثلها ولا يعتمدوا بينهم تاخير الفظ يازعنه الذي مسخها
الله ايانها وسرقه نهارا ساوحدا التكرير فقد قيل ان للتاكيد في قطع اطماعهم
كما تقول والله لا افعل كذا ثم والله لا افعل قال اكثر اهل المعاني نزل القرآن
بلسان العرب ومن مذاهبهم التكرار ارادة التاكيد والافهام كما ان من مذاهبهم
الاختصار ارادة التخفيف والايجاز لان خروج الخطيب والمتكلم من شيء الى شيء
اولى من اقتضاره في المقام على شيء واحد قال الله تعالى فبأي الاء ربكما تكذبان ثم
قال بعيد للمكذبين وكلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وان مع العسر يسرا
ان مع العسر يسرا كل هذا على التاكيد وقد يقول القائل لغيره ارم ارم اعجل اعجل
ومنه قوله عليه السلام في الحديث الضحيح فلا اذن ثم لا اذن اما فاطمة بضعة
مني الحديث خرجه مسلم وقال الشاعر

هلا سالت جموع كندة يوم ولوا اين اينا ... وقال الاخر

يا بكر انشر لي كليبا يا بكر بن ابي العراره ... وقال اخر

يا علقمة يا علقمة خير تميم وآكرمه ... وقال اخر

الا يا اسلمي ثم اسلمي ثم اسلمي ثلاث تحيات وان لم تكلم

ومثله كثير وقيل هذا مطابقة قولهم لنعبد الهتنا ونعبد الاهك ثم نعبد الهتنا
ونعبد الهك فيجري على هذا ابدا ستة وستة فاجيبوا عن كل ما قالوه بضده
ايما ان هذا لا يكون ابدا قال ابن عباس قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم
تعال نعطيك من المال ما تكون به اغنى رجل بمكة ونزوجك من شئت ونطا عقبك
اي نمشي خلفك وتكف عن شتم الهتنا فان لم تفعل نخن نعرض عليك خصلة
واحدة هي لنا ولك صلاح نعبد الهتنا اللات والعزى سنة ونخن نعبد الهك
سنة فنزلت السورة فكان التكرار في لا اعبد ما تعبدون لان العرب كررت
عليهم مرة بعد مرة والله اعلم وقيل انما كرر بمعنى التغليظ وقيل اي لا اعبد الساعة
ما تعبدون ولا انتم عابدون الساعة ما اعبد ثم قال ولا انا عابد في المستقبل
ما عبدتم ولا انتم في المستقبل عابدون ما اعبد قاله الاخفش والمبرد وقيل
انهم كانوا يعبدون الاوثان فاذا ملوا وثنا ساموا الخبازة له رفضوه واصطنعوا
غيره لشهوة نفوسهم فاذا رجعوا بخيبة نحتوها الفوا هذه ورفضوا تلك فعطفوها
وتصورها الله ويعبدون ثنا فان قيل فان نتوا لهم لا اعبد ما تعبدون اليوم من هذه
الالهة التي بين ايديكم ثم قال ولا انتم عابدون ما اعبد انما تعبدون الوثن
الذي اتخذتموه وهو عندهم الان ولا انا عابد ما عبدتم اي بالامس من الالهة
التي رفضوها قبلتم على هذه ولا انتم عابدون ما اعبد فان الامر قبل
ان قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال
وقوله ولا انا عابد ما عبدتم ثم على نفي الخبازة منه لما عبدوا لين الماضي
ثم قال ولا انتم عابدون ما اعبد على التكرير في اللفظ دون المعنى من قبل

٧٤٢

ن

ان المعابل يوجب ان يكون ولا انتم عابدون ما عبدت فقد لعن لفظ عبدت الى
العبد اسما لان ما اعبده الماضي هو الذي يعبده في المستقبل مع ان الماضي قد
والمستقبل قد يقع احدهما موقع الاخر واكثر ما يأتي ذلك في اخبار الله عز وجل
وقال ما اعبد ولم يقل من اعبد لتقابل به ولا انا عابد ما عبدتم وهي اصنام واوثان
ولا يصلح فيها الا ما يعقل ويعقل من يحمل الاول على التقابل لا الكلام ولا بينا في
وقد جاء ما لمن يعقل ومنه قولهم سبحان ما سخركن لنا وقيل ان معنى لا
بان ونقدير ها قل يا ايها الكافرون لا اعبد الاصنام التي تعبدون ولا انتم
عابدون الله عز وجل الذي اعبده لا سيرا لكم به واتخاذكم الاصنام فان زعمتم انكم
تعبدونه فانتم كاذبون ولانكم تعبدونه مشركين فانا لا اعبد ما عبدتم اي
مثل عبادتكم فما حصد ربنا وكذلك ولا انتم عابدون ما اعبد مصدر ايضا معناه
ولا انتم عابدون لي مثل عبادتي التي هي توحيد قوله تعالى لكم دينكم ولي دين فيه
معنى التهديد وهو كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان رضيتم بدينكم فقد رضينا
بديننا وكان هذا قبل الامر بالقتال فنسخ بآية السيف وقيل السورة كلها
منسوخة وقيل ما نسخ منها شيء لانها خبر ومعنى لكم اني جزاء دينكم ولي جزاء
ديني وسمي دينهم دينا لانهم اعتقدوه وتقولوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولي جزائي لان
الدين الجزاء وفتح الياء من ولي دين نافع والبزي عن ابن كثير وا اختلاف عنه وهشام
عن ابن عامر وحفص عن عاصم واثبت الباقون ياء ديني وفي الخالص نصير بن عاصم وسلام
ويعقوب قالوا لانها اسم مثل الكاف في دينك والباقون يقفون بغير ياء مثل
قوله تعالى فهو يهدين واتقوا الله واطيعون ونحوه اكتفا بالكسرة واثباتها
لخط المصحف فانه وقع فيه بغير ياء ٥ تفسير سورة النصر وهي مدنية
باجماع وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث ايات وهي آخر سورة جميعا قاله ابن عباس
في صحيح مسلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح
النصر العون ماخوذ من قولهم قد تضمر الغيث الارض اذا اعان على نباتها
ومنع من قحطها قال السائحي اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي بلاد تميم
وانصري ارض عامر نقا وبريدي اذا دخل الشهر الحرام فخاوزي بلاد تميم وانصري
ارض عامر نقا ونصره على عدوه بنصره نصرا اعانه والاسم النصرة واستنصره
على عدوه اي سأله ان ينصره عليه وتناصروا نصر بعضهم بعضا ثم قيل المراد
بهذا النصر نصر الرسول على قريش قاله الطبري وقيل نصره على من قاتله من
الكفار وان عاقبة النصر كانت له واما الفتح فهو فتح مكة عن الحسن ومجاهد
وغيرهما وقال ابن عباس وسعيد بن جبير هو فتح المدائن والقصور وقيل
فتح سائر البلاد وقيل فتحه عليه من العلوم واذا بمعنى قد اي قد جا نصر
الله لان تنزيله بعد الفتح ويجوز ان تكون بمعناها اذا كما في قوله تعالى وترى
الناس اي العرب وغيرهم يدخلون في دين الله افواجا اي جماعات فوجا بعد فوج
وذلك لما فتح مكة قالت العرب اما اذ ظهر محمد باهل الحرم وقد كانت العرب
من اصحاب الفيل قليل لكم به يدان فكانوا يسلمون افواجا اسلمت
الضمان والمرأة الربعون رجلا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن
وذلك انه ورد من اليمن سبعمائة انسان موحدين طايعين بعضهم يؤذن
وبعضهم يقرؤن القرآن وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك وبكى عمر وعباس وروي عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا جا نصر الله والفتح وجا اهل اليمن رققت افئدتهم
طباعهم سخيه قلوبهم عظيم خشيتهم فدخلوا في دين الله افواجا وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم
اضعف قلوبا وارق افئدة الفقه يمان والحكمة يمانية وروي انه صلى
الله عليه وسلم قال اني لا اجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تاويلان
احدهما انه الفتح لتتابع اسلامهم افواجا الثاني معناه ان الله تعالى نفس
الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل اليمن وهو الذي رواه جابر
ابن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا

في دين الله افواجا وسبحوه ونستغفروه اذا فعلوا ذلك ذكره الماوردي ولفظ الثعلبي وقال
ابو عمار حدثني جابر قال سألني ابن جابر عن حال الناس فاخبرته عن حال اختلافهم
وفرقتهم فجعل يبكي ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس يدخلون
في دين الله افواجا ويخرجون من دين الله افواجا فقوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره
اذا فعلت فاكثر من ذلك وقيل تمثل سبح صلة عن ابن عباس بحمد ربك اي حامدا
له على انا كان منا الظفر والفتح واستغفره اي سل الله الغفران وقيل فسبح
المراد به التنزيه اي نزه عما لا يجوز عليه مع شكرك له وبالاستغفار عما مضى
الذكور الاول اظهر رواه الائمة واللفظ للبخاري عن عائشة رضي الله عنها
قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان نزلت عليه سورة
اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وعنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك
اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي تنا ول القرآن في عمرة الصحيح وقالت ام سلمة
كان النبي صلى الله عليه وسلم اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب الا قال
سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قال فاني امرت بها ثم قرأ اذا جاء
نصر الله والفتح الى اخرها وقال ابو هريرة اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم
بعد نزولها حتى توارمت قدماه وكلتا ساقيه وقل لنبسه وكثر بكاؤه وقال
عكرمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امور الاخرة مما كان
منه عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه
ومنهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي وقاص فتبشروا واستبشروا وبكى العباس
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت الي نفسك قال
انه لكما تقول فعاش بعدها ستين يوما ما رؤي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل
نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر وعباس فقيل لهما ان هذا يوم
فرح فقالا بل فيه نعي لنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد
صدقتما نعيت الي نفسي وفي البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب
يأذن لاهل بدر ويأذن لي معهم قال فوجد بعضهم من ذلك فقالوا اتأذن لهذا
الفتى معنا ومن ابنائنا من هو مثله فقال عمر انه من قد علمتم فدعاه ذات يوم واذن لي معهم فسألهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح
فقالوا امر الله جل وعز نبيه صلى الله عليه وسلم حضور موته فقال اذا جاء نصر
الله والفتح فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
فقال عمر رضي الله عنه ما تلومونني عليه وفي البخاري فقال عمر ما اعلم منها الا ما
تقول رواه الترمذي قال كان عمر يدخلني مع اصحاب بدر فكأن بعضهم وجد
في نفسه فقال له عبد الرحمن بن عوف انك لتدخل هذا معنا ولنا بنون مثله فقال له عمر انه
من حيث تعلم فسأل بعضهم عن هذه الآية اذا جاء نصر الله والفتح فقلت انما هو اجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه اياه وقال اذا جاء نصر الله والفتح اي علامة اجلك
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا هذا حديث حسن صحيح فان قيل فما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يمضي يوما لا استغفر فيه قلنا كان صلى الله عليه وسلم
يقول في دعائه رب اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في امري كله وما انت اعلم
به مني اللهم اغفر لي خطيئتي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي
اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر
انك على كل شيء قدير وكان صلى الله عليه وسلم يستقصر لنفسه لتعليم امته
عليه وسلم ويروى قصوره عن القيام بحق ذلك او ذنوبا ويحتمل ان يكون بمعنى كن
مستغفا به شاكرا لما استضعافا على رؤية التقصير في اداء الحقوق ليلا ينقطع
الى رؤية الاعمال وقيل الاستغفار بعد تحقيق انبائه للمغفرة بل لتعبدنا وقيل
ذلك تنبيها لامته لكي لا يستنكفوا عنه لو الاستغفار وقيل واستغفره اي
استغفر لامتك انه كان توابا اي على المسيئين والمستغفرين يتوب عليهم
ويرحمهم وقيل ينزههم واذا كان عليه السلام وهو معصوم مأمور بالاستغفار
فما الظن بغيره روى مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قالت فقلت يا رسول الله اراك
تكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقال خبرني ربي اني سارى
علامة في امتي اذا رأيتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه
فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون في دين الله
افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وقال ابن عمر نزلت هذه
السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت فعاشت بعدها ثمانين يوما ثم نزلت اية الكلالة فعاشت بعدها
خمسين وثلاثين يوما ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاشت
بعدها احدا وعشرين يوما وقال يعاش بعدها سبعة ايام وقيل غير هذا
مما تقدم في البقرة بيانه والحمد لله تفسير سورة تبت وهي مكية
باجماع وهي خمس اياث بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تبت يدا
ابي لهب وقد مر ثلاث مثالها الاول قوله تعالى تبت يدا ابي لهب في الصحيح
وغيرها واللفظ لمسلم عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين
ورهطك منهم المخلصين رسول الله صلى الله عليه وسلم تخفى صعد
الصفا فجعل ينادي يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا
اليه فقال يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه
فقال ارأيتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا
عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك
الما جمعتنا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا ابي لهب وقد تب
كذا قرأ الاعمش الى اخر السورة زاد الحميدي وغيره فلما سمعت امرأته ما نزل
في زوجها وما فيها من القرآن اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد
عند الكعبة ومعه ابو بكر رضي الله عنه ومعها فهر من حجارة فلما وقفت
عليه اخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تراه ابو بكر
فقالت يا ابا بكر ان صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا
الفهر فاه والله اني لشاعرة من مما عصيناه وامره ابينا ودينه فلما ابتم انصرفت
فقال ابو بكر يا رسول الله اما تراها رأتك قال ما رأتني لقد اخذ الله بصرها عني
وكانت من تنشر انما تنشر رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه
فكانه يقول الا تعجبون لما صرف الله عني من اذى هذه من تشتم يسبون ويهجون مذ
مما وانا محمد وقيل ان سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد ان ابا لهب
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما ذا اعطى ان انتبك يا محمد فقال
كما يعطى المسلمون قال ما لي عليهم فضل قال وأي شيء تبغي قال تبا لهذا
من دين ان اكون انا وهؤلاء سواء فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب وتب
وقوله تعالى حكاه عبد الرحمن بن كيسان انه قال كان انذر وقد على النبي صلى
الله عليه وسلم وقد انطلق اليهم ابو لهب فيسألونه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويقولون انت اعلم به منا فيقول ابو لهب انه كذاب ساحر فترجعون
عنه ولا يثبتونه قائلين وقد فعل معهم مثل ذلك فقالوا لا ينصرف حتى نراه
ونسمع كلامه فقال لهم ابو لهب انا لم نزل نقاسي منه قبل اليوم وقبل غيرنا
بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتنا به لذلك قال الله تعالى تبت يدا
ابي لهب السورة وقيل ان ابا لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر
فمنعه الله من ذلك فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب للمنع الذي وقع به
ومعنى تبت خسرت قاله قتادة وقيل خابت قاله ابن عباس وقيل ضلت
قاله عطاء وقيل هلكت قاله ابن جبير وقال يمان بن ذيان صفرت من كل
خير حكاه الاصمعي عن ابي عمرو بن العلا انه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا
هاتفا يقول لقد خلوا وانصرفوا ما ابروا ولا اجبروا ولم يوجدا سدرهم
فيا ليتنا لما صنعوا وخلف اليدين بالتباب لان اكثر ما يكون بهما اي خسرا
وخسرهم وقيل المراد باليدين النفس وقد يعبر بالنفس عن اليد كما قال

تعالى يا فلانة يدا ابي لهب تبت ويدا هو تبت وهذا اصيح كلام العرب لتعبير ببعض الشيء عن كله
تقول اصابته يد الدهر ويد الرزايا والمنايا اي اصابه كل ذلك قال الشاعر لما
اكلت يد الرزايا علينا دعي الهجير وتب قال العزا التب الاول دعاء والثاني خبر
كما تقول اهلكه الله وقد هلك وفي قراءة عبد الله وابي وقد تب وابو لهب اسمه
عبد العزى وهو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وامرأته العوراء ام
جميل اخت ابي سفيان بن حرب وكلاهما كان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه
وسلم قال طارق بن عبد الله المحاربي اني بسوق ذي المجاز اذا انا بانسان يقول
يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه قد دمى ساقيه
وعرقوبيه ويقول يا ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا محمد
زعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يحسبكم محمدا ان احدنا ليأكل الجزعة ويشرب العس
من اللبن فلا يشبع واذا محمد اذا اشبعكم من فخذ شاة وارواكم من عس لبن الثانية ابو
لهب فقيل سمي باللهب لحسنه واشراق وجهه وقيل لما قال الله انه يصلى نارا ذات لهب
تكنية المشرك وهو باطل وانما كناه الله بابي لهب عند العلماء لامرين احدهما ان
اسمه كان عبد العزى والعزى صنم والثاني ان الله سبحانه وتعالى لما اضاف
الكنية الى صنم اشعر مشعر باسمه فصرح بما الثالث ان الاسم اشرف من الكنية فحط
الله عز وجل عن الاشرف الى الانقص اذ لم يكن بد من الاخبار عنه ولذلك دعا الله تعالى
لانبيائه باسمائهم ولم يكن باحد منهم ودل على شرف الاسم على الكنية ان الله سبحانه
وتعالى يسمي ولا يكنى وان كان ذلك لظهوره وبيانه واستغنائه لشبه الكنية
اليه لتقدسه عنها الرابع ان الله تعالى اراد ان يحقق لنبيه بان يجعل النار
تكون (له) بالبهت تخفيفا للكنية واضافا للفعال والنظر للتي اختار لنفسه وقيل
اسمه كنيته فكانوا لقبله يسمونه ابا لهب لتلهبه وجهه وحسنه فصرفهم الله عن
ان يقولوا ابو شرر وابو نصبا الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه واجرى
على السنتهم ان يضفوه الى لهب الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم وهو ان
ثم تحقق ذلك بان يجعلها مقترنة وقرأ ابن مسعود ومجاهد وحميد وابن كثير وابن
محيصن الى لهب باسكان الهاء لم يخلصوا الى ذات لهب انها مفتوحة لانهم راعوا
فيها رؤس الآي الثالثة قال ابن عباس لما خلق الله عز وجل القلم قال له اكتب
ما هو كائن وكان فيما كتبت تبت يدا ابي لهب وقال منصور سئل الحسن عن قوله
تبت يدا ابي لهب هل كان في ام الكتاب وهل كان ابو لهب يستطيع ان لا يصلى النار
فقالوا الله مما كان ليستطيع الا يصلاها وانما في كتاب الله من قبل ان يخلق
ابو لهب وابواه وبويع فقولي لادم انت الذي خلقك الله بيده ونفخ
واسكنك جنته واسجد لك ملائكته اغويت الناس واخرجتهم من الجنة قال
ادم وانت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه واعطاك التوراة اتلومني على امر كتبه
الله علي قبل ان يخلق الله السموات والارض قال النبي صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى وقد
تقدم هذا وفي حديث همام عن ابي هريرة اذا ادم قال لموسى كم وجدت في كتب التوراة
قبل ان يخلقني قال بالفي قال فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال
اتلومني على امر كتب الله علي ان افعله من قبل ان اخلق بالفي عام فحج ادم موسى وفي حديث
طاوس وابن هرمز والاعرج عن ابي هريرة باربعين عاما قوله تعالى ما اغنى عنه
ماله وما كسب اي ما دفع عنه عذاب الله مما جمع من المال ولا ما كسب من حاه وقال
مجاهد من ولد الرجل من كسبه وقرأ الاعمش وما كسب وروياه عن ابن مسعود
وقالا ابو الطفيل جاء بنو ابي لهب يختصمون عند ابن عباس فاقتتلوا فقام ليجز بينهم
فدفعه بعضهم فوقع على الفراش فغضب ابن عباس وقال لهم اخرجوا عني الكسب
الخبيث يعني ولده ومن مات منهم رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهب شاكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه خرجه ابو داود وقال
ابن عباس لما انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار قال ابو لهب ان كان
ما يقول ابن اخي حقا فاني افدي نفسي بمالي وولدي فنزل ما اغنى عنه ماله وما كسب
وما في قوله ما اغنى يجوز ان تكون نفيا ويجوز ان تكون استفهاما بمعنى اي شيء اغنى

واما الثانية

واما الثانية يجوز ان تكون بمعنى الذي ويجوز ان تكون مع الفعل مصدرا اي ما اغنى عنه
ماله وكسبه قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب اي ذات اشتعال وتلهب وقد
مضى في سورة المرسلات القول فيه وقراة العامة سيصلى بفتح التاء وقرا ابو رجاء
والاعمش بضم التاء وروها محبوب عن اسمعيل عن ابن كثير وحسين عن ابي بكر عن عاصم
وروينه عن الحسن وقرا اشهب العقيلي وابو سماك العدوي ومحمد بن السميقع
سيصلى بضم الياء وفتح الصاد وتشديد الصاد ومعناها سيقلبه الله من قولهم
وتصلية جحيم والثانية من الاصطلاء اي سيصليه الله من قولهم وتصلية جحيم
والتاء تحتمل سيصلى نارا والاولى هيا لاقتران الجار بها والناس عليها وهي من قرئه
الا من هو صال الجحيم قوله تعالى وامراته اي ام جميل وقال ابن الاعرابي ام قبيح وكانت
عوراء حمالة الحطب قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي كانت تمشي بالنميمة
بين الناس تقول للعرب فلان يجتلب علي فلان اذا ورش عليه قال الشاعر
ان بني لاردم مما لون الحطب هم الوشاة في المرضاة في الغضب عليهم للضغن يغري
والحرب وقال الاخر من البسيط لم يبقط على ظهرها الا منه ولم يمش بين الحي بالحطب الرطب
يعني لم يمش بالنمائم وجعل الحطب رطبا للدلالة على النتن خبيث الذي هو زيادة في الشر
وقال الكلبي بن صبيح لها يا ام قبيح فانها نار محرقة واذا النمام يعمل في ساعة ما
يعمل الساحر في شهر اخذه بعض الشعراء فقال اذا النميمة نار وبيك محرقة فمدعمها
وجانب من تفاطيها ولذلك قيل نار الحقد لا تخمد وثبت عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا يدخل الجنة نمام وقال ذو الوجهين لا يكون عند امرء وجيها وقال من ستر الناس
ذو الوجهين الذي ياتي هولا بوجه وهولا بوجه وقال لعب الاحبار اصاب بني اسرائيل
قحط فخرجوا بهم موسى عليه السلام تلاث مرات يستسقون فلم يسقوا فقال موسى يا
عبادك قاوحى الله اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيهم رجلا نماما فقال امر
اصرخ على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم
عن النميمة واكون نماما فقاموا باجمعهم فتابوا النميمة من الكبائر لاخلاف في ذلك
حتى قال الفضيل بن عياض ثلاث بهذا العمل الصالح يقطرن القيام ويتقضن
الوضوء النميمة والكذب وقال عطاء بن ابي رباح ذكرت الشفعة عند
النبي صلى الله عليه وسلم لا سكن سكنا فلك دم ولا اشابه بنميمة ولا ناجر يدي نقلت
يا ابا عمرو فترك القيام بالقاتل واكل الربا قال وهل يستمك الدم وتنتهك الحرم
ويهيج الامور العظام الا من اجل النميمة وقال قتادة وغيره كانت بغي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالغفر ثم كانت مع كثرتها لا تحمل الحطب على ظهرها
لشدة تحريمها فعيرت بالحمل وقال ابن زيد والضحاك كانت تحمل العضاة والشوك
فتطرحه بالليل على طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال ابن عباس وقال
فكان النبي صلى الله عليه وسلم تطا كل يوم بشوك الحرير وقال عروة الهدالي كانت ام
جميل تاتي كل يوم بما تناله من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي
ذات يوم حاملة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجاء بها الملك من خلفها
فاهلكها وقال سعيد بن جبير حمالة الخطايا ازلة الذنوب من قولهم فلان يحتطب على
ظهره ذنوبهم وقيل قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقيل لمشيها حمالة الحطب
في النار وفيه بعد وقراة العامة حمالة بالرفع على ان تكون خبرا وامراته نسقا
وتكون في جيدها حبل من مسد حمله في موضع الحال من الضمير في حمالة او خبرا
ثانيا وتكون حمالة الحطب نعتا لامراته والمعنى في جيدها من مسد تبوقف
على قعد اغلى ذات لهب ويجوز ان تكون وامراته معطوفة على الضمير في سيصلى
فلا يوقف على ذات لهب ويجوز ان تكون ويوقف على امراته وتكون حمالة
الحطب خبرا ثانيا او محذوف وقرا عاصم حمالة الحطب بالنصب على الذم كانها قد
استعرت بذلك فبان الصفة للذم لا للتخصيص كقوله تعالى لسليمان بن
ان ما تفقوا وقرا ابو قلابة حمالة الحطب قوله تعالى في جيدها اي في
عنقها قال عمرو القيس وجيد كجيد الريم ليس بفاحش اذا هي نصته
ولا بمعطل جيد من مسداي من ليف قال الثعلبي قد وقفت بعض النحو

ناذ لها له صريف صريف العفو بالمسد وقال الزاجر يا صيد الحوض نعود منى ان
كنت لدنا لبنا فانى ماشئت من اسمط سفين وقد تكون من جلود الابل او من
اوبارها قال وهذا من ابا ليق ليس باسان ولا حقانق وجمع الجيد اجيا د
والمبذا ساد ابو عبيده هو حبل يكون من ضروب الحسن فى حبال شجر ينبت ه
باليمن يسمى المسد وكانت تفتل قال القتيبى وغيره هذا لانها فكانت
غير النبى صلى الله عليه وسلم بالنفر وهى تحتطب فى حبل تحمله فى جيدها
من ليف فخنقها الله جل وعز فاهلكها وهو فى الاخرة حبل من نار وقال ابن عباس
فى رواية اخرى هى حبالى فى جيدها حبل من مسد قال سلسلة ذرعها سبعون ذراعا
وقاله قتادة وعروة ابن الزبير يدخل فيها ويخرج من اسفلها ويلوى سائرها على
عنقها وقال قتادة حبل من مسد قال قتادة من ورع الحسن انما كان حبلا فى عنقها
سعيد بن المسيب كان لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات لاعرين لا تعنقها
فى عداوة محمد ويكون ذلك عذابا فى جيدها يوم القيامة وقيل اذ نزلت اشارة
الى الحمالة لان ليس لها من بوطنة عن الايمان بما سبق لها من الشقاء المرموطنى
جيده حبل من مسد والمسد المفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اذا اجاد
فتله قال يمسدا على لحمه وذارعه يقول اذا الفتل يقوى ظهر هذا الحبل وشده
وداية ممسودة الخلق اذا كانت شديدة الاسر قال الشاعر ومسد امر من ابانق
عناق ذات مخ زاهق ليس باسان ولا حقانق ويروى ولا عناق مخهن زاهق
قال الفراء هو مرفوع والشعر مكفا يقول بل مخهن كثير رفعه على الابتداء ولا يجوز
ان يريد ولا مسد فزاهق مخهن كما لا يجوز ان يقول مررت برجل ابوه قائم
بالخفض وقال عمرو الزاهق هنا معنى الذاهب كانه قال ولا عناق مخهن ثم
رد الزاهق على العناق ورجل ممسود اى مخذول الخلق وماربة حسنة المسد
والعظم والجدل والارم وهى ممسودة ممصورة ويجدل فتل ومار ومد والمساد
على فعال لغة فى المادة وهى حبل السفن وسقاء المسد قال الجوهرى وقد اعترض
فقيل ان كان ذلك حبلها الذى تحتطب به فكيف يبقى فى النار واجيب عنه
بان الله جل وعز قادر على تجديده كما احترق والحكم بشقاء ابى لهب وامرأته فى النار
مشروط بيقائهما على الكفر الى الموافاة فلما ماتا على الكفر صدق الاخبار عنهما ه
فتضمنه معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم فامرأته خنقها الله بحبل وابو لهب رماه
الله بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال بعد ان سمعها الفضل وذلك انه لما
قدم الضمضام مكة بخبر بدر قال له ابو لهب اخبرنى خبر الناس قال لا شىء والله ما هو
الا ان لقينا القوم فمنحناهم اكتافنا يضعون التلاع منا حيث شاءوا ومع ذلك ه
ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق لا والله ما يبقى منا شىء ولا يقوم لما يبقى شىء
قال ابو رافع وكنت غلاما للعباس وكنت / لا قداح فى صفة زمزم وعندى
ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر فمن فعمت طنب الحجرة فقلت
تلك والله الملائكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهى ضربة منكرة وثاورته
وكنت رجلا ضعيفا فاحتملنى فضرب وجهى ضربة ونزل على فضربنى بضربتين وقد متنى
ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فتناخذه وتقول استضعفته ان غاب عنه سيده
فضربه بالعمود على راسه فشجه شجة منكرة فنام بحمر رجله دليل ورماه الله ه
بالعدسة فمات وافام ثلاثة ايام لم يدفن حتى انتن ثم ان ولده غسلوه بالماء قذفا
من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش يتقيها كما يتقى الطاعون ثم
احملوه الى اعلا مكة فاسندوه الى احد ارائم رضموا عليه الحجارة لتستر سوءته
ه خلاص مكية فى قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر ومدنية
فى احد اقولى ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى وهى اربع ايات لسم
الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل هو الله احد اى الواحد الوتر الذى لا شبه له
ولا نظير ولا صاحبة ولا ولد ولا شريك واصل احد وحد قلبت الواو همزة
وهذه قول ثانية على سبيل وحد وقد تقدم فى سورة البقرة الفرق بين
واحد واحد وفى كتاب الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى بيانا شافيا والحمد لله

واحد

واخذ مرفوع على معنى هو احد وقيل المعنى قل الرحمن والشان الله احد وقيل احد بدل من قوله الله احد وقرئ احد الله بلا تنوين طلبا للخفة وقرأ ابن الزبير الله الصمد بلا الف كما تكتب ومنه قول الشاعر ولا ذاكر الله الا قليلا الله الصمد الذي يصمد اليه في الحاجات كذا روى الضحاك عن ابن عباس قال الذي يصمد اليه في الحاجات كما قال جل وعز ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون قال اهل اللغة الصمد السيد الذي يصمد اليه في النوازل والحوائج قال الازهري سمعت الشافعي يحكي عن سيد سمعه من فسره ويا نسبه الصمد وقال قدم الصمد الدايم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل تفسيره ما بعده لم يلد ولم يولد قال ابي بن كعب الصمد الذي لا يلد ولا يولد لانه ليس شي يولد الا هو سيموت وليس شي يموت الا يورث وقال ابن عباس لطفا وابو وايل وشقيق بن سلمة وسفيان الصمد هو السيد الذي قد انتهى سوددة في انواع الشرف والسودد ومنه قول الشاعر علونه بسنام ثم قلت له خذها حذيف فانت السيد الصمد وقال ابو هريرة انه المستغني عن كل احد والمحتاج اليه كل احد وقال السدي انه المقصود في الرغائب والمستعان في المصايب وقال الحسن بن الفضل انه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقال مقاتل هو الكامل الذي لا عيب فيه ومنه قيل للرجلين اذا سروا حتى انتصف الليل واعتمدوا ولا رابع لهما قد اصمدا اصماد وقال الحسن وعكرمة والضحاك الذي لا جوف له قال الشاعر شهاب حروب لا تزال جياده عوابس تعلكن اللجم الصمدا قلت قد اتينا على هذه الاقوال بينة في الصمد في كتاب الاسنا وان الصحيح منها ما شهد له الاشتقاق وهو القول الاول ذكره الخطابي وقد استنبط من هذه السورة من العبده الكبرى واخزاه وجعل النار مقامه ومثواه وقد آتاه الواحد الصمد في الصلاة والناس يسمعون فاسقط شكل هو وزعم انه ليس من القرآن وغير لفظ احد واحد وما كان لهذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الجاهل والمحال فاسقط معنى الاية لان اهل التشبيه قالوا انزلت الاية جوابا لاهل الشرك لما قالوا للرسول اسم صفة الله عليه وسلم صف لنا ربك امن ذهب ام من نحاس ام صفر فقال الله عز وجل رادا عليهم قل هو الله احد فلمن هو لا له على موضع الرد وكان الجواب كذا اسقط بجهل معنى الاية وصحح الافتراء على الله عز وجل والتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس شي يموت الا سيورث وان الله تعالى لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبه ولا عدل وليس كمثله شي وروى عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر انسابهم فقالوا انسب لنا ربك فانزل الله تعالى هذه السورة قل هو الله احد فذكر نحوه ولم يذكر عن ابي بن كعب وهذا اصح قالوا الترمذي قلت وفي هذا الحديث اثبات لفظ قل هو الله احد ولتفسير الصمد وقد تقدم وعن عكرمة نحوه وقال ابن عباس لم يلد كما ولدت مريم ولم يولد كما ولد عيسى وعزير وهو رد على النصارى وعلى من قال لعزير ابن الله ولم يكن له كفوا احدا يعني لم يكن مثلا احد وقد تقدم تقديم وتاخير تقديره ولم يكن احد كفوا فقدم خبر كان على اسمها لتناسق اواخر الايه على نظم واحد وقربه كفوا منهم الفاء وسكونها وقد تقدم في البقرة ان كان اسم على ثلاثة احرف اوله مضموم فانه يجوز في عشد الضم والاسكان الا قوله تعالى وجعلوا له من عبادة جزا لعلة تقدمت وقد اجمعوا على ضم الهاء من يهوذ وكلها لغات فصيحة القول في الاحاديث الواردة في فضل هذه السورة وفيه ثلاث مسايل الاولى منكر في صحيح البخاري عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وعند قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله فقال الله الواحد الصمد ثلث القرآن خرجه مسلم من حديث ابي الدرداء بمعناه وخرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا فاني سا قرا عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم

فقرأ الله احدهم وخل فقال لبعضهم لبعض الى اراكم هذا خبر اخاه من السما فذاك الذي اجله
ثم خرج فقال الى قلت لكم سأقرأ عليكم قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا هو
انما تعدل ثلث القرآن لاجل هذا الاسم الذي هو الصمد قال لا يوجد في غيرها
من السور ولذلك احد وقيل ان القرآن انزل اثلاثا ثلثه احكام
وثلثه وعد ووعيد وثلثه اسما وصفات وخص قل هو الله
احد الاثلاث وهو الاسماء والصفات دل هذا التأويل على ما في صحيح
مسلم من حديث ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل جزأ
القرآن ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله احد جزءا من اجزاء القرآن وهو نصف وبعد
العشر سبب سورة الاخلاص الثانية روى مسلم عن عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لاصحابه في صلاتهم
فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال
سلوه لاي شيء يصنع ذلك فسألوه فقال لانها صفة الرحمن فانا احب ان اقرأ
بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله عز وجل يحبه وروى
الترمذي عن انس بن مالك قال كان رجل من الانصار يؤمهم في مسجد قباء
فكان كلما افتتح سورة يقرأ لهم في الصلاة مما يقرأ بها افتتح بقل هو
الله حتى يفرغ منها ثم يقرأ سورة اخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه
اصحابه فقالوا انك تقرأ بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرأ
سورة اخرى فاما ان تقرأ بها واما ان تدعها وتقرأ بسورة اخرى فقال ما انا
بتاركها ان احببتم ان اؤمكم بها فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا يرونه افضلهم
وكرهوا ان يؤمهم غيره فلما اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه الخبر فقال
يا فلان ما يمنعك ما يأمر به اصحابك وما يحملك ان تقرأ هذه السورة في كل ركعة
فقال يا رسول الله اني احبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حبها ادخلك
الجنة قال حديث حسن غريب صحيح قال ابو العز فكان هذا دليلا هو
على انه يجوز تكرار سورة في كل ركعة وقد ترجم على هذا الاساس فيما يقرب منه انما
من جملة الثانية والعشرين اما ما كان منه يصلى التراويح في رمضان بالاوزاع
يقول في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد حتى يتم التراويح تخفيفا على نفسه
وعلى القوم وللسنة تختم القرآن في رمضان قلت هذا لا يوافق قوله فيما
قال ولم يختم القرآن في المساجد سنة الثالثة روى الترمذي عن انس
ابن مالك قال اقبلت على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله
احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت ما وجبت قال الجنة قال
هذا حديث حسن صحيح قال الترمذي حدثنا محمد بن مرزوق البصري قال
حدثنا حاتم بن ميمون ابو سهل عن ثابت البناني عن انس بن مالك عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله احد محى الله عنه ذنوب خمسين
سنة الا ان يكون عليه دين وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من اراد ان ينام على فراشه فنام عن يمينه ثم قرأ قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان
يوم القيامة يقول له الرب يا عبدي ادخل على يمينك الجنة قال هذا حديث غريب
من حديث ثابت عن انس وفي مسند ابي محمد الدارمي عن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد احدا وخمسين مرة غفرت
له ذنوبه خمسين سنة قال وحدثنا عبد الله بن يزيد قال حدثنا حيوة قال اخبرني
ابو عقيل انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ في اثر صلاته قل هو الله احد عشر مرات بنى له قصر في الجنة ومن قرأها
عشرين مرة بنى له بها قصران في الجنة ومن قرأها مثل ذلك من مرة بنى له ثلاثة قصور
في الجنة فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله اذن لنكثرن قصورنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك قال ابو محمد بن عقيل وكان حمزة بن
حميد وثقوه انه من الابدال وذكر ابو نعيم الحافظ من حديث ابي الملاس بن عبد
ابن حميد الكعبي عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وامن من ضغطة القبر

حملة الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة قال هذا حديث
غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي وذكر ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الحافظ
عن عيسى بن ابي فاطمة الرازي قال سمعت مالك بن انس يقول اذا تقرب الناقور
اشتد غضب الرحمن فتنزل الملائكة فيأخذون بأقطار الارض فلا يزالون يقرون
فلا هوا الله احد حتى ليكن غضبه عز وجل وخرج من حديث بن خالد الحذري عن
مالك عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل يوم
الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وخمسين مرة
قل هو الله احد فذلك مائتان مرة في اربع ركعات لم يمت حتى يرى منزله في الجنة او يرى
له وقال ابو عمرو مولى حرير بن عبد الله البجلي عن جرير قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد حين يدخل منزله نفت الفقر عن اهل ذلك
المنزل وعن الجيران وعن الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله احد
مرة بورك عليه ومن قرأها مرتين بورك عليه وعلى اهله ومن قرأها ثلاث مرات
بورك عليه وعلى جميع جيرانه ومن قرأها اثنتي عشرة مرة بنى الله له اثني عشر قصرا
في الجنة وتقول الحفظة انطلقوا بنا الى قصر اخينا فان قرأها مائة مرة كفر
الله عنه ذنوب خمسين سنة ما خلا الدماء والاموال فان قرأها مائتي مرة غفر
الله عنه ذنوب مائة سنة فان قرأها الف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة او يرى
له وعن سهل بن سعد الساعدي قال سمعا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفقر وضيق المعيشة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت بيتك
ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم علي واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة فعمل
الرجل فاورد الله الرزق حتى افاض على جيرانه وقال الذي كنا نمر بالنبي صلى الله عليه وسلم
بثوبك فطلعت الشمس بيضاء لها شعاع ونور لم ار فيما مضى قط طلعت قط لذلك فاتى
جبريل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما لي ارى الشمس طلعت بيضاء
لها شعاع لم ار اها طلعت لذلك فيما مضى قط فقال ذلك لان ثمانية الليث توفي
بالمدينة اليوم فبعث الله سبعين الف ملك يصلون عليه قال وبم ذلك قال كان يكثر
قراءة قل هو الله احد اناء الليل وانا النهار وفي منامه وقعوده فبذلك ان افتض
لك الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه ثم رجع ذكره الثعلبي

تفسير سورة الفلق وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدنية

في احد قولي ابن عباس وقتادة وهي خمس آيات وهذه السورة وسورة الناس والاخلاص
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سحرته اليهود على ما يأتي وقيل ان المعوذتين
كانه قيل لهما المعوذتان او يقرآن من النفاق وقد تقدم وزعم ابن مسعود
انهما دعا يعوذ به ولبسنا من القرآن خالف به الاجماع من الصحابة واهل البيت
قال ان قلت لم يكن في مصحف عبد الله بن مسعود في مصحفه المعوذتين لانه كان لم يسمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما فقد رآهما يعوذ بهما
اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة قال لابي بكر
الانباري وهذا مردود على من قيضه لان المعوذتين من كلام رب العالمين المعجز بهم
المخلوقين واعيذكما بكلمات الله التامة من قول البشر وكلام المخلوق انما هو اباحة
لمحمد صلى الله عليه وسلم وحجة له بافضة على عامة الكافرين لا تلتبس كلاما الا
مبين على عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف باجناس
الكلام وافانين القول وقال بعض العلماء لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه ظن
من اللسان فاسقطهما كما اسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وما يشك في خطأ
وانما به لها فرد هذا القول على قائله واحتج عليه بانه قد كتب اذا جاء نصر الله والفتح
اعملنا ان الكوثر قل هو الله احد حين جرد المعوذتين فانهما غير طوال والحفظة
اليهن اسرع ونسيانهن ما يكون وكلهن بخلاف فاتحة الكتاب اذ الصلاة لا تتم
الا بقراءتها وسبق كل ركعة ان تكون المقدمة فيها قبل ما تقرأ ما بعدها فاستقام
فاتحة الكتاب من المصحف على معنى انه بقي حفظها والدين من نسيانهن
صحيح ليس من السور ما يجري في هذا المعنى مجراها ولا يسلك به طريقتها

وقد مضى هذا المعنى في سورة الفاتحة والحمد لله لسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى
قل اعوذ برب الفلق الى اخر السورة فيما سبق مسائل الاولى روى النسائي عن عقبة بن
عامر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت يدي على قرنه فقلت
اقرئني سورة يوسف فقال لن تقرأ شيئا ابلغ عند الله من قل اعوذ برب الفلق وعنه
قال بينما اسير مع النبي صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشينا ريح مظلمة
شديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ باعوذ برب الفلق واعوذ برب
الناس ويقول يا عقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما قال وسمعته يقرأ بهما
في الصلاة وروى النسائي عن عبد الله قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ذكر كلاما معناه فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قل فقلت ما اقول قال قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثا
تكفيك كل شيء وعن عقبة بن عامر الجهني قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
قل قلت ما اقول قال قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق اعوذ برب الناس ثم قرأهن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لم يتعوذ الناس بمثلهن او لا يتعوذ الناس بمثلهن وفي
حديث ابن عباس قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس هاتين السورتين وفي
صحيح البخاري ومسلم عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى نفث على
نفسه المعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت انفث عليه وامسح عنه رجاء بركتها
النفث النفخ ليس معه ريق الثانية ثبت في الصحيحين من حديث عائشة ان
النبي صلى الله عليه وسلم سحره يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم
حتى يخيل اليه انه كان يفعل الشيء ولا يفعله فلبث كذلك ما شاء الله ان يمكث
في غير الصحيح ستة ثم قال يا عائشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته
فيه اتاني ملكان جلس احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما
للرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم قال فيما ذا قال
في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذي اروان فجاء البئر واستخرجه
الحديث الصحيح وقال ابن عباس اما شعرت يا عائشة ان الله تعالى اخبرني
بدائي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كانه نقاعة
الحناء ثم رفعوا الصخرة وهي الراعوفة صخرة يترك اسفل البئر يقوم عليها
الماء فاخرجوا الجف فاذا مشاطة راس انسان وانسان في مشط واذا وتر
معقود عليه اثنتي عشرة عقدة مغروزة بالابرة فانزل الله تعالى هذه
السورتين وهما احدى عشرة اية على عدد تلك العقد وامره ان يقوم بهما
فجعل كلما قرأ اية انحلت عقدة ووجد النبي صلى الله عليه وسلم خفة حتى
انحلت العقدة الاخيرة فكانما انشط من عقال وقام ليس به باس
وجعل جبريل يرقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول بسم الله ارقيك من كل شيء
يوذيك من شر كل حاسد وعين والله يشفيك فقالوا يا رسول الله الا نقتل
الخبيث فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس شرا وذكر
المشيري في تفسيره انه ورد في الصحاح ان قتلى ما من اليهود كان يخدم
النبي صلى الله عليه وسلم فدنت اليه اليهود ولم يزالوا به حتى اخذ شاطة
راس رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشاطة بضم الميم ما يسقط من الشعر
عند المشط واخرعدة من اسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها
وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الاعصم الاعمى اليهودي وذكر نحو ما تقدم عن ابن
عباس الثالثة تقدم في البقرة القول في السحر وحقيقته وما يشاكله
من الالام والمفاسد وحكم الساحر فلا معنى لاعادته الرابعة قوله تعالى الفلق
اختلف فيه فقيل سجن في جهنم قاله ابن عباس وقال ابي بن كعب بيت
في جهنم اذا فتح صاح اهل جهنم من حره وقال الحلي ابو عبد الرحمن هو اسم من
اسماء جهنم وقال الكلبي هو واد في جهنم وقال عبد الله بن عمر شجرة في النار
سعيد بن جبير جب في النار النحاس فقال لما اطلعت من الارض قلت فعلى
هذا يصح هذا القول وقال جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير ايضا
ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد الفلق الصبح وقاله ابن عباس تقول

العرب هوابين من قلق الصبح وفزف الصبح قال الشاعر

* يا ليلة لم انهات سرتقما ارعى النجوم الى ان نور الفلق *

وقيل القلق الجيادو الصخور تتقلق بالمياه اي تتشقق وقيل هو التعليق بين الجبال لانها تتقلق من خوف الله عز وجل قال زهير

* سارلت ارسفهم حتى اذا هبطت ايدي الركاب بهم من راكس فلقا *

الركس بطن الوادي وكذلك هو في قول النابغة

* ودوني راكع فالصواج والراكس انيفا الهاوي *

وهو الثور وسط ليذ زيد وعليه التراث في الرياسة وقيل الرحم تتقلق بالمياه اي تشقق وقيل هو التقلق بالحيوان وقيل انه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح والحب والنوى وكل شيء من نبات وغيره قاله الحسن وغيره قال الضحاك الفلق الخلق كله قال وسوس وسوس يدعو مخلقا رب الفلق شرا وقد اذن باد من عفوه وهب فلت هذا القول يشهد له الاشتقاق قال الفلق الشق فلقت الشيء فلقا شققته والتقلق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق فكل ما انفلق عن شيء من حيوان وصبح وحب ونوى وما هو فلق قال الله تعالى فالق الاصباح وقال فالق الحب والنوى وقال ذو الرمة يصف الثور الوحشي

* حتى اذا انجلى عن وجهه فلق هاز سدفي احزاب الليل منتصب *

يعني بالفلق ههنا الصبح بعينه والفلق ايضا المطمئن من الارض بين الربوتين وجمعه فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا كان ذلك لفالق كذا وكذا تريد المكان المنحدر بين الربوتين والفلق ايضا مقطره السحاب قال الفلق بالكسر الداهية والامر العجيب تقول منه افلق الرجل وافتلق وشاعر مفلق وقد حانا الفلق والفلق ايضا القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال لكل واحد منهما فلق وقولهم جاء بفلق وهي الداهية لاخرى يقال منه افلقت وافلقت اي جئت بفلق فلق وسر مفلق في عروه اي باب عجيب من شر ثم قوله تعالى من شر ما خلق قيل هو ابليس وذريته وقيل جهنم وقيل هو عام اي من شر كل ذي شر خلقه الله عز وجل الخامسة قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب اختلف فيه فقيل هو الليل والغسق هو اول ظلمة الليل يقال

* منه غسق الليل يغسق اي اظلم قال قيس بن الرقيات *

* ان هذا الليل قد غسقا واسكنت الهم والارقا *

وقال اخر * يا طيف هند لقد اتعبتني لي ارقا فرحيا طارقا والليل قد غسقا *

هذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ووقب على هذا التفسير اظلم قاله ابن عباس والضحاك وقتادة ذهب بيان بن سمعان سكن وقيل ترك يقال وقب العذاب على الكافرين نزل قال الشاعر

* وقب العذاب عليهم فكانهم لحقتهم نار السموم فاحصدوا *

وقيل وقد الزجاج قيل للقمر غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد ولا ندع الليل يجيء الساعة من احايينها والمراد من اماكنها ويتسع اهل الشر في العيث والفساد وقيل الغاسق الثريا وذلك انها اذا استقلت كثرة الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع ذلك قاله عبد الرحمن بن زيد وقيل هو الشمس اذا غربت قاله ابن شهاب وقيل هو القمر قال المبرد اذا وقب القمر اذا دخل في ساهورة كالملاف اذا خسف به وكل شيء اسود فهو غسق وقال قتادة اذا وقب اذا غاب وهو صحيح لان في الترمذي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقال احمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي في تاويل هذا الحديث وذلك ان اهل الدرب يخمنون وجه القمر واذا اراد الله من اية اتاهما امحى المحجوز ومنها الكلب والقمر

هذا بعيد وهذا استضابه وهذه صفور قوامة السحر وقيل الفاسق الحية اذا لدغت
وكان الفاسق نابها لان السم يفسق منه اي يسيل ورقب نابها اذا ادخل في اللديغ
وقيل الفاسق كل هاجم يضر كابنا ما كان من قولهم فسقت القرحة اذا جرى صديد
السادسة قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد يعني الساحرات التي تنفث
في عقد الخيط حين ترقين عليها شبه النفخ كما يفعل من يرقي قال اعوذ برتي من النافثات
ومن عاهتة عضته العاضة المعضة وقال متمم بن نويرة بعثت في الخيط شبه الرقى
بخشية الحية والحاسد وقال غيره
قوله تعالى واذا حسد اي عليم وان يعقد فحق له العقوبة
السابعة روى النسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيأ وكل اليه واختلف في النفث عند الرقى فمنعه قوم واجازه اخرون قال
عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقال ابراهيم كانوا يكرهون
النفث في الرقى وقال بعضهم دخلت على الضحاك وهو وجع فقلت الا اعوذ
يا ابا محمد قال بلى ولكن لا تنفث معوذتين بالمعوذتين قال ابن جريج قلت
لعطا اترى ان يتفل به او ينفث قال لا شيء من ذلك ولكن يقرؤه هكذا ثم قال
بعد انفث ان شئت وسئل محمد بن سيرين عن الرقية ينفث فيها فقال
لا علمها بأسا واذا اختلفوا فالحاكم بينهم الستة وقد عائشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان ينفث في الرقية ابراد لابد وقد ذكرناه اول السورة
وفي سنن ابي داود عن محمد بن حاطب ان بنته احترقت فأتت به امه النبي صلى الله عليه وسلم
فجعل ينفث عليهما ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وقال محمد بن الاشعث
ذهب بي الى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء فرقتني ونفثت وامسحت
وروى عن عكرمة من قوله لا ينبغي للراقي ان ينفث فكأنه ذهب فيه الى ان الله
تعالى جعل النفث في العقد مما يستعاذ به فلا يكون بنفسه عوذة وليس
هذا هكذا لان النفث في العقد اذا كان مذموما لم يجب ان يكون النفث
بلا عقد مذموما ولان النفث في العقد انما اريد به السحر المضر به الا روا ؟
وهذا النفث لاصطلاح الاطباء فلا يقاس ما ينفع بما يضر وانما كره
عكرمة المسح لان السنة قالت عائشة رضي الله عنها اشتكيت فدخل علي النبي صلى الله
عليه وسلم وانا اقول اللهم ان كان اجلي قد حضر فارحني وان كان متأخرا
فاشفني وعافني وان كان بلاء فصبرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف قلت فعلمته فمسحني بيده ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك الوجع
بعد وقرأ عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمر ويبس عن
يعقوب ومن شر النفاثات في وزن فاعلات وروت عن عبد الله
ابن القاسم مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وروي ان نساء سحرن
النبي صلى الله عليه وسلم في احدى عشرة عقدة فانزل الله المعوذتين احدى
عشرة اية قال ابن زيد كن من اليهود يعني السواحر المذكورات وقيل
هن بنات لبيد بن الاعصم الثالثة قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد
قد تقدم في سورة النساء معنى الحسد وانه بمعنى زوال نعمة المحسود وان
لم تصر للحاسد مثلها والمنافسة هو بمعنى مثلها وان لم تزل فالحسد شر
مذموم والمنافسة مباحة وهي الغبطة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال المؤمن يغبط والمنافق يحسد وفي الصحيحين لا حسد الا في اثنين
يريد لا غبطة وقد مضى في سورة النساء والحمد لله وقال العلماء الحاسد لا يضر
الا اذا اظهر حسده بقول او فعل وذلك بان يحمله الحسد على اتباع الشر
بالمحسود فيتبع مساويه ويطلب غيبته قال صلى الله عليه وسلم اذا حسدت
فسبع مساويه ولا تظلم قال صلى الله عليه وسلم اذا حسدت فلا تبغ
الحديث وقد تقدم والحسد اول ذنب عصي الله به في السما واول ذنب
عصي به في الارض حسد ابليس ادم وحسد قابيل هابيل والحاسد ممقوت

مبغوض ومطرود وملعون ولقد احسن من قال

قل للحسود اذا تنفس طعنة ماظالما وكانه مظلوم

التاسعة هذه السورة دالة على ان الله سبحانه الله خالق كل شئ وامر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يتعوذ من جميع الشرور فقال من شر ما خلق وخص خاتمة ذلك الحسد ننبيها على عظمه وكثرة ضرره والحاسد عدو نعمة الله قال بعض الحكماء ما رزأ الحاسد ربه في خمسة اوجه اولها انه ابغض كل نعمة ظهرت على غيره وثانيها انه ساخط لقسمة ربه كانه يقول لم قسمت هذه القسمة وثالثها انه ضاد فضل الله اي ان فضل الله بيده لمن يشاء وهو يبخل بفضل الله ورابعها انه خذل اولياء الله اويريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم وخامسها انه اعان عدوه ابليس وقيل الحاسد لا يناله في المجالس الا ندامة ولا يزداد عند الملائكة الا لعنة ولا يعطى ولا يتوكل في الخلوة الا حزنا وغما ولا يزداد في الاخرة الا حزنا واحتراقا ولا ينال من الله الا بعدا ومقتا وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يستجاب دعاؤهم اكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل وحسد تفسير سورة الناس سئل العلق لانها احدى المعوذتين وروي الترمذي من حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بسم الله الرحمن الرحيم قد انزل الله علي آيات لم ير مثلهن قل اعوذ برب الناس الى اخر السورة وقل اعوذ برب الفلق الى اخر السورة قال هذا حديث حسن صحيح رواه مسلم بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى قل اعوذ برب الناس اي مالكهم ومصلح امورهم وانما ذكر انه رب الناس وان كان رب جميع الخلق لامرين احدهما ان الناس معظمون فاعظم بذكرهم انه رب لهم وان عظموا الثاني لانه امر بالاستعاذة من شرهم فاعلم بذكرهم ان هو الذي يعيذهم وانما قال مالك الناس اله الناس لان في الناس ملوكا فذكر انه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكره انه الههم ومعبودهم فانه الذي يجب ان يستعاذ به ويلجأ اليه دون الملوك والعظماء قوله تعالى من شر الوسواس الخناس يعني الشيطان والمعنى من شر ذي الوسواس لحذف المضاف قاله الفراء وهو بفتح الواو يعني الاسم الموسوس وبكسر الواو المصدر يقال الوسوسة ولذا الزلزال والزلزلة والوسوسة حديث النفس يقال وسوست اليه نفسه وسوسة ووسوسة بكسر الواو ويقال لهمس الصائد والكلاب واصوات الحلي وسواس قال ذو الرمة

فبات يسره تارة ويسهوه تذوب الذبيب والوسواس والهضب

وقال الاعشى فتسمع للخناس ان لابليس حانة

تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

ويقال ان الوسواس الخناس ابن لابليس جابه الى حوا وضعه بين يديها وقال اكلمه لجا ادم فقال ما هذا قالت جاء غرنا بهذا وقال لي اكلمه فقال الم آمرك لا تطيعه في شئ هو الذي غرنا حتى وقعنا في المعصية وعمد الى الولد فقطعه اربعة ارباع وعلق كل ربع على شجرة فجمعها له فجا ابليس فقال ياحوا اين ابني فاخبرته بما صنع به ادم فقال ياخناس فاخبئي فاجابه فجا به الى حوا فقال اكلته فجا ادم فخرقه بالناد وذرى رماده في البحر فجا ابليس فقال ياحوا اين ابني فاخبرته بفعل ادم اياه فذهب الى البحر فقال ياخناس فاجيبني فاجابه فجا به الى حوا الثالثة فقال اكلته فنظر اليه فذبحه وشواه واكلاه جميعا فجا ابليس فسأله فاخبرته فقال ياخناس فاجابه من خرق ادم وحوا فقال ابليس وهذا الذي اردت وهذا مسكنك في صدور ولد ادم فهو ملتقم قلب ابن ادم ما دام غافلا بوسوس فاذا ذكر الله الغفل قلبه وانخنس ذكر هذا الخبر الترمذي الحكيم في نوادر الاصول باسناده عن وهب بن منبه

وما اظنه يصح والله اعلم ووصف بالخناس لانه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى
فلا اقسم بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها وقيل لانه اذا قلب ابن ادم
فاذا اغفل وسوس واذا ذكر الله خنس اي تاخر وافتر وقال قتادة ان الخناس
الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الناس فاذا اغفل ابن ادم وسوس
له واذا ذكر الله ذهب ويقال خنس يخنس اذا اخرته فتاخر
واخنسه ايضا ومنه قول العلاء بن الحضرمي اشتد به رسول الله صلى الله عليه
وسلم وان خنسوا بالشر فاعف تكرما وان خنسوا عند الحدث فلا نسل
وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان واضع خطمه على قلب
ابن ادم فاذا ذكر الله خنس واذا نسي الله التقم قلبه فمن ثم وسواس وقال
ابراهيم الهجيمي اولما يبدوا الوسواس من قبل الوضوء وقيل سمي خناسا
لانه يرجع اذا غفل العبد عن ذكر الله والخنس الرجوع قال الراجز

وصاحب يمنعني استفاسا ... يزاد ان خنسه خناسا

وقد روي ابن جبير عن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس وجهين احدهما
انه الراجع بالوسوسة عن الهدى الثاني انه الخارج بالوسوسة عن اليقين
قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس قال مقاتل ان الشيطان في صورة
خنزير يجري من ابن ادم مجرى الدم من عروقه سلطه الله على ذلك فذلك
قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس وفي الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم وهذا يصح فاما قاله
مقاتل وروي شهر بن حوشب عن ابي ثعلبة الخشني قال سالت الله ان
يريني الشيطان وكانه من ابن ادم فرايته يرامي بذنبه ورحلاه في رجليه
تشاعبه في حسره عن انه له الكلب فاذا ذكر الله خنس ونكس واذا
سكت عن ذكر الله اخذ بقلبه فعلى هذا وصف ابو ثعلبة انه منتشا
في الجسد اي في كل عضو منه شعبة وروي عن عبد الرحمن ابن الاسود
ان عبيده من الثنايين انه قال وقد ذكر سنة ما امنت الزنا وما يوسني
ان يدخل الشيطان ذكري شهوته فهذا القول يشبه ان يكون
في الجسد وهو معنى قول مقاتل ووسوسته هو الدعاء طاعته بكلام خفي
تفهل معنونه الى القلب من غير سماع صوت قوله تعالى من الجنة
والناس اختلفوا ان الموسوس قد يكون من الناس قال الحسن هما شيطانان
اما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس واما شيطان الانس
فيبايع علانية وقال قتادة ان من الانس شياطين ومن الجن شياطين
فتعوذ بالله من شياطين الجن والانس وروى شعبة ابي ذر انه قال
لرجل هل تعوذت بالله من شياطين الانس فقال اوان من الانس
شياطين فقال ثم لقوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن الاية وذهب قوم الى ان الناس هنا بمعنى الجن سموا ناسا
كما سموا رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن وقوما وقرا فعلى هذا يكون الناس عطفا على الجنة ويكون
التكرير لاختلاف اللفظين وذكر عن بعض العرب انه قال وهو يحدث
عن قوم من الجن ثم تعقبوا فقتل من انتم فقالوا ناس من الجن وهو
معنى قول الفراء وقيل الوسواس هو الشيطان وقوله من الجنة بيان
انه من الجن والناس معطوف على الوسواس المعنى قل اعوذ برب
الناس من شر الوسواس الذي هو من الجنة ومن شر الناس فعلى هذا
امر بان تستعيذ بالله من شر الجن والانس جميعا كما يقال انثى وانس
والمراد بالناس الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس
في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور الناس عام في الجميع ومن
الجنة والناس بيان لما يوسوس في صدره وقيل معنى من شر الوسواس
اي الوسوسة التي تكون من الجنة والناس وهذا حديث التفسير
وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل تجاوز لامتي



عما حدثت به نفسها ما لم تعمل او تتكلم به رواه ابو هريرة رض جم مسلم والله اعلم
بالمراد من ذلك ثم بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى اله وصحبه
وسلم وحسبنا الله
ونعم الوكيل
امرم



